التبيان
في تفسير القرآن

تأليف
شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن
الطوسي

المجلد ١٠-١


مرکز القائمیة
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة - أصبهان
www.Ghaemiyeh.com

التبیان فی تفسیر القرآن

اشارة

سرشناسه : طوسی، محمد بن حسن، ۳۸۵- ۴۶۰ق.
عنوان و نام پدیدآور : التبیان فی تفسیرالقرآن/ تالیف ابی‌جعفرمحمدبن‌الحسن الطوسی؛ تحقیق موسسه‌النشرالاسلامی‌التابعه لجماعه‌المدرسین بقم‌المقدسه.
مشخصات نشر : قم: جماعه‌المدرسین فی‌الحوزه‌العلمیه بقم، موسسه‌النشرالاسلامی، ۱۴۱۳ق. = ۱۳۷۱-
فروست : موسسه‌النشرالاسلامی‌التابعه لجماعه‌المدرسین بقم‌المشرفه؛ ۶۵۰، ۶۵۱، ۶۵۶، ۶۶۰
شابک : ۲۷۵۰ ریال (ج.۱) ؛ ۱۸۵۰۰ ریال : ج.۴ : 964-470-070-8 ؛ ۲۸۵۰۰ ریال : ج.۵ 964-470-010-5 : ؛ ۸۴۰۰۰ریال: ج.۷.: 964-470-872-5 ؛ ج.۱۱ 978-964-470-948-7 :
وضعیت فهرست نویسی : کاربرگه کتاب فارسی
یادداشت : عربی
یادداشت : ج. ۴ (چاپ اول: ۱۴۲۰ق. = ۱۳۷۸).
یادداشت :ج. ۵ (چاپ اول : ۱۴۲۴ق. = ۱۳۸۲).
یادداشت : ج.۷ (چاپ اول: ۱۴۲۹ق. = ۱۳۸۷).
یادداشت : ج.۱۱ (چاپ اول : ۱۴۳۱ق. = ۱۳۸۸) (فیپا).
یادداشت :کتابنامه.
موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۵ق
شناسه افزوده:جامعه مدرسین حوزه علمیه قم. دفترانتشارات اسلامی
رده بندی کنگره : BP۹۴ /ط۹ت۲ ۱۳۷۱
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۲۶
شماره کتابشناسی ملی : م ۷۱- ۳۸۵۰

المجلد الاول

حياة الشيخ الطوسى ..... ص : 1

اشارة

طلبنا من المؤرخ الشهير و البحاثة الكبير الامام آية اللّه الشيخ آغا بزرک الطهرانى دام ظله ان يستل لنا ترجمة الشيخ الطوسى من كتابه (ازاحة الحلک الدامس بالشموس المضيئة فى القرن الخامس) الذى هو من أجزاء موسوعته (طبقات أعلام الشيعة) فتفضل بذلک و أضاف اليها فوائد مهمة و أموراً لا يستغنى عنها الباحثون، و سماها (حياة الشيخ الطوسى) فله منا الشكر و من اللّه الأجر. الناشر بِسم اللّه الرّحمن الرّحيم و له الحمد ارتسمت على كل أفق من آفاق العالم الاسلامى أسماء رجال معدودين امتازوا بمواهب و عبقريات رفعتهم الى الأوج الأعلى من آفاق هذا العالم، و سجلت أسماؤهم فى قائمة عظماء التأريخ، و جهابذة العلم، و أصبحوا نجوماً لامعة، و مصابيح ساطعة تتلألأ فى كبد السماء كتلألأ الجوزاء، و تضىء لأهل هذه الدنيا فتستفيد من نورها المجموعة البشرية كل حسب مكانته و على مقداره، و بذلک بنوا لأنفسهم مجداً لا يطرأ عليه التلاشى و النسيان، و خلد ذكرهم على مر الزمان و تعاقب الملوان.

و ثمة رجال ارتسمت أسماؤهم فى كل أفق من تلک الآفاق، و هم قليلون للغاية شذت بهم طبيعة هذا الكون فكان لهم من نبوغهم و عظمتهم ما جعلهم أفذاذاً فى دنيا الإسلام، و شواذاً لا يمكن أن يجعلوا مقياساً لغيرهم، أو ميزاناً توزن به مقادير الرجال، إذ لا يمكنها أن تنال مراتبهم و ان اشرأبت اليها أعناقهم و حدثتهم بها نفوسهم. التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 2

و من تلک القلة شيخنا و شيخ الكل فى الكل علامة الآفاق شيخ الطائفة الطوسى أعلى اللّه درجاته و أجزل أجره، فقد شاءت إرادة اللّه العليا أن تبارک فى علمه و قلمه فتخرج منهما للناس نتاجاً من أفضل النتاج، فيه كل ما يدل على غزارة العلم و سعة الاطلاع، و قد مازه اللّه تعالى بصفات بارزة، و خصه بعناية فائقة، و فضله على كثير ممن خلق تفضيلا.

و قد كرّس- قدس اللّه نفسه- حياته طوال عمره لخدمة الدين و المذهب، و بهذا استحق مكانته السامية من العالم الاسلامى عامة و الشيعى خاصة، و بانتاجه الغزير أصبح- و أمسى- علماً من أعظم أعلامه، و دعامة من أكبر دعائمه، يذكر اسمه مع كل تعظيم و إجلال و إكبار و إعجاب، و لقد أجاد من قال فيه:

شيخ الهدى و الطائفة أثر القرون السالفة
وصل الآله فخصه بنهى الأمور العارفة
ظهرت سريرة علمه بالفضل عنه كاشفه
للّه أوقف نفسه شكر الآله مواقفه

سحب الرضا هتفت على قبر يضمک، و اکفه
کم قد حباه فضيلة متبوعة مترادفه؟ «1»

هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن على بن الحسن الطوسى نسبة الى طوس من مدن خراسان التى هى من أقدم بلاد فارس و أشهرها، و كانت- و لا تزال- من مراكز العلم و معاهد الثقافة، لأن فيها قبر الامام على الرضا عليه السلام، ثامن أئمة الشيعة الاثنى عشرية، و هى لذلک مهوى أفئدتهم يقصدونها من الأماكن الشاسعة و البلدان النائية، و يتقاطرون اليها من كل صوب و حدب، للثم تلک العتبة المقدسة و التمرّغ فى ذلک الثرى الطيب.

_____

(1) كتبت هذه الأبيات على ثريا أهديت لمرقد شيخ الطائفة و لم يذكر ناظمها.

و من أجل هذا و ذاک أصبحت كغيرها من مراقد آل محمد عليهم السلام هدفاً لأعدائهم، فقد انتابتها النكبات، و خربت ثلاث مرات، هدمها للمرة الأولى الأمير سبكتكين، و قوضها للمرة الثانية الغزنويون، و أتلفتها للمرة الثالثة عاصفة الفتنة المغولية عام 716 ه على عهد الطاغية جنكيز خان، و قد تجددت أبنيتها و أعيدت آثارها بعد كل مرة، و هى اليوم- مع ما حل فيها من تخريب و دمار- من أجل معاهد العلم عند الشيعة بالرغم من أعدائهم، و فيها خزانة كتب للإمام الرضا عليه السلام يحق للعالم الشيعى أن يعدها من مفاخره، و اللّه غالب على أمره.

ولد شيخ الطائفة فى طوس فى شهر رمضان سنة 385 هجرية- أعنى عام وفاة هارون بن موسى التلعكبرى، و بعد أربع سنين من وفاة الشيخ الصدوق- و هاجر الى العراق فهبط بغداد فى سنة 408 ه «1» و هو ابن ثلاثة و عشرين عاماً، و كانت زعامة المذهب الجعفرى فيها يومذاک لشيخ الأمة و علم الشيعة محمد بن محمد بن النعمان الشهير بالشيخ المفيد عطر اللّه مثواه، فلازمه ملازمة الظل، و عكف على الاستفادة منه، و أدرک شيخه الحسين بن عبيد اللّه ابن الغضائرى المتوفى سنة 411 ه، و شارک النجاشى فى جملة من مشايخه، و بقى على اتصاله بشيخه حتى اختار اللّه للاستاذ دار لقائه فى سنة 413 ه، فانتقلت زعامة الدين و رياسة المذهب الى علامة تلاميذه علم الهدى السيد المرتضى طاب رمسه، فانحاز شيخ الطائفة اليه، و لازم الحضور تحت منبره، و عنى به المرتضى، و بالغ فى توجيهه و تلقينه، و اهتم له أكثر من سائر تلاميذه، و عين له فى كل شهر اثنى عشر ديناراً «2» و بقى ملازماً له طيلة ثلاث

---

(1) فما ذكره فى «الروضات» من روايته عن الشريف الرضى كما فى ترجمة الشريف ص 573 من الطبعة الاولى من سبق القلم، حيث كانت وفاة الشريف سنة 406 ه بالإجماع، و دخول الشيخ بغداد كان فى 408 كما صرح به هو ايضاً فى ص 581، و الغريب نقل بعض لذلک عن «مستدرک الوسائل» لشيخنا الحجة النورى و هو خال من ذلک بل هو الذى نبه على هذا الاشتباه.

(2) ان هذا و أمثاله مما يكذب ما ينسبونه الى السيد المرتضى من البخل، و انه دخل على الوزير المهلبى فقدم له عريضة يطلب فيها رفع ضريبة قدرها عشرون ديناراً فرضت على أرض له فلم يحفل-

و عشرين سنة، و حتى توفى السيد المعظم لخمس بقين من شهر ربيع الاول سنة 436 ه فاستقل شيخ الطائفة بالامامة، و ظهر على منصة الزعامة، و أصبح علماً للشيعة و مناراً للشريعة، و كانت داره فى الكرخ مأوى الأمة، و مقصد الوفاد، يأتونها لحل المشاكل و إيضاح المسائل، و قد تقاطر اليه العلماء و الفضلاء للتلمذة عليه و الحضور تحت منبره و قصدوه من كل بلد و مكان، و بلغت عدة تلاميذه ثلاثمائة من مجتهدى الشيعة، و من العامة ما لا يحصى كثرة.

و قد اعترف كل فرد من هؤلاء بعظمته و نبوغه، و كبر شخصيته و تقدمه على من سواه، و بلغ الأمر من الاعتناء به و الإكبار له أن جعل له خليفة

الوقت القائم بأمر اللّه- عبد اللّه- ابن القادر باللّه- أحمد- كرسى الكلام و الافادة، و قد كان لهذا الكرسى يومذاک عظمة و قدراً فوق الوصف، إذ لم يسمحوا به إلا لمن برز في علومه، و تفوق على أقرانه، و لم يكن فى بغداد يومذاک من يفوقه قدراً أو يفضل عليه علماً فكان هو المتعين لذلک الشرف.

لم يفتأ شيخ الطائفة إمام عصره و عزيز مصره، حتى ثارت القلاقل و حدثت الفتن بين الشيعة و السنة، و لم تزل تنجم و تخبو بين الفينة و الاخرى، حتى اتسع نطاقها بأمر طغرل بيک أول ملوک السلجوقية فانه ورد بغداد فى سنة 447 ه و شن على الشيعة حملة شعواء، و أمر بإحراق مكتبة الشيعة التى أنشأها ابو نصر سابور

_____

- الوزير به و اعرض عنه فلامه بعض الحضور على اهانته و احترام أخيه الرضى مع انه دونه فى العلم و الفضل فعلل ذلک بما مر. هذا كله مما خلقه المغرضون و أنت ترى ان انتقال الرياسة الدينية اليه فى بغداد بذلک العصر يستلزم الكرم و الجود الفائتين، كما ان مما لا شک فيه انه كان يعول بجماعة من تلامذته- غير الشيخ الطوسى- أن لم يعل بالجميع، و يبذل لهم ما كان يبذل له و قد ذكر الشيخ البهائى فى «الكشكول» ما كان يجريه المرتضى للشيخ الطوسى و قال بعده: و لأبى البراج كل شهر ثمانية دنانير الخ. و قد تصدى لرد مثل هذه المختلفات ولدنا الدكتور عبد الرزاق محى الدين فى كتابه «أدب السيد المرتضى» الذى قال به شهادة الدكتوراه فى الأدب من القاهرة، و الذى عرضه علينا بعد عودته الى العراق فراقنا كثيراً و كتبنا عليه تقريظا.

التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 5

ابن أردشير وزير بهاء الدولة البويهى و كانت من دور العلم المهمة فى بغداد، بناها هذا الوزير الجليل و الأديب الفاضل فى محلة بين السورين فى الكرخ سنة 381 ه على مثال (بيت الحكمة) الذى بناه هارون الرشيد، و كانت مهمة للغاية فقد جمع فيها هذا الوزير ما تفرق من كتب فارس و العراق، و استكتب تآليف أهل الهند و الصين و الروم كما قاله محمد كرد على «1» و نافت كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار و مهام الاسفار، و أكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين، قال ياقوت الحموى «2»:

و بها كانت خزانة الكتب التى أوقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة و لم يكن فى الدنيا أحسن كتباً منها كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة و أصولهم المحررة إلخ و كان من جملتها مائة مصحف بخط بنى مقلة على ما ذكره ابن الأثير «3» و حيث كان الوزير سابور من أهل الفضل و الأدب «4» أخذ العلماء يهدون اليه مؤلفاتهم فأصبحت مكتبته من أغنى دور الكتب ببغداد، و قد احترقت هذه المكتبة العظيمة فيما احترق من محال الكرخ عند مجيئ طغرل بيک، و توسعت الفتنة حتى اتجهت الى شيخ الطائفة و أصحابه فأحرقوا كتبه و كرسيه الذى

كان يجلس عليه للكلام قال ابن الجوزى «5» فى حوادث سنة 448 ه: و هرب أبو جعفر

---

(1) خطط الشام ج 6 ص 185
. (2) معجم البلدان ج 2 ص 342
. (3) التاريخ الكامل ج 10 ص 3
. (4) سابور معرب شاپور «شاه پور» كان من وزراء الشيعة للملک الشيعى بهاء الدولة، و كان من اهل العلم و الفضل و الأدب، و كانت دار علمه محط الشعراء و الأدباء، ذكره الثعالبى فى «يتيمة الدهر» و عقد فصلا خاصاً للشعراء الذين مدحوه، منهم أبو العلاء المعرى فقد مدحه بقصيدة مشهورة و ذكر فيها دار كتبه هذه بقوله:
و غنت لنا فى دار سابور قينة من الورق مطراب الاصائل مهباب
ترجم له ابن خلكان فى «وفيات الأعيان» ج 1 ص 199- 200 فقال: كان من أكابر الوزراء و أماثل الرؤساء، جمعت فيه الكفاية و الدراية، و كان بابه محط الشعراء الخ و هذه المكانة المادية- مضافاً الى ما للرجل فى نفسه من الفضائل العلمية و الكمالات الروحية- من الأسباب القوية لتحريضه على جمع الكتب العلمية و وقفها لأهل مذهبه، و لا سيما النفيسة القليلة الوجود المصححة المعتبرة كما هى صفة جماعى الكتب حتى اليوم.
ولد بشيراز فى سنة 336 ه و توفى فى 416 ه و توفى مخدومه بهاء الدولة فى 403 ه عن 42 سنة. و دفن فى النجف عند والده فناخسرو الملقب بعضد الدولة كما ذكره القاضى نور اللّه المرعشى فى «مجالس المؤمنين» ص 379 رحمهم اللّه جمعياً
. (5) المنتظم ج 8 ص 173 و 179.
التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 6
الطوسى و نهبت داره. ثم قال فى حوادث سنة 449 ه: و فى صفر فى هذه السنة كبست دار أبى جعفر الطوسى متكلم الشيعة بالكرخ و أخذ ما وجد من دفاتره و كرسى كان يجلس عليه للكلام، و أخرج الى الكرخ و أضيف اليه ثلاث سناجيق بيض كان الزوار من أهل الكرخ قديماً يحملونها معهم إذا قصدوا زيارة الكوفة فأحرق الجميع إلخ.
و لما رأى الشيخ الخطر محدقاً به هاجر بنفسه الى النجف الأشرف لائذاً بجوار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و صيرها مركزاً للعلم و جامعة كبرى للشيعة الامامية، و عاصمة للدين الاسلامى و المذهب الجعفرى، و أخذت تشد اليها الرحال و تعلق بها الآمال، و أصبحت مهبط رجال العلم و مهوى افئدتهم و قام فيها بناء صرح الإسلام، و كان الفضل فى ذلک لشيخ الطائفة نفسه فقد بث فى أعلام حوزته الروح العلمية، و غرس فى قلوبهم بذور المعارف الإلهية، فحسروا للعلم عن سواعدهم و وصلوا فيه ليلهم

بنهارهم عاكفين على دروسهم خائضين عباب العلم غائصين على أسراره موغلين فى استبطان دخائله و استخراج مخبآته، و كيف لا يكونون كذلک و قد شرح اللّه للعلم و العمل صدورهم و صقل أذهانهم و ارهف طباعهم فحموا وطيس العلم، و بان فضل النجف على ما سواها من المعاهد العلمية، و خلفوا الذكر الجميل على مر الدهور و الأعصار أعلى اللّه فى الفردوس درجاتهم، و لقد أحسن و أجاد صديقنا العلامة الحجة السيد على نقى النقوى دام ظله حيث قال:

ذا شيخنا الطوسى شيد بها لربوع شرع المصطفى شرف
فهو الذى اتخذ (الغرى) له مأوىً به العلياء تعتكف
فتهافتوا لسراج حكمته مثل الفراش اليه تزدلف
وقفتهم الأبناء ضامنة تجديد ما قد شاءه السلف الخ

تلک هى جامعة النجف العظمى التى شيد شيخ الطائفة ركنها الاساسى و وضع حجرها الأول، و قد تخرج منها خلال هذه القرون المتطاولة آلاف مؤلفة من أساطين الدين و أعاظم الفقهاء، و كبار الفلاسفة و نوابغ المتكلمين، و أفاضل المفسرين و اجلاء اللغويين، و غيرهم ممن خبروا العلوم الاسلامية بأنواعها و برعوا فيها إنما التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 7

براعة، و ليس أدل على ذلک من آثارهم المهمة التى هى فى طليعة التراث الاسلامى و لم تزل زاهية حتى هذا اليوم، يرتحل اليها رواد العلوم و المعارف من سائر الاقطار و القارات فيرتوون من مناهلها العذبة و عيونها الصافية (و المنهل العذب كثير الزحام).

و قد استدل بعض الكتاب المحدثين على وجود الجامعة العلمية فى النجف قبل هجرة شيخ الطائفة اليها، و ذلک اعتماداً على استجازة الشيخ أبى العباس النجاشى من الشيخ أبى عبد اللّه ابن الخمرى فقد قال فى كتاب رجاله المطبوع ص. 5 عن كتاب «عمل السلطان» للبوشنجى ما لفظه: أجازنا بروايته ابو عبد اللّه الخمرى الشيخ الصالح فى مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام سنة أربعمائة.

و هذا لا يكفى للتدليل فالنجف مشهد يقصد للزيارة فربما تلاقيا فى النجف زائرين فحصلت الاستجازة كما هو الحال فى المحقق الحلى صاحب «الشرايع» فقد أجاز البعض فى النجف أيام ازدهار العلم فى الحلة و فتوره فى النجف، فهل يمكن عد المحقق من سكنة النجف؟ و قد استجزت انا بعض المشايخ فى كربلا و مشهد الكاظمين و مكة و المدينة و القاهرة و غيرها، و أجزت جمعاً من العلماء فى الرى و مشهد الرضا عليه السلام بخراسان و غير ذلک من البلاد، و دوّن بعض ذلک فى بعض المؤلفات فهل ينبغى عدى أوعد المجازين فى علماء فارس أو الحجاز أو مصر؟.

ثم اننى اذهب الى القول بأن النجف كانت مأوى لِلعلماء و نادياً للمعارف

قبل هجرة الشيخ اليها، و ان هذا الموضع المقدس أصبح ملجئ للشيعة منذ انشأت فيه العمارة الاولى على مرقد الامام أمير المؤمنين عليه السلام، لكن حيث لم تأمن الشيعة على نفوسها من تحكمات الأمويين و العباسيين، و لم يستطيعوا بث علومهم و رواياتهم كان الفقهاء و المحدثون لا يتجاهرون بشىء مما عندهم، و كانوا متبددين حتى عصر الشيخ الطوسى و الى أيامه، و بعد هجرته انتظم الوضع الدراسى و تشكلت الحلقات كما لا يخفى على من راجع (أمالى الشيخ الطوسى) الذى كان يمليه على تلامذته.

من البديهيات أن مكانة شيخ الطائفة المعظم و ثروته العلمية الغزيرة فى غنىً التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 8
عن البيان و الاطراء، و ليس فى وسع الكاتب- مهما تكلف- استكناه ماله من الأشواط البعيدة فى العلم و العمل، و المكانة الراسية عند الطائفة، و المنزلة الكبرى فى رياسة الشيعة، و دون مقام الشيخ المعظم كلما ذكره الاعلام فى تراجمهم له من عبارات الثناء و الإكبار، فمن سبر تأريخ الامامية و معاجمهم، و أمعن النظر فى مؤلفات الشيخ العلمية المتنوعة علم أنه اكبر علماء الدين، و شيخ كافة مجتهدى المسلمين، و القدوة لجميع المؤسسين، و فى الطليعة من فقهاء الاثنى عشرية، فقد أسس طريقة الاجتهاد المطلق فى الفقه و أصوله، و انتهى اليه امر الاستنباط على طريقة الجعفرية المثلى، و قد اشتهر بالشيخ فهو المراد به إذا اطلق فى كلمات الأصحاب، من عصره الى عصر زعيم الشيعة بوقته مالک أزمة لتحقيق و التدقيق الحجة الكبرى أبى ذر زمانه الشيخ مرتضى الانصارى المتوفى سنة 1281 ه فقد يطلق الشيخ فى عصرنا هذا و قبيله و يكون المراد به الشيخ الإنصارى، أما فى كتب القدماء و السلف فالمراد هو شيخ الطائفة قدس اللّه نفسه «1».
مضت على علماء الشيعة سنون متطاولة و أجيال متعاقبة و لم يكن من الهين على أحد منهم ان يعدو نظريات شيخ الطائفة فى الفتاوى، و كانوا يعدون أحاديثه أصلا مسلماً، و يكتفون بها، و يعدون التأليف فى قبالها، و إصدار الفتوى مع وجودها تجاسراً على الشيخ و إهانة له، و استمرت الحال على ذلک حتى عصر الشيخ ابن إدريس فكان- على اللّه مقامه- يسميهم بالمقلده، و هو أول من خالف بعض آراء الشيخ و فتاواه و فتح باب الرد على نظرياته، و مع ذلک فقد بقوا على تلک الحال حتى ان المحقق و ابن أخته العلامة الحلى و من عاصرهما بقوا لا يعدون رأى شيخ الطائفة، قال

---

(1) و قد يقال: الشيخان. و يراد به الشيخ المفيد و الشيخ الطوسى، و الشيخان فى اصطلاح المتكلمين هما الجبائيان أبو على محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة 303 ه، و ابنه أبو هاشم عبد السلام بن محمد المتوفى سنة 321 ه و كلاهما من رؤساء المعتزلة، و لهما مقالات على مذهب الاعتزال و الكتب الكلامية مشحونة بمقالاتهما.
و يطلق الشيخ فى كتب الحكمة و المنطق على أبى على الحسين بن عبد اللّه بن سينا البخارى المتوفى سنة 428 ه و يطلق الشيخ فى كتب البلاغة على الشيخ أبى بكر عبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة 471 ه، و غير ذلک.

الحجة الفقيه الشيخ أسد اللّه الدزفولى التسترى فى «المقابس» ما لفظه: حتى ان كثيراً ما يذكر مثل المحقق و العلامة أو غيرهما فتاويه من دون نسبتها اليه، ثم يذكرون ما يقتضى التردد أو المخالفة فيها فيتوهم التنافى بين الكلامين مع ان الوجه فيهما ما قلناه.
نعم لما ألف المحقق الحلى «شرايع الإسلام» استعاضوا به عن مؤلفات شيخ الطائفة، و أصبح من كتبهم الدراسية، بعد ان كان كتاب «النهاية» هو المحور و كان بحثهم و تدريسهم و شروحهم غالباً فيه و عليه.
و ليس معنى ذلک إن مؤلفات شيخ الطائفة فقدت أهميتها أو أصبحت لغواً لا يحتفل بها، كلا بل لم تزل أهميتها تزداد على مرور الزمن شيئاً فشيئا و لن تجد فى تأريخ الشيعة و معاجمهم ذكر عظيم طار اسمه فى البلدان و اعترف له خصومه بالجلالة، الا و وجدته يتضاءل أمام عظمة الشيخ الطوسى، و يعترف بأعلميته و أفضليته و سبقه و تقدمه.
هذا النابغة الفذ الشيخ جمال الدين ابو منصور الحسن بن يوسف الحلى المتوفى سنة 726 ه الشهير بالعلامة، الذى طبقت العالم الاسلامى شهرته، و الذى تضلع فى سائر العلوم و نبغ فى كافة الفنون، و انتهت اليه رياسة علماء عصره فى المعقول و المنقول و ألف فى كل علم عدة كتب، و لم يشک أحد فى انه من عظماء العالم و نوادر الدهر، هذا الرجل الذى مر عليک بعض وصفه ذكر شيخ الطائفة فى كتابه «خلاصة الأقوال فى معرفة أحوال الرجال» «1» ص 73 و وصفه بقوله:
شيخ الامامية و وجههم، و رئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة،

---

(1) طبع هذا الكتاب فى طهران عام 1311 ه طبعة سقيمة مملوءة بالأغلاط. و قد رأيت منه نسخاً صحيحة متقنة إحداها فى (الخزانة الغروية) تأريخ كتابتها (766 ه) و هى مقروة على المشايخ و عليها بلاغاتهم، و فيها فوائد كثيرة، و الثانية فى (مكتبة الحجة السيد حسن الصدر) و هى نفيسة أيضاً قرئت على مصنفها العلامة فكتب على ظهر القسم الأول منها اجازة، و فى آخر القسم الثانى اجازة أخرى ايضاً كلتاهما فى سنة 715 ه و هما لواحد، و الثالثة كتبت عن نسخة بخط حفيد المؤلف أى أبى المظفر يحيى بن محمد بن الحسن الى غير ذلک و لمعرفة خصوصيات هذا الكتاب و زيادة الاطلاع عليه راجع كتابنا «الذريعة الى تصانيف الشيعة» ج 7 ص 214- 215.

عين، صدوق، عارف بالأخبار و الرجال و الفقه و الأصول و الكلام و الأدب، و جميع الفضائل تنسب اليه، صنف فى كل فنون الإسلام، و هو المهذب للعقائد فى الأصول و الفروع، الجامع لكمالات النفس فى العلم و العمل

الخ.
و كذا الحجة الكبير و العالم العظيم محيى علوم أهل البيت الشيخ محمد باقر المجلسى صاحب دائرة المعارف الكبرى «بحار الأنوار» و المتوفى سنة 1111 ه فقد ذكر شيخ الطائفة فى كتابه «الوجيزة» ص 163 فقال ما بعضه:
فضله و جلالته أشهر من ان يحتاج الى البيان إلخ.
و كذا العلامة الشهير الحجة السيد مهدى الطباطبائى الملقب ببحر العلوم و المتوفى سنة 1212 ه فقد ترجم لشيخ الطائفة فى كتابه «الفوائد الرجالية» فقال ما ملخصه:
شيخ الطائفة المحقة، و رافع أعلام الشريعة الحقة، إمام الفرقة بعد الأئمة المعصومين- عليهم السلام-، و عماد الشيعة الامامية فى كل ما يتعلق بالمذهب و الدين، محقق الأصول و الفروع، و مهذب فنون المعقول و المسموع، شيخ الطائفة على الإطلاق، و رئيسها الذى تلوى اليه الأعناق، صنف فى جميع علوم الإسلام، و كان القدوة فى ذلک و الامام.
و مثلهم شيخنا و أستاذنا حجة العلماء و شيخ المجتهدين الشيخ ميرزا حسين النورى المتوفى سنة 1320 ه فقد ذكره فى كتابه «مستدرک وسائل الشيعة» فأطراه و بالغ فى الثناء عليه، الى غير ذلک من عشرات الرجال من الشيعة و السنة، و سنذكر قسماً منهم فى هذه الترجمة.
و من هذه الأقوال البليغة و غيرها التى صدرت من عظماء الشيعة و كبرائهم لعرف مكانة الشيخ و نستغنى عن سرد فضائله و مناقبة الكثيرة.

لم تزل مؤلفات شيخ الطائفة تحتل المكانة السامية بين آلاف الأسفار الجليلة التى أنتجتها عقول علماء الشيعة الجبارة، و دبجتها يراعة أولئک الفطاحل الذين عز التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 11
على الدهر أن يأتى لهم بمثيل، و لم تزل أيضاً غرة ناصعة فى جبين الدهر و ناصية الزمن و كيف لا و قد جمعت معظم العلوم الاسلامية أصلية و فرعية، و تضمنت حل معضلات المباحث الفلسفية و الكلامية التى لم تزل آراء العباقرة و النياقدة حائمة حولها، كما احتضنت كل ما يحتاج اليه علماء المسلمين على اختلاف مشاربهم و مذاهبهم، و حسب الشيخ عظمة ان كتابيه (التهذيب) و (الاستبصار) من الأصول المسلمة فى مدارک الفقه، و من الكتب الأربعة التى عليها المدار- على مرور الاعصار- فى استنباط أحكام الدين بعد كتاب اللّه المبين.
لم يكن خلود الشيخ فى التاريخ و حصوله على هذه المرتبة الجليلة إلا نتيجة لا خلاصه و تبتله الواقعى، حيث لم يؤلف طلباً للشهرة أو حباً للرئاسة أو استمالة لقلوب الناس و جلباً لهم، أو مباهاة لعالم من معاصريه، أو رغبة فى التفوق أو غير ذلک من المقاصد الدنيئة و المآرب الدنيوية التى ابتلى بها الكثير من معاصرينا- للاسف- حاشا و كلا بل لم تخطر له على بال، و انما كان فى ذلک كله قاصداً وجه اللّه تعالى شأنه، راغباً فى حسن جزائه طالباً لجزيل ثوابه، حريصاً على حماية الدين و احياء شريعة سيد المرسلين و محو آثار المفسدين، و لذلک كان مؤيداً فى أعماله مسدداً فى أقواله و أفعاله، و قضية واحدة تدلنا على شدة اخلاص الشيخ نثبتها بنصها عبرة للمعتبرين. قال شيخنا و مولانا الحجة خاتمة المحدثين الميرزا حسين النورى على اللّه مقامه فى «مستدرک الوسائل» ج 3 ص 506 ما لفظه:
و عثرت على نسخة قديمة من كتاب «النهاية» و فى ظهره بخط الكتّاب، و فى موضع آخر بخط بعض العلماء ما لفظه: قال الشيخ الفقيه نجيب الدين أبو طالب الأسترآبادى رحمه اللّه: وجدت على كتاب «النهاية» ب (خزانة مدرسة الرى) قال: حدثنا جماعة من أصحابنا الثقات ان المشايخ الفقهاء الحسين بن المظفر الحمدانى القزوينى، و عبد الجبار بن على المقرئ الرازى، و الحسن بن الحسين بن بابويه المدعو ب (حسكا) المتوطن بالرى رحمهم اللّه كانوا يتحادثون ببغداد و يتذاكرون التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 12
كتاب «النهاية» و ترتيب أبوابه و فصوله، فكان كل واحد منهم يعارض الشيخ الفقيه أبا جعفر محمد بن الحسن الطوسى رحمة اللّه عليه فى مسائل، و يذكر انه لا يخلو من خلل، ثم اتفق انهم خرجوا لزيارة المشهد

المقدس بالغرى على صاحبه السلام، و كان ذلک على عهد الشيخ الفقيه أبى جعفر الطوسى رحمه اللّه و قدس روحه، و كان يتخالج فى صدورهم من ذلک ما يتخالج قبل ذلک، فأجمع رأيهم على ان يصوموا ثلاثاً و يغتسلوا ليلة الجمعة، و يصلوا و يدعوا بحضرة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على جوابه فلعله يتضح لهم ما اختلفوا فيه، فسنح لهم أمير المؤمنين عليه السلام فى النوم، و قال:
لم يصنِّف مُصنِّف فى فقه آل محمد عليهم السلام كتاباً أولى بأن يعتمد عليه و يتخذ قدوة و يرجع اليه، أولى من كتاب النهاية التى- كذا- تنازعتم فيه، و انما كان ذلک لأن مصنفه اعتمد فيه على خلوص النية للّه، و التقرب و الزلفى لديه فلا ترتابوا فى صحة ما ضمنه مصنفه، و اعملوا به و أقيموا مسائله، فقد تعنى فى تهذيبه و ترتيبه و التحرى بالمسائل الصحيحة بجميع أطرافها.
فلما قاموا من مضاجعهم أقبل كل واحد منهم على صاحبه، فقال: رأيت الليلة رؤيا تدل على صحة «النهاية» و الاعتماد على مصنفها فاجمعوا على أن يكتب كل واحد منهم رؤياه على بياض قبل التلفظ، فتعارضت- كذا- الرؤيا لفظاً و معنىً، و قاموا متفرقين مغتبطين بذلک فدخلوا على شيخهم أبى جعفر الطوسى قدس اللّه روحه، فحين وقعت عينه عليهم قال لهم: لم تسكنوا الى ما كنت أوقفتكم عليه فى كتاب (النهاية) حتى سمعتم من لفظ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فتعجبوا من قوله و سألوه عما استقبلهم به من ذلک، فقال: سنح لى أمير المؤمنين عليه السلام كما سنح لكم فأورد علىّ ما قاله لكم و حكى رؤياه على وجهها و بهذا الكتاب يفتى الشيعة فقهاء آل محمد عليهم السلام و الحمد للّه وحده و صلى اللّه على محمد و آله الطاهرين انتهى.
انتهى ما فى مستدرک شيخنا النورى.
و هذه القضية وحدها كافية للتدليل على إخلاص شيخ الطائفة و صدق التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 13
خدمته- و ان كان فى غنىً عن ذلک- و حسبه ذخراً يوم العرض شهادة امير المؤمنين عليه السلام: بأنه لم يقصد بتأليف الكتاب غير وجه اللّه. و لمثل هذا فليعمل العاملون ان اللّه مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون.
و مما يجدر بالذكر إننا نستفيد من هذه الواقعة أمرين لم يصرح بهما شيخنا النورى- عطر اللّه مثواه-.
الأول: إن معارضى الشيخ لم يكن لهم معه غرض شخصى فى تخطئته و نقده و انما اختلفوا معه فى بعض الآراء الفقهية فظنوا انه مخطأ، و ان فتاويه غير مرضية عند آل محمد عليه و عليهم السلام. و لم يكن ذلک إلا غيرة على الدين، و تحمساً له، و تحفظاً من وقوع الخطأ فيه، و لذلک لجئوا الى الامام عليه السلام مستفسرين منه عن وقع ذلک فى نفسه، فأجابهم

عليه السلام بالرضا و القبول فسروا و اطمأنوا و غبطوا شيخ الطائفة على توفيقه، كما تدل عليه عبارة: و قاموا متفرقين مغتبطين الخ.
الثاني:- و هو أهم من سابقه- إنهم كانوا على بصيرة من أمرهم، و اطمئنان من أنفسهم، و كانوا يشعرون برضى أئمتهم عليهم السلام عنهم، و يرون أنفسهم عبيداً و خدماً لمواليهم، و ليس على العبد إذا أراد المثول بين يدى مولاه إلا أن يكون على نحو يرضيه و شكل يبتغيه، و أن يكون ممتثلًا لأوامره مبتعداً عن نواهيه، و اذاً فأى مانع من وصوله الى حضرة مولاه، و تشرفه بخدمته ؟.
و أنت ترى ان هؤلاء المشايخ رضوان اللَّه عليهم، لما عسر عليهم فهم هذا الامر و انغلقت فى وجوههم أبواب الرجاء و الأمل، لجئوا الى مواجهة الامام عليه السلام و لم تكن مقدماتهم لذلک سوى بعض الآداب الشرعية المرعية من الصوم و الوضوء و الدعاء و الرجاء، فلو علم هؤلاء بتقصير لهم، أو شعروا بتخلفهم عن بعض أوامره، لما جسروا على طلب مواجهته و مقابلته، و بهذا و غيره أعلمنا قدماؤنا رضوان اللَّه عليهم أنهم كانوا فى غاية الالتزام بالتكاليف الشرعية كبيرة و صغيرة، و فى غاية البعد عن كل دنية حتى المكروه و المباح، و قد وعظونا بأعمالهم اكثر مما وعظونا بأقوالهم فيجب علينا اتباعهم و السير على الخطى التى رسموها لنا و الطرق التى سنوها
التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 14
من أجلنا، و ان لا نزل عن النهج القويم و الصراط المستقيم عسى ان يشملنا عطف ائمة الهدى عليهم السلام فيكونوا شفعاءنا (يوم لا تغنى نفس عن نفس شيئاً و لا تنفعها شفاعة).
لقد طال بنا لكلام و خرجنا عما نحن بصدده فنعود الآن الى ذكر مؤلفات الشيخ فنقول: إن فى مؤلفات شيخ الطائفة ميزة خاصة لا توجد فيما عداها من مؤلفات السلف، و ذلک لأنها المنبع الأول و المصدر الوحيد لمعظم مؤلفى القرون الوسطى، حيث استقوا منها مادتهم و كونوا كتبهم، و لأنها حوت خلاصة الكتب المذهبية القديمة، و أصول «1» الأصحاب فقد مر عليک عند ذكر هجرة الشيخ الى النجف الأشرف ان مكتبة سابور فى الكرخ كانت تحتضن الكتب القديمة الصحيحة التى هى بخطوط مؤلفيها أو بلاغاتهم، و قد صارت كافة تلک الكتب طعمة للنار كما ذكرناه، و لم نفقد بذلک- و الحمد للّه- سوى أعيانها الشخصية و هيآتها التركيبية الموجودة فى الخارج، و أما محتوياتها و موادها الأصلية فهى باقية على حالها دون زيادة حرف و لا نقيصة حرف، لوجودها فى المجاميع القديمة التى جمعت فيها مواد تلک الأصول قبل تأريخ إحراق المكتبة بسنين كثيرة، حيث ألف جمع من أعاظم العلماء كتباً متنوعة، و استخرجوا جميع ما فى كتبهم من تلک الأصول و غيرها مما كان فى المكتبات الأخرى، و تلک الكتب التى ألفت عن تلک الأصول موجودة بعينها حتى هذا اليوم، و اكثر أولئک استفادة من تلک

المكتبة و غيرها شيخ الطائفة الطوسى- رحمة اللّه عليه- لأنها كانت تحت يده و فى تصرفه، و هو زعيم الشيعة و مقدمهم يومذاک، فلم يدع كتاباً فيها إلا و عمد الى مراجعته و استخراج ما يخص مواضيعه منه.
و هناک مكتبة أخرى كانت فى متناول يده، و هى مكتبة أستاذه السيد المرتضى الذى صحبه ثمان و عشرين سنة، و كانت تشتمل على ثمانين ألف كتاب

---

(1) الأصل: عنوان يصدق على بعض كتب الحديث خاصة، و الأصول الاربعمائة هى:
أربعمائة كتاب ألفت من جوابات الامام الصادق عليه السلام، و قد تكلمنا عنها فى غاية الوضوح و الدقة فى كتابنا (الذريعة الى تصانيف الشيعة) ج 1 ص 125- 135 فليراجعه طالب التفصيل.

سوى ما أهدى منها الى الرؤساء كما صرح به كل من ترجم له، و ذلک أحد وجوه تلقيبه بالثمانينى.
نعم كان شيخ الطائفة متمكناً من هاتين الخزانتين العظيمتين، و كأن اللَّه ألهمه الأخذ بحظه منهما قبل فوات الفرصة، فقد اغتنمها أجزل اللّه أجره، و غربل كوم الكتب فأخذ منها حاجته و ظفر فيها بضالته المنشودة، و ألف كتابيه الجليلين (التهذيب) و (الاستبصار) اللذين هما من الكتب الأربعة، و المجاميع الحديثية التى عليها مدار استنباط الأحكام الشرعية عند الفقهاء الاثنى عشرية منذ عصر مؤلفه حتى اليوم، و ألف أيضاً غيرهما من مهام الأسفار قبل ان يحدث شىء مما ذكرنا، و كذا غيره من الحجج فقد أجهدوا نفوسهم و تفننوا فى حفظ تراث آل محمد عليه و عليهم السلام، فكان لهم بحمد اللّه ما أرادوا.
و هكذا استقى شيخ الطائفة مادة مؤلفاته من تصانيف القدماء، و كتب فى كافة العلوم من الفقه و أصوله، و الكلام و التفسير، و الحديث و الرجال، و الأدعية و العبادات، و غيرها، و كانت و لم تزل مؤلفاته فى كل علم من العلوم مآخذ علوم الدين بأنوارها يستضيئون و منها يقتبسون و عليها يعتمدون.
و لهذه الناحية فان لشيخ الطائفة على الشيعة حقاً لا ينكر و فضلًا لا يستر، على أن جمعاً من علماء الشيعة القدماء عملوا ما عمله، فان الشيخين الكلينى و الصدوق ألفا (الكافى) و (من لا يحضره الفقيه) اللذين هما من الكتب الأربعة أيضاً، و كذا غيرهما من الأقطاب، و إنا لا ننكر فضلهم بل نشكرهم على حسن صنيعهم و نقدر مجهودهم و نسأل اللّه لهم الأجر و الثواب الجزيل، إلا انه لا بد لنا من الاعتراف بان شيخ الطائفة بمفرده قام بما لا تقوم به الجماعة، و نهض بأعباء ثقيلة لم يكن من السهل على غيره

النهوض بها لو لا العناية الربانية التى شدت عضده، فان الغير ممن أجهد نفسه الكريمة فكتب و ألف قد خص موضوعاً واحداً كالفقه أو الحديث أو الدعاء أو غير ذلک بينما لم يدع شيخ الطائفة باباً إلا طرقه، و لا طريقاً إلا سلكها، و قد ترک لنا نتاجاً طيباً متنوعاً غذَّى عقول فطاحل عدة قرون و أجيال. التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 16

و مع ما ذكرناه مما حل بكتب الشيعة من حريق و تلف و تدمير، فقد شذت مجموعة نادرة منها، و بقيت عدة من تلک الكتب بهيئاتها الى أوائل القرن الثامن، و منها عدد كثير من كتب الأدعية، فقد حصلت جملة وافية للسيد جمال السالكين رضى الدين أبى القاسم على بن موسى بن محمد الطاووسى الحسنى الحلى المتوفى سنة 664 ه، كما يظهر ذلک من النقل عنها فى أثناء تصانيفه، فقد ذكر فى الفصل الثانى و الأربعين بعد المائة من كتابه (كشف المحجة) الذى الفه سنة 649 ه بعد ترغيب ولده الى تعلم العلوم ما لفظه: (هيى اللّه جل جلاله لک على يدى كتباً كثيرة- الى قوله بعد ذكر كتب التفسير-: و هيئ اللّه جل جلاله عندى عدة مجلدات فى الدعوات أكثر من ستين مجلداً).

و بعد هذه السنة حصلت عنده عدة كتب أخرى، فقال فى آخر كتابه (مهج الدعوات) الذى فرغ منه يوم الجمعة 7 جمادى الأولى سنة 662 ه يعنى قبل وفاته بسنتين تقريباً: (فان فى خزانة كتبنا هذه الأوقات أكثر من سبعين مجلداً فى الدعوات).

أقول: و أما سائر كتبه فقد جاء فى (مجموعة الشهيد)، أنه جرى ملكه فى سنة تأليفه (الإقبال)- و هى سنة 650 ه- على ألف و خمس مائة كتاب. و اللّه أعلم بما زيد عليها من هذا التأريخ الى وفاته فى سنة 664 ه و هذه السيف و السبعون مجلداً من كتب الدعوات التى عنده كلها كانت من كتب المتقدمين على الشيخ الطوسى- الذى توفى سنة 460- لأن الشيخ منتجب الدين بن بابويه القمى جمع تراجم المتأخرين عن الشيخ الطوسى الى ما يقرب من مائة و خمسين سنة و ذكر تصانيفهم، و لا نجد فى تصانيفهم من كتب الدعاء إلا قليلا، و ذلک لما ذكرناه من أن علماء الشيعة بعده الى مائة سنة أو أكثر كانوا مكتفين بمؤلفاته و متحاشين عن التأليف فى قبالها، و الحديث فى هذا الباب طويل تكاد تضيق عن الاحاطة به هذه الصحائف، فلتمسک عنان القلم محيلين طالب التفصيل الى مقالتين مبسوطتين كتبناهما فى الذريعة الأولى فى ج 1 ص 125- 135 و الثانية فى ج 8 ص 172- 181 و اليک الآن فهرس ما وصل إلينا من مؤلفات شيخ الطائفة مرتباً على حروف الهجاء: التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 17

1- الأبواب: سمى بذلک لأنه مرتب على أبواب بعدد رجال أصحاب النبى (ص) و أصحاب كل واحد من الأئمة (ع) و يسمى ب (رجال شيخ الطائفة) و قد ذكرناه بالعنوانين فى (الذريعة) فى ج 1 ص 73 و ج 10 ص 120 و هو

أحد الأصول الرجالية المعتمدة عند علمائنا، و قد انتخبه شيخنا العلامة الحجة السيد محمد على الشاه عبد العظيمى النجفى المتوفى سنة 1334 ه كما انتخب فهرست الشيخ و رجال كل من الكشى و النجاشي و خلاصة العلامة الحلى و سمى الجميع (منتخب الرجال) و قد طبع أيضاً 2- إختيار الرجال: هو كتاب رجال الكشى الموسوم ب (معرفة الناقلين) لابى عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشى معاصر ابن قولويه المتوفى سنة 369 ه و الراوى كل منهما عن الآخر، و كان كتاب رجاله كثير الأغلاط كما ذكره النجاشى لذلک عمد شيخ الطائفة الى تهذيبه و تجريده من الأغلاط و سماه بذلک، و أملاه على تلاميذه فى المشهد الغروى و كان بدء إملائه يوم الثلاثاء 26 صفر سنة 456 كما حكاه السيد رضى الدين بن طاوس فى (فرج المهموم) راجع تفصيله فى (الذريعة) ج 1 ص 365- 366، و النسخة المطردة المعروفة برجال الكشى هى عين اختيار شيخ الطائفة، و أما الأصل فلم نجد له اثراً.
3- الاستبصار فيما أختلف من الأخبار: هو أحد الكتب الأربعة و المجاميع الحديثية التى عليها مدار استنباط الأحكام الشرعية عند الفقهاء الاثنى عشرية منذ عصر المؤلف حتى اليوم، جزآن منه فى العبادات و الثالث فى بقية أبواب الفقه من العقود و الإيقاعات و الأحكام الى الحدود و الديات، و هو مشتمل على عدة كتب التهذيب غير أنه مقصور على ذكر ما اختلف فيه من الأخبار و طريق الجمع بينهما، و التهذيب جامع للخلاف و الوفاق، و قد حصر الشيخ نفسه أحاديث الاستبصار فى آخره فى 5511 حديثاً، و قال: حصرتها لئلا تقع فيها زيادة أو نقصان الخ. و قد طبع فى المطبعة الجعفرية فى لكنهو (الهند) سنة 1307 ه و طبع ثانياً فى طهران سنة 1317 ه و طبع ثالثاً فى النجف الأشرف سنة 1375 على نفقة الفاضل الشيخ على الآخوندى، و قد قوبل بثلاث نسخ مخطوطة، وفاتهم مقابلة النسخة المقابلة التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 18
بخط شيخ الطائفة نفسه الموجودة فى (مكتبة العلامة الشيخ هادى آل كاشف الغطاء) فى النجف الأشرف، كما ذكرتها تفصيلا عند ذكر الكتاب فى (الذريعة) ج 2 ص 14- 16، و على (الاستبصار) شروح و تعليقات ذكرنا منها ثمانية عشر و قد أشار اليها العلامة السيد محمد صادق آل بحر العلوم فى مقدمة (الفهرست) الذى طبع باشرافه، و نقلها عنا برمتها العلامة الشيخ محمد على الاوردبادى فى مقدمته للاستبصار طبع النجف.
و كتب لنا بعد ذلک السيد شهاب الدين التبريزى انه حصل على نسخة من حواشى الاستبصار للعلامة المحقق الملقب بمجذوب كتبها بخطه السيد محمد هاشم الحسينى ابن مير خواجه بيک الكججى و ذكر الكاتب ان المحشى كان استاذه و كان حياً فى سنة 1038 ه و يعبر المحشى عن المولى عبد اللّه التسترى المتوفى سنة 1021 ه بشيخنا و مولانا الأستاذ،

فرغ الكاتب من النسخة فى سنة 1083 ه.
4- أصول العقائد: قال فى فهرسه عند ترجمته لنفسه و تعديد تصانيفه ما لفظه: (و كتاب فى الأصول كبير خرج منه الكلام فى التوحيد و بعض الكلام فى العدل).
5- الاقتصاد الهادى الى طريق الرشاد: و هو فيما يجب على العباد من أصول العقائد و العبادات الشرعية على وجه الاختصار، راجع تفصيله و محل وجود نسخه المخطوطة فى (الذريعة) ج 2 ص 269- 270.
6- الأمالى: فى الحديث، و يقال له (المجالس) لأنه املاه مرتباً فى عدة مجالس، و قد طبع فى طهران عام 1313 ه منضما الى كتاب آخر اسمه (الأمالى) ايضاً شاعت نسبته الى الشيخ أبى على الحسن بن الشيخ الطوسى، و ليس كما اشتهر بل هو جزء من آمالى والده شيخ الطائفة أيضاً، إلا انه ليس مثل جزئه الآخر مرتباً على المجالس، و لهذه الشايعة أسباب ذكرناها بغاية الدقة و التفصيل فى (الذريعة) ج 2 ص 309- 311 و ص 313- 314 فليرجع اليها.
7- أنس الوحيد: كذا ذكره فى ترجمته عند عدّ تصانيفه فى كتابه التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 19
(الفهرست) و قال: انه مجموع.
8- الإيجاز: فى الفرائض، و قد سماه بذلک لأن غرضه فيه الإيجاز، و أحال فيه التفصيل الى كتابه (النهاية). و هو من مآخذ (بحار الأنوار) و قد ذكرناه فى (الذريعة) ج 2 ص 486، و شرحه قطب الدين الراوندى فسماه ب (الانجاز) كما ذكرناه فى ج 2 أيضاً ص 364.
9- التبيان فى تفسير القرآن: و هو هذا الكتاب العظيم، و الأثر الثمين الذى يمثله الطبع اليوم الى الملأ العلمى، و يقدمه ناشره الى أنظار القراء الكرام، و هو أول تفسير جمع فيه مؤلفه أنواع علوم القرآن، و قد أشار الى فهرس مطوياته فى ديباجته و وصفه بقوله: (لم يعمل مثله). و اعترف بذلک امام المفسرين أمين الإسلام الطبرسى فى مقدمة كتابه الجليل (مجمع البيان فى تفسير القرآن) «1» فقال: انه الكتاب الذى يقتبس منه ضياء الحق، و يلوح عليه رواء الصدق، و قد تضمن من المعانى الأسرار البديعة، و احتضن من الألفاظ اللغة الوسيعة، و لم يقنع بتدوينها دون تبيينها و لا بتنسيقها دون تحقيقها، و هو القدوة أستضيئ بأنواره، و أطأ مواقع آثاره.
و قال العلامة السيد مهدى بحر العلوم فى (الفوائد الرجالية) ما لفظه:
أما التفسير فله فيه كتاب التبيان الجامع لعلوم القرآن، و هو كتاب جليل كبير عديم النظير فى التفاسير، و شيخنا الطبرسى إمام التفسير فى كتبه، اليه يزدلف و من بحره يغترف، و فى صدر كتابه الكبير بذلک يعترف.
و كان الشيخ المحقق محمد بن إدريس العجلى المتوفى سنة 598 ه كثير الوقائع

(1) اشتبه الأمر على البحاثة المرحوم الحاج كاتب الجلبى فى (كشف الظنون) ج 1 ص 312 و ج 2 ص 385 فنسب (مجمع البيان) للشيخ الطوسى و قال: انه توفى سنة 561 ه. ثم قال:
و اختصر (الكشاف) و سماه (جوامع الجامع) و ابتدأ بتأليفه فى سنة 562 ه و كأنه لم يميز بين الشيخ الطوسى المتوفى سنة 460 ه و الشيخ الطبرسى المتوفى سنة 548 ه و (جوامع الجامع) هو للأخير ألفه بعد (مجمع البيان) و فرغ منه سنة 543 ه كما فصلناه فى (الذريعة) ج 5 ص 248- 249.

مع شيخ الطائفة، دائم الرد على معظم مؤلفاته، و هو أول من خالف أقواله كما أسلفناه إلا انه يقف عند كتابه التبيان و يعترف له بعظم الشأن، و استحكام البنيان، كما لا يخفى ذلک على من راجع (خاتمة المستدرک) لشيخنا النورى، و قد بلغ من إعجابه به أن لخصه و سماه (مختصر التبيان) و هو موجود كما ذكرناه فى محله.
و اختصره ايضاً الفقيه المفسر أبو عبد اللَّه محمد بن هارون المعروف والده بالكال- الكيال خ ل- شيخ محمد بن المشهدى صاحب المزار، و قد سماه ب (مختصر التبيان) كذلک كما ذكره المحدث الحرفى (أمل الآمل)، وعده ابن نما من تصانيفه أيضاً كما فى إجازة صاحب (المعالم).
و قد ذكرنا هذا الكتاب فى (الذريعة) ج 3 ص 328- 331 بغاية الوضوح كما أشرنا الى تفاصيل أجزائه و ذكرنا ندرته و انه كان عند العلامة المجلسى بأجمعه كما ذكره فى مآخذ (البحار) فى أوله، و ذكرنا محال وجود أجزائه المتفرقة، كمكتبة الجامع الأزهر بمصر، و مكتبة السلطان محمد الفاتح، و مكتبة السلطان عبد الحميدخان باسلامبول، و مكتبة الحاج حسين الملک بطهران، و مكتبة الشيخ جعفر فى القطيف، و مكتبة شيخ الإسلام فى زنجان، و الخزانة الغروية فى النجف الأشرف و مكتبة مجد الدين النصيرى فى طهران، الى غير ذلک من النسخ.
و استدركنا البحث فى الجزء الرابع ص 266- 267 عند ذكر تفاسير الشيعة و ذكرنا ما عثرنا عليه بعد ذلک من النسخ فى مكتبة المرحوم الشيخ محمد السماوى فى النجف، و مكتبة صديقنا المعظم زعيم الشيعة الأكبر و المرجع الأعلى للتقليد اليوم السيد آغا حسين البروجردى دام ظله، و مكتبة المرحوم السيد نصر اللَّه التقوى رئيس المجلس الايرانى فى طهران و غير ذلک.
و كانت فى كتب المرحوم الشيخ موسى الأردبيلى نسخة فيها الجزء الأول و الرابع و السادس من هذا التفسير، و لما توفى طلب منى الفاضل السيد شفيع الأردبيلى الوقوف على كتبه، فحضرت هناک و رأيت هذه النسخة و كان تأريخ كتابتها 1087 ه و هى من موقوفات خاصة للنجف سنة 1140 ه

فرغب إلى السيد شفيع أن احتفظ التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 21
بها عندى خوفاً عليها من التلف ففعلت، و لما لم أكن أعهد الجزء الأول فى مكان آخر أمرت ولدى الفاضل الميرزا على نقي المنزوى- صاحب عدة مؤلفات مطبوعة و مخطوطة- أن يستنسخها تكثيراً للنسخ، ثم بعثت النسخة الأصلية الموقوفة الى (مكتبة الحسينية التسترية) ليستفاد منها، و بقيت عندى نسخة خط ولدى، و بعد ذلک بسنين رغب الفقيه الكبير الحجة السيد محمد الكوه‌كمرى التبريزى رحمه اللّه فى طبع الكتاب، و سعى فجمع بعض أجزائه المتفرقة فى البلدان و ضم بعضها الى بعض، و لم يكن فيها الجزء الأول، فكتب الى جماعة يستفسر منهم، منهم العلامة المجاهد الشيخ عبد الحسين الأمينى حفظه اللّه صاحب (الغدير) فراجعنى الشيخ الأمينى فأخبرته بوجوده لدى و أعطيته نسختى فبعثها الى قم للسيد الكوه‌كمرى فصححت و تمم بها الكتاب و الحمد اللّه، و طبع فى مجلدين كبيرين يقرب كل واحد منهما من 900 صفحة و ذلک من سنة 1360- 1365 ه و كان الباذل لنفقته المحسن الصالح السيد عبد الرسول الروغنى الشهير من تجار اصفهان، و هو من المثرين و أهل الخير و كانت له بعض المبرات يجريها على يدنا فى النجف الأشرف. و الحق أن السيد الحجة قد أسدى الى الامة جمعاء يداً لا تنكر، و قام بخدمة كبيرة، إذ طالما حنت نفوس المآت من أكابر العلماء الى مشاهدة هذا التفسير الجليل مجموعاً فى مكان واحد بعد تفرق أجزائه و تشتتها فى مختلف البلدان، و قد وفق لتحقيق هذه الامنية السيد الكوه‌كمرى فبذل جهوداً لا يستهان بها حتى استطاع جمعه و ترتيبه فله منا الشكر، و نسأل اللّه ان يتغمده برحمته و يجزل أجره.
و قد نقل على ظهر الكتاب من (الذريعة) بعض أوصاف التفسير و ما قيل فيه، و رغم ما بذله الناشر و المصححون من الخدمات المشكورة فقد جاء حافلًا بالاغلاط المطبعية و الاملائية، و لذلک عمد (صاحب مكتبة الأمين) فى النجف الأشرف فاجهد نفسه فى تصحيحه و حسن إخراجه فجاء- و الحق يقال- أحسن بكثير من الطبعة الاولى، و المأمول من أهل العلم و الفضل المبادرة الى الاشتراک بهذا الكتاب و اقتنائه و تشجيع أمثال هذه الخدمات الدينية التى لا تقابل بثمن، لتنتشر أسفار التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 22
قدمائنا، و تظهر للعيان مكانة سلفنا و ما لهم من خدمات و ما بذلوه من جهود و اللّه الملهم للصواب.
و قد ذكرنا فى (الذريعة) ج 3 ص 173 (البيان فى تفسير القرآن) كبير فى ستة مجلدات رأيناه فى «مكتبة الشيخ عبد الحسين الطهرانى الشهير بشيخ العراقين» و قلنا:
و ليس هذا التفسير هو تبيان الشيخ الطوسى ظاهراً لأنه عشرون مجلداً

كما يقال أو أكثر، نعم آخر الجزء الثانى و أول الثالث منه مطابق مع التبيان الخ.
ثم طابقنا الكتاب مع بعض النسخ فاتضح لنا انه من أجزاء التبيان فاستدركنا ذلک و صرحنا باتحادهما فى «الذريعة» ايضاً ج 4 ص 266 عند ذكر التفاسير.
10- تلخيص الشافى: فى الإمامة، أصله لعلم الهدى السيد المرتضى رحمة اللَّه عليه، و قد لخصه تلميذه شيخ الطائفة، و طبع التلخيص فى آخر الشافى بطهران، سنة 1301 ه كما ذكرناه فى «الذريعة» ج 4 ص 423.
11- تمهيد الأصول: شرح لكتاب «جمل العلم و العمل» لاستاذه المرتضى لم يخرج منه إلا شرح ما يتعلق بالأصول كما صرح به فى الفهرست، و لذا عبر عنه النجاشى بتمهيد الأصول، توجد منه نسخة فى «خزانة الرضا عليه السلام» بخراسان كما فى فهرسها، و قد ذكرناه فى «الذريعة» ج 4 ص 433.
12- تهذيب الأحكام: أحد الكتب الأربعة و المجاميع القديمة المعول عليها عند الأصحاب من لدن تأليفها حتى اليوم، استخرجه شيخ الطائفة من الأصول المعتمدة للقدماء، و التى هيأها اللَّه له و كانت تحت يده من وروده الى بغداد سنة 408 ه الى هجرته الى النجف الأشرف سنة 448 ه، و قد خرج من قلمه الشريف تمام كتاب الطهارة الى كتاب الصلاة بعنوان الشرح على «المقنعة» تأليف استاذه الشيخ المفيد الذى توفى عام 413 ه، و ذلک فى حياة استاذه، و كان عمره يومذاک خمساً- أو ستاً- و عشرين سنة، ثم تممه بعد وفاته، و قد أنهيت أبوابه الى ثلاثمائة و ثلاثة و تسعين باباً، و أحصيت أحاديثه فى 13590، و قد طبع فى مجلدين كبيرين سنة 1317 ه و يوجد فى تبريز الجزء الأول منه بخط مؤلفه شيخ الطائفة، و عليه خط الشيخ البهائى التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 23
و هو فى مكتبة السيد الميرزا محمد حسين بن على أصغر شيخ الإسلام الطباطبائى المتوفى سنة 1293 ه، كما ذكرناه فى «الذريعة» مفصلًا ج 4 ص 504- 507، و أحصينا هناک من شروح الكتاب ستة عشر، و من حواشيه عشرين، كما أشرنا الى عدة كتب تتعلق به، ک «انتخاب الجيد من تنبيهات السيد» و «ترتيب التهذيب» و «تصحيح الأسانيد» و «تنبيه الأريب فى إيضاح رجال التهذيب» الى غير ذلک مما لا غنىً للباحثين عن مراجعته.
13- الجمل و العقود: فى العبادات، و قد رأيت منه عدة نسخ فى النجف الأشرف، و فى طهران، ألفه بطلب من خليفته فى البلاد الشامية، و هو القاضى عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج قاضى طرابلس المتوفى سنة 481 ه، كما صرح فى أوله بقوله: «فانى مجيب الى ما سأل الشيخ الفاضل أطال اللَّه بقاءه».
و قد صرح فى هامش بعض النسخ القديمة بأن القاضى المذكور هو المراد

بالشيخ كما ذكرناه فى «الذريعة» ج 5 ص 145.
14- الخلاف فى الأحكام: و يقال له «مسائل الخلاف» أيضاً، و هو مرتب على ترتيب كتب الفقه و قد صرح فيه بأنه ألفه قبل كتابيه «التهذيب» و «الاستبصار» و ناظر فيه المخالفين جميعاً، و ذكر مسائل الخلاف بيننا و بين من خالفنا من جميع الفقهاء و ذكر مذهب كل من خالف على التعيين، و بيان الصحيح منه و ما ينبغى أن يعتقد الى غير ذلک مما شرحه فى أول الكتاب، و هو فى مجلدين كبيرين، يوجدان تماماً فى «مكتبة الحجة السيد ميرزا باقر القاضى» فى تبريز، و هناک نسخ فى النجف الأشرف فى «مكتبة الشيخ هادى آل كاشف الغطاء» و «مكتبة الشيخ محمد السماوى» و «مكتبة الشيخ مشكور الحولاوى» و «مكتبة الحسينية التسترية» و نسخة فى الكاظمية فى «مكتبة السيد حسن الصدر» و هى أقدم نسخة رأيتها حيث أن على ظهر الصفحة الأخيرة منها إجازة تأريخها سنة 668 ه و نظراً لنفاسة هذه الاجازة فقد نشرتها حرفياً فى هامش الجزء السابع من «الذريعة» ص 236 عند ذكر الخلاف، و نسخة أخرى فى «الخزانة الرضوية» بخراسان، تجد تفصيل التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 24
ذلک فى «الذريعة» و قد طبع الكتاب بحمد اللَّه فى طهران سنة 1370 ه بأمر من زعيم الشيعة الحجة السيد آغا حسين البروجردى دام ظله مع تعليقة له عليه، و ذلک بنفقة الوجيه الصالح الحاج محمد حسين كوشان‌پور جزاهما اللَّه خير الجزاء ان شاء اللّه، و الأسف ان السيد البروجردى لم يرجع الى «الذريعة» و لو رجع اليها لدلته على النسخة التامة التى ذكرناها و لاستغنى عن استكتاب القطع و ضم بعضها الى بعض كما شرح ذلک بقلمه على ظهر الكتاب.
15- رياضه العقول: شرح فيه كتابه الآخر الذى سماه «مقدمة فى المدخل الى علم الكلام» ذكرها النجاشى فى رجاله و المترجم له فى فهرس كتبه و ابن شهرآشوب فى «معالم العلماء» كما ذكرناه فى حرف الراء من «الذريعة» المخطوط.
16- شرح الشرح: فى الأصول، قال تلميذه الحسن بن مهدى السليقى: إن من مصنفاته التى لم يذكرها فى الفهرست كتاب شرح الشرح فى الأصول، و هو كتاب مبسوط أملى علينا منه شيئاً صالحاً، و مات رحمه اللّه و لم يتمه و لم يصنف مثله.
17- العدة: فى الأصول، ألفه فى حياة أستاذه السيد المرتضى، و قسمه قسمين الأول فى أصول الدين و الثانى فى أصول الفقه، و هو أبسط ما ألف فى هذا الفن عند القدماء أفاض فيه القول فى تنقيح مبانى الفقه بما لا مزيد عليه فى ذلک العصر، طبع ببمبئى فى سنة 1312 ه، و طبع فى ايران ثانياً سنة 14ِ13 ه مع حاشية المولى خليل القزوينى المتوفى سنة 1089 و

ليست شرحاً كما قاله الشيخ الحر فى (أمل الآمل) بل هى حاشية مبسوطة فى مجلدين كما فصله المولى عبد اللّه الأفندى فى (رياض العلماء) و للوقوف على تفصيل ذلک راجع (الذريعة) ج 6 ص 148.
18- الغيبة: فى غيبة الإمام الحجة المهدى المنتظر عليه السلام، طبع فى تبريز على الحجر طبعاً صحيحاً متقناً فى سنة 1324 ه مع حاشية كل من العلامة الشيخ فضل على الايروانى المتوفى سنة 1331 ه و العلامة الشهيد الميرزا على آغا التبريزى الملقب بثقة الإسلام، و كان طبعه بنفقة الفاضل التقى الشيخ محمد صادق التبريزى المعروف بالقاضى ابن الحاج محمد على بن الحاج على محمد بن الحاج اللّه وردى، و هو التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 25
من الكتب التى حصل عليها من إرث أبى زوجته السيد ميرزا مهدى خان الطباطبائى التبريزى، و قد ظن بعضهم انه ألفه فى حياة أستاذه الشيخ المفيد، و انه هو المراد بقوله: ما رسمه الشيخ الجليل أطال اللّه بقاءه إلخ. و ليس كذلک فقد قال فى جواب الاعتراض على طول عمر الحجة كما فى ص 85 من الكتاب ما نصه: الى هذا الوقت الذى هو سنة سبع و أربعين و أربعمائة الخ فأين هذا الشيخ من الشيخ المفيد الذى توفى سنة 413 ه؟
19- الفهرست: «1» ذكر فيه أصحاب الكتب و الأصول، و أنهى اليهم و اليها أسانيده عن مشايخه، و هو من الآثار الثمينة الخالدة، و قد اعتمد عليه علماء الامامية على بكرة أبيهم فى علم الرجال، و قد شرحه العلامة المحقق الشيخ سليمان الماحوزى المتوفى 1121 ه و سماه (معراج الكمال الى معرفة الرجال) و رتبه على طريقة كتب الرجال كل من العلامة الشيخ على المقشاعى الاصبعى البحرانى المتوفى سنة 1127 ه و العلامة المولى عناية اللّه القهپائى النجفى المتوفى بعد سنة 1126 و غيرهما مما ذكرنا كلًا فى محله من (الذريعة).
طبع الفهرست فى ليدن قبل سنين متطاولة و لا أذكر الآن عام طبعه، على إننى وقفت عليه فى طهران، و كانت نسخه عزيزة جداً و لذلک كتبت عليه نسخة لنفسى قبل إحدى و ستين سنة، و لا تزال موجودة عندى بورقها و خطها القديم مع غيرها مما استنسخته يومذاک من الكتب لندرته، و تأريخ فراغى من كتابتها فى طهران أيام عودتى اليها من النجف الأشرف صبيحة يوم الأحد غرة شهر ربيع الأول سنة 1315 ه.
و هذه الطبعة كانت جيدة متقنة صحيحة ثمينة جداً، حتى ان مكتبات طهران و علمائها يومذاک لم تكن تضم غير هذه النسخة، لأن جلبها من الخارج كان يكلف ثمناً لا بأس به، و قد كانت هذه النسخة فى مكتبة الزعيم الحجة المعروف

---

(1) ذكره البحاثة المفضال يوسف أسعد داغر فى مصادر كتابه (مصادر

الدراسة الأدبية) ج 1 ص 9 و ذكر ان وفاة الشيخ فى 465 ه و الصحيح 460 كما سيأتى و قال: انه فى 283 ص و الصحيح 383. [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 26
و الأديب الكبير الميرزا أبى الفضل الطهرانى الشهير ب (الكلانترى) و المتوفى سنة 1319 ه استعرتها من تلميذه استاذى الشيخ على النورى الايلكائى رحمه اللّه فرأيت فى آخرها عدة صفحات باللغة اللاتينية، ففتشت فى طهران كثيراً حتى عثرت بمن يحسنها فترجمها لى بالفارسية و نقلتها أنا الى العربية و صدرت بها نسختى، و هى كلمة الناشر و خلاصتها: أنه أجهد نفسه فى مقابلة النسخ و التدقيق فى التصحيح الى غير ذلک و طبع ثانياً فى كلكته من بلاد الهند عام 1271 ه فجاء فى 373 صفحة و قد تولى نشره و تصحيحه (ا. سبرنجر) و المولى عبد الحق، و قد طبع فى ذيل صفحاته (نضد الإيضاح)- يعنى إيضاح الاشتباه للعلامة الحلى- تأليف علم الهدى محمد ابن الفيض الكاشانى المتوفى بعد سنة 1112 ه و لم أقف على هذه النسخة و انما ذكرها ناشر الطبعة الثالثة.
و فى سنة 1356 ه طبعه فى النجف الأشرف صديقنا العلامة المحقق السيد محمد صادق آل بحر العلوم حفظه اللّه قاضى البصرة اليوم مع مقدمة ضافية عن حياة الشيخ و تعاليق مفيدة، تدارک فيها ما فات فى طبعتيه الأولى و الثانية، مع التصحيح الدقيق، و المراجعة الى الأصول المعتبرة، و كتب الرجال و تطبيق المنقول فيها عن الفهرست، الى غير ذلک مما تظهر به ميزة هذه الطبعة، و قد راعى فيها الامانة على خلاف عادة بعض المعاصرين، فما نقل عنا شيئاً إلا و أشار الى مصدره أيده اللّه.
و للفهرست ذيول و تتمات هى من أنفس الكتب الرجالية، منها «فهرست الشيخ منتجب الدين» المتوفى بعد سنة 585 ه ذكر فيه المصنفين بعد عصر الشيخ الى عصره، و قد طبع مع الجزء الأخير من «بحار الأنوار» و عندى منه نسخة بخطى فرغت من كتابتها فى النجف الأشرف سنة 1320 ه كتبتها قبل أن اطلع على طبعه فى آخر «البحار». و منها «معالم العلماء» للشيخ رشيد الدين محمد بن على ابن شهرآشوب السروى صاحب «المناقب» المطبوع و المتوفى سنة 588 ه و قد زاد هذا الأخير على ما ذكره شيخ الطائفة من أسماء المصنفين ثلاث مائة مصنف.
و قد لخص (الفهرست) الشيخ نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 27
ابن سعيد الهذلى الشهير بالمحقق الحلى صاحب (الشرايع) و المتوفى سنة 676 ه لخصه بتجريده عن ذكر الكتب و الأسانيد اليها، و الاقتصار على ذكر نفس المصنفين و سائر خصوصياتهم مرتباً على الحروف فى الأسماء و الألقاب و الكنى، رأيته فى (مكتبة السيد حسن الصدر) فى الكاظمية كما ذكرته فى «الذريعة» ج 4 ص 425.

20- ما لا يسع المكلف الإخلال به: فى علم الكلام، ذكره النجاشى فى «رجاله» و الشيخ فى «الفهرست»، و رأيت عند العلامة المرحوم الشيخ هادى آل كاشف الغطاء مجموعة بخط جده الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء، و فى أولها كتاب فى أصول الدين و فروعه ليس بخط الشيخ الأكبر، أوله: «الحمد للّه كما هو أهله و مستحقه، و صلى اللّه على سيد الأنبياء محمد و عترته الأبرار الأخيار صلاة لا انقطاع لمددها، و لا انتهاء لعددها، و سلم و كرم، أما بعد فقد أجبت الى ما سأله الأستاذ أدام اللّه تأييده من إملاء مختصر محيط مما يجب اعتقاده فى جميع أصول الدين، ثم ما يجب عمله من التبرعات، لا يكاد المكلف من وجوبها عليه- كذا- لعموم البلوى، و لم اخل شيئاً مما يجب اعتقاده من إشارة الى دليله وجهة علمه على صغر الحجم و شدة الاختصار، و لن يستغنى عن هذا الكتاب مبتدئ تعليما، و تبصرة و منته تنبيهاً و تذكرة، و من اللّه أستمد المعونة و التوفيق الخ».
و عنوان شروعه فى المطلب هكذا بلفظه: «ما يجب اعتقاده فى أبواب التوحيد، الأجسام محدثة لأنها لم تسبق الحوادث فلها حكمها فى الحدوث الى آخر كلامه». و المظنون قوياً كون هذا الكتاب هو «ما لا يسع المكلف الإخلال به» و اللّه العالم.
21- ما يعلل و ما لا يعلل: فى علم الكلام أيضاً ذكره النجاشى فى «رجاله» و شيخ الطائفة نفسه فى «الفهرست» أيضاً.
22- المبسوط: فى الفقه من أجل كتب هذا الفن، يشتمل على جميع أبوابه فى نحو سبعين كتابا طبع فى ايران سنة 1270 ه، و قد وقفت على بعض نسخه التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 28
المخطوطة النفيسة فى مختلف الأماكن، و فصلت ذكرها و ذكرت خصوصياتها فى حرف الميم من «الذريعة» و لا حاجة الى ذكرها بعد ان طبع الكتاب و من أراد الوقوف عليها فعليه بمراجعة الكتاب المذكور.
23- مختصر أخبار المختار بن أبى عبيد الثقفى: و يعبر عنه ب (أخبار المختار) أيضاً كما ذكرناه بهذا العنوان فى (الذريعة) ج 1 ص 348.
24- مختصر المصباح: فى الأدعية و العبادات، اختصر فيه كتابه الكبير (مصباح المتهجد) و يقال له (المصباح الصغير) ايضاً فى قبال أصله (المصباح الكبير) نسخة منه فى «مكتبة الشيخ هادى آل كاشف الغطاء»، و نسختان فى «مكتبة مدرسة فاضل خان» فى مشهد الرضا عليه السلام بخراسان كما ذكرناه فى الميم من «الذريعة» 25- مختصر فى عمل يوم و ليلة: فى العبادات، و قد سماه بعضهم «يوم و ليلة» لكن الشيخ نفسه ذكره فى «الفهرست» بهذا العنوان، و قد اقتصر فيه على الفرائض و النوافل الإحدى و الخمسين ركعة فى اليوم و الليلة و بعض التعقيبات فى غاية الاختصار، رأيت منه عدة نسخ، إحداها بخط العلامة السيد أحمد زوين النجفى فرغ من كتابتها فى سنة 1234 ه، و الثانية بخط مولانا الحجة

الميرزا محمد الطهرانى العسكرى و هى الآن بمكتبته فى سامراء، و غيرهما مما ذكرته فى الميم من «الذريعة».
26- مسألة فى الأحوال: ذكرها شيخ الطائفة نفسه فى عداد تصانيفه فى كتابه «الفهرست» و وصفها بقوله: مليحة.
27- مسألة فى العمل بخبر الواحد و بيان حجيته: ذكرناها فى «الذريعة» ج 6 ص 270 بعنوان «حجية الاخبار».
28- مسألة فى تحريم الفقاع: ذكرها الشيخ نفسه فى الفهرست، نسخة منها بخط الحجة المرحوم الميرزا محمد الطهرانى العسكرى رأيتها عنده بمكتبته فى سامراء، و نسخة أخرى فى «مكتبة الحسينية التسترية» فى النجف الأشرف، و ثالثة فى (مكتبة راجه فيض‌آباد) فى الهند كما فصلناه فى (الذريعة). التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 29
29- مسألة فى وجوب الجزية على اليهود و المنتمين الى الجبابرة: لا ذكر لها فى (فهرست الشيخ) المطبوع المتداول، بل ذكرها المولى عناية اللّه القهبائى فى كتابه (مجمع الرجال) الموجود عندنا بخطه نقلًا عن فهرست الشيخ، و هذا يدل على وجودها فى النسخة التى وقف عليها، و يظهر من ذلک وجود بعض النقصان فى المتداول.
30- مسائل ابن البراج: ذكره شيخ الطائفة نفسه فى كتابه (الفهرست)
31- الفرق بين النبى و الامام: فى علم الكلام، ذكرها فى (الفهرست) ايضاً
32- المسائل الالياسية: هى مائة مسألة فى فنون مختلفة، ذكرها هو فى «الفهرست»، و ذكرناها بعنوان «جوابات المسائل الالياسية» فى «الذريعة» ج 5 ص 214.
33- المسائل الجنبلائية: فى الفقه، و هى أربع و عشرون مسألة كما ذكره الشيخ فى «الفهرست»، و ذكرناها فى «الذريعة» ج 5 ص 219 بعنوان جوابات.
و فى بعض المواضع: الجيلانية و هو غير صحيح.
34- المسائل الحائرية: فى الفقه، و هى نحو من ثلاثمائة مسألة، كما فى «الفهرست»، و هى من مآخذ «بحار الأنوار» كما ذكره المجلسى فى أوله، و ينقل عنه ابن إدريس فى «السرائر» بعنوان «الحائريات» كما ذكرناه فى «الذريعة» ج 5 ص 218.
35- المسائل الحلبية: فى الفقه أيضاً، ذكره الشيخ نفسه فى [الفهرست] و نقلناه فى [الذريعة] ج 5 ص 219.
36- المسائل الدمشقية: فى تفسير القرآن، و هى اثنتى عشرة مسألة، فى تفسير القرآن، ذكرها الشيخ نفسه فى [الفهرست] و قال: لم يعمل مثلها. و ذكرناها بعنوان الجوابات فى [الذريعة] ج 5 ص 220.
37- المسائل الرازية: فى الوعيد، و هى خمس عشرة مسألة وردت من الرِي الى استاذه السيد المرتضى فأجاب عنها، و أجاب عنها الشيخ الطوسى

أيضاً، ذكرها التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 30
فى [الفهرست]، و ذكرناها فى [الذريعة] ج 5 ص 221 بعنوان [جوابات المسائل الرازية]. كما ذكرنا هناک جوابات أستاذه المرتضى.
38- المسائل الرجبية: فى تفسير آى من القرآن، ذكرها الشيخ نفسه فى [الفهرست] و وصفها بقوله: لم يصنف مثلها. ذكرناها فى حرف الميم من [الذريعة] القسم المخطوط.
39- المسائل القمية: ذكرها المولى عناية اللَّه القهپائى نقلًا عن [الفهرست] للشيخ لكن لم نجده فى النسخة المطبوعة، و قد ذكرناه فى [الذريعة] ج 5 ص 330 بعنوان [جوابات المسائل القمية].
40- مصباح المتهجد: فى أعمال السنة كبير، و هو من أجل الكتب فى الأعمال و الأدعية، و هو قدوتها، و أصلها و دوحتها، و منه اقتبس كثير من كتب الباب، ک (اختيار المصباح) لأبن باقى و (إيضاح المصباح) للنيلى و (تتمات المصباح) فى عشرة مجلدات كلها كتاب مستقل، و له عنوان خاص، و هى للسيد ابن طاوس، و (قبس المصباح) للصهرشتى، و (منهاج الصلاح) للعلامة الحلى، و لكل من المولى حيدر على الشيروانى المعروف بالمجلسى و السيد عبد اللّه شبر، و نظام الدين على بن محمد «1» (مختصر المصباح) و [منهاج الصلاح] لأبن عبد ربه الحلى و غير ذلک طبع فى طهران على نفقة المرحوم الحاج سهم الملک بيات العراقى بترغيب العالم التقى السيد علم الهدى الكابلى نزيل ملاير أخيراً، و ذلک فى سنة 1338 و بهامشه ترجمة فارسية للعلامة الشيخ عباس القمى.
41- المفصح: فى الامامة، و هو من الآثار الهامة، توجد نسخة منه فى [مكتبة راجه فيض‌آباد] فى الهند، و حصلت نسخة منه لشيخنا الحجة الميرزا حسين النورى، وجدها مع [النهاية] و هى بخط أبى المحاسن بن ابراهيم بن الحسين ابن بابويه كان تاريخ كتابته للنهاية الثلاثاء 15 ربيع الآخر سنة 517 ه فاستنسخها

---

(1) كنا نظن انه نظام الدين الساوجى، لكن المولى عبد اللّه الافندى صاحب (الرياض) قال: و احتمال كون نظام الدين هذا هو الساوجى تلميذ البهائى بعيد.
التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 31
جماعة منهم: الحجة المرحوم الميرزا محمد الطهرانى العسكرى، و هى بخطه فى مكتبته بسامراء.
42- مقتل الحسين عليه السلام: ذكره الشيخ فى (الفهرست)، و عنه نقلناه فى حرف الميم من (الذريعة) المخطوط.
43- مقدمة فى المدخل الى علم الكلام: ذكره النجاشى فى رجاله، و الشيخ نفسه فى (الفهرست) و وصفها فيه بقوله: لم يعمل مثلها.

أقول: رأيت فى كتب الزعيم الفقيه المرحوم السيد محمد الكوه‌كمرى الشهير بالحجة نسخة من كتاب (المستجاد من الإرشاد) تأريخ كتابتها سنة 982 ه، و فى حاشيتها كتاب فى أصول الدين منسوب الى شيخ الطائفة الطوسى، أوله: (إذا سألک سائل و قال: ما الايمان؟. فقل: هو التصديق باللّه و بالرسول و بما جاء به و بالأئمة عليهم السلام، كل ذلک بالدليل لا بالتقليد، و هو مركب مبوب على خمسة أركان من عرفها كان مؤمناً، و من جحدها كان كافراً، و هى التوحيد و العدل و النبوة و الامامة و المعاد، و حد التوحيد ...- الى قوله:- و الدليل على ان اللّه موجود ان العالم أثره و عناوينه الى آخره هكذا و الدليل على كذا فهو كذا إلخ، و لعل هذا الكتاب هو المقدمة، و نسخة أخرى منه بعينه فى مجموعة كانت فى (مكتبة المولى محمد على الخوانسارى) فى النجف الأشرف من دون نسبتها الى الشيخ، و تاريخ كتابتها 982 ه ايضاً، و معها فى المجموعة (النكت الاعتقادية) للشيخ المفيد، و (مختصر التحفة الكلامية)، و نسخة ثالثة عليها خط شيخ الطائفة فى (مكتبة السيد محمد المشكاة) فى طهران «1» كتب على ظهرها ما لفظه:

---

(1) هذه المكتبة تحتوى على أكثر من ألف مجلد كلها مخطوطة قديمة نادرة من مؤلفات أعلام القرون الأولى و الوسطى، و لها بين أهل العلم و الأدب فى ايران شهرة واسعة، و قد رأيناها و ضبطنا خصوصيات نوادرها، و صاحبها الجليل من العلماء الأنذاذ، و هو اليوم من أساتذة جامعة طهران على بزته الروحية و عمته الشريفة، و هو من أصدقائنا و من الآحاد الذين أجزناهم فى الاجتهاد المطلق و رواية الحديث، و قد أهدى هذه المكتبة العظيمة- التى خسر فى سبيل جمعها ما ورثه من الاملاک- الى جامعة طهران، فكان لذلک صدى ارتياح و استحسان. و قد اختارت الجامعة لتأليف فهرس لها فاضلين من أهل الفن و الخبرة أحدهما ولدى الأرشد الأديب البحاثة الميرزا على نقى المنزوى و الثانى الفاضل البحاثة محمد تقى دانش پژوه و هما من خيرة تلامذة صاحب المكتبة السيد محمد المشكاة فى-

(مقدمة الكلام. تصنيف الشيخ الامام الورع قصوة العارفين، و حجة اللّه على العالمين، لسان الحكماء و المتكلمين، أبى جعفر محمد بن الحسن بن على الطوسى متعنا اللّه بطول بقائه و نفعنا بعلومه). و كتب على الصفحة الثانية منه ما لفظه: (قرأ على هذا الكتاب و بحث على معانيه صاحبه فى عدة مجالس آخرها السادس و العشرين من المحرم لسنة خمس و أربعين و أربعمائة بحدود دار السلام، و كتبه محمد بن الحسن ابن على و للّه الحمد و المنة صلى اللّه على محمد و آله الطيبين). و آخرها ما نصهِ:

(... مفيض الحياة و بارئ النسمة و هو المستحق له دائماً سرمداً و حسبى اللّه و نعم الوكيل رب أتمم بالخير. وقع الفراغ من استنساخه بتوفيق اللّه و بحسن معونته سادس عشرين- كذا- من رجب سنة أربع و أربعين و أربعمائة فى مدينة السلام على يد العبد الضعيف نظام الدين محمود بن على الخوارزمى حامداً للّه تعالى مصلياً على نبيه ...)

44- مناسک الحج فى مجرد العمل: ذكره فى (الفهرست) أيضاً.

45- النقض على ابن شاذان فى مسألة الغار: ذكره كذلک فى (الفهرست) و ذكره العلامة السيد مهدى بحر العلوم فى (الفوائد الرجالية): و قال انه نقض فى مسألة الغار و مسألة العمل بالخبر الواحد، فظاهر كلامه انه رآه.

46- النهاية فى مجرد الفقه و الفتوى: من أعظم آثاره و أجل كتب الفقه، و متون الأخبار، أحصى فى فهرسه المخطوط عند العلامة الشيخ هادى آل كاشف الغطاء، فى 22 كتاباً و 214 باباً، و قد كان هذا الكتاب بين الفقهاء من لدن عصر مصنفه الى زمان المحقق الحلى كالشرائع بعد مؤلفها، فكان بحثهم و تدريسهم

- كلية المعقول و المنقول و قد أخرج ولدى المحروس حتى الآن جزئين الأول خاص بالكتب المؤلفة فى القرآن و الدعاء طبع فى سنة 1370 ه فجاء فى 275 صفحة، و الثانى خاص بكتب الأدب طبع عام 1372 ه فجاء فى 889 صفحة و قد صدره بتقريض جليل من أخينا فى اللّه الحجة فقيد الإسلام و مفخرة الشيعة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه اللّه كتبه على الجزء الأول عند ما بعث نسخة منه الى مكتبته الموقوفة فى النجف الأشرف و قد أخرج الفاضل الآخر بعد الجزء الثانى سلسلة وصلنا منها حتى كتابة هذه السطور 2072 صفحة و لها تتمة على ما يقال، و هى فى مختلف العلوم و فى فصول مختلفة.

التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 33

فيه، و شروحهم عليه، و كانوا يخصونه بالرواية و الاجازة، و له شروح متعددة ذكرناها فى محالها من (الذريعة)، و قد رأيت منه عدة نسخ أقدمها بخط الشيخ أبى الحسن على بن ابراهيم بن الحسن بن موسى الفراهانى فرغ من كتابتها غرة رجب سنة 591 ه، رأيتها فى (مكتبة العلامة الحجة الشيخ عبد الحسين الطهرانى) الشهير بشيخ العراقين، الى غير ذلک من النسخ التى ذكرت خصوصياتها مفصلًا فى حرف النون من (الذريعة) عند ذكر الكتاب، و قد طبع كتاب النهاية فى سنة 1276 ه مع (نكت النهاية) للمحقق و (الجواهر) للقاضى و غيرهما فى مجلد كبير، و له ترجمة فارسية لبعض الأصحاب المقاربين لعصر الشيخ الطوسى و هى نسخة عتيقة رأيتها فى (مكتبة السيد نصر اللّه الأخوى) فى طهران كما ذكرته فى (الذريعة) ج 4 ص 143- 144.

47- هداية المسترشد و بصيرة المتعبد: فى الأدعية و العبادات ذكره الشيخ فى (الفهرست) و عنه نقلناه فى حرف الهاء المخطوط من (الذريعة).
هذا ما وصل إلينا من أسماء مؤلفات شيخ الطائفة أعلى اللّه مقامه و منه ما هو موجود و ما هو مفقود، و لعل هناک ما لم نوفق للعثور عليه (و فوق كل ذى علم عليم).

إن مشايخ شيخ الطائفة فى الرواية و أساتذته فى القراءة كثيرون، فقد أحصى شيخنا الحجة الميرزا حسين النورى فى «مستدرک وسائل الشيعة» ج 3 ص 509 سبعاً و ثلاثين شخصاً استخرج أسماءهم من مؤلفات الشيخ، و من (الاجازة الكبيرة) التى كتبها العلامة الحلى- أعلى اللّه مقامه- لأولاد السيد ابن زهرة الحلبى و غير ذلک.
إلا أن مشايخه الذين تدور روايته عليهم فى الغالب، و الذين أكثر الرواية عنهم و تكرر ذكرهم فى (الفهرست) و فى مشيخة كل من كتابيه (التهذيب) و (الاستبصار) خمسة، و اليک أسماءهم حسب حروف الهجاء لا تفاوت الدرجات: التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 34
1- الشيخ أبو عبد اللّه أحمد بن عبد الواحد بن أحمد البزاز المعروف بابن الحاشر مرة، و بابن عبدون أخرى، و المتوفى سنة 423 ه.
2- الشيخ أحمد بن محمد بن موسى. المعروف بابن الصلت الأهوازى المتوفى بعد سنة 408 ه «1».
3- الشيخ أبو عبد الله الحسين بن عبيد اللّه بن الغضائرى المتوفى سنة 411 ه 4- الشيخ أبو الحسين على بن احمد بن محمد بن أبى جيد المتوفى بعد سنة 408 ه 5- شيخ الأمة و معلمها أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن النعمان الشهير بالشيخ المفيد و المتوفى سنة 413 ه.
هؤلاء الخمسة هم الذين أكثر فى الرواية عنهم فى كتبه المهمة، و قد روى عن باقى مشايخه فى كتبه المذكورة و غيرها لكن لا بهذه الكثرة، و الى القارئ أسماءهم مرتبة على حروف الهجاء:
1- أبو الحسين الصفار (ابن الصفار خ ل).
2- أبو الحسين بن سوار المغربى. عده العلامة الحلى فى (الاجازة الكبيرة) من مشايخه من العامة.
3- الشيخ أبو طالب بن غرور.
4- القاضى ابو الطيب الطبرى الحويرى المتوفى بعد سنة 408 ه.
5- أبو عبد اللّه أخو سروة.
6- أبو عبد اللّه بن الفارسى.
7- أبو على بن شاذان المتكلم. و قد عده العلامة الحلى فى (الاجازة الكبيرة) من مشايخه من العامة أيضاً.
8- أبو منصور السكرى. قال صاحب (الرياض): يحتمل أن يكون من

---

(1) ان تواريخ وفيات أكثر مشايخ شيخ الطائفة مجهولة، فمن لم نقف على تاريخ وفاته من أهل العراق نذكر له هذا التأريخ لأنه كان حياً فيه، و ذلک لأن

ورود شيخ الطائفة الى العراق كان فى سنة 408 ه، و لا شک انه استجازهم بعد وروده فى تاريخ لا نعرفه، و لذا فانا نثبت ما تيقناه راجين أن يوفق غيرنا لاكتشاف ما لم نوفق له.
التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 35
العامة أو الزيدية. أقول: استبعد شيخنا النورى كونه من العامة مستدلًا بما وجده من رواياته التى لا يرويها أبناء العامة، الا انه لم ينف كونه زيدياً.
9- أحمد بن ابراهيم القزوينى المتوفى بعد سنة 408 ه.
10- أبو الحسين و أبو العباس أحمد بن على النجاشى صاحب (كتاب الرجال) المعروف و المتوفى سنة 450 ه.
11- جعفر بن الحسين بن حسكة القمى المتوفى بعد 408 ه.
12- الشريف أبو محمد الحسن بن القاسم المحمدى المتوفى بعد سنة 408 ه.
13- أبو على الحسن بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن أشناس المعروف بابن الحمامى البزاز. عبر عنه كذلک السيد ابن طاوس فى (الإقبال) فى عمل يوم الغدير و الشيخ محمد الحر العاملى فى (اثبات الهداة)، و ذكر شيخنا النورى فى عداد مشايخ شيخ الطائفة الحسن بن إسماعيل المعروف بابن الحمامى. و هما واحد حتماً، و قد عبر عنه فى بعض المواضع بأبى الحسن محمد بن إسماعيل، كما فى صدر اسناد بعض نسخ الصحيفة السجادية، فان هذا الرجل هو الراوى للصحيفة الكاملة بنسخة مخالفة للصحيفة المشهورة فى بعض العبارات، و فى الترتيب، و فى عدد الأدعية، و نحو ذلک كما قاله صاحب (الرياض) و ذكر وجود عدة نسخ منها إحداها عنده، و قد يعبر عنه أيضاً بالحسن بن إسماعيل و قد ترجم له بهذا العنوان فى (أمل الآمل) ص 467 من طبعة طهران سنة 1307 ه التى هى مع (الرجال الكبير) مسلسلة الأرقام، و لذلک توهم فيه شيخنا النورى رحمه الله فذكره بهذا العنوان كما أسلفناه محتملًا التعدد، و نقل السيد ابن طاوس فى أواخر (الإقبال) عن أصل كتاب الحسن بن إسماعيل بن العباس و مراده هذا الشيخ أيضاً، و يعبر عنه بابن أشناس و بابن الاشناس و غير ذلک، و الصحيح فى اسمه و نسبه ما ذكرناه.
و قد ترجم له بهذا العنوان الصحيح معاصره أبو بكر الخطيب فى (تأريخ بغداد) ج 7 ص 425- 426 فقال:
... كتبت عنه شيئاً يسيراً، و كان سماعه صحيحاً، إلا انه كان رافضياً التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 36
خبيث المذهب، و كان له مجلس فى داره بالكرخ يحضره الشيعة و يقرأ عليهم مثالب الصحابة و اللعن على السلف ... سألته عن مولده فقال فى شوال من سنة 359 ه و مات فى ليلة الأربعاء الثالث من ذى القعدة سنة 439 ه و دفن صبيحة تلک الليلة فى مقبرة باب الكناس.

أقول: أشناس «1» بفتح الألف و سكون الشين المعجمة و فتح النون ثم الألف الساكنة، و بعدها السين المهملة: اسم غلام لجعفر المتوكل.
14- أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن داود الفحام المعروف بابن الفحام السرمن‌رائى- السامرائى- المتوفى بعد سنة 408 ه 15- أبو الحسين حسنبش المقرئ المتوفى بعد سنة 408 ه.
16- أبو عبد الله الحسين بن ابراهيم القزوينى المتوفى بعد سنة 408 ه.
17- أبو عبد الله الحسين بن ابراهيم بن على القمى المعروف بابن الخياط.
18- الحسين بن أبى محمد هارون بن موسى التلعكبرى المتوفى بعد سنة 408 ه 19- أبو محمد عبد الحميد بن محمد المقرئ النيسابورى.
20- أبو عمرو عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مهدى المتوفى بعد سنة 410 ه.
21- أبو الحسن على بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ المعروف بابن الحمامى المقرئ المتوفى بعد سنة 408 ه، و هو غير ابن أشناس المعروف بابن الحمامى المار ذكره فلا تتوهم.
22- السيد المرتضى علم الهدى أبو القاسم على بن الحسين بن موسى بن محمد ابن ابراهيم بن الامام موسى الكاظم عليه السلام، المتوفى سنة 436 ه.
23- أبو القاسم على بن شبل بن أسد الوكيل المتوفى بعد سنة 410 ه.
24- القاضى أبو القاسم على التنوخى ابن القاضى أبى على المحسن ابن القاضى

---

(1) قال صاحب (الرياض): المشهور ان أشناس بضم الهمزة ... لكن قد وجدت بخط بعض الأفاضل فى الصحيفة المذكورة- الصحيفة السجادية التى يرويها هذا الشيخ- لفظ أشناس مضبوطاً بفتح الهمزة.
التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 37
أبى القاسم على بن محمد بن أبى الفهم داود بن ابراهيم بن تميم القحطانى من تلامذته السيد المرتضى و أصحابه، و قد عده العلامة الحلى فى (الاجازة الكبيرة) من مشايخه من العامة أيضاً. لكن صاحب (الرياض) قال فى ترجمته: الأكثر أنه من الامامية.
(أقول): له ترجمة فى (معجم الأدباء) ايضاً ج 14 ص 110- 124 أثبت نسبه فيها الى قضاعة، و ذكر انه كان مقبول الشفاعة فى شبابه و ان الخطيب البغدادى سمع منه: انه ولد سنة 370 ه. و قال أنه توفى فى 447 ه.
25- أبو الحسين على بن محمد بن عبد اللّه بن بشران المعروف بان بشران المعدل و المتوفى بعد سنة 411 ه.
26- محمد بن أحمد بن أبى الفوارس الحافظ المتوفى بعد سنة 411 ه.
27- أبو زكريا محمد بن سليمان الحرانى (الحمدانى خ ل) من أهل طوس

و المظنون أنه من مشايخه قبل هجرته إلى العراق.
28- محمد بن سنان. عده العلامة الحلى فى (الاجازة الكبيرة) من مشايخه من العامة أيضاً.
29- أبو عبد اللّه محمد بن على بن حموى البصرى المتوفى بعد سنة 413 ه.
30- محمد بن على بن خشيش بن نضر بن جعفر بن ابراهيم التميمى المتوفى بعد سنة 408 ه.
31- أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن مخلد المتوفى بعد سنة 417 ه.
32- السيد أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار المولود سنة 322 ه و المتوفى 414 ه.
هؤلاء هم الذين عرفناهم من مشايخ شيخ الطائفة الطوسى، و هم اثنان و ثلاثون و ذكرنا قبلهم خاصة مشايخه و هم خمسة فيكون المجموع سبعة و ثلاثين، الا ان شيخنا النورى لما أوردهم فى (المستدرک) تمت عدتهم ثمانية و ثلاثين، و ذلک لما ذكرناه من تكريره اسم الحسن بن محمد بن إسماعيل بن الاشناس بعنوان الحسن التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 38
ابن إسماعيل، و قد نقلناهم عن شيخنا النورى بعد ترتيب اسمائهم على حروف الهجاء، و إضافة بعض الفوائد و الزيادات التى توضح أحوالهم.

سبق و أن ذكرنا فيما تقدم من حديثنا عن شيخ الطائفة أن تلامذته من الخاصة بلغوا اكثر من ثلاثمائة مجتهد و من العامة ما لا يحصى كثرة، و قد صرح بذلک المجلسى فى (البحار) و التسترى فى (المقابس) و الخوانسارى فى (الروضات) و المدرس فى (الريحانة) و غيرهم فى غيرها.
و الأسف ان هذا العدد الكبير غير معروف لدى كافة الباحثين حتى بعد عصر الشيخ بقليل، فان الشيخ منتجب الدين بن بابويه المتوفى بعد سنة 585 ه على قرب عهده من الشيخ لم يستطع الوقوف على أسمائهم، فانه لم يذكر منهم فى كتابه (الفهرست) المطبوع فى آخر (البحار) إلا ستة و عشرين عالما، و زاد عليهم العلامة السيد مهدى بحر العلوم فى (الفوائد الرجالية) أربعة فتمت عدتهم ثلاثين، و هؤلاء معروفون ذكرت أسماؤهم فى مقدمات كتب الشيخ المطبوعة فى النجف الأشرف لكن شيخنا النورى لم يذكرهم، و نظراً لما حدث فى اسماء بعضهم من التصحيف، و لما وقفنا عليه من أسماء جماعة أخرى من تلاميذه الذين ذكرهم الحجة الشيخ أسد اللّٰه الدزفولى التسترى فى كتابه (المقابس) و لم يتعرض لذكرهم مترجموه المتأخرون، فانا نسرد أسماء الجميع على ترتيب حروف الهجاء مقتصرين على ذكر الأوصاف التى وصفهم بها علماء الرجال و المفهرسون القدماء و اليک الأسماء:
1- الشيخ الفقيه الثقة العدل آدم بن يونس بن أبى المهاجر النسيفى.
2- الشيخ الثقة المؤلف الجليل النبيل أبو بكر أحمد بن الحسين بن أحمد الخزاعى النيسابورى.
3- الشيخ الثقة أبو طالب إسحاق بن محمد بن الحسن بن الحسين بن محمد ابن على بن الحسين بن بابويه القمى. التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 39
4- الشيخ الثقة أبو ابراهيم إسماعيل شقيق إسحاق المذكور.
5- الشيخ الثقة أبو الخير بركة بن محمد بن بركة الأسدى.
6- الشيخ الثقة العين المصنف أبو الصلاح تقى بن نجم الدين الحلبى.
7- السيد المحدث الثقة أبو ابراهيم جعفر بن على بن جعفر الحسينى.
8- الشيخ الامام المصنف شمس الإسلام الحسن بن الحسين بن بابويه القمى المعروف بحسكا.
9- الشيخ الفقيه الثقة أبو محمد الحسن بن عبد العزيز بن الحسن الجبهانى (الجهبانى خ ل).
10- الشيخ الجليل الثقة العين ابو على الحسن ابن شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسى.

11- الشيخ الامام موفق الدين الفقيه الثقة الحسين بن الفتح الواعظ الجرجانى.
12- الشيخ الامام الثقة الوجه الكبير محى الدين أبو عبد اللَّه الحسين بن المظفر بن على بن الحسين الحمدانى نزيل قزوين.
13- السيد عماد الدين أبو الصمصام و ابو الوضاح ذو الفقار بن محمد بن معبد الحسينى المروزى.
14- السيد الفقيه أبو محمد زيد بن على بن الحسين الحسينى (الحسنى).
15- السيد العالم الفاضل زين بن الداعى الحسينى.
16- الشيخ الفقيه المشهور سعد الدين بن البراج.
17- الشيخ الفقيه الثقة أبو الحسن سليمان بن الحسن بن سلمان الصهرشتى.
18- الشيخ الفاضل المحدث شهرآشوب السروى المازندرانى جد الشيخ محمد بن على مؤلف (معالم العلماء) و (المناقب).
19- الشيخ الفقيه الثقة صاعد بن ربيعة بن أبى غانم.
20- الشيخ عبد الجبار بن عبد اللَّه بن على المقرئ الرازى المعروف بالمفيد. التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 40
21- الشيخ أبو عبد اللَّه عبد الرحمن بن أحمد الحسينى الخزاعى النيسابورى المعروف بالمفيد أيضاً.
22- الشيخ الفقيه الثقة موفق الدين أبو القاسم عبيد اللَّه بن الحسن بن الحسين بن بابويه.
23- الشيخ الفقيه الثقة على بن عبد الصمد التميمى السبزوارى.
24- الأمير الفاضل الزاهد الورع الفقيه غازى بن أحمد بن أبى منصور السامانى.
25- الشيخ الفقيه الثقة الصالح كردى بن عكبر بن كردى الفارسى نزيل حلب.
26- الشيخ الامام جمال الدين محمد بن أبى القاسم الطبرى الآملى.
27- الشيخ الأمين الصالح الفقيه أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد بن شهريار الخازن الغروى.
28- الشيخ الشهير السعيد الفاضل السديد محمد بن الحسن بن على الفتال صاحب «روضة الواعظين».
29- الشيخ الفقيه الصالح أبو الصلت محمد بن عبد القادر بن محمد.
30- الشيخ الثقة العالم المؤلف فقيه الأصحاب أبو الفتح محمد بن على الكراجكى.
31- الشيخ أبو جعفر محمد بن على بن الحسن الحلبى.
32- الشيخ الفقيه الثقة أبو عبد اللَّه محمد بن هبة اللَّه الطرابلسى.
33- السيد صدر الأشراف المنتهى اليه منصب النقابة و الرئاسة فى عصره،

السيد المرتضى أبو الحسن المطهر بن أبى القاسم على بن أبى الفضل محمد الحسينى الديباجى.
34- السيد العالم الفقيه المنتهى بن أبى زيد بن كيابكى الحسينى الجرجانى. التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 41
35- العالم الفاضل الفقيه الوزير السعيد ذو المعالى زين الكفاة أبو سعيد منصور بن الحسين الآبى.
36- السيد الثقة الفقيه المحدث أبو ابراهيم ناصر بن الرضا بن محمد بن عبد اللّه العلوى الحسينى.
هؤلاء ستة و ثلاثون عالماً من تلاميذ الشيخ الطوسى المعروفين، و لعل فى كتابينا (إزاحة الحلک الدامس بالشموس المضيئة فى القرن الخامس) و (الثقات و العيون فى سادس القرون) من ترجمنا له و لم يأت اسمه هنا، غير ان ضيق الوقت و ضعف الحال يمنعان من الرجوع اليه.
و لا يخفى إن فيما أضافه العلامتان السيد مهدى بحر العلوم و الشيخ أسد اللّه الدزفولى ما يحتاج الى التأمل، ففى تلمذ الشيخ عبيد اللّه بن الحسن على الشيخ الطوسى تأمل، فان ولده الشيخ منتجب الدين كان أولى بذكره مع تلامذة الشيخ فى (الفهرست) مع انه لم يذكره و كذا الكراجكى المتوفى سنة 449 ه و كذا جمال الدين محمد الطبرى إن كان المراد به عماد الدين محمد بن أبى القاسم على الطبرى الآملى فانه من تلاميذ الشيخ أبى على ابن الشيخ الطوسى كما ذكره الشيخ منتجب الدين، و جل رواياته عن مشايخه بعد الخمسمائة و اللّه العالم.

لم يبرح شيخ الطائفة فى النجف الأشرف مشغولًا بالتدريس و التأليف، و الهداية و الإرشاد، و سائر وظائف الشرع الشريف و تكاليفه، مدة اثنتى عشرة سنة، حتى توفى ليلة الاثنين الثانى و العشرين من المحرم سنة 460 ه عن خمس و سبعين سنة، و تولى غسله و دفنه تلميذه الشيخ الحسن بن مهدى السليقى، و الشيخ أبو محمد الحسن بن عبد الواحد العين زربى، و الشيخ أبو الحسن اللؤلؤى، و دفن فى داره بوصية منه و أرخ وفاته بعض المتأخرين بقوله مخاطباً مرقده الزاكى كما هو مسطور التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 42

على جدار المسجد، و قد ذكره العلامة المرحوم الشيخ جعفر نقدى فى كتابه «ضبط التأريخ بالاحرف» ايضاً ص 13:

بأمر قد الطوسى فيک قد انطوى محيى العلوم فكنت أطيب مرقد

الى أن قال:

أودى بشهر محرم فأضافه حزناً بفاجع رزئه المتجدد

الى أن قال:

بک شيخ طائفة الدعاة الى الهدى و مجمّع الأحكام بعد تبدد

الى أن قال:

و بكى له الشرع الشريف مؤرخاً (أبكى الهدى و الدين فقد محمد)

و تحولت الدار بعده مسجداً فى موضعه اليوم حسب وصيته أيضا، و هو مزار يتبرک به الناس من العوام و الخواص، و من أشهر مساجد النجف، عقدت فيه- منذ تأسيسه حتى اليوم- عشرات حلقات التدريس من قبل كبار المجتهدين و أعاظم المدرسين فقد كان العلماء يستمدون من بركات قبر الشيخ لكشف غوامض المسائل و مشكلات العلوم، و لذلک كان مدرس العلماء و معهد تخريج المجتهدين الى عصر شيخ الفقهاء الشيخ محمد حسن صاحب (الجواهر) الذى كان يدرس فيه أيضا، حتى بعد أن بنوا له مسجده الكبير المشهور باسمه، فقد كثر الحاحهم عليه و طلبهم منه الانتقال اليه لم يقبل و لم يرفع اليد عنه اعتزازاً بقدسية شيخ الطائفة و حبا للقرب منه، و هكذا الى أن توفى.

و استمرت العادة كذلک الى عصر شيخنا المحقق الأكبر الشيخ محمد كاظم الخراسانى صاحب «الكفاية» فقد كان تدريسه فيه ليلًا الى أن توفى، و قد أحصيت عدة تلامذته فى الأواخر بعض الليالى فتجاوزت الألف و المائتين، و كذلک شيخنا الحجة المجاهد شيخ الشريعة الاصفهانى، فقد كان يدرس فيه عصراً الى ان توفى و كما ان تلميذ شيخنا الخراسانى الأرشد الحجة المعروف الشيخ ضياء الدين العراقى كان يدرس فيه صبحاً الى ان توفى. و

اقام فيه الجماعة جمع من أجلاء العلماء و أفاضل التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 43
الفقهاء، منهم فقيه أهل البيت الشيخ محمد حسن صاحب «الجواهر» النجفى و غيره و قد لاحظته منذ نصف قرن أو اكثر فكان الذين يؤمون الناس فيه من أهل الصلاح و التقى المعروفين، منهم الحجة الاخلاقى جمال السالكين الشيخ آغا رضا التبريزى فقد كان يقيم فيه الجماعة ليلًا مع كثير من خواص أهل العلم و الفضلاء، و كنا نحظى بذلک التوفيق الى ان هاجرنا الى سامراء، و كان آخرهم العلامة التقى السيد محمد الخلخالى، و بعد وفاته بقليل رغب إلى ولده الفاضل الجليل السيد على أن أؤم الناس هناک بعد أن كنت أقيم الجماعة فى الرواق المطهر، فأجبت طلبه و كنت أصلى فيه الى هذه الأواخر، و قد وفق لفرشه التاجر الوجيه ابن عمنا الحاج محمد المحسنى نزيل طهران فقدم له خمس قطع من الفرش المتعارف فى الصحن الشريف و المساجد الشريفة و قد جعل ولايتها بيدنا ما دمنا فى قيد الحياة كما كتب ذلک عليها، و تبعه الوجيه الحاج محمد تقى القناد الطهرانى من أرحامنا ايضاً بخمس قطع و تبعهما جمع آخر من كرمانشاه حتى كمل فرش المسجد بتوفيق اللَّه، و كانت صلاتنا فيه وقت المغرب فقط، و أما صلاة الصبح فنقيمها فى (مسجد الهندى) خوفاً من مضايقة الزوار، و فى الصيف الماضى تغلب علينا الضعف فانقطعنا عن الرواح لعدم تمكننا من الصعود الى السطح فتبرع الوجيه الحاج ناجى كعويل بشراء عدة مراوح سقفية لتلطيف الجو و عدم الاحتياج للصعود الى السطح، فعاودناه ثانياً، و كان عامراً بالمؤمنين و الصلحاء من اهل العلم و المهن، حتى اتفقت حادثتنا فى ليلة عاشوراء هذه السنة- 1376- و قد اثرت على العمود الفقرى و بقينا على فراش المرض عدة شهور، ثم لما تحسنت صحتنا لم تعد كما كانت عليه سابقاً كما هو مقتضى السن و المزاج، و لما رغب فى صلاتنا بعض المؤمنين من خواصنا صرنا نقيمها فى (مسجد الطريحى) لقربه من دارنا، و لم نزل هناک حتى يقضى اللَّه بقضائه الذى لا مرد له، و لا حول و لا قوة إلا باللَّه العلى العظيم.
و موقع مسجد الشيخ فى محلة المشراق من الجهة الشمالية للصحن المرتضوى الشريف و سمى باب الصحن المنتهى الى مرقده ب (باب الطوسى)، و قد طرأت عليه بعد عمارته الأولى عمارتان، حسبما نعلم إحداهما فى حدود سنة 1198 ه و ذلک التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 44
بترغيب من العلامة الحجة السيد مهدى بحر العلوم كما ذكره فى (الفوائد الرجالية) فقد قال: و قد جدد مسجده فى حدود سنة 1198 ه فصار من أعظم المساجد فى الغرى، و كان ذلک بترغيبنا بعض الصلحاء من اهل السعادة.

و بنى لنفسه مقبرة فى جواره دفن فيها مع أولاده و جملة من أحفاده.
و الثانية فى سنة 1305 ه كما ذكره صديقنا العلامة السيد جعفر آل بحر العلوم فى كتابه (تحفة العالم) ج 1 ص 204 و كانت بعناية العلامة السيد حسين آل بحر العلوم المتوفى سنة 1306، كما قاله، فانه لما رأى تضعضع أركانه و انها آلت الى الخراب رغب بعض أهل الخير فى قلعه من أساسه، فجدد و هى العمارة الموجودة اليوم.
و فى سنة 1369 ه. هدمت الحكومة ما يقرب من ربع مساحته فاضافتها الى الشارع الذى فتحته بجنبه فى نفس العام، و سمته بشارع الطوسى ايضاً، فصار للمسجد بابان، أحدهما- و هو الأكبر و الأوجه- على الشارع الجديد العام من جهة الشرق، و الثانى و هو- الباب الأول- من جهة الغرب على الطريق القديم مقابل (المدرسة المهدية) و قد انخفضت ارض المسجد عن الشارع كثيراً، و تضعضعت عمارته، فنسأله تعالى ان يهدى بعض اهل السعادة و العاملين للآخرة لتعميره (إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ).

خلف شيخ الطائفة ولده الشيخ أبا على الحسن بن أبى جعفر محمد الطوسى رحمة اللَّه عليه، و قد خلف أباه على العلم و العمل، و تقدم على العلماء فى النجف، و كانت الرحلة اليه و المعول عليه فى التدريس و الفتيا و إلقاء الحديث و غير ذلک و كان من مشاهير رجال العلم، و كبار رواة الحديث و ثقاتهم تلمذ على والده حتى اجازه فى سنة 455 ه اى قبل وفاته بخمس سنين.
ذكره الشيخ منتجب الدين بن بابويه فى (الفهرست) المطبوع فى آخر البحار ص 4 بدأ به حرف الحاء فقال:
الشيخ الجليل ابو على الحسن ابن الشيخ الجليل الموفق أبى جعفر محمد بن التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 45
الحسن الطوسى، فقيه ثقة عين، قرأ على والده جميع تصانيفه أخبرنا الوالد عنه.
و ذكره ابن حجر العسقلانى فى (لسان الميزان) ج 2 ص 250 فقال:
الحسن بن محمد بن الحسن بن على الطوسى أبو على بن «1» جعفر. سمع من والده، و أبى الطيب الطبرى، و الخلال، و التنوخى، ثم صار فقيه الشيعة و امامهم بمشهد على رضى اللَّه عنه، و سمع منه أبو الفضل بن عطاف، و هبة اللَّه السقطى و محمد ابن محمد النسفى، و هو فى نفسه صدوق، مات فى حدود الخمس مائة «2»، و كان متديناً كافاً عن السب.
و ذكره الشيخ رشيد الدين أبو جعفر محمد بن على بن شهرآشوب السروى فى (معالم العلماء) ص 32 باختصار. و لا يخفى ان العلامة الميرزا محمد الأسترآبادى لم يتعرض لذكره فى كتابيه (الرجال الكبير) و (الرجال الصغير)، و كذا الأستاذ الوحيد البهبهانى الذي استدرک على الأسترآبادى- فى تعليقته على كتابه- ما فاته فانه لم يذكره أيضاً.
و لعل ذلک لم يكن عن غفلة منهما حيث أن بناء المؤلفين فى الرجال هو ذكر خصوص من ذكر فى الأصول الأربعة الرجالية، و لما لم يكن الشيخ أبو على مذكوراً فى أى واحد منها لم يتعرضوا لذكره. و مثلهما أيضاً المولى محمد الأردبيلى صاحب (جامع الرواة) فانه أضاف فهرس الشيخ منتجب الدين الى الأصول الأربعة فجمعها فى كتابه و مع ذلک فقد سقط من قلمه ذكر هذا الشيخ الجليل.
و ذكره أيضاً المحدث العلامة الشيخ محمد الحر العاملى فى «أمل الآمل» المطبوع بطهران سنة 1307 ه فى ص 469 ه فقال:
الشيخ أبو على الحسن بن محمد بن الحسن بن على الطوسى. كان عالماً فاضلا فقيهاً محدثا جليلا ثقة له كتب إلخ.
ّ

و ذكره العلامة البحاثة المولى عبد اللّه الأفندى فى كتابه «رياض العلماء

---

(1) الصحيح: أبى جعفر. كما مر عليک فى أكثر من موضع.
(2) التأريخ خطأ كما سنبينه.
التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 46
و حياض الفضلاء» المخطوط الموجود فى مكتبتنا ص 93 فوصفه بقوله:
الفقيه المحدث الجليل العالم العامل النبيل مثل والده، ثم قال:
... كان شريكاً فى الدرس مع الشيخ أبى الوفاء عبد الجبار بن عبد اللّه بن على الرازى، و الشيخ أبى محمد الحسن بن الحسين بن بابويه القمى، و الشيخ أبى عبد اللّه محمد بن هبة اللّه الوراق الطرابلسى، عند قراءة كتاب «التبيان» على والده الشيخ الطوسى كما رايته فى إجازة الشيخ الطوسى المذكور بخطه الشريف لهم على ظهر كتاب التبيان المذكور .. الى ان قال:
و روى عن والده و طائفة من معاصريه رضى اللّه عنهم بل عن المفيد ايضا.
و قال فى آخر الترجمة: أقول: و فى روايته عن الشيخ المفيد بلا واسطة محل تأمل فلاحظ «1».
و ذكره الشيخ اسد اللّه الدزفولى فى «مقابس الأنوار» ص 11 فقال:
الشيخ المحدث الفقيه الفاضل الوجيه النبيه المعتمد المؤتمن مفيد الدين أبو على الحسن قدس اللّه تربته و على فى الجنان رتبته ... و كان من أعاظم تلامذة والده، و الديلمى، و غيرهما من المشايخ، و تلمذ عليه جماعة كثيرة من أعيان الأفاضل، و اليه ينتهى كثير من طرق الإجازات الى المؤلفات القديمة و الروايات إلخ.
و ذكره شيخنا العلامة الميرزا حسين النورى فى «مستدرک الوسائل» ج 3 ص 497 فقال:
... الفقيه الجليل الذى ينتهى اكثر إجازات الاصحاب اليه ابو على الحسن ابن شيخ الطائفة أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى العالم الكامل المحدث النبيل ...

---

(1) قال شيخنا النورى فى (المستدرک) فى التعليق على هذا التأمل ما لفظه: و هو فى محله فان وفاة المفيد سنة 413 ه و لم أعثر على تأريخ وفاة أبى على الا أنه يظهر من مواضع من (بشارة المصطفى) انه كان حياً فى سنة 515 ه فلو روى عنه لعد من المعمر بن الذين من رأيهم- أى المترجمين- الاشارة اليه.
أقول: هذا هو القول الفصل، حيث يلزم من تصحيح روايته عن المفيد كونه يوم وفاة أستاذه ابن عشرين سنة على الأقل، و عليه فيكون عمره فى تأريخ سنة 515 ه مائة و اثنتان و عشرون سنة، و لو كان كذلک لما فاتت

مترجميه الاشارة الى ذلک.
التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 47
و يعبر عنه تارة بأبى على، أو أبى على الطوسى، و أخرى بالمفيد أو المفيد الثانى إلخ.
و له تراجم أخرى فى كثير من الكتب المخطوطة و المطبوعة لا سبيل لنا الى استقصائها فى هذه العجالة، و قد أجمع كافة المترجمين له على عظمته و علو شأنه فى العلم و العمل، و أنه أحد كبار فقهاء الشيعة، و أجلاء علماء الطائفة، و أفاضل حملة الحديث و أعلام الرواة و ثقاتهم. و منتهى الإجازات و المعنعنات، و قد بلغ من علو الشأن و سمو المكانة أن لقب بالمفيد الثانى، و قد ترجم له بهذا العنوان العلامة المرحوم الشيخ عباس القمى فى كتابه (الكنى و الألقاب) ج 3 ص 165.
و قد تخرج عليه كثير من حملة العلم و الحديث من الفريقين، و حاز المرجعية عند الطائفتين لذلک كثرت الروايات عنه، و انتهت الطرق اليه، و قد ذكر مترجموه كثيراً من تلامذته، فقد ذكر الشيخ منتجب الدين بن بابويه فى (الفهرست) أربعة عشر رجلًا كلًا فى موضعه و نحن نتبرک بإيراد ذكرهم و هم الاعلام:
1- الشيخ الفقيه الثقة أردشير بن أبى الماجد بن أبى المفاخر الكابلى.
2- الشيخ الفقيه الأديب إسماعيل بن محمود بن إسماعيل الحلبى.
3- الشيخ الفقيه الصالح بدر بن سيف بن بدر العربى. من مشايخ منتجب الدين 4- الشيخ الفقيه الصالح أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن على بن طحال المقدادى.
5- الشيخ الامام الفقيه الصالح الثقة موفق الدين الحسين بن فتح الله الواعظ البكرآبادى الجرجانى.
6- الشيخ الفقيه الصالح جمال الدين الحسينى بن هبة الله بن رطبة السوراوى.
7- الشيخ الفقيه الورع أبو سليمان داود بن محمد بن داود الحاسى.
8- السيد الفقيه الصالح أبو النجم الضياء بن ابراهيم بن الرضا العلوى الحسنى الشجرى.
9- السيد العالم الفقيه الثقة طاهر بن زيد بن أحمد.
10- الشيخ الفقيه الصالح الشاعر أبو سليمان ظفر بن الداعى بن ظفر الحمدانى التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 48
القزوينى.
11- الشيخ الفقيه الحافظ الصالح الثقة أبو الحسن على بن الحسين بن أحمد ابن على الحاسى.
12- الشيخ الفقيه ركن الدين على بن على.
13- السيد الفاضل المتبحر الشاعر لطف الله بن عطاء الله أحمد الحسنى

الشجرى النيسابورى.
14- الشيخ الفقيه الثقة الامام المؤلف المكثر عماد الدين محمد بن أبى القاسم ابن على الطبرى الآملى الكجى.
و هناک جماعة من تلاميذه أيضاً ذكر بعضهم بعض المترجمين له، و وقفنا على أسماء بعضهم فى مختلف الروايات و سلاسل الحديث و اليک أسماءهم مرتبة على حروف الهجاء و هم:
15- أبو الفتوح أحمد بن على الرازى. قال صاحب (الرياض): و ليعلم أنه ليس المراد بالشيخ أبى الفتوح المذكور هو صاحب التفسير المشهور، و ان اتحد عصرهما، لأن اسم أبى الفتوح هذا هو الحسين بن على بن محمد بن احمد الخزاعى الرازى فلاحظ، و حمله على أخيه ممكن لكن يبعده اتحاد كنيتيهما.
16- الشيخ العالم الياس بن هشام الحائرى.
17- الشيخ بواب البصرى.
18- الشيخ الفاضل ابو طالب حمزة بن محمد بن أحمد بن شهريار الخازن.
19- ابو الفضل الداعى بن على الحسينى السروى.
20- عبد الجليل بن عيسى بن عبد الوهاب الرازى.
21- الشيخ موفق الدين عبيد اللّه بن الحسن بن بابويه، والد الشيخ منتجب الدين 22- على بن شهرآشوب المازندرانى السروى، والد صاحب (المناقب) و (المعالم).
23- على بن على بن عبد الصمد. التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 49
24- أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى صاحب (مجمع البيان).
25- ابو الرضا فضل اللَّه بن على بن عبيد اللَّه الحسينى الراوندى.
26- محمد بن الحسن الشوهانى.
27- أبو جعفر محمد بن على بن الحسن الحلبى.
28- محمد بن على بن عبد الصمد النيسابورى.
29- أبو على محمد بن الفضل الطبرسى.
30- الشيخ محمد بن منصور الحلى الشهير بابن إدريس قال فى (الرياض): على المشهور من أن ابن إدريس يروى عن أبى على هذا تارة بلا واسطة و تارة مع الواسطة.
31- مسعود بن على الصوانى و فى (الرياض): الصوابى و فى (المقابس): السوانى.
و هناک ثلاثة من العامة رووا عنه كما ذكره العسقلانى فى (لسان الميزان) و قد سبقت الاشارة اليه و هم:
32- أبو الفضل بن عطاف.

33- محمد بن محمد النسفی.
34- هبة اللّه السقطی.
الی غیر ذلک مما لا یمکن احصاؤه و الوقوف عند حده، و مع ذلک فلا نظن أن أحداً من مترجمیه استوفی ما استوفیناه، و وقف علی کل ما أحصیناه و اللّه الموفق.

ترک الشیخ أبو علی آثاراً قیمة و أسفاراً مهمة، عرفنا منها: (شرح النهایة) و هو شرح لکتاب والده النهایة فی الفقه ذکره فی ترجمته صاحب (أمل الآمل)، و اسمه (المرشد الی سبیل التعبد) و ذکره فی ترجمته صاحب (معالم العلماء). أیضاً أقول: توهم الحجة الشیخ یوسف البحرانی صاحب (الحدائق) عند ذکر الشیخ أبی علی فی کتابه (لؤلؤة البحرین) ص 245 حیث قال: و ذکره ابن التبیان فی تفسیر القرآن، المقدمة، ص: 50
شهرآشوب و قال المرشد الی سبیل اللّه و المتعبد إلخ فکأنه ظن بأن ذلک وصف للشیخ أبی علی مع أنه اسم کتاب من کتبه.
و قد ذکر له معظم مترجمیه (کتاب الأمالی) الذی ذکرناه فی عداد مؤلفات والده منهم العلامة المجلسی و صاحب (الریاض) و صاحب (أمل الآمل) و صاحب (الروضات) و صاحب (قصص العلماء) و صاحب «الکنی و الألقاب» و صاحب «مستدرک الوسائل» و غیرهم، و أصر شیخنا العلامة المجلسی علی أنه من آثاره فقد قال فی الجزء الأول من «بحار الأنوار» بعد ذکر مآخذ الکتاب فی الفصل الثانی الذی عقده لبیان الوثوق بالمصادر و اختلافها، فقد قال:
... و آمالی ولده العلامة فی زماننا أشهر من آمالیه، و أکثر الناس یزعمون انه آمالی الشیخ، و لیس کذلک کما ظهر لی من القرائن الجلیلة، و لکن آمالی ولده لا یقصر عن آمالیه فی الاعتبار و الاشتهار، و ان کان آمالی الشیخ عندی أصح و أوثق إلخ.
و قد ذکرنا هذا الأمالی فی (الذریعة) ج 2 ص 309- 311 و ص 313- 114 و أثبتنا کونه من تآلیف شیخ الطائفة و ذکرنا الأسباب التی دعت الی هذه الشهرة الشایعة فعلی طالب التفصیل و الوقوف علی الحقیقة مراجعة الکتاب المذکور، و التدقیق و التأمل فیما ذکرناه من الأدلة و الوجوه.
أقول: و للشیخ أبی علی من المشایخ غیر من مر ذکره فی تراجمه المنقولة عن الکتب: أبو الحسن محمد بن الحسین المعروف بابن الصقال کما فی (بشارة المصطفی لشیعة المرتضی) ص 167 و یروی عن أبی یعلی حمزة المعروف بسلار بن عبد العزیز الدیلمی- المتوفی 448 ه کما فی (البغیة) للسیوطی أو سنة 463 کما فی (نظام الأقوال) للساوجی- کما فی (أمل الآمل) فی ترجمة سلار.

وفاته: ..... ص : 50

توفى الشيخ أبو على بعد سنة 515 ه فقد كان حياً فى هذا التأريخ كما يظهر فى مواضع من أسانيد (بشارة المصطفى) المذكور، و اللّه العالم بما عاش بعد ذلک. التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 51
و لا نعرف موضع قبره لكننا لا نشک فى أنه فى النجف الأشرف و لعله قبر مع والده فما ذكره فى (لسان الميزان) ج 2 ص 250: من انه توفى فى حدود سنة 500 ه غير صحيح كما سبقت الاشارة اليه.
و من آراء الشيخ أبى على المشهورة: القول بوجوب الاستعاذة فى القراءة، قال صاحب (رياض العلماء) فى ترجمته له ما لفظه:
ثم اعلم ان الشيخ أبا على هذا هو صاحب القول بوجوب الاستعاذة فى قراءة الصلاة بل فى مطلق القراءة نظراً الى ورود الأمر به. مع ان الإجماع وقع على ان الأمر فيها للاستحباب، حتى ان والده (قده) أيضاً نقل فى الخلاف الإجماع منا على الأمر فيها للندب قطعاً.
و خلف الشيخ أبو على ولداً هو الشيخ أبو نصر محمد بن أبى على الحسن بن أبى جعفر محمد بن الحسن بن على بن الحسن الطوسى النجفى رحمة اللّه عليهم، و هو بقية رجال العلم فى هذا البيت فى النجف الأشرف، و الغريب أنه لم يذكر فى كتب أصحابنا الامامية، و لم يترجم له الرجاليون و أهل السير و التأريخ و الأخبار، حتى ان شيخنا الحجة الميرزا حسين النورى على عظمته و جلالة قدره و شهرته فى التضلع و التتبع لم يعرف عنه شيئاً فقد قال فى (المستدرک) ج 3 ص 497: و لم نعثر على حال الحسن و جده محمد أنهما من أهل الدراية و الرواية أو لا. أقول: كان الشيخ أبو نصر محمد من أعاظم العلماء، و أكابر الفقهاء، و أفاضل الحجج و اثبات الرواة و ثقاتهم، فقد قام مقام والده فى النجف و انتقلت اليه الرياسة و المرجعية، و تقاطر عليه طلاب العلم من شتى النواحى، ترجم له ابن العماد الحنبلى فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) ج 4 ص 126- 127 فى حوادث سنة أربعين و خمسمائة فقال:
و فيها أبو الحسن محمد بن الحسن أبى على بن أبى جعفر الطوسى، شيخ الشيعة و عالمهم، و ابن شيخهم و عالمهم، رحلت اليه طوائف الشيعة من كل جانب الى العراق، و حملوا اليه، و كان ورعاً عالماً كثير الزهد، و اثنى عليه السمعانى و قال العماد الطبرى التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 52
لو جازت على غير الأنبياء صلاة صليت عليه.
أقول: توفى سنة 54 كما ذكره فى (الشذرات) و خلف ولداً واحداً سماه باسم جده الحسن، و هو من جارية كانت له اسمها رياض النوبية أدركها

السيد على ابن غرام (عزام خ ل) الحسينى المولود سنة 557 ه و المتوفى سنة 670 أو 671 كما حكاه السيد غياث الدين عبد الكريم بن طاوس و نقله عنه و عن خطه فى كتابه (فرحة الغرى) ص 58 طبعة ايران سنة 1311 ه.
و خلف شيخ الطائفة- أعلى اللَّه درجاته- غير ولده الشيخ أبى على على ما ذكره المتقدمون ابنتين كانتا من حملة العلم و ربات الاجازة، و من أهل الدراية و الرواية قال فى (رياض العلماء): كانتا عالمتين فاضلتين، إحداهما أم ابن إدريس العلامة الشهير صاحب (السرائر) الحلى كما ذكر فى ترجمته، و أمها بنت المسعود ابن ورام.
و قال صاحب (اللؤلؤة) ص 212 فى ترجمة السيد رضى الدين أبى القاسم على و السيد جمال الدين أبى الفضائل احمد ابنى السيد سعيد الدين أبى ابراهيم موسى ابن جعفر آل طاوس ما لفظه:
... و هما أخوان من أم و أب و أمهما على ما ذكره بعض علمائنا بنت الشيخ مسعود و رام بن أبى الفراس بن فراس بن حمدان، و ام أمهما بنت الشيخ و أجاز لها و لأختها ام الشيخ محمد بن إدريس جميع مصنفاته و مصنفات الأصحاب.
و نقل ذلک عنه فى (الروضات) ص 392 من الطبعة الأولى و زاد عليه ما لفظه:
و وقع النص على جديتهما له أيضاً من جهة الأم فى مواقع كثيرة من مصنفات نفسه فليلاحظ.
و قال العلامة البحاثة الشيخ على آل كاشف الغطاء فى (الحصون المنيعة) فى طبقات الشيعة المخطوط ج 1 ص 328 ما لفظه:
بنتا الشيخ الطوسى كانتا عالمتين فاضلتين، و كانت إحداهما أم ابن إدريس، و أما أختها فهى التى أجازها بعض العلماء، و لعل المجيز أخوها الشيخ أبو على أو والدها.
الى غير هؤلاء ممن ذكر هذا المعنى من المتقدمين و هم كثيرون، و جاء بعدهم التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 53
المتأخرون فأخذوها عنهم إرسال المسلمات و مروا بها كراماً.
أقول: هذه النسبة غير صحيحة فليس الشيخ الطوسى الجد الأمى بغير واسطة لأبن طاوس، و لا لأبن إدريس، فقد صرح السيد رضى الدين على بن طاوس فى كثير من تصانيفه و منها (الإقبال) فى دعاء أول يوم من شهر رمضان فى ص 334 من طبعة تبريز بأن الشيخ الطوسى جد والده- السيد الشريف أبى ابراهيم موسى بن جعفر- من قبل امه، و الشيخ أبا على خاله كذلک لكن ليس مراده الجد و الخال أيضاً بلا واسطة بأن تكون والدة أبيه الشريف موسى ابنة الشيخ الطوسى كما استظهره شيخنا الحجة الميرزا حسين النورى فى «مستدرک الوسائل» ج ِ 3 ص 471، لأن السيد ابن

طاوس ولد فى سنة 589 ه و كان والده حياً الى ان بلغ السيد من العمر حداً كان قابلًا فيه لقراءة كتاب «المقنعة» للشيخ المفيد و (الأمالى) للشيخ الطوسى و غير ذلک من الكتب عليه كما صرح به فى تصانيفه، فتكون حياة والده تقريباً الى حدود سنة 610 ه، و أما ولادته فلم تعلم تحقيقاً لكن الظاهر أنه لم يكن من المعمرين المناهزين للثمانين أو التسعين و إلا لكان قابلًا للذكر و كان يصرح به ولده و لو بالمناسبة فى موضع من تصانيفه الكثيرة، و لو فرض بلوغه الثمانين لكانت ولادته فى حدود سنة 530 ه و كانت وفاة الشيخ الطوسى سنة 460 ه فلو فرضت له بنت صغيرة فى التاريخ لم تكن تلد بعد الخمسين من عمرها و لهذا فلا تكون بنت الشيخ أم السيد موسى لبعد ذلک و لامتناعه عادة و ان كان ممكناً عقلًا بان كانت البنت آخر ولد الشيخ و كان السيد موسى آخر ما ولدت البنت و قد عمر نيفاً و مائة سنة، لكن ذلک ليس على مجارى العادة فلعل بنت الشيخ كانت والدة أم السيد موسى، و كان الشيخ جد أم السيد موسى، و يصح أن يطلق الجد و الخال على جد الأم و خالها، و لو كانت والدة ام السيد موسى بنت ابن الشيخ و هو الشيخ أبو على فيكون هو جده لأمه لا خاله كما صرح به السيد ابن طاوس نفسه، هذا ما نعتقده فى الموضوع و الظاهر أنه حقيقة المطلب.
و كذا الحال فى الشيخ المحقق محمد بن إدريس الحلى الذى قيل: أن أمه بنت التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 54
الشيخ. لأن ابن إدريس ولد فى سنة 543 ه فكيف تكون أمه بنت الشيخ، و لو فرضنا إمكان ما مر من المحالات و المستبعدات من أنها آخر ما ولد للشيخ، و انه آخر ما ولد لها فما نصنع لقول عدة من القدماء ان الشيخ أجاز ابنتيه. و هو قول ثابت لا يمكن إنكاره أو تضعيفه.
ثم ان هناک خلطا آخرا و هو التعبير عن الشيخ و رام بالمسعود الورام أو مسعود ابن ورام، حيث ان المسعود الورام، و ابن ورام غير الشيخ ورام الزاهد صاحب (تنبيه الخاطر) كما نبه عليه شيخنا النورى.
و من طرائف هذا الباب ما نقله صاحب «الرياض» عن رسالة فارسية لبعض الفضلاء كما عبر عنه من أن ابن عيسى الرمانى المفسر سبط شيخ الطائفة الطوسى و انه قرأ على خاله الشيخ أبى على، و ان له آثاراً منها «كشف الغمة» فى فضائل الأئمة «ع» و هو غير «كشف الغمة» للأربلى و له غيره و انه كان ذا اطلاع تام على كلمات جده الشيخ الطوسى. الى غير ذلک.
أقول: الرمانى هو الامام العالم الشيعى الكبير المفسر النحوى و الفقيه المتكلم ابو الحسن على بن عيسى بن على بن عبد اللّه السرمن‌رائى البغدادى الواسطى المعروف بابن الرمانى أو بابى الحسن الوراق، و الملقب بالاخشيدى صاحب التفسير الكبير الذى ذكرناه فى «الذريعة» ج 4

ص 275 و قد لقب بالاخشيدى لتلمذه على ابن اخشيد، و بالرمانى نسبة الى قصر الرمان بواسط، و قد ترجم له ابن النديم فى «الفهرست» ص 94- 95 و الحموى فى «معجم الأدباء» ج 14 ص 73- 78 و ذكره فى «معجم البلدان» ج 14 ص 283 و ترجمه الخطيب فى «تأريخ بغداد» ج 12 ص 16- 17 و العسقلانى فى «لسان الميزان» ج 4 ص 248 و ذكرناه فى كتابنا «نوابغ الرواة فى رابعة المآت» ص 143 و ذكره القمى فى «الكنى و الألقاب» ج 2 ص 251 الى غير ذلک مما لا يمكن استقصاؤه فى هذه العجالة، و قد صرح الجميع بانه ولد فى سنة 296 ه و توفى سنة 384 ه و عليه فوفاته قبل ولادة الشيخ الطوسى بسنة واحدة فكيف يكون سبطاً للشيخ؟ و الأظرف أن الشيخ التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 55
نفسه قد استحسن تفسير الرمانى هذا فقال فى مقدمة كتابه «التبيان هذا» ما لفظه:
و أصلح من سلک فى ذلک مسلكاً جميلًا مقتصداً محمد بن بحر أبو مسلم الاصفهانى و على بن عيسى الرمانى فان كتابيهما أصلح ما صنف فى هذا المعنى إلخ.
و الخلاصة انه حصل لنا القطع بأن للشيخ ابنتين عالمتين فاضلتين من أهل الرواية و الدراية لكن ما هو اسمهما، و من تزوج بهما، و متى توفيتا فهذا أمر لم نوفق لمعرفته حتى الآن و رغم مرور هذه الازمان.
كما حصل لنا اليقين بأن صهر الشيخ الطوسى على احدى بناته هو الشيخ السعيد أبو عبد اللّه محمد بن احمد بن شهريار الخازن لمشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، الذى كان فقيهاً صالحاً، و هو الذى يروى عنه «الصحيفة السجادية» السيد بهاء الشرف ابو الحسن محمد بن الحسن بن احمد العلوى الحسينى فى ربيع الاول سنة 516 ه كما وقع فى أول الصحيفة، و هو من تلاميذ شيخ الطائفة الذين عاشوا الى هذا التأريخ، و هو يروى عن أبى منصور العكبرى المعدل الذى يروى عن أبى المفضل الشيبانى المتوفى سنة 387 ه، و ترجم له الشيخ منتجب الدين فى «الفهرست» فقال:
فقيه صالح. كما نقله عنه الشيخ الحر ايضاً فى «أمل الآمل»، و ذكره أيضاً السيد ابن طاوس فى «مهج الدعوات» فقال: «... و حدث الشيخ السعيد الأمين أبو عبد اللّه محمد بن احمد بن شهريار الخازن بالمشهد المقدس الغروى فى شهر رمضان من سنة ثمان و خمسين و أربعمائة».
و يروى عنه عماد الدين الطبرى فى «بشارة المصطفى» و هو يروى عن الشيخ الطوسى، و الشريف زيد بن ناصر العلوى، و الشريف محمد بن على بن عبد الرحمن صاحب «التعازى»، و ابو يعلى حمزة بن محمد الدهان، و جعفر بن محمد الدرويستى، و محمد بن احمد بن علان المعدل و غيرهم كما ذكره فى «رياض العلماء».

و قد رزق الشيخ ابو عبد اللّه محمد من زوجته كريمة شيخ الطائفة ولده الشيخ أبا طالب حمزة، و كان فقيهاً صالحاً ايضاً يروى عن خاله الشيخ أبى على بن الشيخ الطوسى، و حدث عنه ابن أخيه الشيخ الموفق ابو عبد اللّه احمد بن شهريار بن أبى التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 56
عبد اللّه محمد بن احمد بن شهريار الخازن فى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام فى رجب سنة 554 ه كما فى الباب الثامن و الثلاثين و المائة من كتاب «اليقين» لأبن طاوس و يروى عن الشيخ الموفق هذا الشيخ حسن بن على الدربى الذى هو أستاذ المحقق الحلى، و السيد على بن طاوس كما فى اجازة العلامة الحلى لبنى زهرة الحلبى.
ترجم لحمزة صاحب «الرياض» ص 196 و صرح بانه سبط شيخ الطائفة و انه يروى عن خاله أبى على، و ترجم له فى «أمل الآمل» فى القسم الثانى و لم يذكر جده الأخير، و لحمزة ولد عالم كامل هو الشيخ على كتب بخطه فى الحلة «اختيار الرجال» تأليف جده شيخ الطائفة فى سنة 562 ه و هى نسخة نفيسة جيدة كما أشرنا اليها فى «الذريعة» ج 1 ص 366 ه و كتب الشهيد الأول نسخته عن خطه، و كتب الشيخ نجيب الدين على بن محمد تلميذ صاحب «المعالم» نسخته عن خط الشهيد رأيت نسخة نجيب الدين فى «مكتبة العلامة السيد حسن الصدر» فى الكاظمية.
و الذى يستفاد من بعض الامارات و يغلب على الظن أن أول من لقب بالخازن هو الجد الأعلى لهؤلاء أعنى شهريار القمى الذى يوصف بالخازن غالباً و جرت الخازنية فى عقبه الى بطون، و هو قمى الأصل معروف بالديانة و التقوى، و له ولدان أحدهما أبو نصر أحمد المذكور، و الثانى الحسن بن شهريار والد جعفر الذى ذكره العسقلانى فى «لسان الميزان» ج 1 ص 305 ناقلًا لترجمته عن «تأريخ الرى» لابن بابويه- و يعنى به كتاب «الفهرست» للشيخ منتجب الدين- و كان شهريار جد هذه الأسرة معاصراً للسلطان عضد الدولة الديلمى الذى عمر المشهدين الشريفين الغرى و الحائر فى سنة 369 ه كما صرح به جمع من المؤرخين فقد روى ابن طاوس فى «فرحة الغرى» ص 58 من الطبعة الأولى عن يحيى بن عليان الخازن بمشهد مولانا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، أنه وجد بخط الشيخ أبى عبد اللّه محمد ابن السرى المعروف بابن البرسى رحمه اللّه المجاور بمشهد الغرى سلام اللّه على صاحبه، على ظهر كتاب بخطه قال: كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الطاهرين الغروى و الحائرى فى شهر جمادى الأولى فى سنة احدى و سبعين و ثلاثمائة، و ورد التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 57
مشهد الحائر لمولانا الحسين صلوات اللّه عليه لبضع بقين من جمادى فزاره صلوات اللّه عليه و تصدق و اعطى الناس على اختلاف طبقاتهم، و جعل فى الصندوق دراهم ففرقت على العلويين فأصاب كل واحد منهم اثنان و

ثلاثون درهماً و كان عددهم ألفين و مأتى اسم، و وهب العوام و المجاورين عشرة آلاف درهم، و فرق على أهل المشهدين من الدقيق و التمر مائة ألف رطل و من الثياب خمس مائة قطعة، و اعطى الناظر عليهم ألف درهم، و خرج و توجه الى الكوفة لخمس بقين من جمادى المؤرخ و دخلها و توجه الى المشهد الغروى يوم الاثنين ثانى يوم وروده، و زار الحرم الشريف و طرح فى الصندوق دراهم فأصاب كل واحد منهم أحد و عشرين درهماً و كان عدد العلويين ألف و سبعمائة اسماً و فرق على المجاورين و غيرهم خمسمائة الف درهم، و على المترددين خمسمائة الف درهم و على الناحة الف درهم، و على الفقراء و الفقهاء ثلاثة آلاف درهم، و على المرتبين من الخازن و النواب على يد أبى الحسن العلوى، و على يد أبى القاسم بن أبى عابد، و أبى بكر بن سيار رحمه اللّه و صلى اللّه على محمد النبى و آله الطاهرين.
و تجد ذكر ذلک ايضاً فى «الكامل» لأبن الأثير ج 8 ص 334 و قد كانت هذه الزيارة بعد سنة التعمير المذكورة فقد قال ابن عنبة فى «عمدة الطالب» ص 44 من طبعة لكنهو ما لفظه: «... الى ان كان زمن عضد الدولة فناخسرو ابن بويه الديلمى فعمره عمارة عظيمة، و اخرج على ذلک اموالاً جزيلة و عين له اوقافاً إلخ».
افترى ان مثل هذا السلطان العظيم و السياسى المحنک، و الداهية الدهماء و المفكر الكبير، يوقف الأملاک الكثيرة، و يحبس المنافع الواسعة، و يصرف فى سبيل التعمير و التشييد المبالغ الطائلة، و يعين للفقهاء و العلماء الرواتب و يطلق الصلات للمحتاجين من مجاورى هذا المشهد، كل ذلک بدون تعيين متول او وكيل او خازن او خادم للمشهد يقوم بلوازمه؟ كلا لا شک ان ذلک كله قد كان باشراف رجل مسؤول عن كل شىء و الغالب على الظن انه شهريار القمى جد هذه الاسرة الجليلة العريقة فى العلم و التقى و خدمة المشهد و خزانته، و يؤكد لنا ذلک تشرف عضد التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 58
الدولة للزيارة بعد عامين من تشييد المرقد و بناء القبة، و كان ذلک من دون شک لمشاهدة ما قام به من الأعمال و هل هو على وفق رغبته و كما ينبغى ام لا؟ هذا ما نذهب اليه و اللّه العالم.
لقد طال بنا الكلام عن خلف الشيخ الطوسى، و بعدنا عما كنا بصدده فلا يخفى ان عقب شيخ الطائفة لم ينقرض بل تحول بعضهم عن النجف الى اصفهان و بقى محافظاً على نسبه و مكانته العلمية، فمن أحفاده المولى المفسر المحدث الشيخ محمد رضا بن عبد الحسين بن محمد زمان النصيرى الطوسى ساكن اصفهان صاحب التفسير الكبير المسمى ب «تفسير الأئمة لهداية الأمة» و «كشف الآيات» الذى فرغ منه فى سنة 1067 ه، فان هذا الشيخ ينقل فى أثناء تفسيره عن شيخ الطائفة بعض

الأحاديث بما لفظه: «قال جدنا الأمجد العالم المتعلم بعلوم الصادقين الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسى» و الظاهر انه جده من طرف الأب و الا لقيده بالأمى كما انه يقيد انتسابه لابن طاوس و ابن إدريس بطرف الأم.
و أما نسبة هذا الشيخ الى النصير فلم يظهر لنا وجهها لأن المعروفين بنصير الدين فى علمائنا كثيرون، منهم: (1) الخواجة نصير الطوسى (2) نصير الدين أبو طالب عبد اللّه ابن حمزة بن الحسن الطوسى الشارحى المعروف بنصير الدين الطوسى و المذكور فى (الفهرست) للشيخ منتجب الدين (3) الشيخ نصير الدين على بن حمزة بن الحسن المذكور فى (أمل الآمل) (4) الشيخ نصير الدين على بن محمد بن على الكاشانى الحلى من المائة الثامنة (5) الشيخ نصير الدين بن محمد الطبرى المدفون بسبزوار من المائة التاسعة الى غيرهم مما لا يخطر ببالنا.
و هذا التفسير كبير يقال أنه فى ثلاثين مجلداً رأيت مجلدين منها. أحدهما المجلد الأول و هو كبير ضخم و على ظهره تملک ابن مؤلفه كتب: انه ملكه بالإرث.
لكن لم يذكر تأريخه، و توقيعه: (عبد اللّه بن محمد رضا النصيرى الطوسى). و قد ملک هذا المجلد السيد شبر بن محمد بن ثنوان الحويزى النجفى فى سنة 1160- 1182 ه كما يظهر من بعض خطوطه عليه فى التأريخين، و انتقل بعد ذلک الى العلامة الشيخ التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 59
أسد اللّه الدزفولى الكاظمى صاحب (المقابس) فوقفه و كتب صورة الوقف بخطه و قد رأيته فى مكتبة المرحوم الشيخ محمد أمين آل الشيخ أسد اللّه المذكور.
و ثانى المجلدين اللذين رأيتهما- و هو ضخم كبير أيضاً- رأيته فى النجف فى مكتبة المرحوم الشيخ محمد جواد آل محى الدين و لا علم لى ببقية مجلداته، غير ان صديقنا الجليل الحجة المرحوم الشيخ ابو المجد آغا رضا الاصفهانى صاحب (نقد فلسفة داروين) قد كتب لنا من أنه: كان خمسة عشر مجلداً من هذا الكتاب فى (المكتبة القزوينية) باصفهان و قد أخذ اقبال الدولة ثلاث مجلدات منها أيام حكومته باصفهان و لم يردها، و البقية موجودة فيها انتهى و قد ذكرنا هذا التفسير مفصلا فى (الذريعة) ج 4 ص 236- 238.
و لصاحب هذا التفسير أخ جليل هو المولى محمد تقى بن عبد الحسين النصيرى الطوسى الاصفهانى مؤلف (العقال فى مكارم الخصال) فرغ من بعض مجلداته فى اصفهان يوم الأحد 26 ربيع الثانى سنة 1080 ه، و والدهما المولى عبد الحسين بن محمد زمان النصيرى الطوسى كان من العلماء أيضاً كما يظهر من خطه بتملک (نهج الحق) فى الكلام للعلامة الحلى على نسخة كتبها محمد كاظم بن شكر اللّه الدزمانى فى سنة 1025

ه، و توقيعه: (عبد الحسين بن محمد زمان النصيرى الطوسى).
و من رجال هذا البيت المصنفين الشيخ المولى حسن بن محمد صالح النصيرى الطوسى مؤلف (هداية المسترشدين) فى الاستخارات فى سنة 1132 ه و منهم المولى محمد ابراهيم بن زين العابدين النصيرى الطوسى الذى كان حياً سنة 1097 ه و فيها استكتب لنفسه (تلخيص الشافى)، و منهم ولده المولى محمد بن ابراهيم بن زين العابدين النصيرى الطوسى الموجود بعض تملكاته، و بالجملة: كل واحد من هؤلاء وصف نفسه بالنصيرى الطوسى فقط من دون تعرض لوصف السيادة حسنية أو حسنية أو غيرهما، أو أى لقب آخر، و من ذلک كله يظهر جلياً كون هذا المؤلف المفسر غير الأمير الكبير السيد محمد رضا الحسينى منشى الممالک الساكن باصفهان فى زمن تأليف الشيخ الحر كما ترجمه كذلک فى (أمل الآمل) و ذكر له كتاب (كشف التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 60
الآيات) و (التفسير الكبير) العربى و الفارسى فى أكثر من ثلاثين مجلداً، فلا وجه لما كتبه السيد شبر الحويزى بخطه على ظهر المجلد الأول من هذا التفسير فى سنة 1160 ه من استظهاره أن المؤلف له هو المترجم له فى (الأمل) مع أن هذا المؤلف صرح فى أول المجلد الأول منه بأنه يروى جميع تلک الأخبار التى أوردها فى تفسيره عن شيخه السيد السند ... الى قوله بعد الاطراء: الأمير شرف الدين على بن حجة اللّه الحسنى الشولستانى النجفى. الذى كان حياً الى سنة 1063 ه و كان من مشايخ العلامة المولى محمد تقى المجلسى المتوفى سنة 1070 ه قبل تأليف (الأمل) بسنين، فالمؤلف معاصر له و لعله أيضاً لم يبق الى زمن تأليف (الأمل) و هو سنة 1097 ه و الحال ان منشئ الممالک كان حياً سنة تأليفه و كان ساكناً باصفهان.
و ظهر مما ذكرناه أيضاً تقدم هذا المفسر على السيد الأمير محمد رضا بن محمد مؤمن المدرس الامامى الخواتونآبادى مؤلف (جنات الخلود) باسم الشاه سلطان حسين الصفوى فى سنة 1127 ه و ان كان له تفسير أيضاً.
هذا كل ما نعرفه عن أحفاد شيخ الطائفة، و الأسف ان سلسلة نسبهم اليه لم تكن محفوظة و لعل فى مؤلفاتهم و مكتباتهم فى اصفهان ما يتضمن ذلک و اللّه العالم.
و من المستغرب ما ذكره بعض المعاصرين من أن للشيخ الطوسى أخا اسمه حمزة، و قد نقل ذلک عن (تكملة أمل الآمل) للحجة السيد حسن الصدر رحمه اللّه و قال أنه تأسف على حاله لكونه من المنسيين الذين لا ذكر لهم فى الأصول الرجالية و ذكر انه وقف عليه فى اجازة ابن نما و استظهر منها ان له روايات و مصنفات.
أقول: ان اجازة الشيخ نجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة اللّه بن نما الحلى لم تصل إلينا صورتها التامة و انما وصلتنا منها بعض النبذ، فقد

ذكر الشيخ حسن صاحب (المعالم) فى أجازته الكبيرة المطبوعة فى آخر (البحار) ص 100 أنه كان يحتفظ بثلاث إجازات بخط الشيخ الشهيد محمد بن مكى قدس سره، و هذه الإجازات كتبها أصحابها للشيخ كمال الدين حماد الواسطى، و هى:
«1» اجازة السيد غياث الدين بن طاوس الحلى «2» اجازة نجيب الدين التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 61
يحيى ابن سعيد الحلى «3» اجازة نجم الدين جعفر الحلى الشهير بابن نما.
ثم انه ذكر: انه ينقل المهم من مطالب الإجازات فى أجازته المذكورة، و ليس فيما نقله من فوائد اجازة ابن نما ذكر و لا أثر لحمزة أخ الشيخ الطوسى كما قيل.
و المظنون ان الأمر اشتبه على الناقل فظن ان الشيخ الجليل الشهير بابن حمزة الطوسى المشهدى صاحب «الوسيلة الى نيل الفضيلة»- الشهير بأبى جعفر الثانى أو أبى جعفر المتأخر- فظن ان جده حمزة كان اخاً للشيخ الطوسى، و لم يكن كذلک إذ لو كان لصرح به الشيخ منتجب الدين فى ترجمته له حيث ذكره هكذا: الامام عماد الدين ابو جعفر محمد بن على بن حمزة الطوسى المشهدى إلخ و لم يشر الى شىء من ذلک على خلاف عادته فيمن يعرف له قرابة من المترجمين.
و لا يخفى خطأ ذلک من ناحية ثانية فسيرة شيخ الطائفة معروفة لدى المؤرخين و الباحثين منذ يوم خروجه من طوس حتى يوم وفاته فى النجف، و لم يغمض من ذلک شىء أبداً، و لم نعرف طوال هذا العمر أخاً للشيخ الطوسى و لم نسمع باسمه، و ليت شعرى أ هاجر هذا الأخ مع أخيه الشيخ من طوس؟ أم لحقه بعد ذلک الى بغداد؟
و هل كان اكبر من أخيه و أصغر أو غير ذلک مما لا وجه لاحتمال صحته بكل وجه؟
و مع ذلک فالعالم هو اللَّه.

(1)- قال العلامة الحلى فى «الخلاصة» عند ذكر شيخ الطائفة ما لفظه:
... و كان يقول أولًا بالوعيد ثم رجع. و قال ذلک غيره من المترجمين للشيخ الطوسى رحمة اللّه عليه.
أقول: القول بالوعيد هو اختيار عدم جواز عفو اللّه عن الكبائر عقلًا من غير توبة كما عليه جماعة الوعيدية كأبى القاسم البلخى و غيره، و هو مخالف لإجماع الامامية فقد اتفقوا على القول بدخول المؤمن الصالح الى الجنة و خلوده فيها، و أما الذى خلط العمل الصالح بغيره فقد أجمع الامامية على أنه لا يجب تعذيبه بل قد يعفو اللّه عنه أو يشفع النبى «ص» فيه
لقوله صلى اللّه عليه و آله و سلم: التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 62
«ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى».
و قد يعاقبه اللّه لكن عقاباً غير دائم لأنه يستحق الثواب.
قال الشيخ الصدوق فى كتابه «الاعتقادات» ما لفظه:
«ان اعتقادنا فى الوعد و الوعيدان من واعده اللّه على عمل ثواباً فهو منجزه، و من واعده على عمل عقاباً فهو بالخيار إن عذبه فبعدله و ان عفا عنه فبفضله و ما ربک بظلام للعبيد. و قال اللّه تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَکَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ يَشاءُ. و اللّه أعلم».
و روى الكلينى فى «الكافى» عن الامام محمد الباقر عليه السلام فى تفسير قوله تعالى: (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ). انه عليه السلام قال: أولئک قوم مؤمنون يحدثون فى ايمانهم من الذنوب التى يعيبها المؤمنون و يكرهونها.
و فى (تفسير العياشى) عن الباقر عليه السلام أيضاً قال: عسى من اللّه واجب و انما نزلت فى شيعتنا المذنبين.
و نقله عنهما أيضاً الصافى فى تفسيره
ص 198 من طبعة طهران سنة 1311 ه.
الى غير ذلک مما ورد فى هذا الباب فى الكتاب و السنة أ فترى ان شيخ الطائفة مع عظيم مكانته فى العلوم الاسلامية يغفل عن هذا أو يضرب به عرض الجدار و يقول بالوعيد أولا ثم يرجع، حاشا و كلا و انما نسب ذلک اليه أعداؤه و أدخله فى ترجمته أبناء العامة الذين ذهب معظمهم الى تلک الأقوال و الآراء، و لم يكن للشيخ فى ذلک رأى و لا قول.
و يدل على عدم صحة ذلک قول السبكى فى (طبقات الشافعية الكبرى) فى ترجمته للشيخ كما سيأتى أنه شافعى، فهل يحتمل ذلک فى حق هذا الحبر الكبير الذى هو امام الفرقة الاثنى عشرية بعد أئمتهم المعصومين

عليهم السلام؟ و هذه كتبه الجليلة الدالة على بلوغه أقصى درجات الاجتهاد، و من هذا يظهر لنا أن العلامة الحلى نقل ذلک فيه عن مثل هذا المؤلف.
(2)- الإجماع فى نظر شيخ الطائفة ليس على المعنى الحقيقى المصطلح عند التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 63
المتأخرين عنه، بل الغالب أنه يتمسک بالإجماع فى قبال آراء العامة للرد عليهم بما هو حجة عندهم حتى فى الأصول مثل مسألة الامامة و الخلافة، و لذا تراه- قدس اللّه نفسه- يستدل بالإجماع فى جملة من الفروع ثم يفتى هو فى كتابه الآخر بما يخالف ذلک الإجماع، و قد أحصى الشيخ السعيد زين الدين الشهيد تلک الإجماعات فى رسالة مستقلة طبعت فى آخر (الألفية) للشهيد الأول فى سنة 1308 ه و قد ذكر فى أولها:
أن شيخ الطائفة ادعى الإجماع فى جملة من المسائل مع أنه بعينه خالف حكم ما ادعى الإجماع فيه، أفردناه للتنبيه على أن لا يعتبر الفقيه بدعوى الإجماع الخ. بدأ فى بيان تلک المسائل بكتاب النكاح ثم الطلاق الى آخر كتاب الديات، و من هذا يظهر أنه لم يظفر بمخالفته للاجماعات فى كتب العبادات.
(3)- إن لشيخ الطائفة فتاوى نادرة لم يرتضها المتأخرون عنه لقوة أدلة خلافها، منها: مسألة ما لا يدركه الطرف من الدم. فقد قال: بأنه غير منجس.
و قال الشيخ صاحب (الجواهر) فيه: الأحوط بل الأقوى تنجيسه وفاقاً للمشهور بين الأصحاب، و لم يحكَ عدم التنجيس الا عن الشيخ فى (الاستبصار) و (المبسوط) الى قوله: و يظهر من صاحب (الذخيرة) موافقته و لا ريب فى خطئه الخ.
و منها: مسألة تصوير ذوات الأرواح و صنع المجسمات فانه و ان لم ينقل عنه القول بالجواز فى كتبه الفقهية لكنه صرح به فى (تفسير التبيان) و لعله عدل بعد ذلک عنه كما يأتى النقل عن كتابه (النهاية)، قال فى (التبيان) الطبعة الأولى ج 1 ص 85 س 12 فى تفسير قوله تعالى: (اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ).
ما لفظه: اى اتخذتموه إلهاً لأن بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين لأن فعل ذلک ليس بمحظور و انما هو مكروه، و ما روى عن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم أنه لعن المصورين معناه من شبه اللّه بخلقه أو اعتقد فيه أنه صورة فلذلک قدر الحذف فى الآية كأنه قال اتخذتموه إلهاً و ذلک انهم عبدوا العجل بعد موسى لما قال لهم السامرى هذا إلهكم إلخ.
التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 64
ثم ان أمين الإسلام الطبرسى صاحب (مجمع البيان) الذى حذا فيه حذو شيخ الطائفة فى (التبيان) كما أسلفناه أورد كلام شيخ الطائفة فى تفسير هذه الآية بعينه من دون نظر فيه أو تأمل، و لكن المتأخرين عن هذين

الإمامين لم يرتضوا ذلک و انما أفتوا بحرمة التصوير و لا سيما تصوير ذوات الأرواح، و تشددوا فى خصوص المجسمات، قال الشيخ الكبير أستاذ كافة المتأخرين العلامة الشيخ المرتضى الأنصارى فى (المكاسب المحرمة) ص 203 من طبعة طهران ما لفظه: المسألة الرابعة تصوير صور ذوات الأرواح حرام إذا كانت الصورة مجسمة بلا خلاف فتوى و نصاً، و كذا مع عدم التجسيم وفاقاً لظاهر (النهاية) و صريح (السرائر) إلخ و من هذا القول احتملنا عدول الشيخ عن رأيه السابق فى تفسيره، و أما الشيخ الطبرسى فلم يصلنا كتابه فى الفقه حتى نعرف فتواه بالجواز جزماً «1».

(4)- حكى عن صاحب (الرياض): ان المؤرخ المسعودى صاحب (مروج الذهب) جد الشيخ الطوسى من طرف أمه. و هذا مستبعد أيضاً و على فرض وجود علاقة فليست بهذا القرب يعنى ليس جده بلا واسطة فليل أمه من بناته فقد طاف المسعودى فارس و كرمان سنة 309 ه فلعله تزوج فى ايران و أعقب بها، إما وفاته فهى بمصر عام 346 ه و لزيادة الاطلاع على أحواله راجع (فوات الوفيات) لابن شاكر ج 2 ص 57 طبع عام 1283 ه و (الفهرست) لابن النديم ص 219 طبع مصر و (تأريخ آداب اللغة العربية) لجرجى زيدان ج 2 ص 313 و غير ذلک.

لقد بلغ شيخ الطائفة رحمة اللَّه عليه فى عالم الشهرة درجة قصوى، و مكانة لم يحظ بها إلا آحاد من العظماء و المؤسسين، و لذا فلا يكاد يخلو من ذكره كتاب فى الرجال أو مشيخة فى الحديث أو اجازة فى الرواية أو سلسلة من السلاسل المنتهية الى

---

(1) كتب لنا قبل مدة الدكتور بشر فارس عضو المجمع العلمى اللغوى فى القاهرة يسألنا عن رأى علماء الشيعة فى تصوير ذوات الأرواح فلم نزد على ما ذكرناه.
التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 65
أهل بيت العصمة عليهم السلام، و لذلک فان مصادر ترجمته فى غاية الكثرة، و ليس بامكاننا استقصاءها بأجمعها فى هذه العجالة، و انما نذكر من ذلک ما هو فى متناول يدنا حال كتابة هذه الترجمة، و اننا لنعتقد بأن هناک أضعافه و ان ما لا يخطر ببالنا و لا يحضرنا أكثر و أكثر، لكن لا يسقط الميسور بالمعسور، و ما لا يدرک كله لا يترک كله، و اليک الموجود:
(1)- إتقان المقال فى أحوال الرجال: للشيخ محمد طه نجف، ص 121 طبع النجف سنة 1340 ه.
(2)- اجازة الشيخ عبد اللّه السماهيجى. من مخطوطات مكتبتنا الورقة 20 أ.
و هى بخطنا فى كتابنا الكبير (إجازات الرواية و الوراثة فى القرون الأخيرة الثلاثة).
و عن هذه الاجازة نقل صاحب (اللؤلؤة) معبراً عنها باجازة بعض مشايخنا المعاصرين.
(3)- إزاحة الحلک الدامس بالشموس المضيئة فى القرن الخامس. للعبد الفانى آغا بزرک الطهرانى غفر اللّه له و لوالديه مخطوط ص 72 و هو الجزء العاشر من موسوعتنا الثانية (طبقات أعلام الشيعة)، و هو الذى استللنا منه هذه الترجمة و زدنا عليها جملة من الفوائد.
(4)- الأعلام: لخير الدين الزركلى. ج 3 ص 484 طبع مصر سنة 1347 ه و قدسها فيه بقوله: و توفى بالكوفة. و بقوله: المبسوط فى الفقه 81 جزءاً. و لعل مراده ما يحويه من الكتب الفقهية و مع ذلک فلا يصح إذ هى نحو سبعين كتاباً.
(5)- أعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين ج 1 ص 1 و 12 و 282 و 303- 304 و غيرها طبع دمشق سنة 1353 ه.
(6)- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار. للشيخ محمد باقر

المجلسى ذكر فيه شيخ الطائفة فى مواضع عديدة، و لا سيما فى مجلد الإجازات الذى هو آخر أجزائه.
(7)- البداية و النهاية. لابن كثير ج 12 ص 97 طبع مصر سنة 1351 ه
التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 66
(8)- تأريخ آداب اللغة العربية. لجرجى زيدان ج 3 ص 102 طبع مصر سنة 1911 م. و قدسها بقوله: المتوفى سنة 459.
(9)- تأريخ مصر. لبعض الأشعرية. ينقل عنه صاحب (الروضات) فى ترجمته للشيخ.
(10)- تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام. للسيد حسن الصدر ص 313 و 339 طبع بغداد سنة 1370 ه.
(11)- تحفة الأحباب فى نوادر آثار الأصحاب. للشيخ عباس القمى ص 323- 325 طبع طهران سنة 1369 ه.
(12)- تحية الزائر و بلغة المجاور. للشيخ الميرزا حسين النورى ص 78 طبع طهران سنة 1327 ه.
(13)- تلخيص الأقوال فى تحقيق أحوال الرجال. للسيد الميرزا محمد ابن على الحسينى الأسترآبادى، مؤلف ثلاثة كتب فى الرجال (1) الكبير (2) الوسيط و هو هذا (3) الصغير. و هذا الكتاب من مخطوطات مكتبتنا و الترجمة فى الورقة 141 أ.
(14)- تنقيح المقال فى علم الرجال «1». للشيخ عبد اللَّه المامقانى ج 3 ص 104 طبع النجف سنة 1352 ه.
(15)- توضيح المقال فى علم الرجال. للمولى على الكنى، ص 62 طبع طهران سنة 1302 ه.
(16)- جامع الرواة: للمولى محمد بن على الأردبيلى ج 2 ص 95 طبع طهران سنة 1374 ه.

---

(1) ذكره الأستاذ البحاثة يوسف أسعد داغر فى مآخذ كتابه (مصادر الدراسة الأدبية) ج 1 ص 12 و سماه (منتهى المقال). و لخص رأى مؤلفه بأن الثقات ممن ذكره (1328) و الحسان (1445) و الموثقون (641) و الباقى أى 13268 ما بين ضعيف و مجهول و مهمل.
أقول: راجع ما ذكرناه فى (الذريعة) ج 4 ص 466- 467 لتعرف رأى الشيخ المامقانى و مراده بالمجهول.
التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 67
(17)- الخلاصة المنظومة. للشيخ عبد الرحيم الاصفهانى ص 84 طبع طهران سنة 1343 ه.
(18)- خلاصة الأقوال فى معرفة الرجال. للعلامة الحلى ج 1 ص 72 طبع طهران سنة 1310 ه.

(19)- الذريعة الى تصانيف الشيعة. للفانى آغا بزرک الطهرانى عفا اللّه عنه ج 1 ص 73 و 365- 366 و ج 2 ص 14- 16 و 269- 270 و 309- 311 و 313- 314 و 486 و ج 3 ص 328- 331 و ج 4 ص 266- 267 و 423 و 433 و 504- 507 و ج 5 ص 145 و ج 7 ص 236 و ج 10 ص 120 طبع النجف و طهران.
(20)- راهنماى دانشمندان. للسيد على أكبر البرقعى ج 2 ص 118- 120 طبع طهران بدون تأريخ لكن الجزء الأول طبع سنة 1368 ه.
(21)- الرجال. لأبى العباس احمد بن على النجاشى ص 287- 288 طبع بمبئى سنة 1317 ه و هو معاصر للشيخ و أول من ترجم له بعد ترجمته لنفسه فى كتابه (الفهرست).
(22)- الرجال. لابن داود من مخطوطات مكتبتنا تأريخ كتابته سنة 992 ص 51.
(23)- الرواشح السماوية فى شرح الأحاديث الامامية. للمير السيد محمد باقر الداماد ص 88 طبع طهران سنة 1311 ه.
(24)- روضات الجنات فى أحوال العلماء و السادات للسيد محمد باقر الخوانسارى ص 580- 591 طبع طهران سنة 1306 ه.
(25)- الروضة البهية فى الطرق الشفيعية. للسيد شفيع الجابلاقى ص 182- 190 طبع طهران سنة 1280 ه.
(26)- ريحانة الأدب فى المشهورين بالكنية و اللقب. للشيخ الميرزا محمد على المدرس التبريزى ج 2 ص 399- 401 طبع طهران سنة 1367 ه.
التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 68
(27)- رياض العلماء و حياض الفضلاء. للمولى عبد اللّه الافندى، من مخطوطات مكتبتنا، و لكن ليس فى نسختنا شىء من حرف الميم.
(28)- سفينة بحار الأنوار و مدينة الحكم و الآثار. للشيخ عباس القمى، ج 2 ص 97 طبع النجف سنة 1355 ه.
(29)- سماء المقال فى تحقيق علم الرجال. للشيخ الميرزا أبى الهدى الكلباسى ج 1 ص 32- 55 طبع قم سنة 1372 ه.
(30)- سير العلم فى النجف. للسيد محمد حسن آل الطالقانى مخطوط عقد فيه فصلًا لترجمة شيخ الطائفة و ولده الشيخ أبى على الحسن، و حفيده الشيخ أبى نصر محمد بن الحسن بن محمد و استقصى تلامذتهم و بعض أحوالهم ص 1- 14.
(31)- شعب المقال فى أحوال الرجال. للميرزا أبى القاسم النراقى ص 94 طبع يزد سنة 1367 ه.
(32) الشيعة و فنون الإسلام. للسيد حسن الصدر ص 33 و 57 طبع صيدا سنة 1331 ه.
(33)- طبقات الشافعية الكبرى. للسبكى ج 3 ص 51 طبع المطبعة

الحسينية سنة 1324 ه. و قد اشتبه هناک فنمی شيخ الطائفة الی مذهب الشافعی و تبعه کذلک فی (کشف الظنون) ج 1 ص 311، و هذه کتبه الاستدلالية و آراؤه المستنبطة تدل علی انه من أکبر مجتهدی المسلمين فکيف يظن أنه مقلد.
(34)- عنوان الشرف فی وشی النجف. للشيخ محمد السماوی ص 88 طبع النجف سنة 1360 ه. و فيه تأريخ لوفاة الشيخ فاتنا ذکره فی محله و نذکره هنا. و فيه فائدة و هی ان قبر ولده الشيخ أبی علی معه کما احتملناه قال:
کشيخنا الطوسی من أصاتا نعّيه أرخه حی ماتا
مرقده بداره مع نجله و داره معروفة کفضله
(35)- عيون الرجال. للسيد حسن الصدر، ص 74 طبع لکنهو سنة 1331 ه.
التبيان فی تفسير القرآن، المقدمة، ص: 69
(36)- الفوائد الرجالية. للسيد مهدی بحر العلوم، مخطوط فی مکتبة حسينية التسترية فی النجف و مکتبة السيد جعفر آل بحر العلوم و غيرها. و لا نتخطر صفحة الترجمة.
(37)- الفوائد الرضوية فی أحوال علماء المذاهب الجعفرية. للشيخ عباس القمی ج 2 ص 470- 473 طبع طهران سنة 1367 ه.
(38)- الفهرست. لشيخ الطائفة نفسه ترجم لنفسه فی حرف الميم ص 159- 161 طبع النجف سنة 1356 ه.
(39)- فهرست کتابخانه آستان قدس رضوی. فی مواضع کثيرة عند ذکر أکثر تصانيفه منها: ج 4 ص 19 و 55 و 253 و لو لا ضعف الحال لاستقصيناها طبع خراسان سنة 1369 ه.
(40)- فهرست کتابخانه عالی مدرسة سپهسالار. لابن يوسف الشيرازی ص 66- 68 طبع طهران سنة 1365 ه.
(41)- فهرست کتابخانه مجلس لابن يوسف الشيرازی أيضاً ج 3 ص 69 طبع طهران سنة 1308 ه.
(42)- فهرست کتابخانه اهدائی آقای سيد محمد مشکاة. لنجلنا الأکبر الميرزا علی نقی المنزوی ج 1 ص 201- 204 و ج 2 ص 637- 640 طبع طهران سنة 1371 ه.
(43)- قصص العلماء. للميرزا محمد التنکابنی ص 312 طبع طهران سنة 1304 ه.
(44)- الکامل فی التأريخ. لابن الأثير ج 10 ص 24 طبع مصر سنة 1301 ه.
(45)- کشف الحجب و الأستار عن أسماء الکتب و الأسفار. للسيد اعجاز حسين الکنتوری طبع بکلکته سنة 1320 ه. و قد ذکر فيه مؤلفات شيخ الطائفة کلًا فی محله، و لا تحضرنا النسخة لتعيين الصفحات. التبيان فی تفسير القرآن، المقدمة، ص: 70
(46)- کشف الظنون عن أسامی الکتب و الفنون. لکاتب چلبی ج 1 ص

311- 312 طبع اسلامبول سنة 1310 ه. و قد خلط فى حديثه بين الشيخ الطوسى و الشيخ الطبرسى كما أشرنا اليه فى ص ق من هذه المقدمة.
(47)- الكنى و الألقاب. للشيخ عباس القمى ج 2 ص 357 طبع صيدا سنة 1358.
(48)- لسان الميزان. لابن حجر العسقلانى ج 5 ص 135. طبع حيدرآباد الدكن سنة 1331 ه.
(49)- لؤلؤة البحرين فى الاجازة لقرتى العين. للشيخ يوسف الدرازى البحرانى، ص 245- 252 طبع بمبئى بدون تأريخ.
(50)- مجالس المؤمنين. للقاضى الشهيد نور اللّه المرعشى ص 200- 201 طبع تبريز.
(51) مجمع الرجال. للمولى عناية اللّه القهپائى مخطوط الورقة 230 أ نسخة الأصل بخطه المؤلف سنة 1016 ه. فى مكتبتنا.
(52)- مختلف الرجال. للسيد حسن الصدر مخطوط فى مكتبته فى الكاظمية ترجم للشيخ الطوسى فى التنبيه العاشر من المقدمة.
(53)- مستدرک الوسائل و مستنبط المسائل. للشيخ الميرزا حسين النورى، ج 3 ص 505- 509 طبع طهران سنة 1321 ه.
(54) المستطرفات فى الألقاب و الكنى و النسب. للسيد حسين البروجردى ص 204 و 210 طبع طهران سنة 1313 ه.
(55) المشيخة أو الاسناد المصفى الى آل بيت المصطفى. تأليف الفانى آغا بزرک الطهرانى ص 71- 73 طبع النجف سنة 1356 ه.
(56)- مصادر الدراسة الأدبية. ليوسف أسعد داغر ج 1 ص 12 طبع صيدا سنة 1950 م. التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 71
(57)- مصفى المقال فى مصنفى علم الرجال. للفانى آغا بزرک الطهرانى غفر له و لأبويه مخطوط الورقة 65 ب.
(58)- معالم العلماء لابن شهرآشوب ص 102- 103 طبع طهران سنة 1353 ه.
(59)- معجم المطبوعات العربية و المعربة. ليوسف اليان سركيس عمود 1248 طبع مصر سنة 1346 ه 1928 م.
(60)- مقابس الأنوار و نفائس الأسرار فى أحكام النبى المختار و آله الأطهار. للشيخ أسد اللّه الدزفولى. ص 4- 6 طبع طهران سنة 1322 ه.
(61)- مقدمة الاستبصار. بقلم الشيخ محمد على الأوردبادى طبع النجف سنة 1375 ه.
(62)- مقدمة التبيان. بقلم بعض الفضلاء، طبع سنة 1360 ه.
(63)- مقدمة الخلاف. بقلم السيد آغا حسين البروجردى، و الشيخ ريحان اللّه النخعى الكلبايكانى، و الشيخ عبد الحسين الفقيهى، و الشيخ مهدى التبريزى طبع طهران سنة 1370 ه.

(64)- مقدمة الفهرست. بقلم السيد محمد صادق آل بحر العلوم طبع النجف سنة 1356 ه.
(65) مقدمة ترجمة النهاية. بقلم السيد محمد باقر السبزوارى طبع طهران سنة 1373 ه.
ذكرنا فى (الذريعة) ج 4 ص 143- 144 اننا وقفنا على ترجمة فارسية للنهاية فى مكتبة السيد نصر اللّه الأخوى، و قلنا: أنها نسخة عتيقة لبعض الأصحاب المقاربين لعصر الشيخ و أشرنا الى ذلک أيضاً فى ص 35 من هذه المقدمة عند ذكر النهاية و قد طبعت هذه الترجمة منذ ثلاث سنوات، و أهدت إلينا جامعة طهران نسخة منها لكن غفلنا عن ذكرها فى محلها، و قد نشرت عن غير نسخة التقوى بل عن نسخة (مكتبة التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 72
الحاج حسين ملک التجار) و قدم لها فى ترجمة حياة الشيخ مقدمة ضافية.
(66)- المنتظم فى تأريخ الملوک و الأمم. لابن الجوزى ج 8 ص 173 و 179 طبع حيدرآباد 1357 ه.
(67)- منتهى المقال فى أحوال الرجال. للشيخ أبى على الحائرى ص 270 طبع طهران سنة 1302 ه.
(68)- منهج المقال فى تحقيق أحوال الرجال. للسيد الميرزا محمد الأسترآبادى ص 292- 293 طبع طهران سنة 1304 ه.
(69)- موجز المقال فى مقاصد علم الدراية و الرجال. للشيخ عبد الرحيم الاصفهانى حفيد صاحب (الفصول) ص 2 طبع طهران سنة 1343 ه.
(70)- نخبة المقال فى علم الرجال للسيد حسين البروجردى ص 88 طبع طهران سنة 1313 ه.
(71) نقد الرجال للسيد مصطفى التفريشى لا تحضرنا نسخته لتعين الصفحة منه، و قد طبع فى طهران عام 1318 ه.
(72) نقض الفضائح. للشيخ عبد الجليل القزوينى الرازى ص 180 طبع طهران سنة 1371 ه.
(73)- نهاية الدراية. للسيد حسن الصدر ص 238- 249 طبع لكنهو سنة 1323 ه.
(74) هدية الأحباب فى ذكر المعروفين بالكنى و الألقاب. ص 168 طبع النجف 1349 ه.
(75)- الوجيزة للشيخ محمد باقر المجلسى صاحب البحار ص 163 طبع طهران سنة 1312 ه.
(76)- الوجيزة. للشيخ بهاء الدين محمد العاملى ص 184 طبع طهران سنة 1311 ه.
(77)- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة. للشيخ محمد الحر العاملى ج 3 التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 73

(78) وصول الأخيار الى أصول الأخبار. للشيخ حسين العاملى والد الشيخ البهائى ص 71 طبع طهران سنة 1306 ه.
هذا ما أمكننا القيام به خدمة لشيخ الطائفة أجزل اللَّه أجره، و كان ذلک من أحلى أمانينا و أعذبها حيث كنا نفكر فى ذلک منذ زمن بعيد فقد كنا عقدنا النية على إصدار كتابين ندرس فى الأول حياة كل من المحمدين الثلاثة المتقدمين (1) محمد ابن يعقوب الكلينى صاحب (الكافى) (2) الشيخ الصدوق محمد بن على القمى صاحب (من لا يحضره الفقيه) (3) شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسى رحمهم اللَّه. و فى الثانى المحمدين الثلاثة المتأخرين (1) محمد بن مرتضى الشهير بالفيض صاحب (الوافى) (2) محمد بن الحسن الحر العاملى صاحب (الوسائل) (3) محمد باقر بن محمد تقى المجلسى صاحب (البحار) «1». أداء لحقهم و اعترافاً بفضلهم، غير أن تراكم الأشغال و كثرة العوارض حالا بيننا و بين هذه الأمنية.
على أننا كتبنا فى أواخر ذى القعدة سنة 1374 ه رسالة صغيرة قوامها إحدى عشرة صفحة فى حال كتاب (الكافى) و هل يوجد فيه خبر ضعيف أولا؟
و لمَ لمْ يعرضه على السفراء الأربعة؟ الى غير ذلک، و كان تأليفها جواباً عن سؤال وجهه إلينا الخطيب الشهير الشيخ عباس قلى التبريزى المعروف بالواعظ الچرندابى، الا أنها كانت خاصة بالكتاب لا بحياة مؤلفه، و لذلک بقينا بصدد انتهاز الفرصة للعودة الى ذلک و غيره مما ذكرناه لولا أن خلب رجاؤنا بعد النازلة التى حلت بنا فى المحرم هذه السنة، فقد حطمت الآمال، و أوهنت العزائم، و أماتت الهمم، و ذهبت ببقايا القوى، و لم نزل رغم التحسّن الظاهرى فى حالة لا تدع راحة و لا تعرف الاستقامة و قد عاقتنا عن كثير من الأعمال، و أخرتنا عن مهام الأشغال العلمية و غيرها.

---

(1) هؤلاء الستة من أقطاب هذه الطائفة و عمدها و أركانها و حفظة آثارها و مآثرها، و لهم على الشيعة الامامية فضل لا ينكر و منة عظيمة، و على كتبهم حتى يوم الناس هذا مدار العمل، و تسمى مؤلفات المتقدمين بالكتب الأربعة، و مؤلفات المتأخرين، بالجوامع المتاخرة.
التبيان فى تفسير القرآن، المقدمة، ص: 74
فمن ذلک عدم حضور المؤتمر الذى عقد فى هذه الأيام فى كراتشى للاحتفال بمرور أربعة عشر قرناً على ميلاد سيد الكونين و بطل الإسلام الامام أمير المؤمنين على عليه السلام، فقد زارنا رئيس المؤتمر صديقنا القديم المهاراج محمد أمير أحمد المحمدى فدعانا للحضور هناک فاعتذرنا للضعف الشديد المستولى علينا فسجل الرئيس عذرنا و حمله الى الباكستان لاذاعته بين الأعضاء، و طلب منا كلمة حول المؤتمر فكتبنا ما وسعه الوقت و ساعدت عليه الحال، و حمل الكلمة الى هناک أيضاً.

و هكذا قعد بنا المرض و عاقنا عن الكتابة و غيرها، و لذا فأنا أرى الفضل كل الفضل لناشر التبيان الذى صار سبباً لكتابة هذه الترجمة، و لو لا طلبه لما خطر ذلک بالبال فى هذه الحال، فالحمد للّه على اختياره و نسأله الصبر على بلائه و نصلى على محمد و آله الطاهرين.
و كتبه بأناملہ المرتعشة فى داره فى النجف الأشرف ليلة الجمعة الحادى و العشرين من رجب سنة ست و سبعين و ثلاثمائة و ألف.
الفانى آغا بزرک الطهرانى عفا اللّه عنه

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم و به ثقتى الحمد للَّه اعترافاً بتوحيده، و اخلاصاً لربوبيته، و اقراراً بجزيل نعمته، و إذعاناً لعظيم منته، و شكراً على جميع مواهبه، و كريم فواضله، و صلى اللَّه على خيرته من خلقه محمد (ص)، و الطاهرين من عترته، و الطيبين من أرومته، و سلم تسليما.
أما بعد، فان الذى حملنى على الشروع فى عمل هذا الكتاب انى لم أجد أحداً من أصحابنا- قديماً و حديثاً- من عمل كتاباً يحتوى على تفسير جميع القرآن، و يشتمل على فنون معانيه. و انما سلك جماعة منهم فى جميع ما رواه و نقله و انتهى اليه فى الكتب المروية فى الحديث، و لم يتعرض أحد منهم لاستيفاء ذلک، و تفسير ما يحتاج اليه. فوجدت من شرع فى تفسير القرآن من علماء الأمة، بين مطيل فى جميع معانيه، و استيعاب ما قيل فيه من فنونه- كالطبرى و غيره- و بين مقصر اقتصر على ذكر غريبه، و معانى ألفاظه. و سلک الباقون المتوسطون فى ذلک مسلک ما قويت فيه مُنتهم»
و تركوا ما لا معرفة لهم به فان الزّجاج و الفرَّاء و من أشبههما من النحويين، أفرغوا وسعهم فيما يتعلق بالاعراب و التصريف. و مُفضّل بن سلمة و غيره استكثروا من علم اللغة، و اشتقاق الألفاظ. و المتكلمين- كأبى على الجبّائى و غيره- صرفوا همتهم الى ما يتعلق بالمعانى الكلامية. و منهم من أضاف الى ذلک، الكلام فى فنون علمه، فادخل فيه ما لا يليق به، من بسط فروع الفقه، و اختلاف الفقهاء- كالبلخى و غيره- و أصلحُ من سلک فى ذلک مسلكاً جميلا مقتصداً، محمد ابن بحر، أبو مسلم الاصفهانى، و على بن عيسى الرمانى، فان كتابيهما أصلح

---

(1) المنة: القوة و الكلمة من الاضداد.

ما صنف فى هذا المعنى، غير أنهما أطالا الخطب فيه، و أوردا فيه كثيراً مما لا يحتاج و سمعت جماعةً من أصحابنا قديماً و حديثاً، يرغبون فى كتاب مقتصد يجتمع على جميع فنون علم القرآن، من القراءة، و المعانى و الاعراب، و الكلام على المتشابه، و الجواب عن مطاعن الملحدين فيه، و أنواع المبطلين، كالمجبّرة، و المشبّهة و المجسّمة و غيرهم، و ذكر ما يختص أصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه على صحة مذاهبهم فى اصول الديانات و فروعها.
و أنا ان شاء اللَّه تعالى، أشرع فى ذلک على وجه الإيجاز و الاختصار لكل فن من فنونه، و لا أطيل فيمله الناظر فيه، و لا اختصر اختصاراً يقصر فهمه عن معانيه و أقدم امام ذلک، فصلا يشتمل على ذكر جمل لا بد من معرفتها

دون استيفائها، فان لاستيفاء الكلام فيها مواضع هى أليق به. و من اللّه استمد المعونة، و أستهديه الى طريق الرشاد، بمنه و قدرته ان شاء اللّه تعالى.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 3

اعلم ان القرآن معجزة عظیمة علی صدق النبی علیه السلام، بل هو من أکبر المعجزات و أشهرها. غیر أن الکلام فی إعجازه، وجهة إعجازه، و اختلاف الناس فیه، لا یلیق بهذا الکتاب، لأنه یتعلق بالکلام فی الأصول. و قد ذکره علماء أهل التوحید، و أطنبوا فیه، و استوفوه غایة الاستیفاء. و قد ذکرنا منه طرفاً صالحاً فی شرح الجمل، لا یلیق بهذا الموضع، لأن استیفاءه یخرج به عن الغرض و اختصاره لا یأتی علی المطلوب، فالاحالة علیه أولی.
و المقصود من هذا الکتاب علم معانیه، و فنون أغراضه. و أما الکلام فی زیادته و نقصانه فمما لا یلیق به ایضاً، لأن الزیادة فیه مجمع علی بطلانها. و النقصان منه، فالظاهر أیضاً من مذهب المسلمین خلافه، و هو الألیق بالصحیح من مذهبنا و هو الذی نصره المرتضی (ره)، و هو الظاهر فی الروایات غیر أنه رویت روایات کثیرة، من جهة الخاصة و العامة، بنقصان کثیر من آی القرآن، و نقل شیء منه من موضع الی موضع، طریقها الآحاد التی لا توجب علماً و لا عملا، و الأولی الاعراض عنها، و ترک التشاغل بها، لأنه یمکن تأویلها. و لو صحت لما کان ذلک طعناً علی ما هو موجود بین الدفتین، فان ذلک معلوم صحته، لا یعترضه احد من الأمة و لا یدفعه.
و روایاتنا متناصرة بالحث علی قراءته و التمسک بما فیه، و ردِّ ما یردُ من اختلاف الأخبار فی الفروع الیه. و قد روی عن النبی (ص) روایة لا یدفعها احد،
انه قال: (انی مخلف فیکم الثقلین، ما ان تمسکتم بهما لن تضلوا: کتاب اللّه، و عترتی أهل بیتی، و انهما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض).
و هذا یدل علی التبیان فی تفسیر القرآن، ج1، ص: 4
انه موجود فی کل عصر، لأنه لا یجوز ان یأمر بالتمسک بما لا نقدر علی التمسک به. کما أن اهل البیت، و من یجب اتباع قوله حاصل فی کل وقت. و إذا کان الموجود بیننا مجمعاً علی صحته، فینبغی ان نتشاغل بتفسیره، و بیان معانیه و نترک ما سواه.
و اعلم ان الروایة ظاهرة فی اخبار أصحابنا بأن تفسیر القرآن لا یجوز إلا بالأثر الصحیح عن النبی صلی اللّه علیه و آله، و عن الائمة علیهم السلام، الذین قولهم حجة کقول النبی (ص)، و ان القول فیه بالرأی لا یجوز.
و روی العامة ذلک عن النبی (ص) انه قال: (من فسر القرآن برأیه و أصاب الحق، فقد اخطأ)
و کره جماعة من التابعین و فقهاء المدینة القول فی القرآن بالرأی: کسعید بن المسیب و عبیدة السلمانی، و نافع، و محمد بن القاسم، و سالم بن عبد اللّه، و غیرهم. و روی عن عائشة أنها قالت: لم یکن النبی «ص» یفسر

القرآن إلا بعد أن يأتى به جبرائيل (ع).
و الذى نقول فى ذلک: إنه لا يجوز ان يكون فى كلام اللَّه تعالى و كلام نبيه تناقض و تضاد. و قد قال اللّه تعالى: «إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا» «1» و قال: «بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» «2» و قال: «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ» «3» و قال: «فيه تبيان كل شىء» و قال: «ما فَرَّطْنا فِى الْكِتابِ مِنْ شَىْءٍ» «4» فكيف يجوز ان يصفه بانه عربى مبين، و انه بلسان قومه، و انه بيان للناس و لا يفهم بظاهره شىء؟ و هل ذلک إلا وصف له باللغز و المعمى الذى لا يفهم المراد به إلا بعد تفسيره و بيانه؟ و ذلک منزه عنه القرآن. و قد مدح اللّه أقواماً على استخراج معانى القرآن فقال: «لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» «5»، و قال فى قوم

---

(1) سورة الزخرف: آية 43.
(2) سورة الشعراء: آية 195. [.....]
(3) سورة ابراهيم: آية 4.
(4) سورة الانعام: آية 38.
(5) سورة النساء: آية 82.

يذمهم حيث لم يتدبروا القرآن، و لم يتفكروا فى معانيه: «أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها» «1»
و قال النبى (ص). (انى مخلف فيكم الثقلين: كتاب اللَّه، و عترتى أهل بيتى)
فبين ان الكتاب حجة، كما أن العترة حجة. و كيف يكون حجة ما لا يفهم به شىء؟
و روى عنه عليه السلام انه قال: (إذا جاءكم عنى حديث، فاعرضوه على كتاب اللَّه، فما وافق كتاب اللّه فاقبلوه، و ما خالفه فاضربوا به عرض الحائط).
و روى مثل ذلک عن أئمتنا عليهم السلام، و كيف يمكن العرض على كتاب اللَّه، و هو لا يفهم به شىء؟ و كل ذلک يدل على ان ظاهر هذه الاخبار متروک و الذى نقول به: إن معانى القرآن على أربعة أقسام:
أحدها- ما اختص اللّه تعالى بالعلم به، فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه، و لا تعاطى معرفته، و ذلک مثل قوله تعالى: «يَسْئَلُونَکَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ: إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّى لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ» «2» و مثل قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ...» «3» الى آخرها. فتعاطى معرفة ما اختص اللّه تعالى به خطأ.
و ثانيها- ما كان ظاهره مطابقاً لمعناه، فكل من عرف اللغة التى خوطب بها، عرف معناها، مثل قوله تعالى: «وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا

بِالْحَقِّ» «4» و مثل قوله تعالى: «قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ» «5» و غير ذلک.
و ثالثها- ما هو مجمل لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلا. مثل قوله تعالى: «أَقِيمُوا الصَّلاةَ، وَ آتُوا الزَّكاةَ» «6» و مثل قوله:

---

(1) سورة محمد: آية 24.
(2) سورة الاعراف: آية 186.
(3) سورة لقمان: آية 34.
(4) سورة الانعام: آية 151.
(5) سورة التوحيد: آية 1.
(6) سورة البقرة: آية 43 و 83 و 110 النساء آية 76. الحج آية 78. النور آية 56 المجادلة آية 13 المزمل آية 2.

«وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» «1» و قوله: «وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ» «2» و قوله:
«فِى أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ» «3» و ما أشبه ذلک. فان تفصيل أعداد الصلاة و عدد ركعاتها، و تفصيل مناسک الحج و شروطه، و مقادير النصاب فى الزكاة لا يمكن استخراجه إلا ببيان النبى (ص) و وحى من جهة اللّٰه تعالى. فتكلف القول فى ذلک خطأ ممنوع منه، يمكن ان تكون الاخبار متناولة له.
و رابعها- ما كان اللفظ مشتركا بين معنيين فما زاد عنهما، و يمكن ان يكون كل واحد منهما مراداً. فانه لا ينبغى أن يقدم احد به فيقول: ان مراد اللّٰه فيه بعض ما يحتمل- إلا بقول نبى او امام معصوم- بل ينبغى ان يقول: ان الظاهر يحتمل لأمور، و كل واحد يجوز أن يكون مراداً على التفصيل. و اللّٰه أعلم بما أراد.
و متى كان اللفظ مشتركا بين شيئين، أو ما زاد عليهما، و دل الدليل على انه لا يجوز ان يريد إلا وجهاً واحداً، جاز ان يقال: إنه هو المراد.
و متى قسمنا هذه الأقسام، نكون قد قبلنا هذه الاخبار و لم نردها على وجه يوحش نقلتها و المتمسكين بها، و لا منعنا بذلک من الكلام فى تأويل الآى جملة.
و لا ينبغى لأحد ان ينظر فى تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد تفصيلا، أو يقلد أحداً من المفسرين، إلا ان يكون التأويل مجمعاً عليه، فيجب اتباعه لمكان الإجماع، لأن من المفسرين من حمدت طرائقه، و مدحت مذاهبه، كابن عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد و غيرهم. و منهم من ذمت مذاهبه، كأبى صالح، و السدى و الكلبى و غيرهم. هذا فى الطبقة الاولى. و أما المتأخرون فكل واحد منهم نصر مذهبه، و تأول على ما يطابق أصله، و لا يجوز لأحد أن يقلد أحداً منهم، بل ينبغى ان يرجع الى الادلة الصحيحة: إما العقلية، أو الشرعية، من اجماع عليه، أو نقل متواتر به، عمن يجب اتباع

قوله، و لا يقبل فى ذلک خبر واحد، خاصة

---

(1) سورة آل عمران: آية 91.
(2) سورة الانعام: آية 141.
(3) سورة المعارج: آية 23.

إذا كان مما طريقه العلم، و متى كان التأويل يحتاج الى شاهد من اللغة، فلا يقبل من الشاهد إلا ما كان معلوماً بين اهل اللغة، شائعاً بينهم. و أما طريقة الآحاد من الروايات الشاردة، و الألفاظ النادرة، فانه لا يقطع بذلک، و لا يجعل شاهداً على كتاب اللّه و ينبغى أن يتوقف فيه و يذكر ما يحتمله، و لا يقطع على المراد منه بعينه، فانه متى قطع بالمراد كان مخطئاً، و ان أصاب الحق، كما روى عن النبى (ص) لأنه قال تخميناً و حدساً و لم يصدر ذلک عن حجة قاطعة. و ذلک باطل بالاتفاق.
و اعلموا ان العرف من مذهب أصحابنا و الشائع من اخبارهم و رواياتهم ان القرآن نزل بحرف واحد، على نبى واحد، غير انهم اجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء و أن الإنسان مخير باى قراءة شاء قرأ، و كرهوا تجويد قراءة بعينها بل أجازوا القراءة بالمجاز الذى يجوز بين القراء و لم يبلغوا بذلک حد التحريم و الحظر.
و روى المخالفون لنا عن النبى (ص) انه قال: (نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف.) و فى بعضها: (على سبعة أبواب)
و كثرت فى ذلک رواياتهم. و لا معنى للتشاغل بإيرادها. و اختلفوا فى تأويل الخبر، فاختار قوم ان معناه على سبعة معان: أمر، و نهى، و وعد، و وعيد، و جدل، و قصص، و أمثال
و روى ابن مسعود عن النبى «ص» انه قال: (نزل القرآن على سبعة أحرف:
زجر، و أمر، و حلال، و حرام، و محكم، و متشابه، و أمثال.)
و روى ابو قلامة عن النبى [ص] انه قال: [نزل القرآن على سبعة أحرف: أمر، و زجر، و ترغيب، و ترهيب، و جدل، و قصص، و أمثال.]
و قال آخرون:
[نزل القرآن على سبعة أحرف.] أى سبع لغات مختلفة، مما لا يغير حكما فى تحليل و تحريم، مثل. هلم. و يقال من لغات مختلفة، و معانيها مؤتلفة. و كانوا مخيرين فى أول الإسلام فى أن يقرءوا بما شاءوا منها. ثم اجمعوا على حدها، فصار ما اجمعوا عليه مانعاً مما اعرضوا عنه. و قال آخرون: [نزل على سبع لغات من اللغات الفصيحة، لأن القبائل بعضها افصح من بعض] و هو الذى اختاره الطبرى. و قال بعضهم: [هى على سبعة أوجه من اللغات، متفرقة فى القرآن، لأنه التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 8

لا يوجد حرف قرئ على سبعة أوجه.] و قال بعضهم: [وجه الاختلاف فى القراءات سبعة:
أولها- اختلاف اعراب الكلمة او حركة بنائها فلا يزيلها عن صورتها فى الكتاب و لا يغير معناها نحو قوله: هؤُلاءِ بَناتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ «1» بالرفع و النصب وَ هَلْ نُجازِى إِلَّا الْكَفُورَ؟ «2» بالنصب و النون و هل يجازى إلا الكفور؟ بالياء و الرفع. و بالبخل «3» و البخل و البخل برفع الباء و نصبها. و ميسرة «4» و ميسرة بنصب السين و رفعها.
و الثانى- الاختلاف فى اعراب الكلمة و حركات بنائها مما يغير معناها و لا يزيلها عن صورتها فى الكتابة مثل قوله: رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا «5» على الخبر.
ربنا باعد على الدعاء. إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ «6» بالتشديد و تلقونه بكسر اللام و التخفيف و الوجه الثالث- الاختلاف فى حروف الكلمة دون اعرابها، مما يغير معناها و لا يزيل صورتها نحو قوله تعالى: كَيْفَ نُنْشِزُها «7» بالزاء المعجمة و بالراء الغير معجمة و الرابع- الاختلاف فى الكلمة مما يغير صورتها و لا يغير معناها نحو قوله:
إِنْ كانَتْ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً «8» و الازقية. و كالصوف المنفوش و كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ «9» و الخامس- الاختلاف فى الكلمة مما يزيل صورتها و معناها نحو: وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ «10» و طلع.
السادس- الاختلاف بالتقديم و التأخير نحو قوله:

---

(1) سورة هود آيه 78
(2) سورة سبأ آية 17 [.....]
(3) سورة النساء آية 36 الحديد آية 24 و البخل بالرفع مصدر بخل و البخل بالفتح مصدر بخل
(4) سورة البقرة. آية 28
(5) سورة سبأ آية 19
(6) سورة النور آية 15
(7) سورة البقرة آية 259
(8) سورة يس آية 29- 49- 53 سورة ص آية 15
(9) سورة القارعة. آية. 5
(10) سورة ق آية- 19

وَ جاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ «1» و جاءت سكرة الحق بالموت.
السابع- الاختلاف بالزيادة و النقصان نحو قوله: و ما عملت أيديهم و ما عملته «2» بإسقاط الهاء و إثباتها. و نحو قوله: فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ و ان الله الغنى الحميد. فى سورة الحديد «3».

و هذا الخبر عندنا و ان كان خبراَ واحداَ لا يجب العمل به فالوجه الأخير أصلح الوجوه على ما روى عنهم عليه السلام من جواز القراءة بما اختلف القراءة فيه.
و اما القول الأول فهو على ما تضمنته لأن تأويل القرآن لا يخرج عن احد الأقسام السبعة: إما أمر. او نهى. او وعد. او وعيد. او خبر. او قصص. او مثل. و هو الذى ذكره أصحابنا فى اقسام تفسير القرآن.
فاما ما
روى عن النبى (ص) انه قال: [ما نزل من القرآن من آية إلا و لها ظهر و بطن.]
و قد رواه ايضاً أصحابنا عن الائمة عليهم السلام فانه يحتمل ذلک وجوها:
أحدها- ما
روى فى أخبارنا عن الصادقين عليهما السلام. و حكى ذلک عن أبى عبيدة أن المراد بذلک القصص باخبار هلاک الأولين و باطنها عظة للآخرين
و الثانى- ما حكى عن ابن مسعود انه قال: [ما من آية إلا و قد عمل بها قوم و لها قوم يعملون بها.]
و الثالث- معناها أن ظاهرها لفظها و باطنها تأويلها ذكره الطبرى و اختاره البلخى و الرابع- ما قاله الحسن البصرى: [انک إذا فتشت عن باطنها و قسته على ظاهرها وقفت على معناها] و جميع اقسام القرآن لا يخلو من ستة: محكم. و متشابه و ناسخ. و منسوخ. و خاص. و عام.
فالمحكم ما انبأ لفظه عن معناه من غير اعتبار امر ينضم اليه سواء كان اللفظ لغويا او عرفيا. و لا يحتاج الى ضروب من التأويل. و ذلک نحو قوله:

---

(1) سورة ق آية 19
(2) سورة يس آية 35
(3) آية 24

[لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها] «1» و قوله: [وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ] «2» و قوله:
[قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ] «3» و قوله: [لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ] «4» و قوله: [وَ ما رَبُّکَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ]»
و قوله: [ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] «6» و نظائر ذلک.
و المتشابه ما كان المراد به لا يعرف بظاهره بل يحتاج الى دليل و ذلک ما كان محتملا لأمور كثيرة أو أمرين و لا يجوز ان يكون الجميع مراداً فانه من باب المتشابه. و انما سمى متشابها لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد و ذلک نحو قوله:
[يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللَّهِ] «7» و قوله: [وَ السَّماواتُ

مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ] «8» و قوله: «تَجْرِی بِأَعْيُنِنا» «9» و قوله «يُضِلّ مَنْ يَشاءُ» «10» و قوله:
«فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمى أَبْصارَهُمْ و طبع على قلوبهم» «11» و نظائر ذلک من الآی التی المراد منها غير ظاهرها. فان قيل: هلا كان القرآن كله محكماً يستغنی بظاهره عن تكلف ما يدل على المراد منه حتى دخل على كثير من المخالفين للحق شبهة فيه و تمسكوا بظاهره على ما يعتقدونه من الباطل؟ أ تقولون إن ذلک لم يكن مقدوراً له تعالى؟ فهذا هو القول بتعجيزه! أو تقولون هو مقدور له و لم يفعل ذلک فلم لم يفعله؟ قيل الجواب على ذلک من وجهين: أحدهما- ان خطاب اللّه تعالى- مع ما فيه من الفوائد- المصلحة معتبرة فی ألفاظه فلا يمتنع أن تكون المصلحة الدينية

---

(1) سورة البقرة آية 286
(2) سورة الانعام آية 151
(3) سورة التوحيد آية 1 [.....]
(4) سورة التوحيد آية 3 و 4
(5) سورة حم السجدة آية 46
(6) سورة الذاريات آية 56
(7) سورة الزمر آية 56
(8) سورة الزمر آية- 67
(9) سورة القمر آية 14
(10) سورة الرعد آية 29. ابراهيم آية- 40 فاطر آية- 8
(11) سورة محمد. آية 23

تعلقت بان يستعمل الألفاظ المحتملة و يجعل الطريق الى معرفة المراد به ضرباً من الاستدلال و لهذه العلة أطال فی موضع و أسهب و اختصر فی آخر و أوجز و اقتصر و ذكر قصة فی موضع و أعادها فی موضع آخر. و اختلفت أيضاً مقادير الفصاحة فيه و تفاضلت مواضع منه بعضه على بعض و الجواب الثانی: ان اللّه تعالى انما خلق عباده تعريضاً لثوابه و كلفهم لينالوا على المراتب و أشرفها و لو كان القرآن كله محكماً لا يحتمل التأويل و لا يمكن فيه الاختلاف لسقطت المحنة و بطل التفاضل و تساوت المنازل و لم تَبِن منزله العلماء من غيرهم. و انزل اللّه القرآن بعضه متشابهاً ليعمل أهل العقل افكارهم و يتوصلوا بتكلف المشاق و النظر و الاستدلال الى فهم المراد فيستحقوا به عظيم المنزلة و عالى الرتبة.

فان قيل: كيف تقولون، ان القرآن فيه محكم و متشابه، و قد وصفه اللَّه تعالى بأنه اجمع محكم؟ و وصفه فی مواضع أخر بأنه متشابه و ذكر فی موضع آخر انِ بعضه محكم، و بعضه متشابه- كما زعمتم- و ذلک نحوِ قوله:

«الر. كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ» «1» و قال فى موضع آخر: «اللّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً» «2» و قال فى موضع آخر: «هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ» «3» و هل هذا إلا ظاهر التناقض؟
قلنا: لا تناقض فى ذلک، لأن وصفه بأنه محكم كله، المراد به انه بحيث لا يتطرق عليه الفساد و التناقض و الاختلاف و التباين و التعارض، بل لا شىء منه إلا و هو فى غاية الأحكام- إما بظاهره او بدليله، على وجه لا مجال للطاعنين عليه. و وصفه بانه متشابه أنه يشبه بعضه بعضاً فى باب الأحكام الذى أشرنا اليه، و أنه لا خلل فيه و لا تباين و لا تضاد و لا تناقض. و وصفه بان بعضه محكم، و بعضه متشابه ما أشرنا اليه، من ان بعضه ما يفهم المراد بظاهره فيسمى محكماً و منه ما يشتبه المراد منه بغيره و ان كان على المراد و الحق منه دليل فلا تناقض فى ذلک بحال.

---

(1) سورة هود. آية 1
(2) سورة الزمر. آية 23
(3) سورة آل عمران. آية 7

و اما الناسخ فهو كل دليل شرعى يدل على زوال مثل الحكم الثابت بالنص الأول فى المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنص الاول مع تراخيه عنه. اعتبرنا دليل الشرع لأن دليل العقل إذا دل على زوال مثل الحكم الثابت بالنص الاول لا يسمى نسخاً. ألا ترى أن المكلف للعبادات، إذا عجز أو زال عقله، زالت عنه العبادة بحكم العقل، و لا يسمى ذلک الدليل ناسخاً؟ و اعتبرنا زوال مثل الحكم، و لم نعتبر الحكم نفسه لأنه لا يجوز أن ينسخ نفس ما أمر به، لأن ذلک يؤدى الى البداء. و انما اعتبرنا أن يكون الحكم ثابتاً بنص شرعى، لأن ما ثبت بالعقل إذا أزاله الشرع لا يسمى بأنه نسخ حكم العقل. ألا ترى أن الصلاة و الطواف لولا الشرع لكان قبيحاً فعله فى العقل و إذا ورد الشرع بهما لا يقال نسخ حكم العقل؟ و اعتبرنا مع تراخيه عنه لأن ما يقترن به لا يسمى نسخاً و ربما يكون تخصيصاً ان كان اللفظ عاماً او مقيداً ان كان اللفظ خاصاً. ألا ترى أنه لو قال:
اقتلوا المشركين الا اليهود لم يكن قوله إلا اليهود نسخاً لقوله اقتلوا المشركين؟
و كذا لو قال: فسيحوا فى الأرض اربعة أشهر فقيد بهذه الغاية لا يقال لما بعدها نسخ. و كذا لما قال فى آية الزنا: فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ «1» لا يقال لما زاد عليه منسوخ لأنه مقيد فى اللفظ.
و النسخ يصح دخوله فى الامر و النهى بلا خلاف. و الخبر ان تناول ما يصح تغييره عن صفة جاز دخول النسخ فيه لأنه فى معنى الأمر. ألا ترى أن قوله:

«وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» «2» خبر؟ و قوله: «وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ» «3» أيضاً خبر؟ و كذلک قوله: «وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً» «4» خبر و مع ذلک يصح دخول النسخ فيه فاما ما لا يصح تغييره عن صفة فلا يصح دخول النسخ فيه، نحو الاخبار عن صفات اللّه تعالى، و صفات الأجناس

---

(1) سورة النور. آية 2
(2) سورة آل عمران. آية 97
(3) سورة البقرة. آية 228 [.....]
(4) سورة آل عمران. آية 97

- لما يصح عليه التغيير، لم يصح فيه النسخ حيث أن العبارة بالأخبار عنه بأنه قادر، عالم، سميع بصير، لا يصح النسخ فيه، لأنه يمتنع دخول النسخ فى الاخبار- ان كان الخبر لا يصح تغييره فى نفسه.

و لا يخلو النسخ فى القرآن من أقسام ثلاثة: أحدها- نسخ حكمه دون لفظه- كآية العدة فى المتوفى عنها زوجها المتضمنة للسنة «1» فان الحكم منسوخ و التلاوة باقية. و كآية النجوى «2» و آية وجوب ثبات الواحد للعشرة «3». فان الحكم مرتفع، و التلاوة باقية. و هذا يبطل قول من منع جواز النسخ فى القرآن لأن الموجود بخلافه.

و الثانى- ما نسخ لفظه دون حكمه، كآية الرجم فان وجوب الرجم على المحصنة لا خلاف فيه، و الآية التى كانت متضمنة له منسوخة بلا خلاف و هى قوله: (و الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، فإنهما قضيا الشهوة جزاء بما كسبا نكالا من اللّه و اللّه عزيز حكيم.)

الثالث- ما نسخ لفظه و حكمه، و ذلک نحو ما رواه المخالفون من عائشة: أنه كان فيما أنزل اللّه ان عشر رضعات تحرمن، و نسخ ذلک بخمس عشرة فنسخت التلاوة و الحكم.

و أما الكلام فى شرائط النسخ، فما يصح منها و ما لا يصح و ما يصح أن ينسخ به القرآن، و ما لا يصح أن ينسخ به. و قد ذكرناه فى كتاب العدة- فى اصول الفقه- و لا يليق ذلک بهذا المكان.

و حكى البلخى فى كتاب التفسير فقال: (قال قوم- ليسوا ممن يعتبرون و لكنهم من الأمة على حال- ان الأئمة المنصوص عليهم- بزعمهم- مفوض اليهم نسخ القرآن و تدبيره، و تجاوز بعضهم حتى خرج من الدين بقوله: ان النسخ قد

---

(1) سورة البقرة. آية 240
(2) سورة المجادلة. آية 12
(3) سورة الانفال. آية 65

يجوز على وجه البداء و هو أن يأمر اللّه عز و جل عندهم بالشىء و لا يبدو له، ثم يبدو له فيغيره، و لا يريد فى وقت أمره به أن يغيره هو و يبدله و ينسخه، لأنه عندهم لا يعلم الشىء حتى يكون، إلا ما يقدره فيعلمه علم تقدير، و تعجرفوا فزعموا ان ما نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة) و أظن انه عنى بهذا أصحابنا الإمامية، لأنه ليس فى الأمة من يقول بالنص على الأئمة عليهم السلام سواهم. فان كان عناهم فجميع ما حكاه عنهم باطل و كذب عليهم، لأنهم لا يجيزون النسخ على أحد من الأئمة (ع) و لا احد منهم يقول بحدوث العلم. و انما يحكى عن بعض من تقدم من شيوخ المعتزلة- كالنظام و الجاحظ و غيرهما- و ذلک باطل. و كذلک لا يقولون: ان المتأخر ينسخ المتقدم إلا بالشرط الذى يقوله جميع من أجاز النسخ، و هو ان يكون بينهما تضاد و تناف لا يمكن الجمع بينهما، و اما على خلاف ذلک فلا يقوله محصل منهم.
و الوجه فى تكرير القصة بعد القصة فى القرآن، أن رسول اللّه (ص) كان يبعث الى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الأنباء و القصص مكررة، لوقعت قصة موسى الى قوم و قصة عيسى الى قوم، و قصة نوح الى قوم آخرين، فأراد اللّه بلطفه و رحمته أن يشهر هذه القصص فى أطراف الأرض و يلقيها فى كل سمع، و يثبتها فى كل قلب، و يزيد الحاضرين فى الافهام و تكرار الكلام من جنس واحد، و بعضه يجرى على بعض، كتكراره فى:
قل يا ايها الكافرون، و سورة المرسلات، و الرحمن فالوجه فيه، ان القرآن نزل بلسان القوم، و مذهبهم فى التكرار- ارادة للتوكيد و زيادة فى الافهام- معروف كما ان من مذهبهم الإيجاز و الاختصار ارادة للتخفيف. و ذلک أن افتنان المتكلم و الخطيب فى الفنون، و خروجه من شىء الى شىء، أحسن من اقتصاره من المقام على فن واحد. و قد يقول القائل: و اللّه لأفعله ثم و اللَّه لأفعله، إذا أراد التوكيد كما يقول: افعله بحذف اللام إذا أراد الإيجاز. قال اللّه تعالى: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 15
ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ»
«1» و قال: «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً» «2» و قال اللَّه تعالى: «أَوْلى لَکَ فَأَوْلى. ثُمَّ أَوْلى لَکَ فَأَوْلى» «3» و قال: «ما أَدْراکَ ما يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ ما أَدْراکَ ما يَوْمُ الدِّينِ» «4» كل هذا يراد به التوكيد. و قد يقول القائل لغيره: اعجل اعجل و للرامى ارم ارم قال الشاعر:
كم نعمةٍ كانت لكم كم كم و كم
و قال آخر:
هلا سألت جموع كن دة يوم و لوا اين أينا
و قال عوف بن الخزرج:

و كادت فزارةُ تَصلى بنا فاولى فزار فأولى فزار
فاما تكرار معنى واحد بلفظين مختلفين، كقوله: «الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» و قوله: «نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ» و النجوى هو السر، فالوجه فِيه ما ذكرنا من ان عادة القوم، تكرير المعنى بلفظين مختلفين، اتساعاً فى اللغة، كقول الشاعر.
كذباً و مينا. و هما بمعنى واحد و قول الآخر:
لمياء فى شفتيها حوة لعس و فى اللثات و فى أنيابها شنب
و اللمى: سواد فى الشفتين. و الحوة. و اللعس كلاهما سواد فى الشفتين و كرر لاختلاف اللفظ. و الشنب: تحزز فى الأنياب كالمنشار، و هو نعت لها. و رحمن و رحيم، سنبين القول فيهما فيما بعد. و قوله: «فَغَشَّاها ما غَشَّى» «5» و قوله:
«فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ» «6» و قوله: «وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ» «7» على

---

(1) سورة التكاثر. آية 3 و 4
(2) سورة الانشراح آية 5 و 6
(3) سورة القيامة آية 34 و 35
(4) سورة الانفطار آية 17 و 18
(5) سورة النجم آية 54
(6) سورة طه آية 78
(7) سورة الانعام. آية 38

ما قلناه من التوكيد، كما يقول القائل: كلمته بلسانى، و نظرت اليه بعينى، و يقال بين زيد و بين عمرو، و انما البين واحد. و المراد بين زيد و عمرو. و قال الشاعر أوس بن الحجر:
أ لم تكسف الشمس شمس النها ر مع النجم و القمر الواجب «1»
و الشمس لا تكون إلا بالنهار، فأكد.
ذكرنا هذه الجملة تنبيهاً عن الجواب عما لم نذكره، و لعلنا نستوفيه فيما بعد إذا جرى ما يقتضى ذكره و لو لا عناد الملحدين، و تعجرفهم، لما احتيج الى الاحتجاج بالشعر و غيره للشىء المشتبه فى القرآن، لأن غاية ذلک أن يستشهد عليه ببيت شعر جاهلى، او لفظ منقول عن بعض الاعراب، أو مثل سائر عن بعض أهل البادية. و لا تكون منزلة النبى (ص)- و حاشاه من ذلک- أقل من منزلة واحد من هؤلاء. و لا ينقص عن رتبة النابغة الجعدى، و زهير بن الكعب و غيرهم. و من طرائف الأمور ان المخالف إذا أورد عليه شعر من ذكرناه، و من هو دونهم سكنت نفسه، و اطمأن قلبه. و هو لا يرضى بقول محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب. و مهما شک الناس فى نبوته، فلا

مرية فى نسبه، و فصاحته، فانه نشأ بين قومه الذين هم الغاية القصوى فى الفصاحة، و يرجع اليهم فى معرفة اللغة. و لو كان المشركون من قريش و غيرهم وجدوا متعلقاً عليه فى اللحن و الغلط و المناقضة، لتعلقوا به، و جعلوه حجة و ذريعة الى إطفاء نوره و إبطال أمره، و استغنوا بذلک عن تکلف ما تکلفوه من المشاق فى بذل النفوس و الأموال. و لو فعلوا ذلک لظهر و اشتهر، و لکن حب الإلحاد و الاستثقال لتحمل العبادات، و الميل الى الفواحش أعماهم و أصمهم، فلا يدفع أحد من الملحدين- و ان جحدوا نبوته (ص)- انه اتى بهذا القرآن، و جعله حجةً لنفسه، و قرأه على العرب. و قد علمنا انه ليس بأدون الجماعة فى الفصاحة. و كيف يجوز ان يحتج بشعر الشعراء عليه، و لا يجوز أن يحتج بقوله عليهم و هل هذا إلا عناد محض، و عصبية صرف؟ و انما يحتج علماء

---

(1) الواجب: الغائب

الموحدين بشعر الشعراء و كلام البلغاء، اتساعاً فى العلم، و قطعاً للشغب، و ازاحه للعلة، و إلا فكان يجب ألا يلتفت الى جميع ما يطعن عليه، لأنهم ليسوا بان يجعلوا عياراً عليه بأولى من ان يجعل هو عليه السلام عياراً عليهم.

و روى عن ابن مسعود، انه قال: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، و العمل بهن.) و

روى انه استعمل على (ع) عبد اللّه بن العباس على الحج فخطب خطبة لو سمعها الترک و الروم لأسلموا.

ثم قرأ عليهم سورة النور- و روى سورة البقرة- ففسرها. فقال رجل: (لو سمعت هذا الديلم لأسلمت) و يروى عن سعيد بن الجبير، انه من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالاعجمى أو الاعرابى.

سمى اللَّه تعالى القرآن باربعة اسماء: سماه قرآناً فى قوله تعالى: «إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا» «1» و فى قوله: «شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» «2» و غير ذلک من الآى.
و سماه فرقاناً فى قوله تعالى: «تَبارَکَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَکُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً.» «3».
و سماه الكتاب فى قوله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً» «4».

---

(1) سورة الزخرف آية 3
(2) سورة البقرة آية 185 [.....]
(3) سورة الفرقان آية 1
(4) سورة الكهف آية 1
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 18
و سماه الذكر فى قوله: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» «1» و تسميته بالقرآن تحتمل أمرين: أحدهما- ما روى عن ابن عباس، انه قال: (هو مصدر قرأت قرآنا) أى تلوته، مثل: غفرت غفرانا، و كفرت كفرانا و الثانى- ما حكى عن قتادة، انه قال (هو مصدر قرأت الشىء إذا جمعت بعضه الى بعض) قال عمرو بن كلثوم
ذراعى عيطل «2» ادماء «3» بكر هجان«
اللون لم تقرأ جنينا
اى لم تضم جنينها فى رحمها. و قال قطرب فى معناه قولان أحدهما هذا و عليه اكثر المفسرين. و قال قولا آخر معناه لفظت به مجموعاً. و قال معنى البيت أيضاً أى لم تلقه مجموعاً و تفسير ابن عباس أولى، لأن قوله تعالى [ان علينا جمعه و قرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه] «5».
و الوجه المختار ان يكون المراد و إذا تلوناه عليک، و بيناه لک، فاتبع تلاوته و لو حملناه على الجمع- على ما قال قتادة- لكان يجب ألا يلزم اتباع آية آية من القرآن النازلة فى كل وقت، و كان يقف وجوب الاتباع على حين الجمع، لأنه علقه بذلک على هذا القول، لأنه قال: «فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ»
يعنى جمعناه على ما قالوه فاتبع قرآنه، و كان يقف وجوب الاتباع على تكامل الجميع، و ذلک خلاف الإجماع فالأول أولى.
فان قيل: (كيف يسمى القراءة قرآنا، و انما هو مقروء؟) قلنا: (سمى بذلک كما يسمى المكتوب كتاباً، بمعنى: كتاب الكاتب) قال الشاعر فى صفة طلاق كتبه لامرأته:

تؤمل رجعة منى و فيها كتابٌ مثل ما لصق الغراء
يعنى طلاقاً مكتوباً.

---

(1) سورة يوسف آية 12 و 63 و سورة الحجر آية 15
(2) عيطل: طويلة العنق
(3) ناقة ادماء: بيضاء
(4) بيضاء اللون
(5) سورة القيامة آية 17- 18

و تسميته بانه فرقان، لأنه يفرق بين الحق و الباطل. و الفرقان هو الفرق بين الشيئين. و انما يقع الفرق بين الحق و الباطل بادلته الدالة على صحة الحق، و بطلان الباطل.
و تسميته بالكتاب لأنه مصدر من قولک، كتبت كتابا، كما تقول قمت قياماً. و سمى كتاباً و انما هو مكتوب، كما قال الشاعر فى البيت المتقدم. و الكتابة مأخوذة من الجمع فى قولهم: كتبت السقاء إذا جمعته بالخرز قال الشاعر:
لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلوصک فاكتبها باسيار «1»
و الكتبة، الخرزة. و كلما ضممت بعضه الى بعض على وجه التقارب فقد كتبته. و الكتيب «2» من الجيش، من هذا، لانضمام بعضها الى بعض.
و تسميته بالذكر، يحتمل أمرين: أحدهما- انه ذكر من اللّه تعالى ذكر به عباده، فعرفهم فيه فرائضه، و حدوده. و الآخر- انه ذكر و شرف لمن آمن به و صدق بما فيه. كقوله [وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ] «3».
و أما السورة- بغير همز- فهى منزلته من منازل الارتفاع، و من ذلک سور المدينة سمى بذلک، الحائط الذى يحويها لارتفاعه عما يحويه، غير ان سور المدينة لم يجمع سوراً، و سورة القرآن تجمع سوراً. و هذه أليق بتسميته سور القرآن سورة. قال النابغة
ألم تر ان اللّه أعطاک سورة يرى كل ملک دونها يتذبذب
يعنى منزلة من منازل الشرف التى قصرت عنها الملوک.
و اما من همز السورة من القرآن، فانه أراد به القطعة التى انفصلت من القرآن، و أبقيت و سؤر كل شىء بقيته. يقال اسأرت فى الإناء أى أبقيت فيه قال الأعشى بن ثعلبة، يصف امرأة
فبانت و قد أسأرت فى الفؤا د صدعاً على نأيها مستطارا

---

(1) اسيارج سير: الجلد
(2) و الكتيبة
(3) سورة الزخرف آية 44

و تسمية الآية بأنها آية، يحتمل وجهين أحدهما- لأنها علامة يعرف بها تمام ما قبلها، و منه قوله تعالى [أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وَ آخِرِنا وَ آيَةً مِنْكَ] «1» يعنى علامة لاجابتک دعاءنا. و الآخر أن الآية القصة و الرسالة. قال كعب بن زهير
ألا أبلغا هذا المعرض آية أ يقظان قال القول إذا قال أم حلم
يعنى رسالة. فيكون معنى الآيات القصص، قصة تتلو قصة
روى واثلة بن الأصقع أن النبى [ص] قال [أعطيت مكان التوراة السبع الطول، و أعطيت مكان الزبور المئين، و أعطيت مكان الإنجيل، المثانى، و فضلت بالمفصل]
فالسبع الطول 1- البقرة 2- آل عمران 3- النساء 4- المائدة 5- الانعام 6- الاعراف 7- و يونس. فى قول سعيد بن جبير و روى مثل ذلک عن ابن عباس قال و سميت السبع الطوال، لطولها على سائر القرآن. و أما المئون، فهو كل سورة تكون مائة آية أو يزيد عليها شيئاً يسيراً، او ينقص عنها شيئاً يسيراً. و أما المثانى فهى ما ثنت المئين، فتلاها. فكان المئون لها أوائل، و كان المثانى لها ثوان و قيل انها سميت بذلک، لتثنية اللّه فيها الأمثال، و الحدود، و القرآن، و الفرائض و هو قول ابن عباس. و قال قوم [المثانى سورة الحمد، لأنها تثنى قراءتها فى كل صلاة] و به قال الحسن البصرى، و هو المروى فى أخبارنا قال الشاعر
حلفت بالسبع اللواتى طُوِّلت و بمئين بعده قد أمّيت
و بثمان ثُنيت و كررت و بالطواسين التى قد تليت
و بالحواميم التى قد سبّعت و بالمفصّل اللواتى فصلت
و سميت المفصل مفصلا، لكثرة الفصول بين سورها ببسم اللَّه الرحمن الرحيم و سمى المفصل محكما، لما قيل انها لم تنسخ. و قال اكثر اهل العلم [أول المفصل من سورة محمد [ص] الى سورة الناس] و قال آخرون (من ق، الى الناس) و قالت فرقة ثالثة- و هو المحكى عن ابن عباس- أنه من سورة الضحى الى الناس

---

(1) سورة المائدة آية 117

و كان يفصل من الضحى بين كل سورتين بالتكبير، و هو قراءة ابن كثير. و إن قيل: ما وجه الحكمة فى تفصيل القرآن على السور؟ قيل: فيه وجوه من الجواب.
أحدها- أن القارئ إذا خرج من فن الى فن كان احلى فى نفسه و أشهى لقراءته و منها- ان جعل الشىء مع شكله، و ما هو أولى به هو الترتيب الذى يعمل عليه و منها- أن الإنسان قد يضعف عن حفظ الجميع، فيحفظ سورة تامة و يقتصر عليها، و قد يكون ذلک سبباً يدعوه الى غيرها و منها- ان

التفصيل أبين، إذ كان الاشكال مع الاختلاط و الالتباس أكثر. و منها- ان كلما ترقى اليه درجة درجة و منزلة منزلة كانت القوة عليه أشد، و الوصول اليه أسهل و انما السورة منزلة يرتفع منها الى منزلة.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 22

1-سورة الفاتحة ..... ص : 22

روى عن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم أنه سماها أم القرآن، و فاتحة الكتاب و السبع المثانى
فسميت فاتحة الكتاب لأنه يفتتح بكتابتها المصاحف، و بقراءتها فى الصلاة، فهى فاتحة لما يتلوها من سور القرآن فى الكتابة و القراءة و سميت ام القرآن لتقدمها على سائر القرآن و تسمى العرب كل جامع أمراً، او متقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه أماً فيقولون للجلدة التى تجمع الدماغ أم الرأس، و تسمى لواء الجيش، و رايتهم التى يجتمعون تحتها أماً و من ذلک قول ذى الرمة:
و اسمر قوام إذا نام صحبتى خفيف الثياب لا توارى له إزار
على رأسه امّ لنا نقتدى بها جماع امور لا نعاصى له امرا
يصف راية معقودة على قناة يجتمع تحتها هو و صحبه و قيل: مكة ام القرى لتقدمها امام جميعها، و جميعها ما سواها و قيل: إنما سميت بذلک، لأن الأرض دحيت منها فصارت لجميعها أماً، و من ذلک قول حميد بن ثور الهلالى:
إذا كانت الخمسون أمک لم يكن لدائک إلا ان تموت طبيب
لأن الخمسين جامعة ما دونها من العدد، فسماها ام الذى بلغها و سميت السبع، لأنها سبع آيات- بلا خلاف فى جملتها- و سميت مثانى لأنها تثنى بها فى كل صلاة فرض و نفل، و قيل فى كل ركعة و ليس إذا سميت بأنها مثانى، منع ذلک تسمية غيرها بالمثانى، من سور المئين على ما مضى القول فيه و اتفق القراء على التلفظ بأعوذ باللّه من الشيطان الرجيم، قبل التسمية

و معنى ذلک، استجير باللَّه دون غيره، لأن الاستعاذة، هى الاستجارة التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 23
و قوله: من الشيطان. فالشيطان فى اللغة كل متمرد من الجن و الانس و الدواب، و لذلک قال اللَّه تعالى: «وَ كَذلِکَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ» «1» فجعل من الانس شياطين، كما جعل من الجن. و انما سمى المتمرد شيطاناً، لمفارقة أخلاقه و أفعاله، أخلاق جميع جنسه و بعده من الخير. و قيل: هو مشتق من قولهم شطنت دارى أى بعدت، و منه قول نابغة بنى ذبيان:
نأت سعاد «2» عنک نوىً شطون فبانت و الفؤاد بها رهين
و الشطون، البعيد فيكون شيطاناً على هذا: فيعالا من شطن على وزن بيطار و غيداق «3» قال امية بن أبى الصلت:
أيما شاطن «4» عصاه عكاه «5» ثم يلقى فى السجن و الأكباد «6»
و لو كان مشتقاً من شاط، لقال: شائط. و لما قال: شاطن، علم أنه مشتق من شطن، و الشطن الحبل و أما الرجيم فهو فعيل بمعنى مفعول كقولهم كف خضيب، و لحية دهين، و رجل لعين، يراد مخضوبة، و مدهونة، و ملعون و معنى المرجوم المشتوم فكل مشتوم بقول ردى فهو مرجوم و أصل الرجم الرمى بقول كان أو بفعل و منه قوله تعالى «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّکَ» «7» و يجوز أن يكون الشيطان رجيما لأن اللَّه طرده من سمائه و رجمه بالشهب الثاقبة.
و سورة الحمد مكية فى قول قتادة و مدنية فى قول مجاهد. و ليس فيها ناسخ و لا منسوخ.

---

(1) سورة الانعام آية: 112
(2) بسعاد
(3) شاب غيداق: ناعم، و الغيداق: الكريم [.....]
(4) الشاطن الخبيث. و الشيطان كل عات متمرد من انس أو جن أو دابة
. (5) عكاه: عقده
(6) الكبد الشدة الجمع أكباد
. (7) سورة مريم آية 46

[سورة الفاتحة (1): آية 1] ..... ص : 24

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (1)

- عندنا آية من الحمد و من كل سورة بدلالة إثباتهم لها فى المصاحف بالخط الذى كتب به المصحف، مع تجنبهم إثبات الأعشار و الأخماس كذلک و فى ذلک خلاف ذكرناه فى خلاف الفقهاء. و لا خلاف أنها بعض سورة النمل. فاما القراء فترک الفصل بين السور بالتسمية حمزة و خلف و يعقوب و اليزيدى إلا القرطى عن سجادة بن اللبان عن مدين و المعدل إلا السوسى من طريق ابن حبش و الباقون يفصلون بالتسمية إلا بين الانفال و التوبة، و عندنا أن من تركها فى الصلاة بطلت صلاته، لأن الصلاة عندنا لا تصح إلا بفاتحة الكتاب و هى من تمامها سواء كانت الصلاة فرضاً أو نافلة، و فيه خلاف ذكرناه فى خلاف الفقهاء و من قال انها ليست من القرآن قال إن اللَّه أدب نبيه و علمه تقديم ذكر اسم اللَّه أمام جميع أفعاله و أقواله ليقتدى به جميع الخلق فى صدور رسالاتهم و أمام حوائجهم قالوا و الدليل على أنها ليست من القرآن أنها لو كانت من نفس الحمد لوجب أن يكون قبلها مثلها لتكون إحداهما افتتاحاً للسورة حسب الواجب فى سائر السور و الاخرى أول آية منها، و هذا عندنا ليس بصحيح، لا ناقد بينا أنها آية من كل سورة و مع هذا لم يتقدمها غيرها، على أنها لا يمتنع أن تكون من نفس التلاوة و إن تعبدنا باستعمالها فى استفتاح جميع أموره، و من قال إن قوله «الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» بعد قوله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» يدل على أن التى افتتح بها ليست من الحمد و إلا كان يكون ذلک تكراراً بلا فصل شىء من الآيات قبل ذلک و ليس بموجود فى شىء من القرآن فقوله باطل لأنه قد حصل الفصل بقوله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» «1» و قد ورد فى مثله فى: قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ، لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ، وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ، وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ، وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ» «2»

---

(1) سورة الحمد آية 1

(2) سورة الكافرون بتمامها

و كرر آيتين بلفظ واحد فصل بينهما بآية واحدة و قد ذكرنا الأدلة على صحة ما.

ذهبنا اليه فى خلاف الفقهاء و من جعلها آية جعل من قوله: «صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ الى آخرها آية. و من لم يجعلها كذلک جعل: صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ آية و عندنا انه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة، و يستحب الجهر بها فيما لا يجهر فيه.

و قوله تعالى «بِسْمِ اللَّهِ» يقتضي فعلا تتعلق به الباء، و يجوز أن يكون ذلک الفعل قوله أبدأ أو أقرأ بسم اللّه أو شبهه، أو قولوا بسم اللّه، و لم يذكر لدلالة الكلام عليه، و حذفت الألف فى اللفظ لأنه ألف الوصل تسقط فى الدرج و حذفت هاهنا وحدها فى الخط لكثرة الاستعمال و لا تحذف فى قوله تعالى «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ» «1» و قوله «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ» و ما أشبه ذلک لقلة استعمالها هناک و ذكر ابو عبيدة ان (اسم) صلة و المراد هو اللّه الرحمن الرحيم، و اعتقد قوم لأجل ذلک ان الاسم هو المسمى و استدلوا بقول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما و من يبک حولا كاملا فقد اعتذر

قال و معناه السلام عليكما، فاسم السلام هو السلام، و هذا خطأ عظيم ذكرناه فى شرح الجمل فى الأصول و معنى قول الشاعر ثم اسم السلام انه أراد به اسم اللّه تعالى لأن السلام من اسماء اللّه فى قوله «السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ» و هذا كما

قال عليه السلام (لا تسبوا الدهر، فان اللّه هو الدهر)

اى ان اللّه هو الفاعل لما تضيفونه الى الدهر، و تسبونه لأجله و نظير ذلک ايضاً قول القائل إذا سمع غيره يشتم زيداً و هو يريد عمرواً «2» (زيد فى هذا المكان هو عمرو) اى هو المراد بالشتم دون زيد و يحتمل ان يكون أراد اسم الله عليكما اى الزماه، و انما رفع لأنه اخّر (عليكما كما قال الشاعر:

---

(1) سورة العلق آية 1

(2) عمرو لا تقبل الواو فى حالة التنوين بالفتح

يا ايها الماتح «1» دلوى دونكا انى رأيت الناس يحمدونكا

و المراد، دونک دلوى، فكيف يكون الاسم هو المسمى و قد يعرف الاسم من لا يعرف المسمى، و الاسم يكون مدركا و ان لم يدرک المسمى، و الاسم يكتب فى مواضع كثيرة و المسمى لا يكون إلا فى موضع واحد، و لو كان الاسم هو المسمى، لكان إذا قال القائل «نار» احترق لسانه و إذا قال «عسل» وجد الحلاوة فى فمه، و ذلک تجاهل، و من قال: «إن ذلک تسمية و ليس ذلک باسم» قوله باطل، لأن القائل لو قال: أكلت اسم العسل، لكان جاهلا. و قال يقوم:

إن (اسم) ليس بصلة، و المراد ابتدئ بتسمية اللّه، فوضع الاسم موضع المصدر و يكون موضع (بسم) نصباً. قالوا لأن العرب تجرى المصادر المبهمة على اسماء مختلفة، كقولهم: أكرمت فلاناً كرامة، و اهنت فلاناً

هواناَ، و كلمته كلاما و كان يجب ان يكون: أكرمته إكراماَ و أهنته اهانة و كلمته تكليما و منه قول الشاعر:
أ كفراً بعد رد الموت عنى و بعد عطائک المائة الرتاعا «2»
و قال آخر:
فان كان هذا البخل منک سجية لقد كنت فى طول رجائک اشعبا «3»
أراد فى اطالتى رجاک فيكون على هذا تقدير الكلام: أقرأ مبتدئا بتسمية اللّه، و ابتدئ قراءتى بسم اللّه. فجعل الاسم مكان التسمية، و هذا أولى، لأن المأمور ان يفتتح العباد أمورهم بتسمية اللّه، لا بالخبر عن عظمته و صفاته، كما أمروا بالتسمية على الذبائح و الصيد، و الأكل، و الشرب. و كذلک أمروا بالتسمية عند افتتاح تلاوة تنزيل اللّه تعالى، و لا خلاف أن القائل لو قال عند الذباحة: باللّه و لم يقل: باسم اللّه لكان مخالفاً للمأمور.

و الاسم مشتق من السمو و هو الرفعة و الأصل فيه سمو بالواو، و جمعه اسماء

---

(1) اسم فاعل من متح. متح الماء كمنع نزعه
(2) صفة الإبل
، (3) اسم رجل يضرب المثل بشدة حرصه و طمعه
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 27
مثل قنووا قناء، و حنووا حناء. و إذا صغرته قلت سمى، قال الراجز:
باسم الذى فى كل سورة سمه
و السمة ايضاً- ذكره ابو زيد و غيره. و قيل انه مشتق من وسمت و ذلک غلط لأن ما حذفت واو الفعل منه لا يدخله الف الوصل: نحو عدة و وعد، و زنه و وزن. لما حذفت الفاء لم تدخل عليه الالف. و ايضاً كان يجب، إذا صغر ان يرد الواو فيقال: و سيم، كما يقال وعيدة و و زينة و وصيلة فى تصغير عدة و زنة و صلة. و الامر بخلافه. و حكى عن ابن كيسان انه قال: انه لقب فلذلک ابتدئ به و اتبع بالرحمن لأنه يختصه ثم بالرحيم لأنه يشاركه فيه غيره. و الصحيح انه ليس بلقب لأن اللقب انما يجوز على من تجوز عليه الغيبة و الحضور و هما لا يجوزان عليه و لأنه يمكن وصفه بصفة لا يشاركه فيها غيره. و لا معنى للقب لأنه عيب و الصحيح انه اسم مقيد لكنه لا يطلق إلا عليه تعالى. و قيل فى معناها قولان:
أحدهما- ان أصله لاه كما قال الشاعر:
كحلقة من أبى رياح يسمعها لاهه الكبار
فادخل عليه الالف و اللام.
و الثانى:
ان أصله إله فأدخلت عليه الالف و اللام ثم خففت الهمزة و أدغمت احدى اللامين فى الاخرى فقيل: اللّه. و إله معناه يحق له العبادة، و انما يحق له العبادة، لأنه قادر على خلق الأجسام و إحيائها، و الانعام عليها، بما يستحق به العبادة و لذلک يوصف فيما لم يزل بانه إله و لا يجوز أن يكون إلهاً للاعراض، و لا للجوهر لاستحالة ان ينعم عليها بما يستحق به العبادة، و هو إله الأجسام: حيوانها، و جمادها لأنه قادر على ان ينعم على كل جسم بما معه العبادة، و ليس الاله من يستحق العبادة، لأنه لو كان كذلک لما وصف فيما لم يزل بانه إله، لأنه لم يفعل الانعام الذى يستحق به العبادة، و من قال: انه إله للجماد، فقد أخطأ لما قلناه من انه عبارة عمن يستحق العبادة، و هو انه قادر على اصول النعم التى يستحق بها التبيان فى تفسير القرآن،

العبادة دون إن يكون عبارة عمن يستحق العبادة و لا يجوز ان يوصف بهذه الصفة غير اللّه. و فى الناس من قال انه مشتق من الاله، لأن الخلق يألهون اليه: أى يفزعون اليه فى أمورهم، فقيل للمألوه: إله كما قيل للمؤتم: إمام. و قال بعضهم انه مشتق من الولهان، و هذا غلط، لأن الولهان: الهيمان، و ذلک لا يجوز فى صفات اللّه تعالى. على ان التصريف بلزوم الهمزة يشهد بفساد هذا على ما قاله آخرون. و قال قوم هو مشتق من الألوهية، التى هى العبادة. يقال فلان متأله أى متعبد، قال رؤية
لله در الغانيات المدّه «1» لما رأين حليى المموه
سبحن و استرجعن من تألهى
أى من تعبدى. قرأ ابن عباس (وَ يَذَرَکَ وَ آلِهَتَکَ «2» يعنى عبادتک.
و يقال أله الله فلان إلهه كما يقال عبده عبادة. و قيل انه مشتق من الارتفاع يقول العرب للشىء المرتفع لاه. يقولون طلعت لاهة أى الشمس و غربت أيضاً و قيل وصف به تعالى لأنه لا تدركه الأبصار و معنى لاه: أى احتجب عنا قال الشاعر:
لاه ربى عن الخلائق طراً خالق الخلق لا يرى و يرانا
و قيل سمى الله، لأنه يوله القلوب بحبه.
«الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» «الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»

- هما اسمان مشتقان من الرحمة و هى النعمة التى يستحق بها العبادة و هما موضوعان للمبالغة، و فى رحمان خاصة مبالغة يختص الله بها، و قيل ان تلك المزية من حيث فعل النعمة التى يستحق بها العبادة، لا يشاركه فى هذا المعنى سواه.
و الأصل فى باب فعل يفعل و فَعِل يفعِل ان يكون اسم الفاعل فاعلا فان أرادوا المبالغة حملوا على فعلان و فعيل كما قالوا غضب فهو غضبان و سكر فهو

---

(1) المده ج مادة و هو المادح
(2) سورة الاعراف آية 126
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 29
سكران إذا امتلأ غضباً و سكراً. و كذلک قالوا: رحم فهو رحمان و خصوه به تعالى لما قلناه. و كذلک قالوا علم فهو عليم و رحم فهو رحيم و على هذا الوجه لا يكونان للتكرار، كقولهم ندمان و نديم بل التزايد فيه حاصل و الاختصاص فيه بيَّن. و قيل فى معنى الرحيم: لا يكلف عباده جميع ما يطيقونه فان الملک لا يوصف بانه رحيم، إذا كلف عبيده جميع ما يطيقونه. ذكره ابو الليث و انما قدم الرحمن على الرحيم لأن وصفه بالرحمن بمنزلة الاسم العلم، من حيث لا يوصف به إلا الله تعالى فصار بذلک كاسم العلم فى انه يجب تقديمه على صفته.
و ورد الأثر بذلک روى ابو سعيد الخدرى عن النبى (ص) ان عيسى بن مريم قال: الرحمن رحمن الدنيا و الرحيم رحيم الآخرة.
و روى عن بعض التابعين انه قال: الرحمن بجميع الخلق و الرحيم بالمؤمنين خاصة
و وجه عموم الرحمن بجميع الخلق هو انشاؤه إياهم و جعلهم احياء قادرين و خلقه فيهم الشهوات، و تمكينهم من المشتهيات، و تعريضهم بالتكليف لعظيم الثواب، و وجه خصوص الرحيم بالمؤمنين، ما فعل اللّه تعالى بهم فى الدنيا من الألطاف التى لم يفعلها بالكفار، و ما يفعله بهم فى الآخرة من عظيم الثواب، فهذا وجه الاختصاص. و حكى عن عطاء أنه قال: الرحمن كان يختص اللّه تعالى به فلما تسمى مسيلمة بذلک صار الرحمن الرحيم مختصيّن به تعالى، و لا يجتمعان لأحد و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لأن تسمى «1» مسيلمة بذلک لا يخرج الاسم من أن يكون مختصاً به تعالى، لأن المراد بذلک استحقاق هذه الصفة و ذلک لا يثبت لأحد، كما أنهم سمو أصنامهم آلهة و لم يخرج بذلک من أن يكون الاله صفة يختص بالوصف به.

و قال بعضهم إن لفظة الرحمن ليست عربية، و انما هى ببعض اللغات كقوله تعالى «بِالْقِسْطاسِ» فإنها بالرومية و استدل على ذلک بقوله تعالى: «قالُوا وَ مَا الرَّحْمنُ أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا» «2» إنكاراً منهم لهذا الاسم، حكى ذلک عن تغلب، و الصحيح

---

(1) و فى نسخة تسمية [.....]
(2) سورة الفرقان آية 6.

انه معروف و اشتقاقه من الرحمة، على ما بينا.
قال الشنفرى:
ألا ضربت تلک الفتاة هجينها ألا ضرب الرحمن، ربى، يمينها
و قال سلامة بن جندل الطهورى:
عجلتم عليه قد عجلنا عليكم و ما يشأ الرحمن يعقد و يطلق
و حكى عن أبى عبيدة انه قال: رحمن: ذو رحمة، و رحيم معناه انه راحم و كرر لضرب من التأكيد كما قالوا ندمان و نديم) و انما قدم اسم اللّه لأنه الاسم الذى يختص به من يحق له العبادة و ذكر بعده الصفة و لأجل ذلک أعرب باعرابه، و بدأ بالرحمن لما بينا ان فيه المبالغة. و ما روى عن ابن عباس من انهما اسمان رقيقان أحدهما ارق من الآخر. فالرحمن الرقيق، و الرحيم العطاف على عباده بالرزق محمول على انه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل و بالنعمة بعد النعمة لأنه تعالى لا يوصف برقة القلب. و دلت هذه الآية على التوحيد لأن وصفه بالرحمن يقتضى مبالغة فى الوصف بالرحمة على وجه يعم جميع الخلق و ذلک لا يقدر عليها غير اللّه القادر لنفسه، و ذلک لا يكون إلا واحداً، و لأن وصفه بالالهية يفيد انه تحق له العبادة و ذلک لا يكون إلا للقادر للنفس و هى تدل على العدل لأن وصفه بالرحمة التى وسعت كل شىء، يعم كل محتاج الى الرحمة من مؤمن و كافر و طفل و بالغ من كل حى، و ذلک يبطل قول المجبرة الذين قالوا ليس للّه على الكافر نعمة و لأنها صفة مدح تنافى وصفه بانه يخلق الكفر فى الكافر ثم يعذبه عليه لان هذا صفة ذم.

اشارة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (2)

- اجمع القراء على ضم الدال من الحمد و كسر اللام الاولى من للَّه و كان يجوز أن يفتح الدال مع كسر اللام و يكسر الدال و اللام «1» لكن لم يقرأ به إلا أهل البوادى. و من نصب فعلى المصدر. و من كسرهما اتبع كسرة الدال كسرة

---

(1) و بضمهما

اللام و من ضمهما اتبع ضم الدال بضمة اللام «1».

و نصب الدال لغة فى قريش و الحارث بن اسامة بن لؤى. و كسرها لغة فى تميم و غطفان. و ضمها لغة فى ربيعة توهموا انه حرف واحد مثل الحلم. و قوله:

لله مخفوض بالاضافة و رب العالمين «2» مخفوض لأنه نعت و يجوز نصبه على الحال و النداء و ما قرئ به. و العالمين مخفوض بالاضافة و نونها مفتوحة لأنها نون الجمع فرقاً بينها و بين نون التثنية. و بعض قيس يحذف الالف التى قبل الهاء و يخلس الهاء و يشددها و يقصرها. انشد بعضهم:

ألا لا بارک اللّٰه فى سهيل إذا ما بارک اللّٰه فى الرجال

اختلس الاولى و أشبع الثانية. و لا يقرأ بهذا.

و معنى الحمد للَّه الشكر للَّه خالصاً دون سائر ما يعبد بما أنعم على عباده من ضروب النعم الدينية و الدنياوية «3» و قال بعضهم: الحمد للّه ثناء عليه بأسمائه و صفاته و قوله الشكر للَّه ثناء على نعمه و أياديه، و الأول أصح فى اللغة، لأن الحمد و الشكر يوضع كل واحد منهما موضع صاحبه. و يقال أيضاً: الحمد لله شكراً فنصب شكراً على المصدر، و لو لم يكن فى معناه لما نصبه، و دخول الألف و اللام فيه لفائدة الاستيعاب، فكأنه قال جميع الحمد لله، لأن التالى مخبر بذلک، و لو نصبه فقال حمداً لله أفاد أن القائل هو الحامد فحسب و ليس ذلک المراد، و لذلک اجتمعت القراء على ضم الدال على ما بيناه، و التقدير: قولوا الحمد لله. و إذا كان الحمد هو الشكر، و الشكر هو الاعتراف بالنعمة على ضرب من التعظيم فالمدح ليس من الشكر فى شىء و انما هو القول المنبئ عن عظم حال الممدوح مع القصد اليه.

و أما الرب فله معان فى اللغة: فيسمى السيد المطاع رباً، قال لبيد بن ربيعة:

فاهلكن يوماً رب كندة و ابنه و رب معد بين خبت «4» و عرعر «5»

---

(1) و اتبع ضم اللام بضم الدال- لعله الأصح
(2) العالمين زائدة
(3) دنيوية و الألف زائدة. لأن الواو قلبت عنها
(4، 5) خبت و عرعر موضعان

يعنى سيد كندة. و منه قوله تعالى: «أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْراً» يعنى سيده و يسمى الرجل المصلح رباً، قال الفرزدق بن غالب:
كانوا كسالئة «1» حمقاء إذ حقنت سلائها فى أديم غير مربوب
يعنى غير مصلح و منه قيل فلان رب ضيعة إذا كان يحاول إتمامها. و الربانيون من هذا من حيث كانوا مدبرين لهم. و اشتق رب من التربية يقال ربيته و ربيته بمعنى واحد و الربىّ الشاة ولدت حديثاً لأنها تربى. و قوله «رَبِّ الْعالَمِينَ» أى المالك لتدبيرهم. و المالك للشىء يسمى ربه و لا يطلق هذا الاسم إلا على اللّه، و أما فى غيره فبقيد فيقال: رب الدار و رب الضيعة. و قيل انه مشتق من التربية و منه قوله تعالى: «وَ رَبائِبُكُمُ اللَّاتِى فِى حُجُورِكُمْ» و متى قيل فى الله انه رب بمعنى انه سيد فهو من صفات ذاته. و إذا قيل بمعنى انه مدبر مصلح فهو من صفات الأفعال و العالمين جمع عالم و عالم لا واحد له من لفظه كالرهط و الجيش و غير ذلک، و العالم فى عرف اللغة عبارة عن الجماعة من العقلاء لأنهم يقولون جاءنى عالم من الناس و لا يقولون جاءنى عالم من البقر و فى عرف الناس عبارة عن جميع المخلوقات و قيل انه ايضاً اسم لكل صنف من الأصناف و أهل كل زمن من كل صنف يسمى عالماً و لذلک جمع. و قيل عالمون لعالم كل زمان. قال العجاج:
فخندف «2» هامة هذا العالم
و هذا قول اكثر المفسرين كابن عباس و سعيد بن جبير و قتادة و غيرهم.
و اشتقاقه من العلامة لأنه علامة و دلالة على الصانع تعالى. و قيل انه من العلم- على ما روى ابن عباس- قال هم صنف من الملائكة و الانس و الجن لأنه يصح ان يكون كل صنف منهم عالماً. فان قيل كيف يجوز ان يقول الحمد لله و القائل هو الله تعالى و ان «3» كان يجب ان يقول الحمد لنا. قيل العالى الرتبة إذا خاطب من دونه لا يقول كما يقول للنظير. ألا ترى ان السيد يقول لعبده الواجب ان تطيع سيدک و لا

---

(1) سلأ السمن: عالجه
(2) لقب أولاد الياس بن مضر
(3) و كان يجب

تعصيه، و كذلک يقول الأب لابنه يلزمک أن تبر أباک و المنة لأبيک. و الخلفاء

يكتبون عن أنفسهم إن أمير المؤمنين رأى كيت و كيت ليقع ذلک موقع إجلال و إكرام و إعظام. على انا قد بينا ان المراد بذلک: قولوا الحمد للّه، و حذف لدلالة الكلام عليه.

الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (3)
آية. مخفوضان لأنهما نعت للّه و قد مضى معناهما»
قوله:

اشارة

مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)
- آية

- قرأ عاصم و الكسائى و خلف و يعقوب: مالک بالألف. الباقون ملک بغير الف، و لم يمل أحد الف مالک، و کسر جميعهم الکاف. و روى عن الأعمش، انه فتحها على النداء، و ربيعة بن نزار يخففون مالک و يسقطون الألف، فيقولون:
ملک بتسکين اللام و فتح الميم کما قال ابو النجم.
تمشى الملک عليه حلله.
و الألف ساقط فى الخط فى القراءتين و المعول على الأولتين دون النصب و إسکان اللام و معنى ملک يوم الدين بإسقاط الألف أنه الملک يومئذ لا ملک غيره و أنه لا يؤتى فى ذلک الوقت أحداً الملک کما أتاه فى الدنيا، و قوى ذلک بقوله تعالى:
«لِمَنِ الْمُلْکُ الْيَوْمَ؟ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ» «2» و بانه يطابق ما تقدم من قوله: «رَبِّ الْعالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» و من قرأ مالک بالف معناه انه مالک يوم الدين و الحساب لا يملکه غيره و لا يليه سواه.

_____

(1) فى تفسير البسملة
(2) سورة غافر: آية 16

و المالک هو القادر على التصرف فی ماله، و أن یتصرف فیه على وجه لیس لأحدٍ منعه منه، و یوصف العاجز بأنه مالک من جهة الحکم. و الملک هو القادر الواسع القدرة الذی له السیاسة و التدبیر، و یقال ملک بیِّن الملک مضمومة المیم، و مالک بیِّن الملک و الملک بفتح المیم و کسرها، و ضم المیم فیه لغة شاذة ذکرها ابو على الفارسی.
و یقال طالت مملکة الأمیر و مملکته بکسر اللام و فتحها و طال مُلکه و مَلکه إذا طال رقه، و اعطانی من ملکه و ملکه، و لی فی هذا الوادی ملک و مَلک و مِلک. و یقال نحن عبید مملکة و لیس بعبید قن ای سبیاً لم یملک فی الأصل، و یقال: شهدنا أملاک فلان و ملکه، و لا یقال ملاکه، فأصل الملک الشد من قول الشاعر:
ملکت بها کفی و أنهرت «1» فقعها «2»
ای شددت. و ملکت العجین ای شددت عجنه. و یقال: هذا ملک فلان إذا کان له التصرف فیه على ما بیناه. فأمّا من رجح قراءة ملک من حیث انه وصف نفسه بأنه ملک کل شیء بقوله: «رَبِّ الْعالَمِینَ» فلا فائدة فی تکریر ما قد مضی فقد ابعد لأن فی القرآن له نظائر تقدّمها العام و ذکر بعد العام الخاص: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ «3»» فعمَّ فی الأول ثم خص ذکر الإنسان تنبیهاً على تأمل ما فیه من إتقان الصنعة و وجوه الحکمة، کما قال: «وَ فِی أَنْفُسِکُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ؟ «4»» و لذلک نظائر کثیرة.
و فی الناس من قال إن ملک ابلغ فی المدح من مالک، لأن کل ملک مالک و لیس کل مالک ملکاً. و قال تغلب: إن مالک ابلغ من ملک لأنه قد یکون الملک على من لا یملک، کما یقال ملک الروم و ان کان لا یملکهم و لا یکون مالکا إلا

---

(1) انهر وسع و الصحیح فأنهرت
(2) الصحیح فتقها. قاله قیس بن الخطیم
(3) سورة العلق. آیة 1 و 2 [.....]
(4) سورة الذاریات آیة 21

على ما یملک. و قال بعضهم: ان مالک أبلغ فی المدح للخالق من ملک. و ملک أبلغ فی مدح المخلوقین من مالک، لأن مالک من المخلوقین قد یکون غیر ملک. و إذا کان الله تعالى مالکا کان ملکا. و الأقوى أن یکون مالک أبلغ

فى المدح فيه تعالى، لأنه ينفرد بالملک و يملک جميع الأشياء فكان أبلغ.
و قوله تعالى: «يَوْمِ الدِّينِ»

- مجرور بالاضافة فى القراءتين معاً، و هو من باب يا سارق الليلة أهل الدار. اتسع فى الظرف فنصب. نصب المفعول به ثم أضيف على هذا الحد و ليس ذلک مثل قوله: «وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» مفعول بها «1» على الحقيقة، و لا أن جعل الظرف مفعولا على السعة، لأن الظرف إذا جعل مفعولا على السعة فمعناه معنى الظرف. و لو جعل ظرفاً لكان المعنى: يعلم فى الساعة. و ذلک لا يجوز لأنه تعالى يعلم فى كل وقت و المعنى: انه يعلم الساعة أى يعرفها. و من نصب انما هرب ان يخرج من خطاب الغائب الى المواجه فى قوله «إِيَّاکَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاکَ نَسْتَعِينُ.»
و ليس ذلک ببديع، لأنه مستعمل فى القرآن و فى الشعر.
قال الله تعالى: «حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ» «2» فعدل عن خطاب المواجه الى الكناية عن الغائب. و قال الشاعر:
كذبتم و بيت الله لا تنكحونها بنى شاب قرناها تصر «3» و تحلب
و قال ابو كثير الهلالى:
يا لهف نفسى، كان جدة خالد و بياض وجهک للتراب الأعفر
و قال لبيد بن ربيعة:
قامت «4» تشكىَّ إلىَّ النفس مجهشة «5» و قد حملتک سبعاً بعد سبعينا
فرجع الى مخاطبة نفسه، و قد تقدم الاخبار عنها.

---

(1) به
. (2) سورة يونس: آية 23
(3) صر الناقة يصرها- بالضم- صراً شد ضرعها- القاموس القرن: الضفيرة
(4) باتت
(5) موهنة- العقد الفريد. مجهشة- لسان العرب

و قال الكسائى التقدير: قولوا إياک نعبد. فيكون على حكاية ما أمروا به.

و الدين الحساب، و الدين الجزاء ايضاً. قال كعب بن جعيل:
إذا ما رمونا رميناهم و دناهم فوق ما يقرضونا
و قال آخر:
و اعلم و أيقن ان ملک زائل و اعلم بأنک ما تدين تدان
يعنى: ما تجزى تجزى. و منه قوله تعالى: «كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ» يعنى بالجزاء. و قوله: «فَلَوْ لا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ» أى غير مجزيين. و بهذا قال جماعة من التابعين كسعيد بن جبير و قتادة. و روى عن ابن عباس و مجاهد و أبى جعفر:
انه الحساب. و الدين ايضاً الطاعة. و قال عمرو بن كلثوم:
و ايام لنا غر طوال عصينا الملک فيها ان ندينا
و الدين الملک قال زهير:
لئن حللت بجو فى بنى أسد فى دين عمرو و حالت بيننا فدک
و الدين القهر و الاستعلاء قال الأعشى:
هو دان الرباب إذ كرهوا الدين دراكا بغزوة و صقال «1»
يعنى ذللهم للطاعة. و الدين العادة، قال المثقب العبدى:
تقول و قد درأت لها وضينى أ هذا دينه ابداً و دينى

و «يَوْمِ الدِّينِ» عبارة عن زمان الجزاء كله، و ليس المراد به ما بين المشرق و المغرب و طلوع الشمس الى غروبها

---

(1) و ارتحال، و فى مجمع البيان: و صيال

[سورة الفاتحة (1): آية 5] ..... ص : 37

اشارة

إِيَّاکَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاکَ نَسْتَعِينُ (5)
- آية

إياک نصب بوقوع الفعل عليه و موضع الكاف فى إياک خفض باضافة إيا اليها و إيا اسم للضمير المنصوب، إلا انه ظاهر يضاف الى سائر المضمرات نحو قوله:
إياک ضربت و إياه ضربت، و إياى ضربت و لو قلت: إيا زيد حدثت، كان قبيحاً، لأنه خص به المضمر و قد روى الخليل جوازه، و هو قولهم: إذا بلغ الرجل الستين فإياه و إيا الشواب «1» و قال الأخفش لا موضع للكاف من الاعراب، لأنها حرف الخطاب و هو قول ابن السراج و اختاره الرمانى، لأن المضمر معرفة تمتنع من الاضافة كما تمتنع من الصفة و حملوا ما رواه الخليل على الشذوذ و لو قلت نعبد إياک لم يجز لأنک تقدر على ضمير متصل بان تقول نعبدک فلا يجوز ان تأتى بضمير منفصل، و لأنه لو أخر لكان قد قدم ذكر العابد على المعبود، و ليس بجيد و من قال إن إياک بكماله اسم فقد أخطأ لأنه لو كان كذلک لما أضيف، كما حكيناه فى قولهم إياه و إيا الشواب، لأنهم اجروا الهاء فيه مجرى الهاء فى عصاه و النون مفتوحة من نعبده و قد روى عن يحيى بن وثاب، انه كان يكسرها و هى لغة هذيل، يقولون نعلم و تعلم و اعلم و تخاف و تقام و تنام فيكسرون أوائل هذه الحروف كلها و لا يكسرون الياء، و لا فى يستفعل و يفتعل فلا يقولون يبيض و يطمس- بكسر الياء- بل يفتحونها و الدال و النون مرفوعان، لان فى أوله أحد الزوايد الأربع فاعربا

و العبادة ضرب من الشكر، مع ضرب من الخضوع و لا تستحق إلا بأصول

---

(1) امرأة شابة و نسوة شواب

النعم التى هى خلق الحياة و القدرة و الشهوة و ما يقدر من النعم لا يوازيه نعمة منعم فلذلک اختص اللَّه بأن يعبد، و ان استحق بعضنا على بعض الشكر و العبادة فى اللغة الذلة، يقال هذا طريق معبد إذا كان مذللا بكثرة الوطء و بعير معبد اى مذلل بالركوب، و قيل أصله إذا طلى بالقطران، و سمى العبد عبداً لذلته لمولاه، و من العرب من يقول: هيّاک، فيبدل الألف هاء كما يقولون: هيه و ايه.

و نستعين اى نطلب منک المعونة على طاعتک و عبادتک. و أصله نستعون لأنه من المعونة فقلبت الواو ياء لثقل الكسرة عليها و نقلت كسرتها الى العين قبلها و بقيت الياء ساكنة، و التقدير فى أول السورة الى هاهنا، اى قل يا محمد هذا الحمد.

و هذا كما قال: وَ لَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، رَبَّنا أَبْصَرْنا «1» اى: يقولون ربنا. و كما قَال: «وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ» اى: يقولون سلام عليكم. و حمزة و الكسائى إذا وقفا اشما الدال الرفع، و كذلک فى سائر القرآن، فاما إذا وقفا على النصب، تخير الكسائى الإشمام، و تركه أجود.

و من استدل بهذه الآية على أن القدرة مع الفعل من حيث إن القدرة لو كانت متقدمة لما كان لطلب المعونة وجه إذا كان اللَّه قد فعلها فيه فقد اخطأ لأن الرغبة فى ذلک تحتمل أمرين:

أحدهما- ان يسأل اللَّه تعالى من الطافه، و ما يقوى دواعيه و يسهل الفعل عليه ما ليس بحاصل، و متى لطف له بأن يعلمه أن له فى عاقبة الثواب العظيم و المنازل الجليلة زاد ذلک فى نشاطه و رغبته.

و الثّانى- ان يطلب بقاء كونه قادراً على طاعاته المستقبلة بأن يجدد له القدرة حالًا بعد حال عند من لا يقول ببقائها او لا يفعل ما يضادها و ينفيها عند من قال ببقائها. فان قيل هلّا قدم طلب المعونة على فعل العبادة لأن العبادة لا تتم إلّا بتقدم المعونة أولا؟ قيل: فى الناس من قال المراد به التقديم و التأخير، فكأنه قال: إياک نستعين و إياک نعبد، و منهم من قال: ليس يتغير بذلک المعنى، كما إن

---

(1) سورة الم السجدة آية 12

القائل إذا قال أحسنت الى فقضيت حاجتى او قضيت حاجتى فأحسنت الى، فان فى الحالين المعنى واحد. قال قوم انهم سألوا المعونة على عبادة مستأنفة لا على عبادة واقعة منهم، و انما حسن طلب المعونة، و ان كان لا بد منها مع التكليف على وجه الانقطاع اليه كما قال: «رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ». و لأنه قد لا يكون فى ادامته التكليف اللطف و لا فى فعل المعونة به الا بعد تقدم الدعاء من العبد، و انما كرر إياک لأن الكاف التى فيها هى كاف الضمير التى كانت تكون بعد الفعل فى قوله نعبدک، فلما قدمت، زيد عليها أيا لأن الاسم إذا انفرد لا يمكن ان يكون على حرف واحد فقيل إياک و لما كانت الكاف يلزم تكرارها لو كرر الفعل وجب مثل ذلک فى إياک. الا ترى انه لو قال نعبدک و نستعينک و نستهديک لم يكن بد من تكرير الكاف، و كذلک لو قدم فقيل إياک نعبد و إياک نستعين، و فيه تعليم لنا ان نجدد ذكره عند كل حاجة و من قال انه يجرى مجرى قول عدى بن زيد العبادى:

و جاعل الشمس مصراً «1» لا خفاء به بين النهار و بين الليل قد فصلا

و كقول اعشى همدان:

بين الأشج و بين قيس باذخ بخ بخ لوالده و للمولود

فكرر لفظ بين فقد اخطأ لأن فى البيتين لو لم تكرر بين لكان الفعل مستحيلا الا ترى انه لو قال الشمس قد فصلت بين النهار لم يكن كلاماً صحيحاً و كذلک البيت الآخر و ليس كذلک الآية، لأنه لو قال إياک نعبد و سكت لكان مستقلّا بنفسه و لهذا طعن به بعض المفسرين. و عندى ان هذا ليس بطعن، لأنه مغالطة لأنه لو قال بين النهار و الليل لكان كلاماً صحيحاً و انما كرر بين و كذلک لو قال إياک نعبد و نستعين كان كلاماً صحيحاً و انما كرر إياک تأكيداً و العلة ما ذكرناه أولا.

---

(1) المصر: الحاجز

قوله:

اشارة

اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)
آية-

قرأ ابن كثير فى رواية ابن مجاهد عن قنبل و الكسائى من طريق ابن حمدون و يعقوب من طريق رويس «1» بالسين. و كذلک فى سراط، فى جميع القرآن. الباقون بالصاد و أشم الصاد زايا حمزة فى الموضوعين، خاصة فى رواية على بن سالم، و فى رواية الدورى و خلاد اشمامها الزاى ما كان فيه الف و لام. و اما الصاد إذا سكنت و كان بعدها دال نحو: يصدر، و فاصدع، و يصدفون، فاشم الصاد الزاى حيث وقع، حمزة و الكسائى و خلف و رويس.

«اهْدِنَا»: مبنى على الوقف لأنه امر، و الهمزة مكسورة لأن ثالث المضارع منه مكسور فى نحو يهدى. و موضع النون و الألف من اهدنا، نصب لأنه مفعول به و الصراط منصوب لأنه مفعول ثان. فمن قرأ بالسين فلأنه الأصل، من غير سبب يمنع منه، و من قرأ بإشمام الزاى، فللمؤاخاة بين السين و الطاء بحرف مجهور من مخرج السين و هو الزاء من غير إبطال للأصل و من قرأ بالصاد بين الصاد و الطاء بالاستعلاء و الاطباق. و القراءة بالصاد احسن لأن فيها جمعاً بين المتشاكلين فى المسموع.

و معنى اهدنا يحتمل أمرين:
أحدهما- أرشدنا. كما قال طرفة.
للفتى عقل يعيش به حيث يهدى ساقه قدمه
و الثانى- وفقنا كما قال الشاعر:
فلا تعجلن هداک المليک فان لكل مقام مقالا
أى وفقک.
و الآية تدل على بطلان قول من يقول: لا يجوز الدعاء بأن يفعل اللَّه ما يعلم أنه يفعله لأنه عبث، لأن النبى صلى اللَّه عليه و آله كان عالماً بأن اللَّه يهديه الصراط

---

(1) الصحيح: أويس
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 41
المستقيم، و انه قد فعل ذلک، و مع ذلک كان يدعو به. و قد تكون الهداية بمعنى أن يفعل بهم اللطف الذى يدعوهم الى فعل الطاعة، و الهدى يكون ايضاً بمعنى العلم لصاحبه لأنه مهتد على وجه المدح. و الهدى يكون ان يهديه الى طريق الجنة، كما قال اللَّه تعالى:
«وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدانا لِهذا»، و أصل الهداية فى اللغة الدلالة على طريق الرشد فان قيل: ما معنى المسألة فى ذلک و قد هداهم اللَّه الصراط المستقيم، و معلوم أن اللَّه تعالى يفعل بهم ما هو أصلح لهم فى دينهم؟ قيل: يجوز أن يكون ذلک عبادة و انقطاعاً إليه تعالى كما قال: «رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ» و إن علمنا أنه لا يحكم إلا بالحق، و يكون لنا فى ذلک مصلحة كسائر العبادات، و كما تعبّدنا بأن نكرر تسبيحه و تحميده و الإقرار بتوحيده و لرسوله بالصدق، و إن كنا معتقدين لجميع ذلک. و يجوز أن يكون المراد بذلک الزيادة فى الألطاف كما قال تعالى: «وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً» «1» و قال: «يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ «2» و يجوز أن يكون اللَّه تعالى يعلم أن أشياء كثيرة تكون أصلح لنا، و أنفع لنا إذا سألناه، و إذا لم نسأله لا يكون ذلک مصلحة، و كان ذلک وجهاً فى حسن المصلحة. و يجوز أن يكون المراد استمرار التكليف و التعريض للثواب، لأن إدامته ليست بواجبة بل هو تفضل محض جاز أن يرغب فيه بالدعاء. و يلزم المخالف أن يقال له: إذا كان اللَّه تعالى قد علم أنه يفعل ذلک لا محالة فما معنى سؤاله ما علم أنه يفعله، فما أجابوا به فهو جوابنا.
و الصراط المستقيم هو الدين الحق الذى أمر اللَّه به من توحيده، و عدله، و ولاية من أوجب طاعته. قال جرير:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم
أى على طريق واضح. و قال الشاعر:

---

(1) سورة الكهف آية 13
(2) سورة المائدة آية 18

فصد عن نهج السراط الواضح
و قيل: إنه مشتق من (مسترط) الطعام، و هو ممره فى الحلق، و الصاد لغة قريش، و هى اللغة الجيدة، و عامة العرب يجعلونها سينا، و الزاى لغة لعذرة، و كعب و بنى القين يقولون: أزدق، فيجعلونها زاياً إذا سكنت. و أهل الحجاز يؤنثون الصراط كالطريق و السبيل و الزقاق و السوق. و بنو تميم يذكرون هذا كله. و أصل الاستقامة التقويم و الاستواء فى جهة الانتصار و هو ضد الاعوجاج، فمنه القيام و التقويم و التقوّم، و منه المقاومة، لأنه بمنزلة المماثلة بما هو كالاستواء. و تقاوموا فى الأمر إذا تماثلوا، و الاستقامة المرور فى جهة واحدة. و قيل فى معنى قوله: «الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ» وجوه:
أحدها- إنه كتاب اللَّه، و روى ذلک عن النبى (ص) و عن على عليه السلام و ابن مسعود.
و الثانى- انه الإسلام، حكى ذلک عن جابر و ابن عباس.
و الثالث- انه دين اللَّه عز و جل الذى لا يقبل من العباد غيره.
و الرابع- انه النبى (ص) و الأئمة (ع) القائمون مقامه صلوات اللَّه عليهم، و هو المروى فى أخبارنا.

و الأولى حمل الآية على عمومها لأنا إذا حملناها على العموم دخل جميع ذلک فيه فالتخصيص لا معنى له.
قوله تعالى:

[سورة الفاتحة (1): آية 7] ..... ص : 42

اشارة

صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لا الضَّالِّينَ (7) آية

معناه بيان الصراط المستقيم، إذ كان كل طريق من طرق الحق صراطاً مستقيماً. و المعنى صراط من أنعمت عليهم بطاعتک.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 43

و قرأ حمزة بضم الهاء من ذلک: و فی أیدیهم «و إلیهم) حیث وقع. و روی الدوری عنه بضم الهاء فی قوله: «فَعَلَیْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّٰهِ» «1» و قرأ یعقوب بضم کل هاء قبلها یاء ساکنة فی التثنیة و جمع المذکر و المؤنث، نحو: (علیهما) و فیهما «علیهن» و «فیهن»، و ضمّ میم الجمع و وصلها بواو فی اللفظ ابن کثیر و أبو جعفر. و عن نافع فیه خلاف کثیر. و عن غیره لا نطول بذکره، و هو مذکور فی کتب القراءات. فمن قرأ بکسر الهاء و إسکان المیم قال: إنه أمن من اللبس إذا کانت الألف فی التثنیة قد دلت علی الاثنین و لا میم فی الواحد، فلما لزمت المیم الجمع حذفوا الواو و أسکنوا المیم طلباً للتخفیف. و حجة من قرأ «علیهُم» انهم قالوا ضم الهاء هو الأصل لأن الهاء إذا انفردت من حرف متصلٍ بها قیل: «هم فعلوا» و من ضم المیم إذا لقیها ساکن بعد الهاء المکسورة قال: لمّا احتجت إلی الحرکة رددت الحرف إلی أصله فضممت و ترکت الهاء علی کسرتها، لأنه لم تأت ضرورة تحوج إلی ردها إلی الأصل و من کسر المیم فالساکن الذی لقیها، و الهاء مکسورة ثم اتبع الکسرة الکسرة.

«و الذين» فى موضع جرٍ بالاضافة، و لا يقال فى الرفع (اللذون)، لأنه اسم ليس يتمكن. و قد حكى اللذون شاذا، كما قيل الشياطون، و ذلک فى حال الرفع و لا يقرأ به، و قرأ صراط من أنعمت عليهم: عمر بن الخطاب و عبد الله بن زبير، و روى ذلک عن أهل البيت عليهم السلام. و المشهور الأول. و النعمة التى أنعم بها على المذكورين و إن لم تذكر فى اللفظ فالكلام يدل عليها لا لما قال: اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ، و بيّنا المراد بذلک، ثم بينّ أن هذا صراط من أنعمت عليهم بها، فلم يحتج إلى إعادة اللفظ، كما قال النابغة الذبيانى:
كأنک من جمال بنى أقيش يقعقع خلف رجليه بشن «2»

---

(1) سورة النحل آية 106 [.....]
(2) الشن و الشنة: القربة
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 44
لما قال جمال بنى أقيش قال يقعقع، و معناه جمل يقعقع خلف رجليه، و نظير ذلک كثيراً جداً.
قوله تعالى:
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ

أجمع المفسرون و القراء على جر (غير) لأنها نعت للذين، و انما جاز أن تكون نعتاً للذين، و الذين معرفة و غير نكرة لأن الذين بصلتها ليست بالمعرفة كالأسماء المعية التى هى أعلام كزيد و عمرو و انما هى كالنكرات إذا عرّفت كالرجل و البعير فلما كانت الذين كذلك كانت صفتها كذلك ايضاً و جاز ان تكون نعتاً للذين، كما يقال لا أجلس إلا الى العالم غير الجاهل، و لو كانت بمنزلة الأعلام لما جاز، كما لم يجز فى قولهم: مررت بزيد غير الظريف، فلا يجرها على انها نعت، و ان نصبتها فى مثل هذا جاز على الحال. و يحتمل ايضاً ان تكون مجرورة لتكرير العامل الذى خفض الذين فكأنک قلت: صراط الذين أنعمت عليهم، صراط غير المغضوب عليهم و يتقارب معناهما لأن الذين أنعمت عليهم هم الذين لم يغضب عليهم، و قرئ فى الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب، و وجهها ان تكون صفة للهاء و الميم اللتين فى عليهم، العائدة على الذين، لأنها و ان خفضت بعلى فهى موضع نصب بوقوع الانعام عليها، و يجوز ان يكون نصباً على الحال. و قال الأخفش و الزجّاج: انها نصب على وجه الاستثناء من معانى صفة الذين أنعمت عليهم، و تقديره: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم إلا المغضوب عليهم الذين لم تنعم عليهم فى أديانهم فلا تجعلنا منهم، و يكون استثناء من غير جنس كما قال النابغة للذبيانى:

وقفت فيها أصيلا لا اسائلها «1» أعيت جوابا و ما بالربع من أحد

_____

(1) الصحيح كى اسائلها و فى نسخة: اصيلاناً اسائلها

إلا الاوارى «1» لأيا ما أبينها و النؤى «2» كالحوض بالمظلومة «3» الجلد

و قال الفرّاء: و تغلب هذا خطأ، لأنه لو كان كذلک لما قال: و لا الضالين لأن لا نفى و جحد. و لا يعطف على جحد إلا بجحد، و لا يعطف بالجحد على الاستثناء و انما يعطف بالاستثناء على استثناء و بالجحد على الجحد. يقولون قام القوم إلا أخاک و إلا أباک و لا قام أخوک و لا أبوک، و لا يقولون ما قام القوم إلا أخاک و لا أباک، فعلى هذا تكون (غير) بمعنى: لا فكأنه قال لا المغضوب عليهم و لا الضالين. قال الرمانى: من نصب على الاستثناء جعل لا صلة، كما انشد ابو عبيدة

فى بئر لا حور سرى و ما شعر «4»

أى فى بئر هلكة.

و الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» هم اليهود عند جميع المفسرين الخاص و العام، لأنه تعالى قد أخبر أنه غضب عليهم و جعل فيهم القردة و الخنازير، «وَ لَا

الضَّالَينَ» هم النصارى لأنه قال: «وَ ضَلّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ» «5» و قال «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى النصارى. و روى ذلک عن النبى (ص). و قال بعضهم لا: زائدة تقديره: غير المغضوب عليهم و الضالين كما قال: «ما مَنَعَکَ أَلَّا تَسْجُدَ» «6» أى معناه أن تسجد قال ابو النجم:
فما ألوم البيض ألا تسخرا لما رأين الشِّمط القفندرا «7»
يعنى أن تسخر. و تكون غير بمعنى سوى. و قد بينا ضعف هذا عند الكوفيين لما مضى، و لأنه انما يجوز ذلک إذا تقدمه نفى كقول الشاعر:
ما كان يرضى رسول اللّه فعلهم و الطيبان ابو بكر و لا عمر

---

(1) ج آرى محابس الخيل
(2) حفرة حول الخيمة تمنع من تسرب الماء اليها
(3) الأرض التى لم تحفر قط و حفرت
(4) أى بئر هلكة
(5) سورة المائدة آية: 80
(6) سورة الاعراف آية 11
(7) الشمط: الشيب و القفندر: الصغير الرأس القبيح المنظر

و اما الغضب من اللّه فهو ارادة العقاب المستحق بهم، و لعنهم و براءته منهم و اصل الغضب الشدة و منه الغضبة الصخرة الصلبة الشديدة المركبة فى الجبل المخالفة له و رجل غضوب شديد الغضب و الغضوب الحية الخبيثة لشدتها و الغضوب الناقة العبوس.
و اصل الضلال الهلاک و منه قوله (إذا ضللنا فى الأرض) أى هلكنا و منه قوله تعالى «وَ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ» أى أهلكها. و الضلال فى الدين الذهاب عن الحق و الإضلال الدعاء الى الضلال و الحمل عليه و منه قوله تعالى: «وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ» «1» و الإضلال الأخذ بالعاصين الى النار و الإضلال الحكم بالضلال و الإضلال التحيير بالضلال بالتشكيک لتعدل عنه. و اليهود- و ان كانوا ضلالا- و النصارى- و ان كانوا مغضوباً عليهم- فإنما خص اللّه تعالى كل فريق منهم بسمة يعرف بها و يميز بينه و بين غيره بها و ان كانوا مشتركين فى صفات كثيرة. و قيل انه أراد ب «الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ» جميع الكفار و انما ذكروا بالصفتين لاختلاف الفائدتين
و روى جابر ابن عبد اللّه قال: قال رسول اللّه (ص) قال اللّه تعالى: (قسمت الصلاة بينى و بين عبدى فله ما سأل فإذا قال العبد الحمد للّه رب العالمين قال حمدنى عبدى و إذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى علىّ عبدى، و إذا قال مالک يوم الدين قال مجدنى عبدى ثم قال هذا لى و له ما بقى)
و لا يجوز عندنا ان يقول القارئ عند خاتمة الحمد: آمين فان قال ذلک فى الصلاة متعمداً بطلت صلاته لِأنهِ كلام لا يتعلق بالصلاة، و لأنه كلام لا يستقل

بنفسه و انما يفيد إذا كان تأميناً على ما تقدم و متى قصد بما تقدم الدعاء لم يكن تالياً للقرآن، فتبطل صلاته و ان قصد التلاوة لا يكون داعياً فلا يصح التأمين و ان قصدهما فعند كثير من الأصوليين ان المعنيين المختلفين لا يصح ان يردا بلفظ واحد، و من أجاز ذلک- و هو الصحيح- منع منه لقيام الدلالة على المنع من ذلک فلأجل ذلک لم يجز.

---

(1) سورة طه آية: 85

2-سورة البقرة ..... ص : 47

اشارة

و هی مائتان و ست و ثمانون آیة فی الکوفی و سبع بصری و خمس مدنی و روی أن قوله: و اتقوا یوماً ترجعون فیه الی اللّه- نزلت فی حجة الوداع

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الم (1)
آية عند الكوفيين

- و اختلف العلماء فى معنى أوائل هذه السور مثل «الم» و «المص» و «كهيعص» و «طه» و «لَبِالْمِرْصادِ» و «بِالْأَحْقافِ» و «حم» و غير ذلک على وجوه فقال بعضهم انها اسم من أسماء القرآن ذهب اليه قتادة و مجاهد و ابن جريح و قال بعضهم هى فواتح يفتح بها القرآن، روى ذلک عن مجاهد أيضاً و اختاره البلخى و فائدتها أن يعلم ابتداء السورة و انقضاء ما قبلها و ذلک معروف فى كلام العرب و أنشد بعضهم

بل و بلدة ما الأنس من أهلها «1»

و يقول آخر

بل ما هيج أحزانا و شجواً قد شجا

و قوله (بل) ليس من الشعر و انما أراد أن يعلم أنه قطع كلامه و أخذ فى غيره و أنه مبتدأ الذى أخذ فيه غير ناسق له على ما قبله و قال بعضهم هى اسم للسورة روى ذلک عن زيد بن أسلم و الحسن و قال بعضهم هى اسم اللّه الأعظم و روى ذلک عن السدى إسماعيل و عن الشعبى و قال بعضهم هى قسم اقسم اللّه به و هى من أسمائه و روى ذلک عن ابن عباس و عكرمة و قال قوم هى حروف مقطعة من اسماء واقعاً كل حرف من ذلک بمعنى غير معنى الحرف الآخر يعرفه النبى صلى اللّه عليه و آله نحو قول الشاعر

نادوهم أن ألجموا ألاتا قالوا جميعاً كلهم ألافا

---

(1) فى اللسان و فى تفسير الطبرى (اهالها)

يريد ألا تركبون قالوا ألا فاركبوا و قال آخر:

قلنا لها قفى فقالت قاف

بمعنى قالت انا واقفه. روى ذلک أبو الضحى عن ابن عباس و عن ابن مسعود و جماعة من الصحابة و قال بعضهم هى حروف هجاء موضوعة. روى ذلک عن مجاهد و قال بعضهم هى حروف هجاء يشتمل كل حرف على معان مختلفة. روى ذلک عن أنس و اختاره الطبرى و قال بعضهم هى حروف من حساب الجمل و قال بعضهم لكل كتاب سر و سر القرآن فى فواتحه. هذه أقوال المفسرين فاما أهل اللغة فإنهم اختلفوا فقال بعضهم هى حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها فى أوائل السور عن ذكر بواقيها التى هى تمام ثمانية و عشرين حرفا كما يستغنى بذكر أ ب ت ث عن ذكر الباقى و بذكر قفا نبک عن ذكر باقى القصيدة قالوا و لذلک رفع ذلک الكتاب لأن معناه عن الألف و اللام و الميم من الحروف المقطعة و

قوله ذلک الکتاب الذی أنزلته الیک مجموعاً لا ریب فیه کما قالوا فی أبی جاد أ ب ت ث و لم یذکروا باقی الحروف و قال راجز بنی أسد:
لما رأیت أمرها فی حطی أخذت منها بقرون شمط
فأراد الخبر عن المرأة بأنها من أبی جاد فأقام قوله فی حطی مقامه لدلالة الکلام علیه و قال آخرون بل ابتدئت بذلک أوائل السور لیفتح لاستماعه أسماع المشرکین إذ تواصوا بالاعراض عن القرآن حتی إذا استمعوا له، تلا علیهم الم. و قال بعضهم الحروف التی هی أوائل السور حروف یفتتح اللّه بها کلامه و قال ابو مسلم: المراد بذلک، ان هذا القرآن الذی عجزتم عن معارضته، و لم تقدروا علی الإتیان بمثله هو من جنس هذه الحروف التی تتحاورون بها فی کلامکم و خطابکم، فحیث لم تقدروا علیه فاعلموا انه من فعل اللّه، و انما کررت فی مواضع استظهاراً فی الحجة و حکی ذلک عن قطرب. و روی فی اخبارنا ان ذلک من المتشابه الذی لا یعلم تأویله إلا اللّه، و اختاره الحسین بن علی المغربی و احسن الوجوه التی قبلت قول من قال: انها اسماء للسور خص اللّه تعالی بها بعض السور بتلک کما قیل للمعوذتین: التبیان فی تفسیر القرآن، ج1، ص: 49
المقشقشتان، أی تبرءان من النفاق، و کما سمیت الحمد أم القرآن و فاتحة الکتاب.
و لا یلزم أن لا تشترک سورتان أو ثلاث فی اسم واحد، و ذلک أنه کما یشترک جماعة من الناس فی اسم واحد، فإذا أرید التمییز زید فی صفته، و کذلک إذا أرادوا تمییز السورة قالوا: الم ذلک، الم اللّه، الم، و غیر ذلک. و لیس لأحد أن یقول: کیف تکون أسماء للسور، و الاسم غیر المسمی، فکان یجب ألا تکون هذه الحروف من السورة، و ذلک خلاف الإجماع. قیل: لا یمتنع أن یسمی الشیء ببعض ما فیه، ألا ترى انهم قالوا: البقرة، و آل عمران، و النساء، و المائدة، و لا خلاف انها اسماء للسور و ان کانت بعضاً للسور، و من فرق بین الأشخاص و غیرها فی هذا المعنی: فأوجب فی الأشخاص أن یکون الاسم غیر المسمی و لم یوجب فی غیرها، فقد أبعد، لأنه لا فرق بین الموضعین علی ما مضی القول فیه، و لا یلزم أن تسمی کل سورة بمثل ذلک، لأن المصلحة فی ذلک معتبرة، و قد سمی اللّه کل سورة بتسمیة تخصها و إن لم تکن من هذا الجنس، کما انه لما سمی الحمد بأسمائها لم یلزم ذلک فی کل سورة.
و قیل انها أوائل أسماء یعلم النبی (ص) تمامها، و الغرض بها، نحو ما رویناه عن ابن عباس، کما قال الشاعر:
سألتها الوصل فقالت: قاف
یعنی: وقفت. و قال آخر:
بالخیر خیراتٍ و إن شراً فا
یریدِ: فشراً، و قالِ آخر:

و لا أريد الشر إلا أن تا
يعنى: إلا أن تشاء. و قال آخر:
ما للظليم «1» عال «2» كيف لا يا ينقد عنه جلده إذا يا

---

(1) الظليم: ذكر النعام
. (2) عال: دعاء عليه من قولهم: عال عوله أى ثكلته أمه فاختصر فى الطبعة الايرانية (غال) بدل (عال) و (ينقل) بدل (ينقد) و (جلد) بدل (جلده) و الصحيح ما ذكرناه.

أى: إذا يفزع. فعلى هذا يحتمل ان يكون الالف: انا، و اللام: اللَّه، و الميم: اعلم، و كذلك القول فى الحروف، و على هذا لا موضع (لألف لام ميم) من الاعراب، و على قول من قال انها اسماء السور موضعها الرفع، كأنه قال هذه الم، او يكون ابتداءه و يكون خبره ذلك الكتاب، و اجمع النحويون على ان هذه الحروف و جميع حروف الهجاء مبنية على الوقف لا تعرب، كما بنى العدد على الوقف، و لأجل ذلك جاز ان يجمع بين ساكنين كما جاز ذلك فى العدد، تقول واحد، اثنان، ثلاثة، اربعة، فتقطع الف اثنين و هى الف وصل، و تذكر الهاء فى ثلاثة و اربعة، فلو لم تنو الوقف لقلت ثلاث بالثاء. و حكى عن عاصم فى الشواذ و غيره الم اللّه بقطع الهمزة، الباقون بفتح الميم، و قالوا فتح الميم لالتقاء الساكنين و قال قوم: لأنه نقل حركة الهمزة اليه، و اختار ابو على الاول، لأن همزة الوصل تسقط فى الوصل، فلا يبقى هناك حركة تنقل، و انشد فى نقل حركة همزة الوصل قول الشاعر
أقبلت من» عند زياد كالخرف تخط رجلاى بخط مختلف
فيكتبان فى الطريق لام الف
و متى أجريتها مجرى الأسماء لا الحكاية و أخبرت عنها، قلت: هذه كاف حسنة، و هذا كاف حسن، و كذلك باقى الحروف فتذكر و تؤنث، فمن أنث قصد الكلمة، و من ذكر قصد الحرف، فأما إعراب: أبى جاد، هواز، و حطى و كلمن، فزعم سيبويه انها مصروفات، تقول: علمت أبا جاد، و نفعنى ابو جاد، و انتفعت بأبى جاد. و كذلك: هوازٌ، و هوازٍ، و هوازاً. و حطياً، و حطىٌّ، و حطيٍ، و أما كلمن و سعفص و قرشيات فأعجميات، تقول: هذه كلمن، و تعلمت كلمن، و انتفعت بكلمن، و كذلك سعفص و قرشيات اسم للجمع مصروفة لأجل الألف و التاء. و أما معنى أبى جاد، فقال الضحاك: انها اسماء الأيام الستة التى خلق اللّه تعالى فيها الدنيا و قال الشعبى: انها أسماء ملوك مدين، و انشد:

---

(1) فى الطبعة الايرانية «عن) و الصحيح ما ذكرنا [.....]

ألا يا شعيب قد نطقت مقالة سببت بها عمروا و أوحى بنى عمرو
ملوک بنى حطى و هواز منهم و سعفص أهل للمكارم و الفخر
هم صبحوا أهل الحجاز بغارة لميل شعاع الشمس أو مطلع الفجر
و روى عن ابن عباس ان لأبى جاد حديثاً عجيباً، أبى: آدم جد فى أكل الشجرة، و هواز: فزل آدم فهوى من السماء الى الأرض. و اما حطى فحطت عنه خطيئته و اما كلمن فأكل من الشجرة و منَّ عليه بالتوبة. و سعفص: عصى آدم فاخرج من النعيم الى الكبد «1». و قرشيات: أقر بالذنب فسلم من العقوبة، و هذا خبر ضعيف يتضمن وصف آدم، و هو نبى بما لا يليق به.
و قال قوم: انها حروف من أسماء اللَّه، و روى ذلک عن معاوية بن قرة عن النبى (ص).

اشارة

ذلِکَ الْکِتابُ لا رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ (2)
ذلک الکتاب هذه لفظة یشار بها الی ما قرب، و ذلک الی ما بعد، و ذاک الی ما بینهما و یحتمل أن یکون معنی ذلک هاهنا هذا، علی قول عکرمة و جماعة من أهل العربیة کالاخفش و أبی عبیدة و غیرهما، قال:
أقول له و الرمح یأطر «2» متنه تأمل خفافاً اننی أنا ذلکا
أی اننی انا هذا. و قال تعالی ذلک عالم الغیب و الشهادة، و هو موجود فی الحال و انما جاز أن یستعمل هذا، و هی اشارة الی حاضر، بمعنی ذلک و هی إشارة الی غایب لأنه کالحاضر عند الغائب. ألا تری ان الرجل یحدث حدیثاً فیقول السامع هذا کما قلت و ربما قال ان ذلک کما قلت و انما جاز ذلک لقرب جوابه من کلام المخبر، و کذلک لما قال تعالی (آلم) و ذکرنا معنی ذلک، قال لنبیه: یا محمد هذا الذی ذکرته و بینته، ذلک الکتاب. فلذلک حسن وضع ذلک فی مکان هذا، إلا أنه اشارة الی ما مضی. و قال قوم: ان معناه ذلک الکتاب الذی وعدوا به علی لسان موسی و عیسی کما قال

---

(1) الکبد: الشدة
. (2) فی الطبعة الایرانیة (ناظر) و الصحیح ما ذکرناه کما فی الاغانی

الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَعْرِفُونَهُ کَما یَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ یعنی: هذا ذلک الکتاب. و قال قوم: انما أشار الی ما کان نزل من القرآن بمکة من السور فقال ذلک، و الأول أقوی لأنه أشبه بأقوال المفسرین. و اما من حمل ذلک علی انه أشار به الی التوراة و الإنجیل فقد أبطل لأنه وصفه بانه لا ریب فیه و انه هدی للمتقین، و وصف ما فی أیدیهم بانه مغیر محرّف فی قوله: «یُحَرِّفُونَ الْکَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ» «1» قوله تعالی:
لا رَیْبَ فِیهِ

- قرأ ابن كثير بوصل الهاء بياء فى اللفظ، و كذلک كل هاء كناية قبلها ياء ساكنة فإن كان قبلها ساكن غير الياء وصلها بالواو. و وافقه حفص فى قوله: فِيهِ مُهاناً. و وافقه المنسى فى قوله: وَ أَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى. و وافقه قتيبة فى قوله:
فملاقيه و سأصليه. فمن كسر الهاء مع ان الأصل الضمة فلأجل الياء و الكسرة اللتين قبلها. و الهاء تشبه الألف لأنها من حروف الحلق و لما فيها من الخفاء: فكما نحوا بالألف نحو الياء بالامالة لأجل الكسرة و الياء كذلک كسروا الهاء للكسرة و الياء لتتجانس الصورتان، و ذلک حسن و تركوا الاشباع كراهية اجتماع المقاربة كما كرهوا اجتماع الأمثال، و من أشبع و أتبعها الياء، فان الهاء و إن كانت خفية فليس يخرجها ذلک من ان تكون كغيرها من حروف المعجم التى لا خفاء فيها نحو الراء و الصاد و ان الهاء و النون عند الجميع فى وزن الشعر بمنزلة الراء و الصاد و ان كان فى الراء تكرير و فى الصاد استطالة، فإذا كان كذلک كان حجزها بين الساكنين كحجز غيرها من الحروف التى لا خفاء فيها

و معنى لا ريب فيه، أى لا شک فيه. و الريب الشک، و هو قول ابن عباس و مجاهد و عطاء و السدى و غيرهم. و قيل: هو أشد الشک و هو مصدر رابنى الشىء

---

(1) سورة النساء آية 45

يريبنى قال ساعدة بن جوية الهذلى:

و قالوا تركن الحى قد حصروا به فلا ريب ان قد كان ثم لحيم

أى أطافوا به و اللحيم القتيل، يقال لحمٍ إذا قتل و الهاء فيه عائدة على الكتاب و يحتمل ان يكون لا ريب فيه خبراً، و المعنى انه حق فى نفسه، و لا يكون المراد به انه لا يقع فيه ريب لأن من المعلوم أن الريب واقع فيه من الكفار و فى صحته و يجرى ذلک مجرى الخبر إذا كان مخبره على ما هو به فى أنه يكون صدقا و ان كذبه قوم و لم يصدقوه. و يحتمل أن يكون معناه الأمر أى تيقنوه و لا ترتابوا فيه

قوله تعالى:

هُدىً لِلْمُتَّقِينَ

معناه نور و ضياء و دلالة للمتقين من الضلالة و انما خص المتقين بذلک و ان كان هدى لغيرهم من حيث انهم هم الذين اهتدوا به و انتفعوا به كما قال: «إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ» «1» و ان كان انذر من لم يتبع الذكر و يقول القائل: فى هذا الأمر موعظة لى او لک و ان كان فيه موعظة لغيرهما. و يقال هديت فلانا الطريق إذا أرشدته و دللته عليه، أهديه هداية

و يحتمل ان يكون منصوبا على الحال من الكتاب و تقديره ذلک الكتاب هاديا للمتقين و ذلک يكون مرفوعاً بالم. و الكتاب نعت لذلک، و يحتمل ان يكون حالا من الهاء فى (فيه)، كأنه قال: لا ريب فيه هاديا و يحتمل ان يكون رفعاً من وجوه:
أولها- ان يكون خبراً بعد خبر كأنه قال: هذا كتاب هدى أى قد جمع انه الكتاب الذى وعدوا به و انه هدى كما يقولون: هذا حلو حامض يريدون انه

---

(1) سورة يس آية 11

قد جمع الطعمين. و يحتمل ان يكون رفعاً بانه خبر ابتداء محذوف و تقديره هو هدى لأن الكلام الأول قد تم و يحتمل ان يكون رفعه على قولک ذلک الكتاب لا ريب كأنک قلت: هذا الكتاب حق لأن لا شک بمعنى حق. ثم قال بعد ذلک فيه هدى للمتقين. و هدى يذكر فى جميع اللغات و حكى عن بعض بنى اسد هذه هدى حسنة تدغم النون فى اللام عند الأكثر (و المتقين) مجرور باللام و المتقى هو الذى يتقى بصالح اعماله عذاب اللّه مأخوذ من اتقاء المكروه بما يجعله حاجزاً بينه و بينه كما قال ابو حية النميرى:
و القت قناعاً دونه الشمس و اتقت بأحسن موصولين كف و معصم
و قيل ان المتقين هم الذين اتقوا ما حرم عليهم و فعلوا ما وجب عليهم. و قيل ان المتقين هم الذين يرجون رحمة اللّه و يحذرون عقابه. و قيل ان المتقين هم الذين اتقوا الشرک و برئوا من النفاق و هذا الوجه ضعيف لأنه يلزم عليه وصف الفاسق المتهتک بانه متق إذا كان برياً من الشرک و النفاق. و أصل الاتقاء الحجز بين الشيئين و منه اتقاه بالترس لأنه جعله حاجزاً بينه و بينه و اتقاه بحق كذلک و منه الوقاية لأنها تحجز بين الرأس و الأذى.
و منه التقية فى اظهار خلاف الإبطان. و الفرق بينه و بين النفاق: ان المنافق يظهر الخير و يبطن الشر، و المتقى يظهر القبيح و يبطن الحسن. و يقال وقاه يقيه وقاية و توقاه توقياً.

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (3)
آية بلا خلاف الذين فى موضع خفض لأنه نعت للمتقين، و يجوز ان يكون رفعاً على الابتداء «و يؤمنون» رفع لأنه فعل مستقبل و الواو و النون فى موضع رفع لأنه كناية عن الفاعل، و النون الأخيرة مفتوحة لأنها نون الجمع و الصلاة نصب لأنها مفعول به. و الايمان فى اللغة هو التصديق، و منه قوله: وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا. أى بمصدق لنا. و قال: «يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ» «1» و كذلك هو فى الشرع

---

(1) سورة النساء آية 50

عند أكثر المرجئة، و المراد بذلك التصديق بجميع ما أوجب اللَّه او ندبه او اباحة و هو المحكى عن ابن عباس فى هذه الآية لأنه قال: الذين يصدقون بالغيب.
و حكى الربيع بن انس انه قال: الذين يخشون بالغيب. و قال: معناه يطيعون اللَّه فى السر و العلانية. و قيل: إن الايمان مشتق من الامان، و المؤمن من يؤمن نفسه من عذاب اللَّه، و اللَّه المؤمن لأوليائه من عذابه و ذلك مروى فى اخبارنا و قالت المعتزلة بأجمعها: الايمان هو فعل الطاعة، و منهم من اعتبر فرائضها و نوافلها، و منهم من اعتبر الواجب منها لا غير، و اعتبروا اجتناب الكبائر من جملتها.
و روى عن الرضا عليه السلام: ان الايمان هو التصديق بالقلب و العمل بالأركان و القول باللسان.
و قد بينا الأقوى من ذلك فى كتاب الأصول.
و اما «الغيب» فحكى عن ابن عباس انه قال: ما جاء من عند اللَّه. و قال جماعة من الصحابة كابن مسعود و غيره: ان الغيب ما غاب عن العباد علمه من امر الجنة و النار و الأرزاق و الاعمال و غير ذلك، و هو الاولى لأنه عام، و يدخل فيه ما رواه أصحابنا من زمان الغيبة و وقت خروج المهدى عليه السلام. و قال قوم:
الغيب هو القرآن، حكى ذلك عن زر بن جيش. و ذكر البلخى ان الغيب كل ما أدرك بالدلائل و الآيات مما تلزم معرفته. و قال الرمانى: الغيب خفاء الشىء عن الحس قرب أو بعد إلا انه قد كثرت صفة الغائب على البعيد الذى لا يظهر للحس.
و اصل الغيب من غاب. يقولون: غاب فلان يغيب، و ليس الغيب ما غاب عن الإدراك لأن ما هو معلوم و ان لم يكن مشاهداً، لا يسمى غيباً، و الأولى ان

تحمل الآية على عمومها فى جميع من يؤمن بالغيب، و قال قوم: انها متناولة لمؤمنى العرب خاصة دون غيرهم من مؤمنى أهل الكتاب، قالوا بدلالة قوله فيما بعد «وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْکَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ» قالوا و لم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذى أنزله اللّه على نبيه تدين بتصديقه، و انما الكتاب لأهل الكتابين و هذا غير صحيح، لأنه لا يمنع أن تكون الآية الاولى عامة فى جميع المؤمنين المصدقين بالغيب و إن كانت الآية الثانية خاصة فى قوم لأن تخصيص الثانية لا يقتضى التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 56
تخصيص الأولى.
و قال قوم: انهما مع الآيتين اللتين بعدهما أربع آياتٍ نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب، لأنه ذكرهم فى بعضها. و قال قوم: ان الأربع آيات من أول السورة نزلت فى جميع المؤمنين، و اثنتان نزلتا فى نعت الكافرين، و ثلاثة عشر فى المنافقين و هذا أقوى الوجوه، لأنه حمل على عمومه، و حكى ذلک عن مجاهد. و قوله:
«يُقِيمُونَ الصَّلاةَ» فاقامتها أداؤها بحدودها و فرائضها و واجباتها، كما فرضت عليهم يقال: أقام القوم سوقهم إذا لم يعطلوها من البيع و الشراء، قال الشاعر:
أقمنا لأهل العراقين سوق الضراب فخاموا و ولوا جميعا
و قال أبو مسلم محمد بن بحر: معنى «يُقِيمُونَ الصَّلاةَ» يديمون أداء فرضها يقال للشىء الراتب قائم و لفاعله مقيم، و من ذلک: فلان يقيم أرزاق الجند. و قيل انه مشتق من تقويم الشىء من قولهم: قام بالأمر، إذا أحكمه و حافظ عليه.
و قيل انه مشتق مما فيه من القيام، و لذلک قيل قد قامت الصلاة.
و أما الصلاة فهى الدعاء فى اللغة، قال الشاعر:
و قابلها الريح فى دنّها «1» و صلى على دنّها و ارتسم
أى دعا لها. و قال الأعشى:
لها حارس لا يبرح الدهر بيتها فان ذبحت صلى عليها و زمزما «2»
يعنى دعا لها: و أصل الاشتقاق فى الصلاة من اللزوم من قوله تصلى ناراً حامية، و المصدر الصلاة و منه اصطلى بالنار إذا لزمها، و المصلّى الذى يجىء فى اثر السابق للزوم أثره، و يقال للعظم الذى فى العجز صلواً، و هما صلوان.
فأما فى الشرع ففى الناس من قال إنها تخصصت بالدعاء و الذكر فى موضع مخصوص. و منهم من قال، و هو الصحيح، انها فى الشرع عبارة عن الركوع و السجود على وجه مخصوص و أركان و اذكار مخصوصة. و قيل انها سميت صلاة

---

(1) و فى رواية: ظلها.
(2) الزمزمة: صوت بعيد له دوى.

لأن المصلى متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله و نعمه مع ما يسأل ربه فيها من حاجاته.
و أما الرزق، فهو ما للحى الانتفاع به على وجه لا يكون لأحد منعه منه، و هذا لا يطلق إلا فيما هو حلال فأما الحرام فلا يكون رزقاً لأنه ممنوع منه بالنهى، و لصاحبه أيضاً منعه منه، و لأنه أيضاً مدحهم بالإنفاق مما رزقهم، و المغصوب و الحرام يستحق الذم على إنفاقه، فلا يجوز أن يكون رزقاً.
و قوله: «وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ» حكى عن ابن عباس انها الزكاة المفروضة يؤتيها احتساباً. و حكى عن ابن مسعود أنها نفقة الرجل على أهله، لأن الآية نزلت قبل وجوب الزكاة. و قال الضحاك: هو التطوع بالنفقة فيما قرّب من الله و الأولى حمل الآية على عمومها فيمن أخرج الزكاة الواجبة و النفقات الواجبة و تطوع بالخيرات.
و أصل الرزق الحظ لقوله: «وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» «1»: أى حظكم، و ما جعله حظا لهم فهو رزقهم.
و الإنفاق أصله الإخراج، و منه قيل: نفقت الدابة إذا خرجت روحها، و النافقاء، جحر اليربوع، من ذلک لأنه يخرج منها. و منه النفاق لأنه يخرج إلى المؤمن بالايمان و الى الكافر بالكفر.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 4] ..... ص : 57

اشارة

وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْکَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4)

لا يمد القراء الألف من ما إلا حمزة فانه مدها، و قد لحن فى ذلک. و كان

---

(1) سورة الواقعة آية 82.

يقف قبل الهمزة فيقرأ: و بالاخرة تسكيناً على اللام شيئاً ثم يبتدئ بالهمزة، و كذلک الأرض و شىء يقطع عند الياء من شىء كأنه يقف ثم يهمز. و موضع (ما) خفض بالباء و يكره الوقف على (ما) لأن الألف حرف منقوص.

و قال قتادة: «بِما أُنْزِلَ إِلَيْکَ» القرآن «وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ» الکتب الماضية، و قد بينا أن الأولى حمل الآية على عمومها فى المؤمنين، و ذكرنا الخلاف فيه، و الآخرة صفة الدار، فحذف الموصوف، قال الله تعالى: «وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ» «1» و وصفت بذلک لمصيرها آخرة لأولى قبلها كما يقال: جئت مرة بعد أخرى، و يجوز أن يكون سميت بذلک لتأخيرها عن الخلق، كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق، و إيقانهم ما جحده المشركون من البعث و النشور و الحساب و العقاب، و روى ذلک عن ابن عباس، و الإيقان بالشىء هو العلم به، و سمى يقينا لحصول القطع عليه و سكون النفس إليه،

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 5] ..... ص : 58

اشارة

أُولئِکَ عَلی هُدیً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)

أولئک بهمزتين، و فيهم من يخففهما و حمزة يمد أولئک و أولئک اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الاشارة كقولک ذاک فى الواحد، و أولاء جمع ذاک فى المعنى و من قصر قال أولا و أولا لک، و إذا أمددته لم يجز زيادة اللام لئلا يجتمع ثقل الهمزة و ثقل الزيادة، و تقول: أولاء للقريب و ها أولئک للبعيد و أولئک للمتوسط.
و أضيف الهدى الى الله لأحد الأمرين:
أحدهما: لما فعل بهم من الدلالة على الهدى و الإيضاح له، و الدعاء اليه.
الثانى: لأنه يثيب عليه، فعلى هذا يضاف الايمان بأنه هداية من اللّه.

---

(1) سورة العنكبوت آية 64.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 59
و [هُدىً] فى موضع خفض بعلى. و معنى «عَلى هُدىً»: أى على حق و خير بهداية اللّه إياهم و دعائه الى ما قالوا به، و من قال: هم على نور و استقامة أو بيان و رشد، فهو داخل تحت ما قلنا، و الاولى أن يكون ذلک عاماً فيمن تقدم ذكره فى الآيتين، و من خص ذلک فقد ترک الظاهر، لأن فيهم من خصها بالمعنيين فى الآية الاولى، و فيهم من خصها بالمذكورين فى الآية الثانية، و قد بينا أن الجمع محمول على العموم و حملها على العموم فى الفريقين محكى عن ابن عباس و ابن مسعود.
و [الْمُفْلِحُونَ] هم المنجحون الذين أدركوا ما طلبوا من عند اللّه بأعمالهم و إيمانهم. و الفلاح: النجاح. قال الشاعر:
اعقلى إن كنت لما تعقلى و لقد أفلح من كان عقل
يعنى من ظفر بحاجته و أصاب خيراً. و تقول أفلح يفلح إفلاحا و تقول فلح يفلح فلاحاً و فِلاحا و الفلاح البقاء أيضاً. قال لبيد
نحل بلاداً كلها حل قبلنا و نرجو فلاحاً «1» بعد عاد و حمير
يعنى البقاء و أصل الفلح القطع، فكأنه قطع لهم بالخير، و منه قيل للاكار فلاحاً لأنه يشق الأرض، و الفلاح المكارى لأنه يقطع الأرض قال الشاعر:
إن الحديد بالحديد يفلح
و فى أولئک لغات: فلغة أهل الحجاز: أوليک بالياء، و أهل نجد و قيس و ربيعة و أسد يقولون: أولئک بهمز. و بعض بنى سعيد من بنى تميم يقولون: الّاک مشددة، و بعضهم يقول: الالک. قال الشاعر:
ألا لک قوم لم يكونوا أشابة «2» و هل يعظ الضليل إلا ألالكا
و هم دخلت للفصل

قوله تعالى [سورة البقرة (2): آية 6] ..... ص : 59

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (6)

- نزلت فى أبى جهل و فى خمسة من قومه من قادة الأحزاب قتلوا يوم بدر فى قول الربيع بن أنس، و اختاره البلخى و المغربى. و قال ابن عباس: نزلت فى قوم

---

(1) و فى نسخة (الفلاح)
. (2) الاشابة من الناس الأخلاط
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 60
بأعيانهم من أحبار اليهود ذكرهم بأعيانهم، من اليهود الذين حول المدينة. و قال قوم: نزلت فى مشركى العرب، و اختار الطبرى قول ابن عباس. و الذى نقوله إنه لا بد أن تكون الآية مخصوصة لأن حملها على العموم غير ممكن، لأنا علمنا أن فى الكفار من يؤمن فلا يمكن العموم، و أما القطع على واحد مما قالوه فلا دليل عليه، و يجب تجويز كل واحد من هذه الأقوال، و من مات منهم على كفره يقطع على أنه مراد بالآية، فعلى هذه قادة الأحزاب مرادون على ما قال ربيع بن انس و من قتل يوم بدر كذلك و من قال ان الآية مخصوصة بكفار اهل الكتاب قال:
لأن ما تقدمها مختص بمؤمنيهم فيجب ان يكون ما يعقبها مختصاً بكفارهم و قد قلنا إن الآية الاولى حملها على عمومها اولى و لو كانت خاصة بهم لم يجب حمل هذه الآية على الخصوص لما تقدم فيما مضى. و الذين نصب بأن. و الكفر هو الجحود و الستر و لذلک سمى الليل كافراً لظلمته قال الشاعر:
فتذكرا نقلا رشيداً بعد ما القت ذكاء «1» يمينها فى كافر
و قال لبيد:
فى ليلة كفر النجوم غمامها
يعنى غطاها.
و الكافور أكمام الكرم الذى يكون فيه و الكفرى وِعاءُ الطلعة لأنه يستر اللب و منه قوله تعالى: «كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ» «2» و سمى الزارع كافراً لتغطيته البذر و يقال فلان متكفر بالسلاح إذا تغطى به. و فى الشرع عبارة عمن جحد ما أوجب اللّه عليه معرفته من توحيده و عدله و معرفة نبيه و الإقرار بما جاء به من من اركان الشرع فمن جحد شيئاً من ذلک كان كافراً و ربما تعلقت به احكام مخصوصة من منع المواريث و المناكحة و المدافنة و الصلاة عليه و ربما لم يتعلق بحسب الدليل عليه.
قوله تعالى: «سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ» جمع بين الهمزتين أهل الكوفة و ابن عامر

(1) و تصحيح البيت: ثقلا بدل نقلا و رثيداً بدل رشيداً و رثد المتاع و غيره فهو مرثود: وضع بعضه فوق بعض و الثقل بيض النعام. ذكاء: الشمس.
(2) سورة الحديد آية: 20

إلا الحلوانى و كذلک فى كل همزتين فى كلمة واحدة إذا كانت الاولى للاستفهام إلا فى مواضع مخصوصة نذكرها فيما بعد الباقون بتخفيف الاولى و تليين الثانية و فصل بينهما بالألف أهل المدينة إلا ورشاً و أبا عمرو و الحلوانى عن هشام.
و معنى قوله «سَواءٌ» أى معتدل مأخوذ من التساوى كقولک متساوٍ و تقول: هذان الأمران عندى سواء أى معتدلان، و منه قوله: «فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ» «1» يعنى بذلک أعلمهم و آذنهم للحرب ليستوى علمک و علمهم بما عليه كل فريق منكم للاخر و معناه: أى الامرين كان منک اليهم الانذار أم ترک الانذار فإنهم لا يؤمنون. و قال عبد اللّه بن قيس الرقيات:
تعدت بى الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها و نهارها
يعنى بدلک عندها معتدل فى السير الليل و النهار، لأنها لا فتور فيه و منه قول الآخر:
و ليل يقول المرء من ظلماته سواء صحيحات العيون و عورها
لأن الصحيح لا يبصر فيه إلا بصراً ضعيفاً من ظلمته، و هذا لفظه لفظ الاستفهام و معناه الخبر، و له نظائر فى القرآن، كما تقول ما أبالى أقمت أم قعدت، و انت مخبر لا مستفهم لأنه وقع موقع أى، كأنک قلت لا أبالى أىّ الامرين كان منک و كذلک معنى الآية: سواء عليهم أىّ هذين منک اليهم حسن فى موضعه، سواء فعلت أم لم تفعل. و قال بعض النحويين ان حرف الاستفهام انما دخل مع سواء و ليس باستفهام، لأن المستفهم إذا استفهم غيره قال: أزيد عندک أم عمرو و يستفهم صاحبه أيهما عنده و ليس أحدهما أحق بالاستفهام من الآخر فلما كان قوله: «سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ» بمعنى التسوية أشبه ذلک الاستفهام إذ شبهه بالتسوية، و قال جرير:
أ لستم خير من ركب المطايا و اندى العالمين بطون راح
فهذا فى صورة الاستفهام و هو خبر، لأنه لو أراد الاستفهام لما كان مدحاً و قال آخر:

(1) سورة الانفال آية 59 [.....]

سواء عليه أى حين أتيته أ ساعة نحس تتقى أم بأسعد
و لا يجوز أن تقع أو فى مثل هذا مكان أم لأن أم هى التى تعادّل بها الهمزة

لا أو.
و الفرق بينهما ان أو يستفهم بها عند أحد الامرين هل حصل أم لا و هو لا يعلمهما معاً كقول القائل: أذّن أو أقام؟ إذ المراد تعلمهما، فإذا علم واحداً منهما و لم يعلمه بعينه قال أذن أم اقام؟ يستفهم عن تعيين أحدهما هذا فى الاستفهام.
و فى الخبر تقول: لا أبالى أقمت أم قعدت. أى هما عندى سواء و لا يجوز ان تقول لا أبالى أقمت أو قعدت لأنک لست بمستفهم من شىء.
و حكى عن عاصم الجحدرى انه قرأ سواو بواو مضمومة لا بهمزة و هذا غلط لأن العرب كلها تهمز ما بعده مده، يقولون: كساء و رداء و هواء و جزاء و غير ذلک. و أما الانذار فهو اعلام و تخويف، و كل منذر معلم و ليس كل معلم منذراً و قد سمى اللّه نفسه بذلک فقال: إِنَّا أَنْذَرْناكُمْ عَذاباً قَرِيباً» «1» لأن الاعلام يجوز وصفه به و التخويف أيضاً كذلک فى قوله: (ذلِکَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبادَهُ) فإذا جاز وصفه بالمعنيين جاز وصفه بلفظ يشتمل عليهما و أنذرت فعل متعد الى مفعولين كقوله تعالى: (أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً (وإِنَّا أَنْذَرْناكُمْ عَذاباً قَرِيباً)
و قد ورد معداً بالباء فى قوله تعالى: «قُلْ إِنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ» «2» و قيل الانذار هو التحذير من مخوف يتسع زمانه الاحتراز، فان لم يتسع زمانه للاحتراز كان اشعاراً و لم يكن إنذاراً. قال الشاعر:
أنذرت عمراً و هو فى مهل قبل الصباح فقد عصى عمرو
فان قيل الذين علم اللّه منهم انهم لا يؤمنون، هل كانوا قادرين على الايمان أم لا؟ فان قلتم ما كانوا قادرين، و قد كلفهم اللّه تعالى الايمان، فقد كلفهم ما لا يقدرون عليه، و هذا لا يجوز- و ان كانوا قادرين- فقد قلتم: انهم كانوا قادرين على تجهيل اللّه. قلنا: هذا يلزم المخالف مثله، فانه لا خلاف أنهم مأمورون

---

(1) سورة النساء: آية 40
(2) سورة الأنبياء: آية 45

بالايمان، فيقال لهم: انه لا يجب ذلک كما لا يجب إذا كانوا مأمورين بالايمان، ان يكونوا مأمورين (بابطال ما علم اللّه) «1» أ ليس اللّه قد علم انه لا يقيم القيامة اليوم؟ إ يقولون: انه قادر على إقامتها أم لا؟ فان قلتم: انه لا يقدر، فقد عجّزتم اللّه. و ان قلتم: انه يقدر، فقد قلتم: انه يقدر على ان يجهّل نفسه.
و الجواب الصحيح عن ذلک: أن العلم يتناول الشىء على ما هو به، و لا يجعله على ما هو به، فليس يمتنع ان يعلم حصول شىء بعينه، و ان كان غيره مقدورا أ لا ترى أن من خُيّر بين الصدق و الكذب و قد علم أن كل

واحد منهما يقوم مقام صاحبه فی باب الغرض و قد علم قبح الكذب و حسن الصدق لا يجوز أن يختار الكذب على الصدق- و ان كان قادراً على الكذب- فبان بذلک صحة ما قلناه

قوله تعالى [سورة البقرة (2): آية 7] ..... ص : 63

اشارة

خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (7)
- آية

- أجمع القراء السبعة على كسر الغين و ضم التاء، و روى عن بعض القراء فتح الغين، و عن الحسن ضم الغين. و حكى عن عاصم فى الشواذ: غشاوةً، بنصب التاء، و لا يقرأ بجميع ذلک.

«خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ» أى شهد عليها بأنها لا تقبل الحق، يقول القائل:
أراك تختم على كل ما يقول فلان، أى تشهد به و تصدقه، و قد ختمت عليك بأنك لا تعلم، أى شهدت، و ذلک استعارة. و قيل ان ختم بمعنى طبع فيها أثراً للذنوب كالسمة و العلامة لتعرفها الملائكة فيتبرءوا منهم، و لا يوالوهم، و لا يستغفروا لهم مع استغفارهم للمؤمنين. و قيل: المعنى فى ذلک أنه ذمهم بأنها كالمختوم عليها فى انها لا يدخلها الايمان و لا يخرج عنها الكفر، قال الشاعر:

---

(1) ما بين القوسين وضعه المصحح فى الطبعة الايرانية.

لقد أسمعت لو ناديت حياً و لكن لا حياة لمن تنادى
أى كأنه لا حياة فيه. و الختم آخر الشىء و منه قوله تعالى: «خِتامُهُ مِسْكٌ» «1» و منه: خاتَمَ النَّبِيِّينَ أى آخرهم. و منه: ختم الكتاب لأنه آخر حال الفراغ منه و الختم الطبع و الخاتم الطابع.
و ما يختم اللَّه على القلوب من السمة و العلامة التى ذكرناها ليست بمانعة من الايمان كما أن ختم الكتاب و الظرف و الوعاء لا يمنع من أخذ ما فيه.
و حكى عن مجاهد أنه قال: الرّين أيسر من الطبع و الطبع أيسر من الختم و من الاقفال و القفل أشد من ذلک.
و قيل: إن قوله تعالى: «خَتَمَ اللَّهُ» إخبار عن تكبرهم و إعراضهم عن الاستماع لما دعوا اليه من الحق كما يقال: فلان أصم عن هذا الكلام إذا امتنع عن سماعه و رفع نفسه عن تفهمه.
و الغشاوة: الغطاء و فيها ثلاث لغات: فتح الغين و ضمها و كسرها و كذلک غشوة فيها ثلاث لغات. و يقال: تغشانى السهم إذا تجلله و كل ما اشتمل على شىء مبنى على فعالة كالعمامة و القلادة و العصابة و كذلک فى الصناعة كالخياطة و القصارة و الصباغة و النساجة و غير ذلک و كذلک من استولى على شىء كالخلافة و الامارة و الاجارة و غير ذلک.
قال ابو عبيدة: «وَ عَلى سَمْعِهِمْ» معناه على أسماعهم و وضع الواحد موضع الجمع لأنه اسم جنس كما قال: «يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا» «2» يعنى أطفالا. و يجوز ان يكون أراد موضع سمعهم فحذف لدلالة الكلام عليه. و يجوز ان يكون أراد المصدر لأنه يدل على القليل و الكثير، فمن رفع التاء قال: الكلام الأول قد تم عند قوله:
«وَ عَلى سَمْعِهِمْ» و استأنف: «وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ» و تقديره: و غشاوة على أبصارهم، و من نصب قدّره، يعنى: جعل على أبصارهم غشاوة، كما

قال الشاعر:

---

(1) سورة المطففين: آية 26
(2) سورة الحج آية 5

علفتها تبناً و ماء باردا
و قال الآخر:
متقلداً سيفاً و رمحا
لما دل الكلام الأول عليه، فإذا لم يكن فى الكلام ما يدل عليه، لا يجوز إضماره، و لا يجوز أن ينصب بالفعل الأول الذى هو الختم، لأن الختم لا يطلق على البصر، كما ذكر فى قوله تعالى: «وَ خَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ» ثم قال:
«وَ جَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً» «1» فلم يدخل المنصوب فى معنى الختم. و قال قوم:
إن ذلک على وجه الدعاء عليهم، لا للاخبار عنهم، و هذا يمكن فى قوله تعالى:
«خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ» و فى قوله «وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ» فيمن نصب غشاوة، فاما من رفع ذلک، فلا يكون دعاء. و الأقوى أن ذلک خبر، لأنه خرج مخرج الذم لهم و الإزراء عليهم، فكيف يحمل على الدعاء؟
و يحتمل أن يكون المراد (بختم) أنه سيختم، و يكون الماضى بمعنى المستقبل، كما قال: «وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ» «2» و على هذا يسقط سؤال المخالف و القلب جعل الشىء على خلاف ما كان. يقال: قلبه يقلبه قلباً، و القليب البئر لأن الماء ينقلب اليها، و ما به قلبة: أى انقلاب عن صحة، و فلان حوّل قلب: إذا كان يقلب الأمور برأيه و يحتال عليها، و القلوب الذئب لتقلبه فى الحيلة على الصيد بخبثه، و سمى القلب قلباً لتقلبه بالخواطر. قال الشاعر:
ما سمى القلب إلا من تقلبه و الرأى يعزب و الإنسان أطوار
و البصر: مصدر بصر به يبصر بصراً، بمعنى أبصره ابصاراً. و البصيرة: الأبصار للحق بالقلب. و البصائر قطع الدم لأنها ترى كثيرة للغسل.
«وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ» بإظهار التنوين، لأن النون تبين عند حروف الحلق و هى ستة أحرف: العين، و الغين، و الحاء، و الخاء، و الهمزة و الهاء و من هذه الأحرف ما لا يجوز فيه الإخفاء، و هى العين، كقوله: «مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» و

---

(1) سورة الجاثية آية 22
(2) سورة الاعراف آية 43

«مَنْ عَلَيْها». و الهمزة، نحو قوله: «غُثاءً أَحْوى» «1» و الخاء و الغين يجوز إخفاؤهما عندهم على ضعفٍ فيه من قوله: «وَ الْمُنْخَنِقَةُ» و «ناراً خالِداً» (فَإِنْ خِفْتُمْ) (مِنْ خَلْفِهِمْ) و (مِيثاقاً غَلِيظاً) «2» (ماءً غَدَقاً) «3» (قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى) «4» قال الفراء: أهل العراق يبينون و أهل الحجاز يخفون و كل صواب.
فان قيل: إذا قلتم: ان اللَّه ختم على قلوبهم، و على سمعهم و على أبصارهم فكيف يكونون قادرين على الايمان؟ قيل: يكونون عليه لأن الختم و الغشاوة ليسا بشىء يفعلهما اللّه تعالى فى القلب و العين يصد بهما عن الايمان، و لكن الختم شهادة على ما فسرناه من اللّه عليهم بأنهم لا يؤمنون، و على قلوبهم بأنها لا تعى الذكر، و لا تعى الحق، و على أسماعهم بأنها لا تصغى الى الحق. و هذا إخبار عمن يُعلم منه أنه لا يؤمن. و الغشاوة هى (إلفُهم الكفر بحبهم له) «5» و لم يقل تعالى:
إنه جعل على قلوبهم بل أخبر انه كذلك. و من قرأ بالنصب- و إن كان شاذاً- يحتمل أن يكون أراد معنى قوله: ان السورة زادتهم رجساً الى رجسهم و السورة لم تزدهم و لكنهم ازدادوا عندها، و سنوضح ذلك فيما بعد ان شاء اللّه تعالى.
«وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ» تقديره: و لهم، بما هم عليه من خلافك، عذاب عظيم و حكى ذلك عن ابن عباس. و أصل العذاب الاستمرار بالشىء يقال: عذبه تعذيباً: إذا استمر به الألم. و عذب الماء عذوبة: إذا استمر فى الحلق و حمار عاذب و عذوب: إذا استمر به العطش فلم يأكل من شدة العطش. و فرس عذوب مثل ذلك.
و العذوب الذى ليس بينه و بين السماء ستر. و أعذبته عن الشىء بمعنى فطمته. و عذبة السوط طرفه و العذاب استمرار الألم.
و أصل العِظَمِ عِظم الشخص، و منه عظيم الشأن الغنى بالشىء عن غيره

---

(1) سورة الأعلى آية 5
(2) سورة النساء آية 20 و 153
(3) سورة الجن: آية 16
(4) سورة البقرة: آية 59
(5) فى الأصل بياض و فى النسخة الايرانية احتمالات استنتجنا منها العبارة الموجودة.

و عظمة اللّه تعالى كبرياؤه و العظام من العِظم لأنه من أكبر ما يركب منه البدن.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 8] ..... ص : 67

اشارة

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8)

(من) لفظ يخبر به عن الواحد من العقلاء، و اثنين و جماعة فلما قال: «وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» دل على أنه أراد الجمع و انما قال: (يقول) بلفظ الواحد حملا له على اللفظ قال الشاعر:
نكن مثل مَنْ يا ذئب يصطحبان
و قيل في معنى الناس وجهان:
أحدهما- أن يكون جمعاً لا واحد له من لفظه واحدهم إنسان و الأنثى انسانة و الثانى- أن أصله: أناس فأسقطت الهمزة منها لكثرة الاستعمال إذا دخلها الألف و اللام للتعريف ثم أدغمت لام التعريف فى النون كما قيل: (لكنا هو اللّه) و أصله: لكن انا.
و قال بعضهم: ان الناس لغة غير أناس، و إلا لقيل فى التصغير: أنيس رداً الى أصله.
و اشتقاقه من النوْس: و هو الحركة ناس ينوس نوساً: إذا تحرک و النوس: تذبذب الشىء فى الهواء، و منه نوس القرط فى الاذن لكثرة حركته.
و لا خلاف بين المفسرين ان هذه الآية و ما بعدها نزلت فى قوم من المنافقين من الأوس و الخزرج و غيرهم، روى ذلک عن ابن عباس و ذكر أسماءهم و لا فائدة فى ذكرها. و كذلک ما بعدها الى قوله: «وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ» كلها فى صفه هؤلاء المنافقين. و المنافق هو الذى يظهر الإسلام بلسانه و ينكره بقلبه.
و اليوم الآخر هو يوم القيامة و انما سمى يوم القيامة اليوم الآخر لأنه يوم لا يوم بعده سواه. و قيل: لأنه بعد ايام الدنيا و أول ايام الآخرة. فان قيل:

كيف لا يكون بعده يوم و لا انقطاع للاخرة و لا فناء؟ قيل: اليوم فى الآخرة سمى يوماً بليلته التى قبله فإذا لم يتقدم النهار ليل لم يسم يوماً فيوم القيامة يوم لا ليل بعده فلذلک سماه اليوم الآخر.
و انما قال: «وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» مع قوله: «.. مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ» تكذيباً لهم فيما أخبروا عن اعتقادهم من الايمان و الإقرار بالبعث و النبوة فبين ان ما قالوه بلسانهم مخالف لما فى قلوبهم و ذلک يدل على ان الايمان لا يكون مجرد القول على ما قالته الكرامية.
(يقول) من القول و منه: تقوّل إذا تخرص القول و اقتال فهو مقيال:
إذا أخذ نفعاً الى نفسه بالقول أو دفع به ضرراً عنها و المِقوَل اللسان يُقَوّله تقويلا إذا طالبه بإظهار القول.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 9] ..... ص : 68

اشارة

يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ ما يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ (9) آية

قرأ ابن كثير و نافع و ابو عمرو بضم الياء و بألف. الباقون بفتح الياء بلا الف فى قوله «وَ ما يَخْدَعُونَ»

قال ابو زيد: خدعت الرجل أخدعه خِدعاً بكسر الخاء و خديعة و يقال فى المثل: إنک لأخدع من ضب حرشته. و قال ابن الاعرابى: الخادع: الفاسد من الطعام و من كل شىء و انشد:
ابيض اللون لذيذاً طعمه طيب الريق إذا الريق خدع
اى تغير و فسد. و قال ابو عبيدة: يخادعون بمعنى يخدعون قال الشاعر:
و خادعت المنية عنک سراً فلا جزع الأوان و لا رواعا

و خداع المنافق إظهاره بلسانه من القول أو التصديق خلاف ما فى قلبه من الشک و التکذیب و لیس لأحد ان یقول: کیف یکون المنافق للّه و لرسوله و للمؤمنین مخادعاً و هو لا یظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد إلا تقیة؟. و ذلک ان العرب تسمی من اظهر بلسانه غیر ما فی قلبه لینجو مما یخافه مخادعاً لمن تخلص منه بما اظهر له من التقیة فلذلک سمی المنافق مخادعاً من حیث انه نجا من اجراء حکم الکفر علیه بما أظهره بلسانه فهو و ان کان مخادعاً للمؤمنین فهو لنفسه مخادع لأنه یظهر لها بذلک أنه یعطیها أمنیتها و هو یوردها بذلک ألیم العذاب و شدید الوبال، فلذلک قال: «وَ ما یَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ».

و قوله: «وَ ما یَشْعُرُونَ» یدل علی بطلان قول من قال: إن اللّه لا یعذب إلا من کفر عناداً بعد علمه بوحدانیته ضرورة، لأنه أخبر عنهم بالنفاق و بأنهم لا یعلمون ذلک، و المفاعلة، و إن کانت تکون من اثنین، من کل واحد منهما لصاحبه، مثل ضاربت و قاتلت و غیر ذلک، فقد ورد من هذا الوزن (فاعَلَ) بمعنی (فَعلَ) مثل: قاتله اللّه، و طابقت النعل، و عافاه اللّه، و غیر ذلک. و قد حکینا أن معناه: یخدعون، کما قال فی البیت المقدّم و قیل: إنه لم یخرج بذلک عن الباب و معناه: ان المنافق یخادع اللّه بکذبه بلسانه علی ما تقدم، و اللّه یخادعه بخلافه بما فیه نجاة نفسه کما قال. «إِنَّما نُمْلِی لَهُمْ لِیَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِینٌ» «1» و حکی عن الحسن ان معنی یخادعون اللّه أنهم یخدعون نبیه لأن طاعته طاعة اللّه و معصیته معصیة اللّه کما قال: «وَ إِنْ یُرِیدُوا أَنْ یَخْدَعُوکَ» «2» و قیل معناه: انهم یعملون عمل المخادع کما یقال فلان یسخر من نفسه و من قرأ «و ما یخادعون» بألف طلب المشاکلة و الازدواج کما قال: «وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا» «3» و کما قال:

---

(1) سورة آل عمران: آیة 178.
(2) سورة الانفال: آیة 63. [.....]
(3) سورة النحل: آیة 126.

«وَ جَزاءُ سَیِّئَةٍ سَیِّئَةٌ مِثْلُها» «1» و کما قال الشاعر:

ألا لا یجهلن احد علینا فنجهل فوق جهل الجاهلینا

و قال تعالی: «فَیَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ» «2» و مثله کثیر. و قیل فی حجة من قرأ یخادعون بألف هو ان ینزل ما یخطر بباله و یهجس فی نفسه من الخداع بمنزلة آخر یجازیه ذلک و یفاوضه فکأن الفعل من اثنین کما قال الشاعر و ذکر حماراً أراد الورود:

تذكر من أنى و من أين شربه يؤامر نفسيه كذى الهجمة الإبل»
فجعل ما يكون منه من وروده الماء و التمثل بينهما بمنزلة نفسين و قال الآخر:
و هل تطيق وداعاً ايها الرجل
و على هذا قول من قرأ: (قال اعلم ان اللَّه على كل شىء قدير) فوصل فخاطب نفسه و نظائر ذلک كثيرة و انما دعاهم الى المخادعة امور أحدها- التقية و خوف القتل و الثانى- ليكرموهم إكرام المؤمنين.
الثالث- ليأنسوا اليهم فى أسرارهم فينقلوها الى أعدائهم. و الخداع مشتق من الخدع و هو إخفاء الشىء مع إيهام غيره و منه المخدع: البيت الذى يخفى فيه الشىء فان قيل: أليس الكفار قد خدعوا المؤمنين بما أظهروا بألسنتهم حتى حقنوا بذلک دماءهم و أموالهم- و ان كانوا مخدوعين فى أمر آخرتهم- قيل: لا نقول خدعوا المؤمنين لأن اطلاق ذلک يوجب حقيقة الخديعة لكن نقول: خادعوهم و ما خدعوهم بل خدعوا أنفسهم، كما قال فى الآية، و لو أن إنساناً قاتل غيره، فقتل نفسه جاز أن يقال: انه قاتل فلاناً، فلم يقتل إلا نفسه، فيوجب مقاتلة صاحبه، و ينفى عنه قتله.
و النفس مأخوذة من النفاسة، لأنها أجل ما فى الإنسان. تقول: نَفَس

---

(1) سورة الشورى: آية 40
(2) سورة التوبة: آية 80
(3) فى الطبعة الايرانية نفسه بدل نفسيه

ينفس نفاسة: إذا ضن به، و تنافسوا فى الأمر: إذا تشاحوا. و النفس: الروح.
و نفس عنه تنفيساً: إذا روح عن نفسه. و النّفس: الدم، و منه النفساء، و نفست المرأة. و النفس: خاصة الشىء، و قوله: «وَ ما يَشْعُرُونَ» يعنى و ما يعلمون، يقال ما شعر فلان بهذا الأمر و هو لا يشعر به إذ لم يدر، شعراً و شعوراً و مشعوراً قال الشاعر:
عقوا بسهم فلم يشعر به احد ثم استفاءوا و قالوا حبذا الوضح «1»
يعنى: لم يعلم به أحد. و اصل الشعر: الدقة شعر به يشعر: إذا اعلمه بأمر يدق و منه الشعيرة و الشعير، لأن فى رأسهما كالشعر فى الدقة. و المشاعر: العلامات فى مناسک الحج كالموقف و الطواف، و غيرهما. و أشعرت البدنة، إذا أعلمتها على انها هدى. و الشعار ما يلى الجسد، لأنه يلى شعر البدن.

«إِلَّا أَنْفُسَهُمْ»
نصب على الاستثناء.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 10] ..... ص : 71

اشارة

فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ بِما کانُوا یَکْذِبُونَ (10)

امال الزاى ابن عامر و الحلوانى و حمزة، و قرأ اهل الكوفة بفتح الياء يكذبون مخففاً.

يقال زاد يزيد زيادة «2» و قال الشاعر
كذلک زيد المرء بعد انتقاصه

---

(1) فى الطبعة الايرانية بدل (عقوا) عفواً و بدل (استفاءوا) استقادوا و بدل (و قالوا) فقالوا
(2) و زيداً و زيداً و زيداً و مزيداً و زيداناً
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 72
و (زدت) فعل يتعدى الى مفعولين، قال تعالى «وَ زِدْناهُمْ هُدىً و زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ» و زاده بسطة فى العلم و الجسم و قوله [فَزادَهُمْ إِيماناً] و المعنى:
زادهم فوق الناس لهم ايماناً أضمر المصدر فى الفعل، و أسند الفعل اليه، كما قال [ما زادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً] «1» أى ما زادهم مجىء النذير، و المعنى ازدادوا عنده و قال ابو عبيدة المرض الشک و النفاق، و قيل فى قوله [فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ] أى فجور، و قال سيبويه: مرضته قمت عليه، و وليته، و أمرضته:
جعلته مريضاً.
و قيل إن المرض الغم و الوجع من الحسد و العداوة لكم [فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً] دعاء عليهم، كما قال تعالى: [ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ] «2» و اصل المرض: السقم فى البدن فشبه ما فى قلوبهم من النفاق و الشک بمرض الأجساد.
و الأليم بمعنى المؤلم الموجع: فعيل بمعنى مفعل: مثل بديع بمعنى مبدع، و مكان حريز بمعنى محرز. قال ذو الرمة:
يصک وجوهها وهج اليم
فان قيل إذا كان معنى قوله: «فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شک و نفاق، ثم قال: [فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً] ثبت ان اللّه يفعل الكفر بخلاف ما تذهبون اليه. قيل:
ليس الأمر على ما ذكرتم، بل معناه: إن المنافقين كانوا كلما أنزل اللّه آية أو سورة كفروا بها، فازدادوا بذلک كفراً الى كفرهم، و شكاً الى شكهم، فجاز لذلک أن يقال: فزادهم اللّه مرضاً لما ازدادوا هم مرضاً عند نزول الآيات: و مثل ذلک قوله حكاية عن نوح: [رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَ نَهاراً، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِى إِلَّا فِراراً] «3» و هم الذين ازدادوا فراراً عند دعائه: و مثل قوله: [فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ] «4» و انما أراد انهم ازدادوا عند نزول الآية و كقوله:

---

(1) سورة فاطر آية 42.
(2) سورة التوبة آية 128
(3) سورة نوح آية 6
(4) سورة التوبة آية 126
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 73
«فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِى» «1» و المؤمنون ما أنسوهم ذكر اللّه بل كانوا يدعونهم اليه تعالى، لكن لما نسوا ذكر اللّه عند ضحكهم من المؤمنين و اتخاذهم إياهم سخرياً، جاز أن يقال: إن المؤمنين انسوهم. و يقول القائل لغيره إذا وعظه فلم يقبل نصيحته: قد كنت شريراً فزادتک نصيحتى شرا. و انما يريد أنه ازداد عنده. فلما كان المنافقون فقد مرضت قلوبهم بما فيها من الشک، ثم ازدادوا شکا و کفرا عند ما کان تجدد من امر اللّه و نهيه، و ما ينزل من آياته، جاز أن يقال: [فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً] فان قيل: فعلى هذا ينبغى أن يكون انزال الآيات مفسدة، لأنهم يزدادون عند ذلک الكفر. قلنا: ليس احد المفسدة ما وقع عنده الفساد، و انما المفسدة ما وقع عندها الفساد، و لولاها لم يقع، و لم يكن تمكيناً، و هذا تمكين لهم من النظر فى معجزاته و دلائله، فلم يكن استفساداً و لو كان الأمر على ما قالته المجبّرة: إن اللّه يخلق فيهم الكفر لقالت الكفار ما ذنبنا، و اللّه تعالى يخلق فينا الكفر، و يمنعنا من الايمان. فلم تلوموننا على ما فعله اللّه؟
فتكون الحجة لهم لا عليهم. و ذلک باطل، و التقدير فى الآية فى اعتقاد قلوبهم الذى يعتقدونه فى الدين و التصديق بنبيه مرض، و حذف المضاف و اقام المضاف اليه مقامه.
قال الشاعر:
هلا سألت الخيل يا ابنة مالک ان كنت جاهلة بما «2» لم تعلمى
يعنى اصحاب الخيل كما قال: [يا خيل الله اركبى] يعنى يا اصحاب خيل الله، و كما قال تعالى: [وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ] «3» و انما أراد أهلها. و روى عن ابن عباس أن المرض المراد به الشک و النفاق، و به قال قتادة و عبد الرحمن بن زيد و الكذب ضد الصدق، و هو الاخبار عن الشىء لا على ما هو به، يقال كذب يكذب كذبا و كذابا- خفيف و ثقيل- مصدران. و الكذب كالضحک و الكذاب كالكتاب و الإكذاب: جعل الفاعل على صفة الكذب. و التكذب: التحلى

---

(1) سورة الأحزاب: آية 111.
(2) فى الطبعة الايرانية (لما)
(3) سورة يوسف: آية 82.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 74
بالكذب. و جهة من ضم الياء و شدد الذال أنه ذهب الى أنهم استحقوا

العذاب بتكذيبهم النبى- صلى اللّه عليه و آله- و بما جاء به. و من فتح الياء و خفف الذال قدر المضاف، كأنه قال: بكذبهم، و هو أشبه بما تقدم، و هو قولهم: «آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» «1»، فأخبر اللّه عنهم فقال: «وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» و لذلک يحمد تكذيبهم. و ادخل كان ليعلم ان ذلک كان فيما مضى، كقول القائل: ما احسن ما كان زيداً. و قال بعض الكوفيين: لا يجوز ذلک، لأن حذف كان، انما أجازوه فى التعجب. لأن الفعل قد تقدمها فكأنه قال حسناً كان زيد. و لا يجوز ذلک هاهنا لأن كان تقدمت الفعل.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 11] ..... ص : 74

اشارة

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11)

رام ضم القاف فيها و فى أخواتها الكسائى و هشام و رويش «2» و وافقهم ابن ذكوان فى السين و الحاء، مثل: حيل و سيق، و سيئت، و وافقهم اهل المدينة فى سيق و سيئت فمن ضم ذهب الى ما حكى عن بعض العرب: قد قول، و قد بوع المتاع، بدل قيل و بيع، و من كسرها قال: لأن ياء الساكنة لا تكون بعد حرف مضموم، و من أشم قال: أصله قول، فاستثقلت الضمة، فقلبت كسرة، و أشمت ليعلم ان الأصل كانت ضمة.

و روى عن سلمان- رحمه اللَّه- أنه قال: لم يجئ هؤلاء. و قال أكثر المفسرين: إنها نزلت فى المنافقين الذين فيهم الآيات المتقدمة، و هو الأقوى و يجوز أن يراد بها من صورتهم صورتهم، فيحمل قول سلمان- رحمه اللَّه- على أنه

---

(1) سورة البقرة. آية 8. [.....]
(2) لم نعثر على هذا الاسم فى كتب الرجال و لعله ورش.

أراد بعد انقراض المنافقين الذين تناولتهم الآية.
و معنى قولهم له: «إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ» يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يقول: إن هذا الذى عندكم فساد، هو صلاح عندنا، لأنا إذا قابلناهم استدعيناهم الى الحق فى الدين.
و الثانى- أن يجحدوا ذلک البلاغ.
و الإفساد مأخوذ من الفساد: و هو كلما يغير عن استقامة الحال. تقول: فسد يفسد فسادا. و الإفساد: إحداث الفساد. و المفاسدة: المعاملة بالفساد. و التفاسد:
تعاطى الفساد بين اثنين. و الاستفساد. المطاوعة على الفساد. لا تفسدوا فى الأرض فيقولون انما نحن مصلحون، و يقال لهم: آمنوا كما آمن الناس فيقولون أ نؤمن كما آمن السفهاء؟ فليس هؤلاء منافقين، بل مظهرون لكفرهم. و الآية فى المنافقين قيل: المنافقون و إن كانوا يظهرون الايمان للنبى- صلى اللَّه عليه و آله- فإنهم كانوا لا يألون المسلمين خبالا، و كانوا يثبطون عن النبى (ص) و يدعون الى ترک نصرته من يثقون باستماعهم منهم، و من يظنون ذلک به، فربما صادفوا من المؤمنين التقى فيجيبهم بما ذكر اللَّه، فإذا أخبر أولئک النبى- صلى الله عليه و آله و سلم- ثم ذكروا له «1» ما قالوا و عاتبهم النبى (ص) عادوا الى إظهار الايمان و الندم عليه، أو كذبوا قائله و الحاكى عنهم، و كان لا يجوز فى الدين إلا قبول ذلک منهم بما يظهرون، و خاصة فى صدر الإسلام، و الحاجة الى تألف قلوبهم ماسة «2».
و من قرأ الاخبار تبين صحة ما قلناه.
و الإفساد فى الأرض: العمل فيها بما نهى الله عنه، و تضييع ما أمر الله بحفظه كما قال تعالى حاكياً عن الملائكة: «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها»؟ «3» يعنون من يعصيک، و يخالف أمرک، و هذه صفة المنافقين.
و الأرض: هى المستقر للحيوان، و يقال لقوائم البعير: أرض، و كذلک

---

(1) فى الطبعة الايرانية: ثم ذكروه و لعل الصحيح ما ذكرنا
(2) فى الطبعة الايرانية (ماسة) ضرب عليها و لعل وجودها أصح
(3) سورة البقرة: آية 30
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 76
الفرس ان قوى. و الأرض: الرّعدة، و قال ابن عباس: ما أدرى إذاً زلزلت الأرض ام بى أرض؟ أى رعدة، و الأرضة: دويبة تأكل الخشب.
و الصلاح: استقامة الحال، فالاصلاح: جعل الحال على الاستقامة. و الاصطلاح الاجتماع. و التصالح: التمالى على الصلاح، و منه المصالحة و الاستصلاح، و الصالح:
المستقيم الحال، و المصلح: المقوم للشىء على الاستقامة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 12] ..... ص : 76

اشارة

أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لكِنْ لا يَشْعُرُونَ (12)

ألا: فيها تنبيه، و معناها لاستفتاح الكلام، و مثله: ألا ترى؟ أما تسمع؟
و أصلها (لا) دخل عليها ألف الاستفهام و الألف إذا دخل على الجحد أخرجه الى الإيجاب نحو قوله: «أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى»؟ لأنه لا يجوز للمجيب إلا الإقرار ببلى.
و الهاء و الميم فى موضع النصب بأن. و هم فصل عند البصريين و يسميه الكوفيون عمادا. و قوله [لا يَشْعُرُونَ] قد فسرناه «1» و فيها دلالة على من قال: بان الكفار معاندون عالمون بخطاياهم و ان المعرفة مزوّرة و وصفهم بأنهم [هُمُ الْمُفْسِدُونَ] لا يمنع من وصف غيرهم بانه مفسد، لأن ذلک دليل الخطاب و حكى عن ابن عباس: أن معنى قوله [إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ] انما يريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين و اهل الكتاب و حكى عن مجاهد انهم إذا ركبوا معصية اللّه، قيل لهم: لا تفعلوا هذا. قالوا: إنما نحن مصلحون أى: انما نحن على الهدى و كلا الأمرين محتمل لأنهما جميعاً عندهم أنه إصلاح فى الدين و إن كان ذلک إفساداً عند اللّه، و من حيث أنه خلاف لما أمرهم به، و إنما جاز تكليف ما لا يشعر أنه على ظلال، لأن له طريقاً الى العلم.

---

(1) فى قوله: «يُخادِعُونَ اللَّهَ ..» تتمة الآية

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 13] ..... ص : 77

اشارة

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَما آمَنَ النَّاسُ قالُوا أَ نُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ وَ لكِنْ لا يَعْلَمُونَ (13)
قرأ ابن عامر و أهل الكوفة بتحقيق الهمزتين، و كذلک كل همزتين مختلفتين من كلمتين. الباقون بتخفيف الأولى و تليين الثانية.

المعنى بهذه الآية هم الذين وصفهم تعالى بأنهم يقولون: «آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» و المعنى إذا قيل لهم آمنوا بمحمد (ص) و بما جاء من عند اللّه، كما آمن به الناس يعني المؤمنين حقاً، لأن الألف و اللام ليسا فيه للاستغراق، بل دخلا للعهد، فكأنه قيل: آمنوا كما آمن الناس الذين تعرفونهم باليقين و التصديق باللّه و نبيه- صلى اللّه عليه و آله- و بما جاء به من عند الله.

و الألف في قوله: «أَ نُؤْمِنُ» ألف إنكار، و أصلها الاستفهام، و مثله «أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ» «1» و كقول القائل: أ أضيع ديني و أثلم مروءتي؟ و كل هذا جواب، لكن قد وضع السؤال فيه وضعاً فاسداً، لوصفهم ان الذين دعوا إليهم سفهاء.

و موضع (إذا) نصب، و تقديره: قالوا إذا قيل لهم ذلك ا نؤمن، فالعامل فيه قالوا.

و السفهاء جمع سفيه، مثل: علماء و عليم، و حكماء و حكيم، و السفيه: الضعيف الرأى الجاهل القليل المعرفة بمواضع المنافع و المضار و لذلك سمى الله الصبيان سفهاء بقوله: «لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ» «2» فقال عامه اهل التأويل هم النساء و الصبيان لضعف آرائهم و أصل السفه: خفة الحلم و كثرة الجهل. يقال: ثوب سفيه إذا

---

(1) سورة يس: آية 47

. (2) سورة النساء: آية 4

كان رقيقاً بالياً. و سفهته الريح: إذا طيرته كل مطيّر. و في اخبارنا أن شارب الخمر سفيه فأمر الله تعالى أن يؤمنوا كما آمن المؤمنين المستبصرون فقالوا: أ نؤمن كما آمن الجهال، و من لا رأى له و من لا عقل له كالصبيان و النساء، فحكم الله عليهم حينئذ بأنهم السفهاء باخباره عنهم بذلك. و هو من تقدم ذكره من المنافقين.

و السفيه إنما سمى مفسداً من حيث انه يفسد من حيث يظن انه يصلح، و يضيّع من حيث يرى أنه يحفظ و كذلك المنافق يعصى ربه من حيث يظن انه يطيع و يكفر به من حيث يظن أنه يؤمن به. و الألف و اللام في السفهاء للعهد كما قلناه في الناس.

و هذه الآية ايضاً فيها دلالة على من قال: إن الكافر لا يكون إلا معانداً، لأنه قال: «وَ لكِنْ لا يَعْلَمُونَ».

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 14] ..... ص : 78

اشارة

وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ (14)

قرئ فى الشواذ و إذا لاقوا الذين. قرأها اليمانى. و فى القراء من همز «مستهزئون»، و منهم من ترک الهمزة.

حكى عن ابن عباس أنه قال: هذه فى صفة المنافقين فكان الواحد منهم إذا لقى اصحاب النبى- صلى اللّه عليه و آله- قال إنا معكم- أى على دينكم- و إذا خلوا الى شياطينهم- يعنى أصحابهم- قالوا انما نحن مستهزئون- يعنى نسخر منهم يقال خلوت اليه، و خلوت معه. و يقال خلوت به على ضربين: أحدهما- بمعنى خلوت معه، و الآخر- بمعنى سخرت منه. و خلوت اليه فى قضاء الحاجة لا غير.
و خلوت به له معنيان: أحدهما- هذا، و الآخر- سخرت منه. قال الأخفش:

و قد تكون (الى) فى موضع الباء، (و على) فى موضع عن، و انشد:
إذا رضيت علىّ بنو قشير لَعمر الله أعجبنى رضاها
فعلى هذا يحتمل أن تكون الآية: (خلوا مع ..) و قال الرمانى: الفرق بين اللقاء و الاجتماع، أن اللقاء لا يكون إلا على وجه المجاورة، و الاجتماع قد يكون كاجتماع العزمين فى محل. و قد بينا معنى الشيطان فيما مضى «1» معكم (و معكم)- بفتح العين و سكونها- لغتان.
و ترک الهمزة فى «مستهزئون» لغة قريش، و عامة غطفان. و كنانة بعضها يجعلها بمنزلة (يستقصون، و يستعدون) بحذفها. و بعض بنى تميم و قيس يشيرون الى الزاء بالرفع، بين الرفع و الكسر، و هذيل، و كثير من تميم يخففون الهمزة و قال بعض الكوفيين: إن معنى «إِذا خَلَوْا»: إذا انصرفوا خالين، فلأجل ذلک قال: الى شياطينهم. على المعنى، و هو مليح، و قيل: إن شياطينهم: رؤساؤهم و قيل: أريد بهم أصحابهم من الكفار. و روى عن أبى جعفر عليه السلام: أنهم كهانهم.
و الاستهزاء: طلب الهزء بايهام أمر ليس له حقيقة فى من يظن فيه الغفلة.
و الهزء: ضد الجد يقال هزئ به هزء و التهزى: طلب الهزء: بالشىء، و غرضهم كان بالاستهزاء مع علمهم بقبحه حقن دمائهم بإظهار الايمان و إذا خلوا الى شياطينهم كشفوا ما فى نفوسهم

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 15] ..... ص : 79

اشارة

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)

اللَّه: رفع بالابتداء و خبره: يستهزئ بهم

---

(1) مر فى الاستعاذة.

و اللَّه تعالى لا يجوز عليه حقيقة الاستهزاء لأنها السخرية على ما بيناه و معناها من اللّه هو الجزاء عليها و قد يسمى الشىء باسم جزائه، كما يسمى الجزاء باسم ما يستحق به كما قال تعالى: «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» «1» و قال: «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ» «2» و قال: «وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا» «3» و الأول ليس بعقوبة و العرب تقول: الجزاء بالجزاء. و الأول ليس بجزاء (و البيت الاول شاهد بذلک) و قيل إن استهزاءهم لما رجع عليهم جاز أن يقول عقيب ذلک: «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» يراد به ان استهزاءهم لم يضر سواهم و انه (دبر) «4» عليهم و اهلكهم. يقول القائل: أراد فلان أن يخدعنى فخدعته: أى دبر على امرأ فرجع ضرره عليه.

و حكى عن بعض من تقدم أنه قال إذا تخادع لک انسان ليخدعک فقد خدعته و قيل ايضاً: إن الاستهزاء من الله: الاملاء الذى يظنونه إغفالا و قيل: إنه لما كان ما أظهره من اجراء حكم الإسلام عليهم فى الدنيا بخلاف ما أجراه عليهم فى الآخرة من العقاب و كانوا فيه على اغترار به كان كالاستهزاء و روى فى الاخبار أنه يفتح لهم باب جهنم، فيظنون أنهم يخرجون منها، فيزدحمون للخروج، فإذا انتهوا الى الباب، ردتهم الملائكة حتى يرجعوا، فهذا نوع من العقاب، و كان الاستهزاء، كما قال اللَّه تعالى: «كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها» «5» و قوله «يَمُدُّهُمْ» حكى عن ابن عباس و ابن مسعود أنهما قالا: معناه يملى لهم بأن يطوّل أعمارهم، و قال مجاهد: يزيدهم و قال بعض النحويين يمدهم كما يقولون نلعب الكعاب: أى بالكعاب. و حكى أن مد و أمدَّ لغتان، و قيل مددت له و أمددت له يقال مد البحر فهو ماد، و أمد الجرح فهو ممد قال الجرمى: ما كان من الشر فهو

---

(1) سورة الشورى: آية: 40
(2) سورة آل عمران: آية 54
. (3) سورة النحل: آية 126.
(4) فى الطبعة الايرانية (دمر) بدل «دبر» و ما ذكر فى المتن هو الصحيح بقرينة ما يأتى من قوله: «.. دبر على أمرأ»
. (5) سورة الحج: آية 22

مددت و ما كان من الخير فهو أمددت، فعلى هذا، إن أراد تركهم، فهو من مددت و إذا أراد اعطاءهم يقال أمدهم، و قرئ فى الشواذ: و يمدهم- بضم الياء.

و قال بعض الكوفيين كل زيادة حدثت فى الشىء من نفسه، فهو مددت- بضم

بغير ألف- كما يقولون مد النهر و مده نهر آخر، فصار منه إذا اتصل به، و كل زيادة حدثت فى الشىء من غيره فهو أمددت- بألف- كما يقال أمد الجرح لأن المدة «1» من غير الجرح، و أمددت الجيش.
و أقوى الأقوال أن يكون المراد به نمدهم على وجه الاملاء و الترک لهم فى خيرهم، كما قال: «إِنَّما نُمْلِی لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً» «2»، و كما قال: «وَ يَمُدُّهُمْ فِی طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ» يعنى يتركهم فيه. و الطغيان: الفعلان من قولک طغى فلان يطغى طغياناً، إذا تجاوز حده، و منه قوله: «كَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى» «3» أى يتجاوز حده، و الطاغية: الجبار العنيد، و قال أمية بن أبى الصلت:
و دعا اللّه دعوة لات هنا بعد طغيانه فظل «4» مشيرا
يعنى لا هنا. و معناه فى الآية: فى كفرهم يترددون. و العمه: التحير.
يقال: عمه يعمه عمها فهو عمه و عامه: أى حائر عن الحق، قال رؤبة:
و مهمهٍ أطرافه فى مهمه أعمى الهدى بالجائرين «5» العُمه
جمع عامه، فان قيل: كيف يخبر اللّه أنه يمدهم فى طغيانهم يعمهون، و أنتم تقولون: إنما أبقاهم ليؤمنوا لا ليكفروا، و انه أراد منهم الايمان دون الكفر؟
قيل معناه: أنه يتركهم و ما هم فيه لا يحول بينهم و بين ما يفعلونه، و لا يفعل بهم

---

(1) المدة: ما يجتمع فى الجرح من القيح. [.....]
(2) سورة آل عمران: آية 178.
(3) سورة العلق: آية 6
(4) فى الطبعة الايرانية (فصار) يدل فضل، و البيت فى ديوان امية. و (لات هنا) كلمة تدور فى كلامهم يريدون بها: (ليس هذا حين ذلک) و (هنا) مفتوحة الهاء مشددة النون مثل (هنا) مضمومة الهاء مخففة النون.
(5) الصحيح ما ذكرنا و فى الطبعة الايرانية (فالحائرين) و فى تفسير الطبرى نقلا عن ديوان رؤبة بالجاهلين.

من الألطاف التى يؤتيها المؤمنين، فيكون ذلک عقوبة لهم و استصلاحاً. و نظير ذلک قول القائل لأخيه، إذا هجره أخوه متجنياً عليه، إذا استعتبه فلم يراجعه:
سأمد لک فى الهجران مداً يريد سأترکک و ما صرت اليه تركا ينبهک على قبح فعلک لا أنه يريد بذلک أن يهجره أخوه، و لكن على وجه الغضب و الاستصلاح و التنبيه

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 16] ..... ص : 82

اشارة

أُولئِکَ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدی فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما کانُوا مُهْتَدِینَ (16)

ضم جميع القراء الواو من «اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ» و روى السوخردى عن زيد ابن إسماعيل بتخفيف ضمة الواو، و كذلک نظائره، نحو: (لنبلون)، «فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ». و روى عن يحيى بن يعمر فى الشواذ أنه كسرها، شبهها بواو: (لو) فى قوله: «لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا» «1» و ضم يحيى بن وثاب واو (لووا) و فيما ذكرناه شبهها بواو الجمع، و الصحيح ما عليه القراء، لأن الواو فى الآية و نظائرها واو الجمع فحركت بالحركة التى من جنسها لالتقاء الساكنين.

و هذه الآية الاشارة بها الى من تقدم ذكره من المنافقين، و قال ابن عباس اشتروا الكفر بالايمان، و قال قتادة: استحبوا الضلالة على الهدى، و قال ابن مسعود:
أخذوا الضلالة و تركوا الهدى، و قال مجاهد آمنوا ثم كفروا. و هذه الأقوال متقاربة المعانى. فان قيل كيف اشتروا هؤلاء القوم الضلالة بالهدى، و انما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقهم ايمان؟ فيقال فيهم باعوا ما كانوا عليه بضلالتهم التى استبدلوها منه، و المفهوم من الشراء اعتياض شىء يبذل شىء مكانه عوضاً منه، و هؤلاء ما كانوا قط على الهدى.

---

(1) سورة التوبة: آية 43

قلنا: من قال: بان الآية مخصوصة بمن كفر بعد إيمانه. فقد تخلص من هذا السؤال، غير أن هذا لا يصح عندنا، من أن من آمن باللّه لا يجوز أن يكفر.
و ان حملنا على اظهار الايمان، لم يكن فى الآية توبيخ، و لا ذم. و الآية تتضمن التوبيخ على ما هم عليه، لأنها اشارة الى ما تقدم و تلك صفات المنافقين. و الجواب عن ذلک ان نقول: إن من ارتكب الضلالة و ترک الهدى، جاز ان يقال ذلک فيه و يكون معناه: كان الهدى الذى تركه هو الثمن الذى جعله عوضاً عن الضلالة التى أخذها فيكون المشترى أخذ المشترى مكان الثمن المشترى به كما قال الشاعر:
أخذت بالجمة رأساً أزعرا و بالثنايا الواضحات الدردرا
و بالطويل العمر عمراً جيدرا كما اشترى المسلم إذ تنصرا «1»
و منهم من قال: استحبوا الضلالة على الهدى انما قال ذلک لقوله تعالى: (وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى» «2» فحمل هذه الآية عليه. و من حملها على انهم اختاروا الضلالة على الهدى. فان ذلک مستعمل فى اللغة يقولون اشتريت كذا على كذا. و اشتريته يعنون اخترته. قال اعشى بنى ثعلبة.
فقد اخرج الكاعب المسترا «3» ة من خدرها و اشيع القمارا
يعنى: المختارة. قال ذو الرمة فى معنى الاختيار:
يذب القصايا عن شراة كأنها جماهير تحت المدجنات الهواضب «4»
و قال آخر:

---

(1) زعر الشعر فهو زعر و ازعر: قل و تفرق.
الدردر: مغارز أسنان الصبى، أو هى قبل نباتها و بعد سقوطها. الجيدر:

القصير و المراد قصير العمر
(2) سورة حم السجدة: آية 17.
(3) فى الطبعة الايرانية «المشتراة) و كذلک فى مخطوطة تفسير. الطبرى اما فى ديوانه 35 و طبقات فحول الشعراء 36 و اللسان «سرا) فكما ذكرنا.
(4) ديوانه. يُذب: يدفع و يطرد. و القصايا: و هى من الإبل رذالتها ضعفت فتخلفت.
و جماهير ج جمهور: و هو رمله مشرفة على ما حولها. و الهواضب: التى دام مطرها. و المدجنات من سحابة داجنة: أى كثيفة.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 84
إن الشراة رؤُقة الأموال و حزرة القلب خيار المال «1»
و الأول أقوى لقوله: «فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ» فبين ان ذلک بمعنى الشراء و البيع الذى يتعارفه الناس. و الربح- و ان اضافه الى التجارة- فالمراد به التاجر لأنهم يقولون ربح: بيعک و خسر بيعک و ذلک يحسن فى البيع و التجارة، لأن الربح و الخسران يكون فيهما. و متى التبس فلا يجوز إطلاقه. لا يقال: ربح عبدک إذا أراد ربح فى عبده، لأن العبد نفسه قد يربح و يخسر. فلما أوهم لم يطلق ذلک فيه.
و قيل: إن المراد، فما ربحوا فى تجارتهم. كما يقال: خاب سعيک: أى خبت فى سعيک. و انما قال ذلک لأن المنافقين بشرائهم الضلالة خسروا و لم يربحوا، لأن الرابح من استبدل سلعة بما هو أرفع منها. فاما إذا استبدلها بما هو أدون منها فإنما يقال خسر فلما كان المنافق استبدل بالهدى الضلالة و بالرشاد الخيبة عاجلا و فى الآخرة الثواب بالعقاب كان خاسراً غير رابح. و انما قال: «وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ»، لأنه يخسر التاجر و لا يربح و يكون على هدى. فأراد اللّه تعالى أن ينفى عنهم الربح و الهداية فقال: «فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ» باستبدالهم الكفر بالايمان، و اشترائهم النفاق بالتصديق، و الإقرار بها. فان قيل: لم قال: فما ربحت تجارتهم فى موضع ذهبت رؤوس أموالهم؟ قيل: لأنه قد ذكر الضلالة بالهدى، فكأنه قال: طلبوا الربح فما ربحوا، لما هلكوا. و فيه معنى ذهبت رؤوس أموالهم و يحتمل ان يكون ذلک على وجه التقابل: و هو ان الذين اشتروا الضلالة بالهدى لم يربحوا، كما ان الذين اشتروا الهدى بالضلالة، ربحوا.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 17] ..... ص : 84

اشارة

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِی اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَکَهُمْ فِی ظُلُماتٍ لا یُبْصِرُونَ (17)

إن قيل: كيف قال: (مثلهم)، أضاف المثل الى الجمع، ثم شبهه بالواحد فى

_____

(1) فى الطبعة الايرانية: «الشراء) يدل «الشراة) و حوزة بدل «حزرة) و الصحيح ما ذكرنا كما عن اللسان فى مادة «حزر) و روقة الناس: خيارهم. و حزرة نفسى: خير ما عندى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 85

قوله: «كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ناراً»، هلّا قال كمثل الذين استوقدوا نارا، يكنى به عن جماعة من الرجال، و النساء، و الصبيان. و الذى لا يعبر به إلا عن واحد مذكر و لو جاز ذلک، لجار أن يقول القائل: كأن أجسام هؤلاء- و يشير الى جماعة عظيمى القامة- نخلة. و قد علمنا أن ذلک لا يجوز؟ قلنا: فى الموضع الذى جعله مثلا لأفعالهم جائز حسن و له نظائر كقوله: «تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» «1». و المعنى: كدور أعين الذى يغشى عليه من الموت و كقوله «ما خَلْقُكُمْ وَ لا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ» «2» و معناه إلا كبعث نفس واحدة لأن التمثيل وقع للفعل بالفعل و أما فى تمثيل الأجسام لجماعة من الرجال فى تمام الخلق و الطول بالواحد من الخيل، فغير جائز، و لا فى نظائره.

و الفرق بينهما، أن معنى الآية، أن مثل استضاءة المنافقين بما أظهروا من الإقرار باللّه، و بمحمد صلى اللّه عليه و آله، و بما جاء به قولا- و هم به مكذبون اعتقاداً- كمثل استضاءة الموقد، ثم اسقط ذكر الاستضاءة، و أضاف المثل اليهم كما قال الشاعر و هو نابغة جعدة:
و كيف تواصل من أصبحت خلالته كأبى مرحب «3»
أى كخلالة أبى مرحب. و اسقط لدلالة الكلام عليه و أما إذا أراد تشبيه الجماعة من بنى آدم و أعيان ذوى الصور و الأجسام بشىء فالصواب أن يشبه الجماعة بالجماعة، و الواحد بالواحد، لأن عين كل واحد منهم غير اعيان الأخر كما قال تعالى: «كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ» «4» و قال: (كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ) «5»

---

(1) سورة الأحزاب آية 19.
(2) سورة لقمان آية 28.
(3) الخلة و الخلالة الصداقة التى ليس فيها خلل. و ابو مرحب كناية عن الظل. يريد أنها نزول كما يزول الظل لا تبقى له مودة.
(4) سورة المنافقون: آية 4. [.....]
(5) سورة القمر آية 25.

و أراد جنس النخل و مثل قوله: ما أفعالكم إلا كفعل الكلب ثم يحذف الفعل فيقال:
ما أفعالكم إلا كالكلب.
و قيل: إن (الذى) بمعنى الذين كقوله: «وَ الَّذِى جاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» «1» و قال الشاعر:
و ان الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد
و انما جاز ذلک، لأن الذين منهم يحتمل الوجوه المختلفة و ضعف هذا الوجه من حيث ان فى الآية الثانية و فى البيت دلالة على انه أريد به الجمع. و ليس ذلک فى الآية التى نحن فيها. و قيل فيه وجه ثالث و هو ان التقدير: مثلهم كمثل اتباع الذى استوقد ناراً و كما قال: «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» «2» و انما أراد أهلها. و فى الآية حذف (طفئت عليهم النار) و قوله: «اسْتَوْقَدَ ناراً» معناه: أوقد ناراً كما يقال استجاب بمعنى أجاب قال الشاعر:
و داع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاک مجيب
يريد: فلم يجبه الوَقود: الحطب. و الوُقود: مصدر وقدت النار وقودا. و الاستيقاد:

طلب الوقود: و الإيقاد: إيقاد النار. و التوقد. و التوهج. و الإيقاد: التهاب النار.
و زند ميقاد: سريع الوَرْى. و قلب وقاد: سريع الذكاء و النشاط. و كل شىء يتلألأ فهو يتقد. و فى الحجر نار لا تقد، لأنها لا تقبل الاحتراق و الوقود: ظهور النار فيما يقبل الاحتراق.
و أصل النار النور. نار الشىء إذا ظهر نوره. و أنار: اظهر نوره. و استنار: طلب اظهار نوره. و المنار: العلامات. و النار: السمت. و ضاءت النار: ظهر ضوؤها و كل ما وضح فقد أضاء. و أضاء القمر الدار: كقوله: أضاءت ما حوله. قال الشاعر:

---

(1) سورة الزمر: آية 33.
(2) سورة يوسف: آية 82.

أضاءت لهم أحسابهم و وجوههم دجى الليل حتى نظّم الدر ثاقبه «1»
و قوله: [حوله] مأخوذ من الحول و هو الانقلاب. يقال حال الحول: إذا انقلب الى أول السنة و أحال فى كلامه إذا صرفه عن وجهه و حوّله عن المكان: أى نقله الى مكان آخر: و تحول: تنقل و احتال عليه و حاوله طالبه بالانقلاب الى مراده و الحَول بالعين- بالفتح- و الحِول- بالكسر- الانقلاب عن الأمر و منه قوله «لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلًا» «2» و الحوالة انقلاب الحق عن شخص الى غيره و المحالة: البكرة. و الحيلة: إيهام الأمر للخديعة. و حال بينه و بينه: مانع و الحائل: الناقة التى انقطع حملها. و الحائل: العير. و حوله الصبا: أى دابرته ذهب به و أذهبه: أى أهلكه، لا ذهابه الى مكان يعرف، و منه «ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ». و المذهب: الطريقة فى الأمر. و الذّهبه: المطرة الجود. و قوله:
«وَ تَرَكَهُمْ فِى ظُلُماتٍ»: أى أذهب النور بالظلمات. و تاركه متاركة و تتاركوا:
تقابلوا فى الترك. و اترك اتراكا: اعتمد الترك. و التركة و التريكة: بيضة النعام المنفردة لتركها وحدها.
و الظلمات: جمع الظلمة، و أصلها انتقاص الحق من قوله: و لم تظلم منه شيئاً أى لم تنقص. و اظلم الجواد احتمل انتقاص الحق لكرمه، و من أشبه أباه فما ظلم أى ما انتقص حق الشبه. و ظلمت الناقة: إذا نحرت من غير علة.
و الظلم: ماء الأسنان من اللون لا من الريق. و الظلم: الثلج. و قوله:
«فِى ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ». قال ابن عباس: إنهم يبصرون الحق و يقولون به حتى إذا خرجوا من ظلمة الكفر، أطفأوه بكفرهم به، فتركهم فى ظلمات الكفر، فهم لا يبصرون هدى، و لا يستقيمون على حق، و روى عنه أيضاً أنه

قال: هذا مثل ضربه اللّه تعالى للمنافقين، أنهم كانوا يعتزون بالإسلام، فيناكحهم «3» المسلمون

---

(1) و فى رواية (الجزع) بدل (الدر).
(2) سورة الكهف: آية 109
(3) فى الطبعة الايرانية، بصيغة الماضى و الظاهر من السياق ان الصيغة ما ذكرنا

و يولدونهم، و يقاسمونهم الفىء، فلما ماتوا، سلبهم اللَّه ذلک العز، كما سلب صاحب النار ضوءه، و تركهم فى عذاب، و هو أحسن الوجوه. و قال أبو مسلم: معناه أنه لا نور لهم فى الآخرة، و إن ما أظهروه فى الدنيا، يضمحل سريعاً كاضمحلال هذه اللمعة. و حال من يقع فى الظلمة بعد الضياء أشقى فى الحيرة، فكذلک حال المنافقين فى حيرتهم بعد اهتدائهم، و يزيد استضرارهم على استضرار من طفئت ناره بسوء العاقبة. و روى عن ابن مسعود و غيره أن ذلک فى قوم كانوا أظهروا الإسلام، ثم أظهروا النفاق، فكان النور الايمان، و الظلمة نفاقهم. و قيل فيها وجوه تقارب ما قلناه و تقدر بعد قوله: «فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ» (انطفأت) لدلالة الكلام عليها كما قال ابو ذؤيب الهذلى:

دعانى اليها القلب إنى لأمره مطيع فما ادرى ارشد طلابها؟ «1»

و تقديره، ارشد طلابها ام غى؟

و قال الفراء يقال ضاء القمر يضوء، و أضاء يضىء، لغتان و هو الضوء و الضوء- بفتح الضاد و ضمها- و قد اظلم الليل، و ظَلِم- بفتح الظاء و كسر اللام- و ظلمات على وزن غرفات، و حجرات، و خطوات، فأهل الحجاز و بنو اسد يثقلون و تميم و بعض قيس يخففون و الكسائى يشمّ الهاء الرفع بعد نصب اللام فى قوله «حَوْلَهُ»، و «نَجْمَعَ عِظامَهُ» فى حال الوقف الباقون لا يشمون و هو احسن

قوله تعالى [سورة البقرة (2): آية 18] ..... ص : 88

اشارة

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ (18)

قال قتادة «صم» لا يسمعون الحق «بكم» لا ينطقون به «عمى»

---

(1) و فى ديوان الهذليين: 71 «عصانى اليها القلب» و الروايتان صحيحتان

التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 89

لا يرجعون عن ضلالتهم صم رفع على انه خبر ابتداء محذوف، و تقديره هؤلاء الذين ذكرناهم فى القصة: صم بكم عمى و الأصم هو الذى ولد كذلك و كذلك الأبكم هو الذى ولد أخرس. و يقال الأبكم: المسلوب الفؤاد. و يجوز أن يجمع أصم: صمان:

مثل اسود و سودان. و اصل الصم: السد، فمنه الصم: سد الأذن بما لا يقع معه سمع و قناة صماء: كبيرة الجوف صلبة، لسد جوفها بامتلائها. و فلان أصم، لسد خروق مسامعه عن ادراک الصوت. و حجر أصم، أى صلب. و فتنة صماء: أى شديدة. و التصميم: المضى فى الأمر. و الصمام: ما يشد به رأس القارورة، لسده رأسها. و الفعل: أصمها. و الصميم: العظم الذى هو قوام العضو، لسد الخلل به و أصل البكم: الخرس. و قيل هو الذى يولد أخرس و بكم عن الكلام: إذا امتنع منه جهلا أو تعمداً كالخرس و الأبكم: الذى لا يفصح، لأنه كالخرس و اصل العمى: ذهاب الإدراک بالعين و العمى فى القلب كالعمى فى العين بآفة تمنع من الفهم و أعماه: إذا أوجد فى عينيه عمىً. و عمّى الكتاب تعمية، و تعامى عن الأمر تعامياً و تعمى الأمر: تطمس كأن به عمى و ما أعماه: من عمى القلب، و لا يقال ذلک من الجارحة. و العماية: الغواية. و العماء: السحاب الكثيف المطبق.

و الرجوع: مصدر رجع يرجع رجوعا، و رجعه رجعا. و الارتجاع: اجتلاب الرجوع. و الاسترجاع: طلب الرجوع. و تراجع: تحامل. و ترجع: تعمد للرجوع و رجّع: كثر فى الرجوع. و رجع الجواب: رده. و المرجوعة: جواب الرسالة.

و الرجع: المطر، و منه قوله: «وَ السَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ» «1» و الرجع: نبت الربيع و الرجوع عن الشىء بخلاف الرجوع اليه و المعنى: إنهم صم عن الحق لا يعرفونه، لأنهم كانوا يسمعون بآذانهم، و بكم عن الحق لا ينطقون مع ان ألسنتهم صحيحة، عمى لا يعرفون الحق و أعينهم صحيحة، كما قال: (وَ تَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْکَ وَ هُمْ لا يُبْصِرُونَ). (فهم لا يرجعون) و يحتمل أمرين:

---

(1) سورة الطارق آية 11.

التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 90

أحدهما- ما روى عن ابن عباس، أنه على الذم و الاستبطاء.

و الثانى- ما روى عن ابن مسعود، انهم لا يرجعون الى الإسلام. و قال قوم:

إنهم لا يرجعون عن شراء الضلالة بالهدى. و هو أليق بما تقدم و هذا يدل على أن قوله: «خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ» و طبع اللّه عليها، ليس هو على وجه الحيلولة بينهم و بين الايمان، لأنه وصفهم بالصم و البكم، و العمى مع صحة حواسهم.
و انما أخبر بذلک عن إلفهم الكفر و استثقالهم للحق و الايمان كأنهم ما سمعوه و لا رأوه فلذلک قال: (طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ) (و أضلهم) (و أصمهم) (و أعمى أبصارهم) (و جعل على قلوبهم أكنة) «فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» و كان ذلک إخباراً عما أحدثوه عند امتحان اللّه إياهم و أمره لهم بالطاعة و الايمان لأنه ما فعل بهم ما منعهم من الايمان. و قد يقول الرجل: حب المال قد أعمى فلاناً و أصمه و لا يريد بذلک نفى حاسته لكنه إذا شغله عن الحقوق و القيام بما يجب عليه قيل: أصمه و أعماه و كما قيل فى المثل: حبک للشىء يعمى و يصم- و يريدون به ما قلناه- و قال مسكين الدارمى:
أعمى إذا ما جارتى خرجت حتى يوارى جارتى الخدر
و يصم عما كان بينهما سمعى و ما بى غيره وقر «1»
و قال آخر: أصم عما ساءه سميع. فجمع الوصفين. و انما جاز «صُمٌّ وَ بُكْمٌ» بعد وصف حالهم فى الآخرة كما فى قوله: (وَ تَرَكَهُمْ فِى ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ) لامرين:
أحدهما- ان المعتمد من الكلام على ضرب المثل لهم فى الدنيا فى الانتفاع بإظهار الايمان.
الثانى- إنه اعتراض بين مثلين بما يحقق حالهم فيهما على سائر أمرهما. و قيل إن معناه: التقديم و التأخير

---

(1) فى الطبعة الايرانية بدل (يصم) (تصم) و بدل: (سمعى) (أذنى) و بدل (بى) (فى) و بدل (غيره) (سمعها) و البيتان فى (معجم الأدباء، 11: 132)

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 19] ..... ص : 91

اشارة

أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِی آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَ اللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ (19)

الصيب على فيعل من صاب يصوب، و أصله صَيوِبْ، لكن استقبلتها ياء ساكنة فقلبت الواو ياء و أدغمتا، كما قيل: سيد من ساد يسود، و جيد من جاد يجود، قياساً مطرداً. و الصيب المطر. و كل نازل من علو الى أسفل يقال فيه صاب يصوب. قال الشاعر:
كأنهم صابت عليهم سحابة صواعقها لطيرهن دبيب «1»
و قال عبيد بن الأبرص:
حىّ عفاها صيب رعده دانى النواحى مغدق و ابل
و هذا مثل ضربه اللّه للمنافقين، كان المعنى: أو كاصحاب صيب. فجعل كفر الإسلام لهم مثلا فيما ينالهم فيه من الشدائد، و الخوف. و ما يستضيئون به من البرق مثلا لما يستضيئون به من الإسلام. و ما ينالهم من الخوف فى البرق بمنزلة ما يخافونه من القتل بدلالة قوله: «يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ» «2» و قال ابن عباس: الصيب القطر. و قال عطا: هو المطر. و به قال ابن مسعود، و جماعة من الصحابة. و به قال قتادة. و قال مجاهد: الصيب: الربيع.
و تأويل الآية: مثل استضاءة المنافقين بضوء إقرارهم بالإسلام مع استسرارهم الكفر كمثل مُوقِد نار، يستضىء بضوء ناره، أو كمثل مطر مظلم و دقه يجرى من السماء، تحمله مزنة ظلماء فى ليلة مظلمة. فان قيل: فان كان المثلان للمنافقين

---

(1) فى الطبعة الايرانية (يطرهن) بدل (لطيرهن) و البيت لعلقمة بن عبده، و البيت فى ديوانه و فى شرح المفضليات
. (2) سورة المنافقون: آية 4

فلِمَ قال: «أَوْ كَصَيِّبٍ» و أو لا تكون إلا للشك و ان كان مثلهم واحداً منهما، فما وجه ذكر الآخر بأو و هى موضوعه للشك من المخبر عما أخبر به؟ قيل: إن (أو) قد تستعمل بمعنى الواو كما تستعمل للشك بحسب ما يدل عليه سياق الكلام. قال توبة بن الحمير:
و قد زعمت ليلى بانى فاجر لنفسى تقاها أو عليها فجورها
و معلوم أن توبة لم يقل ذلك على وجه الشك، و انما وضعها موضع الواو.
و قال جرير:
نال الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر
و مثله كثير. قال الزجّاج: معنى (أو) فى الآية التخيير، كأنه قال: إنكم مخيرون بان تمثلوا المنافقين تارة بموقد النار، و تارة بمن حصل فى

المطر. يقال:
جالس الحسن أو ابن سيرين. أى: انت مخير فى مجالسة من شئت منهما.
و الرعد: قال قوم: هو ملک موکل بالسحاب يسبح. روى ذلک عن مجاهد و ابن عباس، و أبى صالح. و هو المروى عن أئمتنا (عليهم السلام). و قال قوم:
هو ريح يختنق تحت السماء. رواه ابو خالد عن ابن عباس. و قال قوم: هو اصطکاک اجرام السحاب. فمن قال انه ملک قدر فيه صوته، کأنه قال: فيه ظلمات و صوت رعد، لأنه روى انه يزعق به، کما يزعق الراعى بغنمه. و الصيب إذا کان مطراً. و الرعد إذا کان صوت ملک، کان يجب أن يکون الصوت فى المطر، لأنه قال (فيه) و الهاء راجعة اليه، و المعلوم خلافه، لأن الصوت فى السحاب و المطر فى الجو الى أن ينزل. و يمکن أن يجاب عن ذلک بأن يقال: لا يمتنع أن يحل الصوت المطر حين انفصاله من السحاب، و لا مانع يمنع منه، و يحتمل أن يکون المراد بفى (مع)، کأنه قال: معه ظلمات و رعد. و قد بينا جوازه فيما مضى.
و اما البرق،
فمروى عن على (عليه السلام) أنه قال: مخاريق الملائکة من حديد، تضرب بها السحاب، فتنقدح منها النار.
و روى عن ابن عباس: انه سوط من نور، يزجر به الملک السحاب. و قال قوم: إنه ما رواه ابو خالد عن ابن بيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 93
عباس. و قال مجاهد: هو مصع ملک. و المصاع: المجالدة بالسيوف و بغيرها. قال أعشى بنى ثعلبة، يصف جوارى لعبن بحليهن:
إذا هن نازلن أقرانهن و کان المصاع بما فى الجون «1»
يقال منه: ماصعه مصاعا، و المعانى متقاربة، لأن قول على عليه السلام: إنه مخاريق. و قول ابن عباس: إنه سياط يتقاربان. و ما قال مجاهد: إنه مصاع قريب، لأنه لا يمتنع انه أراد مصاع الملک بذلک، و إزجاره به.
و الصواعق جمع صاعقة: و هو الشديد من صوت الرعد، فتقع منه قطعة نار تحرق ما وقعت فيه. و الصاعقة: صيحة العذاب. و الصاعاق: الصوت الشديد للثور و الحمار صعق صعاقا. و الصعق: الموت من صوت الصاعقة. و الصعق: الغشى من صوت الصاعقة. صعق فهو صعق. و منه قوله: «وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً» «2» و روى شهر ابن حوشب: ان الملک إذا اشتد غضبه، طارت النار من فيه، فهى الصواعق. و قيل: إن الصواعق نار تنقدح من اصطکاک الاجرام. و قريش و غيرهم من الفصحاء يقولون: صاعقة و صواعق، و القوم يصعقون. و تميم و بعض ربيعة يقولون: صواقع، و القوم يصقعون.
و فى تأويل الآية، و تشبيه المثل أقاويل:
روى عن ابن عباس: أنه مثل للقرآن. شبه المطر المنزل من السماء

بالقرآن و ما فيه الظلمات بما فى القرآن من الابتلاء. و ما فيه من الرعد بما فى القرآن من الزجر. و ما فيه من البرق بما فيه من البيان. و ما فيه من الصواعق بما فى القرآن من الوعيد آجلا، و الدعاء الى الجهاد عاجلا.
و الثانى- و قيل: إنه مثل للدنيا و ما فيها من الشدة و الرخاء، و البلاء كالصيب الذى يجمع نفعاً و ضراً، فان المنافق يدفع عاجل الضر، و يطلب آجل النفع.
و الثالث- انه مثل القيمة لما يخافونه من وعيد الآخرة، لشكهم فى دينهم

---

(1) فى الطبعة الايرانية (كان) بدل و كان. ما ذكرنا عن ديوانه 15
(2) سورة الاعراف: آية 142

و ما فيه من البرق بما فيه من إظهار الإسلام، من حقن دمائهم، و مناكحتهم، و مواريثهم. و ما فيه من الصواعق بما فى الإسلام من الزواجر بالعقاب فى العاجل و الآجل.
و الرابع- أنه ضرب الصيب مثلا بضرب إيمان المنافق. و مثل ما فى الظلمات بضلالته. و ما فيه من البرق بنور إيمانه. و ما فيه من الصواعق بهلاک نفاقه.
و الوجه الأخير أشبه بالظاهر، و أليق بما تقدم.
و روى عن ابن مسعود، و جماعة من الصحابة: أن رجلين من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فأصابهما المطر الذى ذكره اللّه «فيه رعد شديد و صواعق و برق»، فجعلا كلما أصابتهما الصواعق، جعلا أصابعهما فى آذانهما من الفرق «1» أن تدخل الصواعق فى آذانهما فتقتلهما و إذا لمع البرق مشيا فى ضوئه، و إذا لم يلمع، لم يبصرا، فأقاما فى مكانهما لا يمشيان. فجعلا يقولان: ليتنا قد أصبحنا فنأتى محمداً، فنضع أيدينا فى يده. فأصبحا فأتياه، و أسلما، و حسن إسلامهما فضرب اللّه شأن هذين المنافقين مثلا لمنافقى المدينة، و أنهم إذا حضروا النبى (ص)، جعلوا أصابعهم فرقاً من كلام النبى (ص) أن ينزل فيهم شىء، كما قام ذانک المنافقان، يجعلان أصابعهما فى آذانهما.
«كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ»: يعنى إذا كثرت أموالهم، و أصابوا غنيمة و فتحاً، مشوا فيه، و قالوا دين محمد (صلى اللّه عليه و آله) صحيح.
«وَ إِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا»: يعنى إذا أهلكت أموالهم، و ولد البنات، و أصابهم البلاء، قالوا: هذا من أجل دين محمد (ص، و ارتدوا كما قام ذانک المنافقان إذا أظلم البرق عليهما. و يقوى عندى، أن هذا مثل آخر، ضربه اللّه بالرعد و البرق لما هم فيه من الحيرة و الالتباس. يقول لا يرجعون الى الحق إلا خلسا كما يلمع البرق، ثم يعودون الى ضلالهم و أصلهم الذى هم عليه ثابتون و اليهِ يرجعون. و الكفر كظلمة الليل و المطر الذى يعرض فى

خلالهما البرق لمعاً. و هم فى

---

(1) الفرق: الخوف [.....]

أثناء ذلک يحذرون الوعيد و العذاب العاجل إن أظهروا الكفر كما يحذرون الصواعق من الرعد، فيضعون أصابعهم فى آذانهم ارتياعا و انزعاجا فى الحال ثم يعودون الى الحيرة و الضلال. «حَذَرَ الْمَوْتِ»: نصب على التمييز و تقديره (من حذر الموت). و يجوز ان يكون نصباً، لأنه مفعول له فكأنه قال: يفعلون هذا الأجل حذر الموت.
و يحتمل أن يكون نصباً على الحال.
و الموت: ضد الحياة. و الاماتة: فعل بعده الموت. و الميتة: ما لم تدرک ذكاته. و الميتة: الموت فى حال مخصوص من ذلک ميتة سوء. و الموتان: وقوع الموت فى المواشى. و موّتت المواشى: إذا كثر فيها الموت. و موتان الأرض:
التى لم تزرع.
و الحذر: طلب السلامة من المضرة. و حذّره تحذيرا، و حاذره محاذرة و الحذيرة: المكان الغليظ، لأنه يتحذر منه.
قوله: «مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ» يحتمل أمرين:
أحدهما- إنه عالم بهم- و إن كان عالماً بغيرهم- و إنما خصهم لما فيه من التهديد.
و الثانى- إنه المقتدر عليهم- و ان كان مقتدراً على غيرهم-، لأنه تقدم ذكرهم، و لما فيه من الوعيد. و المحيط: القادر. قال الشاعر:
أحطنا بهم حتى إذا ما تيقنوا بما قدروا مالوا جميعاً الى السلم
أى قدرنا عليهم. فإما الاحاطة بمعنى كون الشىء حول الشىء، مما يحيط به فلا يجوز على اللّه تعالى، لأنه من صفات الأجسام. و الذى يجوز، الاحاطة بمعنى الاقدار و الملک. كما يقال: أحاط ملکک بمال عظيم: يعنون أنه يملک ما لا عظيما. و يقال:
حاطه يحوطه حوطا: إذا حفظه من سوء يلحقه. و منه الحائط، لأنه يحيط بما فيه. و أحاط به: جعل عليه كالحائط الدائر. و الاحتياط: الاجتهاد فى حفظ الشىء.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 20] ..... ص : 96

اشارة

يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَ إِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)

معنى (يكاد): يقارب، و فيه مبالغة فى القرب، و حذفت منه أن، لأنها للاستقبال. قال الفرزدق:
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
(يخطف) فيه لغتان يقال: خطف يخطف، و خطِف يخطف. و الأول أفصح، و عليه القراء. و روى عن الحسن (يخطف)- بكسر الخاء و كسر الطاء- و يروى (يخطف) بكسر الياء و الخاء و الطاء. و الخطف: السلب. و منه الحديث، أنه نهى عن الخطفة: يعنى النهبة. و منه قيل الخطاف: و الذى يخرج به الدلو من البئر (خطاف)، لاختطافه و استلابه. قال نابغة بنى ذبيان:
خطاطيف حجن فى حبال متينة تمد بها أيد اليک نوازع «1»
جعل ضوء البرق، و شدة شعاع نوره، كضوء إقرارهم بألسنتهم باللَّه و برسوله و بما جاء من عند اللَّه، و اليوم الآخر، ثم قال: «كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ»: يعنى كلما أضاء البرق لهم. و جعل البرق مثلا لايمانهم. و إضاءة الايمان أن يروا فيه ما يعجبهم فى عاجل دنياهم، من إصابة الغنائم، و النصرة على الأعداء فلذلک أضاء لهم، لأنهم إنما يظهرون بألسنتهم ما يظهرونه من الإقرار ابتغاء ذلک، و مدافعة عن أنفسهم و أموالهم، كما قال: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ» «2». «وَ إِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ»: يعنى

---

(1) خطاطيف: ج خطاف. و حجن ج أحجن: و هو المعوج. و نوازع ج نازع و نازعة من قولهم نزع الدلو من البئر ينزعها جذبها أخرجها
(2) سورة الحج آية 11

ضوء البرق على السائرين فى الصيب الذى ضربه مثلا للمنافقين، و ظلام المنافقين:
أن يروا فى الإسلام ما لا يعجبهم فى دنياهم، من ابتلاء اللّه المؤمنين بالضراء، و تمحيصه إياهم بالشدائد و البلاء من إخفاقهم فى مغزاهم، أو إدالة عدوهم، أو إدبار دنياهم عنهم، أقاموا على نفاقهم، و ثبتوا على ضلالهم، كما ثبت السائر فى الصيب الذى ضربه مثلا. «إِذا أَظْلَمَ» و خفت ضوء البرق، فحار فى طريقه، فلم يعرف منهجه.
و قوله: «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ»، انما خص اللَّه تعالى ذكر السمع و البصر، انه لو شاء، لذهب بهما دون سائر أعضائهم، لما جرى من ذكرهما فى الآيتين من قوله: «يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِى آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ»، و فى قوله:

«يَخْطَفُ أبْصارَهُمْ» فلما جرى ذكرهما على وجه المثل، عقب بذكر ذلک بانه لو شاء، أذهبه من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم، و كفرهم، كما توعد فى قوله:
«مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ». و قوله: «بسمعهم» قد بينا فيما تقدم، أنه مصدر يدل على الجمع و قيل: إنه واحد موضوع للجمع، فكأنه أراد (باسماعهم) قال الشاعر:
كلوا فى نصف بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص «1»
أراد البطون و يقال: ذهبت به و أذهبته و حكى أذهب به، و هو ضعيف ذكره الزجّاج و المعنى: و لو شاء اللَّه لأظهر على كفرهم فدمر عليهم و أهلكهم لأنه (على كل شىء قدير): أى قادر و فيه مبالغة

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 21] ..... ص : 97

اشارة

يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)

أفصح اللغات فتح الهاء ب (أيها) و بعض بنى مالک من بنى اسد رهط شقيق بن سلمة يقولون: يا أيه الناس و يا أيتها المرأة و يا أيه الرجل. و لا يقرأ بها. و من

---

(1) من أبيات سيبويه التى لا يعلم قائلها. سيبويه. الخزانة

رفعها توهمها آخر الحروف و قد حذفت الألف فى الكتابة من ثلاثة مواضع: أيه المؤمنون و يا أيه الساحر و أيه الثقلان و سنذكر خلاف القراء فى التلفظ بها

و روى عن علقمة و الحسن: أن كلما فى القرآن (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) نزل بالمدينة و ما فيه «يا أَيُّهَا النَّاسُ» نزل بمكة و اعلم أن (أيا) اسم مبهم ناقص جعل صلة الى نداء ما فيه الألف و اللام و يلزمه ها التى للتنبيه لابهامه و نقصه و أجاز المازنى (يا اى الظريف) قياساً على (يا زيد الظريف) و لم يجزه غيره لأن (أيا) ناقص و النصب عطفاً على الموضع بالحمل على المعنى و لا يحمل على التأويل إلا بعد التمام و هذا هو الصحيح عندهم

و هذه الآية متوجهة الى جميع الناس: مؤمنهم، و كافرهم، لحصول العموم فيها. إلا من ليس بشرائط التكليف من المجانين و الأطفال و روى عن ابن عباس أنه قال: قوله «اعْبُدُوا رَبَّكُمُ»: أى وحدوه و قال غيره: ينبغى أن يحمل على عمومه فى كل ما هو عبادة للّه: من معرفته: و معرفة أنبيائه، و العمل بما أوجبه عليهم و ندبهم اليه و هو الأقوى و قوله: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»: أى تتقون عذابه بفعل ما أوجبه عليكم كما قال: (وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ)

و قوله: «وَ الَّذِينَ» فى موضع نصب لأنه عطف على الكاف و الميم فى قوله:
(خلقكم) و هو مفعول به (من قبلكم): اى من تقدم زمانكم من الخلائق و البشر و قال مجاهد:
(تتقون): مطيعون و الاول أقوى و الخلق: هو الفعل على تقدير و خلق اللَّه السماوات: فعلها على تقدير ما تدعو اليه الحكمة من غير زيارة و لا نقصان و مثله الرزق و الخلق: الطبع و الخليقة: الطبيعة و خليق به: شبيه به و الخلاق: النصيب و الاختلاق: افتعال الكذب و الخلق: البالى و الأخلق:

و معنى «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» قال الشاعر:
و قلتم لنا كفوا الحروب لعلنا نكف و وثقتم لنا كل موثق
فلما كففنا الحرب كانت عهودكم كلمح سراب فى الملا متألق «1»
يعنى قلتم لنا: كفوا لنكف، لأنه لو كان شاكا لما كانوا و ثقوا كل موثق و يقول القائل: اقبل قولى لعلك ترشد و إدخاله (لعل) ترقيق للموعظة و تقريب لها من قلب الموعوظ يقول القائل لأجيره: اعمل لعلك تأخذ الاجرة و ليس يريد بذلك الشك و انما يريد لتأخذ أجرتك و قال سيبويه: انما ورد ذلك على شك المخاطبين كما قال تعالى: (فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى) و أراد بذلك الإبهام على موسى و هارون و فائدة إيراد لفظة (لعل) هو ان لا يحل العبد ابداً محل الأمن المدل لكى يزداد حرصاً على العمل و حذراً من تركه و اكثر ما جاءت لعل و غيرها من معانى التشكيك فيما يتعلق بالاخرة فى دار الدنيا فإذا ذكرت الآخرة مفردة جاء اليقين و هذه الآية يمكن الاستدلال بها على ان الكفار مخاطبون بالعبادات، لدخولهم تحت الاسم. و قال بعضهم: معنى قوله (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) لكى تتقوا النار فى ظنكم و رجائكم، لأنهم لا يعلمون انهم يوقون النار فى الآخرة، لأن ذلك من علم الغيب الذى لا يعلمه إلا اللّه. قال: لعلكم تتقون ذلك فى ظنكم و رجائكم و اجرى (لعل) على العباد دون نفسه تعالى اللّه عن ذلك. و هذا قريب مما حكيناه عن سيبويه. و (لعل) فى الآية، يجوز أن تكون متعلقة بالتقوى. و يجوز أن تكون متعلقة بالعبادة فى قوله: (اعبدوا). و هو الأقوى.

الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَ السَّماءَ بِناءً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَکُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)
(الذی): فی موضع نصب، لأنه نعت لقوله: (ربکم) فی قوله:

---

(1) قائلهما غير معروف، رواهما ابن الشجرى فى أماليه 1- 15 و هناک رواية أخرى-
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 100
«اعْبُدُوا رَبَّکُمُ» و هی مثل الذی قبلها. فإنهما جميعاً نعتان ل (ربکم).
فراشا: يعنى مهاداً، أو وطاء. لا حزنة غليظة لا يمکن الاستقرار عليها.
و تقديره: اعبدوا ربکم الخالق لکم و الخالق للذين من قبلکم، الجاعل لکم الأرض فراشاً. فذکر بذلک عباده نعمه عليهم، و آلاءه لديهم، ليذکروا أياديه عندهم، فيثبتوا على طاعته تعطفاً منه بذلک عليهم، و رأفة منه بهم، و رحمة لهم من غير ما حاجة منه الى عبادتهم، ليتم نعمته، لعلهم يهتدون.
و سمّى السماء سماء لعلوها على الأرض، و علو مکانها من خلقه و کل شىء کان فوق شىء فهو لما تحته سماء لذلک. و قيل لسقف البيت سماء لأنه فوقه.
و سمى السحاب سماء. و يقال: سمى فلان لفلان إذا أشرف له، و قصد نحوه عاليا عليه. قال الفرزدق:
سمونا لنجران اليمانى و اهله و نجران أرض لم تديث مقاوله «1»
و قال النابغة الذبيانى:
سمت لى نظرة فرأيت منها تحيت الخدر واضعة القرام «2»
يريد بذلک أشرفت لى نظرة و بدت. و قال الزجاج: کل ما على الأرض فهو فهو بناء لامساک بعضه بعضاً، فيأمنوا بذلک سقوطها. فخلق السماء بلا عمد، و خلق الأرض بلا سند، يدل على توحيده و قدمه، لأن المحدث لا يقدر على مثل ذلک. و انما قابل بين السماء و بين الفراش لأمرين:
أحدهما- ما حکاه أبو زيد: أن بنيان البيت سماؤه: و هو أعلاه، و کذلک بناؤه و انشد:
بنى السماء فسواها ببنيتها و لم تمد باطناب و لا عمد

(کلمح سراب فى الفلا ..) و المعنى واحد فالملا: الصحراء و المتسع من الأرض. و الفلا جمع فلاة: و هى الأرض المستوية ليس فيها شىء.
(1) ديوانه: 735. و نجران: ارض فى مخاليف اليمن من مکة و ديث البعير: ذلله بعض الذل حتى تذهب صعوبته. و المقاول: جمع مقول، و المقول و

القيل: الملک من ملوک حمير.
(2) ديوانه: 86 و روايته: (صفحت بنظرة) و القرام: ستر رقيق فيه رقم و نقوش.
و الخدر هنا: الهودج. و فى الطبعة الايرانية بدل (تحيت) (بحيث).

يريد (ببنيتها): علوها.
و الثانى- أن سماء البيت لما كان قد يكون بناء و غير بناء: إذا كان من شعر او وبر، أو غيره. قيل جعلها بناء ليدل على العبرة برفعها. و كانت المقابلة فى الأرض و السماء بأحكام هذه بالفرش، و تلک بالبناء.
و قوله: (من السماء) أى من ناحية السماء. قال الشاعر:
أمنک البرق أرقبه فهاجا
أى من ناحيتک. فبناء السماء على الأرض كهيئة القبة. و هى سقف على الأرض و انما ذكر السماء و الأرض، فيما عد عليهم من نعمه التى أنعمها عليهم، لأن فيها أقواتهم، و أرزاقهم و معايشهم، و بها قوام دنياهم. و أعلمهم أن الذى خلقهما و خلق جميع ما فيهما من أنواع النعم هو الذى يستحق العبادة و الطاعة، و الشكر. دون الأصنام و الأوثان التى لا تضر و لا تنفع. و قوله: «وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً»: يعنى مطراً. فاخرج بذلک المطر مما أنبتوه فى الأرض من زرعهم، و غروسهم ثمرات رزقا لهم، و غذاء و قوتاً، تنبيهاً على أنه هو الذى خلقهم، و أنه الذى يرزقهم و يكلفهم دون من جعلوه نداً و عدلا من الأوثان و الآلهة، ثم زجرهم أن يجعلوا له نداً مع علمهم بان ذلک كما أخبرهم، و انه لا ند له و لا عدل. و لا لهم نافع و لا ضار، و لا خالق و لا رازق سواه بقوله: «فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً».
و الند: العدل و المثل. قال حسان بن ثابت:
أ تهجوه و لست له بند فشركما لخيركما الفداء «1»
أى لست له بمثل و لا عدل. و قال جرير:
أتيما تجعلون إلى نداً و ما تيم لذى حسب نديد
و قال مفضل بن سلمة الند: الضد. و الندود: الشرود، كما يند البعير. و يوم التناد: يوم التنافر. و التنديد: التقليل. و الفراش: البساط. و الفرش: البسط. فرش يفرش فرشاً، و افترش افتراشاً. و فراش الرأس: طرائق رقاق من القحف.

---

(1) ديوانه 28 روايته (بكفء)

و الفراش: فراش القاع و الطين بعد ما يبس على وجه الأرض. و الفراش: الذى يطير و يتهافت فى السراج. و جارية فريش: قد افترشها الرجل. و الفرش: صغار النعم.

و رجل فراشة: خفيف. و الفرش من الشجر: دقه. و اصل الماء: موه، لأنه يجمع امواها، و يصغر مويه. و ماهت الركية تموه موها. و اماهها صاحبها:- إذا أكثر ماءها- إماهة.
و روى عن ابن مسعود و غيره من الصحابة، أن معنى الآية: لا تجعلوا للَّه أكفاء من الرجال تطيعونهم فى معصية اللَّه. قال ابن عباس: إنه خاطب بقوله:
«فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»، جميع الكفار من عباد الأصنام، و اهل الكتابين، لأن معنى قوله: «وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أنه لا رب لكم يرزقكم غيره. و إن ما تعبدون لا يضر و لا ينفع. و روى عن مجاهد: أنه عنى بدلک أهل الكتابين.
لأنهم الذين كانوا يعلمون أنه لا خالق لهم غيره، و لا منعم عليهم سواه. و العرب ما كانت تعتقد وحدانيته تعالى. و الأول أقوى لأن اللَّه تعالى، قد أخبر أن العرب قد كانت تعتقد وحدانيته تعالى. فقال تعالى حكاية عنهم: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ. وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ». و قال تعالى: «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اَللَّهُ فَقُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ» «1»؟ فحمل الآية على عمومها اولى، و يطابق أول الآية. و قد بينا أن خطابه لجميع الخلق. و استدل ابو على الجبائى بهذه الآية، على أن الأرض بسيطة ليست كرة كما يقول المنجمون و البلخى بأن قال: جعلها فراشاً. و الفراش البساط بسط اللَّه تعالى إياها. و الكرة لا تكون مبسوطة. قال: و العقل يدل ايضاً على بطلان قولهم، لأن الأرض لا يجوز أن تكون كروية مع كون البحار فيها، لأن الماء لا يستقر إلا فيما له جنبان يتساويان، لأن الماء لا يستقر فيه كاستقراره فى الأوانى. فلو كانت له ناحية فى البحر مستعلية على الناحية الأخرى، لصار الماء من الناحية المرتفعة الى الناحية

---

(1) سورة يونس: آية 31

المنخفضة. كما يصير كذلک إذا امتلأ الإناء الذى فيه الماء. و هذا لا يدل على ما قاله، لأن قول من قال الأرض كروية، معناه إن لجميعها شكل الكرة.
و قوله: «وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» يتحمل أمرين:
أحدهما- إنكم تعلمون أنه لا خالق لكم، و لا منعم بما عدده من انواع النعيم سوى اللّه. و إن من أشركتم به لا يضر و لا ينفع.
و الثانى- إنه أراد، و أنتم علماء بأمور معايشكم، و تدبير حروبكم، و مضاركم و منافعكم. لستم باغفال و لا جهال.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 23] ..... ص : 103

اشارة

وَ إِنْ كُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (23)
آیة بلا خلاف.

هذه الآية فيها احتجاج للَّه تعالى لنبيه محمد (صلى اللَّه عليه و آله) على مشركى قوم من العرب و المنافقين، و جميع الكفار من أهل الكتابين، و غيرهم، لأنه خاطب أقواماً عقلاء ألباء «1» فى الذروة العليا من الفصاحة، و الغاية القصوى من البلاغة و اليهم المفزع فى ذلک. فجاءهم بكلام من جنس كلامهم و جعل عجزهم من مثله حجة عليهم، و دلالة على بطلان قولهم. و وبخهم، و قرعهم و امهلهم المدة الطويلة. و قال لهم: «فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ» «2»، ثم قال: «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ»»
و قال فى موضع آخر: «بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ». و خبرهم أن عجزهم، إنما هو عن النظير و الجنس، مع أنه ولد بين أظهرهم و نشأ معهم، و لم يفارقهم فى سفر و لا حضر. و هو من لا يخفى عليهم حاله لشهرته و موضعه. و هم اهل الحمية و الانفة يأتى الرجل منهم بسبب كلمة على القبيلة، فبذلوا أموالهم و نفوسهم فى إطفاء أمره و لم يتكلفوا معارضته

---

(1) الباء: ج لبيب
(2) سورة هود: آية 13
(3) سورة يونس: آية 38

بسورة و لا خطبة فدل ذلک على صدقه. و ذكرنا ذلک فى الأصول

و قوله: «بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ» قال قوم: إنها بمعنى التبعيض: و تقديره: فاتوا ببعض ما هو مثل له و هو سورة. و قال آخرون: هى بمعنى تبيين الصفة كقوله:
«فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ» «1» و قال قوم: إن (من) زائدة. كما قال فى موضع آخر: «بِسُورَةٍ مِثْلِهِ»: يعنى مثل هذا القرآن. و قال آخرون: أراد ذلک من مثله فى كونه بشراً امياً، طريقته مثل طريقته. و الأول أقوى، لأنه تعالى قال فى سورة أخرى: «بِسُورَةٍ مِثْلِهِ». و معلوم أن السورة ليست محمداً (ص)، و لا له بنظير و لأن فى هذا الوجه تضعيفاً لكون القرآن معجزة، و دلالة على النبوة.
و قوله: «وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ». قال ابن عباس: أراد أعوانكم على ما أنتم عليه، إن كنتم صادقين. و قال الفراء: أراد ادعوا آلهتكم. و قال مجاهد و ابن جريح أراد قوماً يشهدون لكم بذلک ممن يقبل قولهم. و قول ابن عباس أقوى و قوله: (مثله)، أراد به ما يقاربه فى الفصاحة، و نظمه، و حسن ترصيفه و تأليفه، ليعلم أنه إذا عجزوا عنه، و لم يتمكنوا منه، أنه من فعل اللّه تعالى، جعله تصديقاً لنبيه، و ليس المراد أن القرآن له مثل عند اللّه، و لولاه لم يصح التحدى لأن ما قالوه: لا دليل عليه. و الاعجاز يصح، و إن لم يكن له مثل أصلا، بل ذلک أبلغ فى الاعجاز، لأن ذلک جار مجرى قوله: «هاتُوا بُرْهانَكُمْ» «2» و انما أراد نفى البرهان أصلا. و الدعاء أراد به الاستعانة. قال الشاعر:
و قبلک ربّ خصم قد تمالوا علىّ فما جزعت و لا دعوت
و قال آخر:
فلما التقت فرساننا و رجالهم دعوا يا لكعب و اعتزينا لعامر «3»

---

(1) سورة الحج آية 30
(2) سورة البقرة آية 111 [.....]
(3) فى الطبعة الايرانية و (رجالنا) بدل (رجالهم) و البيت للراعى النميرى: اللسان (عزا) و اعتزى.

يعنى انتصروا بكعب و استغاثوا بهم.
و شهداء جمع شهيد: مثل شريک و شركاء و خطيب و خطباء. و الشهيد: يسمى به الشاهد على الشىء لغيره بما يحقق دعواه. و قد يسمى به المشاهد للشىء. كما يقال: جليس فلان. يريد به مجالسه و منادمه. فعلى هذا تفسير ابن عباس أقوى.

و هو، أن معناه استنصروا أعوانكم على أن يأتوا بمثله، و شهداءكم الذين يشاهدونكم و يعاونونكم على تكذيب اللّه و رسوله، و يظاهرونكم على كفركم و نفاقكم إن كنتم محقين. و ما قاله مجاهد و ابن جريح فى تأويل ذلک لا وجه له، لأن القوم على ثلاثة اصناف: فبعضهم اهل ايمان صحيح. و بعضهم أهل كفر صحيح. و بعضهم أهل نفاق. فأهل الايمان إذا كانوا مؤمنين باللّه و رسوله، فلا يجوز ان يكونوا شهداء للكفار على ما يدعونه. و اما اهل النفاق و الكفر فلا شک انهم إذا دعوا الى تحقيق الباطل و إبطال الحق، سارعوا اليه مع كفرهم و ضلالتهم. فمن أى الفريقين كانت تكون شهداء. لكن يجرى ذلک مجرى قوله: «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» «1» و قد أجاز قوم هذا الوجه أيضاً قالوا: لأن العقلاء لا يجوز أن يحملوا نفوسهم على الشهادة بما يفتضحون به فى كلام أنه مثل القرآن و لا يكون مثله. كما لا يجوز ان يحملوا نفوسهم على ان يعارضوا ما ليس بمعارض فى الحقيقة.

و معنى الآية: إن كنتم فى شک من صدق محمد صلى اللّه عليه و آله فيما جاءكم به من عندى، فاتوا بسورة من مثله، فاستنصروا بعضكم بعضاً على ذلک إن كنتم صادقين فى زعمكم حتى إذا عجزتم و علمتم انه لا يقدر على ان يأتى به محمد «ص»، و لا احد من البشر يتضح عندكم انه من عند اللّه تعالى

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 24] ..... ص : 105

اشارة

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِی وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ (24)

معنى «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا» لم تأتوا بسورة من مثله- و قد تظاهرتم أنتم

---

(1) سورة أسرى: آية 88.

و شركاؤكم عليه و اعوانكم- و قد تبين لكم بامتحانكم، و اختباركم عجزكم و عجز جميع الخلق عنه و علمتم انه من عندى، ثم أقمتم على التكذيب به و قوله: «وَ لَنْ تَفْعَلُوا» لا موضع له من الاعراب، و انما هو اعتراض بين المبتدأ و الخبر، كقولك: زيد- فافهم ما أقول- رجل صدق. و انما لم يكن له موضع اعراب، لأنه لم يقع موضع المفرد. و معنى (و لن تفعلوا): اى لن تأتوا بسورة من مثله ابداً، لأن (لن) تنفى على التأبيد فى المستقبل و فى قوله: (و لن تفعلوا) دلالة على صحة نبوته، لأنه يتضمن الاخبار عن حالهم فى المستقبل بأنهم لا يفعلون و لا يجوز لعاقل ان يقدم على جماعة من العقلاء يريد تهجينهم فيقول:

أنتم لا تفعلون إلا و هو واثق بذلك، و يعلم ان ذلك متعذر عندهم و ينبغى ان يكون الخطاب خاصاً لمن علم اللّه انه لا يؤمن، و لا يدخل فيه من آمن فيما بعد و إلا كان كذبا و قوله: «فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ». الوقود- بفتح الواو- اسم لما يوقد. و الوُقود- بضمها-: المصدر. و قيل إنهما بمعنى واحد فى المصدر و اسم الحطب. حكاه الزجاج و البلخى. و الاول أظهر.

«اتَّقُوا اللَّهَ»- مشددة- لغة اهل الحجاز. و بنو أسد و تميم يقولون:

«اتَّقُوا اللَّهَ» خفيف بحذف الألف.

(الحجارة) قيل: إنها حجارة الكبريت لأنها أحر شىء إذا حميت. و روى ذلك عن ابن عباس و ابن مسعود. و الظاهر إن الناس و الحجارة: وقود النار و حطبها كما قال: «إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ» «1» تهيباً و تعظيما بأنها تحرق الحجارة و الناس.

و قيل: إن أجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التى توقدها النار بالقدح و قال قوم معناه: أنهم يعذبون بالحجارة المحماة مع النار. و الاول أقوى و أليق بالظاهر. و انما جاز أن يكون قوله: (فاتقوا النار) جواب الشرط مع لزوم الاتقاء

---

(1) سورة الأنبياء: آية 98.

من النار كيف تصرفت الحال، لأنه لا يلزمهم الاتقاء على التصديق بالنبوة إلا

بعد قيام المعجزة، فكأنه قال: فان لم تفعلوا، و لن تفعلوا، فقد قامت الحجة، و وجب اتقاء النار بالمخالفة.
و قوله: «أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ» لا يمنع من اعدادها لغير الكافرين من الفسّاق كما قال: «وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ» «1» و لم يمنع ذلک من إحاطتها بالفساق و الزناة و الزبانية. و قال قوم: هذه نار مخصوصة للكافرين لا يدخلها غيرهم.
و الفساق لهم نار أخرى. و قد استدل بهذه على بطلان قول من حرم النظر و الحجاج العقلى. بان قيل: كما احتج اللّه تعالى على الكافرين بما ذكره فى هذه الآية و ألزمهم به تصديق النبى (ص) و المعرفة بان القرآن كلامه، لأنه قال: إن كان هذا القرآن كلام محمد فاتوا بسورة من مثله. و دلهم بعقولهم أنه لو كان كلام محمد لتهيأ لهم مثل ذلک، لأنهم الذين يؤخذ عنهم اللغة. و إذا كان لم يتهيأ لهم ذلک علموا بعقولهم أنه من كلام اللّه و هذا هو معنى الاحتجاج بالعقول، فيجب ان يكون ذلک صحيحاً من كل واحد

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 25] ..... ص : 107

اشارة

وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ كُلَّما رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالُوا هذَا الَّذِی رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً وَ لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ هُمْ فِيها خالِدُونَ (25)

البشارة: هو الاخبار بما يسر المخبر به إذا كان سابقاً لكل خبر سواه، لأن الثانى لا يسمى بشارة و قد قيل: إن الاخبار بما يغم ايضاً يسمى بشارة. كما قال تعالى: «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» «2» و الاولى أن يكون ذلک مجازاً. و هى مأخوذة

_____

(1) سورة التوبة: آية 50.
(2) سورة آل عمران: آية 21.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 108
من البشرة: و هى ظاهر الجلد لتغييرها بأول الخبر. و منه تباشير الصبح: أوله، و كذلک تباشير كل شىء. المبشرات: الرياح التى تجىء لسحاب. و البشر: الإنسان و البشرة: أعلى جلدة الجسد، و الوجه من الإنسان.
و المباشرة: ملاصقة البشرة. و البشر: قشر الجلد.
و الجنان: جمع جنة، و الجنة: البستان. و المراد بذكر الجنة ما فى الجنة من أشجارها و أثمارها، و غروسها دون أرضها، فلذلک قال: «تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» لأنه معلوم انه أراد الخبر عن ماء أنهارها انه جار تحت الأشجار و الغروس و الثمار لا انه جار تحت ارضها، لأن الماء إذا كان تحت الأرض جاريا، فلا حظ فيه للعيون إلا بكشف الساتر بينه و بينها، على ان الذى يوصف به انهار الجنة انها جارية فى غير أخاديد. روى ذلک عن مسروق، رواه عنه ابو عبيدة و غيره.

(و جنات): منصوب بان. و كسرت التاء لأنها تاء التأنيث فى جمع السلامة و هى مكسورة فى حال النصب بالخفض. و موضع (ان) نصب بقوله: «وَ بَشِّرِ الَّذِينَ». و قال الخليل و الكسائى: موضعه الجر بالباء كأنه قال: و بشرهم بأن لهم.

و قال الفضل: الجنة: كل بستان فيه نخل، و إن لم يكن شجر غيره. و إن كان فيه كرم: فهو فردوس، كان فيه شجر غير الكرم ام لم يكن (من ثمرة): من زائدة و المعنى: كلما رزقوا ثمرة. (و منها): يعنى من الجنات و المعنى: أشجارها و تقديرها: كلما رزقوا من أشجار البساتين التى أعدها اللّه للمؤمنين و قال الرمانى: هى بمعنى التبعيض، لأنهم يرزقون بعض الثمرات فى كل وقت و يجوز ان تكون بمعنى تبيين الصفة و هو ان يبين الرزق من اى جنس هو و قوله: «هذَا الَّذِى رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ» روى عن ابن عباس، و ابن مسعود التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 109
و جماعة من الصحابة انه الذى رزقنا فى الدنيا و قال مجاهد: معناه أشبهه به. و قال بعضهم: إن ثمار الجنة إذا جنيت من أشجارها، عاد مكانها فإذا رأوا ما عاد بعد الذى جنى، اشتبه عليهم. فقالوا: هذا الذى رزقنا من قبل. و هذا قول أبى عبيدة، و يحيى بن أبى كثير. و قال قوم: هذا الذى رزقنا، وعدنا به فى الدنيا. و قد بينا فيما تقدم، أن الرزق عبارة عما يصح الانتفاع به على وجه لا يكون لأحد المنع منه. و قال المفضل ذلک يخص الأقوات. و قال قوم: هذا الذى رزقنا من قبل لمشابهته فى اللون و إن خالفه فى الطعم. و أقوى الأقوال قول ابن عباس و أن معناه هذا الذى رزقنا فى الدنيا، لأنه قال: «كُلَّما رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالُوا هذَا الَّذِى رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ» فعم و لم يخص. فأول ما أتوا به لا يتقدر هذا القول فيه إلا بأن يكون اشارة الى ما تقدم رزقه فى الدنيا، لأنا فرضناه أولا و ليس فى الآية تخصيص و يكون التقدير هذا الذى رزقنا فى الدنيا لأن ما رزقوه أولا قد عدم و اقام المضاف اليه مقام المضاف كما أن القائل إذا قال لغيره: أعددت لک طعاماً، و وصفه له، يحسن أن يقول: هذا طعام كل وقت يريد مثله و من جنسه، و نوعه و قوله:
«وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً» قال الضحاک: إذا رأوه، قالوا: هو الأول فى النظر و اللون، و إذا طعموا وجدوا له طعماً غير طعم الاول و قوله:
(و أتوا به) معناه جيئوا به، و ليس معناه أعطوه. و قال قوم: (و أتوا به متشابهاً) أى يشبه بعضه بعضاً إلا فى المنظر و الطعم أى كل واحد منه له من الفضل فى نحوه مثل الذى للاخر فى نحوه. ذكره الأخفش. و هذا كقول القائل: و قد جىء بأثواب أو أشياء رآها فاضلة فاشتبهت عليه فى الفضل، فقال: ما أدرى ما أختار منها كلها عندى فاضل. قال الشاعر
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى
يعنى أنهم تساووا فى الفضل و السؤدد. و روى هذا عن الحسن و ابن جريح و قال قتادة معناه يشبه ثمار الدنيا غير انها أطيب. و قال ابن زيد و

الاشجعى: إن التشابه فى الأسماء دون الألوان و الطعوم، فلا يشبه ثمار الجنة شىء من ثمار الدنيا التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 110
فى لون و لا طعم. و اولى هذه الأقوال أن يكون المراد به متشابهاً فى اللون و المنظر على ان الطعم مختلف لما قدمناه من أن هذا يقولونه فى أول الحال أيضاً، و ما تقدر عليه غرة. و بعد هذا قول من قال: معناه أن كلها جياد لا رذال فيه. و قال بعض المتأخرين فى قوله «هذَا الَّذِى رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ» معناه هذا الذى أعطينا بعبادتنا من قبل و قال ابو على معناه ذلک ما يؤتون به فى كل وقت من الثواب مثل الذى يؤتى فى الوقت الذى قبله من غير زيادة و لا نقصان، لأنه لا بد أن تتساوى مقادير الاستحقاق فى ذلک، و قال أيضاً يجب أن يسوى بينهم فى الأوقات فى مقدار ما يتفضل به عليهم فى وقت، و يزدادون فى وقت آخر قال: لأن ذلک يؤدى الى أن التفضل أعظم من الثواب. و هذا الذى ذكره غير صحيح، لأن العقل لا يدل على مقادير الثواب فى الأوقات و لا يعلم ذلک غير اللّه، بل عندنا لا يدل العقل على دوام الثواب و انما علم ذلک بالسمع و الإجماع و اما التفضل فلا شک أنه يجوز أن يزيد فى وقت على ما يفضله فى وقت آخر و لا يؤدى ذلک الى مساواته للثواب، لأن الثواب يتميز من التفضل لمقارنة التعظيم له و التبجيل و لأجل ذلک يتميز كل جزء من الثواب من كل جزء من التفضل و لا زيادة هناک و قوله «وَ لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ» قيل فى الأبدان و الأخلاق و الافعال و لا يحضن، و لا يلدن، و لا يذهبن الى غائط. و هو قول جماعة المفسرين و قوله «وَ هُمْ فِيها خالِدُونَ» أى دائمون يبقون ببقاء اللّه لا انقطاع لذلک و لا نفاد

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 26] ..... ص : 110

اشارة

إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفاسِقِينَ (26)
آية واحدة.

اختلف اهل التأويل فى سبب نزول هذه الآية فروى عن ابن مسعود و ابن
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 111
عباس أن اللَّه تعالى، لما ضرب هذين المثلين للمنافقين و هو قوله «كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ناراً» و قوله «أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ» قال المنافقون اللَّه أجل من (أن يضرب مثلا) الى آخر الآية، و قال الربيع بن أنس هذا مثل ضربه اللَّه للدنيا، لأن البعوضة تحيا ما جاعت، فإذا سمنت ماتت فشبه اللَّه تعالى هؤلاء بأنهم إذا امتلئوا أخذهم اللَّه، كما قال تعالى «فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ» الى آخر الآية «1»- الى ان قال- «حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ» «2»، و قال قتادة معناه أن اللَّه لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها أى لا يستحيى من الحق أن يذكر منه شيئاً ما قل أو كثر. إن اللَّه تعالى حين ذكر فى كتابه الذباب و العنكبوت قال اهل الضلالة ما ذا أراد اللَّه من ذكر هذا؟ فانزل اللَّه تعالى «أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها الآية» و كل هذه الوجوه حسنة. و أحسنها قول ابن عباس، لأنه يليق بما تقدم. و بعده ما قال قتادة. و ليس لأحد ان يقول: هذا المثل لا يليق بما تقدم. من حيث لم يتقدم للبعوضة ذكر. و قد جرى ذكر الذباب و العنكبوت فى موضع آخر. فى تشبيه آلهتهم بها و ان يكون المراد بذلك اولى، و ذلك ان قوله:
«إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها». انما هو خبر منه تعالى انه لا يستحيى تعالى أن يضرب مثلا فى الحق من الأمثال: صغيرها و كبيرها، لأن صغير الأشياء عنده و كبيرها بمنزلة واحدة من حيث لا يتسهل الصغير، و لا يصعب الكبير. و إن فى الصغير من الأحكام و الإتقان ما فى الكبير. فلما تساوى الكل فى قدرته، جاز أن يضرب المثل بما شاء من ذلك، فيقر بذلك المؤمنون، و يسلمون- و ان ضل به الفاسقون بسوء اختيارهم- و هذا المعنى مروى عن مجاهد.
و روى عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) انه قال: إنما ضرب اللَّه بالبعوضة، لأن البعوضة على صغر خلق فيها جميع ما فى الفيل على كبره و زيادة عضوين آخرين. فأراد اللَّه ان ينبه بذلك المؤمنين على لطف خلقه و عجيب عظم صنعه.

(1، 2) سورة الانعام: آية 44.

و (يستحيى) لغة اهل الحجاز و عامة العرب بيائين. و بنو تميم يقولون: بياء واحدة اخصر. كما قالوا: ا لم يک، و لا أدر و معنى (يستحيى): قال بعضهم:
إنه لا يخشى ان يضرب مثلا كما قال: «وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ» «1» معناه: تستحيى الناس و اللّه أحق ان تستحييه، فيكون الاستحياء بمعنى الخشية بمعنى الاستحياء. و قال الفضل بن سلمة: معناه لا يمتنع و قال قوم: لا يترک و هو قريب من الثانى و اصل الاستحياء: الانقباض عن الشىء، و الامتناع منه خوفاً من مواقعة القبيح و الاستحياء، و الانخزال و الانقماع، و الارتداع متقاربة المعنى و ضد الحياء القحة و معنى (الاستحياء) فى الآية: انه ليس فى ضرب المثل بالحقير عيب يستحيى و كأنه قال: لا يحل ضرب المثل بالبعوضة محل ما يستحيى منه فوضع قوله:- «إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِى» الآية- اختاره الرمانى و قوله: «أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا» فهو ان يصف و يمثل و يبين كما قال تعالى «ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ» «2» معناه وصف لكم كما قال الكميت:
و ذلک ضرب أخماس أريدت لأسداس عسى أن لا تكونا
و المعنى وصف أخماس. و ضرب المثل بمثله. يقال: أى ضرب هذا؟ أى من أى جنس و لون. و الضروب: الأمثال. و المثل: الشبه. و يقال: مِثل و مَثَل. كما قالوا: شِبه و شَبه. كقول كعب بن زهير:
كانت مواعيد عرقوب لنا مثلا و ما مواعيده إلا الأباطيل
يعنى شبهاً. فمعنى الآية: إن اللّه لا يستحيى أن يصف شبهاً لما شبه به.

و إما إعراب (بعوضة): فنصب من وجهين- على قول الزجاج- أحدهما- ان تكون (ما) زائدة. كأنه قال: إن اللّه لا يستحيى أن

---

(1) سورة الأحزاب. آية 37.
(2) سورة الروم: آية 28.

يضرب بعوضة مثلا أو مثلا بعوضة و تكون (ما) زائدة. نحو قوله: «فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ». «1»
و الثانى- أن تكون (ما) نكرة. و يكون المعنى: أن اللَّه لا يستحيى أن يضرب مثلا شىء بعوضة. فكان بعوضة فى موضع نصب شىء، لأنه قال: يستحيى ان ضرب مثلا شىء من الأشياء بعوضة فما فوقها. قال الفراء يجوز أن يكون معنى (ما) بين بعوضة الى ما فوقها كما يقول القائل: مطرنا ما «2» زبالة فالثعلبية.
و له عشرون ما ناقة و جملا. و هى أحسن الناس ما قرنا فقد ما. يعنون ما بين فى جميع ذلک. و قال بعضهم: (ما) بمعنى الذى. و يكون التقدير الذى هو بعوضة لأنها من صلة الذى، فأعربها باعرابه. كما قال حسان بن ثابت:
فكفى بنا فخراً على من غيرنا حب النبى محمد إيانا
فأعرب (غيرنا) باعراب (من) و يجوز ذلک فى من و ما، لأنهما يكونان تارة معرفة و تارة نكرة.
و البعوضة: من صغار البق. و قوله: «فَما فَوْقَها» فى الصغر و القلة. كما يقول القائل: إن هذا الأمر لصغير، فيقول المجيب: و فوق ذلک أى هو أصغر مما قلت. و كلاهما جائز فمن قال بالأول، قال: لأن البعوضة غاية فى الصغر و من قال بالثانى، قال: يجوز أن يكون ما هو أصغر منها و حكى عن رؤبة ابن العجاج:
انه رفع بعوضة و انشد بيت النابغة:
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا أو نصفه فقد «3»
بالرفع فأعمل ما و لم يعمل ليت قال: و هى لغة تميم يعملون آخر الأداتين
و قال الزّجاج: الرفع كان يجوز و ما قرئ به إذا كانت (ما) بمعنى الذى، و يقدر بعدها هو و يكون تقديره مثلا الذى هو بعوضة كمن قرأ تماماً على الذى هو أحسن و قد قرئ به و هو ضعيف عند سيبويه و فى الذى أقوى، لأنه أطول، و لأنها

---

(1) سورة آل عمران: آية 159

(2) فى المطبوعة (بين) بعد ما زائدة
(3) قد: اسم فعل بمعنى يكفى

لا تستعمل إلا فى الأسماء و قوله: «فَأَمَّا الَّذِينَ» لغة العرب جميعاً بالتشديد. و كثير من بنى عامر و تميم يقولون أيما فلان ففعل اللَّه به و انشد بعضهم:
مبتلة هيفاء أيما وشاحها فيجرى و أيما الحجل منها فلا يجرى
«آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ» الفاء جواب (أما) و فيها معنى الشرط و الجزاء و المعنى: ان المؤمنين باللَّه على الحقيقة يعلمون أن هذا المثل حق من عند اللّه و أنه من كلامه. «وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى الجاحدين، «فَيَقُولُونَ ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا» على ما بيناه.
و انتصب (مثلا) عند تغلب بانه قطع. و عند غيره انه تفسير. و قال قوم: إنه نصب على الحال. و ذا مع ما بمعنى أى شىء الذى أراد اللّه بهذا مثلا. فعلى هذا يكون الجواب رفعاً، كقولك: البيان لحال الذى ضرب له المثل. و يحتمل أن يكون وقعا ذا و ما بمنزلة اسم واحد فيكون الجواب نصباً كقولك: البيان لحال الممثل به. ورد القرآن بهما جميعاً. قال تعالى: «ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً» و فى موضع آخر: «ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» ذكرهما سيبويه، و الأخفش و هذا إشارة الى المثل. و مثلا ما، نون التنوين تدغم فى الميم عند جميع القراء.
و يكره الوقف فيها على قوله: «لا يَسْتَحْيِى» ثم يقول: «أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا» و كذلك على قوله: «وَ اللَّهُ لا يَسْتَحْيِى» ثم يقول: «مِنَ الْحَقِّ».
و قوله: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ». إن قيل: أليس تقولون: إن اللّه لا يضل أحداً، و لا يهدى خلقاً، و إن العباد هم يضلون أنفسهم و يهدونها، و هم يضلون من شاءوا و يهدون من شاءوا. و قد قال اللّه تعالى: فى غير موضع من كتابه نحو قوله: «يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ»، و لا يمكنكم ان تقولوا: إن المراد بالإضلال العقوبة و التسمية، لأنه لو قال: يضل كثيراً و يهدى كثيراً، كان ذلك ممكناً، لكنه قال: (يُضِلُّ بِهِ) و (يَهْدِى بِهِ) و الهاء راجعة الى القرآن، و المثل الذى ضربه فيه. و لا يجوز أن يعاقب بالمثل، و لا أن يسمى التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 115
بالمثل. فعلم بذلك أنه أراد أنه ليس عليهم و جعله حيرة لهم قلنا أول ما فى ذلك انا لا نطلق أن اللّه لا يضل احداً و لا يهدى احداً. و من اطلق ذلك، فقد اخطأ. و لا نقول ايضاً إن العباد يضلون أنفسهم و يهدونها مطلقاً او يضلون غيرهم و يهدونه. فان إطلاق جميع ذلك خطأ، بل نقول: إن اللّه يضل من يشاء و يهدى من يشاء. و نقول: إن من أضله اللّه فهو الضال و من هداه فهو المهتدى، و لكن لا نريد بذلك ما يريده المخالف مما يؤدى الى التظليم و التجوير للّه فى حكمه و المخالف يقول: إن اللّه يضل كثيراً من

خلقه بمعنى انه يصدهم عن طاعته، و يحول بينهم و بين معرفته، و يلبس عليهم الأمور و يحيرهم و يغالطهم، و يشككهم و يوقفهم فى الضلالة، و يجبرهم عليها. و منهم من يقول: يخلقها فيهم، و يخلق فيهم قدرة موجبة له، و بمنعهم الأمر الذى به يخرجون منها، فيصفون اللّه تعالى بأقبح الصفات و أخسها. و قالوا فيه بشرّ الأقوال. و قلنا نحن: إن اللّه قد هدى قوماً و أضل آخرين، و أنه يضل من يشاء. غير أن لفضله و كرمه، و عدله و رحمته لا يشاء أن يضل إلا من ضل و كفر و ترک طريق الهدى و إنه لا يشاء ان يضل المهتدين و المتمسكين بطاعته، بل شاء أن يهديهم و يزيدهم هدى، فانه يهدى المؤمنين بان يخرجهم من الظلمات الى النور. كما قال تعالى: «وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً وَ آتاهُمْ تَقْواهُمْ» «1» و قال: (وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) «2». و قال:
«اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ» «3» و قال: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِى بِهِ كَثِيراً وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ. الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ أُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ» «4» و قال: «وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ» «5». و الإضلال على وجوه كثيرة منها:
- ما نسبه اللّه تعالى الى الشيطان: و هو الصد عن الخير و الرشد و الدعاء الى

---

(1) سورة محمد: آية 17.
(2) سورة التغابن: آية 11.
(3) سورة البقرة: آية 257. [.....]
(4) سورة البقرة: آية 27.
(5) سورة ابراهيم: آية 27.

الفساد و الضلال، و تزيين ذلک، و الحث عليه. و هذا ينزه الله تعالى عنه.
- و منها التشديد الامتحان و الاختبار اللذين يكون عندهما الضلال و يعقبهما و نظير ذلک فى اللغة أن يسأل الرجل غيره شيئاً نفيساً خطيراً يثقل على طباعه بذله فإذا بخل به، قيل له نشهد لقد بخل به فلان. و ليس يريدون بذلک عيب السائل و انما يريدون عيب الباخل المسئول، لكن لما كان بخل المسئول ظهر عند مسألة السائل جاز أن يقال فى اللغة: انه بخلک. و يقولون للرجل إذا أدخل الفضة النار ليعلم فسادها من صلاحها، و ظهر فسادها: أفسدت فضتک، و لا يرون أنه فعل فيها فساداً، و إنما يريدون ان فسادها ظهر عند محنته. و يقرب من ذلک قولهم: فلان أضل ناقته، و لا يريدون انه أراد أن يضل، بل يكون قد بالغ فى الاستتار منها و انما يريدون ضلت منه لا من غيره. و يقولون أفسدت فلانة فلانا، و أذهبت عقله. و هى لا

تعرفه، لكنه لما فسد و ذهب عقله من أجلها، و عند رؤيته إياها قيل: قد أفسدت، و أذهبت عقله.
- و منها التخلية على جهة العقوبة و ترک المنع بالقهر و الإجبار، و منع الالطاف التى يؤتيها المؤمنين جزاء على ايمانهم. كما يقول القائل لغيره أفسدت سيفک، إذا ترک أن يصلحه. لا يريد أنه أراد أن يفسد أو أراد سبب فساده، أو لم يحب صلاحه، لكنه تركه فلم يحدث فيه الإصلاح- فى وقت- بالصقل و الإحداد.
و كذلک قولهم: جعلت أظافيرک سلاحاً. و انما يريدون تركت تقليمها.
- و منها التسمية بالإضلال و الحكم به كافراً. يقال: أضله إذا سماه ضالا.
كما يقولون: أكفره إذا سماه كافراً، و نسبه اليه. قال الكميت:
و طائفة قد أكفرونى بحبكم و طائفة قالوا: مسيء و مذنب
- و منها الإهلاک و التدمير. قال الله تعالى: (أَ إِذا ضَلَلْنا فِى الْأَرْضِ) أى هلكنا. فيجوز أن يكون أراد بالآية: حكم الله على الكافرين، و براءته منهم و لعنه إياهم إهلاكا لهم، و يكون إضلاله إضلالا كما كان الضلال هلاكا. و إذا كان الضلال ينصرف على هذه الوجوه، فلا يجوز أن ينسب الى الله تعالى أقبحها و هو ما أضافه الى الشيطان، بل ينبغى أن ينسب اليه أحسنها و أجلها. و إذا
ثبتت التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 117
هذه الجملة، رجعنا الى تأويل الآية، و هو قوله: (يضل به كثيراً) معناه أن الكافرين لما ضرب الله لهم الأمثال قالوا: ما الحاجة اليها؟ قال الله تعالى: فيها أعظم الفائدة: لأنها محنة و اختبار. و بهما يستحق الثواب، و يوصل إلى النعيم.
فسمى المحنة اضلالا و هداية، لأن المحنة إذا اشتدت على الممتحن و ثقلت فضل عندها، جاز أن تسمى اضلالا، فإذا سهلت فاهتدى عندها، سميت هداية، كما أن الرجل يقول لصاحبه: ما يفعل فلان؟ فيقول هو ذا. يسخى قوماً و يبخل قوماً آخرين أى يسأل قوماً فيشتد عليهم للعطاء فيبخلون، و يسأل آخرين، فيسهل عليهم فيعطون و يجودون، فسمى سؤاله باسم ما يقع عنده و يعقبه. فمعنى قوله: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِى بِهِ كَثِيراً» أى يمتحن به عباده، فيضل به قوم كثير، و يهتدى به قوم كثير. و لا يجب على ذلک أن يكون أراد إضلالهم. كما لا يجب ذلک فى السائل الذى لا يريد بخل المسئول، بل يريد إعطاءه فان قيل: أليس اللّه تعالى امتحن بهذه الأمثال المؤمنين كما امتحن بها الكافرين، فيجب أن يكون مضلا لهم؟ قلنا: إنما سمى المحنة الشديدة إضلالا إذا وقع عندها الضلال كما أن السؤال يسمى تبخيلا إذا وقع عنده البخل.
و قال قوم: معنى قوله: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً» يعنى يضل بالتكذيب بهذه الأمثال كثيراً و يهدى بالايمان كثيراً، لأنه لو كان سبباً للضلال لما وصفه اللّه بأنه هدى و بيان و شفاء لما فى الصدور. و حذف التكذيب و الإقرار اختصاراً،

لأن فى الكلام ما يدل عليه. كما يقول القائل: نزل السلطان فسعد به قوم و شقى به آخرون. و انما يراد به سعد بإحسانه قوم و شقى بإساءته آخرون. لا بنزول جيشه، لأنه نفسه لا يقع به سعادة و لا شقاء. و كما قال: «وَ أُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ» و انما أراد حب العجل. و ذلک كثير. و قد بينا أن الإضلال و الهداية يعبر بهما عن العذاب و الثواب، فعلى هذا يكون تقدير الآية: يضل أى يعذب بتكذيب القرآن، و الأمثال كثيراً، و يهدى أى يثيب بالإقرار به كثيراً. و الدليل على التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 118
ما قلناه قوله: «وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ» فلا يخلو أن يكون أراد ما قلناه من العقوبة على التكذيب، أو أراد به الحيرة و التشكيک، و قد ذكرنا انه لا يفعل الحيرة المتقدمة التى بها صاروا ضلالا فساقاً، لم يفعلها اللَّه إلا بحيرة قبلها، و هذا يوجب ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة، لا إلى أول، أو اثبات إضلال لا إضلال قبله، فان كان اللَّه قد فعل هذا الضلال الذى لم يقع قبله ضلال فقد أضل من لم يكن فاسقاً، و هذا خلاف قوله: «وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ» فثبت أنه أراد أنه لا يعاقب إلا الفاسقين، كما قال: «وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ «1»» و حكى الفراء وجهاً آخراً مليحاً، قال: قوله «ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا، يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِى بِهِ كَثِيراً» حكاية عمن قال ذلک، كأنهم قالوا: ما ذا أراد بهذا مثلا يضل به كثيراً، أى يضل به قوم و يهدى به قوم، ثم قال اللَّه: «وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ» فبين عز و جل الإضلال، و أنه لا يضل إلا ضالا فاسقاً، و اقتصر على الاخبار عنهم و بيان ما بين الإضلال دون ما أراد بالمثل، و هذا وجه حسن تزول معه الشبهة.
و أصل الفسق فى اللغة الخروج عن الشىء، يقال منه: فسقت الرطبة إذا أخرجت من قشرها، و من ذلک سميت الفارة فويسقة، لخروجها من حجرها، و لذلک سمى المنافق و الكافر فاسقين لخروجهما عن طاعة اللَّه، و لذلک قال اللَّه تعالى فى صفة إبليس: «إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» «2» يعنى خرج من طاعته و اتباع أمره.

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ أُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ (27)

---

(1) سورة ابراهيم: آية 27.
(2) سورة الكهف آية 51.

آية واحدة.

العهد: العقد، و الأصر مثله، و العهد: الموثق. و العهد: الالتقاء، يقال: ما لفلان عهد بكذا، و هو قريب العهد بكذا. و العهد له معان كثيرة. و سمى المعاهد- و هو الذمى- بذلک لأنه بايع على ما هو عليه من إعطاء الجزية، و الكف عنه. و العهدة كتاب الشراء، و جمعه عهد. و إذا أقسم بالعهد تعلق به عندنا كفارة الظهار، و قال قوم: كفارة يمين، و قال آخرون: لا كفارة عليه.

و «عَهْدَ اللَّهِ» قال قوم: هو ما عهد إلى جميع خلقه فى توحيده و عدله، و تصديق رسوله بما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته، و عهد إليهم فى أمره و نهيه، و ما احتج به لرسله بالمعجزات التى لا يقدر على الإتيان بمثلها الشاهدة لهم على صدقه. و نقضهم ذلک: تركهم الإقرار بما قد ثبت لهم صحته بالأدلة، و تكذيبهم الرسل و الكتب.

و قال قوم هو وصية اللّه إلى خلقه، و أمره على لسان رسله إياهم فيما أمرهم به من طاعته، و نهيه إياهم عما نهاهم عنه. و نقضهم: تركهم العمل به.

و قال قوم: هذه الآية نزلت فى كفار أهل الكتاب، و المنافقين منهم، و إياهم عنى اللّه عز و جل بقوله «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ ..» الآية. و قوله:

«وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ» و كل ما فى هذه الآية من اللوم و التوبيخ متوجه إليهم. و عهد الله الذى نقضوه بعد ميثاقه هو ما أخذه عليهم فى التوراة من العمل بما فيها، و اتباع محمد (ص) إذا بعث، و التصديق بما جاء به من عند ربهم، و نقضهم ذلک جحودهم به بعد معرفتهم بحقيته «1» و انكارهم ذلک،

---

(1) نسخة بدل (بحقيته)

و كتمانهم ذلک عند الناس بعد إعطائهم إياه تعالى من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس و لا يكتمونه، و إيمانهم أنهم متى جاءهم نذير آمنوا به، فلما

جاءهم النذير ازدادوا نفوراً، و نبذوا ذلک وراء ظهورهم و اشتروا به ثمناً قليلا. و هذا الوجه اختاره الطبرى. و يقوى هذا قوله: «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ، ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ، قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِى قالُوا: أَقْرَرْنا، قالَ: فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» «1» و الامر العهد أيضاً و قال فى موضع آخر: «وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِها» «2» و قال: «وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ ما زادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً» «3» و قال قوم: انما عنى بذلک العهد الذى أخذه اللّه حين أخرجهم من صلب آدم الذى وصفه فى قوله: (وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ .. الى آخر الآية) «4» و هذا الوجه عندى ضعيف لأن الله تعالى لا يجوز ان يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه و لا يعرفونه. و ما ذكروه غير معلوم أصلا. و الآية سنبين القول فيها إذا انتهينا اليها إن شاء الله.

و القطع هو الفصل بين الشيئين أحدهما من الآخر. و الأصل أن يكون فى الأجسام و يستعمل فى الأعراض تشبيهاً به. يقال قطع الحبل و الكلام. و الأمر هو قول القائل لمن دونه: افعل و هو ضد النهى. و الوصل هو الجمع بين الشيئين من غير حاجز و قال قوم الميثاق هو التوثيق. كما قال: «أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً» كقولهم أعطيتهم عطاء يريد إعطاء. الاعراب:- و قوله: «ان يوصل» بدل من الهاء التى فى به تقديره: ما أمر الله بأن يوصل، و هو فى موضع خفض. (و الذين) موضعه نصب، لأنه صفة للفاسقين. (أولئک) رفع بالابتداء. (و الخاسرون) خبره. (و هم) فصل عند

---

(1) سورة آل عمران آية 81.
(2) سورة الانعام آية 109.
(3) سورة فاطر آية 43.
(4) سورة الاعراف آية 171.

البصريين و عماد عند الكوفيين. و يجوز أن يكون هم ابتداء ثانياً. و الخاسرون خبره. و الجملة فى موضع خبر أولئک و النقض ضد الإبرام. و الميثاق و الميعاد و الميقات متقاربة المعنى. يقال وثق يثق ثقة و أوثق ايثاقاً. و توثق توثقاً. و يقال فلان ثقة للذكر و الأنثى، و الواحد و الجمع بلفظ واحد. فإذا جمع قيل ثقات فى الرجال و النساء. و من لابتداء الغاية فى الآية. و قيل: إنها زائدة. و الهاء فى قوله ميثاقه يحتمل ان تكون راجعة الى اسم الله تعالى. و قال قتادة قوله: «وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» و قطيعة الرحم و القرابة. و قال غيره معناه الأمر بأن يوصل كل من أمر الله

بصلة من أوليائه. و القطع: البراءة من أعدائه و هذا أقوى، لأنه أعم من الأول. و يدخل فيه الأول. و قال قوم: أراد صلة رسوله و تصديقه، فقطعوه بالتكذيب و هو قول الحسن. و قال قوم أراد أن يوصل القول بالعمل، فقطعوا بينهما بأن قالوا و لم يعملوا. و ما قلناه أولا أولى لأنا إذا حملناه على عمومه دخل ذلک فيه.
و قوله: «يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ». قال قوم: استدعاؤهم الى الكفر. و قال قوم: إخافتهم السبيل و قطعهم الطريق. و قال قوم أراد كل معصية تعدى ضررها الى غير فاعلها. و الخسران هو النقصان. قال جرير:
إن سليطا فى الخسار إنه أولاد قوم خلقوا أقنه
يعنى بالخسار ما ينقص من حظوظهم و شرفهم. و قال قوم: الخسار ها هنا: الهلاک يعنى هم الهالكون. و قال قوم: كلما نسبه الله من الخسار الى غير المسلمين فإنما عنى به الكفر و ما نسب به إلى المسلمين انما عنى به الدنيا، روى ذلک عن ابن عباس.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28)

(كيف) موضوعة للاستفهام عن الحال. و المعنى هاهنا التوبيخ. و قال الزجاج:

هو التعجب للخلق و للمؤمنين. أى اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون. و قد التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 122

ثبتت حجة الله عليهم.

و معنى (و كنتم) أى و قد كنتم. الواو واو الحال. و إضمار قد جائز إذا كان فى الكلام ما يدل عليها. كما قال: «حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ» أى قد حصرت صدورهم و كما قال: «إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ» أى قد قُدّ من دبر. و من قال هو توبيخ قال هو مثل قوله: «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ». و قال قتادة: و كنتم أمواتاً فأحياكم كما كانوا أمواتاً فى أصلاب آبائهم يعنى نطفاً، فأحياهم الله بأن أخرجهم ثم أماتهم اللّه الموتة التى لا بد منها، ثم أحياهم بعد الموت. و هما حياتان و موتان و عن ابن عباس و ابن مسعود أن معناه لم تكونوا شيئاً فخلقكم، ثم يميتكم، ثم يحييكم يوم القيامة. و روى ابو الأحوص عن عبد الله فى قوله: «أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ» قال: هى كالتى فى (البقرة): «كُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» و هو قول مجاهد و جماعة من المفسرين. و روى عن أبى صالح أنه قال: كنتم أمواتاً فى القبور فأحياكم فيها، ثم يميتكم، ثم يحييكم يوم القيامة و قال قوم: كنتم أمواتاً يعنى خاملى الذكر، دارسى الأثر، فأحياكم بالطهور و الذكر ثم يميتكم عند تقضى آجالكم ثم يحييكم للبعث قال ابو نخيلة السعدى:

فأحييت من ذكرى و ما كان خاملا و لكن بعض الذكر أنبه من بعض

و هذا وجه مليح غير أن الأليق بما تقدم قول ابن عباس و قتادة. و قال قوم: معناه أن الله تعالى أحياهم حين أخذ الميثاق منهم و هم فى صلب آدم و كساهم العقل ثم أماتهم ثم أحياهم و أخرجهم من بطون أمهاتهم. و قد بينا أن هذا الوجه ضعيف فى نظائره، لأن الخبر الوارد بذلك ضعيف و الأقوى فى معنى الآية أن يكون المراد بذلك تعنيف الكفار و اقامة الحجة عليهم بكفره و جحودهم ما أنعم الله تعالى عليهم و انهم كانوا أمواتاً قبل ان يخلقوا فى بطون أمهاتهم و أصلاب آبائهم يعنى نطفاً و النطفة موات، ثم أحياهم فأخرجهم الى دار الدنيا احياء، ثم يحييهم فى القبر للمساءلة، ثم يبعثهم يوم القيامة للحشر و الحساب و هو قوله تعالى: «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» معناه ترجعون للمجازاة على الاعمال كقول القائل: طريقك علىّ التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 123

و مرجعک الی. یرید انی مجازیک و مقتدر علیک و سمی الحشر رجوعاً الی الله، لأنه رجوع الی حیث لا یتولی الحکم فیه غیر الله فیجازیکم علی أعمالکم کما یقول القائل: امر القوم الی الأمیر أو القاضی و لا یراد به الرجوع من مکان الی مکان و انما یراد به ان النظر صار له خاصة دون غیره فان قال قائل: لم یذکر الله احیاء فی القبر فکیف تثبتون عذاب القبر قلنا: قد بینا أن قوله: (ثم یحییکم) المراد به احیاؤهم فی القبر للمساءلة و قوله: «ثُمَّ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ» معناه احیاؤهم یوم القیامة و حذف ثم یمیتکم بعد ذلک لدلالة الکلام علیه علی ان قوله: «ثُمَّ یُحْیِیکُمْ» لو کان المراد به یوم القیامة، لم یمنع ذلک من احیاء فی القبر، و اماتة بعده کما قال تعالی:
«أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ خَرَجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْیاهُمْ» «1» و لم یذکر حیاة الذین أحیوا فی الدنیا بعد ان ماتوا. و قال فی قوم موسی «فَأَخَذَتْکُمُ الصَّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْناکُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِکُمْ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ» «2» و لم یذکر حیاتهم فی الدنیا و لم یدل ذلک علی أنهم لم یحییوا فی الدنیا بعد الموت و کذلک ایضاً لا تدل هذه الآیة علی ان المکلفین لا یحیون فی قبورهم للثواب و العقاب علی ما أخبر به الرسول (علیه السلام) و قول من قال: لم یکونوا شیئاً. ذهب الی قول العرب للشیء الدارس الخامل: إنه میت یرید خموله و درسه و فی ضد ذلک یقال: هذا أمر حی یراد به، کأنه متعالم فی الناس و من أراد الاماتة التی هی خروج الروح من الجسد، فانه أراد بقوله: «وَ کُنْتُمْ أَمْواتاً» انه خطاب لأهل القبور بعد احیائهم فیها و هذا بعید لأن التوبیخ هنالک انما هو توبیخ علی ما سلف، و فرط من اجرامهم لا استعتاب و استرداع و قوله: «کَیْفَ تَکْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ کُنْتُمْ أَمْواتاً» توبیخ مستعتب، و تأنیب مسترجع من خلقه من المعاصی الی الطاعة، و من الضلالة الی الانابة و لا انابة فی القبر و لا توبة فیها بعد الوفاة و احسن الوجوه مما قدمنا ما ذکر ابن عباس و بعده قول قتادة.

---

(1) سورة البقرة آیة 243.
(2) سورة البقرة: آیة 54- 55
التبیان فی تفسیر القرآن، ج1، ص: 124

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 29] ..... ص : 124

اشارة

هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ (29)
آیة بلا خلاف.

(هو) كناية عن اللَّه عز و جل فى قوله: «تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ» و أراد به تأكيد الحجة فقال: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ» الذى أحياكم بعد موتكم «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ ما فِى الْأَرْضِ» يعنى الذى فى الأرض.
و (ما) فى موضع نصب، لأن الأرض و جميع ما فيها نعمة من الله لخلقه: اما دينية فيستدلون بها على معرفته، و إما دنيوية فينتفعون بها بضروب النفع عاجلا و قوله: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ فيه وجوه:
أحدها- ما قاله الفراء: من ان معناه اقبل عليها. كما يقول القائل: كان فلان مقبلا على فلان يشتمه، ثم استوى الى يشتمنى، و استوى علىّ يشاتمنى قال الشاعر:
أقول و قد قطعن بنا شرورى ثوانى و استوين من الضجوع «1»
أى أقبلن و خرجن من الضجوع و قال قوم: ليس معنى البيت ما قاله و انما معناه استوين على الطريق من الضجوع خارجات «2» بمعنى استقمن عليه. و قال قوم: معنى استوى: قصدها لتسويتها كقول القائل: قام الخليفة يدبر أمر بنى تميم، ثم استوى و تحول الى بنى ربيعة، فأعطاهم و قسم لهم اى قصد اليه. و يقال مر فلان مستوياً الى موضع كذا و لم يعدل اى قصد اليها. و قال قوم:
معنى استوى اى استولى على السماء بالقهر كما قال: «لِتَسْتَوُوا عَلى ظُهُورِهِ» «3» أى تقهروه و منه قوله تعالى: «وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوى» «4» أى تمكن من أمره

---

(1) قائله تميم بن أبى. عن معجم ما استعجم. فى المطبوعة (سوامد) بدل (ثوانى) شرورى: جبل بين بنى اسد و بنى عامر فى طريق الكوفة. الضجوع- بفتح الضاد- مكان
(2) فى المطبوعة (فارجات) و الصحيح ما ذكرنا
(3) سورة الزخرف. آية 13 [.....]
. (4) سورة القصص: آية 14

و قهر هواه بعقله فقال: «ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ» فى تفرده بملكها، و لم يجعلها كالأرض ملكا لخلقه و منه قول الشاعر:
فلما علونا و استوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر و كاسر
و قال آخر:
ثم استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق

و قال الحسن: ثم استوى أمره و صنعه الى السماء، لأن أوامره و قضاياه تنزل من السماء الى الأرض و قال بعضهم استوى بمعنى استوت به السماء كما قال الشاعر:
أقول له لما استوى فى تراثه على أى دين قتّل الناس مصعب»
و أحسن هذه الوجوه أن يحمل على أنه علا عليها فقهرها، و ارتفع فدبرها بقدرته، و خلقهن سبع سماوات، فكان علوه عليها علو ملك و سلطان لا علو انتقال و زوال، و بعد ذلک قول من قال: قصد اليها فخلقها، و لا يقدح فى الأول علوه تعالى على الأشياء فيما لم يزل، لأنه و ان كان كذلک لم يكن قاهراً لها بحلقها، لأن ذلک متجدد، و انما قال: الى السماء و لا سماء هناک كما يقول القائل: اعمل هذا الثوب و انما معه غزل، و قال قوم: انما سواهن سبع سماوات بعد ان كانت دخانا و الاول أملح، و قال الرمانى السموات غير الأفلاک لأن الأفلاک تتحرک و تدور و اما السماوات لا تتحرک و لا تدور لقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُمْسِکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا» «2» و هذا ليس بصحيح، لأنه لا يمتنع ان تكون السماوات هى الأفلاک و ان كانت متحركة، لأن قوله تعالى: «يُمْسِکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا» معناه لا تزول عن مراكزها التى تدور عليها. و لو لا إمساكه لهوت بما فيها من الاعمالات سفلا. و معنى (سواهن) أى هيأهن و خلقهن و قومهن و دبرهن و التسوية: التقويم و الإصلاح. يقال سوى فلان لفلان هذا الأمر أى قومه و أصلحه. و قال الفراء: السماء واحدة تدل على الجمع فلذلک قال: «ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ» فذكرها بلفظ الواحد. ثم اخبر عنها بلفظ الجمع فى قوله: (فسواهن) و قال

---

(1) لم يعرف قائل هذا البيت فى مطبوعة (الطبرى) (ترابه) بدل تراثه
(2) سورة فاطر: آية 41

الأخفش: السماء اسم جنس يدل على القليل و الكثير كقولهم أهلک الناس الدينار و الدرهم. و قال بعضهم: السماء جمع واحده سماوة: مثل بقرة و بقر، و نخلة و نخل، و ثمرة و ثمر «1» و لذلک أنثت فقيل هذه سماء، و ذكرت أخرى فقيل: «السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ» «2» كما يفعل ذلک بالجمع الذى لا فرق بينه و بين واحده غير دخول الهاء و خروجها فيقال: هذا نخل، و هذه نخل و هذا بقر و هذه بقر. و من قال بالأول قال: إذا ذكرت فإنما هو على مذهب من يذكر المؤنث. كقول الشاعر:
فلا مزنة و دقت و دقها و لا أرض ابقل ابقالها «3»
و قال اعشى بنى ثعلبة:
فاما ترى لمتى بدّلت فان الحوادث أزرى بها «4»
و قال قوم: إن السماوات، و ان كانت سماء فوق سماء. و ارضاً فوق أرض

فهى فى التأويل واحدة، و تكون الواحدة جماعا كما يقال: ثوب أخلاق و أسمال، و رمة أعشار، للمتكسرة، و برمه اكسار و إجبار و اخلاق، أى نواحية أخلاق «5» و يقال ارض اعقال و ارض اخصاب. و المعنى أن كل ناحية منها كذلک، فجمع على هذا. و لا ينافى ذلک قول من قال: إن السماء كانت دخاناً قبل أن يسويها سبع سماوات، ثم سبعاً بغير استوائه عليها. و ذلک أنه يقول: كن سبعاً غير مستويات، فسواها اللّه تعالى فان قيل: قوله «هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ» ظاهره يوجب أنه خلق الأرض قبل السماء، لأن (ثم) للتعقيب، و للتراخى. و قال فى موضع آخر: «أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها رَفَعَ سَمْکَها فَسَوَّاها» ثم قال: «وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها» هذا ظاهر التناقض. قلنا: المعنى

---

(1) تمرة و تمر (نسخة).
(2) سورة المزمل: آية 18.
(3) صاحب البيت عامر بن جوين، المزنة: قطعة السحاب. الودق: المطر.
ابقلت الأرض:
أخرجت بقلها.
(4) ازرى بها: حقرها و انزل بها الهوان.
(5) الخلق: البالى. و برمة إجبار ج برمة جبر و ان لم يقولوه مفردا. و أصله من جبر العظم و هو لأمه.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 127
فى ذلک خلق الأرض قبل السماء غير أنه لم يدحها. فلما خلق السماء دحاها بعد ذلک و دحوها: بسطها، و مدها و منه ادحية لنعام، سميت بذلک، لأنها تبسطها لتبيض فيها. و يجوز أن لا يكون معنى (ثم) و (بعد) فى هذه الآيات الترتب فى الأوقات و التقدم و التأخر فيها، انما هو على جهة تعداد النعم و الاذكار لها. كما يقول القائل لصاحبه: أليس قد أعطيتک، ثم حملتک، ثم رفعت فى منزلتک، ثم بعد ذلک كله خلطتک بنفسى و فعلت بک و فعلت. و ربما يكون بعض الذى ذكره فى اللفظ متقدما، كان متأخرا، لأن المراد لم يكن الاخبار عن اوقات الفعل، و انما المراد الذكر و التنبيه عليها. فإن قيل أى نسبة بين قوله: «ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ» و بين قوله: «وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ» و كان يجب ان يقول: (و هو على كل شىء قدير) قيل انما جاز ذلک، لأن اللّه لما وصف نفسه بما يدل على القدرة و الاستيلاء وصل ذلک بما يدل على العلم، إذ بهما يصح وقوع الفعل على وجه الأحكام، و الإتقان.
و ايضاً أراد أن يبين انه عالم بما يؤول اليه حاله، و حال المنعم به عليه، فيستحق بذلک النعمة. و تلخيص معنى الآية ان اللّه تعالى هو الذى خلق لكم الأرض و ما فيها من الجبال و المياه و الأشجار، و ما قدر فيها من الأقوات، ثم قضى خلق السماء بعد خلقه الأرض. و معنى استوى أى عمد

لها و قصد الى خلقها، و سواها سبع سماوات فبناهن و ركبهن كذلک و نظير ذلک قوله: «أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِکَ رَبُّ الْعالَمِينَ. وَ جَعَلَ فِيها رَواسِىَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَکَ فِيها وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ» «1» يعنى يومين بعد اليومين الأولين حتى صار بذلک اربعة ايام ثم استوى الى السماء. فمعنى قوله: «خَلَقَ لَكُمْ ما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً» هو الذى بينه بقوله: «وَ جَعَلَ فِيها رَواسِىَ مِنْ فَوْقِها .. الآية» و جعل ذكره لذلک فى الآية الأولى تأكيد الحجة على عباده لئلا يكفروا به، و لأن يؤمنوا به و يشكروه. و قوله: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ» يدل انه تعالى ما أراد الكفر

---

(1) سورة حم السجدة: آية 9 و 10

منهم، لأنه لو اراده منهم و خلقه فيهم لما قال ذلک. كما لا يحسن أن يقول: لم كنتم سوداً و بيضاً و طوالا و قصاراً. و قوله: و هى دخان. فالذى روى فى الاخبار أن اللّه تعالى لما خلق الأرض، خلقها بعد الماء فصعد منه بخار و هو الدخان، فخلق اللّه منه السماوات و ذلک جائز لا يمنع منه مانع. و قوله: (وَ هُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) معناه عالم و فيه مبالغة. و انما أراد اعلامهم أنه لا يخفى عليه شىء من أفعالهم الظاهرة و الباطنة، و السر و العلانية.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 30] ..... ص : 128

اشارة

وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَةِ إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ قالَ إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ (30)

قال أبو عبيدة: (إذا) زائدة. و التقدير (قال ربک للملائكة). و هى تحذف فى مواضع. قال الأسود بن يعمر:
و إذا و ذلک لا مهاة لذكره و الدهر يعقب صالحاً بفساد «1»
معناه و ذلک لا مهاة لذكره. قال عبد مناة بن مربع و قيل: ابن ربع الهذلى
حتى إذا أسلكوهم فى قتائدةٍ شلًا كما تطرد الجمالة الشردا «2»
و معناه حتى اسلكوهم. و القتائدة: الموضع الذى فيه قتاد «3» كثير. و الشل الطرد. و الجمالة: الجمالون. و الشرد الإبل التى تشرد عن مواضعها، و تقصد غيرها و تطرد عنها. و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لأن إذا: حرف يأتى بمعنى الجزاء و يدل على مجهول من الوقت. و لا يجوز إبطال حرف كان دليلا على معنى فى الكلام

---

(1) فى المطبوعة (لا مهاة) و الصحيح ما ذكرنا كما عن (المفضليات) يقال ليس لعيشنا مهه و مهاة أى ليس له حسن او نضارة
. (2) فى المطبوعة (يطرد) و البيت فى ديوان الهذليين و الخزانة اسلک الرجل غيره الطريق و سلكه فيه اضطره اليه و القتائدة: جبل فى طريق مكة و المدينة و جواب (إذا) فى البيت فعل محذوف دل عليه المصدر
. (3) القتاد نبات ذو شوک.

إلا لضرورة. و ليس المعنى فى البيتين على ما ظن، بل لو حمل (إذا) فى البيتين على البطلان بطل معنى الكلام الذى أراد الشاعر، لأن الأسود أراد بقوله: (و إذا) الذى نحن فيه و ما مضى من عيشنا. و أراد بقوله (ذلک) الاشارة الى ما تقدم وصفه من عيشه الذى كان فيه لا مهاة لذكره. يعنى لا طعم له، و لا فضل لأعقاب الدهر ذلک بفساد. و معنى قول عبد مناة بن مربع: حتى إذا اسلكوهم فى قتائدة. إن قوله: اسلكوهم مثلا يدل على معنى محذوف، و استغنى عن ذكره بدلالة (إذا) عليه فحذف كما قال نمر بن تولب:
فان المنية من يخشها فسوف تصادفه أينما
يريد أينما ذهب. و كما يقول القائل: من قبل، و من بعد. يريد من قبل ذلک، و من بعد ذلک، و يقول القائل: إذا أكرمک أخوک فأكرمه و إذا لا «1» فلا يريد و إذا لم يكرمک فلا تكرمه. و من ذلک قول الشاعر:
فإذا و ذلک لا يضرک ضرة فى يوم اسأل نائلا او انكد «2»
و كذلک لو حذف (إذا) فى الآية لاستحالت عن معناها الذى تفيده (إذ)، لأن تقديره: ابتدأ خلقكم إذ قال ربک للملائكة. قال الزجاج و الرمانى أخطأ أبو

عبيدة، لأن كلام اللّه لا يجوز أن يحمل على اللغو مع إمكان حمله على زيادة فائدة قال: و معنى إذ: الوقت و هى اسم كيف يكون لغواً؟ قال و التقدير الوقت و الحجة فى (إذ) أن اللَّه عز و جل ذكر خلق الناس و غيرهم، فكأنه قال: ابتدأ خلقك إذ قال ربك للملائكة. و قال الفضل: لما امتن اللّه بخلق السماوات و الأرض، ثم قال: و إذ قلنا للملائكة ما قلناه فهو نعمة عليكم و تعظيم لأبيكم. و اختار ذلك الحسن «3» بن على المغربى. و قال الرمانى و الزهرى: اذكر إذ قال ربك. و الملائكة جمع غير أن واحدهم بغير همز أكثر فيحذفون الهمزة و يحركون اللام التى كانت ساكنة لو همّز الاسم الى اللام. فإذا اجمعوا، ردوه الى الأصل و همزوا. كما

---

(1) فى المطبوعة (لا) ساقطة و لا يستقيم المعنى بدونها
. (2) فى المطبوعة (نكرا) بدل انكده و نكده ما سأله: قلل له العطاء او لم يعطه البتة [.....]
. (3) نسخة بدل (الحسين).

يقولون: رأى، ثم يقولون يرى بلا همز. و ذلك كثير. و قد جاء مهموزا فى واحده قال الشاعر:

فلست بأنسى و لكن ملأكا تنزل من جو السماء يصوب «1»

و قد يقال فى واحدهم مألك: مثل قولهم: جبذ و جذب فيقلبونه، و شأمل و شمأل. و من قال: مألك يجمعه ملائك بلا هاء مثل اشعث و اشاعث. قال أمية ابن أبى الصلت:

و فيها من عباد اللَّه قوم ملائك ذللوا و هم صعاب «2»

و اصل الملأك «3» الرسالة. قال عدى بن زيد العبادى:

ابلغ النعمان عنى ملأكاً أنه قد طال حبسى و انتظارى «4»

و قد ينشد ملأكا و مألكا على اللغة الأخرى. فمن قال: ملأكا فهو مفعل من لاك اليه يليك إذا أرسل اليه رسالة: و من قال مألكا فهو مفعل من ألكت اليه إلاكة إذا أرسلت اليه مألكة و الوكا و كما قال لبيد بن ربيعة:

و غلام أرسلته امه بالوك فبذلنا ما سأل

و هذا من الكت و يقال: لاك يلأك و الك يألك إذا أرسل قال عبد بنى الحسحاس «5»:

ألكنى اليها عمرك اللَّه يا فتى بآية ما جاءت إلينا تهاديا «6»

يعنى أبلغها رسالتى. فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة، لأنها رسل اللَّه بينه و بين أنبيائه، و من أرسل من عباده. هذا عند من يقول: إن جميع الملائكة رسل فاما ما يذهب اليه أصحابنا أن فيهم رسلا و فيهم من ليس برسل، فلا يكون الاسم

---

(1) البيت منسوب لعلقمة بن عبدة و ليس فى ديوانه و هو من أبيات سيبويه و فى اللسان (أ لک)
. (2) ديوانه. ذللوا: من الذل
. (3) فى المطبوعة (ملک) و صححت ب (مألک)
(4) الاغانى و العقد الفريد بعد البيت و هو متمم له:
لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى
(5) فى المطبوعة عبيد بن الحسحاس.
(6) الكنى اليها: أبلغها رسالة منى. ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس.

مشتقاً، بل يكون علماً او اسم جنس. و انما قالوا: إن جميعهم ليسوا رسل اللّه لقوله تعالى: «يَصْطَفِى مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا» «1» فلو كانوا جميعاً رسلا، لكانوا جميعاً مصطفين، لأن الرسول لا يكون إلا مختاراً مصطفى. و كما قال: «وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ» «2».
و قوله: «إِنِّى جاعِلٌ» أى فاعل و خالق. و هما يتقاربان. قال الرمانى: حقيقة الجعل: تصيير الشىء على صفة. و الأحداث حقيقة: إيجاد الشىء بعد أن لم يكن موجوداً. و الخليقة: الفعيلة من قولهم: خلف فلان فلاناً فى هذا الأمر: إذا قام مقامه فيه بعده، لقوله تعالى: «ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِى الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» «3» يعنى بذلک: أبد لكم فى الأرض منهم، فجعلكم خلفاً فى الأرض من بعدهم. و سمى الخليفة خليفة من ذلک، لأنه خلف من كان قبله، فقام مقامه.
الخلف- بتحريک اللام- يقال: فيمن كان صالحاً- و بتسكين اللام- إذا كان طالحاً. قال اللّه تعالى «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ».
و روى عن النبى (صلى اللّه عليه و آله و سلم) أنه قال: ينقل هذا العلم من كل خلف عدوله.
و قال قوم: سمى اللّه تعالى آدم خليفة، لأنه جعل آدم و ذريته خلفاء الملائكة، لأن الملائكة كانوا سكان الأرض. و قال ابن عباس: انه كان فى الأرض الجن، فأفسدوا فيها، و سفكوا الدماء، فاهلكوا، فجعل اللّه آدم و ذريته بدلهم. و قال الحسن البصرى: إنما أراد بذلک قوماً يخلف بعضهم بعضاً من ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم فى إقامة الحق و عمارة الأرض.
و قال ابن مسعود: أراد أنى جاعل فى الأرض خليفة يخلفنى فى الحكم بين الخلق، و هو آدم، و من قام مقامه من ولده. و قيل انه يخلفنى فى إنبات الزرع و إخراج الثمار، و شق الأنهار. و قيل ان الأرض أراد بها مكة،
روى ذلک عن ابن سارط، أن النبى (ص) قال: دحيت الأرض من مكة و لذلک سميت ام القرى. قال: دفن نوح و هود و صالح و شعيب

---

(1) سورة الحج: آية 75.

(2) سورة الدخان: آية 32.
(3) سورة يونس: آية 14.

بين زمزم و المقام.
و قال قوم: انها الأرض المعروفة. و هو الظاهر.
و قوله: «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ» و روى ان خلقاً يقال لهم الجان كانوا فى الأرض فأفسدوا و سفكوا الدماء فبعث اللَّه تعالى ملائكة اجلتهم من الأرض. و قيل: ان هؤلاء الملائكة كانوا سكان الأرض بعد الجان فقالوا: يا ربنا أ تجعل فى الأرض يفسد فيها و يسفك الدماء. على وجه الاستخبار منهم و الاستعلام عن وجه المصلحة، و الحكمة لا على وجه الإنكار. كأنهم قالوا ان كان هذا كما ظننا فعرفنا وجه الحكمة فيه. و قال قوم: المعنى فيه ان اللَّه اعلم الملائكة انه جاعل فى الأرض خليفة و ان الخليفة فرقة تسفك الدماء و هى فرقة من بنى آدم فأذن اللَّه للملائكة ان يسألوه عن ذلك و كان اعلامه إياهم هذا زيادة على التثبيت فى نفوسهم انه يعلم الغيب فكأنهم قالوا: أ تخلق فيها قوماً يسفك الدماء، و يعصونك و انما ينبغى انهم إذا عرفوا انك خلقتهم ان يسبحوا بحمدك كما نسبح و يقدسوا كما نقدس؟، و لم يقولوا: هذا إلا و قد اذن لهم، لأنهم لا يجوز ان يسألوا ما لا يؤذن لهم ما فيه، و يؤمرون به، لقوله: «وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» «1» فان قيل من اين لكم أنهم كانوا علموا ذلك؟ قيل ذلك محذوف لدلالة الكلام عليه، لأنا علمنا أنهم لا يعلمون الغيب و ليس إذا فسد الجن فى الأرض، وجب أن يفسد الانس و قوة السؤال تدل على أنهم كانوا عالمين و جرى ذلك مجرى قول الشاعر:
فلا تدفنونى إن دفنى محرم عليكم و لكن خامرى أم عامر «2»
فحذف قوله: دعونى للتى يقال لها إذا أريد صيدها خامرى أم عامر فكأنه قال: إنى جاعل فى الأرض خليفة يكون من ولده افساد فى الأرض و سفك الدماء و قال ابو عبيدة و الزجاج: أنهم قالوا ذلك على وجه الإيجاب و إن خرج مخرج الاستفهام كما قال جرير:
ألستم خير من ركب المطايا و اندى العالمين بطون راح؟

---

(1) سورة النحل: آية 50
. (2) الشعر للشنفرى. الحماسة الاغانى. و يروى (فلا تقبرونى ان قبرى) (و لكن ابشرى) خامرى: استترى. ام عامر: كنية الضبع.

فعلى هذا الوجه قال قوم: إنما أخبروا بذلك عن ظنهم و توهمهم، لأنهم رأوا الجن من قبلهم قد أفسدوا فى الأرض و سفكوا الدماء فتصوروا أنه إن استخلف غيرهم، كانوا مثلهم، فقال تعالى منكراً لذلك: «إِنِّى أَعْلَمُ ما لا

تَعْلَمُونَ» و هذا قول قتادة و ابن عباس و ابن مسعود. و قالَ آخرون: إنهم قالوه يقينا لأن اللّه كان أخبرهم انه يستخلف فى الأرض من يفسد فيها و يسفک الدماء. فأجابوه بعد علمهم بذلک بأن قالوا: «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِکُ الدِّماءَ» و انما قالوه استعظاماً لفعلهم أى كيف يفسدون فيها و يسفكون الدماء، و قد أنعمت عليهم و استخلفتهم فيها فقال: «إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ» و قال قوم: إنهم قالوا ذلک متعجبين من استخلافه لهم أى كيف يستخلفهم و قد علم انهم «يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِکُ الدِّماءَ»؟ فقال: «إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ».
و السفک: صب الدماء خاصة دون غيره من الماء، و جميع المائعات. و السفح مثله لأنه مستعمل فى جميع المائعات على وجه التضييع، و لذلک قالوا فى الزنا انه سفاح لتضييع مائه فيه.
و الملائكة المذكورون فى الآية. قال قوم: هم جميع الملائكة. و قال آخرون- و هو المروى عن ابن عباس و الضحاک- إنه خطاب لمن اسكنه من الملائكة الأرض بعد الجان، و قبل خلق آدم، و هم الذين أجلوا الجان عن الأرض. و قال قتادة فى قوله: «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِکُ الدِّماءَ» و قد علمت الملائكة من علم اللّه أنه لا شىء عند اللّه أكبر من سفک الدماء و الإفساد فى الأرض قال اللّه تعالى:
«إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ» من أنه سيكون من الخليفة رسل و أنبياء، و قوم صالحون و ساكنون الجنة. و أقوى هذه الوجوه قول من قال: إن الملائكة إنما قالت:
«أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها» على وجه التعجب من هذا التدبير، لا إنكاراً له و لكن على وجه التألم و التوجع و الاغتمام و الاستعلام لوجه التدبير فيه، فقال:
«إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ» من وجه المصلحة فى خلقهم، و ما يكون منهم من الخير و الرشد و العلم، و حسن التدبير و الحفظ، و الطاعة ما لا تعلمون. فان قيل: الملائكة التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 134
بم عرفت ذلک، إذ لم يمكنها أن تستدرک ذلک بالنظر و الفكر. قلنا: قد يجوز أن لا يكون خَطَر ببالها ذلک إلا عند ما أعلمهم اللّه، فلما علموا ذلک، فزعوا الى المسألة عنه، لأن المسألة لمن يتوقع سرعة جوابه أو يوثق بعلمه و خبره يقوم مقام النظر و الفكر. و قوله: «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها» يريدون من ولد آدم الذين ليسوا أنبياء، و لا أئمة معصومين. فكأنه قال تعالى: إنى جاعل فى الأرض خليفة يكون له ولد و نسل يفعلون كيت و كيت. فقالوا: «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها» يريدون الولد. و قد بينا أن الخليفة من يخلف مَن تقدمه، جماعة كانوا أو واحداً فلما أخبر اللّه تعالى الملائكة أنه يخلق فى الأرض عباداً هم آدم و ولده و يكون خليفة لمن تقدمهم من الجن أو غيرهم، قالوا ما قالوا. و يحتمل أن يكون قوله: «مَنْ

يُفْسِدُ فِيها» يريدون البعض لا الكل. كما يقال: بنو شيبان يقطعون الطريق. و يراد بعضهم دون جميعهم.
و قوله: «وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ» و التسبيح هو التنزيه من السوء على وجه التعظيم و كل من عمل خيراً قصد به اللّه فقد سبح. يقال: فرغت من سبحتى أى من صلاتى. و قال سيبويه: معنى سبحان اللّه: براءة اللّه و تنزيه اللّه من السوء. قال اعشى بنى تغلب:
أقول- لما جاءنى فخره-:
سبحان من علقمة الفاخر «1»
أى براءة من علقمة الفاخر. و هو مشتق من السبح الذى هو الذهاب. قال اللّه تعالى: «إِنَّ لَکَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا» «2» و لا يجوز أن يسبح غير اللّه و ان كان منزها، لأنه صار علماً فى الدين على أعلى مراتب التعظيم التى لا يستحقها سواه. كما أن العبادة غاية فى الشكر لا يستحقها سواه. و قال ابن عباس و ابن مسعود: «نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ» بمعنى نصلى لک كما قال: «فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ» «3» أى من المصلين. و قال مجاهد: معناه نعظمک بالحمد و الشكر على

---

(1) ديوانه. الاغانى. علقمة فى البيت هو علقمة بن علاثة هجاه الشاعر
. (2) سورة المزمل: آية 7 [.....]
. (3) سورة الصافات: آية 143.

نعمک. و قال قتادة: هو التسبيح المعروف. و قال المفضل: هو رفع الصوت بذكر اللّه. قال جرير:
قبح الاله وجوه تغلب كلما سبح الحجيج و هللوا إهلالا
و اصل التقديس: التطهير. و منه قوله: الأرض المقدسة أى المطهرة. قال الشاعر:
فادركنه يأخذن بالساق و النسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس «1»
أى المطهر. و قال قوم: معنى نقدس لک: نصلى لک. و قال آخرون: نقدس أنفسنا من الخطايا و المعاصى و قال قوم: نطهرک من الأدناس أى لا نضيف اليک القبائح. و القَدَس: السطل الذى يتطهر منه أى يقدس. و يوصف تعالى بأنه قدوس سبوح أى سبحانه أن يكون شريكا لغيره طاهر من كل عيب. و قوله:
«إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ». قال قوم: أراد ما أظهره إبليس من الكبر و العجب و المعصية لما أمر اللّه تعالى لآدم. ذهب اليه ابن مسعود، و ابن عباس. و قال قتادة:
أراد من فى ذرية آدم من الأنبياء و الصالحين. و قال قوم: أراد به ما اختص بعلمه من تدبير المِصالح. فان قيل: لو كان آدم قادراً على أن لا يأكل من

الشجرة، لكان قادراَ على نقض ما دبره اللّه فيه، لأنه لو لم يأكل منها للبث فى الجنة.
و اللَّه تعالى إنما خلقه ليجعله خليفة فى الأرض فهذا يدل على أنه لم يكن بد من المخالفة. قلنا عن هذا جوابان:
أحدهما- ان الجنة التى خلق اللّه تعالى فيها آدم، لم تكن جنة الخلد، و انما كانت فى الأرض حيث شاء اللّه، و انه حيث كان فى الأرض، كان خليفة فى الأرض و فى هذا سقط السؤال.
و الثانى- ان اللّه تعالى علم أن آدم سيخالف، و انه يهبط الى الأرض فيستخلفه فيها فأخبر اللّه تعالى بما علم. و قولهم: إنه لو كان قادراً على أن لا يخالف، لكان قادراً على نقض تدبيره- جهل، لأن اللّه تعالى قد أمره بأن لا

---

(1) شبرق: مزق

يقرب الشجرة. فهل يجب بأن يكون أمره بأن ينقض تدبيره؟ فإذا قالوا: لا. قيل:
و كذلك اللَّه قد اقدره على ألا يخالف فيلبث فى الجنة. و لا يجب بذلك أن يكون أقدره على نقض تدبيره.
و قد روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أن الملائكة سألت الله أن يجعل الخليفة منهم. و قالوا: نحن نقدسک و نطيعک و لا نعصيک كغيرنا. فقال أبو عبد الله (عليه السلام): فلما أجيبوا بما ذكر الله فى القرآن، علموا أنهم قد تجاوزوا ما ليس لهم فلاذوا بالعرش استغفاراً، فأمر الله آدم بعد هبوطه أن يبنى لهم فى الأرض بيتاً يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون. فقال الله تعالى: إنى اعرف بالمصلحة منكم. و هو معنى قوله: (إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ).

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 31] ..... ص : 136

اشارة

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (31)
أية واحدة بلا خلاف
روى عن النبى (ص) أنه قال: خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض،
- و قيل قبضها ملک الموت- فجاء بنو آدم على قدر ذلک: منهم الأسود و الأحمر، و الأبيض، و السهل، و الحزن، و الخبيث، و الطيب.

و قال ابو العباس: فى اشتقاق آدم قولان:
أحدهما- انه مأخوذ من أديم الأرض. قال: فإذا سميت به فى هذا الوجه ثم نكرته، صرفته.
و الثانى- انه مأخوذ من الادمة على معنى اللون و الصفة، فإذا سميت به فى هذا الوجه، ثم نكرته، لم تصرفه.
و الأدمة و السمرة، و الدكنة و الورقة متقاربة المعنى فى اللغة. و قال صاحب العين الأدمة فى الناس: شربة من سواد. و فى الإبل و الظباء: بياض. و ادمة التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 137
الأرض: وجهها. و المؤدم «1» من الجلد خلاف المبشر و أدما أنثى. و آدم ذكر و هى الأدم فى الجماعة. و آدم أبو البشر. و الأدم: ما يؤتدم به و هو الإدام.
و الأدم: جماعه الأديم. و أديم كل شىء: وجهه. و (كل) لفظة عموم على وجه الاستيعاب. و قال الرمانى: حدّه الاحاطة بالابعاض، يقال: أ بعض القوم جاءک أم كلهم؟ و تكون تأكيداً مثل أجمعين. غير أنه يبتدأ فى الكلام بكل، كقوله تعالى: «فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» «2» لأن كلًا قد يلى العوامل و يبتدأ و أجمعون لا تكون إلا تابعة.
و يقال عرض عرضاً. قال صاحب العين: عرض علينا فلان المتاع يعرض عرضاً للشراء او الهبة. و قال الزجاج: العرض أصله فى اللغة: الناحية من نواحى الشىء فمن ذلک العرض خلاف الطول. و عِرض الرجل. قال بعضهم: ما يمدح به أو يذم و قيل عِرضه: خليقته المحمودة. و قيل عِرضه: حسبه. و قال الرمانى: هى ناحيته التى يصونها عن المكروه و حقيقة العرض: الاظهار للشىء ليتصفح و الانباء و الاعلام و الاخبار واحد. قال صاحب العين: النبأ- مهموز- هو الخبر المنبئ و المخبر و لفلان نبأ أى خبر و يقال: نبأته و أنبأته و استنبأته و الجمع الانباء. و النبوة إذا أخذت من الانباء فهى مهموزة
لكن روى عن النبى (صلى اللّه عليه و آله) أنه «3» قال: لا تنبز باسمى، لرجل قال له: يا نبىء اللّه.
و النبىء- بالهمز-: الطريق الواضح، يأخذ بک الى حيث تريد. و النبأة: صوت الكلاب تنبأ به نبأ. و حقيقة الانباء: الاظهار للخبر. قال الشاعر:
أدان و انبأه الأولون بأن المدان ملى و فى
و الفرق بين الاخبار و الاعلام أن الاعلام قد يكون بخلق العلم الضرورى فى القلب كما خلق اللّه من كمال العقل و العلم بالمشاهدات. و قد يكون بنصب الادلة للشىء. و الاخبار هو إظهار الخبر، علم به أو لم يعلم. و لا يكون مخبراً بما يحدثه

(1) المؤدم: الحاذق المجرب جمع لين الادمة و خشونة البشرة.
(2) سورة الحجر: آية 30.
(3)- أنه- ساقطة من المطبوعة.

من العلم فى القلب. كما يكون معلماً بذلک. و قوله: «ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ» إنما لم يقل: ثم عرضها، إذ كانت الأسماء لا تعقل، لأنه أراد أصحاب الأسماء و فيهم ما لا يعقل. كما تغلب المذكر إذا اجتمع مع المؤنث، لأنهم يقولون: إن أصحابک و إماءک جاءونى. و روى عن ابن عباس أنه قال: عرض الخلق. و قال مجاهد: عرض أصحاب الأسماء.
و قوله: «وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها» معناه أنه علمه معانى الأسماء، من قبل أن الأسماء بلا معان لا فائدة فيها، و لا وجه لايثاره الفضيلة بها. و قد نبه اللّه الملائكة على ما فيه من لطيف الحكمة، فأقروا عند ما سئلوا عن ذكرها و الاخبار عنها أنهم لا علم لهم بها. فقال: «يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ». و قول قتادة، و ظاهر العموم يقتضى أنه علمه الأسماء. و به قال ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبير و قتادة. و أكثر المتأخرين: كالبلخى و الجبائى و ابن الإخشيد و الرمانى و قال الطبرى بما يحكى عن الربيع و ابن زيد: انهما قالا: علمه اللّه اسماء ذريته و اسماء الملائكة و قال هو الاختيار دون قول ابن عباس. و قال: إن قولهم: «عرضهم» إنما يكون لمن يعقل فى الأظهر من كلام العرب و هذا غلط لما بيناه من التغليب و حسنه. كما قال تعالى: «وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلى بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلى رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلى أَرْبَعٍ» «1» و هذا يبطل ما قاله، و يبقى اللفظ على عموم و ظاهر الآية و عمومها يدل على انه علمه جميع اللغات و به قال الجبائى و الرمانى فأخذ عنه ولده اللغات فلما تفرقوا، تكلم كل قوم منهم بلسان ألفوه و اعتادوه و تطاول الزمان على ما خالف ذلک فنسوه و يجوز أن يكونوا عالمين بجميع تلک اللغات الى زمن نوح فلما أهلک جميع الخلائق إلا نوحاً و من معه، كانوا هم العارفين بتلک اللغات فلما كثروا و تفرقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها، و تركوا ما سواها، و انقرض و نسوه. و الخبر الذى يروى أن الناس امسوا و لغتهم واحدة ثم أصبحوا و قد تغيرت ألسنتهم و كان لا يعرف كل فريق منهم إلا كلام من كان

(1) سورة النور: آية 45.

على لغتهم- خبر ضعيف و أيضاً فلا يجوز أن ينسى العاقل ما كان فى امسه من جلائل الأمور مع سلامة عقله. قالوا: و اللغات جميعاً إنما سمعت من

آدم، و عنه أخذت و قال ابن الإخشيد: إن اللّه فتق لسان إسماعيل بالعربية و لذلک صار أصلا للعرب من ولده، لأنه تكلم بها على خلاف النشوء و العادة، بل على أنه ابتدأه بها و ألهمه إياها. فان قيل: ما معنى قوله: «أَنْبِئُونِی بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» ما الذى ادعى حتى قيل هذا؟ قيل عن ذلک أجوبة كثيرة للعلماء.
أحدها- ان الملائكة لما أخبرهم اللَّه عز و جل أنه جاعل فى الأرض خليفة هجس فى نفوسها أنه لو كان الخليفة منهم بدلا من آدم و ذريته، لم يكن فساد و لا سفک دماء. كما يكون من ولد آدم، و ان ذلک أصلح لهم و ان كان اللّه عز و جل لا يفعل إلا ما هو أصلح فى التدبير، و الأصوب فى الحكمة. فقال اللّه تعالى:
«أَنْبِئُونِی بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» فيما ظننتم فى هذا المعنى ليدلهم على أنهم إذا لم يعلموا باطن ما شاهدوا، كانوا من أن يعلموا باطن ما غاب عنهم أبعد و الثانى- أنه وقع فى نفوسهم أنه لم يخلق اللّه خلقاً إلا كانوا أفضل منهم فى سائر أبواب العلم. فقيل: إن كنتم صادقين فى هذا الظن فأخبروا بهذه الأسماء.
و الثالث- قال ابن عباس: إن كنتم تعلمون لم أجعل فى الأرض خليفة ف «أَنْبِئُونِی بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» لأن كل واحد من الأمرين من علم الغيب. فكما لا تعلمون ذا لا تعلمون الآخر.
و الرابع- ما ذكره الأخفش و الجبائى و ابن الأخشيد: إن كنتم صادقين فيما تخبرون به من اسمائهم. كقول القائل للرجل: أخبرنى بما فى يدى إن كنت صادقاً أى إن كنت تعلم فأخبر به، لأنه لا يمكن أن يصدق فى مثل ذلک إلا إذا أخبر عن علم منه، و لا يصح أن يكلف ذلک إلا مع العلم به، و لا بد إذا استدعوا الى الاخبار عما لا يعلمون من أن يشرط بهذا الشرط، و وجه ذلک التنبيه كما يقول العالم للمتعلم: ما تقول فى كذا، و يعلم أنه لا يحسن الجواب لينبهه عليه، و بحثه على طلبه، و البحث عنه، فلو قال له: اخبر بذلک إن كنت تعلم، او قال له: التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 140
ان كنت صادقاً، لكان حسناً. فإذا نبهه على أنه لا يمكنه الجواب أجابه، حينئذ فيكون جوابه بهذا التدريج أثبت فى قلبه، و أوقع فى نفسه. و قوله: (أَنْبِئُونِی) قال قوم: هو امر مشروط. كأنه قيل: إن أمكنكم أن تخبروا بالصدق فيه، فافعلوا. و قيل: إن لفظه لفظ الامر و معناه التنبيه على ما بيناه فى سؤال العالم للمتعلم و لا يجوز أن يكون ذلک تكليفاً، لأنه لو كان تكليفاً، لم يكن تنبيهاً لهم على أن آدم يعرف من اسماء هذه الأشياء بتعريف اللّه إياه ذلک ما لا يعرفون.
فلما أراد تعريفهم ما خص به آدم، من ذلک علمنا أنه ليس بتكليف. و معنى قوله:
«إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» شرط. كأنه قيل: إن كنتم صادقين فى الاخبار بذلک و

ليَس (إن) بمعنى (إذ) على ما حكاه الكسائى عن بعض المفسرين، لأنها لو كانت كذلک، لكانت (ان)- بفتح الهمزة- و تقديره: ان كنتم محققين ايمانكم، فافعلوا كذا و كذا، لأن (إذ) إذا تقدمها فعل مستقبل صارت علة للفعل و سبباً له. كقولک: إذ قمت أى من أجل ان قمت. فلو كانت إن فى الآية بمعنى إذ، كان التقدير: انبئونى بأسماء هؤلاء من أجل انكم صادقين و إذا وضعت إن مكان ذلک، وجب أن تفتح الالف و ذلک خلاف ما عليه القراء. و الانباء.
قال قوم: أصله الاعلام. كقولهم: انبأت عمراً زيداً أخاک بمعنى أعلمت و لا يصلح ها هنا أخبرت إلا أنه يتناول انبئونى ها هنا بمعنى اخبرونى على وجه المجاز و التوسع لتقارب المعنى فى الاخبار و الانباء، لأن اللّه تعالى عالم بالأشياء فيما لم يزل. فلا يجوز أن يقول: علمونى لما هو عالم به و من قال: أصله الاخبار، تعلق بظاهر القرآن و فى كيفية عرضهم قولان:
أحدهما- انه عرضهم بعد أن خلقهم و الثانى- أنه عرضهم بأن صورهم لقلوب الملائكة و فى هذه الآية دليل على شرف العلم من حيث أن اللّه تعالى لما أراد تشريف آدم اختصه بعلم أبانه به من غيره، و جعل له الفضيلة فيه، و فى كيفية تعليم اللّه آدم الأسماء، قال البلخى:
و يجوز ان يكون أخبره بذلک فوعاه فى وقت قصير بما أعطاه اللّه من الفهم و الحفظ التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 141
او بأن دله و مكنه، و رسم به رسماً فابتدع هو لكل شىء اسما يشاكله. و لا بد ان يكون اعلامه له بلغة قد تقدمت المواضعة عليها حتى يفهم بالخطاب المراد به.
و قال المواضعة لا بد ان تستند الى سمع عند قوم و عند أبى هاشم و أصحابه لا يصح ذلک فأما الذى عرض على الملائكة قال قوم عرضت الأسماء دون المسميات و قال قوم آخرون: عرضت المسميات بها. و هو الأقوى لقوله: «ثم عرضهم» و فى قراءة ابن مسعود: ثم عرضهن. و فى قراءة أبى: عرضها. و قال قوم: إنه عرضهم بعد أن خلق المسميات و أحضرها لقوله: اسماء هؤلاء. و ذلک إشارة الى الحاضر. و قال آخرون: إنه صورهم لقلوب الملائكة ثم عرضهم قبل خلقهم و قيل:
إن قوله اشارة الى الأسماء التى علمها آدم «و انبئونى» اكثر القراء بهمز. و روى عن الأعمش ترک الهمز فيه، و هى لغة قريش.
«هؤلاء». لغة قريش و من جاورهم بإثبات الف بين الهاء و الواو، و مد الألف الأخيرة. و تميم و بكر و عامة بنى اسد يقصرون الألف الأخيرة و بعض العرب يسقط الألف الأولى التى بين الهاء و الواو. و يمد الاخيرة. و انشد:
تجلد لا يقل هؤلاء هذا بكى لما بكى اسفاً و عيبا
و حقق الهمزة ابن عامر و اهل الكوفة إذا اتفقا من كلمتين. و قرأ أبو عمرو و احمد بن صالح عن قالون بتحقيق الأولى فحذف الثانية. و قرأ ورش و

قنبل و ابو جعفر و اويس بتحقيق الاولى و تليين الثانية، و قرأ ابن كثير إلا قنبلا و نافع إلا ورشا و احمد بن صالح بسكون الاولى، و تحقيق الثانية فى المكسورتين و المضمومتين و فى المفتوحتين بتحقيق الاولى و حذف الثانية

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 32] ..... ص : 141

اشارة

قالُوا سُبْحانَکَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّکَ أَنْتَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ (32)

هذه الآية فيها اخبار من اللَّه تعالى عن ملائكته بالرجوع اليه، و الأوبة، التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 142
و التسليم انهم لا يعلمون إلا ما علمهم اللَّه.
و قوله: «سبحانک» نصب على المصدر و معناه نسبحک و سبحانک مصدر لا ينصرف. و قدمنا فى ما مضى أن معنى التسبيح التنزيه و معناه ها هنا تبرياً منهم أن يعلموا الغيب و اقراراً أنه المختص به تعالى دون غيره.
و قوله: «الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» معنى عليم أنه عالم و فيه مبالغة و من صفات ذاته و إذا كانت كذلک، أفادت انه عالم بجميع المعلومات و يوصف به فى ما لم يزل، لأن ذلک واجب فى العالم نفسه. و قوله: «الحكيم» يحتمل أمرين: أحدهما- انه عالم، لأن العالم بالشىء يسمى بأنه حكيم فعلى هذا يكون من صفات الذات مثل العالم و قد بيناه.
و الثانى- ان يكون من صفات الافعال و معنى ذلک أن أفعاله محكمة متقنة و صواب ليس فيها وجه من وجوه القبح و لا التفاوت و لا يوصف بذلک فى ما لم يزل. و روى عن ابن عباس انه قال: العليم الذى كمل علمه. و الحكيم: الذى كمل فى حكمته و قد قيل فى معنى حكيم: انه المانع من الفساد و منه سميت حكمة اللجام لأنها تمنع الفرس من الجرى الشديد قال جرير:
أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم إنى أخاف عليكم ان اغضبا
أى امنعوهم. و الأحكام و الاتفاق و الاتساق و الانتظام متقاربة. و الحكمة.
نقبض السفه يقال: حكم حكما و احكم إحكاما. و يقال: أحكم فلان عمله إذا بالغ فيه فأصاب حقيقته و الحكمة هى التى تقف بک على مرّ الحق الذى لا يخلطه باطل، و الصدق الذى لا يشوبه كذب و منه قوله: «حِكْمَةٌ بالِغَةٌ» «1» و الحكم بين الناس هو الذى يرضى به ليقف الأشياء مواضعها و منه قوله: «فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِها» «2» و الحاكم القاضى بين الناس، و ليقفهم على الحق و يقال: رجل حكيم إذا كان ذلک شانه و كانت معه اصول من العلم و المعرفة،

---

(1) سورة القمر: آية 5.
(2) سورة النساء: آية 34.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 143
و إذا حكم بين الرجلين يقال: حكم يحكم و إذا صار حكيماً قيل: حكم يحكم و امر مستحكم إذا لم يكن فيه مطعن. و فى الحديث فى رأس كل عبد حكمة إذا همّ بسيئة و شاء اللَّه ان يقدعه بها قدعة يعنى منعه و الحكم فى

الإنسان هى العلم الذى يمنع صاحبه من الجهل و معنى قول الملائكة (سُبْحانَکَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا) يحتمل أمرين:
أحدهما- ما قدمنا. و هو قول ابن عباس قال: «سبحانک» تنزيهاً للَّه من أن يكون احد يعلم الغيب سواه.
و الثانى- انهم أرادوا أن يخرجوا مخرج التعظيم للَّه. فكأنهم قالوا: تنزيهاً لک عن القبائح. فعلى هذا الوجه يحسن- و إن لم يعلقه بعلم الغيب كما علق فى الأول- و فى الناس من استدلّ بهذه الآية على بطلان الأحكام فى النجوم.
و هذا يمكن ان يكون دلالة على من يقول: إنها موجبات لا دلالات. فأما من يقول: إنها دلالات على الأحكام نصبها الله. فانه يقول: نحن ما علمنا إلا ما علمنا الله، إنه الذى جعل النجوم أدلة لنا. كما أن ما علمناه استدلال غير ضرورة مضاف إليه ايضاً من حيث نصب الدلالة عليه. و استدل جماعة من المفسرين بهذه الآية، و الآيتين قبلها على صدق النبى (ص) و جعلوها من جملة معجزاته إذ كان إخبارا بما لا تعلمه العرب و لا يوصل إليه إلا بقراءة الكتب و النبى (عليه السلام) لم يعرف بشىء من ذلک مع العلم بمنشئه و مبتدإ أمره و منتهاه. و هذا يمكن أن يذكر على وجه التأكيد و التقوية، لآياته و معجزاته من غير ان يكون لو انفرد لكفى فى باب الدلالة. لأن لقائل أن يقول: إنه قرأ الكتب سراً، و أخذ عمّن قرأها خفياً فلا طريق للقطع على ذلک. و انما تغلب فى الظن. فان قيل: ما الفائدة فى الجواب بقولهم: «لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا»؟ قلنا: لو اقتصروا على قولهم: (لا علم)، لكان كافيا، لكن أرادوا أن يضيفوا إلى ذلک التعظيم و الاعتراف بأن جميع ما يعلمونه من تعليمه، و ان هذا ليس من جملة ذلک، و اختصار ذلک أدل على الشكر لنعمه. و قيل فى معنى «عليم» أمران: التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 144
أحدهما- انه عليم بغير تعليم بدلالة انهم اثبتوا لله ما نفوه عن أنفسهم بقولهم: «لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا» أى نحن معَّلمون و انت العليم غير المعَّلم.
و الثانى- انه العليم الحكيم. و كلاهما حسن. و الأول احسن، لأنه اكثر فائدة، و اولى فى تقابل البلاغة و قد تضمنت الآية الدلالة عليه انه لا علم له الا ما علمه الله. اما بالضرورة و إما بالدلالة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 33] ..... ص : 144

اشارة

قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّی أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) آية بلا خلاف

روى الداحويى عن هشام: انبيهم و نبيهم، فى الحج و القمر، فقلبت الهمزة و كسرت الهاء. و روى الزينبى من طريق المالكى و العطاء- كسر الهاء، و تحقيق الهمزة. الباقون بضم الهاء و تحقيق الهمزة. قال ابو على: من ضم الهاء حملها على الأصل، لأن الأصل أن تكون هاء الضمير مضمومة: مثل قولهم: ضربهم و أنبأهم. و انما تكسر الهاء إذا وليها كسرة أو ياء نحو بهم و عليهم. و مع هذا يضمه قوم حملا على الأصل. و من كسر الهاء التى قبلها همزة مخففة، فانه اتبع كسرة الهاء الكسرة التى قبلها. و إذا كان بينهما حاجز. كما قالوا: هذا المرء و مررت بالمرء فاتبعوا مع هذا الفصل. و حكى عن أبى زيد أنه قال: قال رجل من بكر بن وائل أخذت هذا منه و منهما. و كسر الهاء فى الادراء و الوقف. و حكى عنه: لم أعرفه و لم أضربه- فكسر-، و قال لم اضربهما. فكسر الهاء مع الباء. و يحتمل أن يكون ما اعتد بالحاجز بين الكسرة و الهاء لسكونها فكان الكسرة و ليت الهاء. التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 145

و معنى «أَنْبِئْهُمْ»: خطاب لآدم، يعنى اخبر الملائكة، لأن الهاء كناية عنهم و موضعهم النصب.

«بِأَسْمائِهِمْ» يعنى بأسماء الذين عرضهم على الملائكة. و الهاء و الميم فى اسمائهم كناية عن المرادين بقوله: «بِأَسْماءِ هؤُلاءِ». و قد مضى بيانه.

و قوله: «وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ». فالابداء و الإعلان و الاظهار بمعنى واحد. يقال: بدا و علن و ظهر. و ضد الإبداء الكتمان، و ضد الاظهار الإبطان و ضد الإعلان الاسرار. يقال: بدا يبدو من الظهور. و بدأ يبدأ بداء- بالهمز- بمعنى استأنف. قال صاحب العين: بدا الشىء يبدو بدوا: إذا ظهر.

و بدا له فى الأمر: بدء و بداء- بالهمز- بمعنى استأنف. و البادية اسم الأرض التى لا حضر فيها. و إذا خرج الناس من الحضر الى الصحراء و المرعى، يقال: بدوا بداً و اسمه البدو و يقال اهل البدو، و اهل الحضر. و اصل الباب الظهور و الخفاء نقيض الظهور و قال الرمانى حد الظهور: الحصول على حقيقة يمكن أن تعلم بسهولة. و اللَّه ظاهر بادلته باطن عن احساس خلقه. و كل استدلال فإنما هو ليظهر شىء بظهور غيره. و الكتمان:

نقيض إعلان السر و نحوه. و ناقة كتوم و هى التى لا ترعو إذا ركبها صاحبها أى لا تصيح. و الكاتم من القسى: التى لا ترن إذا انتضيت.

الألف فى قوله: «أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ» ألف تنبيه. كقول القائل: أما ترى اليوم ما أطيبه. لمن يعلم ذلك إلا أنك تريد أن تحضر ذهنه، و ان ليس مثله ما يخفى عليه كقوله: «أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» و حكى عن سيبويه: أما ترى أى برق هاهنا، و هى الف تنبيه أصلها الاستفهام و من الناس من

قال إن معناه التوبيخ، و من لم يجز على الملائكة المعصية، منع من ذلک. فان قيل ما الفائدة فى انباء آدم (ع) الملائكة بذلک دون إعلامه إياهم بذلک؟ قلنا: أراد اللّه بذلک تكرمة آدم (ع) و تشريفه، و إجلال المنة عليه، و تعظيم النعمة لديه و جميع قصة آدم تؤذن بذلک.
فان قيل: ما معنى «غَيْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و اللَّه لا يغيب عنه شىء؟ قيل فى معناه: إنه يعلم ما غاب عنهم فلم يشاهدوه كما يعلم ما حضرهم فشاهدوه التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 146
و قوله: «وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» قيل فى معناه أقوال:
أحدها- انه يعلم سرهم و علانيتهم و ذكر ذلک تنبيهاً لهم على ما يجبلهم عليه من الاستدلال، لأن الأصول الاول لم يستدل بها. إنما تذكر على وجه التنبيه يستخرج بها غيرها، فيستدل بعلم الغيب انه خلق عباده- على ما خلقهم عليه- للاستصلاح و ما توجبه الحكمة.
و الثانى- ما يسرون بمعنى ما أضمره إبليس من المعصية و المخالفة. و ما يعلنون: قولهم: «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ». قال الرمانى: و هذا الوجه غلط، لأن إبليس ليس من الملائكة، و لأن القول على العموم لا يجوز أن يصرف الى الخصوص بغير دلالة. و هذا الوجه اختاره الطبرى. و قال: هو بمنزلة قولهم: قتل الجيش و هزموا. و انما قتل البعض. قال الرمانى: إنما يقال ذلک إذا حل قتل الواحد محل قتل الجميع: مثل قتل الرئيس او من يقوم مقامه. و لا يقال أيضاً إلا و الدلالة عليه ظاهرة و ليس كذلک فى الآية. و قد روى روايات فى هذا المعنى و الوجه فى هذا أن إبليس لما دخل معهم فى الأمر بالسجود، جاز أن يستثنى من جملتهم و الثالث- قيل: ان اللّه تعالى لما خلق آدم، مرت به الملائكة قبل أن ينفخ فيه الروح، و لم تكن رأت مثله قبل، فقالت: لن يخلق اللّه خلقاً إلا كنا أكرم منه و أفضل عنده فزعم أن هذا الذى أخفوه فى نفوسهم و ان الذى أبدوه قولهم: «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها» روى ذلک عن الحسن و الوجه الأول أقوى، لأنه أعم، و يدخل فيه هذا الوجه و لا دلالة يقطع بها على تخصيص الآية فان قيل: ما وجه ذكره تعالى لهم الاسرار من علم الغيب قلنا على وجه الجواب فيما سألوا عنه من خلق من يفسد و يسفک الدماء و ذلک على وجه التعريض بالجواب دون التصريح، لأنه لو صرح به، لقال: خلقت من يفسد و يسفک الدماء لما اعلم فى ذلک من المصلحة لجملة عبادى فيما كلفتهم إياه و أمرتهم به فدل فى الاحالة فى الجواب على العلم بباطن الأمور و ظاهرها أنه خلقهم لأجل علمه بالمصلحة فى ذلک التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 147
و دلهم بذلک على أن عليهم الرضا و التسليم لقضاء اللّه، لأن اللَّه يعلم من الغيب ما لا يعلمونه، و يعلم من مصالحهم ما لا يعلمونه فى دينهم و دنياهم فان قيل و أى شىء فى تعلم آدم الأسماء كلها مما يدل على علم الغيب

قلنا: لأنه علمه الأسماء كلها بما فيها من المعانى التي تدل عليها على جهة فتق لسانه بذلک و الهامه إياه و هى معجزة أقامها اللّه تعالى للملائكة تدل على جلالته و ارتفاع قدره بما اختصه به من العلم العظيم الذى لا يصل اليه إلا بتعليم اللّه إياه، فبان بذلک الاعجاز بالاطلاع على ما لا سبيل الى علمه إلا من علام الغيوب. ففيه من المعجزة أنه فتق لسانه بها على خلاف مجرى العادة، و أنه علمه من لطائف الحكمة فيه ما لا تعلمه الملائكة مع كثرة علومها، و انها اعرف الخلق بربها فعرفوا ما دلهم على علم الغيب بالمعجزة مؤكداً لما يعلمونه من ذلک بالادلة العقلية. و لذلک نبههم فقال: «أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» اى قد دللتكم على ذلک من قبل و هذه دلالة بعد و قيل: افتتح اللّه الدلالة على الاعجاز بالكلام فى آدم، ثم ختم به فى محمد (ص)

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 34] ..... ص : 147

اشارة

وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ (34)
آية واحدة.

ضم التاء من الملائكة ابو جعفر وحده و حيث وقع اتبع التاء ضمة الجيم.
و قيل: انه نقل ضمة الهمزة و ابتدا بها و الأول أقوى، لأن الهمزة الف وصل تسقط فى الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل فالوجه الاول هو المعتمد عليه و الصحيح ما عليه القراء من كسر التاء بلام الجر و «إبليس» نصب بالاستثناء من الإثبات و يكره الوقف على قوله: «فسجدوا» و على «إلا) حتى يقول: «إلا إبليس) و كذلک كل استثناء التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 148
و ظاهر الآية يقتضى ان الأمر كان لجميع الملائكة بالسجود، لعمومها.
و قال قوم: إن الامر كان خاصاً بطائفة من الملائكة كانوا مع إبليس طهر اللّه بهم الأرض من الجن و الأول أقوى

و السجود و الخضوع و التذلل بمعنى واحد فى اللغة. و نقيض التذلل التكبر يقال سجد يسجد سجودا، و اسجد اسجادا: إذا خفض رأسه من غير وضع لجبهته. قال الشاعر:
و كلتاهما خرت و اسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف
و السجود فى الشرع: عبارة عن عمل مخصوص فى الصلاة- و الركوع و القنوت كذلک- و هو وضع الجبهة على الأرض. و يقال سجدنا للَّه سجوداً. و قوم سجد و نساء سجد. و السجد من النساء: الفاترات الأعين. قال الشاعر:
أغرک منى ان ذلک عندنا و اسجاد عينيک الصيودين رابح «1»
و عزائم السجود من ذلک. و قوله: «وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ» قيل: إنه السجود و قيل: إنه المواضع من السجد التى يسجد عليها. واحدها مسجد. و المسجد اسم جامع لجميع المسجد و حيث لا يسجد بعد ان يكون أخذ لذلک. فاما المسجد من الأرض فهو موضع السجود بعينه. و قال قوم: معنى السجود فى اصل اللغة: الخضوع و الانحناء، و قيل: التذلل. قال الشاعر:
بجمع يقل البلق فى حجراته ترى الاكم فيه سجداً للحوافر
كأنه قال مذللة للحوافر. و السجود على اربعة اقسام: سجدة الصلاة و سجدة التلاوة، و سجدة الشكر و سجدة السهو.
و قوله: «أَبى» معناه ترک و امتنع. و الاباء و الامتناع و الترک بمعنى (واحد) «2» و نقيض أبى أجاب. يقال أبى يأبى إباء. و تأبى تأبيا. قال صاحب

---

(1) البيت لكثير. اللسان (سجد) فى المطبوعة (رابح) مشوشة غير مقروءة.
(2) (واحد) غير موجود فى المطبوعة.

العين: أبى يأبى أباه إذا ترک الطاعة و مال الى المعصية. كقوله: «فَكَذَّبَ وَ أَبى» و كل من ترک أمراً ورده فقد أباه. و رجل أبى و قوم أبيون و أباة «1» قال الشاعر:
اباة الضيم من قوم اباة
و ليس الاباء بمعنى الكراهة، لأن العرب تتمدح بأنها تأبى الضيم و لا تتمدح فى كراهة الضيم، و انما المدح فى المنع منه. كقوله: «وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ» أى يمنع الكافرين من إطفاء نوره.
و الاستكبار و التكبر، و التعظم و التجبر نظائر. و ضدها التواضع. يقال كبر كبراً، و أكبر اكباراً، و استكبر استكباراً، و تكبر تكبراً، و تكابر تكابراً و كابره

مكابرة، و كبره تكبرا قال صاحب العين: الكبر: العظمة. و الكبر و الكبر: الإثم الكبير جعل اسماً من الكبيرة. كالخطيئة و الخطىء. و كبر كل شىء معظمه.
و الكبر مصدر الكبير فى السن من جميع الحيوان. فإذا أردت الأمر العظيم قلت كبر: كبر هذا الأمر كبارة. و الكبار فى معنى الكبير. و يقال أكبرت الشىء: إذا أعظمته. و منه قوله: «فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ» و التكبير فى الصلاة تفعيل من قولهم:
اللّه اكبر. و اصل الباب الكبر و هو العظم. و يقال على وجهين: كبر الجثة و هو الأصل و ذلک لا يجوز عليه تعالى و كبر الشأن و اللّه تعالى الكبير من كبر الشأن. و ذلک يرجع الى سعة مقدوره و معلومه و تحقيقه انه قادر على ما لا يتناهى من جميع الأجناس المقدورات. و عالم بكل معلوم. و الاستكبار: الأنفة مما لا ينبغى أن يوقف منه. و موضع (إذ) من قوله: «وَ إِذْ قُلْنا» نصب، لأنه عطف على (إذ) الأولى كأنه قال: و إذ أراد. و قال ابو عبيدة لا موضع لها من الاعراب لأنها زائدة. و انشد:
حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا «2»
و قال: المراد و استشهد به على وجهين كل واحد منهما نقيض الآخر. فأحد

---

(1) فى المطبوعة (خفيف) بعد اباة و فى الهامش ذكروها (عفيف) على وجه الاحتمال
(2) مر القول فى هذا البيت.

الوجهين قوله: «حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها» فلم يأت (إذ) جواب و الوجه الآخر فيه على زيادة (إذ) فى هذا الموضع. و كلا الوجهين خطأ عنده، لأن الجواب فى قوله: قتائدة. هو قوله: شلا بوقوعه موقع: شلوهم شلا كما يقول القائل: إذا أتيت الحرب، فضربا و طعنا. و أما الزيادة فقد بينا وجه الخطأ فيها فيما تقدم.
و اختلفوا فى امر الملائكة و السجود لآدم على وجهين:
قال قوم: انه أمرهم بالسجود له تكرمة و تعظيما لشأنه.- و هو المروى فى تفسيرنا و اخبارنا- و هو قول قتادة و جماعة من اهل العلم. و اختاره ابن الإخشيد و الرمانى و جرى ذلک مجرى قوله: «وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً» «1» فى أولاد يعقوب، و لأجل ذلک جعل أصحابنا هذه الآية دلالة على أن الأنبياء أفضل من الملائكة من حيث أمرهم بالسجود له و التعظيم على وجه لم يثبت ذلک لهم بدلالة امتناع إبليس من السجود له و أنفته من ذلک و قوله: «قالَ أَ رَأَيْتَکَ هذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا» «2» و لو كان ذلک على وجه كونه قبلة لما كان لذلک وجه، و لا فيه أنفة و لا يحسن أن يؤمر الفاضل بتعظيم المفضول على نفسه، لأن

ذلک سفه به. و سنبین قول من خالف فیه و شبههم و قال الجبائی و البلخی و جماعة أنه جعله قبلة لهم فأمرهم بالسجود الی قبلتهم. و فیه ضرب من التعظیم له و هذا ضعیف، لأنه لو کان علی وجه القبلة لما امتنع إبلیس من السجود، و لما استعظمته الملائکة، و لکن لما أراد ذلک تعظیما له علی وجه لیس بثابت لهم، امتنع إبلیس و تکبر. و اختلفوا فی إبلیس هل کان من الملائکة ام لا؟ فقال ابن عباس و ابن مسعود و ابن المسیب و قتادة و ابن جریح و الطبری:
إنه کان منهم بدلالة استثنائه من جملتهم هاهنا فی قوله: «إِلَّا إِبْلِیسَ أَبی وَ اسْتَکْبَرَ وَ کانَ مِنَ الْکافِرِینَ» و قال: «ما مَنَعَکَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ» مع قوله: «وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» و هو المروی عن أبی عبد اللّه (علیه السلام) و الظاهر

---

(1) سورة یوسف: آیة 100.
(2) سورة اسری: آیة 62. [.....]
التبیان فی تفسیر القرآن، ج1، ص: 151
فی تفاسیرنا، ثم اختلف من قال: إنه کان منهم: فمنهم من قال: إنه کان خازناً علی الجنان، و منهم من قال: کان له سلطان سماء الدنیا و سلطان الأرض، و منهم من قال: إنه کان یسوس ما بین السماء الی الأرض و قال الحسن البصری و قتادة فی روایة ابن زبد و البلخی و الرمانی و غیره من المتأخرین: انه لم یکن من الملائکة و ان الاستثناء فی الآیة استثناء منقطع کقوله تعالی: «ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ» «1» و قوله: «فَلا صَرِیخَ لَهُمْ وَ لا هُمْ یُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا» «2» و کقوله:
«لا عاصِمَ الْیَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ» «3» و کقول الشاعر- و هو النابغة-
وقفت فیها أصیلا کی اسائلها أعیت جوابا و ما بالربع من احد
إلا الأواری لأیاً ما أبینها و النؤی کالحوض بالمظلومة الجلد «4»
و انشد سیبویه:
و الحرب لا یبقی لجاحمها التخیل و المراح إلا الفتی الصبار فی النجدات و الفرس الوقاح «5»
و قال آخر:
و بلدة لیس بها أنیس إلا الیعافیر و إلا العیس «6»
و استدل الرمانی علی أنه لم یکن من الملائکة بأشیاء:
منها- قوله: «لا یَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ یَفْعَلُونَ ما یُؤْمَرُونَ» فنفی عنهم المعصیة نفیاً عاما.
و الثانی- انه قال: «إِلَّا إِبْلِیسَ کانَ مِنَ الْجِنِّ» و متی اطلق لفظ الجن لم

---

(1) سورة النساء: آية 156.
(2) سورة يس: آية 43 و 44.
(3) سورة هود: آية 43.
(4) مر القول فى هذا البيت. ايضاً فى المطبوعة (لا اسائلها).
(5) جحم- من الحرب- معظمها و شدة القتل فى معركتها- القاموس-. الوقاح: الحافر الصلب- القاموس-.
(6) اليعافير: ج يعفور و هو الظبى. العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة و هو اعيس و هى عيساء.

يجز أن يعنى به إلا الجنس المعروف المباين لجنس الانس و الملائكة.
و الثالث- ان إبليس له نسل و ذرية. قال الحسن: إبليس ابو الجن كما أن آدم ابو الانس. و إبليس مخلوق من النار و الملائكة روحانيون خلقوا من الريح- فى قول أبى على- و قال الحسن: خلقوا من النار لا يتناسلون و لا يطعمون و لا يشربون. و قال اللّه فى إبليس و ولده: (أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِى وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ).
و الرابع- و هو أقوى ما عنده- قوله تعالى: «جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» فعمها بالوصف بالرسالة. و لا يجوز على رسل اللّه أن يكفروا أو يفسقوا كالرسل من البشر.
و الجواب عما ذكره أولا: إن قوله: «لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ» صفة لخزنة النيران، لا جميع الملائكة. يدل على ذلك قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» «1». و ليس إذا كان هؤلاء معصومين وجب ذلك فى جميعهم.
و الجواب عما ذكره ثانيا: ان قوله: كان من الجن معناه صار. ذكر ذلك الأخفش و جماعة من اهل اللغة. و قيل ايضاً: إن إبليس كان من طائفة من الملائكة يسمون جنا من حيث كانوا خزنة الجنة. و قيل سموا بذلك لاختفائهم عن العيون. كما قال اعشى قيس بنى ثعلبة:

و لو كان شىء خالداً أو معمراً لكان سليمان البرىء من الدهر
براه إلهى و اصطفاه عباده و ملكه ما بين ثريا الى مصر
و سخر من جن الملائك تسعة قياماً لديه يعملون بلا أجر «2»

و قد قال اللّه تعالى: «وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً» «3»، لأن قريشاً

---

(1) سورة التحريم: آية 6.
(2) ملحق ديوان الأعشى. الدهر هنا. نكباته و فى المطبوعة. (تريا) بدل (ثريا).
(3) سورة الصافات: آية 158

قالت: الملائكة بنات اللّه.
و الجواب عما ذكره ثالثاً من أن إبليس له نسل، «1» طريقه الآحاد، و لو كان صحيحاً، لم يمنع ان يكون اللّه ركب فيه شهوة النكاح تغليظاً عليه فى التكليف و إن لم يكن ذلك فى باقى الملائكة، فلا وجه لاستبعاده.
و الجواب عما ذكره رابعاً قوله «جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا أُولِى أَجْنِحَةٍ» «2» فمعارض بقوله: «اللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا» «3» فان كان ظاهر تلك يقتضى العموم فظاهر هذه يقتضى التخصيص، لأن (من) للتبعيض، و لو لم يكن كذلك، لجاز لنا أن نخص هذا العموم بقوله: (إلا إبليس) لأن حمل الاستثناء على أنه منقطع حمل له على المجاز. كما أن تخصيص العموم مجاز، و إذا تعارضا، سقطا فأما ما روى عن ابن عباس أن الملائكة كانت تقاتل الجن، فسبى إبليس، و كان صغيراً مع الملائكة، فتعبد معها. فلما أمروا بالسجود لآدم، سجدوا إلا إبليس ابى، فلذلك قال اللّه تعالى: «إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ» فانه خبر واحد لا يصح.
و المعروف عن ابن عباس ما قلناه أنه كان من الملائكة فأبى و استكبر و كان من الكافرين. و من قال إن إبليس خلق من نار و من مارج و الملائكة لم يخلقها من ذلك فقوله ضعيف، لأنه لا يمنع أن يكون اللّه تعالى خلق الملائكة اصنافاً: صنفاً من نار، و صنفاً من نور، و صنفاً من غير ذلك، و صنفاً آخر لا من شىء، فاستبعاد ذلك ضعف معرفة. (و إبليس) قال الزجاج و الرمانى و غيرهما من النحويين انه ليس بمأخوذ من الإبلاس كقوله «مُبْلِسُونَ» أى: آيسون من الخير قالوا: لأنه أعجمى معرب بدلالة أنه لا ينصرف للعجمة و التعريف. و قال الطبرى: هو مشتق من الإبلاس و وزنه افعيل. و أنشد العجاج:
يا صاح هل تعرف رسماً مكرسا قال نعم أعرفه و أبلسا
و قال رؤبة:

---

(1) زاد المصحح فى المطبوعة فى هذا الموضع (ان ذلك) و بدونه يصح المعنى.
(2) سورة فاصل آية 1
(3) سورة الحج آية 75

و حضرت يوم الخميس الأخماس و فى الوجوه صفرة و إبلاس
يعنى اكتئاباً و كسوفاً. و قال: إنما لم يجر استثقالا، من حيث كان اسماً لا نظير له من أسماء العرب فشبه بأسماء العجم التى لا تنصرف. و زعم ان إسحاق لا ينصرف و هو من أسحقه اللّه إسحاقاً، و أن أيوب من أبّ يئوب على زنة فعول كقيوم من قام يقوم. قال الرمانى: غلط فى جميع ذلك، لأنها

ألفاظ أعربت من العجمية و وافقت ألفاظ العربية. و كان ابن السراج يمثل ذلک- على جهة التبعيد- بمن زعم ان الطير ولد الحوت و غلط أيضاً فى قوله انه لا نظير له فى اسماء العرب، لأنهم يقولون:
إزميل للشفرة، قال الشاعر:
هم منعوا الشيخ المناجى بعد ما رأى حمة الازميل فوق البراجم
و الاعريض: الطلع، و احريض: صبغ أحمر، و قالوا: هو العصفر، و سيف أصليت: ماض كثير الماء، و ثوب اضريج: مشبع الصبغ، و قالوا: هو من الصفرة خاصة. و سبيل إبليس سبيل (إنجيل) فى انه معرب غير مشتق.
و حد الاستكبار الرفع للنفس الى منزلة لا تستحق. قوله: «وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ» قال قوم: يدل على أنه كان قبله قوم كفار من الجن. و قال آخرون لا يدل، و يجرى ذلک مجرى قول القائل: كان آدم من الانس، و لم يكن قبله انسى و كان إبليس من الجن و لم يكن قبله جنى، و معناه: صار من الكافرين. و من قال ان إبليس كان من جملة الملائكة، قال: كان من جملة المأمورين بالسجود لآدم بدلالة قوله: «ما مَنَعَکَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ؟» و لأنه استثناه من جملتهم و لم يكن منهم، علمنا انه كان من جملة المأمورين كقول القائل: أمر أهل البصرة بدخول الجامع فدخلوا إلا رجلا من أهل الكوفة، فانه يعلم بهذا ان غير اهل البصرة كان مأموراً بدخول الجامع غير ان أهل البصرة كانوا اكثر فلذلک خصوا بالذكر، و كذلک القول فى الآية.
و من استدل بهذه الآية على أن أفعال الجوارح من من الايمان من حيث لو لم يكن كذلک، لوجب ان يكون إبليس مؤمناً بما معه من المعرفة باللَّه و ان فسق بابائه، فقد أبعد، لأن المخالف يقول: إذا علمت كفره التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 155
بالإجماع علمت انه لم يكن معه إيمان أصلا، كما إذا رأيت انه يصلى للشمس علمت ان معه كفراً، و ان كانت، صلاته للشمس ليست كفراً. فان قيل: إذا كانت (إذ) لما مضى، فما معنى قوله: «وَ إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ»؟ و كيف قال: «وَ إِذْ يَتَحاجُّونَ فِى النَّارِ»؟ قيل:
معنى ذلک كله على تقدير الاستقبال لأن ما تحقق بمنزلة ما قد كان، كما قال:
«وَ نادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ».

وَ قُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ (35)
آية بلا خلاف.
السكون و الثبوت و الهدوء نظائر، و مثله الاستقرار و الاطمئنان و الثبات.
و المسكن و المأوى و المثوى بمعنى [واحد]، تقول: سكن يسكن سكونا إذ لبث فى المكان و سكن إذا سكت. سكن الريح، و سكن المطر، و سكن الغضب. و السكن هم العيال و هم أهل البيت. قال سلامة بن جندل:
ليس بأسفى و لا أفنى و لا سغل يسقى دواء قفى السكن مربوب
و المسكن المنزل، و السكن السكان، و السكن ان يسكن إنسان منزلا بلا كراء و السكينة: الموادعة و الوقار. و السكن: الرحمة و البركة، كقوله: «إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ» و المسكين: الذى لا شىء له- عند أبى عبيدة-، و الفقير: الذى له شىء و ان كان قليلا قال الشاعر:
أما الفقير الذى كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سيد
و قوله تعالى: «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ» قال ابو حاتم:
- أحسنه- أنهم كانوا شركاء فى سفينة لا يملكون سواها. فهذا يخالف أبا عبيدة و سكان السفينة معروف عربى اشتقاقه من انها تسكن به عن الحركة و الاضطراب. التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 156
و معنى «اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ»: اجعله مأوى تأوى فيه و تسكن اليه، و قد أعظم اللّه النعمة على آدم بما اختصه من علمه، و أسجد له ملائكته، و اسكنه جنته، و تلك نعمة على ولده، فألزمهم الشكر عليها، و القيام بحقها.
و الجنة التى اسكن فيها آدم، قال قوم: هى بستان من بساتين الدنيا، لأن جنة الخلد لا يصل اليها إبليس و وسوسته، و استدل البلخى على انها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن إبليس لما اغوى آدم، قال له: «هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ؟» فلو كانت جنة الخلد لكان عالماً بها، فلم يحتج الى دلالة. و قال الحسن البصرى و عمرو بن عبيد و واصل بن عطاء و اكثر المعتزلة كأبى على و الرمانى و أبى بكر بن الإخشيد و عليه اكثر المفسرين: انها كانت جنة الخلد، لأن الألف و اللام للتعريف و صار كالعلم عليها قالوا: و يجوز ان يكون وسوسة إبليس من خارج الجنة، فيسمعان خطابه و يفهمان كلامه، قالوا: و قول من يقول: ان جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها لا يصح، لأن معنى ذلك إذا استقر اهل الجنة فى الجنة للثواب، و أهل النار فيها للعقاب لا يخرجون منها، و اما قبل ذلك فإنها تغنى لقوله تعالى: «كُلُّ شَىْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ».

«وَ زَوْجُکَ الْجَنَّةَ» الزوج: بطرح الهاء قال الأصمعى: هو أكثر كلام العرب، و قال الكسائى: اكثر كلام العرب بالهاء، و طرح الهاء لغة لأزد شنوءة، و لفظ القرآن لم يجئ إلا بطرح الهاء. و قال المبرد: الوجه طرح الهاء من الزوجة و أنشد:
و أراكم لدى المحاماة عندى مثل صوت الرجال للأزواج
جمع زوج، و لا يجوز ان يكون جمع زوجة. و قال الرمانى: قول الاصمعى أجود، لأن لفظ القرآن عليه، و العلة فى ذلک انه لما كانت الاضافة تلزم الاسم فى اكثر الكلام كانت مشبهة له، و كانت بطرح الهاء افصح و أخف مع الاستغناء بدلالة الاضافة عن دلالة هاء التأنيث.
و قوله تعالى: (و كلا) فالأكل و المضغ و اللقم متقاربة، و ضد الأكل التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 157
الازم. و سأل عمر بن الخطاب الحارث بن كلدة طبيب العرب، فقال له: يا حار ما الدواء؟ فقال: الازم، أى ترک الأكل. و الأكلة مرة، و الأكلة اسم كاللقمة و الاكولة الشاة، و الغنم التى ترعى للأكل لا للنسل، و الأكال: أن يتأكل عود أو شىء و أكيل الرجل: مآكله و أكيل الذئب: الشاة و غيرها إذا أردت المأكولة و إذا أردت به اسماً قلت: اكيلة ذئب. و المأكلة: ما جعل للإنسان لا يحاسب عليه. و رجل و امرأة أكول: كثير الاكل. و المأكل كالمطعم و المشرب. و المأكل:
المطعم. و أصل الباب الأكل و هو المضغ لذى الطعم. و يقال الذى يشترک فيه الحيوان كله فيه سوى الملائكة. المأكل و المنكح و المشرب.
و «الرغد» النفع الواسع الكثير الذى ليس فيه عناء. و قال صاحب العين:
عيش رغد و رغيد: رفيه و قوم رغد و نساء رغد قال امرؤ القيس بن حجر:
بينما المرء تراه ناعماً يأمن الأحداث فى عيش رغد
و الرغيدة: الزبدة فى بعض اللغات. و أرغد الرجل ماشيته: إذا تركها و سومها و المشيئة و الارادة بمعنى واحد و كذلک المحبة و الاختيار و ان كان لها شروط ذكرناها فى الأصول.
«وَ لا تَقْرَبا» القرب و الدنو و المجاورة متقاربة المعنى و ضد البعد يقال:
قرب يقرب قرباً و اقترب اقتراباً. قال صاحب العين: القرب طلب الماء يقال: قرب الماء يقرب و قد قربة قرباً إذا طلبه ليلا و لا يقال لطالب الماء نهاراً قارب و القراب للسيف و السكين و الفعل منه: قربت قراباً و قيل قربت اقرابا. و القربان: ما تقربت به الى اللّه تعالى و قربان الملک و قرابينه: وزراؤه. و القربى: حق ذى القرابة. و قرب فلان اهله: إذا غشيها قربانا. و ما قربت هذا الأمر و لا فلانا قربانا و قربى.
و الشجرة: كل ما قام على ساق من النبات. و هو اسم يعم النخلة و الكرمة و غيرهما. و ما لم يقم على ساق لا يسمى شجراً كالبقل و الحشيش. و اما اليقطين كالقرع و البطيخ فقد سمىّ شجراً. قال اللّه تعالى: «وَ أَنْبَتْنا عَلَيْهِ

شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ» قال صاحب العين: الشجرة واحدة تجمع على الشجر و الشجرات و الأشجار و اختلفوا التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 158
فى الشجرة التى نهى اللَّه آدم عنها. فقال ابن عباس: هى السنبلة. و قال ابن مسعود و السدى و جعفر بن زهير: هى الكرمة. و قال ابن جريج: هى التينة
و روى عن على (عليه السلام) انه قال: شجرة الكافور.
و قال الكلبى: شجرة العلم على الخير و الشر. و قال ابن جذعان: هى شجرة الخلد التى كان يأكل منها الملائكة.
و الأقاويل الثلاثة الأولة اقرب. «فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ» الظلم و الجور و العدوان متقاربة. و ضد الظلم الانصاف و ضد الجور العدل. و اصل الظلم انتقاص الحق لقوله تعالى: «كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً» أى لم تنقص. و قيل: أصله وضع الشىء فى غير موضعه من قولهم: من يشبه أباه فما ظلم أى فما وضع الشبه فى غير موضعه. و كلاهما مطرد و على الوجهين فالظلم اسم ذم. و لا يجوز أن يطلق إلا على مستحق اللعن لقوله: «أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» و لا يجوز إطلاقه على أنبياء اللَّه تعالى و لا الائمة المعصومين و ظالم و مسىء و جائر: اسماء ذم و هو فاعل لما يستحق به الذم من الضرر و ضدها عادل و منصف و محسن و هى من صفات المدح. و يقول المعتزلة لصاحب الصغيرة: ظالم لنفسه. و من نفى الصغيرة عن الأنبياء من الامامية قال: يجوز أن يقال: ظالم لنفسه إذا بخسها الثواب. كقولهَلَمْتُ نَفْسِى»
و قوله: «إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» حكاية عن يونس من حيث بخس نفسه الثواب بترك المندوب اليه.
و الظلم هو الضرر المحض الذى لا نفع فيه أو عليه آجلا، و لا فيه دفع ضرر أعظم منه و لا هو واقع على وجه المدافعة، و لا هو مستحق. فما هذه صفته يستحق به الذم إذا وقع من مختار عالم أو متمكن من العلم به. و روى ان اللَّه تعالى ألقى على آدم النوم، و أخذ منه ضلعاً فخلق منه حواء. و ليس يمتنع أن يخلق اللَّه حواء من جملة جسد آدم بعد أن لا يكون جزء، أو مما لا يتم كون الحى حياً إلا معه، لأن ما هذه صفته لا يجوز أن ينقل الى غيره، أو يخلق منه حى آخر من حيث يؤدى الى أن لا يصل الثواب الى مستحقه، لأن المستحق لتلك الجملة بأجمعها و هذا قول الرمانى و غيره من المفسرين، و لذلك قيل للمرأة: ضلع اعوج. و قيل سميت امرأة التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 159
لأنها خلقت من المرء فأما تسميتها حواء: لما أدخل آدم الجنة و اخرج منها إبليس و لعن و طرد فاستوحش. فخلقت ليسكن اليها. فقالت له الملائكة تجربة لعلمه:
ما اسمها؟ قال حواء. قالوا لم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شىء

حى.
و قال ابن إسحاق: خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنه، ثم دخلا جميعاً الجنة لقوله تعالى: «يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ» التى كان فيها آدم فى السماء، لأنه أهبطهما منها. و قال ابو مسلم محمد بن يحيى: هى فى الأرض، لأنه امتحنهما فيها بالنهى عن الشجرة التى نهاهما عنها دون غيرها من الثمار.
و «حيث» مبنية على الضم كما تبنى الغاية: نحو من قبل و من بعد، لأنه منع من الاضافة [الى المفرد] كما منعت الغاية من الاضافة الى مفرد.
و قوله: «وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ» صيغته صيغة النهى. و المراد به الندب عندنا لأنه دل الدليل على أن النهى لا يكون نهياً الى بكراهته للمنهى عنه. و اللّه تعالى لا يكره إلا القبيح. و الأنبياء لا يجوز عليهم القبائح: صغيرها و لا كبيرها.
و قالت المعتزلة: إن تلك كانت صغيرة من آدم- على اختلافهم فى انه كان منه عمداً أو سهواً أو تأويلا- و انما قلنا لا يجوز عليهم القبائح، لأنها لو جازت عليهم لوجب أن يستحقوا بها ذماً، و عقابا و براءة و لعنة، لأن المعاصى كلها كبائر عندنا و الإحباط باطل و لو جاز ذلک لنفر عن قبول قولهم. و ذلک لا يجوز عليهم كما لا يجوز كل منفر عنهم من الكبائر و الخلق المشوهة و الأخلاق المنفرة. و لا خلاف أن النهى يتناول الأكل دون القرب كأنه قال: لا تقربا بالأكل لأنه لا خلاف أن المخالفة وقعت بالأكل لا بالدنو منها و لذلک قال: «فَأَكَلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما» و قوله: «فَتَكُونا» يحتمل أن يكون جواباً للنهى فيكون موضعه نصباً.
و هو الأقوى و يحتمل أن يكون عطفاً على النهى فيكون موضعه جزماً و كلاهما جيد محتمل و متى كان جواباً كان تقديره: إن قربتما كنتما من الظالمين، لأنه بتضمن معنى الجواب و إذا كان عطفاً على النهى فكأنه قال: لا تكونا من الظالمين. و أجاز البصريون من اهل العدل أن يبتدئ اللّه الخلق فى الجنة فينعمهم فيها تفضلا منه التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 160
لا على وجه الثواب، لأن ذلک نعمة منه تعالى كما أن خلقهم و تكليفهم و تعريضهم للثواب نعمة منه، و له أن يفعل ما يشاء من ذلک و قال ابو القاسم البلخى: لا يجوز خلقهم فى الجنة ابتداء، لأنه لو جاز ذلک، لما خلقهم فى دار المحنة، و لما ابتلى من يعلم أنه يكفر و يصير الى عذابه و انما لم يجز أن يخلقهم ابتداء فى الجنة، لأنه لو خلقهم فيها، لم يخل: إما أن يكونوا متعبدين بالمعرفة للّه و الشكر، أو لا يكونوا كذلک فلو كانوا غير متعبدين، كانوا مهملين و لذلک لا يجوز و لو كانوا متعبدين لم يكن بد من ترغيب و ترهيب و وعد، و وعيد و لو كانوا كذلک كانوا على ما هم عليه فى دار الدنيا و كان لا بد من دار أخرى يجازون فيها و يخلدون و أجاب عن ذلک الأولون بان قالوا: لو ابتدأ خلقهم فى الجنة لاضطرهم الى معرفته، و الجأهم الى

فعل الحسن و ترک القبیح و متی راموا القبیح، منعوا منه فلا یؤدی ذلک الی ما قاله: کالحور العین و الأطفال و البهائم إذا حشرهم یوم القیامة.

اشارة

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمَّا كانا فِيهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ (36)
آية بلا خلاف.

قرأ حمزة وحده (و أزالهما) بألف و تخفيف اللام. الباقون بتشديد اللام و حذف الألف.

الزلة و المعصية و الخطيئة و السيئة بمعنى واحد و ضد الخطيئة الاصابة. و يقال:
زل زلة، و أزله إزلالا، و استزله استزلالا و قال صاحب العين: زل السهم عن النزع زليلا و زل فلان عن الصخر زليلا فإذا زلت قدمه، قلت: زل زلا فإذا زل فى مقالة أو خطبة، قلت: زل زلة. قال الشاعر:
هلا على غيرى جعلت الزلة
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 161
و أزله الشيطان عن الحق: إذ أزاله. و المزلة: المكان الدحض «1». و المزلة:
الزلل فى الدحض. و الزلل: مثل الزلة فى الخطأ. و الازلال: الانعام.
و فى الحديث: (من أزلت إليه نعمة فليشكرها.)
بمعنى أسديت. قال كثير:
و إنى- و إن صدت- لمثن و صادق عليها بما كانت إلينا أزلت «2»
و يقال: أزللت الى فلان نعمة، فأنا أزلها إزلالا. فالأصل فى ذلك الزوال.
و الزلة: زوال عن الحق.
و معنى «فَأَزَلَّهُمَا» «3»: نحاهما. من قولك: زلت عن المكان: إذا تنحيت منه. و الوجه ما عليه القراء «4» لأن هذا يؤدى إلى التكرار، لأنه قال بعد ذلك «فَأَخْرَجَهُما» فيصير تقدير الكلام: فأخرجهما الشيطان عنها فأخرجهما. و ذلك لا يجوز. و يحسن أن يقول: استزلهما فأخرجهما. و من قرأ: (أزالهما)، أراد المقابلة بين قوله: «أزلهما» و بين قوله: «اسكن»، لأن معناه: اسكن و اثبت انت و زوجك. و تقديره: أثبتا، فأراد أن يقابل ذلك فقال: (فأزالهما) فقابل الزوال بالثبات. و إنما نسب الا زلال و الإخراج إلى الشيطان لما وقع ذلك بدعائه و وسوسته و إغوائه. و لم يكن إخراجهما «5» من الجنة على وجه العقوبة، لأنا قد بينا أن الأنبياء لا يجوز عليهم القبائح على حال و من أجاز عليهم العقاب، فقد أعظم الفرية و قبح «6» الذكر على الأنبياء. و إنما أخرجهم من الجنة، لأنه تغيرت المصلحة لما تناول من الشجرة، و اقتضى التدبير و الحكمة تكليفه فى الأرض و سلبه ما ألبسه اللّه (تعالى) من لباس الجنة. و قال قوم: إن إلباس اللّه له ثياب الجنة كان تفضلا. و للمتفضل أن يمنع ذلك تشديداً للمحنة. كما يفقر بعد الغنى، و يميت بعد الأحياء، و يسقم بعد الصحة.
فان قيل: كيف وصل إبليس إلى آدم حتى أغواه و وسوس اليه. و آدم كان

---

(1) الدحض بفتح الحاء و سكونها، من الأمكنة: الزلق. ج: دحاض

(2) فى المطبوعة و المخطوطة (عليا) بدل (عليها). الديوان [.....]
(3) على قراءة حمزة
. (4) أى بتشديد اللام
. (5) فى المخطوطة (باخراجهما)
(6) و فتح. خ. ل
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 162
فى الجنة، و إبليس قد أخرج منها حين تأبى من السجود؟ قيل: عن ذلک أجوبة:
أحدها- ان آدم كان يخرج الى باب الجنة، و إبليس لم يكن ممنوعاً من الدنو منه، و كان يكلمه و يغويه.
[الثانى]- و قال آخرون: انه كلمهما من الأرض بكلام فهماه «1» منه و عرفاه.
[و الثالث]- قال قوم: إنه دخل فى فقم الحية، و خاطبها من فقمها.
و الفقم: جانب الشدق.
[و الرابع]- قال قوم: راسلهما بالخطاب. و ظاهر الكلام يدل على أنه شافههما بالخطاب.
[و الخامس]- و قال قوم: يجوز أن يكون قرب من السماء فكلمهما.
فأما ما روى عن سعيد بن المسيب:- أنه كان يحلف و لا يستثنى، أن آدم ما أكل من الشجرة و هو يعقل، و لكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر، قادته اليها فأكل.- فانه خبر ضعيف. و عند أصحابنا، أن الخمرة كانت محرمة فى سائر الشرائع و من لم يقل ذلک، يقول: لو كان كذلک، لما توجه العتب على آدم، و لا كان عاصياً بذلک. و الأمر بخلاف ذلک. و انما قلنا ذلک: لأن النائم غير مكلف فى حال نومه، لزوال عقله، و كذلک المغمى عليه، و كذلک السكران. و انما يؤاخذ السكران بما يفعله فى شرعنا، لما ثبت تحريم ما يتناوله اسم المسكر. و الا فحكمه حكم النائم عقلا. و قد قلنا: إن أكلهما من الشجرة كان على وجه الندب، دون أن يكون ذلک محظوراً عليهما، لكن لما خالفا فى ترک المندوب اليه تغيرت المصلحة، و اقتضت إخراجهما من الجنة. و قد دللنا على ذلک فى ما مضى.
[و السادس]- و قال قوم: تعمد ذلک.
[و السابع]- و قال قوم آخرون: نُهى عن جنس الشجرة، و اخطأ.
[و الثامن]- و قال قوم: إنه تأول «2» النهى الحقيقى، فحمله على الندب

---

(1) فى المخطوطة (و تكلما منه و عرفاه)
(2) فى المخطوطة و المطبوعة (ناول)
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 163
و أخطأ. و قد قدمنا ما عندنا فيه. فان قيل: كيف يكون ذلک ترک الندب مع

قوله: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ»؟ قلنا التوبة:- قيل- الرجوع و يجوز ان يرجع تارک الندب عن ذلک، ..... «1» يكون تائباً. و من قال: وقعت معصيته محبطة ..... «2» بها يخرج عن الإصرار. كما لحد «3» ... «4» الأولى أسقطت العقاب .... «5» و إبليس يقول لهما: «ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ وَ قاسَمَهُما إِنِّی لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ.» قيل: ما قبلا ذلک من إبليس، و لو قبلاه لكانت المعصية أعظم. فلما لم يعاتبهما اللّه على ترک ذلک، دل على أنهما لم يقبلا. و هذا جواب من يقول: انه كان صغيراً، «6» أو كان ناسياً. و على ما قلناه- إن ذلک كان ندباً- لا يحتاج الى ذلک، بل دليل العقل أمننا من وقوع قبيح من آدم، و الأنبياء. فلو كان صريحاً، لتركنا ظاهره لقيام الدليل على خلافه. على أنه لا يمنع أن يقاسمهما:
إنه لمن الناصحين فی ترک الندب. و إنما ظاهر النهی تركه يوجب أن يصيرا من الخالدين.
و قوله: «مِمَّا كانا فِيهِ» يحتمل أن يكون أراد: من لباسهما حتى بدت لهما سوآتهما و يحتمل أن يكون من الجنة، حتى أهبطا. و يحتمل أن يكون أراد: من الطاعة إلى المعصية.

و قوله: «اهْبِطُوا» فالهبوط و النزول و الوقوع نظائر. و نقيض الهبوط و النزول الصعود. يقال: هبط يهبط: إذا انحدر فى هبوط من صعود. و الهبوط اسم كالحدور، و هو الموضع الذى يهبط من على الى أسفل. و الهبوط: المصدر.
قال ابن دريد: هبطته و اهبطته.
و العداوة، و البراءة، و المباعدة، نظائر. و ضد العدو، الولىّ. و العدو:

---

(1) فى الأصل بياض
(2) بياض
. (3) (لحد) هكذا فى الأصل
. (4) بياض
. (5) بياض.
(6) فى المخطوطة (صغيراً و كان) و فى المطبوعة (صغيراً و لو كان).

الحضر «1»- خفيف- و العدو:- ثقيل- يقال فى التعدى. و قرئ: «فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً- و عدوا- بِغَيْرِ عِلْمٍ» «2» و العدوان: الظلم. و العدوى: طلبك الى و ال ليعديک على من ظلمک- أى ينتقم لک- و العدو اسم جامع للواحد و الاثنين و الجمع و المذكر و المؤنث. فإذا جعلته نعتاً، قلت: الرجلان عدوّاک، و الرجال اعداؤک، و المرأتان عدوتاک، و النسوة عدوَّاتک. و أصل الباب: المجاوزة. يقال:
لا يعدوَّنک هذا الأمر- أى لا يتجاوزنَّک.

و قوله: «اهبطوا» انما قال بالجمع، لأنه يحتمل أشياء:
أحدها- أنه خاطب آدم و حواء و إبليس، فيصلح ذلک، و ان كان إبليس أهبط من قبلهما. يقال: أخرج جمع من الجيش- و ان خرجوا متفرقين-. اختار هذا الزجاج.
و الثانى- أنه أراد آدم و حواء و الحية.
و الثالث- آدم و حواء و ذريتهما.
و الرابع- قال الحسن: إنه أراد آدم و حواء و الوسوسة. و ظاهر القول و ان كان أمراً فالمراد به التهديد. كما قال: «اِعْمَلُوا ما شِئْتُمْ.»
و قوله: «مستقر» قرار، لقوله: «جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَراراً». و قيل: مستقر فى القبور. و الأول أقوى و أحسن.

و القرار: الثبات، و البقاء مثله. و ضد القرار الانزعاج. و ضد الثبات الزوال و ضد البقاء الفناء. و يقال: قرَّ قراراً. و الاستقرار: الكون من وقت واحد على حال. (و المستقرّ) يحتمل أن يكون بمعنى الاستقرار، و يحتمل أن يكون بمعنى المكان الذى يستقرُّ فيه.

_____

(1) الحضر، بضم الحاء و تسكين الضاد: الاسم من أحضر الفرس أى عدا.
(2) سورة الانعام آية: 108. [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 165
و قوله: «وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ» و المتاع و التمتع و التلذذ و المتعة متقاربة المعنى.
و ضدها التألم. يقال: أمتعه به إمتاعاً، و تمتع تمتعاً، و استمتع استمتاعاً، و متعه تمتيعاً، و متع النهار متوعاً- و ذلک قبل الزوال- و المتاع من أمتعة البيت:
ما يتمتع به الإنسان من حوائجه. و كل شىء تمتعت به فهو متاع. و منه متعة النكاح، و متعة المطلقة، و متعة الحج.
و قوله: «إلى حين». فالحين، و المدة و الزمان، متقاربة. و الحين الهلاک حان يحين. و كل شىء لم يوفق للرشاد، فقد حان حينا و الحين: الوقت من الزمان و جمعه أحيان. و جمع الجمع، أحايين. و يقال: حان يحين حينونةً. و حينت الشىء:
جعلت له حيناً. و حينئذ: يبعد قولک: الآن. فإذا باعدوا بين الوقتين، باعدوا ب (إذ) فقالوا: حينئذ. و الحين: يوم القيامة. و أصل الباب، الوقت. و الحين: وقت الهلاک. ثم كثر، فسمى الهلاک به. و الحين: الوقت الطويل.

و قيل: ال (حين) فى الآية يعنى الموت. و قيل إلى يوم القيامة. و قيل: إلى أجل. و قال ابن سراج: إذا قيل: «وَ لَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ» لظن أنه غير منقطع. فقال: «إلى حين» انقطاعه. و الفرقَ بين قول القائل: هذا لک حيناً، و بين قوله: إلى حين. أن إلى تدل على الانتهاء، و لا بد أن يكون له ابتداء و ليس كذلک الوجه الآخر.
معنى قوله: «بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ». قال الحسن: يعنى بنى آدم، و بنى إبليس و ليس ذلک بأمرٍ على الحقيقة، بل هو تحذير، لأن اللّه لا يأمر بالعداوة.
و فى الآية دلالةٌ على أن اللّه تعالى لا يريد المعصية. و لا يصدُّ أحداً عن طاعته، و لا يخرجه عنها. و لا تنسب المعصية إليه، لأنه نسب ذلک إلى الشيطان، و هو يتعالى عما عاب به الأبالسة و الشياطين
. التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 166

اشارة

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)
قرأ ابن كثير (آدم) بنصب الميم. (كلمات) برفع التاء.

يقال: لقى زيد خيراً فيتعدى الفعل الى مفعولٍ واحد. و منه قوله: «فَإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ» «1». و قوله: «إذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا» «2» و «لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً» «3» فإذا ضعفت العين تعدى إلى مفعولين.
تقول: لقّيت زيداً خيراً. قال اللّه تعالى: «وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً» «4».
و تقول: لقيت بعض متاعک على بعض، فتعدِّيه إلى مفعولٍ واحد لأنه بناء مفرد لا لأنه منقول ليتعدى إلى مفعولين. و تقول: لقيته لقية واحدة فى التلاقى و اللقيان «5». و لقيته لقاء و لقياناً و لقاة. و قوله: «تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ» «6» معناه يلقون ثوابه بخلاف قوله: «يلقون غيا» «7».

و معنى «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ». تعلمها. يقال: تلقيت هذا من فلان أى قبله فهمى من لفظه. قال أبو عبيدة: قال أبو مهدية:- و تلا عليه آيات «8» من القرآن قال: تلقيتها من عمى تلقاها من أبى هريرة، تلقاها من رسول اللّه (ص) و أصل الملاقاة الملاصقة، لكنه كثر حتى قيل: لاقى فلان فلاناً: إذا قاربه، و إن لم يلاصقه. و كذلک تلاقى الجيشان، و تلاقى الفرسان. و يقال: تلاقى الخطان أى تماسا. و تقول: تلقيت الرجل بمعنى استقبلته. و تلقانى: استقبلنى. فعلى هذا يجوز فى العربية رفع آدم، و نصبه، مع رفع الكلمات. و الاختيار قراءة الأكثر، لأن معنى التلقى هاهنا القبول. فكأنه قال: قبل «9» آدم من ربه كلمات. و انما

---

(1) سورة محمد: آية 4
. (2) سورة الانفال: آية 46
. (3) سورة الكهف: آية 63
(4) سورة الدهر: آية 11
. (5) فى المخطوطة (و القتال)
. (6) سورة الأحزاب: 44
(7) سورة مريم: 59
. (8) فى المخطوطة (الآية)
. (9) فى المخطوطة (لقى)

جاز نصب آدم، لأن الأفعال المتعدية الى المفعول به على ثلاثة اقسام: أحدها يجوز ان يكون الفاعل له مفعولا به و المفعول به فاعلا. نحو أكرم بشرٌ بشراً و شتم زيد عمراً [ثانيها] و منها لا يكون المفعول به فاعلا، نحو: أكلت الخبز، و سرقت درهماً، و أعطيت ديناراً، و أمكننى الغرض.

(و ثالثها) ما يكون اسناده الى الفاعل فى المعنى كاسناده الى المفعول، نحو:

أصبت و نلت، و تلقيت. تقول: نالنى خيرٌ، و نلت خيراً، و أصابنى خيرٌ، و أصبت خيراً. و لقينى زيدٌ، و لقيت زيداً. و تلقانى، و تلقيته. و قال تعالى: «وَ قَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ» «1». و قال: «وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا» «2» فعلى هذا الرفع و النصب فى المعنى واحد فى الآية. و إنما أجيز رفع آدم، لأن عليه الأكثر و شواهده اكثر. كقوله «تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ» «3». و أسند الفعل الى المخاطبين و المفعول به كلام متلقى. كما أن الذى تلقى آدم كلام متلقى و كما أسند الفعل الى المخاطبين. فجعل التلقى لهم كذلک يلزم ان يسند

الفعل إلى آدم، فيجعل التلقى له دون الكلمات. و اما على ما قال ابو عبيدة معناه قبل الكلمات، فالكلمات مقبولة، فلا يجوز غير الرفع فى آدم.
و مثل هذا فى جواز اضافته تارة الى الفاعل، و اخرى الى المفعول. كقوله: «لا يَنالُ عَهْدِى الظّالِمِينَ» «4». و فى قراءة ابن مسعود: «لا يَنالُ عَهْدِى الظّالِمِينَ» و الكلمات جمع كلمة. و الكلمة: اسم جنس لوقوعه على الكثير و القليل. يقولون: قال امرؤ القيس فى كلمته يعنى فى قصيدته. و قال قِسّ «5» فى كلمته يعنون فى خطبته. فوقوعها على الكثير نحو ما قلناه. و وقوعها «6» على القليل قال سيبويه:
قال قد أوقعها على الاسم المفرد، و الفعل المفرد، و الحرف المفرد. فأما الكلام فان سيبويه قد استعمله فيما كان مؤلفاً من هذه الكلم فقال: لو قلت: إن تضرب ناساً لم يكن كلاماً. و قال ايضاً: انما، فقلت، و نحوه، ما كان كلاماً [بل] «7» قولا

---

(1) سورة آل عمران: آية 4
. (2) سورة مريم: آية 7
. (3) سورة النور: آية 15
(4) سورة البقرة: آية 124
. (5) فى المخطوطة (قيس) [.....]
. (6) فى المطبوعة (وقوعها)
(7) فى المخطوطة و المطبوعة بدون (بل) و لا يستقيم السياق بدونها.

و أوقع الكلام على المتألف. و الذى حرره المتكلمون، ان حد الكلام ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه الحروف المنقولة، إذا وقع ممن يصح منه او من قِبَله الافادة. ثم ينقسم قسمين: مفيد، و مهمل. فالذى أراد سيبويه أنه لا يكون كلاماً، أنه لا يكون مفيداً و ذلک صحيح. فأما تسميته بأنه كلام، صحيح.
و كيف لا يكون صحيحاً، و قد قسموه الى قسمين: مهمل، و مفيد، فأدخلوا المهمل الذى لا يفيد فى جملة الكلام. و الكلمة و العبارة، و الابانة، نظائر. و بينها فروق. و الفرق بين الكلمة و العبارة، أن الأظهر فى الكلمة هى الواحدة من جملة الكلام- و ان قالوا فى القصيدة أنها الكلمة- و العبارة تصلح للقليل و الكثير. و أما الابانة فقد تكون بالكلام، و الحال، و غيرهما من الأدلة: كالاشارة و العلامة، و غير ذلک. و أما النطق فيدل على إدارة اللسان بالصوت: و ليس كذلک الكلام و لهذا يقولون: ضربته فما تكلم، و لا يقولون: فما نطق، إذا كان صاح. و كذلک لا يجوز أن يقال فى اللّه: إنه ناطق.
و أما اللفظ فهو من قولک: لفظت الشىء: إذا أخرجته من فمک. و ليس فى الكلام مثل ذلک. و يقال: كلمته تكليماً و كلاماً «1». و تكلم تكلما. و

لذلک لا یجوز أن یقال فیه تعالی لَفَظَ، و لا أنه لافظ. و الکلْم: الجرح. و الجمع: الکلوم. یقال: کلمته أکلمه کلماً، فأنا کالم، و هو مکلوم. و کلیمک: الذی یکلمک. و یقال: کِلْمة و کِلِمة «2» لغة تمیمیة، و قیل إنها حجازیة. و تمیم حکی عنها کِلمة بکسر الکاف و تسکین اللام، و حکی تسکین اللام مع فتح الکاف. و أصل الباب أنه أثرٌ دالٌّ و الکلْم أثر دال علی الجارح. و الکلام أثر دال علی المعنی الذی تحته. و المتکلِّم:
من رفع ما سمیناه کلاماً بحسب دواعیه و أحواله. و ربما «3» عُبِّر عنه بأنه الفاعل للکلام. و لیس المتکلم من حله «4» الکلام، لأن الکلام یحلُّ اللسان و الصدر و لا یوصفان بذلک. و قد بینا فساد الکلام النفسی «5» فی کتاب العدة، فی أصول

---

(1) فی المخطوطة (تکلماً و تکلماً)
. (2) فی المخطوطة (و کلم)
. (3) فی المخطوطة (قدیماً)
. (4) فی المخطوطة (من جملة)
. (5) فی المخطوطة (النفسی) ساقطة.

الفقه. و قلنا: إن اختصر ذلک، هل هو إلا الخبر، أو ما معناه معنی الخبر، و إن کان لکل قسم معنی یخصه؟.

و الكلمات التى تلقاها آدم قال الحسن، و مجاهد، و قتادة، و ابن زيد: «رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ» «1» فان فى ذلک اعترافاً بالخطيئة، و لذلک وقعت موقع الندم. و حقيقته الانابة. و حكى عن مجاهد أنه قال:
هى قول آدم: اللهم لا إله إلا أنت، سبحانک و بحمدک، رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى إنک خير الغافرين. اللهم لا إله إلا أنت سبحانک و بحمدک، رب إنى ظلمت نفسى فارحمنى، إنک أنت خير «2» الراحمين اللهم «3» لا إله إلا أنت سبحانک و بحمدک، رب إنى ظلمت نفسى، فتب على إنک أنت التواب الرحيم.
و روى مثل ذلک عن أبى جعفر عليه السلام. و حكى عن ابن عباس: أن آدم قال لربه إذ عصاه: أ رأيت أن تبت و أصلحت؟. فقال له تعالى: إنى راجعک إلى الجنة و كانت هذه الكلمات. و روى فى أخبارنا: أن الكلمات هى توسله بالنبى عليه السلام و أهل بيته. و كل ذلک جائز.
قوله: «فَتابَ عَلَيْهِ»

فالتوبة، و الانابة، و الاقلاع، نظائر فى اللغة. و ضد التوبة: الإصرار.
يقال: تاب يتوبُ توبةً، و تواباً و استتابة. و اللَّه تعالى يوصف بالتوّاب. و معناه أنه يقبل التوبة عن عباده. و أصل التوبة: الرجوع عما سلف، و الندم على ما فرط.
و اللَّه تعالى تائب على العبد بقبول توبته. و العبد تائب الى اللَّه بمعنى نادم على معصيته و التائب: صفة مدح لقوله «4»: «التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ» «5». و التوبة شرطها

---

(1) سورة الأعراف: آية 22 و 148
. (2) فى المخطوطة (أرحم)
. (3) فى المخطوطة (اللهم) ساقطة
. (4) فى المخطوطة (كقوله)
. (5) سورة التوبة: آية 113.

الندم على ما مضى من القبيح، و العزم على أن لا يعود الى مثله من القبيح، لأن هذه التوبة هى المجمع على سقوط العقاب عندها، و ما عداها فمختلف فيه. و قد يقول القائل: قد تبت من هذا الأمر أى «1» عزمت على ألا أفعله، و صرت بمنزلة التائب، و ذلک مجاز. و كل معصية للَّه تعالى فانه يجب التوبة منها، و التوبة يجب قبولها، لأنها طاعة. فأما إسقاط العقاب عنده فتفضل منه تعالى. و قالت المعتزلة و من وافقها: و ذلک واجب. و قد بينا الصحيح من ذلک فى شرح الجمل. و التوبة إذا كانت من ترک ندب عندنا تصح. و تكون على وجه الرجوع الى فعله. و على هذا تحمل توبة الأنبياء كلهم فى جميع ما نطق به القرآن، لأنه قد بينا أنه لا يجوز عليهم فعل القبيح. و المطبوع على قلبه له توبة. و به قال أهل العدل. و قالت البكرية لا توبة له. و هو خطأ، من قِبل انه لا يصح تكليفه إلا و هو متمكن من أن يتخلص من ضرر عقابه. و ذلک لا يتم إلا بأن يكون له طريق الى إسقاط عقابه.
و قد وعد اللَّه بذلک- و إن كان تفضلا- إذا حصلت التوبة و اختلفوا فى التوبة من الغصب، هل تصح مع الاقامة على منع المغصوب؟. فقال قوم: لا تصح: و قال آخرون: تصح- و هو الأقوى- إلا أن يكون فاسقاً بالمنع، فيعاقب «2» عقاب المانع، و إن سقط عنه عقاب الغصب. و الصحيح أن القاتل عمداً تصح توبته.
و قال قوم: لا تصح. و التوبة من القتل الذى يوجب القود، قال قوم: لا تصح

إلا بالاستسلام لولى المقتول، و حصول الندم، و العزم على أن لا يعود. و قال قوم آخرون: تصح التوبة من نفس القتل، و يكون فاسقاً بترک الاستسلام. و هذا هو الأقوى، و اختاره الرمانى. فاما التوبة من قبيح بفعل آخر، فلا تصح على أصلنا كالتائب من الإلحاد بعبادة المسيح. و قال قوم: تصح. و أجراه مجرى معصيتين يترک بإحداهما الأخرى، فانه لا يؤاخذ بالمتروكة و قال قوم: التوبة من اعتقاد جهالة إذا كان صاحبها لا يعلم انها معصية بأنه يعتقد انه لا محجوج إلا عارف، فانه يتخلص من ضرر تلک المعصية إذا رجع عنها الى المعرفة، و إن لم يوقع معها توبة. و قال

---

(1) فى المخطوطة (يعين) بدل أى
. (2) فى المطبوعة و المخطوطة (يعاقب) بدون الفاء [.....]

آخرون: لا يتخلص إلا بالتوبة، لأنه محجوج فيه، مأخوذ بالنزوع عن الاقامة عليه، و هو الأقوى. فأما ما نسى من الذنوب، فانه يجرى مجرى التوبة منه على وجه الجملة. و قال قوم: لا يجرى. و هو خطأ، لأنه ليس عليه فى تلک الحال اكثر مما عمل فأما ما نسى من الذنوب مما لو ذكر، لم يكن عنده معصية. و هل يدخل فى الجملة إذا أوقع التوبة من كل خطيئة؟ قال قوم: يدخل فيها. و قال آخرون لا يدخل فيها، لكنه يتخلص من ضرر «1» المعصية، لأنه ليس عليه اكثر مما علم فى تلک الساعة. و الأول أقوى، لأن العبد إذا لم يذكر صرف توبته الى كل معصية هى فى معلوم اللَّه معصية. فأما المشرک إذا كان يعرف قبل توبته بفسق- إذا تاب من الشرک- هل يدخل فيه التوبة من الفسق فى الحكم، و إن لم يظهر التوبة منه؟. قال قوم: لا يزول عنه حكم الفسق، و هو قول اكثر المعتزلة.
و قال قوم: يزول عنه حكم الفسق. و قال الأخشيذ: القول فى هذا باجتهاد. و الذى يقوى فى نفسى انه يزول، لأن الإسلام الأصل فيه العدالة الى ان يتجدد منه بعد الإسلام ما يوجب تفسيقه. فأما التوبة من قبيح مع الاقامة على قبيح آخر، يعلم و يعتقد قبحه، فعند اكثر من تقدم صحيحة و قال ابو هاشم، و أصحابه:
لا تصح و قد قلنا ما عندنا فى ذلک، فى شرح الجمل و اعتمد الأولون على ان قالوا:
كما يجوز ان يمتنع من قبيح لقبحه، و يفعل قبيحاً آخراً، و إن علم قبحه كذلک جاز ان يندم من القبيح، مع المقام على قبيح آخر يعلم قبحه. و هذا إلزام صحيح معتمد و اختلفوا فى التوبة عند ظهور أشراط الساعة، هل تصح ام لا؟ فقال الحسن:
يحجب عنها عند الآيات الست.
و رواه عن النبى (ص) انه قال: بادروا الأعمال قبل ست: طلوع الشمس

من مغربها، و الدَّجال، و الدَّخان و دابة الأرض، و خويصة أحدكم يعنى الموت، و أمر العامة يعنى القيامة.
و قال قوم: لا شك أن بعض الآيات يحجب، و باقيها محجوز. و هو الأقوى.
و قوله: «فَتابَ عَلَيْهِ». يعنى قبل توبته، لأنه لما عرضه للتوبة، بما ألقاه

---

(1) فى المخطوطة (ضرب)

من الكلمات فعل التوبة، و قبلها اللَّه تعالى منه [و قيل تاب عليه أى وفق للتوبة و هداه اليها] «1» فقال اللهم تب علىّ أى وفقنى للتوبة. [فلقنه الكلمات حتى قالها فلما قالها قبل توبته]. «2»
و قوله: «إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». إنما ذكر الرحيم، ليدل بذلک على أنه متفضل بقبول التوبة، و منعم به، و أن ذلک ليس هو على وجه الوجوب، على ما يقوله المخالف. و من خالف فى ذلک يقول: لما ذكر التواب بمعنى الغفار بإسقاط العقوبة، وصل ذلک بذكر النعمة، ليدل على أنه مع إسقاط العقوبة، لا يخلى العبد من النعمة الحاصلة ترغيباً له، و فى الانابة و الرجوع اليه بالتوبة. (و تواب) بمعنى أنه قابل التوبة لا يطلق إلا عليه تعالى، و لا يطلق فى الواحد منا. و إنما قال:
«فتاب عليه». و لم يقل فتاب عليهما، لأنه اختصر، كما قال: «وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ» «3». و معناه أن يرضوهما. كذلک معنى الآية: فتاب عليهما و مثل ذلک قوله: «وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها» «4»
و قال الشاعر:
رمانى بأمر كنت منه و والدى بريئاً، و من جول الطَّوِى رمانى «5»
و قال آخر:
نحن بما عندنا و أنت بما عندک راض و الرأى مختلف «6»
و حكى عن الحسن، انه قال: لم يخلق اللَّه آدم إلا للأرض، و لو لم يعص لخرج على غير تلک الحال. و قال غيره: يجوز ان يكون خلقه للأرض إن عصى و لغيرها ان لم يعص و هو الأقوى لأن ما قاله لا دليل عليه و روى عن قتادة: ان اليوم الذى قبل اللَّه توبة آدم فيه يوم عاشوراء و رواه ايضاً أصحابنا

(1، 2) زنا ما بين القوسين و هو موجود فى مجمع البيان ص 89 م 1 تفسير نفس الآية و السياق هنا يقتضى ذلک
. (3) سورة التوبة: آية 64
. (4) سورة الجمعة آية 11
. (5) قال ابن برى:
البيت لابن أحمر قال: و قيل هو للازرق بن طرفة بن العمرد (بفتح العين و

فتح الميم و تشديده) الفراصى الجول: جانب البئر. الطوى: البئر، لأنها تطوى بالحجارة. و معنى البيت: رمانى بأمر عاد عليه قبحه، لأن الذى يرمى من جول البئر يعود ما رمى به عليه و يروى: و من اجل الطوى قال و هو الصحيح- لسان العرب-
. (6) البيت لقيس بن الخطم، شاعر جاهلى، قتل أبوه و هو صغير-
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 173

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 38] ..... ص : 173

اشارة

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُداىَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)
آية بلا خلاف.

قد بينا معنى الهبوط فيما مضى «1» بما فيه كفاية. و قال الجبائى: الهبوط الأول: هو الهبوط من الجنة الى السماء، و هذا الهبوط من السماء الى الأرض.
و قد يستعمل فى غير النزول من مكان عالٍ الى أسفل. يقال هبط فلانٌ الى أرض كذا، إذا أتاها، و إن لم يرد به النزول الذى فيه. إلا أن فيه إيماءً الى هبوط المنزل قال لبيد:
كلّ بنى حرةٍ مصيرهم قلّ و إن أكثروا من العدد
إن يغبطوا يهبطوا و إن أمروا يوماً فهم للفناء و الفند
الفَنَد: الهرب. و الإتيان، و المجيء، و الإقبال، نظائر و نقيضه: الذهاب و الانصراف و يقال: أتى، اتياناً، و أتى أتياً، و تأتى، تأتياً و أتى تأتية و آتيت فلاناً على أمره مؤاتاةً و لا يقال أتية الا فى لغة قبيحة لتيم و دخلت (ما) فى قوله مع «ان» التى للجزاء، ليصح دخول النون التى للتوكيد فى الفعل و لو أسقطت (ما) لم يجز دخول النون، لأنها لا تدخل فى الخبر الواجب الا فى القسم، أو ما أشبه القسم كقولك: زيدٌ ليأتينك و لو قلت بغير اللام، لم يجز و كذلك تقول: بعين ما أرينك و لو قلت: بعين أرينك، بغير ما لم يجز فدخول (ما) هاهنا كدخول اللام فى أنها تؤكد أول الكلام و تؤكد النون

- فلما بلغ قتل قاتل أبيه و نشأت بسبب ذلك حروب بين قومه و بين الخزرج و له ولد اسمه ثابت و هو من الصحابة، شهد مع على- ع- صفين و الجمل و النهروان
. (1) فى آية «36» البقرة

آخره. و الأمر، و النهى، و الاستفهام، تدخل النون فيه و ان لم يكن معه (ما) إذا كان الأمر و النهى، مما تشتد الحاجة الى التوكيد فيه و الاستفهام مشبه به إذا كان معناه اخبرنى و النون انما تلحق للتوكيد، فلذلك كان من مواضعها.
قال اللّه تعالى: «وَ لا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّى فاعِلٌ ذلِكَ غَداً» «1» فان قيل: اين جواب اما؟ و اين جواب من؟ قيل: الجزاء و جوابه بمنزلة المبتدإ و الخبر، لأن الشرط لا يتم الا بجوابه، كما لا يتم المبتدأ الا بخبره أ لا ترى، انك لو قلت:
إن تقم، و سكتت، لم يجز. كما لو قلت: زيد، لم يكن كلاما، حتى تأتى بالخبر.
و لك أن تجعل خبر المبتدأ جملة، و هى أيضاً مبتدأ و خبر، كقولك: زيد أبوه

منطلق. و كذلک (إن) التى للجزاء، إذا كان الجواب بالفاء، و وقع بعد إلقاء الكلام مستأنفاً، صلح أن يكون جزاءً، و غير جزاء. تقول: إن تأتى فأنت محمود و لک أن تقول: إن تأتنى. فمن يكرمک أكرمه. و إن تأتنى فمن يبغضک فلا وضيعة عليه.
و قوله: «فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ» شرط، و جوابه الفاء. و ما بعد قوله: (فمن)، شرط آخر، و جوابه الذى بعده من قوله: «فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ». و هو نظير المبتدأ و الخبر الذى يكون خبره مبتدأ و خبراً. و هذا فى مقدمات القياسات، يسمى الشرطية المركبة. و ذلک أن المقدم فيها إذا وجب، وجب التالى المرتب عليه.
(الهدى) المذكور فى الآية يحتمل أمرين: أحدهما- البيان و الدلالة.
و الآخر- الأنبياء و الرُّسل. و على القول الأخير يكون قوله: (قُلْنَا اهْبِطُوا) لآدم و حواء و ذرّيتهما. كما قال: «فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ» «2» أى أتينا بما فينا من الخلق طائعين.
و قوله: «فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ».

---

(1) سورة الكهف آية 24
. (2) حم السجدة آية 12.

فالاتباع، و الاقتداء، و الاحتذاء، نظائر. و نقيض الاتباع: الابتداع تقول: تبعه تباعاً و أتبعه اتباعاً. و تابعه متابعةً. و تتبع تتبعاً. و استتبع استتباعاً.
و التابع: التالى. و منه التتبُّع. و التبيع: ما تبع أثر شىء فهو يتبعه. و التتبُّع. فعلك شيئاً بعد شىء. تقول: تتبعت عليه آثاره. و فى الحديث: القادة و الأتباع.
و القادة: السادة. و الأتباع. القوم الذين يتبعونهم. و القوائم، يقال لها تبع.
و التبيع من ولد البقر: العجل، لأنه تبع أمه يعدو. و ثلاثة أتبعة- الجمع- و بقرة متبع: خلفها تبيع. و خادم متبع: معها ولدها يتبعها حيثما أقبلت و أدبرت.
و أتبع فلان فلاناً. و أتبعه الشيطان: إذا تتبعه يريد به شراً. كما تبع فرعون موسى.
قال اللّٰه تعالى: «فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ» «1». و فلان يتبع فلاناً:
إذا تتبع مساوئه فى مهلة. و التتابع من الأشياء: إذا فعل هذا فى أثر هذا بلا مهلة.
و منه تتابعت الأمطار. و تتابعت الأشياء. و التبع الظل. و أصل الباب كله. الاتباع و هو أن يتلو شىء شيئاً.
قوله: «فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ».

فالخوف و الجزع، و الفزع. نظائر. و نقيض الخوف: الأمن. تقول: خافه، يخافه خوفاً و أخافه إخافة. و تخوف تخوفاً. و خوفه تخويفاً. و طريق مخوف:
يخافه الناس. و طريق مخيف: تخيف الناس. و التخوف: التنقص. يقال: تخوفناهم:
تنقصناهم. و منه قوله: «أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ»، أى على تنقص. و أصل الباب: الخوف الذى هو الفزع. و الخوف كله من الضرر. يقال: فلان يخاف الأسد، أى يخاف ضرره. و يخاف اللّه، أى يخاف عقابه. و الحزن، و الهم، و الغم نظائر. و نقيضه السرور. يقال: حزن حزناً و حزنه حزناً و تحزن تحزناً و حزن

---

(1) سورة الأعراف آية 174.

تحزيناً. و الحُزن، و الحَزن، لغتان. و حزننى، و أحزننى، لغتان. و أنا محزون و محزن. و إذا أفردوا الصوت أو الأمر، قالوا: محزن لا غير. و الحزن من الأرض و الدواب: ما فيه خشونة. و الأنثى: حزنة. و الفعل: حزن، حُزونة. و قولهم:
كيف حشمک و حزانتک؟ أى كيف من تتحزن بأمره. و أصل الباب:
غلظ الهم.
و قوله: «فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ».

عمومه يقضى أنه لا يلحقهم خوف أهوال القيامة. و هو قول الجبائى. و قال ابن أخشيذ: لا يدل على ذلک، لأن اللّه تعالى وصف القيامة بعظم الخوف. قال اللّه تعالى: «إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ» ... إلى قوله «شَدِيدٌ» «1». و لأنه روى أنه يلجم الناس العرق، و غير ذلک من الشدائد. و هذا ليس بمعتمد، لأنه لا يمتنع أن يكون هؤلاء خارجين من ذلک الغم. و أما الحزن، فلا خلاف أنه لا يلحقهم. و من أجاز الخوف، فرق بينه و بين الحزن، لأن الحزن إنما يقع على ما يغلظ و يعظم من الغم و الهم، فلذلک لم يوصفوا بذلک. و لذلک قال تعالى «لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ» «2» لأن ما يلحقهم لا يثبت، و يزول وشيكا.

قالوا: و يدلک على أن الحزن ما ذكرنا، أنه مأخوذ من الحزن، و هو ما غلظ من الأرض. فكان ما غلظ من الهم. فأما لحوق الحزن و الخوف فى دار الدنيا، فلا خلاف أنه يجوز أن يلحقهم، لأن من المعلوم، أن المؤمنين لا ينفكون منه.

و (هداى) بتحريک الياء. و روى عن الأعرج (هداى) بسكون الياء. و هى غلط، إلا أن ينوى الوقف.

و إنما كرر «اهبطوا» لأن أحدهما كان من الجنة إلى السماء. و الثانى من السماء. الى الأرض عند أبى على. و قيل: المعنى واحد، و كرر تأكيداً. و قيل:

هو على تقدير اختلاف حال المعنى، لا اختلاف الأحوال. كما يقول: اذهب

---

(1) سورة الحج آية 1

. (2) سورة الأنبياء آية 13.

مصاحباً، اذهب سالماً معافىً. و كأنه على تقدير ذهاب يجامع ذهاباً- و إن كانت حقيقته واحدة.

و إنما كرر (اما) فى قوله: «إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً» «1» و لم يكرر هاهنا، لأنها هناک للعطف، و هاهنا للجزاء. و إنما هى (إن) ضم اليها (ما) كقوله: «وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ» «2» و هداى:

مثل هواى. و هى لغة قريش، و عامة العرب. و بعض بنى سليم يقولون: هوىّ.

مثل: علىّ، و لدىّ. قال أبو ذؤيب: «3»

سبقوا هوىّ و اعنقوا لهواهم فتخرموا و لكل جنب مصرع «4»

و روى هدّى «5» فى الآية عن الجحدرى، و ابن أبى إسحاق، و عيسى.

و الصواب ما عليه القراء. و الفرق بين هوى و لدى و على، و هو أن إلى و على ولدى مما يلزمها الاضافة، و ليست بمتمكنة. ففصلوا بينها و بين الأسماء المتمكنة، كما فصلوا بين ضمير الفاعل و ضمير المفعول، حين قالوا: ضربت فسكنوا لأجل التاء، و لم يسكنوا فى ضربک، إذ الفاعل يلزم الفعل.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 39] ..... ص : 177

اشارة

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (39)
قد بينا فيما مضى معنى الكفر و التكذيب، فلا وجه لإعادته.
و الاستدلال بهذه الآية- على أن من مات مصراً على الكفر، غير تائب منه، فكذب بآيات ربه، فهو مخلد فى نار جهنم- صحيح، لأن الظاهر يفيد ذلک، و الاستدلال بها، على أن عمل الجوارح من الكفر، من حيث قال:

---

(1) سورة الدهر: آية 3 [.....]
. (2) سورة الانفال آية 59.
(3) الهذلى اسمه خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم ينتهى نسبه لنزار، و هو أحد المخضرمين ممن أدرک الجاهلية و الإسلام.
(4) لسان العرب. العنق: ضرب من السير السريع. تخرموا: استأصلوا. و البيت من قصيدة يرثى بها أبناءه الخمسة الذين هلكوا فى عام واحد.
(5) فى المطبوعة و المخطوطة (هوى).
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 178
«وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا» فبعيد، لأن التكذيب نفسه- و إن لم يكن كفراً، و هو لا يقع الا من كافر- فهو دلالة عليه كالسجود للشمس و غيره. و قوله: «أصحاب». فالاصطحاب، و الاجتماع، و الاقتران، نظائر و كذلک الصاحب و القرين. و نقيضه: الافتراق. يقال صحبه صحبةً. و أصحبه إصحاباً. و اصطحبوا اصطحاباً و تصاحبوا تصاحباً. و استصحبوا استصحاباً.
و صاحبه مصاحبة و الصحب: جماعة. و الصحب، و الأصحاب جماعة الصاحب «1».
و يقال أيضاً: الصحبان و الصحبة، و الصحاب. و الصحابة: مصدر قولک: صحبک اللّه يعنى بالسلامة و أحسن صحابتک و يقال للرجل عند التوديع: معاناً، مصاحباً و مصحوب، و مصاحب. و من قال: مصاحب معان، فإنما معناه: أنت المصاحب المعان. و الصحبة: مصدر صحب يصحب. و قد أصحب الرجل: إذا صار صاحباً.
و يقال: قد أصحب الرجل، و قد أشطأ: إذ بلغ ابنه مبلغ الرجال، الذى صار ابنه مثله. و أشطأ الزرع: إذا لحقته فراخه. و يقال له: الشطأ. قال أبو عبيدة، و ابن دريد: قوله: «وَ لا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ» «2» أى لا يحفظون و أديم مصحب:
إذا دبغته و تركت عليه بعض الصوف و الشعر. و أصل الصحبة: المقارنة. و الصاحب «3» هو الحاصل مع آخر مدة، لأنه إذا اجتمع معه وقتاً واحداً، لا يقال: صاحب، و لكن يقال: صحبه وقتاً من الزمان ثم فارقه. و الفرق بين

المصاحبة، و المقارنة، أن فى المصاحبة دلالة على المبالاة، و ليس ذلک حاصلا فى المقارنة. و اتباع الرئيس: أصحابه.
و (آيات اللَّه). دلائله، و كتبه التى أنزلها على أنبيائه. و الآية: الحجة.
و الدلالة، و البيان، و البرهان واحد فى أكثر المواضع،- و إن كان بينها فرق فى الأصل- لأنک تقول دلالة هذا الكلام كذا. و لا تقول: آيته، و لا علامته.
و كذلک تقول: دلالة هذا الاسم، و لا تقول: برهانه.

---

(1) فى المطبوعة و المخطوطة (الصحب)
. (2) سورة الأنبياء. آية 43.
(3) فى المخطوطة و المطبوعة (اللسحاب)

و «أَصْحابُ النَّارِ». هم الملازمون لها. كما تقول: أصحاب الصحراء يعنى القاطنين فيها، الملازمين لها.
و الخلود معرب من العرف، يدل على الدوام لأنهم يقولون: ليست الدنيا دار خلود، و أهل الجنة مخلدون. يريدون الدوام فأما فى أصل الوضع، فانه موضوع لطول الحبس. فان قيل: لم دخلت الفاء فى قوله: «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَأُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ» فى سورة الحج و لم يقل هاهنا فى قوله: «أُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ»؟ قيل: لأن ما دخلت فيه الفاء من خبر (الذى و أخواته) مشبه بالجزاء. و ما لم يكن فيه فاء، فهو على أصل الخبر. و إذا قلت: ما لى، فهو لک، جاز على وجه، و لم يجز على وجه. فان أردت أن معنى (ما) الذى، فهو جائز. و إن أردت أن مالى تريد به المال، ثم تضيفه إليک، كقولک: غلامى لک، لم يجز، كما لم يجز، غلامى، فهو لک.

و موضع «1» أولئک: يحتمل ثلاثة أشياء:
أحدها- أن يكون بدلا من الذين، أو يكون عطف بيان، و أصحاب النار: بيان عن أولئک، مجراه «2» مجرى الوصف. و الخبر، هم فيها خالدون.
و الثانى- أن يكون ابتداء و خبراً فى موضع الخبر الأول.
و الثالث- أن يكون على خبرين بمنزلة خبر واحد، كقولهم: حلو «3»، حامض.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 40] ..... ص : 179

اشارة

يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40)

---

(1) فى المخطوطة (و وضع)
. (2) فى المخطوطة (فأجراه).
(3) فى المخطوطة (كقولهم: حلو و حامض). و فى المطبوعة (كقوله حلو و حامض).
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 180
آية بلا خلاف.
(يا) حرف نداء. (بنى): جمع ابن. و الابن، و الولد، و النسل، و الذرية متقاربة المعانى. إلا أن الابن يقع على «1» الذكر، و الولد يقع على الذكر و الأنثى و النسل و الذرية تقع على جميع ذلک. و أصله، من البناء. و هو وضع الشىء على الشىء. و الابن مبنى على الأب تشبيهاً للبناء على الأصل، لأن الأب أصل و الابن فرع. و يقال: تبنى تبنياً، و بنى بناءً، و ابتنى ابتناءً، و باناه مباناة. و البنوة:
مصدر الابن- و إن كان من البناء «2» كما قالوا: الفتوة: مصدر الفتى. و ثنوا الفتى:
فتيان. و يقال: فلان ابن فلان، على التبنى. و لا يطلق ذلک الا على ما كان من جنسه و شكله تشبيهاً بالابن الحقيقى. و لهذا لا يقولون: تبنى زيد حماراً، لما لم يكن من جنسه و لا تبنى شاب شيخاً لما لم يكن ذلک فيه. و الفرق بين اتخاذ الابن و بين «3» اتخاذ الخليل، أن اتخاذ الخليل، يكون به خليلاً على الحقيقة، لأن بالمحبة و الاطلاع على الأسرار المهمة يكون خليلا على الحقيقة. و ليس كذلک الابن.
لأن البنوة فى الحقيقة، إنما هى الولادة للابن.
و (بنى) فى موضع نصب، لأنه منادى مضاف.
و (إسرائيل) فى موضع جر، لأنه مضاف إليه. و فتح، لأنه أعجمى لا ينصرف، لأن (إسرا) معناه: عبد و (ئيل) هو اللّه بالعبرانية فصار مثل عبد اللّه. و كذلک جبرائيل، و ميكائيل. و من حذف الألف من جبرائيل، حذفه للتعريب «4» كما يلحق «5» الأسماء التغيير إذا أعربت، فيلخصون حروفها على العربية.
و فى (إسرائيل) خمس لغات: حكى الأخفش: إسرال، بكسر الهمزة من غير ياء. و حكى: أسرال، بفتح الهمزة. و يقول بعضهم: إسريل، فيميلون. و حكى

---

(1) فى المخطوطة (يقع على) ساقطه
. (2) فى المطبوعة (من الباء).
(3) فى المطبوعة (و بين) ساقطة
. (4) فى المخطوطة (للتعريف) [.....]
(5) فى المخطوطة (كما لا يلحق)

قطرب: سرال، من غير همز و لا ياء، و اسراين، بالنون. و الخامس- إسرايل، قراءة إلياس. و حمزة وحده مد بغير ألف.

و قال أكثر المفسرين: إن المعنى، يا بنى إسرائيل، أحبار اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول اللّه (ص). و هو المحكى عن ابن عباس. و قال الجبائى: المعنى به بنو إسرائيل من اليهود و النصارى. و نسبهم إلى الأب الأعلى، كما قال: «يا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ» «1».

قوله: «اذْكُرُوا». فالذكر، و التنبيه، و التيقظ، نظائر. و نقيضه: التغافل يقال: ذكره يذكره ذكراً. و أذكره إذكاراً. و استذكره استذكاراً. و تذكره تذكراً. و ذكّره تذكاراً. و ادّكر اذكاراً. و قال صاحب العين: الذكر: الحفظ للشىء تذكره. تقول: هو منى على ذكر. و الذكر: جرى الشىء على لسانك.
تقول: جرى منه ذكر. و الذكر: الشرف، و الصيت لقوله: «وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ» «2» و الذكر: الكتاب الذى فيه تفصيل الدين و كل كتاب من كتب الأنبياء ذكر. و الذكر: الصلاة، و الدعاء. و قيل: كانت الأنبياء إذا حزنهم أمر فزعوا إلى الذكر أى الصلاة، يقومون فيصلون. و ذكر الحق: هو الصك.
و الذكرى: هو اسم للتذكير. و الذكر: ذكر الرجل معروف. و الجمع: الذكرة و لهذا سمى ما ينسب اليه، المذاكير. و لا يفرد. و إن أفرد فمذكر، مثل مقدم و مقاديم. و الذكر: خلاف الأنثى. و جمعه: ذكور، و ذكران. و من الدواب، ذكورة لا غير. و الذكر من الحديد: أيبسه و أشده. و لذلك يسمى السيف، مذكر.
و امرأة مذكرة، و ناقة مذكرة: إذا كانت خلقتها تشبه خلقة الذكر، و أشبهته فى شمائلها. و امرأة مذكار: إذا أكثرت ولادة الذكور. و عكسه: مئناث. و يقال

---

(1) سورة الاعراف آية 3
. (2) الزخرف آية 44.

للحبلى: أيسرت، و أكثرت أى يسر عليها، و ولدت ذكوراً. و الذكر: ضد النسيان. و رجل ذكر: شهم من الرجال، ماهر فى أموره. و اصل الباب: الذكر الذى هو التنبيه على الشىء. و الذكر: الوصف بالمدح و الثناء أو بالمدح و الهجاء.
و قوله: «نِعْمَتِيَ». المراد بها الجماعة. كما قال تعالى: «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها»»
و النعمة و إن كانت على أسلافهم جاز أن تضاف اليهم.
كما يقول القائل إذا فاخره غيره: هزمناكم يوم ذى قار، و قتلناكم يوم الفجار، و بددنا جمعكم يوم النار. و المراد بذلك، جميع النعم الواصلة اليهم، مما اختصوا به، دون آبائهم، أو اشتركوا فيه معهم، و كان نعمة على الجميع. فمن ذلك تبقية آبائهم حتى تناسلوا، فصاروا من أولادهم. و من ذلك، خلقه إياهم على وجه يمكنهم الاستدلال على توحيده، و الوصول الى معرفته، فيشكروا نعمه، و يستحقوا ثوابه و من ذلك ما لا يحلون منه فى كل وقت

من منفعة و دفع مضرة. فالقول الأول هو التذكير بالنعمة عليهم فى أسلافهم. و القول الثانى: تذكير جميع النعم عليهم و النعم التى على أسلافهم، ما ذكر فى قوله تعالى: «وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَ آتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ» «2»

و قوله: «أُوفِ بِعَهْدِكُمْ». فى موضع جزم، لأنه جواب الأمر.

قال صاحب العين: تقول وفيت بعهدک وفاءً. و لغة أهل تهامة: أوفيت بعهدک. و هی القرآن. قال الشاعر فی الجمع بین اللغتین:
أما ابن عوفٍ فقد أوفی بذمته کما وفی بقلاص النجم حادیها
یعنی به الدبران. و هو التالی و تقول: وفی، یفی وفاءً و أوفی، یوفی ایفاءً و استوفی، استیفاءً و توفی، توفیا. و وفی، توفیة. و توافی، توافیاً و وافاه موافاةً. و کل شیء بلغ تمام الکلام فقد وفی و تم. و کذلک درهمٌ وافٍ، لأنه

---

(1) سورة ابراهیم آیة 34. و سورة النحل: آیة 18
. (2) سورة المائدة: آیة 22.

درهم و فی مثقالاً. و کیل واف و رجل وفا: ذو وفاء و أوفی فلان علی شرفٍ من الأرض إذا أشرف فوقها. و تقول: أوفیته حقه. و وفیته اجره. و الوفاة: المنیة توفی فلان، و توفاه اللّه: إذا قبض نفسه. و اصل الباب: الوفاء و هذا هو الإتمام.
و من أکرم اخلاق النفس الوفاء. و من أدونها، و ارذلها الغدر.

و معنى قوله: «أَوْفُوا بِعَهْدِی أُوفِ بِعَهْدِكُمْ» قال ابن عباس: أوفوا بما أمرتكم من طاعتي، و نهيتكم عن معصيتى فى النبى صلى اللّه عليه و آله و غيره: «أُوفِ بِعَهْدِكُمْ» اى ارضى عنكم، و أدخلكم الجنة و سمى ذلک عهداً، لأنه تقدم بذلک اليهم فى الكتب السابقة كما قال: «يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» «1». و العهد: هو العقد عليهم فى الكتاب السابق بما أمروا به، و نهوا عنه. قال بعضهم: إنما جعله عهداً، لتأكيده بمنزلة العهد الذى هو اليمين قال اللّه تعالى: «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لا تَكْتُمُونَهُ» «2» و قال الحسن: العهد الذى عاهدهم عليه حيث قال:
«خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ» اى بجد «وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ» اى ما فى الكتاب فى قوله: (وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِی إِسْرائِيلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَیْ عَشَرَ نَقِيباً وَ قالَ اللَّهُ إِنِّی مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكاةَ وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِی ... الى آخر الآية) «3» و قال الجبائى: جعل تعريفه إياهم نعمه عهداً عليهم و ميثاقاً لأنه يلزمهم القيام بما يأمرهم به من شكر هذه النعمة، كما يلزمهم الوفاء بالعهد، و الميثاق الذى يأخذ عليهم.
و القول الأول أقوى، لأن عليه أكثر المفسرين، و به يشهد القرآن.
قوله: «وَ إِيَّایَ».

(و إياى) ضمير منصوب. و لا يجوز أن يكون منصوباً بقوله:
«فَارْهَبُونِ»، لأنه مشغول. كما لا يجوز فى قولك: زيداً فاضربه. أن يكون

---

(1) سورة البقرة: آية 146
. (2) سورة آل عمران: آية 187
. (3) سورة المائدة 13.

منصوباً بقوله: فاضربه. لكنه يكون منصوباً بفعل دل عليه ما هو مذكور فى اللفظ. تقديره: و إياى ارهبوا. و لا يظهر ذلک، للاستغناء عنه بما يفسره، و إن صح تقديره. و لا يجوز فى مثل ذلک الرفع على أن يكون الخبر «فَارْهَبُونِ» إلا على تقدير محذوف. كما أنشد سيبويه:
و قائلةٍ: خولانُ فانكح فتاتهم و أكرومة الحيين خِلوٌ كما هيا
تقديره: و قائلةٍ: هذه خولان. و على هذا، حمل قوله: «وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما» «1» و قوله: «الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما» «2» تقديره مما يتلى عليكم، السارق و السارقة. و فيما فرض عليكم، الزانية و الزانى.
و قوله: «فَارْهَبُونِ»

فالرهبة، و الخشية، و المخافة، نظائر. و ضدها: الرغبة. تقول: رهب رهبة: و أرهبه، إرهاباً، و رِهبه، ترهيباً. و استرهب، استرهاباً. و يقال: رهب فلانٌ يرهب. رَهبا، و رهاباً، و رهبة: إذا خاف من شىء. و منه اشتقاق الراهب.
و الاسم: الرهبة. و من أمثالهم: رَهبوتٌ خير من رحموت. أى ترهب خير من أن ترحم. و الترهب: التعبد فى صومعة. الجمع: الرهبان. و الرهبانية: خطباء.
و الفرق بين الخوف و الرهبة: أن الخوف هو شک فى أن الضرر يقع أم لا. و الرهبة:
معها العلم بأن الضرر واقع عند شرط، فان لم يحصل ذلک الشرط، لم يقع.
و اختير تحريک الياء فى قوله: «نِعْمَتِيَ الَّتِى أَنْعَمْتُ» لأنه لقيها ألف و لام فلم يكن بدٌ من اسقاطها أو تحريكها، و كان التحريک أولى، لأنه أدل على الأصل و أشكل بما يلزم اللام فى الاستئناف، من فتح ألف الوصل، و اسكان الياء فى قوله: «يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا» أجود، لأن من حق الاضافة، ألّا تثبت فى النداء. و إذا لم تثبت فلا سبيل الى تحريكها. و قوله: «فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ» الاختيار حذف الياء، لأنه رأس آية. و رؤوس الآى لا يثبت فيها

---

(1) سورة المائدة: آية 41
. (2) سورة النور: آية 20

الياء، لأنها فيه اصل ينوى فيها الوقف كما يفعل ذلک فى القوافى. و مثل قوله:
«نِعْمَتِيَ الَّتِى» قوله: «أَخِى اشْدُدْ» فى ان الاختيار تحريک الياء، و ان كان مع الالف و اللام أقوى، لما تقدم ذكره مع المشاكلة و الرد الى الأصل. و فى «أَخِى اشْدُدْ»: سببٌ واحد، و هو انه ادل على الأصل. و اجمعوا على إسقاط الياء من قوله «فَارْهَبُونِ». الا ابن كثير، فانه أثبتها فى الوصل دون الوقف و الوجه حذفها لكراهية الوقف على الياء. و فى كسر النون دلالة على ذهاب الياء.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 41] ..... ص : 185

اشارة

وَ آمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ وَ لا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِی ثَمَناً قَلِيلاً وَ إِيَّایَ فَاتَّقُونِ (41)
آية واحدة بلا خلاف

«آمِنُوا» معناه صدِّقوا، لأنا قد بينا ان الايمان هو التصديق.
«بِما أَنْزَلْتُ» يعني بما أنزلت على محمد (ص) من القرآن.
و قوله: «مُصَدِّقاً» يعنى ان القرآن مصدق لما مع اليهود من بنى إسرائيل من التوراة. و أمرهم بالتصديق بالقرآن، و أخبرهم ان فيه تصديقهم بالتوراة، لأن الذى فى القرآن من الامر بالإقرار بنبوة محمد (ص)، و تصديقه نظير الذى فى التوراة و الإنجيل. و موافق لما تقدم من الاخبار به، فهو مصداق ذلک الخبر.
و قال قوم: معناه انه مصدق بالتوراة و الإنجيل الذى فيه الدلالة على انه حق.
و الاول أوجه، لأن على ذلک الوجه حجة عليهم، دون هذا الوجه.

و نصب (مصدقاً) على الحال من الهاء المحذوفة، كأنه قال: أنزلته مصدقاً و يصلح ان ينصب ب (آمنوا) كأنه قيل: آمنوا بالقرآن مصدقاً.
و المعنىُّ بقوله: (آمنوا) اهل الكتاب من بنى إسرائيل، لأنه فى ذكرهم.
و فيه احتجاج عليهم، إذ جاء بالصفة التى تقدمت بها بشارة موسى و عيسى عليهما التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 186
السلام. و هو امرٌ بالإقرار بالنبوة، و ما جاءت به من الشريعة.

و انما وحد (كافراً) فى قوله: «وَ لا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ»، و قبله جَمَع، لما ذكره الفرّاء و الأخفش: و هو أنه ذهب مذهب الفعل، كأنه قال: أول من كفر به. و لو أراد الاسم لما جاز إلا الجمع و مثل ذلک قول القائل للجماعة: لا تكونوا أول رجل يفعل ذلک قال المبرد: هذا الذى ذكره الفرّاء خارجٌ عن المعنى المفهوم، لأن الفعل هاهنا و الاسم سواء. إذا قال القائل: زيد أول رجل جاء فمعناه أول الرجال الذين جاؤوا رجلًا رجلًا، و لذلک قال: أول كافر، و أول مؤمن و معناه: أول الكافرين و أول المؤمنين لا فصل بينهما فى لغة و لا قياس. ألا ترى أنک تقول: رأيت مؤمناً، و رأيت كافراً كما تقول: رأيت رجلًا لا يكون إلا ذلک، لأنک انما رأيت واحداً، كما تقول: رأيت زيداً أفضل مؤمن، و زيدٌ أفضل حرّ، و زيدٌ أفضل رجل، و أنبل غلام، و ليس بين ذلک اختلاف. و لكن جاز و لا تكونوا أول قبيل كافر به، و أول حزب كافر به، و هو مما يسوغ فيه النعت، و يبين به الاسم، لأنک تقول: جاءنى قبيلٌ صالح، و جاءنى حىٌّ كريم، فينعت به الجمع، إذا كان الجمع اسماً واحداً لجميعه كقولک: نفر، و قبيل، و حزبٌ، و جمع و لا تقول: جاءنى رجل كريم، و انت تريد برجل نفراً كما تقول: نفر كريم، لأن النعت جارٍ على المنعوت و الاسم منفرد بنفسه و نظير قوله: (أول كافر)، قول الشاعر:

فإذا هُم طَعِموا فألأم طاعم و إذا هُم جاعوا فشرُّ جِياع «1»

و معنى قوله: «وَ لا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ» قال قوم: يعنى بالقرآن من أهل الكتاب: لأن قريشاً كفرت به قبلهم بمكة. و قيل: معناه: لا تكونوا أول كافر به أى لا تكونوا أول السابقين بالكفر فيه فيتبعكم الناس أى لا تكونوا أئمة فى الكفر به. و قيل: لا تكونوا أول كافر به اى أول جاحدٍ به إن صفته فى كتابكم.

---

(1) لرجل جاهلى. معانى القرآن للفراء. طعموا: شبعوا.

و الأول و السابق و المتقدم نظائر. و يقال أول و آخر و أول و ثان. و الأول: هو الموجود قبل الآخر. و الأول قبل كل شىء يناقض الوصف بانه محدث و يعلم ذلک ضرورة.
و الهاء فى قوله: (به) قيل فيه ثلاثة اقوال: أحدها- انه يعود الى (ما) فى قوله: «بِما أَنْزَلْتُ» و هو الأجود.
و الثانى- لا تكونوا أول كافر به اى بمحمد (ص).
و الثالث- أول كافر بما معكم، من كتابكم، لأنهم إذا جحدوا ما فيه من صفة النبى (ص) فقد كفروا به و الاول قول ابن جريج. و انما كان هو الأجود لأنه أشكل بما تقدم. و الثانى قول أبى الغالية. و الثالث حكاه الزّجاج و قواه بأنهم كفروا بالقرآن. و انما قيل: و لا تكونوا أول كافر بكتابكم اى صفة محمد (ص) فيه. و قال الرمانى: و إنما عظم أول الكفر لأنهم إذا كانوا ائمة فيه و قدوة فى الضلالة كان كفرهم أعظم. كما روى عن النبى (ص): من سن سنَّة حسنة فله أجرها و اجر من عمل بها الى يوم القيامة. و من سن سنة سيئةً كان عليه وِزْرها و وِزْر من عمل بها الى يوم القيامة. و ليس فى نهيه عن ان يكونوا أول كافر دلالة على انه يجوز ان يكونوا آخر كافر، لأن المقصود من الكلام النهى عن الكفر على كل حال و خص الاول بالذكر لما قدمنا من عظم موقعه كما قال الشاعر:
من أناس ليس فى أخلاقهم عاجل الفحش و لا سوء الجزع
و ليس يريد ان فيهم فحشاً آجلا.
و قوله: «ثَمَناً قَلِيلًا». فالثمن و العوض و البدل نظائر. و بينها فرق فالثمن: هو البدل فى البيع من العين او الورق. و إذا استعمل فى غيرهما كان مشبهاً بهما و مجازاً. و العِوض: هو البدل الذى ينتفع به كائناً ما كان. و اما البدل: فهو الجعل للشىء مكان غيره. و يقال: ثمنه تثميناً. و ثامنه مثامنة. و يجمع الثمن اثماناً و اثمناً. و يروى بيت زهير: التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 188
و عزَّت اثمن البدن
جمع ثمن. و من روى أثمن البدن: أراد الثمينة منها أى أكثرها ثمنا. و الثمن جزء من الثمانية اجزاء، من اى مالٍ كان. و ثوب ثمين: إذا كان كثير الثمن و الفرق بين الثمن و القيمة، أن الثمن قد يكون وفقا، و قد يكون بخسا، و قد يكون زائداً.
و القيمة لا تكون الا مساوية المقدار للمثمن من غير نقصان و لا زيادة. و كل ماله ثمن فهو مال. و ليس كل ملک له ثمن.
و القليل، و الحقير، و اليسير، نظائر. و ضده: الكثير. تقول: قل، يقل، قلةً. و

اقل منه، إقلالا. و استقل استقلالا. و تقلل، تقللا. و قلله، تقليلا.
و قليل، و قلال، بمعنى [واحد]. و رجل قليل أى قصير. و قل الشىء: اقله.
و القلة، و القل لغتان. و القلة: راس كل شىء. و الرجل يقل شيئا: يحمله. و كذلک يستقله.
و استقل الطائر: إذا ارتفع. و قلة الجبل: أعلاه. و هى قطعة تستدير فى أعلاه.
و هى القلة. و القلة التى جاءت فى الحديث مثل: قلال هجر. قيل إنها جرارٌ عظام.
و القلة: النقصان من العدد. و قيل فى الصغر.
و قوله: «وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِى ثَمَناً قَلِيلًا» فأدخل (الباء) فى الآيات دون الثمن.
و فى سورة يوسف، فى الثمن. فى قوله: «وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ» «1» قال الفراء: إنما كان كذلک، لأن العوض كلها، أنت مخير فيها فى إدخال الباء. إن شئت قلت: اشتريت الثوب بكساءٍ. و إن شئت قلت: اشتريت بالثوب كساءً. أيهما جعلته ثمناً لصاحبه، جاز فإذا جئت الى الدراهم و الدنانير، وضعت الباء فى الثمن كقوله: «بِثَمَنٍ بَخْسٍ»، لأن الدراهم ثمن أبداً.
و روى عن أبى جعفر (عليه السلام) فى قوله: «وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِى ثَمَناً قَلِيلًا» قال عليه السلام: كان ليحيى بن أخطب و كعب بن اشرف، و آخرين منهم مأكلة على يهود فى كل سنة. و كرهوا بطلانها بأمر النبى «ص» فحرفوا لذلک آيات من التوراة فيها صفته و ذكره، فذلک الثمن القليل الذى أريد به فى الآية.

---

(1) سورة يوسف: آية 20.

و تقييده ب «لا تَشْتَرُوا بِآياتِى ثَمَناً قَلِيلًا» لا يدل على أنه إذا كان كثيراً يجوز مشترىً به، لأن المقصود من الكلام، أن أى شىء باعوا به آيات اللّه كان قليلا، و انه لا يجوز أن يكون له ثمنٌ يساويه. كقوله: «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ» «1» انما أراد بذلک نفى البرهان عنه على كل حال، و أنه لا يجوز أن يكون عليه برهان. و مثله قوله: «وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ» «2» و انما أراد ان قتلهم لا يكون إلا بغير الحق نظائر ذلک كثيرة. و مثله قول الشاعر:
على لاحِبٍ لا يهتدى بمناره
و انما أراد: لا منار هناک فيهتدى به. و لذلک نظائر نذكرها إذا انتهينا اليه إن شاء اللّه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 42] ..... ص : 189

اشارة

وَ لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42)
آية واحدة بلا خلاف.

اللبس، و الستر، و التغطية، و التعمية، نظائر. و الفرق بين التعمية، و التغطية ان التعمية قد تكون بالنقصان و الزيادة، و التغطية تكون بالزيادة. و ضد الستر:
الكشف. و ضد اللبس: الإيضاح. يقال: لبس، لبساً. و ألبَسه، إلباساً.
و التبس، التباساً. و تلبَّس، تلبساً. و لبّسه، تلبيساً و لابَسه، ملابسةً. و اللباس ما واريت به جسدک. و لِباس التقوى: الحياء و الفعل: لبس، يلبس. و اللبس:
خلط الأمور بعضها ببعض. إذا التبست. و اللبوس: الدرِوع. و كل شىء تحصنت به، فهو لبوس. قال اللّه تعالى: «وَ عَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ» «3».
قال الشاعر:
البس لكل حالة لبوسَها إما نعيمها و إما بؤسها
و ثوبٌ لبيس. و جمعه: ألبس. و اللبسة: ضربٌ من اللباس. و الفعل: لبس

---

(1) سورة المؤمنون: آية 108
. (2) سورة آل عمران: آية 21 [.....]
. (3) سورة الأنبياء آية 80.

يلبس، لبساً، و لبسة واحدة. و يقال: لبست الأمر ألبسه: إذا عميته. و منه قوله: «وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ» «1». و لا بست الرجل ملابسةً: إذا عرفت دخلته. و فى فلان ملبس: إذا كان فيه مستمع. و فى أمره لبسة: أى ليس بواضح و أصل اللبس: الستر: قال الأخطل:
و قد لبست لهذا الدهر أعصره حتى تجلل راسى الشيب فاشتعلا «2»
و الفرق بين اللبس، و الإخفاء، و الريب، و الاشكال. أن الإخفاء يمكن أن يدرک معه المعنى. و لا يمكن إدراک المعنى مع اللبس. و الريب معه تهمة المشكوک فيه. و الاشكال قد يدرک معه المعنى، إلا أنه بصعوبة، لأجل التعقيد. و أسباب الإلباس كثيرة: منها- الاشتراک. و منها- الاختلاف. و منها- الاختزال.
و هو: حذف مقدمه و شرطه، أو ركنه. و منها- الاختلاط، و البسط. و هو: المنع من إدراک الشىء، تشبيهاً بما يمنع من إدراکه بالستر و التغطية. و منه
قول النبى (ص) للحارث بن خوط: يا حار، إنه ملبوس عليک. إن الحق لا يعرف بالرجال. اعرف الحق تعرف أهله.
و البطلان، و الفساد، و الكذب، و الزور، و البهتان، نظائر. و ضد الحق:

الباطل. يقال: بطل، بطولا، و بطلا، و بطلاناَ: إذا تلف. و أبطلته، إبطالا: إذا أتلفته. و البطل، و الباطل، واحد. و بطل الرجل، بطولة إذا صار بطلا. و يقال:
رجل بطل. و لا يقال: امرأة بطلة. و بطل، بطالة: إذا هزل، و كان بطالا.
و الأباطل: جمع إبطالة و أبطولة. و الباطل: ضد الحق. و أبطلته: جعلته باطلا.
و أبطل فلان: إذا جاء بباطل. و البطل: الشجاع الذى يبطل جراحاته، لا يكترث لها، و لا تكفه عن نجدته. و أصل الباطل، الخبر الكذب. ثم كثر حتى قيل لكل فاسد.
و يقال: فعل باطل أى قبيح. و بناء باطل أى منتقض. و زرع باطل أى محترق تالف.

---

(1) سورة الانعام. آية 9.
(2) ديوانه. و اعصرج عصر. و لبس له اعصره: عاش و قلبى خيره و شره و تجلل الشيب الرأس علاه. و فى المطبوعة و لمخطوطة (تخلل).

و معنى لبسهم الحق بالباطل: أنهم آمنوا ببعض الكتاب، و كفروا ببعض، فخلطوا الحق بالباطل، لأنهم جحدوا صفة محمد (ص) فذلک الباطل، و أقروا بغيره مما فى الكتاب على ما هو به، و ذلک حق. و قال ابن عباس: لا تخلطوا الصدق بالكذب. و قال الحسن: كتموا صفة محمد (ص) و دينه، و هو الحق. و أظهروا دين اليهودية و النصرانية. و قال ابن زيد: الحق: التوراة التى أنزلها اللّه على موسى.
و الباطل: ما لبسوه بأيديهم. و اللبس فى الآية: قيل معناه: التعمية. و قيل: خلط الحق بالباطل، عن ابن عباس. و منه قوله: «وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ» أى لخلطنا عليهم ما يخلطون. قال العجاج:
لما لبسن الحق بالتجنى عيين و استبدلن زيداً منى «1»
و قال بعضهم: الحق: إقرارهم بأن محمداً (ص) مبعوث إلى غيرهم. و الباطل إنكارهم أن يكون بعث إليهم. و هذا ضعيف، لأنه إن جاز ذلک على نفر يسير، لم يجز على الخلق الكثير، مع إظهار النبى (ص) و تكذيبهم فيه، و إقامة الحجة عليهم.

و قوله: «وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ» يحتمل أمرين من الاعراب. أحدها- الجزم على النفى، كأنه قال: لا تلبسوا الحق، و لا تكتموه. و الآخر- النصب على الظرف، كأنه قال: لا تجمعوا اللبس و الكتمان. كما قال الشاعر:
لا تنه عن خلق و تأتى مثله عارُ عليک إذا فعلت عظيم «2»
و مثله: لا يسعنى شىء، و يعجز عنک. و عند الخليل و سيبويه، و الأخفش، ينصب مثل ذلک، بإضمار أن. و يكون تقدير الكلام: لا يكن منكم لبس الحق

---

(1) ديوانه
(2) هذا البيت روى فى عدة قصائد لعدة شعراء. نسب للأخطل. و نسب للمتوكل الليثى و نسب لسابق البربرى و نسب للطرماح و نسب لأبى الأسود الدؤلى

و كتمانه. و دل «تلبسوا» على اللبس و «تكتموا» على الكتمان. كما تقول: من كذب كان شراً له. فكذب دليل على الكذب. فكأنه قال: من كذب كان الكذب شراً له.
قوله: «وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»

قال قوم: هو متوجه إلى رؤساء أهل الكتاب، و لذلک وصفهم بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه للتلبيس على أتباعهم- قالوا- و هذا تقبيح لما يفعلونه. و كذلک قوله: «وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ» أى تتركون الاعتراف به، و أنتم تعرفونه أى تجحدون ما تعلمون. و جحد المعاند أعظم من جحد الجاهل. و من قال هذا، لا يلزمه ما يتعلق به أهل التعارف، من هذه الآية، من قولهم: إن اللّه أخبر أنهم يكتمون الحق و هم يعلمون، لأنه إذا خص الخطاب بالرؤساء- و هم نفر قليل- فقد جوز على مثلهم العناد و الاجتماع على الكتمان. و إنما يمنع مع ذلک فى الجماعة الكثيرة، لما يرجع الى العادات، و اختلاف الدواعى. كما قيل فى الفرق بين التواطى و الاتفاق فى العدد الكثير. و قال بعضهم: و أنتم تعلمون البعث و الجزاء. فان قيل: كيف يصح ذلک على أصلكم الذى تقولون: إن من عرف اللّه لا يجوز أن يكفر؟.
و هؤلاء إذا كانوا كفاراً، و ماتوا على كفرهم. كيف يجوز أن يكونوا عارفين بصفة محمد، و أنه حق، بما معهم من التوراة. و ذلک مبنى على معرفة اللّه، و عندكم ما عرفوا اللّه؟ قيل: إن اللّه الذى يمنع أن يكفر من عرف اللّه، إذا كان معرفته على وجه يستحق بها الثواب، فلا يجوز أن يكفر، لأنه يؤدى إلى اجتماع الثواب الدائم على إيمانه، و العقاب الدائم على كفره. و الإحباط باطل. و ذلک خلاف الإجماع. و لا يمتنع أن يكونوا عرفوا اللّه على وجه لا يستحقون به الثواب لأن الثواب إنما يستحق، بأن يكونوا نظروا من الوجه الذى وجب عليهم. فأما إذا نظروا بغير ذلک، فلا يستحقون الثواب، فيكونوا على هذا عارفين باللّه و بالكتاب الذى أنزله على موسى، و عارفين بصفات النبى (ص). لكن لا يؤمنون مستحقين الثواب. التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 193
و على هذا يجوز أن يكفروا. و فى الناس من قال: استحقاقهم الثواب على إيمانهم، مشروط بالموافاة. فإذا لم يوافوا به، لم يستحقوا الثواب. فعلى هذا أيضاً، يجوز أن يكونوا عارفين، و إن لم يكونوا مستحقين لثواب يبطل بالكفر. و المعتمد الأول. و قال قوم: الآية متوجهة إلى المنافقين منهم. و كان خلطهم الحق بالباطل ما أظهروا بلسانهم من الإقرار بالنبى (ص) بما يستبطنونه من الكفر. و هذا يمكننا الاعتماد عليه، و يكون قوله: «وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» معناه أنكم تعلمون أنكم تظهرون خلاف ما تبطنونه. و هذا أسلم من كل وجه على أصلنا. و يمكن أن يقال: معنى قوله: «وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أى عند أنفسكم، لأنهم إذا كانوا يعتقدون أنهم عالمون بالتوراة، و بأنه من عند اللّه، و فيها ذكر النبى، فهم عالمون عند أنفسهم بنبوته، لكن يكابرون.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 43] ..... ص : 193

اشارة

وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)
آية بلا خلاف.

الصلاة فى أصل اللغة: الدعاء. قال الأعشى:
عليک مثل الذى صليت فاغتمضى نوماً فان لجنب المرء مضطجعا
أى دعوت. و قال آخر:
و قابلها الريح فى دنّها و صلى على دنّها و ارتسم «1»
أى و دعا. و قيل: أصلها: اللزوم. من قول الشاعر:
لم أكن من جناتها علم اللَّه و انى لحرها اليوم صال
أى ملازم لحرها. و كان معنى الصلاة، ملازمة العبادة على الحد الذى أمر

---

(1) مر الكلام فى هذا البيت 1: 56.

اللَّه عز و جل. و قيل: أصلها: الصلا و هو عظم العجز لرفعه فى الركوع و السجود من قول الشاعر:
فآب مصلوه بغير جلية و غودر بالجولان حزم و نائل «1»
اى الذين جاؤوا فى صلا السابق. و القول الأول أقرب إلى معنى الصلاة فى الشرع. و قد بينا معنى إقامة الصلاة فيما مضى، فلا وجه لإعادته.
و قوله: «وَ آتُوا الزَّكاةَ». فالزكاة. و النماء، و الزيادة، نظائر فى اللغة.
و نقيض الزيادة: النقصان. و يقال: زكا، يزكو زكاء. و تزكى، تزكية. قال صاحب العين: الزكاة، زكاة المال، و هو تطهيره. و منه زكى، يزكى، تزكيةً.
و الزكاة: زكاة الصلاح. تقول: رجل تقى زكى. و رجال أتقياء أزكياء. و الزرع زكا زكاء- ممدود-. و كل شىء يزداد و ينمو، فهو يزكو زكاء. و تقول: هذا لا يزكو بفلان أى لا يليق به. قال الشاعر:
المال يزكو بک مستكثراً يختال قد أشرق للناظر
و مصدر الزكاة: ممدود. و يقال: إن فلاناً لزكا النقد أى حاضره و عتيده.
و الزكا: الشفع قال الشاعر:
كانوا خساً أو زكاً من دون أربعة لم يخلقوا و جدود الناس تعتلج «2»
و الخسا: الوتر. و أصل الباب: النمو، و الزكاة تنمى المال بالبركة التى يجعل اللَّه فيه. و سمى بالزكاة فى الشريعة، ما يجب إخراجه من المال، لأنه نماء ما ينقى و يثمر. و قيل: بل مدح لما ينقى، لأنه زكى أى مطهر. كما قال: «أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ» «3» أى طاهرة- و قوله: «وَ ارْكَعُوا». فالركوع، و الانحناء، و الانخفاض نظائر فى اللغة.
يقال: ركع، و رفع. قال الشاعر:

---

(1) فى التفسير الكبير (و آب مضلوه). من أضل القوم ميتهم: إذا واروه فى

قبره، و فيه بدل (يغير جلية) بعين جلية: و الشعر للنابغة.
(2) اللسان مادة (خسا). و قد نقله القراء عن الدبيرية. زكا: تقوله العرب للزوج و خسا للفرد: تعتلج تضطرع
. (3) سورة الكهف آية: 74.

لا تهين الفقير علک أن تركع يوماً و الدهر قد رفعه «1»
قال أبو زيد: الراكع: الذى يكبو على وجهه. و منه الركوع فى الصلاة.
قال الشاعر:
و أفلت حاجب فوق العوالى على شقّاء تركع فى الظراب «2»
و الركعة: الهوة فى الأرض.- لغة يمانية- قال صاحب العين: كل شىء ينكب لوجهه، فتمس ركبته الأرض أو لا تمس، بعد أن يطأطئ رأسه، فهو راكع.
قال الشاعر:
و لكنى أنص العيس تدمى أياطلها و تركع بالحزون «3»
و قال لبيد:
أخبر أخبار القرون التى مضت أدب كأنى كلما قمت راكع
و قيل: إنه مأخوذ من الخضوع. ذهب اليه المفضل بن سلمة و الأصمعى.
قال الشاعر:
لا تهين الفقير علک أن تركع يوماً و الدهر قد رفعه
و الأول أقوى، لأن هذا مجاز مشبه به.
و قوله: «وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» إنما خص الركوع بالذكر من أفعال الصلاة، لما قال بعض المفسرين: إن المأمورين هم أهل الكتاب، و لا ركوع فى صلاتهم. و كان الأحسن ذكر المختص دون المشترک، لأنه أبعد عن اللبس. و قيل:
لأنه يعبر بالركوع عن الصلاة. يقول القائل: فرغت من ركوعى أى من صلاتى.
و انما فعل ذلک، لأنه أول ما يشاهد مما يدل على أن الإنسان فى الصلاة، لأنا بينا أن أصل الركوع الانحناء. فان قيل: كيف أمروا بالصلاة و الزكاة و هم لا يعرفون حقيقة ما فى الشريعة؟ قيل: إنما أمروا بذلک، لأنهم أحيلوا فيه على بيان الرسول

---

(1) قائل هذا البيت الأضبط بن قريع الأسدى.
(2) شقاء: مؤنث الأشق. و فرس أشق: يشتق فى عدوه يميناً و شمالا. الظراب ج.
ظرب- بفتح الظاء و كسر الراء و هى الرابية.
(3) انص العيس: استحثها. اياطل: ج. ايطل و هى الخاصرة. ارض حزون: غليظه.

إذ قال: «ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» «1». و لذلک جاز أن يأمرهم بالصلاة على طريق الجملة، و يحيلهم فى التفصيل الى بيان الرسول (ص).
و قد بينا تفصيل ما ورد الشرع به، من الصلاة و الزكاة، و فرائضها و سننها فى كتاب النهاية و المبسوط و غيرهما من كتبنا فى الفقه، فلا نطول بذكره فى هذا الكتاب. و قد ورد فى القرآن على طريق الجملة آى كثير: نحو قوله: «أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ». و قوله «فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً» «2». و قوله: (حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى) «3» و قوله: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ» «4». و يمكن الاستدلال بهذه الآيات على وجوب الصلوات، و على صلاة الجنائز، و صلاة العيدين، و على وجوب الصلاة على النبى و آله فى التشهد، لأنه عام فى جميع ذلک. فان قيل: قوله:
«وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ» قد ثبت أن هذا خطاب لأهل الكتاب، و ليس فى صلاتهم ركوع، فكأنه أمرهم بالصلاة على ما يرون هم، و أمرهم بضم الركوع إليها. و على معنى قوله:
«ارْكَعُوا»- أى صلوا نقول: إن ذلک تأكيد. و يمكن أن يقال: فيه فائدة.
و هو أن يقال: إن قوله: «أَقِيمُوا الصَّلاةَ» إنما يفيد وجوب إقامتها. و يحتمل أن يكون إشارة إلى صلاتهم التى يعرفونها. و يمكن أن يكون إشارة إلى الصلاة الشرعية، فلما قال: «وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» يعنى مع هؤلاء المسلمين الراكعين، تخصصت بالصلاة فى الشرع، و لا يكون تكراراً، بل يكون بياناً. و قيل:
قوله: «وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» حث على صلاة الجماعة، لتقدم ذكر الصلاة المنفردة فى أول الآية.

---

(1) سورة الحشر: آية 7.
(2) سورة النساء: آية 102. [.....]
(3) سورة البقرة: آية 238.
(4) سورة المؤمنون: آية 1.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 44] ..... ص : 197

اشارة

أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (44)

كل طاعة للّه تعالى، فلا خلاف أنها تسمى براً. و اختلفوا فى المراد بهذه الآية. فقال ابن عباس: المراد به التمسک بکتابهم، فکانوا یأمرون أتباعهم، و یترکون هم التمسک به، لأن جحدهم النبى (ص) هو ترکهم التمسک به. و قال قتادة: کانوا یأمرون الناس بطاعة النبى (ص) و یخالفون ذلک. و قال قوم: إن معناه: أنهم کانوا یأمرون ببذل الصدقة، و یضنون بها. و قال بعضهم: البر: الصدق من قولهم: صدق، و بر. و معناه: أنهم یأمرون بالصدق و لا یصدقون.

و البر- فى أصول اللغة- و الصلة، و الإحسان، نظائر. يقال: هو بار وصول محسن. و ضد البر: العقوق. و قال ابن دريد: البر ضد العقوق. و رجل بار و بر بمعنى واحد. و برت يمينه: إذا لم يحنث. و بر حجه و بر- لغتان-. و البر: خلاف البحر. و البر:- معروف- أفصح من الحنطة و القمح. واحدة برة. قال الهذلى:

لا در درى إن أطعمت نازلهم قرف الحنى و عندى البر مكنوز

الحنى: ردى المقل خاصة. و من أمثالهم: لا يعرف الهر من البر. و اختلفوا فى هذا المثل فقال الرمانى: الهر: السنور. و البر: الفارة فى بعض اللغات، أو دويبة تشبهها. و قال الأخفش: معناه: لا يعرف من يبره ممن يهر عليه. و قوم بررة أبرار و المصدر البر. و يقال: صدق و بر. و برت يمينه أى صدقت. و كانت العرب تقول:

فلان يبرر به أى يطيعه. قال الراجز: التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 198

لا هم إن بكراً دونكا يبرک الناس و يفجرونكا

و الأبرار: الغلبة. يقال أبر عليهم فلان. قال طرفة:

و يبرون على الآى البر.

و البربرة: كثرة الكلام، و الجلبة باللسان. و أصل الباب كله: البر و هو: اتساع الخير. و الفرق بين البر و الخير، أن البر يدل على القصد، و الخير قد يقع على وجه السهولة.

قوله: «وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ».

فالنسيان، و الغفلة، و السهو، نظائر. و ضد النسيان: الذكر. تقول: نسى نسياناً. و أنساه، إنساء. و تناساه، تناسياً. و فلان نسى، كثير النسيان.
و النسى، و المنسى. الذى ذكره اللّه تعالى: «وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا» «1» و سمى الإنسان إنساناً، اشتقاقاً من النسيان. و هو فى الأصل: إنسيان. و كذلك إنسان العين. و الجمع: أناسى. و النسا: عرق سيق بين الفخذين، فيستمر فى الرجل.
و هما نسيان. و الجمع: أنساء. و هو فى الفخذ. و يسمى فى الساق: الطفل. و فى البطن: الحالبين «2» و فى الظهر: الأبهر. و فى الحلق: الوريد. و فى القلب:
الوتين. و فى اليد: الأكحل. و فى العين: الناظر. يقال: هو بهر الجسد، لأنه يمد جميع العروق. و أصل الباب: النسيان ضد الذكر. و قوله: «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» «3» أى تركوا طاعته، فترك ثوابهم. و يقال: آفة العلم النسيان. و المذاكرة تحيى العلم.
و حد النسيان: غروب الشىء عن النفس بعد حضوره لها. و الفرق بين النسيان و السهو، أن السهو يكون ابتداءً و بعد الذكر. و النسيان لا يكون إلا بعد الذكر. و النسيان، و الذكر معاً، من فعل اللّه تعالى، لأن الإنسان يجتهد أن يذكر شيئاً فلا يذكره.

---

(1) سورة مريم آية: 32
. (2) عرقان يكتنفان بالسرة
. (3) سورة التوبة: آية 68.

و معنى قوله:«وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ» أى تتركونها. و ليس المراد بذلک ما يضاد الذكر، لأن ذلک من فعل اللّه لا ينهاهم عنه. فان قيل: إذا كان الواجب عليهم مع ترک الطاعة و الاقامة على المعصية، الأمر بالطاعة، و النهى عن المعصية، فكيف قيل لهم هذا القول؟ قلنا: فى أمرهم بالطاعة، و نهيهم عن المعصية تعظيم لما يرتكبونه من معصية اللّه تعالى، لأن الزواجر كلها، كلما كانت أكثر، كانت المعصية أعظم ففى نهيهم لغيرهم، زواجر. فهو توبيخ على عظيم ما ارتكبوا من ذلک.
و قوله: «وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ».

فالتلاوة، و القراءة، و الدراسة، نظائر. يقال: فلانٌ يتلو تلاوة، فهو تالٍ أى تابع. و المتالى: الأمهات إذا تلاهن الأولاد. و الواحد: متل. و ناقة متلية: و هى التى تنتج فى آخر النتاج. و أصل الباب: الاتباع. فتسمى التلاوة بذلک، لاتباع بعض الحروف فيها بعضاً. و الفرق بين التلاوة و القراءة، أن أصل القراءة جمع الحروف، و أصل التلاوة، اتباع الحروف. و كل قراءةٍ تلاوة، و كل تلاوةٍ قراءة و حد الرمانى: التلاوة: ما به صوت يتبع فيه بعض الحروف بعضاً.

و الكتاب الذى كانوا يتلونه التوراة- على قول ابن عباس و غيره. و قال أبو مسلم كانوا يأمرون العرب باتباع الكتاب الذى فى أيديهم، فلما جاءهم كتاب مثله، لم يتبعوه.
و قوله: «أَ فَلا تَعْقِلُونَ»

فالعقل، و الفهم، و اللب، و المعرفة، نظائر يقال فلانٌ عاقلٌ فهيم أديب ذو معرفة، و ضد العقل: الحمق. يقال: عقل الشىء عقلا، و أعقله غيره إعقالا.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 200
و يقال: اعتقله، اعتقالا و انعقل، انعقالا. و قيل لابن عباس: أنى لک هذا العلم؟
قال: قلبٌ عقول، و لسانٌ سئول. و يقال: عقلت بعد الصبا أى عرفت الخطأ الذى كنت فيه. و قال صاحب العين: العقل: ضد الجهل يقال: عقل الجاهل: إذا علم.
و عقل المريض بعد ما هجر و عقل المعتوه و نحوه و العِقال: الرباط و يقال: عقلت البعير أعقله، عقلًا: إذا شددت يده بالعقال و إذا أخذ صدقة الإبل تامةً لسنةٍ يقال: أخذ عقالًا و عقالين لسنتين، و عقلا لجماعة و قال الشاعر:
سعى عقالًا فلم يترک لنا سبداً فكيف لو قد سعى عمرو عقالين
لا صبح الناس أو باداً و ما وجدوا يوم التحمل فى الهيجا جمالين «1»
قال المبرد: يقال للمصدق إذا أخذ من الصدقة ما فيها و لم يأخذ ثمنه: أخذ عقالًا. و إذا أخذ قيمته: قيل: أخذ نقداً. و العقيلة من النساء: التى قد عُقلت فى بيتها أى حبست فى بيتها و خدرت. و الجمع: عقائل. و الدرة عقيلة البحر. و عقيلة كل شىء: أكرمه. و عُقل القتيل: إذا أوديت ديته من القرابة، لا من القبائل.
و العقل فى الرجل: اصطكاک الركبتين و العقل: ثوب أحمر تتخذه نساء العرب.
و المعقول: هذا العقل عند قوم. قال الراعى:
حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً و لا لفؤاده معقولا
و العقل، و المعقل: و هو الحصن و جمعه: عقول و العاقول من النهر و الوادى و من الأمور أيضاً: الملتبس، و ما اعوج منه. و عقل الدواء بطنه أى حبسه و قولهم لا يعقل حاضر لبادٍ قال ابن دريد: معناه أن القتيل إذا كان بالبادية، فان أهلها يتعاقلون بينهم الدِّية، و لا يلزمون أهل الحضر من بنى أعمامهم شيئا. و فى الحديث انا لا نتعاقل المضيع يعنى ما سهل من الشجاج «2»، بل يلزم الجانى. و عاقلة الرجل:
بنو عمه الأدنون، لأنهم كالمعقل له. و أصل الباب العقل الذى هو العقد. و العقل مجموع علوم لأجلها يمتنع من كثير من القبائح يعقل كثيراً من الواجبات. و قال الرمانى: العقل هو العلم الأول الذى يزجر عن قبيح الفعل. و كل من كان زاجره

(1) الشعر لعمرو بن العداء الكلبى. لسان العرب و روايته (الحى) بدل (الناس) السبد: بقايا النبت. اوباد: ج وبد و هو الفقر و البؤس. و جمالين يريد قطيين
. (2) الشجاج واحدها-

أقوى، كان عقله أقوى. و قيل: العقل: معرفة يفصل بها بين القبيح و الحسن فى الجملة. و قيل: العقل: قوة يمكن معها الاستدلال بالشاهد على الغائب. و هذه العبارات قريبة المعانى مما ذكرناه. و الفرق بين العقل و العلم، أن العقل قد يكمل لمن فقد بعض العلوم، كفقدِ من كمل عقله العلم بأن هذه الرمانة حلوة أو حامضة.
و لا يكمل العلم لمن فقد بعض عقله. فان قيل: إذا كان العقل مختلفا فيه، فكيف يجوز أن يستشهد به؟. قيل الاختلاف فى ماهية العقل، لا يوجب الاختلاف فى قضاياه. ألا ترى أن الاختلاف فى ماهية العقل- حتى قال بعضهم معرفة، و قال بعضهم قوة- لا يوجب الاختلاف فى أن الألف أكثر من الواحد، و أن الموجود غير المعدوم، و غير ذلک من قضايا العقل.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 45] ..... ص : 201

اشارة

وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ وَ إِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخاشِعِينَ (45)
آية واحدة.
قال الجبائى: هذا خطاب للمؤمنين دون أهل الكتاب. و قال الطبرى، و الرمانى: هو خطاب لأهل الكتاب، و يتناول المؤمنين على وجه التأديب. و الأقوى أن يكون خطاباً لجميع من هو بشرائط التكليف، لفقد الدلالة على التخصيص، و اقتضاء العموم ذلک. فمن قال: إنه خطاب لأهل الكتاب، قال: لأنه قال: و استعينوا على الوفاء بعهدى الذى عاهدتكم فى كتابكم عليه: من طاعتى، و اتباع أمرى و اتباع رسولى، و ترک ما نهيتكم عنه، و التسليم لأمرى و لمحمد (ص) بالصبر و الصلاة.

و أصل الصبر: هو منع النفس محابها، و كفها عن هواها. و منه الصبر على المصيبة، لكفه نفسه عن الجزع. و قيل لشهر رمضان: الصبر، لصبر صائمه عن الطعام و الشراب نهاراً و صبرت إياهم صبرة: حبسه لهم، و كفه إياهم عنه، كما يصبر الرجل القتيل، فيحبسه عليه، حتى يقتله صبراً يعنى حبسه عليه، حتى قتله.

- الشجة و هى الجرح فى الرأس و الوجه.

و المقتول: مصبور. و القاتل: صابر. و الصبر. و اللبث، و الحبس، نظائر. و الصبر:
ضد الجزع. و أنشد أبو العباس:
فان تصبرا، فالصبر، خيرُ معيشة و إن تجزعا، فالأمر ما ترِيان
و يقال: صبر صبراً. و تصبر تصبراً. و اصطبر، و اصطباراً. و تصابر تصابراً. و صابره مصابرة. قال صاحب العين: الصبر: نصب الإنسان للقتل. فهو مصبور. يقال: صبروه أى نصبوه للقتل. و يقال: صبرته أى حلّفته باللّه جهد نفسه. و كل من حبسته لقتل أو يمين، فهو قتل صبر و يمين صبر. و الصبر: عصارة شجر معروف. و الصبار: تمر الهند. و صبر الإناء و نحوه: نواحيه. و أصبار القبر:
نواحيه. و الصبرة من الحجارة: ما اشتد و غلظ. و الجمع: الصبّار. و أم صبار: هى الداهية الشديدة. و صبر كل شىء: أعلاه. و صبير القوم: الذى يصبر معهم فى أمرهم و صبر الخِوان: رقاقة غليظة تبسط تحت ما يؤكل من الطعام. و تقول:
اشتريت الشىء بلا صبر أى بلا كيل و الصبير: الكفيل و اصل الباب: الصبر الذى هو الحبس.

و الصبر خلق محمود، أمر اللَّه تعالى به و دل عليه، فقال: «وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ» «1» و قال: «اصْبِرُوا وَ صابِرُوا» «2» و قال: «وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ» «3» و قال: «وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» «4» و فى الحديث: اقتلوا القاتل، و اصبروا الصابر و ذلک فيمن أمسكه حتى قتله آخر فأمر بقتل القاتل، و حبس الممسک. و الصبر المأمور به فى الآية، قيل: فيه قولان: أحدهما- الصبر على طاعته و اجتناب معصيته. و الثانى- أنه الصوم. و فى الصلاة هاهنا قولان: أحدهما- الدعاء. و الثانى- أنها الصلاة الشرعية ذات الركوع و السجود. و كان النبى (ص) إذا أحزنه أمر، استعان بالصلاة و الصوم. و وجه الاستعانة بالصلاة، لمكان ما

---

(1) سورة النحل: آية 127
. (2) سورة آل عمران: آية 200.
(3) سورة البقرة: آية 155
. (4) سورة لقمان آية 17.

فيها من تلاوة القرآن و الدعاء و الخضوع للَّه تعالى، و الإخبات. فان فى ذلک معونة على ما تنازع اليه النفس من حب الرياسة و الانفة من الانقياد الى الطاعة.

و الضمير فى قوله: «وَ إِنَّها لَكَبِيرَةٌ» عائد على الصلاة عند أكثر المفسرين.

و قال قوم: عائد الى الاجابة للنبى (عليه السلام) و هذا ضعيف، لأنه لم يجر للاجابة ذكر و لا هى معلومة، إلا بدليل غامض. و ليس ذلک كقوله «إِنَّا أَنْزَلْناهُ» لأن ذلک معلوم ورد الضمير على واحد، و قد تقدم ذكر شيئين فيه قولان: أحدهما:

- انها راجعة الى الصلاة دون غيرها على ظاهر الكلام، لقربها منه و لأنها الأهم و الأفضل و لتأكيد حالها و تفخيم شأنها و عموم فرضها. و الآخر- إن يكون المراد الاثنين و ان كان اللفظ واحداً كقوله: (وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ) «1» قال الشاعر:

اما الوسامة او حسن النساء فقد أوتيت منه أو انّ العقل محتنک «2»

و قال البرجمى:

فمن يک امسى بالمدينة رحله فانى و قيار بها لغريب «3»

و قال ابن احمد:

رمانى بأمر كنت منه و والدى برياً و من طول الطوى رمانى «4»

و قال آخر:

نحن بما عندنا و انت بما عندک راض و الرأی مختلف «5»
و قوله «وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً اْنْفَضُّوا إِلَيْها». قال قوم: اللفظ واحد و المراد به اثنان. و قال الفرّاء: راجع الى التجارة لأن تجارةً جاءت فضربوا بالطبل فانصرف الناس اليها.
و الاستعانة فى الآية المأمور بها على ما تنازع اليه نفوسهم من حب الرياسة و غلبة الشهوة للذة العاجلة و الاستعانة بالصبر على المشقة بطاعة اللّه. و معنى (الكبيرة) هاهنا أى ثقيلة- عند الحسن و الضحاک. و أصل ذلک ما يكبر و يثقل على الإنسان

---

(1) سورة التوبة: آية 63
. (2) احتنک الشىء: استولى عليه. [.....]
(3) و روى (و قياراً)
. (4) مر لقول و هذا البيت
. (5) فى هذين البيتين 1: 172
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 204
حمله، كالأحمال الجافية التى يشق حملها، فقيل لما يصعب على النفس، و ان لم يكن من جهة الحمل- يكبر عليها. تشبيهاً بذلک.
و قوله: «إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ»

فالخشوع، و الخضوع، و التذلل، و الإخبات، نظائر. و ضد الخضوع: الاستكبار. يقال: خشع خشوعاً. و تخشع تخشعاً. قال صاحب العين: خشع الرجل يخشع خشوعاً: إذا رمى بصره الأرض. و اختشع: إذا طأطأ رأسه كالمتواضع. و الخشوع قريب المعنى من الخضوع، إلا أن الخضوع فى البدن، و الإقرار بالاستخدام «1». و الخشوع فى الصوت و البصر. قال اللّه تعالى: «خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ» و «خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ» «2». أى سكنت. و أصل الباب: من اللين و السهولة من قولهم: نقاً خاشعاً: للأرض التى غلبت عليها السهولة.

و الخاشع: الأرض التى لا يهتدى إليها بسهولة، لمحو الرياح آثارها. و الخاشع، و المتواضع، و المتذلل، و المسكين، بمعنى واحد قال الشاعر:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة و الجبال الخشع «3»

و خاشع: صفة مدح، لقوله: «وَ الْخاشِعِينَ وَ الْخاشِعاتِ» و إنما خص الخاشع بأنها لا تكبر عليه، لأن الخاشع قد تواطأ ذلک له، بالاعتياد له، و المعرفة بماله فيه، فقد صار بذلک بمنزلة ما لا يشق عليه فعله، و لا يثقل تناوله و قال الربيع بن أنس: «الخاشعين» فى الآية: الخائفون.

---

(1) و فى نسخة: (الاستحياء)

. (2) سورة طه آية: 108.

(3) البيت لجرير، الديوان ص: 345. استشهد به سيبويه على ان تاء التأنيث جاءت للفعل لما أضاف (سور) الى المدينة و هى مؤنث، و هو بعض منها.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 46] ..... ص : 205

اشارة

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ (46)
آية بلا خلاف.
ان قيل كيف اخبر اللَّه عمن وصفه بالخشوع بالطاعة، و مدحهم بذلک بأنهم يظنون بأنهم ملاقوا ربهم. و ذلک مناف لصفة المدح؟ قلنا: الظن المذكور فى الآية المراد به العلم و اليقين. قال دريد بن الصمة:
فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج سراتهم فى الفارسىّ المسرّد
و قال عمير بن طارق:
بان تغتزوا قومى و اقعد فيكم و اجعل منى الظن غيباً مرجماً «1»
و قال ابو داود «2»:
ربّ هم فرجته بعزيم و غيوب كشفتها بظنون
و قال المبرد: ليس من كلام العرب: أظن عند زيد مالًا، يريد: أعلم لأن العلم المشاهد لا يناسب باب الظن. و قد أفصح فى ذلک أوس بن حجر فى قوله:
الألمعى الذى يظن بک الظن كأن قد رأى و قد سمعا
و قال آخر:
فالّا يأتكم خبر يقين فان الظن ينقص او يزبد
و قال بعض الشيوخ: اصل الظن ما يجول فى النفس من الخاطر الذى يغلب على القلب، كأنه حديث النفس بالشىء، و تأول جميع ما فى القرآن من معنى العلم على هذا. و قال الحسن و ابو الغالية و مجاهد و ابن جريح: يظنون، أى يوقنون.
و مثله: «ظَنَنْتُ أَنِّى مُلاقٍ حِسابِيَهْ» «3» أى علمت و مثله: «وَ ظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ» «4»، و معناه استيقنوا. و قوله

---

(1) فى الايرانية بدل: (بأن تغتزوا) (فان تغتروا) و بدل (غيبا) (عينا)، البيت فى نقائض جرير و الفرزدق- و روايته. (و أجلس فيكم) و (و أجعل علمى ظن غيب مرجما).
(2) فى الايرانية: (الذواد).
(3) سورة الحاقة: آية 20
. (4) سورة التوبة آية: 119.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 206
«وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها» «1»، يعنى: علموا. و قد جاء فى القرآن الظن بمعنى الشک كقوله: «إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» «2» و قوله: «إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً» «3» و قال قوم: يحتمل قوله

«یظنون» وجهاَ آخراَ، و هو انهم یظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لشدة إشفاقهم من الاقامة على معصیة اللّه، و هذا وجه ملیح، و قد استبعده الرمانى و قال: لأن فیه حذوفا کثیرة، و لیس بمنکر إذا کان الکلام محتملاً له. و قیل أیضاً: الذین یظنون انقضاء أجلهم و سرعة موتهم فیکونون ابداً على حذر و وجل، کما یقال لمن مات: لقى اللّه. و الظن و الشک و التجویز نظائر، إلا ان الظن فیه قوة على أحد الأمرین دون الآخر، وحده ما قوى عند الظان کون المظنون على ما ظنه مع تجویزه ان یکون خلافه. فبالتجویز ینفصل من العلم، و بالقوة ینفصل من الشک و التقلید و غیر ذلک. و ضد الظن الیقین و یقال ظن ظنا و تظنن تظننا. و قال: «وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَیْنا لا یُرْجَعُونَ» «4». و قوله: «وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ» «5» و الظنین المتهم، و مصدره الظنة و الظنون الرجل السىء الظن بکل احد، و الظنون القلیل الخیر، و التظنى و التظنن بمعنى واحد. و الظنون البئر التى یظن ان بها ماء و لا یکون فیها شىء، و مظنة الرجل و مظانه حیث یألفه فیکون فیه.
و معنى قوله «أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ» اى ملاقوا جزاء ربهم، فجعل ملاقاة الجزاء ملاقاة له تفخیما و تعظیماً لشأن الجزاء. و أصل الملاقاة الملاصقة، من قولک التقى الحدان اى تلاصقا، ثم کثر حتى قالوا التقى الفارسان إذا تحاذیا و لم یتلاصقا.
و مثل ما قلنا فى قوله «مُلاقُوا رَبِّهِمْ» قوله تعالى: «فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِی قُلُوبِهِمْ إِلى یَوْمِ یَلْقَوْنَهُ» «6» معناه یوم یلقون جزاءه، لأن المنافقین لا یرون اللّه عند احد من اهل الصلاة، و کذلک قوله «وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ قالَ أَ لَیْسَ هذا بِالْحَقِّ

---

(1) سورة الکهف: آیة 54
. (2) سورة الجاثیة آیة: 23.
(3) سورة یونس آیة: 36
. (4) سورة القصص آیة 39. [.....]
(5) سورة الفتح آیة: 12
. (6) سورة التوبة آیة: 78.
التبیان فى تفسیر القرآن، ج1، ص: 207
قالُوا بَلى وَ رَبِّنا قالَ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ» «1» معناه إذ وقفوا على جزاء ربهم، لأن الکفار لا یرون اللّه عند احد من الأمة.
فان قیل: ما معنى الرجوع هاهنا و هم ما کانوا قط فى الآخرة فیعودوا إلیها؟
قیل: راجعون بالاعادة فى الآخرة- فى قول أبى الغالیة- و قیل: یرجعون بالموت کما کانوا فى الحال المتقدمة، لأنهم کانوا أمواتاً،، ثم أحیوا، ثم یموتون، فیرجعون أمواتاً کما کانوا: و الأول اظهر و أقوى، و قیل: ان معناه:

انهم راجعون الى ان لا يملک أحدهم ضرا و لا نفعاً غيره تعالى كما كانوا فى بد و الخلق، لأنهم فى ايام حياتهم قد يملک الحكم عليهم غيرهم، و التدبير لنفعهم و ضرهم بين ذلک قوله: (مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) و معنى ذلک انهم يقرون بالنشأة الاخرة فجعل رجوعهم بعد الموت اَلى المَحشر رجوعا اليه.

و أصل الرجوع العود الى الحال الاول. يقال رجع الرجل و رجعته و هو احد ما جاء على فعل و فعلة و يحتمل ان يكون المراد أنهم اليه صائرون. كما يقول القائل: رجع الأمر الى فلان و ان كان قط لم يكن له. و معناه صار اليه: و حذفت النون من «ملاقوا ربهم» عند البصريين تخفيفاً و المعنى على إثباتها، و مثله قوله: «إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ» «2» «كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ» «3» قال الشاعر:

هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب أخا عون بن مخراق «4»

و لو أردت معنى الماضى لتعرف الاسم بالاضافة، لم يجز فيه اظهار النون البتة. و إذا كان الفعل غير واقع كان اثبات النون هو الوجه دون الاضافة. فلو قيل

---

(1) سورة آل عمران آية: 106 و سورة الانعام آية: 30 و الأعراف: آية 48. و الأنفال آية: 35 و الأحقاف آية 34.

(2) سورة القمر آية 37

. (3) سورة آل عمران آية: 185. و سورة الأنبياء آية: 35 و سورة العنكبوت آية 57.

(4) سيبويه. قال صاحب الخزانة: البيت من أبيات سيبويه التى لم يعرف قائلها. و قيل هو لبر بن رألان السنبسى. و قيل هو لجرير. و قيل لتأيط شرا. دينار و عبد رب: رجلان.

ملاقون كان صواباً. قال الأخفش: و جرى حذف النون هاهنا للاستثقال كما قال الشاعر فى قوله:

فان الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد «1»

فاسقط النون من الذين استثقالا و قال الأخطل:

أ بنى كليب ان عمّى اللذا قتلا الملوک و فككا الاغلالا

فاسقط النون. و قال الكوفيون: إذا حذف النون فاللفظ الاسم و إذا اثبت و ظهر النصب فالمعنى الفعل. قال الزجاج: و يجوز كسر الهمزة من قولهم: انهم اليه راجعون، لكن لم يقرأ به أحد على معنى الابتداء و لا يجوز كسر الأولى لأن الظن وقع عليها.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 47] ..... ص : 208

اشارة

يا بَنِی إِسْرائِیلَ اذْکُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ وَ أَنِّی فَضَّلْتُکُمْ عَلَی الْعالَمِینَ (47)

قد مضى تفسير مثل هذا فى ما تقدم فلا وجه لإعادته. و أما قوله: «وَ أَنِّی فَضَّلْتُكُمْ عَلَی الْعالَمِينَ» ذكرهم اللّه تعالى من الآية و نعمه عندهم بقوله: «وَ أَنِّی فَضَّلْتُكُمْ عَلَی الْعالَمِينَ» فضلت اسلافكم، فنسب النعمة الى آبائهم و أسلافهم، لأنها نعمة عليهم منه، لأن مآثر الآباء مآثر الأبناء، و النعم عند الاباء نعم عند الأبناء لكون الأبناء من الآباء. و قوله «فَضَّلْتُكُمْ».

فالتفضيل، و الترجيح، و التزييد، نظائر. و التفضيل نقيضه: التسوية. يقال: فضله و تنقصه على وجهة النقص و نقيض التزييد: التنقيص. يقال: فضل فضلا

---

(1) البيت للأشهب بن رميلة. سيبويه 1: 96 و البيان 4: 55 و فلج واد بين البصرة و حمى ضربة. و مر هذا البيت ايضاً فى 1: 86.

و أفضل إفضالا. و تفضل تفضلا و استفضل استفضالا. و تفاضلوا تفاضلا و فاضله مفاضلة.

و فضله تفضيلا. و المفضال: اسم المفاضلة. و الفضيلة: الدرجة الرفيعة فى الفضل. و التفضل:

التوشح. و رجل فضل: متفضل. و امرأة متفضلة، و عليها ثوب فضل: إذا خالفت بين طرفيه على عاتقها فتتوشح به قال الشاعر:

(إذا تغرد فيه القينة الفضل).

و أفضل فلان على فلان: إذا أناله من خيره و فضله. و احسن اليه. و أفضل فلان من الطعام و الأرض و الخبز: إذا ترک منه شيئاً.

لغة أهل الحجاز: فضل يفضل و رجل مفضال: كثير المعروف و الخير. و الفضائل:

واحدها فضيلة. و هى المحاسن. و الفواضل: الأيادى الجميلة. و ثوب المفضل: ثوب تخفف به المرأة فى بيتها و الجمع مفاضل. و امرأة مفضل: إذا كان عليها مفضل. و اصل الباب: الزيادة. و الإفضال، و الإحسان، و الانعام نظائر. و يقال فضله: إذا أعطاه الزيادة و فضله إذا حكم له بالزيادة.

فان قيل لم كرر قوله: «يا بَنِى إِسْرائِيلَ»؟ قلنا: لأنه لما كانت نعم اللّه هى الأصل فيما يجب فيه شكره و عبادته، احتيج الى تأكيدها. كما يقول القائل: اذهب اذهب: اعجل اعجل و غير ذلک فى الأمر المهم، و ايضاً فان التذكير الأول ورد مجملا، و جاء الثانى مفصلا، كأنه قال اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم فيما أنتم عليه من المنافع التى تتصرفون فيها و تتمتعون بها، و إنى فضلتكم على العالمين.

و دل هذا على قوله: «وَ أَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ» لأنها احدى الخصال التى ذكروا بها و جاءت عاطفة فدلت على خصلة قبلها: اما مذكورة او مقدرة. و إنما فضلوا بما أرسل اللّه فيهم من كثرة الرسل و انزل عليهم من الكتب: و قيل: بكثرة من جعل فيهم من الأنبياء، و ما انزل اللّه عليهم من المن و السلوى الى غير ذلک من النعمة العظيمة من تغريق فرعون

عدوهم، و نجاتهم من عذابه، و تكثير الآيات التى يخف معها الاستدلال، و يسهل بها كثرة المشاق. و هو قول اكثر أهل العلم كابى الغالية، و غيره. و نظير هذه الآية قوله «وَ إِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ» (وَ إِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْناكُمْ وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ).

و قوله «عَلَى الْعالَمِينَ»

قال أكثر المفسرين: انه أراد الخصوص و معناه عالمى زمانهم. ذهب اليه قتادة و الحسن و ابو الغالية و مجاهد و غيرهم. و قال بعضهم: إذا قلت فضل زيد على عمرو فى الشجاعة لم يدل على انه أفضل منه على الإطلاق، و لا في جميع الخصال فعلى هذا يكون التخصيص فى التفضيل لا في العالمين. وأمة نبينا محمد «ص» أفضل من أولئک بقوله:
«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» «1» و عليه اجماع الامة، لأنهم اجمعوا على ان أمة محمد (ص) أفضل من سائر الأمم كما ان محمداً (ص) أفضل الأنبياء من ولد آدم (ع).

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 48] ..... ص : 210

اشارة

وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ وَ لا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ (48)
آية واحدة بلا خلاف.
قرأ ابن كثير و أهل البصرة (لا يقبل منها بالياء) الباقون بالتاء.

موضع «لا تجزى» نصب لأنه صفة يوم. و العائد عند الكسائى لا يكون إلا هاء محذوفة من تجزيه و قال بعضهم: لا يجوز إلا فيه: و قال سيبويه و الأخفش و الزجاج: يجوز الأمران.

قال ابو على المعنى فى قوله «لا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ» فمن ذهب الى ان (فيه) محذوفة من قوله «وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى»، جعل (فيه) بعد قوله «و لا يقبل» و من

---

(1) سورة آل عمران آية 110.

ذهب الى انه حذف الجار، و أوصل الفعل الى المفعول، ثم حذف الراجع من الصفة كما يحذف من الصلة، كان مذهبه فى قوله: لا يقبل ايضاً مثله و حذف الهاء من الصفة يحسن كما يحسن حذفها من الصلة ألا ترى ان الفعل لا يتسلط بحذف المفعول منه على الموصوف كما لا يتسلط بذلک على الموصول؟ و مما حذف منه الراجع الى الصفة قوله:

و ما شىء حميت بمستباح

و من الحذف قوله:

تروّحى أجدر أن تقيلى غدا بجنبى بارد ظليل

المعنى: تأتى مكانا أجدر أن تقيلى فيه فحذف الجار و وصل الفعل ثم حذف الضمير: و نظير الآية قول الراجز:

قد صبحت صبيحها السلام بكبدٍ خالطها السنام

فى ساعة يحبها الطعام «1»

أى تحب الطعام فيها.

و المجازاة و المكافأة و المقابلة نظائر. يقال: جزى يجزى جزاء، و جازاه مجازاة، و تجازوا تجازيا: قال صاحب العين: المجازاة: المكافأة بالإحسان احساناً و بالاساءة اساءة و فلان: ذو جزاء و ذو غناء و تقول هذا الشىء يجزئ عن هذا بهمز و تليين و فى لغة يجزى أى يكفى و اصل الباب مقابلة الشىء بالشىء.

و معنى قوله «لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً» «2» أى لا تقابل مكروهها بشىء يدرأه عنها. قالَ اللَّه تعالى: «هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» «3» و قال: اليوم تجزى «كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ» «4» و الفرق بين المقابلة و المجازاة ان المقابلة قد تكون للمساواة فقط كمقابلة الكتاب بالكتاب و المجازاة تكون فى الشر بالشر و الخير بالخير. و معنى

---

(1) صبح القوم سقاهم الصبوح و هو ما يشرب صباحاً من خمر أو لبن
. (2) سورة البقرة آية 48- و 123
. (3) سورة النمل آية 90
. (4) سورة المؤمن آية 17.

قوله «لا تَجْزِى» أى لا تغنى و هو قول السدى كما تقول: البقرة تجزى عن سبعة و هى لغة أهل الحجاز. و بنو تميم تجزئ بالهمزة من أجزأه: و الأول من جزت و قال الأخفش لا تجزى منها أى لا يكون مكانها بدلا منها و أنكر عليهم ذلك لقوله: (شيئاً).

و جعل الأخفش لا تجزى منها (شيئاً) فى موضع المصدر كأنه يقول لا تجزى جزاء و لا تغنى غناء قال الرمانى و الأقرب ان تكون (شيئاً) فى موضع حقاً كأنه قبل لا يؤدى عنها حقا وجب عليها. و قال بعضهم (لا تجزى) بمعنى لا تقضى.

و قبول الشىء تلقيه و الأخذ به و ضده الاعراض عنه و من ثم قيل لتجاه القبلة قبالة. و قالوا: أقبلت المكواة الداء أى جعلتها قبالته و يجوز ان يكون المخاطبون بذلك اليهود، لأنهم زعموا ان اباءهم الأنبياء و تشفع لهم و اويسوا بقوله «قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ» و بقوله: «لا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ» و القبول و الانقياد و الطاعة و الاجابة نظائر و نقيضها الامتناع يقال قبل قبولا، و أقبل إقبالا، و قابله مقابلة و تقابلوا تقابلا، و استقبله استقبالا، و تقبل تقبالا، و قبله تقبيلا و قبل نقيض بعد و القبل خلاف الدبر و القبل إقبالك على الشىء كأنك لا تريد غيره و القبل الطاقة تقول لا قبل لى أى لا طاقة لى. و منه قوله: (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها «1») و القبل التلقاء تقول لقيته قبلا أى مواجهة و أصبت هذا من قبله أى من تلقائه أى من لدنه و من عنده و قوله: «وَ حَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا» «2» أى قبلا و فسر بعضهم عيانا، و كل جيل من الناس و الجن و القبيلة من قبائل العرب معروفة و الكرة يقال لها قبائل. و كل قطعة من الجلد قبيلة. و قبيلة الرأس كل فلقة قد قوبلت بالأخرى و كذلك قبائل العرب و القبال: زمام البغل. يقال: بغل

مقبولة و مقبلة. و القبل رأس كل شىء مثل الجبل و الاكمة و كثب الرمل. و قبالة كل شىء. ما كان مستقبله و من الجيران مقابل و مدابر. و شاة مقابلة: إذا قطعت من اذنها قطعة و تركت معلقة من مقدم، و ان كانت من خلف فهى مدابرة و إذا ضممت شيئاً الى شىء قلت قابلته و القابلة هى الليلة: المقبلة. و كذلک العام القابل و المقبل. و القابلة: التى تقبل الولد

---

(1) سورة النمل آية 37.
(2) سورة الانعام آية 111. [.....]

و القبول من الريح: الصبا لأنها تستقبل الدبور، و هى تستقبل القبلة من المشرق و القبول: ان تقبل العفو و غير ذلک. و هو اسم المصدر و أميت الفعل منه و القبول الاسم. تقول: أفعل هذا من ذى قبل أى من ذى استقبال. و القبلة معروفة و الفعل منه التقبيل. و القبلة قبلة الصلاة و التقبل تقبل الشىء تقول: تقبل اللّه منک و عنک عملک. و تقول: تقبلت فلانا من فلان بقبول حسن و رجل مقابل فى كرم و فى شرف من قبل أعمامه و أخواله. و رجل مقبل الشاب لم ير فيه اثر من الكبر. و القبيل و الدبير: فى الحبل فالقبيل القتل الاول الذى عليه العمامة، و الدبير الفتل الاخر و بعضهم يقول القبيل فى قوى الحبل كل قوة علي وجهها الداخل قبيل و الوجه الخارج: دبير و قد قرئ قبلا و قبلا فمن قرأ قبلًا أراد جمع قبيل و من قرأ قَبلا أراد مقابلة و القبيل و الكفيل واحد و قبيل القوم عريفهم. و الباب المقابلة خلاف المدابرة.
و أما الشفاعة فهى مأخوذة من الشفع الذى هو خلاف الوتر فكأنه سؤال من الشفيع. شفع: سؤال المشفوع له و الشفاعة، و الوسيلة و القربة و الوصلة نظائر.
و يقال شفع شفاعة و تشفع تشفعاً، و استشفع استشفاعاً، و شفعه تشفيعاً و الشفع من العدد: ما كان أزواجا تقول كان وتراً فشفعته باخر حتى صار شفعاً و منه قوله:
«وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ» «1» قال الشفع: يوم النحر. و الوتر: يوم عرفه. و قال بعض المفسرين:
الشفع: الحفاء يعنى كثرة الخلق و الوتر اللَّه و الشافع: الطالب لغيره و الاسم الشفاعة و الطالب: الشفيع و الشافع و الشفعة فى الدار معروفة. و تقول فلان يشفع إلىّ بالعداوة أى يعين علىّ و يعادينى و تقول شفعت الرجل: إذا صرت ثانيه و شفعت له: إذا كنت له شافعا. و انما سميت شفعة الدار، لأن صاحبها يشفع ماله بها، و يضمها الى ملكه و اصل الباب: الزوج من العدد: و قوله «وَ لا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ» مخصوص عندنا بالكفار، لأن حقيقة الشفاعة عندنا ان يكون فى إسقاط المضار دون زيادة المنافع.

و المؤمنون عندنا يشفع لهم النبى (ص) فيشفعه اللّه تعالى، و يسقط بها العقاب عن المستحقين من أهل الصلوة
لما روى من قوله (ع): ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر

---

(1) سورة الفجر آية 3.

من امتى
: و انما قلنا لا تكون فى زيادة المنافع، لأنها لو استعملت فى ذلک، لكان أحدنا شافعاً فى النبى (ص) إذا سأل اللّه ان يزيده فى كراماته و ذلک خلاف الإجماع فعلم بذلک ان الشفاعة مختصة بما قلناه و علم بثبوت الشفاعة ان النفى فى الآية يختص بالكفار دون أهل القبلة. و الآيات الباقيات «1» نتكلم عليها إذا انتهينا اليها ان شاء اللّه.
و الشفاعة ثبت عندنا للنبى (ص) و كثير من أصحابه و لجميع الأئمة المعصومين و كثير من المؤمنين الصالحين. و قيل ان نفى الشفاعة فى هذه الآية يختص باليهود من بنى إسرائيل، لأنهم ادعوا انهم أبناء اللّه و احباؤه و أولاد أنبيائه، و ان اباءهم يشفعون اليه فايسهم اللّه من ذلک، فاخرج الكلام مخرج العموم. و المراد به الخصوص. و لا بد من تخصيص الآية لكل احد، لأن المعتزلة و القائلين بالوعيد يثبتون شفاعة مقبولة- و ان قالوا انها فى زيادة المنافع- و اصل الشفاعة ان يشفع الواحد للواحد فيصير شفعا. و منه الشفيع لأنه يصل جناح الطالب و يصير ثانياً له. و الذى يدل على ان الشفاعة فى إسقاط الضرر قول شاعر غطفان أنشده المبرد:
و قالوا ا تعلم ان مالک ان تصب يفدک و ان يحبس بديل و يشفع «2»
و استعملت فى زيادة المنافع ايضاً- و ان كان مجازاً لما مضى- قال الحطيئة فى طلب الخير:
و ذاک امرؤ ان تأته فى صنيعة الى ماله لم تأته بشفيع
و قد استعملت الشفاعة بمعنى المعاونة انشد بعضهم للنابغة:
أتاک امرؤ مستعلن لى بغصة له من عدو مثل مالک شافع
أى معين و قال الأحوص:
كأن من لامنى لا صرمها كانوا لليلى بلومهم شفعوا
أى تعاونوا.
قوله: «لا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ»

---

(1) فى المخطوطة (الباقية).
(2) يديل: يزول.

و العدل، و الحق، و الانصاف نظائر. و العدل: نقيض الجور يقال: عدلا عدل و اعتدل اعتدالا. و تعادل تعادلا و تعدلا. و عادله معادلة. و عدله تعديلا و العدل المرضى من الناس. يقع على الواحد و الجماعة و الذكر و الأنثى: فإذا قلت هم عدل قلت هما عدلان و العدل: الحكم بالحق يقال هو حكم عدل ذو معدلة فى حكمه و عدل الشىء نظيره و مثله تقول عدلت بفلان فلانا اعدله. و العادل المشرک الذى يعدل بربه و العدل ان يعدل الشىء عن وجهه فيميله تقول: عدلته عن كذا و عدلت انا عن الطريق و العديل الذى يعادلک فى المحمل أو نحوه ما كان. و سمعت العرب تقول: اللهم لا عدل لک أى لا مثل لک. و فى الكفارة (عدل ذلک) أى مثله فى العدل، لا بالنظير بعينه و العدل الفداء، لقوله: «لا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ» و قيل ايضاً: ان العدل: الفريضة و الصرف: النافلة و قوله «بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» «1» أى يشركون. و قيل لما يؤكل:
معتدل إذا لم يكن فيه ضرر من حر أو برد. و تقول عدلته أى أقمته حتى اعتدل و استقام و عدلت فلانا عن طريقه و الدابة عن طريقها: إذا عطفتها فانعدلت و انعدل «2» الطريق. و يقولون الطريق يعدل الى مكان كذا و كذا. فإذا أراد الاعوجاج نفسه قال: ينعدل فى مكان كذا و كذا أى ينعوج، و الاعتدال: الاستواء. فلان عدل حسن العدالة، و اصل الباب العدل الذى هو الاستقامة. و العدل المذكور فى الآية الفدية. روى ذلک عن النبى (ص) و هو قول ابن عباس و أبى الغالية. و قال قوم هو بدل و الفرق بين العِدل و العَدل ان العدل بالكسر المثل تقول عندى عدل جاريتک أى جارية مثلها. فإذا قلت عندى عَدل جاريتک يجوز ان يكون قيمتها من الثمن.
و من قرأ بالتاء فلأن الشفاعة مؤنثة و من ذكر قال: لأن التأنيث ليس بحقيقى و لأن الفعل تقدم على المؤنث فأشبه علامة التثنية و الجمع إذا تقدم الفعل سقط كذلک هاهنا.
و مثله قوله: «لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» و كقول الشاعر:

---

(1) سورة الانعام: آية 1. و سورة الانعام آية 150
(2) فى المطبوعة (العدل)

فلا مزنة و دقت و دقها و لا ارض ابقل ابقالها «1»
و التاء أجود، لأنه أصل. و الياء حسن.
قوله «وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ».

و النصر و المعونة و التقوية نظائر. و ضد النصر الخذلان. يقال: نصرته نصرا و انتصر انتصاراً. و استنصر استنصاراً. و تناصر تناصراً. قال صاحب العين: النصر عون المظلوم. و فى الحديث: انصر أخاك ظالماً و مظلوماً معناه ان كان مظلوماً فامنع منه الظلم. و ان كان ظالماً فامنعه من الظلم و انهه. و الأنصار: كالنصار و أنصار النبى (ص) أعوانه و انتصر فلان: إذا انتقم من ظالمه. و النصير الناصر. و التنصر الدخول فى النصرانية. و النصارى. منسوبون الى ناصرة، و هى موضع. و نصرت السماء إذا أمطرت. قال الشاعر:

إذا خرج الشهر الحرام فودعى بلاد تميم و انصرى ارض عامر

و نصرت الرجل: إذا أعطيته و انشد:

أبوك الذى اجدى علىّ بنصرة فاسكت عنى بعده كل قائل

و أصل الباب المعونة و النصرة قد تكون بالحجة و قد تكون بالغلبة فاللَّه (عز و جل) ينصر جميع المؤمنين بالحجة التى تؤيدهم. و اما النصر بالغلبة فبحسب المصلحة و لا يدل وقع الغلبة لبعض المؤمنين على انه مسخوط عليه كما انه ليس فى تخلية اللَّه بين الكفار و بين الأنبياء دلالة على حال منكرة. و قد قتل الكفار كثيراً من الأنبياء و نالوا منهم بضروب من الأذى قال اللَّه تعالى «ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ» «2» و قوله: ثم بغى عليه لينصره اللَّه معناه بالغلبة و اما ما يأخذ له بالحق من الباغى عليه، لينصر به من اللَّه للمبغى عليه واقعة لا محالة و الخذلان لا يكون الا للظالمين، لأن اللَّه تعالى لا يخذل أولياءه و اهل طاعته.

---

(1) مر هذا البيت: 1: 126

(2) سورة البقرة: آية 61

و قوله: «إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ» «1» أى بالمعونة التى توجب الغلبة، لأن اللّه تعالى يقدر على اعطائهم ما يغلبون به كل من نازعهم، و يستعلون على كل من ناوأهم. و حد النصرة: المعونة على كل من ظهرت منه عداوة، و قد تكون المعونة بالطاعة فلا تكون نصرة. و الفرق بين النصرة و التقوية ان التقوية قد تكون على صناعة و النصرة لا تكون الا مع منازعة. فاما قولهم: لا قبل اللَّه منهم صرفا و لا عدلا. فقال الحسن البصرى: الصرف: العمل. و العدل: الفدية. و قال الكلبى:

الصرف: الفدية و العدل: الفريضة و قال ابو عبيدة: الصرف: الحيلة. و

العدل:
الفدية. و قال ابو مسلم: الصرف: التوبة و العدل: الفداء

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 49] ..... ص : 217

اشارة

وَ إِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَ فِى ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49)
آية بلا خلاف هذه الآية عطف على ما تقدم من قوله «اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» ف (إذا) هاهنا متعلقة بذلک کأنه قال اذکروا نعمتی علیکم إذ نجیناکم من آل فرعون و نظیره «وَ إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً» «2» لما تقدم ما یدل علی (أرسلنا) و هو قوله:
«لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ» «3» فکأنه قال: و أرسلنا الی ثمود أخاهم صالحاً و الخطاب و ان کان متوجهاً الی الحاضرین فی الحال، فالمراد به من سلف لهم من الآباء. کما یقول القائل: هزمناکم یوم ذی قار، و قتلناکم یوم الفجار «4» و انما یعنی الاسلاف. قال الأخطل یهجو جریراً:
و لقد سما لکم الهذیل قتالکم بإراب حیث یقسَّم الانفالا «5»
و جریر لم یلحق هذیلا

---

(1) آل عمران: آیة 160
. (2) سورة الاعراف: آیة 72
. (3) سورة الاعراف آیة 58
. (4) فی المطبوعة و المخطوطة (الجفار)
. (5) دیوانه، و نقائض جریر و الأخطل، و الهذیل هذا هو ابن بهرة التغلبی غزا بنی یربوع بإراب (و هو ماء لبنی ریاح بن یربوع) و بنی تیم تفزع أولادها باسمه. و الانفال: الغنائم. و فی المطبوعة و المخطوطة (نفیتم) بدل یقسم.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج1، ص: 218
و لا أدرک إراب. و قد بینا ان النعمة علی الآباء نعمة علی الأولاد، فلا وجه لأعادته.

و معنى «نَجَّيْناكُمْ» فالنجاة، و السلامة، و الإسعاد، و التخلص نظائر. و ضد النجاة الهلاک تقول: نجا ينجو نجاة. و أنجاه اللّه: إنجاء و نجاه تنجية. و انتجوا انتجاء و استنجى استنجاء، و تناجوا تناجياً. قال صاحب العين: نجا ينجو نجاة فى السرعة فهو ناج: اى. سريع و ناقة ناجية اى سريعة و تقول نجوت فلاناً اى استنكهته قال الشاعر:

نجوت مجالدا فوجدت منه كريح الكلب مات حديث عهد

و نجا بنو فلان إذا أحدثوا ذنباً او غيره، و الاستنجاء: التنظيف بمدر أو ماء. و النجاة هى النجوة من الأرض و هى التى لا يعلوها السيل. قال الشاعر:

فمن بنجوته كمن بعقوته و المستكن كمن يمشى بقرواح

و النجو: السحاب أول ما ينشأ و جمعه نجاء. و النجوة: ما خرج من البطن من ريح و غيرها. و النجو: استطلاق البطن يقال: نجا فلان نجوا و النجو: كلام بين اثنين كالسر و السار. تقول ناجيتهم فتناجوا بينهم، و كذلک انتجوا و هم جميعاً نجوى و كلامهم نجوى، و فلان نجّى فلان اى يناجيه دون غيره، قال الشاعر:

إنى إذا ما القوم كانوا انجيه و اضطرب القوم اضطراب الأرشية

و النجا: ما ألقيته عن نفسک من ثياب او سلخته عن الشاة. تقول:

نجوت الجلد انجوه نجا إذا كشطته و نجوت العود اى اقتضبته و قال بعض المفسرين فى قوله: «فَالْيَوْمَ نُنَجِّيکَ بِبَدَنِکَ» «1» أى نلقيک على نجوة. و أصل الباب:

النجوة و هى الارتفاع. و الفرق بين النجاة و بين التخلص ان التخلص قد يكون من تعقيد ليس بأذى و ليس كذلک النجاة، لأنها لا تكون الا من مكروه و كل نجاة: نعمة و لا يقال: لمن لا خوف عليه نجا، لأنه لا يكون ناجياً الا مما يخاف مثله.

---

(1) سورة يونس آية: 92.

التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 219

قوله «مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ» فالآل، و الأهل، و القرابة، نظائر، و قيل اصل الآل الأهل، لأنه يصغر اهيل: و حكى الكسائى: اويل فزعموا انها أبدلت. كما قالوا:

أيهات و هيهات. و كما قالوا ماء و أصلها ماه بدليل قولهم مويه فى التصغير. و فى الجمع:

أمواه و مياه. و قيل: لا بل أصل على حياله: و الفرق بين الآل و الأهل ان الأهل أعم منه يقال أهل الكوفة و لا يقال آل الكوفة. و يقال أهل البلد و لا

يقال آل البلد.
و آل فرعون: قومه و اتباعه و قال صاحب العين: الآل كل شىء يؤول الى شىء:
إذا رجع اليه تقول: طبخت العصير حتى آل الى كذا. و اولى كلمة وعيد على وزن فعلى و الآل: السراب و آل الرجل: قرابته و اهل بيته. و آل البعير: ألواحه، و ما أشرف من أقطار جسمه. و آل الخيمة عمدها. و الآلة: شدة من شدائد الدهر قالت الخنساء:
سأحمل نفسى على آلة اما عليها و إمّا لها
و آل الجبل: أطرافه. و نواحيه، و قال ابن دريد آل كل شىء: شخصه.
و آل الرجل: اهله. و قراباته. قال الشاعر:
و لا تبک میتا بعد میت اجنه علىّ و عباس و آل أبى بكر
و الآلة: الحربة. و أصل الباب: الأول. و هو الرجوع. قال ابو عبيدة:
سمعت أعرابياً فصيحاً يقول أهل مكة آل اللّه: فقلنا: ما تعنى بذلک؟ قال: أ ليسوا مسلمين، و المسلمون آل اللّه؟ قال و قال: ليس يجوز ان ينصب رجلا من المسلمين.
فيقول آل فلان. و انما يجوز ذلک للرئيس المتبع. و فى شبه مكة لأنها ام القرى.
و مثل فرعون فى الضلال و اتباع قومه له فان جاوزت هذا فان آل الرجل اهل بيته خاصة فقلنا له: ا فيقول لقبيلته «1» آل فلان. قال: لا إلا أهل بيته خاصة.
و فرعون اسم لملوک العمالقة كما قيل: قيصر لملک الروم. و كسرى: لملک الفرس. و خاقان: لملک الترک. و الاخشاذ: لملک الفراعنة و تبع: لملک التبابعة فهو على هذا بمعنى الصفة، لأنه يفيد فيه انه ملک العمالقة بنفس الصفة الجارية عليه و على غيره

---

(1) فى المطبوعة و المخطوطة: (فقلت له فتقول للقبيلة). [.....]

و قيل: ان اسم فرعون مصعب بن الريان، و قال محمد ابن إسحاق: هو الوليد بن مصعب.
و معنى قوله: «يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ» اى يولونكم سوء العذاب.

يقال سامه خطة خسفاً: إذا أولاه ذلک. قال الشاعر:
ان سيم خسفاً وجهه تربدا «1»
. و قيل يجشمونكم سوء العذاب. و السوم، و التجشم، و التجمل، نظائر.
يقال: سامه الشقة و جسّمه إياها و حمّله إياها بمعنى [واحد]. يقال: سام، يسوم، سوما. و ساومه، و استامه، استياما. و تساوموا تساوماً. و سوم تسويماً. و السوم سومک سلعة و منه المساومة و الاستيام. و السوم من سير الإبل. و هبوب الرياح إذا كان مستمراً فى سكون. يقال: سامت الرياح. و سامت الإبل و هى تسوم سوما و السوام هى الغنم السائمة. و اكثر ما يقال ذلک فى الإبل خاصة، و السائمة تسوم الكلأ سوما: إذا داومت رعيه. و الراعى يسيمها و المسيم الراعى. و السويم:
العلامة على الجبل يقال: سوم فلان فرسه: إذا اعلم عليه بحريرة او شىء يعرف به و السما: فى الأصل ياء و هاء و واو و هى العلامة التى يعرف بها الخير و الشر فى الإنسان و منه قوله: «سِيماهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ» «2» «و تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ» «3» و قوله: «يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ» «4» و يقال سيماء الخير وسمت فلانا سوء العذاب من المشقة.
و قال ابن دريد سام الرجل ماشيته يسومها سوماً إذا وعاها فالماشية سائمة و الرجل مسيم و لم يقولوا سام خرج من القياس. و أصل الباب: السوم «5» الذى هو إرسال الإبل فى المرعى و قوله: (سُوءَ الْعَذابِ) (و اليم العذاب) (و شَدِيدُ الْعَذابِ) نظائر. يقال:
ساءه يسوءه و أساء اساءة. قال صاحب العين: السوء اسم العذاب الجامع للآفات

---

(1) الخسف: الظلم و الهوان. تربد وجهه: تلون من الغضب كأنما تسود منه مواضع.
(2) سورة الفتح آية: 29
. (3) سورة البقرة آية: 273.
(4) سورة الرحمن آية: 41
. (5) السوم ساقطة من المخطوطة. المطبوعة. هامش

و الداء تقول سؤت فلانا اسوءه مساءة و مسائية: و تقول أردت مساءتک و مسائتيک و اسأت اليه فى الصنع و استاء فلان من السوء. كقوله: اهتم من الهم و سؤت فلانا و سوأت له وجهه. و تقول لساء ما صنع و السىء و السيئة اسم الخطيئة و السوأى فعلى اسم للفعلة السيئة بمنزلة الحسنى و

امرأة سوء قبيحة و السوءة السوأى للفعلة القبيحة يقال للرجل السوء. و السوأة الفرج لقوله: «فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما» «1» و السوأة كل عمل يشين، تقول سوأة لفلان، تعيبه لأنه ليس بخير و السوأة السؤى: المرأة المخالفة، و تقول فى النكرة رجل سوء فإذا عرفته قلت: الرجل السوء لا تضيفه. و تقول عمل سوء و عمل السوء. و رجل صدق و لا تقول الرجل الصدق لأن الرجل ليس من الصدق. و كلما ذكر بسىء فهو السوء. و يكنى عن البرص بالسوء. كقوله:
«بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» «2». أى من غير برص. و تقول: الأخير فى قول السَّوء و لا فى قول السُّوء. فإذا فتحت السين فعلى ما وصفناه. و إذا ضممته فمعناه لا تقل سوء. و أصل الباب: السوء من قولك: ساء يسوء سوءً، ثم كثر حتى صار علماً على الضر القبيح، فقالوا أساء يسىء اساءة. نقيض احسن يحسن إحسانا.
و قوله: «يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ».

فالذبح، و النحر، و الشنق: نظائر و الذبح: فرى الأوداج: يقال ذبح ذبحا و استذبح استذباحا، و تذابحوا تذابحا. و ذبح تذبيحاً و أصل الذبح الشق و ذبحت المسک إذا فتقت عنه، فهو ذبيح و مذبوح و الذبح: الشىء المذبوح لقوله: «وَ فَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ» «3» و الذباح و الذبحة بفتح الباء و تسكينها، داء يصيب الإنسان فى حلقه.
و تقول العرب: حى اللّه هذه الذبحة. اى هذه الطلعة. و الذباح: الشقوق فى الرجل أصله: ذباح فى رجله. و الذبح نور أحمر. و سعد الذابح: كوكب معروف من

---

(1) سورة الاعراف آية: 21، و سورة طه آية: 121.
(2) سورة طه آية: 22، و سورة النمل آية: 12، و سورة القصص آية: 32.
(3) سورة الصافات آية: 107.

منازل القمر. قال صاحب العين: الذبح: قطع الحلقوم من باطن. و موضعه المذبح و المذبح السكين الذى يذبح به الذباح و الذباح. نبات من الشجر قال الأعشى: (انما قولک صاب و ذبح). و قال آخر: (كان عينى فيها الصاب مذبوح) «1» و أصل الباب الشق.
قوله: «يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ» إنما قال نساءكم و هم كانوا لا يستبقون الأطفال من البنات تغليباً، لأنهم كانوا يستبقون الصغار و الكبار كما يقال: أقبل الرجال و إن كان معهم صبيان، و قيل إن اسم النساء يقع على الكبار و الصغار، و قيل: انهم سمعوا بذلک على تقدير انهن يبقين حتى يصرن نساء. و المرأة و النساء و الزوجات، نظائر. و لا واحد للنساء من لفظه. و يقال: الرجال و النساء على وجه النقيض. قال صاحب العين: النسوة، و النسوان، و النسين، كل ذلک مثل النساء.
قوله: «وَ فِى ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» البلاء، و الإحسان، و النعمة، نظائر فى اللغة. و بلى، بلى بلىً فهو بال و البلاء لغة. قال الشاعر:
و المرء يبليه بلاء السربال تناكر الليالى و اختلاف الأحوال
و البلية الدابة التى كانت تشد فى الجاهلية عند قبر صاحبها رأسها فى الركبة حتى تموت. و منها ما يعقر عند القبر حتى يموت و ناقة بلو مثل نضو قد أبلاها السفر. و الفعل من البلية. ابتليت و تقول: بلى الإنسان و ابتلى. و البلاء على وجهين فى الخير و الشر. و اللّه تعالى يبلى العبد بلاء حسناً. و بلاء سيئاً. و أبليت فلاناً عذراً أى بليت فيما بينه و بينى بما لا لوم على بعده.
و البلوى: هى البلية، و البلوى التجربة.

تقول بلوته بلوى. و أصل الباب التجربة. و البلاء: الامتحان الذى فيه انعام. و البلاء: الامتحان الذى فيه انتقام، فإذا أردت الانعام، قلت: أبليته بلاء حسناً. و فى الاختيار: تقول بلوته بلاء. قال اللّه تعالى: (و نبلوكم بالخير و الشر فتنة) «2»

_____

(1) قاله ابو ذؤيب الهذلى. و صدر البيت (انى ارقت فبت الليل مشتجراً) و فى المحكم (مرتفقا) بدل (مشتجراً) و لعلهما روايتان. و الشتجر: الذى يضع يده تحت حنكه مذكر الشدة همه.- لسان العرب-.

(2) سورة الأنبياء آية 35.

و قال فى الانعام: «وَ لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً» قال زهير:

جزى اللّه بالإحسان ما فعلا بكم و ابلاهما خير البلاء الذى يبلو «1»

فجمع المعنين لأنه أراد: و أنعم عليهما خير النعم التى يختبر بها عباده، و قال الأحنف: البلاء ثم الثناء، يعنى الانعام، ثم الشكر،

و إنما كان فى استحياء النساء محنة عليهم. و بلوى لهم، لأنهم كثيراً يستعبدون، و ينكحن على الاسترقاق. فهو على رجالهن أعظم من قتلهن. و قيل:
إنهن كن يستبقين للاذلال، و الاستبقاء، محنة، كما ان من أحيى: للتعذيب فحياته نقمة. و من احيى للتلذيذ فحياته نعمة.
و الأبناء جمع ابن. و المحذوف من الابن عند الأخفش الواو، لأنها أثقل و هى بالحذف اولى. و قال الزجاج: يجوز أن يكون المحذوف ياء و واوا و هما سيان و لا حجة فى البنوة كما لا حجة فى الفتوة. لقولهم فتيان قال: و قد جاء حذف الياء.
كما فى يد. كقولهم يديت اليه يدا. و فى دم قال الشاعر:
فلو انا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين «2»
و القتل الذى هو فرى الأوداج، او نقض بنية الحياة يقدر الواحد منا عليه و أما الموت بتسكين الحركة الحيوانية، او فعل ضد الحيوة عند من قال: لها ضد، فلا يقدر عليه غير اللّه.

و موضع «يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ» يحتمل أمرين من الاعراب:- أحدهما الاستئناف: فيكون موضعه رفعاً، كأنه قال: يسومونكم من قبل ذلک سوء العذاب.

---

(1) سورة الانفال آية 17.
(2) ديوانه. و روايته (رأى اللّه ... فأبلاهما).

و الثانى:- أن يكون موضعه نصباً على الحال من آل فرعون. و العامل فيه نجيناكم.
«يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ» كان بذبح الأبناء و استحياء النساء. و قيل: باستعمالهم فى الاعمال الشاقة. و استحياء النساء كان بان يستبقين. و قيل انه كان يفتش احياء النساء عما يلدن، و قيل: انهم كانوا يستحيون ان يلجوا على النساء فى بيوتهن إذا انفردن عن الرجال صيانة لهم فعلى هذا يكون انعاما عليهن. و هذا بعيد من اقوال المفسرين. و السبب فى أن فرعون كان يذبح الأبناء و يستحيى النساء ما ذكره السدى و غيره، أن فرعون رأى فى منامه نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر. فأحرقت القبط و تركت بنى إسرائيل، و أخربت مصر فدعى السحرة و الكهنة و القافة. فسألهم عن رؤياه فقالوا: يخرج من هذا البلد الذى جاء بنو إسرائيل منه- يعنون بيت المقدس- رجل يكون على يده هلاک مصر.
فأمر بنى إسرائيل الا يولد لهم غلام إلا ذبحوه. و لا جارية الا تركت. و ليس فى الآية دلالة على سقوط القود عمن قتل غيره مكرها و لا القود على المكره و لا ان كان مختاراً غير مكره. فالقود عليه لأنه لم يجر لذلک ذكر: فان قيل إذا كانوا نجوهم و اللّه أنجاهم. ما المنكر أن يكون العاصى هو الذى عصى اللّه و اللّه خلق معصيته؟
قيل: لا يجب ذلک. الا ترى انه يقال قد ينجينى زيد فانجو. و ان لم يكن فعل بلا خلاف. و كذلک إذا استنقذنا النبى (ص) من الضلالة فخلصنا لا يجب ان يكون من فعل فعلنا. و اخبار اللّه اليهود بهذه القصة على لسان رسوله من دلائل نبوته، لأن منشأه معروف و بعده عن مخالطة الكتابيين معلوم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 50] ..... ص : 224

اشارة

وَ إِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْناكُمْ وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50)
موضع إذا نصب كما تقدم و هو عطف على ما مضى. فكأنه قال: و اذكروا إذ فرقنا بكم البحر: و ذلک من جملة نعم اللّه تعالى التى عددّها عليهم مما فعله التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 225
مع أسلافهم.
و معنى فرقنا بكم البحر أى فرقنا بين الماءين حتى مررتم فيه و كنتم فرقا بينهما.

و الفرق و الفصل و القطع نظائر: و الفرق يقتضى الجمع يقال فرق فرقا. و افرق المريض افراقا و افترق الشىء افتراقا. و استفرق استفراقا. و فرقه تفريقا. و تفارقوا تفارقا و تفرق تفرقا و فارقه مفارقة و انفرق انفراقا و الفرق موضع المفرق من الرأس و الفرق تفريق ما بين الشيئين و الفرق فرجک ما بين شيئين تفرق بينهما فرقا، حتى يتفرقا و يفترقا، و تقول تفارق هؤلاء الصبحة أى فارق بعضهم بعضاً، و افترقوا و تقول: مشطت الماشطة كذا و كذا فرقا. أى كذا و كذا ضربا. و الفرق طائفة من الناس. قال أعرابى لصبيان رآهم هؤلاء فرق سوء و الفرق: الطائفة من كل شىء، و من الماء، إذا انفرق بعضه عن بعض. و كل طائفة من ذلک فرق. و قوله: «فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ» «1» يعنى الفرق من الماء، و الفريق الطائفة من الناس. و الفرقة:
مصدر الافتراق. و هو احد ما خالف فيه مصادر افعل. و الفرقان: اسم للقرآن.
و كل كتاب انزل اللَّه و فرق به بين الحق و الباطل فهو فرقان. و سمى اللَّه تعالى التوراة فرقانا. و قوله: «يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ» «2» كان يوم بدر و يوم احد فرق اللَّه بين الحق و الباطل. و الفرق هو الفلق. و المفرق هو مكيال لأهل العراق و الفرق: الخوف. تقول: رجل فروقة و امرأة فروقة و الفعل فرق يفرق من كذا فرقا. و قوله: «وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ» «3»- مخفف- معناه أحكمناه كقوله: «فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» «4» و تقول: مفرق ما بين الطرفين. و افرق فلان من مرضه افراقا إذا برىء و لا يكون الافراق إلا من مرض لا يصيب الإنسان إلا دفعة واحدة: نحو الجدرى، و الحصبة، و ديک افرق: إذا انفرق عرفه. و تيس افرق: إذا تباعد طرفا قرنيه. و رجل فروقة و كذلک المرأة: مثل، نسابة و علّامة. و جاء مصدر فرقته

---

(1) سورة الشعراء: آية 64
. (2) سورة الانفال: آية 41 [.....]
. (3) سورة الاسراء آية 106
. (4) سورة الدخان: آية 4. و سورة الرحمن آية 19

تفرقة. و الفرق الذى جاء فى الحديث: ما أسكر الفرق. فالجرعة منه حرام، مكيال يعرف بالمدينة. و فرقة من الناس و جمعه فرق. و اصل الفرق الفصل بين الشيئين.

و الفريقة حلبة تطبخ بتمر للنفساء. و غيرها.
و البحر يسمى بحراً و هو انبساطه و سعته و يقال استبحر فلان فى العلم و تبحر لاستبحاره إذا اتسع فيه و تمكن منه «1». و يقال تبحر الراعى فى رعى كثير. قال امية الصغير:
أنفق نصابک فى نفل تبحره من الأباطح و احبسها بخلدان
و تبحر فلان فى الماء. و من ذلک بحيرة طبرية و هى عشرة أميال فى ستة أميال و قيل: هى علامة خروج الدجال إذا يبست، فلا يبقى منها قطرة ماء. و بحرت اذن الناقة بحراً إذا شققتها. و هى البحير و كانت العرب تفعل ذلک إذا أنتجت عشرة ابطن فلا تركب و لا ينتفع بظهرها. فنهى اللّٰه عن ذلک. و السائبة التى تسيب فلا ينتفع منها بظهر و لا لبن. و الوصيلة فى الغنم كانت إذا وضعت أنثى تركت و ان وضعت ذكراً أكله الرجال، دون النساء. و ان ماتت الأنثى الموضوعة اشتركوا فى أكلها، و ان ولد مع الميتة ذكر حى اتصلت به، كانت للرجال دون النساء.
و يسمونها وصيلة. و قد قيل غير ذلک سنذكره فى موضعه إن شاء اللَّه تعالى. و الباحر الأحمق الذى لبس فى حديثه إذا كلم بقى كالمبهوت. و بحرانى منسوب الى البحرين و دم بحرانى و باحر: إذا كان خالص الحمرة من دم الجوف. و العرب تسمى المالح و العذب بحراً إذا كثر و منه قوله: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ» «2» يعنى المالح و العذب و أصل الباب الاتساع. و البحر: هو المجرى الواسع الكثير الماء. و اما المالح: فهو الذى لا يرى حافتيه من فى وسطه، لعظمه و كثرة مائه. فدجلة بحر بالاضافة الى الساقية. و ليست بحراً بالاضافة الى جدة، و ما جرى مجراها.

و معنى قوله «فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ» أى جعلناكم بين فرقيه تمرون فى طريق يبس

_____

(1) فى المخطوطة و المطبوعة (فيه)
. (2) سورة طه: آية 77.

كما قال تعالى: «فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِى الْبَحْرِ يَبَساً» و قال: «فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ» «1» و قال بعضهم فى معنى فرقنا يعنى بين الماء و بينكم أى فصلنا بينكم و بينه حجزنا حيث مررتم فيه و هذا خلاف الظاهر، و خلاف ما بينه فى الآيات الاخر التى وردت مفسرة لذلک، و مبنية لما ليس فيه اختلاف.
و قوله:
«وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ»

قال صاحب العين: الغرق: الرسوب فى الماء و يشبه به الدين و البلوى و التغريق و التغويص و التغييب نظائر. و النجاة ضد الغرق كما انها ضد الهلاک. يقال غرق غرقا و أغرق فى الامر إغراقا. و غرقه تغريقا و تغرق تغرقا. و رجل غرق و غريق.
و غرقت السيل و اغرقته إذا بلغت به غاية المد فى النفوس. و الفرس إذا خالط، ثم سبقها:
يقال اغترقها. و الغرق من اللبن القليل. قال ابن دريد: غرق يغرق غرقا فى الماء.
و غرق فى الطيب، و المال. و أصله فى الماء. و كثر فاستعمل فى غيره. و كذلک غرق فى الذنوب. و أغرق فى الأمر يغرق إغراقا: إذا جاوز الحد فيه. و أصله من نزع السهم حتى يخرجه من كبد القوس. و اغرورقت عيناه: شرقت بدمعها. و جمع غريق: غرقى و اصل الباب الغرق: الرسوب فى الماء.
و قوله:
«وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» قال المفسرون: و أنتم ترون ذلک و تعاينونه.

و النظر و البصر و الرؤية نظائر فى اللغة. يقال نظر ينظر نظراً. و انظر ينظر انظاراً. و انتظر انتظاراً. و استنظر استنظاراً. و تناظر تناظراً. و ناظره. مناظرة.

---

(1) سورة الشعراء: آية 64.

قال صاحب العين: نظر ينظر نظراً- بتخفيف- المصدر. و تقول: نظرت الى كذا- من غير ذكر العين- و نظرت فى الكتاب و نظرت فى الأمر. و قول القائل انظر الى اللّه تعالى، ثم اليک معناه انى أتوقع فضل اللّه ثم فضلک. و يقال: نظرت بعلمى و يقال انظر الدهر اليهم أى اهلكهم قال الشاعر:

نظر الدهر اليهم فابتهل

و النظر: الاسم من نظر. و قوله: (لا ينظر اليهم) أى لا يرحمهم. و المنظور من الناس هو المرجو فضله. ينعت به السيد. و النظور: الذى لا يغفل عن النظر الى ما أهمه. و المناظرة ان تناظر أخاک فى امر تنظر انت فى ذلک و ينظر هو فيه كيف تأتيانه. و المنظرة موضع فى رأس جبل يكون فيه رقيب ينظر فيه الى العدو و يحرس أصحابه. و المنظرة منظرة الرجل إذا نظرت اليه أعجبک أو أساءک. تقول:

انه لذو منظرة بلا مخبرة و المنظر مصدر كالنظر. و المنظر: الشىء الذى يعجب بالنظر اليه و يسرّ به. تقول: ان فلانا لفى منظر و مسمع و فى رى و مشبع أى فيما أحب النظر اليه. و نظار بمعنى انتظر فى الامر. و ناظر العين: النقطة السوداء الخالصة الصافية التى فى جوف سوداء العين مما يرى انسان العين و النظير: نظيرک الذى هو مثلک.

و الأنثى نظيرة. و جمعه نظائر فى الكلام و الإنشاء. و نظرته و انتظرته بمعنى واحد و يقول انظرنى يا فلان أى استمع الى لقوله: «لا تَقُولُوا راعِنا وَ قُولُوا انْظُرْنا» «1» و تقول: بعت فلانا فأنظرته. أى انسأته و الاسم النظرة. و منه قوله: «فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ» «2» أى فانتظار. و استنظر فلان- من النظرة-: إذا هو سأل.

و النظر توقع أمر تنتظره. و بفلان نظرة أى سوء هيئة و قوله: «انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ» «3» أى انتظرونا. و اصل الباب كله الإقبال نحو الشىء بوجه من الوجوه. و قال قوم: إن النظر إذا كان معه الى، لا يحتمل الا الرؤية. و حملوا قوله «إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ» «4» على ذلک و قالوا لا يحتمل التأمل. و ذلک غلط، لأنهم

---

(1) سورة البقرة: آية 104
. (2) سورة البقرة آية 280.
(3) سورة الحديد: آية 13
. (4) سورة القيامة: آية 23.

يقولون: انما انظر الى اللَّه ثم اليک بمعنى أتوقع فضل اللَّه ثم فضلک. و قال الطريح ابن إسماعيل:
و إذا نظرت اليک من ملک و البحر دونک جرتنى نعماء «1»
و قال جميل بن معمر:
انى اليک لما وعدت لناظر نظر الفقير الى الغنى الموسر «2»
و قال آخر:
وجوه يوم بدر ناظرات الى الرحمان تأتى بالفلاح
و أتوا ب (الى) على معنى نظر الانتظار و الصحيح ان النظر لا يفيد الرؤية و انما حقيقته تحديق الجارحة الصحيحة نحو المرئى طلباً لرؤيته و لو أفاد الرؤية، لما جعل غاية لنفسه، الا تراهم يقولون: ما زلت انظر اليه و لا يقولون ما زلت أراه حتى رأيته، و لأنهم يثبتون النظر و ينفون الرؤية يقولون: نظرت اليه فلم أره و لا يقولون رأيته فلم أره.

فإذا ثبت هذا، فالأولى ان نقول: إن تأويل الآية (وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ) و أنتم مقبلون عليهم متوقعون له و قال الفرّاء قد كانوا فى شغل من ان ينظروا مستورين بما اكتنفهم من البحر من ان يروا فرعون و غرقه و لكنه كقولك: قد ضربت و أهلك ينظرون. فما أتوك، و لا أعانوك. و معناه و هم قريب بمرأى و مسمع و مثله قوله: «أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّکَ کَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ» «3» و ليس هاهنا رؤية، و انما هو علم، لأن الرؤية تستعمل فى مثل ذلک يقول القائل رأيت فرعون أعتى الخلق و أخبثه و هذا الذى ذكره الفرّاء محتمل مليح، غير انه مخالف لقول المفسرين كلهم فإنهم لا يختلفون أن اصحاب موسى رأوا انفراق البحر و التطام أمواجه بآل فرعون، حتى غرقوا فلا وجه للعدول عن الظاهر مع احتماله و لأنهم إذا عاينوا ذلک، كانوا

---

(1) طريح بن إسماعيل الثقفى شاعر الوليد بن يزيد الأموى و خليله و البيت لم نعثر عليه و هو كما ترى

. (2) لم نجده فى ديوانه و لا فى بعض مراجعنا الاخرى

. (3) سورة الفرقان: آية 45.

أشد فى قيام الحجة، و أعظم فى ظهور الآية و ذكر الزجاج وجهاً آخراً قال: معناه و أنتم بازائهم. كما يقول القائل: دور آل فلان الى دور آل فلان أى هى بإزائها، لأنها لا تبصر.

و قصة فرعون مع بنى إسرائيل فى البحر. و لا نعلم جملة ما قال ابن عباس:
ان اللّه اوحى الى موسى «أَنْ أَسْرِ بِعِبادِى إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ» «1» فسرى موسى ببنى إسرائيل ليلا «فاتبعه فرعون» «2» فى الف الف حصان سوى الإناث. و كان موسى فى ستمائة الف. فلما عاينهم قال: «إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَ إِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ» «3» فسرى موسى ببنى إسرائيل حتى هجموا على البحر، فالتفتوا فإذا هم برهج دواب فرعون «قالُوا أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا وَ مِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا» «4» هذا البحر امامنا و هذا فرعون قد رهقنا بمن معه «قالَ عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» «5» قال فأوحى اللّه الى موسى «أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ» و اوحى الى البحر ان اسمع لموسى و أطع إذا ضربك. قال فبات البحر له أفكل أى له رعدة لا يدرى من أى جوانبه يضربه. قال فقال يوشع لموسى (ع) بماذا أمرت قال: أمرت ان اضرب البحر. قال فاضربه. فضرب موسى البحر بعصاه، فانفلق، فكان اثنا عشر طريقاً كالطود العظيم فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه فلما أخذوا فى الطريق، قال بعضهم لبعض: ما لنا لا نرى أصحابنا قالوا لموسى: أصحابنا لا نراهم. فقال لهم: سيروا فإنهم على طريق مثل طريقكم. فقالوا لا نرضى حتى نراهم. فيقال ان موسى قال للّه تعالى: اللهم اعنّى على أخلاقهم السيئة. فأوحى اللّه اليه انقل «6» بعصاك هكذا يميناً و شمالا. فصار فيها كوى ينظر بعضهم الى بعض. قال ابن عباس: فساروا حتى خرجوا من البحر. فلما جاز آخر قوم موسى هجم فرعون هو و أصحابه و كان فرعون على فرس أدهم ذنوب «7» حصان. فلما هجم على البحر هاب

(1، 2) سورة الشعراء: آية 53
. (3) الشعراء آية 55 و 56 [.....]
. (4، 5) سورة الاعراف آية 128
. (6) و المطبوعة (أن قل)
. (7) طويل الذنب. فى المطبوعة و المخطوطة (دبوب)

الحصان ان يتقحم على البحر، فتمثل له جبرائيل على فرس أنثى وديق «1» فلما رآها الحصان تقحم خلفها: و قيل لموسى ترك البحر رهواً أى طرقا على حاله. و دخل فرعون و قومه البحر فلما دخل آخر قوم آل فرعون و جاز آخر قوم موسى، انطبق البحر على فرعون و قومه فاغرقوا.

و يقال نادى فرعون حين رأى من سلطان اللّه و قدرته ما رأى، و عرف ذله و خذلة نفسه: لا إله إلا الذى امنت به بنو إسرائيل و انا من المسلمين فان قيل: كيف لم يسو اللّه بين الخلق فى هذه الآيات الباهرات التى أعطاها بنى إسرائيل لتكون الحجة أظهر و الشبهة أبعد؟ قيل الآيات يظهرها اللّه على حسب ما يعلم من المصلحة فى ذلک، و على حد لا ينتهى الى الإلجاء و الاضطرار و خولف بين الآيات لهم على قدر حدة أذهان غيره، و كلالة أذهانهم يدل على ذلک ان بعد مشاهدة هذه الآيات قالوا يا موسى أجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. و لما كانت العرب من أحدّ الناس اذهاناً و أجودهم أوهاماً جاءت الآيات مشاكلة لطباعهم و مجانسة لدقة أذهانهم. و فى الجميع الحجة الباهرة، و الآية بالقاهرة و ليس يمكن ان يقال انه لو ظهر لهم مثل تلک الآيات، لآمنوا لا محالة. على وجه لا يكونون ملجئين اليه لأن ذلک لو كان معلوما، لأظهره اللّه تعالى. فلما لم يظهرها اللّه علناً انه لم يكن ذلک معلوما و موسى (ع) لم يكن مجتلباً الى المعارف، لمشاهدته هذه الآيات، لأنه كان يقدم له الايمان باللّه و معرفته.

و قوله:

«وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ» و ان لم يكن فى ظاهره انه أغرق فرعون فهو- ال عليه. و كأنه قال: و أغرقنا آل فرعون معهم،- و أنتم تنظرون- فاختصر لدلالة الكلام عليه، لأن الغرض مبنى على إهلاک فرعون و قومه و نظيره قول القائل: دخل جيش الأمير البادية. فان الظاهر من ذلک ان الأمير معهم.

---

(1) وديق: تشتهى الفحل

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 51] ..... ص : 232

اشارة

وَ إِذْ واعَدْنا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ (51)

قرأ (واعدنا) بغير الف أهل البصرة، و ابو جعفر هنا و فى الاعراف، و طه و قرأ الباقون بالف قبل العين، و قرأ ابن كثير و حفص و البرجمى و رويس (اتخذتم) (و أخذتم) و ما جاء منه بإظهار الذال. و وافقهم الأعشى فيما كان على وزن افتعلت و افتعلتم. الباقون بالإدغام. حجة من قرأ بإثبات الالف دلالة اللّه على وعده و قبول موسى لأنه إذا حسن فى مثل قوله: «أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ» «1» الاخبار كان هنا فى الاختيار واعدنا. و من قرأ بالألف، قال: هو أشد مطابقة للمعنى إذا القبول ليس بوعد فى الحقيقة انما هو اخبار الموعود بما يفعل به من خير. و على هذا قوله: «أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ» مجاز حقيقة بما اخبروه انهم فاعلوه و قال جماعة من أهل العلم: ان المواعدة فى الحقيقة لا تكون إلا من البشر و اللّه تعالى هو المتفرد بالوعد و الوعيد. كما قال تعالى (وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) «2» و قال:
«وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» «3» و القراءتان جميعاً صحيحتان قويتان

(و إذ) معطوفة على الآيات المتقدمة: كأنه قال: و اذكروا إذ وعدنا و بينا وجه الحسن فيه فالوعد، و العدة، و الموعد و الميعاد، نظائر. و الوعد فى الخير و الوعيد فى الشر يقال وعده: وعدا. و أوعده: ايعاداً. و واعده: مواعدة.
تواعدوا: تواعداً. و اتعدوا: اتعاداً. و توعدوا- فى الشر خاصة- قال صاحب العين: الوعد و العدة مصدران و يكونان اسمين. فاما العدة فيجمع على العدات و الوعد لا يجمع. و الموعد: موضع التواعد. و هو الميعاد. و يكون الوعد مصدر و عدته. و يكون الموعد وقتاً للحين. و الموعدة اسم العدة. و الميعاد: لا يكون

---

(1) سورة التوبة آية 78
. (2) الانفال آية 9
. (3) سورة المائدة آية 10 و الفتح 39 و النور 55

إلا وقتاً أو موضوعا. و الوعيد من التهدد: أو عدته المكاره و يقال ايضاً: وعدته من الشر كقوله: «النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» «1» و وعد الفحل: إذا هم ان يصول. و اصل الباب: الوعد الذى هو الخبر بانه سيفعل بالمخبر به خيراً أو شراً و قال احمد ابن يحيى: تقول أوعدته، و تسكت أو تجىء بالباء تقول: أوعدته بالشر و لا تقول او عدته الشر.
و موسى اسم مركب من اسمين بالقبطية (فمو) هو الماء و (سى) شجر.
و سمى به، لأن التابوت الذى كان فيه موسى وجد عند الماء، و الشجر وجدنه جوارى آسية امرأة فرعون و قد خرجن ليغتسلن، فسمى بالمكان الذى وجد فيه و هو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب إسرائيل اللّه.

و قال: «أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» و لم يقل يوماً على عادة العرب فى التاريخ بالليالى، لأن الأهلة تطلع فيها. و اعتمادهم على الأهلة. و قال الأخفش. وعد بإتمام أربعين ليلة، أو انقضاء أربعين ليلة كقولک: اليوم أربعون يوما مذ خرج فلان. و اليوم يومان:
أى تمام يومين. و قال غيره: الأربعون كلها داخلة فى الميعاد. قال ابو العالية: واعدنا موسى أربعين ليلة يعنى ذا القعدة و عشراً من ذى الحجة و قال غيره: ذا الحجة و عشراً من المحرم. و ذلک حين خلف موسى أصحابه و استخلف عليهم هارون فمكث على الطور أربعين ليلة و أنزلت عليه التوراة فى الألواح. و عن الربيع نحوه. و قال الطبرى: لا يجوز ما قاله الأخفش، لأنه خلاف ظاهر التلاوة و ما جاءت به الرواية قال الرمانى: فى هذا غلط ظاهر. ان الوعد لا يتصل وقوعه فى الأربعين كلها إذا كان الوعد هو الاخبار الموعود بما فيه النفع، فلم يكن ذلک الخير فى طول تلک المدة فلا بد على ذلک ان يكون التقدير على ما قاله الأخفش أو على وعدناه اقامة أربعين ليلة للمناجاة أو غيبته أربعين ليلة عن قومه للمناجاة، و ما أشبه ذلک من التقدير.
قال ابو على: لا يخلو ان تكون (أربعين) ظرفا أو مفعولا ثانياً. و لا يجوز ان

---

(1) سورة الحج: آية 72.

تكون ظرفا، لأن الوعد ليس فيها كلها فيكون جواب كم. و لا فى بعضها فيكون جوابا لمتى. فإذا لم تكن ظرفا كانت منتصبة بوقوعها موقع المفعول الثانى. فيكون تقديره: وعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة أو تتمة أربعين ليلة فحذف المضاف كما يقول اليوم خمسة عشر من الشهر أى تمامه.

و الاربعة عدد يزيد على الثلاثة، و ينقص عن الخمسة يقال: ربع يربع ربعا.
و ربع تربيعا و تربع تربعا. و ارتبع ارتباعا تقول ربعت القوم فانا رابعهم. و الرابع من الورد و هو ان تحبس الإبل عن الماء اربعة ايام ثم ترد يوم الخامس. و ربعت الحجر بيدى ربعا إذا رفعته عن الأرض بيدک. و ارتبعت الحجر كذلک. و ربعت الوتر إذا جعلته اربع طاقات، و تقول: أربع على ضلعک، و اربع على نفسک، و اربع عليک كل ذلک واحد بمعنى انتظر. و الربع المنزل و الموطن. و الربع الفصيل الذى نتج فى الربيع و ما ينتج بالصيف يقال له: هبع. و فى المثل ما له هبع و لا ربع. و رجل ربعة و مربوع: ليس بطويل و لا قصير. و الربعة: الجونة. و المرباع كانت العرب إذا غزت أخذ رئيس القوم ربع الغنيمة، و الباقى بينهم. و أول الأسنان الثنايا، ثم الرباعيات و هى اربعة ثنيتان من تحت و ثنيتان من فوق و الواحد رباعية و اربع الفرس إذا القى رباعية من السنة الاخرى. و الجمع الربع. و الربيعة: هى البيضة من السلاح.
يقال: ربعت الأرض فهى مربوعة من الربيع. و ارتبع القوم: إذا أصابوا ربيعا و حمر ربع ما لى يوم الرابع و المربعة خشبة تشال بها الأحمال، و توضع على الإبل و الربع:
الباهر. و رجل مربوع و مربع: إذا أخذته حمى الربع و الربيع حظ من الماء للأرض ربع يوم او ربع ليلة يقال لفلان فى الماء ربيع و ربع المال جزء من اربعة و يقال له:
ربيع و لم يتجاوز العرب فى هذا المعنى الثمين و قال بعضهم: التسيع و العشير و الاول اظهر و اصل الباب الاربعة من العدد و الاربعة تجرى تارة على نفس العدد، و اخرى على المعدود فإذا أجربته على العدد، قلت اربعة أثواب و إذا أجريته على المعدود قلت. أثواب اربعة. التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 235
و ليلة و عشية و مساء نظائر و يقال يوم و ليلة. على طريق النقيض. قال صاحب العين: الليل ضد النهار. و الليل ظلام الليل. و النهار الضياء. فإذا أفردت أحدهما من الآخر قلت: ليلة و يوم تصغيرها لييلة اخرجوا الياء الاخيرة من مخرجها فى الليالى يقول بعضهم: انما كان بناؤها ليلاء فقصر يقولون: هذه ليلة ليلاء: إذا اشتدت ظلمتها. قال الكميت:
و ليلهم الأليل
هذا لضرورة الشعر. فى الكلام ليلاء. و الليلة: الوقت من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثانى. و اليوم من طلوع الفجر الثانى الى غروب الشمس.

قال ابو زيد اتخذنا ما لا فنحن نتخذه اتخاذاً و تخذت تخذا. قال ابو على اتخذ افتعل و منه تخذت. قال اللّه تعالى: «لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً» «1» و تخذت: لا يتعدى، إلا الى مفعول واحد. و اتخذت تارة يتعدى الى مفعول واحد و تارة الى مفعولين فتعديه الى مفعول واحد. مثل قوله: «يا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا» «2» و مثل قوله: «وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً» «3» و تعديه الى مفعولين مثل قوله تعالى «اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً» «4» و قوله: «لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ» «5» و قوله: «فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا» «6» و من ادغم فلقرب مخرج الذال من مخرج التاء. و من لم يدغم فلان مخرجهما متغاير.
و العجل و الثور و البقرة نظائر. الا أن العجل هو البقرة الصغيرة و يقال عجل و عجول. و اشتقاقه من عجل يعجل عجلة و أعجله إعجالا. و استعجل استعجالا. و تعجل تعجلا. و عجل تعجيلا. و عاجلته معاجلة. و تعاجلوا تعاجلا. و رجل عَجِل و عَجُل لغتان. و تقول: استعجلت فلانا أى حثثته و أعجلت فلانا أعجله إعجالا و تعجلت خراجه أى كلفته ان يعجله و رجل عجلان و امرأة عجلى و قوم عجال و نسوة عجال.
و العجال الإبل. و العجل عجل الثيران و الواحدة عجلة و يجمع على الاعجال و العجالة ما

---

(1) سورة الكهف: آية 78
. (2) سورة الفرقان: آية 27
. (3) سورة مريم: آية 82.
(4) سورة المجادلة: آية 16
. (5) سورة الممتحنة: آية 1
. (6) المؤمن آية 111. [.....]

تعجلت من شىء. و العجالة طعام الراكب الذى لا يحسن طبخه و يقال: هو تمر و لبن و العجلة الادواة الصغيرة و هى المطهرة. و الجمع العجال. و العاجلة: نقيض الآجلة يعنى الدنيا و الآخرة. و العاجل: نقيض الآجل عام فى كل شىء تقول عاجل و آجل.
و العجل: ولد البقرة. و جمعه عجاجيل و يقال عجول. و الأنثى: عجولة و قوله:
«خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ» «1» يقال إن آدم (ع) حين بلغ الروح منه الى الركبتين همّ بالنهوض قبل ان تبلغ القدمين فقال اللّه تعالى: «خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ» و أورثنا آدم العجلة. و العجل الظنين: من غير الخليل و العجل خشب يؤلف شبه المحفة تجعل عليه الأثقال. و جمعه الاعجال. و صاحب عجال و اصل الباب العجلِ الذى هو الاسراع. و العجلة و السرعة و الخفة

نظائر و نقيض العجلة التأنى و نقيض السرعة: الإبطاء و بعد نقيض قبل تقول: كان هذا بعد هذا. و تقول: بعد بعدا. او أبعده اللّه إبعاداً و تباعد تباعدا و باعده مباعدة. و استبعده استبعاداً. و بعده تبعيداً.
و تبعد تبعدا. قال صاحب العين بعد لما يكون على إثر الشىء إذا كان قد مضى فإذا افردوا قالوا: هو من بعد: كقوله تعالى: «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ» «2» و تقول: بعداً و سحقا. و يقرأ: «باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا» «3» و بعد بمعنى واحد.
و الأبعد نقيض الأقرب. و الجمع: اباعد و أقارب و يقرأ (بعِدت ثمود) و (بَعُدت ثمود) «4» و معناهما واحد إلا انهم يقولون: بعد الرجل و أبعده اللَّه و البعد من اللعن يقول: أبعده اللّه أى لا يرثى له مما نزل به و قال ابن دريد: البعد: ضد القرب و بعد ضد قبل. و سمع ابو زيد العرب تقول: فلان غير بعيد و غير بعد و اصل الباب البعد نقيض القرب.

و معنى قوله: «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ» أى اتخذتموه إلهاً لأن بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين، لأن فعل ذلک ليس بمحظور

---

(1) سورة الأنبياء: آية 37
. (2) سورة الروم آية 4
. (3) سورة سبأ آية 19
. (4) سورة هود آية 96.

و انما هو مكروه و ما روى عن النبى (ص) انه لعن المصورين معناه: من شبه اللّه بخلقه او اعتقد فيه انه صورة فلذلک قدر الحذف فى الآية. كأنه قال: اتخذتموه إلهاً و ذلک انهم عبدوا العجل بعد موسى لما قال لهم السامرى: هذا إلهكم و اله موسى. فنسى اى ترک آلهم و مضى ناسيا. و قيل: بل معنى فنسى اى فترک ما يجب عليه من عبادة اللّه.

و كان سبب عبادتهم العجل ما ذكره ابن عباس. ان السامرى كان رجلا من اهل (بأكرم) «1». و كان من قوم يعبدون البقر. و كان حب عبادة البقر فى نفسه.
و كان قد اظهر الإسلام فى بنى إسرائيل، فلما قصد موسى الى ربه خلف هرون فى بنى إسرائيل: قال لهم هرون: انكم تحملتم أوزارا من زينة آل فرعون، و امتعة و حلى، فتطهروا منها، فإنها بخس، و أوقد لهم ناراً. و قال لهم: اقذفوا ما كان معكم فيها. فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الامتعة و ذلک الحلى، فيقذفون به فيها.
حتى إذا انكسر الحلى و رأى السامرى أثر فرس جبرئيل، فأخذ ترابا من اثر حافره، ثم اقبل الى النار. فقال لهارون يا نبى اللّه القى ما فى يدى؟ قال نعم و لم يظن هرون الا انه كبعض ما جاء به غيره من الحلى و الامتعة. فقذف فيها و قال كن عجلا جسداً له خوار و كان البلاء و الفتنة و قال: هذا إلهكم و اله موسى، فعكفوا عليه و احبوه حبا لم ير مثله قطاً.

و سمى العجل عجلا مأخوذ من التعجيل لأن قصر المدة كالعجل فى الشىء.
و قال ابو العالية: انما سمّى العجل عجلا، لأنهم عجلوا فاتخذوه قبل أن يأتيهم موسى.
و قال الحسن صار العجل لحماً و دماً. و قال غيره لا يجوز لأن ذلک من معجزات الأنبياء. و من وافق الحسن قال: ان القبضة من اثر الملک كان اللّه قد اجرى العادة بأنها إذا طرحت على اى صورة كانت حية، فليس ذلک بمعجزة إذ سبيل السامرى

---

(1) هكذا فى المطبوعة و المخطوطة و فى مجمع البيان (يا جرمى).

فيه و سبيل غيره سواء. و من لم يجز انقلابه حيا، فاوّل الخوار على ان السامرى جعل فيه خروقا، فدخلها الريح فحدث فيه صوت كالخوار.
و انما قال: «وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ» يعنى ظالمى أنفسهم إذا دخلوا عليها الضرر بما يستحقون على عبادته من العقوبة و الظلم. و قد يكون للنفس و قد يكون للغير.
و انما وصفوا بأنهم اتخذوا العجل إلها و هى صفة ذم لهم بما لم يفعلوا لرضاهم بما كان عليه أسلافهم، و سلوكهم طرائقهم فى المخالفة لأمر اللّه، و الذم على الحقيقة على أفعالهم فان كان اللفظ على أفعال أسلافهم فاخرج اللفظ مخرج من كأنهم فعلوا ذلک لسلوكهم تلک الطرق و عدولهم الى المخالفة. فالذم متعلق بما كان منهم فى الحقيقة، فان قيل:
هل هذا الميقات فى قوله: وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ.
قيل: قال ابو على و ابو بكر بن اخشاذ و اسمه احمد بن على ان هذا ذاک و فى الناس من قال:
هو غيره و الاول اظهر، و انما ذكر الثلاثين و أتمها بعشر و الأربعين قد تكمل بعشرين و عشرين، لأن الثلاثين أراد بها ذا القعدة و ذا الحجة فذكر هذا العدد لمكان الشهر ثم ذكر ما يتم به العدد أربعين ليلة.
و انما قال «أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» و لم يقل أربعين يوماً، لتضمن الليالى الأيام على قول المبرد، و معنى ذلک: انه إذا ذكرت الليالى دخلت فيها الأيام و ليس إذا ذكرت الأيام دخلت الليالى فيها. هكذا هو الاستعمال، و الصحيح ان العرب كانت تراعى فى حسابها الشهور و الأيام و الأهلة. فأول الشهر الليالى و لذلک أرخت بالليالى و غلبتها على الأيام و لذلک صارت الأيام تابعة لليالى. و اكتفى بذكر الليالى من الأيام، فقيل لعشر خلون. و لم يقولوا لعشرة لأنه جرى على ما جرى على الليالى.

«و اتخذ) قال الرمانى: وزنه افتعل و أصله يتخذ فقلبت الياء تاء و أدغمت فى التاء التى بعدها و قال ابو على يتخذت و ليس من أخذت، لان الهمزة لا تبدل من الياء و لا تبدل الياء منها، و اتخذت لا تكون افتعلت من أخذت و تكون أبدلت الهمزة ياء ثم أدغمت فى التاء كما قالوا يسر الجزور و هو من اليسر لأنه لا يجوز على قول أصحابنا لاختلاف الحرفين و فائدة الآية التعجب من قولهم إذ كانوا فى مقدار هذه المدة التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 239
اليسيرة لغيبة موسى عنهم اتخذوا العجل إلها و ادغام الذال عند التاء جائز و تركه أيضاً كذلک جائز.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 52] ..... ص : 239

اشارة

ثُمَّ عَفَوْنا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52)
آية بلا خلاف.
قيل فى معنى ما وقع العفو عنهم بقوله: «ثُمَّ عَفَوْنا عَنْكُمْ» قولان:
أحدهما- انا تركنا معاجلتكم بالعقوبة من بعد اتخاذكم العجل إلهاً.
و الآخر- عفونا عنكم بقبول التوبة من عبادة العجل.

و العفو، و الصفح، و المغفرة، و التجاوز، نظائر. فالمغفرة نقيض العقوبة. و يقال عفا عفواً و أعفاه اعفاء و استعفى استعفاء، و عفى تعفية و عافاه معافاة و تعفى تعفيا.
و تعافى تعافيا، و اعتفاه اعتفاء. و العفو أحل المال و أطيبه. و العفو: المعروف.
و العفاة: طلاب المعروف. و هم المعتفون. تقول: اعتفيت فلانا إذا طلبت معروفه و فضله. و العافية من الطير و الدواب طلاب الرزق. اسم جامع لها. و منه قوله (ع) من غرس شجرة مثمرة فما أكلت العافية منها كتب له صدقة. و العافية دفاع اللّه عن العبد يقول عافاه اللّه من مكروه و هو يعافيه معافاة. و الاستعفاء: ان تطلب الى من كلفک امرا ان يعفيک منه، و عفى الشىء: إذا كثروا عفيته: إذا اكثرته، قال تعالى «حَتَّى عَفَوْا». و منه اعفاء اللحية: إكثارها. و عفى: درس يقال أخذ من فلان ما عفا، و صفا. و العفا: التراب تقول: يعفيه العفا. و عليه العفا. و العفا الدروس قال زهير:
على اثار ما ذهب العفاء
و منه عفت الديار. و الريح تعفو الديار عفاء، و عفوا. و تعفت الدار و الأثر تعفياً و العَفوة و العِفوة و العُفوة. و الجمع العفو: و هى الحمر الأفتأ و الفتيات. و العفاء. ما كثر من التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 240
الوبر و الريش و ناقة ذات عفاء كثيرة الوبر طويلة و العفو: ولد الأتان الوحشية.
و أصل الباب: الترک. و منه قوله: «فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ» من ترک له. و عفو الشىء صفوه و معنى «لعلكم) فى الآية لكى تشكروا و قيل: معناه التعريض كأنه قال: عرضناكم للشكر.
و قوله: «مِنْ بَعْدِ ذلِکَ»- و ان كان اشارة الى الواحد- فمعناه الجمع.
و انما كان ذلک كذلک، لان ذا اسم مبهم فمرة يأتى على الأصل، و مرة يأتى على مشاكلة اللفظ. إذا كان لفظ المبهم على الواحد و ان كان معناه الجمع على انه قد يخاطب بلفظ الواحد و يراد به الجمع كقوله: «يا أَيُّهَا النَّبِىُّ» ثم قال: «إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ».
و قوله: «مِنْ بَعْدِ ذلِکَ» إشارة الى اتخاذهم العجل إلهاً. و قوله: «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

فالشكر: هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم. و قال الرمانى: الشكر هو الاظهار للنعمة. و الصحيح هو الاول لأنه قد يظهر النعمة من لا يكون شاكرا لها. و الفرق بين الشكر و المكافاة ان المكافأة من التكافؤ و هو التساوى، و ليس كذلک الشكر ففى مكافأة النعمة دلالة على انه قد استوفى حقها. و قد يكون الشكر مقصرا عنها و ان كان ليس على المنعم عليه اكثر منه الا انه كلما ازداد من الشكر، حسن له الازدياد و ان لم يكن واجبا لأن الواجب لا يكون إلا متناهياً و ذلک كالشكر لنعمة اللّه لو استكثرته غاية الاستكثار لم يكن لينتهى الى حد لا يجوز له الازدياد لعظم نعم اللّه عز و جل و صغر شكر العبد. و يقال: شكر شكرا، و شكورا، و تشكر تشكرا. و الشكور: من الدواب ما يكفيه قليل العلف لسمنه. و الشكر من الحيوانات: التى تصيب حظا من بقل او مرعى فتغزر ليتها بعد قلة. يقال اشكر القوم: إذا انزلوا منزلا فأصابت نعمهم شيئاً من بقل، فدرت عليه، و انهم ليحلبون شكرة بجزم الكاف و قد شكرت الحلوبة شكرا: و الشكير شعر ضعيف ينبت خلال التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 241
الشيب. و كذلک ما ينبت من ساق الشجر قضبان غضة تخرج بين قضبان عاسية يقال له الشكر و اشكر ضرع الناقة إذا امتلأ لبنا و الشكر بضع المرأة. و أصل الباب:
الظهور و لا يستحق الكافر الشكر على وجه الإجلال و الانعام، و الكافر لا يستحق كذلک و انما يجب له مكافاة نعمته كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج اليه من غير تعظيم له و يسمى ذلک شكرا و الشكر لا يستحق الا على نعمة و معنى قولنا فى اللّه انه غفور شكور انه يجازى العبد على طاعاته من غير ان ينقصه شيئاً من حقه فجعل المجازاة على الطاعة شكرا فى مجاز اللغة و لا يستحق الإنسان الشكر على نفسه لأنه لا يكون منعماً على نفسه كما لا يكون مقرضاً لنفسه و النعمة تقتضى منعماً غير المنعم عليه. كما أن القرض يقتضى مقترضا، غير المقرض. و قد يصح ان يحسن الى نفسه كما يصح أن يسىء إليها، لأن الإحسان من المحسن. فإذا فعل بها فعلا حسنا ينتفع به، كان محسناً اليها بذلک الفعل، و إذا فعل بها فعلا قبيحاً كان مسيئاً اليها.
و الشكر متعلق فى الآية بعفو اللَّه عنهم، و نعمه عليهم: كأنه قال: لتشكروا اللّه على عفوه عنكم و سائر نعمه عليكم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 53] ..... ص : 241

اشارة

وَ إِذْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ الْفُرْقانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53)

قوله: «و إذ» عطف على ما مضى من التذكير بنعمه فكأنه قال: و اذكروا إذ آتينا موسى الكتاب، لان (إذ) اسم للوقت الماضى و (إذا) للوقت المستقبل. و كذلک تستعمل فى الجزاء، لأن الجزاء لا يكون إلا بالمستقبل. كقولهم: ان تأتنى آتک و لو تشبه الجزاء من حيث انه لا بد لها من الجواب. كما لا بد لحرف الجزاء من الجواب.

و قوله: «وَ إِذْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ» معناه أعطيناه. و الكتاب يريد به التوراة. و أما الفرقان فقال الفراء و قطرب و تغلب: يحتمل أن يكون اتى موسى كتاب التوراة و محمد الفرقان: كما قال الشاعر:
متقلدا سيفا و رمحا «1»
و ضعف قوم هذا الوجه، لأن فيه حمل القران على المجاز من غير ضرورة مع انه تعالى اخبر انه اتى موسى الفرقان فى قوله: «وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى وَ هارُونَ الْفُرْقانَ وَ ضِياءً» «2» و قال الفراء: هو كلام مثنى يراد به: التوراة. و كرر لاختلاف اللفظين:
كقولهم: بعداً و سحقاً، و هما بمعنى واحد. قال الرمانى: هذا المثال لا يشبه الآية، لأنه جمع الصفتين لموصوف واحد على معنيين متفقين. و الاولى ان يمثل بقولهم: هو العالم الكريم فجمعت الصفتان لموصوف واحد على معنيين مختلفين و قال عدى ابن زيد:
و قدّدت الأديم لراهشيه و الفى قولها كذبا و مينا «3»
و قال قوم: الكتاب: التوراة و الفرقان: انفراق البحر لبنى إسرائيل. و الفرج الذى أتاهم كما قال. «يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً» اى مخرجا. و قال بعضهم: الفرقان: الحلال و الحرام الذى ذكره فى التوراة. و روى عن ابن عباس و أبى العالية و مجاهد: ان الفرقان الذى ذكره هو الكتاب الذى أتاه يفرق فيه بين الحق و الباطل. و قال ابن زيد: الفرقان: النصر الذى فرق اللّه به بين موسى و فرعون: كما فرق بين محمد «ص» و بين المشركين. كما قال: «يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ» «4». و قال ابو مسلم: هو ما اوتى موسى من الآيات و الحجج التى فيها التفرقة بين الحق و الباطل.

---

(1) مر فى 1: 65 و هو عجز بيت شطره: و رأيت زوجک فى الوغى.
(2) سورة الأنبياء: آية 48
. (3) فى المخطوطة و المطبوعة (و قدمت).
(4) سورة الانفال: آية 41.

و قوله: «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ».

ای لکی تهتدوا. و قد بیناه فیما مضی و فیه دلالة علی انه (تعالی) أراد ان یهتدوا لان هذا اللام لام الغرض و ذلک یفسد قول المجبرة إنه أراد منهم الکفر. فأن قیل: کیف یهتدون بما اوتی موسی من البیان، و ما اوتی فی التوراة من البرهان مع انقطاع النقل الذی تقوم به الحجة. قیل: الجواب عنه من وجهین:

أحدهما- ان الخطاب لأسلافهم: کما قال: «وَ إِذْ فَرَقْنا بِکُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَیْناکُمْ وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ».

و الثانی- ان اخبار الرسول لهم ما تقوم به الحجة علیهم، فیمکنهم ان یستدلوا بذلک علی ما أنعم اللّه به علی أسلافهم، و لأنهم مقرون بان موسی (ع) اوتی التوراة بما فیها من الهدی و البینات، فتقوم الحجة علیهم بإقرارهم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 54] ..... ص : 243

اشارة

وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ اَلتَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54)
آية بلا خلاف.

«بارئكم» اسكن الهمزة فيها ابو عمرو. إلا المعدل و سحارة من طريق الجرمى، و ابن مجاهد فكلهم خففوا الهمزة فيها. الا أبا طاهر عن ابن مجاهد عن إسماعيل فانه قلبها ياء.
التقدير و اذكروا ايضاً إذ قال موسى لقومه: «يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ». و ظلمهم إياها كان فعلهم بها ما لَم يكن لهم ان يفعلوه

به العقاب. و كذلک كل من فعل فعلا يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه. و قد بينا معنى التوبة فيما مضى. «1»
و اما قوله: «إِلى بارِئِكُمْ»

فالبارئ هو الخالق الصانع. يقال: برأه. و استبرأ استبراء، و تبرأ تبريا، و باراه مباراة، و برأه براءة، و تبرئة. قال صاحب العين: البرأ مهموز و هو الخلق تقول برأ اللّه الخلق و هو يبرؤهم و هو البارئ و قال امية:
الخالق البارئ المصور فى ال أرحام ماء حتى يصير دما
و البرء السلامة من السقم. تقول برأ برؤه و برئت و برأت و برؤت براءة.
و تبرأ تبريا لغة فى هذا و البراءة من العيب و المكروه لا يقال منه: الا برىء براء و فاعله برىء و فلان برىء و براء كقوله: إنى براء. و امرأة براء. و نسوة براء و براء على وزن فعلاء. و منه قوله: «انا برآء منكم» جمع برىء. و من ترک الهمزة.
قال: براء على وزن فعال. و تقول بارأت الرجل اى برئت اليه. و برىء الى مثل ذلک. و بارات المراة اى صالحتها على المفارقة و أبرأت الرجل من الضمان و الدين و برأه تبرئة. و يقال: ابرأ اللّه فلانا من المرض إبراء حسناً، و الاستبراء:
استبراء الجارية و المرأة بان لا يطأها حتى تحيض. و الاستبراء نقاء الفرج من القذر. و أصل الباب تبرى الشىء من الشىء: و هو انفصاله منه. و برأ اللّه الخلق اى فطرهم، فإنهم انفصلوا من العدم الى الوجود. و البرية الخلق، فعلية بمعنى مفعول، لا يهمز كما لا يهمز ملک و ان كان أصله من الالوكة. و قيل البرية مشتقة من البراوة، و هو التراب، فلذلک لم تهمز. و قيل إنه مأخوذ من بريت العود، فلذلک لم يهمز.
و البراءة من الشىء: المفارقة و المباعدة عنه: و برىء اللَّه من الكافر: باعده عن رحمته و انواع الفعل كثيرة: منها الخلق، و الإنشاء، و الارتجاع. و البرء: الفطر. فأما

---

(1) انظر ص 619- 170

الأحداث، و الإيجاد و التكوين فكالفعل و الجعل: أعم من الفعل، لأنه لما وجد بعد ان لم يكن كقولک: جعلت الطين خزفا. فلم يحدث الخزف فى الحقيقة، و انما أحدث ما صار خزفاً.
و قوله: «فَاقْتُلُوا»

فالقتل و الذبح و الموت نظائر. و بينها فرق: فالقتل نقض بنية الحياة. و الذبح فرى الأوداج. و الموت عند من أثبته معنى عرض يضاد الحياة. يقال: قتل يقتل قتلا. و اقتتلوا اقتتالا. و تقاتلوا تقاتلا. و استقتل استقتالا. و قتل تقتيلا. و قاتله مقاتلة. و قوله تعالى: «قاتَلَهُمُ اللَّهُ» «1» معناه لعنهم اللَّه. و قوم اقتال: اى هم اهل الوتر، و الترة: اى هم اعداء و تراة. و تقول: تقتلت الجارية للفتى يصف به العشق. و قال الشاعر:

تقتلت لى حتى إذا ما قتلتنى تنسكت ما هذا بفعل النواسک «2»

و اقتل فلان فلانا: إذا عرضه للقتل. و المقتل من الدواب الذى قد ذل و مرن على العمل. و قلب مقتل: اى قتل عشقاً. و منه قول امرئ القيس:

فى أعشار قلب مقتل «3»

قال ابن دريد: قتلت الخمر بالماء إذا مزجتها. قال الشاعر:

ان التى ناولتنى فرددتها قُتلت قتلت فهاتها لم تقتل

و تقتل الرجل لحاجة اى يأتى لها. و يقتل الرجل للمرأة: إذا خضع لها فى كلامه و قتل الرجل: عدوه. و الجمع اقتال. و فلان قتل فلان: أى نظيره، و ابن عمه

---

(1) سورة التوبة: آية 31 و سورة المنافقون آية 4.

(2) تقتلت المرأة: تثنت فى مشيتها.

(3) معلقته. و البيت: و ما زرفت عيناک الا لتضربى بسهميک فى أعشار قلب مقتل و السهمان: الرقيب و المعلى من سهام الميسر. و معناه استوليت على القلب كله.

و قتله قتلة سوء و اقتتلوا بمعنى تقاتلوا و مثله قتلوا قال ابو النجم:

ندافع الشيب و لم يقتل

و ناقة ذات قتال و ذات كيال، إذا كانت غليظة وثيقة الخلق. فى المثل: قتلت ارض جاهلها، و قتل أرضا عالمها. و مقاتل الإنسان: هى التى إذا أصيبت قتلت.

و أصل الباب: القتل و هو نقض البنية التى تصح معها الحياة. و قال المبرد: و أصله اماتة الحركة. و قوله: «قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» اى قد حلوا محل من يقال له هذا القول. اى انزل اللَّه بهم القتل. و يقول قتله علما إذا ايقنه و تحققه.

و قوله: «فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ».

قيل فى معناه قولان:
أحدهما- يقتل بعضكم بعضا. ذهب اليه ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و الحسن و غيرهم من اهل العلم، كما يقول القائل: قتل آل فلان إذا قتل بعضهم بعضا.
و الثانى- ذكره ابن عباس و إسحاق و اختاره ابو على. و هو ان يستسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا منهم لأنفسهم على وجه التوسع. و قيل: ان السبعين الذين اختارهم موسى للميقات أمروا بالقتل لمن سأل الرؤية من بنى إسرائيل و قيل: إنهم قتلوا أنفسهم كما أمروا. عمدوا الى الخناجر و جعل بعضهم يطعن بعضا.
قال ابن عباس و غيره من اهل العلم: و يقال غشتهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضا، ثم انجلت الظلمة، فاجلوا عن سبعين الف قتيل. و السبب الذى لأجله أمروا بقتل أنفسهم ذكره ابن جريج: ان اللّه علم ان ناساً منهم علموا ان العجل باطلا فلم يمنعهم ان ينكروا الا خوف القتل، فلذلک بلاهم اللّه ان يقتل بعضهم بعضا. و قال الرمانى: و لا بد ان يكون فى الامر بالقتل لطف لهم و لغيرهم، كما يكون فى استسلام القاتل لطف له و لغيره. فان قيل كيف يكون فى قتلهم نفوسهم لطف لهم، و بعد القتل لا تكليف عليهم. و اللطف لا يكون لطفاً فيما مضى و لا فيما يقاربه التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 247
قلنا: إذا كان القوم كلفوا ان يقتل بعضهم بعضا و كل واحد منهم يقصد قتل غيره و يجوز ان يبقى بعده فيكون القتل لطفاً له فيما بعد، و لو كان بمقدار زمان يفعل فيه واجبا واحدا: و يمتنع فيه من قبيح. و ذلک كما نقول فى عبادتنا فى قتال المشركين. فان اللّه تعالى تعبدنا ان نقاتل حتى نقتل و نقتل و مدح على ذلک، فلذلک روى اهل السير ان الذين عبدوا العجل تعبدوا ان يقاتلوا من لم يعبد و يصبروا على ذلک حتى يقتل بعضهم بعضا. و كان القتل شهادة لمن قتل، و توبة لمن بقى. و انما كانت تكون شبهة، لو أمروا بان يقتلوا نفوسهم بأيديهم. و لو صح ذلک لكان لا يمتنع بان يكونوا أمروا بان يفعلوا بنفوسهم الجراح التى تفضى الى الموت- و ان لم يزل معها العقل فينا فى التكليف-.
و أما على القول الآخر و هو انهم أمروا بالاستسلام و القتل و الصبر عليه فلا مسألة لأنهم أمروا بقتل نفوسهم. و على هذا يكون قتلهم حسناً، لأنه لو كان قبيحاً لما جاز ان يؤمروا بالاستسلام. و كذلک نقول: لا يجوز ان يتعبد نبى او امام بان يستسلم للقتل مع قدرته على الدفع عن نفسه، فلا يدفعه لان فى ذلک استسلاما للقبيح مع القدرة على الدفع منه، و ذلک لا يجوز و انما يقع

قتل الأنبياء و الائمة على وجه الظلم، و ارتفاع التمكن من الدفع مع الحرص على الدفع. غير انه لا يمتنع ان يتعبد بالصبر على الدفاع. و تحمل المشقة فى ذلک- و ان قتله غيره ظلما و القتل- و ان كان قبيحا بحكم العقل-، فهو ما يجوز تغيره بان يصير حسنا، لأنه جار مجرى سائر الآلام. و ليس يجرى ذلک مجرى الجهل و الكذب الذى ليس يصير قط حسناً و وجه الحسن فى القتل انه لطف على ما قلناه، و كما يجوز من اللّه ان يميت الحى، كذلک يجوز ان يأمرنا باماتته و يعوضه على ما يدخل عليه من الآلام و يكون فيه لطف على ما قدمناه.
و قوله: «ذلِكُمْ» اشارة الى التوبة مع القتل لأنفسهم على ما أمرهم اللَّه تعالى به بدلالة قوله. «فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» فقوله: «توبوا» دال على التوبة، فكأنها مذكورة.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 248
و قوله: «خير»

فالخير، و النفع، و الفضل، و الحظ نظائر و ضد الخير: الشر. و ضد النفع: الضرر. تقول: خار اللّه له الخير خيرة. و اختار اختياراً و استخار فلان استخارة و تخير تخيراً و تخايراً. و خيره تخييراً. و خايره مخايرة. و رجل خير و امرأة خيرة:
أى فاضلة. و قوم اخيار، و خيار. و امرأة خيرة. حقيقة فى جمالها، و ميسمها.
و منه قوله: «فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ» «1». و ناقه خيار. و رجل خيار. و تقول: و الجمع خيار. و تقول: هذه و هذا و هؤلاء خيرتى. و ما تختاره. و تقول: انت بالخيار و انت بالخيار سواء. و الرجل يستخير الضبع و اليربوع: إذا جعل حبسه فى موضع النافقاء، فخرج من القاصعاء «2». و الخيرة مصدر خار خيرة ساكنة الياء مثل راب ريبة. و اصل الباب الخير نقيض الشر. و الخير: الهيئة المختارة. و حذفت الياء من قوله: «يا قوم» و أثبتت فى قوله: «يا ليت قومى» لأن ياء الاضافة تحذف فى النداء، لأنه موضع حذف، يحذف فيه التنوين، و يحذف الاميم للترخيم، فلما كانت بالاضافة تحذف فى غير النداء، لزم حذفها فى النداء. و أما قوله: «يا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ» «3»، فإنها تثبت لأنها ياء الاضافة. لا يلحقها ما يوجب حذفها، كما لحق الياء فى النداء. و يجوز فى «يا قوم» كسر الميم و حذف الياء هو اجماع القراء و يجوز بياء ساكنة، و يجوز بفتح الياء و ما قرئ بها. فاما إسكان الهمزة. فالذى رواه سيبويه عن أبى عمر و اختلاس الحركة. و هو اضبط من غيره و الإسكان فى مثل هذا يجوز فى ضرورة الشعر كقول الشاعر:
إذا اعوججن قلت صاحبْ قوم
و كان ينبغى ان يقال صاحبَ لأنه منادى. و قال امرؤ القيس:
فاليوم فاشرب غير مستحقب اثما من اللّه و لا واغل

---

(1) سورة الرحمان: آية 70 [.....]
. (2) النافقاء: بحر اليربوع. القاصعاء مثل النافقاء
(3) سورة يس: آية 26

و قد روى بعضهم صاحِ قوم و روى فاليومِ فاشرب و روى بعضهم: فاليوم فاسقى و لا يقال فى اللّه تعالى تائب مطلقاً. و انما يقال: تائب على العبد.
قوله: «فَتابَ عَلَيْكُمْ» فالفاء متعلق بمحذوف كأنه قال ففعلتم او قتلتم أنفسكم فتاب عليكم. و كان فيما بقى دلالة عليه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 55] ..... ص : 249

اشارة

وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْکُمُ الصَّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55)
آية بلا خلاف.
و هذه الآية ايضاً عطف على ما تقدم كأنه قال و اذكروا إذ قلتم يا موسى لن نصدق حتى نرى للّه جهرة.

فالرؤيا و النظر و الأبصار نظائر فى اللغة يقال: رأى رؤية و رأى من الرأى رأيا. و أراه اللّه اراءة و تراءى القوم ترائيا. و ارتأى ارتياء و راءاه مراءاة قال صاحب العين: الرأى رأى القلب و الجمع الآراء. و تقول: ما أضل آراءهم على التعجب و رأيهم ايضاً و رأيت رؤية و تقول رأيته رأى العين. أى حيث يقع البصر عليه. و تقول من رأى القلب: ارتأيت. و تقول: رأيت رؤيا حسنة. و تقول: رأيت فلانا ذا مسحة فى اللون، و زية حسنة فى اللباس، و المتاع. و الذى يتعرض بزيه كهانة او طبا. و فى بعض اللغات ريت بمعنى رأيته. و على ذلک قراءة من قرأ اريت قال الشاعر:

قد ريت منه عجبا من الكبر

و تراءى القوم: إذا رأى بعضهم بعضا و تراءى لى فلان: إذا تصدى لى فأراه و الرواء: المنظر فى البهاء و الجمال. تقول: امرأة لها رواء و بهاء و سناء أى حسنة.

و المرآة مثل المنظرة و المنظر و المرآة التى ينظر فيها و جمعها مراءى. و من حوّل الهمزة قال: مرايا. تقول مرأت المرأة: إذا نظرت وجهها. و فى الحديث لا يتراءى أحدكم فى الماء أى لا ينظر فيه. التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 250

و يحذفون الهمزة فى كل كلمة تشتق من رأيت إذا كانت الراء ساكنة تقول أريت فلانا فانا مرى و هو مرى. أى بحذف الهمزة و أثبتوها فى موضعين فى قولهم رأيته فهو مرئى أرأت الناقة و الشاة إذا يرى ضرعها انها قد اقربت و أنزلت. و هى مرئى. و الحذف فيه ايضا صواب و تقول: من الظن رأيت ان فلانا أخوک. و منهم من يحذف الهمزة يقول ريت انه و من قلب الهمزة من رأى قال رأى مثل ما تقولون: أرتيت و استريت بالمرآة و المرئية: مكسورة الراء مهموزة ممدودة ما ترى المرأة من الحيض صفرة أو بياضاً قبلا او بعدا و أما البصير بالعين فهو الرؤية. إلا أن تقول نظرت اليه رأى العين فيه و تقول: ما رأيته إلا رؤية واحدة و تقول للذى يريک الشىء مرى و المرأة مرية بلا همزة و تقول رأيت فلانا برؤية و المرآة التى تنظر فيها و الرأى ما رأيت القوم فى حسن البشارة و الهيئة قال جرير:

و كل قوم لهم رأى و مختبر و ليس فى تغلب رأى و لا خبر

و اصل الباب: الرؤية بالعين و شبه الرؤية بالقلب به بمعنى العلم. و الرأى يرى حال صلاح و يظن خلافها. و المرية لأنها بمنزلة الآلة للقلب يرى بها.

و الجهرة، و العلانية، و المعاينة نظائر تقول: جهر جهرا أو جاهر مجاهرة، و جهاراً. و تجاهروا تجاهراً. و رجل جهير الصوت. قال صاحب العين: جهر فلان بكلامه، و هو يجهر بقراءته جهارا، و اجهر بقراءته اِجهاراً. و جاهرتم بالأمر

جهارا أى عالنتم به إعلانا و اجتهر القوم فلانا جهاراً: إذا نظروا اليه و كل شىء يبدو فقد جهر و رجل جهير: إذا كان فى المنظر و الجسم فى الناس مجهراً. و كلام جهير، و صوت جهير أى عال. و الفعل منه جهر جهارة. و الجهير هو الجرىء المتقدم و الجهورى: هو الصوت العالى. و الجوهر: كل حجارة يستخرج منها شىء ينتفع به و جوهر كل شىء ما خلقت عليه حلية. و الشاة الجهر التى لا تبصر فى الشمس و الكبش اجهر و قال بعضهم: جهرت البئر: إذا أخرجت ما فيها من الحمأة، و الماء. و بئرٌ مجهورة. و الجهر: ضد السر و جهرنى الرجل إذا راعک جماله و هيئته. و رجل جهير ذو رواء و اصل الباب الظهور. التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 251
و الجهر يقتضى ظاهراً بعد ان يكون خافياً، ليدرک ما لم يكن قبل مدركا و يستدل بالجهر على أنهم أرادوا الرؤية بالعين دون رؤية القلب. و حقيقة الجهر ظهور الشىء معاينة و الفرق بين الجهر و المعاينة أن المعاينة ترجع الى حال المدرِک و الجهرة ترجع الى حال المدرَک.

و معنى قوله: «حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً» قال ابن عباس: علانية. و قال قتادة عيانا. و قد تكون الرؤية غير جهره كالرؤية فى النوم و الرؤية بالقلب فإذا قال جهرة لم يكن إلا رؤية العين على التحقيق، دون التخيل و سؤالهم الرؤية. قال قوم:
هو كفر لأن اجازة الرؤية كفر. و قال آخرون: ليس بكفر و انما اجازة الرؤية التى تقتضى التشبيه كفر. فاما هذا القول منهم فكفر اجماعا، لأنه رد على الرسول و كل من يلقى قول الرسول بالرد من المكلفين، كان كافراً.
و اما الصاعقة فإنها تكون على ثلاثة أوجه:
أولها- الموت: كقوله: «فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ» «1» «فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ» «2» الثانى- العذاب. كقوله: «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ» «3» و الثالث- نار تسقط من السماء كقوله: «وَ يُرْسِلُ الصَّواعِقَ» «4» و أكثرهم على ان موسى لم يمت بالصاعقة كما مات من سأل الرؤية و قال شاذ منهم: انه مات بالصاعقة و قوله: «وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً» أى مغشياً عليه عند اكثر المفسرين بدلالة قوله: «فَلَمَّا أَفاقَ» و الافاقة لا تكون إلا من الغشية دون الموت، و إلا لكان قد قال فلما حيى.
و قوله: «جَهْرَةً» مشتق من جهرت الركية اجهرها جهرا و جهرة: إذا كان

---

(1) سورة الزمر: آية 68
. (2) سورة البقرة: آية 55
(3) سورة حم- السجدة: آية 13
. (4) سورة الرعد آية 14

ماؤها قد غطاه الطين، فنقيت حتى ظهر الماء و قيل: أخذ من قولهم: فلان تجاهر بالمعاصى: إذا كان لا يسرها و انما فزعوا بسؤال أسلافهم الرؤية من حيث انهم سلكوا طريقهم فى المخالفة للنبى الذى لزمهم اتباعه و التصديق بجميع ما اتى به فجروا على عادة أسلافهم فى ذلك الذين كانوا يسألون تارة ان يجعل لهم إلهاً غير اللّه و مرة يعبدون العجل من دون اللّه و مرة يقولون: «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً» و مرة يقولون: «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ» و قال الزجاج فى هذه الآية دلالة على مشركى العرب الذين كانوا ينكرون البعث، لأهل الكتاب مع مخالفتهم الرسول يقرون بإذن اللّه أمات قوماً فى الدنيا، ثم أحياهم و عندنا ان نقل اهل الكتاب لمثل هذا ليس بحجة و انما الحجة فى اخبار اللّه على لسان

نبیه وحده إذ کان کلما یخبر به فهو حق و صدق. و استدل البلخی بهذه الآیة علی ان الرؤیة لا تجوز علی اللّه تعالی. قال لأنها انکارهم أمرین ردهم علی نبیهم، و تجویزهم الرؤیة علی ربهم و بین ذلک قوله تعالی: فقد سألوا موسی اکبر من ذلک فقالوا أرنا اللّه جهرة فدل ذلک علی ان المراد إنکار الامرین و هذه الآیة تدل علی قوله:
«رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ» کان سؤالا لقومه، لأنه لا خلاف بین اهل التوراة ان موسی ما سأل الرؤیة الا دفعة واحدة. و هی التی سألها لقومه و قوله:
«لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ» تعلق بما یخبرهم به من صفات اللّه عز و جل، لأنهم قالوا لن نؤمن لک بما تخبرنا به من صفاته و ما یجوز علیه حتی نراه. و قیل: انه لما جاءهم بالالواح و فیها التوراة قالوا لن نؤمن بان هذا من عند اللّه حتی نراه جهرة و نری علی وزن نفعل و أصله: نرأی قال الشاعر:
أری عینی ما لم ترأیاه کلانا عالم بالترهات
فجاء به علی الأصل و قال آخر:
أ لم تر ما لاقیت و الدهر اعصر و من یتمل العیش یرأی و یسمع
و انما دعاهم الی ان قالوا لن نؤمن لک حتی نری اللّه شکهم، و حیرتهم فیما دعاهم التبیان فی تفسیر القرآن، ج1، ص: 253
الیه موسی (ع) من توحید اللّه عز و جل، و لو کانوا عارفین، لکان دعاهم الیه العناد لموسی و معلوم انهم لم یکونوا معاندین له (ع). و فی الناس من قال: إن قولهم: جهرة من صفة السؤال علی التقدیم و التأخیر کأنه قال: و إذا قلتم جهرة لن نؤمن لک حتی نری اللّه. و قال الأکثر إنها من صفه الرؤیة. و هو الأقوی، لان ما قالوه ترک الظاهر، و تقدیر التقدیم و التأخیر لیس هنا إلی ذلک حاجة.
و قوله: «وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» یعنی ما نزل بکم من الصاعقة و الموت.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 56] ..... ص : 253

اشارة

ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56)
آية بلا خلاف.
قوله: «بَعَثْناكُمْ» أحييناكم. عند اكثر المفسرين: كالحسن، و قتادة، و غيرهما، و قال السدى: بعثناكم أنبياء. و الأول أصح لأنه ظاهر الكلام. فلا يجوز العدول عنه و أصل البعث: إثارة الشىء من محله، و منه قيل: بعث فلان راحلته: إذا أثارها من مبركها للسير. و منه قولهم بعثت فلانا لحاجتى: إذا أقمته من مكانه الذى هو فيه للتوجه فيها. و من ذلک قيل: ليوم القيامة يوم البعث لأنه يوم تثار فيه الناس من قبورهم لموقف الحساب.

و البعث و الإرسال و كل الإطلاق نظائر. يقال: بعثت بعثا. و انبعثت انبعاثا. و تبعثت تبعثة. و بعثته من نومه فانبعث. اى نبهته فانتبه. و تقول: ضرب البعث على الجند. إذا بعثوا إلى العدو. و كل قوم يبعثون الى وجه او فى امر فهم بعث.
و أصل الباب: البعث و هو الإرسال. و كل باعث فاعل. و اما المبعوث فقد يكون فاعلا، و قد لا يكون. يقال: بعث اللَّه عليهم ريحا فاقتلعتهم و الريح مبعوثة. و يقال:
الشهوة للشىء تبعث على الطلب له. فان قيل: هل يجوز ان يرد اللَّه احداً الى التكليف بعد ان مات، و عاين ما يضطره الى معرفته باللَّه؟ قيل: فى ذلک خلاف قال ابو على:
لا يجوز ذلک إلا على من لم يضطره الله الى معرفته و قال بعضهم: يجوز التكليف فى التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 254
الحكمة. و ان اضطر الى المعرفة. و قول أبى على أقوى. و اعل الرمانى قول أبى على، فان قيل: لما كانت المعرفة لأجل الطاعات التى كلفها العبد كانت هى الغرض الذى يتبعه سائر الطاعات فلو ارتفع الغرض، ارتفع التابع له. كما ان الغرض فى الشرائع الاستصلاح فى الأصول التى تجب بالعقل فلو ارتفع ذلک الغرض، ارتفع وجوب العمل بالشرع. و كما انه لا يجوز تكليف الطاعة مع رفع التمكن مع المعرفة من غير ضرورة اليها قال: و وجه القول الثانى أنه لما كان الشكر على النعمة يجب فى المشاهد مع الضرورة الى معرفة النعم، كان الشكر للنعمة التى هى اجل من نعمة كل منعم فى الشاهد اولى ان تجب مع الاضطرار الى المعرفة. و لابى على ان يقول لا نمنع من الوجوب، لكن لا يجوز التكليف، لان الغرض المعرفة. اى هى اصل ما وقع التكليف به للعباد. و الذى أقوله: إن الذى يحيى بعد الاماتة، ان كان لم يخلق له المعرفة الضرورية لم يضطر إليها، فانه يمتنع تكليفه، لأن العلم بان الأحياء بعد الاماتة، لا يقدر عليه غير اللَّه طريقه الدليل و غوامض الاستدلال، فليس إحياؤه بعد الاماتة ما يوجب ان يكون مضطرا الى معرفته، فلذلک يصح تكليفه، و ليس الأحياء بعد الاماتة الا كالانتباه من النوم و الافاقة بعد الغشية فان ذلک لا يوجب علم الاضطرار. و ان فرضنا انه خلق فيه المعارضة ضرورة، فلا يحسن تكليفه لان حسن التكليف موقوف على ازاحة علة المكلف من فعل اللطف، و الاقدار و غير ذلک. و من جملة الالطاف تكليفه للمعرفة. و الضرورية لا تقوم مقامها على ما بيناه فى الأصول. و اذاً لا يحسن تكليفه، لأنه يصير مكلفا و لم يفعل به ما هو لطف له، و ذلک لا يجوز.

و قوله: «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» معناه لكى تشكروا و هذه لام الغرض.
و فيه دليل على فساد قول المجبرة إن اللّه تعالى ما أراد من الكفار الشكر، لأنه لو أراد كفرهم، لقال: لتكفروا و ذلک خلاف القرآن. و من استدل بها على جوازها كان صحيحاً، لان من منع منه و احاله، فالقرآن يكذبه، و ان استدل به على وجوب الرجعة و حصولها فلا يصح لان احياء قوم فى وقت، ليس بدلالة على احياء اخرين فى وقت اخر، ذلک يحتاج إلى دلالة اخرى. و قول من قال: لا تجوز التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 255
الرجعة، لان ذلک معجزة و دلالة على نبوة نبى. و ذلک لا يجوز إلا فى زمن نبى غير صحيح، لان عندنا يجوز اظهار المعجزات على يد الائمة و الصالحين. و قد بيناه فى الأصول. و من ادعى قيام الحجة بان الخلق لا يردون الى الدنيا: كما علمنا ان لا نبى بعد نبينا مقترح مبتدع، لما لا دليل على صحته، فانا لا نخالف فى ذلک و قال البلخى: لا تجوز الرجعة مع الاعلام بها، لان فيها إغراء بالمعاصى من جهة الاتكال على التوبة فى الكرة الثانية. قال الرمانى: هذا ليس بصحيح من قبل انه لو كان فيها إغراء بالمعصية، لكان فى إعلام التبقية الى مدة إغراء بالمعصية. و قد أعلم اللّه تعالى نبيه و غيره إبليس: انه يبقيه الى يوم يبعثون و لم يكن فى ذلک إغراء بالمعصية و عندى ان الذى قاله البلخى ليس بصحيح، لان من يقول بالرجعة، لا يقطع على ان الناس كلهم يرجعون، فيكون، فى ذلک اتكال على التوبة فى الرجعة، فيصير إغراء. فلا احد من المكلفين الا و يجوز ان لا يرجع. و ان قطع على الرجعة فى الجملة و يجوز ان لا يرجع، فكفى فى باب الزجر. و أما قول الرمانى: إن اللّه تعالى اعلم أقواما مدة مقامهم، فان ذلک لا يجوز الا فيمن هو معصوم يؤمن من جهة الخطأ كالأنبياء و من يجرى مجراهم فى كونهم معصومين. فاما من ليس بمعصوم، فلا يجوز ذلک، لأنه يصير مغرى بالقبح و اما تبقية إبليس مع اعلامه ان يستبقيه الى يوم القيامة ففيه جوابان.
أحدهما- انه انما وعده قطعاً بالتبقية بشرط الا يفعل القبيح و من فعل القبيح حق اخترته عقبه. و لا يكون مغرى:
و الثانى- ان اللّه قد علم انه لا يريد بهذا الاعلام فعلا قبيحا، و إلا لما كان يفعله، و فى ذلک إخراجه من باب الإغراء. و قد قيل: إن إبليس قد زال عنه التكليف. و انما امكنه اللّه من وسوسة الخلق تغليظا للتكليف، و زيادة فى مشاقهم و يجرى ذلک مجرى زيادة الشهوات انه يحسن فعلها إذا كان فى خلقها تعريض للثواب الكثير الزائد.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 256

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 57] ..... ص : 256

اشارة

وَ ظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57)
آية بلا خلاف-
قوله: «وَ ظَلَّلْنا» عطف على قوله «ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ» و كأن التقدير ثم بعثناكم من بعد موتكم و ظللنا عليكم الغمام.
و الظلمة و الغمامة و السترة نظائر فى اللغة. تقول: ظل يظل ظلولا. و أظل اظلالا. و استظل استظلالا. و تظلل تظللا. و ظلله تظليلا. قال صاحب العين: تقول ظل نهاره فلان صائماً. و لا تقول العرب: ظل إلا لكل عمل بالنهار. كما لا تقول:
بات إلا بالليل. و ربما جاءت ظل فى أشعارهم نادرا. و من العرب من يحذف لام ظللت، و نحوها فاما اهل الحجاز فيكسرون الظاء على كسر اللام التى ألقيت فيقولون: ظللنا و ظللتم. كما قال تعالى «فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ» «1» و المصدر: الظلول. فالأمر فيه اظلل و الظل ضد الضح و نقيضه. و يقال لسواد الليل، فيسمى ظلا. و جمعه ظلال. قال اللّه تعالى: «أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً» «2» يعنى الليل. و الظل فى كلام العرب هو الليل. و تقول اظلتنى هذه الشجرة اظلالا.
و المكان الظليل: الدائم الظل. و قد دامت ظلاله. و الظلة كهيئة الصفة، و قوله:
«عَذابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ» «3» يقال هو عذاب يوم الصفة. و الظلة البرطلة. و الاظلال:
الدنوّ يقول قد اظلك فلان اى كأنه القى عليك ظله من قربه. و تقول لا تجاوز ظل ظلك و ملاعب ظله: طائر يسمى بذلك. و الأظل: باطن منسم البعير و جمعه اظلال قال الشاعر:
يشكو الوجى من اظلل و اظلل

---

(1) سورة الواقعة آية: 65
. (2) سورة الفرقان آية 45
. (3) سورة الشعراء آية: 189.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 257
يعنى من أظل و أظل. فأظهر التضعيف بضرورة الشعر قال لبيد:
بنكيب معر دامى الأظل «1»
أراد بخف نكيب: منكوب نكبته الحجارة. معر: ساقط الشعر أملس. و الظل كون النهار تغلب عليه الشمس. قال رؤبة: كل موضع تكون فنزول عنه ظل

و فىء يقالان جميعا. و ما سوى ذلک يقال له ظل و لا يقال: فيه الفىء. و الظل الظليل:
الجنة قال اللّه تعالى: «وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا» «2» و الظل: الخيال الذى يرى من الجن و غيره. و المظلة ايضا تتخذ من خشب و غيره يستظل بها و الظل: المنعة و العز.
كذا ذكر ابن دريد يقال: فلان فى ظل فلان اى فى عزه و أصل الباب: التظليل.
و هو الستر و الاظلال الدنو: كدنو الساتر. و حد التظليل الستر من علة.
و الغمام: السحاب و القطعة منها غمامة تقول: يوم غم، و ليلة غمة و امر غام.
و رجل مغموم، و مغتم، ذو غم. و فلان فى غمة من أمره: إذا لم يهتد له. و الغماء:
الشديدة من شدائد الدهر، و رجل أغم، و جبهة غماء: كثيرة الشعر تقول منه: غم يغم. و كذلک فى القفا. قال الشاعر:
فلا تنكحى إن فرق الدهر بيننا أغم القفا و الوجه ليس بانزعا
و الغميم: الغمس و هو ان يسحق حتى يغلط. و الغم: ضد الفرح. و الغمة: الغطاء على القلب من الغم. و الغمة: الضيقة تقول: اللهم احسر عنا هذه الغمة أى الضيقة. و غم الهلال إذا غطاه الغيم. و كل شىء غطيته فقد غميته و لذلک سمى الرطب الغموم و هو الذى يوضع فى جرة و هو بسر ثم يغطى حتى يرطب. و الغمام اشتق من هذا، لأنه يغطى السماء، و رجل أغمم. و امرأة غماء إذا دنا قصاص الشعر من حاجبه حتى يغطى جبهته، و كذلک هو فى القفا. و أصل الباب الغطاء.

يوم الغمام الذى ظلل على بنى إسرائيل. قال ابن عباس و مجاهد: لم يكن بالسحاب، و لكنه الذى عنى فى قوله: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِنَ

---

(1) اللسان (معر) و صدره. و تصک المر و لما هجرن
. (2) سورة النساء آية: 56.

الْغَمامِ». «1» و هو الغمام الذى أتت فيه الملائكة يوم بدر، و لم يكن لغيرهم. قال ابن عباس كان معهم فى التيه و قيل هو ما ابيض من السحاب.
و اما المن قال ابن عباس: هو المن الذى يعرفه الناس يسقط على الشجر و قال قتادة: كان المن ينزل عليهم مثل الثلج. و قيل هو عسل و قيل خبز مرقق و قيل هو الزنجبيل. و قيل هو شىء كالصمغ كان يقع على الأشجار و طعمه كالشهد و العسل عن مجاهد و قال الزجاج: جملة المن ما من اللَّه تعالى على عباده مما لا تعب فيه و لا نصب.
و روى عن النبى (ص) انه قال: الكمأة من المن و ماؤها شفاء للعين.
قال بعض اهل العلم يعنى بمائها الوسمى الذى يكون منها الكمأة و هو أول مطر يجىء فى الخريف. و قيل هو الذى يسقط على الثمام.
و المنّ حلوٌ كالعسل. و إياه عنى الأعشى فى قوله:
لو أطعموا المن و السلوى مكانهم ما ابصر الناس طعما فيهم نجعا «2»
و جعله امية بن أبى الصلت فى شعره عسلا فقال:
و رأى اللَّه انهم بمضيع لا بذى مزرع و لا معمورا «3»
فنساها عليهم غاديات و مرى مزنهم خلايا و خورا «4»
عسلا ناطفا و ماء فراتا و حليباً ذا بهجة مثمورا «5»
الناطف: القاطر و الصافى من اللبن و المن قطع الخير قال اللَّه تعالى لهم «أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» أى غير مقطوع. و المن: هو الإحسان الى من لا يستثنيه و الاسم هو المنة و اللَّه تعالى

---

(1) سورة البقرة: آية 210
. (2) ديوانه. و من قصيدة طويلة يمدح بها ذا التاج هوذة ابن على الحنفى صاحب اليمامة. الطعم: مآكل من الطعام. و نجع الطعام فى الإنسان: استمرأه آكله و صلح عليه
. (3) ديوانه يقال: هو بدار مضيعة: كأنه فيها ضائع. مزرعِ مصدرِ ميمى من

زرع يعنى ليس بذى زرع. معمور آهل و نصب معموراً عطفاً على بذى مزرع فى المطبوعة و المخطوطة «و رأى» بدل «فرأى» «مثمورا» بدل «معمورا» [.....]
(4) فنساها من نسأها. و نسأ الدابة زجرها و ساقها. غاديات جمع غادية و هى السحابة التى تنشأ غدوة. و مرى الناقة مرياً مسح ضرعها لتدر. و المزن جمع مزية و هى السحابة ذات الماء.
و خلايا جمع خلية و هى الناقة التى خليت للحلب لغزارة لبنها. الخور: ابل حمر تميل الى الغبرة. فى المخطوطة و المطبوعة بدل «فنساها» «فسناها» و بدل «مرى» «قرى». و بدل «مزنهم» «منهم» و بدل «و خورا» «و عورا»
. (5) ناطف قطر و الفرات: أشد الماء عذوبة.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 259
المنان علينا الرحيم و المنة: قوة القلب. يقال ضعيف المنّة. و يقال ليست لقلبه منة و المنون: الموت. و هو اسم مؤنث. قال ابن دريد: منّ يمنّ منا: إذا اعتقد منه و من عليه بيدٍ أسداها اليه إذا قرعه بها. و إصل الباب: الإحسان. فالمن الذى كان يسقط على بنى إسرائيل مما من اللّه عليهم أى أحسن به اليهم.
و اما السلوى فقال ابن عباس: هو السمانى و قيل: هو طائر كالسمانى و واحده سلوى قال الأخفش: لم اسمع له بواحد. قال: و يجوز ان يكون واحده سلوى مثل جماعته كما قالوا دفلى للواحد و الجماعة. و قال الخليل: واحده سلواة قال الشاعر:
كما انتفض السلواة بلله القطر
و يقال سلا فلان يسلو عن فلان: إذا تسلى عنه. و فلان فى سلوة من العيش إذا كان فى رغد يسليه الهم. و السلوان: ماء من شربه ذهب غمه على ما يقال و يقال هذا مثل يضرب لمن سلا عن شىء يقال سقى سلوة و سلوانا. و قال ابن دريد: سلا يسلو سلوا، و سلوا و سلوة و السلوانة: خرزة زعموا انهم إذا صبوا عليها الماء، فسقى منها الرجل، سلا و اصل الباب السلو، و هو زوال الهم.

و كان سبب انزال المن و السلوى عليهم انه لما ابتلاهم اللَّه تعالى بالتيه، حين قالوا لموسى: «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ» «1» فأمرهم بالمسير الى بيت المقدس، فلما ساروا تاهوا فى قدر خمس فراسخ أو الستة. فلما أصبحوا ساروا عادين فامسوا، فإذا هم فى مكانهم الذى ارتحلوا منه فلم يزالوا كذلک، حتى تمت أربعين سنة، تفضل عليهم فى تلک الحال، و احسن اليهم، و انزل عليهم المن و السلوى.
و كانت ريح الجنوب تحشره عليهم قال ابن جريج: كان الرجل إذا أخذ من المن و السلوى زيادة على طعام يوم واحد، فسد إلا يوم الجمعة فإنهم إذا أخذوا طعام يومين لم يفسد.

---

(1) سورة المائدة آية: 27.

و موضع «كلوا» نصب على و قلنا كلوا كذا قال الرمانى:
و قيل فى معنى «الطيبات» قولان:
أحدهما- انه المشتهى اللذيذ و الثانى- انه المباح الحلال الذى يستلذ أكله.
و قوله: «و ما ظلمونا»

انما يتصل بما قبله بتقدير محذوف فكأنه قال فخالفوا ما امر اللَّه به أو كفروا هذه النعمة. «و ما ظلمونا» قال ابن عباس و ما نقصونا، و لكن كانوا أنفسهم ينقصون. و قال غيره: معناه و ما ضرونا، و لكن كانوا أنفسهم يضرون. قال ابو على الظلم الذى لا يستحقه المضرور ممن قصده و ليس للمضرور فيه نفع. و قال الرمانى حقيقة الضرر القبيح. و الصحيح فى حقيقة الظلم ما ذكرناه فيما مضى هو الضرر الذى لا نفع فيه يوفى عليه، و لا دفع ضرر أعظم منه عاجلا و آجلا و لا يكون واقعاً على وجه المدافعة فاما ما قاله الرمانى فهو حد الشىء نفسه، لأن السؤال باق و لقائل ان يقول: و ما الضرر إلا القبيح، لأن كونه قبيحا حكم من أحكامه فلا بد من بيان ذلک حينئذ. و ما ذكره ابو على ينتقض بالألم الواقع على وجه المدافعة و بالألم الذى فيه وجه ضرر أعظم منه عن الضرورة، و بالضرر الذى فيه نفع يوازيه

و روى عن عن الصادق (ع) انه قال: المن كان ينزل على بنى إسرائيل من بعد طلوع الفجر الثانى الى طلوع الشمس فمن نام فى ذلک الوقت، لم ينزل عليه نصيبه فلذلک يكره النوم فى هذا الوقت الى بعد طلوع الشمس.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 58] ..... ص : 260

اشارة

وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58)
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 261
آية بلا خلاف.

قرأ نافع و اهل المدينة يغفر بضم الياء و فتح الفاء. الباقون بفتح النون، و كسر الفاء و ادغم الراء فى اللام و ما جاء منه. و الآية معطوفة على ما تقدم. فكأنه قال و اذكروا إذ قلنا. ادخلوا و الدخول و الولوج و الاقتحام نظائر و الفرق بين الدخول و الاقتحام ان الاقتحام دخول على صعوبة.

و نقيض الدخول: الخروج تقول: دخل يدخل دخولا. و ادخله إدخالا.
و تداخل تداخلا، و استدخل استدخالا، و داخله مداخلة. و يقال: فى أمره دخل أى فساد. دخل أمره يدخل دخلا: أى فسد. و دخلت الدار و غيرها دخولا و أوردت ابلى دخالا إذا أوردتها فأدخلت بين كل بعيرين بعيراً ضعيفاً بعد ما ابتعر أو تشرب دون ريها. و فلان دخيل بنى فلان: إذا كان من غيرهم. و اطلعت فلانا على دخلة امرى: إذا بثثته مكتومک. و الدخل طائر صغير. و فلان حسن المدخل، أو قبيح المدخل: أى المذهب فى الأمور. و كل لحمة على عصب فهى دخلة. قال صاحب العين: فلان مدخول إذا كان فى عقله دخل، أو فى حسبه. و المدخول: المهزول الداخل فى جوفه الهزال. و الدخلة: بطانة الأمير. يقال: فلان خبث الدخلة. و ادخل فى عار و يدخل فيه و نحو ذلک يصف شدة الدخول. و دخيل الرجل: الذى يداخله فى أموره كلها فهو له دخيل. دخال و الدخال: مداخلة المفاصل بعضها فى بعض.
و الدخولة معروفة و الدخل: صغار الطير أمثال العصافير مأواها الغيران، و بطون الاودية تحت الشجر الملتف و جمعه دخاخيل. و الأنثى دخلة. و اصل الباب: الدخول قال الرمانى فى حد الدخول: الانتقال الى محيط. و قد يقال: دخل فى الامر: كما يقال دخل فى الدار تشبيهاً و مجازاً.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 262
و قوله: «هذه القرية» إشارة الى بيت المقدس- على قول قتادة، و الربيع ابن أنس- و قال السدى: هى قرية بيت المقدس: و قال ابن زيد: إنها أريحا قريب من بيت المقدس.

و القرية و البلدة و المدينة نظائر. قال ابو العباس: أصله الجمع: و منه المقراة:
الحوض الذى تسقى فيه الإبل. سمى مقراة، لجمع الماء فيه. و المقراة: الجفنة التى يعد فيها الطعام للاضياف قال الشاعر:
عظام المقارى جارهم لا يفزّع
و منه قريت الضيف. و منه قريت الماء فى الحوض. و منه قريت الشاة تقرى و شاة قارية: إذا كانت تجمع الجرة فى شدقها. و هو عيب عندهم شديد و كل ما قرى فهو مقرى: مثل المرقد كل ما رقدت فيه. و القرى: المسيل الذى يحمل الماء الى الروضة. و جمعه: قريان: كقضيب و قضبان قال الشاعر:
ماء قرىّ حده قرى
قال ابن دريد: قريت الضيف أقريه قرى. و قريت الماء فى الحوض أقريه قريا.
و قرى البعير: جرته فى شدقه قريا. و القرية: اشتقاقها من قرى البعير جرته: أى جمعها. و الجمع قرى- على غير قياس-. و قال قوم من اهل اليمن: قرية: و قال صاحب العين: القرية و القيرية- لغتان- تقول: ما زلت استقرى هذه الأرض قرية قرية. و الكسر لغة عانية. و من هناک اجتمعوا على جمعها على القرى، حيث اختلفوا فحملوها على لغة من قال: كِسوة و كُسوة. و النسبة اليها قروى. و ام القرى: مكة و قوله: «وَ تِلْکَ الْقُرى أَهْلَکْناهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا» «1» يعنى بها: الكور و الأمصار و المدائن و القرى: الظهر من كل شىء، حتى الآكام و غيرها. و الجمع الاقراء. و القرى:
الإحسان الى الضيف. تقول: أقرى يقرى الضيف قرىً: إذا اضافه ضيافة، و أنزله نزالة. و القرى جىء الماء فى الحوض. و المدة تقرى فى الجرح: أى تجتمع.

---

(1) سورة الكهف: آية 60

و قوله: «وَ ادْخُلُوا الْبابَ» أى الباب الذى أمروا بدخولها. و قال مجاهد و السدى: هو باب حطة من بيت المقدس. و هو الباب الثامن. و قيل: باب القبة التى كان يصلى إليها موسى. و قال قوم: باب القرية التى أمروا بدخولها. قال أبو على: قول من قال: إنه باب القرية، لأنه لم يدخلوا القرية فى حياة موسى، لأنه قال: «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ». و العطف بالفاء يدل على أن هذا التبديل منهم كان فى أثر الأمر فدل ذلک على أنه كان فى حياة موسى.
و معنى قوله: «سجداً» قال ابن عباس: ركعاً. و هو شدة الانحناء. و منه السجد من النساء: الفاترات الأعين. و قال الأعشى:
و لهوى إلى حور المدامع سجد
و قال الآخر:
ترى الأكم منه سجداً للحوافر «1»
و قال غيره: ادخلوا خاضعين متواضعين. قال اعشى قيس:
تراوح من صلوات الملى ک طوراً سجوداً و طوراً جؤارا «2»
و قوله: «حِطَّةٌ»

قال الحسن، و قتادة و اكثر أهل العلم: معناه حُط عنا خطايانا. و روى عن ابن عباس أنه قال: أمروا أن يستغفروا. و روى عنه ايضاً أنه قال: أمروا أن يقولوا: هذا الأمر حق: كما قيل لكم. و قال عكرمة: أمروا أن يقولوا لا إله إلّا اللّه. و كل هذه الأقوال محط الذنوب فيترحم لحطة عنها.

_____

(1) الكامل 1: 258 فى المطبوعة فيها. و هو غلط. و الأكم: ج 10 كام ج. أكمة و هى التل.

(2) ديوانه. راوح. عمل عملين فى عمل. و الجؤار. رفع الصوت بالدعاء.

و حطة مصدر مثل ردّة و جدّة من رددت و جددت. قال صاحب العين:
الحط: وضع الأحمال عن الدواب تقول: حططت عنها أحط حطا. و انحط انحطاطا.
و الحط و الوضع و الخفض نظائر. و الحط: الحدر من العلو: كقول امرئ القيس:
كجلمود صخرٍ حطه السيل من علِ «1»
و يقال للنجيبة السريعة: حطت فى سيرها و انحطت. و تقول حط اللّه وزرک الذى انقض ظهرک. و قال الشاعر:
و احطط إلهى- بفضل منک- أو زارى
و الحطاطة: بثرة تخرج فى الوجه تقبح اللون و لا تقرح. و جارية محطوطة المتنين: ممدودة حسنة و الحط: حط الأديم بالمحط. و هى خشبة يصقل بها الأديم او ينقش. و أصل الباب: الحط: و هو الحدر من علو. و ارتفعت «حطة» فى الآية- على قول الزجاج- على تقدير مساءلتنا حطة، و قال غيره: دخولنا الباب سجداً:
حطة لذنوبنا كقوله: «وَ إِذْ قالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً قالُوا: مَعْذِرَةً» يعنى موعظتنا بعذرة إلى ربكم.
و يجوز النصب فى العربية على معنى حط عنا ذنوبنا حطة، كقولک: سمعا و طاعة يعنى اسمع سمعاً و أطيع طاعة، كقولک: معاذ اللّه. يعنى نعوذ باللّه و هو أقوى لأنه دعاء.
و قوله: «نَغْفِرْ لَكُمْ»

و الغفران و العفو، و الصفح نظائر. يقال: غفر الله غفرانا. و استغفر استغفارا و اغتفر اغتفاراً. قال ابو العباس: غفر الله لزيد بمعنى: ستر غطى له على ذنوبه.
و الغفران انما هو التغطية. يقال للسحابة فوق السحاب: الغفارة. و ثوب ذو غفر:

---

(1) معلقته و صدر البيت: مكر مفر مقبل مدبر معاً- يصف فرسه-

إذا كان له زئير يستر قبحه. و يقال: المغفر، لتغطية العنق. و يقال غفرت الشىء:
إذ واريته. و المغفرة و الغفيرة بمعنى [واحد]. و المغفرة: منزل «1» من منازل القمر. يسمى [بذلک] لخفائه. و قال الزجاج: الغفر: التغطية. و كل ما تفزع من هذا الباب فهذا معناه. و قولهم: اللهم اغفر لنا. تأويله اللهم غط علينا ذنوبنا و اللّه الغفور و الغفار و المغفر ما يغطى به الرأس من الحديد و غيره. و كذلک الغفارة و هى خرقة تلف على سية القوس: أى طرفها. و غفارة: اسم رأس جبل. و المغفورة و المغفارة. صمغ العرفط و قد اغفر الشجر: إذا ظهر ذلک فيه. و فى الحديث: أن النبى «ص» دخل على عائشة. فقالت: يا رسول الله. أكلت مغافير؟ تعنى هذا الصمغ. و منهم من يقول: مغاثير: كما قيل جدث، و جدف. و الغفر: شعر صغار دون الكبار. و ريش دون الريش الكبار، لأنه هو الذى يغطى الجلد. و الغفر:
النكس من المريض. يقال: صلح فلان من مرضه ثم غفر أى نكس. و منه قول ضرار.- و قيل إنه لحميل-:
خليلى إن الدار غفر لذى الهوى كما يغفر المحموم او صاحب الكلم
و معناه: أن المحب إذا سلا عن حبيبه، ثم رأى داره جدد عليه حبه. فكأنه مريض نكس. و انما قيل النكس، لأنه يغطى على العافية. و الغفر: شعر يكون فى اللحيين. و قد غفر فلان، و قد غفرت المرأة: إذا أنبت لها ذلک الشعر. و متاع البيت يقال له: الغفر، لأنه يغطى على الخلل. و الغفر: الحوالق. و يقال جاء و الجماء الغفير. و جاءوا جماً غفيرا. و جاءوا جماء الغفير: اى مجتمعين جمعاً يغطى الأرض.
و الغفر: ولد الأروى: و هى أنثى الوعل، لأنها تأوى الجبال، فتستر عن الناس.
يقال لأنثى الوعل، إذا كان معها ولدها: مغفر. كما يقال: لكل ذات طفل: مطفل.

و يقال: غفرت الأمر تغفرة: إذا أصلحته بما ينبغى ان يصلح به. و المعنى: أصلحته بما غطى على جميع فساده. و الغفر: زئير الثوب. و ثوب ذو غفر. و غفرت المتاع إذا جعلته فى وعاء. و كل شىء غطيته، فقد سترته. و يقال اصبغ ثوبک فانه أغفر

---

(1) ثلاثة أنجم صغار.

للوسخ: أى استر له. و أصل الباب: التغطية و حد المغفرة: ستر الخطيئة برفع العقوبة و الخطيئة، و الزلة، و المعصية نظائر. يقال: خطأ خطأ. و اخطأ إخطاءً.

و استخطأه استخطاء. و خطأه تخطئة. و تخاطى تخاطياً. قال ابن دريد: الخطأ مقصور مهموز. يقال خطأ الشىء خطأ: إذا لم يرده و اصابه. و اخطأ يخطئ اخطاء: إذا اراده فلم يصبه. و الأول خاطئ و الثانى مخطئ به. و الخطيئة تهمز. قال صاحب العين: الخطأ: ما لم يتعمد، و لكن يخطئ اخطاء و خطاءة و تخطئة. و اصل الباب: الخطأ و مثله الزلل. و الخاطئ الذى قد زل عن الشىء فى قصده- و ان اتفق له ان يصيبه من غير أن يقصده، و لذلک لا يكون الخاطئ فى الدين إلا عاصياً، لأنه لم يقصد الحق و أما المخطئ فإنما زل عن قصده. و لذلک يكون المخطئ من طريق الاجتهاد مصيباً لأنه قصد الحق و اجتهد فى اصابته فصار الى غيره. و حد الخطيئة: العدول عن الغرض المجرد. و خطايا وزنها: فعائل. و تقديره خطائى، فقلبت الهمزة الأخيرة ياءً على حركة ما قبلها، فصارت خطايى، ثم فعل بها ما فعل بمدارى، حتى قيل مدارى فصارت: خطاءى. فاستثقل همز بين ألفين، لأنه بمنزلة ثلاث ألفات، فقلبت الهمزة ياء. و انما أعلت هذا الاعلال، لأن الهمزة التى بعد الألف عرضت فى جميع فعل القياس. تقول: فى جمع مرآة مراءى، فلا تعل. و الخليل يقول: وزنه فعالى على قلب الهمزة.

من اختار النون من القراء، قال: لأنه مطابق لما تقدم من قوله: «و ظللنا» و «قلنا». و انما اتفق القراء على خطاياكم ها هنا، و اختلفوا فى الأعراف و سورة نوح، لأن اللتين فى الأعراف و نوح كتبتا فى المصحف بالياء بعد ألف، و التى فى البقرة بألف.
و قوله: «وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ».
فالزيادة التى وعدها اللّه المحسنين، هى تفضل يعطيه اللّه المحسنين، يستحقونها بوعده إياهم. و هى زيادة على الثواب الذى يستحقونه بطاعته (تعالى). التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 267

و الفرق بين احسن اليه و احسن فى فعله: ان أحسن اليه لا يكون إلا بالنفع له. و احسن فى فعله ليس كذلک. ألا ترى انه لا يقال: أحسن اللّه اليه إلى أهل النار بتعذيبهم. و يقال: أحسن فى تعذيبهم بالنار: يعنى أحسن فى فعله و فى تدبيره.
و الإحسان، و الانعام، و الإفضال نظائر. و ضد الإحسان: الاساءة: يقال حسن حسنا: و احسن إحسانا. و استحسن استحسانا. و تحاسنوا تحاسنا. و حسنه تحسينا. و حاسنه محاسنة. و المحسن و الجمع محاسن:- المواضع الحسنة فى البدن.
و يقال: رجل كثير المحاسن. و امرأة كثيرة المحاسن. و امرأة حسناء. و لا تقول:
رجل أحسن، و تقول: رجل حسان و امرأة حسانة. و هو المحسن جيدا. و المحاسن فى الاعمال: ضد المساوئ. تقول: أحسن فإنک الحسان. و الحسنى: الجنة، لقوله:
«لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ». و الحسنى: ضد السوء. و الحسن: ضد القبيح و الحسان: جمع حسن ألحقوها بضدها، فقالوا: قباح و حسان. كما قالوا: عجاف و سمان. و اصل الباب: الحسن. و هو على ضربين: حسن فى النظر، و حسن فى الفعل و كذلک القبح. و حد الحسن من طريق الحكمة: هو الفعل الذى يدعو اليه العقل. و حد القبح: الذى يزجر عنه العقل. و حد الإحسان: هو النفع الحسن.
و حد الاساءة: هو الضرر القبيح هذا لا يصح الا على قول من يقول: إن الإنسان يكون محسنا الى نفسه و مسيئا اليها. و من لا يقول فذلک يريد فيه الواصل الى الغير مع قصده الى ذلک و الأقوى فى حد الحسن أن تقول: هو الفعل الذى إذا فعله العالم به على وجه، لم يستحق الذم فانه لا ينتقض بشىء.
و قوله: «فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً» يعنى من هذه القرية، حيث شئتم رغداً أى واسعاً بغير حساب. و قد بينا معناه فيما مضى و اختلاف الناس فيه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 59] ..... ص : 267

اشارة

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِی قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (59)
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 268
آية بلا خلاف.
معنى قوله: فبدل الذين ظلموا: غيروا.
و قوله: «الَّذِينَ ظَلَمُوا» معناه: الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله.
و قوله: «غَيْرَ الَّذِی قِيلَ لَهُمْ» يعنى بذلک بدلوا قولا غير الذى أمروا أن يقولوه. فقالوا بخلافه. فذلک هو التبديل و التغيير. و كان تبديلهم بالقول: انهم أمروا ان يقولوا: حطة، و ان يدخلوا الباب سجداً. و طؤطئ لهم الباب ليدخلوه كذلک فدخلوه يزحفون على أستاههم فقالوا: حنطة فى شعيرة مشتهرين.
و قوله: «فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» يعنى: الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله فى تبديلهم بالقول و الفعل «رِجْزاً»:

و الرجز فى لغة اهل الحجاز: العذاب. و فى لغة غيرهم: الرجس، لأن الرجس الشر.
و منه قوله (ع) فى الطاعون: إنه رجس عذّب به بعض الأمم
و هو قول ابن عباس، و قتادة. و قال ابو عبيدة: الرجز و الرجس لغتان مثل الردع، و السدع و البزاق و البساق. و قال ابو العالية: هو الغضب. و قال ابو زيد: هو الطاعون، فقيل انه مات منهم فى ساعة واحدة اربعة و عشرون الفاً من كبرائهم و شيوخهم و بقى الأبناء و انتقل العلم و العبادة اليهم.
و قوله: «مِنَ السَّماءِ» قال قوم: يعنى ما قضاه اللَّه عليهم من السماء. و قال آخرون:
أراد بذلک المبالغة فى علوه بالقهر.
و قوله «يَفْسُقُونَ» مضمومة السين عليه جميع القرّاء و هو أشهر اللغات. و قد حكى فى بعض اللغات بكسر السين

وَ إِذِ اسْتَسْقى مُوسى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60)

آية واحدة بلا خلاف.

قوله: «و إذا» متعلق بكلام محذوف. و يجوز ان يكون ذلک ما تقدم ذكره فى الآيات المتقدمة من ضروب نعم اللّه على بنى إسرائيل فكأنه قال: و اذكروا إذ استسقى موسى لقومه: أى ساله إن يسقى قومه ماء تقول: سقيته من سقى السقة، و أسقيته: دللته على الماء فنزل منزلة سؤال ذلک. و المعنى الذى سال موسى إذا كان فيما ذكر من الكلام الظاهر دلالة على معنى فما نزل. و كذلک قوله: «فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً» من ماء فاستغنى بدلالة الظاهر على المنزول منه، لأن معنى الكلام: قلنا اضرب بعصاک الحجر فضربه فانفجرت منه. فترک ذكر الخبر غير ضرب موسى الحجر إذا كان فيما ذكره دلالة على المراد. و كذلک قوله: «قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ» فترک ذكر منهم لدلالة الكلام عليه.

و الانفجار، و الانشقاق. و الانجاس أضيق منه فيكون أولا انبجاسا، ثم يصير انفجاراً و العين من الأسماء المشتركة. العين من الماء مشبهة بالعين من الحيوان بخروج الماء منها، كخروج الدمع من عين الحيوان و قد بينا ان أناسا لا واحد له من لفظه فيما مضى و إن الإنسان لو جمع على لفظه لقيل أناسين و اناسيه و قوم موسى هم بنو إسرائيل الذين قص اللّه عز و جل قصصهم فى هذه الآيات. و انما استسقى لهم ربهم الماء فى الحال التى تاهوا فيها فى التيه شكراً اليه الظما فأمروا بحجر طورانى من الطور. فضربه موسى بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين معلومة ماؤها لهم. و روى عن ابن عباس انه قال: ظلل عليهم الغمام فى التيه و أنزل عليهم المن و السلوى و جعل لهم ثيابا لا تبلى و لا تتسخ و جعل

بين ظهرانيهم حجر مربع و روى التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 270

انه كان مثل شكل الرأس. و امر موسى فضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فى كل ناحية منه ثلاثة عيون، و لا يرتحلون مرحلة إلا وجدوا ذلک الحجر بينهم فى ذلک المكان الذى كان بينهم فى المنزل الاول. و قيل إنهم كانوا ينقلونه معهم فى الجوالق إذا احتاجوا الى الماء. ضربه موسى بالعصى فيه ففجر منه الماء و قال قوم: بانه امر بان يضرب أى حجر شاء لا حجراً بعينه. و الاول أظهر لأن فيه لام التعريف.

و الشين ساكنة فى اثنتا عشرة عند جميع القراء. و كان يجوز كسرها فى اللغة و لم يقرأ به احد. و الكسر لغة ربيعة، و تميم و الإسكان: لغة اهل

الحجاز و اسد فإذا صغرت اثنتا عشرة قلت ثنى عشرة و إذا صغرت ثنى قلت ثنتى عشرة. و روى فتحها محمد عن الأعمش. و هو غلط إلا إذا قيل عشرة مفرد فانه بفتح الشين. فاما ما زاد على ذلک فالشين ساكنة، أو مكسورة إلا قولهم أحد عشر إذا بنيا معاً.
و نصب عيناً على التمييز. و عند الكوفيين على التفسير و لا ينبغى الوقف على احد الاسمين المجعولين اسماً واحداً، دون الآخر: كقولک احد عشر، و اثنا عشر، و ما أشبه ذلک و لذلک يكره الوقف على العدد الأخير قبل ان يميزه، و يفسره و كذلک قوله:
«خَيْرٌ ثَواباً وَ خَيْرٌ عُقْباً» «1» «مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً»»
«أَوْ عَدْلُ ذلِکَ صِياماً» «3» «و خير حافظَا» «4» «و احسن ثوابا» و أشباه ذلک و من آيات اللّه العجيبة انفجار العيون من الحجر الصلد بعدد قبائل إسرائيل على وجه يعرف كل فرقة منهم شرب نفسه، فلا ينازعه فيه غيره. و ذلک من الأمور الظاهرة. على أن فاعل ذلک هو اللّه تعالى و ان ذلک لا يتم فيه حيلة محتال و لا كيد كائد. و من استبعد ذلک من الملحدين فالوجه ان يتشاغل معه فى الكلام فى اثبات الصانع، و حدوث الصنعة، و اثبات صفاته و ما يجوز عليه، و ما لا يجوز فإذا ثبت ذلک سهل الكلام فى ذلک. و متى شک فى ذلک، أو فى شىء منه، كان الكلام معه فى هذا الفرع ضربا

---

(1) سورة مريم: آية 77
. (2) سورة آل عمران: آية: 91.
(3) سورة المائدة: آية 98
. (4) سورة يوسف آية 64

من العناء لا وجه للتشاغل به. و قوله ها هنا: «فَانْفَجَرَتْ» لا ينافى قوله فى الاعراف: «فَانْبَجَسَتْ» لأن الانبجاس: هو الانفجار إلا أنه قليل و قيل: إنه لا يمتنع أن يكون أوله ما ينبجس، كان قليلا، ثم صار كثيراً، حتى صار انفجاراً و قوله: «كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللّهِ» يعنى من النعم التى عددها عليهم من المن و السلوى و غير ذلک و قوله: «وَ لا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» أى لا تطغوا و لا تسعوا فى الأرض فسادا. و اصل العثا: شدة الفساد. يقال منه: عثا فلان فى الأرض الى عاثية يعثا. و الجماعة يعثون. و فيه لغتان أخريتان: أحدهما- يعثو عثوا. و من قرأ بهذه اللغة ينبغى أن يضم الثاء. و لم يقرأ به احد. و اللغة الاولى: لغة اهل الحجاز. و قال بنو تميم: عاث يعيث عيثا و عيوثا و عيثانا. بمعنى واحد. قال رؤبة بن العجاج:
و عاث فينا مستحل عائث مصدقٌ أو تاجر مقاعث «1»
يعنى بقوله: عاث فينا: أفسد فينا. و قيل: يعثو أصله العيث. فقدموا بعض الحروف، و أخروا بعضها. يقال: عثا يعثو. و عاث يعيث و هو الفساد. قال

ابن اذينة الثقفى:
و انما قال: «لا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» و إن كان العيث لا يكون إلا فسادا، لأنه يجوز أن يكون فعلا ظاهره الفساد، و باطنه المصلحة: كخرق موسى السفينة، فبين ذلک العيث الذى هو الفساد ظاهراً و باطناً.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 61] ..... ص : 271

اشارة

وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ فَادْعُ لَنا رَبَّکَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَ قِثَّائِها وَ فُومِها وَ عَدَسِها وَ بَصَلِها قالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِی هُوَ أَدْنى بِالَّذِی هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَکُمْ ما سَأَلْتُمْ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذلِکَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِکَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ (61)

---

(1) ديوانه. مستحل: استباح الأموال. مصدق: هو العامل الذى يجبى الحقوق من المسلمين. قعث الشىء: استأصله. فى المخطوطة: «سحل» بدل مستحل «قاجر» بدل «تاجر» و «مباعث» بدل «مقاعث».

آية بلا خلاف.

قرأ اهل المدينة: النبيئين- بالهمز- الباقون بغير همزة. و ترک الهمزة هو الاختيار.

و اختلفوا فى اشتقاقه. فقال بعضهم: من انبائک الامر: كأنه انبأ عن اللَّه و أخبر عنه. فترک الهمز ذلک لكثرة ما يجزى. و قال الكسائى: النبى: الطريق يراد به أنه علم و طريق الى الحق. و أصله من النبوة و النجوة: المكان المرتفع. و من قال:
هو مشتق من الانباء، قال: جاء فعيل بمعنى مفعل: كما قال: سميع بمعنى مسمع.
كذلک قالوا: نبىء بمعنى منبأ، و بصير بمعنى مبصر. و أبدل مكان الهمزة من النبىء الياء، فقالوا: نبىّ «1» هذا و يجمع النبى أنبياء. و انما جمعوه كذلک، لأنهم ألحقوا النبى بابدال الهمزة منه ياء. فالنعوت التى تأتى على تقدير فعيل من ذوات الياء و الواو و ذلک كقولهم: ولى و اولياء. و وصى و أوصياء. و دعى و ادعياء. و لو جمعوه على أصله، و الواحد بنى ليعتل اليها، لأن فعيلا تجمع فعلاء: كقولهم: سفيه و سفهاء و فقيه و فقهاء. و شريک و شركاء. و قد سمع من العرب: النبآء. و ذلک فى لغة من همز النبى. و من قول العباس بن مرداس السلمى فى وصف النبى (ص) و مدحه:
يا خاتم النبآء انک مرسل بالخير كل هدى السبيل هداكا «2»

---

(1) فى المطبوعة «ما» زائدة فى هذا الموضع [.....]
. (2) سيرة ابن هشام 4: 103 فاعل «هداک» هو اللّه سبحانه و تعالى فى المخطوطة «الأنبياء» بدل «النبآء» و هو غلط و فى مجمع-

فجمع على أن واحدهم نبىء- مهموز- و قد قال بعضهم: النبى و النبوة غير مهموزين، لأنهما مأخوذان من النبوه. و هى مثل النجاة. و هما مأخوذان من المكان المرتفع. و كل يقول: إن اصل النبى: الطريق قال القطامى:
لما وردن نبيا و استتب بها مسحنفر كخطوط السيح منسحل «1»
قالوا: و سمى الطريق نبياً، لأنه ظاهر مبين من النبوة قال ابو على الفارسى:
قال ابو زيد: نبأت من ارض الى أرض، و انا انبأ نباء و نبوء: إذا خرجت منها الى أخرى. و ليس اشتقاق النبى من هذا- و ان كان من لفظه- و لكنه من النبأ الذى هو الخبر. كأنه المخبر عن اللَّه. فان قلت: لم لا يكون من النباوة و مما أنشده ابو عثمان. قال: انشدنى ابن كيسان:
محض الضريبة فى البيت الذى وضعت فيه النباوة حلواً غير ممذوق
او يجوز فيه الأمرين؟ فتقول: إنه يجوز أن يكون من النباوة و من النبأ كما أجيز فى عضة أن يكون من الواو: كقوله و عضوات. و من الهاء كقوله:

لها بعضاه الأرض تهرير
قال: و ليس ذلک کالعضة، لأن سيبويه زعم أنهم يقولون فى تحقير النبوة: کان مسيلمة بنبوءته نبيئة سوء. و کلهم يقولون: تنبأ مسيلمة. و لو کان يحتمل الامرين جميعاً، لما اجتمعوا على أنبياء و لا على النبيئة. فان قيل: فلم لا لا يستدل بقولهم: أنبياء؟ قيل: ما ذکرته لا يدل على تجويز الأمرين، لأن (أنبياء) انما جاز، لأن البدل لما الزم فى نبىء، صار فى لزوم البدل له: کقولهم:
عيد و أعياد. فکما أن عيد لا يدل على أنه من الياء لکونه من عود الشىء. کذلک لا يدل أنبياء على انه من النباوة، و لکن لما لزم البدل، جعل بمنزلة تقى و أتقياء،

- البيان «النباء» بتشديد الباء. و عجزه فى المخطوطة و المطبوعة هکذا: بالحق خير هدى الاله هداکا. و مثله فى مجمع البيان
. (1) الديوان: 4 و الضمير فى «وردن» للإبل. و روايته «و استتب بنا» و نبى: کثيب رمل فى ديار بنى تغلب. و استتب الامر: استوى. مسحنفر: صفة للطريق و هو الواسع. السيح: لباس مخطط. و سحلت الريح الأرض: کشطت ما عليها. و البيت فى المخطوطة و المطبوعة هکذا:
لما وردت نبأ و اسد لما مستحقر کخطوط النسج منسجل
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 274
و صفى و أصفياء. فلما لزم، صار کالبرية، و الخلية، و نحو ذلک، مما لزم الهمزة فيه حرف اللين بدلا من الهمزة، لما دل على أنه من الهمزة، و أنه لا يعترض عليه شىء و صار قول من حقق الهمزة فى الشىء، کرد الشىء إلى الأصل المرفوع استعماله: نحو و ذر و ودع. فمن ثم کان التخفيف فيه الأکثر.
فاما ما روى فى الحديث: من أن بعضهم قال: يا نبى اللَّه، فقال: لست بنبىء اللَّه و لکنى نبى اللَّه قال: ابو على: أظن أن من اهل النقل من ضعف اسناده. و مما يقوى تضعيفه أن من مدح النبى «ص» فقال: يا خانم النبآء لم يؤثر فيه انکار عليه. و لو کان فى واحدة نکير، لکان فى الجميع مثله، ثم بينا فيما مضى: أن الصبر کف النفس، و حبسها عن الشىء «1».

فإذا ثبت ذلک. فکأنه قال: و اذکروا إذ قلتم: یا معشر بنی إسرائیل، لن نطیق حبس أنفسنا علی طعام واحد. و ذلک الطعام هو ما اخبر اللّه عز و جل إذ أطعمهم فی تیههم و هو السلوی فی قول اهل التفسیر و فی قول ابن منبه: الخبز النقی مع اللحم. قیل: ادع لنا ربک یخرج لنا مما تنبت الأرض: من البقل. و القثاء، و ما سماه اللّه مع ذلک و ذکر انه سألوه لموسی و کان سبب مسألتهم ذلک ما رواه قتادة. قال:
کان القوم فی البریة. و قد ظلل علیهم الغمام، و انزل علیهم المن و السلوی فملوا ذلک و ذکروا عینا کانت لهم بمصر فسألوا ذلک موسی. فقال اللّه تعالی: اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَکُمْ ما سَأَلْتُمْ و انما قال مما تنبت الأرض، لان (من) تدخل للتبعیض. و لو لم تدخل هاهنا لکانت المسألة تدخل علی جمیع ما تنبته الأرض. فاتوا ب (من) التی نابت مناب البعض حیث قامت مقامه، و فی الناس من قال: إن من ها هنا زائدة و انها تجری مجری قولهم: ما جاءنی من احد و الصحیح: الاول، لان من لا تزاد فی الإیجاب. و انما تزاد فی النفی، و لان من المعلوم انهم ما أرادوا جمیع ما تنبته الأرض و جری ذلک

---

(1) فی تفسیر سورة البقرة: آیة 45. انظر 201، 202.

مجری قول القائل: أصبت الیوم من الطعام عند فلان. یرید أصبت شیئاً منه. و قوله «یخرج» جزم جواب الأمر.

و البقل، و القثاء معروفان. و فى القثاء لغتان: ضم القاف، و كسرها.
و الكسر أجود. و هى لغة القرآن. و انما ذكر اللّه تعالى هذه الألفاظ و ان لم تكن لائقة بفصاحة القرآن على وجه الحكاية عنهم. و اما القوم فقال ابن عباس و ابو جعفر الباقر (ع) و قتادة و السدى: انه الحنطة. و انشد ابن عباس: قول أحيحة ابن الحلاج:
قد كنت اغنى الناس شخصاً وافدا ورد المدينة عن زراعة قوم «1»
و قال الفراء: و الجبائى و الازهرى: هو الحنطة و الخبز: تقول العرب: فومّوا بالتشديد اى اخبزوا لنا. و قال قوم: فى الحبوب التى تخبز و هو مأثور. و قال ابن مجاهد و عطا و ابن زيد: انه الخبز فى قراءة ابن مسعود. و هو قول الربيع بن انس و الكسائى انه الثوم. و أبدل الثاء فاء كما قالوا: جدث و جدف و اثافى و اثاثى. قال:
الفراء: و هذا أشبه بما بعده من ذكر البصل. قال امية بن أبى الصلت:
فوق شرىً مثل الجوابى عليها قطع كالوذيل فى نفى قوم
و قال ايضاً:
كانت منازلهم إذ ذاک ظاهرة فيها الفراديس و الفومان و البصل «2»
قال الزجاج. و هذا بعيد، لأنه لا يعرف الثوم بمعنى القوم، لان القوم لا يجوز ان يطلبوا الثوم و لا يطلبون الخبز الذى هو الأصل. و ايضا.

---

(1) هكذا فى المطبوعة و المخطوطة و مجمع البيان. و فى لسان العرب: لأبى محجن الثقفى و روايته:
قد كنت أحسبنى كأغنى واحد نزل المدينة عن زراعة قوم
(2) اللسان: (فوم) و روايته:
كانت لهم جنة إذ ذاک ظاهرة فيها الفراديس و الفومان و البصل
فراديس. ج. فردوس.

فلا خلاف أن الفوم: هو الطعام، و ان كان كل حب يخبز منه يقال: له فوم.
و قوله: «أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ»

قيل فيه قولان:
أحدهما- الذى هو ادنى الطعامين بدلا من أجودهما.
و الثانى- الذى تتبدلون فى زراعته و صناعته بما أعطاكم اللَّه عفوا من المن و السلوى.
و قرا بعضهم: ادنى مهموزا. و قال بعض المفسرين: لو لا الرواية لكان هو الوجه، لأنه من قولک: رجل دنىء من الدناءة. و ما كنت دنيئاً و لكنک دنئت اى خسست و إذا قرئ بلا همز فمعناه: القرب. و ليس هذا موضعه، و لكنه موضع الخساسة. و لو كان ما سألوه أقرب اليهم، لما سألوه، و لا التمسوه.
و يجوز أن يجعل ادنى و اقرب بمعنى: أدون: كما تقول هذا شىء مقارب اى دون. و حكى الأزهرى عن أبى زيد (الدانى) بلا همز: الخسيس. و الدنىء بالهمز:- الماجن «1».
و قوله: «اهْبِطُوا مِصْراً» تقديره: فدعى موسى فاستجبنا له، فقلنا لهم: اهبطوا مصرا. و قد تم الكلام، لأن اللَّه أجابهم بقوله: «فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ. وَ ضُرِبَتْ ...» ثم استأنف حكم الذين اعتدوا فى السبت، و من قتل الأنبياء فقال:
«ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ.»

و نون جميع القراء (مصراً). و قرأ بعضهم بغير تنوين. و هى قراءة ابن مسعود. بغير الف. و قال قتادة، و السدى، و مجاهد، و ابن زيد: لأنه أراد مصراً من غير تعيين لان ما سألوه من البقل و القثاء لا يكون إلا فى الأمصار، و قال الحسن و ابو العالية، و الربيع: إنه أراد مصر فرعون الذى خرجوا منه، و قال ابو مسلم

---

(1) فى المطبوعة (الماجر). و الماجن: خبيث البطن و الفرج.

محمد بن بحر: أراد بيت المقدس لقوله «ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب اللَّه لكم».

و روى ذلک عن ابن زيد. و اما اشتقاق مصر فقال بعضهم هو من القطع لانقطاعه بالعمارة. و منهم من قال هو مشتق من الفصل بينه و بين غيره. قال عدى ابن زيد:
و جاعل الشمس مصراً لا خفاء به بين النهار و بين الليل قد فصلا «1»
و من نون أراد مصراً من الأمصار غير معين. و يجوز أيضاً أن يريد مصراً بعينه الذى خرجوا منه. و إنما نون اتباعاً للمصحف، لأن فى المصحف ألف: كما قرأ: «قَوارِيرَا قَوارِيرَا» «2» منوناً اتباعاً لخط المصحف. و من لم ينون أراد مصر بعينها لا غير. و كل ذلک محتمل.
و قوله: «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ» استئناف كلام. بما فعل اللّه بهم. يعنى بالذين اعتدوا فى السبت، و قتلوا الأنبياء.
و معنى «ضربت»: أى فرضت و وضعت عليهم الذلة، و الزموها من قول القائل: ضرب الامام الجزية على اهل الذمة. و ضرب فلان على عبده الخراج.
و ضرب الأمير على الجيش البعث. يريد بجميع ذلک ألزم ذلک. و به قال الحسن، و قتادة. و قيل: معنى «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ»: أى حلوا بمنزلة الذل و المسكنة. مأخوذ من (ضرب القباب). قال الفرزدق فى جرير:
ضربت عليک العنكبوت بنسجها و قضى عليک به الكتاب المنزل
و أما «الذلة»: فقال الحسن و قتادة، و غيره: [يعطون الجزية عن يدٍ و هم

---

(1) اللسان- مادة (مصر). و روايته (جعل) بدل (جاعل).
(2) سورة الإنسان. آية 15 و 16.

صاغرون] «1» [و الذلة] مشتق من قولهم: ذل فلان يذل ذلا و ذلة.
و اما المسكنة: فهى مصدر التسكين. يقال: ما فيهم أسكن من فلان. و ما كان سكيناً، و لكن تمسكن تمسكناً. و منهم من يقول: تسكن تسكنا. و المسكنة ها هنا مسكنة الفاقة و الحاجة: و هى خشوعها و ذلها. تقول: ما فى بنى فلان اسكن من فلان: أى أفقر منه. و هو قول أبى العالية و السدى. و قال ابن زيد: المعنى يهود بنى إسرائيل. أبدلهم اللّه (تعالى بالعز ذلًا، و بالنعمة بؤساً، و بالرضا عنهم غضبا، جزاء منه بما كفروا بآياته، و قتلهم «2» أنبياءه و رسله اعتداء و ظلماً.
و قوله: «وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ»: أى انصرفوا و رجعوا. و لا يقال: باء إلا موصولا: إما بخير و اما بشر. و اكثر ما يستعمل فى الشر. كذا. قال الكسائى. و يقال: باء بدينه يبوء به بوء. و منه قوله تعالى: «أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ

بِإِثْمِی وَ إِثْمِکَ» یعنی ترجع بما قد صار علیک دونی. فمعنی الکلام: ارجعوا منصرفین متحملین غضب اللَّه.
و روی أن رجلا جاء برجل الی النبی «ص»، فقال: هذا قاتل أخی، و هو بواء به: أی مقتوله به. و منه قول لیلی الأخیلیة:
فان تکن القتلی بواء فإنکم فتی ما قتلتم آل عوف بن عامر
و قال الزجاج: أصل ذلک التسویة. و معنی ذلک أنهم تساووا بغضب من اللَّه و منه ما روی عن عبادة بن الصامت. قال: جعل اللَّه تعالی الأنفال الی نبیه، فقسمها بینهم علی بواء أی: علی سواء بینهم فی القسم. و منه قول الشاعر:
فیقتل خیراً بامرئ لم یکن به بواء و لکن لا نکایل بالدم
و الأصل: الرجوع. علی ما ذکرناه. و قال قوم: هو الاعتراف، و معناه:

---

(1) ما بین القوسین زدناهم عن تفسیر الطبری. و عنه: الذلة. الصغار. انظر سورة التوبة.
29. فی المطبوعة و المخطوطة حصل سقط فی هذا المکان. و هذا ما فیهما. (أن یجزیه الصغاد مشتق من ..)
(2) فی المطبوعة (و قتله).

انهم اعترفوا بما یوجب علیهم غضب اللَّه. و منه قول الشاعر:
إنی أبوء بعثرتی و خطیئتی ربی و هل إلا إلیک المهرب
و أما الغضب. قال قوم: ما حل بهم من البلاء و النقمة فی دار الدنیا بدلا من الرخاء و النعمة. و قال آخرون: هو ما بینا لهم فی الآخرة من العقاب علی معاصیهم.
و قوله: «ذلِکَ بِأَنَّهُمْ کانُوا یَکْفُرُونَ بِآیاتِ اللَّهِ» إشارة الی ما تقدم ذکره من ضرب الذلة و المسکنة، و إحلال غضبه بهم، لأنه یشتمل علی جمیع ذلک و معنی «بأنهم» أی لأجل أنهم کانوا یکفرون بآیات اللَّه، فعلنا «1» بهم ما فعلنا من انواع العذاب.
و قوله: «یَقْتُلُونَ النَّبِیِّینَ بِغَیْرِ الْحَقِّ» لا یدل علی أنه قد یصح أن یقتلوهم بحق، لأن هذا خرج مخرج الصفة لقتلهم. و انه لا یکون إلا ظلماً بغیر حق:
کما قال: «وَ مَنْ یَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ» «2» و کما قال: «رَبِّ احْکُمْ «3» بِالْحَقِّ». و کما قال الشاعر:
علی لا حب لا یهتدی بمناره
و معناه لیس هناک منار یهتدی به. و مثله کثیر.
و قوله: «ذلِکَ بِما عَصَوْا» إشارة الی ما انزل اللَّه من الذلة و المسکنة بما عصوا من قتلهم الأنبیاء و عدوهم فی السبت و غیر ذلک. و قیل معناه: نقض العهد.

و كانوا يعتقدون فى قتل الأنبياء. انه روى انهم كانوا إذا قتلوا النبى فى أول النهار قامت سوق بقتلهم فى آخره. و انما خلى اللّه بين الكافرين، و قتل الأنبياء، لينالوا من رفيع المنازل ما لم ينالوه بغيره و ليس ذلک بخذلان لهم كما فعل بالمؤمن من أهل طاعته. و قال الحسن: ان اللّه تعالى ما امر نبياً بالحرب الا نصره. فلم يقتل: و انما خلى بينه و بين قتل من لم يؤمر «4» بالقتال من الأنبياء. و الذى نقوله: إن النبى

---

(1) فى المطبوعة (فعلناه)
. (2) سورة المؤمنون آية. 118
(3) سورة الأنبياء آية: 112 [.....]
. (4) فى المخطوطة و المطبوعة «يؤمن»

ان كان لم يؤد الشرع، لا يجوز أن يمكن اللَّه من قتله، لأنه لو مكن «1» فقتل لادى الى ان تزاح علل المكلفين فيما لهم من الالطاف، و المصالح فإذا أدوا الشرع، جاز حينئذ أن يخلى بينهم، و بين من قتلهم، لأنه لا يجب المنع منه

و روى ابو هريرة عن النبى (ص) انه قال: اختلف بنو إسرائيل بعد موسى بخمسمائة سنة، حتى كثر منهم أولاد السبايا و اختلفوا بعد موسى بمأتى سنة

و الاعتداء تجاوز الحد الذى حده اللّه لعباده الى غيره و كل متجاوز حد شىء الى غيره فقد تعداه الى ما تجاوز اليه فمعنى الكلام فعلت بهم ما فعلت من ذلک بما عصوا امرى و تجاوزوا حده الى ما نهيتهم عنه

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 62] ..... ص : 280

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ النَّصارى وَ الصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)

آية واحدة.

قرأ نافع بترک الهمز من الصابئين، و جميع القراء الباقون يهمزون اما «الَّذِينَ آمَنُوا» و هم المصدقون برسول اللّه (ص) بما أتاهم من الحق من عند اللّه. و اما الذين هادوا فهم اليهود.

و معنى هادوا: تابوا. يقال: هاد القوم يهودون هودا، و هيادة و قال ابن جريج: إنما سميت اليهود يهودا، لقولهم: انا هدنا اليک. قال أعرابى يؤخذ بقوله:
على ما قال ابو عبيدة: فانى من مدحه هائد أى تائب. و قيل: انما سموا يهودا، لأنهم نسبوا الى يهوذا أكبر أولاد يعقوب فعرّبت الذال دالا. و قال زهير: فى معنى الرجوع:

---

(1) فى المخطوطة و المطبوعة «مكنة».

سوى مرجع لم يأت فيه مخافة و لا رهقا من عابد متهود «1»
أى تائب فسميت اليهود يهودا، لتوبتهم من عبادة العجل. و اصل الهود: «2» الطمانينة. و يخبر به عن لين السير. و منه الهوادة: و هى السكون. قال الحسين بن على المغربى انشدنى ابو رعاية السلمى، و هو من افصح بدوى أطاف بنا، و اغزرهم رواية:
صباغتها من مهنة الحى بالضحى جياد المدارى حالک اللون اسودا
إذا نفضته مال طوراً بجيدها و تمثاله طوراً باغيدا فوّدا
كما مال قنوا مطعم هجريّة إذا حركت ريح ذرى النخل هودا
المطعم: النخلة. شبه شعرها باقناء البسر. هوّد تحرک تحريكة لينة قال زهير:
و لا رهقا من عائد متهود
و ليس اسم يهود مشتقا من هذا.
و النصارى جمع نصران كقولهم سكران و سكارى. و نشوان و نشاوى. هذا قول سيبويه: قال الشاعر:
تراه إذا كان العشى محنفا يضحى لديه و هو نصران شامس «3»
و قد سمع فى الأنثى نصرانة قال الشاعر:
و كلتاهما خرت و اسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف «4»
و قد سمع في جمعهم أنصار بمعنى النصارى قال الشاعر:
لما رأيت نبطاً أنصارا شمرت عن ركبتى الازارا
كنت لهم من النصارى جارا
و المشهور أن واحد النصارى نصرى: مثل بعير مهرى و مهارى. و انما سموا نصارى، لنصرة بعضهم بعضا. دليله الآيات التى ذكرناها. و قيل انما سموا بذلک

---

(1) اللسان: هود. و روايته: سوى ربع لم يأت فيها مخافته .. الخ و فى مجمع البيان «مربع» بدل مرجع
(2) فى المطبوعة «اليهود»
(3) لم نعرف قائله. «محنفاً» صار الى الحنيفية. شامس:
مستقبل الشمس
. (4) اللسان: نصر و روايته «فكلتاهما» و «أسجدت» و فى تفسير الطبرى- دار المعارف- تعليقة الأستاذ محمود محمد شاكر ذكر البيت فى مادة صنف من اللسان و هو غلط و الصحيح ما ذكرنا. فى المطبوعة و المخطوطة «جرت» بدل «خزت» و هو تحريف. البيت الاول اللسان: نصر و الكل فى امالى الشجرى: 79 و 371.

لأنهم نزلوا ارضاً يقال لها: ناصرة. و كان ينزلها عيسى فنسب اليها، فقيل عيسى الناصرى، ثم نسب أصحابه اليه فقيل النصارى، و هذا قول ابن عباس، و قتادة، و ابن جريج. و قيل: إنهم سموا بذلک، لقوله: مَنْ أَنْصارِی إِلَى اللَّهِ» «1» و الصابئون جمع صابئ: و هو من انتقل من دينه الى دين آخر كالمرتد من اهل الإسلام. و كل خارج من دين كان عليه الى آخر يسمى صابئا قال ابو زيد:
صبا فلان فى دينه يصبأ صبوا إذ كان صابئا و صبأ تاب الصبى يصبوا صبوا: إذا كان طلع. و قال الزجاج: صبأت النجوم: إذا ظهرت. و قال ابو زيد: صبوت اليهم تصبأ صبأ و صبوءا: إذا طلعت عليهم، و كان معنى الصابئ التارک دينه الذى شرع له الى دين غيره: كما قال: ان الصابئ على القوم تارک لأرضه و منتقل الى سواها.
فالدين الذى فارقوه هو تركهم التوحيد الى عبادة لنجوم، أو تغطيتها. و قال نافع هو مأخوذ من قولهم: صبا يصبوا إذا مال الى الشىء، و أحبه و لذلک لم يهمز قال الشاعر:
صبوت اياديب و انت كبير
قال ابو على الفارسى: هذا ليس بجيد، لأنه قد يصبو الإنسان الى دين فلا يكون منه مدين به مع صبوه اليه فإذا كان هذا هكذا، و كان الصابئون منتقلين من دينهم الذى أخذ عليهم الى سواه، وجب ان يكون مأخوذاً من صبأت الذى هو الانتقال. و يكون الصابئون على قلب الهمزة، و قلب الهمزة على هذا الحد، لا يجيزه سيبويه إلا فى الشعر و يجيزه غيره فهو على قول من أجاز ذلک. و ممن أجاز ذلک ابو زيد. و حكى عنه انه قال لسيبويه: سمعت قربت و أخطيت قال فكيف تقول فى المضارع قلت: اقرأ فقال حسبک أو نحو هذا. قال ابو على يريد سيبويه ان قريت مع اقرأ لا ينبغى، لأن قريت اقرأ على الهمز و قريت على القلب، فلا يجوز ان تغير بعض الأمثلة دون بعض. فدل على ان القائل لذلک غير فصيح، فانه غلط فى لغته.

و قال قتادة و البلخى: الصابئون قوم معرفون لهم مذهب ينفردون به،

---

(1) سورة الصف آية 14.

من عبادة النجوم. و هم مقرّون بالصانع و بالمعاد و ببعض الأنبياء. و قال مجاهد و الحسن و ابن أبى نجيح: الصابئون بين اليهود و المجوس لا دين لهم. و قال السدى:

هم طائفة من أهل الكتاب يقرءون الزبور. و قال الخليل: هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى إلا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب. خيال منصف النهار، و يزعمون انهم على دين نوح. و قال ابن زيد: الصابئون هم اهل دين من الأديان كانوا بالجزيرة: جزيرة الموصل، يقولون لا إله إلا الله و لم يؤمنوا برسول الله «ص»، فمن اجل ذلک كان المشركون يقولون للنبى «ص» و أصحابه: هؤلاء الصابئون: يشبهونهم بهم.

و قال آخرون: هم طائفة من اهل الكتاب. و الفقهاء بأجمعهم يجيزون أخذ الجزية منهم. و عندنا لا يجوز ذلک، لأنهم ليسوا اهل الكتاب.

و قوله: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ».

تقول: من صدق باللّه و أقر بالبعث بعد الممات يوم القيامة و عمل صالحاً و أطاع اللّه فلهم أجرهم عند ربهم: يعنى ثواب عملهم الصالح فان قيل: فأين تمام قوله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ النَّصارى وَ الصَّابِئِينَ- قيل تمامه جملة قوله تعالى: مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ: لأن معناه: من أمن منهم باللّه و اليوم الآخر، و ترک ذكر منهم لدلالة الكلام عليه.
و معنى الكلام: ان الذين آمنوا و الذين هادوا و النصارى و الصابئين من يؤمن منهم باللّه و اليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم.
و قوله: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ».

فى الناس من قال: هو خبر عن الذين هادوا و النصارى و الصابئين: لان الذين آمنوا كانوا مؤمنين فلا معنى حينئذ ان يقول من آمن و هو نفسهم.
و منهم من قال: هو راجع الى الكل و يكون رجوعه على الذين آمنوا على التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 284
وجه الثبات على الايمان و الاستدامة، و ترک التبديل و الاستبدال به.
و فى الذين هادوا و النصارى و الصابئين: استئناف ايمان بالنبى «ص» و ما جاء به.
و قوله: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» فوحد الفعل ثم قال فلهم أجرهم: لان لفظة (من) و ان كانت واحدة، فمعناها يكون للواحد و الجمع و الأنثى و الذكر. فان ذهب الى اللفظ وحّد. و ان ذهب الى المعنى جمع كما قال: «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْکَ أَ فَأَنْتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَ لَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ» «1» فجمع مرة مع الفعل لمعناه و وحد اخرى على اللفظ. قال الشاعر:
ألمّا بسلمى عنكما إن عرضتما و قولا لها: عوجى على من تخلفوا «2»
فجمع الفعل لأنه جعل من بمنزلة الذين و ربما كان لاثنين و هو ابعد و ما جاء فيه قال الفرزدق:
تعال فان عاهدتنى لا تخوننى نكن مثل من يا ذئب يصطحبان «3»
قوله: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ»

قال السدى: نزلت فى سلمان الفارسى، و أصحابه النصارى الذين كان قد تنصر على أيديهم قبل مبعث رسول الله «ص». و كانوا قد أخبروه بأنه سيبعث، و انهم يؤمنون به إن أدركوه.
و روى عن ابن عباس: أنها منسوخة بقوله تعالى: «وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً، فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» «4». و هذا بعيد، لأن النسخ لا يجوز أن يدخل فى الخبر الذى يتضمن الوعيد. و انما يجوز دخوله فيما طريقه الأحكام الشرعية التى يجوز تغييرها

---

(1) سورة يونس آية: 43
. (2) ديوان امرئ القيس. و منهم من نسبه لرجل من كندة.
فى المخطوطة و المطبوعة (عضيما) بدل (عرضتما).
(3) ديوانه. الكامل 1: 216 من قصيدة قالها عند ما استضافه الذئب فأقراه. فى المخطوطة و المطبوعة «تعيش» بدل «تعال» و فى بعض المصادر الاخرى «تعشى».
(4) سورة آل عمران آية: 85

و قال قوم: إن حكمها ثابت. و المراد بها: ان الذين آمنوا بأفواههم، و لم تؤمن قلوبهم من المنافقين هم و اليهود، و النصارى، و الصابئين إذا آمنوا بعد النفاق، و اسلموا عند العناد، كان لهم أجرهم عند ربهم: كمن آمن فى أول الإسلام من غير نفاق، و لا عناد، لأن قوماً من المسلمين قالوا: إن من أسلم بعد نفاقه، و عناده كان أجره اقل و ثوابه انقص. و أخبر اللّه بهذه الآية أنهم سواء فى الأجر و الثواب.
و اولى الأقاويل ما قدمنا ذكره. و هو المحكى عن مجاهد و السدى: ان الذين آمنوا من هذه الأمة، و الذين هادوا، و النصارى، و الصابئين من آمن من اليهود، و النصارى، و الصابئين باللّه و اليوم الآخر، فلهم أجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، لأن هذا أشبه بعموم اللفظ. و التخصيص ليس عليه دليل.
و قد استدلت المرجئة بهذه الآية على أن العمل الصالح، ليس من الايمان، لأن اللّه تعالى أخبرهم عنهم بأنهم آمنوا، ثم عطف على كونهم مؤمنين. أنهم إذا عملوا الصالحات ما حكمها. قالوا: و من حمل ذلك على التأكيد أو الفضل، فقد ترك الظاهر. و كل شىء يذكرونه مما ذكر بعد دخوله فى الأول مما ورد به القرآن:
نحو قوله: «فِيهِما فاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ» «1». و نحو قوله: «وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ

النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ، وَ مِنْکَ وَ مِنْ نُوحٍ» «2». و نحو قوله: «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا». و قوله: «الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» «3». قالوا: جميع ذلک مجاز. و لو خلينا و الظاهر، لقلنا: إنه ليس بداخل فى الأول. فان قالوا:
أ ليس الإقرار، و التصديق من العمل الصالح؟ فلا بد لكم من مثل ما قلناه، قلنا عنه جوابان:
أحدهما- ان العمل لا يطلق الا على أفعال الجوارح، لأنهم لا يقولون: عملت بقلبى، و انما يقولون: عملت بيدى او برجلى.
و الثانى- ان ذلک مجاز، و تحمل عليه الضرورة. و كلامنا مع الإطلاق.

---

(1) سورة الرحمان آية 8
(2) سورة الأحزاب آية 7
. (3) سورة محمد آية 1 [.....]

و قوله: «فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ»: يعنى لا خوف عليهم مما قدموا عليه من اهوال القيامة. و لا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من الدنيا عند معاينتهم ما أعد لهم من الثواب، و النعيم المقيم عنده و قيل: انه لا يحزنون من الموت.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 63] ..... ص : 286

اشارة

وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63)
آية بلا خلاف.
تقديره: و اذكروا إذ أخذنا ميثاقكم.

الميثاق: المفعال من الوثيقة: اما بيمين، و اما بعهد و غير ذلك من الوثائق.
و الميثاق الذى اخذه اللّه هو الذى ذكره فى قوله: «وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِى إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» «1» فى الآيات التى ذكر بعدها. و يحتمل ان يكون أراد الميثاق الذى أخذ اللّه على الرسل فى قوله: «وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ» «2» و قوله: «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِى» «3» و قد بينا ان أخذ العهد هو ما نصب لهم من الحجج الواضحة، و البراهين الصحيحة الدالة على توحيده، و عدله، و صدق أنبيائه و رسله. و أفسدنا ما يقوله اهل الحشو: من استخراج الذرية من ظهر آدم، و أخذ العهد عليهم بما لا يحتاج الى إعادته.
و قوله: «وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ». قال مجاهد: الطور هو الجبل. و كذلك هو فى اللغة. و قال العجاج:
دانى جناحيه من الطور فمر تقضى البازى إذا البازى كسر «4»

---

(1) سورة البقرة آية 83
. (2) سورة الأحزاب: آية 7
. (3) سورة آل عمران:
آية 187
(4) ديوانه دانى جناحيه: ضم جناحيه. تقضى: أصلها تقضض، و تقضض الطائر: هوى فى طيرانه. و البازى: ضرب من الصقور: كسر الطائر جناحيه ضمهما قليلا يريد النزول.

و قيل: إنه اسم جبل بعينه. ناجى اللّه عليه موسى بن عمران. ذهب اليه ابن عباس و ابن جريج. و قيل: انه من الجبال التى تنبت دون ما لا تنبت «1».
رواه الضحاك عن ابن عباس و قال قتادة «وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ» قال: الطور الجبل اقتلعه فرفعه فوقهم. فقال: «خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ» و قال مجاهد: الطور اسم جبل بالسريانية. و قال قتادة: بالعربية.
و قال قوم من النحويين: معنى خذوا تقديره و رفعنا فوقكم الطور و قلنا لكم خذوا ما اتيناكم يعنى التوراة بقوة. اى بجد و يقين، لا شك فيه و الا قذفناه «2» عليكم كما تقول: أوجبت عليه قم «3» اى أوجبت عليه فقلت «4» قم. و قال الفراء:
أخذ الميثاق: قول بلا حاجة بالكلام الى إضمار قول. فيكون من كلامين. غير انه ينبغى لكل ما خالف القول من الكلام الذى هو بمعنى القول، أن تكون

معه أن كما قال تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ» «5» قال و يجوز حذف أن و معنى «ما آتَيْناكُمْ» أى أعطيناكم لأن الإيتاء هو الإعطاء. يعنى ما أمرناكم به فى التوراة. «بقوة»: أى بجد و يقين على ما بيناه. و هو قول ابن عباس و قتادة، و السدى. و قال ابو العالية و الربيع بن انس: بطاعة اللَّه و قال مجاهد: إنه العمل بما فيه و حكى عن ابن الجران معناه: القبول: و قال: ابو على: «بِقُوَّةٍ» معناه: بالقدرة التى جعلنا فيكم. و ذلک دلالة على ان القدرة قبل الفعل. و معنى اذكروا ما فيه. قال قوم: احفظوه، لا تنسوه. و قال آخرون: اعملوا بما فيه و لا تتركوه. و المعنى فى ذلک ان ما اتيناكم فيه من وعد و وعيد، و ترغيب و ترهيب اعتبروا به، و اقبلوه و تدبروه، كى إذا فعلتم ذلک تتقونى و تخافوا عذابى بالإصرار على ضلالتكم فتنتهوا الى طاعتى فتنزعوا عما أنتم عليه من المعصية.

---

(1) و هذا معنى اصطلاحى منقول عن ابن عباس كما ترى لا كما توهمه الأستاذ محمود محمد شاكر فى حاشيته على تفسير الطبرى 2، 157. و هذا نص حاشيته «هذا قول لم أجده فى كتب اللغة فى مادته.»

(2) فى المخطوطة و المطبوعة «قدمناه» و هو تصحيف

(3، 4) فى المطبوعة «قمر»

(5) سورة نوح آية 1.

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ فَلَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ (64)

قوله توليتم: أعرضتم و وزنه: تفعلتم من قولهم و لانى فلان دبره: إذا استدبر عنه و جعله خلف ظهره. ثم يستعمل ذلک فى كل تارک طاعة آمر و معرض بوجهه. يقال: فلان تولى عن طاعة فلان، و يتولى عن مواصلته و صداقته، و منه قوله: «فَلَمَّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ» «1» يعنى خالفوا ما وعد اللّه من قوله: «لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ» «2» و نبذوا ذلک وراء ظهورهم فصار معنى الآية انكم نبذتم العهد الذى أخذناه عليكم بعد اعطائكم المواثيق. و كنى بذلک عن جميع ما تقدم ذكره فى الآية، ثم قال: «فَلَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» يعنى فلولا ان فضل اللّه عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذى و واثقتموه إذ رفع فوقكم الطور فاجتهدتم فى طاعته، و أداء فرائضه، و أنعم عليكم بالإسلام، و برحمته التى رحمكم بها، فتجاوز عن خطيئتكم بمراجعتكم «3» طاعة ربكم لكنتم من الخاسرين. و هذا و ان كان خطابا لمن كان بين ظهرانى مهاجر رسول اللّه «ص» فإنما هو خبر عن أسلافهم. فاخرج الخبر مخرج الخبر عنهم. على نحو ما مضى ذكره. و قال قوم: الخطاب فى هذه الآية انما اخرج باضافة الفعل الى المخاطبين و الفعل لغيرهم لأن المخاطبين انما كانوا يتولون من كان فعل ذلک من أوائل بنى إسرائيل، فصيرهم اللّه منهم، من اجل ولايتهم لهم. و قال بعضهم: انما قال لهم ذلک، لأن سامعيه كانوا عالمين. و ان الخطاب خرج مخرج الخطاب للاحياء من بنى إسرائيل، و اهل الكتاب- و ان كان المعنى فى ذلک انما هو خبر عما مضى من أسلافهم- و مثل ذلک قول الشاعر:

---

(1) سورة التوبة: آية 77

(2) سورة التوبة آية 76

. (3) فى المطبوعة «ثم احفتكم» و المخطوطة «احفتكم» و هو تحريف فاحش.

إذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة و لم تجدى من ان تقرى به بدا «1»

فقال: إذا ما انتسبنا. و إذا تقتضى من الفعل مستقبلا. ثم قال: لم تلدنى فأخبر عن ماض، لأن الولادة قد مضت لأن السامع فهم معناه- و الاول أقوى- و قال ابو العالية: فضل اللّه الإسلام و رحمته القرآن.

و قوله: «فَلَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ».

لا يدل على ان الذين خسروا، لم يكن عليهم فضل اللّه لأن فضل اللّه شامل لجميع الخلائق، لأن ذلک دليل خطاب. و ليس ذلک بصحيح عند الأكثر، و الذى يكشف عن ذلک، ان الواحد منا قد يعطى أولاده و عبيده و يتفضل على جميعهم ثم يبذره بعضهم و يبقى فقيراً. و يحفظه آخر فيصير غنيا، و يحسن ان يقول للغنى منهم لو لا فضلى عليک لكنت فقيراً. و لا يدل على انه لم يتفضل على الذى هو فقير. و إذا كان كذلک كان تأويل الآية انه لو لا اقدارى لكم على الايمان و ازاحة علتكم فيه حتى فعلتم ايمانكم، لكنتم من الخاسرين. و انما جعل الايمان فضلا فيؤتيه الذين به ينجون و لم يكونوا خاسرين من حيث كان هو الداعى اليه و المقدر عليه، و المرغب اليه.
و يحتمل ان يكون المعنى: و لو لا فضل اللّه عليكم بامهاله إياكم بعد توليكم عن طاعته حتى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلک و توبته لكنتم من الخاسرين.
و يحتمل ان يكون أراد بهذا الفضل فى وقت رفع الجبل فوقهم باللطف و التوفيق الذى تابوا عنده حتى زال عنهم العذاب و سقوط الجبل، و لو لا فضل اللّه: لسقط الجبل

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 65] ..... ص : 289

اشارة

وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِى السَّبْتِ فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ (65)

علمتم أى عرفتم ها هنا. فقوله: علمت أخاک و لم أکن اعلمه: أى عرفته و لم

---

(1) معانى الفراء. قائله زائدة بن صعصعة الفقعسى.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 290
أکن أعرفه کقوله تعالى: «وَ آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ» «1».
يعنى لا تعرفونهم اللَّه يعرفهم. و الذين نصب، لأنه مفعول به. اعتدوا: أى ظلموا و جاوزوا ما حد لهم، و کانوا أمروا ألا يعدوا فى السبت، و کانت الحيتان تجتمع، لا منها فى السبت فحبسوها فى السبت و أخذوها فى الأحد. و اعتدوا فى السبت، لان صيدها هو حبسها. و قال قوم: بل اعتدوا فصادوا يوم السبت و سمى السبت سبتاً لان السبت هو القطعة من الدهر فسمى بذلک اليوم، هذا قول الزجاج و قال ابو عبيدة:
سمى بذلک: لأنه سبت خلق فيه کل شىء: اى قطع وقوع. و قال قوم: سمى بذلک، لأن اليهود يسبتون فيه: اى يقطعون الاعمال. و قال آخرون: سمىّ بذلک، لما لهم فيه من الراحة، لان اصل السبت هو السکون و الراحة. و من ذلک قوله: «وَ جَعَلْنا نَوْمَکُمْ سُباتاً» «2»، و قيل للنائم مسبوت لاستراحته و سکون جسده فسمى به اليوم، لاستراحة اليهود فيه.
و قوله: «فَقُلْنا لَهُمْ کُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ». اخبار عن سرعة فعله و مسخه إياهم. لا أن هناک امراً کما قال للسموات و الأرض «ائْتِيا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ» «3». و لم يکن هناک قول، و انما اخبر عن تسهل الفعل عليه و تکوينه له بلا مشقة، بلفظ الامر.
و معنى الآية على ما قاله اکثر المفسرين: انه مسخهم قردة فى صورة القردة سواء.
و حکى عن ابن عباس: انه قال: لم يعش مسخ قط اکثر من ثلاثة ايام. و لم يأکل و لم يشرب.
و قال مجاهد: إن ذلک مثل ضربه اللَّه، کما قال: «کَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً» «4». و لم يمسخهم قردة. و حکى عنه ايضاً: انه قال: مسخت قلوبهم فجعلت کقلوب القردة لا تقبل وعظاً و لا تقى زجراً. و هذان القولان منافيان لظاهر

---

(1) سورة الانفال آية. 61
. (2) سورة عم آية. 9. [.....]

(3) سورة حم- السجدة آية. 11.
(4) سورة الجمعة آية. 5.

التأويل: لما عليه اكثر المفسرين من غير ضرورة داعية اليه. و قوله:
«خاسئين»: اى مبعدون، لان الخاسئ هو المبعد المطرود كما يخسأ الكلب.
تقول: منه خسأه اخسؤه خسء و خسياً هو يخسو خسواً. يقال: خسأته فخسأ و انخسأ. قال الراجز:
كالكلب ان قلت له اخسأ انخسا «1»
اى إن طردته، انطرد. و قال مجاهد معناه، أذلاء صاغرين. و المعنى قريب.
و فى هذه الآيات احتجاج من اللّه تعالى بنعمه المترادفة و اخباراً للرسول عن عناد أسلافهم و كفرهم مرة بعد اخرى مع ظهور الآيات و العلامات، تعزية له «ص» و تسلية له عند ما رأى من جحودهم، و كفرهم و ليكون وقوفه على ما وقف عليه من اخبارهم حجة عليهم و تنبيهاً لهم و تحذيراً ان يحل بهم مما حل بمن تقدمهم من آبائهم و أسلافهم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 66] ..... ص : 291

اشارة

فَجَعَلْناها نَكالاً لِما بَيْنَ يَدَيْها وَ ما خَلْفَها وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (66)
آية بلا خلاف

الضمير فى قوله: «فَجَعَلْناها» يحتمل ان يكون راجعاً الى العقوبة او القردة فكأنه قال: جعلنا القردة، اى ما حل بها من التشويه و تغيير الخلقة، دلالة على ان من تقدمهم او تأخر عنهم. فمن فعل مثل فعلهم يستحق من العقاب مثل الذى نزل بهم نكالًا لهم جميعاً و موعظة للمتقين: اى تحذيراً و تنبيهاً، لكيلا يواقعوا من المعاصى ما واقع أولئک فيستحقوا ما استحقوا- نعوذ بالله من سخطه- و يحتمل ان تكون (الهاء) راجعة الى الحيتان. و يحتمل ان تكون راجعة الى القرية التى اعتدوا أهلها فيها. و يحتمل ان تكون (الهاء) راجعة الى الامة الذين اعتدوا و هم

---

(1) لسان العرب. خسأ. و روايته. ان قيل له.

اهل ايلة: قرية على شاطئ البحر. و روى ذلک عن أبى جعفر «ع».

و قوله: «نكالا» قال ابن عباس: عقوبة. و قال غيره: ينكل بها من يراها. و قيل: انها شهرة، لان النكال: الاشتهار بالفضيحة، ذكر ذلک الجبائى.

و ليس بمعروف.

و النكال الإرهاب للغير و أصله المنع، لأنه مأخوذ من النكل و هو القيد، و هو ايضاً اللجام و كلاهما مانع.

و قوله: «لِما بَيْنَ يَدَيْها وَ ما خَلْفَها». روى عن عكرمة عن ابن عباس: انه أراد ما بين يديها و ما خلفها من القرى. و روى عن الضحاک عن ابن عباس انه: أراد ما بين يديها يعنى: من بعدهم من الأمم. و ما خلفها الذين كانوا معهم باقين. و قال السدى (ما بين يديها): من ذنوبها (و ما خلفها) يعنى: عبرة لمن يأتى بعدهم من الأمم. و قال قتادة (لما بين يديها) ذنوبها (و ما خلفها): عبرة لمن يأتى خلفهم:

بعدهم من الأمم و قال قتادة لما بين يديها ذنوب القوم و ما خلفها الحيتان التى أصابوها و قال مجاهد: ما بين يديها ما مضى من خطاياهم. و ما خلفها من خطاياهم: (التى اهلكوا بها و موعظة للمتقين). خص المتقين بها- و ان كانت موعظة لغيرهم-، لانتفاع المتقين بها دون الكافرين. كما قلناه فى غيره. كقوله: «هدىً للمتقين». و اصل النكال العقوبة تقول: نكل فلان بفلان ينكل تنكلا و نكالا قال عدى بن زيد:

لا يسخط المليک ما يصنع العب د و لا فى نكاله تنكير «1»

و أقوى التأويلات ما رواه الضحاک عن ابن عباس: من انها كناية عن العقوبة و المسخة التى مسخها القوم، لان فى ذلک اشارة الى العقوبة التى حلت بالقوم- و ان كانت باقى الأقوال ايضاً جائزة.

_____
(1) يقول: لا يغضب الملک ما يسع عبده من العفو و الصفح، و ان عاقب فما فی عقوبته ما يستنکر.
التبيان فی تفسير القرآن، ج1، ص: 293

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 67] ..... ص : 293

اشارة

وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ (67)
آية بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو و نافع و الكسائى و ابن عامر: هزواً مثقلا، و كذلک كفوا مثقلة. و قرأ آخر مخففاً. و عاصم يثقلهن و يخففهن. و حمزة يخففهن ثلاثهن «1».

قوله: «و إذ» معطوفة على قوله و اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم: و اذكروا إذ قال موسى لقومه. و اهل الحجاز يثقلون هذه الكلمات. و بنو أسد و تميم و عامة قيس يخففونهن و من لا يحصى ممن تجاوزهم يقولون عن مكان أن إذا كانت الهمزة مفتوحة: يجعلونها عيناً و يقولون اشهد عن رسول اللّه فإذا كسروها رجعوا الى لغة اهل الحجاز الى الهمزة.

و هذه الآية فيها توبيخ للمخاطبين من بنى إسرائيل فى نقض اوائلهم الميثاق و الذى اخذه اللّه عليهم بالطاعة لأنبيائه. فقال: و اذكروا ايضاً من نكثهم ميثاقى إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً.
و الهزء و السخرية و اللعب نظائر. قال الراجز:
قد هرئت منى ام طيلسة قالت أراه معدماً لا شىء له «2»
اى سخرت و لعبت و لا يجوز أن يقع من أنبياء اللّه عز و جل فيما يؤدونه هزواً

---

(1) لا يوجد فى المتن الا مثلان
. (2) قائله: صخير بن عمير التميمى. و منهم من نسب القصيدة كلها للأصعمى. امالى الغالى 2: 284. و روايته: تهزأ منى أخت آل طيلة.

و لا لعب. و ظنوا فى أمره إياهم عن اللّه: بذبح- البقرة- عند نذرائهم فى الفتيل- انه هازئ لاعب و لم يكن لهم ذلك.
و حذفت الفاء من قوله: أ تتخذنا هزواً- و هو جواب- للاستغناء ما قبله من الكلام عنه و حسن السكوت على قوله إن اللّه يأمركم ان تذبحوا بقرة فجاز لذلك إسقاط الفاء من قوله. فقالوا كما حسن اسقاطها فى قوله: «فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا» «1» و لم يقل فقالوا. و لو قيل بالفاء لكان حسناً. و لو كان ذلك على كلمة واحدة لم تسقط منه الفاء أ لا ترى انك إذا قلت: قمت ففعلت، لم يجز إسقاط الفاء لأنها عطف لا استفهام يوقف عليه.
فقال موسى حينئذ: أعوذ باللّه ان أكون من الجاهلين. يعنى السفهاء الذين يردون على اللّه الكذب و الباطل. و كان السبب فى امر موسى لقومه بذبح البقرة ما ذكره المفسرون أن رجلا من بنى إسرائيل كان غنياً و لم يكن له ولد و كان له قريب يرثه قيل انه اخوه و قيل انه ابن أخيه و قيل ابن عمه و استبطأ موته فقتله سراً و ألقاه فى موضع بعض الأسباط و ادّعى قتله على أحدهم فاحتكموا الى موسى فسأل من عنده من ذلك علم فقال انت نبى اللّه و انت اعلم منا فقال ان اللّه يأمركم ان تذبحوا بقرة فلما سمعوا ذلك منه و ليس فى ظاهره جواب عما سألوا عنه قالوا أ تتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين لان الخروج عن جواب السائل المسترشد الى الهزء جهل. و قال بعضهم و انما أمروا بذبح البقرة دون غيرها لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عليهم ما كانوا يرونه من تعظيمهم و ليعلم

بإجابتهم زوال ما كان فى نفوسهم من عبادته و البقرة اسم الأنثى. و الثور للذكر: مثل ناقة و جمل، و امرأة و رجل، فيكون تأنيثه بغير لفظه.
و البقرة: مشتق من الشق: يقولون: بقر بطنه: إذا شقه، لأنها تشق الأرض فى الحرث.

---

(1) سورة الذاريات آية 31، 32.

قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَ لا بِكْرٌ عَوانٌ بَيْنَ ذلِکَ فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ (68)

الفارض: الكبيرة المسنة. و به قال الجمهور. يقال منه: فرضت البقرة تفرض فروضاً. و فرضت تفرض فراضة: إذا أسنت. قال الشاعر:

لعمرى لقد أعطيت جارک فارضا تساق إليه ما تقوم على رجل «1»

و قيل: إن الفارض: التى قد ولدت بطونا كثيرة. فيتسع لذلک جوفها، لأن معنى الفارض، فى اللغة الواسع. و هو قول بعض المتأخرين. و استشهد بقول الراجز:

يا رُبّ ذى ضِغْنٍ علىَّ فارض له قروءٌ كقروء الحائض «2»

و منه قول الراجز:

هدلاء كالوطب تجاه الماخض له زجاج و لهاة فارض «3»

و يقال لحية فارض: إذا كانت عظيمة. قال الشاعر:

شيب اصداغى فرأسى ابيض محامل فيها رجال فرّض «4»

أى ذو أسنان: و قال الجبائى: الفارض: التى لم تلد بطونا كثيرة، فيتسع لذلک بطنها. قال الرمانى و هذا غلط لا يعرف. و البكر: الصغيرة التى لم تحمل.

و البكر من إناث البهائم و بنى آدم: ما لم يفتحله الفحل.- مكسورة الباء- و البكر:

- بفتح الباء- الفتى من الإبل.

_____

(1) قائله علقمة بن عوف. اللسان. (فرض) و روايته. (ضيفک) بدل (جارک) و (تجر) بدل (تساق).

(2) اللسان. «فرض». و روايته. يا رب مولى حاسد مباغض و بين البيتين اللذين أثبتهما الشيخ «قده» هذا البيت. على ذى ضغن و ضب فارض

(3) الثانى فى اللسان. «زجج». و الزجاج. و هو الحديدة التى تركب فى أسفل الرمح.

اللهاة: لحمة حمراء.

(4) لرجل من فقيم. اللسان. «فرض». واحدهم فارض.

و العوان: النصف التى قد ولدت بطناً أو بطنين قال الفراء: يقال من العوان:

عوّنت المرأة تعويناً- بالفتح و التشديد- و عونت: إذا بلغت ثلاثين سنة. و قال أبو عبيدة: إنما قال: «عوان بين ذلک» و لم يقل بينهما، لأنه أخرجه

على لفظة واحدة، على معنى هذا الكلام الذى ذكرناه. قال رؤبة فى صفة العير:
فيه خطوط من سواد و بلق كأنها فى الجلد توليع البهق «1»
قال ابو عبيدة: إن أردت الخطوط، فقل: كأنها، و ان أردت السواد و البلق، فقل: كأنهما. فقال: كان ذلک و ذاک. قال الفراء: إنما يصح ان يكنى عن الاثنين بقولهم ذاک فى الفعلين خاصة. و لا يجوز فى الاسمين. ألا ترى، انهم يقولون: إقبالک و ادبارک يشق على، لأنهما مشتقان من فعل. و لم يقولوا: أخوک و أبوک يزورنى حتى تقول: يزورانى. و قال الزجاج تقول: ظننت زيداً قائماً فيقول القائل ظننت ذلک و ذاک. قال الشاعر فى صفة العوان:
خرجن عليه بين بكر عويرة و بين عوان بالعمامة ناصف «2»
بين ذلک يعنى بين الكبيرة و الصغيرة. هو أقوى ما يكون من البقر و أحسنه قال الأخطل:
و ما بمكة من شمطٍ محفِّلة و ما بيثرب من عون و أبكار «3»
و يقال بقرة عوان، و بقر عون. قال الأخفش: لا فارض، و لا بكر.
ارتفع و لم ينتصب كما ينتصب النفى لأن هذه صفة فى معنى البقرة و النفى المنصوب، لا يكون صفة من صفتها. انما هو اسم مبتدأ و خبره مضمر. و هذا مثل قولک:
عبد اللّه لا قائم و لا قاعد. أدخلت لا للنفى و تركت الاعراب على حاله، لو لم يكن فيه لا، ثم قال: «عوان» فوقع على الابتداء. كأنه قال: هى عوان. و يقال ايضاً: عوانة. قال الأعشى:
بكميت عرفاء محمرة مخف عربها عوانة اوفاق

---

(1) اللسان: (بهق) و روايته «الجسم» بدل «الجلد».
(2) لم نجده فى مراجعنا.
(3) ديوانه 19. و روايته و ما بزمزم من شمط محلقة ... يقصد حالقين رؤوسهم و قد- [.....]

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 69] ..... ص : 297

اشارة

قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ يُبَيِّنْ لَنا ما لَوْنُها قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69)
آية بلا خلاف.

لونها: رفع لأن ما ليست زائدة، بل هى بمعنى أى: كأنهم قالوا: أى شىء لونها؟ و قوله: «يبين»: جزم لأنه جواب الأمر بغير ياء.
و معنى الآية: أن قوم موسى قالوا: يا موسى أدع لنا ربک يبين لنا ما لون البقرة التى أمرنا بذبحها.
و اما قوله: «صفراء» قال الحسن المراد به: سوداء شديدة السواد. تقول العرب:
ناقة صفراء أى سوداء. قال الشاعر:
تلک خيلى منه و تلک ركابى هن صفر ألوانها كالزبيب «1»
يعنى ركابى هن سود. غير أن هذا- و ان وصفت به الإبل، فليس مما توصف به البقر. مع ان العرب لا تصف السواد بالفقوع. و انما تصفه بالشدة و بالحلوكة و نحوها. تقول: اسود حالک و حائک و حنكوک و غربيب و دجوجى، و لا تقول: فاقع. و قال أكثر المفسرين: إنها صفراء اللون من الصفرة المعروفة و هذا الصحيح، لأنه الظاهر، و لأنه قال: «فاقِعٌ لَوْنُها» و هو الصافى و لا يوصف السواد بذلک- على ما بيناه- فاما ما ابيض فيؤكدونه بأنه ناصع، و اخضر ناضر و اصفر فاقع. و قال سعيد بن جبير: المعنى فى الآية: بقرة صفراء القرن و الظلف.
و قال مجاهد: صفراء اللون كله. و هو الظاهر لأنه قال: فاقع لونها. فوصف جميع اللون بذلک. و قال ابن عباس: أراد بذلک صفراء شديدة الصفرة. و قال غيره:

- تحللوا من إحرامهم: أى قضوا حجهم، الشمط ج اشمط: و هو الذى خالط سواد شعره بياض الشيب «و شمط محفله» يقال منه: رجل ذو حفيل، و ذو حفلة: ذو جد و اجتهاد. فعلى ما أثبته الشيخ قدس سره، المعنى: انهم جادون فى العبادة
. (1) للأعشى الكبير. اللسان: «صفر» و روايته «أولادها» بدل «ألوانها». الركاب: الإبل التى يسار عليها. و الزبيب من العنب معروف.

خالص و قال ابو العالية و قتادة: الصافى. و قوله: «تَسُرُّ النَّاظِرِينَ» فالسرور: ما يسر به القلب. و الفرح ما فرحت به العين و قيل معناه: تعجب الناظرين. و من القراء من اختار الوقف على قوله: «صفراء» و الصحيح ان الوقف انما يجوز عند تمام النعت كله و قال قوم: التمام عند قوله: «فاقع» و يقال فقع لونها يفقع- بالتشديد و ضم الياء- و يفقع- بالتخفيف و فتح الياء- فقوعا إذا خلصت صفرته.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 70] ..... ص : 298

اشارة

قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِیَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا وَ إِنَّا إِنْ شاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70)
آية واحدة.

القراء كلهم على تخفيف الشين مفتوحة الهاء. و قرأ الحسن: بتشديد الشين، و ضم الهاء. و قرأ الأعمش إن البقر متشابه. و كذا هو فى مصحف ابن مسعود و المعمول على ما عليه القراء و ما هو فى المصحف المعروف. تقدير الكلام، قال قوم موسى لما أمروا بذبح البقرة لموسى. و ترک ذكر موسى، لدلالة الكلام عليه.

و اهل الحجاز يؤنثون البقر. فيقولون: هذه بقر و كذلک النخل. و كل جمع كان واحده بالهاء، و جمعه بطرح الهاء، فإنهم يؤنثون ذلک و ربما ذكروا ذلک قال اللّه تعالى «كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ» «1»- بالتأنيث- و فى موضع آخر: «كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» «2» و الأغلب عليهم التأنيث. و اهل نجد يذكرون و ربما أنثوا. و التذكير الغالب. فمن ذكر نصب الهاء من «تشابه» يعنى التبس و اشتبه.
و من أنث رفع الهاء لأنه يريد يتشابه علينا.
و البقر، و الباقر، و الجامل، و الجمال بمعنى واحد. و قرأ بعضهم إن الباقر تشابه علينا. و هو شاذ. قال الشاعر:

---

(1) سورة الحاقة آية 7
(2) سورة القمر آية 20.

و ما ذنبه ان عافت الماء باقر و ما ان تعاف الماء الا لتضربا «1»

و قال آخر:

ما لى رأيتک بعد أهلک موحشا خلقا كحوض الباقر المتهدم

و قال آخر:

لهم جامل لا يهدأ الليل سامره «2»

يريد الجمال. و الذى ذهب اليه ابن جريح، و قتادة و رووه عن ابن عباس عن النبى (ص) انهم أمروا بأدنى بقرة، لكنهم لما شددوا على أنفسهم، شدد اللّه عليهم: و ايم اللّه، لو انهم لم يستثنوا ما تبينت لهم الى آخر الدهر يعنى انهم لو لم يقولوا و انا ان شاء اللّه لمهتدون بتعريف اللّه إيانا، و بما شاء له اللّه من اللطف و الزيادة فى البيان. و كل من اختار تأخير بيان المجمل عن حال الخطاب استدل بهذه الآية على جواز ذلک. و سنبين ذلک فيما بعد ان شاء اللّه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 71] ..... ص : 299

اشارة

قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَ لا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ (71)
آية بلا خلاف.
المعنى ان البقرة التى أمرتكم بذبحها، لا ذلول أى لم يذللها العمل باثارة الأرض باظلافها. و لا تسقى الحرث. معناه: و لا يستقى عليها الماء، فيسقى الزرع. كما يقال للدابة التى قد ذللها الركوب و العمل. تقول دابة ذلول بين الذل- بكسر الذال- و فى مثله من بنى آدم رجل ذليل بين الذل و المذلة. قال الزجاج: يحتمل أن يكون أراد ليست بذلول و هى تثير الأرض. و يحتمل: انها ليست ذلولة، و لا مثيرة الأرض قيل: إنها كانت وحشية فى قول الحسن مسلمة. معناه: من السلامة. يقال منها سلمت تسلم، فهى مسلمة من الشية.

_____
(1) ميمون بن قيس- الأعشى الكبير- اللسان: «ثور»
. (2) اللسان: (جمل) قائله الخطيئة. و صدر البيت: فان تک ذا مال كثير فإنهم.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 300
لا شية فيها لا بياض فيها، و الاسواد و قال قتادة مسلمة من العيوب. و به قال الربيع. و قال ابن جريج: لا عوان فيها. قال المؤرخ: لا شية فيها: أى لا وضح فيها بلغة أزد شنوءة و الذى قال اهل اللغة «لا شية فيها»: اى لا لون يخالف لون جلدها و أصله: وشى الثوب و أصله تحسين عيوب الشىء، يكون فيه بضروب مختلفة من الوان سداه، و لحمته يقال منه: وشيت الثوب: أشيه شية و وشيا. و منه قيل للساعى بالرجل الى السلطان، أو غيره واش لكذبه عليه عنده. و تحسينه كذبه عنده بالأباطيل يقال: وشيت به، وشاية. قال كعب بن زهير:
يسمى للوشاة بجنبيها و قولهم انک يا بن أبى سلمى لمقتول «1»
يعنى: انهم يتقولون الأباطيل، و يخبرونه انه إن لحق بالنبى (ص) قتله و قال بعض اهل اللغة ان الوشى: العلامة و أصله: شية من وشيت، لكن لما أسقطت منها الواو و أبدلت مكانها الهاء فى آخرها: كما قالوا: و زنته زنة و وعدته عدة. و كذلک وشيته شية.
و قالوا: «الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ» موصولة الهمزة و إذا ابتدأت، قطعت الالف الاولى، لأن الف الوصل إذا ابتدئ بها قطعت. قال الفراء: و الأصل الأوان. فحذفت الواو. و الالف و اللام دخلتا فى آن لأنهما ينوبان عن الاشارة. المعنى انت الى هذا الوقت تفعل هذا. فلم تعرب الآن كما لم تعرب هذا. و

من العرب من يقول «قالَوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ» و يذهب الوصل و يفتح اللام، و يحذف الهمزة التى بعد اللام. و يثبت الواو فى (قالوا) ساكناً، لأنه انما كان يذهبه لسكون اللام. و اللام قد تحركت، لأنه حوّل عليها حركة الهمزة قال الشاعر:

و قد كنت تخفى حب سمراء حقبة فبح لان منها بالذى انت بايح

و معنى قوله: «الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ» يحتمل أمرين:
أحدهما- الآن بينت الحق. و هو قول قتادة. و هذا يدل على انه كان فيهم

---

(1) ديوانه. الجناب: الناحية. فى المطبوعة «بحسنها» بدل «بجنبها».

من يشك فى ان موسى (ع) ما بيّن الحق. و قال عبد الرحمان: يريد انه حين بينها لهم، قالوا هذه بقرة فلان. الآن جئت بالحق و هو قول من جوز أنه قبل ذلک لم يجئ بالحق على التفصيل- و إن أتى به على وجه الجملة- و قوله: (فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ) يحتمل أمرين:
أحدهما- كادوا لا يفعلون أصلا، لغلاء ثمنها، لأنه حكى عن ابن عباس و محمد ابن كعب انهم اشتروها بملء جلدها ذهباً من مال المقتول. و قيل بوزنها عشر مرات.
و الثانى- ما قال عكرمة و وهب كادوا ألا يفعلوا خوفاً من الفضيحة على أنفسهم فى معرفة القاتل منهم، قال عكرمة ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير.

و معنى كاد: هم و لم يفعل. و لا يقال كاد أن يفعل. و انما يقال كاد يفعل، قال اللّه ما كادوا يفعلون قال الشاعر:
قد كاد من طول البلى ان يمصحا «1»
يقال مصح الشىء إذا فنى و ذهب. يمصح مصوحاً. و انشد الاصمعى:
كادت النفس ان تفيض عليه إذ ثوى حشو ريطة و برود «2»
و لا يجىء منه إلا فعل يفعل و تثنيتها. و قال بعضهم: قد جاءت بمعنى إيقاع الفعل لا بمعنى الهم و القرب من إيقاعه، و انشد قول الأعشى:
قد كاد يسمو الى الجرباء و ارتفعا الجرباء: السماء: أى سما و ارتفع و قال ذو الرمة:
لو أن لقمان الحكيم تعرضت لعينيه مىّ سافراً كاد يبرق «3»
أى لو تعرضت لعينيه أى دهش و تحير. و روى عن أبى عبد اللَّه السلمى انه قرأ لا ذلول بفتح اللام غير منون و ذلک لا يجوز لأنه ليس المراد النفى و انما المراد

---

(1) اللسان: «مصح». مصح الشىء مصوحاً: ذهب و انقطع.
(2) اللسان: «نفس». النفس: الروح. الريطة: الملاءة. برود جمع برد و هو الثوب المخطط
(3) اللسان: «برق» برق يبرق بروقا: تحير.

بها بقرة غير ذلول. و عندنا انه يجوز فى البقرة غير الذبح. فان نحر مختاراً لم يجز اكله و فيه خلاف، ذكرناه فى خلاف الفقهاء.
قد استدل أصحابنا بهذه الآيات على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة. فان قالوا ان اللّه أمرهم بذبح بقرة هذه الصفات كلها لها، و لم يبين ذلک فى أول الخطاب حتى سألوا عنه و راجعوا فيه، فبين حينئذ المراد لهم شيئاً بعد شىء. و هذا يدل على جواز تأخير البيان. فان قيل و لم زعمتم ان الصفات المذكورة فى البقرة الاولى التى أمروا بذبحها، و ما الذى تنكرون انهم أمروا بذبح البقرة أى بقرة كانت فلما راجعوا تغيرت المصلحة فأمروا بذبح بقرة اخرى هى لا فارض و لا بكر فلما راجعوا تغيرت المصلحة، فأمروا بذبح بقرة صفراء فاقع لونها فلما راجعوا تغيرت المصلحة فأمروا بذبح بقرة لا ذلول تثير الأرض و لا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها. و انما يصح لكم لو كانت الصفات المذكورة كلها مرادة فى البقرة الاولى.
قلنا هذا باطل، لأن الكناية فى قوله: «قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّکَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِىَ» لا يجوز ان تكون كناية إلا عن البقرة التى تقدم ذكرها و أمروا بذبحها، لأنه لم

يجر فى الكلام ما يجوز ان تكون هذه الكناية عنه إلا البقرة، و يجرى ذلک مجرى ان يقول واحد لغلامه: اعطنى تفاحة فيقول الغلام ما هى؟ بينها فلا يصرف واحد من العقلاء هذه الكناية إلا الى التفاحة المأمور بإعطائه إياها.
ثم يقال بعد ذلک انها بقرة لا فارض و لا بكر و قد علمنا ان الهاء فى قوله: انه يقول كناية عنه تعالى، لأنه لم يتقدم ما يجوز ان يكون كناية عنه إلا اسمه تعالى. و كذا يجب ان يكون قوله انها كناية عن البقرة المتقدم ذكرها و إلا فما الفرق بين الامرين؟ و كذلک الكلام فى الكناية الثانية و الثالثة سواء. و لا خلاف بين المفسرين ان الكناية فى الآية من أولها الى آخرها: كناية عن البقرة المأمور بها فى الأول.
و قالت المعتزلة: انها كناية عن البقرة التى تعلق التكليف المستقبل بها.
و لا خلاف بين المفسرين ان جميع الصفات المذكورات للبقرة أعوز اجتماعها للقوم حتى توصلوا الى اجتماع بقرة لها هذه الصفات كلها بملء جلدها ذهباً. و روى اكثر التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 303
من ذلک. و لو كان الامر على ما قاله المخالف لوجب ان لا يعتبروا فيما يبتاعونه إلا الصفات الاخيرة دون ما تقدمها، و تلغى الصفات المتقدمة إجماعهم على ان الصفات كلها معتبرة. دليل على ان اللّه تعالى أخر البيان.
فان قيل لم عنفوا على تأخيرهم امتثال الامر الأول مع ان المراد بالأمر الأول تأخر؟ و لم قال فذبحوها و ما كادوا يفعلون؟
قلنا ما عنفوا بتأخير امتثال الأمر الأول: و ليس فى الظاهر ما يدل عليه بل كان البيان يأتى شيئاً بعد شىء كما طلبوه من غير تعنيف فلا قول يدل على انهم بذلک عصاة. فاما قوله: فى اخر القصة: «فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ».
فإنما يدل على انهم كادوا يفرطون فى اخر القصة، و عند تكامل البيان. و لا يدل على انهم فرطوا فى أول القصة.
و يقوى ذلک قوله تعالى بعد جمع الأوصاف: «الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ» اى جئت به على جهة التفصيل. و ان كان جاءهم بالحق مجملًا. و هذا واضح بحمد اللّه، و قد استوفينا الكلام فى هذه الآية و غيرها فى العدة فى اصول الفقه ما لا مزيد عليه.

وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72)
تقدير الآية: و اذكروا إذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها. و هو عطف على قوله: «اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ». و هو متقدم على قوله: «وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً» لأنهم انما أمروا بذبح البقرة بعد تدارئهم فى امر المقتول.
و معنى ادارأتم: اختلفتم و أصله تدارأتم. فأدغمت التاء فى الدال بعد ان سكنت، و جعلوا قبلها ألفا لتمكن النطق بها. قال ابو عبيدة: اداراتم: بمعنى اختلفتم فيها. من التدارؤ، و من الدرء و قيل الدراء: العوج: اى اعوججتم عن الاستقامة، و منه قول الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 304
فنكب عنهم درء الاعادى و داووا بالجنون من الجنون
اى اعوجاج الاعادى. و قال قوم: الدرء المدافعة. و معناه تدافعتم فى القتل. و منه قوله: «وَ يَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذابَ». و قال رؤبة ابن العجاج:
أدركتها قدام كل مدره بالدفع عنى درء كل عنجه «1»
و يقال: فلان لا بدارى و لا يمارى اى: لا يخالف. و منه قوله: «وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» اى: مظهر ما كنتم تسرون من القتل.

فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)

آية بلا خلاف.

روى ابن سيرين عن أبى عبيدة السلمانى قال: كان رجل من بنى إسرائيل عقيما، و له مال كثير. فقتله وارثه و جره، فقدمه على باب أناس آخرين. ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلح هؤلاء و هؤلاء، و أرادوا ان يقتتلوا «2» فقال ذووا النهى:

أ تقتتلون «3» و فيكم نبى اللَّه؟ فأمسكوا حتى أتوه، فأمرهم أن يذبحوا بقرة، فيضربوه ببعضها. فقالوا: ا تتخذنا هزواً. قال: أعوذ باللَّه ان أكون من الجاهلين. قال: فوجدوها عند رجل. فقال: لا أبيعها إلا بملء جلدها «4» ذهبا. و كان بارا بابيه. فعوضه الله عن ذلک و جازاه عن بره بابيه، إذ باع البقرة بملء جلدها ذهبا فضربوه ببعضها. فتكلم. فقال: قتلنى فلان، ثم عاد ميتاً فلم يورث قاتل بعده. و اختلفوا [فى البعض من البقرة المضروب به القتيل] «5».

فقال الفراء: ضرب بذنبها. و قال البعض اقل من النصف. و قال ابن زيد: ضرب ببعض أرابها. و قال ابو العالية: ضرب بعظم من عظامها. و قال السدى: ضرب

---

(1) ديوانه. المدره: هو المدافع العنجه: ذو الكبر و العظم. و منه العنجهية.

(2، 3) فى المطبوعة (تقتلون)

(4) فى المطبوعة (الا بملء ذهبا).

(5) ما بين القوسين زدناهم عن «مجمع البيان» ليتم المعنى. و هذه عبارة التبيان مخطوطته و مطبوعته «فى أى موضع ضرب من القتيل.» [.....]

بالبضعة التى بين الكتفين. و قال مجاهد، و عكرمة، و قتادة: ضرب بفخذ البقرة.

و الهاء فى قوله فاضربوه كناية عن القتيل و الهاء فى قوله: ببعضها كناية عن البقرة.

و هذه الأقاويل كلها محتملة الظاهر. و المعلوم ان اللَّه تعالى امر ان يضرب القتيل ببعض البقرة. و لا يضر الجهل بذلک البعض بعينه، و انما أمرهم بذلک لأنهم إذا فعلوه احيى الميت. فيقول فلان قتلنى: فيزول الخلف، و التدارى بين القوم. و القديم تعالى، و ان كان قادراً على الاخبار بذلک فان هذا اظهر. و الاخبار به أعجب لأنه معجز خارق للعادة.

و التقدير فى الآية فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه فحيى كما قال: «اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ» تقديره فضرب، فانفلق. و كذلک قوله: «يُحْيِ الْمَوْتى» فيه إضمار كأنه قال: فقلنا اضربوه ببعضها فحيى كذلک يحيى اللّه الموتى اى اعلموا ان ما عاينتموه ان اللّه قادر على ان يحيى الموتى للجزاء، و الحساب الذى أوعدكم به.
و لما ضربوه ببعض البقرة، أحياه اللّه تعالى، فقال: قتلنى ابن اخى ثم قبض. و كان اسمه عاميل. فقال بنو أخيه و اللّه ما قتلناه و كذبوا الحق بعد معاينته. و انما جعل سبب احيائه الضرب بموات لا حياة فيه، لئلا يلتبس على ذى شبهة ان الحياة انتقلت اليه مما ضرب به لتزول الشبهة، و تتأكد الحجة.
و قوله: «كَذلِکَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى»
يحتمل ان يكون حكاية عن قول موسى لقومه. و يحتمل ان يكون خطايا من اللّه تعالى لمشركى قريش.
و قوله: «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»
اى لتعقلوا. و قد كانوا عقالا قبل ذلک، لأن من لا عقل له، لا تلزمه الحجة، لكنه أراد تنبيههم، و ان يقبلوا ما يدعون اليه، و يطيعوه و يعرفوه حق معرفته.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 74] ..... ص : 305

اشارة

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ فَهِیَ کَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَ إِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما یَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَ إِنَّ مِنْها لَما یَشَّقَّقُ فَیَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ وَ إِنَّ مِنْها لَما یَهْبِطُ مِنْ خَشْیَةِ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج1، ص: 306

آیة واحدة بلا خلاف.

قرأ ابن کثیر وحده ها هنا عما یعملون بالیاء الباقون بالتاء.

الخطاب بقوله: «قلوبکم» قیل فیمن یتوجه الیه قولان:

أحدهما- انه أرید بنو اخی المقتول حین أنکروا قتله بعد ان سمعوه منه عند احیاء اللّه تعالی له، انه قتله فلان. هذا قول ابن عباس.

و الثانی- قول غیره: أنه متوجه الی بنی إسرائیل کلهم. قال: و قوله: «مِنْ بَعْدِ ذلِکَ» ای من بعد آیات اللّه کلها التی أظهرها علی ید موسی. و علی الوجه الاول یکون ذلک اشارة الی الأحیاء.

و معنی «قَسَتْ قُلُوبُکُمْ» ای: غلظت و یبست و عتت.

القسوة: ذهاب اللين، و الرحمة و الخشوع، و الخضوع. و منه يقال: قسا قلبه يقسو قسوا و قسوة و قساوة. و قوله من بعد ذلک ای من بعد احياء الميت لكم ببعض من أعضاء البقرة بعد ان تدار أوافيه و أخبرهم بقاتله، و السبب الذی من اجله قتله. و هذه آية عظيمة كان يجب على من شاهد هذا ان يخضع و يلين قلبه. و يحتمل ان يكون من بعد احياء الميت. و الآيات الاخرى التی تقدمت كمسخ القردة و الخنازير و رفع الجبل فوقهم و انبجاس الماء من الحجر و انفراق البحر و غير ذلک. و انما جاز ذلک و ان كانوا جماعة. و لم يقل ذلكم، لان الجماعة: فی معنى الجمع و الفريق. فالخطاب فی لفظ الواحد و معناه جماعة.

قوله: «فَهِیَ كَالْحِجارَةِ» يعنی قلوبهم، فشبهها بالحجارة فی الصلابة و اليبس و الغلظ و الشدة: ای أشد صلابة، لامتناعهم بالإقرار اللازم من حقه الواجب من طاعته بعد مشاهدة الآيات: و معنى «أو» فی الآية: يحتمل امور:

أحدها ذكره الزجاج: فقال: هی بمعنى التخيير كقولک جالس الحسن او ابن

التبيان فی تفسير القرآن، ج1، ص: 307

سيرين أيهما جالست جائز، فكأنه قال: ان شبهت قلوبهم بالحجارة جاز، و ان شبهتها بما هو أصلب كان جائزاً.

و الثانی ان تكون «او» بمعنى الواو. و تقديره: فهی كالحجارة و أشد قسوة، كما قال: «وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» «1» و مثله قول جرير:

نال الخلافة او كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر «2»

و قال توبة ابن الحمر:

و قد زعمت ليلى بانی فاجر لنفسی تقاها او عليها فجورها

ای و عليها. و مثله قوله تعالى: «وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ» ... الآية «3».

و الثالث ان يكون المراد الإبهام على المخاطبين كما قال ابو الأسود الدؤلی:

أحب محمداً حباً شديداً و عباساً و حمزة و الوصيا

فان يک حبهم رشداً أصبه و لست بمخطئ إن كان غيا «4»

و أبو الأسود لم يكن شاكا فی حبهم و لكن أبهم على من خاطبه. و قيل لابی الأسود حين قال ذلک: شككت قال كلا ثم استشهد بقوله تعالى: «قُلِ اللَّهُ وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِی ضَلالٍ مُبِينٍ» «5» افتراه كان شاكا حين اخبر بذلک.

و الرابع- ان يكون أراد بل أشد قسوة، و مثله «وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» اى بل يزيدون، و لا تكون بل للاضراب عن الاول بل مجرد العطف.
و الخامس- انها كالحجارة، أو أشد قسوة عندكم.
و السادس: ان يكون أراد مثل قول القائل أطعمتک حلواً و حامضاً و قد

---

(1) سورة الصافات آية: 147.
(2) ديوانه: و الممدوح هو عمر ابن عبد العزيز. و روايته (إذ كانت). و قد مر فى 1: 92.
(3) سورة النور آية: 31.
(4) ديوانه: و الاغانى 1130 و رواية الديوان «و فيهم اسوة ان كان غياً».
(5) سورة سبأ آية: 25

أطعمه النوعين جميعاً. و هو انه لم يشک انه أطعمه الطعمين معاً فكأنه قال: فهى كالحجارة او أشد قسوة. و معناه ان قلوبهم لا تخرج من احد هذين المثلين. اما ان تكون مثلا للحجارة القسوة. و اما ان تكون أشد منها. و يكون معناه على هذا بعضها كالحجارة قسوة و بعضها أشد قسوة من الحجارة. و كل هذه الأوجه محتملة و أحسنها الإبهام على المخاطبين. و لا يجوز ان يكون المعنى الشک، لان اللَّه تعالى عالم لنفسه لا يخفى عليه خافية. و كذلک فى أمثال ذلک نحو قوله: «فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى» و غير ذلک و انشدوا فى معنى او يراد به بل قول الشاعر:
بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى فصورتها او انت فى العين أملح

يريد بل انت. و الرفع في قوله: «أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً»، يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يكون عطفاً على معنى الكاف التى فى قوله: كالحجارة، لان معناها، فهى مثل الحجارة.
و الآخر: ان يكون عطفاً على تكرير هى، فيكون التقدير فهى كالحجارة او هى أشد قسوة من الحجارة.
و قرئ بنصب الدال شاذاً فيكون نصبه على ان موضعه الجر بالكاف. و انما نصب على انه على وزن افعل لا ينصرف.
و قوله: «وَ إِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ».

معناه ان من الحجارة ما هو انفع من قلوبهم القاسية، يتفجر منها انهار، و ان منها لما يهبط من خشية اللّه، و التقدير ان من الحجارة حجارة يتفجر منها انهار الماء فاستغنى بذكر الأنهار عن ذكر الماء. و كرر قوله منه للفظ ما.

و التفجر: التفعل من فجر الماء: و ذلک إذا نزل خارجاً من منبعه و کل سائل

شُخص خارجاً من موضعه، و مکانه فقد انفجر. ماء کان او دماء او حدید او غیر ذلک.
قال عمر بن لحاء:
و لما أن قربت الی جویر ابی ذو بطنه إلا انفجار «1»
یعنی خروجاً و سیلانا.
و قوله: «وَ إِنَّ مِنْها لَما یَشَّقَّقُ فَیَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ» تشقق الحجارة انصداعها و أصله یتشقق، لکن التاء أدغمت فی الشین فصارت شینا مشددة. و قوله: «فَیَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ».

يعنى فيخرج منه الماء فيكون عينا نابعة لا انها جارية حتى يكون مخالفا للأول. و قال الحسين بن على المغربى: الحجارة الاولى حجارة الجبال تخرج منها الأنهار. و الثانية حجر موسى الذى ضربه فانفجر منه عيون، فلا يكون تكراراً.
و قوله: «وَ إِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ». قال ابو على و المغربى: معناه بخشية اللّه، كما قال: يحفظونه من امر اللّه اى بأمر اللّه. قال و هى حجارة الصواعق و البرد. و الكناية فى قوله منها قيل فيها قولان:
أحدهما: انها ترجع الى الحجارة، لأنها اقرب مذكور. و قال قوم: انها ترجع الى القلوب لا الى الحجارة. فيلون معنى الكلام. و ان من القلوب لما يخضع من خشية اللّه، ذكره ابن بحر و هو احسن عن الاول. و من قال بالأول اختلفوا فيه. فمنهم من قال: إن المراد بالحجارة الهابطة البرد النازل من السحاب. و هذا شاذ، لم يذكره غير أبى على الجبائى. و قال الأكثر إن المراد بذلك الحجارة الصلبة، لأنها أشد صلابة. و قالوا فى هبوطها وجوهاً:
أحدها- ان هبوط ما يهبط من خشية اللّه تفيؤ ظلاله.
و ثانيها- انه الجبل الذى صار دكا لما تجلى له ربه.

_____

(1) طبقات فحول الشعراء 369. و الاغانى 8. 72. و روايته الا «انحداراً» «و ذو بطنه» كناية عما يشمأز من ذكره.

و ثالثها- قاله مجاهد: إن كل حجر تردى من رأس جبل فهو من خشية اللّه و رابعها- ان اللّه تعالى اعطى بعض الجبال المعرفة، فعقل طاعة اللّه تعالى، فاطاعه كالذى روى فى حنين الجذع. و ما
روى عن النبى «ص» انه قال: إن حجراً كان يسلم علىّ فى الجاهلية إنى لا أعرفه الآن.
و هذا الوجه فيه ضعف، لأن الجبل ان كان جماداً، فمحال ان يكون فيه معرفة اللّه. و ان كان عارفا باللّه و بنيته بنية الحى فانه لا يكون جبلا. و أما الخبر عن النبى (ص) فهو خبر واحد. و لو صح، لكان معناه ان اللّه تعالى احيا الحجر فسلم على النبى «ص» و يكون ذلك معجزاً له «ع». و اما حنين الجذع فان اللّه تعالى خلق فيه الحنين، فكان بذلك خارقا للعادة، لأنه إذا استند اليه النبى «ص» سكن و إذا تنحى عنه، حنّ و قال قوم: يجوز ان يكون اللّه تعالى بنى داخله بنية حى، فصح منه الحنين. و قال قوم: معنى «يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» إنه يوجب الخشية لغيره بدلالته على صانعه. كما قيل ناقة تاجرة. إذا كانت من نجابتها و فراهتها، تدعو الناس الى الرغبة

فيها: كما قال جرير بن عطية:
و اعور من نبهان اما نهاره فأعمى، و اما ليله فبصير «1»
فجعل الصفة لليل و النهار. و هو يريد صاحبه النبهانى الذى يهجوه بذلک من اجل انه كان فيهما على ما وصفه به. و الذى يقوى فى نفسى ان معنى الآية الابانة عن قساوة قلوب الكفار، و ان الحجارة ألين منها، لو كانت تلين لشىء، للانت و تفجرت منها الأنهار، و تشققت منها المياه، و هبطت من خشية اللّه. و هذه القلوب لا تلين مع مشاهدتها الآيات التى شاهدتها بنو إسرائيل: و جرى ذلک مجرى ما يقوله تعالى: «لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» «2» و معناه لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، و كانت الجبال مما تخشع لشىء ما، لرأيته خاشعاً متصدعاً و كقوله تعالى: «وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ» «3» الى آخرها سواء. و ادخلت هذه اللامات فيها تأكيداً للخبر.

---

(1) ديوانه: 206
(2) سورة الحشر آية: 21
. (3) سورة الرعد آية: 33.

و يجوز فى قوله «فَهِيَ كَالْحِجارَةِ» اسكان الهاء و قد قرئ به، لأن الفاء مع الهاء قد جعلت الكلمة بمنزلة تخذ فتحذف الكسرة استثقالا.

و المعنى فى الآية: انه تعالى لما اخبر عن بنى إسرائيل و ما أنعم عليهم به، و أراهم من الآيات، و غير ذلک، فقال مخبراً عن عصيانهم، و طغيانهم «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ فَهِىَ كَالْحِجارَةِ، أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» ثم اخبر تعالى انه لا امتناع عند الحجارة مما يحدث فيها من أمره، و ان كانت قاسية، بل هى متصرفة على مراده لا يعدم شىء مما قدر فيها. و بنو إسرائيل مع كثرة نعمه عليهم و كثرة ما أراهم من الآيات، يمتنعون من طاعته، و لا تلين قلوبهم لمعرفة حقه، بل تقسو و تمتنع من ذلک. و قوله: «وَ إِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» أى عند ما يحدث فيها من الآية الهائلة: كالزلازل و غيرها، و أضاف الخشية الى الحجارة. و ان كانت جماداً على مجاز اللغة و التشبيه. و المعنى فى خشوع الحجارة انه يظهر فيها ما لو ظهر فى حى مختار قادر، لكان بذلک خاشعاً. و هو ما يرى من حالها. و انها منصرفة لامتناع عندها مما يراد بها. و هو كقوله: «جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ» «1» لأن ما ظهر فيه من الميلان، لو ظهر من حى لدل على انه يريد أن ينقض، ليس ان الجدار يريد شيئاً فى الحقيقة، و مثله «وَ إِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» «2» و قوله: «أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» «3» و قوله: «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ» «4» و قال زيد الخيل:

بجمع تظل البلق فى حجراته ترى الاكم فيه سجداً للحوافر «5»

فجعل ما ظهر فى الاكم من آثار الحوافر، و قلة امتناعها عليها، و مدافعتها لها كما يدافع الحجر الصلب الحديد الصلب سجوداً لها، و لو أن الاكم كانت فى صلابة

---

(1) سورة الكهف آية 78
(2) سورة الإسراء آية 44
(3) سورة الحج آية 18
(4) سورة الرحمان آية 6
(5) زيد الخيل بن مهلهل الطائى الفارس المشهور.- [.....]

الحديد حتى يمتنع من الحوافر، و لا تؤثر فيها، و لا تذهب يميناً و لا شمالا، و لا تظاهر بكثرة تزداد الحوافر عليها، ما جاز ان يقال: انها تسجد للحوافر. و قال ابن حمزة:

و عرفت من شرفات مسجدها حجرين طال عليهما القصر
ركب الخلاء فقلت إذ بكيا ما بعد مثل بكاهما صبر

و قال جرير:
لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة و الجبال الخشع
فصيرها متواضعة. و العرب يفهم بعضها مراد بعض بهذه الأشياء. فمن تعلق بشىء من هذا ليطعن به، فإنما يطعن على لغة العرب بل على لغة نفسه من اهل أى لغة كان. فان هذا موجود متعارف فى كل لغة، و عند كل جيل.
و قوله: «وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» من قرأ بالتاء، قال: الخطاب متوجه الى بنى إسرائيل فكأنه قال: و ما اللّه بغافل يا معشر المكذبين بآياته و الجاحدين بنبوة محمد «ص» عما تعملون. و من قرأ بالتاء فكان الخطاب لغيرهم و الكناية عنهم.
و الغفلة عن الشىء تركه على وجه السهو و النسيان فأخبرهم اللَّه تعالى انه غير غافل عن أعمالهم السيئة و لا ساه عنها.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 75] ..... ص : 312

اشارة

أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (75)
آية بلا خلاف.

الألف فى قوله أ فتطمعون ألف استفهام و المراد به الإنكار، كقوله:

- و البلق جمع أبلق و بلقاء: الفرس المحجلة. و الحجرات جمع حجرة: الناحية و الباء «بجمع» متعلقة ببيت سابق، هو:

بنى عامر هل تعرفون إذا غدا ابو مكنف قد شد عقد الدوابر

«أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قالُوا بَلى.» «1» فإذا كان فى الاول نفياً، كان الجواب بلى و إذا لم يكن نفياً كان الجواب لا. و هذا خطاب لامة النبى «ص» فكأنه قال: أ فتطمعون أيها المؤمنون أن يؤمنوا لكم من طريق النظر و الاعتبار، و نفى التشبيه، و الانقياد للحق و قد كان فريق منهم: أى ممن هو فى مثل حالهم من أسلافهم يسمعون كلام اللّه ثم يعلمون انه الحق، و يعاندون فيحرّفونه و يتأولونه، على غير تأويله.

و قوله: «وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ» و الفريق جمع كالطائفة لا واحد له من لفظه و هو فعيل من الفرق سمى به الجمع كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب قال اعشى بن تغلبة:

أخذوا فلما خفت ان يتفرقوا فريقين منهم مصعد و مصوب «2»

و قوله: «منهم» يعنى من بنى إسرائيل، و انما جعل اللّه الذين كانوا على عهد موسى و من بعد: من بنى إسرائيل من اليهود الذين قال اللّه تعالى لأصحاب محمد «ص» ا فتطمعون أن يؤمنوا لكم، لأنهم كانوا آباؤهم و أسلافهم، فجعلهم منهم إذ كانوا عشائرهم و فرقهم و أسلافهم.

و قوله: «يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ» قال قوم منهم مجاهد و السدى: إنهم علماء اليهود يحرفون التوراة، فيجعلون الحلال حراماً و الحرام حلالا ابتغاء لأهوائهم و اعانة لمن يرشوهم. و قال ابن عباس و الربيع و ابن إسحاق و البلخى: انهم الذين اختارهم موسى من قومه، فسمعوا كلام اللّه فلم يمتثلوا أمره، و حرفوا القول فى اخبارهم لقومهم حتى رجعوا اليهم و هم يعلمون انهم قد حرفوا. و هذا أقوى التأويلين، لأنه تعالى اخبر عنهم بأنهم يسمعون كلام اللّه و الذين سمعوا كلام اللّه. بلا واسطة هم الذين كانوا مع موسى. فاما هؤلاء فإنما سمعوا ما يضاف الى كلامه بضرب من العرف دون حقيقة الوضع. و من قال بهذا. قال: هم الذين سمعوا كلام اللّه الذى اوحى اللّه الى موسى. و قال قوم هو التوراة التى علمها علماء اليهود.

و قوله: «مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ». قيل فيه وجهان:

أحدهما- و هم يعلمون انهم يحرفونه.

---

(1) سورة الملک: آیة 8 و 9
(2) دیوانه. أجد السیر: انکش فیه و اسرع. مصعد: مبتدئ فی الصعود الی نجد و الحجاز. و مصوب: منحدر فی رجوعه الی العراق.

و الثانی- من بعد ما تحققوه و هم یعلمون ما فی تحریفه من العقاب. و الذی یلیق بمذهبنا فی الموافاة أن نقول: ان معناه و هم یعلمون انهم یحرفونه. فان قیل فلما ذا اخبر اللّه عن قوم بأنهم حرفوا و فعلوا ما فعلوا من المعاندة ما یجب أن یؤیس من ایمان من هو فی هذا الوقت، و أی علقة بین الموضوعین و الحالین؟ قیل: لیس کلما یطمع فیه یؤیس منه علی وجه الاستیقان بانه لا یکون، لأن الواحد من افناء العامة «1» لا یطمع ان یصیر ملکا. و مع ذلک لا یمکن القطع علی کل حال ان ذلک لا یکون ابداً. و لکن لا یطمع فیه لبعده، و اللّه تعالی نفی عنهم الطمع و لم یؤیسهم علی القطع و الثبات و انما لم یطمع فیهم لبعد ذلک من الوهم منهم مع أحوالهم التی کانوا علیها.
و شبههم باسلافهم المعاندین، و قد کانوا قادرین علی ان یؤمنوا و کان ذلک منه جائزاً. و هؤلاء الذین عاندوا- و هم یعلمون- کان قلیلا عددهم، یجوز علی مثلهم التواطؤ و الاتفاق و کتمان الحق، و انما یمتنع ذلک فی الجمع العظیم و الخلق الکثیر، لأمر یرجع الی اختلاف الدواعی. فأما علی وجه التواطؤ و العمد فلا یمتنع فیهم ایضاً، فیبطل بذلک قول من نسب فریقاً الی المعاندة دون جمیعهم و ان کانوا بأجمعهم کفاراً.

وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَ إِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قالُوا أَ تُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (76)

هذه الآية فيها اخبار عمن رفع اللّه الطمع فى ايمانهم من يهود بنى إسرائيل الذين كانوا بين أظهرهم فقال: ا فتطمعون ايها المؤمنون ان يؤمنوا لكم، و هم القوم الذين كان فريق منهم يسمعون كلام اللّه، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه و هم يعلمون، و هم الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا: أى صدقنا بمحمد (ص) و بما صدقتم به و أقررنا بذلک. فأخبر اللّه بأنهم تخلقوا بأخلاق المنافقين و سلكوا منهاجهم.

---

(1) اى لا يعلم ممن هو

«وَ إِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ»: أى إذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين وصف اللّه صفتهم، الى بعض منهم فصاروا فى خلاء الناس، و ذلک هو الموضع الذى ليس فيه غيرهم، قالوا- يعنى بعضهم لبعض-: ا تحدثونهم بما فتح اللّه عليكم. و قال ابن عباس بما فتح الله عليكم أى بما ألزمكم الله به. فيقول له آخرون انما نستهزئ بهم و نضحک. و روى سعيد ابن جبير عن ابن عباس ان معناه قالوا لا تحدثوا العرب بهذا. فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم. فانزل الله هذه الآية: أى تقرون بانه نبى و قد علمتم انه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه و هو يخبركم بانه النبى الذى كنا ننتظره و نجده فى كتابنا. اجحدوه و لا تقروا به لهم. فقال اللّه تعالى: «أَ وَ لا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ» «1» و قال ابو العالية: ا تحدثونهم بما فتح اللّه عليكم: اى بما أنزله فى كتابكم من بعث محمد (ص) و به قال قتادة و قال مجاهد: ذلک قول يهود بنى قريظة حين سبهم النبى (ص) بأنهم إخوة القردة و الخنازير. قالوا من حدثک بهذا- حين أرسل اليهم علياً (ع) فآذوا محمداً (ص)- فقال: يا اخوة القردة و الخنازير قال بعضهم لبعض: ما أخبره بهذا إلا منكم أ تحدثونهم بما فتح اللّه عليكم، ليكون لهم حجة عليكم؟ و قال السدى:

هؤلاء ناس آمنوا من اليهود ثم نافقوا و كانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به فقال بعضهم لبعض: ا تحدثونهم بما فتح اللّه عليكم من العذاب ليحاجوكم به، ليقولوا نحن أحب الى اللّه منكم و أكرم عليه منكم؟ و مثله روى عن أبى جعفر «ع»

و اصل الباب الفتح فى لغة العرب: القضاء و النصرة و الحكم.

يقال اللهم افتح بينى و بين فلان: أى احكم بينى و بينه، و منه قوله تعالى:

«وَ يَقُولَونَ مَتى هذَا الْفَتْحُ» «2» يعنى هذا القضاء فقال تعالى: «قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ» «3» يعنى يوم القضاء. و قال الشاعر:
ألا ابلغ بنى عصم رسولا فانى عن فُتاحتكم غنىّ»

---

(1) سورة البقرة آية 77
(2) سورة آلم السجدة آية 28
. (3) سورة آلم السجدة آية 29
(4) بنسب للاشعرى الجعفى و محمد بن حمران بن أبى حمران. أمالى القالى: 281. اللسان:
«فتح» و بنو عصم هم رهط عمرو بن معديكرب الزبيدى.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 316
و يقال للقاضى الفتاح قال الله تعالى: «رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ» «1» يعنى احكم به. و يقال فتح بمعنى علم، فقال افتح على هذا أى اعلمنى بما عندک فيه. و إذا كان معنى الفتح ما وصف فقد بان ان معنى الآية.
ا تحدثونهم بما حكم اللّه عليكم و قضاه فيكم، و من حكمه ما أخذ به ميثاقهم من الايمان بمحمد «ص» بما بينه فى التوراة و من قضائه انه جعل منهم القردة و الخنازير. فإذا ثبت ذلک، فان أقوى التأويلات: قول من قال: ا تحدثونهم بما فتح اللّه عليكم من بعث محمد «ص» و صفته فى التوراة، و انه رسول اللّه «ص» الى خلقه.
و روى عن أبى جعفر «ع» انه قال: كان قوم من اليهود ليسوا بالمعاندين المتواطئين، إذا لقوا المسلمين، حدثوهم بما فى التوراة من صفة محمد «ص» فنهاهم كبراؤهم عن ذلک، و قالوا: لا تخبروهم بما فى التوراة من صفة محمد «ص» فيحاجوكم به عند ربكم، فنزلت الآية.
و معنى قوله: «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» أ فلا تفهمون ايها القوم أن اخباركم محمد «ص» و أصحابه، بما تحدثونهم به و إقراركم لهم بما تقرون لهم من وجودكم بعث محمد فى كتبكم و انه نبى مبعوث حجة عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم. و قال ابو عبيدة «بِما فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» أى بما منّ عليكم و أعطاكم ليحاجوكم به. و قال الحسن:
فى قوله «لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ» أى فى ربكم فيكونوا اولى منكم إذا كانت حجتهم عليكم. قال الحسن: ثم رجع الى المؤمنين فقال: «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» ايها المؤمنون فلا تطمعوا فى ذلک.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 77] ..... ص : 316

اشارة

أَ وَ لا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ (77)
آية بلا خلاف.

معناه: ا و لا يعلمون ان اللَّه يعلم سرهم و علانيتهم، فكيف يستخيرون أن

---

(1) سورة الاعراف آية: 89.

يسروا الى إخوانهم النهى عن التحدث بما هو الحق و ليسوا كسائر المنافقين، و ان كانوا يسرون الكفر فإنهم غير عالمين بان الله يعلم سرهم و جهرهم، لأنهم جاحدون له.

و هؤلاء مقرون. فهم من هذه الجهة ألوم و اعجب شأناً و أشد جزاءً. و قال قتادة فى «أَ وَ لا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ» من كفرهم و تكذيبهم محمداً (ص) إذا خلا بعضهم الى بعض. «وَ ما يُعْلِنُونَ» إذا لقوا اصحاب محمد «ص» قالوا آمنا يغرونهم بذلک. و مثله روى عن أبى العالية.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 78] ..... ص : 317

اشارة

وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ إِلاَّ أَمانِيَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ (78) آية بلا خلاف.

قرأ ابو جعفر المدنى: امانى مخففاً و الباقون بالتشديد.

قوله: «وَ مِنْهُمْ» يعنى هؤلاء اليهود الذين قص الله قصتهم فى هذه الآيات و قطع الطمع فى ايمانهم. و قال اكثر المفسرين: سموا أميين، لأنهم لا يحسنون الكتابة، و لا القراءة. يقال منه: رجل أمى بين الامية. و منه قوله «ع» أما أمة أميون لا يكتب و لا يحسب و انما سمى من لا يحسن الكتابة امياً لأحد امور. قال قوم: هو مأخوذ من الامة أى هو على اصل ما عليه الامة من انه لا يكتب. لا يستفيد الكتابة بعد إذ لم يكن يكتب الثانى- ان الامة: الخلقة. فسمى امياً لأنه باق على خلقته. و منه قول الأعشى:

و ان معاوية الا كرمى ن حسان الوجوه طوال الأمم «1»

و الثالث- انه مأخوذ من الام. و انما أخذ منه، لاحد أمرين:

أحدهما- لأنه على ما ولدته امه من انه لا يكتب.

---

(1) اللسان «امم» الأمم جمع أمة يريد طوال القامات. فى المخطوطة و المطبوعة «معونة» بدل «معاوية».

و الثانى- نسب الى امه، لأن الكتابة كانت فى الرجال دون النساء فنسب من لا يكتب من الرجال الى امه، لجهلها دون أبيه. و قال ابو عبيدة الأميون هم الأمم الذين لم ينزل عليهم كتاب. و النبى الامى: الذى لا يكتب، و انشد لتبع:

له أمة سميت بالزبو ر امية هى خير الأمم

و روى عن ابن عباس: ان الأميين قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله عز و جل و لا كتاباً أنزله، و كتبوا كتاباً بأيديهم، و قالوا: لقوم جهال هذا من عند الله.

و قال: قد اخبر انهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أميون لجحودهم كتاب الله عز و جل و رسله. و الوجه الاول أوضح فى اللغة. و هذا الوجه مليح لقوله فى الآية الثانية «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ» فأثبت انهم يكتبون و من قال بالأول يحتاج، ان يجعل هذا مستأنفاً لغير من تقدم ذكره، أو لبعضهم.

و قوله: «لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ» أى لا يعلمون ما فى الكتاب الذى أنزله الله عز و جل، و لا يدرون ما أودعه من حدوده و أحكامه و فرائضه، كهيئة البهائم.

و انما هم مقلدة لا يعرفون ما يقولون. و الكتاب المعنى به التوراة. و انما ادخل عليه لام التعريف، لأنه قصد به قصد كتاب معروف بعينه. و معنى الآية فريق لا يكتبون و لا يدرون ما فى الكتاب الذى عرفتموه، و الذى هو عندكم، و هم ينتحلونه، و يدعون الإقرار به من احكام الله عز و جل و فرائضه و ما

فيه من حدوده التى بينها فيه إلا امانى.
قال ابن عباس و مجاهد إلا قولا يقولون بأفواههم كذباً. و قال قتادة الامانى انهم يتمنون على الله ما ليس لهم. و قال آخرون: الامانى أحاديث. و قال الكسائى و الفراء و غيرهما: معناه إلا تلاوة، و هو المحكى عن أبى عبيدة على ما رواه عنه عبد الملک بن هشام، و كان ثقة. و ضعف هذا الوجه الحسين بن على المغربى، و قال هذا لا يعرف فى اللغة. و من صححه استدل بقوله تعالى: «إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ» «1». قال كعب بن مالک:

---

(1) سورة الحج آية 52

تمنى كتاب الله أول ليلة و اخره لا فى حمام المقادر
و قال آخر:
تمنى كتاب الله بالليل خالياً تمنى داود الزبور على رسل
و قال ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهانى: الامانى التقدير. قال الشاعر:
و لا تقولن لشىء سوف افعله حتى يبين ما يمنى لک المانى
أى ما يقدر لک المقدر «و إلا» ها هنا استثناء منقطع. و معناه لكن امانى و كل موضوع يعلم ان ما بعد إلا خارج عن الاول فهو بمعنى لكن، كقوله «ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ» و كقولهم ما فى الدار واحد إلا حماراً، و الا وتداً قال الشاعر:
ليس بينى و بين قيس عتاب غير طعن الكلى و ضرب الرقاب «1»
و قال آخر:
حلفت يميناً غير ذى مثنوية و لا علم إلا حسن ظن بصاحب «2»
معناه لكن حسن ظنى بصاحبى. و مثله (وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً) «3». و مثله (لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) «4». و لو لا و لو ما و هلا و إلا الثقيلة بمعنى واحد قال الشاعر:
تعدون عقر النيب أفخر مجدكم بنى ضوطرى لو لا الكمى المقنعا «5»
يعنى هلا. و قال آخر:
أتيت بعبد اللَّه فى القيد موثقاً فهلا سعيداً ذا الجناية و العذر

---

(1) قائله: عمرو بن الأيهم التغلبى، و قيل اسمه: عمر، و قيل هو اعشى تغلب.
(2) قائله: نابغة بنى ذبيان. ديوانه. مثنوية: استثناء
(3) سورة النساء آية 91. [.....]
(4) سورة هود آية 43.
(5) قائله: جرير، من قصيدة يهجو بها الفرزدق. عقر الناقة: ضرب قوائمها.

النيب ج ناب: الناقة المسنة. ضوطرى: الرجل الضخم اللئيم. و الضوطرى: الامرأة الحمقاء. الكمى: الشجاع

ثم قال آخر:
و ما شيخونى غير انى ابن غالب و انى من الاثرين عند الزغايف
واحدهم زغيف: و هو التابع. و كل موضوع حسن ان يوضع فيه مكان إلا (لكن) فاعلم انه مكان استثناء منقطع. و لو قيل ها هنا و منهم أميون لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون لكان صحيحاً.
و الامانى واحدها امنية مثقل و من خفف الياء قال، لأن الجمع يكون على غير واحده بنقصان أو زيادة. و الامانى كلهم يخففونها لكثرة الاستعمال، و كذلک الاضاحى. و اولى التأويلات قول ابن عباس و مجاهد: من ان الأميين الذين وصفهم اللّه بما وصفهم به فى هذه الآية، و انهم لا يفقهون من الكتاب الذى انزل اليه على موسى شيئاً لكنهم متخرصون الكذب. و يقولون: الباطل. و التمنى فى الموضوع تخلق الكذب و تخرصه. يقال منه تمنيت إذا افتعلته و تخلقته. و منه ما روى عن بعض الصحابة انه قال: ما تعنيت و لا تمنيت أى ما تخرصت الباطل، و لا تخلقت الكذب و الافک، و يقوى ذلک قوله فى آخر الآية: (وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) فبين أنهم يتمنون ما يتمنون من الكذب ظناً لا يقيناً، و لو كان المعنى انهم يتلونه لما كانوا ظانين و كذلک لو كانوا يتمنونه، لأن الذى يتلوه إذا تدبر علمه، و لا يقال فيمن يقرأ كتاباً لم يتدبره، و تركه انه ظان لما يتلوه إلا ان يكون شاكا فيما يتلوه و لا يدرى أحق هو ام باطل، و لم يكن القوم الذين عاصروا النبى (ص) من اليهود شاكين فى التوراة انها من عند الله، و كذلک التمنى. لا يجوز ان يقال: هو ظان بتمنيه، لأن التمنى من المتمنى إذا وجد لا يقال فيه شاک فيما هو عالم به، لأنه ينافى العلم. و المتمنى فى حال وجود تمنيه لا يجوز ان يقال هو يظن تمنيه.
و قوله: (وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) قال جميع المفسرين معناه يشكّون. و الذى أقوله ان المراد بذلک نفى العلم عنهم، و قد ينتفى العلم تارة بالشک و تارة بالظن. و اما فى الحقيقة فالظن غير الشک، غير ان المعنى متفق عليه ها هنا.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 79] ..... ص : 321

اشارة

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79)
آية بلا خلاف.

قال الزجاج: الويل كلمة يستعملها كل واقع فى هلكة. و أصله فى اللغة العذاب و الهلاک و ارتفع بالابتداء، و خبره الذين. و لو كان فى غير القرآن، لجاز بالنصب على معنى جعل اللَّه ويلا للذين و الرفع على معنى ثبوت الويل للذين، و مثله الويح و الويس إذا كان بعدهن لام رفعتهن. و اما التعس و البعد و ما أشبههما فهو نصب ابداً. فان اضفت ويل و ويح و ويس نصب من غير تنوين. تقول ويلَ زيدٍ و ويسَ زيد. و لا يحسن فى التعس و البعد الاضافة بغير لام فلذلک لم ترفع. و قد نصب قوم مع اللام فيقولون ويلًا لزيد، ويحاً لخالد. قال الشاعر:

كسا اللؤم تيماً خضرة فى جلودها فويلًا لتيم من سرابيلها الخضر «1»

قال ابن عباس: «الويل» فى الآية العذاب. و قال الاصمعى هو التقبيح.
و منه قوله: «وَ لَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ». و قال المفضل: معناه الحزن. و قال قوم:
هو الهوان و الخزى، و منه قول الشاعر:
يا زبرقان أخا بنى خلف ما انت ويل أبيک و الفخر «2»
و قال ابو سعيد الخدرى: الويل واد فى جهنم. و قال عثمان بن عفان: هو جبل فى النار.

---

(1) قائله جرير. اللسان: (ويل)
(2) البيت للمخبل اللسان: (ويل) و روايته (ويب) بدل (وبل). و معنى ويب: التصغير و التحقير.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 322
و قوله: «يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ» معناه انهم يقولون كتبته، ثم يضيفونه الى اللّه، كقوله «خلقت بيدى» «1» «و عملت أيدينا» «2» أى نحن تولينا ذلک و لم نكله الى احد من عبادنا. و مثله رأيته بعينى و سمعته باذنى و لقيته بنفسى. و المعنى فى جميع ذلک التأكيد، و لأنه قد يأمر غيره بالكتابة، فتضاف اليه مجازاً. فلذلک يقول الامى كتبت الى آل فلان بكذا، و هذا كتابى اليک، و كما تقول: حملت الى بلد كذا. و انما أمرت بحمله. فأعلمنا اللّه تعالى انهم يكتبونه بأيديهم، و يقولون هو من عند اللّه، و قد علموا يقيناً إذا كتبوه بأيديهم انه ليس من عند اللّه. و فى الآية دلالة على إبطال قول المجبرة، لأنه تعالى عليهم بهذا القول، إذ نسبوا ما كتبوه من التحريف الى انه من عند اللّه، و جعل عليهم الويل. و إذا كان تحريفه من الكتاب- ليس من عند اللّه، من جهة القول و الحكم- فليس ذلک منه من جهة القضاء و الحكم و لا التقدير و المشيئة.
و قال ابن السراج: معنى «بأيديهم» أى من تلقاء أنفسهم.
و قوله «لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا». قال قوم: أى انه عرض الدنيا لأنه قليل المدة، كما قال تعالى: «قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ» «3» ذهب اليه ابو العالية. و قال آخرون: إنه قليل لأنه حرام.
و روى عن أبى جعفر (ع)، و ذكره ايضاً جماعة من اهل التأويل أن أحبار اليهود كانت غيرت صفة النبى (ص) ليوقعوا الشک للمستضعفين من اليهود.
و قوله: «وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» يقولون مما يأكلون به الناس السفلة و غيرهم. و اصل الكسب العمل الذى يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر، و كل عامل عملا بمباشرة منه لما عمل. و معناه ها هنا الاحتراف فهو كاسب لما

عمل. قال لبيد ابن ربيعة:
لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب لا يمنّ طعامها «4»

---

(1) سورة ص: آية 75
. (2) سورة يس: آية 71
. (3) سورة النساء: آية 76
. (4) معلقته. اللسان: (عفر) فى المخطوطة و المطبوعة (بمعفر فهد) بدل (لمعفر قهد)-

و قيل الكسب عبارة عن كل عمل بجارحة يجتلب به نفع، أو يدفع به مضرة و منه قيل للجوارح من الطير: كواسب.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 80] ..... ص : 323

اشارة

وَ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (80)
آية بلا خلاف.

قوله: «و قالوا» يعنى اليهود الذين قالوا لن تمسنا النار، و لن ندخلها إلا اياماً معدودة. و انما لم يبين عددها فى التنزيل، لأنه تعالى اخبر عنهم بذلک، و هم عارفون بعدد الأيام التى يوقتونها فى النار، فلذلک نزل تسمية عدد الأيام، و سماها معدودة، لما وصفنا.
و قال ابو العالية و عكرمة و السدى و قتادة: هى أربعون يوماً. و رواه الضحاک عن ابن عباس. و منهم قال: انها عدد الأيام التى عبدوا فيها العجل.
و قال ابن عباس: إن اليهود تزعم انهم وجدوا فى التوراة مكتوباً ان ما بين طرفى جهنم مسيرة أربعين سنة، و هم يقطعون مسيرة كل سنة فى يوم واحد، فإذا انقطع المسير، انقطع العذاب و هلكت النار. و قال مجاهد و سعيد بن جبير عن ابن عباس: إنها سبعة ايام، لأن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، و انهم يعذبون بعدد كل ألف سنة يوماً واحداً من ايام الآخرة، و هو كألف سنة من ايام الدنيا. و لما قالت اليهود ما قالت من قولها: لن تمسنا النار إلا اياماً معدودة على ما بيناه، قال اللّه تعالى لنبيه: «قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً» بما تقولون من ذلک أو ميثاقاً، فاللّه

- و فى المطبوعة (غبش) بدل (غبس). المعفر: الذى القى فى العفر، و هو التراب. و القهد: ولد البقر. و الشلو: العضو من اللحم. و غبس: غبر و لا يمن طعامها: تكسب طعامها بنفسها.

لا ينقض عهده «أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» من الباطل جهلًا و جراءة عليه

و فى القراء من قرأ «أوتخذتم» بإدغام الذال فى التاء. و منهم من لم يدغم. و اصل أتخذتم أ أتخذتم. دخلت ألف الاستفهام على ألف القطع من نفس الكلمة، فكره اجتماعهما فحذفت الاصلية، و بقيت التى للاستفهام، لأنها لمعنى- و هى و ان كانت للاستفهام فى الأصل- فالمراد بها هاهنا النكير، و التوبيخ، و الاعلام لهم و لغيرهم أن الامر بخلاف ما قالوه، و انهم يقولون بغير علم. و الدليل على انها ألف استفهام كونها مفتوحة. و لو كانت اصلية لكانت مكسورة فى اتخذتم، و لذلك يدخل بينهما المد كما قالوا فى «آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ» «1»، لأن قوله: «اذن اللّه» لو اخبر بها لكانت مفتوحة. و لو لم تدخل المدة لاشتبهت ألف الاستفهام بهمزة الخبر، و ليس كذلك ها هنا، لأن الفتحة تختص للاستفهام و فى الخبر تكون مكسورة. و فى المفتوحتين لا بد من الجمع بين الهمزتين. و منهم من يفصل بينهما بمدة. و منهم من لا يفصل، نحو قوله «أ أمنتم من فى السماء» «2»

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 81] ..... ص : 324

اشارة

بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (81)
آية بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة خطيئاته على الجمع. الباقون على التوحيد.
قوله «بلى» جواب لقوله: «لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً» فرد اللَّه عليهم بأن قال: بلى من أحاطت به خطيئته، ابداً. و بلى تكون جواباً للاستفهام الذى اوله جحود. و تكون جواباً للجحد و ان لم تكن استفهاماً، كقوله:

---

(1) سورة يونس: آية 59
. (2) سورة الملک: آية 16.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 325
«تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذابَ» الى قوله «بَلى قَدْ جاءَتْکَ آياتِى فَكَذَّبْتَ بِها» «1». و يقول القائل لم افعل كذا و كذا فيقول له غيره: بلى قد فعلت. بلى و نعم جوابان:
أحدهما- يدخل فيما لا يدخل فيه الآخر، لأن بلى تدخل فى باب الجحود.
و قال الفراء: انما امتنعوا من استعمال نعم فى جواب الجحد، لأنه إذا قال لغيره مالک على شىء فقال له نعم، فكأنه قد صدقه، و كأنه قال نعم ليس لى عليک شىء، فلهذا اختلف نعم و بلى.
و قوله: «سيئة» فمن همزاتى بيائين بعدهما همزة. و من ترک الهمزة على لغة أهل الحجاز يقول «سية» مثل عية. و من لين قال «سيئة» كأنه يشير الى الهمزة و يسكنها.

قال مجاهد، و ابن عباس و ابو وائل، و قتادة و ابن جريح: «السيئة» هاهنا الشرک. و قال السدى: الذنوب التى وعد اللّه عليها النار. و الذى يليق بمذهبنا ها هنا قول مجاهد، لأن ما عدا الشرک لا يستحق عندنا عليه الخلود فى النار.
«وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ». قال ابن عباس و مجاهد انها الشرک. و قال الربيع ابن خيثم: من مات عليها. و قال ابن السراج: هى التى سدت عليه مسالک النجاة.
و قال جميع المعتزلة: انه إذا كان ثوابه اكثر من عقابه. و الذى نقوله: الذى يليق بمذهبنا ان المراد بذلک الشرک و الكفر. لأنه الذى يستحق به الدخول مؤبداً. و لا يجوز ان يكون مراداً بالآية.
و قوله: «وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ» يقوى ذلک، لأن المعنى فيه ان تكون خطاياه كلها اشتملت عليه و لا يكون معه طاعة يستحق بها الثواب، تشبيهاً بما أحاط بالشىء من كل وجه. و لو كان معه شىء من الطاعات، لكان مستحقاً للثواب فلا تكون السيئة محيطة به، لأن الإحباط عندنا باطل فلا يحتاج الى تراعى كثرة

---

(1) سورة الزمر آية 58، 59.

العقاب، و قلة الثواب، لأن قليل الثواب عندنا يثبت مع كثرة العقاب، لما ثبت من بطلان التحايط بادلة العقل. و ليس هذا موضع ذكرها، لأن الآية التى بعدها فيها وعد لأهل الايمان بالثواب الدائم. فكيف يجتمع الثواب الدائم و العقاب الدائم، و ذلک خلاف الإجماع؟ و متى قالوا أحدهما يبطل صاحبه، قلنا الإحباط باطل ليس بصحيح على ما مضى.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (82)
هذه الآية متناولة «1» لمن آمن باللّه و صدق به، و صدق النبى (ص) و عمل الصالحات التى أوجبها اللّه تعالى عليه، فانه يستحق بها الجنة خالداً ابداً. و ظاهرها يمنع من ان مرتكب الكبيرة مخلد فى النار، لأنه إذا كان مؤمناً مستحقاً للثواب الدائم، فلا يجوز ان يستحق مع ذلک عقاباً دائماً، لأن ذلک خلاف ما اجمع المسلمون عليه و متى عادوا الى الإحباط، كلموا فيه بينهم و بين بطلان قولهم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 83] ..... ص : 326

اشارة

وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِى إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ ذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83)
آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى: «لا يعبدون» بالياء. الباقون بالتاء.

_____

(1) فى المخطوطة و المطبوعة (متأولة) بدل (متناولة).

و قرأ «حسناً» بنصب «1» الحاء و السين «2» حمزة و الكسائى الباقون «حسناً» بضم الحاء و إسكان السين و تقدير الآية: و اذكروا ايضاً يا معشر بنى إسرائيل إذ أخذنا ميثاقكم لا تعبدون إلا اللّه، فلما أسقطت ان، رفع. كما قال الشاعر:

ألا ايهذا اللائمى اشهد الوغى و ان اشهد اللذات هل انت مخلدى «3»

و مثله قوله: «أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ». و من قرأ بالياء، تقديره انه اخبر انه تعالى أخذ ميثاقهم، لا يعبدون إلا اللّه، و بالوالدين احساناً، ثم عدل الى خطابهم فقال: «وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً». و العرب تفعل ذلک كثيراً. و انما استخاروا ان يصيروا الى المخاطبة بعد الخبر، لأن الخبر انما كان عمن خاطبوه بعينه، لا عن غيره.

و قد يخاطبون، ثم يصيرون بعد ذلک الى الخبر عن المخاطب. مثال الاول قول الشاعر:

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسراً على طلابک ابنة مخزم «4»

مزار نصب. و التاء من أصبحت كناية عن المرأة فأخبر عنها ثم خاطبها. و مثال الثانى قول الشاعر:

اسيئى بنا أو احسنى لا ملومة لدينا و لا مقلية ان تقلت «5»

و قال زهير:

فانى لو ألاقيک اجتهدنا و كان لكل منكره كفاء

و ابرى موضحات الرأس منه و قد يبرى من الجرب الهناء

و من قرأ بالتاء فان الكلام من أوله خطاب.

و تقديره: و إذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل، قلنا لا تعبدوا الا اللّه. قال بعض النحويين: المعنى و إذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون الا اللّه، و بالوالدين

_____

(1) فى المخطوطة و المطبوعة هكذا و الصحيح بفتح [.....]

(2) فى المطبوعة «الصواب و بفتح الحاء و السين» زائدة

(3) قائله طرفه بن العبد البكرى ديوانه: 317. من معلقته المشهورة. و روايته: «الزاجر» بدل «اللائم». و احضر- فى الموضعين- بدل (اشهد)

(4) قائله عنترة بن شداد. اللسان (شطط) و روايته (طلابها) بدل

(طلابک) و فی معلقته هکذا:
حلت بأرض الزائرین فأصبحت عسراً علی طلابک ابنة مخرم
(5) قائله کثیر عزة، دیوانه 1: 53. قلاه یقلیه قلی فهو مقلی: کرهه. و تقلی أی استعمل من القول أو الفعل ما یدعو الی بغضه.

إحسانا، حکایة، کأنه قال استحلفناهم لا یعبدون إلا اللَّه، إذ قلنا لهم: و اللّه لو قالوا و اللَّه لا تعبدون. و الاول أجود.
و قوله تعالی: «وَ بِالْوالِدَیْنِ إِحْساناً» عطف علی موضع أن المحذوفة فی «تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَ بِالْوالِدَیْنِ إِحْساناً» فرفع لا تعبدون، لما حذفت أن، ثم عطف بالوالدین علی موضعها: کما قال الشاعر:
معاوی اننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال و لا الحدیدا «1»
فعطف «2» و لا الحدید علی موضع الجبال. و اما الإحسان فمنصوب بفعل مضمر یؤدی عن معناه، قوله «3» «و بالوالدین» إذ کان مفهوما معناه.
و تقدیر الکلام و إذ أخذنا میثاق بنی إسرائیل بان لا تعبدوا إلا الله و ان تحسنوا الی الوالدین إحسانا. فاکتفی بقوله: «و بالوالدین» عن ان یقول بان تحسنوا الی الوالدین إحسانا، إذ «4» کان مفهوما بما ظهر من الکلام. و قال بعض اهل العربیة: تقدیره و بالوالدین فأحسنوا، فجعل الیاء التی فی الوالدین من صلة الإحسان مقدمة علیه. و قال آخرون: الا تعبدوا إلا الله و أحسنوا بالوالدین إحسانا، فزعموا ان الباء فی و بالوالدین من صلة المحذوف. اعنی من أحسنوا. فجعلوا ذلک من کلامین و الإحسان الذی أخذ علیهم المیثاق بان یفعلوه الی الوالدین ما فرض علی امتثالهما من فعل المعروف، و القول الجمیل، و خفض جناح الذل رحمة بهما، و التحنن علیهما، و الرأفة بهما، و الدعاء لهما بالخیر، و ما أشبهه مما ندب الله تعالی الی الفعل بهما.
و قوله: «وَ ذِی الْقُرْبی» أی و بذی القربی ان تصلوا قرابة منهم، و رحمة.

و القربى مصدر على وزن فعلى من قولک: قرب منى رحم فلان قرابة، و قربى و قربا بمعنى واحد.

_____

(1) قائله عقيبة بن هبيرة الأسدى، جاهلى اسلامى. الخزانة: 343

(2) فى المطبوعة «فعطت».

(3) فى المطبوعة و المخطوطة «و قوله» على ما يظهر ان الناسخ زاد الواو لأنه لم يفهم معنى الكلام

(4) فى المطبوعة و المخطوطة «إذا» الالف ايضاً زيادة من الناسخ.

و اليتامى جمع يتيم: مثل أسير و أسارى. و يدخل فى اليتامى الذكور منهم و الإناث

و معنى ذلک: أخذنا ميثاق بنى إسرائيل بان لا تعبدوا إلا الله وحده، دون ما سواه من الأنداد، و بالوالدين إحسانا و بذى القربى ان يصلوا رحمه، و يعرفوا حقه. و باليتامى ان يتعطفوا عليهم بالرأفة، و الرحمة، و بالمساكين أن يوفوهم حقوقهم التى ألزمها الله فى أموالهم.
و المسكين هو المتخشع المتذلل من الفاقة و الحاجة و هو مفعيل من المسكنة و هى ذل الحاجة و الفاقة.
و قوله: «وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً» فيه عدول الى الخطاب بعد الخبر على ما مضى القول فيه. و قد ذكرنا اختلاف القراء فى حَسنا و حُسنا. و اختلف اهل اللغة فى الفرق بينهما فقال بعض البصريين هو «1» على احد وجهين:
أحدهما- أن يكون أراد بالحُسن الحَسن. و يكون لمعنيين مثل البُخل و البَخل و اما ان يكون جعل الحَسن هو الحُسن فى التشبيه، لأن الحسْن مصدر و الحسن هو الشىء الحسن، فيكون ذلک: كقول القائل: انما انت أكل و شرب قال الشاعر:
و خيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع «2»
فجعل التحية ضربا و قال آخر: بل الحسن هو الاسم العام الجامع جميع معانى الحسن، و الحسن هو البعض من معانى الحَسن، و لذلک قال تعالى إذ «3» وصى بالوالدين «وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً» «4» يعنى بذلک انه وصاه بجميع معانى الحسن:
و قرئ فى الشواذ: حسنى. لا يقرأ بها لشذوذها حكاها الأخفش. و ذلک لا يجوز لأن فعلى، و افعل لا يستعمل إلا بالألف و اللام. نحو الأحسن و الحسنى و الأفضل

---

(1) فى المطبوعة و المخطوطة (المصريين) و هو خطأ
. (2) قائله عمرو بن معديكرب.
الخزانة 4: 54. يقال دلفت الكتيبة الى الكتيبة فى الحرب: أى تقدمت
. (3) فى المطبوعة و المخطوطة (إذا) بزيادة الألف و هو خطأ
. (4) سورة العنكبوت: آية 9
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 330
و الفضلى قال اللّه تعالى: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى» «1»
و روى عن أبى جعفر محمد ابن على الباقر «ع» و عن عطا انهما قالا: و قولوا للناس حسنا للناس كلهم.
و عن الربيع بن انس قولوا للناس حسنا: أى معروفا. و عن ابن الحنفية انه قال: «هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ» هى مسجلة للبر و الفاجر. يريد

بمسجلها انها مرسلة. و منهم من قال: أمروا بان يقولوا لبنى إسرائيل حسنا. قال ابن عباس يأمرون بألّا اله الا اللّه، من لم يقبلها و يرغب عنها حتى يقولها: كما قالوها. فان ذلک قربة لهم من اللّه. قال: و الحسن ايضاً من لين القول- من الأدب الحسن الجميل- و الخلق الكريم و هو مما ارتضاه «2» اللّه تعالى و أحبه. و قال ابن جريج: قولوا للناس حسنا: أى صدقا فى شأن محمد «ص» و قال سفيان الثورى: مروهم بالمعروف، و انهوهم عن المنكر و قوله: «وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ» أدوها بحدودها الواجبة عليكم.
«وَ آتُوا الزَّكاةَ» معناه و أعطوها أهلها كما أوجبها عليكم. و الزكاة: التى فرضها اللّه على بنى إسرائيل. قال ابن عباس: كان فرض فى أموالهم قربانا تهبط اليه نار فتحملها. و كان ذلک تقبله. و من لم تفعل النار به ذلک، كان غير متقبل.
و روى عنه أيضاً ان المعنى به طاعة اللّه و الإخلاص.
و قوله: «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ» خبر من اللّه تعالى عن يهود بنى إسرائيل انهم نكثوا عهده، و نقضوا ميثاقه بعد ما أخذ ميثاقهم على الوفاء له، بان لا يعبدوا غيره، و بان يحسنوا إلى الآباء و الأمهات، و يصلوا الأرحام، و يتعطفوا على الأيتام، و يردوا حقوق المساكين، و يأمروا عباد اللّه بما أمرهم به، و يقيموا الصلاة بحدودها، و يؤتوا زكاة أموالهم، فخالفوا أمره فى ذلک كله، و تولوا عنه معرضين إلا من عصمه اللّه منهم، فوفى للّه بعهده، و ميثاقه. و وصف هؤلاء بأنهم قليل بالاضافة الى من لم يؤمن. و قال بعضهم: أراد «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ، وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ»: اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله (ص). و عنى

---

(1) سورة يونس: آية 26
(2) فى المطبوعة «ارتضا» بدون الهاء. [.....]

بسائر الآية أسلافهم، كأنه ذهب الى ان معنى الكلام: ثم توليتم إلا قليلًا منكم ثم تولى سلفكم إلا قليلا منهم، ثم قال: و أنتم معاشر بقاياهم معرضون ايضاً عن الميثاق الذى أخذ عليكم. و قال قوم: يلى قوله: (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ) خطاب لمن كان بين ظهرانى مهاجرى رسول الله «ص» من يهود بنى إسرائيل، و ذم لهم بنقضهم الميثاق، الذى أخذ عليهم فى التوراة، و تبديلهم امر اللّه و ركوبهم معاصيه.
و روى عن ابن عباس انه قال: قوله «وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً» نسخ بقوله: قاتلوهم حتى يقولوا لا إله إلا اللّه أو يقروا بالجزية. و قال آخرون: ليست منسوخة لكن أمروا بأن يقولوا حسناً فى الاحتجاج عليهم، إذا دعوا الى الايمان، و بين ذلک لهم. و قال قتادة نسختها آية السيف. و الصحيح انها ليست منسوخة، و انما امر الله تعال بالقول الحسن فى الدعاء إليه و

الاحتجاج عليه، كما قال تعالى لنبيه (ص) «ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ» «1» و بيّن فی آية اخری، فقال: «وَ لا تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَیَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَیْرِ عِلْمٍ «2» و ليس الامر بالقتال ناسخاً لذلک، لأن كل واحد منهما ثابت فی موضعه

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 84] ..... ص : 331

اشارة

وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84)
آية بلا خلاف

قد بينا فيما مضى أن الميثاق هو العهد. و المعنى فى الآية: و اذكروا إذ أخذنا ميثاق اسلافكم الذين كانوا فى زمن موسى، و الأنبياء الماضين (ع)، و انما أضاف اليهم لما كانوا أخلافا «3» لهم على ما مضى القول فيه. و تقدير الاعراب فى هذه

---

(1) سورة النحل آية: 125
(2) سورة الانعام آية: 108
. (3) هذه عبارة المخطوطة و فى المطبوعة: «كانوا خلافا على».

الآية مثل الآية الاولى سواء.
و اما سفك الدم، فانه صبه و إراقته. و معنى «لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ» النهى عن أن يقتل بعضهم بعضاً، و كان فى قتل الرجل منهم قتل نفسه إذا كانت ملتهما واحدة، و دينهما واحد و كان اهل الدين الواحد فى ولاية بعضهم بعضاً بمنزلة رجل واحد. كما
قال النبى (ص): انما المؤمنون فى تعاطفهم و تراحمهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالحمى و السهر.
فهذا قول قتادة و أبى العالية. و يحتمل ان يكون المراد لا يقتل الرجل منكم غيره فيقاد به قصاصاً. فيكون بذلك قاتلا نفسه، لأنه كالسبب فيه و أضيف قتل الولى إياه قصاصاً اليه بذلك. كما يقال لرجل يعاقب لجناية جناها على نفسه: انت جنيت على نفسك. و فيه قول ثالث: و هو ان قوله: «أنفسكم» أراد به إخوانكم، لأنهم كنفس واحدة.
و قوله: «ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» اى أقررتم بذلك ايضاً، و بذلتموه من أنفسكم، و أنتم شاهدون على من تقدمكم باخذنا منهم الميثاق، و ما بذلوه من أنفسهم.
فذكر تعالى إقرارهم و شهادتهم، لأن أخذ الميثاق كان على أسلافهم- و إن كان لازماً للجميع، لتوكيد الحجة عليهم.- و قال بعض المفسرين: نزلت هذه الآية فى بنى قريظة و النضير.
يقول: حرم اللّه فى الكتاب ان تسفكوا دماءكم، اى لا تقتتلوا فيقتل بعضكم بعضاً «1»، و لا تتركوا أسيراً فى يد الآسرين ليقتلوه «وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ» معناه لا تغلبوا احداً على داره، فتخرجوه، فقبلتم ذلك و أقررتم به. و هو أخذ الميثاق «وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» بذلك.
و اما النفس فمأخوذة من النفاسة، و هى الجلالة فنفس الإنسان انفس ما فيه. و الدار هى المنزل الذى فيه ابنية المقام، بخلاف «2» منزل الارتحال.

و قال الخليل: كل

_____

(1) فى المخطوطة «لا تقلوا». و عبارة المطبوعة هكذا: «لا يقتلوا فيقتل بعضكم و لا تتركوا ...».
(2) فى المطبوعة «بجلال».

موضع حل فيه قوم فهو دار لهم- و ان لم يكن فيه ابنية. و قيل ايضاً: إن معنى قوله: «ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» ان إقرارهم هو الرضاء به، و الصبر عليه: كما قال الشاعر:

الست كليبياً إذ سيم خطة اقرّ كاقرار الحليلة للبعل

و قوله: «وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» يحتمل أمرين:
أحدهما- و أنتم تشهدون على أنفسكم بالإقرار.
و الثانى- و أنتم تحضرون دماءكم و تخرجون أنفسكم من دياركم.
و حكى عن ابن عباس انه قال: ذلك خطاب من اللّه تعالى لليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجرى رسول اللّه (ص) أيام هجرته اليهم موبخاً لهم على تضييعهم احكام ما فى أيديهم من التوراة التى كانوا يقرون بحكمها. فقال اللّه تعالى لهم: «ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ» يعنى بذلك أقر أوّلكم و سلفكم و أنتم تشهدون على إقرارهم، بأخذ الميثاق عليهم بان لا يسفكوا دماءهم، و لا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، و يصدقوا بان ذلك حق من ميثاقى عليكم. و قال ابو العالية: ذلك خبر من اللّه عن أوائلهم. و لكنه اخرج الخبر مخرج المخاطبة عنهم على النحو الذى وصفناه فى سائر الآيات. «وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» اى و أنتم شهود.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 85] ..... ص : 332

اشارة

ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)
آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 334

قرأ اهل الكوفة تظاهرون هاهنا، و فى التحريم بتخفيف الظاء. الباقون بالتشديد فيهما. و قرأ حمزة «أسرى» بفتح الهمزة، و سكون السين بغير الف بعدها. و قرأ اهل المدينة، و عاصم، و الكسائى، و يعقوب (تفادوهم) بضم التاء و بألف.
و قوله «ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ» يحتمل وجهين:
أحدهما- ان يكون أريد به ثم أنتم يا هؤلاء فترك يا استغناء، لدلالة الكلام عليه: كما قال: «يُوسُفُ: أَعْرِضْ عَنْ هذا» «1» و معنى الكلام ثم أنتم يا معشر يهود بنى إسرائيل بعد إقراركم بالميثاق الذى أخذته عليكم: ألّا تسفكوا دماءكم، و لا تخرجوا أنفسكم من دياركم، و بعد شهادتكم على أنفسكم بذلك انه حق لازم لكم الوفاء به تقتلون أنفسكم و تخرجون فريقا منكم من ديارهم متعاونين عليهم فى إخراجكم إياهم بالإثم، و العدوان.
و التعاون هو التظاهر، و انما قيل للتعاون: التظاهر، لتقوية بعضهم ظهر بعض.
فهو تفاعل من الظهر. و هو مساندة بعضهم ظهره الى ظهر بعض. قال الشاعر:
تظاهرتم أشباه نيب تجمعت على واحد لا زلتم قرن واحد
و منه قوله تعالى: «وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ» «2» و قوله «وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ» «3» و قوله: «وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» «4» و قوله:
«سِحْرانِ تَظاهَرا» «5» و قوله: «وَ كانَ الْكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيراً» «6» و يقال: اتخذ معک نفراً و نفرين ظهيرين يعنى عدة، و الوجه الآخر أن يكون معناه: ثم أنتم القوم تقتلون أنفسكم فيرجع الى الخبر عن (أنتم) و قد اعترض بينهم و بين الخبر عنهم (هؤلاء) كما تقول العرب: انا ذا أقوم، و انا ذا أجلس. و لو قيل أنا هذا يجلس لكان صحيحاً. و كذلک انت ذاک تقوم، و قال بعض النحويين: ان هؤلاء [فى] «7» قوله: «ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ» تنبيه، و توكيد لأنتم. و زعم أن أنتم: و ان كان كناية عن

(1، 2) سورة يوسف: آية 30
. (3) سورة التحريم: آية 4
. (4) سورة الإسراء: آية 88
(5) سورة القصص: آية 48
. (6) سورة الفرقان: آية 55
(7) زودنا (فى) ليتم المعنى

اسماء جميع المخاطبين فإنما جاز ان يؤكد بهؤلاء. و أولاء يكنى بها عن المخاطبين كما قال خُفاف بن ندبة:
أقول له و الرمح يأطر متنه تبيّن خفافا اننى انا ذلكا «1»
يريد انا هو، و كما قال «حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ». «2»
و الإثم قيل معناه: هو ما تنفر منه النفس و لم يطمئن اليه القلب. و منه قول النبى (ص) لنواس بن سمعان، حين سأله عن البر و الإثم، فقال (ص): البر ما اطمأنت اليه نفسك و الإثم ما حك فى صدرك.
و قال قوم: معنى الإثم «3» ما يستحق عليه الذم، و هو الأصح.
و العدوان مجاوزة الحق. و قال قوم: هو الافراط فى الظلم. و اسرى جمع أسير و أسارى جمع اسرى. كما قالوا: مريض و مرضى و جريح و جرحى و كسير و كسرى. هذا قول المفضل بن سلمة قال ابو عمرو بن العلاء: الأسارى هم الذين فى الوثاق و الأسرى الذين فى اليد. و ان لم يكونوا فى الوثاق.
و معنى تفادوهم أو تفدوهم: طلب الفدية من الأسير الذى فى أيديهم من أعدائهم قال الشاعر:
قفى فادى أسيرک إن قومى و قومک ما أرى لهم اجتماعا
و كان هذا محرما عليهم- و ان كان مباحا لنا- فذكر اللّه تعالى توبيخا لهم فى فعل ما حرم عليهم. و قال آخرون: انه افتداء الأسير منهم إذا اسره أعداؤهم. و هذا مدح لهم ذكره من بعد ذمهم انهم خالفوه فى سفک الدماء، و تابعوه فى افتداء

---

(1) الاغانى 2: 329، 13: 134، 135، 16: 134 و قد مر فى 1: 51 من هذا الكتاب. قال هذا فى مقتل ابن عمه معاوية بن عمرو: أخى الخنساء.
أقول له: أى لمالک ابن حمار الذى مر ذكره فى البيت السابق و هو:
فان تک خيلى قد أصيب صميمها فعمداً على عين تيممت مالكا
واطر الشىء: ان تقبض على احد طرفى الشىء ثم تعوجه، و تعطفه و تثنيه. و أراد ان حر الطعنة جعله منثنى من المها ثم ينثنى ليهوى صريعاً إذ أصاب الرمح مقتله.
فى المطبوعة (ناظر فنه) بدل (يأطر متنه) و هو تحريف.
(2) سورة يونس آية 22
. (3) فى المخطوطة و المطبوعة (الاسم) [.....]

الأسرى استشهاداً على هذا الباطل بقوله: «أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْض» و قال قوم: الفرق بين تفدوهم و تفادوهم، ان تفدوهم هو

افتكاک بمَال ً و تفادوهم هو افتكاک الأسرى بالأسرى. و اختلفوا فيمن عنى بهذه الآية فروى عكرمة عن ابن عباس انه قال: «ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ» الى قوله: و العدوان أى اهل الشرک، حتى يسفكوا دماءهم معهم، و يخرجوهم من ديارهم معهم قال:
انبأهم اللّه بذلک من فعلهم، و قد حرم عليهم فى التوراة سفک دمائهم، و افترض عليهم فيها فداء اسراهم. و كانوا فريقين: طائفة منهم بنو قينقاع «1» و انهم حلفاء الخزرج. و حلفاء النضير و قريظة، و انهم حلفاء الأوس. و كانوا إذا كانت بين الأوس و الخزرج حرب خرجت بنو قينقاع «2» مع الخزرج، و خرجت بنو النضير و قريظة مع الأوس، يظاهر كل فريق حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم و بأيديهم التوراة، يعرفون منها ما عليهم و لهم. و الأوس و الخزرج اهل شرک يعبدون الأوثان و لا يعرفون جنة و لا نارا، و لا قيامة و لا كتابا، و لا حلالا و لا حراما، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا اسراهم تصديقاً لما فى التوراة، و أخذا به يفتدى بنو قينقاع من كان (من) «3» اسراهم فى ايدى الأوس، و يفتدى بنو النضير و قريظة ما كان فى ايدى الخزرج. و يطلبون ما أصابوا من الدماء، و ما قتلوا من قتلوا منهم، فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرک عليهم. يقول اللّه تعالى حين انبأهم بذلک: «أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ؟» أى تفادونهم بحكم التوراة و فى حكم التوراة ان لا يقتل و يخرج من داره و يظاهر «4» عليه من يشرک باللّه و يعبد الأوثان من دونه- ابتغاء عرض الدنيا- ففى ذلک من فعلهم مع الأوس و الخزرج نزلت هذه القصة. و ذكر فيه اقوال اخر تزيد و تنقص لا فائدة فى ذكرها، معناها متقارب لما أوردناه.
و قوله «يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ»

(1، 2) فى المخطوطة و المطبوعة (قيقاع) و هو خطأ.
(3) زدنا (من) لأنه لا يتم المعنى بدونها.
(4) فى المخطوطة و المطبوعة (ان لا يقتل و يخرجونه من و تظاهر ..).

القصد بذلک توبيخهم و تعنيفهم على سوء أفعالهم: فقال:
ثم أنتم بعد إقراركم بالميثاق الذى أخذته عليكم: «لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ» تقتلون أنفسكم يعنى يقتل بعضكم بعضاً. و أنتم مع قتلكم من تقتلون منكم. إذا وجدتم اسيراً منكم فى ايدى غيركم من أعدائكم تفدونهم. و يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم، و قتلكم إياهم و إخراجكم إياهم من ديارهم حرام عليكم كما حرام عليكم تركهم اسرى فى ايدى عدوكم. فكيف تستجيزون قتلهم و لا تستجيزون ترک فدائهم. و تستجيزون قتلهم و هما جميعاً فى اللازم لكم من الحكم فيهم سواء، لأن

الذى حرمت عليكم من قتلهم و إخراجهم من دورهم نظير الذى حرمت عليكم من تركهم اسرى فى ايدى عدوهم. «أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ» الذى فرضت عليكم فيه فرائضى و بينت لكم فيه حدودى، و أخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقى، فتصدقون به فتفادون اسراكم من ايدى عدوكم، و تكفرون ببعضه فتجحدونه فتقتلون من حرمت عليكم قتله، من اهل دينكم و من قومكم، و تخرجونهم من ديارهم و قد علمتم ان فى الكفر منكم ببعضه نقضاً منكم فى عهدى و ميثاقى.
و قوله: «فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا» فالخزى: الذل، و الصغار يقال خزى الرجل يخزى خزياً. «فِى الْحَياةِ الدُّنْيا» يعنى فى عاجل الدنيا قبل الآخرة. ثم اختلفوا فى الخزي الذى خزاهم اللّه بما سلف منهم من المعصية فقال بعضهم: ذلک حكم اللّه الذى أنزله على نبيه (ص) من أخذ القاتل بما قتل، و الفود به قصاصاً، و الانتقام من الظالم للمظلوم.
و قال آخر: بل ذلک هو الجزية منهم- ما أقاموا على دينهم- ذلة لهم و صغاراً
و قال آخرون: الخزى الذى خزوا به فى الدنيا إخراج رسول اللّه (ص) بنى النضير من ديارهم لأول الحشر. و قيل: مقاتلة بنى قريظة و سبى ذراريهم.
و كان ذلک خزياً فى الدنيا و فى الآخرة عذاب عظيم و معنى قوله: «يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ» أى أسوء العذاب، يعنى بعد الخزى الذى يحل بهم فى الدنيا يردهم اللّه الى أشد العذاب- الذى أعده اللّه لأعدائه.

و قال بعضهم: يردهم يوم القيامة الى أشد العذاب، يعنى أشد من عذاب الدنيا- و الاول أقوى: انه من أشد العذاب يعنى أشد جنس العذاب. و ذلک يقتضى العموم و لا يخص إلا بدليل.
و قوله: «وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ». منهم من قرأ بالياء، رده الى من أخبر عنهم.
و من قرأ بالتاء، رده الى المواجهين بالخطاب. و الياء أقوى، لقوله: «فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ».
و قوله: «وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ» فالرد الى هذا أقرب من قوله: «أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ» فاتباع الأقرب أولى من إلحاقه بالأول. و الكل حسن. و المعنى و ما الله بساهٍ عن أعمالهم الخبيثة بل هو محص لها و حافظ لها حتى يجازى عليها.
فان قيل: ظاهر الآية يقتضى ان يصح الايمان ببعض الأشياء، و ان كفروا بالبعض الآخر، و ذلک مناف لمذهبكم فى الارجاء و الموافاة. لأن المعنى فى ذلک إظهار التصديق بالبعض، و المنع بالتصديق بالبعض الآخر. و يحتمل ان يكون المراد ان ذلک على ما يعتقدونه، لأنكم إذا اعتقدتم جميع ذلک ثم عملتم ببعضه دون بعض، فكأنكم آمنتم ببعضه دون بعض.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 86] ..... ص : 338

اشارة

أُولئِکَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ (86)
آية بلا خلاف.

قوله: «أولئک» إشارة الى الذين اخبر عنهم يؤمنون ببعض الكتاب، فيفادون أساراهم من اليهود، و يكفرون ببعض فيقتلون من حرم اللّٰه عليهم قتله من اهل ملتهم، و يخرجون من داره من حرم اللّٰه إخراجه. هم الذين اشتروا رياسة الحياة الدنيا. و معناه ابتاعوها على الضعفاء و اهل الجهل و الغباء منهم. و انما وصفهم التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 339
بأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، لأنهم رضوا بالدنيا بكفرهم باللَّه عز و جل فيها عوضاً من نعيم الآخرة الذى أعده اللّٰه للمؤمنين. فجعل تركهم حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم باللَّه ثمناً لما ابتاعوه من خسيس الدنيا بما اخبر اللّٰه انه لا حظ لهم فى نعيم الآخرة، و ان لهم فى الآخرة عذاباً غير مخفف عنهم فيها العقاب. و قوله:
«وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ» أى لا ينصرهم احد فى الآخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب اللّٰه تعالى

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 87] ..... ص : 339

اشارة

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ قَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَ فَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ (87)
آية بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة الرسل مثقّل فى جميع القرآن. و قرأ ابن كثير القدس بسكون الدال حيث وقع. الباقون بتثقيلها،

و معنى قوله «آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ» أنزلناه اليه و أعطيناه. و الكتاب المراد به التوراة. و قوله «و قفينا» معناه و اردفنا، و اتبعنا بعضه خلف بعض، كما يقفو الرجل الرجل: إذا سار فى اثره من ورائه و أصله من القفا. يقال فيه قفوت فلاناً إذا صرت خلف قفاه. كما يقال دبرته إذا صرت فى دبره قال امرؤ القيس:

و قفى على اثارهن بحاصب فمرّ العشى البارد المتحصب «1»

و معنى قوله: «بِالرُّسُلِ» من بعد موسى. و المراد بالرسل الأنبياء، و هم جمع رسول يقال: رسول و رسل، كما يقال: رجل صبور و قوم صبر. و رجل شكور، و قوم

---

(1) ديوانه 38. و روايته (فقفى) بدل وقفا و عجزه و غيبة شؤبوب من الشد ملهب و العجز الموجود أعلاه غير موجود فى ديوان امرئ القيس.

شكر. و المعنى فى «قَفَّيْنا» اتبعنا بعضهم بعضا على منهاج واحد، و شريعة واحدة، لأن كل من بعثه الله نبيا بعد موسى الى زمن عيسى بن مريم (ع) فإنما بعثه باقامة التوراة و العمل بما فيها و الدعاء الى ما فيها، فلذلك، قال: «وَ قَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ» يعنى على منهاجه و شريعته.

و قوله: «وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ» أعطينا عيسى بن مريم الحجج و الدلالات على نبوته من احياء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص و نحو ذلك من الآيات التى دلت على صدقه و صحة نبوته.

و قوله: «وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» أى قويناه و أعناه. يقال منه ايدك الله، أى قواك الله. و هو رجل ذو أيد و ذو إياد أى ذو قوة و منه قول العجاج:

من ان تبدلت بآدى آدا «1» يعنى بقوة شبابى قوة الشيب قال الشاعر:

ان القداح إذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو جلد و بطش أيّد «2»

يعنى بالايد القوى قال قتادة و السدى و الضحاك و الربيع: روح القدس هو جبرائيل (ع). قال: ابن زيد أيد الله عيسى بالإنجيل روحا كما جعل القرآن روحا كلاهما روح اللّه كما قال: «وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا». و روى الضحاك عن ابن عباس ان الروح: الاسم الذى كان يحيى بن الموتى. و أقوى الأقوال قول من قال:

هو جبرائيل (ع) لأن اللّه تعالى أيد عيسى به كما قال تعالى «يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ» «3» فأخبر انه أيده به فلو كان المراد به الإنجيل لكان ذلك تكراراً. و انما سمى

اللّه تعالى جبرائيل روحاَ و اضافه الى القدس، لأنه كان بتكوين اللّه روحاَ من عنده من غير ولادة والدٍ ولده. و قال قوم سمى روحاً لأنه كان بمنزلة الأرواح للأبدان تحيى بما يأتى به من

_____

(1) اللسان (أيد) و البيت الذى بعده: لم يک ينآد فأمسى انآدا. و فى المطبوعة باد آذا
(2) مروج الذهب 3: 104. قائله عبد اللّه بن عبد الأعلى.
(3) سورة المائدة آية 113.

البينات. و قال آخرون: سمى بذلک، لأن الغالب على جسمه الروحانية لرقته و كذلک سائر الملائكة و انما خص به تشريفا و التقديس و التطهير و القدس: الطهر و قال السدى:
القدس ها هنا البركة يقال: قدس عليه: برک عليه. و يكون اضافته الى نفسه كقوله «حَقُّ الْيَقِينِ» و قال الربيع: القدس الرب. و قال ابن زيد القدس هو اللّه، و أيده بروحه، و احتج بقوله «الْمَلِکُ الْقُدُّوسُ». و قال القدوس و القدس واحد. و روى عن ابن عباس ان القدس الطاهر و قال الراجز:
الحمد للّه العلى القادس
و قال رؤبة:
دعوت ربّ القوة القدوسا
و قوله: «أَ فَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ» فالخطاب بذلک متوجه الى يهود بنى إسرائيل و كأنه قال: يا معشر يهود بنى إسرائيل لقد أتينا موسى التوراة و تابعنا من بعده الرسل إليكم و أتينا عيسى ابن مريم الحجج و البينات إذ بعثناه إليكم و أيدناه بروح القدس و أنتم كلما جاءكم رسول من رسلى بغير الذى تهواه أنفسكم استكبرتم عليكم تجبراً و بغياً و كذبتم منهم بعضاً و قتلتم بعضا، و ظاهر الخطاب و ان كان خرج مخرج التقدير فهو بمعنى الخبر.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 88] ..... ص : 341

اشارة

وَ قالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً ما يُؤْمِنُونَ (88)
آية واحدة.

القراء المعرفون على تسكين اللام من قوله غلف. و قال ابن محيص غلف بضم اللام

و روى عن ابن عباس ذلک فمن قرأ بالتسکين قال: معنى غلف الواحد منها
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 342
اغلف و غلف مثل احمر و حمر فکأنهم قالوا: قلوبنا أوعية فلم لا تعى ما تأتينا به قالوا کما «قالُوا قُلُوبُنا فِی أَکِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَیْهِ وَ فِی آذانِنا وَقْرٌ وَ مِنْ بَیْنِنا وَ بَیْنِکَ حِجابٌ» أى لا تفقه لأنها فى حجاب. و منه يقال للرجل الذى لم يختن اغلف و المرأة غلفاء و يقال للسيف إذا کان فى غلاف اغلف و قوس غلفاء: و جمعها غلف و کذلک کل لغة على وزن افعل للذکر و الأنثى فعلاء يجمع على فعل مضمومة الاول ساکنة الثانى نحو احمر و حمر و اصفر و صفر فيکون ذلک جمعاً للتذکير و التأنيث و لا يجوز ثقيل عين الفعل إلا فى ضرورة الشعر. قال طرفه:
ايها الفتيان فى مجلسنا جردوا منها وراداً و شقر «1»
فحرک لضرورة الشعر. و من قرأ (غلف) مثقلا قال: هو جمع غلاف مثل مثال و مثل و حمار و حمر. فيکون معناه إن قلوبنا اوعية للعلم فما بالها لا تفهم، و هى اوعية للعلم. و يجوز ان يکون التسکين عين التثقيل «2» مثل رسْل و رسُل. و قال عکرمة غلف: أى عليها طابع. و المعنى عندنا ان اللّه اخبر ان هؤلاء الکفار ادعوا ان قلوبهم ممنوعة من القبول و ذهبوا الى ان اللّه منعهم من ذلک، فقال اللّه رداً عليهم «بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِکُفْرِهِمْ» أى انهم لما کفروا فالفوا کفرهم و اشتد إعجابهم به و محبتهم إياه، منعهم اللّه، من الالطاف و الفوائد- ما يؤتيه المؤمنين ثواباً على ايمانهم و ترغيباً لهم فى طاعتهم، و زجر الکافرين عن کفرهم، لأن من سوى بين المطيع و العاصى له، فقد أساء اليهما. و فى الآية ردّ على المجبرة ايضاً، لأنهم قالوا: مثل ما يقول اليهود من أن على قلوبهم ما يمنع من الايمان و يحول بينهم و بينه، و کذبهم اللّه تعالى فى ذلک بأن لعنهم و ذمهم. فدل على أنهم کانوا مخطئين، کما هم مخطئون. و قال ابو على الفارسى: ما يدرک به المعلومات من الحواس و غيرها، إذ اذکر بانه لا يعلم وصف بان عليه مانعاً کقوله تعالى: «أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها» «3».
فان الفعل لما کان مانعاً من الدخول الى المقفل عليه شبه القلوب به. و مثله قوله:

---

(1) ديوانه اشعار الستة الجاهليين. جردوا قدموا للفارة. و تجرد الفرس تقدم الحلبة فخرج منها. وراد جمع ورد (فتح فسکون) و هو من الخيل بين الکميت و الأشقر.
(2) هذه عبارة المخطوطة و فى المطبوعة سقط

. (3) سورة محمد آية 24.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 343
«سُكِّرَتْ أَبْصارُنا» «1» و قوله: «الَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِى» «2» و مثله «بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ» «3» و قوله: «صُمٌّ بُكْمٌ» «4». لأن العين إذا كانت فى غطاء لم ينفذ شعاعها فلا يقع بها ادراک، فكأن شدة عنادهم يحملهم على رفع المعلومات.
و اللعن هو الإقصاء و الابعاد. يقال: لعن اللَّه فلاناً يلعنه لعناً. فهو ملعون، ثم يصرف مفعول الى فعيل، فيقال: هو لعين. كما قال الشماخ بن ضرار:
ذعرت به القطا و نفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين «5»
أى المبعد. فصار معنى الآية قالت اليهود: (قُلُوبُنا فِى أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ) محمد (ص). فقال اللّه: ليس ذلک كما زعموا و لكنه تعالى أقصاهم و أبعدهم عن رحمته و طردهم عنها، لجحودهم به و برسله.
و قوله تعالى: «فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنُونَ» قال قتادة: قيل منهم من يؤمن. و قال قوم: «فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنُونَ» أى لا يؤمنون إلا بقليل مما فى أيديهم. و الذى نقوله ان معنى الآية ان هؤلاء الذين وصفهم اللّه تعالى قليلوا الايمان بما أنزله الله تعالى على نبيه محمد (ص) و لذلک نصب قوله (قليلًا) لأنه نصب على نعت المصدر المتروک. و تقديره لعنهم الله بكفرهم، فإيماناً قليلًا يؤمنون. و لو كان الامر على ما قال قتادة، لكان القليل مرفوعاً، و كان تقديره فقليل ايمانهم. و قال قوم من اهل العربية: ان ما زائدة لا معنى لها. كقوله: «فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ» «6» و تقدير الكلام: قليلًا يؤمنون، و انشد بيت مهلهل
لو بأبانين جاء يخطبها ضرج ما انف خاطب بدم «7»
يعنى ضرج انف خاطب. و ما زائدة. و قال قوم: ذلک خطأ فى الآية و فى البيت و ان ذلک من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم جميع الأشياء إذا كانت

---

(1) سورة الحجر: آية 15
(2) سورة الكهف: آية 102
(3) سورة النحل آية: 66
(4) سورة البقرة آية 17 [.....]
. (5) ديوانه: 92. فى المطبوعة و المخطوطة (دعوت) بدل ذعرت
. (6) سورة آل عمران آية 159
. (7) الكامل 2: 68. و روايته (خضب) بدل (ضرج) و فى المطبوعة و المخطوطة (بانين) و مع ذلک غير منقطة. ابانان: ابان الأسود و ابان الأبيض.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 344
(ما) كلمة تجمع كل الأشياءِ، ثم تخص بعض ما عمته، فإنها تذكر بعدها. و

فى الناس من قال: «فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنُونَ»، لأنه كان معهم بعض الايمان من التصديق بالله و بصفاته، و غير ذلک مما كان فرضاً عليهم، و ذلک هو القليل بالاضافة الى ما جحدوا به من التصديق بالنبى (ص) و ما جاء به. و الذى يليق بمذهبنا ان نقول:
إنه لم يكن معهم ايمان اصلًا، و انما قال: «فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنُونَ» كما يقول القائل:
قل ما رأيت هذا قط. و روى عنهم سماعاً:- اعنى العرب- مررت ببلد قل ما ينبت إلا الكراث و البصل. يريدون ما ينبت إلا الكراث و البصل.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 89] ..... ص : 344

اشارة

وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ (89)
آية بلا خلاف.

التقدير: و لما جاء اليهود من بنى إسرائيل الذين وصفهم الله، كتاب من عند الله يعنى به القرآن الذى أنزله على محمد (ص) و اشتقاق الكتاب من الكتب، و هو جمع كتبة و هى الخرزة. و كلما ضممت بعضه الى بعض، فقد كتبته. و الكتيبة من الجيش من هذا الانضمام بعضها الى بعض.
و قوله: «مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ» من الكتب التى أنزلها الله قبل القرآن من التوراة و الإنجيل و غيرهما. و معنى «مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ» لما فى التوراة و الإنجيل، و الاخبار التى فيها. و يحتمل ان يكون المراد: مصدق بان التوراة و الإنجيل من عند الله.
و مصدق رفع، لأنه نعت الكتاب. و لو نصب على الحال، لكان جائزاً، لكن لم يقرأ به. و قوله: «وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا». قال ابو عبيدة معناه يستنصرون. قال ابن عباس: إن اليهود كانوا يستنصرون على الأوس الخزرج التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 345
برسول اللّه (ص) قبل مبعثه فلما بعثه اللّه فى العرب، فقال لهم معاذ بن جبل و بشير ابن معرور: يا معشر اليهود اتقوا اللّه و اسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى اللّه عليه و آله و نحن اهل الشرك، و تخبرونا بانه مبعوث. فقال لهم سلام بن مثكم: ما جاء بشىء، و ما هو بالذى كنا نذكر لكم. فانزل اللّه ذلک. و قال قوم:
معنى «يَسْتَفْتِحُونَ» يستحكمون ربهم على كفار العرب. كما قال الشاعر:
ألا أبلغ بنى عُصم رسولا فانى عن فُتاحتكم غنى «1»
اى محاكمتكم. و قال قوم: معناه يستعلمون من علمائهم صفة نبى يبعث من العرب، و كانوا يصفونه. فلما بعث أنكروه.
و اما جواب قوله: «وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ» فقال قوم: ترک جوابه استغناء بمعرفة المخاطبين. معناه كما قال: «وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى» «2» فترک الجواب، و كان تقديره و لو ان قرآناً سوى هذا القرآن سيرت به الجبال، او قطعت به الأرض، او كلم به الموتى لسيرت بهذا. ترک ذلک لدلالة الكلام عليه و كذلک الآية الجواب فيها محذوف لدلالة قوله: «فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ» و قال آخرون: قوله: (كَفَرُوا) جواب لقوله: «وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ». و لقوله: «فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا». و نظيره قوله: «فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُداىَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» «3» فصار قوله: فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون جواباً لقوله: «فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ»، و لقوله: «فَمَنْ تَبِعَ هُداىَ»، و مثله فى الكلام قولک ما هو إلا أن جاءنى فلان، فلما ان قعد وسعت له، فصار قولک: وسعت له جواباً

لقولک: ما هو إلا ان جاءنی، و لقولک: فلما ان قعد. و جاء الاول للکتاب و جاء الثانی- قیل: إنه- للرسول، فلذلک کرر. و قوله: (فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ)

_____

(1) قائله الأشعر الجعفی. اللسان (فتح) و روایته:
ألا من مبلغ عمراً رسولا فانی عن فتاحتکم غنی
(2) سورة الرعد آیة: 33
(3) سورة البقرة آیة: 38.

فقد بینا فیما مضی، معنی اللعنة، و معنی الکفر فلا وجه لإعادته. و قد مضی الجواب عمن یستدل بمثل ذلک علی ان الکافر قد یکون عالماً ببعض الأشیاء التی أوجبها اللّه تعالی بخلاف ما یذهب الیه اصحاب الموافاة، و ان من عرف اللّه فلا یجوز ان یکفر و ان المعتمد علی ذلک: ان نقول: لا یمتنع ان یکونوا قد عرفوا اللّه و کثیراً مما وجب علیهم، لکن لم یکن وقع نظرهم علی وجه یستحقون به الثواب، لان ذلک هو الممنوع منه، و قد بینا ایضاً صفة من یتعلق بذلک من اصحاب الضرورات، لأن غایة ما فی ذلک ان القوم کانوا عارفین فجحدوا ما عرفوا، و لیس یمتنع ان یکونوا عارفین استدلالًا ثم جحدوا: فالضرورة لم یجر لها ذکر.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 90] ..... ص : 346

اشارة

بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ (90)

أصل بئس: بئس من البؤس: فأسكنت الهمزة و نقلت حركتها الى الباء.
كما قالوا فى ظللت ظلت، و كما قيل لِلكبد كِبد، فنقلت حركة الباء الى الكاف، لما سكنت الباء. و يحتمل ان تكون بئس. و ان كان أصلها بئس من لغة من ينقل حركة العين من فعل الى الفاء إذا كانت عين الفعل احد حروف الحلق الستة. كما قالوا فى لَعب: لِعب. و فى سئم سيم، و هى لغة تميم. ثم جعلت دلالة على الذم و التوبيخ و وصلت ب (ما). و اختلفوا فى (ما) فقال قوم من البصريين: هى وحدها اسم، «أَنْ يَكْفُرُوا» تفسير له. نحو نعم رجلا زيد «أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ» بدل من انزل.
و قال الفراء: بئس الشىء اشتروا به أنفسهم ان يكفروا. ف (ما) اسم بئس، (و أن يكفروا) الاسم الثانى. و قوله «أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ»، إن التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 347
شئت جعلت (أن) فى موضع رفع، و ان شئت فى موضع خفض: فالرفع بئس الشىء هذا ان يكفروا، و الخفض بئس الشىء اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما انزل اللّه بغياً. و فى قوله: «لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» «1».
مثل ذلک. قال ابو عبيدة: و العرب تجعل (ما) وحدها فى هذا الباب بمنزلة الاسم التام. و قوله: (فنعما هى) (و بئس ما انت) قال الراجز:
لا تعجلا بالسير و ادلواها لبئسما بُطء و لا نرعاها «2»
قال: و يقولون لبئس ما تزويج، و لا مهر: فيجعلون (ما) وحدها اسماً بغير صلة.
و روى عن النبى (ص) انه قال: «نعم ما المال للرجل الصالح»
، فجعلت (ما) اسماً. و قال قوم: هذا الوجه ضعيف، لان هذا القول، يكون التقدير بئس الشىء اشتروا به أنفسهم، فقد صارت ما بصلتها اسماً موقتاً، لان اشتروا فعل ماضى، و إذا وصلت بفعل ماضى كانت معرفة موقتة. تقديره بئس شراؤهم كفرهم. و ذلک غير جائز عنده: فبان بذلک فساد هذا القول. و بئس و نعم لا يلقاهما اسم علم كزيد و عمر، و أخيک و أبيک: فإنما يلقاهما المعرّف بالألف و اللام. كقولک: الرجل و المرأة، و ما أشبه ذلک. فان نزعتهما، نصبت. كقوله: «بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا» «3» «ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا» «4» فان كانت نكرة مضافة الى نكرة جاز الرفع و النصب. كقولک نعم غلام سفر غلامک، بالرفع و النصب- حكاه الفراء.
و قال بعضهم: إن (ان) فى موضع خفض ان شئت، و ان شئت فى موضع رفع: فالخفض ان ترده على الهاء فى به على التكرير على كلامين، لأنک قلت:

اشتروا أنفسهم بالكفر: و الرفع ان يكون تكراراً على موضع (ما) التى تلى

---

(1) سورة المائدة آية: 83.
(2) اللسان (دلا) دلوت الناقة دلواً: سقتها رويداً و رعى الماشية و أرعاها: أطلقها فى المرعى.
(3) سورة الكهف آية: 51
(4) سورة الاعراف آية: 176.

بئس، و لا يجوز ان يكون رفعاً على قولک بئس الرجل عبد الله.
و قال بعضهم: أولى هذه الأقوال أن تجعل بئسما مرفوعاً بالراجع من الهاء فى قوله: اشتروا به. كما رفعوا ذلک بعبد الله، فى قولهم: بئسما عبد الله، و جعل أن يكفروا مترجماً عن بئس. فيكون التقدير بئس الشىء باع اليهود به أنفسهم بكفرهم، بما انزل الله بغياً و حسداً ان ينزل الله من فضله. و تكون ان التى فى قوله: «أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ» فى موضع نصب، لأنه يعنى به ان يكفروا بما انزل الله من اجل ان ينزل اللّه من فضله على من يشاء من عباده. و موضع (ان) جر. و الكسائى جعل ان فى موضع خفض بنية الباء و انما كان النصب أقوم، لتمام الخبر قبلها و لا خافض معها. و حرف الخفض إذا كان مضمراً لا تخفض به.

و معنى قوله: «اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» اى باعوا به أنفسهم- على وزن افتعلوا- من الشراء و سمى البائع الشارى بهذا، لأنه باع نفسه و دنياه عنده. و اكثر الكلام شريت بمعنى بعت. و اشتريت بمعنى ابتعت. قال الشاعر يزيد بن مفرغ الحميرى:

و شريت بُرداً ليتنى من قبل بردٍ كنت هامة «3»

و معنى قوله: «وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ» باعوه. و ربما استعملت اشتريت بمعنى بعت. و شريت بمعنى ابتعت. و الأكثر ما قلناه.

و قوله: «بَغْياً» اى حسداً و تعدياً. فان قيل: كيف باعت اليهود أنفسها بالكفر. و هل يشترى بالكفر شىء؟ قيل معنى الشراء و البيع- عند العرب- هو ازالة ملك المالك إلى غيره بعوض يعتاضه منه، ثم يستعمل ذلک فى كل معتاض من عمله عوضاً- خيراً كان أو شراً- يقال نعم ما باع فلان نفسه به، و بئس ما باع به نفسه. بمعنى نعم الكسب كسبها، و بئس الكسب كسبها. و كذلک قوله: «بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ»، لما ابقوا أنفسهم بكفرهم بمحمد (ص) و أهلكوها.

---

(3) طبقات فحول الشعراء: 555 من قصيدة له فى هجاء عباد بن زياد- و كان قد باع غلاماً لابن مفرغ. اسمه (برد) قوله. كنت هامة. اى كنت هالكاً.

خاطبهم اللَّه بالعرف الذى يعرفونه: فقال: بئس ما اعتاضوا من كفرهم باللَّه، و تكذيبهم محمداً (ص) إذا كانوا رضوا به عوضاً من ثواب اللَّه، و ما اعدّ لهم- لو كانوا امنوا باللَّه و ما انزل على أنبيائه- بالنار، و ما اعدّ لهم بكفرهم بذلک.

و نظير هذه الآية قوله: فى سورة النساء: «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ» الى قوله: «وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً» «1».

و كان ذلک حسداً منهم لكون النبوة فى غيرهم.

و قوله: «بغياً» نصب لأنه مفعول له. و المعنى فساداً. قال الاصمعى: مأخوذ من قولهم: بغى الجرح إذا فسد. و يجوز ان يكون مأخوذاً من شدة الطلب للمطاول، و سميت الزانية بغيّاً لأنها تطلب. و اصل البغى الطلب. و «بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ» اى لأن ينزل الله. و كذلک كل ما فى القرآن. و مثله قول الشاعر:

أ تجزع أن بان الخليط المودع و حبل الصفا من عزة المتقطع

و قوله: «فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ» اى رجعوا. و المراد رجعت اليهود من بنى إسرائيل بعد ما كانوا عليه من الاستنصار لمحمد (ص) فى الاستفتاح به،

و بعد ما كانوا يخبرون الناس من قبل مبعثه انه نبى مبعوث- مرتدين على أعقابهم حين بعثه الله نبياً- بغضب من الله استحقوه منه بكفرهم به و جحدهم بنبوته، و انكارهم إياه. و قال السدى: الغضب الاول حين عبدوا العجل، و الثانى- حين كفروا بمحمد (ص). و قال عطا و غيره: الغضب الاول- حين غيروا التوراة قبل مبعث محمد (ص): و الغضب الثانى- حين كفروا بمحمد (ص). و قال عكرمة و الحسن:
الاول- حين كفروا بعيسى (ع): و الثانى- حين كفروا بمحمد (ص). و قد بينا ان الغضب من الله هو ارادة العقاب بهم.
و قوله: «وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ» معناه للجاحدين بنبوة محمد (ص) عذاب مهين من اللّه: إماَ فى الدنيا، و إما فى الآخرة. و (مهين) هو المذل لصاحبه

---

(1) سورة النساء آية. 43- 53.

المخزى لملبسه هواناً و ذلة. و قيل (المهين) هو الذى لا ينتقل منه الى اعتزاز و إكرام. و قد يكون غير مهين إذا كان تمحيصاً و تكفيراً ينتقل بعده الى اعتزاز و تعظيم: فعلى هذا من ينتقل من عذاب النار الى الجنة، لا يكون عذابه مهيناً.
قال المؤرخ: (فباءوا) استوجبوا اللعنة- بلغة جرهم-. و لا يقال باء مفردة حتى يقول بكذا و كذا: اما بخير و اما بشر. قال ابو عبيدة: «فَباؤُ بِغَضَبٍ» احتملوه و اقرّوا به. و اصل البواء التقرير و الاستقرار. قال الشاعر:
أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبلى يسرتها قبولها «1»

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 91] ..... ص : 350

اشارة

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ يَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91)
آية بلا خلاف.

قوله: «بِما أَنْزَلَ اللَّهُ» يعنى القرآن. «قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا» يعنون التوراة. «وَ يَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ» يعنى بما بعده قال الشاعر:
تمنى الامانى ليس شىء وراءها كموعد عرقوب أخاه بيثرب «2»
و قال الفراء: معنى (وراءه) ها هنا سواه. كما يقال للرجل يتكلم بالحسن: ما وراء هذا الكلام شىء يراد به، ليس عند المتكلم شىء سوى ذلک الكلام.

---

(1) قائله الأعشى الكبير اللسان (قبل) و روايته (اسلمتها قبيلها) أى يئست منها قابلتها التى تستقبل المولود. و ديوانه 177، رقم القصيدة: 23. و روايته (يسرتها قبولها) أى سهلت ولادتها قابلتها. و فى المخطوطة و المطبوعة (بشرتها قبيلها) و فى المخطوطة (نصالحكم) بدل (اصالحكم) و فى المطبوعة (نصاحبكم). تبوءوا تعودوا
. (2) لم نجد هذا البيت فى مصادرنا. و فى اللسان (عرقب) بيت للأسجعى عجزه كعجز هذا الا أن (مواعيد) جاءت به بدل (كموعد) و يقول (بيترب)- بالتاء- مكان فى اليمن (و بيثرب)- بالثاء- المدينة نفسها [.....]

و معنى قوله: «وَ يَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ وَ هُوَ الْحَقُّ» و بما سوى التوراة و بما بعده من كتب اللّه عز و جل التى أنزلها اللّه الى رسله.
قوله: «هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً» يعنى القرآن مصدقاً لما معهم- و نصب على الحال- و يسميه الكوفيون على القطع.
و قوله: «من قبل» ضم على الغاية، و كذلک أخواتها نحو بعد و تحت و فوق إذا جعلت غاية ضمت. و فى ذلک خبر من اللّه تعالى ذكره انهم من التكذيب فى التوراة على مثل الذى هم عليه من التكذيب بالإنجيل و القرآن عناداً و خلافاً لأمره، و بغياً على رسله.
و قوله: «فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» يعنى قل يا محمد ليهود بنى إسرائيل إذا قلت لهم آمنوا- قالوا لک نؤمن بما انزل علينا-: لم تقتلون ان كنتم مؤمنين بما أنزل اللّه عليكم- أنبياءه- و قد حرم عليكم فى الكتاب الذى انزل عليكم قتلهم، بل أمركم فيه باتباعهم و طاعتهم و تصديقهم. و فى ذلک تكذيب لهم فى قولهم نؤمن بما انزل علينا، و تعيير عليهم.
و قوله: «فلم تقتلون» و ان كان بلفظ الاستقبال المراد به الماضى، بدلالة قوله: من قبل. و ذلک لما مضى، كما قال: «وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ» «1» اى ما تلت. قال الشاعر:
و لقد امر على اللئيم يسبنى فمضيت عنه و قلت لا يعنينى «2»

و فى رواية اخرى ثمت. قلت يريد بقوله و لقد امر بدلالة قوله: فمضيت و لم يقل فأمضى و قال آخر:
و انى لآتيكم تشكر ما مضى من الامر و استيجاب ما كان فى غد «3»

---

(1) سورة البقرة آية: 102
(2) قائله رجل من بنى سلول. سيبويه 416.
و شرح شواهد المغنى و غيرها كثير. و روايتهم جميعاً (ثمت) بدل عنه.
(3) قائله الطرماح بن حكيم الطائى. ديوانه: 146. و اللسان (كون) و روايته (الاستنجاز) بدل (استيجاب) و كذلک المطبوعة.

يعنى بذلک ما يكون فى غد. قال الحطيئة:
شهد الحطيئة حين يلقى ربه ان الوليد أحق بالعذر «1»
يعنى يشهد و قال آخر:
فما أضحى و لا أمسيت إلا ارانى منكم فى كوفان «2»
فقال: اضحى، ثم قال: و لا أمسيت. و مثله «يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ» «3» اى يستخلده. و قال بعض الكوفيين انما قال: «فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ» و أراد به الماضى كما يقول القائل- موبخاً لغيره، و مكذباً له: لم تكذب، و لم تبغض نفسک الى الناس. قال الشاعر:
إذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة و لم تجدى من ان تقرى به بداً «4»
فالجزاء المستقبل، و الولادة كلها قد مضت، و جاز ذلک لأنه معروف. و قال قوم: معناه فلم ترضون بقتل أنبياء اللَّه إن كنتم مؤمنين. و قالت فرقة ثانية: فلم تقاتلون أنبياء اللَّه فعبر عن القتال بالقتل، لأنه يؤول اليه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 92] ..... ص : 352

اشارة

وَ لَقَدْ جاءَكُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ (92)
آية بلا خوف.

«وَ لَقَدْ جاءَكُمْ مُوسى» يعنى جاء اليهود موسى «بالبينات» الدالة على صدقه و صحة نبوته. كقلب العصاحية، و انبجاس الماء من الحجر، و اليد البيضاء، و فلق البحر، و الجراد، و القمل، و الضفادع، و غيرها من الآيات. و سماها بينات، لظهورها و تبينها للناظرين اليها انها معجزة لا يقدر على أن يأتى بمثلها بشر. و انما هى جمع بينة

---

(1) ديوانه 85 و انساب الاشراف 5 32 من قصيدة قالها فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط- و كان قد حده عثمان بن عثمان على شرب الخمر.
(2) اللسان (كوف). و الكوفان (بتشديد الواو). الاختلاط و الشدة و العناء.
(3) سورة الهمزة آية. 3
. (4) قائله زائدة بن صعصعة و قد مر فى 1. 289.

مثل طيبة و طيبات و قوله: «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ» يعنى بعد (موسى) لما فارقهم و مضى الى ميقات ربه.
و يجوز ان تكون الهاء كناية عن المجىء. فيكون التقدير: ثم اتخذتم العجل من بعد مجيئ موسى بالبينات «وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ» كما يقول القائل: جئتنى فكرهتك:
اى كرهت مجيئك. و ليس المراد بثم ها هنا النسق، و انما المراد بها التوبيخ، و التعجب و الاستعظام لكفرهم مع ما رأوا من الآيات. و قوله: «وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ» يعنى انكم فعلتم ما فعلتم من عبادة العجل. و ليس ذلک لكم، و عبدتم غير اللّه، و كان ينبغى لكم ان تعبدوا اللّه، لان العبادة لا تكون لغير اللّه، فأنتم بفعل ذلک ظالمون أنفسكم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 93] ..... ص : 353

اشارة

وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمَعُوا قالُوا سَمِعْنا وَ عَصَيْنا وَ أُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (93)
آية بلا خلاف.

تقديره و اذكروا إذ أخذنا ميثاقكم و عهودكم بان تأخذوا ما آتيناكم من التوراة التى أنزلها اللّه على موسى بجد و اجتهاد، و معناه اقبلوا ما سمعتم، كما قيل سمع اللّه لمن حمده: اى قبل اللّه حمده قال الراجز:
بالحمد و الطاعة و التسليم خير و اعفى لفتى تميم «1»
فصار تقدير الآية: «وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ» بأن «خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ» و اعملوا بما سمعتم و أطيعوا اللّه «وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ» من اجل ذلک.

---

(1) قائله رجل من ضبة من بنى ضرار يدعى جبير بن الضحاک. تاريخ الطبرى 4: 223.
فى ذكر سنة 55 و روايته (السمع) بدل (بالحمد).

و قوله: «قالُوا سَمِعْنا وَ عَصَيْنا» كأن الكلام خرج مخرج الخبر عن الغائب بعد أن كان الابتداء بالخطاب، لما تقدّم ذكره من ابتداء الكلام، إذ كان حكاية.
و العرب تخاطب، ثم تعود بعد ذلک الى الخبر عن الغائب، ثم تخاطب، لان قوله:
«وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ» بمعنى قلنا لكم، فأجبتمونا، و قوله: (سمعنا) إخبار من اللّه تعالى عن اليهود الذين أخذنا ميثاقهم ان يعملوا بما فى التوراة، و ان يطيعوا اللّه بما يسمعون منها انهم قالوا حين قيل لهم ذلک: سمعنا قولک، و عصينا أمرک و يحتمل ان يكون ما قالوه لكن فعلوا ما يدل على ذلک، فقام الفعل مقام القول. كما قال الشاعر:
امتلأ الحوض و قال قطنى مهلا رويداً قد ملأت بطنى «1»
و قوله: «وَ أُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ» فيه وجوه:
أحدهما- ما قال قتادة و ابو العالية: و اشربوا فى قلوبهم حب العجل. يقال أشرب قلبه حبّ كذا و كذا قال زهير:
فصحوت عنها بعد حبّ داخل و الحبّ يشربه فؤادک داء «2»
و قالت اعرابية:
باهلى من عادى و نفسى فداؤه به هام قلبى منذ حين و لا يدرى
هوى اشربته النفس ايام جهلها و لجّ عليه القلب فى سالف الدهر
و قال السدى: لما رجع موسى الى قومه أخذ العجل الذى وجدهم عاكفين عليه، فذبحه ثم حرقه بالمبرد، ثم ذراه فى اليم فلم يبق بحر يجرى يومئذ إلا وقع فيه شىء منه، ثم قال اشربوا فشربوا، فمن كان يحبه خرج على شاربه الذّهب. و الاول عليه اكثر محصلى المفسرين و هو الصحيح، لان

الماء لا يقال فيه: أشرب منه فلان فى قلبه، و انما يقال ذلک: فى حب الشىء على ما بيناه، و لكن يترک ذكر الحب اكتفاء بفهم السامع، لمعنى الكلام، إذ كان معلوماً ان العجل لا يشربه القلب

---

(1) اللسان (قطط) و روايته (سلا) بدل (مهلا).
(2) ديوانه: 339. و روايته (تشربه) بضم التاء و سكون الشين و كسر الراء.

و ان الذى اشرب منه حبّه. كما قال «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» و انما أراد أهلها. كما قال الشاعر:
حسبت بغام راحلتى عناقاً و ما هى ويب غيرک بالعناق «1»
يريد بذلک حسبت بغام راحلتى بغام عناق. و قال طرفه بن العبد:
ألا إننى سقيّت اسود حالكا ألا بجلى من الشراب ألا بجل «2»
يريد بذلک سقيت سما اسود، فاكتفى بذكر (اسود) عن ذكر (السم) لمعرفة السامع بمعنى ما أراد بقوله سقيت اسود. و قال آخر:
و كيف تواصل من أصبحت خلالته كأبى مرحب؟ «3»
اى كخلالة أبى مرحب و قال آخر:
و شر المنايا ميتة وسط اهله «4» اى ميتة ميت. و قد يقول العرب: إذا سرک ان تنظر الى السخاء، فانظر الى هرم «5»، أو الى حاتم. فيجتزئون بذكر الاسم عن ذكر فعله، للعلم به.
و قوله: «بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» معناه قل يا محمد ليهود بنى إسرائيل: بئس الشىء يأمركم به ايمانكم إن كان يأمركم بقتل أنبياء اللّه و رسله و التكذيب بكتبه، و جحد ما جاء من عنده. و قال الازهرى: معنى ان كنتم:

---

(1) اللسان (عنق) أنشده ابن الاعرابى. لقريط يصف الذئب و فى اللسان (بغم) نسبه الى ذى الحرق. البغام: الصوت من الحيوان الصامت. و العناق: الأنثى من المعز، و يب كلمة تقولها العرب للتحقير. بمعنى ويل.
(2) ديوانه: 343 (اشعار الستة الجاهلين)، و اللسان (سود) و روايته (شربت) بدل (سقيت) بضم السين و تشديد القاف و ضم التاء. و يروى (سالخاً) بدل (حالكا) و اختلف فيما أراد بقوله (اسود) قيل الماء، و قيل المنية، و قيل السم. و بجلى حسبى.
(3) قائله النابغة الجعدى: اللسان (خلل). أبى مرحب: كنية الظل، و يقال هو كنية عرقوب الذى قيل عنه: مواعيد عرقوب أخاه بيثرب انظر 1: 85 فثمت إيضاح كاف.
(4) و عجز البيت: كهلک الفتى قد اسلم الحى حاضره [.....]
(5) فى المطبوعة (هرمرا) و هو تحريف. و هرم: هو ابن سنان صاحب زهير

بن أبى سلمى و حاتم: الطائى المشهور.

اى ما كنتم مؤمنين- نفياً- و الاول أجود. و معنى ايمانهم: تصديقهم الذى زعموا انهم مصدقون، من كتاب اللّه إذا قيل لهم آمنوا بما انزل اللّه قالوا: نؤمن بما أنزل علينا.
و قوله: «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أى ان كنتم مصدقين كما زعمتم، فأخبر ان تصديقهم بالتوراة، انه كان يأمرهم بذلک، فبئس الامر يأمرهم به. و انما ذلک نفى عن التوراة ان يكون يأمر بشىء بما يكرهه اللّه من أفعالهم، و اعلاماً منه ان الذى تأمرهم به أهواؤهم، و تحمل عليه عداوتهم. و هذا كما يقول الرجل: بئس الرجل انا إن رضيت بفعلک، او ساعدتک عليه.
و المعنى و أشربوا فى قلوبهم حب العجل بكفرهم، اى لالفهم الكفر و ثبوتهم فيه، و الكفر يدعو بعضه الى بعض، و يحسّن بعضه بعضاً. و ليس المعنى فى قوله: «و اشربوا» ان غيرهم فعل ذلک بهم، بل هم الفاعلون له، كما يقول القائل:
أنسيت ذلک من النسيان «1» ليس يريد إلا انک فعلت. و قولهم: لقد أوتى فلان علماً جماً- و ان كان هو المكتسب له، و إن الجنس الذين قالوا: سمعنا و عصينا غير الذين رفع عليهم الطور بأعيانهم، لكنهم كانوا على منهاجهم، و سبيلهم. فأما أولئک بأعيانهم، فإنهم آمنوا: إما طوعاً، و اما كرهاً. و المعنى فى (الباء) المتصلة بالكفر:
أنهم كفروا باللّه بما اشربوا من محبة العجل. و ليس المعنى انهم فى ذلک اشربوا حبّ العجل جزاءً على كفرهم، لأن محبة العجل كفر قبيح. و اللّه لا يفعل الكفر فى العبد، لا ابتداء، و لا مجازاة.

---

(1) فى المطبوعة و المخطوطة «ا لست من الشنئان) و هو غلط.

قُلْ إِنْ كانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (94)
آية واحدة بلا خلاف.
هذه الآية مما احتج اللَّه بتأويلها لنبيه (ص) على اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجره، و فضح بها أحبارهم و علماءهم، لأنه دعاهم الى قضية عادلة بينه و بينهم، كما كان من الخلف الواقع بينهم. فقال لفريق من اليهود: ان كنتم صادقين ان الجنة خالصة لكم دون الناس كلهم، او دون محمد و أصحابه الذين آمنوا به فتمنوا الموت، لان من اعتقد انه من أهل الجنة قطعاً، كان الموت أحب اليه من حياة الدنيا التى فيها النقص، و انواع الآلام، و المشاق، و مفارقتها الى نعيم خالص يتخلص به من أذى الدنيا.
و قوله: «فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ»- و ان كان صورته صورة الامر- المراد به التوبيخ، و الزام الحجة.
و روى عن النبى (ص) انه قال: لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا، و لرأوا مقاعدهم من النار
فقال اللَّه تعالى لهم «وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ» تحقيقاً لكذبهم، فقطع على انهم لا يظهرون التمنى و فى ذلک أعظم الدلالة على صدقه، لأنه اخبر بشىء قبل كونه، فكان كما اخبر، لأنه لا خلاف انهم لم يتمنوا. و قيل انهم ما تمنوا، لأنهم علموا انهم لو تمنوا الموت، لماتوا- كما قاله- فلذلک لم يتمنوه. و هذا قول ابن عباس. و قال غيره: إن اللَّه صرفهم عن اظهار التمنى، ليجعل ذلک آية لنبيه (ص).
أما التمنى فهو قول لما كان: ليته لم يكن، و لما لم يكن ليته كان. و قال قوم: هو معنى فى القلب. غير انه لا خلاف انه ليس من قبل الشهوة. فمن قال من المفسرين: انه أراد فتشهوا، فقد اخطأ. و قد روى عن ابن عباس انه قال: فاسألوا الموت. و هذا بعيد، التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 358
لان التمنى بمعنى السؤال لا يعرف فى اللغة. فان قيل: من اين انهم ما تمنوه بقلوبهم عند من قال: انه معنى فى القلب؟ قلنا: لو تمنوه بقلوبهم لأظهروه بألسنتهم حرصاً منهم على تكذيبه فى إخباره، و جهداً فى إطفاء أمره. و هذه القصة شبيهة بقصة المباهلة، و ان النبى (ص) لما دعا النصارى الى المباهلة امتنعوا لقلة ثقتهم بما هم عليه، و خوفهم من صدق النبى (ص).
و معنى (خالصة): صافية. يقال خلص لى هذا الامر: اى صار لى وحدى،

وصفا لى يخلص خلوصاً و خالصة. و الخالصة: مصدر كالعاقبة يقال للرجل هذا خلصانى: اى خالصتى- من دون اصحابى.

وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (95)
آية بلا خلاف.
اخبر اللّه تعالى عن هؤلاء الذين قيل لهم: «فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» بأنهم لا يتمنون ذلک ابداً. و قد بينا ان فى ذلک دلالة على صدق النبى (ص) من حيث تضمنت انهم لا يتمنون ذلک فى المستقبل. و كان كما قال.
و قوله: «ابداً» نصب على الظرف: اى لم يتمنوه ابداً طول عمرهم. كقول القائل: لا أكلمک ابداً، و انما يريد ما عشت.
و قوله: «بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ» معناه بالذى قدمت أيديهم و يحتمل ان يكون المراد بتقدمة أيديهم: فتكون (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر.
و قوله: «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» انما خص الظالمين بذلک- و ان كان عالماً بغيرهم لأن الغرض بذلک الزجر، كأنه قال: عليم بمجازاة الظالمين. كما يقول القائل لغيره، مهدداً له: انا عالم بک بصير بما تعمله. و قيل: انه عليم بأنهم لا يتمنونه ابداً حرصاً على الحياة، لان كثيراً منهم يعلم انه مبطل: و هم المعاندون منهم الذين يكتمون الحق و هم يعلمون.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 96] ..... ص : 359

اشارة

وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَ ما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ (96)
آية بلا خلاف.

قال ابن عباس، و ابو العالية: و مجاهد، و الربيع: ان المعنى بقوله احرص الناس على حياة اليهود و احرص من الذين أشركوا و هم المجوس و هم الذين يود أحدهم لو يعمّر الف سنة و ما هو بمزحزحه لأنه إذا دعا بعضهم لبعض يقول له: هزار سال بده: اى عشرة آلاف سنة و اليهود احرص على الحياة منهم (و ما هو بمزحزحه) اى بمباعده من العذاب ان يعمر لأنه لو عمر ما تمنى لما دفعه طول العمر من عذاب اللَّه تعالى على معاصيه و انما وصف اللّه اليهود بأنهم احرص الناس على حياة لعلمهم بما قد اعدّ اللَّه لهم فى الآخرة على كفرهم، مما لا يقرّ به اهل الشرک الذين لا يؤمنون بالبعث و يعلمون ما هناک من العذاب. و ان المشركين لا يصدقون ببعث و لا عقاب. و اليهود احرص منهم على الحياة و اكره للموت.
و قوله: «وَ ما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ» يعنى و ما التعمير و طول البقاء بمزحزحه من عذاب اللّه، و هو عماد لطلب (ما) الاسم اكثر من طلبها الفعل كما قال الشاعر:
و هل هو مرفوع بما ها هنا راس «1»
و ان فى قوله: (يعمر) رفع بمزحزحه و حسنت الباء فى قوله (بمزحزحه)

---

(1) معانى القرآن للفراء 1: 52 صدر البيت:
بثوب و دينار و شاة و درهم
و قوله. (بثوب) متعلق بقوله (باع) من البيت المتقدم و هو
بأن السلامى الذى بضرية امير الحمى قد باع حقى بنى عبس
و معنى (فهل هو مرفوع بما ها هنا رأس). فهل نجد ناصراً ينصرنا و يأخذ لنا حقنا، فترفع رءوسنا. و هذه كلمة يقولونها فى مثل ذلک.

كما تقول: ما عبد اللّه بملازمة زيد و هى التى مع (ما) ذكره عماد للفعل، لاستفتاح العرب النكرة قبل المعرفة. و قال قوم: ان هو التى مع (ما) كناية عن ذكر العمر و جعل ان يعمر مترجما عن هو يريد ما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر: اى و ان عمر قال الزجاج: و ما هو كناية عن أحدهم كأنه قال: و ما أحدهم بمزحزحه من العذاب كأنه قال: يود أحدهم ان يعمر الف سنة و ما ذلک العمر بمزحزحه من العذاب و قوله: «بِمُزَحْزِحِهِ» اى بمبعده قال الحطيئة:
فقالوا تزحزح لا بنا فضل حاجة اليک و لا منا لو هيک رافع «1»
يعنى تباعد يقال منه: زحزحه يزحزحه زحزحة و زحزاحاً. فتأويل الآية:
و ما طول العمر بمبعده من عذاب اللّه، و لا منجيه منه، لأنه لا بد للعمر من

الفناء فيصير الى اللّه تعالى، و قال الفراء: (احرص الناس على حياة، و من الذين أشركوا) ايضا و اللّه اعلم كقولک هو أسخى الناس. من حاتم و من هرم «2» لان تأويل قولک:
أسخى الناس انما هو أسخى من الناس.
و قوله: «وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ» قرئ بالتاء و الياء معاً: اى لا يخفى عليه شىء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط، و لها حافظ حتى يذيقهم بها العذاب و معنى بصير مبصر عند اهل اللغة و سميع بمعنى مسمع، لكنه صرف الى فعيل فى بصير و سميع، و مثله «عَذابٌ أَلِيمٌ» بمعنى مؤلم «بَدِيعُ السَّماواتِ» بمعنى مبدع. و عند المتكلمين المبصر: هو المدرک للمبصرات، و البصير هو الحى الذى لا آفة به، لأنه يجب ان يبصر المبصرات إذا وجدت. و ليس أحدهما هو الآخر و كذلک سميع و مسمع.
و قوله: «يود» تقول وددت الرجل أود وداً و وداً و وداداً و ودادة و مودة و أود: لا يكون ماضيه، الا وددت و قال بعض المفسرين: ان تأويل قوله «لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ» اى من الناس اجمع، ثم قال: و احرص من الذين أشركوا

---

(1) الاغانى 13. 6 و قد نسب البيت لقيس بن الحدادية من قصيدة طويلة، نفيسة.
(2) فى المخطوطة و المطبوعة (هرية) انظر 1: 355.

على وجه التخصيص، لان من لا يؤمن بالبعث، و النشور، يكون حرصه على البقاء فى الدنيا اكثر ممن يعتقد الثواب، و العقاب. فان قيل: أ ليس نجد كثيراً من المسلمين يحرصون على الحياة، و يكرهون الموت؟ فكيف تدل هذه الآية على ان اليهود لم يكونوا على ثقة مما كانوا يدّعونه من انهم اولى به من المسلمين- مع ان المسلمين يشاركونهم فى الحرص على الحياة- و هم على يقين من الآخرة، و ما فيها من الثواب، و العقاب؟ قيل: ان المسلمين لا يدّعون أن الدار الآخرة لهم خالصة، و لا انهم أحباء اللّه، و لا انهم من اهل الجنة قطعاً، كما كانت اليهود تدعى ذلک، بل هم مشفقون من ذنوبهم، يخافون أن يعذبوا عليها فى النار، فلهذا يشفقون من الموت، و يحبون الحياة، ليتوبوا من ذنوبهم التى يخافون ان يعذبوا عليها فى النار، فلهذا يشفقون من الموت و يحبون الحياة ليتوبوا من ذنوبهم، و يصلحوا أعمالهم. و من كان على يقين مما يصير اليه، لم يؤثر الحياة على الموت. كما
روى عن على (ع) انه قال: لا ابالى سقط الموت علىّ او سقطت على الموت
، و قال: اللهم سِئمتهم، و سئمونى:

فابدلنى بهم خيراً منهم، و ابدلهم بى شراً منى.
و قوله: اللهم عجل إلىّ الراحة، و عجل لهم الشقوة.
و كما روى عن عمار (ره) انه قال يوم صفين: القى الأحبة: محمداً و صحبه.
و كما قال حذيفة عند الموت: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 97] ..... ص : 361

اشارة

قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِکَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ (97)
آية واحدة بلا خلاف.

قرأ ابن كثير:(جبريل) بفتح الجيم و كسر الراء و بعدها ياء ساكنة من غير همزة مكسورة. و قرأ حمزة و الكسائى و خلف و ابو بكر إلا يحيى: بفتح الجيم و الراء بعدها همزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على وزن (جبرعيل).
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 362
و روى يحيى كذلک إلا انه حذف بعده الهمزة فيصير (جبريل). الباقون بكسر الجيم و الراء، و بعدها ياء ساكنة من غير همز. و قرأ اهل البصرة (ميكال) بغير همز، و لا ياء. و قرأ اهل المدينة بهمزة مكسورة بعد الالف. مثل (ميكاعل) الباقون بإثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على وزن (ميكاعيل).

قال ابو الحسن الأخفش: فى (جبريل) ست لغات: جِبرائيل، و جَبرئيل، و جَبرال، و جبريل، و جبرال، و جبريل. و حكى الزجاج بالنون ايضاً بدل اللام، و هى لغة بنى أسد. و بتشديد اللام.

اجمع اهل التأويل على ان هذه الآية نزلت جواباً لليهود- حين زعموا أن جبريل عدوّ لهم، و ان ميكال ولىّ لهم- لما أخبروا ان جبريل هو الذى نزل على محمد (ص)- قالوا: جبريل عدو لنا، ياتى بالحرب و الجدب. و ميكائيل ياتى بالسلام و الخصب: فقال اللّه تعالى: «قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ» إذ كان هو المنزل الكتاب عليه، فانه انما أنزله على قلبه بإذن الله، لا من تلقاء نفسه، و انما انزل لما هو مصدق بين يديه من الكتب التى فى أيديهم، لا مكذباً لها، و انه و إن كان فيما أنزل الامر فى الحرب، و الشدة على الكافرين. فانه هدىً و بشرى للمؤمنين.

و قوله: «على قلبک» و لم يقل على قلبى. كقولک الذى تخاطبه: لا تقل للقوم إن الخبر عندک، و يجوز ان تقول: لا تقل: ان الخبر عندى. و كما تقول:
قال القوم: جبرائيل عدونا، و يجوز ان تقول: قالوا: جبرائيل عدوهم. و لا ينبغى أن يستنكر أحد أن اليهود يقولون: إن جبرائيل عدونا، لان الجهل فى هؤلاء أكثر من ان يحصى. و هم الذين اخبر اللّه عنهم بعد مشاهدة فلق البحر، و المعجزات التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 363
الباهرة «اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ» «1» و قالوا: «أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً» «2» و مثل ذلک طائفة من النصارى تعادى سليمان فلا تذكره و لا تعظمه، و لا تقرّ نبوته.

و جبرائيل، و ميكائيل: اسمان أعجميان أعربا. و قيل: ان جبر عبد و ايل الله مثل عبد الله «3». و ضعف ذلک ابو على الفارسى من وجهين:
أحدهما- ان ايل لا يعرف فى اسماء الله فى لغة العرب.
و الثانى- انه لو كان كذلک لأعرب آخر الكلمة. كما فعل ذلک فى سائر الأسماء المضافة: و الامر بخلافه.

و كان سبب نزول هذه الآية ما
روى أن صوريا، و جماعة من يهود اهل فدک، لما قدم النبى (ص) المدينة سألوه، فقالوا: يا محمد كيف نومک، فقد أخبرنا عن نوم النبى الذى يأتى فى اخر الزمان؟ فقال: تنام عيناى و قلبى يقظان، فقالوا:
صدقت يا محمد، فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل او من المرأة؟ فقال: اما العظام و العصب و العروق، فمن الرجل، و اما اللحم و الدم و الظفر و الشعر: فمن المرأة. قالوا:
صدقت يا محمد، فما بال الولد يشبه أعمامه، ليس فيه من شبه أخواله شىء، او يشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شىء؟ فقال: أيهما علا ماؤه كان الشبه له، قالوا:
صدقت يا محمد، فأخبرنا عن ربک ما هو؟ فانزل اللَّه تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ» «4». فقال ابن صوريا: خصلة واحدة إن قلتها آمنت بک، و اتبعتک، اى ملک يأتيک بما ينزل اللّه لک؟ قال:
جبريل. قالوا: ذلک عدونا ينزل بالقتال و الشدة و الحرب، و ميكائيل ينزل باليسر و الرخاء، فلو كان ميكائيل هو الذى يأتيک: آمنا بک. فأنزل اللّه عز و جل هذه الآية.

---

(1) سورة الاعراف آية: 137
. (2) سورة النساء آية: 102
. (3) فى المخطوطة و المطبوعة واو زائدة قبل (مثل)
. (4) سورة الإخلاص بأجمعها.

و قوله: «مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ» يعنى القرآن.
و نصب مصدقاً على الحال. و الهاء فى قوله: «نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِکَ» يا محمد «مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ» يعنى القرآن، و يعنى مصدقاً لما سلف من كتب اللَّه امامه التى أنزلها على رسله، و تصديقاً لها: موافقةً لمعانيها فى الامر باتباع النبى (ص)، و ما جاء به من عند اللَّه. و انما اضافه «هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ» من حيث كانوا المهتدين به، و العالمين العاملين به- على ما بيناه فيما مضى.-

مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ (98)

و قد بينا اختلاف القراء فى جبريل و ميكائيل- و ان كانا من جملة الملائكة- فإنما افردا بالذكر، لأجل أمرين:

أحدهما- ذكرا لفضلهما و منزلتهما. كما قال: «فِيهِما فاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ» «1» و لما تقدم من فضلهما، و ان الآية نزلت فيهما، و فيما جرى من ذكرهما.

و الثانى- ان اليهود لما قالت: جبريل عدونا، و ميكال و لينا، خصا بالذكر، لئلا يزعم اليهود ان جبريل و ميكال مخصوصان من جملة الملائكة، و غير داخلين فى جملتهم، فنص اللّه تعالى عليهما، لابطال ما يتأوّلونه من التخصيص. ثم قال: «فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ» و لم يقل فانه، فكرر اسم اللّه لئلا يظن ان الكناية راجعة الى جبرائيل، او ميكائيل. و لم يقل (لهم) لأنه يجوز ان ينتقلوا عن العداوة بالايمان. و فى هذه الآية دلالة على خطأ من قال من المجبرة: ان الامر ليس بمحدث احتجاجاً بقوله: «أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» «2» قالوا: فلما أفرد الامر بالذكر بعد ذكره الخلق دل على ان الامر ليس بمخلوق. و لو كان الامر على ما قالوه، لوجب ان لا يكون جبريل

---

(1) سورة الرحمان آية: 68.

(2) سورة الاعراف آية: 53.

و ميكائيل من الملائكة. و نظير ذلک أيضاً قوله: «وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْکَ وَ مِنْ نُوحٍ» «1»

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 99] ..... ص : 365

اشارة

وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْکَ آياتٍ بَيِّناتٍ وَ ما يَكْفُرُ بِها إِلاَّ الْفاسِقُونَ (99)
آية بلا خلاف.

معنى الآيات يحتمل أمرين:
أحدهما- ذكره البلخى و جماعة من أهل العلم يعنى سائر الآيات المعجزات التى أعطاها اللّه النبى (ص) من الآيات: القرآن، و ما فيه، و غير ذلک من الدلالات و قال بعضهم: هو الاخبار عما غمض مما فى كتب اللّه السالفة من التوراة، و الإنجيل، و غيرهما. و
قال ابن عباس: ان ابن صوريا القطرانى قال لرسول اللّه (ص): يا محمد ما جئتنا بشىء نعرفه، و ما انزل عليک من آية بينة فنتبعک لها. فانزل اللّه فى ذلک «وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْکَ آياتٍ بَيِّناتٍ وَ ما يَكْفُرُ بِها إِلَّا الْفاسِقُونَ»
فان قال بعض اليهود:
أنتم مقرون بآياتنا و نحن نجحد بآياتكم، فحجتنا لازمة لكم لأنها مردودة الى ما تعرفونه «2»؟ قيل لهم فيجب على هذا ألا يكون لكم حجة على الدهرية و البراهمة و الثنوية، لأنهم لا يعترفون بآياتكم. و انما قال: (و ما يكفر بها الا الفاسقون) و لم يقل الكافرون. و ان كان الكفر أعظم من الفسق، لاحد أمرين:
[الاول] انه عنى الخارجين عن أديانهم، و ان أظهروا انهم يتمسكون بها، لان اليهود قد خرجت بالكفر بالنبى (ص) من شريعة موسى. و الفسق هو الخروج عن امر اللّه الى ما يعظم من معصيته.
و الثانى- انه أراد الفاسقين المتمردين فى كفرهم، لان الفسق لا يكون الا أعظم الكبائر فان كان فى الكفر، فهو أعظم الكفر، و ان كان فيما دون الكفر، فهو

---

(1) سورة الاعراف آية: 33.
(2) فى المطبوعة (تعرفون).

أعظم المعاصى. هذا يجيئ على مذهب الحسن، لأنه ذكر ان الفاسقين: عنى به جميع من كفر بها، و قد يدخل فى هذا الكلام احد أمرين: أحدهما- لقوم يتوقعون الخبر او لقرب «1» الماضى من الحال. تقول: قد ركب الأمير، و جاء زيد، و قد عزم على الخروج، إى عازماً عليه، و هى ها هنا مع لام القسم على هذا تقديره قوم يتوقعون الخبر، لان الكلام إذا أخرج ذلک المخرج كان أوكد و ابلغ، و الآية هى العلامة التى فيها عبرة. و قيل العلامة هى الحجة. و البينة الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة و الكاذبة مأخوذة من ابانه احد الشيئين عن الاخر فيزول التباسه به.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 100] ..... ص : 366

اشارة

أَ وَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (100)
آية واحدة

الواو فى قوله (او كلما) عند سيبويه و اكثر النحويين واو العطف، الا ان الف الاستفهام دخلت عليها، لان لها صدر الكلام، و هى او الاستفهام بدلالة ان الواو يدخل على هل، لان الالف أقوى منها. قال الزجاج و غيره تقول: و هل زيد عاقل، و لا يجوز و أزيد عاقل. و قال بعضهم يحتمل ان تكون زائدة. كزيادة الفاء فى قولک: أ فاللّه لتصنعن. و الاول- أصح لأنه لا يحكم بالزيادة مع وجود معنى من غير ضرورة، و العطف على قوله: «خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمَعُوا قالُوا سَمِعْنا وَ عَصَيْنا» «2» أَ وَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ و انما اتصل ذكر العهد بما قبله لاحد أمرين:
أحدهما- بقوله: «وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ».
و الثانى- انهم كفروا ينقض العهد كما كفروا بالآيات.

---

(1) فى المطبوعة (الخبر و ليقرب) [.....]
(2) سورة البقرة آية: 93.

و المراد بالعهد ها هنا: الميثاق الذى اخذه اللَّه ليؤمنّ بالنبى الاميّ- على قول ابن عباس- و قال ابو على: المعنى به العهود التى كانت اليهود أعطوها من أنفسهم- فى ايام أنبيائهم، و فى ايام نبينا محمد (ص)، لأنهم كانوا عاهدوه انهم لا يعينوا عليه احداً فنقضوا ذلک و أعانوا عليه قريشاً يوم الخندق.

و قوله: «نبذه» النبذ و الطرح و الإلقاء نظائر. قال صاحب العين: و النبذ طرحک الشیء عن یدک امامک، او خلفک. و المنابذة: انتباذ الفریقین للحرب.
تقول نبذنا إلیهم علی سواء: ای نابذناهم الحرب. و المنبوذون هم الأولاد الذین یطرحون- و النبیذ معروف- و الفعل نبذت لی، و لغیری، و انبذت: خاصة لنفسی.
و المنابذة فی البیع منهی عنها و هی کالرمی، کأنه إذا رمی الیه. وجب له، و سمی النبیذ: نبیذاً، لان التمر کان یلقی فی الجرة و غیرها «1». و هی فعیل بمعنی مفعول.
و أصاب الأرض نبذة من المطر: ای قلیل.

قال قتادة: معنى نبذه فى الآية: نقضه، و قيل: تركه. و قيل ألقاه، و المعنى متقارب- قال ابو الأسود الدؤلى:
نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذک نعلًا أخلقت من نعالکا «2»
و قوله: «بَلْ أَكْثَرُهُمْ» الهاء، و الميم عائدتان على المعاهدين، و لا يصلح على الفريق إذ كانوا كلهم غير مؤمنين. و اما المعاهدون: فمنهم من آمن كعبد اللّه

_____

(1) فى المطبوعة و المخطوطة: (فى الجر و غيره).
(2) ديوانه: 11. من أبيات كتب بها الى صديقه الحصين بن الحر، و هو وال على ميسان. و كان كتب اليه فى امر يهمه فشغل عنه-. و قبل البيت.
و خبرنى من كنت أرسلت انما أخذت كتابى معرضاً بشمالکا

ابن سلام، و كعب الأحبار و غيرهما. و انما دخلت بل على قوله: (أكثرهم لا يؤمنون)، لامرين:
أحدهما- انه لما قال: «نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ» دل على انه كفر ذلک الفريق بالنقض، و حسن هذا التفصيل، لأن منهم من نقض عناداً. و منهم من نقض جهلًا.
و الوجه الثانى- كفر فريق منهم بالنقض، و كفر أكثرهم بالجحد للحق، و هو امر النبى (ص) و ما يلزم من اتباعه، و التصديق به. و قيل بل يعنى ان الفريق و ان كانوا هم المعاندون، و الجميع كافرون. كما تقول: زيد كريم بل قومه جميع كرام.
و قوله: «أَ وَ كُلَّما» نصب على الظرف، و العامل فيه نبذ، و لا يجوز ان يعمل فيه عاهدوا، لأنه متمم [لما]: اما صلة، و اما صفة.

اشارة

وَ لَمَّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللَّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ (101)

قال السدى و اكثر المفسرين: المعنى بالرسول محمد «ص». و قال بعضهم:
يجوز أن يعنى به ها هنا الرسالة. كما قال كثير:
فقد كذب الواشون ما بحت عندهم بليلى و لا أرسلتهم برسول «1»
و هذا ضعيف، لأنه خلاف الظاهر، قليل الاستعمال. و الكتاب يحتمل ان يراد به التوراة. و يحتمل ان يراد به القرآن. قال السدى: نبذوا التوراة، و أخذوا بكتاب اصف، و سحر هاروت و ماروت: يعنى انهم تركوا ما تدل عليه التوراة من صفة النبى (ص). و قال قتادة و جماعة من اهل العلم: إن ذلک الفريق كانوا

---

(1) اللسان (رسل) و قد جاء على وجهين أحدهما- (برسيل) بدل (برسول) و الثانى- (بسر) بدل (بليلى) و فى كليهما (لقد) بدل (فقد).

معاندين. و قال ابو على: لا يجوز على جماعتهم ان يكتموا ما علموا مع كثرة عدوّهم، و اختلاف همهم، لأنه خلاف العادة، و لكن يجوز على الجمع الكثير ان يتواطوا على الكتمان، و لذلک قال: «فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللَّهِ».
و قوله: «مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ» يحتمل أمرين: أحدهما- مصدق لما معهم، لأنه جاء على الصفة التى تقدمت بها البشارة. و الثانى- انه مصدق بالتوراة انها حق من عند اللّه- و الاول احسن،- لان فيه حجة عليهم، و عبرة لهم. و قال الحسن:
«مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ» من التوراة، و الإنجيل. و قال غيره: يصدق بالتوراة، لان الاخبار ها هنا عن اليهود دون النصارى. و انما قال: «نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» و لم يقل منهم، إذ تقدم ذكرهم، لاحد أمرين:
أحدهما- انه لما أريد علماء اهل الكتاب، أعيد ذكرهم لاختلاف المعنى- على قول البلخى.
و الثانى- انه للبيان. و كان يجوز النصب فى مصدق، لان كتاباً قد وصف، لأنه من عند اللّه- على ما قاله الزجاج و قوله: «كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ» فمعناه انهم يعلمون و كأنهم لكفرهم و كتمانهم لا يعلمون.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 102] ..... ص : 369

اشارة

وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَ ما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَ لكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَ ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَ مارُوتَ وَ ما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ ما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَ لَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (102)

التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 370

آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر، و حمزة، و الكسائى، و خلف: (و لكن الشياطين) (و لكن اللَّه قتلهم) «1» (و لكن اللَّه رمى) «2» بتخفيف النون من (لكن) و كسرها فى الوصل، و رفع الاسم بعدها. الباقون بالتشديد. و روى تثنية (الملكين) بكسر اللام، ها هنا حسب.

و اختلفوا فى المعنى بقوله «وَ اتَّبَعُوا» على ثلاثة اقوال: فقال ابن جريج، و ابو إسحاق: المراد به اليهود الذين كانوا فى زمن النبى (ص) و قال الجبائى:
المراد به اليهود الذين كانوا فى زمن سليمان. و قال قوم: المراد به الجميع و هو قول المتأخرين، قال:، لان مبتغى السحر من اليهود لم يزالوا منذ عهد سليمان إلى ان بعث محمد (ص). و
روى عن الربيع: أنّ اليهود سألوا محمداً (ص) زماناً عن امور من التوراة- لا يسألونه عن شىء من ذلک إلا انزل اللّه عليه ما سألوا عنه- فيخبرهم، فلما رأوا ذلک قالوا: هذا أعلم بما انزل علينا منا و انهم سألوه عن السحر، و خاصموه به، فأنزل اللّه عز و جل «وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ»
و معنى «تَتْلُوا» قال ابن عباس: تتبع، لان التالى تابع. و قال بعضهم: يُدّعى- و ليس بمعروف- و قال قتادة، و عطا: معناه تقرأ من تلوت كتاب اللّه: اى قرأته. و قال تعالى:
«هُنالِکَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ» «3» اى تتبع و قال حسان بن ثابت:
بنىّ يرى ما لا يرى النّاس حوله و يتلوا كتاب اللّه فى كل مشهد «4»

(1، 2) سورة الانفال: آية 17.
(3) سورة يونس: آية 30.
(4) قائله حسان بن ثابت. ديوانه: 88. من أبيات قالها فى خبر ام معبد حن خرج رسول اللّه (ص) مهاجراً الى المدينة و روايته (مسجد) بدل (مشهد).

و الذى تتلوه هو السحر- على قول ابن إسحاق، و غيره من اهل العلم:- و قال بعضهم: الكذب. و معنى قوله: «عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ» على عهد سليمان. قال ابن إسحاق و ابن جريج: فى ملک سليمان حين كان حياً. و هو قول المبرد و قال قوم:
إنما قال تتلو «على ملک» لأنهم كذبوا عليه بعد وفاته كما قال: «وَ يَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ» «1» و قال: «أَ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» «2» و قال الشاعر:
عرضت نصيحة منى ليحيى فقال غششتنى و النصح مرّ
و ما بى ان أكون اعيب يحيى و يحيى طاهر الأخلاق برّ
و لكن قد اتانى ان يحيى يقال عليه فى نفعاء شرّ
فإذا صدق، قيل: تلا عنه. و إذا كذب، قيل تلا عليه، و إذا أبهم، جاز فيه

الأمران. و قوله: «الشياطين» قال قوم: هم شياطين الجن، لان ذلک هو المستفاد من اطلاق هذه اللفظة. و قال بعضهم: المراد به شياطين الانس المتمرّدة فى الضلالة.
كما قال جرير:
ايام يدعوننى الشيطان من غزلى و كنّ يهوينني إذ كنت شيطانا
و قوله: «وَ ما كَفَرَ سُلَيْمانُ» و إن لم يجر لذلک ذكر، يكون هذا تكذيباً له.
فمعناه إن اليهود أضافوا الى سليمان السحر، و زعموا ان ملكه كان به، فبرّأه اللّه مما قالوا. و هو قول ابن عباس، و سعيد بن جبير، و قتادة. و
قال ابن إسحاق: قال بعض أخبار اليهود: ألا تعجبون من محمد (ص) يزعم أن سليمان كان نبياً، و اللّه ما كان إلا ساحراً فانزل اللّه تعالى: «وَ ما كَفَرَ سُلَيْمانُ»
و قيل: تقدير الكلام و اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملک سليمان من السحر، فتضيفه الى سليمان. و ما كفر سليمان. لان السحر لما كان كفرا، نفى اللّه تعالى عنه ذلک على المعنى- و ان كانوا لم يضيفوا اليه كفرا- و السبب الذى لأجله اضافت اليهود الى سليمان السحر، ان سليمان جمع كتب السحر تحت كرسيه. و قيل فى خزائنه، لئلا يعمل به فلما مات

---

(1) سورة آل عمران: آية 75، 78.
(2) سورة الاعراف آية: 27، سورة يونس آية: 68.

و ظهر عليه قالت الشياطين: بهذا كان يتمّ ملكه، و شاع فى اليهود و قبلوه، لعداوتهم لسليمان. و قيل انهم وضعوا كتاب السحر بعد سليمان و أضافوه اليه و قالوا: بهذا كان يتمّ له ما كان فيه، فكذبهم اللّه تعالى فى ذلک، و نفى عنه ذلک.

و السحر و الكهانة و الحيلة نظائر. يقال سحره يسحره سحرا، و اسحرنا اسحارا، و سحَّره تسحيراً. قال صاحب العين: السحر عمل يقرّب الى الشيطان. كل ذلک يكتبونه السحر. و من السحر الاخذة التى تأخذ العين حتى يظن ان الامر كما ترى- و ليس الأمر كما ترى- و الجمع الأخذ. و السحر البيان من اللفظ كما قال النبى (ص):
ان من البيان لسحراً، و السحر فعل السحر فى شىء يلعب به الصبيان إذا مد خرج على لون، فإذا مد من جانب آخر خرج على لون آخر يسمى السحارة و السحر العدو قال لبيد:
أرانا موضعين لأمر غيب و نسحر بالطعام و بالشراب «1»
و قال آخر:
فان تسلينا مم نحن فاننا عصافير من هذا الأنام المسحر «2»
و قوله: «إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» «3» يعنى من المخلوقين. و فى تمييز العربية هو المخلوق الذى يطعم، و يسقى، و السحَر اخر الليل. بالتنوين.
قال الطرماح:
بان الخليط بسحرة فتبددوا و الدار تشعب بالخليط و تبعد «4»

_____

(1) اللسان (سحر) و قد نسبه لامرئ القيس. و البيت الذى يليه.
عصافير و ذبان و دود و أجرأ من مجلحة الذئاب
و السحر. الغذاء. و موضعين. مسرعين. لأمر غيب: يريد الموت.
(2) اللسان (سحر) قائله لبيد. و روايته (تسألينا فيما) بدل (تسلينا مم). و السحر هنا. يحتمل احد أمرين. الخديعة، و الغذاء.
(3) سورة الشعراء. آية 153، 185.
(4) اللسان (خلط) ذكر الصدر فقط. الخليط: القوم الذين أمرهم واحد و الجمع خلطاء، و خلط.

و تسحّرنا أكلنا سحوراً، و اسحرنا كقولک أصبحنا. و السحر الرئة مخفف، و ما يتعلق بالحلقوم. و يقال للجبان إذا جبن انتفخ مسحره و استحر الطائر إذا غلبه بسحر. و اصل الباب الخفاء، و السحر قيل: الخفاء سببه توهم قلب الشىء عن حقيقته كفعل السحرة فى وقت موسى- لما أوهموا ان العصا و الحبال صارت حيوانا- فقال:
«يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى» «1».
و قوله: «لكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا» قيل فيه ثلاثة اقوال:
أحدها- انهم كفروا بما نسبوه الى سليمان من السحر.

و الثانى- انهم كفروا بما استخرجوه من السحر.
و الثالث- معناه و لكن الشياطين سحروا فعبر عن السحر بالكفر.
و قوله: «يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ» قيل فيه قولان:
أحدهما- انهم القوا السحر اليهم فتعلموه.
[و الثانى- انهم دلوه على استخراجه من تحت الكرسى فتعلموه] «2» و قوله: «وَ ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ» قال ابن عباس و قتادة و ابن زيد و السدى:
ان (ما) بمعنى الذى. و قال الربيع فى احدى الروايتين عن ابن عباس: انها بمعنى الجحد. و روى عن القاسم بن محمد: انها تحتمل الامرين. و موضع (ما) نصب لفظها على السحر، و قيل انها عطف على (ما) فى قوله: «ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ» و قال بعضهم: موضعها جر عطف على ملك سليمان، و على ما انزل. و من قرأ بكسر اللام فى الملكين قال: هما من ملوك بابل، و علوجها. «3» و هو قول أبى الأسود الدؤلى، و الربيع، و الضحاك، و به قرأ الحسن البصرى، و رواها عن ابن عباس، و اختلف

---

(1) سورة (طه) آية: 66. [.....]
(2) ما بين القوسين من مجمع البيان، لان الشيخ ذكر قولين، و لا يوجد فى المخطوطة و فى المطبوعة إلا قول واحد.
(3) العلوج، جمع علج، و يجمع ايضاً على اعلاج و معلوجى، و معلوجاء و هو الرجل الشديد من كفار العجم. و منهم من يطلقه على عموم الكافر.

من قال بهذا فقال قوم: كانا مؤمنين، و لذلک نهيا عن الكفر. و قال قوم: انهما كانا نبيين من أنبياء اللّه. و من قرأ بالفتح قال قوم منهم: كانا ملكين و قال آخرون: كانا شيطانين. و قال قوم: هما جبريل و ميكائيل خاصة. و اختلفوا فى بابل فقال قوم: هى بابل العراق، لأنها تبلبل بها الألسن: و روى ذلک عن عائشة و ابن مسعود. و قيل: بابل دماوند. ذكره السدى. و قال قتادة: هى من نصيبين الى رأس العين. و قال الحسن ان الملكين ببابل الكوفة الى يوم القيامة، و ان من أتاهما سمع كلامهما. و لا يراهما و بابل بلد لا ينصرف.
و قيل فى معنى السحر اربعة اقوال:
أحدها- انه خدع و مخاريق، و تمويهات لا حقيقة لها يخيل الى المسحور أن لها حقيقة.
و الثانى- انه أخذ بالعين على وجه الحيلة.
و الثالث- انه قلب الحيوان من صورة الى صورة، و إنشاء الأجسام على وجه الاختراع فيمكن الساحر ان يقلب الإنسان حماراً و ينشئ اجساماً.
و الرابع- انه ضرب من خدمة الجن كالذى يمسک له التجدل فيصرع، و

اقرب الأقوال الاول، لان كل شىء خرج عن العادة الخارقة، فانه لا يجوز أن يتأتى من الساحر. و من جوز للساحر شيئاً من هذا، فقد كفر لأنه لا يمكنه مع ذلک العلم بصحة المعجزات الدالة على النبوات، لأنه أجاز مثله من جهة الحيلة و السحر.
و قوله: «وَ ما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ» يتصل قوله: «فَلا تَكْفُرْ» بأحد ثلاثة أشياء: أحدها- فلا تكفر بالعمل بالسحر و الثانى- فلا تكفر بتعلم السحر و يكون مما امتحن اللّه عز و جل به كما امتحن بالنهر فى قوله:
«فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى» و ثالثها «1»- فلا تكفر بواحد منهما للتعلم للسحر و العمل به فان قيل كيف يجوز ان يعلم الملكان السحر؟ قيل يعلّمان ما السحر و كيف الاحتيال به، ليجتنب، و لئلا يتموه على الناس انه من جنس المعجزات التى تظهر على يد

---

(1) سورة البقرة آية: 249.

الأنبياء فيبطل الاستدلال بها. و قال جماعة من المفسرين منهم: ابو على و غيره:
انزلهما اللّه من السماء و جعلهما بهيئة الانس، حتى بينا للناس بطلان السحر. و قال الحسن و قتادة: أخذ عليهما ألا يعلماه «حَتَّى يَقُولا: إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ».
و قوله: «وَ ما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ» على قول من جعل ما جحداً.
و قوله: «وَ ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ» يحتمل ان يكون ذلک من قولِ هاروت و ماروت و ليسا ملَكين. كما يقول الغاوى الخليع لنا انک فى ضلال فلا تردّ ما انا فيه، فيقرّ بالذنب و هو يأتيه. و التقدير على هذا: (وَ لكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا) هاروت و ماروت. فمن قرأ الملكين بفتح اللام- و هو قراءة الجمهور، اختلفوا فمنهم من قال: ان سحرة اليهود زعموا ان اللّه انزل السحر على لسان جبريل، و ميكائيل الى سليمان، فاكذبهم اللّه بذلک و فى الكلام تقديم و تأخير، فتقديره و ما كفر سليمان و ما انز على الملكين، و لكن الشياطين كفروا. يعلمان الناس السحر. ببابل هاروت و ماروت- و هما رجلان ببابل غير الملكين اسم أحدهما- هاروت و الآخر ماروت، و يكون هاروت و ماروت بياناً عن الناس. و قال قوم: ان هاروت و ماروت ملكان من الملائكة. و اختلفوا فى سبب هبوطهما- على قولين.
فقال قوم: ان اللّه أهبطهما ليأمرا بالدين، و ينهيا عن السحر، لان السحر كان كثيراً فى ذلک الوقت، ثم اختلفوا فقال قوم: كانا يعلمان الناس كيفية السحر و ينهيانهم عن فعله، ليكون النهى بعد العلم به، لان من لا يعرف

الشىء فلا يمكنه اجتنابه. و قال قوم آخرون: لم يكن للملكين تعليم السحر، و لا إظهاره، لما فى تعليمه من الإغراء بفعله. و الثالث هبطا لمجرد النهى- إذ كان السحر فاشيا-.
و قال قوم: كان سبب هبوطهما ان الملائكة تعجبت من معاصى بنى آدم مع كثرة نعم اللّه عليهم، فقال لهم: اما لو كنتم مكانهم لعملتهم مثل أعمالهم، فقالوا سبحانک ما كان ينبغى لنا، فأمرهم ان يختاروا ملكين ليهبطا الى الأرض فاختاروا هاروت و ماروت، فاهبطا الى الأرض، و ركّب فيهما شهوة الطعام و الشراب و النكاح، التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 376
و احلّ لهما كل شىء بشرط الا يشركا باللّه و لا يشربا الخمر و لا يزنيا، و لا يقتلا النفس التى حرم اللّه فعرضت لهما امرأة للحكومة فمالا اليها، فقالت لهما لا أجيبكما حتى تعبدا صنماً و تشربا الخمر، و تقتلا النفس، فعبدا الصنم و واقعاها، و قتلا سائلًا مرّ بهما خوفاً ان يشهر أمرهما فى حديث طويل، لا فائدة فى ذكره. قال كعب فو اللّه ما امسيا من يومهما الذى اهبطا فيه حتى استكملا جميع ما نهبا عنه فتعجبت الملائكة من ذلک ثم لم يقدر هاروت و ماروت على الصّعود الى السماء و كانا يعلمان الناس السحر و من قال: بعصمة الملائكة، لم يجز هذا الوجه. و قال قوم من اهل التأويل: ان ذلک على عهد إدريس.
و انما قوله: «إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ».

فالامتحان و الفتنة و الاختبار نظائر. يقال فتنه فتنة و افتتن افتتانا. و قال ابو العباس، فتن الرّجل و أفتن «1» بمعنى اختبر. و تقول: فتنت الرجل، و افتنته.
و لغة قريش: فتنته قال اللَّه تعالى: «وَ فَتَنَّاكَ فُتُوناً» «2» و قال «وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ» «3»، و قال اعشى همدان:
لئن فتنتنى فهى بالأمس افتتنت سعيداً فأمسى قد قلا كل مسلم «4»
فجاء باللغتين. و قوله تعالى: «وَ ظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ» «5» اى اختبرناه.
و يقال فتنت الذهب فى النار: إذا اختبرته فيها، لتعلم أ خالص هو أم مشوب. فقيل- لكل ما أحميته فى النار:- فتنته. و تقول فتنت الخبزة فى النار: إذا أنضجتها.
و مثله يقال فى اللحم. و قوله: «وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ» «6» اى الكفر أشد

---

(1) فى المطبوعة و المخطوطة (فتن) بإسقاط الالف.
(2) سورة طه آية: 40.
(3) سورة ص آية: 34.
(4) اللسان (فتن) و روايته (لهى) بد (فهى) قال ابن برى: قال بن جنى و يقال هذا البيت لابن قيس. و البيت الذى يليه:
و القى مصابيح القراءة و اشترى وصال الغوانى بالكتاب المتمم
فقال سعيد: كذبتن كذبتن. و فى مجمع البيان (لقد) بدل (لئن) (و هى) بدل (فهى).
(5) سورة: ص آية 24.
(6) سورة البقرة: آية 191.

من القتل. و الفتن فى الدين و الحروب و قولهم: فتنة السوط أشد من فتنة السيف، و معناه اختبار السوط أشد لان فيه تعذيباً متطاولًا. و قوله: «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» «1» اى يشوون من قولك فتنت الخبز. و المعنى الصحيح انهم يعذبون بكفرهم. يقال فتن الكافر، العذاب و افتنته اى جزاه بفتنته كقولك: كذب و اكذبته. و كل من صبأ فقد فتن.
و قوله: «بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ» «2» قال الأخفش: معناه الفتنة: فهو مصدر، كقولك: رجل ليس له معقول، و خذ ميسوره ودع معسوره. و ابى ذلك سيبويه. و قال: خذ ميسوره اى ما تيسر له. و ليس له مرفوع: اى ما يرفع.
قال صاحب العين: فتن فلان فتوناً فهو فاتن: اى مفتن. و قوله: «ما أَنْتُمْ

عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ» «3» اى مضلّين- عن الحسن و مجاهد- و أصل الباب الاختبار. و معناه فى الآية: انما نحن اختبار و بلوى و امتحان، فلا تكفر. و قال قتادة: «إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ» اى بلاء. و يحتمل أن يكون معناه انهما كانا كافرين، فيكون معنى قولهما: «إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ» اى شىء عجيب مستطرف كما يقال للمرأة الحسناء انها فتنة من الفتن. و يكون قوله: «فلا تكفر» على هذا الوجه يعنى بما جئناك به، بل صدّق به و اعمل عليه. و قوله: «حتى يقولا» يحتمل أمرين:
أحدهما- انّ حتى، بمعنى إلا و تقديره و ما يعلمان من احد إلا أن يقولا: انما نحن فتنة، فلا تكفر و يكون ذلک زيادة فى الابتلاء من اللّه فى التكليف.
و الثانى- انه نفى لتعليمهما الناس السحر، و تقديره و لا يعلمان أحداً السحر، فيقولان: «إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ» فعلى هذا يكون تعليم السحر من الشياطين، و النهى عنه من الملكين.
و قوله: «فَيَتَعَلَّمُونَ» قال قوم: معنى تعلم و اعلم واحد. كما جاء علمت،

---

(1) سورة الذاريات: آية 13.
(2) سورة القلم: آية 6.
(3) سورة الصافات: آية 162.

و أعلمت، و فهمت، و افهمت كما قال كعب بن زهير:
تعلم رسول اللّه إنک مدركى و ان وعيداً منک كالاخذ باليد «1»
و قال القطامى:
تعلّم ان بعد الغى رشداً و ان لهذه الغير انقشاعا
و منهم من قال: تعلم بمنزلة تسبب الى ما به تعلم من النظر فى الادلة. و ليس فى اعلم ذلک، لأنه قد ينبئهم على ما يعلمه بالتأمل له، كقوله: اعلم ان الفعل يدل على الفاعل.
و ما لم يسبق المحدث فهو محدث. و الأول كقوله: تعلم النحو و الفقه. فان قيل كيف يفرق بين المرء و زوجه؟ قلنا فيه ثلاثة اقوال:
أحدها- انه إذا تعلم السحر كفر فحرمت عليه امرأته.
و الثانى- ان يمشى بينهما بالنميمة حتى يفسد بينهما، فيفضى الى الطلاق و البينونة.
و الثالث- قال قتادة و غيره: يوجد كل واحد منهما على صاحبه و يبغضه اليه.
و قيل: انه كان من شرع سليمان أن من تعلم السحر، بانت منه زوجته. و قوله:
«منهما» الضمير- قيل:- انه راجع الى الملكين. و قيل بل الى الكفر و السحر، لأنه تقدم الدليل عليهما فى قوله: «وَ لكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا» كما جاء «سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشى وَ يَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى» «2» اى يتجنب الذكرى. و من

قال الملائكة معصومون، يقول الكناية ترجع الى الكفر و السحر لا غير دون الملكين. فكأنه قيل:
(فيتعلمون) مكان ما علماهم (ما يفرقون به بين المرء و زوجه)، كقول القائل:
ليت لنا من كذا، و كذا كذا: اى بدله. قال الشاعر:
جمعت من الخيرات و طباً و عُلبة و صراً لأخلاف المزممة البزل

---

(1) شذور الذهب: 362. و هذا بيت من قصيدة طويلة نسبها لانس بن زنيم الديلى يقولها بعد فتح مكة معتذراً لرسول اللّه (ص) مما كان عمرو بن سالم الخزاعى يقوله فيه و فى أصحابه و مطلعها:
انت الذى تهدى معد بامره بل اللّه يهديهم و قال: لک اشهد
(2) سورة الأعلى: آية 10. [.....]

و من كل اخلاق الكرام نميمة و سعياً على الجار المجاور بالنَّجل «1»
يريد جمعت مكان خيرات الدنيا هذه الخيرات الرديئة، و الافعال الدنيئة.

و قوله: (يفرقون بين المرء و زوجه) فالمرء تأنيثه المرأة. قال صاحب العين:
امرأة تأنيث المرء و يقال مرأة بلا ألف. و المرأة مصدر الشىء المرىء الذى يستمرأ يقال ما كان مريئاً، و لقد مرؤ و استمرأته، و هو المرىء، للطعام و أصل الباب المرىء، فقولهم مرأة كقولهم جارية اى جرت فى النمو و الشباب. فأمّا أمراء الطعام فانه يجرى و ينفذ فى مجاريه، و لا يقف. و كذلک المرأة تجرى فى السن الى حد.
و فرق فى الشواذ ما بين المرء- بضم الميم- و هى لغة هذيل. و قوله: «وَ ما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ» فالضرر و الألم و الأذى نظائر. و الضر نقيض النفع. يقال ضره يضره ضراً، و أضر به اضراراً، و استضر استضراراً، و اضّطرّ اضطراراً. و ضاره مضارّة و ضراراً. قال صاحب العين: الضَّر و الضُّر لغتان، فإذا جمعت الضر و النفع.
فتحت الضاد. و الضرر نقصان يدخل فى الشىء. يقال دخل عليه ضرر فى ماله.
و الضرورة اسم لمصدر الاضطرار. و الضرير: الذاهب البصر من الناس. تقول:
رجل ضرير بين الضرارة. و الضراء من الضر. و قوم اضراء.
و الضرر مصدر اضره مضارة و فى الحديث (لا ضرر و لا ضرار) و إذا ضرّ به المرض قيل: ضرير، و امرأة ضريرة. و الضرير: اسم للمضارة، و اكثر ما يستعمل فى الغيرة تقول: ما أشد ضريره عليها. قال الشاعر يصف حماراً وحشياً:-

---

(1) امالى المرتضى 1: 421. الوطب صفاء اللبن خاصة. و العلبة: جلدة تؤخذ من جنب البعير فتسوى مستديرة كالقصعة المدورة يشرب بها الرعيان. و الصر: شد ضرع النوق الحلوبات و الفاعل صرار. و الأخلاف: جمع خلف- بكسر فسكون- ضرع الناقة. و البزل: جمع بازل:
الناقة او البعير إذا استكمل الثامنة، و طعن فى التاسعة، و بزل نابه اى انشق عن اللحم.
و المزممة: هى التى علق عليها الزمام. و النجل تمزيق العرض بالغيبة. و فى الحديث (من نجل الناس نجلوه) فى المطبوعة و المخطوطة (رطباً)- بدل (وطباً). و (غلبة) بدل (علبة) و (لمحلى) بدل «بالنجل).

حتى إذا مالان من ضريره «1»

و الضرتان: امرأتان للرجل، و الجمع الضرائر. و الضرتان: الالية من جانبى عظمها، و هما الشحمتان اللتان تهدلان من جانبيها. و ضرة الإبهام: لحمة تحتها.
و ضرة الضرع: لحمة تحتها. و الضر: الهزال. و ضرير الوادى: جانباه و كل شىء دنا منك حتى يزحمك: فقد أضربك. و أصل الباب: الانتقاص.
و قوله: «مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» يحتمل أمرين:
أحدهما- بتخلية اللَّه.
و الثانى- الا بعلم اللَّه من قوله: «فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ» معناه اعلموا. بلا خلاف و يقال: انت آذن اذناً. قال الحطيئة:
الا يا هند إن جددت وصلا و الا فاذنينى بانصرامى «2»
و قال الحارث بن حلزّة:
آذنتنا ببينها اسماء «3»
معناه أعلمتنا. و الاذن فى اللغة على ثلاثة أقسام:
أحدها- بمعنى العلم و ذكرنا شاهده.
و الثانى- الاباحة و الإطلاق كقوله «فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ» «4». و قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» «5».
و الثالث- بمعنى الامر: كقوله: «نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ» «6» و قد أجمعت الأمة على انه لم يأمر بالكفر، و لم يتجه نفى القسم الثالث. و لا يجوز أن يكون المراد

---

(1) اللسان (ضرر).
(2) فى المطبوعة و المخطوطة (ألا) ساقطة. و فى المطبوعة (ما هند) و عجزه فيهما.
و الا فأذنينى عاجلا بانصرامى
(3) معلقته الشهيرة و هذا مطلعها. و عجزه.
رب ثاو يمل منه الثواء
(4) سورة النساء: آية 24.
(5) سورة النور: آية 58.
(6) سورة البقرة: آية 97.

«إلا باذنه» إلا بإرادته، و مشيئته، لان الارادة لا تسمى إذناً. الا ترى أن من أراد الشىء من غيره أن يفعله، لا يقال أذن له فيه؟ فبطل ما قالوه. و قد روى عن سفيان إلا بقضاء اللَّه. و قال بعض من لا معرفة له: الاذن بمعنى العلم بفتح الهمزة و الذال دون الاذن بكسر الهمزة و سكون الذال- و هذا خطأ، لان الاذن مصدر يقال فيه اذن و اذن مثل حذر و حذر. و قال تعالى: «خُذُوا حِذْرَكُمْ» «1» و يجوز فيه لغتان مثل: شِبه و شَبه و مِثل و مَثل. و

قال هذا القائل: من شاء اللّه يمنعه، فلم يضره السّحر. و من شاء خلى بينه، و بينه، يضره.
و قوله: «لا يَنْفَعُهُمْ».

فالنفع نقيض الضر و النفع و المنفعة و اللذة نظائر. يقال نفع ينفع نفعا، فهو نافع. و انتفع فلان بكذا و كذا. و رجل نفاع ينفع الناس. و أصل النفع: ضد الضر. و حد النفع هو كل فعل يكون الحيوان به ملتذا: اما لأنه لذة، او يؤدى الى اللذة. و المضرة كل معنى يكون الحيوان به ألما: اما لأنه ألم، او يؤدى الى الألم.
و الهاء فى قوله (لمن اشتراه) عائدة الى السحر.

و المعنى لقد علمت اليهود أن من استبدل السحر بدين اللَّه، ماله فى الآخرة من خلاق. و هو قول ابن زيد، و قتادة. و قال قوم من المفسرين، كأبى على، و غيره. كانوا يعطون عليه الأجرة، فذلک اشتراؤهم له. و الخلاق: النصيب من الخير، و هو قول مجاهد، و سفيان. و قال قوم: ماله من جهة. و قال الحسن: ماله من دين. قال امية بن أبى الصلت:

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم إلا سرابيل من قطر و أغلال «2»

يعنى لا نصيب لهم فى الآخرة من الخير. و معنى (شروا به أنفسهم) باعوا به

---

(1) سور النساء: آية 70، 101.

(2) ديوانه: 47. و القطر: النحاس الذائب. فى المطبوعة (لاسرائيل) بدل (الا سرابيل).

أنفسهم فى قول السدى، و غيره- فان قيل: كيف قال: «لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ» و قد قال قبله «وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ»؟ قلنا عنه ثلاثة اجوبة:

أحدها- إنهم فريقان: فريق علموا. و عاندوا و فريق علموا و ضيعوا.

و الثانى- انهم فريق واحد إلا انهم ذُمّوا فى أحد الكلامين بنفى العلم، لأنه بمنزلة المنتفى: و اخبر عن حالهم فى الاخرة و تقديره أنهم علموا قدر السّحر، و لم يعلموا ان هلاكهم بتصديقه، و استعماله، ا و لم يعلموا كنه ما أعد اللَّه من العذاب على ذلک و ان علموه على وجه الجملة.

[و الثالث] و قال قوم: هو مقدّم و مؤخر. و تقديره و ما هم بضارين به من احد الا بإذن اللَّه، و يتعلمون ما يضرّهم و لا ينفعهم و لبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون. و لقد علموا لمن اشتراء ماله فى الآخرة من خلاق و قال بعضهم: هما جميعاً خبر عن فريق واحد، و أراد بقوله: (وَ لَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) اى لو كانوا يعلمون بما علموه فعبر عن المعلوم بالعلم، كما قال كعب بن زهير المزنى يصف ذئباً و غرابا تبعاه، لينالا من طعامه، و زاده:

إذا حضرانى قلت لو تعلمانه ا لم تعلما انى من الزاد مرمل «1»

فأخبر انه قال لهما: لو تعلمانه فنفى عنهما العلم، ثم استخبرهما، فقال: الم تعلما، و كذلک الآية. و قال قوم: إن الذين علموا الشياطين و الذين لم يعلموا الناس دون الشياطين، فان قيل: ما معنى لمن اشتراه، و اين جوابها ان كانت شرطا؟ قلنا عنه جوابان أحدهما- انها بمعنى الجزاء. و الآخر بمعنى الذى فى قول الزجاج، و جوابها مكتفى منه جواب القسم. كما قال: «لَئِنْ

أَخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ» «2» و لذلک وقع قالوا: و لا يجوز الجزم إلا فى ضرورة الشعر، كما قال الشاعر:
لئن كان ما حدثته اليوم صادقاً أصم فى نهار القيظ للشمس باديا
و الوجه، لأصومنْ. و لا يجوز لا صوم إلا فى ضرورة الشعر كما قال:

---

(1) ديوانه: 51 و آمالى الشريف المرتضى 1: 224 المرمل الذى نفد زاده، و منه الأرمل.
(2) سورة الحشر: آية 12

لئن تک قد ضاقت عليكم بيوتكم ليعلم ربى ان بيتى واسع «1»
قالوا و ان جزمت الاول، جاز جزم الثانى، كقولک: لئن تفم لا نقم إليک.
و قوله: «فَيَتَعَلَّمُونَ» يجوز ان يكون عطفاً على فيأتون فيتعلمون، و قد دل أول الكلام على يأتون. و قيل: فيعلمون الناس السحر فيتعلمون- و كلاهما ذكره الكسائى و الفراء- و أنكر الزجاج القول الأخير، لأجل قوله: (منهما اى من الملكين، و أجاز القول الاول، و اختار قولًا ثالثاً: و هو يعلمان، فيتعلمون، و الذى أنكره يجوز إذا كان منهما) راجعاً الى السحر و الكفر، و لا يجوز ان يكون (فيتعلمون) جواباً لقوله: (فلا تكفر) فينصب، لان تقديره لا يكن كفر فتعلم، كما تقول: لا تدن من الأسد فيأكلک: اى لا يكن دنو فأكل. فهذا نهى عن دنو يقع بعده أكل. و انما النهى فى الاول عن الكفر بتعلم السحر، للعمل و ليس يصلح للجواب على هذا المعنى و لا يجوز ان يكون جواباً للنفى فى قوله:
«وَ ما يُعَلِّمانِ»، لان لفظه على النفى، و معناه الإيجاب كأنه قيل: يعلمان إذا قالا نحن فتنة فلا تكفر. فان قيل: ما اللام الاولى فى قوله: «وَ لَقَدْ عَلِمُوا» و ما الثانية فى قوله: «لَمَنِ اشْتَراهُ» و مثله قوله: «وَ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ» «2» قيل:
الثانية لام القسم بالإجماع قال الزجاج: لأنک إنما تحلف على فعلک لا على فعل غيرک- فى قولک: و اللّه لئن جئتنى لاكرمنّک- فأمّا الاولى فزعم بعض النحويين أنها لما دخلت فى أول الكلام أشبهت لام القسم، فاجيبت بجوابه- قال الزجاج: هذا خطأ، لان جواب القسم لا يشبه القسم، فاجيبت بجوابه- قال الزجاج: هذا خطأ، لان جواب القسم لا يشبه القسم، و لكن اللام الاولى دخلت إعلاماً ان الجملة بكاملها معقودة بالقسم، لان الجزاء- و ان كان القسم عليه-، فقد صار للشرط فيه حظ، و لذلک دخلت اللام. قال الرمانى: هذا الذى ذكره، لا يبطل شبهها بالقسم، لأنها للتوكيد، كما انه للتوكيد، فكأنه قال: و اللّه إن اتيتنى لاكرمنّک

---

(1) الخزانة 4: 220 نسبه لكميت بن معروف. فى المخطوطة (رى) بدل

(ربى) و فى المطبوعة (رىء).
(2) سورة الروم: آية 58.

و الظاهر فى روايات أصحابنا ان الساحر يجب قتله و فيه خلاف ذكرناه فى الخلاف.
و قال ابو على من قال: انه يقلب الأجسام، و ينشئها، يجب قتله ان لم يتب، لأنه مرتد كافر بالأنبياء، لأنه لا يجد بين ما ادعى و بين آياتهم فضلًا «1» و اما من قال: إنه يموه و يمخرق «2»، فانه يؤدب، فلا يقتل. و اما الروايات التى فى ان الملكين أخطئا، و ركبا الفواحش، فإنها اخبار آحاد. من اعتقد عصمة الملائكة، يقطع على كذبها و من لم يقطع على ذلک، جوز ان تكون صحيحة، و لا يقطع على بطلانها. و الذى نقوله ان كان الملكان رسولين فلا يجوز عليهما ذلک، و ان لم يكونا رسولين، جاز ذلک- و ان لم نقطع به- و قد بينا الكلام عليه فيما مضى. فأما
ما روى من أن النبى (ص) سحر- و كان يرى انه يفعل ما لم يفعله- و انه لم يفعله
فأخبار آحاد، لا يلتفت اليها. و حاشى النبى (ص) من كل صفة نقص، إذ تنفر من قبول قوله، لأنه حجة اللّه على خلقه، و صفيه من عباده، و اختاره اللّه على علم منه. فكيف يجوز ذلک مع ما جنبه اللّه من الفظاظة و الغلظة، و غير ذلک من الأخلاق الدنيئة، و الخلق المشينة، و لا يجوّز ذلک على الأنبياء الا من لم يعرف مقدارهم و لا يعرفهم حقيقة معرفتهم. و قد قال اللّه تعالى: «وَ اللَّهُ يَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ» «3» و قد أكذب اللّه من قال: ان يتبعوا إلا رجلًا مسحوراً. فقال: «إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً» «4» فنعوذ باللّه من الخذلان، و نحمده على التوفيق لما يرضاه.
و (لكن) مشدّدة، و مخففة معناهما واحد. قال الكسائى: و الذى اختارته العرب إذا كانت (و لكن) بالواو مشددة، و إذا كانت بلا واو اختاروا التخفيف- و كل صواب- و قرئ بغير ما اختاروه اتباعاً للاخبار فى القراءة.

---

(1) فى المطبوعة (بين ابائهم فصلا) [.....]
(2) الممخرق، و المموه يطلقان على معنى واحد و المخرقة مأخوذة من مخاريق الصبيان:
و هى خرق مفتولة يلعبون بها.
(3) سورة المائدة: آية 70.
(4) سورة الأسرى: آية 47 و الفرقان. آية 8.

اشارة

وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (103) - آية بلا خلاف-

الضمير فى قوله: «وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا» عائد على الذين يتعلمون السحر. قال الحسن: تعلموا ان ثواب اللّه خير لهم من السحر. و أما جواب لو فللنحويين فيه قولان. فالبصريون يذهبون الى ان جوابه محذوف، و تقديره. و لأثيبوا. و أوقع لمثوبة من عند اللّه موقعه لدلالته عليه. و قال بعضهم: التقدير و لو انهم آمنوا و اتقوا لأثيبوا، ثم قال: «لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ» أى لو كانوا يستعملون ما يعلمون. و ليس انهم كانوا يجهلون ذلک، كما يقول الإنسان لصاحبه- و هو يعظه:- ما أدعوک اليه خير لک لو كنت تعقل أو تنظر فى العواقب و الفكر فيها. و قال الفراء: الجواب فى (لمثوبة)، لأن (لو) أشبهت لئن، «1» من حيث كان كل واحد منهما جزاء، فلما اشبهتها أجيبت بجوابها، فالمعنى لئن آمنوا لمثوبة.
فعلى القول الاول، لا يجوز، لو أتانى زيد لعمرو خير منه. و على الثانى يجوز.
و لو قلت لو اتانى زيد، لا كرامى خير له، جاز على الوجهين. و اللام التى فى (لمثوبة) لام الابتداء، لأنها دخلت على الاسم، كما دخلت فى (علمت لزيد خير منک). و لو جاز ها هنا، لام القسم، لنصبت الاسم فى علمت.

فان قيل: ما معنى قول اللَّه تعالى «لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ» و هو خير علموا أو لم يعلموا؟ قيل: لو كانوا يعلمون، لظهر لهم بالعلم ذلک، أى لعلموا أن ثواب اللّه خير من السحر. و قال ابو على: المعنى فى ذلک الدلالة على جهلهم، و الترغيب لهم فى ان يعلموا ذلک، و ان يطلبوا ما هو خير لهم من السحر- و هو ثواب

---

(1) فى المطبوعة و المخطوطة (يكن) و هو تحريف فظيع.

اللّه الذى ينال بطاعته، و اتباع مرضاته و فيه دلالة على بطلان قول اصحاب المعارف، لأنهم لو كانوا عارفين- على ما يقولونه، لما قال: «لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ».

و المثوبة: الثواب- فى قول قتادة و السدى و الربيع- و الثواب: هو الجزاء على العمل بالإحسان و هو منافع مستحقة يقاربها تعظيم و تبجيل.

و المثوبة و الثواب و الأجر نظائر. و نقيض المثوبة العقوبة، يقال ثاب يثوب ثوباً و إثابة، و أثابه اثابة، و ثواباً، و مثوبة، و استثابة. و ثوّب تثويباً. و الثواب فى الأصل معناه: ما رجع اليک من شىء. تقول اعترت الرجل غشية، ثم ثابت اليه نفسه، و لذلک صار حق الثواب الجزاء، لأنه العائد على صاحبه مكافأة ما فعل.
و منه التثويب فى الأذان و غيره: و هو ترجيع الصوت، و لا يقال، ذلک للصوت مرة واحدة. و يقال ثوّب الداعى إذا كرر دعاءه الى الحرب، أو غيرها. و يقال انهزم القوم ثم ثابوا، أى رجعوا. و الثوب مشتق من هذا، لأنه ثاب لباساً بعد أن كان قطناً، أو غزلًا. و الثيّب: التى قد تزوجت بوجه ما كان، و لا يوصف به الرجل إلا ان تقول ولد الثيبين و ولد البكرين. و المثابة: الموضع الذى يثوب اليه الناس. قال اللّه تعالى: «وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ» أى مجتمعاً بعد التفرق. و ان لم يكن تفرقوا من هناک، فقد كانوا متفرقين ثم ثابوا اليه. و يقال ثاب الحوض ثئوباً إذا امتلأ أو كاد يمتلئ. و أصل الباب الثوب: الرجوع

قرأ قتادة (لمثوبة) بسكون الثاء و فتح الواو- و هى لغة جازت على الأصل- كما قالوا: مشورة و مشورة- بفتح الواو و سكون الشين، و ضم الشين و سكون الواو- و القراء على خلافه. و العرب مجمعون على إلقاء الالف من قولهم:
هذا خير منک، و شر منک، إلا بعض بنى عامر يقولون: ما أريد خيراً اخير من ذا. و قال بعضهم أيضاً: هذا أشر من ذا- و الوجه طرح الالف-

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا راعِنا وَ قُولُوا انْظُرْنا وَ اسْمَعُوا وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ (104)
آية بلا خلاف

المراعاة: التفقد للشىء فى نفسه، أو أحواله. و المراعاة، و التحفظ، و المحافظة، و المراقبة: نظائر. و نقيض المراعاة الاغفال: يقال رعى يرعى رعياً، و الرعى: ما تأكله الماشية من نبات الأرض. و رعى اللّه فلاناً إذا حفظه، و رعيت له عهده و حقه بعده، أو فى من خلّف. و أرعيته سمعى إذا أصغيت اليه. و راعيته نفسى: إذا لاحظته.
و جمع الراعى: رعاء و رعاة و رعيان. و الرعاية: فعل الراعى، يرعاها رعاية: إذا ساقها، و سرّحها، و أراحها، فقد رعاها، و كل من ولى قوماً فهو راعيهم- و هم رعيته- و المرعى من الناس: المسوس. و الراعى: السائس و يقال: فلان يراعى كذا:
معناه ينظر الى ما يصير اليه أمره. و رعيت النجوم: أى رقبتها، و استرعاه اللّه خلقه، أى ولاه أمرهم ليرعاهم. و الإرعاء: الإبقاء على أخيك. و تقول اراعينى سمعك أى اسمع يا فلان. و كان المسلمون يقولون: يا رسول اللّه راعنا: أى استمع منا، فحرفت اليهود، فقالوا: يا محمد راعنا- و هم يلحدون الى الرعونة- يريدون به النقيصة، و الوقيعة، فلما عوتبوا قالوا: نقول كما يقول المسلمون، فنهى اللّه عن ذلک فقال: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا راعِنا وَ قُولُوا انْظُرْنا) و رجل ترعية: الذى لم تزل صنعته و صنعة آبائه الرعاية «1». قال الشاعر:
يسوقها ترعية جاف فُضُل إن رتعت صلى و إلا لم يصل «2»
و اصل الباب: الرعى: الحفاظ.

---

(1) فى المطبوعة لم يزل صنعة و صنيعه امامة الرعاية.
(2) اللسان (فضل) و به رواية اخرى أيضا: يتبعها بدل يسوقها. و فى المخطوطة و المطبوعة هكذا:
يسوسها ترعية حاف فصل فان رعت صلا و الا لم يصل
رجل فضل و امرأة فضل: متفضل فى ثوب واحد.

و أما الآية فللمفسرين فيها ثلاثة أقوال:
- قال ابن عباس و مجاهد: «لا تَقُولُوا راعِنا»، أى لا تقولوا: اسمع منا و نسمع منک.
- و قال عطاء: «لا تَقُولُوا راعِنا»، أى لا تقولوا خلافاً. و روى ذلک ايضاً عن مجاهد. و هذا الأوجه له- إلا ان يراد (راعنا) بالتنوين.-
- و قيل: معناه ارقبنا. قال الأعشى:
يرعى الى قول سادات الرجال إذا ابدوا له الحزم أو ما شاءه ابتدعا «1»
يعنى يصغى. و قال الأعشى ايضاً:
فظللت أرعاها و ظل يحوطها حتى دنوت إذا الظلام دنا لها «2»
و السبب الذى لأجله وقع النهى عن هذه الكلمة، قيل فيه خمسة أقوال:
- أحدها- ما قاله قتادة و عطية: انها كلمه كانت تقولها اليهود على وجه الاستهزاء.
[الثانى]- و قال عطاء هى كلمة كانت الأنصار تقولها فى الجاهلية، فنهوا عنها فى الإسلام.
[الثالث]- و قال ابو العالية: ان مشركى العرب كانوا إذا حدّث بعضهم بعضاً، يقول أحدهم لصاحبه ارعنا سمعاً فنهوا عن ذلک.
[الرابع]- و قال السدى: كان ذلک كلام يهودى بعينه، يقال له: رفاعة ابن زيد. يريد بذلک الرعونة فنهى المسلمون عن ذلک.

_____

(1) ديوانه: 86. ابتدع: أحدث ما شاء.
(2) ديوانه: 27. فى المخطوطة و المطبوعة (و ضللت) بدل (فظللت) و (نحو دنوت) بدل (حتى دنوت)

[الخامس]- و قال ابو على قد بين اللّه عز و جل، انها كلمة كانت اليهود تلوى بها ألسنتهم- فى قوله:- «مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ». «1»
«وَ يَقُولُونَ سَمِعْنا وَ عَصَيْنا» «2» «اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَ راعِنا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ طَعْناً فِى الدِّينِ» «3» و هو قول ابن عباس، و قتادة و قيل: (لا تَقُولُوا راعِنا) من المراعاة و المكافأة. فأمروا أن يخاطبوا النبى (ص) بالتوقير و التعظيم، اى لا تقولوا: راعنا سمعک، حتى نفهمک و تفهم عنا. و قال ابو جعفر (ع) هذه الكلمة: سبّ «4» بالعبرانية- اليه كانوا يذهبون- قال الحسين بن على المغربى فبحثتهم عن ذلک فوجدتهم يقولون راع رن «5» قال: على معنى الفساد و البلاء، و يقولون: (انا) بتفخيم النون، و اشمامها بمعنى، لأن

مجموع اللفظين و اللفظتين فاسد، لان فلما عوتبوا على ذلک قالوا إنّا نقول:
كما يقول المسلمون. فنهى المسلمون عن ذلک. و لما كان معنى (راعنا) يراد به النظر قال: قولوا عوضها انظرنا، اى انظر إلينا. (و اسمعوا): ما يقوله لكم الرسول.

و روى عن الحسن انه كان يقرأ (راعنا) بالتنوين بمعنى لا تقولوا: قولا راعنا يعنى من الرعونة، و هى الحمق، و الجهل و هذا شاذ لا يؤخذ به، و فى قراءة ابن مسعود (راعنا) خطاب من جماعة لجماعة بمراعاتهم و هذا ايضا شاذ.

و معنى انظرنا يحتمل أمرين: أحدهما- انتظرنا نفهم و نتبين ما تعلمنا.
و الثانى- قال مجاهد: معناه ففهمناها، بين لنا يا محمد يقال منه: نظرت الرجل انظره

---

(1) سورة النساء: آية 45. و المائدة: 14.
(2) سورة البقرة: آية 93.
(3) سورة النساء: آية 45.
(4) فى المخطوطة و المطبوعة (سبت).
(5) هكذا فى المخطوطة و المطبوعة. و لم نجدها فى باقى التفاسير.

نظرة، بمعنى انتظرته و ارتقبته. و منه قوله: «انْظُرُونا نَقْتَبِسْ» «1» اى انتظرونا و قيل معناه: اقبل علينا.
و قوله: «وَ اسْمَعُوا» يحتمل أمرين:
أحدهما- قال الحسن و السدى: إن معناه اسمعوا ما يأتيكم به الرسول.
و الثانى- ما قال ابو على: معناه اقبلوا ما يأمركم به الرسول من قوله: سمع اللّه لمن حمده، و سمع اللّه دعاكم و قبله. و قال علقمة و الحسن و الضحاك: كل شىء من القرآن: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» فانه نزل بالمدينة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 105] ..... ص : 390

اشارة

ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ لا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)
آية واحدة بلا خلاف.
معنى ما يود: ليس يحب. يقال منه: وده يوده ودا، و وداداً. و المودة المحبة.
«وَ لَا الْمُشْرِكِينَ» فى موضع جر بالعطف على اهل الكتاب. و تقديره، و لا من المشركين.
و قوله: «أَنْ يُنَزَّلَ» فى موضع نصب بقوله: «يود».
و انما ذموا على ذلک- و ان كان ذلک ميل الطباع،- لان ذلک فى دلالة على انهم فعلوا كراهية لذلک، و تعرضوا بذلک لعداوة المؤمنين. و كان الذم عليهم لذلک، و لو رفع «المشركين» عطفاً على «الذين كفروا» كان جائزا و لكن لم يقرأ به احد. و مثله فى احتماله الامرين قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَ لَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ أَوْلِياءَ» «2».
- بخفض الراء و فتحها- و قرئ بهما.

---

(1) سورة الحديد: آية 13. [.....]
(2) سورة المائدة: آية 60
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 391
و «من» فى قوله: «من خير» زائدة مؤكدة، كقولک: ما جاءنى من احد. و موضعها رفع قال ابو ذؤيب:
جزيتک ضِعف الودّ لما استبنته و ما ان جزاک الضعف من احد قبلى «1»
و اما «من» فى قوله: «من ربكم» فلابتداء الغاية. و التى فى قوله: «مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ» فللتنويع، مثل التى فى قوله: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ» «2».
قوله: «يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ».

روى عن على (ع) و أبى جعفر الباقر (ع) انه أراد النبوة.
و به قال الحسن، و ابو على و الرمانى، و البلخى و غيرهم من المفسرين.
و قال «يختص بها من يشاء» من عباده و روى عن ابن عباس انه أراد دين الإسلام. و هذا بعيد، لأنه تعالى وصف ذلک بالانزال، و ذلک لا يليق الا بالنبوة.

و الاختصاص بالشىء هو الانفراد به و الإخلاص له مثله. و ضد الاختصاص الاشتراک. و يقال خصّ خصوصاً، و تخصص: تخصصاً. و خصصه: تخصيصاً، و كلّمه خاصة من ذلک، و كلمة عامة و وسائط من ذلک. و يقال: خصه بالشىء، يخصّه خصا: إذا وصله به. و خصان الرجل. من يختصّه من إخوانه.
و الخصائص:
الفرج و الخصاصة: الحاجة. و الخص شبه كوة تكون فى قبة أو نحوها، إذا كان واسعا قدر الوجه. و قال الراجز:
و ان خصاص ليلهنّ استدا ركبن فى ظلمائه ما اشتدا «3»

---

(1) اللسان (ضعف) قال الاصمعى: معناه أضعفت لک الود، و كان ينبغى أن يقول:
ضعفى الود.
(2) سورة الحج: آية 30.
(3) اللسان (خصص) استد أى استتر بالغمام

شبه القمر بالخصاص. و كل خلل أو خروق تكون فى السحاب او النخل، تسمى الخصاصة: و الخصائص فرج بين الاثافى «1» و أصل الباب: الانفراد بالشىء: فمنه الخصائص: الفرج لأنه انفراد كل واحد عن الآخر من غير جمع بينهما.
و يقال: اختصصته بالفائدة و اختصصت بها انا، كقولک: أفردته بها، و انفردت بها.
و تقدير الآية ما يحبّ الكافرون من اهل الكتاب، و لا المشركين باللَّه من عبدة الأوثان، ان ينزل عليكم شيئاً من الخير الذى عنده، و الخير الذى تمنوه الا ينزله اللَّه عليهم ما اوحى الى نبيه، و أنزله عليه من الشرائع، و القرآن بغيا منهم، و حسداً.
«وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» خير منه (تعالى) ان كل خيرنا له عباده فى دينهم، و دنياهم، فانه من عنده ابتداء، و تفضلا منه عليهم من غير استحقاق منهم ذلک عليه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 106] ..... ص : 392

اشارة

ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106)
آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر، الا الداحونى عن هشام «ما ننسخ» بضم النون و كسر السين.
الباقون يفتحها. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو «ننساها» بفتح النون، و السين، و اثبات الهمزة الساكنة بعد السين. الباقون- بضم النون، و خفض السين بلا همزة.

النسخ و البدل و الخلف نظائر. يقال: نسخ نسخاً، و انتسخ انتساخاً، و استنسخ استنساخاً، و تناسخوا تناسخاً، و ناسخ مناسخة. قال ابن دريد: كل

---

(1) بين الأثافى أى بين الأصابع.

شىء خلف شيئاً، فقد انتسخه، و نسخت الشمس الظل، و انتسخ الشيب الشباب.

و قال صاحب العين: النسخ ان تزيل امراً كان من قبل يعمل به، ثم تنسخه بحادث غيره. كالآية نزل فيها امر، ثم يخفف اللّه عن العباد بنسخها بآية اخرى، فالآية الاولى منسوخة، و الثانية ناسخة. و تناسخ الورثة أن تموت ورثة بعد ورثة و اصل الميراث قائم لم يقسم، و كذلک تناسخ الازمنة من القرون الماضية. و اصل الباب:

الابدال من الشىء غيره. و قال الرمانى: النسخ الرفع، لشىء قد كان يلزمه العمل به الى بدل، و ذلک كنسخ الشمس بالظل، لأنه يصير بدلا منها- فى مكانها- و هذا ليس بصحيح، لأنه ينتقض بمن تلزمه الصلاة قائما ثم يعجز عن القيام، فانه يسقط عنه القيام لعجزه. و لا يسمى العجز ناسخاً، و لا القيام منسوخاً، و ينتقض بمن يستبيح بحكم العقل عند من قال بالاباحة، فإذا ورد الشرع يحظره، لا يقال الشرع نسخ حكم العقل، و لا حكم العقل يوصف بانه منسوخ، فإذاً الاولى فى ذلک ما ذكرناه فى أول الكتاب: و هو ان حقيقة كل دليل شرعى دلّ على ان مثل الحكم الثابت بالنص الاول غير ثابت فيما بعد على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنص الاول مع تراخيه عنه، فإذا ثبت ذلک، فالنسخ فى الشرع: على ثلاثة اقسام.

نسخ الحكم دون اللفظ، و نسخ اللفظ دون الحكم، و نسخهما معاً.

فالأول- كقوله: «يا أَيُّهَا النَّبِىُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ» الى قوله: «الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ» «1»، فكان الفرض الاول وجوب ثبات الواحد للعشرة، فنسخ بثبوت الواحد للاثنين، و غير ذلک من الاى المنسوخ، حكمها، و تلاوتها ثابتة، كآية العدة، و آية حبس من يأتى بالفاحشة، و غير ذلک و الثانى- كآية الرجم. قيل انها كانت منزلة فرفع لفظها و بقى حكمها.

و الثالث- هو مجوّز و ان لم يقطع بانه كان. و قد روى عن أبى بكر انه كان يقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر «2»

---

(1) سورة الانفال: آية 65، 66.
(2) فى المطبوعة زيادة (بكم)
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 394

و اختلفوا فى كيفية النسخ على أربعة أوجه:
- قال قوم: يجوز نسخ الحكم و التلاوة من غير افراد واحد منهما عن الآخر.
- و قال آخرون: يجوز نسخ الحكم دون التلاوة.
- و قال آخرون: يجوز نسخ القرآن من اللوح المحفوظ، كما ينسخ الكتاب من كتاب قبله.
- و قالت فرقة رابعة: يجوز نسخ التلاوة وحدها، و الحكم وحده، و نسخهما معاً- و هو الصحيح- و قد دلّلنا على ذلک، و أفسدنا سائر الأقسام فى العدة فى اصول الفقه.
و ذلک ان سبيل النسخ سبيل سائر ما تعبد اللَّه تعالى به، و شرّعه على حسب ما يعلم من المصلحة فيه فإذا زال الوقت الذى تكون المصلحة مقرونة به، زال بزواله.
و ذلک مشروط بما فى المعلوم من المصلحة به، و هذا القدر كاف فى إبطال قول من ابى النسخ- جملة- و استيفاؤه فى الموضع الذى ذكرناه.
و قد أنكر قوم جواز نسخ القرآن، و فيما ذكرناه دليل على بطلان قولهم، و قد جاءت اخبار متظافرة بانه كانت أشياء فى القرآن نسخت تلاوتها، فمنها ما روى عن أبى موسى: انهم كانوا يقرءون لو ان لابن آدم واديين من مال لابتغى اليهما ثالث، لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. و يتوب اللّه على من تاب. ثم رفع. و روى عن قتادة قال: حدثنا انس بن مالک أن السبعين من الأنصار الذين قتلوا ببئر معونة:
- قرأنا فيهم كتابا- بلغوا عنّا قومنا انا لقينا ربنا، فرضى عنا و ارضانا، ثم ان ذلک رفع. و منها الشيخ و الشيخة- و هى مشهورة-. و منها ما روى عن أبى بكر انه قال: كنا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر. و منها ما حكى: ان سورة الأحزاب كانت تعادل سورة البقرة- فى الطول- و غير ذلک من الاخبار المشهورة بين اهل النقل. و الخبر على ضربين:
أحدهما- يتضمن معنى الامر بالمعروف- فما هذا حكمه- يجوز دخول التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 395
النسخ فيه.
و الآخر يتضمن الاخبار عن صفة الامر. «1» لا يجوز تغييره فى نفسه، و لا يجوز ان يتغير من حسن الى قبح أو قبح الى حسن، فان ذلک لا يجوز دخول النسخ فيه. و قد بينا شرح ذلک فى العدة. و الافعال على ثلاثة اقسام- أحدها- لا يكون إلا حسناً. و ثانيها- لا يكون إلا قبيحاً. و ثالثها- يحتمل الحسن و القبح بحسب ما يقع عليه من الوجوه:
فالأول- كارادة الافعال الواجبة، أو المندوبة التى لا يجوز تغيّرها، كشكر

المنعم، ورد الوديعة، و الإحسان الخالص و غير ذلک.
و الثانى- كارادة القبيح، و فعل الجهل.
و الثالث- كسائر الافعال التى تقع على وجه، فتكون حسنة، و على آخر فتصير قبيحة.
فالأول، و الثانى لا يجوز فيه النسخ. و الثالث يجوز فيه النسخ.
و من قرأ ننسخ- بفتح النون- فمن نسخت الكتاب. فانا ناسخ، و الكتاب منسوخ. و من قراء- بضم النون، و كسر السين- فانه يحتمل فيه أمرين:
أحدهما- قال ابو عبيدة: ما ننسخک يا محمد. يقال نسخت الكتاب، و انسخه غيرى.
و الاخر- نسخته جعلته ذا نسخ. كما قال قوم للحجاج- و قد قتل رجلا-:
أقبرنا فلاناً أى جعله ذا قبر يقال قبرت زيداً: إذا دفنته و اقبره اللّه: جعله ذا قبر كما قال: «ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ» «2» و قوله: «أو ننسأها» فالنسىء التأخير و نقيضه التقديم، يقال انسأت الإبل عن الحوض أنسأها نسأ: إذا أخرتها عنه، و انتسأت عن الشىء-: إذا تباعدت عنه- انتسأ و نسأت الإبل فى ظمئها فانا أنسؤها نسأ: إذا زدنها فى ظمئها يوماً أو يومين، أو

---

(1) فى المطبوعة (صنعة الامر)
(2) سورة عبس: آية 21.

اكثر من ذلک. و ظمؤها: منعها الماء. و نسأت الماشية تنسأ نسأ: إذا سمنت. و كل سمين ناسئ، تأويلها ان جلودها نسأت اى تأخرت عن عظامها، قاله الزجاج، و قال غيره:
انما قيل ذلک لأنها تأخرت فى المرعى حتى سمنت، و نسأت المرأة تنسئ نسأ إذا تأخر حيضها عن وقته، و رجى حملها، و يقال: انسأت فلاناً البيع «1» و نسأ اللّه فى اجل فلان، و انسأ اللّه اجله إذا أخر اجله. و النسىء تأخر الشىء، و دفعه عن وقته، و منه قوله تعالى: «إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيادَةٌ فِى الْكُفْرِ» «2» و هو ما كانت العرب تؤخر من الشهر الحرام فى الجاهلية. و نسأت اللبن أنسؤه نسأ إذا أخذت حليباً و صببت عليه الماء، و اسم ذلک: النسىء، و النسىء هذا سمى بذلک، لأنه إذا خالطه الماء أخر بعض اجزاء اللبن عن بعض قال الشاعر:
سقونى النسىء ثم تكنفونى عداة اللَّه من كذب و زور «3»
و يقال للعصاة المنسأة، لأنها ينسأ بها، أى يؤخر بها ما يساق عن مكانه، و يدفع بها الإنسان عن نفسه و نسأت ناقتى إذا رفعتها فى السير و اصل الباب التأخير.

و قال الحسن فى قوله: «ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها» ان نبيكم (ص) أقرئ قرآنا ثم نسيه، فلم يكن شيئاً و من القرآن ما قد نسخ و أنتم تقرءونه. و قال ابن عباس «ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ» أى ما نبدل من آية و من قرأ ننسأها بالهمز فان معناه نؤخرها «4» من قولک نسأت هذا الامر أنسؤه نساء إذا أخرته و بعته بنسإ أى بتأخير، و هو قول عطا و ابن أبى نجيح، و مجاهد، و عطية و عبيد بن عمير. و على هذا يحتمل نؤخرها أمرين. أحدهما فلا ننزلها و ننزل بدلا منها ما يقوم مقامها فى المصلحة، أو ما يكون أصلح للعباد منها. و هذا ضعيف لأنه لا فائدة فى تأخير

---

(1) فى المخطوطة و المطبوعة (المنع)
(2) سورة التوبة: آية 38.
(3) قائلة عروة بن الورد العبسى. اللسان (نسأ) فى المخطوطة و المطبوعة (النسىء) بدل (النسء) و هما لغتان.
(4) فى المطبوعة (لو أخرها) و هو تحريف من الناسخ.

ما لا يعرفه العباد، و لا علموه و لا سمعوه.
و الثانى- نؤخرها الى وقت ثان، فنأتى بدلا منها فى الوقت المقدم، بما يقوم مقامها. فاما من حمل ذلک، على معنى يرجع الى النسخ، فليس يحسن لأنه يصير تقديرها، ما ننسخ من آية او ننسخها. و هذا لا يجوز.
و معنى قوله:
«نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها».

قيل فيه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس نأت بخير منها لكم فى التسهيل و التيسير، كالامر بالقتال الذى سهل على المسلمين بدلالة قوله: «الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ» «1» او مثلها كالعبادة بالتوجه الى الكعبة بعد ما كان الى بيت المقدس.
و الوجه الثانى بخير منها فى الوقت الثانى، اى هى لكم خير من الاولى فى باب المصلحة، او مثلها فى ذلک. و هو قول الحسن و هذا الوجه أقوى، و تقديره كأن الآية الاولى فى الوقت الثانى فى الدعاء الى الطاعة، و الزجر عن المعصية، مثل الآية الاولى فى وقتها. فيكون اللطف بالثانية، كاللطف بالأولى الا انه فى الوقت الثانى يسهل بها دون الاولى. و قال ابو عبيدة معنى «ننساها» «2» اى نمضيها فلا ننسخها قال طرفة:
امون كألواح الاران نسأتها على لا حب كأنه ظهر برجد «3»
يعنى أمضيتها و من قرأ «ننسها» بضم النون، و كسر السين يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يكون مأخوذا من النسيان إلا انه لا يجوز أن يكون ذلک

---

(1) سورة الانفال: آية 66. [.....]
(2) فى المخطوطة (يستقيم).
(3) معلقته المشهورة، و اللسان (أرن). فى المخطوطة (و عنس) بدل (أمون) و فى المطبوعة (كالراح) بدل (كالواح). و معنى الأمون التى أمنت أن تكون ضعيفة، و الاران: التابوت الذى تحمل فيه الموتى، و اللاحب: الطريق الواضح، و البرجد: كساء من اكسية العرب.

من النبى (ص) لأنه لا يجوز ذلک من حيث ينفر عنه، و يجوز ذلک على الأمة بان يؤمروا بترک قراءتها، و ينسونها على طول الأيام. و يجوز ان ينسيهم اللّه (تعالى) ذلک و ان كانوا جمعا كثيرا، و يكون ذلک معجزا بمعنى الترک من قوله: «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» «1» و الاول عن قتادة، و الثانى عن ابن عباس و قال معناه: نتركها لا نبدلها. و قال الزجاج: ننسها بمعنى نتركها خطأ، انما يقال: نسيت بمعنى تركت، و لا يقال أنسيت بمعنى تركت و انما معنى ننساها نتركها، اى ان نأمركم بتركها.
قال الرمانى: انما فسر المفسرون على ما يؤول اليه المعنى لأنه إذا امر بتركها، فقد تركها. فان قيل: إذا كان نسخ الاية رفعها، و تركها فما معنى ذلک إلا ان يترک، و لم جمع بينهما؟ قيل: ليس معنى تركها الا ان يترک، و قد غلط الزجاج فى توهمه ذلک، و انما معناه إقرارها، فلا ترفع، كما قال ابن عباس: بِتركها، و لا نبدلها و انما قال:

«أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» تنبيهاً على انه يقدر على آيات و سور مثل القرآن ينسخ بها أمره لنا فيه بما أمرنا، فيقوم فى النفع مقام المنسوخ. او اكثر.
و قال بعضهم: معنى «او» فى الآية الواو، كان قال: ما ننسخ من ايه و ننساها نات بخير منها، فعلى هذا زالت الشبهة. فان قيل: اى تعلق بين هذه الآية و بين التى قبلها؟ قلنا: لما قال فى الآية الاولى «ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ لَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ» دل فى هذه الآية على انه جل و عز، لا يخليهم من إنزال خير اليهم، خلاف ما يود اعداؤه لهم: فان قيل: هل يجوز نسخ القرآن بالسنة أم لا؟ قلنا فيه خلاف بين الفقهاء، ذكرناه فى اصول الفقه، و بين أصحابنا ايضا فيه خلاف، إلا ان يقوى فى النفس جواز ذلک. و قد ذكرنا ادلة الفريقين، و الشبه فيها فى اصول الفقه- لا يحتمل ذكرها هذا المكان.
و انما اخرنا ذلک، لأن تلاوة القرآن، و العمل بما فيه تابع للمصلحة، و لا يمتنع ان تتغير المصلحة، تارة فى التلاوة فتنسخ، و تارة فى الحكم فينسخ، و تارة فيهما فينسخان. و كذلک لا يمتنع ان تكون المصلحة فى ان تنسخ، تارة بقرآن، و تارة

---

(1) سورة التوبة: آية 68.

بالسنة المقطوع بها. فذلک موقوف على الادلة.
و قوله: «نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها» لا يدل على ان السنة خير من القرآن، لأن المراد بذلک نأت بخير منها فى باب المصلحة. على ان قوله: «نات بخير منها» فمن اين ان ذلک الخبر يكون ناسخاً. فلا متعلق فى الآية يمنع من ذلک. و الاولى جوازه.
على ان هذا و ان كان جائزاً، فعندنا انه لم يقع، لأنه لا شىء من ظواهر القرآن يمكن ان يدعى انه منسوخ بالسنة اجماعاً، و لا بدليل يوجب العلم. و اعيان المسائل فيها خلاف، نذكر ما عندنا فيه- إذا مررنا بتأويل ذلک. و امّا ما روى عن ابن سعيد ابن المسيب من انه كان يقرأ «أو تنسها» بالتاء المعجمة من فوق، و فتح السين- فشاذ، لا نلتفت اليه، لأنا قد بينا ان النبى «ص» لا يجوز عليه ان ينسى شيئاً من وحى اللّه. و كذلک ما روى عن أبى رجا العطاردى «ننسها» بضم النون الاولى، و فتح الاخرى، و تشديد السين- ذكرها شاذة.
و فى الآية دليل على ان القرآن غير اللّه، و ان اللَّه هو المحدث له، و القادر عليه، لأن ما كان بعضه خيراً من بعض، او شراً من بعض، فهو غير اللّه لا محالة.
و فيها دليل ان اللّه قادِر عليه، و ما كان دِاخلا تحت القدرة، فهو فعل، و

الفعل لا يكون إلا محدثاَ، و لأنه لو كان قديماَ لما صح وجود النسخ فيه، لأنه إذا كان الجميع حاصلا فيما لم يزل، فليس بعضه بان يكون ناسخاً، و الاخر منسوخاً بأولى من العكس. فان قيل: لم قال: «أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ» او ما كان النبى «ص» عالماً بان اللّه على كل شىء قدير؟ قلنا عنه جوابان:
أحدهما- ان معنى قوله: «ا لم تعلم» اما علمت؟
و الثانى- انه خرج ذلک مخرج التقرير، كما قال: «أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ» «1».
و فيه جواب ثالث- انه خطاب للنبى «ص» و المراد أمته، بدلالة قوله بعد ذلک: «وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ».

---

(1) سورة المائدة: آية 119.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 107] ..... ص : 400

اشارة

أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما لَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِیرٍ (107)

«الولى» فى الآية: هو القيم بالأمر. من وليه الشىء. و منه ولى عهد المسلمين.
و معنى قوله: «مِنْ دُونِ اللَّهِ» سوى اللَّه. قال امية بن أبى الصلت:
يا نفس مالک دون اللّه من واقي و ما على حدثان الدهر من باقى «1»
و فى قوله: «ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ» ثلاثة أوجه:
أحدها- التحذير من سخط اللّه، و عقابه إذ لا احد يمنع منه.
و الثانى- التسكين لنفوسهم: ان اللّه ناصرهم دون غيره، إذ لا يعتد بنصر احد مع نصره.
و الثالث- التفريق بين حالهم، و حال عبّاد الأوثان. مدحاً و ذماً لأولئك.
و بهذا قال ابو على الجبائى، و إنما قال للنبى «ص» «أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و ان كان النبى (ص) عالماً بان له الملک كله، لامرين: أحدهما- التقرير و التنبيه الذى يؤول الى معنى الإيجاب كما قال جرير:
أ لستم خير من ركب المطايا و اندى العالمين بطون راح؟
و أنكر الطبرى ان يدخل حرف الاستفهام على حرف الجحد بمعنى الإثبات و البيت الذى أنشدناه، يفسد ما قاله، و ايضاً قوله: «أَ لَيْسَ ذلِکَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى» «2» و قوله: «أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ» «3» و غير ذلک يفسد ما قاله.

---

(1) ديوانه: 43 فى المطبوعة (راق) بدل (واق)
. (2) سورة الإنسان: آية 40.
(3) سورة الزمر: آية 36.

و الوجه الثانى- انه خطاب للنبى (ص) و المراد به أمته كما قال: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» «1» و قال جميل بن معمر:
ألا ان جيرانى العشية رائح دعتهم دواع من هوى و منادح «2»
و انما يحسن ذلک، لأن غرضه الخبر عن واحد فلذلک قال: رائح و قال أيضاً:
خليلى فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلى «3»
يريد قاتلته، فكنى بالمذكر عن المؤنث. قال الكميت:
الى السراج المنير احمد لا يعدلنى رغبة و لا رهب «4»
عنه الى غيره و لو رفع الناس الى العيون و ارتقبوا «5»
و قيل أفرطت بل قصدت و لو عنفنى القائلون او ثلبوا «6»
لجَّ بتفضيلک اللسان و لو اكثر فيک الضجاج و اللجب «7»

انت المصفى المحض المهذب فى النسبة إن نص قومک النسب «8»
قالوا: انما خرج كلامه على وجه الخطاب للنبى (ص)، و أراد به أهل بيته بدلالة قوله: و لو اكثر فيک الضجاج و اللجب، لأنه لا أحد يوصف من المسلمين بتعنيف مادح النبى (ص) و لا بإكثار الضجاج و اللجب فى إطناب القول فيه، و انما قال: «لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ» و لم يقل ملک، لأنه أراد ملک السلطان و الملكة

_____

(1) سورة الطلاق: آية 2.
(2) لم نجده فى ديوانه، منادح: البلاد الواسعة البعيدة.
(3) الأمالى 2: 74 و الأغانى 1: 117 و 7: 140. فى المخطوطة و المطبوعة (أو) بدل (هل).
(4) الهاشميات 34 و الحيوان للجاحظ 170- 171.
(5) (عنه الى غيره) متعلق بقوله: (لا يعدلنى ...) فى البيت قبله.
(6) أفرطت: جاوزت الحسد. قصدت: عدلت بين الافراط و التقصير. الثلب: العيب و الذم. فى المخطوطة و المطبوعة (العالمون) بدل (القائلون).
(7) فيک- هنا-: بسببک و من أجلک. الضجاج: مصدر ضاجه- بتشديد الجيم- يضاجه مضاجة و ضجاجا: المشاغبة مع الصياح. و اللجب ارتفاع الأصوات و اختلاطها طلباً للغلبة. [.....]
(8) هذب الشىء: نقاه من كل ما يعيب. نص الشىء: رفعه و أبانه. يعنى أبان فضلهم على غيرهم.

دون الملک. يقال من ذلک: ملک فلان على هذا الشىء يملكه مُلكاً و مَلكا و مِلكا. و النصير فعيل من قولک: نصرتک أنصرک فأنا ناصر و نصير، و هو المؤيد و المقوى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 108] ..... ص : 402

اشارة

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ (108)
آية بلا خلاف.

اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية،
فروى عن ابن عباس أنه قال: قال رافع بن خزيمة، و وهب بن زيد لرسول اللّه (ص) ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرأه، و فجّر لنا أنهاراً، نتبعك و نصدقك، فانزل اللّه فى ذلك من قولهما «أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ»
و قال الحسن عنى بذلك المشركين من العرب لما سألوه فقالوا «أَوْ تَأْتِىَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا» «1» و قالوا:
«أَوْ نَرى رَبَّنا» «2» و قال السدى: سالت العرب محمداً (ص) أن يأتيهم باللّه فيروه جهرة. و قال مجاهد: سألت قريش محمداً أن يجعل لهم الصفا ذهباً. فقال نعم هو لكم كالمائدة لبنى إسرائيل. فأبوا و رجعوا. و قال ابو على: روى ان النبى (ص) سأله قومه ان يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط و هى شجرة كانوا يعبدونها، و يعلقون عليها التمر، و غيره من المأكولات. كما سألوا موسى «اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ» «3» و معنى (أم) فى قوله: «أَمْ تُرِيدُونَ» التوبيخ و إن كان لفظها لفظ الاستفهام كقوله تعالى «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ» «4».

---

(1) سورة الاسراء: آية 92.
(2) سورة الفرقان: آية 21.
(3) سورة الاعراف: آية 137.
(4) سورة البقرة: آية 38.

و أم على ضربين: متصلة، و منفصلة: فالمتصلة عديلة الالف و هى مفرقة لما جمعته اى. كما ان او مفرقة لما جمعته احد تقول: اضرب أيهم شئت أ زيدا ام عمراً ام بكرا. و المنفصلة غير المعادلة لألف الاستفهام قبلها لا يكون الا بعد كلام، لأنها بمعنى بل و الالف كقول العرب: إنها لإبل ام شاة كأنه قال: بل شاة هى.
و منه قوله: «الم تَنْزِيلُ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ. أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ» «1» كأنه قال: بل يقولون: افتراه. و كذلك «أَمْ تُرِيدُونَ» كأنه قيل: بل تريدون و قال الأخطل.
كذبتك عينک ام رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا «2»
و قال الفراء: إن شئت قلت قبله استفهام فترده عليه. و هو قوله: «أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» و قال الرمانى فى هذا بعد أن تكون على المعادلة و لا بد ان يقدر له أم تعلمون خلاف ذلک «أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ» و المعنى «3» أنهم يتخيرون الآيات و يسألون المحالات. كما سئل موسى، فقالوا:
«اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ» و قالوا «لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً» «4» و هذا الوجه اختاره البلخى و المغربى و حكى عن بعضهم أن ذلک عطف على قوله:
«أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ» «5» و قيل ايضاً لما قيل لهم قولوا: «انْظُرْنا وَ اسْمَعُوا» «6» كان تقدير الكلام فهل تعقلون هذا ام تريدون ان تسألوا رسولكم.

---

(1) سورة الم- السجدة آية 3.
(2) ديوانه 41. واسط قرية غربى الفرات و هى من منازل بنى تغلب. الفلس ظلمة اخر الليل إذا اختلطت بتباشير الصباح. فى المطبوعة و المخطوطة (عكس) بدل (غلس)
(3) فى المخطوطة و المطبوعة (و المعنى عنهم بأنهم).
(4) سورة البقرة: آية 55.
(5) سورة البقرة: آية 85.
(6) سورة البقرة: آية 104.

و قوله: «سَواءَ السَّبِيلِ» معناه قصد الطريق- على قول الحسن- و سواء بالمد تكون على ثلاثة أوجه بمعنى قصد و عدل، و بمعنى وسط. كقوله: «خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلى سَواءِ الْجَحِيمِ» «1» و قوله: «فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِى سَواءِ

الْجَحِيمِ» «2» اى وسطها قال حسان:
يا ويح أنصار النبى و نسله بعد المغيب فى سواء الملحد «3»
و تكون بمعنى غير كقولک للرجل أتيت سواک أى غيرک. و معنى ضل ها هنا الذهاب عن الاستقامة قال الأخطل:
كنت القذى فى موج اكدر مزبد قذف الأتى به فضل ضلالا «4»
أى ذهبت يمينا و شمالا و السبيل و الطريق و المذهب نظائر و يقال: اسبل اسبالا و سبله تسبيلا. و السبيل يذكر و يؤنث، و الجمع السبل. و السابلة: المختلفة فى الطرقات فى حوائجهم، و الجمع السوابل. و سبل سابل كقولهم شعر شاعر. و السبلة ما على الشفة العليا من الشعر بجمع الشاربين و ما بينهما و السبل المطر المسبل و المسبولة هى سنبلة الذرة و الارز و نحوه إذا مالت و يقال للزرع إذا سنبله: سنبلة و يقال أسبلت اسبالا: إذا أرخيته. و اسبل الرجل إزاره: إذا أرخاه من الخيلاء قال الشاعر:
و اسبل اليوم من برديک اسبالا
و أصل الباب الاسبال: و هو الحد. و السؤال: هو الطلب ممن يعلم معنى الطلب أمراً من الأمور. و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها و التعلق بينهما انه لما دل اللّه بما تقدم من الآيات على تدبير اللّه لهم فيما ياتى به من الآيات و ما ينسخه فكأنه قال:

---

(1) سورة الدخان: آية 47.
(2) سورة الصافات: آية 55.
(3) ديوانه: 98. و روايته (رهطه) بدل نسله و فى المخطوطة كما أثبتنا و فى المطبوعة (قبله). و القصيدة يرثى بها رسول اللّه (ص) المغيب من غيب: وارى. اللحد: القبر. [.....]
(4) ديوانه: 50 القذى: ما يكون فوق الماء من أوساخ. و قوله: (اكدر): بحر كدر بعد صفاء مزيد: بحر هائج يقذف بالزبد. الأتى السيل. و رواية الديوان:
(فى لج اكدر).

ام لا ترضون بذلک فتخيروا الآيات و تسألوا المحالات «كَما سُئِلَ مُوسى» لأن اللّه تعالى انما يأتى بالآيات على ما يعلم فيها من المصلحة، فإذا اتى بآية تقوم بها الحجة فليس لاحد الاعتراض عليها، و لا له اقتراح غيرها. لأنه تعنت إذ قد صح البرهان بها.
و قوله: «وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ» معناه من يستبدل الكفر يعنى الجحود باللّه و بآياته بالتصديق بالله و بآياته و بالإقرار به. و قال بعضهم عبر بالكفر ها هنا عن الشدة و بالايمان عن الرخاء و هذا غير معروف فى اللغة و لا

العرف الا ان يراد بذلک الثواب و العقاب اللذان يستحقان عليهما فيکون له وجه فی التنزيل.

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109)

آية واحدة.

المعنى بقوله: «وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ»- عن الحسن- النصارى و اليهود.

و قال الزهرى، و قتادة: كعب بن الأشرف، و عن ابن عباس حى بن اخطب، و ابو ياسر بن اخطب.

و حسداً نصب على أحد أمرين:

أحدهما- على الجملة التى قبله بدلا من الفعل. كأنه قال: حسدوكم حسداً كأنه قال: نحسدك حسدا.

و الآخر:- إن يكون مفعولا. كأنه قال: يردّونكم لأجل الحسد كما تقول: جئته خوفاً منه. تقول حسدت احسد حسداً، و حسدتك على الشىء، و حسدتك الشىء، بمعنى واحد. قال الشاعر:

فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما «1»

_____

(1) اللسان: (حسد). و روايته (زعيم) بدل (فريق). قال ابن برى: الشعر لشمر بن ذى الحرث الضبى و ربما روى لتأبط شرا. و أنكر ابو القاسم الزجاجى رواية من روى (عموا صباحا) و استدل على ذلك بأن هذا البيت من قطعة كلها من روى الميم. قال ابن برى-

و رجل حاسد و حسود، و حسّاد. و الحسد هو الاسف بالخير على من له خير.

و أشد الحسد التعرض للاغتمام بكون الخير لاحد. و قد يكون الحاسد متمنياً لزوال النعمة عن المحسود و ان لم يكن يطمع فى تحول تلك النعمة. و الصفح هو التجاوز عن الذنب. و الصفح، و العفو، و التجاوز بمعنى واحد. يقال صفح صفحاً و تصفح تصفحا، و تصافحوا تصافحاً و الصفحة ما كان من ظاهر الشىء يقال لظاهر جلد الإنسان: صفحة، و كذلك هو من كل شىء. و من هذا صافحته: اى لقيت صفحة كفه صفحة كفى. و فى الحديث النشيج للرجال و التصفح للنساء: اى التصفيق.

فإنما هو لأنها تضرب بصفحة كف على صفحة الاخرى. و انشد الاصمعى:

كأن مصفحات فى ذراه و انواحاً عليهن المآلى «1»

المآلى جمع مئلاة و هى خرقة تمسكها الناحية تقلص بها دمعتها. و الصفاح من السيوف العراض واحدها صفحة و صُفحة. و قال:

ضربناهم حتى إذا ارفضَّ جمعهمْ علوناهم بالمرهفات الصفائح
و صفحت عنه قيل فيه قولان:
أحدهما- انى لم آخذه بذنبه. و أبديت له منى صفحة جميلة.
[الثانى] و قيل بل لم ير منى ما يقبض صفحته.
و تقول صفحت الورقة: اى تجاوزتها الى غيرها. و منه تصفحت الكتاب، و قد تصفح الكتاب، و قد يتصفح الكتاب من لا يحسن ان يقرأ. و يسمى الصفح

- قد وهم ابو القاسم فى هذا أ و لم تبلغه هذه الرواية لأن الذى يرويه عموا صباحاً يذكره مع أبيات كلها على روى الحاء و هى للخرع بن سنان الغسانى و من جملة الأبيات:
نزلت بشعب واد الجن لما رأيت الليل قد نشر الجناحا
- باختصار عن اللسان-
(1) اللسان (صفح) و قد نسب البيت الى لبيد. فى المطبوعة و المخطوطة (بأيديها) بدل (عليهن) المصفحات- بكسر الفاء و تشديدها- نساء يصفقن بأيديهن فى مأتم. و روى (مصفحات)- بفتح الفاء و تشديدها- أريد بها السيوف العريضة.

من المصحف و غيره من الدفاتر من الصفحة. و منه «فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ» «1».
و قوله: «فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا» قال الحارث بن هشام:
و صفحت عنهم و الاحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم سرمد
اى لم أحاربهم لأقبض صفاحهم، او اريهم ذلک فى نفسى. و يقال نظر اليهم صفحاً بقدر ما ابدى صفحته لم يتجاوز. و الصفاح موضع سمى بذلک، لأنه صخور مستوية تبدو صفائحها. و أصل الباب صفحة الشىء و هى ظاهره.
و قوله: «مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» قال الزجاج: متعلق ب «وَدَّ كَثِيرٌ» لا بقوله: (حسداً)، لان حسد الإنسان، لا يكون من غير نفسه. و قد يجوز ان يتصل بقوله: «حسداً» على التوكيد. كما قال تعالى: (وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ) «2» و يحتمل وجهاً آخراً و هو ان اليهود كما يضيفون الكفر و المعاصى الى الله تعالى، فقال الله: «مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» تكذيباً لهم انها من عند الله.
و قوله: «مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ» قال قتادة: من بعد ما تبين لهم ان محمداً رسول الله (ص) و الإسلام دين الله. و هو قول الربيع و السدى و ابن زيد، و روى عن ابن عباس مثله.
و قال بن عباس: ان قوله: «فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» منسوخة بقوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» «3». و قال قتادة نسخت بقوله:

«قاتِلَوا الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» الآية. و به قال الربيع و السدى.
و روى عن أبى جعفر محمد بن على: انه قال: لم يؤمر رسول اللَّه (ص) بقتل، و لا اذن له فيه حتى نزل جبرائيل (ع) بهذه الآية «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا» «4» و قلده سيفاً.

---

(1) سورة الحجر: آية 85
(2) سورة الانعام: آية 38.
(3) سورة التوبة: آية 6.
(4) سورة الحج: آية 39.

و قوله: «حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» قال ابو على: (بامره) لكم يعاقبهم او يعافيهم هو على ذلك، ثم اتى بامره فقال: (قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) «1» و قوله: «إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» قيل فيه ثلاثة اقوال:
قال ابو على: انه قدير على عقابهم إذ هو «عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».
و قال الزجاج: قدير على ان يدعو الى دينه بما أحب مما هو الأليق بانجائكم اى فيأمر بالصفح تارة و بالعقاب اخرى على حسب المصلحة.
و الثالث- انه لما امر بالامهال، و التأخير فى قوله: «فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا» كأنّ فيه تعلق النفس بالعافية فى ذلك، فقال أمهلوهم فإنهم لا يعجزون الله، و لا يفوتونه، إذ هو «عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».
و انما أمرهم بالصفح، و العفو و ان كانوا مضطهدين مقهورين مقموعين، من حيث ان كثيراً من المسلمين كانوا عزيزين فى عشائرهم، و أقوامهم يقدرون على الانتصار و الانتقام من الكفار، فأمرهم الله تعالى بان يعفوا و إن قدروا حتى يأتى الله بامره.

وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (110)
آية واحدة بلا خلاف.
ان قيل ما المقتضى لذكر الصلاة و الزكاة ها هنا، قلنا: انه تعالى لما أخبرهم بشدة عداوة اليهود لهم و أمرهم بالصفح عنهم قال: «أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ» فان فى ذلک معونة على الصبر مع ما تجزون بهما من الثواب و الأجر، كما قال فى موضع آخر: «وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ».
و قوله: «وَ ما تُقَدِّمُوا» معنى (ما) الجزاء، و جوابه «تجدوه». و مثله

---

(1) سورة التوبة: آية 30.

(ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها) و الخير المذكور فى الآية هو العمل الصالح الذى يرضاه اللّه. و معنى (تجدوه) اى تجدوا ثوابه. و كذا قال الربيع كما قال ابن نجا:
و سبحت المدينة لا تلمها «1»
اى سبحت اهل المدينة. و قوله: «إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» معناه انه لا يخفى عليه شىء من أعمالكم. جازاكم على الإحسان بما تستحقونه من الثواب، و على الاساءة بما تستحقونه من العقاب، فاعملوا عمل من يدرى انه يجازيه من لا يخفى عليه شىء من عمله، ففى ذلک دلالة على الوعد، و الوعيد، و الامر و الزجر، و ان كان خبرا عن غير ذلک فى اللفظ.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 111] ..... ص : 409

اشارة

وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى تِلْکَ أَمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِينَ (111)
آية بلا خلاف.

قوله: (هوداً) يريد يهودا فحذف الياء المزادة و وحد كان، لان لفظة (من) قد تكون للواحد و تكون للجماعة و العرب تقول: من كان صاحباك. و لا يجوز الوقف على قوله: (و قالوا) بل يجب صلته بقوله: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ» الآية. فان قيل كيف جمع بين اليهود و النصارى فى الحكاية مع افتراق مقالتهما فى المعنى، و كيف يحكى عنهما ما ليس يقول لهما؟ قلنا: فعل ذلک للإيجاز و الاختصار و تقديره: قالت اليهود: لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا، و قالت النصارى، لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا، فادرج الخبر عنهما للإيجاز من غير إخلال، إذ شهرة

---

(1) و عجز البيت:
رأت قمراً بسوقهم نهاراً

حالهما تغنى عن البيان. و مثله فى الإدراج، و الجمع من غير تفصيل قوله: «قُلْنَا اهْبِطُوا» «1» و انما كانت الصورة اهبط لإبليس، ثم قيل اهبطا لآدم و حواء فحكاه على المعنى و تقدير الكلام. و قال بعض اهل الكتاب: لن يدخل الجنة الا من كان هوداً. و قال بعضهم: لن يدخل الجنة الا من كان نصارى: و البعض الثانى غير الاول الا انه لما كان اللفظ واحداً أجمع مع الاول. قال حسان بن ثابت:
فمن يهجو رسول اللَّه منكم و يمدحه و ينصره سواء «2»
تقديره و من يمدحه و ينصره. غير انه لما كان اللفظ واحدا أجمع مع الاول، و صار كأنه اخبار به عن جملة واحدة. و انما كان «3» حقيقة عن بعضين متفرقين.
و مثله «هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ» «4» يعنى آدم، ثم قال «وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها» «5» اى من النفس بمعنى الجنس فهو فى اللفظ على مخرج الراجع الى النفس الاولى. و فى تحقيق المعنى لغيرها و هذا قول اكثر المفسرين السدى و غيره و فى معنى «6» هود ثلاثة اقوال.
أحدها- انه جمع هائد و هود كحائل و حول و عائد و عود و عائط و عوط و هو جمع المذكر و المؤنث على لفظ الواحد. و الهائد: التائب الراجع الى الحق.
و الوجه الثانى- ان يكون مصدرا يصلح للواحد و الجمع. كما يقال: رجل فطر، و قوم فطر و نسوة فطر و رجل صوم و قوم صوم.
و الثالث- ان يكون معناه إلا من كان يهوديا الا ان الياء الزائدة حذفت.
و رجع الى معنى الأصل من اليهود.

و معنى (أمانيهم) قال المؤرخ: أباطيلهم- بلغة قريش- و قال قتادة: امانى

---

(1) سورة البقرة: آية 36.
(2) ديوانه من قصيدة يذم بها أبا سفيان حين علم أن أبا سفيان هجا رسول اللّه (ص) و مطلعها:
ألا ابلغ أبا سفيان عنى فأنت مجوف نحب هواء
(3) فى المطبوعة (كان) ساقطة.
(4، 5) سورة الاعراف: آية 188. [.....]
(6) فى المطبوعة (معنى) ساقطة.

يتمنونها على اللّه كاذبة و به قال الربيع. و قيل ايضا معناه تلك أقاويلهم و تلاوتهم كما قال «لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ إِلَّا أَمانِيَّ» «1» اى تلاوة.
و معنى (هاتوا) احضروا. و هو و إن كان على لفظ الامر المراد به الإنكار و التعبير. و تقديره ان آتيتم ببرهان صحت مقالتكم. و لن يأتوا به، لان كل مذهب باطل فلا برهان عليه.

و البرهان و الحجة و الدلالة و البيان بمعنى واحد، و هو ما أمكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله الى ذلک. و فرق الرمانى بين الدلالة و البرهان بأن قال: الدلالة قد تنبئ عن معنى فقط. لا تشهد بمعنى اخر، و قد تنبئ عن معنى يشهد بمعنى اخر، و البرهان ليس كذلک، لأنه بيان عن معنى ينبئ عن معنى اخر، و هذا الذى ذكره لا يسلم له لأنه محض الدعوى و به قال الحسن، و مجاهد و الربيع و السدى.

«هاتُوا بُرْهانَكُمْ» اى حجتكم. و فى الآية دلالة على فساد التقليد لأنه لو جاز التقليد، لما ألزم القوم ان يأتوا فيما قالوه ببرهان. و قد يجوز فى العربية أمانيهم بالتخفيف على ما ذكره الزجاج. و الثقيل أجود.

بَلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (112)
- آية بلا خلاف.-
فان قيل: أ ليس بلى انما تكون فى جواب الاستفهام مثل قوله أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى: فكيف دخلت ها هنا؟ قلنا إنما جاز ذلک لأنه يصلح ان يكون تقديره أما

---

(1) سورة البقرة: آية 78.

يدخل الجنة احد فقيل «بَلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ» لان ما تقدم يقتضى هذا السؤال، و يصلح ان يكون جواباً للجحد على التكذيب- كقولک: ما قام زيد فيقول:
بلى قد قام، و يكون التقدير ها هنا ليس الامر كما قال الزاعمون «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى» و لكن «مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ» فهو الذى يدخلها و ينعم فيها، أو بلى من أخلص نفسه لطاعة اللَّه.
و معنى اسلم يحتمل أمرين: أحدهما- اسلم الى كذا بمعنى صرفه اليه كقولک أسلمت الثوب اليه، و الثانى- اسلم له بمعنى أخلص له من قولک: قد سلم الشىء لفلان إذ أخلص له. و منه قوله: «وَ رَجُلًا سَلَماً لِرَجُلٍ»» اى خالصاً و قال زيد ابن عمرو بن نفيل:
و أسلمت نفسى لمن أسلمت له المزن تحمل عذباً زلالا «2»
و انما جاز اسلم وجهه للّه على معنى اسلم نفسه للّه على مجرى كلام العرب فى استعمال وجه الشىء، و هم يريدون نفس الشىء، إلا انهم ذكروه باللفظ الأشرف الأنبه و دلوا عليه به. كما قال عز و جل: «كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» «3» أى إلا هو.
و قال: «كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّکَ» «4» و قال الأعشى:
أؤول الحكم على وجهه ليس قضائى بالهوى الجائر «5»
يعنى على ما هو من صحته، و صوابه. و قال ذو الرمة:
فطاوعت همى و انجلى وجه بازل من الأمر لم يترک خلاجاً بزولها «6»

---

(1) سورة الزمر آية 29.
(2) سيرة ابن هشام 1: 246 المزن واحدته مزنة: و هو السحاب عامة. و قيل:
المزن: السحاب البيضاء.

(3) سورة القصص آية: 88.
(4) سورة الرحمان: آية 27.
(5) ديوانه: 143. رقم القصيدة 18. أول الحكم الى اهله: رده اليهم.
الجائر. المنحرف عن الصواب- فى المطبوعة و المخطوطة (و أول) بدل (أؤول).
(6) ديوانه. 56 من قصيدة يمدح بها عبيد اللّه بن عمر بن عبيد اللّه بن معمر التميمى طاوعت همى: طاوعت ما همت به نفسى. و قوله: بازل من الامر هذا مثل. يقال.-

يريد انجلى البازل من الامر. و قال ابن عباس: اسلم وجهه للَّه: أخلص عمله للَّه. و قال الربيع: أخلص للَّه. و قال الحسن: يعنى بوجهه: وجهه فى الدين. و قيل معناه استسلم لأمر اللّه. و من الوجه يقال: توجه توجهاً، و واجه مواجهة، و تواجهوا تواجهاً. و الجهة: النحو. تقول: كذا على وجه كذا، و الوجهة القبلة شبهها فى كل وجهة: اى كل وجه استقبلته، و أخذت فيه. و تقول توجهوا اليک، و وجهوا اليک، كل يقال: غير أن قولک: توجهوا اليک على معنى ولوا اليک وجوههم. و التوجه الفعل اللازم. و الوجأة و التجاه لغتان: و هو ما استقبل شىء شيئاً تقول دار فلان تجاه دار فلان. و المواجهة: استقبالک بكلام او بوجه. و أصل الباب الوجه مستقبل كل شىء. و وجه الإنسان: محياه. و نقيض الوجه القفاء. و يقال:
وجه الكلام، تشبيهاً بوجه الإنسان، لأنه أول ما يبدو منه، و يعرف به. و قد يقال فى الجواب: هذا وجه و ذلک خلف، تشبيهاً ايضاً من جهة الحسن، لان الغالب فى الوجه انه احسن. و يقال: هذا وجه الرأى الذى يبدوا منه، و يعرف به.
و الوجه من كل شىء: أول ما يبدو، فيظهر بظهور ما بعده.
و قوله: «وَ هُوَ مُحْسِنٌ» فى موضع نصب، لأنه فى موضع الحال و انما قال: «فَلَهُ أَجْرُهُ» على التوحيد، ثم قال: «وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» على الجمع لان (من) لفظها لفظ الواحد، و معناها الجمع، فمرة تحمل على اللفظ: و اخرى على المعنى كما قال: «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْکَ» «1» و فى موضع اخر «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْکَ» «2». و قال الفرزدق:
تعال فان عاهدتنى لا تخوننى نكن مثل من يا ذئب يصطحبان «3»

- بزل ناب البعير يزولا اى انشق و ظهر. و خطة بزلاء. تفصل بين الحق و الباطل. و الخلاج:
الشک و التردد. و البيت فى المطبوعة هكذا.
فطاعت هى و انجل أوجه نازل من الامر لم يترک خلاجاً تزولها
و فى المخطوطة قريب من هذا.

(1) سورة الانعام: آية 25 و سورة محمد. آية 16.
(2) سورة يونس: آية 42
. (3) انظر 1: 284.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 414
فثنى و اللفظ واحد لأجل المعنى. فان قيل إذا كان قد ذكر «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» فلم قال: «وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» قيل عن ذلک جوابان:
أحدهما- الدلالة على انهم على يقين لا على رجاء يخاف معه ألا يكون الموعود به.
و الثانى- الفرق بين حالهم، و بين حال اهل العقاب الذى يخافون و يحزنون.

اشارة

وَ قالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ وَ قالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَيْءٍ وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتابَ كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113)
- آية بلا خلاف.-

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقال ابن عباس: انه لما قدم اهل نجران من النصارى على رسول اللّه (ص) أتتهم أحبار يهود، فتنارعوا عند رسول اللّه (ص) فقال رافع بن خويلد: ما أنتم على شىء، و كفر بعيسى و بالإنجيل، فقال رجل من من اهل نجران من النصارى: ما أنتم على شىء و جحد بنبوة موسى، و كفر بالتوراة فأنزل اللّه فى ذلک الآية الى قوله: «فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

و قال الربيع: هؤلاء اهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول اللَّه (ص).

و معنى الآية احد شيئين:
أحدهما- حل الشبهة بانه ليس فى تلاوة الكتاب معتبر فى الإنكار، لما لم يؤت على إنكاره، ببرهان فلا ينبغى ان تدخل الشبهة بإنكار اهل الكتاب لملة اهل الإسلام التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 415
إذ كل فريق من اهل الكتاب قد أنكر ما عليه الآخر، ثم بين أن سبيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب فى الإنكار لدين الإسلام من مشركى العرب، و غيرهم ممن الكتاب له فيهم، و جحدهم لذلک سواء إذ لا حجة معهم يلزم بها تصديقهم، لا من جهة سمع و لا عقل.
و الوجه الآخر- الذم لمن أنكر ذلک من اهل الكتاب على جهة العناد، إذ قد ساوى المعاند منهم للحق الجاهل به فى الدفع له، فلم ينفعه علمه، بل حصل على مضرة الجهل كما حصل عليه من لا علم له به. فان قيل: إذا كانت اليهود انما قالت: ليست النصارى على شىء فى تدينها فى التوراة فكيف قال: «كَذلِکَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ» و أهل الحق ايضاً يقولون مثل قولهم؟ قيل: إن المعنى «كَذلِکَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ»، اى فقد ساووا فى ذلک من لا كتاب له. و كما لا حجة فى جحد هؤلاء كذلک لا حجة فى جحدهم، و لم يساووا أهل الحق فيه، لأنهم قالوه عن علم. و المعنى بقوله: «كَذلِکَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ»- فى قول السدى- هم العرب الذين قالوا: ليس محمد (ص) على شىء.
و قال الربيع: قالت النصارى: مثل قول اليهود قبلهم، و وجه هذا القول، اى فقد ساووكم يا معشر اليهود فى الإنكار «لا يَعْلَمُونَ». و قال عطاء: هؤلاء الذين لا يعلمون امم كانت قبل اليهود و النصارى، و قبل التوراة و الإنجيل.

«الْقِيامَةِ» مصدر إلا انه صار كالعلم على وقت بعينه، و هو الوقت الذى بعث اللّه عز و جل فيه الخلق، فيقومون من قبورهم الى محشرهم. تقول: قام يقوم قياماً و قيامة: مثل عاد يعود عياداً و عيادة، و صانه صيانة، و عاده عيادة.

و قوله: «فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» يحتمل أمرين: «1»

---

(1) أثبت ثلاثة أمور.

أحدهما- قال الحسن حكمه فيهم ان يكذبهم جميعاً و يدخلهم النار. و قال ابو على:

حكمه الانصاف من الظالم المكذب بغير حجة و لا برهان للمظلوم المكذب.

و قال الزجاج: حكمه ان يريهم من يدخل الجنة عيانا. و هذا هو حكم الفصل فى الآخرة فاما حكم العقل فى الدنيا فالحجة التى دل اللّه بها على الحق من الباطل فى الديانة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 114] ..... ص : 416

اشارة

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَ سَعى فِي خَرابِها أُولئِکَ ما کانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوها إِلاَّ خائِفِينَ لَهُمْ فِی الدُّنْيا خِزْیٌ وَ لَهُمْ فِی الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ (114)
آية واحدة.-

اختلف المفسرون فى المعنى بهذه الآية، فقال ابن عباس، و مجاهد، و اختاره الفراء انهم الروم، لأنهم كانوا غزوا بيت المقدس، و سعوا فى خرابه حتى كانت أيام عمر، فأظهر اللَّه عليهم المسلمين، و صاروا لا يدخلونه إلا خائفين: و قال الحسن و قتادة و السدى: هو بخت نصر خرب بيت المقدس. قال قتادة: و أعانه عليه النصارى. و قال قوم: عنى به سائر المشركين، لأنهم يريدون صد المسلمين عن المساجد، و يحبونه.
و قال ابن زيد، و البلخى، و الجبائى و الرمانى: المراد به مشركى العرب. و ضعف هذا الوجه الطبرى من بين المفسرين بان قال: إن مشركى قريش لم يسعوا قط فى تخريب المسجد الحرام. و هذا ليس بشىء، لان عمارة المساجد بالصلاة فيها و خرابها بالمنع من الصلاة فيها. و قد روى انهم هدموا مساجد كان أصحاب النبى يصلون فيها بمكة، لما هاجر النبى و أصحابه. و قال: و هو ايضاً لا يتعلق بما قبله من ذم أهل الكتاب كما يتعلق إذا عنى به النصارى، و بيت المقدس. فيصير الكلام منقطعاً، فيقال له: قد جرى ذكر لغير أهل الكتاب من المشركين فى قوله: «كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ» و هذا أقرب من اليهود و النصارى، و لان ذلک كله ذم: فمرة التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 417
يوجه الى اليهود، و مرة الى النصارى، و مرة الى عباد الأوثان و غيرهم من أهل الشرک. فان قيل: كيف قال: «مَساجِدَ اللَّهِ» بالجمع و هو أراد المسجد الحرام، أو بيت المقدس؟ قيل عنه جوابان:
أحدهما- ان كل موضع منه مسجد، كما يقال لكل موضع من المجلس العظيم مجلس. فيكون اسماً يصلح ان يقع على جملته، و على كل موضع سجود فيه.
[و الثانى]- و قال الجبائى لأنه يدخل فيه المساجد التى بناها المسلمون للصلاة بالمدينة.
و قوله: «مِمَّنْ مَنَعَ»

و المنع، و الصد و الحيلولة نظائر. و ضد المنع الإطلاق. يقال: منع منعاً.
و امتنع امتناعا. و تمنع تمنعاً. و تمانع تمانعاً. و مانعه ممانعة. و قال صاحب العين:
المنع: ان يحول بين الرجل و بين الشىء يريده. و تقول: منعته فامتنع. و رجل منيع لا يخلص اليه و هو فى عز و منعة يخفف و يثقل. و امرأة منيعة ممتنعة لا تؤاتى على فاحشة و قد تمنعت مناعة. و كذلک الحصن و غيره تقول: منع مناعا: إذا لم يرم و مناع، أى امنع قال الشاعر:
مناعها من ابل مناعها ألا ترى الموت لدى اوباعها «1»

و مساجد اللَّه قد بينا ان منهم من [قال] أراد المسجد الأقصى، و منهم من [قال] أراد المسجد الحرام، و منهم من قال: أراد جميع المساجد.
و روى عن زيد بن على عن أبيه عليهما السلام انه أراد جميع الأرض، لقوله

---

(1) لم نجد هذا البيت فى مصادرنا و وجدنا بيتاً يشبهه فى شواهد سيبويه 1: 123 و لم ينسبه و هو:
تراكها من ابل تراكها أما ترى الموت لدى أوراكها
و هذا ايضا موجود فى الكامل للمبرد: 413. [.....]

عليه السلام: جعلت لى الأرض مسجداً و ترابها طهوراً.
و قوله: «وَ سَعى فِى خَرابِها»

و السعى و العدو و الركض نظائر. و ضد السعى الوقف. تقول: سعى «1» سعياً، و استسعى استسعاء و تساعوا تساعياً. قال صاحب العين: السعى: عدو دون الشديد. و كل عمل من خير أو شر، فهو السعى يقال: فلان يسعى على عياله أى يكسب لهم يقولون: ان السعى الكسب و العمل. قال الشاعر:

سعى عقالا فلم يترک لنا سبداً فكيف لو قد سعى عمرو عقالين «2»

عقال صدقة عام. و الساعية ان تسعى بصاحبک الى وال من فوقه. و السعاية ما يستسعى به العبد من ثمن رقبته إذا أعتق بعضه، و هو ان يكلف من العمل ما يؤدى عن نفسه ما بقى و يقال سعى للسلطان إذا ولى الصدقة و ساعى الرجل الامة: إذا فجر بها. و لا تكون المساعاة إلا فى الإماء. و اصل الباب: السعى: العدو.

و قوله: (فى خرابها) فالخرب، و الهدم، و النقض نظائر و نقيض الخراب العمارة. يقال: خرب خرابا و اخربه إخرابا. و تخرب تخربا و خربه تخريباً. و الخرب الذكر من الحبارى و الجمع الخربان. قال الشاعر:

ما رأينا خربا ينفر عنه البيض صقر لا يكون المهر جحشاً لا يكون الجحش مهر و الخربة: سعة خرق الاذن. قال ذو الرمة:

كأنه حبشى يبتغى أثراً أو من معاشر فى آذانها الخرب «3»

---

(1) فى المطبوعة سعى ساقطة.

(2) انظرا: 300 فثمت إيضاح واف.

(3) اللسان (خرب) يصف نعاما شبهه برجل حبشى، لسواده. و قوله (يبتغى اثراً) لأنه مدلى الرأس و فى آذانها الخرب: يعنى السند. و قيل الخربة سعة خرق الاذن فى المطبوعة (اشراً) بدل (أثراً) و (جشى) بدل (حبشى).

و الخربة: عروة المزادة و كذلک كل بيت مستدير و الخارب: اللص. و ما رأينا من فلان خربة أى فساداً فى دينه أو شيناً. و الخارب من شدائد الدهر. قال الشاعر:

ان بها اكتل أو رزاما خويربين ينقفان إلهاما «1»

و الرزام: الهزال. و الخروبة شجرة الينبوت. و الخرابة: سرقة الإبل قال الاصمعى لا يكادون يسمون الخارب إلا سارق الإبل و أصل الباب: الخراب ضد العمران.

و قوله: «وَ مَنْ أَظْلَمُ» رفع لأنه خبر الابتداء و تقديره أى أحد اظلم.

و قوله: «ان يذكر» يحتمل وجوهاً من النصب. قال الأخفش: يجوز ان يكون

على حذف (من)، و تقديره من ان يذكر، و يجوز أن يكون على البدل من «مَساجِدَ اللَّهِ»، و قال الزجاج: يجوز على معنى كراهية أن يذكر. و على الوجوه كلها العامل فيه (منع)

و معنى قوله: «أُولئِکَ ما کانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوها إِلَّا خائِفِينَ» فيها خلاف.
قال قتادة: هم اليوم كذلک لا يوجد نصرانى فى بيت المقدس إلا أنهک «2» ضربا، و ابلغ اليه فى العقوبة. و به قال السدى. و قال ابن زيد: نادى رسول اللّه (ص) ألا يحج بعد العام مشرک، و لا يطوف بالبيت عريان و قال الجبائى بين اللّه انه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام، و لا دخول المساجد فان دخل منهم داخل الى بعض المساجد، كان على المسلمين إخراجه منه إلا ان يدخل الى بعض الحكام

---

(1) اللسان (خرب) الاكتل و الكتال: هما شدة العيش. و الرزام الهزال. قال ابو منصور: اكتل و رزام- بكسر الراء- رجلان خاربان أى لصان. و قوله: خوربان أى هما خاربان و صغرهما و هما اكتل و رزام، و نصب خوربين على الذم. و الجمع خراب. فى المطبوعة و المخطوطة (خربيان) بدل (خويربين) و (نفقان) بدل (ينفقان)
(2) فى المطبوعة (الا ازهک) بدل (الا أنهک)

بخصومة بينه و بين غيره الى بعض القضاة، فيكون دخوله خائفا من الإخراج على وجه الطرد بعد انفصال خصومته، و لا يقعد مطمئنا كما كان يقعد المسلم. و هو الذى يليق بمذهبنا، و يمكن الاستدلال به على ان الكفار لا يجوز أن يمكنوا من دخول المساجد على كل حال. فأما المسجد الحرام خاصة، فان المشركين يمنعون من دخوله، و لا يتركون ليدخلوه لحكومة، و لا غيرها، لأن اللّه تعالى قد امر بمنعهم من دخوله بقوله: (ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ شاهِدِينَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ) «1» يعنى المسجد الحرام. و قال الزجاج: أعلم اللّه ان أمر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالف الى مساجدهم إلا خائفا. و هو كقوله: «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» «2» كأنه قيل: أولئک ما كان لهم ان يدخلوها إلا خائفين، لاعزاز اللّه الدين و إظهاره المسلمين.
قوله تعالى:
لَهُمْ فِى الدُّنْيا خِزْىٌ وَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ

قال قتادة: معناه انهم «يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ». و قال السدى:
خزيهم فى الدنيا انهم إذا قام المهدى، و فتحت قسطنطينية قتلهم، فلذلک خزيهم فى الدنيا ان يقتلوا ان كانوا حرباً، و يؤدون الجزية ان كانوا ذمة. و قال الجبائى:
الخزى لهؤلاء الكفار الذين أمرنا بمنعهم من دخول المساجد على سبيل ما يدخلها المؤمنون. و قوله: «وَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ» قال الفراء: يقول فيما وعد اللَّه المسلمين من فتح الروم و ان لم يكن بعد- و الناس على خلافه، فى ان معنى الآخرة

---

(1) سورة التوبة: آية 19.
(2) سورة التوبة: آية 34.

يوم القيامة. كأنه قيل: لهم فى الآخرة عذاب جهنم.

اشارة

وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ (115)
آية بلا خلاف.

المشرق و الشرق: اسمان لمطلع الشمس، و المغرب، و الغرب: اسمان لغربها.
يقال: شرق شروقا، و أشرق إشراقا، و تشرق تشريقاً. و المشرقان و المغربان:
مشرقا الشتاء و الصيف، و مغرباهما. و المشارق مطالع الشمس فى كل يوم حتى تعود الى المشرق الاول فى الحول. و شرقت الشمس: إذا طلت، و أشرقت: إذا أضاءت.
و تقول: لا افعل ذلک ما ذر شارق: أى ما طلع قرن الشمس. و شرق يشرق شرقاً:
إذا اغتص. و قال عدى بن زيد:
لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى «1»
و المشرقة «2» حيث يقعد المشرق فى وجه الشمس. قال الشاعر:
تحبين الطلاق و أنت عندى بعيش مثل مشرقة الشتاء «3»
و شرق الثوب بالصبغ: إذا احمر و اشتدت حمرته، و لطمه فشرق الدم فى عينه:
إذا احمرت. و تقول: اشر و رقت عينه، و أغر و رقت. و ناقة شرقاء: إذا شقت أذنها «4» بنصفين طولا، و كذلک الشاة. و أيام التشريق أيام مشرق اللحم فى الظل.

---

(1) اللسان شرق و (عصر) الشرق بالماء و الريق: كالغصص بالطعام. الاعتصار:
ان يغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء: و هو أن يشربه قليلا قليلا.
(2) المشرقة فيها اربع لغات- بضم الراء، و فتحها- و شرقة- بتسكين الراء- و مشراق.
(3) لم نجد هذا البيت فى مصادرنا و لم نعرف قائله. و فى اللسان (شرق) بيت يشبهه و هو:
تريدين الفراق و أنت منى بعيش مثل مشرقة الشمال
(4) فى المطبوعة (وفاقه شرقاً إذا شقتانها)

و قال صاحب العين: كانوا يشرقون اللحم تلک الأيام فى الشمس. و قوله: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ» «1» أى حيث طلعت عليهم الشمس. و الشرق طائر من الطيور الصوائد. مثل الصقر، و الشاهين و قال الشاعر:
قد اغتدى و الصبح ذو بريق بملحَم احمر سوذنيق

أجدل أو شرق من الشروق «2»
و كل شىء طلع من الشمس يقال: شرق يشرق. و فى الحديث: لا تشريق إلا فى مصر، و مسجد جامع، أى لا صلاة عيد، لأنها وقت طلوع الشمس. و اصل الباب الطلوع. و المغرب و المغيب نظائر. تقول: غرب يغرب غروبا، و اغترب اغترابا و استغرب استغرابا، و غرّب تغريباً. و سمى الغراب غراباً لبعده و نفوره «3» و انه أشد الطيور خوفا و أصل الباب الحد و التباعد حتى بلغ النهاية. و من هذا مغرب الشمس. و الرجل الغريب المتباعد. و شطت غربة النوى أى بعد المتنائى: و هو أبعد البعد. و غرب السيف و السهم: حدّه سمى بذلک، لأنه يمضى فلا يرد، فهو مأخوذ من الابعاد. و يقال لموضع الرداء: غارب. و قولهم للدابة: مغرب: إذا ابيضت حدقته، و اهدابه. شبيه بابيضاض الشمس عند الغروب. و قولک للرجل: أغرُب معناه أبعد. و ثوبى غربى: إذا لم تستحكم حمرته. مأخوذ من الدابة الغرب. و تقول:
اصابه حجر غرب: إذا أتاه من حيث لا يدرى. و أتاه حجر غرب: إذا رمى غيره فأصابه. و يقال: اقطع غرب لسان فلان عنى: أى اقطع حدة لسانه. و ناقة ذات غرب، أى حدة الغرب. و الغرب: الدمع الحار الفاسد. و قال الكميت:
أبى غرب عينيک إلا انهما لا

---

(1) سورة الحَجر آية 73.
(2) اللسان «شرق) و لم ينسبها الملحم- بفتح الحاء- من يطعم اللحم- بفتح العين- السوذق، و السوذنيق و السوذانق، و ربما قالوا: ذيذونق: الشاهين، و هو طائر كالصقر و جميع مادة «سوذق) فارسية معربة. و فى المخطوطة و المطبوعة هكذا:
قد اعتدى و الصبح ذو نبيق لملحم اكلب شوذنيق
(3) فى المطبوعة (عن أباً لبعده و نقول) [.....]

و جمعه غروب. و الغرب. دلو ضخم يتخذ من جلد تام. و الغرب: ما قطر من الماء من الدلاء من الحوض، و البئر و يقال: اغرب الحوض: إذا سال من جوانبه و فاض و الغرب: جنس من الشجر خارج عن حد ما يحمل بحمل، أو طيب ريح، أو صلابة. و غاية مغربة: أى بعيدة. و الغرب: الفضة. و قيل: انه جام من فضة.
و قيل: انه الذهب. قال الشاعر:
كما دعدع سافى الأعاجم الغربا «1»
و الغارب: على الموج و الغارب: ما بين يدى السنام. و عنقاء مغرب: موضوع على طائر لا يعرف حده و الغربيب: الأسود الشديد السواد. و أصل الباب: الغرب:
الحد. و اللام فىِ قوله: «وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ» لام الملک و أصلها لام الاضافة و

هى على ثمانية أوجه: الملک، و الفعلَ، و العلة، و الولادة، و الاختصاص، و الاستغاثة، و لام کى. و هى لام الغرض «2» و لام العاقبة. «3» فلام الملک کقولک: له مال، و الفعل:
له کلام، و العلة: «4» هو اسود لما فيه السواد، و لام الولادة: «5» أب له ولد له أخ، و الاختصاص: له علم، و له ارادة «6» و الاستغاثة يا لبکر، و لام کى:
«وَ لِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ»، «7» و لام العاقبة: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَکُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» فهذه وجوه لام الاضافة. و انما قيل: «وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ» بالتوحيد و له جميع المشارق و المغارب لاحد أمرين:

---

(1) اللسان (غرب). قائله الأعشى. و (کما) زائدة من الصدر و البيت:
فدعدعا سرة الرکاء کما دعدع ساقى الأعاجم الغربا
و الغرب: جام الفضة. قال ابن برى هذا البيت للبيد و ليس للأعشى کما زعم الجوهرى
(2) فى المطبوعة (کلام الفرض).
(3) فى المطبوعة (الغائية)
(4) فى المطبوعة (يعله).
(5) فى المطبوعة (له) ساقطة
(6) فى المطبوعة (و له ارادة فى ارادة)
(7) سورة الانعام: آية 123.

أحدهما- انه اخرج ذلک مخرج الجنس، فدلّ على الجمع، کما قيل أهلک الناس الدينار و الدرهم.
و الآخر- انه على الحذف. کأنه قيل المشرق الذى تشرق منه الشمس کل يوم، و المغرب الذى تغرب فيه کل يوم. و انما خص اللَّه تعالى ذکر ذلک ها هنا لاحد امور:
أحدها- قال ابن عباس: و اختاره الجبائى انه رد على اليهود لما أنکروا تحويل القبلة الى الکعبة، و قال: ليس هو فى جهة دون جهة، کما تقول المشبهة.
و الثانى: قال ابن زيد و قتادة، کان للمسلمين التوجه بوجوههم الى الصلاة حيث شاءوا ثم نسخ ذلک بقوله: «فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» «1»
و انما کان النبى (ص) أولا اختار التوجه الى بيت المقدس، و قد کان له التوجه الى حيث شاء.
و قال آخرون: کان ابن عمر يصلى حيث توجهت به راحلته فى السفر تطوعا، و ذکر أن رسول اللَّه (ص) کان يفعل ذلک و يتأول عليه الآية.
و قيل: نزلت فى قوم صلوا فى ظلمة و قد خفيت عليهم جهة القبلة، فلما

أصبحوا إذا هم صلوا الى غير القبلة، فانزل اللّه هذه الآية. و هذا قول عبد اللّه بن عامر عن أبيه. و النخعى و الاول أقوى الوجوه.
و قوله: «فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» المراد بالوجه، فيه اختلاف. قال الحسن، و مجاهد: المراد به، فثم جهة القبلة، و هى الكعبة، لأنه يمكن التوجه اليها من كل مكان.
قال ابن بيض:
أى الوجوه انتجعت قلت لها لاى وجه إلا الى الحكم
متى يقل صاحبا يرادفه هذا ابن بيض بالباب يبتسم
و قيل: معناه فثم وجه اللّه، فادعوه كيف توجهتم. و قال آخرون، و اختاره

---

(1) سورة البقرة: آية 150.

الرمانى و الجبائى: فثم رضوان اللّه. كما يقال: هذا وجه العمل، و هذا وجه الصواب و كأنه قال: الوجه الذى يؤدى الى رضوان اللّه. و تقدير الآية و اتصالها بما قبلها، كأنه قال: لا يمنعكم تخريب من خرب المساجد ان تذكروه حيث كنتم من أى وجه، و له المشرق و المغرب، و الجهات كلها.

و قوله: «اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ» قال قوم: معناه غنى، فكأنه قيل: واسع المقدور. و قال الزجاج: يدل على التوسعة للناس فيما رخص لهم فى الشريعة، و كأنه قيل: واسع الرحمة، و كذلک رخص فى الشريعة، و معنى القول الاول انه غنى عن طاعتكم، و انما يريدها لمنفعتكم. و قال الجبائى: معناه واسع الرحمة.

و السعة و الفسحة و المباعدة نظائر. و ضد السعة الضيق يقال: وسع يسع سعة، و أوسع إيساعا، و توسع توسعاً، و اتسع اتساعا، و وسع توسعة، و الوسع: جدة الرجل و قدرة ذات يده، فرحمة اللَّه وسعت كل شىء و انه ليسعنى ما وسعک. و تقول:
وسعت الوعاء فاتسع فعل لازم. و كذلک اتوسع. وسع الفرس سعة و وساعة، فهو وساع. و أوسع الرجل: إذا كان ذا سعة فى المال، فهو موسع، و موسع عليه.
و تقول سير وسيع و وساع. و فى القرآن «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» «1» أى طاقتها و اصل الباب: السعة نقيض الضيق.

و معنى عليم انه عالم يوجه الحكمة، فبادروا الى ما أمركم به من الطاعة. و قيل واسع الرحمة عليم ابن يضعها على وجوه الحكمة. و معنى (ثم) هناک تقول لما قرب من المكان: هنا، و ما تراخى: ثم و هناک.

---

(1) سورة البقرة: آية 286.

و انما بنى، لان فيه معنى الاشارة الى المكان لابهامها، و بنى على الحركة لالتقاء الساكنين، و فتح لخفة الفتحة فى المضاعف.
و قوله: «فَأَيْنَما تُوَلُّوا» جزم باينما. و الجواب فثم وجه اللَّه. (و ثم) موضعه النصب لكنه بنى على الفتح و قوله: «أينما» تكتب موصولة فى اربعة مواضع ليس فى القرآن غيرها. هذه واحدة، و فى النحل (أينما يوجهه) «1» و فى الأحزاب «مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا» «2» و فى الشعراء. (أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ) «3» و من الناس من يجعل معها التى فى النساء «أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ» «4» و كلها على القياس إلا التى فى الشعراء، فان قياسها ان تكتب مفصولة، لان (ما) اسم موصول بما بعده بمعنى الذى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 116] ..... ص : 426

اشارة

وَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ کُلٌّ لَهُ قانِتُونَ (116)
آیة واحدة بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحده: (قالوا) بلا واو.

و المعنى بهذه الآية النصارى و قال قوم: النصارى، و مشركوا العرب معاً، من حيث قالوا: الملائكة بنات اللّه، و قالت النصارى: المسيح بن اللّه- هذا قول الزجاج.- و فى هذه الآية دلالة على انه لا يجوز الولد على وجه من الوجوه،

---

(1) آية 76.
(2) آية 61.
(3) آية 92.
(4) آية 77.

لأنه إذا كان جميع ما فى السماوات و الأرض ملكا له، فالمسيح عبد مربوب، و كذلک الملائكة المقربون، لان الولد لا يكون إلا من جنس الوالد، و لا يكون المفعول إلا من جنس الفاعل، و كل جسم فعل للّه فلا مثل له و لا نظير على وجه من الوجوه (تعالى اللّه) عن صفات «1» المخلوقين.

و قوله: «كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ». الأصل فى القنوت الدوام. و ينقسم اربعة اقسام: الطاعة، كقوله: «كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ» أى مطيعون و القنوت الصلاة كقوله: «يا مَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِى وَ ارْكَعِى» «2». و القنوت: طول القيام.

و روى عن جابر بن عبد اللّه قال: سئل النبى (ص) أى الصلاة أفضل فقال: طول القنوت.

و يكون القنوت السكوت، كما قال زيد بن أرقم: كنا نتكلم فى الصلاة حتى نزلت «وَ قُومُوا لِلّهِ قانِتِينَ» «3» فأمسكنا عن الكلام. و قيل فى (قانتون) ها هنا ثلاثة أقوال:

[الاول] قال مجاهد: معناه مطيعون، و طاعة الكافر فى سجود ظله. و قال ابن عباس: مطيعون.

الثانى- قال السدى: كل له مطيعون يوم القيامة. و قال الربيع: كل له قائم يوم القيامة.

الثالث- قال الحسن: كل قائم له بالشهادة عبدة. و قالت فرقة رابعة- و هو الأقوى-: كل دائم على حالة واحدة بالشهادة بما فيه من آثار الصنيعة، و الدلالة على الربوبية. و زعم الفراء: انها خاصة لأهل الطاعة، بدلالة انا نجد كثيراً من الخلق غير طائعين. و على ما اخترناه لا يحتاج الى التخصيص.

---

(1) فى المطبوعة (طبقات.) [.....]
(2) سورة آل عمران: آية 43.

(3) سورة البقرة: آية 238.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 428

و أما القنوت فى اللغة فقد يكون بمعنى الطاعة. تقول: قنت يقنت قنوتاً، فهو قانت: إذا أطاع. و قال صاحب العين: القنوت فى الصلاة دعاء «1» بعد القراءة فى آخر الوتر، يدعو قائما. و منه قوله: «أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَ قائِماً» «2». و القنوت، و الدعاء: قيام فى هذا الموضع. و قيل فى قوله:
«وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ» «3» أى خاشعين. و قال ابن دريد: القنوت: الطاعة.
و قال ابو عبيدة: القانتات: الطائعات، و القنوت فى الصلاة: طول القيام- على ما قاله المفسرون- فى قوله: «وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ». و اصل الباب: المداومة على الشىء.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 117] ..... ص : 428

اشارة

بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117) - آية بلا خلاف.-

قرأ ابن عامر (فيكون) نصباً. الباقون بالرفع.

بديع بمعنى مبدع. مثل أليم بمعنى مؤلم، و سميع بمعنى مسمع. و بينهما فرق لأن فى بديع مبالغة ليس فى مبدع، و يستحق الوصف فى غير حال الفعل على الحقيقة. بمعنى ان من شأنه الإنشاء، لأنه قادر عليه، ففيه معنى مبدع. و قال

---

(1) فى المطبوعة (دعة).
(2) سورة الزمر: آية 9.
(3) سورة البقرة: آية 238.

السدى: تقول ابتدعها، فخلقها و لم يخلق قبلها شيئاً «1» تتمثل به. و الإبداع، و الاختراع، و الإنشاء نظائر و ضد الابتداع الاحتذاء على مثال. يقال: أبدع إبداعا، و ابتدع ابتداعا، و بدع تبديعاً. و قال ابن دريد: بدعت الشىء: إذا انشأته: و الله «بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» أى منشئهما. و بدعت الركى، «2» إذا استنبطتها، و ركى بديع: أى جديد الحضر. و لست ببدع فى كذا. أى لست بأول من أصابه هذا. و منه قوله: «ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ» «3». و كل من أحدث شيئاً، فقد أبدعه. و الاسم: البدعة و أبدع بالرجل: إذا كلت راحلته، و انقطع به. و قوله: «ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ» أى ما كنت بأول مرسل.
و البدعة: ما ابتدع من الدين، و غيره، و جمعها بدع. و فى الحديث: كل بدعة ضلالة. و تقول جئت بأمر بديع، أى مبتدع عجيب و أبدعت الإبل: إذا تركت فى الطريق من الهزل. و أصل الباب: الإنشاء.

و قوله: «إِذا قَضى أَمْراً» يحتمل أمرين:
أحدهما- إذا خلق امراً. كما قال «فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِی یَوْمَیْنِ» «4» أی خلقهن- و هو اختیار البلخی، و الرمانی، و الجبائی.
و الثانی: حتم بان یفعل أمراً و حکم. و قیل احکم امراً، کما قال ابو ذؤیب:
و علیهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع «5»

---

(1) فی تفسیر الطبری- دار المعارف المصریة- 2: 541 (ابتدعها فخلقها و لم یخلق شیء فیتمثل به) و مثله فی الدر الثمین 1: 11 و فی مطبوعة بولاق من التفسیر المذکور کما أثبتنا.
(2) الرکی، جمع رکیة: البئر تحفر
(3) سورة الأحقاف: آیة 9.
(4)- سورة حم- السجدة: آیة 12.
(5) دیوانه: 19. و اللسان (صنع) من قصیدة یرشی لها أولاده حین ماتوا بالطاعون و مسرودتان: درعان من السرد و هو الخرز و النسج. تبع: اسم لکل ملک من ملوک حمیر.
الصنع: الحاذق و الامرأة: صناع.

قضاهما: احكمهما، و القضاء و الحكم نظائر. يقال: قضى يقضى قضاء، و اقتضى اقتضاء، و تقاضيا تقاضياً، و استقضى استقضاء، و تقضّ تقضياً و قضّ تقضية، و قاضاه مقاضاة، و انقضى انقضاء. قال صاحب العين: قضى يقضى قضاء، و قضية:
يعنى حكم. و تقول: قضى اليه عهداً معناه اوصى اليه. و منه قوله: «وَ قَضَيْنا إِلى بَنِى إِسْرائِيلَ» «1». «قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ» «2» أى اتى عليه. و الانقضاء فناء الشىء، و ذهابه. و كذلک التقضى و أصل الباب: القضاء. و الفصل و القضاء ينصرف على وجوه:
منها الامر كقوله تعالى: «وَ قَضى رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» «3» أى أمر. و منه الخلق كقوله: «فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ» «4» أى خلقهن. و منه الاخبار، و الاعلام، كقوله: «وَ قَضَيْنا إِلى بَنِى إِسْرائِيلَ فِى الْكِتابِ» «5» أى أخبرناهم و منه الفصل: قضى القاضى بين الخصمين أى فصل الامر بينهما.

و معنى قوله: «فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» قيل فيه قولان:
أحدهما- انه بمنزلة المثل و معناه ان منزلة الفعل له فى السهولة، و انتفاء التعذر كمنزلة ما يقال له كن فيكون كما يقال قال فلان برأسه كذا و قال بيده: إذا حرک رأسه و أومى بيده، و لم يقل شيئاً فى الحقيقة و قال ابو النجم:

---

(1)- سورة اسرى: آية 4.
(2)- سورة الزمر: آية 42.
(3)- سورة الإسراء: آية 23.
(4) سورة- حم- السجدة: آية 12. [.....]
(5) سورة الاسراء: آية 4.

إذ قالت الانساع للبطن الحقى قدماً فآضت كالفنيق المحنق «1»
و قال عمرو بن حممة الدوسى «2»:
فأصبحت مثل النسر طارت فراخه إذا رام تطياراً يقال له: قع «3»
و قال آخر:
امتلأ الحوض و قال قطنى مهلا رويداً قد ملأت بطنى «4»
و قال آخر:
فقالت له العينان سمعاً و طاعة و حدّرتا كالدر لما يثقب «5»
و قال العجاج: «6» يصف ثوراً:
و فيه كالاعواض للعكور فكرّ ثم قال فى التفكير
ان الحياة اليوم فى الكرور
و الوجه الآخر أنه علامة جعلها اللّه للملائكة إذا سمعوها، علموا انه أحدث امراً. و كلاهما حسن و الاول أحسن و أشبه فى كلام العرب فى عادة الفصحاء. و نظيره قوله تعالى: «فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ» «7» و هو الذى اختاره البلخى، و الرمانى، و اكثر المفسرين.
و قد قيل فى ذلک اقوال فاسدة، لا يجوز التعويل عليها:

---

(1) اللسان (حنق) ذكر البيتين. و فى (قول) البيت الاول فقط. و روايته (قد قالت) بدل (إذ قالت). يصف الشاعر ناقة أنضاها السير. الانساع: جمع نسع- بكسر النون و سكون السين- و هو السير: خيط من الجلد. و لحق البطن: ضمر. و آض: صار و رجع الفنيق: الجمل الفحل. و المحنق: الضامر القليل اللحم.

(2) فى المطبوعة (عمر بن حمد السدوسى) و الصحيح ما أثبتناه. و هو احد المعمرين زعموا أنه عاش ثلاثمائة و تسعين سنة و هو ايضاً أحد حكام العرب.
(3) الحماسة للبحترى: 205.
(4) اللسان (قطط) البيتان. و (قول) البيت الاول فقط.
(5) اللسان (قول) و روايته (قالت) بدل (فقالت) و بالفاء أتم للوزن. و فى مجمع البيان (و قالت) بالواو.
(6) فى المطبوعة (ضعيف) زائدة فى هذا الموضع
(7) سورة- حم- السجدة: آية 11.

ان الامر خاص فى الموجودين الذين قيل لهم «كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ» «1» و من جرى مجراهم، لأنه لا يؤمر المعدوم عندهم.
و منها انه أمر للمعدوم من حيث هو للّه معلوم، فصح أن يؤمر فيكون.
و منها- ان الآية خاصة فى الموجودات من اماتة الأحياء و احياء «2» الموتى و ما جرى مجرى ذلک من الأمور. و انما قلنا بإفساد هذه الأقوال، لأنه لا يحسن ان يؤمر إلا من كان عاقلا مميزاً يقدر على ما أمر به، و يتمكن من فعله. و جميع ما ذكروه بخلافه. لأن المعدوم ليس بحى، و لا عاقل. و لا يصح أمره. و من كان موجوداً لا يجوز ان يؤمر أن يكون قردة، لان المعانى التى تكون بها كذلک، ليس فى مقدوره. كذلک القول فى الاماتة و الأحياء و تأويل قوله: «كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ» قد بيناه فيما مضى. فقال بعضهم: إنه أمر للموجود فى حال كونه لا قبله و لا بعده، و انه مثل قوله: «ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ» «3» و ان دعاء اللّه إياهم لا يتقدم خروج القوم من قبورهم، و لا يتأخر عنه. و هذا فاسد لأن من شرط حسن الامر أن يتقدم المأمور به. و كذلک القول فى الدعاء، فلا يسلم ما قالوه. و تأويل ما استشهدوا به على ما بيناه فى الآية سواء فى انه اخبار عن تسهيل الفعل و سرعة وقوعه، و ارادته، لا ان يكون هناک دعاء على الحقيقة، ثم يلزم على جميع ما ذكروه ان تكون الأشياء مطيعة للّه تعالى لان الطاعة هى مانعة الامر من الأشياء التى قالها: كونى بأن فعلت نفسها، و يلزم ان يكون لها عقل و تمييز و كل ذلک فاسد. فاما من استدل بهذه الآية و نظائرها على ان كلام اللّه قديم من حيث انه لو كان محدثا لاقتضى ألا يحصل إلا (بكن). و الكلام فى (كن) كالكلام فيه الى أن ينتهى الى (كن) قديمة. و هو كلام الله القديم. فهذا باطل لأنا قد بينا معنى الآية، فلا يصح ما قالوه. على ان الآية تقتضى حدوث كلامه من

---

(1) سورة البقرة: آية 65.
(2) و احياء ساقطة من المطبوعة.

(3) سورة الروم: آية 25.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 433
حيث أخبر ان المكونات تكون عقيب (كن) لأن الفاء توجب التعقيب، فإذا كانت الأشياء محدثة، فما يتقدمها بوقت واحد لا يكون إلا محدثاً فبطل ما قالوه.
و ايضاً فانه قال: «إِذا قَضى أَمْراً» و معناه خلق فبين انه يخلق الامر و قوله: «كن» أمر يوجب أن يكون محدثا. و دلت الآية على نفى الولد عن اللّه من وجهين.
أحدهما- ان الذى ابتدع السماوات و الأرض من غير مثال هو الذى ابتدع المسيح من غير والد.
و الآخر- ان من هذه صفته، لا يجوز عليه اتخاذ الولد، كما لا يجوز صفات النقص عليه (تعالى) عن ذلک. و إذا حملنا الآية على وجود المثال، فوجود الخلق هو كقوله: (كن) إلا انه خرج على تقدير فعلين، كما يقال: إذا تكلم فلان بشىء، فإنما كلامه مباح، و إذا أمر بشىء فإنما هو حتم، و كما قال: تاب فاهتدى فتوبته هى اهتداؤه، فلا يتعذر أن يقال: كن قبله، أو معه. و متى حملنا ذلک على انه علامة للملائكة فانه يحتمل ان يكون معه، و يحتمل ان يكون قبله. كما تقول: إذا قدم زيد، قدم عمرو. فانه يحتمل ان يكون وقتاً للأمرين معا إلا أنه أشبه الشرط، كقولک: ان جئتنى أعطيتک. و لذلک دخلت الفاء فى الجواب، كما تجىء فى الشرط، كقوله: «إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ» «1» و كذلک تحتمل الآية الامرين.

و رفع قوله: (فيكون) يحتمل أمرين: أحدهما- ان يكون عطفاً على يقول. و الآخر- على الاستئناف أى فهو يكون. و نصبه على جواب الامر، فلا يجوز، لأنه انما يجب الجواب بوجود الشرط. فما كان على فعلين فى الحقيقة، كقولك إ أتنى فأكرمک، فالإتيان غير الإكرام، فأما (كن فيكون) فالكون الحاصل هو الكون المأمور به، و مثله انما أقول له ائتنى، فيأتينى. و قال ابو على الفارسى: يجوز ذلک

_____

(1) سورة يوسف: آية 77.

على وجه: و هو على ان لفظه لما كان لفظ الامر، نصب كما نصب فى جواب الامر، فان كان الامر بخلافه- كما قال ابو الحسن فى نحو قوله تعالى «قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ» «1» و يجوز ذلک فى الآى على انه اجرى مجرى جواب الامر- و ان لم يكن جواباً له فى الحقيقة.- و قد يكون اللفظ على شىء، و المعنى على غيره نحو قولهم: ما أنت و زيد، و المعنى لم تؤذيه. و ليس ذلک فى اللفظ، و مثله «فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ» «2» ليس فيتعلمون جواباً لقوله: (فَلا تَكْفُرْ) و لكن معناه يعلمون أو يعلمان، فيتعلمون منهما غير أن قوله (فلا تكفر) نهى على الحقيقة. و ليس قوله (كن) امراً على الحقيقة، فمن ها هنا ضعفت هذه القراءة.

اشارة

وَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْ لا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ كَذلِکَ قالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118)
آية بلا خلاف.

المعنى بهذه الآية فى قول مجاهد: النصارى. و قول ابن عباس: اليهود.
و فى قول الحسن و قتادة: مشركوا العرب. و كل ذلك يحتمل. غير انه لمشركى العرب أليق، لأنه يشاكل ما طلبوا حين قالوا: «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» الى قوله: «هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا» «3» و يقوى ذلك قوله:
«وَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ»: الكتاب. فبين أنهم ليسوا أهل كتاب. و من اختار ان المراد بها النصارى قال: لأنه قال قبلها «وَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً» «4» و هذا

---

(1) سورة ابراهيم: آية 31.
(2) سورة البقرة: آية 102. [.....]
(3) سورة البقرة: آية 119.
(4) سورة البقرة: آية 116.

لا دلالة فيه، و لا يمتنع ان يذكر قوماً، و يخبر عنهم، ثم يستأنف قوماً آخرين، فيخبر عنهم على ان مشركى العرب قد أضافوا الى اللّه البنات فدخلوا فى جملة من قال: «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً».
و معنى قوله: (لو لا) هلّا، كما قال الأشهب بن رميلة:
تعدّون عقر النيب أفضل مجدكم بنى ضو طرى لو لا الكمى المقنعا «1»
أى هلّا تعقرون الكمى المقنعا. و انما قال: «أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ» و قد جاءتهم الآيات، لأنهم طلبوا آية، كما ان آية الرسل توافق دعوتهم، و يكلمهم اللّه كما كلمهم الله.
و المعنى بقوله «كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ» اليهود على قول مجاهد. و على قول قتادة و السدى و الربيع: اليهود و النصارى. و الضمير فى قوله:
«تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ» يعنى كناية عن قلوب اليهود و النصارى- على قول مجاهد- و على قول الربيع و قتادة: عن العرب و اليهود و النصارى و غيرهم، فقوله «تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ» يعنى فى الكفر، بالاعتراض على أنبياء الله بالجهل، لان اليهود قالت لموسى:
«أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً» و قالت النصارى للمسيح: «أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ». و قالت العرب لمحمد (ص): حول لنا الصفا ذهباً، و غير ذلك. و كذلك قال الله تعالى: «أتوا صوابه» «2» و روى عن ابن إسحاق انه قرأ (تشابهت)- بتشديد الشين- خطأ، لان ذلك انما يجوز فى المضارع. بمعنى تتشابه-

فتدغم احدى التاءين فى الشين- هكذا قال الفراء، و غيره من أهل العلم.
و قوله: «قَدْ بَيَّنَّا الْآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» معناه أيقن بها قوم من حيث دلتهم على الحق، فالواجب على كلّ هؤلاء ان يستدلوا بها، ليصلوا الى اليقين كما وصل غيرهم اليه بها.

---

(1) و قيل انه لجرير و هو مذكور فى ديوانه: 338. و روايته أفضل سعيكم. و قد مر فى 1: 319. و البيت من قصيدة طويلة فى مناقضة جرير و الفرزدق. و الكمى: الشجاع.
(2) سورة الذاريات: آية 51.

و اليقين و العلم و المعرفة نظائر فى اللغة. و نقيضه الشک، و الجهل. تقول أيقن ايقاناً، و تيقن تيقنا، و استيقن استيقانا. و قال صاحب العين: اليقين النفس. قال الشاعر:
و ما بالذى أبصرته العيو ن من قطع يأس و لا من يقن «1»
و اليقين: علم يثلج به الصدر، و لذا يقولون: أجد برد اليقين، و لا يقولون: وجد برد العلم. فان قيل: لم لم يؤتوا الآيات التى طلبوها، لتكون الحجة أ أكد قلنا: اظهار الآيات يعتبر فيه المصالح، و ليس بموقوف على اقتراح العباد. و لو علم الله ان ما اقترحوا من الآيات فيه مصلحة، لأظهرها، فلما لم يظهرها، علمنا انه لم يكن فيها مصلحة لنا أصلا.

اشارة

إِنَّا أَرْسَلْناکَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ (119) آية بلا خلاف.

قرأ نافع (لا تسأل). بفتح التاء و جزم اللام. على النهى، و روى ذلک عن أبى جعفر محمد بن على الباقر (ع)
، و ابن عباس: ذكر ذلک الفراء، و البلخى الباقون على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله.

معنى قوله: «وَ لا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ» تسلية للنبى (ص) فقيل له

_____

(1) اللسان (يقن) اليقن- بفتح الياء و القاف-: اليقن. فى المطبوعة (يقين) بدل (يقن) و فى المخطوطة (تيقين).

«انما انت بشير و نذير» و لست «تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ» و مثله قوله: «فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ» و قوله «لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ» «1» و قوله «عَلَيْهِ ما حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ» «2»

و موضع (تسأل) يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يكون استئنافا و لا موضع له.
و الآخر- ان يكون حالا، فيكون موضعه نصباً. ذكر ذلک الزجاج، لأنه قال: «أَرْسَلْناکَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً» غير مسئول عن اصحاب الجحيم. و من فتح التاء على الخبر. تقديره: غير سائل. و أنكر قوم الحال. و اعتلوا ان فى قراءة أبى:
(و ما تسأل) و فى قراءة عبد اللَّه: (و لن تسأل) و هذا غير صحيح، لان ليس قياس (لا) قياس لن «3» و ما، لأنه يجوز أرسلناک لا سائلا، و لا يجوز ما سائلا.
و لذلک احتمل مع لا الحال، و لن يحتمل مع ما و لن، لان للا «4» تصرفا ليس لهما فيجوز ان يعمل ما قبلها فى ما بعدها، و لا يجوز ذلک فيهما. تقول: جئت بلا خبر، و لا يجوز بما خبر. و الجحيم النار بعينها إذا شبت وقودها. قال امية بن أبى الصلت:
إذا شبت جهنم ثم زادت و اعرض عن قوابسها الجحيم «5»
فصار كالعلم على جهنم. و قال صاحب العين: الجحيم: النار الشديدة التأجج، و الالتهاب كما أججوا نار ابراهيم. و هى تجحم جحوما «6» يعنى توقدت جمرتها و جاحم الحرب: شدة القتل فى معركتها. و قال سعيد بن مالک بن ضبيعة.

_____
(1) سورة البقرة: آية 272.
(2) سورة النور: آية 54.
(3) (لن) ساقطة من المطبوعة.
(4) فى المطبوعة (لأنه لا).
(5) ديوانه 53. و روايته (فارت) بدل (زادت).
(6) فى المطبوعة (حجواما).

و الحرب لا يبقى لجا حمها التخيل و المراح «1»
إلا الفتى الصبار فى الن جدات و الفرس الوقاح
و الجحمة: العين بلغة حمير قال الشاعر:
أيا جحمتا بكى على أم مالک اكيلة قلوب بأعلى المذانب «2»
و جحمتا الأسد: عيناه. و تقول: جحمت النار جحماً: إذا اضطرمت.
و جمر جاحم: إذا اشتد اشتعاله. و منه اشتقاق الجحيم. و اصل الباب الالتهاب.

و منه الاجحم: الشديد حمرة العين شبه بالنهار فى حمرتها. و الحرب تشبه بالتهاب النار.

و فى الآية دلالة على انه لا يؤخذ احد بذنب غيره قريبا كان منه أو بعيداً.
كما بين اللَّه انه لا يطالب احد بذلک غيره. و ان كان قد فرض على النبى (ص) ان يدعو الى الحق، و يزجر عن الباطل. و ليس عليه ان يقبل المدعو.
و من قرأ بلفظ النهى. قال الزجاج: يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يكون أمره بترک المسألة. و الآخر- ما قاله الأخفش: ان يكون المعنى على تفخيم ما أعد لهم من العقاب. كما يقال لا تسأل عن فلان أى قد صار الى امر عظيم. و قال قوم: لو كان على النهى: لقال فلا (بالفاء)، لأنه يصير بمنزلة الجواب كأنه يدل على لأنا أرسلناک إلا بالحق و لا تسأل عن اصحاب الجحيم.
و لا يحتاج بالرفع الى الفاء. و إذا كان على الرفع فظاهر الكلام الاول يقتضيه اقتضاء الأحوال، أو اقتضاء البيان الذى يجرى مجرى الحجاج على من اعترض بان فعل

---

(1) اللسان (جحم) فى المخطوطة و المطبوعة (الخيل) بدل (التخيل).
(2) اللسان (جحم) قال ابن برى صواب إنشاده بما قبله و ما بعده:
اتيح لها القلوب من ارض فرقرى و قد يجلب الشر البعيد الجوالب
أيا جحمتى بكى على أم مالک اكيلة قليب ببعض المذانب
فلم يبق منها غير نصف عجانها و شنطرة منها و احدى الذوائب
القلوب: الذئب.

الداعى الى الايمان لا يحل موقعه الا بان يقبل المدعو اليه. و اما إيصاله بما تقدم على الجزم، فإنما هو على معنى التغليظ لشان الجحيم، ليزجر «1» بذلک عن ترک اتباعه (ص) و التصديق بما اتى به من البشارة. قال أبو على الفارسى إنما تلزم الفاء إذا كان الكلام الاول علة فيما بعد ذلک، كقولک أعطيک فرسا فلا تسأل شيئاً اخراً و الآية بخلاف ذلک. و فى الناس من قال: القراءة بالجزم مردودة، لأنه لم يتوجه له اتصال الكلام، و لا كيف جاء بالواو دون الفاء. و قد بينا الاتصال. فاما المجىء بالواو فلأنه لم يرد الدلالة على معنى الجواب، و لكن عطف جملة على جملة تتعلق بها و تقتضى على ما انطوى عليه معناها و معنى الحق فى قوله: «إِنَّا أَرْسَلْناکَ بِالْحَقِّ» الإسلام، بشيرا من اتبعک عليه بالثواب نذيرا من خالفک فيه بالعقاب.
و قيل: «إِنَّا أَرْسَلْناکَ بِالْحَقِّ» يعنى على الحق. كما قال: «خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ» «2» كأنه قال: على انهما حق لا باطل.

اشارة

وَ لَنْ تَرْضى عَنْکَ الْيَهُودُ وَ لا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِى جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَکَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (120)

قيل فى معنى هذه الآية قولان:

أحدهما- ان النبى (ص) كان مجتهداً فى طلب ما يرضيهم، ليقبلوا الى الإسلام و يتركوا القتال، فقيل له: دع ما يرضيهم الى ما امر اللّه به من مجاهدتهم.

و الآخر قال الزجاج: كانوا يسألونه (ع) الهدنة و المسالمة و يرونه انه ان امهلهم اسلموا. فاعلمه اللّه انهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم. و هذه الآية تدل انه لا يصح إرضاء اليهود و لا النصارى على حال، لأنه تعالى علقه بان اليهود

_____

(1) فى المطبوعة (ليرجم) [.....]

(2) سورة عنكبوت آية: 44.

التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 440

لا يرضون عنه حتى يكون (ص) يهوديا، و النصارى لا يرضون عنه حتى يكون نصرانيا، فاستحال ان يكون يهوديا نصرانيا فى حال و استحال إرضاؤهم بذلک.

و الرضا و المحبة، و المودة نظائر و ضد الرضا الغضب. و يقال رضى يرضى رضاء. و أرضاه إرضاء، و ارتضاه ارتضاء، و استرضاه و ترضاه ترضيا، و تراضوا تراضيا، و الرضى و المرضى بمعنى واحد. و الرضا مقصور من بنات الواو بدلالة الرضوان تقول: رجل رضى و رجال رضى و امرأة و نساء رضى. و أصل الباب الرضى نقيض الغضب. و قوله: «حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ» فالملة، و النحلة، و الديانة نظائر.
و تقول وجد فلان ملة و ملالا. و هو عدوى الحمى. و مللت الشىء أمله ملالة و مللا:
إذا سئمته و مللت الخبزة أملها ملا: إذا دفنتها فى الجمر و الجمر بعينه الملة. و قال صاحب العين: الملة الرماد و الجمر و كل شىء تمله فى الجمر فهو مملول. قال الشاعر فى وصف الحرباء:
كأنّ ضاحيه بالنار مملول «1»
و المملول «2» الممتل من الملة. و طريق ممل مليل: قد سلک حتى صار معلماً و ملة رسول اللّه (ص) الامر الذى أوضحه. و امتل الرجل إذا أخذ فى ملة الإسلام:
اى قصدها ما امل منه. و الأمل املال الكتاب، ليكتب. و المليلة من الحمى.

و قوله: «قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى» معناه هو الذى يهدى الى الجنة. لا اليهودية، و لا النصرانية. و قيل ان معناه الدعاء الى هدى اللّه الذى يكذب قولهم

_____

(1) البيت من قصيدة لكعب بن زهير. اللسان (ملل). يقول كأن ما ظهر منه للشمس مشوى بالملة من شدة حره. يقال: أطعمنا خبز ملة، و أطعمنا خبزة مليلا، و لا يقال أطعمنا ملة. فى المطبوعة. كان صاحبه فى النار مملوک. و هو تحريف فاحش. و فى المخطوطة. كان صاحبه فى النار مملول. و الصحيح ما ذكرناه.
(2) فى المطبوعة (و المملوک).

«لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى» «1» و هى الادلة الواضحة على ان المطيع للّه هو الذى يفوز بثوابه فى الجنة، لا من ذكروه من العصاة له. و هذه الآية تدل على ان من علم اللّه منه انه لا يعصى، يتناوله الوعيد و الزجر، لأنه تعالى علم ان النبى (ص) لا يعصى و لا يتبع أهواءهم، و فيها دلالة على ان كل من اتبع الكفار على كفرهم ماله من اللّه من ولى و لا نصير، لأنه إذا وجب ذلک فى متبع واحد، وجب ذلک فى الجميع.

(حتى تتبع) نصب بحتى و حكى الزجاج عن الخليل و سيبويه، و جميع البصر بين أن الناصب للفعل (أن) بعد حتى، لان حتى تخفض الاسم فى قوله: «حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» «2» و لا يعرف فى العربية حرف يعمل فى اسم و فعل، و لا ما يكون خافضاً لاسم، يكون ناصباً لفعل. فصار ذلک مثل قولک جاء زيد ليضربک، فإنها تنصب الفعل بإضمار (ان) لكونها جارّة للاسم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 121] ..... ص : 441

اشارة

الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِکَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ (121)
آية بلا خلاف.

المعنى بهذه الآية- فى قول قتادة و اختيار الجبائى- اصحاب النبى (ص) الذين آمنوا بالقرآن و صدقوا به. و قال ابن زيد: هو من آمن بالنبى (ص) من بنى إسرائيل. و الكتاب على قوله: التوراة.
و معنى قوله: «يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ» قال ابن عباس: يتبعونه حق اتباعه،

---

(1) سورة البقرة: آية 111.
(2) سورة الفجر: آية 7.

و لا يحرفونه، ثم يعملون بحلاله و يقفون عند حرامه. و مثله قوله: «وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها» «1» اى تبعها. و به قال ابن مسعود، و مجاهد و قتادة، و عطاء.
و روى عن أبى عبد اللَّه (ع) حق التلاوة الوقوف عند ذكر الجنة و النار يسأل فى الأولى، و يستجير من الاخرى.
و قال قوم «يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ» يقرءونه حق قراءته.

و التلاوة فى اللغة على وجهين:
أحدهما- القراءة:
و الثانى- الاتباع.
و الاول أقوى، و عليه اكثر المفسرين و لا يجوز ان يقال: يتلونه حق التلاوة على مذهب الكوفيين، كما لا يجوز يتلونه: ايّ التلاوة، لان أيا إذا كانت مدحاً وقع على النكرة، و لم يقع على المعرفة. فلا يجوز مررت بالرجل حق الرجل كما لا يجوز مررت بالرجل اى الرجل. و كما لا يجوز مررت بابى عبد اللّه أبى زيد.
و انما جاز تلاوته. كما يجوز رب رجل و أخيه. و قال بعض البصريين يجوز مررت بالرجل حق الرجل. و لا يجوز مع اى لان ايا تدل على التبعيض. و ليس كذلک حق. فلما مررت بالرجل كل الرجل فجائز عند الجميع، لان أصله التوكيد، فترک على حاله.

و المعنى بقوله «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ» اليهود- على قول ابن زيد- و الاولى ان يكون ذلک محمول على عموماً فى جميع الكفار. و به قال الجبائى و اكثر المفسرين.

قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 122] .... ص : 442

اشارة

يا بَنِى إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ (122)

_____

(1) سورة الشمس: آية 2.

آية واحدة.

هذا خطاب من اللّه لبنى إسرائيل الذين كانوا فى عهد رسول اللَّه (ص) أمرهم اللّه ان يذكروا نعمته التى أنعم بها عليهم.

و النعمة: النفع الذى يستحق به الشكر. و الانعام و الإحسان و الإفضال نظائر.
و نقيض النعمة: النقمة: و هو الضرر المستحق.

و معنى قوله: «وَ أَنِّی فَضَّلْتُکُمْ عَلَی الْعالَمِینَ» يعنى عالمى زمانهم. و تفضيله إياهم بان جعل فيهم النبوة و الحكم و هذه الآية قد تقدم ذكر مثلها فى رأس نيف و أربعين. و قيل فى سبب تكريرها ثلاثة اقوال:
أحدها- ان نعم اللّه لما كانت الأصل الذى به يجب شكره، و عبادته ذكر بها، ليقبلوا الى طاعته و اتباع أمره، و ليكون مبالغة فى استدعائهم الى ما يلزمهم لربهم التظاهر بالنعم عليهم.
و الثانى- انه لما ذكر الكتاب و عنى به التوراة، و كان فيه الدلالة على شأن عيسى و محمد (ص) فى النبوة و البشارة المتقدمة، ذكرهم عز و جل بما أنعم عليهم من ذلک، و فضلهم كما جاء «فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ» «1» بعد نعم ذكرهم بها، ثم عدد نعماً اخر، و قال فيها فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ «2» اى فبأى هذه تكذبان و كل تقريع جاء، فإنما هو موصول بتذكير نعمه غير الاول. و الثالث غير الثانى. و هكذا الى آخر السورة. و كذلک الوعيد- فى سورة المرسلات- بقوله: «وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ» «3» انما هو بعد الدلالة على اعمال يعظم التكذيب بما تدعو اليه الادلة.

(1، 2) سورة الرحمان من آية 13 الى 77.
(3) سورة الطور آية 11، و سورة المرسلات من آية 15 الى 49، و سورة المطففين آية 10.

الثالث- انه مقدمة لما بعده، لأنه تعالى أراد وعظهم ذكرهم قبل ذلک بالنعم عليهم، لأنه استدعاء الى قبول الوعظ لهم «1». و قيل: فيه وجه رابع.
و هو انه لما تباعد بين الكلامين حسن التنبيه و التذكير.
و موضع (التى) نصب بالعطف على نعمتى

وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ (123)
آية بلا خلاف.
و مثل هذه الآية ايضاً تقدم. و بينا ما فيها، فلا معنى للتكرار. و بينا ان العدل هو الفدية. و قيل هو المثل. و يقال هذا عدله، اى مثله و العدل، هو الحمل و بينا قول من يقول: إن الشفاعة لا تكون إلا لمرتكبى الكبائر: إذا ماتوا مصرين. فان قلنا ظاهر الآية متروک بالإجماع، لأنه لا خلاف ان ها هنا شفاعة نافعة و الآية تقتضى نفيها، و ان خصوا بأنها لا تنفع المصرين، و انما ينفع التائبين؟ قلنا:
لنا ان نخصها بالكافرين دون فساق «2» المسلمين. و اما قوله: «لا يشفعون» الا لمن ارتضى فنتكلم عليه إذا انتهينا اليه. و من قال: إنه ليس يعنى انه يشفع لها شافع فلا تنفع شفاعته، لكنه يريد لا تأتى بمن يشفع لها. كما قال الشاعر:
على لا حب لا يهتدى بمناره
و إنما أراد به لا منار هناک فيهتدى به لا يضرنا، لأنا لا نقول: إن هناک شفاعة تحصل و لا تنفع بل نقول: إن الشفاعة إذا حصلت من النبى، و غيره فإنها تنفع لا محالة. و كذلک عند المخالف، و ان قلنا: انها تنفع فى إسقاط المضار و قالوا: هم فى زيادة المنافع غير ان اتفقنا «3» على انها تحصل لا محالة و لسنا ممن ينفى حصول الشفاعة أصلا.

---

(1) فى المخطوطة «لهم فيه»
. (2) فى المطبوعة (فلق) و هو تحريف.
(3) فى المطبوعة (انقضا).

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 124] ..... ص : 445

اشارة

وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی قالَ لا یَنالُ عَهْدِی الظَّالِمِینَ (124)
آیة بلا خلاف.

اسكن الياء من (عهدى) حمزة و حفص إلا ابن ساهى. و كتب فى بعض المصاحف (ابراهم) بغير ياء و فى أكثرها بالياء. قال بعض الجرهميين: نحن ورثنا على عهد (ابراهيم) «1». و قرأ ابن عامر ابراهام في خمسة و ثلاثين موضعاً فى القرآن كله: فى البقرة خمسة عشرة موضعاً. و هو جميع ما فيها. تقدير الآية و اذكروا إذ ابتلى ابراهيم ربُّه بكلمات.

و الابتلاء هو الاختبار- و هو مجاز ها هنا لان حقيقته الامر من اللَّه تعالى بخصال الايمان فسمى ذلک اختبارا، لان ما يستعمل بالأمر منا فى مثل ذلک على جهة الاختبار و الامتحان، فجرى تشبيهاً بما يستعمله اهل اللغة عليه. و قال بن الاخشاذ:
إنما ذلک على انه جل ثناؤه يعامل العبد معاملة المختبر الذى لا يعلم لأنه لو جازاهم بعمله فيهم، كان ظالما لهم. و الكلمات التى ابتلى اللّه ابراهيم بها فيها خلاف فيروى فى بعض الروايات عن ابن عباس، و به قال قتادة، و ابو الخلد: انه أمره «2» إياه بعشرة سنن «3». خمس فى الرأس، و خمس فى الجسد. فاما التى فى الرأس فالمضمضة و الاستنشاق و الفرق و قص الشارب، و السواک. و اما التى فى الجسد: فالختان و حلق

---

(1) استدل بهذا على (ابراهم)- بدون ياء- و فى المطبوعة و المخطوطة بالياء.
و هو غلط.
(2) فى المخطوطة و المطبوعة (أمن).
(3) فى المطبوعة (سنين). [.....]

العانة، و تقليم الاظفار، و نتف الإبطين و الاستنجاء. و فى احدى الروايتين عن ابن عباس أنه ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين شيئاً عشرة منها فى براءة «التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ.» الى آخرها و عشرة فى الأحزاب: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ» الى آخرها و عشرة فى سورة المؤمنين: الى قوله «وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ» و عشرة فى سأل سائل الى قوله: «وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاَتِهِمْ يُحافِظُونَ» فجعلها أربعين سهما و فى رواية ثالثة عن ابن عباس انه أمره بمناسک الحج: الوقوف بعرفة و الطواف و السعى بين الصفا و المروة و رمى الجمار «1» و الافاضة. قال الحسن: ابتلاه اللّه بالكوكب و بالقمر و بالشمس، و بالختان و بذبح ابنه، و بالنار، و بالهجرة و كلهن وفى للّه فيهن. و قال مجاهد: ابتلاه اللَّه بالآيات التى بعدها و هى «إِنِّى جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى قالَ لا يَنالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ» و قال الجبائى: أراد بذلک كلما كلفه «2» من طاعاته العقلية و الشرعية.
و قوله: (فاتمهن) معناه وفى بهن على قول الحسن و قال قتادة و الربيع: عمل بهن، فاتمهن. و قال البلخى: الضمير فى أتمهن راجع إلى اللَّه. و هو اختيار الحسين بن على المغربى. قال البلخى: الكلمات هى الامامة على ما

قال مجاهد. قال:
لأن الكلام متصل، و لم يفصل بين قوله: «إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً» و بين ما تقدمه بواو، فاتمهن اللّه بان أوجب بها الامامة له بطاعته، و اضطلاعه، و منع ان ينال العهد الظالمين من ذريته، و أخبره بان منهم ظالما فرضى به و أطاعه و كل ذلک ابتلاء و اختبار.

و التمام و الكمال و الوفاء نظائر. و ضد التمام النقصان. يقال: تم تماما، و أتم إتماماً.
و استتم استتماما. و تمم تتميما و تتمة. و تتمة كل شىء: ما يكون تمامه بغايته كقولك:
هذه الدراهم تمام هذه المائة. و تتمة هذه المائة. التم: الشىء التمام. تقول جعلته لک تماما

_____
(1) و رمى الجمار ساقطة من المطبوعة
(2) كلفه ساقطة من المطبوعة.

أى بتمامه، و التميمة: قلادة، من سيور. و ربما جعلت فيه العوذ، تعلق على الصبيان.
و الليلة التمام أطول ليلة فى السنة. و يقال: بل ليل التمام لثلاث عشرة، لأنه يستبان فيها نقصانها من زيادتها «1». و يقال: بل ليلة اربع عشرة، لأنه يتم فيها القمر، فيصير بدراً. و يقال حملته لتمام- بفتح التاء و كسرها- و التمام فى لغة تميم هو التمام. و قال ابن دريد: امرأة حبلى متم «2» و ولد الغلام أتم، و تمام. و بدر تمام، و ليل تمام- بالكسر فيهن- و ما بعد هذا فهو تمام- بالفتح-. و أصل الباب التمام، و هو الكمال.

و قوله: «مِنْ ذُرِّيَّتِی» معناه و اجعل من ذريتی من يؤتم به، و يقتدی به- على قول الربيع و أكثر المفسرين. و قال بعضهم معناه انه سأل لعقبه ان يكونوا على عهده، و ورثته. كما قال: «وَ اجْنُبْنِی وَ بَنِیَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ» «3» فأخبره اللّه ان فی عقبه الظالم المخالف له، و ذريته بقوله: «لا يَنالُ عَهْدِی الظَّالِمِينَ» و الاول اظهر. و قال الجبائی قوله: «وَ مِنْ ذُرِّيَّتِی» سؤال منه للّه أن يعرّفه هل فی ذريته من يبعثه نبياً، كما بعثه هو، و جعله إماماً. و هذا الذی قاله ليس فی الكلام ما يدل عليه، بل الظاهر خلافه. و لو احتمل ذلک لم يمتنع ان يضيف الى مسألة منه للّه ان يفعل ذلک بذريته مع سؤاله تعريفه ذلک.

و الذرية، و النسل و الولد نظائر. و أراد ابراهيم (ع) هذا. و قال بعضهم: عبر بالذرية عن الآباء. و قال تعالى: «وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ» «4» اى آباءهم. و هذا ليس بواضح. و بعض العرب ذرية- بكسر

---

(1) هكذا عبارة المخطوطة و المطبوعة. و فى لسان العرب (تمم) هى ثلاث ليال لا يستبان زيادتها من نقصانها.
(2) فى المخطوطة و المطبوعة (ميتم)
(3) سورة ابراهيم: آية 35.
(4) سورة يس: آية 41.

الذال- و بها قرأ زيد بن ثابت. قال صاحب العين الذر: صغار النمل. واحده ذرة، و الذر أخذك الشىء بأطراف أصابعك. تقول: ذررت الدواء اذره ذراً. و كذلك الملح و غيره. و اسم الدواء- الذى يتخذ للعين- ذرور. و الذريرة: ذات قصب الطيب، و هو قصب يجاء به من الهند كأنه قصب النشاب «1». و الذرارة ما تناثر «2» من الشىء الذى تذره. و الذرية: فعلية من ذررت، لان اللّه تعالى ذرهم فى الأرض، فنثرهم فيها. كما ان السريرة من سررت. و الجمع الذرارى، و السرارى و ما أشبهه و إن خففت، جاز. و الذرور ذروة الشمس، فهو يذر ذروراً و ذلك أول طلوعها، و سقوطها الى الأرض، أو الشجر. و تقول ذر قرن الشمس اى طلع. و أصل الباب الذر و هو التفرقة.
و قوله: «لا يَنالُ عَهْدِى» و النيل و اللحاق و الإدراک نظائر. و النيل و النوال: ما نلته من معروف انسان. و اناله معروفه، و نوّله: أعطاه نوالا. قال طرفة:
إن تنوله فقد تمنعه و تريه النجم يجرى بالظهر «3»
و قولهم: نولک ان تفعل ذلک، و معناه حقک ان تفعل. و النول خشبة الحائک الذى ينسج الوسائد عليه و نحوها. و اذانه المنصوبة ايضاً تسمى النوال. و أصل الباب النيل، و هو اللحوق.

و المراد بالعهد ها هنا فيه خلاف. قال السدى و اختاره الجبائى: إنه أراد النبوة. و قال مجاهد:
هو الامامة و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد اللَّه (ع)
قالوا: لا يكون الظالم إماماً. و قال ابو حذيفة: لا اتخذ إماماً ضالا فى الدنيا.
و قيل: معناه الامر بالوفاء له فيما عقده من ظلمه. و قال ابن عباس: فإذا عقد عليک فى ظلم، فانقضه. و قال الحسن: ليس لهم عند اللّه عهد يعطيهم عليه خيراً فى الآخرة، فأما فى الدنيا، فقد يعاهدون فيوفى لهم. و كأنه على هذا التأويل طاعة يحتسب بها فى الآخرة.

---

(1) فى المطبوعة (النشاء)
(2) فى المطبوعة (ما تناش)
(3) اللسان (نول).

و قوله: «لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ» يدل على انه يجوز ان يعطى ذلک بعض ولده إذا لم يكن ظالماً، لأنه لو لم يرد ان يجعل احداً منهم إماماً للناس، كان يجب أن يقول فى الجواب لا و لا ينال عهدى ذريتک. و كان يجوز ان يقول فى العربية:
لا ينال عهدى الظالمون، لان ما نالک فقد نلته. و روى ذلک فى قراءة ابن مسعود إلا أنه فى المصحف (بالياء). تقول نالنى خيرک، و نلت خيرک. و استدل أصحابنا بهذه الآية على ان الامام لا يكون إلا معصوما من القبائح، لان اللّه تعالى نفى ان ينال عهده- الذى هو الامامة- ظالم، و من ليس بمعصوم فهو ظالم: إما لنفسه، أو لغيره. فان قيل: انما نفى إن يناله ظالم- فى حال كونه كذلک-: فاما إذا تاب و أناب، فلا يسمى ظالماً، فلا يمتنع أن ينال. قلنا: إذا تاب لا يخرج من أن تكون الآية تناولته- فى حال كونه ظالما- فإذا نفى ان يناله، فقد حكم عليه بانه لا ينالها، و لم يفد انه لا ينالها فى هذه الحال دون غيرها، فيجب ان تحمل الآية على عموم الأوقات فى ذلک، و لا ينالها و إن تاب فيما بعد. و استدلوا بها ايضاً على أن منزلة الامامة منفصلة من النبوة، لان اللّه خاطب ابراهيم (ع) و هو نبى، فقال له: انه سيجعله إماما جزاء له على إتمامه ما ابتلاه اللّه به من الكلمات، و لو كان إماما فى الحال، لما كان للكلام معنى، فدل ذلک على ان منزلة الامامة منفصلة من النبوة. و انما أراد اللّه أن يجعلها لإبراهيم (ع) و قد أملينا رسالة مقررة فى الفرق بين النبى، و الامام، و ان النبى قد لا يكون إماما على بعض الوجوه، فاما الامام فلا شک انه يكون غير نبى. و أوضحنا القول فى ذلک، من أراده

وقف عليه من هناک. و ابراهيم، و ابراهيم لغتان، و أصله ابراهام فحذفت الالف استخفافا. قال الشاعر:
عذت بما عاذ به إبراهيم «1» و قال امية: مع ابراهم التقى و موسى

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 125] ..... ص : 449

اشارة

وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ وَ أَمْناً وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى وَ عَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)

---

(1) قائله عبد المطلب. اللسان (برهم) و تتمة الرجز:
مستقبل القبلة و هو قائم انى لک اللهم عان راغم
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 450
آية واحدة.

قرأ نافع و ابن عامر (و اتخذوا) على لفظ الخبر. الباقون بلفظ الامر.

قوله: «وَ إِذْ جَعَلْنَا» عطف على قوله «وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ» و ذلک معطوف علَى قوله: «يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» «وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ» «وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً» و البيت الذى جعله مثابة هو البيت الحرام.

و البيت فى اللغة، و المنزل، و المأوى نظائر. يقال: بات يبيت بيتوتة، و بيته مبايتة. و تبيت تبيتاً. و تبايتوا تبايتاً. و البيت من أبيات الشعر و من بيوت الناس. و البيت من بيوتات العرب: احياؤها «1». و بيت فلان أبياتاً تبيتاً إذا بناها. و البيتوتة: الدخول فى الليل. تقول: بت افعل كذا، و بالنهار ظللت «2» و باتوا بيتوتة حسنة. و أباتهم اللّه إباتة. و أباتهم الامر بياتاً كل ذلک دخول الليل. و ليس من النوم فى شىء و ما عنده بيت ليلة. و لا بيتة ليلة بكسر الباء يعنى القوت. و اللّه يكتب ما يبيتون عمل الليل و بيت القوم إذا أوقعت فيهم ليلا. و المصدر البيت. و الاسم: البيات. و منه قوله: (بأسنا بياتا) و يسمى البيت من الشعر بيتاً لضمه الحروف و الكلام كما يضم البيت أهله و امرأة الرجل: بيته. قال الراجز:

---

(1) فى المطبوعة و المخطوطة (أخيارها).
(2) فى المطبوعة (و تاليها و ظللت).

مالى إذا أخذتها صأيت «1» أكبر غيرنى أم بيت

و ماء بيوت إذا بات ليلة فى إنائه و اصل الباب البيت: المنزل و قوله: «مثابة» فى معناه خلاف. قال الحسن يثيبون اليه كل عام، أى ليس هو مرة فى الزمان فقط. و قال ابن عباس: معناه أنه لا ينصرف عنه احد، و هو يرى انه قد قضى منه وطراً، فهم يعودون اليه. و

قال ابو جعفر (ع): يرجعون اليه لا يقضون منه وطراً

و به قال مجاهد. و حكى الخازئى «2» ان معناه يحجون «3» اليه فيثابون عليه. و قال الجبائى يثوبون اليه: يصيرون اليه.

و الفرق بين مثابة و مثاب، ان الأخفش قال: مثابة للمبالغة لما كثر من يثوب اليه. كما قيل علامة و نسابة و سيارة و قال الفراء و الزجاج: معناهما واحد. كالمقامة و المقام بمعنى واحد. و وزن مثابة مفعلة و أصلها مثوبة. من ثاب يثوب مثابة، و مثابا. و ثوابا: إذا رجع فنقلت حركة الواو الى الياء ثم قلبت على ما قبلها. قال ورقة بن نوفل فى صفة الحرم:
مثاب لإفناء القبائل كلها تخب اليه اليعملات الطلائح «4»

---

(1) اللسان (بيت) و آمالى الشريف المرتضى 1: 378. و لم ينسبهما. فى المخطوطة و المطبوعة:
البر قد عالنى أم بيت صأى يصئى و يصأى صئيا- بكسر الصاد و صمها و فتحها- الفرخ: صاح. و كذا العقرب و منه المثل (يلذع و يصئى) يضرب لمن يظلم و يشكو.
(2) فى المخطوطة الحارثى. [.....]
(3) فى المطبوعة (الحجون)
(4) اللسان (ثوب) و روايته (الذوامل) بدل (الطلائح) و قد نسبه لابى طالب (رض) و فى تفسير الطبرى 3: 26 و فى تفسير أبى حيان 1: 380 ايضاً برواية التبيان الا أن أبى حيان نصب (مثابا).
و افناء القبائل: اخلاطهم. و الخبب: ضرب سريع من العدو. و اليعملات: ج. يعمله و هى الناقة السريعة المطبوعة على العمل. اشتق اسمها من العمل. و طلائح ج. طليح: الناقة التى أجهدها السير.

و منه ثاب اليه عقله، أى رجع اليه بعد عزوبه. و قوله «وَ أَمْناً» فالامن مصدر قولک أمن يأمن أمنا. و انما جعله أمنا بان حكم ان من عاذ به و التجأ لا يخاف على نفسه ما دام فيه بما جعله فى نفوس العرب من تعظيمه فكان من فيه آمنا على ماله و دمه و يتخطف الناس من حوله كما قال: «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ» «1» و لعظم حرمته ان من جنى جناية و التجأ اليه لا يقام عليه الحد حتى يخرج لكن يضيق عليه فى المطعم و المشرب، و البيع و الشراء، حتى يخرج منه، فيقام عليه الحد. فان أحدث فيه ما يوجب الحد أقيم عليه فيه، لأنه هتک حرمة الحرم. و لان اللّه تعالى جعل الأشهر الحرم لا يحل فيها القتال، و القتل و كل ذلک بسبب البيت الحرام، فهو آمن بهذه الوجوه.

و قوله:«وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ» اكثر القراء على لفظ الامر. إلا ابن عامر و نافع فإنهما قرأا على لفظ الخبر من فعل ماض و يحتمل ان يكون اللفظ معطوفا على قوله: «اذْكُرُوا» كأنه قال يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى، و اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى.

و قال الربيع بن انس: من الكلمات التى ابتلى ابراهيم ربه قوله: «وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى» و كأنه قال: «إِنِّى جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً» و قال: «اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى» و قيل: انه معطوف على «وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ» لان معناه و اذكروا إذا جعلنا البيت و اتخذوا و قيل: انه معطوف على معنى «جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ» لأن فيه معنى ثوبوا اليه و اتخذوا. و ظاهر قوله: و اتخذوا انه عام لجميع المكلفين إلا من خصه الدليل و عليه اكثر المفسرين. و قال ابو على

---

(1) سورة العنكبوت: آية 67.

الفارسى: وجه قراءة من قرأ، على الخبر انه عطف على ما أضيف اليه إذ كأنه قال و إذ اتخذوا قال. و تقوية قوله ان ما بعده خبر، و هو قوله «وَ عَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ».

المعنى بقوله: (من مقام) قيل فيه اربعة أقوال:
أحدها- قال ابن عباس الحج كله مقام ابراهيم.
[ثانيها]- و قال عطا مقام ابراهيم عرفة و المزدلفة و الجمار.
[ثالثها]- و قال مجاهد: الحرم كله مقام ابراهيم.
[رابعها]- و قال السدى: مقام ابراهيم هو الحجر الذى كانت زوجة إسماعيل وضعته تحت قدم ابراهيم حين غسلت رأسه. فوضع ابراهيم رجله عليه و هو راكب فغسلت شقه ثم رفعته من تحته و قد غابت رجله فى الحجر فوضعته تحت الشق الآخر فغسلته فغابت ايضا رجله فيه فجعلها اللّه من شعائره، فقال «وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى» و به قال الحسن، و قتادة، و الربيع، و اختاره الجبائى، و الرمانى، و هو الظاهر فى اخبارنا، و هو الأقوى، لان مقام ابراهيم إذا اطلق «1» لا يفهم منه إلا المقام المعروف الذى هو فى المسجد الحرام. و فى المقام دلالة على نبوة ابراهيم (ع)، لان اللّه تعالى جعل الصخرة تحت قدمه كالطين حتى دخلت قدمه فيها- و كان ذلك معجزة له-. و قيل فى معنى قوله (مصلى) ثلاثة أقوال:
قال مجاهد: مدعى مأخوذ من صليت بمعنى دعوت.
و قال الحسن و الجبائى: قبلة.
و قال قتادة و السدى: أمروا أن يصلوا عنده. و هو المروى فى أخبارنا.
و بذلك استدلوا على أن صلاة الطواف فريضة مثله، لان اللّه تعالى أمر بذلك و الامر يقتضى الوجوب، و ليس ها هنا صلاة يجب أداؤها عنده غير هذه بلا خلاف.

---

(1) فى المطبوعة (اتطلق و فى المخطوطة (انطلق)

و قوله: «عَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ» أى أمرنا ان طهرا. قال الجبائى: أمرا أن يطهراه من فرث و دم كان يطرحه عنده المشركون قبل ان يصير فى يد ابراهيم. و يجوز أن يريد طهراه من الأصنام، و الأوثان التى كانت عليه للمشركين قبل أن يصير فى يد ابراهيم. و به قال قتادة، و مجاهد. و قال السدى طهراه ببنائكما له على الطهارة، كما قال: أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللّهِ وَ رِضْوانٍ خَيْرٌ» «1»

و الطائف و الدائر و الجائل نظائر. طاف يطوف طوافا إذا دار حول الشىء. و أطاف به اطافة: إذا ألم به. و طوف تطويفا. و الطوف: خشب أو قصب يجمع بعضه الى بعض، يركب عليه فى البحر. و الطوفان مصدر طاف يطوف طوفا. فاما طاف بالبيت فهو طواف. و أطاف به إذا أحاط به. و الطائف: العاس. و الطوافون المماليک كقوله: (طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ» «2» و الطائف: طائف الجن و الشيطان. و كل شىء يغشى القلب من وسواسه فهو طيفه. و الطائفة من كل شىء قطعة. تقول:
طائفة من الناس، و طائفة من الليل. قال اللّه تعالى (طائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَکَ) «3» و اصل الباب الطوف: الدور.

و معنى (الطائفين) ها هنا قيل فيه قولان:
أحدهما- ما قال سعيد بن جبير: (الطائفين) من أتاه من غربة.
و الثانى- قال عطا و اختاره الجبائى، و غيرهم: الطائفون بالبيت.- و هو الأصح- و قوله: «و العاكفين» ها هنا قيل فيه اربعة أقوال:

_____

(1) سورة التوبة: آية 110.
(2) سورة النور: آية 58.
(3) سورة المزمل: آية 20.

الاول- قال عطا و اختاره الجبائى: انهم المقيمون بحضرته.
و الثانى- قال مجاهد و عكرمة: انهم المجاورون.
و الثالث- قال سعيد بن جبير، و قتادة: انهم أهل البلد الحرام.
و الرابع- قال ابن عباس: هم المصلون. و الاول أقوى، لأنه المفهوم من اطلاق هذه اللفظة. قال النابغة «1»
عكوف على أبياتهم يثمدونها رمى اللَّه فى تلك الأكف الكوانع «2»

و العكف و اللزوم و الدوام على الشىء نظائر. تقول عكف يعكف، عكفاً و عكوفاً، إذا: لزم الشىء و أقام عليه فهو عاكف، و عكف الطير بالقتيل. و العاكف المعتكف فى المسجد، قلما يقولون عكف، و ان قيل كان صوابا، و انما يقولون:
اعتكف. و يقال للنظم إذا نظم فيه الجوهر: عكف تعكيفاً. و المعكوف: المحبوس و اصل الباب العكف و هو اللزوم.

و المعنى بقوله: «وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ» قال قتادة و عطا: هم الذين يصلون عند الكعبة، يركعون عندها، و يسجدون. و قال الحسن: «الرُّكَّعِ السُّجُودِ» جميع

---

(1) هو نابغة بنى ذبيان.
(2) ديوانه، و اللسان (رمى) روايتهما (قعوداً) بدل (عكوف) (و الأنوف) بدل (الأكف) و فى بعض المصادر الأخرى (عكوفا) بدل (عكوف) و فى بعض الروايات (يثمدونهم) بدل «يثمدونها). و هذا البيت من أبيات قالها لزرعة بن عامر. حين بعثت بنو عامر الى حصن ابن حذيفة، و ابنه عيينة بن حصن: أن اقطعوا حلف ما بينكم و بين بنى أسد، و ألحقوهم ببنى كنانة، و نحالفكم و نحن بنو أبيكم. و كان عيينة هم بذلک، فقالت بنو ذبيان: اخرجوا من فيكم من الحلفاء، و نخرج من فينا! فأتوا، فقال النابغة: هذه الأبيات، فمدح بنى أسد، و ذم بنى عباس، و نقص بنى سهم و مالک من غطفان و عبد بن سعيد بن ذبيان. و هاجم بهذا البيت الجميع و «يثمدنها) الضمير عائد الى الأبيات. أى يلازمون بيوتهم، يسترزقونها، لان معنى الثمد الاسترزاق. و هو هزء بهم. «الكوانع» جمع كانع: و هو الخاضع الذمى تدانى و تصاغر.

المؤمنين، و به قال الفراء. و هو الأقوى، لأنه العموم. فان قيل: كيف امر اللّه تعالى ان يطهر بيته و لم يكن هناک بيت بعد؟ قيل: معناه ابنيا لى بيتاً مطهراً- فى قول السدى- و قال عطا: معناه طهرا مكان البيت الذى تبنياه فيما بعد. و فى الآية دلالة على ان الصلاة جوف البيت جائزة.

اشارة

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلى عَذابِ النَّارِ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (126)
آية.

التقدير و اذكروا إذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً. فان قيل: هل كان الحرم آمنا قبل دعوة ابراهيم (ع)؟ قيل فيه خلاف:
قال مجاهد عن ابن عباس، و ابو شريح الخزاعى: كان آمنا لقول النبى (ص) حين فتح مكة هذه حرم حرمها اللّه يوم خلق السماوات و الأرض، و هو الظاهر فى رواياتنا.
و قال قوم: كانت قبل دعوة ابراهيم كسائر البلاد، و انما صارت حرماً بعد دعوته (ع) كما صارت المدينة. لما
روى ان النبى (ص) قال: ان ابراهيم (ع) حرم مكة، و انى حرمت المدينة.
و قال بعضهم: كانت حراماً و الدعوة بوجه غير الوجه الذى صارت به حراماً بعد الدعوة و الاول يمنع اللّه إياها من الاضطلام، و الانتقام، كما لحق غيرها من التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 457
البلاد، و بما جعل فى النفوس من تعظيمها، و الهيبة لها. و الوجه الثانى- بالأمر على ألسنة الرسل. فأجابه اللّه الى ما سأل و انما سأل أن يجعلها آمنا من الجدب، و القحط لأنه أسكن أهله بواد غير ذى زرع، و لا ضرع. و لم يسأله أمنه من انتقال، و خسف، لأنه كان آمنا من ذلک. و قال قوم: سأله الامرين على ان يديمهما له.
و ان كان أحدهما مستأنفا، و الآخر كان قبل.
و معنى قوله: «بَلَداً آمِناً» أى يأمنون فيه. كما يقال: ليل نائم أى النوم فيه.

و البلد و المصر و المدينة نظائر. و رجل بليد إذا كان بعيد الفطنة. و كذلک يقال للدابة التى تقصر عن نظائرها. و أصل البلادة التأثير. و من ذلک قولهم لكركرة البعير: بلدة لأنه إذا برک تأثرت «1». و البلد: الأثر فى الجلد، و غيره. و جمعه أبلاد.
و انما سميت البلاد من قولک. بلد او بلدة، لأنها مواضع مواطن الناس و تأثيرهم. و البلد:
المقبرة و يقال: هو نفس القبر قال حفاف:
كل امرئ نازل أحبته و مسلم وجهه الى البلد
«لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ» يعنى بمكة و التبلد نقيض التجلد. و هو استكانة و خضوع. و تبلد الرجل: إذا نكس و ضعف فى العمر، و غيره حتى فى السجود.
و البلدة: منزل من منازل القمر. و أصل الباب البلد، و هو الأثر فى الجلد، و غيره.

و قوله «فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا» يعنى بالرزق الذى أرزقه الى وقت مماته. و قيل فأمتعه بالبقاء فى الدنيا. و قال الحسن: فامتعه بالأمن و الرزق الى خروج محمد (ص) فيقتله إن أقام على كفره. أو يجليه «2» عنها. و قد قرئ فى الشواذ فامتعه على وجه الدعاء

_____

(1) فى المطبوعة (إذا ترک أخرت).

(2) فى المطبوعة (الجلية) بدل (يجليه).

بصورة الامر، ثم اضطره بمثل ذلک على ان يكون ذلک سؤالا من ابراهيم ان يمتع الكافر قليلا ثم يضطره بعد ذلک الى عذاب النار. و الاول أجود لأنه قراءة الجماعة، هذا مروى عن ابن عباس.

و الراء مفتوحة فى هذه القراءة و كان يجب ان تكسر كما يقال مد و مد و لم يقرأ به أحد و قرأ: ابن عباس وحده (فأمتعه قليلا) من المتعة على الخبر الباقون بالتشديد بدلالة قوله: «مَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ».

و الفرق بين متعت و أمتعت ان التشديد يدل على تكثير الفعل، و ليس كذلک التخفيف. و فعلت و افعلت يجىء على خمسة اقسام:
أحدها- ان يكونا بمعنى واحد كقولهم: سميت و أسميت و يجىء على التكثير و التقليل و يجىء على النقص كقولک: فرطت: قصرت. «1» و أفرطت: جاوزت.
و الرابع- توليت الفعل و تركته حتى يقع: كقوله «يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ» اى يهدمون. فاما أخربت فمعناه «2» تركت المنزل و هربت منه حتى خرب.
و الخامس- ان ينفرد أحدهما عن الآخر. كقولک: كلمت لا يقال فيه افعلت و أجلست و لا يقال: منه فعلت.

و معنى (ثم أضطره) ادفعه الى عذاب النار و أسوقه اليها. و الاضطرار هو الفعل فى الغير على وجه لا يمكنه الانفكاک منه، إذا كان من جنس مقدوره، و لهذا لا يقال فلان مضطر الى كونه- و ان كان لا يمكنه دفعه عن نفسه- لما لم يكن الكون من جنس مقدوره. و يقال هو مضطر الى حركة الفالج و حركة العروق، لما كانت الحركة من جنس مقدوره.

---

(1) فى المطبوعة (فبصرت)

. (2) (المطبوعة فمتعناه).

و قوله: «وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ» هو الحال التى يؤدى اليها أولها.

و صار و حال و آل نظائر. يقال صار يصير مصيرا، قياسه رجع يرجع مرجعا «1» و صيره تصييرا قال صاحب العين: صير، كل امر مصيرة و الصيرورة مصدر صار يصير صيرورة. و قال بعضهم: صيور الامر اخره. قال الكميت يمدح هشام ابن عبد الملك:

ملك لم يصنع اللّه منه بدء أمر و لم يضع صيورا

و صارة الجبل: رأسه. و الصير: الشق. و فى الحديث من نظر فى صير باب ففقئت عينه فهى هدر. و صير البقر: موضع يتخذه للحظيرة. و إذا كان للغنم فهو زريبة و اصل الباب: المصير، و هو المآل.

و معنى الآية سأل سؤال عارف باللَّه مطيع له، و هو ان يرزق من الثمرات من آمن باللّه، و اليوم الاخر، فأجاب اللّه ذلک، ثم أعلمه انه يمنع من كفر به، لأجل الدنيا، و لا يمنعه من ذلک كما يتفضل به على المؤمن، ثم يضطره فى الآخرة، الى عذاب النار، و بئس المصير. و هى كما قال: نعوذ باللّه منها.
و قوله فى الآية (قليلا) يحتمل ان يكون صفة للمصدر كما قال متاعا حسنا فوصف به المصدر، و ليس لاحد ان يقول كيف يوصف به المصدر، و هو فعل يدل على التكثير، و كيف يستقيم وصف الكثير بالقليل فى قوله (فامتعه) و هلا كانت قراءة ابن عامر ان حج على هذا و ذلک ايضاً إنما وصفه بانه قليل من كان آخره الى نفاد، و نقص، و فناء. كما قال (مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ) و يجوز ايضاً ان يكون صفة للزمان. كما قال: «عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ» يعنى بعد زمان قليل و
عن أبى جعفر (ع) فى قوله: «وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ» اى تحمل اليهم من الآفاق.

---

(1) فى المطبوعة (رجعاً). [.....]

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 127] ..... ص : 460

اشارة

وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّکَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127)
تقديره و إذ يرفع ابراهيم القواعد.

و الرفع و الاعلاء، و الإصعاد نظائر. و نقيض الرفع الوضع. و نقيض العلو: السفل. و نقيض الإصعاد الانزال تقول: رفع يرفع رفعا. و ارتفع الشىء بنفسه.
و برق رافع: ساطع. و المرفوع: من سير الفرس. و البرذون دون الحضر، و فوق الموضوع. و يقال: إنه لحسن الموضوع. و يقال ارفع من دابتک. و قد رفع الرجل يرفع رفاعة، فهو رفيع و المرأة رفيعة. و الحمار يرفع فى عدوه ترفيعاً: إذا كان عدو بعضه ارفع من بعض. و كذلک لو أحدث شيئاً فرفعته: الاول فالأول، قلت رفعة ترفيعا. فالرفع نقيض الخفض فى كل شىء. و الرفعة نقيض الذلة، و رفعته الى السلطان رفعاً اى قربته اليه. و فى التنزيل وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ «1» اى مقربة.
و المرفع كل شىء رفعت به شيئاً، فجعلته عليه. و اصل الباب الرفع: نقيض الخفض.
تقول رفع رفعاً و ارتفع ارتفاعاً، و رفع ترفيعاً، و ترافعوا ترافعاً، و ترفع ترفعاً، و رافعه مرافعة.
و القواعد: واحدها قاعدة. قال الزجاج: أصله فى اللغة الثبوت و الاستقرار، فمن ذلک القاعدة من الجبل، و هى أصله. و قواعد البناء أساسه الذى بنى عليه. واحدتها قاعدة. و امرأة قاعدة إذا أتت عليها سنون لا تزوج. و منه قوله: «وَ الْقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ اللَّاتِى لا يَرْجُونَ نِكاحاً» «2» و إذا لم تحمل المرأة، و لا النخلة. يقال: قد قعدت و هى قاعدة، و جمعها قواعد ايضاً. و تأويلها انها قد ثبتت على ترک الحمل. و إذا

---

(1) سورة الواقعة: آية 24.
(2) سورة سبأ: آية 60.

قعدت المرأة عن الحيض، فهى قاعد ايضاً بغير هاء- لأنه لا فعل لها فى قعودها عن الحيض و قد قعدت المرأة إذا كانت بأولاد لئام فهى قاعدة. و الاقعاد ان يقعد الرجل عن الشىء البتة يقال: اقعد فهو مقعد اى أقعدته الزمانة. و للجارية ثدى مقعد إذا كان متمكناً لا ينكس و شهر ذى القعدة كانت العرب تقعد فيه عن القتال. و القعود ما يقتعد الراعى و يحمل عليه متاعه، و جمعه قعدان. و قعيد الإنسان جليسه. و منه قوله: «عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ» «1» يعنى الملكين. و القعيد كلما اتى من طائر أو ظبى. و يقال للئيم: قعد، و الجبان: قاعد، لأنه قعد عن الحرب. و قعد اللئيم عن الكرم قال الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها و اقعد فإنک انت الطاعم الکاسی «2»
و القعدة فی النسب أقرب القرابة إلی الأب أو الجد. و المقاعد مواضع العقود فی الحرب، و غیرها. و منه قوله: «مَقاعِدَ لِلْقِتالِ» «3» و قعیدة الرجل امرأته القاعدة فی بیته. و أصل الباب القعود. نقیض القیام. و القواعد و الأساس و الأرکان نظائر. و قیل: انما قیل فی واحدة القواعد من النساء قاعد لشیئین:
أحدهما- أن ذلک کالطالق و الحائض و ما أشبه ذلک من الصفافات التی تختص بالمؤنث دون المذکر فلم یحتج إلی علامة التأنیث. و إن أردت الجلوس قلت: قاعدة لا غیر لأنها تشارک فی ذلک الرجال.
و الوجه الاخر- إن ذلک علی وجه التشبیه ای ذات قعود کما یقال نابل و دارع أی ذو نبل و درع. لا ترید به تثبیت الفعل.

و موضع الجملة من قوله: «رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا» نصب بقول محذوف، فكأنه قال: يقولان ربنا تقبل منا. و اتصل بما قبله، لأنه من تمام الحال لان (يقولان) فى موضع الحال.

---

(1) سورة ق: آية 17.
(2) اللسان (طعم)، و كسا. طاعم: حسن المطعم.
(3) سورة آل عمران: آية 121.

قال ابن عباس معناه يقولان «1»: ربنا، و مثله «وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ» «2» أى يقولون «3» و مثله «وَ الْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ» «4» أى يقولون. و قال بعضهم: هو شاذ تقديره يقول: ربنا. يرده الى إسماعيل وحده. و لا يعمل على ذلک لشذوذه.
و قال أكثر المفسرين كالسدى و عبد بن عمير الليثى، و اختاره الجبائى، و غيرهم: إن ابراهيم و إسماعيل معاً رفعا القواعد. و قال ابن عباس: كان ابراهيم يبنى و إسماعيل يناوله. و قال بعض الشذاذ «5» أن ابراهيم وحده رفعها و كان إسماعيل صغيراً- و هو ضعيف لأنه خلاف ظاهر اللفظ و خلاف اقوال المفسرين.
و قال أكثر أهل العلم أنهما رفعا البيت للعبادة لا للسكنى، بدلالة قوله: «رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا». و هل كانت للبيت قواعد قبل ابراهيم؟ فيه خلاف.
فقال ابن عباس و عطا:
قد كان آدم عليه السلام بناه ثم عفى أثره، فجدده ابراهيم. و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع).
و قال مجاهد، و عمرو بن دينار: بل انشأه ابراهيم بأمر اللَّه عز و جل إياه.
و كان الحسن يقول: أول من حج البيت ابراهيم (ع). و
قد روى فى اخبارنا ان أول من حج البيت آدم
و ذلک يدل على انه قد كان قبل ابراهيم. و انما قال:
«إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» لأنه لما ذكر الدعاء، اقتضى حينئذ ذكر ذلک، كأنه قال: انک أنت السميع العليم بنا، و بما يصلحنا.
و معنى قوله: «تَقَبَّلْ مِنَّا» اى اثبنا على عمله، و هو مشبه بتقبل الهدية فى أصل اللغة. و
روى عن محمد بن على الباقر (ع) انه قال: ان اللَّه تعالى وضع تحت

---

(1) فى مجمع البيان: (و فى حرف عبد اللّه بن مسعود و يقولان ربنا تقبل منا). و فى- حاشية- و فى حرف عبد اللّه يقولان ربنا.
(2) سورة الرعد: آية 25.
(3) يقولون سلام عليكم
. (4) سورة الانعام: آية 93.
(5) فى المطبوعة و المخطوطة (السداد).

العرش اربع أساطين و سماه الصراح و هو البيت المعمور و قال للملائكة طوفوا به ثم بعث ملائكة، فقال ابنوا فى الأرض بيتاً بمثاله، و قدره و امر

من فى الأرض ان يطوفوا بالبيت.
و قال ابو جعفر: إسماعيل أول من شق لسانه بالعربية، و كان أبوه يقول: و هما يبنيا البيت:- يا إسماعيل هابى إبن «1». اى اعطنى حجراً، فيقول له إسماعيل بالعربية: يا أبى هاك حجراً- و ابراهيم يبنى و إسماعيل يناوله الحجارة. و روى فلا عن عبد اللّه بن عمر قال: لما أهبط اللّه آدم من الجنة قال: انى منزل معک او مهبط معک بيتاً تطوف حوله كما يطاف حول عرشى، و تصلى عنده كما يصلى عند عرشى، و لما كان زمن الطوفان رفع و كانت الأنبياء يحجونه و لا يعملون مكانه حتى بوأه اللّه لإبراهيم فاعلمه «2» مكانه فبناه من خمسة اجبل: من حرا، و ثبير، و لبنان، و جبل الطور، و جبل الخمر «3». قال الطبرى و هو جبل بدمشق.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 128] ..... ص : 463

اشارة

رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَکَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَکَ وَ أَرِنا مَناسِکَنا وَ تُبْ عَلَيْنا إِنَّکَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128)
آية بلا خلاف.
روى فى الشواذ عن عوف بن الاعرابى انه قرأ (مسلمين) على الجمع. و انما سألا اللّه تعالى أن يجعلهما مسلمين بمعنى: ان يفعل لهما من الألطاف ما يتمسكان معه بالإسلام فى مستقبل عمرهما لان الإسلام كان حاصلا فى وقت دعائهما و يجرى ذلک مجرى أحدنا، إذا أدب ولده و عرّضه لذلک حتى صار أديباً جاز أن يقال: جعل ولده أديباً و عكس ذلک إذا عرّضه للبلاء، و الفساد، جاز ان يقال: جعله ظالماً محتالًا فاسداً و يجوز ان يكونا قالا ذلک تعبداً كما قال تعالى: «رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ».

_____

(1) و فى العبرانية معنى اعطنى حجرا: هاتلى ابن.
(2) فى المطبوعة (كإبراهيم اعلمه) و هو تحريف.
(3) الخمر جبل بيت المقدس سمى بذلک لكثرة كرومه (ياقوت).

و الإسلام: هو الانقياد لأمر اللَّه تعالى بالخضوع، و الإقرار بجميع ما أوجب عليه. و هو و الايمان واحد عندنا، و عند اكثر المرجئة و المعتزلة. و فى الناس من قال:
بينهما فرق، و ليس ذلک بصحيح، لقوله «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ». و قوله:
«وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» «1» و انما خصّا بالدعوة بعض الذرية فى قوله: «وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا»، لان (من) للتبعيض من حيث أن اللَّه تعالى: كان أعلمه أن فى ذريتهما من لا ينال العهد، لكونه ظالماً. و قال السدى:
إنما عينا «2» بذلک العرب. و الاول هو الصحيح. و هو قول اكثر المفسرين.
و قوله: «وَ أَرِنا مَناسِكَنا» فالمناسک ها هنا المتعبدات قال الزجاج: كل متعبد منسک «3». و قال الجبائى: المناسک هى ما يتقرب به الى اللَّه من الهدى، و الذبح، و غير ذلک من اعمال الحج و العمرة. و قال قتادة: أراهما اللَّه مناسکهما الطواف بالبيت، و السعى بين الصفا و المروة، و الافاضة عن عرفات و الافاضة من جمع و رمى الجمار حتى أكمل اللَّه الدين. فهذا القول أقوى لأنه العرف فى معنى المناسک و قال عطا: مناسکنا مذابحنا.

و النسک فی اللغة: العبادة. رجل ناسک عابد، و قد نسک نسکا. و النسک: الذبیحة یقال: من فعل کذا فعلیه نسک، ای دم یهریقه، و منه قوله: (او نسک) ای دم و اسم تلک الذبیحة: النسیکة و الموضع الذی یذبح فیه المناسک و المنسک هو النسک نفسه. قال اللّه (تعالی): «وَ لِکُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَکاً» و یقال: نسک ثوبه ای غسله و قال ابن درید: النسک أصله ذبائح کانت تذبح فی الجاهلیة. و النسیکة: شاة کانوا

_____

(1) سورة آل عمران: آیة 85. [.....]
(2) فی المطبوعة (صینا).
(3) فی المطبوعة و المخطوطة (منک).

یذبحونها فی الحرم فی الإسلام، ثم نسخ ذلک بالاضاحی قال الشاعر «1»:
و ذا النصب المنصوب لا تنسکنه و لا تعبد الشیطان و اللّه فاعبدا «2»
و اصل الباب العبادة و قیل ان النسک الغسل. قال الشاعر:
فلا ینبت المرعی سباخ عراعر و لو نسکت بالماء ستة أشهر «3»
ای غسلت ذکره الحسین بن علی المغربی. قال: و لیس بمعروف.
و قوله: «وَ أَرِنا» «4» یحتمل أمرین: أحدهما- ان یکون من رؤیة البصر.
و الآخر- أن یکون من رؤیة القلب بمعنی أعلمنا. قال حطائط بن جعفر «5»
ارینی جوادا مات هزلا لعلنی اری ما ترین او بخیلا مخلدا «6»
ای عرفنی و معنی قوله: «وَ تُبْ عَلَیْنا» ای ارجع علینا بالرحمة و المغفرة و لیس فیه دلالة علی جواز الصغیرة، او فعل القبیح علیهم. و من ادعی ذلک، فقد أبطل. و قال قوم: معناه تب علی ظلمة ذریتنا. و قیل: بل قالا: ذلک انقطاعا الیه (تعالی) تعبدا لیقتدی بهما فیه. و هو الذی نعتمده.
(و التوّاب) القابل للتوبة ها هنا و إذا وصف به العبد، فمعناه أنه فاعل التوبة دفعة بعد اخری، فیفید المبالغة. فعلی مذهبنا إذا قلنا: قبل اللّه توبته ای تاب علیه معناه انه یستحق الثواب. و إذا قلنا: تاب العبد من کبیرة مع الاقامة علی

_____

(1) قائله الأعشی الکبیر میمون بن قیس من قصیدة یمدح بها رسول اللّه (ص).
(2) دیوانه 137 رقم القصیدة 17. و روایته (الأوثان) بدل (الشیطان).
و اللسان (نصب) و روایة العجز: لعافیة و اللّه ربک فاعبدا.
و فی اللسان- حاشیة- قوله: (العافیة) کذا بنسخة من الصحاح الخط و فی

نسخ الطبع كنسخ شارح القاموس (العاقبة). و فى اللسان ايضا. و يروى عجز بيت الأعشى: و لا تعبد .... اى كما أثبتنا.
ذا النصب يعنى إياک و ذا النصب. اى لا تذبح القرابين للأصنام. فاعبدا أراد فاعبدن.
(3) اللسان- (نسک). و لم ينسبه
. (4) فى المطبوعة (و انها)
(5) هو رجل من بنى نهشل بن دارم.
(6) اللسان (أنن) و (علل). قال ابن برى فيه: قال حطائط بن جعفر، و يقال هو لدريد. و روايته (لاننى) بدل (لعلنى) و هما بمعنى واحد. و الشاعر يخاطب امه عند ما لامته على إنفاقه ماله.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 466
كبيرة اخرى معناه عند من أجاز ذلک انه رفع العقاب بها على تلک الكبيرة التى تاب منها. و عندنا أنه يستحق بها الثواب ايضاً. و فى الآية دلالة على انه يحسن الدعاء بما يعلم الداعى أنه يكون لا محالة، لأنهما كانا عالمين بأنهما لا يفارقان الإسلام. و لا يأتيان الكبيرة.

و الاختيار فى (أرنا) كسر الراء و هى قراءة الجمهور، لأنها كسرة الهمزة حولت الى الراء، لأن أصله كان ارئنا، فنقلت الكسرة الى الراء و سقطت الهمزة، فلا ينبغى أن تسكن، لئلا تجحف بالكلمة و تبطل الدلالة على الهمزة. و قد سكنه ابن كثير. و فى بعض الروايات عن أبى عمر و على وجه التشبيه بما يسكن فى مثل كبد و فخذ و قال الشاعر:

لو عصر منه المسک و البان انعصر

و قال آخر:

قالت سليمى اشتر لنا دقيقا و اشتر و عجل خادما لبيقا

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 129] ..... ص : 466

اشارة

رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِکَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)
آية واحدة بلا خلاف.
الضمير فى قوله فيهم راجع الى الامة المسلمة التى سأل اللَّه ابراهيم من ذريته.
و المعنى بقوله (رسولا منهم) هو النبى (ص) لما
روى عن النبى (ص) انه قال: انا دعوة أبى ابراهيم و بشارة عيسى (ع)
يعنى قوله «وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ» «1» و هو قول الحسن و قتادة و السدى و غيرهم من اهل العلم.

_____

(1) سورة الصف: آية 6.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 467
و يدل على ذلک ايضا، و ان المراد به نبينا (ص) دون الأنبياء الذين بعثهم اللَّه من بنى إسرائيل انه دعى بذلک لذريته الذين يكونون بمكة و ما حولها على ما تضمنته الآية.
و فى قوله: رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ و لم يبعث اللَّه من هذه صورته إلا محمداً (ص). و المراد بالكتاب القرآن- على قول ابن زيد و اكثر المفسرين- و معنى (الحكمة) ها هنا السنة. و قيل المعرفة بالدين و الفقه فى التأويل. و قيل العلم بالاحكام التى لا يدرک علمها إلا من قبل الرسل (ع) فالأول قول قتادة، و الثانى قول انس بن مالک و الثالث قول ابن زيد. و قال قوم هو كلام مثنى كأنه وصف التنزيل بانه كتاب، و بانه حكمة، و بانه آيات. و قال بعضهم: الحكمة شىء يجعله اللَّه فى القلب ينوره به كما ينور البصر فيدرک المبصر، و كل حسن.
و معنى قوله: «وَ يُزَكِّيهِمْ» قال ابن عباس: هو طاعة اللَّه و الإخلاص له.
و قال ابن جريج يطهرهم من الشرک و يخلصهم منه. و قال الجبائى: (و يزكيهم) معناه يستدعيهم الى فعل ما يزكون به، من الايمان و الصلاح. و يحتمل ان يراد به انه يشهد لهم بالزكاء آمنوا و أصلحوا.

و (العزيز) القادر الذى لا يعجزه شىء. و قيل: القادر الذى لا يمتنع عليه شىء أراد فعله. و قيل: القدير و هو مبالغة الوصف بالقدرة. و نقيض العز الذل.
و يقال: عزه يعز عزة و عزازاً. و اعتز به اعتزازاً. و تعزّز تعززاً. و عازّه معازة.
تقول: عز يعز عزة و عزاً: إذا صار عزيزاً. و عز يعز عزاً: إذا قهر. و منه قولهم:
من عز بز اى من غلب سلب. و كل شىء صلب، فقد اعتز. و سمى العزاز من الأرض: و هو الطين الصلب الذى لا يبلغ ان يكون حجارة. و عن الشىء إذا قل لا يكاد يوجد. و فلان اعتز بفلان إذا تشرف به «وَ عَزَّنِى فِى الْخِطابِ» «1» اى

---

(1) سورة ص: آية 23.

غلبنى فى محاوراة الكلام و العزاء: السنة الشديدة، و المطر يعزز الأرض تعزيزاً إذا لبدها. و اصل الباب: القوة.

و قوله: «الْحَكِيمُ» يحتمل أمرين:
أحدهما- المدبر الذى يحكم الصنع، يحسن التدبير.
و الثانى- بمعنى عليم، و الاول بمعنى حكيم فى فعله بمعنى محكم، فعدل الى حكيم، للمبالغة. و انما ذكر الحكيم ها هنا، لأنه يتصل بالدعاء، كأنه قال: فزعنا إليک، لأنک القادر على إجابتنا العالم بما فى ضمائرنا و بما هو أصلح لنا مما لا يبلغه علمنا.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 130] ..... ص : 468

اشارة

وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَ لَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِى الدُّنْيا وَ إِنَّهُ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130)
- آية بلا خلاف-

قوله: «وَ مَنْ يَرْغَبُ» فالرغبة: المحبة لما فيه للنفس منفعة. و رغب فيه ضد رغب عنه. و الرغبة: المحبة «1». و الرغبة و المحبة و الارادة نظائر. و بينهما فرق.
نقيض الرغبة الرهبة و نقيض المحبة: البغضة. و نقيض الارادة الكراهية.
تقول:
رغب رغبة و أرغبه إرغاباً. و رغّبه ترغيباً. و تقول: رغب رغبة، و رغباً، و رغبى و رغباً إذا ملت لمحبک «2»، و رغبت عنه إذا صددت عنه، و أنا راغب به فيهما جميعاً، و الشىء مرغوب فيه، و مرغوب عنه. ولى عن فلان مرغب. و هو رجل

_____

(1) (و الرغبة: المحبة) ساقطة من المطبوعة.
(2) فى المطبوعة (إذا أملت لمحبتک).

رغيب: نهم شديد الاكل «1» و فرس رغيب الشحوة «2» كثير الأخذ بقوائمه من الأرض. و موضع رغيب واسع و الرغبة العطاء الكثير الذى يرغب فى مثله. و قال صاحب العين: اللهم اليک الرغباء و من لدنک النعماء، و رغبت عن الشىء إذا تركته.

و معنى «وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ» لفظه الاستفهام، و معناه الجحد «3»، كأنه قال: ما يرغب عن ملة ابراهيم و لا يزهد فيها إلا من سفه نفسه و كأنه قال:
و اى الناس يزهد فيها (إلا من سفه نفسه) و الاولى على الاستفهام، و معناه الجحد «4». و الثانية- بمعنى الذى كأنه قال: إلا الذى سفه نفسه. و فى نصب (نفسه) خلاف. قال الأخفش: معناه سفّه نفسه. و قال يونس: أراها لغة.
قال الزجاج: أراد أن فعل «5» لغة فى المبالغة. كما أن فعل كذلك. فعلى هذا يجوز سفهت زيداً: بمعنى سفهت. و قال ابو عبيدة: معناه أهلك نفسه، و أوبق نفسه. و قال ابن زيد: إلا من اخطأ حظه. و قال ابن تغلب و المبرد: سفه- بكسر الفاء- يتعدى، و سفه- بضم الفاء- لا يتعدى. فهذا كله وجه واحد.
و الثانى- أن يكون على التفسير، كقوله «فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً» «6» و هو قول الفراء: قال: العرب توقع سفه على نفسه. و هى معرفة، و كذلك «بَطِرَتْ مَعِيشَتَها» «7». و أنكر الزجاج هذا الوجه. و قال: معنى التمييز لا يحتمل التعريف، لأن التمييز انما هو واحد يدل على جنس «8»، فإذا عرفته صار مقصوداً بعينه.
و الوجه الثالث- ان يكون على التمييز، و المضاف على الانفصال، كما تقول:

---

(1) فى المخطوطة (بهم بتسديد الأصل) و فى المطبوعة (بهم شديد الاكل).
(2) فى المطبوعة (الشجرة) و فى المخطوطة غير منقطة. [.....]
(3، 4) فى المطبوعة (الحجة) و هو تحريف.
(5) فى المخطوطة و المطبوعة (ان سفه) و هو غلط لان الجملة الثانية تدل على ما أثبتناه.
(6) سورة النساء: آية 4
(7) سورة القصص: آية 58.
(8) فى المطبوعة (حسن).

مررت برجل مثله أى مثل له.
و الوجه الرابع- على حذف الجار، كما قال: «أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ» «1» اى لأولادكم. و مثله «وَ لا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ» «2» اى على عقدة النكاح. قال الشاعِر:

نغالى اللحم للأضياف نيئاَ و نرخصه إذا نضج القدير «3»
و المعنى نغالى «4» باللحم. و قال الزجاج: و هذا مذهب صحيح. و اختار هو أن سفه بمعنى جهل. و هو موافق لمعنى ما قال ابن السراج فى (بطرت معيشتها) لان البطر مستقلّ النعمة غير راض بها. و قال ابو مسلم: معناه جهل نفسه، و ما فيها من الآيات الدالة على ان لها صانعا ليس كمثله شىء فيعلم به توحيد اللّه و صفاته.

و معنى قوله: «وَ لَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِى الدُّنْيا» اخترناه للرسالة و الصفو: التميز من سائر الكدر. و اصطفيناه على وزن افتعلناه من الصفوة. و انما قلبت التاء طاء، لأنها أشبه بالصاد بالاستعلاء و الاطباق، و هى من مخرج التاء فاتى بحرف وسط بين الحرفين. و الاصطفاء و الاختيار و الاجتباء نظائر. و الصفاء و النقاء و الخالص «5» نظائر و الصفاء نقيض الكدر. و صفوة كل شىء خالصه من صفوة الدنيا، و صفوة الماء و صفوة الإخاء تقول: صفا صفاء، و أصفاه اصفاء، و اصطفاه، اصطفاء. و تصفى تصفيا و تصافوا تصافيا. و صفاه تصفية و صافاه مصافاة. و استصفاه استصفاء.
و الصفا مصافاة المودة و الإخاء. و الصفاء مصدر الشىء الصافى و إذا أخذت صفوة ماء

---

(1) سورة البقرة: آية 233.
(2) سورة البقرة: آية 235.
(3) اللسان (غلا) قال ابو مالک: نغالى اللحم نشتريه غالياً ثم نذله و نطعمه إذا نضج فى قدورنا و فى المطبوعة (تعالى) بدل نغالى. و فى المطبوعة و المخطوطة (نبذله) بدل (نرخصه) و (القدور) بدل (القدير).
(4) فى المطبوعة (تعالى يستعمونها) بدل (نغالى باللحم).
(5) فى المطبوعة (الخاص).

من غدير، قلت استصفيت صفوة. و صفى الإنسان: الذى يصافيه المودة. و ناقة صفى كثيرة اللبن. و نخلة صفية: كثيرة الحمل. و الجمع الصفايا و الصفا: الحجر الضخم الأملس الصلب. فإذا أنثوا «1» الصخرة قالوا صفاة صفواء. و إذا ذكروا قالوا صفا صفوان و الصفوان واحدته صفوانة. و من الحجارة: الملس لا تنبت شيئاً. قال تعالى: «كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ» «2». و اصل الباب: الصفا: الخلوص.
قوله: «وَ إِنَّهُ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» انما خص الآخرة بالذكر و ان كان فى الدنيا كذلک لان المعنى من الذين يستوجبون على اللّه الكرامة و حسن الثواب، فلما كان خلوص الثواب فى الآخرة دون الدنيا، وصفه بما ينبئ عن ذلک. ففى قوله: «وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ» دلالة على ان ملة ابراهيم هى ملة نبينا محمد (ص)، لان ملة ابراهيم داخلة فى ملة محمد (ص) مع زيادات فى ملة محمد (ص) فبين أن الذين يرغبون من الكفار عن ملة محمد التى هى ملة ابراهيم، قد سفهوا أنفسهم و هو معنى قول قتادة و الربيع.

إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ (131)
آية بلا خلاف.
قوله: «إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ» متعلق بقوله: «وَ لَقَدِ اصْطَفَيْناهُ» و موضعه نصب و تقديره: و لقد اصطفيناه حين قال له ربه اسلم. و قال الحسن: انما قال ذلک، حين أفلت الشمس، «قالَ يا قَوْمِ إِنِّی بَرِیءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ» «3» و انه اسلم حينئذ. و هذا يدل علی أنه كان ذلک قبل النبوة. و أنه قال له ذلک: إلهاً ما استدعاه به الی الإسلام، فاسلم حينئذ. لما وضح له طريق الاستدلال بما رأی من الآيات، و العبر الدالة علی توحيده. و لا يصح أن يوحی اللّه تعالی اليه قبل إسلامه بانه نبی اللّه، لان النبوة حال إعظام و إجلال. و لا يكون ذلک قبل الإسلام. و انما

---

(1) فی المخطوطة (نعتوا)
. (2) سورة البقرة: آية 264.
(3) سورة الانعام: آية 78.

قال: (اصطفيناه) علی لفظ المتكلم مع قوله: «إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ» علی لفظ الغائب للتصرف فی الكلام كما قال الشاعر:
باتت تشكی الی النفس مجهشة و قد حملتک سبعا بعد سبعينا «1»
و الإسلام واجب علی كل مكلف، و ان اختلفت شرائع الأنبياء فيما يتعبدون: من الحلال، و الحرام. لقوله (تعالی): ان «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ» «2» و ان الإسلام انما هو الإخلاص للّه بالعمل بطاعته، و اجتناب معصيته و ذلک واجب علی كل متعبد. و كله اسلام.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 132] ..... ص : 472

اشارة

وَ وَصَّى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132)
آية بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة، و ابن عامر (و اوصى) بهمزة مفتوحة بين الواوين، و تخفيف الصاد. الباقون و وصى مشددة الصاد. و من قرأ وصى ذهب إلى قوله: «فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً» «3» و مصدر وصى مثل قطع تقطعة و لم يجيئوا به على تفعيل كراهية اجتماع الياءات مع الكسرة. و من قرأ أوصى فلقوله: «مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِها» «4» و كلاهما جيدان.

و الوصية مأخوذة من قولهم: اوصى النبت: إذا اتصل بعضه ببعض فلما

---

(1) اللسان (جهش) قائله لبيد. اجهش إذا تهيأ للبكاء. [.....]
(2) سورة آل عمران: 19
. (3) سورة يس آية: 50.
(4) سورة النساء: آية 10.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 473
أوصل الموصى جل أمره الى الموصى إليه، قيل: وصية. و وصى و أوصى و أمر و عهد نظائر فى اللغة. و ضد أوصى أهمل. و الوصاة كالوصية، و الوصاية مصدر التوصى.
و الفعل أوصيت إيصاء و وصيت توصية، فى المبالغة، و الكثرة و تقول: قد قبل الوصاية. و إذا انطاع المرعى للسائمة فأصابته رواعد، قبل وصى لها الرعى يصى وصيا. و وصيا. و أصل الباب: الوصية و هى الدعاء إلى الطاعة.

و الهاء فى قوله: «وَ وَصَّى بِها» يحتمل ان تعود الى احد شيئين:
أحدهما الى الملة. و قد تقدم ذكرها فى قوله: «وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ».
و الثانى- ان يعود الى الكلمة فى قوله: «أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ». و الاول أقوى، لأنه مذكور فى اللفظ. و هو قول الزجاج. و اكثر المفسرين. و الثانى حكاه البلخى و بعض اهل اللغة. و ارتفع يعقوب، لأنه معطوف على ابراهيم. و المعنى و وصى بها يعقوب. و به قال ابن عباس و قتادة. و قال بعضهم: إنه على الاستئناف كأنه قال: و وصى يعقوب أن «يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ» و الاول اظهر لأن عليه اكثر المفسرين. (و الألف و اللام). فى الدين للعهد دون الاستغراق، لأنه إنما أراد بذلك دين الإسلام دون غيره من الأديان. و انما أسقطت (أن) فى «وَصَّى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ» أن (يا بنى) و اثبت فى «إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ» «1»، لأن اوصى فى الآية بمعنى القول، فجعل بمنزلة قولك الّا تقديره تقدير القول، فيجوز حينئذ إلحاق أن. كما قال: «إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ» و مثله «وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» «2» و قوله: «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ» «3» و كل هذا الباب يجوز فيه الوجهان: بان تقدّره تقدير القول، ليكمل به تقدير الفعل الذى ليس بقول. و اما قوله:

---

(1) سورة نوح: آية 1
. (2) سورة يونس: آية 10.
(3) سورة الاعراف: آية 43.

«أَنْ كانَ ذا مالٍ وَ بَنِينَ» «1» فلا يجوز إسقاطها فى مثله من الكلام، لأنه ليس فيه معنى الحكاية، و القول كما فى الدعوى، و الإرسال. و اما قوله: وَ الْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ «2» فلا يجوز فى مثله إثبات، لأنه يضمر معه القول، و لا يجوز معه التصريح بالقول، و لا مع إضمار أن لأنه حكاية كما تقول: قلت له: زيد فى الدار، و لا يجوز قلت له: أن زيداً فى الدار و انشد الكسائى:

إنى سأبدى لک فيما ابدى لى شجنان: شجن بنجد
و شجن لى ببلاد الهند «3»

لأن الإبداء قول. و منه قوله: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» «4»، لأن العدة قول. فان قيل: كيف قال: (لا تموتن) على وجه النهى لهم عن الموت، و الموت ليس فى مقدورهم، فيصح أن ينهوا عنه؟

قلنا:
اللفظ و إن كان على لفظ النهى. فما نهوا عن الموت، و انما نهوا فى الحقيقة عن ترک الإسلام: لئلا يصادفهم الموت عليه، و تقديره لا تتعرضوا للموت على ترک الإسلام بفعل الكفر، و مثله من كلام العرب لا رأيتکّ «5» هاهنا، فالنهى فى اللفظ للمتكلم، و إنما هو فى الحقيقة للمخاطب، فكأنه قال: لا تتعرض لأن أراک بكونک هاهنا.
و مثله لا يصادفنک الامام على ما يكره، و تقديره: لا تتعرض لأن يصادفک على ما يكره. و مثله لا يكوننّ زيد إلا عندک تقديره: لا تتعرض لأن يكون زيد ليس عندک: بالتفريط فى ذلک، و الإهمال له و الأصل فى هذا أن التعريض لوقوع الشىء بمنزلة إيقاع الشىء.
و قوله: «وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» جملة فى موضع الحال. و تقديره: لا تموتن إلا مسلمين.

---

(1) سورة القلم: آية 14
. (2) سورة الاعراف: آية 93.
(3) اللسان (شجن). الشجن: هوى النفس و هو مجاز من الحزن و الهم. و كنوا به المرأة المحبوبة التى تشغل القلب
. (4) سورة المائدة: آية 10.
(5) فى المخطوطة و المطبوعة (لأريتک).

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 133] ..... ص : 475

اشارة

أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی قالُوا نَعْبُدُ إِلهَکَ وَ إِلهَ آبائِکَ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133)

- آية واحدة بلا خلاف- (أم) ها هنا منقطعة و ليست بمتصلة كقوله و الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه «1» و مثله قول الشاعر «2»:

كذبتک عينُک أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا «3»

و لا تجىء منقطعة الألف و قد تقدمها كلام، لأنها بمعنى بل، و ألف الاستفهام. كأنه قيل: بل كنتم شهداء، و معناها- هنا- الجحد: اى ما كنتم شهداء. و اللفظ لفظ الاستفهام. و المعنى على خلافه، لأن إخراجه مخرج الاستفهام أبلغ فى الكلام، و أشد مظاهرة فى الحجاج: أن يخرج الكلام مخرج التقرير بالحق فتلزم الحجة، و الإنكار له فتظهر الفضيحة، فلذلک اخرج الجحد «4» فى الاخبار مخرج الاستفهام.

و المخاطب ب «أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ» أهل الكتاب فى قول الربيع. و المعنى: انكم لم تحضروا ذلک، فلا تدّعوا على انبيائى و رسلى الأباطيل بنحلكم إياهم خلاف الإسلام من اليهودية و النصرانية، فانى ما بعثّهم إلا بالحنفية. و الشهداء جمع شهيد.

و (إذ) ها هنا بدل من (إذ) الاولى، و العامل فيها معنى الشهادة. و قيل بل العامل فيها حضر، و كلاهما حسن.

و الحاضر و الشاهد من النظائر. و نقيض الحاضر الغائب. و يقال: حضر

---

(1) سورة السجدة: آية 1 و 2 و 3
. (2) هو الأخطل.
(3) انظر ا: 3. 4 تجد التفصيل [.....]
(4) فى المطبوعة (الحجة).

حضوراً، و أحضره إحضاراً، و استحضره استحضاراً، و احتضره احتضاراً، و حاضره محاضرة. و الحضر خلاف البدو. و حضرت القوم أحضرهم حضوراً: إذا شهدتهم. و الحاضر خلاف الغائب. و احضر الفرس إحضاراً: إذا عدا عدواً شديداً و استحضرته استحضاراً. و الحضرة الجماعة من الناس ما بين الخمسة الى العشرة.
و حاضرت الرجل محاضرة و حضاراً: إذا عدوت معه. و حاضرته: إذا جانيته عند السلطان، أو فى خصومة، و محضر القوم مرجعهم الى المياه بعد النجعة، و فرس محضر. و لا يقال: محضاراً. و ألقت الشاة حضيرتها يعنى المشيمة و غيرها. و الإبل الحضار البيض. لا واحد لها من لفظها مثل الهجان سواء. و حضرة الرجل فناؤه و أصل الباب الحضور: خلاف الغيبة.

و قوله «إِلهاً واحِداً» يحتمل انتصابه أحد أمرين:
أحدهما- أن يكون حالا من قوله: (إلهک):
و الآخر- أن يكون بدلا من إلهک. و تكون الفائدة فيه التوحيد، و انما قدم إسماعيل على إسحاق، لأنه كان أكبرهم. به قال ابن زيد.
و قوله: «وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» الجملة فى موضع نصب على الحال. و قيل لا موضع لها، لأنها على الاستئناف و «إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ» فى موضع خفض.
و العامل فيها ما عمل فى إبائک، لأنه مبين له. كما تقول: مررت بالقوم: أخيک، و غلامک و صاحبک. و انما قال: (آبائک) و إسماعيل عم يعقوب، لما قاله الفراء و ابو عبيدة: من أن العرب تسمى العم أباً فالآية دالة على ان العمومة يسمون آباء.
و قد روى عن النبى (ص) انه قال: ردّوا على أبى يعنى العباس عمه فسمى العم أباً كما سمى الجد أباً من حيث يجب له التعظيم، نحو ما يجب للأب، و قد قرئ فى الشواذ و اله أبيک، فعلى هذا ينجر إسماعيل و إسحاق على العطف، و هو غير المعنى الاول، لأنه مترجم عن الآباء و فى الثانى عطف غير ترجمة كما تقول رأيت غلام زيد و عمر، أى غلامهما فكأنه قال: لهم و لم يذكر بالابوة إلا ابراهيم وحده التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 477
و القراءة الاولى هى المشهورة و عليها القراء.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 134] ..... ص : 477

اشارة

تِلْکَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما کَسَبَتْ وَ لَکُمْ ما کَسَبْتُمْ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا کانُوا یَعْمَلُونَ (134)
آیة بلا خلاف.

قوله: «تِلْکَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما کَسَبَتْ وَ لَکُمْ ما کَسَبْتُمْ» فالامة المراد بهاهنا الجماعة و الامة على ستة اقسام الجماعة و الامة: الحين لقوله: «و اذکر بعد أمة» «1» أى بعد حين، و الامة القدوة و الامام. لقوله: «إِنَّ إِبْراهِيمَ کانَ أُمَّةً قانِتاً» «2» و الامة العامة و جمعها امم. قال الأعشى:
و ان معاوية الأکرمين حسان الوجوه طوال الأمم «3»
و الامة: الاستقامة فى الدين و الدنيا. قال النابغة:
و هل يأثمن ذو أمة و هو طائع «4»
و الامة: أهل الملة الواحدة. کقولهم: أمة موسى، و أمة عيسى، و أمة محمد (ص) و اصل الباب: القصد من أمه يؤمه. إذا قصده. و معنى خلت. مضت کما تقول: لثلاث خلون من الشهر، أى مضين و أصله: الانفراد و منه خلا الرجل بنفسه: إذا انفرد. و خلا المکان من أهله أى انفرد منهم. و حد الخلو: حصول الشىء وحده. و الفرق بين الخلو و الفراغ، أن الخلو إذا لم يکن مع الشىء غيره، و قد يفرغ منه و هو معه. فإذا قلت خلا منه فليس معه. و الکسب: العمل الذى يجلب

---

(1) سورة يوسف: آية 45.
(2) سورة النحل: آية 120.
(3) ديوانه. رقم القصيدة 4. و روايته (عظام القباب) بدل (حسان الوجوه). و فى اللسان (امم) (بيض الوجوه).
(4) اللسان (امم). و صدر البيت:
حلفت فلم اترک لنفسک ريبة فى المخطوطة و المطبوعة (و هو طالم).

به نفع، و يدفع به ضرر عن النفس. و کسب لأهله: إذا اجتلب، ذلک لهم بعلاج و مراس. و لذلک لا يجوز فى صفة اللّه.
و قوله «وَ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا کانُوا يَعْمَلُونَ» معناه انه لا يقال لکم اعملوا کذا و کذا. و على جهة المطالبة بما يلزمهم من أجل عملهم. کما لا يقال لهم لم عملتم أنتم کذا و کذا. و انما يطالب کل انسان بعمله دون عمل غيره کما قال: «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» «1» و فى الآية دلالة على بطلان قول المجبرة: إن الأبناء يؤخذون بذنوب الآباء. و يؤخذ الطفل بذنب أبيه، لان اللّه تعالى نفى ذلک و مثله قوله: «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» و قوله: «الْيَوْمَ تُجْزى کُلُّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ» «2». و الاشارة بقوله: «تِلْکَ أُمَّةٌ» الى ابراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب ولدهم. يقول اللّه تعالى لليهود و النصارى: يا معشر اليهود و النصارى دعوا ذکر ابراهيم و إسماعيل

و إسحاق و يعقوب و المسلمين من أولادهم بغير ما عم اهله، و لا تنسبوا اليهم الكفر، و اليهودية و النصرانية، و لا تضيفوها اليهم و إنها أمة قد خلت و لا تسألون أنتم عما كانوا يعملون.

و قوله «لَها ما كَسَبَتْ» يحتمل ان يكون موضعه نصب بأنه حال كأنه قال: قد يلزمها ما تستحقه بعملها. و يجوز أن لا يكون لها موضع لأنها مستأنفة. و لا يكون جزء من الجزء الاول، لكن تكون متصلة به فى المعنى و ان لم تكن جزء منه، لأنهما خبران فى المعنى عن شىء واحد. كأنه قيل للجماعة. قد خلت.
و الجماعة لها ما كسبت.

وَ قالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135)

---

(1) سورة الانعام: آية 164.
(2) سورة المؤمن: آية 17.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 479
آية بلا خلاف.
الضمير فى قوله: «وَ قالُوا كُونُوا» يرجع الى اليهود، و النصارى، لان كل فريق منهم دعى الى ما هو عليه و معنى «تهتدوا» أى تصيبوا طريق الحق. كأنهم قالوا: تهتدوا الى الحق.
و روى عن عبد اللّه بن عباس، انه قال: قال عبد اللَّه بن صوريا الأعور لرسول اللّه (ص): ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد. و قالت النصارى: مثل ذلک فانزل اللّه (تعالى) «وَ قالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا الآية»
و فى قوله:
«بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً» حجة على وجوب اتباع ملة ابراهيم إذ كانت سليمة من التناقض. و كان فى اليهودية و النصرانية تناقض، و ذلک لا يكون من عند اللّه فصارت ملة ابراهيم أحق بالاتباع من غيرها. و التناقض فى اليهودية مثل منعهم من جواز النسخ مما فى التوراة مما يدل على جواز ذلک و امتناعهم من العمل بما تقدمت به البشارة فى التوراة من اتباع النبى الامى مع اظهارهم التمسک بها، و امتناعهم من الإذعان لما «1» دلت عليه المعجزة: من نبوة عيسى، و نبوة محمد (ص) مع إقرارهم بنبوة موسى من أجل المعجزة الى غير ذلک من انواع التناقض. و أما النصارى أب و ابن و روح قدوس إله واحد مع زعمهم ان الأب ليس هو الابن و ان الأب إله و الابن إله و روح القدس إله. فإذا قيل لهم قولوا ثلاثة آلهة امتنعوا من ذلک. الى ما يصفون به البارى تعالى مما «2» يوجب الحاجة و الحدث. و يقولون: مع ذلک انه قديم لم يزل الى غير ذلک من مناقضاتهم التى لا تحصى كثيرة، و هى موجودة فى الكتب عليهم نبهنا على جملها. و أما الحنيفية فهى الاستقامة. و انما قيل للذى يقبل بإحدى قدميه على الاخرى أحنف تفاؤلا بالسلامة كما قيل للهلكة:
مفازة تفاؤلا بالفوز، و النجاة، و هو قول الرياشى و ابن قتيبة، و اهل اللغة. و قال الزجاج: أصله الميل، و ابراهيم حنيف الى دين الإسلام، و قال: العادل الى دين

(1) فى المطبوعة «ما».
(2) فى المطبوعة «متا».

ربه عن اليهودية، و النصرانية. و قال ابو حاتم: قلت للاصمعى من أين عرف فى الجاهلية الحنيف؟ فقال: لأنه من عدل عن دين اليهود و النصارى فهو حنيف عندهم، و لأن كل من حج البيت كانوا يسمونه حنيفاً و كانوا إذا أرادوا الحج قالوا:
هلم نتحنف. و قال صاحب العين: الحنف ميل فى صدر القدم. يقال رجل حنف، و سمى الأحنف لحنف كان به. و قالت حاضنته و هى ترقصه:
و اللّه لو لا حنف برجله ما كان فى صبيانكم كمثله «1»
و الحنيف: المسلم الذى يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة ابراهيم «كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً» و قال بعضهم: الحنيف كل من أسلم فى أمر اللّه، و لم يلتو فى شىء و الجمع الحنفاء. و قال بعضهم: قيل حنيف، لأنه تحنف عن الأديان كلها: أى مال الى الحق. و فى الحديث أحب الأديان الى اللّه الحنيفة السمحة، و هى ملة ابراهيم لا حرج فيها، و لا ضيق. و أصل الباب الحنف، و هو الميل.
و نصب «ملة ابراهيم» يحتمل اربعة أوجه، أحدها- ان كونوا هوداً أو نصارى. قد تضمن معنى اتبعوا اليهودية و النصرانية، فعطف به على المعنى.
و الثانى- على الحال كأنه «2» قال بل نتبع ملة ابراهيم. فالأول عطف و الثانى [حذف].
و الثالث- على معنى بل أهل ملة ابراهيم، فحذف المضاف و أقيم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ». و الرابع- على الإغراء.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 136] ..... ص : 480

اشارة

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136)

---

(1) اللسان (حنف) و روايته (فى فتيانكم من مثله).
(2) فى المخطوطة بياض. فى المطبوعة هكذا: (الحال قال.)
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 481
- آية واحدة بلا خلاف.-
قوله تعالى: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ» يحتمل ان يكون جوابا- على ما
روى عن ابن عباس: أن نفراً من اليهود أتوا رسول اللّه (ص) فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال أؤمن باللّه و ما أنزل إلينا و ما انزل الى ابراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط ... الى آخرها-، فلما ذكر عيسى جحدوا بنبوته، و قالوا:
لا نؤمن بعيسى و لا نؤمن بمن آمن به، فأنزل اللّه فيهم «قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ» «1».
و الثانى- قال الحسن و قتادة: أمر اللّه المؤمنين أن يقولوا: «آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا» الآية، و جعل ذلک محنة فيما بينهم و بين اليهود و النصارى.

و الأسباط جمع سبط. قال تغلب: يقال: سبط عليه العطاء و الضرب: إذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض و انشد الثورى فى قطيع بقر:
كأنه سبط من الأسباط «2» شبهه بالجماعة من الناس يتتابعون فى أمر. و السبط: جماعة. و من ثم قيل لولد يعقوب أسباط. و شعر سبط: سلس منبسط. و منه سمى الساباط لانبساطه بين الدارين حتى يجمعهما. و السباطة: الكناسة بعضها الى بعض. و قال ابن دريد:
السبط واحد الأسباط، و هم أولاد إسرائيل. و قالوا: الحسن و الحسين سبطا رسول اللّه (ص) أى ولداه. و السباطة ما سقط من سقط الشعر إذا سرحته. و أخذت

---

(1) سورة المائدة: آية 62.
(2) اللسان «سبط»

فلاناً سباط: إذا أخذته الحمى. و السبط من اليهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب.
و يقال هو سبط الكفين: إذا كان طويل الأصابع. و السبط: قناة جوفاء مضروبة بالقصب يرمى فيها سهام صغار ينفخ نفخاً لا يكاد يخطئ و أصل الباب: السبط و هو التتابع. و قال الزجاج: السبط الجماعة الذين يرجعون الى أب واحد. و السبط:
الشجر. و السبط: الذين من شجرة واحدة. و قال قتادة: الأسباط يوسف و اخوته ولد يعقوب اثنى عشر رجلا فولد كل واحد منهم أمة من الناس. فسموا الأسباط و به قال السدى و الربيع و ابن إسحاق. و اسماء الاثنى عشر ذكر و هم: يوسف و يامين، و روبيل، و يهوذا، و شمعون، و لاوى، و دان، و قهاب، «1» و يشجر، و تفتالى، و جاذ، و اشر. و لا خلاف بين المفسرين انهم ولد يعقوب. و قال كثير من المفسرين: انهم كانوا أنبياء. و الذى يقتضيه مذهبنا انهم لم يكونوا أنبياء بأجمعهم، لأنه وقع منهم من المعصية ما فعلوه مع يوسف (ع) ما لا خفاء به، و النبى عندنا، لا يجوز عليه فعل القبائح: لا صغيرها، و لا كبيرها، فلا يصح مع ذلک القول بنبوتهم. و ليس فى ظاهر القرآن أنهم كانوا أنبياء و قوله تعالى: «وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ» لا يدل على انهم كانوا أنبياء لأن الانزال يجوز أن يكون على بعضهم ممن كان نبياً، و لم يقع منه ما ذكرناه من الافعال القبيحة. و يحتمل أن يكون المراد انهم أمروا باتباعه. كما يقال: انزل اللّه الى أمة النبى (ص) القرآن. كما قال: «وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا» و ان كان

المنزل على النبى (ص)، لكن لما كانوا مأمورين بما فيه أضيف بانه انزل اليهم.
و معنى قوله: «لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ» انا لا نؤمن ببعض الأنبياء و نكفر ببعض، كما فعلت اليهود و النصارى، فكفرت اليهود بعيسى و محمد (ص) و كفرت النصارى بسليمان و نبينا محمد صلى اللّه عليهما.
و قوله تعالى: «وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» خاضعون بالطاعة. و قيل: مذعنون له

---

(1) فى المخطوطة و المطبوعة كما هو مثبت و كذلک فى مجمع البيان. و فى تفسير الطبرى 3:
112- دار المعارف المصرية قهاث- [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 483
بالعبودية و قيل مستسلمون لأمره، و نهيه اعتقاداً و فعلا و قيل داخلون فى حكم الإسلام الذى هو دينه، كما قال: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ» و الفرق بين التفريق و الفرق ان التفريق جعل الشىء مفارقا لغيره، و الفرق نقيض الجمع، و الجمع جعل الشىء مع غيره، و الفرق جعل الشىء لا مع غيره و الفرق بالحجة هو البيان الذى يشهد ان الحكم لاحد الشيئين دون الآخر، و فائدة الآية الامر بالايمان باللّه و الإقرار بالنبيين، و ما انزل اليهم من الكتب ليتعبدوا به من الأحكام، و الرد على من فرق بينهم فيما جمعهم اللّه عليه من النبوة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 137] ..... ص : 483

اشارة

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِی شِقاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137)
آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى ان هؤلاء الكفار متى آمنوا على حد ما آمن المؤمنون به، فقد اهتدوا الى طريق الجنة. و الباء فى قوله «بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ» يحتمل ثلاثة أشياء:
أولها- ان تكون زائدة و التقدير، فان آمنوا مثل الذى أمنتم أى مثل ايمانكم كما قال: «كَفى بِاللَّهِ» و المعنى كفى اللَّه. قال الشاعر:
كفى الشيب و الإسلام للمرء ناهياً «1» و الثانى ان يكون المعنى بمثل هذا و لا تكون زائدة. كأنه قال: فان آمنوا على مثل ايمانكم، كما تقول: كتبت على مثل ما كتبت، و بمثل ما كتبت كأنک تجعل المثال آلة يتوصل به الى العمل، و هذا أجود من الاول.
و الثالث- أن تلغى مثل، كما ألغيت الكاف فى قوله:

---

(1) اللسان (نهى) و صدره:
سمية ودع ان تجهزت غاديا

«فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ» «1» و هذا أضعف الوجوه لأنه إذا أمكن حمل كلام اللَّه على فائدة، فلا يجوز حمله على الزيادة، و زيادة الاسم أضعف من زيادة الحرف، كزيادة ما و لا و ما أشبه ذلک.
و روى عن ابن عباس انه قال: لا تقولوا «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ» فانه ليس للَّه مثل و لكن قولوا «فان آمنوا بالذى آمنتم به» و هذه رواية شاذة مخالفة لما أجمع عليه القراء، و متى صحت فالوجه فيها أن يكون أراد أن يفسر المعنى فكأنه قال: لا تتأولوه على الجعل للّه عز و جل مثلا فانه شرک، لكن تأولوه على ما يصح تأويله من غير تمثيل للمعبود تعالى. و قال ابن عباس: ان الايمان هو العروة الوثقى و انه لا يقبل عملا إلا به، و لا تحرم الجنة إلا على تركه.
و قوله تعالى: «وَ إِنْ تَوَلَّوْا» معناه ان اعرضوا عن الايمان و جحدوه و لم يعترفوا به «فَإِنَّما هُمْ فِى شِقاقٍ» معناه انهم فى مفارقة. فى قول قتادة و الربيع، و قال ابن زيد الشقاق هو المنازعة و المجادلة. قال الحسن: معناه التعادى و أصل الشقاق يحتمل ان يكون مأخوذاً من الشق، لأنه صار فى شق غير شق صاحبه، للعداوة المباينة، و يحتمل أن يكون مأخوذاً من المشقة لأنه يحرص على ما يشق على صاحبه، و يؤذيه. و فى الآية دلالة على نبوة النبى (ص)، لان الله تعالى وعده ان يكفيه من يعاديه من اليهود و النصارى الذين شاقوه بقوله: «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ» فكان الامر على ما وعد به.

و الكفاية و الوقاية و السلامة نظائر تقول كفى يكفى كفاية: إذا قام بالأمر و اكتفى اكتفاء، و استكفى استكفاء، و تكفى تكفياً، و كفاك هذا الامر أى حسبک و رأيت رجلا كافيک من رجل أى كفاک به رجلا. و أصل الباب الكفاية، و هو بلوغ الغاية يقال يكفى و يجزى و يغنى بمعنى واحد.

_____

(1) سورة الفيل: آية 5.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 138] ..... ص : 485

اشارة

صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَ نَحْنُ لَهُ عابِدُونَ (138)
آية بلا خلاف.
قوله تعالى: «صِبْغَةَ اللَّهِ» معناه فطرة الله. فى قول الحسن و قتادة و أبى العالية، و مجاهد و عطية و ابن زيد و السدى. و قال الفراء و البلخى: انه شريعة اللَّه فى الختان الذى هو التطهير و قوله: «صبغة اللَّه» مأخوذ من الصبغ، لان بعض النصارى كانوا إذا ولد لهم مولود جعلوه فى ماء طهور يجعلون ذلک تطهيراً له، و يسمونه العمودية: فقيل: صبغة اللّه أى تطهير اللّه، لا تطهيركم بتلک الصبغة.
و هو قول الفراء: و قال قتادة: اليهود تصبغ أبناءها يهوداً و النصارى تصبغ أبناءها نصارى، فهذا غير المعنى الاول، و انما معناه: انهم يلقنون أولادهم اليهودية و النصرانية، فيصبغونهم بذلک لما يشربون قلوبهم منه، فقيل صبغة اللّه التى امر بها و رضيها يعنى الشريعة، لا صبغتكم. و قال الجبائى سمى الدين صبغة لأنه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة و الصلاة و غير ذلک من الآثار الجميلة التى هى كالصبغة و قال امية:
فى صبغة اللّه كان إذ نسى ال عهد و خلىّ الصواب إذ عزما

قال صاحب العين: الصبغ ما يلون به الثياب، و الصبغ مصدر صبغت و الصباغة حرفة الصباغ، و الصبغ، و الصباغ: ما يصطبغ به فى الاطعمة. و الأصبغ من الطير ما ابيض ذنبه أو بعضه. و أصل الباب الصبغ: و هو المزج للتلوين.

و نصب «صبغة اللَّه» فى الآية يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون مردوداً على «بل ملة ابراهيم» بدلا منه و تفسيراً له.

و الثانى- اتبعوا صبغة اللَّه. و الأجود الاول. و كان يجوز الرفع بتقدير هى صبغة اللّه.

و معنى قوله: «وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً» و اللفظ لفظ الاستفهام. و به قال الحسن و غيره.
و قوله «وَ نَحْنُ لَهُ عابِدُونَ» يجب أن نتبع صبغته لا ما صبغنا عليه الآباء و الأجداد. و قيل معناه «وَ نَحْنُ لَهُ عابِدُونَ» فى اتباعنا ملة ابراهيم صبغة اللَّه للاعتراف بالوجه الذى اتبعوه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 139] ..... ص : 486

اشارة

قُلْ أَ تُحَاجُّونَنا فِی اللَّهِ وَ هُوَ رَبُّنا وَ رَبُّکُمْ وَ لَنا أَعْمالُنا وَ لَکُمْ أَعْمالُکُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139)

أمر الله تعالى نبيه فى هذه الآية أن يقول لهؤلاء الكفار «أَ تُحَاجُّونَنا فِى اللَّهِ» و معناه: تخاصموننا و تجادلوننا فيه و هو تعالى الذى خلقنا و أنعم علينا، و خلقكم و أنعم عليكم. و كانت محاجتهم له (ص) انهم زعموا انهم أولى بالحق، لأنهم راسخون فى العلم، و فى الدين، لتقدم النبوة فيهم، و الكتاب، فهم أولى بأن يكون الرسول منهم. و قال قوم: بل قالوا: نحن أحق بالايمان، لأنا لسنا من العرب الذين عبدوا الأوثان، فبين الله تعالى وجه الحجة عليهم انه ربنا و ربهم، فهو أعلم بتدبيرنا و تدبيرهم، و مصلحتنا و مصلحتهم، و انه لا حجة علينا فى اجرام «1» غيرنا و معاصيهم. و قال الحسن: كانت محاجتهم أن قالوا: نحن اولى بالله منكم،

---

(1) فى المطبوعة (من) زائدة فى هذا الموضع.

و قالوا: «نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ» «1» و قالوا: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى» و قالوا «كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا» و غرضهم بذلک الاحتجاج بان الدين ينبغى ان يلتمس من جهتهم، و أن النبوة اولى أن تكون فيهم و ليس الامر على ما ظنوا، لان «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ» «2» و من الذى يقوم باعبائها، و يتحملها على وجه يكون أصلح للخلق و اولى بتدبيرهم.

و قوله: «لَنا أَعْمالُنا» معناه الإنكار لاحتجاجهم بأعمالهم، لأنهم مشركون، و نحن له مخلصون. و قيل معناه الإنكار للاحتجاج بعبادة العرب للأوثان، فقيل: لا حجة فى ذلک إذ لكل احد عمله، لا يؤخذ بجرم غيره.

و الاعمال و الافعال و الأحداث نظائر. و الإخلاص و الافراد و الاختصاص نظائر و ضد الخالص المشوب.
و قوله: «وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ» فيه احتجاج بأن المخلص للَّه اولى بالحق من المشرک به. و قيل معناه: الرد عليهم بما احتجوا به من عبادة العرب للأوثان، بانه لا عيب علينا فى ذلک إذا كنا مخلصين، كما لا عيب عليكم بفعل من عبد العجل من الاسلاف إذا اعتقدتم الإنكار عليهم، بأنهم على الاشراک باللّه بالتشبيه له، و الكفر بآياته. و قال ابن عباس: معنى «أَ تُحَاجُّونَنا» أ تجادلوننا. و قال مجاهد: معناه أ تخاصموننا. و به قال ابن زيد.
و معنى «فى اللّه» فى دين اللّه، و الالف صورتها الاستفهام. و معناه الإنكار و يجوز فى «ا تحاجوننا» ثلاثة أوجه من العربية: الاظهار، و الإدغام، و الحذف.
فالادغام تشديد النون، و الحذف تخفيف النون الواحدة.

---

(1) سورة المائدة: آية 20
(2) سورة الانعام: آية 124.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 140] ..... ص : 488

اشارة

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطَ كانُوا هُوداً أَوْ نَصارى قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140)
آية بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر «أم تقولون» بالتاء. و وافقهم ابن عامر و رويس. الباقون بالياء.

من قرأ بالياء جعله متصلا بما قبله من الاستفهام كأنه قال: ا تحاجوننا فى الله أم تقولون ان الأنبياء كانوا على دينكم. و التقدير بأى الحجتين متعلقون فى أمرنا:
أبا لتوحيد، فنحن موحدون، أم باتباع دين الأنبياء، فنحن لذلک متبعون. و من قرأ بالياء، فالوجه فيه انه عدل الى حجاج آخر عن الحجاج الاول. كأنه قال:
بل أ تقولون ان الأنبياء من قبل ان تنزل التوراة و الإنجيل كانوا هوداً أو نصارى.
و يكون قد اعرض عن خطابهم استجهالا لهم بما كان منهم، كما يقبل العالم على من بحضرته بعد ارتكاب مخاطبه جهالة شنعة: فيقول: قد قامت عليه الحجة أم يقول بابطال النظر المؤدى الى المعرفة. و قد أنكر الطبرى القراءة بالياء، و قال هى شاذة لا تجوز القراءة بها و ليس الامر على ما ظن بل وجهها ما بيناه. و معنى الآية:
الاحتجاج عليهم فى قولهم: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى» فقيل لهم: كيف ذلک، و الامر بخلافه من وجهين:
أحدهما- ما اخبر به نبينا عليه السلام مع ظهور المعجز الدال على صدقه.
و الآخر ما فى التوراة و الإنجيل من أنهم كانوا على الحنيفية، لان عندهم اسم اليهودية يقع على من تمسک بشريعة التوراة و النصرانية اسم لمن تمسک بشريعة التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 489
الإنجيل. و قد قال اللّه تعالى: «وَ ما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ» «1» و قيل ايضاً ان معناه التوبيخ لأهل الكتاب بادعائهم عليهم خلاف الإسلام بغير حجة و لا برهان.
و قوله: «أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ» صورته صورة الاستفهام و المراد به التوبيخ و مثله قوله: «أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ» «2».

و الأعلم و الأعرف و الادرى بمعنى واحد. و الاظلم و الأجور و الأعتى نظائر، فان قيل لم قال: «أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ» و قد كانوا يعلمونه و كتموه، و انما ظاهر هذا الخطاب لمن لا يعلم، قلنا من قال: انهم كانوا على ظن و توهم: فوجه الكلام على قوله واضح. و من قال: كانوا يعلمون ذلک و انما كانوا يجحدونه يقول: معناه ان منزلتكم منزلة المعترض على ما يعلم ان اللّه اخبر به فما ينفعه ذلک مع إقراره بان اللّه اعلم منه، و انه لا يخفى عليه شىء، لان ما دل على انه اعلم هو الدال على انه لا يخفى عليه شىء، و هو انه عالم لنفسه و يعلم جميع المعلومات.

و قوله تعالى: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ، قيل فى (من) فى قوله: «من اللّه» ثلاثة اقوال:

أحدها- انها بمعنى ابتداء الغاية، لان اللّه تعالى ابتدأ الشهادة فى التوراة و الإنجيل بصحة النبوة لمحمد صلى اللّه عليه و آله، و يكون ابتداء الشهادة بأن الأنبياء كانوا على الحنيفية، فهذه شهادة من الله عندهم.

و الثانى- كتمها من عباد الله.

و الثالث- ما حكاه البلخى: انه بمنزلة من أظلم ممن يجوز على الفقير الضعيف من السلطان الغنى القوى: أى فلا احد أظلم منه. و المعنى انه يلزمكم ان لا أحد أظلم من الله، تعالى عن ذلک إذ ما يكتم ما فيه الغرور للعباد، ليوقعهم فى الضلال و هو

---

(1) سورة آل عمران. آية 65.

(2) سورة النازعات: آية 27.

الغنى بنفسه الذى لا يجوز أن يلحقه المنافع و المضار جل ثناؤه و تقدست أسماؤه، و هذا الذى ذكره يلزم اليهود و الجهال. كما حكى الله تعالى عنهم و قالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم و لعنوا بما قالوا «1» و الشهادة التى كتموها قيل فيها قولان:

أحدهما- قال مجاهد و الربيع و ابن أبى نجيح: انهم كتموا الشهادة بأنهم كانوا على الإسلام.

و الثانى- قال الحسن و قتادة و ابن زيد و اختاره الجبائى: انهم كتموا الشهادة بالبشارة التى عندهم بالنبى (ص). فان قيل إذا كان الذى كتموه امر محمد صلى الله عليه و آله فكيف يتصل بما قبله: قيل قال الحسن: كتموا محمداً صلى الله عليه و آله و دينه لأن فى دينه ان ابراهيم كان مسلما و لم يک من المشركين. و الاحتجاج عليهم «أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ»

على وجه الإلزام لهم بالجهالة كأنه قيل: إذا زعمتم أن هؤلاء كانوا يهوداً أو نصارى، و قد اخبر الله بخلاف ذلک عنهم فقد لزمكم أن تكونوا أعلم من الله تعالى، و هذا غاية الخزى لمن بلغه.
و قوله تعالى: «وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» فالغفلة و السهو و السنة نظائر و معنى الآية يحتمل أمرين:
أحدهما- ليس الله بساه عن كتمان الشهادة التى لزمكم القيام بها لله تعالى.
الثانى- ان يكون على عمومه و المعنى: أنه لا يخفى عليه شىء من المعلومات لا صغيرها، و لا كبيرها فكونوا على حذر من الجزاء على السيئات بما تستحقونه من العقاب، و كتم و أخفى و أسر معناها واحد و البينة و الحجة واحد.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 141] ..... ص : 490

اشارة

تِلْکَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما کَسَبَتْ وَ لَکُمْ ما کَسَبْتُمْ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا کانُوا یَعْمَلُونَ (141)
آیة بلا خلاف.

---

(1) سورة المائدة: آیة 67.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج1، ص: 491

قيل فى تكرار قوله تلک أمة قد خلت قولان:
أحدهما- انه عنى بالأول: ابراهيم و من ذكر معه من الأنبياء.
و الثانى- عنى به أسلافهم من آبائهم الذين هم على ملتهم.
و القول الثانى ان الجواب إذا اختلفت أوقاته فكان الثانى فى غير موطن الاول، و كان بعد مدة من وقوع الاول بحسب ما اقتضاه الحال لم يكن ذلک معيباً عند أهل اللغة، و لا عند العقلاء، و الاعتراض عليهم بقوله «تلک أمة قد خلت» انه إذا لم تشكوا أن يكون فرضهم غير فرض الامة التى قد خلت قبلكم، و لا تحتجوا بأنه لا يجوز أن يخالفوا عليه، و لو سلم لكم أنهم كانوا على ما تذكرونه ما جاز لكم أن تتركوا ما نقل لكم اللّه عنه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه و آله إذ لله تعالى ان ينسخ من الشريعة ما شاء على ما يعلم فى ذلک من وجوه الحكمة، و عموم المصلحة. و قيل: ان ذلک ورد مورد الوعظ لهم بانه: إذا كان لا يؤخذ الإنسان إلا بعمله فينبغى ان تحذروا على أنفسكم، و تبادروا بما يلزمكم، و لا تتكلوا على فضائل الاباء و الأجداد فان ذلک لا ينفعكم إذا خالفتم امر الله فيما أوجب عليكم.
و المعنى بقوله تلک أمة قد خلت على قول قتادة و الربيع ابراهيم عليه السلام و من ذكر معه. و على قول الجبائى، و غيره: من سلف من آبائهم الذين كانوا على ملتهم اليهودية و النصرانية. و قد بينا فيما مضى أن الأمة الجماعة التى تؤم جهة واحدة كأمة محمد (ص) التى تؤم العمل على ما دعا اليه. و كذلک أمم سائر الأنبياء (ص) و الخلاء الفراغ يقال: فرغ من عمله، و فرغ من مكانه. و انما قيل لما مضى خلا، لأنه خلا منه مكانه. و الكسب الفعل الذى يجرّ لفاعله نفعاً او يدفع به ضرراً. و انما قيل كسب السيئة، لأنه اجلب النفع عاجلا.
و قوله: «وَ لا تُسْئَلُونَ» معناه لا تطالبون. و السؤال الطلب. و هو ايضاً الاخبار الذى اقتضاه ما تقدم من الكلام أى لا يقال لكم لم عصى آباءكم. و انما يقال لكم لم عصيتم و لم ظلمتم.
التبيان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 492
تم المجلد الأول من التبيان و يليه المجلد الثانى و أوله «سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ» ... (142) «1»

ملاحظة: ..... ص : 492

اعتمدنا- اكثر ما اعتمدنا- فى تصحيح هذا المجلد على تفسير مجمع البيان لأن الطبرسى (رحمه الله) كثير النقل عن التبيان و الله الملهم للصواب- المصححان-.

---

(1) كررنا هذا الرقم لأن الشيخ رقم آية آيتين حسب قراءة البصريين و راجعنا التفاسير كلها فوجدناها مرتبة حسب القراءة الثانية فرجعنا بالترقيم.

المجلد الثانى

سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِی کانُوا عَلَیْها قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (142)
آیة واحدة بلا خلاف.
أخبر اللّه (تعالی) نبیه علیه السلام أنه سیقول لک فیما بعد السفهاء، و هو جمع سفیه، و هو الجاهل و الغبی نظائر.
«ما وَلَّاهُمْ» معناه، أی شیء ولّاهم. و معنی ولّاهم صرفهم عنه، و مثله: قلّبه عنه و فتله. «عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِی کانُوا عَلَیْها». و القبلة: الجهة التی تستقبل فی الصلاة، و قبلة المسلمین: الکعبة. و السفیه: الخفیف إلی ما لا یجوز له أن نحف إلیه، و هی صفة ذم فی الدین. و ضد السفه الحکمة. و اشتقاق لاهم من الولی. و هو حصول الثانی بعد الأول من غیر فصل. فالثانی یلی الأول، و الثالث یلی الثانی، و الرابع یلی الثالث ثم هکذا أبداً. و وّلی عنه خلاف وّلی إلیه: مثل قولک، عدل عنه، و عدل إلیه، و انصرف، عنه و انصرف إلیه. فإذا کان الذی یلیه متوجهاً إلیه فهو متول إلیه و إذا کان متوجهاً إلی خلاف جهته، فهو متول عنه.
و القبلة مثل الجلسة للحال التی یقابل لشیء غیره علیها کما أن الجلسة للتی یجلس علیها. فکان یقال:- فیما حکی- هو لی قبلة، و أنا له قبلة، ثم صار علماً علی الجهة التی تستقبل فی الصلاة.
و اختلفوا فی الذین عابوا المسلمین بالانصراف من قبلة بیت المقدس إلی الکعبة علی ثلاثة أقوال:
[الأول] فقال ابن عباس، و البراء بن عازب: هم الیهود [الثانی] قال الحسن: هم مشرکوا العرب، و إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لمّا حول الکعبة من بیت المقدس، قالوا: یا محمد (ص) رغبت عن قبلة آبائک، ثم رجعت إلیها ایضاً، و اللّه لترجعن إلی دینهم. و الثالث قال السدی: انهم المنافقون، قالوا ذلک استهزاء التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 4
بالإسلام. و اختلفوا فی سبب عیبهم الصرف عن القبلة: فقال قوم: انهم قالوا ذلک علی وجه الإنکار للنسخ. و [الثانی] قال ابن عباس: إن قوماً من الیهود قالوا: یا محمد ما ولّاک عن قبلتک التی کنت علیها، ارجع الیها نتبعک و نؤمن. و أرادوا بذلک فتنته. الثالث- انه قال ذلک مشرکوا العرب لیوهموا ان الحق ما هم علیه.
و إنما صرفهم اللّه عن القبلة الاولی لما علم اللّه تعالی من تغیر المصلحة فی ذلک.
و قیل انما فعل ذلک لما قال تعالی «وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِی کُنْتَ عَلَیْها إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ یَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ یَنْقَلِبُ عَلی عَقِبَیْهِ»، لأنهم کانوا بمکة، أمروا أن

يتوجهوا الى بيت المقدس ليتميزوا من المشركين الذين كانوا بحضرتهم يتوجهون الى الكعبة، فلما انتقل رسول اللّه (ص) الى المدينة كان اليهود المجاورون للمدينة يتوجهون الى بيت المقدس فنقلوا الى الكعبة ليتميزوا من هؤلاء كما أريد فى الاول ان يتميزوا من أولئک و اختار ذلک البلخى و الجبائى و الرمانى.
و قوله تعالى: «قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ» أمر من اللّه تعالى لنبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الذين عابوا انتقالهم عن بيت المقدس الى الكعبة: المشرق و المغرب ملک للّه يتصرف فيهما كيف شاء على ما تقتضيه حكمته. و المشرق و المطلع نظائر، و كذلک المغرب و المغيب نظائر.
و فى الآية دلالة على جواز النسخ لأنه تعالى نقلهم- عن عبادة كانوا عليها- الى إيقاعها على وجه آخر و هذا هو النسخ.
و قوله: «لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ» فيه دلالة على أن من له المشرق و المغرب، فله التدبير فيهما، و فى ذلک إسقاط قول من زعم: أن الأرض المقدسة أولى بالتوجه اليها. لأنها مواطن الأنبياء- و قد شرفها اللّه و عظمها- فلا وجه للتولية عنها- فرد اللّه عليهم بأن المواطن كلها للّه يشرف منها ما يشاء فى كل زمان على ما يعلمه من مصالح العباد. و قال ابن عباس، و البراء بن عازب: انه كانت الصلاة الى بيت المقدس الى بعد مقدم النبى (ص) بسبعة عشر شهراً. و قال انس بن مالک: انما كان ذلک تسعة أشهر أو عشرة أشهر. و قال معاذ بن جبل كان ثلاثة عشر شهراً. و قال

قتادة صلّت الأنصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم النبى (ص) و صلّى النبى (ص) بعد قدومه المدينة ستة عشر شهراً ثم وجهه اللّه الى الكعبة. و لا خلاف ان التوجه الى بيت المقدس قبل النسخ كان فرضاً واجباً. ثم اختلفوا فقال الربيع: كان ذلک على وجه التخيير، خير اللّه نبيه بين ان يتوجه الى بيت المقدس و بين غيرها.
و قال ابن عباس و أكثر المفسرين كان ذلک فرضاً معينا- و هو الأقوى-، لقوله:
«وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْها» فبين انه جعلها قبلة، و ظاهر ذلک انه معين، لأنه لا دليل على التخيير، على انه لو ثبت انه كان مخيراً لما خرج من ان يكون فرضاً، كما ان الغرض ان يصلى الصلاة فى الوقت ثم هو مخير بين أوله و أوسطه و آخره.
و قوله: «يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» معنا: يهديهم الى الدين المستقيم الذى يؤديهم الى الجنة، فلذلک سماه صراطاً كما يؤدى الطريق الى المقصد.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 143] ..... ص : 5

اشارة

وَ كَذلِکَ جَعَلْناکُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَکُونُوا شُهَداءَ عَلَی النَّاسِ وَ یَکُونَ الرَّسُولُ عَلَیْکُمْ شَهِیداً وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِی کُنْتَ عَلَیْها إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ یَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ یَنْقَلِبُ عَلی عَقِبَیْهِ وَ إِنْ کانَتْ لَکَبِیرَةً إِلاَّ عَلَی الَّذِینَ هَدَی اللَّهُ وَ ما کانَ اللَّهُ لِیُضِیعَ إِیمانَکُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِیمٌ (143)
آیة بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر و حفص عن عاصم «لرؤوف» على وزن لرعوف. الباقون «لرؤف» على وزن (فعُل).
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 6

اخبر اللّه تعالى أنه جعل أمة نبيه محمد (ص) وسطاً: أى سماها بذلک و حکم لها به. و الوسط: العدل. و قيل الخيار، و معناهما واحد: و قيل: انه مأخوذ من المکان الذى تعدل المسافة منه الى أطرافه. و قيل: بل أخذ الوسط من التوسط بين المقصر و المغالى، فالحق معه «1». و قال مؤرج: اى وسط بين الناس و بين أنبيائهم و قال زهير:
هم وسط يرضى الأنام بحکمهم إذا نزلت إحدى الليالى بمعظم «2»
و روى عن النبى (ص) انه قال: أمة وسطاً: عدلا.
و هو قول مجاهد، و قتادة، و الربيع، و ابن عباس، و اکثر المفسرين. و قال صاحب العين: الوسط من الناس و غيرهم، و من کل شىء أعدله، و أفضله و قيل الواسط و الوسط بمعنى واحد، کما قيل يابس و يبس بمعنى واحد. قال تعالى «فِى الْبَحْرِ يَبَساً» «3» و الوسط- بتسکين السين- الموضع. و الوسط- بالتحريک- لما بين طرفى کل شىء، و يسمى واسط الرحل بين القادمة و الاخرة، و کذلک واسطة القلادة. و اصل الباب الوسط: العدل.
و قولهم فلان من أوسطهم نسباً: اى تکلله الشرف من نواحيه.

و اللام الاولى فى قوله: «لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ» لام كى، كأنه قال كى تكونوا، و أصلها لام الاضافة. و اللام فى قوله: «وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً» لام تأكيد، و هى تلزم أن المخففة من الثقيلة، لئلا تلبس بأن التى بمعنى ما، كقوله تعالى:

_____

(1) الضمير راجع الى الوسط اى الحق مع الوسط لأنه ليس بالمقصر و لا بالمغالى.
(2) ديوانه 2: 27 و روايته.
لحى حلال يعصم الناس أمرهم إذا طرقت احدى الليالى بمعظم
و فى تفسير الطبرى و بعض المصادر الاخرى كما هو مثبت فى المتن.
(3) سورة طه: آية 77.

«إِنِ الْكافِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ» «1» و هى لام الابتداء أخرت الى الخبر فى باب (ان) خاصة. و اما اللام الثالثة فى قوله: «وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ» فلام الجحد، و أصلها لام الاضافة، و الفعل نصب بإضمار (أن)، و لا يظهر بعدها (ان)، لان التأويل: ما كان اللّه مضيعاً ايمانكم، فلما حمل معناه على التأويل، حمل، لفظه ايضاً على التأويل من غير تصريح بإظهار (ان).

فان قيل: باى شىء يشهدون على الناس، قلنا فيه ثلاثة اقوال: أحدها- ليشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها الحق فى الدنيا و فى الآخرة كما قال: «وَ جِىءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَداءِ» «2» و قال «يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ» «3» قال ابن زيد: الاشهاد أربعة الملائكة، و الأنبياء، و أمة محمد (ص) و الجوارح. كما قال: «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ» «4».
الثانى- يشهدون الأنبياء على أممهم المكذبين بأنهم بلّغوا. و جاز ذلک لاعلام النبى (ص) إياهم بذلک.
الثالث- «لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ» أى حجة عليهم فيما يشهدون، كما أن النبى (ص) شهيد بمعنى حجة فى كلما اخبر به. و النبى (ص) وحده كذلک. فأما الامة فجماعتها حجة دون كل واحد منها. و استدل البلخى، و الجبائى، و الرمانى، و ابن الأخشاد، و كثير من الفقهاء، و غيرهم بهذه الآية على أن الإجماع حجة من حيث ان اللّه وصفهم بأنهم عدول، فإذا عدلهم اللّه تعالى، لم يجز أن تكون شهادتهم مردودة- و قد بينا فى اصول الفقه أنه لا دلالة فيها على ان الإجماع حجة- و جملته ان اللّه تعالى وصفهم بأنهم عدول، و بأنهم شهداء و ذلک يقتضى ان يكون كل واحد عدلا،

---

(1) سورة الملک: آية 20.
(2) سورة الزمر: آية 69. [.....]
(3) سورة المؤمن: آية 51.
(4) سورة النور: آية 24.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 8
و شاهداً، لأن شهداء جمع شهيد، و قد علمنا أن كل واحد من هذه الامة ليس بهذه الصفة، فلم يجز أن يكون المراد ما قالوه، على أن الأمة إن أريد بها جميع الامة، فقد بينا ان فيها كثيراً ممن يحكم بفسقه بل بكفره، فلا يجوز حملها على الجميع.
و ان خصوها بالمؤمنين العدول، لنا أن نخصها بجماعة، كل واحد منهم موصوف بما وصفنا به جماعتهم: و هم الأئمة المعصومون من آل الرسول (ص) على أنا لو سلمنا ما قالوه من كونهم عدولا، ينبغى أن نجنبهم ما يقدح فى عدالتهم و هى الكبائر، فأما الصغائر التى تقع مكفرة، فلا تقدح فى العدالة، فلا ينبغى أن نمنع منها، و متى جوزنا عليهم الصغائر لم يمكنا أن نحتجّ بإجماعهم، لأنه لا شىء أجمعوا عليه إلا و يجوز أن يكون صغيراً فلا يقدح فى عدالتهم، و لا يجب الاقتداء بهم فيه لكونه قبيحاً. و فى ذلک بطلان

الاحتجاج بإجماعهم. و كيف يجنبون الصغائر، و حال شهادتهم ليس بأعظم من شهادة النبى (ص) و مع هذا يجوزون عليه الصغائر فهلا جاز مثل ذلک عليهم، و لا تقدح فى عدالتهم- كما لم تقدح فى عدالة النبى (ص)؟
قوله: «وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً». قيل فى معناه قولان:
أحدهما- عليكم شهيداً بما يكون من أعمالكم. و قيل: يكون حجة عليكم.
و الثانى- يكون لكم شهيداً بأنكم قد صدقتم- يوم القيامة- فيما تشهدون به.
و جعلوا (على) بمعنى اللام كما قال: «وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ» «1» اى للنصب. و التشبيه فى قوله «و كذلک» وقع بما دل عليه الكلام فى الآية التى قبلها: و هى قوله «يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» فتقديره أنعمنا عليكم بالعدالة كما أنعمنا عليكم بالهداية و العامل فى الكاف جعلنا، كأنه قيل: «من يشأ الى صراط مستقيم» فقد أنعمنا عليكم بذلک و جعلناكم أمة وسطاً فأنعمنا كذلک الانعام. إلا أن (جعلنا) يدل على أنعمنا فى هذا الكلام، فلم نحتج الى حذفه معه فى قوله تعالى: «وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْها» اى ما صرفناک عن القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم، و حذف لدلالة

---

(1) سورة المائدة: آية 4

الكلام عليه. و قوله «إِلَّا لِنَعْلَمَ» قيل فى معناه ثلاثة اقوال:
أولها «إِلَّا لِنَعْلَمَ» اى لنعلم حزبنا من النبى و المؤمنين، كما يقول الملک فعلنا و فتحنا بمعنى فعل أولياؤنا و من ذلک قيل: فتح عمر السواد وجبا الخراج و إن لم يتولّ ذلک بنفسه.
الثانى- إلا ليحصل المعلوم موجوداً، فقيل على هذا: إلا لنعلم، لأنه قبل وجود المعلوم لا يصح وصفه بانه عالم بوجوده.
و الثالث- إلا لنعاملكم معاملة المختبر الممتحن الذى كأنه لا يعلم أن العدل يوجب ذلک، من حيث لو عاملهم بما يعلم انه يكون منهم كان ظلماً لهم. و يظهر ذلک قول القائل لمن أنكر أن تكون النار تحرق الحطب: فليحضر النار و الحطب لنعلم أ تحرقه أم لا، على جهة الانصاف فى الخطاب، لا على جهة الشک فى الإحراق. و هذا الوجه اختاره ابن الأخشاد، و الرمانى. و كان على بن الحسين المرتضى الموسوى يقول فى مثل ذلک وجهاً مليحاً: و هو ان قال: قوله لنعلم يقتضى حقيقة ان يعلم هو و غيره و لا يحصل علمه مع علم غيره إلا بعد حصول الاتباع، فاما قبل حصوله فإنما يكون هو تعالى العالم وحده، فصح حينئذ ظاهر الاية، و هذا وجه رابع، و فيه قول خامس- و هو ان يعلموا انا نعلم، لأنه كان منهم من يعتقد ان اللّه لا يعلم الشىء حتى يكون على ان قوله: «لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ» لا يدل على حدوث العلم، لأنه كان قبل ذلک عالماً بان الاتباع سيوجد، او لا يوجد، فان وجد كان عالماً بوجوده و

ان لم يتجدد له صفة. و انما يتجدد المعلوم، لان العلم بان الشىء سيوجد علم بوجوده إذا وجد.
و انما يتغير عليه الاسم، و يجرى ذلک مجرى تغير الاسم على زمان بعينه، بان يوصف بانّه غد قبل حصوله، فإذا حصل قيل انه اليوم، فإذا تقضى وصف بانه أمس، فتغير عليه الاسم و المعلوم لم يتغير.
و قوله تعالى: «مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ان قوماً ارتدوّا عن الإسلام لما حولت القبلة جهلا منهم بما فيها من وجه الحكمة. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 10
و الآخر ان المراد به كل مقيم على كفره، لان جهة الاستقامة إقبال، و خلافها ادبار. لذلک وصف الكافر بانه أدبر و استكبر. و قال: «لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَ تَوَلَّى» «1» اى عن الحق.

و العقب مؤخر القدم قال ثعلب: و نرد على أعقابنا: أى نعقب بالشر بعد الخير و كذلک رجع على عقبيه. و سميت العقوبة عقوبة لأنها تتلو الذنب. و العقبة كرة بعد كرة فى الركوب و المشى. و المعقبات: ملائكة الليل تعاقب ملائكة النهار. و عقب الإنسان نسله. و العقاب معروف و العقب أصلب من العصاب و امتن، يعقب به الرماح.
و التعقيب: الرجوع الى امر تريده. و منه قوله تعالى: «وَ لَمْ يُعَقِّبْ» «2» و منه يقال عقب الليل النهار يعقبه. و أعقب الرأى خبراً، و أعقب عزه ذلا أى أبدل به. و العقبة طريق فى الجبل. و عرو العقاب: الراية لشبهها بعقاب الطائر. و اليعقوب ذكر القبج تشبه به الخيل فى السرعة. لا معقب لحكمه أى لا رادّ لقضائه. و المعقب: الذى يتبع الإنسان فى طلب حق. و اصل الباب التلو.

و الضمير فى قوله «وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً» يحتمل رجوعه الى ثلاثة أشياء: القبلة على قول ابن عامر. و التحويلة على قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة. و هو الأقوى، لان القوم ثقل عليهم التحويل لا نفس القبلة. و على قول ابن زيد الصلاة و قوله:
«لَكَبِيرَةً» قال الحسن: معناه ثقيلة يعنى التحويلة الى بيت المقدس، لان العرب لم تكن قبلة أحب اليهم من الكعبة. و قيل معناه عظيمة على من لم يعرف ما فيها من وجوه الحكمة. فاما الذين هدى اللّه، لان المعرفة بما فيها من المصلحة تسهل المشقة فيصير بمنزلة ما لا يعتد بها و لذلک حسن الاستثناء بما يخرجهم منها.

_____

(1) سورة الليل: آية 15- 16
(2) سورة النمل آية 10 و سورة القصص آية 31
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 11
و قوله: «وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ» قيل فى معناه اقوال:
أولها- قال ابن عباس و قتادة و الربيع: لما حولت القبلة قال ناس: كيف بأعمالنا التى كنا نعمل فى قبلتنا الاولى. و قيل: كيف من مات من إخواننا قبل ذلک، فانزل اللّه (وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ).
الثانى- معناه قال الحسن: و انه لما ذكر ما عليهم من المشقة فى التحويلة اتبعه بذكر ما لهم عنده من المثوبة و انه لا يضيع ما عملوه من الكلفة فيه. لان التذكير به يبعث على ملازمة الحق و الرضا به.
الثالث- قال البلخى: انه لما ذكر انعامه عليهم بالتولية الى الكعبة ذكر سبب ذلک الذى استحقوه به و هو ايمانهم بما عملوه أولا فقال: «وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ» الذى استحققتم به تبليغ محبتكم فى التوجه الى الكعبة.

و الاضاعة مصدر أضاع يضيع. و ضاع الشىء يضيع ضياعة، وضعه تضييعاً. قال صاحب العين: ضيعة الرجل حرفته. يقال: ما ضيعتک اى ما حرفتک، هذا فى الضياع و ضاع عمل فلان ضيعة، و ضياعاً. و تركهم بضيعة و مضيعة. و الضيعة و الضياع معروف و اصل الضياع الهلاک.
و قوله: (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ) ان قيل: ما الذى اقتضى ذكر هذه الصفة، قلنا الرؤوف بعباده الرحيم بهم لا يضيع عنده عمل عامل منهم، فدل بالرأفة و الرحمة على التوفير عليهم فيما استحقوه دون التضيع لشىء منه. و انما قدمت الرأفة على الرحمة، لان الرأفة أشد مبالغة من الرحمة ليجرى على طريقة التقديم- بما هو اعرف- مجرى اسماء الاعلام ثم إتباعه بما هو دون منه ليكون مجموع ذلک تعريفاً أبلغ منه، لو انفرد كل واحد عن الاخر كما هو فى الرحمن الرحيم فرءوف على وزن فعول، لغة اهل الحجاز. على وزن فعل، لغة غيرهم قال الانصارى «1»:

---

(1) هو كعب بن مالک الانصارى.

نطيع نبينا لنطيع ربّاً هو الرحمن كان بنا رءوفا «1»
و قال حريز: يعنى منعمين حقا، كفعل الوالد الرؤوف الرحيم. و الرأفة: الرحمة تقول رأف يرأف رأفة.

و استدل من قال الصلاة: الايمان بهذه الآية، فقالوا: سمى اللَّه الصلوة ايمانا- على تاويل ابن عباس، و قتادة، و السدى و الربيع و داود بن أبى عاصم و ابن زيد و سعيد بن المنذر و عمرو بن عبيد و واصل و جميع المعتزلة. و من خالفهم من المرجئة لا يسلم هذا التأويل و يقول: الايمان على ظاهره و هو التصديق و لا ينزل ذلک بقول من ليس قوله حجة، لأنهم ليسوا جميع المفسرين بل بعضهم و لا يكون ذلک حجة.
و استدل الجبائى بهذه الآية على ان الشاهد هو الحاضر دون من مات، بان قال: لو كان الرسول شاهداً على من مضى قبله أو من يأتى بعده و من هو حاضر معه لم يكن لقوله (وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) معنى. و يؤكد ذلک قوله (وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ) «2» و قال غيره: قد يجوز ان يشهد العالم بما علم و ان لم يحضره- و هو الأقوى- و هذه الآية فيها دلالة على جواز النسخ فى الشريعة بل على وقوعه، لأنه قال (وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْها) فأخبر ان الجاعل لتلک القبلة كان هو تعالى، و انه هو الذى نقله عنها و ذلک هو النسخ، فان قيل: كيف أضاف الايمان الى الأحياء و هم كانوا قالوا: كيف بمن مضى من إخواننا قلنا يجوز ذلک على التغليب، لان من عادتهم ان يغلبوا المخاطب على الغائب كما يغلبون المذكر على المؤنث تنبيهاً على الأكمل، فيقولون: فعلنا بكما و بلغناكما، و ان كان أحدهما حاضراً و الاخر غائباً، فان قيل كيف جاز على اصحاب النبى صلى اللَّه و آله الشک فيمن مضى من إخوانهم فلم يدروا انهم كانوا على حق فى صلاتهم الى بيت المقدس؟ قيل فى ذلک: كيف إخواننا لو أدركوا الفضل بالتوجه، و انهم أحبوا لهم ما أحبوا لأنفسهم. و يكون قال ذلک منافق بما فيه الرد على المخالفين المنافقين.

---

(1) اللسان «رأف» و روايته «و نطيع» بدل «لنطيع» فى المطبوعة «رؤف» بدل «رؤوفا».
(2) سورة المائدة: آية 120.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 144] ..... ص : 13

اشارة

قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِکَ فِی السَّماءِ فَلَنُوَلِّیَنَّکَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَیْثُ ما کُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَکُمْ شَطْرَهُ وَ إِنَّ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ لَیَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا یَعْمَلُونَ (144) آیة بلا خلاف.

قرأ ابن عامر، و حمزة، و الكسائى، و ابو جعفر، و روح «عما تعملون» بالتاء. الباقون بالياء.

و قال قوم ان هذه الآية نزلت قبل التى تقدمتها: و هى قوله: (سَيَقُولُ السُّفَهاءُ)

إن قيل لم قلب النبى (ص) وجهه فى السماء، قلنا عنه جوابان:
أحدهما- انه كان وعد بالتحويل عن بيت المقدس، و كان يفعل ذلک انتظاراً و توقعاً لما وعد به.
و الثانى- انه كان يحبه محبة الطباع، و لم يكن يدعو به حتى أدركه فيه، لان الأنبياء لا يدعون إلا بما أذن لهم فيه لئلا تكون المصلحة فى خلاف ما سألوه فيكون فى ردهم تنفرّ عن قبول قولهم. و هذا الجواب يروى عن ابن عباس، و قتادة.
و قيل فى سبب محبة التوجه الى الكعبة ثلاثة اقوال:
أولها- قال مجاهد: انه أحب ذلک، لأنها كانت قبلة ابراهيم- حكاه الزجاج- انها أحب ذلک استدعاء العرب الى الايمان.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 14

و قوله: (قَدْ نَرى) فالرؤية هى ادراک الشىء من الوجه الذى يتبين بالبصر.
و قوله: (تَقَلُّبَ وَجْهِکَ) التقلب و التحول و التصرف نظائر: و هو التحرک فى الجهات و قوله: (تَرْضاها) تحبها. و الرضاء ضد السخط: و هو ارادة الثواب. و السخط ارادة الانتقام. و قوله: (شَطْرَ الْمَسْجِدِ) اى نحوه، و تلقاه بلا خلاف بين اهل اللغة. و عليه المفسرون كابن عباس، و مجاهد، و أبى العالية، و قتادة، و الربيع، و ابن زيد، و غيرهم. قال الشاعر:
و قد أظلكم من شطر ثغركم هول له ظلم يغشاكم قطعا
اى من نحو ثغركم و انشد ابن عبيدة الهذلى «1»:
ان العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور «2»
و قال ابن احمر «3»:
تعدو بنا شطر جمع و هى عاقدة قد كارب العقد من ايفادها الحقبا «4»
و قال الجبائى: أراد بالشطر النصف، كأنه قال: وجهک نصف المسجد، لأن شطر الشىء: نصفه، فأمره ان يولى وجهه نحو نصف المسجد حتى يكون مقابل الكعبة، و هذا فاسد، لأنه خلاف أقوال المفسرين، و لان اللفظ إذا كان مشتركاً بين النصف، و بين النحو ينبغى ألّا يحمل على أحدهما إلا بدليل. و على ما قلناه اجماع المفسرين، قال الزجاج: يقال: هؤلاء القوم شاطرونا دورهم، تتصل بدورنا كما

---

(1) هو قيس بن العيزارة الهذلى. و العيزارة أمه و اسمه قيس بن خويلد بن كاهل.
(2) ديوانه: 261 و التكامل لابن الأثير 1: 12، 2: 3 و اللسان «شطر» فى المطبوعة «العشير» بدل «العسير» و «تخامرها» بدل «مخامرها» و «محشورا» بدا «محسور»
(3) فى المطبوعة «الراحم» و هو تحريف.
(4) سيرة ابن هشام 2: 119، و الروض الانف 2: 38 و الخزانة 3: 38، و مجاز القرآن لأبى عبيدة: 60 فى المطبوعة «كادت العقد من العادها» بدل «كارب العقد من ايفادها» و هو تحريف فاحش مقوله: جمع هى اسم مكان، و يسمى المزدلفة عاقدة قد عكف ذنبها بين فخذيها. كارب: أوشک، و كاد، و قارب، و دنا. اوفدت الناقة: أسرعت. الحقب: الحزام.

يقال هؤلاء يناحوننا أى نحن نحوهم و هم نحونا. و قال صاحب العين شطر كل شىء نصفه و شطره: قصده و نحوه، و منه المثل احلب حلباً لک شطره اى نصفه. و شطرت الشىء جعلته نصفين، و قد شطرِت الشاة شطاراً: و

هو ان يكون احد طستها اكثر من الآخر و ان حلبا جميعاَ، و منزل شطر: اى بعيد، و شطر فلان على اهله: اى تركهم مراغماً أو مخالفاً. و رجل شاطر. و قد شطر شطورة، و شطوراً و شطارة: و هو أعيا اهله خبثاً. و أصل الشطر النصف.

و قال السدى المعنى بقوله (وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ) هم اليهود. و قال غيره:
هم أحبار اليهود، و علماء النصارى غير انهم جماعة قليلة يجوز على مثلهم اظهار خلاف ما يبطنون، لان الجمع الكثير لا يتأتى ذلک منهم لما يرجع الى العادة، و انه لم يجز بذلک مع اختلاف الدواعى، و انما يجوز العناد على النفر القليل و قد مضى فيما تقدم نظير ذلک، و ان على ما نذهب اليه فى الموافاة لا يمكن أن يكونوا عارفين بذلک إلا أن يكون نظيرهم لا يوجه وجوب المعرفة، فإذا حصلت المعرفة عند ذلک فلا يستحقون عليه الثواب لان النبى (ص) يمنع منه ان يكونوا مستحقين للثواب الدائم و يكفرون فيستحقون العقاب الدائم و الإحباط باطل، فيؤدى ذلک الى اجتماع الاستحقاقين الدائمين و ذلک خلاف الإجماع.
و هذه الآية ناسخة لفرض التوجه الى بيت المقدس قبل ذلک. و روى عن ابن عباس انه قال: أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة. و قال قتادة:
نسخت هذه الآية ما قبلها. و قال جعفر بن مبشر هذا مما نسخ من السنة بالقرآن- و هذا هو الأقوى-، لأنه ليس فى القرآن مما يدل على تعبده بالتوجه الى بيت المقدس. و من قال: انها نسخت قوله تعالى: (فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) قلنا له هذه ليست منسوخة بل هى مختصة بالنوافل- فى حال السفر- فأما من قال: يجب على الناس ان يتوجهوا الى الميزاب الذى على الكعبة و يقصدوه، فقوله باطل، لأنه خلاف التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 16
ظاهر القرآن. قال ابن عباس: البيت كله قبلة- و هو قول جميع المفسرين. و روى بعض اصحاب الحديث: ان البيت هو القبلة و ان قبلته بابه. و هذا يجوز. قال فاما ان يجب على جميع الخلق التوجه اليه، فهو خلاف الإجماع.
و قوله: (حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)
روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع) ان ذلک فى الفرض، و قوله: (فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) فى النافلة.
و روى عن ابن عباس و أبى جعفر محمد بن على: انه لما حول الى الكعبة اتى رجل من عبد الأشهل من الأنصار و هم قيام يصلون الظهر و قد صلوا ركعتين نحو بيت المقدس، فقال: ان اللّه قد صرف رسوله نحو البيت الحرام، فصرفوا وجوههم نحو البيت الحرام فى بقية صلاتهم.

و قوله: (وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ) موضع كنتم جزم بالشرط، و تقديره و حيث ما تكونوا، و الفاء جواب و لو لا (ما) لم يجز الجزاء (بحيث) لخروجها عن نظائرها، بانه لا يستفهم بها، و لان الاضافة لها كالصلة لغيرها، و ليست بصلة كصلة أخواتها. و الهاء فى قوله تعالى:
(وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ) على قول الجبائى يعود الى التحويل. و قال الحسن: هى عائدة الى التوجه الى الكعبة، لأنها قبلة ابراهيم، و الأنبياء قبله.

و «الحق» وضع الشىء فى موضعه إذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح.
و الغفلة: هى السهو عن بعض الأشياء خاصة و إذا كان السهو عاماً فهو فوق الغفلة و هو السهو العام، لأن النائم لا يقال: انه غفل عن الشىء الا مجاز.

و قال عطا فى قوله تعالى: (فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ) قال: الحرم التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 17
كله مسجد. و هذا مثل قول أصحابنا أن الحرم قبلة من كان نائيا عن الحرم من أهل الآفاق. و اختلف الناس فى صلاة النبى (ص) الى بيت المقدس فقال قوم: كان يصلى بمكة الى الكعبة، فلما صار بالمدينة أمر بالتوجه الى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ثم أعيد الى الكعبة. و قال قوم: كان يصلى بمكة الى بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه و بينها و لا يصلى فى غير المكان الذى يمكن هذا فيه. و قال قوم: بل كان يصلى بمكة، و بعد قدومه المدينة سبعة عشر شهراً الى بيت المقدس، و لم يكن عليه ان يجعل الكعبة بينه و بينها، ثم أمره اللّه بالتوجه الى الكعبة. و من صلى الى غير القبلة لشبهة دخلت عليه، ثم تبينه، فان كان الوقت باقياً أعاد الصلاة. و ان خرج الوقت، فان كان صلى يميناً و شمالا، فلا إعادة عليه، و إن صلى الى استدبارها أعاد. و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 145] ..... ص : 17

اشارة

وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَکَ وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّکَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145)
آية بلا خلاف.

اختلف النحويون فى أن جواب- لئن- لم كان جواب (لو) فقال الأخفش، و من تبعه أجيبت بجواب- لو، لان الماضى وليها كما يلى لو فاجيبت بجواب (لو) و دخلت كل واحدة منهما على صاحبتها قال اللَّه تعالى: (وَ لَئِنْ أَرْسَلْنا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) «1» فجرى مجرى و لو أرسلنا و قال (وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) «2» على جواب لئن. و قال سيبويه و جميع أصحابه: ان معنى

_____

(1) سورة الروم آية 51

(2) سورة البقرة آية 103 [.....]

(لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) ليظلن و معنى (لئن) غير معنى (لو) فى قول الجماعة. و إن قالوا إن الجواب متفق لأنهم لا يدفعون أن معنى (لئن) ما يستقبل و معنى (لو): ما مضى و حقيقة معنى (لو) أنها يمتنع بها الشىء لامتناع غيره. كقولك لو أتيتنى لأكرمتك أى لم تأتنى فلم أكرمك، فامتنع الإكرام، لامتناع الإتيان. و معنى (إن) (و لئن) انما يقع بهما الشىء لوقوع غيره تقول: إن تأتنى أكرمك، فالاكرام يقع بوقوع الإتيان و قال بعضهم: إن كل واحدة منهما على موضعها، و انما لحق فى الجواب هذا التداخل، لدلالة اللام على معنى القسم، فجاء الجواب بجواب القسم، فاغنى عن جواب الجزاء لدلالته عليه، لان معنى لظلوا ليظلن و هذا هو معنى قول سيبويه. و يجوز أن تقول: إن أتيتنى لم أجفك، و لا يجوز أن تقول: إن اتيتنى ما حفوتك، لان (ما) منفصلة (و لم) كجزء من الفعل. ألا ترى أنه يجوز ان تقول: زيداً لم أضرب، و لا يجوز زيداً ما ضربت.

و انما يجاب الجزاء بالفعل أو الفاء، فإذا تقدم لام القسم جاز، فقلت لئن أتيتنى ما جفوتك.

فان قيل: كيف قال (وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ) و قد آمن منهم خلق؟ قلنا عن ذلک جوابان:
أحدهما- قال الحسن: إن المعنى أن جميعهم لا يؤمن، و هو اختيار الجبائى.
و الثانى- أن ذلک مخصوص لمن كان معانداً من أهل الكتاب دون جميعهم الذين وصفهم اللّه، فقال «يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ» اختاره البلخى و الزجاج. و هذه الآية دالة على فساد قول من قال: لا يكون الوعيد بشرط، و على فساد قول من قال بالموافاة، و إن من علم اللّه أنه يؤمن لا يستحق العقاب أصلا، لأن اللّه تعالى علق الوعيد بشرط يوجب أن يكون متى تحصل الشرط تحصل استحقاق العقاب، و فيها دليل على فساد قول من قال: إن الوعيد لا يقع لمن علم أنه لا يعصى، لأن اللّه تعالى علم من حال الرسول أنه لا يتبع أهواءهم و مع هذا يوعده إن اتبع أهواءهم. و فى الآية دلالة على

بطلان قول من قال: إن فى المقدور لطفاً، لو فعل اللّه بالكافر لآمن لا محالة، من قبل أنه قيل فى قوله (وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ) قولان:
أحدهما- أن المعاند لا ينفعه الدلالة لأنه عارف و الآخر أنه لا لطف لهم فتلتمسه ليؤمنوا، و على القولين فيه دلالة على فساد قول أصحاب اللطف، لان مخرجه مخرج التنصل من التخليف عنهم ما يؤمنون عنده طوعاً، فلو قال قائل: و ما فى أن الآية لا ينفعهم فى الايمان لطف ينفعهم فيه لكان لا يسقط سؤاله إلا بأن يقال: لا لطف لهم كما لا آية تنفعهم و قوله: (وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ) قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدهما- (لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ) فى المداراة لهم حرصاً على أن يؤمنوا (إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ) لنفسک مع اعلامنا إياک: (أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ). هذا قول أبى على الجبائى.
الثانى- الدلالة على أن الوعيد يجب باتباع أهوائهم فيما دعوا اليه من قبلتهم، و أنه لا ينفع مع ذلک عمل سلف، لأنه ارتداد. و الخطاب للنبى (ص) و المراد به كل من كان بتلک الصفة. كما قال: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) «1» و هذا قول الحسن، و الزجاج.
الثالث- ان معناه الدلالة على فساد مذاهبهم، و تبكيتهم بها. كما تقول: لئن قيل عنک أنه لخاسر تريد به التبكيت على فساد رأيه، و التبعيد من قبوله.
و قوله: (وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) قيل فى معناه أربعة اقوال:
أولها- أنه لما قال: (وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) على وجه المقابلة كما تقول: ما هم بتاركى انكار الحق

و ما أنت بتَارک الاعتراف به، فيكون الذى جرّ الكلام التقابل للكلام الاول، و ذلک حسن من كلام البلغاء.

---

(1) سورة الزمر: آية 65.

الثانى- أن يكون المراد أنه ليس يمكنک استصلاحهم باتباع قبلنهم لاختلاف وجهتهم، لان النصارى يتوجهون الى المشرق، و اليهود الى بيت المقدس، فبين اللّه تعالى: أن رضا الفريقين محال.

الثالث- أن يكون المراد حسم طمع أهل الكتاب من اليهود إذ كانوا طمعوا فى ذلک و ظنوا انه يرجع الى الصلاة الى بيت المقدس، و ماجوا فى ذكره.

الرابع- انه لما كان النسخ مجوزاً قبل نزول هذه الآية، فأنزل اللّه تعالى الآية، ليرتفع ذلک التجوز.

و قوله: (وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ) قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن، و السدى، و ابن زيد، و الجبائى: أنه لا يصير النصارى كلهم يهوداً، و لا اليهود كلهم يصيرون نصارى أبداً، كما لا يتبع جميعهم الإسلام. و هذا من الاخبار بالغيب.

و قال غيرهم: معناه إسقاط الاعتلال بأنه مخالفة لأهل الكتاب الذين ورثوا ذلک عن أنبياء اللّه بامره إياهم به، فكلما جاز أن يخالف بين وجهتهم للاستصلاح جاز ان يخالف بوجهة ثالثة للاستصلاح فى بعض الازمان.

و قد بينا حد الظلم فيما تقدم، و اعترضنا قول من قال: هو الضرر و القبيح الذى يستحق به الذّم من حيث أن ذلک ينقض بفعل الساهى، و النائم، و الطفل، و المجنون- إذا كان بصفة الظلم- فانه يكون قبيحاً و ان لم يستحقوا به ذمّاً. و من خالف فى ذلک كان الكلام عليه فى موضع آخر. على ان المخالف فى ذلک ناقض، فانه قال: ان الكذب يقع من الصبى و يكون قبيحاً. و هذا إذا جاز. هلا جاز ان يقع منه الظلم؟

فان قال: لان العقل للإنسان البالغ، يزجر الصبى عن ذلک بالتأديب. قلنا مثل ذلک فى الظلم سواء.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 146] ..... ص : 20

اشارة

الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (146)
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 21
آية بلا خلاف

أخبر اللّه تعالى عن أهل الكتاب أنهم يعرفون النبى (ص) كما يعرفون أبناءهم، و أن جماعة منهم يكتمون الحق مع علمهم بأنه حق. و قيل فى الحق الذى كتموه قولان:
أحدهما- قال مجاهد: كتموا محمداً (ص) و نبوته، و هم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة و الإنجيل.
و الثانى- قال الربيع: انهم كتموا أمر القبلة. و قوله (وَ هُمْ يَعْلَمُونَ) يحتمل أمرين:
أحدهما- يعلمون صحة ما كتموه. و الثانى- يعلمون ما لمن دفع الحق من العقاب و الذم.
و (الهاء) فى قوله: (يعرفونه) عائدة- فى قول ابن عباس، و قتادة، و الربيع- على أن أمر القبلة حق. و قال الزجاج هى عائدة على أنهم يعرفون النبى (ص) و صحة أمره، و ثبوت نبوته، و انما قال: (وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ) و فى أوّل الآية قال: (يَعْرِفُونَهُ) على العموم، لان أهل الكتاب منهم من أسلم و أقر بما يعرف فلم يدخل فى جملة الكاتمين. كعبد اللّه بن سلام، و كعب الأحبار، و غيرهما ممن دخل فى الإسلام.
و العلم و المعرفة واحد. و حدّه ما اقتضى سكون النفس. و إن فصّلت، قلت: هو الاعتقاد للشىء على ما هو به مع سكون النفس. و فصل الرمانى بين العلم و المعرفة، بأن قال: المعرفة هى التى يتبين بها الشىء من غيره على جهة التفصيل. و العلم قد يتميز به الشىء على طريق الجملة دون التفصيل كعلمک بان زيداً فى جملة العشرة. و إن لم تعرفه بعينه و إن فصلت بين الجملة التى هو فيها، و الجملة التى ليس هو فيها. و هذا غير صحيح التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 22
لان المعرفة أيضاً قد يتميز بها الشىء على طريق الجملة، فلا فرق بينهما.
فان قيل لم قال:
«يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ» إنهم أبناءهم فى الحقيقة، و يعرفون أن محمداً (ص) هو النبى المبشر به فى الحقيقة؟ قلنا التشبيه وقع بين المعرفة بالابن فى الحكم: و هى معرفة تميزه بها من غيره، و بين المعرفة بالنبى المبشر به فى الحقيقة، فوقع التشبيه بين معرفتين. إحداهما أظهر من الاخرى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 147] ..... ص : 22

اشارة

الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِینَ (147)
آية بلا خلاف.

«الحق» مرتفع بأنه خبر ابتداء محذوف و تقدير ذاک الحق من ربّک أو هو الحق من ربک. و مثله مررت برجل كريم زيد: اى هو زيد، و لو نصب كان جائزاً فى العربية على تقدير اعلم الحق من ربک.

و قوله: «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» معناه من الشاكين ذهب اليه ابن زيد، و الربيع، و غيرهما من المفسرين. و الامتراء الاستخراج. و قيل: الاستدرار. فكأنه قال: فلا تكن من الشاكين فيما يلزمک استخراج الحق فيه. قال الأعشى:

تدرّ على اسؤق الممترى ن ركضاً إذا ما السراب ارجحن «1»

يعنى الشاكين فى دورها، لطول سيرها. و قيل: المستخرجين ما عندها. قال صاحب العين: المرى مسحک ضرع الناقة. تمر بها بيدک لكى تسكن، للحلب، و الريح تمرى السحاب مرياً. و المرية من ذلک. و المرية الشک. و منه الامتراء،

_____

(1) ديوانه: 23 رقم القصيدة: 2، و اللسان «رجحن» تدر- بضم الدال و تشديد الراء- تجرى بسرعة. الممترين: الذين يغمزون خيلهم بساقهم، ارجحن السراب: ارتفع فى المطبوعة «و كفاً» بدل «ركضاً» و «السحاب» بدل «السراب».

و التمارى، و المماراة، و المراء. و أصل الباب الاستدرار. و يقال: بالشكر تمترى النعم اى تستدر. و قال الحسن، و الربيع، و الجبائى: معنى الآية «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» فى الحق الذى تقدم اخبار اللّه به من أمر القبلة، و عناد من كتم النبوة و امتناعهم من الاجتماع على ما قامت به الحجة. و قال بعضهم: «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» فى شىء يلزمک العلم به. و هو الاولى، لأنه أعم، و الخطاب و ان كان متوجهاً الى النبى (ص) فالمراد به الامة كما قال تعالى: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ» «1» و قال: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ) «2». و قال قوم: إن الخطاب له، لأنه إنما لا يجوز عليه ذلک لملازمته أمر اللّه. و لو لم يكن هناک أمر لم يصح أن يلازم.

و النون الثقيلة يؤكد بها الامر و النهى، و لا يؤكد بها الخبر، لما كان المخبر يدل على كون المخبر به، و ليس كذلک الأمر و النهى، و الاستخبار، لأنه لا يدل على كون المدلول عليه، فألزم الخبر التأكيد بالقسم و ما يتبعه من جوابه، و اختصت هذه الأشياء بنون التأكيد ليدل على اختلاف المعنى فى المؤكد. و لما كان الخبر أصل الجمل أكد بأبلغ التأكيد و هو القسم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 148] ..... ص : 23

اشارة

وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)
أية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و ابو بكر عن عاصم (مولّاها). و روى ذلک عن ابن عباس و محمد بن على، فجعلا الفعل واقعاً عليه. و المعنى واحد، كذا قال الفراء.

---

(1) سورة الطلاق: آية 1
(2) سورة الأحزاب آية: 1.

و فى قوله: لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها»
أقوال:
أحدهما- قال مجاهد، و الربيع، و ابن زيد، و ابن عباس، و السدى: أن لكل أهل ملة من اليهود و النصارى.
الثانى- قال الحسن: إن لكل نبي وجهة واحدة: و هى الإسلام و ان اختلف الأحكام كما قال: «لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً» اى فى شرائع الأنبياء.
الثالث- قال قتادة: هو صلاتهم الى بيت المقدس، و صلاتهم الى الكعبة.
الرابع- ان لكل. قوم من المسلمين وجهة، من كان منهم وراء الكعبة و قدامها أو عن يمينها أو عن شمالها، و هو الذى اختاره الجبائى. و الوجهة قيل فيه قولان:
أحدهما- انه قبلة. ذهب اليه مجاهد، و ابن زيد. الثانى قال الحسن: هو ما شرعه اللّه لهم من اسلام.
و فى (جهة) ثلاث لغات: وجهة، وجهة، و وجه. و إنما أتم لأنه اسم لم يجىء على الفعل. و من قال: جهة. قال المبرد: جاء به على قولهم وجهنى، و وجهته.
و معنىُوَلِّيها»
مستقبلها- فى قول مجاهد و غيره. كأنه قال: مول إليها، لان ولى اليه نقيض ولى عنه. كقولك: انصرف اليه، و انصرف عنه. و قوله «هو» عائد- على قول اكثر المفسرين- الى كل. و قال قوم يعود على اسم اللّه حكاهما الزجاج.
ولْخَيْراتِ»
هى الطاعات للَّه- على قول ابن زيد و غيره- و قوله: أْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً»
يعنى يوم القيامة- من حيث ما متم من بلاد اللّه- و هو قول السدى، و الربيع
و قد روىَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ»
مضاف غير منون- و ذلک لا يجوز، لأنه يكون الكلام ناقصاً، لا معنى له و لا فائدة فيه. و قوله: اسْتَبِقُوا»
يحتمل معنيين:
أحدهما- بادروا الى ما أمرتم به مبادرة من يطلب السبق اليه.
الثانى- قال الربيع: سارعوا الى الخيرات. و هو الاولى، لأنه أعم.

و الاستباق، و الابتدار، و الاسراع نظائر. قال صاحب العين: السبق: القدمة فى الجرى و فى كل أمر. تقول: له فى هذا الامر سبقة، و سابقة و سبق: أى سبق الناس اليه. و السبق الخطر الذى يوضع بين اهل السباق، و جمعه اسباق. و السباقان فى رجل الطائر الجارح قيداه من خيط أو سير. و اصل الباب السبق: التقدم فى الامر.

وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149)

آية بلا خلاف.

قيل فى تكرار قوله تعالى: «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» قولان:

أحدهما- أنه لما كان فرضاً، نسخ ما قبله، كان من مواضع التأكيد لينصرف الى الحال الثانية بعد الحال الاولى على يقين.

و الثانى- أنه مقدم لما يأتى بعده و يتصل به، فأشبه الاسم الذى تكرره لتخبر عنه باخبار كثيرة كقولك: زيد كريم، و زيد عالم، و زيد حليم، و ما أشبه ذلک مما تذكره لتعلق الفائدة به و إن كانت فى نفسها معلومة عند السامع، و معنى قوله «وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ» الدلالة على وجوب المحافظة- من حيث كان حقاً للّه فيه طاعة-، و معنى قوله «وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» هاهنا التهديد كما يقول الملک لعبيده ليس يخفى على ما أنتم فيه، و مثله قوله: «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ» «1». و الوجه الجارحة المخصوصة و قد حده الرمانى بانه صفيحة فيها محاسن تعرف بها الجملة، و حيث مبنية على الضمّ، لأنها كالغاية تمامها الاضافة الى المفرد، دون الجملة، لها بمنزلة الصلة، فجرت لذلک مجرى قوله «من قبل و من بعد». «2»

---

(1) سورة الفجر آية: 14

(2) سورة الروم آية: 5.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 150] ..... ص : 26

اشارة

وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِى وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150)
آية بلا خلاف.

قيل فى تكرار قوله: «وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ» ثلاثة اقوال:
أحدها- لاختلاف المعنى و إن اتفق اللفظ، لأن المراد بالأول: من حيث خرجت منصرفاً عن التوجه الى بيت المقدس. «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» و أريد بالثانى أين كنت فى البلاد، فتوجه نحو المسجد الحرام مستقبلًا كنت لظهر الكعبة أو وجهها أو يمينها أو شمالها.
الثانى- لاختلاف المواطن التى تحتاج الى هذا المعنى فيها.
الثالث- لأنه مواضع التأكيد بالنسخ الذى نفلوا فيه من جهة الى جهة للتقرير و التثبيت. فان قيل هل فى قوله تعالى: «وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» حذف منه (فى الصلاة) أم هو مدلول عليه من غير حذف؟ قيل: هو محذوف، لأنه اجتزأ بدلالة الحال عن دلالة الكلام، و لو لم يكن هناك حال دالة لم يكن بدّ من ذكر هذا المحذوف إذا أريد به الافهام لهذا المعنى فأما قوله: عليم و حكيم. فانه يدل على المعلوم من غير حذف.
و معنى قوله: «لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ» هاهنا. قيل فيه قولان:
أحدهما- لا تعدلوا عما أمركم اللّه فى التوجه الى الكعبة، فيكون لهم عليكم حجة، بأن يقولوا لو كنتم تعلمون أنه من عند اللّه ما عدلتم عنه. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 27
الثانى- لئلا يكون لأهل الكتاب عليكم حجة لو جاء على خلاف ما تقدمت به البشارة فى الكتب السالفة من أن المؤمنين سيوجهون الى الكعبة.
و موضع اللام من «لئلا» نصب و العامل فيه احد شيئين: فولوا. و الآخر ما دخل الكلام من معنى عرّفتكم ذلك. و هو قول الزجاج.
و قوله: «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ»، قيل فيه اربعة اقوال:
أحدها- أنه استثناء منقطع، و «إلا» بمنزلة (لكن) كقوله (ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ) «1» و قوله: ما له علىَّ إلا التعدى، و الظلم، كأنك قلت: لكن يتعدى و يظلم، و تضع ذلك موضع الحق اللازم، فكذلك لكن الذين ظلموا منهم، فإنهم يتعلقون بالشبهة، و يضعونها موضع الحجة. فلذلك حسن الاستثناء المنقطع قال النابغة:
لا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب «2»
جعل ذلك عيبهم على طريق البلاغة، و ان كان ليس بعيب. كأنه يقول: ان كان فيهم عيب فهذا، و ليس هذا بعيب، فإذاً ليس فيهم عيب، فكذا إن كان على المؤمنين حجة، فللظالم فى احتجاجه، و لا حجة له، فليس اذاً عليهم حجة.
القول الثانى- ان تكون الحجة بمعنى المحاجّة، و المجادلة، كأنه قال: لئلا يكون للناس عليكم حجاج إلا الذين ظلموا منهم، فإنهم يحاجوكم بالباطل.

الثالث- ما قاله ابو عبيدة ان (إلا) هاهنا بمعنى الواو كأنه قال: لئلا يكون للناس عليكم حجة و الذين ظلموا منهم. و ان ذكر ذلک الفراء، و المبرد قال الفراء: لا يجىء إلا بمعنى الواو إلّا إذا تقدم استثناء كما قال الشاعر:
ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة إلا دار مروان

---

(1) سورة النساء آية: 156.
(2) اللسان «فلل» (و قرع). فلول السيف. كسر من حده. القرع: الضرب الشديد الكتائب جمع كتيبة و هى فرقة من الجيش المصفح.

و انشد الأخفش:
و أرى لها داراً بأغدرة السى دان لم يدرس لها رسم
إلّا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سُحم «1»
يعنى أرى لها داراً و رماداً. و كأنه قال فى البيت الاول: ما بالمدينة دار إلا دار الخليفة و دار مروان. و خالفه ابو العباس فلم يجز ان تكون (إلا) بمعنى الواو أصلا.
الرابع- قال قطرب: يجوز الإضمار على معنى لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا على الذين ظلموا. و موضع الذين عنده خفض على هذا الوجه يجعله بدلا من الكاف كأنه قيل فى التقدير: لئلا يكون للناس على أحد حجة إلا الظالم.
قال الرمانى: و هذا وجه بعيد لا ينبغى أن يتأول عليه، و لا على الوجه الذى قاله ابو عبيدة و الاختيار القول الاول.
و أثبتت (الياء) فى قوله «و اخشونى» هاهنا، و حذفت فيما عداه، لأنه الأصل، و عليه اجماع هاهنا. و اما الحذف فللاجتزاء بالكسرة من الياء.
و قوله: «وَ اخْشَوْنِى» معناه و اخشوا عقابى بدلالة الكلام عليه فى الحال، و إنما ذكرهم فقال «فَلا تَخْشَوْهُمْ» لأنه لما ذكرهم بالظلم، و الاستطالة بالخصومة و المنازعة طيب بنفوس المؤمنين أى فلا تلتفتوا الى ما يكون منهم فان عاقبة السّوء عليهم. و قال قتادة، و الربيع: المعنى بالناس هاهنا أهل الكتاب. و قال غيرهما: هو على العموم- و هو الأقوى- و قال ابن عباس، و الربيع، و قتادة: المعنى بقوله «الَّذِينَ ظَلَمُوا» مشركوا العرب. و قال قوم: هو على العموم- و هو الاولى-.
و قوله «لئلا» ترک الهمزة نافع. الباقون يهمزون. و يلين كل همزة مفتوحة قبلها كسرة. و الحجة هى الدلالة. و هى البرهان.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 151] ..... ص : 28

اشارة

كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151)

_____

(1) اللسان (خلد) ذكر البيت الثانى فقط.

آية بلا خلاف.

التشبيه بقوله (كَما أَرْسَلْنا) يحتمل أمرين:
أحدهما- ان النعمة فى أمر القبلة كالنعمة بالرسالة، لان اللّه لطف بعباده بها على ما يعلم من المصلحة، و محمود العاقبة.
الثانى- الذكر الذى أمر اللّه به كالنعمة بالرسالة فيما ينبغى ان يكون عليه من المنزلة فى العظم و الإخلاص للّه، كعظم النعمة. و هو على نحو قوله: (كما احسن اللّه اليک «1» و العرب تقول: الجزاء بالجزاء، فسمى الاول باسم الثانى للمقابلة، و التشبيه لكل واحد منهما بالآخر.

و (ما) فى قوله: (كَما) مصدرية. كأنه قال: كارسالنا فيكم و يحتمل أن تكون كافة قال الشاعر:
أ علاقة أم الوُليد بعد ما أفنان رأسک كالثغام المخلس «2» «3»
لأنه لا يجوز كما زيد يحسن اليک، فأحسن الى أبنائه. و العامل فى قوله (كَما) يجوز أن يكون أحد أمرين:
أحدهما- الفعل الذى قبله: و هو قوله: (وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ) (كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ) و القول الثانى- الفعل الذى بعده: و هو فاذكرونى (كَما أَرْسَلْنا). و الأول

---

(1) سورة القصص آية: 77.
(2) قائله المرار الاسدى، و فى التكملة المرار الفقعسى.
(3) اللسان «علق» و «ثغم» و «فنن» العلاقة: الحب. أفنان خصل الشعر. الثغام شجر ابيض. المخلس: الذى بين السواد و البياض: فكأنه يقول: أحب بعد الشيب.

أحد قولى الفراء، و الزجاج و اختاره الجبائى. و الثانى قول مجاهد و الحسن، و ابن أبى يحتج بأحد قولى الفراء، و الزجاج، و اختيار الزجاج. و قال الفراء: لاذكرونى جوابان: أحدهما- (كما). و الآخر- أذكركم، لأنه لما كان يجب عليهم الذكر ليذكرهم اللَّه برحمته، و لما سلف من نعمته، أشبه- من هذا الوجه- الجواب، لأنه يجب للثانى فيه بوجوب الأول.

و قوله: (يُزَكِّيكُمْ) معناه يعرّضكم لما تكونوا به أزكياء من الأمر بطاعة اللَّه و اتباع مرضاته. و يحتمل أيضاً أن يكون المراد: ينسبكم إلى أنكم أزكياء شهادة لكم بذلک، ليعرفكم الناس به، و إنما قال: (الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ) لاختلاف الفائدة فى الصفتين و إن كانتا لموصوف واحد. كقولک: هو العالم بالأمور القادر عليها.
و يحتمل أن يكون أراد بالكتاب: القرآن، و بالحكمة: الوحى من السنة.
و الكاف فى قوله: (فيكم) خطاب للعرب- على قول جميع أهل التأويل.
و قوله: (و يعلمكم) معناه ما لا سبيل لكم إلى علمه إلا من جهة السمع، فذكرهم اللَّه بالنعمة فيه. و يكون التعليم لما عليه دليل من جهة العقل تابعاً للنعمة فيه.
و لا سيما إذا أوقع موقع اللطف.
و معنى الإرسال: هو التوجه بالرسالة و التحميل لها ليؤدى الى من قصد، فالدّلالة و الرّسالة جملة مضمنة بمن يصل اليه ممن قصد بالمخاطبة.
و التلاوة: ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام متسق فى الرتبة.
و التزكية: النسبة الى الازدياد من الأفعال الحسنة التى ليست بمشوبة. و يقال أيضاً على معنى التعريض لذلک بالاستدعاء اليه و اللطف فيه.
و الحكمة: هى العلم الذى يمكن به الافعال المستقيمة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 152] ..... ص : 31

اشارة

فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِى وَ لا تَكْفُرُونِ (152)
آية بلا خلاف.

الذّكر المأمور به فى الآية، و الموعد به، قيل فيه أربعة أقوال:
أحدهما- قال سعيد بن جبير «اذكرونى» بطاعتى «أذكركم» برحمتى.
الثانى- «اذكرونى» بالشكر (أذكركم) بالثواب.
الثالث- (اذكرونى) بالدعاء (أذكركم) بالاجابة.
الرابع- (اذكرونى) بالثناء بالنعمة (أذكركم) بالثناء بالطاعة.

و الذّكر: حضور المعنى للنفس، فقد يكون بالقلب، و قد يكون بالقول، و كلاهما يحضر به المعنى للنفس، و فى اكثر الاستعمال يقال: الذكر بعد النسيان، و ليس ذلک بموجب إلا ان يكون إلا بعد نسيان، لان كل من حضره المعنى بالقول أو العقد أو الحضور بالبال: ذاكر له، و أصله التنبيه على الشىء. فمن ذكّر ناسياً، فقد نبّهه عليه. و إذا ذكّرناه نحن فقد نبهّنا عليه. و الذكر نقيض الأنثى (وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَکَ) «1» أى شرف لک من النباهة و الجلالة. و الفرق بين الذكر، و الخاطر. أن الخاطر: مرور المعنى بالقلب، و الذكر قد يكون ثابتاً فى القلب. و قد يكون بالقول.

و قوله تعالى: (وَ اشْكُرُوا لِى) معناه اشكروا لى نعمتى فحذف، لان حقيقة الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم. و قوله: (وَ لا تَكْفُرُونِ) فيه حذف،

---

(1) سورة الزخرف آية: 44.

و تقديره: و لا تكفروا نعمتى، لان الكفر هو ستر النعمة و جحدها. لا ستر المنعم.

و قولهم حمدت زيداً، و ذممت عمراً، فلا حذف فيه و إن كنت انما تحمد من اجل الفعل الحسن، و تذم من اجل الفعل القبيح. كما أنه ليس فى قولك: زيد متحرك حذف، و إن كان إنما تحرك من أجل الحركة. و ليس كل كلام دال على معنى غير مذكور يكون فيه حذف، لأن قولك زيد ضارب دالّ على مضروب، و ليس بمحذوف، و كذلك زيد قاتل دال على مقتول، و ليس بمحذوف، فالحمد للشىء دلالة على انه محسن، و الذم له دلالة على انه مسىء كقولك: نعم الرجل زيد، و بئس الرجل عمرو، و كذلك قولك: زيد المحسن، و عمرو المسىء، ليس فيه محذوف و يقال:

شكرتك، و شكرت لك، و إنما قيل شكرتك، لأنه أوقع اسم المنعم موقع النعمة، فعدى الفعل بغير واسطة و الأجود: شكرت لك النعمة، لأنه الأصل فى الكلام، و الأكثر فى الاستعمال. قال الشاعر «1»:

همُ جمعوا بؤسى و نعمى عليكم فهلّا شكرت القوم إذ لم تقاتل «2»

و مثل ذلك نصحتك، و نصحت لك، و إنما حذف (الياء) فى الفواصل، لأنها فى نية الوقف، فلذلك قال (وَ لا تَكْفُرُونِ) بغير (ياء) و هى فى ذلك كالقوافى التى يوقف عليها بغير ياء كقول الأعشى:

و من شانئٍ كاشف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن «3»

يعنى أنكرنى فحذف الياء.

---

(1) نسبه ابو حيان فى تفسيره 1: 447 لعمر بن لجأ. [.....]

(2) معانى القرآن للفراء: 1: 92 يقول: لما ذا لم تشكر القوم الذين جمعوا لك النعيم و البؤس و انت لم تقاتل.

(3) ديوانه: 19. رقم القصيدة 2 فى المطبوعة «بله» بدل «وجهه» و «ذكرت» بدل «انتسبت».

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 153] ..... ص : 33

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153) آية واحدة بلا خلاف.

الصبر هو حبس النفس عما تدعو اليه من الأمور، و الصابر هو الحابس نفسه عما تدعو اليه مما لا يجوز له. و هو صفة مدح. و وجه الاستعانة بالصبر أن فى توطين النفس على الأمور تسهيلا لها. و استشعار الصبر إنما هو توطين النفس. و وجه الاستعانة بالصلاة ما فيها من الذكر للّه، و استشعار الخشوع له، و تلاوة القرآن و ما فيه من الوعظ، و التخويف، و الوعد، و الوعيد، و الجنة، و النار، و ما فيه من البيان الذى يوجب الهدى و يكشف العمى و كل ذلک داع الى طاعة اللّه، و زاجر عن معاصيه، فمن هاهنا كان فيه المعونة على ما فيه المشقة من الطاعة. و أمَّا الاستعانة فهى الازدياد فى القوة مثل من يريد أن يحمل مائة رطل فلا يتهيأ له ذلک فإذا استعان بزيادة قوة تأتى ذلک، و كذلک إن عاونه عليه غيره و على ذلک السبب و الآلة، لأنه بمنزلة الزيادة فى القوة. و قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) أى معهم بالمعونة، و النصرة، كما تقول: إذا كان السلطان معک، فلا تنال من لقيت. و قد تكون (مع) فى الكلام على معنى الاجتماع فى المكان. و ذلک لا يجوز عليه تعالى.

و فى الآية دلالة على أن الصلاة فيها لطف، لان اللّه تعالى أمرنا بالاستعانة بها، و توضيحه قوله: (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ) «1» و لو لا هذا النص، لجوزنا أن يكون فى غير ذلک. و الذى يستعان عليه بالصبر و الصلاة. قيل فيه قولان:

أحدهما- طاعة اللّه، كأنه قال استعينوا بهذا الضرب من الطاعة على غيره فيها.

و الثانى- على الجهاد فى سبيل اللّه، لأعدائه.

---

(1) سورة العنكبوت آية: 45.

و موضع الذين رفع لا يجوز غير ذلک عند جميع النحويين إلا المازنى، فانه أجاز يا أيها الرجل اقبل، و العامل فيه ما يعمل فى صفة المنادى- عند جميع النحويين- إلّا الأخفش، فانه يجعله صلة لأى و يرفعه بأنه خبر ابتداء محذوف، كأنه قيل:
يأمن هم الذين آمنوا. إلا أنه لا يظهر المحذوف مع أى، و إنما حمله على ذلک لزوم البيان له، فقال: الصلة تلزم، و الصفة لا تلزم. قال الرمانى و الوجه عندى أن تكون صفة بمنزلة الصلة فى اللزوم، و إنما لزمت أى هاهنا فى النداء، لان العرض بحرف التنبيه وقع فى موضع التنبيه، فلزم، فلا يجوز أن تقول: نعم الذين فى الدار، لان نعم إنما تعمل فى الجنس الذى يكره إذا أضمر فسر بها.

قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 154] ..... ص : 34

اشارة

وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَ لكِنْ لا تَشْعُرُونَ (154)
آية بلا خلاف.

فان قيل: هل الشهداء أحياء على الحقيقة، أم معناه أنهم سيحيون و ليسوا أحياء؟
قلنا: الصحيح أنهم أحياء الى أن تقوم الساعة، ثم يحييهم اللَّه فى الجنة، لا خلاف بين أهل العلم فيه إلا قولا شاذاً من بعض المتأخرين. و الأول قول الحسن، و مجاهد، و قتادة، و الجبائى، و ابن الأخشاد، و الرمانى، و جميع المفسرين. و القول الثانى حكاه البلخى. يقال: ان المشركين كانوا يقولون: إن أصحاب محمد (ص) يقتلون نفوسهم فى الحرب لا لمعنى، فأنزل اللّه تعالى الآية. و أعلمهم أنه ليس الأمر على ما قالوه، و أنهم سيحيون يوم القيامة و يثابون، و لم يذكر ذلک غيره. و قيل: ليس هم أمواتاً بالضلالة بل هم أحياء بالطاعة، و الهدى، كما قال: «أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ» «1»

---

(1) سورة الانعام آية: 122

فجعل الضلالة موتاً، و الهداية حياة. و قيل: معناه ليس هم أمواتاً بانقطاع الذكر، بل هم احياء ببقاء الذكر عند اللَّه، و ثبوت الأجر عنده. و استدل ابو على الجبائى على أنهم أحياء فى الحقيقة بقوله: «وَ لكِنْ لا تَشْعُرُونَ» فقال: لو كان المعنى سيحيون فى الآخرة، لم يقل للمؤمنين المقرين بالبعث، و النشور «وَ لكِنْ لا تَشْعُرُونَ» لأنهم يعلمون ذلک، و يشعرون به.
فان قيل: و لم خصّ الشهداء بأنهم احياء، و المؤمنون كلهم فى البرزخ أحياء؟ قيل يجوز أن يكونوا ذكروا اختصاصاً، تشريفاً لهم. و قد يكون على جهة التقديم للبشارة بذكر حالهم فى البيان لما يختصون به من أنهم يرزقون، كما قال تعالى (بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) «1». و إنما قيل للجهاد سبيل اللّه، لأنه طريق الى ثواب اللَّه تعالى.

و الموت: نقص بنية الحياة. و الموت- عند من قال إنه معنى عرضى- ينافى الحياة منافاة التعاقب. و من قال: ليس بمعنى قال: هو عبارة عن فساد بنية الحياة.
فأما الحياة، فهى معنى بلا خلاف.

و قوله: (أَمْواتٌ) رفع بانه خبر ابتداء محذوف، كأنه قال: لا تقولوا هم أموات. و لا يجوز فيه النصب على قولك: قلت خيراً، لأن الخير فى موضع المصدر كأنه قال: قلت قولا حسناً. فاما قوله «وَ يَقُولُونَ طاعَةٌ» «2» فيجوز فيه الرفع و النصب فى العربية: الرفع على منا طاعة: و النصب على نطيع طاعة و الفرق بين (بل) و (لكن) ان (لكن) نفى لأحد الشيئين، و إثبات للآخر، كقولك: ما قام زيد لكن عمرو، و ليس كذلك (بل)، لأنها للأضراب عن الأول، و الإثبات للثانى، و لذلك وقعت فى الإيجاب كقولك: قام زيد بل عمرو. فاما إذا قصد المتكلم، فإنما هو ليدل

---

(1) سورة آل عمران آية: 169.
(2) سورة النساء آية: 80

على أن الثانى أحق بالأخبار عنه من الاول، كقولك: قام زيد بل عمرو، كأنه لم يعتد بقيام الأول.

و الشعور: هو ابتداء العلم بالشىء من جهة المشاعر، و هى الحواس، و لذلک لا يوصف تعالى بأنه شاعر، و لا أنه يشعر، و إنما يوصف بأنه عالم و يعلم. و قد قيل: إن الشعور إدراک ما دقّ للطف الحسن مأخوذ من الشعر لدقته، و منه شاعر، لأنه يفطن من إقامة الوزن و حسن النظم بالطبع لما لا يفطن له غيره.

فان قيل: هل كون عقولهم إذا كانوا أحياء، و كيف يجوز أن يصل اليهم ثوابهم مع نقصان عقولهم؟ قيل الثواب لم يصل اليهم على كنهه و انما يصل اليهم طرف منه.
و مثلهم فى ذلک مثل النائم على حال جميلة فى روضة طيبة يصل اليهم طيب ريحها و لذيذ نسيمها على نحو ما جاء فى الحديث من انه يفسح له مد بصره، و يقال له نم نومة العروس. و أما الذين قتلوا فى سبيل اللّه، فعلى ما ذكرناه من الاختصاص بالفضيلة.
فان قيل: كيف يجوز أن يكونوا أحياء- و نحن نرى جثتهم على خلاف ما كانت عليه فى الدنيا.؟ قيل: إن النعيم انما يصل الى الروح و هى الحية، و هى الإنسان، دون الجثة- و الجثة كالجنة و اللباس لصيانة الأرواح. و من زعم ان الإنسان هذه الجملة المعروفة و جعل الجثة جزء منها فانه يقول: يلطف أجزاء من الإنسان توصل اليه النعيم، و إن لم يكن الإنسان بكماله على نحو ما ذكرنا أن النعيم لا يصل اليه نفسه.

قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 155] ..... ص : 36

اشارة

وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَیْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِینَ (155)

الخطاب بهذه الآیة متوجه الی اصحاب النبی (ص)- علی قول عطاء، و الربیع التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 37

و أبی علی، و الرمانی، و لو قیل: أنه خطاب لجمیع الخلق، لکان أیضاً صحیحاً، لأن ذلک جاز فی جمیعهم.

و الابتلاء فى الأصل: الطلب لظهور ما عند القادر على الأمر من خير أو شر.
و الابتلاء، و الاختبار، و الامتحان، بمعنى واحد، و الابتلاء بهذه الأمور المذكورة فى الآية بأمور مختلفة. فالخوف هو انزعاج النفس لما يتوقع من الضرر، و كان ذلک لقصد المشركين لهم بالعداوة. و الجوع كان لفقرهم و تشاغلهم بالجهاد فى سبيل اللّه عن المعاش. و نقص الأموال للانقطاع بالجهاد عن العمارة. و الأنفس بالقتل فى الحرب مع رسول اللّه (ص). و الجوع ضد الشبع. يقال جاع يجوع جوعاً، و أجاعه إجاعة، و جوّعه تجويعاً، و تجوّع تجوّعاً. قال صاحب العين: الجوع اسم جامع للمخمصة، و المجاعة: عام فيه جوع. و النقص نقيض الزيادة. قال صاحب العين:
النقص الخسران فى الحظ. تقول نقص نقصاً، و انتقص انتقاصاً، و تناقص تناقصاً، و نقصه تنقيصاً، و استنقص استنقاصاً، و تنقصه تنقصاً. و النقصان يكون مصدراً أو اسماً، كقولک: نقصانه كذا: أى قدر الذاهب. و نقص الشىء، و نقصته، و دخل عليه نقص: فى عقله و دينه. و لا يقال: نقصان. و النقيصة: الوقيعة فى الناس.
و النقيصة انتقاص حق ذى الرحم. و تنقصه تنقصاً: إذا تناول عرضه. و اصل الباب النقص الحط من التمام. و المال معروف. و أموال العرب أنعامهم. و رجل مال: أى ذو مال. و نال: أى ذو نوال. و تقول: تمول الرجل، و مول غيره. و اصل الباب المال المعروف. و الثمرة: أفضل ما تحمله الشجرة.

و وجه المصلحة فى ذلک هو ما فى ذلک من الأمور المزعجة الى الاستدلال و النظر فى الادلة الدالة على النبوة، و ليعلم ايضاً انه ليس فيما يصيب الإنسان من شدة فى الدنيا ما يوجب نقصان منزلته. ففى ذلک ضروب العبرة. فان قيل إذا كان اللّه التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 38
قد فعل الابتلاء بهذه الأشياء، و المشركون أوقعوها بالمؤمنين ففى ذلک إيجاب فعل من فاعلين. قلنا: لا يجب ذلک، لان الذى يفعله اللّه تعالى غير الذى يفعله المشركون، لأن علينا ان نرضى بما فعله اللّه و نسخط مما فعله المشركون، و ليس يقدرون على شىء مما ذكر فى الآية، و لكنهم يقدرون على التعريض له بما هو محرم عليهم، و قبيح منهم.

و فتحت الواو فى لنبلونكم لامرين:
أحدهما- للعلة التى فتحت الراء فى لننصرَّنكم «1» و هو أنه بنى على الفتحة، لأنها أخف إذ استحق البناء على الحركة كما استحق (يا) فى النداء حكم البناء على الحركة.
الثانى- أنه فتح لالتقاء الساكنين إذ كان قبل معتلا لا يدخله الرفع.

و انما قال: «بشىء» من الخوف و لم يقل: بأشياء لامرين:
أحدهما- لئلا توهم بأشياء من كل واحد، فيدل على ضروب الخوف، و يكون الجمع كجمع الأجناس للاختلاف، فقدر: شىء من كذا، و شىء من كذا، و أغنى المذكور عن المحذوف.
و الثانى- أنه وضع الواحد فى موضع الجمع للإبهام الذى فيه ک (من).
و الابتلاء بما ذكر لا بد ان يكون فيه لطف فى الدين، و عوض فى مقابلته، و لا يحسن فعل ذلک لمجرد العوض- على ما ذهب اليه قوم-. فان قيل: الابتلاء بأمر القبلة و غيره من عبادات الشرع هل يجرى مجرى الألم- عند المصيبة؟ قلنا:
لا، بلا خلاف هاهنا، فانه لا بد ان يكون فيه لطف فى الدين فان «2» كان فيه

_____

(1) فى المطبوعة «لنضربنكم» و هو غلط.
(2) و الأصح «و ان كان» بدل «فان كان»

خلاف فى الألم، لأن هذه طاعات يستحق بها الثواب. و بالإخلال بها- إذا كانت واجبة- يستحق العقاب، فلا يجرى مجرى الألم المحض. و الصبر واجب كوجوب العدل الذى لا يجوز عليه الانقلاب- فى الشرع- إذ الصبر حبس النفس عن القبيح من الأمر، و قد بينا فيما مضى ابتلاء اللّه تعالى العالم بالعواقب، فان المراد بذلک انه يعامل معاملة المبتلى، لأن العدل لا يصح إلا على ذلک، لأنه لو أخذهم بما يعلم أنه يكون منهم، قبل ان يفعلوه، لكان ظلماً و جوراً، فبين اللّه بعد، أنه يعاملهم بالحق دون الظلم.
و الوقوف على قوله: «وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ» حسن، و قال بعضهم: لا يحسن.
و ذلک غلط، من حيث كانت صفة مدح، و عامل الصفة فى المدح غير عامل الموصوف، و إنما وجب ذلک، لأن صفة صابر صفة كصفة تقى، كما قال اللّه تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» «1».
و الجوع: الحاجة الى الغذاء، و تختلف مراتبه فى القوة و الضعف. و قد يقال:
جوع كاذب، لأنه يتخيل به الحاجة الى الغذاء لبعض الأمور العارضة من غير حقيقة.
و قوله تعالى: «وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ» فالتبشير فى الأصل هو الاخبار بما يسرّ، أو نعمة، يتغير له الشره، غير انه كثر استعماله فيما يسرّ. و الصبر المحمود هو حبس النفس عما قبح من الأمر.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 156] ..... ص : 39

اشارة

الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ (156)
آية بلا خلاف.

فى قوله: «إِنَّا لِلَّهِ» إقرار للَّه بالعبودية «وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» فيه إقرار

---

(1) سورة البقرة آية: 153.

بالبعث و النشور، و ان مآل الامر يصير إليه، و إنما كانت هذه اللفظة تعزية عن المصيبة، لما فيها من الدلالة على أن اللّه يجزها «1» ان كانت عدلا، و ينصف من فاعلها إن كانت ظلماً. و تقديره «إنا للّه» تسليماً لأمره و رضاً بتدبيره. «وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» ثقة بأنا إلى العدل نصير.

و المصيبة هى المشقة الداخلة على النفس، لما يلحقها من مضرة، و هى من الاصابة، لأنها يصيبها بالبلية. و معنى الرجوع الى اللّه: الرجوع الى انفراده بالحكم كما كان أول مرة لأنه قد ملّک قوماً فى الدنيا شيئاً من الضر، و النفع لم يكونوا يملكونه، ثم يرجع الأمر الى ما كان إذا زال تمليک العباد.
و أصل الرجوع هو مصير الشىء الى ما كان، و لذلک يقال: رجعت الدار الى فلان إذا اشتراها مرة ثانية. و الرجوع و العود، و المصير نظائر.
و فى الآية معنى الامر لأنها مدح عام، لكل من كان على تلک الصفة بتلک الخصلة. و أجاز الكسائى و الفراء فى (إنا للّه) الامالة، و لا يجوز ذلک فى غير اسم اللّه، مثل قولک: إنا لزيد، لا يجوز إمالته، و إنما جاز الامالة مع اسم اللّه لكثرة الاستعمال حتى صارت بمنزلة الكلمة الواحدة، و إنما لم يجز الامالة فى غير ذلک، لأن الحروف كلها و ما جرى مجراها لا يجوز فيها الامالة مثل (حتى) و لكن و (مما) و ما أشبه ذلک، لأن الحروف بمنزلة بعض الكلمة من حيث امتنع فيها التصريف الذى يكون فى الأسماء و الأفعال.

أُولئِکَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)
آية بلا خلاف.

---

(1) و الأصح (يجز بها) بدل (يجزها).
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 41
(أولئک) إشارة إلى الصابرين الذين وصفهم اللَّه فى الآية الأولى.
و قيل فى معنى الصلاة ثلاثة أقوال:
أحدها- انها الدعاء، كما قال الأعشى:
و صلّى على دّنها و ارتسم «1»
أى دعا لها.
و الثانى- انها مشتقة من الصلوى مكتنفا ذنب الفرس أو الناقة، فسميت الصلاة- فى الشرع- بذلک، لرفع الصلوة فى الركوع و السجود. الثالث- قال الزجاج: إن أصلها اللزوم من قوله (تَصْلى ناراً حامِيَةً) «2» أى تلزمها، و الصلاة من أعظم ما يلزم من العبادة. و قال قوم: معنى الصلاة هاهنا: الثناء الجميل.
و قيل: بركات الدعاء، و الثناء يستحق دائماً، ففيه معنى اللزوم، و كذلک الدعاء يدعا به مرة بعد مرة، فقيه معنى اللزوم. و المصلى من الخيل الذى يلزم أثر السابق.
و معنى (المهتدون) يعنى الى الحق الذى به ينال الثواب، و السلامة من العقاب. و الرحمة: الانعام على المحتاج، و كل واحد يحتاج الى نعمة اللَّه. و الاهتداء:
الاصابة لطريق الحق و هو الاصابة للطريق المؤدى الى النعمة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 158] ..... ص : 41

اشارة

إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ (158)
آية بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى (و من يطوع) بالياء، و تشديد الطاء، و الواو، و سكون العين. الباقون بالتاء على فعل ماض.

_____

(1) ديوانه: 35، رقم القصيدة: 4 و اللسان «صلا» و قد مر البيت فى 1: 56- 193

(2) سورة الغاشية آية: 4.

الصفا- فى الأصل- الحجر الأملس مأخوذ من الصفوّ. قال المبرد: الصفا: كل حجر لا يخلط غيره، من طين أو تراب يتصل به حتى يصير منه، و انما اشتقاقه من صفا يصفو- إذا خلص- و هو الصافى الذى لا يكدّره شىء يشوبه. و قيل واحد الصفا: صفاء. و قيل بل هو واحد يجمع اصفاء أو صفى- و أصله من الواو-، و لأنک تقول- فى تثنيته: صفوان، و لأنه لا يجوز فيه الامالة.

و المروة فى الأصل: هى الحجارة الصلبة اللينة. و قيل: الصفا: الصغير، و المروة:

لغة في المرو. و قيل انه جمع مثل تمرة و تمر، قال ابو ذؤيب:

حتى كأنى للحوادث مروة «1»

و المرو: نبت. و الأصل الصلابة. و النبت سمى بذلک لصلابة نوره. و الصفا و المروة: هما الجبلان المعروفان بالحرم، و هما من الشعائر، كما قال اللَّه تعالى.

و الشعائر: المعالم للأعمال، فشعائر اللَّه: معالم اللّه التى جعلها مواطن للعبادة، و هى أعلام متعبداته من موقف، أو مسعى، أو منحر، و هو مأخوذ من شعرت به: أى علمت، و كل معلم لعبادة من دعاء، أو صلاة، أو أداء فريضة، فهو مشعر لتلک العبادة، و واحد الشعائر شعيرة، فشعائر اللَّه أعلام متعبداته قال الكميت بن زيد:

نقتلهم جيلا فجيلا نراهم شعائر قربان بهم نتقرب «2»

و الحج: قصد البيت بالعمل المشروع من الإحرام، و الطواف، و الوقوف بعرفة و السعى بين الصفا و المروة. و اشتقاقه من الحج الذى هو القصد- على وجه التكرار و التردد قال الشاعر «3»:

---

(1) ديوانه 3. من قصيدة البارعة فى رثاء أولاده. و عجزه:

بصفا المشرق كل يوم يقرع

و يرى «المشقر» و هو سوق الطائف. المروة: الصخرة. و المشرق: الناسک بمنى يصف الشاعر نفسه بأنه من كثرة الحوادث: أصبح كالصخرة فى مكان تمر بها الناس كثيراً و يقرعها واحد بعد الآخر.

(2) اللسان «شعر» و الهاشميات: 21 [.....]

(3) هو المخبل السعدى، و هو مخضرم.

و أشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا «1»

يعنى يكثرون التردد اليه بسؤدد. و قال آخر:

يحجّ مأمومة فى قعرها لجف «2»
و أما العمرة فى الأصل فهى الزيارة و هى هاهنا زيارة البيت بالعمل المشروع:
من طواف الزيارة و الأحرام. و أخذت العمرة من العمارة لان الزائر للمكان يعمره بزيارته له، و قوله: «فَلا جُناحَ عَلَيْهِ». فالجناح هو الميل عن الحق، و أصله من جنح إليه جنوحاً إذا مال اليه. قال صاحب العين: الاجناح: الميل. اجنحت هذا فاجتنح أى أملته فمال. و قوله: «وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها» «3» أى مالوا إليک لصلح فمل إليهم. و جناحا الطائر: يداه، و يدا الإنسان: جناحاه. و جناحا العسكر جانباه، و جناحا الوادى: مجريان عن يمينه و شماله. و جنحت الإبل فى السير إذا أسرعت. و إنما قيل للاضلاع جوانح، لاعوجاجها. و جنحت السفينة إذا مالت فى أحد شقيها. و كل مائل إلى شىء فقد جنح إليه «وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ» أى ميل إلى مأثم. و كل ناحية: جناح، و مرّ جنح من الليل أى قطعة نحو نصفه. و أصل الباب الميل.
و الطواف: الدور حول البيت. و منه الطائف: الدائر بالليل. و الطائفة الجماعة كالحلقة الدائرة. و يطّوف أصله يتطوف، فأدغمت التاء فى الطاء، لأنها من مخرجها، و الطاء

---

(1) البيان و التبين 3: 97 و اللسان (سبب) (حجج) (زبرق) حل بالمكان حلولا: إذا نزل القوم به. يحجون يكثرون الاختلاف اليه (سب الزبرقان) الزبرقان بن بدر الفزارى و هو من سادات العرب. و قيل ان سب: است: و قيل عمامة. المزعفر المصبوغ بالزعفران. يقول يكثرون الذهاب الى هذا الرحل الذى يصبغ عمامته، أو استه بالزعفران.
و هذا هجأ له.
(2) اللسان (حجج) (لجف) و عجزه:
فاست الطبيب قذاها كالمغاريد
يحج: يزور أو يكشف. مأمومة: شجة فى أم الرأس. فى قعرها: فى أقصاها. لجف: حفر.
فاست: فميل. المغاريد: صمغ معروف يوضع على الجرح.
يقول يرى شجة فى أم الرأس يخاف من رؤيتها و يجزع، فيصفر من هولها.
(3) سورة الانفال آية: 62.

أقوى بالجهر منها. و الفرق بين الطاعة و التطوع: ان الطاعة موافقة الارادة فى الفريضة و النافلة. و التطوع التبرز بالنافلة خاصة. و أصلها الطوع الذى هو الانقياد.

و إنما قال «فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما» و هو طاعة، من حيث أنه جواب لمن توهم أن فيه جناحاً، لصنمين كانا عليه: أحدهما إساف، و الآخر نائلة، فى قول الشعبى، و كثير من أهل العلم. و روى ذلک عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع) و كان ذلک فى عمرة القضاء و لم يكن فتح مكة بعد، و كانت الأصنام على حالها حول الكعبة و قال قوم: سبب ذلک أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بينهما، فكره المسلمون ذلک خوفاً أن يكون من أفعال الجاهلية، فانزل اللّه تعالى الآية. و قال قوم عكس ذلک:
أن أهل الجاهلية كانوا يكرهون السعى بينهما، فظن قوم أن فى الإسلام مثل ذلک، فأنزل اللّه تعالى الآية. و جملته أن فى الآية ردّاً على جميع من كرهه، لاختلاف أسبابه. و الطواف بينهما فرض عندنا فى الحج و العمرة، و به قال الحسن و عائشة و غيرهما، و هو مذهب الشافعى، و أصحابه. و قال أنس بن مالک، و روى عن ابن عباس: أنه تطوع و به قال ابو حنيفة، و أصحابه، و اختاره الجبائى. و عندنا ان من ترک الطواف بينهما متعمداً، فلا حج له حتى يعود فيسعى، و به قالت عائشة، و الشافعى. و قال ابو حنيفة، و أصحابه، و النورى: إن عاد، فحسن، و إلا جبره بدم، و قال عطا، و مجاهد يجزيه و لا شىء عليه. و قوله تعالى: «وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أولها «مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً» اى بالحج أو العمرة بعد الفريضة. الثانى- «وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً» أى بالطواف بهما عند من قال إنه نفل. الثالث- «مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً» بعد الفرائض، و هذا هو الأولى، لأنه أعم. و فى الناس من قال: و هو الجبائى، و غيره:
إن التقدير فلا جناح عليه ألا يطوف بهما كما قال: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» و معناه ألّا تضلوا و كما قال: «أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ» «1». و معناه الا تقولوا.

---

(1) سورة الاعراف آية: 171.

و قال آخرون: إن ذلک لا يجوز و هو اختيار الرمانى. و هو الصحيح، لأن الحذف يحتاج الى دليل. و معنى القراءتين واحد لا يختلف.
و وصف اللّه تعالى بأنه شاكر مجاز، لأن الشاكر فى الأصل هو المظهر للانعام، و اللّه لا يلحقه المنافع، و المضار- تعالى عن ذلک- و معناه هاهنا المجازى على الطاعة بالثواب، و خروج اللفظ مخرج التلطف حثّاً على الإحسان اليهم، كما قال «مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» «1» و اللّه

لا يستقرض من عوز، لكن تلطف فى الاستدعاء كأنه قال: من ذا الذى يعمل عمل المقرض، بأن قدم فيأخذ أضعاف ما قدم فى وقت فقره و حاجته الى ذلک فكذلک، كأنه قال: «مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ» يعامله معاملة الشاكر، يحسن المجازاة، و إيجاب المكافاة. و الفَرق بين التطوع و الفرض أن الفرض يستحق بتركه الذّم و العقاب، و التطوع لا يستحق بتركه الذّم، و لا العقاب.

و روى عن جعفر بن محمد: أن آدم نزل على الصفا، و حواء على المروة، فسمى المرو باسم المرأة

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 159] ..... ص : 45

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِى الْكِتابِ أُولئِکَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (159)
آية بلا خلاف.

قيل فى المعنى بهذه الآية قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و مجاهد، و الربيع، و الحسن، و قتادة، و السدى،

---

(1) سورة البقرة آية: 245.

و اختاره الجبائى، و أكثر أهل العلم: انهم اليهود، و النصارى: مثل كعب بن الأشرف و كعب بن أسيد، و ابن صوريا، و زيد بن تابوه، و غيرهم من علماء النصارى الذين كتموا أمر محمد (ص)، و نبوته: و هم يجدونه مكتوباً فى التوراة و الإنجيل مبينا فيهما.
و الثانى- ذكر البلخى: أنه متناول لكل من كتم ما أنزل اللَّه و هو أعم، لأنه يدخل فيه أولئک و غيرهم، و يروى عن ابن عباس أن جماعة من الأنصار سألوا نفراً من اليهود عما فى التوراة، فكتموهم إياه، فانزل اللّه عز و جل «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ» الآية. و إنما نزل فيهم هذا الوعيد، لان اللّه تعالى علم منهم الكتمان، و عموم الآية يدل: على أن كل من كتم شيئاً من علوم الدين، و فعل مثل فعلهم فى عظم الجرم أو أعظم منه، فان الوعيد يلزمه، و أما ما كان دون ذلک، فلا يعلم بالآية بل بدليل آخر.
و قد روى عن النبى (ص) أنه قال: من سئل عن علم يعلمه، فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار.
و قال ابو هريرة: لو لا آية فى كتاب اللّه ما حدثتكم و تلا «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ» الآية، فهذا تغليظ للحال فى كتمان علوم الدين.
و كتمان الشىء اخفاؤه مع الداعى الى إظهاره، لأنه لا يقال لمن أخفى ما لا يدعوا الى إظهاره داع: كاتم. و الكتاب الذى عنى هاهنا قيل التوراة. و قيل كل كتاب أنزله اللّه. و هو أليق بالعموم. و قال الزجاج: هو القرآن، و استدل قوم بهذه الآية على وجوب العمل بخبر الواحد من حيث أن اللّه تعالى توعد على كتمان ما أنزله، و قد بينا فى اصول الفقه أنه لا يمكن الاعتماد عليه، لأن غاية ما فى ذلک وجوب الاظهار، و ليس إذا وجب الاظهار وجب القبول، كما أن على الشاهد الواحد يجب إقامة الشهادة و إن لم يجب على الحاكم قبول شهادته، حتى ينضم اليه ما يوجب الحكم بشهادته، و كذلک يجب على النبى (ص) إظهار ما حمله، و لا يجب على أحد قبوله حتى يقترن به المعجز الدال على الصدق، و لذلک نظائر ذكرناها. على أن اللّه تعالى بين أن الوعيد إنما توجه على من كتم ما هو بينة و هدى و هو الدليل، فمن أين أن خبر الواحد بهذه المنزلة، فإذاً لا دلالة فى الآية على ما قالوه، و البينات و الهدى هى الادلة التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 47

و هما بمعنى واحد، و إنما كرر لاختلاف لفظهما. و قيل: إنه أراد بالبينات الحجج الدالة على نبوته (ص) و بالهدى إلى ما يؤديه إلى الخلق من الشرائع، فعلى هذا لا تكرار.

و اللعن فى الأصل الابعاد على وجه الطرد قال الشماخ:
ذعرت به القطا و نفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين «1»
أراد مقام الذئب اللعن. و اللعين فى الحكم: الابعاد- من رحمة اللَّه- بإيجاب العقوبة، فلا يجوز لعن ما لا يستحق العقوبة. و قول القائل: لعنه اللَّه دعاء، كأنه قال: أبعده اللَّه، فإذا لعن اللَّه عبداً، فمعناه الاخبار بأنه أبعده من رحمته.

و المعنى بقوله و (يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) قيل فيه أربعة أقوال:
أحدها- قال قتادة، و الربيع، و اختاره الجبائى، و الرمانى، و غيرهما: انهم الملائكة و المؤمنون- و هو الصحيح-، لقوله تعالى فى وعيد الكفار (أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ) «2» فلعنة اللاعنين كلعنة الكافرين.
الثانى- قال مجاهد، و عكرمة: إنها دوابّ الأرض، و هو انها تقول منعنا القطر لمعاصى بنى آدم.
الثالث- حكاه الفراء أنه كل شىء سوى الثقلين الانس و الجن، رواه عن ابن عباس.
الرابع- قاله ابن مسعود: أنه إذا تلاعن الرجلان رجعت اللعنة على المستحق لها، فان لم يستحقها واحد منهم رجعت على اليهود الذين كتموا ما أنزل اللّه. فان قيل:
كيف يجوز على قول من قال: المراد به البهائم اللاعنون، و هل يجوز على قياس ذلک الذاهبون؟
قلنا لما أضيف اليها فعل ما يعقل عوملت معاملة ما يعقل كما قال تعالى (وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ)

---

(1) مر تخريجه فى 1: 343 من هذا الكتاب
(2) سورة البقرة آية: 161

«1» فان قيل: كيف يجوز إضافة اللعن إلى ما لا يعقل من البهيمة و الجماد؟
قيل: لامرين أحدهما- لما فيه من الآية التى تدعوا الى لعن من عمل بمعصية اللّه.
و الثانى- أن تكون البهائم تقول على جهة الإلهام لما فيه من الاعتبار.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 160] ..... ص : 48

اشارة

إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنُوا فَأُولئِکَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)
آية بلا خلاف.

استثنى اللَّه تعالى فى هذه الآية من جملة الذين يستحقون اللعنة من تاب، و أصلح، و بين. و اختلفوا فى معنى «بينوا» فقال أكثر المفسرين، كقتادة، و ابن زيد، و البلخى، و الجبائى، و الرمانى: إنهم بينوا ما كتموه من البشارة بالنبى (ص)، و قال بعضهم: بينوا التوبة، و إصلاح السريرة بالإظهار لذلک. و إنما شرط مع التوبة الإصلاح، و البيان ليرتفع الإيهام بأن التوبة مما سلف من الكتمان يكفى فى إيجاب الثواب.
و معنى قوله تعالى (أَتُوبُ عَلَيْهِمْ) أقبل توبتهم. و الأصل فى أتوب أفعل التوبة إلا أنه لما وصل بحرف الاضافة دل على ان معناه أقبل التوبة، و إنما كان لفظه مشتركا بين فاعل التوبة، و القابل لها، للترغيب فى صفة التوبة إذ وصف بها القابل لها، و هو اللَّه و ذلک من إنعام على عباده، لئلا يتوهم بما فيها من الدلالة على مقارفة الذنب أن الوصف بها عيب، فلذلک جعلت فى أعلا صفات المدح، و التوبة هى الندم الذى يقع موقع التنصل من الشىء و ذلک بالتحسر على موافقته، و العزم على ترک معاودته إن أمكنت المعاودة. و اعتبر قوم المعاودة الى مثله فى القبح. و هو الأقوى. لإجماع الامة على سقوط العقاب عندها، و ما عداها فمختلف فيه، فان قيل: ما الفائدة فى هذا الاخبار، و قد

---

(1) سورة يوسف آية: 4.

علمنا أن العبد متى تاب لا بدّ أن يتوب اللّه عليه؟ قلنا أمّا على مذهبنا، فله فائدة واضحة:
و هو أن إسقاط العقاب عندها ليس بواجب عقلا، فإذا أخبر بذلک أفادنا ما لم نكن عالمين به، و من خالف فى ذلک قال: وجه ذلک أنه لما كانت توبة مقبولة و توبة غير مقبولة صحت الفائدة بالدلالة على أن هذه التوبة مقبولة. و معنى قبول التوبة حصول الثواب عليها و إسقاط العقاب عندها.
و (التوّاب) فيه مبالغة إمّا لكثرة ما يقبل التوبة و إما لأنه لا يرد تائباً منيباً أصلا. و قبول التوبة بمعنى إسقاط العقاب عندها، غير واجب عندنا عقلا. و إنما علم ذلک سمعاً، و تفضلا، من اللَّه تعالى على ما وعد به بالإجماع على ذلک. و قد بيّنا فى شرح الجمل فى الأصول أنه لا دلالة عقلية عليه، و وصفه نفسه بالرحيم عقيب قوله (التوّاب) دلالة على أن إسقاط العقاب عند التوبة تفضل منه و رحمة من جهته. و من قال: إن الفعل الواجب نعمة إذا كان منعماً بسببه كالثواب، و العوض، فانه لما كان منعماً بالتكليف و بالآلام التى يستحق بها الاعواض، جاز أن يقال فى الثواب و العوض أنه تفضل و إن كانا

واجبين، فقوله باطل، لأن ذلک إنما قلنا فی الثواب للضرورة، و لیس هاهنا ضرورة تدعو الی ذلک. و إصلاح العمل هو إخلاصه له من قبیح یشوبه، و التبیین هو التعریض للعلم الذی یمکن به صحة التمیز.

و موضع الذين نصب على أنه استثناء من موجب. و (إلا) حقيقتها الاستثناء. و معنى ذلک الاختصاص بالشىء دون غيره كقولک: جاءنى القوم إلا زيداً فقد اختصصت زيداً بأنه لم يجىء، و إذا قلت ما جاءنى إلا زيد، فقد اختصصت زيداً بأنه جاء، و إذا قلت ما جاءنى زيد إلا راكباً فقد اختصصته بهذه الحال دون غيرها من المشى و العدو، و ما أشبه ذلک.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 161] ..... ص : 49

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولئِکَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (161)
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 50
آية بلا خلاف.

إن قيل: كيف يلعن الكافر كافراً مثله و هو الظاهر فى قوله (وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ)؟
قيل عنه ثلاثة أجوبة:
أولها- أنه يلعنه الناس أجمعون يوم القيامة كما قال تعالى (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً) «1» و هو قول أبى العالية.
الثانى- قال السدى: انه لا يمتنع أحد من لعن الظالمين، فيدخل فى ذلک لعن الكافر لأنه ظالم.
الثالث- يراد به لعن المؤمنين خصوصاً، و لم يعتدّ بغيرهم كما يقال: المؤمنون هم الناس، و هو قول قتادة و الربيع، هذا إذا حمل على أن اللعن فى دار الدنيا، لأن من المعلوم أن أهل ملة لا يلعن أهل ملته.

و حكى عن الحسن أنه قرأ «و الملائكة» رفعاً و يكون ذلک على حمله على معنى يلعنهم اللّه و الملائكة و الناس أجمعون. كما تقول: عجبت من ضرب زيد، و عمرو- بالرفع- و هذه قراءة شاذة لا يعول عليها لأنّ المعتمد ما عليه الجمهور. و لا يجوز رفع «أجمعين» وحده هاهنا لأن هذه اللفظة لا تكون إلا تابعة، و ليس فى الكلام مظهر و لا مضمر تتبعه على ذلک، و إنما الحمل على المعنى بمنزلة إعادة معنى العامل الأوّل، كأنک قلت:
و يلعنهم الملائكة و الناس أجمعون.

و الكفر ما يستحق به العقاب الدائم عندنا، و عند من خالفنا فى دوام عقاب فساق أهل الصلاة انه ما يستحق به العقاب الدائم الكثير، و يتعلق به أحكام مخصوصة،

---

(1) سورة العنكبوت آية: 25

و سواء كان الكفر فى تشبيه اللّه تعالى بخلقه أو فى تجريده فى أفعاله أو الرد على النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم أو ما كان أعظم منه فى القبح، و اللعنة: الابعاد من الرحمة على ما بيناه مع إيجاب العقوبة، و يجرى ذلک من الناس على وجه الدعاء، و من اللّه على وجه الحكم، و إنما قال: (وَ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ) و كل كافر، فهو ملعون فى حال كفره و إن لم يكن ممن يوافى بالكفر للدلالة على خلودهم فى النار إذا ماتوا على غير توبة، و قد دلّ على ذلک ما بينه فى الآية الثالثة، و إنما أكد بأجمعين ليرتفع الاحتمال، و الإيهام قبل أن ينظر فى تحقيق الاستدلال، و لهذا لم يجز الأخفش رأيت أحد الرجلين كليهما، و أجاز رأيتهما كليهما، لأنک إذا ذكرت الحكم مقرونا بالدليل عليه، أزلت الإيهام للفساد، و إذا ذكرته وحده فقد يتوهم عليک الغلط فى المقصد بقولک: أحد الرجلين، لما ذكرت التثنية و ذكرت أحداً كنت بمنزلة من ذكر الحكم، و الدليل عليه فأمّا ذكر التثنية فى رأيتهما، فبمنزلة ذكر الحكم وحده. و واحد الناس إنسان فى فى المعنى، فأما فى اللفظ، فلا واحد له، و هو كنفر، و رهط مما يقال: إنه اسم للجمع.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 162] ..... ص : 51

اشارة

خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ (162)
آية بلا خلاف.

و الهاء فى قوله «فيها» عائدة على اللعنة فى قول الزجاج. و قال ابو العالية هى عائدة الى النار، و معنى قوله (وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ) على قول أبى العالية رفع لإيهام الاعتذار كما قال: (وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) «1» لئلا يتوهم أن التوبة و الانابة هناک تنفع. و الخلود فى اللعنة يحتمل أمرين أحدهما- استحقاق اللعنة بمعنى أنها تحق عليهم أبداً. و الثانى- فى عاقبة اللعنة: و هى النار التى لا تفنى، و إنما قال: (لا يُخَفَّفُ)

_____

(1) سورة المرسلات آية: 36

مع أنهم مخلدون، لأن التخفيف قد يكون مع الخلود، بان يقل المعاون ما يفعل، فأراد اللّه أن يبين أنه يقع الخلود، و يرتفع التخفيف.

و خالدين نصب على الحال من الهاء و الميم فى عليهم، كقولک: عليهم المال صاغرين، و العامل فيه الاستقرار فى عليهم.

و الخلود: اللزوم أبداً، و البقاء: الوجود وقتين فصاعداً، و لذلک لم يجز فى صفات اللّه خالد، و جاز باق، و لذلک يقال: أخلد الى قوله: أى لزم معنى ما أتى به، و منه قوله تعالى (وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ) «1» أى مال اليها ميل اللازم لها، كأنه قبل الخلد فيها.
و الفرق بين الخلود و الدوام أن الدوام: هو الوجود فى الأول، و لا يزال.
و إذا قيل دام المطر، فهو على المبالغة، و حقيقته لم يزل من وقت كذا الى وقت كذا، و الخلود هو اللزوم أبداً. و التخفيف: هو النقصان من المقدار الذى له اعتماد. و العذاب:
الألم الذى له امتداد. و الانظار: الامهال قدر ما يقع النظر فى الخلاص، و اصل النظر الطلب، فالنظر بالعين: الطلب بالعين، و كذلک النظر بالقلب أو باليد أو بغيرها من الحواس، و تقول أنظر الثوب أين هو. و الفرق بين العذاب و الإيلام، ان الإيلام قد يكون بجزء «2» من الألم فى الوقت الواحد. و العذاب له استمرار من الألم فى أوقات، و منه العذب، لاستمراره فى الحلق «3». و العذبة، لاستمرارها بالحركة «4».

---

(1) سورة الاعراف آية: 175
(2) فى المطبوعة (محز)
(3) و فى مجمع البيان (و منه العذاب لاستمراره بالخُلق) و الصحيح ما ذكره الشيخ، لان المقصود منه: عذوبة الماء و نحوه، و لا يكون ذلک الا فى الحلق. [.....]
(4) العذبة التى تستمر بالحركة: خرقة النائحة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 163] ..... ص : 53

اشارة

وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ (163)
آية بلا خلاف.

يوصف تعالى بأنه واحد على أربعة أوجه أوّلها- إنه ليس بذى أبعاض و لا يجوز عليه الانقسام. الثانى- واحد فى استحقاق العبادة. الثالث- واحد لا نظير له و لا شبيه الرابع- واحد فى الصفات التى يستحقها لنفسه، فهو قديم، و قادر لا يعجزه شىء، و عالم لا يخفى عليه شىء، فكل هذه الصفات يستحقها وحده، و الواحد شىء لا ينقسم عدداً كان أو غيره، و يجرى على وجهين: على الحكم، و على جهة الوصف، فالحكم كقولك: الجزء واحد، و الوصف كقولك: إنسان واحد، و دار واحدة.
و معنى إله أنه يحق له العبادة، و غلط الرمانى، فقال: هو المستحق للعبادة، و لو كان كما قال لما كان تعالى إلها فيما لم يزل، لأنه لم يفعل ما يستحق به العبادة. و معنى ما قلناه: أنه قادر على ما إذا فعله استحق به العبادة. و قيل معنى إله انه منعم بما يستحق به العبادة، و هذا باطل لما قد بيناه، و لا يجوز أن يحيّا أحد من الخلق بالإلهية، لأنه يستحيل ان يقدر أحد سوى اللَّه على ما يستحق به العبادة من خلق الأجسام، و القدرة، و الحياة، و الشهوة، و النفاد، و كمال العقل، و الحواس و غير ذلک، فلا تصح الإلهية إلّا له، لأنه القادر على ما عددناه، و الآية تتصل بما قبلها و بما بعدها، فاتصالها بما قبلها، كاتصال الحسنة بالسيئة، لتمحو أثرها، و تحذر من مواقعتها، لأنه لما ذكر الشرک، و أحكامه أتبع ذلک بذكر التوحيد و أحكامه، و اتصالها بما بعدها كاتصال الحكم بالدلالة على صحته، لأن ما ذكر فى الآية التى بعدها حجة على صحة التوحيد.
فان قيل: كيف يتصل الوصف بالرّحمة بما قبله؟ قلنا، لأن العبادة تستحق بالنعمة التى هى فى أعلى مرتبة، و لذلک بولغ فى الصفة بالرحمة، ليدل على هذا المعنى.

و (هو) فى موضع رفع، و لا يجوز النصب، و رفعه على البدل من موضع (لا) مع الاسم، كقولک: لا رجل إلا زيد كأنک قلت: ليس إلا زيد- فيما تريد من المعنى- إذا لم يعتد بغيره، و لا يجوز النصب على قولک: ما قام احد إلا زيداً، لان البدل يدّل على أن الاعتماد على الثانى، و المعنى ذلک، و النصب يدّل على أن الاعتماد فى الاخبار إنما هو على الاول، و قوله تعالى: (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) إثبات للّه تعالى وحده و هو بمنزلة قولک: اللّه إله وحده، و إنما كان كذلک لأنه القادر على ما يستحق به الالهية، و لا يدّل على النفى فى هذا الخبر من قبل أنه لم يدّل على إله موجود، و لا معدوم سوى اللّه عزّ و جل، لكنه نقيض لقول من ادّعى إلها مع اللّه.
و إنما النفى إخبار بعدم شىء كما أن الإثبات إخبار بوجوده.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 164] ..... ص : 54

اشارة

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِی تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِما یَنْفَعُ النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَیْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (164)
آیة واحدة بلا خلاف.

قرأ نافع، و ابن كثير، و ابو عمرو، و ابن عاصم، و ابن عامر (الرّياح) على الجمع. الباقون على التوحيد، و لم يختلفوا فى توحيد ما ليس فيه ألف و لام.

لما أخبر اللَّه تعالى الكفار بأن إلههم إله واحد لا ثانى له، قالوا: ما الدلالة التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 55
على ذلک؟ فقال اللّه عزّ و جل: (إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) الآية الى آخرها.
و وجه الدّلالة من الآية (إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) يدل على أنّ لها خالق، لا يشبهها و لا تشبهه، لأنه لا يقدر على خلق الأجسام إلا القديم القادر لنفسه الذى ليس بجسم، و لا عرض، إذ جميع ذلک محدث و لا بدّ له من محدث ليس بمحدث، لاستحالة التسلسل. و أما (اللَّيْلِ وَ النَّهارِ)، فيدلان على عالم مدبر من جهة أنه فعل محكم، متقن، واقع على نظام واحد، و ترتيب واحد، لا يدخل شيئاً من ذلک تفاوت، و لا اختلاف.
و أما (الْفُلْکِ الَّتِی تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ) فتدل على منعم دبّر ذلک لمنافع خلقه، ليس من جنس البشر، و لا من قبيل الأجسام، لان الأجسام يتعذر عليها فعل ذلک.
و أما الماء الذى ينزل من السماء، فيدل على منعم به يقدر على التصريف فيما يشاء من الأمور، لا يعجزه شىء.
و أمّا (إحياء الأرض بعد موتها)، فيدل على الانعام بما يحتاج اليه العباد.
و إحياؤها: إخراج النبات منها، و أنواع الثمار (وَ بَثَّ فِيها مِنْ کُلِّ دَابَّةٍ) دالّ على ان لها صانعاً مخالفاً لها منعماً بأنواع النعم. (وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ) يدل على الاقتدار على ما لا يتأتى من العباد و لو حرصوا کل الحرص، و اجتهدوا کل الاجتهاد، لأنه إذا ذهبت جنوباً مثلا، فاجتمع جميع الخلق على أن يقلبوها شمالا أو صباً أو دبوراً، لما قدروا على ذلک، و لا تمكنوا على ردّه من الجهة التى يجىء منها.
و أما (السَّحابِ الْمُسَخَّرِ) فيدل على أنه يمسكه القديم، و الذى لا شبه له و لا نظير، لأنه لا يقدر على تسكين الأجسام الثقال بغير علاقة و لا دعامة إلا اللَّه تعالى، و كذلک لا يقدر على تسكين الأرض كذلک إلا القادر لنفسه،، فهى تدل على صانع غير مصنوع قديم لا يشبهه شىء، قادر لا يعجزه شىء، عالم لا يخفى عليه شىء، حى لا يموت واحد ليس كمثله شىء، سميع بصير (لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِی السَّماواتِ التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 56
وَ لا فِی الْأَرْضِ)
«1» لان صفات النقص لا تجوز عليه تعالى. و يدل على أنه منعم بما لا يقدر غيره على الانعام بمثله «2»، أنه يستحق بذلک العبادة دون غيره

و الخلق هو الأحداث للشىء على تقدير من غير احتذاء على مثال، و لذلک لا يجوز إطلاقه إلا فى صفات اللّه، لأنه ليس أحد- جميع أفعاله على ترتيب من غير احتذاء على مثال- إلا اللّه تعالى. و قد استعمل الخلق بمعنى المخلوق كما استعمل الرضى بمعنى المرضى، و هو بمنزلة المصدر، و ليس معنى المصدر معنى المخلوق، و اختلف أهل العلم فيه إذا كان بمعنى المصدر، فقال قوم: هو الارادة له. و قال آخرون: إنما هو على معنى مقدر، كقولک: وجود و عدم، و حدوث و قدم، و هذه الأسماء تدل على مسمى مقدر للبيان عن المعانى المختلفة و إلا فالمعنى بما هو الموصوف فى الحقيقة.

و إنما جمعت السماوات و وحدت الأرض، لأنه لما ذكرت السماء بأنها سبع فى قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ» «3» و قوله: «خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ» «4» جمع لئلا يوهم التوحيد معنى الواحدة من هذه السبع. و قد دل مع ذلک قوله «وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» «5» على معنى السبع، و لكنه لم يجر على جهة الإفصاح بالتفصيلَ فى اللفظ. و وجه آخر: و هو أن الأرض لتشاكلها تشبه الجنس الواحد، كالرجل، و الماء الذى لا يجوز جمعه إلا أن يراد الاختلاف، و ليس تجرى السموات مجرى الجنس، لأنه دبر فى كل سماء أمرها. و التدبير الذى هو حقها.

و فى اشتقاق قوله «وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ» قولان:

أحدهما- من الخلف، لأن كل واحد منهما يخلف صاحبه على وجه المعاقبة له.

و الثانى- من اختلاف الجنس كاختلاف السواد و البياض، لأن أحدهما لا يسد مسد الآخر فى الإدراک. و المختلفان ما لا يسد أحدهما مسد الآخر فيما يرجع الى ذاته.

---

(1) سورة سبأ آية: 3

(2) فى المطبوعة (لمثله)

(3) سورة البقرة آية: 29

(4) سورة الطلاق آية: 12، و سورة الملک آية: 3

(5) سورة الطلاق آية: 12

و النهار: اتساع الضياء، و أصله الاتساع، و منه قول الشاعر: «1»

ملكت بها كفى فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها «2»

أى أوسعت، و يصلح ان يكون من النهر أى جعله كالنهر. و النهر أوسع

مجارى الماء، فهو أوسع من الجدول، و الساقية. و إنما جمعت الليلة، و لم يجمع النهار لأن النهار بمنزلة المصدر، كقولک: الضياء، يقع على الكثير و القليل، فأما الليلة، فمخرجها مخرج الواحد من الليل على أنه قد جاء جمعه على وجه الشذوذ. قال الشاعر:
لو لا الثريدان هلكنا بالصُّمر ثريد ليل و ثريد بالنُّهر «3»
و الفلک: السفن يقع على الواحد، و الجمع بلفظ واحد، و منه قوله: «فِی الْفُلْکِ الْمَشْحُونِ» «4» و منه «وَ اصْنَعِ الْفُلْکَ بِأَعْيُنِنا» «5» و الفلک: فلک السماء.
قال اللّه تعالى: «کُلٌّ فِی فَلَکٍ يَسْبَحُونَ» «6». و کل مستدير فلک، و الجمع أفلاک و قال صاحب العين: قيل: اسم للدوران خاصة. و قيل: بل اسم لأطواق سبعة فيها النجوم. و فلکت الجارية إذا استدار ثديها. و الفلکة: فلکة المغزل معروف. و فلکة الجدى، و هو قضيب يدار على لسانه لئلا يرضع. و اصل الباب الدور، و الفلک السفينة لأنها تدور بالماء أسهل دور. و إنما جعل الفلک للواحد، و الجمع بلفظ واحد، لأن فعل و فعل «7» يشترکان کثيراً: العرب، و العرب، و العجم، و العُجم، و البخل و البخل.

---

(1) هو قيس بن الخطيم.
(2) اللسان (نهر) ملکت: شددت و قويت. أنهرت فتقها: وسعته حتى جعلته نهراً.
يصف طعنة، فشبهها أولا بالنهر ثم شبهها بالنافذة بقوله: يرى قائم ... و هذا فى غاية المبالغة.
(3) اللسان (نهر)، و تهذيب الألفاظ: 422، و المخصص 9: 51. و رواية اللسان، و المخصص «لمتنا» بدل «لهلکنا» الضمر- بضم الميم، و سکونها- الهزال، و لحاق البطن، و الضمر هنا: الجوع، لأن المعنى لو لا ثريد الليل و ثريد النهار لمتنا جوعاً. و الثريد:
خبز يبل فى ماء اللحم و غيره.
(4) سورة يس آية: 41
(5) سورة هود آية: 37
(6) سورة الأنبياء آية: 33، و سورة يس آية: 40
(7) فعل الاولى- بفتح الفاء و العين- و الثانية- بضم الفاء و سکون العين-، و کذلک کل ما مثل به من الکلمات المتفقة فى المادة فى هذا الموضع.

و من قال فى أسد: أسد. قال فى فلک: فلک، فجمعه على فُعل. و إنما أنث الفلک إذا أريد به الجمع، کقولک: السفن التى تجرى فى البحر.
و قوله: «وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ» يعنى من نحو السماء عند جميع المفسرين.

و قال قوم: السماء تقع على السحاب، لأن كل شىء علا فوق شىء، فهو سماء له. فان قيل:
هل السحاب بخارات تصعد من الأرض؟ قلنا ذلک جائز لا يقطع به، و لا مانع ايضاً من صحته من دليل عقل، و لا سمع. و السماء: السقف، فسماء البيت سقفه قال تعالى:
«وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً» «1» فالسماء المعروفة سقف الأرض. و أصل الباب السمو:
و هو العلو، و السماء: الطبقة العالية على الطبقة السافلة إلا أنها صارت بمنزلة الصفة على السماء المعروفة: و هى التى من أجل السمو كانت عالية على الطبقة السافلة. و الأرض الطبقة السافلة. يقال: أرض البيت و أرض الغرفة، فهو سماء لما تحته من الطبقة، و ارض لما فوقه، و قد صار الاسم كالعلم على الأرض المعروفة. و إنما يقع على غيرها بالاضافة.
و الليل هو الظلام المعاقب للنهار. و قد يقال لما لا يصل اليه ضوء الشمس: هو الليل و إن كان النهار موجوداً. و البحر: هو الخرق الواسع الماء الذى يزيد على سعة النهر. و المنفعة: هى اللذة، و السرور و ما أدى إليهما. أو إلى كل واحد منهما. و النفع، و الخير، و الحظ نظائر، و قد تكون المنفعة بالآلام إذا أدّت الى لذات. و الأحياء:
فعل الحياة. و حياة الأرض: عمارتها بالنبات، و موتها إخرابها بالجفاف الذى يمتنع معه النبات. و البثّ: التفريق، و كل شىء بثثته، فقد فرقته، و منه قوله تعالى:
«كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ» «2»، و تقول: انبث الجراد فى الأرض، و تقول: بثثته سرى، و أبثثته إذا أطلعته عليه. و البث: ما يجده «3» الرجل من كرب، أو غم فى نفسه، و منه قوله: اَشْكُوا بَثِّى وَ حُزْنِى إِلَى اللَّهِ» «4». و أصل الباب التفريق.
و قال صاحب العين: كل شىء مما خلق اللَّه يسمى دابة مما يدب، و صار بالعرف اسماً

---

(1) سورة الأنبياء آية: 32 [.....]
(2) سورة القارعة آية: 4
(3) فى المطبوعة «ما يمجده»
(4) سورة يوسف آية: 86

لما يركب، و يقولون للبرذون: دابة و تصغيرها دويبة. و دب النمل يدب دبيبه. و دب الشراب بالإنسان دبيباً. و دب القوم إلى العدو أى مشوا على هيئتهم لم يشرعوا.
و الدبابة تتخذ فى الحروب، ثم يدفع إلى أصل حصن فينقبون و هم فى

جوف الدبابة «1» و الدب: نوع من السباع، و الأنثى دبة. و الدبة لزوم حال الرجل فى فعاله. ركب فلان دبة فلان، و أخذ بدبته أى عمل بعمله.
و قوله تعالى: «وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ» التصريف و التقليب و التسليک نظائر.
و تصريف الرياح تصرفها من حال إلى حال، و من وجه إلى وجه، و كذلک تصرف الخيول، و السيول، و الأمور. و صرف الدهر تقلبه، و الجمع صروف.
و الصريف:
اللبن إذا سكنت رغوته و قال بعضهم: لا يسمى صريفاً حتى يتصرف به الضرع.
و الصريف صريف الفحل بنا به حتى يسمع لذلک صوت، و كذلک صريف البكرة.
و عنز صارف: إذا أرادت الفحل. و الصرف: صبغ أحمر، قال الاصمعى: هو الذى يصبغ به الشرک. و الصرف: فضل الدرهم على الدرهم فى الجودة. و كذلک بيع الذهب بالفضة، و منه اشتق اسم الصيرفى، لتصريفه أحدهما فى الآخر. و الصرف:
النافلة. و العدل: الفريضة. و الصرفة: منزل من منازل القمر: كوكب إذا طلع قدام الفجر، فهو أول الخريف، و إذا غاب من طلوع الفجر، فذاک أول الربيع. و الصرف:
الشراب غير ممزوج. و الصرفان تمر معروف، أوزنه و أجوده. و أصل الباب: القلب عن الشىء. و السحاب: مشتق من السحب و هو حرک الشىء على وجه الأرض، تسحبه سحباً كما تسحب المرأة ذيلها، و كما تسحب الريح التراب، و سمى السحاب سحاباً، لانسحابه فى السماء و كل منجر منسحب.
و التسخير، و التذليل، و التمهيد نظائر. تقول: سخر اللَّه لفلان كذا إذا سهله له، كما سخر الرياح لسليمان. و سخرت الرجل تسخيراً إذا اضطهدته، فكلفته عملا بلا أجرة. و هى السخرة، و سخر منه إذا استهزأ به، قال اللَّه تعالى

---

(1) فى المطبوعة «دابة»

«فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» «1» و قال «فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا» «2» من الاستهزاء، و سخريا من تسخير الحول و ما أشبهه. و اصل الباب: التسخير: التذليل.

و قيل فى تصريف الرياح قولان: أحدهما- هبوتها شمالا و جنوباً و صبا و دبوراً. و الثانى- قيل مجيؤها بالرحمة مرة و بالعذاب أخرى. و هو قول قتادة.
و قوله: «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» فيه قولان: أحدهما- أنه عام لمن استدل به، و من لم يستدل من العقلاء. و الثانى- أنه خاص لمن استدل به كما قال: «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها» «3» و كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» «4» لما كانوا هم الذين اهتدوا بها و خشوا عند مجيئه أضيف إليهم و إنما أضيفت الآيات الى العقلاء لامرين: أحدهما- لأنها نصبت لهم. و الثانى- لأنها لا يصح أن يستدل بها سواهم.

قال ابو زيد: قال القيسيون: الرياح أربع: الشمال، و الجنوب، و الصبا، و الدبور.
فأما الشمال عن يمين القبلة و الجنوب عن شمالها و الصبا و الدبور متقابلتان، فالصبا من قبل المشرق و الدبور من قبل المغرب و إذا جاءت الريح بين الصبا، و الشمال، فهى النكباء التى لا يختلف فيها. و التى بين الجنوب و الصبا، فهى الجريباء، و روى ابن الاعرابى عن الاصمعى، و غيره: ان الرياح اربع: الجنوب، و الشمال، و الصبا، و الدبور. قال ابن الاعرابى: كل ريح بين ريحين، فهى نكباء. قال الاصمعى: إذا انحرفت واحدة منهن، فهى نكباء، و جمعها نكب. فاما مهبهن، فان ابن الاعرابى قال: مهب الجنوب من مطلع سهيل الى مطلع الثريا، و الصبا من مطلع الثريا الى بنات نعش، و الشمال من بنات نعش الى مسقط النسر الطائر، و الدبور من مسقط النسر الطائر الى مطلع سهيل، و الجنوب، و الدبور لهما هيف و الهيف: الريح الحارة، و الصبا، و الشمال: لا هيف لهما. و قال

_____

(1) سورة التوبة آية: 80
(2) سورة المؤمنون آية: 111
(3) سورة النازعات آية: 45
(4) سورة البقرة آية: 2

الأصمعى: ما بين سهيل الى طرف بياض الفجر: جنوب. و ما بان انهما هما، يستقبلهما من الغرب: شمال، و ما جاء من وراء البيت الحرام فهو دبور، و ما جاء قبالة ذلک، فهو صباً. و تسمى الصّبا قبولا، لأنها تستقبل الدّبور، و تسمى الجنوب الأزيب، و النعامى. و تسمى الشمال محوة و لا تصرف، لأنها تمحوا السحاب و تسمى الجريباء، و تسمى مسعا، و تسعا و تسمى الجنوب اللاقح و الشمال حائلا، و تسمى ايضاً عقيما، و تسمى الصبا عقيما ايضاً. قال اللَّه تعالى: «وَ فِى عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ» «1» و هى التى لا تلقح السحاب. و الذاريات التى تذروا التراب ذرواً.
و من قرأ بلفظ الجمع، فلأن كل واحدة من هذه الرياح مثل الاخرى فى دلالتها على التوحيد و تسخيرها لنفع الناس. و من وحّد أراد به الجنس كما قالوا أهلک الناس الدينار، و الدرهم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 165] ..... ص : 61

اشارة

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذابِ (165)
آية بلا خلاف

قرأ نافع و ابن عامر، و أبو جعفر من طريق النهروانى «و لو ترى» بالتاء. الباقون بالياء. و قرأ أبو جعفر، و يعقوب «إن القوة للَّه، و إن اللَّه» بكسر الهمزة فيهما. الباقون بفتحهما. و قرأ ابن عامر وحده «إذ يرون» بضم الياء. و الباقون بفتحها.

الأنداد، و الأمثال، و الاشباه نظائر، و الأنداد «2» واحدها ندّ. و قيل

---

(1) سورة الذاريات آية: 41.
(2) فى المطبوعة (الأنداد) ساقطة.

الاضداد. و أصل النّد المثل المناوى و المراد به هنا قال قتادة، و الربيع، و مجاهد، و ابن زيد. و أكثر المفسرين آلهتهم التى كانوا يعبدونها. و قال السدى: رؤساؤهم الذين يطيعونهم طاعة الأرباب من الرجال. و قوله تعالى «يُحِبُّونَهُمْ» فالمحبة هى الارادة إلا ان فيها حذفاً، و ليس ذلك فى الارادة فإذا قلت: أحب زيداً معناه أريد منافعه أو مدحه، و إذا أحب اللّه تعالى عبداً فمعناه أنه يريد ثوابه و تعظيمه، و إذا قال:
أحب اللّه معناه أريد طاعته و اتباع أوامره، و لا يقال: أريد زيداً، و لا أريد اللّه و لا إن اللّه يريد المؤمن، فاعتيد الحذف فى المحبة، و لم يعتد فى الارادة. و فى الناس من قال: المحبة ليست من جنس الارادة، بل هى من جنس ميل الطبع، كما تقولون:
أحب ولدى أى يميل طبعى اليه، و ذلک مجاز، بدلالة أنهم يقولون: أحببت أن أفعل بمعنى أردت أن أفعل. و ضدّ الحب البغض. و تقول: أحبه حبّا، و تحبب تحبباً، و حببه تحبيباً، و تحابا تحاباً. و المحبة: الحب. و الحب واحده حبة من بر، أو شعير، أو عنب. أو ما أشبه ذلک. و الحبة بزور البقل. و حبة القلب ثمرته. و الحب: الجرة الضخمة. و الحب القرط من حبة واحدة. و حباب الماء: فقاقيعه. و الحباب الحبة.
و أحب البعير إحباباً: إذا برک، فلا يثور، كالحران فى الخيل، قال أبو عبيدة: و منه قوله تعالى «أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى» «1» أى لصقت بالأرض لحب الخير، حتى تأتينى الصلاة. و أصل الباب: الحب ضد البغض.

و قوله: «كَحُبِّ اللَّهِ» قيل فى هذه الاضافة ثلاثة أقوال: أحدها- كحبكم اللَّه. و الثانى- كحبهم اللَّه. و الثالث- كحب اللَّه الواجب عليهم لا الواقع منهم، كما قال الشاعر:
فلستُ مسلماً ما دمت حيَّا على زيد بتسليم الأمير «2»

---

(1) سورة ص آية: 32.
(2) البيان و التبيين 4: 51، و معانى القرآن للفراء 1: 100، و أمالى الشريف المرتضى 1: 215. و لم نعرف قائله.

أى مثل تسليمى على الأمير. فان قيل: كيف يحب المشرک- الذى لا يعرف الله- شيئاً كحبه لله؟ قلنا من قال: إن الكفار يعرفون الله قال: كحبه لله.
و من قال: هم لا يعرفون الله- على ما يقوله أصحاب الموافاة- قال: معناه كحب المؤمنين لله أو كالحب الواجب عليهم.
و قوله تعالى: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- «أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» للإخلاص له من الاشراک به و الثانى- لأنهم عبدوا من يملک الضر و النفع، و الثواب، و العقاب، فهم أشد حباً لله بذلک ممن عبد الأوثان.

و يجوز فتح «أن» من ثلاثة أوجه، و كسرها من ثلاثة أوجه- مع القراءة بالياء-:
أولها- يجوز فتحها بإيقاع الفعل عليها بمعنى المصدر. و تقديره «و لو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب» قوة الله و شدة عذابه.
الثانى- أن يفتح على حذف اللام كقولك: لأن القوة لله.
الثالث- على تقدير لرأوا أن القوة لله، على الاتصال بما حذف من الجواب.
و الأول من الكسر على الاستئناف. الثانى- على الحكاية مما حذف من الجواب كأنه قيل: لقالوا إن القوة لله جميعاً. الثالث- على الاتصال مما حذف من الحال، كقولك: يقولون: إن القوة لله.
و من قرأ بالتاء، يجوز ايضاً فى الفتح ثلاثة أوجه. و فى الكسر ثلاثة أوجه:
أول الفتح- على البدل، كقولك: و لو ترى الذين ظلموا أن القوة لله عليهم، و هو معنى قول الفراء. الثانى- لأن القوة لله. الثالث- أ رأيت أن القوة لله.
قال أبو على الفارسى: من قرأ بالتاء لا يجوز أن تنصب أن إلا بالفعل المحذوف- فى الجواب. و أما البدل فلا يجوز، لأنها ليست «الَّذِينَ ظَلَمُوا» و لا بعضهم و لا مشتملة التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 64
عليهم، هذا إن جعل الرؤية من رؤية البصر. و إن جعلها من رؤية القلب، فلا يجوز ايضاً، لأن المفعول الثانى فى هذا الباب هو الأول فى المعنى، و قوله تعالى:
«أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ» لا يكون الذين ظلموا، فلم يبق بعد ذلک إلا أنه ينتصب بفعل محذوف. و الكسر مع التاء مثل الكسر مع الياء. و اختار الفراء- مع الياء- الفتح، و مع التاء الكسر، لأن الرؤية قد وقعت على الذين، و جواب لو محذوف، كأنه قيل: لرأوا مضرة اتخاذهم للأنداد، و لرأوا أمراً عظيما لا يحصر بالأوهام. و حذف الجواب، يدل على المبالغة، كقولك: لو رأيت السياط تأخذ فلاناً.
و الضمير فى قوله «يتخذ» عائد على لفظ من. و فى قوله يحبونهم على معنى من، لأن من مبهم، فمرة يحمل الكلام منها على اللفظ، و أخرى على المعنى، كما قال:
«وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً» «1»- بالتاء، و الياء- حملا لمن على اللفظ و المعنى.
و اتصلت الآية بما قبلها اتصال انكار، كأنه قال: أبعد هذا البيان و الأدلة القاهرة على وحدانيته، يتخذون الأنداد من دون الله.
و من قرأ قوله «و لو ترى»- بالتاء- جعل الخطاب للنبى (ص) و المراد به غيره، كما قال: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» «2». و الذين على هذا فى

موضع نصب. و من قرأ بالياء يكون الذين فى موضع رفع بأنهم الفاعلون.
و قوله «جميعاً» نصب على الحال، كأنه قيل: إن القوة لله ثابتة لله فى حال اجتماعها. و هى صفة مبالغة بمعنى إذا رأوا مقدورات الله فيما تقدم الوعيد به، علموا أن الله قادر لا يعجزه شىء.
و الشدة قوة العقد، و هو ضد الرخاوة. و القوة و القدرة واحد. و (ترى) فى قوله تعالى: «وَ لَوْ تَرى» من رؤية العين بدلالة أنها تعدت الى مفعول واحد، لأن التقدير و لو ترون أن القوة لله جميعاً أى و لو يرى الكفار ذلک.

---

(1) سورة الأحزاب آية: 31.
(2) سورة الإطلاق آية: 1 [.....]

و من قرأ- بالتاء- يقوى انها المتعدية الى مفعول واحد، و يدل على ذلک أيضاً قوله «إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ»، و قوله: «وَ إِذا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذابَ» «فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ»، فتعدى الى مفعول واحد. فان قيل: كيف قال: «وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» و هو أمر مستقبل، و إذ لما مضى؟ قيل: إنما جاء على لفظ المضى لإرادة التقريب فى ذلک، كما جاء «وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» «1» و على هذا جاء فى هذا المعنى أمثلة الماضى كقوله: «وَ نادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ» «2». هكذا ذكره أبو على الفارسى قال: و على هذا المعنى جاء فى مواضع كثيرة فى القرآن، كقوله تعالى «وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ» «3» «وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ» «4» «وَ لَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» «5» «وَ لَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا، فَلا فَوْتَ» «6» «وَ لَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ» «7». كذلک هذه الآية.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 166] ..... ص : 65

اشارة

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ (166)
آية واحدة بلا خلاف.

العامل فى (إذ) قوله تعالى: «وَ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ» كأنه قيل وقت تبرأوا.
و التبرّء: التباعد للعداوة، فإذا قيل تبرّأ اللَّه من المشركين معناه باعدهم من رحمته، و كذلک إذ تبرّء الرسول منهم معناه باعدهم- للعداوة- عن منازل من

---

(1) سورة النحل آية: 77.
(2) سورة الاعراف آية: 50.
(3) سورة الانعام آية: 30.
(4) سورة الانعام آية: 27.
(5) سورة سبأ آية: 31.
(6) سورة سبأ آية: 51.
(7) سورة الانفال آية: 51.

لا يحب له الكراهة.
و التبرء فى أصل اللغة، و التزيل، و التقصى نظائر. و ضد التبرء التولى.
و الاتباع: طلب الاتفاق فى مكان، أو مقال، أو فعال، فإذا قيل اتبعه ليلحقه، فمعناه ليتفق معه فى المكان، و إذا تبعه فى مذهبه أو فى سيره أو غير ذلک من الأحوال، فمعناه طلب الاتفاق.
و «اتبعوا» ضمت الألف فيه لضمة الثالث، و ضمة الثالث لما لم يسم فاعله، لأنه إنما يضم له أول المتحرک من الفعل فيما بنى عليه، و الف الوصل لا يعتد به، لأنه وصلة الى التكلم بالساكن فإذا اتصل بمتحرک، استغنى عنه.

و المعنى بقوله: «الَّذِينَ اتُّبِعُوا» رؤساء الضلالة من الانس. و قال قوم: هم من الجن. و قيل: من الجميع. و الأول- قول قتادة، و الربيع، و عطا. و الثانى- قول السدى.
و قوله تعالى: «وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ» فالتقطع: التباعد بعد الاتصال.
و السبب: الوصلة الى التعذر بما يصلح من الطلب. و معنى الأسباب هاهنا. قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال مجاهد. و قتادة، و الربيع، و فى رواية عن ابن عباس: هى الوصلات التى كانوا يتواصلون عليها.
الثانى- روى عن ابن عباس: أنها الأرحام التى كانوا يتقاطعون بها.
الثالث- قال ابن زيد: الأعمال التى كانوا يوصلونها. و قال الجبائى: تقطعت بهم اسباب: النجاة.

و السبب: الحبل. و السبب: ما تسببت به من رحم، أو يد، أو دين. و منه قوله: «فَلْيَرْتَقُوا فِى الْأَسْبابِ» «1». تقول العرب. إذا كان الرجل ذا دين:

---

(1) سورة ص آية: 10

ارتقى فى الأسباب. و السبّ: الشتم. و السبّ: القطع، و السبّ: الشقة البيضاء من الثياب، و هى السبيبة «1»، و مضت سبة من الدهر أى ملاوة. و السب: الوتد.

و السبابة: ما بين الوسطى و الإبهام، و التسبب: التوصل الى ما هو منقطع عنک.

و يقال: تسبب يتسبب تسبباً، و استبّوا استباباً، و سبب تسبيباً، و سابّه متسابّة

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 167] ..... ص : 67

اشارة

وَ قالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167)
آية بلا خلاف.

المعنى بقوله: «وَ قالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» هم الذين تبرءوا منهم: ساداتهم الذين اتبعوهم «لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً» يعنى رجعة الى دار الدنيا، قال الأخطل:
و لقد عطفن على فزارةَ عطفة كرَّ المنيح و جلن ثَم مجالا «2»
فالعامل فى (لو أن) محذوف، كأنه قال: لو صح أنّ لنا كرة، لأن (لو) فى التمنى، و غيره تطلب الفعل. و إن شئت قدرته: لو ثبت أنّ لنا كرة.

و الكرّ نقيض الفر تقول: كرّ يكر كراً، و كرة، و تكرّر تكرراً، و كرر

_____

(1) و فى لسان العرب (سبب) السب، و السبيبة: الشقة، و خص بعضهم به الشقة البيضاء.
(2) ديوانه: 48، و نقائض جرير و الأخطل: 79. فى المطبوعة (المسيح) بدل (المنيح) و فى الديوان (قدارة) بدل (فزاره). و فزارة: ابن ذبيان بن يغيض. و المسيح:
قدح لا حظ له فى الميسر. و المنيح اسم رجل من بنى أسد من بنى مالک. و معنى البيت: لقد هاجمناهم فى الحرب بشدة و مراس مثل ما يهاجم المنيح.

تكريراً، و تكراراً. و الكرة و الفرة متقابلان. و الكرّ و الرجع و الفتل نظائر فى اللغة قال صاحب العين: الكر الرجوع عن الشىء و منه التكرار. و الكرّ الحبل الغليظ. و قيل: الشديد الفتل. و الكرير صوت فى الحلق. و الكرير: نهر. و الكرة:
سرقين و تراب، يدق، و يجلا به الدّروع.
و قوله «فَنَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ» فالتبرء و الانفصال واحد، و منه برىء من مرضه: إذا انفصل منه بالعافية. و منه برىء من الدين براءة. و برىء اللّه من الخلق.

و انتصب «فنتبرّء» على أنه جواب التمنى- بالفاء- كأنه قال: لو كان لنا كرة فتبرءاً «1» و كلما عطف للفعل على تأويل المصدر، نصب بإضمار (أن). و لا يجوز إظهارها.

و قوله: «كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ» و ذلک لانقطاع الرجاء من کل واحد منهما. و قيل أيضاً: کما أراهم العذاب يريهم أعمالهم حسرات عليهم. و ذلک، لأنهم أيقنوا بالهلاک فی کل واحد منهما. و العامل فی الکاف يريهم.
و الأعمال التی يرونها حسرات قيل فيها ثلاثة أقوال:
أحدها- المعاصی يتحسرون عليها لم عملوها.
الثانی- الطاعات يتحسرون عليها لم لم يعملوها، و کيف ضيعوها، و مثله «زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ» «2» أی أعمالهم التی فرضناها عليهم، أو ندبناهم اليها.

_____

(1) فی المطبوعة نسختان إحداهما نفس الآية، و هذا لا يجوز مع قوله کأنه، لأن التشبيه يقتضی التغاير بين المشبه، و المشبه به حتی يکون بينهما اثنينية، و النسخة الثانية (کان لنا کرة ور فنتبرأ) و هذه ليس فيه معنی محصل، فلا بد أن تکون خطأ، و فی مجمع البيان (ليت لنا کروراً فتبروءاً) و يدل علی صحة ما أثبتنا تتمة الجملة، و المخطوطة هنا ناقصة بعض الأوراق.
(2) سورة النمل آية: 4.
التبيان فی تفسير القرآن، ج2، ص: 69
و روی عن أبی جعفر (ع) أنه قال: هو الرجل يکتسب المال، و لا يعمل فيه خيراً، فيرثه من يعمل فيه عملا صالحاً، فيری الأول ما کسبه حسرة فی ميزان غيره.
فان قيل: لو جاز أن تضاف الأعمال التی رغبوا فيها، و لم يفعلوها بأنها أعمالهم لجاز أن يقال: الجنة دارهم و حور العين أزواجهم لأنهم عرضوا لها! قلنا لا يجب ذلک، لأنا إنما حملنا علی ذلک للضرورة. و لو سمی اللّه تعالی الجنة بأنها دارهم لتأولنا ذلک، و لکن لم يثبت ذلک، فلا يقاس علی غيره.
الثالث- الثواب فان اللّه تعالی يريهم مقادير الثواب التی عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليه- لم فرطوا فيه- و القول الأول قول الربيع، و ابن زيد، و اختيار الجبائی، و أحد قولی البلخی. و الثانی قول عبد اللّه، و السدی، و أحد قولی البلخی. و هو کما تقول الإنسان أقبل علی عملک و أعقدت عليه عملا قلت فی عملک، و الذی أقوله: ان الکلام يحتمل أمرين: فلا ينبغی أن يقطع علی واحد منهما إلا بدليل إلا ان الاول أقوی، لأنه الحقيقة. و اللّه أعلم بمراده.

و الحسرات: جمع الحسرة، و هى أشد من الندامة. و الفرق بينهما و بين الارادة ان الحسرة تتعلق بالماضى خاصة، و الارادة تتعلق بالمستقبل، لان الحسرة انما هى على ما فات بوقوعه أو يتقضى وقته. و انما حركت السين، لأنه اسم على فعلة أوسطه ليس من حروف العلة، و لو كان صفة لقلت: صعبات فلم يحرک، و كذلک جوزات و بيضات. و إنما حرک الاسم، لأنه على خلاف الجمع السالم، إذ كان كان انما يستحقه ما يعقل.
و الحسرة و الندامة نظائر، و هى نقيض الغبطة. و تقول: حسرت العمامة عن رأسى إذا كشفتها. و حسر عن ذراعيه حسراً، و انحسر انحساراً، و حسره تحسيراً.
و الحاسر فى الحرب الذى لا درع عليه، و لا مغفر. و حسر يحسر حسرة و حسراً:
إذا كمد على الشىء الفائت «1»، و تلهف عليه. و حسرت الناقة حسوراً: إذا أعيت.

_____

(1) فى المطبوعة (إذا كمل على الشىء الغائب) و هو تحريف.

و حسر البصر إذا كلّ عن البصر: و المحسرة: المكنسة. و الطير يتحسر: إذا خرج من ريشه العتيق الى الحديث. و أصل الباب الحسر: الكشف.
و فى الآية دلالة على انه كان فيهم قدرة على البراءة منهم، لأنهم لو لم يكونوا قادرين لم يجز أن يتحسروا على ما فات، كما لا يتحسر الإنسان لم لم يصعد الى السماء، و لا من كونه فى الأرض.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 168] ..... ص : 70

اشارة

يا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168)
آية بلا خلاف.

قرأ نافع، و أبو عمر، و حمزة، و خلف، و أبو بكر إلا البرجمى، و البزى إلا ابن مرج و الربيبى إلا الولى (خطوات) بسكون الطاء حيث وقع. الباقون بضمها.

الأكل: هو البلع عن مضغ، و بلع الحصا ليس بأكل فى الحقيقة، و قد قيل: النعام يأكل الخمر، فأجروه مجرى فلان يأكل الطعام. و يقال: مضغه و لم يأكله.
و الحلال: هو الجائز من أفعال العباد، مأخوذ من أنه طلق، لم يعقد بحظر. و المباح هو الحلال بعينه، و ليس كل حسن حلالا، لأن أفعاله تعالى حسنة و لا يقال: انها حلال، إذ الحلال اطلاق فى الفعل لمن يجوز عليه المنع. و تقول: حل يحل حلالا، و حلّ يحل حلولا، و حل العقد حلا، و أحله إحلالا، و استحلّ استحلالا، و تحلل تحللا، و احتل احتلالا، و تحالوا تحالا، و حاله محالة، و حلله تحليلا، و انحل انحلالا، و حل العقد يحله حلا، و كل جامد أذبته فقد حللته، و حل بالمكان إذا نزل به، و حل الدين محلا، و أحل من إحرامه و حل، و الحل: الحلال. و من قرأ (يحلل) معناه ينزل و من قرأ (يحل) معناه يجب، و حلت عليه العقوبة أى وجبت. و الحلال الجدى الذى يشق عن بطن التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 71
أمه، و تحلة اليمين، منه قول الشاعر: «1»
تحفى التراب بأضلاف ثمانية فى أربع مسهن الأرض تحليل «2»
أى هين. و الحليل، و الحليلة: الزوج و المرأة سميا بذلك، لأنهما يحلان فى موضع واحد. و الحلة: أزار، و رداء برد، و غيره. لا يقال حلة حتى يكون ثوبين.
و الإحليل مخرج اللبن من الضبى، و الفرس، و خلف الناقة، و غيرها، و هو مخرج البول من الذكر. و أصل الباب: الحل نقيض العقد، و منه أحل من إحرامه، لأنه حلّ عقد الإحرام بالخروج منه. و تحلة اليمين أخذ أقل القليل، لأن عقدة اليمين تنحل به.
و الطيب: هو الخالص من شائب ينغص، و هو على ثلاثة أقسام:
الطيب المستلذ، و الطيب الجائز، و الطيب الطاهر، كقوله تعالى: «فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً» «3» أى طاهراً. و الأصل واحد، و هو المستلذ إلا أنه يوصف به الطاهر، و الجائز تشبيهاً إذ ما يزجر عنه العقل أو الشرع، كالذى تكرهه النفس فى الصرف عنه، و ما تدعو اليه بخلاف ذلك. و تقول: طاب طيباً، و استطاب استطابة، و طايبه مطايبة، و تطيب تطيباً، و تطيبه تطييباً، و الطيب: الحلال و النضيف، و الطهور، من الطيب. و أصل الباب: الطيب خلاف الخبيث.
و الخطوة: بعد ما بين قدمى الماشى. و الخطوة المرة من الخطو: و هو نقل قدم الماشى. و تقول: خُطوة، و خَطوة واحدة. و الاسم: الخطوة، و جمعها خطىً، و قوله تعالى: «وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ» أى لا تتبعوا

آثاره و لا تقتدوا به.
و أصل الباب الخطو: نقل القدم قدماً. و العدو: المباعد عن الخير الى الشر. و الولى نقيضه.

---

(1) هو عبدة بن الطبيب. [.....]
(2) اللسان (حلل) فى المطبوعة (خفى) بدل (تحفى) و الأصلاب بدل (الاضلاف)
(3) سورة النساء آية: 42، و سورة المائدة آية: 7.

و إنما قال: «حَلالًا طَيِّباً» فجمع الوصفين، لاختلاف الفائدتين: إذ وصفه بأنه حلال يفيد بأنه طلق. و وصفه بانه طيب مفيد أنه مستلذ إما فى العاجل و إما فى الآجل. و «خُطُواتِ الشَّيْطانِ» هاهنا قيل فيه خمسة أقوال: فقال ابن عباس:
أعماله. و قال مجاهد، و قتادة: خطاياه، و قال السدى: طاعتكم إياه. و قال الخليل:
إيثاره. و قال قوم: هى النذور فى المعاصى. و قال الجبائى: ما يتخطى بكم اليه بالأمر و الترغيب. و روى أن هذه الآية نزلت، لما حرم أهل الجاهلية من ثقيف، و خزاعة، و بنى مدلج من الانعام، و الحرث: البحيرة و السائبة و الوصيلة، فنهى اللّه تعالى عما كانوا يفعلونه، و أمر المؤمنين بخلافه. و الاذن فى الحلال يدل على حظر الحرام على اختلاف ضرور به، و أنواعه، فحملها على العموم أولى. و المآكل، و المنافع فى الأصل للناس فيها ثلاثة أقوال: فقال قوم: هى على الحظر. و قال آخرون:
هى على الاباحة. و قال قوم: هى على الوقف. و حكى الرمانى: أن فيهم من قال:
بعضها على الحظر، و بعضها على الاباحة. و قد بينا ما عندنا فى ذلک فى أصول الفقه إلا أن هذه الآية دالة على إباحة المآكل إلا ما دل الدليل على حظره. «1» و قوله:
«إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» فى وصف الشيطان معناه أنه مظهر العداوة بما يدعوا اليه من خلاف الطاعة للّه التى فيها النجاة من الهلاک، و الفوز بالجنة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 169] ..... ص : 72

اشارة

إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (169) آية واحدة بلا خلاف.

الأمر من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل، فأما الأمر فى اللغة، فهو قول

---

(1) كل لفظة حظر فى الاسطر المتقدمة فإنها فى المطبوعة (خطر). و المخطوطة ناقصة فى هذا الموضع. و الصحيح ما ثبتناه لمقابلته بالحلال.

القائل لمن هو دونه: افعل. و إذا كان فوقه سمى ذلک دعاء، و مسألة. و هل يقتضى الأمر الإيجاب، أو الندب، ذكرناه فى أصول الفقه، فلا نطول بذكره هاهنا.

و السوء: كل فعل قبيح يزجر عنه العقل أو الشرع، و يسمى ما تنفر عنه النفس سوء، تقول: ساءنى كذا يسوءنى سوء. و قيل إنما سمى القبيح سوء، لسوء عاقبته، لأنه يلتذ به فى العاجل، و لا يخلو المكلف من الزجر عن القبيح إما عقلا، أو شرعاً، و لو خلا منه لكان معرّى بالقبيح، و ذلک لا يجوز.

و السوء فى الآية قيل فيه قولان: قال السدى: هو المعاصى. و قال غيره: ما يسوء الفاعل: يعنى ما يضره. و المعنى قريب من الأول، و الأول هو الصحيح.

و الفحشاء: هو العظيم القبح فى الفعل، و كذلک الفاحشة. و قيل المراد به: الزنا من الفجور، عن السدى. و الفحشاء: مصدر فحش فحشاً، كقولک: ضره ضراً و سره سرّاء و سرّا. و الفحشاء، و الفاحشة، و القبيحة، و السيئة نظائر، و نقيضها الحسنة.

تقول: فحش فحشاً، و أفحش إفحاشاً، و تفاحش تفاحشاً، و فحش تفحيشاً، و استفحش استفحاشاً، و كل من تجاوز قدره فهو فاحش. و أفحش الرجل: إذا قال فحشاً، و كل شىء لم يكن موافقاً للحق، فهو فاحشة. قال اللّه تعالى: «إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» «1» يعنى بذلک خروجها من بيتها بغير إذن زوجها المطلّق لها. و قال تعالى «وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ» «2» و القول: كلام له عبارة تنبئ عن الحكاية، و ذلک ككلام زيد، يمكن أن يأتى عمرو بعبارة عنه تنبئ عن الحكاية له فيقول: قال زيد كذا و كذا، فيكون قوله: قال زيد، يؤذن أنه يحكى بعده كلام، و ليس كذلک إذا قال: تكلم زيد لأنه لا يؤذن بالحكاية.

و العلم: ما اقتضى سكون النفس. و قيل: هو تبين الشىء على ما هو به للمدرک له.

---

(1) سورة الطلاق آية: 1.

(2) سورة النحل آية: 90.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 74

فان قيل: كيف يأمرنا الشيطان و نحن لا نراه، و لا نسمع كلامه! قلنا: لما كان الواحد منا يجد من نفسه معنى الأمر بما يجد من الدعاء الى المعصية، و المنازعة فى الخطيئة، و كان ما نجده من نفوسنا من الدعاء، و الإغواء إنما هو بأمر الشيطان الذى دلنا اللّه عليه، و حذرنا منه، صحّ إخبار اللّه بذلک. فان قيل: إذا كان اللّه عز و جل يوصل معنى أمره لنا الى نفوسنا، فما وجه ذلک فى الحكمة، و هو لو أمر من غير إيصال معنى الأمر لم يكن فى ذلک مضرة؟ قلنا. فى ذلک أكبر النعمة لأن التكليف لا يصح إلا مع منازعة الى الشىء المنهى عنه، فكان ذلک من قبل عدوّ، يحذره، أولى من أن يكون المنازعة من قبل ولى يستنصحه. و فى ذلک المصلحة لنا بالتعريض للثواب الذى يستحقه بالمخالفة له، و الطاعة للّه تعالى، كما أن فى خلقه مصلحة من هذه الجهة، و إذا كان إنما أفهمنا ذلک لنجتنبه، فهو كتعليم شبهة ملحد، لنعلم حلها.

و فى الآية دلالة على بطلان قول من قال: إن المعارف ضرورة، لأنها لو كانت ضرورة، لما جاز أن يدعوهم الى خلافها، كما لا يدعوهم الى خلاف ما هم مضطرون اليه من أن السماء فوقهم، و الأرض تحتهم، و ما جرى مجراه مما يعلم ضرورة لأن الدعاء الى ذلک يجرى مجرى الدعاء الى خلق الأجسام، و بعث الأموات، لا يدخل تحت مقدور القدرة. و قد استدل نفّاة القياس، و القول بالاجتهاد بهذه الآية بأن قالوا: القول بالاجتهاد و القياس قول بغير علم، و قد نهى اللّه عن ذلک فيجب أن يكون ذلک محظوراً، و مذهبنا و إن كان المنع من القول بالاجتهاد، فليس فى هذه الآية دلالة على ذلک، لأن للخصم أن يقول: إذا دلنى اللّه تعالى على العمل بالاجتهاد، فلا أعمل أنا به إلا بالعلم، و يجرى ذلک مجرى وجوب العمل عند شهادة الشاهدين، و العمل بقول المقومين فى أروش الجنايات، و قيم المتلفات، و جهات القبلة، و غير ذلک من الأشياء التى هى واقعة على الظن شرط، و العمل واقف على الدليل الموجب للعلم التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 75

عنده، فلا يكون فى الآية دلالة على ذلک. و قد بينا ما نعتمده فى بطلان القول بالاجتهاد و الرأى- فى أصول الفقه- فلا وجه لذكره هاهنا.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 170] ..... ص : 75

اشارة

وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ (170)
آية واحدة بلا خلاف.
ألفينا، و صادفنا، و وجدنا بمعنى واحد، و الأب، و الوالد واحد.

و قوله تعالى: «أَ وَ لَوْ كانَ» هى واو العطف، دخلت عليها حرف الاستفهام، و المراد بها التوبيخ و التقريع، فهى ألف التوبيخ. و مثل هذه الألف «1» «أَ ثُمَّ إِذا ما وَقَعَ» «2» و «أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ» «3». و انما جعلت ألف الاستفهام للتوبيخ، لأنه يقتضى ما الإقرار به فضيحة عليه، كما يقتضى الاستفهام الاخبار، مما يحتاج اليه.

و المعنى: إنهم يقولون، هذا القول «وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ». و الفرق بين دخول الواو، و سقوطها فى مثل هذا الكلام، أنک إذا قلت: اتبعه و لو ضرک، فمعناه اتبعه على كل حال و لو ضرک، و ليس كذلک إذا قال:
اتبعه لو ضرک، لأن هذا خاص، و الأول عام، فإنما دخلت الواو لهذا المعنى.

---

(1) فى المطبوعة (الواو).
(2) سورة يونس آية: 51.
(3) سورة يوسف آية: 109، و سورة الحج آية: 46، و سورة المؤمن آية: 82، و سورة محمد آية: 10.

و معنى قوله: «لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ» يحتمل شيئين:
أحدهما- لا يعقلون شيئاً من الدين و لا يهتدون إليه.
و الثانى- على الشتم و الذم، كما يقال: هو أعمى إذا كان لا يبصر طريق الحق- على الذم- هذا قول البلخى. و الأول قول الجبائى.
و فى الآية دلالة على بطلان قول أصحاب المعارف، لأنها دلت على أنهم كانوا على ضلال فى الاعتقاد.
و الضمير فى قوله: «هم» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها- انه يعود على (من) فى قوله: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْداداً».
و الثانى- انه يعود على (الناس) من «يا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّباً» فعدل عن المخاطبة الى الغيبة، كما قال تعالى: «حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ». «1»
الثالث- انه يعود على الكفار، إذ جرى ذكرهم، و يصلح أن يعود اليهم و إن لم يجر ذكرهم، لأن الضمير يعود على المعلوم، كما يعود على المذكور، و
قال ابن عباس: إن النبى (ص) دعا اليهود من أهل الكتاب الى الإسلام، فقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم و خيراً منّا، فأنزل اللّه عز و جل «وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ» الآية.
و «أَلْفَيْنا» فى الآية معناه وجدنا- فى قول قتادة- قال الشاعر: «2»
فألفيته غير مستعتب و لا ذاكر اللّه إلا قليلا «3»

---

(1) سورة يونس آية: 22.
(2) هو أبو الأسود الدؤلى.

(3) ديوانه: 49، و الأغانى 11 107، و شرح شواهد المغنى: 316، و اللسان (عتب) و هو من أبيات قالها فى امرأة كان يجلس اليها بالبصرة، فقالت له: هل لک أن تتزوجنى، فانى امرأة صناع الكف، حسنة التدبير قانعة بالميسور، فتزوجها ثم وجدها على خلاف ما قالت، فخانته و أسرعت فى ماله، و أفشت سره، فردها الى أهلها، و أنشد الأبيات، فقالوا: بلى و اللَّه يا أبا الأسود، فقال: هذه صاحبتكم، و انى أحب أن أستر ما أنكرت من أمرها، ثم سلمها اليهم.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 77
و الاتباع: طلب الاتفاق فى المقال أو الفعال. أما فى المقال، فإذا دعا الى شىء استجيب له. و أما فى الفعال، فإذا فعل شيئاً، فعلت مثله.
و العقل مجموعة علوم بها يتمكن من الاستدلال بالشاهد على الغائب. و قال قوم: هو قوة فى النفس يمكن بها ذلک. و الاهتداء الاصابة لطريق الحق بالعلم.
و فى الآية حجة عليهم من حيث أنهم إذا جاز لهم أن يتبعوا آباءهم فيما لا يدرون أحق هو أم باطل، فلم لا يجوز اتباعهم مع العلم بأنهم مبطلون. و هذا فى غاية البطلان.
و فيها دلالة على فساد التقليد، لأن اللَّه تعالى ذمهم على تقليد آبائهم، و وبخهم على ذلک. و لو جاز التقليد لم يتوجه إليهم توبيخ، و لا لوم، و الأمر بخلافه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 171] ..... ص : 77

اشارة

وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعاءً وَ نِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ (171)
آية بلا خلاف.

التشبيه فى هذه الآية يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل:
أحدها- و هو أحسنها و أقربها الى الفهم، و أكثرها فى باب الفائدة- ما قاله أكثر المفسرين كابن عباس، و الحسن، و مجاهد، و قتادة، و الربيع، و اختاره الزجاج، و الفراء، و الطبرى، و الجبائى، و الرمانى.
و هو المروى عن أبى جعفر (ع) إن مثل الذين كفروا فى دعائک إياهم، «كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ» أى الناعق فى دعائه.
المنعوق به من البهائم التى لا تفهم كالإبل، و البقر، و الغنم، لأنها لا تعقل ما يقال لها، و انما تسمع الصوت. و الحذف فى مثل هذا حسن. كقولک لمن هو سىء الفهم:
أنت كالحمار، و زيد كالأسد: أى فى الشجاعة، لأن المعنى فى أحد الشيئين أظهر، فيشبه بالآخر ليظهر بظهوره، و هذا باب حسن البيان.
الثانى- حكاه البلخى، و غيره: إن مثل الذين كفروا فى دعائهم آلهتهم من
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 78
الأوثان كمثل الناعق فى دعائه ما لا يسمع، بتعالى، و ما جرى مجراه من الكلام، و ذلک أنّ البهائم لا تفهم الكلام، و إن سمعت النداء، و الدعاء، و أقصى أحوال الأصنام أن تكون كالبهائم فى أنها لا تفهم، فإذا كان لا يشكل عليهم أن من دعا البهائم بما ذكرناه جاهل، فهم فى دعائهم الحجارة أولى بالجهل و صفة الذم.
الثالث- قال ابن زيد: إن مثل الذين كفروا فى دعائهم آلتهم كمثل الناعق فى دعائه الصدى فى الجبل، و ما أشبهه، لأنه لا يسمع منه إلا دعاء و نداء، لأنه إذا قال: يا زيد، سمع من الصدى يا زيد، فيتخيل اليه أن مجيباً أجابه، و ليس هناک شىء، فيقول: يا زيد، و ليس فيه فائدة، فكذلک يخيل الى المشركين أن دعاءهم للأصنام يستجاب، و ليس لذلک حقيقة، و لا فائدة، و إنما رجحنا الوجه الأول، لما بيناه من حسن الكلام، و لأنه مطابق للسبب الذى قيل: إنها نزلت فى اليهود، فإنهم لم يكونوا يعبدون الأصنام، و لا يليق بهم الوجه الثانى، فإذا ثبت ذلک، ففيه ثلاثة أوجه من الحذف:
أولها- «وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا» فى دعائک لهم كمثل الناعق فى دعائه المنعوق به. و الثانى- «وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا» فى دعائهم الأوثان كمثل الناعق فى دعائه الأنعام. الثالث- مثل وعظ الذين كفروا كمثل نعق الناعق بما لا يسمع، و هذا من باب حذف المضاف، و إقامة المضاف اليه مقامه كقول الشاعر: «1»
و قد خفت حتى ما تزيد مخافتى على وعل فى ذى المطارة عاقل «2»
و التقدير على مخافة وعل. فان قيل: كيف قوبل الذين كفروا- و هم

المنعوق به- بالناعق، و لما تقابل المنعوق به بالمنعوق به- فى ترتيب الكلام- أو الناعق بالناعق؟ قيل للدلالة على تضمين الكلام تشبيه اثنين باثنين: الداعى للايمان للمدعو

---

(1) هو نابغة بنى ذبيان.
(2) ديوانه: 90، و اللسان (خوف)، و مجاز القرآن: 65، و أمالى الشريف المرتضى 1: 202، 216. الوعل: تيس الجبل يتحصن بوزره من الصياد. (ذى المطار)- بفتح الميم-: اسم جبل. و عاقل: قد عقل فى رأس الجبل. فى المطبوعة (لقد) بدل (و قد) و رواية اللسان (بذى) بدل (فى ذى).

من الكفار بالداعى الى المراد للمدعوّ من الانعام، فلما أريد الإيجاز أبقى ما يدل على ما ألقى، فأبقى فى الأول ذكر المدعو، و فى الثانى ذكر الداعى، و لو رتب على ما قال السائل، لبطل هذا المعنى. و زعم أبو عبيدة، و الفراء: أنه يجرى مجرى المقلوب الذى يوضع فيه كلمة مكان كلمة، كأنه وضع الناعق مكان المنعوق به، و أنشد:

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم «1»

و المعنى كما كان الرجم فريضة الزناء، و كما يقال: أدخلت القلنسوة فى رأسى، و إنما هو أدخلت رأسى فى القلنسوة قال الشاعر:

إنّ سراجا لكريم مفخره تحلى به العين إذا ما تجهره «2»

و المعنى يحلى بالعين، فجعله تحلى به العين. و الأقوى أن يكون الأمر على ما بيناه من المعنى الذى دعا الى الخلاف فى الحذف، ليدل بما بقى على ما ألقى.

قال صاحب العين: نعق الراعى بالغنم ينعق نعيقاً إذا صاح بها زجراً، و نعق الغراب نعاقاً و نعيقاً إذا صاح. و الناعقان كوكبان من كواكب الجوزاء: رجلها اليسرى و منكبها الأيمن، و هو الذى يسمى الهنعة، و هما أضوء كوكبين فى الجوزاء.
و أصل الباب الصياح، و النداء: مصدر نادى مناداة، و نداء، و تنادوا تنادياً، و ندى تندية، و تندى تندّياً. و النداء، و الدعاء، و السؤال نظائر، قال صاحب العين:
الندى له وجوه من المعنى: ندى الماء، و ندى الخير، و ندى الشر، و ندى الصوت، و ندى الخصر. فأما ندى الماء، فمنه ندى المطر، أصابه ندى من طلّ، و يوم ندى، فأرض ندية. و المصدر منه الندوة،، و الندى ما أصابه من البلل، و ندى الخير هو المعروف، تقول: أندى علينا فلان ندى كثيراً، و إن يده لندية بالمعروف، و ندى

---

(1) البيت للنابغة الجعدى. اللسان (زنا)، و أمالى الشريف المرتضى 1: 216، و معانى القرآن للفراء 1: 99، 131. [.....]
(2) اللسان (حلا). و أمالى الشريف المرتضى 1: 216. فى المطبوعة (لجلاله) بدل (تحلا به). تجهره: تنظر اليه نظرة إعجاب و تقدير.

الصوت: بعد مذهبه، و ندى الخصر: صحة جريه، و اشتق النداء فى الصوت من ندى ناداه أى دعاه بأرفع صوته: ناداه به. و الندوة الاجتماع فى النادى، و هو المجلس، ندى القوم يندون ندواً إذا اجتمعوا، و منه دار الندوة، و أصل الباب الندى: البلل، و ندى الجود كندى الغيث.

و معنى «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ» أى صم عن استماع الحجة، بكم عن التكلم بها، عمى عن الأبصار لها، و هو قول ابن عباس و قتادة و السدى.
و الأعمى:
من فى بصره آفة تمنعه من الرؤية. و الأصم: من كان فى آلة سمعه آفة تمنعه من السمع. و الأبكم: من كان فى لسانه آفة تمنعه من الكلام. و قيل: إنه يولد كذلك، و الخرس قد يكون لعرض يتجدد.
و أجاز الفراء النصب فى «صم» على الذم، و الأجود الرفع على ما عليه القراء، و تقديره هم صم.
و فيها دلالة على بطلان قول من زعم: أنهم لا يستطيعون سمعاً على الحقيقة، لأنه لا خلاف أنهم لم يكونوا صماً لم يسمعوا الأصوات، و انما هو كما قال الشاعر:
أصمّ عما ساءه سميع «1»
و فيها دلالة على بطلان قول من قال: إن المعرفة ضرورة، لأنهم لو كانوا عالمين ضرورة لما استحقوا هذه الصفة.
و قال عطا: نزلت هذه الآية فى اليهود، و معنى ينعق يصوت قال الأخطل:
فالعق بضأنک يا جرير فإنما منّتک نفسک فى الخلاء ضلالا «2»
و الدعاء: طلب الفعل من المدعو، و الأولى أن يعتبر فيه الرتبة، و هو أن

---

(1) اللسان (صمم)، (سمع).
(2) ديوانه: 50، و نقائض جرير و الأخطل: 81، و اللسان (نعق) و طبقات فحول الشعراء 429، و مجاز القرآن: 64، يقول: انما أنت راعى غنم و ليس لک حظ فى هذا الأمر الذى منتک نفسک به، فارجع الى غنمک، فأمرها و أنهاها، و اترک الحرب، و إنشاد الشعر.

يكون فوق الداعى. و السمع: إدراک الصوت. و المثل: قول سائر يدل على أن سبيل الثانى سبيل الاول.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 172] ..... ص : 81

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172)
آية بلا خلاف.

هذا الخطاب يتوجه الى جميع المؤمنين، و قد بينا أن المؤمن هو المصدق بما وجب عليه، و يدخل فيه الفساق بأفعال الجوارح، و غيرها، لأن الايمان لا ينفى الفسق- عندنا-. و عند المعتزلة: إنه خطاب لمجتنبى الكبائر، و إنما يدخل فيه الفساق على طريق التبع، و التغليب، كما يغلب المذكر على المؤنث فى قولك: الإماء و العبيد جاوزنى، و قد بينا فيما تقدم أن أفعال الجوارح لا تسمى إيماناً- عند أكثر المرجئة، و أكثر أصحابنا- و إن بعضهم يسمى ذلک إيماناً، لما رووه عن الرضا (ع). و إيمان مأخوذ من أمان العقاب- عند من قال: إنه تناول مجتنبى الكبائر- و عند الآخرين من أمان الخطأ، فى الاعتقاد الواجب عليه. و فى المخالفين من يجعل الطاعات الواجبات، و النوافل من الايمان. و فيهم من يجعل الواجبات فقط إيماناً، و يسمى النوافل إيماناً مجازا.

و قوله «كلوا» ظاهره ظاهر الأمر، و المراد به الاباحة، و التخيير، لأن الأكل ليس بواجب إلا أنه متى أراد الأكل، فلا يجوز أن يأكل إلا من الحلال الطيب، و متى كان الوقت وقت الحاجة فانه محمول على ظاهره فى باب الأمر: سواء قلنا: إنه يقتضى الإيجاب أو الندب.

و فى الآية دلالة على النهى عن أكل الخبيث- فى قول البلخى، و غيره- كأنه قيل: كلوا من الطيب دون الخبيث، كما لو قال: كلوا من الحلال، لكان ذلک التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 82

دالّا على حظر الحرام- و هذا صحيح فيما له ضدّ قبيح مفهوم. فأمّا غير ذلک، فلا يدل على قبح ضدّه، لأن قول القائل، كل من زيد، لا يدل على أن المراد تحريم ما عداه، لأنه قد يكون الغرض البيان لهذا خاصه، و الآخر موقوف على بيان آخر، و ليس كذلک ما ضدّه قبيح، لأنه قد يكون من البيان تقبيح ضده.

و الطيبات قدمنا معناها فيما تقدم، و أن المراد بذلک الخالص من شائب ينغص، و إن كان لا يخلو شىء من شائب، لكنه لا يعتد به فى الوصف بأنه حلال طيب، و لو كان فى الطعام ما ينغصه لجاز وصفه بأنه ليس بطيب.

و الرزق قد بينا فيما مضى: أنه ما للحى الانتفاع به على وجه لا يكون لأحد منعه منه.

و قوله: «وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ» فالشكر: هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم، و يكون ذلک عن وجهين: «1» أحدهما- الاعتراف بالنعمة- متى ذكرها- للمنعم بالاعتقاد لها.

الثانى- الطاعة بحسب جلالة النعمة، فالأول لازم فى كل حال من أحوال الذكر، و الثانى إنما يلزم فى الحال التى يحتاج فيها الى القيام بالحق، و

اقتضى ذكر الشكر هاهنا ما تقدم ذكره من الانعام فى جعل الطيب من الرزق، للانتفاع، و استدفاع المضار، و ذكر الشرط هاهنا إنما هو وجه المظاهرة فى الحجاج و لما فيه من حسن البيان دون أن يكون ذلک شرطاً فى وجوب الشكر، و تلخيص الكلام إن كانت العبادة للّه واجبة عليكم بأنه إلهكم، فالشكر له واجب عليكم بأنه محسن إليكم.
و أما العبادة، فهى ضرب من الشكر، لأنها غاية ليس وراءها شكر، و يقترن به ضرب من الخضوع. و لا يستحق العبادة إلا اللّه، لأنها تستحق بأصول النعم من الحياة، و القدرة، و الشهوة، و النفاد، و أنواع المنافع، و بقدر من النفع لا يواريه

---

(1) فى المطبوعة هنا تكرير الوجه الاول كله. و الظاهر أنه تسطير من الناسخ و انما حذفناه لعدم وجوده فى المخطوطة و لا فى مجمع البيان. لأن مجمع البيان ناقل المطلب بحذافيره، و لم يكرر.

نعمة منعم، فلذلک اختص اللّه تعالى باستحقاقها.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 173] ..... ص : 83

اشارة

إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (173)
آية بلا خلاف.

قرأ نافع و ابن عامر، و ابن كثير، و الكسائى- بضم نون- «فَمَنِ اضْطُرَّ» الباقون بكسرها.

لفظة إنما تفيد إثبات الشيء، و نفى ما سواه كقول الشاعر:
و إنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى «1»
و معناه لا يدافع غيرى، و غير من هو مثلى، و هو قول الزجاج، و الفراء، و الرمانى، و الطبرى، و أكثر أهل التأويل. و إنما كانت لاثبات الشيء، و نفي ما سواه، من قبل أنها لما كانت (إن) للتأكيد، ثم ضم إليها (ما) للتأكيد ايضاً، أكدت (إن) من جهة التحقيق للشىء، و أكدت (ما) من جهة نفى ما عداه، فكأنک إذا قلت: إنى بشر، فالمعنى أنا بشر على الحقيقة، فإذا قلت: إنما أنا بشر، فقد ضممت إلى هذا القول ما أنا إلا بشر.
و تقدير قوله تعالى: «إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ» ما حرم عليكم إلا الميتة. و لو كانت (ما) بمعنى الذى، لكتبت مفصولة «2»، و مثله قوله تعالى:

---

(1) قائله الفرزدق، تلخيص المفتاح أو مختصر المعانى للتفتازانى (باب القصر) و هو:
أنا الذائد الحامى الديار و انما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى
(2) فى المطبوعة (مفعوله).

«إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ» «1» أى لا إله إلا واحد، و مثله «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ» «2» أى لا نذير إلا أنت «3» و مثله إنما ضربت أخاک أى ما ضربت إلا أخاک.
فإذا ثبت ذلک، فلا يجوز فى الميتة إلا النصب، لأن (ما) كافة «4» و معناه تحريم الميتة، و تحليل المذكى، و لو كانت ما بمعنى الذى، لكان يجوز فى الميتة الرفع.
و الفرق بين الميت، و الميتة قيل فيه قولان:
أحدهما- قال أبو عمرو: ما كان قد مات، فهو بالتخفيف مثل «يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ» «5». و ما لم يمت بالتثقيل كقوله تعالى: «إِنَّکَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» «6». و وجه ذلک أن التثقيل لما كان هو الأصل كان أقوى على التصريف فى معنى الحاضر و المستقبل.
و [الثانى] قال قوم: المعنى واحد، و انما التخفيف لثقل الياء على الكسرة، قال الشاعر: «7»
ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء «8»
فجمع بين اللغتين:

---

(1) سورة النساء آية: 17.
(2) سورة الرعد آية: 8.

(3) هكذا فى النسخ كلها و فى مجمع البيان أيضاَ، و الصحيح (ما أنت الا منذر) و هو من باب قصر الموصوف على الصفة، و هو الذى يقتضيه المقام، و عبارة المتن من باب قصر الصفة على الموصوف.
(4) فى المطبوعة (كأنه) بدل (كافة، و معنى كافة: أى قد كفت ان) عن المعمل بالجملة التى بعدها، و إذا كانت (ان) مكفوفة تعين نصب (الميتة) ب (حرم)، و إذا كانت ان عاملة فى الجملة تكون (ما) اسم موصول بمعنى الذى، و هى اسم (ان)، و الميتة خبر (ان) فيتعين الرفع على هذا التقدير كما يتعين النصب على الأول.
(5) سورة الانعام آية: 95. و سورة يونس آية: 31 و سورة الروم آية: 19.
(6) سورة الزمر آية: 30.
(7) هو عدى بن الرعلاء.
(8) اللسان (ميت) و شرح شواهد المغنى: 138. و معجم الشعراء: 253. و غيرها كثير. [.....]

قوله: «وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال الربيع، و ابن زيد، و غيرهما من أهل التأويل: معناه ذكر غير اسم اللَّه عليه.
و الثانى- قال قتادة، و مجاهد: ما ذبح لغير اللَّه.

و الإهلال على الذبح: هو رفع الصوت بالتسمية، و كان المشركون يسمون الأوثان، و المسلمون يسمون اللّه. و يقال: انهل المطر انهلالا و هو شدة انصبابه، و تهلل السحاب ببرقه أى تلألأ، و تهلل وجهه إذا تلألأ، و تهلل الرجل فرحاً، و الهلال غرة القمر، لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته بالتكبير، و المحرم يتهلل بالإحرام، و هو أن يرفع صوته بالتلبية، و يهلل الرجل: يكبر إذا نظر الى الهلال.
و هلل البعير تهليلا إذا تقوس كتقوس الهلال، و سمى به الذكر، لأن الهلال ذكر.
و ثوب هل أى رقيق مشبه بالهلال فى رقته. و التهليل: الفزع، و استهل الصبى إذا بكى حين يولد. و الهلال: الحية الذكر، لأنه يتقوس، و سمى به الذكر، لأن الهلال ذكر.
«فَمَنِ اضْطُرَّ» من كسر النون فلالتقاء الساكنين، و من ضمها أتبع الضمة الضمة فى الطاء. و قرأ أبو جعفر بكسر الطاء.
و الاضطرار: كل فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه، و ذلک كالجوع الذى يحدث للإنسان، و لا يمكنه الامتناع منه. و الفرق بين الاضطرار، و الإلجاء أنّ الإلجاء تتوفر معه الدواعى الى الفعل من جهة الضر أو النفع، و ليس كذلک الاضطرار.
و أكثر المفسرين على أن المراد فى الآية المجاعة. و قال مجاهد: ضرورة إكراه. و الأولى أن يكون محمولا على العموم إلا ما خصه الدليل. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 86
«وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ» قال صاحب العين يقال: رجل لحم إذا كان أكول اللحم.
و بيت لحم: يكثر فيه اللحم. و ألحمت القوم إذا قتلتهم و صاروا لحماً. و الملحمة:
الحرب ذات القتل الشديد. و استلحم الطريق إذا اتسع. و اللحمة: قرابة النسب.
و اللحمة ما يسد به بين السديين من الثوب. و اللحام: ما يلحم به صدع ذهب أو فضة أو حديد حتى يلتحما، و يلتئما. و كل شىء كان متباينا ثم تلاءم، فقد التحم.
و شجة متلاحمة إذا بلغة اللحم. و أصل الباب اللزوم، فمنه اللحم للزومه بعضه بعضاً.

و قوله: «غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال: أولها- (غير باغ) اللذة «و لا عاد» سد الجوعة و هو قول الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الربيع، و ابن زيد. و الثانى- ما حكاه الزجاج «غير باغ» فى الافراط «و لا عاد» فى التقصير. و الثالث- «غير باغ» على إمام المسلمين «و لا عاد» بالمعصية طريق المحقين، و هو قول سعيد بن جبير، و مجاهد، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد اللّه (ع) قال الرمانى: و هذا القول لا يسوغ، لأنه تعالى لم يبح لأحد قتل نفسه بل حظر عليه ذلک، و التعريض للقتل قتل فى حكم الدين، و لأن الرخصة إنما كانت لأجل المجاعة المتلفة، لا لأجل الخروج فى طاعة، و فعل إباحة. و هذا الذى ذكره غير صحيح لأن من بغى على إمام عادل فأدى ذلک الى تلفه، فهو المعرّض نفسه للقتل، كما لو قتل فى المعركة، فانه المهلک لها، فلا يجوز لذلک استباحة ما حرّم اللّه، كما لا يجوز له أن يستبقى نفسه بقتل غيره من المسلمين، و ما قاله من أن الرخصة لمكان المجاعة، لا يسلم إطلاقه، بل يقال: إنما ذلک للمجاعة التى لم يكن هو المعرض نفسه لها، فأما إذا عرَّض نفسه لها، فلا يجوز له استباحة المحرم، كما قلنا فى قتل نفس الغير، ليدفع عن نفسه القتل. و أصل البغى: الطلب من قولهم: بغى الرجل حاجته يبغيها بغاً قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 87

لا يمنعنّک من بغا ء الخير تعقاد التمائم «1»

إن الأشائم كالأيا من و الأيامن كالأشائم «2»

و البغاء: طلب الزنا. و إنما اقتضى ذكر المغفرة هاهنا أحد أمرين:

أحدهما- النهى عما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه اللّه من السائبة، و الوصيلة، و الحام، فوعد اللّه بالمغفرة عند التوبة، و الانابة الى طاعة اللّه فيما أباحه أو حظره.

الثانى- إذا كان يغفر المعصية، فهو لا يؤاخذ بها، جعل فيه الرخصة، و لا يجوز أن يقع فى موضع غير (إلا) لأنها بمعنى النفى هاهنا، و لذلک عطف عليها ب (لا) لأنها فى موضع (لا). فأما (إلا) فمعناها فى الأصل الاختصاص لبعض من كل، و ليس هاهنا كل يصلح أن يحض منه. «غير باغ» منصوب على الحال و تقديره لا باغياً، و لا عادياً. و القدر المباح من الميتة عند الضرورة ما يمسک الرمق فقط- عندنا- و فيه خلاف ذكرناه فى خلاف الفقهاء.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 174] ..... ص : 87

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولئِکَ ما يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (174)
آية بلا خلاف.

المعنى بهذه الآية أهل الكتاب بإجماع المفسرين إلا أنها متوجهة- على قول كثير منهم- الى جماعة قليلة منهم، و هم علماؤهم الذين يجوز على مثلهم كتمان ما علموه، فأما الجمع الكثير منهم الذين لا يجوز على مثلهم ذلک لاختلاف «3» دواعيهم، فلا

---

(1) اللسان (عقد) فى المطبوعة (لا يمنعک) بدل (لا يمنعنک) و لم يستقم به الوزن.
(2) اللسان (شأم) و روايته (فإذا) بدل (ان).
(3) فى المطبوعة «لا خلاف».

يجوز. و الذى كتموه قيل فيه قولان:
قال أكثر المفسرين: إنهم كتموا أمر النبى (ص) بأن حرفوه عن وجهه فى التأويل، هذا إذا حمل على الجماعة الكثيرة. و إن حمل على القليلة منهم، يجوز أن يكونوا كتموا نفس التنزيل ايضاً.
الثانى- قال الحسن: كتموا الأحكام، و أخذوا الرشا على الأحكام، و الكتاب على القول الأول: هو التوراة، و على الثانى يجوز أن يحمل على القرآن و سائر الكتب.
و قوله: «وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا» ليس المراد به أنهم إذا اشتروا به ثمناً كثيراً كان جائزاً. و إنما المقصد كلما يأخذونه فى مقابلته من حطام الدنيا، فهو قليل، كما قال «وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ» «1» و كما قال «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ» «2» و انما أراد أن قتل النبيين لا يكون إلا بغير حق، و إن من ادعى مع اللَّه إلها آخر لا يقوم له عليه برهان. و كما قال الشاعر:
على لا حب لا يهتدى بمناره
و المعنى لا لاحب هناک، فيهتدى به، لأنه لو كان، لاهتدى به.
و قوله تعالى «ما يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ» معناه على قول الربيع، و الحسن، و الجبائى، و أكثر المفسرين: الأجر الذى أخذوه على الكتمان، سمى بذلک، لأنه يؤديهم الى النار، كما قال فى أكل مال اليتيم ظلماً «إِنَّما يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ ناراً» «3» و قال بعضهم: إنما يأكلون فى جهنم ناراً جزاء على تلک الاعمال، و الأول أحسن. فان قيل إذا كان الأكل «4» لا يكون إلا فى البطن، فما معنى قوله «فِى بُطُونِهِمْ»؟ قلنا عنه جوابان:
أحدهما- ان العرب تقول: جعت فى غير بطنى و شبعت فى غير بطنى، إذا

---

(1) سورة آل عمران آية: 21.
(2) سورة المؤمنون آية: 117.
(3) فى المطبوعة (الاول).
(4) سورة النساء آية: 9.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 89
جاع من يجرى جوعه مجرى جوع نفسه، فذكر ذلک لإزالة اللبس.
و الثانى- انه لما استعمل المجاز بالإجراء على الرشوة اسم النار، حقق بذكر البطن، ليدل على أن النار تدخل أجوافهم.

و البطن: خلاف الظهر. و البطن: الغامض من الأرض. و البطن من العرب: دون القبيلة. و عرفت هذا الأمر ظاهره، و باطنه أى سرّه و علانيته. و رجل بطين:
عظيم البطن. و مبَّطن: خميص البطن. و فلان بطانتى دون إخوانى. أى الذى أبطنه أمرى. و استبطنت أمر فلان: إذا وقفت على دخلته. و يقال فى المثل: البطنة تذهب الفطنة، و بطن الشىء بطوناً إذا غمض. و البطان حزام الرّحل. و البطين: نجم و هو بطن الحمل. و أصل الباب البطون: خلاف الظهور.

و قوله تعالى: «وَ لا يُكَلِّمُهُمُ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- لا يكلمهم بما يحبون، و إنما هو دليل على الغضب عليهم، و ليس فيه دليل على أنه لا يكلمهم بما يسوءهم، لأنه قد دّل فى موضع آخر، فقال «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ» «1» و قال «رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ قالَ اخْسَؤُا فِيها وَ لا تُكَلِّمُونِ» «2» و هذا قول الحسن، و واصل، و أبى على.
الثانى- لا يكلمهم أصلا، فتحمل آيات المسائلة على أن الملائكة تسألهم بأمر اللّه و يتأول قوله «اخْسَؤُا فِيها وَ لا تُكَلِّمُونِ» على أن الحال دالة على ذلک.
و إنما دلّ نفى الكلام على الغضب- على الوجه الاول- من حيث أن الكلام وضع فى الأصل

---

(1) سورة الاعراف آية: 5.
(2) سورة المؤمنون آية: 108- 109.

للفائدة، فلما انتفى على جهة الحرمان للفائدة، دلّ على الغضب، و لا يدخل فى ذلک الكلام للغم و الإيلام.
و قوله: «وَ لا يُزَكِّيهِمْ» معناه لا يبنى عليهم، و لا يصفهم بأنهم أزكياء.
و يحتمل أن يكون المراد لا يتقبل أعمالهم تقبل أعمال الأزكياء.
و الاشتراء هو الاستبدال بالثمن العوض، فلما كانوا هؤلاء استبدلوا بذنبهم الثمن القليل، قيل فيهم: إنهم اشتروا به ثمناً قليلا. و الثمن هو العوض من العين، و الورق و القلة هو نقصان المقدار عن مقدار غيره، لأنه يقال: هو قليل بالاضافة الى ما هو أكثر منه، و كثير بالاضافة الى ما هو أقل منه.
و الكلام ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه الحروف المعقولة: إذا وقع ممن يصح منه أو من قبيله للافادة و قال الرمانى: الكلام ما كان من الحروف دالّا بتأليفه على معنى، قال و أصله من الآثار و هى كالعلامات الدالة، و الكلم أى الجراح.
و ما ذكرناه أولى، لأن هذا ينتقض بالمهمل من الكلام، فانه لا يفيد و هو كلام حقيقة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 175] ..... ص : 90

اشارة

أُولئِکَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى وَ الْعَذابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (175)
آية واحدة بلا خلاف.

معنى «اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى» استبدلوا، لأن أصل الشراء الاستبدال، و ليس يقع فى مثله إشكال، فأما قولهم: استبدل بالجارية غيرها، فلا يجوز أن يقال بدلًا منه: اشترى، لأنه يلتبس. و الضلالة التى اشتروها بالهدى: كفرهم بالنبى (ص) و جحدهم لنبوته استبدلوه بالايمان به، و هم و إن لم يقصدوا أن يضلوا بدلا من أن يهتدوا فقد قصدوا الكفر بالنبى (ص) بدلا من الايمان به، و ذلک ضلال التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 91
بدلا من هدى، فقد قصدوا الضلال بدلا من الهدى، و إن لم يقصدوه من وجه أنه ضلال. و لا يجوز أن يقول: قصدوا أن يضلوا. لأنه يوهم أنهم قصدوه من هذا الوجه، كما ينبئ علموا أنهم يضلون غير أنهم علموه من هذا الوجه، و يجوز قصدوا الضلال، و علموا الضلال، لأنه لا ينبئ على هذا الوجه و إنما علموه، و قصدوه من وجه آخر، و هو جحدهم محمداً (ص) بدلا من التصديق به.
و قوله تعالى «فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ» الفاء معناها معنى الجواب، لأن الكلام المتقدم قد تضمن معنى من كان بهذه الصفة، «فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ» فعومل معاملة المعنى الذى تضمنه حتى كأنه قد لفظ به. و العجب لا يجوز على القديم تعالى، لأنه عالم بجميع الأشياء، لا يخفى عليه شىء. و التعجب يكون مما لا يعرف سببه. و إنما الغرض- من الآية- أن يدلنا على أن الكفار حلوّ محل من يتعجب منه، فهو تعجيب لنا منهم. و قد قيل فى معنا (ما) فى قوله «فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ» قولان:
أحدهما- قال الحسن، و قتادة، و مجاهد: إنها للتعجب. و الثانى- قال ابن عباس، و ابن جريج، و ابن زيد و السدى: إنها للاستفهام. و قيل فى معنا «أصبرهم» أربعة أقوال:
أحدها- ما أجرأهم على النار، ذهب اليه الحسن و قتادة. و الثانى- قال مجاهد:
ما أعملهم بأعمال أهل النار. و هو المروى عن أبى عبد اللَّه (ع).
و الثالث- حكاه الزجاج: ما أبقاهم على النار، كما تقول: ما أصبره على الحبس. و الرابع- ذكره الفراء: ما صبرهم على النار أى حبسهم عليها. و قال الكسائى: هو استفهام على وجه التعجب. قال أبو العباس: المبرد: هذا حسن كأنه توبيخ لهم و تعجيب لنا، مثل قولک للذى وقع فى هلكة ما اضطرّک الى هذا، إذا كان غنياً عن التعرض للوقوع فى مثلها. يقال: أصبرت السبع، و الرجل، و نحوه إذا نصبته لما يكره.
و قال الحطيئة:
قلتُ لها أصبرُها جاهداً ويحک أمثال طريف قليل: «1»

(1) اللسان (صبر). الضمير فى أصبرها عائد على النفس، و كأنه يقول: احبس نفسک على الجهاد.

معناه ألزمها، و اضطرها. فأما التعجب، فمثل قوله «قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ»»
أى قد حلّ محل ما يتعجب منه. و قيل: ما أصبرک على كذا بمعنى ما أجرأک قال أبو عبيدة: هى لغة يمانية.
و اشتق أصبر بمعنى أجرأ من الصبر الذى هو حبس النفس، لأن بالجرأة يصبر على الشدة. فأما القول الآخر: فحبسوا أنفسهم على عمل أهل النار، بدوامهم عليه، و انهماكهم فيه. و حكى الكسائى عن قاضى اليمن عن بعض العرب، قال لخصمه:
ما أصبرک على اللّه أى على عذاب اللَّه تعالى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 176] ..... ص : 92

اشارة

ذلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ الَّذِینَ اخْتَلَفُوا فِی الْکِتابِ لَفِی شِقاقٍ بَعِیدٍ (176)
آیة واحدة.

ذلک رفع بالابتداء، أو بأنه خبر الابتداء و هو إشارة الى أحد ثلاثة أشياء:
أولها- قال الحسن: ذلک الحکم بالنار. الثانى- ذلک العذاب. الثالث- ذلک الضلال.
و فى تقدير خبر ذلک ثلاثة أقوال: [الاول]- قال الزجاج: ذلک الأمر، أو الأمر ذلک، فحذف لدلالة ما تقدم من الأمر بالحق. فکأنه قال: ذلک الحق.
و استغنى عن ذکر الحق لتقدم ذکره فى الکلام. الثانى- ذلک معلوم «بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ» فقد تقدم ذکر ما هو معلوم بالتنزيل، فحذف لدلالة الکلام عليه.
الثالث- ذلک العذاب لهم «بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ» و کفروا به، فتکون الباء فى موضع الخبر. و يحتمل ذلک أن يکون رفعاً على ما بينا. و يحتمل أن يکون نصباً على فعلنا ذلک، لأن فى الکلام ما يدل على (فعلنا).

---

(1) سورة عبس آية: 17.

و معنى الكتاب هاهنا قيل: إنه التوراة. و قال الجبائى: إنه القرآن، و غيره. و هو أعم فائدة.
و قال بعضهم: إن المراد بالأول التوراة، و بالثانى القرآن. و معنى الاختلاف هاهنا يحتمل أمرين:
أحدهما- قول الكفار فى القرآن. و منهم من قال: هو كلام السحرة. و منهم من قال: كلام يعلمه. و منهم من قال: كلام يقوله الثانى- اختلاف اليهود و النصارى فى التأويل، و التنزيل من التوراة، و الإنجيل، لأنهم حرفوا الكتاب، و كتموا صفة محمد النبى (ص) و جحدت اليهود الإنجيل و القرآن.
قوله تعالى: «لَفِى شِقاقٍ بَعِيدٍ» فيه قولان:
أحدهما- بعيد عن الالفة بالاجتماع على الصواب. الثانى- بعيد: من الشقاق، لشهادة كل واحد على صاحبه بالضلال. و كلاهما قد عدل عن السداد. و من ذهب الى أن المعنى ذلك العذاب «بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ» قدر فكفروا به، و جعله محذوفاً. و من ذهب الى أن المعنى: ذلك الحكم بدلالة «بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ» لم يجعله محذوفاً.
و المعنى بالذين اختلفوا على قول السدى: اليهود، و النصارى. و قال غيره: هم الكفار من عبدة الأوثان، و غيرهم من أهل الضلال. و هو الاولى، لأنه أعم.

و إنما كسرة (إن) الثانية لالحاق اللام الخبر، و هى لام الابتداء، فأخرت الى الخبر و كسرت معها (إن) لأنها للاستئناف ايضاً. فأما (أن) المفتوحة فاسم يعمل فيه عوامل الاعراب كما يعمل فى الأسماء. و إنما كسرت (إن) فى قوله تعالى: «وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَکَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ» «1» لا لالحاق اللام، و لكن

---

(1) سورة الفرقان آية: 20.

لدخول (إلا) على جملة مستأنفة فى التقدير. كأنه قيل: إلا هم يأكلون الطعام. و لو قلت ما ظننت إلا إنک لخارج لكسرت لأجل اللام.

و الاختلاف: الذهاب على جهة التفريق فى الجهات. و أصله من اختلاف الطريق.
تقول: اختلفنا الطريق، فجاء هذا من هاهنا، و جاء ذاک من هناک، ثم قيل فى الاختلاف فى المذاهب تشبيهاً فى الاختلاف فى الطريق من حيث أن كل واحد منهم على نقيض ما عليه الآخر من الاعتقاد. فأما الاختلاف فى الأجناس، فهو ما لا يسد واحد منهما مسد الآخر، فيما يرجع الى ذاته، كالسواد و البياض، و غيرهما.
و الشقاق: انحياز كل واحد عن شق صاحبه للعداوة له. و هو طلب كل واحد منهما ما يشقّ على الآخر، لأجل العداوة. و المشاقة مثله.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 177] ..... ص : 94

اشارة

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ الْكِتابِ وَ النَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقابِ وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكاةَ وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)
آية واحدة بلا خلاف.

قرأ حفص إلا هبيرة، و حمزة «ليس البرّ» بنصب الراء. الباقون برفعها.
و قرأ نافع، و ابن عامر «و لكن البرّ» بتخفيف النون، و رفع الراء.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 95

قيل: إن هذه الآية نزلت لما حولت القبلة، و كثر الخوض فى نسخ تلك الفريضة، صار كأنه لا يراعى بطاعة اللّه إلا التوجه للصلاة، فأنزل اللّه تعالى الآية، و بين فيها أن البرّ ما ذكره فيها، و دل على أن الصلاة إنما يحتاج إليها لما فيها من المصلحة الدينية، و إنه انما يأمر بها، لما فى علمه أنها تدعو الى الصلاح، و تصرف عن الفساد، و إن ذلک يختلف بحسب الأزمان، و الأوقات.

و قوله: «لَيْسَ الْبِرَّ» قيل فيه قولان: أحدهما- ذكره ابن عباس، و مجاهد: أنه «ليس البرّ» كله فى التوجه الى الصلاة بل حتى يضاف إلى ذلک غيره من الطاعات التى أمر اللَّه تعالى بها. و الثانى- قاله قتادة، و الربيع و اختاره الجبائى:
انه «ليس البرّ» ما عليه النصارى من التوجه الى المشرق، أو ما عليه اليهود من التوجه الى المغرب «وَ لكِنَّ الْبِرَّ» ما ذكره اللَّه تعالى فى الآية، و بينه. و قوله:
«وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أولها- «وَ لكِنَّ الْبِرَّ» بر «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» فحذف المضاف، و أقام المضاف اليه مقامه، و اختاره المبرد، لقوله «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا» و قال النابغة:
و قد خفت حتى ما تزيد مخافتى على وعلٍ فى ذى المطارة عاقل «1»
يعنى مخافة وعل. و قالت الخنساء:
ترتع ما غفلت حتى إذا ادّكرتْ فإنما هى إقبال و إدبار «2»
معناه انما هى مقبلة تارة، و مدبرة أخرى، فبالغ، فجعلها إقبالا و إدباراً،

---

(1) مر تخريجه فى 2: 78.
(2) اللسان (قبل) فى المطبوعة (غفت) بدل (غفلت) و فى مجمع البيان (ما رتعت).
الرتع: الأكل فى شره، و رتعت المواشى: أكلت ما شاءت و جاءت و ذهبت.
ادكرت: تذكرت. [.....]

و قال متمم: «1»
لعمرى! و ما دهرى بتأبين هالک و لا جزعاً مما أصاب فأوجعا «2»
معناه و لا ذى جزع.
الوجه الثانى- و لكن ذا البرّ من آمن باللَّه. الثالث- و لكن البارّ من آمن باللَّه، فجعل المصدر فى موضع اسم الفاعل. و قد بينا فى ما مضى حقيقة الايمان و الخلاف فيه، فلا معنى لإعادته.
و الضمير فى قوله: «عَلى حُبِّهِ» يحتمل أن يكون عائداً على حب المال، و يحتمل أن يكون عائداً على حب الإتيان، قال عبد اللَّه بن مسعود: على حب المال، لأنه يأمل العيش و يخشى الفقر. و أما على حب الإتيان، فوجهه ألّا تدفعه و أنت متسخط عليه كاره. و يحتمل وجهاً ثالثاً: و هو أن يكون الضمير عائداً على اللَّه، و يكون التقدير على حب اللَّه، فيكون خالصاً لوجهه، و قد تقدم ذكر اللَّه تعالى فى قوله «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ». و هِو أحسنها. و الآية تدل

على وجوب إعطاء مال الزكاة بلا خلاف، و تدل ايضاَ- فى قول الشعبى، و الجبائى- على وجوب غيره مما له سبب وجوب كالانفاق على من تجب عليه نفقته، و على من يجب عليه سدّ رمقه إذا خاف التلف، و على ما يلزمه من النذور، و الكفارات، و يدخل فيها ايضاً ما يخرجه الإنسان على وجه التطوع، و القربة الى اللّه، لأن ذلک كله من البرّ.
و ابن السبيل: هو المنقطع به إذا كان مسافراً محتاجاً و إن كان غنياً فى بلده، و هو من أهل الزكاة.
و قيل: إنه الضيف، و الأول قول مجاهد، و الثانى قول قتادة. و إنما قيل: ابن السبيل: بمعنى ابن الطريق، كما قيل للطير: ابن الماء، لملازمته إياه، قال ذو الرمة:

_____

(1) هو متمم بن نويرة.
(2) اللسان (أبن، (دهر) ليس من عادتى تأبين الأموات، و مدحهم بعد موتهم، و لست أجزع من المصيبة.

وردت اعتسافاً و الثّريا كأنها على قمة الرأس ابنُ ماءٍ محلق «1»
و السائلين معناه: و الطالبين للصدقة، لأنه ليس كل مسكين يطلب.
و قوله: «وَ فِى الرِّقابِ» قيل فيه قولان: أحدهما- عتق الرقاب. و الثانى- المكاتبين. و ينبغى أن تحمل الآية على الامرين، لأنها تحتمل الامرين، و هو اختيار الجبائى، و الرمانى.

و المراقبة: المراعاة. و الرقبة: الانتظار. و الرقيب: المشرف على القوم لحراستهم. و الرقيب: الحافظ. و تقول: رقبته أرقبه رقباً، و راقبته مراقبة، و ارتقبته ارتقاباً، و تراقبوا تراقباً، و ترقب ترقباً. و الرقوب: الأرملة التى لا كاسب لها، لأنها تترقب معروفاً أو صلة. و الرقبة مؤخر أصل العنق. و أعتق اللّه رقبته، و لا يقال عتقه. و الرقيب ضرب من الحيّات خبيث. و الرقوب: المرأة التى لا يعيش لها ولد. و الرقيب: النجم الذى يتبين من المشرق، فيغيب رقيبه من المغرب.

و قوله تعالى: «ذَوِی الْقُرْبی» قيل أراد به قرابة المعطى، اختاره الجبائى، لقول النبى (ص) لفاطمة بنت قيس، لما قالت: يا رسول اللّه إن لى سبعين مثقالا من ذهب، فقال: اجعليها فى قرابتک.
و قال (ع) لما سئل عن أفضل الصدقة، فقال:
جهد المقل على ذى القرابة الكاشح.
و يحتمل أن يكون أراد به قرابة النبى (ص).
كما قال: «قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی» «2» و هو قول أبى جعفر، و أبى عبد اللّه (ع) و قوله: «فِی الْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ» قال قتادة:

_____

(1) ديوانه: 401، و اللسان (عسف). وردت اعتسافاً: سرت بدون تدبير، و لا معرفة للطريق، بل اقتحمت اقتحاماً. و الثريا: جملة من النجوم تشبه قطف العنب. شبه الثريا بالطير المحلق فوق رأسه و هو على الماء.
(2) سورة الشورى آية: 23.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 98
البأساء: البؤس، و الفقر. و الضراء: السقم، و الوجع. و منه قوله: «مَسَّنِیَ الضُّرُّ» «1». و حين البأس: حين القتال. و قال ابن مسعود: البأساء: الفقر. و الضراء:
السقم. و انما قيل: البأساء فى المصدر و لم يقل منه أفعل، لأن الأصل فى فعلاء أفعل للصفات التى للألوان، و العيوب. كقولک أحمر، و حمراء. و أعور، و عوراء. فأما الأسماء التى ليست بصفات، فلا يجب ذلک فيها. و على ذلک تأوّلوا قول زهير:
فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم تُرضع فتفطم «2»
و أنكر ذلک قوم، لأنه لم يصرف أشأم. و قالوا إنما هو صفة وقعت موقع الموصوف كأنه قال: غلمان أمر أشأم، فلذلک قالوا إنما المعنى الخلة البأساء، و الخلة الضراء.
«وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ» رفع عطفاً على «مَنْ آمَنَ». و يحتمل أن يكون رفعاً على المدح، و تقديره: و هم الموفون، ذكره الزجاج. و الصابرين نصب على المدح، كقول الشاعر:
الى الملک القرم و ابن الهمام و ليث الكتيبة فى المزدحم
و ذا الرأى حين تغم الأمور بذات الصليل و ذات اللجم «3»
و يحتمل أن يكون نصب بفعل مضمر، و تقديره و أعنى الصابرين. و يحتمل أن يكون عطفاً على قوله: «وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِی الْقُرْبی» «و

الصابرين» فعلى هذا يجب أن يكون رفع «الموفين» على المدح للضمير الذى فى صلة (من)، لأنه لا يجوز بعد العطف على الموصوف، العطف على ما فى الصلة. و هذا الوجه ضعيف، لأنه يؤدى الى التكرار، لأنهم دخلوا فى قوله:

---

(1) سورة الأنبياء آية: 83.
(2) ديوانه: 20 من معلقته الفريدة، من أبياته فى صفة الحرب. الضمير فى (فتنتج) عائد الى الحرب، و قد مر ذكرها فى أول الأبيات. (أشأم): أى غلمان شؤم.
(3) معان القرآن للفراء 1: 105، و أمالى الشريف المرتضى 1: 205، و الانصاف:
195، و خزانة الأدب: 216. القرم: السيد المقدم فى المعرفة، و التجارب الكتيبة هى فرقة من الجيش. المزدحم: هو المكان الذى تجتمع به الناس كثيرا، و تتسابق على التقدم فيه، و المقصود منه هنا ساحة الحرب تغم الأمور أى تضيع عليهم. الصليل: صوت السيوف. و ذات اللجم: الخيل

«وَ الْمَساكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ» فيجب أن يحمل قوله: «و الصابرين» على من لم يذكر، ليكون فيه فائدة. و إن كان ذلک وجهاً مليحاً.
و القراءة بالرفع أجود، و أقوى، لأنه اسم (ليس) مقدم قبل الخبر لفائدة فى الخبر، و لأنه قرأ «ليس البر بأن» ذكره الفراء.
و قوله: «أُولئِکَ الَّذِينَ صَدَقُوا» معناه الذين جمعوا العمل بهذه الخصال الموصوفة: هم الموصوفون بأنهم صدقوا على الحقيقة، لأنهم عملوا بموجب ما أقرّوا به. «أُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» يعنى اتقوا- بفعل هذه الخصال- نار جهنم.
و استدل أصحابنا بهذه الآية على أن المعنى بها أمير المؤمنين (ع)، لأنه لا خلاف بين الأمة أن جميع هذه الخصال كانت جامعة فيه. و لم تجتمع فى غيره قطعاً، فهو مراد بالآية بالإجماع. و غيره مشكوک فيه غير مقطوع عليه.
و قال الزجاج، و الفراء: هذه الآية تتناول الأنبياء المعصومين، لأنهم الذين يجمعون هذه الصفات.

و من قرأ (ليس البرّ) بالرفع، جعل البر اسماً، و جعل (أن) فى موضع نصب، و من نصب جعل (أن تولوا) فى موضع رفع، و قدم الخبر. و مثله قوله تعالى:
«ما كانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا» «1» «وَ ما كانَ قَوْلَهُمْ» «2» وَ ما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ «3». «فَكانَ عاقِبَتَهُما» «4» و ما أشبه ذلک.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 178] ..... ص : 99

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِى الْقَتْلى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثى بِالْأُنْثى فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّباعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَداءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسانٍ ذلِکَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذلِکَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ (178)

_____

(1) سورة الجاثية آية: 24.
(2) سورة آل عمران آية: 147.
(3) سورة الاعراف آية 81.
(4) سورة الحشر آية: 17.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 100
آية بلا خلاف.

قوله: كتب: فرض. و أصل الكتب: الخط الدّال على معنى الفرض.
و قيل: لأنه، مما كتبه اللَّه فى اللوح المحفوظ على جهة الفرض، قال الشاعر: «1»
كتب القتل و القتال علينا و على المحصنات جرّ الذيول «2»
و قال النابغة الجعدي:
يا بنت عمى كتاب اللَّه أخرجنى عنكم فهل امنعنّ اللَّه ما فعلا «3»
و منه الصلاة المكتوبة أى المفروضة. فان قيل: كيف قيل: كتب عليكم بمعنى فرض، و الأولياء مخيرون: بين القصاص، و العفو، و أخذ الدية؟ قلنا عنه جوابان:
أحدهما- انه فرض عليكم ذلك إن اختار أولياء المقتول القصاص. و الفرض قد يكون مضيقاً و يكون مخيراً فيه. و الثانى- فرض عليكم ترك مجاوزة ما حد لكم الى التعدى فيما لم يجعل لكم.

و القصاص: الأخذ من الجانى مثل ما جنى، و ذلک لأنه تال لجنايته. و أصله التلو، من قص الأثر: و هو تلو الأثر. و القصاص، و المقاصة، و المعاوضة، و المبادلة نظائر. يقال: قصّ يقصّ قصّا، و قصصاً. و أقصه به إقصاصاً. و اقتصّ اقتصاصاً.
و تقاصّوا تقاصاً. و استقص: إذا طلب القصاص استقصاصاً. و قاصه مقاصّة و قصاصاً. و قصّ الشىء بالمقص يقصه قصاً. و قص الحديث يقصه قصصاً. و كذلک قص أثره قصصاً: إذا اقتفى أثره. و القص و القصص: عظم الصدر من الناس،

---

(1) هو عمر بن أبى ربيعة، أو عبد اللَّه بن الزبير الأسدى
(2) ديوان عمر، و البيان، و التبيين 2: 236، و الكامل لابن الأثير 2: 154، و تاريخ الطبرى 7: 158، و انساب الاشراف 5: 264. و الاغانى 9: 229.
(3) اللسان (كتب)، و أساس البلاغة (كتب) و المقابيس 5: 159. و رواية الأساس (اخرنى) بدل (أخرجنى). [.....]

و غيرهم. و القصة: الخصلة من الشعر. و القصة من القصص معروفة. و القصة الجص.
و القصاص: التقاص من الجراحات و الحقوق شىء بشىء. و القصيص: نبات ينبت فى أصول الكمأة. و اقصّت الشاة، فهى مقصّ إذا استبان ولدها، و أصل الباب التلوّ.
و قوله تعالى: «الْحُرُّ بِالْحُرِّ» فالحر نقيض العبد، و الحر من كل شىء. أعتقه. و الحرّ: ولد الحية، و ولد الظبية، و فرخ الحمام، و أحرار البقول: ما يؤكل غير مطبوخ. و الحرَ: نقيض البرد، حرّ النهار يحر حرّا. و الحرير: ثياب من إبريسم.
و الحريرة: دقيق يطبخ باللبن. و الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار. و تحرير الكتابة: إقامة حروفها. و الحرورية: منسوب الى حرور: قرية كان أول مجتمعهم بها، فالمحرر المختص بخدمة الكنيسة ما عاش، و منه قوله «ما فِى بَطْنِى مُحَرَّراً» «1» و أصل الباب الحرّ خلاف البرد. و منه الحرير، لأنه يستدفأ به.
قوله: «فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ» معناه ترک، من عفت المنازل إذا تركت حتى درست. و العفو عن المعصية: ترک العقاب عليها. و قيل: معنى العفو هاهنا ترک القود بقبول الدية من أخيه، فالأخ يجمع أخوة إذا كانوا لأب، و إذا لم يكونوا لاب، فهم أخوان، ذكر ذلک صاحب العين، و منه قوله:

«فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» «2» و منه الإخاء، و التآخى. و الأخوة قرابة الأخ. و التآخى اتخاذ الأخوان.
و بينهما إخاء و أخوة. و آخيت فلاناً مؤاخاة، و إخاء. و أصل الباب الأخ من النسب، ثم شبه به الأخ من الصداقة.

و الهاء فى قوله: «مِنْ أَخِيهِ» تعود الى أخى المقتول- فى قول الحسن-.
و قال غيره: تعود الى أخى القاتل، فان قيل: كيف يجوز أن تعود الى أخى القاتل و هو فى تلك الحال فاسق؟ قيل عن ذلک ثلاثة أجوبة:

---

(1) سورة آل عمران آية: 35.
(2) سورة الحجرات آية: 10.

أحدها- إنه أراد أخوة النسب، لا فى الدين، كما قال «وَ إِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً» «1». و الثانى- لأن القاتل قد يتوب فيدخل فى الجملة، و غير التائب على وجه التغليب. الثالث- تعريفه بذلک على أنه كان أخاه قبل أن يقتله، كما قال:
«إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ» «2» يعنى الذين كانوا أزواجهن. و قال جعفر بن مبشر عن بعضهم: إن هذه الآية منسوخة بقوله «النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» «3» قال: و ليست عندى كذلک، لأن اللّه تعالى إنما أخبرنا أنه كتبها على اليهود قبلنا، و ليس فى ذلک ما يوجب أنه فرض علينا، لأن شريعتهم منسوخة بشريعتنا. و الذى أقوله: إن هذه الآية ليست منسوخة، لأن ما تضمنته معمول عليه و لا ينافى قوله تعالى: «النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» لأن تلک عامة، و يمكن بناء تلک على هذه، و لا تناقض و لا يحتاج الى أن ينسخ إحداهما بالأخرى.
و قال قتادة: نزلت هذه الآية، لأن قوماً من أهل الجاهلية كانت لهم حولة «4» على غيرهم من أهل الجاهلية، فكانوا يتعدون فى ذلک، فلا يرضون بالعبد إلا الحرّ، و لا بالمرأة إلا الرجل، فنهاهم اللّه تعالى عن ذلک.
و
قوله: «فَاتِّباعٌ بِالْمَعْرُوفِ» يعنى العافى، و على المعفو عنه «أَداءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسانٍ» و به قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الشعبى، و الربيع، و ابن زيد، و هو المروى عن أبى عبد اللّه (ع).
و قال قوم: هما على المعفو عنه.
و الاعتداء هو القتل بعد قبول الدية على قول ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الربيع، و ابن زيد، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد اللّه (ع).
و قال بعضهم «من اعتدى» بعد البيان فى الآية، فقتل غير قاتل وليه أو بعد قبول

---

(1) سورة الاعراف آية: 64، سورة هود آية: 50.
(2) سورة البقرة آية: 232.
(3) سورة المائدة آية: 48.
(4) الحولة: هى المنكر، و يمكن أن يكون معناه الحق الذى حل أجله، و يكون المعنى لهم عليهم حق قصاص حال، و على الأول لهم عليهم قود بمنكر قد فعلوه، و يريدون الاقتصاص منهم.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 103
الدية «فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ» و هذا أيضاً جيد تحتمله الآية.

و قوله: «فاتباع» رفع بأنه ابتداء لخبر محذوف، كأنه قيل: فحكمه اتباع، أو فعليه اتباع. و كان يجوز النصب فى العربية. على تقدير فليتبع اتباعاً، و لم يقرأ به.

و الأداء، قال الخليل: أدّى فلان يؤدّى ما عليه أداء و تأدية. و يقال:
فلان آدّى للامانة من غيره. و الأداة من أدوات الحرب. و أصل الباب التأدية
تبليغ الغاية.

و قوله تعالى: «تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ» معناه: أنه جعل لكم القصاص، أو الدية، أو العفو، و كان لأهل التوراة قصاص، و عفو، و لأهل الإنجيل عفو، أو دية. و يجوز قتل العبد بالحر، و الأنثى بالذكر إجماعاً، و لقوله: «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً» «1» و لقوله: «النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» «2». و قوله: فى هذه الآية «الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثى بِالْأُنْثى» لا يمنع من ذلک، لأنه تعالى لم يقل: و لا يقتل الأنثى بالذكر، و لا العبد بالحر. فإذا لم يكن ذلک فى الظاهر، فما تضمنته الآية معمول به، و ما قلناه مثبت بما تقدم من الأدلة. فأما قتل الحر بالعبد، فعندنا لا يجوز، و به قال الشافعى، و أهل المدينة. و قال أهل العراق: يجوز.

و لا يقتل والد بولد عندنا، و عند أكثر الفقهاء. و عند مالک يقتل به على بعض الوجوه. و أما قتل الوالدة بالولد، فعندنا تقتل. و عند جميع الفقهاء انها جارية مجرى

---

(1) سورة الإسراء آية: 33.

(2) سورة المائدة آية: 48.

الأب. فأما قتل الولد بالوالد فيجوز إجماعاً. و لا يقتل مولى بعبده. و يجوز قتل الجماعة بواحد إجماعاً إلا أن عندنا يردّ فاضل الدية، و عندهم لا يرد شىء على حال.

و إذا اشترک بالغ مع طفل. أو مجنون فى قتل، فعندنا لا يسقط القود عن البالغ، و به قال الشافعى. و قال أهل العراق: يسقط. و دية القصاص فى قود النفس الف دينار، أو عشرة آلاف درهم، أو مائة من الإبل، أو مائتان من البقر، أو الف شاة، أو مأتا حلة. و لا يجبر القاتل على الدية- عندنا-. و ان رضى، فهى عليه فى ماله. و قال الحسن: يجبر على العفو عن القصاص، و الدية على العاقلة. و القتل بالحديد عمداً يوجب القود إجماعاً. فأما غير الحديد، فكل شىء يغلب على الظن أن مثله يقتل فانه يجب القود عندنا، و عند أكثر الفقهاء. و الذى له العفو عن القصاص كل من يرث الدية إلا الزوج، و الزوجة. و هم لا يستثنون بها إلا أبا حنيفة: قال: إذا كان للمقتول ولد صغار و كبار، فللكبار أن يقتلوا، و يحتج بقاتل على (ع).

و قال غيره: لا يجوز حتى يبلغ الصغار. و عندنا أن لهم ذلک إذا ضمنوا حصة الصغار من الدية إذا بلغوا، و لم يرضوا بالقصاص. و إذا اجتمع مع القصاص حدود، فان كان حدّ للّه، فالقتل يأتى عليه. و إن كان حق لآدمى كحدّ القذف، أقيم عليه الحد ثم يقتل. و قال أهل المدينة: القتل يأتى على الكل. و يقتل

الرجل بالمرأة إذا ردّ أولياؤها نصف الدية. و خالف جميع الفقهاء فى ذلک. و ما قلنا، قول على (ع) و قول الحسن البصرى. و شرح مسائل الديات ذكرناها فى النهاية، و المبسوط، لا يقتضى ذكرها هاهنا.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 179] ..... ص : 104

اشارة

وَ لَكُمْ فِى الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِى الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)
آية بلا خلاف.

أكثر المفسرين على أن قوله: «وَ لَكُمْ فِی الْقِصاصِ حَیاةٌ» المراد به القصاص التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 105
فی القتل. و إنما کان فیه حیاة من وجهین:
أحدهما- ما علیه أکثر المفسرین کمجاهد، و قتادة، و الربیع، و ابن زید: أنه إذا هم الإنسان بالقتل فذکر القصاص، ارتدع، فکان ذلک سبباً للحیاة.
الثانی- قال السدی: من جهة أنه لا یقتل إلا القاتل دون غیره. خلاف فعل الجاهلیة الذین کانوا یتفانون «1» بالطوائل، و المعنیان جمیعاً حسنان. و قال أبو الجوزاء: معناه أن القران «2» حیاة بالقصاص، أراد به القران. و هذا ضعیف، لأنه تأویل خلاف الإجماع، و لأنه لا یلیق بما تقدم، و لا یشاکله، و هو قوله:
«کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِصاصُ فِی الْقَتْلی»، فکأنه قال بعده و لکم فیه حیاة. و نظیر هذه الآیة قولهم: القتل أنفی للقتل. و بینهما من التفاوت فی الفصاحة، و البلاغة ما بین السماء و الأرض و قیل: الفرق بینهما من أربعة أوجه:
أحدها- أنه أکثر فائدة. و ثانیها- أنه أوجز فی العبارة. و ثالثها- أنه أبعد عن الکلمة بتکریر الجملة. و رابعها- أنه أحسن تألیفاً بالحروف المتلائمة.
أما کثرة الفائدة، ففیه ما فی قولهم: (القتل أنفی للقتل) و زیادة معان حسنة: منها إبانة العدل، لذکره القصاص. و منها إبانة الغرض المرغوب فیه، لذکر الحیاة. و منها الاستدعاء بالرغبة و الرهبة لحکم اللّه به.
و أما الإیجاز فی العبارة، فان الذی هو نظیر (القتل أنفی للقتل) قوله تعالی:
«فِی الْقِصاصِ حَیاةٌ» و هو عشرة أحرف. و الأول أربعة عشر حرفاً. و أما بعد التکلف، فهو أن فی قولهم: (القتل أنفی للقتل) تکریر غیره أبلغ منه. و متی کان التکریر کذلک، فهو مقصر فی باب البلاغة. و أما الحسن بتألیف الحروف المتلائمة، فهو مدرک بالحس، و موجود باللفظ، فان الخروج من الفاء إلی اللام أعدل من الخروج من اللام الی الهمزة، لبعد الهمزة من اللام. و کذلک الخروج من الصاد

---

(1) فی المطبوعة «یتغابون».
(2) هکذا فی المطبوعة و لم أجد قول لأبی الجوزاء فی هذا الموضع فی ما حضرنی من التفاسیر، و لم أجد فی کتب اللغة القصاص بمعنی القران، الا أن یکون- بفتح القاف-
التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 106
الی الحاء أعدل من الخروج من الألف الی اللام. فباجماع هذه الأمور التی

ذكرناها كان أبلغ منه و أحسن. و إن كان الأول حسناً بليغاً و أخذ هذا المعنى بعض الشعراء، فقال:
أبلغ أبا مالک عنى مغلغلة و فى العتاب حياة بين أقوام «1»
و هذا و إن كان حسناً، فبينه و بين لفظ القرآن: ما بين أعلى الطبقة و أدناها.
و أول ما فيه أنه استدعاء الى العتاب. و ذلک استدعاء الى العدل. و فى هذا إبهام.
و فى الآية بيان عجيب.

و قوله: «يا أُولِى الْأَلْبابِ» فالألباب: العقول و هو مأخوذ من النخلة على وجه التشبيه به. و اللبَ: العقل. لب الرجل يلبّ: إذا صار لبيباً. و لبَّ بالمكان، و ألبّ به لباً، و إلباباً: إذا أقام به. و لُب كل شىء خالصه. قال صاحب العين:
اللبّ: البال. تقول: الأمر منه فى لبب رخىّ أى فى بال رخى. و اللبب من الرمل: شبيه حقف بين معظم الرمل، و جلد الأرض. و تلبب بالثياب إذا جمعها.
و يشبه به المتسلح بالسلاح. و اللبة من الصدر: موضع القلادة. و التلبيب: مجمع ما فى موضع اللبب من ثياب الرجل. تقول: أخذ فلان بتلابيب فلان. و أصل الباب لب الشىء: داخله: الذى تركبه القشرة، و تلزمه. و منه لبيک و سعديک أى ملازمة لأمرک و إسعاداً لک.

و قوله تعالى: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» قد بينا فيما مضى أن لعل معناه لكى و قيل فى معناه هاهنا قولان:

_____

(1) اللسان (غلل) أنشده بن برى. مغلغلة: رسالة محمولة من بلد الى بلد و العتاب هو الملاومة و لا يكون الا بين اثنين فصاعداً. و انما قال: حياة، لأنه يخفف من الغيظ، و قد يبطل العتاب حرباً يقتل فيها الألوف. فكأنه يقول أوصل هذه الرسالة التى هى عتاب، و العتاب حياة لقومى و لقومک.

[الأول] لكى تتقوا القتل بالخوف من القصاص. ذكره ابن زيد.

الثانى- قال الجبائى، و غيره: لتتقوا ربكم باجتناب معاصيه. و هذا أعم فائدة، لأنه يدخل فيه اتقاء القتل، و غيره.

و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة، لأن فيها دلالة على أنه أنعم على جميع العقلاء، ليتقوا ربهم، و فى ذلک دلالة على أنه أراد منهم التقوى و إن عصوا، و إنما خص اللّه تعالى بالخطاب أولى الألباب، لأنهم المكلفون المأمورون، و من ليس بعاقل لا يصح تكليفه، و لا يحسن، فلذلک خصهم بالذكر.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 180] ..... ص : 107

اشارة

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (180)
آية بلا خلاف.

هذا ابتداء قصة، و لا بد فيه من واو العطف، بان يقال: و كتب، لأنه حذف اختصاراً و قد بينا فيما مضى: أن معنى كتب فرض. و هاهنا معناه الحث و الترغيب دون الفرض، و الإيجاب. و فى الآية دلالة على أن الوصية جائزة للوارث، لأنه قال للوالدين، و الأقربين. و الوالدان وارثان بلا خلاف إذا كانا مسلمين حرّين غير قاتلين. و من خص الآية بالكافرين، فقد قال: قولا بلا دليل، و من ادعى نسخ الآية فهو مدع لذلک، و لا يسلم له نسخها. و بمثل ما قلناه قال محمد بن جرير الطبرى سواء، فان ادعوا الإجماع على نسخها، كان ذلک دعوى باطلة و نحن نخالف فى ذلک. و قد خالف فى نسخ الآية طاوس، فانه خصها بالكافرين، لمكان الخبر و لم يحملها على النسخ. و قد قال أبو مسلم محمد بن بحر: إن هذه الآية مجملة، و آية المواريث مفصلة، و ليست نسخاً، فمع هذا الخلاف كيف يدعى الإجماع على نسخها. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 108

و من ادعى نسخها، لقوله (ع): لا وصية لوارث، فقد أبعد، لأن هذا أولا خبر واحد لا يجوز نسخ القرآن به إجماعاً. و عندنا لا يجوز العمل به فى تخصيص عموم القرآن. و ادعاؤهم أن الأمة أجمعت على الخبر دعوى عارية من برهان. و لو سلمنا الخبر جاز أن نحمله على أنه لا وصية لوارث فيما زاد على الثلث، لأنا لو خلينا و ظاهر الآية لأجزنا الوصية بجميع ما يملک للوالدين و الأقربين، لكن خص ما زاد على الثلث لمكان الإجماع.

فأما من قال: إن الآية منسوخة بآية الميراث فقوله بعيد عن الصواب. لأن الشىء إنما ينسخ غيره: إذا لم يمكن الجمع بينهما، فأما إذا لم يكن بينهما تناف و لا تضاد بل أمكن الجمع بينهما، فلا يجب حمل الآية على النسخ، و لا تنافى بين ذكر ما فرض اللّٰه للوالدين و غيرهم من الميراث، و بين الامر بالوصية لهم على جهة الخصوص، فلم يجب حمل الآية على النسخ. و قول من قال: حصول الإجماع على أن الوصية ليست فرضاً يدل على أنها منسوخة باطل، لأن إجماعهم على أنها لا تفيد الفرض، لا يمتنع من كونها مندوباً إليها و مرغّباً فيها، و لأجل ذلک كانت الوصية للوالدين، و الأقربين الذين ليسوا بوارث ثابتة بالآية و لم يقل أحد أنها منسوخة فى خبرهم «1».

و من قال: إن النسخ من الآية ما يتعلق بالوالدين، و هو قول الحسن و الضحاک، فقد قال قولا ينافى ما قاله مدعى نسخ الآية- على كل حال- و مع ذلک فليس الأمر على ما قال، لأنه لا دليل على دعواه. و قال طاوس: إذا وصى لغير ذى قرابة لم تجز وصيته. و قال الحسن: ليست الوصية إلا للأقربين و هذا الذى قالاه عندنا و إن كان غير صحيح، فهو مبطل قول من يدعى نسخ الآية. و إنما قلنا أنه ليس بصحيح، لأن الوصية لغير الوالدين، و

الأقربين عندنا جائزة. و لا خلاف بين الفقهاء فى جوازها. و الوصية لا تجوز بأكثر من الثلث إجماعاً، و الأفضل أن يكون بأقل من الثلث،
لقوله (ع) و الثلث كثير
، و أحق من وصى له من كان

---

(1) نسب الخبر اليهم مع أنهم يروونه عن النبى (ص)، لأنه لا يسلم صحته.

أقرب الى الميت إذا كانوا فقراء- بلا خلاف- و إن كانوا أغنياء، فقال الحسن و عمرو بن عبيد: هم أحق بها. و قال ابن مسعود، و واصل الأحقّ بها الأجوع، فالأجوع من القرابة.
و قوله تعالى: «إِنْ تَرَكَ خَيْراً» يعنى مالا. و اختلفوا فى مقداره الذى يجب الوصية عنده، فقال الزهرى: كلما وقع عليه اسم مال من قليل أو كثير. و قال ابراهيم النخعى: الف درهم الى خمسمائة.
و روى عن على (ع) أنه دخل على مولى لهم فى مرضه، و له سبع مائة درهم أو ستمائة، فقال: ألا أوصى، فقال: لا إنما قال اللّه تعالى: «إِنْ تَرَكَ خَيْراً» و ليس لک كبير مال.
و بهذا نأخذ، لأن قوله حجة عندنا.

و الوصية فى الآية مرفوعة بأحد أمرين:
أحدهما- ب (كتب)، لأنه لم يسم فاعله. الثانى- أن يكون العامل فيه الابتداء و خبره للوالدين، و الجملة فى موضع رفع على الحكاية بمنزلة قيل لكم: الوصية للوالدين. و قيل فى إعراب (إذا) و العامل فيه قولان: أحدهما- كتب على معنى إذا حضر أحدكم الموت أى عند المرض. و الوجه الآخر قال الزجاج، لأنه رغب فى حال صحته أن يوصى، فتقديره كتب عليكم الوصية للوالدين و الأقربين بالمعروف فى حال الصحة قائلين: إذا حضرنا الموت فلفلان كذا.

المعروف هو العدل الذى لا يجوز أن ينكر و لا حيف فيه و لا جور و الحضور وجود الشىء بحيث يمكن أن يدرک. و ليس معناه فى الآية إذا حضره الموت أى إذا عاين الموت، لأنه فى تلک الحال فى شغل عن الوصية. لكن المعنى كتب عليكم أن توصوا و أنتم قادرون على الوصية، فيقول الإنسان: إذا حضرنى الموت أى إذا أنا مت، فلفلان كذا. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 110
و الحق هو الفعل الذى لا يجوز إنكاره و قيل ما علم صحته سواء كان قولا أو فعلا أو اعتقاداً و هو مصدر حقّ يحق حقاً و انتصب فى الآية على المصدر و تقديره أحق حقاً و قد استعمل على وجه الصفة،، بمعنى ذى الحق، كما وصف بالعدل «عَلَى الْمُتَّقِينَ» معناه على الذين يتقون عقاب اللّه باجتناب معاصيه، و امتثال أوامره.

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ ما سَمِعَهُ فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (181)

آية بلا خلاف.

الهاء فى قوله: «فَمَنْ بَدَّلَهُ» عائدة على الوصية. و انما ذكّر حملا على المعنى، لأن الإيصاء و الوصية واحد. و الهاء فى قوله: «فَإِنَّما إِثْمُهُ» عائدة على التبديل الذى دلّ عليه قوله: «فَمَنْ بَدَّلَهُ». و قال الطبرى: الهاء تعود على محذوف، لأن عودها على الوصية المذكورة لا يجوز، لأن التبديل إنما يكون لوصية الموصى. فأما أمر اللّه عز و جل بالوصية، فلا يقدر هو، و لا غيره أن يبدله قال الرمانى: و هذا باطل، لأن ذكر اللّه الوصية إنما هو لوصية الموصى، فكأنه قيل: كتب عليكم وصية مفروضة عليكم، فالهاء تعود الى الوصية المفروضة التى يفعلها الموصى.

و قوله تعالى: «فَمَنْ بَدَّلَهُ» فالتبديل: هو تغيير الشىء عن الحق فيه. فأما البدل، فهو وضع شىء مكان آخر. و من أوصى بوصية فى ضرار فبدلها الوصى، لا يأثم. و قال ابن عباس: من وصى فى ضرار لم تجز وصيته لقوله (غَيْرَ مُضَارٍّ) «1».

و الوصى إذا بدّل الوصية لم ينقص من أجر الموصى شىء، كما لو لم تبدّل، لأنه لا يجازى أحد على عمل غيره، لكن يجوز أن يلحقه منافع الدعاء، و الإحسان الواصل الى الموصى له، على غير وجه الأجر له، لكن على وجه الجزاء لغيره ممن وصل إليه ذلك الإحسان، فيكون ما يلحق المحسن إليه من ذلك أجراً له، يصح

---

(1) سورة النساء آية: 11.

بما يصل الى المحسن إليه من المنفعة. و فى الآية دلالة على بطلان مذهب من قال:

إن الطفل يعذب بكفر أبويه، لأن اللّه تعالى بين وجه العدل فى هذا. و قياس العدل فى الطفل ذلك القياس، فمن هناك دل على الحكم فيه. و فيها ايضاً دلالة على بطلان قول من يقول: إن الوارث إذا لم يقبّض دين الميت أنه يؤخذ به فى قبره أو فى الآخرة، لما قلنا من أنه دلّ على أن العبد لا يؤاخذ بجرم غيره و أن لا إثم عليه بتبديل غيره. و كذلك لو قضى عنه الوارث من غير أن يوصى به الميت لم يزل عقابه بقضاء الوارث عنه إلا أن يتفضل بإسقاطه عنه.

و قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه سميع لما قاله الموصى من

العدل، أو الجنف، عليم بما يفعله الوصى من التبديل أو التصحيح، فيكون ذكر ذلک داعياً الى طاعته.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 182] ..... ص : 111

اشارة

فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (182)
آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير، و نافع، و أبو عمرو، و ابن عامر، و حفص عن عاصم (موص) بالتخفيف. الباقون بالتشديد. و هما لغتان: وصى، و أوصى بمعنى واحد.

فان قيل: كيف قال «فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ» لما قد وقع، و الخوف إنما يكون لما لم يقع؟ قيل فيه قولان:
أحدهما- إنه خاف أن يكون قد زلّ فى وصيته، فالخوف للمستقبل، و ذلک الخوف هو أن يظهر ما يدل على أنه قد زلَّ، لأنه من جهة غالب الظن.
و الثانى- لما اشتمل على الواقع، و ما لم يقع جاز فيه «خاف» ذلک فيأمره التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 112
بما فيه الصلاح، و ما وقع رده الى العدل بعد موته. و الجنف: الجور، و هو الميل عن الحق: و قال الحسن: هو أن يوصى من غير القرابة، قال: فمن أوصى لغير قرابته رد الى أن يجعل للقرابة الثلثان، و لمن أوصى له الثلث. و هذا باطل عندنا، لأن الوصية لا يجوز صرفها عن من وصى له. و إنما قال الحسن ذلک لقوله إن الوصية للقرابة واجبة. و عندنا إن الامر بخلافه على ما بيناه.

و قال صاحب العين: الجنف: الميل فى الكلام و الأمور كلها. تقول: جنف علينا فلان، و أجنف فى حكمه، و هو مثل الحيف إلا ان الحيف من الحاكم خاصه، و الجنف عام، و منه قوله تعالى: «غَيْرَ مُتَجانِفٍ» «1» أى متمايل: متعمد. و رجل أجنف: فى أحد شقيه ميل على الآخر. و قال ابن دريد: جنف يجنف جنفاً إذا صدّ عن الحق و أصل الباب: الميل عن الاستواء. قال الشاعر فى الجنف:

هم المولى و إن جنفوا علينا و إنا من لقائهم لزور «2»

و إذا جنف الموصى فى وصيته، فللوصى أن يردها الى العدل، و هو المروى عن أبى عبد اللّه (ع).
و به قال الحسن، و قتادة، و طاوس. و قال قوم، و اختاره الطبرى: ان قوله «فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ» فى حال مرضه الذى يريد أن يوصى فيه، و يعطى بعضاً، و يضر ببعض، فلا إثم أن يشير عليه بالحق، و يرده الى الصواب و يسرع فى الإصلاح بين الموصى، و الورثة، و الموصى له حتى يكون الكل راضين،

---

(1) سورة المائدة آية: 3. [.....]
(2) قائله عامر الخصفى، من بنى خصفة، ابن قيس عيلان، مجاز القرآن لابى عبيدة:
66، 67، و مشكل القرآن: 119، و اللسان (جنف) (ولى). قوله: هم المولى: أى هم أبناء عمنا، أقام المفرد مقام الجمع، أراد الموالى. و ان جنفوا: و ان جاروا و مالوا عن الحق.
و الزور: جمع أزور، و هو الغضب و الانحراف. يقول: هم أبناء عمنا و ان مالوا عن الحق و انا لنكره لقاءهم.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 113
و لا يحصل جنف، و لا ظلم، و يكون قوله «فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ» يريد فيما يخاف من حدوث الخلاف فيه- فيما بعد- و يكون قوله «فَمَنْ خافَ» على ظاهره، فيكون مترقباً غير واقع. و هذا قريب ايضاً، غير أن الأول أصوب، لأن عليه أكثر المفسرين، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع). و إنما قيل للمتوسط بالإصلاح ليس عليه إثم و لم يقل فله الأجر على الإصلاح، لأن المتوسط إنما يجرى أمره فى الغالب على أن ينقص صاحب الحق بعض حقه بسؤاله إياه، فاحتاج الى أن يبين اللّه لنا أنه لا إثم عليه فى ذلك إذا قصد الإصلاح. و الذى اقتضى قوله (غَفُورٌ رَحِيمٌ) انه إذا كان يغفر المعصية، فانه لا يجوز أن يؤاخذ بما ليس بمعصية مما بين أنه لا إثم عليه.
و الضمير فى قوله «بينهم» عائد على معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الوصى، و الإصلاح، لأنه قد دلّ على الموصى لهم و من ينازعهم و أنشد الفراء- فى مثل «فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ»:

أعمى إذا ما جارتى خرجت حتى يوارى جارتى الخدر
و يصمّ عمّا كان بينهما سمعى و ما بى غيره وقر «1»

أراد بينها و بين زوجها، و إنما ذكرها وحدها، و أنشد أيضاً:

و ما أدرى إذا يممت وجهاً أريد الخير أيهما يلينى

هل الخير الذى أنا أبتغيه أم الشر الذى لا يأتلينى «2»
فكنى فى البيت الأول عن الشر، و إنما ذكر الخير وحده. و قيل: بل يعود

---

(1) أمالى الشريف المرتضى 1: 34، 123. أعمى: أى أغض بصرى. و الضمير فى بينهما عائد على الزوج و الزوجة. يقول لا أنظر الى جارتى الا و هى مسترة و لا أبوح برها مع زوجها و كل ما أسمعه منهما فأجعل نفسى كأنى لم أسمعه.
(2) لم أجد هذين البيتين فيما حضرنى من المصادر فى المطبوعة (هل) ساقطة، (أنهما) بدل (أيهما).

على مذكور، هم الوالدان و الأقربون.
و الضمير فى قوله «فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ» عائد على الوصى- فى قول الحسن- و يجوز أن يعود على المصلح المذكور فى (من).
و قوله تعالى: «جَنَفاً» و إنما يريد بالجنف: الميل عن الحق عن جهة الخطأ، لأنه لا يدرى أنه لا يجوز،
و الإثم: أن يتعمد ذلک، و هو معنى قول ابن عباس، و الحسن، و الضحاک، و السدى. و روى ذلک عن أبى جعفر.
و الجنف فى الوصية:
أن يوصى الرجل لابن ابنته، و له أولاد. أو يوصى لزوج بنته، و له أولاد، فلا يجوز رده على وجه عندنا. و خالف فيه ابن طاوس، و كذلک إن وصى للبعيد دون القريب لا تردّ وصيته. و خالف فيه الحسن.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 183] ..... ص : 114

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)
آية بلا خلاف.
هذه الآية ظاهرها يتوجه الى من كان على ظاهر الايمان. فأما الكافر، فلا يعلم بهذا الظاهر أنه مخاطب بالصيام. و قوله «كتب» معناه فرض على ما بيناه فيما مضى.

و الصيام، و الصوم: مصدر صام يصوم صوماً قال النابغة:
خيل صيام و خيل غير صائمة تحت العجاج و خيل تعلک اللجما «1»
و قال صاحب العين: الصوم، و الصمت واحد كقوله تعالى «إِنِّی نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً» أی صمتاً. و الصوم قيام بلا عمل. صام الفرس على أريه: إذا لم يعلف.

---

(1) ديوانه: 106 (ملحق)، و اللسان (صوم)، (علک) و هو من قصيدته الشهيرة التی أولها:
بانت سعاد و أمسی حبلها انجذما

و صامت الريح: إذا ركدت. و صامت الشمس: حين تستوی فی منتصف النهار.
و صامت الفرس: موقفه. و الصوم ذرق النعام. و الصوم: شجر. و أصل الباب:
الإمساک، فالصوم: الصمت، لأنه إمساک عن الكلام.

و الصوم فى الشرع هو الإمساک عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة فى زمان مخصوص. و من شرط انعقاده النية.
و قوله «كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» قيل فيه ثلاثة أقوال: أحسنها: انه كتب عليكم صيام أيام، كما كتب عليهم صيام أيام. و هو اختيار الجبائى، و غيره، و يكون الصيام رفعاً، لأنه ما لم يسمّ فاعله، و يكون موضع (كما) نصب على المصدر.
و المعنى فرض عليكم فرضاً كالذى فرض على الذين من قبلكم، و يحتمل أن يكون نصباً على الحال من الصيام. و تقديره كتب عليكم مفروضاً أى فى هذه الحال.
و الثانى- ما قاله الشعبى، و الحسن: انه فرض علينا شهر رمضان كما فرض شهر رمضان على النصارى. و إنما زادوا فيه و حوّلوه الى زمان الربيع.
و الثالث- ما قاله الربيع، و السدى: إنه كان الصوم من العتمة إلى العتمة لا يحلّ بعد النوم مأكل، و لا مشرب، و لا منكح، ثم نسخ. و الأول هو المعتمد.
و قال مجاهد. و قتادة: المعنى بالذين من قبلكم أهل الكتاب.
و قوله «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» أى لعلكم تتقون المعاصى بفعل الصوم- فى قول الجبائى- و قال السدى: لتتقوا ما حرم عليكم من المأكل و المشرب. و قالت فرقة:
معناه لتكونوا أتقياء بما لطف لكم فى الصيام، لأنه لو لم بلطف به لم تكونوا أتقياء.
و إنما قلنا: الأول هو المعتمد، لأنه يصح ذلک فى اللغة، إذا كان فرض عليهم صيام أيام كما علينا صيام أيام و إن اختلف ذلک بالزيادة و النقصان.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 184] ..... ص : 115

اشارة

أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184)

التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 116

آية واحدة بلا خلاف

قرأ ابن عامر، و نافع (فدية طعام مساكين) على إضافة الفدية و جمع المساكين. الباقون (فدية) منون (طعام مسكين) على التوحيد. و القراءتان متقاربتا المعنى، لأن المعنى لكل يوم يفطر طعام مسكين. و القراءتان يفيدان ذلک.

قوله تعالى: «أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ» منصوب بأحد شيئين: أحدهما- على الظرف، كأنه قيل: الصيام فى أيام معدودات. و هو الذى اختاره الزجاج. الثانى- أن يكون قد عدى الصيام إليه كقولك: اليوم صمته. و قال الفراء: هو مفعول ما لم يسمى فاعله كقولك: أعطى زيد المال. و خالفه الزجاج، قال، لأنه لا يجوز رفع الأيام، كما لا يجوز رفع المال. و إذا كان المفروض فى الحقيقة هو الصيام دون الأيام، فلا يجوز ما قاله الفراء إلا على سعة فى الكلام.
و قال عطا، و قتادة: الأيام المعدودات كانت ثلاثة أيام من كل شهر، ثم نسخ. و كذلك روى عن ابن عباس. و قال ابن أبى ليلى: المعنى به شهر رمضان و إنما كان صيام ثلاثة أيام من كل شهر تطوعاً.
و قوله تعالى: «فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» ارتفع عدّة على الابتداء، و تقديره فعليه عدة من أيام أخر.
و روى عن أبى جعفر (ع) أن شهر رمضان كان صومه واجباً على نبى دون أمته. و إنما أوجب على أمة نبينا محمد (ص) فحسب.
و إنما قال «أخر» و لا يوصف بهذا الوصف إلا جمع المؤنث التى كل واحدة أنثى- و الأيام جمع يوم و هو مذكر- حملا له على لفظ الجمع، لأن الجمع يؤنث كما يقال جاءت الأيام و مضت الأيام. و «أخر» لا يصرف، لأنه التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 117
معدول عن الألف و اللام، لأن نظائرها من الصغر و الكبر لا يستعمل إلا بالألف و اللام، لا يجوز نسوة صغر، و يجوز فى العربية «فعدة» على معنى، فليعد عدة من أيام أخر بدلا مما أفطر.

و هذه الآية فيها دلالة على أن المسافر، و المريض يجب عليهما الإفطار، لأنه تعالى أوجب عليهما القضاء مطلقاً، و كل من أوجب القضاء بنفس السفر و المرض أوجب الإفطار و داود أوجب القضاء، و خيّر فى الإفطار، فان قدّروا فى الآية فأفطر، كان ذلك خلاف الآية، و بوجوب الإفطار فى السفر قال عمر بن الخطاب، و عبد اللّه ابن عمر، و عبد اللّه بن عباس، و عبد الرحمن بن عوف، و أبو هريرة، و عروة ابن الزبير، و أبو جعفر محمد بن على بن الحسين، و روى سعيد بن جبير عن قتادة عن جابر بن زيد عن ابن عباس: قال: الإفطار فى السفر عزيمة. و روى يوسف ابن الحكم، قال: سألت ابن عمر عن الصوم فى السفر قال: أ رأيت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك ألا تغضب، فإنها صدقة من اللّه تصدق بها عليكم، و روى عبد الملک بن حميد قال قال أبو جعفر: كان أبى لا يصوم فى السفر و ينهى عنه، و روى عن عمر، أن رجلا صام فى السفر، فأمره أن يعيد صومه، و روى عطا عن المحرز بن أبى هريرة قال: كنت مع أبى فى سفر فى شهر رمضان، فكنت أصوم و يفطر، فقال أبى أما أنک إذا أقمت قضيت، و روى عاصم مولى قومه: أن رجلا صام فى السفر فأمره عروة أن يقضى،
و روى الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف قال قال رسول اللّه (ص): الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر.
و روى عن معاذ أن النبى (ص) قدم المدينة، فكان يصوم عاشوراء، و ثلاثة أيام من كل شهر ثم نسخ ذلک بشهر رمضان فى قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ»
و اختار الطبرى هذا الوجه قال، لأنه لم ينقطع العذر برواية صحيحة أنه كان هاهنا صوم متعبد به فنسخه اللّه بشهر رمضان.

و أصل السفر الكشف تقول: سفر يسفر سفراً: إذا كشف. و أسفر لونه إسفاراً، و انسفرت الإبل: إذا انكشفت داهية انسفاراً. و سافر سفراً، و سفرت الريح السحاب إذا قشعته قال العجاج:
سفر الشمال الزّبرج المزبررجا «1»
الزبرج السحاب الرقيق، و منه السفر، لأنه يظهر به ما لم يكن ظهر، و ينكشف به ما لم يكن انكشف، و السفرة طعام السفر، و به سميت الجلدة التى يحمل فيها الطعام سفرة، و المسفرة: المكنسة، و السفير الداخل بين اثنين للصلح، و السفير: ورق الشجر إذا سقط، و سفر فلان شعره إذا استأصله عن رأسه، و منه قوله تعالى:
«وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ» «2» أى مشرفة مضيئة «وَ الصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ» «3» إذا أضاء. و الاسفار جمع سفر «بِأَيْدِى سَفَرَةٍ» «4» أى كتبة.
و قوله تعالى: «وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» يقال: طاق يطوق طوقاً و طاقة و هى القوة، و أطاقه إطاقة ايضاً إذا قوى عليه، و طوّقه تطويقاً: ألبسه الطوق، و هو معروف من ذهب كان أو فضة كأنه يكسيه قوة بما يعطيه من الجلالة، و كل شىء استدار فهو طوق، كطوق الرحا الذى يدير القطب مشبه بالطوق المعروف فى الصورة، و تطوقت الحية على عنقها: أى صارت كالطوق فيه، و الطاقة: شعبة من ريحان أو شعر و نحو ذلک، و الطاق: عقد البناء حيث ما كان، و الجمع الاطواق، و ذلک لقوته. و طوقه الأمر إذا جعله كالطوق فى عنقه.

قال الحسن و أكثر أهل التأويل: إن هذا الحكم كان فى المراضع، و الحوامل، و الشيخ

_____

(1) اللسان (سفر)، (زبرج). سفر: كشف. الشمال: ريح الشمال.
الزبرج- بكسر الزاء و سكون الباء و كسر الراء-: السحاب الرقيق فيه حمرة، و قيل: النمر بسواد و حمرة فى وجهه. و قيل: هو الخفيف الأحمر.
(2) سورة عبس آية: 38.
(3) سورة المدثر آية: 34.
(4) سورة عبس آية: 15.

الكبير، فنسخ من الآية المراضع، و الحوامل و بقى الشيخ الكبير. و قال أبو عبد اللَّه (ع) ذلک فى الشيخ الكبير يطعم لكل يوم مسكيناً. منهم من قال: نصف صاع و هم أهل العراق. و قال الشافعى: مد عن كل يوم. و عندنا إن كان قادراً فمدان، و إن لم يقدر إلا على مد أجزاه. و قال السدى: لم ينسخ، و إنما المعنى و على الذين كانوا يطيقونه.
و قوله تعالى: «فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً» يعنى أطعم أكثر من مسكين فى قول ابن عباس، و عمل برّا فى جميع الدين فى قول الحسن، و هو أعم فائدة. و منهم من قال:
من جمع بين الصوم، و الصدقة ذهب إليه ابن شهاب. و الهاء فى قوله يطيقونه- عند أكثر أهل العلم- عائدة على الصوم، و هو الأقوى، و قال قوم: عائدة على الفداء، لأنه معلوم و إن لم يجر له ذكر. و المعنى بقوله «الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أولها- أنه سائر الناس من شاء صام، و من شاء أفطر و افتدى لكل يوم إطعام مسكين حتى نسخ ذلک- فى قول ابن عباس، و الشعبى.
الثانى- قال الحسن و عطا: إنه فى الحامل، و المرضع، و الشيخ الكبير، فنسخ من الآية الحامل، و المرضع، و بقى الشيخ الكبير. و قال السدى: إنه فيمن كان يطيقه إذا صار الى حال العجز عنه. «و من» فى قوله: «فَمَنْ تَطَوَّعَ» الظاهر، و الأليق أنها للجزاء. و يحتمل أن تكون بمعنى الذى. و ما روى فى الشواذ من قراءة من قرأ «يطوقونه» قيل فيه قولان:
أحدهما- يكلفونه على مشقة فيه، و هم لا يطيقونه لصعوبته.
الثانى- أن يكون معناه يلزمونه، و هم الذين يطيقونه، فيؤول الى معنى واحد. و من قرأ «فدية طعام مساكين» على إضافة الفدية، و جمع المساكين: عن ابن عامر و نافع، فان معنى قراءته تؤول الى قراءة من

ينوّن «فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ»، التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 120
لأن المعنى: لكل يوم يفطر طعام مسكين. و الأول يفيد هذا ايضاً، لأنه إذا قيل:
إطعام مساكين للأيام بمعنى لكل يوم مسكين، صار المعنى واحداً.
و فى الآية دلالة على بطلان قول المجبرة: إن القدرة مع الفعل، لأنه لو كانت الاستطاعة مع الفعل الذى هو الصيام، لسقطت عنه الفدية- لأن إذا صام لم يجب عليه فدية.
و قوله: «وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ» رفع (خير)، لأنه خبر المبتدأ.
و تقديره و صومكم خير لكم، كأن هذا مع جواز الفدية، فأما بعد النسخ، فلا يجوز أن يقال: الصوم خير من الفدية مع أن الإفطار لا يجوز أصلا.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 185] ..... ص : 120

اشارة

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْکُمُ الشَّهْرَ فَلْیَصُمْهُ وَ مَنْ کانَ مَرِیضاً أَوْ عَلی سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَیَّامٍ أُخَرَ یُرِیدُ اللَّهُ بِکُمُ الْیُسْرَ وَ لا یُرِیدُ بِکُمُ الْعُسْرَ وَ لِتُکْمِلُوا الْعِدَّةَ وَ لِتُکَبِّرُوا اللَّهَ عَلی ما هَداکُمْ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ (185)
آیة واحدة بلا خلاف.

قرأ أبو بكر عن عاصم «و لتكملوا» بتشديد الميم. الباقون بتخفيفها. قال أبو العباس: أكملت و كمّلت بمعنى واحد إلا أن فى التشديد مبالغة. و من قرأ بالتخفيف فلقوله «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» «1».

الشهر: معروف، و جمعه: الأشهر. و الشهور و الشهرة: ظهور الأمر فى

---

(1) سورة المائدة آية: 4.

شنعة. و شهرت الحديث أظهرته. و شهر فلان سيفه: إذا انتضاه. و المشهر: الذى أتى عليه شهر. و أشهرت المرأة: إذا دخلت فى شهر ولادتها. و أتان شهيرة: أى عريضة ضخمة. و المشاهرة: المعاملة شهراً بشهر. و سمى الشهر شهراً، لاشتهاره بالهلال. فأصل الباب الظهور.

و قال ابن دريد: الرمض: شدة وقع الشمس على الرمل و غيره، و الأرض رمضاء. و رمض يومنا رمضاً: إذا اشتد حرّه. و رمضان من هذا اشتقاقه، لأنهم سمّوا الشهور بالازمنة التى فيها، فوافق رمضان أيام رمض الحر، و قد جمعوا رمضان، رمضانات. قال صاحب العين: و الرمض حرقة غيظ تقول: أرمضنى هذا الأمر، و رمضت له. و الرمض: مطر يكون قبل الخريف. و أصل الباب شدة الحر.

و شهر رمضان رفع لأحد ثلاثة أشياء:
أولها- أن يكون خبر ابتداء محذوف يدل عليه «أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ» و تقديره هى شهر رمضان.
الثانى- على ما لم يُسم فاعله، و يكون بدلا من الصيام، و تقديره «كتب عليكم الصيام» (شَهْرُ رَمَضانَ).
الثالث- أن يكون مبتدأ و خبره «الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» و يجوز فى العربية شهر رمضان بالنصب من وجهين: أحدهما- صوموا شهر رمضان. و الآخر- على البدل من أيام.

و قوله «أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن:
إن اللّه تعالى أنزل جميع القرآن فى ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم أنزل على النبى (ص) بعد ذلک التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 122
نجوماً. و هو المروى عن أبى عبد اللّه (ع).
و الثانى- أنه ابتدأ إنزاله فى ليلة القدر من شهر رمضان. فان قيل كيف يجوز إنزاله كله فى ليلة، و فيه الاخبار عما كان، و لا يصلح ذلک قبل أن يكون؟
قلنا: يجوز ذلک فى مثل قوله: «وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ» «1» و قوله:
«لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ» «2» على إذا كان وقت كذا أنزل «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ» كما قال تعالى «وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ» «3» أى إذا كان يوم القيامة «نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ».

و قوله تعالى: «هُدىً لِلنَّاسِ» موضعه نصب على الحال، كأنه قال: أنزل فيه القرآن هادياً للناس. و لا يحتمل سواه، لقوله «وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى».

و القرآن اشتقاقه قرأ يقرأ قراءة، و أقرأه إقراء. و قال صاحب العين: رجل قارء: أى عابد ناسک، و فعله التقرى و القراءة، و أقرأت المرأة: إذا حاضت. و قرأت الناقة: إذا حملت. و القرء: الحيض، و قد جاء بمعنى الطهر. و أصل الباب الجمع، لقولهم ما قرأت الناقة سلاقط: أى ما جمعت رحمها على سلاقط. و فلان قرأ، لأنه جمع الحروف بعضها الى بعض. و القرء الحيض، لاجتماع الدم فى ذلک الوقت. و الفرقان: هو الذى يفرق بين الحق، و الباطل، و المراد به القرآن هاهنا.

و قوله: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» قيل فى معناه قولان:

---

(1) سورة آل عمران آية: 123.
(2) سورة التوبة آية: 26.
(3) سورة الاعراف آية: 43.

أحدهما- من شاهد منكم الشهر مقيما. و الثانى- من شهده بان حضره، و لم يغب، لأنه يقال: شاهد: بمعنى حاضر. و شاهد: بمعنى مشاهد. و
روى عن ابن عباس، و عبيدة السلمانى، و مجاهد، و جماعة من المفسرين، و رووه عن على (ع) أنهم قالوا: من شهد الشهر بأن دخل عليه الشهر، كره له أن يسافر حتى يمضى ثلاث و عشرون من الشهر إلا أن يكون واجباً كالحج، أو تطوعاً كالزيارة، فان لم يفعل، و خرج قبل ذلک كان عليه الإفطار، و لم يجزه الصوم.
و قوله تعالى: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» ناسخ الفدية- على قول من قال بالتخيير- و ناسخ للفدية ايضاً فى المراضع و الحوامل- عند من ذهب اليه- و بقى الشيخ الكبير، له أن يطعم، و لم ينسخ. و عندنا أن المرضعة و الحامل إذا خافا على ولدهما أفطرتا و كفرّتا، و كان عليهما القضاء فيما بعد إذا زال العذر. و به قال جماعة من المفسرين، كالطبرى و غيره.
و قوله: «وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» قد بينا أنه يدلّ على وجوب الإفطار- فى السفر-، لأنه أوجب القضاء بنفس السفر، و المرض.
و كل من قال ذلک أوجب الإفطار. و من قدر فى الآية أو على سفر فأفطر فعدة من أيام أخر، زاد فى الظاهر ما ليس فيه. فان قيل: هذا كقوله «فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ» «1» و معناه فحلق. قلنا: إنما قدرنا هناک فحلق للإجماع على ذلک، و ليس هاهنا إجماع، فيجب أن لا يترک الظاهر، و لا يزاد فيه ما ليس فيه.

و قوله تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ» قال صاحب العين: الارادة: أصلها الواو، لأنک تقول: راودته على أن يفعل كذا و كذا، مراودة. و منه راد، يرود، رواداً، فهو رائد بمعنى الطالب شيئاً. و يقال أرود فلان إرواداً: إذا رفق

---

(1) سورة البقرة آية: 19.

فى مشى أو غيره. و منه رويداً فلاناً: أى أمهله يتفسح منصرفاً. و منه ارتاد ارتياداً كقولک: طلب طلباً، و الرود: الميل. و فى المثل (الرائد لا يكذب أهله) أى الطالب صلاحهم لا يكذبهم، لأنه لو كذّبهم غشهم. و أصل الباب الطلب. و الارادة بمنزلة الطلب للمراد، لأنها كالسبب له.

و اليسر ضد العسر. يقال: أيسر إيساراً، و يسره تيسيراً، و تيسر تيسراً، و تياسر تياسراً، و استيسر استيساراً. و اليسار: اليد اليسرى. و اليسار: الغنى، و السعة. و اليسر: الجماعة الذين يجتمعون على الجزور فى الميسر، و الجمع: الإيسار.

و فرس حسن التيسور: إذا كان حسن السمن «1». و أصل الباب السهولة.

و العسر ضد اليسر. و عسر الشىء عسراً. و رجل عسر بيّن العسر. و رجل أعسر: يعمل بشماله. و أعسر الرجل إعساراً: إذا افتقر. و العسير الناقة التى اعتاضت فلم تحمل من سنتها. و بعير عسران إذا رُكب قبل أن يُراض. و أصل الباب الصعوبة.

و قوله تعالى: «وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» يقال: كمل يكمل كمالا، و أكمل إكمالا، و تكامل تكاملا، و كمله تكميلا، و استكمل استكمالا، و تكمل تكملا. و أصل الباب الكمال، و هو التمام.

و عطف باللام فى قوله تعالى: «وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» على أحد أمرين:
أحدهما- عطف جملة على جملة، لأن بعده محذوفاً، كأنه قال: و لتكملوا العدة شرع ذلك أو أريد. و مثله قوله تعالى: «وَ كَذلِكَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» «2» أى أريناه. هذا قول الفراء.
الثانى- أن يكون عطفاً على تأويل محذوف دلّ عليه ما تقدم من الكلام، لأنه لما قال: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» دلّ على أنه فعل ذلك ليسهل عليكم، فجاز «وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» عطفاً عليه. قال الشاعر:

---

(1) حسن ساقطة من المطبوعة، السمن- بكسر السين و فتح الميم. [.....]
(2) سورة الانعام آية: 75.

يا رب غيرّ آيهن مع البلى إلا رواكد جمرهنّ هباء
و مشجج أمّا سواء قذاله فبدا و غيّب ساره المعزاءُ «1»
فعطف على تأويل الكلام الأول كأنه قال: بها رواكد، و مشجج. و هذا قول الزجاج و هو الأجود، لأن العطف يعتمد على ما قبله، لا على ما بعده. و عطف الظرف على الاسم فى قوله: «وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ» جائز، لأنه معنى الاسم، و تقديره أو مسافراً، و مثله قوله: «دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً» كأنه قال مضطجعاً أو قائماً أو قاعداً.

و اليسر المذكور فى الآية: الإفطار فى السفر- فى قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الضحاك.
و العسر: الصوم فيه و فى المرض. و العدة: المأمور بإكمالها، و المراد بها: أيام السفر، و المرض الذى أمر بالإفطار فيها و قال الضحاك، و ابن زيد: عدة ما أفطروا فيه.
و قوله «وَ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ» المراد به تكبير ليلة الفطر عقيب أربع صلوات: المغرب، و العشاء الآخرة، و صلاة الغداة، و صلاة العيد- على مذهبنا-. و قال ابن عباس، و زيد بن أسلم، و سفيان، و ابن زيد: التكبير يوم الفطر.
و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة من ثلاثة أوجه:
أحدها- قوله «هُدىً لِلنَّاسِ» فعمّ بذلک کل إنسان مکلف، و هم يقولون ليس يهدى الكفار.

_____

(1) اللسان (شجج) ذكر البيت الثانى فقط. غير: بدل. آيهن جمع آية و هى العلامة.
و الرواكد هى حجارة توضع تحت القدر. مشجج: مضروب. قذال: مجمع عظم الرأس بدا ظهر و بان. ساره: جميعه. المعزاء: الأرض الصلبة ذات الحجارة. يقول رب لا تترک لهن علامة، و افنهن جميعاً سوى حجارة الموقد، و مكسرات الرأس، و اجعل أرضهن صلبة و فيها حجارة قد رماها العدو حتى غطت عليهن جميعاً.

الثانى- قوله تعالى «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» و المجبرة تقول: قد أراد تكليف العبد ما لا يطيق مما لم يعطه عليه قدرة، و لا يعطيه، و لا عسر أعسر من ذلک.
الثالث- لو أن إنساناً حمل نفسه على المشقة الشديدة التى يخاف معها التلف فى الصوم لمرض شديد لكان عاصياً، و لكان قد حمل نفسه على العسر الذى أخبر اللّه أنه لا يريده بالعبد. و المجبرة تزعم أن كلما يكون من العبد من كفر أو عسر أو غير ذلک من أنواع الفعل يريده اللّه.

يجوز قضاء شهر رمضان متتابعاً، و متفرقاً، فالتتابع أفضل. و به قال مالک، و الشافعی. و قال أهل العراق: هو مخير. و من أفطر فی شهر رمضان متعمداً بالجماع فی الفرج لزمه القضاء، و الكفارة- عندنا- و الكفارة: عتق رقبة، فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فان لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً. و به قال أبو حنيفة، و الشافعی. و قال مالک هو بالخيار. و فی أصحابنا من قال بذلک. و الإطعام لكل مسكين نصف صاع- عندنا- و به قال أبو حنيفة، فان لم يقدر فمد. و به قال الشافعی، و لم يعتبر العجز. فان جامع ناسياً، فلا شیء عليه. و قال مالک: عليه القضاء. و من أكل متعمداً أو شرب فی نهار شهر رمضان لزمه القضاء، و الكفارة- عندنا- و هو قول أبی حنيفة و مالک. و قال الشافعی: لا كفارة عليه، و عليه القضاء و الناسی لا شیء عليه- عندنا- و عند أهل العراق، و الشافعی. و قال مالک عليه القضاء. و من أصبح جنباً متعمداً من غير ضرورة لزمه- عندنا- القضاء و الكفارة. و قال ابن حی عليه القضاء استحباباً. و قال جميع الفقهاء لا شیء عليه.

و من ذرعه القیء، فلا شیء عليه، فان تعمده كان عليه القضاء، و به قال أبو حنيفة و الشافعی و مالک، و قال الأوزاعی: إن غلبه، فعليه القضاء بلا كفارة. و إن التبيان فی تفسير القرآن، ج2، ص: 127

استدعاه فعليه القضاء، و الكفارة. و من أكل حصی أو نوی متعمداً فعليه القضاء، و الكفارة. و به قال مالک و الأوزاعی. و قال أهل العراق عليه القضاء بلا كفارة.

و قال ابن حی لا قضاء و لا كفارة.

و إذا احتلم الصبی يوم النصف من شهر رمضان صام ما بقی، و لا قضاء عليه فيما مضی، و يمسک بقية يومه تأديباً، فان أفطر فيه فلا قضاء عليه. و به قال أهل العراق. و قال مالک: أحب الی أن يقضی ذلک اليوم، و ليس بواجب. و قال الاوزاعی: يصوم ما بقی، و يقضی ما مضی منه.

و حكم الكافر إذا أسلم حكم الصبی إذا احتلم فی جميع ذلک. و المجنون، و المغمی عليه فی الشهر كله لا قضاء عليه- عندنا- بدلالة قوله تعالی: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ، فَلْيَصُمْهُ وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» و إنما أراد من شهد الشهر و هو ممن يتوجه اليه الخطاب، و المجنون و المغمی عليه ليس بعاقل يتناوله الخطاب.

و قوله «وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ» المراد به إذا كان مريضاً عاقلا، يشق عليه الصوم، أو يخاف على نفسه منه، فيلزمه «فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ».

و قال أهل العراق:

إن لم يفق المجنون فى جميع الشهر، فلا قضاء عليه، و ان أفاق فى بعضه فعليه قضاؤه كله.
و أما المغمى عليه فى الشهر كله، فعليه قضاؤه، لأنه بمنزلة المريض. و قال حسن بن صالح، و مالک: المجنون، و المغمى عليه سواء، عليه قضاء الشهر كله إن جن فى الشهر كله، و أغمى عليه فيه. و قال الأوزاعى: المجنون، و المغمى عليه سواء، لا قضاء على واحد منهما ما مضى من الشهر، و يقضى ما بقى منه، فان أفاق بعد ما خرج الشهر كله فلا قضاء عليه. و هذا مثل ما قلناه. و قال الشافعى: يقضى المغمى عليه، و لا يقضى المجنون.
و الحامل، و المرضع، و الشيخ الكبير إذا أفطروا، قال أهل العراق: فى الحامل، و المرضع، يخافان على ولدهما: يفطران، و يقضيان يوماً مكانه، و لا صدقة عليهما، و لا كفارة، و به قال قوم من أصحابنا. و قال مالک الحامل تقضى، و لا تطعم و المرضع: تقضى، و تطعم لكل يوم مدّاً. و قال الشافعى فى رواية المزنى: التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 128
عليهما القضاء فى الوجهين، و تطعم لكل يوم مدّا، و هو مذهبنا، و المعمول عليه.
و فى رواية البزنطى عن الشافعى مثل قول مالک. و الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصوم يفطر و يتصدق مكان كل يوم نصف صاع فى قول أهل العراق، و هو مذهبنا.
و قال الشافعى: مدّ لكل يوم. و قال مالک: يفطر و لا صدقة عليه. و السفر الذى يوجب الإفطار: ما كان سفراً حسناً، و كان مقداره ثمانية فراسخ: أربعة و عشرين ميلا. و عند الشافعى: ستة عشر فرسخاً. و عند أبى حنيفة: أربعة و عشرون فرسخاً.
و قال داود: قليله، و كثيره يوجب الإفطار. و المرض الذى يوجب الإفطار: ما يخاف معه التلف أو الزيادة المفرطة فى مرضه. و روى أنه كل مرض لا يقدر معه على القيام مقدار صلاته، و به قال الحسن، و عبيدة السلمانى، و فى ذلک خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف.
و من قال: إن قوله تعالى: «وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» يدل على أن شهر رمضان لا ينقص أبداً، فقد أبعد من وجهين:
[الاول]، لأن قوله «وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» معناه و لتكملوا عدة الشهر سواء كان الشهر تاماً أو ناقصاً.
و الثانى- أن ذلک راجع الى القضاء، لأنه قال عقيب ذكر السفر، و المرض: «فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» يعنى عدة ما فاته، و هذا بيّن.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 186] ..... ص : 128

اشارة

وَ إِذا سَأَلَکَ عِبادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبٌ أُجِیبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فَلْیَسْتَجِیبُوا لِی وَ لْیُؤْمِنُوا بِی لَعَلَّهُمْ یَرْشُدُونَ (186)
آیة بلا خلاف. التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 129

روى عن الحسن: أنّ سائلا سأل النبى (ص) أ قريب ربّنا فتناجيه أم بعيد فتناديه، فنزلت الآية. قال قتادة: نزلت جواباً لقوم سألوا النبى (ص) كيف تدعو.

و قوله تعالى: «وَ إِذا سَأَلَکَ عِبادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبٌ أُجِیبُ» معناه: إن اقتضت المصلحة إجابته، و حسن ذلک، و لم تکن فیه مفسدة «1». فأما أن یکون قطعاً لکل من یسأل فلا بد أن یجیبه، فلا. علی أن الداعی لا یحسن منه السؤال إلا بشرط ألّا یکون فی إجابته مفسدة، لا له، و لا لغیره، و إلّا کان الدعاء قبیحاً. و لا یجوز أن یقید الاجابة بالمشیئة بأن یقول: إن شئت، لأنه یصیر الوعد به لا فائدة فیه، فمن أجاز ذلک فقد أخطأ. فان قیل: إذا کان لا یجیب کل من دعا، فما معنی الآیة؟ قلنا معناه أن من دعا- علی شرائط الحکمة التی قدمناها، و اقتضت المصلحة إجابته- أجیب لا محالة، بان یقول: اللهم افعل بی کذا إن لم یکن فیه مفسدة لی أو لغیری فی الدین «2» أو دنیوی. هذا فی دعائه.
و فی الناس من قال: إن اللَّه وعد باجابة الدعاء عند مسألة المؤمنین دون الکفار، و الفاسقین. و المعتمد هو الاول. فان قیل: إذا کان ما تقتضیه الحکمة لا بد أن یفعل به، فلا معنی للدعاء! قلنا عنه جوابان:
أحدهما- أن ذلک عبادة کسائر العبادات. و مثله قوله: «رَبِّ احْکُمْ بِالْحَقِّ».
و الثانی- انه لا یمتنع أن تقتضی المصلحة إجابته إذا دعا. و متی لم یدع لم تقتض الحکمة إجابته.
فان قیل: هل یجوز أن تکون الاجابة غیر ثواب؟ قلنا فیه خلاف. قال

---

(1) فی المطبوعة (فئة).
(2) هکذا فی المطبوعة و الأولی أن یکون (فی أمر دینی).

أبو علی لا یکون إلا ثواباً، لأن من أجابه اللَّه، یستحق المدح فی دین المسلمین، فلا یجوز أن یجیب کافراً، و لا فاسقاً. و کان أبو بکر بن الأخشاد یخبر ذلک فی العقل علی وجه الاستصلاح له. و هذا الوجه أقرب الی الصواب.
و الدعاء: طلب الطالب للفعل من غیره. و یکون الدعاء للَّه علی وجهین:
أحدهما- طلب فی مخرج اللفظ، و المعنی علی التعظیم و المدح، و التوحید:
کقولک: یا اللَّه لا إله إلا أنت، و قولک: ربّنا لک الحمد.
الثانی- الطلب لأجل الغفران أو عاجل الانعام کقولک: أللهم اغفر لی و ارحمنی، و ارزقنی، و ما أشبه ذلک.
و قوله: «فَإِنِّی قَرِیبٌ» قیل فی معناه قولان:
أحدهما- إنی قریب الاجابة: سریع الاجابة، فجاز ذلک لمشاکلة معنی قریب

لسريع.
الثانى- قريب-، لأنه يسمع دعاءهم كما يسمعه القريب المسافة منهم، فجاز لفظة قريب، فحسن البيان بها. فأما قريب المسافة، فلا يجوز عليه تعالى، لأنه من صفات المحدثات.

و قوله «أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ» فالاجابة من الجواب، و هو القطع.
يقال: جاب البلاد يجوب جوباً إذا قطع. و منه قوله تعالى: «وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ» «1» أى قطعوه. و أجاب اللّه دعاءه إجابة، و أجاب فلان عن السؤال جواباً. و أجاب الظلام إذا قطعه. و استجاب له استجابة. و جاوبه مجاوبة، و تجاوب تجاوباً، و انجاب السحاب: إذا انقشع. و أصل الباب القطع، فاجابة السائل:
القطع بما سأل، لأن سؤاله على الوقف أ يكون أم لا يكون.

---

(1) سورة الفجر آية: 9.

و قوله تعالى «فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى» هذه لام الأمر، لا بد منها للغائب. و أما للحاضر «1»، فيجوز فيه إثباتها و إسقاطها. كقولک قم و لتقم. و الأصل فيها أن تكون مكسورة. و يجوز فيها السكون إذا اتصلت بحرف واحد كالفاء فأما ثم، فالوجه معها الكسر، لأنها منفصلة و إنما جاز فيها السكون دون لام كى لأنه لما كان عملها التسكين جاز فيها، لايذانه بعملها.

و قال أبو عبيدة: استجاب، و أجاب بمعنى واحد. و أنشد لكعب بن سعد الغنوى:
و داع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاک مجيب «2»
أى لم يجبه. و قال المبرد: هذا لا يجوز، لأن فى الاستجابة معنى الإذعان، و ليس ذلک فى الاجابة. و قوله «لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» فى لعلّ جوابان:
أحدهما- ليرشدوا، فتكون دالة على العوض فى الاجابة، من اللَّه تعالى للعبد.
الثانى- على الرجاء و الطمع، لأن يرشدوا، و يكون متعلقاً بفعل العباد.
و الرشد: نقيض الغىّ. يقال: رشد يرشد رشداً، و رشد يرشد رشاداً، و أرشده إرشاداً و استرشد استرشاداً، و هو لرشدة خلاف لزنية. و أصل الباب إصابة الخير، فمنه الإرشاد: الدلالة على وجه الاصابة للخبر.
و روى عن أبى عبد اللَّه (ع) أنه قال: «وَ لْيُؤْمِنُوا بِى» أى و ليتحققوا أنى قادر على إعطائهم ما سألوا

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 187] ..... ص : 131

اشارة

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ وَ عَفا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَ ابْتَغُوا ما كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ وَ لا تُبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عاكِفُونَ فِي الْمَساجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)

_____

(1) فى المطبوعة (قلنا الحاضر) و هو تحريف.

(2) أمالى الغالى 2: 151. و الأصمعيات: 14، و اللسان (جوب) و هو من قصيدة يرثى بها أخاه أبا المغوار.

آية واحدة بلا خلاف.

الرفث الجماع هاهنا بلا خلاف، و فى قراءة ابن مسعود «فلا رفوث»، و قيل: أصله فاحش القول فكنّى به عن الجماع قال العجاج:
عن اللّغا و رفث التكلم «1»
و الرفث و الترفث: قول الفحش يقال رفث يرفث رفثاً.
و روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع) كراهية الجماع فى أول ليلة من كل شهر، إلا أول ليلة من شهر رمضان لمكان الآية
و الأشبه أن يكون المراد بليلة الصيام ليالى الشهر كله. و إنما ذكر بلفظ التوحيد، لأنه اسم جنس يدلّ على التكثير.
و معنى قوله: «هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ» أنهن يصرن بمنزلة اللباس، كما قال النابغة الجعدى:

---

(1) ديوانه: 59 من رجز له طويل، حمد فيه اللّه و مجده بقوله:
فالحمد للّه العلى الأعظم ذى الجبروت و الجلال الأفخم
الى أن قال:
و رب أسراب حجيج كظم عن اللغا و رفث التكلم
و الاسراب: القطيع من القطا أو الظباء أو الشاء أو النساء. يقصد به الحجاج. و الكظم- بفتح الكاف و الظاء- السكوت عن الكلام و حبس النفس فى الصدر. اللغا: ما لا يعتد به من الكلام. رفث التكلم: عطف بيان على اللغا.

إذا ما الضجيع ثنى عطفه تثنت عليه فكانت لباسا «1»
و قال قوم: معناه هنّ سكن لكم، كما قال: «وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً» «2» أى سكناً. و اللباس الثياب التى من شأنها أن تستر الأبدان، و يشبه بها الأغشية فيقال لبّس السيف بالحلية.
و قوله تعالى: «عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ» معناه أنهم كانوا لما حرم عليهم الجماع فى شهر رمضان بعد النوم. خالفوا فى ذلک فذكرهم اللّه بالنعمة فى الرخصة التى نسخت تلک الفريضة. فان قيل: أ ليس الخيانة انتقاض الحق على جهة المساترة، فكيف يساتر نفسه؟ قلنا عنه جوابان:
أحدهما- أن بعضهم كان يساتر بعضاً فيه فصار كأنه يساتر نفسه، لأن ضرر النقص و المساترة داخل عليه.
الثانى- أنه يعمل عمل المساتر له فهو يعمل لنفسه عمل الخائن له.
و يقال: خانه يخونه خوناً و خيانة، و خونه تخويناً، و اختانه اختياناً، و تخوّنه

تخوناً، و التخون: التنقص، و التخون: تغيير الحال الى ما لا ينبغى «و خائِنَةَ الْأَعْيُنِ»: «3» مشارفة النظر الى ما لا يحل. و أصل الباب منع الحق.
و قوله تعالى: «فَتابَ عَلَيْكُمْ» أى قبل توبتكم على ما بيناه فيما تقدم. و قوله تعالى: «وَ عَفا عَنْكُمْ» فيه قولان:
أحدهما- غفر ذنبكم. الثانى- أزال تحريم ذلک عنكم، و ذلک عفو عن تحريمه عليهم. و قوله تعالى: «فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ» أى جامعوهن، و معناه الاباحة دون الأمر، و المباشرة إلصاق: البشرة بالبشرة، و هى ظاهر أحد الجلدين بالآخر.
و قوله تعالى: «وَ ابْتَغُوا ما كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال الحسن، و غيره: يعنى طلب الولد.

---

(1) الشعر و الشعراء: 225، و مجاز القرآن لابى عبيدة: 67. و تأويل مشكل القرآن:
107، و فى بعضها (تداعت) بدل (تثنت).
(2) سورة عم آية: 10.
(3) سورة المؤمن آية: 19.

الثانى- قال قتادة: يعنى الحلال الذى بيّنه اللَّه فى الكتاب، و الابتغاء: الطلب للبغية، و قوله «وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا» إباحة للأكل و الشرب «حَتَّى يَتَبَيَّنَ» أى يظهر، و التبين: تميز الشىء الذى يظهر للنفس على التحقيق «الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ» يعنى بياض الفجر من سواد الليل. و قيل: خيط الفجر الثانى مما كان فى موضعه من الظلام. و قيل النهار من الليل، فأول النهار طلوع الفجر الثانى لأنه أوسع ضياء. قال أبو داود «1».
فلما أضاءت لنا سدفة و لاح من الصبح خيط أنارا «2»
و روى عن حذيفة، و الأعمش، و جماعة: أن الخيط الأبيض: هو ضوء الشمس، و جعلوا أول النهار طلوع الشمس، كما أن آخره غروبها بلا خلاف فى الغروب.
و أكثر المفسرين على القول الأول، و عليه جميع الفقهاء، لا خلاف فيه بين الأمة اليوم.

و الخيط فى اللغة معروف يقال خاط يخيط خياطة، فهو يخيط، و خيّطه تخييطاً. و الخيط: القطيع من النعام. و نعامة خيطاء: قيل: خيطها طول قصبتها، و عنقها. و قيل: اختلاط سوادها ببياضها، و كلاهما يحتمل، فالأول، لأنه كالخيط الممدود. و الثانى- لأنه كاختلاط خيوط بيض بسود. و المخيط الابرة. و نحوها مما يخاط به. و الأبيض نقيض الأسود. و البياض ضد السواد يقال: أبيض، و ابياض ابيضاضاً و بيّضه تبييضاً، و تبيّض تبيضاً. و بيضة الطير، و بيضة الحديد، و بيضة الإسلام مجتمعه، و ابتاضوهم أى استأصلوهم، لأنهم اقتلعوا بيضهم و أصل الباب البياض.
و اسود، و اسوادّ اسوداداً، و سوده تسويداً، و تسود تسوداً، و ساوده

---

(1) هو أبو داود: الايادى.
(2) اللسان (خيط) و الأصمعيات: 28 و رواية الأصمعيات (خير أنارا) فى المطبوعة (غدوة) بدل (سدفة) و معناهما متقارب، لأن السدفة: ظلمة الليل فى لغة نجد، و الضوء فى لغة قيس و هى أيضا اختلاط للضوء و الظلمة جميعاً.

سواداً: أى ساده سواداً، لأن الخفاء فيه كخفاء الشخص فى سواد الليل. و سواد العراق: سمى به لكثرة الماء، و الشجر الذى تسودّ به الأرض. و سواد كل شىء شخصه. و الأسود من الحبة يجمع أساود. و سويداء القلب، و سوداؤه دمه الذى فيه فى قول: ابن دريد. و قيل حبة القلب، لأنه فى سواد من الظلمة. و ساد سؤدداً، فهو سيد، لأنه ملك السواد الأعظم، و المسود: الذى قد ساده غيره.

و قوله «مِنَ الْفَجْرِ» يحتمل معنيين:
أحدهما- أن يكون بمعنى التبعيض، لأن المعنى من الفجر، و ليس الفجر كله.
هذا قول ابن دريد.
الثانى- بمعنى تبين الخيط، كأنه قال: الخيط الذى هو الفجر.
و قوله: «ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ» قد بينا حقيقة الصيام فيما مضى.
و الليل هو بعد غروب الشمس، و علامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق، و إقبال السواد منه، و إلا فإذا غابت الشمس مع ظهور الآفاق فى الأرض المبسوطة و عدم الجبال، و الرواسى، فقد دخل الليل.
و قوله تعالى: «وَ لا تُبَاشِرُوهُنَّ» قيل فى معناه قولان هاهنا:
قال ابن عباس، و الضحاك، و الحسن، و قتادة، و غيرهم: أراد به الجماع.
و قال ابن زيد، و مالك: أراد الجماع. كلما كان دونه من قبلة، و غيرها.
و هو مذهبنا.
و قوله تعالى: «وَ أَنْتُمْ عاكِفُونَ فِى الْمَساجِدِ» فالاعتكاف- عندنا- هو اللبث فى أحد المساجد الأربعة: المسجد الحرام أو مسجد النبى (ص) أو مسجد الكوفة أو مسجد البصر، للعبادة من غير اشتغال بما يجوز تركه من أمور الدنيا.
و له شرائط- ذكرناها فى كتب الفقه- و أصله اللزوم. قال الطرماح: التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 136
فبات بنات الليل حولى عكفاً عكوف البواكى بينهن صريع «1»
و قال الفرزدق:
ترى حولهن المعتفين كأنهم على صنم فى الجاهلية عكف «2»

و قوله تعالى: «تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ». فالحدّ على وجوه:
أحدها- المنع، يقال: حدّه عن کذا حدّا أى منعه. و الحدّ حدّ الدار.
و الحدّ الفرض من حدود اللّه أى فرائضه، الحد الجلد للزانى، و غيره. و الحد: حد السيف، و ما أشبهه. و الحد فى الحلق: الحدة. و الحد: الفرق بين الشيئين. و الحد منتهى الشىء. و حد الشراب: صلابته. و إحداد المرأة على زوجها: امتناعها من الزينة و الطيب. و إحداد السيف: إشحاذه. و إحداد النظر الى الشىء التحديق إليه. و الحديد معروف، و صانعه الحداد. و الحداد السجان. و الاستحداد حلق الشىء بالحديد. و حاددته: عاصيته، و منه قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» «3» و أصل الباب المنع. و الحدّ: نهاية الشىء التى تمنع أن يدخله ما ليس منه، و أن يخرج عنه ما هو منه.

و لا يجوز الاعتكاف إلا بصوم، و به قال أبو حنيفة، و أصحابه، و مالک ابن أنس. و قال الشافعى يصح بلا صوم، و به قال الحسن إلا أن يشرط. و عندنا

---

(1) ديوانه: 153، و اللسان (بنى) و روايته (تظل) بدل (فبات) و (قتيل) بدل (صريع). بنات الليل: الهموم. و قيل الأحلام. و الأول أليق فى هذا. كأنه يقول: ان الهموم تراكمت على. كتراكم النساء على القتيل. [.....]
(2) ديوانه: 561، و النقائض: 563. فى المطبوعة (العقين) بدل (المعتفين) و المعتفون: الذين جاءوا يطلبون الرزق، يصفهم: جمعاً قد وقفوا ينتظرون الطعام و العطاء متلهفين.
و هو ليس بذم لهم بل مدح بالمعطى لهم.
(3) سورة المجادلة آية 5، 20.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 137
لا يكون أقل من ثلاثة أيام، و به قال أهل المدينة. و قال أهل العراق: الاعتكاف جائز فى كل مسجد يصلى فيه جماعة. و قال مالک: لا اعتكاف إلا فى موضع يصلى فيه الجمعة من المصر. و قال أهل العراق: المرأة تعتكف فى مسجد بيتها. و قال مالک: لا تعتكف إلا فى مسجد جماعة. و قال الشافعى: المرأة و العبد يعتكفان، و كذلک المسافر حيث شاءوا. و قد بينا ما عندنا فى ذلک. و لا فرق بين الرجل و المرأة فيه. و قال مالک: لا يكون الاعتكاف أقل من عشرة أيام. و عند أهل العراق يكون يوماً.
و مسائل الاعتكاف قد بيناها فى النهاية، و المبسوط فى الفقه، فلا نطول بذكرها. و المختلف فيها ذكرناه فى مسائل الخلاف.

و قيل أن هذه الآية نزلت فى شأن أبى قيس بن صرمه، فكان يعمل فى أرض له، فأراد الأكل، فقالت امرأته: يصلح لک شيئاً فغلبت عيناه، ثم قدمت إليه الطعام، فلم يأكل، فلما أصبح لاقى جهداً، فأخبر رسول اللّه (ص) بذلک، فنزلت هذه الآية.
و روى أن عمراً أراد أن يوقع زوجته فى الليل، فقالت: إنى نمت فظن أنها تعتل عليه، فوقع عليها، ثم أخبر النبى (ص) بذلک من الغد، فنزلت الآية فيهما.

و قوله تعالى: «كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» يعنى ما بين لهم من الأدلة على ما أمرهم به، و نهاهم عنه، لكلى يتقوا معاصى، و تعدى حدوده التى أمرهم اللّه بها، و نهاهم عنها، و أباحهم إياها. و فى ذلک دلالة على أنه تعالى: أراد التقوى من جميع الناس: الذين بين لهم هذه الحدود.
و روى عن أبى عبد اللّه (ع) أنها نزلت فى خوات بن جبير مثل قصة أبى قيس بن صرمه.
و أنه كان ذلک يوم التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 138
الخندق. و روى عن أبى جعفر (ع) حديث أبى قيس سواء.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 188] ..... ص : 138

اشارة

وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَ تُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188)
آية

قوله تعالى: «وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- أن يكون ذلك على جهة الظلم، نحو الخيانة، و السرقة، و الغصب، و يكون التقدير لا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل كأكل مال نفسه بالباطل، و مثله «وَ لا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ» «1» و معناه لا يلمز بعضكم بعضاً. و قوله: «وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» «2» و المعنى لا يقتل بعضكم بعضا.
الثانى- لا تأكلوه على وجه الهزء و اللعب، مثل ما يوجد فى القمار و الملاهى و نحوها، لأن كل ذلك من أكل المال بالباطل.
و قال أبو جعفر (ع) «لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ» يعنى باليمين الكاذبة يقتطعون بها الأموال،
و قال أبو عبد اللّه (ع): علم اللّه أنه سيكون فى هذه الأمة حكام يحكمون بخلاف الحق، فنهى اللّه المؤمنين أن يتحاكموا إليهم، و هم يعلمون أنهم لا يحكمون بالحق.
و قوله تعالى: «وَ تُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكَّامِ» فالحكم هو الخبر الذى يفصل به بين الخصمين يمنع كل واحد من منازعة الآخر. و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة: إنه الوديعة و ما تقوم به بيّنة.
الثانى- قال الجبائى: فى مال اليتيم الذى فى يد الأوصياء، لأنه يدفعه إلى

---

(1) سورة الحجرات آية: 11.
(2) سورة النساء آية: 28.

الحاكم إذا طولب به، ليقتطع بعضه، و يقوم له فى الظاهر حجة.

يقال أدلى فلان بالمال الى الحاكم إذا دفعه إليه. و أدلى فلان بحقه و حجته: إذا هو احتج بها و أحضرها، و دلوت الدلو فى البئر أدلوها: إذا أرسلتها فى البئر، و أدليتها إدلاء: إذا انتزعتها من البئر، و منه قوله تعالى: «فَأَدْلى دَلْوَهُ» «1» أى انتزعها. و قال صاحب العين: أدليتها إذا أرسلتها أيضاً. و أدلى الإنسان شيئاً فى مهوى، و يتدلى هو بنفسه. و الدالية معروفة.

و موضع «تدلو» يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون جزماً على النهى، و عطفاً على قوله: «لا تَأْكُلُوا».
و الثانى- أن يكون نصباً على الظرف، و يكون نصبها بإضمار أن كقول الشاعر:
لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليک إذا فعلت عظيم «2»
لا تجمع بينهما. و الأول أجود.

و قيل فى اشتقاق «تدلو» قولان: أحدهما- أن التعلق بسبب الحكم كتعلق الدلو بالسبب الذى هو الحبل. و الثانى- أنه يمضى فيه من غير تثبت، كمضى الدّلو فى الإرسال من غير تثبت. و الباطل هو ما تعلق بالشىء على خلاف ما هو به، خبراً كان أو اعتقاداً أو تخيلا أو ظنّاً. و الفريق: القطعة المعزولة من الشىء.
و الإثم الفعل الذى يستحق به الذم.
و قوله: «وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» معناه إنكم تعلمون أن ذلک التفريق من المال

---

(1) سورة يوسف آية: 19.
(2) مر تخريجه فى 1: 190.

ليس بحق لكم لأنه أشد فى الزجر. و فى الآية دلالة على أن تفرقة الحاكم بشهادة الزور غير جائزة، و لا يستباح به النكاح لأحد الشاهدين كما لا يحلّ ذلک فى المال.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 189] ..... ص : 140

اشارة

يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِیَ مَواقِیتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ وَ لَیْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لکِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقی وَ أْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ (189)
آیة واحدة بلا خلاف.

البيوت و السيوح و الغيوب و الجيوب- بكسر أولها- شامىّ و الكسائى، و الأعشى لا يكسرون، الغيوب، و يكسرها حمزة، و يحيى إلا الجيوب. و يكسرها ابن كثير إلا الجيوب و الغيوب. و ابن فليح يكسرها كلها. و قالون يكسر منها البيوت فقط. و أبو عمرو يضمها كلها.

الأهلة جمع هلال و سمى الهلال، لرفع الصوت بذكره عند رؤيته، و منه أهل بالحج: إذا رفع الصوت بالتلبية. و اختلف أهل العلم الى كم يسمى هلالا، فقال قوم: يسمى ليلتين هلالا من الشهر. و منهم من قال: يسمى هلالا ثلاث ليال، ثم يسمى قمراً. و قال الأصمعى: يسمى هلالا حتى يحّجر. و تحجيره: أن يستدير بخطة دقيقة. و منهم من قال: يسمى هلالا حين يبهر ضوءه سواد الليل، فإذا غلب ضوءه، سمى قمراً. و ذلک لا يكون إلا فى الليلة السابعة. و قال الزجاج: يسمى هلالا لليلتين. و اسم القمر الزبرقان، و اسم دارته الهالة. و الفخت اسم ضوءه، أو ظلمته على خلاف فيه. و اسم ظله السمر. و منه قيل: سمار الذين يتحدثون بالليل. و إنما التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 141
اقتصر فى جمعه على أهلّة، و هو لأدنى العدد، دون الفعل الذى هو للجمع الكثير، استثقالا له فى التضعيف، كما قالوا، فيما ليس بمضعّف: حمار و أحمرة و حمر.

فان قيل عما كان وقع السؤال من حال الأهلة قيل عن زيادتها و نقصانها، و ما وجه الحكمة فى ذلک، فأجيب بأن مقاديرها تحتاج إليه الناس فى صومهم، و فطرهم، و حجهم و عدد نسائهم، و محلّ ذنوبهم، و غير ذلک. و فيها دلالة واضحة على أن الصوم لا يثبت بالعدد، و أنه يثبت بالهلال، لأن العدد لو كان مراعى، لما أحيل فى مواقيت الناس فى الحج على ذلک بل أحيل على العدد.

و قوله تعالى: «قُلْ هِىَ مَواقِيتُ» و الميقات: هو مقدار من الزمان، جعل علماً لما يقدر من العمل، و منه قوله تعالى: (إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) «1» و التوقيت:
تقدير الوقت. وقت توقيتاً، و منه قوله تعالى: «وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ» «2» و كلما قدرت غاية، فهو موقت. و الميقات: منتهى الوقت، و منه قوله تعالى: «فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ» «3» فالآخرة ميقات الخلق. و الإهلال: ميقات الشهر. و إنما لم يصرف مواقيت، و صرف قوارير، لان قوارير فاصلة فى رأس آية، فصرفت لتجرى على طريقة واحدة فى الآيات، كالقوافى، و ليس ذلک تنوين الصرف.

و قوله تعالى «وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى» قيل فى معناه وجهان:
أحدهما- «وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى» كما قلنا فى قوله «وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ».

_____
(1) سورة الحجر آية: 38، و سورة ص آية: 81.
(2) سورة المرسلات آية: 11.
(3) سورة الاعراف آية: 41.

و الثانى- على وقوع المصدر موقع الصفة، كأنه قال: و لكن البار «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ». و قيل فى معنى الآية قولان:
أحدهما- أنه كان قوم من الجاهلية إذا أحرموا، نقبوا فى ظهر بيوتهم نقباً، يدخلون منه، و يخرجون، فنهوا عن التدين بذلک، و أمروا أن يأتوا البيوت من أبوابها. فى قول ابن عباس، و البراء، و قتادة، و عطا. و [الثانى]- قال قوم، و اختاره الجبائى: إنه مثل ضربه اللَّه لهم. «وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها» أى أتوا البر من وجهه الذى أمر اللَّه به، و رّغب فيه، و هذا الوجه حسن.
و روى جابر عن أبى جعفر محمد بن على (ع) فى قوله: «وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ» الآية، قال: يعنى أن يأتى الأمر من وجهه أى الأمور.
و روى أبو الجارود عن أبى جعفر (ع) مثل قول ابن عباس سواء. و قال قوم: أراد بالبيوت النساء، لأن المرأة تسمى بيتاً على ما بيناه فيما مضى، فكأنه نهى عن إتيان النساء فى أدبارها، و أباح فى قبلهنّ. و الأولان أقوى و أجود.
و الباب: هو المدخل، تقول منه: بوب تبويباً إذا جعله أبواباً. و البوّاب: الحاجب، لأنه يلزم الباب. و البابة القطعة من الشىء كالباب من الجملة.
فان قيل أى تعلق لقوله: «وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها» بسؤال القوم عن الأهلة؟ قلنا: لأنه لما بين ما فيه من وجه الحكمة، اقتضى لتعلموا على أمور مقدره، و لتجرى أموركم على استقامة فإنما البرّ أن تطيعوا أمر اللَّه.
و من كسر (الباء) من البيوت، فلاستثقال الخروج من الضم الى الياء. و من ضم غيوب و كسر البيوت، فلأن الغين لما كان مستعلياً، منع الكسر، كما منع الامالة.
و أما الحج، فهو قصد البيت الحرام، لأداء مناسک مخصوصة بها فى وقت مخصوص. و البرّ: النفع الحسن. و الظهر: الصفيحة المقابلة لصفيحة الوجه.

و قوله: «وَ اتَّقُوا اللّهَ لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ» یعنی و اتقوا ما نهاکم اللّه عنه،

و زهدکم فیه، لکی تفلحوا بالوصول الی ثوابه الذی ضمنه للمتقین.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 190] ..... ص : 143

اشارة

وَ قاتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ الَّذِینَ یُقاتِلُونَکُمْ وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا یُحِبُّ الْمُعْتَدِینَ (190)
آیة بلا خلاف.

القتال هو المقاتلة، و هو محاولة الفاعل لقتل من يحاول قتله، و التقاتل محاولة كلّ واحد من المتعاديين قتل الآخر. و الخطاب بقوله «وَ قاتِلُوا» متوجه الى المؤمنين.
و لو قال: «تقاتلوا» لكان أمراً للفريقين. و ذهب الحسن، و ابن زيد، و الربيع، و الجبائى: الى أن هذه الآية منسوخة، لأنه قد وجب علينا قتال المشركين و إن لم يقاتلونا بقوله «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» «1» و قوله: «وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ» «2». و روى عن ابن عباس، و مجاهد، و عمر بن عبد العزيز:
أنها غير منسوخة. و قال بعضهم: أمروا بقتال المقاتلين دون النساء. و قيل: إنهم أمروا بقتال أهل مكة. و الأولى حمل الآية على عمومها إلا من أخرجه الدليل.
و قوله «تعتدوا» قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدها- لا تعتدوا بالقتال بقتال من لم تؤمروا بقتاله. الثانى- لا تعتدوا الى النساء، و الصبيان، و من قد أعطيتموه الأمان. الثالث- لا تعتدوا بالقتال على غير الدين. فان قيل: إذا كان الاعتداء فى قتال من لم يقاتلهم فكيف يجوز أن يؤمروا به فيما بعد؟ قيل: إنما كان اعتداء من أجل أنه مجاوزة لما حده اللّه لهم مما فيه الصلاح للعباد، و لم يكن فيما بعد على ذلك، فجاز الأمر به.
و قوله: «فِى سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى دين اللّه، و هو الطريق الذى بيّنه للعباد، ليسلكوه على ما أمرهم به و دعاهم إليه.

---

(1) سورة التوبة آية: 6.
(2) سورة البقرة آية: 193.

و قوله: «لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» معناه لا يريد ثوابهم، و لا مدحهم، كما يحب ثواب المؤمنين. و قد بينا فيما مضى أن المحبة هى الارادة. و إنما قلنا إنها من جنس الارادة، لأن الكراهة تنافيها، و لا يصح اجتماعهما، و لأنها تتعلق بما يصح حدوثه لا كالارادة، فلا يصح أن يكون محباً للايمان كارهاً له، كما بينا فى أن يكون مريداً له و كارها. و تعلق المحبة بأن يؤمن، كتعلق الارادة بأن يؤمن. و إنما اعتيد فى المحبة الحذف، و لم يعتد ذلك فى الارادة، فيقال: اللّه يحب المؤمن، و لا يقال: اللّه يريد المؤمن. و قوله: «لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» ظاهره يقتضى أنه يسخط عليهم، لأنه على وجه الذم لهم إذ لا يجوز أن يطلق على من لا ذنب له من الأطفال، و المجانين.
و الاعتداء مجاوزة الحق. و أصله المجاوزة، يقال: عدا إذا جاوز حدّه فى

الاسراع.
و روى عن أئمتنا (ع) أن قوله تعالى: (وَ قاتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ) ناسخ لقوله: «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ» «1» و كذلک قوله: «وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ» «2» ناسخ لقوله «وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعْ أَذاهُمْ» «3».

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 191] ..... ص : 144

اشارة

وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَ لا تُقاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ حَتَّى يُقاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ (191)
آية واحدة بلا خلاف.

_____

(1) سورة النساء آية: 90.
(2) سورة البقرة آية: 191.
(3) سورة الأحزاب آية: 48. [.....]

قرأ حمزة، و الكسائى، (و لا تقتلوهم) (حتى يقتلوكم) (فان قتلوكم) كله بغير ألف. الباقون بألف فى جميع ذلک.

و المعنى لا تبدؤهم بقتل و لا قتال حتى يبدؤكم. إلا أن القتل نقض بنية الحياة، و القتال محاولة القتل ممن يحاول القتل.
و قوله: «وَ اقْتُلُوهُمْ» أمر للمؤمنين بقتل الكفار «حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ».

و يجوز فى حيث ثلاثة أوجه: ضم الثاء، و فتحها، و كسرها، فالضم لشبهها بالغاية، نحو قبل و بعد، لأنه منع الاضافة الى المفرد مع لزوم معنى الاضافة له، فجرى لذلک مجرى قبل و بعد فى البناء على الضم، و لا يجب مثل ذلک فى (إذ) لأنها مبنية على الوقف، كما أنّ (مذ) لا يجب فيها ما يجب فى منذ. و الفتح، لأجل الياء، كما فتحت (أين، و كيف) و الكسر فعلى أصل الحركة، لالتقاء الساكنين. و إنما كتبت بغير ألف- فى الثلاث و الكلام «1» فى المصحف للإيجاز، كما كتبوا الرحمن بلا ألف. و كذلک صالح و خالد، و ما أشبهها، من حروف المدّ و اللين، لقوتها على التغيير.

و قوله «ثقفتموهم» تقول: ثقفته أثقفه ثقفاً: إذا ظفرت به، و منه قوله: «فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِی الْحَرْبِ» «2» و ثقفت الشىء ثقافة: إذا حذقته، و منه اشتقاق الثقافة بالسيف، و قد ثقف ثقافة فهو ثقف. و الثقاف حديدة تكون مع القواس، و الرّماح يقوم بها المعوج. و ثقف الشىء ثقفاً: إذا لزم، و هو ثقف إذا كان سريع

---

(1) هكذا فى المطبوعة. و فى العبارة سقط.
(2) سورة الانفال آية: 58.

التعلم. و ثقفته تثقيفاً: إذا قومته. و أصل الباب: التثقيف التقويم.

و قوله «وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ» قال الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الربيع، و ابن زيد، و جميع المفسرين: إنها الكفر. و أصل الفتنة الاختبار، فكأنه قال: و الكفر الذى يكون عند الاختبار أعظم من القتل فى الشهر الحرام و وجه قراءة من قرأ (و لا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه) أنه جاء فى كلام العرب إذا قتل بعضهم، قالوا: قتلنا، فتقديره حتى يقتلوا بعضكم.
و معنى قوله «وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ» أى أخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها. و روى أن هذه الآية نزلت فى سبب رجل من الصحابة قتل رجلا من الكفار فى الشهر الحرام، فعابوا المؤمنين بذلک فبيّن اللّه تعالى أن الفتنة فى الدين أعظم من قتل المشركين فى الشهر الحرام و إن كان محظوراً لا يجوز.

فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (192)
معنى قوله تعالى: «فَإِنِ انْتَهَوْا» يعنى عن كفرهم بالتوبة منه، فى قول مجاهد، و غيره من المفسرين. و الانتهاء الامتناع يقال: نهى نهياً، و أنهى إنهاء، و تناهى تناهياً، و النهى الزجر عن الفعل بصيغة (لا تفعل) و الأمر الدعاء الى الفعل بصيغة (افعل) مع اعتبار الرتبة. و النهى الغدير يكون له الحاجز يمنع الماء أن يفيض، فالنهى بمنزلة المنع. و نهاية الشىء غايته. و نهية الوتد: الفرض، و هو الحزّ فى رأسه الذى يمنع الحبل أن ينسلخ، لأنه ينهاه عن ذلک. و النهى: جمع نهية. و هى العقل. و التنهية و جمعها تناهى، و هى مواضع تنهبط. و يتناهى إليها ماء السماء.
و الإنهاء إبلاغ الشىء نهايته. و فى الآية دلالة على أنه يقبل توبة القاتل عمداً، لأنه بيّن أنه يقبل توبة المشرک، و هو أعظم من القتل، و لا يحسن أن يقبل التوبة من الأعظم، و لا يقبل من الأقل، فان قيل فما معنى جواب الشرط، و اللَّه غفور

رحيم و إن لم ينتهوا، الجواب: إن معناه فان اللَّه غفور لهم رحيم بهم، و يجوز فان اللَّه يغفر لهم، لأنه غفور رحيم، و اختصر الكلام لدلالة ما تقدم على أنه فى ذكرهم و إن الذى اقتضى انتهاءهم إنما هو ذكر المغفرة لهم، فكان الدلالة عليها بغير إفصاح عنها أحسن لما فى ذلک من الإيجاز، و الاحالة على الاستدلال لتمكين الاشعار لمتضمن الكلام، و المغفرة: تغطيه الذنب بما يصير به بمنزلة غير الواقع فى الحكم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 193] ..... ص : 147

اشارة

وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلاَّ عَلَى الظّالِمِينَ (193)
آية.

هذه الآية ناسخة للأولى التى تضمنت النهى عن القتال عند المسجد الحرام حتى يبدءوا بالقتال فيه، لأنه أوجب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا فى الإسلام فى قول الجبائى، و الحسن، و غيره، و على ما حكيناه عن ابن عباس، و عمر ابن عبد العزيز: أن الأولى ليست منسوخة، فلا تكون هذه ناسخة بل تكون مؤكدة،
و الفتنة الشرک فى قول ابن عباس، و قتادة، و مجاهد، و الربيع، و ابن زيد، و هو المروى عن أبى جعفر (ع).
و إنما سمى الكفر فتنة، لأن الكفر يؤدى الى الهلاک كما تؤدى الفتن الى الهلاک، و لأن الكفر إظهار الفساد عند الاختبار، و الفتنة إنما هى الاختبار. و الدين هاهنا قيل فى معناه قولان:
أحدهما- الإذعان للّه بالطاعة كما قال الأعشى:
هو دانَ الرباب إذ كرِهوا هو الدّ ين دراكا بغزوة و صيال «1»

---

(1) ديوانه: 11، رقم القصيدة 1. قيل: انه قالها فى مدح الأسود بن المنذر اللخمى أخى النعمان بن المنذر لأمه، و أم الأسود من تيم الرباب. و قيل: انه قالها فى مدح المنذر بن الأسود لما غز الحليفين، أسداً و ذبيان، ثم أغار على- رهط الأعشى- بنى ساعدة بن ضبة بن ثعلبة و كان الأعشى غائباً، فلما قدم وجد الحى مباحاً فأتاه، فأنشده، و سأله أن يهبه الأسرى، ففعل- و الرباب- بكسر الراء- بنو عبد مناة بن أد، و هم تيم و عدى و عوف و ثور، اجتمعوا فتحالفوا مع بنى عمهم ضبة تيم بن أد، فجاءوا برب (تمر مطبوخ) فغمسوا أيديهم فيه، فسموا الرباب.
و قوله: دان الرباب أى أذلهم و حملهم على الطاعة. و قوله: دراكا أى تتابعاً.

و الثانى- الإسلام دون الكفر. و أصل الدين العادة فى قول الشاعر: «1»
تقول إذا درأتُ لها وضينى أ هذا دينه أبداً و دينى «2»
و قال آخر:
كدينک من أم الحويرث قبلها و جارتها أم الرباب بما سل «3»
و قد استعمل بمعنى الطاعة فى قوله تعالى: «ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِى دِينِ الْمَلِکِ» «4» و استعمل بمعنى الإسلام، لأن الشريعة فيه يجب أن تجرى على عادة قال اللّه تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ» «5».
و قوله: «فَإِنِ انْتَهَوْا» معناه امتنعوا من الكفر و أذعنوا بالإسلام، «فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ» أى فلا قتل عليهم، و لا قتل إلا على الكافرين المقيمين

على الكفر، و سمى القتل عدواناً مجازاً من حيث كان عقوبة على العدوان، و الظلم، كما قال: «فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» «6» و كما قال «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» «7» و كما قال: «وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا» «8» و حسن ذلک لازدواج الكلام، و مزاوجته هاهنا على المعنى، لأن تقديره «فَإِنِ انْتَهَوْا» عن العدوان، «فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ». فإن قيل: أ يجوز أن تقول لا ظلم إلّا على الظالمين كما جاز «فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ»؟ قلنا: على القياس لا يجوز، لأن ذلک مجاز، و المجاز لا يقاس عليه- عند المحصّلين- لئلا تلتبس الحقيقة بالمجاز. و إنما جاز فى المزاوجة، لأن الكلام

---

(1) هو المثقب العبدى.
(2) اللسان (دين)، (درأ)، (وضن) و روايته (دأبه) بدل (دينه). ردأت لها وضينى: أى وضعت عنها حملها، و الوضين هو المنسوج من أى شىء كان.
(3) لم أجد هذا البيت فيما حضرنى من المصادر.
(4) سورة يوسف آية: 76.
(5) سورة آل عمران آية: 19.
(6) سورة البقرة آية: 194.
(7) سورة الشورة آية: 40.
(8) سورة النحل آية: 126.

معه أبلغ، و أبلغ، كما قال عمرو بن شاس الأسدى:
جزينا ذوى العدوان بالأمس فرضهم قصاصاً سواء حذوک النعل بالنعل «1»
و أصل الظلم الانتقاص. من قوله تعالى «وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً» «2» و حقيقة ما قدمنا ذكره من أنه ضرر محض لا نفع فيه يوفّى عليه عاجلا و لا آجلا و لا هو واقع على وجه المدافعة.

اشارة

الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)

آية واحدة بلا خلاف.

أشهر الحرم أربعة: رجب، و هو فرد و ثلاثة أشهر سرد: ذو القعدة، و ذو الحجة، و المحرم. و المراد هاهنا: ذو القعدة، و هو شهر الصّد عام الحديبة. و إنما سمى الشهر حراماً، لأنه كان يحرم فيه القتال، فلو أن الرجل يلقى قاتل أبيه أو ابنه لم يعرض له بسبيل و سمى ذو القعدة، لقعودهم فيه عن القتال.

و الشهر مرتفع بالابتداء، و خبره بالشهر الحرام، و تقديره: قتال الشهر الحرام أى فى الشهر الحرام، فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه. و يحتمل أن يكون تقديره: الشهر الحرام على جهة العوض لما فات من الحج فى السنة الأولى.

و قوله: «وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- «الْحُرُماتُ قِصاصٌ» بالمراغمة بدخول البيت فى الشهر الحرام. قال

---

(1) تفسير الطبرى 3: 573.
(2) سورة الكهف آية: 33.

مجاهد: لأن قريشاً فخرت بردها رسول اللَّه (ص)- يوم الحديبة- محرماً- فى ذى القعدة- عن البلد الحرام، فأدخله اللَّه عز و جل مكة فى العام المقبل فى ذى القعدة، فقضى عمرته، و أقصه بما حيل بينه و بينه يوم الحديبة، و هو معنى قول قتادة، و الضحاک، و الربيع، و ابن زيد.
و روى عن ابن عباس، و أبى جعفر محمد بن على (ع) مثله.
و القول الثانى- «وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ» بالقتال فى الشهر الحرام أى لا يجوز للمسلمين إلا قصاصاً. و قال الحسن: إن مشركى العرب قالوا لرسول اللَّه (ص):
أنهيت عن قتالنا فى الشهر الحرام، قال نعم، فأراد المشركون أن يغزوه فى الشهر الحرام، فيقاتلوه، فأنزل اللَّه تعالى: «الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ» أى إن استحلوا منكم فى الشهر الحرام شيئاً، فاستحلّوا منهم مثل ما استحلوا منكم.
و به قال الزجاج، و الجبائى.
و إنما جمع الحرمات لأحد أمرين: أحدهما- إنه يريد حرمة الشهر، و حرمة البلد، و حرمة الإحرام.
الثانى- كل حرمة تستحل، فلا يجوز إلا على وجه المجازاة. و فى الناس من قال: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: «قاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً» «1» و قال آخرون ليست منسوخة، لأنه يجوز اجتماعه مع تلک الفريضة- و هو الأولى- لأنه لا دلالة على نسخها.
و الحرام: هو القبيح الممنوع من فعله. و الحلال: المطلق المأذون فيه.
و القصاص الأخذ للمظلوم من الظالم، من أجل ظلمه إياه. فان قيل: كيف جاز قوله: «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» مع قوله «فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» «2» قلنا الثانى ليس باعتداء على الحقيقة، و إنما هو على وجه المزاوجه، و معناه المجازات على ما بينا.
و المعتدى مطلقاً لا يكون إلا ظالماً لضرر قبيح، و إذا كان مجازاً فإنما يفعل ضرراً

(1) سورة التوبة آية: 37. [.....]
(2) سورة البقرة آية: 194.

حسناً. فان قيل: كيف قال بمثل ما اعتدى عليكم، و الأول جور، و الثانى عدل؟
قلنا، لأنه مثله فى الجنس و فى مقدار الاستحقاق، لأنه ضرر، كما أن الأول ضرر، و هو على مقدار ما يوجبه الحق فى كل جرم.
و قيل إنّ عدا، و اعتدى لغتان بمعنى واحد، و مثله قرب و اقترب، و جلب و اجتلب. و قال قوم: فى افتعل مبالغة ليس فى فعل.
و معنى قوله: «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» يعنى بالنصرة لهم، كأنه قال: «أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» بالنصرة أو إن نصرة اللَّه معهم. و أصل (مع) المصاحبة فى المكان أو الزمان.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 195] ..... ص : 151

اشارة

وَ أَنْفِقُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ لا تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی التَّهْلُکَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ (195)
آیة بلا خلاف.

أمر اللَّه تعالى جميع المكلفين المتمكنين من الإنفاق فى سبيل اللَّه: أن ينفقوا فى سبيله، و سبيل اللَّه: هو كل طريق شرعه اللَّه تعالى لعباده، و يدخل فيه الجهاد، و الحج، و عمارة القناطر، و المساجد، و معاونة المساكين، و الأيتام، و غير ذلک، و الإنفاق: هو إخراج الشىء عن ملک مالکه إلى ملک غيره، لأنه لو أخرجه الى هلاک لم يسم إنفاقاً.
و قوله تعالى: «وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» معناه لا تطرحوا أنفسكم فى الهلاک، بأن تفعلوا ما يؤدى إليه. و حقيقة الإلقاء تصير الشىء الى جهة السفل.
و إنما يقال: ألقى عليه مسألة مجازاً، كما يقال: طرح عليه مسألة.

و الباء فى قوله بأيديكم يحتمل وجهين: أحدهما- أن تكون زائدة كقولك

تعلقت زيداً، و تعلقت بزيد و جذبت الثوب، و جذبت بالثوب، و علمته، و علمت به.
قال الشاعر:
و لقد ملأت على نصيب جلده بمساءة إن الصديق يعاتب «1»
و المراد ملأت جلده مساءة. و الثانى- أن يكون على أصل الكلام من وجهين:
أحدهما- أن كل فعل متعد إذا كنى عنه أو قدر على المصدر دخلته الباء، كقولك ضربته ثم تكنى عنه فتقول فعلت به. و الآخر أن تقول: أوقعت الضرب به فجاء على أصل الأفعال المتعدية.
و الوجه الآخر: أنه لما كان معناه: لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم، فدخلت الباء ليدّل على هذا المعنى، و هو خلاف أهلك نفسه بيد غيره.

و قيل فى معنى الآية وجوه: أحدها- قال الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الضحاك، و هو المروى عن حذيفة، و ابن عباس: إن معناها «لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» بالامتناع من الإنفاق فى سبيل اللّه. الثانى- ما روى عن البراء ابن عازب، و عبيدة السلمانى: لا تركبوا المعاصى باليأس من المغفرة. الثالث- ما قال البلخى، من أن معناها: لا تتقحموا الحرب من غير نكاية فى العدّو، و لا قدرة على دفاعهم. الرابع- ما قاله الجبائى لا تسرفوا فى الإنفاق الذى يأتى على النفس.
و الأولى حمل الآية على عمومها فى جميع ذلک.

و التهلكة، و الهلاک واحد. و قيل: التهلكة: ما أهلكهم اللَّه عنده. و أصل الهلاک الضياع، و هو مصدر ضاع الشىء بحيث لا يدرى أين هو، و منه يقال للكافر:
هالک، و للميت: هالک، و للمعذب: هالک. و الهلوک: المهواة البعيدة، لأن الذى يهوى فيها هالک. و الهلوک: الفاجرة. و الهلوک: المتحيرة، تشبيهاً بالهلوک: الفاجرة

_____

(1) لم أجد هذا البيت الا فى مجمع البيان و روايته (يعاقب) بدل (يعاتب).

التى تمايل فى مشيتها، تقول: هلک يهلک هلکا، و هلاکا، و أهلکه إهلاکا، و تهالک تهالکا، و اهتلک اهتلاکا: إذا ألقى نفسه فى المهالک. و استهلکه استهلاکا، و انهلک انهلاکا. إذا حمل نفسه على الأمر الصعب. و الهالکى: الحداد. و أصل ذلک أن بنى الهالک بن عمر، كانوا قيونا، فسمى بذلک كل قين: هالکياً. و التهلكة: كلما كان عاقبته الى الهلاک. و الهالک: الفقير الذى بمضيعة.
و الإحسان: هو الإفضال الى المحتاج، فى قول زيد بن أسلم. و حدّ الإحسان هو إيصال النفع الحسن إلى الغير، و ليس المحسن من فعل الفعل الحسن، لأن اللَّه تعالى بفعل العقاب و هو حسن، و لا يقال: إنه محسن به، و لا يسمى مستوفى الدين محسناً، و إن كان حسناً، فان أطلق ذلک فى موضع، فعلى وجه المجاز. و إنما اعتبرنا أن يكون النفع حسناً، لأن من أوصل نفعاً قبيحاً الى غيره لا يقال: إنه محسن اليه. و قد بينا حقيقة المحبة، فيما مضى، فلا وجه لإعادته، و محبة اللَّه للمحسنين: إرادة الثواب بهم و المنفعة لهم. و قال عكرمة: أحسنوا الظن باللَّه يرإكم. و قال ابن زيد:
أحسنوا بالعود على المحتاج «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»
و روى عن أبى عبد اللَّه (ع) أنه قال: لو أن رجلا أنفق ما فى يديه فى سبيل من سبل اللَّه ما كان أحسن و لا وفق لقوله «وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» يعنى المقتصدين.

اشارة

وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَ لا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ ذلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (196)

التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 154

آية واحدة بلا خلاف.

و روى عن الشعبى: أنه قرأ «و العمرة لله» رفعاً، و ذهب إلى أنها ليست واجبة، كما قال أهل العراق. و عندنا، و عند الشافعى: أنها واجبة، كوجوب الحجّ.
و القرّاء كلهم على النصب، و العمْرة عطفاً على قوله «وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ» و تقديره، و أتموا العمرة للّه. و أمر اللّه تعالى جميع من توجه إليه وجوب الحجّ أن يتم الحجّ و العمرة. و قيل فى إتمام الحجّ و العمرة أقوال:
أحدها- أنه يجب أن يبلغ آخر أعمالهما بعد الدخول فيهما و هو قول مجاهد، و أبى العباس المبرد، و أبى على الجبائى.
و الثانى- قال سعيد بن جبير، و عطا، و السدى: إنّ معناه إقامتهما الى آخر ما فيهما، لأنهما واجبان.
الثالث- قال طاوس: إتمامهما إفرادهما.
الرابع- قال قتادة: الاعتمار فى غير أشهر الحج. و أصح الأقوال الأول.
و الحج هو القصد الى البيت الحرام، لأداء مناسک مخصوصة بها فى أوقات مخصوصة. و مناسک الحج تشتمل على المفروض، و المسنون. و المفروض يشتمل على الركن، و غير الركن، فأركان الحج أوّلا: النية، و الإحرام، و الوقوف بعرفة، و الوقوف بالمشعر، و طواف الزيارة، و السعى بين الصفا و المروة. و الفرائض التى ليست بأركان: التلبية، و ركعتا طواف الزيارة، و طواف النساء، و ركعتا الطواف له.
و المسنونات: الجهر بالتلبية و استلام الأركان، و أيام منى، و رمى الجمار، و الحلق أو التقصير، و الأضحية إن كان مفرداً. و إن كان متمتعاً فالهدى واجب عليه، و إلا فالصوم الذى هو بدل عنه، و تفصيل ذلک ذكرناه فى النهاية، و المبسوط، و الجمل و العقود، لا نطول بذكره. و فى هذه المناسک خلاف كثير- بين الفقهاء- ذكرناه التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 155
فى مسائل الخلاف.
و العمرة واجبة كوجوب الحج، و به قال الحسن، و ابن عباس، و ابن مسعود، و ابن عمر، و عطا، و ابن جبير، و عمرو بن عبيد، و واصل بن عطا، و الشافعى.
و قال ابراهيم النخعى، و الشعبى، و سعيد بن جبير، و أهل العراق: إنها مسنونة.
و عن ابن مسعود فيه خلاف، فمن قال: إنها غير واجبة قال: لأن اللّه تعالى أمر بإتمام الحج و العمرة، و وجوب الإتمام لا يدل على أنه واجب قبل ذلک، كما أن الحج المتطوع به يجب إتمامه و إن لم يجب الدخول فيه، قالوا: و إنما علينا وجوب الحج بقوله تعالى: «وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» «1». و

هذا ليس بصحيح، لأنا قد بينا أن معنى أتموا الحج و العمرة أقيموهما، و هو المروى عن على (ع) و عن على بن الحسين مثله، و به قال مسروق، و السدى.
و العمرة هى الزيارة فى اللغة. و فى الشرع عبارة عن زيارة البيت لأداء مناسک مخصوصة أى وقت كان من أيام السنة. و أفعال العمرة الواجبة: النية، و الإحرام، و الطواف، و الصلاة عند المقام، و السعى بين الصفا و المروة، و طواف النساء. و فى بعض ذلک خلاف ذكرناه فى الخلاف.
و قوله «فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ» فيه خلاف، قال قوم: فان منعكم خوف، أو عدوّ، أو مرض، أو هلاک بوجه من الوجوه، فامتنعتم لذلک. و قال آخرون: إن منعكم حابس قاهر. فالأول قول مجاهد، و قتادة، و عطا، و هو المروى عن ابن عباس.
و هو المروى فى أخبارنا. و الثانى ذهب اليه مالک بن أنس. فالأول أقوى لما روى فى أخبارنا، و لأن الإحصار هو أن يجعل غيره بحيث يمتنع من الشىء. و حصره منعه، و لهذا يقال: حصر العدوّ، و لا يقال: أحصر.

و اختلف أهل اللغة فى الفرق بين الإحصار، و الحصر، فقال الكسائى،

---

(1) سورة آل عمران آية: 97.

و أبو عبيدة، و أكثر أهل اللغة: إن الإحصار المنع بالمرض، أو ذهاب النفقة. و الحصر بحبس العدوّ و قال الفراء: يجوز كل واحد منهما مكان الآخر، و خالف فى ذلک أبو العباس، و الزجاج، و احتج المبرد بنظائر ذلک. كقولهم حبسه أى جعله فى الحبس و أحبسه أى عرّضه للحبس، و قتله: أوقع به القتل، و أقتله: عرّضه للقتل، و قبره: دفنه فى القبر، و أقبره: عرضه للدفن فى القبر، فكذلک حصره: حبسه أى أوقع به الحصر، و أحصره: عرّضه للحصر. و يقال: أحصره إحصاراً. إذا منعه، و حصره يحصره حصراً إذا حبسه، و حصر حصراً: إذا عيى فى الكلام. و حاصره محاصرة: إذا ضيق عليه فى القتال. و الحصر الضيق. هذا حصر شديد. و الحصر:

الذى لا يبوح بسره، لأنه قد حبس نفسه عن البوح به. و الحصير: الملک. و الحصير:

المحبس، و منه قوله تعالى: (وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً) «1» و الحصور:

الذى لا إربة له فى النساء. و الحصور: الغيوب المحجم عن الشىء. و الحصر البخيل لحبسه رفده، و أصل الباب: الحبس.

و قوله: «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ» موضع (ما) رفع، كأنه قال: فعليه «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ». و يجوز النصب و تقديره: فليهدى ما استيسر من الهدى.
و الرفع أقوى لكثرة نظائره، كقوله «فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ» و قوله «فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» «2» و قوله «فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ».

و فى معنى «فَمَا اسْتَيْسَرَ» خلاف،
فروى عن على (ع)، و ابن عباس، و الحسن، و قتادة: أنه شاء.
و روى عن ابن عمر، و عائشة: أنه ما كان من الإبل و البقر دون غيره، و وجّها التيسر على ناقة دون ناقة، و بقرة دون بقرة. و الأول هو المعمول عليه عندنا.

---

(1) سورة الاسراء آية: 8.
(2) سورة البقرة آية: 184، 185.

و فى اشتقاق الهدى، و أصله قولان:
أحدهما- أنه من الهدية، يقال منه: أهديت الهدية إهداء، و أهديت الى البيت الهدى إهداء، فعلى هذا يكون هدياً لأجل التقرب به الى اللَّه بإخلاص الطاعة فيه، على ما أمر به.
الثانى- من هديته هدى: إذا سقته الى طريق الرشاد، و واحد الهدى هدية، و روى أبو عبيدة عن أبى عمرو: أنه لا يعرف له نظير إلا جدية السرج و جدى، و قال المبرد: و هو مطرد فى الأجناس، كتمرة و تمر، و شرية و شرى، و هو الحنظل.
و قوله «وَ لا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ» معناه لا تزيلوا شعور رؤوسكم: يقال حلق يحلق حلقاً، و حلق تحليقاً، و انحلق انحلاقاً. و الحلق: مجرى الطعام، و الشراب فى المرئ. و الحلقة: حلقة القوم، و حلقة الحديد، و الحلقة السلاح، و يقال أيضاً بالتخفيف. و حلق الطائر فى الهواء إذا ارتفع، و هوى من حالق أى من علو الى سفل. و حلق ضرع الناقة إذا ارتفع لبنها. و حلاق المنية، و جاء بالحلق إذا جاء بالمال الكثير. و المحلق: محلق الشعر كالموسى. و حُلوق الأرض مجاريها فى أوديتها.
و المحلق: موضع حلق الرأس بمنى. و أصل الباب الاستمرار.
و الرؤوس جمع رأس يقال: رأس يرأس رآسة، و ترأس ترأساً، و رأسه ترئيساً. و الرأس أعلى كل شىء، و الرّواسى العظيم الرأس فوق قدره، و كلبة رؤس: و هى التى تساور رأس الصيد. و سحابة رأيسة: و هى التى تتقدم السحاب.
و رجل مرءوس إذا أصابه البرسام فى رأسه. و رأس فلان فلاناً إذا ضربه على رأسه. و أصل الباب الرأس.
و قوله: «حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْىُ مَحِلَّهُ» معناه حتى ينتهى إليه، يقال: بلغ يبلغ بلوغاً، و أبلغه إبلاغاً، و بلغه تبليغاً، و بالغ مبالغة، و تبالغ تبالغاً، و تبّلغ تبّلغاً، و بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغاً. و البلغة: القوت. و أصل الباب البلوغ، و هو

الانتهاء، فمنه البلاغة، لأنها تبلغ بالمعنى الى القلب.

و قيل فى محل الهدى قولان: أحدهما- ما روى عن ابن عباس، و ابن مسعود، و الحسن، و عطا: أنه الحرم فإذا ذبح به يوم النحر أحلّ.
و الثانى- قال مالک: إنه الموضع الذى صدّ فيه، و هو المكان الذى يحلّ نحره فيه قال،
لأن النبى (ص) نحر الهدى، و أمر أصحابه فنحروا بالحديبية.
و عندنا:
أن الأول حكم المحصر بالمرض، و الثانى حكم المحصور بالعدوّ، و روى أيضاً أن محله منى إن كان فى الحج، و إن كان فى العمرة فمكة.
و قوله تعالى: «فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ» فالأذى كلما تأذيت به و رجل آذٍ إذا كان شديد التأذى تقول: آذى يآذى أذى. و أصله الضرر بالشىء، و روى أصحابنا أن هذه الآية نزلت فى إنسان يعرف بكعب بن عجرة.
و روى أيضاً ذلک أصحاب التأويل فى أنه كان قد قمل رأسه فأنزل اللَّه فيه هذه الآية، لكنها محمولة على جميع الأذى.
و قوله «فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ» فالذى رواه أصحابنا أن الصيام ثلاثة أيام أو صدقة ستة مساكين. و روى عشرة مساكين. و النسک شاة. و فيه خلاف بين المفسرين. و روى عن كعب بن عجرة الانصارى، و مجاهد، و علقمة، و ابراهيم، و الربيع، و اختاره الجبائى: مثل ما قلناه: إن الصوم ثلاثة أيام و الإطعام لستة مساكين. و قال الحسن و عكرمة: صوم عشرة أيام أو إطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع بلا خلاف. و لم يختلفوا فى النسک أنه شاة. و النسک: جمع نسيكة، و يجمع أيضاً نسائک، كصحيفة و صحائف و صحف.
و قوله «فَإِذا أَمِنْتُمْ» معناه أمنتم أن يحصركم العدوّ أو أمنتم المرض «فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ»، ففرض التمتع- عندنا- هو اللازم لكل من لم يكن من حاضرى المسجد الحرام، و حدّ حاضرى المسجد الحرام: من كان على اثنى عشر ميلا التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 159
من كل جانب الى مكة، ثمانية و أربعين ميلا، فما خرج عنه فليس من الحاضرين، لا يجوز له مع الإمكان غير التمتع، و عند الضرورة، يجوز له القران و الافراد. و من كان من حاضرى المسجد الحرام، لا يجوز له التمتع، و إنما فرضه القِران أو الافراد على ما نفسره فى القران و الافراد، و سياق المتمتع أن يحرم من الميقات فى أشهر الحج و هى: شوال، و ذو القعدة، و عشر من ذى الحجة، ثم يخرج الى مكة، فيطوف بالبيت، و يسعى بين الصفا و المروة، و يقصر، ثم ينشئ إحراماً آخر بالحج من المسجد الحرام، و يخرج

الى عرفات، و يقف هناک، و يفيض الى المشعر، و يغدوا منها الى منى، و يقضى مناسکه هناک، و يدخل فى يومه الى مکة، فيطوف بالبيت طواف الزيارة، و يسعى بين الصفا و المروة، و يطوف طواف النساء، و قد أحلّ من کل شىء و يعود الى منى، فبيت ليالى بها، و يرمى الجمار فى ثلاثة أيام- على ما شرحناه فى النهاية، و المبسوط- و فى بعض ذلک خلاف بين الفقهاء ذکرناه فى الخلاف و للمفسرين فى التمتع أربعة أقوال: فالأول
رواه أنس بن مالک: أن النبى (ص) أهلّ بعمرة و حجة، و سموه قارناً
، و أنکر ذلک ابن عمر، و الثانى روى ابن عباس و ابن عمر و سعيد بن المسيب و عطا، و اختاره الجبائى: و هو أن يعتمر فى أشهر الحج ثم يأتى مکة، فيطوف، و يسعى، و يقصر ثم يقيم حلالا الى يوم التروية، أو يوم قبله، فيهل فيه بالحج من مکة، ثم يحج. و هذا مثل ما قلناه سواء. و قال البلخى: إن هذا الضرب کرهه عمر، و نهى عنه، و کرهه ابن مسعود. الثالث- هو الناسخ للحج بالعمرة
رواه جابر بن عبد اللّه، و أبو سعيد الخدرى: أن رسول اللّه (ص) أمرهم- و قد أهلوا بالحج، لا ينوون غيره- أن يعتمروا ثم يحلوا الى وقت الحج
، هذا عندنا جائز أن يفعل. و روى عن أبى ذرّ: أنها کانت لأصحاب النبى (ص) خاصة.
و کذلک يقولون: إن عمراً أنکر هذه المتعة.
الرابع- قال ابن الزبير: إن المحصر إذا دخل مکة بعد فوت الحج، تمتع بالعمرة، لأنه يحل بها الى وقت الحج، و کذلک من اعتمر فى غير أشهر الحج ثم حج تلک السنة، فهو المتمتع، و لا هدى عليه. و هذا عندنا فاسد بما قدمناه. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 160
و قوله تعالى: «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِى الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ» فالهدى واجب على المتمتع بلا خلاف، لظاهر التنزيل، على خلاف فيه أنه نسک أو جبران، فعندنا أنه نسک، و فيه خلاف فان لم يجد الهدى و لا ثمنه، صام ثلاثة أيام فى الحج، و عندنا أن وقت صوم الثلاثة أيام: يوم قبل التروية، و يوم التروية، و يوم عرفة، فان صام فى أول العشرة جاز ذلک رخصة. و إن صام يوم التروية و يوم عرفة قضى يوماً آخر بعد التشريق فان فاته يوم التروية صام بعد القضاء من التشريق ثلاثة أيام متتابعات، و روى عن ابن عباس، و ابن عمر، و الحسن، و مجاهد: أنه يجوز ما بين إحرامه فى أشهر الحج الى يوم عرفة. و استحبوا أن يکون يوماً قبل التروية، و يوم عرفة. و وقت صوم السبعة أيام إذا رجع الى أهله، و به قال عطا، و قتادة. و قال مجاهد: إذا رجع عن حجه فى طريقه. فأما أيام التشريق، فلا يجوز صومها عندنا، و به قال جماعة من المفسرين، و اختاره الجبائى، لنهى النبى (ص) عن صوم أيام التشريق. و روى عن ابن عمر، و عائشة جواز ذلک.

و قوله: «تِلْکَ عَشَرَةٌ کامِلَةٌ» اختلفوا فی معناه، فقال الحسن، و الجبائی، و هو المروی عن أبی جعفر (ع) أن المعنی کاملة من الهدی أی إذا وقعت بدلا منه، استکملت ثوابه.
الثانی- ما ذکره الزجاج، و البلخی أنه لازالة الإیهام لئلا یظن أن (الواو) بمعنی (أو) فیکون کأنه فصیام ثلاثة أیام فی الحج أو سبعة أیام إذا رجعتم، لأنه إذا استعمل (أو) بمعنی (الواو) جاز أن یستعمل (الواو) بمعنی (أو) کما قال:
«فَانْکِحُوا ما طابَ لَکُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنی وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» و المراد «أو» فذکر ذلک لارتفاع اللبس.
و الثالث- قاله المبرد: إنه أعاد ذلک للتأکید قال الشاعر:
ثلاث و اثنتان فهن خمس و سادسة تمیل الی شمام»

---

(1) فی مجمع البیان نسبه الی جریر و لم أجد فی دیوانه. فی المطبوعة (سمام) بدل (شمام) (و اثنان) بدل (اثنتان).

و تقول: ثلثت القوم أثلثهم، فأنا ثالثهم، و ربما قالوا: ثلثت الرجلين أى صرت لهما ثالثاً. و الثلث جزء من ثلاثة. و المثلث: شكل على ثلاثة أضلاع. و المثلوث:
ما أخذ ثلثه. و الثلاثاء: اليوم الثالث من الأحد. و الثلاثى: ما نسب الى ثلاثة أشياء، و أصله الثلاثة من العدد.
و أهل الرجل: زوجته. و المتأهل: المتزوج. و أهل الرجل: أخص الناس به. و أهل البيت: سكانه. و أهل الإسلام: من تدين به. و أهل القرآن: من يقرأه، و يقوم بحقوقه. و أهلته لهذا الأمر أى جعلته أهلًا له. و الأهلىّ: خلاف البرىّ. و قولهم مرحباً و أهلا أى اختصاصاً بالتحية، و التكرمة.

و قدّ بينا أن (أَهْلُهُ حاضِرِی الْمَسْجِدِ الْحَرامِ) من كان من بينه و بينها اثنا عشر ميلا من أربع جوانبها. و قال ابن عباس، و مجاهد، و غيرهما: إنهم أهل الحرم، فروى فى أخبارنا أيضاً ذلک. و قال مكحول، و عطا: من بين مكة، و المواقيت.
و قيل: هم أهل الحرم، و من قرب منزله منها، كأهل عرفة، ذهب اليه الزهرى و مالک.

و قوله تعالى: «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ» تقول: عقب الشىء يعقب بمعنى خلف بعد الأول. و أعقب إعقاباً، و تعقب الرأى تعقباً. «وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» «1» أى الآخرة. و نرّد على أعقابنا أى نعقب بالشر بعد الخير. و العقبة: ركوب أعقبه المشى. «لَهُ مُعَقِّباتٌ» «2»: ملائكة الليل تخلف ملائكة النهار. و عقب الإنسان:

---

(1) سورة الاعراف آية: 127.
(2) سورة الرعد آية: 12.

نسله، و عقبه، مؤخر قدمه. و العقبة: المصعد فى الجبل. و العقب: الصعب. و العقاب:
الطائر. و اليعقوب: ذكر القبج. «لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ» أى لا رادّ لقضائه. و أصل الباب: العقب: الخلف بعد الأول.

اشارة

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِي الْحَجِّ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَ اتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ (197)
آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير، و أبو عمرو (فلا رفث و لا فسوق) بالرفع، (و لا جدال) بالنصب. الباقون بالنصب فيهنّ تقدير الآية: أشهر الحجّ أشهر معلومات، فحذف المضاف، و أقام المضاف اليه مقامه. و أشهر الحجّ- عندنا- شوال، و ذو القعدة، و عشر من ذى الحجة، على ما روى عن أبى جعفر (ع) و به قال ابن عباس، و ابن عمر، و ابراهيم، و الشعبى، و مجاهد، و الحسن، و اختاره الجبائى. و قال عطا، و الربيع، و ابن شهاب، و طاوس: أشهر الحجّ شوال، و ذو القعدة، و ذو الحجة.

و روى ذلک فى أخبارنا، و إنما كانت هذه أشهر الحج، لأن الإحرام بالحج لا يصح أن يقع إلا فيها- بلا خلاف- و عندنا- أن الإحرام بالعمرة التى يتمتع بها لا يقع أيضاً إلا فيها. و من قال: إن جميع ذى الحجة من أشهر الحج، قال: لأن جميع ذى الحجة يصح أن يقع فيه شىء من أفعال الحج، مثل صوم الثلاثة أيام، فانه يصح أن يقع فى جميع ذى الحجة، و كذلک يصح أن يقع ذبح الهدى فيه. و قال قوم: إن المعنى واحد فى قول الفريقين. و قال آخرون: هو مختلف من حيث أن الثانى معناه: أن العمرة لا ينبغى أن تكون فى الأشهر الثلاثة على الكمال، لأنها أشهر الحج، و الأول على أنها لا ينبغى أن تكون فى شهرين و عشر من الثالث، التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 163

فقد روى عن ابن عمر: ان تفصلوا بين الحج و العمرة، فتجعلوا العمرة فى غير أشهر الحج، أتم لحج أحدكم و أتم لعمرته. و روى ذلک عن القاسم بن محمد عن ابن شهاب عن عبد اللّه، و ابن سيرين. و قد بينا مذهبنا فى ذلک. فان قيل كيف جمع شهرين، و عشرة أيام ثلاثة أشهر؟ قلنا: لأنه قد يضاف الفعل الى الوقت و إن وقع فى بعضه.

و يجوز أن يضاف الوقت اليه كذلک، كقولک: صليت صلاة يوم الجمعة، و صلاة يوم العيد و إن كانت الصلاة فى بعضه. و يقال أيضاً: قدم زيد يوم كذا، و خرج يوم كذا و إن كان قدومه أو خروجه فى بعضه، فكذلک جاز أن يقال: شهر الحج ذو الحجة، و إن كان فى بعضه، و إنما يفرض فيهن الحج، بأن يحرم فيهنّ بالحج- بلا خلاف- أو بالعمرة التى يتمتع بها بالحج- عندنا خاصة- و فى الإحرام بالحج وافقنا فيه ابن عباس، و الحسن، و قتادة. و قال ابن عمر، و مجاهد: إنما يفرض فيهنّ بالتلبية. و قال بعض المتأخرين: يفرض بالعزم على أعمال الحج.

و لا يجوز نصب أشهر- فى العربية- على ما يبناه من المعنى من أن تقديره أشهر «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ» أو وقت «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ» و قد أجازوا الحج شهر ذى الحجة، لأنه معرفة كما نقول العرب: المسلمون جانب، و الكفار جانب بالرفع، فإذا أضافوا نصبوا، فقالوا: المسلمون جانب أرضهم، و الكفار جانب بلادهم. و انما جاز ذلک، لأن النكرة لما جاءت على شرط الخبر: فى كونه نكرة من حيث كانت الفائدة فيه، رفعت بأنها خبر الابتداء فلما صارت معرفة، و الخبر يطلب النكرة نصبت ليصح تقدير الاستقرار الذى هو نكرة كأنک قلت: الكفار مستقرون جانب بلادهم، ففائدة الأول من جانب، و فائدة الثانى فى مستقر.

و قوله تعالى: «فَلا رَفَثَ» فالرفث هاهنا- عند أصحابنا- كناية عن الجماع و هو قول ابن مسعود، و قتادة. و أصله الافحاش فى النطق كما قال العجاج:
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 164
عن اللّغا و رفث التكلم «1»
و قيل الرفث بالفرج: الجماع، و باللسان: المواعدة للجماع، و بالعين: الغمز للجماع. و قال ابن عباس، و ابن عمر و عطا: المراد هاهنا: المواعدة للجماع، و التعريض للنساء به. و قال الحسن: الجماع، و التعرض له بمواعدة أو مداعبة كله رفث.
و قوله تعالى: (وَ لا فُسُوقَ) روى أصحابنا: أنه أراد الكذب. و الأولى أن نحمله على جميع المعاصى التى نهى المحرِم عنها، و به قال ابن عمر. و قال الحسن:
المعاصى نحو القذف و شبهه، و قال ابن عباس و مجاهد و عطا: هو جميع المعاصى مثل ما قلناه. و قال بعضهم لا يجوز أن يكون المراد إلا ما نهى عنه المحرم هاهنا، مما هو حلال له فى غير الإحرام، لاختصاصه بالنهى عنه و هذا غلط، لأنه تخصيص للعموم بلا دليل، و قد يقول القائل: ينبغى أن تقيد لسانک فى رمضان لئلا يبطل صومک، فيخصه بالذكر لعظم حرمته.
و قوله: (وَ لا جِدالَ فِى الْحَجِّ) فالذى رواه أصحابنا: أنه قول: لا و اللَّه و بلى و اللَّه صادقاً، و كاذباً. و للمفسرين فيه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و ابن مسعود، و الحسن: أنه لا مراء بالسّباب و الأعصاب على جهة المحک، و اللجاج.
الثانى- قال مجاهد و السدى: إنه لا جدال فى أن الحج قد استدار «2» فى ذى الحجة، لأنهم كانوا ينسون الشهور فيقدمون و يؤخرون، فربما اتفق فى غيره.

و أما اشتقاقه فى اللغة فالجدال و المجادلة، و المنازعة، و المشاجرة، و المخاصمة

---

(1) مر تخريجه فى 2: 132.
(2) فى المطبوعة (استداد) و معنى استدار: أى يدار معه كيف دار.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 165
واحد، و تقول: جدلت الحبل أجدّله و أجدِله جدلا: إذا فتلته، و جادلت الرجل مجادلة و جدالا: إذا خاصمته، و تجادلا تجادلا. و جدلته تجديلا: إذا ألقيته على الأرض. و تجدّل تجدّلا و انجدل انجدالا. و الجديل: زمام البعير. و الجدول: نهر صغير. و المجدل: القصر. و الجدالة: الأرض ذات الرمل الرقيق. و الأجدل:
الصقر، و كل مفتول: مجدول. و غلام جادل: إذا ترعرع و اشتد. و الجديلة: شريجة الحمام. و رجل أجدل المنكب: فيه تطأطؤ، بخلاف الاشراف من المناكب.
و أصل الباب: الفتل، و الجدال: القتال.

و من نصب (الثلاثة) أخرج اللفظ مخرج عموم النفى للمبالغة فى معنى النفى.
و من رفع بعضاً و نصب بعضاً، فلاختلاف المعنى، لأن الأول على معنى النهى، و الثانى بمعنى الاخبار عن زمان الحج: قد استدار فى ذى الحجة، فكان أحقّ بالنصب، لعموم النفى. فأما الأول، فقد يقع من الخاطئ، فلا يصح فيه عموم النفى. هذا قول النحويين. و الصحيح أن الكل معناه النهى، و ان خرج مخرج النفى، و الاخبار.
و المراد به النهى بلا خلاف.

و قوله تعالى: (وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ) معناه و ما تفعلوا من خير يجازكم اللّه العالم به، لأن اللّه عالم على كل حال، إلّا أنه جعل (يعلمه) فى موضع يجازيه للمبالغة فى صفة العدل، لأنه يعاملكم معاملة من يعلمه إذا ظهر منكم، فيجازى به، و ذلک تأكيد أن الجزاء لا يكون إلا بالفعل دون ما يعلم أنه يكون منهم قبل أن يفعلوه.
و قوله: (وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى) قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال الحسن، و قتادة، و مجاهد: أن قوماً كانوا يرمون بازوادهم، و يتسمون بالمتوكلة، فقيل لهم تزودوا من الطعام، و لا تلقوا كلكم على الناس، التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 166
و خير الزاد مع ذلک التقوى.
و الثانى- (تزودوا) من الأعمال الصالحات (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى)، فذكر ذلک فى الحج، لأنه أحق شىء بالاستكثار من أعمال البرّ فيه، و الزاد: الطعام الذى يتخذ للسفر. و المزود: وعاء يجعل فيه الزاد. و كل من انتقل بخير من عمل أو كسب، فقد تزود منه تزوداً.
و قوله: (وَ اتَّقُونِ يا أُولِى الْأَلْبابِ) يعنى يا ذوى العقول، لأن اللبّ العقل، و إنما سمى لباً لأنه أفضل ما فى الإنسان. و أفضل كل شىء لبّه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 198] ..... ص : 166

اشارة

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ وَ اذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198)
آية واحدة بلا خلاف.
هذه الآية فيها تصريح بالاذن فى التجارة، و نحوها فى حال الإحرام، لأنهم كانوا يتحرّجون بذلک فى صدر الإسلام، على قول ابن عباس، و ابن عمر، و مجاهد، و عطا، و الحسن، و قتادة، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد اللّه (ع).

و الجناح هو الجرح فى الدين، و هو الميل عن الطريق المستقيم، و أصله الميل- على ما مضى القول فيه-.
و قوله: (فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ) يعنى دفعتم من عرفة الى المزدلفة عن اجتماع، كفيض الأناء عن امتلائه، تقول: فاض الماء يفيض فيضاً: إذا انصبّ عن امتلاء، و أفاض إفاضة فى الحديث: إذا اندفع فيه. و استفاض الخبر إذا شاع.
و الافاضة الضرب بالقداح. و فيض الصدر بما فيه: البوح به. و الافاضة: امتلاء الحوض حتى يفيض. و رجل فيّاض: جواد. و درع مفاضة، و فيوض إذا كانت واسعة «1».

---

(1) فى المطبوعة (سابقة) و الصحيح ما أثبتناه.

و فيض البصرة: نهرها. و أصل الباب: الفيض: الانصباب عن الامتلاء.
و (عرفات) صرفت و إن كان فيها التعريف، و التأنيث، لأنها على حكاية الجمع، كما يجب أن يحكى المذكر إذا سمى به الجمع، و يجوز فيها ترک الصرف تشبيهاً بالواحد فيسقط التنوين و يسقط الاعراب كما كان فى الجمع كقول امرئ القيس:
تنوّرتُها من أذرعاتَ و أهلها بيثرب أدنى دارها نظرٌ عالى «1»
و الأول اختيار النحويين، و قد أجاز بعضهم فتح التاء بغير تنوين على قياس طلحة، و أنشدوا البيت على ثلاثة أوجه (أذرعات)- منوناً مكسوراً- و مجروراً بلا تنوين- و مفتوحاً بلا تنوين-. و أنكر الزجاج الوجه الثالث.
و المشعر هو معلم المتعبد. و قال المبرد: المشعر- بفتح الميم و العين- مكان الشعور، كالمدخل لمكان الدخول. و المشعر- بكسر الميم- الحديدة التى يشعر بها أى يعلم بها. فكسرت، لأنها آلة كالمخرز، و المقطع، و المخيط. و قال: الكسائى:
لا فرق بين الفتح و الكسر.

و (المشعر الحرام) هو المزدلفة: و هو جُمع بلا خلاف. و سميت عرفات عرفات، لأن إبراهيم (ع) عرفها بما تقدم له من النعت لها، و الوصف، على ما روى عن على (ع) و ابن عباس. و قال عطا، و السدى،
و قد روى ذلک فى أخبارنا: أنها سميت بذلک، لأن آدم و حواء اجتمعا فيه، فتعارفا بعد أن كانا افترقا.
و قيل:
سميت عرفات لعلوّه و ارتفاعه، و منه عرف الديک.
و وجه التشبيه فى قوله (وَ اذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ) أن الذكر بالشكر، و الثناء يجب أن يكون بحسب الانعام، و الهداية فى العظمة لأنه يجب أن يكون الشكر

---

(1) ديوانه 140. و هو من قصيدته الرائعة المشهورة. و الضمير فى تنورتها عائد للمرأة التى بذكرها، و تنور النار: رآها من بعيد، جعل المرأة تضىء له كما تضىء، النار المشبوبة.
و أذرعات: بلد فى الشام، و يثرب: مدينة الرسول (ص).
يقول: لاح لى نورها و أنا فى أذرعات و هى بيثرب ثم يقول: قرب مكانها منى نظر نظرته نحو جو السماء.

كالنعمة فى عظم المنزلة كما يجب أن يكون على مقدارها لو صغرت النعمة، و لا يجوز التسوية فى الشكر بين من عظمت نعمته و من صغرت.

و قوله: (وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ) معنى (إن) هاهنا المخففة من الثقيلة بدلالة دخول لام الابتداء معها، و إذا خففت لم تعمل و جار دخولها على الاسم، و الفعل، كقوله تعالى: (وَ إِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ) «1». و أما (كنتم) فلا موضع لها من الاعراب، لأنها بعد حرف غير عامل. و ليس (لان) موضع كما ليس لها موضع فى الابتداء. و إنما هذه الواو عطف جملة على جملة.
و روى جابر عن أبى جعفر (ع) قال: (لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلا من ربكم) معناه أن تطلبوا المغفرة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 199] ..... ص : 168

اشارة

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النَّاسُ وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (199)
آية بلا خلاف.

قيل فى معنى هذه الآية قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و عائشة، و عطا، و مجاهد، و الحسن، و قتادة، و السدى، و الربيع،
و هو المروى عن أبى جعفر (ع): أنه أمر لقريش و خلفائهم، لأنهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة، و لا يفيضون منها، و يقولون: نحن أهل حرم اللَّه لا نخرج عنه، فكانوا يقفون بجمع و يفيضون منه، دون عرفة، فأمرهم اللَّه تعالى أن يفيضوا من عرفة بعد الوقوف بها.
و الثانى- قال الضحاك، و الجبائى و حكاه المبرد، لكنه اختار الأول، لأنه

---

(1) سورة يس آية 32.

خطاب لجميع الحاج أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم (ع) من المزدلفة. و الأول إجماع، و هذا شاذ، و ليس لأحد أن يقول على الوجه الآخر: كيف يقال لإبراهيم وحده الناس، و ذلک أن هذا جائز كما قال: (الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ) «1» و إنما كان واحداً بلا خلاف: و هو نعيم بن مسعود الاشجعى، و ذلک مستعمل. و قيل إن إبراهيم لما كان إماماً، كان بمنزلة الأمّة التى تتبع فى سنة.
فان قيل: إذا كانت (ثم) للترتيب، فما معنى الترتيب هاهنا؟ قلنا: الذى رواه أصحابنا أن هاهنا تقديماً، و تأخيراً. و تقديره (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ) (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النَّاسُ) (فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ) (وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). و قال قوم:
المعنى (ثُمَّ أَفِيضُوا) من المزدلفة. و الذى أجاب به المتأوّلون: أن قالوا: رتبت الافاضة بعد المعنى الذى دل الكلام الأول عليه، كأنه قيل: أحرموا بالحج على ما بين لكم (ثُمَّ أَفِيضُوا) يا معشر قريش (من حيث أفاض الناس) بعد الوقوف بعرفة. و هذا قريب مما قلناه. و إنما عدل الذى تأوّله على الافاضة من المزدلفة، لأنه رآه بعد قوله، فإذا أفضتم من عرفات، قال: فأمروا أن يفيضوا من المزدلفة بعد الوقوف بها، كما أمروا فى عرفة، و قد بينا ترتيب الكلام فى التأويل المختار. و الاستغفار هو طلب المغفرة، كما أن الاستخبار: طلب السؤال. و المغفرة: التغطية للذنب بإيجاب المثوبة. و قيل فى معنى الاستغفار قولان: أحدهما- الحض عليه فى تلک المواطن الشريفة، لأنها خليقة بالاجابة. الثانى- استغفروه لما سلف من مخالفتكم فى الوقوف و الافاضة، كما سنّه اللَّه تعالى للناس عامة. و الفرق بين غفور و

غافر أن فى غفور مبالغة لكثرة المغفرة، فأما غافر، فيستحق الصفة فيه بوقوع الغفران. و العفو هو المغفرة. و قد فرق بينهما بأن العفو ترک العقاب على الذنب، و المغفرة تغطية الذنب بإيجاب المثوبة. و لذلک كثرت المغفرة فى صفات اللّه تعالى، دون صفات العباد، فلا يقال: استغفر السلطان كما يقال: استغفروا اللّه.

---

(1) سورة آل عمران آية 172. [.....]

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 200] ..... ص : 170

اشارة

فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِى الدُّنْيا وَ ما لَهُ فِى اَلْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (200)
آية بلا خلاف.

قوله تعالى: (فَإِذا قَضَيْتُمْ) معناه فرغتم منها. و أصل القضاء: فصل الأمر على أحكام. و قد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسک و قد يفصل بالعمل له على تمام كقوله (فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِی يَوْمَيْنِ) «1» و قد يفصل بالأخبار على القطع كقوله تعالى: (وَ قَضَيْنا إِلى بَنِی إِسْرائِيلَ) «2» و قد يفصل بالحكم كقضاء القاضى على وجه الإلزام بالقهر.
و المناسک المأمور بها هاهنا جميع أفعال الحج المتعبد بها فى قول الحسن و غيره من أهل العلم- و هو الصحيح- و قال مجاهد: هى الذبائح.
و قوله (فَاذْكُرُوا اللَّهَ) فالذكر هو العلم و قيل: هو حضور المعنى للنفس بالقول أو غيره مما هو كالعلة، لحضوره بها. و قيل: المراد به هاهنا التكبير أيام منى لأنه الذكر الذى يختصه بالترغيب فيه على غيره من الأوقات. و قيل أيضاً: إنه سائر الدعاء للّه تعالى فى ذلک الموطن، لأنه أفضل من غيره- و هو الأقوى- لأنه أعم.
و قوله: (كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ) معناه
ما روى عن أبى جعفر (ع) أنهم كانوا يجتمعون، يتفاخرون بالآباء، و بمآثرهم، و يبالغون فيه.
و قوله (أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً) إنما شبه الأوجب بما هو دونه فى الوجوب، لأمرين: أحدهما- أنه خرج على حال لأهل الجاهلية كانت معتادة: أن يذكروا آباءهم بأبلغ الذكر على وجه التفاخر، فقيل: اذكروا اللّه كالذكر الذى كنتم تذكرون به آباءكم فى المبالغة، أو أشد ذكراً

---

(1) سورة حم السجدة آية 12.
(2) سورة الاسراء آية: 4.

بما له عليكم من النعمة. هذا قول أنس، و أبى وائل، و الحسن، و قتادة. و الثانى- قال عطا: أذكروه بالاستعانة به، كذكركم آباءكم: الصبى لأبيه إذا قال: يا أباه.
و الأول هو المعتمد.

و إنما نصب (ذكراً) و لم يخفض كما يخفض في قولهم هذا الذكر أشد ذكر، لأن فيه ضميراً منهم نظير قولک: هم أشد ذكراً، و في أشد ضميرهم، و لو قلت مررت به أشد ذكراً لكان منصوباً على الحال فأما الذكر، فعلى التمييز.

فان قيل: الأمر بالذكر هاهنا بعد قضاء المناسک أو معه؟ قيل: أجاز أبو على الوجهين، و استشهد بقولهم: إذا وقفت بعرفات فادع اللّه، و إذا حججت، فطف بالبيت.
و الخلاق: النصيب من الخير، و أصله التقدير، فهو النصيب من الخير على وجه الاستحقاق.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 201] ..... ص : 171

اشارة

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِی الدُّنْیا حَسَنَةً وَ فِی الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنا عَذابَ النَّارِ (201)
آية واحدة.

(ربّنا) منصوب، لأنه منادى و تقديره: يا ربّنا. و إنما حذف حرف النداء، لما كان أصله تنبيه المنادى، ليقبل عليک، و كان اللّه عزّ و جل لا يغيب عنه شىء- تعالى عن ذلک-، سقط حرف النداء للاستغناء عنه. فأما يا اللّه اغفر لى، فيجوز أن يخرج مخرج التنبيه للتأكيد: أن يقبل عليک برحمته، و لأنک تسأله سؤال المحتاج أن ينبه على حالة، لأن ذلک أبلغ فى الدعاء، و أحسن فى المعنى.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 172

و الفرق بين القول و الكلام: أن القول يدلّ على الحكاية، و ليس كذلک الكلام، نحو قال: الحمد للّه، فإذا أخبرت عنه بالكلام قلت تكلم بالحق، و الحكاية تكون على ثلاثة أوجه: حكاية على اللفظ و المعنى، و حكاية على اللفظ فقط، و حكاية على المعنى فقط، فالأول نحو (آتُونِی أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً) «1» إذا حكاه من يعرف لفظه و معناه. الثانى- إذا حكاه من يعرف لفظه دون معناه. الثالث- نحو أن يقول: أتونى أفرغ عليه نحاساً، فيكون حكاه على معناه دون لفظه.

و قوله (آتنا) معناه: أعطنا، فالإتيان الإعطاء. و أصله الأتى، و المجىء، فأتى إذا كان منه المجىء، فآتى إذا حمل غيره على المجىء، كما يقال: أتاه ما يجب، و آتاه غيره ما يحب.
و الحسنة التى سألوها قيل فى معناها قولان:
أحدهما- قال قتادة، و الجبائى، و أكثر المفسرين: إنه نعم الدّنيا، و نعم الآخرة.
الثانى- قال الحسن: العبادة فى الدنيا، و الجنة فى الآخرة، و سميت نعمة اللّه حسنة، لأنها مما تدعو إليه الحكمة. و قيل: الطاعة و العبادة حسنة، لأنها مما يدعو إليه العقل.

و قوله تعالى: (وَ قِنا عَذابَ النَّارِ) فالوقاء: الحاجز الذى يسلم به من الضرر. يقال وقاه يقيه وقاء، و وقاية. و توقى هو توقية و أصل الوقاء الحجز بين الشيئين.
و أصل قنا: أوقنا مثل احملنا، فذهبت الواو لسقوطها فى يقى، لوقوعها بين ياء و كسرة ثم أتبع سائر تصاريف الفعل ما لزمته العلة، و سقط ألف الوصل للاستغناء

_____

(1) سورة الكهف آية: 97.

عنها بتحرک ما بعدها، و حذفت الياء، للوقف الذى هو نظير الجزم.
و الفائدة فى الاخبار عنهم بهذا الدعاء، الاقتداء بهم فيه، لأنه لما حذّر من الدعاء الأول رغّب فى الثانى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 202] ..... ص : 173

اشارة

أُولئِکَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ (202)
آية بلا خلاف.

(أولئک) رفع بالابتداء و خبره لهم نصيب. و معناه أولئک لهم نصيب من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه.

و النصيب: الحظ، و جمعه أنصباء و أنصبة. و حدّ النصيب الجزء الذى يختص به البعض من خير أو شر.
و الكسب: الفعل الذى يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر. و تقول: نصب ينصب نصباً، و نصب نصباً من التعب، و أنصبنى هذا إنصاباً. و انتصب الشىء انتصاباً.
و ناصبه العداوة مناصبة. و النصب إقامتک الشىء. و النصب: الرفع. نصب القوم السير: إذا رفعوه. و كل شىء رفعته، فقد نصبته، و منه نصب الحرف، لأن الصوت يرفع فيه الى الغار الأعلى. و النصب بتغير الحال من مرض أو تعب. و النصب: جمع أنصاب و هى حجارة كانت تنصب فى الجاهلية، و يطاف بها، و يتقرب عندها و هى التى ذكرها اللّه تعالى فى قوله: (وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) «1» و قال: (وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ) «2». و أنصاب الحرم حدوده، و هى حجارة تنصب، ليعرف بها

---

(1) سورة المائدة آية: 4.
(2) سورة المائدة آية: 93.

الحرم. و نصاب السكين، و غيره معروف، و فلان فى نصاب صدق: فى حسب ثابت.
و النصبة: السارية. و المنصب الذى ينصب عليه القدور. و كل شىء استقبلت به شيئاً، فقد نصبته. و أصل الباب القيام.
و قوله تعالى: (وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ) يعنى فى العدل من غير حاجة الى خط و لا عقد، لأنه (عز و جل) عالم به. و إنما يحاسب العبد مظاهرة فى العدل، و إحالة على ما يوجبه الفعل من خير أو شر. و السرعة هو العمل القصير المدة. تقول: سرع سرعة، و أسرع فى المشى إسراعاً، و سارع اليه مسارعة، و تسرّع تسرّعاً، و تسارع تسارعاً، و أقبل فلان فى سرعان قومه أى فى أوائلهم المتسرعين.
و اليسروع: دويبة تكون فى الرمل. و أصل الباب: السرعة.
و تقول من الحساب: حسب الحساب يحسبه حسباً، و حسب الشىء حسباناً، و حاسبه محاسبة، و حساباً، و تحاسبوا تحاسباً، و احتسب احتساباً، و أحسبنى من العطاء إحساباً، أى كفانى (و عَطاءً حِساباً) «1» أى كافياً. و الحسبان سهام صغار.
و قيل منه (وَ يُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ) «2». و قيل عذاباً. و المحسبة وسادة من أدم. و المحسبة غبرة مثل كدرة. و حسب الرجل مآثر

آبائه. و أفعل ذلک بحسب ما أوليتنى. و حسبى أى يكفينى (يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ) «3» أى بغير تضييق (و الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ) «4» أى قدّر لهما مواقيت معلومة لا يعدونها.
و التحسيب: دفن الميت يجب الحجارة «5» و أصل الباب: الحساب، و الحسبان:
الظن، لأنه كالحساب فى الاعتداد به، و العمل به على بعض الوجوه.
و روى عن على (ع) أنه قال: معناه إنه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 203] ..... ص : 174

اشارة

وَ اذْكُرُوا اللَّهَ فِی أَیَّامٍ مَعْدُوداتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِی یَوْمَیْنِ فَلا إِثْمَ عَلَیْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَیْهِ لِمَنِ اتَّقی وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّکُمْ إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ (203)

---

(1) سورة النبأ آیة: 36.
(2) سورة الکهف آیة: 41.
(3) سورة البقرة آیة: 112.
(4) سورة الرحمن آیة: 5.
(5) هکذا فی المطبوعة و فی لسان العرب (حسب) التحسیب دفن المیت فی الحجارة.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 175
آیة بلا خلاف.

هذا أمر من اللَّه تعالى للمكلفين أن يذكروا اللَّه فى الأيام المعدودات: و هى أيام التشريق: ثلاثة أيام بعد النحر، و هو قول ابن عباس، و الحسن و مالک، و الأيام المعلومات: عشر ذى الحجة، و هو قول ابن عباس أيضاً، و ذكر الفراء: أن المعلومات:
هى أيام التشريق، و المعدودات العشر. و فيه خلاف ذكرناه فى اختلاف الفقهاء.
و سميت معدودات لأنها قلائل، كما قال: «وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ» «1» أى قليلة. و الجمع بالألف و التاء يصلح للقليل و الكثير، و القليل أغلب عليه. و أنكر الزجاج ما يروى فى قول حسان:
لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى و أسيافنا يقطرن من نجدة دما «2»
من أنه عيب عليه، و زعم أن الخبر موضوع، و قال الألف و التاء يصلح للكثير قال اللَّه تعالى: «وَ هُمْ فِى الْغُرُفاتِ آمِنُونَ» «3» و قال: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ» «4» و إنما احتمل هذا الجمع القليل و الكثير، لأن جمع السلامة على طريقة واحدة لا يتميز فيه قليل من كثير، و كان القليل أغلب عليه، لشبهه بالتثنية.
و الآية تدل على وجوب التكبير فى هذه الأيام، و هو أن يقولوا: اللَّه أكبر اللَّه أكبر لا إله إلا اللَّه و اللَّه أكبر اللَّه أكبر و للَّه الحمد. و به قال الحسن و الجبائى، و زاد أصحابنا على هذا القدر: اللَّه أكبر على ما هدانا و الحمد للَّه على ما أولانا،

---

(1) سورة يوسف آية: 20.
(2) ديوانه: 69. الجفنات جمع جفنة و هى القصعة الكبيرة، و الغر: البيض. و هذا البيت قيل: ان حسان قد فاز به فى بعض السنين بسوق عكاظ و قد أعابته الخنساء فى الجفنات لأنها جمع قلة و فى الغر لأنه لا يدل على أن القصاع ممتلأة طعاماً، و على قوله: يقطرن، و لم يقل يجرين.
(3) سورة سبأ آية: 37.
(4) سورة الحجر آية: 45. [.....]

و رزقنا من بهيمة الانعام. و أول التكبير- عندنا- لمن كان بمنى، عقيب الظهر من يوم النحر الى الفجر يوم الرابع من النحر: عقيب خمسة عشرة صلاة، و فى الأمصار عقيب الظهر من يوم النحر الى عقيب الفجر يوم الثانى من التشريق: عقيب عشر صلوات، و اختار الجبائى من صلاة الغداة من يوم عرفة الى صلاة العصر آخر يوم التشريق. و فيه خلاف ذكرناه فى

الخلاف.
و قوله تعالى: «فَمَنْ تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ».
المعنى فى ذلک الرخصة فى جواز النفر فى اليوم الثانى من التشريق و إن أقام الى النفر الأخير، و هو اليوم الثالث من التشريق، كان أفضل، فان نفر فى الأول، نفر بعد الزوال الى الغروب، فان غربت فليس له أن ينفر. و قال الحسن إنما له أن ينفر بعد الزوال الى وقت العصر، فان أدركته صلاة العصر، فليس له أن ينفر إلا يوم الثالث و ليس للإمام أن ينفر فى النفر الأول، و به قال الحسن.
و قوله تعالى: «فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ» قيل فيه قولان: أحدهما- لا إثم عليه لتكفير سيئاته بما كان من حجه المبرور و هو معنى قول ابن مسعود. الثانى- قال الحسن: لا إثم عليه فى تعجّله و لا تأخره. و إنما نفى الإثم، لئلا يتوهم ذلک متوهم فى التعجّل، و جاء فى التأخر على مزاوجة الكلام كما تقول: إن أظهرت الصدقة، فجائز. و إن أسررتها، فجائز، و الاسرار أفضل.
و قوله تعالى: «لِمَنِ اتَّقى» قيل فيه قولان: أحدهما- لما قال «فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ» دّل على وعده بالثواب، فقيد ذلک بالتقوى للّه تعالى، لئلا يتوهم أنه بالطاعة فى النفر فقط. و الثانى- أنه لا إثم عليه فى تعجّله إذا لم يعمل لضرب من ضروب الفساد، و لكن لاتباع إذن اللّه فيه. و قالوا: معنى تجديد الأمر بالتقوى هاهنا التحذير من الاتكال على ما سلف من أعمال البرّ فى الحج، فبين أن عليهم مع ذلک ملازمة التقوى، و مجانبة المعاصى.
و روى أصحابنا: أن قوله «لِمَنِ اتَّقى» متعلق بالتعجّل فى اليومين، و تقديره «فَمَنْ تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ» «لِمَنِ اتَّقى» الصيّد الى انقضاء النفر الأخير التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 177
و ما بقى من إحرامه، و من لم يتقها، فلا يجوز له النفر فى الأول، و هو اختيار الفراء، و المروى عن ابن عباس،
و روى عن أبى عبد اللّه (ع) فى قوله تعالى «فَمَنْ تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ» أى من مات فى هذين اليومين، فقد كفّر عنه كل ذنب. و من تأخر أى أنسئ أجله، فلا إثم عليه بعدها إذا اتقى الكبائر.

و العامل فى اللام فى قوله «لِمَنِ اتَّقى» قيل فيه قولان: أحدهما- ذلک (من اتقى) فحذف ذلک لأن الكلام الأول دلّ على وعدٍ للعامل. و الثانى- أن يكون العامل معنى «فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ»، لأنه قد تضمن معنى جعلناه «لِمَنِ اتَّقى».

و قوله تعالى: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معناه اجتنبوا معاصى اللَّه، «وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» أى تحققوا أنكم بعد موتكم تردون الى اللَّه، فيجازيكم على أعمالكم.

تقول: حشر يحشر حشراً، فالحشر: جمع القوم من كل ناحية الى مكان.

و المحشر: مجتمعهم: و هو المكان الذى يحشرون فيه، و حشرتهم السّنة: إذا أجحفت بهم، لأنها تضمهم من النواحى الى المصر. و سهم حشر: خفيف لطيف، لأنه ضامر باجتماعه. و منه أذن حشره: لطيفة ضامرة. و حشرات الأرض: دوابها الصغار، و الواحدة حشرة، لاجتماعها من كل ناحية. و دابّة حشور: إذا كان ملزّزة الحلق شديدة. و رجل حشور: إذا كان عظيم البطن. و حشرت السنان، فهو محشور: إذا رفقته و ألطفته. و أصل الباب الاجتماع.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 204] ..... ص : 177

اشارة

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ یُشْهِدُ اللَّهَ عَلی ما فِی قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ (204)
آیة واحدة.
قال الحسن: المعنی بهذه الآیة المنافق. و قال قوم: المعنی: بها المرائی. و

إنها نزلت فی الأخنس بن شریق ذکره السدی و غیره.

و الاعجاب هو السرور بالشىء سرور العجب بما يستحسن. و منه العجب بالنفس، و السرور بها سرور العجب من الشىء استحساناً له، و ذلک إذا تعجب من شدة حسنه. و تقول: عجب عجباً، و تعجب تعجباً، و عجبه تعجيباً، و أعجبه إعجاباً، و استعجب استعجاباً أى اشتد تعجبه. و العجاب: العجيب، و أعجبنى هذا: إذا كان حسناً جداً. و المعجب بنفسه أو بالشىء معروف. و قال الأزهرى: العجب كل شى غير مألوف، و عجب الذَنب: العظم الذى ينبت عليه شعر الذنب فى المعز، و رأيت أعجوبة و أعاجيب. و أصل الباب العجب.

و قوله تعالى: «فِى الْحَياةِ الدُّنْيا» أى وقت الحياة الدنيا فالحىّ هو من لا يستحيل، و هو على ما هو عليه أن يكون عالماً قادراً.

و قوله: «وَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِى قَلْبِهِ» فأصل الاشهاد: هو الإقرار بالشىء ليشهد به المقر عنده. و المراد فى الآية: من يقرّ بالحق، و يقول: أللهم اشهد علىّ، و ضميره على خلافه.

و قوله تعالى: «وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ» يقال لدّه يلدّه لدّاً: إذا غلبه فى الخصومة، ولدّه يلدّه: إذا أوجره فى أحد خقى فمه. ولدّت تلدّ لدّاً و هو شدة الخصومة. و جانبا كل شىء لديداه، فمنه لديدى الوادى. و لديدى العنق: صفحتاه. ولدّه عن كذا: إذا حبسه. و التلدّد: التلفت عن تحير و أصل الباب اللديد: الجانب.

و الخصام: هو المخاصمة. تقول: خاصمه يخاصمه مخاصمة، و خصاماً، و تخاصماً، و اختصما اختصاماً، و استخصمهم استخصاماً. و الخُصم طرف الرواية الذى بحيال العزلاء «1» من مأخرها، و طرفها الأعلى و هو العصم. و الأخصام من

---

(1) فى المطبوعة (الدراية الذى بحبال العولاء) و هو تصحيف.

كل شىء جوانبه، كجوانب الخوالق الذى فيه العرى، يحمل به. و أصل الباب الخصومة.

و معنى «ألدّ» فى الآية: هو الشديد الجدل بالخصومة الى ما يريد، قال الشاعر:
ثم أردّى و بهم من تُردى تلدّ أقران الخصوم اللدّ «1»
و قال الزجاج: الخصام جمع خصم. و المعنى هو أشد المخاصمين خصومة.
و قال غيره: هو مصدر. و معنى الآية أنه تعالى وصف المنافقين، فقال: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُکَ» يا محمد «قوله» فى الظاهر، و باطنه بخلافه «وَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ» جدل مبطل.
و من قرأ (و يشهد اللَّه)- بفتح الياء- معناه أنه تعالى يشهد عليه بنفاقه، و إظهاره خلاف ما يبطن. و القراءة العامة هى الأولى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 205] ..... ص : 179

اشارة

وَ إِذا تَوَلَّى سَعى فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِکَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ (205)
آية واحدة.
فى قوله تعالى: «وَ إِذا تَوَلَّى» ضمير عمن تقدم ذكره و هو «مَنْ يُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا» و التوّلى: هو الانحراف، و الزوال عن الشىء الى خلاف جهته. و السعى هو الاسراع فى المشى و قيل: إنه العمل، و قال الأعشى:
و سعى لكندَة غير سعى مواكل قيسٌ فضرّ عدوّها و بنى لها «2»

_____
(1) معانى القرآن للفراء 1: 123 قدم البيت الثانى على الأول، و اللسان (لدد) ذكر البيت الثانى فقط. و رواية اللسان (ألد) بدل (تلد). و رواية معانى القرآن:
ألد أقران الرجال اللد
و فى تفسير الطبرى 4: 235 كالذى ذكره الشيخ سراء.
(2) ديوانه: 31. رقم القصيدة: 3.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 180
أى عمل لها. و قوله: «فِى الْأَرْضِ» دخلت الألف و اللام فى الأرض، لتعريف الجنس، لأن الأرض و إن كانت واحدة بعينها فلو خلق اللّه مثلها، لكانت أرضاً، كما أن الشمس، و القمر كذلک، و فارق ذلک زيداً و عمراً- فى أسماء الأعلام- و امتناع دخول الألف و اللام عليهما، لأن اللّه تعالى لو خلق مثل زيد لم يجب أن يكون زيداً، على أن الأرضين السبعة كما قال تعالى: «خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» «1» فعلى هذا لا يتوجه السؤال.
و الإفساد: هو عمل الضرر بغير استحقاق، و لا وجه من وجوه المصلحة.
و الإهلاک: العمل الذى ينفى الانتفاع.
و قوله: «لِيُفْسِدَ فِيها» نصب بإضمار (أن) و يجوز إضمارها، فتقول: لأن يفسد فيها، و لا يجوز إظهارها فى قوله: «ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ» «2».
و إنما جاز حذفها فى «ليفسد» لدلالة الكلام عليها مع كونها فى حروف الاضافة حتى حذفت فى قولهم: غلام زيد، و ما أشبهه مع كثرته فى الكلام، و جاز إظهارها، لأنه الأصل من غير مانع فى الاستعمال، و إنما امتنع فى قوله: «ليذر» لما يرجع الى المعنى، لأن معناه كمعنى (ما كان زيد ليفعل) أى ما كان فاعلا، فلما تضمن غير المعنى الذى توجبه صورته لم يتصرف فى لفظه، و لأنه لما كان محمولا على تأويل معنى لم يذكر، حمل أيضاً على تأويل لفظ لم يذكر. و الفرق بين دخول اللام فيها أن اللام دخلت فى

«ليفسد» على إضافة السعى الى الفساد، على أصل الاضافة فى الكلام. و دخولها فى «ليذر» فإنما هو لتأكيد النفى بتحقيق تعلقه بالخبر كما دخلت الباء فى (ليس زيد بقائم)، لأن النفى لما كان للخبر و ولى حرف النفى الاسم، دخلت الباء، لتدل على اتصاله فى المعنى بحرف النفى.

و الحرث: الزرع. و النسل: العقب من الولد. و قال الضحاک: الحرث: کل

---

(1) سورة الطلاق آية: 12.
(2) سورة آل عمران آية: 179.

نبات، و النسل: کل ذات. و يقال: نسل ينسل نسولًا: إذا خرج، فسقط. و منه نسل و بر البعير أو شعر الحمار أو ريش الطائر. و النسالة: قطعة من الوبر، قال اللّه تعالى: «إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ» «1» أى يسرعون، لأنه إسراع الخروج بحدّة.
و النسل: الولد، ما نسل بعضه من بعض. و الناس نسل آدم، لخروجهم من ظهره.
و النسل و النسلان: عدو من عدو الذئب فيه اضطراب. و النسيلة: فتيلة السراج، و أصل الباب النسول: الخروج. و حکى الزجاج: أن الحرث: الرجال، و النسل:
الأولاد. و ذکر الأزهرى: أن الحرث: النساء، و النسل الأولاد، لقوله تعالى: «نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ» «2».

و قوله تعالى: «وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ» يدلّ على فساد قول المجبرة: إن اللَّه تعالى يريد القبائح، لأن اللَّه تعالى نفى عن نفسه محبة الفساد. و المحبة هى الارادة، لأن كل ما أحب اللَّه أن يكون، فقد أراد أن يكون، و ما لا يحب أن يكون لا يريد أن يكون. و معنى الآية: إذا خرج هذا المنافق من عندک يا محمد غضبان، عمل فى الأرض بما حرّم اللَّه عليه و حاول معصيته، و قطع الطريق، و أفسد النسل، و الحرث على عباده. «وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ».

اشارة

وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ (206) آية بلا خلاف.

قيل فى المعنى بهذه الآية قولان: أحدهما- قال ابن عباس: إنه كل منافق.
و الثانى- قال السدى: إنه الأخنس بن شريق، و الاتقاء طلب السلامة بما يحجز

---

(1) سورة يس آية: 51.
(2) سورة البقرة آية: 223.

من المخافة، و اتقاء اللّه إنما هو اتقاء عذابه.
و قوله: «أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ» قيل فى معناه قولان: أحدهما- قال الحسن أخذته العزة الى الإثم، كما تقول: أخذت فلاناً «1» بأن يفعل: أى دعوته الى أن يفعل «2».
و معنى قوله: «وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ» هو الاشعار بالدليل على نفاقه، لفضيحته بذلک عند المؤمنين- على ما قاله قتادة-، و يجوز أن يكون الذمّ له على تلک الحال القبيحة.
و قوله: «وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ» الوطء. فان قيل: كيف قيل لجهنم مهاد. قلنا عنه جوابان:
أحدهما- قال الحسن: معناه القرار هاهنا، و القرار كالوطأ فى الثبوت عليه.
الثانى- لأنها بدل من المهاد كما قال تعالى: «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» «3» لأنه موضع البشرى بالنعيم على جهة البدل منه.

و المهاد فى اللغة: الوطء من كل شىء تقول: مهدت الفراش تمهيداً، و كل شىء وطأته فقد مهدته، و تمهد الشىء: إذا يوطأ، و كذلک امتهد امتهاداً، و مهد الصبى معروف، و جمع المهاد، مُهد، و ثلاثة أمهدة «و الْأَرْضَ مِهاداً» «4» لأجل التوطئة للنوم، و القيام عليها، و أصل الباب التوطئة.
و الأخذ: ضد الإعطاء. و العزة: القوة التى يمتنع بها من الذلة.

فمعنى الآية: أن هذا المنافق الذى نعتّه لک بأنه يعجبک قوله فى الحياة الدنيا

---

(1) فى المطبوعة «قد كنا» و هو تصحيف.
(2) ذكر قولا واحداً و لم يذكر الثانى و فى مجمع البيان ذكر القولين و نقل القول الثانى عن الحسن، و أطلق هذا و لم يذكر قائله، راجع صفحة: 301 من مجمع البيان طبع صيدا.
(3) سورة آل عمران آية: 21.
(4) سورة النبأ آية: 6.

«إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ» فى سعيک فى الأرض بالفساد و إهلاک الحرث و النسل، دخلته عزة و حمية، فقال تعالى: فكفاه عقوبة من ضلاله أن يصلى نار جهنم، فإنها بئس المهاد لمن يصلاها.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 207] ..... ص : 183

اشارة

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ (207) آية بلا خلاف.

قال قتادة: نزلت هذه الآية فى المهاجرين و الأنصار. و قال عكرمة: نزلت فى أبى ذرّ الغفارى: جندب بن السكن، و صهيب بن سنان، لأن أهل أبى ذر أخذوا أبا ذر، فانفلت منهم، فقدم على النبى (ص)، فلما رجع مهاجراً عرضوا له، و كان بمر الظهران، فانفلت أيضاً منهم حتى قدم النبى (ص)، فلما رجع مهاجراً عرضوا له، فانفلت حتى نزل على النبى (ص). فأما صهيب، فانه أخذه المشركون من أهله فافتدى منهم بماله ثم خرج مهاجراً، فأدركه منقذ بن ظريف بن خدعان، فخرج له مما بقى من ماله، و خلّى سبيله.
و روى عن أبى جعفر (ع) أنه قال: نزلت فى على (ع) حين بات على فراش رسول اللّه (ص) لما أرادت قريش قتله، حتى خرج رسول اللّه (ص) وفات المشركين أغراضهم
، و به قال عمر بن شبه.

و روى عن على (ع)، و ابن عباس: أن المراد بالآية: الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر.
و قال الحسن: هى عامة فى كل من يبيع نفسه للّه بأن يقيم نفسه فى جهاد عدوّه، و الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر و غير ذلک مما أمر اللّه به، و توّعد على خلافه. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 184
و قوله تعالى: «يَشْرِى نَفْسَهُ» معناه يبيع نفسه، و قد بينا فيما مضى أن الشراء يكون بمعنى البيع، كما قال: «وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ» «1» أى باعوه و قال الشاعر: «2»
و شريت برداً ليتنى من بعد برد كنت هامه «3»
أى بعت. و الشراء استبدال العوض بالثمن. و شرى باع و اشترى ابتاع.
و شرا هاهنا مجاز، لأن أصله فى الأثمان من العين، و الورق، لذلک لا يقال: باع متاعه إذا تصدق به، لأن الأظهر إذا أطلق أنه باعه بالثمن.
و قوله تعالى: «ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّٰهِ» معناه طلب مرضات اللّٰه، و مثله «حذر الموت» «4» قال الشاعر: «5»
و أغفرُ عوراءَ الكريم ادّخاره و أعرض عن شتم اللئيم تكرما «6»
و لا يجوز قياساً على ذلک فعله زيداً أى لزيد. و يجوز فعله خوفاً، لأن فى ذكر المصدر دليلا على العرض الداعى الى الفعل، و ليس كذلک ذكر زيد، و المرضاة و الرضى واحد و هو ضد السخط.
قوله تعالى: «وَ اللّٰهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ» قد بينا فيما مضى معنى الرؤوف، و الخلاف فيه، و معناه ذو رحمة واسعة بعبده الذى شرى نفسه له فى جهاد من جاهد فى أمره من أهل الشرک، و الفسوق. و إنما ذكر الرؤوف بالعباد هنا للدلالة على أنه انما رغّب العبد فى بيع نفسه بالجهاد فى نفسه رأفة به، و حسن نظر له، ليبتليه من الثواب المستحق على عمله ما لا يجوز أن يصل إليه فى جلالته إلا بتلک المنزلة.

---

(1) سورة يوسف آية: 20.
(2) هو يزيد بن مفرغ الحميرى.
(3) مر تخريجه فى 1: 348. و روايته هناک (من قبل) بدل (من بعد) و البيت مروى بالوجهين. [.....]
(4) سورة البقرة آية: 19.
(5) هو حاتم.
(6) ديوانه: 24، و نوادر أبى زيد: 11، و الخزانة 1: 491. و غيرها و فى البيت اختلاف كثير فى الرواية، و الشاهد فيه عندهم نصب (ادخاره) على

أنه مفعول له.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 185

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 208] ..... ص : 185

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَافَّةً وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (208)
آية واحدة.

قرأ أهل الحجاز، و الكسائى «السلم»- بفتح السين-. الباقون- بكسرها-

قال الأخفش: السلم- بكسر السين-: الصلح، و بفتحها، و فتح اللام: الاستسلام. و قال الزجاج: السلم جميع شرائعه. و يقال: السِلم، و السَلم معناهما الإسلام، و الصلح. و فيه ثلاث لغات: كسر السين، و فتحها مع تسكين اللام، و فتحها. و قال أبو عبيدة: السِلم- بكسر السين- و الإسلام واحد، و هو فى موضع آخر المسالمة، و الصلح.

و قال ابن عباس، و السدى، و الضحاک، و مجاهد: معنى السلم هاهنا الإسلام، و به قال قتادة. و قال الربيع: معناه ادخلوا فى الطاعة، و هو اختيار البلخى قال: لأن الخطاب للمؤمنين بقوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» و اختار الطبرى الوجه الأول، و الأمران جميعاً عندنا جائزان محتملان، و حملها على الطاعة أعم، و يدخل فيه ما رواه أصحابنا من أن المراد به الدخول فى الولاية، قال أبو على: من قرأ بفتح السين، ذهب إلى أن معناه: المسالمة، و الصلح، و ترک الحرب بإعطاء الجزية. و من كسرها، اختلفوا منهم من حمله على الإسلام، و منهم من حمله على الصلح أيضاً.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 186

و قوله تعالى: «كافة» معناه جميعاً، و هو نصب على الحال من ضمير المؤمنين.
و قيل من حال السلم، و اشتقاقه فى اللغة مما يكف الشىء فى آخره، من ذلک كفة القميص، يقال لحاشية القميص: كفة. و كل مستطيل، فحرفه كفة. و يقال فى كل مستدير: كفة، نحو كفة الميزان. و إنما سميت كفة الثوب، لأنها تمنعه أن ينتشر.
و أصل الكف: المنع، و منه قيل لطرف اليد: كف، لأنها يكف بها عن سائر البدن:
و هى الراحة مع الأصابع، و من هذا قيل: رجل مكفوف أى قد كف بصره أن يبصر، و كفّ من الشىء يكف كفاً: إذا انقبض عنه. و كل شىء جمعته، فقد كففته. و استكفّ السائل: إذا بسط كفه يسأل. و استكف القوم بالشىء: إذا أحدقوا به. و تكفف السائل: إذا مدّ كفه للسؤال. و لقيته كفة لكفة: إذا لقيته مفاجأة. و المكفوف: الأعمى. و الكفف: دارات الوسم. و الكفة: ما يصاد به الظباء: كالطوق.

فمعنى الآية على هذا: ابلغوا فى الإسلام إلى حيث تنتهى شرائعه، فتكفوا من أن تعدوا شرائعه. و ادخلوا كلكم حتى يكف عن عدد واحد لم يدخل فيه.
و قيل: معنى الآية: أن قوماً من اليهود أسلموا و أقاموا على تحريم السبت، و تحريم لحم الإبل، فأمرهم اللّه تعالى أن يدخلوا فى جميع شرائع الإسلام.
و قال بعض أهل اللغة: جائز أن يكون أمرهم و هم مؤمنون أن يدخلوا فى الايمان: أى يقيموا على الايمان كما قال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» «1» و كلا القولين جائز.
و قوله «وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ» أى لا تتبعوا آثاره، لأن تركككم شيئاً من شرائع الإسلام اتباع الشيطان. و خطوات: جمع خطوة و فيها ثلاث لغات: خطوات- بضم الطاء، و فتحها، و إسكانها.

---

(1) سورة النساء آية: 135.

و قوله تعالى: «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» عداوته للمؤمنين. و إبانة عداوته لنا هو أن ينسها لمن يراه من الملائكة، و الجن، و نحن و إن لم نشاهده، فقد علمنا معاداته لنا، و دعاءه إيانا الى المعاصى، فجاز أن يسمى ذلک إبانة. و قال الجبائى:
أبان عداوته لآدم و الملائكة (ع)، فكان بذلک مبيناً لعداوته إيانا.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 209] ..... ص : 187

اشارة

فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْكُمُ الْبَيِّناتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (209)
آية واحدة.

أنزل اللَّه تعالى هذه الآية، و قد علم أنه سيزل الزالّون من الناس، فتقدم في ذلک، و أوعد فيه، لکی تکون الحجة علی خلقه. يقال: زلّ يزل زلًا، و زللًا، و مزلًا، و زلولًا. و معنی الآية «فَإِنْ زَلَلْتُمْ» بمعنی تنحيتم عن القصد، و الشرائع، و ترکتم ما أنتم عليه من الدين «مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْكُمُ الْبَيِّناتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» فی نعمته «حکيم» فی أمره، لا تعجزونه، و حکيم فيما شرع لکم من دينه، و فطرکم عليه، و فيما يفعل بکم من عقوبة علی معاصيکم إياه بعد إقامة الحجة عليکم.
و ذکر جماعة من أهل التأويل: أن «البينات» هم محمد (ص) و القرآن، ذهب اليه السدی، و ابن جريج، و غيرهما. و قيل: زلّ فی الآية: مجاز تشبيهاً بمن زلّ عن قصد الطريق، و حقيقته: عصيتم اللَّه فيما أمرکم به أو نهاکم عنه. و الأولی أن يکون ذلک حقيقة بالعرف.
و فی الآية دلالة علی بطلان مذهب المجبرة: أن اللّه يريد القبيح، لأنه لو أراده لما صح وصفه بأنه حکيم. فان قيل: سواء زلّ العباد أو لم يزلوا، وجب أن يعلم أن اللَّه عزيز حکيم فما معنی الشرط؟ قيل، لأن معنی «عزيز» هو القادر الذی لا يجوز عليه المنع من عقابکم «حکيم» فی عقوبته إياکم، فکأنه قال: فاعلموا أن العقاب واقع بکم لا محالة، لأنه عزيز لا يجوز أن يحول بينه و بين عقوبتکم حائل، التبيان فی تفسير القرآن، ج2، ص: 188
و لم يمنعه مانع «حکيم» فی عقوبته إياکم، و ذلک أن حری لهم وصفه بأنه عزيز أنه قدير لا يمنع، لأنه قادر لنفسه. و «حکيم» معناه عليم بتدبير الأمور.
و يقال: «حکيم» فی أفعاله بمعنی محکم لها و أصل العزة الامتناع، و منه أرض عزاز: إذا کانت ممتنعة بالشدة و أصل الحکمة المنع من قول الشاعر:
أبنی حنيفة أحکموا سفهاءکم إنی أخاف عليکم أن أغضبا «1»
و منه حکمة الدابة

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 210] ..... ص : 188

اشارة

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَ الْمَلائِكَةُ وَ قُضِىَ الْأَمْرُ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (210)
آية واحدة.

قرأ أبو جعفر (و الملائكة) بالخفض. الباقون بضمها. و قرأ ابن عامر، و حمزة، و الكسائى (ترجع الأمور) بفتح التاء. الباقون بضمها.

الظلل: جمع ظلة. و معنى الآية أن يأتيهم عذاب اللَّه، و ما توعدهم به على معصيته، كما قال: «فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» «2» أى آتاهم خذلانه إياهم.
و المختار عند أهل اللغة الرفع فى «الملائكة» عطفاً على اللَّه، كأنه قال: و تأتيهم الملائكة. و من كسر عطف على ظلل، و تقديره فى ظلل من الغمام، و ظلل من الملائكة.
و قوله: «وَ قُضِيَ الْأَمْرُ» أى فزع لهم مما كانوا يوعدون به.

---

(1) قائله جرير، ديوانه 1: 23، و اللسان (حكم).
(2) سورة الحشر آية: 2.

و قوله: «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» لا يدلّ على أن الأمور ليست إليه الآن و فى كل وقت. و معنى الآية الاعلام فى أمر الحساب، و الثواب، و العقاب أى إليه، فيعذب من يشاء، و يرحم من يشاء، فلا حاكم سواه. و يحتمل أن يكون المراد: أنه لا أحد ممن يملك فى دار الدنيا إلا و يزول ملكه ذلك اليوم.
و شبهت الأهوال بالظلل من الغمام، كما قال: «مَوْجٌ كَالظُّلَلِ» «1» و معنى الآية: ما ينظرون- يعنى المكذبين بآيات اللَّه- محمداً و ما جاء به من القرآن و الآيات إلا أن يأتيهم أمر اللّه و عذابه «فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَ الْمَلائِكَةُ»، فهل بمعنى (ما)، كما يقول القائل: هل يطالب بمثل هذا إلا متعنت أى ما يطالب. و ينظرون- فى الآية- بمعنى ينتظرون. و قد يقال: أتى و جاء فيما لا يجوز عليه المجىء، و الذهاب، يقولون أتانى وعيد فلان، و كلام فلان، و كل ذلك لا يراد به الإتيان الحقيقى قال الشاعر:

أتانى كلام من نصيب يقوله و ما خفت يا سلّام أنك عائبى «2»

و قال آخر:

أتانى نصرهم و هم بعيد بلادهم بلاد الخيزران «3»

فكأن المعنى فى الآية: إن الناس فى الدنيا يعتصم بعضهم ببعض، و يفزع بعضهم الى بعض فى الكفر و العصيان، فإذا كان يوم القيامة انكشف الغطاء، و أيقن الشاك، و أقرّ الجاحد، و علم الجاهل، فلم يعصم أحد من اللَّه أحداً، و لم يكن له من دون اللّه ناصر، و لا من عذابه دافع، و علم الجميع أن الأمر كله للّه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 211] ..... ص : 189

اشارة

سَلْ بَنِی إِسْرائِیلَ کَمْ آتَیْناهُمْ مِنْ آیَةٍ بَیِّنَةٍ وَ مَنْ یُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعِقابِ (211)
آیة واحدة.

_____

(1) سورة لقمان آیة: 32.
(2) البیت فی نوادر أبی زید: 46، و معانی القرآن للفراء 1: 146.
(3) البیت للنابغة الجعدی اللسان (خزر) فی المطبوعة (بأرض) بدل (بلاد).
التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 190

أهل الحجاز يقولون: سل بغير همز. و بعض بنى تميم يقولون: اسأل بالهمز، و بعضهم يقولون: اسل بالألف و طرح الهمز- و الأولى أحسنها لأنها خط المصحف.

و فى الآية تنبيه و تقريع للكفار من بنى إسرائيل، و نظيره قول الرجل فى صاحبه إذا فزّعه و ربحه و أراد أن يلزمه الحجة، و يبين عن كفرانه للنعمة ليوقع به العقوبة- لمن بحضرته-: سله كم أعددت له و حذرته.
و الآيات البينات ما ذكرها اللّه تعالى: من قلب عصا موسى حية، و يده البيضاء، و فلقه البحر، و تغريق عدوهم من فرعون و أصحابه، و تظليله عليهم الغمام، و إنزال المن و السلوى، و ذلک من آيات اللّه التى أتى بها بنى إسرائيل، فخالفوا جميع ذلک، و قتلوا أنبياءه، و رسله، و بدّلوا عهده، و وصيته إليهم.
و قوله: «وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ» معناه: يغير يعنى بها الإسلام، و ما فرض فيه من شرائع دينه بعد ما عهد إليه و أمره به من الدخول فى الإسلام، و العمل بشرائعه، فيكفر به، فانه يعاقبه بما أوعده على الكفر به من العقوبة «وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ». و قال الزجاج فيه حذف و تقديره شديد العقاب له، و يجوز أن يكون معناه: شديد العقاب لكل من يستحقه، فيدخل فيه هذا المذكور، فأما أن يكون على معنى شديد العقاب لغيره، فلا يجوز إذا لم يكن للمذكور مدخل فيه. و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة: من أنه ليس للّه على الكافر نعمة، لأنه حكم عليهم بتبديل نعم اللّه، كما قال: «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها وَ أَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ» «1» و قال: «بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ» «2».

_____

(1) سورة النحل آية: 83.
(2) سورة ابراهيم آية: 28.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 212] ..... ص : 191

اشارة

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَياةُ الدُّنْيا وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ (212)
آية واحدة.

إنما ترک التأنيث فى قوله زيّن و الفعل فيها مسند الى الحياة و هى المرتفعة به، لأنها لم يسم فاعلها لشيئين:
أحدهما- أن تأنيث الحياة ليس بحقيقى، و ما لا يكون تأنيثه حقيقياً، جاز تذكيره، كقوله تعالى: «فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ» «1» و قوله: «قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ» «2» «وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ» «3».
و الثانى- أنه لما فصل بين الفعل و الفاعل بغيره، جاز ترک التأنيث، و قد ورد ذلک فى التأنيث الحقيقى، و هو قولهم حضر القاضى اليوم امرأة، فإذا جاز ذلک فى التأنيث الحقيقى، ففيما ليس بحقيقى، أجوز، و قد قيل: إنما ترک التأنيث فى هذا الموضع، لأنه قصد بها المصادر، فترک لذلک التأنيث. و قيل فى معنى تزيين الحياة الدنيا قولان:
أحدهما- قال الحسن، و الجبائى، و غيرهما- أن المزين لهم إبليس و جنوده، لأنهم الذين يغوون، و يقوّون دواعيه، و يحسنون فعل القبيح، و الإخلال بالواجب و يسوّفون لهم التوبة، فأما اللَّه تعالى، فلا يجوز أن يكون المزين له، لأنه زهّد فيها، فأعلم أنها متاع الغرور، و توّعد على ارتكاب القبائح فيها.
و القول الثانى- إن اللَّه تعالى خلق فيها الأشياء المعجبة، فنظر إليها الذين كفروا بأكثر من مقدارها، كما قال:

---

(1) سورة البقرة آية: 275.
(2) سورة الانعام آية: 104.
(3) سورة هود آية: 67. [.....]

«زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ» «1» و إنما أراد بذلک ما جبل الخلق عليه من الميل الى هذه الأشياء، لا أنه حسن جميعها، و لم يقبح شيئاً منها، و كلاهما جائزان حسنان.
و التزيين، و التحسين واحد، و الزين: خلاف الشين، و الزينة: اسم جامع لكل ما يتزين به، و هذا أمر زائن له أى مزين له.
و قوله: «وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» معناه: أن قوماً من المشركين كانوا يسخرون من قوم من المسلمين، لأن حالهم فى ذات اليد كانت قليلة، فأعلم اللَّه تعالى:
أن الذين اتقوا فوقهم يوم القيامة، لأن المسلمين فى عليين، و الفجار فى الجحيم، كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ» «2» ثم أخبر عن المؤمنين أنهم يضحكون منهم- فى الآخرة-، فقال: «فَالْيَوْمَ

الّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ» «3».
و قوله: «وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ» قيل فيه خمسة أقوال:
أحدها- أن معناه: أنه يعطيهم الكثير الواسع الذى لا يدخله الحساب من كثرته.
الثانى- أنه ليس يرزق المؤمن على قدر إيمانه، و لا الكافر على قدر كفره فى الدنيا، و لكن الرزق فى الآخرة على قدر العمل، و ما يتفضل اللّه به، و يضاعف به عن رجل على المؤمنين ما يشاء من فضله زيادة على كفايته.
الثالث- أنه يعطى عطاء لا يأخذه بذلک أحد، و لا يسأله عنه سائل، و لا يطالب عليه بجزاء، و لا مكافاة، و لا يثبت ذكره مخافة الاعدام، و الاقلال، لأن عطيته ليست من أصل ينقص، بل خزائنه لا تفنى، و لا تنفد (جل اللّه تعالى).
و الرابع- قال قطرب معناه: أنه يعطى العدد من الشىء، لا مما يضبط بالحساب، و لا يأتى عليه العدد، لأن ما يقدر عليه غير متناه، و لا محصور، فهو

---

(1) سورة آل عمران آية: 14.
(2) سورة المطففين آية: 29.
(3) سورة المطففين آية: 34.

يعطى الشىء لا من عدد أكثر منه و لا ينقص منه كالمعطى من الآدميين الألف من الألفين و العشرة من المائة.
و الخامس- قال بعضهم: إنما عنى بذلک إعطاء أهل الجنة، لأن اللَّه تعالى يعطيهم ما لا يتناهى، و لا يأتى عليه الحساب، فكل ذلک حسن جائز، و إنما قال:
«وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» و لا فضل للكفار فى الآخرة لأمرين:
أحدهما- أن أحوالهم فى الآخرة فوق حال هؤلاء الكفار فى الدنيا.
و الثانى- أن يكون محمولا على قوله تعالى «أَصْحابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا» «1» و كما قال حسان يعنى رسول اللّه و أبا جهل.
فشر كما لخير كما الفداء «2»
و معنى «يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» أى يهزءون بهم فى زهدهم فى الدنيا، لأنهم يوهمهم أنهم على حق، و يفهم عنهم أن اعتقادهم بخلاف ذلک.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 213] ..... ص : 193

اشارة

كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (213)
آية واحدة بلا خلاف.

قرأ أبو جعفر المدنى (ليحكم)- بضم الياء- الباقون بفتحها.

---

(1) سورة الفرقان آية: 24.
(2) انظر 1: 101 من هذا الكتاب

معنى قوله: «كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً» أهل ملة واحدة كما قال النابغة:
حلفتُ فلم أترک لنفسک ريبة و هل يأثمن ذو أمّة و هو طائع «1»
أى ذو ملة و دين. و أصل الأمة الأمّ من قولک: أمّ يؤم أماً: إذا قصده.
و هى على أربعة أوجه:
فالأمة: الملة، و الأمة: الجماعة، و الأمة: المنفرد بالمقابلة، و الأمة: القابلة.
و اختلفوا فى الدين الذى كانوا عليه، فقال ابن عباس، و الحسن، و اختاره الجبائى: إنهم كانوا على الكفر. و قال قتادة، و الضحاک: كانوا على الحق، فاختلفوا.
فان قيل: إذا كان الزمان لا يخلوا من حجة كيف يجوز أن يجتمعوا كلهم على الكفر، قلنا: يجوز أن يقال ذلک على التغليب لأن الحجة إذا كان واحداً أو جماعة يسيرة، لا يظهرون خوفاً و تقية، فيكون ظاهر الناس كلهم الكفر باللّه، فلذلک جاز الاخبار به على الغالب من الحال، و لا يعتد بالعدة القليلة.
و قوله: «وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- بما فيه من البيان عن الحق من الباطل. الثانى- أن معناه: بأنه حق للاستصلاح به على ما توجبه الحكمة فيه.
و قوله: «لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ» فحقيقته، ليحكم منزل الكتاب، لأن اللّه هو الحاكم بما أنزل فيه، فهو مجاز- فى قول الجبائى- قال: إلا أنه جعل اللفظ على الكتاب تفخيماً له، لما فيه من البيان. و يجوز أن يكون فى يحكم ضمير اسم اللّه، فيكون حقيقة. و من ضم الياء قراءته لا شبهة فيها. و المعنى ليحكم الناس أو العلماء بما فيه من الحق.
و قوله تعالى: «وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ» الهاء عائدة على الحق. و قيل على الكتاب.
و الأول أصح، لأن اختلافهم فى الحق قبل إنزال الكتاب. فان قيل: إذا كانوا مختلفين على إصابة بعضهم له، فكيف يكون الكفر عمهم به؟ قلنا: لا يمتنع

---

(1) ديوانه: 40، و اللسان (أمم) من قصيدته فى اعتذاره للنعمان.

أن يكون الكل كفاراً، و بعضهم يكفر من جهة الغلوّ، و بعضهم من جهة التقصير كما كفرت اليهود، و النصارى فى عيسى (ع)، فقالت النصارى: هو ربّ، فغالوا. و قصّرت اليهود، فقالوا: كذاب متخرص. فان قيل: كيف يكون الكل كفاراً مع قوله: «فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا»؟ قلنا: لا يمتنع أن يكونوا كلهم كانوا كفاراً، فلما بعث اللّه اليهم بالأنبياء مبشرين، و منذرين اختلفوا، فآمن قوم، و لم يؤمن آخرون.

و روى عن أبى جعفر (ع) أنه قال: كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة اللّه، لا مهتدين، و لا ضُلّالا، فبعث اللّه النبيين.

و قوله تعالى: «بَغْياً بَيْنَهُمْ» نصب على المفعول له، كأنه قال للبغى بينهم- على قول الأخفش، و الزجاج- و قال بعضهم: الاستثناء متعلق بثلاثة أشياء، كأنه قال: «وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ»، ما اختلفوا فيه إلا من بعد ما جاءتهم البينات، ما اختلفوا فيه إلا بغياً بينهم. إلا أنه حذف الثانى لدلالة الأول عليه. قال الرمانى: و الصحيح الأول، لأنه لا يحكم بالحذف مع استقامة الكلام من غير حذف إلا لعذر.

و قوله: «فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ» معناه: هداهم للحق، و هو الذى اختلفوا فيه. و قيل فى معنى باذنه قولان:
أحدهما- بلطفه، و لا بد من محذوف على هذا التأويل، أى فاهتدوا باذنه، لأن الله عز و جل، لا يفعل الشىء بإذن أحد يأذن له فيه، و لكن قد يجوز أن يكون على جهة التفسير للهدى، كأنه قال: هداهم بأن لطف لهم، و هداهم بأن أذن لهم. و قال الجبائى: لا بد من أن يكون على حذف (فاهتدوا) باذنه.
و القول الثانى- هداهم بالحق بعلمه، و الاذن بمعنى العلم معروف فى اللغة

الحارث بن حلّزة:
آذنتنا ببينها أسماء «1»
أى أعلمتنا. و هو قول الزجاج، و غيره من أهل اللغة. فان قيل: إذا كانوا إنما هدوا للحق من الاختلاف فلم قيل: للاختلاف من الحق؟ قيل: لأنه لما كانت العناية بذكر الاختلاف، كان أولى بالتقديم، ثم تفسيره ب (من). و قال الفراء هو من المقلوب نحو قول الشاعر:
كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم «2»
و إنما الرجم فريضة الزنا. و كما قال الآخر:
إن سراجاً لكريم مفخرة تحلى به العين إذا ما تجره «3»
و إنما يحلى هو بالعين. قال غيره إنما يجوز القلب فى الشعر للضرورة. و وجه الكلام على ما بيناه واضح. فان قيل: ما الهدى الذى اختص به من يشاء؟ قيل فيه ثلاثة أقوال: قال الجبائى: اختص به المكلفين دون غيرهم ممن لا يحتمل التكليف، و هو البيان، و الدلالة و الثانى- قال: و يجوز أن يكون هداهم على طريق الجنة، و يكون للمؤمنين خاصة. و قال ابن الأخشاد، و البلخى: يجوز أن يكون هداهم باللطف، فيكون خاصاً لمن علم من حاله أنه يصلح به. و لا يجوز أن يكون المراد بالهداية هاهنا الإرشاد الى الدين، و نصب الدلالة عليه، لأنه تعالى لا يخص بذلك قوماً دون قوم، بل لا يصلح التكليف من دونه. و قد بين اللّه تعالى: أن اختلافهم كان بعد أن جاءتهم البينات فعم بذلك جميعهم، فلو أراد اللّه بقوله «فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» بالبينات، لكان متناقضاً- أللهم- إلا أن يحمل ذلك على أنه أضاف اليهم الهداية، من حيث كانوا هم المنتفعين بها، و المتبعين لها، فكأنهم كانوا هم المخصوصين بها كما قال: «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» «4» و قوله تعالى: «إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ» «5»

---

(1) انظرا: 380 من هذا الكتاب.

(2) انظر 2: 79.
(3) انظر 2: 79.
(4) سورة البقرة آية: 2.
(5) سورة يس آية: 11.

«إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها» «1» و إن كان منذراً لجميعهم،، و الذى يقوى ذلک قوله: «وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى» «2» فبين أنه هداهم. و إنما لم يهتدوا، فكيف يجوز أن تحمل الهداية على نصب الدلالة، و إقامة الحجة على قوم دون قوم. و الفرق بين: هدى المؤمنين الى الايمان، و بين أنعم عليهم بالايمان، قال الجبائى: إن الهدى للأيمان غير الايمان، و الانعام بالايمان هو نفس الايمان. و الصحيح أنه هداه بالأيمان يجرى مجرى قوله: أنعم عليه بالايمان لأنه يراد بذلک التمكين منه. و الاقتدار عليه و الدعاء إليه و لا يراد به نفس الايمان.
و قوله: «وَ اللَّهُ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى الى طريق الدين الواضح.
و اختلفوا فى الامة المعنية بهذه الآية، فقال ابن عباس، و قتادة: هم الذين كانوا بين عاد، و نوح، و هم عشر فرق كلهم كانوا على شريعة من الحق، فاختلفوا بعد ذلک. فالتقدير- على قول هؤلاء- كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث اللّه النبيين. و قال مجاهد: المراد بالآية آدم، فبعث النبيين الى ولده، لما اختلفوا. و قال أبى بن كعب، و الربيع: كان الناس أمة حين استخرجوا من ظهر آدم، فأقروا له بالعبودية، و اختلفوا فيما بعد، فبعث اللّه اليهم النبيين. و قال ابن عباس فى رواية أخرى: كانوا أمة واحدة على الكفر، فبعث اللّه النبيين. و قال السدى: كانوا على دين واحد من الحق، فاختلفوا، فبعث اللّه النبيين. و قال الربيع و الطبرى: الكتاب الذى اختلفوا فيه التوراة. و قال آخرون كل كتاب أنزل اللّه مع النبيين.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 214] ..... ص : 197

اشارة

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214)

---

(1) سورة النازعات آية: 45.
(2) سورة حم السجدة آية: 17.

آية واحدة.

قرأ نافع (حتى يقول الرسول) بضم اللام. الباقون بنصبها.
ذكر السدى، و قتادة، و غيرهما من أهل التفسير: أن هذه الآية نزلت يوم الخندق لما اشتدت المخافة، و حوصر المسلمون فى المدينة، و استدعاهم اللّه الى الصبر، و وعدهم بالنصر.

و قال الزجاج: معنى (أم) هاهنا بمعنى (بل). و قال غيره: هى بمعنى الواو. و إنما حسن الابتداء ب (أم) لاتصال الكلام بما تقدم، و لو لم يكن قبله كلام، لما حسن. و الفرق بين (أم حسبتم) و بين (أ حسبتم) أن (أم) لا تكون إلا متصلة لكلام، معادلة للألف، أو منقطعة، فالمعادلة نحو (أزيد فى الدار أم عمرو) فالمراد أيهما فى الدار، و المنقطعة نحو قولهم: (إنها لإبل أم شاة يا فتى)، و أما الألف، فتكون مستأنفة. و إنما لم يجز فى (أم) الاستئناف، لأن فيها معنى (بل) كأنه قيل: (بل حسبتم). و حسبت، و ظننت و خلت نظائر.
و قوله تعالى: «وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ» معناه و لما تمتحنوا، و تبتلوا بمثل ما امتحنوا، فتصبروا كما صبروا. و هذا استدعاء الى الصبر و بعده الوعد بالنصر.
و المثل، و الشبه واحد، يقال: مَثل و مِثل، مثل شبه و شِبه. و «خلوا» معناه مضوا.
و قوله: «مستهم» فالمس، و اللمس واحد. و البأساء ضد النعماء، و الضراء ضد السراء.
و قوله: «زلزلوا» معناه هاهنا: أزعجوا بالمخافة من العدو. و الزلزلة: شدة التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 199
الحركة. و الزلزال: البلبلة المزعجة بشدة الحركة، و الجمع زلازل، و يقال: زلزل الأرض يزلزلها زلزالًا، و تزلزل تزلزلًا، مثل تدكدك تدكدكاً، و أصله زلّ، و إنما ضوعف، مثل صرصر، و صلصل.
و قوله: «حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ» من نصب اللام، ذهب الى تقدير: الى أن يقول الرسول، فيكون على معنى الاستقبال إذا قدرت معها (أن)، و هو يشبه الحكاية، كأنك تقدر حالا، ثم استأنف غيره فعلا، كما تستأنف عن حال كلامك.
و يوضح ذلک (كان زيد سيقول كذا و كذا). و انما قدرت بكان زيد وقتاً، ثم يستأنف عنه فعلا، فكذلک «زلزلوا» قد دلّ على وقت، ثم استأنف بعده الفعل.
و من رفع، فعلى الحال للفعل المذكور، و الحال لكلام المتكلم، و ذلک القول قد يكون فى حال الزلزلة. فأما الغاية فلا يكون إلا بعد تقضيها و إن كان متصلا بها، و الرفع يوجب التأدية بمعنى: أن الزلزلة أدت الى قول الرسول. فأما النصب، فيوجب الغاية، فقد حصل الفرق بين الرفع و النصب من ثلاث جهات:
الأول- أن أحدها على الحال، و الآخر على الاستقبال. و الثانى- أن أحدها قد انقضى، و الآخر لم ينقض. و الثالث- أن أحدها على الغاية، و الآخر على

التأدية. و معنى الغاية فى الآية أظهر، لأن النص جاء عند قول الرسول، فلذلک كان الاختيار فى القراءة النصب.

فان قيل: ما معنى قول الرسول و المؤمنين: «مَتى نَصْرُ اللَّهِ»؟ قلنا: قال قوم:
معناه الدعاء للَّه بالنصر، و لا يجوز أن يكون معناه الاستبطاء لنصر اللّه على كل حال لأن الرسول يعلم: أن اللّه لا يؤخره عن الوقت الذى توجبه الحكمة.
و قال قوم:
معناه الاستبطاء لنصر اللّه. و ذلک خطأ، لا يجوز مثله على الأنبياء (ع) إلا أن يكون على الاستبطاء لنصره لما توجبه الحكمة من تأخره. و النصر ضد الخذلان.
و القريب ضد البعيد. و القرب و الدنوّ واحد. و من قال: إن ذلک على وجه الاستبطاء قواه بما بعده من قوله «أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ».

و أصل (لما) (لم) فزيد عليها (ما) فغيرت معناها، كما غيرت فى (لو لما زيد عليها (ما) إذا قلت: (لو ما) فصارت بمعنى هلا. و الفرق. بين (لم) و (لما) أن (لما) يصح أن يوقف عليها، مثل قولک: أقدم زيد؟ فيقول: لما، و لا يجوز (لم)، و فى (لما) توقع لأنها عقيبة (قد)، إذا انتظر قوم ركوب الأمير، قلت: قد ركب، فان نفيت هذا قلت: لما يركب، و ليس كذلک (لم)، و يجمعهما نفى الماضى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 215] ..... ص : 200

اشارة

يَسْئَلُونَکَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (215)
آية واحدة.

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها: أن الآية الأولى فيها دعاء الى الصبر على الجهاد فى سبيل اللّه، و فى هذه بيان لوجه النفقة فى سبيل اللّه، و كل ذلک دعاء الى فعل البرّ.
و النفقة: إخراج الشىء عن الملک ببيع، أو هبة، أو صلة، أو نحوها، و قد غلب فى العرف على إخراج ما كان من المال: من عين، أو ورق.
و قوله «يسألونک» خطاب للنبى (ص) بأن القوم يسألونه، و السؤال: طلب الجواب بصيغة مخصوصة فى الكلام.
و ذكر السدى: أن هذه الآية منسوخة بفرض الزكاة. و قال الحسن: ليست منسوخة، و هو الأقوى، لأنه لا دليل على نسخها.
و الجواب المطابق لقوله: «يَسْئَلُونَکَ ما ذا يُنْفِقُونَ» أن يقول: قل النفقة التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 201
التى هى خير، و إنما عدل عنه لحاجة السائل الى البيان الذى يدل عليه، و على غيره، و ذلک يحسن من الحكماء إذا أرادوا تعليم غيرهم، و تبصيرهم أن يضمنوا الجواب مع الدلالة على المسئول عنه الدلالة على ما يحتاج إليه السائل فى ذلک المعنى مما أغفله أو حذف السؤال عنه لبعض الأسباب المحسنة له. فأما الجدل الذى يضايق فيه الخصم، فالأصل فيه التحقيق، بأن يكون الجواب على قدر السؤال من غير زيادة و لا نقصان، و لا عدول عما يوجبه نفس السؤال، لأن كل واحد من الخصمين قد حل محل النظير للآخر.
و لا يجوز إعطاء الزكاة للوالدين، و كل من تلزمه نفقته- و به قال الحسن- و الآية عامة فى الزكاة و فى التطوع- و به قال الحسن- غير أنها فيمن تلزمه النفقة عليه، خاصة بالنفقة.

و موضع (ما) فى قوله: «ما ذا يُنْفِقُونَ» من الاعراب يحتمل وجهين: الرفع، و النصب، الرفع على ما الذى ينفقون، فيكون المعنى الذى، و ينفقون صلة، و النصب بمعنى أى شىء ينفقون، فيكون (ذا) و (ما) بمنزلة شىء واحد. و المساكين جمع مسكين و هو المحتاج.

و معنى قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» اى ما تفعلوا من خير فان اللَّه يجازى عليه من غير أن يضيع منه شىء، لأنه عليم لا يخفى عليه شىء. قال مجاهد: معنى «يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ» إنهم سألوا ما لهم فى ذلک، فقال اللَّه تعالى: «قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ» الآية. و قال قتادة: أهمتهم النفقة، فسألوا عنها النبى (ص) فأنزل اللَّه «قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ» الآية.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 216] ..... ص : 201

اشارة

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (216)
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 202
آية واحدة.

معنى قوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ» فرض عليكم القتال، و هذه الآية دالة على وجوب الجهاد، و فرضه، و به قال مكحول، و سعيد بن المسيب، و أكثر المفسرين، غير أنه فرض على الكفاية. و حكى عن عطا: أن ذلک كان على الصحابة، و الصحيح الأول، لحصول الإجماع عليه اليوم، و قد انقرض خلاف عطا.

و قوله: «وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ» يقال: كره كراهة، و أكرهه إكراهاً: إذا أجبره، و تكرّه تكرّهاً، و استكره استكراهاً، و كرهه تكريهاً. و الكراهة:
المشقة التى يحمل عليها، و الكره: المشقة من غير أن يحمل عليها. و قيل: هما لغتان، مثل ضَعف، و ضِعف. و جمل كره: شديد الرأس، لأنه لا ينقاد إلا على كره، و الكريهة: الشديد فى الحرب، لأنه يدخل فيها على كره. و كراهية «1» الدهر:
نوازله، و كرهت الأمر كراهة و كراهية و مكرهة، و كرّه إلىّ هذا الأمر تكريهاً:
أى صيّره إلىّ بحال كريهة. و الكرهاء: صفحة الوجه، لأن الكره يظهر فيها.

فان قيل: كيف كره المؤمنون الجهاد، و هو طاعة للَّه؟ قيل عنه جوابان:
أحدهما- أنهم يكرهونه كراهية طباع و الثانى- أنه كره لكم قبل أن يكتب عليكم، و على الوجه الأول يكون لفظ الكراهة مجازاً، و على الثانى حقيقة.
و قوله: «عسى» معناه الطمع، و الإشفاق من المخاطب، و لا يكون إلا مع مثلة فى الأمر. و قيل: معناها هاهنا قد، و إنما قال: «عسى» و قال فى موضع آخر:

_____

(1) فى المطبوعة (كراية). [.....]

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ» فجمع، لأنه استغنى فى الغائب عن الجمع كما استغنى عن علامة الضمير فى اللفظ، و ليس كذلک المخاطب، فجرى فى كل غائب على التوحيد، لامتناعه من التصريف. و تقول: عسى أن يقوموا، فإذا قلت: عسيتم أن تقوموا جمعت.
و فى قوله «وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ» حذف- فى قول الزجاج و غيره- لأن تقديره و هو ذو كره لكم، و يجوز أن يكون معناه: و هو مكروه لكم، فوقع المصدر موقع اسم المفعول، و مثله قولهم: رجل رضى بمعنى ذو رضى، و يجوز أن يكون بمعنى مرضى.
و قوله: «وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ» فالشر السوء، و هو ضد الخير، تقول: شرّ يشرّ شرارة. و شرار النار، و شررها لهبها، و شررت اللحم و الثوب تشريراً: إذا بسطته، ليجف، و كذلک أشررته إشراراً، و أشررت الكتاب: إذا أظهرته، و شرّة الشباب: نشاطه، و إنما قال اللَّه تعالى: «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» تنبيهاً على أنه يعلم مصالحكم، و ما فيه منافعكم، فبادروا الى ما يأمركم به و إن شق عليكم.
و الفرق بين الشهوة، و المحبة واضح، لأن الصائم فى شهر رمضان يشتهى شرب الماء، و لا يكون مؤاخذاً به، و لا يحبه كما لا يريده، و لو أراده و أحبه، لكان مذموماً، و يكون مفطراً- عند كثير من الفقهاء-.
و قوله: «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» يدل على فساد قول المجبرة، لأنه تعالى إنما رغبهم فى الجهاد، لما علم من مصالحهم، و منافعهم، فيدبرهم لذلک، لا لكفرهم و فسادهم يتعالى اللَّه عن ذلک علواً كبيراً.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 217] ..... ص : 203

اشارة

يَسْئَلُونَکَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ کَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ کُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَکْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَ الْفِتْنَةُ أَکْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَ لا يَزالُونَ يُقاتِلُونَکُمْ حَتَّى يَرُدُّوکُمْ عَنْ دِينِکُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْکُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ کافِرٌ فَأُولئِکَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (217)

التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 204

آية واحدة بلا خلاف.

اختلفوا فى: من السائل عن هذا السؤال: أهم أهل الشرک، أم أهل الإسلام، فقال الحسن، و غيره: هم أهل الشرک على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال فى الشهر الحرام، و به قال الجبائى، و أكثر المفسرين.

و قال البلخى: هم أهل الإسلام، سألوا عن ذلک ليعلموا كيف الحكم فيه.

و قوله تعالى: «قِتالٍ فِيهِ» مجرور على البدل من الشهر، و هو من بدل الاشتمال، و مثله قوله تعالى: «قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ» «1» و قال الأعشى:
لقد كان فى حول ثواءٍ ثويته تقضّى لبانات و يسأم سائم «2»
و الذى يشتمل عليه المعنى هو أحوال الشىء، و ما كان منه بمنزلة أحواله مما يغلب تعلق الفعل به، فلا يجوز رأيت زيداً لونه، لأن لونه يجوز أن يرى كما يجوز أن يرى نفسه، و يجوز سرق زيد ثوبه، لأن تعلق السرقة إنما هى بالملك دون النفس فى غالب الأمر، و يجوز أن تقول: رأيت زيداً مجيئه، و لا يجوز رأيت زيداً إياه، لأنه يجرى مجرى حاله.
و قوله تعالى: «وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» رفع بالابتداء، و ما بعده معطوف عليه، و خبره «أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ» هذا قول الزجاج. و قال أبو على الفارسى: لا يخلو

---

(1) سورة البروج آية: 5.
(2) ديوانه: 77 رقم القصيدة: 9. يهجو بها يزيد بن مسهر الشيبانى و معنى البيت يعلم من البيت قبله الذى هو مطلع القصيدة و هو.
هريرة ودعها و ان لام لائم غداة غد أم أنت للبين واجم
و هريرة قد ذكرها فى قصيدة قبل هذه.

أن يكون ارتفاع قوله: «وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ» من أن يكون بالعطف على الخبر الذى هو «كبير» كأنه قال: قتال فيه كبير و صدّ و كفر: أى القتال، قد جمع أنه كبير، و أنه صدّ، و كفر. و يكون مرتفعاً بالابتداء، و خبره محذوف لدلالة «كبير» المتقدم عليه، كأنه قال: و الصد كبير، كقولك: زيد منطلق و عمرو، أو يكون مرتفعاً بالابتداء، و الخبر المظهر، فيكون الصدّ ابتداء، و ما بعد من قوله:
«وَ كُفْرٌ بِهِ وَ ... إِخْراجُ أَهْلِهِ» مرتفع بالعطف على الابتداء، و الخبر قوله: «أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ» قال: و لا يجوز الوجهان الأولان- و قد أجازهما الفراء- أما الوجه الأول، فلأن المعنى يصير: قل: قتال فيه كبير و صدّ عن سبيل اللّه كبير، و القتال و إن كان كبيراً، و يمكن أن يكون صدّا، لأنه ينفر الناس عنه، فلا يجوز أن يكون كفراً، لأن أحداً من المسلمين لم يقل ذلك، و لم يذهب إليه، فلا يجوز أن يكون خبر المبتدإ شيئاً لا يكون المبتدأ. و يمنع من ذلك أيضاً قوله بعد: «وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ» و محال أن يكون إخراج أهله منه أكبر من الكفر، لأنه لا شىء أعظم منه، و يمتنع الوجه الثانى أيضاً،

لأن التقدير: فيه يكون قتال فيه كبير و كبير الصدّ عن سبيل اللّه و الكفر به، و كذلک مثله الفراء، و قدره، فإذا صار المعنى:
و إخراج أهل المسجد الحرام أكبر عند اللّه من الكفر، فيكون بعض خلال الكفر أعظم منه كله، و إذا كان كذلک امتنع كما امتنع الأول و إذا امتنع هذان ثبت الوجه الثالث، و هو أن يكون قوله «وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» ابتداء «وَ كُفْرٌ بِهِ ...
وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ» معطوفاً عليه «و أكبر» خبراً.

فيكون المعنى: «وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى منعهم لكم أيها المسلمون عن سبيل اللّه، و عن المسجد الحرام، و إخراجكم منه- و أنتم ولاته، و الذين هم أحق به منهم- و كفر باللَّه أكبر من قتاله فى الشهر الحرام. قال الرمانى، و الفراء: إن التخلص من التأويل الثانى أن تقول: إخراج أهله منه أكبر من القتل فيه، لا من الكفر، لأن المعنى فى إخراج أهله منه إخراج النبى (ص) و المؤمنين عنه. قال: التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 206
و أما التأويل الأول، فلا يجوز إلا أن يجعل «كُفْرٌ بِهِ» يعنى بالمسجد الحرام، لانتهاك حرمته. قال: و التأويل الأول أجود.
و هذا القتال فى الشهر الحرام هو ما عابه المشركون على المسلمين، من قتل عبد اللّه بن جحش، و أصحابه عمر بن الحضرمى، لما فصل من الطائف، فى عير- فى آخر جمادى الآخر- و أخذهم العير، و هو أول من قتل من المشركين- فيما روى، و أول فىء أصابه المسلمون.
و أما قوله تعالى: «وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» فقال الفراء: إنه محمول على قوله: يسألونک عن القتال، و عن المسجد الحرام هذا لفظه. قال أبو على الفارسى: و هذا أيضاً يمتنع، لأنه لم يكن السؤال عن المسجد الحرام، و إنما السؤال عن قتال ابن جحش الحضرمى و أصحابه الذين عابهم المشركون و عيّروهم، فقالوا إنكم استحللتم الشهر الحرام، و هو رجب بقتلهم فيه، فكان السؤال عن هذا، لا عن المسجد الحرام و إذا لم يجز هذا الوجه، لم يجز حمله على المضمر المجرور، لأن عطف المظهر على المضمر غير جائز، لأنه ضعيف جداً، فيكون محمولا على الضمير فى به، لأن المعنى ليس على كفر باللّه أو بالنبى (ص)، و المسجد، فثبت «1» أنه معطوف على (عن) من قوله: «وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ .. وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ»، لأن المشركين صدّوا المسلمين عنه، كما قال: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ»، «2» فكما أن المسجد الحرام محمول فى هذه الآية على (عن) المتصلة بالصدّ- بلا إشكال- كذلک فى هذه الآية، و هو قول أبى العباس، أيضاً قال الرمانى: ما ذكره الفراء، و اختاره الحسن ليس يمتنع، لأن القوم لما استعظموا القتال فى الشهر الحرام، و كان القتال عند المسجد الحرام يجرى مجراه فى الاستعظام جمعوهما لذلک فى السؤال، و إن كان القتال إنما وقع فى الشهر الحرام خاصة، كأنهم قالوا: قد استحللت الشهر الحرام، و المسجد الحرام. و ظاهر الآية يدل على أن القتال فى الشهر الحرام كان محرماً لقوله:

---

(1) فى المطبوعة «بيت».

(2) سورة الحج آية: 25.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 207
«قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ» و ذلک لا يقال إلا فيما هو محرم، محظور.

و الصدّ، و المنع، و الصدف واحد. صدّ يصدّ صدوداً إذا صدف عن الشىء لعدوله عنه، و صددته عن الشىء، أصده صداً إذا عدّلته عنه، و منه قوله تعالى:
«إِذا قَوْمُکَ مِنْهُ يَصِدُّونَ» «1» قرئ بالضم، و الكسر. قال أبو عبيدة: يصُدّون يعرضون، و يِصدّون: يضجون، و ذلک لأنهم، يعدلون الى الصحيح. و الصديد:
الدم المختلط بالقيح يسيل من الجرح. و الصدد. ما استقبلک و صار فى قبالتک، لأنه يعدل «2» الى مواجهتک. و الصدان: ناحيتا الشعب أو الوادى. و الصداد:
ضرب من الجردان يعدل لشدة تحرزه. و الصداد: الوزغ «3»، لأنه يعدل عنه استقذاراً له، و أصل الباب العدول.

و قوله: «وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» معناه الفتنة فى الدين، و هى الكفر أعظم من القتل فى الشهر الحرام. و قال قتادة و غيره، و اختاره الجبائى: إن القتال فى الشهر الحرام و عند المسجد الحرام منسوخ بقوله: «وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ» «4» و بقوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» «5» و قال عطا: هو باق «6» على التحريم. و روى أصحابنا: أنه على التحريم فيمن يرى لهذه الأشهر حرمة، فإنهم لا يبتدءون فيه بالقتال، و كذلك فى الحرم، و إنما أباح تعالى للنبى (ص) قتال أهل مكة وقت الفتح، و لذلك
قال (ص): إن اللّه أحلها فى هذه الساعة، و لا يحلها لأحد بعدى الى يوم القيامة.
و من لا يرى ذلك، فقد نسخ فى جهته و جاز قتاله أى وقت كان.

---

(1) سورة الزخرف آية: 57.
(2) فى المطبوعة (بعدک).
(3) فى المطبوعة (الورع).
(4) سورة البقرة آية: 193.
(5) سورة التوبة آية: 6.
(6) فى المطبوعة (فاق).

و قوله: «يردوكم» قال الجبائى: هو مجاز هاهنا، لأن حقيقته: حتى ترتدّوا بإلجائهم إياكم الى الارتداد، و الأولى أن يكون حقيقة ذلک بالعرف.

و قوله تعالى: «وَ لا يَزالُونَ» فالزوال: العدول. و لا يزال موجوداً، و ما زال: أى ما دام، و زال الشىء عن مكانه يزول زوالا، و أزلته عنه، و زلته، و زالت الشمس زوالا، و زيالا، و زالت الخيل بركبانها زيالا، و رجل زول، و امرأة زولة، و هو الظريف الركبين «1» و أصل الباب الزوال.
و قوله: «وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ»، فهو على إظهار التضعيف، لسكون الثانى. و يجوز «يرتدّ»- بفتح الدال- على التحريک، لالتقاء الساكنين، و الفتح أجود.
و قوله: «فَأُولئِکَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ» معناه: أنها صارت بمنزلة ما لم يكن، لايقاعهم إياها على خلاف الوجه المأمور به، و ليس المراد أنهم استحقوا عليها الثواب ثم انحبطت، لأن الإحباط- عندنا- باطل على هذا الوجه. و يقال: حبط عمل الرجل يحبط حبطاً و حبوطاً، و أحبطه اللّه إحباطاً، و الحبط: فساد، يلحق الماشية في بطونها، لأكل الحباط، و هو ضرب من الكلاء. يقال: حبطت الإبل تحبط حبطاً إذا أصابها ذلک.
و روى عن عطا عن ابن عباس: أن المسجد الحرام الحرم كله.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 218] ..... ص : 208

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أُولئِکَ یَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ (218)
آیة واحدة بلا خلاف.

---

(1) الرکبین- بفتح الراء و الباء- أصل الفخذین.

ذكر جندب بن عبد اللَّه، و عروة بن الزبير: أن هذه الآية نزلت فى قصة عبد اللَّه بن جحش و أصحابه لما قاتلوا فى رجب، و قتل واقد التميمى بن الحضرمى، ظنّ قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجره، فأنزل اللَّه الآية فيهم- بالوعد.
و خبر «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» الجملة التى هى قوله: (أُولئِکَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) أولئک ابتداء، و يرجون خبره، و الجملة خبر (إنّ).

و قوله: «وَ الَّذِينَ هاجَرُوا» فالهجر ضد الوصل، تقول: هجره يهجره هجراً، و هجراناً: إذا قطع مواصلته. و الهجر: ما لا ينبغى من الكلام، تقول: هجر المريض يهجر هجراً، لأنه قال ما لا ينبغى أن يهجر من الكلام، و ما زال ذلک هجيراه أى دأبه «1». و الهاجرة: نصف النهار، و هجر القوم تهجيراً: إذا دخلوا فى الهاجرة.
و سمى المهاجرون لهجرتهم قومهم، و أرضهم. و أهجرت الجارية إهجاراً: إذا شبت شباباً حسناً، فهى مهجرة، و يقال ذلک للناقة، و النخلة. و الهجار: حبل يشد به يد الفحل الى إحدى رجليه، لأنه يهجر بذلک التصرف و أصل الباب الهجر: قطع المواصلة.
و قوله تعالى: «و جاهدوا» تقول: جهدت الرجل جهداً: إذا حملته على مشقة، و جاهدت العدّو مجاهدة إذا حملت نفسک على المشقة فى قتاله. و اجتهدت رأيً: إذا حملت نفسک على المشقة فى بلوغ صواب الرأى. و الجهاد: الأرض الصلبة، و أصل الباب الجهد: الحمل على المشقة.
و قوله تعالى: «فِى سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى قتال العدوّ، و يدخل فى ذلک مجاهدة النفس.
و قوله «أُولئِکَ يَرْجُونَ» فالرجاء الأمل، رجا يرجو رجاءً، و ترجّى

---

(1) هجيراه- بكسر الهاء و الجيم مع تشديد الجيم- فى المطبوعة (أى داته).
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 210
ترجياً، و ارتجى ارتجاء، و الرجا- مقصوراً- ناحية كل شىء، و يثنى رجوان و جمعه أرجاء، و منه أرجاء البئر نواحيه، و قوله تعالى «ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً» «1» أى لا تخافون، قال أبو ذؤيب:
إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و خالفها فى بيت نوب عواسل «2»
أى لم يخف، و ذلک أن الرجاء للشىء الخوف من أن لا يكون، فلذلک سمى الخوف باسم الرجاء، و أصل الباب الأمل، و هو ضد اليأس.

و فى الآية دلالة على أن من مات مصراً على كبيرة لا يرجو رحمة اللّه لامرين:
أحدهما- أن ذلک دليل الخطاب، و ذلک غير صحيح عند أكثر المحصلين.
و الثانى- أنه قد يجتمع- عندنا- الايمان و الهجرة و الجهاد مع ارتكاب الكبيرة، فلا يخرج من هذه صورته عن تناول الآية له، و إنما ذكر المؤمنين برجاء الرحمة و إن كانت هى لهم لا محالة، لأنهم لا يدرون ما يكون منهم من الاقامة على طاعة اللّه أو الانقلاب عنها الى معصيته، لأنهم لا يدرون كيف تكون أحوالهم فى المستقبل. و قال الجبائى: لأنهم لا يعلمون أنهم أدّوا كما يجب للّه عليهم، لأن هذا العلم من الواجب، و هم لا يعلمونه إلا بعلم آخر، و كذلک سبيل العلم فى أنهم لا يعلمونه إلا بعلم غيره، و هذا يوجب أنهم لا يعلمون إذاً كما يجب للّه عليهم. و قال ابن الأخشاد: لأنه لا يتفق للعبد التوبة من كل معصية، و استدل على ذلک بإجماع الأمة على أنه ليس لأحد غير النبى (ص). و من شهد له عليه، فلا.
و يمكن فى الآية وجه آخر- على مذهبنا- و هو أن يكون رجاءهم لرخصة اللّه فى غفران معاصيهم التى لم يتفق لهم التوبة عنها، و اخترموا دونهم، فهم يرجون أن يسقط اللّه عقابها عنهم تفضلا. فأما الوجه الاول، فإنما يصح على مذهب من

---

(1) سورة نوح آية: 13.
(2) اللسان (رجا)، (خلف) فى المطبوعة (عوامل) بدل (عواسل) أى دخل عليها و أخذ عسلها. و يروى (و حالفها) أى لزمها. [.....]

يجوز أن يكفر المؤمن بعد إيمانه أو يفعل فى المستقبل كبيرة يحبط ثواب إيمانه، و هذا لا يصح على مذهبنا فى الموافات و ما قاله الجبائى يلزم عليه وجوب ما لا نهاية له، لأنه إذا وجب عليه أن يعلم أنه فعل ما وجب عليه بعلم آخر، و ذلک العلم مما وجب عليه أيضاً فيجب ذلک بعلم آخر، و فى ذلک التسلسل.
و إنما ضم الى صفة الايمان غيره فى اعتبار الرجاء للرحمة ترغيباً فى كل خصلة من تلک الخصال، لأنها من علامات الفلاح. فأما الوعد، فعلى كل واحدة منها إذا سلمت مما يبطلها. و قال الحسن: الرجاء، و الطمع هاهنا على الايمان إذا سلم العمل. و ذكر الجبائى: أن هذه الآية تدل على أنه لا يجوز لأحد أن يشهد لنفسه بالجنة، لأن الرجاء لا يكون إلا مع الشک، و قد بين اللّه تعالى: أن صفة المؤمن الرجاء للرحمة، لا القطع عليها لا محالة.

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها هو أنه لما ذكر فى الأولى العذاب، ذكر بعدها آية الرحمة، ليكون العبد بين الخوف و الرجاء إذ ذلک أوكد فى الاستدعاء، و أحق بتدبير الحكماء.
و كتبت «رَحْمَتَ اللَّهِ» بالتاء فى المصحف على الوصل، و الأقيس بالهاء على الوقف، كما كتب «يَدْعُ الدَّاعِ» «1» و «يَقْضِى بِالْحَقِّ» «2» «وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا» «3» كل ذلک على الوقف.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 219] ..... ص : 211

اشارة

يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما وَ يَسْئَلُونَکَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذلِکَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219)

---

(1) سورة القمر آية: 6.
(2) سورة المؤمن آية: 20.
(3) سورة الكهف آية: 32.

قرأ أهل الكوفة إلا عاصم (إثم كثير) بالثاء. الباقون بالباء، و قرأ أبو عمرو وحده (قل العفو) بالرفع. الباقون بالنصب.

قال أكثر المفسرين: الخمر عصير العنب إذا اشتدّ. و قال جمهور أهل المدينة:
ما أسكر كثيره فهو خمر، و هو الظاهر فى رواياتنا.
و أما اشتقاقه فى اللغة: تقول خمرت الدابة أخمرها خمراً إذا سقيتها الخمر، و خمرت العجين و الطين أخمره خمراً: إذا تركته فلم تستعمله حتى يجود. و أخمر القوم إخماراً: إذا تواروا فى الشجر. و يقال لما سترک من شجر: خمرى «1»، مقصوراً، و اختمرت المرأة، و خمرت إذا لبست الخمار: و هى المقنعة. و خامره الحزن مخامرة إذا خالطه. و خمر الأناء و غيره تخمراً: إذا غطّيته، و استخمرت فلاناً: إذا استعبدته.
و الخمار بخار يعقبه شرب الخمر. و المخامرة: المقاربة. و الخمر: ما وارک من الشجر، و غيره. و الخمر: شبيه بالسجادة. و المخمرة من الغنم: سوداء و رأسها أبيض. و دخل فى خمار الناس: إذا دخل فى جماعة، فخفى فيهم، و أصل الباب الستر.
و الميسر: قال ابن عباس، و عبد اللّه بن مسعود، و الحسن، و مجاهد، و قتادة، و ابن سيرين: هو القمار كله و هو الظاهر فى رواياتنا.
و اشتق الميسر من اليسر، و هو وجوب الشىء لصاحبه، من قولهم: يسر لى هذا الشىء: إذا وجب لى، فهو تيسر لى يسراً، و ميسراً، و الياسر: الواجب بقداح وجب لک أو غير ذلک. و قيل للمقامر: ياسر، و يسر، قال النابغة:
أو ياسر ذهب القداح بوفره أسِف تآكله الصديق مخلّع «2»

_____

(1) فى المطبوعة (ضرأ) و هو تصحيف.
(2) لم أجد هذا البيت فى شعر النابغة، و هو موجود فى تفسير الطبرى 4: 322.
الياسر: المقامر. القداح: تستعمل فى لعب القمار الوفر: المال الكثير. مخلع: قد لعب فى القمار مرة بعد مرة. و كأنه يصف لاعب قمار قد خسر ماله الواسع و قد أسف عليه عند ما رأى أصدقاءه الذين يلعبون دائما قد أخذوه منه و تقاسموه.

يعنى القامر. و قيل أخذ من التجزءة، لأن كل شىء جزّأته، فقد يسرته، و الياسر: الجازر. و الميسر: الجزور. و قيل الميسر مأخوذ من اليسر، و هو تسهل الشىء، لأنهم- كانوا- مشتركون فى الجزور، ليسهل أمرها إلا أنه المعنى الجهة: القمار.

و قوله: «قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ» فالنفع التى فى الخمر: ما كانوا يأخذونه فى أثمانها، و ربح تجارتها، و ما فيها من اللذة بتناولها: أى فلا تغترّوا بالنفع فيها، فالضرر أكثر منه. و قال الحسن، و غيره: هذه الآية تدل على تحريم الخمر، لأنه ذكر أن فيها إثماً، و قد حرم اللّه الإثم بقوله: «قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ الْإِثْمَ» «1» على أنه قد وصفها بأن فيها إثماً كبيراً و الكبير يحرم بلا خلاف.
و قال قوم: المعنى و إثمهما بعد تحريمهما أكبر من نفعهما قبل تحريمهما.
و قال آخرون: المعنى إن الإثم بشرب هذه، و القمار بها أكبر و أعظم، لأنهم كانوا إذا استكروا وثب بعضهم على بعض، و قاتل بعضهم بعضاً. و قال قتادة: لا تدل الآية على تحريمهما، و إنما تدل الآية التى فى المائدة فى قوله: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ» «2» الى آخرها. و وجهه قتادة على أنه قد يكثر فيهما «إِثْمٌ كَبِيرٌ».
و قوله: «يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ» قال السدى: نسخته آية الزكاة. و قال مجاهد: هو فرض ثابت. و قال قوم: هو أدب من اللّه ثابت غير منسوخ، و هو الأقوى، لأنه لا دليل على نسخها.
و «العفو» هنا قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
قال ابن عباس، و قتادة: هو ما فضل عن الغنى.
و قال الحسن، و عطا: هو الوسط من غير إسراف و لا إقتار.
و قال مجاهد: هو الصدقة المفروضة.

---

(1) سورة الاعراف آية: 32.
(2) آية: 93.

و روى عن أبى جعفر (ع) أن العفو: ما فضل عن قوت السنة، فنسخ ذلك بآية الزكاة.
و روى عن أبى عبد اللّه (ع) أن العفو هاهنا: الوسط.
و العفو مأخوذ من الزيادة و منه قوله: «حَتَّى عَفَوْا» «1» أى حتى زادوا على ما كانوا عليه من العدد قال الشاعر:
و لكنا نُعضُّ السيف منها باسبق عافيات الشحم كوم «2»
أى زائدات الشحم. و قال قوم: هو مأخوذ من الترك من قوله: «فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ» «3» أى ترك له، فيكون العفو المتروك غنى عنه، و من رفع معناه ما الذى ينفقون، و فى الأول كأنه قال: أى شىء ينفقون، فقالوا: العفو. و إنما وحد الكاف فى كذلك، و إن كان الخطاب لجماعة، لأحد

أمرين: أحدهما- فى تقدير كذلک أيها السائل. و الثانى- أن يكون الخطاب للنبى (ص) و يدخل فيه الأمة، كما قال: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» «4».
و قوله: «لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ» أى لكى تتفكروا، و هى لام الغرض. و فى ذلک دلالة على أن اللّٰه تعالى أراد منهم التفكر سواء تفكروا أو لم يتفكروا.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 220] ..... ص : 214

اشارة

فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْیَتامی قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَیْرٌ وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُکُمْ وَ اللَّهُ یَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَکُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (220)
آیة واحدة.

العامل فى الظرف من قوله: «فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ» يحتمل أمرين:

_____

(1) سورة الاعراف آية: 94.
(2) قائله لبيد بن ربيعة، ديوانه: 19 رقم القصيدة: 3 فى المطبوعة (يعض السيف منا) و هو خطأ، لأن هذا البيت من قصيدة يفتخر بها فى كرمهم: يقول:
(3) سورة البقرة آية: 187.
(4) سورة الطلاق آية: 1.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 215
أحدهما- «يبين» على قول الحسن. و الثانى- «يتفكرون» فى قول غيره.
و أجاز الزجاج الوجهين معاً.
و كيفية فكرهم فى الدنيا و الآخرة، قال قتادة: يتفكرون فى أن الدنيا دار بلاء، و فناء، و الآخرة دار جزاء و بقاء.

و قوله تعالى: «وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْيَتامى»، فهو جمع يتيم، و الفعل منه يتم ييتم يتماً، كقولک: نكر نكراً. و حكى الفراء: يتم ييتم يتماً، كشغل شغلا.
و قوله: «وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ» فالمخالطة: مجامعة يتعذر معها التمييز، كمخالطة الخل للماء، و الماء للماء و ما أشبه ذلک، تقول: خلط يخلط خلطاً، و خالطه خلاطاً و مخالطة، و اختلاطا، و تخالطوا تخالطاً، و خلطه تخليطاً، و تخلّط تخلطاً. و أخلط الفرس: إذا قصّر فى جريه. و استخلط الفحل: إذا خالط ثيله حياء الناقة «1» و الخلاط: الجنون، لاختلاط الأمور على صاحبه. و الخليطان: الشريكان، لاختلاط أموالهما. و الخليط: القوم أمرهم واحد. و الخلاط: داء فى الجوف. و رجل خَلِط:
متحبب الى الناس، لطلبه الاختلاط بهم.

و معنى الآية الاذن لهم فيما كانوا متحرّجون منه من مخالطة الأيتام فى الأموال: من المأكل، و المشرب و المسكن، و نحو ذلک، فأذن اللّه لهم فى ذلک إذا تحرّوا «2» الإصلاح بالتوفير على الأيتام- فى قول الحسن، و غيره- و هو المروى فى أخبارنا.

و قوله: «فإخوانكم» رفع على فهم «3» إخوانكم خالطوهم أو لم تخالطوهم،

_____

(1) فى المطبوعة (ثيله حال الناقة) و هو تصحيف.
(2) فى المطبوعة (إذا انحروا) و هو تصحيف.
(3) فى المطبوعة (فهو). [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 216
و قوله: «فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالًا أَوْ رُكْباناً» «1» نصب على فصلّوا «2» و هو حال الصلاة خاصه لا حال معنى فأنتم رجال أو ركبان، كيف تصرفت الحال. و يجوز- فى العربية- فإخوانكم على النصب على تقدير: فإخوانكم تخالطون، و الوجه الرفع، لما بيناه.

و قوله: «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ» معناه: التذكير بالنعمة فى التوسعة على ما توجبه الحكمة مع القدرة على التضييق الذى فيه أعظم المشقة، و الاعنات: الحمل على مشقة لا تطاق فعلا. و عنت العظم عنتاً إذا أصابه وهن أو كسر، و أعنته إعناتاً إذا عسفه «3» بالحمل على مكروه لا يطيقه. و عنت عنتاً إذا اكتسب مأثماً، و تعنته تعنتاً إذ لبس عليه فى سؤاله له. و الاكمة العنوت: هى الطويلة من الآكام، و أصل الباب المشقة.

و قال البلخى: فى هذه الآية دلالة على فساد قول من قال: إنه تعالى لا يقدر على الظلم، لأن الاعنات- بتكليف ما لا يجوز فى الحكمة- مقدور له، إذ لو يشاء لفعله.
و قال الجبائى: لو أعنتم لكان جائزاً حسناً، لكنه تعالى وسع على العباد، لما فى التوسعة من تعجيل النعمة. و فى الآية دلالة على بطلان قول المجبرة «4» فى البدل، و تكليف ما لا يطاق، أما البدل، فلأنهم يذهبون الى النهى عن الكفر الموجود فى حالة بأن يكون الايمان بدلا منه، و هذا أعظم ما يكون من الاعنات، لأنه أمر له «5» بالمحال، و هو ليكن منک الايمان بدلا من الكفر الموجود فى

---

(1) سورة البقرة آية: 239.
(2) فى المطبوعة «فضلوا» بتشد الضاد.
(3) عسفه: ظلمه، و العسف الظلم.
(4) فى المطبوعة (بطلان) سافطة.
(5) فى المطبوعة (أمر) ساقطة.

الحال، و كذلک النهى فيما لم يكن منک ما هو كائن من الكفر الموجود فى الحال كل ذلک محال، و كذلک الأمر بالايمان، من لم يقدر على الايمان، فإذا لم يفعله عُذّب بأشد العذاب، و إذا لم يكلف من الممكن ما فيه مشقة و شدة، للمظاهرة على عباده بالنعمة، لم يجز أن يكلف ما ليس عليه قدره، لأنه أسوء تناقض المظاهرة بالنعمة.
و قوله: «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» أى يفعل بعزته ما يحب، لا يدفعه عنه دافع. «حكيم» ذو حكمة فيما أمركم به من أمر اليتامى و غيره.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 221] ..... ص : 217

اشارة

وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَ لا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولئِکَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَ يُبَيِّنُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221)
آية واحدة.

نكح ينكح نكحاً و نكاحاً: إذا تزوج، و أنكح غيره إنكاحاً، إذا زوّجه و تناكحوا تناكحاً، و ناكحه مناكحة قال الأعشى:
و لا تقربنَّ جارة إن سرّها عليک حرام فانكحن أو تأبدا «1»
أى تعفف و أصل الباب التزويج.

و هذه الآية على عمومها- عندنا- فى تحريم مناكحة الكفار، و ليست منسوخة و لا مخصوصة. و قال ابن عباس فى رواية شهر بن حوشب عنه قال: فرق

---

(1) ديوانه: 137 رقم القصيدة 17. التأبد: التعزب أبداً و هو الابتعاد عن النساء.
يقول: لا تتزوج جارتک و تزوج غيرها أو استعفف و لا تقترب من النساء.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 218
عمر بين «1» طلحة و حذيفة و بين امرأتيهما اللتين كانتا عندهما «2» و قال غيره عن ابن عباس، و إليه ذهب الحسن، و مجاهد و الربيع: هى عامة إلا أنها نسخت بقوله:
«وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ»، و قال قتادة، و سعيد بن جبير: هى على الخصوص. و إنما اختير ما قلناه لأنه لا دليل على نسخها، و لا على خصوصها، و سنبين وجه الآية فى المائدة إذا انتهينا إليها.
فأما المجوسية، فلا يجوز نكاحها إجماعاً. و الذى لا يجوز: أن يتزوج مسلمة إجماعاً، و إمراحاً و اجباراً «3».
و قوله «وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ» فالأمة: المملوكة. يقال أقرت بالأموة أى بالعبودية و أميت فلانة، و تأميتها إذا جعلتها أمة قال الراجز:
يرضون بالتعبيد و التآمى «4»
و جمع أمة إماء و آآم و أصل الباب العبودية، و أصل أمة فعلة بدلالة قولهم إماء و آآم فى الجمع نحو أكمة و آكام و آكم. و الفرق بين (و لو أعجبكم) و بين إن أعجبكم: أن لو للماضى و إن للمستقبل و كلاهما يصح فى معنى الآية، و لا يجوز نكاح الوثنية إجماعاً، لأنها تدعو الى النار كما حكاه اللّه تعالى، و هذه العلة بعينها قائمة فى الذمية من اليهودية و النصارى، فيجب أن لا يجوز نكاحها. و فى الآية دلالة على جواز نكاح الأمة المؤمنة مع وجود الطول، لقوله «وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ» فأما الآية التى فى النساء، و هى قوله: «وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا» «5» فإنما هى على التنزيه دون التحريم، و متى أسلم الزوجان معاً ثبتا على النكاح- بلا خلاف- و به قال الحسن. و إن أسلمت قبله طرفة عين، فقد وقعت الفرقة- عند الحسن،

---

(1) فى المطبوعة (عمر بن طلحة) و هو تحريف.
(2) فى المطبوعة (و حذيفة و امرأتهما اللتين كانتا عنهما أبين) و هو تحريف فاحش.

(3) هكذا فى الأصل و لم أجد لها مخرجاً، مقطوعاً به، و لعلها: اجماعاً و قولا و أخباراً أى اجماعاً على الفتوى، و أقوال المفسرين و الأخبار المأثورة.
(4) قائله رؤبة. اللسان (أما) فى المطبوعة (ترضون) بدل (يرضون).
(5) سورة النساء آية: 24.

و كثير من الفقهاء، و عندنا ينتظر عدتها فان أسلم الزوج بنينا أن الفرقة لم تحصل، و رجعت إليه، و إن لم يسلم بنينا أن الفرقة وقعت حين الإسلام غير أنه لا يمكن من الخلو بها. فان أسلم الزوج و كانت ذمية استباح وطؤها بلا خلاف. و إن كانت وثنية انتظر إسلامها ما دامت فى العدة، فان أسلمت ثبت عقده عليها، و إن لم تسلم بانت منه.
فان قيل: كيف قيل للكافر الموحد مشرک! قيل فيه قولان:
أحدهما- أن كفره نعمة اللّه بمنزلة الاشراک فى العبادة فى عظم الجرم.
و الآخر ذكره الزجاج- و هو الأقوى-، لأنه إذا كفر بالنبى (ص) فقد أشرک فيما لا يكون إلا من عند اللّه، و هو القرآن بزعمه أنه من عند غيره.
و قوله «باذنه» معناه أحد أمرين: أحدهما- بإعلامه. و الآخر- بأمره، و هو قول الحسن، و أبى على و غيرهما.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 222] ..... ص : 219

اشارة

وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222)
آية واحدة.

قرأ أهل الكوفة إلا حفصا (حتى يطهرن) بتشديد الطاء و الهاء. الباقون بالتخفيف.

قيل: إنما سألوا عن المحيض، لأنهم كانوا على تجنب أمور: من مواكلة الحائض، و مشاربتها حتى كانوا لا يجالسونها فى بيت واحد، فاستعلموا ذلک، التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 220
أ واجب هو أم لا؟ فى قول قتادة، و الربيع، و الحسن، و قال مجاهد: كانوا على استجارة إتيانهن فى الأدبار أيام الحيض، فلما سألوا عنه، بين تحريمه، و الأول- عندنا- أقوى.

و المحيض مصدر حاضت المرأة تحيض حيضاً و محيضاً، فهى حائض. و المرة حيضة «1» و جمعه حيض و حيضات. و نساء حيض. و المستحاضة: التى عليها الدم فلا رواق «2» و أصل الباب الحيض: مجىء الدم لأنثى على عادة معروفة.

و صفة الحيض: هو الدم الغليظ الأسود الذى يخرج بحرارة. و أقل الحيض ثلاثة أيام، و أكثره عشرة، و هو قول الحسن، و أهل العراق. و قال الشافعى، و أكثر أهل المدينة: أقل الحيض يوم و ليلة، و أكثره خمسة عشر يوماً. و حكى أن قوماً قالوا: ليس له وقت محدود: إنما هو ما رأت دم الحيض. و أقل الطهر عشرة أيام، و خالف الجميع و قالوا: خمسة عشر يوماً. و الاستحاضة: دم رقيق أصفر بارد.
و حكم الاستحاضة حكم الطهر فى جميع الأحكام إلا فى تجديد الوضوء- عند كل صلاة- و وجوب الغسل عليها على بعض الوجوه- عندنا-.
و قوله: «أذى» معناه: قذر و نجس- فى قول قتادة و السدى-.
و قوله: «فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِى الْمَحِيضِ» معناه: اجتنبوا الجماع فى الفرج، و به قال ابن عباس، و عائشة، و الحسن، و قتادة، و مجاهد. و ما فوق المئزر أو دونه، عن شريح، و سعيد بن المسيب. و عندنا: لا يحرم منها غير موضع الدم فقط. و من وطئ الحائض فى أول الحيض، كان عليه دينار، و إن كان فى وسطه، فنصف دينار، و فى آخره ربع دينار. و قال ابن عباس: عليه دينار، و لم يفصل. و قال الحسن:
يلزمه رقبة أو بدنة أو عشرون صاعاً.

---

(1) فى المطبوعة (و المرأة حيضة) و هو تصحيف.
(2) هكذا فى المطبوعة.

و يقال:عزله يعزله عزلا، و اعتزل اعتزالًا، و عزّله تعزيلا. و الأعزل: الذى لا سلاح معه. و عزلا المزادة: مخرج الماء من أحد جوانبها، و الجمع عزال. و كل شىء نحيّته عن موضع، فقد عزلته عنه، و منه عزل الوالى. و أنت عن هذا بمعزل: أى منتحى. و الأعزل من السماكين: الذى نزل به القمر. و المعزال من الناس: الذى لا ينزل مع القوم فى السفر، لكنه ينزل ناحية، و أصل الباب الاعتزال، و هو التنحى عن الشىء.

و قوله: «حَتَّى يَطْهُرْنَ» بالتخفيف معناه: ينقطع الدم عنهن. و بالتشديد معناه: يغتسلن- فى قول الحسن، و الفراء- و قال مجاهد، و طاوس: معنى تطهّرن:
توضأن، و هو مذهبنا.
و الفرق بين (طهرت) و (طهرّت) أن فُعل لا يتعدّى، لأن ما كان على هذا البناء لا يتعدّى، و ليس كذلک فعّل. و من قرأ بالتشديد قال: كان أصله «يتطهرن» فأدغمت التاء فى الطاء.
و عندنا يجوز وطئ المرأة إذا انقطع دمها، و طهرت و إن لم تغتسل إذا غسلت فرجها. و فيه خلاف، فمن قال: لا يجوز وطؤها إلا بعد الطهر من الدم، و الاغتسال:
تعلق بالقراءة بالتشديد، فإنها تفيد الاغتسال، و من قال: يجوز، تعلق بالقراءة بالتخفيف و أنها لا تفيد الاغتسال. و هو الصحيح. و يمكن فى قراءة التشديد أن تحمل على أن المراد به توضأن على ما حكيناه عن طاوس، و غيره. و من استعمل قراءة التشديد يحتاج أن يحذف القراءة بالتخفيف أو يقدر: محذوفاً تقديره حتى يطهرن و يتطهرن، و على ما قلناه لا يحتاج اليه.
و قوله: «فَإِذا تَطَهَّرْنَ» معناه: اغتسلنا، و على ما قلناه: حتى يتوضأن.
و قوله: «فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» صورته صورة الأمر، و معناه التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 222
الاباحة، كقوله: «وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا» «1» «فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا» «2» و قوله: مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ؟ معناه من حيث أمركم اللّه بتجنبه فى حال الحيض، و هو الفرج، على قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الربيع. و قال السدى، و الضحاک: من قبل الطّهر دون الحيض. و عن ابن الحنفية من قبل النكاح دون الفجور، و الأول أليق بالظاهر. و يحتمل أن يكون من حيث أباح اللّه لكم دون ما حرمه عليكم من إتيانها و هى صائمة أو محرمة أو معتكفة، ذكره الزجاج. و قال الفراء: لو أراد الفرج لقال فى حيث، فلما قال: «من حيث» علمنا أنه أراد من الجهة الذى أمركم اللّه بها.
و قال غيره: إنما قال: «من حيث» و لم يقل فى حيث، لأن (من) لابتداء الغاية فى الفعل، نحو قولک: ائت زيداً من مأتاه أى من الوجه الذى يؤتى منه.
و قوله: «يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» قال عطا: المتطهرين بالماء. و قال مجاهد: المتطهرين من الذنوب، و الأول مروى فى سبب نزول هذه

الآية، و المعنى يتناول الأمرين. و إنما قال: «المتطهرين» و لم يقل المتطهرات، لأن المؤنث يدخل فى المذكر، لتغليبه عليه.

نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223)
آية واحدة بلا خلاف.
قيل فى معنى قوله: «حَرْثٌ لَكُمْ» قولان:
أحدهما- أن معناه: مزرع أولادكم، كأنه قيل: محترث لكم، فى قول ابن عباس، و السدى، و إنما الحرث: الزرع فى الأصل.
و القول الثانى: نساؤكم ذو حرث لكم، فأتوا موضع حرثكم أنى شئتم،

---

(1) سورة المائدة آية: 3. [.....]
(2) سورة الجمعة آية: 10.

ذكره الزجاج. و قيل: الحرث كناية عن النكاح على وجه التشبيه.
و قوله: «أَنَّى شِئْتُمْ» معناه: من أين شئتم- فى قول قتادة، و الربيع- و قال مجاهد: معناه كيف شئتم. و قال الضحاك معناه متى شئتم، و هذا خطأ عند جميع المفسرين، و أهل اللغة، لأن (أنى) لا يكون إلا بمعنى من أين، كما قال:
«أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» «1». و قال بعضهم: معناه من أى وجه و استشهد بقول الكميت بن زيد:
أنى و من أين آبک الطرب من حيث لا صبوة و لا ريب «2»
و هذا لا شاهد فيه، لأنه يجوز أن يكون أتى به، لاختلاف اللفظين، كما يقولون: متى كان هذا و أى وقت كان، و يجوز أن يكون بمعنى كيف. و تأول مالک، فقال: «أَنَّى شِئْتُمْ» تفيد جواز الإتيان فى الدبر، و رواه عن نافع عن أبى عمرو، و حكاه زيد بن أسلم عن محمد بن المنكدر، و روى من طرق جماعة عن ابن عمر، و به قال أكثر أصحابنا، و خالف فى ذلک جميع الفقهاء، و المفسرين، و قالوا: هذا لا يجوز من وجوه:
أحدها- أن الدبر ليس بحرث، لأنه لا يكون فيه الولد. و هذا ليس بشىء لأنه لا يمتنع أن تسمى النساء حرثاً، لأنه يكون منهنّ الولد، ثم يبيح الوطء فيما لا يكون منه الولد، يدل على ذلک أنه لا خلاف أنه يجوز الوطء بين الفخذين و إن لم يكن هناک ولد.
و ثانيها- قالوا: قال اللَّه: «فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» و هو الفرج، و الإجماع على أن الآية الثانية ليست بناسخة للأولى. و هذا أيضاً لا دلالة فيه، لأن قوله: «مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» معناه: من حيث أباح اللَّه لكم، أو من الجهة التى شرعها لكم، على ما حكيناه عن الزجاج، و يدخل فى ذلک

الموضعان معاً.

---

(1) سورة آل عمران آية: 37.
(2) الهاشميات: 41. قوله (آبک) معترضة بين كلامين، كما تقول: (ويحک) و هى بمعنى ويلک. و قيل: أن آبک بمعنى راجعک الطرب.

و ثالثها- قالوا: إن معناه: من أين شئتم: أي ائتوا الفرج من أين شئتم، و ليس فى ذلک إباحة لغير الفرج. و هذا ايضاً ضعيف، لأنا لا نسلم أن معناه الفرج، بل عندنا معناه: ائتوا النساء، أو ائتوا الحرث من أين شئتم، و يدخل فيه جميع ذلک.

و رابعها- قالوا: قوله فى المحيض (قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ) فإذا حرم للاذى فى الدم، و الأذى بالنجو أعظم منه. و هذا أيضاً ليس بشىء، لأن هذا حمل الشىء على غيره من غير علة، على أنه لا يمتنع أن يكون المراد بقوله:

«قُلْ هُوَ أَذىً» غير النجاسة، بل المراد أن فى ذلک مفسدة، و لا يجوز أن يحمل على غيره إلا بدليل يوجب العلم على أن الأذى بمعنى النجاسة حاصل فى البول، و دم الاستحاضة و مع هذا، فليس بمنهى عن الوطء فى الفرج.

و يقال: أن هذه الآية نزلت ردّاً على اليهود، و أن الرجل إذا أتى المرأة من خلف فى قبلها خرج الولد أحول، فأكذبهم اللّه فى ذلک، ذكره ابن عباس، و جابر، و رواه أيضاً أصحابنا. و قال الحسن: أنكر اليهود إتيان المرأة قائمة، و باركة، فأنزل اللّه إباحته بعد أن يكون فى الفرج، و هو السبب الذى روى، و لا يمنع أن يكون ما ذكرناه مباحاً، لأن غاية ما فى السبب أن تطابقه الآية، فأما أن لا تتعداه، فلا يجب عند أكثر المحصلين «1».

و قوله: «وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ» أي قدموا الأعمال الصالحة التى أمر اللّه بها عباده، و رغّبهم فيها، فتكون ذخراً عند اللّه.

و وجه اتصال قوله: «وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ» بما قبله: أنه لما قدم الأمر بعد أشياء قيل: «قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ» بالطاعة فيما أمرتم به، و اتقوا مجاوزة الحدّ فيما بين لكم، و فى ذلک الحث على العمل بالواجب الذى عرفوه، و التحذير من مخالفة ما ألزموه.

و قوله: «وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» فالبشارة: الدلالة على ما يظهر به السرور فى

---

(1) فى المطبوعة (المحطين).

بشر الوجه.

و قوله: «أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ» أى اتقوا من معاصيه التى نهاكم عنها، و اتقوا عذابه، و اعلموا أنكم ملاقوا عذابه إن عصيتموه، و ملاقوا ثوابه إن أطعتموه، و إنما

أضافه اليه على ضرب من المجاز، كما يقول القائل لغيره: ستلقى ما عملت، و إنما يريد جزاء ما عملت، فيسمى الجزاء باسم الشىء.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 224] ..... ص : 225

اشارة

وَ لا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (224)
آية واحدة بلا خلاف.

قيل فى معنى قوله: «وَ لا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِكُمْ» ثلاثة أقوال:
أحدها- أن العرضة: علة، كأنه قال لا تجعلوا اليمين باللّه علة مانعة من البرّ، و التقوى: من حيث تتعمدوا، لتعتلوا بها، و تقولوا: قد حلفنا باللّه، و لم تحلفوا به، هذا قول الحسن، و طاوس، و قتادة، و أصله- فى هذا الوجه- الاعتراض به بينكم و بين البرّ و التقوى، للامتناع منهما، لأنه قد يكون المعترض بين الشيئين مانعاً من وصول أحدهما الى الآخر، فالعلة مانعة كهذا المعترض. و قيل: العرضة:
المعترض، قال الشاعر:
لا تجعلينى عرضة اللوائم
الثانى- «عرضة»: حجة، كأنه قال لا تجعلوا اليمين باللَّه حجة فى المنع «أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا» بأن تكونوا قد سلف منكم يمين ثم يظهر أن غيرها خير منها، فافعلوا الذى هو خير، و لا تحتجوا بما سلف من اليمين، و هو قول ابن عباس، و مجاهد، و الربيع، و الأصل فى هذا القول و الأول واحد، لأنه منع من جهة الاعتراض بعلة أو حجة. و قال بعضهم: إن أصل عرضة: قوة، فكأنه قيل: و لا تجعلوا الحلف باللّه قوة لأيمانكم فى ألّا تبرّوا و أنشد لكعب بن زهير: التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 226
من كل نضّاحة الذّفرى إذا عرقت عُرضتها طامس الاعلام مجهول «1»
و على هذا يكون الأصل العرض، لأن بالقوة يتصرف فى العرض و الطول، فالقوة: عرضة لذلك.
الثالث- بمعنى:
و لا تجعلوا اليمين باللَّه مبتذلة فى كل حق و باطل، لأن تبرّوا فى الحلف بها، و اتقوا المآثم فيها، و هو المروى عن عائشة، لأنها قالت:
لا تحلفوا به و إن بررتم، و به قال الجبائى، و هو المروى عن أئمتنا (ع)
و أصله على هذا معترض بالبذل: لا تبذل يمينك فى كل حق و باطل. فأما فى الأصل، فمعترض بالمنع أى لا يعترض بها مانعاً من البرّ، و التقوى، فتقدير الأول: لا تجعل اللّه مانعاً من البرّ و التقوى باعتراضك به حالفاً، و تقدير الثانى: لا تجعل اللّه مما تحلف به دائماً باعتراضك بالحلف فى كل حق و باطل، لأن تكون من البررة، و الأتقياء.

و اليمين، و القسم، و الحلف واحد. و اليمنية: ضرب من برود اليمن. و أخذ يمنة، و يسرة. و يُمن ييمن يميناً، فهو ميمون. و يمن، فهو ميمن: إذا أتى باليمن، و البركة. و تيمن به تيمناً، و تيامن تيامناً. و اليمين خلاف الشمال، و أصل الباب اليمن، و البركة.

و قوله: «أن تبروا» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- «أن تبروا»: لأن تبروا على معنى الأثبات.
الثانى- أن يكون على معنى لدفع أن تبروا، أو لترک أن تبروا- فى قول

---

(1) ديوانه: 9، و اللسان (عرض). نضح الرجل بالعرق نضحاً: نض به حتى سال سيلا، و نضاحة: شديدة النضح. و الذفرى: الموضع الذى يعرق خلف الاذن، و هو من كل حيوان حتى الإنسان و هو العظم الشاخص خلف الاذن.
و الطامس: الدارس الذى أمحى أثره. و الاعلام:
أعلام الطريق. و أرض مجهولة. إذا كان لا أعلام فيها و لا جبال. يقول: إذا نزلت هذه المجاهل، عرقت حينئذ قوتها و شدتها و صبرها على العطش و السير فى الملوات.

أبى العباس.
الثالث- على تقدير: ألّا تبروا، و حذفت (لا) لأنه فى معنى القسم كما قال امرؤ القيس:
فقلت يمين اللَّه أبرح قاعداً و لو قطعوا رأسى لديک و أوصالى «1»
أى لا أبرح، هذا قول أبى عبيد، و أنكر أبو العباس هذا، لأنه لما كان معه (أن)، بطل أن يكون جواباً للقسم، و إنما يجوز (و اللّه أقم فى القسم بمعنى لا أقوم، لأنه لو كان إثباتاً، لقال لأقومن، باللام و النون. و المعنى فى قول أبى العباس، و أبى عبيد واحد، و التقدير مختلف، فحمله أبو العباس على ما له نظير من حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه، و أنكر قياسه على ما يشبهه.

و فى موضع أن تبروا ثلاثة أقوال:
قال الخليل، و الكسائى: موضعه الخفض بحذف اللام مع أن خاصة.
الثانى- قال سيبويه، و أكثر النحويين: إن موضعه النصب، لأنه لما حذف المضاف وصل الفعل و هو القياس.
الثالث- قال قوم: موضعه الرفع على «أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ» أولى، و حذف، لأنه معلوم المعنى، أجاز ذلک الزجاج و إنما حذف اللام جاز مع (أن)، و لم يجز مع المصدر، لأن (أن) يصلح معها الماضي، و المستقبل، نحو قولک جئتک أن ضربت زيداً، و جئتک أن تضرب زيداً، و المصدر ليس كذلک، كقولک: جئتک لضرب زيد، فمعنى ذلک: أنه لما وصل بالفعل، احتمل الحذف كما يحتمل (الذى) و إذا وصل بالفعل من حذف ضمير المفعول، ما لا يحتمله الألف و اللام إذا وصل بالاسم، نحو الذى ضربت زيد: يريد ضربته. فأما الضاربة أنا زيد، فلا يحسن إلا بالهاء، و ذلک لأن الفعل أثقل، فهو بالحذف أولى. و يجوز أن

---

(1) ديوانه: 141.

يكون لما صلح للأمرين كثير فى الاستعمال، فكان بالحذف أولى مما قل منه.
و قال الزجاج إنما جاز حذف اللام مع (أن)، و لم يجز مع المصدر، لأن (أن) إذا وصلت، دل بما بعدها على الاستقبال، و المعنى تقول: جئتک أن ضربت زيداً، و جئتک أن تضرب زيداً، فلذلک جاز حذف اللام، فإذا قلت. جئتک ضرب زيد، لم يدل الضرب على مضى و لا استقبال.

فإذا حلف لا يعطى من معروفه، ثم رأى أن برّه خيراً، أعطاه، و نقض يمينه. و عندنا لا كفارة عليه، و إنما جاز ذلک، لأنه لا يخلو من أن يكون حلف يميناً جائزة أو غير جائزة، فان كانت جائزة، فهى مقيدة بأن لا يرى ما هو خير، فليس فى هذا مناقضة للجائزة، و إن كانت غير جائزة، فنقضها غير مكروه.
و قوله: «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه: أنه سميع ليمينه، عليم بنيته فيه، و فى ذلک تذكير، و تحذير.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 225] ..... ص : 228

اشارة

لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمانِكُمْ وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (225)
آية.

اختلفوا فى يمين اللغو فى هذه الآية، فقال ابن عباس، و عائشة، و الشعبى: هو ما يجرى على عادة اللسان: من لا و اللّه، و بلى و اللّه من غير عقد على يمين يقتطع بها مال، يظلم بها أحد، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد اللّه (ع).
و قال الحسن، و مجاهد، و ابراهيم: هى يمين الظانّ، و هو يرى أنه حلف، فلا إثم عليه، و لا كفارة. روى أيضاً عن ابن عباس، و طاوس: أنها يمين الغضبان، لا يؤاخذ بالحنث فيها، و به قال سعيد بن جبير، إلا أنه أوجب فيها الكفارة. و قال مسروق التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 229
كل يمين ليس له الوفاء بها، فهى لغو و لا يجب فيها كفارة. و قال الضحاك: روى أيضاً عن ابن عباس: أن لغو اليمين ما يجب فيه الكفارة. و روى عن إبراهيم: أنها يمين الناسى إذا حنث. و قال زيد بن أسلم: هو قول الرجل: أعمى اللّه بصرى، أو أهلك اللّه مالى، فيدعو على نفسه.

و أصل اللغو: هو الكلام الذى لا فائدة فيه، و كل يمين جرت مجرى مالا فائدة فيه حتى صارت بمنزلة ما لم يقع، فهى لغو، و لا شىء فيها، و هو اختيار الرمانى. تقول: لغا يلغو لغواً: إذا أتى بكلام. و ألغى إلغاء: إذا أطرح الكلام، لأنه لا فائدة فيه. و قوله: «وَ الْغَوْا فِيهِ» معناه: ارفعوا الصوت بكلام لا فائدة فيه. و الحساب الذى يلغى: أى يطرح، لأنه بمنزلة كلام لا فائدة فيه. و لاغية: كلمة قبيحة فاحشة، و منه اللغا، لأنها كلام لا فائدة فيه عند غير أهله، و هو مشتق من لغا الطائر، و هو منطقه، و قال ابن صغير المازنى:
باكرتم بسباء جونٍ ذارعٍ قبل الصباح و قبل لغو الطائر «1»

الأيمان على ضربين: أحدهما لا كفارة فيها. و الثانى- يجب فيها الكفارة، فما لا كفارة فيه: هو اليمين على الماضى إذا كان كاذباً فيه، مثل أن يحلف أنه ما فعل، و كان فعل أو «2» أن يحلف أنه فعل، و ما كان فعل، فهاتان لا كفارة فيهما- عندنا- و كذلک إذا حلف على مال، ليقتطعه كاذباً، فلا كفارة عليه، و يلزمه الخروج مما حلف عليه، و التوبة، و هى اليمين الغموس، و فى هذه أيضاً خلاف، و منها أن يحلف على أمر فعل، أو ترک، و كان خلاف ما حلف عليه أولى

---

(1) اللسان (لغا) فى المطبوعة (بسبإ) بدل (بسباء) و (الصياح) بدل (الصباح) و (رزاع) بدل (ذارع) و كل ذلک تحريف، باكرتم بسباء: أى بشرب الخمرة.

(2) فى المطبوعة (أو) ساقطة.

من المقام عليه، فليخالف، و لا كفارة عليه- عندنا- و فيه خلاف عند أكثر الفقهاء.

و ما فيه كفارة، فهو أن يحلف على أن يفعل، أو يترک و كان الوفاء به إمّا واجباً أو ندباً أو كان فعله، و تركه سواء، فمتى خالف كان عليه الكفارة، و قد بينا أمثلة ذلک فى النهاية فى الفقه. و قال الحسن: الأيمان على ثلاثة أقسام: منها أن يحلف على أمر، و هو يرى أنه على ما حلف، فهذا هو اللغو، لا عقوبة فيه، و لا كفارة.

و منها: أن يحلف على أمر، و هو يعلم أنه كاذب، فهذا آثم فاجر عليه التوبة، و لا كفارة عليه. و منها أن يحلف: لا يفعل كذا، فيفعل، أو يحلف: ليفعلن، و لا يفعل، ففى ذلک الكفارة. و كان يقول: إذا حلف على مملوک، أو على حرّ، فقال:

و اللّه لتأكلن من هذا الطعام، فلم يأكل، فعليه الكفارة. و قال: اليمين على أربعة أوجه- فى قول أكثر الفقهاء: اثنتان: لا كفارة فيها، و اثنتان: فيها الكفارة، فالأول- قول الرجل: و اللّه ما فعلت، و قد فعل، و قوله: و اللّه لقد فعلت، و ما فعل، فهاتان لا كفارة فيهما، لأنه لا حنث فيهما. و الثانى- قول الحالف: و اللّه لا فعلت، ثم يفعل. و قوله: و اللّه لأفعلن، ثم لا يفعل، فهاتان فيهما الكفارة. و قد بينا الخلاف فى خلاف الفقهاء.

و الفرق بين اللغا، و اللغو، أن اللغا: الذكر بالكلام القبيح. لغيت ألغى لغاً، قال العجاج:
و ربّ أسراب حجيج كظّم عن اللغا و رفث التكلم «1»
و جواب اليمين على أربعة أقسام: اللام، و ما، و إنّ، و لا، نحو: و اللَّه لآتينک، و اللَّه ما فعلت، و و اللَّه إنه لكاذب، و و اللَّه لا كلمته.
و قوله: «وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ» فالحلم الامهال بتأخير العقاب «2» على الذنب، تقول: حلم حلماً، و تحّلم تحلماً، و حلّمه تحليماً. و حلم فى نومه حلماً: إذا رأى

---

(1) مر تخريجه فى 2: 132.
(2) فى المطبوعة (العقل).

الأحلام، و منه «أضغاث أحلام» «1». و الحلم الرؤيا فى النوم، و منه الاحتلام.
و الحَلم: ما عظم من القردان، و الواحد حَلَمة، لأنه كحلمة «2» الثدى، و حلمة الثدى، لأنها تحلم المرتضع. و الحلمة: شجرة السعدان، و هى من أفضل المرعى.
و تحلمت الضباب: إذا سمنت لأنه يكسبها دعة كدعة الحلم. و الحلام: الجدى، و أصل الباب الحلم: الأناة. و أما حَلِم الأديم إذا نغل «3» فلأنه وقع فيه الحلم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 226] ..... ص : 231

اشارة

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فاؤُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (226)
آية واحدة بلا خلاف.

قوله: «يؤلون» معناه: يحلفون- بلا خلاف بين أهل التأويل- و هو المروى عن سعيد بن المسيب و هو مأخوذ من الألية قال الشاعر:
كفينا من تغيّب من نزار و أحنثنا إليّة مقسمينا «4»
و يقال: ألى الرجل- من امرأته- يؤلى إيلاء، و ألية، و ألوّة، و هو الحلف قال الأعشى:
إنى أليت على حلفة و لم أقلها سحر الساحر «5»
و جمع أليّة: ألايا، و أليّات، كعشية، و عشايا، و عشيات، فأما جمع ألوّة، فألايا، كركوبة و ركائب، و جمع ألية: ألاء كصحيفة، و صحائف، و منه ائتلى يأتلى

---

(1) سورة يوسف آية: 44.
(2) فى المطبوعة (كجملة).
(3) حلم- بفتح الحاء و كسر اللام- و نغل الأديم: فسد فى دباغته.
(4) تفسير الطبرى 4: 456، و روايته (فى تراب) بدل (من نزار) و فى مجمع البيان طبع صيدا 1: 332 (من نزار) كما ذكر الشيخ سواء. و قد اعترف محقق الطبرى أنه بدل (من) ب (فى) و كانت فى المخطوطة و المطبوعة عنده (من). [.....]
(5) ديوانه: 143 رقم القصيدة: 18. و روايته
(و لم اقله عثر العاثر)
بدل
(و لم أقلها سحر الساحر).

ائتلاء، و فى التنزيل «وَ لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ» «1»، و تقول: لا تألوا ألياً، و ألوّ، نحو العتى، و العتوّ. و ما ألوت جهداً، و لا ألوته نصحاً، أو غشا، و منه قوله: «لا يَأْلُونَكُمْ خَبالًا» «2»، و قال الشاعر:
نحن فصلنا جهدنا لم نأتله
أى لم نقصر. و أصل الباب التقصير، فمنه لا يألوا جهداً، و منه الألية: اليمين، لأنها لنفى التقصير. و عود ألوة، و ألوة: أجود العمود، لأنه خالص.

و الإيلاء فى الآية: المراد به: اعتزل النساء، و ترک جماعهن علی وجه الإضرار بهن، و کأنه قيل: «لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ» أن يعتزلوا نساءهم (تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ) منهم،
و اليمين التى يکون بها الرجل مؤلياً: هى اليمين باللَّه عزّ و جلّ، أو بشىء من صفاته التى لا يشرکه فيها غيره، على وجه لا يقع موقع اللغو الذى لا فائدة فيه، و يکون الحلف على الامتناع من الجماع على جهة الغضب، و الضرار، و هو المروى عن على (ع)
، و ابن عباس، و الحسن. و قال ابراهيم، و ابن سيرين، و الشعبى: فى الغضب.
و قال سعيد بن المسبب: هو فى الجماع، و غيره من الضرار، نحو الحلف ألّا يکلمها.

و التربصّ بالشىء انتظارك به خيراً، أو شراً يحل، و تقول: تربصت بالشىء تربصاً، و ربصت به ربصاً، و منه قوله: «فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ» «3» و «نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ» «4» قال الشاعر:
تربص بها ريب المنون لعلّها تطلّق يوماً أو يموت حليلها «5»
و مالى على هذا الأمر ربصة: أى تلبث، و أصله الانتظار.
و قوله: «فَإِنْ فاؤُ» معناه: فان رجعوا، و منه قوله:

---

(1) سورة النور آية: 22.
(2) سورة آل عمران آية: 118.
(3) سورة المؤمن آية: 25.
(4) سورة الطور آية: 30.
(5) اللسان (ربص) فى المطبوعة (خليلها) بدل (حليلها). و المعنى فيهما واحد.

«حَتَّى تَفِىءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ» «1» أى ترجع من الخطأ الى الصواب. و الفرق بين الفىء و الظل: ما قال المبرد: إن الفىء ما نسخ الشمس، لأنه هو الراجع، و أما الظل: فما لا شمس فيه.
و كل فىء ظل، و ليس كل ظل فيء، و لذلك أهل الجنة فى ظل، لا فى فىء، لأنه لا شمس فيها، كما قال اللّه تعالى: «وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ» «2». و جمع الفىء أفياء، تقول:
فاء الفىء: إذا تحول عن جهة الغداة برجوع الشمس عنه. و تفيأت فى الشجر، و فيأت الشجرة. و الفىء: غنائم المشركين، أفاء اللَّه علينا فيهم، لأنه من رجع الشىء الى حقه، و الفىء الرجوع عن الغضب. إن فلاناً لسريع الفىء من غضبه.

فان قيل: ما الذى يكون المولى به فايئاً؟ قيل- عندنا-: يكون فايئاً بأن يجامع، و به قال ابن عباس، و مسروق، و سعيد بن المسيب. و قال الحسن، و ابراهيم، و علقمة:
يكون فايئاً بالعزم فى حال العذر إلّا أنه ينبغى أن يشهد على فيئه، و هذا يكون- عندنا- للمضطر الذى لا يقدر على الجماع، و يجب على الفايئ- عندنا- الكفارة، و به قال ابن عباس، و سعيد بن المسيب، و قتادة، و لا عقوبة عليه، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد اللّه (ع).
و قال الحسن، و ابراهيم: لا كفارة عليه، لقوله: «فَإِنْ فاؤُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»: أى لا يتبعه بكفارة، و لا عقوبة.

و يجوز فى «تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ» ثلاثة أوجه: الجر بالاضافة، و عليه جميع القراء. و يجوز النصب، و الرفع فى العربية «تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ» كما قال: «أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً أَحْياءً وَ أَمْواتاً» «3» أى يكفتهم «4» أحياء، و أمواتاً، و «تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ» كقوله: «فَشَهادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهاداتٍ بِاللَّهِ» «5»

---

(1) سورة الحجرات آية: 9.
(2) سورة الواقعة آية: 30.
(3) سورة المرسلات آية: 25- 26.
(4) فى المطبوعة يكفيهم
(5) سورة النور آية: 6.

و مثله (فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) «1». و إنما جعل اختصاص الإيلاء بحال الغضب، لأن مدة التربص جعل فسحة للمرأة فى التخلص من المضارة، فإذا لم يكن ضرار لم يصح إيلاء. و من لم يخص بحال الغضب، حمله على عموم الإيلاء، و هو الأقوى. و متى حلف بغير اللّه فى الإيلاء، فلا تنعقد يمينه، و لا يكون مؤلياً.

و قال الجبائى: إذا حلف بما يلزمه فيه عزم، نحو الصدقة، أو الطلاق، أو العتاق، فهو إيلاء، و إلّا، فهو لغو، نحو قوله: و حياتک، و ما أشبهه. و قال الشافعى:

لا إيلاء إلا باللّه، كما قلناه. و متى حلف ألا يجامع أقل من أربعة أشهر، لا يكون مؤلياً، لأن الإيلاء على أربعة أشهر، أو أكثر.

و متى حلف ألّا يقربها، و هى مرضعة خوفاً من أن تحبل، فيضر ذلک بولدها، لا يلزمه حكم الإيلاء، و هو المروى عن على (ع)

، و به قال الحسن، و ابن شهاب. و يجوز أن يكون فى الآية تقديم، و تأخير، و يكون تقديره «لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ» «تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ» «مِنْ نِسائِهِمْ».

و يجوز أن يكون معناه: «لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ» أجل «نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ» كما تقول: غضبت لفلان: أى من أجل فلان. و إذا مضت أربعة أشهر لم تبن منه إلا بطلاق، و يلزمه الحاكم، إما الرجوع و الكفارة، و إما الطلاق، فان امتنع حبسه حتى يفىء، أو يطلق. و فيه خلاف.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 227] ..... ص : 234

اشارة

وَ إِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (227)
آیه واحدة.

عزيمة الطلاق فى الحكم- عندنا- أن يعزم، ثم يتلفظ بالطلاق، و متى لم يتلفظ بالطلاق بعد مضى أربعة أشهر، فان المرأة لا تبين منه إلا أن تستدعى، فان استدعت، ضرب الحاكم مدة أربعة أشهر ثم توقف بعد أربعة أشهر، فيقال له: فىء

---

(1) سورة المائدة آية: 98.

أو طلق، فان لم يفعل، حبسه حتى يطلق، و مثل هذا قال أهل المدينة غير أنهم قالوا:

متى امتنع من الطلاق و الفيئة، طلق عنه الحاكم طلقة رجعية. و قال أهل العراق:

الإيلاء: أن يحلف ألّا يجامعها أربعة أشهر فصاعداً، فإذا مضت أربعة أشهر فلم يقربها، بانت منه بتطليقة لا رجعة له عليها، و عليها عدة ثلاث حيض، يخطبها فى العدة، و لا يخطبها غيره، فان فاء قبل أربعة أشهر: أى إن جامع، كفر يمينه، و هى امرأته. و قال الحسن، و قتادة، و ابن مسعود، و ابراهيم، و ابن عباس، و حماد: هو مضى أربعة: أشهر قبل أن يفىء من غير عذر.

و العزم: هو العقد على فعل شىء فى مستقبل الوقت. و العزم على الشىء هو إرادته له: إذا كانت مقدمة للفعل بأكثر من وقت واحد، و تكون متعلقة بفعل العازم، و لا يدخل بينهما، و بين الفعل سهو، و لا نسيان. يقال: عزم عزماً: إذا عقد على أن يفعل الشىء، و اعتزم اعتزاماً. و عزمت عليک لتفعلن: أى أقسمت.
و عزم الراقى: كأنه أقسم على الداء. و رجل ماضى العزم: حاد فى أمره. و ما لفلان عزيمة: أى ما يثبت على أمر، لتلونه، و منه قوله: «فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» «1». و عزائم القرآن التى تقرأ على ذوى الآفات، لما يرجى من البرء بها.
و أصل الباب العزم على العقد على الشىء.
و الطلاق: حل عقدة النكاح بما يوجبه فى الشريعة. تقول: طلقت تطلق طلاقاً، فهى طالق- بلا علامة التأنيث، حكاه الزجاج. و قال قوم: لأنه يختص بالمؤنث. قال الزجاج: هذا ليس بشىء، لأن فى الكلام شيئاً كثيراً يشترک فيه المؤنث، و المذكر- بلا علامة التأنيث- نحو قولهم: بعير ضامر، و ناقة ضامر، و بعير ساعل، و ناقة ساعل. و زعم سيبويه، و أصحابه: أن هذا واقع على لفظ التذكير صفة للمؤنث، لأن المعنى: هى طالق حقيقة- عندهم- أنه على جهة

---

(1) سورة الأحقاف آية: 35.

النسب، نحو قولهم: امرأة مذكار، و رجل مذكار، و رجل مئناث، و امرأة مئناث، و معناه: ذات ذُكرانٍ، و ذات أناث، و كذلک مطفل: ذات طفل، و كذلک طالق:
ذات طلاق. فان أجريته على الفعل قلت طالقة، قال الشاعر:
أيا جارتا بينى فإنک طالقه! كذاک أمور الناس غادٍ و طارقه «1»
تقول: طلقها، و تطلق تطلقاً، و أطلق إطلاقاً، و استطلق استطلاقاً، و انطلق انطلاقاً، و تطلقت المرأة عند الولادة، فهى مطلوقة إذا تمخضت. و الطلق:
الشوط من الجرى. و الطلق: قيد من قدّم أو عقب «2» تقيد به الإبل. و رجل طلق الوجه: بهلول ضحاک. و يوم طلق إذا لم يكن فيه حرّ، و لا قرّ. و الطليق:
الأسير يخلى عنه و رجل طلق اليدين: سمح بالعطاء. و الطلق: الحبل

الشديد الفتل، يقوّم قيّام. و أصل الباب الانطلاق، و الطلاق، لانطلاق المرأة فيه على عقدة النكاح.

و الطلاق بعد الإيلاء، و الايقاف يكون واحدة رجعية، و به قال سعيد بن المسيب، و ابن عمر. و قال الحسن و ابن مسعود، و ابن عباس: تكون بائنة.
و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» فيه دلالة على الأخذ بالفىء أو الطلاق، لأنه بمعنى.
أن اللّه يسمع قوله، و يعلم ضميره. و قيل: بل هو راجع الى يسمع الإيلاء، و يعلم بنيته، و كلاهما يحتمل فى اللغة- على قول الزجاج- و حقيقة السميع: هو من كان على صفة يجب لأجلها أن يدرک المسموعات إذا وجدت. و هو يرجع الى كونه حياً لا آفة به «3». و السامع: هو المدرک. و اللّه تعالى يوصف بما لم يزل بأنه

---

(1) قائله الأعشى. ديوانه: 263 رقم القصيدة: 41 و اللسان (طلق) قالها لأمرأته الهزانية حين فارقها بينى: فارقى. غاد: يأتى غدوة فى الصباح. و الطارق: الذى يطرق أى يأتى ليلا. [.....]
(2) هكذا فى المطبوعة و فى اللسان (طلق) الطلق- بالتحريک- قيد من جلود، و الطلق- بالتحريک- قيد من أدم.
(3) فى المطبوعة (لا حريه) بدل (حياً لا آفة به).

سميع، و لا يوصف فيما لم يزل بأنه سامع، و إنما يوصف بأنه سامع إذا وجدت المسموعات. و إنما ذكر عقيب الأول «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» لأنه لما أخبر عن المولى أنه يلزمه الفىء، أو الطلاق بين أنه إن فاء (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) بأن يقبل رجوعه، و لا يتبعه بعقاب ما ارتكبه. و ذكر هاهنا أنه «سَمِيعٌ عَلِيمٌ» لما أخبر عنه بإيقاع الطلاق، و كان ذلک مما يسمع، أخبر أنه لا يخفى عليه، و أنه يسمعه، لأنه على صفة يوجب إدراكه لذلک، و أنه عالم ببيانه، فلا الذى ذكر فى الآية الأولى يليق بهذه الآية، و لا الذى ذكرها هنا يليق هناک، و ذلک من عظم فصاحة القرآن، و جلالة مواقعه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 228] ..... ص : 237

اشارة

وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَ لا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِی أَرْحامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِی ذلِکَ إِنْ أَرادُوا إِصْلاحاً وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِی عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ لِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228)
آية بلا خلاف.

القرء: الطهر- عندنا- و به قال زيد بن ثابت، و عائشة، و ابن عمر، و سالم، و أهل الحجاز. و روى عن ابن عباس، و ابن مسعود، و الحسن، و به قال أهل العراق،
و رووه عن على (ع) أنه الحيض.

و أصل القرء يحتمل وجهين فى اللغة:
أحدهما- الاجتماع، فمنه قرأت القرآن، لاجتماع حروفه، و منه قولهم: التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 238
ما قرأت الناقة سلّا قط: أى لم تجمع رحمها على ولد قط. قال عمرو بن كلثوم:
ذراعى عيطلٍ أدماء بِكر هجان اللون لم تقرأ جنينا «1»
و منه أقرأت النجوم: إذا اجتمعت فى الأفول، فعلى هذا، يقال: أقرأت المرأة: إذا حاضت، فهى مقرئ، فى قول الأصمعى، و الأخفش، و الكسائى و الفراء، و أنشدوا له:
قروؤ كقروء الحائض
فتأويل ذلک: اجتماع الدم فى الرحم. و يجىء على هذا الأصل أن يكون القرء: الطهر، لاجتماع الدم فى جملة البدن، هذا قول الزجاج.
و الوجه الثانى- أن يكون أصل القرء: وقت الفعل الذى يجرى على آخر عادة، فى قول أبى عمرو بن العلاء، و قال: هو يصلح للحيض، و الطهر، يقال: هذا قارئ الرّياح أى وقت هبوبها قال الشاعر:
شنئت العقر عقر بنى شليل إذا هبت لقارئها الرياح «2»
أى لوقت شدة بردها، و قال آخر:
رجا أياس أن تؤوب و لا أذى إياساً لقرؤ الغائبين يؤوب «3»
أى لحين الغائبين، فعلى هذا يكون القرء الحيض، لأنه وقت اجتماع الدم فى الرحم على العادة المعروفة فيه، و يكون الطهر، لأنه وقت ارتفاعه على عادة جارية فيه، قال الأعشى فى الطهر:
و فى كل عام أنت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيم عزائكا

---

(1) اللسان (عطل) (قرأ) و قد رواه الجوهرى برواية أخرى و هى:
ذراعى عيطل أدماء بكر تربعت الأماعز و المتونا
و فى المطبوعة (اللوم) بدل (اللون) و هو تصحيف، و العيطل: طويل العنق من الإبل و غيرها. و الأدماء من الإبل البيضاء، و كذلک هجان اللون أى بيض اللون. و لم تقرأ جنينا: أى لم تجمع رحمها على جنين، و هو الولد.
(2) قائله مالک ابن الحرث الهذلى، ديوان الهذليين 3: 83. و اللسان (قرأ) شنئت:
أى كرهت، و العقر: اسم مكان. و شليل: هو جد جرير بن عبد اللّه البجلى.
(3) لم أجد هذا البيت فيما حضرنى من المصادر.

مورثة مالا و فى الحمد رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا «1»
و الذى ضاع هاهنا الاطهار، لأنه بعد غيبته، فيضيع بها طهر النساء، فلا يطأهن، و الوقت الجارى فى الفعل على عادة راجع الى معنى الاجتماع، و ذلک، لاجتماع الفعل مع الوقت الدائر، فالاجتماع أصل الباب. و أخذ القرء من الوقت رداً له الى فرع، و كلا الأمرين يحتمل فى اللغة.

و من خفف الهمزة فى «قروء» قال: قرؤ، و مثله «مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً» «2» و استشهد أهل العراق بأشياء يقوى أن المراد الحيض،
منها قوله (ع) فى مستحاضة سألته: دعى الصلاة أيام أقرائك.
و استشهد أهل المدينة بقوله: «فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» «3» أى طهر لم يجامع فيه كما يقال لغرّة الشهر، و تأوله غيرهم: لاستقبال عدتهن، و هو الحيض.
فان قيل: لو كان المراد- فى الأقراء فى الآية- الاطهار، لوجب استيفاء الثلاثة أطهار بكمالها، كما أن من كانت عدتها بالأشهر، وجب عليها ثلاثة أشهر على الكمال، و قد أجمعنا على أنه- لو طلقها فى آخر يوم الطهر الذى ما قربها فيه، لا يلزمها أكثر من طهرين آخرين، و ذلک دليل على فساد ما قلتموه! قلنا: تسمى القرآن الكاملان، و بعض الثالث ثلاثة أقراء، كما تسمى- الشهران و بعض الثالث-: ثلاثة أشهر قال اللّه تعالى: «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ» «4» و إنما هى شوال، و ذى القعدة، و بعض من ذى الحجة. و روى عن عائشة أنها قالت: الأقراء الاطهار.
و قوله: «وَ لا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِى أَرْحامِهِنَّ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال: أحدها- قال إبراهيم: الحيض. و ثانيها- قال قتادة: الحبل. و ثالثها-

_____

(1) ديوانه: 91 رقم القصيدة: 11 يمدح بها هوذة بن على الحنفى، و معنى البيتين:
لک فى كل عام غزوة، تجمع لها صبرک و جلدک، فتعود منها بالغنيمة و المجد الذى يعوضک عما عاينت من البعد عن نسائک.
(2) سورة النساء آية: 109، 122.
(3) سورة الطلاق آية: 1.
(4) سورة البقرة آية: 197.

قال ابن عمر، و الحسن: هو الحبل، و الحيض، و هو الأقوى لأنه أعم. و إنما لم يحل لهن الكتمان، لظلم الزوج بمنعه المراجعة- فى قول ابن عباس-. و قال قتادة:
لنسبة الولد الى غيره، كفعل الجاهلية.

و إنما قال: «ثَلاثَةَ قُرُوءٍ» و لم يقل: ثلاثة أقرء على جمع القليل، لأنه لما كانت كل مطلقة يلزمها هذا، دخله معنى الكثرة فأتى ببناء الكثرة، للاشعار بذلک، فالقروء كثيرة إلّا أنها ثلاثة فى القسمة. و وجه آخر- أن بناء الكثير فيه أغلب فى الاستعمال، لأنه على قياس الباب فى جمع فعل الكثير، فأما القليل، فقياسه، أفعل دون أفعال، فصار بمنزلة ما لا يعتد به فجاء مجيء قولهم: ثلاثة شسوع، فاستغنى فيه ببناء الكثير عن القليل. و وجه ثالث- أن يذهب مذهب الجنس نحو قولهم:
ثلاثة كلاب يعنون ثلاثة من الكلاب إذا أريد رفع الإيهام.

و الشرط بقوله: «إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» معناه من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر، فهذه صفته فيما يلزمه، لا أنه يلزم المؤمن دون غيره. و خرج ذلک مخرج التهديد. «وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ» يعنى أزواجهن أحق برجعتهن، و ذلک يختص بالرجعيات و إن كان أول الآية عاماً فى جميع المطلقات الرجعية و البائنة.
و سمى الزوج بعلا، لأنه عال على المرأة بملكه لزوجيتها.

تقول: بعل يبعل بعولة، و هو بعل. و قوله «أَ تَدْعُونَ بَعْلًا» «1» أى ربّاً، لأنه بمعنى من سميتموه باستعلاء الربوبية تخرصاً، و قيل أنه صنم. و البعل النخل يشرب بعروقه، لأنه مستعل على شربه، و بعل الرجل بأمره إذا ضاق به ذرعاً،

_____

(1) سورة الصافات آية: 125.

لأنه علاه منه ما ضاق به صدره. و بعل الرجل فى معنى بطر، لأنه استعلى معظماً، و كبراً. و امرأة بعلة: لا تحسن لبس الثياب، لأن الحيرة تستعلى عليها، فتدهشها.

و بعل الرجل يبعل بعلا إذا دهش دهشاً.

و قوله: «وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِی عَلَیْهِنَّ» قال الضحاک: لهن من حسن العشرة بالمعروف على أزواجهن مثل ما عليهن من الطاعة فيما أوجبه اللّه عليهن لهم. و قال ابن عباس: لهن على أزواجهن من التصنع و التزين مثل ما لأزواجهن عليهن. و قال الطبرى: لهن على أزواجهن ترک مضارتهن، كما أن عليهن لأزواجهن.
و قوله: «وَ لِلرِّجالِ عَلَیْهِنَّ دَرَجَةٌ» قيل معناه: فضيلة منها الطاعة، و منها أن يملک التخلية، و منها زيادة الميراث [على قسم] «1» المرأة، و الجهاد. هذا قول مجاهد، و قتادة. و قال ابن عباس: منزلة فى الأخذ عليها بالفضل فى المعاملة حتى قال: ما أحب أن استوفى منها جميع حقى، ليكون لى عليها الفضيلة.

و تقول: رجل بين الرجولة أى القوة، و هو أرجلهما أى أقواهما، و فرس رجيل قوى على المشى. و الرّجل معروفة، لقوتها على المشى. و رجل من جراد أى قطعة منه تشبيهاً بالرجل، لأنها قطعة من الجملة. و الراجل الذى يمشى على رجله. و ارتجل الكلام ارتجالا، لأنه قوى عليه من غير ركوب فكرة، و لا روية. و ترجّل النهار، لأنه قوى ضياؤه بنزول الشمس الى الأرض. و رجّل شعره إذا طوله، لأنه قوى بكثرته من غير أن يركب بعضه بعضاً، فيقلّ فى رأى العين. و المرجَل معروف.
و أصل الباب: القوة.
و الدرجة: المنزلة، تقول: درجت الشىء أدرجه درجاً، و أدرجته إدراجاً، و درج القوم قرناً بعد قرن أى فنوا. و أدرجه اللّه إدراجاً، لأنه كطى الشىء

---

(1) ما بين القوسين من مجمع البيان، لأن الجملة لا تتم بدونه.

بمنزلة بعد منزلة و الدرج سفيط للطيب، لأنه بمنزلة ما يدرج فيه. و مدرَجة الطريق: قارعته. و أصل الباب الطى، فالدرجة منزلة من منازل الطى، و منه الدرجة التى يرتقى فيها.

و قيل إن فى الآية نسخاً، لأن التى لم يدخل بها، لا عدة عليها بقوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ» الى قوله: «فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها» «1» و لأن الحامل عدتها وضع ما فى بطنها بقوله «وَ أُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ». «2»

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 229] ..... ص : 242

اشارة

الطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ وَ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَنْ يَخافا أَلاَّ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوها وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (229)
آية بلا خلاف.

قرأ حمزة، و أبو جعفر «إلا أن يخافا» بضم الياء، و الباقون بفتحها.

قيل فى معنى قوله: «الطَّلاقُ مَرَّتانِ» قولان:
أحدهما- ما قال ابن عباس، و مجاهد: إن معناه البيان عن تفصيل الطلاق فى السنة، و هو أنه إذا أراد طلاقها فينبغى أن يطلقها فى طهر لم يقربها فيه بجماع،

_____

(1) سورة الأحزاب آية: 49.
(2) سورة الطلاق آية: 4.

تطليقة واحدة، ثم يتركها حتى تخرج من العدة، أو حتى تحيض و تطهر، ثم يطلقها ثانية.
و الثانى- ما قاله عروة، و قتادة: إن معناه البيان عن عدد الطلاق الذى يوجب البينونة، مما لا يوجبها. و فى الآية بيان أنه ليس بعد التطليقتين إلا الفرقة البائنة. و قال الزجاج: فى الآية حذف، لأن التقدير: الطلاق الذى يملك فيه الرجعة مرتان، بدلالة قوله: «فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ». و المرتان معناه: دفعتان.

و تقول مرَّ يمر مراً و استمر استمراراً، و أمرّه إمراراً و تمرّر تمرراً، و مرّره تمريراً. و المر: خلاف الحلو، و منه المرارة، لأن فيها المرة. و المرة مزاج من أمزجة البدن. و المرة شدة الفتل، لاستمراره على إحكام. و المرير: الحبل المفتول. و فى التنزيل «ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى» «1» أى ذو قوة و شدة. و المرّ الذي يعمل به فى الطين و أصل الباب المرور: خلاف الوقوف. و قوله «فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ» رفع، و معناه: فالواجب إمساك عليه، و كان يجوز النصب على فليمسك إمساكا، و الإمساك خلاف الإطلاق. تقول أمسك إمساكاً، و تمسك تمسكاً، و تماسك تماسكاً، و امتسك امتساكاً، و مسك تمسيكاً، و استمسك استمساكاً. و فلان ممِسك: أى بخيل، و ما بفلان مُسكة، و لا تمساك:
إذا لم يكن فيه خير، لأنه منحل عن ضبط شىء من أموره. و المسك: الإهاب، لأنه يمسك البدن باحتوائه عليه. و المسك السواء «2»، و سمى باستمساكه فى اليد.

و قوله: «معروف» أى على وجه جميل سائغ «3» فى الشرع لا على وجه الإضرار بهن.

_____

(1) سورة النجم آية: 6. [.....]
(2) فى مجمع البيان: السواد، و فى لسان العرب: السوار.
(3) فى المطبوعة (سايع).
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 244
و قوله: «أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ» قيل فيه قولان:
أحدهما- أنها الطلقة الثالثة،
و روى عن النبى (ص) أن رجلا سأله، فقال:
الطلاق مرتان فأين الثالثة؟ فأجابه: أو تسريح بإحسان. و قال السدى، و الضحاك: هو ترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد اللّه (ع).

و التسريح مأخوذ من السرح، و هو الانطلاق. تقول: سرح تسريحاً، و سرّح الماشية فى الرعى سرحاً: إذا أطلقها ترعى: و السرحان: الذئب، لاتباعه السرح. و السرحة: الشجرة المرتفعة، لانطلاقها فى جهة الطول. و المسرّح: المشط، لإطلاق الشعر به. و سرحت الماشية: إذا انطلقت فى المرعى. و سرحت العبد إذا أعتقته. و السرح: الجراد، لانطلاقه فى البلاد، و السريحة: القطعة من القد يشد بها نقال الإبل، و كل شىء قددته مستطيلا، فهو سريح.

و روى أن هذه الآية نزلت فى ثابت بن قيس، و زوجته، وردت عليه حديقته، و طلقها بإذن النبى (ص) رواه ابن جريج.

و قوله: «إِلَّا أَنْ يَخافا» معناه: إلا أن يظنا و قال الشاعر:
أتانى كلام عن نصيب بقوله و ما خفت يا سلّام أنک عائبى «1»
يعنى ما ظننت و أنشد الفراء:
إذا مت فادفنى الى جنب كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقها
و لا تدفننى فى الفلاة فاننى أخاف إذا ما مت ألا أذوقها «2»

---

(1) مر تخريجه فى 2: 189. من هذا الكتاب.
(2) قائلهما أبو محجن الثقفى، ديوانه: 23، و معانى القرآن للفراء 1: 146 و غيرها كثير، و خبر أبى محجن فى الخمر مشهور.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 245
و من ضم الياء، فتقديره: إلا أن يخافا على أن لا يقيما حدود اللَّه. و قال أبو عبيدة «إِلَّا أَنْ يَخافا» معناه: يوقنا، «فَإِنْ خِفْتُمْ» معناه فان أيقنتم و قال أبو على الفارسى: خاف فعل يتعدى الى مفعول واحد، و ذلک المفعول تارة يكون (أن) وصلتها، و أخرى غيرها، فأما تعديه الى غير (أن) فنحو قوله: «تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ» «1». و تعديته الى (أن) كقوله: «تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ» «2» و قوله: «أَمْ يَخافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ» «3» فان عديته الى مفعول بأن ضعفت العين، أو اجتلبت حرف الجر كقولک: خوّفت ضعف الناس قولهم، و حرف الجر كقوله:
لو خافک اللَّه عليه حرّمه
و من ذلک قوله: «إِنَّما ... الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ» «4» فيخوف قد حذف معه مفعول يقتضيه تقديره يخوف المؤمنين بأوليائه، فحذف المفعول، و الجار، فوصل الفعل الى المفعول الثانى، ألا ترى أنه لا يخوف أولياءه على حدّ قولک خوّفت اللصّ، و إنما يخوف غيرهم مما لا استنصار لديهم، و مثله فإذا خفت عليه بمنزلة المحذوف من قوله: «أولياءه» فإذا كان تعدى هذا الفعل على ما وصفنا، فقول حمزة «إلا أن يخافا»، مستقيم لأنه لما بنى الفعل للمفعول به أسند الفعل إليه، فلم يبق شىء يتعدى إليه، و أما (أن) من قوله: «أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ»، فان الفعل يتعدى إليه بالجارّ، كما تعدى بالجارّ فى قوله:
لو خافک اللَّه عليه حرمه
و موضع أن فى الآية جر بالجارّ المقدر، على قول الخليل، و الكسائى. و نصب، فى قول سيبويه، و أصحابه، لأنه لما حذف الجارّ، وصل الفعل الى المفعول الثانى، مثل استغفر اللَّه ذنباً، و امرأتک الخير، فقوله مستقيم على ما رأيت. فان قال قائل:

لو كان يخافا كما قد أخبره، لكان ينبغى أن يكون فان خيفا! قيل لا يلزمه هذا السؤال لأمرين:

---

(1) سورة الروم آية: 28.
(2) سورة الانفال آية: 26.
(3) سورة النور آية: 50.
(4) سورة آل عمران آية: 175.

أحدهما- أن يكون انصرف من الغيبة الى الخطاب، كما قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» «1» ثم قال: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» «2»، و قال: «ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ» «3» و نظائر ذلک كثيرة.

و الآخر- أن يكون الخطاب فى قوله: «فَإِنْ خِفْتُمْ» مصروفاً الى الولاة، و الفقهاء الذين يقومون بأمور الكافة، و جاز أن يكون الخطاب للكثرة فى من جعله انصرافاً من الغيبة الى الخطاب، لأن ضمير الاثنين فى «يخافا» ليس يراد به اثنان مخصوصان، و إنما يراد كل من كان هذا شأنه، فهذا حكمه.

و أما من قرأ بالفتح، فالمعنى أنه إذا خاف: من كل واحد من الزوج و المرأة «أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» حل الافتداء، و لا يحتاج فى قولهم الى تقدير الجار، لأن الفعل يقتضى مفعولا يتعدى إليه، كما اقتضى فى قوله: «فَلا تَخافُوهُمْ وَ خافُونِ» «4» و لا بدّ من تقدير الجار فى قراءة من ضم الياء، لأن الفعل قد استند الى المفعول، فلا يتعدى الى المفعول الآخر إلا بالجار. قال أبو على: فأما ما قاله الفراء فى قول حمزة «إِلَّا أَنْ يَخافا» من أنه اعتبر قراءة عبد اللَّه (إلا أن يخافوا) فلم ينصبه، لأن الخوف فى قول عبد اللَّه واقع على (أن). و فى قراءة حمزة على الرجل، و المرأة، و حال الخوف التى معه.

«أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» قال ابن عباس و عروة و الضحاک: هو نشوز المرأة بغضا للزوج. و قال الشعبى هو نشوزها و نشوزه،
و الذى روى عن أبى عبد اللّه (ع) أنه إذا خاف أن تعصى اللَّه فيه بارتكاب محضور، و إخلال بواجب، و ألا تطيعه فيما يجب عليها، فحينئذ يحل له أن يخلعها، و مثله روى عن الحسن.
و قيل: إن الخوف من الإخلال بالحقوق التى تجب لكل واحد منهما على صاحبه، و حسن العشرة و جميل الصحبة.

---

(1) سورة الفاتحة آية: 1، 4.
(2) سورة الفاتحة آية: 1، 4.
(3) سورة الروم آية: 39.
(4) سورة آل عمران آية: 175.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 247
فان قيل كيف قال: «فَلا جُناحَ عَلَيْهِما»، و إنما الإباحة لأخذ الفدية! قيل لأنه لو خص بالذكر لأوهم أنها عاصية، و إن كانت الفدية له جائزة، فبين الاذن لهما لئلا يوهم أنه كالزنا المحرم على الآخذ، و المعطى. و ذكر الفراء وجهين:
أحدهما- أنه قال: هو كقوله «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ» «1» و إنما هو من الملح دون العذب، فجاز الاتساع، و هذا هو الذى يليق بمذهبنا، لأن الذى يبيح الخلع- عندنا- هو ما لولاه، لكانت المرأة به عاصية.
و الوجه الثانى- على
قوله (ص): إن أظهرت الصدقة، فحسن و إن أسررت فحسن
، و إنما على مزاوجة الكلام كقوله «فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» «2»
و الثانى ليس بعد، و إن الفدية الجائزة فى الخلع- فعندنا- إن كان البغض منها، وحدها و خاف منها العصيان، جاز أن يأخذ المهر فما زاد عليه، و إن كان منهما، فيكون دون المهر. و رووا عن على (ع)
فقط، و لم يفصلوا، و به قال الربيع، و عطا، و الزهرى، و الشعبى. و قال ابن عباس، و ابن عمر، و رحا بن حوة، و ابراهيم، و مجاهد: إنه يجوز الزيادة على المهر، و النقصان، و لم يفصلوا، و الآية غير منسوخة عند أكثر المفسرين، ابن عباس و الحسن، و جميع أهل العلم إلا بكر بن عبد اللّه، فانه زعم أنها منسوخة بقوله «وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ» «3» الآية. و الخلع بالفدية على ثلاثة أوجه:
أحدها- أن تكون المرأة عجوزاً و ذميمة، فيضار بها ليفتدى بها، فهذا لا يحل

له الفدى، لقوله «وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ» «4» الآية.
و الثانى- أن يرى الرجل امرأته على فاحشة، فيضاربها لتفتدى بخلعها، فهذا يجوز، و هو معنى قوله «وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» «5» و الوجه الثالث:
«أَنْ يَخافا أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» لسوء خلق أو لقلة نفقة من غير ظلم، أو

---

(1) سورة الرحمن آية: 22.
(2) سورة البقرة آية: 194. [.....]
(3) سورة النساء آية: 19
(4) سورة النساء آية: 19
(5) سورة النساء آية: 18.

نحو ذلک فيجوز الفدية لهما جميعاً على ما فصلناه.
و استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد، لا يقع، لأنه قال: «مرتان» ثم ذكر الثالثة على الخلاف فى أنها قوله: «أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ» أو قوله: «فَإِنْ طَلَّقَها» و من طلق بلفظ واحد لا يكون أتى بالمرتين، و لا بالثالثة كما أنه لو أوجب فى اللعان أربع شهادات: و لو أنى بلفظ واحد لما وقع موقعه. و كما لو رمى تسع حصيات فى الجمار دفعة واحدة، لم يكن مجزياً له، فكذلک الطلاق، و متى ادعوا، فى ذلک خبراً، فعليهم أن يذكروه ليتكلم عليه، فأما مسائل الخلع، و فروعه، و شروطه فقد ذكرناها فى النهاية، و المبسوط، فلا معنى للتطويل بذكرها هاهنا لأن المطلوب هاهنا معانى القرآن، و تأويله دون مسائل الفقه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 230] ..... ص : 248

اشارة

فَإِنْ طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَها فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يَتَراجَعا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (230)

آية واحدة بلا خلاف.

قوله: «فَإِنْ طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ» المعنى فيه التطليقة الثالثة على ما روى عن أبى جعفر (ع)
و به قال السدى، و الضحاک، و الزجاج، و الجبائى، و النظام. و قال مجاهد: هو تفسير لقوله: «أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ» «1» فانه التطليقة الثالثة، و هو اختيار الطبرى.
و صفة الزوج الذى تحل المرأة، للزوج الأول أن يكون بالغاً، و يعقد عليها عقداً صحيحاً دائماً و يذوق عسيلتها، بان يطأها و تذوق هى عسيلته- بلا

---

(1) سورة البقرة آية: 229

خلاف بين أهل العلم- فلا يحل لأحد أن يتزوجها فى العدة، و أما العقود الفاسدة أو عقود الشبهة فإنها لا تحل للزوج الاول، و متى وطأها بعقد صحيح فى زمان يحرم عليه وطؤها مثل أن تكون حائضاً، أو محرمة، أو معتكفة، فإنها تحلّ للأول لأن الوطء قد حصل فى نكاح صحيح، و إنما حرم الوطء لأمر، ضار عليه، هذا عند أكثر أهل العلم. و قال مالک: الوطء فى الحيض لا يحل للأول و إن وجب به المهر كله، و العدة.

و موضع (أن) فى قوله: «فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يَتَراجَعا» خفض، و تقديره فى أن يتراجعا- عند الخليل، و الكسائى، و الزجاج- و قال الفراء: موضعه النصب، و اختاره الزجاج، و باقى النحويين. و قال الفراء: الخفض لا أعرفه، و موضع (أن) الثانية فى قوله: «أَنْ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» نصب- بلا خلاف ب (ظنا)، و إنما جاز حذف (فى) من أن يتراجعا و لم يحز من التراجع، لأنه إنما جاز مع (أن) لطولها بالصلة، كما جاز (الذى ضربت زيد)، لطول الذى بالصلة، و لم يجز فى المصدر، كما لم يجز فى اسم الفاعل نحو (زيد ضارب عمرو) و تريد ضاربه.

و قوله: «فَإِنْ طَلَّقَها» الثانية يعنى به الزوج الثانى و ذلک يدل على أن الوطء بعقد لا تحل للزوج الأول، لأن الطلاق لا يلحق نكاح شبهة. و الراجع المذكور هاهنا، هو بعقد مستأنف، و مهر جديد، بلا خلاف.

و قوله: «يبينها» قرأ المفضل عن عاصم بالنون على وجه الاخبار من اللَّه عن نفسه. الباقون بالياء، الكناية عن اللّه.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 250

قوله: «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» إنما خص العلم بذكر البيان و إن كان بياناً لغيرهم، لأنهم الذين ينتفعون ببيان الآيات، فصار غيرهم بمنزلة من لم يعتد به. و يجوز أيضاً أن يكونوا خصّوا بالذكر تشريفاً لهم، كما قال: «مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ» «1».
و الحدود: المراد بها ما تقدم بيانها من أحكام الطلاق، و الإيلاء، و الخلع، و غير ذلک.
و قوله: «إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» لا يدل على وجوب الاجتهاد فى الشريعة، لأنه لا يمنع من تعلق أحكام كثيرة- فى الشرع- فى الظن، و إنما فيه دلالة على، من قال: لا يجوز: أن يعمل فى شىء من الدين إلا على اليقين، فأما الظن، فلا يجوز أن يتعلق فيه شىء من الأحكام، فالآية تبطل قوله.
و قوله: «فَلا تَحِلُّ لَهُ ... حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ» يدل على أن النكاح بغير ولى جائز، و أن المرأة يجوز لها العقد على نفسها، لأنه أضاف العقد إليها دون وليها.

وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَ لا تَتَّخِذُوا آياتِ اللَّهِ هُزُواً وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ ما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتابِ وَ الْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231)

آية واحدة بلا خلاف.

قوله: «فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» معناه: انقضى عدتهنّ بالأقراء، أو الأشهر،

---

(1) سورة البقرة آية: 98.

أو الوضع. و المعنى: إذا بلغن قرب انقضاء عدّتهن، لأن بعد انقضاء العدة ليس له إمساكها، و الإمساك هاهنا المراجعة قبل انقضاء العدة، و به قال ابن عباس، و الحسن، و مجاهد، و قتادة، و قد يقال لمن دنا من البلد: فلان قد بلغ البلد. و المراد «بالمعروف» هذا الحق الذى يدعو إليه العقل، أو الشرع للمعرفة بصحته، بخلاف المنكر الذى يزجر عنه العقل، أو السمع لاستحالة المعرفة بصحته، فما يجوز المعرفة بصحته: معروف، و ما لا يجوز المعروف بصحته منكر.

و المراد به هاهنا أن يمسكها على الوجه الذى أباحه اللَّه له: من القيام بما يجب لها من النفقة، و حسن العشرة، و غير ذلک، و لا يقصد الإضرار بها.

و قد بينا أن التسريح أصله إرسال الماشية فى المرعى و منه قوله: «حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ تَسْرَحُونَ» «1».

و قوله: «وَ لا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا» معناه: لا تراجعوهن لا لرغبة فيهن بل لطلب الإضرار بهن إما فى تطويل العدة، أو طلب المفاداة أو غير ذلک، فان ذلک غير جائز.

و قوله: «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» فالظلم الضرر الذى ليس لأحد أن يضرّ به.

و قوله: «وَ لا تَتَّخِذُوا آياتِ اللَّهِ هُزُواً» يعنى ما ذكره من الأحكام فى الطلاق بما يجوز فيه المراجعة، و ما لهم على النساء من التربص حتى تعرا أو رفعوه مما ليس لهم عن ذلک «2» و روى عن أبى الدرداء و أبى موسى الأشعرى: أنهم قالوا: كان الرجل يطلق أو يعتق ثم يقول: إنما كنت لاعباً، فلذلک قال رسول اللّه (ص): من طلق لاعباً، أو أعتق لاعباً، فقد جاز عليه.

و قوله: «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» معناه: التنبيه على أنه لا يسقط الجزاء على عمل من أعمالهم، لخفائه عنه، لأنه «بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» و الأجل

هو

---

(1) سورة النحل آية: 6.

(2) هكذا فى المطبوعة، و لم نتمكن من تصحيحها بما يناسب، و هى كما ترى.

انقضاء مدة الانتظار. و الإمساک هاهنا: المنع من الذهاب و التسريح: الإرسال بتركهن بانقضاء العدة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 232] ..... ص : 252

اشارة

وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ إِذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذلِکَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكُمْ أَزْكى لَكُمْ وَ أَطْهَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (232)
آية واحدة بلا خلاف.

قال قتادة، و الحسن: إن هذه الآية نزلت فى معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع الى الزوج الأول، فانه طلقها، و خرجت من العدة ثم أرادا أن يجتمعا بعقد آخر على نكاح آخر، فمنعها من ذلک، فنزلت فيه الآية. و قال السدى: نزلت فى جابر بن عبد اللّه عضل بنت عم له. و الوجهان لا يصحان على- مذهبنا-، لأن عندنا أنه لا ولاية للأخ، و لا لابن العم عليها و إنما هى ولية نفسها، فلا تأثير لعضلها.

و الوجه فى ذلک أن تحمل الآية على المطلقين، لأنه خطاب لهم بقوله «وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» نكاية قال: «فَلا تَعْضُلُوهُنَّ» بأن تراجعوهن عند قرب انقضاء عدتهن، و لا رغبة لكم فيهن، و إنما تريدون الإضرار بهن، فان ذلک مما لا يسوغ فى الدين، و الشرع، كما قال فى الأولى: «وَ لا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا» و لا يطعن على ذلک قوله: «أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ»، لأن المعنى فيه من يصيروا التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 253
أزواجهن، كما أنهم لا بد لهم من ذلک إذا حملوا على الزوج الأول، لأن بعد انقضاء العدة لا يكون زوجاً، و يكون المراد من كان أزواجهن، فما لهم إلا مثل ما عليهم. و يجوز أن يحمل العضل فى الآية على الجبر، و الحيلولة بينهن، و بين التزويج دون ما يتعلق بالولاية، لأن العضل هو الحبس.

و قيل: إن العضل مأخوذ من المنع. و قيل: إنه مأخوذ من الضيق، قال أوس بن حجر:
و ليس أخوک الدائم العهد بالذى يذمّک إن وّلى و يرضيک مقبلا
و لكنه النائى إذا كنت آمنا و صاحبک الأدنى إذا الأمر أعضلا «1»
و تقول: عضل المرأة يعضلها إذ منعها من التزويج ظلماً. و فى بعض اللغات يعضلها- بكسر الضاد- فى المضارع. و أعضل الداء الأطباء إذا أعياهم أن يقوموا به، لأنه امتنع عليهم بشدة، و هو داء عضال. و الأمر المعضل: الذى يغلب الناس، لامتناعه بصعوبته. و عضلت عليه إذا ضيقت عليه بما يحول بينه، و بين، ما يريد ظلماً، لأنک منعته بالضيق عليه مما يريد. و عضلت المرأة بولدها إذا عسرت ولادتها و كذلک أعضلت، و أعسرت، لأن الولد امتنع من الخروج عسراً. و فلان عضلة من العضل: أى داهية من الدواهى، لأنه امتنع بدهائه. و عضل الوادى بأهله:
إذا ضاق بأهله: و عضلة الساق: لحمة مكتنزة. و أصل الباب المنع. و قيل أصله التضييق.

موضع (أن) من قوله: «أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ» جر عند الخليل، و الكسائى، و تقديره: من أن، و نصب عند غيرهما بالفعل.
و قوله: «ذلِكَ يُوعَظُ بِهِ» إنما قال بلفظ التوحيد و إن كان الخطاب للجميع

---

(1) ديوانه رقم القصيدة: 31.

لأحد ثلاثة أوجه:
أحدها- أن (ذا) لما كان منها ما يستعمل الكاف معه كثيراً، صار بمنزلة شيء واحد. و لا يجوز على ذلک (أيها القوم هذا غلامک). و قال الفراء: توهم أن الكاف من (ذا)، و أنكر ذلک الزجاج، و قال: ليس فى أفصح اللغات بناء على توهم خطأ. و الوجه ما قلناه من التشبيه مما جعلت الكلمتان فيه بمنزلة شىء واحد.
و الوجه الثانى- على تقدير: ذلک أيها القبيل.
و الوجه الثالث- أن يكون خطاباً للرسول (ص).
و قوله: «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» معناه أنه يعلم من مصالح العباد ما لا يعلمون.
و قوله «مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» (من) فى موضع رفع ب (يوعظ)، و إنما خص المؤمن بالوعظ لأحد ثلاثة أقوال:
أحدها- لأنهم المشفقون بالوعظ، فنسب اليهم، كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» «1» و «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها» «2».
و الثانى- لأنهم أولى بالاتعاض.
الثالث- إنما يلزمه الوعظ بعد قبوله الايمان و اعترافه باللَّه تعالى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 233] ..... ص : 254

اشارة

وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَها لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَ عَلَى الْوارِثِ مِثْلُ ذلِكَ فَإِنْ أَرادا فِصالاً عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَ تَشاوُرٍ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِذا سَلَّمْتُمْ ما آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (233)

_____

(1) سورة البقرة آية: 2.

(2) سورة النازعات آية: 45.

آية واحدة بلا خلاف.

قرأ ابن كثير، و أهل البصرة، و قتيبة: (لا تضار)- بتشديد الراء- و رفعها. و قرأ أبو جعفر بتخفيفها و سكون. الباقون بتشديدها و فتحها. و قرأ ابن كثير (ما آتيتم) قصرا، و كذلک «ما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً» فى الروم «1».
قوله: «يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ» فى حكم اللَّه الذى أوجبه على عباده، فحذف للدلالة عليه.
الثانى- لأنه وقع موقع يرضعن، صرفا فى الكلام مع رفع الاشكال. و لو كان خبراً لكان كذباً، لوجود و الوالدات يرضعن أولادهن أكثر من حولين، و أقل منهما.
و فى الآية بيان لأمرين: أحدهما مندوب، و الثانى فرض، فالمندوب: هو أن يجعل الرضاع تمام الحولين، هى التى تستحق المرضعة الأجر فيهما، و لا تستحق فيما زاد عليهما، و هو الذى بينه اللّه تعالى بقوله: «فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» «2»، فتثبت المدة التى تستحق بها الأجرة على ما أوجبه اللَّه فى هذه الآية.

تقول: رُضع يرضَع، و رضِع يرضع رضاعة، و أرضعته أمه إرضاعاً، و ارتضاعاً، و استرضع استرضاعاً، و راضعه رضاعاً، و مراضعة. و لئيم راضع، لأنه يرضع لبن ناقته من لؤمه، لألّا يسمع الضيف صوت الشخب. و الرضعتان: الثنيتان: مقدمتا الأسنان، لأنه يشرب عليهما اللبن. و أصل الباب الرضع: مصّ الثدى،

---

(1) سورة البقرة آية: 39، سورة الروم آية: 5.
(2) سورة الطلاق آية: 6.

لشرب اللبن منه. و معنى «حولين» سنتان، و هو مأخوذ من الانقلاب فى قولك:
حال الشىء عما كان عليه يحول، فالحول، لأنه انقلب عن الوقت الأول الى الثانى، و منه الاستحالة فى الكلام، لأنقلابه عن الصواب. و قيل أخذ من الانتقال من قولك: تحول عن المكان. و إنما قال: «كاملين» فان كانت التثنية تأتى على استيفاء العدة، لرفع التوهم، و إنه على طريقة التغليب، كقولهم: سرنا يوم الجمعة. و إن كان السير فى بعضه. و قد يقال: أقمنا حولين، و إن كانت الاقامة فى حولين، و بعض آخر «1» فهو لرفع الإيهام الذى يعرض فى الكلام.

فان قيل: هل يلزم فى كل مولود قيل: فيه خلاف: قال ابن عباس:
لا، لأنه يعتبر ذلک بقوله: «وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً» «2» فان ولدت المرأة لستة أشهر، فحولين كاملين، و إن ولدت لسبعة أشهر، فثلاثة و عشرون شهراً، و إن ولدت لتسعة أشهر، فأحد و عشرين شهراً تطلب بذلک التكملة لثلاثين شهراً فى الحمل و الفصال الذى سقط به الفرض، و على هذا تدل أخبارنا، لأنهم رووا: أن ما نقص عن إحدى و عشرين شهراً فهو جور على الصبى. و قال الثورى: هو لازم فى كل ولد إذا اختلف والداه، رجعا الى الحولين من غير نقصان، و لا زيادة، و لا يجوز لهما غير ذلک، و الرضاع بعد الحولين لا حكم له فى التحريم- عندنا- و به قال ابن مسعود و ابن عباس و ابن عمر و أكثر العلماء، و روى عن عائشة أن رضاع الكثير يؤثر. و قال أبو على الجبائى لم يقم بهذا حجة و لا نزل له ظاهر القرآن.
و قوله: «وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» معناه أنه يجب على الأب إطعام أم الولد و كسوتها ما دامت فى الرضاعة اللازمة إذا كانت مطلقة، و به قال الضحاک و الثورى و أكثر المفسرين.

---

(1) هكذا فى المطبوعة و لعل الأصح (حول و بعض من آخر).
(2) سورة الأحقاف آية: 15. [.....]

يقال كساه يكسوه كسوة: إذا ألبسه الثياب و اكتسى هو اكتساء: إذا لبس، و اكتست الأرض بالنبات إذا تغطت به، و كسوته مدحاً أو ذماً: إذا أثنيت عليه أو ذممته. و الكساء معروف، و أصل الباب الكسوة: اللباس.
و قوله: «لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَها» يدل على فساد قول المجبرة: فى حسن تكليف ما لا يطاق لأنه إذا لم يجز أن يكلف مع عدم الجدة لم يجز أن يكلف مع عدم القدرة، لأنه إنما لم يحسن فى الأول من حيث أنه لا طريق له الى أداء ما كلفه من غير جدة، فكذلك لا سبيل له الى أداء ما كلف الى الطاعة مع عدم القدرة، و لا ينافى ذلک قوله: «فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا» «1» لأنه ليس المراد نفى القدرة و إنما معناه: أنه يثقل عليهم كما يقول القائل: لا أستطيع أن أنظر الى كذا معناه:
أنه يثقل علىّ، و يقال: كلف وجهه كلفاً، و نجدّه كلف أى أثر، و الكلف بالشىء الإيلاع به، لأنه لزوم يظهر أثره عليه، و كلف كلفا: إذا أحب. و تكلف الأمر تكلفاً: تحمله. و كلفه تكليفاً: ألزمه. و أصل الباب الكلف: ظهور الأثر.
و قوله: «لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها» أصله تضارر- بكسر الراء الأولى- و قيل- بفتحها- و أسكنت و أدغمت فى الراء بعدها. و من فتحها بالتقاء الساكنين، و هو الأقوى فيما قبله فتحة أو ألف نحو عضّ «2» و لا تضار زيداً. و قال بعضهم: لا يجوز ألّا تضارر بفتح الراء الأولى، لأن المولود لا يصح منه مضمارة، لأن الأفصح لو كان كذلک الكسر. قال الرمانى: غلط فى الاعتلالين أما الأول، فلأنه ينقلب عليه فى تضارّ إذا المضارة من إثنين فى الحقيقة، و إن لم يسم الفاعل. و لأنه إنما يرجع ذلک الى الزوج، و المرأة الأولى و الولد. فأما الأفصح، فعلى خلاف ما ذكر، لأن الفتح لغة أهل الحجاز، و بنى أسد، و كثير من العرب، و هو القياس، لأنه إذا جاز مدّ بالضم للاتباع، كانت الفتحة بذلک أولى، لأنها أخف، و لأنه يجوز مدّ بالفتح طلباً للخفة، فإذا اجتمع الاتباع و الاستخفاف كان أولى، و قوله: إن

---

(1) سورة الإسراء آية 48:، و سورة الفرقان آية 9
(2) هكذا فى المطبوعة.

الفتحة فى تضار: هى الفتحة فى الراء الاولى، دعوى منه لا دليل عليها. و يدل على صحة ما قلناه: قوله: «مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ» «1» «وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ» «2» كل ذلک بالفتح دون الكسر.

و إنما قيل: «يضار» و الفعل من واحد لأنه لما كان معناه المبالغة كان بمنزلته من إثنين، و ذلک لأنه يضره إن رجع عليه، منه ضرورة، فكأنه قيل: لا تضار والدة من الزوج بولدها. و لو قيل فى ولدها لجاز فى المعنى، و كذلک فرض الوالد.
و عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع) أى لا يترک جماعها خوف الحمل لأجل ولدها المرتضع «وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ» يعنى لا تمنع نفسها من الأب خوف الحمل، فيضر ذلک بالأب و قيل: «لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها» بأن ينزع الولد منها، و يسترضع امرأة أخرى مع إجابتها الى الرضاع بأجرة المثل «وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ» بولده أى لا تمتنع هى من الإرضاع إذا أعطيت أجرة مثلها، و الأولى حمل الآية على عموم ذلک.
و قيل: معناه أنّ على الوالدة ألّا تضار بولدها فيما يجب عليها من تعاهده، و القيام بأمره، و رضاعه، و غذاءه. و على الوالد ألّا يضار بولده فيما يجب عليه من النفقة عليه، و على أمه، و فى حفظه، و تعاهده.
و قوله: «وَ عَلَى الْوارِثِ مِثْلُ ذلِکَ» قال الحسن، و قتادة، و السدى: الوارث للولد. و قال قبيضة بن ذؤيب: هو الوالد، و الأول أقوى. فان قيل: أعلى كل وارث له، أم على بعضهم؟ قيل: ذكر أبو على الجبائى: أن على كل وارث نفقة الرضاع الأقرب فالأقرب يؤخذ به. و أما نفقة ما بعد الرضاع، فاختلفوا، فعندنا يلزم الوالدين- و إن عليا- النفقة على الولد و إن نزل، و لا يلزم غيرهم. و قال قوم:
يلزم العصبة دون الأم، و الأخوة من الأم، ذهب اليه عمر، و الحسن.
و قيل: على الوارث من الرجال، و النساء على قدر النصيب من الميراث، ذكره قتادة، و عموم الآية يقتضيه، غير أنا خصصناه بدليل. و قال أبو حنيفة،

---

(1) سورة المائدة آية: 57.
(2) سورة البقرة آية: 282.

و أبو يوسف، و محمد: على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون من كان ذا رحم ليس بمحرّم، كابن العم و ابن الأخت، فأوجبوا على ابن الأخت و لم يوجبوه على ابن العم و إن كان وارثه فى تلک الحال، و كذلک العمة و ابن العمة حكا ذلک أبو على الجبائى، و البلخى. و قال سفيان «وَ عَلَى الْوارِثِ»: أى الباقى من أبويه، و هذا مثل ما قلناه.
و قد روى فى أخبارنا: أن على الوارث كائناً من كان النفقة
، و هو ظاهر القرآن، و به قال قتادة، و أحمد و إسحاق، و الحسن و إبراهيم.

و الميراث: تركة الميت، تقول: ورث يرث إرثاً، و و أرثه ميراثاً، و توارثوا توارثاً، و ورّثه توريثاً. و أورثه الحى ضعفاً. و التراث: الميراث. و ورّثت النار، و أورثتها: إذا حركت جمرها، ليشتعل، لأنه تظهر فيه النار عن الأول، كظهور الميراث فى الثانى عن الأول.

و قوله: «مِثْلُ ذلِکَ» يعنى من النفقة، و به قال ابراهيم. و قال الضحاک: من ترک المضارة. و المفهوم من الكلام، و عند أكثر العلماء: الأمران معاً، و هو أليق بالعموم.
و قوله: «فَإِنْ أَرادا فِصالًا» فالفصال: الفطام، لانفصال المولود عن الاغتذاء بثدى أمه الى غيره من الاغتذاء.
فان قيل: أى فصال ذاک أقبل الحولين أم بعدهما؟ قيل: فصال الحولين، لأن الفرض معلوم «1» إذا تنازعا رجعا إليه، فأما بعد الحولين، فلا يجب على واحد منهما اتباع الآخر فى دعائه. و به قال مجاهد، و قتادة، و ابن شهاب، و سفيان و ابن زيد. و روى عن ابن عباس: أنه إذا تراضيا على الفصال قبله أو بعده مضى، فان لم يتراضيا رجعا الى الحولين.

---

(1) فى المطبوعة (مغلوجة).

و أصل الباب الفرق، يقال: فصل يفصل فصلا، و فاصله مفاصلة، و تفاصلوا تفاصلا، و استفصلوا استفصالا و انفصل انفصالا، و فصّله تفصيلا، و تفصل تفصلا.
و فواصل القلادة: شذر بين نظم الذهب. و الفصل: القضاء بين الحق، و الباطل، و هو الفيصل. و فصيلة الرجل بنو أبيه، لانفصالهم من أصل واحد. و الفصيل: الواحد من أولاد الإبل، لأنه فصل عن أمه و الفصيْل: حائط قصير دون السور.

و قوله: «فَلا جُناحَ عَلَيْهِما» يعنى لا حرج، على قول ابن عباس، و هو مأخوذ من «جَنَحُوا لِلسَّلْمِ» «1» أى مالوا. و الجناح: الميل عن الاستقامة.
و قوله: «إِذا سَلَّمْتُمْ ما آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ» معناه على قول مجاهد، و السدى: أجر الأم بمقدار ما أرضعت أجرة المثل. و قال سفيان: أجرة المسترضعة. و قال ابن شهاب: سلّمتم الاسترضاع. و قال ابن جريج: أجرة الأم و النظير.
و قوله: «أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ» معناه: لأولادكم، و حذفت اللام لدلالة الاسترضاع عليه من حيث أنه لا يكون إلا للأولاد، و لا يجوز: دعوت زيداً، تريد لزيد، لأنه يجوز أن يكون المدعو، و المدعو له، إذ معنى دعوت زيداً لعمرو، خلاف دعوت زيداً فقط، فلا يجوز للالباس.
و فى الآية دلالة على أن الولادة لستة أشهر تصح، لأنه إذا ضم الى الحولين كان ثلاثين شهراً، و روى عن على (ع)
و ابن عباس ذلک.

و من رفع «لا تضار» فعلا استئناف النفى. و قال الكسائى، و الفراء: هو منسوق على «لا تكلف». قال الرمانى هذا غلط، لأن النسق ب (لا) إنما هو على إخراج الثانى مما دخل فيه الأول، نحو ضربت زيداً لا عمراً، فأما أن يقوم زيد

---

(1) سورة الانفال آية: 62.

لا يقعد عمرو، فلا يجوز على النسق، و لكن يرفع على استئناف النفى ب (لا)، فكذلک «لا تضار» مستأنف فى اللفظ متصل فى المعنى، و قوله: «وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا» «1» إنما جاز فى موضع الجزم للاتباع، و ليس ذلک فى «لا تضار».

و الوسع: الطاقة مأخوذ من سعة المسلک الى العرض، فيتمکن لذلک. و لو ضاق لأعجز عنه، و السعة فيه بمنزلة القدرة، فلذلک قيل: الوسع بمعنى الطاقة.
و قوله: «و تشاور» فالتشاور مأخوذ من الشور، و هو اجتناء العسل، تقول: شرت العسل، و أنا أشوره شوراً، و اشيره إشارة: إذا اجتنيته من مکانه.
و المشورة: استخراج الرأى من المستشار، لأنه يجتنى منه «2». و شاوره مشاورة، و أشار عليه إشارة، و استشار استشارة. و استشار العسل: إذا اجتناه و أشار الى الشىء إشارة: إذا أومأ اليه، و المشيرة الإصبع الذى تسمى السبابة لأنه يشار بها الشباب، و غيره. و الشابة: الهيبة، و اللباس الحسن لأنه مما يشاب اليه لحسنه و التشوير: استخراج سير الدابة کالاحسان.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 234] ..... ص : 261

اشارة

وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما فَعَلْنَ فِى أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234)

آية واحدة بلا خلاف.

هذه الآية ناسخة لقوله:

---

(1) سورة آل عمران آية: 120، 125،، 186.
(2) فى المطبوعة (يخشى منه).
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 262
«وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْراجٍ» «1» و إن كانت مقدمة عليه فى التلاوة
و عدة كل متوفى عنها زوجها: أربعة أشهر و عشراً سواء كانت مدخولا بها، أو غير مدخول، حرة كانت أو أمة، فان كانت حبلى، فعدتها أبعد الأجلين، من وضع الحمل أو مضى الأربعة أشهر، و عشرة أيام، و هو المروى عن على (ع)،
و وافقنا فى الأمة الأصم، و خالف باقى الفقهاء فى ذلک، و قالوا: عدتها نصف عدة الحرة: شهران و خمسة أيام، و إليه ذهب قوم من أصحابنا، و قالوا فى عدة الحامل:
إنها بوضع الحمل، و إن كان بعد على المغتسل، و روى ذلک عن عمر، و أبى مسعود البدرى، و أبى هريرة. و عندنا أن وضع الحمل يختص بعدة المطلقة.
و الذى يجب على المعتدة فى عدة الوفاة اجتنابه فى قول ابن عباس، و ابن شهاب:
الزينة، و الكحل بالإثمد، و ترک النقلة عن المنزل. و قال الحسن فى احدى الروايتين عن ابن عباس: إن الواجب عليها الامتناع من الزواج لا غير. و عندنا أن جميع ذلک واجب.

و قوله: «وَ الَّذِينَ» رفع بالابتداء «و يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ» فى صلة الذين «وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً» عطف عليه، و خبر الذين قيل فيه أربعة أقوال:
أولها- أن تكون الجملة على تقدير «وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً» أزواجهم «يتربصن».
الثانى- على تقدير «يتربصن» بعدهم أزواجهم.
الثالث- أن يكون الضمير فى يتربصن لما عاد الى مضاف فى المعنى، كان كان بمنزلته على تقدير «يتربصن» أزواجهم: هذا قول الزجاج و الأول قول أبى العباس، و الثانى قول الأخفش و نظير قول الزجاج أن تقول: إذا مات، و خلف ابنتين، يرثان الثلثين، المعنى يرث ابنتاه الثلثين.
الرابع- أن يعدل عن الاخبار عن الأزواج، لأن المعنى عليه، و الفائدة

---

(1) سورة البقرة آية: 240.

فيه ذهب إليه الكسائى، و الفراء، و أنكر ذلك أبو العباس، و الزجاج، لأنه لا يكون مبتدأ لا خبر له، و لا خبر إلا عن مخبر عنه، و أنشد الفراء «1»:
لعلّى إن مالت بى الريح ميلة على ابن أبى ديان أن يتندما «2»
المعنى لعلى ابن أبى ديّان أن يتندم، و هذا يجوز على حذف أن يتندم لأجلى و قال أيضاً:
نحن بما عندنا و أنت بما عندک راض و الرأى مختلف «3»
و قال أبو عبيدة: نظير الآية قول شدّاد بن عنتر:
فمن يک سائلا عنى فانى و حروة لا ترود و لا نعار
حروة اسم فرسه و إنما حذف الخبر من الأول، لأن خبر الثانى يدل عليه، لأنه أراد فانى حاضر، و فرسى حاضرة لا ترود، و لا نعار، فدل بقوله: لا ترود و لا نعار: على أنها حاضرة بتوعد و تتهدد فى قول أبى العباس.
و قوله: «يذرون» يتركون و ترک ماضيه يترک تركاً. و تقول ذره تركاً و كذلک يدع ليذر سواء، و العلة فى ذلک أنهم كرهوا الواوات فى أول الكلام حتى أنهم لم يلحقوها، أو على جهة الزيادة أصلا، ففى رفض و ذر: دليل على الكراهة لها أصلية، و ليس بعد الضعف إلا الاتباع فلما ضعفت أصلية امتنعت زيادة، فان قيل كيف قال و عشراً بالتأنيث و إنما العدة على الأيام و الليالى، و لذلک لم يجز أن تقول: عندى عشر من الرجال و النساء. قيل لتغليب الليالى على الأيام إذا اجتمعت فى التاريخ، و غيره، لأن ابتداء شهور الأهلة الليالى منذ طلوع الهلال فلما كانت الأوائل غلبت، لأن الأوائل أقوى من الثوانى و قال الشاعر:

(1) قائله ثابت قطنة التعكى، و اسمه ثابت بن كعب، ذهبت عينه فى الحرب فكان يحشوها بقطنة، و هو شاعر فارسى من شعراء خراسان فى عهد الدولة الاموية قال فيه حاجب الفيل:
لا يعرف الناس منه غير قطنته و ما سواها من الأنساب مجهول
(2) تاريخ الطبرى 8: 160، و معانى القرآن للفراء 1: 150 و هو من قصيدة يرثى بها يزيد بن المهلب، لما قتل فى سنة 102 فى خروجه على يزيد بن عبد الملك بن مروان.
(3) مر تخريجه فى 1: 172، 203.

أقامت ثلاثاً بين يوم و ليلة و كان النكير أن تضيف و تجأرا «1»
معنى تضيف تميل و حكى الفراء: صمنا عشراً من شهر رمضان و لو أضاف الى الأيام فقال عشرة أيام، لم يجز إلا التذكير، و إنما جاز فى الأول لأنه بمعنى عشر من رمضان وقع العمل فى نهاره.

و قوله: «فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» يقال: أجله تأجيلا: إذا أخره، و الآجل نقيض العاجل، و تأجّل تأجلا و استاجله استئجالا، و أجلوا ما لهم يأجلونه أجلا: إذا حبسوه فى المرعى، لأنهم أخروه فيه و الأجل: غاية الوقت فى محل الدين و غيره، لتأخره الى ذلک الوقت و أجل الشىء يأجل و هو آجل نقيض العاجل. لتأخره عن وقت غيره، و فعلته من أجل كذا أى لعاقبة كذا و هى متأخرة عن وقت الفعل الذى دعت. إليه و الأجل: القطيع من نفر الوحش، و جمعه آجال، و قد تأجل الصوار أى صار قطيعاً لتأخر بعضه عن بعض، و آجل عليهم شرّاً آجلا أى خبأه، لأنه أعقبهم شرّاً، و هو متأخر عن وقت فعله. و الآجلة الآخرة، و العاجلة الدنيا. و المأجل شبه حوض واسع يؤجّل فيه ماء البئر أياماً، ثم يفجر فى الزرع، و هو بالفارسية: (كرجه) و ذلک لتأخر الماء فيه.

و قوله: «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» فالخبير: العالم، لأنه عالم بمخبر الخبر.

و الخبار: الأرض السهلة فيها حجارة، و أحفار. و أخبرت بالشىء إخباراً، لأنه تسهيل لطريق العلم به، و استخبره استخباراً، و تخبر تخبراً، و خبّره تخبيراً، و أخبره إخباراً، و تخبر القوم: بينهم خبرة: إذا اشتروا شاة، فذبحوها، و اقتسموا لحمها، و الشاة: خبيرة. و المخبرة: المزادة العظيمة. و الخابرة: أن يزرع على النصف، أو الثلث، أو نحوه. و الأكار: الخبير. و المخابرة: المؤاكرة، و ذلک لتسهيل الزراعة.

و أصل الباب السهولة.

---

(1) اللسان ضيف. قائله النابغة الجعدى. فى المطبوعة (تجأوا) بدل (تجأرا) و هو تحريف.

و قوله: «فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» أى انقضت هذه المدة، و هى الأربعة أشهر و عشراً «فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما فَعَلْنَ فِى أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ» أى لا جناح عليكم أن تتركوهن إذا انقضت هذه المدة أن يتزوجن، و أن يتزين زينة لا ينكر مثلها. و هو معنى قوله «بالمعروف».

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 235] ..... ص : 265

اشارة

وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّساءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِى أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَ لكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً وَ لا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتابُ أَجَلَهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِى أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (235)
آية فى الكوفى.

قال ابن عباس: التعريض المباح فى العدة هو قول الرجل: أريد التزويج، و أحب امرأة من حالها، و من أمرها، و شأنها، فيذكر بعض الصفة التى هى عليها، هذا قول ابن عباس. و قال القاسم بن محمد، و عامر تقول: إنک لنافقة، و إنک لعجبة جميلة، و إن قضى اللّه شيئاً كان.

و الخطبة: الذكر الذى يستدعى به الى عقدة النكاح، و الخطبة: الوعظ المنسق على ضرب من التأليف. و قيل: الخطبة: ما له أوّل، و آخر، مثل الرسالة. و الخطبة التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 266
للحال نحو الجلسة، و القعدة، تقول: خطب المرأة يخطبها خطبة، لأنه خاطب فى عقد النكاح. و خطب خطبة، لأنه خاطب بالزجر، و الوعظ على ضرب من تأليف اللفظ المخصوص. و خاطب مخاطبة، و خطاباً، و تخاطبوا تخاطباً. و الخطب: الأمر العظيم. و الخطبان: الحنظل الذى تشتدّ خضرته حتى تستحيل الى الغبرة، و الصفرة.
و أصل الباب الخطاب.
و الفرق بين التعريض، و الكناية أن التعريض: تضمين الكلام دلالة على شىء ليس فيه ذكر له، و الكناية: العدول عن الذكر الأخص بالشىء الى ذكر يدل عليه، فالأول كقول القائل: ما أقبح البخل، يعرض بأن المخاطب بخيل، و لعن اللَّه الملحدين، يعرض له بالإلحاد. و الثانى كقولك: زيد ضربته، كنيت عنه بالهاء الموجودة فى (ضربته).
و قوله: «أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِى أَنْفُسِكُمْ» فالاكنان: إسرار العزم على النكاح دون إظهاره على قول ابن زيد، و مجاهد. و قال قوم: هو معنى التعريض بالخطبة إن شئت أظهرته، و ان شئت أضمرته. و تقول: كننت الشىء: إذا سترته، أكنه كنّاً و كنوناً و أكننته إكناناً إذا أضمرته، لأنك سترته فى نفسك. و استكن الرجل، و أكنن إذا صار فى كنّ، لأنه صار فيما يستره. و الكنانة الجعبة غير أنها صغيرة تتخذ للنبل. و الكنة: امرأة الابن أو ابن الأخ. و الجمع كنائن. و سمى الكانون كانوناً، لأنه يحتاج إليه فى وقت الاكتنان من البرد، و منه قوله:
«كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ» «1» «وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما يُعْلِنُونَ» «2» و أصل الباب الكنّ: الستر.
و الفرق بين الأكنان و الكن: أن الأكنان: الإضمار فى النفس، و لا يقال كننته فى نفسى. و قيل: كننته معناه صنته كما قال: «كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ».

---

(1) سورة الصافات آية: 49. [.....]
(2) سورة النمل آية 74، و سورة القصص آية: 69.

و قوله: «لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا» قال الحسن، و إبراهيم، و أبو مجيلة: السرّ المنهى عنه هاهنا الزنا. و قال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الشعبى: هو العهد على الامتناع من تزويج غيرک. و قال مجاهد: هو أن تقول لها لا تفوتينى بنفسک، فانى ناکحک. و قال ابن زيد: هو اسرار عقدة النكاح فى العدة.

و السرّ فى اللغة على ثلاثة أوجه: الإخفاء فى النفس، و الشرف فى الحسب، يقال: فلان فى سرَّ قومه إذا كان فى شرفهم، و صميمهم. و الجماع فى الفرج قال الشاعر:
ألا زعمت بسباسة اليوم أننى كبرت و ألا يشهد السر أمثالى «1»
و قال رؤبة:
فعفّ عن أسرارها بعد العسق و لم يضعها بين فرک و عشق «2»
العشق اللصوق و قال الحطيئة:
و يحرم سرُ جارتهم عليهم و يأكل جارهم أنف القصاع «3»
و قوله: «إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفاً» يعنى التعريض الذى أباحه اللَّه تعالى.
و (إلا) بمعنى (لكن) لأن ما قبلها هو المنهى عنه، و ما بعدها هو المأذون فيه.
و تقديره: و لكن قولوا قولا معروفاً.
و قوله: «وَ لا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ»: تقديره على عقدة النكاح، و حذفت على،

---

(1) قائله امرؤ القيس ديوانه: 159 و روايته (و ألا يحسن السر) بدل (و ألا يشهد السر).
(2) ديوانه: 104، و اللسان «عسق»، «عشق»، «فرک»، «سرر». الأسرار جمع سر. و العسق مصدر «عسق به يعسق» لزمه و أولع به. و الفرک- بكسر الفاء و سكون الراء- بغضة الرجل امرأته أو بالعكس، و امرأة فارک، و فروک: تكره زوجها و قد روى «العشق».
(3) اللسان (أنف). أنف كل شىء: طرفه، و أوله.

لدلالة العزم عليها، لأنه لا يكون إلا على معزوم عليه، كما قيل: ضربه الظهر و البطن أى على الظهر و البطن.
و العقد: الشد، تقول: عقد يعقد عقداً، و أعقدت العسل إعقاداً، و اعتقد صحة الأمر اعتقاداً، و تعاقدوا على الأمر تعاقداً، و عاقده معاقدة، و عقّد كلامه تعقيداً، و تعقد تعقداً، و انعقد انعقاداً، و عقد العبد، لأنه كعقد الحبل فى التوثيق.
و العقد: السمط من الجوهر. و العقد: الرمل للتداخل. و عقد اليمين: خلاف اللغو.
و ناقة عاقد أى لاقح، لأنها تعقد بذنبها، فيظهر أنها قد لقحت.

و قوله: «حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتابُ أَجَلَهُ» معناه انقضاء العدة بلا خلاف. و الكتاب الذى يبلغ أجله هو القرآن و معناه: فرض الكتاب أجله. و يجوز أن يكون الكتاب نفسه هو الفرض، ذكره الزجاج، و وجه ثالث أن يكون ذلک على وجه التشبيه بكتاب الدين، ذكره الجبائى.
و قوله: «أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ» قد بينا أن الحلم من اللّه هو إمهال العقوبة المستحقة. و قال أبو على الجبائى هو كل فعل يضاد حدوث العقوبة فى الإنسان، و هو من الإنسان ترک العقاب. و اللّه تعالى لا يجوز عليه الترک، فهو ما وصفنا من نعمه التى تضاد عقوبته.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 236] ..... ص : 268

اشارة

لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَ مَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (236)
آية بلا خلاف.

قرأ حمزة، و الكسائى، و خلف «تماسوهن» بضم التاء و بألف هاهنا التبيان
فى تفسير القرآن، ج2، ص: 269
موضعان، و موضع فى الأحزاب، و قرأ أبو جعفر و أهل الكوفة إلا أبا بكر، و
ابن ذكوان «قدره» بفتح الدال فى الموضعين. الباقون بإسكانها.

المفروض صداقها داخلة فى دلالة الآية و إن لم يذكر، لأن التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم لهن أو لم تفرضوا لهن فريضة، لأن أو تنبئ عن ذلک، لأنه لو كان على الجمع لكان بالواو.
و الفريضة المذكورة فى الآية: الصداق، بلا خلاف، لأنه يجب بالعقد للمرأة، فهو فرض لوجوبه بالعقد.
و متعة التى لم يدخل بها و لا يسمى لها صداق على قدر الرجل، و المرأة، قال ابن عباس، و الشعبى، و الربيع: خادم أو كسوة أو رزق، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع).
و قيل مثل نصف صداق تلک المرأة المنكوحة، حكى ذلک عن أبى حنيفة و أصحابه. و فى وجوب المتعة لكل مطلقة خلاف. قال الحسن و أبو العالية: المتعة لكل مطلقة إلا المختلعة، و المبارية، و الملاعنة. و قال سعيد بن المسيب:
المتعة التى لم يسم لها صداق، خاصة، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع).
و قد روى أيضاً أنها لكل مطلقة، و ذلک على وجه الاستحباب.
و المتعة للتى لم يدخل بها و لم يعرض لها يجبر عليها السلطان، و هو قول أهل العراق.
و قال أهل المدينة و شريح يؤمر لها، و لا يجبر عليها.

و الموسع: الغنى فى سعة من ماله لعياله. و المقتر: الذى فى ضيق لفقره، تقول:
أقتر الرجل إقتاراً: إذا أقلّ، فهو مقتر أى مقلّ، و قترت الشىء أقتره قتراً، و أقترته إقتاراً، و قتّرته تقتيراً: إذا ضيقت الإنفاق منه. و القتار: دخان الشحم على النار، و نحوه، لغلبته بالاضافة الى بقيته. و القتر: الغبار. و القترة: ما يغشى الوجه التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 270
من غير الموت، و الكرب، لأنه كالقتار أو كالغبار يغشى الوجه، و فى التنزيل «تَرْهَقُها قَتَرَةٌ» «1» و القتير: مسامير الدروع، لقلتها و صغرها. و القتير ابتداء الشيب، لقلته. و يجوز أن يكون مشبهاً بالدخان أول ما يرتفع. و القترة ناموس الصائد، لأنها كالقتار باخفائه إياها. و رجل قاتر: حسن الأخذ من ظهر البعير لا يعقره لقلة ما يأخذ منه، و أصل الباب الاقلال. و ابن قترة: حية خبيثة لا ينجو سليمها.

و المتوفى عنها زوجها إذا لم يفرض لها صداق عليها العدة- بلا خلاف- و لها الميراث إجماعاً. و قال الحسن و الضحاک و أكثر الفقهاء. لها صداق مثلها. و حكى الجبائى عن بعض الفقهاء: أنه لا مهر لها، و هو الذى يليق بمذهبنا، و لا نص لأصحابنا فيها.

و يحتمل نصب «متاعا» وجهين: أحدهما- أن يكون حالا من قدره، لأنه معرفة، و العامل فيه الظرف. و الثانى- على المصدر، و العامل فيه «وَ مَتِّعُوهُنَّ».
و يحتمل نصب حقا وجهين: أحدهما- أن يكون حالا من «بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا» و العامل فيه معنى عرف حقا. الثانى- على التأكيد، لجملة الخبر كأنه قيل: أخبركم به حقا كأنه قيل: إيجاباً «عَلَى الْمُحْسِنِينَ» و إنما خص التى لم يدخل بها بالذكر فى رفع الجناح دون المدخول بها بالذكر و إن كان حكمهما واحداً لأمرين: أحدهما- لإزالة الشك فى الحرج على هذا الطلاق. و الثانى- لأن له أن يطلق أى وقت شاء، و ليس كذلك حكم المدخول بها، لأنه يجب أن يطلقها للعدة.
«و قدره» على تقدير أعطوهن قدر الوسع كما يقال: أخذ صدقاتهن لكل أربعين شاة بالرفع، و النصب. و قال الشاعر فى تسكين الدال:

---

(1) سورة عبس آية: 41.

و ما صبّ رجلى فى حديد مجاشع مع القدر إلا حاجة لى أريدها «1»
و قال آخر:
ألا يا لقومى للنوائب و القدر! و للأمر يأتى المرء من حيث لا يدرى! «2»
قال أبو زيد: قدر القوم: أمرهم يقدرونه قدراً، و هذا قدر هذا أى مثله، و قدر اللّه الرزق يقدره. و روى السكونى يقدره قدراً. و قدرت الشىء بالشىء أقدره قدراً. و قدرت على الأمر أقدر عليه قدرة، و قدوراً، و قدارة. و نسأل اللّه خير القدر. و قال أبو الصقر: هذا قدر هذا، و أحمل قدر ما تطيق. قال أبو الحسن:
هو القدَر، و القدر. و خذ منه بقدَر كذا، و قدر كذا: لغتان فيه. و قوله: «فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها» و قدرها «3».

و من قرأ «تمسوهن» بلا الف، فلقوله تعالى: «وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ» «4» فانه من جاء على (فعل)، و كذلک قوله: «لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لا جَانٌّ» «5» و من قرأ «تماسوهن بالف»، لأن (فاعل)، و (فعل) قد يراد بكل واحد منهما ما يراد بالآخر، نحو طابقت النعل و عاقبت اللصّ و لا يلزم على ذلک فى آية الظهار «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا» «6» لأن المماسة محرمة فى الظهار على كل واحد من الزوجين للآخر، فلذلک لم يجز إلا «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا». و فى الآية دليل على أن العقد بغير مهر صحيح، لأنه لو لم يصح لما جاز فيه الطلاق، و لا وجبت المتعة.

_____

(1) قائله الفرزدق ديوانه: 215، و اللسان (صبب)، (قدر)، و مقاييس اللغة 5: 62 و الأساس (صبب)، و إصلاح المنطق: 109.

(2) البيت لهدبة بن خشرم. اللسان (قدر) فى المطبوعة (بالقوم) بدل (لقومى) و (للام) بدل (للأمر).

(3) سورة الرعد آية: 19 و قد قرأت الآية «بقدرها» بفتح الدال، و بسكونها.

و خط المصحف بالسكون.

(4) سورة آل عمران آية: 47.

(5) سورة الرحمن آية: 74.

(6) سورة المجادلة آية: 3، 4.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 237] ..... ص : 272

اشارة

وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (237)

آية واحدة بلا خلاف.

روى سعيد بن المسيب: أن هذه الآية ناسخة لحكم المتعة فى الآية الأولى.

قال البلخى: و هذا ليس بصحيح، لأن الآية الأولى تضمنت حكم من لم يدخل بها، و لم يسم لها مهراً إذا طلقها، و هذه تضمنت حكم التى فرض لها صداق إذا طلقت قبل الدخول، و أحد الحكمين غير الآخر. و الذى قاله سعيد بن المسيب متوجه على ما قدمناه فى الآية من أن دليلها يتناول التى فرض لها المهر. و إن حملنا قوله:

«و متعوهن» على عمومه لزم أن تمتع كل مطلقة و إن سمى لها مهراً. و إن قلنا:

لا متعة للمفروض لها الصداق، فلا يلزم نسخ الآية أو تخصيصها إن نزلت معها.

و قال جميع أهل التأويل: إنه إذا طلق الرجل من سمى لها مهراً معلوماً قبل أن يدخل بها، فانه يستقر لها نصف المهر، فان كانت ما قبضت شيئاً وجب عليه تسليم نصف المهر، و إن كانت قد سلمت جميع المهر، وجب عليها ردّ نصف المهر، و يستقر لها النصف الآخر.

و النصف: هو سهم من اثنين،، تقول: نصفه ينصفه، و انتصف انتصافاً، و نصفه تنصيفاً، و أنصفه إنصافاً، و تناصفوا تناصفاً، و ناصفه مناصفة، و تنصف تنصفاً. و النصف: المرأة بين المسنة و الحدثة، لأنها على نصف المسنة. و الناصف:
الخادم، هو ينصف الملوک أي يخدمهم، لأنه يعطيهم النصف من نفسه قسراً و ذلا. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 273
و الانصاف، لأنه كالنصف فى العدل. و النصيف: الخمار، لأنه كالنصف فى أنه وسط بين الصغير، و الكبير، و يقال له: نصيفة. و منتصف الطريق: وسطه. و المنصف من الشراب الذى طبخ حتى ذهب نصفه. و النصيف: مكيال، لأنه على النصف بالتعديل بين الكبير و الصغير.

و قوله: «أَنْ يَعْفُونَ» معناه: أن يصح عفوها، من الحرار البالغات غير المولى عليها، لفساد عقلها، فتترک ما يجب لها من نصف الصداق، و هو قول ابن عباس، و مجاهد، و جميع أهل العلم.
و قوله: «أَوْ يَعْفُوَا الَّذِی بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ» قال مجاهد، و الحسن، و علقمة: إنه الولی، و هو المروی عن أبی جعفر، و أبی عبد اللّه (ع)
، غير أنه لا ولاية لأحد- عندنا- إلا الأب أو الجد علی البكر غير البالغ، فأما من عداها، فلا ولاية له إلا بتولية منهما، روی عن علی (ع).
و عن سعيد بن المسيب، و شريح، و حماد، و إبراهيم، و أبی حذيفة، و ابن شبرمة: أنه الزوج، و روی ذلک أيضاً فی أخبارنا غير أن الأول أظهر، و هو المذهب، و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فی الخلاف، و قوينا ما أخبرناه هناک.
و الألف و اللام فی قوله «عُقْدَةُ النِّكاحِ» بدل من الاضافة، فمن جعل الزوج قال: تقديره: الذی بيده عقدة نكاحه، و من جعل الولی، قال: تقدير الذی بيده عقدة نكاحها، و مثله قوله تعالی: «فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِیَ الْمَأْوی» «1» و معناه: هی مأواه و قراره و قال النابغة:
لهم شيمة لم يعطها اللّه غيرهم من الناس و الأحلام غير عوازب «2»

---

(1) سورة النازعات آية: 41.
(2) ديوانه: 45 من قصيدته فی مدح عمرو بن الحارث الأصغر الأعرج الغسانی و ذلک حين فر من النعمان بن المنذر الی الشام. و الضمير فی «لهم» عائد الی ملوک غسان من بنی جفنة. و الشيمة: الخلق، و الطبيعة.

معناه و أحلامهم غير عوازب. و من جعل العفو للزوج قال: له أن يعفو عن جميع نصفه.
و من جعله للولی: قال أصحابنا له أن يعفو عن بعضه، و ليس له أن يعفو عن جميعه، فان امتنعت المرأة من ذلک لم يكن لها ذلک إذا اقتضت المصلحة ذلک، عن أبی عبد اللّه (ع).
و اختار الجبائی أن يكون المراد به الزوج، قال: لأنه ليس للولی أن يهب مال المرأة، و قوله: «وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوی» خطاب للزوج و المرأة، قال لأنه ليس للولی أن يهب مال المرأة.
و قوله: «وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوی» خطاب للزوج، و المرأة جميعاً- فی قول ابن عباس- و قيل: للزوج وحده عن الشعبی، و إنما جمع لأنه لكل زوج و قول ابن عباس أقوی لأنه العموم. و إنما كان العفو أقرب للتقوی من

وجهين:
أحدهما- لاتقاء ظلم كل واحد صاحبه مما يجب من حقه.
الثانى- أنه أدعى الى اتقاء معاصى اللّه، للرغبة فيما رغّب فيه من العفو عماله.

و قوله: «فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ» رفع على: عليكم نصف ما فرضتم، و كان يجوز أن ينصب فى العربية على فأدوا نصف ما فرضتم.
و قوله: «وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» الواو مضمومة، لأنها واو الجمع، و قياسها أن تكون مع ضم ما قبلها، فإذا لم يوصل اليه جعل الضم منها، و كان يجوز فيها الكسر، و مثله «اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ» «1» على ضعف فيه، و قد مضى ذكره.

و الذى يوجب المهر كاملا الجماع، و هو المراد بالمسيس، و قال أهل العراق:
و هو الخلوة التامة إذا أغلق الباب و أرخى الستر، و قد روى ذلک أصحابنا غير أن هذا يعتبر فى حق الثيب.

_____
(1) سورة البقرة آية: 16، 175. [.....]

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 238] ..... ص : 275

اشارة

حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ (238) آية.

الحفظ ضبط الشىء فى النفس، ثم يشبه به ضبطه بالمنع من الذهاب. و الحفظ خلاف النسيان تقول: حفظ حفظاً، و حافظ محافظة، و حفاظاً، و احتفظ به احتفاظاً، و تحفظ تحفظاً، و استحفظ استحفاظاً، و أحفظه إحفاظاً: إذا أغضبه، لأنه حفظ عليه ما يكرهه. و منه الحفيظة: الحمية. و الحافظ: خلاف المضيع. و الحفيظ: الموكل بالشىء، لأنه وكّل به ليحفظه و أهل الحفاظ: أهل الذمام، و منه قوله: «فَما أَرْسَلْناکَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً» «1».

و معنى الآية الحث على مراعات الصلوات، و مواقيتهن، و ألا يقع فيها تضييع و تفريط.
و قوله «و الصلاة الوسطى» هى العصر فيما روى عن النبى (ص) و على (ع)
و ابن عباس، و الحسن. و قال زيد بن ثابت، و ابن عمر:
إنها الظهر، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع).
و قال قبيصة بن ذؤيب: هى المغرب، و قال جابر ابن عبد اللّه هى الغداة. و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف. و روى عن ابن عمر أنه قال: واحدة من الخمس غير متميزة. و قال الحسين بن على المغربى:
المعنى فيها صلاة الجماعة، لأن الوسط العدل، فلما كانت صلاة الجماعة أفضلها خصت بالذكر، و هذا وجه مليح غير أنه لم يذهب إليه أحد من المفسرين، فمن جعلها العصر قال: لأنها بين صلاتى النهار، و صلاتى الليل، و إنما حضّ عليها، لأنها وقت شغل الناس فى غالب الأمر، و من قال: إنها الظهر قال: لأنها وسط النهار، و قيل:
هى أول صلاة فرضت، فلها بذلک فضل. و من قال: هى المغرب قال: لأنها وسط فى الطول، و القصر من بين الصلوات، فهى أول صلاة الليل الذى رغّب فى الصلاة

---

(1) سورة النساء آية: 79، و سورة الشورى آية: 48.

فيه، و أما من قال هى الغداة قال: لأنها بين الظلام و الضياء، و صلاة لا تجمع مع غيرها.
و قد جمع النبى (ص) بين الظهر و العصر بعرفة، و جمع بين المغرب و العشاء بالمزدلفة،
فهذه متواخية و تلک مفردة.
و قوله: «وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ» قال ابن عباس، و الحسن: معناه طائعين.
و قال عبد اللّه بن مسعود: ساكتين، لأنهم نهوا بذلک عن الكلام فى الصلاة.
و قال مجاهد: معناه خاشعين فنهوا عن العبث، و التلفت فى الصلاة. و قال ابن عباس فى رواية: داعين و لذلک قال هى صلاة الصبح، لأنه لا صلاة فرض فيها قنوت إلا هى.
و عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع) مثل ذلک إلا أنهما قالا: القنوت فى كل ركعتين قبل الركوع.

و أصل القنوت الدوام على أمر واحد. و قيل أصله الطاعة. و قيل أصله الدعاء فى حال القيام. و قال الرمانى و الوجه الأول أحسن بصرفه فى الباب، لأن المداوم على الطاعة قانت، و قال المداوم فى صلاته على السكوت إلا عن الذكر المشروع له، و كذلک المداوم. و يقال: فلان يقنت عليه أى يدعوا عليه دائماً.
و الصلاة الوسطى محفوظة بالعطف على الصلوات و كان يجوز النصب على «وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى» فخصوها بالمحافظة. و من حمل الصلاة الوسطى على صلاة الجماعة جعل قوله: «عَلَى الصَّلَواتِ» على عمومه. و من حملها على واحدة من الصلوات على الخلاف فيه اختلفوا، فمنهم من قال أراد بقوله «عَلَى الصَّلَواتِ» ما عدا هذه الصلاة و إلا كان يكون عطف الشىء على نفسه، و منهم من قال لا يمتنع أن يريد بالأول جميع الصلوات، و خص هذه بالذكر تعظيما لها و تأكيداً لفضلها.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 239] ..... ص : 276

اشارة

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالاً أَوْ رُكْباناً فَإِذا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَما عَلَّمَكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (239)
آية. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 277

معنى قوله: «فرجالا» أى على أرجلكم، لأن الراجل: هو الكائن على رجله واقفاً كان، أو ماشياً. و أحد الرجال: راجل و جمعه رجّال، مثل تاجر و تجّار، و صاحب، و صحّاب، و قائم، و قيام. و واحد الركبان: راكب، و جمعه ركبان، و ركاب، كفارس، و فرسان. و تقول: ركب يركب ركوباً، و أركبه إركاباً، و ارتكب ارتكاباً، و تراكب الشىء تراكباً، و تركب تركيباً، و ركبه تركيباً، و استركب استركاباً، و كل شىء علا شيئاً، فقد ركبه. و ركبه الدين، و نحوه. و الركبة معروفة، لروب البدن لها. و ركبة البعير فى يده. و الركاب: المطى. و ركاب السرج، لأنه يركب. و الركبان: أصلا الفخذين الذين عليهما لحم الفرج لركوبه إياهما. و فرس أركب، و الأنثى ركبى: إذا عظمت ركبتيهما و هو عيب. و أركب المهر: إذا أمكن أن يركب. و رجل مركب: الذى يغزوا على فرس غيره. و الراكبة: فسيلة تتعلق بالنخلة لا تبلغ الأرض. و ركبت الرجل أركبه ركباً: إذا ضربته بركبتك.
و الركوب: كل دابة تركب، و منه قوله: «فَمِنْها رَكُوبُهُمْ» «1» و أصل الباب الركوب: العلو على الشىء.

و العامل فى قوله: «فرجالا» محذوف، و تقديره: فصلوا رجالا أو ركباناً.
و صلاة الخوف من العدّو: ركعتان كيف توجه إنما يجعل السجود أخفض من الركوع- فى قول ابراهيم، و الضحاک- فان لم يستطع، فليكن بتكبيرتين.
و روى أن علياً (ع) صلى ليلة الهرير خمس صلوات بالإيماء و قيل بالتكبير.
و إن النبى (ص) صلى يوم الأحزاب إيماء.
و روى أنه قضاها بعد أن فاتت بالليل.
و قال ابن عباس و الحسن: يجوز فى صلاة الخوف ركعة واحدة. و قال الحسن، و قتادة، و ابن زيد:
يجوز أن يصلى الخائف ماشياً. و قال أهل العراق: لا يصلى ماشياً، لأن المشى

(1 سورة يس آية: 72.

عمل. و الذى نقوله: إن الخائف إن صلى منفرداً صلاة شدة الخوف صلى ركعتين يومئ إيماء، و يكون سجوده أخفض من ركوعه، و إن لم يتمكن كبر عن كل ركعة تكبيرة، و هكذا صلاة شدة الخوف إذا صلوها جماعة، و إن صلوا جماعة غير صلاة شدة الخوف، فقد بينا الخلاف فيه و كيفية فعلها فى خلاف الفقهاء.
و الذكر فى الآية قيل فى معناه قولان:
أحدهما- أنه الصلاة، أى فصلوا صلاة الأمن كما علمكم اللَّه، هذا قول الحسن، و ابن زيد.
الثانى- اذكروه بالثناء عليه، و الحمد له كما علمكم ما لم تعلموا من أمر دينكم، و غير ذلک من أموركم. و الأولى حمل الآية على عمومها فى الأمرين.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 240] ..... ص : 278

اشارة

وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْراجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِى ما فَعَلْنَ فِى أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (240)

آية واحدة بلا خلاف.

قرأ نافع، و ابن كثير، و الكسائى، و أبو بكر عن عاصم «وصية» بالرفع.

الباقون بالنصب.

هذه الآية منسوخة الحكم بالآية المتقدمة، و هى قوله: «وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً» بلا خلاف فى نسخ العدة إلّا أبا حذيفة، فانه قال: العدة أربعة أشهر و عشراً، و ما زاد الى الحول يثبت بالوصية و النفقة، فان أمتع الورثة من ذلک كان لها أن تتصرف فى نفسها، فأما حكم الوصية، فعندنا باق لم ينسخ و إن كان على وجه الاستحباب. و حكى عن ابن التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 279
عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد: أنها منسوخة بآية الميراث، و قد بينا فساد قولهم: لا وصية لوارث. فأما آية الميراث، فلا تنافى الوصية، فلا يجوز أن تكون ناسخة لها، و قد مضى الكلام فى خبر الذين «1» فى الآية المتقدمة، فلا وجه لإعادته.

و من نصب «وصية» فانه يحتمل قوله: «وصية» أمرين:
أحدهما- فليوصوا وصية لأزواجهم، فينصب على المصدر.
الثانى- كتب اللّه عليهم وصية لأزواجهم، فينصب على أنه مفعول به.
و المصدر المنصوب يدل على فعل الأمر المأخوذ منه، أما دلالته على فعله، فلأنه مشتق منه، و أما دلالة نصبه على الأمر منه، فلغلبة الباب فى الأمر، فأما دلالته على كتب، فلأن ما أمر اللّه به، فقد كتبه. و النصب يدل على الأمر به. و الرفع يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها- فعليهم وصية لأزواجهم. الثانى- فلأزواجهم وصية كما تقول: لزيد مال. الثالث- كتب عليهم وصية لأزواجهم.
و قال بعضهم:
لا يجوز غير الرفع، لأنه، لا يمكن الوصية بعد الوفاة، لأن الفرض كان لهن أوصى أو لم يوص. قال الرمانى: و هذا غلط، لأن المعنى و الذين يحضرهم الوفاة منكم، فلذلك قال: «يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ» على لفظ الحاضر الذى يتطاول على نحو قولك: الذين يصلون، فليعرضوا عن الذكر فيما يشغلهم. فأما قوله: الفرض كان لهم، فان لم يوصوا فقال قتادة و السدى: إنما كان لهن بالوصية على أنه لو كان على ما زعم، لم ينكر أن يوجبه اللّه على الورثة إن فرط الزوج فى الوصية.
و قوله: «مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ» نصب، و العامل فيه أحد أمرين:
أحدهما- جعل اللّه لهن ذلك متاعا، لأن ما قبله دل عليه.
و الثانى- متعوهن متاعاً. و قوله غير إخراج نصب بأحد الشيئين: أحدهما- بأن يكون صفة لمتاع. و الثانى- أن يكون مصدراً كأنه قيل: لا إخراجاً. قال

---

(1) فى تفسير آية: 234. و فى المطبوعة (جر الدين) و هو تصحيف.

الفراء: هو كقولك: جئتك عن رغبة اليك فكأنه قال: متعوهن مقاماً فى مساكنهن، فيكون مصدراً وقع موقع الحال. و يجوز أن يكون بمعنى الاقامة فى مساكنهن. و قال الحسن، و السدى: قوله: «فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِى ما فَعَلْنَ فِى أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ» دليل على سقوط النفقة، و السكنى بالخروج، لأنه إنما جعل لهن ذلك بالاقامة الى الحول، فان خرجن قبله بطل الحق الذى وجب بالاقامة.
و إنما يحتاج الى هذا التخريج من يوجب النفقة للمعتدة عن الوفاة. فأما من قال:
لا نفقة لها، و لا سكنى، فلا يحتاج الى ذلك، و هو مذهبنا، لأن المتوفى عنها

زوجها لا نفقة لها، و إذا قلنا القرآن لا ينسخ بالسنة، قلنا: النفقة هاهنا على وجه الاستحباب أو أنها تثبت بالوصية، لأنا بينا أن الوصية غير منسوخة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 241] ..... ص : 280

اشارة

وَ لِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (241)
آية بلا خلاف.

قال سعيد بن المسيب الآية منسوخة بقوله: «فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ» و عندنا أنها مخصوصة بتلك إن نزلا معاً. و إن كانت تلك متأخرة فالأمر على ما قال سعيد ابن المسيب: إنها منسوخة، لأن عندنا لا تجب المتعة إلا للتى لم يدخل بها و لم يسم لها مهر. و إن سمى لها مهر، فلها ما سمى و إن لم يدخل بها فان فرض لها مهراً كان لها نصف مهرها، و لا متعة لها فى الحالين، فلا بد من تخصيص هذه الآية. و قال سعيد ابن جبير و أبو العالية و الزهرى: المتعة واجبة لكل مطلقة، و به قال أبو حنيفة. و قال الحسن: هى للمطلقة التى لم يدخل بها و لم يفرض لها صداق مثل ما قلناه. و قال عطا، و مجاهد: هى للمدخول بها، و حكى أبو على: للمطلقة البائنة.
و إنما كرر ذكر المتعة هاهنا و قد تقدم ذكرها قبل هذه الآية، لأنه ذكر فى غيرها خاصاً و ذكر فيها عاماً فدخل فيه الأمة، و غيرها، و المتعة فى الموضع الذى يجب التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 281
على قدر الرجل بظاهر الآية، لأنه قال: «و عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ»: مثلها و إن كان فوق قدره حكاه البلخى.
و قوله: «بالمعروف» معناه بالمعروف صحته، لأنه عدل بين الافراط، و التقصير. و قال الضحاك: على قدر الميسرة، و إنما خص المتاع بالمتقين و إن كان واجباً على الفاسقين، تشريفاً لهم بالذكر اختصاصاً، و جعل غيرهم على وجه التبع، كما قال: «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» «1» و قيل: لأنه أخرج الكلام مخرج من لا يعتد بغيرهم لاحتقارهم، و جلالة المتقين بالتقوى، و لأنه إذا وجب على المتقين، فهو واجب على جميع المتعبدين، لأن التقوى واجب على المكلفين، و هذا إنما يدل على أنه واجب بشريطة التقوى. فأما إذا وجب على التقى و الفاجر، فالجواب هو الأول.

و قوله: «حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ» نصب على المصدر، وقع موقع الحال، و العامل فيه «بالمعروف» كأنه قيل: عرف حقاً، و يجوز أن يكون العامل فيه الظرف.
و يجوز أن يعمل فيه معنى الجملة، كأنه قيل: أحق ذلک حقاً و كان يجوز أن يرفع على أنه صفة لمتاع.

و المتاع: النفقة مقدار ما تقيم فى العدة على قول الجبائى: و على ما قلناه قدر ما يوصى به لها بالمعروف الذى لا يضرّ بباقى الورثة.

كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (242)
آية.
التشبيه بقوله: «كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ» وقع على البيان الذى تقدم فى الأحكام و الحجاج و المواعظ و الآداب و غير ذلک مما يحتاج الناس الى عمله، و العمل عليه فى

---

(1) سورة البقرة آية: 2.

أمر دينهم و دنياهم شبه البيان الذى يأتى بالبيان الماضى، و البيان: هو الأدلة التى يفرق بها بين الحق، و الباطل. و عبر عنه بأنه فعل يظهر به أمر على طريقة حسنة، و ليس كلما يظهر به غيره ما لا يأتيه. و قد يكون ذلک بكلام فاسد يفهم به المراد، فلا يستحق صفة بيان. و الآية هى العلامة فيما كان من الأمور العظيمة، لأن فى الآية تفخيما ليس فى العلامة. و قوله: «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» معناه: لكى تعقلوا آيات اللّه بالبيان عنها. و العقل مجموع علوم ضرورية يميز بها بين القبيح، و الحسن، و يمكن معها الاستدلال بالشاهد على الغائب.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 243] ..... ص : 282

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (243)

آية واحدة بلا خلاف.

معنى «أَ لَمْ تَرَ» أ لم تعلم، لأن الرؤية مشتركة بين العلم- و هى رؤية القلب- و بين رؤية القلب. و قيل فى معنى قوله: «وَ هُمْ أُلُوفٌ» قولان:
أحدهما- أن معناه: الكثرة، فكأنه: و هم أكثر الناس، ذهب إليه ابن عباس، و الضحاك، و الحسن. و قال ابن زيد: معناه هم مؤتلفو القلوب، لم يخرجوا عن تباغض. و من قال: المراد به العدد الكثير، اختلفوا، فقال ابن عباس: كانوا أربعين الفاً. و قال قوم: أربعة آلاف. و قال آخرون: ثمانية آلاف و قال السدى:
بضعة و ثلاثون ألفاً. و الذى يقضى به الظاهر: أنهم أكثر من عشرة آلاف، لأن بناء (فُعول) للكثير، و هو ما زاد على العشرة. فأما ما نقص، فيقال فيه: آلاف على وزن (أفعال) نحو عشرة آلاف و لا يقال: عشرة ألوف. و قال الحسن، التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 283
و أكثر المفسرين: كانوا فرّوا من الطاعون الذى وقع بأرضهم. و قال الضحاك:
فرّوا من الجهاد.
و معنى الآية: الحضّ على الجهاد، بأنه لا ينفع- من الموت- فرار، و من أمر اللّه، لأنه يجوز أن يعجله على جهة العقاب، كما عجله لهؤلاء، للاعتبار. و فى الآية دليل على من أنكر عذاب القبر و الرجعة معاً، لأن الأحياء فى القبر، و فى الرجعة مثل إحياء هؤلاء الذين أحياهم للعبرة.
و قوله: «فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- أن معناه أماتهم اللّه، كما يقال: قالت السماء، فهطلت، و قلت برأسى كذا، و قلت بيدى، و ذلک لما كان القول فى الأكثر استفتاحاً للفعل، كالقول الذى هو تسمية، و ما جرى مجراها مما كان يستفتح به الفعل، صار معنى قالت السماء، فهطلت أى استفتحت الهطلان، و صار بمنزلة استفتاح الافعال فلذلک صارت أماتتهم بمنزلة استفتاح الأفعال.
الثانى- أن يكون أحياهم عند قول سمعته الملائكة بضرب من العبرة. و يجوز- عندنا- أن يكونوا أحيوا فى غير زمان نبى. و قالت المعتزلة: لا يجوز أن يكون ذلک إلا فى زمان نبى، لأن المعجزة لا يجوز ظهورها إلا للدلالة على صدق نبى، تكون له آية. و قد بينا فساد ذلک فى غير موضع، و أنه تجوز المعجزات على دين من الصادقين: من الأئمة، و الأولياء و إن لم يكونوا أنبياء. و روى عن ابن عباس: أنه مرّ بهم نبىّ، فدعا اللّه تعالى، فأحياهم.
و قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» إنما ذكر، و اتصل بما تقدم، لأنه لما ذكر النعمة عليهم بما آتاهم من الآية العظيمة فى أنفسهم ليلزموا سبيل

الهدى، و يتجنبوا طرق الردى ذكر عند ذلک ماله على الناس من الانعام مع ما هم من الكفران.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 244] ..... ص : 283

اشارة

وَ قاتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (244)
آیة بلا خلاف. التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 284

قيل فيمن يتوجه إليه هذا الخطاب قولان:
أحدهما- أنه متوجه الى الصحابة بعد ما ذكرهم بحال من فرّ من الموت، فلم ينفعه الفرار، حضهم على الجهاد، لئلّا يسلكوا سبيلهم فى الفرار من الجهاد، كما فرّ أولئک من الديار.
الثانى- الخطاب للذين جرى ذكرهم على تقدير، و قيل لهم: قاتلوا فى سبيل اللّه. و القول الأول أظهر، لأن الكلام على وجهه، لا محذوف فيه.
و قوله: «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه هاهنا: أنه «سميع» لما يقوله المنافق «عليم» بما يحبه المنافق، فاحذروا حاله. و قيل: «سميع» لما يقوله المتعلل «عليم» بما يضمر، فإياكم و التعلل بالباطل. و قيل: «سميع» لقولكم إن قلتم كقول من قبلكم «عليم» بضمائركم.
و سبيل اللّه الذى أمر بالقتال فيها: قتل فى دين اللّه، لاعزازه، و النصر له، و قتل فى طاعة اللّه، و قتل فى جهاد أعداء المؤمنين.

و القتل: نقض البنية التى تحتاج إليها الحياة. و القتال: هو تعرض كل واحد منهما للقتل. و الفرق بين سميع و سامع: أن سامعاً يقتضى وجوه السمع، و سميع لا يدل عليه، و إنما معناه: أنه من كان على صفة لأجلها يسمع المسموعات إذا وجدت و لذلک يوصف تعالى فيما لم يزل بأنه سميع، و لا يوصف بأنه سامع إلا بعد وجود المسموعات.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 245] ..... ص : 284

اشارة

مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَیُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً کَثِیرَةً وَ اللَّهُ یَقْبِضُ وَ یَبْصُطُ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ (245)
آیة واحدة بلا خلاف. التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 285

قرأ أبو عمرو، و نافع، و حمزة، و الكسائى (فيضاعفه) بالرفع. و قرأ عاصم بالألف، و النصب. و قرأ ابن كثير (فيضعّفه) بالتشديد، و الرفع. و قرأ ابن عامر بالتشديد و النصب.

و القرض الذى دعا اللّه إليه قال ابن زيد هو الجهاد، و قال فى البر من النفل.
و القرض: هو قطع جزء من المال بالإعطاء على أن يردّ بدل منه. و قوله: «يُقْرِضُ اللَّهَ» مجاز «1» فى اللغة لأن حقيقته أن يستعمل فى الحاجة، و فى هذا الموضع يستحيل ذلک، فلذلک كان مجازاً، و قد يستعمل القرض فى غير الحاجة قال أمية بن أبى الصلت:
لا تخلطن خبيثات بطيبة و اخلع ثيابک منها و انح عريانا
كل امرئ سوف يجزى قرضه حسناً أو سيئاً و مديناً كالذى دانا «2»
فهذا يبين أن القرض من غير عوز، و قال آخر:
و إذا جوزيت قرضاً فاجزه إنما ليس الفتى غير الحمل «3»
و القرض القطع بالناب. قرض يقرض قرضاً: إذا قطع الشىء بنابه، و قرّض تقريضاً، و تقرّض تقرضاً، و اقترض المال اقتراضاً. و القرض ما أعطيته لتكافاه، أو يرد بعينه. و اقترض اقتراضاً، و استقرض استقراضاً، و تقارضا الثناء: إذا أثنى كل واحد منهما على صاحبه، و كذلک قارضه الثناء. و انقرضوا انقراضاً: إذا هلكوا. و الدنيا قروض: أى يتقارضها الناس من بينهم بالمكافاة. و قرض الشىء

---

(1) فى المطبوعة (محله) و هو تحريف.
(2) اللسان (قرض) ذكر البيت الثانى فقط و روايته
(أو مديناً مثل ما دانا)
بدل (و مديناً ....).
(3) قائله لبيد. اللسان (قرض) و رويته
(انما يجزى الفتى ليس الجمل).

يقرضه قرضاً. و الشعر قريض. و منه قوله: (تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ) «1» أى تقطعهم بمرورها عليهم و المقراض: الجلم الصغير، و قراضات الثوب ما ينفيه الجلم.

و قوله: «فيضاعفه» من رفع عطفه على قوله: «يقرض» و من نصب، فعلى جواب الاستفهام بالفاء. و الاختيار الرفع لأن فيه معنى الجزاء، و جواب الجزاء بالفاء لا يكون إلا رفعاً «و يضاعفه» أكثر فى الاستعمال، و إنما شدد أبو عمرو «يضعف لها العذاب ضعفين» «2» و لم يشدد «فيضاعفه» لأن المضاعفة عنده لما لا يحّد. و التضعيف للمحدود، و تقول: ضعفت القوم أضعفهم ضعفاً: إذا كثرتهم، فصرت مع أصحابک على الضعف منهم، و ضعف الشىء: مثلاه فى المقدار.
و أضعفت الشىء إضعافاً، و ضعّفته تضعيفاً، و ضاعفته مضاعفة، و هو الزيادة على أصل الشىء حتى يصير مثلين أو أكثر. و تضاعف الشىء تضاعفاً و ضعف ضعفاً. و الضعف خلاف القوة، لأنه قطع القوة عن التمام. و ضعف الشىء مثله فى المقدار إذا زيد عليه، فكل واحد منهما ضعف. و التضعيف: تكرير الخوف، و استضعفت الرجل استضعافاً، و أصل الباب الضعف. و هو زيادة المثل.
و قوله: «وَ اللَّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ» قال الحسن، و ابن زيد فى الرزق، و حكى الزجاج: أنه يقبض الصدقات و يبسط الجزاء عليها عاجلا، و آجلا عليها.
و القبض خلاف البسط و القبض ضم الكف على الشىء قبضه قبضا و تقبضّ عنه تقبَّضا: إذا اشمأز منه، لأنه ضم نفسه عن الانبساط إليه. و انقبض انقباضاً، و قبضت الرجل تقبيضا: إذا أعطيته لانضمام كفه على ما أخذه. و رجل قبيض:
إذا كان منكمشا سريعاً لتجمعه للاسراع. و راع قبضة: إذا كان لا يتفسح فى رعيه، لانقباضه. و التقبض: التشنج. و قبض الإنسان: إذا مات. و الملک قابض الأرواح.
و البسط خلاف القبض تقول: بسط يبسط بسطاً، و انبسط انبساطاً، و بسطه تبسيطاً، و تبسّط تبسطاً. و البساط- بكسر الباء- ما بسطته. و البساط- بفتح الباء- الأرض الواسعة، و ناقة بسط: معها ولدها لانبساطه. و البسطة: الفضيلة فى

---

(1) سورة الكهف آية: 17.
(2) سورة الأحزاب آية: 30.

الجسم أو المال، و نحو ذلک «وَ زادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ، وَ الْجِسْمِ» «1» و كتب (بصطة) بالصاد، و بسطة بالسين، لأن القلب على الساكن أقوى منه على المتحرک.

و معنى «مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» التلطف فی الاستدعاء الی أعمال البرّ و الإنفاق فی سبیل الخیر.
و جهلت الیهود لما نزلت هذه الآیة، فقالوا اللَّه یستقرض منا فنحن أغنیاء و هو فقیر إلینا! فأنزل اللَّه تعالی «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِیرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِیاءُ» «2» ذکره الحسن و الهاء فی قوله: «وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ» عائدة الی اللَّه.
و معناه الی اللَّه ترجعون فی الآخرة. و قیل الی التراب الذی خلقکم منه ذکره قتادة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 246] ..... ص : 287

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ أَلاَّ تُقاتِلُوا قالُوا وَ ما لَنا أَلاَّ نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَ أَبْنائِنا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246)
آية واحدة بلا خلاف.

قرأ نافع عسيتم بكسر السين. الباقون بفتحها.

الملأ: الجماعة الأشراف من الناس و روى أن رجلا من الأنصار قال يوم

---

(1) سورة البقرة آية: 247.
(2) سورة آل عمران: 181.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 288
بدر: إن قتلنا الّا عجاز صلعا «1»،
فقال النبى (ص): أولئک الملا من قريش لو رأيتهم فى أنديتهم لهبتهم، و لو أمروک لأطعتهم، و لاحتقرت فعالک عند فعالهم.
و تقول ملأت الإناء أملأه ملاء إذا أترعته، لأنه يجتمع فيه ما لا يكون معه مزيد عليه، و امتلأ امتلاء: إذا طفح، و مالأت الرجل: إذا عاونته ممالأة.
و تمالؤوا علىّ: إذا تعاونوا. و ملوء الرجل ملاءة، فهو ملىء بالأمر: إذا أمكنه القيام به. و وعاء ملآن و الأنثى ملآى، و الجمع: ملاء. و الملأ: الجماعة من الناس يستجمعون للمشاورة. و الجميع الاملاء قال الشاعر:
و قالت لنا الاملاء من كل معشر و خير أقاويل الرجال سديدها
و الاملاء: الريطة و أصل الباب الاملاء، و هو الاجتماع فيما لا يحتمل المزيد، و منه شاب مالئ العين أى قد اجتمع له من الحسن فى العين ما ليس عليه مزيد.
و الملأ: الخلق، لأن جميع أفعال صاحبه تجرى عليه.

و قال السدى: إن النبى الذى قالت له بنوا إسرائيل ما حكاه يقال: شمعون سمته أمه بذلک لأن اللّه سمع دعاءها فيه. و قال قتادة: هو يوشع بن نون. و قال وهب بن منية:
هو شمويل، و هو المروى عن أبى جعفر (ع).
و كان سبب سؤالهم هذا استذلال الجبابرة لهم من الملوک الذين كانوا فى زمانهم إياهم على قول وهب، و الربيع. و قال السدى: قتال العمالقة. و إنما سألوا ملكا، ليكون آمراً عليهم تنتظم به كلمتهم، و تجتمع أمورهم، و يستقيم حالهم فى جهاد عدوّهم.

و أكثر النحويين على الجزم فى «نقاتل» مع النون، و قالوا: لا يجوز غير

_____

(1) هكذا فى المطبوعة، و فى مجمع البيان (ان قتلنا عجايز صلعاً). و رواه لسان العرب فى (صلع)، قال: و فى حديث بدر ما قتلنا الا عجائز صلعاً: أى مشايخ صلعا. و فى (ملأ) قال:
و يروى أن النبى (ص) سمع رجلا من الأنصار- و قد رجعوا من غزوة بدر- يقول: ما قتلنا الا عجائز صلعا، فقال (ص): أولئک الملأ من قريش لو حضرت فعالهم لاحتقرت فعلک.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 289
الجزم. و أجاز الزجاج الرفع على ضعف فيه على تقرير: فانا نقاتل فى سبيل اللّه. و لو كان بالتاء لجاز الرفع على أن يكون صفة للملک. و الجزم على الجواب، كما قال «فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِيًّا يَرِثُنِی» «1» بالجزم، و الرفع. و لو كان (نقاتل معه) لحسن الرفع أيضاً لعائد الذكر، و لا يجوز أن تقول: الذى مررت زيد، تريد: به. و دخلت (أن) فى قوله: «ما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِی سَبِيلِ اللَّهِ»، و أسقطت فى قوله: «وَ ما لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» «2» لأحد ثلاثة أشياء:
أولها- دخلت (أن) لتدل أن فيه معنى: ما منعنا من أن نقاتل، كما دخلت الباء فى خبر هل لما تضمنت معنى ما قال الفرزدق يهجو جريراً، و يذكر أن أباه كان ينكح اتاناً «3».
يقول إذا اقلولى عليها و أقردت ألا هل أخو عيش لذيذ بدائم «4»
معنى اقلولى: علاها، و معنى أقردت: ذلت.
و أما سقوطها فى الموضع الآخر، فعلى الأصل كأنه قيل: ما لنا غير مقاتلين، كما قال: «فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ» «5» هذا قول الفراء.
الثانى- أن تكون (أن) زائدة فى قول الأخفش، و هو ضعيف، لأنه لا يجوز الحمل على الزيادة لا لضرورة.
الثالث- على حذف الواو كأنه قال: و ما لنا و لأن نقاتل، كما قالوا: إياک أن تتكلم بمعنى إياک و أن تتكلم. قال الرمانى: و هذا ليس بالوجه، لأنه لا يحكم أحد بالحذف، و لا بالزيادة إلا عند الضرورة قال الشاعر:
فبح بالسرائر فى أهلها و إياک فى غيرهم أن تبوحا «6»
فالآية مستغنية عن الواو مثل البيت سواء قال الشاعر:
فإياک المحاين أن تحينا

_____

(1) سورة مريم آية: 4.

(2) سورة الحديد آية: 8. [.....]
(3) فى المطبوعة (اناثاً) بدل (أتانا).
(4) ديوان جرير 2: 128.، و اللسان (قرد) و رواية الديوان (ليس ذو) بدل (هل أخو) و رواية اللسان (تقول) بدل (يقول).
(5) سورة المدثر آية: 49.
(6) معانى القرآن للفراء 1: 165.

فإنما هو على احذر المحاين لا على إضمار (أن). و قال المبرد فى (ما) وجه آخر، و هو أن يكون جحداً، و يكون تقديره: ما لنا ترک القتال. و على الوجه الأول (ما) استفهام، و إنما جاز، مالک أن تقوم، و لم يجوز مالک أن قمت، لأن المنع إنما يكون على الاستئناف، تقول: منعه أن يقوم، و لا يجوز أن يقوم منعه أن قام، كذا قال الفراء فى الكلام حذف، و تقديره: «وَ ما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِی سَبِيلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَ أَبْنائِنا» فسأل، فبعث، فوجب عليهم القتال «فلما كتب» «تولوا»، و إنما وجب أن يكون محذوفاً، لأن الكلام لا يدل عليه إلا من جهة الذكر له أو الحذف منه، فأما ما يدل عليه الكلام من غير جهة الذكر له، أو الحذف منه، فليس بمحذوف نحو قد عُرف زيد، فانه يدل على أنه عرفه عارف، و ليس بمحذوف، لأنه لم يدل عليه من جهة الذكر له و لا الحذف منه.
و عسيتم- بكسر السين- لغة، و الفتح أكثر. و قوله: «إِلَّا قَلِيلًا» لا يجوز فيه الرفع، لأنه استثناء بعد موجب، و كذلک قوله: «فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا» لا يجوز فيه الرفع.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 247] ..... ص : 290

اشارة

وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (247)

آية واحدة بلا خلاف.

قال السدى، و وهب بن منبه: إنما أنكروا أن يكون طالوت ملكاً، لأنه لم يكن من سبط النبوة، و لا سبط المملكة بل كان من أجمل سبط فى بنى إسرائيل. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 291
و قوله: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ» معناه اختاره فى قول ابن عباس، و ابن زيد، و أصله الصفوة من الأدناس.
و قوله: «وَ زادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ» قيل فى معناه قولان:
قال الحسن: زيادة فى العلم و عُظماً فى الجسم. و قال الجبائى: كان إذا قام الرجل، فبسط يده رافعاً لها نال رأسه.

يقال: جسم يجسم جسامة يعنى ضخم ضخامة. و رجل جسيم: عظيم الخلق.
و جسمه تجسيما، و تجسم تجسما. و هو أجسم منه أى أضخم. و أصل الباب الضخم.
و الجسم: هو الذاهب فى الجهات الثلاثة: الطول و العرض و العمق.

و إنما لم يصرف (طالوت)، و صرف (جاموس) إذا سميت به، و إن كانا أعجميين- فى قول الزجاج- لأنه لما كان يدخله الألف و اللام نكر، نحو قولهم:
الجاموس. و كلما أعرب فى حال تنكيره فانه لا يعتد بالعجمة فيه، لأنه بمنزلة ما أصله عربى فأما ما أعرب فى حال تعريفه، فليس كذلک، لأنه لم يستعمل إلا على احدى الحالين دون الأخرى، فنقل لذلک.
و قوله: «وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- واسع الفضل، فحذف، كما حذف فى قولهم: فلان كبير أى كبير القدر. الثانى- واسع بمعنى: موسع أى يوسع على من يشاء من نعمه، كما جاء (أليم) بمعنى: مؤلم. و الثالث- واسع بمعنى ذو سعة نحو «عِيشَةٍ راضِيَةٍ» أى ذات رضى، و هم ناصب أى ذو نصب. و تامر، و لابن، أى ذو تمر و ذو لبن. و يجىء باب فى فاعل بمعنى ذو كذا. و قوله: «عليم» أى عليم بمن ينبغى أن يؤتيه الفضل إما للاستصلاح، و إما للامتحان. قال البلخى: و فى الآية دلالة على فساد قول من قال بأن الامامة وراثة، لان اللّه تعالى رد عليهم ما أنكروه من التعليل التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 292
عليهم من ليس من أهل النبوة، و لا المملكة، و بين أنه يجب بالعلم و القوة لا بالوراثة.
و قال أصحابنا فيها دلالة على أن من شرط الامام أن يكون أعلم رعيته و أفضلهم فى خصال الفضل، لأن اللّه تعالى علل تقديمه عليهم بكونه أعلم و أقوى فلو لا أنه شرط و إلا لم يكن له معنى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 248] ..... ص : 292

اشارة

وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِى ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (248)
آية.

قال الحسن: وجه الآية فى التابوت أن الملائكة كانت تحمله بين السماء و الأرض يرونه عياناً و قال ابن عباس و وهب: إن اللّه انتزعه من أيدى أعدائهم الذين نهبوه منهم، فردّ عليهم «تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ» و قيل:
إن التابوت كان فى أيدى أعداء بنى إسرائيل من العمالقة الذين غلبوهم عليه- على قول ابن عباس، و وهب-، و روى ذلک عن أبى عبد اللّه (ع).
و قال قتادة: كان فى برية التيه: خلفه هناک يوشع ابن نون. و قال وهب بن منبه: كان قدر التابوت نحواً من ثلاث أذرع فى ذراعين.
و روى عن على (ع). أنه قال: السكينة التى كانت فيه ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان.
و قال مجاهد لها رأس كرأس الهرة، و روى ذلک فى أخبارنا.
و قال وهب: روح من اللّه تكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف. و قال عطا: كان فيه آية يسكنون إليها.
و السكينة مصدر وقع موقع الاسم نحو القضية و البقية و العزيمة و أخذ من معنى السكون لأن نفوسهم تسكن إليه و البقية التى ترک آل موسى، و آل هارون. قال التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 293
ابن عباس، و قتادة، و السدى:
إنها عصا موسى و رصاص للالواح، و هو المروى عن أبى جعفر.
و قال أبو جعفر التابوت هو الذى وضعت أم موسى فيه موسى حين ألقته فى اليم. و أقوى هذه الأقوال أن يحمل على أنه كان فيه ما يسكنون إليه، و يجوز أن يكون ذلک عصا موسى و الرصاص، و غير ذلک مما اختلفوا فيه بعد أن يكون فيه ما تسكن النفس إليه، لأنه تعالى بين أن فيه سكينة، و هى فعيلة من السكون، و لا يقطع بشىء من ذلک إلا بدليل يوجب العلم. و قال الحسن: كان فيه التوراة و شىء من ثياب موسى.

و فى التابوت لغتان فلغة جميع العرب إلا الأنصار: التابوت بالتاء. و الأنصار تقول: التابوه بالهاء. و يقال: بقى بقاء و أبقاه إبقاء و استبقاه استبقاء و تبقاه تبقياً و تباقى تباقياً و باقاه مباقاة. و منه بقايا الخراج. و أصل الباب البقاء: خلاف الفناء.
و قوله: «تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ» تقول: حمل يحمل حملا و احتمل احتمالا و تحامل تحاملا.
و تحمّل تحملا و حمّله تحميلا و حامله محاملة. و انحمل انحمالا و استحمل استحمالا.
و الحمل من الضّان: الخروف. و الحمل: السحاب الكثير الماء. و الحمل: ما فى البطن.
و الحِمل: ما على الظهر. و الحمالة علّاقة السيف. و المحمل: الذى يوكبه الناس و الحمالة الدية، يتحملها قوم عن قوم و الحميل: الكفيل، و الحميل الغريب لأنه يحمل على القوم و ليس منهم. و حميل السيل: غثاؤه. و امرأة حامل: حبلى لحملها الولد. و حملت فلاناً على فلان: إذا حرشته عليه، لأنك حملته على مكروهه. و الحمولة الإبل لأنها يحمل عليها الأثقال. و أصل الباب الحمل: كون الشىء على الشىء و قوله: «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» معناه إن كنتم مصدقين و لا يجوز أن يكونوا على تثبيت الايمان لهم، لأنهم كفروا حين ردّوا على نبيهم. و قيل: إن كنتم مؤمنين كما تزعمون.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 249] ..... ص : 293

اشارة

فَلَمَّا فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُودِ قالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قالُوا لا طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249)

التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 294

آية واحدة بلا خلاف.

قرأ «غرفة»- بالفتح- ابن كثير، و أبو عمرو، و نافع. الباقون بالضم، و هما لغتان.

قوله: «فَلَمَّا فَصَلَ» معناه قطع، و الفصل: القطع. يقال فصل اللحم عن العظم أى قطعه فأبانه عنه، و فصل الصبى فصلًا: إذا قطعه عن اللبن. و قول فصل أى يفصل بين الحق و الباطل. و الجنود جمع جند قال السدى: كانوا ثمانين ألف مقاتل، و الأجناد جمع القلة. و جنّد الجنود تجنيداً أى جمعهم. و الجند الأرض الغليظة و كل صنف من الخلق: جند على حدة. و فى الحديث: الأرواح جنود مجندة. و أصل الباب الجند: الغليظ من الأرض.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ» فمعنى الابتلاء هاهنا تمييز الصادق من الكاذب فى قوله- على قول الحسن-. و قال وهب بن منية: السبب الذى لأجله ابتلوا بالنهر شكايتهم قلة المياه، و خوف التلف من العطش. و النهر الذى ابتلوا به، قال ابن عباس، و الربيع، و قتادة: هو نهر بين الأردن، و فلسطين. و روى عن ابن عباس التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 295
أيضاً أنه نهر فلسطين. و قوله: «فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ» الهاء عائدة على النهر فى اللفظ، و هو فى المعنى الماء.
و قوله: «فَلَيْسَ مِنِّى» معناه ليس على دينى، و لا من أهل ولايتى، فحذف و دلت من عليه.

و يقال: طعم الماء كما يقال طعم الطعام و أنشدوا.
و إن شئت لم أطعم نقاخاً و لا بردا
و الغرفة بالفتح المرة من الغرف. و الغرفة بالضم ملء الكف من الماء، فالغرفة اسم للماء المغروف و الغرفة اسم للفعل. و قال بعضهم الاختيار الضم لأنه لو جاء على معنى المرة، لكان اغترافة. و هذا ليس بشيء، لأنه إذا كان المعنى واحداً جاز اغترافة، لأنه الأصل و جاز غرفة، لأنه أخف، و كلاهما حسن. و يقال غرف يغرف غرفاً و اغترف اغترافاً و المغرفة الآلة التى يغرف بها. و غرف غروف أى كبير و الغريف:
ماء فى الاجمة، لأنه يغرف من بين القصب. و مزادة غرفية مدبوغة بالغرف: و هو جنس من الدباغ. و الغريف شجر مجتمع من أى شجر كان. و الغرفة العلية. و أصل الباب الغرف.

و قال ابن عباس، و قتادة، و الربيع: من استكثر من ذلک الماء عطش، و من لم يشرب إلا غرفة روى. و قال الفراء، و الحسن، و قتادة، و الربيع: و الذين جازوا النهر مع طالوت كان عددهم مثل عدد أهل بدر، و هم ثلاثة و بضعة عشر، و هم المؤمنون خاصة. و قال ابن عباس، و السدى: جاوزه الكافر، و المؤمن إلا أن الكافرين انخزلوا عنهم، و بقى المؤمنون على عدد أهل بدر. و هذا قوى، لقوله تعالى:
«فَلَمَّا جاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ»، فلما رأوا كثرة جنود جالوت قال الكفار منهم «لا طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ» و قال المؤمنون حينئذ الذين عدتهم عدّة أهل التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 296
بدر «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ» قال البلخي: و يجوز أن يكونوا كلهم مؤمنين، غير أن بعضهم أشد إيقاناً و أقوى اعتقاداً، و هم الذين قالوا: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ».

و تقول: جاز الشىء يجوزه: إذا قطعه. و أجازه إجازة: إذا استصوبه.
و الشىء يجوز: إذا لم يمنع منه دليل. و اجتاز فلان اجتيازاً، و استجاز فعل كذا استجازة. و تجوّز فى كلامه تجوّزاً. و تجاوز عن ذنبه تجاوزاً. و جاوزه فى الشىء تجاوزه، و جوّزه تجويزاً. و جوز كل شىء وسطه بمجاز الطريق، و هو وسطه الذى يجاز فيه: و قيل هذا اشتقاق الجوزاء، لأنها تعرض جوز السماء أى وسطها، و أما الجوز المعروف، ففارسى معرّب. و الجواز الصك للمسافر. و المجاز فى الكلام، لأنه خروج عن الآجل الى ما يجوز فى الاستعمال. و أصل الباب الجواز: المرور من غير شىء يصد، و منه التجاوز عن الذنب، لأن المرور عليه بالصفح.

و قوله: «قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال الذين يستيقنون، ذهب إليه السدى قال دريد بن الصمة:
فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج سراتهم فى الفارسى المسرد
أى أيقنوا و قيل إنه استعارة فيما يكفى فيه الظن حتى يلزم العمل، فكيف المعرفة، فجاء على وجه المبالغة فى تأكد لزوم العمل.
الثانى- يحدثون نفوسهم و هو أصل الظن، لأن حديث النفس بالشىء قد يكون مع الشك و مع العلم إلا أنه قد على ركبت ما كان مع الشك.
الثالث- يظنون أنهم ملاقوا اللّه بالقتل فى تلك الواقعة.
و قوله: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ» الفئة: الطائفة من الناس، و الجمع: فئين و فئات. و لا يجوز فى عدة إلا عدات، لأن نقص عدة من أوله. و ليس كذلک فئة، و ما نقص التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 297
من أوله يجرى فى الباب على اطراد بمنزلة غير المنقوص، فأما فئة و مائة. و ثبة و عزة، فان النقص فيه على غير اطراد، كما يكون فى عدة، و صلة، و زنة، و صفة، و جهة.
و تقول فأوت رأسه بالسيف إفاءة و فأواً: إذا قطعته و انفاء الشىء إنفاءً: إذا تقطع و أصل الباب القطع، فمنه الفئة، لأنهم قطعة من الناس.
و قوله: «غلبت» تقول: غلب يغلب غلباً و غالبه مغالبة و تغالبوا تغالباً.
و تغّلب تغلباً و غلبه تغليباً. و أشد أغلب: إذا كان غليظ العنق. و رجل أغلب كذلک، لأنه من إمارة الغلب. و اغلولب العشب إذا كثر لأنه غلب على غيره بكثرته. و أصل الباب الغلب: القهر.

و قوله: «بِإِذْنِ اللَّهِ» معناه بنصر اللّه على قول الحسن، لأن اللَّه إذا أذن فى القتال نصر فيه على الوجه الذى أذن فيه و يجوز فى (كم) الجر و النصب و إن كان على معنى الخبر فى قول الفراء. و فى الآية حذف لدلالة «1» ما بقى عليه و هو فأتاهم التابوت بالصفة التى وعدوا بها، فصدّقوا لأن قوله «فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُودِ» بعد تلك المنازعة منهم ينبئ أن الآية أتتهم، فانقادوا لأجلها.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 250] ..... ص : 297

اشارة

وَ لَمَّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (250)
آية بلا خلاف.

البروز الظهور للقتال، و منه البراز، و هى الأرض: الفضاء. تقول: برز يبرز بروزاً، و بارزه مبارزة، و تبارز تبارزاً، و برَّز تبريزاً، و تبرّز تبرزاً. و رجل

---

(1) فى المطبوعة الاله

برز، و امرأة برزة أى ذو عفة و فضل، لظهور ذاک فيها. و الجنود الجموع التى تعدّ للقتال واحدها جند، مأخوذ من الجند و هو الغلظ.

و قوله: «رَبَّنا أَفْرِغْ» فالافراغ: صب السيال على جهة إخلاء المكان منه «1» و أصله الخلو. و إنما قيل «أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً» تشبيهاً بتفريغ الإناء من جهة أنه نهاية ما توجبه الحكمة، كما أنه نهاية ما فى الواحد من الآنية. و تقول فرغ يفرغ فراغا، و أفرغ إفراغاً، و فرّغ تفريغاً و تفرّغ تفرغاً، و استفرغ استفراغا، و افترغت افتراغاً: إذا صببت عليک الماء. و قوله: «سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ» «2» معناه سنعمد، لأنه عمل مجرد من غير شاغل، و منه قوله: «وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً» «3» أى خالياً من الصبر و الفرغ مفرغ الدلو، و هو خرقة الذى يأخذ الماء، لأنه يفرغ منه الماء «و أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً» أى صبّ. و درهم مفرغ أى مصبوب فى قالب. و ضربة فريغة: واسعة. و فرغ الإناء، و فرغ الرجل من عمله.

و أصل الباب الفراغ الخلوّ.

و قوله: «وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا» تثبيت الأقدام يكون بشيئين: أحدهما- بتقوية قلوبهم. و الثانية- بإلقاء الرعب فى قلوب أعدائهم حتى يظهر منهم الخور فى قتالهم و قيل باختلاف كلمتهم حتى يقع التخاذل منهم، و كذلک الصبر، لأنه من فعل العبد كما أن الثبوت فى الحرب من فعله، لأنه يجازى عليه، فأما النصر، ففعل اللّه تعالى، و الصبر: حبس النفس عما تنازع إليه من الفعل. و هاهنا حبسها عما تنازع إليه من الفرار من القتال. و التثبيت تمكين الشىء فى مكانه بلزومه إياه. و قد يقال ثبت يثبت ثبوتاً، و أثبته إثباتاً و تثبت تثبتاً، و استثبت استثباتاً، و ثبته تثبيتاً. و رجل ثبت المقام: إذا كان شجاعاً لا يبرح موقفه، و طعنه فأثبت فيه الرمح أى نفذ فيه، لأنه يلزم فيه. و أثبت حجته إذا أقامها. و القول الثابت الصحيح يلزم العمل عليه، و منه قوله: «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ» أى يؤدبهم به ليلزموا طريق

---

(1) فى المطبوعة (على جهة الاخلار منه المكان).

(2) سورة الرحمن آية: 31.

(3) سورة القصص آية: 10.

الحق فيه. و فلان ثبت أى ثقة مأمون فيما روى. و أثبت الحسنات فى الدفتر، لأنک ضبطه، و أصل الباب اللزوم.
و قوله: «فانصرنا» النصر: هو المعونة على العدوّ، و يكون ذلک بأشياء منها بزيادة القوة، و منها الرعب من الملاقاة، و منها الاطلاع على العورة، و منها تخيل الكثرة، و منها اختلاف الكلمة التى تقع بلطف فى إعطاء النصر، و الفرق بين النصر، و اللطف: أن كل نصر من اللّه، فهو لطف، و ليس كل لطف نصراً، لأن اللطف يكون فى إحدى طاعاته بدلا من معصيته، و قد يكون فى فعل طاعة من النوافل فأما العصمة فلا تكون إلا من معصية.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 251] ..... ص : 299

اشارة

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ وَ الْحِکْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا یَشاءُ وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لکِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَی الْعالَمِینَ (251)
آیة.

قرأ نافع، و أبان عن عاصم «دفاع اللَّه» الباقون «دفع» بلا ألف.

فى الآية حذف و تقديره فاستجاب لهم ربهم، فهزموهم بنصره لهم، لأن ذكر الهزيمة «1» بعد سؤال النصرة دليل على أنه كان على معنى الاجابة.

و الهزم: الدفع، تقول: هزم القوم فى الحرب يهزمهم هزماً: إذا دفعهم بالقتال هرباً منه، و انهزموا انهزاماً، و تهزم السقاء: إذا يبس، فتصدّع لاندفاع بعضه على بعض، و الاهتزام الذبح تقول العرب: اهتزموا شاتكم قبل أن تهزل فتهلک،

---

(1) فى المطبوعة (الهزية).

لدفع صاعها بتذكيتها. و الهزمة: دفعک الشىء بقوة حتى تدخل عن موضعه فى الجسد، و زمزم هزمة، جبرئيل لإسماعيل (ع) و المهزم خشبة يحرک بها الجمر، لأنها يرفع بها بعضه عن بعض، و هزمة الرعد صوته، و أصابتهم هازمة من هوازم الدهر أى داهية كاسرة، لأنها كهازمة الجيش فى البلية، و هزمت عليک أى عطفت عليک.

فالأولى أن يكون القوم هزموهم حقيقة لأنهم سنوا الهزيمة بأن فعلوا ما يلجئهم اليها و قال الجبائي: ذلک مجاز، لأنهم لم يفعلوا هزيمتهم، كما يقال: أخرجه من منزله إذا ألجأه الى الخروج، و لم يفعل خروجه، و هذا ليس بصحيح، لأنه ليس معنى هزمه فعل هزيمته، ليكون إذا صرف عن ذلک الى معنى غيره يكون مجازاً فى العبارة بل معناه ما قلناه.
و قوله: «بِإِذْنِ اللَّهِ» يحتمل أمرين: أحدهما- بأمر اللّه. و الثانى بعلم اللَّه.
و قيل: إن سبب قتل داود جالوت كان أن جالوت طلب البراز، فخرج إليه داود (ع) فرماه بحجر مقلاع فوقع بين عينيه و خرج من قفاه، فأصاب جماعة كثيرة من أهل عسكره فقتلهم، و انهزم القوم عن آخرهم، ذكر ذلک وهب بن منبه و غيره من المفسرين.
و قوله: «وَ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ وَ الْحِكْمَةَ» قيل فى معناه قولان: أحدهما- أنه جمع له الملک و النبوة فى حالة واحدة. و الآخر- أنه اختصه من علم السمع بحكمة لم يؤتها غيره.
و قوله: «وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ» معناه أنه علمه أمور الدين و ما يشاء من أمور الدنيا، منها صنعة الدرع و عمل السرد، ذكره الزجاج، و الطبرى. فان قيل: ما الفائدة فى قوله: «وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ» إذا كنا لا ندرى ما الذى شاء من ذلک؟
قيل هو تعالى و إن لم يشرح لنا ما علمه فقد بين لنا أنه خصه من العلم بعد علم الدين بما لم يؤته غيره، لأن غيره من المؤمنين إنما نعلم ما دله اللّه عليه من أمر دينه التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 301
و دنياه، و كان داود مساوياً لهم فى ذلک إن لم يكن أكثرهم علماً فيه، لأنه كان مؤمناً مثلهم، و كان معهم فى أمورهم، فلما بين لنا أنه «آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ» بعد قتل جالوت، علمنا أنه كان خصه بما ذكره من الملک و الحكمة، و خصه منه بما لم يخصّ به أحداً سواه.
و قوله: «وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها-
يدفع اللّه بالبر عن الفاجر الهلاک، هذا قول على (ع) و هو المروى عن أبى جعفر محمد بن على (ع)
، و به قال مجاهد. الثانى- يدفع باللطف للمؤمن و الرعب فى قلب الفاجر. أن يعم الأرض الفساد. الثالث- قال الحسن، و البلخى:
يزغ اللّه بالسلطان فلا يزغ بالقرآن، لأنه يغنيه على دفع الأشرار عن ظلم الناس، لأنه يريد منه المنع من الظلم و الفساد، كان مؤمناً أو فاسقاً.

و أصل الدفع: الصرف عن الشىء، دفع دفعاً، و دافع مدافعة و دفاعاً، و اندفع اندفاعاً، و تدافع تدافعاً، و تدفع تدفعاً، و دفعه تدفيعاً، و استدفع استدفاعاً.
و الضيف المدفع، لتدافع الحى به لاحتقاره. و الدفاع السيل لتدافع بعضه على بعض.
و الدفعة اندفاع الشىء جملة. و رجل مدفع أى عن نسبه.

و قال الحسن: لم يكن داود نبياً قبل قتله جالوت، لأنه لا يجوز أن يترأس من ليس بنبى على نبى لأنه قلب ما يوجبه تدبير الحكماء، لأن النبى يوثق بظاهره و باطنه و لا يخبر إلا بالحق و لا يدعو إلا الى حق، و ليس كذلک من ليس بنبى من أهل العقل.
و من قرأ «دفاع» بألف فوجهه: أن اللَّه لما أعان أولياءه على مدافعة أعدائه حتى هزموهم، حسن إضافة الدفاع إليه، لما كان من معونته، و إرادته له. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 302
و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة: إنه ليس للَّه على الكافر نعمه، لأنه قال: «إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» فعم الجميع بالنعمة و لم يخص، «وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ» و يفسد به أيضاً قولهم: فى الارادة و أن جميع ما أعطى اللَّه الكفار إنما هو ليكفروا لا ليؤمنوا، و ما روى أن طالوت هم بقتل داود لما رأى أن وجوه الناس أقبلت عليه بقتله جالوت رواية شاذة، فان صحت دلت على أن طالوت لم يكن نبياً، و لا إماماً، لأن النبى أو الامام لا بد أن يكون معصوماً.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 252] ..... ص : 302

اشارة

تِلْکَ آیاتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَیْکَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّکَ لَمِنَ الْمُرْسَلِینَ (252)
الآیات المذکورة فی هذه الآیة المراد بها ما تقدم ذکره من إماتة ألوف من الناس دفعة واحدة بخلاف ما جرت به العادة ثم أحیاهم فی مقدار ساعة، و من تملیک طالوت و قد کان من الخاملین الذین لا تنقاد لهم النفوس بما جعله له من الآیة علماً علی تملیکه، و من نصرة أصحاب طالوت مع قلة عددهم، و ضعفهم علی جالوت و جنوده مع قوتهم و کثرة عددهم و شدة بطشهم حتی قهروهم و استعلوا علیهم، و کل ذلک مما لا یقدر علیه غیر اللّه تعالی فهو دلالة علیه.
و قوله: «وَ إِنَّکَ لَمِنَ الْمُرْسَلِینَ» دلیل علی نبوته علی وجوه: منها ما فی الأحیاء بما تقدم من الدلالة علی النبوة. و منها أنه یجب التصدیق بتلک الأمور لنبوته (ع). و منها أنه أوحی إلیه به، کما أوحی الی المرسلین، لأنه سنة اللّه عزّ و جل فی مثله. و منها الاستدعاء الی القیام بما أرسل به بعد قیام الحجة علیه. و منها أنه کما نصب تلک الآیات جعلک من المرسلین لما فی ذلک من الحکمة التی تدعو الی صلاح المکلفین. و إنما صارت الأخبار بذلک دلالة علی النبوة من جهة أنها أخبار عن عیون لم تشهدها و لا خالط أهل المعرفة بها، و متی قال قائل: إنه أخذها عن أهل العلم بالأخبار، فان قوله یبطل، لأنه لو کان کذلک لم یتکلم لخروجه عن العادة کخروج أن یصیر انسان من أعلم الناس بصناعة لم یشهدها و لا خالط التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 303
أهلها، و لأن فی أنبیائه تثبت معجزة من غیر تلک الجهة، و هو المنع من الازاحة مع توفر الأسباب الداعیة الی الحدیث به، و لا نشر له و هذا مما لا یقدر علیه إلا اللّه تعالی.

و الرسالة تحمل جملة من الكلام لها فائدة الى المقصود بالدلالة. و الحق هو وقوع الشىء موقعه الذى هو له من غير تغيير عنه بما لا يجوز فيه. و التلاوة: ذكر الكلمة بعد الكلمة من غير فاصلة، لأن التالى للشىء يليه من غير فصل بغيره.
و الأصل: التلوّ و هو إيقاع الشىء بعد الشىء الذى يليه.

تِلْکَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ وَ لكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَ لكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ (253)

آية واحدة بلا خلاف.

إنما ذكر اللّه تعالى تفضيل بعضهم على بعض، لأمور: منها أن لا يغلط غالط منهم، فيسوَّى بينهم فى الفضل. كما استووا فى الرسالة، و ثانيها أن يبين أن تفضيل محمد (ص) كتفضيل من مضى من الأنبياء بعضهم على بعض. و ثالثها- أن الفضيلة قد تكون بعد أداء الفريضة. و المراد الفضيلة المذكورة هاهنا ما خص كل واحد منهم من المنازل الجليلة التى هى أعلى من منزلة غيره، نحو كلامه لموسى بلا سفير، و إرساله محمداً (ص) الى الكافة من الناس المكلفين و الجن المتعدين، هذا قول مجاهد. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 304

و يحتمل فضلناهم بأعمالهم التى استحقوا بها الفضيلة على غيرهم. و الفرق بين الابتداء بالفضيلة و بين المحاباة ان المحاباة اختصاص البعض بالنفع على ما توجبه الشهوة دون الحكمة، و ليس كذلک الابتداء بالفضيلة، لأنه قد يكون للمصلحة التى لولاها لفسد التدبير و أدى الى حرمان الثواب للجميع. فمن حسن النظر لهذا الإنسان تفضيل غيره عليه إذا كان فى ذلک مصلحة له فهذا وجه تدعو إليه الحكمة و ليس كالوجه الأول الذى انما تدعو إليه الشهوة.

و قوله: «وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» معناه قويناه. و الروح: جبريل. و القدس اللّه- على قول الحسن- و قال ابن عباس: روح القدس: الاسم الذى كان يحيى به الموتى. و الضمير فى قوله: «مِنْ بَعْدِهِمْ» عائد على الرسل. و قال قتادة، و الربيع:

على عيسى و موسى (ع). و جاز بلفظ الجميع، لأن ذكرهم قد يغنى عن ذكر المتبعين لهم. كما يقال: خرج الأمير فانكوا فى العدّو نكاية عظيمة.

و قوله: «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا» إخبار عن قدرته على إلجائهم على الامتناع من الاقتتال، أو بأن يمنعهم من ذاک. هذا قول الحسن و غيره. و جملته انه أخبر انه قادر على أن يحول بينهم، و بين الاقتتال بالإلجاء و الاضطرار. و مثله «وَ لَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها» «وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ لَآمَنَ مَنْ فِى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً» فان جميع ذلک دلالة على قدرته عليهم. و لا يدل قوله «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا» على أنه قد شاء اقتتالهم، لأنه إذا

احتمل الكلام وجهين: أحدهما- يجوز عليه و الآخر لا يجوز عليه، وجب حمله على ما يجوز عليه، دون ما لا يجوز عليه، فلذلک كان تقدير الكلام و لو شاء اللّه امتناعهم بالإلجاء ما اقتتلوا. و نظيره قول القائل و لو شاء السلطان الأعظم، لم يشرب النصارى الخمر فى سلطانه و لا نكحت المجوس الأمهات و البنات و ليس فى ذلک دليل على أنه قد شاءه و إنما كرر قوله: «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا» لاختلاف المعنى. فمعنى الأول لو شاء اللّه ما اقتتلوا قتالهم، و يجوز أن يكون لتأكيد البينة على هذا المعنى. و قال قوم: الأول معناه لو شاء اللّه ما اقتل التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 305
المحقون، و المبطلون بأن يحول. بينهم، و بينهم. و الثانى لو شاء اللّه ما اقتتل المحقون فيما بينهم و المبطلون فيما بينهم.

قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 254] ..... ص : 305

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خُلَّةٌ وَ لا شَفاعَةٌ وَ الْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (254)

آية واحدة.

قرأ أبو عمرو و ابن كثير «لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خُلَّةٌ وَ لا شَفاعَةٌ» بالنصب فيها أجمع. الباقون بالضم.

قوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» خطاب للمؤمنين يأمرهم بالإنفاق مما رزقهم.
و الإنفاق المأمور به على وجه الفرض هاهنا الزكاة و غيرها دون الفعل لأن ظاهر الامر الإيجاب فى قول الحسن. قال: لأنه مقرون بالوعيد. و قال ابن جريج: يدخل فى الخطاب الزكاة، و التطوع. و هو أقوى، لأنه أعم. و به قال البلخى. و ليس فى الآية وعيد على ترک النفقة. و انما فيها إخبار عن عظم أهوال يوم القيامة و شدائدها.
و قوله: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِىَ يَوْمٌ» يعنى يوم القيامة.

«لا بَيْعٌ فِيهِ» البيع هو استبدال المتاع بالثمن. تقول: باع يبيع بيعاً، و ابتاع ابتياعاً، و استباع استباعة، و بايعه مبايعة، و تبايعوا تبايعاً، و البيع: نقيض الشراء و البيع أيضاً الشراء لأنه تارة عقد على الاستبدال بالثمن، و تارة على الاستبدال بالمتاع.
و البيعة الصفقة على إيجاب البيع. و البيعة الصفقة على إيجاب الطاعة. و البيعان البائع التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 306
و المشترى. و البيعة كنيسة النصارى و جمعها بيع.
و قوله: «لا خُلَّةٌ». فالخلة خالص المودة. و الخلل: الافراج بين الشيئين. و خللته بالخلال أخله خلا: إذا صككته به و اختلت حاله اختلالا، لانحرافه بالفقر. و تخلل الطرق تخللا إذا قطع فرجة بعد فرجة. و أخل به إخلالا، و خاله يخاله مخالة: إذا صافاه المودة.
و الخلّ معروف لتخلله بحدته، و لطفه فيما ينساب فيه. و الخل: الرجل الخفيف الجسم. و الخل: الطريق فى الرمل. و الخل: عرق فى العنق يتصل بالرأس. و الخليل:
الخالص المودة من الخلة، لأنه من تخلل الاسرار بينهما. و قيل لأنه يمتنع من الشوب- فى المودة بالنقيصة- و الخليل أيضاً: المحتاج من الخلة. و الخلة: جفن السيف.
و فى فلان خلة: أى خصلة. و الخلة خلاف الحصن لأنه مرعى بتخلله الماشية للاعتداء به. و خلل أصابعه تخليلا. و قوله تعالى: (فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ) «1» و قوله: «فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ» «2» و الخلال: البلج. و أصل الباب: الخلل:
الانفراج.

و قوله: «وَ لا شَفاعَةٌ» و إن كان على لفظ العموم فالمراد به الخصوص بلا خلاف، لأن عندنا قد تكون شفاعة فى إسقاط الضرر. و عند مخالفينا فى الوعيد قد يكون فى زيادة المنافع فقد أجمعنا على ثبوت شفاعة و إنما ننفى نحن الشفاعة قطعاً عن الكفار. و مخالفونا عن كل مرتكب كبيرة إذا لم يتب منها.
و قوله: «وَ الْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» إنما ذم اللَّه تعالى الكافر بالظلم و إن كان الكفر أعظم منه لأمرين:
أحدهما- للدلالة على أن الكافر قد ضر نفسه بالخلود فى النار، فقد ظلم نفسه.

_____

(1) سورة النور آية: 43، و سورة الروم آية: 48.
(2) سورة الإسراء آية: 5.

و الآخر- أنه لما نفى البيع فى ذلک اليوم و الخلة و الشفاعة، قال و ليس ذلک بظلم منا، بل الكافرون هم الظالمون، لأنهم عملوا ما استحقوا به حرمان الثواب.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 255] ..... ص : 307

اشارة

اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ لَهُ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِما شاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ (255)
آية واحدة «1».

«اللَّه» رفع بالابتداء «لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ» خبره. و الكلام مخرجه مخرج النفى أن يصح إله سوى اللّه. و حقيقة الإثبات الآله واحد هو اللّه. كأنه قيل اللّه الآله دون غيره. و ارتفع هو فى لا إله إلا هو على أحد وجهين:
أحدهما- بالابتداء كأنه قال ما إله إلا اللّه.
و الثانى- أن يكون بدلا كأنه قال ما إله ثابتاً إلا اللَّه. و يجوز فى العربية لا إله إلا اللّه بالنصب على الاستثناء. و فيه دلالة على الامر بإخلاص العبادة للّه تعالى.

و الحى هو من كان على صفة لا يستحيل معها كونه عالماً قادراً، و ان شئت قلت:
هو من كان على صفة يجب لأجلها أن يدرک المدرکات، إذا وجدت. و القيوم أصله قيووم على وزن فيعول. إلا أن الياء الساكنة إذا كانت بعدها واو متحركة قلبت ياء و أدغمت فيها قياساً مطرداً. و القيام أصله قيوام على وزن فيعال.
و قيل فى معنى القيوم، أربعة أقوال:

---

(1) و فى مجمع البيان و المصحف الهاشمى آيتان، و فى أكثر التفاسير آية واحدة.

أحدها- قال الحسن إنه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها من حيث هو عالم لا يخفى عليه شىء منه.
الثانى- قال سعيد بن جبير: إن معناه الدائم الوجود.
الثالث- قال قتادة: معناه: القائم بتدبير خلقه.
الرابع- قال قوم: إن معناه العالم بالأمور من قولهم: فلان قيوم هذا الكتاب أى هو عالم به. و كل هذه الوجوه تحتمل. و قال أمية بن أبى الصلت:
لم تخلق السماء و النجوم و الشمس معها قمر يقوم
قدره المهيمن القيوم و الحشر و الجنة و الجحيم
إلا لأمر شأنه عظيم «1»
و قوله: «لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ» فالسنة النوم بلا خلاف قال عدى ابن الرقاع:
و سنان أقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة و ليس بنائم «2»
فالسنة الثقلة من النعاس، تقول: وسن فلان وسناً إذا أخذته سنة النعاس، و قد علته و سنة، و رجل و سنان و وسن، و امرأة وسنانة، و وسنى، و أصل الباب:
النعاس. و النوم الاستثقال فى النوم، تقول نام ينام نوماً و أنامه إنامة، و نومه تنويماً و تناوم تناوماً، و استنام إليه: إذا استانس إليه، و اطمأن الى ناحيته، لأن حاله معه كحالة النائم فى المكان أنساً به و أصل الباب النوم خلاف اليقظة.
و قوله: «ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ» معناه أن أحداً ممن له شفاعة لا يشفع إلا بعد أن يأذن اللّه له فى ذلک و يأمره به، فأما أن يبتدئ أحد بالشفاعة من غير إذن، كما يكون فيما بيننا، فليس ذلک لأحد.

(1) ديوانه: 57، و تفسير أبى حيان 25: 277 و رواية أبى حيان (قمر يعوم) بدل (قمر يقوم) و فى تفسير الطبرى قد اجتهد محققه فأخطأ، لأنه اثبت (و الجسر) بدل (و الحشر) راجع صفحة 388 من المجلد الخامس فى تفسير الطبرى.
(2) الشعر و الشعراء: 602، و اللسان (وسن)، (رنق). [.....]

و قوله: «يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ» قال: ابن جريج و مجاهد و السدى:
معناه ما مضى من الدنيا و ما خلفهم من الآخرة.
و قوله: «وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ» معناه من علومه، كقول القائل:
أللهم اغفر لنا علمک فينا، فإذا ظهرت آية يقولون قدرة اللَّه أى مقدور اللَّه
و قوله:
«وَسِعَ كُرْسِيُّهُ» قال ابن عباس
كرسيه: علمه و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد اللَّه (ع).
و قال الحسن: الكرسى هو العرش.
و قيل: هو سرير دون العرش و قد روى ذلک عن أبى عبد اللَّه (ع).
و قيل: أصل ملكه. و كل ذلک محتمل.
أما العلم، فلأنه يقال للعلماء الكراسى، لأنهم المعتمد كما يقال: هم أوتاد الأرض، و هم الأصل الذى يعتمد عليه. و يقال لكل أصل يعتمد عليه. كرسى قال الشاعر:
تحف بهم بيض الوجوه و عصبة كراسىّ بالاحداث حين تنوب «1»
أى علماء بحوادث الأمور. و قال آخر:
نحن الكراسى ما تعدّ هوازن أفعالنا فى النائبات و لا أسد
و قال آخر:
ما لى بأمرک كرسى كاتمه و هل بكرسى علم الغيب مخلوق
و كل شىء تراكب فقد تكارس تكارساً، و منه الكراسة لتراكب بعض ورقها على بعض قال العجّاج:
يا صاح هل تعرف رسما مكرّساً قال نعم أعرفه و أبلسا «2»
أى تكارس عليه التراب، فغطاه، و الكرس البعر و البول: إذا تلبد بعضه على بعض، و الأكارس الجموع الكثيرة، لا واحد له، لأنه بكثرته بمنزلة ما تراكب بعضه على بعض. و رجل كروس شديد الرأس، لأنه تضاعف القوى كتراكب الشىء بعضه على بعض، و الكرياس: كنيف فى أعلى السطح بقناة الى الأرض، لتراكب

(1) أساس البلاغة (كرس).

(2) ديوانه 1: 31، و التكامل 1: 252، و اللسان (بلس)، (كرس). يقال: ابلس الرجل أى سكت عما فى نفسه، و أنكر و تحير، و لم ينطق. و قد مر فى 1: 153

بعض أبنيته على بعض، و سمى الكرسى بذلك، لتركيب بعضه على بعض. و يقال:

كرسى الملك من مكان كذا الى مكان كذا أى ملكه تشبيهاً بالكرسى المعروف.

و كرس يكرس كرساً، و أكرس إكراساً، و تكارس تكارساً، و تكرّس تكرساً، و كرّسه تكريساً، و أصل الباب الكرس: تراكب الشىء بعضه على بعض.

و الوجه فى خلق الكرسى إذا قلنا: أنه جسم هو أن اللّه تعبد تحمله الملائكة و التعبد عنده كما تعبد البشر بزيادة، و لم يخلقه ليجلس عليه، كما تقول المجسمة.

و اختاره الطبرى، لأنه عزّ و جل يتعالى عن ذلك، لأن ذلك من صفات الأجسام و لو احتاج الى الجلوس عليه، لكان جسما و محدثاً و قد ثبت قدمه.

و قوله: «وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما» أى لا يثقله، و الهاء فى يؤوده راجعة الى اللّه و قيل إنها عائدة الى الكرسى. و الأود مصدر، آده يؤوده أوداً و أياداً إذا أثقله و جهده، و أودت العود فأنا آوده أوداً، فانآد و معناه عجته فانعاج، لأنه اعتمد عليه بالثقل حتى مال، و الأود، و الأوداء على وزن اعوج و عوجاء و المعنى واحد و الجمع الأود بوزن العوج و أصل الباب الثقل.

و قوله: «وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» فالعلى يعنى بالاقتدار و نفوذ السلطان. و يقال علا بالاقتدار، و لا يقال رفيع، لأن الرفعة من المكان، و العلوّ منقول الى معنى الاقتدار يوضح ذلك قولهم: علا قرنه بمعنى اقتدر و لا يقال ارتفع عليه بمعنى اقتدر و كذلك استعلى عليه بالحجة، و لا يقال ارتفع عليه بالحجة. و تقول: علا يعلو علوّاً و أعلى إعلاء و علّى تعلية و استعلى استعلاء. و تعلى تعلياً. و تعالى تعالياً و اعتلاه اعتلاء، و عالى معالاة. و العلوّ- بضم العين و كسرها- نقيض السفل، و العلوّ التجبر، و منه قوله تعالى: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِى الْأَرْضِ» «1» أى تجبر، لأنه طلب الاستعلاء على الناس بالسلطان و القهر. و اللّه العالى و المتعالى أى القادر القاهر، لأنه عال بالاقتدار، لأنه لا يعجزه شىء و العالية: القناة المستقيمة، لاستمرارها فى جهة العلوّ. و فلان من علية الناس أى من أشرافهم، لأنه علا بشرفه. و العلية: الغرفة

---

(1) سورة القصص آية: 4.

و أصل الباب العلوّ. و العظيم معناه عظيم الشأن بأنه قادر، و لا يعجزه

شىء، و عالم لا يخفى عليه شىء، فلا نهاية لمقدوره و معلومه، و قال قوم: العظيم بمعنى المعظم كما قالوا فى الخمر العتيقة معتقة، و الأول أقوى لأن على هذا كان يجب ألا يوصف بانه عظيم فيما لم يزل و قد علمنا خلافه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 256] ..... ص : 311

اشارة

لا إِكْراهَ فِی الدِّینِ قَدْ تَبَیَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَیِّ فَمَنْ یَکْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ یُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقی لا انْفِصامَ لَها وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (256)
آیة واحدة.

قيل فى معنى قوله: «لا إِكْراهَ فِى الدِّينِ» أربعة أقوال: أولها- قال الحسن و قتادة و الضحاک: إنها فى أهل الكتاب خاصة الذين يؤخذ منهم الجزية.
الثانى- قال السدى و ابن زيد: إنها منسوخة بالآيات التى أمر فيها بالحرب نحو قوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» «1» و قوله: «فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ» «2». الثالث- قال ابن عباس و سعيد بن جبير: إنها نزلت فى بعض أبناء الأنصار و كانوا يهوداً فأريد إكراههم على الإسلام. الرابع- قيل «لا إِكْراهَ فِى الدِّينِ» أى لا تقولوا لمن دخل فيه بعد حرب إنه دخل مكرها، لأنه إذا رضى بعد الحرب، و صح إسلامه فليس بمكره، فان قيل كيف تقولون «لا إِكْراهَ فِى الدِّينِ» و هم يقتلون عليه! قلنا المراد بذلک لا إكراه فيما هو دين فى الحقيقة، لأن ذلک من أفعال القلوب إذا فعل لوجه بوجوبه، فأما ما يكره عليه من إظهار الشهادتين، فليس بدين، كما أن من أكره على كلمة الكفر لم يكن كافراً.
و قوله: «قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ» معناه قد ظهر بكثرة الحجج، و الآيات

---

(1) سورة النساء آية: 88.
(2) سورة محمد آية: 4.

الدالة لانضمام ما أتى الرسول فيه الى ما فى الفعل منه و الالف و اللام فى قوله «فِى الدِّينِ» يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون مثل قوله «فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى» «1» بمعنى هى مأواه فكذلک «لا إِكْراهَ فِى الدِّينِ» أى فى دينه، لأنه قد تقدم ذكر اللّه كأنه قال: لا إكراه فى دين اللّه.
و الثانى- لتعريف دين الإسلام.

و الغى ضد الرشد، تقول غوى يغوى غياً و غواية: إذا سلک خلاف طريق الرشد، و غوى: إذا خاب قال الشاعر:
و من يغو لا يعدم على الغى لائما «2»
أى من يخب. و غوى الفصيل يغوى غياً: إذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلک و قوله: «رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِى» «3» يحتمل أمرين: أحدهما- خيبتنى. الثانى- بما حكمت بغوايتى، و منه قوله: «أَغْوَيْناهُمْ كَما غَوَيْنا تَبَرَّأنا إِلَيْکَ» «4» و الأصل الغى سلوک طريق الهلاک.
و قوله: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ» قيل فيه خمسة أقوال: أحدها- ما روى عن عمر، و مجاهد، و قتادة: أنه الشيطان الثانى- قال سعيد بن جبير: هو الكاهن.
الثالث- قال أبو العالية: هو الساحر. و الرابع- قال قوم: هم مردة الجن و الانس.
الخامس- قال بعضهم: هى الأصنام. و أصل طاغوت من الطغيان، و وزنه فعلوت نحو جبروت، و تقديره: طيغوت إلا أن لام الفعل قلبت الى موضع العين، كما قيل صاعقة

---

(1) سورة النازعات آية: 41.
(2) قائله المرقش الأصغر و صدره:
من يلق خيراً يحمد الناس أمره العقد الفريد 2: 176، 3: 77، 5: 339.
(3) سورة الحجر آية: 39.
(4) سورة القصص آية: 36.

و صاعقة، ثم قلبت الفاً لوقوعها فى موضع حركة، و انفتاح ما قبلها.
و معنى (يُؤْمِنْ بِاللَّهِ) يصدّق بالله.
و قوله (فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى) فالعروة الوثقى الايمان بالله، عن مجاهد، و جرى ذلک مجرى المثل لحسن البيان بإخراج ما لا يقع به الاحساس إلى ما يقع به «1» و العروة: عروة الدّلو و نحوه لأنها متعلقة، و عروت الرجل، أعروه عرواً: إذا ألممت به متعلقاً بسبب منه، و اعتراه «2» يعتريه: إذا تعلق به، و عرته الحمى تعروه: إذا علقت به و عرّاه يعريه إذا اتخذ له عروة. و أصل الباب التعلق. و قال الازهرى العروة: كل نبات له أصل ثابت، كالشيح و القيصوم، و غيره. شبهت عرى الأشياء فى لزومها.
و قوله: «لَا انْفِصامَ لَها» أى لا انقطاع لها- فى قول السدى-. و الانكسار، و الانفصام و الانصداع و الانقطاع نظائر. قال اعشى بنى ثعلبة.

و مبسمها عن شتيت النبا ت غير أكس و لا منفصم «3»
و انفصم انفصاماً: إذا انصدع، و فصمته تفصمه فصما: إذا صدعته من غير أن تكسره، و أصل الباب: الفصم، كصدع الزجاج.

اشارة

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولَئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (257)
آية.

معنى «وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا» نصيرهم، و معينهم فى كل ما بهم إليه الحاجة «4»، مما

---

(1) به ساقطة من المطبوعة.
(2) فى المطبوعة اعتراءهم.
(3) ديوانه: 30 رقم القصيدة 4. الشتيت: المتفرق المفلج من الأسنان الكسس:
قصر الأسنان. فى المطبوعة (عرائس) بدل (غير أكس) و روايته: (منقضم).
(4) هذا ما استنبطناه و فى المطبوعة (كلما تهم اليه الحاجة).

فيه صلاح لهم فى دينهم و دنياهم و إنما يوصف بالولى من كان أولى بغيره و أحق بتدبيره. و منه الوالى، لأنه يلى القوم بالتدبير و الأمر، و النهى، و منه المولى من فوق، لأنه يلى أمر العبد بسد الخلة، و ما به إليه الحاجة، و منه المولى من أسفل لأنه يلى أمر المالک بالطاعة، و المولى ابن العم لأنه يلى أمره بالنصرة لتلک القرابة، و ولى اليتيم لأنه يلى أمر ماله بالحفظ له و القيام عليه. و الولى فى الدين و غيره، لأنه يلى أمره بالنصرة و المعونة لما توجبه الحكمة، و المعاقدة لجميع هذه المواضع الأولى و الأحق ملحوظ فيه.
و ولّى: إذا أدبر عن الشىء لأنه زال عن أن يليه بوجهه و استولى على الشىء: إذا احتوى عليه، لأنه وليه بالقهر.
و الله تعالى يتولى المؤمنين على ثلاثة أوجه: يتولاهم بالمعونة على إقامة الحجة، و يتولاهم بالنصرة لهم فى الحرب حتى يغلبوا، و يتولاهم بالمثوبة على الطاعة.
و قوله (يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ). و معناه: من ظلمات الكفر إلى نور الايمان، لأن الكفر كالظلمة فى المنع من إدراک الحق كما أن الظلمة مانعة من إدراک البصر. و قال قتادة: يخرجهم من ظلمة الضلالة إلى نور الهدى، و هذا قريب من الأول، و وجه إخراج الله تعالى المؤمنين من ظلمات الكفر و الضلال إلى نور الايمان باهدائهم إليه، و نصب الادّلة لهم، و ترغيبهم فيه، و فعله بهم من الالطاف ما يقوّى دواعيهم إلى الايمان، فإذا اختاروا هم الايمان، فكأن الله أخرجهم منها، و لم يجز أن يقال: إنه أخرج الكفار من الظلمات إلى النور من حيث قدّرهم على الايمان، و دعاهم إليه و رغبّهم فيه، كما فعل بالمؤمنين، لأنهم لم يختاروا الايمان، فلم يجز أن يقال: إنه أخرجهم منه لأنه توهم أنهم فعلوا الايمان. و قوله: (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ) إنما أضاف إخراجهم

«مِنَ النَّورِ» الذى هو الايمان إلى الكفر إلى الطاغوت، لما كان ذلک باغوائهم، و دعائهم، و إنما كفروا عند ذلک، فأضاف ذلک إليهم، فهو عكس الأول. فان قيل: كيف «يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ» و ما دخلوا فيه؟ التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 315
قلنا عنه جوابان:
أحدهما- إن ذلک يجرى مجرى قولهم: أخرجنى والدى من ميراثه. و لم يدخل فيه، و إنما ذلک لأنه لو لم يفعل ما فعل، لدخل فيه، فهو لذلک بمنزلة الداخل فيه الذى أخرج منه. قال الغنوى:
فان تكن الأيام أحسن مرة إلىّ فقد عادت لهنّ ذنوب «1»
و لم يكن لها ذنوب قبل ذلک.
و الوجه الثانى- قال مجاهد: إنه فى قوم ارتدّوا عن الإسلام، و الاول أليق بمذهبنا، لأن عندنا لا يجوز أن يرتد المؤمن على الحقيقة، و إنما قال «يخرجونهم» على لفظ الجمع. و ان كان الطاغوت واحداً لأنه فى معنى جميع كما قال العباس بن مرداس:
فقلنا: أسلموا انّا أخوكم فقد برئت من الإحن الصدور «2»
و إنما جاز ذلک فى الخفض، لأن كل واحد يقوم مقام الآخر فصار ذكر واحد ينوب عن جميعه، فأما ما يميز بالخلقة و صار بمنزلة الأشياء المختلفة فقياسه أن يجمع، كرجل و رجال. و إنما حسن فى الطاغوت، لأن جميعه يجرى مجرى واحد فى الضلال.
و فى الآية دليل على فساد قول المجبرة فى المخلوق، و الارادة، لأنه تعالى نسب الإخراج من نور الهدى إلى ظلمة الكفر و الضلال إلى الطاغوت منكراً لتلک الحال، و لم يكن لينكر شيئاً أراده و لا يغيب شيئاً عنه فعله (تعالى اللّه) عن ذلک.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 258] ..... ص : 315

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِی حَاجَّ إِبْراهِیمَ فِی رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ رَبِّیَ الَّذِی یُحْیِی وَ یُمِیتُ قالَ أَنَا أُحْیِی وَ أُمِیتُ قالَ إِبْراهِیمُ فَإِنَّ اللَّهَ یَأْتِی بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِی کَفَرَ وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ (258)

_____

(1) قائله کعب الغنوی من قصیدة یرثی بها أخاه أبا المغوار. المغوار. العقد الفرید 3: 217.
و روایته (لقد) بدل (فقد). [.....]
(2) سیرة ابن هشام 4: 95، و اللسان (أخو) و مجاز القرآن 1: 97 من قصیدة له فی یوم حنین، و فی هزیمة هوزان یذکر قارب بن الأسود و فراره من بنی أبیه. و الإحن جمع احنة: و هی الحقد.

آیة.

قرأ أهل المدينة «أَنَا أُحْيِى وَ أُمِيتُ» بإثبات الألف إذا كان بعدها همزة مضمومة أو مفتوحة. فان كان بعدها همزة مكسورة حذفوها إجماعاً.

قال مجاهد، و قتادة و الربيع: إن المحاج لإبراهيم كان نمرود بن كنعان «1» و هو أوّل من تجبر فى الأرض بادعاء الربوبية. و قوله: (أَ لَمْ تَرَ إِلَى) دخلت إلى الكلام للتعجب من حال الكافر المحاج بالباطل، كما يقولون: أما ترى إلى فلان كيف يصنع، و فيه معنى هل رأيت كفلان فى صنيعه كذا، و إنما دخلت (إلى) لهذا المعنى من بين حروف الجر، لأن إلى لما كانت نهاية صارت بمنزلة هل انتهت رؤيتک إلى من هذه صفته لتدل على بعد وقوع مثله على التعجب منه، لأن التعجب إنما يكون مما استبهم شبيه بما لم يجز عادة به، و قد صارت إلى هاهنا بمنزلة كاف التشبيه من حروف الاضافة، لما بينا من العلة إذ كان ما ندر مثله كالذى يبعد وقوعه.
و قوله: (أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ) معناه أعطاه و الهاء فى «آتاه» قال الحسن و أبو على: إنها كناية عن المحاج لإبراهيم. و قال أبو حذيفة و البلخى إنها عائدة إلى إبراهيم.
فان قيل: كيف يجوز أن يؤتى اللَّه الكافر الملک؟ قيل: الملک على وجهين: أحدهما- يكون بكثرة المال و اتساع الحال، فهذا يجوز أن ينعم اللَّه (عزّ و جلّ) به على أحد من مؤمن و كافر، كما قال فى قصة بنى إسرائيل:

---

(1) ابن كوش بن منام بن نوح. و قيل: انه نمروذ بن فالخ بن عامر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح.

(وَ جَعَلَکُمْ مُلُوکاً وَ آتاکُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ) «1».
و الثانى- ملک بتمليک الأمر و النهى و التدبير لأمور الناس، فهذا لا يجوز أن يجعله اللَّه لأهل الضلال لما فيه من الاستفساد بنصب من هذا سبيله للناس، لأنه لا يصح مع علمه بفساده إرادة الاستصلاح به كما يصح منا فيمن لا يعلم باطن حاله ممن يؤمن علينا. و من قال الهاء كناية عن إبراهيم (ع) لم يتوجه عليه السؤال، لأنه تعالى لم يؤت الكافر الملک، و إنما آتى نبياً مرسلا.
و قوله «إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَ يُمِيتُ» معناه يحيى الميت و يميت الحى، فقال الكافر عند ذلک: أنا أحيى و أميت، يعنى أحييه بالتخلية من الحبس ممن وجب عليه القتل و أميت بالقتل من شئت ممن هو حى، و هذا جهل منه، لأنه اعتمد فى المعارضة على العبارة فقط دون المعنى، عادلا عن وجه الحجة بفعل الحياة للميت أو الموت للحى على سبيل الاختراع كما يفعله اللَّه (تعالى) من إحياء من قتل أو مات و دفن و ذلک معجز لا يقدر عليه سواه، فقال إبراهيم (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ) و لم يكن ذلک انتقالا من إبراهيم من دليل

إلى دليل آخر من وجهين:
أحدهما- أن ذلک يجوز من کل حکيم بعد تمام ما ابتدأ به من الحجاج، و علامة تمامه ظهوره من غير اعتراض عليه بشبهة لها تأثير عند التأمل، و التدبر لموقعها من الحجة المعتمد عليها.
الثانى- أن إبراهيم إنما قال ذلک ليتبين أن من شأن من يقدر على إحياء الأموات و إماتة الأحياء، أن يقدر على الإتيان بالشمس من المشرق، فان کنت قادراً على ذلک فأت بها من المغرب «فَبُهِتَ الَّذِى کَفَرَ» و إنما فعل ذلک، لأنه لو تشاغل معه بأنى أردت اختراع الحيآة و الموت من غير سبب و لا علاج لاشتبه على کثير ممن حضر، فعدل إلى ما هو أوضح و أکشف، لأن الأنبياء (ع) إنما بعثوا للبيان و الإيضاح، و ليس أمورهم مبنية على بناء الخصمين إذا تحاجا، و طلب

---

(1) سورة المائدة آية: 22.

کل واحد غلبة خصمه، فلذلک فعل إبراهيم (ع) ما فعل
و قد روى عن أبى عبد اللّه (ع) أن إبراهيم قال له: احيى من قتلته إن کنت صادقا، ثم استظهر عليه بما قال.

و الشمس معروفة و جمعها شموس، و قد شمس يومنا يشمس شموساً، فهو شامس: إذا اشتدت شمسه، و كذلک أشمس. و شمس الفرس شماساً، فهو شموس، إذا اشتد نفوره، لأنه كاشتداد الشمس فى اليوم ما يكون من زيادة حرّها، و توقدّها. و شمس فلان إذا اشتدت عداوته. قال الشاعر:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم و أعظم الناس أحلاماً إذا قدروا «1»

و الشمس فى القلادة و غيرها: دائرة مشرقة كالشمس. و شمس الشىء تشميساً إذا ألقاه فى الشمس، و تشمس تشمساً: إذا قعد فى الشمس.

و قوله: (فَبُهِتَ الَّذِی کَفَرَ) معناه تحیر عند الانقطاع بما بان من ظهور الحجة. فان قیل هلّا قال لإبراهیم. فلیأت ربک بها من المغرب؟ قلنا عن ذلک جوابان:
أحدهما- أنه لما علم بما رأی من الآیات منه أنه لو اقترح ذلک لفعل اللَّه ذلک فتزداد نصیحته، عدل عن ذلک، و لو قال ذلک و اقترح لأتی اللَّه بالشمس من المغرب تصدیقاً لإبراهیم (ع).
و الجواب الثانی- أنه (تعالی) خذله عن التلبیس و الشبهة.

و فى بهت ثلاث لغات: بُهت على لفظ القرآن، و بُهت و بَهت على وزن ظرف و حذر، و حكى بهت على وزن ذهب و البهت: الحيرة عند استيلاء الحجة، لأنها كالحيرة للمواجهة بالكذب، لأن تحير المكذب فى مذهبه كتحير المكذوب عليه،

---

(1) قائله الأخطل. اللسان (شمس).

و منه قوله: (أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً) «1» كأنه قال أ تأخذونه ادعاء للكذب فيه. و فى إبراهيم خمس لغات إبراهيم، و ابراهام، و ابراهم، و ابراهَم، و ابراهِم بإسقاط الياء و تعاقب الحركات الثلاث عليه.

و قوله (وَ اللَّهُ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) لا يعارض قوله: (وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمی عَلَی الْهُدی) «2» لأن الهدی يتصرف على وجوه و أصله واحد و هو الدلالة على الطريق المؤدی إلى البغية و اللَّه (تعالى) قد هدی جميع المكلفين بأن دلّهم على طريق الحق و خص المؤمنين فی هدايته لهم بالمعونة على سلوک طريق الحق، لأنه بمنزلة الدلالة على طريق الحق و اللَّه (تعالى) لا يهدی للمعونة على بلوغ البغية فی فساد القوم الظالمين. و فی الآية دلالة على فساد «3» قول من يقول:
المعارف ضرورة، لأنها لو كانت ضرورة لما حاج إبراهيم الكافر، و لا ذكر له الدلالة على إثبات الصانع، و فيها دلالة على فساد التقليد و حسن المحاجة و الجدال، لأنه لو كان ذلک غير جائز لما فعل إبراهيم (ع) ذلک.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 259] ..... ص : 319

اشارة

أَوْ كَالَّذِی مَرَّ عَلی قَرْیَةٍ وَ هِیَ خاوِیَةٌ عَلی عُرُوشِها قالَ أَنَّی یُحْیِی هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ کَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ یَوْماً أَوْ بَعْضَ یَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلی طَعامِکَ وَ شَرابِکَ لَمْ یَتَسَنَّهْ وَ انْظُرْ إِلی حِمارِکَ وَ لِنَجْعَلَکَ آیَةً لِلنَّاسِ وَ انْظُرْ إِلَی الْعِظامِ کَیْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَکْسُوها لَحْماً فَلَمَّا تَبَیَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (259)
آیة واحدة.

_____

(1) النساء آیة: 19.
(2) حم السجدة آیة: 17.
(3) «علی فساد» ساقطة من المطبوعة.

قرأ حمزة، و الكسائى، و خلف، و يعقوب. و الكسائى عن أبى بكر (يتسنّ) بحذف الهاء و فى الوقف بإثباتها بلا خلاف. قرأ ابن عامر و أهل الكوفة (ننشزها) بالزاى الباقون بالراء. و قرأ حمزة و الكسائى (قال اعلم) بهمزة موصولة الباقون بقطعها.

هذه الآية معطوفة على الآية الأولى و تقديره أ رأيت ک «الَّذِی حَاجَّ إِبْراهِیمَ فِی رَبِّهِ» و ک «کَالَّذِی مَرَّ عَلی قَرْیَةٍ» و موضع الکاف نصب ب (تر) و معناه التعجب منه لأن کلما خرج فی بابه یعظمه عن حد نظائره مما یتعجب منه نحو (ما أجهله) أی قد خرج بعظم جهله عن حد نظائره، و کذلک لو قلت: هل رأیت کزید الجاهل، لدللت علی مثل الأول فی التعجب، لما بینا إلا أن (ما أفعله) صیغة موضوعة للتعجب، و لیس کذلک هل رأیت لأنها فی الأصل للاستفهام، و نحو قولک: هل رأیت فی الدنانیر مثل هذا الدینار فهذا استفهام محض لا تعجب فیه، لأن أمثاله کثیر، فلم یخرج بعظم حاله عن حد نظائره، کما خرج الأول بعظم جهله. و قیل: الکاف زائدة للتوکید، کما زیدت فی لیس کمثله شیء و الأول الوجه، لأنه لا یحکم بالزیادة إلا للضرورة.

و قال قتادة و الربيع:
الذى مر على قرية هو عزير، و روى ذلک عن أبى عبد اللَّه (ع).
و قال وهب بن منبه:
هو أرميا، و هو المروى عن أبى جعفر (ع).
و قال ابن إسحاق: هو الخضر، و القرية التى مرَّ عليها. قال وهب بن منبه، و قتادة، و الربيع هى بيت المقدس لما خر به بخت نصر، و قال ابن زيد: هى القرية التى خرج منها الألوف «حَذَرَ الْمَوْتِ». و قوله: «وَ هِيَ خاوِيَةٌ» معناه خاليه. و قال ابن عباس، و الربيع، و الضحاک خراب. قال قوم: معناه و هى قائمة على أساسها و قد وقع التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 321
و قد وقع سقفها. و أصل الخواء «1» الخلاء قال الراجز:
يبدو خواء الأرض من خوليه «2»
و الخواء: الفرجة بين الشيئين يخلو ما بينهما. و خوت الدار فهى خاوية.
تخوى خواء. إذا باد أهلها بخلوها منهم و الخوى: الجوع، خوى يخوى خوى: يخلو البطن من الغذاء. و التخوية التفريج بين العضدين و الجبينين يخلو ما بينهما بتباعدهما.
و التخوية تمكين البعير لنفسه فى بروكه، لأنه تفحصه الأرض بخلوها مما يمنع من تمكنه. و اخواء النجم: سقوطه من غير مطر بخلوه من المطر. خوى النجم و اخوى. و خوى المنزل إذا تهدم، لأنه بتهدمه يخلو من أهله و أصل الباب الخلو.
و قوله: «عَلى عُرُوشِها» يعنى على أبنيتها و منه «وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ» «3» أى يبنون. و منه عريش مكة: أبنيتها و خيامها، و كل بناء: عرش، عرش يعرِش و يعرُش عرشاً: إذا بنى. و العرش البيت، و جمعه عروش لارتفاع أبنيته.
و العرش: السرير، لارتفاعه على غيره. و عرش الرجل: قوام أمره و عرش البيت:
سقفه، لارتفاعه. و التعريش جعل الخشب تحت الكرم ليمتد عليه. تقول: عرشته تعريشاً. و عرشته أعرشه عرشاً. و ذلک، لارتفاعه فى امتداده على الخشب الذى تعمده. و التعريش رفع الحمار رأسه شاحيا فاه على عانته، عرش بعانته تعريشاً. و العريش ظلة من شجر أو نحوه، لارتفاعه على ما يستره. و عرش البئر طيّها بالخشب بعد طيها بالحجارة. و العرشان من الفرس: آخر شعر العرف لارتفاع العرف على العنق. وثل عرشه: إذا قتله. و أصل الباب: الارتفاع.

و القرية أصلها من قريت الماء: إذا جمعته، سميت بذلک لاجتماع الناس فيها للاقامة بها.

و قوله «أَنَّى يُحْيِی هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها» معناه كيف، و ذلک يدل على أن

---

(1) فى المطبوعة (الخوأ)
(2) فى المطبوعة (خو)
(3) سورة الاعراف آية: 36.

«انى». فى قوله «فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ» «1» معناه كيف شئتم دون ما قاله بعضهم من أن معناه حيث شئتم، لان معناه هاهنا لا يكون إلا على كيف. و لقائل أن يقول: إن اللفظ مشترک. و إنما يستفاد بحسب مواضعه. و قال الزجاج:

معناه من أين فى الموضعين.

و قوله «فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ» قال أبو على لا يجوز أن يكون الذى أماته ثم أحياه نبيا لأن اللّه تعالى عجب منه و لو لا ذلک، لجاز أن يكون نبيا على أنه شک فى ذلک قبل البلوغ لحال التكليف، ثم نبى فى ما بعده، و على هذا لا يمتنع أن يكون نبياً فى ما تقدم. و الأول أقوى، و أقرب. و يجوز هذه الآية أن تكون فى غير زمان نبى. و قال الجبائى: لا يجوز ذلک لأن المعجزات لا تجوز إلا للأنبياء لأنها دالة عليهم. فلو وقعت المعجزة فى غير زمن نبى لم يكن وقوعها دليلا على النبوة، و هذا ليس بصحيح- عندنا- لأن المعجزات تدل على صدق من ظهرت على يده، و ربما كان نبياً و ربما كان إماماً أو ولياً للّه، و ما روى أن الحياة جعلت فى عينيه أولا، ليرى كيف يحيى اللّه الموتى لا يجوز، لأن الرأى هو الإنسان بكماله غير أنه يجوز أن يكون أول ما نفخ فيه الروح عيناه، و تكون الحياة قد وجدت فى جميع الروح، و لم يحصل فى البدن من الروح إلا ما فى العينين دون ما فى البدن.

و قوله: (مِائَةَ عامٍ) معناه مائة سنة، و العام جمعه أعوام، و هو حول يأتى بعد شتوة و صيفة، لأن فيه سبحاً طويلًا بما يمكن من التصرف فيه. و العوم: السباحة. عام فى الماء يعُوم عوماً: إذا سبح. و السّفينة تعوم فى جريها.
و الإبل تعوم فى سيرها، لأنها تسبح فى السير بجريها. و الاعتيام: اصطفاء خيار مال الرجل ليجرى «2» فى أحده له شيئاً بعد شىء كالسابح فى الماء الجارى

---

(1) سورة البقرة آية: 205
(2) فى المطبوعة (لا يجرى)

و اعتام الموت النفوس أولًا أولًا، لأنه يجرى فى أحدها حالًا بعد حال كجرى السابح فى الماء، و أصل الباب السبح.
و قوله: «ثُمَّ بَعَثَهُ» يعنى أحياه. و قوله: «كَمْ لَبِثْتَ» موضع نصب بلبثت، كأنه قيل: أ مائة سنة لبثت أو أقل أو أكثر؟ فقال «لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» لأن اللّه تعالى أماته فى أول النهار و أحياه بعد مائة سنة فى آخر النهار، فقال: «يوما» ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال «أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ». و اللبث المكث، لبث لبثاً فهو لابث و تلبث تلبثاً إذا تمكث و لبثه تلبيثا، و أصل الباب المكث.
و قوله: «فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَ شَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ» معناه لم تغيره السنون.
و قيل: كان زاده عصيراً و تيناً و عنباً، فوجد العصير حلواً، و التين، و العنب كما جناه لم يتغير، أو هو مأخوذ من السنة، و الأصل فيه على قولهم: سانيته مساناة إذا عاملته سنة سنة أن يكون فى الوصل لم يتسن، نحو لم يتعد، و الأصل الواو، بدليل قولهم سنوات فإذا وقف جاء بهاء السكت، و يجوز أن يكون على قولهم: سانهة و سنهات، و اكتريت مسانهة. و الهاء على هذا أصلية مجزومة بلم، و لا يجوز أن يكون من الأسن، لأنه لو كان منه لقيل لم يتأسن. قال الزجاج لا يجوز أن يكون من قوله: «مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» «1» لأن معنى مسنون منصوب على سنة الطريق قال الشاعر:
ليست بسنهاء و لا رُجبيَّة و لكن عرايا فى السنين الجوائح «2»
فجعل الهاء أصلية. و السنهاء: النخلة القديمة، لأنه قد مرت عليها سنون

---

(1) سورة الحجر آية: 26، 28، 33
(2) قائله سويد بن الصامت الانصارى و قيل أحيحة بن الجلاح. اللسان (عرا)، (خور)، (رحب)، (قرح)، (سنه) و أمالى القالى 1: 21. الرجبية- بضم

الراء و تشديد الجيم المفتوحة أو فتحها بغير تشديد-: نسبة شاذة الى رجبة- ضم فسكون-: البناء تحت النخلة الكريمة لدعمها إذا خيف عليها لكثرة حملها. و العرايا جمع عرية و هى التى يوهب ثمرها فى عامها. الجوائح: السنين المجدبة. [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 324
كثيرة. و إنما علم بأنه مات مائة سنة بشيئين:
أحدهما- باخبار من أراه المعجزة فى نفسه و حماره و طعامه، و شرابه من تقطع أوصاله، ثم اتصال بعضها الى بعض حتى رجع الى حاله التى كان عليها فى أول أمره.
و الآخر- بالآيات الدالة على ذلک لما رجع الى وطنه فرأى ولد ولده شيوخاً و قد كان خلف أباهم شابا الى غير ذلک من الأمور التى تغيرت، و الأحوال التى تقلبت مع تظاهر الأخبار عما يسأل عنه أنه كان فى مائة سنة.
و قوله: «وَ لِنَجْعَلَکَ آيَةً لِلنَّاسِ» قيل بعث و أولاده أولاده شيوخ.
و روى عن على (ع) أن عزيراً خرج من أهله و امرأته حامل و له خمسون سنة.
فأماته اللَّه مائة سنة، ثم بعثه فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة و له ابن له مائة سنة، فكان ابنه أكبر منه، و ذلک من آيات اللّه.
و قيل: لتتعظ أنت و يتعظ الناس بک، فيكون الاعتبار عاماً. و دخلت الواو فى الكلام لاتصال اللام بفعل محذوف كأنه قال: و لنجعله آية للناس. فعلنا ذاک، لأن الواو لو سقطت اتصلت اللام بالفعل المتقدم.
و قوله: «وَ انْظُرْ إِلى حِمارِکَ» فالحمار يقال للوحشى و الأهلى لأن الحمرة أغلب على الوحشى ثم صار لكل حمار تشبيهاً بالوحشى، و الحمرة لون أحمر تقول: احمر احمراراً و احمار احميراراً و المحمر: فرس هجين، لأنه كالحمار فى التقصير، و حمارة القيظ: شدّة حرّه، و حمار السرج الذى يركبه السرج و حمر فو الفرس يحمر حمرا إذا أنتن. و الحمارة حجارة عريضة توضع على اللحد لركوب التراب عليها كالحمار و جمعها حمائر. و ما يخفى على الأسود و الأحمر أى العرب و العجم، لأن السواد أغلب على لون العرب كما الحمرة أغلب على العجم. و موت أحمر:
شديد مشبه بحمرة النار فى شدة الإيقاد. و عبث حمر شديد، و أصل الباب الحمرة. و منه الحمرة طائر كالعصفور، لأنه تغلب عليه الحمرة.
و قوله: «وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها» فمن قرأ بالراء غير المعجمة
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 325
ذهب إلى النشور، و هو الحياة بعد الموت. نشر الميت: إذا عاش و نشره اللّه و أنشره:
إذا أحياه. و منه قوله «ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ» «1» و قوله: «ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ» «2» و اِلنشر خلاف الطى. يقال: نشرت الثوب و غيره أنشره نشراً

و انتشر انتشاراً. و النشر إذاعة الحديث و النشر: الرائحة الطيبة، و ربما قيل فى الخبيثة. و النشر نحت «3» العود بالمنشار. و النشر نبات الربيع. و النشر: اكتساء البازى ريشاً واسعاً طويلًا. و النشرة عن المريض الرقية حتى يفيق و التناشر: عرض كتابة الغلمان على المعلّم ينشرونه عليه أى يرونه إياه، و ذلک لبسط الكتاب بين يديه. و أصل الباب الانبساط. و من قرأ بالزاء فمعناه يرفع بعضها إلى بعض و أصل النشوز: الارتفاع فمنه النشز المرتفع من الأرض. و منه نشوز المرأة رفعها عن طاعة زوجها.
و قوله: «ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً» معناه نغطّيها باللحم كما نغطّى باللباس. و إنما قيل ذلک لأجل التفصيل الذى كان عليه، فوصله اللَّه عز و جل حتى صار كجزء.
منه قال الجعدى «4»:
فالحمد للَّه إذ لم يأتنى أجلى حتى اكتسيت من الإسلام سربالا «5»
فجعل الإسلام غطاء للكفر كما يجعل غطاء للمعصية قوله «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ» أى ظهر. «قالَ أَعْلَمُ» فمن قطع الهمزة جعل ذلک أخباراً عن نفسه و من وصلها احتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون ذلک أمراً من اللَّه له. و الثانى- أن يكون تذكيراً للنفس بالواجب و أخرجه مخرج الأمر لها كأنه قال: يا أيها الإنسان. و فى الآية دليل على بطلان قول من قال: المعارف ضرورة، لأنه لما شک أراه اللَّه الآيات التى

---

(1) سورة المؤمنون آية: 14.
(2) سورة عبس آية: 22.
(3) فى المطبوعة (حث).
(4) هو النابغة الجعدى. و قيل: انه للبيد بن ربيعة العامرى. و قيل: لقردة بن نفاثة السلولى.
(5) ديوان النابغة: 86.

استبصر بها و لو كان مضطراً إلى المعرفة باللَّه و ما يجوز عليه و ما لا يجوز لم يحتج إلى دليل يعلم به ما هو مضطر إليه و كان يقال: ان عند الموت لم تحصل له المعارف الضرورية كما يحصل لمن لا يريد اللَّه إعادته إلى التكليف فتكون الاماتة كالنوم.
و المعلوم خلافه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 260] ..... ص : 326

اشارة

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِی کَیْفَ تُحْیِ الْمَوْتی قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلی وَ لکِنْ لِیَطْمَئِنَّ قَلْبِی قالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّیْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَیْکَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلی کُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ یَأْتِینَکَ سَعْیاً وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (260)

آیة واحدة بلا خلاف.

قرأ حمزة وحده «فصرهن» بكسر الصاد. الباقون بضمها.

العامل فى قوله: «و إذ» يحتمل أن يكون أحد شيئين: أحدهما- ما قال الزجاج: و اذكر إذ قال. و الثانى- أ لم تر إذ قال عطفا على «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِى رَبِّهِ».

و قيل فى سبب سؤال إبراهيم أن يريه كيف يحيى الموتى ثلاثة أقوال:
أحدها- قال الحسن، و قتادة، و الضحاک،
و أبو عبد اللَّه الصادق (ع): أنه رأى جيفة قد مزَّقها السباع تأكل منها سباع البرّ و سباع الهواء و دواب البحر فسأل اللَّه (تعالى) أن يريه كيف يحييها
و قال ابن إسحاق كان سبب ذلک منازعة نمرود له فى الأحياء، و توّعده إياه بالقتل إن لم يحيى اللَّه الميت بحيث يشاهده، و لذلک قال التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 327
ليطمئن قلبى إلى أنه لا يقتلنى الجبار، و قال قوم إنما سأل ذلک لقومه، كما سأل موسى الرّؤية، لقومه. و قال قوم: إنما سأله، لأنه أحب أن يعلم ذلک علم عيان بعد أن كان عالماً به من جهة الاستدلال. و هو أقوى الوجوه. و قال قوم: إنما سأل ذلک، لأنه كان شاكاً فيه. و روى فيه رواية، فهذا باطل، لأن الشک فى أن اللَّه قادر على احياء الموتى كفر لا يجوز على الأنبياء، لأنه تعالى لا يجوز أن يبعث إلى خلقه من هو جاهل بما يجوز عليه و ما لا يجوز.
و الذى يبين ذلک أن اللَّه تعالى لما قال له «أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ» فقرر أنه قال إبراهيم «بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى» فبين أنه عارف بذلک مصدق به، و إنما سأل تخفيف المحنة بمقاساة الشبهات، و دفعها عن النفس.
و الالف فى قوله «أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ» ألف إيجاب قال الشاعر:
أ لستم خير من ركب المطايا و أندى العالمين بطون راح «1»
أى قد آمنت لا محالة، فلم تسأل ذا، فقال: «لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى» و قوله (لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى) معناه ليزداد يقيناً إلى يقينه، و هو قول الحسن، و قتادة، و سعيد بن جبير، و الربيع، و مجاهد، و لا يجوز «لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى» بالعلم بعد الشک الذى قد اضطرب به لما بيناه، و لكن يجوز أن يطلب علم البيان بعد علم الاستدلال. و قيل معناه «لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى» بأن لا يقتلنى الجبار.

و يقال: اطمأن يطمئن اطمئناناً: إذا تواطئوا المطمئن من الأرض ما انخفض و تطامن، و اطمأن إليه إذا وثق به، لسكون نفسه إليه، و لتوطى حاله بالأمانة عنده، و أصل الباب التوطئة.
و قوله: (قالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ) قيل أنها الديک، و الطاووس، و الغراب، و الحمام. أمر أن يقطعها و يخلط ريشها بدمها، و يجعل على كل جبل منهن جزءاً،

_____

(1) مر تخرجه 1: 132- 400.

هذا قول مجاهد، و ابن جريج، و ابن زيد، و ابن إسحاق، و الطير معروف يقال:
طار يطير طيراناً و أطاره اطارة و طيره تطييراً، و تطاير تطايراً و طايره مطايرة، و استطار استطارة، فأما تطير تطيراً فمن الطيرة لأنه زجر الطير بما يكره، و تطاير الشىء إذا تفرق فى الهواء، و طائر الإنسان: عمله الذى قلّده من خير أو شر، لأنه كطائر الزجر فى البركة أو الشؤم قال اللّه (تعالى) (وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِى عُنُقِهِ) «1» و المطير ضرب من الوشى لأن عليه تماثيل الطيور. و فجر مستطير أى منتشر فى الأفق كانتشار الطيران. و غبار مستطار، كذا كلام العرب للفرق و فرس مطار و هو الحديد الفؤاد لأنه طيار فى جريه و أصل الباب الطيران.
و قوله (فصرهن) فمن قرأ بضم الصاد احتمل معنيين:
أحدهما- يقطعهن على قول ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و مجاهد.
و قال توبة بن الحمير:
فأدنت لى الأسباب حتى بلغتها بنهضى و قد كان ارتقائى يصورها «2»
أى يقطعها.
و الثانى- أن معناه اضممهن إليک على قول عطا و ابن زيد من صاره يصوره صوراً: إذا أماله. قال المعلى «3» العبدى:
و جاءت خلعة دهس صفايا يصور عنوقها أحوى زنيم «4»
معناه أن هذه الغنم يعطف عنوقها هذا التيس الأحوى، و من قال بالكسر احتمل ذلک أيضاً الوجهين اللذين ذكرناهما فى الضم و قال بعض بنى سليم:

_____

(1) سورة الأسرى آية: 13.
(2) بنهضى أى بنهوضى.

(3) هو المعلى بن جمال العبدى. فى المطبوعة (المعلم) بدل (المعلى).
(4) اللسان: (ظأب) (ظاب) (صور) (دهس) (خلع) (صوع) (عشق) (زنم) و فى بعض الروايات (يصوع) بدل (يصور). الخلعة- بكسر الخاء و ضمها-: خيار المال. و الدهس جمع دهساء و هى من المعزى السوداء المشربة حمرة لا تغلو. الأحوى من المعزى:
التيس الذى تضرب حمرته الى السواد. و الزنيم الذى له زنمتان فى حلقه.

و فرع يصير الجيد و حفٍ كأنه على الليت قنوان الكروم الدّوالح «1»
معناه يميل الجيد. و إذا كان بمعنى قطعهن فإليک من صلة خذ «2». و إذا كان بمعنى أملهن يجوز أن يكون إلى متعلقاً به «3». و يجوز أن يكون متعلقاً بصرهن، و هو الأقوى على قول سيبويه لأنه أقوى كذا قال أبو على الفارسى و إذا كان بمعنى أملهن إليک و قطعهن «ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً». و الصور العطف يقال صاره يصوره صورا إذا عطفه. قال الشاعر:
و ما يقبل الأحياء من حب خندف و لكن أطراف الرياح يصورها
و الصور التقطيع. صاره يصوره. و الصور: ميل لأنه انقطاع إلى الشىء بالميل إليه و منه الصورة لتقطيعها بالتأليف على بعض الأمثلة صور يصور تصويراً و تصوَّر تصورا و الصوار: القطيع من بقر الوحش، لانقطاعه بالانفراد عن غيره.
و الصّور: النخل الصغار، و الصور: قرن ينفخ فيه لاجتماع الصورة به. و يجوز للانقطاع إليه بالدعاء إليه و الصور: جمع صورة. و الصوار. النفحة من المسک و أصل الباب القطع. و قال الفراء: صاره يصيره بمعنى قطعه من المقلوب من صراه يصريه و أنشد:
يقولون ان الشام يقتل أهله فمن لى إذا لم آته بخلود
تعرب آبائى فهلا صراهم من الموت أن لم يذهبوا و جدودى «4»
قال المبرّد لا يجوز ذلک، لأن سيبويه قال: إن كل واحد من اللفظين إذا تصرف فى بابه لم يكن أحدهما أصلا للآخر: نحو جذب يجذب جذباً، فهو جاذب،

---

(1) اللسان: (صير) و معانى القرآن للفراء 1: 174. الفرع: الشعر التام. الوحف:
الأسود الحسن الكثير. الليت: العنق. قنوان جمع قنو- بكسر و سكون- عذق النخل بما فيه من الرطب و استعاره هنا لعناقيد العنب. و الدوالح جمع دالح و هو المنقل بالحمل- هنا- و أصله فى ما يمشى. يقال بعير دالح.
(2) فى المطبوعة (خذ) غير منقطة.
(3) فى المطبوعة (عليه) بدل (به).

(4) فى المطبوعة (فمن ان انه بخلود) و (يعرب) بدل (تعرب) اللسان: (شأم)- ذكر البيت الأول فقط-. و معانى القرآن للفراء 4: 174 تعرب القوم: سكنوا البادية. [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 330
و جبذ يجبذ جبذا فهو جابذ فلذلک لما تصرف صاره يصيره صيراً كما ينصرف صراه يصريه صرياً، لم يكن أحدهما أصلا للآخر، و لكن المقلوب نحو قسى لأن بابه على تأخير السين نحو قوس، و اقواس و قويس.

و قوله «ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً» قال ابن عباس، و الحسن و قتادة: إنها كانت أربعة. و قال ابن جريج، و السدى: كانت سبعة. و قال مجاهد، و الضحاک كل جبل على العموم بحسب الإمكان، كأنه قيل كل فرقة على جبل يمكنک التفرقة عليه.
و روى عن أبى جعفر، و أبى عبد الله (عليهما السلام) «1» أنها كانت عشرة.
و فى رواية أخرى أنها كانت سبعة،
و الفرق بين الجزء و السهم أن السهم من الجملة ما انقسمت عليه، و ليس كذلک الجزء نحو الاثنين و هو سهم من العشرة لأنها تنقسم عليه، و ليس كذلک الثلاثة و هو جزء منها لأنه بعض لها فان قيل:
كيف أجيب ابراهيم إلى آيات الآخرة دون موسى فى قوله «رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْکَ». «2» قيل عنه جوابان:
أحدهما- أنه سأل أية لا يصح معها بقاء التكليف من وقوع الضرورة التى لا يعترضها الشكوک بوجه من الوجوه، و ابراهيم إنما سأل فى شىء خاص يصح معه التكليف.
و القول الآخر- أن الأحوال قد تختلف فيكون الأصلح الأصوب فى بعض الأوقات الاجابة، و فى وقت آخر المنع فيما لم يتقدم فيه إذن. فان قيل: كيف قال:
«ثم ادعهن» و دعاء الجماد قبيح؟ قلنا إنما أراد بذلک الاشارة إليها و الإيماء لتقبل عليه إذا أحياها اللّه. فأما من قال أنه جعل على كل جبل طيراً ثم دعاها فبعيد، لأن ذلک لا يفيد ما طلب، لأنه إنما طلب ما يعلم به كونه قادراً على إحياء الموتى، و ليس فى مجىء طير حى بالإيماء إليه ما يدل عليه. و فى الكلام حذف، فكأنه قال: فقطعهن

---

(1) فى المطبوعة زيادة عنها فى هذا الموضع.
(2) سورة الاعراف آية: 142.

و اجعل على كل جبل منهن جزأ فان اللّه يحييهن، فإذا أحياهن فادعهن يأتينک سعياً، فيكون الإيماء إليها بعد أن صارت أحياء، لأن الإيماء إلى الجماد لا يحسن، فان قيل: إذا أحياها اللّه كفى ذلک فى باب الدلالة، فلا معنى لدعائها، لأن دعاء البهائم قبيح؟ قلنا: وجه الحسن فى ذلک أنه يشير إليها، فسمى ذلک دعاء لتأتى إليه فيتحقق كونها أحياء و يكون ذلک أبهر فى باب الاعجاز. و قال الطبرى معنى الدعاء هاهنا الاخبار عن تكوينها أحياء كما قال

«كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ» «1» و قوله:
«ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ».

و الجبل وتد من أوتاد الأرض معروف. و جبل فلان على كذا أى طبع عليه و أجبل القوم أجبالًا: إذا صاروا فى الجبال و تجبلوا إذا دخلوها، و رجل ذو جبلة إذا كان غليظ الجسم، لأنه كالجبل فى الغلظ. و الجبلة الأمة من الناس و أجبل الحافر: إذا أفضى إلى صلابة لا يمكنه الحفر فيه، و منه أجبل الشاعر إذا صعب عليه القول، و الجزء: بعض. الجزإ جزأته تجزئة إذا بعضته، و الجزء الاجتزاء بالرطب عن الماء جزأت الوحشية جزوءا لاكتفائها بالجزء الذى فى الرطب منه و الجزاء نصاب السكين و أصل الباب الجزء البعض.

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (261)
آية واحدة بلا خلاف.
هذه الآية متصلة بقوله: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» و ما بينهما الاعتراض بالاستدعاء إلى الحق مما أمر اللّه بالحجج و العبر التى ذكرها من احياء

---

(1) سورة البقرة آية: 65.

الموتى لإبراهيم و من حجاجه للذى ادعى أنه رب العباد إلى غير ذلک مما تقدم ذكره مع البيان عنه و قال الربيع و السدى الآية تدل على أن النفقة فى سبيل اللّه بسبعمائة ضعف لقوله «سَبْعَ سَنابِلَ» فأما غيرها فبالحسنة عشرة. و قد بينا فى ما تقدم
أبواب البر كلها من سبيل اللّه فيمكن أن يقال ذلک عام فى جميع ذلک. و الذى ذكرناه مروى عن أبى عبد اللّه (ع)
و اختاره الجبائى: فان قيل هل رئى فى سنبلة مائة حبة حتى يضرب المثل بها؟ قيل عنه ثلاثة أجوبة: أولها- أن ذلک متصور فشبه لذاک و إن لم ير كما قال امرؤ القيس:
و مسنونة زرق كأنياب أغوال
و قال تعالى «طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ» «1» الثانى- أنه قد رئى ذلک فى سنبل الدخن. الثالث- أن السنبلة تنبت مائة حبة فقيل فيها على ذلک المعنى- كما يقال- فى هذه الحبة حب كثير و الاول هو الوجه. و الوعد بالمضاعفة لمن أنفق فى سبيل اللّه- فى قول ابن عباس- و قال الضحاک و لغيرهم من المطيعين. و قوله: «أنبتت» فالنبت الحشيش و كلما ينبت من الأرض يقال فيه نبت نبتاً. و نباتاً. و أنبته اللّه إنباتاً: و نبته تنبيتاً قال (تعالى): «وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً» «2» على تقدير فنبتم نباتاً و انه لحسن النبت. و المنبت الأصل. فلان فى منبت صدق أى فى أصل كريم، لأنه يخرج منه كما يخرج النبات. و النبوت: شجر الخشخاش. و أنبت الغلام: إذا راهق و استبان شعر عانته.
و السنبلة على وزن فنعله لقولهم أسبل الزرع بمعنى سنبل إذا صار فيه السنبل.
و الأصل فيه الاسبال، و هو إرسال الستر و نحوه. فمنه أسبل الزرع، لأنه استرسل بالسنبل كما يسترسل الستر فى الاسبال فيطول، لأنه صار فيه

حب مستور كما يستر بالاسبال. فأما السبيل الطريق، فلأنه يرسل فيه المار به.
و المائة: عدد معروف يجمع على مئات و مئين «3». و يقال أمأت الغنم إذا بلغت مائة. و أمأيتها أنا أى وفيتها مائة. و المأى «4» النميمة بين القوم

---

(1) سورة الصافات آية: 65.
(2) سورة نوح آية: 17.
(3) فى المطبوعة (ميين و ميون).
(4) فى المطبوعة (و الثانى).

مأيت بينهم أمأى إذا دببت بينهم بالشر.
و قوله (واسِعٌ عَلِيمٌ) معناه واسع المقدرة لا يضيق عنه ما شاء من الزيادة «عليم» بمن يستحق الزيادة- على قول ابن زيد- و يحتمل أن يكون المراد «واسع» الرحمة لا يضيق عن مضاعفة «عليم» بما كان من النفقة.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 262] ..... ص : 333

اشارة

اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (262)
آية بلا خلاف.

«الذين» رفع بالابتداء. و «ينفقون» خبره و «أموالهم» نصب لأنه مفعول به.

و الإنفاق إخراج الشىء عن الملک. و قوله «فِی سَبِیلِ اللَّهِ» قال ابن زید: هو الجهاد. و قال الجبائی:
أبواب البرّ کلها، و هو الصحیح عندنا. و المروی عن أبی عبد اللَّه (ع).
و قوله: «ثُمَّ لا یُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا» فالمن هو ذکر ما ینغص المعروف کقول القائل: أحسنت إلی فلان و نعشته و أغنیته و ما أشبه ذلک مما ینغص النعمة و أصل المن: القطع و منه قولهم: حبل منین أی ضعیف، لأنه مقطع و منیته أی قطعته و منه قوله: «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُونٍ» «1» أی غیر مقطوع و سمی ما یکدر النعمة و المعروف بانه منّة لأنه قطع الحق الذی یجب به. و المنة: النعمة العظیمة سمیت بذلک لأنها تجل عن قطع الحق بها لعظمها. و منه قوله:

---

(1) سورة التین آیة: 6.

«یَمُنُّونَ عَلَیْکَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَیَّ إِسْلامَکُمْ بَلِ اللَّهُ یَمُنُّ عَلَیْکُمْ أَنْ هَداکُمْ لِلْإِیمانِ»»
أنعم علیکم. و المنة: القوة فی القلب و المنّ: الذی یقع من السماء، و المن الذی یوزن به، لأنه یقطع علی مقدار مخصوص.
و قوله: «وَ لا أَذیً» فهو نحو قولهم أنت أبداً فقیر، و من أبلانی بک و أراحنی اللَّه منک، و ما أشبه ذلک مما یؤذی قلب المعطی و قوله «لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» و الأجر هو النفع المستحق بالعمل «وَ لا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ» فالخوف یوقع الضرر الذی لا یؤمن وقوعه.
«وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ» فالحزن الغم الذی یغلظ علی النفس. و منه الحزن: الأرض الغلیظة. و قیل فی معناه قولان:
أحدهما- لا خوف علیهم لفوت الأجر. و الثانی- لا خوف علیهم لاهوال الآخرة. و قیل أنه دلیل علی أن الوعد بشرط لأنه مغموم الکلام. لأن تقدیره فی المعنی ان لم یتبعوا ما أنفقوا منا و لا أذی، فلهم من الأجر کذا، و لیس فی الآیة ما یدل علی صحة القول بالإحباط أصلا، لأن الوعد متی کان مشروطاً بأن لا یتبع بالمن و الأذی فمتی اتبع بهما لم یحصل الشرط الذی یوجب استحقاق الثواب فلم یحصل شیء أصلا ثم انحبط، و إنما کان فیه لبس لو ثبت استحقاقهم بنفس الإنفاق فإذا اتبع بالمن انحبط ذلک. و هذا لیس فی الآیة.
و روی عن النبی (ص) أنه قال: المنان: بما یعطی لا یکلمه اللَّه و لا ینظر

إليه و لا يزكيه و له عذاب أليم.
و قال الضحاک لأن يمسک ماله خير له من أن ينفقه ثم يتبعه مناً و أذى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 263] ..... ص : 334

اشارة

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذىً وَ اللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263)
آية بلا خلاف.

_____

(1) سورة الحجرات آية: 17.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 335
القول المعروف معناه ما كان حسناً جميلًا لا وجه فيه من وجوه القبح، و هو أن تقول للسائل قولا معروفاً عليه حسناً من غير صدقة تعطيها إياه. و قال الحسن:
و هو قول حسن لاعتراف العقل به، و تقبله إياه دون إنكاره له. و المغفرة هاهنا قيل فى معناها ثلاثة أقوال.
أولها- ستر الحلة على السائل. الثانى- قال الحسن: المغفرة له بالعفو عن ظلمه. الثالث- قال الجبائى: معناه أى سلامته فى المعصية لأن حالها كحال المغفرة فى الامان من العقوبة.

و قوله. «وَ اللَّهُ غَنِیٌّ حَلِیمٌ» فالغنى هو الحى الذى ليس بمحتاج، و معناه هاهنا غنى عن كل شىء من صدقة و غيرها. و إنما دعاكم إليها لينفعكم بها. و قال الرمانى: الغنى الواسع الملک فاللّه غنى لأنه مالک لجميع الأشياء لأنه قادر عليها لا يتعذر عليه شىء منها. و الغنى ضد الحاجة. تقول: غنى يغنى غنى و أغناه اغتناء و استغنى استغناء و غنى غناء و تغنى تغنياً. و الغناء ممدود: الصوت الحسن.
و يقال فيه أغنية و أغانى و الغنى: الكفاية للغنى به عن غيره. و المغنى المنزل غنى بالدار: إذا أقام بها و منه قوله «كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ» «1» و الغانية: الشابة المتزوجة لغناها بزوجها عن غيره. و هى أيضاً العفيفة لغناها بعفتها. و الغنية الاستغناء: و الحلم: الامهال بتأخير العقوبة للانابة، و لو وقع موقع حليم حميد أو عليم، لما حسن لأنه تعالى لما نهاهم أن يتبعوا الصدقة بالمن، بين أنهم إن خالفوا ذلک فهو غنى عن طاعتهم حليم. فى أن لا يعاجلهم بالعقوبة.

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذى كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ وَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (264)

_____

(1) سورة يونس آية: 24.

التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 336

آية بلا خلاف.

ضرب اللَّه (تعالى) هذه الآية مثلا لعمل المنافق و المنّان جميعاً، فإنهما إذا فعلا فعلًا لغير وجه اللّه أو قرنا الإنفاق بالمن و الأذى، فإنهما لا يستحقان عليه ثواباً. و شبه ذلک بالصفا الذى أزال المطر ما عليه من التراب، فانه لا يقدر أحد على ردّ ذلک التراب عليه فكذلک إذا رفع المنان صدقته و قرن بها المن فقد أوقعها على وجه لا طريق له إلى استدراكه، و تلا فيه لوقوعه على الوجه الذى لا يستحق عليه الثواب فان وجوه الافعال تابعة للحدوث، فإذا فاتت فلا طريق إلى تلافيها و ليس فيها ما يدل على أن الثواب الثابت المستقر يزول بالمن فيما بعد و لا بالرياء الذى يحصل فيما يتجدد فليس فى الآية ما يدل على ما قالوه.
و قوله: «رِئاءَ النَّاسِ» إنما جمع بين همزتين و لم يجمع فى ذوائب جمع ذؤابة، لوقوع الألف فى الجمع بين الهمزتين، فلم يجز ذؤائب «1»، فأما الواحد فاجتمع لخفته و هما أيضاً مفتوحان فهو أخف لها.
و قوله: «كَالَّذِى يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ» يدخل فيه المؤمن و الكافر إذا أخرجا الإنفاق للرياء. و قوله: «وَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» صفة للكافر خاصة «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ» يعنى الحجارة الصلبة «عَلَيْهِ تُرابٌ».

فالتراب و الترب واحد يقال ترب الرجل إذا افتقر، لأنه لصق بالتراب للفقر و منه قوله: «مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ» «2» لأنه قعد على التراب للفقر و أترب الرجل إذا استغنى لأنه كثر ماله حتى صار كالتراب. و الترب الذى ينشأ معک. و قيل فيه

---

(1) فى المطبوعة (فلم يجز ذوائب) و الصحيح ما ذكرنا.
(2) سورة البلد آية: 16.

أقوال: منها للعبهم بالتراب إذ هم صبيان أقران. و منها- لأنهم خرجوا إلى عفر الترب فى وقت من الزمان. و منها- لأنهم على الاشتباه كالتراب. و قوله:
«عُرُباً أَتْراباً» «1» أى أشباه أمثال. و الترائب «2» عظام الصدر واحدها تريبة.
قيل لأنها متشابهة كالأتراب أو كتشابه التراب. و منه قوله: «مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ» «3».
و قوله: «فَأَصابَهُ وابِلٌ» فالوابل: المطر الشديد الوقع، يقال وبلت السماء تبل وبلا: إذا اشتد وقع المطر.
و قوله: «فَأَخَذْناهُ أَخْذاً وَبِيلًا» «4» أى شديداً. و الوبيل: المرعى الوخيم. و الوبال: سوء العاقبة. و الموبل: المغلظ القلب. و الوبيلة: الحزمة من الحطب لأنها مشدودة. و الوبيل: العصا الغليظة. و الوابلة: طرد العضد فى الكتف. و أصل الباب الشدة. و الصفوان واحده صفوانة مثل مرجان و مرجانة و سعدان و سعدانة و قال الكسائى: جمع صفوان صُفِى. و أنكر ذلک المبرَّد و قال: إنما هو صفاء و صفى مثل عصا و عصّى وقفاً و قفى و كذلک ذكران و صفران- بكسر الصاد- و إنما هو جمع صفا نحو خرب و خربان، و ورل و ورلان. و قال معنى صفا و صفوان واحد.
و قوله: «فَتَرَكَهُ صَلْداً» فالصلد: الحجر الأملس الصلب قال الشاعر:
و لست بجلب جلب ريح و قرّة و لا بصفا صلد عن الخير معزل «5»
و قال رؤبة.

---

(1) سورة الواقعة آية: 37.
(2) فى المطبوعة (التربية) ورل: دابة على خلقة الضب الا أنه أعظم منه. و الجمع أورال و ورلان و أرؤل. [.....]
(3) سورة الطارق آية: 7.

(4) سورة المزمل آية: 16.
(5) البيت لتأبط شراً. اللسان (جلب) و روايته (جلب ليل) بدل (جلب ريح) و فى اللسان (عزل) كما هنا. الجلب:- بكسر الجيم أو ضمها مع سكون اللام-: السحاب المعترض تراه كأنه جبل. و يقال هو السحاب الرقيق. و القرة- بكسر القاف- و القر- بضم القاف- البرد الشديد.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 338
لما رأتنى خلق المموه براق أصلاد الجبين الأجله «1»
و الصلد الذى لا ينبت شيئاً من الأرض لأنه كالحجر الصلد، و الصلد: البخيل و صلد الزند صلوداً إذا لم يور ناراً و فرس صلود: إذا أبطأ عرقه. و قدر صلود إذا أبطأ غليها. و أصل الباب ملاسة فى صلابة و يقال صلد يصلد صلداً فهو صلد.
و قوله: «وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكافِرِينَ» معناه أنه لا يهديهم إلى طريق الجنة على وجه الانابة لهم و يحتمل لا يهديهم بمعنى لا يقبل أعمالهم كما يقبل أعمال المهتدين من المؤمنين، لأن أعمالهم لا يقع على وجه بها المدح.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 265] ..... ص : 338

اشارة

وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَ تَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265)
آية.

قرأ عاصم و ابن عامر بربوة- بفتح الراء- الباقون بضمها. و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و نافع (أكلها) بإسكان الكاف الباقون بالتثقيل.

و هذا مثل ضربه اللَّه لمن أنفق ماله ابتغاء مرضاة اللَّه أى طلباً لرضاه. و قوله:
«وَ تَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ» بقوة اليقين و البصيرة فى الدين فى قول ابن زيد، و السدى، و أبى صالح و الشعبى. الثانى- قال الحسن و مجاهد: معناه أنهم يتثبتون أين يضعون صدقاتهم. الثالث- قال أبو على: معناه توطيناً لنفوسهم على الثبوت على طاعة اللَّه و اعترض على قول مجاهد بأنه لم يقل تثبيتاً. و هذا ليس بشىء لأنه لا يجوز أن يقول القائل يثبتوا أنفسهم تثبيتاً إذا كانوا كذلک فهم لا يتثبتون أين يضعون

_____

(1) ديوانه: 165 من قصيدة مر الاستشهاد ببعض أبياتها فى 1: 28- 304.

الصدقات. و قوله: «كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ» إنما خصت بالربوة لأنها إذا كانت بربوة فتثبتها أحسن و ربيعها أكثر كما قال الأعشى:
ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل «1»
فخص بها الحزن لما بيناه.

و الربو: الزيادة يقال ربا الشىء يربو إذْا زاد. و أصابه ربو: إذا أصابه نفس فى جوفه، لزيادة النفس على عادته. و الربوة: العلو من الأرض لزيادته على غيره بارتفاعه. و الربا فى المال: المعاملة على أن يأخذ أكثر مما يعطى للزيادة على ما يفرض يقال ربا المال يربو رباً و أربى صاحبه فهو مرب. و أصل الباب الزيادة. و فى الربوة ثلاث لغات- فتح الراء و ضمها و كسرها-. و فيها أربع لغات أخر رباوة و رباوة و رباوة و ربا. فتلك سبع لغات.

و قال ابن عباس، و الضحاک، و الحسن، و مجاهد، و السدی، و الربیع: الربوة و الرابیة المرتفع من الأرض «فَآتَتْ أُكُلَها» فالفرق بین الاکل و الاکل ان الاکل بالفتح المصدر و الاکل بالضم الطعام الذی یؤکل «ضِعْفَيْنِ» یعنی مثلثین فی قول الزجاج لأن ضعف الشیء مثله زائداً علیه و ضعفاه مثلاه زائدین علیه.
و قال قوم: ضعف الشیء مثلاه. و قوله «فطل» قال الحسن و الضحاک و الربیع و قتادة هو اللین من المطر. و إنما ذکر الطل هاهنا لتشبیه أضعاف النفقة به کثرت أو قلت: إذ کان خیرها لا یختلف علی حال فی قول الحسن و قتادة. و إنما قیل لما مضی «فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ» لأن فیه إضمار (کان) کأنه قیل: فان یکن لم یصبها وابل، فطل. و مثله قد أعتقت عبدین فان لم أعتق اثنین فواحداً بقیمتهما.

---

(1) دیوانه 57 رقم القصیدة 6. الریاض جمع روضة و هی البستان. و الحزن ضد المنخفض من الأرض. و ریاض الحزن أطیب من ریاض المنخفضات لأن الریح تهب علیها فتهیج رائحتها.
مسبل أی منزل للماء.

و المعنی ان أکن لم أعتق قال الشاعر:
إذا ما انتسبنا لم تلدنی لئیمة و لم تجدی من أن تقری بها بدا «1»
کأنه قال: أکن لم تلدنی لئیمة. و الطل المطر الصغار القطر یقال: أطلت السماء فهی مطلة. و روضة طلة ندیة. و الطل: إبطال الذم بأن لا یثار بصاحبه. طل دمه فهو مطلول لأنه بمنزلة ما جاء علیه الطل، و أذهبه کأنه قیل غسله. و الطل و الطلل ما شخص من الدار، لأنه کموضع الندی بالطل لغمارة الناس له خلاف المستوی، و القفر، لأن الخصب حیث تکون الأبنیة. و صار الطلل اسماً لکل شخص. و الاطلال: الاشراف علی الشیء و الطل: الشحم، ما بالناقة طل أی ما بها طرق. و طلة الرجل امرأته. و أصل الباب الطل: المطر.
و قوله: «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» معناه عالم بأفعالکم، فیجازیکم بحسنها و فی ذلک ترغیب و ترهیب.

اشارة

أَ يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَ أَصابَهُ الْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ فَأَصابَها إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (266)

آية واحدة بلا خلاف.

معنى قوله: «أَ يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ» التقدير (على) مثل ضربه اللَّه فى الحسرة بسلب النعمة فقيل هو مثل للمرائى فى النفقة، لأنه ينتفع بها عاجلا و تنقطع عنه آجلا فى أحوج ما يكون إليه. هذا قول السدى و قال مجاهد: هو مثل للمفرط فى طاعة اللَّه بملاذّ الدنيا يحصل فى الآخرة على الحسرة العظمى. و قال ابن عباس: هو مثل للذى يختم عمله بفساد.

---

(1) قائله زائدة بن صعصعة الفقعسى و قد مر فى 1: 289- 352.

و قوله: «أَ يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ» فأتى بمستقبل ثم عطف عليه بماض فى قوله «وَ أَصابَهُ الْكِبَرُ» قال الفراء يجوز ذلک فى يود لأنها تلتقى مرة ب (أن) و مرة ب (لو) فجاز أن يقدر أحداهما مكان الاخرى، لاتفاق المعنى، فكأنه قال أ يود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل و أعناب و أصابه الكبر. قال الرمانى: و عندى أنه قد دل بأن على الاستقبال، و بتضمين الكلام معنى لو على التمنى، كأنه قيل أ يحب ذلک متمنياً له. و التمنى يقع على الماضى و المستقبل أ لا ترى أنه يصح أن يتمنى أن كان له ولد. و يصح أن يتمنى أن يكون له ولد. و المحبة لا تقع إلا على المستقبل، لأنه لا يجوز أن يقال أحب أن كان لى ولد و يجوز أحب أن يكون لى ولد. و الفرق بين المودة و المحبة أن المودة قد تكون بمعنى التمنى نحو قولک: أود لو قدم زيد بمعنى أتمنى لو قدم، و لا يجوز أحب لو قدم. و قوله أن تكون له جنة، فالجنة: البستان الكثيرة الشجر لأن الشجر يجنه بكثرته فيه.
و النخل معروف. و قيل: إنه مأخوذ من نخل المنخل، لاستخلاصه كاستخلاص اللباب بالنخل. و النخل و النخيل جمع نخلة و هى شجرة التمر. و قوله: (كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ) «1» و قوله «كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» «2» فذكر على اللفظ و أنث على المعنى. و النخل نخل الدّقيق نخلته نخلا. و منه المنخل، لأنه آلة النخل و النخالة معروفة و النخل نخل السماء بالثلج أو ما صغر من القطر و الانتخال الاختيار و التنخل «3»: التخير و أصل الباب النخل: الدقيق. و العنب: ثمر الكرم معروف و رجل عانب و عنب. و العناب معروف. و العناب ما تقطعه الخائنه مشبه بالعنب فى التعلق. و رجل عناب: عظيم الانف مشبه بعنقود العنب فى التعلق و العظم. و أصل الباب العنب.
و قوله: «مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» و تحت نقيض فوق و فى الحديث

---

(1) سورة الحاقة آية: 7.
(2) سورة القمر آية: 20.
(3) فى المطبوعة: (التنخر).

«لا تقوم الساعة حتى يظهر التحوت» أى الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يشعر بهم ذلًا.
و الأنهار جمع نهر و هو المجرى الواسع من مجارى الماء قال الشاعر:
ملكت بها كفى فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها «1»
معناه وسّعت فتقها كالنهر.
و قوله: «فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ» فالثمرة: طعام الناس من الشجر. و قوله:

«وَ أصابَهُ الْكِبَرُ» فالاصابة الوقوع على المقصود. و المراد هاهنا: لحقه الكبر، و الكبر حال زائدة على مقدار آخر. و المراد هاهنا: الشيخوخة. و الفرق بين الكبير و الكثير أن الكثير مضمن بعدد و ليس كذلك الكبير نحو دار واحدة كبيرة. و لا يجوز كثيرة. و الذرية: الولد من الناس. و الضعفاء: جمع ضعيف، و الضعف نقصان القوة. و قوله: «فَأصابَها إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ» فالعصر عصر الثوب و نحوه من كل شىء رطب عصرته أعصره عصراً فهو معصور، و عصير. و اعتصرته اعتصاراً، و تعصر تعصراً، و عصّره تعصيراً. و انعصر انعصاراً. و العصر الدهر.
و فى التنزيل «وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِى خُسْرٍ» «2» و العصر العشى. و منه صلاة العصر لأنها تعصر أى تؤخر كما يؤخر الشىء بالتعصر فيه. و العصر النجاة من الحدب و منه قوله تعالى: «فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ وَ فِيهِ يَعْصِرُونَ» «3» لأنه كعصر الثوب فى الخروج من حال إلى حال. و العصر: العطية. و الاعتصار: الالتجاء. و المعتصر:
الملجأ. و الاعصار: غبار يلتف بين السماء و الأرض كالتفاف الثوب فى العصير.
و المعصر فوق الكاعب. و المعصرات السحاب. و منه قوله «وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً» «4» و العصرة: الدينة يقال هو لأموالنا عصرة: أى دينة. و أصل الباب: عصر الثوب. و الإحراق إحراق النار أحرقته بالنار فاحترق احتراقاً و حرّقته تحريقاً و تحرق تحرقاً و الحرق حكّ البعير أحد نابيه بالآخر يكون وعيداً و تهديداً

---

(1) انظر 1: 26، 2: 57.
(2) سورة العصر آية: 1- 2.
(3) سورة يوسف آية: 49.
(4) سورة النبأ آية: 14.

من فحول الإبل، لالتهابه غضبا كالتهاب الإحراق. و الحرق: حك الحديدة بالمبرد حرقت الحديدة أحرقها حرقاً: إذا بردتها للتفريق بالإحراق. و الحرق: قطع عصبة فى الورک لا تلتئم كما لا يرجع ما أحرق، يقال حرق الورک فهو محروق و الحرق:
الثوب يقع فيه الحرق من دق القصار لأنه كالاحراق بالنار فى أنه لا يرجع إلى الحال. و منه ريش حرق لأنه كالمنقطع بالإحراق. و الحرّاق: ما اقتبست به النار للإحراق. و الحرقة ما يجده من حدة لأنه كالاحراق بالنار. و الحرّاقات: سفن يتخذ منها مرامى نيران يرمى بها العدو فى البحر و أصل الباب الإحراق. و الفكر:
جولان القلب بالخواطر يقال: أفكر إفكاراً و فكّر تفكيراً و تفكر تفكراً و

رجل فكير كثير الفكر. و قوله: «فاحترقت» فالاحتراق: افتراق الاجزاء بالنار و البيان: هو الدلالة على ما بيناه- فى ما مضى- و قال الرمانى: البيان اظهار المعنى بما يتميز به من غيره على جهة الصواب. و لا يقال للحن من الكلام بيان و إن فهم به المراد، لأن البيان على الإطلاق ممدوح. و للحن عيب لكن يقال قد أبان عن مراده مجازاً.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 267] ..... ص : 343

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَ مِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (267)
آية.

هذا خطاب للمؤمنين دون سائر الناس و قال الحسن، و علقمة: كل شيء فى القرآن «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» فإنما أنزل بالمدينة و كلما فيه «يا أَيُّهَا النَّاسُ» أنزل بمكة و قوله: «أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ» يدخل فيه الزكاة المفروضة و غيرها من أنواع النفقة. و قال عبيدة السلمانى، و الحسن: هى مختصة بالزكاة.
و قال الجبائى: هى فى المتطوع، لأن الفرض من الصدقة له مقدار من القيمة إن التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 344
قصر كان ديناً عليه إلى أن يؤديه على التمام. فأما إذا كان مال المزكى كله رديأ فجاز له أن يعطى منه و لا يدخل فى ما نهى عنه، لأن تقدير ما جعله اللّه للفقير فى مال الغنى تقدير حصة الشريک، فليس لأحد الشريكين أن يأخذ الجيد و يعطى صاحبه الردى لما فيه من الوكس فإذا استوى فى الرداوة جاز له إعطاء الردى، لأنه حينئذ لم يبخسه حقاً هو له كما يبخسه فى الأول و قوله: «وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ»
روى عن على (ع)، و البراء بن عازب، و الحسن، و قتادة: أنها نزلت لأن بعضهم كان يأتى بالحشف فيدخله فى تمر الصدقة فنزلت فيه الآية.
قال ابن زيد: الخبيث الحرام. و الأول أقوى، لأنه قال: «أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَ مِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» ثم قال: «وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ» يعنى من الذى كسبتم إذ أخرجه اللّه من الأرض. و الحرام و إن كان خبيثاً فليس من ذلک غير أنه يمكن أن يراد به ذلک لأنه لا ينافى السبب.
و روى عن أبى عبد اللّه (ع) أنها نزلت فى أقوام لهم أموال من ربا الجاهلية كانوا يتصدقون منها، فنهى اللّه عن ذلک و أمر بالصدقة من الحلال.
و يقوى الوجه الاول قوله: «وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ» و الإغماض لا يكون فى شىء ردى متسامح فى أخذه دون ما هو حرام. و فى الفقهاء من استدل بهذه الآية على أن الرقبة الكافرة لا تجزى فى الكفارة و ضعفه قوم و قالوا: العتق ليس بإنفاق. و الاولى أن يكون ذلک صحيحاً لأن الإنفاق يقع على كل ما يخرج لوجه اللّه عتقاً كان أو غيره. اللغة و التيمم: التعمد تيممت الشىء تيمماً.
و منه قوله: «فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً» «1» أى تعمدوا، و قال خفاف:
فعمداً على عين تيممت مالكا «2»
و قال آخر:
يممته الرمح شزراً ثم قلت له هذى المروءة لا لعب الزحاليق «3»

---

(1) سورة النساء آية: 42، و سورة المائدة آية: 7. [.....]

(2) اللسان (عمد) و صدره:
ان تک خیلی قد أصیب صمیمها
(3) قائله: عامر بن مالک. و الزحالیف لغة فی الزحالیق واحدها زحلوقة و هی أثر تزلج الصبیان من فوق طین أو رمل.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 345
و الیم: لجة البحر، لأنه یتعمد به البعید من الأرض، و یم الرجل: إذا غرق فی البحر، و یم الساحل إذا طما علیه یم البحر فغلب علیه. و الیمامة، و الیمام: الحمام الطورانیة تتعمد إلی أوکارها بحسن هدایتها. و قال الخلیل: أممته قصدت أمامه و یممته: تعمدته من أی جهة کان. و قال غیره: هما سواء. و الخبیث: الردیء من کل شیء، خبث خبثاً و تخبّث تخبثاً و تخابث تخابثاً و خبثه تخبیثاً. و الخبثة: الریبة، و خبث الفضة ما نقاه الکیر لأنه ینفی الردیء و أصله الرداءة.

و قوله: «وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ» إنما فتحت (أن) فى قول الفراء من أجل (إلا) إذ وقعت عليها. و هى فى موضع خفض فى الأصل عنده (إن) لأن الكلام فى معنى الجزاء و هو إن أغمضتم بعض الإغماض أخذتموه، و مثله «إِلَّا أَنْ يَخافا أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» «1» و أنكر ذلك أبو العباس و قال: (أن) هذه التى بمعنى المصدر مفتوحة على كل حال و ذلك نحو أن تأتينى خير لك. و إنما المعنى و لستم بآخذيه إلا لاغماضكم فيه. و الإغماض فى البيع الحط من الثمن لعيب فيه، أغمض إغماضاً و ذلك لاخفاض بعض الثمن بالحط له. و الغموض: الخفاء.
غمض يغمض غموضاً فهو غامض. و التغميض إطباق الجفن و غمض العين. و الغمض المطمئن من الأرض حتى يغيب من فيه و أصل الباب: الخفاء.

و قيل فى معنى «إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ» قولان قال البراء بن عازب إلا أن تتساهلوا فيه. و قال ابن عباس، و الحسن و قتادة إلا أن تحطّوا من الثمن فيه.
و قال الزجاج: و لستم بآخذيه إلا بوكس فكيف تعطونه فى الصدقة قال الطرماح ابن حكيم:

---

(1) سورة البقرة آية: 229.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 346
لم يفتنا بالوتر قوم و للضيم رجال يرضون بالإغماض «1»
أى بالوكس قوله: «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» هاهنا معناه أنه غنى عن صدقاتكم و إنما دعاكم إليها لنفعكم، فأما «حميد» ففيه ثلاثة أقوال:
أحدها- أنه مستحق للحمد على نعمه. الثانى- موجب للحمد على طاعته.
و الثالث- قال الحسن: معناه مستحمداً إلى خلقه بما يعطون من النعم لعباده أى مبتدع لهم إلى ما يوجب لهم الحمد. و حميد فى هذا الموضع أليق من حليم كما أن حليماً أليق بالآية المتقدمة من حميد، لما بيناه و إنما قلنا ذلك لأنه لما أمرهم بالإنفاق من طيب ما كسبوه بين أنه غنى عن ذلك و أنه يحمدهم على ما يفعلونه إذا فعلوه على ما أمرهم به و معناه أنه يجازيهم عليه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 268] ..... ص : 346

اشارة

الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَ اللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلاً وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (268)
آية واحدة بلا خلاف.

معنى الآية الوعد من الشيطان أنكم متى أخرجتم من أموالكم الصدقة و أديتم الزكاة الواجبة عليكم فى أموالكم افتقرتم. و يأمركم أيضاً بالفحشاء من المعاصى و ترک طاعته. و اللّه (تعالى) يعد بالمغفرة منه و الستر عليكم، و الصفح عن العقوبة «و فضلًا» يعنى و يعدكم أن يخلف عليكم خيراً من صدقتكم و يتفضل عليكم و يسبغ عليكم فى أرزاقكم قال ابن عباس: اثنان من اللّه، و اثنان من الشيطان.
فاللذان من الشيطان الوعد بالفقر و الامر بالفحشاء. و اللذان من اللَّه المغفرة على المعاصى و الفضل فى الرزق.

_____

(1) ديوانه: 86 من قصيدة مجد بها قومه، و قبله:
اننا معشر شمائلنا الصبر إذا الخسوف مال بالاخفاض نصر للذليل فى ندوة الحى مرائيب للثأى المنهاض.
من يرم جمعهم يجدهم مراجيح حماة للعزل الاحراض

و الفقر: الحاجة و هو ضد الغنى يقال: أفقره اللَّه إفقاراً و افتقر افتقاراً و تفاقر تفاقراً، لأن الفقر بمنزلة كسر الفقار فى تعذر المراد. و الفقار: عظام منتظمة فى النخاع تسمى خرز الظهر واحدها فقرة. و الإفقار: إعارة الدابة لتركب ثم ترد. و الإفقار: دنو الصيد. و الفاقرة الداهية، لأنها تكسر الفقار. و منه قوله:
«تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ» «1» و أصل الباب الفقار: خرز الظهر. و تقول وعدته الخير، و وعدته بالخير و الأصل فيه تعديته بغير حرف الاضافة إلا أنه كثر استعماله فى التعدى بحرف الاضافة حتى صار أصلا فيه لكثرته. و أمرته بالخير أكثر فى الكلام و إنما يجوز أمرته الخير فى الشعر و قوله: (وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ) حكى البلخى أنه بغير واو فى مصاحف أهل الشام و لم يقرأ به أحد فان صح فهو دلالة على نقصان الحروف من كثير من القرآن على ما اختلفوا فيه. و الفرق بين الوعد و الوعيد أن الوعيد فى الشر خاصة، و الوعد بالتقييد للخير و الشر معاً غير أنه إذا أطلق لم يكن إلا فى الخير، و كذلك إذا أبهم التقييد كقولك وعدته بأشياء لأنه بمنزلة المطلق. و حدّ الوعد: هو الخبر بفعل الخير فى المطلق. و الوعيد: هو الخبر بفعل الشر. و الأمر هو قول القائل لمن هو دونه: إفعل، مع إرادة المأمور به، فان انضم إليه الزجر عن الإخلال به كان مقتضياً للإيجاب. و قال ابن مسعود للشيطان لمة و للملك لمة.
و مثله
روى عن أبى عبد اللَّه (ع) فلمة الشيطان وعده بالفقر و أمره بالفاحشة و لمة الملك أمره بالإنفاق و نهيه عن المعاصى.
و قال أبو مسلم و الازهرى الفحشاء البخل و الفاحش البخيل قال طرفة:
عقيلة مال الفاحش المتشدد «2»

---

(1) سورة القيامة آية: 25.
(2) هو طرفة بن العبد البكرى. معلقته، و اللسان: (فحش) و صدره:
أرى الموت يعتام الكرام و يصطفى

و قال الحسين بن على المغربى و الذى يقوى قوله ما أنشده أبو حيرة الراحل من طى:
قد أخذ المجد كما أرادا ليس بفحاش يضن الزادا
و قال الرمانى: و اللَّه ما قالاه بعيد. و الفحشاء المعاصى فى أغلب الاستعمال و معنى البيت الذى أنشداه أن الفاحش هو سىء الرد بسؤاله و

ضيفانه و ذلک من البخل لا محالة قال کعب:
أخی ما أخی لا فاحش عند بيته و لا برم عند اللقاء هبوب «1»
فتلخيص معنی الآية أن الشيطان يحملکم علی أن تؤدوا فی الصدقة ردیء المال يخوفکم الفقر بإعطاء الجيد- و الفَقر و الفُقر لغتان- و يعدکم الفقر: معناه بالفقر فحذف الباء و عدَّی الفعل فنصب قال:
أمرتک الخير فافعل ما أمرت به فقد ترکتک ذا مال و ذا نشب
و قوله: «وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ» معناه واسع يعطی من سعة مقدوراته «عليم» حيث يضع ذلک و يعلم الغيب و الشهادة.

اشارة

يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ (269)
آية.

قرأ يعقوب (و من يؤت)- بكسر التاء- الباقون بالفتح قيل فى معنى الحكمة فى الآية وجوه قال ابن عباس و ابن مسعود: هو علم القرآن ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه و مقدمه و مؤخره و حلاله و حرامه و أمثاله. و قال ابن

---

(1) هكذا فى المطبوعة. و فى أمالى القالى 2: 146: و لا ورع عند اللقاء هبوب و فى مجمع البيان: عند اللقاب هبوب.

زيد: هو علم الدين. و قال السدى: هو النبوة. و قال مجاهد الاصابة. و قال ابراهيم النخعى: الفهم. و قال الربيع: الخشية. و قال قوم: هو العلم الذى تعظم منفعته و تحل فائدته و هو جميع ما قالوه. و قال قتادة: و الضحاک، و فى رواية عن مجاهد:

هو القرآن، و الفقه. و هو المروى عن أبى عبد اللَّه (ع)

و إنما قيل للعلم: حكمة لأنه يمتنع به من القبيح لما فيه من الدعاء إلى الحسن، و الزجر عن القبيح. و قال الجبائى: هو ما آتاه اللَّه أنبياءه و أممهم من كتبه و آياته و دلالاته التى يدلهم بها على معرفتهم به و بدينه و ذلک تفضل منه يؤتيه من يشاء. و قوله: «وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ» و كل مكلف ذو لب لأنه إنما يطلق عليهم هذه الصفة لما فيها من المدحة فلذلک عقد التذكر بهم و هم الذين يستعملون ما توجبه عقولهم من طاعة اللَّه فى كل ما أمر به و دعا إليه و «يؤت» جزم ب (من) و الجواب «فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً» و من قرأ يؤت بكسر التاء على ما روى عن يعقوب ذهب إلى أن معناه و من يؤته الحكمة، و إنما حذف الهاء فى الصلة و يكون (من) على هذا المعنى «الذى» لا معنى الجزاء.

وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ (270)
آية بلَا خلاف.
(ما) فى قوله و ما أنفقتم بمعنى الذى و ما بعده صلتها و العائد إليها الهاء فى قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ» لأنها لا يجوز أن تعود على النفقة، لأنها مؤنثة، و لا على النفقة و النذر، لأن ذلک يوجب التثنية. و المراد بالإنفاق هاهنا ما يخرجه فى طاعة اللَّه: واجباتها و مندوباتها.
و قوله: «أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ» فالنذر هو عقد الشىء على النفس فعل شىء من البرّ بشرط، و لا ينعقد ذلک إلا بقوله للَّه علىّ كذا، و لا يثبت بغير هذا اللفظ. و أصل النذر الخوف لأنه يعقد ذلک على نفسه خوف التقصير فى الأمر و منه التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 350
نذر الدم: العقد على سفكه للخوف من مضرة صاحبه قال الشاعر:
هم ينذرون دمى و أنذر إن لقيت بأن أشدا
و منه الانذار: الاعلام بموقع العدو، للخوف منه ليتقى يقال: نذرت النذر أنذره نذراً و جمعه نذور و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ» معناه يجازى عليه لأنه عالم به، فدل بذكر العلم على تحقيق الجزاء إيجازاً للكلام و قوله «وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ» وعيد للظالمين و هم الفاعلون لضرر يستحق عليه الذم. و المراد بالظالمين هاهنا الذين كانوا إنفاقهم على غير الوجه المأذون لهم فيه من رباً أو ضرار أو شقاق أو من مال مغصوب أو مأخوذ من غير وجهه. و سمى ذلک ظلماً، لأنه وضع فيه فى غير موضعه، و الأنصار جمع نصير مثل شريف و أشراف، و باب فعيل يجمع على فعلاء مثل عليم و علماء و كريم و كرماء، و قد ورد فيه فعال مثل نصير و نصار.
و النصير: هو المعين على العدو، فعلى هذا لا تدل الآية على أنه لا شفاعة لمرتكبى الكبائر لأن أحداً لا يقول أن لهم معيناً على عدوهم بل إنما نقول لهم من يسأل فى بابهم على وجه التضرع و لا يسمى ذلک نصر على حال.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 271] ..... ص : 350

اشارة

إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (271)
آية واحدة بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائى و خلف فنعما- بفتح النون و كسر العين- و قرأ ابن كثير، و ورش، و يعقوب، و حفص، و الأعشى و البرجمى- بكسر النون و العين- و قرأ أهل المدينة- إلا ورشاً- و أبو عمر، و أبو بكر- إلا الأعشى- و البرجمى- بكسر النون و سكون العين- و كذلك فى النساء فى قوله: «نِعِمَّا يَعِظُكُمْ التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 351
بِهِ»
و قرأ ابن عامر و حفص «و يكفر» بالياء و الرفع. و قرأ أهل المدينة، و حمزة و الكسائى و خلف عن أبى بكر بالنون و الجزم. الباقون بالنون و الرفع.

قال أبو على الفارسى: المعنى فى قوله «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِىَ» إن فى نعم ضمير الفاعل و «ما» فى موضع نصب و هى تفسير الفاعل المضمر قبل الذكر و التقدير نعم شيئاً أبدءوها. فالابداء هو المخصوص بالمدح إلا أن المضاف حذف و أقيم المضاف إليه الذى هو ضمير الصدقات مقامه، فالمخصوص بالمدح هو الإبداء بالصدقات لأن الصدقات تدل على ذلک قوله: «وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» أى الإخفاء خير لكم. فكما أن هو ضمير الإخفاء و ليس بالصدقات كذلک ينبغى أن يكون ضمير الإبداء مراداً و إنما كان الإخفاء- و اللَّه أعلم- خيراً لأنه أبعد من أن يشوب الصدقة مراءاة للناس و تصنع لهم فيخلص للَّه (تعالى) و لم يكن المسلمون إذ ذاک ممن يسبق إليهم ظنه فى منع واجب. و الفرق بين الصدقة و الزكاة أن الزكاة لا تكون إلا فرضاً و الصدقات قد تكون فرضاً، و قد تكون نفلا. و اختلفوا فى الصدقة التى إخفاؤها أفضل. فقال ابن عباس، و سفيان، و اختاره الجبائى: انها صدقة التطوع، لأنها أبعد من الرياء فأما الصدقة الواجبة فإظهارها عندهم أفضل لأنه أبعد من التهمة. و قال يزيد بن أبى حبيب: الصدقات على أهل الكتاب إظهارها أولى، و هى على المسلمين إخفاؤها أفضل.

و قال الحسن، و قتادة: الإخفاء فى كل صدقة من زكاة و غيرها أفضل، و هو الأقوى لأنه عموم الآية و عليه تدل أخبارنا

و قد روى عن أبى عبد اللَّه (ع) أن الإخفاء فى النوافل أفضل.

و قال أبو القاسم الإبداء خير. و المفسرون على خلافه.

و الإخفاء: هو الستر تقول أخفيت الشىء أخفيه إخفاء: إذا سترته: و الخفى الاظهار خفيته أخفيه خفياً إذا أظهرته لأنه إظهار يخفى قال الشاعر:
فان تدفنوا الداء لا تخفه و أن تبعثوا الحرب لا نقعد «1»
و الخفاء: الغطاء و الخوافى من ريش الطائر ما دون القوادم لأنها يخفى بها و الخفية عريش الأسد لأنه يختفى فيها تقول: اختفى اختفاء و خفى تخفية و تخفّى تخفياً و استخفى استخفاء و أصل الباب الستر. و الإبداء و الاظهار و الإعلان نظائر و الإخفاء و الاسرار و الإغماض نظائر. تقول بدا الشىء يبدو: إذا ظهر، و أبديته:
إذا أظهرته.

و ضعف النحويون بأجمعهم قراءة أبى عمرو، و قالوا لا يجوز إسكان العين مع الإدغام و إنما هو إخفاء يظن السامع أنه إسكان. و إنما لم يجز الإسكان مع الإدغام لأنه جمع بين ساكنين فى غير حروف المد و اللين فى نحو دابة و غير ذلک. و قد أنشد سيبويه فى الجمع بين ساكنين مثل اجتماعهما فى نعما قول الشاعر:

كأنها بعد كلال الزاجر و مسحه مر عقاب كاسر «2»

و أنكره أصحابه. و من رفع يكفر عطفه على موضع (ما) بعد الفاء و من جزم فعلى موضع الفاء. و مثل الاول قوله: (مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ وَ يَذَرُهُمْ) و نظير الثانى «فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ» فمن اختار الجزم فلانه أبين فى الاتصال بالجزاء و من رفع فلانه أشكل بما دخلت له الفاء إذ كانت إنما دخلت لاستقبال الكلام بعدها و إن كان فى معنى الجواب. و من قرأ بالياء فمعناه «و يكفر الله» و قوله:

---

(1) قاله امرؤ القيس بن عابس الكندى. ديوان امر القيس: 343، و اللسان (خفا) و روايته (فان تكتموا السر لا نخفه).

(2) اللسان (كسر) فى المطبوعة (كأنه) بدل (كأنها) و (مر) ساقطة. و أنشده سيبويه: و مسح مر عقاب كاسر.

«مِنْ سَيِّئاتِكُمْ» دخلت من للتبعيض لأنه إنما يكفّر بالطاعة- غير التوبة- الصغائر. هذا على مذهب من يقول بالصغائر و الإحباط. فأما على مذهبنا فإنما كان كذلک لأن إسقاط العقاب كله تفضل، فله أن يتفضل بإسقاط بعضه دون بعض فلو لم يدخل من لافادته يسقط جميع العقاب. و قال قوم من زائدة و الذى ذكرناه أولى لأنه لا حاجة بنا إلى الحكم بزيادتها مع إمكان حملها على فائدة «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» معناه أنه تعالى بما تعملونه فى صدقاتكم من إخفائها و إعلانها عالم خبير به لا يخفى عليه شىء من ذلک فيجازى على جميعه بحسبه.

و روى عن النبى (ص) أنه قال لابن العاص «نعما بالمال الصالح للرجل الصالح»

فاختار أبو عبيد لأجل هذه الرواية قراءة أبى عمرو و قال الزجاج هذه رواية غير مضبوطة و لا يجوز عند البصريين ذلک لأن فيه جمعا بين ساكنين من غير حرف مد و لين و فى نعم ثلاث لغات نعم و نعم و نعما.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 272] ..... ص : 353

اشارة

لَيْسَ عَلَيْکَ هُداهُمْ وَ لکِنَّ اللَّهَ يَهْدِی مَنْ يَشاءُ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِکُمْ وَ ما تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْکُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ (272)
آية واحدة.

قيل فى وجه اتصال هذه الآية بما قبلها قولان: أحدهما- ما قاله ابن عباس و سعيد بن جبير و قتادة ليس عليک هداهم بمنع المشركين الأقرباء من الصدقة ليدخلوا فى الإسلام فعلى هذا معناه الاباحة. الثانى- قال الحسن، و أبو على الجبائى، و الزجاج: «لَيْسَ عَلَيْکَ هُداهُمْ» بالحمل على النفقة فى وجوه البرّ فعلى هذا معناه التسلية و التقدير ليس عليک أن تهدى الناس إلى نيل الثواب، و الجنة و إنما عليک أن تهديهم إلى الايمان بأن تدلهم عليه لأنه (عليه السلام) كان يغتم إذا لم يؤمنوا التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 354

و لم يقبلوا منه لعلمه بما يصيرون إليه من العقاب فسلّاه اللَّه بهذا القول. و إنه لا ينبغى ترک مواساة ذوى القربى من أهل الشرک ليدخلوا فى الإسلام فيكون ذلک مبيحاً للصدقة المندوبة عليهم. و قال ابن عباس، و ابن الحنفية، و سعيد بن جبير:

نزلت هذه الآية لأنهم كانوا يتقون الصدقة على المشركين حتى نزلت «لَيْسَ عَلَيْکَ هُداهُمْ» و قوله. «وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ» إنما علق الهداية بالمشيئة لمن كان فى المعلوم أنه يصلح باللطف و ليس كل أحد يصلح به فلذلک جاء الاختصاص بالمشيئة. و قال أبو على الجبائى: الهداية فى الآية هو إلى طريق الجنة و ذلک يختص بالمؤمنين المستحقين للثواب و الأول اختيار البلخى و ابن الأخشاد و الزجاج و أكثر أهل العلم.

و قوله: (وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَ ما تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ) معناه فلهذا يجب ألا تمنوا بالصدقة و الإنفاق: إذ كان لأنفسكم من حيث هو ذخر لكم و لابتغاء وجه اللَّه الذى هو يوَّفر به الجزاء لكم فهو من كل وجه عائد عليكم و ليس كتمليک اللَّه لعباده إذ نفعه راجع عليهم كيف تصرفت الحال بهم، فلذلک افترق ذكر العطية منه (تعالى)، و العطية من غيره. و معنى قوله «إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ» إلا ابتغاء رضوان اللَّه. و استدل بذلک على حسن باطن المعنيين بالآية.

و انهم كانوا ينفقونه لوجه اللّه خالصاً. و قيل معناه و ما تنفقون إلا ابتغاء وجه اللَّه، فكيف يضيع سعيكم و إنفاقكم. و قيل فى ذكر الوجه قولان:

أحدهما- لتحقيق الاضافة إليه، لأن ذكره يزيل الإبهام انه له أو لغيره، لأنک إذا اختصصت ذكر الوجه و معناه التبيين، دل على أنک أردت الاختصاص و إزالة الإبهام، و رفع الاشتراک و حققت الاضافة.

و الثانى- لأشرف الذكرين فى الصفة لأنه إذا قلت: فعلته لوجه زيد فهو أشرف فى الذكر من فعلته [لزيد]. لأن وجه الشىء فى الأصل أشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف الذكر فى الصفة فقط من غير تحقيق

وجه ألا ترى أنک تقول:
وجه هذا الأمر کذا و هذا أوجه الرأی و هذا أوجه الدلیل فلا تريد تحقيق
الوجه التبيان فی تفسير القرآن، ج2، ص: 355
و إنما يريد أشرف ما فيه من أجل شدة ظهوره و شدة بيانه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 273] ..... ص : 355

اشارة

لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ لا یَسْتَطِیعُونَ ضَرْباً فِی الْأَرْضِ یَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِیاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِیماهُمْ لا یَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِیمٌ (273)
آیة واحدة.
قرأ حمزة و عاصم و ابن عامر «یحسبهم)- بفتح السین- الباقون بکسرها.
قال مجاهد، و السدی: الفقراء مذکورون فی الآیة هم فقراء المهاجرین.
و قال أبو جعفر (ع) نزلت فی أصحاب الصَّفة.
و العامل فی الفقراء محذوف و تقدیره النفقة للفقراء و قد تقدم ما یدل علیه. و قال بعضهم هو مردود علی اللام الاولی فی قوله:
(وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ فَلِأَنْفُسِکُمْ» قال الرمانی هذا لا یجوز لأن بدل الشیء من غیره لا یکون إلا و المعنی یشتمل علیه. و لیس کذلک ذکر النفس هاهنا، لأن الإنفاق لها من حیث هو عائد علیها، و للفقراء من حیث هو. و اصل إلیهم و لیس من باب «وَ لِلَّهِ عَلَی النَّاسِ حِجُّ الْبَیْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَیْهِ سَبِیلًا» لأن الأمر لازم للمستطیع خاصة و لا یجوز أن یکون العامل فیه «تنفقوا» لأنه لا یفصل بین العامل و المعمول فیه بما لیس منه کما لا یجوز کانت الحمی تأخذ.

و قوله: «الَّذِينَ أُحْصِرُوا» فالاحصار منع النفس عن التصرف لمرض أو حاجة أو مخافة و الحصر هو منع الغير و ليس كالأول، لأنه منع النفس. و قال قتادة و ابن زيد: منعوا أنفسهم من التصرف فى التجارة للمعاش خوف العدو من الكفار.
و قال السدى: منعهم الكفار و الخوف منهم، و لو كان الأمر على ما ذكر لكان التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 356
حصروا لأن الذى يمنعه العدو محصور و الذى يمنع نفسه محصر، و يحسبهم- بفتح السين و كسرها- لغتان و معناه يظنهم و لا يعرف حالهم «أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) و قوله: (لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِى الْأَرْضِ» ليس معناه أنهم لا يقدرون و إنما معناه أنهم ألزموا أنفسهم أمر الجهاد فمَنعهم ذلک من التصرف كقولک: أمرنى الوالى أن أقيم، فما أقدر أن أبرح معناه ألزمت نفسى طاعته لا أنى لا أقدر عليه.
و تقول ضربت فى الأرض ضرباً و مضرباً إذا سرت فيها و ضرب الجرح إذا آلم ضرباناً و ضرباً، و ضرب الفحل الناقة: إذا طرقها ضرباً و الضريب. الجليد تقول:
ضربت الأرض و جلدت. رواه الكسائى. و قوله: «تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ» فالسيما العلامة.

و قال مجاهد: معناه هاهنا التخشع. و قال السدى، و الربيع: علامة الفقر و أصل سيما الارتفاع لأنها علامة رفعت للظهور. و منه السؤم فى البيع: و هو الزيادة فى مقدار الثمن، للارتفاع فيه عن الحد. و منه سوم الخسف للتوقع فيه بتحميل ما يشق. و منه سوم الماشية إرسالها فى المرعى. و قوله: «لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً» لا يدل على أنهم كانوا يسألون غير إلحاف- فى قول الفراء، و الزجاج، و البلخى، و الجبائى- و إنما هو كقولك ما رأيت مثله. و أنت لم ترد أن له مثلًا ما رأيته و إنما تريد أنه ليس له مثل فيرى. و قال الزجاج معناه لم يكن سؤال، فيكون إلحاح كما قال امرؤ القيس:

على لا حب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود النباطى جرجرا «1»

و المعنى لا منار به فيهتدى بها، و إنما وجهوه على ذلك، لأن فى الكلام

---

(1) ديوانه: 89. اللاحب: الطريق الواضح. و المنار: العلامة توضع لإرشاد المسافرين. سافه: شمه. العود: الجمل المسن الضخم. جرجر: رغا و ضج. و قد مر صدره فى 1: 189- 289- 444. فى المطبوعة و آمالى المرتضى 1: 228 الدبافى بدل (النباطى)

دليلًا عليه، لأنه (تعالى) وصفهم بالتعفف و المعرفة بسيماهم دون الإفصاح بسؤالهم لأنهم لو أفصحوا به لم يحسبهم الجاهل أغنياء، لأنه إنما يجهل ما ينال بالاستدلال و إنما جاز هذا الاختصاص بالذكر لأن المعنى نفى صفة الذم عنهم. و قوله: «إلحافاً» قال الزجاج هو مأخوذ من اللحاف لاشتماله على وجوه الطلب فى المسألة كاشتمال اللحاف فى التغطية و قال غيره: لأنه يلزم لزوم اللحاف فى غير وقته. و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة فى الاستطاعة، لأنه تعالى إذا عذر من لا يستطيع للمخافة كان من لا يستطيع لعدم القدرة أعذر. و قوله «وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» معناه يجازيكم عليه كما قال «و ما تنفقوا من خير يعلمه اللَه».

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (274)
آية.
ذكر ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى على بن أبى طالب (ع) كانت معه أربعة دراهم فأنفقها على هذه الصفة بالليل و النهار. و فى السر و العلانية. و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع)
و روى عن أبى ذر (ره) و الأوزاعى إنها نزلت فى النفقة على الخيل فى سبيل اللّه. و قيل هى فى كل من أنفق ماله فى طاعة اللّه على هذه الصفة و إذا قلنا أنها نزلت فى على (ع) فحكمها سار فى كل من فعل مثل فعله.
و له فضل الاختصاص بالسبق إلى ذلک. و نزول الآية من جهته. و قيل فى قسمة الأموال فى الإنفاق على الليل و النهار و الاسرار و الإعلان أفضل من الإنفاق على غير ذلک الوجه قولان: قال ابن عباس: إن هذا كان يعمل به حتى نزل فرض الزكاة فى براءة. و الثانى- ان الأفضل موافقة هذه الصفة التى وصفها اللّه. و هو الأقوى لأنه الظاهر، و قال الرمانى، و من تابعه من المعتزلة لا يجب هذا الوعد التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 358
إذا ارتكب صاحبها الكبيرة من الجرم كما لا يجب إن ارتد عن الايمان إلى الكفر و إنما يجب لمن أخلصها مما يفسق بها و هذا عندنا ليس بصحيح، لأن القول بالإحباط باطل و مفارقة الكبيرة بعد فعل الطاعة لا تحبط ثواب الطاعة بحال. و إنما يستحق بمعصيته العقاب و للّه فيه المشيئة، فأما الارتداد فعندنا أن المؤمن على الحقيقة لا يجوز أن يقع منه كفر، و متى وقع ممن كان على ظاهر الايمان ارتداد علمنا أن ما كان يظهره لم يكن إيماناً على الحقيقة، و إنما قلنا ذلک لأنه لو كان إيماناً لكان مستحقاً به الثواب الدائم فإذا ارتد فيما بعد استحق بارتداده عقاباً دائماً فيجتمع له استحقاق الثواب الدائم و العقاب الدائم و ذلک خلاف الإجماع و قوله: «الذين» رفع بالابتداء و ما بعده صلة له و خبره «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» و إنما دخل الفاء فى خبر الذين لأن فيها معنى الجزاء، لأنه يدل على أن الأجر من أجل الإنفاق فى طاعة اللّه. و لا يجوز أن يقال زيد فله درهم لأنه ليس فيه معنى الجزاء و إنما رفع «وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» و نصب «لا رَيْبَ فِيهِ» لأجل تكرير (لا) فى جواب إذا قال الشاعر:
و ما صرمتک حتى قلت معلنة لا ناقة لىَ فى هذا و لا جمل
فأما «لا رَيْبَ فِيهِ»، فجواب (هل) من ريب فيه، فقيل لا ريب فيه على عموم النفى كما أن السؤال على استغراق الجنس بمن فالاعتماد فى أحدهما على عموم النفى و فى الآخر على اشتمال النفى على شيئين قد

توهم إثبات أحدهما. و الإنفاق إخراج ما كان من المال عن الملک و لهذا لا يصح فى صفة اللّه (تعالى) الإنفاق:
و هو موصوف بالإعطاء لعباده ما شاء من نعمه لأن الإعطاء إيصال الشىء إلى الآخذ له و السر: إخفاء الشىء فى النفس فأما اخفاؤه فى خباء، فليس بسر فى الحقيقة، و منه السّرار و المسّارة لأن كل واحد منهما يخفى الشىء عن غيره إلا عن صاحبه، و العلانية، نقيض السر و هو إظهار الشىء و إبرازه من النفس.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 359

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 275] ..... ص : 359

اشارة

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهى فَلَهُ ما سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَ مَنْ عادَ فَأُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (275)
آية.

أصل الربا: الزيادة من قولهم ربا الشىء يربو ربواً إذا زاد. و الربا: هو الزيادة على رأس المال. فى نسيئة أو مماثلة و ذلک کالزيادة على مقدار الدين للزيادة فى الأجل أو کاعطاء درهم بدرهمين أو دينار بدينارين،
و المنصوص عن النبى (ص) تحريم التفاضل فى ستة أشياء الذهب، و الفضة، و الحنطة، و الشعير، و التمر، و الملح. و قيل: الزبيب: فقال النبى (ص) فيها مثلًا بمثل يداً بيد من زاد أو استزاد، فقد أربى.
هذه الستة أشياء لا خلاف فى حصول الربا فيها، و باقى الأشياء عند الفقهاء مقيس عليها. و فيها خلاف بينهم، و عندنا أن الربا فى کل ما يکال أو يوزن إذا کان الجنس واحداً، منصوص عليه. و الربا محرم متوعد عليه کبيرة بلا خلاف، بهذه الآية، و بقوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِىَ مِنَ الرِّبا إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» «1» و قوله: «لا يَقُومُونَ إِلَّا کَما يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ» قال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و مجاهد، و قتادة: إن قيامهم على هذه الصفة يکون

---

(1) سورة البقرة آية: 78- 79.

يوم القيامة: إذا قاموا من قبورهم، و يکون ذلک إمارة لأهل الموقف على أنهم أکلة الربا. و قوله: «يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ» مثل عند أبى على الجبائى لا حقيقة على وجه التشبيه بحال من تغلب عليه المرة السوداء، فتضعف نفسه و يلح الشيطان بإغوائه عليه فيقع عند تلک الحال و يحصل به الصرع من فعل اللّه. و نسب إلى الشيطان مجازاً لما کان عند وسوسته. و کان أبو الهذيل و ابن الأخشاد يجيزان أن يکون الصرع من فعل الشيطان فى بعض الناس دون بعض قالا. لأن الظاهر من القرآن يشهد به، و ليس فى العقل ما يمنع منه و قال الجبائى: لا يجوز ذلک، لأن الشيطان خلق ضعيف لم يقدره اللّه على کيد البشر بالقتل و التخبيط و لو قوى على ذلک لقتل المؤمنين الصالحين و الداعين إلى الخير، لأنهم أعداؤه، و من أشد الأشياء عليه. و فى ذلک نظر و أصل الخبط: الضرب على غير استواء، خبطته أخبطه خبطاً. و الخبط ضرب البعير الأرض بيديه و التخبط المس بالجنون أو التخبيل، لأنه کالضرب على غير استواء فى الادهاش. و الخبطة البقية من طعام أو ماء أو غيره لأنه کالصبة من الدلو و هى الخبطة به، و الخبط: ورق تعلفه الإبل.
و الخباط: داء کالجنون، لأنه اضطراب فى العقل کالاضطراب فى الضرب.
و الخبطة کالزکمة، لأنها تضرب بالانحدار على اضطراب. و الخِباط سمة فى

الفخذ لأنها تضرب فيه على اضطراب و معنى قوله: «ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالَوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا» إن المشركين قالوا: الزيادة على رأس المال بعد مصيره على جهة الدين كالزيادة عليه فى ابتداء البيع و ذلک خطأ، لأن أحدهما محرم و الآخر مباح، و هو أيضاً منفصل منه فى العقد، لأن الزيادة فى أحدهما لتأخير الدين و فى الآخر لأجل البيع. و الفرق بين البيع و الربا: أن البيع ببدل لأن الثمن فيه بدل المثمن. و الربا ليس كذلک و إنما هو زيادة من غير بدل للتأخير فى الأجل أو زيادة فى الجنس «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا» و قوله: «فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهى فَلَهُ ما سَلَفَ» قال أبو جعفر من أدرک الإسلام و تاب مما كان عمله فى الجاهلية، وضع اللَّه عنه ما سلف. و قال السدى: له ما أكل، و ليس عليه ردّ ما سلف، فأما ما لم التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 361
يقبض بعد، فلا يجوز له أخذه. و له رأس المال. و قال الطبرى: الموعظة التذكير و التخويف الذى ذكره اللَّه و خوفهم به من آى القرآن و أوعدهم عليه إذا أكلوا الربا من أنواع العقاب. و قوله: «وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ» معناه بعد مجىء الموعظة و التحريم، و بعد انتهاء أكله إلى اللَّه (تعالى) عصمته، و توفيقه إن شاء عصمه عن أكله و ثبته فى انتهائه عنه، و إن شاء خذله. و يحتمل أن يكون أراد، فله ما سلف يعنى من الربا المأخوذ دون العقاب الذى استحقه.

و قوله: «وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ» معناه فى جواز العفو عنه إن لم يتب و كل شيء قدمته امامک فهو سلف. و السلوف التقدم يقال: سلف يسلف سلوفاً و منه الأمم السالفة أى الماضية. و السالفة أعلى العنق. و الاسلاف الإعطاء قبل الاستحقاق تقول أسلفت المال إسلافاً، و سلافة الخمر: صفوها لأنه أول ما يخرج من عصيرها و السلفة: جلد رقيق يجعل بطانة للخفاف. و سلف الرجل: المتزوج باخت امرأته و السلفة ما تدخره المرأة لتتحف به زائراً، و أصل الباب التقدم. و قوله: «وَ مَنْ عادَ» فالعود هو الرجوع تقول عاد يعود عوداً إذا رجع. و عيادة المريض: المصير إليه لتعرف خبره. و العود: من عيدان الشجر، لأنه يعود إذا قطع و منه العود الذى يتبخر به.
و العود: المسن من الإبل. و المعاد كل شيء إليه المصير. فالآخرة معاد الناس أى مرجع. و قوله: «لَرادُّکَ إِلى مَعادٍ» «1» يعنى مكة بأن يفتحها عليه.
و الاعادة: فعل الشيء ثانية و هو المبدئ المعيد. و العادة تكرر الشيء مرة بعد مرة. و تعود الخير عادة. و العيد كل يوم مجمع عظيم، لأنه يعود فى السنة أو فى الأسبوع. و العائدة الصلة لأنها تعود بنفع على صاحبها و أصل الباب الرجوع.

---

(1) سورة القصص آية: 85.

تقول: عاد عوداً و اعتاد اعتياداً و استعاد استعادة و عوّد تعويداً، و تعود تعوداً، و عاود معاودة.

و معنى الآية و من عاد لأكل الربا بعد التحريم. و قال ما كان يقوله قبل مجىء الموعظة من أن البيع مثل الربا «فَأُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» لأن ذلک لا يصدر إلا من كافر، لأن مستحل الربا كافر بالإجماع فلذلک توعده بعذاب الأبد. و الخلود و الوعيد فى الآية يتوجه إلى من أربى، و إن لم يأكله و إنما ذكر اللّه الذين يأكلون الربا لأنها نزلت فى قوم كانوا يأكلونه، فوصفهم بصفتهم و حكمها سائر فى جميع من أربى. و الآية الأخرى التى ذكرناها و تبين معناها فيما بعد تبين ما قلناه و عليه أيضاً الإجماع و قيل فى علة تحريم الربا أن فيه تعطيل المعايش و الاجلاب و المتاجر إذا وجد المربى من يعطيه دراهم و فضلا بدراهم.
و قال أبو عبد اللّه (ع) إنما شدد فى تحريم الربا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف فرضاً أو رفداً
و أما ذكر الموعظة هاهنا و أنها فى قوله: «قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» لامرين:
أحدهما- أن كل تأنيب ليس بحقيقى جاز فيه التذكير و التأنيث فجاء القرآن بالوجهين معاً. و الثانى- أنه ذكر هاهنا لوقوع الفصل بين الفعل و الفاعل بالضمير و أنث فى الموضع الذى لم يفصل. و الربا محرم فى النقد و النسيئة بلا خلاف و كان بعض من تقدم يقول لا ربا إلا فى النسيئة و الذى كان يربيه أهل الجاهلية أن يؤخروا الدين عن محله إلى محل آخر بزيادة فيه و هذا حرام بلا خلاف. و مسائل البيع الصحيح منها و الفاسد و فروعها بيناها فى النهاية و المبسوط و كذلک مسائل الصرف فلا نطول بذكرها فى هذا الكتاب.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 276] ..... ص : 362

اشارة

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَ يُرْبِي الصَّدَقاتِ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276)
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 363
آية واحدة

المحق: نقصان الشىء حالا بعد حال. محقه اللّه يمحقه محقاً، فانمحق و امتحق أى هلک و تلف بذهابه حالا بعد حال. و المحاق آخر الشهر لا محاق الهلال فيه.
و الشىء محيق بمعنى ممحوق و أصل الباب المحق فان قيل بأى شىء «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَ يُرْبِى الصَّدَقاتِ؟» قلنا: يمحقه بأن ينقصه حالا بعد حال.
و قال البلخى محقه فى الدنيا بسقوط عدالته و الحكم بفسقه و تسميته بالفسق.

و قوله «وَ يُرْبِى الصَّدَقاتِ» معناه يزيدها بما يثمر المال فى نفسه و بالأجر عليه و ذلک بحسب الانتفاع بها و حسن النية فيها و وجه زيادته على المستحق بالعمل تفصل بالوعد به
و قد روى عن النبى (ص) أن اللّه يقبل الصدقة، و لا يقبل منها إلا الطيب و يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم مهره أو فصيله حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد،
و ذلک قوله: «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَ يُرْبِى الصَّدَقاتِ» و قوله: «وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ» إنما لم يقل كل كافر مع دخول الكفار فى الكافر لأن كل كفار كافر و ليس كل كافر كفار للدلالة على أن مستحل الربا فى قوله «إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا» مع أنه كافر كفار، و يجوز للدلالة على صفات الذم إذ قد يتوهم أن الكفار من استكثر من كفر نعمة إنسان لا يبلغ به استحقاق العقاب و يجوز أن يكون من باب الاختصاص لعظم المنزلة فى الأمر الذى تعلق به الذكر «و الأثيم» هو المتمادى فى الإثم. و الآثم: الفاعل للاثم و إنما قال لا يحبه و لم يقل يبغضه لأنه إذا لم يحب المكلف فهو يبغضه فقولک لا يحبه اللّه من صفات الذم كما أن قولک لم ينصف فى المعاملة من صفات الذم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 277] ..... ص : 364

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (277)
آية واحدة.

إن قيل: إذا كان الثواب يستحق بخلوص الايمان فلم يشرط غيره من الخصال؟
قلنا: لم يذكر ذلک ليكون شرطاً فى استحقاق الثواب على الايمان و إنما بين أن كل خصلة من هذه الخصال يستحق به الثواب و نظير ذلک ما ذكره فى آية الوعيد فى قوله: «وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِکَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً» «1» فإنما بين أن كل خصلة من هذه الخصال يستحق بها العقاب لأن من المعلوم أن من دعا مع اللَّه إلهاً آخر لا يحتاج إلى شرط عمل آخر استحق العقاب و إن كان الوعيد إنما يتوجه عليه بمجموع تلک الخصال لكان فيه تسهيل لكل واحد منها و ليس التقييد فى آيتى الوعيد يجرى مجرى قوله: «وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً» «2» من قبل أن هذا معلق بحكم يجب بوجوبه و يرتفع بارتفاعه بإجماع و ليس كذلک ذكر هذه الخصال.
و هذه الآية تدل على أن أفعال الجوارح ليست من الايمان و إن الايمان هو التصديق بما وجب لأنها لو كانت من الايمان، لكان قوله «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» قد اشتمل عليها فلا معنى لذكرها بواو العطف إذ لا يعطف الشىء على نفسه. فان قيل ذلک يجرى مجرى قوله: «الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» «3» و قوله:

---

(1) سورة الفرقان آية: 68.
(2) سورة النور آية: 4. [.....]
(3) سورة محمد آية: 1، و سورة النحل آية: 88.

(الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا» «1» قلنا و الخلاف فى هاتين كالخلاف فى تلک لأنا لا نقول إن التكذيب بالآيات هو الكفر نفسه و إنما نقول هو دلالة على الكفر و كذلک الصد عن سبيل اللَّه كما نقول: إن قول النبى (ص) فلان كافر يدل على كفره. و إن لم يكن ذلک كفراً و قال قوم: من المرجئة إن الوعد بهذه الخصال يدل على بطلان التحابط، لأنه تعالى ضمن الثواب بنفس فعل هذه الخصال، و لم يشرط ألا يأتى بما يحبطها فان قيل لا بد أن يكون ذلک مشروطاً كما أن الوعيد على الكفر لا بد أن يكون مشروطاً بارتفاع التوبة منه، لأن كل واحد من الأمرين إنما يستحق بخلوه مما ينافيه و إذا اتبع بكبيرة لم يخلص كما لم يخلص ما اتبع بتوبة.

قلنا: إنما شرطنا الوعيد على الكفر بعدم التوبة لمكان الإجماع، لا لأن التوبة تسقط العقاب على الكفر، و إنما وعد اللّه (تعالى) تفضلا بإسقاط العقاب على المعاصى بالتوبة منها، و ليس مثل ذلک موجوداً فى آية الوعد لأنه ليس على شرط انتفاء الكبيرة إجماع، و العمل هو التغيير للشىء بالاحداث له أو فيه فإذا قيل:
عمل فلان الصالحات كان معناه أحدثها و إذا قيل: عمل الموازين و الخوض و السروج و الصفر و غير ذلک، كان المراد أنه أحدث فيها ما تتغير به صورتها.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 278] ..... ص : 365

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِىَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278)
آية واحدة.

ذكر السدى و ابن جريج و عكرمة أن هذه الآية نزلت فى بقية من الربا كانت للعباس و مسعود و عبد يأليل و حبيب و ربيعة. و بنى عمرو بن عمير و
روى عن أبى جعفر (ع) أن الوليد بن المغيره كان يربى فى الجاهلية و كان بقى له بقايا على

---

(1) سورة البقرة آية: 39، و سورة المائدة آية: 11، 89 و سورة الحج آية: 57 و سورة الحديد آية: 19، و سورة التغابن آية: 10.

ثقيف فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم فنزلت هذه الآية فى المنع من ذلک.

و معنى «ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا» ظاهره تحريم ما بقى ديناً من الربا و إيجاب أخذ رأس المال دون الزيادة على جهة الربا. و قوله: «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» قيل فيه قولان: أحدهما- من كان مؤمناً فهذا حكمه. و الثانى- إذ كنتم مؤمنين. و الأول هو الأقوى.

و معنى «ذروا» اتركوا. و لم يستعمل منه وذر، و لا واذر لكراهية الواو مبتدأة لأنها لم تزد أولًا فى كلامهم كزيادة أختيها الياء و الهمزة. قال الخليل: إذا التقت واوان فى أول الكلمة أشبه بنباح الكلب فرفضوا ذلک إلا فيما هو عارض لا يعتد به فاستعملوا يذر، لأنه لا تظهر فيه الواو، و مثله يدع. فأما وعد فجاء على الأصل. فان قيل: لم جاز وصف المبهم بالوصول، و لم يحسن بالمضاف فجاز أن يقول: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» و لم يحسن (يا أيها غلام زيد) قلنا: لأن المبهم حقه أن يوصف بالجنس المعرَّف بالألف و اللام، لأنه إذا عرض فيه تنكير بطلت دلالته على الجنس، فاحتيج إلى وصفه بالجنس لذلک. فان قيل: هلا جاز (يا أيها غلام الرجل) كما جاز (نعم غلام الرجل) إذ المضاف إلى الجنس يقوم مقام الجنس. قيل: لأنه لا يجوز فى الأسماء التامة أن تكون ثلاثة أسماء بمنزلة اسم واحد منها. و قد جعل (يا أيها الرجل) بمنزلة اسمين ضم أحدهما إلى الآخر نحو (حضرموت) ليكون بذلک أشد اتصالًا بالموصوف من سائر الصفات، فلم يجز فى المضاف لما يجب له من شدة الاتصال و جاز فى نعم، لأنه على الانفصال.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 279] ..... ص : 367

اشارة

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ (279)
آية.

قرأ (فآذنوا) من الرباعى ممدودة حمزة و عاصم: من آذنت أى أعلمت.
الباقون (فأذنوا).

و التقدير فى قوله: «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا» يعنى ترک ما بقى من الربا أو تجنب ما بقى من الربا، لأن ما تقدم دلّ عليه. و قال ابن عباس، و قتادة، و الربيع: من عامل بالربا استتابه الامام فان تاب، و إلا قتله. و قال البلخى: لو اجتمع أهل قرية على اظهار المعاملة بالربا، لكان على الامام محاربتهم، و إن كانوا محرمين له، و لو فعل الواحد بعد الواحد، و الأكثر منكر لفعله لم يقتل الواحد، لكن يقام عليه من الحكم ما يستحقه. و عندنا أنه يؤدبه الامام ثلاث مرات بما يرتدع معه عن فعل مثله فان عاد رابعاً قتله.

و معنى قوله:«فاذنوا» ممدوداً: علموا غيركم. و من قرأ بالقصر فهو من أذنت به آذن اذناً إذا علمت به. و قوله: «بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ» فالحرب: القتال.
و الحرب: الشدة. و الحربة: التى يطعن بها من آلة الحرب. و التحريب: التحريش.
لأنه حمل على ما هو كالحرب من الأذى. و المحراب: مقام الامام، لأنه كموضع الحرب فى شدة التحفظ. و الحربا: المسمار الذى يجمع حلقتى الدرع. و الحرباء: دويبة التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 368
أكبر من العظاءة، لأنه ينتصب على الشجرة كمصلوب أخذ من الحرب لشدة طلبه للشمس تدور معها كيفما دارت. و أصل الباب الشدة. و معنى قوله: (وَ إِنْ تُبْتُمْ) يعنى من الربا لأن الكلام يدل عليه، فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون بأخذ الزيادة على رأس المال و لا تظلمون بالنقصان. و روى فى الشواذ «لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ» و المعنى واحد و إنما فيه تقديم و تأخير و موضع (لا تظلمون) نصب على الحال. و تقديره فلكم رؤس أموالكم غير ظالمين و لا مظلومين.

وَ إِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (280)

معنى قوله: وَ إِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ أى من غرمائكم إن كان معسراً. و ارتفع ذو عسرة لأحد وجهين:

أحدهما- حذف الخبر، و تقديره و إن كان ذو عسرة غريماً لكم. الثانى- أن تكون كان التامة المكتفية باسمها و تقديره و إن وقع ذو عسرة أو وجد ذو عسرة و كان يجوز و إن كان ذا عسرة على تقدير و إن كان الذى عليه الدين ذا عسرة.

و روى ذلک فى قراءة أبى. و قوله: (فنظرة) معناه فعليكم نظرة، و هل الانظار واجب فى كل دين أو فى دين الربا فقط. قيل فيه ثلاثة أقوال:

أولها- قال شريح، و إبراهيم فى دين الربا خاصة. و الثانى- قال ابن عباس، و الضحاک، و الحسن:

فى كل دين. و هو قول أبى جعفر، و أبى عبد اللَّه (ع).

الثالث- بالآية يجب فى دين الربا و بالقياس فى كل دين، و استدل على أنه يجب فى كل دين بأنه لا يخلو أن يجب فى ذمته أو فى رقبته أو عين ماله، فلو كان فى رقبته لكان إذا مات بطل وجوبه، و لو كان فى عين ما له كان إذا هلک بطل وجوبه فصح أنه فى ذمته، و لا سبيل له عليه فى غير ذلک من حبس أو نحوه.

و قرأ نافع (ميسرة)- بضم السين- الباقون بفتحها، و هما لغتان: التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 369

و معناه إلى أن يوسع عليه.

و قال أبو جعفر (ع) إلى أن يبلغ خبره الامام فيقضى عنه من سهم الغارمين إذا كان أنفقه فى معروف.

و قوله: (وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ) معناه على المعسر بما عليه من الدين خير لكم. و قيل إن معناه و إن تصدقوا بجميع المال على الفقراء. و الاول أليق بما تقدم. و روى عن ابن عباس، و عمر أن آخر ما نزل من القرآن آى الربا.

و روى عن مجاهد (ميسره) بالهاء فى الوصل مضافاً إلى الهاء. و لم يجز ذلک البصريون لأنه ليس فى الكلام مفعله. و الإعسار الذى يجب فيه الانظار قال الجبائى: التعذر بالإعدام أو بكساد المتاع و نحوه.

و روى عن أبى عبد اللَّه (ع) هو إذا لم يقدر على ما يفضل عن قوته و قوة عياله على الاقتصاد.

و روى عن عطا (فناظرة) و هو شاذ، و هو مصدر نحو قوله: «لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ» «1» «و تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ» «2» و كذلک العاقبة و العافية.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 281] ..... ص : 369

اشارة

وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (281)
آية واحدة.

قرأ أبو عمرو، وحده (ترجعون) بفتح التاء الباقون بضمها. قال ابن عباس و عطية و السدى: هذه الآية آخر ما نزلت من القرآن. و قال جبريل (ع) ضعها فى رأس الثمانين و المائتين من البقرة.

و قيل فى معنى ترجعون فيه إلى اللَّه قولان:
أحدهما- ترجعون فيه إلى جزاء اللَّه. الثانى- ترجعون فيه إلى ملک اللَّه

---

(1) سورة الواقعة آية: 2.
(2) سورة القيامة آية: 25.

لنفعكم و ضركم دون غيره ممن كان ملكه إياه فى دار الدنيا. و قوله (ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ) قيل فيه وجهان: أحدهما- توفى جزاء ما كسبت من الاعمال.
الثانى- توفى بما كسبت من الثواب أو العقاب، لأن الكسب على وجهين: كسب العبد لفعله و كسبه لما ليس من فعله ككسبه المال و قوله: (وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ) معناه لا ينقصون ما يستحقونه من الثواب و لا يزداد عليهم فيما يستحقونه من العقاب و الآية تدل على أن الجزاء لا يكون إلا على الكسب لأنه لو كان خاصاً لجرى مجرى توفى كل نفس ما قالت و ليس مفهومه كذلک لأنه عام فيما يجازى به العبد و موضع «ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ» نصب بانه عطف على صفة يوماً إلا أنه حذف منه فيه لدلالة الأول عليه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 282] ..... ص : 370

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَ لا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَ لْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى وَ لا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا وَ لا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلى أَجَلِهِ ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ وَ أَدْنى أَلاَّ تَرْتابُوا إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوها وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ وَ لا شَهِيدٌ وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282)

التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 371

آية واحدة.

قرأ حمزة وحده (ان تضل إحداهما) بكسر الالف. الباقون بفتحها. و قرأ ابن كثير، و أبو عمرو (فتذكر) بالتخفيف و النصب. و قرأ حمزة بالتشديد، و الرفع. و قرأ (تجارة حاضرة) بالنصب عاصم. الباقون بالرفع.

قوله: «إِذا تَدايَنْتُمْ» معناه تعاملتم بدين. و إنما قال: «بدين» و إن كان تداينتم أفاده لأمرين:
أحدهما- أنه على وجه التأكيد كما تقول ضربته ضرباً. و الثانى- أن تداينتم يكون بمعنى تجازيتم من الدين الذى هو الجزاء فإذا قال: بدين اختص بالدين خاصة «إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى» معناه معلوم و قوله: «فَاكْتُبُوهُ» ظاهره الأمر بالكتابة. و اختلفوا فى مقتضاه، فقال أبو سعيد الخدرى، و الشعبى، و الحسن:
هو مندوب إليه. و قال الربيع، و كعب: هو على الفرض. و الاول أصح، لإجماع أهل عصرنا على ذلک. و لقوله تعالى «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ» و مفهومه فان أمنه فيما له أن يأمنه. و قال ابن عباس: هذه الآية فى السَّلم خاصة. و قال غيره: حكمها فى كل دين من سلم أو تأخير ثمن فى بيع. و هو الأقوى لآية العموم. فأما القرض فلا مدخل له فيه لأنه لا يجوز مؤجلا و قوله: (وَ لا يَأْبَ التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 372
كاتِبٌ)
ظاهره النهى عن الامتناع من الكتابة، و النهى يقتضى تحريم الامتناع.
و قال عامر الشعبى هو فرض على الكفاية كالجهاد، و هو اختيار الرمانى، و الجبائى و جوز الجبائى أن يأخذ الكاتب و الشاهد الأجرة على ذلک. و عندنا لا يجوز ذلک. و الورق الذى يكتب فيه على صاحب الدين دون من عليه الدين. و يكون الكتاب فى يده لأنه له. و قال السدى واجب على الكاتب فى حال فراغه. و قال مجاهد و عطا هو واجب إذا أمر. و قال الضحاک نسختها قوله: «وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ وَ لا شَهِيدٌ».
و قوله: (أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ) يعنى الكاتب «وَ لْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ» أمر لمن عليه الحق بالاملال و هو و الإملاء بمعنى تقول أمليت عليه و أمللت عليه بمعنى واحد. و قوله: (وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) معناه لا يملل إلا الحق الذى عليه و الإملال المراد به الندب لأنه لو أملأ غيره و أشهد هو كان جائزاً بلا خلاف.
و قوله: (وَ لا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً) أى لا ينقص منه شيئاً و البخس النقص ظلماً. و قد بخسه حقه يبخسه بخساً إذا نقصه ظلماً و منه قوله تعالى «وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ» أى لا تنقصوهم ظالمين لهم و منه قوله (وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) أى ناقص عن حقه و البخس فقأ العين لأنه إدخال نقص على صاحبها و تباخس القوم فى البيع إذا تعاتبوا و قوله: (فَإِنْ كانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً) قال مجاهد السفيه: الجاهل.

و قال السدى الصغير و أصل السفه الخفة و من ذلک قول الشاعر:
مشين كما اهتزت رماح تسفهت أعاليها مرّ الرياح النواسم «1»
أى استخفتها الرياح و قال الشاعر:
نخاف أن يسفه أحلامنا فنحمل الدهر مع الخامل
أى تخف أحلامنا فالسفيه الجاهل، لأنه خفيف العقل بنقصه. و قوله: «أَوْ ضَعِيفاً» قال مجاهد و الشعبى: هو الأحمق. و قال الطبرى: هو العاجز عن الاملاء بالعى أو بالخرس «أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ» قال ابن عباس: هو العى الأخرس. و قيل: المجنون. و الهاء فى قوله «وليه» عائدة إلى السفيه- فى قول

---

(1) اللسان (سفه).

الضحاک، و ابن زيد- الذى يقوم مقامه. و قال الربيع: ترجع إلى ولى الحق. و الاول أقوى. و إذا أشهد الولى على نفسه فلا يلزمه المال فى ذمته بل يلزم ذلک فى مال المولى عليه. و قوله: «وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ» يعنى من رجال الأحرار المسلمين دون الكفار و العبيد- فى قول مجاهد- و الحرية ليست عندنا شرطاً فى قبول الشهادة و إنما الإسلام شرط من العدالة. و به قال شريح و البتى، و أبو ثور، و مثله قوله: (وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَ إِمائِكُمْ) «1» و قوله: «فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ» يحتمل رفعه أربعة أوجه:
أحدها- فليكن رجل و امرأتان. الثانى- فليشهد رجل و امرأتان.
الثالث- فالشاهد رجل و امرأتان. الرابع- فرجل و امرأتان يشهدون و كل ذلک حسن. و كان يجوز أن ينصب رجلا و امرأتين بمعنى و استشهدوا رجلا و امرأتين.
و قوله: «أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى» يحتمل وجهين:
أحدهما- قال الربيع و السدى و الضحاک و أكثر المفسرين إنه من الذكر الذى هو ضد النسيان. و قال سفيان بن عيينة: هو من الذكر. و معناه أن تجعلها كذكر من الرجال. و معنى أن تضل لأن تضل أو من أجل أن. فان قيل لم قال «أَنْ تَضِلَّ» و إنما الاشهاد، للاذكار لا للضلال قيل عنه جوابان:
أحدهما- قال سيبويه أنه لما كان الضلال سبب الاذكار قدّم لذلک و جاز لتعلق كل واحد منهما بالآخر فى حكم واحد فصار بمنزلة ما وقع الاشهاد للمرأتين من أجل الضلال، كما وقع من أجل الاذكار و كثيراً فى السبب و المسبب أن يحمل كل واحد منهما على الآخر، و مثله أعددت الخشبة أن تميل الحائط فأدعمه و إنما أعددته فى الحقيقة للدعم و لكن حمل عليه الميل لأنه سببه.
الثانى- قال الفراء إنه بمعنى الجزاء على أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت

إلا أنه لما قدّمت (أن) اتصلت بما قبلها من العامل فانفتحت. و مثله يعجبنى أن سأل السائل فيعطى. و إنما يعجبک الإعطاء دون المسألة. و مثله قوله:

---

(1) سورة النور آية: 32.

«وَ لَوْ لا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنا» «1» و معناه و لو لا أن يقولوا أن أصابهم مصيبة، و إنما قدّم و أخر. قال الرمانى قول سيبويه فى هذا أقوى لما فى الثانى من الدعوى لإخراج الجزاء إلى المصدر لغير فائدة.

و أنكر بعضهم قراءة حمزة «إن تضل»- بكسر الهمزة- و قال الرمانى: لا معنى لهذا الإنكار، لأن عليها إجماع الأمة و تسليم القراءة بها و لها وجه صحيح فى العربية. و قال أبو على الفارسى إن حمزة جعل إن للجزاء، و الفاء فى قوله «فتذكر» جواب الجزاء، و يكون موضع جوابه رفعاً بكونها وصفاً للمنكرين و هما المرأتان فى الآى و قوله: (فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ) خبر ابتداء محذوف، و تقديره فمن يشهد رجل و امرأتان، و انفتحت اللام فى هذه القراءة لالتقاء الساكنين، و موضعهما الجزم و لو كسرت، لكان جائزاً و قال قوم: غلط سفيان بن عيينة فى تأويله، لأن إحداهما إذا نسيت لم تجعلها الأخرى ذكراً و هذا ليس بشىء، لأن المعنى تذكرها تصير معها بمنزلة الذكر لأن بعدهما من النسيان إذا اجتمعا بمنزلة بعد الذكر، فان قيل: فلم قال «فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى» فكرر لفظ إحداهما، و لو قال فتذكرها الأخرى لقام مقامه مع اختصاره. قيل قال الحسين بن على المغربى: إن تضل إحداهما يعنى إحدى الشهادتين أى تضيع بالنسيان فتذكر أحدى المرأتين الأخرى، لئلا يتكرر لفظ إحداهما بلا معنى و يؤيد ذلک أنه يسمى ناسى الشهادة ضالًا. و يجوز أن يقال: ضلت الشهادة إذا ضاعت كما قال تعالى: «قالُوا ضَلُّوا عَنَّا» «2» أى ضاعوا منا و يحتمل أن يكون إنما كرر لئلا يفصل بين الفعل و الفاعل بالمفعول فإن ذلک مكروه غير جيد، فعلى هذا يكون إحداهما الفاعلة و الاخرى مفعولًا بها. و قوله: (وَ لا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا) قيل فى معنى ما دعوا إليه ثلاثة أقوال:

أحدها- لاثبات الشهادة فى الكتاب و تحملها ذهب إليه ابن عباس، و قتادة،

---

(1) سورة القصص آية: 47.

(2) سورة الاعراف آية: 36، و سورة المؤمن آية: 73.

و الربيع. الثانى- قال مجاهد، و عامر، و عطا ذلک إذا دعوا لإقامتها. الثالث- فى رواية عن ابن عباس، و الحسن، و أبى عبد اللَّه (ع) لإقامتها و إثباتها.

و هو أعم فائدة. و قال الطبرى: لا يجوز إلا إذا دعوا لإقامتها، لأن قبل أن يشهدوا لا يوصفون بأنهم شهداء. و هذا باطل لأنه تعالى قال: «وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ» فسماهما شاهدين قبل إقامة الشهادة.

و قوله: (وَ لا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلى أَجَلِهِ) فالسأم: الملل، سئم يسأم سأماً إذا مل من الشىء و ضجر منه قال زهير:
سئمت تكاليف الحياة و من يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم «1»
و الصغير: خلاف الكبير صغر الشىء يصغر صغراً، و صغره تصغيراً و استصغره استصغاراً و تصاغر تصاغراً. و صغر يصغر صغراً و صغاراً: إذا رضى بالضيم، لأنه رضى باستصغاره. و تصاغرت إليه نفسه ذلًا و مهانة. و الاصغار حنين الناقة الحفيض و الإكبار حنينها الكبير. و الهاء فى قوله: «أجله» يحتمل أن تكون عائدة إلى أجل الدين. و هو الأقوى. و الثانى إلى أجل الشاهد. أى الوقت الذى تجوز فيه الشهادة. و قوله: «ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ» معناه أعدل و القسط: العدل تقول: أقسط إقساطاً، فهو مقسط إذا عدل و منه قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» و القسط: الحصة تقول أخذ فلان قسطه أى حصته. و قد تقسطوا الشىء بينهم أى اقتسموه على القسط أى على العدل. و كل مقدار قسط لأنه عدل غيره بالمساواة له. و القسوط: الجور لأنه عدول عن الحق قسط يقسط قسطاً، فهو قاسط إذا جاز عن الحق. و قوله تعالى: أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً» «2» و الرجل القسطاء: التى فى ساقها اعوجاج لعدوله عن الاستقامة.

---

(1) من معلقته الشهيرة: ديوانه 9.
(2) سورة الجن آية: 15.

و قوله: «وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ» معناه أصح لها مأخوذ من الاستقامة. و قوله: «وَ أَدْنى أَلَّا تَرْتابُوا» أى أقرب ألا تشكوا بأن ينكر من عليه الحق. و قيل: بالا ترتابوا بالشاهد أن يضل، و قوله: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً» فمن رفع احتمل رفعه أمرين:
أحدهما- أن تكون (كان) تامة بمعنى وقع، فيكون اسم كان، و يحتمل أن تكون ناقصة و يكون اسمها و الخبر تديرونها. و من نصب معناه أن تكون التبايع تجارة أو التجارة تجارة. و قوله: «وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ» قال الضحاک:
الاشهاد: فرض فى التبايع و به قال أصحاب الطاهر و اختاره الطبرى. و قال الحسن، و الشعبى ذو ندب. و هو الصحيح و به قال جميع الفقهاء. و قوله «وَ لا يُضَارَّ» أصله يضار- بكسر الراء- عند الحسن، و قتادة، و عطا، و ابن زيد، و قيل:
المضارة و هو أن يشهد الشاهد بما لم يستشهد فيه، و يكتب الكاتب بما لم يمل عليه.
ذهب إليه الحسن، و طاوس، و هو الأقوى. بدلالة قوله «وَ إِنْ تَفْعَلُوا» يعنى المضارة «فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ» أى معصية فى قول ابن عباس، و مجاهد، و الضحاک. و من دعا الشاهد و هو مشغول، فتأخر لا يكون فاسقاً بلا خلاف. و قال ابن مسعود، و مجاهد- بفتح الراء- و معناه لا يدعى الكاتب، و الشاهد، و هو مشغول على وجه الإضرار به. و معنى قوله: «صَغِيراً أَوْ كَبِيراً» معناه هو فى العادة صغير جرت العادة بكتب مثله، و لا يريد بذلک ما قدره حبة أو قيراط، لأن ذلک لم تجر العادة بكتب مثله، و الاشهاد عليه و ليس فى الآية ما يدل على أنه لا يجوز الحكم بالشاهد و اليمين، لأن الحكم بالشاهد و المرأتين أو بالشاهدين لا يمنع من قيام الدلالة على جواب الحكم بالشاهد مع اليمين. و لا يكون ذلک نسخاً لذلک، لأنه ليس بمناف للمذكور فى الآية و الحكم بالشاهد و المرأتين يختص بما يكون مالا أو المقصد به المال فأما الحدود التى هى حق اللّه و حقوق الآدميين و ما يوجب القصاص، فلا يحكم

فيها بشهادة رجل و امرأتين، و كذلک عندنا فى الشاهد، و اليمين حكم الشاهد و المرأتين سواء. و قد بسطنا مسائل الشهادات، و فروعها، و ما يقبل منها و ما لا يقبل و أحكام شهادة النساء و العبيد و غير ذلک فى كتابينا النهاية، و المبسوط، فلا معنى للتطويل بذكرها هاهنا. و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معناه اتقوا معاصيه و عقابه.
و قوله: «وَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ» معناه يعلمكم ما فيه صلاح دينكم و دنياكم و ما

ينبغى لكم فعله، و ما يحرم عليكم. و اللّه عليم بذلک و بما سواه من المعلومات فلذلک، قال «بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ».

و قال أبو علی الفارسی «أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى» لا يكون متعلقاً بقوله: «وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ» «أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما» و لكن يتعلق بأن يفعل مضمر دل عليه هذا الكلام، لأن قوله: «فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ» يدل على قولک و استشهدوا رجلا و امرأتين، فتعلق (ان) إنما هو بهذا الفعل المدلول عليه. قال و يجوز أن تتعلق (ان) بأحد ثلاثة أشياء.
أحدها- المضمر الذى دل عليه قوله: «وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ». الثانى- الفعل الذى هو فليشهد رجل و امرأتان. الثالث- الفعل الذى هو خبر المبتدأ، و تقديره فرجل و امرأتان يشهدون، فيكون يشهدون خبر المبتدأ. قال و قوله: «مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ» فيه ذكر يعود إلى الموصوفين الذين هم «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ»، و لا يجوز أن يكون فيه ذكر لشهيدين المتقدم ذكرهما لاختلاف إعراب الموصوفين ألا ترى أن شهيدين منصوبان، و رجل و امرأتان اعرابهم الرفع، فإذا كان كذلک علمت أن الوصف الذى هو ظرف إنما هو وصف لقوله: «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ» دون من تقدم ذكرهما من الشاهدين، و الشرط و جزاؤه وصف للمرأتين، لأن الشرط، و الجزاء جملة يوصف بها كما يوصل بها فى قوله: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ ....» الآية «1».

---

(1) سورة الحج آية 41.

و أما إحدى فهو مؤنث الواحد و الواحد الذى مؤنثه إحدى إنما هو اسم و ليس. بوصف و لذلک جاء احدى على بناء لا يكون للصفات أبداً كما كان الذى هو مذكره كذلک و قال أحمد بن يحيى قالوا: هو إحدى الأحد، و واحد الأحدين و واحد الآحاد و أنشد:

عدّونى الثعلب فيما عدّوا حتى استثاروا بى أحدى الأحد
ليثاً هزبراً ذا سلاح معتدى «1»

و قوله: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً» استثناء من جملة ما أمر اللَّه بكتابته و الاشهاد عليه عند التبايع فاستثنى منه يداً بيد فانه لا يحتاج إلى الكتابة و لا الاشهاد عليه، و الأول يحتاج إليه على خلاف، فى كونه ندباً أو وجوباً كما ذكرناه.

و قيل فى البقرة خمسمائة حكم و فى هذه الآية أربعة عشر حكماً أولها قوله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ» و الثانى- «وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ» الثالث- «وَ لا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ» و الرابع- «وَ لْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ» و هو أقداره إذا أملاه. الخامس- «وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً». أى لا يخون، و لا ينقصه. السادس- «فَإِنْ كانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ» أى لا يحسن «فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ» السابع- «وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ» و الثامن- «فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى» التاسع- «وَ لا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا» و العاشر- «وَ لا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلى أَجَلِهِ» أى لا تضجروا و الحادى عشر- «ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ وَ أَدْنى أَلَّا تَرْتابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً

---

(1) هكذا فى المطبوعة. و لم نجدها فى مصادرنا- و هى كما ترى.

تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَلَّا تَكْتُبُوها» الثانى عشر- «وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ» الثالث عشر- «وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ وَ لا شَهِيدٌ» الرابع عشر- «وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ» و قال قوم: فيها إحدى و عشرون حكماً: «إِذا تَدايَنْتُمْ» حكم «فَاكْتُبُوهُ» حكم «وَ لا يَبْخَسْ» حكم «فَإِنْ كانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً» حكم «أَوْ ضَعِيفاً» حكم «أَوْ لا يَسْتَطِيعُ» حكم «فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ» حكم «بالعدل» حكم «وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ» حكم «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ» حكم «مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ» حكم «وَ لا يَأْبَ الشُّهَداءُ» حكم «وَ لا تَسْئَمُوا» حكم «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً» حكم «وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ» حكم «وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ» حكم «وَ لا شَهِيدٌ» حكم.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 283] ..... ص : 379

اشارة

وَ إِنْ كُنْتُمْ عَلى سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (283)
آية بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو و ابن كثير «فرهن» على وزن فعل. الباقون «فرهان» على فعال. الرهن مصدر رهنت الشىء أرهنه رهناً و أرهنته إرهاناً. و الأول أفصح
قال الشاعر فى أرهنت:
فلما خشيت أظافيره نجوت و أرهنته مالكا «1»
و قال الازهرى:
أرهنت فى الشىء إذا سلفت فيه.

_____
(1) قيل ان البيت لهمام بن مرة، و فى الصحاح لعبد اللّه بن همام السلولى. اللسان (رهن) و روايته (اظافيرهم) بدل (أظافيره). فى المطبوعة (نحرت) بدل نجوت.

قال الشاعر:
عيدّية أرهنت فيها الدنانير «1»
و أرهنته ارتهاناً و تراهنوا تراهناً. و راهنه مراهنة و استرهنه استرهاناً.
و الإنسان رهين عمله. و كل شىء يحتبس غيره فهو رهينة و مرتهنة. و أصل الباب الرهن:
حبس الشىء بما عليه و واحد الرهن رهان. و هو جمع الجمعِ نحو ثمار و ثمر فى قول الكسائى، و الفراء. و قال أبو عبيدة: واحده رهن نحو سقف و سُقف. و قيل لا يعرف فى الأسماء فَعل و فُعل غير هذين. و زاد بعضهم قَلب النخلة و قُلب. فأما (رهان) فهو جمع رهن، و هو على القياس نحو حبل و حبال، و فعل و فعال، و كبش و كباش، و إنما اختار أبو عمرو: فرهن لأنه موافق لخط المصحف، و لغلبة الاستعمال فى الرهان فى الخيل، و اختاره الزجاج أيضاً. و من اختار (رهان) فلاطراده فى باب الجمع. و كل حسن. و ارتفع (فرهن) بأنه خبر ابتداء محذوف تقديره فالوثيقة رهن و يجوز فعليه رهن. و لو قرئ «فرهناً» بالنصب بمعنى فارتهنوا رهناً جاز فى العربية، و لكن لم يقرأ به أحد. و شاهد الرهن قول قعنب بن أم صاحب:
بانت سعاد و أمسى دونها عدن و غلقت عندها من قبلك الرهن «2»

و من شرط صحة الرهن أن يكون مقبوضاً لقوله: «فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ» فان لم يقبض لم ينعقد الرهن. و مسائل الرهن ذكرناها فى النهاية و المبسوط مستوفاة فلا فائدة للتطويل بذكرها هاهنا. و يجوز أخذ الرهن فى الحضر مع وجود الكاتب، لما
روى أن النبى (ص) اشترى طعاماً نساء و رهن فيه درعاً.
و
قوله (ع) لا يغلق الرهن.
معناه أن يقول الراهن إن جئتک بفكاكه إلى شهر و إلا فهو لک بالدين.
و هذا باطل بلا خلاف.

_____

(1) اللسان (عود) و صدره: ظلت تجوب بها البلدان ناجية. [.....]
(2) اللسان (رهن).

و قوله: «وَ لا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ» يعنى بعد تحملها «وَ مَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ» إنما أضاف إلى القلب مجازاً، لأنه محل الكتمان، و إلا فالآثم هو الحى.
و قوله: «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً» معناه ان أتمنه فلم يقبض منه رهناً «فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ» يعنى الذى عليه الدين «وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ» أن يظلمه أو يخونه «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» بما تسرونه و تكتمونه.
و دل قوله: «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً» على أن الاشهاد و الكتابة فى المداينة ليس بواجب، و إنما هو على جهة الاحتياط. و قد روى عن ابن عباس، و مجاهد، و غيرهما «فان لم تجدوا كتابا» يعنى ما تكتبون فيه من طرس أو غيره. و المشهور هو الاول الذى حكيناه عن قراء أهل الأمصار، و حكى عن بعضهم أنه قرأ «فانه آثم قلبه» بالنصب فان صح فهو من قولهم: سفهت نفسک و أثمت قلبک.

اشارة

لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ إِنْ تُبْدُوا ما فِی أَنْفُسِکُمْ أَوْ تُخْفُوهُ یُحاسِبْکُمْ بِهِ اللَّهُ فَیَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (284)

آیة واحدة بلا خلاف.

قرأ «فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ» بالرفع عاصم، و ابن عامر على الاستئناف فى قول المبرد. و يجوز أن يكون محمولا على تأويل «يحاسبكم» لأنه لو دخلته الفاء كان رفعاً، فيكون فيه على هذا معنى الجواب. و قرأ الباقون على الجزم: عطفاً على «يحاسبكم» و هو جواب الشرط، و كان يجوز أن يقرأ فيغفر بالنصب على مصدر الفعل الأول و تقديره إن يكن محاسبة، فيغفر لمن يشاء.
و روى ذلک عن أبن عباس.

و اللام فى قوله: «للَّه» لام الملک و معناه ان للَّه تصريف السماوات و الأرض و تدبيرهما لقدرته على ذلک و ليس لأحد منعه منه و إنما ذكر قوله: «وَ إِنْ تُبْدُوا ما فِى أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ» لأن المعنى فيه كتمان الشهادة. و يحتمل أن يريد جميع الأحكام التى تقدمت فى السورة. خوفهم اللَّه من العمل بخلافها. و قال قوم هذه الآية منسوخة بقوله: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» «1» و رووا فى ذلک خبراً ضعيفاً، و هذا لا يجوز لأمرين:
أحدهما- أن الاخبار التى لا تتضمن معنى الأمر و النهى و الاباحة لا يجوز نسخها، و هذا خبر محض خال من ذلک.
الثانى- لا يجوز تكليف نفس ما ليس فى وسعها على وجه، فينسخ. و يجوز أن تكون الآية الثانية بينت الاولى و أزالت توهم من صرف ذلک إلى غير وجهه، فلم يضبط الرواية فيه، و ظن أن ما يخطر للنفس أو تحدث نفسه به مما لا يتعلق بتكليفه فان اللّه يؤاخذه به. و الأمر بخلاف ذلک، و إنما المراد بالآية ما يتناوله الأمر و النهى من الاعتقادات و الإرادات و غير ذلک مما هو مستور عنا. فأما ما لا يدخل فى التكليف فخارج عنه لدلالة العقل. و لقوله (ع) تجوز لهذه الأمة عن نسيانها و ما حدثت به أنفسها. و قوله: (فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء) معناه ممن يستحق العقاب بأنه إن شاء عاقبه، و إن شاء عفا عنه. و ذلک يقوّى جواز العفو عقلًا، و إنما يقطع على عقاب بعض العصاة لدليل، و هم الكفار- عندنا- فأما من عداهم فلا دليل يقطع به على أنهم معاقبون لا محالة. و الآيات التى يستدلون بها نبين الوجه فيها إذا انتهينا إليها إن شاء اللَّه.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 285] ..... ص : 382

اشارة

آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا غُفْرانَکَ رَبَّنا وَ إِلَيْکَ الْمَصِيرُ (285)

---

(1) سورة البقرة آية: 286.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 383
آية.

قرأ حمزة و الكسائى و خلف «و كتابه»: الباقون «و كتبه» على الجمع فمن وحّد احتمل وجهين:
أحدهما- أن يكون أراد به القرآن لا غير. و الثانى- أن يكون أراد جنس الكتاب، فيوافق قراءة من قرأ على الجمع فى المعنى. و قرأ يعقوب «لا يفرق» بالياء رداً على الرسول حسب. الباقون بالنون رداً على الرسول و المؤمنين و هذا أليق بسياق الآية.

و قوله: «لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ» معناه يقولون ذلک على الحكاية كما قال «وَ الْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا» «1» أى يقولون اخرجوا. و المعنى إنا لا نؤمن ببعضهم و نكفر ببعض، كما فعل اليهود، و النصارى. و قوله: «سَمِعْنا وَ أَطَعْنا» تقديره سمعنا قوله و أطعنا أمره و قبلنا ما سمعنا، لأن من لا يقبل ما يسمع يقال له أصم كما قال تعالى «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ» «2» و إنما حذف لدلالة الكلام عليه لأنهم مدحوا به، و كان اعترافاً منهم بما يلزمهم مثل ما قبله. و قوله:
«غفرانک» نصب على أنه نزل من الفعل المأخوذ منه كأنه قيل: اللهم اغفر لنا غفرانک فاستغنى بالمصدر عن الفعل فى الدعاء فصار بدلا منه معاقباً له. و قال بعضهم معناه نسألک غفرانک و الاول أقوى، لأنه على الفعل الذى أخذ منه أولى من حيث كان يدل عليه بالتضمين نحو (حمداً و شكراً) أى أحمد حمداً، و أشكر شكراً.

---

(1) سورة الانعام آية: 93.
(2) سورة البقرة آية:- 171.

و أجاز الزجاج و الفراء غفرانک بالرفع بمعنى غفرانک بغيتنا و أنشد الزجاج:
و من يغترب عن قومه لا يزل يرى مصارع مظلوم مجراً و مسحبا
و تدفن منه الصالحات و إن يسىء يكن ما أساء النار فى رأس كبكبا «1»
و قوله: «وَ إِلَيْکَ الْمَصِيرُ» معناه و إلى جزائک المصير فجعل مصيرهم إلى جزائه مصيراً إليه كقول ابراهيم: «إِنِّى ذاهِبٌ إِلى رَبِّى سَيَهْدِينِ» «2» و معناه إلى ثواب ربى أو إلى ما أمرنى به ربى.

قوله تعالى:[سورة البقرة (2): آية 286] ..... ص : 384

اشارة

لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها لَها ما كَسَبَتْ وَ عَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَ اعْفُ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (286)
آية.

في هذه الآية دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة فى تجويزهم تكليف اللّه العبد ما لا يطيقه لأنه صريح بأنه لا يكلفهم إلا ما يطيقونه لأن الوسع هو ما يتسع به قدرة الإنسان و هو فوق المجهود و استفراغ القدرة. يقول القائل: ليس هذا

_____

(1) البيتين للأعشى ديوانه 113 رقم القصيدة 14. و اللسان (كبب) و فى الديوان هكذا:

متى يغترب عن قومه لا يجد له على من له رهط حواليه مغضبا

و يحطم بظلم لا يزال يرى له مصارع مظلوم مجراً و مسحبا

و تدفن منه .....

مجر و مسحب مصدر ميمى من جر و سحب. كبكب: جبل.

(2) سورة الصافات آية: 99.

فى وسعى. أى لا أقدر عليه و إن قدرتى لا تتسع لذلک. و من قال: معناه لا يكلف اللّه نفساً إلا ما يحل لها من قولهم لا يسعک هذا أى لا يحل لک أن تفعله كان ذلک خطأ، لأن رجلا لو قال لعبده: أنا لا آمرک إلا بما أطلقت لک أن تفعله كان ذلک خطأ وعياً، لأن نفس أمره اطلاق. و كأنه قال: أنا لا أطلق لک إلا ما أطلق.

و لا آمرک إلا بما آمرک. و قوله: «لَها ما كَسَبَتْ» معناه لها ثواب ما كسبت من الطاعات و عليها جزاء ما كسبت من المعاصى و القبائح. و يجوز أيضاً أن يسمى الثواب و العقاب كسباً من حيث حصلا بكسبه. و قوله: «لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا» إنما جاز الرغبة إليه تعالى فى ذلک و إن علمنا أنه لا يؤاخذ بذلک، و لم يجز أن يقول:

لا تجر علينا لأمرين أحدهما- أن قوله: لا تجر علينا يدل على تسخط الداعى، و ليس كذلک «لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا» لأن الإنسان قد يتعرض للنسيان، فيقع منه الفعل الذى فيه جناية على النفس، و يحسن الاعتذار بالنسيان، فيجرى الدعاء مجرى الاعتذار إذا قال العبد لسيده لا تؤاخذنى بكذا فانى نسيت، فلحسن الاعتذار حسن الدعاء به. و الثانى- «إِنْ نَسِينا». بمعنى تركنا لشبهة دخلت علينا.

و النسيان بمعنى الترک معروف. نحو قوله: «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» «1» أى تركوا عبادته، فترک ثوابهم. و قال الجبائى معناه ما تركناه لخطأ فى التأويل و اعتقدنا صحته لشبهة و هو فاسد. فأما لا تجر علينا، فلا يقال إلا لمن اعتيد منه الجور، و لا يجوز أن يؤاخذ أحد أحداً بما نسيه عند أكثر أهل العدل إلا ما

يحكى عن جعفر بن ميسر من أن اللّه تعالى يؤاخذ الأنبياء بما يفعلونه من الصغائر على وجه السهو و النسيان لعظم أقدارهم. و قال كان يجوز أن يؤاخذ اللَّه العبد بما يفعله ناسياً أو ساهياً، و لكن تفضل بالعفو فى قوله: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» ذكر ذلک البلخى، و هذا غلط، لأنه كما لم يجز تكليف فعله و لا تركه لم

---

(1) سورة التوبة آية: 68.

يجز أن يؤاخذ به، و لا يشبه ذلک المتولد الذى لا يصح تكليفه بعد وجود سببه، لأنه يجوز أن يتعمده بأن يتعمد سببه، و ليس كذلک ما يفعله على جهة السهو و النسيان.

و قوله: «وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً» قيل فى معنى الإصر قولان:
أحدهما- لا تحمل علينا عهداً فنعجز عن القيام به. ذهب إليه ابن عباس، و قتادة، و مجاهد.
الثانى- قال الربيع، و مالک: معناه لا تحمل علينا ثقلا و الإصر فى اللغة الثقل قال النابغة:
يا مانع الضيم إن يغشى سراتهم و الحامل الإصر منهم بعد ما غرقوا «1»
و كلما عطفک على شىء، فهو إصر من عهد أو رحم، و جمعه إصار. تقول أصره ياصره إصراً. و الاسم الإصر قال الحطيئة:
عطفوا علىّ بغيراً صرة فقد عظم الأواصر «2»
و قال النابغة:
ا يا بن الحواضن و الحاضنات أ ينقض أصرک حالا فحالا «3» أى عهدک. و الايصر: حبيل قصير يشد به أسفل الخباء إلى وتد لأنه يعطف به. و الاصرة: صلة الرحم للعطف بها و الماصر حبل على طريق أو نهر تحبس به السفن أو السابلة لتؤخذ منهم العشور و كلأ آصر أى يحبس من ينتهى إليه لكثرته. و الاصار: كساء يحتش فيه الحشيش. و أصل الباب العطف، فالاصر:
الثقل لأنه يعطف حامله بثقله عليه. و قوله: «لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ» قيل

---

(1) فى المطبوعة (فيا مانع) بدل (يا مانع) و (و الخامل) بدل (و الحامل).
(2) اللسان (أصر).
(3) فى المطبوعة (ا تنقض) بدل (ا ينقض).

فيه قولان:
أحدهما- ما يثقل علينا من نحو ما كلف بنى إسرائيل من قتل أنفسهم و بتيه أربعين سنة و غير ذلک كما يقول القائل لا أطيق أنظر إلى فلان و لا أسمع كلامه.
الثانى- ما لا طاقة لنا به من العذاب فى دار الدنيا. و قوله. «أَنْتَ مَوْلانا» معناه أنت ولينا أى أولى بالتصرف فينا، و قال الحسن هذا على وجه التعليم للدعاء، و معناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا. و الثانى- أنه على وجه الحكاية أى يقولون ربنا.
و الفرق بين أخطأ و خطئ أن أخطأ قد يكون على وجه الإثم، و غير الإثم فأما خطئ فاثم لا غير قال الشاعر:
و الناس يلحون الأمير إذا هم خطئوا الصواب و لا يلام المرشد «1»

_____
(1) قائله عبيدة بن الأبرص الاسدى. ديوانه: 54، و حماسة البحترى: 236، و اللسان (أمر) و رواية الديوان:
و الناس يلحون الأمير إذا غوى خطب الصواب و لا يلام المرشد

اشارة

مائتا آية فى الكوفى روى عن ابن عباس و قتادة و مجاهد و جميع المفسرين أن هذه السورة مدنية و قيل ان من أولها إلى راس نيف و ستين آية نزلت فى قصة وفد نجران لما جاءوا يحاجون النبى (ص) فى قول ابن اسحق و الربيع.

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الم (1) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ (2)
آيتان فى الكوفى و آية واحدة فى ما عداه.

و قرأ أبو جعفر و الأعشى و البرجمى (ألم) بسكون الميم (اللَّه) بقطع الهمزة و قرأ عمر بن الخطاب (الحى القيام) و هى لغة أهل الحجاز و يقولون فى الصّواغ صيّاغ. الباقون (قيوم) و إنما فتحت الميم من (ألم اللَّه) لأحد أمرين:
أحدهما- استثقالًا للكسر بعد الياء الساكنة، فصرف إلى الفتح، لأنه أخف كما فعلوا فى (كيف) (و أين). و قال الزجاج، و الفراء: ألقى عليها حركة الهمزة و هى الفتحة من قولك: اللَّه. و قال المبرد: هذا لا يجوز لأنها ألف وصل تسقط فى الدرج، فلا يجوز ذلک كما لا يجوز فى (إن الكافرون) الفتح على الفاء التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 389
حركة الهمزة. قال الفراء: و الفرق بين ذلک و بين الهجاء أنه لما كان ينوى به الوقف قوى بما بعده الاستيناف، فكانت الهمزة فى حكم الثبات كما كانت فى انصاف البيوت. نحو قول الشاعر:
و لا يبادر فى الشتاء وليدتى القدر تنزلها بغير جعال «1»
و أجاز الأخفش الكسر، و خالفه الزجاج، و قال: لا يجوز لأن قبل الهمزة ياء ساكنة قبلها كسرة، فلم يجز غير الفتح، كما لا يجوز فى كيف. و يمكن الفرق بينهما بأن كيف موصولة و هذا مفصول جاز أن ينوى به الوقف. و قد بينا معنى (اللَّه) و هو أنه الذى تحق له العبادة.

و قوله: (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) معناه لا تحق العبادة لسواه، و إنما كان كذلک لأنه الذى يقدر على أصول النعم التى يستحق بها العبادة، و لأن نعمة كل منعم فرع على نعمه، فصار لا تحق العبادة لسواه. و (الحى): هو الذى لا يستحيل لما هو عليه من الصفة كونه عالماً قادراً. قال الرمانى: و العالم: مدرک لمعلومه و المدرک:
هو المتبين للشىء على ما هو به من أى وجه صح تبيينه، فالرأى مدرک و كذلک العالم إلا أنه قد كثرت صفة الإدراک على ما طريقه الاحساس من العباد، و هذا القول منه يدل على أنه كان يذهب مذهب البغداديين: فى أن وصف القديم بأنه مدرک يرجع إلى كونه عالماً من أن يكون له صفة زائدة. و هذا بخلاف مذهب شيخه أبى على، و البصريين. «و القيوم» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- القائم بتدبير عباده فى ما يضرهم و ينفعهم، و هو قول مجاهد، و الربيع، و الزجاج، بدلالة قوله: «قائِماً بِالْقِسْطِ» «2» و «قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ» «3».

---

(1) اللسان (جعل) فى المطبوعة (وليدنا) بدل (وليدتى) الجعال، و الجعالة- بضم الجيم و كسره- ما تنزل به القدر من خرقة و غيرها، و الجمع جعل مثل كتاب و كتب.
(2) سورة آل عمران آية: 18.
(3) سورة الرعد آية: 35. [.....]

الثانى- حكى عن محمد بن جعفر بن الزبير، و اختاره الجبائى أنه الدائم.
و أصل الوصف بقيوم الاستقامة. فعلى قول مجاهد يكون لاستقامة التدبير، و على القول الآخر لاستقامة الصفة بالوجود من حيث لا يجوز عليه التغيير بوجه من الوجوه كما يجوز على ما يحول و يتبدل. و تقول هذا معنى قائم فى النفس أى موجود على الاستقامة دون الاضطراب. و أصل «قيوم» قيووم على وزن فيعول فقلبت الواو الأولى ياءً، لأن ما قبلها ياء ساكنة، و أدغمت نحو سيد و ميت.
و لا يجوز أن يكون وزنه فعولًا لأنه لو كان كذلک لكان قووما، فوصف اللّه تعالى بالحى القيوم يتضمن أنه يستحق العبادة من حيث أن هذه الصفة دلت على أنه القادر على ما يستحق به العبادة دون غيره، لأن صفة قيوم صفة مبالغة لا تجوز إلا للّه على المعنيين معاً من معنى الموجود أو [القائم على] عموم الخلق بالتدبير.

نَزَّلَ عَلَيْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ (3) آية.
قيل فى معنى قوله: «نَزَّلَ عَلَيْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ» وجهان:
أحدهما- بالصدق فى أخباره و جميع دلالاته التى تقوم مقام الخبر فى تعلقها بمدلولها على ما هو به، ففى جميع ذلک معنى التصديق.
و الثانى- بالحق أى بما توجبه الحكمة من الانزال كما أتى بما يوجبه الحكم من الإرسال و هو حق من الوجهين. و قوله: (مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ) نصب على الحال و معناه لما قبله من كتاب أو رسول فى قول مجاهد و قتادة و الربيع و جميع المفسرين. و إنما قيل لما قبله لما بين يديه، لأنه ظاهر له كظهوره لما بين يديه.
و قيل فى معنى «مصدقا» هاهنا قولان:
أحدهما- «مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ» و ذلک لموافقته ما تقدم الخبر به و فيه آية تدل على صحة نبوة النبى (ص) من حيث لا يكون ذلک إلا من عند علام الغيوب. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 391
الثانى- مصدقاً أنه يخبر بصدق الأنبياء فى ما أتوا به خلاف من يؤمن ببعض، و يكفر ببعض. و التوراة مأخوذة من وريت بک زنادى إذا ظهر به الخبر كما يتقدح بالزناد النار فالأصل الظهور، فهى تورية لظهور الحق. و قيل فى وريها أقوال:
أحدها- قال البصريون تورية فوعلة فقلبت (الواو) الأولى (تاءً) لئلا يجتمع واوان فى أول الكلمة نحو حوقلة و دوخلة. و الثانى- قال الكوفيون: تفعلة على وزن تثقلة و تثقلة، و هو قليل جداً لا يكاد يعرف تفعلة فى الكلام.
الثالث- قال بعضهم هو تفعلة إلا أنه صرف إلى الفتح استثقالا للكسر فى المعتل و هو بناء يكثر نحو توفية و توقية و توصية، و ما أشبه ذلک. قال الزجاج: و هذا ردىء لأنه يجىء منه فى توفية توفاة و هذا لا يجوز. و الإنجيل مأخوذ من النجل، و هو الأصل و قال الزجاج وزنه أفعيل من النجل بإجماع أهل اللغة فسمى انجيلا لأنه أصل من أصول العلم.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 4] ..... ص : 391

اشارة

مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ (4)

قوله: «من قبل» أى من قبل إنزال الكتاب فلما قطعه عن الاضافة نبأه على الضم.و قوله: «هُدىً لِلنَّاسِ» أى بياناً و دلالة لهم، و فى ذلک دلالة على أن اللَّه تعالى هدى الكافرَ إلى الإيمان، كما هدى المؤمن بقوله «للناس»، بخلاف ما تقوله المجبرة: إن اللَّهِ ما هدى الكافر. و موضع (هدى) نصب على الحال من الكتاب و قوله: (وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ) يعنى به القرآن و إنما كرر ذلک لما اختلفت دلالات صفاته و إن كانت لموصوف واحد لأن لكل صفة منها فائدة غير الأخرى لأن الفرقان هو الذى يفرق به بين الحق و الباطل فيما يحتاج إليه من أمور الدين فى الحجج، التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 392
و الأحكام، و ذلک كله فى القرآن و قيل أراد بالفرقان النصر و وصفه بالكتاب يفيد ان من شأنه أن يكتب. و قد بينا لذلک نظائر فى الشعر و غيره فى ما تقدم. و قوله:
(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ) قرن بالوعيد لما بين اللّه الحجج الدالة على توحيده، و صفاته: أعقب ذلک بوعيد من يخالف فى ذلک و يجحده ليتكامل به التكليف. و قوله: (وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ) معناه أنه قادر لا يتمكن أحد من منعه من عذاب من يريد عذابه لأنه «عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ» و إنما كان منيعاً لأنه قادر لنفسه لا يعجزه شىء.

و أصل الاعزاز الامتناع، و منه أرض عزاز ممتنعة السكون لصعوبتها، و منه قولهم من عز، بز: أى من غلب سلب لأن الغالب يمتنع من الضيم، و النقمة، العقوبة: نقم ينقم نقماً و نقمة و يقال نقمت، و نقمت عليه أى أردت له عقوبة، و انتقم منه انتقاماً أى عاقبه عقاباً و أصل الباب: العقوبة. و منه النعمة خلاف النقمة.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 5] ..... ص : 392

اشارة

إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى الْأَرْضِ وَ لا فِى السَّماءِ (5) آية.

لما ذكر اللَّه تعالى الوعيد على الإخلال بمعرفته مع نصب الادلة على توحيده و صفاته اقتضى أن يذكر أنه لا يخفى عليه شىء فى الأرض، و لا فى السماء، فيكون فى ذلک تحذير من الاغترار بالاستسرار بمعصيته، لأن المجازى لا تخفى عليه خافية، فجرى ذلک موصولا بذكر التوحيد فى أول السورة، لأنه من الصفات الدالة على التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 393

ما لا تحق إلا له. فان قيل لم قال: (لا يَخْفى عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى الْأَرْضِ وَ لا فِى السَّماءِ) و لم يقل لا يخفى عليه شىء على وجه من الوجوه إذ كان أشد مبالغة؟ قيل: ليعلمنا أن الغرض علم ما يستسر به فى الأرض أو فى السماء. و لأن الإفصاح بذكر ذلک أعظم فى النفس و أهول فى الصدر مع الدلالة على أنه عالم بكل شىء إلا أنه على وجه التصرف فى العبارة عن وجوه الدلالة. فان قيل: لم قال «لا يَخْفى عَلَيْهِ شَىْءٌ» و لم يقل عالم بكل شىء فى الأرض و السماء؟ قيل لأن الوصف بأنه «لا يَخْفى عَلَيْهِ شَىْءٌ» يدل على أنه يعلمه من كل وجه يصح أن يعلم منه مع ما فيه من التصرف فى العبارة، و إنما قلنا: لا يخفى عليه شىء من حيث كان عالماً لنفسه. و العالم للنفس يجب أن يعلم كل ما يصح أن يكون معلوماً. و ما يصح أن يكون معلوماً لا نهاية له، فوجب أن يكون عالماً به و إنما يجوز أن يعلم الشىء من وجه دون وجه، و يخفى عليه شىء من وجه دون وجه من كان عالماً بعلم يستفيده:- العلم حالا بعد حال-. فأما من كان عالماً لنفسه، فلا يجوز أن يخفى عليه شىء بوجه من الوجوه.

اشارة

هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6)
آية واحدة.

التصوير: جعل الشىء على صورة لم يكن عليها. و الصورة: هيئة يكون عليها الشىء بالتأليف. و الفرق بين الصورة و الصيغة أن الصيغة: عبارة عما وضع فى اللغة لتدل على أمر من الأمور، و ليس كذلک الصورة، لأن دلالتها على جعل جاعل قياسية. و الأرحام: جمع رحم و أصله: الرحمة، و ذلک لأنها مما يتراحم به و يتعاطف يقولون: وصلتک رحم. و أصل الصورة: الميل يقولون صاره يصوره: إذا أماله، فهى صورة لأنها مائلة إلى بنية بالشبه لها.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 394

و قوله:(كيف يشاء) معناه كيف يريد و المشيئة هى الارادة و معنى «يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ» من ذكر أو أنثى أو أبيض أو أسود أو تام أو ناقص إلى غير ذلكَ ما تختلف به الصور، و فيه حجة على النصارى فى ادعائهم إلهية المسيح و ذلك أن اللَّه تعالى صوره فى الرحم كما شاء، فهو لذلك عبد مربوب و قوله: (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) معناه أنه تعالى لما ذكر ما يدل عليه من قوله: (هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ) ذكر الدليل و المدلول عليه و إنما ذكر «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» تحذيراً بعد ذكر الدليل ليعلم أنه عزيز لا يتهيأ لأحد منعه من عقوبة من يريد عقابه حكيم فى فعل العقاب و فى جميع أفعاله.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 7] ..... ص : 394

اشارة

هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما یَذَّکَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ (7)

قوله: (هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ) یعنی القرآن (مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ) فالمحکم هو ما علم المراد بظاهره من غیر قرینة تقترن إلیه و لا دلالة تدل علی المراد به لوضوحه، نحو قوله: «إِنَّ اللَّهَ لا یَظْلِمُ التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 395
النَّاسَ شَیْئاً»
«1» و قوله: «لا یَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ» «2» لأنه لا یحتاج فی معرفة المراد به إلی دلیل. و المتشابه: ما لا یعلم المراد بظاهره حتی یقترن به ما یدل علی المراد منه. نحو قوله: «وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلی عِلْمٍ» «3» فانه یفارق قوله: «وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِیُّ» «4» لأن إضلال السامری قبیح و إضلال اللَّه بمعنی حکمه بأن العبد ضال لیس قبیح بل هو حسن. و اختلف أهل التأویل فی المحکم، و المتشابه علی خمسة أقوال:
فقال ابن عباس: المحکم الناسخ، و المتشابه المنسوخ.
الثانی- قال مجاهد: المحکم ما لا یشتبه معناه، و المتشابه ما اشتبهت معانیه.
نحو قوله: «وَ ما یُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِینَ» «5» و نحو قوله: «وَ الَّذِینَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدیً» «6».
الثالث- قال محمد بن جعفر بن الزبیر، و الجبائی: إن المحکم ما لا یحتمل إلا وجهاً واحداً، و المتشابه ما یحتمل وجهین فصاعداً.
الرابع- قال ابن زید: إن المحکم: هو الذی لم تتکرر ألفاظه. و المتشابه هو المتکرر الألفاظ.
الخامس- ما روی عن جابر أن المحکم: ما یعلم تعیین تأویله، و المتشابه ما لا یعلم تعیین تأویله. نحو قوله: «یَسْئَلُونَکَ عَنِ السَّاعَةِ أَیَّانَ مُرْساها» «7».
و قوله: (هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ) معناه أصل الکتاب الذی یستدل به علی المتشابه، و غیره من أمور الدین. و قیل فی توحید أم الکتاب قولان: أحدهما- أنه قدر تقدیر الجواب علی وجه الحکایة کأنه قیل: ما أم الکتاب؟ فقیل هن أم الکتاب کما یقال: من نظیر زید؟ فیقال: نحن نظیره. الثانی- أن یکون ذلک

---

(1) سورة یونس آیة: 44.
(2) سورة النساء آیة: 39.
(3) سورة الجاثیة آیة: 22.
(4) سورة طه آیة: 85.
(5) سورة البقرة آیة: 26.
(6) سورة محمد آیة: 17.

(7) سورة الاعراف آية: 186، و سورة النازعات آية: 42.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 396
مثل قوله: «وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً» «1» بمعنى الجميع آية و لو أريد أن كل واحد منهما آية على التفصيل، لقيل آيتين. فان قيل: لم أنزل فى القرآن المتشابه؟ و هلا أنزله كله محكما: قيل للحث على النظر الذى يوجب العلم دون الاتكال على الخبر من غير نظر، و ذلک أنه لو لم يعلم بالنظر أن جميع ما يأتى به الرسول حق يجوز أن يكون الخبر كذباً، و بطلت دلالة السمع، و فائدته، فلحاجة العباد إلى ذلک من الوجه الذى بيناه، أنزل اللّه متشابهاً، و لو لا ذلک لما بان منزلة العلماء، و فضلهم على غيرهم، لأنه لو كان كله محكماً لكان من يتكلم باللغة العربية عالماً به، و لا كان يشتبه على أحد المراد به فيتساوى الناس فى علم ذلک، على أن المصلحة معتبرة فى انزال القرآن، فما أنزله متشابهاً لأن المصلحة اقتضت ذلک، و ما أنزله محكما فلمثل ذلک. و المتشابه فى القرآن يقع فيما اختلف الناس فيه من أمور الدين: من ذلک قوله تعالى «ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ» «2» فاحتمل فى اللغة أن يكون كاستواء الجالس على السرير و احتمل أن يكون بمعنى الاستيلاء نحو قول الشاعر:
ثم استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق «3»
و أحد الوجهين لا يجوز عليه تعالى لقوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» «4» و قوله «لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ».
و الآخر يجوز عليه، فهذا من المحكم الذى يرد إليه المتشابه. و من ذلک قوله:
«رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ» «5» فاحتمل ظاهره تكليف المشاق، و احتمل تكليف ما لا يطاق و أحدهما لا يجوز عليه تعالى «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» «6»

---

(1) سورة المؤمنون آية: 51.
(2) سورة الاعراف آية: 53، و سورة يونس آيه: 3، و سورة الفرقان آية 59، و سورة ألم السجدة آية: 4، و سورة الحديد آية: 4.
(3) مر تخريجه فى 1: 125.
(4) سورة الشورى آية: 11.
(5) سورة البقرة آية: 286.
(6) سورة البقرة آية: 286، و سورة الطلاق آية: 7.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 397
فرددنا إليه المتشابه و من ذلک قوله: «قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» «1» فرددناه إلى المحكم الذى هو قوله: «وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» «2» و من ذلک قوله: «وَ ما

تَشاؤُنَ إِلّا أنْ يَشاءَ اللّهُ» «3» متشابه، و بين المراد بالمحكم الذى هو قوله: «وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ» «4» و من ذلک اعتراض الملحدين فى باب النبوة بما يوهم المناقضة كقوله: «قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِکَ رَبُّ الْعالَمِينَ وَ جَعَلَ فِيها رَواسِىَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَکَ فِيها وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِىَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِى يَوْمَيْنِ» «5» فقال اليومان و الاربعة و اليومان ثمانية ثم قال «هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ» فأوهموا أن ذلک مناقضة و ليس الأمر على ما ظنوه لأن ذلک يجرى مجرى قول القائل: سرنا من البصرة إلى بغداد فى عشرة أيام و سرنا إلى الكوفة فى خمسة عشر يوماً فالعشرة داخلة فى الخمسة عشر و لا يضاف فيقال: عشرة، و خمسة عشر خمسة و عشرون يوماً كان فيها السير، فكذلک خلق اللّه الأرض فى يومين و قضاهن سبع سماوات فى يومين و تمم خلقهن فى ستة أيام. و تقديره خلق الأرض فى يومين من غير تتميم و جعل فيها رواسى و ما تم به خلقها فى أربعة أيام فيها اليومان الأولان كما يقال: جعل الدور فى شهرين و فرغ منهن فى أربعة أشهر. فيكون المحكم قد أبان عن معناه أنه على جهة خلق الأرض فى يومين من غير تتميم، و ليس على وجه التضاد على ما ظنوه.
فان قيل: كيف يكون المحكم حجة مع جواز تقييده بما فى العقل؟ و فى ذلک إمكان كل مبطل أن يدعيه فتذهب فائدة الاحتجاج بالمحكم؟ قلنا: لا يجب ذلک من قبل أن التقييد بما فى العقل إنما يجوز فيما كان رداً إلى تعارف من جهة

---

(1) سورة النساء آية: 77. [.....]
(2) سورة آل عمران آية: 78.
(3) سورة التكوير آية: 29، و سورة الدهر آية: 30.
(4) سورة آل عمران آية: 108.
(5) سورة حم السجدة آية: 9- 12.

العقول دون ما لا يتعارف فى العقول بل يحتاج إلى مقدمات لا يتعارفها العقلاء من أهل اللغة، و المراعى فى ذلک أن يكون هناک تعارف من جهة العقل تقتضيه الحكمة دون عادة أو تعارف شىء لأن الحجة فى الأول دون الثانى، و من جهة التباس ذلک دخل الغلط على كثير من الناس.
فان قيل: كيف عددتم من جملة المحكم قوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ» مع الاشتباه فيه بدخول الكاف؟ قلنا إنما قلنا انه محكم لأن مفهومه ليس مثله شىء على وجه من الوجوه دون أن يكون عند أحد من أهل التأويل ليس

مثل مثله شىء فدخول الكاف و إن اشتبه على بعض الناس لم دخلت فلم يشتبه عليه المعنى الأول الذى من أجله كان محكماً. و قد حكينا فيما مضى عن المرتضى (ره) على بن الحسين الموسوى أنه قال: الكاف ليست زائدة و إنما نفى أن يكون لمثله مثل فإذا ثبت ذلک علم أنه لا مثل له، لأنه لو كان له مثل لكان له أمثال، فكان يكون لمثله مثل، فإذا لم يكن له مثل مثل دل على أنه لا مثل له غير أن هذا تدقيق فى المعنى، فتصير الآية على هذا متشابهة، لأن ذلک معلوم بالادلة. و قد يكون الشىء محكماً من وجه و متشابهاً من وجه كما يكون معلوماً من وجه، و مجهولًا من وجه، فتصح الحجة به من وجه المعلوم دون المجهول.

و (أخر) لا ينصرف لأنه معدول عن الالف و اللام و هو صفة. و قال الكسائى:
لأنه صفة. قال المبرد: هذا غلط، و قال (لُبد) صفة و كذلک (حُطم) و هما منصرفان قال اللّه تعالى «أَهْلَكْتُ مالًا لُبَداً» «1» و حكى عن أبى عبيدة أنه قال:
لم يصرفوا (أخر) لأن واحده لا ينصرف فى معرفة و لا نكرة. قال المبرد: و هذا غلط، لأنه يلزم أن لا يصرف غضاباً و عطاشاً، لأن واحده غضبان و عطشان و هو لا ينصرف.

---

(1) سورة البلد آية: 6.

و قوله: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ» یعنی میل یقال: أزاغه اللَّه إزاغة أی أماله إمالة قال تعالی «فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» «1» و منه قوله: «لا تُزِغْ قُلُوبَنا» «2» و التزایغ التمایل فی الأسنان. و المعنی إن الذین فی قلوبهم میل عن الحق اما بشک أو جهل فان کلیهما زیغ «فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ» و معناه یحتجون به فی باطلهم «ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ» و معناه طلباً للفتنة «وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ» و التأویل:
التفسیر و أصله المرجع، و المصیر من قولهم: آل أمره إلی کذا یؤول أولا: إذا صار إلیه. و أولته تأویلا إذا صیرته إلیه. و قوله: «وَ أَحْسَنُ تَأْوِیلًا» «3» قیل معناه أحسن جزاء، لأن أمر العباد یؤول إلی الجزاء. و أصل الباب: المصیر «وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ» یعنی تفسیره «إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ» یعنی الثابتون فیه تقول: رسخ الشیء رسوخاً إذا ثبت فی موضعه. و أرسخته إرساخاً، کما أن الخبر یرسخ فی الصحیفة، و رسخ الغدیر إذا ذهب ماؤه، فنضب، لأنه ثبت وحده من غیر ماء، و أصل الباب الثبوت.

و قال الربيع: نزلت هذه الآية فى وفد نجران، لما حاجّوا النبى (ص) فى المسيح، فقالوا: أ ليس هو كلمة اللّه و روح منه؟ فقال بلى، فقالوا: حسبنا، فأنزل اللّه تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ) ثم أنزل (إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) «4»

و قال قتادة: بل كل من احتج بالمتشابه لباطله، داخل فيه، فمنهم الحرورية و السبابية، و غيرهم.

---

(1) سورة الصف آية: 5.
(2) سورة آل عمران آية: 8.
(3) سورة النساء آية: 58، و سورة الإسراء آية: 35.
(4) سورة آل عمران آية: 59.

و قوله: «ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ» قال السدى: الفتنة هاهنا الشرك. و قال مجاهد: اللبس. و قيل الضلال عن الحق، و هو أعم فائدة. و أصل الفتنة: التخليص من قولهم فتنت الذهب بالنار: إذا أخلصته، فالذى يبتغى الفتنة يبتغى التخليص إلى الضلال بما يورده من الأشياء. و قوله: (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) قيل فى معناه قولان: أحدهما- ما يعلم تأويل جميع المتشابه «إلا اللّه»، لأن فيه ما يعلم الناس، و فيه ما لا يعلمه الناس من نحو تعيين الصغيرة عند من قال بها، و وقت الساعة، و ما بيننا و بينها من المدة. هذا قول عائشة، و الحسن، و مالك، و اختاره الجبائى، و أكثر المتأولين. و عندهم أن الوقف على قوله «إلا اللّه» و يكون قوله:
«وَ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ» مستأنفاً. و التأويل على قولهم: معناه المتأول، كما قال تعالى «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ» يعنى الموعود به. و الوجه الثانى- ما قاله ابن عباس، و مجاهد، و الربيع «وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ» يعلمونه قائلين آمنا كما قال الشاعر:
و الريح تبكى شجوة و البرق يلمع فى الغمامة
يعنى و البرق أيضاً يبكيه لامعاً فى غمامة. و قوله: «كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا» حذف المضاف من «كل» عند البصريين، لأنه اسم دال على المضاف كثير فى الكلام فلا يجيزون «إِنَّا كُلٌّ فِيها» على الصفة و يجيزه الكوفيون، لأنه إنما حذف عندهم لدلالته على المضاف فقط اسماً كان أو صفة. و إنما بنى قبل على الغاية، و لم يبن كل، و إن حذف من كل واحد منهما المضاف، لأن قبل ظرف يعرف، و ينكر، ففرق بين ذلك بالبناء الذى يدل على تعريفه بالمضاف، و الاعراب الذى يدل على تنكيره بالانفصال، و ليس كذلك كل لأنه معرفة فى الافراد دون نكرة فأما (ليس غير) فمشبه بحسب لما فيه من معنى الأمر.

و قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 8] ..... ص : 401

اشارة

رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَةً إِنَّکَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8)
آية.

هذه حكاية عن الراسخين فى العلم الذين ذكرهم فى الآية الاولى، القائلين «آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا» القائلين «رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا» و قيل فى معنى لا تزغ قلوبنا قولان:
أحدهما- «لا تُزِغْ قُلُوبَنا» عن الحق بمنع اللطف الذى يستحق معه أن تنسب قلوبنا إلى الزيغ. و الثانى- قال أبو على معناه لا تزغ قلوبنا عن الثواب بعد أن دعوتنا إليه و دللتنا عليه، و لا يجوز أن يكون المراد لا تزغ قلوبنا عن الايمان، لأنه تعالى كما لا يأمر بالكفر كذلك لا يزيغ عن الايمان. فان قيل: هلا جاز على هذا أن يقولوا: ربنا لا تظلمنا، و لا تجر علينا؟ قلنا لأن فى تجر علينا تسخط السائل لاستعماله ممن جرت عادته بالجور، و ليس كذلك «لا تُزِغْ قُلُوبَنا» على معنى سؤال اللطف، و ان كان لا يجوز فى حكمته تعالى منع اللطف. كما لا يجوز فعل الجور و ذلك بمنزلة سؤال الملائكة فى قولهم «فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَ قِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ رَبَّنا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدْتَهُمْ» «1» و اللّه لا يجوز عليه خلف الوعد، كما لا يجوز عليه فعل الجور يبين ذلك قوله: «فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ» «2» و معناه فلما مالوا عن الحق نسب اللّه قلوبهم إلى الزيغ، لما كانت عليه. و إنما أضاف الزيغ إلى القلب، و إن كان المراد به الجملة لأن القلب أشرف الأعضاء، و هو محل السرور، و الغم فلذلك خص بالذكر.

---

(1) سورة مؤمن آية: 7- 8.
(2) سورة الصف آية: 5.

و قوله: «وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَةً» فالهبة مصدر وهبه يهبه هبة، فهو واهب. و الشىء موهوب و تواهب الناس بينهم تواهباً و استوهبه استيهاباً. و أصل الباب الهبة، و هى تمليک الشىء من غير مثامنة. و الهبة و النحلة و الصلة نظائر.
و معنى من لدنک من عندک و فى لدن خمس لغات: لدن، و لدن- بضم اللام و الدال- و لدن- بفتح اللام و تسكين الدال، و كسر النون- ولد- بحذف النون-.

رَبَّنا إِنَّکَ جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ (9)
آية بلا خلاف.
معنى الآية «رَبَّنا إِنَّکَ جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ» للجزاء «إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ» فى وعد و لا وعيد «فَاغْفِرْ لَنا» فان قيل هل فى قوله: «إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ» متصل بالدعاء على جهة الحكاية أو استئناف. قلنا عنه جوابان:
أحدهما- أنه متصل بالدعاء، لأن حمل الكلام على الاتصال إذا صح المعنى أولى من حمله على الانفصال، لأن الاتصال أقرب إلى التشاكل، و أبعد من التنافر.
الثانى- أنه على الاستئناف لأنه لو كان على الاتصال لقال انک لا تخلف الميعاد، فاختار أبو على الجبائى هذا الوجه، و أجاز الزجاج الأمرين. و قد يجوز حمل الكلام تارة على المخاطبة و تارة على الغيبة تصرفاً فى الكلام، كما قال: «حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ» «1» و الآية دالة على أنه لا يخلف وعده، و لا وعيده، و لا ينافى ذلک ما يجوزه من العفو عن فساق أهل الملة، لأن ما يجوز العفو عنه إذا عفا كشف ذلک عندنا أنه ما عناه بالخطاب، و إنما الممنوع منه أن يعينه بالخطاب و بأنه لا يعفو عنه ثم يعفو، فيكون ذلک خلفاً فى الوعيد و ذلک لا يجوز عليه تعالى.

---

(1) سورة يونس آية: 23.

و الميعاد، و الوعد إذا أطلقا تناولا الخير، و الشر. يبين ذلک قوله: «وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا» «1» و لا يجوز أن يقال وعد بالخير فأما وعد بالشر، فيجوز.
و اللام فى قوله: «لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ» معناه فى يوم و إنما جاز ذلک لما دخل الكلام من معنى اللام و تقديره جامع الناس للجزاء فى يوم لا ريب فيه، فلما حذف لفظ الجزاء دخلت على ما يليه فأغنيت عن فى لأن حروف الاضافة متآخية، لما يجمعها من معنى الاضافة. و قد كان يجوز فتح أن فى قوله: «إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ» على تقدير «جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ» ل «إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ» و لم يقرأ به.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 10] ..... ص : 403

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ أُولئِکَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10)
آية واحدة بلا خلاف.

إن قيل كيف تتصل هذه الآية بما قبلها؟ قلنا: اتصال الوعيد بالدعاء، للإخلاص منه خوفاً من استحقاق المتوعد به، و الفرق بين «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ» و بين لن تغنيهم عن اللّه شيئاً. أن لن تغنيهم عن اللَّه لا يدل على الوعيد كما يدل «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ» لأن تقديره من عذاب اللَّه. و معنى من هاهنا يحتمل أمرين: قال أبو عبيدة معناها: عند. و قال المبرد: من هاهنا على أصلها، لابتداء الغاية. و تقديره «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ» غناء ابتداء الشىء الذى خلقه، و لا يكون الغناء إلا منه، فمن هذه تقع على ما هو أول الغناء و آخره و الوقود: الحطب، و الوقود اللهب. و هو إيقاد النار. و الغنى ضد الحاجة. و بمعنى «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ» أنه إن يكون شىء تبقى الحاجة إلى اللَّه تعالى بل الحاجة باقية على كل حال.

---

(1) سورة الاعراف آية: 43.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 11] ..... ص : 404

اشارة

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ (11)
آية بلا خلاف.

الدأب: العادة، يقال دأب يدأب دأباً و دئاباً إذا اعتاد الشىء و تمرن عليه.
قال امرؤ القيس:
كدأبک من أم الحويرث قبلها و جارتها أم الرباب بمأسل «1»
أى كعادتک من أم الحويرث.

و معنى قوله: «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ» كعادتهم فى التكذيب بالحق و قيل فى الكفر و قيل فى قبح الفعل و قيل فى تكذيب الرسل و كل ذلک متقارب فى المعنى. و قال قوم: معناه كدأب آل فرعون فى عقاب اللَّه إياهم على ما سلف من ذنوبهم، و معاصيهم، و الكاف فى قوله: «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ» متصلة بمحذوف.
و تقديره عادتهم كدأب آل فرعون. و موضع الكاف رفع لأنها فى موضع خبر الابتداء، و لا يجوز أن يعمل فيها كفروا، لأن صلة الذى قد انقطعت بالخبر، و هو «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ» و لا أولادهم و لكن يجوز نصبه ب «وَقُودُ النَّارِ»، لأن فيه معنى الفعل على تقدير تتقد النار بأجسادهم كما تتقد بأجسام آل فرعون

---

(1) ديوانه: 125. معلقته المشهورة و قبله:
و ان شفائى عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول
مر فى 2: 148 برواية: (كديتک) بدل (كدابک) و قد استشهد به الشيخ (قده) على ان الدين هو العادة. [.....]

فهذا تقديره فى المعنى. و قوله: «فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ» بمعنى عاقبهم اللّٰه بذنوبهم و سمى المعاقبة مؤاخذة لأنها أخذ بالذنب و الأخذ بالذنب عقوبة و الذنب و الجرم واحد تقول أذنب يذنب اذناباً فهو مذنب و الذنب التلو للشىء ذنبه يذنبه ذنباً إذا تلا و الذنوب التلو لأنها تالية للحبل فى الجذب و الذنوب النصيب لأنه كالدلو فى الانعام قال الشاعر:
لنا ذنوب و لكم ذنوب فان أبيتم فلنا قليب «1»
و الذنوب: الفرس الوافر شعر الذنب. و أصل الباب: التلو، فالذنب الجرم لما يتلوه من استحقاق الذم كما قيل العقاب، لأنه يستحق عقيب الذنب.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 12] ..... ص : 405

اشارة

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهادُ (12) آية.

قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً سيغلبون، و يحشرون بالياء، فيهما: الباقون بالتاء. من اختار التاء، فلقوله: (قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِی فِئَتَيْنِ) فأجرى جميعه على الخطاب. و من اختار الياء، فللتصرف فی الكلام و الانتقال من خطاب المواجه إلى الخبر بلفظ الغائب. و قيل: إن الخطاب لليهود، و الاخبار عن عبدة الأوثان لأن اليهود أظهروا، الشماتة بما كان من المشركين يوم أحد، فقيل لهم سيغلبون يعنى المشركين. و على هذا لا يجوز إلا بالياء. و قيل التاء فی عموم الفريقين.
و مثله قال زيد المال ماله. و قال المال مالى. و قل له سنخرج و سيخرج. و كل ذلک جائز حسن.

_____

(1) اللسان: (ذنب). و روايته: (لها ذنوب) بدل (لنا ذنوب) و (القليب) بدل (قليب).

و قال ابن عباس، و قتادة و ابن إسحاق: إن هذه الآية نزلت لما هلكت قريش يوم بدر، فجمع النبى (ص) اليهود بسوق قينقاع فدعاهم إلى الإسلام و حذرهم مثل ما نزل بقريش من الانتقام، فقالوا: لسنا كقريش الاغمار الذين لا يعرفون القتال، لئن حاربتنا لتعرفن البأس. فانزل اللّه «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ» الآية.

و معنى «وَ بِئْسَ الْمِهادُ» قال مجاهد: بئس ما مهدوا، لأنفسهم. و قال الحسن:
معناه بئس القرار، و قيل بئس الفراش الممهد لهم، و قال البلخى: لا يجوز الوعد، و الوعيد بغير شرط، لأن فيه بأساً من الايمان أو الكفر و ذلک بمنزلة الصد عنه.
و تأول الآية على حذف الشرط، فكأنه قال: و بئس المهاد لمن مات على كفره غير تائب منه. و قال الرمانى: و هذا لا يصح من قبل أن السورة قد دلت على معنى الوعد من غير شرط يوجب الشک، فلو كان فى قطع الوعيد بأس بمنزلة الصد عن الايمان لكان فى قطع الوعد بأمان ما يوجب الاتكال عليه دون ما يلزم من الاجتهاد. و الذى يخرجه من ذلک أن العقاب من أجل الكفر كما أن الثواب من أجل الايمان. و هذا ليس بشىء، لأن للبلخى أن يشرط الوعد بالثواب بانتفاء ما يبطله من الكبائر، كما أنه شرط الوعيد بالعقاب بانتفاء ما يزيله من التوبة، فقد سوى بين الأمرين. و قال البلخى و الجبائى: قوله: «وَ بِئْسَ الْمِهادُ» مجاز كما قيل للمرض: شر، و إن كان خيراً من جهة أنه حكمة، و صواب، فقيل لجهنم «بِئْسَ الْمِهادُ» لعظيم الآلام، لأن أصل نعم و بئس: الحمد، و الذم إلا أنه كثر استعماله فى المنافع، و المضار حتى سقط عن اسم مجاز. و إن كان مغيراً عن أصله.
و فى الآية دلالة على صحة نبوة النبى (ص) لأنها تضمنت الخبر عما يكون من التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 407
غلبة المؤمنين للمشركين. و كان الأمر على ما قال، و لا يكون ذلک على الاتفاق، و كما أنه بين أخباراً كثيرة من الاستقبال، فكان كما قال، فكما أن كل واحد منهما كان معجزاً، لأنه من علام الغيوب اختص به الرسول ليبينه من سائر الناس كذلک هذه الآية.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 13] ..... ص : 407

اشارة

قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتا فِئَةٌ تُقاتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ إِنَّ فِى ذلِکَ لَعِبْرَةً لِأُولِى الْأَبْصارِ (13)
آية واحدة.

قرأ أهل المدينة، و أبان عن عاصم، و ابن شاهى عن حفص «ترونهم» بالتاء الباقون بالياء. من قرأ بالياء، فلأن الخطاب لليهود و الخبر عن غيرهم ممن حضر بدراً. و من قرأ بالتاء وجه الخطاب إلى الجميع.

الآية: العلامة، و الدلالة على صدق النبى (ص). و الفئة الفرقة من فأوت رأسه بالسيف إذا فلقته. و قال ابن عباس: هاهنا هم المؤمنون من أهل بدر و مشركوا قريش، و به قال الحسن، و مجاهد. و قوله: (فئة) يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب: الرفع على الاستئناف بتقدير منهم فئة كذا، و أخرى كذا. و يجوز الجر على البدل. و يجوز النصب على الحال كقول كثير:

و كنت كذى رجلين رجل صحيحة و رجل رمى فيها الزمان فشلت «1»

أنشد بالرفع و الجر و قال ابن مفرغ:

_____

(1) ديوانه 1: 46، و معانى القرآن للفراء 1: 192 و هو من قصيدته التائية المشهورة فى المطبوعة (هى) بدل (رمى).

و كنت كذى رجلين رجل صحيحة و رجل رماها صائب الحدثان

فأما التى صحت فأزد شنوءة و أما التى شلت فأزد عمان «1»

و قال آخر:

إذا مت كان الناس نصفين شامت و آخر متن بالذى كنت أصنع

و لا يجوز أن تقول مررت بثلاثة صريع و جريح بالجر، لأنه لم يستوف العدة و لكن يجوز بالرفع على تقدير منهم صريع و منهم جريح. فان قلت: مررت بثلاثة صريع، و جريح، و سليم، جاز فيه الرفع و الجر، فان زدت فيه اقتتلوا جاز فيه الأوجه الثلاثة. و لم يقرأ إلا بالرفع.

و قال ابن مسعود، و الحسن: الفئة: المسلمة هى التى كانت ترى الكافرة مثليهم. و قال السدى: رأى المشركون المسلمين مثل عددهم، لأنهم كانوا ثلاثمائة و بضعة عشر فرأوهم أضعاف ذلک. و هذا يحتمل على قراءة من قرأ بالياء، فأما من قرأ بالتاء، فلا يحتمل ذلک إلا أن يكون الخطاب لليهود الذين ما حضروا و هم المعنيون بقوله: «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا» و هم يهود بنى قنيقاع فكأنه قيل لهم ترون المشركين مثلى المسلمين مع أن اللّه ظفرهم بهم، فلا تغتروا بكثرتكم. و اختار البلخى هذا الوجه و اختلفوا فى عدة المشركين يوم بدر،
فروى عن على (ع) و ابن مسعود أنهم كانوا الفاً.
و قال عروة بن الزبير، و قتادة، و الربيع
كانوا بين تسعمائة إلى الالف و أما عدة المسلمين، فثلاثمائة و بضعة عشر فى قول قتادة، و الربيع، و أكثر المفسرين. و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع).
و معنى

---

(1) الوحشيات لأبى تمام: 183، و خزانة الأدب 2: 378. و أزد شنوءة: قبيلة كانت مع أهل الشام فى حرب صفين، و أزد عمان: قبيلة كانت مع أهل العراق و رواية الشعر
فكنتم كذى رجلين: رجل صحيحة و رجل بها ريب من الحدثان

«يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ» يحتمل وجوهاً أحدها- ما روى عن ابن مسعود، و غيره من أهل العلم أن اللّه قلل المشركين يوم بدر فى أعين المسلمين لتقوى قلوبهم فرأوهم مثلى عدتهم.
و قال الفراء يحتمل ثلاثة أمثالهم كما يقول القائل إلى الف و احتاج إلى مثليه أى مضافاً إليه لا بمعنى بدلا منه، فكذلک ترونهم مثليهم مضافاً إليهم فذلک ثلاثة أمثالهم، و أنكر هذا الوجه الزجاج، لمخالفته لظاهر الكلام. و ما جاء فى الآية الأخرى فى الانفال من تقليل الاعداد. فان قيل كيف يصح تقليل الاعداد مع حصول الرؤية و ارتفاع الموانع و هل هذا إلا ما تقوله المجبرة من أنه يجوز أن يكون بحضرتنا أشياء تدرک بعضها دون بعض بحسب ما يفعل فينا من الإدراک و هذا عندنا سفسطة تقليل فى المشاهدات؟ قلنا: يحتمل أن يكون التقليل فى أعين المؤمنين بأن يظنونهم قليلى العدد، لأنهم أدركوا بعضهم دون بعض، لأن العلم بما يدركه الإنسان جملة غير العلم بما يدركه مفصلا، و لهذا: إذا رأينا جيشاً كبيراً أو جمعاً

عظيما ندرک جميعهم، و نتبين أطرافهم و مع هذا نشک فى أعدادهم حتى يقع الخلف بين الناس فى حزر عددهم، فعلى هذا يكون تأويل الآية. و قد ذكر الفراء عن ابن عباس أنه قال: رأى المسلمون المشركين مثليهم فى الحزر بستمائة و كان المشركون سبعمائة و خمسين فأما قوله فى الأنفال: «وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ» «1» فلا ينافى هذا لأن هذه آية للمسلمين أخبرهم بها و تلک آية لأهل الكفر حجة عليهم.
على أنک تقول فى الكلام إنى لأرى كثيركم قليلا أى تهونون على لأنى أرى الثلاثة اثنين ذكره الفراء، و هو جيد. و قيل: الوجه فى تقليل الكفار فى أعين المؤمنين أن يكون أقوى لقلوب المؤمنين، فلا يفزعوا، و لا يفشلوا، و يتجرءوا على قتالهم. و الوجه فى تقليل المؤمنين فى أعين الكفار إذا رأوهم قليلين استهانوا بهم و استحقروهم فلم يأخذوا أهبتهم و لم يستعدوا كل الاستعداد فيظفر بهم المؤمنون، و هو جيد أيضاً. و قال البلخى إنما قال مثليهم و هم كانوا ثلاثة أمثالهم لأنه أقام الحجة عليهم بأنهم و إن كانوا ثلاثة أمثالهم فلم يخرجوا من أن يكونوا

---

(1) سورة الانفال آية: 45.

مثليهم. و المعتمد ما قلناه أولا.

و قوله: «وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ» فالأيد القوة و منه قوله: «داوُدَ ذَا الْأَيْدِ» «1» و تقول: ادته أئيده أيداً، كقولک بعته أبيعه بيعاً بمعنى قويته.
و أيدته أؤيده تأييداً. و النصر: المعونة على الاعداء، و هو على وجهين: نصر بالغلبة، و نصر بالحجة، و لو هزم قوم من المؤمنين، لجاز أن يقال: هم المنصورون بالحجة و محمودو العاقبة، و ان سر عدوهم بظفر العاجل.
و الآية التى ذكرها اللّه تعالى كانت فى الفئتين من وجهين:
أحدهما- غلبة القليل العدد فى نفسه للكثير فى ذلک بخلاف ما تجرى به العادة بما أمدهم اللّه به من الملائكة و قوّى به نفوسهم من تقليل العدة. و الثانى- بالوعد المتقدم بالغلبة لإحدى الطائفتين لا محالة. و قوله: (إِنَّ فِى ذلِکَ لَعِبْرَةً لِأُولِى الْأَبْصارِ» معناه لأولى العقول، كما يقال له بصر بالأمور، و ليس المراد بالأبصار الحواس التى يشترک فيها سائر الحيوان. و العبرة الآية تقول: اعتبرت بالشىء عبرة و اعتباراً و العبور: النفوذ عبرت النهر أعبره عبوراً: إذا قطعته.
و المعبرة:السفينة التى يعبر فيها. و العبارة الكلام، يعبر بالمعنى إلى المخاطب، فالعبارة تفسير الرؤيا. و التعبير وزن الدنانير، و غيرها. و العبرة: الدمعة من العين. و أصل الباب العبور النفوذ.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 14] ..... ص : 410

اشارة

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِکَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14)

---

(1) سورة ص آية: 17.

آية واحدة بلا خلاف.

قيل فى المزين لحب الشهوات ثلاثة أقوال: قال الحسن: زينه الشيطان، لأنه لا أحد أشد ذماً لها من خالقها. الثانى- ما قاله الزجاج: انه زينه اللّه بما جعل فى الطباع من المنازعة، كما قال تعالى «إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها» «1» الثالث- ما قاله أبو على أنه زين اللّه عز و جل ما يحسن منه، و زين الشيطان ما يقبح منه.

و الشهوات: جمع شهوة و هى توقان النفس إلى الشىء يقال: اشتهى يشتهى شهوة، و اشتهاء و شهاه تشهية، و تشهى تشهياً. و الشهوة من فعل اللّه تعالى لا يقدر عليها أحد من البشر، و هى ضرورية فينا، لأنه لا يمكننا دفعها عن أنفسنا.

و القناطير: جمع قنطار. و اختلفوا فى مقدار القنطار، فقال معاذ بن جبل، و ابن عمر، و أبى بن كعب، و أبو هريرة: هو ألف و مأتا أوقية. و قال ابن عباس، و الحسن، و الضحاك: هو ألف و مأتا مثقال. و روى عن الحسن أيضاً أنه ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم. و قال قتادة: ثمانون ألفاً من الدراهم أو مائة رطل.

و قال مجاهد، و عطا: سبعون ألف دينار. و قال أبو نضر
هو ملىء مسك ثور ذهباً. و به قال الفراء: و هو المروى عن أبى جعفر.

و قال الربيع و ابن أنس: هو المال الكثير. و معنى المقنطرة: المضاعفة- على قول قتادة- و قال قتادة- و قال الفراء: هى تسعة قناطير، و قيل هى كقولك دراهم مدرهمة أى مجعولة كذلك. و قال السدى مضروبة دراهم أو دنانير. و القنطرة: البناء المعقود للعبور و القنطر الداهية. و أصل الباب القنطرة المعروفة. و القنطار لأنه مال عظيم كالقنطرة. و الذهب، و الفضة معروفان.

---

(1) سورة الكهف آية: 7.

و تقول فضضته تفضيضاً. و فض الجمع يفضه فضاً إذا فرقه. و منه قوله: «لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» «1» و فضضت الخاتم كسرته و لا يفضض اللّه فاك أى لا يكسره.

و افتضضت الماء: إذا شربته. و أصل الباب التفرق.

و الخيل: الافراس سميت خيلا، لاختيالها فى مشيها. و الإختيال: من التخيل، لأنه يتخيل به صاحبه فى صورة من هو أعظم منه كبراً. و الخيال كالظل، لأنه يتخيل به صورة الشىء تقول: خلت زيداً أخال خيلاناً إذا خشيته لأنه يتخيل إلى النفس أنه هو. و الأخيل: الشقراق و هو طائر الغالب عليه

الخضرة مشرب حمرة، لأنه يتخيل مرة أخضر و مرة أحمر. و أصل الباب التخيل: التشبه بالشىء، و منه أخال عليه الأمر يخيل إذا اشتبه عليه، فهو مخيل.
و قوله: «المسومة» قيل فى معناه أربعة أقوال قال سعيد بن جبير و ابن عباس و الحسن و الربيع هى الراعية و قال مجاهد و عكرمة و السدى: هى الحسنة، و قال ابن عباس فى رواية، و قتادة: المعلمة. و قال ابن زيد: هى المعدة للجهاد فمن قال: هى الراعية، فمن قولهم: اسمت الماشية و سومتها إذا رعيتها. و سأمت، فهى سائمة إذا كانت راعية، و منه تسيمون: أى ترعون. و من قال: الحسنة فمن السيما مقصور. و يقال فيه سيمياء أيضاً و هو الحسن. قال الشاعر:
غلام رماه اللّه بالحسن يافعاً له سيمياء لا يشق على البصر
و من قال المعلمة، فمن السيماء التى هى العلامة كقوله تعالى: «يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ» و من قال المعدة للجهاد، فهو راجع إلى العلامة لأنها معدة بالعلامة و أصل الباب العلامة. و قوله: «و الانعام» فهى الإبل، و البقر، و الغنم من الضان و المعز و لا يقال لجنس منها على الانفراد نعم إلا الإبل خاصة لأنه غلب عليها فى التفصيل و الجملة. و الحرث: الزرع. و قوله: «ذلِكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا» فالمتاع: ما يستنفع به مدة ثم يفنى. و قوله: «وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ» فالمآب:

---

(1) سورة آل عمران آية: 160.

المرجع من آب يؤوب أوباً و إياباً و أوبة، و مآباً إذا رجع و تأوب تأوباً: إذا ترجع و أوبه تأويباً: إذا رجعه. و أصل الباب الأوب الرجوع.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 15] ..... ص : 413

اشارة

قُلْ أَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ (15)

آية واحدة بلا خلاف.

قرأ عاصم وحده فى رواية أبى بكر و رضوان- بضم الراء- الباقون بكسرها فالضم لغة قيس، و تميم. و الكسر لغة أهل الحجاز. قيل فى آخر الاستفهام بقوله أؤنبئكم قولان:
أحدهما- ان اخره عند قوله بخير من ذلكم، ثم استأنف للذين اتقوا.
الثانى- عند قوله: «عِنْدَ رَبِّهِمْ» ثم استأنف جنات على تقدير الجواب، كأنه قيل:
ما هو ذلک الخير، فقيل هو جنات. و مثله: «قُلْ أَ فَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ النَّارُ» «1» أى هى النار، و يجوز فى إعراب جنات فى العربية الرفع، و الجر، فالجر على أن يكون فى آخر الكلام عند ربهم. و لا يجوز الجر على الوجه الآخر للفصل باللام، كما لا يجوز أمرت لک بألفين و لأخيک مأتين حتى تقول بمائتين و لو قدمت فقلت و مأتين لأخيک جاز، و لا يجوز النصب فى جنات على موضع الباء فيما لم يكن الباء فيه زائدة كما لا يحسن مررت برجل زيداً و يحسن خشنت بصدره و صدر زيد، لأن الباء زائدة، و لا يجوز أن تكون زائدة فى بخير لأن نبأت لا يجوز الاقتصار فيه على المفعول الثانى دون الثالث، لأنه بمعنى أعلمت، و لا يجوز أعلمت زيداً

---

(1) سورة الحج آية: 72.

أخاک حتى تقول خيراً من عمرو، أو نحوه. و قد تقدم تفسير الجنات و الأنهار.
و قوله: «خالدين» نصب على الحال و معنى تأويل قوله: «وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ» فلا معنى لإعادته. و الرضا و المرضاة: معنى واحد. و معنى قوله: «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا» يعنى ما حرم عليهم- فى قول الحسن-. فان قيل ما تقولون أنتم لأنكم تقولون إن من لا يتقى جميع ما حرم عليه إذا كان عارفاً باللّه و مصدقاً لجميع ما وجب عليه موعود له بالجنة؟ قلنا: نقول إن هذه الآية تدل على أن من اتقى جميع ما حرم عليه، فله الجنة، و ما وعد بها من غير أن يقترن بها شىء من استحقاق العقاب قطعاً. و من ليس معه إلا التصديق بجميع ما وجب عليه و قد أخل بكثير من الواجبات و ارتكب كثيراً من المحظورات فانا نقطع على استحقاقه الثواب مع استحقاقه للعقاب و نجوز فعل العقاب به و نجوز العفو عنه مع القطع على وجوب الثواب له، ففارق المتقى على ما تراه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 16] ..... ص : 414

اشارة

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ قِنا عَذابَ النَّارِ (16) آية بلا خلاف.

موضع الذين يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب الجر. و الرفع، و النصب، فالجر للاتباع، للذين اتقوا و الرفع على تقديرهم الذين يقولون. و النصب على المدح و تقديره أعنى.

و قوله: «فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا» فالمغفرة هى الستر للذنب برفع التبعة، و الذنب، و الجرم بمعنى واحد و إنما الفرق بينهما من جهة الأصل، لأن أصل الذنب الاتباع، التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 415
فالذنب ما يتبع عليه العبد من قبيح عمله كالتبعة و الجرم أصله القطع، فالجرم القبيح الذى ينقطع به عن الواجب، و الفرق بين القول، و الكلام أن القول فيه معنى الحكاية و ليس كذلک الكلام.

و قوله: «وَ قِنا عَذابَ النَّارِ» قيل فى معنى هذه المسألة قولان:
أحدهما- مسألة اللّه ما هو من حكمه نحو قوله: «فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا» و الفائدة فى هذا الدعاء التعبد بما فيه مصلحة للعباد. الثانى- مسألة اللّه عز و جل ما لا يجوز أن يعطيه العبد إلا بعد المسألة لأنه لا يكون لطفاً إلا بعد المسألة و على مذهبنا وجه حسن السؤال إن العفو تفضل من اللّه لا يجب عند التوبة، و يجوز أيضاً العفو مع عدم التوبة، فيكون وجه السؤال «فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ قِنا عَذابَ النَّارِ» ان منا مصرين و لم نتب.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 17] ..... ص : 415

اشارة

الصَّابِرِينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الْقانِتِينَ وَ الْمُنْفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ (17)

الصابرين نصب على المدح و كذلک باقى الصفات، و يجوز أن تكون جراً صفات «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا» و معنى الصابرين: الحابسين نفوسهم بمنعها عما حرم اللَّه (تعالى) عليها، فالصابر الممدوح: هو الحابس نفسه عن جميع معاصى اللَّه، و المقيم على ما أوجب عليه من العبادات، و الصادقين هم المخبرون بالشىء على ما هو به و هى أيضاً صفة مدح «و القانتين» قال قتادة: هم المطيعون. و قال الزجاج: هم الدائمون على العبادة، لأن أصل القنوت الدوام. «و المنفقين»: الذين يخرجون ما أوجب اللَّه عليهم من الزكوات، و غيرها من الحقوق. و يدخل فى ذلک المتطوعون التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 416
بالإنفاق فيما رغب اللَّه فى الإنفاق فيه. «وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ» قال قتادة: هم المصلون بالأسحار. و قال أنس بن مالک: هم الذين يسألون المغفرة، و هو الأظهر.
و الأول جائز أيضاً، لأنه قد تطلب المغفرة بالصلاة، كما تطلب بالدعاء.

و الاسحار: جمع سحر، و هو الوقت الذى قبل طلوع الفجر. و أصله: الخفاء، و سمى السحر، لخفاء الشخص فيه. و منه السحر، لخفاء سببه. و منه السحر الرئة لخفاء موضعها. و المسحر الذى يأكل الطعام لخفاء مسالكه.
و روى عن أبى عبد اللَّه أن من استغفر اللَّه سبعين مرة فى وقت السحر، فهو من أهل هذه الآية.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 18] ..... ص : 416

اشارة

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18)

حقيقة الشهادة الاخبار بالشىء عن مشاهدة أو ما يقوم مقام الشهادة من الدلالات الواضحة، و الحجج اللائحة على وحدانيته من عجيب خلقه، و لطيف حكمته فى ما خلق. و قال أبو عبيدة: معنى «شَهِدَ اللَّهُ» قضى اللّه «أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ» شهود «وَ أُولُوا الْعِلْمِ» و حكى عمرو بن عبيد عن الحسن، و روى ذلک فى تفسيرنا أن فى الآية تقديماً، و تأخيراً. و تقديرها «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ قائِماً بِالْقِسْطِ» أى بالعدل، و شهد الملائكة أنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط، و شهد أولوا العلم أنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط. و أولوا العلم: هم المؤمنون.

و قرأ أبو المهلب عمر بن محارب بن دثار «شُهَداءَ لِلَّهِ» على وزن فعلاء جمع شهيد، نصب على الحال برده على ما قبله من الكلام كأنه قال: الذين يقولون ربنا إننا آمنا شهداء للّه أنه لا إله إلا هو، و هى جائزة غير أنها شهادة لم يوافق عليها أحد من قراء الأمصار، ذكر ذلک البلخى. و (إن) الأولى، و الثانية نحتمل أربعة أوجه من العربية، فتحهما جميعاً و كسرهما جميعاً، و فتح الأولى و كسر الثانية، و كسر الأولى و فتح الثانية. فمن فتحهما أوقع الشهادة على أن الثانية و حذف حرف الاضافة من الأولى، و تقديره «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ» «1» و قال أبو على الفارسى: يجوز أن يكون نصبها على البدل من شيئين.
أحدهما- من قوله «أَنَّهُ لا إِلهَ» و تقديره شهد اللّه «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ» و يجوز بدل الشىء من الشىء و هو هو.
و الثانى- أن يكون بدل الاشتمال، لأن الإسلام يشتمل على التوحيد و العدل و غير ذلک. و من كسرهما اعترض بالأولى للتعظيم للّه عز و جل به كما قيل لبيک إن الحمد. و كسر الثانية على الحكاية، لأن فى معنى شهد معنى قال. و قال المؤرخ: شهد بمعنى قال بلغة قيس عيلان.
الثالث- من فتح الأولى و كسر الثانية- و هو أجودها، و عليه أكثر القراء- أوقع الشهادة على الأولى و استأنف الثانية و هو أحسن الوجوه و أظهرها.
الرابع- من كسر الأولى، فعلى الاعتراض، ثم فتح الثانية بإيقاع الشهادة عليها. و هو المروى عن ابن عباس، و قيل فى نصب قائماً قولان:
أحدهما- أنه حال من اسم اللّه على تقدير شهد اللّه قائماً بالقسط.
الثانى- على الحال من هو و تقديره لا إله إلا هو قائماً بالقسط. و قال مجاهد:

---

(1) سورة آل عمران آية: 19.

معنى قائماً بالقسط أى قائماً بالعدل كما تقول: قائماً بالتدبير أى يجريه على الاستقامة فكذلک يجرى التدبير على الاستقامة و العدل فى جميع الأمور.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 19] ..... ص : 418

اشارة

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (19) آية.

قرأ «أن الدين» بفتح الهمزة الكسائى و حكى ذلک عن ابن مسعود. الباقون بكسرها و قد بينا الوجه فيه. معنى الدين هاهنا الطاعة فمعناه ان الطاعة للّه عز و جل هى الإسلام. قال الأعشى:
هو دان الرباب إذ كرهوا الد ين دراكا بغزوة و صيال «1»
و معناه ذلّلهم للطاعة إذ كرهوا الطاعة، و الدين الجزاء. من قولهم كما تدين تدان أى كما تجزى تجزى. و منه قوله: «مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» أى يوم الجزاء، و سميت الطاعة ديناً، لأنها للجزاء، و منه الدين، لأنه كالجزاء فى وجوب القضاء.
و الإسلام أصله السلم، فأسلم معناه دخل فى السلم كقولهم أقحط بمعنى دخل القحط و أربع دخل فى الربيع، و أصل السلم السلامة، لأنه انقياد على السلامة، و يصلح أن يكون أصله التسليم، لأنه تسليم، لأمر اللّه، و التسليم من السلامة، لأنه تأدية الشىء على السلامة من الفساد و النقصان، فالإسلام: هو تأدية الطاعات على السلامة من الإدغال، و الإسلام، و الايمان عندنا و عند المعتزلة بمعنى واحد غير أن عندهم أن فعل الواجبات من أفعال الجوارح من الايمان «و عندنا أن أفعال

---

(1) انظر 2: 147.

الواجبات من أفعال الجوارح من الايمان» «1» و عندنا أن أفعال الواجبات من أفعال القلوب- التى هى التصديق- من الايمان، فأما أفعال الجوارح، فليست من الايمان، و إن كانت واجبة. و قد بينا ذلک فى ما مضى و سنبينه إن شاء الله.
و الإسلام: يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبى (ص) من العبادات الشرعية و ترک النكير عليه، و الاستسلام له، فإذا قلنا: دين المؤمن هو الايمان، و هو الإسلام، فالإسلام هو الايمان. و نظير ذلک قولنا: الإنسان، و الإنسان حيوان على الصورة الانسانية، فالحيوان على الصورة الانسانية بشر.
و قوله: «وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» قال الربيع: المراد بالكتاب: التوراة. و قال محمد بن جعفر بن الزبير: هو الإنجيل. و قال الجبائى: خرج مخرج الجنس، و معناه كتب الله المتقدمة التى بين فيها الحلال و الحرام.
و الاختلاف ذهاب أحد النفيسين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر فهذا الاختلاف فى الأديان. فأما الاختلاف فى الأجناس، فهو امتناع أحد الشيئين أن يسد مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته. و البغى: طلب الاستعلاء بالظلم و أصله من بغيت الحاجة إذا طلبتها، و ليس فى الآية ما يدل على أن الذين اختلفوا بغياً

كانوا معاندين، لأن البغى قد يحمل على العدول عن طريق العلم، كما يحمل على عناد أهل العلم. و لأنه قد يقع الخلف بينهم و إن كانوا بأجمعهم مبطلين، كاختلاف اليهود و النصارى فى المسيح، فنسبه النصارى إلى الإلهية، و اليهود إلى الفرية.

و العامل فى «بَغْياً بَيْنَهُمْ» يحتمل أمرين: أحدهما- (اختلف) هذا المذكور، و تقديره: و ما اختلف فيه بغياً بينهم إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم، هذا قول الأخفش و قال الزجاج: نصبه محذوف دل عليه اختلف المذكور، و تقديره اختلفوا بغياً بينهم. و قوله: «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللَّهِ» معناه: من يجحد آيات اللَّه

---

(1) ما بين القوسين زائد حسب ما يظهر.

يعنى أدلته و بيناته «فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ» و فى الآخر سريع الحساب للجزاء.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 20] ..... ص : 420

اشارة

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَ مَنِ اتَّبَعَنِ وَ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْأُمِّيِّينَ أَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ (20)
آية بلا خلاف.

المعنى بقوله: «فَإِنْ حَاجُّوكَ» نصارى نجران- على قول جميع المفسرين- فان قيل: لم قال: «وَ مَنِ اتَّبَعَنِ» و لم يؤكد الضمير، فلم يقل: أسلمت أنا و لا يجوز أن يقول القائل قمت و زيد إلا بعد أن يقول قمت أنا و زيد؟ قيل: إنما جاز هاهنا لطول الكلام، فصار طوله عوضاً من تأكيد الضمير المتصل، و لو قال أسلمت و زيد لم يجز حتى يقول: أسلمت أنا و زيد، فإذا قال: أسلمت اليوم بانشراح صدري و من جاء معى حسن. فان قيل ما الحجة فى قوله: «فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ»؟ قلنا فيه وجهان:
أحدهما- أنه أراد إلزامهم على- ما أقروا به من أن اللَّه خالقهم- اتباع أمره فى «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» «1» فلذلک قال: «أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ» أى انقدت لأمره فى اخلاص التوحيد له.
الثانى- أنه ذكر الأصل الذى يلزم جميع المكلفين الإقرار به لأنه لا ينتقض فى ما يحتاج إلى العمل عليه فى الدين الذى هو طريق النجاة من العذاب إلى النعيم، و معنى قوله: «وجهى» يريد نفسى و إنما أضاف الإسلام إلى الوجه، لأنه لما كان وجه الشىء أشرف ما فيه ذكر بدلا منه ليدل على شرف الذكر. و مثله «كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» «2» أى إلا هو. و قوله: (وَ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ)

---

(1) سورة الإسراء آية: 23.
(2) سورة القصص آية: 88.

يعنى اليهود و النصارى، «و الأميين» الذين لا كتاب لهم على قول ابن عباس و غيره. من أهل التأويل، و هم مشركوا العرب، كما قال: «هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ» «1» و قال: «النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ» «2» أى الذى لا يكتب.
و إنما قيل لمن لا يكتب أمى، لأنه نسب إلى ما عليه الأمة فى الخلقة لأنهم خلقوا لا يكتبون شيئاً. و إنما يستفيدون الكتابة.
و قوله: (وَ مَنِ اتَّبَعَنِ) من حذف الياء اجتزاء بالكسرة و إنما حذفها حمزة، و الكسائى و عاصم، و حذف الياء فى أواخر الآى أحسن لأنها تشبه القوافى. و يجوز فى وسط الآى أيضاً و أحسنها ما كان قبلها نون مثل قوله: «وَ مَنِ اتَّبَعَنِ»، فان لم يكن نون، فانه يجوز أيضاً نحو قولک هذا غلام، و ما أشبه ذلک. و الأجود أن تقول هذا غلامى و إن شئت أسكنت الياء. و إن شئت فتحتها.
و قوله: (ء أسلمتم) أمر فى صورة الاستفهام، و إنما كان كذلک، لأنه بمنزلة

طلب الفعل، و الاستدعاء إليه فذكر ذلک للدلالة على أمرين من غير تصريح به ليقر المأمور به بما يلزمه فيه، كما تقول لمن توصيه بما هو أعود عليه: أقبلت هذا.
و معناه اقبل، و مثله قوله تعالى: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» «3» معناه انتهوا، و أقروا به. و تقول لغيرک: هل أنت كاف عنا. و معناه اكفف. و يقول القائل لغيره:
أين أنت، و معناه اثبت مكانک لا تبرح.
و قوله: «فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا» معناه اهتدوا إلى طريق الحق «وَ إِنْ تَوَلَّوْا» معناه كفروا، و لم يقبلوا و اعرضوا عنه «فَإِنَّما عَلَيْکَ الْبَلاغُ» و معناه عليک البلاغ، فقط دون ألا يتولوا، لأنه ليس عليک ألاَ يتولوا. و قوله:
«وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ» معناه هاهنا لا يفوته شىء من أعمالهم التى يجازيهم بها، لأنه بصير بهم أى عالم بهم و بسرائرهم و ظواهر أعمالهم، لا يخفى عليه خافية. و قيل معناه يعلم ما يكون منک فى التبليغ، و منهم فى الايمان، و الكفر.

---

(1) سورة الجمعة آية: 2. [.....]
(2) سورة الاعراف آية: 156، 157.
(3) سورة المائدة آية: 94.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 21] ..... ص : 422

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ (21)

آية واحدة.

قرأ حمزة و نصير «و يقاتلون الذين يأمرون» بالف لأن فى مصحف عبد اللَّه «و قاتلوا» و الأجود ما عليه الجماعة.

و قوله: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ» معناه يجحدون «بِآياتِ اللَّهِ» يعنى حججه و بيناته «وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ»
روى أبو عبيدة بن الجراح قال: قلت يا رسول اللَّه أى الناس أشد عذاباً يوم القيامة قال: رجل قتل نبياً أو رجلا أمر بمعروف و نهى عن منكر، ثم قرأ رسول اللَّه «وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» ثم قال يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة و أربعين نبياً من أول النهار فى ساعة واحدة، فقام مائة رجل و اثنا عشر رجلا من عُباد بنى إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف، و نهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار فى ذلک اليوم، و هم الذين ذكرهم اللَّه.
و استدل الرمانى بذلک على جواز انكار المنكر مع خوف القتل، و بالخبر الذى
رواه الحسن عن النبى (ص) أنه قال: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر يقتل عليها.
و قال عمرو بن عبيد: لا نعلم عملا من أعمال البشر أفضل من القيام بالقسط يقتل عليه. و هذا الذى ذكروه غير صحيح، لأن من شرط إنكار المنكر ألا يكون فيه مفسدة، و ألا يؤدى إلى قتل المنكر، و متى أدى ذلک إلى قتله، فقد انتفى عنه الشرطان معاً فيجب أن يكون قبيحاً، و الاخبار التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 423
التى رووها أخبار آحاد لا يعارض بها على أدلة العقول على أنه لا يمتنع أن يكون الوجه فيها و فى قوله: «وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ» هو من غلب على ظنه أن إنكاره لا يؤدى إلى مفسدة فحسن منه ذلک بل وجب و إن تعقب- فى ما بعد- القتل، لأنه ليس من شرطه أن يعلم ذلک بل يكفى فيه غلبة الظن.
و قوله: «بِغَيْرِ حَقٍّ» لا يدل على أن قتل النبيين يكون بحق بل المراد بذلک أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق، كما قال: «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ» «1». و المعنى ان ذلک لا يكون عليه برهان كما قال امرؤ القيس:
على لا حب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود الديا فى جرجرا «2»
و تقول: لا خير عنده يرجى. و أنت تريد لا خير عنده أصلا. و كذلک أراد امرؤ القيس أنه لا منار هناک، فيهتدى به قال أبو ذؤيب:
متفلق انشاؤها عن قانى كالقرط صاو غيره لا يرضع
أى ليس له بقية لبن فيرضع، و معنى صاو فى البيت صوت يابس النخلة.
و قوله: «وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ» معناه الذين يأمرون

بالمعروف و ينهون عن المنكر. و قوله: «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» إنما خاطبهم بذلک و إن كان الخبر عن أسلافهم من حيث رضوا هم بأفعالهم، فأجملوا معهم على تقدير فبشر أخلافهم بأن العقاب لهم، و كأسلافهم. فان قيل لم جاز أن تقول إن الذى يقوم، فيكرمک، و لم يجز ليت الذى يقوم فيكرمک؟ قلنا: لأن دخول الفاء لشبه الجزاء، لأن الذى يحتاج إلى صلة فصلتها قامت مقام الشرط، فلذلک دخل الفاء فى الجواب كما دخل فى جواب الشرط، و ليت تبطل معنى الجزاء و ليس كذلک أن لأنها بمنزلة الابتداء.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 22] ..... ص : 423

اشارة

أُولئِکَ الَّذِینَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِینَ (22)

---

(1) سورة المؤمنون آية: 118.
(2) مر تخريجه فى 2: 356.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 424
آية بلا خلاف.

حبوط العمل- عندنا- هو إيقاعه على خلاف الوجه المأمور به، فإذا أوقعه كذلک لم يستحق عليه الثواب، فجاز لذلک أن يقال: أحبط عمله، و متى أوقعه على الوجه المنهى عنه، استحق مع ذلک العقاب، و ليس المراد بذلک بطلان ما يستحق عليه من الحمد و الثناء. و لا بطلان الثواب بما يستحق من العقاب، لأن الثواب إذا ثبت فلا يزول على وجه بما يستحق صاحبه من العقاب، لأنه لا تنافى بين المستحقين، و لا تضاد. و أما حبوطها فى الدنيا، فلأنهم لم ينالوا بها مدحاً و لا ثناء.
و أصل الحبوط مأخوذ من قولهم: حبطت بطون الماشية: إذا فسدت من مآكل الربيع. فعلى ما حررناه إنما تبطل الطاعة حتى تصير بمنزلة ما لم تفعل إذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به و عند المعتزلة، و من خالفنا فى ذلک أن أحدهما يبطل صاحبه إذا كان ما يستحق عليه من الثواب أو العقاب أكثر مما يستحق على الآخر فانه يبطل الأقل على خلاف بينهم فى أنه يتحبط على طريق الموازنة أو غير الموازنة، قال الرمانى: و الفرق بين حبوط الفريضة و حبوط النافلة أن النافلة من الفاسق لا بد عليها من منفعة عاجلة، لأن اللَّه رغب فيها إن أقام على فسقه أو لم يقم.
و الترغيب من الحكيم لا يكون إلا لمنفعة، فأما الفريضة من الفاسق، فلانتقاض المضرة التى كان يستحقها على ترک المضرة، و هذا- على مذهبنا- لا يصح على ما فصلناه، و لا على مذهب شيوخه، لأن المستحق على النوافل لا يكون إلا ثواباً و الثواب لا يصح فعله فى دار التكليف، فكيف يصح ما قاله. و قوله: «وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ» يدل على أنه تعالى لا ينصر كافراً لأنه لو نصره، لكان أعظم ناصر و اللَّه تعالى نفى على وجه العموم أن يكون لهم ناصر، و لأن مفهوم الكلام أنه لا ينفعهم نصر لكفرهم.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 23] ..... ص : 425

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُدْعَوْنَ إِلى كِتابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (23)
آية بلا خلاف.

معنى «أَ لَمْ تَرَ» أ لم تعلم «إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا» معناه الذين أعطوا «نَصِيباً» أي حظاً و إنما قيل «أُوتُوا نَصِيباً» منه، لأنهم يعلمون بعض ما فيه «مِنَ الْكِتابِ» قال ابن عباس، و الزجاج، و الجبائى: إنه التوراة دعى إليها اليهود فأبوا لعلمهم بلزوم الحجة عليهم بما فيه من الدلالة على نبوة نبينا (ص) و تصديقه. و الثانى- قال الحسن، و قتادة: دعوا إلى القرآن، لأن ما فيه موافق ما فى التوراة فى أصول الديانة و أركان الشريعة. و فى الصفة التى تقدمت البشارة بها.

و الحكم الذى دعوا فيه إلى الكتاب يحتمل ثلاثة أشياء: أحدها- أن يكون نبوة النبى (ص). و الثانى- أن يكون أمر إبراهيم فان دينه الإسلام. و الثالث- أن يكون حداً من الحدود، لأنهم نازعوا فى ذلک، و ليس فى القرآن دليل على تعيين ذلک و إنما هو محتمل لكل واحد منها.

و الفرق بين الدعاء إلى الشىء و الأمر به أن الأمر له صيغة مخصوصة و فيه زجر عن المخالفة عند من قال: إنه يقتضى الإيجاب. و الدعاء قد يكون بالخبر و غيره من الدلالات على معنى الخبر و إنما دعوا إلى المحاكمة لتظهر الحجة فأبوا إلا المخالفة.

و الحكم هو الخبر الذى يفصل الحق من الباطل بامتناعه من الإلباس و هو مأخوذ من الحكمة. و هو الخبر الذى توجب صحته الحكمة. و إنما يقال حكم بالباطل لأنه جعل موضع الحق باطلا بدلا منه. و قولهم ليس هذا حكم كذا معناه ليس هذا حقه فإنما دعوا إلى كتاب اللّه ليفصل الحق من الباطل فيما اختلفوا فيه. و معنى التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 426

قوله: «يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ» فالتولى عن الشىء هو الاعراض عنه، فليس على وجه التكرار لأن معناه يتولى عن الداعى، و هو معرض عما دعا إليه، لأنه قد كان يمكنه أن يتولى عنه و هو متأمل لما دعا إليه، فلما لم يفعل كان العيب له ألزم و الذم على ما فعل أعظم.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 24] ..... ص : 426

اشارة

ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ وَ غَرَّهُمْ فِی دِينِهِمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (24)
آية بلا خلاف.

الأيام المعدودات قيل فيها قولان:
أحدهما- هى الأيام التى عبدوا فيها العجل و هى أربعون يوماً. ذكره قتادة، و الربيع، و الحسن إلا أن الحسن قال: سبعة أيام. و الثانى- قال الجبائى: أرادوا أياماً منقطعة لانقضاء العذاب فيها و انقطاعه.

و قوله: «وَ غَرَّهُمْ فِی دِینِهِمْ» فالغرور الاطماع فی ما لا یصح. غره یغره غروراً، فهو مغرور و اعتره اغتراراً. و الغرور: الشیطان، لأنه یغر الناس. و الغار:
الغافل، لأنه کالمغتر. و الغرارة: الدنیا، لأنها تغر أهلها. و الغر: الغمر الذی لم یجرب الأمور، و مصدره الغرارة، لأن من شأنه أن یقبل الغرور. و الغرر: الخطر الذی یقدم فیه علی ما لا ینبغی، لأنه کحال الغرور فی الطمع المذموم. و الغرارة:
الوعاء، لأنها تغر بعظمها و خفاء ما فیها. و الغر: آثار طی الثوب. أطوه علی غره أی علی آثار طیه. و الغرغرة: التغرغر فی الحلق. و الغرغرة: حکایة صوت الراعی.
و الغر: زق الطائر فرخه. غره یغره غراً: إذا زقه و ذلک، لأنه کالغرغرة فی الحلق. التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 427
و الغُرة: الجبهة. و أصل الباب الغرور الطماع فی غیر مطمع.
و قوله: «ما کانُوا یَفْتَرُونَ» فالافتراء: الکذب، و فری فلان کذباً یفریه فریة، و الفری: الشق، فریت الأدیم فریاً، و فریة. مفریة: مشقوقة. و قد تفرو بجورها أی تشق. و الفری: الإصر العظیم، لأنه یشق علی النفس. و أصل الباب:
الفری: الشق. و منه الافتراء، لأنه یشق علی النفس.

و الافتراء الذى غرهم قيل فيه قولان: أحدهما- قوله: «نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ» فى قول قتادة، و قال مجاهد غرهم قوله: «لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ» و ليس فى الآية ما يدل على خلاف ما نذهب إليه من جواز العفو و إخراج المعاقبين من أهل الملة من النار من حيث أن اللّه ذم هؤلاء بانه لا تمسهم النار إلا أياماً معدودات. و ذلک انا لا نقول أن الأيام التى يعاقب فيها الفاسق بعدد أيام عصيانه بل إنما نقول: إن عقاب من ثبت دوام ثوابه لا يكون إلا منقطعاً و إن لم يحط العلم مقداره. و اللّه تعالى عاب أهل الكتاب بذلک من حيث قطعوا على ما قالوه و حكموا به و ذلک بخلاف ما قلناه.

فَكَيْفَ إِذا جَمَعْناهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (25)
آية بلا خلاف.
«كيف» موضوعة للسؤال عن الحال. و معناها هاهنا التنبيه بصيغة السؤال عن حال من يساق إلى النار. و فيه بلاغة، و اختصار شديد، لأن تقديره أى حال يكون حال من اغتر بالدعاوى الباطلة حتى أداه ذلک إلى الخلود فى العقوبة؟ و نظيره قول القائل: أنا أكرمک و إن لم تجئنى فكيف إذا جئتنى؟ معناه فكيف إكرامى لک إذا جئتنى. و التقدير: كيف حالها إذا جمعناهم؟ لأنه خبر ابتداء محذوف. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 428
و قوله: «لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ» معناه لجزاء يوم. و اللام يدل على هذا التقدير. و لو قال: جمعناهم فى يوم لما دل على ذلک. و مثله جئته ليوم الخميس أى لما يكون فى يوم الخميس. و قال الفراء. معناه فى يوم.
و قوله: «وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- «وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ» من ثواب أو عقاب. الثانى- ما كسبت من ثواب أو عقاب بمعنى اجتلبت بعملها من الثواب أو العقاب، كما تقول كسب فلان المال بالتجارة و الزراعة. فان قيل: كيف قال: «وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ» و ما كسبت، لا نهاية له، لأنه دائم و ما لا نهاية له لا يصح فعله؟ قلنا: معناه أنه توفى كل نفس ما كسبت حالا بعد حال، فأما أن يفعل جميع المستحق فمحال لكن لا ينتهى إلى حد ينقطع و لا يفعل فيما بعده. «وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ» معناه لا يبخسون، فلا يبخس المحسن جزاء إحسانه، و لا يعاقب مسىء فوق جزائه.

و قوله تعالى.[سورة آل‌عمران (3): آية 26] ..... ص : 428

اشارة

قُلِ اللَّهُمَّ مالِکَ الْمُلْکِ تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْکَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِیَدِکَ الْخَیْرُ إِنَّکَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (26)
آیة واحدة.

قيل فى زيادة الميم فى اللهم قولان: أحدهما- قال الخليل: إنها عوض من ياء التى هى أداة للنداء بدلالة أنه لا يجوز أن تقول غفر اللهم لى، و لا يجوز أيضاً مع (يا) فى الكلام. و الثانى- ما قاله الفراء: إنها الميم فى قولک يا اللّه أمنا بخير فألقيت الهمزة و طرحت حركتها على ما قبلها. و مثله هلم و إنما هى هل أم، قال: و ما قاله الخليل لا يجوز لأن الميم إنما تزاد مخففة فى مثل فم و ابنم، و لأنها قد اجتمعت مع (يا) فى قول الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 429

و ما عليک أن تقولى كلما سبحت أو صليت يا اللهما

أردد علينا شيخنا مسلما «1»

قال الرمانى: لا يفسد قول الخليل بما قاله، لأنها عوض من حرفين فشددت كما قيل قمتن و ضربتن لما كانت النون عوضاً من حرفين فى قمتم، و ذهبتم، فأما قمن و ذهبن فعوض من حرف واحد، و أما البيت فإنما جاز فيه لضرورة الشعر، و أما هل، فلا تدخل على (أم) بوجه من الوجوه. و الأصل فى (ها) أنها للتنبيه دخلت على (لم) فى قول الخليل.

و قوله:«مالِکَ الْمُلْکِ» أكثر النحويين على أنه منصوب بأنه منادى مضاف و تقديره يا مالک الملک. و قال الزجاج: يحتمل هذا و يحتمل أيضاً أن يكون صفة من اللهم، لأن اللهم منادى، و الميم فى آخره عوض من ياء فى أوله ثم وصفه بعد ذلک كما تقول يا زيد ذا الحجة.

و معنى الآية قيل فيه أربعة أقوال:
أحدها- أن الملک هاهنا النبوة ذكره مجاهد. و [الثانى] قال الزجاج: مالک العباد، و ما ملكوا. و [الثالث] قال قوم: مالک أمر الدنيا و الآخرة.
و الرابع: أنه أفاد صفة لا تجوز الاله من أنه مالک كل ملک.
و قوله: «تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ» تقديره من تشاء أن تؤتيه و تنزع الملک ممن تشاء أن تنزعه، كما تقول: خذ ما شئت و اترک ما شئت. و معناه ما شئت أن تتركه.

---

(1) اللسان (أله)، و معانى القرآن للفراء 1: 203 و غيرهما من كتب اللغة و النحو و الأدب، و رأيتها مختلفة.

و النزع:قلع الشىء عن الشىء، نزع ينزع نزعاً. و منه قوله: «وَ النَّازِعاتِ غَرْقاً» قال أبو عبيدة هى النجوم تنزع أى تطلع و النزع الشبه للقوم نزع إلى أخواله أى نزع إليهم بالشبه، فصار واحداً منهم بشبهه لهم. و النزاع: الحنين إلى الشىء و المنازعة: الخصومة. و النزوع عن الشىء الترک له. و النزع: ذهاب الشعر عن مقدم الرأس. و المنزعة: آلة النزع. و أصل الباب النزع: القلع.

و قال البلخى و الجبائى لا يجوز أن يعطى اللَّه الملک للفاسق لأنه تمليک الأمر العظيم من السياسة و التدبير مع المال الكثير، لقوله: «لا يَنالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ» «1» و الملک من أعظم العهود، و لا ينافى ذلک قوله: «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ» «2» لأمرين: أحدهما- قال مجاهد الهاء كناية عن إبراهيم و الملک المراد به النبوة و التقدير أن آتى اللَّه إبراهيم النبوة. و الثانى- أن يكون المراد بالملک المال دون السياسة، و التدبير فان قيل: ما الفرق بين تمليک الكافر العبيد و الإماء و بين تمليكه السياسة و التدبير: قيل: لأن لا يجعل للجاهل أن يسوس العالم، و هذا الذى ذكره البلخى بعينه يُستدل به على الامام يجب أن يكون معصوماً، و لا يكون فى باطنه كافراً، و لا فاسقاً.
فان قيل: إن ذلک عادة و جاز أن يكلفنا اللَّه اختياره على ظاهر العدالة فإذ أبان فسقه انخلعت إمامته و إنما لا يجوز أن يختار اللَّه (تعالى) من فى باطنه فاسق، لأنه يعلم البواطن لما جاز منا أن نختاره؟ قلنا عن ذلک جوابان:
أحدهما- أن الامام- عندنا- اللَّه (تعالى) يختاره، فوجب أن يكون

---

(1) سورة البقرة آية: 124.
(2) سورة البقرة آية: 258.

مأمون الباطن على ما قلتموه. و ما الفرق بين أن يختار من فى باطنه فاسق و بين أن يكلفنا ذلک مع علمه بأنا لا نختار إلا الفاسق.
و الجواب الثانى- أنه إذا كانت علة الحاجة إلى الامام ارتفاع العصمة فلو كان الامام غير معصوم لاحتاج إلى امام آخر و أدى ذلک إلى التسلسل و ذلک باطل.
و قوله: «بِيَدِکَ الْخَيْرُ» معناه إنک قادر على الخير و إنما خص الخير بالذكر و إن كان بيده كل شىء من خير أو شر، لأن الغرض ترغيب العبد، و إنما يرغب فى الخير دون الشر، و قال الحسن، و قتادة: هذه الآية نزلت جواباً لما سأل اللَّه النبى (ص) أن يجعل لأمته ملک فارس و الروم فأنزل اللَّه الآية.

اشارة

تُولِجُ اللَّيْلَ فِی النَّهارِ وَ تُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّیْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَیِّتَ مِنَ الْحَیِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ (27)
آیة بلا خلاف.

قرأ بتشديد الياء «من الميت» نافع و حمزة و الكسائى و حفص الباقون بالتخفيف.
الإيلاج: الإدخال يقال: أولجه ايلاجاً، و ولج ولوجاً. و منه قوله: «حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِياطِ» «1» و الوليجة بطانة الرجل لأنه يطلعه على داخل أمره. و منه قوله: «وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً» «2» و التولج كناس الظبى لأنه يدخله ليأوى إليه و الولجة شىء يكون بين يدى فناء القوم لأنه مدخل إلى أفنائهم و أصل الباب الدخول.

---

(1) سورة الاعراف آية: 29.
(2) سورة التوبة آية: 17.

قيل فى معنى الآية قولان: أحدهما- ما روى عن ابن مسعود، و ابن عباس، و مجاهد، و الحسن، و قتادة، و السدى، و الضحاک، و ابن زيد: انه يجعل ما نقص من أحدهما زيادة فى الآخر. و قال الجبائى: معناه يدخل أحدهما فى الآخر بإتيانه بدلا منه فى مكانه.
و قوله: «وَ تُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- يخرج الحى من النطفة، و هى ميتة، و النطفة من الحى و كذلک الدجاجة من البيضة و البيضة من الدجاجة، هذا قول عبد اللّه بن مسعود، و مجاهد، و الضحاک، و السدى، و قتادة، و ابن زيد.
الثانى- ما قاله الحسن
و روى ذلک عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع) أنه إخراج المؤمن من الكافر، و الكافر من المؤمن.
و الفرق بين تخفيف الياء و تشديدها أن الميت بالتخفيف الذى قد مات و بالتثقيل الذى لم يمت قال المبرد: و لا خلاف بين علماء البصريين أنهما سواء و أنشد لابن الرعلاء الغسانى:
ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الأحياء
انما الميت من يعيش كئيباً كاسفاً باله قليل الرخاء «1»
فجمع بين اللغتين و إنما كرر فى عدة مواضع فى القرآن لما فيه من عظم المنفعة و جزيل الفائدة.
و قوله: «بِغَيْرِ حِسابٍ» قيل فيه ثلاثة أقوال: أولها- قال الحسن و الربيع: بغير نقصان، لأنه لا نهاية لما فى مقدوره فما يوجد منه لا ينقصه، و لا هو على حساب جزء من كذا و كذا جزءاً منه، فهو بغير حساب التجزئة. الثانى- بغير حساب التقتير كما يقال فلان ينفق بغير حساب، لأن من عادة المقتر ألا ينفق إلا

---

(1) اللسان (موت) و روايته (شقياً) بدل (كئيباً).

بحساب ذكره الزجاج. الثالث- ما قاله الجبائى: ان معناه بغير حساب الاستحقاق، لأنه تفضل و ذلک، لأن النعيم منه بحساب و منه بغير حساب فأما العقاب فجميعه بحساب.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 28] ..... ص : 433

اشارة

لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِکَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِی شَیْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَی اللَّهِ الْمَصِيرُ (28)
آية واحدة.

قال الفراء، و الحسن، و مجاهد: «تقية» و به قرأ يعقوب. الباقون «تقاة» و أمال «تقاة» الكسائي. و قرأ حمزة، و نافع بين بين. الباقون بالتفخيم، و هو الأجود، لأن فيه حرفاً مستعلياً، و هو القاف. و من أمال، ليؤذن أن الالف منقلبة من الياء. معنى قوله: «يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ» نهى للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء يعنى أنصاراً، و كسر الذال لالتقاء الساكنين، و لو رفع، لكان جائزاً بمعنى لا ينبغى لهم أن يتخذوا.

و قوله:«مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» من لابتداء الغاية. و تقدير الآية لا تجعلوا ابتداء الولاية مكاناً دون المؤمنين لأن مكان المؤمن الأعلى و مكان الكافر الأدنى، كما تقول زيد دونک و لست تريد أنه فى موضع مسفل، و أنک فى موضع مرتفع لكن جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع و الخيانة كالاستفال. و فى الآية دلالة على أنه لا يجوز ملاطفة الكفار. قال ابن عباس: نهى اللّه سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار قال تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 434
خَبالًا»
«1» و قال: «لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» «2» و قال: «فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» «3» و قال «وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ» «4» و قال تعالى: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ» «5» و قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) «6» و كل ذلک يدل على أنه ينبغى أن يعاملوا بالغلظة و الجفوة دون الملاطفة، و الملاينة إلا ما وقع من النادر لعارض من الأمر.

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه (تعالى) لما بين عظيم آياته بما فى مقدوراته مما لا يقدر عليه سواه، دل على أنه ينبغى أن تكون الرغبة فى ما عنده و عند أوليائه من المؤمنين دون أعدائه الكافرين، فنهى عن اتخاذهم أولياء دون أهل التقوى الذين سلكوا طريق الهدى. و الولى هو الأولى، و هو أيضاً الذى يلى أمر من ارتضى فعله بالمعونة و النصرة. و تجرى على وجهين:
أحدهما- المعين بالنصرة. و الآخر- المعان فمن ذلک قوله: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا» أى معينهم بنصرته، و المؤمن ولى اللّه أى معان بنصرة اللّه. و قوله: «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِکَ» يعنى من إتخذ الكافرين أولياء «فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِى شَىْءٍ» أى ليس هو من أولياء اللّه الصالحين و اللّه برىء منهم «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً» فالتقية الاظهار باللسان خلاف ما ينطوى عليه القلب للخوف على النفس إذا كان ما يبطنه هو الحق فان كان ما يبطنه باطلا كان ذلک نفاقاً.

و قوله: (تقاة) أصله وقاة فأبدلت الواو المضمومة تاء استثقالا لها، لأنهم

---

(1) سورة آل عمران آية: 118.
(2) سورة المجادلة آية: 22.
(3) سورة الانعام آية: 68.
(4) سورة الاعراف آية: 198. [.....]
(5) سورة التوبة آية: 74.
(6) سورة المائدة آية: 54.

يفرون منها إلى الهمزة تارة و إلى التاء أخرى فأما التاء فلقربها من الواو مع أنها من حروف الزيادة. و أما الهمزة فلأنها نظيرتها فى الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن زيادتها أولا، و وزن تقاة فعله مثل تؤدة، و تخمة و تكأة، و هى مصدر اتقى تقاة، و تقية، و تقوى، و اتقاء.

و التقية- عندنا- واجبة عند الخوف على النفس و قد روى رخصة فى جواز الإفصاح بالحق عندها. روى الحسن أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول اللَّه (ص) فقال لأحدهما أ تشهد أن محمداً رسول اللَّه؟ قال: نعم. قال:
أ فتشهد أنى رسول اللَّه؟ قال: نعم، ثم دعا بالآخر فقال أ تشهد أن محمداً رسول اللَّه؟
قال: نعم، فقال له أ فتشهد أنى رسول اللَّه؟ قال إنى أصم- قالها ثلاثاً كل ذلک تقية- فتقول ذلک فضرب عنقه فبلغ ذلک «1» فقال أما هذا المقتول فمضى على صدقه و تقيته و أخذ بفضله فهنيئاً له. و أما الآخر فقبل رخصة اللَّه، فلا تبعة عليه فعلى هذا التقية رخصة و الإفصاح بالحق فضيلة. و ظاهر أخبارنا يدل على أنها واجبة، و خلافها خطأ.
و قوله: «وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» يعنى إياه فوضع نفسه مكان إياه، و نفسه يعنى عذابه، و أضافه إلى نفسه على وجه الاختصاص، و التحقيق كما لو حققه بصفة بأن يقول يحذركم اللَّه المجازى لكم. و قوله: (وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) معناه إلى جزاء اللَّه المصير أى المرجع.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 29] ..... ص : 435

اشارة

قُلْ إِنْ تُخْفُوا ما فِی صُدُورِکُمْ أَوْ تُبْدُوهُ یَعْلَمْهُ اللَّهُ وَ یَعْلَمُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (29)
آیة واحدة.

---

(1) یعنی رسول اللَّه (ص).

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها. أنه لما تقدم النهى عن اتخاذ الكفار أولياء خوفوا من الإعلان بخلاف الاظهار فى ما نهوا عنه بأن اللّه (تعالى) يعلم الأسرار كما يعلم الإعلان.

و الصدر معروف. و الصدر: أعلى مقدم كل شىء. و الصدر: الانصراف عن الماء بعد الرى. تقول: صدرت الإبل عن الماء فهى صادرة. و المصدر: الحوض الذى تصدر عنه الإبل. و التصدير: حزام الرجل لميله إلى الصدور. و الصدار:
شبيه بالفقيرة تلبسها المرأة لأنه قصير يغطى الصدر و ما حاذاه و كذلک الصدرة.
و أصل الباب الصدر المعروف.
و قوله: «يَعْلَمْهُ اللَّهُ» جزم، لأنه جواب الشرط، و ان كان اللَّه يعلمه كان أو لم يكن، و معناه يعلمه كائناً و لا يصح وصفه بذلک قبل أن يكون. و المعنى: و ما تفعلوا من خير يجاز اللَّه عليه، لأنه يعلمه، فلا يذهب عليه شىء منه و إنما قال: «وَ يَعْلَمُ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ» ليذكر بمعلومات اللَّه على التفصيل بعلم الضمير و إنما رفعه على الاستئناف. و قوله: «وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» معناه التحذير من عقاب من لا يعجزه شىء أصلا من حيث أنه قادر على كل شىء يصح أن يكون مقدوراً له.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 30] ..... ص : 436

اشارة

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ (30)
آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 437

قيل فى انتصاب يوم ثلاثة أوجه: أحدها- أنه منصوب ب (يحذركم) اللَّه أى يحذركم نفسه يوم تجد. الثانى- بالمصير و تقديره و إلى اللَّه المصير يوم تجد. الثالث- اذكر يوم تجد. و قوله: «ما عملت» معنى (ما) هاهنا الذى لأنه عمل فيها (تجد) و تكون فى موضع نصب. و يحتمل أيضاً أن تكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر، و تقديره: يوم تجد كل نفس عملها، بمعنى جزاء عملها. و قوله: «و ما عملت» يجوز أن تكون (ما) بمعنى الذى، و يقوى ذلک قوله: «تود» بالرفع و يجوز أن يكون بمعنى الجزاء، و تود على هذا يحتمل أن يكون مفتوحاً أو مكسوراً. و الرفع جائز على ضعف.

و معنى تجد النفس عملها يحتمل أمرين: أحدهما- جزاء عملها من الثواب أو العقاب. الثانى- تجد بيان عملها بما ترى من صحائف الحسنات، و السيئات.
و حكم الآية جار على فريقين ولى اللّه و عدوه، فأحدها يرى حسناته، و الآخر يرى سيئاته. و يحتمل أيضاً أن يكون متناولا لمن جمع بين الطاعة و المعصية، فان من جمع بينها فانه يرى استحقاقه للعقاب على معاصيه حاصلا، فانه يود أيضاً أنه لم يكن فعلها. و الأمد الغاية التى ينتهى إليها قال الطرماح:
كل حى مستكمل عدة العمر و مردّ إذا انقضى أمده
أى غاية أجله. فان قيل كيف يتصل التحذير بالرأفة؟ قيل: قال الحسن: إن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه، و قد بينا أن معنى قوله «وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» عذابه. و فسرنا معنى رؤوف فى ما مضى. و إن معناه رحيم بعباده.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 31] ..... ص : 437

اشارة

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اللَّهُ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ (31)
التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 438
آیة.

قيل: إن هذه الآية نزلت فى قوم من أهل الكتاب، قالوا: نحن الذين نحب ربنا فجعل اللّه تصديق ذلک اتباع رسله. هذا قول الحسن و ابن جريج. و قال محمد بن جعفر بن الزبير: إنها نزلت فى وفد نجران من النصارى.

و المحبة: هى الارادة إلا أنها تضاف إلى المراد تارة، و إلى متعلق المراد أخرى نحو أن تقول: أحب زيداً و أحب إكرام زيد، و لا تقول فى الارادة ذلک لأنک تقول: أريد إكرام زيد، و لا تقول أريد زيداً. و إنما كان كذلک لقوة تصرف المحبة فى موضع مثل الطباع الذى يجرى مجرى الشهوة، فعوملت تلک المعاملة فى الاضافة و محبة اللّه للعبد هى ارادته لثوابه و محبة العبد للّه هى ارادته لطاعاته.

و قوله:(فاتبعوني) أثبتت الياء فيه بلا خلاف، لأنها فى وسط آية و حذفت من قوله: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ» لأنها رأس آية نوى بها الوقف لتشاكل رءوس الآى، لأن سبيل الفواصل سبيل القوافى. و قيل أحببت فلاناً، فهو محبوب، فجاء مفعول للاستغناء به عن حببت حتى صار ذلک مهملا، و قد جاء على الأصل قول عنترة:

و لقد نزلت فلا تظنى غيره منى بمنزلة المحب المكرم «1»

و قد حكى الزجاج عن الكسائى (حببت) من الثلاثى، و أجاز القراءة بفتح

---

(1) معلقته الشهيرة و غيرها.

التاء غير أنه قال هذه لغة قد ماتت. و قول: (وَ يَغْفِرْ لَكُمْ) لا يجوز فى القياس إدغام الراء فى اللام كما جاز إدغام اللام فى الراء فى هل رأيت، لأن الراء مكررة، و لا يدغم الزائد فى الناقص للإخلال به، و قياسها فى ذلک قياس الضاد، لأنه يجوز هل ضربت بالإدغام و لا يجوز انقض له إلا بالإظهار لما فى الضاد من الاستطالة، و قال الزجاج: روى عن أبى عمرو إدغام الراء فى اللام، و غلظ عليه لأنه خطأ فاحش بإجماع علماء النحويين: الموثوق بهم، و أجاز الفراء إدغامها فى اللام كما يجوز إدغام الياء فى الميم.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ (32)
آية بلا خلاف.
قال محمد بن جعفر بن الزبير: نزلت هذه الآية فى وفد نجران، و فيها دلالة على بطلان مذهب المجبرة، لأنه قال لا يحب الكافرين و معنى لا يحبهم لا يريد ثوابهم من أجل كفرهم، فاذن لا يريد كفرهم، لأنه لو أراده لم يكن نفى محبته لكفرهم، و الطاعة إتباع الداعى فيما دعا إليه بأمره أو إرادته، و لذلک قد يكون الإنسان مطيعاً للشيطان فيما يدعوه إليه، و إن لم يقصد أن يطيعه، لأنه إذا مال مع ما يجده فى نفسه من الدعاء إلى المعصية، فقد أطاع الداعى إليها. فان قيل ما الفرق بين الطاعة و موافقة الارادة؟ قيل: موافقة الارادة قد تكون طاعة، و قد تكون غير طاعة إذا لم تقع موقع الداعى إلى الفعل نحو ارادتى، لأن يتصدق زيد بدرهم من غير أن يشعر بذلک، فلا يكون بفعله مطيعاً لى و لو فعله من أجل إرادتى لكان مطيعاً و كذلک لو أحسن بدعائى إلى ذلک فمال معه. و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ» معناه أنه يبغضهم و لا يريد ثوابهم، فدل بالنفى على الإثبات و كان ذلک أبلغ، لأنه لو قال إنه يبغضهم لجاز أن يتوهم أنه يبغضهم من وجه و يحبهم من وجه كما يعلم الشىء من وجه، و يجهل من وجه، فإذا قيل لا

لم يحتمل الوجوه.

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ (33)
آية واحدة.
معنى اصطفى: اختار و اجتبى و أصله من الصفوة، و هذا من حسن البيان الذى يمثل فيه المعلوم بالمرئى و ذلک أن الصافى هو النقى من شائب الكدر فيما يشاهد فمثل به خلوص هؤلاء القوم من الفساد لما علم اللَّه ذلک من حالهم لأنهم كخلوص الصافى من شائب الأدناس. فان قيل: بما ذا اختارهم أ باختيار دينهم أو بغيره؟
قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها- بمعنى أنه اختار دينهم و اصطفاه، كما قال: «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» «1» و هذا قول الفراء:
و [الثانى] قال الزجاج و اختاره الجبائى: انه اختيارهم للنبوة على عالمى زمانهم.
الثالث- قال البلخى: بالتفضيل على غيرهم بما رتبهم على من الأمور الجليلة، لما فى ذلک من المصلحة.
و الاصطفاء هو الاختصاص بحال خالصة من الأدناس. و يقال ذلک على وجهين. يقال: اصطفاه لنفسه أى جعله خالصاً له يختص به. و الثانى- اصطفاه على غيره أى اختصه بالتفضيل على غيره و هو معنى الآية فان قيل: كيف يجوز اختصاصهم بالتفضيل قبل العمل؟ قيل: إذا كان فى المعلوم أن صلاح الخلق لا يتم إلا بتقديم الاعلام لذلک بما قدم من البشارة بهم، و الاخبار بما يكون من حسن أفعالهم و التشويق إليهم بما يكون من جلالتهم إلى غيره من الآيات التى تشهد لهم، و القوى فى العقول و الافهام التى كانت لهم، وجب فى الحكمة تقديم ذلک لما فيه

---

(1) سورة يوسف آية: 82.

من حسن التدبير.
فان قيل: من آل ابراهيم؟ قيل: قال ابن عباس، و الحسن: هم المؤمنون الذين على دينه، فيكون بمعنى اختصهم بميزة كانت منهم على عالمى زمانهم. و قيل:
آل عمران هم آل ابراهيم كما قال: «ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ» فهم موسى و هرون ابنا عمران. و قال الحسن: آل عمران المسيح، لأن أمه مريم بنت عمران. و فى قراءة أهل البيت «و آل محمد على العالمين». و قال أيضاً: إن آل إبراهيم: هم آل محمد الذين هم أهله. و قد بينا فيما مضى أن الآل

بمعنى الأهل. و الآية تدل على أن الذين اصطفاهم معصومون منزهون، لأنه لا يختار و لا يصطفى إلا من كان كذلک، و يكون ظاهره و باطنه واحداً، فإذاً يجب أن يختص الاصطفاء بآل إبراهيم و آل عمران من كان مرضياً معصوماً سواء كان نبياً أو إماماً.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 34] ..... ص : 441

اشارة

ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34)

وزن ذرية فعلية، مثل قمرية. و يحتمل أن يكون على وزن فعلولة. و أصله ذرورة إلا أنه كره التضعيف، فقلبت الراء الأخيرة ياء، فصار ذروية و قلبت الواو للياء التى بعدها ياء و أدغمت إحداهما فى الاخرى، فصار ذرية. قال الزجاج: و الاول أجود و أقيس. و يحتمل نصبها وجهين:
أحدهما- أن يكون حالا و العامل فيها اصطفى. و الثانى- أن يكون على البدل من مفعول اصطفى.

و معنى قوله: «بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ» أى فى الاجتماع على الصواب. قال الحسن: التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 442
«وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» «1» فى الاجتماع على الهدى. و به قال قتادة. الثانى- قال الجبائى و غيره:
إنه فى التناسل إذ جميعهم ذرية آدم، ثم ذرية نوح، ثم ذرية إبراهيم، و هو المروى عن أبى عبد اللّه (ع)
، لأنه قال الذين اصطفاهم اللّه بعضهم من نسل بعض. و قوله: «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» قيل فيه قولان:
أحدهما- أنه سميع لما تقوله الذرية عليم بما تضمره، فلذلک فضلها على غيرها لما فى معلومه من استقامتها فى قولها، و فعلها. و الثانى- سميع لما تقوله امرأة عمران من قوله: «إِنِّى نَذَرْتُ لَکَ ما فِى بَطْنِى مُحَرَّراً» عليم بما تضمره ليدل على أنه لا يضيع لها شىء من جزاء عملها و نبه بذلک على استحسان ذلک منها، لأن قول القائل قد علمت ما فعلت يجرى فى الوعد و الوعيد معاً على حد واحد.

اشارة

إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّی نَذَرْتُ لَکَ ما فِی بَطْنِی مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّی إِنَّکَ أَنْتَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ (35)
أیة واحدة بلا خلاف.

امرأة عمران المذكورة فى الآية هى أم مريم بنت عمران أم المسيح، و قيل أن اسمها كانت حنَّة. و (إذ) تدل على ما مضى. و قيل فيما يتعلق به (إذ) أربعة أقوال:
أحدها- قال الأخفش و المبرد: أنه اذكر إذ قالت.
الثانى- قال الزجاج: انه متعلق باصطفى آل عمران إذا قالت.
الثالث- يتعلق بسميع عليم إذ قالت، فيعمل فيه معنى الصفتين على تقدير مدرک لنيتها و قولها إذ قالت ذكره الرمانى.
الرابع- قال أبو عبيدة: ان (إذ) زائدة، فلا موضع لها من الاعراب

---

(1) سورة التوبة آية: 72.

و هذا خطأ عند البصريين. و قوله: «نَذَرْتُ لَکَ ما فِی بَطْنِی مُحَرَّراً» فالنذر قد بيناه فيما مضى، و هو قول القائل: للّه علىّ كذا و كذا. و قيل فى معنى «محرراً» ثلاثة أقوال: أحدها- قال الشعبى: معناه مخلصاً للعبادة. و قال مجاهد: خادماً للبيعة. و قال محمد بن جعفر بن الزبير: عتيقاً من الدنيا لطاعة اللّه.

و معنى (محرر) فى اللغة يحتمل أمرين: أحدهما- معتق من الحرية.
تقول: حررته تحريراً: إذا أعتقته أى جعلته حرّاً. الثانى- من تحرير الكتاب و هو إخلاصه من الضرر و الفساد. و أصل الباب الحرارة، لأن الحر يحمى فى مواضع الانفة. فالمحرر يخلص من الاضطراب كما يخلص حرارة النار الذهب و نحوه من شائبة الفساد، و هو نصب على الحال من (ما) و تقديره نذرت لک الذى فى بطنى محرراً و العامل فيه نذرت.
و قوله: «فَتَقَبَّلْ مِنِّى» فأصل التقبل المقابلة، و ذلک للاعتداد بالشىء فيما يقابل بالجزاء عليه. و تقبل الصنيع مشبه بتقبل الهدية من جهة أخذه دون رده.
و قوله «إِنَّکَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» معناه السميع لما أقول العليم بما أنوى، فلهذا صحت الثقة لى.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 36] ..... ص : 443

اشارة

فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّی وَضَعْتُها أُنْثی وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَ لَیْسَ الذَّکَرُ کَالْأُنْثی وَ إِنِّی سَمَّیْتُها مَرْیَمَ وَ إِنِّی أُعِیذُها بِکَ وَ ذُرِّیَّتَها مِنَ الشَّیْطانِ الرَّجِیمِ (36)
آیة بلا خلاف.

قرأ (و اللَّه أعلم بما وضعتُ) ابن عامر، و أبو عمرو عن عاصم، و يعقوب التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 444
بمعنى قولى (فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُها أُنْثى) قيل: فيه قولان:
أحدهما- الاعتذار من العدول عن النذر، لأنها أنثى. الثانى- تقديم الذكر فى السؤال لها بأنها أنثى و ذلک ان عيب الأنثى أفظع، و هو إليها أسرع، و سعيها أضعف، و عقلها أنقص فقدمت ذكر الأنثى ليصح القصد لها فى السؤال على هذا الوجه.
و قوله: «وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى» اعتذار بأن الأنثى لا تصلح لما يصلح له الذكر، و إنما كان يجوز لهم التحرير فى الذكور دون الإناث، لأنها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة المسجد المقدس، لما يلحقها من الحيض و النفاس، و الصيانة عن التبرج للناس. و قال قتادة: لم يكن التحرير إلا للغلمان فيما جرت به العادة. و الهاء فى قوله: «وضعتها» يحتمل أن يكون كناية عن (ما) فى قوله «نَذَرْتُ لَکَ ما فِى بَطْنِى» و جاز ذلک لوقوع (ما) على مؤنث. و يحتمل أن يكون كناية عن معلوم قد دل عليه الكلام.

و أصل الوضع: الحط. وضعه يضعه وضعاً. و وضعت بمعنى ولدت أى وضعت الولد. و منه الموضع: مكان الوضع. و التواضع: خلاف التكبر لأنه وضع العبد من نفسه. و الضعة: الخساسة لأنها تضع من قدر صاحبها. و الوضيعة: ذهاب شىء من رأس المال. و المواضعة: المواهبة فى التباع لوضع ما ينفق عليه فى ذلک.
و الإيضاع فى السير: الرفق فيه لأنه حط عن شدة الاسراع. و منه قوله تعالى:
«وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ» «1» و أصل الباب: الحط.

فان قيل هل يجوز أن تقول: و اللَّه أعلم بأن الجسم محدث من زيد العالم به، كما قالت: «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ»؟ قيل: لا يجوز لأن علم كل واحد منهما يجوز أن ينقلب عنه إلى خلافه، و ليس كذلک بأنه يعلم اللَّه، و أفعل من كذا إنما يقال للمبالغة فى الصفة. و من ضم التاء جعل ذلک من كلام أم مريم على وجه

---

(1) سورة التوبة آية: 48.

التسبيح و الانقطاع إليه تعالى كما يقول القائل: قد كان كذا و كذا، و أنت تعلم لا على وجه الاعلام بل على ما قلناه. و اسكان التاء أجود لامرين: أحدهما- أن قولها «إِنِّى وَضَعْتُها أُنْثى» قد أغنى عن ذلک. و الثانى- أنه كان يجب أن تقول و أنت أعلم، لأنها تخاطب اللَّه تعالى.

و قوله: «وَ إِنِّى أُعِيذُها بِکَ وَ ذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ» قيل فى معناه قولان: أحدهما

- الاستعاذة من طعن الشيطان للطفل الذى له يستهل صارخاً، فوقاها اللَّه عز و جل و ولدها عيسى منه بحجاب على ما رواه أبو هريرة عن النبى (ص) الثانى- قال الحسن انها استعاذت من إغواء الشيطان.

و الرجيم بمعنى الموجود بالشبهة و أصل الرجم: الرمى بالحجارة رجم يرجم رجماً و الرجم القذف بالغيب لأنه رمى العبد به. و منه (لَأَرْجُمَنَّکَ وَ اهْجُرْنِی مَلِيًّا) «1» و الرجم الاخبار عن الظن لأنه رمى بالخبر لا عن يقين. و منه «رَجْماً بِالْغَيْبِ» «2» و الرجوم النجوم، لأن من شأنها أن يرمى بها الشياطين و منه قوله: «وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ» «3». و الرجام القبور التى عليها الحجارة. و المراجمة المباراة فى الكلام، و العمل له من كل واحد من النفيسين لرمى صاحبه بما يكيده و أصل الباب الرمى.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 37] ..... ص : 445

اشارة

فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ (37)

---

(1) سورة مريم آية: 46.
(2) سورة الكهف آية: 23.
(3) سورة الملک آية: 5.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 446
آية واحدة بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة «كفلها» بالتشديد. الباقون بالتخفيف. و التخفيف أليق بقوله «أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ» «1» و قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر (زكريا) مقصوراً. الباقون بالمد. و نصب (زكرياء) مع المد أبو بكر. الباقون بالرفع.
قوله: «فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ» معناه رضيها فى النذر الذى نذرته بالإخلاص للعبادة فى بيت المقدس، و لم يقبل قبلها أنثى فى ذلك المعنى. و إنما جاء مصدر تقبلها على القبول دون التقبل، لأن فيه معنى قبلها. و قال أبو عمرو:
لا نظير للقبول فى المصادر، ففتح فاء الفعل و الباب كله مضموم الفاء كالدخول، و الخروج، و قال سيبويه: جاءت خمسة مصادر على فعول: قبول، و وضوح، و ظهور، و ولوغ، و وقود إلا أن الأكثر فى وقود الضم إذا أريد المصدر.
و أجاز الزجاج فى القبول الضم.
و قوله: «وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً» معناه أنشأها إنشاء حسناً فى عذابها و حسن تربيتها. و الكفل تضمن مؤنة الإنسان كفلته أكفله كفلا فأنا كافل:
إذا تكلفت مؤنته. و منه «وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا» و من قرأ بالتثقيل فمعناه كفلها اللّه زكريا و الكفيل: الضامن. و الكفل: مؤخر العجز. و الكفل من الرجال الذى يكون فى مؤخر الحرب همته الفرار. و الكفل النصيب.
و منه قوله: «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ» «2» و قوله: «وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها» «3» و أصل الباب التأخر فمنه الكفالة الضمان. و فى زكريا ثلاث لغات: المد، و القصر. و قد قرئ بهما و زكرىَّ بالياء المشددة و أحكامها مختلفة

---

(1) سورة آل عمران آية: 44.
(2) سورة الحديد آية: 28.
(3) سورة النساء آية: 84.

فى الجمع. و التثنية، فمن مد قال فى التثنية: زكرياوان. و فى الجمع زكرياوون.
و من قصر قال فى التثنية زكريان. و فى الجمع زكريون. و الذى بالياء زكريان فى التثنية، و زكريون فى الجمع، و زكرياء بالمد لا يجوز صرفه لأن فيه ألفى التأنيث.
و من قال: لأنه أعجمى معرفة يلزمه إذا نكر أن يصرفه، و هذا لا يجوز. و أما زكرى، فانه ينصرف لأنه نبأ النسب خرج إلى شبه العربى كما خرج

مدائنى إلى شبه الواحد على قول المبرد. و المحراب: مقام الامام من المسجد و أصله أكرم موضع فى المجلس و أشرفه قال عدى بن زيد العبادى:

كدمى العجاج فى المحاريب أو كال بيض فى الروض زهره مستنير «1»

و قيل هو المكان العالى ذكره الزجاج قال الشاعر:

ربة محراب إذا جئتها لم ألقها أو أرتقى سلما «2»

و قوله: «وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً»، فالرزق هو ما للإنسان، الانتفاع به على وجه ليس لأحد منعه.

و قيلَ إنه كان فاكهة الصيف فى الشتاء و فاكهة الشتاء فى الصيف فى قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و السدى، و ابن اسحق. و قال: تكلمت فى المهد، و لم تلقم ثدياً قط، و إنما كان يأتيها رزقها من الجنة، و هذه تكرمة من اللّه تعالى لها. و عندنا يجوز فعل ذلک بالأولياء و الصالحين، و إن لم يكونوا أنبياء. و من منع منه قالوا فيه قولين: أحدهما- أن ذلک كان آية لدعوة زكريا لها بالرزق فى الجملة.
و الثانى- قال قوم: هو تأسيس لنبوة المسيح، و الأول قول الجبائى. و اختار وجهاً آخر أن يكون اللّه (تعالى) سخر لها بعض عباده أن يأتيها به بلطفه على مجرى

_____

(1) ديوانه فى شعراء الجاهلية: 455. يصف نساء يقول: هن كتماثيل العاج فى محاريب المعابد. و البيض: يعنى بيض النعام. و الروض جمع روضة و هى البستان. [.....]
(2) قائله وضاح اليمنى اللسان (حرب). و قد استشهد به على أن المحراب صدر البيت، و أكرم موضع فيه، و الجمع المحاريب.

العادة، و لا يكون معجزاً، و هذا خلاف جميع أقوال المفسرين، لأنهم كلهم قالوا لما رأى زكريا ذلک قال: الذى يقدر على أن يأتى مريم بالرزق يقدر أن يخلق الولد من امرأة عاقر، فهنالک سأله أن يرزقه ولداً. و يحتمل إيصال قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ» بما تقدم من وجهين: أحدهما- أن يكون حكاية لقول مريم. و الثانى- أن يكون استئنافاً من اللّه الاخبار به. و الأولى أن يكون على الاستئناف، لأنه ليس من معنى الجواب عما سئلت عنه فى شىء. و قال الحسن:
هو على الحكاية. و قوله: «بغير حساب» معناه بغير حساب الاستحقاق على العمل، لأنه تفضل يبتدئ اللّه به من يشاء من خلقه. و يحتمل أن يكون المراد بغير تقتير كما يحسب الذى يخاف الاملاق. و قد بينا فيما مضى معنى (أنى) و أن معناه من أين لک. و قال قوم معناه كيف لک. و الأول أظهر.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 38] ..... ص : 448

اشارة

هُنالِکَ دَعا زَکَرِیَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ ذُرِّیَّةً طَیِّبَةً إِنَّکَ سَمِیعُ الدُّعاءِ (38)
آیة واحدة.

معنى هنالک: عند ذلک. و الأصل فيه الطرف من المكان نحو رأيته هنا و هناک، و هنالک، و الفصل بينهما، القرب و البعد، فهنا للقريب و هنالک للبعيد، و هناک لما بينهما. و قال الزجاج: و يستعمل فى الحال كقوله من هاهنا قلت: كذا أى من هذا الوجه. و فيه معنى الاشارة كقولک: ذا، و ذاک. و زيدت اللام لتأكيد التعريف، لأن الأصل فى زيادتها التعريف إلا أنها كسرت لالتقاء الساكنين كما كسرت فى ذلک. و لا يجوز إعرابها، لأن فيها معنى الحرف.
و معنى الآية عند ذلک الذى رأى من فاكهة الصيف فى الشتاء، و فاكهة الشتاء فى الصيف على خلاف ما جرت به العادة، طمع فى رزق الولد من

على خلاف مجرى العادة، فسأل ذلک. و زكريا (ع) و إن كان عالماً بانه تعالى يقدر على خلق الولد من العاقر، و إن لم تجر به العادة، فانه كان يجوز ألا يفعل ذلک لبعض التدبير، فلما رأى خرق العادة بخلق الفاكهة فى غير وقتها قوى ظنه أنه يفعل ذلک:
إذا اقتضت المصلحة، و قوى فى نفسه ما كان علمه، كما أن ابراهيم و إن كان عالماً بأنه (تعالى) يقدر على إحياء الميت سأل ذلک مشاهدة لتأكد معرفته و تزول عنه خواطره. و قال الجبائى: إن اللّه تعالى كان أذن له فى المسألة و جعل وقته الذى أذن له فيه الوقت الذى رأى فيه المعجزة الظاهرة فلذلک دعا.
و قوله: «قالَ رَبِّ هَبْ لِى مِنْ لَدُنْکَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً» فالهبة تمليک الشىء من غير ثمن تقول: وهب يهب، فهو واهب و الشىء موهوب، و تواهبوا الأمر بينهم تواهباً، و استوهبه استيهاباً. و قوله من لدنک معناه من عندک و إنما بنى و لم يبن عند، لأنه استبهم استبهام الحروف، لأنه لا يقع فى جواب أين كما يقع عند نحو قوله أين زيد فتقول عندک، و لا تقول لدنک. «ذرية» تقع على الجمع، و الواحد. و قيل أن المراد هاهنا واحد لقوله «فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْکَ وَلِيًّا» «1» و أما بمعنى الجمع، فمثل قوله: «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ» «2» و قوله: «طيبة» قال السدى معناه مباركة. و إنما أنث طيبة، و هو سأل ولداً ذكراً على تأنيث الذرية كما قال الشاعر:
أبوک خليفة ولدته أخرى و أنت خليفة ذاک بالكمال «3»
و قال آخر:
فما نزدرى من حية جبلية سكات إذا ما عاض ليس بأدردا «4»
فجمع التأنيث، و التذكير فى بيت واحد مرة على اللفظ، و مرة على المعنى.

(1) سورة مريم آية: 4.
(2) سورة الاسراء آية: 3.
(3) اللسان: (خلف)، و معانى القرآن للفراء 1: 208.
(4) اللسان: (سكت)، و معانى القرآن للفراء 1: 208. الحية الجبلية لسعها أشد.
و حية سكوت و سكات- بضم السين-: إذا لم يشعر الملسوع بها حتى تلسعه. و الأدرد: الذى سقطت أسنانه، فلم يبق فى فمه سن. يصف رجلا داهية شبهه بالحية الجبلية السكوت.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 450
و إنما يجوز هذا فى أسماء الأجناس دون الاعلام نحو طلحة، و حمزة، و عنترة، لا يجوز أن تقول جاءت طلحة من قبل أن التذكير الحقيقى يغلب على تأنيث اللفظ فأما قوله:
و عنترة الفيحاء جاءت ملاماً كأنک فند من عماية أسود
فإنما أراد شفة عنترة، فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه. و قوله: «إِنَّکَ سَمِيعُ الدُّعاءِ» معناه سامع الدعاء بمعنى قابل الدعاء. و منه قول القائل: سمع اللّه لمن حمده أى قبل اللّه دعاه و أصل السمع ادراک المسموع و إنما قيل للقابل سامع لأن من كان أهلا أن يسمع منه فهو أهل أن يقبل منه خلاف من لا يعتد بكلامه فكلامه بمنزلة ما لم يسمع.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 39] ..... ص : 450

اشارة

فَنادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَ هُوَ قائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّداً وَ حَصُوراً وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39)
آية واحدة بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى و خلف «فناداه الملائكة» على التذكير، و الامالة. الباقون على التأنيث، فالأول على المعنى، و الثانى على اللفظ. و قرأ حمزة و ابن عامر «إن اللّه» بكسر الهمزة على الحكاية. الباقون بفتحها على اعمال المناداة، و تقديره نادته بأن اللّه. و قرأ حمزة و الكسائى «يبشرک» بفتح الياء و تخفيف الشين و ضمها. الباقون بضم الياء و تشديد الشين.

و قال السدى الذى نادى زكريا جبريل وحده، فعلى هذا يكون ذهب مذهب التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 451
الجمع كما يقولون: ذهب فى السفن و إنما خرج فى سفينة و خرج على البغال و إنما ركب بغلا واحداً. و قال غيره: ناداه جماعة من الملائكة كأنه قيل: النداء جاء من قبل الملائكة و إنما جاز ذلک لعادة جارية نحو قولهم: ناداه أهل العسكر، و ناداه أهل البلد. و قوله: «وَ هُوَ قائِمٌ يُصَلِّى» جملة فى موضع الحال. و قوله: «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُکَ» فى بشره من البشرى ثلاث لغات: بشره يبشره و بشره يبشره بشراً، و أبشره بشاراً عن أبى العباس. و قرأ حميد «يبشرک» من أبشر، و كل ذلک لظهور السرور فى بشرة الوجه. و قيل إن المثقل من البشارة، و المخفف من السرور، و المعنيان متقاربان. و أنشد الأخفش:
و إذا لقيت الباهشين إلى الندى غبراً أكفهم بقاع ممحل
فأعنهم و ابشر بما بشروا به و إذا هم نزلوا بضنک فانزل «1»
قال الزجاج هذا على بشر يبشر إذا فرح. و أصل هذا كله أن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور. و قوله: (بيحيى) قال قتادة سمى يحيى، لأن اللَّه تعالى أحياه بالايمان سماه اللَّه بهذا الاسم قبل مولده.
و قوله: (مصدقاً) نصب على الحال من يحيى «بكلمة» يعنى المسيح (ع) فى قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الربيع، و الضحاک، و السدى و جميع أهل التأويل إلا ما حكى عن أبى عبيدة أنه قال «بكلمة» أى بكتاب اللَّه كما يقولون أنشدنى فلان كلمة فلان أى قصيدته و إن طالت، و إنما سمى المسيح كلمة اللَّه لامرين:
أحدهما- أنه كان بكلمة اللَّه من غير أب من ولد آدم.
و الثانى- لأن الناس يهتدون به فى الدين كما يهتدون بكلام اللَّه.
و قوله: «و سيداً» يعنى مالكا لمن يجب عليه طاعته، و من ذلک سيد الغلام

---

(1) قائله عبد قيس بن خفاف البرجمى. اللسان: (كرب)، (بشر)، (يسر)، معانى القرآن للفراء 1: 212 و البيتان من قصيدة ينصح بها ولده جبيل. و رواية المصادر مختلفة. البهش: الفرح. بهش الى الشىء: فرح به و أسرع اليه. الندى: الكرم. الممحل:
المجدب. الضنک: الضيق.

يعنى مالكه، و لا يقال سيد الثوب بمعنى مالک الثوب، لأنه لا يتصور هناک وجوب طاعته. و أصل السواد الشخص، فقيل سيد القوم بمعنى مالک

السواد الأعظم، و هو الشخص الذى تجب طاعته لمالكه، و هذا إذا قيل مضافاً أو مقيداً فأما إذا اطلق فلا ينبغى إلا للّه تعالى، لأنه المالک لجميع الخلق. و قيل: معناه هاهنا و سيداً فى العلم و العبادة فى قول قتادة. و قال الجبائى: معناه و سيداً للمؤمنين بالرئاسة لهم. و قال الضحاک: سيداً فى الحلم و التقى. و قيل سواد الإنسان لشخصه، لأنه يستر به لستر سواد الظلمة بتكاثفه، و تسوله. «و حصورا» معناه الممتنع من الجماع.
و منه قيل للذى يمتنع أن يخرج مع ندمائه شيأ للنفقة حصور قال الأخطل:
و شارب مربح بالكأس نادمنى لا بالحصور و لا فيها بسوار «1»
يعنى معربد و يقال للذى يكتم سره حصور و يقال: حصر فى قراءته إذا امتنع بالانقطاع فيها. و منه حصر العدو منعه الناس من التصرف. و قال عبد اللّه:
الحصور العنين. و قال سعيد بن المسيب إنما كان معه مثل هدب الثوب. و قال الحسن، و قتادة
هو الذى لا يأتى النساء، و هو المروى عن أبى عبد اللَّه (ع)
، و قال بعضهم هو الذى لا يبالى ألا يأتى النساء. و قوله: «وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» (من) هاهنا لتبيين الصفة ليس المراد به التبعيض، لأن النبى لا يكون إلا صالحاً.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 40] ..... ص : 452

اشارة

قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلامٌ وَ قَدْ بَلَغَنِىَ الْكِبَرُ وَ امْرَأَتِى عاقِرٌ قالَ كَذلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ (40)

_____

(1) ديوانه: 116، و اللسان: (حصر)، (سأر)، (سور)، و طبقات فحول الشعراء: 432، و مجاز القرآن 1: 92. المربح: المعطى الربح للتاجر.
يريد أنه يغالى بثمن الخمر و لا يبالى بما يبذل فيها. و السوار: الذى تسور الخمر فى دماغه فيعربد على رفاقه.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 453

إن قيل لم راجع هذه المراجعة مع ما بشره اللَّه تعالى بأنه يهب له ذرية طيبة، و بعد أن سأل ذلک؟ قيل: إنما راجع ليعرف على أى حال يكون ذلک أ يرده إلى حال الشباب و امرأته، أم مع الكبر، فقال اللَّه (تعالى) «كَذلِکَ اللَّهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ» أى على هذه الحال، و تقديره كذلک الأمر الذى أنت عليه «يَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ» هذا قاله الحسن. و قيل فى وجه آخر، و هو أنه قال على وجه الاستعظام لمقدور اللَّه و التعجب الذى يحدث للإنسان عند ظهور آية عظيمة من آيات اللَّه، كما يقول القائل: كيف سمحت نفسک بإخراج الملک النفيس من يدک تعجباً من جوده، و اعترافاً بعظمه. و قال بعضهم: إن ذلک إنما كان للوسوسة التى خالطت قلبه من قبل الشيطان حتى خيلت إليه أن النداء كان من غير الملائكة. و هذا لا يجوز، لأن النداء كان على وجه الاعجاز على عادة الملک فيما يأتى به من الوحى عن اللَّه، و الأنبياء (ع) لا يجوز عليهم تلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الافهام، فلا يعرفوا نداء ملک من نداء شيطان أو انسان.

و الغلام: هو الشباب من الناس. يقال: غلام بين الغلومية و الغلومة و الغلمة.
و الاغتلام: شدة طلب النكاح. و الغيلم «1» منع الماء من الآبار، لأنه طلب الظهور. و غلم الأديم جعله فى غلمة ليتفسخ عنه صوفه، لأنه طلب لتقطعه.
و قوله: «وَ قَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ» و المراد بلغت الكبر، لأن الكبر بمنزلة الطالب له، فهو يأتيه بحدوثه فيه. و الإنسان أيضاً يأتيه بمرور السنين عليه، كما يقول القائل:
يقطعنى الثوب. و إنما هو يقطع الثوب. و لا يجوز أن يقول بلغنى البلد بمعنى بلغت البلد، لأن البلد لا يأتيه أصلا. و قوله: «وَ امْرَأَتِى عاقِرٌ» فالعاقر من النساء التى لا تلد. يقال: امرأة عاقر، و رجل عاقر. و قال عامر بن الطفيل:

_____

(1) الضفدع. ذكر السلحفاة: الشاب الكثير الشعر.

لبئس الفتى ان كنت أعور عاقرا جباناً فما عذرى لدى كل محضر «1»
و ذلک لأنه كالذى حدث به عقر يقعده عما يحاول من الامر. و عقر كل شىء أصله. و عقر العاقر المصدر. و العقر: دية فرج المرأة: إذا غصبت نفسها و بيضة العقر آخر بيضة. و العقر: الجرح. و العقر: محلة القوم. و العاقر معروف.
و العقار الخمر. و المعاقرة إدمان شربها مع أهلها. و أصل الباب: العقر الذى هو أصل كل شىء، فعقر العاقر لانقطاع أصل النسل.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 41] ..... ص : 454

اشارة

قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِی آیَةً قالَ آیَتُکَ أَلاَّ تُکَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَیَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَ اذْکُرْ رَبَّکَ کَثِیراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِیِّ وَ الْإِبْکارِ (41)

الآیة: العلامة و إنما سأل العلامة، و الآیة لوقت الحمل الذی سأل ربه لیتعجل السرور به فی قول الحسن، فجعل اللّه تعالی آیته فی إمساک لسانه، فلم یقدر أن یکلم الناس إلا إیماء من غیر آفة حدثت فی لسانه، کما یقال فی مریم «ثَلاثَ لَیالٍ سَوِیًّا» هذا قول الحسن، و قتادة، و الربیع، و أکثر المفسرین.

و فى وزن «آية» ثلاثة أقوال:
أحدها- فعلة إلا أنه شذ من جهة إعلال العين مع كون اللام حرف علة.
و إنما القياس فى مثله أعلال اللام نحو حياة و نواة. و نظيرها راية و طاية، و شذ ذلک، للاشعار بقوة اعلال العين.
الثانى- فعلة آية إلا أنها قلبت كراهية التضعيف نحو طاى فى طيى.

---

(1) ديوانه: 119 و مجاز القرآن 1: 92 فى المطبوعة (اغدر) بدل (اعور).
و عامر بن الطفيل أحد العوران. ذهبت عينه يوم فيف الريح و أما عقمه، فقد قال: ما لى ولد و انى لعاهر الذكر، و انى لأعور البصر.

الثالث- فاعلة منقوصة و هذا ضعيف، لأنهم صغروها أيية و لو كانت فاعلة لقالوا أوية إلا أنه يجوز على ترخيم التصغير نحو فطيمة. «و الرمز» الإيماء بالشفتين. و قد يستعمل فى الإيماء بالحاجبين، و العينين و اليدين. و الاول أغلب.
قال جؤية بن عائذ:
و كان تكلم الابطال رمزا و غمغمة لهم مثل الهرير «1»
يقال منه: رمز يرمز رمزاً. و يقال: ارتمز: إذا تحرک. و أصله الحركة.

و قال مجاهد: الرمز تحريک الشفتين. و قال قتادة الرمز الاشارة. و قوله: «وَ اذْكُرْ رَبَّکَ كَثِيراً» معناه أنه لما منع من كلام الناس عرف أنه لا يمنع من الذكر للّه و التسبيح له، و ذلک أعظم الآية و أبين المعجزة. و قوله: «سبح» معناه هاهنا صل يقال فرغت من سبحتى أى من صلاتى. و أصل التسبيح التعظيم للّه و تنزيهه عما لا يليق به. و العشى من حين زوال الشمس إلى غروب الشمس فى قول مجاهد. قال الشاعر:

فلا الظل من برد الضحى يستطيعه و لا الغى من برد العشى تذوق

و العشاء من لدن غروب الشمس إلى أن يولى صدر الليل. و العشاء طعام العشى.

و العشا ضعف العين و التعاشى: التعامى، لابهام أنه بمنزلة من هو فى ظلمة لا يبصر و أصل الباب الظلمة. و الأبكار من حين طلوع الفجر إلى وقت الضحى. و أصله التعجيل بالشىء يقال: أبكر ابكاراً و بكر يبكر بكوراً.

و قال عمر بن أبى ربيعة:

أمن آل نعم أنت عاد فمبكر «2»

و قال جرير:

ألا بكرت سلمى فجذ بكورها و شق العصا بعد اجتماع أميرها «3»

---

(1) لم نجد هذا البيت. فى المطبوعة (كأن) بدل (و كان) و الصحيح ما ذكرنا.

(2) ديوانه مطلع قصيدته الرائية المشهورة و تتمه البيت: غداة غد أم رائح فمهجر.

(3) ديوانه: 136. يجيب حكيم بن معية الربعى، و كان هجا جريراً. شق العصا: التفرق.

و يقال فى كل شىء تقدم: بكر و منه الباكورة أول ما يجىء من الفاكهة.

وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ (42)
آية واحدة.
العامل فى (إذ) يحتمل أن يكون أحد شيئين:
أحدهما- سميع عليم إذ قالت امرأة عمران. و إذ قالت الملائكة يكون عطفاً على (إذ) الاولى.
الثانى- اذكر إذ قالت، لأن المخاطب فى حال تذكير و تعريف. و قوله: «اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ» يحتمل وجهين: قال الحسن و ابن جريج على عالمى زمانها. و هو قول أبى جعفر (ع)
، لأن فاطمة سيدة نساء العالمين.
و روى عن النبى (ص) أنه قال: فضلت خديجة على نساء أمتى كما فضلت مريم على نساء العالمين. و قال أيضاً (ع) حسبك من نساء العالمين بأربع مريم بنت عمران و آسية امرأة فرعون و خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد (ص).
الثانى- ما قاله الزجاج، و اختاره الجبائى: إن معناه اختارك على نساء العالمين بحال جليلة من ولادة المسيح عيسى (ع).
و قوله: (و طهرك) فى معناه قولان:
أحدهما- قال الحسن، و مجاهد: طهرك من الكفر.
و الثانى- ذكره الزجاج أن معناه طهرك من سائر الأدناس: الحيض، و النفاس، و غيرهما. و إنما كرر لفظ اصطفاك، لأن معنى الأول اصطفاك بالتفريغ لعبادته بما لطف لك حتى انقطعت إلى طاعته و صرت متوفرة على اتباع مرضاته و معنى الثانى اصطفاك بالاختيار لولادة نبيه عيسى (ع) على قول الجبائى.
و قال أبو جعفر (ع) اصطفاها أولا من ذرية الأنبياء و طهرها من السفاح.
و الثانى- التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 457
اصطفاها لولادة عيسى (ع) من غير فحل. و فى ظهور الملائكة لمريم قالوا قولين:
أحدهما- أن ذلك معجزة لزكريا (ع)، لأن مريم لم تكن نبية، لقول اللَّه تعالى «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ» «1». و الثانى- أن يكون ذلك برهاناً لنبوة عيسى (ع) كما كان ظهور الشهب و الغمامة و غير ذلك معجزة للنبى (ص) قبل بعثته، فالأول قول الجبائى، و الثانى قول ابن الأخشاد.
و يجوز عندنا أن يكون ذلك معجزة لها و كرامة، و إن لم تكن نبية لأن اظهار المعجزات- عندنا- تجوز على يد الأولياء، و الصالحين، لأنها إنما تدل على

صدق من ظهرت على يده سواء كان نبياً أو إماماً أو صالحاً، على أنه يحتمل أن يكون اللّه تعالى قال ذلک لمريم على لسان زكريا (ع). و قد يقال: قال اللّه لها، و إن كان بواسطة كما تقول: قال اللّه للخلق كذا و كذا و إن كان على لسان النبى (ص)، و لا يحتاج مع ذلک إلى ما قالوه.

يا مَرْيَمُ اقْنُتِی لِرَبِّکِ وَ اسْجُدِی وَ ارْکَعِی مَعَ الرَّاکِعِینَ (43)
آية واحدة بلا خلاف.
قيل فى معنى قوله: «اقنتي» ثلاثة أقوال:
أحدها- قال سعيد بن جبير أن معناه اخلصى لربک العبادة. الثانى- قال قتادة معناه اديمى الطاعة. الثالث- قال مجاهد اطلبى القيام فى الصلاة. و أصل القنوت الدوام على الشىء و قوله: «و اسجدى» و أصل السجود الانخفاض الشديد للخضوع قال الشاعر:
فكلتاهما خرت و اسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف «2»
و كذلک القول فى الركوع إلا أن السجود أشد انخفاضاً. و قد بينا فيما

_____
(1) سورة يوسف آية: 109 و سورة النحل آية: 43 و سورة الأنبياء آية: 7.
(2) مر تخريجه فى 1: 281. [.....]

مضى حقيقته. و إنما قدم ذكر السجود فى الآية على الركوع، لأن النية به التأخير و التقدير اركعى و اسجدى، لأن الواو لا توجب الترتيب، لأنها نظيرة التثنية إذا اتفقت الأسماء و الصفات. تقول جاءنى زيد و عمرو، و لو جمعت بينهما فى الخبر لقلت جاءنى الزيدان. و قوله: (مع الراكعين) فيه قولان: أحدهما- أن معناه افعلى مثل فعلهم. الثانى- قال الجبائى: أى فى صلاة الجماعة.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 44] ..... ص : 458

اشارة

ذلِکَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْکَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44)
آية.

ذلک إشارة إلى الاخبار عما تقدم من القصص. و فيه احتجاج على المشركين، من حيث أنه جاء بما لا يعلم إلا من أربعة أوجه: إما مشاهدة الحال، أو قراءة الكتب، أو تعليم بعض العباد، أو بوحى من اللّه. و قد بطلت الأوجه الثلاثة للعلم بأنها لم تكن حاصلة للنبى (ص)، فصح أنه على الوجه الرابع: بوحى من اللّه (تعالى). و الإيحاء: هو إلقاء المعنى إلى صاحبه فقوله: «نُوحِيهِ إِلَيْکَ» أى نلقى معناه اليک. و الإيحاء: الإرسال إلى الأنبياء تقول: أوحى اللّه إليه أى أرسل إليه ملكا. و الإيحاء الإلهام و منه قوله تعالى «وَ أَوْحى رَبُّکَ إِلَى النَّحْلِ» «1» أى ألهمها و قوله: «بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحى لَها» «2» معناه ألقى إليها معنى ما أراد فيها. قال العجاج:

---

(1) سورة النحل آية: 68.
(2) سورة الزلزال آية: 5.

أوحى لها القرار فاستقرت «1»
و الإيحاء الإيماء قال الشاعر:
فأوحت إلينا و الأنامل رسلها
و منه قوله: «فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا» «2» أى أشار إليهم، و الوحى: الكتاب. يقال: وحى يحى وحياً أى كتب، لأن به يلقى المعنى إلى صاحبه قال رؤبة:
لقدر كان وحاه الواحى
و قال:
فى سور من ربنا موحية
و قال آخر:
من رسم آثار كوحى الواحى
و أصل الباب إلقاء المعنى إلى صاحبه. و قوله: «أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ» «3» أى ألقى إليهم و ألهمهم إلهاماً. و منه قوله: «وَ إِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ» «4» أى يلقون إليهم و قوله: «وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ» «5» أى ألقى إلَى. و الغيب: خفاء الشىء عن الإدراک. تقول غاب عنى كذا يغيب غيباً و غياباً. و الغائب: نقيض الحاضر.
و قوله: «وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ» قيل فيه قولان:
أحدهما- التعجب من حرصهم على كفالتها، لفضلها. ذكره قتادة، لأنه

---

(1) ديوانه: 5 و اللسان (وحى) من رجز يذكر فيه ربه و يثنى عليه بآلائه، أوله:
الحمد للّه الذى استقلت باذنه السماء و اطمأنت
باذنه الأرض و ما تعتت أوحى لها القرار فاستقرت
و شدها بالراسيات التبت رب البلاد و العباد القنت
و فى أحد روايتى اللسان (وحى لها) بدل (أوحى لها).
(2) سورة مريم آية: 11.
(3) سورة المائدة آية: 114.
(4) سورة الانعام آية: 121.
(5) سورة الانعام آية: 19.

قال: فشاح القوم عليها، فقال زكريا: أنا أولى، لأن خالتها عندى. و قال القوم:
نحن أولى لأنها بنت إمامنا، لأن عمران كان إمام الجماعة.
الثانى- التعجب من تدافعهم لكفالتها، لشدة الأزمة التى لحقتهم حتى وفق لها خير الكفلاء بها زكريا (ع). و فى الآية حذف و تقديرها (إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ) لينظروا «أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ» أى أيهم أحق بكفالتها. و الأقلام معناها هاهنا القداح و ذلک أنهم ألقوها تلقاء الجرية، فاستقبلت عصا زكريا جرية الماء مصعدة.
و انحدرت أقلام الباقين، فقرعهم زكريا فى قول الربيع، و كان ذلک معجزة له (ع).
و القلم: الذى يكتب به. و القلم: الذى يجال بين القوم، كل إنسان و قلمه، و هو القدح. و القلم: قص الظفر قلمته تقليماً. و مقالم الرمح كعوبه. و القلامة هى المقلومة عن طرف الظفر و أصل الباب قطع طرف الشىء.
و قوله: (وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) فيه دلالة على أنهم قد بلغوا فى التشاح عليها إلى حد الخصومة، و فى وقت التشاح قولان:
أحدهما- حين ولادتها و حمل أمها إياها إلى الكنيسة تشاحوا فى الذى يخصها و يحضنها و يكفل بتربتيها، و هو الأكثر. و قال بعضهم إنه كان ذلک بعد كبرها و عجز زكريا عن تربيتها.
و (إذ) الأولى متعلقة بقوله: «وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ» و الثانية بقوله: «يختصمون» على قول الزجاج.

إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45)
آية عند الجميع.
العامل فى (إذ) يحتمل أمرين أحدهما- و ما كنت لديهم إذ قالت الملائكة.
الثانى- يختصمون «إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ»: «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ» فالتبشير إخبار المرء بما يسر التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 461
من الأمر سمى بذلك لظهور السرور فى بشرة وجهه عند إخباره بما يسره، لأن أصله البشرة و هى ظاهر الجلد. و قوله: «بِكَلِمَةٍ مِنْهُ» هو المسيح سماه اللَّه كلمة على قول ابن عباس و قتادة و ذلك يحتمل ثلاثة أوجه: سمى بذلك، لأنه كان بكلمة اللَّه من غير والد و هو قوله: «كُنْ فَيَكُونُ» «1». الثانى- لأن اللَّه تعالى بشربه فى الكتب السالفة، كما تقول: الذى يخبرنا بأمر يكون [إذا خرج موافقاً لأمره] «2» قد جاء فى قول لى و كلامى. فمن البشارة به فى التوراة آتانا اللَّه من سبينا، فأشرق من ساعير و استعلن من جبال فاران. و ساعير هو الموضع الذى بعث منه المسيح (ع).
الثالث- لأن اللَّه يهدى به كما يهدى بكلمته. و القول الثانى مما قيل فى الكلمة: أنها بمعنى البشارة كأنه قيل ببشارة منه: ولد اسمه المسيح و التأويل الأول أقوى، لقوله: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ» «3»، و لأنه معلوم من دين المسلمين أن كلمة اللَّه المسيح (ع)، و إنما ذكر الضمير فى اسمه و هو عائد إلى الكلمة، لأنه واقع على مذكر، فإذا ذكر ذهب إلى المعنى، و إذا أنث ذهب إلى اللفظ. و قيل فى تسمية المسيح مسيحاً: قولان:
أحدهما- قال الحسن، و سعيد: لأنه مُسح بالبركة. و قال آخرون: لأنه مُسح بالتطهر من الذنوب. و قال الجبائى سمى بذلك، لأنه مُسح بدهن زيت بورك فيه. و كانت الأنبياء تتمسح به. فان قيل: يجب على ذلك أن يكون الأنبياء كلهم يسمون مسيحاً؟ قلنا: لا يمتنع أن يختص بذلك بعضهم، و إن كان المعنى فى الجميع حاصلا، كما قالوا فى إبراهيم خليل اللَّه. و أصله ممسوح عدل عن مفعول إلى فعيل. و قوله: (وجيهاً) نصب على الحال. و معنى الوجيه الكريم على من يسأله

---

(1) سورة البقرة آية: 118 و سورة آل عمران آية: 47 و سورة الانعام آية: 73 و سورة النحل: 40 و سورة مريم آية: 35 و سورة يس آية: 82 و سورة المؤمن آية: 68.
(2) ما بين القوسين من مجمع البيان و كان فى المطبوعة نقص فى هذا

الموضع كما أن الجملة التى بعدها لا تقرأ.
(3) سورة آل عمران آية: 170.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 462
لأنه لا يرده لكرم وجهه عنده، خلاف من يبذل وجهه للمسألة فيرد، يقال منه وجه الرجل يوجه وجاهة، و له جاه عند الناس وجاهة أى منزلة رفيعة. قوله: «وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ» معناه إلى ثواب اللّه و كرامته، و كذلک التقرب إلى اللّه إنما هو التقرب إلى ثوابه و كرامته. و فى الآية دلالة على تكذيب اليهود فى الفرية على أم المسيح و تكذيب النصارى فى ادعاء إلهيته على ما ذكره محمد بن جعفر بن الزبير و غيره.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 46] ..... ص : 462

اشارة

وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِی الْمَهْدِ وَ كَهْلاً وَ مِنَ الصَّالِحِينَ (46) آية.

موضع «وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِی الْمَهْدِ» نصب على الحال عطفاً على (وجيهاً) و مكلما و كذلک عطف عليه (و كهلا) بالنصب. و يجوز عطف الفاعل على الفعل لتقارب معنيهما قال الشاعر:

بات يغشاها بعضب باتر يقصد فی أسوقها و جائر «1»

أی و يجور و قال آخر:

يا ليتنی عَلقت غير خارج قبل الصباح ذات خلق بارج

أم صبی قد حبا أمّ دارج «2»

أی أو درج و يجوز فی قوله: «و كهلا» أن يكون معطوفاً على الظرف من قوله: «فی المهد».

و المهد مضجع الصبى فى رضاعه فى قول ابن عباس، مأخوذ من التمهيد.

_____

(1) معانى القرآن للفراء 1: 213 و أمالى ابن الشجرى 2: 167 و خزانة الأدب 2: 345 و اللسان (كهل) و رواية البيت مختلفة. فبعضها (بت أعشيها ....).

(2) هكذا فى المطبوعة و رواية اللسان (درج):

يا ليتنى قد زرت غير خارج أم صبى قد حبا و دارج

و الكهل: من كان فوق حال الغلومة، و دون الشيخوخة. و منه اكتهل النبت: إذا طال، و قوى. و منه الكاهل فوق الظهر إلى ما يلى العنق و المرأة كهلة. قال الراجز:

و لا أعود بعدها كريا امارس الكهلة و الصبيان «1»

و قيل الكهولة بلوغ أربع و ثلاثين سنة. و قال مجاهد: الكهل: الحليم و أصل الباب العلو، فالكهل لعلو سنه، أو لعلو منزلته.

و وجه كلامه فى المهد تبرئة لأمه مما قذفت به، و جلالة له بالمعجزة التى ظهرت فيه. فان قيل: فما معنى «و كهلا» و ليس بمنكر الكلام من الكهل؟ قيل فيه ثلاثة أوجه:
أحدها- يكلمهم كهلا بالوحى الذى يأتيه من قبل اللَّه. الثانى- انه يبلغ حال الكهل فى السن، و فى ذلک أيضاً إعجاز لكون المخبر على ما أخبر به. الثالث- أن المراد به الرد على النصارى بما كان منه من التقلب فى الأحوال، لأنه مناف لصفة الآله. فان قيل كيف جحدت النصارى كلام المسيح فى المهد و هو معجزة عظيمة؟
قلنا: لأن فى ذلک إبطال مذهبهم، لأنه قال: «إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ» «2» فاستمروا على تكذيب من أخبر أنه شاهده كذلک. و فى ظهور المعجزة فى تلک الحال قيل فيه قولان:
أحدهما- إنها كانت مقرونة بنبوة المسيح، لأنه كمل عقله فى تلک الحال حتى عرف اللَّه بالاستدلال، ثم أوحى إليه بما تكلم به، هذا قول أبى على الجبائى.
و قال ابن الاخشاذ: إن كل ذلک كان على جهة التأسيس لنبوته، و التمكين لها بما يكون دالا عليها، و بشارة متقدمة لها. و يجوز- عندنا- الوجهان. و يجوز

---

(1) قائله عذافر الفقيمى أمالى القالى 2: 215 و شرح أدب الكاتب لابن السيد: 217، 389، و اللسان (كهل)، (كرا)، (شعفر)، (أمم) و غيرها كثير. كريا: مكارى و كان عذافر يكرى ابله الى مكة فأكر معه- رجل من أهل البصرة- بعيراً يركبه هو و زوجته و فى الطريق قال بهما رجز طويل.
(2) سورة مريم آية: 30. [.....]

أيضاً أن يكون ذلک معجزة لمريم تدل على براءة ساحتها مما قذفت على ما بينا جوازه فيما مضى.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 47] ..... ص : 464

اشارة

قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قالَ كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47)
آية واحدة.

إن قيل كيف سألت مريم عن خلق الولد من غير مسيس مع أنها لا تنكر ذلک فى مقدور اللّه تعالى؟ قلنا: فيه وجهان: أحدهما- أنها استفهمت أ يكون ذلک، و هى على حالتها من غير بشر أم على مجرى العادة من بشر، كما يقول القائل:
كيف تبعث بفلان فى هذا السفر، و ليس معه ما يركبه معناه، لأنه قوى أم هناک مركوب؟ الثانى- ان فى البشرة: التعجب مما خرج عن المعتاد فتعجبت من عظم قدرة اللّه كما يقول القائل عند الآية يراها: ما أعظم اللّه، و كما يقول القائل لغيره كيف تهب ضيعتک، و هى أجل شىء لک. و ليس يشک فى هبته و إنما يتعجب من جوده. و قوله: «قالَ كَذلِکِ اللَّهُ» حكاية ما قال لها الملک. و قوله: «كُنْ فَيَكُونُ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- أنه على جهة المثل لأن منزلة جميع ما يريد احداثه من جسم أو عرض كثر ذلک أو قل، فإنما هو بمنزلة قول القائل: كن، فى أنه يكون بغير علاج، و لا معاناة، و لا تكلف سبب، و لا أداة، و لا شغل ببعض عن بعض، و لا انتهاء فيه إلى حد لا يمكن ضعفه، و لا زيادة عليه.
الثانى- ان معناه أن اللّه تعالى جعل «كن» علامة للملائكة فيما يريد إحداثه
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 465
لما فيها من اللطف، و الاعتبار. و يمكن الدلالة على الأمور المقدورة للّه تعالى.
و قول من قال ان قوله: «كن» سبب للحوادث التى يفعلها اللّه تعالى فاسد من وجوه:
أحدها- ان القادر بقدرة يقدر على أن يفعل من غير سبب، فالقادر للنفس بذلک أولى. و منها أن «كن» محدثة فلو احتاجت إلى «كن» أخرى لتسلسل، و ذلک فاسد. و لو استند ذلک إلى كن قديمة، لوجب قدم المكون، لأنه كان يجب أن يكون عقيبه، لأن الفاء توجب التعقيب و ذلک يؤدى إلى قدم المكونات.
و منها أنه لو ولدت لولدت من فعلنا كالاعتماد. و إنما استعمل القديم لفظة الأمر فيما ليس بأمر هاهنا ليدل بذلک على أن فعله بمنزلة فعل المأمور فى أنه لا كلفة على الآمر، فكذلک هذا لا كلفة على الفاعل، و ذلک على عادة العرب فى جعلهم وقوع الشىء عقيب الارادة بمنزلة الجواب عن السؤال قال الشاعر:
و قالت لنا العينان سمعاً و طاعة و حدرتا كالدر لما يثقب «1»
فجعل انحدار الدمع قولا على الوجه الذى بيناه. و قوله: «كُنْ فَيَكُونُ» هاهنا لا يجوز فيه إلا الرفع، لأنه لا يصلح أن يكون جواباً للّام فى كن لأن الجواب

يجب بوجود الاول نحو آتنى فأكرمک و قم فأقوم معک. و لا يجوز قم فيقوم، لأنه بتقدير قم فإنک إن تقم يقم. و هذا لا معنى له، و لكن يجوز الرفع على الاختيار انه سيقوم و يجوز فى قوله: «إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» «2» النصب، لأنه معطوف على «أن نقول» كأنه قيل أن نقول فيكون.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 48] ..... ص : 465

اشارة

وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ (48)

---

(1) مر تخريجه فى 1: 431.
(2) سورة النحل آية: 40.

قرأ أهل المدينة، و عاصم، و يعقوب (و يعلمه) بالياء الباقون بالنون. فمن قرأ بالياء حمله على (يخلق ما يشاء) و يعلمه. و من قرأ بالنون حمله على قوله:
(نوحيه إليک). و النون أفخم فى الاخبار، لأن الياء حكاية عن الملک.

و معنى قوله: «وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ» قال ابن جريج: الكتابة بيده. و قال أبو على:
كتاب آخر غير التوراة، و الإنجيل نحو الزبور أو غيره. فان قيل: لم أفرد التوراة و الإنجيل بالذكر مع دخولهما فى الحكمة؟ قيل: إنما أفردهما بالذكر تنبيهاً على فضلهما مع جلالة موقعهما كما قال: «وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ» «1» و موضع يعلمه من الاعراب يحتمل أن يكون نصباً بالعطف على وجيهاً. و يحتمل أن يكون لا موضع له من الاعراب، لأنه عطف على جملة لا موضع لها، و هى قوله: «كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ». و قال بعضهم: هو عطف على «نُوحِيهِ إِلَيْكَ» قال الرمانى:
هذا لا يجوز، لأنه يخرجه من معنى البشارة به لمريم. و إنما هو محمول على مشاكلته لا على جهة العطف عليه. و عد أهل الكوفة التوراة و الإنجيل، و لم يعدوا رسولا إلى بنى إسرائيل لتنكب الاستئناف بأن المفتوحة. و الاستئناف بذكر المنصوب كثير فى الكلام. و أما أهل المدينة فإنما طلبوا تمام صفة المسيح، لأن تقديره و معلماً كذا و رسولا إلى كذا.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 49] ..... ص : 466

اشارة

وَ رَسُولاً إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49)

_____

(1) سورة البقرة آية: 98.

آية.

قرأ أهل المدينة و يعقوب (طائراً بأذن اللَّه) الباقون. (طيراً) و هو الأجود، لأنه اسم جنس و طائر صفة. و قرأ نافع وحده (إنى أخلق) بكسر الهمزة. الباقون بفتحها.

يحتمل نصب قوله: «و رسولا» وجهين:
أحدهما- بتقدير و يجعله رسولا فحذف لدلالة الاشارة عليه. و الثانى- أن يكون نصباً على الحال عطفاً على وجيهاً، لا أنه فى ذلک الوقت يكون رسولا بمعنى أنه يرسل رسولا. و قال الزجاج وجهاً ثالثاً بمعنى يكلمهم رسولا فى المهد ب «أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» و لو قرئت (إنى) بالكسر «قد جئتكم» كان صواباً.
و المعنى يقول «أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» أى بعلامة تدل على ثبوت رسالتى.
و موضع «إنى أخلق» يحتمل أن يكون خفضاً و رفعاً، فمن قرأ بالخفض فعلى البدل من آية بمعنى جئتكم بأنى أخلق لكم من الطين. و الرفع أريد به الآية إنى أخلق من الطين. و جائز أن يكون «أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ» مخبرهم بهذه الآية ما هى أى أقول لكم «أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ».

و المراد بالخلق التقدير دون الأحداث، يقال فى التفسير أنه صنع من الطين كهيئة الخفاش، و نفخ فيه فصار طائراً. و جاز أن يقول فيه للفظ الطين. و
قال فى التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 468
موضع آخر. «فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِى» «1» للفظ الهيئة.

و الطين معروف. و منه طنت الكتاب طيناً أى جعلت عليه طيناً، لأختمه.
و طينت البيت تطييناً. و الطيانة: حرفة الطيان و الطينة: قطعة من طين يختم بها الصک و نحوه. و الهيأة: الحال الظاهرة هاء فلان يهاء هيئة. و من قرأ (هيئت) معناه تهيأت لک فأما «هَيْتَ لَکَ» فهلم لک و الهيئ: الحسن الهيئة من کل شىء.
و المهاياة: أمر يتهايا عليه القوم فيتراضون به. و قوله: «فَأَنْفُخُ فِيهِ» النفخ معروف تقول نفخ ينفخ نفخاً، و انتفخ انتفاخاً، و نفخه نفخاً. و النفاخة للماء، و النفخة نحو الورم فى البطن. و النفخة: نفخة الصور يوم القيامة. و المنفاخ کير الحداد.
و أصل الباب نفخ الريح التى تخرج من الفم.

و معنى «فَأَنْفُخُ فِيهِ» يعنى أنفخ فيه الروح و هو جسم رقيق كالريح، و هو غير الحياة، لأن الجسم إنما يحيا بما يفعله اللّه تعالى فيه من الحياة، لأن الأجسام كلها متماثلة يحيى اللّه منها ما يشاء. و إنما قيد قوله: «فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ» و لم يقيد قوله: «أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ» بذكر إذن اللّه لينبه بذكر الاذن أنه من فعل اللّه دون عيسى. و أما التصوير و النفخ، ففعله، لأنه مما يدخل تحت مقدور القدر، و ليس كذلك انقلاب الجماد حيواناً فانه لا يقدر على ذلك أحد سواه تعالى. و قوله: «وَ أُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللَّهِ» على وجه المجاز إضافة إلى نفسه و حقيقته ادعوا اللّه باحياء الموتى فيحييهم اللّه فيحيون باذنه.

و قوله: «وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ» فالبرء و الشفاء و العافية نظائر فى اللغة.

---

(1) سورة المائدة آية: 113.

و الأكمه الذى يولد أعمى فى قول قتادة، و أبى على و قال الحسن، و السدى: هو الأعمى. و الكمه عند العرب العمى كمه يكمه كمهاً قال سويد بن أبى كاهل:

كمهت عيناه حتى ابيضتا فهو يلحى نفسه لما نزع «1»

و الأبرص معروف. و قوله: «وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ» أى أخبركم و أعلمكم بالذى تأكلونه، فتكون (ما) بمعنى الذى و يحتمل أن تكون (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر، و يكون تقديره أخبركم بأكلكم.

و الأول أجود لقوله: «وَ ما تَدَّخِرُونَ» و يحتمل أن يكون المراد أيضاً و ادخاركم.

و الادخار الافتعال من الذخر ذخرت أذخر ذخراً و أذخرت اذخاراً. و أصل الباب الذخر، و هو خبء الشيء لتأتيه. و إنما أبدلت الدال من الذال فى «تدخرون» لتعديل الحروف أو أبدلت الدال من الذال بوجهين الجهر و اختلاف المخرج، فبدل ذلک بالدال، لأنها موافقة للتاء بالمخرج و الدال بالجهر، فلذلک كان الاختيار، و كان يجوز تذخرون بالذال على الأصل و نظير ذلک فى التعديل بين الحروف و ازدجر، فمن اضطر، و اصطبر، لموافقة الطاء للضاد و الضاد بالاستعلاء و الاطباق، و لم يجز إدغام الزاى فى الدال، لأنها من حروف الصفير. و لكن يجوز مزجر. و لم يدغم الضاد فى الطاء لأن فيها استطالة. و المجهور من الحروف: كل حرف أشبع الاعتماد عليه فى موضعه و منع النفس أن يجرى معه. و المهموس: كل حرف أضعف الاعتماد عليه فى موضعه و جرى معه النفس. و قوله: «إِنَّ فِى ذلِکَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» و إن كانت آية للجميع، لأن معناه «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» باللَّه إذ كان لا يصح العلم بمدلول المعجزة إلا لمن آمن باللَّه، لأن العلم بالمرسل قبل العلم بالرسول. و إنما يقال هى آية للجميع بأن يقدموا قبل ذلک الاستدلال على التوحيد. و أيضاً بأن من استحق وصفه بأنه مؤمن علم أن ذلک من آيات اللَّه عز و جل.

---

(1) اللسان (كمه) و روايته (لما) بدل (حتى) و كذلک رواية المفضليات: 405.

بلحى نفسه أى يلومها. لما نزع يعنى لما ترک.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 470

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 50] ..... ص : 470

اشارة

وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ (50)
آية واحدة.

و مصدقاً نصب على الحال و تقديره قد جئتكم مصدقاً، لأن أول الكلام يدل عليه و نظيره جئته بما يجب و معرفاً له، و ليس عطفاً على وجيهاً و لا رسولا لقوله «لِما بَيْنَ يَدَيَّ» و لم يقل لما بين يديه.

و قوله: «وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِی حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» فإنما أحل لهم لحوم الإبل و الثروب و أشياء من الطير و الحيتان، مما كان محرماً فی شرع موسی (ع) و لم يحل لهم جميع ما كان محرماً عليهم من الظلم، و الغصب، و الكذب، و العبث و غير ذلک، فلذلک قال «بَعْضَ الَّذِی حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» و بمثل هذا قال قتادة و الربيع، و ابن جريج و وهب ابن منية، و أكثر المفسرين. و قال أبو عبيدة أراد كل الذی حرم عليكم و استشهد على ذلک بقول لبيد:
تراک أمكنة إذا لم أرضها أو يعتلق بعض النفوس حمامها «1»
قال معناه أو يعتلق نفسی حمامها. و أنكر الزجاج تأويله. و قال: هو خطاء من وجهين:
أحدهما- أن البعض لا يكون بمعنى الكل. و الآخر- أنه لا يجوز تحليل

---

(1) اللسان (بعض) ذكر العجز فقط.

المحرمات أجمع، لأنه يدخل فی ذلک الكذب، و الظلم، و الكفر قال: و معنى البيت أو يعتلق نفسی حمامها، كما يقول القائل: بعضنا يعرفک يريد أنا أعرفک، و هذا أيضاً إنما هو تبعيض صحيح. و وجه الآية ما ذكره أبو على، و جماعة من المفسرين أن قوماً من اليهود حرموا على نفوسهم أشياء ما حرمها اللّه عليهم، فجاء بتحليل ذلک. قال الرمانی: تأويل الآية على ما قالوه، لكنه لا يمتنع أن يوضع البعض فی موضع الكل إذا كانت هناک قرينة تدل عليه، كما يجوز وضع الكل فی موضع البعض بقرينة.
قوله: «وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ» معطوف على معنى الكلام الأول، لأن معناه جئتكم لأصدق ما بين يدی من التوراة، و لأحل لكم، كما يقول القائل: جئته معتذراً و لأجتلب عطفه. و الإحلال هو الإطلاق فی الفعل بتحسينه، و التحريم هو حظر الفعل بتقبيحه. و الفرق بين التصديق، و التقليد أن التصديق لا يكون إلا فيما يبرهن عند صاحبه. و التقليد يكون فيما لم يتبرهن، و لهذا لم نكن مقلدين للنبی (ص) و إن كنا مصدقين له.

إِنَّ اللَّهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِیمٌ (51)
آية.
قوله: «إِنَّ اللَّهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ» استئناف كلام، لأنه رأس آية، و عليه جميع العلماء. و كان يجوز أن تفتح الهمزة على قوله: «و جئتكم» ب «إِنَّ اللَّهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ». و الفرق بين قوله «إِنَّ اللَّهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ» و قوله «ربنا» أن الأول آكد فى إقراره بالربوبية، لأنه ذكر على التفصيل، فهو أبعد من الغلط فى التأويل، لأن لقائل أن يقول الذكر قد يجوز فى الجملة على التغليب كما يغلب التذكير على التأنيث فى الجملة دون التفصيل.
و الربوبية هى تنشئة الشىء حالا بعد حال حتى يبلغ حد الكمال فى التربية،
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 472
فلما كان اللّه تعالى مالكاً لانشاء العالم كان رباً، و لا تطلق هذه الصفة إلا عليه تعالى، لأن إطلاقها يقتضى الملك بجميع الخلق، فأما إجراؤها على غيره، فعلى وجه التقييد، كقولك رب الدار، و رب الضيعة. و قالوا فى وصف قوم من العلماء: هم أرباب البيان يراد به شدة اقتدارهم عليه. و قوله: «هذا صِراطٌ مُسْتَقِیمٌ» فالاستقامة استمرار الشىء فى جهة واحدة، و نظيرها الاستواء: خلاف الاعوجاج، فلذلك قيل للطريق المؤدى إلى المراد الموصل إلى الحق: طريق الاستقامة، لأنه يفضى بصاحبه إلى غرضه، و قد استوفينا معناه فى سورة الحمد. و قد يوصف الدليل بأنه طريق مستقيم، لأنه يؤدى إلى الحق اليقين. و فى الآية حجة على النصارى بما قاله المسيح مما يقرون به أنه فى الإنجيل من نحو هذا الكلام، لأن فيه أذهب إلى إلهى، و إلهكم، كقوله هاهنا: «إِنَّ اللَّهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ».

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 52] ..... ص : 472

اشارة

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصارِى إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) آية.

الاحساس هو الوجود بالحاسة، أحس يحس إحساساً. و الحس القتل، لأنه يحس بألمه، و منه قوله: «إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ» «1» و الحس: العطف، لاحساس الرقة على صاحبه. و الأصل فيه إدراک الشيء من جهة الملابسة. و معنى الآية: فلما علم عيسى منهم الكفر، قال: «مَنْ أَنْصارِی إِلَی اللَّهِ». و الأنصار جمع نصير مثل شريف و أشراف، و شهيد و أشهاد. و إنما لم يحمل على ناصر لأنه يجب أن يحمل على نظيره من فعيل و أفعال.

---

(1) سورة آل عمران آية: 152.

و قوله: «مَنْ أَنْصارِی إِلَی اللَّهِ» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها- من أعوانی علی هؤلاء الكفار إلی معونة اللّه أی مع معونة اللَّه فی قول السدی، و ابن جريج. و إنما جاز أن تكون (إلی) بمعنی (مع) لما دخل الكلام من معنی الاضافة و معنی المصاحبة، و نظيره «الذود إلی الذود إبل» أی مع الذود. و مثله «وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلی أَمْوالِكُمْ» «1» أی مع أموالكم، و قولک: قدم زيد و معه مال، فلا يجوز فيه إلی و كذلک قدم إلی أهله، لا يجوز فيه مع، لاختلاف المعنی.
الثانی- قال الحسن من أنصاری فی السبيل إلی اللَّه، لأنه دعاهم إلی سبيل اللّه.
الثالث- قال الجبائی: من أنصاری للَّه، كما قال: «هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِی إِلَی الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِی لِلْحَقِّ» «2» و وجه ذلک أن العرض يصلح فيه اللام علی طريق العلة و إلی طريق النهاية. فان قيل عيسی إنما بعث بالوعظ دون الحرب لم استنصر عليهم؟ قلنا: للحماية من الكافرين الذين أرادوا قتله عند اظهار الدعوة- فی قول الحسن و مجاهد- و قال آخرون: يجوز أن يكون طلب النصرة للتمكين من إقامة الحجة و إنما قاله ليتميز الموافق من المخالف. و قوله: «قالَ الْحَوارِيُّونَ» اختلفوا فی تسميتهم حواريين علی ثلاثة أقوال قال سعيد بن جبير: سموا بذلک لنقاء ثيابهم.
الثانی- قال ابن جريج عن أبی أرطاء أنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب.
الثالث- قال قتادة، و الضحاک: لأنهم خاصة الأنبياء يذهب إلی نقاء قلوبهم كنقاء الأبيض بالتحوير.
و قد روی عن النبی (ص) أنه قال: الزبير ابن عمتی و حواری من أمتی.

---

(1) سورة النساء آية: 2.
(2) سورة يونس آية: 35.

و أصل الحوارى الحور، و هو شدة البياض. و منه الحوارى من الطعام لشدة بياضه. و منه الأحور، و الحوراء لنقاء بياض العين، و منه الحواريات نساء الأنصار لبياضهن. قال أبو جلدة اليشكرى «1»:
فقل للحواريات يبكين غيرنا و لا تبكنا إلا الكلاب النوابح «2»
و قال بعض بنى كلاب:
و لكنه ألقى زمام قلوصه ليحيا كريماً أو يموت حواريا
أى ناصراً لرفاقه غير خاذل لهم. و المحور: الحديدة التى تدور عليها البكرة، لأنها تنصقل حتى تبيض و حار يحور: إذا رجع، لانقلابه فى الطريق الذى جاء فيه كانقلاب المحور بالتحوير.

و فى الآية حجة على من زعم أن المسيح و الذين آمنوا به، كانوا نصارى فبين اللّه تعالى أنهم كانوا مسلمين كما بين ذلک فى قصة ابراهيم (ع) حيث قال «ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً».

رَبَّنا آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53)
آية واحدة بلا خلاف.

---

(1) هو أبو جلدة بن عبيد بن منفذ اليشكرى من شعراء الدولة الاموية، و كان من أخص الناس بالحجاج ثم فارقه و خرج مع ابن الأشعث، و صار من أشد الناس تحريضاً على الحجاج.
(2) اللسان (حور)، و الاغانى 11: 311 و حماسة بن الشجرى: 65 و هو من أبيات قالها فى التحريض على قتال أهل الشام.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 475
هذا حكاية لقول الحواريين حيث قالوا «آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ». قالوا «ربنا» و معناه يا ربنا و نصبه، لأنه نداء مضاف. «آمنا» أى صدقنا. و إنما لم يقل رب العباد آمنا للاختصاص بما أنعم به عليهم من الايمان الذى أجابوا إليه دون غيرهم ممن عدل عنه. و إنما قال «رَبَّنا آمَنَّا» على لفظ الخطاب و لم يعدل إلى لفظ الغائب، فكان أبلغ فى التعظيم، كما تقول السمع و الطاعة للملك، فيكون أفخم من أن يقال: لک أيها الملک، لأن المشاهدة أغنت عن التصريح بالخطاب و صار كالاستدلال له مع الغنى عنه و ليس كذلک استعماله مع الحاجة إليه، لأنه لا يدل على ابتداء له. فان قيل لم حذف (يا) من يا ربنا آمنا، و لم يحذف من «يا عبادى لا خوف عليكم» «1»؟ قلنا حذف للاستغناء عن تنبيه المدعو، و ليس كذلک الثانى لأنه بشارة للعباد ينبغى أن يمد بها لأن سماعها مما يسر. و قوله: (وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ) فالاتباع سلوک طريقة الداعى على الاجابة إلى ما دعا إليه، و ليس كل إجابة اتباعاً، لأن اجابة الدعاء يجوز على اللّه تعالى و لا يجوز عليه الاتباع. و قوله: «فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ» قيل معناه قولان:
أحدهما- اثبت أسماءنا مع اسمائهم لنفوز بمثل ما فازوا، و ننال من الكرامة مثل ما نالوا، و نستمتع بالدخول فى جملتهم و الانضمام إليهم. الثانى- يصل ما بيننا و بينهم بالخلة على التقوى، و المودة على سلوک طريق الهدى، و تجنب طريق الردى، و على هذا يكونون فيه بمنزلة من كتب عليهم. و حقيقة الشاهد المخبر بالشىء عن مشاهدة، و قد يتصرف فيه، فيقال: البرهان شاهد بحق أى هو بمنزلة المخبر به عن مشاهدة. و يقال هذا شاهد أى معد للشهادة و المراد فى الآية الشاهدين بالحق المنكرين للباطل.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 54] ..... ص : 475

اشارة

وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ (54)
آية.

_____
(1) سورة الزخرف آية 68.

قيل فى معنى الآية قولان:
أحدهما- قال السدى مكروا بالمسيح بالحيلة عليه، لقتله و مكر الله بردهم بالخيبة، لالقائه شبه المسيح على غيره. الثانى- «مَكَرُوا» بإضمار الكفر «وَ مَكَرَ اللَّهُ» بمجازاتهم عليه بالعقوبة. و المكر، و إن كان قبيحاً فإنما أضافه تعالى إلى نفسه لمزاوجة الكلام، كما قال: «فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ» «1» و ليس باعتداء و إنما هو جزاء، و هذا أحد وجوه البلاغة، لأنه على أربعة أقسام:
أحدها- المزاوجة نحو «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ». و الثانى- المجانسة نحو قوله: «يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ» «2». الثالث- المطابقة نحو قوله:
«ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً» «3» بالنصب على مطابقة الجواب للسؤال.
و الرابع- المقابلة نحو قوله: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ» «4» قال الشاعر:
و اعلم و أيقن ان ملكك زائل و اعلم بأن كما تدين تدان «5»
أى كما تجزى تجزى. و الأول ليس بجزاء و أصل المكر الالتفاف، فمنه المكر ضروب من الشجر مثل الدعل و نحوه، لالتفافه. و الممكورة من النساء الملتفة و المكر طين أحمر شبيه بالمغرة. و ثوب ممكور إذا صبغ بذلك الطين. و المكر الاحتيال

---

(1) سورة البقرة آية 194.
(2) سورة النور آية: 37. [.....]
(3) سورة النحل آية: 30.
(4) سورة القيامة آية 22- 25.
(5) اللسان (زنا)، (دان) و جمهرة الأمثال للعسكرى: 169 و غيرها و قد نسبه فى اللسان الى خويلد بن نوفل الكلابى. و قيل: هو لبعض الكلابيين. و قيل: ليزيد بن الصعق الكلابى. و قد مر البيت فى 1: 36 و روايته هناك (بأنك ما تدين تدان).
و روايته اللسان:
يا حار أيقن أن ملكك زائل و اعلم بأن كما تدين تدان
و حار: ترخيم حارث. و المخاطب هنا الحارث بن أبى شمر الغسانى و كان قد اغتصب ابنة الشاعر فخاطبه فى قصيدة منها هذا البيت.

على العبد، لالتفاف المكروه عليه. و حد المكر: خبء يختدع به العبد لإيقاعه

فى الضر. و الفرق بين المكر و الحيلة أن الحيلة قد تكون، لإظهار ما تعسر من الفعل من غير قصد إلى الإضرار بالعبد. و المكر حيلة على العبد توقعه فى مثل الرهق.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 55] ..... ص : 477

اشارة

إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى إِنِّى مُتَوَفِّيکَ وَ رافِعُکَ إِلَىَّ وَ مُطَهِّرُکَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوکَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55)
آية.

العامل فى (إذ) يحتمل أحد أمرين.
أحدهما- قوله: «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ» «إذ قال». و الآخر ذاک «إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى» و عيسى فى موضع الضم، لأنه مناداً مفرد، و لكن لا يبين فيه لأنه منقوص، و عيسى لا ينصرف لاجتماع العجمة و التعريف على قول الزجاج، لأنه حمل الألف على حكم الملحق بمخرج و لم يحملها على التأنيث، فأما الألف فى زكريا، فلا يكون إلا للتأنيث، لأنه لا مثال له فى الأصول. و إذا عرب جرى على قياس كلامهم فى أن الالف الزائدة لا تخلو أن تكون للتأنيث أو للإلحاق، فإذا بطل أحدهما صح أنها للآخر. و إنما وجب ذلک، لأنه يجرى مجرى الاعراب بالعوامل، فأما الاشتقاق، فلا يجب، لأنه تصريف من أصل المشتق، و ليس العربى بأصل للعجمى، و ذلک نحو العيس و هو بياض الإبل و العوس و هو السياسة لو كان عربياً، لصلح أخذه من أحد الأصلين. و
إذا أخذ من أحدهما التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 478
امتنع من الآخر، فلذلک إذا أخذ من العجمى امتنع من العربى.
و قوله: «إِنِّى مُتَوَفِّيکَ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- قابضک برفعک من الأرض إلى السماء من غير وفاة موت فى قول الحسن و ابن جريج و ابن زيد. الثانى- متوفيک وفاة نوم فى قول ابن عباس و وهب ابن منية. و الثالث- ان فيه تقديماً و تأخيراً، و معناه إنى رافعک، و متوفيک فيما بعد ذكره الفراء. و قوله: «و رافعک» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- رافعک فى السماء فجعل ذلک رفعاً إليه للتفخيم و اجراءه على طريق التعظيم. و الآخر- مصيرک إلى كرامتى كما يقال رفع إلى السلطان، و رفع الكتاب إلى الديوان. و قال ابراهيم «إِنِّى ذاهِبٌ إِلى رَبِّى». و إنما ذهب من العراق إلى الشام. و إنما أراد إلى حيث أمرنى ربى بالمضى إليه.
و قوله: (و مطهرک) قيل فيه قولان:
أحدهما- مطهرک بإخراجک من بين الارجاس، لأن كونه فى جملتهم بمنزلة التنجيس له بهم، و إن كان عليه السلام طاهراً فى كل حال، و إنما ذلک على إزالته عن مجاورة الانجاس. و الثانى- قال أبو على: تطهيره: منعه من كفر يفعلونه بالقتل الذى كانوا هموا به لأن ذلک نجس طهره اللَّه منه. و قوله: وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوکَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ يحتمل أن يكون جعلهم فوقهم بالحجة و البرهان، و يحتمل أن يكون ذلک بالعز و الغلبة، و قال الحسن، و قتادة، و الربيع: المعنى بهذه الآية أهل الايمان. و ما جاء به دون الذين كذبوه أو كذبوا عليه. و قال ابن زيد: المعنى به النصارى، و هم فرق اليهود من حيث كانوا اليهود أذل منهم إلى يوم القيامة، و لهذا زال الملک عنهم و إن كان ثابتاً فى النصارى فى بلاد الروم و غيرها، فهم

أعز منهم و فوقهم. و قال الجبائى فيه دلالة على أنه لا يكون لليهود مملكة إلى يوم القيامة كما للروم. و الوجه الأول أقوى، لأنه أظهر إذا كان على جهة التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 479
الترغيب فى الحق، و قوله: «ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» وجه اتصاله بالكلام كأنه قال أما الدنيا فأنتم فيها على هذه الحال، و أما الآخرة.
فيقع فيها التوفية للحقوق على التمام و الكمال. و إنما عدل عن الغيبة إلى الخطاب فى قوله: «ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ» لتغلب الحاضر على الغائب لما دخل معه فى المعنى كما يقول بعض الملوك: قد بلغنى عن أهل بلد كذا جميل، فأحسن إليكم معشر الرعية.

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (56)
آية واحدة بلا خلاف.
معنى قوله «فأما» تفصيل المجمل على قولك فيجازى العباد أما المؤمن فبالثواب و أما الكافر فبالعقاب. و قوله: «فأعذبهم» فالعذاب: استمرار الآلام لأن أصله استمرار الشىء، فمنه العذوبة لاستمرار العذب فى الحلق، و منه العذبة لاستمرارها بالحركة. و قوله «شديداً» فالشدة صعوبة بالانتقام. و القوة: عظم القدرة، فالشدة نقيض الرخاوة. و القوة نقيض الضعف، فشدة العذاب قد تكون بالتضعيف، و قد تكون بالتحبيس. و قوله: «فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ» فعذابهم فى الدنيا إذلالهم بالقتل، و الأسر، و السبى، و الخسف، و الجزية، و كلما فعل على وجه الذلة و الاهانة. و فى الآخرة عذاب الأبد. و الفرق بين الآخرة و الانتهاء أن الآخرة قد تكون بعد العمل، فأما الانتهاء فجزء منه لا يكون بعد كماله هذا إذا اطلق فان أضيف فقيل آخر العمل فمعناه انتهاء العمل. و قوله: «وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ» فالنصرة هى المعونة على العدو خاصة. و المعونة هى زيادة فى القوة و قد تكون على العدو، و غير العدو.

وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57)
آية واحدة بلا خلاف.
قرأ (فيوفيهم) بالياء حفص و رويس. الباقون بالنون.
فان قيل: لم كرر الوعد هاهنا و قد ذكر فى غير هذا الموضع من القرآن؟
قلنا: ليس ذلک بتكرير فى المعنى، لأن معنى ذلک آمنوا بک يا عيسى و عملوا الصالحات فيما دعوتهم إليه من الهدى، لأنه تفصيل ما أجمل فى قوله: «ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» و قوله: (وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) ليس بتقييد للوعد بكل واحدة من الخصلتين على اختلاف فائدة الصفتين، و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة فى أن اللّه تعالى يريد الظلم، لأنه قال:
«لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» و إذا لم يحب الظالم لم يحب فعل الظلم، لأنه إنما لم يجز محبة الظالم لظلمه.
و المحبة هى الارادة، و فى الآية دلالة على أنه لا يجازى المحسن بما يستحقه المسىء و لا المسىء بما يستحقه المحسن، لأن ذلک ظلم. و معنى التوفية فى الآية مساواة مقدار الاستحقاق لأن المقدار لا يخلو أن يكون مساوياً أو زائداً أو ناقصاً، و الزيادة على مقدار الاستحقاق لا يجوز أن يعطى ثواب العمل من ليس بعامل لكن تجوز الزيادة على وجه التفضل، فأما التوفية، فواجبة فى الحكمة و النقصان لا يجوز، لأنه ظلم. و فى الآية دلالة على بطلان القول بالتحابط، لأنه تعالى وعد بتوفية الأجور و لم يشرط الإحباط، فوجب حمل الكلام على ظاهره.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 58] ..... ص : 481

اشارة

ذلِکَ نَتْلُوهُ عَلَیْکَ مِنَ الْآیاتِ وَ الذِّکْرِ الْحَکِیمِ (58)
آیة واحدة. التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 481

«ذلک» اشارة إلى الاخبار عن عيسى، و زكريا، و يحيى، عن الحواريين، و اليهود من بنى إسرائيل، و هو فى موضع نصب بما تقدم. و «نَتْلُوهُ عَلَيْکَ» لما فيه من الآية لمن تذكر فى ذلک و اعتبر به. و الذكر و إن كان حكمة فإنما وصفه بأنه حكيم من حيث لما كان ما فيه من الدلالة بمنزلة الناطق بالحكمة حسن وصفه بأنه حكيم من هذه الجهة، كما وصفت الدلالة بأنها دليل لما فيها من البيان، و ذلک لأنه الناطق بالبيان.

و موضع «نتلوه» من الاعراب يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون رفعاً بأنه خبر ذلک، و الثانى- ألّا يكون له موضع، لأنه صلة ذلک و تقديره: الذى نتلوه عليک من الآيات، و يكون موضع «من الآيات» رفعاً بأنه خبر ذلک. ذكره الزجاج و أنشدوا فى مثله:
عدس ما للعباد عليک إمارة أمنت و هذا تحملين طليق «1»
بمعنى و الذى تحملين طليق.

و قيل فى معنى قوله: «نَتْلُوهُ عَلَيْکَ» قولان:
أحدهما- نكلمک به، و يكون وضع «نتلوه» موضع نكلم كما يقول القائل: انشأ زيد الكتاب و تلاوة عمرو، فالتلاوة تكون اظهار الكلام على جهة الحكاية الثانى- «نَتْلُوهُ عَلَيْکَ» بأمرنا جبريل أن يتلوه عليک على قول الجبائى، و الذكر حصول ما به يظهر المعنى للنفس و يكون كلاماً و غير كلام من بيان أو خاطر على

---

(1) البيت مشهور فى كتب النحو.

البال، و ليس إذا ظهر الشيء للنفس دل على صحته، لأن الضدين قد يظهران و لا يجوز صحتهما معاً.

إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59)
آية.
قال ابن عباس، و الحسن و قتادة: هذه الآية نزلت فى وفد نجران: السيد و العاقب، قالا للنبى (ص) هل رأيت ولداً من غير ذكر، فأنزل اللَّه تعالى الآية.
و المثل ذكر سائر يدل على أن سبيل الثانى سبيل الأول، فذكر اللَّه آدم بأن انشأه من غير والد يدل على أن سبيل الثانى سبيل الأول فى باب الإمكان، و القدرة. و فى ذلك دلالة على [بطلان قول] من حرم النظر، لأن اللَّه تعالى احتج به على المشركين و لا يجوز أن يدلهم إلا بما فيه دليل فقياس خلق عيسى من غير ذكر كقياس خلق آدم بل هو فيه أوجب، لأنه فى آدم من غير أنثى، و لا ذكر. و معنى «خلقه» أنشأه، و لا موضع له من الاعراب، لأنه لا يصلح أن يكون صفة لآدم من حيث هو نكرة، و لا يكون حالا له، لأنه ماض فهو متصل فى المعنى غير متصل فى اللفظ من علامات الاتصال من اعراب أو مرتبة كالصلة. و قوله: «كُنْ فَيَكُونُ» قد بينا معناه فيما مضى و أنه اخبار عن سرعة الفعل و تيسره من غير مشقة و لا إبطاء.
و قيل إنه يفعله عند قوله: «كن» و يكون ذلك علامة للملائكة على ما يريد اللَّه إنشاءه. و قوله: «فيكون» رفع لا يجوز فيه النصب على جواب الأمر فى كن، لأن جواب الشرط غيره فى نفسه أو معناه نحو آتنى فأكرمك و آتنى فتحسن إلى، فهذا يجوز، لأن تقديره فإنك إن تأتنى تحسن إلى، و لا يجوز تقدير (أن)، فيكون بالنصب، لأن تقديره كن فإنك أن تكن. فهذا لا يصح، لأن الجواب هو الشرط على معناه، و لكن يجوز الرفع على فهو يكون.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 60] ..... ص : 483

اشارة

الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلا تَکُنْ مِنَ الْمُمْتَرِینَ (60) آیة.

الحق رفع بأنه خبر ابتداء محذوف و تقديره ذلک الاخبار فى أمر عيسى الحق من ربک، فحذف، لتقدم ذكره و أغنى بشاهد الحال عن الاشارة إليه كما تقول الهلال أى هذا الهلال.

و قوله: «فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون خطاباً للنبى (ص) و المراد به غيره، كما قال. «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» «1»- و الآخر- «فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» أيها السامع للبرهان من المكلفين كائناً من كان.
و الامتراء الشک، و مثله المرية و أصله الاستخراج مرى الضرع يمريه مرياً: إذا استخرج اللبن منه يمسحه ليدر، و كذلک الريح تمرى السحاب مرياً. فالامتراء شک كحال المستخرج لما لا يعرف. و إنما قال: «الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ» و لم يقتصر على قوله: «ذلک الحق» «فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» لأن فى هذه الآية دلالة على أنه الحق، لأنه من ربک، و لو قال ذلک الحق «فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» لأن فى هذه الآية دلالة على أنه الحق، لأنه من ربک. و لو قال: ذلک الحق فلا تكن «2» لم يفد هذه الفائدة. و الفرق بين قوله: «فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» و بين قوله: فلا تكن ممترياً أن ذلک أبلغ فى النهى، لأنه اشارة إلى قوم قد عرفت حالهم فى النقص و العيب.

---

(1) سورة الطلاق آية: 1.
(2) هكذا فى المطبوعة و فيه تكرار كما ترى.

اشارة

فَمَنْ حَاجَّکَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْکاذِبِينَ (61)
آية بلا خلاف.

الهاء فى قوله: «فيه» يحتمل أن تكون عائدة إلى أحد أمرين:
أحدهما- إلى عيسى فى قوله: «إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ» فى قول قتادة.
الثانى- أن تكون عائدة على الحق فى قوله «الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ». و الذين دعاهم النبى (ص) فى المباهلة نصارى نجران، و لما نزلت الآية أخذ النبى (ص) بيد على و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام، ثم دعا النصارى إلى المباهلة، فاحجموا عنها، و أقروا بالذلة و الجزية. و يقال: إن بعضهم قال لبعض إن باهلتموه اضطرم الوادى ناراً عليكم و لم يبق نصرانى و لا نصرانية إلى يوم القيامة.
و روى أن النبى (ص) قال لأصحابه: مثل ذلک. و لا خلاف بين أهل العلم أنهم لم يجيبوا إلى المباهلة.

«و تعالوا» أصله من العلو، يقال منه تعاليت أتعالى تعالياً: إذا جئت و أصله المجىء إلى الارتفاع إلا أنه كثر فى الاستعمال حتى صار لكل مجىء و صار تعالى بمنزلة هلم. و قيل فى معنى الابتهال قولان:
أحدهما- الالتعان بهله اللّه أى لعنه و عليه بهلة اللّه. الثانى «نبتهل» ندعوا بهلاک الكاذب. و قال لبيد: التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 485
نظر الدهر إليهم فابتهل «1»
أى دعا عليهم بالهلاک كاللعن، و هو المباعدة من رحمة اللَّه عقاباً على معصيته فلذلک لا يجوز أن يلعن من ليس بعاص من طفل أو بهيمة أو نحو ذلک، و قال أبو بكر الرازى: الآية تدل على أن الحسن و الحسين ابناه، و أن ولد البنت ابن على الحقيقة. و قال ابن أبى علان: فيها دلالة على أن الحسن و الحسين كانا مكلفين فى تلک الحال، لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين.
و استدل أصحابنا بهذه الآية على أن أمير المؤمنين (ع) كان أفضل الصحابة من وجهين:
أحدهما- أن موضوع المباهلة ليتميز المحق من المبطل و ذلک لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوعاً على صحة عقيدته أفضل الناس عند اللّه.
و الثانى- أنه (ص) جعله مثل نفسه بقوله: «وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ» لأنه أراد بقوله «أبناءنا» الحسن و الحسين (ع) بلا خلاف. و بقوله: «وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ» فاطمة (ع) و بقوله: «و أنفسنا» أراد به نفسه، و نفس على (ع) لأنه لم يحضر غيرهما بلا خلاف، و إذا جعله مثل نفسه، وجب ألا يدانيه أحد فى الفضل، و لا يقاربه. و متى قيل لهم أنه أدخل فى المباهلة الحسن و الحسين (ع) مع كونهما غير بالغين و غير مستحقين للثواب، و إن كانا مستحقين للثواب لم يكونا أفضل الصحابة. قال لهم أصحابنا: إن الحسن و الحسين (ع). كانا بالغين مكلفين، لأن البلوغ و كمال العقل لا يفتقر إلى شرط مخصوص، و لذلک تكلم عيسى فى المهد بما دل على كونه مكلفاً عاقلا، و قد حكيت ذلک عن امام من أئمة المعتزلة مثل ذلک و قالوا أيضاً أعنى أصحابنا: إنهما كانا أفضل الصحابة بعد أبيهما وجدهما، لأن كثرة الثواب ليس بموقوف على كثرة الافعال، فصغر سنهما لا يمنع من أن يكون

---

(1) ديوانه قصيدة 39 البيت 81، و أمالى الشريف المرتضى 1: 45 و أساس البلاغة (بهل) و صدره:
فى قروم سادة من قومه

معرفتهما و طاعتهما للّه، و إقرارهما بالنبى (ص) وقع على وجه يستحق به من الثواب ما يزيد على ثواب كل من عاصرهما سوى جدهما و أبيهما. و قد فرغنا الكلام فى ذلک و استقصيناه فى كتاب الامامة.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 62] ..... ص : 486

اشارة

إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62)
آية.

إن قيل: لم قال: «إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ» مع قيام الحجة، و شهادة المعجزة له؟ قلنا: معناه البيان عن أن مخالفتهم له بعد وضوح أمره يجرى مجرى العناد فيه، و كذلک قوله: «وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ». و القصص: الخبر الذى تتابع فيه المعانى و أصله اتباع الأثر، و فلان يقص أثر فلان أى يتبعه. و قوله: (و ما من إله إلا اللَّه) دخول (من) فيه تدل على عموم النفى لكل إله غير اللَّه. و لو قال:
ما إله إلا اللَّه لم يفد ذلک و إنما أفادت (من) هذا المعنى، لأن أصلها لابتداء الغاية فدلت على استغراق النفى من ابتداء الغاية إلى انتهائها. و لا يجوز جر اسم اللَّه على البدل من إله، لأن ذلک لا يحسن فى الكلام، لأن (من) لا تدخل فى الإيجاب و ما بعد (إلا) هنا إيجاب، و لا تدخل أيضاً على المعرفة للعموم، و لا يحسن إلا رفعه على الموضع، كأنه قيل ما لكم إله إلا اللَّه. و ما لكم مستحق للعبادة إلا اللَّه قال الشاعر:
ابنى لبينى لستم بيد الأيد ليست لها عضد
أنشدوه بالجر، فعلى هذا يجوز ما جاءنى من رجل إلا زيد، و ليس هو وجه الكلام، و لكنه يتبعه و إن لم يصلح إعادة العامل فيه، كما يقال: اختصم زيد و عمرو، و لا يجوز و اختصم عمرو، و قوله: «وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»
معناه التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 487
لا أحد يستحق إطلاق هذه الصفة إلا هو، فوصل ذلک بذكر التوحيد فى الإلهية لأنه حجة على صحته من حيث لو كان إله آخر، لبطل إطلاق هذه الصفة.

و موضع هو من الاعراب يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون فصلا، و هو الذى تسمية الكوفيون عماداً، فلا يكون له موضع من الاعراب، لأنه فى حكم الحرف و يكون القصص خبر إن. و الآخر- أن يكون اسماً موضعه رفع بالابتداء و القصص خبر إن و الجملة خبر إن.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 63] ..... ص : 487

اشارة

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (63)

التولى عن الحق هو اعتقاد خلافه بعد ظهوره، لأنه كالادبار عنه بعد الإقبال. و تولى عنه خلاف تولى إليه. و الأصل واحد كما أن رغب عنه خلاف رغب فيه. و هو الزوال بالوجه عن جهته إلى غيره، فأصل التولى كون الشىء يلى غيره من غير فصل بينه و بينه، فقيل تولى عنه أى زال عن جهته. و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ» إنما خص المفسدين بأنه عليم بهم على جهة التهديد لهم، و الوعد بما يعلمه مما وقع من إفسادهم كما يقول القائل أنا أعلم بسر فلان، و ما يجرى إليه من الفساد. و الإفساد إيقاع الشىء على خلاف ما توجبه الحكمة، و هو ضد الإصلاح، لأنه إيقاع الشىء على مقدار ما توجبه الحكمة. و الفرق بين الفساد، و القبيح: أن الفساد تغيير عن المقدار الذى تدعو إليه الحكمة بدلالة أن نقيضه الصلاح، فإذا قصر عن المقدار أو أفرط لم يصلح، فإذا كان على المقدار صلح، و ليس كذلك القبيح، لأنه ليس فيه معنى المقدار. و إنما القبيح ما تزجر عنه الحكمة كما أن الحسن ما تدعو إليه الحكمة.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 64] ..... ص : 488

اشارة

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64)
آية واحدة.

قيل فى من نزلت هذه الآية ثلاثة أقوال:
أحدها- ذكره الحسن، و السدى، و ابن زيد، و محمد بن جعفر بن الزبير: أنهم نصارى نجران. و الثانى- قال قتادة، و الربيع، و ابن جريج: أنهم يهود المدينة، و قد روى ذلک أصحابنا. و وجه هذا القول أنهم أطاعوا الأحبار طاعة الأرباب، فسلكوا بهم طريق الضلال. و يدل على ذلک قوله: (عز و جل) «اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ» «1»
و روى عن أبى عبد اللّه (ع) أنه قال ما عبدوهم من دون اللّه و إنما حرموا لهم حلالا و أحلوا لهم حراماً، فكان ذلک اتخاذ الأرباب من دون اللّه.
الثالث- ذكره أبو على الجبائى أنها فى الفريقين من أهل الكتاب على ظاهر الكلام.

و قوله: «إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ» فسواء اسم و ليس بصفة و إنما جر سواء بتقدير ذات سواء فى قول الزجاج. و كان يجوز نصبه على المصدر، و موضع «أن لا» خفض على البدل من (كلمة). و قال الرمانى: إنما أجراه على الاول، و هو الثانى و لا يجوز فى مثل قولك مررت برجل سواء عليه الخير و الشر غير الرفع لأمرين:
أحدهما- أن رفع الثانى بتقدير محذوف، كأنه قال هى «ألا تعبد إلا

---

(1) سورة التوبة آية: 32.

الله»، فيكون سواء من صفة الكلمة فى اللفظ، و المعنى. و يجوز أن يكون موضعه خفضاً على البدل من الكلمة، و تقديره تعالوا إلى ألا نعبد إلا اللّه، و كذلك جاء ما لا يصلح للأول على الاستئناف، نحو «الَّذِى جَعَلْناهُ لِلنَّاسِ سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَ الْبادِ» «1» و كذلك «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَواءً مَحْياهُمْ وَ مَماتُهُمْ» «2». الثانى- أن يقع بمعنى المصدر فى موضع الصفة الجارية بتقدير (كلمة) مستوية «بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ» فيها الامتناع من عبادة غير اللّه. و إنما جاز، لأن لا نعت بغير معنى الكلمة، فصار بمنزلة إضمار الكلمة. و الفرق بين كلمة عدل و كلمة سواء [أن «كَلِمَةٍ سَواءٍ»] بمعنى مستوية و أن عدل بمعنى عادلة فيما يكون منها، كما تقول رجل عدل أى عادل، فاما كلمة مستوية فمستقيمة، كما يقال: الرجل مستو- فى نفسه- غير مائل عن جهته، فلذلك فسر سواء على الوجهين، فكان يجوز فى العربية الجزم فى «أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ» على طريق النهى، كقولك آتنى وقت يأتى الناس لا تجىء فى غير ذلك من الأوقات، و يجوز فيه الرفع أيضاً بمعنى الحكاية على أن تقول «أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ» و أجاز الفراء الجزم عطفاً على موضع (أن) لأنها فى موضع جواب الامر على تقدير «تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً» كما تقول: تعالوا لا نقل إلا خيراً، و هذا لا يجوز عند البصريين، لأن (أن) لا توافق معنى الجواب كالفاء فى قوله: «فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ» «3» كما توافقه «إذا» فى قوله: «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ» «4» و اللام فى قوله: «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» إنما اتصل بما قبله على تقدير: قابلوا إعراضهم عن الحق بخلافه للإنكار عليهم و تجديداً للإقرار به عند صدهم أى أقيموا على إسلامكم، و قولوا لهم: «اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» مقيمون على الإسلام.

(1) سورة الحج آية: 25.
(2) سورة الجاثية آية: 20.
(3) سورة المنافقين آية: 10.
(4) سورة الروم آية: 36.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 490

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 65] ..... ص : 490

اشارة

يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِى إِبْراهِيمَ وَ ما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (65)
آية واحدة.

روى عن ابن عباس، و الحسن، و قتادة و السدى أن أحبار اليهود و نصارى نجران اجتمعوا عند رسول اللّه (ص) فتنازعوا فى ابراهيم، فقالت اليهود: ما كان إلا يهودياً. و قالت النصارى ما كان إلا نصرانياً، فأنزل اللّه تعالى هذه الآية.

و قوله: لِمَ تُحَاجُّونَ، فالحجاج، و المحاجة واحد، و هو الجدال أما بحجة أو شبهة، و قد يسمى الجدال بإبهام الحجة حجاجاً، و على ذلک كان أهل الكتاب فى ادعائهم لإبراهيم، لأنهم أوهموا صحة الدعوى من غير سلوک لطريق الهدى و لا تعلق بما يظن به صحة المعنى. و أما الحجة فهو البيان الذى يشهد لصحة المقالة، و هى و الدلالة بمعنى واحد. و الفرق بين الحجاج و الجدال أن الحجاج يتضمن اما بحجة أو شبهة أو إبهام فى الحقيقة، لأن أصله من الجدل، و هو شدة الفتل.

و قوله: «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» معناه أ فلا تعقلون فساد هذه الدعوى إذ العقل يمنع من الاقامة على دعوى بغير حجة، فكيف بما قد علم، و ظهر فساده بالمناقضة.
و فى ذلک دلالة على ان العاقل لا يعذر فى الاقامة على الدعوى من غير حجة، لما فيه من البيان عن الفساد و الانتقاض. و لأن العقل طريق العلم، فكيف يضل عن المرشد من قد جعل اللَّه إليه السبيل !.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 491

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 66] ..... ص : 491

اشارة

هاِ أَنْتُمْ هؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (66)
آية واحدة.

قرأ أهل المدينة و أبو عمرو (ها أنتم) بتخفيف الهمزة حيث وقع الباقون بتخفيفها «1» و كلهم أثبت الالف قبل الهمزة إلا ابن عامر عن قنبل فانه حذفها.

(ها) للتنبيه و إنما نبههم على أنفسهم و ان كان الإنسان لا ينبه على نفسه و إنما ينبه على ما أغفله من حاله، لأن المراد بذلک تنبيههم بذكر ما يعلمون على ما لا يعلمون، فلذلک خرج التنبيه على النفس، و المراد على حال النفس. و لو جاء على الأصل، لكان لا بد من ذكر النفس للبيان، ففيه مع ذلک إيجاز. و قد كثر التنبيه فى هذا و لم يكثر فى ها أنت، لأن ذا مبهم من حيث يصلح لكل حاضر و المعنى فيه على واحد بعينه مما يصلح له فقوى بالتنبيه، لتحريک النفس على طلبه بعينه، و ليس كذلک أنت، لأنه لا يصلح لكل حاضر فى الجملة، و إنما هو للمخاطب. إن قيل أين خبر أنتم فى «ها أنتم»؟ قيل: يحتمل أمرين:
أحدهما- حاججتم على أن يكون «هؤلاء» تابعاً عطف بيان.
و الثانى- أن يكون الخبر «هؤلاء» على معنى هؤلاء بمعنى الذين و ما بعده صلة له. فان قيل: ما الذى حاجوا فيه مما لهم به علم؟ قلنا: أما الذى لهم به علم فما وجدوه فى كتبهم، لأنهم يعلمون أنهم وجدوه فيها و أما الذى ليس لهم به علم

---

(1) هكذا وجدناه فى الأصل و هو كما ترى. و فى مجمع البيان. قرأ أهل الكوفة (ها أنتم) بالمد و الهمزة و قرأ أهل المدينة و أبو عمرو بغير مد و لا همزة الا بقدر خروج الالف الساكنة.
و قرأ ابن عامر بالمد دون الهمزة.

فشأن إبراهيم على قول السدى و أبى على. و قوله: «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» يعنى شأن ابراهيم و كلما ليس عليه دليل، لأنه علام الغيوب العالم بغير تعليم «وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» ذلک، فينبغى أن تلتمسوا حقه من باطله من جهة عالم به. قال أبو على الفارسى: وجه قراءة ابن كثير أنه أبدل من الهمزة هاء و التقدير أ أنتم، فأبدل من همزة الاستفهام هاء، و ذلک جائز. قال: و لا يجوز على هذا أن تكون (ها) للتنبيه. و حذف الألف منها فى مثل هلم، لأن الحذف إنما يجوز إذا كان فيها تضعيف

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 67] ..... ص : 492

اشارة

ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67)
آية.

ذكر الحسن، و قتادة، و عامر، و هو
المروى عن أبى جعفر (ع): أن اليهود قالت: كان ابراهيم يهودياً، و قالت النصارى كان نصرانياً، فاكذبهم اللّه فى ذلک بانزال هذه الآية.
فان قيل: هل كان اللّه تعبد باليهودية و النصرانية ثم نسخها أم لا؟ قلنا: كان الذى بعثه اللّه به شرع موسى ثم شرع عيسى ثم نسخهما فأما اليهودية و النصرانية فصفتا ذم قد دل القرآن و الإجماع على ذلک، لأن موسى لم يكن يهودياً، و عيسى لم يكن نصرانياً، لقوله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ» و اليهودية ملة محرفة عن شرع موسى و كذلک النصرانية محرفة عن شرع عيسى. و قيل فى أصل الصفة بيهود قولان:
أحدهما- أنهم ولد يهود. و الآخر- أنه مأخوذ من هاد يهود إذا رجع.
و فى النصارى قولان:
أحدهما- أنه مأخوذ من ناصرة قرية بالشام. و الآخر- أنه من نصر المسيح. و كيف تصرفت الحال فقد صارتا صفتى ذم تجريان على فرقتين ضالتين.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 493
فان قيل: إن كان ابراهيم لم يكن يهودياً و لا نصرانياً، لأن التوراة و الإنجيل أنزلا بعده، فيجب أن لا يكون مسلماً، لأن القرآن أيضاً أنزل بعده؟
قلنا: لا يجب ذلک، لأن التوراة و الإنجيل أنزلا من بعده من غير أن يكون فيها ذكر له بأنه كان يهودياً أو نصرانياً. و القرآن أنزل من بعده و فيه الذكر له بأنه كان حنيفاً مسلماً. و قيل فى معنى الحنيف قولان:
أحدهما- المستقيم الدين، لأن الحنف هو الاستقامة فى اللغة. و إنما سمى من كان معوج الرجل أحنف على طريق التفاؤل كما قيل للضرير إنه بصير.
و الثانى- إن الحنيف هو المائل إلى الحق فى الدين فيكون مأخوذاً من الحنف فى القدم، و هو الميل. فان قيل: هل كان إبراهيم على جميع ما نحن عليه الآن من شرع الإسلام؟ قلنا: هو (ع) كان مسلماً، و إن كان على بعض شريعتنا، لأن فى شرعنا تلاوة الكتاب فى صلاتنا و ما أنزل القرآن إلا على نبينا، و إنما قلنا: إنه مسلم باقامة بعض الشريعة، لأن أصحاب النبى (ص) كانوا مسلمين فى الابتداء قبل استكمال الشرع. و قد سماه اللّه تعالى مسلماً، فلا مرية تبقى بعد ذلک.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 68] ..... ص : 493

اشارة

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِىُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِىُّ الْمُؤْمِنِينَ (68)
آية واحدة.

معنى قوله: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ» أى أحقهم بنصرته بالمعونة أو الحجة، لأن الذين اتبعوه فى زمانه تولوه بالنصرة على عدوه حتى ظهر أمره، و علت كلمته. و سائر المؤمنين يتولونه بالحجة بما كان عليه من الحق و تبرئته من كل عيب، فاللّه تعالى ولى المؤمنين، لأنه يوليهم النصرة، و المؤمن ولى اللّه لهذا المعنى بعينه. و قيل، لأنه يولى صفاته التعظيم. و يجوز، التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 494
لأنهم يتولون نصرة ما أمر به من الدين. و قيل و اللّه ولى المؤمنين، لأنه يتولى نصرهم. و المؤمنون أولياء اللّه، لأنهم يتولون نصر دينه الذى أمرهم به.

«و أولى» الذى هو بمعنى أفعل من غيره لا يجمع و لا يثنى، لأنه يتضمن معنى الفعل و المصدر على تقدير يزيد فضله على فضله فى أفضل منه. و معنى قولنا:
هذا الفعل أولى من غيره أى بأن يفعل. و قولنا زيد أولى من غيره معناه: أنه على حال هو بها أحق من غيره. و قوله: «لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ» فالاتباع جريان الثانى على طريقة الاول من حيث هو عليه كالمدلول الذى يتبع الدليل فى سلوک الطريق أو فى التصحيح، لأنه إن صح الدليل صح المدلول عليه لصحته، و كذلک المأموم الذى يتبع الامام.
فان قيل: لم فصل ذكر النبى (ص) من ذكر المؤمنين؟ قلنا: يحتمل أمرين: أحدهما- أنه بمعنى و الذين آمنوا به، فتقدم ذكره ليدخل فى الولاية و يعود إليه الكتابة. و الثانى- أن اختصاصه بالذكر بالحال العليا فى الفضل.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 69] ..... ص : 494

اشارة

وَدَّتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَ ما يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ (69)

معنى ودت: تمنت و إذا كانت بمعنى التمنى، فهى تصلح للماضى و الحاضر و المستقبل فلذلک جاز ب (لو) و ليس كذلک المحبة و الارادة، لأنهما لا يتعلقان إلا بالمستقبل فلا يجوز أن يكون بمعنى أرادت «لَوْ يُضِلُّونَكُمْ» كما يجوز ودت «لَوْ يُضِلُّونَكُمْ»، لأن الارادة تجرى مجرى الاستدعاء إلى الفعل أو مجرى العلة التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 495
فى ترتيب الفعل، فأما التمنى، فهو تقدير شىء فى النفس يستمتع بتقريره. و الفرق بين ودّ لو يضله، و بين ود أن يضله: أن (أن) للاستقبال و ليس كذلک (لو) و قوله: (لو يضلونكم) فالاضلال: الإهلاک بالدخول فى الضلال. و أصل الضلال الهلاک من قوله: «أَ إِذا ضَلَلْنا فِى الْأَرْضِ» «1» أى هلكنا.

و قوله: «وَ ما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» قيل فيه قولان:
أحدهما- أن المؤمنين لا يقبلون ما يدعونهم إليه من ترک الإسلام إلى غيره من الأديان فيحصل عليهم حينئذ الإثم و الوبال، و الاستدعاء إلى الضلال.
و الثانى- «وَ ما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» بفعل الضلال كما يقال ما أهلک إلا نفسه أى لا يعتد بهلاک غيره فى عظم هلاكه.

و الفرق بين أضله عن الطريق و بين أخرجه عن الطريق: أن أضله عنه يكون بالاستدعاء إلى غيره دون فعل الضلال. و أخرجه عنه قد يكون بفعل الخروج منه.
و الفرق بين الإضلال و الاستدعاء إلى الضلال أن الإضلال لا يكون إلا إذا قبل المدعو، فأما الاستدعاء إلى الضلال، فيكون، قبل المدعو أم لم يقبل. و حقيقة الإضلال: الدعاء إلى الضلال الذى يقبله المدعو. و قال بعضهم: إنه لا يصح إضلال أحد بغيره. و إنما يقال ذلک على وجه المجاز ذهب إلى أنه يفعل فعل الضلال فى غيره، لأنه لا يوصف بأنه مضل لغيره إلا إذا أضل المدعو باغوائه. قال الرمانى:
و هذا غير صحيح، لأنه يذم بالاستدعاء إلى الضلال الذى يقبله المدعو أكثر مما يذم بالاستدعاء إلى الضلال الذى لا يقبله المدعو، فلذلک فرق بين الاستدعاءين فوصف أحدهما بالإضلال و لم يوصف الآخر.

---

(1) سورة الم السجدة آية: 10. [.....]

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 70] ..... ص : 496

اشارة

يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (70)
آية واحدة بلا خلاف.

قوله: «يا أهل» نصب، لأنه منادى مضاف. و قوله: «لم» أصله لما، لأنها (ما) التى للاستفهام دخلت عليها اللام و إنما حذفت لاتصالها بحرف الاضافة مع وقوعها ظرفا تدل عليها الفتحة. و كذلک قياسها مع سائر حروف الاضافة مثل «فيم تبشرون» «1» «عم يتساءلون» «2» و إنما حذفت الالف من (ما) فى الاستفهام، و لم تحذف من (ما) فى الصلات لأن الظرف أقوى على التغيير من وسط الاسم كما يقوى على التغيير بالاعراب، و التنوين. و الالف فى الصلة بمنزلة حرف فى وسط الاسم، لأنه لا يتم إلا بصلته، و ليس كذلک الاستفهام، لأن الالف فيه منتهى الاسم، و (لم) أصلها (لما) و هى مخالفة عند البصريين ل (كم) على ما قاله الكسائى أن أصلها كما، لأن (كم) مخالفة (لما) فى اللفظ، و المعنى: أما فى اللفظ، فلأنه كان يجب أن تبقى الفتحة لتدل على الالف، كما بقيت فى (لم) و نحوه، و الامر بخلافه. و أما فى المعنى، فلأن (كم) سؤال عن العدد، و (ما) سؤال عن الجنس، فليست منها فى شىء، و لا لكاف التشبيه فى (كم) معنى، و يلزمه فى متى أن تكون أصلها (ما) إلا أنهم زادوا التاء، لأنه تغيير من غير دليل، فإذا لم يمنع فى أحدهما لم يمنع فى الآخر.

و إنما بنى على نظيره فى حذف الالف، فلذلک يلزمه أن يبنى على نظيره فى زيادة التاء قبل الالف، نحو (رهبوتى خير من رحمونى) قال الزجاج: قول الكسائى فى هذا لا يعرج عليه.

---

(1) سورة الحجر آية: 54.

(2) سورة النبأ آية: 1.

و قوله: «لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ» معناه لم تجحدون آيات اللَّه. «وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- و أنتم تشهدون بما يدل على صحتها من كتابكم الذى فيه البشارة بها فى قول قتادة و الربيع و السدى.
و الثانى- و أنتم تشهدون بمثلها من آيات الأنبياء التى تقرون بها. و الشهادة الخبر بالشىء عن مشاهدة: إما للخبر به، و إما لما يظهر به ظهوره بالمشاهدة. فإذا شهد بالإقرار، فهو مشاهدة المخبر به، و إذا شهد بالملك، فهو يظهر به ظهوره بالمشاهدة. و إنما قيل: شهد بالباطل، لأنه يخبر عن مشاهدة فى دعواه. و قوله:
«وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» فيه حذف، و تقديره «و أنتم تشهدون» ما عليكم فيه الحجة فحذف للإيجاز مع الاستغناء عنه بالتوبيخ الذى تضمنه الكلام. و الحجة فى ذلک من وجهين:
أحدهما- الإقرار بما فيه من البشارة من الكتاب. و الثانى- الإقرار بمثله من الآيات.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 71] ..... ص : 497

اشارة

يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (71)
آية بلا خلاف.

قيل فى معنى قوله: «لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ» ثلاثة أقوال:
أحدها- بتحريف التوراة و الإنجيل فى قول الحسن و ابن زيد.
الثانى- قال ابن عباس، و قتادة: بإظهار الإسلام، و إبطان النفاق، و فى قلوبهم من اليهودية و النصرانية مأمناً، لأنهم يداعوا إلى اظهار الإسلام فى

النهار و الرجوع عنه فى آخره لتشكيک الناس فيه.
الثالث- بالايمان بموسى، و عيسى، و الكفر بمحمد (ص).
و الحق الذى كتموه- فى قول الحسن، و غيره من المفسرين-: هو ما وجدوه من صفة النبى (ص) و البشارة به فى كتبهم على وجه العناد من علمائهم.
و قوله: «وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» فيه حذف و تقديره و أنتم تعلمون الحق، لأن التقريع قد دل على أنهم كتموا الحق و هم يعلمون أنه حق. و لو كتموه و هم لا يعلمون أنه حق لم يلائم معنى التقريع الذى دل على أنهم كتموا الحق و هم يعلمون أنه حق و لم يلائم معنى التقريع الذى دل عليه الكلام. و قيل أيضاً: و أنتم تعلمون الأمور التى يصح بها التكليف. و الأول أصح، لما بيناه من الذم على الكتمان.
فان قيل: إذا كانوا يعلمون الحق فى الدين، فقد صح كونهم معاندين فلم ينكر مذهب أصحاب المعارف الذين يقولون أن كل كافر معاند؟ قلنا: هذا فى قوم مخصوصين يجوز على مثلهم الكتمان، فأما الخلق الكثير، فلا يصح ذلک منهم، كما يجوز الكتمان على القليل، و لا يجوز على الكثير فيما طريقه الاخبار.
على أن فى الآية ما يدل على فساد قول أصحاب المعارف. و هو الاخبار بأنهم كتموا الحق الذى علموا، فلو اشترک الناس فيه، لما صح الكتمان كما لا يصح فى ما يعلمونه من المشاهدات و الضروريات، لاشتراكهم فى العلم به. و قوله: (وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ) رفع، لأنه معطوف على قوله: «تلبسون» و كان يجوز النصب، فتقول:
و تكتموا الحق على الصرف، كما لو قلت لم تقوم و تقعد كان جائزاً أى لم تجمع الفعلين و أنت مستغن بأحدهما عن الآخر.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 72] ..... ص : 498

اشارة

وَ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ آمِنُوا بِالَّذِی أُنْزِلَ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَ اکْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ (72)
آیة التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 499

الطائفة الجماعة. و قيل فى أصلها قولان:
أحدهما- أنه كالرفقة التي من شأنها أن تطوف البلاد فى السفر الذى يقع عليه الاجتماع. و الآخر- أنها جماعة يستوى بها حلقة يطاف حولها. و إنما دخلت هاء التأنيث فيها لمعنى المضاعفة اللازمة كما دخلت فى الجماعة، لأن فى أصل التأنيث معنى التضعيف من أجل أنه مركب على التذكير.

و فى قوله: «آمِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ» ثلاثة أقوال.
أولها- أظهروا الايمان لهم فى أول النهار و ارجعوا عنه فى آخره، فانه أحرى أن ينقلبوا عن دينهم.
الثانى- آمنوا بصلاتهم إلى بيت المقدس فى أول النهار، و اكفروا بصلاتهم إلى الكعبة فى آخره ليرجعوا بذلک عن دينهم.
الثالث- أظهروا الايمان فى صدر النهار لما سلف لكم من الإقرار بصفة محمد (ص)، ثم ارجعوا فى آخره لتوهموهم أنه كان وقع عليكم غلط فى صفته.
و الوجه الأول قول أكثر أهل العلم. و وجه النهار هو أوله عند جميع المفسرين، كقتادة، و الربيع، و مجاهد. و انما سمى أول النهار بأنه وجهه لأحد أمرين:
أحدهما- لأنه أول ما يواجه منه كما يقال، لأول الثوب وجه الثوب. الثانى- لأنه كالوجه فى أنه أعلاه و أشرف ما فيه قال ربيع ابن زياد:
من كان مسروراً بمقتل مالک فليأت نسوتنا بوجه نهار «1»

---

(1) اللسان (وجه) و الاغانى 16: 27، و مجاز القرآن 1: 97، و حماسة أبى تمام 3: 26 و خزانة الأدب 3: 538 من أبيات قالها لما قتل حميمه مالک بن زهير، و قد استعد لطلب ثاره و بعده:

و قيل فى معنى البيت: انه كان من عادتهم أن لا تنوح نساؤهم على قتلاهم إلا بعد أن يؤخذ بثاره، فأراد الشاعر أن يبين أنهم أخذوا بثار مالک بأن النساء ينحن عليه. و لذلک قال فى البيت الذى بعده:
يجد النساء حواسراً يندبنه
و قوله: «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» فيه حذف و تقديره: لعلهم يرجعون عن دينهم فى قول ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 73] ..... ص : 500

اشارة

وَ لا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (73)
آية.

قال الحسن: القائلين «لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ» هم يهود خيبر ليهود المدينة. و قال قتادة، و الربيع، و السدى، و ابن زيد: هم بعض اليهود لبعض.
و قيل فى معنى الآية ستة أقوال:
أحدها- قال الحسن، و مجاهد: أعرض بقوله: «قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ» و تقديره: «وَ لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ» و لا تؤمنوا «أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» و لا تؤمنوا «أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» لأنه لا حجة لهم. و قال أبو على الفارسى. و تقديره و لا تصدقوا ب «أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» «إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ».

يجد النساء حوسراً يندبنه بيكين قبل تبلج الاسحار
قد كن يخبأن الوجوه تستراً فاليوم حين برزن للنظار
يخمشن حرات الوجوه على امرئ سهل الخليفة طيب الاخبار

الثانى- قال السدى، و ابن جريج: هو على الاتصال بالهدى دون الاعتراض، و المعنى «قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ أَنْ» لا «يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» أيها المسلمون، كقوله «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» «1» و أن لا «يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» لأنه لا حجة لهم.
الثالث- قال الكسائى، و الفراء: «أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» بمعنى حتى «يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» على التبعيد كما يقال لا تلتقى معه أو تقوم الساعة.
الرابع- قال أبو على: «قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ» فلا تجحدوا «أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ».
الخامس- قال الزجاج: «وَ لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ» لئلا تكون طريقاً لعبدة الأوثان إلى تصديقه.
السادس- «أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» ان اعترفتم به، فيلزمكم العمل به منهم، لاقراركم بصحته.
و فى دخول اللام فى قوله: «إلا لمن» قيل فيه قولان:
أحدهما- أن تكون زائدة كاللام فى قوله: «رَدِفَ لَكُمْ» «2» أى ردفكم بمعنى لا تصدقوا إلا من تبع دينكم. قال المبرد: إنما يسوغ ذلك على تقدير المصدر بعد تمام الكلام، فأما قام لزيد بمعنى قام زيد، فلا يجوز، لأنه لا يحمل على التأويل إلا بعد التمام.
و القول الآخر- لا تعترفوا بالحق «إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ» فتدخل للتعدية، و قال أبو على الفارسى لا يجوز أن يتعلق اللام فى قوله: (لمن تبع دينكم) بقوله: «و لا تؤمنوا»، لأنه قد تعلق به حرف الجر فى قوله: (بأن يؤتى) كما لا

يتعلق مفعولان بفعل واحد. فان قيل: لم جاز حذف (لا) من قوله تعالى «أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» على قول من قال ذلک؟ قلنا: الدلالة عليها كالدلالة فى

---

(1) سورة النساء آية: 175.
(2) سورة النمل آية: 72.

جواب القسم، نحو و اللَّه أقوم أى لا أقوم قال امرؤ القيس:
فقلت يمين اللَّه أبرح قاعدا و لو قطعوا رأسى لديک و أوصالى «1»
أى لا أبرح. و الدليل عليه فى الآية اتصاله بالعرض فى اختصاص أهل الايمان،، فلا يتبعه فى المعنى إلا على «أن لا» «يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» و كذلک «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» «2» لأن البيان لا يكون طريقا إلى الضلال. و قال المبرد تقديره كراهة «أن تضلوا»، و كراهة «أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» فحمله على الأكثر، لأن حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه أكثر من حذف (لا). و قوله: «وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ» معناه واسع الرحمة عليم بالمصلحة، فمن صلح له ذلک من غيركم فهو يؤتيه تفضلا عليه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 74] ..... ص : 502

اشارة

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74) آية.

الاختصاص: انفراد بعض الأشياء بمعنى دون غيره، كالانفراد بالملک أو الفعل أو العلم أو السبب أو الطلب أو غير ذلک. و يصح الانفراد بالنفس و غير النفس، و ليس كذلک الاختصاص، لأنه نقيض الاشتراک. و الانفراد نقيض الازدواج.
و الفرق بين الاختصاص، و الخاصة: أن الخاصة تحتمل الاضافة و غير الاضافة، لأنها نقيض العامة، فأما الاختصاص، فلا يكون إلا على الاضافة، لأنه اختصاص بكذا دون كذا.

و قيل فى معنى الرحمة هاهنا قولان:

---

(1) مر البيت فى 2: 227.
(2) سورة النساء آية: 175.

أحدهما- قال الحسن، و مجاهد، و الربيع، و الجبائى: إنها السورة و قال ابن جريج: هى القرآن، و الإسلام. و وجه هذا القول أنه يختصهم بالإسلام بما لهم من اللطف فيه. و فى الآية دلالة على أن النبوة ليست مستحقة بالافعال، لأنها لو كانت جزاء، لما جاز أن يقول يختص بها من يشاء، كما لا يجوز أن يختص بعقابه من يشاء من عباده. فان قيل اللطف مستحق، و هو يختص به من يشاء من عباده؟
قلنا: لأنه قد يكون لطفاً على وجه الاختصاص دون الاشتراک و ليس كذلک الثواب.

و قوله: «وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»، فالفضل الزيادة عن الإحسان و أصله على الطلاق الزيادة يقال فى بدنه فضل أى زيادة. و الفاضل: الزائد على غيره فى خصال الخير، فأما التفضل، فزيادة النفع على مقدار الاستحقاق ثم كثر استعماله حتى صار لكل نفع قصد به فاعله أن ينفع صاحبه.

و قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 75] ..... ص : 503

اشارة

وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْکَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْکَ إِلاَّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِى الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (75)
آية بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو (يؤده إليک) بإسكان الهاء. الباقون باشباعها.
قال الزجاج: هذا غلط من الراوى كما غلط فى (بارئكم) «1» بإسكان

---

(1) سورة البقرة آية: 54.

الهمزة، و إنما كان أبو عمرو يختلس الحركة فيما رواه الضباط عنه كسيبويه و غيره.
و إنما لم يجز حذف الحركة، كما لم يجز فى هذا غلام فاعلم، لأنه لما حذفت الياء تركت الكسرة لتدل عليها.

و القنطار: قد ذكرنا الخلاف فى مقداره، فانه على قول الحسن ألف و مأتا مثقال. و فى قول أبى نضرة ملأ مسک ثور ذهباً. و قيل سبعون ألفاً عن مجاهد.
و عن أبى صالح أنه مائة رطل. و الفرق بين «تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ» و تأمنه على قنطار أن معنى الباء الصاق الأمانة، و معنى على استعلاء الأمانة، و هما يتعاقبان فى هذا الموضع، لتقارب المعنى، كما يقال: مررت به و مررت عليه، و قوله: (إلا ما دمت عليه قائماً) قيل فى معناه قولان:
أحدهما- «إِلَّا ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً» بالتقاضى و المطالبة فى قول قتادة، و مجاهد و [الثانى] قال السدى إلا ما دمت عليه قائماً بالاجتماع معه، و الملازمة. و معناه إلا ما دمت عليه قائماً على رأسه.
و دِمت و دُمت لغتان مثل مت و مت لكن من كسر الدال و الميم قال فى المستقبل: تدام و تمات، و هى لغة أزد السراة، و من جاورهم.
و قوله: «ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِى الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال قتادة و السدى: قالت اليهود ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل، لأنهم مشركون. و [الثانى] قال الحسن و ابن جريج: لأنهم تحولوا عن دينهم الذى عاملناهم عليه و ادعوا أنهم وجدوا ذلک فى كتابهم. و قوله: (و هم يعلمون) معناه يعلمون هذا الكذب على اللّه تعالى، فيقدمون عليه و الحجة قائمة عليهم فيه. و قال قوم: قوله: «وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 505
إِلَيْکَ»
يعنى النصارى، لأنهم لا يستحلون أموال من خالفهم، و عنى بقوله:
«وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ» اليهود لأنهم يستحلون مال كل من خالفهم فى حل السبت.
و على هذا يسقط سؤال من يقول أى فائدة فى ذكر ذلک، لأن من المعلوم فى كل حال من كل أمة أن فيها من يؤدى الامانة و فيها من لا يؤديها، فلا فائدة فى ذلک؟
فان هذا ميز بين الفريقين. و من قال بالأول يمكنه أن يقول فائدة الآية القطع على أن فيهم هؤلاء، و هؤلاء و سائر الناس يجوز أن لا يكون فيهم إلا أحد الفريقين، فلذلک فائدة بينة. و يمكن أيضاً أن تكون الفائدة أن هؤلاء لا يؤدون الأمانة لاستحلالهم ذلک بقوله: «ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِى الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» و سائر الفرق و إن كان منهم من لا يؤدى الامانة، لا نعلم أنه يستحلها و ذلک فائدة.

بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَ اتَّقى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76)
آية.
الهاء فى قوله: «بعهده» يحتمل أن تكون عائدة على اسم اللَّه فى قوله: «وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» و يحتمل أن تكون عائدة على (من) فى قوله: «بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ» لأن العهد يضاف إلى الفاعل، و المفعول. تقول هذا عهد فلان الذى عُهد إليه به، و هذا عهد فلان الذى عهده إلى غيره. و وفى و أوفى لغتان، فأهل الحجاز يقولون أوفيت و أهل نجد يقولون وفيت. و قوله: (بلى) يحتمل معنيين:
أحدهما- الاضراب عن الأول على وجه الإنكار للأول و على هذا الوجه «مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ» تكون مكتفية، نحو قولك: ما قدم فلان، فتقول بلى أى بلى قد قدم. و قال الزجاج: بلى هاهنا وقف تام لأنهم لما قالوا «لَيْسَ عَلَيْنا فِى الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» قيل «بلى» أى بلى عليهم سبيل.
و الثانى- الاضراب عن الأول و الاعتماد على البيان الثانى و على هذا الوجه التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 506
لا تكون مكتفية، نحو ان تقول قد قدَّم زيد، حدساً لغواً من القول، بلى لو كان متيقناً لعمل على قوله. فكذلك الآية تدل على ما تقدم على ادعائهم خلاف الصواب فى التقوى فقيل: «بلى» للاضراب عن الأول، و الاعتماد على البيان الثانى.
و الفرق بين بلى و نعم أن بلى جواب النفى، نحو قوله. «أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى» «1» فأما أزيد فى الدار فجوابه، نعم، أو، لا. و إنما جاز إمالة بلى لمشابهتها الاسم من وجهين.
أحدهما- أنه يوقف عليها فى الجواب، كما يوقف على الاسم نحو من رأيت من النساء، فيقول الحبلى، و كذلك إذا قال أ ليس زيد فى الدار قلت بلى.
و لأنها على ثلاثة أحرف و هى أصل العدة التى يكون عليها الاسم و لذلك خالفت (لا) فى الامالة.
و إنما قال «فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» و لم يقل فان اللَّه يحبه فيرد العامل إلى اللفظ، لابانة الصفة التى تجب بها محبة اللَّه و إن كان فيه معنى فان اللَّه يحبهم.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 77] ..... ص : 506

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولئِکَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِی الْآخِرَةِ وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (77)
آية واحدة.

اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية، فقال مجاهد، و عامر الشعبى: إنها نزلت فى رجل حلف يميناً فاجرة فى تنفيق سلعته. و قال ابن جريج: إنها نزلت فى الأشعث بن قيس و خصم له فى أرض قام ليحلف عند رسول اللّه، فنزلت الآية فنكل الأشعث، و اعترف بالحق، و رد الأرض. و قال عكرمة نزلت فى جماعة من

---

(1) سورة الاعراف آية: 171.

اليهود: حى بن أحطب، و كعب بن الأشرف، و أبى رافع، و كنانة بن أبى الحقيق. و قال الحسن كتبوا كتاباً بأيديهم ثم حلفوا أنه من عند اللّه فيما ادعوا من أنه ليس علينا فى الأميين سبيل.

و عهد اللَّه هو ما يلزم الوفاء به. و يستحق بنقضه الوعيد. و هو ما أخذه على العبد و أوجبه عليه بما جعل فى عقله من قبح تركه، و ذلک فى كل واجب عليه، فانه يلزم بنقضه الوعيد إلا أن يتوب أو يجتنب الكبيرة. و العهد: هو العقد الذى تقدم به إلى العبد بما يجده فى عقله من الزجر عن خلاف الحق، و الدعاء إلى التمسک به، و العمل عليه، و إنما وصف ما اشتروه من عرض الدنيا بأنه ثمن قليل مع ما قرن به الوعيد لأمرين:
أحدهما- لأنه قليل فى جنب ما يؤدى إليه من العقاب و التنكيل. و الثانى- هو أنه مع كونه قليلا، الاقدام فيه على اليمين مع نقض العهد عظيم: و قوله: «أُولئِکَ لا خَلاقَ لَهُمْ» معناه لا نصيب وافر لهم. و قيل فى أصل الخلاف قولان:
أحدهما- الخلق: التقدير، فيوافق معناه، لأن النصيب: الوافر من الخير بالتقدير لصاحبه يكون نصيباً له. و الآخر- من الخلق، لأنه نصيب مما يوجبه الخلق الكريم. و قوله: «وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- «لا يكلمهم» بما يسرهم بل بما يسوءهم وقت الحساب لهم، لأن الغرض إنما هو الوعيد، فلذلک تبعه معنى لا يكلمهم بما يسر مع أن ظاهر قوله:
«ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ» «1» أنه يكلمهم بما يسوءهم فى محاسبته لهم، هذا قول أبى على. الثانى- لا يكلمهم أصلا، و تثبت المحاسبة بكلام الملائكة لهم (ع) بأمر اللَّه إياهم، فيكون على العادة فى احتقار إنسان على أن يكلمه الملک لنقصان المنزلة. و قوله:

---

(1) سورة الغاشية آية: 26.

«وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ» أى لا يرحمهم، كما يقول القائل لغيره: انظر إلى يريد ارحمنى و فى ذلک دلالة على أن النظر مع تعديته بحرف (إلى) لا يفيد الرؤية، لأنه لا يجوز حملها فى الآية على أنه لا يراهم بلا خلاف. و قوله: «وَ لا يُزَكِّيهِمْ» معناه لا يحكم بزكاتهم دون أن يكون معناه لا يفعل الايمان الذى هو الزكاء لهم، لأنهم فى ذلک، و المؤمنين سواء، فلو أوجب ما زعمت المجبرة، لكان لا يزكيهم، و لا يزكى المؤمنين أيضاً فى الآخرة و ذلک باطل.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 78] ..... ص : 508

اشارة

وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (78)
آية.

«وَ إِنَّ مِنْهُمْ» الكناية بالهاء و الميم راجعة على أهل الكتاب فى قوله: «مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ» فى قول جميع المفسرين: الحسن و غيره.
و قوله: «يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ» قال مجاهد، و قتادة، و ابن جريج، و الربيع: معناه يحرفونه بالتغيير و التبديل. و أصل اللىّ: الفتل من قولک لويت يده إذا فتلتها قال الشاعر:
لوى يده اللَّه الذى هو غالبه «1»
و منه لويت العمود إذا ثنيته و قال الآخر:

_____
(1) قائله فرعان بن الأعرف السعدى التميمى، فى ولده منازل يدعو عليه. لان منازل ضرب والده عند ما تزوج على امه. و صدره:
نحون مالى ظالماً و لوى يدى!
و هو من أبيات يقولها فى ابنه منازل لان منازل عق أباه و هو فرعان و ضربه لأنه تزوج على أمه امرأة شابة، فغضب لأمه ثم استاق مال أبيه و اعتزل مع أمه فقال فيه الأبيات.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 509
فلو كان فى ليلى سدى من خصومة للويت أعناق الخصوم الملاويا «1»
و منه لويت الغريم ليا و لياناً إذا مطلته حقه قال الشاعر:
تطيلين لياتى و أنت ملية و احسن يا ذات الوشاح التقاضيا
فقيل لتحريف الكلام بقلبه عن وجهه: لىّ اللسان به، لأنه قتله عن جهته. و قوله: «لفريقاً» نصب بأنه اسم (ان) و اللام لام التأكيد و يجوز دخولها على اسم (ان) إذا كان مؤخراً، فان قدم لم يجز دخولها عليه، لا تقول:
ان لزيداً فى الدار. و إنما امتنع ذلک لئلا يجتمع حرفا التأكيد، لأن (ان) للتأكيد و اللام للتأكيد أيضاً فلم يجز الجمع بينهما لئلا يتوهم اختلاف المعنى، كما لم يجز دخول التعريف على التعريف، و التأنيث على التأنيث، فأما قولهم: جاءنى القوم كلهم أجمعون، فكل تأكيد للقوم و أجمعون تأكيد لكل.
و قوله: «لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ» معناه لتظنوه. و الفرق بين حسبت و زعمت: أن زعمت يحتمل أن يكون يقيناً أو ظناً، و حسبت لا يحتمل اليقين أصلا. و قوله: «ألسنتهم» جمع لسان على التذكير كحمار و أحمرة. و يقال ألسن على التأنيث كعناق و أعنق.

و قوله: «وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» دلالة على أن المعاصى ليست من عند اللَّه بخلاف ما تقوله المجبرة. و لا من فعله، لأنها لو كانت من فعله، لكانت من عنده، و ليس لهم أن يقولوا إنها من عنده خلقاً و فعلا، و ليست من عنده إنزالا و لا أمراً، و ذلک أنها لو كانت من عنده فعلا أو خلقاً، لكانت من عنده على آكد الوجوه فلم يجز إطلاق النفى بأنها ليست من عند اللَّه. و كما لا يجوز أن تكون من عند اللَّه من وجه من الوجوه، لإطلاق النفى بأنه ليس من عند اللَّه، فوجب العموم فيها بإطلاق النفى.

---

(1) قائله مجنون بنى عامر، و لم نجده فى ديوانه، و هو فى اللسان (شدا)، (شذا)، (لوى) و الاغانى 2: 33. و غيرها.

فان قيل: أ ليس الايمان عندكم من عنده، و مع ذلک ليس من عنده من كل الوجوه، فهلا جاز مثل ذلک فى تأويل الآية؟ قيل: لا يجوز ذلک، لأن اطلاق النفى يوجب العموم، و ليس كذلک اطلاق الإثبات ألا ترى أنک تقول: ما عندى طعام، فإنما تنفى القليل، و الكثير، و ليس كذلک إذا قلت عندى طعام، لأنه لا يجب أن يكون عندک جميع الطعام فبان الفرق بين النفى و الإثبات.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 79] ..... ص : 510

اشارة

ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِی مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَ بِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79)
آية واحدة.

قرأ ابن كثير، و نافع، و أبو عمرو (تعلمون) مخففاً الباقون بالتشديد.
روى عن ابن عباس أنه قال: سبب نزول هذه الآية أن قوماً من اليهود قالوا للنبى (ص) أ تدعونا إلى عبادتک كما دعا المسيح النصارى فنزلت الآية.

و قوله: (لبشر) فانه يقع على القليل و الكثير و هو بمنزلة المصدر مثل الخلق و غيره، تقول: هذا بشر و هؤلاء بشر كما تقول: هذا خلق و هؤلاء خلق. و إنما وقع المصدر على القليل، و الكثير، لأنه جنس الفعل كما وجب فى اسماء الأجناس كالماء و التراب و نحوه و قوله: «أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ» معناه أعطاه «الْكِتابَ، وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ»، أن «يَقُولَ لِلنَّاسِ: كُونُوا عِباداً لِى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ» يقول لهم: التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 511 «كُونُوا رَبَّانِيِّينَ». و حذف يقول لدلالة الكلام عليه. و معناه فى قول الحسن: علماء فقهاء. و قال سعيد بن جبير: حكماء أتقياء. و قال ابن أبى رزين: حكماء علماء. و قال الزجاج: معناه معلمى الناس. و قال غيره: مدبرى أمر الناس فى الولاية بالإصلاح.

و فى أصل ربانى قولان:
أحدهما- الربان و هو الذى يربّ أمر الناس بتدبيره له و إصلاحه إياه، يقال رب أمره يربه ربابة، و هو ربان: إذا دبره، و أصلحه، و نظيره نعس ينعس، فهو نعسان. و أكثر ما يجىء فعلان من فعل يفعل، نحو عطش يعطش، فهو عطشان، فيكون العالم ربانياً، لأنه بالعلم يدبر الأمر و يصلحه الثانى- إنه مضاف إلى علم الرب تعالى، و هو على الدين الذى أمر به إلا أنه غير فى الاضافة، ليدل على هذا المعنى، كما قيل: بحرانى، و كما قيل للعظيم الرقبة: رقبانى، و للعظيم اللحية: لحيانى.
و كما قيل لصاحب القصب: قصبانى، فكذلک صاحب علم الدين الذى أمر به الرب ربانى.

و من قرأ بالتخفيف أراد بما كنتم تعلمونه أنتم. و من قرأ بالتشديد أراد تعلمونه، لسواكم. و قوله: «وَ بِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ» يقوى قراءة من قرأ بالتخفيف.
و التشديد أكثر فائدة، لأنه يفيد أنهم علماء، و أنهم يعلمون غيرهم. و التخفيف لا يفيد أكثر من كونهم عالمين. و إنما دخلت الباء فى قوله: «بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ» لأحد ثلاثة أشياء:
أحدها- كونوا معلمى الناس بعلمكم، كما تقول: انفعوهم بمالكم.
الثانى- كونوا ممن يستحق أن يطلق عليه صفة عالم بعلمه على جهة المدح

باخلاصه مما يحبطه.
الثالث- كونوا ربانيين فى علمكم و دراستكم و وقعت الباء فى موضع فى.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 80] ..... ص : 512

اشارة

وَ لا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْباباً أَ يَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80)
آية.

قرأ عاصم و حمزة و ابن عامر (و لا يأمركم) بنصب الراء. الباقون برفعها فمن نصب عطف على ما عملت فيه (أن) على تقدير (ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ) كذا (و لا يأمركم) بكذا و من رفع استأنف الكلام، لأنه بعد انقضاء الآية، و تمامها.

و فى الآية دلالة على أن الأنبياء لا يجوز أن يقع منهم ما ذكره دون أن يكون ذلک اخباراً عن أنه لا يقع منهم، لأنها خرجت مخرج التنزيه للنبى عن ذلک كما قال: «ما كانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ» «1» و معناه لا يجوز ذلک عليه، و كذلک قوله: «مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ» «2» يدل على أن ذلک غير جائز عليه، و لو جاز أن يحمل على نفى الوقوع دون الامتناع، لجاز أن يحمل على التحريم دون الانتفاء، لأن اللفظ يصلح له، لو لا ما قارنه من ظاهر التعظيم للأنبياء، و التنزيه لهم عن الدعاء إلى الفساد أو اعتقاد الضلال، و يجب حمل الكلام على ظاهر الحال إلا أن يكون هناک ما يقتضى صرفه عن ظاهره، على أنه لو حمل على النفى لما كان فيه تكذيب للمخالف. و الآية خرجت مخرج التكذيب لهم فى

---

(1) سورة مريم آية: 35. [.....]
(2) سورة المؤمنون آية: 92.

دعواهم أن المسيح أمرهم بعبادته.
و الالف فى قوله: «أ يأمركم» ألف انكار و أصلها الاستفهام. و إنما استعملت فى الإنكار، لأنه مما لو أقر به المخاطب به، لظهرت صحته و بان سقوطه، فلذلک جاء الكلام على السؤال، و إن لم يكن الغرض تعرف الجواب.
و إنما لم تجز العبادة إلا للّه تعالى، لأنها تستحق بأصول النعم من خلق القدرة، و الحياة، و العقل، و الشهوة، و غير ذلک مما لا يقدر عليه سواه. و ليس فى الآية ما يدل على أن فى أفعال الجوارح كفراً، لأن قوله: «أَ يَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ» معناه الامر باعتقاد أن الملائكة و النبيين أرباب، و ذلک كفر لا محالة. و لم يجر فى الآية، لتوجيه العبادة إليهم ذكر، فأما من عند غير اللّه فانا نقطع على أن فيه كفراً هو الجحد بالقلب، لأن نفس هذا الفعل كفر، فسقطت شبهة المخالف.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 81] ..... ص : 513

اشارة

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِى قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81)

قرأ نافع «لما آتيناكم» على الجمع. الباقون على التوحيد بالتاء. و قرأ حمزة «لما» بكسر اللام. الباقون بفتحها. التقدير اذكروا «إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ» لأن (إذ) لما مضى و معنى أخذ الميثاق من النبيين بنصرة من لم يلقوه و لم يدركوا زمانه هو أنهم ينصرونه بتصديقه عند قومهم، و يأمرونهم بالإقرار به، كما قيل:
إنما أخذ اللّه ميثاق النبيين الماضين بتصديق محمد (ص)، هذا قول على (ع)
التبيان في تفسير القرآن، ج2، ص: 514
و عبد اللّه بن عباس (ره)، و قتادة و السدى، و قال طاوس: أخذ الميثاق الأول من الأنبياء لتؤمنن بالآخر.
و روى عن أبى عبد اللّه (ع) أنه قال تقديره: و إذ أخذ اللّه ميثاق أمم النبيين بتصديق كل أمة نبيها، و العمل بما جاءهم به، و إنهم خالفوهم فيما بعد، و ما وفوا به و تركوا كثيراً من شريعته، و حرفوا كثيراً منه.

و قوله: «لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ» قيل فى معنى (ما) فى لما وجهان:
أحدهما- أنها بمعنى الذى و تقديره الذى آتيتكموه من كتاب، لتفعلن لأجله كذا. الثانى- أنها بمعنى الجزاء، و تقديره، لان آتيكم شيئاً «مِنْ كِتابٍ، وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ»، «لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ»، لأجله. و تقديره أى شىء آتيتكم. و مهما آتيتكم. و يكفى جواب القسم من جواب الجزاء، كقوله: «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» «1» و فى معنى (من) قولان:
أحدهما- أنها للتبيين ل (ما) كقولك ما عندك من ورق و عين.
الثانى- أن تكون زائدة، و تقديره الذى آتيتكم: كتاب و حكمة، فيكون فى موضع خبر (ما)، و أنكر هذا القول أكثر النحويين، لأن (من) لا تزاد إلا فى غير الواجب من نحو النفى و الاستفهام، و الجزاء. و الأول أصح، لأنه لا يجوز أن يحكم بزيادة حرف أو لفظ مع إمكان حمله على فائدة. و اللام فى قوله: «لما» لام الابتداء. و اللام فى قوله: «لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ» لام القسم، كما تقول لعبد اللّه: و اللّه لتأتينه. و قال قوم: اللام الأول خلف من القسم يجاب بجوابه، نحو لمن قدم ما أحسن، و لمن أتاك لأتيته، و أنكر هذا القائل أن تكون الثانية تأكيداً للأولى، لوقوع (ما) و (لا) فى جوابها، كما تقع فى جواب القسم.
و القول الأول أصح، لأن فيه افصاحاً بالقسم، نحو لزيد و اللّه ما ضربته و القول

---

(1) سورة الزمر آية: 65.

الثانى- صواب على تقدير آخر، و ان يكون اللام خلفاً من القسم، كافياً منه، فلا يحتاج إلى ذكره معه و من ذكره معه لم يجعله خلفاً منه، لأنه أضعف منه، و الخلف أقوى من الدال الذى ليس بخلف، لأنه بمنزلة الأصل الموضوع للمعنى يفهم به من غير واسطة. و من كسر اللام فى قوله: «لما» يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون على التقديم و التأخير. و الثانى- بمعنى أخذ اللّه ميثاقهم لذلك. و قال بعضهم القراءة بالكسر لا تجوز، لأنه ليس كل شىء أوتى الكتاب و هذا غلط من وجهين:
أحدهما- أنه أوتى الكتاب لعلمه به مهتدياً بما فيه، و ان لم ينزل عليه.
و الآخر- أنه يجوز ذلك على التغليب بالذكر فى الجملة، لأنه بمنزلة من أوتى الكتاب بما أوتى من الحكم و النبوة. فان قيل لم لا يجوز أن يكون (لما) آتيتكم من كتاب و حكمة، بمعنى لتبلغن ما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم

يحذف؟ قيل لأنه لا يجوز الحذف فى الكلام من غير دليل ينبئ عن المراد. و من زعم أن الدليل على حذف الفعل لام القسم، فقد غلط، لأنها لام الابتداء التى تدخل على الأسماء، نحو «لَمَنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکُمْ أَجْمَعِينَ» «1».

و قيل فى معنى قوله: «وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِى» قولان:
أحدهما- و قبلتم على ذلک عهدى. و الثانى- «وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِى» من المتبعين لكم كما يقال: أخذت بيعتى أى قبلتها، و أخذتها على غيرک بمعنى عقدتها على غيرک. و الإصر العقد، و جمعه اصار و أصله العقد و منه المأصر، لأنه عقد يحبس به عن النفوذ إلا بإذن. و منه الأصر الثقل، لأنه عقد يثقل القيام به. و منه قولهم مالک اصرة تأصرنى عليک أى عاطفة تعطفنى عليک من عقد جوار

---

(1) سورة الاعراف آية: 17.

أو نحوه. و قوله: «فاشهدوا» معناه فاشهدوا على أممكم بذلک «وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» عليكم، و عليهم روى ذلک عن على بن أبى طالب عليه السلام.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 82] ..... ص : 516

اشارة

فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذلِکَ فَأُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ (82) آية.

التولى عن الايمان بالنبى (ص) كفر- بلا خلاف- و إنما قال «فَأُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ» و لم يقل الكافرون، لأن تقدير الكلام فأولئک هم الفاسقون فى كفرهم أى المتمردون فيه بخروجهم إلى الأفحش منه، و ذلک أن أصل الفسق الخروج عن أمر اللّه إلى حال توبقه، فلذلک قيل للخارج عن أمر اللّه إلى أفحش منازل الكفر، فاسق.

و موضع (هم) من الاعراب يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون رفعاً بأنه مبتدأ ثان و الفاسقون خبره. و الجملة خبر أولئک. و الآخر- أنه لا موضع له، لأنه فصل جاء ليؤذن أن الخبر معرفة أو ما قارب المعرفة و يسمى الكوفيون ذلک عماداً. و قوله: «فَمَنْ تَوَلَّى» و إن كان شرطاً و جزاء فى المستقبل فان الماضى يدخل فيه من وجهين:
أحدهما- أن يكون تقديره فمن يصح أنه تولى، كما قال: «إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ» «1» أى إن يصح أن «قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ» و الآخر مساواة الماضى للمستقبل، فيدخل فى دلالته. و إنما جاز جواب الجزاء بالفاء و لم يجز ب (ثم)، لأن الثانى يجب بوجوب الأول بلا فصل، فلذلک جاء

---

(1) سورة يوسف آية: 26.

بالفاء دون (ثم)، لأنها للتراخى بين الشيئين، و ذلک نحو قولک إن تأتنى، فلک درهم، فوجوب الدرهم بالإتيان عقيبه بلا فصل. و إنما جاز وقوع الماضى موقع المستقبل فى الجزاء و لم يجز فى قام زيد غداً، لأن حرف الجزاء، لما كان يعمل فى الفعل قوى على نقله من الماضى إلى الاستقبال، و ليس كذلک (غد) و ما أشبهه مما يدل على الاستقبال، لأنه نظير الفعل فى الدلالة من غير عمل يوجب القوة، فلذلک جرى على المناقضة.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 83] ..... ص : 517

اشارة

أَ فَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83)
. آية.

قرأ أهل البصرة، و حفص يبغون بالياء. الباقون بالتاء. و قرأ يعقوب و حفص و إليه يرجعون بالياء. و كسر يعقوب الجيم، و فتح الياء. فمن قرأ بالياء أراد الاخبار عن اليهود و غيرهم من المشركين و التاء لجميع المكلفين. و من قرأ بالتاء فيهما، فعلى الخطاب، فيهما. قوله: «أَ فَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ» عطف جملة على جملة مثلها لو قيل أو غير دين اللّه يبغون إلا أن الفاء رتبت. كأنه قيل أبعد تلك الآيات غير دين اللّه تبغون أى تطلبون.

و قوله: «وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ کَرْهاً» قیل فی معناه ستة أقوال:
أولها- قال ابن عباس: أسلم من فی السماوات و الأرض بالحالة الناطقة عنه الدالة علیه عند أخذ المیثاق علیهم. التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 518
الثانی- قول أبی العالیة، و مجاهد: ان معناه «أسلم» أی بالإقرار بالعبودیة و إن کان فیهم من أشرک فی العبادة، کقوله: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَیَقُولُنَّ اللَّهُ» «1» و قوله: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَیَقُولُنَّ اللَّهُ» «2» و معناه ما رکب اللّه فی عقول الخلائق من الدعاء إلی الإقرار بالربوبیة لیتنبهوا علی ما فیه من الدلالة.
الثالث- قال الحسن: «وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ کَرْهاً» قال: أکره أقوام علی الإسلام و جاء أقوام طائعین.
الرابع- قال قتادة: أسلم المؤمن طوعاً، و الکافر کرهاً عند موته، کما قال: «فَلَمْ یَکُ یَنْفَعُهُمْ إِیمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا» «3» و اختاره البلخی. و معناه التخویف لهم من التأخر عما هذه سبیله.
الخامس- قال عامر، و الشعبی و الزجاج، و الجبائی أن معنان: استسلم بالانقیاد و الذلة، کما قال تعالی: «قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لکِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا» «4» أی استسلمنا، و معناه الاحتجاج به.
و سادسها- قال الفراء و الأزهری إنما قال «طَوْعاً وَ کَرْهاً» لأن فیهم من أسلم ابتداء رغبة فی الإسلام، و فیهم من أسلم بعد أن قوتل و حورب، فسمی ذلک کرهاً مجازاً و إن کان الإسلام وقع عنده طوعاً.
و قوله: «طَوْعاً وَ کَرْهاً» نصب علی أنه مصدر، وقع موقع الحال، و تقدیره طائعاً أو کارهاً، کما تقول أتانی رکضاً أی راکضاً. و لا یجوز أن تقول أتانی کلاماً أی متکلماً، لأن الکلام لیس بضرب من الإتیان و الرکض ضرب منه.
قوله: «إلیه ترجعون» معنا تردون إلیه للجزاء فإیاکم و مخالفة الإسلام فیجازیکم بالعقاب. قال اللّه تعالی: «وَ مَنْ یَبْتَغِ غَیْرَ الْإِسْلامِ دِیناً فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِی الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِینَ» «5».

---

(1) سورة الزخرف آیة: 87.
(2) سورة لقمان آیة: 25.
(3) سورة المؤمن آیة: 85.
(4) سورة الحجرات آیة: 14.

(5) سورة آل عمران آية: 85.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 519

و روى عن أبى عبد اللَّه (ع) أنها نزلت فى الحارث بن سويد بن الصامت. و كان ارتد بعد قتله المحذر بن ديار البلوى غدراً فى الإسلام، و هرب و حديثه مشروح ثم ندم، فكاتب قومه سلوا رسول اللَّه (ص) هل لى توبة، فنزلت الآيات إلى قوله: «إِلَّا الَّذِينَ تابُوا»، فرجع فأسلم.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 84] ..... ص : 519

اشارة

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ عَلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84)
آية.

قيل فى تأويل هذه الآية قولان:
أحدهما- أن معناها الإنكار على الكفار ما ذهبوا إليه من الايمان ببعض النبيين دون بعض، فأمر اللّه تعالى النبى (ص)، و المؤمنين أن يقولوا: إنا نؤمن بجميع النبيين، و لا نفرق بين أحد منهم. الثانى- أن معناها موافقة ما تقدم الوعد به من إيمان النبى الامى بجميع من تقدم من النبيين على التفصيل. و قال له فى أول الآية (قل) خطاباً للنبى (ص) فجرى الكلام على التوحيد، و ما بعده على الجمع.
و قيل فى ذلک قولان:
أحدهما أن المتكلم قد يخبر عن نفسه بلفظ الجمع للتفخيم كما قال تعالى: «وَ لَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» «1». و الثانى- أنه أراد دخول الأمة فى الخطاب الأول، و الأمر بالإقرار. و يجوز أن يقال: فى الواحد

---

(1) سورة الاعراف آية: 10.

المتكلم، فعلنا و لا يجوز للواحد المخاطب فعلتم. و الفرق بينهما: أن الكلام بالجملة الواحدة يصح بجماعة مخاطبين، و لا يصح الكلام بالجملة الواحدة بجماعة متكلمين.
فلذلک جاز فى فعلنا فى الواحد للتفخيم، لأنه لا يصح أن يكون خطاباً للجماعة فلم يصرف عنهم. بغير قرينة لما يدخله من الإلباس فى مفهوم العبارة. و قوله:
«وَ ما أُنْزِلَ عَلَيْنا» فى الاخبار عن المسلمين إنما جاز ذلک، و إن كان قد أنزل على النبى (ص)، لأن التقدير أنزل علينا على لسان نبينا كما تقول: أمرنا به و نهينا عنه- على لسان نبينا-، و مثل ذلک ما قاله فى سورة البقرة من قوله: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا» «1» و قال بعضهم: لا يجوز أن يكون ذلک إلا إخباراً عن النبى (ص) الذى أنزل عليه، و هذا غلط، لأن الآية الأخرى تشهد بخلافه. فان قيل: ما معنى قوله: «وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» بعد الإقرار بالايمان على التفصيل؟
قيل: معناه و نحن له مستسلمون بالطاعة فى جميع ما أمر به، و دعا إليه. و لأن أهل الملل المخالفة، تعترف بصفة مؤمن، و ينتفى من صفة مسلم.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 85] ..... ص : 520

اشارة

وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ (85)
آية واحدة.

الابتغاء: الطلب تقول: بغى فلان كذا أى طلبه، و منه بغى فلان على فلان: إذا طلب الاستعلاء عليه ظلماً و منه البغى: الفاجرة، لطلبها الزنى. و منه ينبغى كذا، لأنه حقيق بالطلب. و الإسلام: هو الاستسلام لأمر اللَّه بطاعته فيما دعا إليه، فكل ذلك اسلام، و ان اختلفت فيه الشرائع، و تفرقت المذاهب، لأن مبتغيه ديناً ناج، و مبتغى غيره ديناً هالک. و الايمان، و الإسلام واحد،

_____

(1) سورة البقرة آية: 136.

لأن (مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً) فهو مبطل، كما أن من يبتغى غير الايمان ديناً، فهو مبطل، و ذلک كمن يبتغى غير عبادة الآله ديناً، فهو كافر، و من يبتغ غير عبادة الخالق ديناً، فهو كافر. و الآله هو الخالق.

و قال عكرمة: إن قوماً من اليهود قالوا: نحن المسلمون، فأنزل اللَّه تعالى «وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» «1» فأمرهم بالخروج إلى الحج الذى هو من فرض الإسلام، فقعدوا عنه و بان انسلاخهم من الإسلام، لمخالفتهم له فأنزل اللَّه تعالى «وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ» فالخسران ذهاب رأس المال. و يقال: خسر نفسه أى أهلک نفسه. و قيل خسر عمله أى أبطل عمله بأن أوقعه على وجه يقبح لا يستحق عليه الثواب. و كل واحد منهما خسر لذهاب رأس المال.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 86] ..... ص : 521

اشارة

كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86)
آية.

قال الحسن: نزلت هذه الآية فى أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبى (ص) قبل مبعثه بما يجدونه فى كتبهم من صفاته و دلائله، فلما بعثه اللّه جحدوا ذلک، و أنكروه .. و قال مجاهد، و السدى:
نزلت فى رجل من الأنصار يقال له الحارث بن سويد ارتد عن الإسلام، ثم تاب، و حسن إسلامه فقبل اللّه إسلامه بقوله: «إِلَّا الَّذِينَ تابُوا» فيما بعد تمام الآية. و كذلک رويناه عن أبى عبد اللّه (ع)
و قيل نزلت فى قوم أرادوا من النبى (ص) أن يحكم لهم بالإسلام،

---

(1) سورة آل عمران آية: 97.

و فى قلوبهم الكفر، فاطلعه اللّه على أسرارهم و ما فى ضمائرهم.

و قوله «كيف» أصلها للاستفهام، و المراد بها هاهنا إنكار أن تقع هذه الهداية من اللَّه تعالى. و إنما دخل (كيف) معنى الإنكار مع أن أصلها الاستفهام، لأن المسئول يسأل عن أغراض مختلفة، فقد يسأل للتعجيز عن إقامة البرهان، و قد يسأل للتوبيخ مما يظهر من معنى الجواب فى السؤال، و قد يسأل لما يظهر فيه من الإنكار، فالأصل فيه الاستفهام، لكن من شأن العالم إذا أورد مثل هذا أن يصرف إلى غير الاستعلام إلا أنه يراد من المسئول طلب الجواب، فان قيل كيف خص هؤلاء المذكورون بمجىء البينات مع أنها قد جاءت كل مكلف للايمان قيل عنه جوابان:

أحدهما- لأن البينات التى جاءتهم هى ما فى كتبهم من البشارة بالنبى (ص).

الثانى- للتبعيد من حال الهداية و التفحيش لتجويزها فى هذه الفرقة. و قوله:

«وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» فالهداية هاهنا تحتمل ثلاثة أشياء.

أولها سلوک طريق أهل الحق المهتدين بهم فى المدح لهم و الثناء عليهم.

الثانى- فى اللفظ الذى يصلح به من حسنت نيته. و كان الحق معتمده، و هو أن يحكم لهم بالهداية.

الثالث- فى إيجاب الجواب الذى يستحقه من خلصت طاعته، و لم يحبطهما بسوء عمله. فان قيل كيف أطلق قوله: «وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» مع قوله «وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ» قلنا: لأنه لا يستحق اطلاق الصفة بالهداية إلا على جهة المدحة كقوله أولئک الذين هدى اللَّه. فأما بالتقييد، فيجوز لكل مدلول إلى طريق الحق اليقين.

و ليس فى الآية ما يدل على صحة الإحباط، للايمان و لا إحباط المستحق عليه من الثواب، لأنه لم يجر لذلک ذكر. و قوله: «كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ» يعنى بعد التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 523

إظهارهم الايمان و شهادتهم أن الرسول حق، و إن كانوا فى باطنهم منافقين. و ليس فيها أنهم كانوا فى باطنهم مؤمنين مستحقين للثواب، فزال ذلک بالكفر فلا متعلق بذلک فى صحة الإحباط.

أُولئِکَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَ الْمَلائِکَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (87) آية.

إن قيل: إذا كان لعن الملائكة و الناس أجمعين تابعاً للعن اللَّه، فهلا اقتصر عليه فى الذكر؟ قيل الوجه فى ذلک أن لا يوهم أن لعنهم لا يجوز إلا للَّه عز و جل كما لا يجوز أن يعاقبهم إلا اللَّه أو من يأمرهم بذلک. و ليس فى قوله: «وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ» دلالة على أنه يجوز للكافر أن يلعن نفسه، لأن لعنه لنفسه دعاء عليها بالابعاد من رحمة اللَّه. و ذلک يوجب رغبته فيما دعا به، و لا يجوز لأحد أن يرغب فى أن يعاقبه اللَّه، لأن ذلک ينافى الزجر به و التحذير منه. و أما رغبة المؤمن فى أن يعاقب اللَّه الكافر فجائز حسن، لأنه لا ينافى زجره بل هو أبلغ فى زجره، فان قيل: لم قال: «وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ» و من وافق الكافر فى مذهبه لا يرى لعنه؟

قيل عن ذلک ثلاثة أجوبة:

أحدها- إن له أن يلعنه، و إنما لا يفعله لجهله بأنه يستحق اللعن. و يصح منه معرفة اللَّه، و معرفة استحقاق اللعن لكل كافر، فحينئذ يعلم أن له أن يلعنه و إنما لا يصح أن يلعن الكافر مع اعتقاده أنه لا يستحق اللعن، لأنه لو صح ذلک لأدى إلى أن يصح أن يلعن نفسه لمشاركته له فيما استحق به اللعن. و قد بينا فساده.

و الثانى- أن ذلک فى الآخرة، لأن بعضهم يلعن بعضاً. و قد استقرت عليهم لعنة الجميع، و إن كانت على التفريق.

و الثالث- أن يحمل لفظ الناس على الخصوص، فيحمل على ثلاثة فصاعداً،

فلذلک قال: «أجمعين» و كان يجوز أن يرفع «وَ الْمَلائِکَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ» لأن الأول تقديره عليهم أن يلعنهم اللَّه، فيحمل الثانى على معنى الأول، كما قال الشاعر:

هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق «1»

و الاتباع أجود ليكون الكلام على نسق واحد، و إنما ذكر وعيد الكفار هاهنا مع كونه مذكوراً فى مواضع كثيرة فى القرآن، للتأكيد و تغليظاً فى الزجر لأنه لما جرى ذكر الكافر عقب ذلک بلعنه، و وعيده، كما إذا جرى ذكر المؤمن عقب ذلک بالرحمة ليكون أرغب له فى فعل الطاعة و التمسک بالايمان.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 88] ..... ص : 524

اشارة

خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ (88) آية.

الخلود فى اللغة هو طول المكث، و لذلک يقال خلده فى السجن و خلد الكتاب فى الديوان. و قيل للأثافى: خوالد ما دامت فى موضعها، فإذا زالت لا تسمى خوالد. و الفرق بين الخلود و الدوام: أن الخلود يقتضى (فى) كقولک خلد فى الحبس و لا يقتضى ذلک الدوام، و لذلک جاز وصفه تعالى بالدوام دون الخلود.
إلا أن خلود الكفار المراد به التأبيد بلا خلاف بين الأمة.

و قوله: «فيها» الهاء راجعة إلى اللعنة. و معنى خلودهم فيها استحقاقهم لها دائماً مع ما توجبه من أليم العقاب، فأما من ليس بكافر من فساق أهل الصلاة

---

(1) مر تخريجه فى 1: 207.

فلا يتوجه إليه الوعيد بالخلود، لأنه لا يستحق إلا عقاباً منقطعاً به مع ثبوت استحقاقه للثواب الدائم، لأنه لو كان كذلک لأدى إلى اجتماع استحقاق الثواب الدائم، و العقاب الدائم لشخص واحد. و الإجماع بخلافه. و الإحباط- عندنا- باطل، فلا يمكن أن يقال يحبط أحدهما الآخر، و إنما حسن العقاب الدائم على المعاصى المنقطعة، كما حسن الثواب الدائم على الطاعة المنقطعة، فلا يجوز أن يستحق الدوام على الأصغر، و لا يستحق على الأكثر، فلما كانت نعم اللّه تعالى أعظم النعم كانت معاصيه أعظم المعاصى، و كانت طاعته أصغر منها. و أيضاً، فانه يحسن الذم للدائم على المعاصى المنقطعة فالعقاب يجرى مجراه.

و قوله: «لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ» فالتخفيف هو تغيير الشىء عن حال الصعوبة إلى السهولة، و هو تسهيل لما فيه كلفة و مشقة و أصله من خفة الجسم ضد ثقله. و منه تخفيف المحنة معناه تسهيلها. و قوله: «وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ» معناه لا يمهلون و إنما نفى إنظارهم للانابة لما علم من حالهم أنهم لا ينيبون كما قال: «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» «1» على أن التبقية ليست واجبة. و إن علم أنه لو بقاه لتاب و أناب عند أكثر المتكلمين. و من قال يجب تبقيته متى علم أنه لو بقاه لآمن، فجوابه هو الأول. و قيل فى الفرق بين الانظار و الامهال أن الانظار تأخير العبد لينظر فى أمره. و الامهال تأخيره لتسهيل ما يتكلفه من عمله.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 89] ..... ص : 525

اشارة

إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِکَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (89) آية.

_____

(1) سورة الانعام آية: 28. [.....]

إن قيل إذا كانت التوبة من الذنب لا تصلح إلا بعد فعله، فلم قال: «مِنْ بَعْدِ ذلِكَ»؟ قيل فائدته أنه يفيد معنى تابوا منه، لأن توبتهم من غيره لا تنفع فى التخلص منه، كما لا تنفع التوبة من الكبير فى التخلص من الصغير، فأما من قال:
إن التوبة من معصية لا تصح مع الاقامة على معصية أخرى، فانه يقول ذلك على وجه التأكيد، فان قيل: إذا كانت التوبة وحدها تسقط العقاب و تحصل الثواب فلم شرط معها الإصلاح؟ قيل الوجه فى ذلك إزالة الإبهام لئلا يعتقد، أنه إذا حصل الايمان، و التوبة من الكفر لا يضر معه شىء من أفعال القبائح، كقوله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» «1» فذكر مع الايمان عمل الصالحات، لازالة الإيهام بأن من كان مؤمناً فى الحكم، لم يضره مع ذلك ما عمله من المعاصى. و قبول التوبة واجب، لأنها طاعة و استحقاق الثواب بها ثابت عقلا، فأما سقوط العقاب عندها، فإنما هو تفضل من اللّه، و لو لا أن السمع ورد بذلك، و إلا، فلا دلالة فى العقل على ذلك. و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» دخلت الفاء لشبهه بالجزاء، إذا كان الكلام قد تضمن معنى إن تابوا «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى يغفر لهم و ليست فى موضع خبر الذين، لأن الذين فى موضع نصب بالاستثناء من الجملة الأولى التى هى قوله: «أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ ....» الآية، و ذكر المغفرة فى الآية دليل على أن إسقاط العقاب بالتوبة تفضل، لأنه لو كان واجباً لما استحق بذلك الإثم بأنه غفور، لأنه لا يقال هو غفور إلا فيما له المؤاخذة، فأما ما لا يجوز المؤاخذة به فلا يجوز تعليقه بالمغفرة.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 90] ..... ص : 526

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَ أُولئِکَ هُمُ الضَّالُّونَ (90)

---

(1) سورة حم السجدة آية: 8.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 527
آية بلا خلاف.

قيل فى المعنى بهذه الآية أربعة أقوال:
أحدها- قال ابن عباس هى فرقة ارتدت ثم عزمت على إظهار التوبة على جهة التورية، فاطلع اللّه نبيه على ذلک بانزال هذه الآية. و قال أبو العالية لم تقبل توبتهم من ذنوب أصابوها مع الاقامة على كفرهم. و قال قتادة: هم اليهود آمنوا بموسى و كفروا بعيسى «ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً» بمحمد (ص) «لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ» عند حضور موتهم. و قال الحسن: هم اليهود و النصارى كفروا بالنبى (ص) «لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ» التى كانت فى حال إيمانهم، فان قيل: لمَ لم تقبل التوبة من هذه الفرقة؟ قيل: لأنها كفرت بعد إيمانها ثم ازدادت كفراً إلى انقضاء أجلها، فحصلت على ضلالتها، فلم تقبل منها التوبة الاولى فى حال كفرها بعد إيمانها، و لا التوبة الثانية فى حال إيجابها. و قيل: إنما لم تقبل توبتهم، لأنهم لم يكونوا فيها مخلصين بدلالة قوله: «وَ أُولئِکَ هُمُ الضَّالُّونَ». و قال الطبرى: إنه لا يجوز تأويل من قال لن تقبل توبتهم عند حضور موتهم. قال: لأنه لا خلاف بين الأمة أن الكافر إذا أسلم قبل موته بطرفة عين فى أن حكمه حكم المسلمين فى وجوب الصلاة عليه و مواريثه و دفنه فى مقام المسلمين و اجراء جميع أحكام الإسلام عليه، و لو كان إسلامه غير صحيح، لما جاز ذلک. و هذا الذى قاله ليس بصحيح، لأنه لا يمتنع أن نتعبد بإجراء احكام الإسلام عليه و ان كان إسلامه على وجه من الإلجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب عليه، كما أنا تعبدنا بإجراء أحكام الإسلام على المنافقين و إن كانوا كفاراً. و إنما لم يجز قبول التوبة فى حال الإلجاء إليه، لأن فعل الملجأ كفعل المكره فى سقوط الحمد و الذم. و قد قال اللّه تعالى: «وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ» «1». و قال:

---

(1) سورة النساء آية: 17.

«فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَکُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا»»
فأما إذا عاد فى الذنب، فلا يعود إليه العقاب الذى سقط بالتوبة، لأنه إذا تاب منه صار بمنزلة ما لم يعمله، فلا يجوز عقابه عليه كما لا يجوز عقابه على ما لم يعمله سواء قلنا أن سقوط العقاب عند التوبة كان تفضلا أو واجباً. و قد دل السمع على وجوب قبول التوبة و عليه إجماع الأمة. و قال تعالى «وَ هُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ» «2» و قال: «غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ» «3» و غير ذلک من الآى.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 91] ..... ص : 528

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَ لَوِ افْتَدى بِهِ أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (91) آية.

الملء أصله الملأ، و هو تطفيح الأناء. و منه الملأ الاشراف، لأنهم يملئون العين هيبة و جلالة. و منه رجل ملىء بالأمر، و هو أملأ به من غيره. و الملأ اسم للمقدار الذى يملأ. و الملأ بفتح العين مصدر ملأت الأناء ملأ. و مثله الرعى بكسر الراء: النبات، و بفتح الراء مصدر رعيته. قال الزجاج: و من قال: هما سواء فقد غلط.

و قوله: «ذهباً» نصب على التمييز. و التمييز على ضربين تمييز المقادير و تمييز الاعداد و كله مستحق النصب لاشتغال العامل بالاضافة أو ما عاقبها من النون

---

(1) سورة المؤمن آية: 84- 85.
(2) سورة الشورى آية: 25.
(3) سورة المؤمن آية: 3.

الزائدة، فجرى ذلک مجرى الحال فى اشتغال العامل بصاحبها، و مجرى المفعول فى اشتغال العامل عنه بالفاعل. و مثل ذلک، عندى ملء زق عسلا و قدر نحى سمناً.

و قوله: «وَ لَوِ افْتَدى بِهِ» فالفدية البدل من الشىء فى إزالة الاذية. و منه قوله: «وَ فَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ» «1» لأنه بدل منه فى ازالة الذبح عنه، و منه فداء الأسير بغيره، لأنه بدل منه فى إزالة القتل و الأسر عنه. و قيل فى معنى الافتداء هاهنا قولان:
أحدهما- البيان عن أن ما كلفه فى الدنيا يسير فى جنب ما يبذله فى الآخرة من الفداء الكثير لو وجد إليه السبيل، قال قتادة يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أ رأيت لو كان لک ملء الأرض ذهباً، لكنت تفتدى به، فيقول: نعم، فيقال لقد سئلت أيسر من ذلک، فلم تفعل.
و الثانى- ما حكاه الزجاج أنه لو افتدى به فى دار الدنيا مع الاقامة على الكفر لم يقبل منه. و قيل فى دخول الواو فى قوله «وَ لَوِ افْتَدى بِهِ» قولان قال:
قوم: هى زائدة أجاز ذلک الفراء. و المعنى لو افتدى به. قال الزجاج: و هذا غلط، لأن الكلام يجب حمله على فائدة إذا أمكن، و لا يحمل على الزيادة. و الثانى- أنها دخلت لتفصيل نفى القبول بعد الإجمال، و ذلک أن قوله «فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً» قد عم وجوه القبول بالنفى ثم أتى بالتفصيل، لئلا يتطرق عليه سوء التأويل، و لو قيل: بغير واو لم يكن قد عم النفى وجوه القبول، فقد دخلت الواو لهذه الفائدة من نفى التفصيل بعد الجملة، فأما الواو فى قوله «وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» فإنها عاطفة على محذوف فى التقدير، و المعنى «وَ كَذلِکَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» ليعتبر «وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» «2».

---

(1) سورة الصافات آية: 7.
(2) سورة الانعام آية: 75.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 92] ..... ص : 530

اشارة

لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)
آية واحدة.

قيل فى معنى البر قولان:
أحدهما- البر من اللّه بالثواب فى الجنة. الثانى- البر بفعل الخير الذى يستحقون به الأجر. و قال السدى و عمرو بن ميمون: البر الجنة.
فان قيل: كيف قال «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» و الفقير لا يجب عليه الصدقة و ينال الجنة، و ان لم ينفق؟ قلنا: الكلام خرج مخرج الحث على الصدقة إلا أنه على ما يصح و يجوز من إمكان النفقة، فهو مقيد بذلك فى الجملة إلا أنه اطلق الكلام للمبالغة فى الترغيب فيه. و يجوز «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» فى سبل الخير من الصدقة من وجوه الطاعة. و قال الحسن: هو الزكاة الواجبة و ما فرض تعالى فى الأموال خاصة. و الأولى أن تحمل الآية على الخصوص بأن يقول: هى متوجهة إلى من يجب عليه إخراج شىء أوجبه اللّه عليه دون من لم يجب عليه، و يكون ذلك أيضاً مشروطاً بأن لا يعفو اللّه عنه- على مذهبنا فى جواز العفو- أو يقول «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ» الكامل الواقع على أشرف الوجوه «حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ». و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» إنما جاء على جهة جواب الشرط و إن كان اللّه يعلمه على كل حال، لامرين: التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 531
أحدهما- لأن فيه معنى الجزاء، فتقديره «وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ» يجازيكم به قل أو كثر، لأنه عليم به لا يخفى عليه شىء منه.
الثانى- فانه يعلمه اللّه موجوداً على الحد الذى تفعلونه من حسن النية أو قبحها.

و الفرق بين البر، و الخير: أن البر هو النفع الواصل إلى الغير مع القصد إلى ذلک، و الخير يكون خيراً، و ان وقع عن سهو. و ضد البر العقوق. و ضد الخير الشر، فبذلک بين الفرق بينهما.

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لما ذكر فى الآية الاولى «فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَ لَوِ افْتَدى بِهِ» وصل ذلک بقوله «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» لئلا يؤدى امتناع غناء الفدية إلى الفتور فى الصدقة، و ما جرى مجراها من وجوه الطاعة.

اشارة

كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَنِی إِسْرائِیلَ إِلاَّ ما حَرَّمَ إِسْرائِیلُ عَلی نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (93)
آیة واحدة.

وجه اتصال هذه الآية بما تقدم أنه تعالى، لما ذكر الإنفاق مما يحب، و من جملة ما يحب الطعام، فذكر حكمه، و أنه كان مباحاً حلالا «لِبَنِی إِسْرائِيلَ إِلَّا ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ».
التبيان فی تفسير القرآن، ج2، ص: 532

و كان سبب نزول هذه الآية أن اليهود أنكروا تحليل النبى (ص) لحوم الإبل، فبين اللّه تعالى أنها كانت محللة، لإبراهيم، و ولده إلى أن حرمها إسرائيل على نفسه، و حاجهم بالتوراة، فلم يجسروا على إحضار التوراة لعلمهم بصدق النبى (ص) فيما أخبر أنه فيها.
و كان إسرائيل و هو يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم نذر إن برأ من النساء أن يحرم أحب الطعام و الشراب إليه و هو لحوم الإبل و ألبانها، فلما برأ و فى للّه بنذره. و قال ابن عباس و الحسن: إن إسرائيل أخذه وجع العرق الذى يقال له النساء، فنذر إن شفاه اللّه أن يحرم العروق و لحم الإبل [على نفسه]، و هو أحب الطعام إليه.
فان قيل: كيف يجوز للإنسان أن يحرم على نفسه شيئاً، و هو لا يعلم ما له فيه من المصلحة مما له فيه المفسدة؟ قلنا: يجوز ذلک إذا أذن اللّه له فى ذلک و أعلمه، و كان اللّه أذن لاسرائيل فى هذا النذر، فلذلک نذر. و فى الناس من استدل بهذه الآية على أنه يجوز للنبى (ص) أن يجتهد فى الأحكام، لأنه إذا كان أعلم و رأيه أفضل كان اجتهاده أحق و هذا الذى ذكروه إن جعل دليلا على أنه كان يجوز أن يتعبد النبى بالاجتهاد، كان صحيحاً، و إن جعل دليلا على أنه كان متعبداً به، فليس فيه دليل عليه، لأنا قد بينا أن إسرائيل ما حرم ذلک إلا بإذن اللّه، فمن أين إن ذلک كان محرماً له من طريق الاجتهاد، فأما من امتنع من جواز تعبد النبى (ص) بالاجتهاد، بأن ذلک يؤدى إلى جواز مخالفة أمته له إذا أداهم الاجتهاد إلى خلاف اجتهاده فقد أبعد، لأنه لا يمتنع أن يجتهد النبى (ص) الاجتهاد إلى خلاف ما أدى اجتهاد الأمة إليه، فوجب اتباعه و لا يلتفت إلى اجتهاد من يخالفه، كما أن الأمة يجوز أن تجمع على حد عن اجتهاد، و إن لم يجز مخالفتها فبطل قول الفريقين.

قوله تعالى: [سورة آل‌عمران (3): آية 94] ..... ص : 532

اشارة

فَمَنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ فَأُولئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ (94)
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 533

الافتراء: اقتراف الكذب و أصله قطع ما يقدر من الأدم، يقال فرى الأديم يفريه فرياً: إذا قطعه، فقيل للكذب الفرية، لأنه يقطع به على التقدير من غير تحقيق.

فان قيل: كيف قال: «افْتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ»
و على للاستعلاء، فما معناها ها هنا؟ قلنا: معناها إضافته الكذب إليه من جهة أنه أمر بما لم يأمر به اللّه فأوجب ما لم يوجبه، و كذب عليه بخلاف كذب له، لأن كذب عليه يفيد أنه كذب فيما يكرهه، و كذب له قد يجوز فيما يريده. فان قيل كيف قيد وعيد المفترى على اللّه الكذب ب «من بعد ذلک» و هو يستحق الوعيد بالكذب عليه على كل حال؟ قلنا: المراد به البيان أنه يلزم من بعد إقامة الحجة على العبد فيه، لأنه لو كذب على اللّه (عز و جل) فيما ليس بمحجوج فيه لجرى مجرى كذب الصبى الذى لا يستحق الوعيد به. و إنما وصف المفترى على اللّه كذباً بأنه ظالم، من حيث كان ظالماً لنفسه، و لمن استدعى إلى مذهبه فيما يكذب به، لأن ذلک الكذب يستحق به العقاب.
و الظلم و الجور واحد و إن كان أصلهما مختلفاً، لأن أصل الظلم النقصان للحق.
و الجور العدول عن الحق، و لذلک قيل فى ضد الظلم الانصاف. و فى ضد الجور العدل. و الانصاف هو إعطاء الحق على التمام.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 95] ..... ص : 533

اشارة

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (95)
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 534
آية.

معنى قوله: «قُلْ صَدَقَ اللَّهُ» البيان عن أن الخبر بأن «كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلًّا لِبَنِى إِسْرائِيلَ إِلَّا ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ» صدق، لأن اللَّه تعالى أخبر به.
و قوله: (فاتبعوا) فالاتباع إلحاق الثانى بالأول لما له به من التعلق فالقوة للأول، و الثانى يستمد منه، فهم يلحقون بإبراهيم (ع) لتمسكهم بملته و التابع ثان متدبر بتدبير الأول متصرف بتصريفه فى نفسه، و الصحيح أن شريعة نبينا ناسخة لشريعة كل من تقدم من الأنبياء، و أن نبينا لم يكن متعبداً بشريعة من تقدم.
و إنما وافقت شريعته شريعة إبراهيم، فلذلک قال اللَّه تعالى «فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ» و إلا فاللَّه هو الذى أوحى بها إليه و أوجبها عليه، و كانت شريعة له. فان قيل إذا كانت الشرائع بحسب المصالح، فكيف رغب فى شريعة الإسلام بأنها ملة إبراهيم؟
قلنا: لأن المصالح إذا وافقت ما تميل إليه النفس و يتقبله العقل بغير كلمة كانت أحق بالرغبة، كما أنها إذا وافقت الغنى بدلا من الفقر، كانت أعظم فى النعمة، و كان المشركون يميلون إلى اتباع ملة إبراهيم، فلذلک خوطبوا بذلک. و الحنيف: المستقيم:
الدين الذى على شريعة إبراهيم فى حجه و نسكه و طيب مأكله، و تلک الشريعة هى الحنيفية. و أصل الحنف الاستقامة و إنما وصف المائل القدم بالأحنف تفاؤلا بها.
و قيل أصله الميل و إنما قيل الحنيف بمعنى المائل إلى الحق فيما كان عليه إبراهيم من الشرع.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 96] ..... ص : 534

اشارة

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِی بِبَکَّةَ مُبارَکاً وَ هُدیً لِلْعالَمِینَ (96)
آیة بلا خلاف.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 535

أول الشىء ابتداؤه، و يجوز أن يكون المبتدأ له آخر، و يجوز أن لا يكون له آخر، لأن الواحد أول العدد. و لا نهاية، لآخره، و نعيم أهل الجنة له أول، و لا آخر له، فعلى هذا إنما كان أول بيت، لأنه لم يكن قبله بيت يحج إليه.
و روى عن على (ع) أنه قال: أول بيت وضع للعبادة البيت الحرام.
و قد كانت قبله بيوت كثيرة. و قيل أول بيت رغب فيه، و طلب به البركة مكة. و قال مجاهد: لم يوضع قبله بيت. و إنما دحيت الأرض من تحتها. و به قال قتادة.
و روى أصحابنا: أن أول شىء خلق اللّه من الأرض موضع الكعبة، ثم دحيت الأرض من تحتها. و بكة قيل معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال ابن شهاب و ضمرة بن ربيعة:
بكة هو المسجد، و مكة الحرم كله تدخل فيه البيوت، و هو قول أبى جعفر (ع)
و قال أبو عبيدة، بكة هى بطن مكة، و قال مجاهد: هى مكة.
و أصل بكة من البك، و هو الزحم تقول بكه يبكه بكاً إذا زحمه و تباك الناس بالموضع إذا ازدحموا، فبكة مزدحم الناس للطواف. و هو ما حول الكعبة من داخل المسجد الحرام، و منه البك: دق العنق، لأنه فكه بشدة زحمة، فقيل: سميت بكة، لأنها تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم لم يمهلوا. و أما مكة، فقال الزجاج يجوز أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة. و أبدلت الميم من الباء، كقولهم: ضربة لازب و لازم، و يجوز أن يكون من قولهم: امتك الفصيل ما فى ضرع الناقة إذا مص مصاً شديداً حتى لا يبقى منه شيئاً، فسميت مكة بذلك لازدحام الناس فيه. قال و الأول أحسن، و يقال مك المشاش مكاً إذا تمشش بفيه.
و نصب قوله: «مباركا» يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون حالا من الضمير الذى فيه. الثانى- على الظرف من بكة على معنى الذى استقر ببكة مباركا. و على هذا القول لا يكون قد وضع قبله بيت التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 536
كما يجوز فى التقدير الأول. و قوله: «وَ هُدىً لِلْعالَمِينَ» معناه أنه دلالة لهم على اللّه من حيث هو المدبر لهم بما لا يقدرون عليه من أمن الوحش فيه حتى يجتمع الكلب و الظبى، فلا يعدو عليه و حتى يأنس الطير فلا يمتنع منه كما يمتنع من غيره إلى غير ذلك من الآثار و البينة فيه مع البركة التى يجدها من حج إليه مع ما له من الثواب الجزيل عليه. و أصل البركة الثبوت من قولك برك بركا و بروكا إذا ثبت على حاله، فالبركة ثبوت الخير بنموه و تزايده و منه البركاء: الثبوت فى الحرب. و منه البركة شبه حوض يمسك

الماء، لثبوته فيه. و منه قول الناس: تبارک اللّه، لثبوته لم يزل، و لا يزال وحده، و منه البرک الصدر، لثبوت الحفظ فيه.

و قوله تعالى: [سورة آل‌عمران (3): آية 97] ..... ص : 536

اشارة

فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ (97) آية.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر (حج البيت) بكسر الحاء. الباقون بفتحها فمن فتح أراد المصدر الجارى على فعله، و من كسر أراد الاسم.

الآيات التى بمكة أشياء، منها ما قال مجاهد فى مقام إبراهيم، و هو أثر قدميه داخلة فى حجر صلد بقدرة اللّه تعالى، ليكون ذلک علامة يهتدى بها، و دلالة يرجع إليها مع غير ذلک من الآيات التى فيه من أمن الخائف، و إمحاق الجمار على كثرة الرامى. و امتناع الطير من العلو عليه. و استشفاء المريض من ماء به. و من تعجيل العقوبة لمن انتهک فيه حرمة على عادة كانت جارية. و من إهلاک أصحاب الفيل التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 537

لما قصدوا، لتخريبه. و روى عن ابن عباس أنه قرأ «آية بينة مقام إبراهيم» فجعل مقام إبراهيم هو الآية. و الأول عليه القراء، و المفسرون. و قوله: «مقام إبراهيم» رفع بأنه خبر ابتداء محذوف. و تقديره هى مقام إبراهيم و غير مقام إبراهيم، و قيل التقدير منها مقام إبراهيم. و قوله: «وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً» قيل فيه قولان:

أحدهما- الدلالة على ما عطف عليه قلوب العرب فى الجاهلية، من أمر من جنى جناية، ثم لاذ بالحرم، و من تبعة تلحقه أو مكروه ينزل به. فأما فى الإسلام فمن جنى فيه جناية أقيم عليه الحد إلا القاتل، فانه يخرج منه، فيقتل فى قول الحسن، و قتادة. و عندنا أنه إذا قتل فى الحرم قتل فيه.

الثانى-

أنه خبر، و المراد به الأمر، و معناه أن من وجب عليه حد، فلاذ بالحرم و التجأ إليه، فلا يبايع و لا يشارى و لا يعامل حتى يخرج من الحرم، فيقام عليه الحد- فى قول ابن عباس و ابن عمر- و هو المروى عن أبى عبد اللّه و أبى جعفر (ع)

و أجمعت الصحابة على أن من كانت له جناية فى غيره ثم عاذ به أنه لا يؤاخذ بتلک الجناية فيه. و أجمعوا أيضاً أن من أصاب الحد فيه أنه يقام عليه الحد فيه. و إنما اختلفوا فيما به يخرج ليقام عليه الحد.

و روى عن أبى جعفر (ع) أنه قال: من دخله عارفاً بجميع ما أوجب اللَّه عليه، كان آمنا فى الآخرة من أليم العقاب الدائم.

و السبيل الذى يلزم بها الحج، قال ابن عباس، و ابن عمر: هى الزاد، و الراحلة.

و قال ابن الزبير، و الحسن: ما يبلغه كائناً ما كان. و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف. و عندنا هو وجود الزاد و الراحلة و نفقة من تلزمه نفقته و الرجوع إلى كفاية عند العود إما من مال أو ضياع أو عقار أو صناعة أو حرفة مع الصحة و السلامة و زوال الموانع و إمكان المسير.

و قوله: «و من كفر» معناه من جحد فرض الحج فلم يره واجباً فى قول

ابن عباس، و الحسن، و الضحاک. فأما من ترکه و هو یعتقد فرضه، فانه لا یکون کافراً و إن کان عاصیاً. و فی الآیة دلالة علی فساد مذهب المجبرة إن الاستطاعة مع الفعل، لأن اللّه تعالی أوجب الحج علی المستطیع. و من لا یستطیع، فلا یجب علیه و ذلک لا یکون إلا قبل فعل الحج. و قال قوم: معنی «و من کفر» یعنی ترک الحج و السبب فی ذلک أنه لما نزل قوله: «وَ مَنْ یَبْتَغِ غَیْرَ الْإِسْلامِ دِیناً» «1» قالت الیهود نحن المسلمون فأنزل اللّه هذه الآیة فأمرهم بالحج إن کانوا صادقین فامتنعوا، فقال اللّه تعالی و من ترک من هؤلاء فهو کافر، و اللّه غنی عن العالمین.

اشارة

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما تَعْمَلُونَ (98) آية.

قوله: «يا أَهْلَ الْكِتابِ» خطاب لليهود و النصارى. و إنما أجرى عليهم أهل الكتاب مع أنهم لا يعملون به، و لم يجز ذلک فى أهل القرآن حتى يقال، فيمن لا يعمل بالقرآن أنه من أهل القرآن لأمرين:
أحدهما- أن القرآن اسم خاص لكتاب اللّه، فأما الكتاب فيجوز أن يراد به يا أهل الكتاب المحرف عن جهته، و الآخر- الاحتجاج عليهم بالكتاب، لإقرارهم به، كأنه قيل يا من يقر بأنه من أهل كتاب اللّه «لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ» و آيات اللّه المراد بها هاهنا معجزات نبينا محمد (ص) التى كانت له، و العلامات التى وافقت فى صفته، مما تقدمت به البشارة، و خاطبهم اللّه فى هذه بأن قال له «قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ» على وجه التلطف فى استدعائهم إلى الحق، و توجيه الخطاب إليهم. و قال فى موضع آخر «يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ» «2» على وجه الاهانة

---

(1) سورة آل عمران آية: 85.
(2) سورة آل عمران آية: 70.

لهم لصدهم عن الحق بتوجيه الخطاب إلى غيرهم و إنما جاء لفظ التوبيخ فى الآية على لفظ الاستفهام، لأنه كسؤال التعجيز عن إقامة البرهان، فكذلک سؤال التوبيخ سؤال تعجيز عن إقامة العذر كأنه قيل: هات العذر فى ذلک إن أمكنک، كما قيل له هات البرهان إن كنت محقاً فى قولک و مذهبک.

و أصل لم لما و حذفت الالف فى الاستفهام منها، و لم تحذف فى الخبر لأنها فى الاستفهام ظرف يقوى فيه التغيير قياساً على حروف الاعراب و نحوها، و أما الخبر فإنها تقع وسطاً إذا كانت موصولة، لأن تمامها أخر صلتها و الجزاء يجرى مجرى الصلة، لأن (ما) فيه عاملة.

قوله تعالى: [سورة آل‌عمران (3): آية 99] ..... ص : 539

اشارة

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (99)
آية بلا خلاف.

قوله: «لم تصدون» معناه لم تمنعون، لأن الصد المنع. و قيل فى كيفية صدهم عن سبيل اللَّه قولان:
أحدهما- أنهم كانوا يغزون بين الأوس، و الخزرج، بتذكيرهم الحروب التى كانت بينهم حتى تدخلهم العصبية و حمية الجاهلية فينسلخون عن الدين- هذا قول زيد بن اسلم- و قال الآية فى اليهود خاصة. و قال الحسن الآية فى اليهود و النصارى معاً و معناها لم تصدون بالتكذيب بالنبى (ص) و إن صفته ليست فى كتبهم و لا تقدمت البشارة به عندهم و قوله: «من آمن» موضعه النصب بأنه التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 540
مفعول تصدون. و قوله: «تَبْغُونَها عِوَجاً» الكناية راجعة إلى السبيل، و معناه تطلبون لها عوجا يعنى عدو لا عن طريق الحق، و هو الضلال كأنه قال تبغونها ضلالا.

و العوج- بفتح العين، هو ميل كل شىء منتصب، نحو القناة و الحائط، و بكسر العين- إنما هو الميل عن الاستواء فى طريق الدين، و فى القول، و فى الأرض. و منه قوله: «لا تَرى فِيها عِوَجاً» «1» و قال عبد بنى الحسحاس:

بغاک و ما تبغيه حتى وجدته كأنک قد واعدته أمس موعدا «2»

أى طلبک و ما تطلبه هذا فى بغيت الحاجة فأما بغى عليه، فمعناه تطاول بظلمه له. و تقول: ابغنى كذا بكسر الهمزة أى أطلبه لى. و إذا قلت: أبغنى بفتح الهمزة، فمعناه أعنى على طلبه. و مثله احملنى و أحملنى و المسنى و ألمسنى. و احلب لى و احلبنى أى أعنى على الحلب. و أصل ذلک ابغ لى غير أنه حذفت اللام لكثرة الاستعمال.

و قوله: «وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ» قيل فيه قولان:
أحدهما- «أَنْتُمْ شُهَداءُ» على بطلان صدكم عن دين اللَّه، و تكون الآية مختصة بقوم معاندين، لأنهم جحدوا ما علموه و يجوز أن تكون فى الجميع، لإقرارهم بأنه لا يجوز الصد عن دين اللَّه، فلذلک صح ما ألزموا.
الثانى- «وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ» أى عقلاء كما قال اللَّه تعالى «أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ» «3» أى و هو عاقل، و ذلک أنه يشهد الدليل الذى يميز به الحق من الباطل

---

(1) سورة طه آية: 107.
(2) ديوانه: 41 و روايته (الا) بدل (حتى) و قد ذكره ابن هشام فى المغنى 1:
111، و قال: الا بمعنى حتى.
(3) سورة ق آية: 37.

فيما يتعلق بالدين و يؤديه إليه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 100] ..... ص : 541

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ (100)
أية.

قال زيد بن أسلم و السدى أن هذه الآية نزلت فى الأوس و الخزرج لما أغزى قوم من اليهود بينهم ليفتنوهم عن دينهم.

و قوله: «إن تطيعوا» فالطاعة موافقة الارادة الجاذبة للفعل بالترغيب فيه، و الاجابة موافقة الارادة الداعية إلى الفعل و لذلک يجوز أن يكون اللّه تعالى مجيباً للعبد إذا فعل ما دعا العبد به، و لم يجز أن يكون مطيعاً له. و (يا) حرف النداء و أى هو المنادى. و (ها) للتنبيه و هو اسم مبهم يحتاج أن يوصف بالواحد و الجميع لشدة إبهامه من حيث، لا يوقف عليه دون ما يوضحه. و لم يجز مثل ذلک فى هذا، و إن كان اسماً مبهما، لأنه يدخله التثنية، و الجمع، نحو هؤلاء و هذان و ليس كذلک أى.
فان قيل لم جاز صفة المبهم بالموصول و لم يجز بالمعطوف؟ قيل: لأن الموصول بمنزلة اسم واحد لنقصانه عن التمام إلا بصلته، فعومل لذلک معاملة المفرد، و ليس كذلک المعطوف، لأنه اسم تام، فلذلک لم يجز يا أيها الطويل و القصير على الصفة، و جاز يا أيها الذى أكرم زيداً على الصفة، و يجوز يا أيها الطويل و القصير على أن يكون القصير منادا أيضاً و يجوز أن تقول يا هذا و تقف عليه. و لا يجوز أن تقول يا أيها و تقف، و إن كانا مبهمين لا يحتاجان إلى صلة، لأن أى و صلة إلى نداء التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 542
ما فيه الألف و اللام، كما أن الذى وصلة إلى صفة المعرفة بالجملة، و لذلک جاز النصب فى يا هذا الكريم، و لم يجز فى يا أيها الكريم. و معنى الآية النهى عن طاعة الكفار و بيان أن من أطاعهم يدعوه ذلک إلى الارتداد عن دينه بعد أن كان مؤمناً و رجوعه كافراً.

اشارة

وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ آياتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (101)
أية.

روى عن ابن عباس أن سبب نزول هذه الآية أنه كانت بين الأوس، و الخزرج حرب فى الجاهلية كل شهر، فبينما هم جلوس إذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح فنزلت هذه الآية و ما بعدها. و قال الحسن نزلت فى مشركى العرب.

«و كيف» موضوعة للاستفهام، و معناها هاهنا التعجب و إنما استعملت فى ذلک، لأنها طلب للجواب عما حمل على الفساد فيما لا يصح فيه الاعتذار. و التعجب هو حدوث إدراک ما لم يكن يقدر لخفاء سببه، و خروجه عن العادة فى مثله، و لذلک لم يجز فى صفة القديم، و لكن يجوز فى وصفه تعجيب العباد من بعض الأمور. و صيغة التعجب فى اللغة ما أفعله، و أفعل به إلا أنه قد يجىء كلام متضمن بمعنى التعجب، و إن لم يكن فى الأصل مما وضع له. و قوله: «وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ» خطاب للذين عاصروه، فأما اليوم، فقد قال الزجاج: يجوز أن يقال: فينا رسول اللَّه، و يراد به أن أثاره قائمة فينا، و أعلامه ظاهرة، و ذلک بمنزلة لو كان التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 543
موجوداً فينا. و قوله: «وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ» معناه يمتنع و العصم: المنع. تقول عصمه يعصمه عصماً، و منه قوله: «لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» «1» أى لا مانع.
و العصم: الأوعال لامتناعها بالجبال. و المعصم لأنه يمتنع و العصام: الحبل، و السبب، لأنه يعتصم به.

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) آية بلا خلاف.

ذكر ابن عباس و طاوس أن هذه الآية محكمة غير منسوخة. و قال قتادة، و الربيع، و السدى، و ابن زيد:
هى منسوخة بقوله. «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» «2» و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع)
لأنهم ذهبوا إلى أنه يدخل فيه القيام بالقسط فى حال الخوف، و الامن، و أنكر أبو على الجبائى نسخ الآية و ذلک، لأن من اتقى جميع معاصيه، فقد اتقى اللّه حق تقاته. و مثل هذا لا يجوز أن ينسخ، لأنه إباحة لبعض المعاصى. قال الرمانى: و الذى عندى أنه إذا وجه على «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ» بأن تقوموا له بالحق فى الخوف و الامن لم يدخل عليه ما ذكره أبو على. و هذا صحيح، لأنه لا يمتنع أن يكون أوجب عليهم أن يتقوا اللَّه على كل حال ثم أباح ترک الواجب عند الخوف على النفس، كما قال «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ» «3» و أنكر البلخى أيضاً نسخ الآية و قال: لأن فى ذلک إيجاب الأمر بما لا يستطاع. قال الرمانى: و هذا أيضاً لا يلزم، لأن «ما استطعتم» إنما هو من غير تحمل مشقة بتحريم التقية.

---

(1) سورة هود آية: 43.
(2) سورة التغابن آية: 16. [.....]
(3) سورة النحل آية: 106.

و قيل فى معنى قوله: «حق تقاته» قولان:
أحدهما- قال ابن مسعود، و الحسن، و قتادة:
إن يطاع فلا يعصى و يشكر فلا يكفر و يذكر فلا ينسى، و هو المروى عن أبى عبد اللّه (ع).
و قال الجبائى:
هو أن يتقى جميع معاصيه. و ظاهر الآية يقتضى أنه خطاب للمؤمنين خاصة، و يجوز أن يحمل من جهة المعنى على جميع المكلفين على التغليب، لأنه معلوم أنه يجب عليهم من ذلک مثل ما يجب على المؤمنين من اتقاء جميع معاصى اللّه.

و قوله: «تقاته» هو من وقيت. قال الزجاج: يجوز فيه ثلاثة أوجه تقاة و وقاة و اقاة و حمله على قياس وجوه و أجوه و إن كان هذا المثال لم يجىء منه شىء على الأصل نحو تخمة و تكأة و نقاة غير أنه حمله على الأكثر من نظائره و جعل اختصاص هذا البناء فى الاستعمال، لا يمنع من حمله على نظيره فى القياس، لأن بإزاء قوة الاستعمال قوة النظير فى الباب.

و قوله: «وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» معناه لا تتركوا الإسلام و إنما قال: «فلا تموتن» بلفظ النهى عن الموت من حيث أن الموت لا بد منه، فكأنه قال كونوا على الإسلام، فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على الإسلام، فالنهى فى الحقيقة عن ترک الإسلام، لئلا يهلكوا بالاقتطاع عن التمكين منه بالموت إلا أنه وضع كلام موضع كلام على جهة تصرف الابدال، لحسن الاستعارة، و زوال اللبس، لأنه لما كان يمكنهم أن يفارقوه بالإسلام فترک الإسلام صار بمنزلة ما قد دخل فى إمكانهم. و مثله قولهم لا أراک هاهنا أى لا تكونن هاهنا، فان من كان هاهنا رأيته إلا أن هذا خرج مخرج النهى لغير المنهى عنه فتباعد عن الأصل، فالأول أحسن لأنه أعدل.
و روى عن أبى عبد اللَّه (ع) «و أنتم مسلمون» التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 545
بالتشديد، و معناه إلا و أنتم مستسلمون لما أتى به النبى (ص) و منقادون له.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 103] ..... ص : 545

اشارة

وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103) آية.

و معنى قوله: «و اعتصموا» امتنعوا بحبل اللَّه و استمسكوا به أى بعهد اللَّه، لأنه سبب النجاة كالحبل الذى يتمسک به للنجاة من بئر أو نحوها. و منه الحبل الأمان، لأنه سبب النجاة. و منه قوله: «إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ» «1» و معناه بأمان، قال الأعشى:

و إذا تجوزها حبال قبيلة أخذت من الأخرى إليک حبالها «2»

و منه الحبل الحمل فى البطن و أصله الحبل المفتول قال ذو الرمة:

هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم أم هل لها آخر الأيام تكليم

و فى معنى قوله: «بحبل الله» قولان

قال أبو سعيد الخدرى عن النبى (ص) أنه كتاب اللَّه.

و به قال ابن مسعود، و قتادة و السدى. و قال ابن زيد «حبل الله» دين اللَّه أى دين الإسلام. و قوله: «جميعاً» منصوب على الحال. و المعنى اعتصموا بحبل اللَّه مجتمعين على الاعتصام به. و قوله: «وَ لا تَفَرَّقُوا» أصله و لا تتفرقوا،

---

(1) سورة آل عمران آية: 112.

(2) ديوانه: 24 رقم القصيدة 3 فى المطبوعة (أجوزها) بدل (تجوزها) و هو أيضاً فى اللسان (حبل) و مشكل القرآن: 358 و غيرها كما أثبتناه. و البيت من قصيدته فى قيس ابن معديكرب. يصف ناقة يقول: لا تحتاج الى حث بل هى سريعة الجرى عارفة طرق الق بائل.

فحذفت احدى التائين، لاجتماع المثلين. و المحذوفة الثانية، لأن الأولى علامة الاستقبال، و هو مجزوم بالنهى و علامة الجزم سقوط النون. و قال ابن مسعود و قتادة: معناه و لا تفرقوا عن دين اللَّه الذى أمر فيه بلزوم الجماعة و الائتلاف على الطاعة. و قال الحسن: معناه و لا تفرقوا عن رسول اللَّه (ص). و قوله: «وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً» معناه ما كان بين الأوس و الخزرج من الحروب التى تطاولت مائة و عشرين سنة إلى أن ألف بين قلوبهم بالإسلام، و زالت تلک الأحقاد، هذا قول ابن إسحاق. و قال الحسن: هو ما كان من مشركى العرب من الطوائل.

و قوله: «وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ» معنى الشفا الحرف، لأن شفا الشىء حرفه، و يثنى شفوان، لأنه من الواو، و جمعه إشفاء. و لا يجوز فيه الامالة. و إنما قال: «فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها» و إن لم يكونوا فيها، لأنهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها. و إنما أنقذهم النبى (ص) بدعائهم إلى الإسلام، و دخولهم فيه، فصاروا بمنزلة الخارج منها.

و أصل الأخ أن الأخ مقصده مقصد أخيه، و كذلک فى الصداقة أن تكون إرادة كل واحد منهما موافقة للاخر يقولون: يتوخى فلان شأن فلان أى يقصده فى سيره، و يقولون: خذ على هذا الوخى أى على هذا القصد. و قوله: «كَذلِکَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ» الكاف فى موضع نصب، و المعنى مثل البيان الذى تلى عليكم «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» معناه لتهتدوا و تكونوا على رجاء هداية.
و الهاء فى قوله فأنقذكم منها كناية عن الحفرة فترک شفا، وردت الكناية على الحفرة. و مثل ذلک قول العجاج.
طول الليالى أسرعت فى نقضى طوين طولى و طوين عرضى
فترک الطول و أخبر عن الليالى. فان قالوا إذا كان اللَّه هو الذى ألف بين قلوبهم و أنقذهم من النار، فقد صح أن أفعال الخلق فعل له و خلق من خلقه؟
قيل: لا يجب ذلک، لأنا نقول أن النبى (ص) ألف بين قلوب العرب و أنقذهم
من التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 547
النار، و لا يجب من ذلک أن تكون أفعالهم أفعالا للنبى (ص)، و لا مشاركا لهم.
و معنى ألف بين قلوبهم و أنقذهم من النار أنه دعاهم إلى الايمان و بين لهم و هداهم، و رغبهم و حذرهم، فلما كان إسلامهم و نجاتهم بمعونته و دعائه، كان هو المؤلف لقلوبهم، و المنقذ لهم من النار على هذا المعنى، لا أنه صنع أفعالهم، و أحدثها.
فان قيل: فقد فعل اللّه مثل ذلک بالكافرين هلا قلتم أنه ألف بينهم؟ قلنا: لا نقول ذلک و إن كان فعل بهم فى الابتداء مثل الذى فعل بالمؤمن، لأنه لم يوجد منهم إيمان، فلا يجوز إطلاق ذلک عليهم، و لما وجد من المؤمن ذلک جاز إضافة ذلک إلى اللَّه تعالى و جرى ذلک مجرى قوله «هدى للمتقين» أنه أضيف إلى المتقين من حيث اهتدوا به. و ان كان هداية للكافرين أيضاً. و يجوز أن يقال: ألف اللَّه بين الكفار، فلم يأتلفوا و انقذهم، فلم يستنقذوا، فيقيد ذلک، كما قال: «وَ أَمَّا ثَمُودُ، فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى» «1» و لا يجوز أن يقال: هدى اللَّه ثمود و يسكت. و مثل ذلک لو أن إنساناً اعطى ولدين له مالا و أمرهما بالتجارة و بين لهما وجوه المكاسب فكسب أحدهما مالا و استغنى، وضيع الآخر، فافتقر جاز أن يقال أن فلاناً أغنى ولده الغنى، و لا يجوز أن يقال اغنى ولده الفقير على أنا لا نقول ان اللَّه تعالى فعل بالكافر جميع ما فعل بالمؤمن، لأن الذى سوى بينهما ما يتعلق بازاحة العلة فى التكليف من الاقدار و الاعلام و الدلالة، و ما به يتمكن من فعل الايمان، فأما الالطاف التى يفعلها اللَّه بالمؤمن بعد إيمانه التى علمها له بعد الايمان و لم يعلمها للكافر، فلا نقول أنه فعل بالكافر مثلها، و لا يمتنع

أن تكون هذه الزيادة من الالطاف مشروطة بحال الايمان، فالإطلاق لا يصح على كل حال.

اشارة

وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104)

_____

(1) سورة حم السجدة آية: 17.

آية.

قوله: «و لتكن» أمر و اللام لام الأمر و إنما سكنت مع الواو و لم يكن لام الاضافة لأن تسكين لام الامر يؤذن بعملها أنه الجزم، و ليس كذلک لام الاضافة.
و لم يسكن مع ثم، لأن ثم بمنزلة كلمة منفصلة. و قوله: «منكم أمة» «من» هاهنا للتبعيض على قول أكثر المفسرين، لأن الأمر بإنكار المنكر، و الامر بالمعروف متوجه إلى فرقة منهم غير معينة، لأنه فرض على الكفاية فأى فرقة قامت به سقط عن الباقين. و قال الزجاج التقدير «و ليكن» جميعكم و (من) دخلت لتخص المخاطبين من بين سائر الأجناس، كما قال: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ» «1» و قال الشاعر:
أخو رغائب يعطيها و يسلبها يأبى الظلامة منه النوفل الزفر «2»
لأنه وصفه بإعطاء الرغائب، و النوفل الكثير الإعطاء للنوافل. و الزفر: الذى يحمل الأثقال، فعلى هذا الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر من فرض الأعيان لا يسقط بقيام البعض عن الباقين. و هو الذى اختاره الزجاج، و به قال الجبائى، و اختاره.

و الأمة فى اللغة تقسم خمسة أقسام:
أحدها- الجماعة. و الثانى- القامة. و الثالث- الاستقامة. و الرابع- النعمة و الخامس القدوة. و الأصل فى ذلک کله القصد من قولهم: أمه یؤمه. أماً إذا

---

(1) سورة الحج آیة: 30.
(2) قائله أعشى باهلة اللسان (زفر) و أمالى الشریف المرتضى 2: 21 و هو من قصیدة من المراثى المفضلة المشهورة بالبلاغة و البراعة و روایته (یسألها) بدل (یسلبها).

قصده، فالجماعة سمیت أمة لاجتماعها على مقصد واحد. و الأمة: القدوة، لأنه تأتم به الجماعة. و الأمة النعمة، لأنها المقصد الذى هو البغیة. و الامة القامة، لاستمرارها فى العلو على مقصد واحد. و المعروف هو الفعل الحسن الذى له صفة زائدة على حسنه. و ربما کان واجباً أو ندباً، فان کان واجباً فالأمر به واجب.
و ان کان ندباً فالأمر به ندب. و المنکر هو القبیح فالنهى عنه کله واجب.
و الإنکار هو إظهار کراهة الشىء لما فیه من وجه القبح، و نقیضه الإقرار و هو إظهار تقبل الشىء من حیث هو صواب حسن.

و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر واجبان بلا خلاف و أكثر المتكلمين يذهبون إلى أنه من فروض الكفايات. و منهم من قال من فروض الأعيان، و هو الصحيح على ما بيناه. و اختلفوا، فقال جماعة ان طريق وجوب انكار المنكر العقل، لأنه كما تجب كراهته وجب المنع منه إذا لم يمكن قيام الدلالة على الكراهة.
و إلا كان تاركه بمنزلة الراضى به. و قال آخرون و هو الصحيح عندنا: إن طريق، وجوبه السمع و أجمعت الأمة على ذلک، و يكفى المكلف الدلالة على كراهته من جهة الخير و ما جرى مجراه و قد استوفينا ما يتعلق بذلک فى شرح جمل العلم.
فان قيل هل يجب فى إنكار المنكر حمل السلاح؟ قلنا: نعم إذا احتيج إليه بحسب الإمكان، لأن اللّٰه تعالى قد أمر به، فإذا لم ينجح فيه الوعظ و التخويف، و لا التناول باليد وجب حمل السلاح، لأن الفريضة لا تسقط مع الإمكان إلا بزوال المنكر الذى لزم به الجهاد إلا أنه لا يجوز أن يقصد القتال إلا و غرضه إنكار المنكر.
و أكثر أصحابنا على أن هذا النوع من إنكار المنكر لا يجوز الاقدام عليه إلا بإذن سلطان الوقت. و من خالفنا جوز ذلک من غير الاذن مثل الدفاع عن النفس سواء. و قال البلخى: إنما يجوز لسائر الناس ذلک إذا لم يكن إمام، و لا من نصبه، فأما مع وجوده، فلا ينبغى، لأحد أن يفعل ذلک إلا عند الضرورة.
و قوله: التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 550
«وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» معناه هم الفائزون بثواب اللّٰه، و الخلاص من عقابه.

اشارة

وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَ أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (105)
آية.

قال الحسن، و الربيع: المعنى بهذا التفرق فى الآية اليهود و النصارى، فكأنه قال يا أيها المؤمنون «لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا» يعنى اليهود و النصارى. و قوله:
«مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ» معناه من بعد ما نصبت لهم الادلة و لا يدل ذلک على عناد الجميع، لأن قيام البينات إنما يعلم بها الحق إذا نظر فيها و استدل بها على الحق، فان قيل إذا كان التفرق فى الدين هو الاختلاف فيه، فلم ذكر الوصفان؟ قلنا: لأن معنى «تفرقوا» يعنى بالعداوة و اختلفوا فى الديانة، فمعنى الصفة الأولى مخالف لمعنى الصفة الثانية، و فيمن نفى القياس، و الاجتهاد من استدل بهذه الآية على المنع من الاختلاف جملة فى الأصول و الفروع، و اعترض من خالف فى ذلک بأن قال لا يدل ذلک على فساد الاختلاف فى مسائل الاجتهاد، كما لا يدل على فساد الاختلاف فى المسائل المنصوص عليها، كاختلاف حكم المسافر و المقيم فى الصلاة و الصيام، و غير ذلک من الأحكام، لأن جميعه مدلول على صحته إما بالنص عليه و إما بالرضى به، و هذا ليس بشىء، لأن لمن خالف فى ذلک أن يقول: الظاهر يمنع من الاختلاف على كل حال إلا ما أخرجه الدليل، و ما ذكره أخرجناه بالإجماع فالاجود فى الطعن أن يقال: و قد دل الدليل على وجوب التعبد بالقياس و الاجتهاد! قلنا: إن يخص ذلک أيضاً و يصير الكلام فى صحة ذلک أو فساده، فالاستدلال بالآية إذاً صحيح على نفى الاجتهاد. و قوله: «جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ» إنما حذفت منه علامة التأنيث إذا تقدم، فكذلک لا يلحقه علامة التأنيث لشبهها علامة التثنية و الجمع.

اشارة

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106)
آية بلا خلاف.

العامل فى قوله: «يوم» قوله «عظيم» و تقديره عظيم عذابهم يوم تبيض وجوه. و لا يجوز أن يكون العامل فيه عذاب موصول، قد فصلت صفته بينه، و بين معموله، لكن يجوز أن تعمل فيه الجملة، لأنها فى معنى يعذبون يوم تبيض وجوه، كما تقول المال لزيد الجمعة فالعامل الفعل و الجملة خلف منه.

و المعنى بهذه الآية الذين كفروا بعد إيمانهم. و قيل فيهم أربعة أقوال:
أحدها- قال الحسن: الذين كفروا بعد اظهار الايمان بالنفاق.
الثانى- قال قتادة الذين كفروا بالارتداد.
الثالث- قال أبى بن كعب: إنهم جميع الكفار، لاعراضهم عما يوجبه الإقرار بالتوحيد حين أشهدهم اللَّه على أنفسهم أ لست بربكم قالوا بلى شهدنا.
الرابع- ذكره الزجاج و أبو على الجبائى. الذين كفروا من أهل الكتاب بالنبى (ص) بعد إيمانهم به أى بنعته و صفته قبل مبعثه، و هذا الوجه، و الوجه الأول يليق بمذهبنا فى الموافاة، فأما الارتداد عن الايمان الحقيقى، فلا يجوز عندنا على ما مضى فى غير موضع.
فان قيل إذا كان «الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ» كفاراً «وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ» مؤمنين هلَّا دل ذلک على أنه لا واسطة بين الكفر، و الايمان من

الفسق؟ قلنا: لا يجب ذلک، لأن ذكر اسوداد الوجوه و ابيضاضها لا يمنع أن يكون هناک وجوه أخر مغبرة أو نحوها من الألوان أو يكون أدخلوا فى جملة الكفار الذين اسودت وجوههم على التغليب لأعظم الصفتين كما يغلب المذكر على المؤنث، و ليس ذكر اليوم بأنه تسود فيه وجوه و تبيض وجوه بمانع من أن يكون فيه وجوه عليها الغبرة، كما أن القائل إذا قال هذا يوم يعفو فيه السلطان عن قوم و يعاقب فيه قوماً لا يدل على أنه ليس هناک من لا يستحق واحداً من الأمرين على أن الآية تدل على أن «الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ» هم المرتدون، لأنه قال «أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ» و ليس كل الكفار هذه صورتهم، جاز لنا إثبات فاسقين مثل ذلک، و ليس قوله: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ» يجرى مجرى قوله:
«وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا» «1» لأن ذاک إنما ذكر على وجه المثل، كأنه قال حال الذى يبشر بالأنثى بمنزلة حالة من اسود وجهه، لما حدث فيه من التغير: و إن لم يسود فى الحقيقة. و عرفنا عن ذلک دليل، و ليس فى هذه الآية ما يدلنا على العدول عن ظاهرها.
و جواب أما فى قوله: «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ» محذوف و تقديره «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ» فيقال لهم «أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ» فحذف لدلالة اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كأنه ناطق به، و قد يحذف القول فى مواضع كثيرة استغناء بما قبله من البيان، كقوله: «وَ لَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا» «2» أى يقولون ربنا لدلالة تنكيس الرأس من المجرم على سؤال الاقالة. و قيل فى قوله تعالى «وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا» «3» معناه يقول

«رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا» و مثله «وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلَونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ» «4» أى يقولون «سلام عليكم» و نظائر ذلک كثيرة جداً.

---

(1) سورة النحل آية: 68.
(2) سورة الم السجدة آية: 12.
(3) سورة البقرة آية: 127.
(4) سورة الرعد آية: 25.

وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (107)
إن قيل: لم ذكر تعالى حال الكافرين و حال المؤمنين و لم يذكر حال الفاسقين؟
قلنا: ليقابل اسوداد الوجوه لابيضاض الوجوه بالعلامتين، و حال الفاسقين موقوفة على دلالة أخرى و آية أخرى. و قوله: «فَفِى رَحْمَتِ اللَّهِ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- انهم فى ثواب اللَّه و ان الرحمة هى الثواب.
و الثانى- انهم فى ثواب رحمة اللَّه، فحذف، كما قال: (وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ) «1» ذكره الزجاج. و الاول أجود، لأن الرحمة هاهنا هى الثواب و إذا صح حمل الكلام على ظاهره من غير حذف كان أولى من تقدير محذوف منه من غير ضرورة. و الآية تدل على أن ثواب اللَّه تفضل، لأن رحمة اللَّه إنما هى نعمته، و كل نعمة فانه يستحق بها الشكر، و كل نعمة تفضل، و لو لم تكن تفضلا لم تكن نعمة. و قيل فى وجه كونه تفضلا قولان:
أحدهما- إنما كان تفضلا، لأن السبب الذى هو التكليف تفضل.
و الثانى- إنه تفضل لأنه بمنزلة إيجاز الوعد فى أنه تفضل مستحق، لأن المبتدئ به قد كان له أن لا يفعله، فلما فعله وجب عليه الوفاء به، لأنه لا يجوز الخلف، و هو مع ذلک تفضلا، لأنه جر إليه تفضل، و اختار الرمانى هذا الوجه.
و إنما كرر الظرف فى قوله: «فَفِى رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» لأمرين:
أحدهما- للتأكيد، و الثانى- للبيان عن صحة الصفتين أنهم فى رحمة اللَّه، و انهم فيها خالدون، و كل واحدة قائمة بنفسها.

---

(1) سورة الصافات آية: 7.

اشارة

تِلْکَ آیاتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَیْکَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللَّهُ یُرِیدُ ظُلْماً لِلْعالَمِینَ (108) آیة بلا خلاف.

قال الفراء معنى «تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ» أى مواعظه و حججه و معنى «نتلوها» أى نقرأها عليک. و الفرق بين تلک، و هذه أن تلک إشارة إلى ما هو بعيد فجازت الاشارة بها إليه لانقضاء الآية و صلح هذه لقربها فى التلاوة، و لو كانت بعيدة لم يصلح أحدهما مكان الآخر. و انما قال «آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ» فقيده (بالحق)، لأنه لما حقق الوعيد بأنه واقع لا محالة نفى عنه حال الظلم كعادة أهل الخير، ليكون الإنسان على بصيرة فى سلوک الضلالة مع الهلاک أو الهدى مع النجاة، و معنى «نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ» أى معاملتى حق، و يحتمل أن يكون المراد «نتلوها» المعنى الحق، لأن معنى التلاوة حق من حيث يتعلق معتقدها بالشىء على ما هو به.

و الفرق بين تلوت عليه، و تلوت لديه أن عليه يدل على إقرار التلاوة، لأن معنى عليه استعلاء الشىء، فهى تنبئ عن استعلائه بالظهور للنفس، كما يظهر لها بعلو الصوت و ليس كذلك لديه، لأن معناه عنده. و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة: أن اللّه تعالى يريد الظلم، لأنه لو أراد ظلم بعضهم لبعض، لكان قد أراد ظلمهم و كذلك لو أراد ظلم الإنسان لغيره، لجاز أن يريد أن يظلمه هو، لأنه لا فرق بينهما فى القبح، و يدل أيضاً على أنه لا يفعل ظلمهم، لأنه لا يفعل ما لا يريده. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 555

و قوله: «وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ» فيه نفى لإرادة ظلمهم على كل حال بخلاف ما يقولونه.

اشارة

وَ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ إِلَی اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (109) آیة.

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها، وجه اتصال الدليل بالمدلول عليه، لأنه لما قال: «وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ» وصله بذكر غناه عن الظلم إذ الغنى عنه العالم بقبحه، و معناه لا يجوز وقوعه منه.

و قوله: «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» لا يدل على أن الأمور كانت ذاهبة عنه، لأمرين:
أحدهما- لأنها بمنزلة الذاهبة بهلاكها و فنائها ثم إعادتها، لأنه تعالى يعيدها للجزاء على الاعمال و العوض على الآلام.
و الثانى- لأنه قد ملك العباد كثيراً من التدبير فى الدنيا فيزول جميع ذلك فى الآخرة و يرجع إليه كله. و قوله: «وَ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ» معناه و للّه ملك ما فى السماوات. و الملك: هو ما له أن يتصرف فيه. و لا يجوز أن يقول مكان ذلك و للّه خلق ما فى السماوات، لأن ذلك يدخل فيه معاصى العباد، و اللّه تعالى منزه عنها و الآية خرجت مخرج التعظيم للّه تعالى، و ذكر عظيم المدح.
و فى وقوع المظهر بموقع المضمر فى قوله: (وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) فيه قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 556
أحدهما- ليكون كل واحد من الكلامين مكتفياً بنفسه.
و الثانى- لأن المظهر فى اسم اللّه تعالى أفخم فى الذكر من المضمر و صفة ملكه موضع تفخيم، و ليس كقول الشاعر «1»
لا أرى الموت يسبق الموت شىء لغص الموت ذا الغنى و الفقيرا «2»
لأن البيت مفتقر إلى الضمير و الآية مستغنية عنه و إنما احتاج البيت إليه، لأن الخبر الذى هو جملة لا يتصل بالمخبر عنه إلا بضمير يعود إليه. (و ما) تقع على ما يعقل و ما لا يعقل إذا ذهب به مذهب الجنس، فما يعقل داخل فيه حقيقة و لو قال بدلا منه و للّه من فى السماوات بلفظة (من) لما دخل فيه إلا العقلاء أو الكل على جهة التغليب دون الحقيقة.

اشارة

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ (110)
آية واحدة.

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها اتصال المدح على الفعل الذى تقدم به الأمر، لأنه قد تقدم إيجاب الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر ثم مدح على قبوله و التمسک به، و يجوز أيضاً أن يكون اتصال التعظيم للّه تعالى بمدح المطيعين له فى الأشياء التى بينت، لأنهم بلطف اللّه تعالى أطاعوا.

_____

(1) هو عدى بن زيد. و قيل انه ينسب الى ولده سوادة بن عدى. و نسبه بعضهم لاميه بن أبى الصلت.

(2) حماسة البحترى: 98 و شعراء الجاهلية: 468، و سيبويه 1: 30 و خزانة الأدب 1: 183، 3: 534، 4: 552 و أمالى بن الشجرى 1: 243، 288 و شرح شواهد المغنى: 29 و هو من أبيات متفرقة فى هذه الكتب و غيرها من الحكم فى التأمل فى الحياة و الموت.

و قوله: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» إنما لم يقل أنتم لأحد أمور:
أحدها- قال الحسن أن ذلک لما قد كان فى الكتب المتقدمة ما يسمع من الخير فى هذه الأمة من جهة البشارة. و قال نحن آخرها و أكرمها على اللّه. و كذلک
روى عن النبى (ص) أنه قال «أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها و أكرمها على الله» فهو موافق لمعنى أنتم خير أمة
إلا أنه ذكر «كنتم» لتقدم البشارة به، و يكون التقدير «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» فى الكتب الماضية فحققوا ذلک بالافعال الجميلة.
الثانى- أن كان زائدة و دخولها و خروجها بمعنى، إلا أن فيها تأكيد وقوع الأمر لا محالة، لأنه بمنزلة ما قد كان فى الحقيقة، كما قال «وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ» «1» و فى موضع آخر «وَ اذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ» «2» و نظيره قوله: «وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» لأن مغفرته المستأنفة كالماضية فى تحقيق الوقوع لا محالة.
الثالث- أن (كان) تامة هاهنا و معناه حدثتم خير أمة و يكون خير أمة نصباً على الحال.
و الرابع- «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» فى اللوح المحفوظ.
و الخامس- كنتم مذ أنتم ليدل على أنهم كذلک مذ أول أمرهم. و اختلف المفسرون فى المعنى بقوله: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» فقال قوم: هم الذين هاجروا مع النبى (ص) ذكره ابن عباس، و عمر بن الخطاب، و السدى. و قال عكرمة: نزلت فى ابن مسعود، و سالم مولى أبى حذيفة و أبى بن كعب، و معاذ بن جبل. و قال الضحاک: هم أصحاب رسول اللّه (ص) خاصة. و قال مجاهد معناه «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» إذا فعلتم، ما تضمنته الآية من الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر.
و الايمان باللّه و العمل بما أوجبه. و قال الربيع: معناه «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ»، لأنه لم

---

(1) سورة الانفال آية: 26. [.....]
(2) سورة الاعراف آية: 85.

يكن أمة أكثر استجابة فى الإسلام، من هذه الأمة. فان قيل: لم قيل للحسن معروف مع أن القبيح أيضاً يعرف أنه قبيح، و لا يجوز أن يطلق عليه اسم معروف؟ قلنا: لأن القبيح بمنزلة ما لا يعرف لخموله و سقوطه. و الحسن بمنزلة النبيه الذى يعرف بجلالته و علو قدره. و يعرف أيضاً بالملابسة

الظاهرة و المشاهدة فأما القبيح، فلا يستحق هذه المنزلة. و قوله: (وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ) معناه لو صدقوا بالنبى (ص) و قوله: «منهم المؤمنون» يعنى معترفون بما دلت عليه كتبهم فى صفة نبينا (ص)، و البشارة به. و قيل: إنها تناولت من آمن منهم كعبد اللّه بن سلام، و أخيه، و غيرهما. و قوله: «وَ أَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ» يعنى من لم يؤمن منهم، و إنما وصفهم بالفسق دون الكفر الذى هو أعظم، لأن الغرض الاشعار بأنهم خرجوا بالفسق عما يوجبه كتابهم من الإقرار بالحق فى نبوة النبى (ص). و أصل الفسق الخروج. و وجه آخر و هو أنهم فى الكفار بمنزلة الفساق فى العصاة بخروجهم إلى الحال الفاحشة التى هى أشنع و أفظع من حال من لم يقدم إليه ذكر فيه، و ليس فى الآية ما يدل على أن الإجماع حجة على ما بيناه فى أصول الفقه. و تلخيص الشافى، و جملته أن هذا الخطاب لا يجوز أن يكون المراد به جميع الأمة، لأن أكثرها بخلاف هذه الصفة بل فيها من يأمر بالمنكر و ينهى عن المعروف. و متى كان المراد بها بعض الأمة، فنحن نقول ان فى الامة من هذه صفته، و هو من دل الدليل على عصمته، فمن أين لو أنا، فرضنا فقدهم، لكان إجماعهم حجة و استوفينا هناک ما تقتضيه الأسئلة و الجوابات، فلا نطول بذكره هاهنا.

اشارة

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذىً وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ (111) آية.

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها اتصال البشارة بالغلبة بما تقدم من الامر

بالمحاربة، لأنه قد تقدم الأمر بإنكار المنكر، فالفريضة اللازمة إذ لم تترک إلا بالمحاربة.

و الأذى المذكور فى الآية هو أن يسمعوا منهم كذباً على اللَّه يدعونهم به إلى الضلالة فى قول الحسن، و قتادة يقول أهل الحجاز آذيتنى إذا أسمعته كلاماً يثقل عليه. و قال البلخى، و الطبرى الاستثناء منقطع هاهنا، لأن الأذى ليس من الضرر فى شىء، و هذا ليس بصحيح، لأنه إذا أمكن حمله على الاستثناء الحقيقي لم يجز حمله على المنقطع. و المعنى فى الآية لن يضروكم إلا ضرراً يسيراً، فالأذى وقع موقع المصدر الأول. و إذا كان الأذى ضرراً فالاستثناء متصل. و المنقطع لا يكون فيه الثانى مخصصاً للأول، كقولك ما فى الدار أحد إلا حماراً، و كقولك ما زاد إلا ما نقص و ما نفع إلا ما ضر. و قوله: «وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ» جزم، لأنه شرط «و يولوكم» جزم لأنه جزاء. و قوله: «ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ» رفع على الاستئناف، و لم يعطف ليجرى الثانى على مثال الأول، لأن سبب التولية القتال. و ليس كذلک منع النصر، لأن سببه الكفر. و الرفع أشكل برءوس الآى المتقدمة، و هو مع ذلک عطف جملة على جملة و فى الآية دلالة على النبوة، لوقوع مخبرها على ما تضمنته قبل وقوع مخبرها، لأن يهود المدينة من بنى قريظة و بنى النضير، و بنى قينقاع و يهود خيبر الذين حاربوه (ص) و المسلمين ما قاتلوهم قط إلا ولوا الأدبار منهزمين.

اشارة

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذلِکَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلِکَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ (112)
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 560
آية بلا خلاف.

قال الحسن: المعنى بقوله: «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ» اليهود أذلهم اللَّه عز و جل، فلا عز لهم و لا منعة، و أدركتهم هذه الأمة. و إن المجوس لتجبيهم الجزية «و ضربت» مأخوذ من الضرب، و إنما قيل ضربت، لأنها ثبتت عليهم كما ثبتت بالضرب كما أخذت منه الضريبة، لأنها تثبت على صاحبها كما تثبت الضرب. و قوله: «أَيْنَما ثُقِفُوا» أى أينما وجدوا، يقال: ثقفته أى وجدته، و لقيته. فان قيل: كيف جاز عقابهم على ما لم يفعلوه من قتل الأنبياء. و إنما فعله أسلافهم دونهم. قلنا:
عنه جوابان:
أحدهما- أنهم عوقبوا على رضاهم بذلک. و أجرى عليهم صفة القتل لعظم الجرم فى رضاهم به، فكأنهم، فعلوه على نحو «يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ» و إنما أمر به.
و الثانى- أن تكون الصفة تعم الجميع، فيدخلوا فى الجملة و يجرى عليهم الوصف على التغليب كما يغلب المذكر على المؤنث إذا اجتمعا، فكذلک غلب القاتل على الراضى. و قوله: «إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ» فالحبل هو العهد من اللَّه، و عهد من من الناس على وجه الذمة، و غيرها من وجوه الأمان فى قول ابن عباس، و الحسن و مجاهد، و قتادة، و السدى، و الربيع. و سمى العهد حبلا، لأنه يعقد به الأمان كما يعقد بالحبل من حيث يلزم به الشىء كما يلزم بالحبل. و قال الأعشى:
فإذا تجوزها حبال قبيلة أخذت من الأخرى اليک حبالها «1»
و العامل فى الباء من قوله «إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ» يحتمل أن يكون العامل محذوفا و المعنى إلا أن تعتصموا بحبل من اللَّه على قول الفراء و أنشد:

---

(1) ديوانه: 24 رقم القصيدة 3 انظر 2: 545 من هذا الكتاب فثم تخريج البيت.

رأتنى بحبليها فصدت مخافة و فى الحبل روعاء الفؤاد فروق «1»
أراد رأتنى أقبلت بحبليها فحذف العامل فى الباء و قال آخر: «2»
قريب الخطو يحسب من رآنى و لست مقيداً أنى بقيد «3»
قال الرمانى، على بن عيسى ما ذكره الفراء ضعيف من وجهين:
أحدهما- حذف الموصول و ذلک لا يجوز عند البصريين فى شىء من الكلام لأنه إذا احتاج إلى صلة تبين عنه فالحاجة إلى البيان عنه بذكره أشد. و إنما يجوز حذف الشىء للاستغناء بدلالة غيره عليه، فلو دل دليل عليه لحذف مع صلته، لأنه معها بمنزلة شىء واحد. و الوجه الآخر أن الكلام إذا صح معناه

من غير حذف لم يجز تأويله على الحذف. و قوله «إلا بحبل» قيل فى هذا الاستثناء قولان:
أحدهما- أنه منقطع، لأن الدلالة لازمة لهم على كل حال، فيجرى مجرى قوله: «وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً»»
فعامل الاعراب موجود و المعنى على الانقطاع. و مثله «لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَ لا تَأْثِيماً إِلَّا قِيلًا سَلاماً» «5»

_____

(1) قائله حميد بن ثور الهلالى ديوانه: 35، و معانى القرآن للفراء 1: 230، و اللسان (تسع)، (فرق)، (حبل) و رواية الديوان:
فجئت بحبليها فردت مخافة الى النفس روعاء الجنان فروق
و رواية اللسان مختلفة ففى مادة (حبل) مثل التبيان و فى مادة (فرق):
رأتنى مجليها فصدت مخافة و فى الخيل روعاء الفؤاد فروق
و فى مادة (نسع):
رأتنى بنسعيها فردت مخافتى الى الصدر روعاء الفؤاد فروق
(2) هو أبو الطمحان القينى، حنظلة بن الشرقى من بنى كنانة بن القين و هو أحد المعمرين. و قيل انه لعدى بن زيد. و قيل للمسحاج بن سباع الضبى.
(3) كتاب المعمرين: 57 و معانى القرآن للفراء 1: 230، و الاغانى طبعة دار الثقافة- بيروت- 2: 313، 31، و طبعة ليدن 12: 347 و حماسة البحترى: 202 و امالى القالى 1: 110 و أمالى الشريف المرتضى 1: 46، 257 و اللسان (ختل) و غيرها كثير.
(4) سورة النساء آية: 91.
(5) سورة الواقعة آية: 25. و كان فى المطبوعة (لا يسمعون فيها لغواً الا قيلا سلاماً) و الآيات التى يحتمل أن يستشهد بها الشيخ اثنتان الاولى هى التى أثبتناها، و الثانية فى سورة مريم آية: 62 و هى (لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلَّا سَلاماً). و لا يوجد فى القرآن آية مطابقة لما فى المطبوعة الا بزيادة أو نقيصة.

و كل انقطاع فيه فإنما هو لازالة الإيهام الذى فيه يلحق الكلام فقوله: «لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً» قد يتوهم أنه من حيث لا يسمعون فيها كلاماً، فقيل لذلك (إلا قيلا سلاما) و كذلك «وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً» قد يتوهم أنه لا يقتل مؤمن مؤمناً على وجه، فقيل لذلك (إلا خطأ). و كذلك «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ» قد يتوهم أنه من غير جواز موادعة، فقيل إلا بحبل من اللّه.
الثانى- أن الاستثناء متصل، لأن عز المسلمين عز لهم بالذمة، و هذا لا يخرجه من الذلة فى أنفسهم. و قوله: «وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» أى رجعوا بغضب اللّه الذى هو عقابه و لعنه. و قوله: «وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ» قِيل

أريد بالمسكنة الذلة لأن المسكين لا يكون إلا ذليلاَ فسمىَ الذليل مسكيناَ. و قيل، لأن اليهود أبداً يتفاقرون و ان كانوا أغنياء لما رماهم اللّه به من الذلة.
و قد بينا فيما تقدم أن قوله:
«وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ» «1» لا يدل على أن قتلهم يكون بحق و إنما المراد أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق، كما قال «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ» و المراد ان ذلک لا يكون إلا بغير برهان و كقول امرئ القيس:
على لا حب لا يهتدى بمناره «2»
و معناه لا منار هناک فيهتدى به و قوله: «يعتدون» قد بينا فيما تقدم معنى الاعتداء و هو أن معناه تجاوز الحد مأخوذ من العدوان.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 113] ..... ص : 562

اشارة

لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ (113)
آية.

_____

(1) سورة آل عمران آية: 21 و سورة البقرة آية: 61 و لكن هناک فى الآيتين (النبيين) و فى هذه الآية (الأنبياء).
(2) انظر 2: 356.

قال ابن عباس، و قتادة، و ابن جريج سبب نزول هذه الآية أنه لما أسلم عبد اللّه بن سلام و جماعة معه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد إلا أشرارنا، فأنزل اللّه تعالى «لَيْسُوا سَواءً» إلى قوله: «وَ أُولئِکَ مِنَ الصَّالِحِينَ».

فان قيل لم ذكر مع سواء أحد الفريقين دون الآخر، و لا يجوز مثله أن يقول سواء على قيامک حتى يقول أم قعودک قلنا عنه جوابان:
أحدهما- أنه محذوف لدلالة ما تقدم من الكلام عليه، كما قال أبو ذؤيب:
عصانى إليها القلب إنى لأمرها مطيع فما أدرى أرشد طلابها؟
و لم يقل أم غى، لأن الكلام يدل عليه، لأنه كان يهواها فما يبالى أرشد أم غى طلابها. و قال آخر:
أراک فلا أدرى أهم هممته و ذو الهم قدماً خاشع متضائل
و لم يقل أم غيره، لأن حاله فى التغير ينبئ أن الهم غيره أم غيره مما يجرى مجراه، و هذا قول الفراء، و ضعفه الزجاج، و قال، ليس بنا حاجة إلى تقدير محذوف، لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى فى قوله: «يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ» فتبين أن فيهم غير المؤمنين، فلا يحتاج أن يقدر و أمة غير قائمة.
الثانى- أن يكون ليسوا سواء منهم الجواد، و الشجاع، فعلى القول الأول يكون رفع أمة على معنى الفعل، و تقديره لا يستوى أمة هادية و أمة ضالة. و على القول الثانى يكون رفعها بالابتداء. و قال الطبرى لا يجوز الاقتصار فى سواء على أحد الذكرين دون الآخر. و إنما يجوز فى ما أدرى و ما أبالى. قال الرمانى: و هذا غلط، لأنه ذهب عليه الفرق بين الاقتصار و الحذف لأن الحذف لا بد فيه من خلف يقوم مقامه. و الاقتصار ليس كذلک، لأنه كالاقتصار على أحد المفعولين التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 564
فى أعطيت، و حذفه فى حسبت مرتجلا أى لنا. و الخلف فيه دلالة الحال، فأما أعطيت زيداً، فلا محذوف فيه، لأنه ليس معه خلف يقوم مقامه.
و قوله: «قائمة» فيه أربعة أقوال: قال الحسن و ابن جريج معناه عادلة.
و قال ابن عباس، و قتادة، و الربيع: معناه ثابتة على أمر اللّه. و قال السدى معناه قائمة بطاعة اللّه و قال الأخفش، و الزجاج: معناه ذو أمة مستقيمة، و هذا ضعيف لأنه عدول عن الظاهر فى أمة و الحذف لا دلالة عليه. و قوله: «أناء الليل» قيل فى واحده قولان:
أحدهما- أنى مثل نجى.
و الثانى- انى مثل معى. و حكى الأخفش أنو، و الجمع أناء. قال الشاعر:
حلو و مر كعطف القدح مرته بكل انى حداه الليل ينتعل «1»
و روى ينتشر. و قال الحسن، و الربيع، و عبد اللّه بن كثير معناه ساعات الليل. و قال ابن مسعود يريد صلاة العتمة، لأن أهل الكتاب لا يعلمونها، و قال الثورى عن منصور هو الصلاة بين المغرب و العشاء. و قال السدى يعنى جوف الليل. و قوله: «وَ هُمْ يَسْجُدُونَ» فيه قولان:

أحدهما- السجود المعروف فى الصلاة.
الثانى- قال الفراء، و الزجاج معناه يصلون. و به قال البلخى، و غيره، لأن القراءة لا تكون فى السجود، و لا فى الركوع، و هذا ترک للظاهر، و عدول عنه.
و معنى الآية يتلون آيات اللَّه أناء الليل و هم مع ذلک يسجدون، فليست الواو حالا و إنما هى عطف جملة على جملة، و الضمير فى قوله (ليسوا) عائد على أهل الكتاب، لتقدم ذكرهم، و قال أبو عبيدة هو على لغة أكلونى البراغيث، و مثله قوله:

_____

(1) قائله المنخل الهذلى و قد نسبه بعضهم الى المنخل السعدى.
ديوان الهذليين 2: 35 و مجاز القرآن 1: 102 و سيرة بن هشام 2: 206 و رواية اللسان (انى) و الازهرى عن ابن الانبارى:
السالک الثغر مخشياً موارده بكل انى قضاه الليل ينتعل
و فى الديوان (حذاه) بدل (حداه) فقط.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 565
«عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ» «1» و قال الشاعر:
رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى فاعرضن عنى بالخدود النواضر «2»
قال الرمانى، و هذا غلط، لأن هذه اللغة ردية فى القياس و الاستعمال أما القياس، فلان الجمع عارض، و العارض لا يؤكد علامته، لأنه بمنزلة ما لا يعتد به، فى سائر أبواب العربية و ليس كالثابت للزومه فتقدم له العلامة لتؤذن به قبل ذكره و مع ذلک فجائز تركها فيه، فكيف بالعارض، و لزوم الفعل للفاعل يغنى عن التثنية و الجمع فيه، فلا يدخل جمع على جمع كما لا يدخل تعريف على تعريف. و أما الاستعمال، فلان أكثر العرب على خلافه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 114] ..... ص : 565

اشارة

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسارِعُونَ فِى الْخَيْراتِ وَ أُولَئِکَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114)
آية واحدة.

هذه الآية فيها صفة الذين ذكرهم فى الآية التى قبلها فى قوله: «أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ» فأضاف إلى ذلک أنهم مع ذلک يصدقون باللّه و اليوم الآخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، و قد بينا أن الامر بالمعروف و النهى عن المنكر واجبان، و أنه ليس طريق وجوبهما العقل، و إنما طريق وجوبهما السمع، و عليه إجماع الأمة. و إنما الواجب بالعقل كراهة المنكر، فقط غير أنه إذا ثبت بالسمع وجوبه، فعلينا إزالة المنكر بما يقدر عليه من الأمور الحسنة دون القبيحة، لأنه لا يجوز إزالة قبيح بقبيح آخر، و ليس لنا أن نترک أحداً

---

(1) سورة المائدة آية: 74.
(2) شرح ابن عقيل على ألفية بن مالک 1: 399 و غيرها من كتب النحو كثير.

يعمل بالمعاصى إذا أمكننا منعه منها سواء كانت المعصية من أفعال القلوب مثل اظهار المذاهب الفاسدة أو من أفعال الجوارح، ثم ننظر، فان أمكننا إزالته بالقول، فلا نزيد عليه، و ان لم يمكن إلا بالمنع من غير إضرار لم نزد عليه، فان لم يتم إلا بالدفع بالحرب، فعلناه على ما بيناه فيما تقدم، و ان كان عند أكثر أصحابنا هذا الجنس موقوف على السلطان أو اذنه فى ذلک. و انكار المذاهب الفاسدة، لا يكون إلا باقامة الحجج و البراهين و الدعاء إلى الحق، و كذلک إنكار أهل الذمة فأما الإنكار باليد، فمقصور على من يفعل شيئاً من معاصى الجوارح، أو يكون باغياً على إمام الحق، فانه يجب علينا قتاله و دفعه حتى يفىء إلى الحق، و سبيلهم سبيل أهل الحرب، فان الإنكار عليهم باليد و القتال حتى يرجعوا إلى الإسلام أو يدخلوا فى الذمة. و قوله: «وَ يُسارِعُونَ فِى الْخَيْراتِ» يحتمل أمرين:
أحدهما- أنهم يبادرون إليها خوف الفوات بالموت.
و الثانى- يعملونها غير متثاقلين فيها لعلمهم بجلالة موقعها، و حسن عاقبتها.

و الفرق بين السرعة و العجلة ان السرعة هى التقدم فيما يجوز أن يتقدم فيه و هى محمودة و ضدها الإبطاء و هو مذموم. و العجلة هى التقدم فيما لا ينبغى أن يتقدم فيه و هى مذمومة و ضدها الاناة و هى محمودة.

اشارة

وَ ما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115)
آية بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر بالياء فيهما. الباقون بالتاء إلا أبا عمرو، فانه التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 567
كان يخير، و وجه القراءة بالياء أن يكون كناية عمن تقدم ذكره من أهل الكتاب ليكون الكلام على طريقة واحدة، و وجه التاء أن يخلطهم بغيرهم من المكلفين، و يكون خطاباً للجميع فى أن حكمهم واحد.
و إنما جوزى ب (ما) و لم يجاز ب (كيف) لأن (ما) أمكن من (كيف) لأنها تكون معرفة و نكرة، لأنها للجنس و (كيف) لا تكون إلا نكرة، لأنها للحال، و الحال لا تكون إلا نكرة، لأنها للفائدة.

و قوله: «فَلَنْ يُكْفَرُوهُ» مجاز كما أن الصفة للَّه بأنه شاكر مجاز. و حقيقته أنه يثيب على الطاعة ثواب الشاكر على النعمة، فلما استعير للثواب الشكر و استعير لنقيضه من منع الثواب الكفر، لأن الشكر فى الأصل هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم، و الكفر ستر النعمة من المنعم عليه بتضييع حقها. و معنى الآية فلن يمنعوا ثوابه، و سمى منع الجزاء كفراً، لأنه بمنزلة الجحد له بستره، لأن أصل الكفر الستر، و لذلک قيل لجاحد نعم اللَّه و من جرى مجراه فى الامتناع من القيام بحقها: كافر، فالكافر هو المضيع لحق نعمة اللَّه بما يجرى مجرى الجحود.
و قوله: «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ» إنما خص المتقين بالذكر، لأن الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين، فدل على أنه لا يضيع شىء من عملهم، لأن المجازى به عليم، و أنهم أمرهم أمر الفجار تعويلا على ما ذكره فى غيرها من أى الوعيد.

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ أُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (116)

لما ذكر تعالى أن عمل المتقين لن يضيع، و أنهم يجازون به، استأنف حكم التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 568
الكافرين، و بين انه «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ» شيئاً من اللَّه و إنما خص الأموال، و الأولاد بالذكر فى أنهم لا يغنون عن الكافر شيئاً و إن كان لا يغنى عنهم غير هؤلاء أيضاً شيئا، لأنهما معتمد ما يقع به الاعتداد، و مما يعول عليه الإنسان و يرجوه للشدائد و يفيد النفى العام، لأنه إذا لم يغن عنه من هو حقيق بالغناء لمنع من لا يعجزه شىء فغناء من دونه أبعد.

و قوله: «وَ أُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ» إنما سموا أصحاب النار، للزومهم فيها كما يقال هؤلاء أصحاب الصحراء إذا كانوا ملازمين لها، و قد يقال أصحاب العقار بمعنى ملاكه و أصحاب الرجل أتباعه و أعوانه و أصحاب العالم من يعنى به الآخذون عنه، و المتعلمون عنه، فالاضافة مختلفة. و معنى «لَنْ تُغْنِیَ عَنْهُمْ» أى لن تدفع عنهم ضرر الولاء النازل بهم و لو قيل أغناه كذا عن كذا أفاد أن أحد الشيئين صار بدلا من الآخر فى نفى الحاجة، و الغنى الاختصاص بما ينفى الحاجة، فان اختص بمال ينفى الحاجة، فذلک غنى. و كذلک الغنى بالجاه و الاصحاب و غير ذلک، فأما الغنى فى صفت اللّه فاختصاصه بكونه قادراً على وجه لا يعجزه شىء، و قولنا فيه: أنه غنى معناه أنه لا يجوز عليه الحاجة.
و أصل النار النور، و هو مصدر. و النار جنس تجرى مجرى الوصف فى تضمنه معنى الأصل و زيادة عليه، لأنها جسم لطيف فيه حرارة و نور. و منه امرأة نوار أى نافرة عن الشر عفيفة، لأنها كالنار فى الامتناع. و منه المنار الاعلام، لأنها كالنور فى البيان. و منه المنارة التى يسرج عليها.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 117] ..... ص : 568

اشارة

مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَ ما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (117)
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 569
آية.

قيل ان هذه الآية نزلت فى أبى سفيان، و أصحابه يوم بدر، لما تظاهروا على النبى (ص) فى الإنفاق. و قيل بل نزلت فى نفقة المنافقين مع المؤمنين فى حروب المشركين على وجه النفاق للمؤمنين.

و المثل الشبه الذى يصير كالعلم لكثرة استعماله فيما مشبه به، فلما كان إنفاق المنافق و الكافر ضائعاً، و يستحق عليه العقاب و الذم أشبه الحرث المهلک، فلذلک ضرب به المثل. و فى الآية حذف، و تقديرها مثل إهلاک ما ينفقون كمثل إهلاكِ ريحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ»
فحذف الإهلاک لدلالة آخر الكلام عليه و فيه تقدير آخر: مثل ما ينفقون كمثل مهلک ريح، فيكون تشبيه ذلک الإنفاق بالمهلک من الحرث بالرياح.

و الريح جمعه رياح و منه الروح، لدخول الريح الطيبة على النفس، و كذلک الارتياح. و التروح الراحة من التعب، لأنه بمنزلة الروح الذى يدخل على النفس بزوال التعب. و منه الاستراحة، و المراوحة، لأنها تجلب الريح. و منه الروح، لأنها كالريح فى اللطافة و منه الرائحة، لأن الريح تحملها إلى الحس، و منه الرواح، لأنه رجوع كالريح، للاستراحة.
و قوله: «فيها صر» قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و الربيع، و السدى، و ابن زيد، و الضحاک: هو البرد و أصله الصوت من الصرير. قال الزجاج: الصر صوت لهب النار التى كانت فى تلک الريح و يجوز أن يكون الصر صوت الريح الباردة التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 570
الشديدة، و ذلک من صفات الشمال، فإنها توصف بان لها قعقعة.

و قولهَ: ما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ» نفى للظلم عن اللّه تعالى يعنى فى نفى استحقاقهم للثواب، و استحقاقهم للعقاب، و إن ذلک ليس بظلم منه تعالىَ لكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بذلک. و إنما وصفهم بأنهم ظلموا أنفسهم، لأمرين:
أحدهما- أن ظلمهم اقتضى هلاک حرثهم عقوبة لهم، لأنه لو هلک على جهة الابتلاء و المحنة لم يعتد بعاجل المضرة، للعوض الموفى عليه فى العاقبة.
الثانى- أن يكونوا ظلموا أنفسهم بأن زرعوا فى غير موضع الزرع أو فى غير وقت الزراعة، فجاءت الريح فأهلكته تأديباً من اللّه لهم فى وضع الشىء غير موضعه الذى هو حقه.

و قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 118] ..... ص : 570

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وَ ما تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (118)
آية بلا خلاف.

ذكر ابن عباس، و الحسن: أن قوماً من المؤمنين خافوا بعض المشركين من اليهود، و المنافقين المودة لما كان بينهم فى الجاهلية فنهاهم اللّه تعالى عن ذلک بهذه الآية. و البطانة معناها هاهنا خاصة الرجل الذين يستبطنون أمره و يسمون دخلاء أى لا تجعلوا من هذه صفته من غير المؤمنين.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 571

و البطن خلاف الظهر، فمنه بطانة الثوب خلاف ظهارته، لأنها تلى بطنه.
و بطانة الرجل خاصته، لأنها بمنزلة ما يلى بطنه من ثيابه فى القرب منه، و منه البطنة و هو امتلاء البطن بالطعام. و البطان حزام البعير، لأنه يلى بطنه.
و قوله «من دونكم» (من) تحتمل وجهين:
أحدهما- أن تكون دخلت للتبعيض، و التقدير لا تتخذوا بعض المخالفين فى الدين بطانة.
و الثانى- أن يكون دخولها لتبين الصفة كأنه قيل: لا تتخذوا بطانة من المشركين. و هو أعم و أولى، لأنه لا يجوز أن يتخذ مؤمن كافراً بطانة على حال و قال بعضهم إن (من) زائدة، و هذا ليس بجيد، لأنه لا يجوز أن يحكم بالزيادة مع صحة حملها على الفائدة.
و قوله: «لا يَأْلُونَكُمْ خَبالًا» معناه لا يقصرون فى أمركم خبالا من قولهم ما ألوت فى الحاجة جهداً، و لا أألو الامر ألوا أى لا أقصر جهداً. و قال الشاعر:
جهراء لا تألو إذا هى أظهرت بصراً و لا من عيلة تغنينى «1»
أى لا تقصر بصراً و لا تبصر، لأنها جهراء تطلب ذلك، فلا تجده.
و منه الالية اليمين. و منه قوله: «وَ لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ» «2» معناه لا يقصر، و قيل لا يحلف. و الأصل التقصير و الخبال معناه النكال. و أصله الفساد يقال فى قوائمه خبل، و خبال أى فساد من جهة الاضطراب. و منه الخبل الجنون، لأنه فساد العقل، و رجل مخبل الرأى أى فاسد الرأى. و منه الاستخبال طلب إعادة المال لفساد الزمان.

---

(1) قائله أبو العيال الهذلى. ديوان الهذليين 2: 263، و اللسان (أ لا) و (جهر) و هو من شعر فى مقرضات بينه و بين بدر بن عامر الهذلى الجهراء: هى التى لا تبصر فى الشمس.
(2) سورة النور آية: 22. [.....]

و قوله:«ودوا» معناه أحبوا «ما عنتم» معناه إدخال المشقة عليكم.
و قال السدى: معناه «ودوا» ضلالكم عن دينكم، لأن الحمل بالضلال مشقة.
و قيل معناه «ودوا» أن يفتنوكم فى دينكم أى يحملونكم على المشقة ذكره ابن جريج.

و أصل العنت المشقة: عنت الرجل عنتاً إذا دخلت عليه المشقة. و منه أكمة عنوت أى صعبة المسلک لمشقة السلوک فيها. و فلان يعنت فلاناً أى يحمله على المشقة الشديدة فى ما يطالبه به. و منه قوله تعالى: «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ» «1».

و موضع ودوا يحتمل أن يكون نصباً لأنه صفة لبطانة و يجوز أن يكون له موضع من الاعراب، لأنه استئناف جملة. و قوله: «قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ» أى ظهر منها ما يدل على البغض «وَ ما تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ» يعنى العلامات «إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» يعنى موضع نفعه لكم و مبلغ عائدته عليكم. و قيل: معناه «إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» الفصل بين ما يستحقه الولى و العدو.

اشارة

ها أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَ لا يُحِبُّونَكُمْ وَ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ وَ إِذا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا وَ إِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (119)
آية بلا خلاف.

_____
(1) سورة البقرة آية: 220.

هذا خطاب للمؤمنين أعلمهم اللَّه تعالى أن منافقى أهل الكتاب لا يحبونهم و أنهم هم يصحبون هؤلاء المنافقين بالبر و النصيحة، كما يفعله المحب، و إن المنافقين على ضد ذلک، فأعلمهم اللَّه ما يسره المنافقون فى باطنهم، و ذلک من آيات النبى (ص) قال الفراء: العرب إذا جاءت إلى اسم مكنى قد وصف بهذا، و هذان، و هؤلاء، فرقوا بين (ها) و بين (ذا) فجعلوا المكنى منهما فى جهة التقريب، لا غير يقولون:
أين أنت، فيقول القائل: هأنذا، و لا يكادون يقولون ها أنا. و مثله فى التثنية و الجمع. و مثله قوله: «ها أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ» و ربما أعادوها فوصلوها بذا، و هذان و هؤلاء، فيقولون ها أنت هذا قائما، و ها أنتم هؤلاء. قال اللَّه تعالى: «ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ جادَلْتُمْ»
«1» فان كان الكلام على غير تقريب أو كان على خبر يكتفى كل واحد منهما بصاحبه بلا فعل، و التقريب لا بد فيه من فعل لنقصانه و أحبوا أن يفرقوا بين معنى التقريب، و بين معنى الاسم الصحيح، قال الازهرى: يحتمل أولا أن يكون منادى كأنه قال يا أولاء. و قال نحاة البصريين (ها) للتنبيه. و أنتم مبتدأ و أولاء خبره و يحبونهم حال. و قال الفراء: يحبونهم خبر. و قال الزجاج: يجوز أن يكون أولاء بمعنى الذين و يحبونهم صلة و يكون التقدير الذين يحبونهم. و يجوز أن يكون حالا بمعنى «ها أَنْتُمْ أُولاءِ» محبين لهم. و يكون «أنتم» مبتدأ و أولاء خبره. و يحبونهم حالا و المعنى انظروا إلى أنفسكم محبين لهم و لا يجوز أن تقول: ها قومک أولاء، كما جاز «ها أَنْتُمْ أُولاءِ»، لأن المضمر أحق ب (ها) التى للتنبيه، لأنه كالمبهم فى عموم ما يصلح له. و ليس كذلک الظاهر.
و قال الفراء: إنما ذاک على جهة التقريب فى المضمر، و الاعتماد على غيره فى الخبر. قال الحسن بن على المغربى أولاء يعنى به المنافقين، كما تقول ما أنت زيداً يحبه، و لا يحبک. و هذا مليح غير أنه يحتاج أن يقدر عامل فى أولاء ينصبه، يفسره قوله:

---

(1) سورة النساء آية: 108.

«يحبونهم» لأنه مشغول لا يعمل فيما قبله كقوله: «وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ» «1» فى من نصبه و أولاء للرجال، و للنساء أولات. و هو مبنى على الكسر. و كان الأصل السكون و الألف قبلها ساكنة فحرک لالتقاء الساكنين على أصل الكسرة. و قوله:
«وَ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ» الكتاب واحد فى موضع الجمع، لأنه أريد به

الجنس، كما يقال كثر الدرهم فى أيدى الناس و يحتمل أن يكون مصدراً من قولک كتبت كتاباً. و المراد بالكتاب هاهنا كتب اللّه التى أنزلها على أنبيائه و فى إفراده ضرب من الإيجاز، و اشعار بالتفصيل فى الاعتقاد، لأنهم يؤمنون بها فى الجملة. و التفصيل من حيث يؤمنون بما أنزل على ابراهيم، و موسى، و عيسى، و محمد (ص) و سائر الأنبياء. و قوله: «وَ إِذا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا» معناه إذا رأوكم قالوا صدقنا «و إذا خلوا» مع أنفسهم «عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ» فالعض بالأسنان. و منه العض علف الأمصار، لأن له مضغة فى العض يسمن عليها المال. و منه رجل عض: لزاز الخصم، لأنه يعض بالخصومة. و كذلک رجل عض فحاش، لأنه يعض بالفحش و الأنامل أطراف الأصابع فى قول قتادة، و الربيع، و أصلها النمل المعروف، فهو مشبه به فى الرقة، و التصرف بالحركة. و منه رجل نمل أى نمام، لأنه ينقل الأحاديث الكرهة كنقل النملة فى الخفاء و الكثرة. و واحد الأنامل أنملة. قال الزجاج و لم يأت على هذا المثال ما يعنى به الواحد إلا شذ، فأما الجمع، فكثير نحو أفلس و أكعب و قوله: «قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ» معناه الامر بالدعاء عليهم. و إن كان لفظه لفظ الأمر، كأنه قال قل: أماتكم اللّه بغيظكم و فيه معنى الذم لهم، لأنه لا يجوز أن يدعا عليهم هذا الدعاء إلا و قد استحقوه بقبيح ما أتوه.

إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)

---

(1) سورة يس آية: 39.

آية بلا خلاف.

قرأ عمرو، و نافع، و ابن كثير «لا يضركم» خفيفة. الباقون مشددة الراء. و هما لغتان ضاره يضيره، و ضره يضره ضراً بمعنى واحد. قوله: «إِنْ تَمْسَسْكُمْ» حسنة فالمراد بالحسنة هاهنا ما أنعم اللّه عليهم به من الألفة و الغلبة باجتماع الكلمة، و المراد بالسيئة المحنة باصابة العدو منهم لاختلاف الكلمة، و ما يؤدى إليه من الفرقة هذا قول الحسن، و قتادة و الربيع و ابن جريج.

و قوله: «وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا» يعنى تتقوا اللّه بامتناع معاصيه، و فعل طاعاته «لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ» فالكيد المكر الذى يغتال به صاحبه من جهة حيلة عليه ليقع فى مكروه به، و أصله المشقة تقول: رأيت فلاناً يكيد بنفسه أى يقاسى المشقة فى سياق المنية، و منه المكايدة لا يراد ما فيه المشقة. و المكيدة الحيلة لايقاع ما فيه المشقة. و قوله: «لا يضركم» مبنى على الضم نحو مذ و لو فتح أو كسر لكان جائزاً فى العربية و زعم بعضهم أنه رفع على حذف الفاء بتقدير، فلا يضركم و أنشد:

فان كان لا يرضيک حتى تردنى الى قطرى لا أخالک راضيا «1»

و هذا ضعيف، لأن الحذف إنما يجوز، لضرورة الشعر و القرآن لا يحمل على ضرورة الشعر. و قوله: «إِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ» معناه عالم به من جميع جهاته مقتدر عليه.

اشارة

وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِکَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِینَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (121) آیة.

_____

(1) قائله سوار بن المضرب السعدی التمیمی. نوادر أبی زید: 54، و معانی القرآن للفراء 1: 232، و حماسة ابن الشجری: 54، 55.

قال ابن عباس، و قتادة و الربيع، و السدى، و ابن اسحق، و هو قول أبى جعفر (ع): كان غدو النبى (ص) مبوئاً للمؤمنين يوم أحد ، و قال الحسن و مجاهد: كان يوم الأحزاب.
النبوءة اتخاذ المواضع لصاحبه و أصلها اتخاذ منزل تسكنه، تقول بوأته منزله أبوئه تبوئة، و منه المباءات المراح، لأنه رجوع إلى المستقر المتخذ و أبأت الإبل أبيئها اباءة إذا رددتها إلى المباءة. و منه بوأت بالذنب أى رجعت به محتملا له.
و قوله: «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها أنه تهدد و المراد «سميع» لما يقول المنافقون «عليم» بما يضمرون.
الثانى- «سميع» لما يقوله النبى (ص) للمؤمنين «عليم» بما يضمره تزكية له (ص).
الثالث- «سميع» ما يقوله المشيرون عليک «عليم» بما يضمرونه، لأنهم اختلفوا، فمنهم من أشار بالخروج، و منهم من أشار بالمقام. و فيه تزكية للزاكى و تهدد للغاوى. و معنى «تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ» مثل تبوئ للمؤمنين حذف اللام، كما قال «ردف لكم» «1» و يجوز ردفكم، فإذا عداه، فمعناه رتب المؤمنين على مواضعهم قدمة. و إذا لم يتعد فمعناه تتخذ لهم مواضع. و مثله قول الشاعر:
استغفر اللَّه ذنباً لست محصيه رب العباد إليه الوجه و العمل «2»
و معناه من ذنب، و العامل فى (إذ) محذوف، و تقديره و اذكر إذ غدوت من أهلک فحذف لدلالة الكلام عليه و لا يجوز أن يكون العامل غدوت، لأنه مضاف إليه بمنزلة الصلة له.

---

(1) سورة النمل آية: 72.
(2) معانى القرآن للفراء 1: 233 و سيبويه 1: 17 و الخزانة 1: 486 و هو من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف قائلها.

إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَ اللَّهُ وَلِيُّهُما وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (122)
آية.
التقدير و اذكر «إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا» و قال الزجاج العامل فى (إذ) «هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا» و المعنى كانت التبوئة فى ذلک الوقت.
و الطائفتان:
هما بنو سلمة و بنو حارثة حيان من الأنصار فى قول ابن عباس، و جابر بن عبد اللّه، و الحسن و قتادة، و مجاهد، و الربيع، و السدى، و ابن إسحاق، و ابن زيد، و أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع).
و قال الجبائى: هما قوم من المهاجرين، و الأنصار.
و الفشل الجبن فى قول ابن عباس تقول فشل يفشل فشلا. و الجبن ليس من فعل الإنسان و تحقيقه على هذا همت بحال الفشل إلا أنه وضع كلام موضع كلام. و ليس فى الآية أن همهما بالفشل كان معصية، لأنه قد يكون من غير عزم على حال الفشل بل بحديث النفس به، و من قال كان معصية قال هى صغيرة، لقوله (وَ اللَّهُ وَلِيُّهُما) و روى عن جابر بن عبد اللّه أنه قال فينا نزلت و ما أحب أنها لم تكن، لقوله:
«وَ اللَّهُ وَلِيُّهُما» و كان سبب همهم بالفشل فى قول السدى، و ابن جريج أن عبد اللّه ابن أبى بن سلول دعاهما إلى الرجوع إلى المدينة عن لقاء المشركين يوم أحد فهما به و لم يفعلاه. و قال أبو على: بل كان ذلک باختلافهم فى الخروج إلى العدو أو المقام حتى هموا بالفشل. و التاء مدغمة فى الطاء فى قوله: (إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ) لأنها من مخرجها فصارت بمنزلتها مع مثلها نحو همت تفعل و مثله «وَ قالَتْ طائِفَةٌ» «1» و يجوز أيضاً إدغام الطاء فى التاء إلا أنک تبقى الاطباق نحو «أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ» «2» و الأول أحسن.

---

(1) سورة الأحزاب آية: 13.
(2) سورة النمل آية: 22.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 123] ..... ص : 578

اشارة

وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123) آية.

هذه الآية نزلت فى وصف ما من اللَّه تعالى على المؤمنين من النصر و الامداد بالملائكة و ظفر المؤمنين بالمشركين مع قلة المؤمنين و قوة المشركين. فانه روى عن ابن عباس (ره) أنه قال كان المهاجرون يوم بدر سبعة و سبعين رجلا و الأنصار مائتين و ستة و ثلاثين رجلا الجميع ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا. و كان المشركون نحواً من ألف رجل.
و بدر ما بين مكة و المدينة و قال الشعبى سمى بدراً لأن هناک ماء لرجل يسمى بدراً، فسمى الموضع باسم صاحبه. و قال الواقدى عن شيوخه إنما هو اسم للموضع كما يسمى كل بلد باسم يخصه من غير أن ينقل إليه اسم صاحبه.
و قوله: «وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ» جملة فى موضع الحال. و الذلة الضعف عن المقاومة، و ضدها العزة، و هى القوة على الغلبة، و يقال للجمل المنقاد من غير صعوبة: ذلول لانقياده انقياد الضعيف، فأما الذليل فإنما ينقاد على مشقة. و منه تذليل الطريق، و نحوه، و هو توطئة الأصل. و فيه الضعف عن المقاومة. و قوله: «أذلة» جمع ذليل و فعيل قياسه أن يجمع على فعلاء إذا كان صفة، مثل ظريف و ظرفاء، و كريم و كرماء، و عليم و علماء، و شريک و شركاء، فجمع على أفعلة كراهية التضعيف، فعدل إلى جمع الأسماء نحو قفيز و أقفزة، فقيل ذليل و أذلة و عزيز و أعزة.

و وصفهم اللَّه بأنهم أذلة لأنهم كانوا ضعفاء قليلى العدد قليلى العدة. و روى عن بعض السلف الصالح أنه قرأ «و أنتم ضعفاء» قال و لا يجوز وصفهم بأنهم أذلة، التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 579
و فيهم رسول اللَّه (ص).
و كان صاحب راية رسول اللَّه (ص) يوم بدر أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع). و صاحب راية الأنصار سعد بن عبادة. و قوله: «فَاتَّقُوا اللَّهَ» معناه اتقوا معاصيه و اعملوا بطاعته. و يجوز أن يكون المراد اتقوا عقاب اللَّه بترك المعاصى، و العمل بطاعته، لأن أصل الاتقاء هو الحجز بين الشيئين بما يمنع من وصول أحدهما إلى الآخر كما تقول اتقاه بالترس أو غيره، و وجه إدخال هذه الآية و هى متعلقة بقصة بدر بين قصة أحد أن اللّه تعالى وعد المؤمنين النصر يوم أحد إن صبروا و ثبتوا أن يمدهم بالملائكة كما نصرهم يوم بدر، و أمدهم بالملائكة فلما لم يصبروا و تركوا مراكزهم أصاب العدو منهم ما هو معروف.

اشارة

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ (124)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن عامر وحده منزلين بتشديد الزاى الباقون بالتخفيف. التقدير اذكروا «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ» و فيه إخبار
أن النبى (ص) قال لقومه: أ لن يكفيكم يوم بدر بأن أمدكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، ثم قال «بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» يعنى يوم أحد.
و قال ابن عباس، و الحسن و قتادة، و مالک بن ربيعة و غيرهم: ان الامداد بالملائكة كان يوم بدر. و قال ابن عباس لم يقاتل الملائكة (ع) إلا يوم بدر، و كانوا فى غيره من الأيام عدة و مدداً.
و قال الحسن: كان جميعهم خمسة آلاف. و قال غيره: كانوا ثمانية آلاف.

و قوله: «أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ» فالكفاية مقدار يسد به الخلة تقول: كفاه يكفيه كفاية، فهو كاف: إذا قام بالأمر، و استكفيته أمراً فكفانى، و اكتفى به اكتفاء. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 580
و كفاك هذا الأمر أى حسبك. و الفرق بين الاكتفاء و الاستغناء، أن الاكتفاء هو الاقتصار على ما ينفى الحاجة و الاستغناء الاتساع فيما ينفى الحاجة، فلذلک يوصف تعالى بأنه غنى بنفسه لاتساع مقدوره من حيث كان قادراً لنفسه لا يعجزه شىء.
و قوله: «أن يمدكم» فالامداد هو إعطاء الشىء حالا بعد حال. و المعنى فى الآية ان اللّه أعطاهم القوة فى أنفسهم ثم زادهم قوة بالملائكة و المد فى السير هو الاستمرار عليه. و امتد بهم السير: إذا طال، و استمر، و مددت الشىء إذا جذبته. و المد زيادة الماء تقول: مد الماء و أمد الجرح و أمددت العسكر. و المادة زيادة مستمرة، و المدة أوقات مستمرة إلى غاية. و المداد ما يكتب به. و المد مكيال مقداره ربع الصاع.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 125] ..... ص : 580

اشارة

بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125)
آية.

قرأ ابن كثير، و أبو عمرو، و عاصم «مسومين» بكسر الواو. الباقون بفتحها. و القراءة بالكسر أقوى، لأن الأخبار وردت بأنهم سوموا خيلهم بعلامة جعلوها عليها. و قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الضحاک: كانوا علموا بالصوف فى نواصى الخيل و أذنابها. و روى هشام عن عروة قال: نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بُلق و عليهم عمائم صفر. قال السدى، و غيره من أهل التأويل: معنى «مسومين» معلمين.

و من قرأ بالفتح أراد معنى مرسلين من الإبل السائمة يعنى المرسلة فى المرعى التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 581
و السيما العلامة قال اللّه تعالى «سِيماهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ» «1» فالتسويم العلامة قال الشاعر:
مسومين بسيما النار أنفسهم لا مهتدين و لا بالحق راضينا
و أصل الباب السوم فى المرعى، و هو الاستمرار فيه فمنه السيماء، لأنهم كانوا يعلمونها: إذا أرسلت فى المرعى لئلا تختلط، و منه السوم فى البيع، و منه سوم الريح استمرارها فى هبوبها. و منه سوم الخسف، لأنه استمرار فى إلزام الشر.
و قوله: «من فورهم» قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و الربيع، و السدى و ابن زيد: معناه من وجههم. و قال مجاهد و الضحاك و أبو صالح من غضبهم، فعلى القول الأول إنما هو فور الانتداب لهم، و هو ابتداؤه، و على القول الثانى فور الغضب، و هو غليانه.
و أصل الفور فور القدر، و هو غليانها عند شدة الحمى، فمنه فورة الغضب، لأنه كفور القدر بالحمى، و منه جاء فلان على الفور أى على أشد الحمى، لفعله قبل أن تبرد نفسه. و منه فارت العين بالماء أى جاشت به و منه الفوارة، لأنها تفور بالماء كما تفور القدر بما فيها. فان قيل: كيف قال فى الآية الأولى ان الامداد بثلاثة آلاف، و فى هذه بخمسة آلاف. و هذا ظاهر التناقض؟! قلنا: لا تناقض فى ذلک لأن فى الآية الأولى وعد اللّه المؤمنين على لسان نبيه بأن يمدهم بثلاثة آلاف منزلين ثم قال «بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا» يعنى تصبروا على الجهاد، و القتال، و تتقوا معاصى اللّه «وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ» و هذا يعنى ان رجعوا إليكم، لأن الكفار فى غزاة أحد بعد انصرافهم ندموا لمَ لم يعبروا على المدينة و هموا بالرجوع، فأوحى اللّه تعالى إلى نبيه أن يأمر أصحابه بالتهيؤ للرجوع إليهم. و قال لهم «إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ» «2» ثم قال إن صبرتم على الجهاد و راجعتم الكفار، أمدكم اللّه بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، فأخذوا فى

---

(1) سورة الفتح آية: 29.
(2) سورة آل عمران آية: 140.
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 582
الجهاز فبلغ ذلک قريشاً فخافوهم أن يكون قد التأم اليهم من كان تأخر عنهم و انضم إليهم غيرهم، فدسوا نعيم بن مسعود الاشجعى حتى قصدهم

بتعظيم أمر قريش و اسرعوا. و القصة معروفة و لذلک قال قوم من المفسرين: ان جميعهم ثمانية آلاف و قال الحسن جميعهم خمسة آلاف منهم الثلاثة آلاف المنزلين على أن الظاهر يقتضى أن الامداد بثلاثة آلاف كان يوم بدر، لأن قوله: «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ» متعلق بقوله: «وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ» «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ» ثم استأنف حكم يوم أحد، فقال:
«بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ» يعنى رجعوا عليكم بعد انصرافهم أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين. و القصة فى ذلک معروفة على ما بيناه، و على هذا لا تنافى بينهما، و هذا قول البلخى رواه عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال: لم يمدوا يوم أحد و لا بملک واحد. فان قيل لمَ لم يمدوا بالملائكة فى سائر الحروب؟ قلنا: ذلک تابع للمصلحة فإذا علم اللّٰه المصلحة فى إمدادهم أمدهم.

وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرى لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126)
آية.
الهاء فى قوله: «وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ» عائدة على ذكر الأمداد و الوعد فيعود على معلوم بالدلالة عليه غير مذكور باسمه لأن بمدد يدل على الذكر للامداد و مثله «إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِناتُ الْجِيادُ فَقالَ إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ» «1» أى الشمس. و قال لبيد:
حتى إذا ألقت يداً فى كافر و أجن عورات الثغور ظلامها «2»
أى القت الشمس فرد الضمير إلى معلوم ليس بمذكور. و قال قوم: ان الضمير

---

(1) سورة ص آية: 32.
(2) دائرة المعارف لوجدى. و غيرها. الكافر: الليل و الاجنان: الستر و الثغر: موضع المخافة.

راجع إلى الامداد نفسه. و الاول أقوى لأن البشرى فى صفات الانزال و ذلک يليق بذكر الامداد. و الفرق بين قوله: «وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ» و قوله و اطمئنانا لقلوبكم، أن الوعد فى أحدهما اطمئنان، و فى الآخر سببه الاطمئنان، فهو أشد فى تحقيق الكلام من أجل دخول اللام. و قوله: «وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» معناه أن الحاجة لازمة فى المعونة و ان أمدهم بالملائكة فإنهم لا يستغنون عن معونته طرفة عين فى تقوية قلوبهم و خذلان عدوهم بضعف قلوبهم إلى غير ذلک من الأمور التى لا قوام لهم إلا بها و لا متكل لهم إلا عليها. فان قيل: كيف قال «وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» و قد ينصر المؤمنون بعضهم بعضاً و بعض المشركين بعضاً؟ قلنا: لأن نصر بعض المؤمنين بعضاً من عند اللّه لأنه بمعونته و حسن توفيقه، و أما نصر المشركين بعضهم، لبعض، فلا يعتد به، لأنه بخذلان اللّه من حيث أن عاقبته إلى شر مآل من العقاب الدائم. و قوله: «الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» معناه هاهنا العزيز فى انتقامه من الكفار بأيدى المؤمنين، الحكيم فى تدبيره للعالمين ليعلمهم بأن حربهم للمشركين يجرى على إعزاز الدين، و الحكمة فى تدبير المكلفين و معنى العزيز المنيع باقتداره.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 127] ..... ص : 583

اشارة

لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ (127) آية.

قوله: «لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» يحتمل أن يتصل بثلاثة أشياء:
أحدها- «وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ».
الثانى- بقوله و لقد نصركم اللَّه ببدر ليقطع طرفاً.
الثالث- ذلک التدبير ليقطع طرفاً. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 584
و اليوم الذى قطع فيه الطرف من الذين كفروا: هو يوم بدر بقتل صناديدهم و رؤسائهم و قادتهم إلى الكفر فى قول الحسن، و الربيع، و قتادة. و قال السدى:
هو يوم أحد قتل منهم ثمانية عشر رجلا. و إنما قال: «لِيَقْطَعَ طَرَفاً» منهم و لم يقل ليقطع وسطاً منهم، لأنه لا يوصل إلى الوسط منهم إلا بعد قطع الطرف و مثله «قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ» «1» و المراد بالآية ليقطع قطعة منهم.

و قوله: «أو يكبتهم» فالكبت الخزى. و معناه أو يخزيهم فى قول الربيع، و قتادة. و قال الخليل: الكبت صرع الشىء على وجهه كبتهم اللّه فانكبتوا.
و حقيقة الكبت شدة وهن يقع فى القلب فربما صرع الإنسان لوجهه للخور الذى يدخله. و قوله: «فينقلبوا» أى فيرجعوا «خائبين» الخائب المنقطع عما أمل، و لا تكون الخيبة إلا بعد الأمل، لأنها امتناع نيل ما أمل. و اليأس قد يكون قبل الأمل و يكون بعده. و اليأس و الرجاء نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبة و الظفر، يقال: خاب يخيب خيبة و خيبه اللّه تخييباً. و الخيبة حرمان المراد.

اشارة

لَيْسَ لَکَ مِنَ الْأَمْرِ شَیْءٌ أَوْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ أَوْ یُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ (128) آیة بلا خلاف.

روى عن أنس بن مالک و ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و الربيع: انه لما كان من المشركين يوم أحد من كسر رباعية النبى (ص) و شجه حتى جرت الدماء على وجهه، قال كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيهم، و هو مع ذلک حريص على

---

(1) سورة التوبة آية: 124.

دعائهم إلى ربهم، فنزلت هذه الآية، فأعلمه اللَّه أنه ليس إليه فلاحهم و أنه ليس إليه إلا أن يبلغ الرسالة و يجاهد حتى يظهر الدين. و كان الذى كسر رباعيته و شجه فى وجهه عتبة بن أبى وقاص، فدعا (ع) عليه الا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً، فمات كافراً قبل حول الحول. و قيل: انه هم بالدعاء عليهم، فنزلت الآية تسكيناً له، فكف عن ذلک. و قال أبو على الجبائى: انه استأذن ربه يوم أحد فى الدعاء عليهم، فنزلت الآية، فلم يدع عليهم بعذاب الاستئصال و إنما لم يؤذن فيه لما كان فى المعلوم من توبة بعضهم، و إنابته، فلم يجز أن يقتطعوا عن التوبة بعذاب الاستئصال. فان قيل كيف قال «لَيْسَ لَکَ مِنَ الْأَمْرِ شَىْءٌ» مع أن له أن يدعوهم إلى اللَّه و يؤدى إليهم ما أمره بتبليغه؟ قيل: لأن معناه ليس لک من الأمر شىء فى عقابهم أو استصلاحهم حتى تقع إنابتهم، فجاء الكلام على الإيجاز، لأن المعنى مفهوم لدلالة الحال عليه و أيضاً فانه لا يعتد بما له فى تدبيرهم مع تدبير اللَّه لهم، فكأنه قال ليس لک من الأمر شىء على وجه من الوجوه.

و قوله: «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- أو يلطف لهم بما يقع معه توبتهم، فيتوب عليهم بلطفه لهم.

و الآخر- أو يقبل توبتهم إذا تابوا، كما قال تعالى «غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ» «1» و لا تصح هذه الصفة إلا للَّه عز و جل، لأنه يملک الجزاء بالثواب، و العقاب. فان قيل: كيف قال «أو يعذبهم» مع ما فى المعلوم من أن بعضهم يؤمن؟ قيل: لأنهم يستحقون ذلک باجرامهم بمعنى أنه لو فعل بهم لم يكن ظلماً، و ان كان لا يجوز أن يقع لوجه آخر يجرى مجرى تبقيتهم لاستصلاح غيرهم. و قيل فى نصب «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» وجهان:

أحدهما- أنه بالعطف على «لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ» «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ» و يكون «لَيْسَ لَکَ مِنَ الْأَمْرِ شَىْءٌ» اعتراضاً بين المعطوف و المعطوف عليه كما تقول: ضربت زيداً فافهم ذاک و عمراً.

---

(1) سورة المؤمن آية: 3. [.....]

الثانى- أن تكون أو بمعنى إلا أن، كأنه قال: (ليس لک من الأمر شىء) إلا أن يتوب اللّه عليهم أو يعذبهم فيكون أمرک تابعاً لأمر اللّه برضاک بتدبيره فيه قال امرؤ القيس:
فقلت له: لا تبک عينک إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا «1»
أراد إلا أن نموت أو حتى نموت.

وَ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ یَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ (129)

آیة بلا خلاف.

عموم قوله: وَ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ یقتضی أن له تعالی ملک ما فی السماوات، و ما فی الأرض، و أن له التصرف فیهما کیف شاء بلا دافع، و لا مانع، غیر أنه لا بد من تخصیص هذا العموم من حیث أنه ینزه عن الصاحبة و الولد علی کل وجه. و أوجه ما قلناه. و انما ذکر لفظ (ما) لأنها أعم من (من) لأنها تتناول ما یعقل، و ما لا یعقل، لأنها تفید الجنس و لو قال من فی السماوات و من فی الأرض لم یدخل فیه إلا العقلاء إلا أن یحمل علی التغلیب و ذلک لیس بحقیقة. و قوله: «یَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ» دلیل علی أن حسن العفو عن مستحق العذاب، و ان لم یتب لأنه لم یشترط فیه التوبة. و قوله: «وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ» یعنی ممن یستحق العذاب، لأن من لا یستحق العذاب لا یشأ عذابه، لأنه ظلم یتعالی اللَّه عن ذلک و فی ذلک دلالة علی جواز العفو بلا توبة، لأنه علق عذابه بمشیئته، فدل علی أنه لو لم یشأ، لکان له ذلک، و لا یلزم علی ما قلناه الشک فی جواز غفران عقاب الکفار، لأن ذلک أخرجناه من العموم بدلالة إجماع الأمة علی أنه لا یغفر

---

(1) دیوانه: 89 یقول: انا نطلب الملک فان وصلنا الیه و الا نبقی فی طلبه حتی نموت دونه و هذا عذرنا.

الشرک. و بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ» «1» و لو لا ذلک لکنا نجوز العفو عنهم أیضاً و وجه اتصال هذه الآیة بما قبلها أنه لما قال لیس لک من الأمر شیء عقب ذلک بأن الأمر کله للَّه فی السماوات و الأرضین.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 130] ..... ص : 587

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (130)
آية.

لما ذكر اللَّه تعالى أن له عذاب من يشاء، و العفو عمن يشاء، وصل ذلک بالنهى عما لو فعلوه لاستحقوا عليه العقاب، و عذبوا عليه، و هو الربا، و الربا المنهى عنه قال عطا، و مجاهد: هو ربا الجاهلية، و هو الزيادة على أصل المال بالتأخير عن الأجل الحال. و يدخل فيه كل زيادة محرمة فى المعاملة من جهة المضاعفة، و وجه تحريم الربا هو المصلحة التى علمها اللَّه تعالى. و قيل فيه وجوه على وجه التقريب: منها للفصل بينه و بين البيع. و منها- أنه مثال العدل يدعو إليه و يحض عليه. و منها- أنه يدعو إلى مكارم الأخلاق بالاقراض و إنظار المعسر من غير زيادة.
و هذا الوجه روى عن أبى عبد اللَّه (ع).
و قوله: «أَضْعافاً مُضاعَفَةً» قيل فى معناه هاهنا قولان:
أحدهما- للمضاعفة بالتأخير أجلا بعد أجل كلما أخر عن أجل إلى غيره زيد عليه زيادة على المال.
الثانى- «أَضْعافاً مُضاعَفَةً» أى يضاعفون فى أموالكم. و قيل فى تكرير تحريم الربا هاهنا مع ما تقدم فى قوله: «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا» «2» و غير ذلک قولان:

---

(1) سورة النساء آية: 47، 115.
(2) سورة البقرة آية: 275.

أحدهما- للتصريح بالنهى عنه بعد الاخبار بتحريمه لما فى ذلک من تصريف الخطر له و شدة التحرز منه.
الثانى- لتأكيد النهى عن هذا الضرب منه الذى يجرى على الاضعاف المضاعفة.
و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معناه اتقوا معاصيه. و قيل: اتقوا عذابه بترک معاصيه «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»، لكى تنجحوا بإدراک ما تأملونه، و تفوزوا بثواب الجنة، لأن (لعل) و ان كان للشک، فان ذلک لا يجوز على اللَّه تعالى. و قد بينا لذلک نظائر فيما مضى.

اشارة

وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِی أُعِدَّتْ لِلْکافِرِینَ (131) وَ أَطِیعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ (132)
آیتان بلا خلاف.

فان قيل: كيف قال «وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ» و عندكم يجوز أن يدخلها الفساق أيضاً. و عند المعتزلة كلهم يدخلها الفساق قطعاً. و هلا قال: أعدت للجميع؟ قلنا أما على ما نذهب إليه، ففائدة ذلک اعلامنا أنها أعدت للكافرين قطعاً. و ذلک غير حاصل فى الفساق، لأنا نجوز العفو عنهم. و من قال أعدت للفساق قال أضيفت إلى الكافرين، لأنهم أحق بها. و إن كان الجميع يستحقونها، لأن الكفر أعظم المعاصى فأعدت النار للكافرين. و يكون غيرهم من الفساق تبعاً لهم فى دخولها. فان قيل: فعلى هذا هل يجوز أن يقال: ان النار أعدت لغير الكافرين من الفاسقين؟ قلنا عن ذلک أجوبة:
أحدها- قال الحسن يجوز ذلک، لأنه من الخاص الذى معه دلالة على العام، كما قال: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ

بَعْدَ إِيمانِكُمْ»
«1» و ليس كل من دخل النار كفر بعد إيمانه. و مثله قوله: «كُلَّما أُلْقِىَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ» «2» و ليس كل الكفار يقول ذلک. و منه قوله: «فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ. قالُوا وَ هُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ» «3» و ليس كل الكفار سووا الشياطين برب العالمين.
و الثانى- أنه لا يقال أعدت لغيرهم من الفاسقين، لأن اعدادها للكافرين من حيث كان عقابهم هو المعتمد و عقاب الآخرين له تبع، كما قال: «وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» «4» و لا خلاف أنه يدخلها الأطفال و المجانين إلا أنهم تبع للمتقين، لأنه لولاهم لم يدخلوها. و لا يقال: إن الجنة أعدت لغير المتقين.
الثالث- أن تكون هذه النار ناراً مخصوصة فيها الكفار خاصة دون الفساق و ان كان هناک نار أخرى يدخلها الفساق، كما قال: «لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَ تَوَلَّى» «5» و كما قال: «إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» «6» و هذا قول أبى على. و استدل البلخى بهذه الآية على أن الربا كبيرة، لأن تقديره «وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ» أن يأكلوا الربا، فيستحقونها. و الإجماع حاصل على أن الربا كبيرة، فلا يحتاج إلى هذا التأويل، لأن الآية يمكن أن يقول قائل: إنها بمعنى الزجر و التحذير عن الكفر، فقط و قوله: «أعدت» فالاعداد هو تقديم عمل الشىء لغيره مما هو متأخر عنه و قد قدم فعل النار ليصلاها الكفار. و الاعداد و الإيجاد و التهيئة و التقدمة متقاربة المعنى و قوله: «وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ»: أمر بالطاعة للّه و رسوله. و الوجه فى الأمر بالطاعة للّه و رسوله مع أن العقل دال

عليه يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون ذلک تأكيداً لما فى العقل، كما وردت نظائره، كقوله:

---

(1) سورة آل عمران آية: 106.
(2) سورة الملک آية: 8.
(3) سورة الشعراء آية: 94- 98
(4) سورة آل عمران آية: 133.
(5) سورة الليل آية: 15- 16.
(6) سورة النساء آية: 144.

«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ» «1» «و لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ» «2» و غير ذلک.
و الثانى- لاتصاله بأمر الربا الذى لَا تجب الطاعة فيه إلا بالسمع، لأنه ليس مما يجب تحريمه عقلا كما يجب تحريم الظلم بالعقل، فان قيل: إذا كانت طاعة الرسول طاعة اللّه فما وجه التكرار؟ قلنا عنه جوابان:
أحدهما- المقصود بها طاعة الرسول فيما دعا إليه مع القصد لطاعة اللَّه تعالى.
الثانى- ليعلم أن من أطاعه فيما دعا إليه كمن أطاع اللَّه، فيسارع إلى ذلک بأمر اللَّه. و الطاعة موافقة الإرادة الداعية إلى الفعل بطريق الرغبة، و الرهبة. و لذلک صح أن يجيب اللَّه تعالى عبده، و ان لم يصح منه أن يطيعه، لأن الاجابة إنما هى موافقة الارادة مع القصد إلى موافقتها على حد ما وقعت من المريد. و قوله:
«لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» يحتمل أمرين:
أحدهما- لترحموا. و قد بينا لذلک نظائر.
و الثانى- ان معناه ينبغى للعباد أن يعملوا بطاعة اللَّه على الرجاء للرحمة بدخول الجنة، لئلا يزلوا فيستحقوا الإحباط و العقوبة أو يوقعوها على وجه لا يستحق به الثواب، بل يستحق به العقاب. و فيها معنى الشک، لكنه للعباد دون اللّه تعالى.

و قيل فى وجه اتصال هذه الآية بما قبلها قولان:
أحدهما- لاتصال الأمر بالطاعة بالنهى عن أكل «الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً» كأنه قال و أطيعوا اللّه فيما نهاكم عنه من أكل الربا، و غيره لتكونوا على سبيل الهدى.
الثانى- قال ابن إسحاق: انه معاتبة للذين عصوا رسول اللَّه (ص)، بما أمرهم به يوم أحد: من لزوم مراكزهم، فخالفوا و اشتغلوا بالغنيمة إلا

---

(1) سورة الشورى آية: 11.
(2) سورة الانعام آية: 103.

طائفة منهم قُتلوا. و كان ذلک سبب هزيمة أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله.

وَ سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)
آية.
قرأ نافع و ابن عامر «سارعوا» بلا واو، و الباقون بالواو، و كذلک هى فى مصاحف أهل الشام بلا واو. و فى مصاحف أهل العراق بالواو، و المعنى واحد، و إنما الفرق بينهما استئناف الكلام إذا كان بلا واو، و وصلها بما تقدم إذا قرئ بواو، لأنه يكون عطفاً على ما تقدم. و فى هذه الآية الامر بالمبادرة إلى مغفرة اللّه باجتناب معصيته و إلى الجنة التى عرضها السماوات و الأرض بفعل طاعته.
و اختلفوا فى قوله «عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ» فقال ابن عباس، و الحسن:
معناه عرضها كعرض السماوات السبع، و الأرضين السبع إذا ضم بعض ذلک إلى بعض، و اختاره الجبائى، و البلخى. و إنما ذكر العرض بالعظم دون الطول، لأنه يدل على أن الطول أعظم، و ليس كذلک لو ذكر الطول بدلا من العرض. و مثل الآية قوله: «ما خَلْقُكُمْ وَ لا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ» «1» و معناه إلا كبعث نفس واحدة. و قال الشاعر:
كأن عذيرهم بجنوب سِلى نعام فاق فى بلد قفار «2»
أى عذير نعام و قال آخر:

---

(1) سورة لقمان آية: 28.
(2) قائله شفيق بن جزء بن رياح الباهلى و قد نسبه بعضهم لاعشى باهلة. و نسب أيضاً للنابغة خطا. اللسان (فوق) (سلل)، و معجم البلدان (سلى)، و الكامل للمبرد 3: 196.
و كان شفيق قد أغار على بنى ضبة بروضة سلى، و روضة ساجر فهزم أهلهما. و هما روضتان لعكل.
و ضبة و عدى و تيم و عكل حلفاء متجاورون فلما هزموا قال بهم شفيق أبيات منها هذا البيت.
و العذير: الحال المقاقات: صوت الطائر إذ كان مذعوراً و القفار: المكان الذى ليس به انس و كأنه بقول هزمناهم شر هزيمة و كانت حالهم مثل حال الطائر الذى فى أرض قفرة إذا أتاه الصياد

حسبت بغام راحلنى عناقا و ما هى ويب غيرک بالعناق «1»
أى صوت عناق. و قال أبو مسلم: معناه ثمنها لو بيعت كثمن السماوات و

الأرض لو بيعا. كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع. و المراد بذلک عظم مقدارها، و جلالة قدرها، و انه لا يوازيها شىء و إن عظم، و هذا مليح غير أن فيه تعسفاً شديداً. فان قيل إذا كانت الجنة عرضها السماوات و الأرض فأين تكون النار؟! الجواب
أنه روى عن النبى (ص) أنه لما سئل عن ذلک، فقال: «سبحان الله إذا جاء النهار فأين الليل» و هذه معارضة فيها إسقاط المسألة، لأن القادر على أن يذهب بالليل حيث شاء قادر على أن يذهب بالنهار حيث شاء.
و روى أنه سئل عن ذلک ابن عباس، و غيره من الصحابة، فان قيل فان الجنة فى السماء، كيف يكون لها هذا العرض؟ قيل له يزاد فيها يوم القيامة.
ذكره أبو بكر أحمد بن على على تسليم انها فى السماء و يجوز أن تكون الجنة مخلوقة فى غير السماوات و الأرض. و فى الناس من قال: ان الجنة و النار ما خلقتا بعد و إنما يخلقهما اللّه على ما وصفه. و قال البلخى المراد بذلک وصفها بالسعة و العظم، كما يقول القائل فى دار واسعة هذه دنيا و غرضه بذلک وصفه لها بالكبر و قوله: «أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» معنى المتقين المطيعين للّه و رسوله لاجتنابهم المعاصى و فعلهم الطاعات.
و يجوز لاحتجازهم بالطاعة من العقوبة. و إنما أضيفت إلى المتقين، لأنهم المقصودون بها، و ان دخلها الأطفال، و المجانين، فعلى وجه التبع، و كذلک حكم الفساق لو عفى عنهم.
و فيمن تكلم فى أصول الفقه من استدل بقوله: «وَ سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ» على أن الأمر يقتضى الفور دون التراخى، لأنه تعالى أمر بالمسارعة و المبادرة إلى مغفرة و ذلک يقتضى التعجيل. و من خالف فى تلک، قال: المسارعة إلى ما يقتضى

---

(1) قائله ذو الخرق الطهورى أو الطهوى انظر الاختلاف فى اسمه فى المؤتلف و المختلف 119، و خزانة الأدب 1: 20، 21 و نوادر أبى زيد: 116، و معانى القرآن للفراء 1:
61- 62، و اللسان (ويب)، (عنق)، (عقا)، (بغم) و غيرها و هو من أبيات يقولها لذئب قد تبعه فى طريقه و العناق هى أنثى المعز. و البغام صوت الظبية أو الناقة و استعاره هنا للمعز [.....]

الغفران واجبة و هى التوبة، و وجوبها على الفور. فمن أين أن جميع المأمورات كذلک.

اشارة

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)
آية.

«الذين» فى موضع الجر، لأنه صفة المتقين، فذكر اللّه صفاتهم التى تعلو بها درجاتهم منها: أنهم يتقون عذاب اللّه بفعل طاعته، و الانتهاء عن معصيته.
و انهم ينفقون فى السراء، و الضراء و قد بينا فيما تقدم معنى الإنفاق. و قيل فى معنى السراء و الضراء. قولان:
أحدهما- قال ابن عباس فى اليسر، و العسر، فكأنه قال فى السراء بكثرة المال، و الضراء بقلته.
الثانى- فى حال السرور، و حال الاغتمام. أى لا يقطعهم شىء من ذلک عن إنفاقه فى وجوه البر، فيدخل فيه اليسر و العسر. و إنما خصا بالذكر فى التأويل الأول، لأن السرور بالمال يدعو إلى الظن به. كما يدعو ضيقه إلى التمسک به خوف الفقر، لانفاقه. و قوله تعالى: «وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ» أى المتجرعين له، فلا ينتقمون ممن يدخل عليهم الضرر بل يصبرون على ذلک، و يتجرعونه.

و أصل الكظم شد رأس القربة عن ملئها. تقول: كظمت القربة إذا ملأتها ماء ثم شددت رأسها. و فلان كظيم و مكظوم إذا كان ممتلئاً حزناً. و منه قوله:
«وَ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ» «1» أى ممتلئ حزناً. و كذلک إذا

---

(1) سورة يوسف آية: 74.

امتلأ غضباً لم ينتقم، و كظم البعير، و الناقة إذا لم تجر. و الكظامة القناة التى تجرى تحت الأرض، سميت بذلک، لامتلائها بالماء كامتلاء القربة المكظومة. و يقال:
أخذ بكظمه أى بمجرى نفسه، لأنه موضع الامتلاء بالنفس. و كظامة الميزان المسمار الذى يدور فيه اللسان، لأنه يشده و يعتمد عليه. و الفرق بين الغيظ، و الغضب أن الغضب ضد الرضا، و هو ارادة العقاب المستحق بالمعاصى، و لعنه. و ليس كذلک الغيظ، لأنه هيجان الطبع بكره ما يكون من المعاصى، و لذلک يقال غضب اللّه على الكفار، و لا يقال اغتاظ منهم.

و روى عن النبى (ص) أنه قال: (ما من جرعة يتجرعها الرجل أو الإنسان أعظم أجراً من جرعة غيظ فى اللّه)
و فى الآية دلالة على جواز العفو عن المعاصى و إن لم يتب، لأنها دلت على الترغيب فى العفو من غير إيجاب له بإجماع المسلمين.
و قوله «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» معناه يريد اثابتهم و تنعيمهم. و المحسن يحتمل أمرين:
أحدهما- من هو منعم على غيره على وجه عار من وجوه القبيح. و يحتمل أن يكون مشتقاً من الافعال الحسنة التى منها الإحسان إلى الغير، و غير ذلک من وجوه الطاعات و القربات.

اشارة

وَ الَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (135) آية بلا خلاف.

قوله: «و الذين» يحتمل أن يكون موضعه جراً بالعطف على المتقين، التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 595
فيكون من صفتهم ما تضمنه على قول الحسن، و يحتمل أن يكون رفعاً على الاستئناف، و يكون عطف جملة على جملة، فيكون من صفة فرقة غير الأولى، و يجوز أن يرجع إلى الأولى فى الموضع على المدح.

و قوله: «إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً» يحتمل أن يكون أراد غير الظلم، و لذلک عطف عليه بقوله: «أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» حتى لا يكون تكراراً. و قال الرمانى: أراد بالفاحشة الكبيرة، و ب «ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» الصغيرة. و قال مجاهد: هما ذنبان و أصل الفاحشة الفحش، و هو الخروج إلى عظم القبح فى العقل أو رأى العين فيه.
و كذلک قيل للطويل المفرط أنه الفاحش الطول، و أفحش فلان فى كلامه إذا أفصح بذكر الفحش. و قال جابر و السدى: الفاحشة هاهنا: الزنا أو ما جرى مجراه من الكبير و قوله: «ذكروا الله» فى معناه قولان:
أحدهما- ذكروا وعيد اللَّه، فيكون من الذكر بعد النسيان. و المدح على أنهم تعرضوا للذكر.
و الآخر- انهم ذكروا اللَّه بأن قالوا: اللهم اغفر لنا ذنوبنا، فانا تبنا، نادمين عليها مقلعين عنها و قال ابن مسعود، و عطا ابن أبى رياح: كانت بنو إسرائيل إذا أذنب الواحد منهم ذنباً أصبح مكتوباً على بابه كفارة ذنبک اجدع اذنک اجدع انفک، فسهل اللَّه ذلک على هذه الأمة بأن جعل توبتها الاستغفار بدلا منه منة منه تعالى. و قوله: «وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ» الرفع محمول على المعنى و تقديره: و هل يغفر الذنوب إلا اللَّه أو هل رئى أحد يغفر الذنوب إلا اللَّه.
فان قيل: كيف قال: «وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ» و قد يغفر بعضنا لبعض إساءته إليه؟ قلنا عنه جوابان:
أحدهما- أنه أراد بذلک غفران الكبائر العظام، لأن الاساءة من بعضنا لبعض صغيرة بالاضافة إلى ما يستحق من جهته. التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 596
و الثانى- أنه لا يغفر الذنب الذى يستحق عليه العقاب إلا اللَّه تعالى.
و قوله: «وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا» فالإصرار هو المقام على الذنب من غير إقلاع منه بالتوبة فى قول قتادة و قال الحسن: هو فعل الذنب من غير توبة و الأول أقوى، لأنه نقيض التوبة. و أصله الشد من الصرة و الصر شدة البرد، و الإصرار إنما هو ارتباط الذنب بالاقامة عليه. و ما قاله الحسن هو فى حكم الإصرار.
و قوله: «وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» هاهنا يحتمل أمرين:
أحدهما- و هم يعلمون الخطيئة ذاكرين لها غير ساهين، و لا ناسين. قال الجبائى، و اللَّه عز و جل يغفر للعبد ما نسيه من ذنوبه، و ان لم يتب منه بعينه، كما يغفر له ما تاب منه، لأنه قد فعل فى حال النسيان جميع ما عليه.
و الثانى- و هم يعلمون الحجة فى أنها خطيئة. و أما من اجتهد فى الأحكام

فأخطأ على مذهب من يقول بالاجتهاد، فلا اثم عليه، و كذلک من تزوج بذات محرم من الرضاع أو النسب و هو لا يعلم، أو غير ذلک، فلا إثم عليه بلا خلاف لأنه لم يعلم ذلک، فاقدم عليه، و لا يلزم على ذلک أن يكون الكافر معذوراً بكفره إذا لم يعلمه قبيحاً، لأن الكافر له طريق إلى العلم به، و كذلک نقول: إن من أسلم فى دار الحرب، و خرج فاستحل فى طريقه الخمر أو لحم الخنزير قبل أن يعلم تحريمها من الشرع، فلا اثم عليه، لأنه فى تلک الحال لا طريق له إلى العلم بقبحه.

أُولئِکَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِینَ (136)

آیة واحدة.

قوله: «أولئک» اشارة إلی من تقدم وصفهم من المتقین الذین ینفقون فی السراء و الضراء، و یکظمون الغیظ، و یعفون عن الناس، «و إذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَکَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ»، فقال هؤلاء: «لَهُمْ جَنَّاتٌ التبیان فی تفسیر القرآن، ج2، ص: 597

تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها»

و قد مضی تفسیر ذلک أجمع فیما مضی ثم قال «وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِینَ» یعنی ما وصفه من الجنات و أنواع الثواب، و المغفرة بستر الذنب حتی تصیر کأنها لم تعمل فی زوال العار بها و العقوبة بها، و اللّه تعالی متفضل بذلک لأنا بینا أن إسقاط العذاب «1» عند التوبة تفضل منه تعالی، فأما استحقاق الثواب بالتوبة فواجب عقلا لا محالة، لأنه لو لم یکن مستحقاً لذلک لقبح تکلیفه التوبة لما فیها من المشقة و الکلفة.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 137] ..... ص : 597

اشارة

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137)
آية.

معنى قوله: «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ» أى سنن من اللَّه تعالى فى الأمم السالفة إذ «2» كذبوا رسله و جحدوا نبوتهم بالاستئصال، و الاجتياح، كعاد، و ثمود، و قوم صالح، و قوم لوط الذين أهلكهم اللَّه بأنواع العذاب من الاستئصال «3» فبقيت «4» لهم آثار فى الديار فيها أعظم الاعتبار و الاتعاظ- على قول الحسن، و ابن إسحاق- فأمر اللَّه أن يسيروا فى الأرض، و يتعرفوا أخبارهم، و ما نزل بهم ليتعظوا بذلک، و ينتهوا عن مثل ما فعلوه.
و قال الزجاج:
معناه «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ» أهل «سنن» فى الشر.

و السنة: الطريقة المجعولة ليقتدى بها، فمن ذلک سنة رسول اللَّه (ص).

_____

(1) فى المخطوطة (أ): العقاب.
(2) فى المطبوعة و مخطوطة (أ): (إذا).
(3) فى المخطوطة (أ) ساقط سطر من هذا الموضع
(4) فى المطبوعة (و بقيت).
التبيان فى تفسير القرآن، ج2، ص: 598
و قال لبيد:
من معشر سنت لهم آباؤهم و لكل قوم سنة و إمامها «1»
و قال سليمان بن قتة: «2»
و إن الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا «3»
سنة اللَّه عز و جل الإهلاک للأمم الضالة بهذه المنزلة. و أصل السنة الاستمرار فى جهة. سن الماء سناً: إذا صبه حتى يفيض من الإناء. و سنه بالمسن إذا أمره عليه لتحديده. و فلان مسنون الوجه أى مستطيله. و قوله: «مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» قيل معناه متغير، لاستمرار الزمان به حتى تغير. و منه السن واحد الأسنان، لاستمرارها على منهاج. و السنان، لاستمرار الطعن به. و السنن استمرار الطريق.
و الخلو: الانفراد، فمنه الخلاء، لانفراد المكان. و منه التخلية لانفراد الشىء بها عن صاحبه. و منه الخلية من النوق التى خلا ولدها بذبح أو موت، لانفرادها عنه.
و الخلية من السفن التى تخلى تسير فى نفسها. و منه الخلا مقصور: الحشيش اختليته إذا قطعته، لانفراده بالقطع. و منه المخلاة. و من ذلک المخالاة المخادعة، لانفراد صاحبها بمن يخاليه يوهمه التخصص به، فمعنى «خلت» انفردت بالهلاک دون من بقى. و قوله: «فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ» فالعاقبة هو ما يؤدى إليها السبب المتقدم، و ليس كذلک الآخرة، لأنه قد كان يمكن أن تجعل هى الأولى فى العدة للمكذبين يريد به الجاحدين البعث، و النشور، و الثواب، و العقاب الدافعين لمن يخبر بذلک بالرد بالتكذيب، فجازاهم اللَّه تعالى فى الدنيا بعذاب الاستئصال، و لهم فى الآخرة عظيم النكال.

_____

(1) البيت من معلقته الشهيرة البارعة يذكر بها قومه و فضلهم. يقول: هذه الصفات الحميدة- التى تقدم وصفها- هى سنة آبائهم ...
(2) (قتة) أمه و هو مولى لتيم قريش، و هو من التابعين. و زعم بعضهم أنه

(سليمان ابن ضبيب المحارمى) و هو خطأ.
(3) تاريخ الطبرى 7: 184، و انساب الاشراف 5: 339 و أملى الشجرى 1: 131، و اللسان (أسى) و غيرها. و هذا البيت أنشده مصعب بن الزبير قبل مقتله.

هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (138)
آية اجماعاً.
قال الحسن و قتادة: قوله: «هذا» إشارة إلى القرآن، و وصفه بأنه بيان، لأنه دلالة للناس، و حجة لهم، و البيان هو الدلالة. و قال ابن إسحاق هو إشارة إلى ما تقدم ذكره فى قوله: «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ....» الآية أى هذا الذى عرفتكم بيان للناس، و هو اختيار البلخى، و الطبرى. و الفرق بين البيان، و الهدى- على ما قاله الرمانى- أن البيان إظهار المعنى للنفس كائنا ما كان. و الهدى: بيان لطريق الرشد، ليسلک دون طريق الغى. و الموعظة ما يلين القلب و يدعو إلى التمسک، بما فيه من الزجر عن القبيح، و الدعاء إلى الجميل. و قيل الموعظة: هو ما يدعو «1» بالرغبة، و الرهبة إلى الحسنة بدلا من السيئة. و الهدى المذكور فى الآية يحتمل معنيين:
أحدهما- أن يكون عبارة عن اللطف الذى يدعو إلى فعل الطاعة بدلا من المعصية، لأنه بمنزلة الإرشاد.
و الآخر- الدلالة على طريق الرشد. و إنما أضيف إلى المتقين، و ان كان هدى لجميع المكلفين، لأنهم المنتفعون به دون غيرهم. و لا يجوز ان يقال: القرآن هدى و موعظة للفاجرين إلا بتفسير و بيان، لأن فى «2» ذلک إيهاماً، لانتفاعهم به فان قيد بأنه دلالة لهم وداع لهم إلى فعل الطاعة، و ذكر ما يزيل الإيهام كان جائزاً. و ينبغى أن يتبع فى ذلک ما ورد به القرآن.

اشارة

وَ لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140)

---

(1) فى المخطوطة أ (بالموعظة ما يدعو) بإسقاط هو
(2) فى المخطوطة (أ) لأن ذلک بإسقاط فى.

آيتان.

قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً (قرح) بضم القاف. الباقون بفتحها. و الفرق بينهما أن القرح- بفتح القاف- الجراح، و القرح- بالضم- ألم الجراح على قول أكثر المفسرين. و قيل هما لغتان.

و قال ابن عباس، و الحسن، و الربيع: القرح ما أصاب المسلمين يوم أحد و أصاب المشركين يوم بدر. و قال الزهرى، و قتادة، و ابن أبى نجيح: هذه الآية نزلت تسلية للمسلمين لما نالهم يوم أحد من القتل، و الجراح، و كان سبب نزول الآية ما قدمنا ذكره من أن اللّه تعالى أراد أن يرعب الكفار، فأمر المسلمين أن يتبعوا المشركين على ما بهم من الجراح، و الألم و حثهم على ذلک و نهاهم عن الوهن و الحزن، و وعدهم بأنهم الأعلون إن تمسكوا بالايمان، لأن المشركين كانوا هموا بالعود إلى المدينة، و الغارة فيها، فلما بلغهم عزيمة المسلمين على تتبعهم خافوهم.
و قال بعضهم لبعض يوشک أن يكون انضم إليهم من كان قعد عنهم، و أعانهم أحلافهم من بنى قريظة، و النضير فدسوا نعيم بن مسعود الأشجعى و بذلوا له عشر قلائص على أن يثبط المسلمين عن تتبعهم، و يقول: إنهم تجمعوا و انضم إليهم حلفاؤهم، و هم يريدونكم و لا طاقة لكم بهم، و أسرعوا المسير إلى مكة فأوحى اللّه بذلک إلى النبى (ص) و أعلمه ما قالوا لنعيم، فلما قال لهم ما قال، قال المسلمون:
«حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» و فيهم نزلت الآية «1»

---

(1) فى المخطوطة (أ) بزيادة: و هى قوله تعالى.

(الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) إلى قوله: «وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» «1» و ما بعده. و إنما قال: «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» مع أنهم كانوا مؤمنين للبيان عن ان الايمان يوجب تلک الحال، و تقديره إن من كان مؤمناً يجب عليه ألا يهن و لا يحزن، لثقته باللّه.
و يحتمل أيضاً أن يكون معناه إن كنتم مصدقين بوعدى لكم بنصرتى إياكم حتى تستعلوا على عدوكم، و تظفروا بهم.

و الوهن الضعف، وهن يهن وهنا، فهو واهن: إذا ضعف. و أوهنه يوهنه ايهاناً. و توهن توهناً، و وهنه توهيناً. و الوهن: ساعة تمضى من الليل. و الواهن عرق مستبطن حبل العاتق إلى الكتف.
و قوله: «وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ» جملة فى موضع الحال، كأنه قال لا تحزنوا عالين أى منصورين على عدوكم، و يحتمل أن لا يكون لها موضع من الاعراب، لأنها اعتراض بوعد مؤكد، و تقديره «وَ لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا» «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» «و أنتم» مع ذلک «الأعلون».
و أصل الأعلون الأعلوون، فحذفت احدى الواوين استثقالا، و هى الاصلية و بقيت واو الجمع، لأنها لمعنى. فأما فى التثنية فتقول: أنتما الاعليان، فتقلب الواو ياء، و لا تحذفها، لأنه ليس هناک ضرورة.
و قوله: «ان يمسسكم» فالمس هو اللمس بعينه، و قيل الفرق بينهما أن اللمس لصوق باحساس و المس لصوق فقط «2» و قال ابن عباس: معناه إن يصبكم «3».
و قوله: «وَ تِلْکَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ» قال الحسن، و قتادة، و الربيع، و السدى، و ابن إسحاق: يصرفها مرة لفرقة، و مرة عليها، و الدولة: الكرة

---

(1) سورة آل عمران آية: 173.
(2) فى المطبوعة الواو ساقطة.
(3) فى المخطوطة أن التهكم. [.....]

لفرقة بنيل المحبة. و أدال اللّه فلاناً من فلان: إذا جعل الكرة له «1» عليه.
و قال الحجاج: إن الأرض ستدال منا كما ادلنا منها، «و نداولها» إنما هو بتخفيف المحنة تارة و تشديدها أخرى بدليل «وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» و لو كانت المداولة بالنصر لا محالة، للمؤمنين تارة و للكافرين تارة، لكان محبهم من حيث هو ناصر لهم، و العامل فى قوله، و ليعلم اللّه يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يكون محذوفاً يدل عليه أول الكلام، و تقديره و ليعلم اللّه الذين آمنوا نداولها.
الثانى- أن يعمل فيه «نداولها» الذى فى اللفظ، و تقديره نداولها بين الناس لضروب من التدبير «وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» و خبر ليعلم يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون محذوفاً و تقديره «وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» متميزين بالايمان من غيرهم، و لا يكون على هذا يعلم بمعنى يعرف، لأنه ليس المعنى على تعرف الذوات بل المعنى على أن يعلم تميزها بالايمان.
و الثانى- «وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم

أى يعاملهم معاملة من يريد أن يعرفهم اللّه بهذه الحال. و قال أبو على: معناه و ليصبروا فعبر عن الصبر بالعلم. و قال البلخى «وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ» ايمانكم موجوداً أى تفعلونها، فيعلمه اللّه كذلک. و معنى قوله: «وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ» فيه قولان:
أحدهما- قال الحسن، و قتادة، و ابن إسحاق، ليكرم بالشهادة من قتل يوم أحد.
الثانى- و يتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من العصيان، لما لكم فيه من التعظيم، و التبجيل- هذا قول البلخى و الجبائى- و الأول أقوى لأنه فى ذكر القتل، فان قيل لم جعل اللّه مداولة الأيام بين الناس، و هلا كانت ابداً لأولياء اللّه دون أعدائه؟ قلنا ذلک تابع للمصلحة، و ما تقتضيه الحكمة أن يكونوا تارة فى

---

(1) فى المخطوطة (الحكم له).

شدة و تارة فى رخاء فيكون ذلک داعياً لهم إلى فعل الطاعة، و احتقار الدنيا الفانية المنتقلة من قوم إلى قوم حتى يصير الغنى فقيراً، و الفقير غنياً، و النبيه خاملا، و الخامل نبيهاً، فتقل حينئذ الرغبة فيها و الحرص على جمعها، و يقوى الحرص على غيرها مما نعيمه دائم، و سروره غير منقطع. و قوله: «وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» «1» معناه لا يريد منافعهم، و على مذهبنا ينبغى أن يكون ذلک مخصوصاً بالكفار، لأنهم إذا كانوا مؤمنين، فلهم ثواب. و اللّه تعالى لا بد أن يريد فعل ذلک بهم و يحتمل أن يكون المراد بذلک «لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» إذا كانوا مؤمنين محبة خالصة لا يشوبها إرادة عقابهم، لأن ذلک يختص من لا عقاب عليه.
انتهى المجلد الثانى و يليه المجلد الثالث و أوله:
(وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ...) (141)

---

(1) و قوله ساقطة من المطبوعة.

المجلد الثالث

قوله تعالى: [سورة آل‌عمران (3): آية 141]..... ص: 3

اشارة

وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ (141)

قيل فى معنى قوله: «وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ» أربعة أقوال:
أحدها- قال ابن عباس، و مجاهد، و السدى: ليبتلى، «وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ» بنقصهم فى قول ابن عباس، و قال غيره يهلكهم، و قال الفراء: معنى «وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ» يعنى ذنوب المؤمنين. و قال الزجاج: يخلصهم من الذنوب و هذا قريب من قول الفراء: و قال الرمانى معناه «وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» ينجيهم من الذنوب بالابتلاء و يهلک الكافرين بالذنوب عند الابتلاء. و أصل التمحيص التخليص فى قول أبى العباس تقول محصت الشىء أمحصه محصاً: إذا خصلته. و قال الخليل: المحص الخلوص من العيب، محصته محصاً أى خلصته من كل عيب، و محص الجمل: إذا ذهب وبره يمحص. و جبل محص أى ملص، و محص الظبى، و يمحص إذا عدا عدواً شديدا محصاً، و يستحب أن تمحص قوائم الفرس أى تخلص من الرهل. و تقول: اللهم محص عنا ذنوبنا أى اذهبها عنا، لأنه تخليص الحسنات بتكفير السيئات. و يقال تمحص الفرس:
إذا ذهب شحمه الردىء، و بقى لحمه، و قوته بالضمور. و أصل المحق فناء الشىء حالا بعد حال، و لهذا دخله معنى النقصان. و أمحق الشىء امحاقاً. و المحاق: آخر الشهر إذا أمحق الهلال، فلم ير، لذهاب ضوئه حالا بعد حال. و امتحق الشىء و تمحق:
إذا ذهبت بركته بنقصانها حالا بعد حال. و محقه تمحيقاً. و إنما قابل بين التمحيص، و المحق، لأن محص هؤلاء باهلاک ذنوبهم نظير محق أولئک باهلاک أنفسهم، و هذه مقابلة فى المعنى. و قيل فى تمحيص المؤمنين بالمداولة قولان:
أحدهما- لما فى تخليتهم مع تمكين الكافرين منهم من التعريض للصبر الذى يستحقون به عظيم الأجر، و يحط كثيراً من الذنوب.
الثانى- لما فى ذلک من اللطف الذى يعصم من اقتراف المعصية.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 142]..... ص: 4

اشارة

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142)
آية بلا خلاف.

قرأ الحسن «وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ» بكسر الميم. الباقون بفتحها. و وجه قراءة الحسن أنه عطف على، و لما يعلم اللّه كأنه قال، و لما يعلم اللّه و يعلم الصابرين. و قوله:
«أَمْ حَسِبْتُمْ» معناه: أ حسبتم «أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ» و قيل معنى (أم) معنى بل على جهة الإنكار، لأن يحسبوا ذلک الحسبان، كما يقال: قد صممت على الخلاف أم تتوهم الإهمال، و الفرق بين لم و لما أن لما جواب، لقول القائل: قد فعل فلان يريد به الحال، فجوابه (لما فعل) و إذا قال: فعل فجوابه (لم يفعل)، فلما كانت (لما) مؤكدة بحرف كانت جواباً لما هو مؤكد بحرف. و أيضاً، فانه يجوز الوقف على (لما) فى مثل أن يقول القائل: قد جاء فلان، فيجيبه آخر فيقول:
لما أى لما يجىء، و لا يجوز ذلک فى (لم). و معنى «وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ» أى لما يعلم اللّه جهادكم يعنى أنهم لا يدخلون الجنة إلا بفعل الجهاد، لأنه من أعظم أركان الشرع. و قوله: «وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ» نصب على الصرف عن العطف إذ ليس المعنى على نفى الثانى، و الاول، و إنما هو على نفى اجتماع الثانى و الاول، نحو قولهم: لا يسعنى شىء و يعجز عنک. و قال الشاعر:
لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليک إذا فعلت عظيم «1»
و انما جاز «وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ» على معنى نفى الجهاد دون

---

(1) قائله أبو الأسود الدؤلى، و نسب للمتوكل الكنانى معجم البلدان 7: 384، و الاغانى 11: 39 طبعة بولاق. و البيت من الأبيات الحكمية المشهورة و قبله:
ابدأ بنفسک فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

العلم، لما فيه من الإيجاز فى انتفاء الجهاد، لأنه لو كان لعلمه. و تقديره و لما يكن المعلوم من الجهاد الذى أوجب عليكم، لأن المعنى مفهوم لا يشتبه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 143]..... ص: 5

اشارة

وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (143)

قال الحسن، و مجاهد، و الربيع، و قتادة، و السدى: كانوا يتمنون الموت بالشهادة بعد بدر قبل أحد، فلما رأوه يوم أحدٍ أعرض كثير منهم عنه، فانهزموا فعاتبهم اللّه على ذلک. و قوله: «فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ» فيه حذف و معناه رأيتم أسباب الموت، لأن الموت لا يرى كما قال الشاعر:

و محلما يمشون تحت لوائه و الموت تحت لواء آل محلم

أى أسباب الموت.و قال البلخى: معنى «رَأَيْتُمُوهُ» أى علمتم، و أنتم تنظرون أسباب الموت من غير أن يكون فى الأول حذف. فان قيل هل يجوز أن يتمنى قتل المشركين لهم لينالوا منزلة الشهادة؟ قلنا: لا، لأن قتل المشركين لهم معصية، و لا يجوز تمنى المعاصى، كما لا يجوز إرادتها، و لا الأمر بها. فإذا ثبت ذلک، فتمنيهم الشهادة بالصبر على الجهاد إلى أن يقتلوا. و قال الجبائى: إنما تمنوا الموت دون القتل إذا كانوا مجاهدين. قال الازهرى قوله: «رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» معناه و أعينكم صحيحة، كما يقول القائل رأيت كذا، و ليس فى عينک سوء. و الفرق بين التمنى و الارادة أن الارادة من أفعال رأيت كذا، و ليس فى عينک سوء. و الفرق بين التمنى و الارادة أن الارادة من أفعال القلوب، و التمنى هو قول القائل: ليت كان كذا و ليت لم يكن كذا. و قوله: «وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» بعد، قوله «فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون تأكيداً للرؤية، كما تقول: رأيته عياناً و رأيته بعينى التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 6

و سمعته باذنى، لئلا يتوهم رؤية القلب، و سمع العلم.

و الثانى- أن يكون معناه و أنتم تتأملون الحال فى ذلک كيف هى، لأن النظر هو تقليب الحدفة الصحيحة نحو المرئى طلباً لرؤيته، و ليس معناه الرؤية على وجه الحقيقة.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 144]..... ص: 6

اشارة

وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144)
آية بلا خلاف.

قال ابن عباس، و قتادة، و الضحاک، و مجاهد: إن سبب نزول هذه الآية انه لما ارجف بان النبى (ص) قتل يوم أحد و اشيع ذلک، قال ناس لو کان نبياً ما قتل. و قال آخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به. و کان سبب انهزامهم و تضعضعهم إخلال الرماة بمکانهم من فم الشعب، و کان النبى (ص) نهاهم عن الإخلال به، و حذرهم من الانصراف عن الشعب مخافة أن يخرج منه کمين عليهم، فلما انهزم المشرکون فى الجولة الأولى، فتبعوهم المسلمون، و تواقعوا فى غنائمهم فقال الموکلون بالشعب: يغنمون و لا نغنم، فقال لهم رئيسهم: اللّه اللّه لا تفعلوا فان النبى (ص) أمرنا ألا نبرح، فلم يقبلوا منه و انصرفوا، و ثبت رئيسهم مع اثنى عشر رجلا، فقتلوا، خرج عليهم خالد بن الوليد فى مأتى فارس من الشعب، و کان کامنا فيه.
و کان ذلک سبب هزيمة المسلمين، و إصابة رباعية النبى (ص) و جرحه. و کان الذى جرحه و کسر رباعيته عتبة بن أبى وقاص، و قيل إن عبد اللّه ابن قمية ضربه على حبل عاتقه، و مضى إلى المشرکين، و قال قتلت محمداً و شاع ذلک فأنزل اللّه هذه الآية. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 7
فان قيل: کيف دخل الاستفهام على الشرط. و إنما هو کغيره من الانقلاب و التقدير أ تنقلبون إن مات أو قتل؟ قيل: لأنه لما انعقد الشرط به صار جملة واحدة و خبراً واحداً بمنزلة تقديم الاسم قبل الفعل فى الذکر إذا قيل أزيد قام، و کذلک تقديمه فى القسم، و الاکتفاء بجواب الشرط من جواب القسم، کما قال الشاعر: «1»
حلفت له إن تدلج الليل لا يزل أمامک بيت من بيوتى سائر «2»
أى حلفت له لا يزال امامک بيت و أجاز الفراء فى مثله أ فإن مات أو قتل تنقلبون بالرفع، و الجزم و معنى «انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِکُمْ» أى ارتددتم کفاراً بعد إيمانکم، لأن الرجوع من الحق إلى الباطل بمنزلة رجوع القهقرى فى القبح، و التنکيل «3» بالنفس فجرى کالمثل فى هذا المعنى. و الالف فى قوله: «أ فإن» ألف انکار بصورة ألف استفهام، لأن التقرير به يظهر ما فيه من المنکر، فلذلک أخرج مخرج الاستفهام مع أن معناه الإنکار. و مثله أ تختار الفساد على الصلاح و الخطأ على الصواب. و قوله: (أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ) يدل على أن الموت غير القتل لأنه لو کان هو إياه لما عطف به عليه، لأن الشىء لا يعطف على نفسه. و القتل هو نقض بنيه الحياة. و الموت: فى الناس من قال: هو معنى يضاد الحياة. و فيهم من قال: هو افساد البنية التى تحتاج الحياة إليها بفعل معان فيه تضاد المعانى التى تحتاج إليها الحياة. و قوله: «وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ» أى من يرتد و يرجع عن الإسلام «فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً» لأنه لا يجوز عليه المضار بل مضرته عائدة عليه، لأنه

يستحق العقاب الدائم. و قوله: «وَ سَيَجْزِى اللّهُ الشَّاكِرِينَ» معناه يثيب

---

(1) هو الراعى.
(2) معانى القرآن للفراء 1: 69- 236 و المعانى الكبير: 805. و خزانة الأدب 4. 450. و رواية المعانى الكبير (عائر) بدل (سائر) و قال: أى بيت هجاء عائر. من قولهم: عار الفرس: إذا ذهب و جاء متردداً و يقال: قصيدة عائرة أى سائرة فى كل وجه.
ادلج: سار فى أول الليل.
(3) فى المخطوطة (و السيل) و الصحيح ما فى المطبوعة

اللّه الشاكرين على شكرهم لنعم اللّه و اعترافهم بها. و وجه اتصال هذا بما قبله اتصال الوعد بالوعيد، لأن قوله: «فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً» دليل على معنى الوعيد، لأن معناه انما يضر نفسه باستحقاقه العقاب «وَ سَيَجْزِى اللّهُ الشَّاكِرِينَ» بما يستحقونه من الثواب.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 145]..... ص: 8

اشارة

وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها وَ سَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ (145)
آية بلا خلاف.

قيل فى السبب الذى اقتضى قوله: «وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» قولان:
أحدهما- التسلية عما يلحق النفس بموت النبى (ص) من جهة أنه بإذن اللّه عز و جل.
الثانى- للحض على الجهاد من حيث لا يموت أحد إلا بإذن اللّه تعالى.
و قوله: «إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» يحتمل أمرين:
أحدهما- إلا بعلمه. و الثانى إلا بأمره. و قال أبو على: الآية تدل على أنه لا يقدر على الموت غير اللّه، كما لا يقدر على ضده من الحياة إلا اللّه، و لو كان من مقدور غيره لم يكن باذنه، لأنه عاص اللّه فى فعله.
و قوله: «كِتاباً مُؤَجَّلًا» نصب على المصدر بفعل محذوف دل عليه أول الكلام مع العلم بأن كلما يكون فقد كتبه اللّه، فتقديره كتب اللّه ذلك «كِتاباً مُؤَجَّلًا» . و يجوز أن يدل عليه الفعل المحذوف مصدره المنتصب به. و قوله: «وَ مَنْ التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 9
يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها»
قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- من عمل للدنيا لم نحرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ فى الآخرة- فى قول ابن إسحاق- أى فلا يغتر بحاله فى الدنيا.
[الثانى]- «1» من أراد بجهاده ثواب الدنيا أى النصيب من الغنيمة فى قول أبى على الجبائى.
الثالث- من يرد ثواب الدنيا بالتعرض له بعمل النوافل مع مواقعة الكبائر جوزى بها فى الدنيا من غير حظ فى الآخرة لإحباط عمله بفسقه على مذهب من يقول بالإحباط، و من يرد بعلمه ثواب الآخرة نؤته إياها. و (من) فى قوله:
«منها» تكون زائدة. و يحتمل أن تكون للتبعيض، لأنه يستحق الثواب على قدر عمله. و إنما كرر قوله: «وَ سَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ» ها هنا، و فى الآية الأولى، لأمرين:
أحدهما- للتأكيد ليتمكن المعنى فى النفس.
الثانى- «وَ سَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ» من الرزق فى الدنيا، عن ابن إسحاق لئلا يتوهم ان الشاكر يحرم ما يعطاه الكافر مما قسم له فى الدنيا. و قال الجبائى فى الآية دلالة على أن اجل الإنسان إنما هو أجل واحد. و هو الوقت الذى يموت فيه، لأنه لا يقتطع بالقتل عن الأجل الذى أخبر اللّه أنه اجل لموته. و قال ابن الاخشاذ:
لا دليل فيه على ذلک، لأن للإنسان أجلين أجل يموت فيه لا محالة، و أجل هو

موهبة من اللّه تعالى له، و مع ذلک فلن يموت إلا عند الأجل الذى جعله اللّه أجلا لموته. و الأقوى الأول، لأن الأجل عبارة عن الوقت الذى يحدث فيه الموت أو القتل، و بالتقدير لا يكون الشىء أجلا كما لا يكون بالتقدير ملكا، و قد بينا فى شرح الجمل ذلک مستوفى.

---

(1) فى المطبوعة (الثانى) ساقطة.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 146]..... ص: 10

اشارة

وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِی سَبِيلِ اللَّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا وَ اَللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146)
آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير «كاين» على وزن كاعن. و الباقون «كأين» مشددة على وزن كعين. و معناهما واحد، و هو بمعنى كما قال جرير:
و كائن بالاباطح من صديق يرانى لو اصبت هو المصابا «1»
و قال آخر:
و كائن رددنا عنكم من مدجج يجىء أمام الالف يردى مقنعا «2»
و مثل المشدد قول الشاعر:
كاين فى المعاشر من أناس أخوهم فوقهم و هم كرام
و أصل كاين (أى) دخلت عليها كاف التشبيه، كما أن أصل (كذا) (إذا) دخلت عليها كاف التشبيه. و انما غيرت فى اللفظ لتغيرها فى المعنى، لأنها نقلت إلى معنى (كم) فى التكثير. و من خفف فلكراهية التضعيف، كما خفف لا سيما. و قرأ أهل الكوفة، و ابن عامر (قاتل) الباقون (قتل) فمن قرأ (قتل) نفى الوهن عمن بقى. و من قرأ (قاتل) نفاه عمن ذكر.

و قوله: (ربيون) قيل فى معناه أقوال.
أحدها- قال ابن عباس، و الحسن: علماء فقهاء. و قال مجاهد، و قتادة:

---

(1) ديوانه 1: 9.
(2) الكامل للمبرد: 1072.

جموع كثيرة. و قال الأخفش: هم منسوبون إلى الرب. و معناه المتمسكون بعبادة اللّه. و قال غيره: منسوبون إلى علم الرب. و قال الزجاج:
الربو عشرة آلاف، و هو المروى عن أبى جعفر (ع)
، و ارتفاعه يحتمل أمرين:
أحدهما- على مذهب الحسن فى أنه لم يقتل نبى قط فى معركة فيرتفع بأنه لم يسم فاعله فى (قتل)، و على مذهب ابن إسحاق، و قتادة، و الربيع، و السدى: رفع بالابتداء، فقدم عليه الخبر بمعنى قتل، و معه ربيون كثير، فعلى هذا يكون النبى المقتول، و الذين معه لا يهنون، و ذلک
أن يوم أحد كان ارجف بأن النبى (ص) قتل، فبين اللّه تعالى انه لو قتل لما أوجب ذلک أن تهنوا و تضعفوا، كما لم يهن من كان مع الأنبياء بقتلهم. و هو المروى عن أبى جعفر (ع).
و الوهن هو الضعف و إنما قال: فما وهنوا، و ما ضعفوا من حيث أن الوهن انكسار الجد بالخوف، و نحوه. و الضعف: نقصان القوة و قوله: «وَ مَا اسْتَكانُوا» معناه ما ظهروا الضعف. و قيل معناه ما خضعوا، لأنه يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد، فلم يهنوا بالخوف، و لا ضعفوا بنقصان العدة، و لا استكانوا بالخضوع.
و قال ابن إسحاق: فما وهنوا بقتل نبيهم، و لا ضعفوا عن عدوهم، و لا استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن دينهم. و قال الزجاج معنى ما وهنوا ما فتروا، و ما ضعفوا و ما جبنوا عن قتال عدوهم. و ما استكانوا ما خضعوا. و قال الازهرى: الاستكانة أصلها من الكنية، و هى الحالة السيئة يقال بات بكنية يعنى بيتة سوء، و مجيئة سوء أى بحال سوء. و قوله: «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ» معناه يريد ثواب من صبر فى جنبه فى امتثال أمره، و القيام بواجباته التى من جملتها الجهاد فى سبيل اللّه.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 147]..... ص: 11

اشارة

وَ ما كانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ إِسْرافَنا فِی أَمْرِنا وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَی الْقَوْمِ الْکافِرِینَ (147)
التبیان فی تفسیر القرآن، ج3، ص: 12

هذا إخبار عن الربيين الذين ذكرهم فى الآية الاولى بأنهم كانوا يقولون فى أكثر أحوالهم «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا» لأن من المعلوم أنهم قد كانوا يقولون أقوالا غير هذا، لكن لما كان هذا هو الأكثر لم يعتد بذلك. و قيل: معناه و ما كان قولهم حين قتل نبيهم إلا هذا القول انقطاعاً إلى اللّه و طلباً لمغفرته. و قوله:
«اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا» أى استرها علينا بترک عقابنا، و مجازاتنا عليها «وَ إِسْرافَنا فِى أَمْرِنا» فالإسراف هو مجاوزة المقدار الذى تقتضيه الحكمة. و الإسراف مذموم، كما أن الإقتار مذموم، كما قال تعالى: «وَ لا تَجْعَلْ يَدَکَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِکَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ» «1» و كما قال «وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِکَ قَواماً» «2» و الإسراف، و الافراط بمعنى، و ضدهما التقصير و التقتير. و قيل الإسراف مجاوزة الحق إلى الباطل بزيادة أو نقصان. و الأول أظهر. و أصل الإسراف مجاوزة الحد يقال: سرفت القوم إذا جاوزتهم، و أنت لا تعرف مكانهم و سرفت الشىء إذا نسيته لأنک جاوزته إلى غيره بالسهو عنه. و يقال: أصنع من سرفة، و هى دويبة صغيرة تنقب الشجر، و تبنى فيه بيتاً.
إن قيل: كيف قوبل الذنوب و الإسراف فى الامر؟ قلنا: قال الضحاک: هو بمنزلة اغفر لنا الصغير و الكبير من خطايانا.

و «قولهم» نصب بأنه خبر (كان) و الاسم (أن قالوا)، و انما اختير ذلک، لأن ما بعد الإيجاب معرفة، فهو أحق بأن يكون الاسم، كقول الشاعر:
و قد علم الأقوام ما كان داءها بثهلان إلا الخزىُ ممن يقودها «3»

---

(1) سورة الإسراء آية: 29.
(2) سورة الفرقان آية: 67.
(3) سيبويه 1: 24 و لم ينسبه. يصف كتيبة متهزمة يقول: لم يكن سبب انهزامها الا جبن من يقودها، فجعل الخزى كناية عن الجبن.

و يجوز الرفع على أنه اسم (كان) و قد قرئ به فى الشواذ. و مثله قوله:
«ما كانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا» «1» «وَ ما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا» «2» و قوله:
«وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا» أى أعنا و ألطف لنا بما تثبت معه أقدامنا و إن كان ثبوت القدم من فعل العباد لكن لما كان بلطفه و معونته جاز نسبته إليه مجازا.

اشارة

فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوابَ الدُّنْيا وَ حُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (148)

قوله: «فَآتاهُمُ اللَّهُ» يعنى من تقدم ذكره من الربيين الذين وصفهم. و قال الجبائى: يعنى به المسلمين الذين صفتهم ما تقدم ذكره أى أعطاهم اللّه ثواب الدنيا قال قتادة، و الربيع: هو نصرهم على عدوهم حتى ظفروا بهم، و قهروهم. و «ثَوابِ الْآخِرَةِ» : الجنة. و زاد ابن جريج الغنيمة. و يجوز أن يكون ما آتاهم اللّه فى الدنيا من الظفر و النصر و أخذ الغنيمة ثواباً مستحقاً لهم على طاعاتهم، لأن فى ذلک تعظيما لهم و تبجيلا، و لذلک تقول: إن المدح على أفعال الطاعة و التسمية بالأسماء الشريفة بعض الثواب، و يجوز أن يكون اللّه تعالى أعطاهم ذلک تفضلا منه تعالى، أو لما لهم فيه من اللطف، فتكون تسميته بأنه ثواب مجازاً. و حد الثواب هو النفع الخالص المستحق الذى يقارنه تعظيم و تبجيل، و العوض هو النفع المستحق الخالى من التعظيم و التبجيل، و التفضل هو النفع الذى ليس بمستحق و لا معه تعظيم و تبجيل.

و انما جاز تأخير الثواب المستحق مع ثبوت الاستحقاق له عقيب الطاعة لامرين:

أحدهما- قال أبو على: لأنه يوفر عليه ما يفوته فى زمان التكليف إلى خير الثواب. و قال الرمانى: لأنه إذا أخر عظم ما يستحقه بالتأخر على ما كان

---

(1) سورة الجاثية آية: 24.

(2) سورة الاعراف آية: 81 [.....]

لو قدم، لأنه إذا استحق مثلا مائة جزء عاجلا، فإذا أخر استحق مائة و عشرة أو مائة و جزء. و قيل فى وجه حسن تأخيره أنه لو كان عقيب الطاعة لأدى إلى أن يكون المكلف ملجأ إلى فعل الطاعة، لأن المنافع الكثيرة تلجئ إلى الفعل كما أن دفع المضار العظيمة تلجئ إلى مثله، و ذلک ينافى التكليف. و قوله: «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» أى يريد ثوابهم و تعظيمهم و تبجيلهم و الفرق بين الإحسان و الانعام أن الإحسان قد يكون إنعاماً بأن يكون نفعاً للمنتفعين به، و قد يكون احساناً بأن يكون فعلا حساً، و من القسم الأخير يقال هو تعالى محسن بفعل العقاب، و لا يقال محسن من القسم الأول. و يقال و هو محسن بفعل الثواب على الوجهين معا «1» .

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): الآيات 149 الى 150]..... ص: 14

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ (149) بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَ هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (150)
آيتان بلا خلاف.

هذا خطاب للمؤمنين حذرهم اللّه من أن يطيعوا الكفار، و بين أنهم إن أطاعوهم ردوهم كافرين. و المعنى ب «الَّذِينَ كَفَرُوا» قيل فيهم قولان:
أحدهما- قال الحسن، و ابن جريج إنهم اليهود، و النصارى أى إن تستنصحوهم و تقبلوا رأيهم يردوكم خاسرين. و قال السدى: أراد إن تطيعوا أبا سفيان و أصحابه يرجعوكم كافرين. و الطاعة موافقة الارادة المرغبة فى الفعل، و بالترغيب ينفصل من الاجابة، و إن كان موافقة الارادة حاصلة. و فى الناس من قال: الطاعة هى موافقة الأمر، و الاول أصح، لأن من فعل ما يقتضى العقل وجوبه أو حسنه يقال: إنه

---

(1) فى المخطوطة بالسقط (معاً).

مطيع للّه، و ان لم يكن هناک أمر على أن من امتثل الأمر إنما سمى مطيعاً لموافقة الارادة المرغبة من حيث أن الأمر لا يكون أمراً إلا بارادة المأمور به، و الطاعة تكون بمتابعة الواجب و الندب معاً، لأن الارادة تتناولهما.

و قوله: (إن تطيعوا) جزم بأنه شرط. و قوله: «يردوكم» جزم بأنه جواب الشرط. و قوله: «فتنقلبوا» جزم بالعطف عليه. و قوله: «خاسرين» نصب على الحال. و قوله: «بل اللّه»، فحقيقة (بل) الاضراب عن الأول إلى الثانى سواء كانا موجبين أو نفيين أو إحداهما موجباً و الآخر نفياً تقول: جاء زيد بل عمرو، و ما جاء زيد بل عمرو لم يجئ، و ما أتى زيد بل خالد.
فان قيل: كيف عطف ببل و هى لا تشرک الثانى مع الأول فى المعنى؟ قلنا: لأن الاضراب عن الاول كالبدل، و لذلک وجب العطف بالاشراک فى الاعراب كما يجب فى البدل غير أن البدل لم يحتج إلى حرف، لأن الثانى هو الأول أو فى تقدير ما هو كالأول، و (لكن) للاستدراک أيضاً، و هو يقتضى نفياً إما متقدماً أو متأخراً كقولک ما جاءنى زيد لكن عمرو، و جاء زيد لكن عمرو لم يأت، و بهذا فارقت بل. و قوله: «بل اللّه» كان يجوز النصب فى (اللّه) قال الفراء:
على معنى أطيعوا اللّه مولاكم، لأن قبله «إِنْ تُطِيعُوا» ثم أضرب عن الأول و أوجب الثانى بل أطيعوا اللّه (مولاكم). و الرفع يحتمل أن يكون على الابتداء و مولاكم خبره، و يحتمل أن يكون مولاكم مبتدأ، و (اللّه) خبره، و قد قدم عليه. و معنى مولاكم أى هو أولى بطاعتكم و نصرتكم. و قيل معناه وليكم بالنصرة بدلالة قوله: «هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ» و الأصل فيه، ولى الشىء الشىء من غير فصل بينه و بينه، فالولاية إيلاء النصرة، و يجوز لأنه يتولى فعل النصرة، و ان لم يكله إلى غيره، لأن من فعل شيئاً فقد تولى فعله.
فان قيل: كيف قال: «وَ هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ» مع أنه لا يعتد بنصر غير اللّه مع نصرته؟ قيل: معناه إنه ان اعتد بنصرة غير اللّه فنصرة التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 16
اللّه خير منها، لأنه لا يجوز أن يغلب، و غيره يجوز أن يغلب، و ان نصر فالثقة بنصرة اللّه تحصل، و لا تحصل بنصرة غيره.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 151]..... ص: 16

اشارة

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِما أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَ مَأْواهُمُ النَّارُ وَ بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (151)

- آية بلا خلاف-.

ذكر ابن إسحاق أنه لما نال المسلمين ما نالهم يوم أحد بمخالفة الرماة أمر نبيهم (ص)، و كان من ظهور المشركين عليهم ما كان عرفهم اللّه عز و جل الحال في ذلک ثم وعدهم بالنصر لهم، و الخذلان، لأعدائهم بالرعب. و ذكر السدى: أن أبا سفيان و أصحابه هموا بالرجوع بعد أحد لاستئصال المسلمين عند أنفسهم، فالقى اللّه الرعب في قلوبهم حتى انقلبوا خائبين عقوبة على شركهم «بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً» يعنى برهاناً.

فالسلطان معناه ها هنا الحجة، و البرهان. و أصله القوة، فسلطان الملک قوته. و السلطان: البرهان لقوته على دفع الباطل. و السلطان: التوكيل على المطالبة بالحق، لأنه تقوية عليه، و التسليط على الشىء: التقوية عليه مع الإغراء به.
و السلاطة: حدة اللسان مع شدة الصخب للقوة على ذلک مع إثبات «1» فعله:
و السليط: الزيت لقوة اشتعاله بحدته. و الإلقاء حقيقته فى الأعيان، كقوله: «وَ أَلْقَى الْأَلْواحَ» «2» و استعمل فى الرعب مجازاً، و مثل قوله: «وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْکَ مَحَبَّةً مِنِّى» «3»، و قوله: «وَ مَأْواهُمُ النَّارُ» أى مستقرهم و فى الآية دلالة على

---

(1) فى المخطوطة (إيثار)
(2) سورة الاعراف آية: 149.
(3) سورة طه آية: 39.

فساد التقليد، لأنه لا برهان مع صاحبه على صحة مذهبه، فكل من قال بمذهب لا برهان عليه، فمبطل بدلالة الآية. و قوله: «وَ بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ» فالمثوى:
المنزل، و أصله الثواء، و هو طول الاقامة ثوى يثوى ثواء: إذا طال مقامة و أثوانى فلا مثوى أى أنزلنى منزلا و ربة البيت: أم مثواه. و الثوى: الضيف لأنه مقيم مع القوم. و انما قيل لجهنم «بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ» و بئس للذم، كما أن نعم للحمد لامرين:
أحدهما- إن الضرر تنفر منه النفس كما ينفر العقل من القبح فجرى التشبيه على وجه المجاز- هذا قول أبى على-. و قال البلخى: لأن الذم يجرى على النقص كما يجرى على القبح حقيقة فيهما، نحو قولهم: الأخلاف المحمودة و الأخلاق المذمومة
و روى عن النبى (ص) أنه قال: (نصرت بالرعب مسيرة شهر)
و قد رعبته رعباً أى أ فزعته، و الاسم الرعب و رعبت الأناء إذا ملأته، فهو مرعوب.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 152]..... ص: 17

اشارة

وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ وَ تَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152)

ذكر ابن عباس، و البراء بن عازب، و الحسن، و قتادة، و السدى، و الربيع، و ابن إسحاق: أن الوعد المذكور كان يوم أحد، لأن المسلمين كانوا يقتلون المشركين قتلا ذريعاً حتى أخل الرماة بمكانهم الذى أمرهم النبى (ص) بملازمته، فحينئذ حمل خالد بن الوليد من وراء المسلمين، و تراجع المشركون، و قتل من المسلمين التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 18 سبعون رجلا ثم هزموا، و قد نادى مناد قتل محمد ثم من اللّه على المسلمين، فرجعوا و قويت نفوسهم، و نزل الخذلان بعدوهم، حتى و لوا عنهم، و معنى «تحسونهم» تقتلونهم.

و الحس هو القتل على وجه الاستئصال قال جرير:
تحسهم السيوف كما تسامى حريق النار فى أجم الحصيد «1»
و أصله الاحساس. و منه قوله: «هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ» «2» و قوله: «فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ» «3» أى وجده من جهة الحاسة، و حسه يحسه:
إذا قتله، لأنه أبطل حسه بالقتل، و التحسس طلب الاخبار. و فى التنزيل «يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ» «4» و ذلک لأنه طلب لهما بحاسة السمع.
و المحسة التى ينفض بها التراب عن الدابة، لأنه يحس بها من جهة حكها لجلدها.
و قوله: «باذنه» معناه بعلمه. و يجوز أن يكون المراد بلطفه، لأن أصل الاذن الإطلاق فى الفعل، فاللطف تيسر «5» له، كما أن الاذن كذلک إلا أن اللطف تدبير يقع معه الفعل لا محالة اختياراً كما يقع فى أصل الاذن اختياراً.

قال أبو على قوله: «إِذْ تَحُسُّونَهُمْ» يعنى يوم بدر «حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ» يوم أحد «مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ» يوم بدر. و الأولى أن يكون هذا حكاية عن يوم أحد على ما بيناه. و قوله: «حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ» معناه جبنتم عن عدوكم و كعتم

_____

(1) ديوانه 1: 47 من قصيدة يمدح بها الحجاج.
(2) سورة الكهف آية: 99.
(3) سورة آل عمران آية: 52.
(4) سورة يوسف آية: 87.
(5) فى المخطوطة (تفسير).

«وَ تَنازَعْتُمْ» فى الأمر يعنى اختلفتم «مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ» معناه أنهم أعطوا النصر، فخالفوا فى ما قيل لهم من لزوم فم الشعب. و اختلفوا، فعوقبوا بأن ديل عليهم فى قول الحسن. و قوله: «مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا» أى منكم من قصده الغنيمة فى حربكم «وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» أى بثبوته فى موضعه بقصده بجهاده إلى ما عند اللّه فى قول ابن مسعود، و ابن عباس، و الربيع.

فان قيل أين جواب «حتى إذا» قلنا: فيه قولان:
أحدهما- إنه محذوف، و تقديره امتحنتم.
و الآخر- على زيادة الواو و التقديم و التأخير، و تقديره حتى إذا تنازعتم فى الأمر، فشلتم- فى قول الفراء-، كما قال «فَلَمَّا أَسْلَما وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ» «1» و معناه ناديناه، و الواو زائدة. و مثله «حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ... وَ اقْتَرَبَ» «2» و معناه اقترب. و مثله قوله: «حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ» «3» و أنشد:
حتى إذا قملت بطونكم و رأيتم أبناءكم شبوا
قلبتم ظهر المجن لنا ان اللئيم العاجز الخب «4»
و البصريون لا يجيزون زيادة الواو و يتأولون جميع ما استشهد به على الحذف لأنه أبلغ فى الكلام، و أحسن من جهة الإيجاز. و قوله: «ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ» قيل فى إضافة انصرافهم إلى اللّه مع أنه معصية قولان:

---

(1) سورة الصافات: آية 103- 105.
(2) سورة الأنبياء: آية 76- 77.
(3) سورة الزمر: آية 73.
(4) قائلهما الأسود بن يعفر النهشلى و هو فى اكثر الكتب غير منسوب
معانى القران:
للفراء 1: 107، 238 و اللسان: (قمل) و تأويل مشكل القرآن 2 381.
المعانى الكبير:
533 و اللسان: (وقب) قملت بطونكم: كثرت قبائلكم المجن: الترس. الخب المخادع.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 20
أحدهما- إنهم كانوا فريقين منهم من عصى بانصرافه، و منهم من لم يعص، لأنهم قلوا بعد انهزام تلك الفرقة، فانصرفوا بإذن اللّه بأن التجأوا إلى أحد، لأن اللّه إنما أوجب ثبات المائة للمائتين فإذا نقصوا، لا يجب عليهم ذلك. و جاز أن يذكر الفريقين فى الجملة بأنه صرفهم، و بأنهم عفا عنهم، و يكون على ما بيناه فى التفصيل هذا قول أبى على. و قال البلخى «ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ» معناه لم يأمركم بمعاودتهم من فورهم «لِيَبْتَلِيَكُمْ» بالمظاهرة فى الانعام عليكم، و التخفيف عنكم. و قوله: «وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. إِذْ تُصْعِدُونَ» فإذ تصعدون متعلق بقوله: «وَ لَقَدْ عَفا» فى قول الزجاج. و قال الجبائى قوله: «وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ» خاص لمن لم يعص بانصرافه، و الأولى أن يكون عاماً فى جميعهم، لأنه لا يمتنع أن يكون اللّه

عفا لهم عن هذه المعصية.
و قال البلخى: معناه «وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ» بتتبعهم بعد أن كان أمرهم بالتتبع لهم، فلما بلغوا حمراء الأسد أعفاهم من ذلک، و لا يجوز أن يكون، صرفهم فعل اللّه، لأنه قبيح و اللّه تعالى لا يفعل القبيح.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 153]..... ص: 20

اشارة

إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا ما أَصابَكُمْ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (153)

آية

التقدير اذكروا «إِذْ تُصْعِدُونَ» و يجوز أن يكون متعلقاً بقوله: «وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ... إِذْ تُصْعِدُونَ»، و الفراء كلهم على ضم التاء من الإصعاد. و قرأ الحسن بفتح التاء و العين من الصعود، و قيل: الإصعاد فى مستوى الأرض، و الصعود فى التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 21
ارتفاع يقال أصعدنا من مكة إذا ابتدأنا السفر منها و كذلک أصعدنا من الكوفة إلى خراسان على قول الفراء، و المبرد، و الزجاج. و وجه ذلک أن الإصعاد إبعاد فى الأرض كالابعاد فى الارتفاع، و على ذلک تأويل «تُصْعِدُونَ» أى أصعدوا فى الوادى يوم أحد عن قتادة، و الربيع. و قال ابن عباس و الحسن انهم صعدوا فى أحد فى الجبل فراراً، فيجوز أن يكون ذلک بعد أن أصعدوا فى الوادى. و قوله «وَ لا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ» معناه لا تعرجون على أحد. و قوله: «وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِى أُخْراكُمْ»
قال ابن عباس و السدى، و الربيع: إن النبى (ص) كان يدعوهم، فيقول: ارجعوا أى عباد اللّه ارجعوا أنا رسول اللّه.
و قوله: «فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ» فى معناه قولان:
أحدهما- إنه إنما قيل فى الغم ثواب، لأن أصله ما يرجع من الجزاء على الفعل طاعة كان أو معصية ثم كثير فى جزاء الطاعة كما قال الشاعر:
و ارانى طرباً فى إثرهم طرب الواله أو كالمختبل
فعلى هذا يكون الغم عقوبة لهم على فعلهم، و هزيمتهم. و الثانى- أن يكون وضع الشىء مكان غيره كما قال «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» «1» أى ضعه موضع البشارة، كما قال الشاعر:
أخاف زياداً أن يكون عطاؤه أداهم سودا او محدرجة سمرا «2»
أراد بقوله سودا قيودا. و قيل فى معنى قوله: «غَمًّا بِغَمٍّ» قولان:
أحدهما- غماً على غم، كما يقال: نزلت ببنى فلان و على بنى فلان. و قال قتادة، و الربيع: الغم الأول: القتل و الجراح. و الثانى: الإرجاف بقتل محمد (ص).
و القول الثانى- غماً بغم أى مع غم كما يقال: ما زلت بزيد حتى فعل أى

---

(1) سورة الأنبياء: 3، و التوبة آية: 35، و الانشقاق آية: 24. [.....]
(2) قائله الفرزدق. ديوانه: 227، و النقائض: 618 و طبقات فحول الشعراء:
256، و تاريخ الطبرى 6: 139، و معانى القرآن للفراء 1: 239. و رواية مختلفة. و فى أغلب المصادر هكذا:
و لما خشيت أن يكون عطاؤه....

مع زيد. و قال الحسن غما يوم أحد بعد غم يعنى يوم بدر. أى كله للاستصلاح و ان احتلف الحال. و قال الحسين بن على المغربى: معنى «غَمًّا بِغَمٍّ» يعنى غم المشركين بما ظهر من قوة المسلمين على طلبهم على حمراء الأسد، فجعل هذا الغم عوض غم المسلمين بما نيل منهم. و قوله: «لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ» معناه ما فاتكم من الغنيمة «وَ لا ما أَصابَكُمْ» من الهزيمة فى قول ابن زيد. و اللام فى قوله: «لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ» يحتمل أن يكون متعلقا بقوله: «عَفا عَنْكُمْ» «لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ» و يحتمل أن يتعلق ب «فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ» من الغنيمة و لا ما أصابكم من الشدة فى طاعة اللّه، لأن ذلک يؤديكم إلى مضاعفة الغم عليكم.
و قوله: (وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ) فيه تجديد تحذير بأنه لا يخفى عليه شىء من أعمال العباد.

اشارة

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً يَغْشى طائِفَةً مِنْكُمْ وَ طائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (154)
آية بلا خلاف.

قرأ حمزة، و الكسائى: تغشى بالتاء الباقون بالياء. فمن قرأ بالتذكير أراد التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 23
النعاس، و من أنث أراد الامنة، و مثله «أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى» «1» «و إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِى» «2» بالتاء، و الياء. و قرأ أبو عمرو، وحده «إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ» بالرفع. الباقون بالنصب، و وجه الرفع أنه على الابتداء، كما قال: «وَ كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ» «3» و يكون (للّه) خبره، لأنه لما وقع الأمر فى الجواب اديت صورته فى الاسم ثم جاءت الفائدة فى الخبر، و لأنه نقيض بعض، فكما يجوز الرفع فى (بعض) يجوز فى (كل) نحو إن الأمر بعضه لزيد. و النصب على أنه تأكيد للأمر «و امنة» منصوب، لأنه مفعول به، و نعاساً بدلا منه، و النعاس هو الامنة.
و هذه الأمنة التى ذكرها اللّه فى هذه الآية نزلت يوم أحد فى قول عبد الرحمن ابن عوف و أبى طلحة، و الزبير بن العوام، و قتادة، و الربيع، و كان السبب فى ذلك توعد المشركين لهم بالرجوع، فكانوا تحت الجحف متهيئين للقتال فأنزل اللّه تعالى الأمنة على المؤمنين، فناموا دون المنافقين الذين أزعجهم الخوف بأن يرجع الكفار عليهم أو يغيروا على المدينة لسوء الظن، فطير عنهم النوم على ما ذكره ابن إسحاق و ابن زيد، و قتادة، و الربيع. و قوله: «يَغْشى طائِفَةً مِنْكُمْ» يعنى النعاس يغشى المؤمنين «وَ طائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ» الفراء على الرفع. و الواو واو الحال كأنه قال: يغشى النعاس طائفة فى حال ما أهمت طائفة منهم أنفسهم. و رفعه بالابتداء، و الخبر يظنون، و يصلح أن يكون الخبر «قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ» و الجملة فى موضع الحال. و لا يجوز النصب على أن يجعل واو العطف كما تقول ضربت زيداً و عمراً كلمته. و التقدير و أهمت طائفة أهمتهم أنفسهم.

و قوله: (يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ) قيل فى معناه قولان:

---

(1) سورة القيامة آية: 27.
(2) سورة الدخان: 43- 45.
(3) سورة النمل آية: 87.

أحدهما- قال الحسن أخرجنا كرهاً، و لو كان الأمر إلينا ما خرجنا.
و ذلک من قبل عبد اللّه بن أبى بن سلول، و معتب بن قشير على قول الزبير بن العوام، و ابن جريج.
و الآخر- أى ليس لنا من الظفر شىء كما عدونا على وجه التكذيب بذلک «يُخْفُونَ فِى أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَکَ» أى من الشک، و النفاق، و تكذيب الوعد بالاستعلاء علَى أهل الشرک ذكره الجبائى. و قوله: «وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِى صُدُورِكُمْ» يحتمل أمرين:
أحدهما- ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر لكم مظاهرة فى العدل عليكم و إخراج مخرج كلام المختبر لهذه لعلة، لأنه تعالى عالم بالأشياء قبل كونها، فلا يبتلى ليستفيد علماً.
و الثانى- ليبتلى أولياء اللّه ما فى صدوركم إلا أنه أضيف الابتلاء إلى اللّه عز و جل تفخيما لشأنه. و قوله: (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ) يحتمل أمرين: أحدهما- لو تحلتفتم لخرج منكم الذين كتب علَيهم القتل و لم يكن لينجيه قعودكم- عن أبى على-.
الثانى- لو تخلفتم لخرج المؤمنون، و لم يتخلفوا بتخلفكم ذكره البلخى، و لا يوجب ذلک أن يكون المشركون غير قادرين على ترک القتال من حيث علم اللّه منهم ذلک، و كتبه، لأنه كما علم أنهم لا يختارون ذلک بسوء اختيارهم علم انهم قادرون. و لو وجب ذلک لوجب أن لا يكون تعالى قادرا على ما علم أنه لا يفعله و ذلک كفر باللّه.

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (155)
آية التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 25

روى عن عمر بن الخطاب، و قتادة، و الربيع: ان المعنى بالمتولى فى هذه الآية هم الذين و لو الدبر عن المشركين بأحد. و قال السدى: هم الذين هربوا إلى المدينة فى وقت الهزيمة. و قوله: (إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا) قيل فى الكسب الذى أداهم إلى الفرار الذى اقترفوه قولان:

أحدهما- محبتهم للغنيمة مع حرصهم على تبقية الحياة، و فى ذلک الوجه عما يؤدى إلى الفتور فيما يلزم من الأمور على قول الجبائى.

و الثانى- ذكره الزجاج، استزلهم بذكر خطايا سلفت لهم، فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة منها، و الخروج من المظلمة فيها. و قوله: (وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ) يحتمل أمرين:

أحدهما- قال ابن جريج، و ابن زيد: حلم عنهم إذ لم يعاجلهم بالعقوبة به، ليدل على عظم تلک المعصية.

و الآخر- عفا لهم تلک الخطيئة ليدل على أنهم قد أخلصوا التوبة. و قوله: إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ فحلمه تعالى عنهم هو إمهاله بطول المدة بترک الانتقام مع ما فعل بهم من ضروب الانعام.

و أصل الحلم الاناة، و هى ترک العجلة، فالامهال بفعل النعمة بدلا من النقمة كالاناة بترک العجلة. و منه الحلم فى النوم، لأن حال السكون و الدعة كحال الاناة. و منه الحلمة: رأس الثدى، لخروج اللبن الذى يحلم الصبى.

و ذكر البلخى أن الذين بقوا مع النبى (ص) يوم أحد فلم ينهزموا ثلاثة عشر رجلا: خمسة من المهاجرين: على (ع) و أبو بكر، و طلحة، و عبد الرحمن ابن أبى عوف، و سعد بن أبى وقاص، و الباقون من الأنصار. فعلى و طلحة، لا خلاف فيهما. و الباقون فيهم خلاف. و أما عمر،

أصعد فى الجبل كانى أروى «1» . و عثمان انهزم، فلم يرجع إلا بعد ثلاثة [أيام] «2» فقال له النبى (ص): لقد ذهبت فيها عريضة.

و فى الآية دليل على فساد قول المجبرة: من أن المعاصى من اللّه، لأنه تعالى نسب ذلک فى الآية إلى الاستزلال الشيطان.

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبُوا فِی الْأَرْضِ أَوْ كانُوا غُزًّی لَوْ كانُوا عِنْدَنا ما ماتُوا وَ ما قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِکَ حَسْرَةً فِی قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ يُحْيِی وَ يُمِيتُ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (156) آية

هذا خطاب متوجه إلى المؤمنين الذين نهاهم اللّه أن يكونوا مثل الذين كفروا، و قالوا لإخوانهم،، و هم عبد اللّه بن أبى بن سلول، و أصحابه- فى قول السدى و مجاهد-: إِذا ضَرَبُوا فِى الْأَرْضِ» أى سافروا فيها لتجارة أو طلب معيشة- فى قول ابن إسحاق، و السدى-، فأصله الضرب باليد. و قيل الأصل فى الضرب فى الأرض الإيغال فى السير «أَوْ كانُوا غُزًّى» أى جمع غاز كما قالوا: شاهد و شهد، و قائل و قول، قال رؤية:

فاليوم قد نهنهنى تنهنهى و أول حلم ليس بالمسفه

و قوّل: الاده فلاده «3»

---

(1) اروى: ضأن الجبل. ج أروية- بضم الهمزة و كسرها-.

(2) (ايام) ساقطة من المطبوعة

(3) ديوانه: 166 و مجاز القرآن لأبى عبيدة 1: 906 و اللسان: (قول)، (ده) و خزانة الأدب 3: 90 و غيرها و هو من قصيدة يذكر فيها شبابه. نهنهت فلانا عن الشىء- فتنهنه زجرته فانزجر. و الأول: الرجوع و قد اختلف فى تفسير (الاده فلاده). قال أبو عبيدة: ان لم يكن هذا، فلا ذا و قال ابن قتيبة: ان لم يكن هذا الأمر لم يكن غيره.

و يروى أهل العربية ان الدال مبدلة من ذال. قال بعضهم: هذا مثل يضرب للرجل يطلب شيئاً فإذا منعه، طلب غيره. و قال الأصمعى: لا أدرى ما أصله. قال بعضهم: (ده) كلمة فارسية:

و يجوز فيه غزاة كقاض، و قضاة. و غزاء ممدود كخارب و خراب، و كاتب و كتاب. و يجوز (قالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبُوا فِى الْأَرْضِ،) و لا يجوز أكرمتك إذا زرتنى على أن توقع إذا موضع إذ، لأمرين:

أحدهما- لأنه متصل ب «لا تكونوا» كهؤلاء إذا ضرب إخوانكم فى الأرض.

الثانى- لأن (الذى) إذا كان مبهما غير موقت يجرى مجرى ما فى الجزاء، فيقع الماضى فيه. موقع المستقبل، نحو «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» «1» معناه يكفرون، و يصدون. و مثله «إِلَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ» «2» معناه إلا من يتوب. و مثله كثير. و يجوز لأكرمن الذى أكرمك إذا زرته، لابهام الذى، و لا يجوز لأكرمن هذا الذى أكرمك إذا زرته، لتوقيت الذى من أجل الاشارة إليه بهذا و لأنه دخله معنى كلما ضربوا فى الأرض، فلا يصح على هذا المعنى إلا بإذا دون إذ قال الشاعر:

و انى لآتيكم تشكر ما مضى من الأمر و استيجاب ما كان فى غد «3»

أى ما يكون فى غد، و هذا قول الفراء و اللام فى قوله: «لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِكَ

حَسْرَةً فِی قُلُوبِهِمْ» متعلقة ب «لا تکونوا» کهؤلاء الکفار فی هذا القول منهم، «لِیَجْعَلَ اللَّهُ ذلِکَ حَسْرَةً فِی قُلُوبِهِمْ» دونکم.
و الثانی- قالوا ذلک لیجعله حسرة علی لام العاقبة- و هذا قول أبی علی- و الحسرة علیهم فی ذلک من وجهین:
أحدهما- الخیبة فیما أملوا من الموافقة لهم من المؤمنین، فلما لم یقبلوا منهم،

---

(1) سورة الحج: آیة 25.
(2) سورة مریم: آیة 60.
(3) انظر 1: 351.

کان ذلک حسرة فی قلوبهم.
و الآخر- ما فاتهم من عز الظفر و الغنیمة. قوله: «وَ اللَّهُ یُحْیِی وَ یُمِیتُ» معناه هاهنا الاحتجاج علی من خالف أمر اللّه فی الجهاد طلباً للحیاة، و هرباً من الموت، لأن اللّه تعالی إذا کان هو الذی یحیی و یمیت لم ینفع «1» الهرب من أمره بذلک خوف الموت، و طلب الحیاة «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ» أی مبصر. و یحتمل أن یکون بمعنی علیم. و فیه تهدید، لأن معناه أن اللّه یجازی کلا منهم بعمله ان خیراً فخیراً و ان شراً فشراً.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 157]..... ص: 28

اشارة

وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ خَیْرٌ مِمَّا یَجْمَعُونَ (157)
آیة

إن قيل كيف قال: «لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» مع تفاوت ما بينهما ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول الإنسان للمدرة «2» خير من البعرة؟! قيل: إنما جاز ذلک لأن الناس يؤثرون حال الدنيا على الآخرة حتى أنهم يتركون الجهاد فى سبيل اللّه محبة للدنيا، و الاستكثار منها، و ما جمعوا فيها.

فان قيل أين جواب الجزاء ب (ان)؟ قيل: استغنى عنه بجواب القسم فى قوله: «لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ» و قد اجتمع شيئان كل واحد منهما يحتاج إلى جواب، فكان جواب القسم أولى بالذكر- لأن له صدر الكلام- مما يذكر فى حشوه.

فان قيل: لم شرط «لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» و هو خير كيف

_____

(1) فى المخطوطة (لم يمنع).

(2) فى المخطوطة (الذرة).

تصرفت الحال؟ قلنا: لأنه لا يكون «المغفرة» بالتعرض للقتل فى سبيل اللّه خيراً من غير أن يقع التعرض لذلک لاستحالة استحقاقها بما لم يكن منه، لأنه لم يفعل.

فان قيل: لم جاز جواب القسم مع الماضى فى الجزاء دون المستقبل فى نحو قولهم لئن قتلتم لمغفرة خير؟ قلنا: لأن حرف الجزاء إذا لم يعمل فى الجواب لم يحسن أن يعمل فى الشرط، لأن إلغاءه من أحدهما يوجب الغاءه من الآخر كما أن اعماله فى أحدهما يوجب اعماله فى الآخر لئلا يتنافر الكلام بالتفاوت.

فان قيل: لم أعلمت (ان) و لم تعمل (لو) و كل واحدة منهما تعقد الفعل بالجواب؟ قلنا: لأن (ان) تنقل الفعل نقلين على «1» الاستقبال، و الجزاء، و ليس كذلک (لو) لأنها لما مضى.

ان قيل: كيف وجب بالتعرض للقتل المغفرة و إنما تجب بالتوبة؟ قلنا: لأنه يجب به تكفير الصغيرة مع أنه لطف فى التوبة من الكبيرة. و معنى الآية أن المنافقين كانوا يثبطون المؤمنين عن الجهاد، على ما تقدم شرحه فى هذه السورة فبين اللّه تعالى لو انكم إن قتلتم أو متم من غير أن تقتلوا «لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ» تنالونها «خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» من حطام الدنيا، و البقاء فيها، و انتفاعكم فى هذه الدنيا، لأن جميع ذلک إلى زوال.

اشارة

وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (158)
آية

اللام فى قوله: (وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ) يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون خلفاً من القسم، و يكون اللام فى قوله: «لَإِلَى اللَّهِ» جواباً كقولک: و اللّه ان متم أو قتلتم لتحشرون إلى اللّه.

---

(1) فى المطبوعة (فى) بدل (الى)

و الثانى- أن تكون مؤكدة لما بعدها، كما تؤكد (ان) ما بعدها، و تكون الثانية جواباً لقسم محذوف، و النون مع لام القسم فى فعل المضارع لا بد منها، لأن القسم أحق بالتأكيد من كلما تدخله النون من جهة أن ذكر القسم دليل أنه من مواضع التأكيد فإذا جازت فى غيره من الأمر، و النهى، و الاستفهام، و العرض، و الجزاء مع ما إذ كان ذكر القسم قد أنبأ أنه من مواضع التأكيد، لزمت فيه، لأنه أحق بها من غيره «1» . و الفرق بين لام القسم و لام الابتداء: أن لام الابتداء تصرف الاسم إليه، فلا يعمل فيه ما قبلها نحو (قد علمت لزيد خير منک) (و قد علمت بأن زيداً ليقدم). و ليس كذلک لام القسم، لأنها لا تدخل على الاسم، و لا تكسر لها لام (إن) نحو قد علمت ان زيداً ليقومن، و يلزمها النون فى المستقبل. و الفرق بين (أو) و (أم) أن (أم) استفهام، و فيها معادلة الالف نحو (أزيد فى الدار أم عمرو) و ليس ذلک فى (أو) و لهذا اختلف الجواب فيهما، فكان فى (أم) بالتعيين و فى (أو) ب (نعم) أو (لا) و معنى الآية الحث على الجهاد و ترک التعاقد. و يقال أن اللّه يحشر العباد ليجزى كل واحد على ما يستحقه: المحسن على إحسانه و المسىء على إساءته سواء قتل أو مات كيف تصرفت به الحال.

اشارة

فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)
آية.

_____
(1) فى المخطوطة (لم لام الاخر من تفسير) بدل (فيه لأنه أ حق بها من غير) و قد أثبتنا ما فى المطبوعة لأنه أوضح. [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 31

قوله:(فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ) معناه فبرحمة، و ما زائدة بإجماع المفسرين ذهب إليه قتادة، و الزجاج، و الفراء و جميع أهل التأويل. و مثله قوله: «عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ» فجاءت (ما) مؤكدة للكلام و سبيل دخولها لحسن النظم، كدخولها لا تزان الشعر، و كل ذلک تأكيد ليتمكن المعنى فى النفس، فجرى مجرى التكرير. قال الحسن بن على المغربى عندى أن معنى (ما) أى و تقديره فبأي رحمة من اللّه، و هذا ضعيف. و رحمة مجرورة بالباء، و لو رفعت كان جائزاً على تقدير فيما هو رحمة. و المعنى ان لينک لهم مما يوجب دخولهم فى الدين، لأنک تأتيهم بالحجج و البراهين مع لين خلق.

و قوله: (وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) فالفظ الجافى، و الغليظ القلب القاسى، يقال فيه فظظت تفظ فظاظة، فأنت فظ، و هو على وزن فعل إلا أنه ادغم كضب. و أصل الفظاظة الجفوة. و منه الفظاظة. و منه الفظاظ:
خشونة الكلام. و الافتظاظ: شرب ماء الكرش لجفائه على الطباع.
و قوله: (فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ) انما جمع بين الصفتين مع اتفاقهما فى المعنى، لازالة التوهم أن الفظاظة فى الكلام دون ما ينطوى عليه القلب من الحال، و هو وجه من وجوه التأكيد إذ يكون لازالة الغلط فى التأويل، و لتمكين المعنى فى النفس بالتكرير، و ما يقوم مقامه.
و قوله: (وَ شاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ) أمر من اللّه تعالى لنبيه أن يشاور أصحابه يقال شاورت الرجل مشاورة و شواراً و ما يكون عن ذلك اسمه المشورة. و بعضهم يقول المشورة. و فلان حسن الشورة، و الصورة أى حسن الهيئة و اللباس و إنه لشير صير، و حسن الشارة، و الشوار: متاع البيت. و معنى شاورت فلاناً أى التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 32
أظهرت ما عندى فى الرأى، و ما عنده «1» . و شرت الدابة أشورها: إذا امتحنتها فعرفت هيئتها فى سيرها. و قيل فى وجه مشاورة النبى (ص) إياهم مع استغنائه بالوحى عن تعرف صواب الرأى من العباد ثلاثة أقوال:
أحدها- قال قتادة، و الربيع، و ابن إسحاق أن ذلك على وجه التطييب لنفوسهم، و التألف لهم، و الرفع من أقدارهم إذ كانوا ممن يوثق بقوله: «و يرجع إلى رأيه» .
و الثانى- قال سفيان بن عيينه: وجه ذلك لتقتدى به أمته فى المشاورة و لا يرونها منزلة نقيصة كما مدحوا بأن أمرهم شورى بينهم.
الثالث- قال الحسن، و الضحاك: انه للأمرين، لاجلال الصحابة و اقتداء الأمة به فى ذلك. و أجاز أبو على الجبائى: أن يستعين برأيهم فى بعض أمور الدنيا.
و قال قوم: وجه ذلك أن يمتحنهم فيتميز الناصح فى مشورته من الغاش النية.
و قوله: «فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» فالتوكل على اللّه هو تفويض الأمر إليه للثقة بحسن تدبيره، و أصله الاتكال. و هو الاكتفاء فى فعل ما يحتاج إليه بمن يسند إليه. و منه الوكالة، لأنها عقد على الكفاية بالنيابة و الوكيل هو المتكل عليه بتفويض الأمر إليه. و قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» معناه يريد ثوابهم على توكلهم و اسنادهم أمورهم إلى اللّه تعالى.

اشارة

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِی یَنْصُرُکُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَی اللَّهِ فَلْیَتَوَکَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160)
- آیة بلا خلاف-.

معنى هذه الآية الترغيب فى طاعة اللّه التى يستحق بها النصرة، و التحذير

---

(1) فى المخطوطة ساقطة جملة (فى الرأى و ما عنده).

من معصيته التى يستحق بها خذلانه مع إيجاب التوكل عليه الذى يؤمن معه أن يكلهم إلى أنفسهم فيهلكوا، و لأنه إذا نصرهم اللّه فلا أحد يقدر على مغالبته، و إذا خذلهم فلا أحد يقدر على نصرتهم بعده. و (من) فى قوله: «فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ» معناها التقرير بالنفى فى صورة الاستفهام أى لا ينصركم أحد من بعده، كما تقول من يعد لک إن فسقک الامام. و إنما تضمن حرف الاستفهام معنى النفى، لأن جوابه يجب أن يكون بالنفى، فصار ذكره يغنى عن ذكر جوابه.

و كان أبلغ لتقرير المخاطب فيه. قال أبو على الجبائى: و فى الآية دليل على أن من غلبه أعداء اللّه من الباغين لم ينصره اللّه، لأنه لو نصره لما غلبوه، و ذلک بحسب ما فى المعلوم من مصالح العباد من تعريض المؤمنين لمنازل الأبرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم يجعل على أمان من غلبة الفجار، و هذا إنما هو فى النصر بالغلبة، فاما النصر بالحجة، فان اللّه تعالى نصر المؤمنين من حيث هداهم إلى طريق الحق بما نصب لهم من الأدلة الواضحة و البراهين النيرة، و لو لا ذلک لما حسن التكليف.

قال البلخى: المؤمنون منصورون أبداً إن غلبوا، فهم المنصورون بالغلبة، و ان غلبوا، فهم المنصورون بالحجة. قال الجبائى: و النصر بالغلبة ثواب، لأنه لا يجوز أن ينصر اللّه الظالمين من حيث لا يريد استعلاءهم بالظلم على غيرهم.

و قال ابن الأخشاد: ليس بثواب كيف تصرفت الحال، لأن اللّه قد أمرنا أن ننصر الفئة المبغى عليها. و قال البلخى لا يجوز أن ينصر اللّه الكافر على وجه. فأما الخذلان فعقاب بلا خلاف. و الخذلان هو الامتناع من المعونة على العدو فى وقت الحاجة إليها، لأنه لو امتنع إنسان من معونة بعض الملوک على عدوه مع استغنائه عنها لم يكن خاذلا، و كذلک سبيل المؤمن المغلوب فى بعض الحروب ليس يحتاج إلى المعونة مع الاستفساد بها بدلا من الاستصلاح، فلذلک لم يكن ما وقع به على جهة الخذلان.

اشارة

وَ ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (161)
آية

قرأ ابن كثير و ابن عمرو، و عاصم «يغل» بفتح الياء و ضم الغين. الباقون بضم الياء و فتح الغين. فمن قرأ بفتح الياء و ضم الغين، فمعناه ما كان لنبى أن يخون يقال من الغنيمة غل يغل: إذا خان فيها. و من الخيانة أغل يغل قال النمر بن تولب:

جزى اللّه عنا حمزة ابنة نوفل جزاء مغل بالامانة كاذب

بما سألت عنى الوشاة ليكذبوا على و قد أوليتها فى النوائب «1»

[و يقال من] «2» الخيانة غل يغل، و من قرأ بضم الياء و فتح الغين أراد، و ما كان لنبى أن يخون أى ينسب إليه الخيانة. و يحتمل أن يكون أراد ما كان لنبى أن يخان بمعنى يسرق منه. و يكون تخصيص النبى بذلك تعظيما للذنب. قال أبو على الفارسى: لا يكاد يقال: ما كان لزيد أن يضرب، فهذه حجة من قرأ بفتح الياء. و قال ابن عباس، و سعيد بن جبير: سبب نزول هذه الآية أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم، فقال بعضهم لعل النبى (ص) أخذها. و قال الضحاك إنما لم يقسم للطلائع من المغنم، فعرفه اللّه الحكم. و روى عن الحسن أنه قال: معنى يُغل يُخان. و قال بعضهم: هذا غلط، لأنه لا يجوز أن يخان أحد نبياً كان أو غيره، فلا معنى للاختصاص. و هذا الطعن ليس بشىء لأن وجه اختصاصه بالذكر لعظم خيانته على خيانة غيره، كما قال: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ» «3» و إن وجب اجتناب جميع الارجاس، و قد يجوز أن يخص النبى بالذكر، لأنه القائم

---

(1) الصحاح للجواهر (غلل).

(2) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

(3) سورة الحج: آية: 3

بأمر الغنائم، فيكون بمنزلة ما كان لأحد أن يغل. و أصل الغلول هو الغلل، و هو دخول الماء فى خلل الشجر تقول: انغل الماء فى أصول الشجر ينغل انغلالا، فالمغلول الخيانة، لأنها تجرى فى الملك على خفى من غير الوجه الذى يحل كالغلل، و انما خصت الخيانة بالصفة دون السرقة، لأنه يجرى إليها بسهولة، لأنها مع عقد الامانة. و منه الغل الحقد، لأن العداوة تجرى به فى النفس كالغلل. و منه الغل. و منه الغليل:

حرارة العطش. و الغلة، لأنها تجرى فى الملك من جهات مختلفة، و الغلالة، لأنها شعار تحت. البدن و الغلالة مسمار الدرع. و قوله: (وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ) قيل فى معناه قولان:

أحدهما- يأتى به حاملا له على ظهره، كما

روى عن النبى (ص) أنه كان إذا غنم مغنماَ بعث منادياَ ألا لا يغلن أحد مخيطا فما دونه، ألا لا يغلن أحد بعيراً فيأتى به على ظهره له رغاء، ألا لا يغلن أحد فرساً فيأتى به يوم القيامة على ظهره له حمحمة
- فى قول ابن عباس، و أبى هريرة و أبى حميد الساعدى، و عبد اللّه بن أنيس و ابن عمر، و قتادة- و ذلک ليفضح به على رؤوس الاشهاد. قال البلخى: يجوز أن يكون ما تضمنه الخبر على وجه المثل كأن اللّه تعالى إذا فضحه يوم القيامة جرى ذلک مجرى أن يكون حاملا له و له صوت.
الثانى- يأتى به يوم القيامة، لأنه لم يكفر عنه، كما تكفر الصغائر، فهو يعاقب عليه.
و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة: إن اللّه تعالى لو عذب الأنبياء و المؤمنين لم يكن ظلماً لهم، لأنه قد بين أنه لو لم يوفها ما كسبت، لكان ظلماً لها

اشارة

أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللَّهِ كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (162)
آية بلا خلاف-. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 36

قيل. فى معنى الآية ثلاثة أقوال:
أحدها- قال الحسن، و الضحاک معناها، أ فمن اتبع رضوان اللّه فى ترک الغلول كمن باء بسخط من اللّه فى فعل الغلول، و هو اختيار الطبرى قال: لأنه أشبه بما تقدم.
الثانى- قال ابن إسحاق «أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللَّهِ» فى العمل بطاعته على ما كره الناس «كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ» فى العمل بمعصيته على ما أحبوا.
الثالث- قال الزجاج، و أبو على: «أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللَّهِ» بالجهاد فى سبيله «كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ» بالفرار منه رغبة عنه.
و
سبب نزولها أن النبى (ص) لما أمر بالخروج إلى أحد قعد عنه جماعة من المنافقين، فأنزل اللّه فيهم هذه الآية.

«رِضْوانَ اللَّهِ» - بكسر الراء و ضمها- لغتان، و قرأ بالضم حفص عن عاصم علَى ما حكيناه عنه، فالضم على وزن الكفران. و الكسر على وزن حسبان.
و باء معناه رجع تقول: باء بذنبه يبوء بوءاً إذا رجع به. و بوأته منزلا أى هيأته، لأنه يرجع إليه، لأنه مأواه. و البواء قتل الجانى بمن قتله. و السخط من اللّه من هو إرادة العقاب بمستحقه، و لعنه و هو مخالف للغيظ، لأن الغيظ هو هيجان الطبع و انزعاج النفس، و لا يجوز إطلاقه على اللّه تعالى. و المصير: هو المرجع.
و الفرق بينهما أن المرجع هو انقلاب الشىء إلى حال قد كان عليها. و المصير: انقلاب الشيء إلى خلاف الحال التى هو عليها نحو مصير الطين خزفاً، و لم يرجع خزفاً، لأنه لم يكن قبل ذلک خزفاً، فأما مرجع الفضة خاتماً فصحيح، لأنه قد كان قبل خاتماً و أما مرجع العباد إلى اللّه، فلأنهم ينقلبون إلى حال لا يملكون فيها لأنفسهم شيئاً، كما كانوا قبل ما ملكوا.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 37

اشارة

هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ (163)

قيل معنى قوله: «هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ» أن تقديره المؤمنون ذووا درجة رفيعة عند اللّه. و الكفار ذووا درجة خسيسة. و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- اختلاف مراتب كل فريق من أهل الثواب، و العقاب، لأن النار أدراک لقوله: «إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» «1» و الجنة طبقات بعضها أعلى من بعض، كما
روى أن أهل الجنة ليرون أهل عليين «2»، كما يرى النجم فى أفق السماء.
و الثانى- اختلاف مرتبتى أهل الثواب، و العقاب بما لهؤلاء من النعيم، و الكرامة و لأولئک من العذاب و المهانة. و عبر عن ذلک بدرجات مجازاً. فان قيل كيف قال: «هم درجات» و انما لهم درجات قيل، لأن اختلاف أعمالهم قد ميزهم بمنزلة المختلفى الذوات كاختلاف مراتب الدرجات لتبعيدهم من استواء الأحوال، فجاء هذا على وجه التجوز، كما قال ابن هرمة- أنشده سيبويه-:
أنصب للمنية تعتريهم رجالى أم هم درج السيول «3»
و قوله: (وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ) معناه عليم. و فيه تحذير من أن يتكل على الاسرار فى الأعمال ظناً بأن ذلک يخفى على اللّه، لأن أسرار العباد عند الله علانية. و فيه توثيق بأنه لا يضيع للعامل لربه شىء لأنه لا يخفى عليه جميعه.

---

(1) سورة النساء: آية 144.
(2) فى المخطوطة (أ) كما
روى أن أهل الجنة ليرون أهل النار يطلعون عليهم فيرونهم كما يرى النجم فى أفق السماء.
و الأصح ما فى المطبوعة.
(3) سيبويه 1: 206، و اللسان (درج) و مجاز القرآن لأبى عبيدة 1: 107 و الخزانة 1: 203 و قد رواه بعضهم:
أ رجما للمنون يكون قومى لريب الدهر أم درج السيول

و أصل الدرجة الرتبة، فمنه الدرج، لأنه يطوى رتبة بعد رتبة يقال: أدرجه إدراجاً. و الدرجان مشى الصبى لتقارب الرتب، درج يدرج درجاً و درجاناً.
و الدرج معروف. و الترقى فى العلم درجة بعد درجة أى منزلة بعد منزلة كالدرجة المعروفة. فان قيل هلاكا القرآن كله حقيقة، و لم يكن فيه شىء من المجاز، فان الحقيقة أحسن من المجاز؟ قلنا: ليس الأمر على ذلک فان المجاز فى موضعه أولى، و أحسن من الحقيقة لما فيه من الإيجاز من غير إخلال بمعنى، و هى المبالغة بالاستعارة التى لا تنوب منابها الحقيقة، لأن قولهم إذ هو الشمس ضياء أبلغ فى النفوس من قولهم هو كالشمس ضياء، كذلک الجزاء بالجزاء أحسن من الجزاء بالابتداء، لأنه أدل على تقابل المعنى بتقابل اللفظ، فكذلک «هُمْ دَرَجاتٌ» أولى و أبلغ من هم أهل درجات، للإيجاز من غير إخلال.

اشارة

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ (164)

قوله: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ» معناه أنعم الله. و أصل المن القطع. منه يمنه مناً: إذا قطعة. «و لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» «1» أى غير مقطوع. و المن النعمة، لأنه يقطع بها عن البلية. و يقول القائل: من على بكذا أى استنقذنى به مما أنه فيه.
و المن تكدير النعمة، لأنه قطع لها عن وجوب الشكر عليها. و المنة القوة، لأنه

---

(1) سورة حم السجدة: آية 8 و سورة الانشقاق: آية 25.

يقطع بها الاعمال. و فى تخصيص المؤمن بذكر هذه النعمة و إن كانت نعمة على جميع المكلفين قيل فيه من حيث أنها على المؤمنين أعظم منها على الكافرين، لأنها نعمة عليهم من حيث هى نفع فى نفسها. و فيما يؤدى إليه من الايمان بها، و العمل بما توجبه أحكامها، فالمؤمن يستحق اضافتها إليه من وجهين، لما بيناه من حالها، و نظائر ذلک قد بيناه مثل قوله: «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» و غير ذلک و إنما أضافه إلى المتقين من حيث أنهم المنتفعون بها دون غيرهم. و قوله: «إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها- من أنفسهم ليكون ذلک شرفا لهم، فيكون ذلک داعياً لهم إلى الايمان.
الثانى- من أنفسهم، لسهولة تعلم الحكمة عليهم، لأنه بلسانه.
الثالث- من أنفسهم، ليتيسر عليهم علم أحواله من الصدق و الأمانة و العفة و الطهارة. و قال الزجاج: منّ عليهم إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم من الأميين، لا يتلو كتاباً و لا يخط بيمينه، فنشأ بين قوم يخبرونه و يعرفونه بالصدق و الأمانة و أنه لم يقرأ كتاباً و لا لقنه، فتلا عليهم أقاصيص الأمم السالفة، فكان ذلک من أدل دليل على صفقة فيما أتى به. و قوله: «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ» معناه يقرأ عليهم ما أنزله عليه من آيات القرآن «وَ يُزَكِّيهِمْ» يحتمل ثلاثة أوجه:
أحدها- يشهد لهم بأنهم أزكياء فى الدين، فيصيروا بهذه المنزلة الرفيعة فى الخلق.
الثانى- يدعوهم إلى ما يكونون به زاكين سالكين سبيل المهتدين.
الثالث: قال الفراء يأخذ منهم الزكاة التى يطهرهم بها. و قوله: (وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ) يعنى القرآن، و هو الحكمة. و إنما كرره بواو العطف لأمرين:

أحدهما- قال قتادة: الكتاب القرآن، و الحكمة السنة.
و الثانى: لاختلاف فائدة الصفتين، و ذلک أن الكتاب ذكر للبيان أنه مما يكتب و يخلد ليبقى على الدهر، و الحكمة و البيان عما يحتاج إليه من طريق المعرفة. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 40
و قوله: (وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِينٍ) يعنى أنهم كانوا كفاراً. و كفرهم هو ضلالهم فانقذهم اللّه بالنبى (ص).

اشارة

أَ وَ لَمَّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها قُلْتُمْ أَنَّى هذا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165)
- آية واحدة-.

إنما دخلت الواو فى «أَ وَ لَمَّا أَصابَتْكُمْ» لعطف جملة على جملة إلا أنه تقدمها ألف الاستفهام، لأن له صدر الكلام. و إنما اتصل الواو الثانى بالأول ليدل على تعلقه به فى المعنى، و ذلک أنه وصل التقريع على الخطيئة بالتذكير بالنعمة لفرقة واحدة. و المصيبة التى أصابت المسلمين هو ما أصابهم يوم أحد، فانه قتل منهم سبعون رجلا و كانوا هم أصابوا من المشركين يوم بدر مثليها، فإنهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين و أسروا منهم سبعين فى- قول قتادة، و الربيع، و عكرمة، و السدى- فقال الزجاج: لأنهم أصابوا يوم أحد منهم مثلهم، و يوم بدر مثلهم، فقد أصابوا مثليهم. و هذا ضعيف، لأنه خلاف لأهل السير، لأنه لا خلاف أنه لم يقتل من المشركين مثل من قتل من المسلمين بل قتل منهم نفر يسير، فحمله على ما قاله ترک الظاهر. و قوله: حكاية عن المسلمين «أَنَّى هذا» أى من أين هذا.
و قوله: «قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها-
قال قتادة، و الربيع: لأنهم اختلفوا فى الخروج من المدينة للقتال يوم أحد و كان دعاهم النبى (ص) إلى أن يتحصنوا بها و يدعوا المشركين إلى أن يقصدوهم فيها، فقالوا كنا نمتنع من ذلک فى الجاهلية، و نحن فى الإسلام، و أنت يا رسول اللّه نبينا أحق بالامتناع و أعز.
و الثانى-
روى عن على (ع) و عبيدة السلمانى أن الحكم كان فى أسرى بدر التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 41
القتل، فاختاروا هم الفداء، و شرط عليهم أنكم إن قبلتم الفداء قتل منكم فى القابل بعدتهم، فقالوا رضينا بذلک، فانا نأخذ الفداء و ننتفع به. و إذا قتل منا فيما بعد كنا شهداء. و هو المروى عن أبى جعفر (ع).
الثالث- لخلاف الرماة يوم أحد لما أمرهم به النبى (ص) من ملازمة موضعهم.
و قوله: «إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» معناه هاهنا أنه على كل شىء قدير يدبركم بأحسن التدبير من النصر مع طاعتكم و تركه مع المخالفة إلى ما وقع به النهى، و هذا جواب لقوله: «أنى هذا» و قد تقدم الوعد بالنصرة، و فى الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة: بان المعاصى كلها من فعل اللّه، لأنه تعالى قال «قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ» و لو لم يكن فعلوه، لما كان من عند أنفسهم كما أنه لو فعله اللّه، لكان من عنده.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 166]..... ص: 41

اشارة

وَ ما أَصابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (166) - آية-.

قوله: (وَ ما أَصابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ) يعنى يوم أحد و ما دخل عليهم من المصيبة بقتل من قتل من المؤمنين. و قوله: «فَبِإِذْنِ اللَّهِ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- بعلم اللّه. و منه قوله: «فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ» «1» معناه اعلموا و منه قوله: «وَ أَذانٌ مِنَ اللَّهِ» «2» أى إعلام. و منه «آذَنَّاكَ ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ» «3» يعنى أعلمناك.
الثانى- أنه بتخلية اللّه التى تقوم مقام الإطلاق فى الفعل برفع الموانع،

---

(1) سورة البقرة: آية 279.
(2) سورة التوبة: آية 3.
(3) حم السجدة: آية 47.

و التمكين من الفعل الذى يصح معه التكليف. و لا يجوز أن يكون المراد به بأمر اللّه، لأنه خلاف الإجماع، لأن أحداً لا يقول: إن اللّه يأمر المشركين بقتل المؤمنين، و لا انه يأمر بشىء من القبائح، و لأن الأمر بالقبيح قبيح، لا يجوز أن يفعله اللّه تعالى. و يمكن أن يحمل مع تسليم أنه بأمر اللّه بأن يكون ذلك مصروفاً الى المنهزمين المعذورين بعد إخلال من أخل بالشعب، و ضعفهم عن مقاومة عدوهم، و ان حمل على الجميع أمكن أن يكون ذلك بعد تفرقهم و تبدد شملهم و انفساد نظامهم، لأن عند ذلك أذن اللّه فى الرجوع و ألا يخاطروا بنفوسهم و قوله: «وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ» ليس معناه أن اللّه يعلم عند ذلك ما لم يكن عالماً به، لأنه تعالى عالم بالأشياء قبل كونها و إنما معناه، و ليتميز المؤمنون من المنافقين إلا أنه أجرى على المعلوم لفظ العلم مجازاً على المظاهرة فى المجازاة بالقول على ما يظهر من الفعل من جهة أنه ليس يعاملهم بما فى معلومه أنه يكون منهم إن بقوا، بل يعلمهم معاملة من كأنه لا يعلم ما يكون منهم حتى يظهر. ليكونوا على غاية الثقة بأن اللّه إنما يجازى بحسب ما وقع من الإحسان أو الاساءة.
فان قيل: هل يجوز أن يقول القائل: المعاصى تقع بإذن اللّه، كما قال: «ما أَصابَكُمْ» من إيقاع المشركين بكم «فَبِإِذْنِ اللَّهِ» ؟ قلنا: لا يجوز ذلك لأن اللّه تعالى إنما خاطبهم بذلك على وجه التسلية للمؤمنين، فدل ذلك على أن الاذن المراد به التمكين ليتميزوا بظهور الطاعة منهم. و ليس كذلك قولهم: المعاصى بإذن اللّه، لأنه لما عرى من تلك القرينة صار بمعنى اباحة اللّه، و اللّه تعالى لا يبيح المعاصى، لأنها قبيحة، و لأن إباحتها تخرجها من معنى المعصية. و الفاء انما دخلت فى قوله:

«فَبِإِذْنِ اللّهِ» و لأن خبر (ما) التى بمعنى الذى يشبه جواب الجزاء، لأنه معلّق بالفعل فى الصلة كتعليقه بالفعل فى الشرط، كقولک الذى قام فمن أجل أنه كريم أى، لأجل قيامه صح أنه كريم. و من أجل كرمه قام. و قد قيل أن (ما) هى بمعنى الجزاء، و لا يصح هاهنا لأن الفعل بمعنى المضى.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 43

اشارة

وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا وَ قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلُوا فِی سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتالاً لاَتَّبَعْناكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمانِ يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِی قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ (167)
- آية بلا خلاف-.

قوله: «وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا» عطف على قوله: «وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ» و قيل فى خبر ليعلم قولان:
أحدهما- أنه مكتف بالاسم، لأنه بمعنى ليعرف المنافقين.
و الثانى- أنه محذوف، و تقديره: و ليعلم المنافقين متميزين من المؤمنين.
و قوله: (وَ قِيلَ لَهُمْ: تَعالَوْا قاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ) روى أن القائل لهم ذلک كان عبد اللّه بن عمرو بن خزام يذكرهم اللّه و يحذرهم أن يخذلوا نبيه عند حضوره عدوه- فى قول ابن إسحاق و السدى- و قوله: «أو ادفعوا» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال السدى، و ابن جريج: ادفعوا بتكثير سوادنا إن لم تقاتلوا معنا.
الثانى- قال ابن عون الانصارى: معناه رابطوا بالقيام على الخيل إن لم تقاتلوا معنا. و قوله: (قالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتالًا لَاتَّبَعْناكُمْ) قال ابن إسحاق، و السدى ان القائل لذلک عبد اللّه بن أبى بن سلول، انخزل يوم أحد بثلاثمائة نفس، قال لهم علام نقتل أنفسنا ارجعوا بنا، و قالوا للمؤمنين لا يكون بينكم قتال، و لو علمنا أنه يكون قتال لخرجنا معكم و أضمروا فى باطنهم عداوة النبى (ص)، و المؤمنين، فقال اللّه تعالى: «هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمانِ» لأنهم بهذا الاظهار إلى الكفر أقرب منهم للايمان إذا كانوا قبل ذلک فى ظاهر أحوالهم إلى الايمان أقرب التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 44
حتى هتكوا أنفسهم عند من كانت تخفى عليه حالهم من المؤمنين الذين كانوا يحسنون الظن بهم، و ليس المراد أن بينهم و بين المؤمنين قرباً يوجب دخول لفظة أفعل بينهم. و انما هو مثل قول القائل:- و هو صادق- لمن هو كاذب: أنا أصدق منک، و إن لم يكن بينهما مقاربة فى الصدق. و قوله: (يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ) انما ذكر الأفواه، و إن كان القول لا يكون إلا بالأفواه لامرين:
أحدهما- للتأكيد من حيث يضاف القول إلى الإنسان على جهة المجاز، فيقال: قد قال كذا: إذا قاله غيره و رضى به، و كذلک «يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ» «1» أى يتلونه على غير جهة الأمر به.
و الثانى- لأنه فرق بذكر الأفواه بين قول اللسان و قول الكتاب.
و قوله: (وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ) يعنى أعلم من الكافرين الذين قالوا: لا يكون قتال، و ما كتموه فى نفوسهم من النفاق.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 168]..... ص: 44

اشارة

الَّذِينَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (168)
آية

موضع الذين يحتمل ثلاثة أوجه من الأعراب:
أحدها- أن يكون نصباً على البدل من الذين نافقوا.
الثانى- الرفع على البدل من الضمير فى يكتمون.
الثالث- الرفع على خبر الابتداء، و تقديره: هم «الَّذِينَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ»

---

(1) سورة البقرة: آية 79.

و المعنى بهذا الكلام و القائلون لهذا القول عبد اللّه بن أبى و أصحابه من المنافقين قالوه فى قتلى يوم أحد من إخوانهم- على قول جابر بن عبد اللّه، و قتادة، و السدى، و الربيع- و قوله: (قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) معناه ادفعوا قال الشاعر:

تقول إذا درأت لها وضينى أ هذا دينه أبداً و دينى «1»

فان قيل كيف يلزمهم دفع الموت عن أنفسهم بقولهم أنهم لو لم يخرجوا لم يقتلوا؟ قيل لأن من علم الغيب فى السلامة من القتل يجب أن يمكنه أن يدفع عن نفسه الموت فليدفعه، فهو أجدى عليه.

فان قيل: كيف كان هذا القول منهم كذباً مع أنه اخبار على ما جرت به العادة؟ قلنا: لأنهم لا يدرون لعلهم لو لم يخرجوا لدخل المشركون عليهم فى ديارهم، فقتلوهم هذا قول أبى على و قال غيره معنى «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» أى محقين فى تثبيطكم من الجهاد فراراً من القتل.

اشارة

وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْیاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ (169)
- آیة بلا خلاف-.

ذكر ابن عباس،، و ابن مسعود، و جابر بن عبد اللّه عن النبى (ص) أنه قال لما أصيب إخوانكم بأحد جعل اللّه أرواحهم فى حواصل طير خضر ترد انهار الجنة، و تأكل من ثمارها.
قال البلخى: و هذا ضعيف، لأن الأرواح جماد لا حياة فيها،

---

(1) انظر 2: 148.

و لو كانت حية لاحتاجت إلى أرواح أخر و أدى إلى ما لا يتناهى فضعف الخبر من هذا الوجه. و فى الناس من قال: إن تأويل الآية اخبار عن صفة حال الشهداء فى الجنة من حيث فسد القول بالرجعة، و هذا ليس بشىء لأنه خلاف الظاهر، و لأن أحداً من المؤمنين لا يحسب أن الشهداء فى الجنة أموات، و أيضاً، فقد وصفهم اللّه بأنهم أحياء فرحون فى الحال، لأن نصب فرحين هو على الحال.
و قوله: (لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ) يؤكد ذلك، لأنهم فى الآخرة قد لحقوا بهم، و معنى الآية النهى عن أن يظن أحد أن المقتولين فى سبيل اللّه أموات.
و الخطاب للنبى (ص)، و المراد به جميع المكلفين، كما قال: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» و أنه ينبغى أن يعتقد أنهم «أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ» و بهذا قال الحسن، و عمرو بن عبيد، و واصل بن عطاء و اختاره الجبائى، و الرمانى، و أكثر المفسرين. و قال بعضهم و ذكره الزجاج: المعنى و لا تحسبنهم أمواتاً فى دينهم بل هم أحياء فى دينهم، كما قال: «أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ» الآية «1» و قال البلخى معناه: لا تحسبنهم كما يقول الكفار أنهم لا يبعثون بل يبعثون، و هم «أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ» . و قال قوم: إن أرواحهم تسرح فى الجنة و تلتذ بنعيمها، فهم «أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ» و قوله: «عِنْدَ رَبِّهِمْ» قيل فى معناه قولان: أحدهما- أنهم بحيث لا يملك لهم أحد نفعا و لا ضرا إلا ربهم و ليس المراد بذلك قرب المسافة لأن ذلك من صفة الأجسام و ذلك مستحيل عليه تعالى.
و الوجه الآخر- عند ربهم أحياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس- ذكره أبو على-.

و قوله: «بَلْ أَحْياءٌ» رفع على أنه خبر الابتداء، و تقديره بل هم أحياء، و لا يجوز فيه النصب بحال، لأنه كان يصير المعنى بل احسبنهم أحياء، و المراد بل

---

(1) سورة الانعام: آية 122. [.....]

أعلمهم احياء.

فان قيل لم لا يجوز أن يكون المعنى بل أحياء على معنى أنهم بمنزلة الأحياء كما يقال لمن خلف خلفاً صالحاً أو ثناء جميلا: ما مات فلان بل هو حى؟ قلنا:
لا يجوز ذلک لأنه انما جاز هذا بقرينة دلت عليه من حصول العلم بأنه ميت فانصرف الكلام إلى أنه بمنزلة الحى، و ليس كذلک الآية لأن إحياء اللّه لهم فى البرزخ جائز مقدور و الحكمة تجيزه.
فان قيل أ ليس فى الناس من أنكر الحديث من حيث أن الروح عرض لا يجوز أن يتنعم؟ قيل: هذا ليس بصحيح، لأن الروح جسم رقيق هوائى مأخوذ من الريح. و الدليل على ذلک أن الروح تخرج من البدن و ترد إليه و هى الحساسة الفعالة دون البدن، و ليست من الحياة فى شىء، لأن ضد الحياة الموت و ليس كذلک الروح- هذا قول الرمانى سؤاله و جوابه. و فى الآية دليل على أن الرجعة الى دار الدنيا جائزة لأقوام مخصوصين، لأنه تعالى أخبر أن قوماً ممن قتلوا فى سبيل اللّه ردهم اللّه أحياء كما كانوا، فأما الرجعة التى يذهب إليها أهل التناسخ، ففاسدة، و القول بها باطل لما بيناه فى غير موضع، و ذكرنا جملة منه فى شرح جمل العلم فمن أراده وقف عليه من هناک ان شاء اللّه. و قال أكثر المفسرين الآية مختصة بقتلى أحد.
و قال أبو جعفر (ع)، و كثير من المفسرين: انها تتناول قتلى بدر و أحد معا

اشارة

فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (170)
- آية-. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 48

قوله: «فَرِحِينَ» نصب على الحال من «يُرْزَقُونَ» و هو أولى من رفعه على بل أحياء لأن النصب ينبئ عن اجتماع الرزق و الفرح فى حال واحدة، و لو رفع على الاستئناف لكان جائزا. و قال الفراء: يجوز نصبه على القطع عن الأول.

و قوله: (بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) معناه بما أعطاهم اللّه من ضروب نعمه، و معنى يستبشرون أى يسرون بالبشارة و أصل الاستفعال طلب الفعل فالمستبشر بمنزلة من طلب السرور فى البشارة، فوجده. و أصل البشارة من البشرة و ذلک لظهور السرور بها فى بشرة الوجه. و منه البشر لظهور بشرته. و معنى قوله:
(وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ) أى هم بمنزلة من قد بشر فى صاحبه بما يسر به. و لأهل التأويل فيه قولان:
أحدهما- قال ابن جريج، و قتادة: يقولون: إخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من كرامة اللّه ما أصبنا.
و الآخرة- أنه يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه من إخوانه يبشر ذلک فيستبشر كما يستبشر أهل الغائب بقدومه فى الدنيا- ذكره السدى- و قال الزجاج: معناه أن لم يلحقوا بهم فى الفعل إلا أن لهم فضلا عظيما بتصديقهم و إيمانهم.
و لحقت ذلک و ألحقت غيرى، مثل علمت و أعلمت، و قيل لحقت و ألحقت لغتان بمعنى واحد مثل بان و أبان، و على ذلک: إن عذابک بالكفار ملحق أى لا حق على هذا أكثر نقاد الحديث. و روى بعض الثقات ملحق بنصب الحاء ذكره البلخى.
و قوله: (أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ) قيل فى موضع أن قولان:
أحدهما- انه خفض بالباء و تقديره بان لا خوف، هذا قول الخليل، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 49
و الكسائى و الزجاج.
الثانى- ان يكون موضعه نصباً على أنه لما حذف حرف الجر نصب بالفعل كما قال الشاعر:
أمرتک الخير «1»
أى بالخير فى قول غيرهم.

اشارة

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171) آية

قرأ الكسائى (و إن اللّه)- بكسر الالف- الباقون بفتحها على معنى و بأن اللّه، و رجح هذه القراءة أبو على الفارسى. و الكسر على الاستئناف. و فى قراءة عبد اللّه «و اللّه لا يضيّع أجر المؤمنين» . و هو يقوى قراءة من قرأ بالكسر.
قوله: «يَسْتَبْشِرُونَ» .

يعنى هؤلاء الذين قتلوا فى سبيل اللّه الذين وصفهم بأنهم يرزقون فرحين بما أتاهم اللّه من فضله، و انهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، فوصفهم هاهنا بأنهم يستبشرون بنعمة من اللّه و فضل. و فضل اللّه و ان كان هو النعمة قيل فى تكراره هاهنا قولان:
أحدهما- لأنها ليست نعمة مضيقة على قدر الكفاية من غير مضاعفة السرور و اللذة.

_____
(1) انظر 2: 348 فقد مر البيت هناک کاملا.

و الآخر- للتأكيد لتمكين المعنى فى النفس، و المبالغة. و النعمة هى المنفعة التى يستحق بها الشكر إذا كانت خالية من وجوه القبح، لأن المنفعة على ضربين:
أحدهما- منفعة اغترار، و حيلة، و [الثانى]- منفعة خالصة من شائب الاساءة.
و النعمة: تعظيم بفعل غير المنعم، كنعمة الرسول على من دعاه إلى الإسلام فاستجاب له، لأن دعاءه له نفع من وجهين:
أحدهما- حسن النية فى دعائه إلى الحق ليستجيب له.
و الآخر- قصده الدعاء إلى حق من يعلم انه يستجيب له المدعو و انما يستدل بفعل غير المنعم على موضع النعمة فى الجلالة و عظم المنزلة.
و قوله: (وَ أَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) و ان كانوا هم علموا ذلک فإنما ذكر اللّه انهم يستبشرون بذلک، لأن ما يعلمونه فى دار التكليف يعلمونه بدليل.
و ما يعلمونه بعد الموت يعلمونه ضرورة. و بينهما فرق واضح، لأن مع العلم الضرورى يتضاعف سرورهم، و يشتد اغتباطهم.

اشارة

الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172)
- آية واحدة-.

ذكر ابن عباس و السدى، و ابن إسحاق، و ابن جريج، و قتادة: ان سبب نزول هذه الآية ان أبا سفيان: صخر بن حرب، و أصحابه لما انصرفوا عن أحد، ندموا. و قال بعضهم لبعض: لا محمداً قتلتم و لا الكواعب أردفتم فارجعوا فاغيروا على المدينة، و اسبوا ذراريهم. و
قيل: إن بعضهم قال لبعض: إنكم قتلتم عدوكم حتى إذا لم يبق إلا الرشيد تركتموهم. ارجعوا فاستأصلوهم. فرجعوا الى حمراء الأسد و سمع بهم النبى (ص) فدعا أصحابه إلى الخروج، و قال: لا يخرج معنا التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 51
إلا من حضرنا أمس للقتال، و من تأخر عنا، فلا يخرج معنا.
و
روى أنه (ص) أذن لجابر وحده فى الخروج.- و كان خلفه أبوه على بناته يقوم بهن- فاعتل بعضهم بأن قال: بنا جراح، و آلام فانزل اللّه تعالى «إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ»
و قيل نزلت فيهم أيضاً «وَ لا تَهِنُوا فِى ابْتِغاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ» «1» ثم استجابوا عَلى ما بهم إلى اتباعهم و ألقى اللّه الرعب فى قلوب المشركين، فانهزموا من غير حرب.
و خرج المسلمون إلى حمراء الأسد. و هى على ثمانية أميال من المدينة.

و موضع «الذين» يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب: الجر- على أن يكون نعتاً للمؤمنين- و الرفع- على الابتداء- و خبر الذين الجملة- و النصب- على المدح- و قوله: (مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ) معناه من بعد ما نالهم الجراح و أصله الخلوص من الكدر. و منه ماء قراح أى خالص. و القراح من الأرض: ما خلص طينه من السبخ، و غيره. و القريحة خالص الطبيعة. و اقترحت عليه كذا أى اشتهيته عليه لخلوصه على ما تتوق نفسه إليه، كأنه قال: استخلصته. و فرس قارح أى طلع نابه لخلوصه ببلوغ تلك الحال عن نقص الصغار، و كذلک ناقة قارح أى حامل. فالقرح الجراح، لخلوص ألمه إلى النفس.

و أجاب، و استجاب بمعنى واحد. و قال قوم: استجاب: طلب الاجابة.

و أجاب: فعل الاجابة. و قوله: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا» فالاحسان هو النفع الحسن.

و الإفضال: النفع الزائد على أقل المقدار. و قوله: «وَ اتَّقَوْا» معناه اتقوا معاصى اللّه «أَجْرٌ عَظِيمٌ» معناه هاهنا الذين فعلوا الحسن الجميل من طاعة النبى (ص)، و الانتهاء إلى قوله. و قوله: «منهم» معناه تبيين الصفة لا التبعيض.

---

(1) سورة النساء: آية 103.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 173]..... ص: 52

اشارة

الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَ قالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ (173)
- آية بلا خلاف-.

و قيل فى المعنى بقوله: «الناس» الأول ثلاثة أقوال:
أولها- قال ابن عباس، و ابن إسحاق: انهم ركب دسهم أبو سفيان إلى المسلمين ليجبنوهم عند منصرفهم من أحد لما أرادوا الرجوع إليهم و قال السدى: هو اعرابى ضمن له جعل على ذلک. و قال الواقدى
هو نعيم بن مسعود الاشجعى و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع).
و قوله: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ» المعنى به أبو سفيان و أصحابه- فى قول أكثر المفسرين- و قال مجاهد: انما كان ذلک فى بدر الصغرى و هى سنة أربع و كانت أحد فى سنة ثلاث من الهجرة. و إنما عبر بلفظ الجميع عن الواحد فى قوله: «قالَ لَهُمُ النَّاسُ» لأمرين:
أحدهما- ان تقديره جاء القول من قبل الناس، فوضع كلام موضع كلام- ذكره الرمانى-.
و الثانى- إن الواحد يقوم مقام الناس، لأن «الإنسان» إذا انتظر قوماً فجاء واحد منهم، قد يقال: جاء الناس إما لتفخيم الشأن، و أما لابتداء الإتيان.
و قوله: «فاخشوهم» حكاية عن قول نعيم بن مسعود للمسلمين. يعنى اخشوا أبا سفيان، و أصحابه فبين اللّه تعالى ان ذلک القول زادهم ايماناً و ثباتاً على دينهم، و اقامة على نصرة نبيهم. و قالوا عند ذلک «حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» و معناه كافينا اللّه.

و أصله من الحساب، لأن الكفاية بحسب الحاجة، و بحساب الحاجة. و منه
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 53
الحسبان و هو الظن. و الوكيل: الحفيظ. و قيل: هو الولى. و أصله القيام بالتدبير.
و المتولى للشىء قائم بتدبيره، و الحافظ له يرجع إلى هذا المعنى. و معنى الوكيل فى صفات اللّه المتولى للقيام بتدبير خلقه، لأنه مالكهم رحيم بهم. و الوكيل فى صفة غيره: انما يعقد بالتوكيل.
و قال قوم من المفسرين: إن هذا التخويف من المشركين كان فى السنة المقبلة، لأن أبا سفيان، لما انصرف يوم أحد، قال موعدكم البدر فى العام المقبل. فقال النبى (ص) لمن حضره: قولوا نعم. فلما كان العام المقبل خرج النبى (ص) بأصحابه، و كان أبو سفيان كره الخروج، فدس من يخوف النبى (ص) و أصحابه لم يسمعوا منهم، و خرجوا إلى بدر فلما لم يحضر أحد من المشركين، رجعوا، و كانوا صادفوا هناک تجارة اشتروها فربحوا فيها، و كان ذلک نعمة من اللّه. و روى ذلک أبو الجارود عن أبى جعفر (ع).

اشارة

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174)
- آية بلا خلاف-.

الانقلاب، و الرجوع، و المصير واحد. و قد فرق بينهما بأن الانقلاب هو المصير إلى ضد ما كان قبل ذلک كانقلاب الطين خزفاً. و لم يكن قبل ذلک خزفاً و الروع هو المصير إلى ما كان قبل ذلک و قوله: «بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ان النعمة العافية. و الفضل: التجارة. و السوء: القتل- فى قول السدى، و مجاهد- و قال الزجاج: النعمة هاهنا الثبوت على الايمان فى طاعة اللّه و فضل الربح فى تجارتهم، لأنه روى أنهم أقاموا فى الموضع ثلاثة أيام فاشتروا أدماً و زبيباً ربحوا فيه: و قال قوم: إن أقل ما يفعله اللّه بالخلق فهو نعمة، و ما زاد عليه التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 54
فهو الموصوف بانه فضل. و الفرق بين النعمة و المنفعة أن النعمة لا تكون نعمة إلا إذا كانت حسنة، لأنه يستحق بها الشكر و لا يستحق الشكر بالقبيح. و المنفعة قد تكون حسنة و قد تكون قبيحة مثل ان يغصب ما لا ينتفع به- و إن كان قبيحاً- و قوله: (لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ) موضعه نصب على الحال. و تقديره: فانقلبوا بنعمة من اللّه و فضل سالمين. و العامل فيه «فَانْقَلَبُوا» و المعنى بالآية الذين أمرهم اللّه تعالى بتتبع المشركين إلى حمراء الأسد، فلما بلغوا إليها و كان المشركون أسرعوا فى المضى إلى مكة رجع المسلمون من هناک من غير أن يمسهم قتل و لا جراح غانمين سالمين، و قد امتثلوا ما أمرهم اللّه تعالى به. و اتبعوا رضوانه «وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» أى ذو إحسان عظيم على عباده دينى و دنيوى.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 175]..... ص: 54

اشارة

إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلا تَخافُوهُمْ وَ خافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175)
- آية-

انما ذلک التخویف الذی کان من نعیم بن مسعود من فعل الشیطان، و باغوائه، و تسویله. و یخوف أولیاءه المؤمنین. قال ابن عباس، و مجاهد، و قتادة: یخوف المؤمنین بالکافرین. و قال الزجاج، و أبو علی الفارسی، و غیرهما من أهل العربیة: إن تقدیره یخوفکم أولیاءه. أی من أولیائه بدلالة قوله: «فَلا تَخافُوهُمْ وَ خافُونِ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ» أی إن کنتم مصدقین باللّه فقد أعلمتکم أنی انصرفکم علیهم، فقد سقط عنکم الخوف. و مثله قوله: «لِیُنْذِرَ بَأْساً شَدِیداً مِنْ لَدُنْهُ» «1» و معناه لینذرکم بأساً و التقدیر لینذرکم ببأس شدید، فلما حذف الجار نصبه. و قیل: إن «یخوف» یتعدی إلی مفعولین، لأنک تقول: خفت زیداً و خوفت زیداً عمراً. و یکون فی الآیة حذف أحد المفعولین، کما قلناه فی

---

(1) سورة الکهف: آیة 2.

قولهم: فلان یعطی الدراهم و یکسو الثیاب. و قال بعضهم: هذا لا یشبه الآیة، لأنه انما أجازوا حذف المفعول الثانی فی أعطی الدراهم، لأنه لا یشتبه أن الدراهم هی التی أعطیت. و فی الآیة تشتبه الحال فی من المخوف و من المخوّف و قال قوم: «یُخَوِّفُ أَوْلِیاءَهُ» أی انما خاف المنافقون و من لا حقیقة لإیمانه. و قال الحسن، و السدی:

یخوف أولیاءه المنافقین، لیقعدوا عن قتال المشرکین و یخوف یتعدی إلی مفعولین کما یتعدی، یعطی لأن أصله خاف زید القتال. و خوفته القتال. کما تقول. عرف زید أخاک و عرفته أخاک. فان قیل: کیف یکون الأولیاء علی المفعول الثانی و انما التخویف من الأولیاء لغیرهم؟ قیل: لیس التقدیر هکذا. و انما هو علی (خاف المؤمنون أولیاء الشیطان). و هو خوفهم أولیاءه. قال الرمانی: و غلط من قدر التقدیر الأول. و قوله: «فلا تخافوهم» یعنی لا تخافوا المشرکین. و انما قال:

(ذلک) و هی انما یشار بها إلی ما هو بعید لأنه أراد ذلک القول تقدم من المخوف لهم من قوله: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَکُمْ فَاخْشَوْهُمْ» .

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 176]..... ص: 55

اشارة

وَ لا يَحْزُنْکَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِى الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (176)
- آية بلا خلاف-.

قرأ نافع فى جميع القرآن «يحزنک» - بضم الياء- إلا قوله: «لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ» «1» . الباقون بفتح الياء فى جميع القرآن. و قرأ أبو جعفر عكس ما قرأ نافع. فانه فتح فى جميع القرآن إلا قوله «لا يحزنهم» فانه ضم الياء

---

(1) سورة الأنبياء: آية 103.

و حكى البلخى عن ابن أبى محيص الضم فى الجميع.

قال سيبويه: تقول: فتن الرجل، و فتنته. و حزن، و حزنته. و زعم الخليل أنک حيث قلت فتنته، و حزنته، لم ترد أن تقول: جعلته حزيناً و جعلته فاتناً. كما انک حين قلت: أدخلته جعلته داخلا، و لكن أردت أن تقول: جعلت فيه حزناً، و فتنة. فقلت فتنته كما قلت كحلته أى جعلت فيه كحلا. و دهنته جعلت فيه دهناً. فجئت بفعلته- على حده- و لم ترد بفعلته هاهنا نفس قولک حزن و فتن و لو أردت ذلک لقلت أحزنته و أفتنته. و فتن من فتنته مثل حزن من حزنته قال:

و قال بعض العرب: أفتنت الرجل و أحزنته إذا جعلته حزينا، و فاتناً، فغيره إلى أفعل- هذا حكاه أبو على الفارسى حجة لنافع- و قال قوله: «لا يحزنهم» إنما ضم على خلاف أصله لعله اتبع أثراً أو أحب الأخذ بالوجهين:

و المعنى بقوله: «الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِى الْكُفْرِ» - على قول مجاهد- و ابن إسحاق- المنافقون. و فى قول أبى على الجبائى: قوم من العرب ارتدوا عن الإسلام.
فان قيل: كيف قال: «يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى الْآخِرَةِ» و الارادة لا تتعلق بألا يكون الشىء و إنما تتعلق بما يصح حدوثه؟ قلنا: عنه جوابان:
أحدهما- قال ابن إسحاق: «يُرِيدُ اللَّهُ» أن يحبط أعمالهم بما استحقوه من المعاصى و الكبائر.
و الثانى- ان اللّه يريد أن يحكم بحرمان ثوابهم الذى عرضوا له بتكليفهم، و هو الذى يليق بمذهبنا، لأن الإحباط عندنا ليس بصحيح فان قيل: كيف قال: «يريد الله» و هذا إخبار عن كونه مريداً فى حال الاخبار، و إرادة الله تعالى لعقابهم تكون يوم القيامة، و تقديمها على وجه يكون عزماً و توطيناً للنفس

لا «1» يجوز عليه تعالى؟ قلنا: عنه جوابان:
أحدهما- قال أبو على: معناه أنه سيريد فى الآخرة حرمانهم الثواب، لكفرهم الذى ارتكبوه.
و الثانى- أن الارادة متعلقة بالحكم بذلك، و ذلك حاصل فى حال الخطاب.
و قال الحسن: يريد بذلك فيما حكم من عدله. و قوله: «يُسارِعُونَ فِى الْكُفْرِ» أى يبادرون إليه. و السرعة و إن كانت محمودة فى كثير من المواضع، فإنها مذمومة فى الكفر. و العجلة مذمومة على كل حال إلا فى المبادرة إلى الطاعات. و قيل:
إن العجلة هى تقديم الشىء قبل وقته، و هى مذمومة على كل حال، و السرعة فعل لم يتأخر فيه شىء عن وقته، و لا يقدم قبله، ثم بين تعالى أنهم لمسارعتهم إلى الكفر لا يضرون الله شيئا، لأن الضرر يستحيل عليه تعالى. و انما يضرون أنفسهم بأن يفوتوا نفوسهم الثواب، و يستحقوا العظيم من العقاب، ففى الآية تسلية للنبى (ص) عما يناله من الغم باسراع قوم إلى الكفر بأن و بال ذلك عائد عليهم، و لا يضرون الله شيئاً.

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيْمانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (177)
- آية-.

استأنف اللّه تعالى بهذه الآية الاخبار بأن من اشترى الكفر بالايمان بمعنى استبدل الكفر بالايمان. و قد بينا فيما مضى أن تسمية ذلک شراء مجاز لكن لما فعلوا الكفر بدلا من الايمان شبه ذلک بشراء السلعة بالثمن و بين أن من فعل ذلک لا يضر اللّه شيئاً. لأن مضرته عائدة عليه على ما بيناه. و انما كرر «لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ»

---

(1) فى المطبوعة (و لا).

فى هذه الآية، فأنه ذكر فى الآية الأولى- على طريقة العلة- لما يجب من التسلية عن المسارعة إلى الضلالة، و ذكر فى هذه الآية على وجه العلة لاختصاص المضرة للعاصى دون المعصى.

و الفرق بين المضرة و الإساءة أن الاساءة لا تكون إلا قبيحة، و المضرة قد تكون حسنة إذا كانت لطفاً، أو مستحقة أو فيها نفع يوّفى عليها أو دفع ضرر أعظم منها كفعل العقاب، و ضرب الصبى للتأديب، و غير ذلک.

و قوله: (شيئا) نصب على أنه وقع موقع المصدر، و تقديره «لن يضروا الله شيئا» من الضرر. و يحتمل أن يكون نصباً بحذف الباء كأنه قال بشىء مما يضرّ به، كما يقول القائل: ما ضررت زيداً شيئاً من نقص مال، و لا غيره.

اشارة

وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ (178)
- آية واحدة بلا خلاف-.

قرأ حمزه «و لا تحسبن» بالتاء و فتح السين. الباقون بالياء، و هو الأقوى، لأن حسبت يتعدى إلى مفعولين (و أن) على تقدير مفعولين، لأن قوله: «أَنَّما نُمْلِی لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ» سد مسد المفعولين لأنه لا يعمل فى (أنما) إلا ما يتعدى إلى مفعولين: نحو حسبت و ظننت و أخواتهما. و حسبت يتعدى إلى مفعولين أو مفعول التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 59
يسد مسد المفعولين نحو حسبت أن زيداً منطلق و حسبت أن يقوم عمرو. فقوله:
«أَنَّما نُمْلِی لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ»، سد مسد المفعولين اللذين يقتضيهما «يحسبن» و كسر (إن) مع القراءة بالياء ضعيف و قرئ به. و وجه ذلک قال أبو على الفارسى (إن) يتلقى بها القسم كما يتلقى بلام الابتداء، و يدخل كل واحد منهما على الابتداء و الخبر فكسر (إن) بعد «يحسبن» و علق عنها الحسبان، كما يعلق باللام، فكأنه قال: لا يحسبن الذين كفروا للاخرة خير لهم. و من قرأ بالتاء فعلى البدل، كقوله: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» «1» و كما قال الشاعر:
فما كان قيس هلكه هلک واحد و لكنه بنيان قوم تهدما «2»
و قال الفراء: يجوز أن يكون عمل فيه «يحسبن» مقدرة تدل عليها الاولى. و تقديره: و لا تحسبن الذين كفروا يحسبون انما نملى لهم و هكذا فى قوله:
«هَلْ يَنْظُرُونَ» و يجوز كسر (انما) مع التاء فى (يحسبن) و هو وجه الكلام، لتكون الجملة فى موضع الخبر: نحو حسبت زيداً انه كريم. غير انه لم يقرأ به أحد من السبعة. و قوله: «إِنَّما نُمْلِی لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً» معنى اللام هاهنا للعاقبة و ليست بلام الغرض. كأنه قال: إن عاقبة أمرهم ازدياد الإثم كما قال:

---

(1) سورة الزخرف: آية 66.
(2) قائله عبدة بن الطبيب أمالى السيد المرتضى 1: 114، و الاغانى 12: 148 و الحماسة شرح التبريزى 2: 285، 286 و غيرها و هو من أبيات قالها فى قيس بن عاصم و مطلعها:
عليک سلام الله قيس بن عاصم و رحمته ما شاء أن ترحما
و قيس بن عاصم رجل حليم شريف فى قومه، و كان الأحنف بن قيس يقول: انما تعلمت الحلم من قيس بن عاصم. و قال ابن الاعرابى: قيل ليس بما ذا عدت؟ فقال: بثلاث: بذل الندى و كف الأذى، و نصر المولى. قال التبريزى فى شرحه لهذا البيت: يروى (هلک) بالنصب و بالرفع، فإذا

نصبته كان (هلكه) فى موضع البدل من (قيس) و (ملک) ينتصب على أنه خبر (كان) كأنه قال: فما كان هلک قيس هلک واحد من الناس بل مات لموته خلق كثير. و إذ رفعته كان (هلكه) فى موضع المبتدأ (و هلک واحد) فى موضع الخبر. و الجملة فى موضع النصب على انها خبر كان.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 60
«فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «1» و كما قال: «وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْداداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» «2» و كقوله: «لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ...»
إلى قوله: «لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِکَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ» «3» و ما قالوا ذلک ليكون حسرة و إنما كان عاقبته كذلک و قال الشاعر:
و أمُ سماک فلا تجزعى فللموت ما تلد الوالده «4»
و قال آخر:
أموالنا لذوى الميراث نجمعها و دورنا لخراب الدهر نبنيها
و قال:
و للمنايا تربى كل مرضعة و للخراب يجد الناس بنيانا
و قال آخر:
لدوا للموت و ابنوا للخراب [فكلكم يصير إلى ذهاب]
و يقول القائل: ما تزيدک موعظتى الا شرا، و ما أراها عليک إلا و بالا. و لا يجوز أن يحمل ذلک على لام الغرض و الارادة، لوجهين:
أحدهما- ان ارادة القبيح قبيحة و لا نجوز ذلک عليه تعالى.
و الثانى- لو كانت اللام لام الارادة لكان الكفار مطيعين للّه من حيث فعلوا ما أراده اللّه و ذلک خلاف الإجماع. و قد قال اللّه تعالى: «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» «5» و قال: «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» «6» و قال أبو الحسن الأخفش و الاسكافى: فى الآية تقديم و تأخير. و تقديره و لا تحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم ليزدادوا إثماً أنما نملى لهم خير لأنفسهم. و هذا ضعيف،

---

(1) سورة القصص: آية 8.
(2) سورة الزمر: آية 8.
(3) سورة آل عمران: آية 156.
(4) العجز فى الذيل من سمط الآلى: 92 و هو مثل سائر ينسب لشتيم بن خويلد الفزارى، و لسماک بن عمرو الباهلى.
(5) سورة الذاريات: آية 56.
(6) سورة النساء: آية 63.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 61
لأنه كان يجب لو كان على التقديم، و التأخير أن تكون انما الخيرة مفتوحة

الهمزة لأنها معمول تحسبن- على هذا القول- و أن تكون الاولى مكسورة، لأنها مبتدأة فى اللفظ و التقديم و التأخير لا يغير الاعراب عن استحقاقه و ذلک خلاف ما عليه جميع القراء، فإنهم أجمعوا على كسر الثانية. و الأكثر على فتح الاولى. و يمكن أن يقال:- نصرة لأبى الحسن- أن يكون التقدير و لا تحسبن الذين كفروا قائلين:
إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً، بل فليعلموا أنما نملى لهم خير لأنفسهم. فيكون الحسبان قد علق، و لم يعمل. و تكون إنما الثانية كسرت، لأنها بعد القول. و تكون فى موضع نصب بالقول المقدر و تكون أنما الاولى منصوبة بالعلم المقدر الذى بيناه. و على هذا يجوز أن يكون الوعد عاماً، و يكون الوعيد المذكور مشروطاً بالمقام على الكفر. و على الوجه الأول الذى حملنا اللام على العاقبة لا بد من تخصيصها بمن علم منه انه لا يؤمن، لأنه لو كان فيهم من يؤمن لما توجه إليهم هذا الوعيد المخصوص و قال البلخى: معناه لا تحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم رضاء بأفعالهم، و قبول لها بل هو شر لهم، لأنا نملى لهم و هم يزدادون إثماً يستحقون به عذاباً أليما.
و مثله: «وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ» «1» أى ذرأنا كثيراً من الخلق سيصيرون إلى جهنم بسوء فعالهم و «ما» فى قوله: «إنما» تحتمل أمرين:
أحدهما- أن تكون بمعنى الذى و التقدير: إن الذى نمليه خير لأنفسهم.
و الآخر- أن يكون ما نملى بمنزلة الاملاء فتكون مصدراً. و إذا كانت كذلک فلا تحتاج إلى عائد يعود إليها. و الاملاء: طول المدة. «نُمْلِي لَهُمْ» معناه نطول أعمارهم. و منه قوله: «وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا» «2» أى حيناً طويلا. و منه قوله: عشت طويلا، و تمليت حينا. و الملأ: الدهر و الملوان: الليل و النهار، لطول تعاقبهما. و إملاء الكتاب و انما أنكر تعالى أن يكون الاملاء خير لهم- و ان

---

(1) سورة الاعراف: آية 178. [.....]
(2) سورة مريم: آية 46.

كانت نعمة دنيوية- من وجهين:
أحدهما- قال الجبائى: أراد خير من القتل فى سبيل اللّه، كشهداء أحد الثانى- قال البلخى: لا تحسبن ان ذلک خير استحقوه بفعلهم، أى لا تغتروا بذلک فتظنوا انه لمنزلة لهم، لأنهم كانوا يقولون: إنه تعالى لو لم يرد ما هم عليه، لم يمهلهم.

ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179)

- آية بلا خلاف-.

قرأ حمزة و الكسائى «يميز» - بالتشديد- الباقون بالتخفيف. يقال: مازه يميزه، و ميزه يميزه- لغتان-.

و معنى الآية لم يكن اللّه ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه، فلا يميز المؤمن من المنافق، و الكافر «حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ» . و قيل فى معنى الخبيث هاهنا:

قولان:

أحدهما- قال مجاهد، و ابن إسحاق، و ابن جريح: هو المنافق. قالوا: كما ميز المؤمن من المنافق يوم أحد. بالامتحان على ما مضى شرحه.

الثانى- قال قتادة، و السدى: حتى يميز المؤمن من الكافر.

و سبب نزول الآية ما قاله السدى: إن المشركين قالوا: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا، و من يكفر، فأنزل اللّه تعالى هذه الآية. و قال قوم: إن كان يعلم المنافقين، فما حاجته إلى اختبارهم؟ فأنزل اللّه تعالى انه يميزهم. و ذلک يكون: تارة باختيارهم، و تارة بتعيينهم.

و التمييز بين الكافر و بين المؤمن أو المنافق و المؤمن بالامتحان و الاختبار

تكليف الجهاد، و نحوه: مما يظهر به حالهم، و تنكشف ضمائرهم و قيل: بالدلالات، و العلامات التى يستدل بها عليهم من غير نص اعلام لهم فان قيل: هل اطلع نبيه (ص) على الغيب؟ قلنا: عن ذلک جوابان:

أحدهما- قال السدى: لا، و لكنه اجتباه، فجعله رسولا و قال ابن إسحاق: و لكن اللّه اجتبى رسوله بإعلامه كثيراً من الغائبات. و هذا هو الأليق بالآية.

و قال الزجاج قوله: (وَ لكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ) سببه أن قوماً قالوا:

هلا جعلنا اللّه أنبياء؟ فأخبر اللّه تعالى أنه «يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ» و (من) فى الآية لتبيين الصفة لا للتبعيض، لأن الأنبياء كلهم مجتبون.

وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (180)

قرأ حمزة «و لا تحسبن» بالتاء المعجمة من فوق الباقون بالياء، و هو الأقوى، لأن عليه أكثر القراء، فمن قرأ بالتاء فالتقدير على قراءته و لا تحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم اللّه من فضله هو خير لهم. و جاز حذف البخل مع الفصل لدلالة يبخلون عليه، كما يقال من كذب كان شراً له. و المعنى كان الكذب شراً له. قال الشاعر:

إذا نُهى السفيه جرى إليه و خالف و السفيه إلى خلاف «1»

و معناه خالف إلى السفه. قال الزجاج: إنما تكون هو، و هما، و هم، و أنا و أنت، و نحن فصولا مع الافعال التى تحتاج إلى اسم و خبر، و لم يذكر سيبويه الفصل مع الابتداء، و الخبر. قال: و لو تأول متأول قوله الفصل ها هنا أنه يدل

---

(1) معانى القرآن للفراء 1: 104- 249. آمالى ابن الشجرى 1: 68- 113- 305 و 2: 132- 209 و الانصاف: 63 و الخزانة: 383.

على أنه جائز فى المبتدأ و الخبر كان جائزاً. قال: و القراءة بالياء عندى هو الأجود و يكون الاسم محذوفاً، قال: و القراءة بالتاء لا تمتنع مثل قوله: «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» «1» و تقديره و لا تحسبن بخل الباخلين خيراً.

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ما قاله السدى: إن المعنى بخلوا أن ينفقوا فى سبيل اللّه كما بخلوا بمنع الزكاة. و قيل إنها نزلت فى أهل الكتاب بخلوا أن يبينوه للناس- على قول ابن عباس- و الوجه الأول أظهر لأن أكثر المفسرين على

أنها نزلت فى مانعى الزكاة، و هو قول أبى جعفر (ع)

و قوله: «هُوَ خَيْراً لَهُمْ» فلفظة «هو» فصل، بين الاسم، و الخبر على تقدير و لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم اللّه من فضله البخل هو خيراً لهم فيمن قرأ بالياء و قوله: «سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما-

رواه ابن مسعود عن النبى (ص) أنه شجاع أقرع يطوقونه، و هو المروى عن أبى جعفر (ع).

و قال ابراهيم النخعى:انهم يطوقون طوقاً من نار. و قال أبو على: هو

كقوله: «يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ» «2» و قال البلخى معناه سيجاوزن كأنهم طوقوا. و قوله. «وَ لِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» معناه أنه يبطل ملک كل شىء إلا ملک اللّه، فيصير كالميراث لصحة الملک الثانى بعد زوال الأول و إن لم يكن فى صفات اللّه على جهة الانتقال، لأنه لم يزل مالكاً (عز و جل) و البخل هو منع الواجب لأنه تعالى ذم به و توعد عليه و أصله فى اللغة مشقة العطاء، و إنما يمنع الواجب لمشقة الإعطاء.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَ قَتْلَهُمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ (181)

---

(1) سورة يوسف: آية 82.
(2) سورة التوبة: آية 36.

- آية بلا خلاف-.
قرأ حمزة وحده «سيكتب» بضم الياء. الباقون بالنون. ذكر الحسن و قتادة: أن الذين نسبوا اللّه تعالى إلى الفقر و أنفسهم إلى الغناء و هم قوم من اليهود لما نزل قوله: (مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً) «1» قالوا إنما يستقرض الفقير من الأغنياء، فهو فقير و نحن أغنياء، و القائل لذلک حى بن أخطب و فنحاص اليهودى.
و قال أبو على الجبائى: هم قوم من اليهود، و انما قالوا ذلک من جهة ضيق الرزق.
و قيل: انهم قالوا ذلک تمويهاً على ضعفائهم لا أنهم اعتقدوا أن اللّه فقير على الحقيقة. و قيل: انهم عنوا بذلک إله محمد الذى يدعى أنه رسوله دون من يعتقدون هم أنه على الحقيقة.
فان قيل: كيف الحكاية عنهم بأنهم قالوا ذلک، و إنما قالوه على جهة الإلزام دون الاعتقاد؟ قلنا: لأنه إلزام باطل من حيث لا يوجبه الأصل الذى الزموا عليه، لأنه إنما قال تعالى: «مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» على وجه التلطف فى الاستدعاء إلى الطاعة، و حقيقته أن منزلة ما ينفقون فى وجوه البر كمنزلة القرض الذى يرجع إليكم و يضاعف به الأجر لكم مع أنهم أخرجوا ذلک مخرج الاخبار عن الاعتقاد.
و فى الآية دلالة على أن الرضا بقبيح الفعل يجرى مجراه فى عظم الجرم، لأن اليهود الذين وصفوا بقتل الأنبياء لم يتولوا ذلک فى الحقيقة، و إنما ذموا به، لأنهم بمنزلة من تولاه فى عظم الإثم. و قوله: (سَنَكْتُبُ ما قالُوا) قيل فى معناه قولان:
أحدهما- انه يكتب فى صحائف أعمالهم، لأنه أظهر فى الحجة عليهم و أجرى ان يستحيوا من قراءة ما أثبت من فضائحهم- على قول الجبائى-.

---

(1) سورة البقرة: آية 254 و سورة الحديد: آية 11.

الثانى- قال البلخى سيحفظ ما قالوا حتى يجازوا به أى هو بمنزلة ما قد

كتب فى أنه لا يضيع منه شىء. و الأولى أظهر. و قوله: (ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ) يعنى المحرق، و الفائدة فيه ان يعلم أنه عذاب بالنار التى تحرق، و هى الملتهبة، لأن ما لم يلتهب لا يسمى حريقاً، و قد يكون العذاب بغير النار. و قوله: «ذُوقُوا» يفيد أنكم لا تتخلصون من ذلک كما يقول القائل: ذق هذا البلاء يعنى انک لست بناج منه.

اشارة

ذلِکَ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیکُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَیْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِیدِ (182) آیة

قوله: «ذلک» اشارة إلى ما تقدم ذكره من قوله: «وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ. ذلِکَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ» و معناه بما جنيتموه على أنفسكم، فان اللّه لا يظلم أحداً من عبيده، و لا يبخسهم حقهم.
و فيها دلالة على بطلان مذهب المجبرة، لأنها تدل على أنه لو وقع العقاب من غير جرم سلف من العبد، لكان ظلماً و ذلک بخلاف ما يذهبون إليه من أن اللّه تعالى يعذب الأطفال من غير جرم. فان قيل: لم نفى كثرة الظلم على وجه لا يدخل فيه القليل، و هلا نفى على وجه العموم كقوله: «لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ» «1» و كقوله: «لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً» «2» و قوله: «وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا» «3» و «نقيرا» ؟ قيل: لأنه خرج مخرج الجواب لمن توهم مذهب المجبرة فدل على أنه لو كان على ما يذهبون إليه، لكان ظلاماً للعبيد، و ما هو بظلام لهم. فان قيل: لم

---

(1) سورة النساء: آية 39.
(2) سورة يونس: آية 44.
(3) سورة النساء: آية 48 و سورة الإسراء: آية 71.

أضيف التقديم إلى أيديهم و إنما هو لهم فى الحقيقة؟ قيل: لأنه إذا أضيف على هذه الطريقة كان أبعد من توهم الفساد فى معنى الاضافة إذ قد يضاف الفعل إلى الإنسان على معنى أنه أمر به و دعا إليه. كما قال: «يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ» «1» و إذا ذكرت اليد دل على تولى الفعل نحو قوله «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً» «2» .

«وَ أَنَّ اللَّهَ» انما فتح ان لأنه معطوف على ما عملت فيه الباء، و تقديره و بأن اللّه ليس بظلام للعبيد أى ذلک العذاب بما سلف من الاجرام و بامتناع ظلم اللّه للعباد، فموضع أن جر و موضع الباء فى قوله: «بما» رفع، لأنها فى موضع خبر ذلک و هى متصلة بالاستقرار كأنه قيل ذلک مستقر بما قدمت أيديكم، كما يقول القائل: عقابک بما كسبت يداک.

اشارة

الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِى بِالْبَيِّناتِ وَ بِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (183)

- آية- المعنى بقوله: «الَّذِينَ قالُوا» هم الذين وصفهم اللّه بقوله: «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ. الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنا» .

و الذين فى موضع خفض رداً على قوله: «الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ» و معنى قولهم «إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنا» أى أوصانا فى كتبه، و على ألسن أنبيائه ألا نصدق

---

(1) سورة القصص: آية 4.
(2) سورة يس: آية 71.

لرسول فيما يقوله: من أنه جاء به من عند اللّه من أمر و نهى، و غير ذلک، فالعهد:
العقد الذى يتقدم به للتوثق، و هو كالوصية. و قوله: «حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ» معناه حتى يجيئنا بما يقرب به العبد إلى اللّه من صدقة و بر. و قربان مصدر على وزن عدوان، و خسران تقول قربت قرباناً. و أما قوله: «تَأْكُلُهُ النَّارُ» فلأن أكل النار ما قربه أحدهم للّه فى ذلک الزمان كان دليلا على قبول اللّه له، و دلالة على صدق المقرب فيما أدعى أنه حق فيما نوزع فيه- فى قول ابن عباس، و الضحاک-، فقال اللّه تعالى لنبيه (ص) قل لهم يا معشر من يزعم أن اللّه عهد إليه ألا يؤمن لرسول حتى يأتيه بقربان تأكله النار، قل: قد جاءكم رسل من اللّه من قبل. المعنى جاء أسلافكم بالبينات يعنى بالحجج الدالة على صدق نبوتهم، و حقيقة قولهم: و قد ادعيتم أنه يدل على تصديق من أتى به و الإقرار بنبوته من أكل النار قربانه، فلم قتلتموه إن كنتم صادقين؟ يعنى قتلتموهم و أنتم مقرون بأن الذين جاءوكم به من ذلک حجة لهم عليكم إن كنتم صادقين فيما عهد إليكم مما ادعيتموه و أضاف القتل إليهم و إن كان أسلافهم تولوه لأنهم رضوا بأفعالهم فنسب ذلک إليهم كما بيناه فيما تقدم فى قوله تعالى: «وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ» «1» فأراد اللّه أن يعلم المؤمنين ان هؤلاء معاندون متعنتون، و إلا فهم عالمون بصفات النبى (ص) و ما ذكره اللّه تعالى فى التوراة و انه صادق فيما يدعيه، و إنما لم ينزل اللّه ما طلبوه لأن المعجزات تابعة للمصالح و ليست على الاقتراحات و التعنت. فان قيل هلا قطع اللّه عذرهم بالذى سألوا من القربان الذى تأكله النار؟ قيل: له لا يجب ذلک لأن ذلک اقتراح فى الأدلة على اللّه و الذى يلزم من ذلک أن يزيح علتهم بنصب الادلة على ما دعاهم إلى معرفته.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 184]..... ص: 68

اشارة

فَإِنْ كَذَّبُوکَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ جاؤُ بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ وَ الْكِتابِ الْمُنِيرِ (184)

_____

(1) سورة البقرة: آية 61
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 69
- آية واحدة-.

قرأ ابن عامر وحده و بالزبر و كذلک هو فی مصاحف أهل الشام. الباقون بحذف الباء، فمن حذف فلأن واو العطف أغنت عن تکرار العامل و من أثبتها فإنما کرر العامل تأکیداً، و کلاهما جیدان.

و هذه الآية فيها تسلية للنبى (ص) عما كان يصيبه من الأذى من اليهود و أهل الشرک بتكذيبهم إياه بأن قال فقد كذب أسلافهم من رسل اللّه من جاءهم بالبينات و الحجج القاطعة، و الأدلة الواضحة. و الزبر جمع زبور و هو البينات و كل كتاب فيه حكمة فهو زبور. و منه قول امرئ القيس:
لمن طلل أبصرته فشجانى كخط زبور فى عسيب يمان «1»
و يقال زبرت الكتاب إذا كتبته، فهو مزبور و زبرت الرجل أزبره: إذا زجرته و الزبرة: القطعة العظيمة من الحديد، و منه قوله: «آتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ» «2» و الزبير: الحماة. و الزبرة مجتمع الشعر على كتف الأسد. و زبرت البئر إذا أحكمت طيها بالحجارة، فهو مزبور و ما لفلان زبر أى عقل، و الكتاب المراد به التوراة و الإنجيل، لأن اليهود كذبت عيسى، و ما جاء به من الإنجيل و حرفت ما جاء به موسى من صفة النبى (ص)، و بدلت عهده إليهم فيه. و النصارى أيضاً جحدت ما فى الإنجيل من نعته و غيرت ما أمرهم فيه به. و قوله: «المنير» معناه الذى ينير، فينير الحق لمن اشتبه عليه، و هو حجة له. و إنما هو من النور، و الاضاءة يقال: قد أنار لک هذا الأمر بمعنى أضاء لک و ينير انارة فهو منير، و هذا قول

---

(1) ديوانه: 210 و روايته (الزبور فى العسيب اليمانى). الزبور الكتاب المزبور أى المكتوب بالمزبر و هو القلم. العسيب اليمانى: سعف النخل.
(2) سورة الكهف: آية 97.

الحسن و ابن جريج و الضحاک، و أكثر المفسرين. فان قيل: لم جمع بين الزبر و الكتاب و معناهما واحد؟ قلنا: لأن أصلهما مختلف، فهو زبور لما فيه من الزجر عن خلاف الحق، و هو كتاب، لأنه ضم الحروف بعضها إلى بعض، و سمى زبور داود لكثرة ما فيه من المواعظ و الزواجر. فان قيل: كيف قال «فَإِنْ كَذَّبُوکَ، فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ» و هم و ان لم يكذبوه أيضاً، فقد كذب رسل من قبله؟
قلنا: لأن المعنى فقد جروا على عادة من قبلهم فى تكذيب أنبيائهم إلا أنه ورد على وجه الإيجاز كما تقول: إن أحسنت إلىّ فقد طالما أحسنت.

كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَ إِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ (185)
- آية بلا خلاف-.
لا يجوز أن يجعل (ما) فى (إنما) بمعنى الذى و ترفع أجوركم، لأن يوم القيامة يصير من صلة توفون و توفون من صلة الذين فلا يأتى ما فى الصلة بعد أجوركم. و أجوركم خبر، و معنى الآية إن مصير هؤلاء المفترين على اللّه من اليهود المكذبين برسوله الذين وصفهم، و مصير غيرهم من جميع الخلق إليه تعالى من حيث حتم الموت على جميعهم، فقال لنبيه (ص) لا يحزنک قولهم و تكذيبهم و افتراء من افترى منهم على اللّه و عليک، و تكذيب من تقدمک من الرسل. فان مرجعهم إلى و أوفى كل نفس منهم جزاء عمله، فقال: توفون أجوركم يعنى أجور أعمالكم إن خيراً فخيراً و ثواباً. و إن شراً فشراً و عقاباً، و هو نصب على أنه مفعول به.
و قوله: «فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ» معناه نحى عن النار، و أبعد منها «وَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ» أى نجا و ظفر بعظيم الكرامة. و كل من لقى ما يغتبط به فقد فاز، و معنى «فاز» تباعد من المكروه، و لقى ما يجب. و المفازة: مهلكة. و إنما سموها مفازة التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 71
أى منجاة كما سموا اللديغ سيما، و الأعمى بصيراً. و ظاهر الآية يدل على أن كل نفس تذوق الموت، و إن كانت مقتولة- على قول الرمانى- و نحن و إن قلنا: إن الموت غير القتل، فلا بد أن نقول: إن المقتول يختار اللّه أن يفعل فيه الموت إذا كان فى فعله مصلحة. و قوله: «وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ» معناه و ما لذات الدنيا، و شهواتها، و ما فيها من زينتها إلا متعة متعكموها الغرور، و الخداع:
المضمحل الذى لا حقيقة له عند الاختبار و الامتحان، لأنكم تلتذون بما يمتعكم الغرور من دنياكم، ثم هو عائد عليكم بالفجائع و المصائب، فلا تركنوا إليه، و لا تسكنوا، فإنما هى غرور و إنما أنتم منها فى غرور. و قال عكرمة: متاع الغرور، القوارير، و هى فى الأصل كل متاع لا بقاء له، و إنما وصفت الحياة الدنيا بأنها متاع الغرور مع كشفها عن حالها، لأنها بمنزلة من يغتر بالمحبوب و يبذل ما فيه الفرح و السرور، ليوقع فى بلية تؤدى إلى هلكة، مبالغة فى التحذير منها- على ما بيناه- و فى الآية دلالة على أن أقل نعيم من الآخرة خير من نعيم الدنيا بأسره و لذلک
قال (ص): (موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا، و ما فيها)
و استدل بهذه الآية على أن القتل هو الموت على الحقيقة. و منه من قال فى المقتول: موت، و قتل و للمخالف أن يقول: يمكن أن تكون الآية

مخصوصة بمن يموت، و لا يقتل كما قال: «كُلّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» «1» و هى مختصة بالعقلاء البالغين، و يمكن أن يكون المراد كل نفس تعدم الحياة، فيكون ذلک على وجه الاستعارة. ذكره البلخى. و قوله: «ذائِقَةُ الْمَوْتِ» مجاز، لأن الموت لا يذاق فى الحقيقة، لأن ذلک مشهور فى كلامهم يقولون: ذاق الموت، و شرب بكأس المنون، لأنه بمنزلة ما يذاق بذوق شدائده. و الفرق بين الذوق و إدراک الطعم أن الذوق تقريب جسم المذوق إلى حاسة الذوق، و الإدراک للطعم هو وجدانه «2» و إن لم يكن هناک احساس، و لذلک يوصف تعالى بأنه مدرک للطعم و لا يوصف

---

(1) سورة المدثر: آية 38. [.....]
(2) فى المخطوطة: (هو وجدک به...)

بأنه ذائق له. و يقولون: ذقته فلم أجد له طعماً أى لا بس فمى فلم أحس له طعماً.

لَتُبْلَوُنَّ فِی أَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ مِنَ الَّذِینَ أَشْرَکُوا أَذیً کَثِیراً وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِکَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186)

- آیة- قوله: «لَتُبْلَوُنَّ» معناه لتختبرن أی توقع علیکم المحن، و تلحقکم الشدائد فی أنفسکم، و أموالکم من قبل الکفار نحو ما نالهم من الشدائد فی أنفسهم یوم أحد، و نحو ما کان اللّه یفعل بهم من الفقر و شدة العسر، و انما فعله لیصبروا و سماه بلوی مجازاً، لأن حقیقته لا تجوز علیه تعالی، لأنها التجربة فی اللغة. و یتعالی اللّه عن ذلک، لأنه عالم بالأشیاء قبل کونها. و إنما فعله لیتمیز المحق منکم من غیره- هذا قول أبی علی الجبائی- و قال البلخی: معناه لتبلون بالعبادات فی أنفسکم کالصلاة و الصیام و غیرهما. و فی أموالکم من الإنفاق فی سبیل اللّه و الزکوات، لیتمیز المطیع من العاصی. و اللازم لام القسم. و النون دخلت مؤکدة، و ضمت الواو لسکونها، و سکون النون. و لم تنصب لأنها واو الجمع فرقا بینها و بین واو الاعراب. و یقال للواحد، لتبلین یا رجل و للاثنین لتبلیان. و یفتح الیاء فی لتبلین فی الواحد عند سیبویه لسکونها و سکون النون. و فی قول غیره تبنی علی الفتح لضم النون إلیها، کما یبنی ما قبل هاء التأنیث. و للمرأة لتبلین و للمرأتین لتبلیان و للنساء لتبتلینان.

زیدت الالف لاجتماع النونات و قوله: «وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ مِنَ الَّذِینَ أَشْرَکُوا أَذیً کَثِیراً» یعنی ما سمعوه من الیهود و من کفار مکة و غیرهم من تکذیب النبی (ص) و من الکلام الذی یغمهم و یکثرهم ثم بین تعالی بقوله:

«وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا» إنکم ان صبرتم علی ذلک و تمسکتم بالطاعة و لم تجزعوا عنده جزعاً یبلغ الإثم، «فَإِنَّ ذلِکَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» و معناه من جزم الأمور، أی التبیان فی تفسیر القرآن، ج3، ص: 73

ما بان رشده و صوابه. و وجب علی العاقل العزم علیه. و أذی مقصور. و یکتب بالیاء یقال أذی یأذی أذی: إذا سمع ما یسوءه و قد آذانی فلان یؤذینی إیذاءً و تأذیت به تأذیاً. و قال عکرمة و غیره: إن هذه الآیات کلها نزلت فی فنحاص الیهودی سید بنی قینقاع حین کتب النبی (ص) إلیه یستمده، فقال فنحاص: قد احتاج ربکم أن نمده. و هو القائل: «إِنَّ اللّٰهَ فَقِیرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِیاءُ» «1» و نزلت فیه أیضاً «لا یَحْسَبَنَّ الَّذِینَ یَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَیْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ» «2» و قال الزهری: الآیة نزلت فی کعب بن الأشرف، و کان یهجو النبی (ص)، و المؤمنین و یحرض المشرکین علیهم حتی قتله محمد بن مسلمة غیلة. و البلوی التی ابتلوا بها، قال الحسن: هی

فرائض الدين من الجهاد فى سبيل اللّه، و النفقة فى طاعة اللّه، و التمسک بما يجب للّه فى كلما أمر به و دعا إليه.

اشارة

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ (187)
- آية بلا خلاف-.

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و أبو بكر عن عاصم «ليبيننه للناس و لا يكتمونه» بالياء فيهما. الباقون بالتاء فيهما، فمن قرأ بالياء، فلأنهم غُيب. و من قرأ بالتاء حكى المخاطبة التى كانت فى وقت أخذ الميثاق «و لتبيينه» لجماعة الرجال و للواحد تفتح النون.

---

(1) سورة آل عمران: آية 181.
(2) سورة آل عمران: آية 180.

و المعنى به اذكروا «إِذْ أَخَذَ اللَّهُ» منهم الميثاق ليبينن أمر نبوة النبى (ص) و لا يكتمونه «فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ» أى رموا به فى قول ابن عباس، و لم يعملوا به و إن كانوا مقرين به. و يقال لمن يطرح الشىء و لا يعبأ به رميته بظهر، قال الفرزدق:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر و لا يعيا علىّ جوابها «1»

أى لا تتركنها، لا تعبأ بها، فأخبر اللّه تعالى عما حمل اليهود الذين كانوا رؤساء على كتمان أمر النبى (ص)، فقال: «وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا» أى قبلوا على ذلك الرشا، و قامت لهم بذلك رئاسة اكتسبوها فذلك حملهم على الكفر بما يخفونه، ثم ذم تعالى أفعالهم بقوله: «فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ» لأن ما يكون عاقبته الهلاک و العقاب الدائم، و ان كان نفعاً عاجلا، فهو بئس الشىء. و قال ابن عباس و سعيد ابن جبير و عكرمة و السدى و ابن جريج ان المعنى بهذه الآية فنحاص اليهودى، و أصحابه الذين كتموا أمر النبى (ص) و ما بينه اللّه فى التوراة. و قال قتادة و كعب و عبد اللّه بن مسعود هذا ميثاق أخذه اللّه على أهل العلم كافة، فمن علم شيئاً فليعلمه و إياكم و كتمان العلم، فان كتمانه هلاک. و قال الجبائى: المعنى بالآية اليهود و النصارى. و قال الحسن «لتبيننه و لا تكتمونه» معناه لتكلمن بالحق و لتصدقنه بالعمل. و الميثاق الذى ذكره اللّه فى الآية هو الأيمان التى أخذها عليهم أنبياؤهم ليبينن ما فى كتبهم من الاخبار و الآيات الدالة على نبوة النبى (ص) و لا يكتمونه.

و الهاء فى «ليبيننه» عائدة على محمد (ص) فى قول سعيد بن جبير و السدى، فيعود

---

(1) ديوانه 1: 95 و روايته:

تميم بن زيد لا تهونن حاجتى لديک و لا يعيا على جوابها

و فى اللسان و فى الاغانى الصدر كما فى الديوان و العجز هكذا: (بظهر فلا يخفى على جوابها) و معناه أى لا تجبنى بجواب لا أدرى ما هو.

على معلوم غير مذكور. و قال الحسن و قتادة: هى عائدة على الكتاب فيدخل فيه بيان أمر النبى (ص) لأنه فى الكتاب

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): آية 188]..... ص: 75

اشارة

لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (188)
- آية بلا خلاف-.

قرأ أهل الكوفة و يعقوب «لا تَحْسَبَنَّ» بالتاء و فتح الباء، و قرأ ابن كثير و أبو عمرو بالياء، و ضم الباء. الباقون بالياء و فتح الباء.
«و تَحْسَبَنَّهُمْ» الأخير بالتاء بلا خلاف. قال أبو على من قرأ بالياء، لم يوقع يحسبن على شىء، (و الذين) رفع بأنه فاعل (لا تحسبن) قال: و وجه قراءة ابن كثير و أبى عمرو فى أن لم يعديا (حسبت) إلى مفعولية ان (يحسب) فى قوله:
«فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ» لما جعل بدلا من الأول و عدّى إلى مفعوليه استغنى بها فى تعدية الأول إليهما كما استغنى فى قول الشاعر:
بأى كتاب أم بأية سنة ترى حبهم عاراً على و تحسب
فاكتفى بتعدية أحد الفعلين إلى المفعولين عن تعدية الآخر إليهما. فان قال قائل: كيف يستقيم تقدير البدل، و قد دخل الفاء بينهما، و لا يدخل بين البدل و المبدل منه الفاء؟ و الجواب أن الفاء زائدة، يدلک على ذلک أنها لا يجوز أن تكون التى تدخل على الخبر، لأن ما قبل الفاء ليس بمبتدإ، فتكون الفاء خبره، و لا تكون العاطفة، لأن المعنى «لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا» و يحبون أنفسهم «بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ» فإذا كان ذلک لم يجز تقدير العطف، لأن الكلام التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 76
لم يستقل بعد فيستقيم فيه تقدير العطف. و أما قوله: (فلا تحسبنهم) فان فعل الفاعل الذى هو يحسبون تعدى إلى ضميره، و حذفت واو الضمير لدخول النون الثقيلة. و قوله: (بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ) فى موضع المفعول الثانى، و فيه ذكر المفعول الأول. و فعل الفاعل فى هذا الباب يتعدى إلى ضمير نفسه نحو ظننتنى أخاه، لأن هذه الأفعال لما كانت تدخل على الابتداء و الخبر أشبهت (إن) و أخواتها فى دخولهن على الابتداء و الخبر كدخول هذه الافعال عليهما، و ذلک نحو قولک:
ظننتنى ذاهباً، كما تقول: إنى ذاهب، و لو قلت أظن نفسى تفعل، لم يجز كما يجوز أ ظننتنى فاعلا. و قال أبو سعيد الخدرى، و أبو وهب، و الزجاج: المعنى بهذه الآية قوم من أهل الكتاب دخلوا على النبى (ص) و خرجوا من عنده، فذكروا لمن كان رآهم فى ذلک الوقت أن النبى (ص) قد أتاهم بأشياء قد عرفوها، فحمدهم من شاهدهم من المسلمين على ذلک، و أظهروا خلاف ما أبطنوا، و أقاموا فيما بعد على الكفر، فأعلم اللّه تعالى نبيه أنهم ليسوا بمفازة أى ليسوا ببعد من العذاب.
و قيل معناه ليسوا بمنجاة من العذاب، و وقعت، «فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ» مكررة لطول القصة كما يقولون: لا تظنن زيداً إذا جاءک كلمک بكذا و كذا، فلا تظننه صادقاً، فيعيد فلا تظننه توكيداً، و اعلاماً ان ذلک يتعلق بالأول، و لو لم

يكرر كان جائزاَ، لكن مع التأكيد أوضح. و قوله: «وَ يُحِبُّونَ أنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا» قال البلخي:
إنهم قالوا: «نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ» «1» و أهل الصوم و الصلاة و ليسوا بأولياء اللّه، و لا أحباؤه، و لا أهل الصلاة و الصيام، و لكنهم أهل شرک و نفاق. و هو المروى عن أبى جعفر (ع).
و قال قوم: «يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا» على أنهم أبطلوا أمر محمد (ص)، و كذبوا ما أبطلوه، و لا لهم قدرة على ذلک.

و روى عن ابن عباس، و سعيد أن الآية نزلت فى اليهود حيث كانوا يفرحون

---

(1) سورة المائدة: آية 20.

باجلال الناس لهم و نسبهم إياهم إلى العلم. و قال الضحاک، و السدى: نزلت فى اليهود حيث فرحوا بما أثبتوا من تكذيب النبى (ص). و قال سعيد بن جبير: فرحوا بما أتى اللّه آل ابراهيم. و قال ابن عباس: إن النبى (ص) سألهم عن شىء، فتكتموه ففرحوا بكتمانهم، و أقوى هذه الأقوال أن يكون قوله: «لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ» يعنى بها من أخبر اللّه عنهم أنه أخذ ميثاقهم ليبينن للناس أمر محمد (ص)، و لا يكتمونه، لأن قوله: «لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ» فى سياق الخبر عنهم و شبيه بقصتهم مع أن أكثر أهل التأويل عليه. و قال الجبائى: الآية فى المنافقين، لأنهم كانوا يعطون المؤمنين شيئاً يستعينون به على الجهاد لا على وجه القربة إلى اللّه بل على وجه الرياء و يفرحون بذلک، و يريدون مع ذلک أن يحمدوا على ذلک و يعتقد أنهم فعلوه لوجه القربة، فقال: «لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا» بمنزلة المؤمنين الذين يفعلون الافعال للّه على وجه القربة إليه. و قال: «فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ» مع ذلک بمنجاة «مِنَ الْعَذابِ» بل «لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» يعنى مؤلم فحسبان الثانى متعلق بغير ما تعلق به الأول، فلذلک كرر. فان قيل: أين خبر «لا تَحْسَبَنَّ» الاولى؟ قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- «بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ»، لأنها مكررة لطول الكلام. و قيل: الفاء زائدة على هذا، و هو قول الزجاج.

و الثانى- ان الخبر محذوف، كأنه قال ناجين، و دل الخبر الأخير عليه. فان قيل: كيف يجوز أن يذم بالفرح و ليس من فعل الإنسان؟ قلنا ذم بالتعرض له على جهة الأشر و البطر كما قال: «لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ» .

وَ لِلَّهِ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (189)
- آية بلا خلاف-. التبيان في تفسير القرآن، ج3، ص: 78
معنى الآية الاخبار من اللّه تعالى بأنه مالک ما فى السماوات، و ما فى الأرض بمعنى أنه يملک تدبيرهما، و تصريفهما على ما شاء من جميع الوجوه ليس لغيره الاعتراض عليه فى ذلک و انه المقتدر على جميع ذلک «وَ هُوَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ»، و فى الآية تكذيب لمن قال: «إِنَّ اللَّهَ فَقِیرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِیاءُ» «1» لأن من ملک ما فى السماوات و الأرض لا يكون فقيراً. و فى قوله: (وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ) تنبيه على أنه قادر على إهلاک من يقول هذا القول جهلا منه و عناداً، لكنه يحلم عنه و يؤخر عذابه لضرب من المصلحة و قوله: «عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ» خرج مخرج المبالغة، و هو أخص من قوله: «بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ» لأن أفعال العباد لا توصف بالقدرة عليها، و فرق الرمانى بين أن يقال هو قادر على أفعال العباد، و بين قادر على فعلهم، فقال قادر عليها يحتمل ما لا يحتمل قادر على فعلهم لأنه يفيد أنه قادر على تصريفه كما يقولون فلان قادر على هذا الحجر أى قادر على رفعه، و وضعه، و فلان قادر على نفسه أى قادر على ضبطها، و منعها مما تنازع إليه، فعلى هذا جائز أن يقال انه قادر على أفعال العباد بمعنى أنه قادر على المنع منها، و التمكين منها دون ما يستحيل من القدرة على إيجادها

إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ لَآیاتٍ لِأُولِی الْأَلْبابِ (190)

- آیة- فی هذه الآیة دلالة علی وجوب النظر و الفکر، و الاعتبار بما یشاهد من الخلق و الاستدلال علی اللّه تعالی، و مدح لمن کانت صفته هذه، ورد علی من أنکر وجوب ذلک، و زعم أن الایمان لا یکون إلا تقلیداً و بالخبر، لأنه تعالی أخبر عما فی خلق السماوات و الأرض، و اختلاف اللیل و النهار من الدلالات علیه

---

(1) سورة آل عمران: آیة 181.

و علی وحدانیته، لأن من فکر فی السماوات و عظمها و عجائب ما فیها من النجوم و الأفلاک، و مسیر ذلک علی التقدیر الذی تسیر علیه، و فکر فی الأرض و ما فیها من ضروب المنافع، و فی اختلاف اللیل و النهار و مجیئهما بالأوقات و الازمنة التی فیها المصالح، و اتساق ذلک و انتظام بعضها إلی بعض، و حاجة بعضها إلی بعض حتی لو عدم شیء منه لم یقم ما سواه [مقامه] «1» علم أن ذلک لا یکون إلا من مدبر قادر علیم حکیم واحد، لأنه لو کان قادراً، و لم یکن عالماً بالعواقب لما أغنت القدرة شیئاً، و لو کان عالماً غیر حکیم فی فعله لما أغنی العلم شیئاً، و لو کانا اثنین ما انتظم تدبیر، و لا تم خلق، و لعلا بعضهم علی بعض، کما قال تعالی: «لَوْ کانَ فِیهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا» «2» فکیف ینسب إلی الفقر من کان جمیع ما فی السماوات و الأرض بیده، أم کیف یکون غنیاً من کان رزقه بید غیره إذا شاء رزقه و إذا شاء حرمه، و یدل علی أن خالق الجسم لا یشبهه، لأنه لو أشبهه، لکان محدثاً مثله، و یدل علی أنه قدیم، لأنه لو کان محدثاً لاحتاج إلی محدث و لأدی ذلک إلی ما لا یتناهی و یدل أیضاً علی أنه قادر علی جمیع الأجناس، لأنه من قدر علی الجسم یقدر علی سائر الأجناس، و وجه الدلالة من خلق السماوات و الأرض علی اللّه هو ان الإنسان إذا فکر و رأی عظمها، و ثقل الأرض، و وقوفها علی غیر عمد یقلها، و حرکة السماوات حولها لا علی شیء یدعهما، علم أن الممسک لذلک هو الذی لا یشبه الأجسام و لا المحدثات، لأنه لو اجتمع جمیع الخلق علی أن یمسکوا جسما خفیف المقدار، و یقوله فی الجو من غیر أن یدعموه لما قدروا علیه، فعلم حینئذ ان الذی یقدر علیه مخالف لجمیع الأشیاء و علم أیضاً أنها لو کانت السماوات و الأرض معتمدة علی غیرها لکان ذلک الغیر یحتاج إلی ما یعتمد علیه و فی ذلک اثبات ما لا یتناهی من الأجسام، و ذلک محال فهذا أحد

وجوه دلالة السماوات و الأرض، و هو أحد

---

(1) هكذا فى المخطوطة (أ) و فى المطبوعة ما بين القوسين ساقط، و المخطوطة (ب) ناقصة فى هذا المكان أوراقاً كثيرة.
(2) سورة الأنبياء: آية 22.

ما قال «إن فى ذلک لآيات لاولى الألباب» و وجه الدلالة من اختلاف الليل و النهار هو أن جميع الخلق لو اجتمعوا على أن يأتوا بالليل بدلا من النهار، أو النهار بدلا من الليل أو ينقصوا، أو يزيدوا من أحدهما فى الآخر لما قدروا عليه، كما قال:
(قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَ فَلا تَسْمَعُونَ قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَ فَلا تُبْصِرُونَ. وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) الآية «1» و قوله: «لِأُولِي الْأَلْبابِ» معناه لذوى «2» العقول. و اللب: العقل سمى به لأنه خير ما فى الإنسان و اللب من كل شىء خيره، و خالصه. فان قيل: فما وجه الاحتجاج بخلق السماوات [و الأرض] «3» على اللّه و لم يثبت بعد انها مخلوقة قيل عنه ثلاثة أجوبة:
أولها- على تقدير اثبات كونها مخلوقة قبل الاستدلال به لأن الحجة به قامت عليه من حيث أنها لم تنفک من المعانى المحدثة.
الثانى- أن الغرض ذكر ما يوجب صحة الذى تقدم ثم يترقى من ذلک إلى تصحيح ما يقتضيه على مراتبه، كالسؤال عن الدلالة على النبوة فيقع الجواب بذكر المعجزة دون ما قبلها من الرتبة.
الثالث- أن تعاقب الضياء و الظلام يدل على حدوث الأجسام.

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ (191)
- آية بلا خلاف-.

---

(1) سورة القصص: آية 71- 72.
(2) فى المخطوطة زيادة (و الفكر) فى هذا الموضع.
(3) فى المطبوعة ما بين القوسين ساقط.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 81
موضع (الذين) خفض، لأنه نعت: «لأولى الألباب» أى فهؤلاء يستدلون على توحيد اللّه بخلقه السماوات و الأرض، و أنهم يذكرون اللّه فى جميع أحوالهم قياماً و قعوداً، و هو نصب على الحال. و قوله: (و على جنوبهم) أى و مضطجعين، و انما عطف على قياماً و قعوداً، لأن معناه يدل على الحال، لأن الظرف يكون حالا للمعرفة كما يكون نعتاً للنكرة، لأنه من الاستقرار (كما تقول: مررت برجل على الحائط أى مستقراً على الحائط، و مررت برجل فى الدار مثله، كما تقول أنا أصير إلى فلان ماشياً، و على الخيل، و معناه و راكباً، كما) «1» قال: «إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً» «2» و معناه مضطجعاً أو قائماً أو قاعداً فبين تعالى أن هؤلاء المستدلين على حقيقة توحيد اللّه يذكرون اللّه فى سائر الأحوال.
و قال قوم: «يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ» أى يصلون على قدر إمكانهم فى صحتهم و سقمهم، و هو المروى فى أخبارنا
، و لا تنافى بين التأويلين، لأنه لا يمتنع أن يصفهم بأنهم يفكرون فى خلق السماوات و الأرض فى هذه الأحوال و مع ذلك يصلون على هذه الأحوال فى أوقات الصلوات، و هو قول ابن جريج و قتادة. و قوله: (رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا) انما قال هذا و لم يقل هذه و لا هؤلاء، لأنه أراد به الخلق كأنه قال ما خلقت هذا الخلق باطلا «3» أى يقولون «رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا» بل خلقته دليلا على وحدانيتك و على صدق ما أتت به أنبياؤك، لأنهم يأتون بما يعجز عنه جميع الخلق. و قوله: (سبحانك) معناه براءة لك من السوء و تنزيهاً لك من أن تكون خلقتهما باطلا قال الشاعر:
أقول- لما جاءنى فحره- سبحان من علقمة الفاخر «4»

---

(1) ما بين القوسين ساقط من المخطوطة (أ).
(2) سورة يونس: آية 12.

(3) فى المخطوطة نقص سطر فى هذا الموضع. [.....]
(4) قائله اعشى بنى تغلب. ديوان الأعشى الكبير: 143، القصيدة 18، و اللسان (صبح).

و قال آخر:
سبحانه ثم سبحانا يعود له و قبلنا سبح الجودى و الجمد «1»
و قوله: (فَقِنا عَذابَ النَّارِ) أى فقد صدقنا رسلک بأن لک جنة و ناراً فقنا عذاب النار. و وجه اتصال قوله «فَقِنا عَذابَ النَّارِ» بما قبله قيل فيه قولان:
أحدهما- كأنه قال: «ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا» بل تعريضاً للثواب بدلا من العقاب «فَقِنا عَذابَ النَّارِ» بلطفک الذى نتمسک معه بطاعتک.
الثانى- اتصال الدعاء الذى هو طاعة للّه بالاعتراف الذى هو طاعة له.
و فى الآية دلالة على أن الكفر و الضلال و جميع القبائح ليست خلقاً للّه، لأن هذه الأشياء كلها باطلة بلا خلاف. و قد نفى اللّه تعالى بحكايته عن أولى الألباب الذين رضى أقوالهم بأنه لا باطل فيما خلقه، فيجب بذلک القطع على أن القبائح كلها من فعل غيره، و أنه لا يجوز اضافتها إليه تعالى.

رَبَّنا إِنَّکَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَیْتَهُ وَ ما لِلظَّالِمِینَ مِنْ أَنْصارٍ (192)
- آیة- و هذه أیضاً حکایة عن أولی الألباب الذین وصفهم بأنهم أیضاً یقولون (رَبَّنا إِنَّکَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَیْتَهُ) أی من ناله عذاب النار و ما فیها من الذل و المهانة فهو المخزی. و قال ابن جریج، و قتادة، و أنس بن مالک، و سعید بن المسیب: الاخزاء یکون بالتأیید فیها. و قال جابر بن عبد اللّه:
إن الخزی یکون بالدخول فیها. و روی عنه عمرو بن دینار و عطا أنه قال: و ما أخزاه من أحرقه بالنار إن دون ذا لخزیاً، و هذا هو الأقوی، لأن الخزی إنما هو هتک المخزی، و فضیحته، و من عاقبه اللّه علی ذنوبه، فقد فضحه و ذلک هو

---

(1) اللسان: (سح) نسبه لأمیة.

الخزی، و لا ینافی ذلک ما نذهب إلیه من جواز العفو عن المذنبین، لأنه تعالی إذا عفا عن العاصی لا یکون أخزاه و ان أدخله النار ثم أخرجه منها بعد استیفاء العقاب، فعلی قول من قال: الخزی یکون بالدوام لا یکون أخزاه، و من قال یکون بنفس الدخول، له أن یقول: إن ذلک و إن کان خزیاً، فلیس مثل خزی الکفار، و ما یفعل بهم من دوام العقاب، و علی هذا یحمل قوله تعالی: (یوم لا یخزی اللّه النبی و الذین آمنوا معه) «1» و قوله: (وَ ما لِلظَّالِمِینَ مِنْ أَنْصارٍ) معناه لیس للظالمین من یدفع عنهم علی وجه المغالبة و القهر، لأن الناصر هو الذی یدفع عن المنصور علی وجه المغالبة و لا ینافی ذلک الشفاعة فی أهل الکبائر لأن الشفاعة هی مسألة و خضوع و ضرع إلی اللّه تعالی، و لیست من النصرة فی شیء و
قوله (ص) (یخرجون من النار بعد ما یصیرون حمماً و فحماً)
صریح بوقوع العفو عن مرتکبی الکبائر و تأول الرمانی الخبر تأویلین:
أحدهما- أنه لو لا الشفاعة، لواقعوا کبیرة یستوجبون بها الدخول فیها، فیخرجون بالشفاعة علی هذا الوجه، کما یقال أخرجتنی من السلعة إذا کان لو لا مشورته، لدخول فیها بابتیاعه إیاها.
الثانی- لو لا الشفاعة، لدخولها بما معه من الصغیرة ثم أخرجوا عنها إلی الجنة. و الأول فاسد، لأنه مجاز. و الثانی- لیس بمذهب لأحد من القائلین بالوعید لأن الصغیرة تقع مکفرة لا عقاب علیها فکیف یدخل بها النار.

اشارة

رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِی لِلْإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا وَ تَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ (193)
- آية بلا خلاف-.

---

(1) سورة التحريم: آية 8.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 84
فى هذه الآية أيضاً حكاية عمن تقدم وصفهم بأنهم أولوا الألباب و غير ذلک من الأوصاف التى مضت بأنهم يقولون: (رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِی لِلْإِيمانِ) و اختلفوا فيمن المنادى هاهنا، فقال محمد بن كعب القرظى و قتادة: هو القرآن.
و قال ابن جريج و ابن زيد: هو رسول اللّه (ص)، و هو الذى اختاره الجبائى، و اختار الطبرى الأول قال: لأنه ليس كل أحد سمع قول النبى (ص) و لا رآه و لا عاينه و سمع دعاءه إلى اللّه تعالى. و القرآن سمعه من رآه و من لم يره كما قال تعالى مخبراً عن الجن انهم قالوا: (سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِی إِلَى الرُّشْدِ) و هذا الذى ذكره ليس بطعن، لأنه إذا بلغه دعوة النبى (ص) جاز أن يقول (سَمِعْنا مُنادِياً) و إن كان فيه ضرب من التجوز، و قال قتادة سمعوا دعوة من اللّه فأجابوها و أحسنوا فيها و صبروا عليها. و قوله: (سَمِعْنا مُنادِياً) يعنى نداء مناد لأن المنادى لا يسمع و قوله: (للايمان) معناه إلى الايمان، كما قال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی هَدانا لِهذا) «1» و معناه إلى هذا قال الراجز:
أوحى لها القرار فاستقرت و شدها بالراسيات الثبت «2»
يعنى أوحى إليها. و منه قوله: (بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحى لَها) «3» أى إليها، فمعنى الآية (رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا) داعياً يدعو إلى الايمان و التصديق بک، و الإقرار بوحدانيتک، و اتباع رسولک و اتباع أمره و نهيه، فصدقنا بذلک يا (رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا) و معناه استرها علينا، و لا تفضحنا بها فى القيامة على رؤوس الاشهاد بعقوبتک، لكن كفرها عنا (وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا) معناه امحها بفضلک و رحمتک إيانا (وَ تَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ) معناه و اقبضنا إليک إذا قبضتنا فى جملة الأبرار، و احشرنا معهم.

---

(1) سورة الاعراف: آية 42.
(2) انظر 2: 459 تعليقة 1.
(3) سورة الزلزال: آية 5.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 85

و الأبرار جمع بر، و هم الذين بروا اللّه بطاعتهم إياه حتى أرضوه، فرضى عنهم. و قال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذر و أصل البر الاتساع، فالبر الواسع من الأرض خلاف البحر و البر صلة الرحم و البر: العمل الصالح. و البر: الحنطة و الأبرار على الخصم الزيادة عليه. و ابتر من أصحابه إذا انفرد منهم.
فان قيل: إذا كان النداء إنما هو تنبيه المنادى ليقبل بوجهه على المكلم له، فما معنى ربنا؟ قلنا: الأصل فى النداء تنبيه المنادى ثم استعمل فى استفتاح بالدعاء اقتضاء للاجابة و اعترافاً بالتفضل، و لا يجوز فتح (أن) بعد ربنا بإيقاع النداء عليه، لأن بعده لا يكون إلا جملة و لا يقع فيه مفرد، لأنه لا يجوز ربنا إدخالک النار من أخزيته، لأنه ابتداء لا خبر له. فان قيل: ما معنى قوله: «وَ كَفِّرْ عَنَّا» و قد أغنى عنه قوله: «فَاغْفِرْ لَنا» قلنا: عنه جوابان:
أحدهما- اغفر لنا ذنوبنا ابتداء بلا توبة، و كفر عنا إن تبنا.
و الثانى- اغفر لنا بالتوبة ذنوبنا، و كفر عنا باجتناب الكبائر السيئات، لأن الغفران قد يكون ابتداء و من سبب و التكفير لا يكون إلا عند فعل من العبد و قوله: «ان آمنوا» تحتمل ان أمرين:
أحدهما- أن تكون بمعنى أى على ما ذكره الرمانى.
و الثانى- أن تكون الناصبة للفعل، لأنه لا يقع فى مثله دخول الباء نحو بأن آمنوا.

رَبَّنا وَ آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِکَ وَ لا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّکَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ (194)
- آية بلا خلاف-.
فهذه أيضاً حكاية عمن تقدم وصفهم بأنهم يقولون أعطنا ما وعدتنا على
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 86
لسان رسلک من الثواب و لا تحزنا. و المخزى فى اللغة المذل المحقور بأمر قد لزمه بحجة تقول أخزيته أى ألزمته حجة أذللته معها، و الخزى و الانقماع و الارتداع متقاربة المعنى، و الخزاية شدة الاستحياء. و قوله (إِنَّکَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ) استئناف كلام و لذلک كسرت (إن) و المعنى انک وعدت الجنة لمن آمن بک، و إنک لا تخلف الميعاد. فان قيل: ما وجه مسألتهم للّه أن يؤتيهم ما وعدهم، و المعلوم أن اللّه ينجز وعده، و لا يجوز عليه الخلف فى الميعاد؟ قيل عن ذلک أجوبة:
أحدها- ما اختاره الجبائى، و الرمانى ان ذلک على وجه الانقطاع إليه و التضرع له و التعبد له كما قال: (رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ) «1» و قوله: (لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ) «2» و أمثال ذلک كثيرة.
و الثانى- قال قوم إن ذلک خرج مخرج المسألة و معناه الخبر، و تقدير الكلام ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفر عنا سيئاتنا و توفنا مع الأبرار، لتوفينا ما وعدتنا به على رسلک و لا تحزنا يوم القيامة لأنهم علموا ان ما وعد اللّه به فلا بد من أن ينجزه و الثالث- قال قوم: معناه المسألة و الدعاء بأن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على ألسن رسله، لا أنهم كانوا قد استحقوا منزلة الكرامة عند اللّه فى أنفسهم ثم سألوه أن يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم، لأنه لو كان كذا، لكانوا زكوا أنفسهم و شهدوا لها أنهم ممن قد استوجب كرامة اللّه، و ثوابه، و لا يليق ذلک بصفة أهل الفضل من المؤمنين.
و الرابع- قال قوم إنما سألوا ذلک على وجه الرغبة منهم إليه تعالى أن يؤتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر و إعلاء كلمة الحق على الباطل فيجعل ذلک لهم لأنه لا يجوز أن يكونوا مع ما وصفهم اللّه به غير واثقين و لا على غير يقين ان اللّه لا يخلف الميعاد فرغبوا إليه فى تعجيل ذلک، و لكنهم

---

(1) سورة الأنبياء: آية 112.
(2) سورة البقرة: آية 286.

كانوا وعدوا النصر و لم يوقت لهم فى ذلک وقت فرغبوا إليه تعالى فى تعجيل ذلک لهم لما لهم فيه من السرور بالظفر و هو اختيار الطبرى. و قال الآية مختصة بمن هاجر من أصحاب النبى (ص) من وطنه و أهله مفارقاً لأهل الشرک باللّه إلى رسول اللّه (ص) و غيرهم من تباع رسول اللّه (ص) الذين رغبوا إليه تعالى فى تعجيل نصرهم على أعدائهم و علموا انه لا يخلف الميعاد ذلک غير أنهم سألوا تعجيله و قالوا لا صبر لنا على أناتک و حلمک و قوى ذلک بما بعد هذه الآية من قوله: «فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أُوذُوا فِى سَبِيلِى وَ قاتَلُوا وَ قُتِلُوا...» الآيات بعدها و ذلک لا يليق إلا بما ذكره، و لا يليق بالأقاويل الباقية و إلى هذا أومأ البلخى، لأنه قال فى الآية الأخرى: انها و التى بعدها فى الذين هاجروا إلى النبى (ص).
و فى الآية دلالة على أنه يجوز أن يدعو العبد بما يعلم أنه يفعله مثل أن يقول رب احكم بالحق. و قوله: «فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا» خلاف ما يقوله المجبرة، و لا يلزم على ذلک جواز التعبد بأن يدعو بما يعلم أنه لا يكون مثل أن يقول لا يظلم، لأن فى ذلک تحكما على فاعله و تحبراً عليه فى تدبيره، و لو سوى بينهما كان جائزا كما قلنا فى قوله: (لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ) «1» على أحد الوجهين و قوله: «إِنَّکَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ» فيه اعتراف بأنه لا يخلف الميعاد بعد الدعاء بالايجاز لئلا يتوهم عليهم تجويز الخلف على اللّه تعالى.

فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّی لا أُضِیعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْکُمْ مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثی بَعْضُکُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِینَ هاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ أُوذُوا فِی سَبِیلِی وَ قاتَلُوا وَ قُتِلُوا لَأُکَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَیِّئاتِهِمْ وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ (195)

---

(1) سورة البقرة: آية 286.

- آیة بلا خلاف-.

قرأ حمزة و الکسائی و خلف «و قتلوا و قاتلوا» بتقدیم المفعولین علی الفاعلین الباقون «قاتلوا و قتلوا» بتقدیم الفاعلین علی المفعولین، و شدد التاء من (قتلوا) ابن کثیر و ابن عامر. و قرأ عمر بن عبد العزیز «و قتلوا» بلا الف «و قتلوا» و قال الطبری القراءة بتقدیم المفعولین لا تجوز، و هذا خطأ ظاهر، لأن من اختار اسم الفاعلین علی المفعولین، وجه قراءته أن القتال قبل القتل. و من قدم المفعولین علی الفاعلین وجه قراءته یحتمل أمرین:

أحدهما- أن یکون المعطوف بالواو و یجوز أن یکون أو لا فی المعنی. و ان کان مؤخراً فی اللفظ، لأن الواو، لا یوجب الترتیب و هی تخالف الفاء فی هذا المعنی، و هکذا خلافهم فی سورة التوبة.

و الثانی- أن یکون لما قتل منهم قاتلوا و لم ینهوا و لم یضعفوا لمکان من قتل منهم کما قال تعالی (فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَکانُوا وَ اللَّهُ یُحِبُّ الصَّابِرِینَ) «1» و قوله: (فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّی) أی بأنی و حذف الباء، و لو قرئ بکسر الهمزة کان جائزاً علی تقدیر: قال لهم «أَنِّی لا أُضِیعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْکُمْ» و معنی قوله: «فَاسْتَجابَ» أجابهم ربهم یعنی الداعین بما تقدم وصف اللّه إیاهم و أجاب و استجاب بمعنی قال الشاعر:

وداع دعا یا من یجیب إلی الندی فلم یستجبه عند ذاک مجیب «2»

أی لم یجبه. «بأنی لا أضیع عمل عامل منکم من ذکر أو أنثی» من زائدة کما یقال کان من الحدیث و من الأمر و من القصة. و من هاهنا أحسن، لأن حرف

---

(1) سورة آل عمران: آیة 146.

(2) قائله کعب بن سعد الغنوی الاصمعیات: 98 و القصیدة مشهورة، یرثی بها أخاه أبا المغوار مر منها أبیات متفرقة. و قد مر هذا البیت فی 1: 84.

النفى قد دخل فى قوله: «لا أضيع» و قال قوم: من هاهنا ليست زائدة، لأنها دخلت لمعنى و لا يصلح الكلام إلا بها، لأنها للترجمة و التفسير عن قوله: «منكم» بمعنى لا أضيع عمل عامل منكم من الذكور و الإناث، قالوا و لا تكون من زائدة إلا فى موضع جحد. و قوله: (لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ) لم يدركه الجحد لأنک لا تقول لا أضرب غلام رجل فى الدار، و لا فى البيت، فيدخل و لا، لأنه لم ينله الجحد و لكن (من) مفسرة. و قوله: «لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ» معناه لأذهبنها و اسقط عقابها، و هذه الآية، و التى قبلها- فى قول البلخى- نزلت فى المتبعين للنبى (ص) و المهاجرين معه ثم هى فى جميع من سلک سبيلهم و اتبع آثارهم من المسلمين. و قوله:
«لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ» أى لأغطينها و أ محونها و أحطنها عنهم بما ينالهم من ألم الهجرة و الجهاد و احتمال تلک الشدائد فى جنب اللّه. و حمل السيئات على الصغائر.
و قوله: «ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» نصب على المصدر ذكر على وجه التأكيد، لأن معنى «وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» «1» لأثيبنهم، و مثله «كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» لأن قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَ بَناتُكُمْ» «2» معناه كتب اللّه عليكم «و كتاب الله عليكم» مؤكد و مثل ذلک «صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى» «3» لأن قوله: «وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ» «4» قد علم منه أن ذلک صنع اللّه. و قوله: «مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى»
روى انه قيل لرسول اللّه (ص):
ما بال الرجال يذكرون، و لا تذكر النساء فى الهجرة، فأنزل اللّه هذه الآية
روى ذلک عن مجاهد، و عمرو بن دينار، و يقال ان القائل لرسول اللّه (ص) كانت أم سلمة (رض). و قوله: «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» قال أبو على: يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يريد بقوله: «بعضكم» العاملين «من بعض» يعنى بعض العمل الذى أمرتم به.

---

(1) سورة المائدة: آية 13.
(2) سورة النساء: آية 22.
(3، 4) سورة النمل: 88. [.....]

و الثانى- أن يكون عنى بقوله: «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» أن ذكور المؤمنين و أناثهم مستوون فى أن لا يضيع اللّه لأحد منهم عملا، و ان يجازيهم على طاعاتهم، فأناث المؤمنين بعض المؤمنين، و كذلک ذكورهم، فبعضهم كبعض فى هذا الباب.
و قال الطبرى «بعضكم» يعنى الذين يذكروننى «قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى

جُنُوبِهِمْ» من بعض فى النصرة، و الملة، و الدين، و حكم جميعكم فيما أفعل بكم حكم أحدكم فى «أَنِّى لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ» ذكر منكم و لا أنثى. و الاضاعة: الإهلاک. ضاع الشىء يضيع: إذا هلک. و أضاعه اضاعة وضيعه تضييعاً، و منه الضيعة: القرية.
و قوله: (فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ) يعنى الذين هاجروا عن قومهم من أهل الكفر فى اللّه إلى إخوانهم المؤمنين «وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ» هم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة «وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِى» بمعنى أوذوا فى طاعتى و عبادتى، و دينى و ذلک هو سبيل اللّه «وَ قاتَلُوا» يعنى فى سبيل اللّه «وَ قُتِلُوا» فيها «لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ» يعنى لأمحونها عنهم، و لأتفضلن عليهم بعفوى و رحمتى، و لأغفرنها لهم. و ذلک يدل على أن إسقاط العقاب تفضل على كل حال.
«وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً» يعنى جزاء لهم على أعمالهم «وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ» معناه أن عنده من حسن الجزاء على الاعمال مالا يبلغه وصف واصف مما لا عين رأت و لا خطر على قلب بشر.

قوله تعالى:[سورة آل‌عمران (3): الآيات 196 الى 197].... ص: 90

اشارة

لا يَغُرَّنَّکَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى الْبِلادِ (196) مَتاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهادُ (197)
- آيتان بلا خلاف.

هذا خطاب للنبى (ص). و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ان ذلک على وجه التأديب و التحذير، لأن النبى لا تجوز عليه التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 91
المعاصى لمكان التحذير من اللّه و التخويف، كما قال (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ) «1» الثانى- ان الخطاب و ان توجه إليه، فالمراد به جميع المؤمنين، و تقديره لا يغرنكم أيها المؤمنون ما ترون ان قوماً من الكفار كانوا يتجرون و يربحون فى الاسفار التى كانوا يسافرونها، و يسلمون فيها لكونهم فى الحرم، فأعلم اللّه تعالى أن ذلک مما لا ينبغى أن يغبطوا به، لأن مأواهم و مصيرهم بكفرهم إلى النار، و لا خير بخير بعده النار. و قوله: «مَتاعٌ قَلِيلٌ» معناه ذلک الكسب، و الربح الذى يربحونه متاع قليل و سماه متاعاً، لأنهم متعوا به فى الدنيا، و المتاع النفع الذى تتعجل به اللذة اما بوجود اللذة أو بما يكون به اللذة نحو المال الجليل، و الملک، و غير ذلک من الأولاد و الاخوان. و وصفه بالقلة لسرعة زواله و انقطاعه، و ذلک قليل بالاضافة إلى نعيم الآخرة. و المهاد الموضع الذى يسكن فيه الإنسان و يفترشه.
و وصفه بأنه بئس المهاد على ضرب من المجاز، لما فيه من أنواع العذاب، لأن الذم انما هو على الاساءة كقولک: بئس الرجل- هذا قول أبى على الجبائى- و قال البلخى: هو حقيقة لأنه على وجهين:
أحدهما- هو حقيقة لأنه على وجهين:
أحدهما- من جهة النقص.
و الآخر- من جهة الاساءة، و هو معنى قول السدى، و قتادة، و أكثر المفسرين. و الغرور إيهام حال السرور فيما الأمر بخلافه فى المعلوم، و ليس كل إيهام غروراً، لأنه قد يتوهمه مخوفاً فيحذر منه، فلا يقال غره. و الفرق بين الغرر و الخطر ان الغرر قبيح، لأنه ترک الحزم فيما يمكن أن يتوثق منه، و الخطر قد يحسن على بعض الوجوه، لأنه من العظم من قولهم: رجل خطير أى عظيم، و بنى المضارع مع النون الشديدة، لأنه بمنزلة ضم اسم إلى اسم للتأكيد.

لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ (198)

---

(1) سورة العنكبوت: آية 65.

- آية- قرأ أبو جعفر (لكن) بتشديد النون و فتحها- هاهنا و فى (الزمر)- و قرأ أبو عمرو و الكسائى، و حمزة فى أكثر الروايات (الأشرار، و الأبرار، و القرار) بالامامة. الباقون- بالتفخيم- و الامالة فى فتحة الراء حسنة، لأن الراء المكسورة تغلب المفتوحة كما غلبت المستعلى فى قولهم: قارب و طارد، و قادر فيمن أمالهن، فإذا غلبت المستعلى، فان تغلب الراء المفتوحة أولى، لأنه لا استعلاء فى الراء، و إنما هو حرف من مخرج اللام فيه تكرير. و من لم يمل، فلأن كثيراً من الناس لا يميل شيئاً من ذلك.

لما أخبر اللَّه تعالى عما للكفار من سوء العاقبة و أنواع العذاب بشر المؤمنين بما أعد لهم من الجزاء عند اللَّه و جزيل الثواب، فقال: (لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) بفعل الطاعات، و ترك المعاصى (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) يعنى ثواباً من عند اللَّه، و هو نصب على المصدر على وجه التأكيد، لأن خلودهم فيها إنزالهم فيها، كأنه قال: نزلوها نزلا، و هو بمعنى أنزلوها إنزالا.

و يحتمل أن يكون نصبا على التفسير، كقولك: هو لك هبة. و واحدة الأبرار بار:

مثل صاحب، و أصحاب. و يجوز أن يكون بر و أبرار- على فعل و أفعال- تقول:

بررت والدى، فانا بر. و أصله برر لكن أدغمت الراء للتضعيف. و قوله: «وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ» يعنى من الحباء و الكرامة، و حسن المآب خير للأبرار مما يتقلب فيه الذين كفروا، لأن ما يتقلبون فيه زائل فان قليل، و ما عند اللَّه دائم غير زائل.

و قد بينا معنى (لكن) فيما مضى، و انها للاستدراك بها خلاف المعنى المتقدم من اثبات بعد نفى أو نفى بعد اثبات. فقوله: (لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى الْبِلادِ) يتضمن معنى فما لهم كبير نفع، فجاء على ذلك، (لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ) و قوله: (تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) معناه تجرى من تحت شجرها. بيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 93

و يقال انها تجرى معلقة من غير أخدود لها. روى ذلك عن عبد اللَّه بن مسعود، ثم قال: ما من نفس برة و لا فاجرة إلا و الموت خير لها «1»، و

قوله فى الفاجرة:
إن الموت خير لها يعنى إذا كانت تدوم على فجورها.

اشارة

وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (199)
- آية بلا خلاف-.

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية،
فقال جابر بن عبد اللّه، و سعيد بن المسيب، و قتادة، و ابن جريج إن النبى (ص) لما بلغه موت النجاشى، دعا له و استغفر له، و صلى عليه، و قال للمؤمنين: صلوا عليه، فقالوا نصلى على رجل ليس بمسلم؟ و قال قوم منافقون: نصلى على علج بنجران؟ فنزلت هذه الآية، فالصفات التى فيها صفات النجاشى.
و قال ابن زيد و فى رواية عن ابن جريج و ابن إسحاق إنها نزلت فى جماعة من اليهودى و كانوا أسلموا، منهم: عبد اللّه بن سلام، و من معه. و قال مجاهد: إنها نزلت فى كل من أسلم من أهل الكتاب من اليهودى و النصارى و هو أولى، لأنه عموم الآية، و لا دليل يقطع به على ما قالوه على انها لو نزلت فى النجاشى أو من ذكر، لم يمنع ذلک من حملها على عمومها، فى كل من أسلم من أهل الكتاب، لأن الآية قد تنزل على سبب و تكون عامة فى كل من تتناوله.

و إنما خصوا بالوعيد، ليبين ان جزاء أعمالهم موفر عليهم، لا يضرهم كفر

---

(1) فى المطبوعة: (فيها).

من كفر منهم فتأويل الآية «وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ» : التوراة و الإنجيل «لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» أى يصدق باللّه و يقر بوحدانيته، «وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ» أيها المؤمنون من كتابه و وحيه على لسان نبيه محمد (ص)، «وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ» يعنى إلى أهل الكتاب من الكتب «خاشِعِينَ» يعنى خاضعين بالطاعة مستكينين لها بها متذللين قال ابن زيد:

الخاشع: المتذلل الخائف. «لا يَشْتَرُونَ بِآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا» معناه لا يحرفون ما أنزل اللّه فى كتبه من أوصاف محمد (ص) فيبدلونه، و لا غير ذلک من أحكامه، و حججه لغرض من الدنيا خسيس يعطونه على التبديل، و ابتغاء الرئاسة على الجهال، كما فعله غيرهم ممن وصفه بقوله تعالى: «أُولئِکَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى» «1» و قال: «أُولئِکَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ» «2» لكن ينقادون للحق، و يعلمون بما أمرهم اللّه به مما أنزل إليهم، و ينتهون عما نهاهم عنه ثم قال: «أولئک» يعنى هؤلاء الذين يؤمنون «بِاللَّهِ. وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ... لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» يعنى لهم عوض أعمالهم و ثواب طاعاتهم فيما يطيعونه فيها مذخور عند ربهم حتى يوفيهم يوم القيامة «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ» وصفه بالسرعة لأنه لا يؤخر الجزاء عمن يستحقه لطول الحساب، لأنه لا يخفى عليه شىء من أعمالهم قبل أن يعملوها و بعد أن عملوها، فلا حاجة به إلى احصاء، عدد فيقع فى الإحصاء إبطاء و قال الجبائى: لأنه قادر على أن يكلمهم فى حال واحدة كل واحد بكلام يخصه. لأنه قادر لنفسه و «خاشعين» نصب على الحال، و يمكن أن يكون حالا من الضمير فى «يؤمن» و هو عائد إلى قوله: «لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» و يمكن أن يكون حالا من قوله: (إليهم) و قال الحسن: الخشوع: الخوف اللازم للقلب من اللّه. و أصل الخشوع: السهولة: و الخشعة، سهولة الرمل كالربوة. و الخاشع من الأرض: الذى لا يهتدى له، لأن الرمل يعفى اثاره.

---

(1) سورة البقرة: آية 16.

(2) سورة البقرة: آية 86.

و منه قوله: «خاشِعَةً أبْصارُهُمْ» «1» «وَ خَشَعَتِ الْأصْواتُ لِلرَّحْمنِ» «2» و الخاشع: الخاضع ببصره. و الخشوع: التذلل خلاف التصعب.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200)

- آية بلا خلاف-.

اختلفوا فى تأويل هذه الآية، فقال قوم: معنى اصبروا اثبتوا على دينكم و صابروا الكفار و رابطوهم يعنى فى سبيل اللّه ذهب إليه الحسن، و قتادة، و ابن جريج، و الضحاک و قال آخرون: معناها «اصْبِرُوا» على دينكم «وَ صابِرُوا» الوعد الذى وعدتكم به «وَ رابِطُوا» عدَّوى و عدوكم ذهب إليه محمد بن كعب القرظى. و قال آخرون «اصْبِرُوا» على الجهاد «وَ صابِرُوا عدوكم وَ رابِطُوا» الخيل عليه ذهب إليه زيد بن أسلم. و قال آخرون:

رابطوا الصلوات أى انتظروها واحدة بعد واحدة، لأن المرابطة لم تكن حينئذ و هذا مروى عن على (ع)

ذهب «3» إليه أبو سلمة بن عبد الرحمن، و جابر بن عبد اللّه و أبو هريرة و الأولى أن تحمل الآية على عمومها فى الصبر على كل ما هو من الدين، فعلا كان أو تركا.

و أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو، و الربط الشد، و منه قولهم: ربط اللّه على قلبه بالصبر، ثم استعمل فى كل مقيم فى ثغر يدفع عمن وراء من أرادهم بسوء و ينبغى «4» أن يحمل قوله رابطوا أيضاً على المرابطة لما عند اللّه لأنه العرف فى استعمال الخبر، و على انتظار الصلاة واحدة بعد أخرى. و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معناه اتقوا ان تخالفوه فيما يأمركم به لكى تفلحوا [و تفوزوا] «5» بنعيم الأبد و تنجحوا بطاعتكم من الثواب الدائم.

---

(1) سورة القلم: آية 43.

(2) سورة طه: آية 108.

(3) فى المخطوطة (و ذهب).

(4) فى المطبوعة (ينبغى) بإسقاط الواو.

(5) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

و روى عن أبى جعفر (ع) انه قال اصبروا على المصائب، و صابروا على عدوكم، و رابطوا عدوكم.

و انما جمع بين «اصْبِرُوا وَ صابِرُوا» من أن المصابرة من الصبر، للبيان عن تفصيل «1» الصبر الذى يعنى به فى الذكر لأن المصابرة صبر على جهاد العدو يقابل صبره لأن المفاعلة بين اثنين.

و إنما وصف (أى) بالموصول و لم يوصف بالمضاف، لأن (الذى) يجرى

مجرى الجنس، لأن فيه الالف و اللازم بمنزلة قوله يا أيها المؤمنون، و لا يجوز يا أيها أخو زيد، لأنه لا يصح فيه الجنس.

---

(1) فى المطبوعة (تفضيل).

4-سورة النساء..... ص: 97

اشارة

مائة و سبعون آية كوفى. و خمس و سبعون بصرى و هى مدنية كلها و قد روى عن بعضهم أنه قال: كلما فى القرآن من قوله: (يا أيها الناس) نزل بمكة، و الأول قول قتادة، و مجاهد، و عبد اللّه بن عباس بن أبى ربيعه، و قال بعضهم: ان جميعها نزلت بالمدينة إلا آية واحدة و هى قوله. (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها) «1» فإنها نزلت بمكة حين أراد النبى (ص) أن يأخذ مفاتيح الكعبة من عثمان بن طلحة و يسلمها إلى عمه العباس

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 1]..... ص: 97

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَ نِساءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (1)
- آية- بلا خلاف-.

قرأ أهل الكوفة (تساءلون به) بتخفيف السين، و الباقون بتشديدها، و قرأ حمزة وحده «و الأرحام» بجر الميم، الباقون بفتحها. فمن قرأ من أهل الكوفة

---

(1) سورة النساء: آية 57.

«تَسائَلُونَ بِهِ» بالتخفيف فوجهه ان أصله تتساءلون، فحذف احدى التاءين و هى الاصلية، لأن الاخرى للمضارعة، و انما حذفوها لاستثقالهم إياها فى اللفظ فحذفت لأن الكلام غير ملتبس. و من شدد أدغم احدى التاءين فى السين، لقرب مكان هذه من هذه.

و معنى «تَسائَلُونَ بِهِ» تطلبون حقوقكم به «و الأرحام» القراءة المختارة عند النحويين النصب فى الأرحام على تقدير: و اتقوا الأرحام. و تكون «1» معطوفة على موضع «به» ذكره أبو على الفارسى، فأما الخفض فلا يجوز عندهم إلا فى ضرورة الشعر كما قال الشاعر أنشده سيبويه:

فاليوم قربت تهجونا و تشتمنا فاذهب فما بک و الأيام من عجب

فجروا الأيام عطفاً على موضع الكاف فى «بک» و قال آخر:

نعلق فى مثل السوارى سيوفنا و ما بينها و الكعب غوط نفانف «2»

فعطف الكعب على الهاء و الالف فى (بينها) و هو ظاهر على مكنى و قال آخر:

و ان اللَّه يعلمنى و وهباً و انا سوف نلقاه سِوانا

فعطف وهباً على الياء فى يعلمنى، و مثل ذلک لا يجوز فى القرآن و الكلام.

قال المازنى: لأن الثانى فى العطف شريک للأول، فان كان الأول يصلح أن يكون شريكا للثانى جاز و إن لم يصلح أن يكون الثانى شريكا له لم يجز، قال: فكم الا تقول:

مررت بزيد و ذاک «3» لا تقول مررت بک و زيد. و قال أبو على الفارسى: لأن المخفوض حرف متصل غير منفصل فكأنه كالتنوين فى الاسم فقبح أن يعطف باسم

---

(1) فى المطبوعة: (أو يكون).

(2) قائله مسكين الدارمى معانى القرآن للفراء 1: 253، و الانصاف: 193 و الخزانة 3382. السوارى جمع سارية و هى الاسطوانة و الغوط: المطمئن من الأرض. و النفانف جمع نفنف و هو الهواء بين الشيئين و البيت كناية عن طول قامتهم

(3) فى النسخ المخطوطة و المطبوعة (كذلک) و الظاهر ما ذكرنا. [.....]

يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه. و يفسد من جهة المعنى من حيث ان اليمين بالرحم لا يجوز،

لأن النبى (ص) قال: (لا تحلفوا بآبائكم)

فكيف تساءلون به و بالرحم على هذا و قال إسماعيل بن إسحاق:

الحلف بغير اللّه أمر عظيم، و ان ذلک خاص اللّه تعالى، و هو المروى فى أخبارنا.

و قال ابراهيم النخعى و غيره: انه من قولهم: نشدتک باللَّه و بالرحم. و قال ابن عباس، و السدى، و عكرمة، و الحسن، و الربيع، و الضحاک، و ابن

جريج، و ابن زيد، و قتادة: المعنى و الأرحام فصلوها.
و هذه الآية خطاب لجميع المكلفين من البشر.
و قوله: (و اتقوا ربكم) فيه وعظ بان يتقى عصيانه بترک «1» ما أمر به و ارتكاب ما نهى عنه. و حذر من قطع الأرحام لما أراد من الوصية بالأولاد و النساء و الضعفاء، فأعلمهم انهم جميعاً من نفس واحدة، فيكون ذلک داعياً لهم إلى لزوم أمره و حدوده فى ورثتهم و من يخلفون بعدهم، و فى النساء، و الأيتام عطفاً لهم عليهم. ثم اخبر تعالى انه خلق الخلق من نفس واحدة فقال: «الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ» و المراد بالنفس هاهنا آدم عند جميع المفسرين: السدى و قتادة و مجاهد و غيرهم. و قوله: (وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها) يعنى حوَّاء. روى انها خلقت من ضلع من أضلاع آدم، ذهب إليه أكثر المفسرين.
و قال أبو جعفر (ع): خلقها من فضل الطينة التى خلق منها آدم
، و لفظ النفس مؤنث بالصيغة، و معناه التذكير هاهنا، و لو قيل نفس واحد لجاز.

و قوله: (وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَ نِساءً) معنى بث نشر، يقال: بث اللَّه الخلق.
و منه قوله: «كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ» «2» و ذلک يدل على بث. و بعض العرب يقول أبث اللَّه الخلق، و يقال بثثتک سرى، و أبثثتک سرى لغتان.
و قوله: (إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) أى حافظاً تقول رقب يرقب رقاباً و انما

---

(1) فى المطبوعة: (بقول).
(2) سورة القارعة: آية 4.

قال: «كانَ عَلَيْكُمْ» و لفظ كان يفيد الماضى لأنه أراد أنه كان حفيظاً على من تقدم زمانه من عهد آدم و ولده إلى زمان المخاطبين، و انه كان عالماً بما صدر منهم، لم يخف عليه منه شىء. و الرقيب الحافظ فى قول مجاهد.
و قال ابن زيد: الرقيب العالم، و المعنى متقارب، يقال: رقب يرقب رقوباً و رقباً و رقبة. قال أبو داود:
كقاعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد «1»
و قيل فى معنى «الَّذِى تَسائَلُونَ بِهِ» قولان:
أحدهما- قال الحسن و مجاهد و ابراهيم: هو من قولهم: اسألک باللَّه و الرحم، فعلى هذا يكون عطفاً على موضع به كأنه قال: و تذكرون الأرحام فى التساؤل.
الثانى- قال ابن عباس و قتادة و مجاهد و الضحاک و الربيع و ابن زيد و هو المروى عن أبى جعفر (ع): و اتقوا الأرحام أن تقطعوها ، فعلى هذا يكون معطوفا على اسم اللَّه تعالى، و وجه النعمة فى الخلق من نفس واحدة انه أقرب إلى أن يتعطفوا و يأمن بعضهم بعضاً و يحامى بعضهم عن بعض، و لا يأنف بعضهم عن بعض، لما بينهم من القرابة و الرجوع إلى نفس واحدة، لأن النفس الواحدة هاهنا آدم (ع) بإجماع المفسرين: الحسن و قتادة و السدى و مجاهد. و جاز من نفس واحدة لأن حواء من آدم على ما بيناه، فرجع الجميع إلى آدم و انما أنت النفس و المراد بها آدم لأن لفظ النفس مؤنثة، و ان عنى بها مذكر كما قال الشاعر:
أبوک خليفة ولدته أخرى و أنت خليفة ذاک الكمال «2»
فانث على اللفظ، و قد حكينا عن أكثر المفسرين: ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتادة و السدى و ابن إسحاق: ان حواء خلقت من ضلع من أضلاع آدم.
و روى عن النبى (ص) انه قال: (المرأة خلقت من ضلع، و انک ان أردت أن

تقيمها كسرتها و ان تركتها و فيها عوج استمعت بها).
و روى عن أبى جعفر (ع)

---

(1) مجاز القرآن لأبى عبيدة 1: 113، و اللسان (رقب) و هو من أبيات فى نعت الثور الأبيض. و الرقباء جمع رقيب و هو أمين أصحاب الميسر بحفظ ضربهم بالقداح.
و الضرباء جميع ضريب و هو: الضارب بالقداح. و قيل أن الضمير فى (أيديهم) يعود الى الضرباء.
و قيل انه يعود الى الرقباء، و هو الأصح.
(2) انظر 2: 449 تعليقة 3.

أن حواء خلقت من فضل طينة آدم (ع).

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 2]..... ص: 101

اشارة

وَ آتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ وَ لا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً (2)
- آية- بلا خلاف-.

هذا خطاب لأوصياء اليتامى، أمرهم اللَّه بأن يعطوا اليتامى أموالهم إذا بلغوا الحلم و أونس منهم الرشد، و سماهم يتامى بعد البلوغ، و إيناس الرشد مجازاً،
لأن النبى (ص) قال: (لا يتم بعد احتلام)
كما قالوا فى النبى (ص) إنه يتيم أبى طالب بعد كبره يعنون انه رباه. و قوله. (وَ لا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ) معناه: لا تستبدلوا لما حرمه اللَّه عليكم من أموال اليتامى بما أحله اللَّه لكم من أموالكم، و اختلفوا فى صفة التبديل فقال بعضهم كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم و الرفيع منه و يجعلون مكانه الردىء الخسيس، ذهب إليه ابراهيم النخعى، و السدى، و ابن المسيب، و الزهرى، و الضحاك، و قال قوم: معناه «وَ لا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ» بأن تتعجلوا الحرام قبل أن يأتيكم الرزق الحلال الذى قدر لكم. ذهب إليه أبو صالح، و مجاهد. و قال ابن زيد: معناه ما كان أهل الجاهلية يفعلونه، من أنهم لم يكونوا يرزقون النساء و لا الصغار بل يأخذه الكبار.
و أقوى الوجوه الوجه الأول، لأنه ذكر عقيب مال اليتامى و إن حمل على عموم النهى عن التبديل بكل مال حرام كان قوياً. و قوله: (وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ) يعنى أموال اليتامى مع أموالكم و التقدير: و لا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم فتأكلوهما جميعاً، فأما خلط مال اليتيم بمال نفسه إذا لم يظلمه فلا بأس به بلا خلاف التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 102
قال الحسن لما نزلت هذه الآية كرهوا مخالطة اليتامى، فشق ذلك عليهم، فشكوا ذلك إلى رسول اللَّه، فانزل اللَّه تعالى: (وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) «1» و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع).
و قوله: (إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً) يعنى إن أكلكم أموال اليتامى مع أموالكم حوب كبير، أى اثم كبير فى قول ابن عباس و مجاهد.
و الهاء فى قوله: «انه» دالة على اسم الفعل الذى هو الاكل. و الحوب الإثم، يقال: حاب يحوب حوباً و حباة و الاسم الحوب. و قرأ الحسن حوباً: ذهب إلى المصدر. و يقال:
تحوب فلان من كذا إذا تخرج منه. و يقال نزلنا بحوبة من الأرض و بحيب من الأرض يعنى بموضع سوء. و حكى الفراء عن بنى أسد ان الحائب القاتل. و قال الشاعر:
إيها تطيع ابن عباس انها رحم حُبتم بها فاناختكم بجعجاع «2»

أى أثمتم و الحوبة الحزن، و التحوب التحزن، و التحوب التأثم، و التحوب الصياح الشديد، و الحوباء الروح و الكبير العظيم

قوله تعالى:[سورة النساء (4): الآيات 3 الى 4]..... ص: 102

اشارة

وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَواحِدَةً أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ ذلِكَ أَدْنى أَلاَّ تَعُولُوا (3) وَ آتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً (4)
- آيتان-.

_____

(1) سورة آل عمران: آية 220.
(2) اللسان (حوب) نسبه الى النابغة و فى (جعع) نسبه الى نهيكة الفزارى و رواية البيت فيهما:
صبراً بغيض بن ريث انها رحم...
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 103

و اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية على ستة أقوال:
أولها- ما روى عن عائشة انها قالت: نزلت فى اليتيمة التى تكون فى حجر وليها فيرغب فى مالها و جمالها،، و يريد أن ينكحها بدون صداق مثلها، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لها صداق مهر مثلها، و أمروا أن ينكحوا ما طاب مما سواهن من النساء إلى الأربع «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَواحِدَةً» من سواهن «أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» و مثل هذا ذكر فى تفسير أصحابنا. و قالوا: انها متصلة بقوله:
(وَ يَسْتَفْتُونَکَ فِی النِّساءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ فِی الْكِتابِ فِی يَتامَى النِّساءِ اللَّاتِی لا تُؤْتُونَهُنَّ ما كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) «1» (وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِی الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ) الآية و به قال الحسن و الجبائى و المبرد.
و الثانى- قال ابن عباس و عكرمة: ان الرجل منهم كان يتزوج الأربع و الخمس و الست و العشر و يقول ما يمنعنى أن أتزوج كما تزوج فلان فإذا فنى ماله مال على مال اليتيم فأنفقه، فنهاهم اللّه تعالى عن أن يتجاوزوا بالأربع إن خافوا على مال اليتيم و إن خافوا من الأربع أيضاً أن يقتصروا على واحدة.
و الثالث- قال سعيد بن جبير و السدى و قتادة و الربيع و الضحاك. و فى احدى الروايات عن ابن عباس قالوا: كانوا يشددون فى أمر اليتامى و لا يشددون فى النساء، ينكح أحدهم النسوة فلا يعدل بينهن، فقال اللّه تعالى كما تخافون ألا تعدلوا فى اليتامى فخافوا فى النساء، فانكحوا واحدة إلى الأربع، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة:
و الرابع- قال مجاهد: ان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى معناه: ان تحرجتم

---

(1) سورة النساء: آية 126.

من ولاية اليتامى و أكل أموالهم إيماناً و تصديقاً فكذلک تحرجوا من الزنا، و انكحوا النكاح المباح من واحدة إلى أربع، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة.
و الخامس- قال الحسن: ان خفتم ألا تقسطوا فى اليتيمة المرباة فى حجركم فانكحوا ما طاب لكم من النساء مما أحل لكم من يتامى قراباتكم مثنى و ثلاث و رباع، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة، أو ما ملكت ايمانكم. و به قال الجبائى و قال:
الخطاب متوجه إلى أولياء اليتيمة إذا أراد أن يتزوجها إذا كان هو وليها كان له أن يزوجها قبل البلوغ و له أن يتزوجها.

و السادس- قال الفراء: المعنى ان كنتم تتحرجون من مؤاكلة اليتامى فاحرجوا من جمعكم بين اليتامى، ثم لا تعدلون بينهن. و قوله: (فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ) جواب لقوله: (وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا) على قول من قال ما رويناه أولا عن عائشة و أبى جعفر (ع). و من قال: تقديره: ان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فكذلک خافوا فى النساء الجواب قوله: «فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ» و التقدير: فان خفتم ألا تقسطوا فى أموال اليتامى فتعدلوا فيها فكذلک فخافوا ألا تقسطوا فى حقوق النساء، فلا تتزوجوا منهن إلا من تأمنون معه الجور، مثنى و ثلاث و رباع، و ان خفتم أيضاً من ذلک فواحدة، فان خفتم من الواحدة فما ملكت ايمانكم، فترک ذكر قوله فكذلک فخافوا ألا تقسطوا فى حقوق النساء لدلالة الكلام عليه و هو قوله: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَواحِدَةً أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ) و معنى «أَلَّا تُقْسِطُوا» أى لا تعدلوا و لا تنصفوا، فالاقساط هو العدل و الانصاف و القسط هو الجور. و منه قوله: أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً)
«1» و قد بيناه فيما مضى. و اليتامى جمع لذكران اليتامى و إناثهم فى هذا المعنى.

و قال الحسين بن على المغربى: معنى ما طاب أى بلغ من النساء كما يقال:
طابت الثمرة إذا بلغت، قال: و المراد المنع من تزويج اليتيمة قبل البلوغ لئلا يجرى

---

(1) سورة الجن: آية 15.

عليها الظلم، فان البالغة تختار لنفسها، و قيل: معنى «ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ» من أحل لكم منهن دون من حرم عليكم، و انما قال: «ما طاب» و لم يقل: من طاب و ان كان من لما يعقل و ما لما لا يعقل لأن المعنى: انكحوا الطيب أى الحلال هذه العدة، لأنه ليس كل النساء حلالا، لأن اللّه حرم كثيراً منهن بقوله:
«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ» «1» الآية. هذا قول الفراء. و قال مجاهد: فانكحوا النساء نكاحاً طيباً. و قال المبرد: «ما» هاهنا للجنس كقول القائل: ما عندک؟ فتقول: رجل أو امرأة، فالمعنى بقوله: ما طاب الفعل دون اعيان النساء و اشخاصهن، لأن الأعيان لا تحرم و لا تحلل، و إنما يتناول التحريم و التحليل التصرف فيها، و جرى ذلک مجرى قول القائل: خذ من رقيقى ما أردت: إذا أراد خذ منهم ارادتک و لو أراد خذ الذى تريد لم يجز إلا أن يقول خذ من رقيقى من أردت و كذلک قوله:
«أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» معناه أو ملک ايمانكم، و معنى «فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» فلينكح كل واحد منكم مثنى و ثلاث و رباع، كما قال: «وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً» «2» معناه: فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة. و قوله: (مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ) بدل من (ما طابَ) و موضعه النصب و تقديره: اثنين اثنين، و ثلاثاً و ثلاثا، و اربعاً أربعا، إلا انه لا ينصرف لعلتين، إحداهما: انه معدول عن اثنين اثنين و ثلاث ثلاث فى قول الزجاج، و قال غيره: لأنه معدول و لأنه نكرة، و النكرة أصل للأشياء، و قال غيرهم: هو معرفة، و هذا فاسد عند البصريين، لأنه صفة للنكرة فى قوله: «أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» «3» و المعنى اولى اجنحة ثلاثة ثلاثة و أربعة أربعة. و قال الفراء لأنه معدول، لأنه يقع على الذكر و الأنثى، و لأنه مضاف الى ما يضاف إليه الثلاث، فكأن لامتناعه من الاضافة كان فيه الالف و اللام. قال الشاعر:

---

(1) سورة النساء: آية 220.

(2) سورة النور: آية 4.
(3) سورة فاطر: آية 12.

و لكنها اهلى بواد أنيسه ذئاب تبغى الناس مثنى و موحد «1»
و من قال: انه اسم للعدد معرفة استدل بقول تميم بن أبى مقبل:
ترى النعرات الرزق تحت لبانه أحاد و مثنى أصعقتها صواهله «2»
فرد أحدا و مثنى على النعرات و هى معرفة، و قد يجىء منكراً مصروفاً كما قال الشاعر:
قتلنا به من بين مثنى و موحد باربعة منكم و آخر خامس «3»
و ترک الصرف أكثر قال صخر الغى:
منت لک أن تلاقينى المنايا أحاد أحاد فى شهر حلال «4»
و قد تقع هذه الألفاظ على الذكر و الأنثى، فوقوعها على الأنثى مثل الآية التى نحن فى تفسيرها، و وقوعها على الذكر قوله: «أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» لأن المراد به الجناح و هو مذكر، و يقال: أحاد و موحد و ثنى و مثنى، و ثلاث و مثلث، و رباع و مربع، و لم يسمع فى ما زاد عليه مثل خماس و لا الخمس و لا السداس و السباع إلا بيت للكميت فانه يروى فى العشرة عشار، و هو قوله:

---

(1) قائله ساعدة بن جؤية الهذلى. اللسان (بغى) و روايته (سباع) بدل (ذئاب).
(2) معانى القرآن 1: 255، 345، و اللسان (نعر)، (صعق)، (قرد) (ثنى) و روايته فى (فرد) فراد، بدل، أحاد. و أضعفتها، بدل أصعقتها و فى (نعر) و (صعق) الحضر، بدل، الزرق.
النعرات جمع نعرة و هى ذبابة سقط على الدواب فتؤذيها و أصعقتها صواهله أى قتلتها صهيله
(3) معانى القرآن للفراء 1: 254 و روايته:
و ان الغلام المستهام بذكره قتلنا به من بين مثنى و موحد
باربعة منكم و آخر خامس و ساد مع الاظلام فى رمح معبد
و لم يعرف لهما قائل. و البيت فى المتن كما ترى ملفق منهما. و ساد- بالتنوين- بمعنى سادس. [.....]
(4) نسبة محمود محمد شاكر فى تفسير الطبرى 7: 545 الى عمرو ذى الكلب و خطأ من نسبه الى غيره، و هذا خطأ منه لا محالة لأن رواية القدماء أكثرها إذا لم تكن جميعها تنسبه الى صخر الغى. و قد اعترف هو أن الطبرى روايته كذلک. و فى بعض الروايات (فى شهر حلال). منت لک. أى قدرت لک نيتک أن تلقانى فى شهر حلال، أو حرام على اختلاف الرواية.

فلم يستريثوک حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا «1» يريد عشراً. و قال صخر السلمى فى ثنا و موحد:
و لقد قتلتكم ثناء و موحداً و تركت مرة مثل أمس الدابر «2»
و لم يرد أنه قتل الثلاثة، و انما أراد انه قتل نفراً كثيراً منهم واحداً بعد واحد و اثنين بعد اثنين، و قوله: «فواحدة» نصب على انه مفعول به، و التقدير:
فان خفتم ألا تعدلوا فيما زاد على الواحدة فانكحوا واحدة، و لو رفع كان جائزاً، و قد قرأ به أبو جعفر المدنى، و تقديره: فواحدة كافية، أو فواحدة مجزية، كما قال: (فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ) «3» و من استدل بهذه الآية على أن نكاح التسع، جائز فقد اخطأ، لأن ذلک خلاف الإجماع، و أيضاً فالمعنى:
فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى ان أمنتم الجور و إما ثلاث ان لم تخافوا ذلک أو رباع ان أمنتم ذلک فيهن، بدلالة قوله: «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَواحِدَةً» لأن معناه فان خفتم فى الثنتين فانكحوا واحدة، ثم قال: فان خفتم أيضاً فى الواحدة فما ملكت ايمانكم. على أن مثنى لا يصح إلا لاثنين اثنين، أو اثنتين اثنتين على التفريق فى قول الزجاج، فتقدير الآية «فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ» [فثلاث] «4» بدلا من مثنى و رباع بدلا من ثلاث، و لو قيل ب (أو) لظن أنه ليس لصاحب مثنى ثلاث، و لا لصاحب الثلاث رباع. و من استدل بقوله: «فانكحوا» على وجوب التزويج من حيث أن الامر يقتضى الإيجاب، فقد اخطأ، لأن ظاهر الأمر و إن اقتضى الإيجاب، فقد ينصرف عنه بدليل، و قد قام الدليل على أن التزويج ليس بواجب على أن الغرض بالآية النهى عن العقد

---

(1) مجاز القرآن 1: 116، و الاغانى 3: 139 و اللسان (عشر) استراثه: استبطأه، و عشار أى عشرا عشرا.
(2) مجاز القرآن 1: 115، و الاغانى 13: 139. و روايته فيهما (المدبر) بدل (الدابر).
(3) سورة البقرة: آية 282.
(4) أثبتنا ما بين القوسين لعدم استقامة المعنى بدونه.

على من يخاف ألا يعدل بينهن، و التقدير: و إن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى، فتحرجتم فيهم، فكذلک فتحرجوا فى النساء، فلا تنكحوا إلا ما أمنتم الجور فيه «1» منهن، مما أحللته لكم منهن، من الواحدة الى الأربع، و قد يراد بصورة الأمر ما يراد بالنهى «2» أو التهديد كقوله: «فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ» «3» و قال: «لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» «4» و المراد بذلک كله التهديد و الزجر، فكذلک معنى الآية النهى، و تقديرها: فلا تنكحوا إلا ما طاب لكم من النساء على ما بيناه.

و قوله: (ذلِکَ أدْنى ألّا تَعُولَوا) اشارة الى العقد على الواحدة مع الخوف من الجور فيما زاد عليها، أو الاقتصار على ما ملكت إيمانكم، و معنى «أدنى» أقرب «ألّا تَعُولُوا» و قيل فى معنى ألا تعولوا ثلاثة أقوال:
أحدها- و هو الأقوى و الأصح- أن معناه: ألا تجوروا، و لا تميلوا يقال منه: عال الرجل يعول عولا و عيالة إذا مال و جار، و منه عول الفرائض، لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص، قال أبو طالب:
بميزان قسط وزنه غير عائل «5»
و قال أبو طالب أيضاً:
بميزان قسط لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل «6»
و روى: لا يضل شعيرة، و بهذا قال ابراهيم، و عكرمة، و الحسن، و مجاهد، و قتادة، و أبو مالک، و الربيع بن أنس، و السدى، و ابن عباس، و اختاره الطبرى، و الجبائى. و قال قوم: معناه: ألا تفتقروا، و هذا خطأ، لأن [العول] «7» الحاجة، يقال منه: عال الرجل يعيل عيلة إذا احتاج، كما قال الشاعر:

---

(1) فى المطبوعة: (الا ما أمنتم به الجور فيه...)
(2) فى المطبوعة: (ما يراد النهى.) و فى المخطوطة: (ما يراد به النهى...)
(3) سورة الكهف: آية 29.
(4) سورة النحل: آية 55، و سورة الروم: آية 34.
(5- 6) سيرة ابن هشام 1: 296. و فى البيت رواية أخرى هى (بميزان صدق).
(7) أثبتنا ما بين القوسين لعدم تمامية المعنى الا به.

و ما يدرى الفقير متى غناه و ما يدرى الغنى متى يعيل «1»
أى: متى يفتقر. و قال ابن زيد: معناه: ألا تكثر عيالكم، و هذا أيضاً خطأ، لأن المراد لو كان ذلک لما أباح الواحدة، و ما شاء من ملک الايمان، لأن اباحة كل ما ملكت اليمين أزيد فى العيال من أربع حرائر، على أن من كثرة العيال يقال: أعال يعيل فهو معيل، إذا كثر عياله و عال العيال: إذ أمانهم، و منه قوله: ابدأ بمن تعول. و حكى الكسائى، قال: سمعت كثيراً من العرب يقول:
عال الرجل يعول إذا كثر عياله. و قوله: «وَ آتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً» فصدقاتهن:
جمع صدقة، يقال: هو صداق المرأة، و صدقة المرأة، و صُدقة، المرأة، و صداق المرأة، و الفتح أقلها. و من قال: صُدقة المرأة قال: صدقاتهن، كما تقول: غرفة و غرفات، و يجوز صدقاتهن، بضم الصاد و فتح الدال، و صدقاتهن، ذكره الزجاج. و لا يقرأ من هذه إلا بما قرئ به صدقاته، لأن القراءة سنة متبعة. و قوله: «نحلة» نصب على المصدر، و معناه، قال

بعضهم: فريضة، و قال بعضهم ديانة، كما يقال: فلا ينتحل كذا و كذا، أى يدين به، ذكره الزجاج، و ابن خالويه. قال بعضهم: هى نحلة من اللّه لهن، أن يجعل على الرجل الصداق و لم يجعل على المرأة شيئاً من الغرم، و ذلک نحلة من اللّه تعالى للنساء. و يقال: نحلت الرجل: إذا وهبت له نحلة و نحلا، و نحل جسمه و نحل: إذا دق، و سمى النحل نحلا لأن اللّه نحل الناس منها العسل الذى يخرج من بطونها، و النحلة عطية عليک على غير جهة المثامنة، و النحلة الديانة، و المنحول من الشعر ما ليس له، و اختلفوا فى المعنى بقوله «وَ آتُوا النِّساءَ» فقال ابن عباس، و قتادة، و ابن جريج، و ابن زيد، و اختاره الطبرى، و الجبائى، و الرمانى، و الزجاج: المراد به الازواج، أمرهم اللّه تعالى بإعطاء المهر إذا دخل بها كملا، إذا سمى لها، فأما غير المدخول بها إذا طلقت فان لها نصف المسمى، و إن لم يكن سمى

---

(1) قائله أحيحة بن الجلاح الأوسى. معانى القرآن للفراء 1: 255، و الكامل لابن الأثير 1: 278، و اللسان (عيل) من قصيدة قالها فى حرب بين قومه و بين الخزرج، و فى معانى القرآن بدل (و ما) فى الموضعين (و لا).

فلها المتعة على ما بيناه فيما مضى.

و قال أبو صالح: هذا خطاب للأولياء، لأن الرجل منهم كان إذا زوج أيمة أخذ صداقها دونها، فنهاهم اللّه عن ذلک، و أنزل هذه الآية.

و روى هذا أبو الجارود، عن أبى جعفر (ع)، و ذكر المعمر بن سليمان عن أبيه، قال: زعم حضرمى ان اناساً كانوا يعطى هذا الرجل أخته، و يأخذ أخت الرجل، و لا يأخذون كثير مهر، فنهى اللّه عن ذلک، و أمر بإعطاء صداقهن،

و أول الأقوال أقوى، لأن اللّه تعالى ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين للنساء، و نهاهم عن ظلمهن و الجور عليهن، و لا ينبغى أن يترک الظاهر من غير حجة و لا دلالة، و قوله: (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَىْءٍ مِنْهُ نَفْساً) اختلفوا فيمن المخاطب به، فقال عكرمة، و ابراهيم، و علقمة، و قتادة، و ابن عباس، و ابن جريج، و ابن زيد: الخطاب متوجه الى الازواج، لأن أناساً كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم فى شىء مما ساق إلى امرأته، فانزل اللّه هذه الآية. و قال أبو صالح: المعنى به الأولياء، لأنه حمل أول الآية أيضاً عليهم، على ما حكيناه عنه، و الأول هو الأولى، لأنا بينا أن الخطاب متوجه إلى الازواج الناكحين، فكذلک آخر الآية. و معنى «فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَىْءٍ مِنْهُ نَفْساً» إن طابت لكم أنفسهن بشىء، و نصبه على التمييز، كما يقولون: ضقت بهذا الأمر ذرعا، و قررت به عيناً، و المعنى ضاق به ذرعى و قرت به عينى، كما قال الشاعر:

إذ التياز ذو العضلات قلنا «اليک اليک» ضاق بها ذراعا «1»

و إنما هو على ذرعا و ذراعا، لأن المصدر و الاسم يدلان على معنى واحد،

فنقل صفة الذراع الى رب الذراع، ثم أخرج الذراع مفسرة لموقع الفعل، و لذلک وحد النفس لما كانت مفسرة لموقع الخبر، و النفس المراد به الجنس، يقع على الواحد

_____

(1) قائله القطامى، ديوانه: 44. و اللسان (تيز) و معانى القرآن 1: 256. و التياز: الكثير اللحم. و قوله (اليک اليک) أى: خذها.

و الجمع، كما قال الشاعر:

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض و أما جلدها فصليب «1»

و لم يقل: فجلودها، و لو قال: (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ) أنفساً لمجاز، و كذلک ضقت به أذرعا و ذراعا. فأما قوله: (بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا) «2» إنما جمع لئلا يوهم أنه عمل يضاف الى الجميع، كما يضاف القتل إلى جماعة إذا رضوا به، و مالئوا عليه. و مثل الآية: أنت حسن وجهاً، فالفعل للوجه، فلما نقل الى صاحب الوجه، نصب الوجه على التمييز. و قوله: (فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً) فهنيئاً مأخوذ من هنأت البعير بالقطران، و ذلک إذا جرب فعولج به، كما قال الشاعر:

متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب «3»

.فالهنى شفاء من المرض، كما أن الهناء شفاء من الجرب. و معنى (فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً) أى دواء شافياً، يقال منه: هنأنى الطعام و مرأتى: إذا صار لى دواء و علاجاً شافياً، و هنينى و مرينى بالكسر، و هى قليلة، و من قال: هنانى يقول فى المستقبل: يهنانى، و ميرانى، و من يقول: هنأنى، يقول يهنئنى، و يمرئنى، فإذا أفردوا قالوا:

قد أمرانى هذا الطعام، و لا يقولون: أهنانى، و المصدر منه هناً، مرأً، و قد مرؤ هذا الطعام مرأً، و يقال: هنأت القوم إذا علتهم، و هنأت فلاناً المال إذا وهبته له، أهنؤه هناً، و منه قولهم: انما سميت هانياً لتهنا، أى: لتعطى، و معنى قوله: (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ) يعنى من المهر، و «من» هاهنا ليست للتبعيض و انما معناه لتبيين الجنس، كما قال (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ) «4»

_____

(1) قائلة علقمة بن عبدة (علقمة الفحل) ديوانه: 27، و شرح المفضليات: 777، و سيبويه 1: 107 من قصيدة فى الحارث بن جبلة بن أبى شمر الغسانى حين أسر أخاه شأسا، فرحل اليه علقمة يطلب فكه. و قوله: (بها جيف الحسرى) الضمير راجع الى المطلوب فى البيت السابق، و هى آثار الطريق، و الصليب الودک الذى يسيل من خلودها بعد موتها. [.....]

(2) سورة الكهف: آية 104.

(3) قائله دريد بن الصمة. اللسان (نقب) و الأغانى 10: 22، و الشعر و

الشعراء 302. و النقب- بضم النون و سكون القاف و فتحها- جمع نقبه، أول الجرب حين يبدو.
(4) سورة الحج: آية 30.

و لو وهبت له المهر كله لجاز، و كان حلالا بلا خلاف. و استدل أبو على بهذه الآية على أن لولى اليتيمة الذى هو غير الأب أن يزوج اليتيمة، أو يتزوجها قبل أن تحيض، أو يكمل عقلها، بأن «1» قال الخطاب فى قوله: (وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتامى) متوجه إلى الأولياء الذين كانوا يتحرجون من العقد على اليتامى اللائى لهم عليهن ولاية، خوفا من الجور، فقال اللّه لهم: ان خفتم من العقد على أربع فعلى ثلاث، أو اثنتين، أو واحدة، أو ما ملكت أيمانكم من سواهن، ثم أمرهم بإعطائهن المهر، ثم قال: (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ) يعنى الأزواج الذين هم الأولياء، «عن شىء» من ذلک، «فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً» و هذا الذى قاله ليس بصحيح، لأنه لا يسلم له أولا أنه خطاب للأولياء فما الدليل على لک ثم إن عندنا و عند الشافعى ليس لأحد من الأولياء أن يزوج الصغيرة إلا الأب «2» خاصة فكيف يسلم له ما قاله؟ و من قال: يجوز ذلک، قال: يكون العقد موقوفا على بلوغها و رضاها، فان لم ترض كان لها الفسخ، فعلى كل حال لا يصح ما قاله.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 5]..... ص: 112

اشارة

وَ لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِياماً وَ ارْزُقُوهُمْ فِيها وَ اكْسُوهُمْ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً (5)
- آية-.

قرأ نافع، و ابن عباس، قيما بغير الف. اختلف أهل التأويل فيمن المراد بالسفهاء المذكورين فى الآية، فقال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و السدى، و الضحاک، و مجاهد، و قتادة، و أبو مالک:
إنهم النساء و الصبيان، و هو الذى رواه أبو الجارود، عن أبى جعفر (ع)
و قال سعيد بن جبير، و الحسن

---

(1) فى المطبوعة: فان، و قد صححنا على المخطوطة.
(2) فى المطبوعة: الى الأب، و هو تحريف.

و قتادة، و فى رواية أخرى عنهم: أنهم الصبيان الذين لم يبلغوا فحسب، و قال أبو مالک، معناه: لا تعط ولدک السفيه مالک فيفسده الذى هو قيامک و قال ابن عباس فى رواية أخرى: إنها نزلت فى السفهاء و ليس لليتامى فى ذلک شىء، و به قال ابن زيد، و قال ابو موسى الاشعرى ثلاثة يدعون فلا يستجيب اللَّه لهم:
رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، و قال: اللهم خلصنى منها، و رجل أعطى ما لا سفيهاً، و قد قال اللَّه: «وَ لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ»، و رجل له على غيره مال فلم يشهد عليه.
و قد روى عن أبى عبد اللَّه (ع) ان السفيه شارب الخمر، و من جرى مجراه ، و قال المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرمى أن المراد به النساء خاصة، و روى ذلک عن مجاهد، و الضحاک، و ابن عمر، و الأولى حمل الآية على عمومها فى المنع من إعطاء المال السفيه، سواء كان رجلا أو امرأة بالغا أو غير بالغ.
و السفيه هو الذى يستحق الحجر عليه، لتضييعه ماله، و وضعه فى غير موضعه، لأن اللَّه تعالى قال عقيب هذه الأوصاف: «وَ ابْتَلُوا الْيَتامى حَتَّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ، فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ» فأمر الأولياء بدفع الأموال إلَى اليتامى إذا بلغوا، و أونس منهم رشد، و قد يدخل فى اليتامى الذكور و الإناث، فوجب حملها على عمومها.

فأما من حمل الآية على النساء خاصة، فقوله ليس بصحيح، لأن فعلية لا يجمع فعلاء، و انما يجمع فعايل و فعيلات، كغريبة و غرائب و غريبات، و قد جاء: فقيرة و فقراء، ذكره الرمانى. فأما الغرباء فجمع غريب

و قوله: «أَمْوالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِياماً وَ ارْزُقُوهُمْ فِيها وَ اكْسُوهُمْ»
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 114
اختلفوا فى معناه. فقال ابن عباس، و أبو موسى الاشعرى، و الحسن، و قتادة، و مجاهد، و حضرمى. معناه: لا تؤتوا يا أيها الرشد السفهاء من النساء و الصبيان- على ما ذكرنا من اختلافهم- «أَمْوالَكُمُ الَّتِى جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ» يعنى أموالكم التى تملكونها، فتسلطوهم عليها، فيفسدوها، و يضيعوها، و لكن «ارْزُقُوهُمْ فِيها» إن كانوا ممن يلزمكم نفقته، و اكسوهم «وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً» . و قال السدى:
معناه: لا تعط امرأتك و ولدك مالك، فيكونوا هم الذين ينفقون و يقومون عليك، و أطعمهم من مالك، و اكسهم. و به قال ابن عباس، و ابن زيد. و قال سعيد ابن جبير: يعنى ب «أموالكم» أموالهم، كما قال: «وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» «1» قال:
و اليتامى لا تؤتوهم أموالهم، «وَ ارْزُقُوهُمْ فِيها وَ اكْسُوهُمْ» . و الاولى حمل الآية على الامرين، لأن عمومه يقتضى ذلک، فلا يجوز أن يعطى السفيه الذى يفسد المال، و لا اليتيم الذى لم يبلغ، و لا الذى بلغ و لم يؤنس منه الرشد، و لا أن يوصى إلى سفيه، و لا يختص ببعض دون بعض، و إنما يكون اضافة مال اليتيم إلى من له القيام بأمرهم، على ضرب من المجاز، أو لأنه أراد: لا تعطوا الأولياء ما يخصهم لمن هو سفيه «2» و يجرى ذلک مجرى قول القائل لواحدٍ: يا فلان أكلتم أموالكم بالباطل، فيخاطب الواحد بخطاب الجميع، و يريد به أنک و أصحابک أو قومک أكلتم، و يكون التقدير فى الآية: «وَ لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ» التى بعضها لكم، و بعضها لهم، فيضيعوها.

و قوله: (الَّتِی جَعَلَ اللَّهُ لَکُمْ قِیاماً) معناه: ما جعله قِوام معایشکم و معایش سفهائکم، التی بها تقومون قیاماً، و قیما، و قواماً، بمعنی واحد. و أصل القیام:
القوام، فقلبت الواو یاء للکسرة التی قبلها، کما قالوا: صمت صیاماً، و حلت

---

(1) سورة النساء: آیة 28.
(2) هکذا فی المطبوعة و المخطوطة، و هی کما تری

حیالا، و منه: فلان قوام أهله، و قیام أهله. و منه: قوام الأمر و ملاکه، و هو اسم. و القیام مصدر.

و بهذا التأويل قال أبو مالک، و السدي، و ابن عباس، و الحسن، و مجاهد، و ابن زيد. و قوله: (وَ ارْزُقُوهُمْ فِيها وَ اكْسُوهُمْ) اختلفوا فى تأويله، فمن قال: عنى بقوله: (وَ لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ) يعنى أموال أولياء السفهاء، فإنهم قالوا: معناه: و ارزقوا أيها الناس سفهاءكم، من نسائكم و أولادكم من أموالكم، طعامهم، و ما لا بد لهم منه. ذهب إليه مجاهد، و السدى، و غيرهما ممن تقدم ذكره. و من قال: إن الخطاب للأولياء، بأن لا يؤتوا السفهاء أموالهم، يعنى أموال السفهاء، حمل قوله: «وَ ارْزُقُوهُمْ فِيها وَ اكْسُوهُمْ» على أنه من أموال السفهاء، يعنى ما لا بد منه من مؤمنهم، و كسوتهم، و إذا حملنا الآية على عمومها، على ما بيناه، فالتقدير: و ارزقوا أيها الرشد من خاص أموالكم من يلزمكم النفقة عليه، مما لا بد منه من مؤنة و كسوة، و لا تسلموا إليه إذا كان سفيهاً، فيفسد المال. و يا أيها الأولياء، أنفقوا على السفهاء من أموالهم، التى لكم الولاية عليها، قدر ما يحتاجون إليه من النفقة و الكسوة. و قوله:
(وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً) قال مجاهد، و ابن جريج. قولوا لهم، يعنى للنساء و الصبيان، و هم السفهاء، «قَوْلًا مَعْرُوفاً» فى البر و الصلة. و قال ابن زيد: ان كان السفيه ليس من ولدک، و لا يجب عليک نفقته، فقل له قولا معروفا، مثل:
عافانا اللَّه و إياک، بارک اللَّه فيک. و قال ابن جريج. معناه: يا معاشر ولاة السفهاء، قولوا قولا معروفا للسفهاء، و هو: إن صلحتم و رشدتم، سلمنا إليكم أموالكم، و خلينا بينكم و بينها، فاتقوا اللَّه فى أنفسكم و أموالكم، و ما أشبه ذلک، مما هو واجب عليكم، و يحثكم على الطاعة، و ينهاكم عن المعصية. و قال الزجاج: معناه:
علموهم مع إطعامكم إياهم و كسوتكم إياهم، و أمر دينهم. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 116
و فى الآية دلالة على جواز الحجر على اليتيم إذا بلغ، و لم يؤنس منه الرشد، لأن اللَّه تعالى منع من دفع المال إلى السفهاء، و قد بينا أن المراد به أموالهم على بعض الأحوال.
و فى الآية دلالة على وجوب الوصية، إذا كان الورثة سفهاء، لأن ترک الوصية بمنزلة إعطاء المال فى حال الحياة إلى من هو سفيه، و إنما سمى الناقص العقل سفيهاً «1»، و إن لم يكن عاصياً، لأن السفه هو خفة الحلم، و لذلک سمى الفاسق سفيهاً، لأنه لا وزن له عند أهل الدين «2»، و العلم فثقل الوزن و خفته، ككبر القدر و صغره.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 6]..... ص: 116

اشارة

وَ ابْتَلُوا الْيَتامى حَتَّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ وَ لا تَأْكُلُوها إِسْرافاً وَ بِداراً أَنْ يَكْبَرُوا وَ مَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَ مَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً (6)

- آية بلا خلاف-.

هذا خطاب لأولياء اليتامى، أمر اللَّه تعالى بأن يختبروا عقول اليتامى فى أفهامهم، و صلاحهم فى أديانهم، و إصلاحهم أموالهم. و هو قول قتادة، و الحسن، و السدى، و مجاهد، و ابن عباس، و ابن زيد. و قد بينا أن الابتلاء معناه الاختبار فيما مضى. و قوله: «حَتَّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ» معناه: حتى يبلغوا الحد الذى يقدرون على مجامعة النساء و ينزل، و ليس المراد الاحتلام، لأن فى الناس من

_____

(1) (سفيهاً) ساقطة من المطبوعة.
(2) عند (أهل الدين) ساقطة من المطبوعة.

لا يحتلم، أو يتأخر احتلامه، و هو قول أكثر المفسرين: مجاهد، و السدى، و ابن عباس، و ابن زيد. و منهم من قال: إذا كمل عقله، و أونس منه الرشد، سلم إليه ماله، و هو الأقوى. و منه من قال: لا يسلم إليه حتى يكمل له خمس عشرة سنة، و إن كان عاقلا، لأن هذا حكم شرعى، و بكمال العقل تلزمه المعارف لا غير، و قال أصحابنا: حد البلوغ إما بلوغ النكاح، أو الانبات فى العانة، أو كمال خمس عشرة سنة. و قوله: «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً» معناه: فان وجدتم منه رشدا و عرفتموه، و هو قول ابن عباس.

تقول: آنست من فلان خيراً إيناساً و أنست به أنساً: إذا ألفته. و فى قراءة عبد اللَّه: فان أحسيتم يعنى أحسستم، أي وجدتم، و الأصل فيه: أبصرتم.
و منه قول: «آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً» «1» أى أبصر، و منه أخذ انسان العين، و هو حدقتها التى يبصر بها.

و اختلفوا فى معنى الرشد «2»، فقال السدى، و قتادة: معناه عقلا و ديناً و صلاحاً. و قال الحسن «3»، و ابن عباس: معناه: صلاحاً فى الدين، و إصلاحاً للمال. و قال مجاهد، و الشعبى: معناه العقل. قال: لا يدفع إلى اليتيم ماله، و إن أخذ بلحيته، و إن كان شيخاً، حتى يؤنس منه رشده: العقل. و قال ابن جريج:
صلاحاً، و علماً بما يصلحه.
و الأقوى أن يحمل على
أن المراد به العقل، و إصلاح المال، على ما قال ابن عباس، و الحسن، و هو المروى عن أبى جعفر (ع)
، للإجماع على أن من يكون كذلک لا يجوز عليه الحجر فى ماله، و ان كان فاجراً فى دينه، فإذا كان ذلک اجماعا

---

(1) سورة القصص: آية 29.
(2) (و اختلفوا فى معنى الرشد) ساقطة من المطبوعة.
(3) (الحسن) ساقط من المطبوعة.

فكذلک إذا بلغ، و له مال فى يد وصى أبيه أو فى يد حاكم قد ولى ماله، وجب عليه أن يسلم إليه ماله، إذا كان عاقلا، مصلحاً لما له، و إن كان فاسقاً فى دينه. و فى الآية دلالة على جواز الحجر على العاقل، إذا كان مفسداً فى ماله، من حيث أنه إذا كان عند البلوغ يجوز منعه المال إذا كان مفسداً له، فكذلک فى حال كمال العقل إذا صار بحيث يفسد المال، جاز الحج عليه، و هو المشهور فى أخبارنا.
و من الناس من قال: لا يجوز الحجر على العاقل، ذكرناه فى الخلاف.
و قوله: (فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ وَ لا تَأْكُلُوها إِسْرافاً وَ بِداراً) فهو خطاب لأولياء اليتيم، أمرهم اللّه تعالى إذا بلغ اليتيم، و أونس منه الرشد، على ما فسرناه، أن يسلم إليه ماله، و لا يحبسه عنه. و قوله: (وَ لا تَأْكُلُوها إِسْرافاً) معناه بغير ما أباحه اللّه لكم. و قال الحسن، و السدى: الإسراف فى الاكل.
و أصل الإسراف تجاوز الحد المباح إلى ما لم يبح، و ربما كان ذلک فى الافراط، و ربما كان فى التقصير، غير أنه إذا كان فى الافراط يقال منه: أسرف يسرف إسرافاً، و إذا كان فى التقصير يقال: سرف يسرف سرفاً، يقال: مررت بكم فسرفتكم، يريد:
فسهوت عنكم، و اخطأتكم، كما قال الشاعر:
اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما فى عطائهم من و لا سرف «1»

يعنى لا خطأ فيه، يريد أنهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطونها. و قوله: «وَ بِداراً أَنْ يَكْبَرُوا» فالبدار و المبادرة مصدران، فنهى اللّه تعالى أولياء اليتامى أن يأكلوا أموالهم اسرافاً بغير ما أباح اللّه لهم أكله، و لا مبادرة منكم بلوغهم، و إيناس الرشد منهم، حذراً أن يبلغوا، فيلزمكم تسليمه إليهم، و به قال ابن عباس، و قتادة، و الحسن، و السدى، و ابن زيد.

---

(1) قائله جرير ديوانه 2: 15 و اللسان (هند) و (سرف) و هو من قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك، و يهجو آل المهلب. قوله: (هنيدة) اسم لكل مائة من الإبل، و (هنيد) لا يصرف و لا يدخل عليه الالف و اللام و لا يجمع و ليس له واحد من جنسه. و (ثمانية) أى ثمانية من العبيد. و كان فى المخطوطة و المطبوعة (عطاءكم) و هو مناسب فى المعنى و لكن لم أجد أحد يرويه الا (عطائهم).

و أصل البدار الامتلاء. و منه البدر القمر، لامتلائه نوراً، و البدرة: لامتلائها بالمال، و البيدر: لامتلائه بالطعام، و موضع «أن» نصب بالمبادرة، و المعنى:

لا تأكلوها مبادرة كبرهم. و قوله: «وَ مَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَ مَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ» يعنى: من كان غنياً من ولاة أموال اليتامى فليستعفف بماله عن أكلها، و به قال ابن عباس، و ابراهيم. و قوله: (وَ مَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ) قال عبيدة:

معناه القرض، و هو المروى عن أبى جعفر (ع)

، أ لا ترى أنه قال: (فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ) «وَ مَنْ كانَ فَقِيراً» فاختلفوا فى الوجه الذى يجوز له أكل مال اليتيم به إذا كان فقيراً، و هو المعروف، فقال سعيد بن جبير، و عبيدة السلمانى، و أبو العالية، و أبو وائل، و الشعبى، و مجاهد، و عمر بن الخطاب:

هو أن يأخذه قرضاً على نفسه فيما لا بد له منه، ثم يقضيه، و بينا أنه المروى عن أبى جعفر (ع).

و قال الحسن، و إبراهيم، و مكحول، و عطاء بن أبى رباح: يأخذ ماسد الجوعة، و وارى العورة، و لا قضاء عليه، و لم يوجبوا أجرة المثل، لأن أجرة المثل ربما كانت أكثر من قدر الحاجة. و الظاهر فى أخبارنا أن له أجرة المثل، سواء كان قدر كفايته، أو لم يكن. و سئل ابن عباس عن ولى يتيم له إبل هل له أن يصيب من ألبانها؟ فقال: إن كنت تلوط حوضها، و تهنأ جرباها، فأصبت من رسلها، غير مضر بغسل و لا ناهكه فى الحلب.

معنى تلوط حوضها: تطينه، و تهنأ جرباها، و معناه: تطليها بالهناء، و هو الخضخاض، ذكره الازهرى، و الرسل اللبن، و النهك: المبالغة فى الحلب.

و اختلفوا فى هل للفقير من ولى اليتيم أن يأكل من ماله هو و عياله، فقال

عمرو بن عبيد: ليس له ذلک، لقوله: «فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ» فخصه بالأكل، و قال الجبائى: له ذلک لأن قوله: «بالمعروف» يقتضى أن يأكل هو و عياله، على ما جرت به العادة فى أمثاله، و قال إن كان المال واسعاً كان له أن يأخذ قدر كفايته، له و لمن يلزمه نفقته من غير إسراف، و إن كان قليلا كان له أجرة المثل التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 120
لا غير، و إنما لم يجعل له أجرة المثل إذا كان المال كثيراً لأنه ربما كان أجرة المثل أكثر من نفقته بالمعروف، و على ما قلناه من أن له أجرة المثل سقط هذا الاعتبار و قوله: (فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ) خطاب لأولياء اليتامى، إذا دفعوا أموال اليتامى إليهم، أن يحتاطوا لأنفسهم بالإشهاد عليهم، لئلا يقع منهم جحود، و يكونوا أبعد من التهمة، و سواء كان ذلک فى أيديهم، أو استقرضوه ديناً على نفوسهم، فان الاشهاد يقتضيه الاحتياط، و ليس بواجب. و قوله:
(كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً) معناه: كفى اللَّه، و الباء زائدة، و قال السدى: معناه شهيدا هاهنا، و قيل: معناه: و كفى باللَّه كافياً من الشهود، و لأن أحسبنى معناه: كفانى، و المعنى: و كفى باللَّه شهيداً فى الثقة بإيصال الحق إلى صاحبه و المحسب من الرجال المرتفع النسب. و المحسب، المكفى. و ولى اليتيم المأمور بابتلائه، و هو الذى جعل إليه القيام به، من وصى، أو حاكم، أو أمين، ينصبه الحاكم. و أجاز أصحابنا الاستقراض من مال اليتيم إذا كان ملياً، و فيه خلاف.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 7]..... ص: 120

اشارة

لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَکَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَکَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ کَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً (7)
- آية بلا خلاف-.

اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية، فقال قتادة، و ابن جريج، و ابن زيد: إن أهل الجاهلية كانوا يورثون الذكور دون الإناث، فنزلت هذه الآية رداً لقولهم. و قال الزجاج: كانت العرب لا تورث إلا من طاعن بالرماح، و ذاد عن الحريم و المال، فنزلت هذه الآية رداً عليهم، و بين أن للرجال نصيباً مما ترك الولدان و الأقربون، «وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ، مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً» يعنى حظاً مفروضاً، قال الزجاج: مفروضاً. نصب على الحال، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 121
و قال غيره: هو اسم فى موضع المصدر، كقولك قسما واجباً، و فرضاً لازماً، و لو كان اسماً ليس فيه معنى المصدر، لم يجز قولك: عندى حق درهماً، و يجوز: لك عندى درهم هبة مفترضة «1» و أصل الفرض الثبوت، و الفرض: الحز فى سية القوس حيث يثبت الوتر، و الفرض: ما أثبته على نفسك من هبة أو صلة، و الفرض: إيجاب اللّه عز و جل على العبد ما يلزمه فعله لإثباته عليه، و الفرض:
جند يفترضون، و الفرض: ما أعطيت من غير قرض، لثبوت تمليكه، و الفرض:
ضرب من التمر. و الفارض المسنة، و الفرضة: حيث ترمى «2» السفن من النهر و كل ضخم فارض، و الفرق بين الفرض و الوجوب أن الفرض هو الإيجاب، غير أن الفرض يقتضى فارضاً فرضه، و ليس كذلك الواجب لأنه قد يجب الشىء فى نفسه من غير إيجاب موجب، و لذلك صح وجوب الثواب و العوض على اللّه تعالى، و لم يجز فرضه عليه. و أصل الوجوب الوقوع، يقال: وجب الحائط وجوباً فهو واجب، إذا وقع، و سمعت وجبة أى وقعة كالهدة، و منه «وَجَبَتْ جُنُوبُها» «3» أى وقعت لجنوبها، و وجب الحق وجوبا، إذا وقع سببه، كوجوب رد الوديعة، و قضاء الدين، و وجوب شكر المنعم، و وجوب الأجر، و إنجاز الوعد، و وجب القلب وجيباً إذا خفق من فزع وقعة كالهدة.
و فى الآية دليل على بطلان القول بالعصبة، لأن اللّه تعالى فرض الميراث للرجال و النساء، فلو جاز أن يقال: النساء لا يرثن فى موضع، لجاز لآخرين أن يقولوا: و الرجال لا يرثون، و الخبر المدعى فى العصبة خبر واحد، لا يترك له عموم القرآن، لأنه معلوم، و الخبر مظنون، و قد بينا ضعف الخبر فى كتاب تهذيب الأحكام، فمن أراده وقف عليه من هناك.
و فى الآية أيضاً دلالة على أن الأنبياء يورثون، لأنه تعالى عم الميراث للرجال و النساء، و لم يخص، نبياً من غيره، و كما لا يجوز أن يقال: النبى لا يرث،

(1) فى المطبوعة: مقبوضة. [.....]
(2) فى المطبوعة: ترقا.
(3) سورة الحج: آية 36.

لأنه خلاف الآية، فكذلک لا يجوز أن يقال: لا يورث، لأنه خلافها، و الخبر الذى يروون أنه قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة، خبر واحد، و قد بينا ما فيه، فى غير موضع، و تأولناه، بعد تسليمه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 8]..... ص: 122

اشارة

وَ إِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً (8)
- آية بلا خلاف-.

هذه الآية عندنا محكمة، و ليست منسوخة، و هو قول ابن عباس، و سعيد ابن جبير، و الحسن، و ابراهيم، و مجاهد، و الشعبى، و الزهرى، و يحيى بن يعمر، و السدى، و البلخى، و الجبائى، و الزجاج، و أكثر المفسرين و الفقهاء. و قال سعيد ابن المسيب، و أبو مالک، و الضحاک، هى منسوخة، و إرزاق من حضر قسمة الميراث من هذه الأصناف، ليس بواجب، بل هو مندوب إليه، و هو الذى اختاره الجبائى، و البلخى، و الرمانى، و جعفر بن مبشر، و أكثر الفقهاء و المفسرين. و قال مجاهد: هو واجب، و حق لازم ما طابت به أنفس الورثة. و كل من ذهب إلى أنها منسوخة قال: إن الرزق ليس بواجب، و كذلک من قال انها فى الوصية.
و اختلفوا فيمن المخاطب بقوله: «فَارْزُقُوهُمْ» فقال أكثر المفسرين: إن المخاطب بذلک الورثة، أمروا بأن يرزقوا المذكورين، إذا كانوا لا سهم لهم فى الميراث، و قال آخرون إنها تتوجه إلى من حضرته الوفاة، و أراد الوصية، فانه ينبغى له أن يوصى لمن لا يرثه من هؤلاء المذكورين، بشىء من ماله. و روى هذا القول الأخير عن ابن عباس، و عبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبى بكر، و سعيد ابن المسيب، و اختار الطبرى هذا الوجه، و الوجه، الاول روى عن ابن عباس، و عبد اللّه بن الزبير، و أبى موسى الاشعرى، و ابن سيرين، و الحسن، و سعيد بن جبير. قال سعيد بن جبير: إن كان الميت أوصى لهم بشىء أنفذت وصيته، و إن التبيان فى تفسير القرآن،
ج3، ص: 123
كان الورثة كباراً أرضخوا لهم، و إن كانوا صغاراً قال وليهم: إنى لست أملک هذا المال، و ليس لى، إنما هو للصغار، فذلک قوله: «وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً» و به قال السدى، و ابن عباس. و اختلفوا فيمن المأمور [بقول] «1» المعروف، فقال سعيد بن جبير: أمر اللّه أن يقول الولى الذى لا يرث، للمذكورين قولا معروفا، و يقول: إن هذا لقوم غيب أو يتامى صغار، و لكم فيه حق، و لسنا نملک أن نعطيكم منه. و قال قوم: المأمور بذلک الرجل الذى يوصى فى ماله، و القول المعروف: أن يدعو لهم بالرزق و الغنى، و ما أشبه ذلک. و روى عن ابن عباس، و سعيد بن المسيب، و ابن زيد: أن الآية فى الوصية، على أن يوصوا للقرابة، و يقولوا لغيرهم قولا معروفا. و من قال إنها على الوجوب، قال: لا يعطى من مال اليتيم شيئاً، و يقول قولا معروفاً، ذهب إليه ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و السدى. و روى ابن عُلَيَّة، عن عبيدة، أنه ذبح شاة من مال اليتيم، و قسمه بينهم، و قال: كنت أحب أن يكون من مالى لو لا هذه الآية. و عمل ابن سيرين فى مال اليتيم ما عمل عبيدة، و أقوى الأقوال أن يكون الخطاب متوجهاً إلى الوارث

البالغين، لأن فيه أمراَ بالرزق لمن حضر، و لم يخاطب اللّه من لا يملک أن يخرج من مال غيره شيئاً، فكأن اللّه تعالى حث هؤلاء، و رغبهم فى أن يجعلوا للحاضرين شيئاً مما يحقهم «2»، و يقولوا لهم قولا معروفا، فيصير رداً جميلا، من غير تأفف، و لا تضجر، و كذلک لو قلنا إنها متوجهة إلى الموصى، لكان محمولا على أنه يستحب له أن يوصى لهؤلاء بشىء من ماله، ما لم يزد على الثلث، فان لم يختر ذلک قال لهم قولا جميلا، لا يتألمون منه، و لا يغتمون به.
و فى الآية حجة على المجبرة، لأنه تعالى قال: «فَارْزُقُوهُمْ» و فيه دلالة على أن الإنسان يرزق غيره على معنى التمليک، و أن اللّه لا يرزق حراماً، لأنه لو رزقه لخرج برزقه إياه من أن يكون حراماً، و مثله قوله: «وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» .

---

(1) فى المطبوعة: لقوله المعروف، و فى المخطوطة: لقوله بالمعروف، و كلاهما تحريف.
(2) هكذا فى المطبوعة و المخطوطة و الأولى: مما يلحقهم.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 9]..... ص: 124

اشارة

وَ لْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَ لْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (9)
- آية بلا خلاف-.

قيل فى معنى الآية أربعة أقوال:
أحدها- النهى عن الوصية بما يجحف بالورثة، و يضر بهم، هذا قول ابن عباس، فى بعض الروايات، و سعيد بن جبير، و الحسن، و قتادة، و السدى، و الضحاک، و مجاهد.
الثانى- قال الحسن: كان الرجل يكون عند الميت فيقول: أوص بأكثر من الثلث من مالک، فنهاه اللّه عن ذلک.
الثالث- روى عن ابن عباس: أنه خطاب لولى مال اليتيم، يأمره بأداء الأمانة فيه، و القيام بحفظه، كما لو خاف على مخلفيه، إذا كانوا ضعافا، و أحب أن يفعل بهم.
الرابع- قال مقسم: هى فى حرمان ذوى القربى أن يوصى لهم، بأن يقول الحاضر للوصية: لا توص لأقاربک، و وفر على ورثتک.

و الذرية: على وزن فعلية، منسوبة إلى الذر، و يجوز أن يكون أصلها ذرورة، لكن الراء أبدلت ياء، و أدغمت الواو فيها، و هى بضم الذال، و يجوز فيها كسرها، و قد قرئ به فى الشواذ، و من كسر الذال فلكسرة الراء، كما قالوا فى عنى عتى و عصى، و ضعاف: جمع ضعيف و ضعيفة، و كقولك: ظريف و ظريفة و ظراف، و خبيث و خباث، و يجمع أيضاً ضعفاء. و أصل الضعاف من الضعف، و هو النقص، فى القوة، و منه المضاعف، لأنه ينفى الضعف، و منه الضعف.
و قوله: «فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ» يعنى: فليتقوا معاصيه، «وَ لْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً»
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 125
و هو السليم من خلل الفساد، و ذلک الحق بالدعاء إلى العدل فى القسم بما لا يجحف بالورثة، و لا يحرم ذوى القربى، و أصل السديد من سد الخلل، تقول: سددته أسده سدا، و السداد: الصواب، و السداد- بكسر السين- من قولهم: فيه سداد من عوز، و سدد السهم: إذا قومه، و السد الردم، و السدة فى الأنف.

و معنى الآية، أنه ينبغى للمؤمن الذى لو ترک ذرية ضعافا بعد موته، خاف عليهم الفقر و الضياع، أن يخشى على ورثة غيره من الفقر و الضياع، و لا يقول لمن يحضر وصيته أن يوصى بما يضر بورثته، و ليتق اللّه فى ذلک، و ليتق الإضرار بورثة المؤمن،، و ليقل قولا سديدا، و لذلک
نهى النبى (ص) أن يوصى بأكثر من الثلث، و قال: (و الثلث كثير) و قال لسعد (لأن تدع ورثتک أغنياء أحب الى من أن تدعهم عالة يتكففون الناس بأيديهم).

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 10]..... ص: 125

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ ناراً وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً (10)
- آية-

قرأ ابن عامر، و أبو بكر، عن عاصم: و سيصلون- بضم الياء- الباقون، بفتحها، و الفتح أقوى، لقوله: «لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى» «1» و قوله: «إِلَّا مَنْ هُوَ صالِ الْجَحِيمِ» «2» و من ضم الياء ذهب إلى أصلاه اللَّه إذا أحرقه بالنار.

و إنما علق اللَّه تعالى الوعيد فى الآية لمن يأكل أموال اليتامى ظلماً، لأنه قد

---

(1) سورة الليل: آية 15.
(2) سورة الصافات: آية 163.

يأكله على وجه الاستحقاق، بأن يأخذ منه أجرة المثل، على ما قلناه. أو يأكل منه بالمعروف على ما فسرناه، أو يأخذه قرضاً على نفسه، فان قيل: إذا أخذه قرضاً على نفسه، أو أجرة المثل، فلا يكون أكل مال اليتيم، و إنما أكل مال نفسه. قلنا: ليس الامر على ذلک، لأنه يكون أكل مال اليتيم، لكنه على وجه التزم عوضه فى ذمته، أو استحقه بالعمل فى ماله، فلم يخرج بذلک من استحقاق الاسم بانه مال اليتيم، و لو سلم ذلک، لجاز أن يكون المراد بذلک ضربا من التأكيد و بياناً، لأنه لا يكون أكل مال اليتيم إلا ظلماً. و نصب ظلماً على المصدر، و تقديره: إن من أكل مال اليتيم فانه يظلمه ظلماً. و قوله: «إِنَّما يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ ناراً» قيل فى معناه وجهان:
أحدهما- ما قاله السدى من أن من أكل مال اليتيم ظلماً يبعث يوم القيامة و لهب النار يخرج من فيه، و من مسامعه، و من أذنيه و أنفه و عينيه، و يعرفه من رآه. بأكل مال اليتيم.
الثانى- أنه على وجه المثل، من حيث أن فعل ذلک يصير إلى جهنم، فتمتلئ بالنار أجوافهم، عقابا على ذلک الأكل منهم، كما قال الشاعر:
و ان الذى أصبحتم تحلبونه دم غير أن اللون ليس باحمرا
يصف أقواماً أخذوا الإبل فى الدية، يقول: فالذى تحلبون من ألبانها ليس لبناً، إنما هو دم القتيل.

و قوله: «وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً» فالصلاة لزوم النار، للإحراق، أو التسخن، أو الإنضاج، يقال: صلى بالنار يصلى صلا بالقصر، قال العجاج:
و صاليات للصلا صلى «1»
و يقال الصلا بالكسر و المد، قال الفرزدق:

---

(1) ديوانه: 67 من أرجوزته المشهورة.

و قاتل كلب الحى عن نار أهله ليربض فيها و الصلا متكنف «1»
و اصطلى صلى بالنار اصطلاء، و أصليته النار أصلا، إذا ألقيته فيها. و فى التنزيل: «فَسَوْفَ نُصْلِيهِ ناراً» «2» و الصالى بالشر الواقع فيه قال الشاعر:
لم أكن من جناتها علم اللَّه و انى بحرها اليوم صالى «3»
و منه شاة مصلية، أى مشوية. و السعير بمعنى مسعورة، مثل كف خضيب، بمعنى مخضوبة، و السعر إشعال النار تقول سعرتها أسعرها سعراً. و منه قوله:
«وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ» «4» و استعرت النار فى الحطب استعاراً، و استعرت الحرب و الشر استعاراً، و منه سعر السوق، لاستعارها به فى النفاق.

و أكل مال اليتيم على وجه الظلم، و غصبه متساويان فى توجه الوعيد إليه، و لا يدل على مثل ذلک فى غير مال اليتيم، لأن الزواجر عن مال اليتيم أعظم.
و قال الجبائى: هما سواء، و من غصب من مال اليتيم خمسة دراهم فان الوعيد يتوجه إليه و قال الرمانى: لا يتوجه إليه، لأن أقل المال مائتا درهم. و قال الجبائى:
يلزمه كما يلزم مانع الزكاة. و قال الرمانى: هذا ليس بصحيح، لأنه يجوز أن يكون منع الزكاة أعظم، و ما قلناه أولا أولى بعموم الآية. و قوله: لا يسمى المال إلا مائتا درهم دعوى محضة، لا برهان عليها.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 11]..... ص: 127

اشارة

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ وَ إِنْ كانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَ وَرِثَهُ أَبَواهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصى بِها أَوْ دَيْنٍ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (11)

_____

(1) ديوانه: 56 و النقائض 561 و اللسان (صلا) و المعنى: ان الكلب يزاحم أهل الحى على النار و هم متجمعون- متكنفون- عليها من شدة البرد.
(2) سورة النساء: آية 29.
(3) قائله الحارث بن عباد البكرى اصمعيات 67 القصيدة 17، و حماسة البحترى 33 و الكامل لابن الأثير 1: 220 و خزانة الأدب 1: 225 و غيرها. و قد مر البيت فى 1: 195 من هذا الكتاب.
(4) سورة التكوير: آية 12.

- آية بلا خلاف-

قرأ ابن عامر، و ابن كثير، و أبو بكر، عن عاصم: يوصى- بفتح الصاد- الباقون بكسرها، و هو الأقوى، لقوله: «مِمَّا تَرَكَ إِنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ» فتقدم ذكر الميت، و ذكر المفروض مما ترک «1»، و من فتحها فلأنه ليس لميت معين، و إنما هو شائع فى الجميع.

و قيل فى سبب نزول هذه الآية قولان:
أحدهما- قال السدى، و ابن عباس: إن سبب نزولها، أن القوم لم يكونوا يورثون النساء و البنات و البنين الصغار، و لم يورثوا إلا من قاتل و طاعن، فأنزل اللّه الآية، و أعلمهم كيفية الميراث. و قال عطاء، عن ابن عباس، و ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس، إنهم كانوا يورثون الولد، و للوالدين الوصية، فنسخ اللّه ذلک. و
قال محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: كنت عليلا مدنفا، فعادة النبى (ص)، و نضح الماء على وجهه فأفاق، و قال: يا رسول اللّه، كيف أعمل

---

(1) فى المطبوعة (ما ترک).

فى مالى: فأنزل اللّه الآية.
و روى عن ابن عباس أنه قال: كان المال للولد، و الوصية للوالدين و الأقربين، فنسخ «1» ذلک بهذه الآية.

و هذه الآية عامة فى كل ولد يتركه الميت، و ان المال بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين، و كذلک حكم البنت و البنتين. و البنت «2» لها النصف، و لهما الثلثان على كل حال، إلا من خصه الدليل من الرق، و الكفر، و القتل، فانه لا خلاف أن الكافر، و المملوک، و القاتل عمداً، لا يرثون، و إن كان القاتل خطأ، ففيه الخلاف و عندنا يرث من المال دون الدية. فأما المسلم فانه عندنا يرث الكافر، و فيه خلاف، ذكرناه فى مسائل الخلاف،
و العبد لا يورث لأنه لا يملک شيئاً، و المرتد لا يرث و ميراثه لورثته المسلمين، و هذا قول على (ع).
و قال سعيد بن المسيب: نرثهم و لا يرثونا و به قال معاوية، و الحسن، و عبد اللَّه بن معقل، و مسروق و
قوله (ص) (لا يتوارث أهل ملتين)
معناه: لا يرث كل واحد منهما صاحبه، فانا نقول: المسلم يرث الكافر، و الكافر لا يرث المسلم، فلم تثبت حقيقة التوارث بينهما.
و معنى «يُوصِيكُمُ اللَّهُ» فرض عليكم، لأن الوصية من اللَّه فرض، كما قال: «وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ» «3» يعنى فرض، عليكم، ذكره الزجاج، و إنما لم يعد قوله: «يوصيكم» إلى (مثل) فينصبه، لأنه كالقول فى حكاية الجملة بعده، و التقدير: قال اللَّه: «فِى أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» و لأن الغرض بالآية الفرق بين الموصى به و الموصى له، فى نحو أوصيت زيداً بعمرو.
و قوله: «فَإِنْ كُنَّ نِساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ» فالظاهر يقتضى أن الثنتين لا يستحقان الثلثين، و إنما يستحق الثلثان إذا كن فوق اثنتين، لكن أجمعت الأمة أن حكم البنتين حكم من زاد عليهما من البنات، فتركنا له الظاهر. و قال أبو العباس المبرد،

---

(1) فى المطبوعة (فنسخ بهذه الآية) بإسقاط ذلک.
(2) (و البنت) ساقطة من المطبوعة. [.....]
(3) سورة الانعام: آية 151.

و اختاره إسماعيل بن إسحاق القاضى: إن فى الآية دليلا على أن للبنتين الثلثين، لأنه إذا قال: «لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» و كان أول العدد ذكراً و أنثى، للذكر الثلثان و للأنثى الثلث علم من ذلک أن للبنتين الثلثين، و أعلم اللَّه أن ما فوق البنتين لهن الثلثان. و حكى الزجاج عمن قال: ذلک معلوم، بقوله تعالى: (يَسْتَفْتُونَکَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَکَ لَيْسَ لَهُ

وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَها نِصْفُ ما تَرَکَ) «1» فجعل للاخت النصف، كما جعل للبنت النصف، ثم قال: «فَإِنْ كانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثانِ» «2» فأعطيت البنتان الثلثين «3»، كما أعطيت الأختان الثلثين و أعطى جملة الأخوات الثلثين، فكذلک جملة البنات. و ذكر عن ابن عباس: أن البنتين بمنزلة البنت، و إنما استحق الثلثين الثلاث بنات فصاعداً. و حكى النظام، فى كتاب النكت، عن ابن عباس: أن للبنتين نصفاً و قيراطاً، قال: لأن للبنت الواحدة النصف، و للثلاث بنات الثلثين، فينبغى أن يكون للبنتين ما بينهما، ثم يشتركان فى النصف و قيراطا بالسوية. و قوله: «وَ إِنْ كانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ» يدل على أن فاطمة (ع) كانت مستحقة للميراث، لأنه عام فى كل بنت، و الخبر المدعى فى أن الأنبياء لا يورثون خبر واحد، لا يترک له عموم الآية لأنه معلوم لا يترک بمظنون. و قوله:
«وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَکَ إِنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ» ليس فى ذلک خلاف، و كذلک إن كان واحد من الأبوين مع الولد، كان له السدس بالتسمية، بخلا خلاف، ثم ينظر، فان كان الولد ذكراً، كان الباقى للولد واحداً كان أو أكثر، بلا خلاف، و كذلک إن كانوا ذكوراً أو اناثاً فالمال بينهم، «لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» و إن كانت بنتاً كان لها النصف، و لأحد الأبوين السدس، و الباقى عندنا يرد على البنت و أحد الأبوين على قدر سهامهما، أيهما كان، لأن قرابتهما سواء، و من خالفنا يقول: إن كان أحد الأبوين اباً كان الباقى له، لأنه عصبة و إن كانت أماً ففيهم من يقول بالرد على البنت و على الأم و منهم من يقول: الباقى لبيت المال،

(1، 2) سورة النساء: آية 175.
(3) فى المخطوطة و المطبوعة (فأعطيت البنتين الثلثان) و هو لحى.

و إنما رددنا عليهما لقوله: «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ» «1» و هاهنا هما متساويان، لأن البنت تتقرب بنفسها إلى الميت، فكذلک أحد الأبوين، و الخبر المدعى فى أن ما أبقت الفرائض فلأولى عصبة ذكر، خبر ضعيف، بينا وجهه فى تهذيب الأحكام، لا يخص به عموم القرآن. و قوله «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَ وَرِثَهُ أَبَواهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ» فمفهومه أن الباقى للأب و ليس فيه خلاف، فان كان فى الفريضة زوج كان له النصف، و للأم الثلث بالظاهر، و ما بقى فللأب.
و من قال: للأم ثلث ما يبقى، فقد ترک الظاهر، و بمثل ما قلناه قال ابن عباس، فان كان بدل الزوج زوجة، كان الأمر مثل ذلک، للزوجة الربع، و للأم الثلث، و الباقى للأب، و به قال ابن عباس، و ابن سيرين.
قوله: «فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ» ففى أصحابنا من يقول: إنما يكون لها السدس إذا كان هناک أب لأن التقدير: فان لم يكن له ولد و ورثه أبواه

فلأمه الثلث، فان كان له إخوة و ورثه أبواه فلأمه السدس، و منهم من قال: إن لها السدس مع وجود الاخوة، سواء كان هناک أب أو لم يكن، و به قال جميع الفقهاء، غير أنا نقول: إن كان هناک أب، كان الباقى للأب، و إن لم يكن أب كان الباقى رداً على الأم، و لا يرث- أحد من الاخوة و الأخوات مع الأم شيئاً، سواء كانوا من قبل أب و أم أو من قبل أب، أو من قبل أم- على حال، لأن الأم أقرب منهم بدرجة، و لا يحجب عندنا من الاخوة إلا من كان من قبل الأب و الأم، أو من قبل الأب، فأما من كان من قبل الأم فحسب، فانه لا يحجب على حال، و لا يحجب أقل من أخوين، أو أخ و أختين، أو أربع أخوات، فأما الأختان فلا يحجبان على حال، و خالفنا جميع الفقهاء فى ذلک فأما الأخوان «2» فلا خلاف أنه تحجب بهما الأم عن الثلث إلى السدس، إلا ما قال ابن عباس: أنه لا يحجب بأقل من ثلثة، لقوله: (إخوة) و الثلاثة أقل الجمع، و حكى عن

---

(1) سورة الانفال: آية 75.
(2) فى المطبوعة (الأخوات).

ابن عباس أيضاً: أن ما يحجبه الاخوة من سهم الأم من الثلث إلى السدس، يأخذه الاخوة دون الأب، و ذلک خلاف ما أجمعت الأمة عليه، لأنه لا خلاف أن أحداً من الاخوة لا يستحق مع الأبوين شيئاً، و إنما قلنا إن اخوة بمعنى أخوين للإجماع من أهل العصر على ذلک، و أيضاً فانه يجوز وضع لفظ الجمع فى موضع التثنية إذا اقترنت به دلالة، كما قال: «إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما» «1» و يقول القائل: ضربت الرجلين أرؤسهما، و من أخويک ظهورهما.
فان قيل: لم حجب الاخوة الأم من غير أن يرثوا مع الأب؟ قلنا: قال قتادة: معونة للأب، لأنه يقوم بنفقتهم، و نكاحهم، دون الأم، و هذا بعينه رواه أصحابنا، و هو دال على أن الاخوة من الأم لا يحجبون، لأن الأب لا يلزمه نفقتهم على حال، و قوله: (آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً) معناه: لا تعلمون أيهم أقرب لكم نفعاً فى الدين و الدنيا، و اللَّه يعلمه، فاقسموه على ما بينه من يعلم المصلحة فيه. و قال بعضهم: الأب يجب عليه نفقة الابن إذا احتاج إليها، و كذلک الابن يجب عليه نفقة الأب مع الحاجة، فهما فى النفع فى هذا الباب سواء، لا تدرون أيهم أقرب نفعاً. و قيل: لا تدرون أيكم يموت قبل صاحبه، فينتفع الآخر بماله.
فان قيل: كيف قدم الوصية على الدين فى هذه الآية و فى التى بعدها، مع أن الدين يتقدم عليها بلا خلاف؟ قلنا: لأن (أو) لا توجب الترتيب، و إنما هى لأحد الشيئين، فكأنه قال: من بعد أحد هذين، مفرداً أو مضموماً إلى الآخر كقولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين، أى جالس أحدهما مفرداً أو مضموماً

إلى الآخر و يجب البدأة بالدين، لأنه مثل رد الوديعة التى يجب ردها على صاحبها، فكذلک حال الدين، وجب رده أولًا، ثم يكون بعده «2» الوصية، ثم الميراث.
و ما قلناه اختاره الجبائى، و الطبرى، و هو المعتمد عليه فى تأويل الآية. و قوله:

---

(1) سورة التحريم: آية 4.
(2) فى المطبوعة (هذه) بدل (بعده)

«فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ» نصب على الحال من قوله: (لأبويه) و تقديره: فلهؤلاء الورثة ما ذكرناه مفروضاً، ف (فريضة) مؤكدة لقوله: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ» هذا قول الزجاج، و قال غيره: هو نصب على المصدر من قوله: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» فرضاً مفروضاً. و قال غيره: يجوز أن يكون نصباً على التمييز من قوله: «فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ» فريضة، كما تقول: هو لک صدقة، أو هبة.
و الثلث، و الربع، و السدس، يجوز فيه التخفيف و التثقيل، فالتخفيف لثقل الضمة، و قال قوم: الأصل فيها التخفيف، و إنما ثقل للاتباع، قال الزجاج: هذا خطأ لأن الكلام وضع على الإيجاز بالتخفيف عن الثقيل.
و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً» قيل «1» فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال سيبويه: كان القوم شاهدوا علماً: و حكمة، و مغفرة، و تفضلا، فقيل لهم: «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً» لم يزل على ما شاهدتم عليه «2» .
و الثانى- قال الحسن: كان اللّه عليما بالأشياء قبل حدوثها، حكيما فيما يقدره و يدبره منها.
الثالث- قال بعضهم: الخبر عن هذه الأشياء بالمضى، كالخبر بالاستقبال و الحال، لأن الأشياء عند اللّه على كل حال فيما مضى و ما يستقبل.
و إنما قال فى تثنية الأب و الأم: أبوان تغليباً للفظ الأب، و يقال أيضاً للأم أبة، و لا يلزم على ذلک أن يقال: فى ابن و ابنة: ابنان، لأنه يوهم، فان لم يوهم جاز ذلک ذكره الزجاج.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 12]..... ص: 133

اشارة

وَ لَكُمْ نِصْفُ ما تَرَكَ أَزْواجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِها أَوْ دَيْنٍ وَ لَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِها أَوْ دَيْنٍ وَ إِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذلِكَ فَهُمْ شُرَكاءُ فِى الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصى بِها أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (12)

---

(1) المطبوعة (فيدخل) بدل (قيل).
(2) هكذا فى المخطوطة و المطبوعة و العبارة فيها ما ترى.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 134
- آية بلا خلاف-. قوله: «وَ لَكُمْ نِصْفُ ما تَرَكَ أَزْواجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ» لا خلاف أن للزوج نصف ما تترك الزوجة إذا لم يكن لها ولد، فان كان لها ولد فله الربع أيضاً بلا خلاف سواء كان الولد منه أو من غيره، و إن كان ولد لا يرث لكونه مملوكا، أو كافراً، أو قاتلا، فلا يحجب الزوج من النصف إلى الربع، و وجوده كعدمه.
و كذلک حكم الزوجة، لها الربع إذا لم يكن للزوج ولد، على ما قلناه فى الزوجة سواء، فان كان له ولد، كان لها الثمن، و ما تستحقه الزوجة إن كانت واحدة فهو لها، و إن كن اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً لم يكن لهن أكثر من ذلک بلا خلاف، و لا يستحق الزوج أقل من الربع فى حال من الأحوال، و لا الزوجة أقل من الثمن على وجه من الوجوه، و لا يدخل عليهما النقصان، و كذلک الأبوان لا ينقصان فى حال من الأحوال من السدسين، لأن العول عندنا باطل على ما بيناه فى مسائل الخلاف. و كل من ذكر اللّه له فرضاً، فإنما يستحقه إذا أخرج من التركة الكفن، و الدين، و الوصية، فان استغرق الدين المال لم تنفذ الوصية، و لا ميراث، و إن بقى نفذت الوصية، ما لم تزد على ثلث ما يبقى بعد الدين، فان زادت ردت إلى الثلث.
و قوله: (وَ إِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ) يعنى من الأم، بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 135

(و كلالة) نصبه يحتمل أمرين:
أحدهما- على أنه مصدر وقع موقع الحال، و تكون كان تامة، و تقديره: يورث متكلل النسب كلالة.
و الثانى- بان يكون خبر كان، ذكره الرمانى، و البلخى، و تقديره (فان كان) (رجل) اسم كان و يورث: صفته. و كلالة خبره. و الأول هو الوجه، لأن (يورث) هو الذى اقتضى ذكر الكلالة، كما تقول: يورث هذا الرجل كلالة، بخلاف من يورث ميراث الصلب، و يورث كلالة عصبة و غير عصبة.

و اختلفوا فى معنى الكلالة، فقال أبو بكر و عمر، و ابن عباس، و ابن زيد، و قتادة، و الزهرى، و ابن إسحاق: هو ما عدا الوالد و الولد «1» . و روى عن ابن عباس فى رواية أخرى، أن الكلالة ما عدا الوالد «2»، و ورث الاخوة من الأم السدس مع الأبوين، و هذا خلاف إجماع أهل الاعصار. و قال ابن زيد:
الميت يسمى كلالة. و قال جابر، و ابن زيد: من عدا الوالد و الولد من الورثة يسمى كلالة، فعلى هذا يسمى الزوج و الزوجة كلالة، و قال قوم: الكلالة هو الميت الذى لا ولد له، و لا والد.
و عندنا أن الكلالة هم الاخوة و الأخوات، فمن ذكر فى هذه الآية هو من كان من قبل الأم، و من ذكر فى آخر السورة فهو من قبل الأب و الأم، أو من قبل الأب.

و أصل الكلالة: الاحاطة، فمنه الإكليل، لاحاطته بالرأس، و منه الكل

(1، 2) فى المخطوطة (ما عدا الولد) فى الموضعين.

لاحاطته بالعدد، و الكلالة لاحاطتها بأصل النسب الذى هو الولد و الوالد، و منه الكلال، لأنه تعب قد أحاط.

و قال أبو مسلم: أصلها من كل إذا أعيا، فكأنه تناول الميراث من بُعدٍ على كلا و إعياء. و قال الحسين بن على المغربى: أصله عندى ما تركه الإنسان وراء ظهره، مأخوذاً من الكلالة، و هى مصدر الأكل، و هو الظهر، و قال: قرأت على أبى أسامة فى كتاب الجحيم، لأبى عمرو الشيبانى: تقول العرب: و لانى فلان أكله على وزن أظله، أى: و لانى ظهره، قال و هذا الاسم تعرفه العرب، و تخبر به عن جملة النسب و الوارثة، قال عامر بن الطفيل:

و أنى و ان كنت ابن فارس عامر و فى السر منها و الصريح المهذب

فما سودتنى عامر عن كلالة أبى اللّه ان أسموا بأم و لا أب «1»

هكذا أنشده الرازى فى كتابه، و ينشد عن وارثة. و قال زياد بن زيد العذرى:

و لم أرث المجد التليد كلالة و لم يأن منى فترة لعقيب

و الكل الثقل، و يقولون لابن الأخ و من يجرى مجراه، ممن يعال على وجه التبرع: هذا كلى، و من قال: إن الأب لا يدخل فى الكلالة استدل بقول الشاعر:

فان أبا المرء أحمى له و مولى الكلالة لا يغضب «2»

فأفرد الأب من الكلالة. و لا خلاف أن الاخوة و الأخوات من الأم يتساوون فى الميراث.

و قوله: «وصية» نصب على المصدر بقوله: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ» وصية و قال الفراء: نصب بقوله:
«فَلِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ» وصية كما تقول: لک درهمان نفقة إلى أهلک، و الأول

---

(1) اللسان (كلل).
(2) اللسان (كل).

أعم قائدة، و أولى. و قوله: «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ» معناه هاهنا: عليم بمصالح خلقه، حليم بامهال من يعصيه، فلا يغتر مغتر بامهاله. و قوله: «وَ إِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ» ثم قال: «وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ» و لم يقل: لهما، كما تقول: من كان له أخ أو أخت فليصله، و يجوز: فليصلها، و يجوز: فليصلهما، فالأول يرد الكناية إلى الأخ، و الثانى على الاخت، و الثالث عليهما، كل ذلک حسن. و قوله: «غَيْرَ مُضَارٍّ» نصب على الحال، يعنى: يوصى بذلک غير مضار. و قال الزجاج: يجوز أن يكون نصباً على أنه مفعول به. و حكى البلخى عن أبى عبيدة، و ذكره الزجاج:
«يورث» بكسر الراء، قال: و معناه من ليس بولد و لا والد، و من نصب الراء أراد المصدر.

و مسائل المواريث و فروعها بسطناها فى النهاية و المبسوط، و أوجزناها فى الإيجاز، فى الفرائض، لا نطول بذكرها فى الكتاب، غير أنا نعقد هاهنا جملة تدل على المذهب فنقول: الميراث يستحق بشيئين: نسب و سبب، فالسبب الزوجية، و الولاء، و الولاء على ثلاثة أقسام: ولاء العتق، و ولاء تضمن الجريرة، و ولاء الامامة، و لا يستحق الميراث بالولاء إلا مع عدم ذوى الأنساب. و الميراث بالزوجية ثابت مع جميع الوراث، سواء ورثوا بالفرض أو بالقرابة، و لا ينقص الزوج عن الربع فى حال، و لا يزاد على النصف، و الزوجة لا تزاد على الربع، و لا تنقص من الثمن على وجه.

و الميراث بالنسب يستحق على وجهين: بالفرض، و القرابة، فالميراث بالفرض لا يجتمع فيه إلا من كانت قرباه واحدة إلى الميت، مثل البنت أو البنات مع الوالدين أو أحدهما، فانه متى انفرد واحد منهم أخذ المال كله، بعضه بالفرض، و الباقى بالرد، و إذا اجتمعا أخذ كل واحد منهم ما سمى له، و الباقى يرد عليهم، إن التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 138

فضل. على قدر سهامهم، و ان نقص، لمزاحمة الزوج أو الزوجة لهم، كان النقص داخلا على البنت أو البنات، دون الأبوين، أو أحدهما، و دون الزوج و الزوجة.

و لا يجتمع مع الأولاد، و لا مع الوالدين، و لا مع أحدهما أحد ممن يتقرب لهما، كالكلالتين فانهما لا تجتمعان مع الأولاد، ذكوراً كانوا أو إناثاً، و لا مع الوالدين، و لا مع أحدهما أباً كان أو أماً، بل تجتمع كلالة الأب و كلالة الأم، فكلالة الأم إن كان واحداً كان له السدس، و إن كانا إثنين فصاعداً كان لهم الثلث، لا ينقصون منه، و الباقى لكلالة الأب، فان زاحمهم الزوج أو الزوجة دخل النقص على كلالة الأب دون كلالة الأم، و لا تجتمع كلالة الأب و الأم مع كلاله الأب خاصة، فان اجتمعا كان المال لكلالة الأب و الأم، دون كلالة الأب، ذكراً كان أو أنثى، أو ذكوراً، أو أناثاً، أو ذكوراً و أناثا «1» و من يورث بالقرابة دون الفرض لا يجتمع إلا [مع] «2» من كانت قرباه واحدة، و أسبابه و درجته متساوية، فعلى هذا لا يجتمع مع الولد للصلب ولد الولد، ذكراً كان ولد الصلب أو أنثى، لأنه أقرب بدرجة، و كذلک لا يجتمع مع الأبوين و لا مع أحدهما من يتقرب بهما من الاخوة و الأخوات، و الجد و الجدة على حال، و لا يجتمع الجد و الجدة مع الولد للصلب، و لا مع ولد الولد و إن نزلوا، و يجتمع الأبوان مع ولد الولد و إن نزلوا، لأنهم بمنزلة الولد للصلب، إذا لم يكن ولد الصلب، و الجد و الجدة يجتمعان مع الاخوة و الأخوات، لأنهم فى درجة واحدة «3» و الجد من قبل الأب بمنزلة الأخ من قبله، و الجدة من قبله بمنزلة الأخت من قبله، و الجد من قبل الأم بمنزلة الأخ من قبلها، و

الجدة من قبلها بمنزلة الأخت من قبلها، و أولاد الاخوة و الأخوات يقاسمون الجد و الجدة، لأنهم بمنزلة آبائهم، و لا يجتمع مع الجد و الجدة من يتقرب بهما من العم و العمة، و الخال و الخالة، و لا الجد الأعلى،

_____

(1) (أو ذكورا و أناثا) ساقطة من المطبوعة.
(2) (مع) ساقطة من المطبوعة. [.....]
(3) فى المطبوعة (د ج و الجد) بإسقاط واحدة و التأنيث من درجة.

و لا الجدة العليا، و على هذا تجرى جملة المواريث، فان فروعها لا تنحصر، و فيما ذكرناه تنبيه على ما لم نذكره.
و أما المسائل التى اختلف قول الصحابة فيها، فقد ذكرناها فى خلاف الفقهاء، فلا وجه لذكرها هاهنا، لأنه يطول به الكتاب.

اشارة

تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ وَ مَنْ یُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ یُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ (13) وَ مَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ یَتَعَدَّ حُدُودَهُ یُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِیها وَ لَهُ عَذابٌ مُهِینٌ (14)
- آیتان بلا خلاف-.

قرأ نافع، و ابن عامر: ندخله بالنون فى الموضعين، الباقون بالياء، فمن قرأ بالياء فلأن ما تقدم لفظ الغائب و من قرأ بالنون عدل عن خطاب الغائب إلى الاخبار عن اللّه بنون العظمة، كما قال: «بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ» «1» و قال بعده:
«سنلقى» فعدل عن الغائب.

قال الفراء، و الزجاج: معنى (تلک) هذه، كأنه قال هذه حدود اللَّه و اختلفوا فى معنى الحدود، فقال السدى: تلک شروط الله، و قال ابن عباس: تلک طاعة الله، و قال قوم: تلک فرائض اللَّه و أمره، و قال قوم: تلک تفصيلات اللَّه لفرائضه، و هو الأقوى، لأن أصل الحد هو الفصل، مأخوذاً من حدود الدار التى تفصلها من غيرها، فمعنى الآية: هذه القسمة التى قسمها اللَّه لكم، و الفرائض التى فرضها لأحيائكم من

---

(1) سورة آل عمران: آية 150.

أمواتكم حدود اللَّه، يعنى فصول بين طاعة اللَّه و معصيته على ما قال ابن عباس، و المعنى تلک حدود طاعة اللَّه، و انما اختص لوضوح المعنى للمخاطبين.

فان قيل: إذا كان ما تقدم ذكره دل على أنها حدود اللَّه، فما الفائدة فى هذا القول؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- للتأكيد، و الثانى- أن الوجه فى إعادته ما علق به من الوعد و الوعيد الصريح.

فان قيل: لم خصت الطاعة فى قسمة الميراث بالوعد، مع أنه واجب فى كل طاعة إذا فعلت لوجه الوجوب؟ قلنا: للبيان عن عظم موقع هذه الطاعة، مع التذكير بما يستحق عليها ترغيباً فيها بوعد مقطوع. و قوله: «يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها» نصب على الحال. قال الزجاج و التقدير:

يدخلهم مقدرين الخلود فيها، و الحال يستقبل فيها، كما تقول: مررت برجل معه باز، صائداً به غدا، أى يقدر الصيد به غدا. و قوله: «وَ ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» معناه الفلاح العظيم، فوصفه بأنه عظيم و لم يبين بالاضافة إلى ما ذا، لأن المراد به أنه عظيم بالاضافة إلى منفعة الخيانة فى التركة، من حيث كان أمر الدنيا حقيراً بالاضافة إلى أمر الآخرة. و قوله: «وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ» معناه يعصى اللَّه فيما بينه من الفرائض، و أموال اليتامى، «وَ يَتَعَدَّ» معناه:

يتجاوز ما بين له، «يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها وَ لَهُ عَذابٌ مُهِينٌ» و خالدا نصب على أحد وجهين.

أحدهما- أن يكون حالا من الهاء فى يدخله.

و الآخرة- أن يكون صفة لنار فى قول الزجاج، كقولک: زيد مررت بدار ساكن فيها، على حذف الضمير، و التقدير: ساكن هو فيها، لأن اسم الفاعل

إذا جرى على غير من هو له لم يتضمن الضمير كما يتضمنه الفعل لو قلت: يسكن فيها.
و استدلت المعتزلة بهذه الآية على أن فاسق أهل الصلاة مخلد فى النار، و معاقب لا محالة، و هذا لا دلالة لهم فيه من وجوه، لأن قوله: «وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ» إشارة التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 141
إلى من يتعدى جميع حدود اللّه، و من كان كذلک فعندنا يكون كافراً، و أيضاً فلا خلاف أن الآية مخصوصة بصاحب الصغيرة، و إن كان فعل المعصية، و تعدى حداً فانه خارج منها، فان جاز لهم إخراج الصغيرة منها لدليل، جاز لنا أن نخرج من يتفضل اللّه عليه بالعفو، أو يشفع فيه النبى (ص). و أيضاً فان التائب لا بد من إخراجه من هذه الآية لقيام الدلالة على وجوب قبول التوبة، فكذلک يجب أن يشترط من يتفضل اللّه بإسقاط عقابه، فان قالوا: قبول التوبة واجب، و العفو ليس بواجب، قلنا: قبول التوبة واجب إذا حصلت، و كذلک سقوط العقاب واجب إذا حصل العفو، فان قالوا: يجوز أن لا يختار اللّه العفو، قلنا:
و كذلک يجوز ألا يختار العاصى التوبة، فان جعلوا الآية دالة على أن اللّه لا يختار العفو، جاز لغيرهم أن يجعل الآية دالة على أن العاصى لا يختار التوبة، على أن هذه الآية معارضة بآيات كثيرة، فى وقوع العفو، كقوله: «وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ يَشاءُ» «1» على ما سنبينه فيما بعد. و قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً» «2» و قوله: «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ» «3» فان شرطوا فى آياتنا التوبة، شرطنا فى آياتهم ارتفاع العفو، و الكلام فى ذلک مستقصىً فى الوعيد، لا نطول بذكره هذا الكتاب. و يمكن- مع تسليم ذلک- أن تحمل الآية على من يتعدى الحدود مستحلا لها، فانه يكون كافراً، و يتناوله الوعيد، على أن عند كثير من المرجئة العموم لا صيغة له، فمن أين ان (من) يفيد جميع العصاة؟
و ما المنكر أن تكون الآية مختصة بالكفار.

وَ اللاَّتِی یَأْتِینَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِکُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَیْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْکُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِکُوهُنَّ فِی الْبُیُوتِ حَتَّی یَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ یَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِیلاً (15)

---

(1) سورة النساء: آية 47، 115.
(2) سورة الزمر: آية 63.
(3) سورة الرعد: آية 7.

- آية بلا خلاف-

قال أكثر المفسرين، كالضحاک، و ابن زيد، و الجبائى، و البلخى، و الزجاج، و مجاهد، و ابن عباس، و قتادة، و السدى: إن هذه الآية منسوخة، لأنه كان الفرض الأول أن المرأة إذا زنت و قامت عليها البينة بذلک، أربعة شهود، أن تحبس فى البيت أبداً حتى تموت، ثم نسخ ذلک بالرجم فى المحصنين، و الجلد فى البكرين.

و اللاتى جمع التى، و كذلک اللواتى، قال الشاعر:

من اللواتى و التى و اللاتى زعمن أن كبرت لداتى «1»

و يجمع اللاتى بإثبات الياء و بحذفها، قال الشاعر:

من اللات لم يحججن يبغين حسبة و لكن ليقتلن البرىء المغفلا «2»

و قوله: «أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» قيل فى معنى السبيل ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و عبد اللَّه بن كثير، أنه الجلد للبكر مائة، و للثيب المحصن الرجم، و إذا جلد البكر فانه ينفى سنة عندنا، و به قال الحسن، و قتادة، و فيه خلاف ذكرناه فى الخلاف.

و [الثانى]- قال الجبائى: النفى يجوز من طريق اجتهاد الامام، و أما من وجب عليه الرجم فانه يجلد أولا ثم يرجم عند أكثر أصحابنا، و به قال الحسن، و قتادة، و عبادة بن الصامت، و جماعة ذكرناهم فى الخلاف. و فى أصحابنا من يقول: ذلک يختص الشيخ و الشيخة، فإذا لم يكونا كذلک فليس عليهما غير الرجم، و أكثر الفقهاء على أنهما لا يجتمعان، و ثبوت الرجم معلوم من جهة التواتر على وجه لا يختلج فيه شک، و عليه اجماع الطائفة، بل اجماع الأمة، و لم يخالف فيه إلا الخوارج، و هم لا يعتقد بخلافهم. و قوله: «يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ» يعنى بالفاحشة،

---

(1) اللسان (لنا) و الصحاح، و التاج. و مجاز القرآن 1: 119 و خزانة الأدب و غيرها و لم يعرف قائله.

(2) نسبه أبو عبيدة الى عمر بن أبى ربيعة و لم نجده فى ديوانه، و نسب الى الحارث بن خلد فى بعض النسخ. مجاز القرآن 1: 120.

و حذف الباء كما يقولون: أتيت أمراً عظيما، أى: بأمر عظيم، و تكلمت كلاماً قبيحاً، أى بكلام قبيح. و قال أبو مسلم: «وَ اللَّاتِى يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ» قال: هما المرأة تخلوا بالمرأة فى الفاحشة المذكورة عنهن، «أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» فالتزويج و الاستغناء بالحلال، و هذا قول مخالف للإجماع، و لما عليه المفسرون، فإنهم لا يختلفون

أن الفاحشة المذكورة فى الآية الزنا، و أن هذا الحكم منسوخ، و هو المروى

عن أبی جعفر (ع) و أبی عبد اللّه (ع).
و لما نزل قوله: «الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِی» «1» قال النبی (ص): قد جعل اللَّه لهن سبيلا، البكر بالبكر، جلد مائة و تغريب عام، و الثيب بالثيب الجلد ثم الرجم.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 16]..... ص: 143

اشارة

وَ الَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما فَإِنْ تابا وَ أَصْلَحا فَأَعْرِضُوا عَنْهُما إِنَّ اللَّهَ كانَ تَوَّاباً رَحِيماً (16)
- آية بلا خلاف-.

قرأ ابن كثير: (و اللذان) بتشديد النون، و كذلک: (هذان) (و فذانک) و وافقه أبو عمرو فى: فذانک. الباقون بالتخفيف، قال أبو على: من شدد النون فوجهه أنه عوض من الحذف الذى لحق الكلمة، لأن قولهم: (ذا) قد حذف لامها، و قد حذف الياء من اللذان فى التثنية، لأن أصله اللذيان، فعوض عن ذلک التشديد، و فى العرب من يقول: اللذ بلا ياء، و فى التثنية اللذا، و فى الجمع اللذو، و للمرأة اللت، و اللتا، و اللات، بلا ياء، وطى تقول مكان الذى: ذو، و مكان التى: ذات.

و المعنى بقوله: (اللذان) فيه ثلاثة أقوال:

---

(1) سورة النور: آية 2.

أولها- قال الحسن، و عطا: الرجل و المرأة، و قال السدى و ابن زيد: هما البكران من الرجال و النساء، و قال مجاهد: هما الرجلان الزانيان، قال الرمانى:

قول مجاهد لا يصح، لأنه لو كان كذلك لم يكن للتثنية معنى، لأنه إنما يجىء الوعد و الوعيد بلفظ الجمع، لأنه لكل واحد منهم، أو بلفظ الواحد لدلالته على الجنس الذى يعم جميعهم، و أما التثنية فلا فائدة فيها، قال: و الأول أظهر. قال أبو مسلم:

هما الرجلان يخلوان بالفاحشة بينهما،

و روى عن النبى (ص) أنه قال: السحاق زناء النساء بينهن، و مباشرة الرجل للرجل زناء، و مباشرة المرأة للمرأة زناء

، قال: و لا يعرف فى كلام العرب جمع بين الذكر و الأنثى فى لفظ التذكير إلا إذا تقدمه ما يدل عليه، كقوله: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ» ثم قال: «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ» «1» و إلى هذا التأويل فى معنى الرجلين ذهب أهل العراق، فلا يحدون للوطى، و هذا قول بعيد، و الذى عليه جمهور المفسرين أن الفاحشة الزنا، و أن الحكم المذكور فى الآية منسوخ بالحد المفروض فى سورة النور، ذهب إليه الحسن، و مجاهد، و قتادة، و السدى، و ابن زيد، و الضحاك، و البلخى، و الجبائى، و الطبرى، و الزجاج، و غيرهم. و بعضهم قال: نسخها الحدود بالرجم أو الجلد.

و قوله: «فَآذُوهُما» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس: هو التغيير باللسان، و الضرب بالنعال. و قال قتادة، و السدى، و مجاهد: هو التعيير و التوبيخ، فان قيل: كيف ذكر الأذى بعد الحبس؟ قلنا: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- قال الحسن إن هذه الآية نزلت أولا، ثم أمر بأن توضع فى التلاوة بعد، فكان الأذى أولا، ثم الحبس، بعد ذلك، ثم «2» نسخ الحبس بالجلد أو بالرجم.

الثانى- قال السدى: انه فى البكرين خاصة، دون الثيبين، و الأولى فى

---

(1) سورة الأحزاب: آية 35.

(2) (ثم) ساقطة من المطبوعة.

الثيبين دون البكرين.
و الثالث- قال الفراء: هذه الآية نسخت الاولى، قال أبو على الجبائى:
فى الآية دلالة على نسخ القرآن بالسنة، لأنها نسخت بالرجم أو الجلد، و الرجم ثبت بالسنة، و من خالف فى ذلك يقول: هذه الآية نسخت بالجلد فى الزنا، و أضيف إليه الرجم زيادة لا نسخاً، فلم يثبت نسخ القرآن بالسنة. فأما الأذى المذكور فى الآية، فليس بمنسوخ، فان الزانى يؤذى و يعنف، و يوبخ على فعله، و يذم. و إنما لا يقتصر عليه، فزيد فى الأذى إقامة الحد عليه، و إنما نسخ الاقتصار عليه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 17]..... ص: 145

اشارة

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِکَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (17)
- آية واحدة-.

التوبة هى الندم على القبيح مع العزم على ألا يعود إلى مثله فى القبح، و فى الناس من قال: يكفى الندم على ما مضى من القبيح، و العزم على ألا يعود إلى مثله، و الاول أقوى، لإجماع الأمة على أنها إذا حصلت على ذلک الوجه أسقطت العقاب، و إذا حصلت على الوجه الثانى ففى سقوط العقاب عنها خلاف، و قد ذكر اللَّه تعالى فى هذه الآية أن التوبة إنما يقبلها ممن يعمل السوء بجهالة، و قيل فى معنى بجهالة أربعة أقوال:
أحدها- قال مجاهد، و قتادة، و ابن عباس، و عطاء و ابن زيد: هو أن يفعلوها على جهة المعصية للَّه تعالى، لأن كل معصية لها جهالة، لأنه يدعو اليها الجهل، و يزينها للعبد، و إن كانت عمدا.
الثانى- بجهالة، أى بحال كحال الجهالة، التى لا يعلم صاحبها ما عليه فى

مثلها من المضرة.
الثالث. قال الفراء: معنى (بجهالة) أى لا يعلمون كله ما فيه من العقوبة، كما يعلم الشىء ضرورة.
الرابع- (بجهالة) أى و هم يجهلون أنها ذنوب و معاصى، اختاره الجبائى، قال: يفعلونها بجهالة إما بتأويل يخطئون فيه، أو بان يفرطوا فى الاستدلال على قبحها، قال الرمانى:
هذا ضعيف، لأنه تأويل بخلاف ما أجمع عليه المفسرون، قال أبو العالية: إن أصحاب رسول اللَّه (ص) كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فبجهالة، و قال قتادة:
أجمع أصحاب رسول اللَّه (ص) على ذلک، و أيضاً فانه يوجب أن من علم أنها ذنوب أن لا يكون له توبة، لأن قوله: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ» يفيد أنه لهؤلاء دون غيرهم، و ظاهر الآية يدل على أن اللَّه يقبل التوبة من جميع المعاصى كفراً كان أو قتلا أو غيرهما من المعاصى، و يقربه أيضاً قوله: «وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...» إلى قوله: «إِلَّا مَنْ تابَ» «1» فاستثنى من القتل، كما استثنى من الزنا و الشرک، و حكى عن الحسن أنه قال: لا يقبل اللَّه توبة القاتل. و روى أنه إنما قال ذلک لرجل كان عزم على قتل رجل على أن يتوب فيما بعد، فأراد صده عن ذلک.
و قوله «فَأُولئِکَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» بعد قوله «ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ» معناه إن اللَّه يقبل توبتهم إذا تابوا و أتابوا، و قوله: «من قريب» حث على أن التوبة يجب أن تكون عقيب المعصية، خوفا من الاختزام، و ليس المراد بذلک أنها لو تأخرت لما قبلت. و قال الزجاج: معناه ثم يتوبون قبل الموت، لأن ما بين الإنسان و بين الموت قريب، و التوبة مقبولة قبل اليقين بالموت.

و قال الحسن، و الضحاک، و ابن عمر: القریب ما لم یعاین الموت.
و قال علی (ع)، و قد قیل له: فان عاد؟ قال: یغفر اللّه له و یتوب، مراراً، قیل:
إلی متی؟ قال: حتی یکون الشیطان هو المحسور.
و قال السدی، و ابن عباس:
فی حال الصحة قبل الموت. و قوله: «وَ کانَ اللَّهُ عَلِیماً حَکِیماً» معناه هاهنا: و کان اللّه

---

(1) سورة الفرقان: آیة 68- 70.

علیما بتوبتهم إن تابوا، و إصرارهم إن أصروا، حکیما فی مؤاخذتهم إن لم یتوبوا.
و روی عن النبی (ص) انه قال: لما هبط إبلیس قال: و عزتک و عظمتک، لا أفارق ابن آدم حتی تفارق روحه جسده، فقال اللّه: و عزتی و عظمتی لا أحجب التوبة عن عبدی حتی یغرغر.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 18]..... ص: 147

اشارة

وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَ لا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (18)
آية واحدة-.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه لا يقبل التوبة من الذي يعمل المعاصى حتى إذا حضره الموت قال: إنى تبت الآن، و أجمع أهل التأويل على أن الآية تناولت عصاة أهل الصلاة، إلا ما حكى عن الربيع أنه قال: إنها فى المنافقين، و هذا غلط لأن المنافقين كفار، و قد بين اللَّه الكفار بقوله. «وَ لَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ» و قال الربيع أيضاً: إن الآية منسوخة بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ» «1» . و هذا خطأ لأن النسخ لا يدخل فى الخبر الذى يجرى هذا المجرى، و من جوز العفو بلا توبة يمكنه أن يقول: إن التوبة التى وعد اللَّه بإسقاط العقاب عندها قطعا متى حصلت فى هذا الوقت لا يسقط العقاب، و لا يمنع ذلک من أن يتفضل اللَّه بإسقاط العقاب ابتداء بلا توبة، كما لو خرج من دار الدنيا من غير توبة أصلا، لم يمنع ذلک من جواز العفو عنه، فليس فى الآية ما ينافى القول بجواز العفو من غير توبة. و قال جميع المفسرين، كابن عباس، و ابن عمر، و ابراهيم، و ابن زيد، و غيرهم: إن الذين يحتضرون لا تقبل لهم توبة، غير إن الذين يحضرون الميت لا يعرفون تلک الحال معرفة يمكن

---

(1) سورة النساء: آية 47.

بها الاشارة إليها. فان قيل: فلم لم تقبل التوبة فى الآخرة؟ قيل: لرفع التكليف، و حصول الالجاج إلى فعل الحسن دون القبيح، و الملجأ لا يستحق بفعله ثواباً و لا عقابا، لأنه يجرى مجرى الاضطرار. و حكى الرمانى عن قوم أنهم قالوا بتكليف أهل الآخرة، و ان التوبة إنما لم يجب قبولها، لأن صاحبها هناک فى مثل حال المتعوذ بها، لا المخلص فيها و هذا خطأ، لأن اللَّه تعالى يعلم أسرارهم كما يعلم إعلانهم. و قوله: «أُولئِکَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً» معناه أعددنا، و قال قوم:

التاء بدل من الدال، و قال آخرون هو أفعلنا من العتاد، و معناه أعددنا، و عتاد الرجل: عدته، و هو الأصل. و الشىء العتيد هو المعد، و العتيدة: طلبة معدة للطيب، و معنى إعداد العذاب لهم، إنما هو بخلق النار التى هى مصيرهم. و الأليم بمعنى المؤلم. و ليس فى الآية ما يمنع من جواز العفو عن مرتكبى الكبائر بلا توبة، لأن قوله: (أولئک) يحتمل أن يكون راجعاً إلى الكفار لأنه جرى ذكر الكفار و هم أقرب إلى أولئک من ذكر الفساق، و يحتمل أن يكون التقدير: أعتدنا لهم عذاباً، إن لم نشأ العفو عنهم، و تكون الفائدة فيه إعلامهم ما يستحقونه من العذاب، و ألا يأمنوا أن يفعل بهم ذلک، و إن كان تعالى يعلم هل يعفو أو لا يعفو.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 19]..... ص: 148

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَ عاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً (19) آية بلا خلاف-.

قرأ (بفاحشة مبينة) بفتح الياء، ابن كثير، و أبو بكر، عن عاصم.
الباقون بالكسر، و هو الأقوى، لأنه لا يقصد إلى إظهارها. و قرأ حمزة و الكسائى التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 149
(كرهاً) بضم الكاف هنا و فى التوبة و الأحقاف، وافقهما فى الأحقاف عاصم، و ابن عامر، إلا الحلوانى، و يعقوب.
الكره و الكُره لغتان، مثل الشهيد و الشُهد، و الضعف و الضعف، و الفقر و الفقر.

هذا الخطاب متوجه إلى المؤمنين، نهاهم اللَّه أن يرثوا النساء كرها، و اختلفوا فى معنى ذلک، فقال الزهرى، و الجبائى، و غيرهما،
و روى ذلک عن أبى جعفر (ع): هو أن يحبس الرجل المرأة عنده، لا حاجة له اليها، و ينتظر موتها حتى يرثها.
فنهى اللَّه (تعالى) عن ذلک.
و قال الحسن، و مجاهد:
معناه ما كان يعمله أهل الجاهلية، من أن الرجل إذا مات، و ترک امرأته قال وليه: ورثت امرأته، كما ورثت ماله، فان شاء تزوجها بالصداق الأول، و لا يعطيها شيئاً، و إن شاء زوجها و أخذ صداقها، و روى ذلک أبو الجارود، عن أبى جعفر (ع).
و قال مجاهد: إذا لم يكن الولى ابنها قال أبو مجلز: و كان أولى بالميراث أولى بها من ولى نفسها. و قوله:
«وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ» قيل فيمن عنى بهذا النهى أربعة أقوال:
أحدها- قال ابن عباس، و قتادة، و السدى، و الضحاک: هو الزوج أمره اللَّه بتخلية السبيل إذا لم يكن له فيها حاجة، و لا يمسكها إضراراً بها، حتى تقتدى ببعض مالها.
و الثانى- قال الحسن: هو الوارث، نهى عن منع المرأة من التزويج، كما يفعل أهل الجاهلية على ما بيناه.
و الثالث- قال مجاهد: المراد الولى.
الرابع- قال ابن زيد: المطلق يمنعها من التزويج، كما كانت تفعل قريش فى الجاهلية، ينكح الرجل منهم المرأة الشريفة، فإذا لم توافقه فارقها، على أن لا تتزوج إلا باذنه، فيشهد عليها بذلک، و يكتب كتاباً، فإذا خطبها خاطب، فان أعطته التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 150
و أرضته، أذن له و إن لم تعطه عضلها، فنهى اللَّه عن ذلک. و الأول أظهر الأقاويل.

و العضل هو التضييق بالمنع من التزويج، و أصله الامتناع، يقال: عضلت الدجاجة ببيضتها: إذا عسرت عليها، و منه العضلة: لصلابتها، و منه الداء العضال إذا لم يبرء، و عضل الفضا بالجيش الكثير إذا لم يمكن سلوكه لضيقه.

و قوله: «إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» قيل فيه قولان:
أحدهما- قال الحسن، و أبو قلابة، و السدى: يعنى الزنا، و قالوا إذا أطلع منها على زينة فله أخذ الفدية.
و الثانى- قال ابن عباس، و الضحاك، و قتادة:
هو النشوز، و الأولى حمل الآية على كل معصية، لأن العموم يقتضى ذلك، و هو المروى عن أبى جعفر (ع)
و اختاره الطبرى. و قوله: «وَ عاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» قال السدى: معناه خالطوهن، و خالقوهن، من العشرة التى هى المصاحبة بما أمركم اللّه به من المصاحبة، بأداء حقوقهن التى أوجبها على الرجال، أو تسريح بإحسان. و قوله: «فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً» يعنى فى إمساكهن على كره منكم «خَيْراً كَثِيراً» من ولد يرزقكم، أو عطفكم عليهن بعد الكراهية، و به قال ابن عباس، و مجاهد.

و الهاء فى فيه، يحتمل أن ترجع إلى الشىء فى قوله: «أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً» و يحتمل أن تكون راجعة إلى الذى يكرهونه. و قوله: «وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ» يحتمل أن يكون جزماً بالنهى، و يحتمل أن يكون نصباً بالعطف على قوله: «لا يَحِلُّ

أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ»
و فى قراءة عبد اللّه: «و لا أن تعضلوهن» بإثبات أن.

و قيل فى سبب نزول هذه الآية أن أبا قيس بين الأسلت لما مات عن زوجته كبشة بنت معن بن عاصم، أراد ابنه أن يتزوجها، فجاءت إلى النبى (ص) فقالت:
يا نبى اللّه: لا أنا ورثت زوجى، و لا أنا تركت فأنكح، فنزلت هذه الآية، ذكره أبو جعفر عليه السلام
، و غيره.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 20]..... ص: 151

اشارة

وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً (20)
- آية-

أخذ مال المرأة، و إن كان محرماً على كل حال من غير أمرها، فإنما خص اللّه تعالى الاستبدال بالنهى، لأن مع الاستبدال قد يتوهم جواز الاسترجاع، من حيث أن الثانية تقوم مقام الأولى، فيكون لها ما أعطيته الأولى، فبين اللّه تعالى أن ذلک لا يجوز. و المعنى: إن أردتم تخلية المرأة سواء استبدل مكانها أو لم يستبدل. و قوله: «وَ آتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً» معناه: ليس ما آتيتموهن موقوفاً على التمسک بهن، دون تخليتهن، فيكون إذا أردتم الاستبدال جاز لكم أخذه، بل هو تمليک صحيح، لا يجوز الرجوع فيه. و المراد بذلک ما أعطى المرأة مهراً لها، و يكون دخل بها، فأما إذا لم يدخل بها، و طلقها، جاز له أن يسترجع نصف ما أعطاها، فأما ما أعطاها على وجه الهبة، فظاهر الآية يقتضى أنه لا يجوز له الرجوع فى شىء منه. لكن علمنا بالسنة أن ذلک سائغ له، و إن كان مكروهاً.

و القنطار المال الكثير. و اختلفوا فى مقداره، فقال بعضهم هو ملء جلد ثور ذهباً، و قال آخرون: هو دية الإنسان، و غير ذلک من الأقوال التى قدمنا ذكرها فيما مضى. و أصل ذلک مأخوذ من القنطرة، و منه القنطرة الداهية، لأنها كالقنطرة فى عظم الصورة، و إحكام البنية. و يقال: قنطر فِي الأمر يقنطر: إذا عظمه، بتكثير الكلام فيه، من غير حاجة إليه. و قوله: «أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- يعنى بهتاناً ظلماً كالظلم بالبهتان، و قيل بطلاناً كبطلان البهتان.
الثانى- بهتاناً أى بأن تبهتوا أنكم ملكتموه فتسترجعوه «1» و أصل البهتان الكذب الذى يواجه به صاحبه على وجه المكابرة، و أصله التحير، و منه قوله: «فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ» «2» أى تحير عند انقطاع حجته، فالبهتان كذب يحير صاحبه. و نصب بهتاناً على أنه حال فى موضع المصدر، و المعنى أ تأخذونه مباهتين و آثمين. و قوله: «مبيناً» أى ظاهرا لا شک فيه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 21]..... ص: 152

اشارة

وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَ قَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً (21)
آية بلا خلاف-.

قيل فى نسخ هذه الآية، و التى قبلها، ثلاثة أقوال:
أحدها- أنها محكمة ليست منسوخة، لكن للزوج ان يأخذ الفدية من المختلعة، لأن النشوز منها، فالزوج فى حكم المكره لا المختار للاستبدال، و لا

---

(1) فى المطبوعة (لتستوجبوه).
(2) سورة البقرة: آية 258. [.....]

يتنافى حكم الآيتين، فلا يحتاج إلى نسخ إحداهما بالأخرى.
الثانى- قال بكر بن عبد اللَّه المزنى: هى محكمة، و ليس للزوج لأجل ظاهرها أن يأخذ من المختلعة شيئاً، و لا من غيرها.
الثالث- قال ابن زيد، و السدى: هى منسوخة بقوله: «إِلَّا أَنْ يَخافا أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ» «1» و قيل فى معنى الإفضاء قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و مجاهد، و السدى: هو كناية عن الجماع.
الثانى- انه الخلوة، و إن لم يجامع، فليس له أن يسترجع نصف المهر، و إنما يجوز ذلك فيمن لم يدخل بها بالخلوة معها. و كلاهما قد رواه أصحابنا، و اختلفوا فيه، و الاول هو الأقوى.

و الإفضاء إلى الشىء هو الوصول إليه بالملابسة له، قال الشاعر:
بلى و ثأى أفضى الى كل كئبة بدا سيرها من ظاهر بعد باطن «2»
أى وصل البلى و الفساد إلى الحزز، و الفضاء السعة، فضا يفضو فضواً و فضاء إذا اتسع، و منه: تمر فضا، مقصور أى مختلط، و قوله: «وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً» قيل فى معناه أربعة أقوال:
أحدها- قال الحسن، و ابن سيرين، و الضحاک، و قتادة، و السدى، و الفراء، و هو
المروى عن أبى جعفر (ع) أنه قوله: «فَإِمْساکٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ» «3»
و قال مجاهد، و ابن زيد، هو كلمة نكاح، التى يستحيل بها الفرج.
الثالث-
قول النبى (ص): أخذتموهن بأمانة اللَّه و استحللتم فروجهن

---

(1) سورة البقرة: آية 229.
(2) لم يعرف قائله. و هو فى تفسير الطبرى، 8- 124 مشوه محرف و لم نجده فى مصادرنا.
(3) سورة البقرة: آية 229.

بكلمة اللَّه.
الرابع- قال قتادة: كان يقال للنكاح فى صدر الإسلام الله عليک لتمسكن بمعروف أو لتسرحن بإحسان، و هذا الكلام و إن كان ظاهره للاستفهام، فالمراد به التوبيخ، و التهديد، كما يقول القائل لغيره. كيف تفعل هذا و أنا غير راض به، على وجه التهدد له.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 22]..... ص: 154

اشارة

وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلاَّ ما قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ مَقْتاً وَ ساءَ سَبِيلاً (22)

قيل فى معنى الآية قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و قتادة، و عطاء، و عكرمة: إنه حرَّم عليهم ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من نكاح امرأة الأب.
و الثانى- أن يكون «ما نَكَحَ» بمنزلة المصدر، و التقدير: و لا تنكحوا نكاح آبائكم، أى مثل نكاح آبائكم، فعلى هذا يدخل فيه النهى عن حلائل الاباء، و كل نكاح كان لهم فاسداً، و هو اختيار الطبرى و قال: إن هذا الوجه أجود، لأنه لو أراد حلائل الآباء لقال:
لا تنكحوا من نكح آباؤكم، و هذا ليس بطعن، لأنه ذهب به مذهب الجنس، كما يقول القائل: لا تأخذ ما أخذ أبوك من الإماء، فيذهب به مذهب الجنس ثم يفسره.
ب (من). و قوله: «إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ» معنى إلا لكن، و كذلك كل استثناء منقطع، كقول القائل: لا تبع من متاعى إلا ما بعت، أى لكن ما بعت فلا جناح عليك فيه، و قيل فى معنى الآية قولان:
أحدهما- «إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ» فإنكم لا تؤخذون به.
الثانى- حكاه بعضهم: «إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ» فدعوه فهو جائز لكم، قال التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 155
البلخى: و هذا لا يجوز بالإجماع. و الهاء فى قوله: «إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً» يحتمل أن تكون عائدة إلى النكاح بعد النهى، و يحتمل أن تكون عائدة على النكاح الذى كان عليه أهل الجاهلية، قبل، و لا يكون ذلك إلا و قد قامت عليهم الحجة بتحريمه، من جهة الرسل، فالأول اختاره الجبائى، و هو الأقوى، و تكون «إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ» فالسلامة منه الاقلاع عنه بالتوبة و النابة، قال البلخى: و ليس كل نكاح حرمه اللَّه زنا، لأن الزنا هو فعل مخصوص، لا يجرى على طريقة لازمة، و سنة جارية، و لذلك لا يقال للمشركين فى الجاهلية: أولاد زنا، و لا لأولاد أهل الذمة و المعاهدين: أولاد زنا، إذا كان ذلك عقداً بينهم يتعارفونه.

و المقت، هو بغض عن أمر قبيح ركبه صاحبه، و هو مقيت، و قد مقت إلى الناس مقاتة، و مقته الناس مقتاً، فهو ممقوت. و قيل إن ولد الرجل من امرأة أبيه كان يسمى المقتى، قال المبرد: كان زائدة، و التقدير: إنه فاحشة. و قال الزجاج: هذا ليس بصحيح، لأنها لو كانت زائدة لم تعمل، كما قال الشاعر:

فكيف إذا حللت ديار قوم و جيران لنا كانوا كرام

لما كانت زائدة لم تعمل فى الخير. و قال الرمانى: هى كقوله «وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» فدخلت كان لتدل على أنه قبل تلك الحال كذا، و قال الجبائى:

معناه أنه كان فيما مضى أيضاً فاحشة و مقتا، و كان قد قامت الحجة عليهم بذلک. و كل من عقد عليها الأب من النساء تحرم على الابن، دخل بها الأب، أو لم يدخل، بلا خلاف، فان دخل بها الأب على وجه السفاح فهل تحرم على الابن ففيه خلاف. و عموم الآية يقضى بأنها تحرم عليه، لأن النكاح يعبر به عن الوطى، كما يعبر به عن العقد، فيجب أن يحمل عليهما، و امرأة الأب و إن علا تحرم على الابن و ان نزل، بلا خلاف. و قوله: «وَ ساءَ سَبِيلًا» أى قبح ذلک السبيل الذى سلكوه سبيلا، و هو نصب على التمييز.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 23]..... ص: 156

اشارة

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَ بَناتُكُمْ وَ أَخَواتُكُمْ وَ عَمَّاتُكُمْ وَ خالاتُكُمْ وَ بَناتُ الْأَخِ وَ بَناتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهاتُكُمُ اللاَّتِی أَرْضَعْنَكُمْ وَ أَخَواتُكُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ وَ أُمَّهاتُ نِسائِكُمْ وَ رَبائِبُكُمُ اللاَّتِی فِی حُجُورِكُمْ مِنْ نِسائِكُمُ اللاَّتِی دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ وَ حَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلاَّ ما قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (23)
آية بلا خلاف-.

فى الناس من اعتقد أن هذه الآية و ما يجرى مجراها، كقوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» «1» مجملة لا يمكن التعلق بظاهرها فى تحريم شىء، و إنما يحتاج إلى بيان قالوا: لأن الأعيان لا تحرم و لا تحل، و إنما يحرم التصرف فيها، و التصرف يختلف، فيحتاج إلى بيان التصرف المحرم، دون التصرف المباح، و الأقوى أنها ليست مجملة، لأن المجل هو ما لا يفهم المراد بعينه بظاهره، و ليست هذه الآية كذلک لأن المفهوم من ظاهرها تحريم العقد عليهن، و الوطى، دون غيرهما من أنواع الفعل، فلا يحتاج إلى البيان مع ذلک، و كذلک قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» المفهوم الأكل، و البيع، دون النظر إليها، أو رميها، و ما جرى مجراهما كيف و قد تقدم هذه الآية ما يكشف عن أن المراد ما بيناه من قوله: «وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ» فلما قال. بعده: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ» كان المفهوم

---

(1) سورة المائدة: آية 4.

أيضاً تحريم نكاحهن، و قد استوفينا ذلک فى العدة فى أصول الفقه، فلا نطول بذكره هاهنا.

قال ابن عباس: حرّم اللَّه فى هذه الآية سبعاً بالنسب، و سبعاً بالسبب، فالمحرمات من النسب الأمهات، و يدخل فى ذلک أمهات الأمهات و إن علون، و أمهات الآباء مثل ذلک، و البنات، و يدخل فى ذلک بنات الأولاد و أولاد البنين و أولاد البنات و إن نزلن، و الأخوات، سواء كن لأب و أم أو لأب أو لأم، و كذلک العمات و الخالات، و إن علون، من جهة الأب كن أو من جهة الأم، و بنات الأخ، و بنات الأخت و إن نزلن.

و المحرمات بالسبب الأمهات من الرضاعة، و الأخوات أيضاً من الرضاعة، و كل من يحرم بالسبب يحرم مثله بالرضاع، و

لقوله (ص): (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)

و أمهات النساء يحرمن بنفس العقد، و إن لم يدخل بالبنت، على قول أكثر الفقهاء، و به قال ابن عباس، و الحسن، و عطاء، و قالوا: هى مبهمة، و خصوا التقييد بقوله: «وَ رَبائِبُكُمُ اللَّاتِى فِى حُجُورِكُمْ مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ»

و رووا عن على (ع)، و زيد بن ثابت، أنه يجوز العقد على الأم ما لم يدخل بالبنت،

و جعلوا قوله: «مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» راجعاً إلى جميع من تقدم من أمهات النساء، و الربائب.

و الربائب: جمع ربيبة، و هى بنت الزوجة من غيره، و يدخل فيه أولادها و إن نزلن، و سميت بذلک لتربيته إياها، و معناها مربوبة، نحو قتيلة فى موضع: مقتولة، و يجوز أن تسمى ربيبة سواء تولى تربيتها و كانت فى حجرة، أو لم تكن، لأنه إذا تزوج بأمها سمى هو رابها، و هى ربيبته، و العرب تسمى الفاعلين و المفعولين بما يقع بهم، و يوقعونه، و يقولون: هذا مقتول، و هذا ذبيح، و إن لم يقتل بعد و لم يذبح، إذا كان يراد قتله أو ذبحه، و كذلک يقولون: هذه التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 158
أضحية لما أعد للتضحية، و كذلک: هذه قتوبة، و حلوبة، أى مما يقتب، و يحلب فمن قال: إنه لا تحرم بنت الزوجة إلا إذا تربت فى حجره فقد أخطأ على ما قلناه و يقال: لزوج المرأة: ربيب ابن امرأته، يعنى به رابه، نحو: شهيد، بمعنى شاهد، و خبير، بمعنى خابر، و عليهم، بمعنى عالم.

و قوله: «مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِی دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» قال المبرد: «اللَّاتِی دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» نعت للنساء اللواتی من أمهات الربائب لا غير قال: لإجماع الناس على أن الربيبة تحل إذا لم يدخل بأمها، و إن من أجاز أن يكون قوله: (مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِی دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) هو لأمهات نسائكم فيكون معناه: أمهات نسائكم من نسائكم اللاتی دخلتم بهن، فيخرج أن يكون اللاتی دخلتم بهن لأمهات الربائب، قال الزجاج: لأن الخبرين إذا اختلفا لم يكن نعتهما واحداً، لا يجيز النحويون: مررت بنسائک، و هربت من نساء زيد الظريفات، على أن يكون (الظريفات) نعتاً لهؤلاء النساء، و هؤلاء النساء. و قال:
من اعتبر الدخول بالنساء، لتحريم أمهاتهن يحتاج أن يقدر: أعنی، فيكون التقدير: و أمهات نسائكم أعنی اللاتی خلتم بهن، و ليس بنا إلى ذلک حاجة.

و الدخول المذكور فى الآية قيل فيه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس: هو الجماع، و اختاره الطبرى.
الثانى- قال عطاء: و ما جرى مجراه من المسيس، و هو مذهبنا، و فيه خلاف بين الفقهاء. و قوله: «وَ حَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ» يعنى نساء البنين للصلب، دخل بهن البنون أو لم يدخلوا، و يدخل فى ذلك أولاد الأولاد من البنين و البنات، و إنما قال «من أصلابكم» لئلا يظن أن امرأة من يتبنى به تحرم عليه.

و
قال عطاء: نزلت الآية حين نكح النبى (ص) امرأة زيد بن حارثة، فقال

المشركون فى ذلك، فنزلت: «وَ حَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ» و قال: «وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ» «1» و قال: «ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ» «2» فأما حلائل الأبناء من الرضاعة فمحرمات بقوله (ص): (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب).
و إنما سميت المرأة حليلة لأمرين:
أحدهما- لأنها تحل معه فى فراش.
الثانى- لأنه يحل له وطؤها. و قوله: «وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ» فيه تحريم الجمع بينهما فى عقد واحد، و تحريم الجمع بينهما فى الوطى بملك اليمين، فإذا وطأ إحداهما لم تحل له الأخرى حتى يخرج تلك من ملكه، و هو قول الحسن، و أكثر المفسرين و الفقهاء، و روى عن ابن عباس أنه أجاز الجمع بينهما بملك اليمين، و توقف فيهما على و عثمان، و باقى الصحابة حرموا الجمع بينهما.
و روى عن على (ع) أنه قال: حرمتها آية، و أحلتهما أخرى، و أنا أنهى عنهما نفسى، و ولدى، فغلب التحريم.
و من أجاز الجمع بينهما فى الوطى بملك اليمين- على ما يذهب إليه داود و قوم من أهل الظاهر- فقد أخطأ فى الأختين، و كذلك فى الربيبة و أم الزوجة، لأن قوله:
«وَ أُمَّهاتُ نِسائِكُمْ» يدخل فيه المملوكة، و المعقود عليها، و كذلك قوله: «مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» يتناول الجميع، و كذلك قوله: «وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ» عام فى الجميع على كل حال، فى العقد و الوطى، و إنما أخرجنا جواز ملكهما بدلالة الإجماع، و لا يعارض ذلك قوله: «أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» لأن الغرض بهذه الآية مدح من يحفظ فرجه إلا عن الأزواج، أو ملك الايمان، فأما كيفية ذلك فليس فيه، و يمكن الجمع بينهما بأن يقال:

«أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» إلا على وجه الجمع بين الأم و البنت، أو الأختين و السابعة قوله: «وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ» و هى امرأة الأب، سواء

---

(1) سورة الأحزاب: آية 4.
(2) سورة الأحزاب: آية 40.

دخل بها أو لم يدخل، و يدخل فى ذلك نساء الأجداد و إن علوا، من قبل الأب و الأم بلا خلاف. و قوله: «إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ» استثناء منقطع، و تقديره: لكن ما سلف لا يؤاخذكم اللَّه به، و ليس المراد أن ما سلف حال النهى تجوز استدامته، بلا خلاف. و قيل إن إلا بمعنى سوى. و قوله: «وَ أَنْ تَجْمَعُوا» (أن) فى موضع الرفع، و التقدير: حرمت عليكم هذه الأشياء، و الجمع بين الأختين، و كل من جرمه اللَّه فى هذه الآية فإنما هو على وجه التأبيد، مجتمعات و منفردات، إلا الأختين فإنهما تحرمان على وجه الجمع دون الانفراد.
و يمكن أن يستدل بهذه الآية على أنه لا يصح أن يملك واحدة من ذوات الأنساب المحرمات، لأن التحريم عام، و
بقوله (ص) (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)
على أنه لا يصح ملكهن من جهة الرضاع، و إن كان فيه خلاف. و أما المرأة التى وطؤها بلا تزويج، و لا ملك، فليس فى الآية ما يدل على أنه يحرم وطى أمها و بنتها، لأن قوله: «وَ أُمَّهاتُ نِسائِكُمْ» و قوله: «مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» يتضمن إضافة الملك، إما بالعقد أو بملك اليمين، فلا يدخل فيه من وطأ من لا يملك وطأها، غير أن قوماً من أصحابنا ألحقوا ذلك بالموطوءة بالعقد و الملك بالسنة و الأخبار المروية فى ذلك، و فيه خلاف بين الفقهاء.
و أما الرضاع فلا يحرم عندنا إلا ما كان خمس عشرة رضعة متواليات، لا يفصل بينهن برضاع امرأة اخرى، أو رضاع يوم و ليلة، أو ما أنبت اللحم و شد العظم.
و فى أصحابنا من حرم بعشر رضعات. و متى دخل بين الرضاع رضاع امرأة أخرى، بطل حكم ما تقدم. و حرم الشافعى بخمس رضعات، و لم يعتبر التوالى. و حرم أبو حنيفة بقليله و كثيرة، و هو اختيار البلخى. و فى أصحابنا من ذهب اليه.
و اللبن عندنا للفحل، و معناه إذا أرضعت امرأة بلبن فحل لها صبياناً كثيرين، من أمهات شتى، فإنهم جميعهم يصيرون أولاد الفحل، و يحرمون على جميع أولاده الذين ينتسبون إليه ولادة و رضاعاً، و يحرمون على أولاد المرضعة الذين ولدتهم، فأما التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 161
من أرضعته بلبن غير هذا الفحل، فإنهم لا يحرمون عليهم، و كذلك إن كان

للرجل امرأتان، فأرضعتا صبيين لأجنبيين، حرم التناكح بين الصبيين. و خالف فى هذه ابن علية.
و لا يحرم من الرضاع عندنا إلا ما وصل إلى الجوف من الثدى من المجرى المعتاد الذى هو الفم، فأما ما يوجر به، أو يسعط، أو ينشق، أو يحقن به، أو يحلب فى عينه، فلا يحرم بحال. و لبن الميتة لا حرمة له فى التحريم، و فى جميع ذلک خلاف. و لا يحرم من الرضاع إلا ما كان فى مدة الحولين، فأما ما كان بعده فلا يحرم بحال.
فأما الجمع بين المرأة و عمتها و خالتها فحرم بالسنة، و يجوز عندنا نكاح العمة و الخالة على المرأة، و نكاح المرأة على العمة و الخالة لا يجوز إلا برضاء العمة و الخالة، و خالف فيه جميع الفقهاء. و المحرمات بالنسب و من يحرم بالسبب على وجه التأبيد يسمون مبهمات، لأنه يحرم من جميع الجهات، مأخوذ من البهيم الذى لا يخالط معظم لونه لون آخر، يقال: فرس بهيم لا شية فيه، و بقرة بهيم، و الجمع بهم.
و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً» اخبار أنه كان غفوراً حيث لم يؤاخذهم بما فعلوه من نكاح المحرمات، و أنه عفى لهم عما سلف، و لا يدل على أنه ليس بغفور فيما بعد، لأن ذلک معلوم بدلالة أخرى، و فى الناس من قال: كان زائدة، و قد بينا أن هذا ضعيف، لأنها تكون عبثاً و لغواً، و ذلک لا يجوز.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 24]..... ص: 161

اشارة

وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ إِلاَّ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (24)

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 162

- آية بلا خلاف-

قرأ الكسائى: (المحصنات) و (محصنات)، بكسر الصاد حيث وقع، إلا قوله: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ» هاهنا فانه فتح الصاد. و قرأ أهل الكوفة إلا أبو بكر، و أبو جعفر: (و أحل لكم)- بضم الهمزة، و كسر الحاء- الباقون:
بفتحها. و قرأ أهل الكوفة إلا حفصا: (أحصن) بفتح الهمزة و الصاد، الباقون بضم الهمزة و كسر الصاد.

قيل فى معنى قوله: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» ثلاثة أقوال:
أحدها- و هو الأقوى- ما
قاله على (ع)، و ابن مسعود، و ابن عباس، و أبو قلابة، و ابن زيد، عن أبيه، و مكحول، و الزهرى، و الجبائى: أن المراد به ذوات الأزواج إلا ما ملكت إيمانكم، من سبى من كان لها زوج.
و قال بعضهم، مستدلان على ذلک بخبر أبى سعيد الخدرى، أن الآية نزلت فى سبى أوطاس، و من خالفهم ضعف هذا الخبر بأن سبى أوطاس كانوا عبدة الأوثان، دخلوا فى الإسلام.
الثانى- قال أبى بن كعب، و جابر بن عبد اللَّه، و أنس بن مالک، و ابن مسعود- فى رواية أخرى عنه- و سعيد بن المسيب، و الحسن، و ابراهيم: إن المراد به ذوات الأزواج إلا ما ملكت إيمانكم ممن قد كان لها زوج، لأن بيعها طلاقها.
و قال ابن عباس: طلاق الأمة ست: سبيها طلاقها، و بيعها، و عتقها، و هبتها، و ميراثها، و طلاقها.
و حكى عن على (ع)، و عمر، و عبد الرحمن بن عوف: أن السبى خاصة طلاقها
، قالوا لأن النبى (ص) خير بريرة بعد أن أعتقتها عائشة، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 163
و لو بانت بالعتق لما صح. و زعم هؤلاء أن طلاقها كطلاق الحرة.
الثالث- قال أبو العالية. و عبيدة، و سعيد بن جبير، و عطاء، و اختاره الطبرى: ان المحصنات العفائف، إلا ما ملكت أيمانكم بالنكاح، أو بالثمن ملک استمتاع بالمهر و البينة، أو ملک استخدام بثمن الأمة.

و أصل الإحصان المنع. و سمى الحصن حصناً لمنعه من أراده من أعدائه، و الدرع الحصينة أى المنيعة، و الحصان الفحل من الأفراس لمنعه صاحبه من الهلاک، و الحصان العفيفة من النساء، لمنعها فرجها من الفساد. و منه قوله: «الَّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَها» «1» و كذلک أحصنها الزوج، و بناء حصين ممتنع، و حصنت المرأة تحصن حصانة، و الحاصن: العفيفة، قال العجاج:

و حاصن من حاصنات ملس من الأذى و من قراف الوقس «2»

و قال أبو على الفارسى، قال سيبويه: حصنت المرأة حصناً و هى حصان، مثل: جبنت جبناً فهى جبان، و قالوا حصناً، كما قالوا: علما قال الازهرى: يقال للرجل إذا تزوج: أحصن فهو محصن، كقولهم: ألفج فهو ملفج إذا أعدم و افتقر، و أسهب فهو مسهب، إذا أكثر الكلام. و كلام العرب كله على أفعل فهو مفعل، بكسر العين، مثل أسمع فهو مسمع، و أعرب فهو معرب، و أفصح فهو مفصح، إلا ما ذكرناه و الإحصان على أربعة أقسام:

أحدها- يكون بالزوجة، كقوله: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ» .

و الثانى- بالإسلام، كقوله: «فَإِذا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ» «3» .

---

(1) سورة التحريم: آية 12.

(2) ديوانه 78، و اللسان (قنس)، (و قس)، (حصن) و مجاز القرآن 1: 122 و رواية اللسان (عن) بدل (من) فى العجز فى الموضعين.

(3) سورة النساء: آية 25.

و الثالث- بالعفة كقوله: «وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ» «1» .

الرابع- يكون بالحرية، كقوله: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» «2» و قوله: «كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» يحتمل نصبه وجهين:

أحدهما- أن يكون مصدراً جرى على غير فعله و فيه معناه، كأنه قال: حرم اللَّه ذلک كتاباً من اللَّه، أو كتب كتاباً، كما قال: «صُنْعَ اللَّهِ الَّذِی أَتْقَنَ كُلَّ شَیْءٍ» «3» فنصبه بقوله: «وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ» «4» فكان ذلک دلالة على أنه قد صنعها فنصب على أنه مصدر، و قال الشاعر:

و رضت فذلت صعبة أى إذلال «5»

لأن معنى رضت أذللت، قال الزجاج: و يجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر، و يكون (عليكم) مفسراً، و المعنى: الزموا كتاب اللَّه.

الثانى- على الإغراء، و العامل محذوف، لأن عليكم لا يعمل فيما قبله:
و أنشد:
يا أيها المائح دلوى دونكما إنى رأيت الناس يحمد و نكا «6»
و المعنى هذا دلوى دونكا، و هو معنى قول الزجاج.

و قوله: «وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ» قيل فى معناه أربعة أقوال:

---

(1) سورة النور: آية 4.
(2) سورة المائدة: آية 6.
(3، 4) سورة النمل: آية 88.
(5) قائله امرؤ القيس. ديوانه: 161. و صدره:
و صرنا الى الحسنى ورق كلامنا
(6) البيت لجاهلى من بنى أسيد بن عمر بن تميم. معانى القرآن 1: 260، و خزانة الأدب 3: 17. [.....]

أحدها- قال عبيدة السلمانى، و السدى: أحل لكم ما دون الخمس، أن تبتغوا بأموالكم على وجه النكاح.
الثانى- قال عطاء أحل لكم ما وراء ذوات المحارم من أقاربكم.
الثالث- قال قتادة: «ما وَراءَ ذلِكُمْ» مما ملكت أيمانكم.
الرابع- ما وراء ذوات المحارم إلى الأربع، أن تبتغوا بأموالكم نكاحا، أو بملك يمين، و هذا الوجه أولى، لأنه حمل الآية على عمومها فى جميع ما ذكر اللّه، و لا تنافى بين هذه الأقوال.
و من فتح الهمزة حمله على أقرب المذكورين فى قوله: «كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» و من ضم حمله على (حرمت) و موضع «أن تبتغوا» نصب، و يحتمل نصبه على وجهين:
أحدهما- على البدل من ما.
و الثانى- على حذف اللام من «لأن تبتغوا»، و من قرأ بالضم جاز عنده الرفع و النصب، و قوله: (محصنين) أى عاقدين التزويج، غير مسافحين: عافين للفروج، قال مجاهد: و السدى: معناه غير زانين و أصله: صب الماء، تقول:
سفح الدمع إذا صبه، و سفح الجبل أسفله، لأنه مصب الماء منه، و سافح إذا زنا لصبه الماء باطلا. و قال الزجاج: المسافح و المسافحة الزانيان غير ممتنعين من أحد، فإذا كانت تزنى بواحد فهى ذات خدن، فحرم اللّه الزنا على كل حال، على السفاح و اتخاذ الصديق. و قوله: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ» قال الحسن، و مجاهد، و ابن زيد:
هو النكاح، و قال ابن عباس، و السدى: هو المتعة إلى أجل مسمى، و هو مذهبنا، لأن لفظ الاستمتاع إذا أطلق لا يستفاد به فى الشرع إلا العقد

المؤجل، ألا ترى أنهم يقولون: فلان يقول بالمتعة، و فلان لا يقول بها، و لا يريدون إلا العقد المخصوص، و لا ينافى ذلک قوله: «وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ» «1» لأنا نقول: إن هذه زوجة، و لا يلزم أن يلحقها

---

(1) سورة المؤمنون: آية 5- 6 و سورة المعارج آية 29- 30.

جميع أحكام الزوجات، من الميراث، و الطلاق، و الإيلاء، و الظهار، و اللعان، لأن أحكام الزوجات تختلف، ألا ترى أن المرتدة تبين بغير طلاق، و كذلک المرتد عندنا، و الكتابية لا ترث، و أما العدة فإنها تلحقها عندنا، و يلحق بها أيضاً الولد، فلا شناعة بذلک، و لو لم تكن زوجة لجاز أن يضم ما ذكر فى هذه السورة إلى ما فى تلک الآية، لأنه لا تنافى بينهما، و يكون التقدير: إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم أو ما استمتعتم به منهن و قد استقام الكلام. و روى عن ابن مسعود، و ابن عباس، و أبى بن كعب و سعيد بن جبير: أنهم قرأوا (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) و ذلک صريح بما قلناه، على انه لو كان المراد به عقد النكاح الدائم لوجب لها جميع المهر بنفس العقد، لأنه قال: (فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) يعنى مهورهن، عند أكثر المفسرين، و ذلک غير واجب بلا خلاف، و إنما يجب الأجر بكماله فى عقد المتعة. و فى أصحابنا من قال: قوله: (أجورهن) يدل على أنه أراد المتعة، لأن المهر لا يسمى أجراً، بل سماه اللّه صدقة و نحلة، و هذا ضعيف، لأن اللّه سمى المهر أجراً فى قوله (فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) «1» و قال: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» «2» و من حمل ذلک كله على المتعة كان مرتكباً لما يعلم خلافه، و من حمل لفظ الاستمتاع على الانتفاع فقد أبعد، لأنه لو كان كذلک لوجب أن لا يلزم من لا ينتفع بها شىء من المهر، و قد علمنا أنه لو طلقها قبل الدخول لزمه نصف المهر، و إن خلا بها خلوة تامة لزمه جميع المهر عند كثير من الفقهاء، و إن لم يلتذ و لم ينتفع.

و أما الخبر الذى يروونه

أن النبى (ص) نهى عن المتعة

، فهو خبر واحد لا يترک له ظاهر القرآن، و مع ذلک يختلف لفظه و روايته فتارة يروون أنه نهى عنها فى عام خيبر، و تارة يروون أنه نهى عنها فى عام الفتح، و قد طعن أيضاً فى طريقه بما هو معروف، و أدل دليل على ضعفه قول عمر: (متعتان كانتا على عهد رسول اللّه (ص) أنا أنهى عنهما و أعاقب عليهما) فأخبر أن هذه المتعة كانت على

---

(1) سورة النساء: آية 25.

(2) سورة المائدة: آية 6.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 167
عهد رسول اللّه (ص)، و أنه الذى نهى عنهما، لضرب من الرأى. فان قالوا. إنما نهى لأن النبى (ص) كان نهى عنهما، قلنا: لو كان كذلک لكان يقول: متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) فنهى عنهما، و أنا أنهى عنهما أيضاً، فكان يكون آكد فى باب المنع، فلما لم يقل ذلک دل على أن التحريم لم يكن صدر عن النبى (ص)، و صح ما قلناه.
و قال الحكم بن عتيبة، قال على (ع) لو لا أن عمر نهى عن المتعة ما زنا إلا شقى.
و ذكر البلخى عن وكيع، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس بن أبى حازم، عن عبد اللّه بن مسعود: قال كنا مع النبى (ص) و نحن شباب، فقلنا يا رسول اللّه ألا نستخصى، قال: لا، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب، إلى أجل.
و قوله: «وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ» قال الحسن، و ابن زيد: أى تراضيتم به من حط بعض الصداق أو تأخيره، أو هبة جميعه. و قال السدى و قوم من أصحابنا: معناه: لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من استئناف عقد آخر بعد انقضاء المدة التى تراضيتم عليها، فتزيدها فى الآخر و تزيدک فى المدة. و فى الآية دلالة على جواز نكاح المرأة على عمتها و خالتها، لأن قوله: «وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ» عام فى جميعهن، و من ادعى نسخة فعليه الدلالة،
و ما يروى من قوله (ص): (لا تنكح المرأة على عمتها و لا خالتها)
خبر واحد لا ينسخ به القرآن، و لو كان معلوماً لما جاز أن ينسخ به القرآن عند أكثر الفقهاء، لأن نسخ القرآن لا يجوز عندهم بالسنة، و ادعاؤهم الإجماع على الخبر غير مسلم، لأنا نخالف فيه. و قوله: (إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً» معناه عليما بما يصلح أمر الخلق، حكيما فيما فرض لهم من عقد النكاح الذى به حفظت الأموال، و الأنساب. قال البلخى: و الآية دالة على أن نكاح المشركين ليس بزنا، لأن قوله: (وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ» المراد به ذوات الازواج من أهل الحرب، بدلالة قوله: (إِلَّا ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» بسبيهن و لا خلاف أنه لا يجوز وطى المسبية إلا بعد استبرائها بحيضة.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 168

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 25]..... ص: 168

اشارة

وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ الْمُؤْمِناتِ فَمِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ فَتَياتِكُمُ الْمُؤْمِناتِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَناتٍ غَيْرَ مُسافِحاتٍ وَ لا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ فَإِذا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ مِنَ الْعَذابِ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (25)

- آية بلا خلاف-.

قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً (فإذا أحصن)- بضم الهمزة و كسر الصاد- الباقون بفتحهما، و قرأ (المحصنات)- بكسر الصاد- الكسائى وحده، قوله: «وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا» معناه: من لم يجد منكم طولا، و قيل فى معنى الطول قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و قتادة، و السدى، و ابن زيد:
هو الغنى، و هو المروى عن أبى جعفر (ع).
و الثانى- قال ربيعة، و جابر، و عطاء، و ابراهيم: أنه الهوى، قال: إذا هوى الأمة فله أن يتزوجها و إن كان ذا يسار. و قال الحسن، و الشعبى: لا يجوز ذلک، و القول الأول هو الصحيح، و عليه أكثر الفقهاء. و الطول الغنى، و هو مأخوذ من الطول خلاف القصر، فشبه الغنى به، لأنه ينال به معالى الأمور، و قولهم ليس فيه طائل: أى: لا ينال به شىء من الفوائد، و التطول

بالمال، و التطاول على الناس الترفع عليهم، و كذلک الاستطاعة، و تقول: طال فلان طولا، أى كأنه فضل عليه فى القدرة، و قد طالت طولک و طيلک أى طالت مدتک، قال الشاعر:
انا محيوک فاسلم أيها الطلل و إن بليت و إن طالت بک الطيل «1»
و الطول الحبل.

و فى الآية دلالة على أنه لا يجوز نكاح الأمة الكتابية، لأنه قيد جواز العقد على الإماء إذا كن مؤمنات، و هو قول مالک بن أنس، و مجاهد، و سعيد بن عبد العزيز، و أبى بكر بن عبد اللّه بن أبى مريم، و الحسن، و الطبرى، و قال أبو ميسرة، و أبو حنيفة، و أصحابه: يجوز ذلک، لأن التقييد هو على جهة الندب دون التحريم، و الأول أقوى، لأنه الظاهر، و ما قالوه عدول عنه. و منهم من قال:
لأن التأويل: من فتياتكم المؤمنات دون المشركات من عبدة الأوثان، بدلالة الآية التى فى المائدة، و هى قوله تعالى: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» «2» و هذا ليس بشىء، لأن الكتابية لا تسمى مؤمنة. و من أجاز العقد على الكتابية له أن يقول: آية المائدة مخصوصة بالحرائر منهن دون الإماء، و ظاهر الآية يقتضى أن من وجد الطول من مهر الحرة و نفقتها، و لا يخاف العنت، لا يجوز له تزويج الأمة، و إنما يجوز العقد عليها مع عدم الطول، و الخوف من العنت. و هو مذهب الشافعى، غير أن أكثر أصحابنا قالوا: ذلک على وجه الأفضل، لا أنه لو عقد عليها و هو غنى كان العقد باطلا، و به قال أبو حنيفة، و قووا ذلک بقوله:
«وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ» «3» إلا أن من شرط صحة العقد على الأمة عند أكثر الفقهاء، أن لا تكون عنده حرة، و هكذا عندنا، إلا أن ترضى الحرة

---

(1) قائله القطامى ديوانه: 32 و جمهرة الاشعار: 313 و الطيل جمع طيلة و هى الدهر.
(2) سورة المائدة: آية 6.
(3) سورة البقرة: آية 221.

بأن يتزوج عليها أمة، فان أذنت كان العقد صحيحاً عندنا، و متى عقد عليها بغير إذن الحرة كان العقد على الأمة باطلا. و روى أصحابنا أن الحرة تكون بالخيار بين أن تفسخ عقد الأمة، أو تفسخ عقد نفسها، و الاول أظهر، لأنه إذا كان العقد باطلا لا يحتاج إلى فسخه، فأما تزويج الحرة على الأمة، فجائز، و به قال الجبائى. و فى الفقهاء من منع منه، غير أن عندنا لا يجوز ذلک إلا بإذن الحرة، فان لم تعلم الحرة بذلک كان لها أن تفسخ نكاحها، أو نكاح الأمة، و فى الناس من قال: فى عقده على الحرة طلاق الأمة. و قوله: «مِنْ فَتَياتِكُمُ الْمُؤْمِناتِ» فالفتى الشاب، و الفتاة الشابة، و الفتاة الأمة، و إن كانت عجوزاً لأنها كالصغيرة فى أنها لا توقر توقير الكبيرة، و الفتوة حال

الحداثة، و منه الفتيا، تقول: أفتى الفقيه. يفتى لأنه يسأله مسألة فى حادثة.
و قوله: «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- كلكم ولد آدم.
و الثانى- كلكم على الايمان. و يجوز أن تكون الأمة أفضل من الحرة، و أكثر ثواباً عند اللَّه، و فى ذلک تسلية لمن يعقد على الأمة، إذا جوز أن تكون أكثر ثواباً عند اللَّه، مع اشتراكهم بأنهم ولد آدم، و فى ذلک صرف عن التغاير بالأنساب. و من كره نكاح الأمة قال: لأن الولد عندنا يلحق بالحرية فى كلا الطرفين.
و قوله: «فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ» أى اعقدوا عليهن بإذن أهلهن، و فيه دلالة واضحة على أنه لا يجوز نكاح الأمة بغير اذن وليها الذى هو مالكها.
و قوله: «وَ آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» معناه: اعطوا مالكهن مهورهن، لأن مهر الأمة لسيدها، (بالمعروف) و هو ما وقع عليه العقد و التراضى. و قوله:
«مُحْصَناتٍ غَيْرَ مُسافِحاتٍ» يعنى بالعقد عليهن، دون السفاح معهن، «وَ لا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ» و قد بينا الفرق بين الخدن و السفاح فيما مضى، و الخدن هو الصديق يكون للمرأة، يزنى به سراً، كذا كان فى الجاهلية، و السفاح ما ظهر منه، و كان التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 171
فيهم من يحرم ما ظهر من الزنا، و لا يحرم ما خفى منه، ذكر ذلک ابن عباس، و غيره من المفسرين. و خدن الرجل و خدينه صديقه.
و قوله: «فإذا أحصن» من قرأ بالضم، قال: معناه تزوجن، ذكر ذلک ابن عباس، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و قتادة. و من فتح الهمزة. قال: معناه أسلمن، روى ذلک عن عمر، و ابن مسعود، و الشعبى، و ابراهيم، و السدى.
و قال الحسن: يحصنها الزوج، و يحصنها الإسلام، و هو الأولى، لأنه لا خلاف أنه يجب عليها نصف الحد إذا زنت، و إن لم تكن ذات زوج، كما أن عليها ذلک و ان كان لها زوج، لأنه و إن كان لها زوج لا يجب عليها الرجم، لأنه لا يتبعض، فكان عليها نصف الحد خمسين جلدة. على أن قوله: «فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ» يعنى نصف ما على الحرائر، و ليس المراد به ذوات الأزواج، فالاحصان المذكور للأمة التزويج، و المذكور للمحصنات الحرية، و بينا أنه يعتبر به عن الأمرين.
و قال بعضهم: إذا زنت الأمة قبل أن تتزوج، فلا حد عليها، و إنما عليها نصف الحد إذا تزوجت بظاهر الآية.
و قوله: «ذلِکَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ»، فالعنت معناه هاهنا الزنا فى قول ابن عباس، و سعيد بن جبير، و عطية العوفى، و الضحاک، و ابن زيد. و قال قوم:
هو الضرر الشديد فى الدين أو الدنيا، مأخوذ من قوله: «وَدُّوا ما عَنِتُّمْ» »
و الأول أقوى، و قوله: «وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ» يعنى: عن نكاح الإماء، فى قول ابن عباس، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و قتادة، و عطية. و أكمة عنوت

صعبة المرتقى. و متى اجتمع عند الرجل حرة و أمة كان للحرة يومان و للأمة يوم، و عندنا أن بيع الأمة طلاقها، إلا أن يشاء المشترى إمضاء العقد، و كذلک الهبة، و كل ما ينتقل به الملک من الميراث، و السبى و غيره. فأما عتقها فانه يثبت به لها الخيار، كما يثبت لبريرة، و متى كانت تحت الزوج الحر أو عبد لغيره، لم يكن للمولى التفرقة بينهما، فان كان جميعا له كان التفرقة إلى المولى.

---

(1) سورة آل عمران: آية 118.

و استدلت الخوارج على بطلان الرجم بهذه الآية، قالوا: لما قال اللَّه تعالى: «فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ مِنَ الْعَذابِ»، و كان الرجم لا يمكن تبعيضه، دل على أنه لا أصل له، و على ما بيناه من أن المراد فعليهن نصف ما على الحرائر، دون ذوات الأزواج، يسقط هذا السؤال. و يدل على أن الإحصان يعبر به عن الحرية زائداً على ما تقدم، قوله فى أول الآية: «وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ الْمُؤْمِناتِ فَمِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» و لا شک أنه أراد الحركة أو العفائف، لأن التى لها زوج لا يمكن العقد عليها، وجد طولها أو لم يجد، و قوله:

«وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ» يدل عليه أيضاً لأن المراد به المسلمة الحرة، سواء كانت ذات زوج أو لم تكن، بلا خلاف. و الرجم معلوم من دين المسلمين بالتواتر فإنهم لا يختلفون

أنه (ص) رجم ما عز بن مالک الأسلمى، و رجم يهودياً و يهودية

، و عليه جميع الفقهاء من عهد الصحابة إلى يومنا هذا، فخلاف الخوارج لا يلتفت إليه. و فى الناس من قال: إن قوله: «أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ» المراد به الحرائر دون أن يكون مختصاً بالعفائف، لأنه لو كان مختصاً بالعفائف لما جاز العقد على من ليس كذلک، لأن قوله: «الزَّانِى لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً» إلى قوله: «وَ حُرِّمَ ذلِکَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» «1» منسوخ بالإجماع، و بقوله: «فَانْكِحُوا ما طابَ» «2» و بقوله: «وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى» «3» و يمكن أن يخص بالعفائف على الأفضل دون الوجوب، و قوله: (فعليهن) معناه لازم لهن نصف ما يلزم المحصنات، دون أن يكون ذلک واجباً عليهن، و قوله: «وَ أَنْ تَصْبِرُوا» فى موضع رفع، و التقدير و الصبر عن نكاح الأمة خير لكم. و فى الآية تقديم و تأخير، لأن التقدير: «و من لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم» أى فلينكح مما ملكت أيمانكم «من فتياتكم المؤمنات بعضكم من بعض و الله أعلم بايمانكم» ذكره الطبرى و هو جيد مليح.

---

(1) سورة النور: آية 3.

(2) سورة النساء: آية 3.
(3) سورة النور: آية 3.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 173

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 26]..... ص: 173

اشارة

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَ يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26)
آية بلا خلاف-.

اللام فى قوله: «لِيُبَيِّنَ لَكُمْ» للنحويين فيه ثلاثة أقوال:
أولها- قال الكسائى، و الفراء، و الكوفيون: إن معناها (أن)، و إنما لا يجوز ذلک فى أردت و أمرت لأنه تطلب الاستقبال، لا يجوز أردت أن قمت، و لا أمرت أن قمت فلما كانت (أن) فى سائر الافعال تطلب الاستقبال، استوثقوا له باللام، و ربما جمعوا بين اللام و كى لتأكيد الاستقبال، قال الشاعر:
أردت لكيما لا ترى لى عثرة و من ذا الذى يعطى الكمال فيكمل «1»
و قال الفراء: ربما جاء مع غير الارادة و الأمر، أنشدنى بن الجراح:
أحاول إعنا اتى بما قال أم رجا ليضحک منى أو ليضحک صاحبه «2»
و معناه: رجا أن يضحک، و مثله: «وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ» «3» و فى موضع آخر: «أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ» «4» و ربما جمعوا بين اللام و كى و أن، قال الشاعر:
أردت لكيما أن تطير بقربتى فتركها شناً ببيداء بلقع «5»

---

(1) معانى القرآن 1: 262 أنشده أبو ثروان. و فى شواهد الهمع 2: 5 روايته (ترانى عشيرتى) بدل (ترى لى عثرة).
(2) معانى القرآن 1: 262. قائلة أبو الجراح الا نفى من بنى انف الناقة. و كان فى المخطوطة و المطبوعة هكذا.
أحاول اعدائى بما قال أم رجا فيضحک منى أو ليضحک صاحبه
(3) سورة الانعام: آية 71.
(4) سورة الانعام: آية 14. [.....]
(5) لم يعرف قائله. معانى القرآن 1: 262 و الانصاف: 242 و الخزانة 3: 585.
و العينى (هامش الخزانة) 4: 405، و حاشية الصبان 3: 280. قوله (أن تطير) كناية عن الهرب، و الشن: الخلق البالى، و البيداء: المغازة: المهلكة، و البلقع: الأرض القفراء.

و لا يجوز فى الظن أن تقع اللام بمعنى أن، لأن الظن يصلح معه الماضى و المستقبل، نحو: ظننت أن قمت، و ظننت أن تقوم، و لا يجوز: ظننت لتقوم بمعنى: ظننت أن تقوم.
الثانى- قال الزجاج لا يجوز أن تقع اللام بمعنى أن، و استشهد بقول الشاعر:
أردت لكيما يعلم الناس إنها سراويل سعد و الوفود شهود

فلو كانت بمعنى أن لم تدخل على كى، كما لا تدخل أن على كى، قال: الرمانى و لقائل أن يقول: إن هذه لام الاضافة مردودة إلى أصلها، فلا يجب وقوع أن موقعها، و مذهب سيبويه و أصحابه أن اللام دخلت فى هذا على تقدير المصدر، أى: ارادة للبيان لكم، نحو قوله: «إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ» «1» «و رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ» «2» و معناه: إن كنتم تعبرون الرؤيا، قال كثير

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

أى: إرادتى لهذا.

الثالث- ضعف هذين الوجهين بعض النحويين، بأن جعل اللام بمعنى (أن) لم تقم به حجة قاطعة، و حمله على المصدر يقتضى جواز ضربت لزيد بمعنى ضربت زيداً، و هذا لا يجوز، و لكن يجوز فى التقديم، نحو لزيد ضربت و للرؤيا تعبرون، لأن عمل الفعل فى التقديم يضعف، كعمل المصدر فى التأخير، و لذلك لم يجز إلا فى المتصرف، فأما «ردف لكم» فعلى تأويل: ردف ما ردف لكم، و على ذلك يريد ما يريد لكم، و كذلك قوله: «وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ» «3» أى أمرنا بما أمرنا لنسلم، فهى تجرى بهذا على أصولها، و قياس بابها. و قال قوم معناه:

يريد اللّه هذا من أجل أن يبين لكم، كما قال: «وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ» «4» معناه: و أمرت بهذا من أجل ذلك، و إنما لم يجز أن يراد الماضى لأمرين:

أحدهما- أن الارادة لاستدعاء الفعل، و محال أن يستدعى ما قد فعل، كما

---

(1) سورة يوسف: آية 43.

(2) سورة النمل: آية 72.

(3) سورة الانعام: آية 71.

(4) سورة الشورى: 15.

أنه محال أن يؤمر بما قد وقع، لأنه لا يحسن أن يقول: افعل أمس، أو أريد أمس.

و الثانى- أن بالارادة يقع الفعل على وجه دون وجه، من حسن أو قبح، أو طاعة أو معصية، و ذلك محال فيما مضى.

و قوله: «وَ يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» قيل فيه قولان:
أحدهما- «يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» من أهل الحق، لتكونوا على الاقتداء بهم فى إتباعه لما لكم فيه من المصلحة.
الثانى- «سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» من أهل الحق، و غيرهم، لتكونوا على بصيرة فيما تفعلون أو تجتنبون من طرائقهم، و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة، لأن اللَّه تعالى بين أنه يريد أن يتوب على العباد، و هم يزعمون أنه يريد منهم الإصرار على المعاصى. و قال أبو على الجبائى: فى الآية دلالة على أن ما ذكر فى الآيتين من تحريم النكاح أو تحليله، قد كان على من قبلنا من الأمم، لقوله تعالى: «وَ يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» أى فى الحلال و الحرام. قال الرمانى:
لا يدل ذلک على اتفاق الشريعة، و ان كنا على طريقتهم فى الحلال و الحرام، كما لا يدل عليه و إن كنا على طريقتهم فى الإسلام، و هذا هو الأقوى.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 27]..... ص: 175

اشارة

وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (27)
- آية-

معنى الآية الاخبار من اللَّه تعالى أنه يريد من المواجهين بها، أن يتوب

عليهم، بمعنى أن يقبل توبتهم، عما سلف من آثامهم، و يتجاوز عما كان منهم فى الجاهلية، من استحلالهم ما هو حرام عليهم من حلائل الآباء و الأبناء، و غير ذلک مما كانوا يستحلونه، و هو حرام عليهم. إن قيل: لم كرر قوله: «وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ» ؟ مع ما تقدم من قوله: «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَ يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ» قلنا عنه جوابان:
أحدهما- أنه لما قال فى الأول، و تقديره: يريد اللَّه ليتوب عليكم أتى فى الثانى ب (أن) ليزول الإيهام أنه يريد ليتوب، و لا يريد «1» أن يتوب علينا.
و الآخر- أن يبين أن ارادته منا خلاف إرادة أصحاب الأهواء لنا، لنكون على بصيرة من أمرنا، و جاء الثانى على التقابل، بأن اللَّه يريد شيئاً و يريدون خلافه.
و المعنى: بقوله: «وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ» قيل فيه أربعة أقوال:
الأول- قال ابن زيد: كل مبطل، لأنه يتبع شهوة نفسه فى باطله.
الثانى- قال مجاهد: يعنى به: الزناة.
الثالث- قال السدى: هم اليهود و النصارى.
الرابع- اليهود خاصة، لأنهم يحلون نكاح الأخت من الأب، و الأول أقوى، لأنه أعم فائدة، و أوفق لظاهر اللفظ. و قوله: «أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيماً» معناه أن تعدلوا عن الاستقامة بالاستكثار من المعصية، و ذلک أن الاستقامة هى المؤدية إلى الثواب، و الفوز بالسلامة من العقاب، و أما الميل عن الاستقامة فيؤدى الى الهلاک و استحقاق العقاب. فان قيل: ما معنى إرادتهم الميل بهم؟ قيل قد يكون ذلک لعداوتهم، و قد يكون لتمام الأنس بهم فى المعصية، فبين اللَّه أن إرادته لهم خلاف ارادتهم منهم، و ليس فى الآية ما يدل على أنه لا يجوز اتباع داعى الشهوة فى شىء البتة، لأنه لا خلاف أن اتباع الشهوة فيما أباحه اللَّه تعالى جائز، و إنما المحظور من

---

(1) فى المخطوطة (و لأنه يريد) بدل (و لا يريد).

ذلک ما يدعو إلى ما حرمه، لكن لا يطلق [على] «1» صاحبه بانه متبع للشهوة، لأن إطلاقه يفيد اتباع الشهوة فيما حرم عليه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 28]..... ص: 177

اشارة

يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً (28)
- آية بلا خلاف-.

معنى قوله: «يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ» هاهنا أى فى نكاح الإماء، لأن الإنسان خلق ضعيفاً فى أمر النساء، هذا قول مجاهد، و طاوس، و زيد. و أصل التخفيف خفة الوزن، و التخفيف على النفس بالتيسير، كخفة الحمل بخفة الوزن، و منه الخفافة النعامة السريعة، لأنها تسرع إسراع الخفيف الحركة، و الخفوف السرعة، و منه الخف الملبوس لأنه يخفف به التصرف، و منه خف البعير. و المراد بالتخفيف هاهنا تسهل التكليف، بخلاف التصعب فيه، فتحليل نكاح الإماء تيسير بدلا من تصعيب، و كذلک جميع ما يسره اللّه لنا إحساناً منه إلينا، و لطفا بنا.
فان قيل: هل يجوز التثقيل، فى التكليف، مع خلق الإنسان ضعيفاً عن القيام به بدلا من التخفيف؟ قيل: نعم إذا أمكنه القيام به، و إن كان فيه مشقة، كما ثقل التكليف على بنى إسرائيل فى قتل أنفسهم، غير أن اللّه لطف بنا فكلفنا ما يقع به صلاحنا، بدلا من فسادنا. و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة: ان اللّه يكلف عباده ما لا يطيقون، لأن ذلک مناف لارادة التخفيف عنهم فى التكليف، من حيث أنه غاية التثقيل. و قوله: «وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً» أى يستميله هواه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 29]..... ص: 177

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً (29)

_____

(1) فى المخطوطة و المطبوعة (لصاحبه) بدل (على صاحبه).

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 178

- آية واحدة بلا خلاف-

قرأ أهل الكوفة: (تجارة) نصباً، الباقون: بالرفع، فمن رفع ذهب الى أن معناه: إلا أن تقع تجارة، و من نصب فمعناه: إلا أن تكون الأموال تجارة، أو أموال تجارة، و حذف المضاف، و أقام المضاف إليه مقامه، و يكون الاستثناء منقطعاً، و يجوز أن يكون التقدير: إلا أن تكون التجارة تجارة، كما قال الشاعر:

إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعا «1»

و تقديره: إذا كان اليوم يوماً ذا كواكب، ذكره أبو على النحوى. و قال الرمانى التقدير: إلا أن تكون الأموال تجارة، و لم يبين. و القول ما قال أبو على، لأن الأموال ليست تجارة. و من شأن خبر كان أن يكون هو اسمها فى المعنى.

و قيل: الرفع أقوى، لأنه أدل فى الاستثناء على الانقطاع، فان التحريم لأكل المال بالباطل على الإطلاق. و فى الناس من زعم أن نصبه على قول الشاعر:

إذا كان طعناً بينهم و عناقا «2»

أى إذا كان الطعن طعناً. قال الرمانى: و هذا ليس بقوى، لأن الإضمار قبل الذكر ليس يكثر فى مثل هذا، و إن كان جائزاً، فالرفع يغنى عن الإضمار فيه.

و فى معنى قوله: «لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ» قولان:
أحدهما- قال السدى:
بالربا، و القمار، و البخس، و الظلم، و هو المروى عن

---

(1) لم يعرف قائله معانى القرآن للفراء 1: 186 و سيبويه 1: 22 و صدره:
و للّه قومى أى قوم لحرة
(2) لم يعرف قائله معانى القرآن 1: 186 و صدره: أعينى هلا تبكيان عفاقا.
و عفاق: اسم رجل.

أبى جعفر (ع).
الثانى- قال الحسن: بغير استحقاق من طريق الأعواض. و كان الرجل يتحرج أن يأكل عند أحد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية، إلى أن نسخ ذلك بقوله فى سورة النور: «وَ لا عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ...» إلى قوله: «جَمِيعاً أَوْ أَشْتاتاً» «1» و الأول أقوى، لأن ما أكل على وجه مكارم الأخلاق فليس هو أكل بالباطل. و قيل: معناه التخاون، و لذلك قال: (بينكم).
و قوله: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ» فيه دلالة على بطلان قول من حرم المكاسب، لأنه تعالى حرم أكل الأموال بالباطل، و أحله بالتجارة على طريق المكاسب. و مثل قوله: «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا» «2» و قيل فى معنى التراضى بالتجارة قولان:
أحدهما- إمضاء البيع بالتفرق، أو بالتخاير بعد العقد فى قول شريح، و ابن سيرين، و الشعبى،
لقوله (ص): البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يكون بيع خيار.
و ربما قالوا: أو يقول أحدهما للآخر اختر، و هو مذهبنا.
الثانى- إمضاء البيع بالعقد- على قول مالك بن أنس، و أبى حنيفة، و أبى يوسف، و محمد- بعلة رده إلى عقد النكاح، و لا خلاف أنه لا خيار فيه بعد الافتراق، و قيل: معناه إذا تغابنوا فيه مع التراضى فانه جائز.
و قوله: «وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال عطاء و السدى، و أبو على الجبائى، و الزجاج: لا يقتل بعضهم بعضاً من حيث كانوا أهل دين واحد، فهم كالنفس الواحدة، كما يقول القائل: قتلنا و رب الكعبة، و معناه قتل بعضنا، لأنه صار كالقتل لهم، و مثله قوله: «فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ» «3».
الثانى- قال البلخى: فيه نهى عن قتل نفسه فى حال غضب، أو زجر،

(1) سورة النور: آية 61.
(2) سورة البقرة: آية 275.
(3) سورة النور: آية 61.

و الأول أقوى، لأنه أكثر و أغلب، و أيضاً فانه إذا حرم عليه قتل غيره من أهل دينه، لأنه بمنزلة قتل نفسه، فقد حرم عليه قتل نفسه.
الثالث- قال قوم: معناه: لا تقتلوا أنفسكم، بأن تهلكوها بارتكاب الآثام، و العدوان فى أكل المال بالباطل، و غيره من ارتكاب المعاصى، التى تستحقون بها العقاب.
و روى عن أبى عبد اللَّه (ع): أن معناه لا تخاطروا بنفوسكم فى القتال، فتقاتلون من لا تطيقونه.
و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً» قال ابن عباس: كان صلة، و المعنى إن اللَّه غفور رحيم، و يحتمل أن يكون المراد: «إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً» حيث كلفكم الامتناع من أكل المال بالباطل الذى يؤدى إلى العقاب، و حرم عليكم قتل نفوسكم التى حرمها عليكم، و يعلم انه رحيم فيما بعد بدليل آخر.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 30]..... ص: 180

اشارة

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِکَ عُدْواناً وَ ظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ ناراً وَ کانَ ذلِکَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (30)
- آية بلا خلاف-.

قيل فى تعليق الوعيد و الاشارة بقوله: «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ عُدْواناً وَ ظُلْماً...» الآية، أربعة أقوال:
أولها- و هو أقواها- انه على أكل الأموال بالباطل، و قتل النفس بغير حق، و الوعيد بكل واحدة من الخصلتين، لأن الوعيد ذكر عقيب ذكر النهى عن الأمرين، و هو اختيار الطبرى.
الثانى- قال عطاء: هو على قتل النفس المحرمة خاصة.
الثالث- على فعل كلما نهى اللّه عنه، من أول السورة.
الرابع- أنه راجع إلى قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 181
النِّساءَ كَرْهاً»
«1» لأن ما قبله مقرون بالوعيد.
و قوله: «وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً» معناه: أنه قادر على إنجاز الوعيد، لا يمكن صاحبه الامتناع منه، و لا الهرب منه، فيتعذر الإيقاع به، فيجب أن تنزلوا الوعيد منزلته، و تكونوا على بصيرة فيه، غير مغترين بأمر يصرف عنه، و إنما قيد قوله: «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ عُدْواناً وَ ظُلْماً» لأن من وقع منه قتل النفس على وجه السهو و الخطأ فى خلاف المراد، لم يتناوله الوعيد، و كذلك إذا أكل من أموال الناس على وجه مباح، لم يتوجه إليه الوعيد. و العدوان تجاوز ما أمر اللّه به، و الظلم أن يأخذه على غير وجه الاستحقاق، و أصله وضع الشىء فى غير موضعه. و فى المرجئة من قال: إنما قيد بذلك لأن المراد من استحل أكل المال بالباطل، و استحل أيضاً قتل النفوس، و ذلك لا يكون إلا كافراً، فلذلك هدده بالوعيد المخصوص، فأما إذا فعل ذلك محرماً له، فانه يجوز أن يعفو اللّه عنه، فلا يتناوله الوعيد قطعاً على كل حال، و لو لم تحمل الآية على المستحلين، لأمكننا أن نخص الآية بمن لا يعفو اللّه عنه، كما أنهم لا بد لهم ان يخصوها بمن لم يتب من ذلك و لا تكون معصية صغيرة، فليس فى الآية ما يمنع من القول بجواز العفو.
و إنما قال: «وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً» و إن كان يسيراً عليه الآن و فى مستقبل الأوقات، ليعلم أن الأوقات متساوية فى ذلك على كل حال، و لا يجوز أن يقال قياساً على ذلك و كان اللّه قديماً، لأن قولنا قديم أغنى عن كان، إذ لم يختص بالحال بل أفاد الوجود فى الأزل، فلا معنى لادخال كان فيه. و اليسير السهل، يقال: يسير الشىء إذا سهل فهو يسير، و عسر فهو عسير، إذا لم يتسهل.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 31]..... ص: 181

اشارة

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً (31)

_____

(1) سورة النساء: آية 19.

قرأ نافع، و أبو بكر، عن عاصم: مدخلا- بفتح الميم- الباقون بضمها، و هو الأقوى، لأنه من ادخلوا و الآخر جائز، لأن فيه معنى: فيدخلون، و ليس كقول الشاعر:
الحمد للّٰه ممسانا و مصبحنا بالخير صبحنا ربى و مسانا «1»
و يروى بفتح الميم فيهما، أنشده البلخى فى البيت، لأنه ليس فيه فعل، و لكن قد حكى بالفتح على التشبيه بالأول، و يحتمل أن يكون من قرأ بفتح الميم أراد: مكاناً كريماً، كما قال: «وَ مَقامٍ كَرِيمٍ» «2» و قرأ المفضل، عن عاصم (يكفر) (و يدخلكم) بالياء فيهما، الباقون بالنون، و هو الأجود، لأنه وعد على وجه الاستئناف، فالأحسن ألا يعلق بالأول من جهة ضمير الغائب، و اختاره الأخفش، و من قرأ بالياء رده إلى ذكر اللّٰه فى قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً» .

و المعاصى و إن كانت كلها عندنا كبائر، من حيث كانت معصية للَّه تعالى، فانا نقول: إن بعضها أكبر من بعض، ففيها إذا كبير بالاضافة إلى ما هو أصغر منه. و قال ابن عباس: كلما نهى اللَّه عنه فهو كبير. و قال سعيد بن جبير: كلما أوعد اللَّه عليه النار فهو كبير، و مثله قال أبو العالية، و مجاهد، و الضحاك. و عند المعتزلة أن كل معصية توعد اللَّه تعالى عليها بالعقاب، أو ثبت ذلک عن النبى (ص) أو كان بمنزلة ذلک، أو أكبر منه، فهو كبير، و ما ليس ذلک حكمه فانه يجوز أن يكون صغيراً، و يجوز أن يكون كبيراً، و لا يجوز أن يعين اللَّه الصغائر، لأن فى تعيينها الإغراء بفعلها، فمن المعاصى المقطوع على كونها كبائر: قذف المحصنات،

_____

(1) قائله أمية بن أبى الصلت. ديوانه: 62 و معانى القرآن للفراء 1: 264، و الخزانة 1: 120 و اللسان (أمسى). [.....]

(2) سورة الشعراء: آية 59. و سورة الدخان: آية 26.

و قتل النفس التى حرم اللَّه، و الزنا، و الربا، و الفرار من الزحف فى قول ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و الضحاک، و مثله عن أبى عبد اللَّه (ع)، و زاد:

و عقوق الوالدين، و الشرک، و إنكار الولاية. و قال ابن مسعود: كلما نهى اللَّه عنه، من أول السورة إلى رأس الثلاثين، فهو كبير.

و روى عن النبى (ص) أنه قال: عقوق الوالدين، و شهادة الزور، كبير.

فعلى مذهب المعتزلة: من اجتنب الكبائر، و واقع الصغائر، فان اللَّه يكفر الصغائر عنه، و لا يحسن مع اجتناب الكبائر، عندهم المؤاخذة بالصغائر، و متى آخذه بها كان ظالماً. و عندنا أنه يحسن من اللَّه تعالى ان يؤاخذ العاصى بأى معصية فعلها، و لا يجب عليه إسقاط عقاب معصية لمكان اجتناب ما هو أكبر منها، غير أنا نقول: إنه تعالى وعد تفضلا منه أن من اجتنب الكبائر فانه يكفر عنه ما سواها، بأن يسقط عقابها عنه تفضلا، و لو أخذه بها لم يكن ظالماً، و لم يعين الكبائر التى إذا اجتنبها كفر ما عداها، لأنه لو فعل ذلک لكان فيه إغراء بما عداها، و ذلک لا يجوز فى حكمته تعالى. و قوله: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ» معناه من تركها جانباً و المدخل الكريم: هو الطيب الحسن المكرم بنفى الآفات و العاهات عنه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 32]..... ص: 183

اشارة

وَ لا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَ سْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (32)

- آية بلا خلاف-.

قرأ ابن كثير، و الكسائى (و سلوا) بغير همزة، و كذلک كلما كان أمر للمواجه فى جميع القرآن، الباقون بالهمزة، و لم يختلفوا فى: «وَ لْيَسْئَلُوا ما أَنْفَقُوا» «1»

---

(1) سورة الممتحنة: آية 10.

لأنه أمر لغائب. قال أبو على الفارسى. كلاهما جيد، إن ترک الهمزة و إثباتها.

و قيل فى سبب نزول هذه الآية
أن أم سلمة قالت:(يا رسول اللّه لا نغزو مع الرجال، و لنا نصف الميراث، يا ليت كنا رجالا، فكنا تقاتل معهم) فنزلت هذه الآية
، فى قول مجاهد. و قال الزجاج: قال الرجال: ليتنا كنا فضلنا فى الآخرة على النساء، كما فضلنا عليهن فى الدنيا، و به قال السدى.

و التمنى هو قول القائل: ليت كان كذا لما لم يكن، و ليت لم يكن كذا لما كان. و فى الناس من قال: هو معنى فى القلب. و قال الرمانى: هو ما يجب على جهة الاستمتاع به، و من قال: هو معنى فى القلب قال: ليس هو من قبيل الشهوة، و لا من قبيل الارادة، لأن الارادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه، و التمنى قد يتعلق بما مضى، و الشهوة أيضاً كالارادة فى أنها لا تتعلق بما مضى.

و ظاهر الخطاب يقتضى تحريم تمنى ما فضل اللَّه به بعضنا على بعض و قال الفراء: هو على جهة الندب و الاستحباب، و الاول هو حقيقة التمنى، و الذى قلناه هو قول أكثر المفسرين، و وجه تحريم ذلک أنه يدعو الى الحسد، و أيضاً فهو من دنايا الأخلاق، و أيضاً فان تمنى الإنسان لحال غيره قد يؤدى الى تسخط ما قسم اللَّه له، و لا يجوز لأحد أن يقول ليت مال فلان لى، و إنما يحسن أن يقول: ليت مثل لى.
و قال البلخى: لا يجوز للرجل أن يتمنى أن كان امرأة، و لا للمرأة أن تتمنى لو كانت رجلا، بخلاف ما فعل اللَّه، لأن اللَّه لا يفعل من الأشياء إلا ما هو أصلح، فيكون قد تمنى ما ليس بأصلح، أو ما يكون مفسدة. و يمكن أن يقال: إن ذلک يحسن بشرط أن لا يكون مفسدة، كما يقول فى حسن السؤال سواء. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 185
و قوله: «لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ» قيل فى معناه أقوال:
أحدها- أن لكل واحد حظاً من الثواب على حسب ما كلفه اللَّه من الطاعات بحسن تدبيره، فمتى فعل ذلک استحق به علو المنزلة، فلا تتمنوا خلاف هذا التدبير، لما فيه من حرمان الحظ الجزيل.
الثانى- أن كل أحد إنما له جزاء ما اكتسب، فلا يضيعه بتمنى ما لغيره، مما يؤدى إلى إبطال عمله، فكأنه قيل: لا تضيع ما هو لک، بتمنى ما لغيرک.
و الثالث- أن لكل فريق من الرجال و النساء نصيباً مما اكتسب من نعيم الدنيا، بالتجارات و الزراعات و غير ذلک من أنواع المكاسب، فينبغى أن يقنع و يرضى بما قسم له. و روى عن ابن عباس أنه قال: ذلک فى الميراث، للرجال نصيب منه، و للنساء نصيب منه.
و الأجوبة الأولى أقرب، لأن الميراث ليس، مما يكتسبه الرجال و النساء، و إنما هو شىء، يورثهم اللَّه تعالى، و الآية تضمنت أن لهم نصيباً مما اكتسبوا، و ذلک لا يليق إلا بما تقدم.
و قوله: «وَ سْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ» معناه: إن احتجتم إلى ما لغيركم، فاسألوا اللَّه أن يعطيكم مثل ذلک من فضله، بشرط أن لا يكون فيه مفسدة لكم و لا لغيركم، لأن المسألة لا تحسن إلا كذلک، و قال سعيد بن جبير: و اسألوا اللَّه العبادة، و به قال السدى، و مجاهد.
و قوله: (إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيماً) معناه: إنه قسم الأرزاق على ما علمه من الصلاح للعباد، بدلا من الفساد، فينبغى أن ترضوا بما قسمه، و تسألوه من فضله، غير منافسين لغيركم فى عطيته.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 33]..... ص: 185

اشارة

وَ لِكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً (33)
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 186
- آية بلا خلاف-

قرأ أهل الكوفة (عقدت) بغير ألف، الباقون بألف، فمن قرأ بإثبات الالف، قال: لأن المعاقدة تدل على عقد الحلف باليمين من الفريقين، و قال بعضهم إنه يعنى عن ذلک جميع الأيمان، قال الرمانى: هذا خطأ، لأنها قد تجمع لردها على أحد الفريقين الحالف بها، قال أبو على الفارسى: الذكر الذى يعود من الصلة إلى الموصول ينبغى أن يكون منصوباً، فالتقدير: و الذين عاقدتم أيمانكم، فجعل الأيمان فى اللفظ هى المعاقدة، و المعنى على الحالفين الذين هم أصحاب الأيمان، فالمعنى: و الذين عاقدت حلفهم أيمانكم، فحذف المضاف، و أقام المضاف إليه مقامه، فعاقدت أشبه بهذا المعنى، لِأن لكل نفس من المعاقدين يميناً على المحالفة. و من قال: «عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ» كل المعنى: عقدت حلفهم أيمانكم، فحذف الحلف، و أقام المضاف إليه مقامه، و الأولون حملوا الكلام على المعنى، حيث كان من كل واحد من الفريقين يمين، و من قال: (عقدت) حمل على اللفظ، لفظ الأيمان، لأن الفعل لم يسند إلى أصحاب الأيمان فى اللفظ، و إنما أسند إلى الأيمان.

و معنى الآية: جعلنا الميراث لكل من هو مولى الميت، و الموالى المذكورون فى الآية، قال ابن عباس، و مجاهد، و قتادة و ابن زيد: هم العصبة، و قال السدى: هم الورثة، و هو أقواها، و التقدير و لكلكم جعنا ورثة مما ترک الوالدان و الأقربون، ثم استأنف: و الذين.
و أصل الموالى من ولى الشىء يليه ولاية، و هو الاتصال للشىء بالشىء، من غير فاصل، و المولى على وجوه: فالمولى المعتق، و المولى المعتق، و

و المولى ابن العم، و المولى الحليف، و المولى الولى، و المولى الأولى بالشىء و الاحق.
فالمعتق مولى النعمة بالعتق، و المعتق لأنه مولى النعمة، و المولى الورثة، لأنهم أولى بالميراث، و المولى الحليف، لأنه يلى المحالف أمره بعقد اليمين، و المولى ابن العم، لأنه يلى النصرة بتلک القرابة، و المولى الولى، لأنه يلى بالنصرة. و فى التنزيل: (ذلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ أَنَّ الْكافِرِينَ لا مَوْلى لَهُمْ) «1» أى لا ناصر لهم، و هو ناصر المؤمنين، و المولى السيد، لأنه أولى بمن يسوده. قال الأخطل.
فأصبحت مولاها من الناس كلهم و أحرى قريش أن تهاب و تحمدا
و المولى الأولى و الأحق،
و منه قوله (ع): (أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها فنكاحها باطل)
أى بغير إذن من هو أولى بها و أحق. و قال الفضل ابن العباس فى المولى بمعنى ابن العم:
مهلا بنى عما مهلا موالينا لا تظهرون لنا ما كان مدفونا «2»
و المراد بقوله: (وَ الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ) قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال سعيد بن جبير، و قتادة، و عامر، و الضحاک: إنهم الحلفاء.
الثانى- قال الحسن، و سعيد بن المسيب: هم رجال كانوا يتبنون، على عادة الجاهلية. ليجعل لهم نصيب من الوصية، ثم هلكوا، فذهب نصيبهم بهلاكهم.
الثالث- فى رواية أخرى
عن ابن عباس، و ابن زيد انهم قوم آخى بينهم رسول اللَّه (ص).
و الاول أقوى و أظهر فى أقوال المفسرين.
و قال أبو مسلم: أراد بذلک عقد المصاهرة و المناكحة. و قال أبو على: الحليف لم يؤمر له بشىء أصلا، لأنه عطف على قوله «تَرَکَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ» أى: و ترک الذين عاقدت أيمانكم، فآتوا كلا نصيبه من الميراث. و هذا ضعيف لأنه

---

(1) سورة محمد: آية 11.
(2) مجاز القرآن لابى عبيدة 1: 125 و الكامل للمبرد 2: 279 و الحماسة للبحترى 1: 121 و اللسان (ولى) و قد روى:
لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

يفيد التكرار، لأن قوله. «الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ» عام فى كل أحد. و على ما قال المفسرون، يكون قوله: (وَ لِكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ) إذا كانوا مناسبين له، ثم استأنف حكم الحلفاء، فقال: «فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ» . فان قيل: بم يتصل قوله:
«مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ» و ما العامل فيه؟ قيل فيه قولان:
أحدهما- يتصل ب (موالى) على جهة الصفة، و العامل الاستقرار، كأنه قال: موالى مما خلف الوالدان و الأقربون، و الذين عاقدت أيمانكم من الورثة.
الثانى- يتصل بمحذوف، و التقدير: موالى يعطون مما ترك الوالدان و الأقربون، و الذين عاقدت أيمانكم من الميراث. و قال أبو على الجبائى تقديره:
و لكل شىء مما ترك الوالدان و الأقربون وارث من الميراث. قال الرمانى: و هذا لا يجوز، لأنه فصل بين الصفة و الموصوف بما عمل فى الموصوف، نحو: لكل رجل- جعلت درهما- فقير.
و النصيب الذى أمر به للحليف قيل فيه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و الحسن و سعيد بن جبير، و قتادة، و عامر، و الضحاك: انه نصيب على ما كانوا يتوارثون بالحلف فى الجاهلية، ثم نسخ ذلك بقوله: «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ» .
الثانى- فى رواية أخرى عن ابن عباس، و مجاهد، و عطاء، و السدى: انه النصيب من النصرة و النصيحة دون المواريث، فعلى هذا الآية غير منسوخة.
و روى عنه أنه قال: لا حلف فى الإسلام، فأما ما كان فى الجاهلية فلم يزده الإسلام إلا شدة. و قوله: (إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً) أى: شاهداً، و ذلك دال على أنه عالم به، لأنه لا يشهد إلا بما علم.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 34]..... ص: 188

اشارة

الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ بِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ فَالصَّالِحاتُ قانِتاتٌ حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ بِما حَفِظَ اللَّهُ وَ اللاَّتِي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيًّا كَبِيراً (34)

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 189

- آية بلا خلاف-

قرأ أبو جعفر المدنى: «بِما حَفِظَ اللَّهُ»- بالنصب- و معناه: بالذى حفظ اللَّه، و يحتمل أن يكون معناه: بحفظ اللَّه و هو ضعيف، لأنه يكون حذف الفاعل و هو ضعيف.

و سبب نزول هذه الآية ما

قاله الحسن، و قتادة، و ابن جريح، و السدى: أن رجلا لطم امرأته فجاءت إلى النبى (ص) تلتمس القصاص، فنزلت الآية:

«الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ» .

و المعنى: (الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ) بالتأديب و التدبير لما «فَضَّلَ اللَّهُ» الرجال على النساء فى العقل و الرأى. و كان الزهرى يقول: ليس بين الرجل و امرأته قصاص فيما دون النفس. و يقال: رجل قيم، و قوام، و قيام. و معناه:
إنهم يقومون بأمر المرأة بالطاعة للَّه و لهم. و قوله: (فَالصَّالِحاتُ قانِتاتٌ) قال قتادة: و سفيان: معنى (قانتات) مطيعات للَّه و لأزواجهن. و أصل القنوت دوام الطاعة، و منه القنوت فى الوتر لطول القيام. و قوله: «حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ بِما حَفِظَ اللَّهُ» معناه: قال قتادة، و عطاء، و سفيان: حافظات لما غاب عنه أزواجهن من ماله، و ما يجب من رعايته و حاله، و ما يلزم من صيانتها نفسها له، «بِما حَفِظَ اللَّهُ» قال عطاء، و الزجاج: أى بما حفظهن اللَّه فى مهورهن، و ألزم الزوج النفقة عليهن. و قال بعضهم: معناه، و اللَّه أعلم: بالشىء الذى يحفظ أمر اللَّه، و دين اللَّه.
و قوله: «وَ اللَّاتِى تَخافُونَ» قيل فيه قولان:
أحدهما- تعلمون، لأن خوف النشز للعلم بموقعه، فلذلك جاز أن توضع
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 190
مكان تعلم، كما قال الشاعر:
و لا تدفننى بالفلاة فاننى أخاف إذا ما مت ألا أذوقها «1»
و قال آخر:
أتانى كلام عن نصيب يقوله و ما خفت يا سلام انک عائبى «2»
و قال الفراء: معناه: ما ظننت، و منه
قوله (ص): أمرت بالسواک حتى خفت أن أدرد.
الثانى- الخوف الذى هو خلاف الأمن، كأنه قال: تخافون نشوزهن لعلمكم بالأحوال المؤذنة به، ذكره محمد بن كعب. و معنى النشوز هاهنا: قال ابن عباس، و السدي و عطاء، و ابن زيد: انه معصية الزوج، و أصله الترفع على الزوج بخلافه، مأخوذاً من قولهم: هو على نشز من الأرض، أى ارتفاع، يقال: نشزت المرأة تنشز و تنشز، قرئ بهما: «وَ إِذا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا» «3» فالنشوز يكون من قبل المرأة خاصة، و الشقاق منهما. و قوله: «فَعِظُوهُنَّ» أى خوفوهن باللَّه، فان رجعن و إلا فاهجروهن فى المضاجع. و قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال ابن عباس، و عكرمة، و الضحاک، و السدى: هجر الكلام.
و قال سعيد بن جبير: هو هجر الجماع. و قال مجاهد، و الشعبى، و ابراهيم: هو هجر المضاجعة، و هو قول أبى جعفر (ع).
و قال: يحول ظهره إليها. و قال بعضهم:

«اهْجُرُوهُنَّ» اربطوهن بالهجار، من قولهم: هجر الرجل البعير إذا ربطه بالهجار، و قال امرؤ القيس:
رأت هلكاً بنجاف الغبيط فكادت تجد لذاک الهجارا «4»

---

(1) انظر 2: 244 تعليقة 2.
(2) انظر 2: 189، 244.
(3) سورة المجادلة: آية 11.
(4) ديوانه: 111 و اللسان (هلک). و الهلک: الفراغ. نجاف الغبيط: مدرعة البرذعة.
الهجار: حبل يسوى له عروتان فى طرفيه ثم تشد إحداهما فى رسغ رجل الفرس و تزر و كذلک الاخرى.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 191
و هذا تعسف فى التأويل، و يضعفه قوله: «فِى الْمَضاجِعِ» و لا يكون الرباط فى المضجع. و أما الضرب فانه غير مبرح بلا خلاف
قال أبو جعفر (ع): هو بالسواک.
و المضاجع جمع مضجع، و أصله الاستلقاء، يقال: ضجع ضجوعاً و اضطجع اضطجاعاً إذا استلقى للنوم، و أضجعته إذا وضعت جنبه بالأرض، فكل شىء أملته فقد أضجعته. و قوله: «فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ» أى لا تطلبوا، تقول: بغيت الضالة إذا طلبتها، قال الشاعر يصف الموت:
بغاک و ما تبغيه حتى وجدته كأنک قد واعدته أمس موعدا «1»
و أصل الهجر الترک عن قلى، تقول: هجرت فلاناً أى تركت كلامه عن قلى، و الهجر القبيح من الكلام، لأنه مهجور، و الهجار حبل يشد به البعير، لأنه يهجر به التصرف، و الهاجرة نصف النهار، لأنه وقت يهجر فيه العمل. و قوله:
«إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيًّا كَبِيراً» أى متعالياً عن أن يكلف إلا بالحق، و مقداره الطاقة، و قد قيل: معناه إنه قادر عليه، قاهر له، و ليس المراد به علو المكان، لأن ذلک يستحيل عليه تعالى. و الكبير السيد، يقال: لسيد القوم كبيرهم، و المعنى: فان استقمن لكم فلا تطلبوا العلل فى ضربهن، و سوء معاشرتهن، فان اللّه تعالى قادر على الانتصاف لهن.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 35]..... ص: 191

اشارة

وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِها إِنْ يُرِيدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُما إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً خَبِيراً (35)
- آية بلا خلاف-.

قوله: (وَ إِنْ خِفْتُمْ» فى معناه قولان:

_____

(1) قائله سحيم بن الحسحاس ديوانه: 41 و روايته (الا وجدته) بدل (حتى وجدته).

أحدهما- إن علمتم.

الثانى- الخوف الذى هو خلاف الأمن، و هو الأصح، لأنه لو علم الشقاق يقيناً لم يحتج إلى الحكمين، فان أريد به الظن كان قريباً مما قلناه. و الشقاق الخلاف.

و العداوة، و اشتقاقه من الشق، و هو الجزء البائن، و منه اسم المتشاقين، لأن كل واحد منهما فى شق أى فى ناحية، و منه المشقة فى الأمر، لأنه يشق على النفس، فأمر اللّه متى خيف ذلک بين الزوجين أن يبعثوا حكماً من أهله و حكماً من أهلها، و الحكم القيم بما يسند إليه.

و المأمور ببعث الحكمين قيل فيه قولان:

أحدهما- قال سعيد بن جبير، و الضحاک، و أكثر الفقهاء، و هو الظاهر فى اخبارنا، انه السلطان الذى يترافعان إليه.

و الثانى- قال السدى: انه الرجل و المرأة، و قيل: أيهما كان ناب عن الآخر، و هو اختيار الطبرى. و اختلف الفقهاء فى الحكمين هل هما وكيلان، أو هما حكمان، فعندنا أنهما حكمان، و قال قوم: هما وكيلان، و اختلفوا هل للحكمين أن يفرقا بالطلاق إن رأياه أم لا؟ فعندنا ليس لهما ذلک إلا بعد أن يستأمراهما، أو كان اذن لهما فى الأصل فى ذلک، و به قال الحسن، و قتادة، و ابن زيد، عن أبيه. و

من قال: هما وكيلان، قال: لهما ذلک، ذهب اليه سعيد بن جبير، و الشعبى، و السدى، و ابراهيم و شريح، و رووه عن على (ع).

و قوله: (إِنْ يُرِيدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُما» معناه يوفق اللَّه بينهما، و الضمير فى بينهما عائد على الحكمين، و المعنى: إن أراد إصلاحاً فى أمر الزوجين يوفق اللّه بينهما. و به قال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و السدى.

و أصل التوفيق الموافقة، و هى المساواة فى أمر من الأمور. و التوفيق هو اللطف الذى يتفق عنده فعل الطاعة، و التوفيق بين نفسين هو الإصلاح بينهما، و الاتفاق فى الجنس و المذهب المساواة بينهما، و الاتفاق فى الوقوع كرمية من غير رام لمساواتهما نادراً.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً خَبِيراً» يعنى بما يريد الحكمان من الإصلاح

أو الإفساد. و قيل معناه أنه عالم بما تعبدكم به، و لعلمه بما فيه صلاحكم فى دِينكم و دنياكم. «شِقاقَ بَيْنِهِما» إنما أضافه إلى البين لأن البين قد يكون اسماً كما قال:
«لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» «1» ممن قرأ بالرفع.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 36]..... ص: 193

اشارة

وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ بِذِی الْقُرْبی وَ الْيَتامی وَ الْمَساكِينِ وَ الْجارِ ذِی الْقُرْبی وَ الْجارِ الْجُنُبِ وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالاً فَخُوراً (36) - آية-

هذا خطاب لجميع المكلفين، أمرهم اللَّه بأن يعبدوه وحده، و لا يشركوا بعبادته شيئاً سواه «وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» نصب على المصدر، و تقديره: و أحسنوا إلى الوالدين إحساناً، و يحتمل أن يكون نصباً على تقدير: و استوصوا بالوالدين إحساناً، لأن قوله: «اعْبُدُوا اللَّهَ» بمنزلة استوصوا بعبادة اللَّه، و أن تحسنوا إلى ذى قرباكم، و إلى اليتامى الذين لا أب لهم، و المساكين و هم الفقراء، و الجار ذى القربى، يعنى الجار القريب.

و أصل الجار العدول، جاوره مجاورة و جواراً، فهو مجاور له و جار له، لعدوله إلى ناحيته فى مسكنه، و الجور الظلم، لأنه عدول عن الحق، و منه جار السهم إذا عدل عن قصده، و جار عن الطريق إذا عدل عنه، و استجار باللّه، لأنه

---

(1) سورة الانعام: آية 94.

يسأله العدول به عن النار، و جوار الذمة، لأنه عدول بها إلى ناحية صاحبها.

«وَ الْجارِ الْجُنُبِ» أصل الجنب التنحية، جنبت فلاناً عن كذا فتجنب أى نحيته، و منه قوله: «وَ اجْنُبْنِى وَ بَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ» «1» و الجانبان الناحيتان، لتنحى كل واحدة عن الأخرى، و منه جنب الإنسان و كل حيوان، و الاجتناب الترک للشىء، و الجار الجنب معناه الغريب الأجنبى، لتنحيه عن القرابة، قال علقمة بن عبدة:

فلا تحرمنى نائلا عن جنابة فانى امرؤ وسط القباب غريب «2»

أى عن غربة. و قال ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الضحاک، و ابن زيد: الجار ذى القربى القريب فى النسب، و الجار الجنب: الغريب، أى عن غربة. و روى عن النبى (ص) أنه قال: الجيران ثلاثة، جار له ثلاثة حقوق: حق الجوار، و حق القرابة، و حق الإسلام. و جار له حقان: حق الجوار، و حق الإسلام.

و جار له حق الجوار، و المشرک من أهل الكتاب.

«وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و مجاهد، و قتادة، و السدى، و الضحاک: هو الرفيق.
الثانى-
قال عبد اللَّه بن مسعود، و على (ع) و ابراهيم، و ابن أبى ليلى: الزوجة.
الثالث- قال ابن زيد، و ابن عباس، فى رواية أخرى عنه: إنه المنقطع اليک رجاء رفدک. و قيل إنه فى جميع هؤلاء، و هو أعم فائدة.
و قال الزجاج. الجار ذى القربى الذى يقاربک و يعرفک و تعرفه، و الجار

---

(1) سورة ابراهيم: آية 35.
(2) ديوانه: 107 و المفضليات 789 و الكامل للمبرد 437، و اللسان (جنب).

الجنب البعيد. و روى أن حد الجوار إلى أربعين داراً. و روى إلى أربعين ذراعاً.
«وَ ابْنِ السَّبِيلِ» معناه صاحب الطريق، و قيل فى المراد به هاهنا قولان:
أحدهما- قال مجاهد، و الربيع: إنه المسافر.
الثانى- قال قتادة، و الضحاک: انه الضيف، و قال أصحابنا: يدخل فيه الفريقان. «وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» يعنى المماليک من العبيد و الإماء، أمر اللَّه بالإحسان إلى هؤلاء أجمع. و قوله. «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالًا» فالمختال الصلف التياه، و الاختيال هو التطاول، و إنما ذكره اللَّه هاهنا و ذمه، لأنه أراد بذلک من يختال فيأنف من قراباته و جيرانه إذا كانوا فقراء، لكبره و تطاوله، فأما الاختيال فى الحرب فممدوح، لأن فى ذلک تطاولا على العدو و استخفافاً به.
و أصل المختال من التخيل، و هو التصور، فالمختال لأنه يتخيل بحاله مرح البطر، و منه الخيل، لأنها تختال فى مشيها، أى تتبختر، و الخيال، لأنه يتخيل به صاحبه، و الأخيل الشقراق، لأنه يتخيل فى لونه الخضرة من غير خلوصها، و الخول الحشم، و خلته راكباً خيلاناً أى تخيلته، و الخال المختال، و الخال أخ الأم، (و الفخور) هو الذى يعدد مناقبه كبراً و تطاولا، و أما الذى يعددها اعترافا بالنعم فيها فهو شكور غير فخور. و روى عن المفضل عن عاصم أنه قرأ:
«وَ الْجارِ الْجُنُبِ» - بفتح الجيم- قال أبو الحسن: هو لغة فى الجنب، قال الراجز:

الناس جنب و الأمير جنب يعنى ناحية: قال أبو على الفارسى: يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يريد الناحية، و التقدير: ذى الجنب، فحذف المضاف، لأن المعنى مفهوم، لأن الناحية لا تكون هى الجار.
و الثانى- أن يكون وصفاً، مثل: ضرب و ندب و فسل، فهذا وصف جرى على موصوف.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 37]..... ص: 195

اشارة

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ يَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً (37)
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 196
- آية

قرأ حمزة، و الكسائى هاهنا و فى الحديد: (بالبخل) بفتح الباء و الخاء.
الباقون بضم الباء و تسكين الخاء. فمن نصب قال: لأنه مصدر بخل يبخل بخلا، الباب كله هكذا، و من اختار الضم و تسكين الخاء، فلأنه نقيض الجود فحمل على وزنه، فهما لغتان. و حكى لغة ثالثة (بالبخل)- بفتح الباء و سكون الخاء.

و قوله: «الذين» يحتمل أن يكون موضعه نصباً من وجهين، و رفعاً من وجهين، فأحد وجهى النصب أن يكون بدلا من «من» فى قوله: «لا يُحِبُّ مَنْ كانَ» . و الثانى- على الذم. و أحد وجهى الرفع- على الاستئناف بالذم، و يكون خبره «إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ» «1» و الآية الثانية عطفاً عليها. و الوجه الثانى- على البدل من الضمير فى «فخور» . و البخل أصله مشقة الإعطاء.

و قالوا فى معناه هاهنا قولان:
أحدهما- أنه منع الواجب، لأنه اسم ذم لا يطلق إلا على مرتكب كبيرة.
و الثانى- هو منع ما لا ينفع منعه، و لا يضر بذله، و مثله الشح، و ضده الجود، و الأول أليق بالآية، لأنه تعالى نفى محبته عمن كان بهذه الصفة، و ذلک لا يليق إلا بمنع الواجب. قال الرمانى: معناه منع الإحسان لمشقة الطباع، و نقيضه الجود و هو بذل الإحسان لانتفاء مشقة الطباع، و قال ابن عباس، و مجاهد، و السدى: و ابن زيد: إن الآية نزلت فى اليهود، إذ بخلوا بإظهار ما علموه و كتموه من صفة محمد (ص). و قال الجبائى، و البلخى: الآية فى كل من كان بهذه الصفة،

---

(1) سورة النساء: آية 4.

و إنما ذكروا بالكفر لكتمانهم نعمة اللّه عليهم. و الآمر بالبخل يتناوله الوعيد، كما أن من فعل البخل يتناوله الوعيد. و قيل: معنى «يَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» يجحدون اليسار و الثروة اعتذاراً فى البخل، و قوله: «وَ أَعْتَدْنا» قد فسرناه فيما مضى و هو أن معناه أعددناه، و جعلناه ثابتاً لهم و «لِلْكافِرِينَ» يعنى الجاحدين ما أنهم اللّه عليهم «عَذاباً مُهِيناً» أى يهينهم و يذلهم.

قوله تعالى: [سورة النساء (4): آية 38]..... ص: 196

اشارة

وَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النَّاسِ وَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً (38)
- آية بلا خلاف-.

قوله: «و الذين» عطف على «الذين» فى الآية الأولى. و اعرابه يحتمل ما قلناه فى الآية الأولى سواء. و قال الزجاج و غيره: المعنى بهذه الآية المنافقون.
و قال مجاهد: المعنى بها اليهود، و الأول أقوى و أظهر، لأن الرياء ضرب من النفاق و واو العطف يقوى ذلک، لأنه لو أراد الموصوفين فى الآية الأولى لقال:
«الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النَّاسِ»، مع أنه قد ورد عطف الصفات بالواو لموصوف واحد على ما بيناه فيما مضى، غير أن الأجود ما قلناه.

فذم اللَّه تعالى بهذه الآية من ينفق ماله رئاء الناس دون أن ينفقه لوجهه و طلب رضاه، و لا يؤمن باللَّه أى لا يصدق به، «وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» الذى فيه الثواب و العقاب. ثم قال: «وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً» معناه من قبل من الشيطان، و أطاعه فيما يدعوه إليه فبئس القرين قرينه. و القرين أصله التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 198
الاقتران، و منه قرن الثور لاقتران بعض ببعض، و القرن أهل العصر من الناس، و قرنة الشىء حرفه، و القرن المقاوم فى الحرب، «وَ ما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» «1» أى مطيقين، و القرين الصاحب المألوف. قال عدى بن زيد:
عن المرء لا تسأل و أبصر قرينه فان القرين بالمقارن يقتدى «2»
و يمكن الإنسان الانفكاک من مقارنة الشيطان بالمخالفة له، فلا يعتد بالمقارنة.
و قال أبو على: لا يمكن ذلک، لأنه يقرن به الشيطان فى النار فلا يمكنه الانفكاک منه، و قوله: «فَساءَ قَرِيناً» نصب على التفسير، كقوله: «ساءَ مَثَلًا»، و تقديره:
ساء مثلا مثل الذين و تقول: نعم رجلا، و تقديره نعم الرجل رجلا.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 39]..... ص: 198

اشارة

وَ ما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَ كانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً (39)
- آية واحدة بلا خلاف-.

معنى قوله: «وَ ما ذا عَلَيْهِمْ...» الآية الاحتجاج على المتخلفين عن الايمان باللّه و اليوم الآخر بما عليهم فيه و لهم، و ذلک أنه يجب على الإنسان أن يحاسب نفسه فيما عليه و له، فإذا ظهر له ما عليه فى فعل المعصية من استحقاق العقاب اجتنبها، و ما له فى تركها من استحقاق الثواب عمل فى ذلک من الاختيار له، أو الانصراف عنه. و فى ذلک دلالة على بطلان قول المجبرة فى أن الكافر لا يقدر على الايمان، لأن الآية نزلت على أنه لا عذر للكفار فى ترک الايمان، و لو كانوا غير قادرين لكان فيه أوضح العذر لهم، و لما جاز أن يقال: «وَ ما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ» لأنهم لا يقدرون عليه، كما لا يجوز أن يقال لأهل النار: ما ذا عليهم لو خرجوا منها

---

(1) سورة الزخرف: آية 13. [.....]

(2) ديوانه فى شعراء الجاهلية: 466، و قد شاعت روايته على ألسن الناس:

عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

إلى الجنة، من حيث لا يقدرون عليه، و لا يجدون السبيل إليه، و لذلک لا يجوز أن يقال للعاجز: ما ذا عليه لو كان صحيحاً، و لا للفقير: ما ذا عليه لو كان غنياً.

و موضع «ذا» يحتمل من الاعراب وجهين:

أحدهما- أن يكون رفعاً، لأنه فى موضع الذى، و تقديره: ما الذى عليهم لو آمنوا.

الثانى- لا موضع له، لأنه مع (ما) بمنزلة اسم واحد، و تقديره: و أى شىء عليهم لو آمنوا باللّه، ففى الآية تقريع على ترک الايمان باللّه و اليوم الآخر، و توبيخ على الإنفاق مما رزقهم اللّه فى غير أبواب البر و سبيل الخير على وجه الإخلاص، دون الرياء. و قوله «وَ كانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً» معناه هاهنا ان اللّه بهم عليم، يجازيهم بما يسرون من قليل أو كثير، فلا ينفعهم ما ينفقونه على جهة الرياء.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 40]..... ص: 199

اشارة

إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَ إِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَ يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً (40)
- آية بلا خلاف-.

قرأ: (و إن تک حسنة) بالرفع ابن كثير، و نافع. الباقون بالنصب، فمن نصب معناه: و إن تک زنة الذرة حسنة، أو: و إن تک فعلته حسنة، و من رفع ذهب إلى أن كان تامة، و تقديره: و إن تحدث حسنة. و أصل (تک) تكون، فحذفت الضمة للجزم، و الواو لسكونها و سكون النون، لكثرة الاستعمال، و قد ورد القرآن بإثباتها، قال اللّه تعالى: «إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً» «1» فاجتمع فى النون أنها ساكنة و أنها تشبه حروف اللين، فحذفت لكثرة الاستعمال، كما قالوا لا أدر، و لم ابل، و الأجود: لم أبال و لا أدرى «و يؤت» بغير ياء، سقطت الياء

---

(1) سورة النساء: 134.

للجزم بالعطف على «يضاعفها» . و لدن فى موضع خفض. و فيها لغات، يقال:

لدُ و لدن و لدا و لدا، و المعنى واحد، و معناه من قبله، و لدن لما يليک، و عند يكون لما يليک و لما بعد منک، تقول: عندى مال و إن كان بينک و بينه بعد، فإذا أضفته إلى نفسک فقلت: من لدنى و من لدنا زدت فيها نوناً أخرى، و أدغموا الأولى منهما ليسلم سكون النون و مثله قالوا فى (من)، إذا أضافوه قالوا: منى و منا. و قرأ ابن كثير، و ابن عامر: (يضعفها) مشدده، الباقون: (يضاعفها) من المضاعفة. و الظلم هو الألم الذى لا نفع فيه يوفى عليه، و لا دفع مضرة أعظم منه عاجلا و لا آجلا، و لا هو مستحق، و لا هو واقع على وجه المدافعة.

و أصله وضع الشىء فى غير موضعه، و قيل: أصله الانتقاص، من قوله: «وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً» «1» أى لم ينقص. و الظلم انتقاص الحق. و الظلمة انتقاص النور بذهابه، و الظلم الثلج، لانتقاصه بالجمود، و شبه به ماء الأسنان، و فى المثل (من أشبه أباه فما ظلم)، و سقاء مظلوم إذا شرب منه قبل أن يدرک، و الظليم ذكر النعام، لأنه يضع الشىء فى غير موضعه من حيث «2» يحضن غير بيضه. و أصل المثقال الثقل، فالمثقال مقدار الشىء فى الثقل، و الثقل ما ثقل من متاع السفر، و المثقل الذى أثقله المرض، و الثقيل البطىء فى عمله (فمثقال ذرة): مقدار ذرة فى الزنة. و الذرة النملة الحمراء فى قول ابن عباس، و ابن زيد، و هى أصغر النمل، و هى من ذررت الشىء أذرة ذراً إذا بددته سحوقاً.

و فى الآية دلالة على أن منع الثواب ظلم لأنه لو لم يكن ذلک ظلماً لما كان لهذا الكلام معنى على هذا الترتيب. و فيه أيضاً دلالة على أنه قادر على الظلم، لأنها

---

(1) سورة الكهف: آية 32.
(2) (من حيث) ساقطة من المطبوعة.

صفة تعظيم و تنزيه عن فعل ما يقدر عليه من الظلم، و لو لم يكن قادراً عليه لما كان فيه مدحة، غير أنه و إن كان قادراً عليه فانه لا يفعله لعلمه بقبحه، و بأنه غنى عنه، و لأنه لو فعل لكان ظالماً، لأن الاشتقاق يوجب ذلک و ذلک منزه عنه تعالى.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 41]..... ص: 201

اشارة

فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً (41) - آية-

«كيف» لفظها لفظ الاستفهام، و معناها هاهنا التوبيخ، و التقدير فكيف يكون حال هؤلاء يوم القيامة، و حذف لدلالة الكلام عليه. و العامل فى «كيف» الابتداء المحذوف، لأن التقدير: كيف حالهم، على ما بيناه. و إنما جاز خروج كيف عن الاستفهام إلى التوبيخ لأنه يقتضى إقرار العبد على نفسه بما كان من قبيح عمله، كما يقتضى الجواب فى الاستفهام، و لا يجوز أن يكون العامل فى «كيف» «جئنا» لاضافة «إذا» إليه و المضاف إليه لا يعمل فيما قبله كما لا تعمل الصلة فيما قبل الموصول، لأنه من تمام الاسم.

و الشهادة تقع يوم القيامة من كل نبى بأنه بلغ قومه ما تقوم به عليهم الحجة، و أنه أدى ما تقوم به الحجة عليها من مراد اللّه، هذا قول عبد اللّه، و ابن جريح، و السدى. و قال الجبائى: يشهد عليهم بأعمالهم. و قال الزجاج، و الطبرى: يشهد لهم و عليهم بما عملوه، و وجه حسن الشهادة ما فى ذلک من اقامة الحجة عليهم، فيستجيبون عند تصور تلک الحال من خزى ذلک المقام، و فى ذلک أكبر الاتعاظ.
و روى عن ابن مسعود أنه قرأ على النبى (ص) سورة النساء فلما بلغ «فَكَيْفَ التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 202
إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً» فاضت عيناه و قوله:
«وَ جِئْنا بِکَ» يعنى محمداً (ص) «عَلى هؤُلاءِ» يعنى على أمته. و قال السدى:
إن أمة نبينا تشهد لأنبياء بالأداء و التبليغ، و يشهد النبى لأمته بتصديقهم فى تلک الشهادة، كما قال: «وَ كَذلِکَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً» «1» .

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 42]..... ص: 202

اشارة

يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً (42)
- آية بلا خلاف-.

قرأ حمزة، و الكسائى: «تسوى» مفتوحة التاء خفيفة السين. و قرأ نافع و ابن عامر- بفتح التاء و تشديد السين- الباقون بضم التاء و تخفيف السين. و قال الطبرى: الاختيار فتح التاء، لموافقته لقوله:ا لَيْتَنِى كُنْتُ تُراباً»
«2» و لم يقل: كونت. و قال الرمانى. هذا ليس بشىء، لأن التمنى فيه معنى الفعل، و بضم التاء أبين و ليس كذلک الآخر، لأنه بمنزلة التمنى لأن يكون معدوماً لم يوجد قط.
قال أبو على: من قرأ بضم التاء أراد: لو جعل هو و الأرض سواء، و من فتح التاء أراد: تتسوى، و إنما أدغم التاء فى السين، قال: و فى هذا تجوز، لأن الفعل مسند إلى الأرض و ليس ذلک المراد، لأنه لا فائدة لهم أن تصير الأرض مثلهم. و إنما ودوا أن يتستواهم بما لا يتسوى بهم، و من فتح التاء و خفض السين أراد هذا، غير أنه حذف إحدى التائين و هى الأصلية دون التى للمضارعة.

و معنى الآية الاخبار من اللَّه تعالى أن الكفار يوم القيامة يودون- لعلمهم

---

(1) سورة البقرة: آية 143.
(2) سورة النبأ: آية 40.

بما يصيرون إليه من العذاب و الخلود فى النار- أنهم لن يبعثوا أو أنهم كانوا و الأرض سواء. و روى فى التفسير أن البهائم يوم القيامة تصير ترابا، فيتمنى عند ذلک الكفار أنهم صاروا كذلک ترابا، و هذا لا يجيزه إلا من قال: إن العوض منقطع، فأما من قال: هو دائم لم يصحح هذا الخبر. و قوله: «وَ عَصَوُا الرَّسُولَ» ضموا الواو لأنها واو الجمع، و حركت لالتقاء الساكنين. و قوله: «لو استطعنا» كسرت على أصل الحركة، لالتقاء الساكنين. و إنما وجب لواو الجمع الضم لأنها لما منعت ما لها من ضم ما قبلها، جعلت الضمة عند الحاجة إلى حركتها فيها. و العامل فى «يومئذ» «يود الذين» و إنما عمل فى (يومئذ) ما بعد (إذ) و لم يجز مثل ذلک فى «إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ» لأنه لما أضيف (يوم) إلى (إذ) بطلت إضافته إلى الجملة، و جاء التنوين ليدل على تمام الاسم. يبين ذلک قوله: «مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ» «1» .
و قوله: «وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً» لا ينافى قوله: «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» «2» لأنه قيل فى معنى الآية سبعة أقوال:
أحدها- قال الحسن إن الآخرة مواطن، فموطن «فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً» «3» أى صوتاً خفياً، و موطن يكذبون فيقولون: «ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ» «4» «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» و موطن يعترفون بالخطإ بأن يسألوا اللَّه أن يردهم إلى دار الدنيا.
الثانى- قال ابن عباس: إن قوله: «وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً» داخل فى التمنى بعد ما نطقت جوارحهم بفضيحتهم، فكأنهم لما رأوا المؤمنين دخلوا الجنة كتموا فقالوا: «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» فختم اللَّه أفواههم، و أنطق جوارحهم بما فعلوه، فحينئذ تمنوا أن يكونوا «تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً» فتمنوا الأمرين و قال الفراء: تقديره: يومئذ يود الذين كفروا

---

(1) سورة المعارج: آية 12.
(2) سورة الانعام: آية 23.
(3) سورة طه: آية 108.
(4) سورة النمل: آية 28.

و عصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض و يودون لا يكتمون اللّه حديثاَ.
الثالث- قال أبو على: انه لا يعتد بكتمانهم، لأنه ظاهر عند اللّه لا يخفى عليه شىء منه.
الرابع- لم يقصدوا الكتمان، لأنهم إنما أخبروا على ما توهموا، و لا يخرجهم من أن يكونوا كذبوا.
و الخامس- قال بعضهم: إن قوله: «انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» «1» انما معناه: أوجبوا العذاب بمثل حال الكاذب فى الإقرار، كما يقال: كذب عليک الحج، قال الشاعر:
كذب العتيق و ماء شن بارد إن كنت سائلتى غبوقاً فاذهبى
و قال الرمانى: هذا التأويل ضعيف، لأنه يجرى مجرى اللغز.
و السادس: قال الحسين بن على المغربى: تمنوا أن يكونوا عدماً، و تم الكلام ثم استأنف فقال: «وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً» أى لا تكتمه جوارحهم و إن كتموه هم.
السابع- قال البلخى: «وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً» على ظاهره لا يكتمون اللَّه شيئاً، لأنهم ملجأون إلى ترک القبائح و الكذب. و قوله: «ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» أى عند أنفسنا، لأنه كانوا يظنون فى الدنيا أن ذلک ليس بشرک من حيث يقربهم إلى اللّه تعالى.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 43]..... ص: 204

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ وَ لا جُنُباً إِلاَّ عابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا غَفُوراً (43)

---

(1) سورة الانعام: 24.

- آية بلا خلاف-

قرأ حمزة، و الكسائى: (أو لمستم النساء) بغير ألف، الباقون (لامستم) بألف، فمن قرأ (لامستم) بالف قال:
معناه الجماع: و هو قول على (ع)
، و ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و أبو على الجبائى، و اختاره أبو حنيفة. و من قرأ بلا الف أراد اللمس باليد و غيرها بما دون الجماع، ذهب إليه ابن مسعود، و عبيدة، و ابن عمر، و الشعبى، و ابراهيم، و عطاء، و اختاره الشافعى. و الصحيح عندنا هو الأول، و هو اختيار الجبائى، و البلخى، و الطبرى، و غيرهم. و الملامسة و اللمس معناهما واحد، لأنه لا يلمسها إلا و هى تلمسه، و قيل: ان الملامسة بمعنى اللمس، كما قيل: عافاه اللّه، و عاقبت اللص.

و قيل فى سبب نزول هذه الآية قولان:
أحدهما- قال ابراهيم: إنها نزلت فى قوم من الصحابة أصابهم جراح.
و الثانى- قالت عائشة نزلت فى قوم من الصحابة أعوزهم الماء.

و ظاهر الخطاب متوجه إلى المؤمنين كلهم بأن لا يقربوا الصلاة و هم سكارى يعنى فى حال سكرهم، يقال: قرب يقرب متعد، و قرب يقرب لازم، و قرب الماء يقربه إذا ورده. و قيل فى معنى السكر المذكور فى الآية قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و ابراهيم: إنه السكر من الشراب، و قال مجاهد، و الحسن، و قتادة نسخها تحريم الخمر. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 206
الثانى- قال الضحاک. هو سكر النوم خاصة. و أصل السكر من السكر، و هو سد مجرى الماء، يقال سكره يسكره، و اسم الموضع السكر و السكر، لانسداد طريق المعرفة به. سكر يسكر سكراً و أسكره إسكاراً، و سكرة الموت غشيته.
فان قيل: كيف يجوز نهى السكران فى حال سكره مع زوال عقله، و كونه بمنزلة الصبى و المجنون؟ قلنا عنه جوابان:
أحدهما- إنه قد يكون سكران من غير أن يخرج من نقص العقل إلى ما لا يحتمل الامر و النهى.
الثانى- إنما نهوا عن التعرض للسكر مع أن عليهم صلاة يجب أن يؤدها فى حال الصحو. و قال أبو على: فيه جواب ثالث و هو أن النهى إنما دل على أن عليهم أن يعيدوها إن صلوها فى حال السكر.
فان قيل: كيف يسوغ تأويل من ذهب إلى أن السكران مكلف أن ينتهى عن الصلاة فى حال سكره؟ مع أن عمل المسلمين على خلافه، لأن من كان مكلفاً تلزمه الصلاة، قلنا عنه جوابان:
أحدهما- أنه منسوخ.
و الآخر- إنه نهى عن الصلاة مع الرسول (ص) فى جماعة.
و قوله: «وَ لا جُنُباً إِلَّا عابِرِى سَبِيلٍ» يقال: رجل جنب إذا اجنب، و رجل جنب أى غريب، و لا يثنى و لا يجمع، و يجمع أجناباً أى غرباء، و إنما نصب لأنه عطف على قوله: «وَ أَنْتُمْ سُكارى» و هى جملة فى موضع الحال. و قيل فى معناه قولان.
أحدهما-
قال على (ع)، و ابن عباس، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و الحكم، و ابن كثير. و ابن زيد: إلا مسافرين فلكم أن تتيمموا.
الثانى- قال ابن عباس فى رواية أخرى، و جابر، و الحسن، و سعيد بن جبير، و ابراهيم، و الزهرى، و عطاء و الجبائى:
ان معناه لا تقربوا مواضع الصلاة من المساجد إلا مجتازين، و هو قول أبى

جعفر (ع)
، و حذف لدلالة الكلام عليه، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 207
و هو الأقوى، لأنه تعالى بين حكم الجنب فى آخر هذه الآية إذا عدم الماء، فلو حملناه على ذلک لكان تكراراً، و إنما أراد أن يبين حكم الجنب فى دخول المساجد فى أول الآية، و حكمه إذا أراد الصلاة مع عدم الماء فى آخرها.
و قوله: «وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ» فالمرض الذى يجوز معه التيمم مرض الجراح، و الكسير، و صاحب القروح، إذا خاف من مس الماء فى قول ابن مسعود، و الضحاک، و السدى، و ابراهيم، و مجاهد، و قتادة. و قال الحسن، و ابن جبير: هو المرض الذى لا يستطيع معه تناول الماء، و لا يكون هناک من يناوله. و كان الحسن لا يرخص للجريح التيمم،
و المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع) جواز التيمم عند جميع ذلک.
و قوله: «أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ» يعنى الحدث المخصوص، و أصله المطمئن من الأرض، يقال:
غائط و غيطان، و التغوط كناية عن الحدث فى الغائط، و الغوطة موضع كثير الماء و الشجر بدمشق، و قوله: «أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ» قد فسرناه، و عندنا المراد به الجماع. و قوله: «فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً» فالتيمم التعمد، و مثله التأمم قال الأعشى:
تيممت قيساً و كم دونه من الأرض من مهمه ذى شزن «1»
يعنى تعمدت، و قال سفيان: معنى تيمموا تعمدوا و تحروا، و الصعيد وجه الأرض من غير نبات و لا شجر، فى قول ابن زيد قال ذو الرمة.
كأنه بالضحى ترمى الصعيد به دبابة فى عظام الراس خرطوم «2»
و منه قوله: «فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً» «3» فبين أن الصعيد قد يكون زلقا. و الصعدات الطرقات، قال الزجاج: لا أعلم خلافا بين أهل اللغة بأن الصعيد وجه الأرض، سواء كان عليه تراب أو لم يكن، و هذا يدل عليه ما نقوله من أن التيمم يجوز بالحجارة سواء كان عليها تراب أو لم يكن (و طيباً) أى طاهراً،

---

(1) ديوانه: 19 القصيدة: 2.
(2) ديوانه: 571.
(3) سورة الكهف: آية 4. [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 208
و قال سفيان: يعنى حلالا. و أصل الصعيد من الصعود، و هو ما تصعد على وجه الأرض من ترابها، و الإصعاد فى الماء بخلاف الانحدار، و الصعود عقبة يشق صعودها، و منه قوله: «سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً» «1» و قيل: انه جبل فى النار يؤخذ بصعوده، و الصعدة هى القناة التى نبتت مستوية، لأنها تصعد فى

نباتها على استقامة، و الصعداء تنفس بتوجع.
و قوله: «فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ» قيل فى صفة التيمم ثلاثة أقوال:
أحدها- ضربة للوجه و ضربة لليدين إلى المرفقين، ذهب إليه ابن عمر، و الحسن، و الشعبى، و الجبائى، و أكثر الفقهاء، و به قال قوم من أصحابنا.
الثانى- ضربة للوجه و ضربة لليدين إلى الزندين، ذهب إليه عمار بن ياسر، و مكحول، و اختاره الطبرى، و هو مذهبنا، إذا كان التيمم بدلا من الجنابة، و ان كان بدلا من الوضوء فيكفيه ضربة واحدة يمسح بها الوجه إلى طرف أنفه و اليدين إلى الزندين.
الثالث- قال أبو اليقظان، و الزهرى: انه إلى الإبطين، و قال قوم انه جائز أن يضرب بيديه على الرمل فيمسح بهما وجهه، و إن لم يعلق بهما شىء، و به نقول:
و يجوز للجنب أن يتيمم عندنا، و عند أكثر الفقهاء و أهل العلم. و به قال عمار بن ياسر و رواه عن النبى (ص).
و روى عن عمر، و ابن مسعود، و ابراهيم: أنه لا يجوز للجنب أن يتيمم، لقوله: «وَ لا جُنُباً إِلَّا عابِرِى سَبِيلٍ» و قد بينا نحن أن المراد بذلك النهى عن دخول المساجد، فكأنه قال: و لا تقربوا المساجد للصلاة و أنتم سكارى «وَ لا جُنُباً إِلَّا عابِرِى سَبِيلٍ» لأن من لم يكن له طريق غير المسجد، أو أصابه الاحتلام فى المسجد جاز له أن يجتاز فيه، و لا يلبث فيه.
و السكران الذى زال عقله لا تصح صلاته، و يجب عليه قضاؤها، و لا يصح منه شىء من العقود و لا رفعها، كالنكاح، و الطلاق، و العتق، و البيع، و الشراء، و غير ذلك. و قضاء الصلاة يلزمه إجماعا، و أما ما يلزم به الحدود و القصاص فعندنا أن

---

(1) سورة المدثر: آية 17.

جميع ذلك يلزمه، إن سرق قطع، و إن قذف جُلد، و إن زنا حد، و غير ذلك، لإجماع الفرقة المحققة على ذلك، و لعموم الآية المتناولة لذلك، و لا يلزم على ذلك تكليف من قطع رجل نفسه الصلاة قائماً، لأن ذلك تكليف ما لا يطاق، و إيجاب قضاء الصلاة على السكران ليس كذلك، و كذلك إقامة الحدود، لأن ذلك، تابع للشرع، و فيه خلاف.
و يجوز أن يصلى صلوات الليل و النهار عندنا يتيمم واحد، و هو كالوضوء فى هذا الباب، ما لم يحدث، أو يتمكن من استعمال الماء، و به قال الحسن، و عطاء، و أبو حنيفة و أصحابه، و قال ابن عمر، و الشعبى، و قتادة، و ابراهيم، و الشافعى
يجب التيمم لكل صلاة، و رووا ذلك عن على (ع)
، و ذلك عندنا محمول على الاستحباب.

و لا يجوز التيمم عندنا إلا عند تضيق الوقت، و الخوف، من فوته، و اختار ذلک البلخى. و قال الشافعى: لا يجوز إلا بعد دخول الوقت، و قال أبو حنيفة:
يتيمم أى وقت شاء، و إن كان قبل الوقت فهو كالوضوء. و مسائل التيمم استوفيناها فى المبسوط، و النهاية، و لا نطول بذكرها هاهنا.
و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا غَفُوراً» أى يقبل منكم العفو، و يغفر لكم، لأن قبوله التيمم بدلا من الوضوء تسهيل علينا. و قيل: يعفو بمعنى يصفح عنكم الذنوب، و يغفرها أى يسترها عليكم.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): الآيات 44 الى 45]..... ص: 209

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَ يُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (44) وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدائِكُمْ وَ كَفى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَ كَفى بِاللَّهِ نَصِيراً (45)

- آيتان-. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 210

فى الكوفى جعلوا (السبيل) آخر الأولى. و آية واحدة فى غير الكوفى.
ذكر ابن عباس، و قتادة، و عكرمة: أن الآية نزلت فى قوم من اليهود، و كانوا يستبدلون الضلالة بالهدى، لتكذيبهم بالنبى (ص) بدلا من التصديق به، مع قيام الحجة عليهم بما ثبت من صفته عندهم، فكأنهم اشتروا الضلالة بالهدى.
و قال أبو على الجبائى، و غيره: كانت اليهود تعطى أحبارها كثيراً من أموالهم على ما كانوا يصفونه لهم، فجعل ذلک اشتراء منهم. و قال الزجاج: كانوا يأخذون الرشا.

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها التأكيد للأحكام التي يجب العمل بها، بالتحذير ممن يدعو إلى خلافها، و يكذب بها. و قوله: «أَ لَمْ تَرَ» قال الزجاج، معناه: أ لم تخبر فى جميع القرآن؟ و قال غيره: أ لم تعلم؟ و قال الرمانى، معناه: رؤية البصر، و المرئى هو الدين، و إنما دخلت (إلى)، لأن الكلام يتضمن معنى التعجب، كقولك: أ لم تر إلى زيد ما أكرمه؟ تقديره: أ لم تر عجباً بانتهاء رؤيتك إلى زيد؟
ثم بين ذلك بقوله: ما أكرمه، و مثله قوله: «أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ» «1» .
كأنه قال: أ لم تر عجباً بانتهاء رؤيتك إلى تدبير ربك كيف مد الظل؟ قال:
و من فسره على: أ لم تخبر، أ لم تعلم، فإنما ذهب إلى ما يؤول المعنى إليه، لأن الخبر و العلم لا يصلح فيهما (إلى) كما يصلح مع الرؤية. و قوله: «وَ يُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ» معناه: يريد هؤلاء اليهود أن تضلوا: معشر المؤمنين، أى تزلوا عن قصد الطريق، و محجة الحق فتكذبوا بمحمد فتكونون ضلالا، و فى ذلك تحذير للمؤمنين أن يستنصحوا أحداً من أعداء الإسلام فى شىء من أمورهم لدينهم و دنياهم، ثم

---

(1) سورة الفرقان: آية 45.

بين تعالى أنه أعلم منكم بعداوة اليهود لكم أيها المؤمنون، فانتهوا إلى طاعتى، و امتثال أوامرى فيما نهيتكم عنه من استنصاحهم فى دينكم، فانى أعلم بباطنهم منكم، و ما هم عليه من الغش، و الحسد، و العداوة. و قيل: معناه: و اللّه يجازيهم على عداوتهم، كقولك: إنى أعلم ما تفعل أى اجازيك عليه.
و قوله: «وَ كَفى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَ كَفى بِاللَّهِ نَصِيراً» معناه: إن ولاية اللّه لكم، و نصرته إياكم، تغنيكم عن غيره من هؤلاء اليهود و من جرى مجراهم، ممن تطمعون فى نصرته. و دخلت الباء فى قوله: «باللّه» لأحد أمرين:
أحدهما- للتأكيد، لأن الاسم فى «كَفَى اللَّهُ» كان يتصل اتصال الفاعل، فلما دخلت الباء صار يتصل اتصال المضاف و اتصال الفاعل، ليعلم أن الكفاية منه ليست كالكفاية من غيره فى المرتبة، و عظم المنزلة، فضوعف لفظها لمضاعفة معناها.
الثانى- لأنه دخله معنى: اكتفوا باللّه، ذكره الزجاج، و موضعه رفع بلا خلاف.

و العداوة و الابعاد من حال النصرة، و ضدها الولاية، و هى التقرب من حال النصرة، و أما البغض فهو إرادة الاستخفاف و الاهانة، و ضده المحبة و هى إرادة الإعظام و الكرامة. و الكفاية بلوغ الغاية فى مقدار الحاجة، كفى يكفى كفاية فهو كاف، و الاكتفاء الاجتزاء بشىء دون شىء، و مثله الاستغناء، و النصرة الزيادة فى القوة للغلبة، و مثلها المعونة، و ضدها الخذلان، و لا يكون ذلک إلا عقوبة، لأن منع المعونة مع الحاجة عقوبة.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 46]..... ص: 211

اشارة

مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنا وَ عَصَيْنا وَ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَ راعِنا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ طَعْناً فِى الدِّينِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا وَ اسْمَعْ وَ انْظُرْنا لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَقْوَمَ وَ لكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (46)

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 212

- آية بلا خلاف-

قيل فى معنى قوله: «مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ» قولان:
أحدهما- قال الفراء، و الزجاج، و الرمانى: ان يكون تبيينا للذين «أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ» و يكون العامل فيه «أوتوا» و هو فى صلة الذين، و يجوز ألا يكون فى الصلة، كما تقول: انظر إلى النفر من قومک ما صنعوا.
الثانى- أن يكون على الاستئناف، و التقدير: «من الذين هادوا» فريق «يحرفون الكلم» كما قال ذو الرمة:
فضلوا و منهم دمعه سابق له و آخر يثنى دمعة العين بالمهل «1»
و أنشد سيبويه:
و ما الدهر إلا تارتان فمنهما أ موت و أخرى أبتغى العيش أكدح
و قال آخر:
لو قلت ما فى قومها لم تيثم يفضلها فى حسب و ميسم «2»
أى أحد يفضلها و قال النابغة:
كأنک من جمال بنى أقيش يقعقع خلف رجليه بشن «3»
يريد كأنک جمل من جمال بنى أقيش.

_____

(1) ديوانه: 485، و روايته (عبرة) بدل (دمعة). (بالهمل) بدل (بالمهل).
(2) قائله حكيم بن معية انظر الخزانة 2: 311.
(3) ديوانه: 58، و سيبويه 1: 375، و مجاز القرآن 1: 101. الشن: القربة البالية.

قال الفراء: المحذوف (من) و التقدير: من الذين هادوا من يحرفون الكلم كما يقولون: منا يقول ذاک و منا لا يقوله، قال: و العرب تضمر (من) فى مبتدأ الكلام بمن، لأن من بعض لما هى منه، كما قال: «وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ» «1» و قال: «وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها» «2» و أنشد بيت ذى الرمة الذى قدمناه، قال: و لا يجوز إضمار (من) فى شيء من الصفات على هذا المعنى إلا فى من لما قلناه، و ضعف البيت الذى أنشدناه: (لو قلت ما فى قومها لم تيثم) و هى لغة هوازن، و تأثم رواية أخرى. و قال انما جاز (فى) لأنک تجد (فى) تضارع معنى (من) لأنه بعض ما أضيف، لأنک تقول: فينا الصالحون و فينادون ذلک، كأنک قلت: منا، و لا يجوز: فى الدار يقول ذلک، و تريد: من يقول ذاک، لأنه إنما يجوز إذا أضفت (فى) إلى جنس المتروک. و قال أبو العباس، و الزجاج ما قاله الفراء لا يجوز، لأن (من) تحتاج إلى صلة أو صفة تقوم مقام الصلة، فلا يحسن حذف الموصول مع بقاء الصلة، كما لا يحسن حذف بعض الكلمة، و إنما قال:

«مِنَ الَّذِينَ هادُوا» لأنه ليس جميع اليهود حرفوا، و إنما حرف أحبارهم و علماؤهم.
و قوله: «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ» يعنى يغيرونها عن تأويلها، و الكلم جمع كلمة. و قال مجاهد: يعنى بالكلم التوراة.
و قوله: «سَمِعْنا وَ عَصَيْنا» يعنى اليهود يقولون: سمعناه قولك يا محمد، و يقولون سراً عصينا.
و قوله: «وَ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ» اخبار من اللَّه تعالى عن اليهود الذين كانوا حوالى المدينة فى عصره، لأنهم كانوا يسبون رسول اللَّه (ص) و يؤذونه بالقبيح من القول، و يقولون له: اسمع منا غير مسمع، كما يقول القائل لغيره إذا سبه بالقبيح:
اسمع لا أسمعک اللَّه، ذكره ابن عباس، و ابن زيد. و قال مجاهد، و الحسن: ان تأويل ذلک اسمع غير مقبول منک، أى غير مجاب.

---

(1) سورة الصافات: آية 164.
(2) سورة مريم: آية 71.

و قوله: «وَ راعِنا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها- أن هذه اللفظة كانت سباً فى لغتهم، فأعلم اللَّه نبيه ذلک و نهاهم عنها. الثانى- انها كانت تجرى منهم على وجه الاستهزاء و السخرية.
الثالث- انها كانت تجرى منهم على حد الكبر، كما يقول القائل: انصت لكلامنا، و تفهم عنا. و انما راعنا من المراعاة التى هى المراقبة. و قوله: «لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ» يعنى تحريكا منهم ألسنتهم بتحريف منهم لمعناه إلى المكروه.

و أصل اللى الفتل، تقول: لويت العود ألويه لياً، و لويت الغريم إذا مطلته، و اللوى من الرمل- مقصور- مسترقه، و لواء الجيش ممدود، و اللوية ما تتحف به المرأة ضيفها لتولى بقبله إليها، و ألوى بهم الدهر إذا أفناهم، و لوى البقل إذا اصفر و لم يستحكم يبسه.
و اللسان آلة الكلام، و اللسان اللغة، و منه قوله: «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ» «1» و لسن فلان فلاناً بلسنه إذا أخذه بلسانه، و رجل لَسن:
بين اللسن. و لسان الميزان، و لسان القوم: متكلمهم، و شىء ملسن إذا كان طرفه كطرف اللسان. و قوله: «وَ طَعْناً فِى الدِّينِ» فالأصل الطعن بالرمح و نحوه.
و الطعن باللسان كالطعن بالرمح. و منه تطاعنوا فى الحرب. و أطعنوا مطاعنة و طعناناً، و طعن يطعن و يطعن طعناً. و قوله: «وَ لَوْ أَنَّهُمْ قالُوا» يعنى هؤلاء اليهود «سَمِعْنا» يا محمد قولك «وَ أَطَعْنا» أمرك، و قبلنا ما جئنا به «وَ اسْمَعْ» منا «وَ انْظُرْنا» بمعنى انتظرنا نفسهم عنك ما تقول لنا «لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَقْوَمَ» يعنى أعدل و أصوب فى القول، مأخوذاً من الاستقامة، و منه قوله: «وَ أَقْوَمُ قِيلًا» «2» بمعنى و أصوب. و قوله: «وَ لكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ» يعنى أبعدهم اللَّه من ثوابه.
ثم أخبر تعالى، فقال: «فَلا يُؤْمِنُونَ» فى المستقبل «إِلَّا قَلِيلًا» منهم فإنهم آمنوا.

---

(1) سورة ابراهيم: آية 4.
(2) سورة المزمل: آية 6.

و قال البلخى: معناه لا يؤمنون إلا ايماناً قليلا كما قال الشاعر:
فألفيته غير مستعتب و لا ذاكر اللَّه إلا قليلا «1»
يريد إلا ذكراً قليلا. و سقط التنوين من ذاكر لاجتماع الساكنين. و قال أبو روق: إلا قليلا ايمانهم قولهم: اللَّه خالقنا و رازقنا، و ليس لعن اللَّه لهم بمانع لهم من الايمان، و قدرتهم عليه، لأنه إنما لعنهم اللَّه لما كفروا فاستحقوا ذلك، و لو تركوا الكفر و آمنوا، لزال عنهم استحقاق اللعن

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 47]..... ص: 215

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (47)

- آية-

هذه الآية خطاب لأهل الكتاب: اليهود، و النصارى أمرهم اللَّه بأن يؤمنوا بالنبى (ص) و ما أنزل عليه من القرآن. و غيره من الأحكام مصدقاً لما معهم من التوراة و الإنجيل اللذين تضمنا صفة النبى (ص) و صحة ما جاء به.
و قوله:
(مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها» قيل فى معناه أربعة أقوال:
أحدها- قال ابن عباس و عطية العوفى و قتادة: معناه نمحو آثارها حتى تصير كالقفا. و نجعل عيونها فى قفاها، فتمشى القهقرى.
الثانى- قال الحسن، و مجاهد، و الضحاك، و ابن أبى نجيح، و السدى، و رواه أبو الجارود عن أبى جعفر (ع): أن معناه نطمسها عن الهدى، فنردها على أدبارها فى ضلالتها ذماً لها «2» بأنها لا تصلح أبداً
، و هم و إن كانوا فى

---

(1) انظر 2، 76 تعليقة 2، 3.
(2) فى المخطوطة (و مآبها).

الضلالة فى الحال فتوعدهم بأنهم متى لم يؤمنوا بالنبى (ص) ازدادوا بذلک ضلالا إلى ضلالتهم و إياساً لهم أن يؤمنوا فيما بعد.
الثالث- قال الفراء، و اختاره البلخى، و الحسين بن على المغربى: إن معناه نجعل فى وجوههم الشعر كوجه القرود.
الرابع- قال قوم: معناه أن يردهم إلى الشام من الحجاز الذى هو مسكنهم، و هو أضعف الوجوه، لأنه ترک للظاهر، و خلاف أقوال المفسرين: و الأدبار: جمع دبر. فان قيل: كيف يجوز تأويل من قال نجعلها كالاقفاء و هذا لم يجز على ما توعد به؟ قيل عنه جوابان:
أحدهما- لأنه آمن من جماعة من أولئک الكفار كعبد اللّه بن سلام و ثعلبة بن شعبة و أسد بن ربيعة، و أسد بن عبيد، و مخيرق «1»، و غيرهم. و أسلم كعب فى أيام عمر حين سمع هذه الآية، فأما من لم يؤمن منهم فانه يفعل به ذلک فى الآخرة على أنه تعالى قال: أو نلعنهم، و المعنى أنه يفعل أحدهما، و لقد لعنهم اللّه بذلک. و قوله: «كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ» يعنى المسخ الذى جرى عليهم، ذكره البلخى.
و الجواب الثانى- أن الوعيد يقع بهم فى الآخرة، لأن اللّه تعالى لم يذكر أنه يفعل بهم ذلک فى الدنيا تعجيلا للعقوبة ذكره البلخى أيضاً، و الجبائى.

و الطمس هو الدثر، و هو عفو الأثر، و الطامس، و الداثر، و الدارس، بمعنى واحد. و طمست أعلام الطريق تطمس طموساً: إذا دثرت، قال كعب بن زهير:
من كل نضاحة الذفرى إذا غرقت عُرضتها طامس الاعلام مجهول «2»

_____
(1) فى المطبوعة: (و ثعلبة بن سعنة)، (و أسد بن سعنه)، (و أسد بن عبيد)، (و مخبر ق).
(2) ديوانه: 9: نضح الرجل العرق سال منه. الذفرى: الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن، و الاعلام: أعلام الطريق.

و العين التى هى الجارية عبارة عن الشق بين الجفنين. و الأدبار جمع دبر، و أصله من الدّبر يقولون دبره يدبره و دبراً فهو دابر: إذا صار خلفه. و الدبر: خلاف القبل. و الدابر: التابع. و منه قوله: «وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ» «1» أى تبع النهار. فأما أدبر فمعناه ولّى. و الدبور: الريح، لأنها تدبر الكعبة إلى جهة المشرق. و الدبار الهلاك. و دابرة الطائر: الإصبع التى من خلف. و الدبر: النحل.
و الدبر: المال الكثير، و التدبير، لأنه احكام ادبار الأمور، و هى عواقبها.

و قوله: «أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ» قال السدى، و قتادة، و الحسن: معناه نمسخهم قردة و إنما كنى عنهم بقوله: «أَوْ نَلْعَنَهُمْ» بعد أن خاطبهم بقوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ» لأمرين:
أحدهما- التصرف في الخطاب، و الانتقال من مواجهة إلى كناية كما قال: «حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ» فخاطب ثم قال: «وَ جَرَيْنَ بِهِمْ» «2» فكنى.
و الثانى- أن يعود الضمير على أصحاب الوجوه، لأنه بمنزلة المذكور.
و قوله: «وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ان كل أمر من أمور الله من وعد أو وعيد أو مخبر خبر فانه يكون على ما أخبر به، ذكره الجبائى.
و الثانى- ان معناه «وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» أى الذى يأمر به بقوله: «كن» و ذلک يدل على أن كلامه محدث. و قال البلخى: معناه أنه إذا أراد شيئاً من طريق الإجبار. و الاضطرار كان واقعاً لا محالة. لا يدفعه دافع، كقبض الأرواح، و قلب الأرض و إرسال الحجارة، و المسخ و غير ذلک، فأما ما يأمر به على وجه الاختيار، فقد يقع، و قد لا يقع. و لا يكون فى ذلک مغالبة له لأنه تعالى لو أراد إلجاءه إلى ما أمره به لقدر عليه.

---

(1) سورة المدثر: آية 33. [.....]
(2) سورة يونس: آية 22.

إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً (48)

- آية واحدة بلا خلاف-.

قال الفراء قوله: «أَنْ يُشْرَكَ» فى موضع النصب، و تقديره «إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ» الشرک قال: و يحتمل أن يكون موضعه الجر و تقديره و لا يغفر الذنب مع الشرک. و قال قوم: الفرق بين قوله: «إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ»، و بين قوله: «إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ» الشرک به من وجهين:

أحدهما- أن (أن) تدل على الاستقبال.

و الآخر- ذكره الرمانى أنها تدل على وجه الفعل فى الارادة، و نحوها. إذ كان قد يريد الإنسان الكفر مع ظنه أنه ايمان، كما يريد النصارى عبادة المسيح.

و لا يجوز ارادته أن يكفر مع التوهم انه ايمان و كذلک لا يريد الضر مع التوهم أنه نفع، و لا يجوز ارادته أن يضر مع التوهم أنه نفع، و كذلک أمره بالخطإ مع التوهم أنه صواب، و لا يجوز أمره أن يخطئ مع التوهم أنه صواب، و هذا عندى ليس بصحيح، لأن الشرک مذموم على كل حال سواء علمه فاعله كذلک، أو لم يعلم. ألا ترى أن النصارى يستحقون اللعنة و البراءة على ما يعتقدونه من التثليث و إن اعتقدوا هم صحته، فالفرق الاول هو الجيد و ظاهر الآية يدل على أن اللّه تعالى لا يغفر الشرک أصلا، لكن أجمعت الأمة على أنه لا يغفره مع عدم التوبة، فأما إذا تاب منه فانه يغفره، و إن كان عندنا غفران الشرک مع التوبة تفضلا، و عند المعتزلة هو واجب، و هذه الآية من آكد ما دل على أن اللّه تعالى يعفو عن المذنبين من غير توبة و وجه الدلالة منها أنها نفى أن يغفر الشرک إلا مع التوبة و أثبت أنه يغفر ما دونه، فيجب أن يكون مع عدم التوبة، لأنه إن كان ما دونه، لا يغفره إلا مع التوبة، فقد صار ما دون الشرک مثل الشرک، فلا معنى التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 219

للنفى، و الإثبات. و كان ينبغى أن يقول: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ) المعاصى إلا بالتوبة ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول الحكيم أنا لا أعطى الكثير من مالى تفضلا، و اعطى القليل إذا استحق على، لأنه كان يجب أن يقول: أنا لا أعطى شيئاً من مالى إلا إذا استحق على كيف و فى الآية ذكر العظيم الذى هو الشرک، و ذكر ما هو دونه؟

و الفرق بينهما بالنفى و الإثبات، فلا يجوز ألا يكون بينهما فرق من جهة المعنى. فان قيل: نحن نقول: إنه يغفر ما دون الشرک من الصغائر من غير توبة. قلنا: هذا فاسد من وجهين.

أحدهما- انه تخصيص، لأن ما دون الشرک يقع على الكبير و الصغير. و اللّه تعالى أطلق أنه يغفر ما دونه، فلا يجوز تخصيصه من غير دليل.
الثانى- ان الصغائر تقع محبطة فلا يجوز المؤاخذة بها عند الخصم و ما هذا حكمه لا يجوز تعليقة بالمشيئة و قد علق اللّه تعالى غفران ما دون الشرک بالمشيئة، لأنه قال: «لِمَنْ يَشاءُ» فان قيل: تعليقه بالمشيئة يدل على أنه لا يغفر ما دون الشرک قطعاً. قلنا: المشيئة دخلت فى المغفور له لا فيما يغفر، بل الظاهر يقتضى انه يغفر ما دون الشرک قطعاً، لكن لمن يشاء من عباده، و بذلک تسقط شبهة من قال القطع على غفران ما دون الشرک من غير توبة، إغراء بالقبيح الذى هو دون الشرک، لأنه إنما يكون إغراء لو قطع على أنه يغفر ذلک لكل أحد. فأما إذا علق غفرانه لمن يشاء، فلا إغراء لأنه لا أحد إلا و هو يجوز أن يغفر له، كما يجوز أن يؤاخذ به فالزجر حاصل على كل حال، و متى عارضوا هذه الآية بآيات الوعيد كقوله:
«وَ مَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذاباً كَبِيراً» «1» و قوله: «وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها» «2» و قوله: «إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ» «3» كان لنا أن نقول: العموم لا صيغة له، فمن أين لكم أن المراد به جميع العصاة ثم نقول نحن نخص آياتكم بهذه الآية و نحملها على الكفار. فمتى قالوا لنا: بل نحن نحمل

---

(1) سورة الفرقان: آية 19.
(2) سورة النساء: آية 13.
(3) سورة الانفطار: آية 14.

آياتكم على أصحاب الصغائر. فقد تعارضت الآيات و وقفنا و جوزنا العفو بمجرد العقل، و هو غرضنا و قد استوفينا ما فى ذلک فى الأصول فى باب الوعيد من أراده وقف عليه من هناک و قوله: (وَ مَنْ يُشْرِکْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً) معناه من يشرک باللّه، فقد كذب، لأنه يقول: إن عبادته يستحقها غير اللّه. و ذلک افتراء، و كذب. و قوله: «إِثْماً عَظِيماً» نصب على المصدر فكأنه قال: افترى، و أثم «اثماً عظيماً» لأن افترى بمعنى أثم، فلذلک نصب المصدر به. و قال ابن عمر:
لما نزل قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً» ظن أنه تعالى يغفر الشرک أيضاً، فانزل اللّه هذه الآية. و قال ابن عمر: ما كنا نشک معشر أصحاب رسول اللّه (ص) فى قاتل المؤمن، و آكل مال اليتيم و شاهد الزور، و قاطع الرحم، حتى نزلت هذه الآية فأمسكنا عن هذه الشهادة. و هذا يدل على أن الصحابة كانت تقول بما نذهب إليه من جواز العفو عن فساق أهل الملة من غير توبة، بخلاف ما يذهب إليه أصحاب الوعيد من المعتزلة، و الخوارج، و غيرهم.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 49]..... ص: 220

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّی مَنْ يَشاءُ وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (49)
- آية بلا خلاف-.

قد فسرنا معنى «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ» فيما مضى، و أن معناه أ لم تعلم فى قول أكثر أهل العلم، و اللغة و قال بعضهم: معناه أ لم تخبر و فيه سؤال على وجه الاعلام.
و تأويله اعلم قصتهم أ لم ينته علمک إلى هؤلاء الذين يزكون أنفسهم؟ و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال الحسن، و الضحاک، و قتادة، و ابن زيد،
و هو المروى عن أبى جعفر (ع): انهم اليهود، و النصارى فى قوله: «نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ» «1»

---

(1) سورة المائدة: آية 20.

«وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى تِلْکَ أَمانِيُّهُمْ» «1»
قال الزجاج: اليهود جاءوا إلى النبى (ص) بأولادهم الأطفال، فقالوا يا محمد أعلى هؤلاء ذنوب؟ فقال (ص): لا، فقالوا: كذلک نحن ما نعمل بالليل يغفر بالنهار، و ما نعمل بالنهار يغفر بالليل، فقال اللَّه تعالى: (بَلِ اللَّهُ يُزَكِّى مَنْ يَشاءُ)
و قال:
مجاهد، و أبو مالک: كانوا يقدمونهم فى الصلاة و يقولون: هؤلاء لا ذنب لهم.
و قال ابن عباس: كانوا يقولون: أطفالنا يشفعون لنا عند اللَّه.
الثانى- روى عن عبد اللَّه بن مسعود انه تزكية الناس بعضهم بعضاً لينالوا بذلک مالا من مال الدنيا، فأخبر اللَّه تعالى أنه الذى يزكى من يشاء. و تزكيتهم أنفسهم هو أن يقولوا: نحن أزكياء.

و الزّكا النمو يقال زكا الزرع يزكو و زكا الشىء: إذا نما فى الصلاح و قوله: «وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا» قال الزجاج: لا يظلمون مقدار فتيل. فيكون نصبه على أنه مفعول ثان: كقولك: ظلمته حقه أى انتقصته حقه. قال الرمانى: و يحتمل أن يكون نصباً على التمييز كقولك: تصببت عرقاً. و قيل فى معنى الفتيل هاهنا قولان:

أحدها- هو قول ابن عباس فى رواية و قول عطاء ابن أبى رياح، و مجاهد، و قتادة، و الضحاك، و عطية: إنه الذى فى شق النواة. و قال الحسن: الفتيل ما فى بطن النواة، و النقير: ما فى ظهرها، و القطمير قشرها.

الثانى- ما فتلت بين إصبعيك من الوسخ. فى رواية أخرى عن ابن عباس، و أبى مالك، و السدى: و الفتل: لى الشىء يقال. فتلت الحبل أفتله فتلا، و انفتل فلان فى صلاته. و الفتيلة معروفة. و ناقة فتلاء. إذا كان فى ذراعيها فتل عن الجنب.

و الفتيل فى معنى المفتول.

---

(1) سورة البقرة: آية 111.

و وجه اتصال قوله: «وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا» بما قبله أنه لما قال: «بَلِ اللَّهُ يُزَكِّى مَنْ يَشاءُ» نفى عن نفسه الظلم لئلا يظن أن الامر بخلافه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 50]..... ص: 222

اشارة

انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ كَفى بِهِ إِثْماً مُبِيناً (50) - آية بلا خلاف-.

النظر هو الإقبال على الشىء بالبصر و من ذلک النظر بالقلب، لأنه إقبال على الشىء بالقلب، فکذلک النظر بالرحمة، و نظر الدهر إلى الشىء: إذا أهلکه، و النظر إلى الشىء تلمسه و النظر إليه بالتأميل له. و الانتظار: الإقبال على الشىء بالتوقع له. و الانظار التأخير إلى وقت. و الاستنظار سؤال الانظار. و المناظرة: اقبال کل واحد على الآخر بالمحاجة. و النظير مثل الشىء لا قباله على نظيره بالمماثلة.
و الفرق بين النظر بالعين، و بين الرؤية أن الرؤية هى إدراک المرئى، و النظر إنما هو الإقبال بالبصر نحو المرئى، و لذلک قد ننظر و لا نراه، کما يقولون: نظرت إلى الهلال فلم أره، و لذلک يجوز أن يقال فى اللّه أنه رائى. و لا يجوز أن يقال ناظر.
و قوله: «کَيْفَ يَفْتَرُونَ» فالافتراء و الاختلاق متقاربان، و الفرق بينهما أن الافتراء هو القطع على کذب أخبر به، و اختلق قدر کذباً اخبر به، لأن الفرى القطع، و الخلق التقدير.

و افتراؤهم الكذب على اللَّه هاهنا المراد به تزكيتهم لأنفسهم بانا «أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ» و أنه «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى» ذكره ابن جريح و قوله: «وَ كَفى بِهِ إِثْماً مُبِيناً» معناه تعظيم إثمه و إنما يقال كفى به فى العظم على جهة المدح أو الذم، كقولك: كفى بحال المؤمن نبلا و كفى بحال الكافر إثماً التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 223
كأنه قيل: ليس يحتاج إلى حال أعظم منه فى المدح أو الذم. كما يقال ليس يحتاج إلى أكثر مما به. و يحتمل أن يكون معناه كفى هذا إثماً أى ليس يقصر عن منزلة الإثم.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 51]..... ص: 223

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً (51)
- آية بلا خلاف-.

قيل فى المعنى بهذه الآية قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و قتادة: هم جماعة من اليهود منهم: حى بن أخطب و كعب بن الأشرف، و سلام بن أبى الحقيق، و الربيع بن الربيع «1» . قالوا لقريش:
أنتم أهدى سبيلا ممن آمن بمحمد.
الثانى- قال عكرمة إن المعنى به كعب بن الأشرف، لأنه قال هذا القول، و سجد لصنمين كانا لقريش. و قيل فى معنى الجبت، و الطاغوت خمسة أقوال:
أحدها- قال عكرمة: إنهما صنمان. و قال أبو على: هؤلاء جماعة من اليهود آمنوا بالأصنام التى كانت تعبدها قريش، و العرب مقاربة لهم ليعينوهم على محمد (ص).
الثانى- قال ابن عباس: الجبت الأصنام. و الطاغوت: تراجمة الأصنام الذين يتكلمون بالتكذب عنها.
الثالث- إن الجبت الساحر. و الطاغوت الشيطان، قاله ابن زيد. و قال مجاهد: الجبت: السحر.

---

(1) فى المخطوطة (الربيع) بإسقاط (ابن الربيع) و فى مجمع البيان (أبو رافع).

الرابع- قال سعيد بن جبير، و أبو العالية: الجبت: الساحر. و الطاغوت: الكاهن.
و الخامس- فى رواية عن ابن عباس و الضحاك: ان الجبت حى بن أخطب، و الطاغوت كعب بن الأشرف، لأنهما جاء إلى مكة، فقال لهما أهل مكة: أنتم أهل الكتاب و أهل العلم القديم، فأخبرونا عنا و عن محمد (ص)، فقالا: ما أنتم و ما محمد؟ قالوا: نحن ننحر الكوماء و نسقى اللبن على الماء، و نفك العناة، و نصل الأرحام، و نسقى الحجيج. و محمد منبوز قطع أرحامنا، و اتبعه سراق الحجيج بنو غفار فقالا: أنتم خير منه، و أهدى سبيلا فانزل اللَّه هذه الآية. و قال الزجاج، و الفراء، و البلخى: هما كل معبود من دون اللَّه تعالى.

و وزن طاغوت فعلوت على وزن رهبوت. قال الخليل: هو من طغا و قلبت اللام إلى موضع العين كما قيل: لاث فى لايث. و شاک فى شايک. و هذا تغيير لا يقاس عليه، لكنه يحمل على النظير. و الجبت لا تصريف له فى اللغة العربية.
و قيل: هو الساحر بلغة حبش عن سعيد بن جبير: و السبيل المذكور فى الآية هو الدين. و إنما سمى سبيلا، لأنه كالسبيل الذى هو الطريق فى الاستمرار عليه ليؤدى إلى الغرض المطلوب. و نصبه على التمييز كقولک هو أحسن منک وجهاً و أجود منک ثوباً لأنک فى قولک: هذا أجود منک قد أبهمت الشىء الذى فضلته به إلا أن تريد ان جملته أجود من جملتک فتقول هذا أجود منک و تمسک.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 52]..... ص: 224

اشارة

أُولئِکَ الَّذِینَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ یَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِیراً (52)
- آیة بلا خلاف-. التبیان فی تفسیر القرآن، ج3، ص: 225

قوله: (أولئک) اشارة إلى الذين ذكرهم فى الآية الاولى. و قال قتادة: لما قال كعب بن الأشرف، و حى بن أخطب «هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا» و هما يعلمان أنهما كاذبان. أنزل اللَّه هذه الآية «أُولئِکَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً» فالوعيد فيها على ما تقدم من القول على جهة العناد، لأنها اشارة إلى ما تقدم من صفتهم الدالة على عنادهم.

(أولئک) لفظ جمع، و واحده ذا فى المعنى كما قالوا: نسوة فى جماعة النساء.
و للواحدة امرأة. و غلب على أولاء (ها) التى للتنبيه. و ليس ذلک فى أولئک، لأن فى حرف الخطاب تنبيهاً للمخاطب إذ كان الكاف انما هو حرف لحق، لتنبيه المخاطب، فصار معاقباً للهاء التى للتنبيه فى أكثر الاستعمال. و اللعنة: الابعاد من رحمة اللّه عقابا على معصيته، فلذلک لا يجوز لعن البهائم، و لا من ليس بعاقل من المجانين، و الأطفال، لأنه سؤال العقوبة لمن لا يستحقها. فمن لعن حية أو عقرباً أو نحو ذلک مما لا معصية له فقد اخطأ، لأنه سأل اللّه عز و جل ما لا يجوز فى حكمته.
فان قصد بذلک الابعاد لا على وجه العقوبة، كان ذلک جائزاً. فان قيل: كيف قال: «فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً» مع تناصر أهل الباطل على باطلهم؟ قلنا: عنه جوابان:
أحدهما- «فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً» ينصره من عقاب اللَّه الذى يحله به مما قد أعده له، لأنه الذى يحصل عليه و ما سواه يضمحل عنه.
الثانى- «فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً»، لأنه لا يعتد بنصرة ناصر له مع خذلان اللَّه إياه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 53..... ص: 225

اشارة

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً (53)
آیه التبیان فی تفسیر القرآن، ج3، ص: 226

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها اتصال الصفة بالبخل، و الصفة بالحسد و الجهل، لأن قوله: «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ، وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا» يدل على أنهم حسدوا المؤمنون و أنهم يعملون أعمال الجاهلين، إلا أن الكلام خرج مخرج الاستفهام، للتوبيخ، و التقريع بتلك الحال. و جاءت أم هاهنا غير معادلة للالف لتدل على اتصال الثانى بالأول. و المعنى بل أ لهم نصيب من الملک؟ و تسمى أم هذه المنقطعة عن الالف لأنها بخلاف المتصلة بها على المعادلة. و مثله «الم تَنْزِيلُ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ» «1» و قال بعضهم: إن الالف محذوفة، لأن أم لا تجىء مبتدأة على تقدير أ هم أولى بالنبوة «أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ» فيلزم الناس طاعتهم. و هذا ضعيف، لأن حذف الالف إنما يجوز فى ضرورة الشعر بالإجماع و لا ضرورة فى القرآن. «و إذاً» لم تعمل فى يؤتون لأنها إذا وقعت بين الفاء، و الفعل، جاز أن تقدر متوسطة فتلغى كما تلغى (أرى) «2» إذا توسطت أو تأخرت، لأن النية به التأخير. و التقدير أم لهم نصيب من الملک فلا يؤتون الناس نقيراً اذاً، و كذلک إذا كان معها واو، نحو «وَ إِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَکَ إِلَّا قَلِيلًا» «3» و يجوز أن تقدر مستأنفة، فتعمل مع حرف العطف.

و (اذن) لا تعمل إلا بشروط أربعة: أن تكون جوابا لكلام، و أن تكون مبتدأة فى اللفظ، و لا يكون ما بعدها متعلقاً بما قبلها، و يكون الفعل بعدها مستقبلا.

و متى نقص واحد من هذه الشروط لم تعمل.

و قوله: «لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً» اخبار من اللَّه تعالى عن لومهم، و بخلهم

---

(1) سورة أ لم السجدة: آية 1، 2، 3.
(2) أى (أرى) القلبية.
(3) سورة الإسراء: آية 76.

أى لا يؤتونهم نقيراً. و قيل فى معنى النقير هاهنا ثلاثة أقوال:
أحدها- قال ابن عباس، و قتادة، و السدى، و عطاء، و الضحاك، و ابن زيد: إنه النقطة التى فى ظهر النواة. و قال مجاهد: هو الحبة التى فى بطن النواة. و فى رواية أخرى عن ابن عباس أن النقير ما نقر الرجل بإصبعه، كما ينقر الدرهم. و النقر: النكت و منه المنقار، لأنه ينقر به. و الناقور: الصور، لأن الملك ينقر فيه بالنفخ المصوت. و النقرة: حفرة فى الأرض أو غيرها، و النقير:
خشبة تنقر و ينبذ فيها. و المناقرة: مراجعة الكلام. و انتقر: اختص كما يختص بالنقر واحداً واحداً. و المنقر: المقلع عن الشىء، لأنه كما يقلع فى النقر، ثم يعود إليه.
و معنى «أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ» ما يدعيه اليهود أن الملك يعود إليه.
و قوله: «فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ» يعنى العرب. و ذكر الزجاج فى معناه وجهين:
أحدهما- بل لهم نصيب، لأنهم كانوا أصحاب بساتين و أموال، و كانوا فى غاية البخل.
و الثانى- أنهم لو أعطوا الملك، ما أعطوا الناس نقيراً من بخلهم اختاره البلخى و به قال السدى، و ابن جريح.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 54]..... ص: 227

اشارة

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً (54)
- آية-

المعنى بقوله: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال ابن عباس، و مجاهد، و الضحاک، و السدی، و عکرمة:
إنه النبی (ص)، و هو قول أبی جعفر (ع)، و زاد فيه و آله.
التبيان فی تفسير القرآن، ج3، ص: 228
الثانی- قال قتادة: هم العرب «1» : محمد (ص) و أصحابه، لأنه قد جری ذکرهم فی قوله: «يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا» ذکره الجبائی.
و الفضل المذکور فی الآية قيل فيه قولان:
أحدهما- قال الحسن، و قتادة، و ابن جريج: النبوة. و هو
قول أبی جعفر (ع) قال و فی آله الامامة.
الثانی- قال ابن عباس: و الضحاک و السدی ما أباحه اللَّه للنبی من نکاح تسعة.

و الحسد تمنى زوال النعمة عن صاحبها لما يلحق من المشقة فى نيله لها، و الغبطة: تمنى مثل النعمة، لأجل السرور بها لصاحبها، و لهذا كان الحسد مذموماً و الغبطة غير مذمومة. و قيل: إن الحسد من افراط البخل، لأن البخل مع النعمة، للمشقة بذلها. و الحسد تمنى زوالها لمشقة نيل صاحبها لها بالعمل فيها على المشقة بنيل النعمة. ثم قال «فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً» فما حسدوهم على ذلک فكيف حسدوا محمداً و آله ما أعطاهم اللّه إياه.

و الملک المذکور فی الآیة هاهنا قیل فیه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال ابن عباس: هو ملک سلیمان، و به قال عطیة العوفی.
الثانی- قال السدی: هو ما أحل لداود من النساء تسع و تسعون امرأة، و لسلیمان مائة لأن الیهود عابت النبی (ص) بکثرة النساء فبین اللّه ان ذلک و أکثر منه کان فی آل ابراهیم.
الثالث- قال مجاهد، و الحسن: إنه النبوة.
و قال أبو جعفر (ع): انه الخلافة، من أطاعهم، أطاع اللَّه و من عصاهم عصی اللّه.

_____
(1) فی المخطوطة (الذین هم محمد...).

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 55]..... ص: 229

اشارة

فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً (55) - آية بلا خلاف-.

الضمير فى قوله: «فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ» يحتمل أن يكون عائداً إلى أحد أمرين:
أحدهما- قال مجاهد، و الزجاج، و الجبائى: إن من أهل الكتاب من آمن بمحمد (ص) لتقدم الذكر فى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ» «1» .
الثانى- فمن أمة ابراهيم من آمن بإبراهيم، و منهم من صد عنه. كما أنكم فى أمر محمد (ص) كذلك. و ليس فى ذلك توهين لأمره كما ليس فيه توهين لأمر ابراهيم. و اتصال الكلام على هذا الوجه ظاهر و على الوجه الأول تقديره وقع «2» هذا كله «فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ» و قال قوم:
«فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ» بداود و سليمان «وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ» و ليس فى الآية دلالة على أن ما تقدم من الوعيد إنما صرف عنهم لأيمان هذا الفريق، لأنه قال فى الآخرة «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ» «3» و قال بعضهم: فيه دلالة على ذلك، و لذلك قال: «وَ كَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً» أى ان كان صرف بعض العقاب، فكفى بجهنم استغرافا بالعذاب.

و سعير بمعنى مسعورة و ترک- لأجل الصرف- التأنيث للمبالغة فى الصفة كما قالوا: كف خضيب و لحية دهين. و تركت علامة التأنيث، لأنها لما كان دخولها فيما

---

(1) سورة النساء: آية 46.
(2) فى المخطوطة (ومع) بدل (وقع).
(3) سورة آل عمران: آية 106. [.....]

ليست له، للمبالغة نحو رجل علامة كان سقوطها فيما بقى له للمبالغة فحسن هذا التقابل فى الدلالة. و السعر: إيقاد النار و منه قوله: «وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ» «1» و استعرت النار و الحرب و الشر استعاراً. و استعرتها اسعاراً. و سعرتها تسعيراً.
و السعر: سعر المتاع و سعروه تسعيراً و ذلک لاستعار السوق بحماها فى البيع.
و الساعور كالتنور فى الأرض. و المسعور: الذى قد ضربته السموم، و العطش.
و زيدت الباء فى قوله: «وَ كَفى بِجَهَنَّمَ» لتأكيد الاختصاص، لأنه يتعلق به من وجهين: وجه الفعل فى كفى جهنم كقولک: كفى اللّه، و وجه الاضافة فى الكفاية بجهنم. و على ذلک قيل: كفى باللّه للدلالة على أن الكفاية تضاف إليه من أوكد الوجوه، و هو وجه الفعل، و وجه المصدر.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 56]..... ص: 230

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً (56)
- آية بلا خلاف-.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أن من جحد معرفته و كذَّب أنبياءه، و دفع الآيات التى تدل على توحيده، و صدق نبيه أنه صوف يصليه ناراً لتدل على أن ذلک يفعله بهم فى المستقبل، و لم يكن دخولها للشک، لأنه تعالى عالم بالأشياء لا يخفى عليه أمر من الأمور. و معنى نصليه ناراً: نلزمه إياها تقول: أصليته النار: إذا ألقيته فيها، و صليته صلياً: إذا شويته: و شاة مصلية أى مشوية. و الصلا الشواء.
و صلى فلان بشر فلان. و صلى برجل سوء.
و قوله: «كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها» قيل فيه ثلاثة أقوال:

---

(1) سورة التكوير: آية 12.

أحدها- قال الرمانى: إن اللَّه يجدد لهم جلوداً غير الجلود التى احترقت و تعدم المحترقة على ظاهر القرآن من أنها غيرها، لأنها ليست بعض الإنسان. قال قوم هذا لا يجوز، لأنه يكون عذب من لا يستحق العذاب. قال الرمانى: لا يؤدى إلى ذلک، لأن ما يزاد لا يألم، و لا هو بعض لما يألم، و إنما هو شىء يصل به الألم إلى المستحق له. و قال الجبائى: لا يجوز أن يكون المراد ان يزاد جلداً على جلده، كلما نضجت لأنه لو كان كذلک لوجب أن يملأ جسد كل واحد من الكفار جهنم إذا أدام اللَّه العقاب، لأنه كلما نضجت تلک الجلود زاد اللَّه جلدا آخر، فلا بد أن ينتهى إلى ذلک.
و الجواب الثانى- اختاره البلخى و الجبائى، و الزجاج: ان اللَّه تعالى يجددها بان يردها إلى الحالة التى كانت عليها غير محترقة، كما يقال جئتنى بغير ذلک الوجه و كذلک، إذا جعل قميصه قباء جاز أن يقال جاء بغير ذلک اللباس أو غير خاتمه فصاغه خاتماً آخر جاز أن يقال هذا غير ذلک الخاتم، و هذا هو المعتمد عليه.
و الثالث- قال قوم: إن التبديل إنما هو للسراويل التى ذكرها اللَّه فى قوله: «سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ» «1» فأما الجلود فلو عذبت ثم أوجدت، لكان فيه تفتير عنهم، و هذا بعيد، لأنه ترک للظاهر و عدول بالجلود إلى السرابيل، و لا نقول إن اللَّه تعالى يعدم الجلود بل على ما قلناه يجددها و يطريها بما يفعل فيها من المعانى التى تعود إلى حالتها، فأما من قال: إن الإنسان غير هذه الجملة، و أنه هو المعذب، فقد تخلص من هذا السؤال. و يقوَّى ما قلناه ان أهل اللغة يقولون: أبدلت الشىء بالشىء إذا أزلت عيناً بعين، كما قال الراجز:
عزل الأمير بالأمير المبدل

و بدلت- بالتشديد- إذا غيرت هيئة، و العين واحدة. يقولون: بدَّلت جبنتى قميصاً: إذا جعلتها قميصاً ذكره المغربى، و قال البلخى: و يحتمل وجهاً آخر و هو أن يخلق اللَّه لهم جلداً آخر فوق جلودهم، فإذا احترق التحتانى أعاده اللَّه.

---

(1) سورة ابراهيم: آية 50.

و هكذا يتعقب الواحد الآخر قال: و يحتمل أن يخلق اللَّه لهم جلداً لا يألم يعذبهم فيه، كما يعذبهم فى سرابيل القطران.

فان قيل: كيف قال: «لِيَذُوقُوا الْعَذابَ» مع أنه دائم لازم؟ قيل: لأن احساسهم فى كل حال كاحساس الذائق فى تجدد الوجدان من غير نقصان، لأن من استمر على الأكل، لا يجد الطعم، كما يجد الطعم من يذوقه. و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً» معناه أنه قادر قاهر لا يمتنع عليه انجاز ما توعد به أو وعد، و حكيم فى فعله لا يخلف وعيده، و لا يفعل إلا قدر المستحق به فينبغى للعاقل أن يتدبره، و يكون حذره منه على حسب علمه به و لا يغترَّ بطول الامهال، و السلامة من تعجيل العقوبة.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 57]..... ص: 232

اشارة

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً (57)
- آية بلا خلاف-.

لما ذكر اللَّه تعالى فى الآية الأولى ما توعد به الكفار و الجاحدين لآياته تعالى، وعد فى هذه الآية المصدقين به تعالى، و العاملين الأعمال الصالحات، و هى الحسنات التى هى طاعات اللَّه، و صالح يجرى على وجهين:
أحدهما- على من يعمل الطاعة.
الثانى- على نفس العمل و يقال: رجل صالح، و معناه ذو عمل صالح، و يقال:
عمل صالح، فيجرى عليه الوصف بأنه صالح. وعدهم بأن سيدخلهم جنات و هى جمع جنة و هى البستان التى يجنها الشجر «تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» و فيه محذوف، لأن التقدير تجرى من تحتها مياه الأنهار، لأن الماء هو الجارى دون الأنهار التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 233
غير أنه بعرف الاستعمال سقط عنه اسم مجاز، كما سقط فى قولهم: هذا شعر امرئ القيس و ان كان المراد انه حكاية عنه، فأما قوله: «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» مجاز لا محالة، لأنه لا بد فيه من تقدير أهلها، و قوله: «خالِدِينَ فِيها أَبَداً لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ» يعنى من النفاس و الحيض و من جميع الأقذار، و الأدناس.

و الطهارة نقيض النجاسة. و النجاسة في الأصل هى ما كان نتناً نحو الجيف، و غيرها، و شبه بذلک نجاسة الحكم تبعاً للشريعة كما يقال فى الخمر: إنها نجسة.
و قوله: «وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا» فالظل أصله الستر من الشمس قال رؤبة: كل موضع يكون فيه الشمس، فتزول عنه، فهو ظل و فىء. و ما سوى ذلک فظل، لا يقال فيه فىء. و الظل: الليل، لأنه كالستر من الشمس. و الظلة: السترة، و ظل يفعل كذا: إذا فعله نهاراً، لأنه فى الوقت الذى يكون للشمس ظل. و الاظلال الدنو، لأن الشىء بدنوه، كأنه قد ألقى عليک ظله. و الأظل: باطن منسم البعير، لأن المنسم يستره. و الظليل: هو الكنين، لأنه لا شمس فيه و لا سموم. قال الحسن:
ربما كان ظل ليس بظليل، لأنه يدخله الحر و السموم، فلذلک وصف ظل الجنة بأنه ظليل. و منه قوله: «وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ» «1» لأنه ليس كل ظل ممدوداً. و
روى أن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام، لا يقطعها و هى شجرة الخلد.
و قيل: إنما قال «ظِلًّا ظَلِيلًا» فرقا بينه و بين «ظِلٍّ ذِى ثَلاثِ شُعَبٍ لا ظَلِيلٍ وَ لا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ» «2» و قيل يدخلهم ظلا ظليلا فى الموقف حيث لا ظل إلا ظل عرشه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 58]..... ص: 233

اشارة

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً (58)

_____

(1) سورة الواقعة: آية 31.
(2) سورة المرسلات آية 31- 32.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 234
- آية بلا خلاف-

قيل فى المعنى بهذه الآية ثلاثة أقوال:
أولها- ما قال ابن عباس، و أبى بن كعب، و الحسن، و قتادة،
و هو المروى عن أبى جعفر (ع)، و أبى عبد اللَّه (ع): إن كل مؤتمن على شىء يلزمه رده.
الثانى- قال زيد بن أسلم، و مكحول، و شهر بن حوشب:
إن المراد به ولاة الأمر و هو اختيار الجبائى، و روى ذلک عن أبى جعفر أيضاً و أبى عبد اللَّه (ع) و قالوا: أمر اللَّه الأئمة كل واحد منهم أن يسلم الأمر إلى من بعده
، و على الوجه الأول يدخل هذا فيه، لأن ذلک من جملة ما ائتمنه اللَّه عليه. و لذلک
قال أبو جعفر (ع): إن أداء الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج من الأمانة، و يكون الأمر لآمر بأداء الأمانة من الغنائم و الصدقات، و غير ذلک مما يتعلق به حق الرعية.
الثالث- قال ابن جريج: نزلت فى عثمان بن طلحة. أمر اللَّه تعالى نبيه أن يرد إليه مفاتيح الكعبة، و المعتمد هو الأول، و إن كان الأخير روى أنه سبب نزول الآية، غير أنه لا يقصر عليه.

تقول: أديت الشىء أؤديه تأدية، و هو المصدر الحقيقى، و لو قلت: أديت أداء كان جائزاً يقام الاسم مقام المصدر. و يقال: أدوت للصيد آدو له ادواً: إذا ختلته، لتصيده. و أدى اللبن يأدى: إذا حمض. و قوله: «وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» أمر اللّه تعالى الحكام بين الناس أن يحكموا بالعدل لا بالجور «إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ» معناه نعم الشىء شيئاً يعظكم اللّه به من أداء الامانة و كتبت (ما) فى (نعما) موصولة، لأنها بمنزلة الكافة فى (إنما)، و (ربما)، غير انها فى نعما التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 235

اسم يعود إليه الضمير فى (به) فتقديره نعم شيئاً يعظكم به أو نعم وعظاً يعظكم به، و لا يجوز إسكان العين مع الميم فى نعما لأنه جمع بين ساكنين، و لكن يجوز اختلاس الحركة من غير إشباع الكسرة، كالاختلاس فى (يأمركم و بارئكم) و على هذا تحمل قراءة أبى عمر. و قال الزجاج: اجتماع الساكنين فيه ينكره جميع البصريين.

و السميع: هو من كان على صفة يجب لأجلها أن يسمع المسموعات إذا وجدت و البصير من كان على صفة يجب لأجلها أن يبصر المبصرات إذا وجدت. و السامع هو المدرک للمسموعات. و المبصر هو المدرک للمبصرات. و لذلک يوصف تعالى فيما لم يزل بأنه سميع بصير، و لا يوصف بأنه سامع مبصر إلا بعد وجود المبصرات و المسموعات.

و قوله: (إِنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً» اخبار بأنه كان سميعاً بصيراً فيما مضى.

و ذلک يرجع إلى كونه حياً لا آفة به فإذا كان لا يجوز خروجه عن كونه حياً، فلا يجوز خروجه عن كونه سميعاً بصيراً.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 59]..... ص: 235

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً (59)
- آية بلا خلاف-.

هذا خطاب من اللَّه تعالى للمؤمنين يأمرهم أن يطيعوه و يطيعوا رسوله و يطيعوا أولى الأمر منهم، فالطاعة هى امتثال الأمر. فطاعة اللَّه هى امتثال أوامره و الانتهاء عن نواهيه، و طاعة الرسول كذلک امتثال أوامره و طاعة الرسول أيضاً هى طاعة اللَّه، لأنه تعالى أمر بطاعة رسوله، فمن أطاع الرسول، فقد أطاع التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 236
اللَّه كما قال «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ» «1» فأما المعرفة بأنه رسول، فمعرفة بالرسالة و لا يتم ذلک إلا بعد المعرفة باللَّه، و ليست إحداهما هى الأخرى، و طاعة الرسول واجبة فى حياته و بعد وفاته، لأن بعد وفاته يلزم اتباع سنته، لأنه دعا إليها جميع المكلفين إلى يوم القيامة، كما أنه رسول إليهم أجمعين. فأما أولو الأمر، فللمفسرين فيه تأويلان.
أحدهما- قال أبو هريرة، و فى رواية عن ابن عباس، و ميمون بن مهران، و السدى و الجبائى، و البلخى، و الطبرى: إنهم الامراء.
الثانى- قال جابر بن عبد اللَّه، و فى رواية أخرى عن ابن عباس، و مجاهد، و الحسن، و عطاء، و أبى العالية: انهم العلماء.
و روى أصحابنا عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع) أنهم الأئمة من آل محمد (ص)
فلذلک أوجب اللَّه تعالى طاعتهم بالإطلاق، كما أوجب طاعة رسوله و طاعة نفسه كذلک. و لا يجوز إيجاب طاعة أحد مطلقاً إلا من كان معصوماً مأموناً منه السهو و الغلط، و ليس ذلک بحاصل فى الامراء، و لا العلماء، و إنما هو واجب فى الأئمة الذين دلت الأدلة على عصمتهم و طهارتهم، فأما من قال المراد به العلماء، فقوله بعيد، لأن قوله «وَ أُولِى الْأَمْرِ» معناه أطيعوا من له الأمر، و ليس ذلک للعلماء، فان قالوا: يجب علينا طاعتهم إذا كانوا محقين، فإذا عدلوا عن الحق فلا طاعة لهم علينا. قلنا: هذا تخصيص لعموم إيجاب الطاعة لم يدل عليه دليل. و حمل الآية على العموم، فيمن يصح ذلک فيه أولى من تخصيص الطاعة بشىء دون شىء كما لا يجوز تخصيص وجوب طاعة الرسول و طاعة اللَّه فى شىء دون شىء. و قوله: «فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ» فمعنى الرد إلى اللَّه هو إلى كتابه و الرد إلى رسوله هو الرد إلى سنته. و قول مجاهد، و قتادة، و ميمون بن مهران، و السدى: و الرد إلى الأئمة يجرى مجرى الرد إلى اللَّه و الرسول، و لذلک قال فى آية أخرى «وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» «2» و لأنه إذا كان

---

(1) سورة النساء: آية 79.

(2) سورة النساء: آية 82.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 237
قولهم حجة من حيث كانوا معصومين حافظين للشرع جروا مجرى الرسول فى هذا الباب. و قوله: «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» أى تصدقون بهما. «ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» ذلک اشارة إلى الرد إلَى اللَّه و إلى الرسول «وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» قال قتادة، و السدى، و ابن زيد: أحمد عاقبة. و قال مجاهد: معناه أحسن جزاء.
و هو من آل يؤول إذا رجع و المآل المرجع و العاقبة مآل، لأنها بمنزلة ما تفرقت عنه الأشياء ثم رجعت إليه. و تقول: إلى هذا يؤول الأمر أى يرجع. و قال الزجاج:
أحسن من تأويلكم أنتم إياه من غير رد إلى أصل من كتاب اللَّه و سنة نبيه، و هذا هو الأقوى، لأن الرد إلى اللَّه و الرسول و الأئمة المعصومين أحسن من تأويل بغير حجة.
و استدل جماعة بهذه الآية على أن الإجماع حجة بأن قالوا: إنما أوجب اللَّه الرد إلى الكتاب و السنة بشرط وجود التنازع، فدل على أنه إذا لم يوجد التنازع، لا يجب الرد، و لا يكون كذلک إلا و هو حجة، و هذا إن استدل به مع فرض أن فى الامة معصوماً حافظاً للشرع كان صحيحاً، و إن فرضوا مع عدم المعصوم كان باطلا، لأن ذلک استدلال بدليل خطاب، لأن تعليق الحكم بشرط أو صفة لا يدل على أن ما عداه بخلافه عند أكثر المحصلين، فكيف يعتمد عليه هاهنا، على أنهم لا يجمعون على شىء إلا عن كتاب أو سنة، فكيف يقال: إذا أجمعوا لا يجب عليهم الرد إلى الكتاب و السنة، و هم قد ردوا إليهما على أن ذلک يلزم فى كل جماعة، و إن لم يكونوا جميع الأمة إذا اتفقوا على شىء ألا يجب عليهم الرد إلى الكتاب و السنة، لأن قوله: «فَإِنْ تَنازَعْتُمْ» يتناول جماعة و لا يستغرق جميع الأمة، فعلم بذلک فسَاد الاستدلال بما قالوه. و قد بينا الكلام على ذلک مستوفى فى العدة فى أصول الفقه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 60]..... ص: 237

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْکَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاکَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَکْفُرُوا بِهِ وَ يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً (60)

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 238

- آية بلا خلاف-

عجب اللَّه تعالى نبيه (ص) فى هذه الآية ممن يزعم أنه آمن بما أنزل على محمد (ص)، و ما أنزل من قبله بأن قال أ لم ينته علمک إلى هؤلاء الذين ذكرنا وصفهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت و قد أمرهم اللَّه أن يكفروا به. و قال الحسن، و الجبائى: نزلت الآية فى قوم منافقين احتكموا إلى الأوثان بضرب القداح. و قد بينا معنى الطاغوت فيما تقدم. و قيل فى معناه هاهنا قولان:

أحدهما- أنه كاهن تحاكم إليه رجل من المنافقين، و رجل من اليهود هذا قول الشعبى، و قتادة. و قال السدى اسمه أبو بردة.

الثانى- قال ابن عباس، و مجاهد، و الربيع، و الضحاک: إنه كعب ابن الأشرف رجل من اليهود، فاختار المنافق التحاكم إلى الطاغوت، و هو رجل يهودى.

و قيل: كعب بن الأشرف، لأنه يقبل الرشوة، و اختار اليهودى التحاكم إلى محمد نبينا (ص) لأنه لا يقبل الرشوة. و معنى الطاغوت، ذو الطغيان- على جهة المبالغة فى الصفة- فكل من يعبد من دون اللَّه فهو طاغوت، و قد تسمى به الأوثان كما تسمى بأنها رجس من عمل الشيطان، و يوصف به كل من طغى، بأن حكم بخلاف حكم اللَّه تعالى غير راض بحكمه تعالى. و

روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع) أن الآية فى كل من يتحاكم إلى من يحكم بخلاف الحق

، و (زعم)، يحتاج إلى اسم، و خبر، «و انهم» فى الآية نائب عن الاسم، و الخبر، لأنها على معنى الجملة، و مخرج المفرد، و ليس بمنزلة ظننت ذلک، لأنه على معنى المفرد و مخرج المفرد، لأن قولک: زعمت أنه قائم يفيد ما يفيد هو قائم، و كذلک ظننت ذاک، لأنه التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 239

يدل دلالة الاشارة إلى ما تقدر علمه عند المخاطب.

و قوله: «وَ يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيداً» يدل على بطلان قول المجبرة: إن اَللَّه تعالى يفعل المعاصى و يريدها، لأن اللَّه تعالى نسب إظلالهم إلى أنه بارادة الشيطان على وجه الذم لهم، فلو أراد تعالى أن يضلهم بخلق الضلال فيهم، لكان ذلک أوكد وجوه الذم فى إظلالهم.

و أصل الضلال الهلاک بالعدول عن الطريق المؤدى إلى البغية، لأنه ضد الهدى الذى هو الدلالة على الطريق المؤدى إلى البغية، و له تصرف كثير يرجع إلى هذه النكتة ذكرناه فيما مضى. و أضله اللَّه معناه: سماه اللَّه ضالا أو حكم عليه به، كما يقال اكفره بمعنى سماه بالكفر، و لا يجوز أن يقال

أكفره اللّه بمعنى أنه دعاه إلى الكفر، لأنه منزه عن ذلک، فتعالى اللّه عن ذلک علوا كبيراً.

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً (61)

- آية- قال ابن جريج: الداعى إلى حكم الرسول هو المسلم الذى يدعو المنافق إلى حكم الرسول (ص) و قال قتادة: هو يهودى دعا المنافق إلى حكم الرسول، لعلمه أنه لا يجوز فى الحكم «و تَعالَوْا» أصله من العلو و هو تفاعلوا، منه كقولك: توافقوا، فإذا قلت لغيرک:

تعالى، فمعناه ارتفع على- و ان كان فى انخفاض من الأرض- لأنه جعله كالرفيع بكونه فيه، و يجوز أن يكون أصله للمكان العالى حتى صار لكل مكان. و قوله:

«يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً» قيل فى سبب صد المنافقين عن النبى (ص) قولان:

أحدهما- لعلمهم بأنه لا يأخذ الرشا على الحكم و أنه يحكم بمر الحق.

و الثانى- لعداوتهم للدين.

و صددت الأصل فيه ألا يتعدى، لأنک تقول: صددت عن فلان أصد التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 240

بمعنى أعرضت عنه، و يجوز صددت فلاناً عن فلان- بالتعدى- لأنه دخله معنى منعته عنه. و مثله رجعت أنا و رجعت غيرى، لأنه دخله معنى رددته، فلذلک جاز رجعته، «و صدوداً» نصب على المصدر على وجه التأكيد للفعل، كقوله:

«وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً» «1» و معنى ذلک أنه ليس ذلک على بيان كالكلام بل كلمة فى الحقيقة. و قيل فى معنى «تكليما» أنه كلمه تكليما شريفاً عظيماً و يمكن مثله فى الآية. و يكون تقديره رأيت المنافقين يصدقون عنک صدوداً عظيما.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 62]..... ص: 240

اشارة

فَكَيْفَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جاؤُکَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنا إِلاَّ إِحْساناً وَ تَوْفِيقاً (62)
- آية-

قيل فى موضع كيف من الاعراب قولان:
أحدهما- انه رفع بتقدير: فكيف صنيعهم إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم، كأنه قال الاساءة صنيعهم بالجرأة فى كذبهم أم الإحسان بالتوبة من جرمهم.
و الثانى- انه نصب و تقديره: كيف يكونون أ مصرين أم تائبين يكونون؟
و يجوز الرفع على معنى كيف بك. كأنه قال أ صلاح أم فساد؟

و قيل فى معنى المصيبة فى الآية قولان:
أحدهما- ذكره الزجاج: ان بعض المنافقين أظهر أنه لا يرضى بحكم رسول اللَّه (ص)، فقتله عمر، ثم جاء إخوانه من المنافقين يطالبون بدمه «يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا إِحْساناً وَ تَوْفِيقاً» كذباً و زوراً.

_____

(1) سورة الانفطار: آية 14.

الثانى- ان أصابتهم نقمة من اللَّه لم ينيبوا تائبين من المعصية بل يزدادون جرأة بحلفهم كاذبين باللَّه عز و جل. و قال الحسين بن على المغربى: الآية نزلت فى عبد اللَّه بن أبى و ما أصابه من الذل عند مرجعهم من غزوة بنى المصطلق و هى غزوة المريسيع حين نزلت سورة المنافقين، فاضطر إلى الخشوع و الاعتذار، و ذلک مذكور فى تفسير سورة المنافقين أو مصيبة الموت لما تضرع إلى رسول اللَّه (ص) فى الاقالة و الاستغفار و استوهبه ثوبه، ليتقى به النار يقولون: ما أردنا إلا إحساناً و توفيقاً أى بكلامه بين الفريقين المتنازعين فى غزوة بنى المصطلق. و قوله: «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ» يأساً منهم (و عظمه) ايجاباً للحجة عليهم «وَ قُلْ لَهُمْ فِى أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغاً» فيه دلالة على فضل البلاغة و حث على اعتمادها. و قوله: «إِنْ أَرَدْنا إِلَّا إِحْساناً وَ تَوْفِيقاً» معناه قيل فيه قولان:
أحدهما- أى ما أردنا بالمطالبة بدم صاحبنا إلا احساناً إلينا، و ما وافق الحق فى أمرنا.
الثانى- ما أردنا بالعدول عنک فى المحاكمة إلا توفيقاً بين الخصوم، و إحسانا بالتقريب فى الحكم دون الحمل على مر الحق. كل ذلک كذب منهم و افک.
ان قيل كيف يقتضى الانتقام منهم الاعتذار لما سلف من جرمهم؟ قلنا:
عنه جوابان:
أحدهما- للتقريع بتعجيل العقاب على ما ارتكبوا من الاثام.
الثانى- ان الانتقام قد يكون إقصاء النبى (ص) و إذلاله إياهم، و تخويفه بالنفى أو القتل ان لم ينتهوا عن قبائحهم- هذا قول الجبائى- و الحلف: القسم.
و منه الحلف، لتحالفهم فيه على الامر. و حليف الجود و نحوه، لأنه كالحلف فى اللزوم، أو حلف الغلام، إذا قارب البلوغ.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 63]..... ص: 241

اشارة

أُولئِکَ الَّذِینَ یَعْلَمُ اللَّهُ ما فِی قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ عِظْهُمْ وَ قُلْ لَهُمْ فِی أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِیغاً (63)
- آیة- التبیان فی تفسیر القرآن، ج3، ص: 242

(أولئک) اشارة إلى المنافقين الذين تقدم وصفهم، و إنما قال: يعلم ما فى قلوبهم و إن كان معلوماً ذلک بدلالة العقل لأمرين:
أحدهما- تأكيداً لما علمناه.
و الثانى- انه يفيد أنه لا يغنى عنهم كتمان ما يضمرونه شيئاً من العقاب، لأن اللَّه يعلم ما فى قلوبهم من النفاق. و كذلک كل ما ذكره اللَّه مما هو معلوم عند المخاطب. إنما الفائدة فى مقارنته بما ليس بمعلوم على جهة الاحتجاج به، أو غيره من الوجوه. و قوله: «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ عِظْهُمْ» جمع بين معنى الاعراض و الإقبال.
و قيل فى معناه ثلاثة أوجه.
أحدها- فاعرض عنهم بعداوتک لهم، وعظهم.
الثانى- فاعرض عن عقابهم وعظهم.
الثالث- قال الجبائى: أعرض عن قبول الاعتذار منهم. و قوله: «وَ قُلْ لَهُمْ فِى أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغاً» قال الحسن: القول البليغ الذى أمر به فى الآية أن يقول: إن أظهرتم ما فى قلوبكم قتلتكم، فهذا يبلغ من نفوسهم كل مبلغ. و قال الجبائى: خوفهم بمكاره تنزل بهم فى أنفسهم إن عادوا لمثل ما فعلوه. و يجوز أن يكون المراد ازجرهم عما هم عليه بأبلغ الزجر.

و أصل البلاغة البلوغ، تقول: بلغ الرجل بالقول يبلغ بلاغة، فهو بليغ:
إذا كان بعبارته يبلغ كثير ما فى قبله. و يقال: أحمق بليغ، و بلغ و معناه. أنه أحمق يبلغ حيث يريد. و قيل: معناه قد بلغ فى الحماقة. و فى الآية دلالة على فضل البلاغة، و أنها أحد أقسام الحكمة، لما فيها من بلوغ المعنى الذى يحتاج إلى التفسير باللفظ الوجيز مع حسن الترتيب.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 64]..... ص: 243

اشارة

وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً (64) - آية بلا خلاف-.

«ما» فى قوله:«وَ ما أَرْسَلْنا» نافية فلذلک قال: «من رسول»، لأن (من) لا تزاد فى الإيجاب، و زيادتها تؤذن باستغراق الكلام كقولک: ما جاءنى من أحد.
و التقدير فى الآية: و ما أرسلنا رسولا إلا ليطاع، فيمتثل ما نأمره به. و الذى اقتضى ذكر طاعة الرسول إعراض هؤلاء المنافقين- الذين تحاكموا إلى الطاغوت- عن طاعته، و هم يزعمون أنهم يؤمنون به حتى كأنه قد قيل لهم: من الايمان أن لا تطيعوه فى كل ما يدعو إليه، فبين اللّه تعالى أنه كغيره من الرسل الذى ما أرسل إلا ليطاع. و قوله: «بإذن اللّه» معناه بأمر اللّه الذى دل على وجوب طاعتهم، و الاذن على وجوه: يكون بمعنى اللطف، كقوله: «وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» «1» و منها الأمر مثل هذه الآية. و منها التخلية نحو «وَ ما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» «2» و قوله: «وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» معناه إذ بخسوها حقها بإدخال الضرر عليها بالفعل المعصية من استحقاق العقاب، و تفويت الثواب بفعل الطاعة.

و موضع «أنهم» رفع و المعنى لو وقع مجيئهم فى وقت ظلمهم مع استغفارهم «لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» و (لو) موضوعة للفعل، لما فيها من معنى الجزاء تقول: لو كان كذا، لكان كذا. و لا يقع بعدها إلا (أن). و إنما أجيز فى (أن)

---

(1) سورة يونس: آية 100.
(2) سورة البقرة: آية 102.

خاصة أن تقع بعدها، لأنها كالفعل فى إفادة معنى الجملة. و فتحت (ان) لأنها مبنية على (لو) بترتيبها على نحو ترتيبها بعد العامل فيها. و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة:
من أن اللّه تعالى يريد أن يعصى الأنبياء قوم و يطيعهم آخرون، لأنه تعالى بين أنه ما أرسلهم إلا ليطاعوا، و اللام لام الغرض و معناه إلا و أراد من المبعوث إليهم أن يطيعوا.
و ذلک خلاف مذهبهم. و فيها أيضاً دلالة على أن من كان مرتكباً لكبيرة يجب أن يستغفر اللّه فان اللّه سيتوب عليه و يقبل توبته، و لا ينبغى لأحد أن يستغفر مع كونه مصراً على المعصية بل ينبغى أن يتوب و يندم على ما فعل و يعزم على أن لا يعود إلى مثله ثم يستغفر باللسان ليتوب اللّه عليه.
و قوله: «لَوَجَدُوا اللَّهَ» يحتمل أمرين:
أحدهما- لوجدوا مغفرة اللّه لذنوبهم و رحمته إياهم.
و الثانى- لعلموا اللّه تواباً رحيما. و الوجدان قد يكون بمعنى الإدراک، فلا يجوز عليه تعالى أنه تعالى غير مدرک فى نفسه.
و ذكر الحسن فى هذه الآية: أن اثنى عشر رجلا من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق و ائتمروا به فيما بينهم، فأخبره اللّه بذلک، و قد دخلوا على رسول اللّه، فقال رسول اللّه: إن اثنى عشر رجلا من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق، و ائتمروا به فيما بينهم، فليقم أولئک فليستغفروا ربهم، و ليعترفوا بذنوبهم حتى اشفع لهم. فلم يقم أحد. فقال رسول اللّه (ص): ألا تقومون؟- مراراً- ثم قال: قم يا فلان و أنت يا فلان، فقالوا يا رسول اللّه نحن نستغفر اللّه و نتوب إليه، فاشفع لنا. قال الآن أنا كنت فى أول أمركم أطيب نفساً بالشفاعة، و كان اللّه تعالى أسرع إلى الاجابة أخرجوا عنى، فأخرجوا عنه حتى لم يرهم.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 65]..... ص: 244

اشارة

فَلا وَ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوکَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (65)
- آية- التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 245
قيل فى معنى دخول (لا) فى أول الكلام قولان:
أحدهما- أنها رد لكلام. كأنه قيل لا الامر كما يزعمون من الايمان و هم على تلک الحال من الخلاف، ثم استؤنف قوله: «وَ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى...» .
الثانى- انها توطئة للنفى الذى يأتى فيما بعد، لأنه إذا ذكر فى أول الكلام و آخره كان أوكد و أحسن، لأن النفى له صدر الكلام. و قد اقتضى القسم أن يذكر فى الجواب.

و قيل فى سبب نزول هذه الآية قولان:
أحدهما-
أنها نزلت فى الزبير و رجل من الأنصار تخاصما إلى النبى (ص) فى سراح من الحركة كانا يسقيان منه نخلا لهما، فقال النبى (ص) اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارک، فغضب الانصارى، و قال: يا رسول اللّه ان كان ابن عمتک؟! فتلون وجه رسول اللّه حتى عرف ان قد ساءه، ثم قال يا زبير احبس الماء إلى الجدد «1» أو إلى الكعبين، ثم خل سبيل الماء فنزلت الآية.
و قال أبو جعفر (ع) كانت الخصومة بين الزبير، و حاطب بن أبى بلتعة
روى ذلک عن الزبير و أم سلمة. و ذهب إليه عمر بن شبه، و الواقدى. و قال قوم و هو اختيار الطبرى: إنها نزلت فى المنافق و اليهودى الذين احتكما إلى الطاغوت. قال: لأن سياق الكلام بهذا أشبه.

و قوله: (فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ» معناه فيما وقع بينهم من الاختلاف. تقول شجر يشجر شجراً و شجوراً و شاجره فى الأمر: إذا نازعه فيه مشاجرة، و شجاراً و تشاجروا فيه: تشاحوا. و كل ذلک لتداخل كلام بعضهم فى بعض كتداخل الشجر بالتفافه. و فى الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة، لأنه إذا وجب الرضى بفعل النبى (ص) فالرضا بفعل اللّه تعالى أولى، و لو كان خلق الكفر و المعاصى لوجب على الخلق الرضا به. و ذلک خلاف الإجماع. و قيل فى معنى الحرج قولان:

---

(1) أراد ما رفع من أعضاد المزرعة لنمسک الماء كالجدار.
و فى رواية، قال له: «احبس الماء حتى يبلغ الجدى- بضم الميم و تشديد الدال-)
و هى المنسأة- عن لسان العرب: (جدد)-.

أحدهما- قال مجاهد هو الشک. و قال الضحاک: الإثم. و أصل الحرج الضيق فكأنه قال ضيق شک أو اثم و كلاهما يضيق الصدر. و معنى الآية أن هؤلاء المنافقين لا يؤمنون حتى يحكموا النبى (ص) فيما وقع بينهم من الاختلاف، ثم لا يجدوا حرجاً مما قضى به أى لا تضيق صدورهم به، و يسلموا لما يحكم به لا يعارضونه بشىء فحينئذ يكونون مؤمنين. و «تسليما» مصدر مؤكد و المصادر المؤكدة بمنزلة ذكرک للفعل ثانياً كأنک قلت: سلمت تسليماً و من حق التوكيد أن يكون محققاً لما تذكرة فى صدر كلامک، فإذا قلت: ضربت ضرباً، فمعناه أحدثت ضرباً احقه حقاً و لا أشک فيه. و مثله فى الآية انهم يسلمون من غير شک يدخلهم فيه.
و قال أبو جعفر (ع): لما حكم النبى (ص) للزبير على خصمه، لوى شدقه و قال لمن سأله عمن حكم له، فقال: لمن يقضى؟ لابن عمته. فتعجب اليهودى و قال: إنا آمنا بموسى فأذنبنا ذنباً فأمرنا اللّه تعالى بأن نقتل أنفسنا، فقتلناها فأجلت عن سبعين ألف قتيل.
و هؤلاء يقرون بمحمد (ص) و يطئون عقبه و لا يرضون بقضيته، فقال ثابت بن الشماس لو أمرنى اللّه أن أقتل نفسى لقتلتها فأنزل اللّه «وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ...» إلى قوله: «إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ» يعنى ابن الشماس ذكره السدى.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 66]..... ص: 246

اشارة

وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَشَدَّ تَثْبِيتاً (66) - آية بلا خلاف-.

قرأ ابن عامر وحده (إلا قليلا) بالنصب، و كذلک هو فى مصاحف أهل الشام. الباقون بالرفع. و قيل: إن النصب قراءة أبى، فمن رفع فعلى البدل من

المضمر كأنه قال: ما فعله إلا قليل منهم. و هذا يجوز فى النفى دون الإثبات، لأنه لا يجوز أن يقول فعله إلا قليل منهم، لأن الفعل ليس للقليل فى الإثبات كما هو لهم فى النفى. و قال الكسائى: ارتفع بالتكرار. و المعنى ما فعلوه ما فعله إلا قليل.
و من نصب فانه قال: الاستثناء بعد تمام الكلام، لأنه قوله: «ما فَعَلُوهُ» كلام تام كما أن قولک فعل القوم كلام تام. فاستثنى بعده، و لم يجعل، ما بعد إلا عليه الاعتماد. و الوجه الرفع، لأن الفعل لهم. فهو أدل على المعنى. و قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر و الكسائى (ان اقتلوا) بضم النون و بضم الواو فى قوله: «أَوِ اخْرُجُوا» و قرأ عاصم و حمزة بكسرهما و كسر النون. و ضم الواو أبو عمرو. فمن ضمها فلان الثالث مضموم أتبع الضمة. و من كسرهما فعلى أصل الحركة لالتقاء الساكنين.
و أبو عمرو ضم الواو تشبيهاً بواو «اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ» «1» . «وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» «2» .

و معنى قوله: (وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ) أى لو أنا ألزمناهم و أوجبنا عليهم «أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ» أى لو كتبنا عليهم ذلک- كما أوجبنا على قوم موسى و قتلوا أنفسهم و أخرجهم إلى التيه- ما فعله هؤلاء للمشقة التى فيه مع أنه كان ينبغى أن يفعلوه، لما لهم فيه من الحظ، لأنا لم نكن لنأمرهم به إلا لما تقتضيه الحكمة، و ما فيه من المصلحة مع تسهيلنا تكليفهم و تيسيرنا عليهم، فما يقعدهم عنه مع تكامل أسباب الخير فيه و سهولة طريقه؟ و لو فعلوا ما يوعظون به أى ما يؤمرون به، لكان خيراً لهم و أشد تثبيتاً. و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ان البصيرة أثبت من اعتقاد الجهالة لما يعترى فيها من الحيرة و اضطراب النفس الذى يتميز من حال المعرفة بسكون النفس إليه.
الثانى- ان اتباع الحق أثبت منفعة لأن الانتفاع بالباطل يضمحل بما يعقب

---

(1) (سورة) البقرة: آية 16، 175.
(2) سورة البقرة: آية 237.

من المضرة و عظيم الحسرة. فالأول لأجل البصرة. و الثانى لأجل دوام المنفعة.
و قال البلخى معنى الآية أنه لو فرض اللَّه عليهم قتل أنفسهم كما فرض على قوم موسى عند ما التمسوا أن يتوب عليهم أو الخروج من ديارهم ما فعلوه. فإذا لم يفرض عليهم ذلک، فليفعلوا ما أمروا به مما هو أسهل عليهم منه، فان ذلک خير لهم و أشد تثبيتاً لهم على الايمان. و فى الدعاء اللهم ثبتنا على ملة رسولک. و معناه اللهم الطف لنا ما تثبت معه على التمسک بطاعة رسولک و المقام على ملته.

وَ إِذاً لَآتَيْناهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً (67) وَ لَهَدَيْناهُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً (68)
- آيتان بلا خلاف-.
قيل: ان (إذاً) دخلت هاهنا لتدل على معنى الجزاء، كأنه قال و لو أنهم فعلوا ما يوعظون به لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً جزاء على فعلهم [و معنى] (إذاً) جواب و جزاء و هى تقع متقدمة و متأخرة و متوسطة و إنما تعمل متقدمة خاصة إلا أن يكون الفعل بعدها للحال نحو إذا أظنك خارجاً. و تلغى اذاً عن العمل من بين أخواتها لأنها تشبه أظن فى الاستدراک بها تقول: زيد فى الدار أظن فتستدرک بها بعد ما مضى صدر الكلام على اليقين. و كذلک يقول القائل: أنا أجيئک فتقول:
و أنا أكرمک اذن. أردت أن تقول: و أنا أكرمک ثم استدركته بإذن. و لدن مبنية و لم تبين عند، لأنها أشد إبهاما إذا كانت تقع فى الجواب نحو أين زيد، فتقول: عند عمرو، فلا يقع لدن هذا الموقع، فجرت لشدة الإبهام مجرى الحروف.
و معنى (لدنا) هاهنا من عندنا. و إنما ذكر «من لدنا» تأكيداً للاختصاص، بأنه ما لا يقدر عليه إلا اللّه، لأنه قد يؤتى بما يجريه على يد غيره. و قد يؤتى بما يختص بفعله. و ذلک أشرف له و أعظم فى النعمة و لأنه متحف بما لا يقدر عليه غيره.
و قوله: «وَ لَهَدَيْناهُمْ» معناه و لفعلنا من اللطف بهم ما يثبتون معه على الطاعة، و لزوم الاستقامة و إنما لم يفعل بهم هذا اللطف مع الحال التى هم عليها، لأنه يخرجهم التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 249
من معنى اللطف حتى يصيروا بمنزلة من لا لطف له على وجه. و مثله «اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ» أى ثبتنا بلطفک على الصراط المستقيم. و قال أبو على: معناه الأخذ بهم على طريق الجنة فى الآخرة. قال: و لا يجوز أن يكون المراد بالهداية هاهنا الإرشاد إلى الذين لأنه تعالى وعد بهذا من يكون مؤمناً مطيعاً. و لا يكون كذلک إلا و قد اهتدى، فان قيل: لم جاز أن يمنعوا اللطف لسوء فعلهم. و لم يجز أن يمنعوا لسوء فعل غيرهم إذ قد صاروا بمنزلة من لا لطف لهم؟ قلنا: لأنهم يؤتون فى معاصيهم من قبل أنفسهم و لا يجوز أن يؤتوا فيها من قبل غيرهم و لو جاز ذلک لجاز أن يقتطعوا عن التوبة بالقتل فيكونوا قد أوتوا فى معاصيهم من قبل المتقطع لهم و تكون التخلية فيه بمنزلة الامانة. و الواجب فى هذا ان يمنع غير هذا المكلف من سوء الفعل الذى فيه ارتفاع اللطف. فان كان لطف هذا المكلف متعلقاً بفعل غيره، و قد علم انه لا يفعله، لم يحسن تكليف هذا المكلف لأنه ان منع هذا من الايمان، فسد، و ان ترک و سوء الفعل فسد. و اللام فى قوله:

«وَ لَهَدَيْناهُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً» لام الجواب التى تقع فى جواب (لو) كما تقع فى جواب القسم. كما قال امرؤ القيس:
حلفت لها باللّه حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث و لا صال «1»
و الفرق بين لام الجواب و لام الابتداء ان لام الابتداء لا تدخل إلا على الاسم المبتدأ إلا فى باب (ان) خاصة فإنها تدخل على الفعل لمضارعته الاسم. يبين ذلک قولک:
قد علمت ان زيداً ليقوم. و قد علمت ان زيداً ليقومن فتكسر (ان) الأولى و تفتح الثانية.
و قوله: (صراطاً) نصب على أنه مفعول ثان، لأنه فى معنى مفعول كسوته ثوباً، أى فاكتسى ثوباً. فكذلک و لهديناهم فاهتدوا صراطاً.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): الآيات 69 الى 70]..... ص: 249

اشارة

وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِکَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِکَ رَفِيقاً (69) ذلِکَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَ کَفى بِاللَّهِ عَلِيماً (70)

_____

(1) ديوانه: 161 حلفة فاجر: قسم فاسق. صال: مستدفئ بالنار. فى المطبوعة (حويث) بدل (حديث).

- آيتان-

لما جرى ذكر الطاعة فيما تقدم و الحض عليها اقتضى ذكر طاعة اللَّه، و طاعة الرسول، و الوعد عليها. و قيل: إنه وعد بأمر مخصوص على الطاعة من مرافقة النبيين و من ذكر معهم و هو أعم فائدة. و معنى قوله: (فَأُولئِکَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ) انه يستمتع برؤية النبيين و زيارتهم، و الحضور معهم. فلا ينبغى أن يتوهم من أجل أنهم فى أعلى عليين انه لا يراهم.

و قال الحسن، و سعيد بن جبير، و مسروق، و قتادة، و الربيع، و السدى، و عامر: إن سبب نزول هذه الآية ان بعض الناس توهم ذلک، فحزن له، و سأل النبى (ص) عن ذلک، فانزل اللَّه الآية.

و قيل فى معنى الصديق قولان:

أحدهما- المداوم على ما يوجبه التصديق بالحق.

الثانى- ان الصديق هو المتصدق بما يخلص له من عمل البر. و الاول أظهر.

و الشهداء جمع شهيد. و هو المقتول فى سبيل اللَّه. و فى تسميته شهيداً قولان:

أحدهما- لأنه قام بشهادة الحق حتى قتل فى سبيل اللَّه.

و الآخر- انه من شهداء الآخرة بما ختم له من القتل فى سبيل اللَّه. و ليست الشهادة هى القتل، لأنها معصية، و لكنها حال المقتول فى اخلاص القيام بالحق للَّه مقراً به، و داعياً إليه. و قيل: الشهادة هى الصبر على ما أمره اللَّه به من قتال عدوه و الانقياد له. فأما الصبر على الألم بترک الأنين فليس بممنوع، بل هو مباح إذا لم يقل ما يكرهه اللَّه. و قال الجبائى: الشهداء جمع شهيد. و هم الذين جعلهم اللَّه شهداء فى الآخرة. فهم عدول الآخرة. و هذا على مذهبه بعيد لأن أهل الجنة التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 251

كلهم عدول عنده، لأن من ليس بعدل لا يدخل الجنة. و اللَّه تعالى وعد من يطيعه و يطيع رسوله بأنه يحشره مع هؤلاء. فينبغى أن يكونوا غير الموعود لهم.

و إلا يصير تقديره إنهم مع نفوسهم.

و الصالح: من استقامت نفسه بحسن عمله. و المصلح المقوم لعمل يحسنه.

و يقال: اللَّه يصلح فى تدبير عباده. بمعنى أنه يحسن تدبير عباده. و لا يوصف بانه صالح.

و قوله:«وَ حَسُنَ أُولئِکَ رَفِيقاً» نصب على التمييز. و لذلک لا يجمع. و هو فى موضع رفقاء. و قيل إنه لم يجمع، لأن المعنى، حسن كل واحد منهم رفيقاً كما قال: «يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا» «1» و قال الشاعر:
نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأسهم أعداء و هن صديق «2»
و من قال: «رفيقاً» نصب على التمييز، قال: لأنه قد سمع حسن أولئک من رفقاء، و كرم زيد من رجل. و قال قوم: هو نصب على الحال، فانه قد تدخل (من) فى مثله. فإذا سقطت (من) فالحال هو الاختيار، لأنه من أسماء الصفات كأسماء الأجناس. و يكون التوحيد لما دخله من معنى حسن كل واحد منهم مرافقاً.
و نظيره: للَّه درهم فارساً، أى حال الفروسية.

و الرفيق: مشتق من الرفق فى العمل. و هو الارتفاق فيه. و منه الترفق فى

---

(1) سورة الحج: آية 5، و سورة المؤمن: آية 68. [.....]
(2) قائله جرير. ديوانه 2: 20 الطبعة الاولى. المطبعة العلمية بمصر و روايته (دعون) بدل (نصبن) و فى المطبوعة (بأعين) بدل (بأسهم) و أثبتناها كما فى جميع المصادر.
طبقات فحول الشعراء: 351، و اللسان (صدق) و العقد الفريد 7: 48 و رواية (بعثن) بدل (نصبن) و ما بعده.
و ما ذقت طعم العيش منذ نأيتم و ما ساغ لى بين الجوانح ريق

السيرة، و نحوه. و منه المرافقة. و المرفق من اليد- بكسر الميم- لأنه يرتفق به.
و يقال أيضاً فى العمل نحو قوله: «وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً» «1» أى رفقاً يصلح به أمركم. و المرفق:- بفتح الميم- من مرافق الدار. و الرفقة: الجماعة فى السفر، لارتفاق بعضهم ببعض. و قوله: «ذلک الفضل» اشارة إلى الثواب بالكون مع النبيين، و الصديقين. و التقدير ذلک هو الفضل من اللّه. و هو و إن كان مستحقاً، فلم يخرج من أن يكون تفضلا، لأن سببه الذى هو التكليف، تفضل. و الفضل:
هو الزائد على المقدار إلا أنه قد كثر على ما زاد من الانتفاع. و كل ما يفعله تعالى فهو فضل، و تفضل، و إفضال، لأنه زائد على مقدار الاستحقاق الذى يجرى على طريق المساواة. و قوله: «وَ كَفى بِاللّهِ عَلِيماً» انما ذكر، ليعلم انه لا يضيع عنده شىء من جزاء الاعمال. من حيث كان تعالى: عالماً به، و بما يستحق عليه.
و تقديره، و كفى باللّه عليما بكنه الجزاء على حقه، و توفير الحظ فيه. و دخلت الباء فى اسم اللّه زائدة للتوكيد. و المعنى كفى اللّه. و وجه التأكيد أن اتصال الاسم بالفعل من جهة بنائه عليه وجه من وجوه الاتصال و اتصاله بالباء وجه آخر من وجوه الاتصال، فإذا اجتمعا كان أوكد. و وجه آخر هو أن معناه اكتفى العباد باللّه. و وجه ثالث و هو أنه توطئة لباب سير بزيد و أكرم بزيد من جهة أن موضعه رفع، و فيه حرف من حروف الجر. و الكفاية مقدار مقاوم للحاجة. و لا يخلو المقدار من أن يكون فاضلا أو مقصراً أو كافياً، فهذه الأقسام الثلاثة متقابلة.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 71]..... ص: 252

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُباتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً (71) - آية-

هذا خطاب للمؤمنين الذين صدقوا باللَّه، و برسوله. و معناه أيقنوا باللَّه،

---

(1) سورة الكهف: آية 16.

و رسوله. أمرهم اللَّه أن يأخذوا حذرهم. و قيل فى معناه: قولان:

أحدهما-

قال أبو جعفر (ع) و غيره: خذوا سلاحكم

، فسمى السلاح حذراً لأن به يقى الحذر.

الثانى- احذروا عدوكم بأخذ السلاح. كما يقال للإنسان خذ حذرك. بمعنى احذر. و الحذر و الحذر لغتان. مثل الاذن و الاذن. و المثل المثل. ثم أمرهم بان ينفروا. و النفور: الفزع نفر ينفر نفوراً: إذا فزع. و نفر إليه: إذا فزع من أمر إليه. و المعنى انفروا إلى قتال عدوكم. و منه النفر: جماعة تفزع إلى مثلها.

و النفير إلى قتال العدو. و نفر الحاج يوم الثانى و الثالث من التشريق، لأنهم يفزعون إلى الاجتماع للرجوع إلى الأوطان. و المنافرة: المحاكمة للفزع إليها فيما يختلف فيه و قيل: إنما كانت، لأنهم يسألون الحاكم أينا أعز نفراً. و نفره تنفيراً. و نافره منافرة. و تنافروا تنافراً. و استنفره استنفاراً. و قوله: (ثبات) قال ابن عباس، و مجاهد، و الضحاك، و قتادة، و السدى: إن معناه انفروا فرقة بعد فرقة، أو فرقة فى جهة و فرقة فى جهة. أو انفروا جميعاً. من غير تفرق بالأوقات، و الجهات.

و الثبات جمع ثبة و هى جماعات فى تفرقة أى يأتون متفرقين. و قال أبو جعفر: الثبات:

السرايا و الجميع العسكر. قال أبو ذؤيب:

فلما اجتلاها بالأيام تحيرت ثبات عليها ذلها و اكتئابها «1»

يصف العاسل، و تدخينه على النحل. و الأيام- بكسر الهمزة على وزن لجام- الدخان و يجمع ثبة على تبين، أيضاً. قال زهير:

و قد اغدوا على ثبة كرام نشاوى واجدين لما نشاء «2»

و انما جاز أن يجع ثبة ثبوت- و ان كان هذا الجمع يختص ما يعقل- للعوض من النقص الذى لحقه، لأن أصله ثبوة. و مثله عضين و سنتين و عرين. فان صغرت

---

(1)- اللسان (جلا). البيت لأبى ذؤيب يصف النحل و العاسل. و فى رواية (اجتلاها) بدل جلاها. يعنى جلا العاسل النحل عن مواضعها بالأيام و هو

الدخان.
(2)- ديوانه: 72. مجاز القرآن لابى عبيدة: 132 و اللسان: (ثبا)، (نشو).
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 254
قلت ثبيات «1» و سنيات، لأن النقص قد زال. و قيل: ان الثبة عصبة منفردة من (عصب). و تقول ثبيت على الرجل اثبى تثبية: 7 ذا أثنيت عليه. و ذكرت محاسنه فى حال حياته. و تصغير ثبة ثبية. فأما ثبة الحوض، فهى وسطه. الذى يثوب إليه الماء. و هى من ثاب يثوب، لأن تصغيرها ثويبة. [و قوله: «أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً» و قد مضى معناه] «2» .

وَ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً (72)

قال الحسن، و مجاهد، و قتادة، و ابن جريج، و ابن زيد: نزلت هذه الآية فى المنافقين الذين كانوا يثبطون الناس عن الجهاد. فإذا أصابتهم مصيبة فيه، من قتل أو هزيمة، قالوا قول الشامت بهم فى تلك الحال: قد أنعم اللّه علينا إذ لم نكن معهم شهداء أى حضوراً.

و قال أبو جعفر (ع): من يتمنى التأخر عن جماعة المسلمين، لا يكون إلا كافراً.

فقوله: «وَ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ» خطاب للمؤمنين.

و انما أضاف المنافقين إليهم لأمرين:

أحدهما- ان من عدادكم و دخلائكم.

الثانى- أى منكم فى الحال الظاهرة، أو حكم الشريعة من حقن الدم، و نحو ذلك من الموارثة، و المناكحة. و اللام الاولى لام الابتداء بدلالة دخولها على الاسم، و الثانية لام القسم بدلالة دخولها على الفعل مع نون التأكيد. و تقديره إن منكم لمن حلف باللّه ليبطئن. و انما جاز صلة (من) بالقسم، و لم يجز بالأمر و النهى لأن القسم خبر يوضح الموصول، كما يوضح الموصوف فى قولك: مررت برجل لتكرمنه، لأنه خصصه بوقوع الإكرام به فى المستقبل من كل رجل غيره. و ليس كذلك

---

(1)- فى المخطوطة زيادة: (على الأصل أنثى ثبية)- فى هذا الموضع.

(2) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة و هو موجود فى المخطوطة.

الامر فى قولك: مررت برجل أضربه، لأنه لا يتخصص بالضرب فى الامر كما، تخصص فى الخبر. قال: الفراء تدخل اللام فى النكرات و فى من و ما و الذى. فإذا جئت بالمعرفة الموقتة، لم يجز إدخال اللام فيها. لا تقول إن عبد اللّه ليقومن و ان زيداً ليذهبن، لأن زيدا، و عبد اللّه، لا يحتاجان إلى صلة. و الإبطاء: اطالة مدة العمل لقلة الانبعاث. و ضده الاسراع. و هو قصر مدة العمل، للتدبير فيه.

و الاناة: اطالة الأحكام الذى لا سبيل إليه إلا بالتثبت فيه. و ضدها العجلة و هى قصر المدة من غير إحكام الصنعة تقول: بطؤ فى مشيه يبطؤ بطاء: إذا ثقل و تباطأ تباطياً و بطأه تبطياً و استبطأ و استبطاء و أبطأ إبطاء: إذا تأخر.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 73]..... ص: 255

اشارة

وَ لَئِنْ أَصابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يا لَيْتَنِى كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً (73)
- آية بلا خلاف-.
المعنى بهذه الآية المنافقون الذين وصفهم اللَّه بأنهم يفرحون بتأخرهم عن المؤمنين إذا أصيبوا، و انهزموا. فأخبر عنهم انه إذا أصاب المؤمنين فضل من اللَّه بان يظفروا أو يقهروا العدو، بأنهم يتمنون الكون معهم، فيفوزوا فوزاً عظيماً.
و انما ذمهم اللَّه بهذا التمنى لأحد أمرين:
أحدهما- لأنهم قالوه على وجه إيثار الغنيمة لا على حال المثوبة من جهة اللَّه لشكهم فى الجزاء من اللَّه.
الثانى- قال قتادة و ابن جريج انهم قالوا: ذلک على جهة الحسد للمؤمنين.
و الاصابة: ملامسة المرمى لما وقعت به الرمية. فإذا قيل: أصاب- مطلقاً- فمعناه أصاب الغرض. و يجوز أن ينفى فيقال: لم يصب. يعنى الغرض، و ان أصاب غيره.
و قوله: «كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ» قيل فيه ثلاثة أقوال: التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 256
أحدها- انه اعتراض بين القول، و التمنى، و لا يكون له موضع من الاعراب.
و تقديره ليقولن: يا ليتنى كنت معهم، فأفوز فوزاً عظيما. كأنه لم يكن بينكم و بينه مودة.
الثانى- أن يكون اعتراضياً و موضعه التقديم. و تقديره فان أصابتكم مصيبة، قال قد أنعم اللَّه على إذ لم أكن معهم شهيداً كأنه لم يكن بينكم، و بينه مودة. و اختار هذا الوجه أبو على النحوى.
الثالث- أن يكون فى موضعه على موضع الحال. كما تقول: مررت بزيد كأن لم يكن بينک و بينه معرفة فضلا عن مودة. و الزجاج أجاز الوجوه الثلاثة.

و فى معنى الآية قولان:
أحدهما- قال الجبائى: المعنى ليقولن لهؤلاء الذين أقعدهم عن الجهاد، كأن لم يكن بينكم و بينه أى و بين محمد (ص) مودة، فيخرجكم لتأخذوا من الغنيمة، ليبغضوا إليهم رسول اللّه (ص).
الثانى- انه يقول قول الممنوع بالعداوة. و انما أنى من جهله بتلك الحال.
و هو الأظهر. و المعنى كأنه لم يعاقدكم على الايمان و لم يظهر لكم مودة على حال يخاطبون بذلک من أقعدوه من الخروج، ثم يقول من قبل نفسه: يا ليتنى كنت معهم. و قال الحسين بن على المغربى: المعنى ليس يتمنون الكون معهم فى الخير، و الشر، كأهل المودات، و انما يتمنون ذلک عند الغنيمة كالبعداء يذمهم بسوء العهد مع سوء الدين.
و انما نصب جواب التمنى بالفاء، لأنه مصروف عن العطف محمول على تأويل المصدر. و تقديره يا ليتنى كان لى حضور، معهم ففوز. و لو كان على العطف، لكان يا ليتنى كنت معهم ففزت. و قرأ أبو جعفر المدنى، و حفص، و رويس، و البرجمى:
«كَأَنْ لَمْ تَكُنْ» - بالتاء- لأن لفظة المودة مؤنثة. و من قرأ بالياء، فلان التأنيث التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 257
ليس بحقيقى، و مع ذلک قد وقع فصل بين الفعل، و الفاعل.

فَلْيُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ الَّذِینَ یَشْرُونَ الْحَیاةَ الدُّنْیا بِالْآخِرَةِ وَ مَنْ یُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَیُقْتَلْ أَوْ یَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً (74)
- آیة- لما أخبر اللّه تعالى فى الآیة الاولى ان قوماً من المنافقین یثبطون المؤمنین عن جهاد العدو و القتال فى سبیل اللَّه، حث فى هذه الآیة على الجهاد، بأن قال:
لا تلتفتوا إلى تثبیط المنافقین، و قاتلوا فى سبیل اللَّه بائعین للدنیا بالآخرة، إذ لكم بذلك أعظم الأجر و أكبر الحظ. و قال الزجاج: فلیكن من الذین یقاتلون فى سبیل اللّه أو عمن كان بینه و بینكم عقد مودة. و معنى (یَشْرُونَ الْحَیاةَ الدُّنْیا بِالْآخِرَةِ) یبیعون الحیاة الدنیا بالآخرة. و بیعهم إیاها بالآخرة هو استبدالهم إیاها بالآخرة ببذلهم أنفسهم، و أموالهم فى سبیل اللَّه، و بتوطین أنفسهم على الجهاد فى طاعة اللَّه.
یقال: شریت بمعنى بعت. و اشتریت: ابتعت. و یشرون: یبیعون- فى قول الحسن، و السدى، و ابن زید، و جمیع أهل اللغة-. قال یزید بن مفرغ:
و شریت بردا لیتنى من بعد برد كنت هامة
و برد اسم غلامه. و شریته بمعنى بعته. و فى الآیة حذف. و التقدیر یشرون الحیاة الدنیا بالحیاة الآخرة. كأنه قال: یبیعون الحیاة الفانیة بالحیاة الباقیة.
و یجوز یبیعون الحیاة الدنیا بنعیم الآخرة، ثم قال: «وَ مَنْ یُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَیُقْتَلْ أَوْ یَغْلِبْ» .
فالوعد على القتال، لا على القتل، و الغلبة. و قوله: «فیقتل» عطف على یقاتل. و لذلك جزمه و الجواب قوله: «فسوف نؤتیه» و إنما قال: أو یغلب، لأن الوعد على القتال حتى ینتهى إلى تلك الحال، لأنه أعظم الجهاد. و علیه أعظم الأجر. التبیان فى تفسیر القرآن، ج3، ص: 258
و الأجر العظیم هو أعلى أثمان العمل. و ذلك أن ثمن العمل على ثلاثة أوجه. ثمن أعلى، و ثمن أدنى، و ثمن أوسط بینهما فاللّه تعالى یثامن علیه بالثمن الأعظم الأعلى، فلذلك حسن وصف الأجر بالعظم من غیر تقیید له، إذ كان لا ثمن أعظم مما یثامن اللّه علیه فى ذلك العمل.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 75]..... ص: 258

اشارة

وَ ما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْیَةِ الظّالِمِ أَهْلُها وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ نَصِیراً (75)
- آیة-

معنى قوله: «و ما لكم» أى شىء لكم. و «لا تُقاتِلُونَ» فى موضع الحال كأنه قال: أى شىء لكم تاركين، أى فى حال ترک القتال مع هذه الأمور التى تقتضى الحرص على الجهاد، أى لا عذر لكم ألا تقاتلوا فى سبيل اللّه، و مثله قوله: «فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ» «1» و قوله: «وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ» خفض بالعطف على ما عملت فيه (فى) و تقديره فى المستضعفين. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- و عن المستضعفين، فوقع (فى) موقع (عن) فإذا ذكرت (عن) فلصرف الأذى عنهم إذ كانت لما عدا الشىء و إذا ذكرت (فى) فلأن القتال مضمن بهم، لخلاصهم، إذا كانت فى للوعاء.

الثانى- ان يكون على محذوف، و تقديره و فى إعزاز المستضعفين، و قد قال المبرد: هو عطف على اسم اللّه بتقدير، و سبيل المستضعفين «مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ» .

---

(1) سورة المدثر: آية 50.

و الولدان جمع ولد على مثال خرب و خربان، و برق و برقان، و ورل و ورلان، مثل ولد و ولدان، و هو من ابنية الكثير، و الأغلب على بابه فعال نحو جبال و جمال.
و قوله: «الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها» قال ابن عباس و الحسن و ابن أبى نجيح، و السدى و مجاهد و ابن زيد: إنها مكة، لأن أهل مكة كانوا قد اجتهدوا أن يفتنوا قوماً من المؤمنين عن دينهم، و الأذى لهم و كانوا مستضعفين فى أيديهم. و قال تعالى «ما لكم» لا تسعون فى خلاصهم. و هم يسمون كل مدينة قرية، و إنما جاز أن يجرى صفة ظالم على الأول و هو فى المعنى للثانى، لأنها قوية فى العمل لقربها من الفعل متمكنة من الوصف بأنها تصرف تصرفه فى التأنيث و التذكير و التثنية، و الجمع، خلاف باب أفعل منك، فلذلك جاز مررت برجل ظالم أبوه، و لم يجز مررت برجل خير منه أبوه. و الولى القيم بالأمر حتى يستنقذهم من أمر أعدائهم، لأنه يتولى الأمر بنفسه، و لا يكله إلى غيره.
و حكى أبو على ان منهم سلمة بن هشام، و الوليد بن الوليد، و عياش بن أبى ربيعة و أبو جندل بن سهيل، و إنما قال: «يَقُولُونَ... الظَّالِمِ أَهْلُها» و ان كان فيهم الولدان لا ينطقون تغليباً للاكثر، كقولك قال أهل البصرة، و إن كان قولا لبعضهم.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 76]..... ص: 259

اشارة

الَّذِينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً (76)
- آية بلا خلاف-.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أن الذين صدقوا باللَّه، و رسوله يقاتلون فى سبيل اللَّه، و فى معنى سبيل اللَّه قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 260
أحدهما- طاعة اللَّه، لأنها تؤدى إلى ثواب اللَّه فى جنته التى أعدها لأوليائه.
الثانى- قال أبو على: إنه دين اللَّه الذى شرعه الذى يؤدى إلى ثوابه و رحمته.
و تقديره فى نصرة دين اللَّه، ثم قال: «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى الذين جحدوا آيات اللَّه الدالة على توحيده، و نبوة نبيه. و قوله: «يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ» قد فسرناه فيما مضى. فقال قوم: هو الشيطان. و قال آخرون: هو ما عبد من دون اللَّه. و الاول قول الحسن و الشعبى. و الثانى حكاه الزجاج.
و قال أبو العالية: هو الكاهن. و هو يؤنث و يذكر قال اللَّه تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ» «1» فذكره و قال: «وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها» «2» فانث قال أبو عبيدة هو هاهنا فى موضع جماعة، كما قال: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ» «3» و كان المراد به الجنس. و قوله: «فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ» يقوى قول من قال:
المراد بالطاغوت الشيطان. و قوله: «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً» إنما دخلت (كان) هاهنا مؤكدة لتدل على ان الضعف لكيد الشيطان لازم فى جميع الأوقات فيما مضى، و الحال، و المستقبل. و ليس هو عارضا فى حال دون حال.
و الكيد السعى فى فساد الحال على وجه الاحتيال تقول كاده يكيده كيداً، فهو كائد له. و إذا عمل فى إيقاع الضرر به على وجه الحيلة عليه. و انما وصف تعالى كيد الشيطان. بالضعف لامرين:
أحدهما- لضعف نصرته، لأوليائه بالاضافة إلى نصرة اللَّه المؤمنين- ذكره الجبائى- و قال الحسن: أخبرهم أنهم سيظهرون عليهم، فلذلك كان ضعيفاً.
الثانى- لضعف دواعى أوليائه إلى القتال بأنها من جهة الباطل إذ لا نصير لهم. و انما يقاتلون بما تدعو إليه الشبهة. و المؤمنون يقاتلون بما تدعو إليه الحجة.

---

(1) سورة النساء: آية 59.
(2) سورة الزمر: آية 17.

(3) سورة المائدة: آية 4.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 261

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 77]..... ص: 261

اشارة

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَ قالُوا رَبَّنا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتالَ لَوْ لا أَخَّرْتَنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقى وَ لا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً (77)
- آية بلا خلاف-.

قرأ ابن كثير، و حمزة، و الكسائى، و خلف، و الحلوانى عن هشام و لا يظلمون بالياء. الباقون بالتاء. فمن قرأ بالياء حمل الكلام على لفظ الغيبة و من قرأ بالتاء فعلى المواجهة.

و قيل فى سبب نزول هذه الآية قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و الحسن، و عكرمة، و قتادة، و السدى: انها نزلت فى ناس من الصحابة استأذنوا النبى (ص) قال ابن عباس: منهم عبد الرحمن ابن عوف. و هم بمكة فى قتال المشركين. فلم يأذن لهم: فلما كتب عليهم القتال.
و هم بالمدينة قال فريق منهم ما حكاه اللَّه فى الآية. فان قيل: كيف. يجوز ذلک، و اللَّه تعالى يقول: «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ» فأمرهم باقامة الصلاة و إيتاء الزكاة، و لم تكن الزكاة فرضت بمكة؟ قيل: قد قال البلخى فى ذلک:
إنه يجوز أن يكون قوم من المنافقين عرضوا على رسول اللَّه (ص) ذلک و الأقوى عندى أن يكون اللَّه قال ذلک على وجه الندب، و الاستحباب دون الزكاة المقدرة على وجه مخصوص. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 262
الثانى- قال مجاهد: نزلت فى اليهود. نهى اللَّه هذه الأمة أن يصنعوا مثل صنيعهم.

قوله: «أ لم تر» معناه أ لم ينته علمک إلى هؤلاء تعجيباً من ذلک. و لو قال: أ لم تر هؤلاء أو أ لم تعلم هؤلاء لم يظهر فيه معنى التعجب منهم كما يظهر ب (إلى)، لأنها تؤذن بحال بعيدة قد لا ينتهي إليها، لبعدها، لما فيها من العجب الذى يقع بها. و قوله: «الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ» يعنى حين طلبوا القتال و قيل لهم:
اقتصروا على اقامة الصلاة و إيتاء الزكاة «فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ» يعنى الجهاد «إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ» يعنى جماعة «يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ» قال الحسن: هو من صفة المؤمنين لما طلبوا عليه من البشرية و الخوف، لا على وجه كراهة المخالفة.
و قال أبو على: هو من صفة المنافقين، لأنهم كانوا كذلک حرصاً منهم على الدنيا و البقاء فيها و الاستكثار منها و قال يخشون القتل من قبل المشركين كما يخشون الموت من قبل اللّه. و قوله: «أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً» ليس معنى (أو) هاهنا الشک، لأن ذلک لا يجوز عليه تعالى. و قيل فى معناها قولان:
أحدهما- أنها دخلت للإبهام على المخاطب. و المعنى أنهم على احدى الصفتين.
و هذا أصل (أو) و هو معنى واحد على الإبهام.
الثانى- على طريق الاباحة نحو قولک: جالس الحسن أو ابن سيرين.
و معناه إن قلت يخشون الناس كخشية اللّه فأنت مصيب، و ان قلت يخشونهم أشد من ذلک فأنت مصيب لأنه قد حصل لهم مثل تلک الخشية و زيادة. و قولهم:
«لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتالَ» معناه ألزمتنا و أوجبت علينا.
و قوله: «لَوْ لا أَخَّرْتَنا» معناه هلا أخرتنا «إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ» و هو إلى أن نموت بآجالنا فأعلمهم اللّه تعالى أن متاع الدنيا قليل، و أن الآخرة خير لأهل التقى و أعلمهم أن آجالهم لا تخطئهم «وَ لا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا» أى لا يبخسون

القدر، و كيف ما زاد عليه. و الفتيل: ما تفتله بيدک من الوسخ ثم تلقيه فى قول ابن عباس. و قيل: هو ما فى شق النواة، لأنه كالخيط المفتول فى شق النواة.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 78]..... ص: 263

اشارة

أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِی بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِکَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً (78)
- آية بلا خلاف-.

أعلمهم اللَّه تعالى فى هذه الآية أن الآجال لا تخطئهم، و لا تنفعهم الخشية من القتل و لو كانوا فى بروج مشيدة، و أينما كانوا من المواضع أدركهم الموت بمعنى أصابهم. (و أينما) كتبت موصولة. و فى قوله: «إِنَّ ما تُوعَدُونَ» مفصولة، لأن الأولى زائدة.
و الثانى- بمعنى الذى ففصلت هذه كما تفصل الأسماء، و وصلت تلك كما توصل الحروف. و قيل فى معنى البروج ثلاثة أقوال:
أحدها- قال مجاهد، و ابن جريج: هى القصور.
الثانى- قال السدى، و الربيع: هى قصور فى السماء بأعيانها. و قال الجبائى:
هى البيوت التى تكون فوق الحصون. و أصل البروج الظهور. يقال تبرجت المرأة:
إذا أظهرت محاسنها. و البرج- فى العين- اتساعها لظهورها بالاتساع. و المشيدة:
المزينة بالجص. و هو الشيد. قال الجبائى: معناه المجصصة. و قال الزجاج، و غيره:
معناه المطولة فى ارتفاع. و قال قوم: المشدد، و المخفف سواء إلا من جهة تكثير الفعل. و قال آخرون: المشيدة بالتشديد- المطولة. و المشيدة بالتخفيف- المطلية بالجص و النورة. و الشيد رفع البناء. تقول شاد بناءه يشيده شيداً: إذا رفعه. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 264
و الشيد: الجص، لأنه مما يرفع به البناء. و يجوز أشاد الرجل بناءه. فأما بالذكر فتقول أشاد بذكره لا غير: إذا رفع منه.
و قوله: «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ» حكاية عن المنافقين، و صفة لهم. فى قول الحسن، و أبى على و أبى القاسم. و قال الزجاج: قيل: هو فى صفة اليهود. و به قال الفراء. و ذلك أن اليهود، لما قدم النبى (ص) المدينة، فكانوا إذا زكت ثمارهم، و اخصبوا، قالوا هذا من عند اللَّه. فإذا أجدبوا، و خاست ثمارهم، قالوا هذا لشؤم محمد (ص). و فى معنى الحسنة، و السيئة هاهنا قولان:
قال ابن عباس، و قتادة، و أبو العالية: هو السراء و الضراء و البؤس.
و الرخاء، و النعمة و المصيبة، و الخصب، و الجدب. و قال الحسن، و ابن زيد:
هو النصر، و الهزيمة. و قوله: «من عندک» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال ابن زيد: معناه بسوء تدبيرک.
و الثانى- قال الجبائى، و البلخى، و الزجاج. أى بشؤمک الذى لحقنا كما

حكى عن قوم موسى «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَ مَنْ مَعَهُ» فأمر اللَّه تعالى نبيه أن يقول: إن جميع ذلک من عند اللَّه، ثم قال: «فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً» قال الفراء: (مال) كثرت فى الكلام حتى توهموا أن اللام متصلة بما، و انها حرف واحد، ففصلوا اللام بما خفضت فى بعض المواضع، و وصلوها فى بعض المواضع. و الاتصال الوجه. و الوقف على اللام، لا يجوز، لأنها لام الخفض.
و المعنى أى شىء لهؤلاء القوم، لا يفقهون حديثاً، أى لا يفهمون معناه.
تقول: فقه الرجل يفقه فقهاً و الاسم الفقيه: و صار بعرف الاستعمال علماً على علم الفقهاء من علوم الدين. و فقه الرجل يفقه فقهاً: إذا صار فقيهاً. و أفقهته: أفهمته و التفقه:
تعلم الفقه و تفاقه: إذا تعاطى ليرى انه فقيه. و ليس هو كذلک. و مثله تعاليم و قيل:
معنى الحديث هاهنا القرآن. و قوله: «لا يكادون» معناه لا يقاربون فيه معنى الحديث الذى هو القرآن، لأنهم بعيدون منه باعراضهم عنه، و كفرهم به و لا التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 265
يفهمون ان ما ذكرناه من السراء، و الضراء، و الشدة و الرخاء على ما وصفناه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 79]..... ص: 265

اشارة

ما أَصابَکَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَکَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِکَ وَ أَرْسَلْناکَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَ کَفى بِاللَّهِ شَهِيداً (79)
- آية بلا خلاف-.

قال الزجاج: هذا خطاب للنبى صلى اللَّه عليه و آله. و المراد به الامة. كما قال «يا أَيُّهَا النَّبِىُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» «1» فان المراد به الامة. و قال قوم: المخاطب به الإنسان، كأنه قال: ما أصابک أيها الإنسان- فى قول قتادة، و الجبائى-. و قيل فى معنى الحسنة و السيئة هاهنا قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و الحسن: الحسنة ما أصابه يوم بدر من الظفر، و الغنيمة. و السيئة ما أصابه يوم أحد من كسر رباعيته (ص)، و الهزيمة. و قال الجبائى: معناهما النعمة، و المصيبة. و يدخل فى النعمة نعمة الدنيا، و الدين. و فى المصيبة مصائب الدنيا، و الدين إلا ان أحدهما من عمل العبد للطاعة، و ما جر إليه ذلک العمل.
و الآخر- من عمل العبد للمعصية و ما جر إليه عمله لها. و هذا يوافق الاول الذى حكيناه عمن تقدم.
و الثانى- ان الحسنة، و السيئة: الطاعة، و المعصية- ذكره أبو العالية، و أبو القاسم- و يكون المعنى ان الحسنة التى هى الطاعة باقدار اللَّه، و ترغيبه فيها، و لطفه لها. و السيئة بخذلانه على وجه العقوبة له على المعاصى المقدمة. و سماه سيئة كما قال: «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» «2» و التقدير ما أصابک من ثواب حسنة

---

(1)- سورة الطلاق: آية 1.
(2) سورة الشورى: آية 40.

فمن اللَّه، لأنه الذى عرضک للثواب، و أعانک عليها. و ما أصابک من عقاب سيئة فمن نفسک، لأنه تعالى نهاک عنها، و زجرک عن فعلها. فلما ارتكبتها كنت الجانى على نفسک. و انما احتاج إلى التقدير، لأن ما أصابک ليس هو ما أصبته. و يجوز أن يكون المراد بالسيئة ما يصيبهم فى دار الدنيا من المصائب، لأنه لا يجوز أن يكون ذلک عقابا أو بعض ما يستحقونه. و قوله: «فمن نفسک» معناه فبذنبک فى قول الحسن، و قتادة، و السدى، و ابن جريج، و الضحاک. قال البلخى: مصيبة هى كفارة ذنب صغير، أو عقوبة ذنب كبير. و يحتمل أن يكون المراد أو تأديب وقع لأجل تفريط. فان قيل: كيف عاب قول المنافقين فى الآية الاولى، لما قالوا إذا أصابتهم حسنة انها من عند اللَّه، و إذا أصابتهم سيئة، قالوا هذه من عندک.
و قد اثبت مثله فى هذه الآية؟ قلنا عنه جوابان:
أحدهما- ان ذلک على وجه الحكاية. و التقدير يقولون: ما أصابک من حسنة، فمن اللَّه، و ما أصابک من سيئة فمن نفسک. و يكون (يقولون) محذوفا،

لدلالة سياق الكلام عليه.
الثانى- ان معناهما مختلف. فالأول عند أكثر أهل العلم ان المراد به النعمة، و المصيبة من اللّه تعالى. و فى الآية الثانية المراد به الطاعة، و المعصية. فلما اختلف معناهما، لم يتناقضا. و يكون وجه ذكر هذه الآية عقيب الاولى ألا يظن ظان ان الطاعات و المعاصى من فعل اللّه، لما قال فى الآية الاولى: «قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» و فى الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة، لأنه تعالى قال: «فَمِنْ نَفْسِكَ» فأضاف المعصية إلى العبد و نفاها عن نفسه تعالى. و لو كانت من خلقه، لكانت منه على أوكد الوجوه. و لا ينافى ذلک قوله فى الآية الاولى «كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» لأنا بينا وجه التأويل فيه. و قال الرمانى: و فى الآية دلالة على أنه تعالى، لا يفعل الألم إلا على وجه اللطف، أو العقاب دون العوض فقط، لأن المصائب إذا كانت كلها من قبل ذنب العبد، فهى اما عقوبة، و اما من قبل تأديب المصلحة.
و قوله: «وَ أَرْسَلْناکَ لِلنَّاسِ رَسُولًا» معناه من الحسنة ارسالک يا محمد (صلى التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 267
اللّه عليه و آله) و من السيئة خلافک يا محمد (ص) و كفى باللّه شهيداً لک و عليک.
و المعنى و كفى اللَّه. و قوله: «ما أَصابَکَ مِنْ حَسَنَةٍ» معنى «من» هنا للتبيين و لو قال: إن أصابک من حسنة كانت زائدة لا معنى لها.

(و رسولا) نصب بارسلناک، و انما ذکره تأکیداً لأن أرسلناک دل علی أنه رسول، «و شهیداً» نصب علی التمییز، لأنک إذا قلت کفی اللّه و لم تبین فی أی شیء الکفایة کنت مبهماً. و قوله: «وَ ما أَصابَکَ مِنْ سَیِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِکَ» دخلت الفاء فی الجواب لأن معنی (ما) من و ادخل من علی السیئة، لأن ما نفی و (من) یحسن ان تزاد فی النفی مثل ما جاءنی من أحد.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 80]..... ص: 267

اشارة

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَما أَرْسَلْناکَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً (80)
- آية- بين اللَّه تعالى بهذه الآية أن طاعة الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم طاعة اللَّه. و انما كان كذلک، لأن طاعة الرسول بأمر اللَّه، فهى طاعة اللَّه على الحقيقة، و بإرادته و ان كانت أيضاً طاعة للنبى من حيث وافقت ارادته المستدعية للفعل. فأما الامر الواحد، فلا يكون من آمرين كما لا يكون فعل واحد من فاعلين.
و قوله: (وَ مَنْ تَوَلَّى» أى اعرض و لم يطع «فَما أَرْسَلْناکَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً» و قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال ابن زيد: حافظاً لهم من التولى حتى يسلموا.
و الثانى- حافظاً لأعمالهم التى يقع الجزاء عليها، لأن اللَّه تعالى هو المجارى عليها.
الثالث- قال أبو على: حافظاً لهم من المعاصى حتى لا تقع. قال ابن زيد: التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 268
هذا أول ما بعث، كما قيل له: «إِنْ عَلَيْکَ إِلَّا الْبَلاغُ» «1» ثم أمر فيما بعد بالجهاد و وجه جواب الجزاء فى قوله: «فَما أَرْسَلْناکَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً» من المعاصى حتى لا تقع- فى قول أبى على- و على القول الآخر لأنک لم ترسل عليهم حفيظاً لاعمالهم التى يقع الجزاء عليها، فتخاف أن لا تقوم بها. و فى الآية دلالة على ان الرسول لا يأمر بالخطإ، لأن اللَّه تعالى جعل طاعته طاعة نفسه. و اللَّه لا يأمر بالخطإ بلا خلاف.

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما ذكر الحسنة التى هى نعمة من اللَّه، بين أن منها إرسال نبى اللَّه ثم بين أن منها طاعة الرسول التى هى طاعة اللَّه. فهو فى ذكر نعم اللَّه مجملة، و مفصلة. و فيها تسليمة للنبى (ص) فى تولى الناس عنه و عن الحق الذى جاء به، و مع تضمنها تعظيم شأنه بكون طاعته طاعة اللَّه.

وَ يَقُولُونَ طاعَةٌ فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِی تَقُولُ وَ اللَّهُ يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً (81)
- آية بلا خلاف-.
قرأ أبو عمر بإدغام التاء فى الطاء. و به قرأ حمزة: و الباقون بالإظهار و الفتح.
و فرق الكسائى بين بيت طائفة فأظهر فى الفعل و ادغم فى الاسم إذا قال بيتت طائفة. قال المبرد، و الزجاج: لا وجه لذلک، بل هما سواء. و انما حسن ادغام التاء فى الطاء، لقرب مخرجهما. و لم يجز إدغام الطاء فى التاء، لما فيها من الاطباق.
و كذلک يجوز إدغام الباء فى الميم فى «يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُونَ» و لا يجوز ادغام الميم فى الباء نحو «لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ» لأنه يخل باذهاب الغنة فى ذلک، و لا يخل

---

(1) سورة الشورى: آية 48.

بها فى الاول. و يحتمل رفع طاعة وجهين:
أحدهما- أمرنا طاعة.
و الثانى- منا طاعة. قال الزجاج: الاول أحسن، لأنه أجمع. و يجوز طاعة «نصباً» على معنى نطيع طاعة. و لم يقرأ به. و من القائلون لهذا القول؟ قيل فيه قولان:
[أحدهما]- قال الحسن، و السدى، و الضحاک: هم المنافقون.
الثانى- انهم الذين حكى عنهم انهم يخشون الناس كخشية اللَّه أو أشد خشية و قوله: «فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ» يعنى خرجوا من عندک بيت طائفة منهم يعنى دبر جماعة منهم ليلا. قال المبرد: التبييت كل شىء دبر ليلا. و قال الجبائى معناه دبروه فى بيوتهم و هذا بعيد لا وجه له فى اللغة. قال الرمانى: و فيه معنى الإخفاء فى النفس، و كذلک لا يوصف تعالى به. قال عبيدة بن همام: «1»
أتونى فلم أرض ما بيتوا و كانوا أتونى بشىء نُكر
لأنكح أيمهم منذراً و هل يُنكح العبد حر الحر؟! «2»
و معنى: «بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِی تَقُولُ» [أى غير ما تقول بأن أضمروا الخلاف فيما أمرتهم به أو نهيتهم عنه- هذا قول ابن عباس، و قتادة:
و السدى. و قال الحسن: قدرت طائفة منهم] «3» غير الذى تقول على جهة التكذيب.

و قوله: «وَ اللّٰهُ يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُونَ» فيه قولان:
الاول- نكتبه فى اللوح المحفوظ ليجازوا به.
الثانى- قال الزجاج: يكتب بان ينزله اليک فى الكتاب. ثم أمر اللَّه نبيه

---

(1) قيل هو أخو بنى العدوية من بنى مالک بن حنظلة من بنى تميم و قيل: عبيد بن همام التغلبى و قيل غير ذلک. [.....]
(2) مجاز القرآن 1: 133، الحيوان 4: 376 الكامل للمبرد 2: 35، 106، الازمنة و الامكنة للمرزوقى 1: 263، ديوان الأسود بن يعفر النهشلى: أعشى بنى نهشل فى ديوان الاعشيين: 298، و اللسان (نكر).
(3) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة. و هو فى المخطوطة.

بالاعراض عنهم، و ألا تسميهم بأعيانهم إبقاء عليهم، و بستر أمورهم إلى أن يستقر أمر الإسلام. و أمره بان يتوكل عليه «وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا» يعنى حفيظاً، لما يجب تفويضه إليه من التدبير. و أصل الوكيل القائم بما فوض إليه من التدبير.
و معنى بيت أضمر. و أصله إحكام الامر ليلا من البيات.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 82]..... ص: 270

اشارة

أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً (82)
- آية-

هذه الآية تدل على أربعة أشياء:
أحدها- على بطلان التقليد، و صحة الاستدلال فى اصول الدين، لأنه حث و دعا إلى التدبر. و ذلک لا يكون إلا بالفكر و النظر.
و الثانى- يدل على فساد مذهب من زعم ان القرآن، لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول له من الحشوية، و المجبرة، لأنه تعالى حث على تدبره، ليعلموا به.
الثالث- يدل على أنه لو كان من عند غير اللَّه، لكان على قياس كلام العباد من وجود الاختلاف فيه.
الرابع- تدل على أن المتناقض من الكلام ليس من فعل اللَّه، لأنه لو كان من فعله، لكان من عنده، لا من عند غيره.

و التدبر: هو النظر فى عواقب الأمور. و أصله الدبر. و التدابر: التقاطع، لأن كل واحد يولى الآخر دبره، بعداوته له. و دبر القوم يدبرون دبراً: إذا هلكوا، لأنهم يذهبون فى جهة الأدبار عن الغرض. و أدبر القوم: إذا ولى أمرهم التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 271
عن الرشد. و الدبر: النحل. و الدبر: المال الكثير. و التدبير: إصلاح الامر لعاقبة.
و
فى الحديث «لا تدابروا»
أى لا تكونوا أعداء. و الفرق بين التدبر و التفكر ان التدبر تصرف القلب بالنظر فى العواقب، و التفكر تصرف للقلب بالنظر فى الدلائل.
و الاختلاف: هو امتناع أحد الشيئين أن يسد مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته كالسواد الذى لا يسد مسد البياض، و كذلک الذهاب فى الجهات المختلفة جهة الخلف، و القدام و اليمين، و الشمال. و قيل فى معنى الاختلاف هاهنا ثلاثة أقوال:
أحدها- قال أبو على من جهة بليغ، و مرذول. و قال الزجاج: الاختلاف فى الاخبار بما يسرون.
الثالث- قال قتادة، و ابن زيد: اختلاف تناقض من جهة حق، و باطل.
و الاختلاف على ثلاثة اضرب: اختلاف تناقض، و اختلاف تفاوت، و اختلاف تلاوة. و ليس فى القرآن اختلاف تناقض، و لا اختلاف تفاوت، لأن اختلاف التفاوت هو فى الحسن و القبح، و الخطأ و الصواب، و نحو ذلک مما تدعوا إليه الحكمة أو يصرف عنه. و أما اختلاف التلاوة، فهو ما تلاءم فى الحسن، فكله صواب، و كله حق. و هو اختلاف وجوه القراءات و اختلاف مقادير الآيات و السور و اختلاف الأحكام فى الناسخ و المنسوخ. و من اختلاف التناقض ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى فساد الآخر. و كلاهما باطل. نحو مقدارين وصف أحدهما بأنه أكبر من الآخر و وصف الآخر بأنه أصغر منه، فكلاهما باطل إذ هو مساو له. و فى الناس من قال: انتفاء التناقض عن القرآن إنما يعلم انه دلالة على أنه من فعل اللَّه، لما أخبرنا اللَّه تعالى بذلک. و لو لا أنه تعالى أخبر بذلک كان لقائل أن يقول: «1» : إنه يمكن أن يتحفظ متحفظ فى كلامه و يهذبه تهذيباً، لا يوجد فيه شىء من التناقض و على هذا لا يمكن أن يجعل ذلک جهة اعجاز القرآن قبل أن يعلم صحة السمع، و صدق النبى (ص).

---

(1) فى المطبوعة (يكون) بدل (يقول).
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 272

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 83]..... ص: 272

اشارة

وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلاَّ قَلِيلاً (83)

- آية-- أخبر اللّه تعالى عن المنافقين، الذين تقدم وصفهم بأنهم إذا جاءهم «أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ» و هو ما كان يرجف به من الاخبار فى المدينة: اما من قبل عدو يقصدهم أو يظهر المؤمنين على عدوهم، أو هلاک بعض أعدائهم و هو الامن.

و الاول: الخوف أذاعوا به، و تحدثوا به من غير أن يعلموا صحته، فكره تعالى ذلک، لأن من فعل هذا لا يخلو كلامه من الكذب. و لما يدخل على المؤمنين به من الخوف و معنى أذاعوا به: أعلنوه، و أفشوه فى قول ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و ابن جريج و أصله اشاعة الخبر فى الجماعة.

يقال: اذاعه اذاعة و أذاعوا به قال الشاعر:
أذاع به فى الناس حتى كأنه بعلياء نار أو قدت بثقوب «1»
و أصله الاذاعة التفريق. قال تبع: لما ورد المدينة:
و لقد شربت على براجم شربة كادت بباقية الحياة تذيع «2»
أى تفرق. و براجم: ماء بالمدينة كان يشرب منه، فنشبت «3» بحلقه

---

(1) قائله أبو الأسود الدؤلى. اللسان (ذيع) و مجاز القرآن 1: 133 و الاغانى 12: 305.
(2) لم نجده فى مصادرنا.
(3) فى المطبوعة (فشبت) و فى مجمع البيان (فتشبثت). و قد أثبتنا ما فى المخطوطة.

علقة. و ذاع الخبر ذيعاً. و رجل مذياع: لا يستطيع كتمان خبر. و أذاع الناس بما فى الحوض: إذا شربوه. و كذلک أذاعوا بالمتاع: إذا ذهبوا به. و اذاعة السر:
إظهاره. و الاذاعة، و الاشاعة، و الإفشاء، و الإعلان، و الاظهار، نظائر و ضده الكتمان، و الاسرار، و الإخفاء.

ثم قال: «وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ» بمعنى لو ردوه إلى سنته «وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ» .
قال أبو جعفر (ع): هم الأئمة المعصومون.
و قال ابن زيد، و السدى، و أبو على: هم أمراء السرايا، و الولاة و كانوا يسمعون باخبار السرايا و لا يتحققونه فيشيعونه و لا يسألون أولى الامر. و قال الحسن، و قتادة، و ابن جريج، و ابن أبى نجيح، و الزجاج: هم أهل العلم، و الفقه الملازمين للنبى (ص)، لأنهم لو سألوهم عن حقيقة ما أرجفوا به، لعلموا به. قال الجبائى: هذا لا يجوز، لأن أولى الامر من لهم الامر على الناس بولاية و الاول أقوى، فأنه تعالى بين أنهم متى ردوه إلى أولى العلم علموه. و الرد إلى من ليس بمعصوم، لا يوجب العلم لجواز الخطأ عليه بلا خلاف سواء كانوا أمراء السرايا، أو العلماء. و قوله: «يَسْتَنْبِطُونَهُ» قال ابن عباس، و أبو العالية: معناه يتحسسونه. و قال الزجاج: يستخرجونه.

و الاستنباط، و الاستخراج، و الاستدلال، و الاستعلام، و نظائر، و أصل الاستنباط الاستخراج. يقال لكل ما استخرج حتى تقع عليه رؤية العين، أو معرفة القلب: قد استنبط. و النبط الماء الذى يخرج من البئر أول ما يحفر. و انبط فلان أى استنبط الماء من طين حر. و منه اشتقاق النبط، لاستنباطهم العيون.
و الضمير فى قوله: «منهم) يحتمل أن يعود إلى أحد أمرين:
أحدهما- و هو الأظهر انه عائد إلى أولى الامر. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 274
و الآخر- إلى الفرقة المذكورة من المنافقين، أو الضعفة.
و قوله: (وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ» معناه لو لا اتصال مواد الالطاف من جهة اللّه، «لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَلِيلًا» و قيل فيما وقع الاستثناء منه: أربعة أقوال:
أحدها- «لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَلِيلًا» منكم، فانه لم يكن يتبع الشيطان.
و يكون الفضل هاهنا بالنبى (ص)، و القرآن- فى قول الضحاک-، و هو اختيار الجبائى.
الثانى- لاتبعتم الشيطان إلا قليلا من الاتباع. و يكون الفضل على جملة اللطف، لأن ذلک لم يكن يزكوا به أحد منهم.
الثالث- قال الحسن، و قتادة. و ذكره الفراء، لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا.
الرابع- قال ابن عباس، و ابن زيد: أذاعوا به إلا قليلا و هو اختيار الكسائى و الفراء و المبرد و البلخى و الطبرى. و تقديره يستنبطونه منهم إلا قليلا.
قال المبرد: لأن العلم بالاستنباط فى الناس أقل. و ليس كذلک الاذاعة. و غلط الزجاج النحويين فى ذلک. و قال: كل هذه الأقوال جائزة. و قال قوم حكاه الطبرى:
ان مخرجه الاستثناء. و هو دليل الجمع، و الاحاطة. و المعنى انه لو لا فضل اللّه لم ينج أحد من الضلالة. فجعل قوله: «إلا قليلا» دليل على الاحاطة كما قال الطرماح يمدح بزيد بن المهلب:
قليل المثالب و القادحة «1»
و المعنى انه لا مثالب.

---

(1) ديوانه: 139 و صدره:
أشم كثير يدى النوال يدى- بضم الياء و كسر الدال و تشديد الياء- أو- بفتح

الیاء و کسر الدال و تشدید الیاء- جمع (ید).
التبیان فی تفسیر القرآن، ج3، ص: 275

فَقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ لا تُکَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَکَ وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِینَ عَسَی اللَّهُ أَنْ یَکُفَّ بَأْسَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ اللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَدُّ تَنْکِیلاً (84)
- آیة بلا خلاف-.
هذا خطاب للنبی (ص) خاصة أمره اللَّه أن یقاتل فی سبیل اللَّه وحده بنفسه.
و قوله: «لا تُکَلَّفُ إِلَّا نَفْسَکَ» و معناه لا تکلف إلا فعل نفسک، لأنه لا ضرر علیک فی فعل غیرک فلا تهتم بتخلف المنافقین عن الجهاد فعلیهم ضرر ذلک، و لیس المراد لا یأمر أحداً بالجهاد. و انما أراد ما قلناه ألا ترى أنه قال «وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِینَ» على القتال یعنی حثهم على الجهاد. و فی ذلک دلالة على أنه لا یجوز أن یؤاخذ اللَّه الأطفال بکفر آبائهم و یؤیده قوله: «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» لأن مفهوم هذا الکلام أنه لا یجوز أن تؤخذ بذنب غیرک. و الفاء فی قوله: «فَقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ» قیل فی معناه قولان:
أحدهما- أن یکون جواباً لقوله: (و من یقاتل فی سبیل اللَّه فیقتل أو یغلب فسوف نؤتیه أجراً عظیماً) «1» هکذا ذکره الزجاج، لأنه محمول على المعنى من حیث دل على معنى إن أردت الفوز، فقاتل.
الثانی- أن یکون متصلا بقوله: «وَ ما لَکُمْ لا تُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ» «2» فقال فی سبیل اللَّه. کذا ذکره الزجاج و وجهه لاحظ لک فی ترک القتال فتترکه، ثم وضع فقاتل موضع فتترکه. و قوله: «وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِینَ» معناه حثهم «عَسَی اللَّهُ أَنْ یَکُفَّ» قال الحسن، و البلخی، و الزجاج: إن (عسى) من اللَّه واجب و وجه ذلک ان اطماع الکریم انجاز و انما الاطماع تقویة أحد الامرین على الآخر دون قیام الدلیل على التکافؤ فی الجواز. و خرج (عسى) فی هذا من معنى الشک

---

(1) سورة النساء آیة: 74.
(2) سورة النساء آیة: 75.

کخروجها فی قول القائل: أطع ربک فی کل ما أمرک به، و نهاک عنه عسى «1» ان تفلح بطاعتک. و معنى «أَنْ یَکُفَّ بَأْسَ الَّذِینَ کَفَرُوا» ان یمنع شدة الکفار، ثم قال: «وَ اللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَدُّ تَنْکِیلًا» فالبأس: الشدة «2» فی کل شیء و معنى التنکیل قال الحسن، و قتادة: هو العقوبة. و قال أبو على الجبائی: هو الشدة بالأمور الفاضحة «3» و نکل به، و شوه به، و ندد به نظائر. و أصله النکول: و هو الامتناع للخوف. نکل عن الیمین، و غیرها ینکل

نكولا. و النكال: ما يمتنع به من الفساد خوفا من مثله من العذاب. و النكل القيد.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 85]..... ص: 276

اشارة

مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْها وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً (85)
- آية-.

قيل فى معنى الشفاعة هاهنا قولان:
أحدهما- قال أبو على: الشفاعة الحسنة: الدعاء للمؤمنين. و الشفاعة السيئة:
الدعاء عليهم، لأن اليهود كانت تفعل ذلک فتوعدهم اللَّه تعالى عليه. و قال الحسن، و مجاهد، و ابن زيد: الشفاعة هى مسألة الإنسان فى صاحبه أن يناله خير بمسألته.
و قال الازهرى معنى «مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً حَسَنَةً» من يزد عملا إلى عمل. و الشفع:
الزيادة. سئل تغلب عن اشتقاق الشفعة، فقال: الزيادة و هو أن يشفعک فى ما تطلبه حتى تضمنه إلى ما عندک، فتشفعه أى تزيده بها إن كان واحداً، فضممت إليه ما زاد صار شفعاً.

_____

(1) (عسى) ساقط من المطبوعة.
(2) فى المطبوعة (الشهرة) بدل (الشدة) و هو تحريف.
(3) فى المخطوطة (بالأمر القاصم).

و عندنا ان حقيقة الشفاعة هى المسألة فى إسقاط الضرر. و انما تستعمل فى مسألة المنافع مجازاً، لأن أحداً لا يقول: إنا نشفع فى النبى (ص) إذا سألنا اللَّه أن نزيد فى كراماته، و لو كان الامر على ما قاله الحسن، و مجاهد، لكنا شافعين فيه. و وجه اتصال هذا الكلام بما تقدم، انه لما قيل «لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَکَ» عقب ذلک بان لک مع هذا فى دعاء المؤمنين إلى الحق ما للإنسان فى شفاعة صاحبه بخير يصل إليه، لئلا يتوهم ان العبد من أجل انه لا يؤخذ بعمل غيره، لا يتزيد فعله بعمل غيره.
الثانى- ان الشفاعة تصير الإنسان شفعاً لصاحبه فى جهاد عدوه من الكفار.
و الكفل: قال الحسن، و قتادة:
هو الوزر، و هو قول أبى جعفر (ع).
و قال السدى، و الربيع، و ابن زيد: هو النصيب. و منه قوله: «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ» و أصل الكفل «1» : المركب الذى يهيأ كالسرج للبعير من كسا، أو خرق أو نحوه حول السنام. و انما قيل كفل، و اكتفل البعير، لأنه لم يستعمل الظهر كله. و انما استعمل نصيب منه. و قال الازهرى: الكفل الذى لا يحسن ركوب الفرس. و أصله الكفل: و هو ردف العجز. و منه الكفالة بالنفس، و بالمال. و الكفل المثل. و المقيت: قيل فى معناه خمسة أقوال.
قال السدى، و ابن زيد، و الكسائى: هو المقتدر.

و الثانى- قال ابن عباس، و اختاره الزجاج: إنه الحفيظ.
و الثالث- قال مجاهد: هو الشهيد.
و الرابع- المقيت: الحسيب عنه.
و الخامس- قال الجبائى: هو المجازى كأنه قال: و كان اللَّه على كل شىء من الحسنات، و السيئات مجازياً. و أصل المقيت: القوت، قاته يقوته قوتاً: إذا أعطاه ما يمسک رمقه. و المقيت: المقتدر لاقتداره على ما يمسک رمقه. يقال منها قات الرجل يقيت اقاتة حكاه الكسائى و ينشد للزبير بن عبد المطلب عم النبى (ص):

_____

(1) فى المطبوعة (و أهله) بدل (و أصل).

و ذى ضغن كففت النفس عنه و كنت على مساءته مقيتا «1»
فهذه لغة قريش. و قال كثير:
و ما ذاک عنها عن نوال اناله و لا اننى منها مقيت على ود
أى مقتدر فأما قول اليهودى:
ألى الفضل أم على إذا حو سبت انى على الحساب مقيت «2»
قيل: و معناه موقوف. أى كما ان من يحتاج إلى القوت موقوف على سد خلته. و يحتمل معنى مقيت أى مقتدر على الحساب بتوجيهه إلى انه لى أو على بحسب عملى. و قال ابن كثير: المقيت الواصب و هو القائم على كل شىء بالتدبير.
و أقوى الوجوه معنى المقتدر بدلالة البيت الذى للزبير بن عبد المطلب.
قوله تعالى:

وَ إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً (86)

- آية بلا خلاف-.

هذا خطاب من اللَّه تعالى لجميع المكلفين، يأمرهم إذا دعى لهم انسان بطول الحياة، و البقاء و السلامة، ان يحيوهم بأحسن من ذلک أو يردوا عليهم مثله. قال النحويون. أحسن هاهنا صفة لا ينصرف، لأنه على وزن افعل و هو صفة لا تنصرف و المعنى حيوا بتحية أحسن منها. و التحية: مفعلة من حييت. و معناها هاهنا السلام قال السدى: و ابن جريج و عطاء، و ابراهيم: إنه إذا سلم عليک واحد من المسلمين، فسلم عليه بأحسن، مما سلم عليک. أو رد عليه مثل ما قال. و ذلک إذا قال السلام عليک، فقل أنت و عليک السلام و رحمة اللَّه أو تقول كما قال لک. و قال قتادة، و ابن عباس، و وهب: فحيوا بأحسن منها أهل الإسلام، أو ردوها على أهل الكفر

---

(1) البيت مختلف فى نسبته فقيل انه لابى قيس بن رفاعة. و قيل لاحيحة بن الجلاح الانصارى. اللسان (قوت و طبقات فحول الشعراء: 343- 243 و الدر المنثور 2: 188. [.....]

(2) ديوانه: 14 و الاصمعيات: 85 و مجاز القرآن 1: 135 و طبقات فحول الشعراء:

237. و اللسان (قوت).

و الاول أقوى، لأنه

روى عن النبى (ص)، انه قال: إذا سلم عليكم أهل الكتاب، فقولوا و عليكم.

و قال الحسن، و جماعة من متقدمى المفسرين: إن السلام تطوع.

و الرد فرض، لقوله: «وَ إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها» و ذلک أمر يقتضى الإيجاب.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً» قيل فى معنى الحسيب قولان:

أحدهما- قال مجاهد: و ابن أبى نجيح: معنى حسيب حفيظ و قال قوم: معناه هاهنا من قولهم: احسبنى الشىء يحسبنى احساباً بمعنى كفانى. و منه قولهم:

حسبى كذا و كذا أى كفانى. و قال بعضهم: الحسيب فى هذا الموضع فعيل من الحساب الذى هو بمعنى الإحصاء يقال منه: حاسبت فلاناً على كذا و كذا و هو حسيبه و ذلک إذا كان صاحب حسابه. قال الزجاج: معناه يعطى

كل شىء من العلم و الحفظ و الجزاء مقدار ما يحسبه أى يكفيه. و منه قوله: «عطاء حسابا» «1» أى كافياً. و سمى الحساب حساباً، لأنه يعلم به ما فيه الكفاية
و ذكر الحسن:
انه دخل على النبى (ص) رجل، فقال: السلام عليكم، فقال النبى (ص): و عليک السلام و رحمة اللّه، ثم دخل آخر فقال: السلام عليكم و رحمة اللّه، فقال النبى (ص):
و عليک السلام و رحمة اللّه، و بركاته، ثم دخل آخر فقال: السلام عليكم و رحمة اللّه، و بركاته، فقال النبى (ص): و عليک السلام و رحمة اللّه و بركاته. قال بعضهم يا رسول اللّه كيف هذا فقال النبى (ص) الأولان بقيا من التحية بقية فرددتها.
و هذا لم يبق منها شيئاً فرددت عليه ما قال
«2» .

اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً (87)
- آية بلا خلاف-.

---

(1) سورة النبأ: آية 36.
(2) فى المطبوعة سقط فظيع فى هذا الحديث و قد أثبتنا ما فى المخطوطة.

قد بينا فيما تقدم معنى اللَّه. و هو الذى تحق له العبادة. و انه من كان قادراً على خلق اصول النعم التى يستحق بها العبادة. و ليس هو عبارة عمن يستحق العبادة، لأنه لو كان كذلک، لما كان تعالى إلهاً فيما لم يزل. و إذا ثبت انه موصوف به فيما لم يزل، دل على ان المراد ما قلناه. و إذا ثبت ذلک، فقد بين تعالى بهذه الآية انه لا يستحق العبادة سواه. و قوله: «لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ» اللام فى ليجمعنكم لام القسم كقولک: و اللَّه ليجمعنكم. و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ليبعثنكم من بعد مماتكم، و يحشرنكم جميعاً إلى موقف الحساب الذى يجازى فيه كلا بعمله، و يقضى فيه بين أهل طاعته. و معصيته.
الثانى- قال الزجاج: معناه ليجمعنكم فى الموت و فى قبوركم. و قوله: «لا رَيْبَ فِيهِ» معناه لا شک فيما أخبركم به. من قوله: انى جامعكم يوم القيامة.
و قيل فى تسمية ذلک اليوم بالقيامة قولان:
أحدهما- لأن الناس يقومون من قبورهم.
الثانى- انهم يقومون للحساب. قال اللَّه تعالى «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ» «1» و قوله: «وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً» تقرير فى صورة الاستفهام و معناه لا أحد أصدق من اللَّه فى الخبر الذى يخبر به من حيث لا يجوز عليه الكذب فى شىء من الأشياء، لأنه لا يكذب إلا محتاج يجتلب به نفعاً، أو يدفع به ضرراً.
و هما يستحيلان عليه تعالى. فإذاً يستحيل عليه الكذب. و انما يجوز ذلک على من سواه. فلذلک كان تعالى أصدق القائلين. و نصب حديثاً على التمييز كما تقول: من أحسن من زيد فهما أو خلقا؟

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 88]..... ص: 280

اشارة

فَما لَكُمْ فِي الْمُنافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَ اللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِما كَسَبُوا أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (88)

_____

(1) سورة المطففين: آية 6.

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 281

- آية بلا خلاف-

خاطب اللَّه تعالى بهذه الآية المؤمنين، فقال: ما شأنكم أيها المؤمنون فى أهل النفاق فرقتين مختلفتين «وَ اللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِما كَسَبُوا» يعنى بذلک و اللَّه رِدهم إلى أحكام أهل الشرک فى اباحة دمائهم، و سبى ذراريهم «بِما كَسَبُوا» يعنى بما كذبوا اللَّه و رسوله، و كفروا بعد إسلامهم. و الإركاس و الرد. و منه قوله أمية بن أبى الصلت:

فاركسوا فى حميم النار انهم كانوا عصاة و قالوا الافک و الزور «1»

قال الفراء: يقال منه أركسهم، و ركسهم و قد ذكر أنا فى قراءة عبد اللَّه و أبى «وَ اللَّهُ أَرْكَسَهُمْ» بغير الف. و فيمن نزلت هذه الآية قيل فيه خمسة أقوال:

أحدها- قال قوم نزلت فى اختلاف أصحاب رسول اللَّه (ص) فى الذين تخلفوا عن رسول اللَّه يوم أحد، و انصرفوا إلى المدينة. و قالوا لرسول اللَّه و أصحابه لو نعلم قتالا لاتبعناكم. ذكر ذلک زيد بن ثابت.

و الثانى-

قال مجاهد، و أبو جعفر (ع)، و الفراء: إنها نزلت فى اختلاف كان بين أصحاب رسول اللَّه (ص) فى قوم كانوا قدموا المدينة من مكة، و أظهروا للمسلمين أنهم مسلمون، ثم رجعوا إلى مكة، لأنهم استوخموا المدينة، و أظهروا لهم الشرک، ثم سافروا ببضائع المشركين إلى اليمامة. فأراد المسلمون أن يأخذوهم و ما معهم فاختلفوا. و قال قوم: لا نفعل ذلک «2» لأنهم مؤمنون. و قال آخرون:

هم مرتدون. فأنزل اللَّه فيهم الآية.

الثالث- قال ابن عباس، و قتادة، و الضحاک: بل كان اختلافهم فى قوم

---

(1) ديوانه: 36، و هو هكذا:

اركسوا فى جهنم أنهم كانوا عتاة تقول إفكا و زورا

و هو فى الدر المنثور 2: 191 هكذا:

اركسوا فى جهنم انهم كانوا عتاة يقولوا ميناً و كذبا و زورا

(2) فى المطبوعة (ذلک) ساقطة.

من أهل الشرک كانوا أظهروا الإسلام بمكة، و كانوا يعينون المشركين على المسلمين، فقال قوم: دماؤهم، و أموالهم حلال و قال آخرون: لا بل هو حرام.

الرابع- قال السدى نزلت فى قوم كانوا بالمدينة أرادوا الخروج عنهم نفاقا. و قالوا للمؤمنين أصابنا جدب و خصاصة نخرج إلى الظهر حتى نتمايل، و

نرجع، فقال قوم: هم منافقون. و قال آخرون: هم مؤمنون.
و الخامس- قال ابن زيد: بل نزلت فى اختلاف أصحاب رسول اللَّه فى قصة أهل الافک عبد اللَّه بن أبى، و أصحابه، لما تكلموا فى عائشة.

و قوله: (فئتين) يحتمل نصبه أمرين:
أحدهما- قال بعض البصريين هو نصب على الحال كقولك: مالک قائماً.
و معناه مالک فى حال القيام. و قال الفراء: هو نصب على فعل ما لكم و لا ينافى «1» كان المنصوب فى مالک: معرفة، أو نكرة. و يجوز أن تقول مالک السائر معنا، لأنه كالفعل الذى ينصب بكان، و أظن، و ما أشبههما قال: و كل موضع صلحت فيه فعل و يفعل من المنصوب، جاز نصب المعرفة، و النكرة. كما تنصب كان و أظن، لأنهما نواقص فى المعنى. و ان ظننت انهن تامات. و اختلفوا فى معنى اركسهم، فقال ابن عباس: معناه ردهم. و فى رواية أخرى عنه: أوقعهم. و قال قتادة:
اهلكهم [و قال السدى: معناه أضلهم بما كسبوا. و معناه أيضاً اهلكهم] «2»
و قوله: (أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) معناه أ تريدون أيها المؤمنون أن تهدوا إلى الإسلام من أضله اللَّه. و يحتمل معنيين:
أحدهما- أن من وجده اللَّه ضالا، و سماه بأنه ضال، و حكم به من حيث ضل بسوء اختياره.

---

(1) فى المطبوعة (تبالى) بدل (ينافى).
(2) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

و الثانى- أضله اللَّه بمعنى خذله. و لم يوفقه كما وفق المؤمنين، لأنهم لما عصوا و خالفوا استحقوا هذا الخذلان عقوبة لهم على معصيتهم، فيريدون الدفاع عن قتالهم مع ما حكم اللَّه بضلالهم و خذلانهم. و قال الجبائى: المعنى و من يعاقبه اللَّه على معاصيه، فلا تجد له طريقاً إلى الجنة. و طعن على الأول من قول البغداديين ان المراد به التسمية، و الحكم بأن قال: لو أراد ذلک، لقال: و من ضلل اللَّه و هذا ليس بشىء، لأنهم يقولون: أكفرته و كفرته، و أكرمته و كرمته: إذا سميته بالكفر أو الكرم قال الكميت:
فطائفة قد أ كفرونى بحبكم و طائفة قالوا مسيئ و مذنب «1»
و يحتمل أن يكون المراد وجدهم ضلالا، كما قال الشاعر:
هبونى امرأ منكم أضل بعيره
أى وجده ضالا، ثم قال لهم أ ليس اللَّه قال «وَ يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيداً» «2» أ ترى أراد ان الشيطان يخلق فيهم الضلالة؟ بل انما أراد يدعوهم إليها و لا خلاف أن اللَّه تعالى لا يدعو إلى الضلالة، و يقوى قول من قال: المراد به التسمية. قوله: «أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ» و انما

أراد ان تسموهم مهتدين لأنهم كانوا يزعمون أنهم مؤمنون فحينئذ رد اللّه عليهم، فقال: لا تختلفوا فى هؤلاء، و قولوا بأجمعكم: إنهم منافقون. و لم يكونوا يدعونهم إلى الايمان، فخالفهم أصحابهم، فعلم ان الصحيح ما قلناه، ثم أخبر اللّه تعالى فقال: «وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ» يعنى من خذله «فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا» يا محمد و لا طريقاً. و من قال من المجبرة: إن قوله: «أَرْكَسَهُمْ بِما كَسَبُوا» يدل على أنه أوقعهم فى النفاق. فقولهم باطل، لأنه قال: بما كسبوا، فبين انه فعل بهم ذلک على وجه الاستحقاق. و ذلک لا يليق إلا بما قدمناه، لأنه لو أوقعهم فى النفاق «3» لمعصية تقدمت، لكان يجب أن

---

(1) خزانة الأدب 4: 236.
(2) سورة النساء: آية 59.
(3) (فى النفاق) ساقط من المطبوعة.

يكون أوقعهم فيها لمعصية أخرى. و ذلک يؤدى إلى ما لا يتناهى أو ينتهى إلى معصية ابتدأهم بها و ذلک ينافى قوله: «بِما كَسَبُوا» و الفئة الفرقة من الناس.
مأخوذ من فأيت رأسه إذا شققته و الفأو: الشعب من شعاب الجبل. و الركس:
الرد إلى الحالة الاولى. و منه قيل للعذرة، و الروث: ركس.

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَواءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِياءَ حَتَّى يُهاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ لا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (89)

- آية- أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية عن هؤلاء المنافقين أنهم يوّدون و يتمنون أن تكفروا أى تجحدوا وحدانية اللَّه تعالى و تصديق نبيكم كما جحدوا، هم «فَتَكُونُونَ سَواءً» يعنى مثلهم كفاراً تستوون أنتم، و هم فى الكفر باللَّه، ثم نهاهم أن يتخذوا منهم أولياء، و يستنصحوهم، بل ينبغى أن يتهموهم، و لا ينتصحوهم، و لا يستنصروهم، و لا يتخذوا منهم ولياً ناصراً، و لا خليلا مصافياً «حَتَّى يُهاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و معناه حتى يخرجوا من دار الشرك. و يفارقوا أهلها المشركين «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى فى ابتغاء دين اللَّه. و هو سبيله، فيصيروا عند ذلک مثلكم، لهم مالكم، و عليهم ما عليكم- و هو قول ابن عباس- ثم قال: «فَإِنْ تَوَلَّوْا» يعنى هؤلاء المنافقين عن الإقرار باللَّه، و رسوله، و عن الهجرة من دار الشرک، و مفارقة أهله «فَخُذُوهُمْ» أيها المؤمنون «وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» أى أصبتموهم من أرض اللَّه.

«وَ لا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً» يعنى و لا تتخذوا منهم خليلا و لا و لا ناصرا ينصركم على أعدائكم- و هو قول ابن عباس و السدى-.

إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ أَوْ جاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقاتِلُوكُمْ أَوْ يُقاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقاتِلُوكُمْ وَ أَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَما جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً (90)

- آية بلا خلاف-.

لما أمر اللّه تعالى المؤمنين بقتال الذين لا يهاجرون عن بلاد الشرک حيث وجدوهم، و ألا يتخذوا منهم ولياً و لا نصيراً استثنى من جملتهم من وصل منهم إلى قوم بينكم و بينهم موادعة، و عهد و ميثاق، فدخلوا فيهم و صاروا منهم. و رضوا بحكمهم فان لمن وصل إليهم و دخل فيهم راضياً بحكمهم حكمهم فى حقن دمائهم بدخوله فيهم. و المعنى بقوله: «إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ» بنو مدلج، و كان سراقة بن مالک بن جعشم «1» المدلجى جاء إلى النبى (ص) بعد أحد، فقال له: أنشدک اللّه و النعمة.

و أخذ منه ألا يغزو قومه، فان أسلمت قريش أسلموا، لأنهم كانوا فى عقد قريش، فحكم اللّه فيهم ما حكم فى قريش، و حرم منهم ما حرم منهم، ففيهم نزلت هذه الآية- على ما ذكره بن شبة-.

و قال أبو جعفر (ع) قوله تعالى: «إِلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ» قال: هو هلال بن عويمر السلمى. واثق عن قومه أَلاَّ تخفيف يا محمد من أتاک و لا نخيف من أتانا.

و بمثل هذا التأويل قال السدى، و ابن زيد، و عكرمة و قال أبو عبيدة «يصلون» بمعنى ينتسبون إليهم. و العرب تقول قد اتصل الرجل: إذا انتمى إلى قوم و قال الأعشى يذكر امرأة انتسبت إلى قومها:

إذا اتصلت قالت: أ بكر بن وائل و بكر سبتها و الأنوف رواغم «2»

و قد ضعف هذا الجواب، لأن تعيين الانتساب لو أوجب أن يكون حكم

---

(1) فى المخطوطة (ابن جعيثم) و فى مجمع البيان (ابن خثعم) و قد أثبتنا ما فى المطبوعة و الطبرى و اكثر التفاسير، و كتب الرجال.

(2) ديوانه: 81 رقم القصيدة 9. و مجاز القرآن 1: 136، و اللسان (وصل).

المنتسب حكم من انتسب إليه ممن بينهم و بينهم ميثاق، لوجب ألا يقاتل النبى (ص) قريشاً، لما بينهم و بين المؤمنين من الانتساب. و حرمة الايمان أعظم من حرمة الموادعة. فان قيل: هذه الآية منسوخة قيل: لعمرى إنها منسوخة لكن لا خلاف أنها نسخت بقوله فى سورة براءة «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» و براءة نزلت بعد فتح مكة، فكان يجب ألا

يقاتل قريشاً على دخول مكة و قد علمنا خلافه و قوله: «أَوْ جاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ»
قال عمر بن شبة يعنى به أشجع فإنهم قدموا المدينة فى سبعمائة يقودهم مسعود بن دخيلة فأخرج إليهم النبى (ص) أحمال التمر ضيافة. و قال: نعم الشىء الهدية أمام الحاجة. و قال لهم: ما جاءكم) قالوا:
قربت دارنا منک، و كرهنا حربک، و حرب قومنا، يعنون بنى ضمرة الذين بينهم و بينهم عهد لقلتنا فيهم، فنزلت الآية.
و قوله: «جاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ» معناه قد حصرت، لأنه فى موضع الحال و الماضى إذا كان المراد به الحال قدّر معه قد، كما يقولون: جاء فلان، و ذهب عقله. و المعنى قد ذهب عقله. و سمع الكسائى من العرب من يقول: أصبحت نظرت إلى ذات التنانير بمعنى قد نظرت.
و انما جاز ذلک، لأن قد تدنى الفعل من الحال. و قرأ الحسن، و يعقوب «حصرة صدورهم» منصوباً على الحال. و أجاز يعقوب الوقف بالهاء. و هو صحيح فى المعنى و قراءة القراء بخلافه. و معنى «حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ» ضاقت عن أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم و كل من ضاقت نفسه عن شىء من فعل أو كلام يقال: قد حصر. و منه الحصر فى القراءة و ما قلناه معنى قول السدى و غيره.
و قوله: «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ» مثل قوله: «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ» «1» و معناه الاخبار عن قدرته على ذلک لو شاء لكنه لا يشاء ذلک، بل يلقى فى قلوبهم الرعب حتى يفزعوا، و يطلبوا الموادعة، و المسالمة، و يدخل بعضهم فى حلف من بينكم و بينهم ميثاق و فى ذمتهم، ثم قال: «فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ» يعنى هؤلاء الذين أمرنا بالكف عن قتالهم من المنافقين بدخولهم فى أهل عهدكم أو بمصيرهم إليكم

---

(1) سورة البقرة: آية 220. [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 287
«حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ»، فلم يقاتلوكم «وَ أَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ» يعنى صالحوكم، و استسلموا، كما يقول القائل: أعطيتک قيادى و ألقيت إليک خطامى إذا استسلم له و انقاد لأمره، فكذلک قوله: «وَ أَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ» يريد به الصلح و قال أكثر المفسرين: البلخى و الطبرى و الجبائى، و غيرهم: إن المراد به الإسلام. قال الطرماح:
و ذاک ان تميما غادرت سلما للأسد كل حصان و عثة اللبد «1»
يعنى استسلاماً. و قال: «فَما جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا» يعنى إذا استسلموا لكم فلا طريق لكم على نفوسهم، و أموالهم. قال الربيع: السلم ها هنا الصلح، ثم نسخ ذلک بقوله: «فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» «2» الآية. و به قال عكرمة و الحسن قالا.

نسخِتَ هذه الآية إلى قوله: «سُلْطاناً مُبِيناً» و قوله: فى الممتحنة: «لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ» إلى قوله: «الظالمون» «3» نسخت هذه الأربع آياتَ بقوله: فى براءة الآية التى تلوناها، و به قال قتادة و ابن زيد:

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 91]..... ص: 287

اشارة

سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَ يَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّما رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيها فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَ يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَ يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أُولئِكُمْ جَعَلْنا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطاناً مُبِيناً (91) - آية بلا خلاف-.

قيل فى الذين نزلت فيهم هذه الآية ثلاثة أقوال:

---

(1) ديوانه: 145 من قصيدته التى هجا بها الفرزدق الحصان: المرأة العفيفة. و عثة:
كثيرة اللحم لبدة- بكسر فسكون- كساء يفرش للجلوس عليه.
(2) سورة التوبة: آية 6.
(3): آية 8.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 288
أحدها- قال ابن عباس، و مجاهد: نزلت فى ناس كانوا يأتون النبى (ص) فيسلمون رياء، ثم يرجعون إلى قريش، و يرتكسون فى الأوثان يبتغون بذلک أن يأمنوا ها هنا و ها هنا، فأمر اللّه بقتالهم إن لم يعتزلوا، و يصلحوا.
الثانى- قال قتادة: نزلت فى حى كانوا بتهامة قالوا: يا نبى اللّه لا نقاتلک، و لا نقاتل قومنا. و أرادوا أن يأمنوا قومهم و يأمنوا نبى اللّه فأبى اللّه عليهم ذلک.
فقال: «كُلَّما رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ» يعنى إلى الكفر «أُرْكِسُوا فِيها» يعنى وقعوا فيها.
الثالث- قال السدى: نزلت فى نعيم بن مسعود الاشجعى، و كان يأمن فى المسلمين بنقل الحديث بين النبى (ص)، و المشركين، فنزلت هذه الآية، و قال مقاتل: نزلت فى أسد و غطفان.

و قال أبو العالية معنى قوله: «كُلَّما رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيها» يعنى كلما ابتلوا بها عموا فيها. و قال قتادة: كلما عرض لهم بلاء هلكوا فيه. و الفتنة فى اللغة هى الاختبار. و الإركاس: الرجوع. فمعنى الكلام كلما ردوا إلى الاختبار، ليرجعوا إلى الكفر و الشرك رجعوا إليه. و قوله: «فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَ يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَ يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ» معناه و ان لم يعتزلوكم أيها المؤمنون هؤلاء الذين يريدون أن يأمنوكم و يأمنوا قومهم و هم كلما دعوا إلى الشرك أجابوا إليه.

«وَ يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ» يعنى و لم يستسلموا لكم فيعطوكم المقادة و يصالحوكم و يكفوا أيديهم عن قتالكم «فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ» يعنى حيث أصبتموهم. ثم قال: «وَ أُولئِكُمْ جَعَلْنا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطاناً مُبِيناً» يعنى حجة ظاهرة. و قال السدى، و عكرمة: السلطان الحجة.

و قال أبو على: نزلت فى قوم كانوا يظهرون الإسلام، فإذا اجتمعوا مع قريش أظهروا لهم الكفر. و هو قوله: «كُلَّما رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ» يعنى الكفر (أُرْكِسُوا فِيها» بمعنى وقعوا فيها، فما داموا مظهرين للإسلام و كافين عن قتال المسلمين، فلا التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 289

يتعرض لهم. و متى لم يظهروا الإسلام، وجب قتالهم على ما ذكره اللَّه، ثم قال قوم:

الآية منسوخة و ان من لم يحارب مع المؤمنين، وجب قتاله. و اختار هو أنها غير منسوخة. قال: لأنه لا دليل على ذلک.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 92]..... ص: 289

اشارة

وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ إِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (92)

- آية بلا خلاف-.

قوله: «وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً» معناه لم يأذن اللَّه، و لا أباح لمؤمن أن يقتل مؤمناً فيما عهده إليه، لأنه لو أباحه و أذن فيه ما كان خطأ.
و التقدير إلا أن يقتله خطأ، فان حكمه هكذا على ما ذكر. فذهب إلى هذا قتادة و غيره.
و قوله: «إلا خطأ» استثناء منقطع- فى قول أكثر المفسرين- و تقديره إلا أن المؤمن قد يقتل المؤمن من خطأ، و ليس ذلک مما جعل اللَّه له، و مثله قول الشاعر:
من البيض لم تظعن بعيداً و لم تطأ على الأرض إلا ريط برد مرجل «1»
و المعنى لم تطأ على الأرض إلا أن تطأ ذيل البرد، و ليس ذيل البرد من الأرض.

_____

(1) قائله جرير ديوانه: 458، و النقائض: 706، و مجاز القرآن 1: 137.

و قد ذكرنا لذلک نظائر فيما مضى، و لا نطول بإعادتها. و تقدير الآية: إلا أن المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ و ليس ذلک مما جعل اللَّه له. و قال قوم: الاستثناء متصل و المعنى: لم يكن للمؤمن أن يقتل متعمداً مؤمناً. و متى قتله متعمداً لم يكن مؤمناً فان ذلک يخرجه من الايمان، ثم قال: «إلا خطأ» و معناه إن قتله له خطأ لا يخرجه من الايمان. ثم أخبر تعالى بحكم من قتل من المؤمنين مؤمناً خطأ، فقال: «وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ» . و معناه فعليه تحرير رقبة مؤمنة. يعنى مظهرة للايمان و ظاهر ذلک يقتضى أن تكون بالغة ليحكم لها بالايمان و ذلک فى ماله خاصة.
«وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ» تؤديها عنه عاقلته إلى أولياء المقتول إلا أن يصدق أولياء المقتول حينئذ تسقط عنهم. و موضع (أن) من قوله: «إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا» نصب، لأن المعنى فعليه ذلک إلا أن يصدقوا

و قيل: إن الآية نزلت فى عياش ابن أبى ربيعة المخزومى: أخى أبى جهل، لأنه كان أسلم، و كان قد قتل رجلا مسلماً بعد إسلامه، و هو لا يعلم بإسلامه. و هذا قول مجاهد، و ابن جريج، و عكرمة، و السدى. و قالوا: المقتول هو الحارث بن يزيد بن أبى نبشية العامرى. و لم يعلم أنه اسلم، و كان أحد من رده عن الهجرة، و كان يعذب عياشاً مع أبى جهل، قتله بالحرة بعد الهجرة. و قيل:
قتله بعد الفتح و قد خرج من مكة و هو لا يعلم بإسلامه. و رواه أبو الجارود عن أبى جعفر (ع).
و قال ابن زيد: نزلت فى رجل قتله أبو الدرداء، كان فى سرية فعدل أبو الدرداء إلى شعب يريد حاجة، فوجد رجلا من القوم فى غنم له، فحمل عليه بالسيف فقال:
لا إله إلا اللَّه! فبدر فضربه ثم جاء بغنمه إلى القوم ثم وجد فى نفسه شيئاً فأتى رسول اللَّه (ص) فذكر ذلک له، فقال له النبى (ص): ألا شققت عن قلبه فقال:
ما عسيت أن أجد! هل هو إلا دم أو ماء؟ فقال النبى (ص) فقد أخبرک بلسانه فلم تصدقه قال كيف بى يا رسول اللَّه؟ قال: فكيف بلا إله إلا اللَّه؟ قال فكيف بى التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 291
يا رسول اللَّه؟ قال: و كيف بلا إله إلا اللَّه؟! حتى تمنيت أن يكون ذلک اليوم مبتدأ إيمانى، ثم نزلت هذه الآية
و الذى ينبغى أن يعول عليه ان ما تضمنته الآية حكم من قتل خطأ و يجوز فى سبب نزول الآية كل واحد مما قيل.

و قال ابن عباس، و الشعبى، و ابراهيم، و الحسن، و قتادة: الرقبة المؤمنة لا تكون إلا بالغة قد آمنت و صامت وصلت. فأما الطفل فانه لا يجزى و لا الكافر.
و قال عطاء: كل رقبة ولدت فى الإسلام فهى تجزى. و الاول أقوى، لأن المؤمن على الحقيقة لان يطلق إلا على بالغ عاقل مظهر للايمان ملتزم لوجوب الصوم و الصلاة، إلا أنه لا خلاف أن المولود بين مؤمنين يحكم له بالايمان، فبهذا الإجماع ينبغى أن يجزى فى كفارة قتل الخطأ.
و أما الكافرة و المولود بين كافرين فانه لا يجزى بحال.
و الدية المسلمة الى أهل القتيل هى المدفوعة إليهم موفرة غير منتقصة حقوق أهلها منها «إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا» معناه يتصدقوا فأدغمت التاء فى الصاد لقرب مخرجها و فى قراءة أبى «إلا أن يتصدقوا» .
و قوله: «فَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ» يعنى إن كان هذا القتيل الذى قتله المؤمن من خطأ من قوم هم أعداء لكم مشركون و هو مؤمن، فعلى قاتله تحرير رقبة مؤمنة. و اختلفوا فى معناه، فقال قوم: إذا كان القتيل فى عداد قوم أعداء و هو مؤمن بين أظهرهم لم يهاجر، فمن قتله فلا دية له.
و عليه تحرير رقبة مؤمنة، لأن الدية ميراث، و أهله كفار لا يرثونه. هذا قول ابراهيم، و ابن عباس، و السدى، و قتادة، و ابن زيد، و ابن عياض. و قال آخرون:
بل عنى به أهل الحرب من يقدم دار الإسلام فيسلم ثم يرجع إلى دار الحرب إذا مر بهم جيش من أهل الإسلام فهرب قومه و أقام ذلك المسلم فيهم فقتله المسلمون، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 292
و هم يحسبونه كافراً. ذكر ذلك عن ابن عباس فى رواية أخرى.
و قوله: «وَ إِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ» و معناه إن كان القتيل الذى قتله المؤمن خطأ من قوم بينكم و بينهم أيها المؤمنون ميثاق أى عهد و ذمة و ليسوا أهل حرب لكم «فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ» تلزم عاقلة قاتله. و تحرير رقبة على القاتل كفارة لقتله. و اختلفوا فى صفة هذا القتيل الذى هو من قوم بيننا و بينهم ميثاق أ هو مؤمن أم كافر؟ فقال قوم: هو كافر إلا أنه يلزم قاتله دية، لأن له و لقومه عهداً. ذهب إليه ابن عباس، و الزهرى، و الشعبى، و ابراهيم النخعى، و قتادة، و ابن زيد. و قال آخرون:
بل هو مؤمن، فعلى قاتله دية يؤديها إلى قومه من المشركين، لأنهم أهل ذمة.

روى ذلک أيضاَ عن ابراهيم و الحسن. و هو المروى فى أخبارنا.
إلا أنهم قالوا: يعطى ديته ورثته المسلمين دون الكفار. و الميثاق هو العهد. و قد بيناه فيما مضى. و المراد هاهنا الذمة، و غيرها من العهود و به قال السدى و الزهرى، و ابن عباس و الخطأ هو ان تريد شيئاً فتصيب غيره. و هو قول ابراهيم، و أكثر الفقهاء.
و الدية الواجبة فى قتل الخطأ مائة من الإبل ان كانت العاقلة من أهل الإبل- بلا خلاف- و ان اختلفوا فى أسنانها فقائل يقول. هى أرباع: خمس و عشرون حقة، و خمس و عشرون جذعة، و خمس و عشرون ابنة مخاض، و خمس و عشرون بنت لبون.
روى ذلک عن على (ع).
و قال آخرون: هى أخماس: عشرون حقة، و عشرون جذعة، و عشرون بنت لبون، و عشرون بنو لبون، و عشرون بنت مخاض.
و ينسب ذلک إلى ابن مسعود. و روى الأمرين معا أصحابنا. و قال قوم: هى أرباع غير أنها ثلاثون حقة، و ثلاثون بنت لبون، و عشرون بنت مخاض، و عشرون بنو لبون. روى ذلک عن عثمان و زيد بن ثابت. قال الطبرى: هذه الروايات متكائة. و الاولى التخيير. و لا يحمل على العاقلة صلح، و لا اقرار، و لا ما كان دون الموضحة. و أما الدية من الذهب فألف دينار، و من الورق عشرة آلاف درهم.
و قال بعضهم: اثنى عشر ألفاً و الاول عندنا هو الأصح. و دية عمد الخطأ مائة من التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 293
الإبل مغلظة اثلاثاً- و روى أرباعاً- ثلث بنت لبون، و ثلث حقة، و ثلث جذعة. و تستأدى فى سنين. و دية الخطأ فى ثلاث سنين. و دية العمد إذا تراضوا بها فى سنة. و أما دية أهل الذمة فقال قوم: هى دية المسلم سواء. ذهب إليه أبو بكر، و عثمان، و ابن مسعود، و ابراهيم، و مجاهد، و الزهرى، و عامر الشعبى، و اختاره الطبرى، و أبو حنيفة و أصحابه. و قال قوم: على النصف من دية المسلم. ذهب إليه عمرو بن شعيب رواه عن عمر بن الخطاب و به قال عمر بن عبد العزيز. و قال قوم:
هى على الثلث من دية المسلم ذهب إليه سعيد بن المسيب، و الشافعى غير أنها أربعة آلاف و اختلاف الفقهاء قد ذكرناه فى الخلاف. و أما دية المجوسى فلا خلاف أنها ثمانمائة و كذلک عندنا دية اليهودى و النصرانى.
«فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً» يعنى فمن لم يجد الرقبة المؤمنة كفارة عن قتله المؤمن لاعتباره فعليه صيام شهرين متتابعين. و اختلفوا فى معناه: فقال قوم:
مثل ما قلناه ذهب إليه مجاهد. و قال آخرون: «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ» الدية فعليه. صوم الشهرين عن الدية و الرقبة. و تأويل الآية فمن لم يجد رقبة مؤمنة و لا دية يسلمها إلى أهلها فعليه صوم شهرين متتابعين، ذهب إليه مسروق و

الاول هو الصحيح، لأن دية قتل الخطأ على العاقلة، و الكفارة على القاتل بإجماع الأمة على ذلک. و صفة التتابع فى الصوم أن يتابع الشهرين لا يفصل بينهما بإفطار يوم. و قال أصحابنا: إذا صام شهراً و زيادة ثم أفطر اخطأ و جاز له البناء.
و قوله: «تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ» نصب على القطع. و معناه رجعة من اللَّه لكم إلى التيسير عليكم بتخفيفه عنكم ما خفف عنكم من فرض تحرير الرقبة المؤمنة بإيجاب صوم الشهرين المتتابعين توبة «وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً» معناه لم يزل اللَّه عليما بما يصلح عبادة فيما يكلفهم من فرائضه حكيماً بما يقضى فيهم. و يدبره. و قال الجبائى انما قال: «تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ» تعالى بهذه الكفارة التى يلتزمها بدرء عقاب القاتل.
و ذمه لأنه يجوز أن يكون عاصياً فى السبب، و إن لم يكن عاصياً فى القتل من حيث أنه رمى فى موضع هو منهى عنه بأن يكون رجمة، و إن لم يقصد القتل و هذا التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 294
ليس بشىء لأن الآية عامة فى كل قاتل خطأ، و ما ذكره ربما اتفق فى الآحاد.
و الزام دية قتل الخطأ العاقلة ليس هو مؤاخذة البرىء بالسقيم، لأن ذلک ليس بعقوبة بل هو حكم شرعى تابع للمصلحة. و لو خلينا و العقل ما أوجبناه. و قيل: إن ذلک على وجه المواساة و المعاونة.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 93]..... ص: 294

اشارة

وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً (93)
- آية بلا خلاف-.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان من يقتل مؤمناً متعمداً يعنى قاصداً إلى قتله ان جزاؤه جهنم خالداً فيها أى مؤبداً فى جهنم و غضب اللَّه عليه. و قد بينا ان غضب اللَّه هو ارادة عقابه، و الاستخفاف به. «و لعنه» معناه أبعده من ثوابه و رحمته «وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً» يعنى لا يعلمون قدر مبلغه لكثرته و اختلفوا فى صفة قتل العمد، فعندنا أن من قصد قتل غيره بما يقتل مثله فى غالب العادة سواء كان بحديدة حادة كالسلاح أو مثقلة من حديد أو خنق أو سم أو إحراق أو تفريق أو موالات ضرب بالعصا حتى يموت أو بحجارة ثقيلة فان جميع ذلک عمد يوجب القود، و به قال ابراهيم، و عبيد بن عمير، و الشافعى، و أصحابه، و اختاره الطبرى. و قال قوم: لا يكون قتل العمد إلا ما كان بحديد. ذهب إليه سعيد ابن المسيب، و ابراهيم، و الشافعى فى رواية أخرى، و طاوس و أبو حنيفة و أصحابه غير أن عندنا أنه إذا قتله بغير حديدة فلا يستقاد منه إلا بحديدة. و قال الشافعى يستقاد منه بمثل ما قتل به. فأما القتل شبيه العمد فهو ان يضربه بعصا أو غيرها مما لم تجر العادة بحصول الموت عنده، فإذا مات منه، كان شبيه العمد، و فيه الدية مغلظة فى مال القاتل خاصة لا يلزم العاقلة. و قد بينا اختلاف الفقهاء فى مسائل التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 295
الخلاف فى هذه المسألة. و استدلت المعتزلة بهذه الآية على أن مرتكب الكبيرة مخلد فى نار جهنم، و أنه إذا قتل مؤمناً، فانه يستحق الخلود، و لا يعفى عنه بظاهر اللفظ. و لما أن نقول: ما أنكرتم أن يكون المراد بالآية للكفار و من لا ثواب له أصلا. فأما من هو مستحق للثواب، فلا يجوز أن يكون مراداً بالخلود أصلا، لما بيناه فيما مضى من نظائره. و قد روى أصحابنا أن الآية متوجهة إلى من يقتل المؤمن لإيمانه، و ذلک لا يكون إلا كافراً. و قال عكرمة، و ابن جريج: إن الآية نزلت فى انسان بعينه ارتد ثم قتل مسلماً، فانزل اللَّه تعالى فيه الآية، لأنه كان مستحلا لقتله. على أنه قد قيل: إن قوله: «خالِداً فِيها» لا يفهم من الخلود فى اللغة الّا طول اللبث، فأما البقاء ببقاء اللَّه، فلا يعرف فى اللغة، ثم لا خلاف أن الآية مخصوصة بمن لا يتوب، لأنه إن تاب فلا بد من العفو عنه إجماعاً، و به قال مجاهد. و قال ابن عباس: لا توبة له و لا إذا قتله فى حال الشرک ثم أسلم و تاب.
و به قال ابن مسعود، و زيد بن ثابت و الضحاک. و لا يعترض على ما قلناه قول من يقول ان قاتل العمد لا يوفق للتوبة، لأن هذا القول إن صح فإنما يدل على أنه لا يختار التوبة. و لا ينافى ذلک القول بأنها لو حصلت، لا زالت العقاب. و إذا كان لا بد من تخصيص الآية و إخراج التائبين عنها، جاز لنا أن نخرج منها من يتفضل اللَّه عليه بالعفو على أن ظاهر الآية يتضمن أن جزاءه

جهنم فمن أين أن ذلک لا بد من حصوله، و ان العفو لا يجوز حصوله؟ و هذا قول أبى مجلز و أبى صالح.
و لا يدفع ذلک قوله: «وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً» لأن ذلک اخبار عن انه مستحق لذلک، فمن أين حصوله لا محالة؟ و قال الجبائى: الجزاء عبارة عما يفعل، و ما لا يفعل لا يسمى جزاء. ألا ترى أن الأجير إذا استحق الاجرة على من استأجره، لا يقال فى الدراهم التى مع المستأجر انها جزاء عمله؟
و انما يسمى بذلک إذا أعطاه إياها. و هذا ليس بشىء لأن الجزاء عبارة عن المستحق سواء فعل، أو لم يفعل الا ترى أنا نقول: جزاء من فعل الجميل أن يقابل عليه بمثله، و ان كان ما فعل بعد؟ و انما يراد أنه ينبغى أن يقابل بذلک. و نقول: التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 296
من استحق عليه القود، أو حد من الحدود إن جزاء هذا أن يقتل، أو يقام عليه الحد. و لو كان الامر على ما قالوه، لوجب ألا يكون الخلود فى النار جزاء للكفار، لأنه لم يقع بعد، و لا يصح أن يقع، لأن ما يوجد منه لا يكون إلا متناهياً و انما لم يقل فى الدراهم، إنها جزاء لعمله، لأن ما يستحقه الأجير فى الذمة لا يتعين فى دراهم معينة. و للمستأجر أن يعطيه منها، و من غيرها. فلذلک لم توصف هذه المعينة بأنها جزاء للعمل، ثم لنا أن نعارض بآيات الغفران، كقوله: «إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَکَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ يَشاءُ» «1» و قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً» «2» و قوله: «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ» «3» .
و إذا تعارضا، وقفا و بقينا على جواز العفو عقلا. و قال الجبائى و البلخى: الآية نزلت فى أهل الصلاة. لأنه تعالى بين فى الآية الأولى حكم قتل الخطأ من الدية، و الكفارة. و ذلک يختص أهل الصلاة، ثم عقب ذلک بذكر قتل العمد منهم. و هذا ليس بصحيح، لأن لزوم الدية فى الخطأ يتناول المسلم، و المعاهد. و أما الكفارات فان عندنا تلزمهم أيضاً لأنهم متعبدون بالشرائع. و لو سلمنا ان الآية الاولى تختص المسلمين، لم يلزم ان تختص الثانية بهم، بل لا يمتنع ان يراد بها الكفار على وجه الخصوص أو الكفار، و المسلمين على وجه العموم. غير انا قد علمنا انه لا يجوز ان يراد بها من هو مستحق الثواب، لأن الثواب دائم. و لا يجوز مع ذلک أن يستحق العقاب الدائم مع ثبوت بطلان الإحباط، لإجماع الآية على خلافه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 94]..... ص: 296

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِی سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقی إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (94)

_____

(1)- سورة النساء: آية 47- 115.
(2)- سورة الزمر: آية 53.
(3)- سورة الرعد: آية 7 و سورة حم السجدة: آية 43.
التبيان فی تفسير القرآن، ج3، ص: 297
- آية-

قرأ أهل المدينة، و ابن عباس، و خلف (السلم) بغير الف. الباقون بالف.
و قرأ أهل الكوفة إلا عاصما فتثبتوا (بالثاء) من الثبوت فى الموضعين هاهنا و فى الحجرات الباقون (فتبينوا) من التبين. و قرئ من طريق النهروانى ليست. مؤمنا- بفتح الميم الثانية- الباقون بكسرها و به قرأ أبو جعفر محمد بن على (ع) على ما حكاه البلخى. فمن قرأ بالثاء من الثبوت. فإنما أراد التثبت الذى هو خلاف العجلة.
و من قرأ بالياء و النون، أراد من التبيين الذى هو النظر، و الكشف عنه حتى يصح.
و المعنيان متقاربان، لأن المثبت متبين، و المتبين مثبت. و من قرأ (السلم) بلا الف أراد الاستسلام. و منه قوله: «وَ أَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ» «1» أى استسلموا.
و قوله: «وَ رَجُلًا سَلَماً» أى مستسلماً. و روى أبان عن عاصم بكسر السين.
و المعنى خلاف الحرب. و من قرأ بالف ذهب إلى التحية. و يحتمل أن يكون المراد لا تقولوا لمن اعتزلكم و كف عن قتالكم: لست مؤمناً. قال أبو الحسن: يقولون: انما فلان سلام إذا كان لا يخالط أحداً.

خاطب اللَّه تعالى بهذه الآية المؤمنين الذين إذا ضربوا فى الأرض بمعنى ساروا فيها للجهاد و أن يتأنوا فى قتال من لا يعلمون كفره، و لا إيمانه، و عن قتل من يظهر الايمان و ان ظن به الكفر باطناً. و لا يعجلوا حتى يبين لهم أمرهم فإنهم ان بادروا ربما أقدموا على قتل مؤمن. و لا يقتلوا من استسلم لهم، و كف عن قتالهم، و اظهر انه اسلم. و ألا يقولوا لمن هذه صورته: لست مؤمنا، فيقتلوه طلب عرض

_____

(1) سورة النحل: آية 87.

«الْحَياةِ الدُّنْيا» يعنى متاع الحياة الدنيا الذى لا بقاء له. فان عند اللَّه مغانم كثيرة و فواضل جسيمة فهو خير لكم ان أطعتم اللَّه فيما أمركم به، و انتهيتم عما نهاكم عنه.

و اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فقال عمر بن شبة: نزلت فى مرداس رجل من غطفان، غشيتهم خيل المسلمين، فاستعصم قومه فى الجبل، و أسهل هو مسلماً مستسلماً، فأظهر لهم إسلامه، فقتلوه، و أخذوا ما معه.
و قال أبو عمر و الواقدى، و ابن إسحاق. نزلت فى عامر بن الأضبط الاشجعى لقيته سرية لأبى قتادة فسلم عليه فشد محلم بن جثامة فقتله لإحنة كانت بينهم، ثم جاء النبى (ص) و سأل ان يستغفر له فقال النبى (ص) لا غفر اللّه لک. و انصرف باكياً فما مضت عليه سبعة أيام حتى هلک فدفن، ثم لفظته الأرض فجاءوا إلى النبى (ص) و أخبروه فقال (ع): إن الأرض تقبل من هو شر من محلم صاحبكم، لكن اللّه أراد أن يعظم من حرمتكم، ثم طرحوه بين صد فى جبل، و القوا عليه الحجارة، فنزلت الآية.
و قال ابن عباس: لحق ناس رجلا فى غنيمة له، فقال السلام عليكم، فقتلوه و أخذوا غنمه. فنزلت الآية. قال ابن عباس: فكان الرجل يسلم فى قومه، فإذا غزاهم أصحاب النبى (ص)، و هرب أصحابه وقف، و أظهر تحية الإسلام (السلام عليكم) فيكفون عنه، فلما خالف بعضهم، و قتل من أظهر ذلک نزلت فيه الآية و به قال السدى: و قال الرجل السلام عليكم، أشهد ان لا إله إلا اللّه، و ان محمداً رسول اللّه. فشد عليه أسامة بن زيد و كان أمير القوم، فقتله، فنزلت الآية. و قال قوم: كان صاحب السرية المقداد. و قال آخرون: ابن مسعود. و كل واحد من هذه الأسباب يجوز أن يكون صحيحاً، و لا يقطع بواحد منها بعينه. و الذى يستفاد من ذلک أن من اظهر الشهادتين لا يجوز لمؤمن أن يقدم على قتله، و لا إذا أظهر ما يقوم مقامها من تحية الإسلام

و قوله. «كَذلِکَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ» اختلفوا فى معناه، فقال قوم: كما كان هذا الذى قتلتموه بعد ما القى إليكم السلام مستخفيا من قومه بدينه خوفاً على نفسه منهم، كنتم أنتم مستخفين باديانكم من قومكم حذراً على أنفسكم فمن اللّه عليكم، ذهب إليه سعيد بن جبير و قال ابن زيد معناه كما كان هذا المقتول كافراً فهداه اللّه، كذلک كنتم كفاراً، فهداكم اللّه. و به قال الجبائى. و قال المغربى: معناه كذلک كنتم أذلاء آحاداً إذا صار الرجل منكم وحده، خاف أن يختطف.

و قوله: «فَمَنَّ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال سعيد بن جبير: فمن اللّه عليكم بإظهار دينه، و إعزاز أهله حتى أظهرتم الإسلام بعد ما كنتم تكتمونه من اهل الشرک. و قال السدى: معناه تاب اللّه عليكم «فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللّٰهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً» معناه انه كان عليماً بما تعملونه قبل أن تعملوه. قال البلخى فى الآية دلالة على أن المجتهد لا يضل، لأن النبى (ص) لم يضلل مقداداً و لا تبرأ منه. و من قرأ (لست مؤمناً) بفتح الميم الثانية، قال: معناه لا تقولوا لمن استسلم لكم لسنا نؤمنک. و هو وجه حسن.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): الآيات 95 الى 96]..... ص: 299

اشارة

لا يَسْتَوِی الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ غَیْرُ أُولِی الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِینَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَی الْقاعِدِینَ دَرَجَةً وَ کُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنی وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِینَ عَلَی الْقاعِدِینَ أَجْراً عَظِیماً (95) دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِیماً (96)

- آیتان-. التبیان فی تفسیر القرآن، ج3، ص: 300

قرأ أهل المدينة و ابن كثير غير أولى الضرر- نصباً- الباقون بالرفع. فمن رفع جعله نعتاً للقاعدين. و من نصبه فعلى الاستثناء. و هو اختيار أبى الحسن الأخفش.

بين اللَّه بهذه الآية انه «لا يستوى» و معناه لا يعتدل «القاعدون» يعنى المتخلفون عن الجهاد فى سبيل اللَّه من أهل الايمان باللَّه و برسوله. المؤثرون الدعة و الرفاهية على مقاساة الحر و المشقة بلقاء العدو، و الجهاد فى سبيله إلا أهل الضرر منهم بذهاب أبصارهم، و غير ذلک من العلل التى لا سبيل لأهلها إلى الجهاد للضرار الذى بهم «وَ الْمُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ» و منهاج دينه لتكون كلمة اللَّه هى العليا و المستفرغون وسعهم فى قتال أعداء اللَّه، و أعداء دينهم «بأموالهم» انفاقاً لها فيما يوهن كيد أعداء أهل الايمان.

و قال قوم: إن قوله: «غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ» نزل بعد قوله: «لا يَسْتَوِى الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ... وَ الْمُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ» فجاء عمر بن أم مكتوم، و كان أعمى فقال: يا رسول اللَّه كيف و أنا أعمى، فما برح حتى نزل قوله: «غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ» .

و ذكر ذلک البراء بن عازب، و زيد بن أرقم و زيد بن ثابت. و هو يقوى قراءة من قرأ بالنصب.

«و القاعدون» رفع بيستوى و يستوى هاهنا يقتضى فاعلين، فصاعداً و قوله: «و المجاهدون» معطوف عليه. و التقدير لا يستوى القاعدون إلا أولى الضرر و المجاهدون. و قال الفراء: الرفع أجود لاتصال «غير» بقوله: «القاعدون» و الاستثناء كان يجب أن يكون بعد تمام الكلام بقوله: «لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ» قال و يجوز خفضه نعتاً للمؤمنين و ما قرئ به. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 301
و الأول أقوى. و يحتمل النصب على الحال كقولك: جاء زيد غير مريب. فان قيل:
أ يجوز أن يساوى أهل الضرر المجاهدين على وجه، فان قلتم: لا، فقد صاروا مثل من ليس من أولى الضرر؟ قلنا: يجوز أن يساووهم بأن يفعلوا طاعات أخر تقوم مقام الجهاد، فيكون ثوابهم عليهم مثل ثواب الجهاد. و ليس كذلک من ليس بأولى الضرر، لأنه قعد عن الجهاد، بلا عذر. و ظاهر الآية يمنع من مساواته على وجه.
و قال ابن عباس لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر، و الخارجين الى بدر ثم قال: (فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً) قال ابن جريج و غيره معناه فضل اللّه المجاهدين بأموالهم و أنفسهم درجة على القاعدين من أهل الضرر ثم قال: «وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى» يعنى وعد اللّه الحسنى المجاهدين بأموالهم و أنفسهم و القاعدين أولى الضرر. و المراد بالحسنى هاهنا الجنة فى قول قتادة و غيره من المفسرين. و به قال السدى. و قوله: «وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً» معناه فضل اللّه المجاهدين بأموالهم و أنفسهم على القاعدين من غير أولى الضرر أجراً عظيماً. و قوله: «دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» قال قتادة هو كما يقال: الإسلام درجة، و الفقه درجة، و الهجرة درجة، و الجهاد فى الهجرة درجة، و القتل فى الجهاد درجة. و قال عبد اللّه بن زيد: معنى الدرجات هى التسع درجات التى درجها فى سورة براءة. و هى قوله: «ما كانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَ لا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذلِکَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لا نَصَبٌ وَ لا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَ لا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا» إلى قوله: «لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» «1» قال: هذه التسع درجات. و قال قوم: المراد بالدرجات هاهنا الجنة. و اختاره الطبرى. (وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) معناه لم يزل اللّه غفاراً للذنوب صافحاً لعبيده عن العقوبة. رحيماً بهم متفضلا عليهم. فان

---

(1): آية 120، 121.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 302
قيل: كيف قال فى أول الآية «فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً» ثم قال فى آخرها «وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجاتٍ» و هذا ظاهر التناقض؟ قلنا عنه جوابان:
أحدهما- أن فى أول الآية فضل اللّه المجاهدين على القاعدين أولى الضرر درجة و فى آخرها فضلهم على القاعدين غير أولى الضرر درجات و لا تناقض فى ذلک، لأن قوله: «وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى» يدل على أن القاعدين لم يكونوا عاصين مستخفين، و ان كانوا تاركين للفضل.
و الثانى- قال أبو على الجبائى: أراد بالدرجة الأولى علو المنزلة و ارتفاع القدر على وجه المدح لهم كما يقال: فلان أعلى درجة عند الخليفة من فلان يريدون بذلک أنه أعظم منزلة. و بالثانية أراد الدرجات فى الجنة التى تتفاضل بها المؤمنون بعضهم على بعض على قدر استحقاقهم، و لا تنافى بينهما. و قال الحسين بن على المغربى انما كرر لفظ التفضيل، لأن الاول أراد تفضيلهم فى الدنيا على القاعدين و الثانى أراد تفضيلهم فى الآخرة بدرجات النعيم.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِی أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِی الْأَرْضِ قالُوا أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ ساءَتْ مَصِيراً (97) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (98) فَأُولئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ كانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً (99)

- ثلاث آيات-.

هذه الآية نزلت فى قوم أظهروا للنبى (ص) الإسلام بمكة، فلما هاجر التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 303

النبى (ص) و هاجر أصحابه فتنوهم آباؤهم عن دينهم فافتتنوا و خرجوا مع المشركين يوم بدر فقتلوا كلهم. و قيل: انهم كانوا خمسة نفر. و قال عكرمة: هم قيس بن الفاكة بن المغيرة، و الحارث بن زمعة بن الأسود بن أسد، و قيس بن الوليد بن المغيرة، و أبو العاص بن ميتة بن الحجاج، و على بن أمية بن خلف.

و ذكر أبو الجارود عن أبى جعفر (ع) مثله، فانزل اللَّه فيهم الآيات. و قال (ع):

ان الذين توفاهم الملائكة يعنى قبض أرواحهم

«ظالِمِی أَنْفُسِهِمْ» نصب على الحال يعنى فى حال هم فيها ظالمو نفوسهم بمعنى بخسوها حقها من الثواب و أدخلوا عليها العقاب بفعل الكفر. و قالت لهم الملائكة «فِيمَ كُنْتُمْ» أى فى أى شىء كنتم من دينكم على وجه التقرير لهم و التوبيخ لفعلهم «قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِی الْأَرْضِ» يستضعفنا أهل الشرك باللَّه فى أرضنا و بلادنا بكثرة عددهم و قوتهم، و يمنعونا من الايمان باللَّه و اتباع رسوله على جهة الاعتذار فقالت لهم الملائكة «أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها» يعنى فتخرجوا من أرضكم و داركم و تفارقوا من يمنعكم من الايمان باللَّه و برسوله إلى أرض يمنعكم أهلها من أهل الشرك، فتوحدوه و تعبدوه و تتبعوا نبيه ثم قال تعالى «فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ» يعنى مسكنهم جهنم «و ساءت» يعنى جهنم لأهلها الذين صاروا إليها «مصيراً» و سكناً ثم استثنى من ذلك المستضعفين الذين استضعفهم المشركون «مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ» و هم الذين يعجزون عن الهجرة لإعسارهم و قلة حيلتهم «وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا» يعنى فى الخلاص من مكة. و قيل معناه لا يهتدون لسوء معرفتهم بالطريق من أرضهم إلى أرض الإسلام استثنوا من جملة من أخبر أن مأواهم جهنم للعذر الذى هم فيه.

و نصب المستضعفين بالاستثناء من الهاء و الميم فى قوله: «مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ» فقال تعالى «فَأُولئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ» يعنى لعل اللَّه أن يعفو

عنهم لما هم عليه من الفقر و يتفضل عليهم بالصفح عنهم فى تركهم الهجرة من حيث لم يتركوا اختياراً «وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً» و معناه لم يزل اللّه ذا صفح بفضله عن ذنوب عباده بترک عقوبتهم على معاصيهم «غفوراً» ساتراً عليهم ذنوبهم بعفوه التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 304
لهم عنها. قال ابن عباس كنت أنا و أمى من المستضعفين. قال عكرمة و كان العباس منهم و كان النبى (ص) يدعو فى دبر صلاة الظهر اللهم خلص الوليد و سلمة بن هشام و عياش بن ربيعة و ضعفة المسلمين من أيدى المشركين الذين لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا. و بالجملة التى ذكرناها قال ابن عباس، و عكرمة، و مجاهد، و السدى، و قتادة، و الضحاک، و ابن وهب، و ابن جبير.
و قوله: «توفاهم» يحتمل أن يكون فعلا ماضياً و يكون موضعه الفتح لأن الماضى مبنى على الفتح. و الثانى ان يكون رفعاً و المعنى تتوفاهم و قد حذف أحد التائين و قد بينا فيما مضى أن (عسى) من اللّه معناه الوجوب قال المغربى: ذكر (عسى) هاهنا تضعيف لأمر غيرهم كما يقول القائل ليت من أطاع اللّه سلم، فكيف من عصاه. و مثله قول الشاعر:
و لم تر كافر نعمى نجا من السوء ليت نجا الشاكر
و التوفى هو الإحصاء قال الشاعر:
إن بنى أدرد ليسوا من أحد ليسوا إلى قيس و ليسوا من أسد
و لا توفاهم قريش فى العدد بمعنى أحصاهم. و الملائكة تتوفى. و ملک الموت يتوفى. و اللّه يتوفى. و ما يفعله ملک الموت و الملائكة يجوز أن يضاف إلى اللّه إذا فعلوه بأمره و ما تفعله الملائكة جاز أن يضاف إلى ملک الموت، إذا فعلوه بامره.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 100]..... ص: 304

اشارة

وَ مَنْ يُهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَ سَعَةً وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (100)

- آية-. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 305

أخبر اللّه تعالى فى هذه الآية ان من يفارق وطنه، و يخرج من أرض الشرک و أهله هرباً بدينه إلى أرض الإسلام و أهلها و المهاجر فى سبيل اللَّه يعنى منهاج دين اللّه و طريقه الذى شرعه لخلقه يجد فى الأرض مراغماً كثيراً (يجد) مجزوم، لأنه جواب الشرط.

و المراغم المضطرب فى البلاد و المذهب يقال منه. راغم فلان قومه مراغماً و مراغمة قال الفراء: هما مصدران و منه قول النابغة الجعدى:
كطود يلاذ بأركانه عزيز المراغم و المهرب «1»
و قال الشاعر:
إلى بلد غير دانى المحل بعيد المراغم و المضطرب
و المراغم مأخوذ من الرغام و هو التراب و معنى راغمت فلاناً هجرته. و لم أبال رغم أنفه أى و ان لصق بالتراب أنفه.

و اختلف أهل التأويل فى معناه، فقال ابن عباس: المراغم التحول من أرض إلى أرض و به قال الضحاک، و الربيع، و الحسن، و قتادة، و مجاهد. و قال السدى يعنى معيشة. و قال ابن زيد يعنى مهاجراً. و قال ابن عباس يعنى سعة فى الرزق.
و به قال الربيع بن أنس و الضحاک. و قال قتادة: سعة من الضلالة إلى الهدى. و قال يزيد بن أبى حبيب: ان أهل المدينة يقولون من خرج فاصلا من أهله يريد الغزو وجب سهمه لقوله: «وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» و قوله:
«و سعة» يحتمل أمرين: أحدهما- السعة فى الرزق. الثانى- السعة مما كان فيه من تضييق المشركين عليهم فى أمر دينهم بمكة، ثم أخبر تعالى أن من خرج مهاجراً

---

(1) ديوانه: 22 و مجاز القرآن 1: 138 و اللسان (رغم).

من أرض الشرک فاراً بدينه إلى اللَّه و رسوله و أدركه الموت قبل بلوغه دار الهجرة و أرض الإسلام «فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» يعنى ثواب عمله و جزاء هجرته عليه تعالى «وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً» يعنى ساتراً على عباده ذنوبهم بالعفو عنهم «رحيماً» بهم رفيقاً.

و قيل فى سبب نزول الآية ان اللَّه لما أنزل ان الذين «تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِى أَنْفُسِهِمْ» كتب المسلمون بالآيات و بعثوها إلى إخوانهم من أهل مكة فخرج حينئذ منها جماعة، فقالوا: لم يبق لنا عذر فهاجروا. و قال سعيد بن جبير و عكرمة و الضحاک و السدى و ابن زيد و ابن عباس
و رواه أبو الجارود عن أبى جعفر (ع) أنها نزلت فى ضمرة بن العيص بن ضمرة بن زنباع أو العيص بن ضمرة و كان مريضاً فأمر أهله أن يفرشوا له على سريرة و يحملوه إلى رسول اللَّه (ص) قال ففعلوا فأتاه الموت بالتغيم، فنزلت فيه الآية.
و به قال قتادة و قال: قال ضمرة و أنا أعرف الطريق و لى سعة فى المال أخرجونى فأخرج، فمات. و قال عمر بن شبة: هو أبو أمية ضمرة بن جندب الخزاعى. و قال الزبير بن بكار: هو خالد بن حزام أخو حكيم بن حزام خرج مهاجراً فمات فى الطريق. قال عكرمة و خرج جماعة من مكة مهاجرين فلحقهم المشركون و فتنوهم عن دينهم فافتتنوا، فأنزل اللَّه فيهم «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذا أُوذِىَ فِى اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللَّهِ» «1» و كتب بها المسلمون من المدينة إليهم ثم نزل فيهم «ثُمَّ إِنَّ رَبَّکَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» .

وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِی الْأَرْضِ فَلَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ یَفْتِنَکُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنَّ الْکافِرِینَ کانُوا لَکُمْ عَدُوًّا مُبِیناً (101)

---

(1) سورة العنکبوت: آیة 10.

- آیة بلا خلاف-.

معنی قوله: «وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِی الْأَرْضِ» إذا سرتم فیها فلیس علیکم جناح یعنی حرج و لا ثم ان تقصروا من الصلاة یعنی من عددها فتصلوا الرباعیات رکعتین.

و ظاهر الآیة یقتضی أن التقصیر لا یجوز إلا إذا خاف المسافر، لأنه قال «إِنْ خِفْتُمْ أَنْ یَفْتِنَکُمُ» و لا خلاف الیوم أن الخوف لیس بشرط، لأن السفر المخصوص بانفراده سبب للتقصیر. و الظاهر یقتضی ان التقصیر جائز لا اثم فیه. و یقتضی ذلک انه یجوز الإتمام، و عندنا و عند کثیر من الفقهاء أن فرض المسافر مخالف لفرض المقیم، و لیس ذلک قصراً، لإجماع أصحابنا علی ذلک. و لما

روی عن النبی (ص) انه قال: فرض المسافر رکعتان غیر قصر.

و أما الخوف بانفراده فعندنا یوجب القصر.

و فیه خلاف

و قد روی عن ابن عباس أن صلاة الخائف قصر من صلاة المسافر. و انها رکعة رکعة.

و قال قوم: معنی قوله: «فَلَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا» یعنی من حدود الصلاة إن خفتم أن یفتنکم الذین کفروا. و هو الذی رواه أصحابنا فی صلاة شدة الخوف. و أنه یصلی إیماء و السجود اخفض من الرکوع. فان لم یقدر فان التسبیح المخصوص یکفی عن کل رکعة. ثم أخبر تعالی أن الکافرین یعنی الجاحدین لتوحید اللّه و نبوة نبیه فقد أبانوا عداوتهم لکم بما صبتهم لکم الحرب علی عبادتکم اللّه تعالی، و ترککم عبادة الأوثان.

و فی قصر الصلاة ثلاث لغات تقول: قصرت الصلاة أقصرها و هی لغة القرآن. و قصرتها تقصیراً، و اقصرتها إقصاراً.

و اختلف أهل التأویل فی قصر الصلاة فقال قوم: هی قصر من صلاة الحاضر ما کان یصلی أربع رکعات أذن له فی قصرها، فیصلیها رکعتین. ذهب إلیه یعلی ابن أمیة، و عمر بن الخطاب.

و إن یعلی قال لعمر کیف نقصر الصلاة و قد أمنا فقال عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت النبی (ص) عن ذلک فقال: صدقة تصدق اللّه بها علیکم

فاقبلوا صدقته.
و به قال ابن جريج و قتادة. و فى قراءة أبى (و إذا ضربتم التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 308
فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أن يفتكم الذين كفروا) و لا يقرأ «إن خفتم» و معنى هذه القراءة الا يفتنكم الذين كفروا و حذف (لا) كما حذف فى قوله: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» «1» و معناه ألا تضلوا.
و قال قوم: القصر لا يجوز إلا مع الخوف روى ذلک عن عائشة، و سعد بن أبى وقاص.
و قال قوم: عنى بهذه الآية قصر صلاة الخوف فى غير حال المسايفة، و فيها نزلت.
ذهب إليه مجاهد و غيره. و قال آخرون: عنى بها قصر الصلاة صلاة الخوف فى حال غير شدة الخوف. و عنى به قصر الصلاة من صلاة السفر لا من صلاة الاقامة، لأن صلاة السفر عندهم ركعتان تمام غير قصر، كما قلناه- ذهب إليه السدى، و ابن عمر، و سعيد بن جبير، و جابر بن عبد اللَّه، و كعب- و كان من أصحاب النبى (ص) قطعت يده يوم اليمامة و حذيفة بن اليمان، و زيد بن ثابت، و ابن عباس، و ثعلبة ابن زهدم اليربوعى و كان من الصحابة- و أبو هريرة. و روى عن ابن عباس فى رواية اخرى إن القصر المراد به صلاة شدة الخوف تقصر من حدودها و تصليها إيماء و هو مذهبنا. و أما حدّ السفر الذى يجب فيه التقصير فعدنا انه ثمانية فراسخ.
و قال أبو حنيفة، و أصحابه: مسيرة ثلاثة أيام. و قال الشافعى ستة عشر فرسخاً ثمانية و أربعين ميلا. و قال قوم: يجب فى قليل السفر و كثيره. بينا الخلاف فيه فى كتاب الخلاف.
و انما قال فى الاخبار عن الكافرين انهم عدو، و لم يقل أعداء لأن لفظة فعول و فعيل تقع على الواحدة و الجماعة، و فتنت الرجل أ فتنه فهو مفتون لغة أهل الحجاز و تميم و ربيعة. و أهل نجد كلهم و أسد يقولون: أ فتنت الرجل فهو فاتن.
و قد فتن فتوناً: إذا دخل فى الفتنة.

وَ إِذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرائِكُمْ وَ لْتَأْتِ طائِفَةٌ أُخْرى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً (102)

---

(1) سورة النساء: آية 175.

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 309

- آية واحدة بلا خلاف-.

قوله «إِذا كُنْتَ فِيهِمْ» معناه فى الضاربين فى الأرض من أصحابک يا محمد الخائفين عدوهم أن يفتنوهم، فأقمت لهم الصلاة يعنى أتممت لهم الصلاة بحدودها و ركوعها و سجودها، و لم تقصرها القصر الذى يجب فى الصلاة شدة الخوف من الاقتصار على الإيماء. فلتقم طائفة من أصحابک الذين كنت فيهم معک فى صلاتک و ليكن سائرهم فى وجه العدو. و لم يذكر ما ينبغى أن تفعله الطائفة غير المصلية لدلالة الكلام عليه «وَ لْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ» قال قوم: الفرقة المامورة بأخذ السلاح هى المصلية مع رسول اللّه (ص) و السلاح مثل السيف يتقلد به و الخنجر يشده إلى درعه و كذلک السكين و نحو ذلک من سلاحه و هو الصحيح. و قال ابن عباس الطائفة المأمورة بأخذ السلاح هى التى بإزاء العدو و دون المصلية، فإذا سجدوا يعنى الطائفة التى قامت معک مصلية بصلاتک، و فرغت من سجودها فليكونوا من ورائكم يعنى فليصيروا بعد فراغهم من سجودهم مصافين للعدو. و عندنا انهم يحتاجون أن يتموا صلاتهم ركعتين، و الامام قائم فى الثانية ثم ينصرفون إلى موضع أصحابهم و يجىء الآخرون فيستفتحون الصلاة فيصلى بهم الامام الركعة الثانية، و يطيل تشهده حتى يقوموا فيصلوا بقية صلاتهم ثم يسلم بهم الامام. و من قال:

إن صلاة الخائف ركعة، قال: الأولون إذا صلوا ركعة فقد فرغوا. و كذلک الفرقة الثانية. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 310

و روى ذلک أبو الجارود عن أبى جعفر (ع). و رواه مسلمة عن أبى عبد اللّه (ع)

و هذا عندنا انما يجوز فى صلاة شدة الخوف.

و فى الناس من قال: ان النبى (ص) يسلم بهم ثم يقومون فيصلون تمام صلاتهم.

وقد بينا اختلاف الفقهاء فى مسائل الخلاف فى صلاة الخوف. و قوله: «وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ» يعنى الطائفة الثانية يأخذون السلاح و الحذر فى حال الصلاة. و ذلک يبين ان المأمورة بأخذ السلاح فى الأول هم المصلون دون غيرهم. و قوله: «وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ» معناه تمنى الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم و أمتعتكم و تشتغلون عن أخذها تأهباً للقتال و عن أمتعتكم التى بها بلاغكم فى أسفاركم فتسهون عنها «فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً» معناه يحملون عليكم، و أنتم متشاغلون بصلاتكم عن أسلحتكم، و أمتعتكم حملة واحدة فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم، و يستبيحون عسكركم، و ما معكم. و المعنى لا تشاغلوا بأجمعكم بالصلاة عند مواقفة العدو، فتمكنوا عدوكم من أنفسكم، و أسلحتكم، و لكن أقيموها على ما بينت. و خذوا حذركم بأخذ السلاح. و من عادة العرب أن يقولوا: ملنا عليهم بمعنى حملنا عليهم.
قال العباس بن عبادة بن نصلة الانصارى لرسول اللَّه (ص) ليلة العقبة الثانية: و الذى بعثک بالحق إن شئت لنميلن غداً على أهل منى بأسيافنا فقال رسول اللَّه (ص) لم نؤمر بذلک يعنى فى ذلک الوقت
و قوله: «وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ» معناه لا جرم عليكم و لا اثم إن كان بكم أذى من مطر يعنى إن نالكم من مطر، و أنتم مواقفوا عدوكم، أو كنتم مرضى يعنى أعلا، أو جرحى ان تضعوا أسلحتكم إذا ضعفتم عن حملها، لكن إذا وضعتموها، فخذوا حذركم.
يعنى احترسوا منهم أن يميلوا عليكم و أنتم غافلون غارون، ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً» يعنى عذابا مذلا يبقون فيه أبداً. و قيل «أَوْ كُنْتُمْ مَرْضى» نزلت فى عبد الرحمن بن عوف و كان جريحاً. ذكره ابن عباس.
و اللام فى قوله: «فلتقم» لام الأمر و هى تجزم الفعل. و من حقها أن التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 311
تكون مكسورة إذا ابتدئ بها. و بنو سليم يفتحونها. يقولون: ليقم زيد. كما تنصب تميم لام كى يقولون جئت لآخذ حقى. فإذا اتصلت بما قبلها من الواو و الفاء جاز تسكينها و كسرها. ذكره الفراء.
و قال: «طائِفَةٌ أُخْرى» و لم يقل: آخرون، ثم قال: «لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَکَ» و لم يقل: فلتصل معک حملا للكلام تارة على اللفظ و أخرى على المعنى كما قال: «وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا» «1» و لو قال: اقتتلنا لكان جائزا و مثله «فَرِيقاً هَدى وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ» «2» و فى قراءة أبى: حق عليه الضلالة و مثله «نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ» «3» و لم يقل منتصرون و مثله كثير. و فى الآية دلالة على نبوة النبى (ص). و ذلک ان الآية نزلت و النبى (ص) بعسفان و المشركين بضجنان، فتواقفوا فصلى

النبى (ص) بأصحابه صلاة الظهر بتمام الركوع، و السجود فهم بهم المشركون أن يغيروا عليهم، فقال بعضهم: لهم صلاة أخرى أحب إليهم من هذه يعنون العصر، فأنزل اللّه عليه الآية فصلى بهم العصر صلاة الخوف، و يقال: إنه كان ذلک سبب اسلام خالد بن الوليد، لأنه كان هم بذلک فعلم أنه ما أطلع النبى (ص) على ما هموا به غير اللّه تعالى فأسلم و فى الناس من قال: من حكم صلاة الخوف اختص به النبى (ص) و قال آخرون- و هو الصحيح- انه يجوز لغيره.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 103]..... ص: 311

اشارة

فَإِذا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً (103)
- آية-

معنى الآية انكم أيها المؤمنون إذا فرغتم من صلاتكم- و أنتم مواقفوا

---

(1) سورة الحجرات: آية 9.
(2) سورة الاعراف: آية 29. [.....]
(3) سورة القمر: آية 44.

عدوكم- التى بيناها لكم «فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً» أى فى حال قيامكم و فى حال قعودكم، و مضطجعين على جنوبكم. و الجنب: الجانب تقول نزلت جنبه أى جانبه بالتعظيم له و الدعاء لأنفسكم بالظفر على عدوكم لعل اللّه أن يظفركم بهم.
و ينصركم عليهم. و ذلك مثل قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» «1» . و هو قول ابن عباس و أكثر المفسرين. و قوله: «فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ» اختلفوا فى تأويله، فقال قوم معناه إذا استقررتم فى أوطانكم و أقمتم فى أمصاركم «فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ» يعنى أتموا التى أذن لكم فى قصرها فى حال خوفكم فى سفركم و ضربكم فى الأرض. ذهب إليه مجاهد، و قتادة و قال آخرون معناه إذا استقررتم بزوال الخوف من عدوكم، و حدوث الامن لكم، فأقيموا الصلاة أى فأتموا حدودها بركوعها، و سجودها. ذهب إليه السدى، و ابن زيد، و مجاهد فى رواية أخرى. و هو اختيار الجبائى، و البلخى و الطبرى. و أقوى التأويلين قول من قال: إذا زال خوفكم من عدوكم، و أمنتم فأتموا الصلاة بحدودها غير قاصرين لها عن شىء من حدودها، لأنه تعالى عرف عبادة الواجب عليهم من فرض صلاتهم بهاتين الآيتين فى حالين:
إحداهما- حال شدة الخوف أذن لهم فيها بقصر الصلاة على ما بيناه من قصر حدودها، و الاقتصار على الإيماء.
و الثانية- حال غير شدة الخوف أمرهم فيها باقامة حدودها و إتمامها على ما مضى من معاقبة بعضهم بعضاً فى الصلاة خلف أئمتها، لأنه قال: «وَ إِذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ» فلما قال: «فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ» كان معلوماً انه يريد إذا اطمأنتم من الحال التى لم تكونوا فيها مقيمين صلاتكم فأقيموا الصلاة بجميع حدودها غير قاصرين لها.
و قال ابن مسعود نزلت الآية فى صلاة المرضى. و الظاهر بغيره أشبه. و قوله:
«إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً» اختلفوا فى تأويله، فقال قوم:

(1) سورة الانفال: آية 46.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 313
معناه ان الصلاة كانت على المؤمنين فريضة مفروضة، ذهب إليه عطية العوفى، و ابن عباس، و ابن زيد، و السدى، و مجاهد، و هو المروى عن أبى جعفر (ع) و أبى عبد اللّه (ع).
و قال آخرون: كانت على المؤمنين فرضاً واجباً. ذهب إليه الحسن، و مجاهد، فى رواية، و ابن عباس فى رواية و أبو جعفر فى رواية أخرى عنه، و المعنيان متقاربان بل هما واحد. و قال آخرون: معناه كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً يعنى منجماً يؤدونها فى أنجمها ذهب إليه ابن مسعود و زيد بن أسلم و قتادة. و هذه الأقوال، متقاربة، لأن ما كان مفروضاً فهو واجب و ما كان واجباً أداؤه فى وقت بعد وقت فمفروض منجم. و اختار الجبائى و الطبرى القول الأخير قال: لأن موقوتاً مشتق من الوقت فكأنه قال: هى عليهم فرض فى وقت وجوب أدائها.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 104]..... ص: 313

اشارة

وَ لا تَهِنُوا فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (104)
- آية بلا خلاف-.

معنى قوله: «وَ لا تَهِنُوا» لا تضعفوا يقال و هو فلان فى الأمر يهن وهناً و وهوناً. و قوله. فى ابتغاء القوم يعنى فى طلب القوم. و القوم هم أعداء اللَّه و أعداء المؤمنين من أهل الشرک «إِنْ تَكُونُوا» أيها المؤمنون «تَأْلَمُونَ» مما ينالكم من الجراح منهم فى الدنيا «فَإِنَّهُمْ» يعنى المشركين «يَأْلَمُونَ» أيضاً مما ينالهم منكم من الجراح و الأذى مثل ما تألمون أنتم من جراحهم و اذاهم «وَ تَرْجُونَ» أنتم أيها المؤمنون «مِنَ اللَّهِ» الظفر عاجلا و الثواب آجلا على ما ينالكم منهم «ما لا يَرْجُونَ» هم على ما ينالهم منكم يقول: فأنتم إن كنتم مؤمنين من ثواب اللَّه لكم التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 314
على ما يصيبكم منهم بما هم مكذبون به فأولى و أحرى أن تصبروا على حربهم و قتالهم منهم على قتالكم و حربكم. و هو قول قتادة، و السدى، و مجاهد، و الربيع، و ابن زيد، و ابن عباس، و ابن جريج.

و قال ابن عباس، و عكرمة: الآية نزلت فى أهل أحد لما أصاب المسلمين ما أصابهم و صعد النبى (ص) الجبل و جاء أبو سفيان و قال يا محمد (ص) يوم لنا و يوم لكم، فقال رسول اللَّه (ص) أجيبوه، فقال المسلمون لا سواء لا سواء قتلانا فى الجنة و قتلاكم فى النار، فقال أبو سفيان عزى لنا و لا عزى لكم، فقال النبى (ص) قولوا: اللَّه مولانا و لا مولى لكم. قال أبو سفيان اعل هبل، فقال النبى (ص) قولوا له: اللَّه أعلى و أجل، فقال أبو سفيان موعدنا و موعدكم بدر الصغرى
، و نام المسلمون و بهم الكلوم و فيهم نزلت «إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ...» الآية. و فيهم نزلت «إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ» لأن اللَّه تعالى أمرهم على ما بهم من الجراح ان يتبعوهم و أراد بذلک إرهاب المشركين فخرجوا إلى بعض الطريق و بلغ المشركين ذلک فاسرعوا حتى دخلوا مكة.

و قال بعضهم معنى «وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ» أى تخافون من جهته ما لا يخافون كما قال: «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ» «1» بمعنى لا يخافون. و قال قوم لا يعرف فى كلام العرب الرجاء بمعنى الخوف إلا إذا كان فى الكلام جحد سابق كما قال: «ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً» «2» بمعنى لا تخافون للَّه عظيمة. و قال الشاعر:

---

(1) سورة الجاثية: آية 13.
(2) سورة نوح: آية 13.

لا ترتجى حين تلاقى الزائدا أ سبعة لاقت معاً أو واحد «1»
و قال أبو ذؤيب الهذلى:
إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و حالفها فى بيت نوب عوامل «2»
قال: الفراء: نوب و نوب، و هو النحل. و لا يجوز أن تقول رجوتک بمعنى خفتک. و انما استعمل الرجاء بمعنى الخوف لأن الرجاء أمل قد يخاف ألا يتم. و هى لغة حجازية. قال الكسائى: لم أسمعها إلا بتهامة و يذهبون معناها إلى قولهم.
ما أبالى و ما أحفل قال الشاعر:
لعمرک ما أرجوا إذا كنت مسلما على أى جنب كان للَّه مصرعى
أى ما أبالى. و قوله: «كانَ اللَّهُ عَلِيماً» يعنى بمصالح خلقه حكيماً فى تدبيره إياهم و تقديره أحوالهم.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): الآيات 105 الى 106]..... ص: 315

اشارة

إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْکُمَ بَیْنَ النَّاسِ بِما أَراکَ اللَّهُ وَ لا تَکُنْ لِلْخائِنِینَ خَصِیماً (105) وَ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ کانَ غَفُوراً رَحِیماً (106) - آیتان-.

خاطب اللَّه بهذه الآية نبيه (ص)، فقال: «إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْکَ» يا محمد (ص) «الْکِتابَ» يعنى القرآن «بِالْحَقِّ لِتَحْکُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراکَ اللَّهُ» يعنى بما أعلمک اللَّه فى کتابه «وَ لا تَکُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً» نهاه أن يکون لمن خان مسلماً أو معاهداً فى نفسه أو ماله خصيماً يخاصم عنه، و يدفع من طالبه عنه بحقه الذى خانه فيه.
ثم أمره بأن يستغفر اللَّه فى مخاصمته عن الخائن مال غيره «إِنَّ اللَّهَ کانَ غَفُوراً رَحِيماً»

---

(1) معانى القرآن 1: 286 و اللسان (رجا).
(2) ديوانه 143، و معانى القرآن 1: 286، و الصحاح للجوهرى (رجا) و يروى (عوامل).

يصفح عن ذنوب عباده و يسترها عليهم، و يترک مؤاخذتهم بها. و عندنا أن الخطاب و إن توجه إلى النبى (ص) من حيث خاصم من رآه على ظاهر الايمان و العدالة، و کان فى الباطن بخلافه فلم يکن ذلک معصية، لأنه (ع) منزه عن القبائح فإنما ذکر ذلک على وجه التأديب له فى أن لا يبادر فيخاصم و يدفع عن خصم إلا بعد أن يبين الحق منه. و المراد بذلک أمته عليه السلام. على أنا لا نعلم أن ما روى فى هذا الباب وقع من النبى (ص)، لأن طريقه الآحاد، و ليس توجه النهى إليه بدال على أنه وقع منه ذلک المنهى قال «لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ» «1» و لا يدل ذلک على وقوع الشرک منه. و قال قوم من المفسرين: انه لم يخاصم عن الخصم و إنما هم به فعاتبه اللَّه على ذلک.

و الآية نزلت فى بنى أبيرق كانوا ثلاثة أخوة بشر و بشير و مبشر و كان بشر يكنى أبا طعمة فنقبوا على عم قتادة بن النعمان و أخذوا له طعاماً و سيفاً، و درعاً فشكى ذلک إلى ابن أخيه قتادة و كان قتادة بدريا فجاء إلى رسول اللَّه (ص) فذكر له القصة، و كان معهم فى الدار رجل يقال له لبيد بن سهل و كان فقيراً شجاعاً مؤمناً، فقال بنو أبيرق لقتادة هذا عمل لبيد بن سهل، فبلغ لبيداً ذلک، فأخذ سيفه و خرج إليهم. و قال يا بنى أبيرق أ ترمونى بالسرق و أنتم أولى به منى، و أنتم المنافقون تهجون رسول اللَّه و تنسبون إلى قريش لتبينن ذلک أو لأضعن سيفى فيكم فداروه. و قالوا: ارجع رحمک اللَّه فأنت برىء من ذلک. و بلغهم ان قتادة مضى إلى رسول اللَّه (ص) فمشوا إلى رجل من رهطهم يقال له أسير بن عروة، و كان منطيقاً لسناً فأخبروه، فمشى أسير إلى رسول اللَّه (ص) فى جماعة، فقال: يا رسول اللَّه (ص) إن قتادة بن النعمان رمى جماعة من أهل الحسب منا بالسرق و اتهمهم بما ليس فيهم و جاء قتادة إلى النبى (ص) فأقبل

---

(1) سورة الزمر: آية 65.

عليه النبى (ص)، و قال عمدت إلى أهل بيت حسب و نسب رميتهم بالسرق و عاتبه فاغتم قتادة و رجع إلى عمه، فقال: ليتنى مت و لم أكن كلمت رسول اللَّه (ص) فقد قال لى ما كرهت، فقال عمه اللَّه المستعان، فنزلت هذه الآية «وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً»

«1» يعنى لبيد بن سهل حين رماه بنوا بيرق بالسرق «فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً»

إلى قوله: «وَ كانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْکَ عَظِيماً»

«2» فبلغ ذلک بنى أبيرق فخرجوا من المدينة، و لحقوا بمكة و ارتدوا فلم يزالوا بمكة مع قريش فلما فتح مكة هربوا إلى الشام فانزل اللَّه فيهم «وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى» «3» إلى آخر الآيات. و لما مضى إلى مكة نزل على سلامة بنت سعد ابن شهيد امرأة من الأنصار كانت ناحكاً فى بنى عبد الدار بمكة فهجاها حسان، فقال:

و قد أنزلته بنت سعد و أصبحت ينازعها جلد استها و تنازعه

ظننتم بأن يخفى الذى قد صنعتم و فينا نبى عنده الوحى واضعة «4»

فحملت رحله على رأسها و ألقته بالأبطح و قالت. ما كنت تأتينى بخير أهديت إلى شعر حسان. و نزل فيه قوله: «وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ» «5» هذا قول مجاهد، و قتادة بن النعمان، و ابن زيد، و عكرمة، إلا أن قتادة، و

ابن زيد، و عكرمة قالوا: إن بنى أبيرق طرحوا ذلک على يهودى يقال له زيد بن السمين، فجاء اليهودى إلى رسول اللّه (ص) و بمثله قال ابن عباس. و قال ابن جريج: هذه الآيات كلها نزلت فى أبى طعمة بن أبى أبيرق إلى قوله: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَکَ بِهِ. وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ يَشاءُ) «6» و قال: رمى بالدرع فى دار أبى مليک ابن عبد اللّه الخزرجى فلما نزل القرآن لحق بقريش، و قال الضحاک: نزلت فى

(1، 2) سورة النساء: آية 111.
(3) سورة النساء: آية 114.
(4) ديوانه: 271.
(5) سورة النساء: آية 114.
(6) سورة النساء: آية 47، 115.

رجل من الأنصار استودع درعاً فجحد صاحبها فخونه رجال من أصحاب النبى (ص) فغضب له قوم فأتوا نبى اللّه، فقالوا: أ خونوا صاحبا، و هو أمين مسلم؟ فعذره النبى (ص) و كذب عنه. و هو يرى أنه برىء مكذوب عليه فأنزل اللّه فيه الآيات. و اختار الطبرى هذا الوجه و قال: لأن الخيانة إنما تكون فى الوديعة فأما السارق فلا يسمى خائناً فحمله عليه أولى و كل ذلک جائز.

وَ لا تُجادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثِيماً (107)

- آية- نهى اللَّه تعالى نبيه (ص) أن يجادل عن الذين يختانون أنفسهم بمعنى يخونون أنفسهم فيجعلونها خونة بخيانتهم ما خانوا من الأموال. و هم الذين تقدم ذكرهم من بنى أبيرق فقال: لا تخاصم عنهم فيما خانوا فيه ثم أخبر «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثِيماً»

يعنى من كان صنعته خيانة الناس فى أموالهم (أثيماً) يعنى مأثوماً و بمثله قال من تقدم من المفسرين قال قتادة: و فيهم نزلت الآيات إلى قوله: «وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ» .

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَ لا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ وَ كانَ اللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطاً (108)
- آية-.
معنى يستخفون يكتمون فأخبر اللَّه تعالى ان هؤلاء الخائنين يكتمون خيانتهم من الناس الذين لا يقدرون لهم على شىء إلا الذكر لهم بقبيح ما أتوه من فعلهم و تشنيع ما ركبوه إذا اطلعوا منهم على ذلک حياء منهم و حذراً من

الا حدوثة و لا يستخفون من اللَّه الذى هو معهم بمعنى أنه مطلع عليهم لا يخفى عليه شىء من أمرهم و بيده العقاب. و النكال و تعجيل العذاب فهو أحق بأن يستحيا منه و أولى بأن يعظم من أن يراهم حيث يكره إذ يبيتون ما لا يرضى من القول معناه حين يسرون ليلا ما لا يرضى من القول فيغيرونه عن وجهه. و يكونون فيه.
و التبييت هو كل كلام أو أمر أصلح ليلا و أصله من فكرهم فيه ليلا. و قال الشاعر:
أتونى فلم أرض ما بيتوا و كانوا أتونى بشىء نكر «1»
و حكى عن بعض طىء ان التبييت فى لغتهم التبديل. و أنشد الأسود بن عامر بن جوين الطائى فى معاتبة رجل:
و بيت قولى عبد المليک قاتلک اللَّه عبداً كنوداً «2»
يعنى بدلت قولى. و روى عن الأعمش عن أبى رزين: ان معنى «يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى»
يؤلفون ما لا يرضى يعنى فى رمى البرىء بجرم السقيم. و المعنى متقارب، لأن التأليف و التشويه و التغيير عما هو عليه و تحويله عن معناه إلى غيره واحد و المعنى بالآية الرهط الذين مشوا إلى رسول اللَّه (ص) فى مسألة المدافعة عن بنى أبيرق، و الجدال عنه «وَ كانَ اللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطاً»
يعنى يعلم ما يعلمه هؤلاء المستخفون من الناس و تبييتهم ما لا يرضى من القول و غيره من أفعالهم «محيطاً) بمعنى عالماً محصياً لا يخفى عليه شىء منه حافظاً لجميعه ليجازيهم عليه ما يستخفونه قال الزجاج: الذى بيتوه قولهم إن اليهودى سارق الدرع و عزمهم على أن يحلفوا انهم ما سرقوا و ان يمينهم تقبل دون يمين اليهودى، لأنه مخالف الإسلام.

ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ جادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا فَمَنْ يُجادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً (109)

---

(1) مر تخريجه فى 3: 29.
(2) لم نجده فى مصادرنا. [.....]

- آية بلا خلاف-.
ها أنتم (ها) للتنبيه و أعيدت مع (أولاء) و المعنى ها أنتم الذين جادلتم، لأن (هؤلاء، و هذا) يكون فى الاشارة للمخاطبين التى أنفسهم بمنزلة الذين.
و قد يكون لغير المخاطبين بمنزلة الذين، قال يزيد بن مفرغ:
نجوت و هذا تحملين طليق «1»
أى و الذى تحملين طليق. قال الزجاج هؤلاء بمعنى الذين، لأن المخاطب المواجه لا يحتاج إلى الاشارة إلى نفسه. و قال المغربى: هؤلاء كناية عن اللصوص الذين يجادل عنهم. و هو غير أنتم و لذلك حسن التكرير. و معنى الآية ها أنتم الذين جادلتم. و الجدال أشد الخصومة مأخوذ من جدلت الحبل إذا أحكمت فتله. و رجل مجدول شديد. و الأجدل الصقر، لأنه أشد الطيور.
و المعنى يا معاشر من جادل عن بنى أبيرق فى الحياة الدنيا. و الهاء و الميم فى عنهم كناية عن الخائنين، فمن يجادل اللَّه عنهم. و معناه من ذا يخاصم اللَّه عنهم يوم تقوم الساعة يوم يقوم الناس من قبورهم إلى محشرهم فيدافع عنهم ما اللَّه فاعل بهم. و المعنى إنكم إن دافعتم فى عاجل الدنيا فإنهم سيصيرون فى الآخرة إلى من لا يدافع عنده عنهم أحد فيما يفعل بهم من العذاب و أليم النكال.
و قوله: (أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا»
معناه و من ذا الذى يكون وكيلا على هؤلاء الخائنين يوم القيامة يتوكل عنهم فى خصومة اللَّه عنهم يوم القيامة.
و قد بينا أن الوكالة هى القيام بأمر من يوكل له.

---

(1) قائله يزيد بن مفرغ الحميرى. حاشية الصبان 1: 160 قطر الندى 106، و أكثر كتب النحو و صدره:
عدس ما لعباد عليك امارة و هو من قصيدة هجا بها عباد بن زياد بن أبى سفيان فسجنه و أطال سجنه فكلم فيه معاوية فوجه بريداً يقال له حمحام فأخرجه و قدمت له فرس (و قيل بغلة) فنفرت فقال: عدس... الخ و عدس

صوت يزجر به البغل.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 321

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 110]..... ص: 321

اشارة

وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً (110)
- آية-

المعنى من يعمل ذنباً، و هو السوء، أو يظلم نفسه باكتساب المعاصى التى يستحق بها العقوبة «ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ»
يعنى يتوب اليه مما عمل من المعاصى، و يراجعه «يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً»
و معناه يعلمه ساتراً عليه ذنبه بصفحة له عن عقوبة جرمه «رحيما» به.
و اختلفوا فيمن عنى بهذه الاية، فقال قوم: عنى بها الخائبين الذين وصفهم فى الآية الاولى.
و قال آخرون: عنى الذين كانوا يجادلون عن الخائفين. قال لهم: «ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ جادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا»
. و الاولى حمل الآية على عمومها فى كل من عمل سوءا أو ظلم نفسه، و ان كان سبب نزولها فيمن تقدم ذكره من الخائنين أو المجادلين.
و به قال أكثر المفسرين: الطبرى، و البلخى، و الجبائى، و ابن عباس، و عبد اللَّه ابن معقل، و ابو وائل، و غيرهم.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 111]..... ص: 321

اشارة

وَ مَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّما يَكْسِبُهُ عَلى نَفْسِهِ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (111)

المعنى من يأت ذنباً على عمد منه و معرفة فإنما يجترح و بال ذلک الذنب،

و ضره و خزيه و عاره على نفسه دون غيره من سائر خلق اللَّه.
و المعنى و لا تجادلوا أيها الناس الذين يجادلون عن هؤلاء الخونة- فإنكم و إن كنتم لهم عشيرة و قرابة- فيما أتوه من الذنب، و من التبعة التى يتبعون بها، فإنكم متى دافعتم عنهم أو خاصمتم بسببهم كنتم مثلهم، فلا تدافعوا عنهم و لا تخاصموا «وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً» يعنى عالماً بما تفعلون أيها المجادلون عن الخائنين أنفسهم، و غير ذلک من أفعالهم و أفعال غيرهم «حكيما» فى أفعاله من سياستكم و تدبيركم، و تدبير جميع خلقه.
و قيل: إنها نزلت فى بنى أبريق. و فى الآية دلالة على أنه لا يؤخذ أحد بجرم غيره، و لا يعاقب الأولاد بذنوب الآباء على ما يذهب اليه قوم من أهل الحشو.
و مثله قوله: «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» «1» .

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 112]..... ص: 322

اشارة

وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً (112)
- آية بلا خلاف-.

الخطيئة، و الخطىء: الإثم العمد، تقول: خطئ يخطأ: إذا تعمد الذنب، و أخطأ يخطأ: إذا لم يتعمد. قال الزجاج: لما سمى اللّه تعالى المعاصى بأنها خطيئة و وصفها دفعة أخرى بأنها إثم، فصل بينهما هاهنا حتى يدخل الجنسان فيه. و قال غيره: المعنى من يعمل خطيئة، و هى الذنب، أو إثما، و هو ما لا يحل من المعصية، و فرق بين الخطيئة و الإثم، لأن الخطيئة قد تكون عمداً و غير عمد، و الإثم لا يكون إلا عمداً. فبين تعالى أن من يفعل خطيئة على غير عمد منه لها مما يلزمه

---

(1) سورة الانفال، آية 164.

فيه الغرامة، و ان لم يكن إثم فيه، أو آثماً فيه على عمد منه، و هو ما يستحق به العقاب «ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً»
يعنى أضافه إلى من هو برىء منه «فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً»
يعنى فقد تحمل بفعله ذلک فرية و كذباً «وَ إِثْماً مُبِيناً»
يعنى و جرماً عظيما.
و البهتان: الكذب الذى تتحير فيه من عظمه و بيانه. يقال: بهت فلان:
إذا كذب. و بهت يبهت: إذا تحير، قال اللّه تعالى: «فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ» «1» و إنما قال (به) و قد ذكر الخطيئة و الإثم قال الفراء: لأنه يجوز أن يكنى عن الفعلين أحدهما مؤنث و الآخر مذكر بلفظ التذكير و التوحيد و لو كثر لجازوت الكناية بالتوحيد، لأن (الأفاعيل) تقع على فعل واحد، فكذلک جاز، فإن شئت جعلتها لواحد، و إن شئت جعلت الهاء للاثم خاصة كما قال: «وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها» «2» فجعله للتجارة. و فى قراءة عبد اللّه (و إذا رأوا لهواء أو تجارة) فجعله للتجارة فى تقديمها و تأخيرها. و لو ذكر على نية اللهو لجاز و قد جاء مثنى، قال تعالى: «إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما» «3» و فى قراءة أبى (إن يكن غنياً أو فقيراً فاللّه أولى بهم). و فى قراءة عبد اللّه بن مسعود مثله، لأنه فى مذهب الجمع كما يقول: أصبح الناس صائماً و مفطراً، فأدى اثنان عن الجمع. و قال الزجاج:
المعنى ثم يرمى بذلک بريئاً. قال رؤبة:
فيه خطوط من سواد و بلق كأنه فى الجلد توليع البهق «4»
أى كأن ذلک. و اختلفوا فيمن عنى به بقوله: (بريئاً) بعد إجماعهم على أن الرامى ابن أبيرق، فقال قوم: البرىء رجل مسلم يقال له: لبيد بن سهل. و قال آخرون: بل
هو رجل يهودى يقال له زيد بن السمين. و قد ذكرناه فيما مضى.

و بالأخير قال ابن سيرين، و رواه ابو الجارود عن أبى جعفر (ع).

---

(1) سورة البقرة، آية 257.
(2) سورة الجمعة، آية 11.
(3) سورة النساء، آية 134.
(4) انظر: 296.

وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْکَ وَ رَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوکَ وَ ما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَضُرُّونَکَ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْکَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ عَلَّمَکَ ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ وَ کانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْکَ عَظِيماً (113)

- آية- معنى الآية أنه لو لا أنه تعالى تفضل عليک يا محمد فعصمک بتوفيقه و بيانه لک أمر هذا الخائن حتى کففت عن الجدال عنه «لَهَمَّتْ طائِفَةٌ»

و معناه لقد همت فرقة منهم، بتقدير (قد) ذکره الفراء. و يعنى بالفرقة التى همت من الخائبين أنفسهم «أَنْ يُضِلُّوکَ»

بمعنى يزلوک عن الحق، و يخطئوک. و قيل: يهلکوک بتلبيسهم أمر الخائن عليک و شهادتهم عندک بانه برىء مما ادعى عليه، ثم قال تعالى: «وَ ما يُضِلُّونَ»

هؤلاء الذين هموا باضلالک عن الواجب فى أمر هذا الخائن «إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» . و اضلالهم أنفسهم کان بأن اللّه لما کان قد بين لهم ما ينبغى أن يعملوا عليه من المعاونة على البر و التقوى، و الّا يتعاونوا على الإثم، و العدوان: فلما عدلوا عن ذلک و تعاونوا على الإثم و العدوان، فکانوا بذلک مضلين أنفسهم عن طريق الحق.

و قوله: «وَ ما يَضُرُّونَکَ مِنْ شَيْءٍ»

يعنى هؤلاء الذين هموا بإضلالک، لا يضرونک، لان اللّه قد يثبتک و يسددک فى أمورک، و يبين لک أمر المحق و المبطل.

«وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْکَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ»

معناه و من فضل اللّه عليک يا محمد، ما تفضل به عليک، انزاله عليک الکتاب الذى هو القرآن، و فيه تبيان کل شىء و هدى و موعظة و انزل عليک الحکمة مضافة الى الکتاب، و هى بيان ما ذکره فى الکتاب مجملا من أحکام الکتاب: من الحلال و الحرام، و الامر و النهى «وَ عَلَّمَکَ التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 325

ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ»

من خبر الأولين و الآخرين و ما کان و ما هو کائن. و کل ذلک من فضل اللّه.

و قوله: «وَ کانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْکَ عَظِيماً»

يعنى لم يزل فضل اللّه عليک يا محمد عظيماً، فاشکره على ما أولاک من نعمه و إحسانه. قال الجبائى: و فى الآية دلالة على أن التسمية بالضلال لا تسمى اضلالًا، لأنه لو کان ذلک صحيحاً، لکانوا قد أضلوا النبى (ص) حيث نسبوه الى الضلال و قد نفى اللّه عنه ذلک. و هذا ليس بصحيح لامرين:

أحدهما- انهم ما سموه بهذا الفعل ضالًا، و انما قصدوا التمويه، و التلبيس عليه، فلما کشف اللّه تعالى ذلک بطل غرضهم.

و الثانى- ان من قال: إن الضلال يكون بمعنى التسمية لم يقل: إنه لا يكون إلا كذلک، لان الإضلال على وجوه مختلفة: بمعنى التسمية، و غير ذلک مما بيناه فيما تقدم. و الإضلال يكون بمعنى الدفن قال النابغة:

و آب مضلوه بغير جلية و غودر بالجولان جرم و نائل «1»

يعنى دافنوه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 114]..... ص: 325

اشارة

لا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِکَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً (114) - آية بلا خلاف-.

قرأ (فسوف يؤتيه)- بالياء- ابو عمر، و حمزة، و قتيبة، و خلف.

---

(1) انظر ا: 194.

الباقون بالنون من قرأ بالياء حمله على قوله: «وَ مَنْ يَفْعَلْ» . و من قرأ بالنون حمله على المعنى.

أخبر اللَّه تعالى: أنه لا خير فى كثير من نجوى الناس جميعاً. و النجوى هو ما ينفرد به الاثنان أو الجماعة سراً كان أو جهراً. و يقال: نجوت الشىء: إذا خلصته و ألقيته. يقال: نجوت الجلد: إذا ألقيته عن البعير، و غيره قال الشاعر:

فقلت انجوا عنها نجا الجلد إنه سيرضيكما منها سنام و غاربه «1»

و نجوت فلاناً: إذا استنكهته قال الشاعر:

نجوت مجالداً فوجدت منه كريح الكلب مات حديث عهد «2»

و نجوت الوتر و استنجيته إذا خلصته كما قال الشاعر:

فتبازت فتبازخت لها جلسة الا عسر يستنجى الوتر «3»

و أصله كله من النجوة، و هو ما ارتفع من الأرض، قال الشاعر يصف سيلا:

فمن بنجوته كمن بعقوبته و المستكن كمن يمشى بقرواح «4»

و يقول: ما أنجى فلا شيئاً و ما نجا شيئاً منذ أيام إذا لم يتغوّط. و التقدير فى الآية «لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ» مما يديرونه بينهم من الكلام (إلا) كلام «مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ» .

قال الزجاج يحتمل موضع من نصبا و أن يكون خفضاً، فالخفض على إلا فى نجوى من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح. و النصب على أن يكون استثناء منقطعاً بمعنى لكن كأنه قال: لكن من أمر بصدقة أو معروف ففى نجواه خير.
و طعن بعضهم على الوجه الأول بأن قال لا يجوز أن يعطف بالّا على الهاء و الميم فى مثل هذا الموضع من أجل أنه لم ينله الجحد. و قال الفرّاء: يحتمل الخفض على

---

(1) لسان العرب: (نجا)
(2) انظرا: 218، اللسان (نجا)
(3) اللسان (نجا) و يروى. جلسة الجازر. قائله عبد الرحمن بن حسان.
(4) قائله عبيد بن الأبرص. مر فى ا: 218. اللسان نجا.

تقدير لا خير فى كثير من نجواهم إلا فيمن أمر بصدقة فيكون النجوى على هذا هم الرجال المتناجون كما قال: (ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ) «1» و كما قال: «وَ إِذْ هُمْ نَجْوى» «2» و النصب على أن يجعل النجوى فعلا فيكون نصباً.
لأنه حينئذ يكون استثناء منقطعاً، لان (من) خلاف النجوى و مثله قول الشاعر:
وقفت فيها اصيلالًا أسائلها أعيت جواباً و ما بالدار من أحد «3»
إلا الأوارى لاياما أبينها و النؤى كالحوض بالمظلومة الجلد
و يحتمل وجهاً ثالثاً أن يكون رفعاً كما قال الشاعر:
و بلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير و الا العيس «4»
و أقوى الوجوه أن تجعل (من) فى موضع خفض بالرد على النجوى، و يكون بمعنى المتناجين، خرج مخرج السكرى و الجرحى، و يكون التقدير لا خير فى كثير من نجواهم يعنى من المتناجين يا محمد إلا فيمن أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، فان أولئک فيهم الخير.
و قوله: «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِکَ» اشارة الى ما تقدم من الامر بالصدقة و المعروف و الإصلاح بين الناس ابتغاء مرضاة اللَّه يعنى طلب مرضاة اللَّه و نصب ابتغاء على أنه مفعول له و تقديره لابتغاء مرضاة اللَّه، و هو فى معنى المصدر، لأن التقدير و من يتبع ذلک ابتغاء مرضاة اللَّه. و قوله: «فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً» يعنى ثواباً جزيلا فى المستقبل.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 115]..... ص: 327

اشارة

وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً (115)

---

(1) سورة المجادلة، آية 7.
(2) سورة الإسراء، آية 47.
(3) أنظر ا: 44 (و أصيلالا) فيها روايتان أخريان: أصيلاناً و أصيلا كى. و البيتان للنابغة من معلقته المشهورة. [.....]
(4) أنظر ا: 151 و معانى الفراء ا: 288.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 328
آية بلا خلاف.

معنى يشاقق الرسول يباين الرسول معادياً له، فيفارقه على العداوة، لأن المشاقة هى المباينة على وجه العداوة «مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى» معناه من بعد ما تبين له و ظهر أنه رسول اللَّه، و أن ما جاء به من عند اللَّه حق، و هدى موصل الى الصراط المستقيم بما معه من الآيات و المعجزات مثل القرآن و غيره. و قوله:
«وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ» معناه و يتبع غير سبيل من صدقه و سلك منهاجاً غير منهاجهم «نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى» معناه نجعل ناصره ما استنصره و استعان به من الأوثان و الأصنام و هى لا تغنيه و لا تدفع عنه من عذاب اللَّه شيئاً (و نصله جهنم) أى و نجعله صلى نار جهنم معناه نحرقه بها و قد بينا معنى الصلى فيما تقدم «وَ ساءَتْ مَصِيراً» يعنى موضعاً يصير اليه من صار اليه.

و قرأ ابو عمرو و حمزة و ابو بكر البرجمى، و الداجوى عن هشام، و ابو جعفر من طريق النهروانى قوله (و نصله، و نوده) (و لا يؤده) حيث وقع بسكون الهاء فيهن، قال الزجاج يقول فى ذلک كسر الهاء، و اثبات الياء و ضم الهاء و اشباعها بالواو و بكسر الهاء بلا ياء. و لا يجوز اسكان الهاء بلا كسر، لان الهاء من حقها أن تكون معها ياء فحذف الياء. و اثبات الياء و ضم الهاء ضعيف، و لا يجوز حذف الياء إلا إذا كان هناک كسرة يدل عليها النزول و المعنى.

و نزلت هذه الآية فى الخائنين الذين ذكرهم اللَّه فى قوله:

«وَ لا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً» لما أبى التوبة أبو طعمة بن الابيرق و لحق بالمشركين من عبدة الأوثان بمكة مرتدا مفارقا رسول اللَّه (ص) و هو قول مجاهد و قتادة، و اكثر المفسرين. و هو المروى عن أبى جعفر عليه السلام.

و قد استدل خلق من المتكلمين، و الفقهاء بهذه الآية على أن الإجماع حجة،

بأن قالوا: توعد اللَّه على اتباع غير سبيل المؤمنين كما توعد على مشاقة الرسول (ص) فلو لا أن اتباعهم واجب لم يجز ذلک، و هذا ليس بصحيح من وجوه:

أحدها- أن الآية نزلت فى من تقدم ذكره و كان قد ارتد و لحق بالمشركين فيجب أن يتناوله و يتناول كل من يجرى مجراه من المرتدين و مخالفى الإسلام.

و الثانى- أن من أصحابنا من قال: لا نسلم أنه أراد ب (من) فى هذه الآية استغراق، و لا بلفظة (سبيل) جمع السبل، و لا ب (المؤمنين) جميع المؤمنين، فمن أين لهم وجوب الاستغراق. و إذا احتمل التخصيص، جاز لنا أن نحمل على سبيل الايمان الذى من خالفه كان كافراً، أو المؤمنين أراد به الائمة المعصومين، و لو جاز حملها على العموم، لوجب حملها على أهل جميع الأعصار على وجه الجمع دون أهل كل عصر، لأن العموم يقتضى ذلک، فإذا خصوا بأهل كل عصر، خصصنا ببعض أهل العصر على أنه إنما حرم اتباع غير سبيل المؤمنين، فمن أين وجوب اتباع سبيلهم، و لم لا يجوز أن يكون اتباع غير سبيلهم محصوراً. و اتباع سبيلهم موقوفا على الدليل، و يجوز أن يكون أيضاً محظوراً مثله أو مباحاً أو مندوبا، فمن أين الوجوب مع احتمال جميع ذلک على أنه لو سلم جميع ذلک، لكان يجب علينا اتباع إذا كانوا مؤمنين، لأنه هكذا أوجب، فمن أين انهم لا يخرجون عن كونهم مؤمنين. و وجوب الاتباع تابع لكونهم مؤمنين، فيحتاجون الى دليل آخر فى أنهم لا يخرجون عن كونهم مؤمنين غير الآية على أن ظاهر الآية يتضمن أن من

شاق الرسول و اتبع غير سبيل المؤمنين يتناوله الوعيد، فمن أين أنه إذا انفرد أحدهما عن الآخر يتناوله الوعيد. و نحن إنما نعلم تناول الوعيد على مشاقة الرسول (ص) بانفرادها بدليل غير الآية، فعلى من خالف أن يقول: إن اتباع غير سبيل المؤمنين يتناوله الوعيد بدليل غير الآية. و قد استوفينا ما فى هذه الآية فى أصول الفقه، و غيره من كتبنا مشروحا لا نطول بذكره ها هنا.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 330

إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً (116)

آية بلا خلاف اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه لا يغفر الشرک، و أنه يغفر ما دونه، و قد بينا الاستدلال بذلک على ما نذهب اليه من جواز العفو عن مرتكبى الكبائر من أهل الصلاة، و إن لم يتوبوا فيما مضى، فلا وجه لإعادته و قيل أنه عنى بهذه الآية أبا طعمة الخائن حين أشرک و مات على شركه باللَّه، غير أن الآية و إن نزلت بسببه، فعندنا و عند جميع الأمة أن اللَّه لا يغفر لمن أشرک به بلا توبة: لتناول العموم لهم، فان قيل: فعلى هذا من لم يشرک باللَّه بان لا يعبد معه سواه، و إن كان كافراً بالنبى (ص) من اليهود النصارى ينبغى أن يكون داخلا تحت المشيئة لأنه مما دون الشرک! قلنا: ليس الامر على ذلک لأن كل كافر مشرک، لأنه إذا جحد نبوة النبى اعتقد أن ما ظهر على يده من المعجزات ليست من فعل اللَّه، و نسبها الى غيره، و ان الذى صدقه بها ليس هو اللَّه، و يكون ذلک اشراكا معه على أن اللَّه تعالى أخبر عنهم بأنهم قالوا:

- يعنى النصارى- «المسيح ابن الله، وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ» «1» و ذلک هو الشرک باللَّه تعالى على أنه لو لم يكونوا داخلين فى الشرک لخصصناهم من جملة من تناولتهم المشيئة لإجماع الأمة على أن اللَّه تعالى لا يغفر الكفر على وجه الا بتوبة.

و قوله: «وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً» يعنى من يجعل فى عبادته مع اللَّه شريكاً، فقد ذهب عن طريق الحق و زوال عن قصد السبيل ذهاباً بعيداً، لأنه باشراكه مع اللَّه فى عبادته فقد أطاع الشيطان، و سلک طريقه و ترک طاعة ربه.

---

(1) سورة التوبة، آية 31.

إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِناثاً وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطاناً مَرِيداً (117)
- آية- اختلفوا فى تأويل هذه الآية على خمسة أقوال:
فقال أبو ملک، و السدى و ابن زيد، و الزجاج: ان المراد بذلک آلهتهم، و اللات، و العزى، و منات، و ساف، و نائله سماهن إناثاً بتسمية المشركين إياها بأسماء الإناث.
الثانى- قال ابن عباس، و قتادة، و الحسن: معناه إن يدعون من دونه الا اناثاً يقول ميتاً ليس فيه روح، قال الحسن: الإناث كل شىء ميت ليس فيه روح، مثل خشبة يابسة أو حجر يابس. و قال الزجاج: لان الموات يخبر عنها بلفظ التأنيث كما يعبر عن المؤنث تقول: الأحجار تعجبنى و لا تقول يعجبونى.
الثالث- قال الحسن فى رواية أخرى: إن أهل الأوثان كانوا يسمعون أوثانهم أناثاً، و كان لكل حى صنم يسمونها أنثى.
الرابع- قال مجاهد: الإناث هى الأوثان. و روى عن عروة عن أبيه أن فى مصحف عائشة الا أوثاناً و روى عن ابن عباس أنه كان يقرأها إلا وثناً مع وثن كأنه جمع وثناً، وثناً، ثم قلب الواو همزة مضمومة مثل وجوه و أوجه وقتت و اقتت.
و قرأ بعضهم أنثاً جمع أناث مثل ثمار و ثمر و القراءة و المشهورة أناثاً، و عليه القراء من أهل الأمصار.
الخامس- قال الحسين بن على المغربى: إلا اناثاً معناه ضعافاً عاجزين لا قدرة لهم يقولون: سيف أنيث و ميناثة بالهاء و ميناث أى غير قاطع. قال صخر الغى:
فتخبره بأن العقل عندى جراز لا أفل و لا أنيث
و أنث فى أمره: إذا لان، و ضعف و الانيث المخنث، و قال الكميت:
و شذبت عنهم شوک كل قتادة بفارسَ يخشاها الانيث المغمز
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 332
قال الازهرى: و الإناث الموات. و قوله: «وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطاناً مَرِيداً» المعنى إن هؤلاء الذين يعبدون غير اللّه ليس يعبدون الّا الجمادات، و الا الشيطان المريد و هو المتمرد على الله فى خلافه فيما أمر به و نهى عنه و هو إبليس، و به قال قتادة و اكثر المفسرين «و يدعون» معناه يعبدون، لأنهم، إذا دعوا اللّه مخلصين، فقد عبدوه، و مثله قوله: «ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ» «1» اى اعبدونى بدلالة قوله:
«إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى» «2» قال الزجاج: المريد هو الخارج عن الطاعة يقال حائط ممرّد إى مملس و شجرة مرداء إذا تناثر ورقها و منه سمى أمرد و من لا لحية له أى أملس موضع اللحية، و يقال مرد الرجل

يمرد مروداً و مرادة:
إذا عتا و خرج عن الطاعة.

لَعَنَهُ اللَّهُ وَ قالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِکَ نَصِيباً مَفْرُوضاً (118)
- آية- معنى لعنه اللّه أبعده اللّه من ثوابه، و أخزاه و أقصاه و الهاء فى (لعنه) اللّه كناية عن الشيطان و التقدير، و ان يدعون إلا شيطاناً مريداً قد لعنه اللّه و أبعده من كل خير.
و قوله: «وَ قالَ لَأَتَّخِذَنَّ» يعنى بذلک ان الشيطان المريد قال لربه (عز و جل) إذ لعنه: لاتخذن من عبادک نصيباً مفروضاً يعنى قسما معلوماً و به قال الضحاک. و اتخاذ الشيطان النصيب من عباد اللّه يكون باغوائه إياهم عن قصد السبيل، و دعائه إياهم الى طاعته، و تزيينه لهم الضلال و الكفر، فمن أجاب دعاءه و اتبعه، فهو من نصيبه المعلوم، و حظه المقسوم، و انما اخبر بذلک ليعلم الذين شاقوا الرسول من بعد ما تبين له الهدى انهم من نصيب الشيطان الذى لعنه اللّه. و المفروض: الموقت. و المعنى ها هنا

(1، 2) سورة المؤمن، آية 60.

ما افترضه عليهم من طاعتى و الفرض: القطع و الفريضة الثلمة تكون فى النهر و الفريضة:
كل ما أمر اللّه به و الزمه و قوله: «وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً» «1» أى قطعة من المال و فرضت للرجل: إذا جعلت له قطعة من مال الفىء و الفرض التمر قال الشاعر:
إذا أكلت سمكا و فرضاً ذهبت طولا و ذهبت عرضاً «2»
و إنما سمى التمر فرضاً لأنه يؤخذ فى فرائض الصدقة يقال: سقاها بالفراض و الفرض و الفرض الحز يكون فى المسواک يشد فيه الخيط، و الفرض فى القوس: الحز يشد فيه الوتر.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): الآيات 119 الى 121]..... ص: 333

اشارة

وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الْأَنْعامِ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً (119) يَعِدُهُمْ وَ يُمَنِّيهِمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُوراً (120) أُولئِکَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ لا يَجِدُونَ عَنْها مَحِيصاً (121)
ثلاث آيات.

قوله: «وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ» إخبار عن الشيطان المريد الذى وصف صفته فى الآية الاولى انه قال لربه: «لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِکَ نَصِيباً مَفْرُوضاً. وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ» و معناه و لاصدن النصيب المفروض الذى اتخذه من عبادک عن محجة الهدى إلى الضلال و من الإسلام إلى الكفر «وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ» و معناه أوهمهم انهم ينالون فى الآخرة حظاً لأزيغنهم بما أجعل فى أنفسهم من الامانى عن طاعتک و توحيدک الى طاعتى و الشرک بى «وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الْأَنْعامِ» يعنى لآمرن النصيب المفروض من

---

(1) سورة البقرة، آية 277.

(2) لسان العرب (فرض).

عبادک بعبادة غير من الأنداد و الأوثان ينسكوا له و يحرموا يحللوا و يشرعوا غير الذى شرعه اللّه لهم فيتبعونى و يخالفوک.

و التبتيک: القطع تقول بتکت الشیء ابتکه تبتیکا: إذا قطعته. و بتکه و بتک مثل قطعة و قطع و سیف باتک. قاطع و المراد فی هذا الموضع قطع اذن البحیرة، لیعلم انها بحیرة. و أراد الشیطان بذلک دعاءهم إلی البحیرة فیستجیبون له، و یعلمون بها طاعة له. قال قتادة: البتک قطع اذان البحیرة و السائبة لطواغیتهم و قال السدی:
کانوا یشقونها. و به قال عکرمة و قوله: «وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ» اختلفوا فی معناه فقال ابن عباس، و الربیع بن انس عن انس: انه الإخصاء و کرهوا الإخصاء فی البهائم و به قال سفیان، و شهر بن حوشب، و عکرمة و ابو صالح و
فی روایة أخری عن ابن عباس فلیغیرن دین اللَّه و به قال إبراهیم و مجاهد و روی ذلک عن أبی جعفر و أبی عبد اللَّه علیهم السلام
قال مجاهد: کذب العبد یعنی عکرمة فی قوله: إنه الإخصاء و إنما هو تغییر دین اللَّه الذی فطر الناس علیه فی قوله:
«فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِکَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» «1» و هو قول قتادة، و الحسن و السدی، و الضحاک، و ابن زید. و قال قوم: هو الوشم. روی ذلک عن الحسن و الضحاک و ابراهیم ایضاً و عبد اللَّه. و قال عبد اللَّه: لعن اللَّه الواشمات و الموتشمات و المتفلجات المغیرات خلق اللَّه و قال الزجاج: خلق اللَّه تعالی الانعام لیأکلوها، فحرموها علی أنفسهم و خلق الشمس و القمر و الحجارة مسخرة للناس ینتفعون بها، فعبدها «2» المشرکون و أقوی الأقوال من قال: فلیغیرن خلق اللَّه بمعنی دین اللَّه بدلالة قوله: «فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِکَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» و یدخل فی ذلک جمیع ما قاله المفسرون، لأنه إذا کان ذلک خلاف الدین فالآیة تتناوله، ثم اخبر تعالی عن حال نصیب الشیطان المفروض الذین شاقوا

---

(1) سورة الروم: آیة 3.
(2) فی الأصل (فعبدوها).

الله و رسوله من بعد ما تبین له الهدی «1» فقال و من یتبع الشیطان فیطیعه فی معصیة اللَّه و خلاف أمره «فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً» معناه هلک هلاکاً ظاهراً، و یخس نفسه حظها خسراناً مبینا عن عطبه و هلاکه، لأن الشیطان لا یملک له نصیراً من اللَّه إذا أراد عقابه، ثم اخبر تعالی الشیطان أنه یعد من یتبعه و یمنیهم فیعدهم النصر ممن أرادهم، و یمنیهم الظفر علی

من أرادهم بمكروه، ثم قال تعالى:
«وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً» يعنى باطلا و سماه غروراً، لأنهم كانوا يظنون أن ذلک حق، فلما بان لهم أنه باطل، كان غروراً و قوله: «أُولئِکَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ» إشارة الى هؤلاء الذين اتخذوا الشيطان ولياً من دون اللّه مأواهم يعنى مصيرهم الذين يصيرهم اليه جهنم و لا يجدون عنها محيصاً يعنى لا يجدون عنها معدلا إذا حصولها فيها.

بقول حاص فلان عن هذا الامر يحيص حيصاً و حوصاً: إذا عدل عنه و منه حديث ابن عمر (بعثنا رسول اللّه (ص) سرية، كنت فيهم فلقينا المشركين فحصنا حيصة) و قال بعضهم: فجاضوا جيضة و هما بمعنى واحد، غير انه لا يقرأ إلا بالصاد و الحاج و حصت احوص حوصاً و حياصاً إذا خطت يقال حص عين صقرک، اى خط عينه و الحوص فى العين مؤخرها. و الخوص غورها.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (122)

---

(1) سورة النساء آية 114.

آية- لما ذكر اللّه تعالى حكم من يشاقق الرسول، و يتبع غير سبيل المؤمنين، و ذكر ان من يشرک به لا يغفر له و بين حكم من يتبع الشيطان و يكون من نصيبه، ذكر فى هذه الآية حكم من يؤمن به و يوحده، و يقر بنبيه و يصدقه و يضيف الى ذلک عمل الصالحات، و انه سيد خلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً على أعمالهم، و جزاء إيمانهم، و يخلدهم فيها «خالِدِينَ» نصب على الحال و المعنى ان هذه الحال ستدوم لهم، و تتأبد، و ان ذلک وعد حق من اللّه لهم و قوله: «وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا» صورته صورة الاستفهام و المراد به التقرير و الإنكار و المعنى لا أحد اصدق من اللّه قليلًا أى قولا و وعداً، لأنه لا يجوز عليه خلف الميعاد و لا الإخلال بما يجب عليه من الثواب. تعالى اللّه عن ذلک علواً كبيراً.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 123]..... ص: 336

اشارة

لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَ لا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (123)
- آية-

فى (ليس) ضمير و التقدير ليس الثواب بأمانيكم، و لا أمانى أهل الكتاب و الامانى يخفف و يثقل فيقال بامانى و امانى على وزن أفاعيل و فعالل كقراقير و قراقر.
و اختلفوا فى من عنى بهذه الآية فقال مسروق تفاخر المسلمون، و أهل الكتاب، فقال المسلمون نحن اهدى منكم. و قال أهل الكتاب: نحن اهدى منكم. فانزل اللّه تعالى: «لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ» فقال أهل الكتاب نحن و أنتم سواء فانزل اللّه تعالى «وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ» «1» ففلح المسلمون. ذهب الى ذلک قتادة و السدى، و الضحاک و ابو

---

(1) فى المطبوعة (ففنج).

صالح. و قال مجاهد معناه ليس بأمانيكم يعنى أهل الشرک من قريش، لأنهم قالوا:
لا نبعث و لا نعذب، و لا امانى أهل الكتاب انهم خير من المسلمين، و لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ذهب اليه ابن زيد و هذا الوجه أقوى لأنه لم يجر لامانى المسلمين ذكر و قد جرى ذكر امانى الكفار فى قوله: «وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ» يعنى الذى يتخذهم الشيطان «نَصِيباً مَفْرُوضاً» و يقوى ذلک أن اللّه تعالى قد وعد المؤمنين بقوله: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» بإدخال الجنة و الخلود فيها.
و تلک غاية أمانى المسلمين، فكيف ينفى بعد ذلک أمانيهم؟.
و قوله: «مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ» اختلفوا فى تأويله فقال قوم: إنه يريد بذلک جميع المعاصى صغائرها و كبائرها و إن من ارتكب شيئاً منها، فان اللّه يجازيه عليها. اما فى الدنيا أو فى الآخرة ذهب اليه قتادة و عائشة، و مجاهد. و قال آخرون: من يعمل سوءً من أهل الكتاب نجزيه ذهب اليه، الحسن. قال:
كقوله: «وَ هَلْ نُجازِى إِلَّا الْكَفُورَ» «1» و به قال ابن زيد و الضحاک و هو الذى يليق بمذهبنا، لأنا نقطع على ان الكفار لا يغفر لهم على حال و المسلمون يجوز أن يغفر لهم ما يستحقونه من العقاب، فلا يمكننا القطع على أنه لا بد أن يجازى بكل سوء. و قال قوم: معنى السوء ها هنا الشرک فمعنى الآية من يعمل الشرک يجزيه «2» ذهب اليه ابن عباس و سعيد بن جبير.
و روى أبو هريرة انه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين، فشكوا إلى

رسول اللّه (ص) فقال (ص): فادفعوا و تشددوا، ففى كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها او الشوكة يشاكها.
و قيل لبعض الصحابة: أ ليس بمرض، ا ليست تصيب اللأواء؟. قال: بلى فهو ما تجزون به.
و قوله: «وَ لا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً» معناه و لا يجد الذى يعمل سوءً من معاصى اللّه، و خلاف أمره ولياً يلى أمره و ينصره و يحامى عنه، و يدفع عنه ما ينزل به من عقوبة اللّه، «وَ لا نَصِيراً» يعنى ناصراً ينصره مما يحل به من عقاب اللّه، و اليم عذابه. و استدلت المعتزلة على المنع من غفران معاصى أهل

---

(1) سورة سبأ، آية 17.
(2) فى المطبوعة (ينجز به).

الصلاة بهذه الآية. قالوا: لأنه تعالى بين أنه يجازى على كل سيئة، و ذلک يمنع من جواز العفو قلنا: قد تكلمنا على نظير ذلک فيما مضى بما يمكن اعتماده ها هنا منها انا لا نسلم انها تستغرق جميع من فعل السوء، بل فى أهل التأويل من قال: المراد به الشرک. و هو ابن عباس و قد قدمناه، ثم لا خلاف أن الآية مخصوصة، لأن التائب و من كانت معصيته صغيرة، لا يتناوله العموم، فإذا جاز لهم تخصيص الفريقين، جاز لنا أن نخص من يتفضل اللّه عليه بالعفو. و هذا واضح و قد بينا الجواب عما يزاد على ذلک من الاسئلة بما فيه كفاية فيما مضى و فى كتاب شرح الجمل، لا نطول بذكره ها هنا.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 124]..... ص: 338

اشارة

وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِکَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لا يُظْلَمُونَ نَقِيراً (124)
- آية-

قرأ ابن كثير و ابو عمرو، و ابو بكر، الا الكسائى و ابو جعفر و روم (يُدخلون) بضم الياء و فتح الخاء ها هنا و فى مريم و المؤمن. وافقهم رويس الا فى هذه السورة.

وعد اللَّه تعالى بهذه الآية جميع المكلفين من الذكور و الإناث إذا عملوا الاعمال الصالحات، و هم مؤمنون مقرون بتوحيد اللّه و عدله، مصدقون بنبيه (ص)، عاملون لما اتى به بأنه يدخلهم الجنة و ينيبهم فيها، و لا يبخسهم شيئاً مما يستحقونه من الثواب، و ان كان مقدار نقير فى الصغر، و هى النقطة التى فى ظهر النواة، و قيل منها تنبت النخلة. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 339

و من ضم الياء و فتح الخاء، فلانه قال: «وَ لا يُظْلَمُونَ» فضم الياء، ليزدوج الكلام، و لأنهم لا يدخلونها حتى يدخلوها. و من فتح الياء، فلأنهم إذا ادخلوا الجنة، فقد دخلوها. فان قيل ظاهر الآية يقتضى انه لا يثيب الا من آمن و عمل الصالحات فمن انفرد بالايمان، لا يستحق الثواب، و كذلک من فعل بعض الصالحات قلنا: ظاهر العموم مخصوص بلا خلاف لأنه لو آمن باللّه و اليوم الآخر و اخترم عقيبه، لا خلاف انه يدخل الجنة، فكذلک إذا اخل ببعض الصالحات أو ارتكب معصية، فانا نعلم دخوله الجنة بدليل آخر على أن (من) فى قوله: (من الصالحات) يقتضى أنه لو فعل بعض الصالحات لأدخل الجنة، لأنها للتبعيض. و انما تقتضى الاستغراق إذا حملت على ان معناها بيان الصفة، فإذا احتمل الظاهر ما قلناه، سقطت المعارضة فاما من قال: ان (من) زائدة فلا يعول على قوله، لأنه إذا أمكن حمل الكلام على فائدة، لم يجز أن يحمل على الزيادة. و بما قلناه فى معنى النقير، قال مجاهد و عطية و السدى و غيرهم.

وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلاً (125)

- آية- قضى اللّه تعالى فى هذه الآية للإسلام بالفضل على سائر الملل بقوله: و من أحسن ديناً ايها الناس و هو فى صورة الاستفهام. و المراد به التقرير و المعنى من احسن ديناً و أصوب طريقاً، و اهدى سبيلا ممن اسلم وجهه للّه يعنى استسلم وجهه للّه. و الوجه يراد به ها هنا نفسه و ذاته كما قال: «كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» «1» فانقاد له بالطاعة و لنبيه (ص) بالتصديق «وَ هُوَ مُحْسِنٌ» بمعنى و هو فاعل للفعل الحسن مما أمره اللّه به «وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً» يعنى و اتبع الذى كان عليه (ابراهيم)،

---

(1) سورة القصص، آية 88.

و امر به نبيه من بعده، و أوصاهم به من الإقرار بتوحيده، و عدله و تنزيهه عما لا يليق به (حنيفاً) يعنى مستقيما على منهاجه و سبيله. و قد بينا فيما مضى معنى الحنيف، فلا فائدة فى إعادته، و بمثل ذلک قال الضحاک، و غيره من المفسرين.

و قوله: «وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلًا» و معنى الخليل يحتمل أمرين:

أحدهما- المحبة، مشتقاً من الخلة بضم الخاء و المعنى اتخذ اللّه ابراهيم محباً و تكون خلة ابراهيم: موالاته لأولياء اللّه و معاداته لاعدائه. و خلة اللّه له نصرته على من اراده بسوء مثل ما أراد نمرود من إحراقه بالنار، فأنقذه اللّه منها، و أعلى حجته عليه. و كما فعل بملک مصر حين راوده عن اهله، و جعله اماماً لمن بعده من عباده، و قدوة لهم.

و الثانى- ان يكون ذلک مشتقاً من الخلة التى هى الفقر بفتح الخاء- كما قال زهير يمدح هرم بن سنان:

و ان أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالى و لا حرم»

و يروى يوم مسغبة و هو الأظهر و انما انشد البلخى يوم مسألة، و هو بخلاف الروايات. و قال آخر:

و انى و ان لم تسعفانى بحاجة إلى آل ليلى مرة الخليلى «2»

أى المحتاج. و قيل: انه أصاب أهل ناحية ابراهيم (ع) جدب، فارتحل الى خليل له من أهل مصر يلتمس طعاما لأهله من قبله، فلم يصب عنده حاجته، فلما قرب من أهله مر بمفازة ذات رمل لينة فملأ غرائره «3» من ذلک الرمل لئلا يغم أهله برجوعه بغير ميرة «4»، فيظنون ان معه طعاماً فحول اللّه تعالى غرائره دقيقاً، فلما وصل إلى اهله قام أهله، ففتحوا الغرائز

فوجدوا دقيقاَ، فعجنوا منه، فخبزوا فاستيقظ

---

(1) اللسان: (حرم) و (اخلل). رفع (يقول) مع انه جواب الجزا، على التقديم كأنه قال: ان أتاه خليل. أجاز ذلک سيبويه.
(2) لم أجد البيت فى مصادرنا. [.....]
(3) الغرائر جمع غرارة- بكسر الغين- و هى الجوالق التى يوضع فيها الدخن و القبح.
(4) الميرة الطعام أو جلبه.

ابراهيم فسألهم من اين خبزوا؟ فقالوا من الدقيق الذى جئت به من عند خليلک «1» المصرى فقال: لا بل من عند خليلى اللّه (عز و جل) فسماء اللّه خليلا. فهذا ما روى و هو من آيات الأنبياء (ص) فاما الاشتقاق فالخلة بضم الخاء: الصداقة.
و الخلة بفتح الخاء: الحاجة، و استعمل فى الحاجة، للاختلال الذى يلحق الفقير فيما يحتاج اليه. و الخلة بمعنى الصداقة، فلان كل واحد منهما يسد خلل صاحبه فى المودة، و الحاجة. و قيل: لأنه يطلعه على اسراره فكأنه فى خلل قلبه و الخلل: كل فرجه تقع فى شىء و الخلال: هو ما يتخلل به لأنه يتبع به الخلل بين الأسنان.
قال الشاعر:
و نظرن من خلل الستور بأعين مرضى مخالطها السقام صحاح
يعنى نظرن من الفرج التى فى الستور و قولهم: لک خلة من خلال. تأويله إنى أخلى لک من رأيى، او مما عندى عن خله من خلال و معنى أخلى أخلل. فأبدل من إحدى اللامين ياء و يجوز أن يكون أخلى من الخلوة، و الخلوة و الخلل يرجعان الى معنى واحد. و الخلل: الطريق فى الرمل إذا انفرجت منه فرجة فصارت طريقاً.
و الخل ما يؤكل معروف. و اختار الفراء و البلخى أن يكون من الخلة التى هى الفقر قال: و يخالف المحبة، لان المحبة من اللّه لعبده هى الثناء عليه و مدحه له، و لأنه يحب الإنسان ما ليس من جنسه، و لا يخاف إلا ما هو من جنسه. و على ما بيناه، لا يمنع ذلک و إن كان فيه بعض التجوز. و قال الازهرى: الخليل الذى خص بالمحبة يقال: دعا فلان فخلل أى خص. و اختاره الجبائى هذا الوجه و قال: كل نبى فهو خليل اللّه، لأنه خصه بما لم يخص به غيره. و الخلة: الخصلة، و جمعها خلال. و انما خص اللّه تعالى ابراهيم بأنه خليله من الفقر، و ان كان الخلق كلهم فقراء إلى رحمته تشريفاً له بالنسبة اليه، و اختصاصه به من حيث انه فقير اليه لا يرجو لسد خلته سواه.
و خص ابراهيم من بين سائر الأنبياء بانه خليل اللّه على المعنيين، كما خص

موسى بانه كليم اللّه و محمد (ص) بانه حبيب اللّه، و عيسى بانه روح اللّه و لا يلزم على ذلک

---

(1) فى المطبوعة (خليک).

تسمية عيسى بانه ابن اللّه، لان هذه اللفظة لا تستعمل حقيقتها إلا فى من خلق من مائه أو ولد على فراشه، و مجازها فى من يجوز ذلک فيه. و لذلک لا يجوز أن يتخذ الشاب شيخا ابناً، و ان جاز ان يتبنى بصبى، و لا يجوز أن يتخذ البهيمة ابناً، لما لم يجز أن تكون مخلوقة من مائه على وجه.

و الحنيفية التى أمر اللّه نبيه بأن يتبع ابراهيم فيها عشرة أشياء: خمسة فى الرأس و خمسة فى الجسد. فالتى فى الرأس: المضمضة. و الاستنشاق، و السواک، و قص الشارب، و الفرق لمن يكون طويل الشعر، و التى فى الجسد: فالاستنجاء، و الختان، و حلق العانة، و نتف الإبط و قص الاظفار و جميع ذلک مستحب الا الختان و الاستنجاء، فإنهما واجبان. و فيه خلاف ذكرناه فى الخلاف. و قال الجبائى كلما كان تعبد اللّه به ابراهيم، فانه تعبد به النبى (ص) و أمته و زاده أشياء لم يتعبد بها ابراهيم (ع) و عموم الآية يقتضى ما قاله، و إن كان ذلک شرعا لنبينا من حيث اعلمه اللّه ذلک، و تعبده به بوحى من جهته.

وَ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ کانَ اللَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ مُحِیطاً (126)
- آیة- لما ذکر اللّه تعالی انه اتخذ ابراهیم خلیلا لطاعته ربه و إخلاصه له العبادة، و مسارعته الی رضاه، بین ذلک بفضله لا من حاجة الی خلته فقال: و کیف یحتاج الی خلته من له ما فی السماوات و الأرض من قلیل و کثیر ملکا، و مع ذلک مستغن عن جمیع خلقه. و جمیع الخلق یحتاجون الیه فکیف یحتاج الی خلة ابراهیم، لکنه اتخذه خلیلا لمسارعته الی رضاه و امتثاله ما یأمره به.
«وَ کانَ اللَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ مُحِیطاً» یعنی لم یزل اللّه عالماً بجمیع ما فعل عباده ان کان محسناً أثابه، و ان کان مسیئاً عاقبه ان شاء.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 127]..... ص: 343

اشارة

وَ يَسْتَفْتُونَکَ فِی النِّساءِ قُلِ اللَّهُ یُفْتِیکُمْ فِیهِنَّ وَ ما یُتْلی عَلَیْکُمْ فِی الْکِتابِ فِی یَتامَی النِّساءِ اللاَّتِی لا تُؤْتُونَهُنَّ ما کُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْکِحُوهُنَّ وَ الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الْوِلْدانِ وَ أَنْ تَقُومُوا لِلْیَتامی بِالْقِسْطِ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ کانَ بِهِ عَلِیماً (127)
آیة بلا خلاف.

يسألک يا محمد، أصحابک ان تفتيهم فى أمر النساء، و الواجب لهن و عليهن.
و اكتفى بذكر النساء من ذكر شأنهن لدلالة الكلام على المراد «قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ» يعنى قل يا محمد، انه يفتيكم فيهن يعنى فى النساء و ما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن.

و اختلفوا فى اعراب (ما يتلى). قال الزجاج و الفراء معاً: يحتمل ان يكون موضع (ما) رفعاً و التقدير فى قول الزجاج، و الذى يتلى عليكم فى الكتاب أيضاً يفتيكم فيه. و قال الفراء تقديره الله يوصيكم فيهن و ما يتلى عليكم. و قالا جميعاً يجوز ان يكون موضع (ما) خفضاً بالعطف على فيهن إلا ان الزجاج ضعف هذا و قال:
هذا بعيد لان عطف المظهر على المضمر لا يجوز. و قال الفراء: يجوز على تقدير فيهن و ما يتلى عليكم.
و اختلفوا فى تأويل «وَ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ فِى الْكِتابِ فِى يَتامَى النِّساءِ اللَّاتِى لا تُؤْتُونَهُنَّ ما كُتِبَ لَهُنَّ» فقال قوم: الذى يتلى عليكم هو آيات الفرائض التى فى أول السورة. روى ذلك سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:
كان اهل الجاهلية التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 344
لا يورثون المولود حتى يكبر، و لا يورثون المرأة، فانزل اللَّه آية الميراث أول السورة، و هو معنى «اللَّاتِى لا تُؤْتُونَهُنَّ ما كُتِبَ لَهُنَّ» . و به قال مجاهد: و روى ذلك عن أبى جعفر (ع).
و قال قوم: كان الرجل تكون فى حجره اليتيمة بها ذمامة، و لها مال، فكان يرغب عنها ان يتزوجها و يحبسها لما لها طمعاً أن تموت فيرثها، فنزلت الآية. ذهب اليه عائشة، و قتادة و السدى و ابو مالك و ابراهيم
قال السدى: كان جابر بن عبد اللَّه الانصارى ثم السلمى له بنت عم عمياء ذميمة قد ورثت عن أبيها ما لا، فكان جابر يرغب عن نكاحها، و لا ينكحها، مخافة أن يذهب الروح بما لها فسأل النبى (ص) عن ذلك و قال: أ ترث إذا كانت عمياء؟ فقال (ص): نعم فانزل اللَّه فيه هذه الآية.
و قال قوم: معناه يفتيكم فيهن و فيما يتلى عليكم فى آخر السورة من قوله: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ» فى الكلالة ذهب اليه ابن جبير و قالت عائشة: كان الرجل تكون فى حجرة اليتيمة تشاركه فى ماله فيعجبه مالها و جمالها، فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط فى صداقها، فنهى اللَّه عن ذلك فى قوله: «وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتامى فَانْكِحُوا» من غيرهن «ما طابَ لَكُمْ» قالت: و قوله: «وَ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» هو ما ذكره فى أول السورة من قوله: «وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا» . فعلى هذه الأقوال (ما) فى موضع خفض بالعطف على الهاء و النون فى قوله: (فيهن) و التقدير قل اللَّه يفتيكم فيهن و ما يتلى عليكم، و على ما قال الفراء: قل اللَّه يفتيكم فيهن ما يتلى عليكم فى الكتاب و قال آخرون: نزلت الآية فى قوم من أصحابه (ص) سألوه عن أشياء من أمر النساء، و تركوا المسألة عن أشياء أخر كانوا يفعلونها، فأفتاهم اللَّه فيما سألوه عنه، و فيما تركوا المسألة عنه

ذهب اليه محمد بن أبى موسى. و يكون معنى قوله: و ما يتلى عليكم فى الآية التى بعدها و قيل: هم اليتامى الصغار من الذكور و الإناث. و ما بعدها قوله: «وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً» و الذى سألوا عنه، فأجيبوا ما كتب اللّه لهن من الميراث فى آية الميراث. و اختار الطبرى أن يكون المراد به آيات الفرائض قال: لأن الصداق ليس مما كتب اللّه للنساء الا بالنكاح، فما لم تنكح فلا صداق التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 345
لها عند احد.
و قوله: «وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدانِ» فى موضع جر و تقديره و فى المستضعفين من الولدان. و قيل هم اليتامى الصغار من من الذكور و الإناث، لأنهم كانوا لا يورثون الصغار من الذكور حتى يبلغ.
«وَ أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتامى» و المعنى و فى ان تقوموا لليتامى بالقسط على ما قاله فى قوله: «وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتامى» : فأمرهم أن يؤتوا المستضعفين من الولدان حقوقهم من الميراث، و يعدلوا فيهم، و يعطونهم ما فرضه اللّه لهم فى كتابه. و به قال السدى، و ابن زيد، و مجاهد، و ابن عباس.
و قوله: «وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ» معناه ترغبون عن أن تنكحوهن.
و قال الحسن فى قوله: «وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدانِ» قال: يعنى فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن أى الا يأكلوا أموالهم إلا بالقسط، يعنى بالعدل. و قال عبيدة السليمانى فيما رواه ابن سيرين عنه ان معنى (وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) ترغبون فيهن. و فى رواية ابن عون عن ابن شيرين يرغبون عنهن. و قال الحسن: يرغبون عنهن و كان عينية بن حصن يقول: يا محمد أ تعطى الوالدان المال؟ و انما يأخذ المال من يقاتل و يجوز الغنيمة، فنزل قوله: «وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدانِ» .
و قوله: «وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِهِ عَلِيماً» المعنى مهما فعلتم، أيها المؤمنون من عدل فى أمر اليتامى التى أمركم اللّه أن تقوموا فيهن بالقسط، و انتهيتم فيه إلى أمره و إلى طاعته، فان اللّه كان به عالماً لم يزل و قيل معنا إن اللّه سيجازيكم عليه كما يقول القائل أنا أعرف لک ما تفعله بمعنى اجازيک عليه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 128]..... ص: 345

اشارة

وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يُصْلِحا بَيْنَهُما صُلْحاً وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ وَ أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (128)
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 346
آية.

قرأ اهل الكوفة أن يصلحا بضم الياء و كسر اللام و بسكون الصاد. الباقون يصالحا بتشديد الصاد فمن شدد الصاد، قال معناه يتصالحاً و يكون قوله: (صلحاً) اسما لا مصدراً و من قرأ بخلافه قال: هو مصدر.

يقول اللَّه تعالى: «وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ» و معناه علمت «مِنْ بَعْلِها»، أى زوجها «نُشُوزاً» يعنى استعلاءً بنفسه عنها الى غيرها. و ارتفاعا بها عنها: إما لبغضه، و اما لكراهة منه شيئاً منها إما ذمامتها، و اما سنها و كبرها، أو غير ذلک «أَوْ إِعْراضاً» يعنى انصرافا بوجهه او ببعض منافعه التى كانت لها منه «فَلا جُناحَ عَلَيْهِما» أى لا حرج عليهما ان يصالحها بينهما صلحاً بان ترک المرأة له يومها، او تضع عنه بعض ما يجب لها. من نفقة او كسوة، و غير ذلک تستعطفه بذلک، و تستديم المقام فى حباله، و التمسک بالعقد الذى بينها و بينه من النكاح، ثم قال:

«وَ الصُّلْحُ» بترک بعض الحق استدامة للخدمة، و تمسكا بعقد النكاح خير من طلب الفرقة، و قال بعضهم: الصلح خير من النشوز، و الاعراض و الأول أشبه. هذا إذا كان بطيبة من نفسها، فان لم يكن كذلک، فلا يجوز له الا ما يسوغ فى الشرع من القيام بالكسوة و النفقة، و القسمة و إلا يطلق. و بهذه الجملة قال على عليه السلام، و عمر و ابن عباس، و سعد بن جبير و عائشة و عبيدة السلمانى، و ابراهيم و الحكم و قتادة، و مجاهد و عامر الشعبى و السدى، و ابن زيد و قال ابن عباس:

خشيت سودة بنت زمعة ان يطلقها رسول اللَّه (ص) فقالت لا تطلقنى و اجلسنى مع نسائک و لا تقسم لى، فنزلت «وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً»

و قال سعيد بن المسيب عن سليمان بن يسار. ان رافع بن خديج كانت تحته امرأة قد علا من سنها،

قال التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 347

أبو جعفر (ع) هى بنت محمد بن مسلمة، فتزوج عليها شابة فآثر الشابة عليها، فأبت الاولى أن تقر على ذلک، فطلقها تطليقة حتى إذا بقى من أجلها يسيراً قال: إن شئت راجعتک و صبرت على الاثرة، و ان شئت تركتک حتى يخلو أجلک، ثم طلقها الثانية، و فعل فيها ما فعل أولا، قالت: بل راجعنى و اصبر على الاثرة، فراجعها. فذلک الصلح الذى بلغنا أن اللَّه أنزل فيه «وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ» الآية.

و قوله: «وَ أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً» و اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم و أحضرت الأنفس النساء الشح على أنصبائهن من انفس أزواجهن و أموالهن و ايامهن منهم. ذهب اليه ابن عباس و سعد بن جبير و عطا، و ابن جريج و السدى. و يزعم انها فى سورة بنت زمعة، و رسول اللَّه (ص) لأنها كانت كبرت، فأراد رسول اللَّه (ص) ان يطلقها، فاصطلحا على ان يمسكها و يجعل يومها لعائشة،

فشحت بمكانها من رسول اللّه (ص). و قال آخرون: و أحضرت انفس كل واحد من الرجل و المرأة الشح بحقه قبل صاحبه.
و هو أعم فيكون شح المرأة بترک حقها من النفقة و القسمة و غير ذلک و شح الرجل إنفاقه على التى لا يريدها، و بذلک قال ابن وهب، و ابن زيد. و الشح: افراط فى الحرص على الشىء و يكون بالمال و بغيره من الاعراض يقال: هو شحيح بمودتک اى حريص على دوامها و لا يقال فى ذلک بخيل و البخل يكون بالمال خاصة.
قال الشاعر:
لقد كنت فى قوم عليک اشحة بفقدک إلا ان من طاح طائح
يودون لو خاطوا عليک جلودهم و هل يدفع الموت النفوس الشحائح «1»
فان قيل: قوله: «وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ» ليس فيه ان الرجل نشز على امرأة و الخوف ليس معه يقين قلنا: عنه جوابان:
أحدهما- إن الخوف فى الآية بمعنى العلم و تقديره، و إن امرأة علمت.

---

(1) مجمع البيان 2: 119- طبع صيدا- العقد الفريد 3: 247- 248.

و الثانى- انها لا تخاف النشوز من الرجل إلا و قد بدأ منه ما يدل على النشوز و الاعراض من أمارات ذلک و دلائله. و قوله: «وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ» ارتفعت المرأة بفعل مضمر دلّ عليه ما بعد الاسم، و تقديره و إن خافت امرأة خافت و التفرقة بين ان التى للجزاء «1» و الفعل الماضى قال الزجاج هو جيد، و لا يجوز ذلک فى الفعل المستقبل.
لا تقول: ان امرأة تخف، (ان) لا تفصل بينهما و بين ما يجزم و يجوز ذلک فى ضرورة الشعر قال الشاعر:
فمتى واغل بينهم يحيوه و يعطف عليه كاس الساقى «2»
و انما جاز فى الماضى مع الاختيار، لان (ان) غير عاملة فى لفظة و ان لم تكن من «3» حروف الجزاء، فجاز أن يفرق بينهما و بين الفعل، و غير ان يقبح فيه الفصل مع الماضى و المستقبل لا تقول: متى زيد جاءنى أكرمته، و يجوز ان تقول: إن اللّه أمكننى فعلت.
و قوله: «وَ إِنْ تُحْسِنُوا» خطاب للرجال يعنى ان تفعلوا الجميل بالصبر على من تكرهون من النساء، و تتقوا من الجور عليهن فى النفقة و العشرة بالمعروف، فان اللّه عالم بذلک. و كان عالماً بما تعملون فيما قبل فيجازيكم على ذلک.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 129]..... ص: 348

اشارة

وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ وَ لَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَةِ وَ إِنْ تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (129)
آية بلا خلاف.

_____

(1) فى المطبوعة (التى الجزاء).
(2) لسان العرب: (وغل) و مجمع البيان 2: 119 الواغل: الداخل على القوم فى طعامهم- و قيل: فى شرابهم- دون أن يدعوه أو منفق معهم: و فى رواية أخرى: و تعطف على كف الساقى.
(3) فى المطبوعة (و ان أم حروف الجزاء).

نفى اللَّه تعالى فى هذه الآية ان يقدر احد من عباده على التسوية بين النساء و الازواج فى حبهنّ و الميل إليهن حتى لا يكون ميله الى واحدة منهنّ الا مثل ما يميل الى الاخرى. لان ذلک تابع لما فيه من الشهوة، و ميل الطبع. و ذلک من فعل اللَّه تعالى، و لا صنع للخلق فيه، و ان حرص على ذلک كل الحرص. و ليس يريد بذلک نفى القدرة على التسوية بينهن فى النفقة، و الكسوة و القسمة، لأنه لو كان كذلک لما امر اللَّه تعالى بالتسوية فى جميع ذلک، لأنه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه. كما قال: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» «1» و قال: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا ما آتاها» «2» و لا تجوز المناقضة فى كلامه تعالى. و لو حملنا على انه نفى الاستطاعة فى التسوية بينهن فى النفقة، جاز أن يكون المراد به ان ذلک لا يخف عليكم بل يثقل و يشق عليكم تسويتهن، لميلكم الى بعضهن، فأباح اللَّه تعالى حينئذ و رخص ان يفضل بعضهن على بعض فى ما زاد على الواجب من القسمة و النفقة، و لا يؤاخذه بذلک.

و

قوله: «فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ» معناه فلا تعدلوا بأهوائكم عمن لم تملكوا محبته منهن كل الميل حتى يحملكم ذلک على أن تجوروا على صواحبها فى ترک أداء الواجب لهن عليكم من حق القسمة، و النفقة و الكسوة، و العشرة بالمعروف، «فَتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَةِ»، يعنى تذروا التى لا تميلون اليها كالمعلقة يعنى كالتى هى لا ذات زوج، و لا هى ايم. و به قال مجاهد و عبيدة، و الحسن و ابن عباس و قتادة و ابن زيد و الضحاک و سفيان، و الطبرى و الجبائى و البلخى و غيرهم. و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و ابن عبد اللَّه (عليه السلام).

و روى ابو ملكية أن الآية نزلت فى عائشة

و روى ابو قلابة عن رسول اللَّه (ص) انه كان يقسم بين نسائه و يقول: اللهم هذه قسمتى فى ما املک فلا تلمنى فيما تملک، و لا املک

و قوله:

«وَ إِنْ تُصْلِحُوا» يعنى فى القسمة بين الازواج و التسوية بينهن فى النفقة،

---

(1) سورة البقرة، آية 286.

(2) سورة الطلاق، آية 7.

و الكسوة و العشرة بالمعروف، و تتركوا الميل «1» الذى نهاكم اللَّه عنه، من تفضيل واحدة على الاخرى فى ذلک، «فَإِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً» تستر

عليكم ما مضى منكم من الحيف فى ذلک إذا تبتم، و رجعتم الى الاستقامة و التسوية بينهن، و يرحمكم بترک المؤاخذة على ذلک، و كذلک كان يفعل فيما مضى مع غيركم يعنى فى قبول التوبة من «2» كل تائب مقلع نادم على ما فرط و

روى عن على (عليه السلام) انه كان له امرأتان، فكان إذا كان يوم واحدة لا يتوضأ فى بيت الاخرى.

و روى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابائه (عليهم السلام) ان النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان يقسم بين نسائه فى مرضه. فيطاف [به] «3» بينهن

، و كان معاذ بن جبل له امرأتان ماتتا فى الطاعون أقرع بينهما أيهما تدفن قبل الأخرى؟.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 130]..... ص: 350

اشارة

وَ إِنْ يَتَفَرَّقا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَ كانَ اللَّهُ واسِعاً حَكِيماً (130) آية

إن الزوجين اللذين تقدم ذكرهما، متى أبى كل واحد منهما مصالحة الآخر فان تطالب المرأة بنصيبها من القسمة و النفقة و الكسوة و يمتنع الزوج من إجابتها الى ذلک، لميله إلى الاخرى و محبته لها، أو لصغر سنها أو جمالها و يتفرقا حينئذ بالطلاق، فإن اللّه يغنى كل واحد منهما من سعته يعنى من فضله و رزقه «وَ كانَ اللَّهُ واسِعاً حَكِيماً» يعنى كان لم يزل هكذا واسع الفضل على عبادة، رحيما بهم فى ما يدبرهم به و فى الآية دليل على ان الأرزاق كلها بيد اللّه و هو الذى يتولاها

---

(1) المطبوعة (و كل)

(2) من ساقطة المطبوعة

(3) (به) ساقطة من المطبوعة و التصحيح عن مجمع البيان و السياق يقتضى ذلک أيضاً.

لعباده و إن كان ربما أجراها على يدى من يشاء من عباده و قال ابن عباس: «كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ» يعنى من رزقه و هذه الجملة بها قال مجاهد و جميع المفسرين.

وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً (131) وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً (132) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَ يَأْتِ بِآخَرِينَ وَ كانَ اللَّهُ عَلى ذلِكَ قَدِيراً (133) مَنْ كانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ كانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً (134)

اربع آيات.

لما ذكر اللَّه تعالى قوله: و أن يتفرقا يغن اللَّه كلًا من سعته بين فى هذه الآية بان له ملک ما فى السموات و ما فى الأرض، لا يتعذر عليه إغناء كل واحد من الزوجين عند التفرق، و إيناسه من وحشته ثم رجع إلى توبيخ من سعى فى أمر بنى أبيرق و تعنيفهم، و وعيد من فعل فعل المرتد منهم، فقال: و لقد وصينا أهل التوراة و الإنجيل و هم الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و إياكم أى و أمرناكم أيضاً أيها الخلق «أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ» و التقدير بان اتقوا اللَّه و احذروا أن تعصوه، و تخالفوا أمره و نهيه «وَ إِنْ تَكْفُرُوا» يعنى تجحدوا وصيته إياكم أيها المؤمنون، فتخالفوها، «فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» يعنى له ملک ما فيهما، فلا يستحضر بخلافكم وصيته و لا ان تكونوا أمثال اليهود و النصارى، بل تضرون أنفسكم بما يحل بكم من عقابه، و غضبه «وَ كانَ اللَّهُ غَنِيًّا» لم يزل، غير محتاج إلى خلقه و إن الخلق

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 352

هم المحتاجون إليه (حميداً) يعنى مستوجب الحمد عليكم بصنائعه الحميدة إليكم، و آلائه الجميلة، فاستدعوا ذلک باتفاء معاصيه، و المسارعة إلى طاعته فيما يأمركم به و هذه الجملة مروية عن على (عليه السلام) و هو قول جميع المفسرين، ثم قال:

«وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» بمعنى له ملک ما فيهما، و هو القيم بجميعه و الحافظ له لا يغرب عنه علم شىء و لا يؤوده حفظه و تدبيره «وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا» يعنى كفى اللَّه حافظاً. فان قيل لم كرر قوله: «وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» الآيتين، إحداهما عقيب الاخرى؟ قلنا: لاختلاف الخبرين: الاول فى الآية الأولى عن حاجة الخلق إلى بارئه، و غناه تعالى عن خلقه، و فى الثانية حفظ اللَّه تعالى إياهم و علمه بهم، و تدبيره لهم فان قيل: هلا قال: و كان اللَّه غنياً حميداً أو كفى به وكيلا؟ قيل: ما ذكره فى الآية الاولى يصلح ان يختم به وصف اللَّه تعالى بالغناء و أنه محمود، و لم يذكر فيها ما يقتضى وصفه بالحفظ و التدبير، فلذلک كرر قوله: «وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ».

و قوله: «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ» معناه، ان يشأ اللّه ايها الناس ان يهلككم، و يفنيكم و يأت بقوم آخرين غيركم ينصرون نبيه محمد (ص) و يؤازرونه، كان اللّه تعالى على ذلک قديراً، فوبخ تعالى بهذه الآيات الخائنين الذين خانوا الدرع «1» و ساعدوهم على ذلک، و دافعوا عنهم و حذر أصحاب النبى (ص) أن يكونوا مثلهم و ان يفعلوا فعل المرتد منهم فى ارتداده و لحاقه بالمشركين و بين أن من فعل ذلک لا يضر إلا نفسه، لأنه المحتاج إليه (تعالى) و غناه عنه (عز و جل) و عن جميع الخلق
و روى عن النبى (ص) انه لما نزلت هذه الآية ضرب بيده على ظهر سلمان، فقال: هم قوم هذا رواه ابو هريرة عن النبى (ص)
، ثم أخبر (تعالى) من كان ممن أظهر الايمان بمحمد (ص) من أهل النفاق الذين يبطنون الكفر، و يظهرون الايمان. يريد ثواب الدنيا يعنى عرض الدنيا بإظهاره بلسانه فى الايمان، «فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْيا» يعنى جزاؤه فى الدنيا منها، و ثوابه فيها هو ما يأخذ من الفىء و الغنيمة إذا شهد مع

---

(1)- انظر تفسير آية (105) من سورة النساء.

المسلمين الحرب، و أمنه على نفسه و ماله و ذريته. و أما ثوابه فى الآخرة فنار جهنم.
«وَ كانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً» يعنى انه كان لم يزل على صفة يجب ان يسمع المسموعات إذا وجدت، و يبصر المبصرات إذا وجدت. و هذه الصفة هى كونه حياً لا آفة فيه و الصفة حاصلة له فى الأزل و الآفات مستحيلة عليه، فوجب وصفه بانه سميع بصير و انما ذكر ها هنا ذلک، ليبين ان ما يقوله المنافقون إذا لقوا المؤمنين فان اللّه يسمعه و يعلمه و هو قولهم: إنا مؤمنون بصيراً بما يضمرونه و ينطوون عليه من النفاق. و موضع كان فى قوله: «من كان» جزم، لأنه شرط و الجواب الفاء. و ارتفعت (يريد) لأنه ليس فيها حرف عطف كما قال: «مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها» «1» و قال: (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها) «2» جزم، لأنه جواب الشرط.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 135]..... ص: 353

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تَعْدِلُوا وَ إِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (135) - آية-

قرأ ابن عامر و حمزه (و إن تلوا) بضم اللام، بعدها واو واحدة ساكنة.
الباقون يسكنون اللام بواوين بعدها أولهما مضمومة. حجة من قرأ بواو واحدة أن قال: إن ولاية الشيء اقبال عليه و خلاف الاعراض عنه. و المعنى ان تقبلوا أو تعرضوا فان اللّه كان بما تعملون خبيراً فيجازى المحسن المقبل بإحسانه، و المسىء المعرض

---

(1) سورة هود، آية 10. [.....]
(2) سورة الشورى، آية 20.

باعراضه و تركه الإقبال على ما يلزمه ان يقبل عليه قال: و لو قرأت بالواوين، لكان فيه تكرار، لان اللى كالاعراض أ لا ترى ان قوله: «لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ» «1» معناه أعراض منهم، و ترک الانقياد للحق و مثله «لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ» «2» معناه انحراف و أخذ فيما لا ينبغى ان يأخذوا به. و حجة من قرأ بالواوين من لووا ان تقول لا يمتنع ان تتكرر اللفظتان المختلفتان بمعنى واحد على وجه التأكيد، كقوله: «فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» و كقول الشاعر:
و هند اتى من دونها النأى و البعد «3»
و قول آخر:
و الفى قولها كذباً و ميتاً
و قالوا: أيضا يجوز ان يكون تلوا كان أصله تلووا، و ان الواو التى هى عين همزت لانضمامها، كما همزت فى قوله: (أدروا) و ألقيت حركة الهمزة على اللام التى هى فاء، فصار تلوا أجاز ذلک الزجاج و الفراء و أبو على الفارسى.

و معنى الآية ان اللَّه تعالى لما حكى عن الذين سعوا إلى رسول اللَّه فى امر بنى أبيرق و قيامهم لهم بالعذر، و ذبهم عنهم من حيث كانوا أهل فقر و فاقة، أمر اللّه المؤمنين ان يكونوا «قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ» يعنى بالعدل و القسط، و الاقساط: العدل يقال: أقسط الرجل إقساطا إذا عدل و أتى بالقسط و قسط يقسط قسوطاً: إذا أجاز و قسط البعير يقسط قسطاً إذا يبصت يده و يد قسط، أى يابسة (شهد اللّه) و هو جمع شهيد و نصب شهداء على الحال من الضمير فى قوله: (قوامين) و هو ضمير الذين آمنوا و قوله: «وَ لَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ» يعنى و لو كانت شهادتكم على أنفسكم أو على والديكم او على أقرب الناس إليكم، فقوموا فيها بالقسط و العدل، و أقيموها على صحتها، و قولوا فيها الحق، و لا تميلوا فيها لغنى غنى، و لا فقر فقير، فتجوروا، فان اللّه قد سوى بين الغنى و الفقير فيما ألزمكم من إقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل، و هو

---

(1) سورة المنافقون آية 5.
(2) سورة النساء، آية 45.
(3) قائله الحطيئة صدر البيت: الا حبذا هند و أرض بها هند.

تعالى أولى بهما و أحق، لأنه مالكهما و إلههما دونكم و هو اعلم بما فيه مصلحة كل واحد منهما فى ذلك، و فى غيره من الأمور كلها منكم، فلا تتبعوا الهوى فى الميل فى شهادتكم إذا قمتم بها لغنى أو فقير الى أحدهما، فتعدلوا عن الحق أى تجوزوا عنه و تضلوا و لكن قوموا بالقسط، و أدوا الشهادة على ما أمركم اللّه عز و جل بأدائها بالعدل لمن شهدتم عليه و له، فان قيل كيف تكون شهادة الإنسان على نفسه حتى يأمر اللّه تعالى بذلك، قلنا: بان يكون عليه حق لغيره، فيقر له و لا يجحده، فأدب اللّه تعالى المؤمنين أن يفعلوا ما فعله الذين عذروا بنى أبيرق فى سرقتهم ما سرقوا: و خيانتهم ما خانوا و اضافتهم ذلك الى غيرهم فهذا اختيار الطبرى. و قال السدى: انها نزلت فى النبى (ص) و قد اختصم اليه رجلان غنى و فقير، فكان ضلعه مع الفقير، لظنه أن الفقير لا يظلم الغنى، فابى اللّه تعالى إلا القيام بالقسط فى أمر الغنى و الفقير قال: «إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما» و هذا الوجه فيه بعد، لأنه لا يجوز على النبى (ص) فى الحكم ان يميل إلى احد الخصمين سواء كان غنياً أو فقيراً فان ذلك ينافى عصمته و قال ابن عباس: أمر اللَّه سبحانه المؤمنين أن يقولوا الحق و لو على أنفسهم، او أبنائهم، و لا يجابوا غنياً لغناه، و لا مسكيناً لمسكنته و هذا هو

الاولى، لأنه أليق بالظاهر من غير عدول عنه. و فى الاية دلالة على جواز شهادة الوالد لولده و الولد لوالده، و كل ذى قرابة لمن يقرب منه، فقال ابن شهاب: كان سلف المسلمين على ذلک حتى دخل الناس فيما بعدتهم، و ظهرت فيهم امور حملت الولاة على اتهامهم، فتركت شهادة من يتم إذا كان من اقربائهم و جاز ذلک من الولد و الوالد و الأخ و الزوج و المرأة و بمعنى قول ابن عباس، قال قتادة، و ابن زيد.
و قوله: «فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما» إنما ثنى، و لم يقل به لأنه أراد (فاللَّه اولى بغناء الغنى و فقر الفقير) لأن ذلک منه تعالى و قال قوم: لم يقصد غنياً بعينه، و لا فقيراً بعينه التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 356
و هو مجهول و ما ذلک حكمه جاز الردّ عليه التوحيد و التثنية و الجميع. و فى قراءة أبى (فاللَّه اولى بهم) و قال قوم: (او) بمعنى الواو فى هذا الموضع، فلذلک ثنى و قال آخرون: جاز تثنية قوله (بهما)، لأنهما قد ذكرا، كما قيل: و له أخ أو أخت فلكل واحد منهما و قيل جاز ذلک، لأنه أضمر فيه (من) كأنه قال: و له أخ او اخت إن يكون من خاصم غنياً او فقيراً، بمعنى غنيين أو فقيرين «فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما».
و قوله: «فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تَعْدِلُوا» يحتمل ثلاثة أوجه:
أحدها- لا تتبعوا الهوى فى ان تعدلوا عن الحق، فتجوروا بترک إقامة الشهادة بالحق.
و الثانى- ان يكون التقدير لا تتبعوا أهواء أنفسكم هرباً من ان تعدلوا فى إقامة الشهادة.
و الثالث- فلا تتبعوا الهوى، لتعدلوا، كما يقال: لا تتبع هواک لترضى ربک، بمعنى أنهاک عنه كيما ترضى ربک بتركه. ذكره الفراء و الزجاج.
و قوله: «وَ إِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا» اختلفوا فى تأويله فقال قوم: معناه و ان تلووا أيها الحكام فى الحكم لاحد الخصمين على الاخر، أو تعرضوا فان اللَّه كان بما تعملون خبيراً و حملوا الاية على انها نزلت فى الحكام ذهب اليه السدى على ما قال:
إنها نزلت فى النبى (ص) و روى عن ابن عباس أنه قال: هما الرجلان يجلسان بين يدى القاضى، فيكون لى القاضى و اعراضه لأحدهما على الاخر
و قال اخرون:
معناه و ان تلوا ايها الشهداء فى شهادتكم، فتحرفوها، فلا تقيموها أو تعرضوا عنها، فتركوها ذهب اليه ابن عباس و مجاهد و قال مجاهد:
معنى تلووا تبدلوا الشهادة أو تعرضوا أى تكتموها و هو قول أبى جعفر (ع)
و به قال ابن زيد و الضحاک و أولى التأويلين قول من قال: إنه لى الشهادة لمن شهد له أو عليه بان يحرفها بلسانه أو يتركها، فلا يقيمها، ليبطل بذلک شهادته و أعراضه عنها فلو ترک إقامتها فلا يشهد بها. و سياق الآية يدل على ما قِال ابن عباس و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً» معناه انه

كان عالماً بما يكون منهم من اقامةَ الشهادة، وَ تحريفها و الاَعراض عنها، و اللى التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 357
هو المطل لما يجب من الحق قال الأعشى:
يلوينني دينى النهار و اقتضى دينى إذا رقد النعاس الرقدا «1»

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 136]..... ص: 357

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِی نَزَّلَ عَلی رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِی أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً (136)

- آية-

قرأ ابن كثير و أبو عمر و ابن عامر و الكسائى عن أبى بكر «الكتاب الذى نزل و الكتاب الذى أنزل» بضم النون، و الهمزة و كسر الزاء الباقون بفتحهما، فمن فتحهما حمله على قوله: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ» و قوله: «وَ أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الذِّكْرَ» و من ضمها حملهما على قوله: «لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» و قوله: «يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ» و كل جيد سايغ.
قيل فى تأويل أمر من آمن- آمن يؤمن- باللّه و رسوله ثلاثة اقوال:
أحدها- و هو المعتمد عليه عندنا و اللائق بمذهبنا ان المعنى يا أيها الذين آمنوا فى الظاهر بالإقرار باللّه و رسوله، و صدقوهما، و آمنوا باللّه و رسوله فى الباطن، ليطابق باطنكم ظاهركم و يكون الخطاب خاصا بالمنافقين الذين كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون. و الكتاب الذى نزل على رسوله هو القرآن أمرهم بالتصديق به و الكتاب الذى انزل من قبل، يعنى التوراة و الإنجيل أمرهم بالتصديق بهما. و انهما من عند اللّه.
و الثانى- ما اختاره الجبائى و الزجاج و البلخى ان يكون ذلک خطاباً لجميع المؤمنين

---

(1) ديوانه من قصيدة قالها لكسرى حين أراد منهم رهائن لما أغار الحارث بن و علة على بعض السواء و رقمها: 34. يلوينني: يمطلنني.

الذين هم مؤمنون على الحقيقة ظاهراً أو باطناً أمرهم اللّه تعالى أن يؤمنوا به فى المستقبل بان يستديموا الايمان، و لا ينتقلوا عنه، لان الايمان الذى هو التصديق لا يبقى و انما يستمر بان يجدده الإنسان حالا بعد حال و هذا أيضاً وجه جيد.
الثالث- ما اختاره الطبرى من ان ذلک خطاب لأهل الكتاب اليهود و النصارى أمرهم اللّه (تعالى) بان يؤمنوا بالنبى (ص)، و الكتاب الذى أنزل عليه كما آمنوا بما معهم من الكتب: التوراة و الإنجيل و يكون قوله: «وَ الْكِتابِ الَّذِى أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ» اشارة الى ما معهم من الإنجيل و التوراة و يكون وجه أمرهم بالتصديق لهما و ان كانوا مصدقين بهما، لاحد أمرين:
أحدهما- ان التوراة و الإنجيل إذا كان فيهما صفات النبى (ص)، و ما ينبئ عن صدق قوله و صحة نبوته فمن لم يصدق النبى (ص)، و لم يصدق الكتاب الذى أنزل معه، لا يكون مصدقاً بما معه، لان فى تكذيبه، تكذيب ما معه من التوراة و الإنجيل، فيجب عليه أن يصدق النبى (ص) و يقر بما انزل عليه، ليكون مصدقاً بما معه، و معترفاً به. و الثانى- أن يكون متوجهاً إلى اليهود الذين آمنوا بالتوراة دون الإنجيل و القرآن، فيكون اللّه أمرهم بالإقرار

بمحمد (صلى اللّه عليه و آله) و بما انزل من قبل يعنى الإنجيل و ذلک لا يصح الا بالإقرار بعيسى (عليه السلام) أيضاً و انه نبى من قبل اللَّه و قوله: «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» معناه ان من كفر بمحمد (ص) فيجحد نبوته و يجحد ما أنزله اللَّه عليه، فكأنه جحد جميع ذلک، لأنه لا يصح ايمان احد من الخلق الا بالايمان بما أمره اللَّه بالايمان به، و الكفر بشىء منه كفر بجميعه فكذلک قال: «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» فعقب خطابه لأهل الكتاب و أمره إياهم بالايمان بمحمد (ص) تهديداً لهم، و ان كانوا مقرين بوحدانية اللَّه تعالى و الملائكة و الكتب و الرسل، و اليوم الآخر سوى محمد (صلى اللَّه عليه و آله) و ما جاء به من القرآن فبين لهم ان من جحد محمداً بنبوته لا ينفعه الايمان بشىء سواه، و يكون وجوده و عدمه سواء و قوله: «فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً» معناه فقد ذهب عن قصد السبيل و جاز التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 359
عن محجة الطريق ألى المهالک ضلالا ذهاباً، و جوراً بعيداً.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 137]..... ص: 359

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً (137)
آية واحدة.

قيل فى المعنى بهذه الآية ثلاثة اقوال:
[الأول] قال قتادة عنى بذلک الذين امنوا بموسى، ثم كفروا بان عبدوا العجل، ثم آمنوا يعنى النصارى بعيسى، ثم كفروا به، ثم ازدادوا كفراً بنبوة محمد (ص) و قال الزجاج و الفراء: آمنوا بموسى، و كفروا بعزير، ثم امنوا بعزير، ثم كفروا بعيسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد (ص).
و الثانى- قال مجاهد و ابن زيد يعنى بذلک أهل النفاق أنهم آمنوا، ثم ارتدوا ثم آمنوا، ثم ارتدوا، ثم ازدادوا كفراً بموتهم على كفرهم.
و الثالث- قال ابو العالية: هم اليهود و النصارى أذنبوا ذنباً فى شركهم، ثم تابوا فلم تقبل توبتهم، و لو تابوا من الشرک لقبل منهم و أقوى الأقوال عندنا قول مجاهد، لان المؤمن على الحقيقة عندنا لا يجوز أن يكفر، لان الايمان يستحق عليه الثواب الدائم و الكفر يستحق عليه العقاب الدائم بلا خلاف فيهما و الاحتياط عندنا باطل، فلو أجزنا الارتداد بعد الايمان الحقيقى لادى إلى اجتماع استحقاق الثواب الدائم و العقاب الدائم و الإجماع بخلافه و اختار الطبرى الوجه الاول و قال الجبائى و البلخى يجوز ان تكون الآية نزلت فى قوم كانوا آمنوا ثم ارتدوا، ثم آمنوا ثم كفروا، ثم ازدادوا كفراً و قوله:
«لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ» معناه لم يكن اللَّه ليغفر لهم بالايمان الثانى الكفر

المتقدم، لأنه لما ارتد فيما بعد، دلّ على ان ما تقدم، لم يكن ايماناً فلا يستحق به غفران عقاب الكفر المتقدم و هو الذى اختاره الزجاج و قال البلخى و الزجاج: لم يكن اللَّه ليغفر لهم إذا لم يتوبوا منه و هذا الذى ذكروه لا يصح، لان الكفر على كل حال و لو مرة واحدة، لا يغفر اللَّه الا بالتوبة، فلا معنى لنفى الغفران عن كفر بعد إيمان تقدمه كفر تقدمه ايمان.
و قوله: «وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا» معناه لا يهديهم سبيل الجنة و الثواب فيها، لأنهم غير مستحقين له و يحتمل ان يكون المراد بذلک أنه لا يلطف لهم فيما بعد بل يخذلهم عقوبة لهم على كفرهم المتقدم. و لا يجوز ان يكون المراد به أنه لا ينصب لهم الدلالة، لأن نصب الأدلة قد تقدم فى التكليف الاول و المرتد عندنا على ضربين:
أحدهما- لا يستتاب و يقتل على كل حال و هو من ولد على فطرة الإسلام بين مسلمين متى كفر فانه يقتل على كل حال. و الآخر و هو
من كان كافراً فاسلم، ثم ارتد فانه يستتاب ثلاثاً فان تاب و الا قتل، و لا يستتاب اكثر من ذلک. و به قال على عليه السلام
و ابن عمر. و قال قوم: يستتاب ابداً. ذهب اليه ابراهيم و غيره. و اختاره

الطبرى. و المرأة تستتاب على كل حال فان تابت، و الا خلدت فى السجن و لا تقتل بحال و فى ذلک خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): الآيات 138 الى 139]..... ص: 360

اشارة

بَشِّرِ الْمُنافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَ يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً (139)
آيتان بلا خلاف.

معنى قوله «بَشِّرِ الْمُنافِقِينَ» جعل موضع بشارتهم لهم العذاب و العرب تقول:
تحيتک الضرب و عقابک السيف، أى بدلا من ذلک. قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 361
و خيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب و جميع
امر اللَّه (تعالى نبيه) ان يبشر المنافقين بان لهم عذاباً أليما و هو المؤلم الموجع.
على نفاقهم، ثم وصف هؤلاء المنافقين فقال: (الذين يتخذون) أهل الكفر باللّه و نبيه اولياء يعنى أنصارا و أحلافا من دون المؤمنين يعنى من غيرهم، ثم قال:
«يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ» معناه يطلبون عندهم المنفعة و القوة باتخاذهم اولياء من دون اهل الايمان به (تعالى)، ثم أخبر ان العزة بأجمعها له (تعالى) و ان هؤلاء الذين يطلبون من جهنم العزة و المنعة، لا منعة عندهم، بل النصر و المنعة من عند اللّه الذى له العزة و المنعة الذى يعز من يشاء، و يذل من يشاء. و اصل العزة الشدة و منه قيل للأرض الصلبة الشديدة: عزاز و يقال: استعز المريض إذا اشتد مرضه و تعزز اللحم: إذا اشتد و منه قيل: عز علىّ ان يكون كذا، اى اشتد علىّ و منه قولهم: (من عزّ بزّ) أى من غلب سلب. و قولهم: عزّ الشىء معناه صعب وجوده و اشتد حصوله.

وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَ الْكافِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعاً (140)

- آية- قرأ عاصم و يعقوب (و قد نزل) بفتح النون و الزاى و تشديده. الباقون بضم النون و كسر الزاى و المنزل فى الكتاب. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 362

قوله تعالى:

اعلم اللَّه تعالى فى هذه الآية المؤمنين ان المنافقين يهزءون بكتاب اللَّه الذى هو القرآن، و أمرهم ان لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا، يعنى يأخذوا فى حديث غير القرآن، ثم قال: انكم ان جالستموهم على الخوض فى كتاب اللَّه و الهزء به، فأنتم مثلهم، و انما حكم بأنهم مثلهم متى رضوا بما هم فيه، و لم ينكروا عليهم مع القدرة على الإنكار، و لم يظهروا كراهية، فإنهم متى كانوا راضين بالكفر، كانوا كفاراً، لان الرضاء بالكفر كفر. و فى الآية دلالة على وجوب انكار المنكر مع القدرة على ذلك، و زوال العذر عنه. و إن من ترك ذلك مع القدرة عليه كان مخطئاً آثماً. و كذلك فيها دلالة على انه لا يجوز مجالسة الفساق، و المبتدعين من اى نوع كان. و به قال جماعة من المفسرين. ذهب اليه ابو وائل، و ابراهيم و عبد اللَّه. و قال ابراهيم: من ذلك إذا تكلم الرجل فى مجلس بكذب، يضحك منه جلساؤه، فسخط اللَّه عليهم. و به قال عمر بن عبد العزيز و قيل: إنه ضرب صائماً كان قاعداً مع قوم يشربون الخمر. و قال ابن عباس: امر اللَّه بذلك الإنفاق، و نهاهم عن الاختلاف و الفرقة، و المراء و الخصومة. و به قال الطبرى و الجبائى و البلخى و جماعة من المفسرين.

قال ابو على الجبائى: اما الكون بالقرب منهم بحيث يسمع صوتهم و لا يقدر على إنكاره، فليس بمحظور، و انما المحظور مجالستهم من غير اظهار كراهية ما سمعه أو يراه. و قوله: (إِنَّ اللَّهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَ الْكافِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعاً) و معناه ان اللَّه يجمع الفريقين من اهل الكفر، و النفاق فى القيامة فى النار. و العقوبة فيها كما اتفقوا فى الدنيا على عداوة المؤمنين، و المؤازرة عليهم. قال الجبائى: فى الآية دلالة على بطلان قول الأصم، و نفاة الاعراض و قولهم: انه ليس ها هنا غير الأجسام، لأنه التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 363

قال: «حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ» فاثبت غيراً لما كانوا فيه. و ذلك هو العرض.

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قالُوا أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَ إِنْ كانَ لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ قالُوا أَ لَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَ نَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (141)

آية بلا خلاف.

(الذين) فى موضع خفض صفة للمنافقين و الكافرين فى قوله: «إِنَّ اللَّهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَ الْكافِرِينَ» .

أخبر اللّه تعالى عن هؤلاء المنافقين أنهم يتربصون بالمؤمنين الى ينتظرون بهم فان فتح اللّه على المؤمنين فتحاً من عدوهم، فأفاء عليهم فيئاً من الغنائم، قالوا لهم ا لم نكن معكم نجاهد عدوكم و نغزوهم معكم، فاعطونا نصيبنا من الغنيمة، فانا شهدنا القتال و ان كان للكافرين نصيب أى حظ باصابتهم من المؤمنين، و ليس المراد بذلك ان لهم نصيباً من اللّه، لأنه (تعالى) لم يجعل لهم غلبة المسلمين، و لا أباح لهم شيئاً من أموالهم، بل حظر ذلك عليهم. و قوله: «قالُوا» يعنى قال المنافقون للكافرين:

الم نستحوذ عليكم بمعنى ا لم نغلب عليكم؟ فى قول السدى. و قال ابن جريج: معناه أ لم نبين لكم انا على ما أنتم عليه و الاستحواذ الغلبة و منه قوله: «اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ» و معناه غلب عليهم. يقال منه: حاذ عليه يحوذ. و استحاذ يستحيذ. و حاذ يحيذ. قال العجاج يصف ثوراً و كلاماً:

يحوذهن و له حوذى «1»

و أنشده ابو عبيدة و الاصمعى بالزاى يحوزهنّ و له حوزى و المعنيان

---

(1) اللسان (حوذ). ديوانه: 71 و مجاز القرآن لابى عبيده 1: 141 و يده: خوف الخلاط فهو اجنبى كما يحوذ الفئة الكمى.

متقاربان. و قال لبيد فى صفة عير و أتن على احاذ.

إذا اجتمعت و احوذ جانبيها و أوردها على عوج طوال «1»

العوج الطوال القوائم. و قيل: هى النخيل الطوال. فمعنى احوذ جانبيها لم يشذ منها شىء. و الاحوذ: الجاد المنكمش الخفيف فى أموره كلها. و كان القياس يقتضى أن يقول: استحاذ، لان الواو إذا كانت عين الفعل و كانت محركة بالفتح، و ما قبلها ساكن تقلب حركتها الى فاء الفعل و قلبوها الفاً اتباعا لحركة ما قبلها.

كقولهم: استحاذ و استبان و استنار و استعاذ باللّه و ها هنا تركت على

الأصل و هى لغة القرآن. و قوله: «وَ نَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» يعنى يقول المنافقون الكافرون منعنا المؤمنين منكم بتخذيلنا إياهم، و اطلاعنا إياكم على اخبارهم، و كوننا عيونا لكم حتى انصرفوا عنكم و غلبتموهم. و قوله: (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ) اخبار منه (تعالى) انه الذى يحكم بين الخلائق يوم القيامة و يفصل بينهم بالحق، و ينصر المؤمنين
«وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا» اى بالغلبة و القهر. و ان حملناه على دار الدنيا يمكن حمله على انه لا يجعل لهم عليهم سبيلا بالحجة، و ان جاز ان يغلبوهم بالقوة، لكن المؤمنين منصورون بالحجة و الدالة. و بالتأويل الاول قال على (عليه السلام)
: و السدى و ابو مالک و ابن عباس. قال السدى: السبيل- ها هنا- الحجة. و بالثانى قال: الزجاج و الجبائى و البلخى. و قال الجبائى: و لو حملنا ذلک على الغلبة، كان أيضاً صحيحاً، لان غلبة الكفار للمؤمنين ليس مما فعله اللَّه، لان ذلک قبيح، و اللَّه لا يفعل القبيح. و ليس كذلک غلبة المؤمنين للكفار، لأنه حسن و طاعة، فكان ذلک منسوباً الى اللَّه (تعالى).

إِنَّ الْمُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ وَ إِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى يُراؤُنَ النَّاسَ وَ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (142) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لا إِلى هؤُلاءِ وَ لا إِلى هؤُلاءِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (143)

---

(1) اللسان (حوذ). القصيدة: 17 و بعده:
رفعن سرادقاً فى يوم ريح يصفق بين ميل و اعتدال.

آيتان.
- قد بينا- فى اوّل البقرة معنى الخداع من المنافقين، و من اللَّه (تعالى) و جملته ان الخداع من المنافقين اظهارهم الايمان الذى حقنوا به دماءهم و أموالهم، كما حقن المؤمنون على الحقيقة. و قال: الحسن و الزجاج و الازهرى ان معناه يخادعون نبى اللَّه فسماه خداعا للَّه للاختصاص، كما قال: إن الذين يبايعونک انما يبايعون اللَّه فسمى مبايعة النبى (ص) مبايعة للَّه، للاختصاص، لأنه بأمره. و معنى الخداع من اللَّه يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يجازيهم على خداعهم فسمى الجزاء باسم الشىء، للازدواج، كما قال: «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» و الجزاء ليس بسيئة. و قال: «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ» و اللَّه لا يمكر، غير انه يجازى عليه.
و الثانى- ما حكم اللَّه فيهم من منع دمائهم بما اظهروه من الايمان بلسانهم منع علمه بباطنهم، و اعتقادهم الكفر استدراجاً منه لهم فى الدنيا حتى يلقوه يوم القيامة، فيوردهم بما ابطنوهم نار جهنم. و قال السدى: يعطيهم اللَّه نوراً يوم القيامة يمشون به مع المسلمين، كما كانوا فى الدنيا، ثم يسلبهم ذلک النور، و يضرب بينهم بسور، فذلک هو الخداع منه (تعالى). و به قال ابن جريج، و الحسن و غيرهم من المفسرين:
على ما بيناه فيما مضى. و قوله: «وَ إِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى يُراؤُنَ النَّاسَ»
يعنى ان المنافقين لا يعملون شيئاً من اعمال العبادات التى أوجبها على المؤمنين على وجه القربة الى اللَّه، لأنهم غير موقنين بها، و لا ان لهم عليها ثواباً أو عقابا و انما يفعلون ذلک إبقاءً على أنفسهم، و حذراً من المؤمنين أن يقتلوهم، و يسلبوا أموالهم، فهم إذا قاموا الى الصلاة، قاموا كسالى اليها رياءً للمؤمنين، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 366
ليحسبوهم المؤمنون منهم، و ليسوا منهم، لأنهم لا يعتقدون فرضها. و به قال قتادة و ابن زيد. و قوله: «وَ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا»
إنما وصف ما استثناه من ذكرهم للَّه بالقلة من حيث انهم لا يقصدون به

وجه اللّه، و لا التقرب اليه، لا ان شيئاً من ذكر اللّه يوصف بانه قليل، بل يوصف جميعه بانه كثير، قال الحسن: وصفه بالقلة، لأنه كان لغير اللّه. و قال قتادة: لأنه لم يقبله اللّه و كلما رده اللّه، فهو قليل، و ما قبله فهو كثير.
و قال الجبائى: لأنهم. إذا قاموا الى الصلاة، لم يذكروا غير تكبيرة الإحرام.
و قوله: «مذبذبين» فى موضع نصب على الحال. و معناه انهم يقومون الى الصلاة يعنى المنافقين مترددين. لا الى هؤلاء يعنى المؤمنين فيفعلونه، فيستحقون به الثواب و لا الى هؤلاء يعنى الكفار فيجاهرون بالكفر، بل بين ذلک يظهرون الايمان، فيجرى عليهم حكم أهله، و يبطنون الكفر فيستحقون به عقاب أهله. و اصل التذبذب التحرک و الاضطراب. قال النابغة:
ا لم تر ان اللّه أعطاک سورة يرى كل ملک دونها يتذبذب «1»
و قال الحسن بن على المغربى: مذبذبين مطرودين من هؤلاء، و من هؤلاء، من الذب الذى هو الطرد. وصف اللّه تعالى هؤلاء المنافقين بالحيرة فى دينهم، و انهم لا يرجعون إلى صحة فيه، لا مع المؤمنين على بصيرة، و لا مع الكفار على جهالة.
و قال ابن عمر عن رسول اللّه (ص) ان مثلهم مثل الشاة العائرة بين الغنمين تتحير، فتنظر إلى هذه و الى هذه، لا تدرى أيهما تتبع.
و بهذه الجملة قال السدى و قتادة و مجاهد و ابن جريج و ابن زيد و غيرهم من المفسرين. و قوله: «وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا» يحتمل أمرين:
أحدهما- من يضله اللّه عن طريق الجنة، فلن تجد له سبيلا الى طريق الجنة.
و الثانى- من يجد له عقوبة على معاصيه عن طريق الرشاد و الإسلام، و لم

---

(1)- مر فى 1: 19.

يوفقه، لحرمانه نفسه التوفيق بسوء اختياره، فلن تجد له سبيلا يعنى طريقاً الى الحق يفضيه اليه.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبِيناً (144)

- آية- هذا خطاب للمؤمنين نهاهم اللّه ان يتخذوا الكافرين اولياء و انصاراً من دون المؤمنين، فيكونون مثلهم في ركوب ما نهاهم اللّه عنه من موالاة أعدائه «أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبِيناً» يعنى حجة ظاهرة. قال عكرمة: كل ما فى القرآن من ذكر سلطان، فمعناه حجة. و به قال مجاهد و الزجاج. و هو يذكر و يؤنث و قيل للأمير سلطان، لان معناه ذو الحجة و معنى الاية النهى عن اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين. فمن فعل ذلک، فقد جعل اللّه على نفسه الحجة، و تعرض لغضبه و عقابه و فى الآية دلالة على أنه لا يجوز أن يبتدئ اللّه الخلق بالعذاب، و لا يعاقب الأطفال بذنوب الآباء، لأنه لو كان ذلک شائعاً، لما قال للمؤمنين:

«تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبِيناً» يعنى باتخاذكم الكفار أولياء من دون المؤمنين، لان ذلک دلالة على انه لم يكن له ذلک، و انه لا كان له حجة على الخلق لو لا معاصيهم و مخالفتهم له تعالى.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): الآيات 145 الى 146]..... ص: 367

اشارة

إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (145) إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولئِکَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً (146)

آيتان بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 368

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر، الا العلمى (الدرک) بسکون الراء الباقون بفتحها و هما لغتان مثل نهر و نهر و شمع فمن فتح الراء قال فى الجمع: إدراک فى القلة و الكثرة و من سكنها قال إدراک و فى الكثير الدرک و التسكين لغة و ليس يسكن من المفتوح، لان مثل ذلک لا يجوز تسكينه، فلا يسكن جمل و جبل و انما هما لغتان مثل شمع و شمع و نهر و نهر. قالوا بفتح الراء افصح، سمع من العرب من يقول:
أعطنى دركاً اصل به حبلى، يعنى ما يصل به حبله الذى عجز عن بلوغ الركية.

و معنى الاية الاخبار من اللَّه إن المنافقين فى الطبق الأسفل من النار. قال عبد اللَّه: المنافقون فى توابيت من حديد مغلقة عليهم فى النار و به قال ابو هريرة، و ابن عباس. قال ابن جريج: قال عبد اللَّه بن كثير و أبو عبيدة، سمعنا ان جهنم إدراک منازل. و ليس يمنع ان يجعل اللَّه قوماً من الكفار فى الدرک الأسفل، كفرعون و هامان و أبى جهل، فان هؤلاء أعظم كفراً من المنافقين و ليس فى اخبار اللَّه ان المنافقين هناک ما يمنع أن يكون غيرهم فيه أيضاً، و ان تفاضلوا فى العقاب قال ابن جريج: هذه الآيات نزلت فى عبد اللَّه بن أبى و أصحابه. قال البلخى يجوز أن يكون الأدراک منازل بعضها أسفل من بعض بالمسافة، و يجوز أن يكون ذلک اخباراً عن بلوغ الغاية فى العقاب و الاهانة، كما يقال بلغ فلاناً السلطان الحضيض، و بلغ فلاناً العرش. و يريدون بذلک علو المنزلة و انحطاطها لا المسافة.
و قوله: «وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً» معناه لا تجد يا محمد، لهؤلاء المنافقين إذا جعلهم اللَّه فى أسفل طبقة من النار ناصراً ينصرهم، فينقذهم من عذابه، و يدفع عنهم أليم عقابه، ثم استثنى فقال: «إِلَّا الَّذِينَ تابُوا» فاستثنى منهم التائبين من نفاقهم إذا أصلحوا نياتهم، و أخلصوا الدين للَّه، و تبرؤا من الآلهة و الأنداد، و اعتصموا يعنى تمسكوا بكتاب اللَّه و صدقوا رسله، فإنهم إذا فعلوا ذلک فإنهم التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 369
يكونون مع المؤمنين فى الجنة، و محل الكرامة، و يسكنهم مساكنهم و ما وعدهم من الجزاء على توبتهم، و سوف يؤتى اللَّه المؤمنين اجراً عظيما. فكان تقدير الآية إن الذين راجعوا الحق، و أقروا بوحدانية اللَّه، و تصديق رسوله، و ما جاء به من عند اللَّه، و أصلحوا أعمالهم فعملوا بما أمرهم اللَّه به و أدوا فرضه و انتهوا عما نهاهم، و انزجروا عن معاصيه، و تمسكوا بعهد اللَّه و ميثاقه، فقطع حينئذ انه تعالى يؤتى المؤمنين، أى يعطيهم أجراً، يعنى ثوابا عظيما، و درجات فى الجنة كما اعطى من مات على النفاق منازل فى النار فى أسفل طبقة منها. و هذه الجملة معنى قول حذيفة بن اليمان، و جميع المفسرين.
«وَ سَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ» كتبت فى المصحف بلا ياء تخفيفاً و مثله «يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ» و قوله: «ما كُنَّا نَبْغِ» و غير ذلک. و كان الكسائى يثبت الياء فى الوصل دون الوقف، ثم رجع عنه. و ابو عمرو يثبتها فى الوصل و اهل المدينة يثبتونها فى الحالين.

ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ وَ كانَ اللَّهُ شاكِراً عَلِيماً (147)
- آية- خاطب اللّه (تعالى) بهذه الآية المنافقين الذين تابوا و آمنوا، و أصلحوا أعمالهم، فقال: إن أنتم تبتم الى اللّه و راجعتم الحق الواجب للّه عليكم، و شكرتموه على نعمه و اخلصتم عبادته، و اعتصمتم به و تركتم رياء الناس، و آمنتم برسوله محمد (ص) و صدقتم به، و أقررتم بما جاء به من عند اللّه ما يصنع بعذابكم، أى لا حاجة باللّه الى عذابكم، و جعلكم فى الدرک الأسفل من جهنم، لأنه لا يجتلب بعذابكم نفعاً، و لا يدفع عن نفسه ضرراً، لأنهما مستحيلان عليه.
«وَ كانَ اللَّهُ شاكِراً» يعنى لم يزل اللَّه مجازيا للشاكر على شكره فى جميع
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 370
عباده عليما بما يستحقونه على طاعاته من الثواب، و لا يضيع عنده شىء منه، و لا يفوته شىء من معاصى من عصاه، فيجازى بذلک من يشاء منهم على سوء أفعالهم جزاءً بما كسبوه. و به قال قتادة و غيره من المفسرين. و الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من تعظيم المنعم، و ذلک لا يجوز الشكر منه بمعنى الجزاء عليه كما قال: «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ» «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» و الجزاء ليست سيئة و لكن اطلق ذلک لازدواج الكلام.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 148]..... ص: 370

اشارة

لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ وَ كانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً (148)
آية بلا خلاف.

الفراء ضم الظاء فى قوله: (الا من ظلم) و كسر اللام. و قرأ زيد بن اسلم و الضحاک بن مزاحم (ظلم) بفتح الظاء و اللام. فمن ضمن الظاء، اختلفوا فى تأويله فقال قوم: معنى ذلک لا يحب اللّه ان يجهر احد بالدعاء على احد، و هو الجهر بالسوء إلا من ظلم فيدعو على ظالمه، لا يكره ذلک. و ذلک انه رخص له فيه.
ذهب اليه ابن عباس و قتادة و الحسن.

و (من) على قول ابن عباس فى موضع رفع، لأنه وجهه إلى ان الجهر بالسوء فى معنى الدعاء. و استثنى المظلوم منه و قال الزجاج: وجه الرفع أن يكون بدلا من احد و تقديره لا يحب اللّه أن يجهر احد بالسوء إلا من ظلم و قال الفراء تقديره لا يحب اللّه أن يجهر بالسوء الا المظلوم، فلا حرج عليه فى الجهر اما بان يدعو عليه، أو بان يخبر بما فعله به، و يذمه عليه. و به قال الجبائى قال: و لا يجوز التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 371
لمن ليس بمظلوم أن يذكر احداً بسوء لان اللّه (تعالى) أمره بالستر عليه و الكتمان، و انما يجب عليه أن ينكر عليه فيما بينه و بينه على وجه لا يفضحه، و انما جاز ذلک للمظلوم، لأنه خصم يجوز له ان يدعى على خصمه ما ظلمه فيه، فان أقام بذلک بينة استوفى له حقه، و الا أبطل دعواه. و قال بعض النحويين: هذا خطأ فى العربية، لان من لا يجوز أن يكون رفعاً بالجحد لأنها فى صلة، أن، و لم ينله الجحد، فلا يجوز العطف عليه. لا يجوز أن يقول: لا يعجبنى أن يقوم الا زيد. و يحتمل أن يكون (من) نصباً فى تأويل ابن عباس.

و قوله: «لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ» يكون كلاماً، ثم قال: «الا من ظلم فلا حرج عليه» فيكون (من) استثناء من الفعل، و ان لم يكن قبل الإستثناء شىء ظاهر يستثنى منه، كما قال: «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ» . و كقولهم: إنى لأكره الخصومة و المراء، اللهم إلا رجلا يريد اللَّه بذلک. و لم يذكر فيه شىء من الأشياء ذكره الفراء. و قال آخرون: معناه لا يحب اللَّه الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم فيخبر بما ينل منه. ذهب اليه مجاهد قال مجاهد: هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن اليه فقد رخص له أن يقول ذلک فيه و
روى عن أبى عبد اللَّه انه قال: هو الضيف ينزل بالرجل، فلا يحسن ضيافته ، جاز أن يقول ذلک فيه. و قال آخرون:
الا من ظلم فانتصر من ظلمه، فان ذلک قد أذن له فيه، ذهب اليه السدى و هو المروى عن أبى جعفر (ع)
و (من) على هذا يكون فى موضع نصب على انقطاعه من الاول. و من شان العرب ان تنصب ما بعد الا فى الإستثناء المنقطع. فالمعنى على هذا القول سوى قول ابن عباس: لا يحب اللَّه الجهر بالسوء من القول، لكن من ظلم فلا حرج عليه ان يخبر بما ينل منه، ينتصر ممن ظلمه. و من فتح الظاء قال تأويله: لا يحب اللَّه الجهر بالسوء من القول، الا من ظلم، فلا بأس أن يجهر له بالسوء من القول. ذهب اليه ابن زيد قال: التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 372
يجهر له بالسوء حتى يفزع. (و من) على هذا القول فى موضع نصب و المعنى لا يحب اللَّه الجهر أن يجهر أحد لاحد من المنافقين بالسوء من القول إلا من ظلم منهم فأقام على نفاقه، فانه لا بأس بالجهر بالسوء من القول. قال الزجاج: و فيه وجه آخر لم يذكره النحويون و هو أن يكون الا من ظلم، لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول، و هو استثناء ليس من الاول. و هذا الذى ذكره هو قول ابن زيد بعينه. و قال الفراء: موضع (من) نصب فى القراءتين معاً. و يجوز الرفع على تقدير لا يحب اللَّه أن يجهر بالسوء الا المظلوم. و قال البلخى: كان الضحاک يقول: فيه تقديم و تأخير و التقدير ما يفعل اللَّه بعذابكم إن شكرتم و أمنتم إلا من ظلم بفتح الظاء ثم قال: لا يحب اللَّه الجهر بالسوء من القوم على كل حال. قال البلخى: و يجوز أن يكون (إلا) بمعنى الواو، كأنه قال: لا يحب اللَّه الجهر بالسوء، و لا من ظلم، فانه لا يحب الجهر بالسوء منه. و قال قطرب: يجوز أن يكون المراد به المكره فى قوله: «إِلَّا مَنْ ظُلِمَ» لأنه إذا اكره على الجهر بالسوء من القول، فلا شىء عليه.

و القراءة المعروفة أولى بالصواب، لان هذه شاذة.
و التأويل فيه لا يحب اللّه ان يجهر احد لاحد بالسوء من القول إلا من ظلم، فلا حرج عليه أن يخبر بما اسىء اليه. و تكون (من) فى موضع نصب لانقطاعها عما قبلها، فانه لا اسماء قبله يستثنى منها. و هو مثل قوله: «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ» و قوله: «وَ كانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً» يعنى سميعاً لما يجهرون من سوء القول لمن يجهرون له، و غير ذلک من كلامكم و أصواتكم عليما بما تخفون من سوء قولكم و كلامكم لمن يخفون له به فلا يجهرون يحصى ذلک كله عليكم فيجازى على ذلک كل المسىء بإساءته. و المحسن بإحسانه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 149]..... ص: 372

اشارة

إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيراً (149)
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 373
- آية-

هذا خطاب لجميع المكلفين. يقول اللَّه لهم: «إِنْ تُبْدُوا» بمعنى ان تظهروا (خيراً) اى حسناً جميلا من القول لمن احسن إليكم شكراً على إنعامه عليكم، أو تخفوه أى تتركوا إظهاره، فلا تبعدوه، «أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ» معناه أو تصفحوا عمن أساء إليكم عن إساءته، فلا تجهروا له بالسوء من القول الذى أذنت لكن أن تظهروه، و تجهروا به «فَإِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا» يعنى لم يزل كان صفوحا عن خلقه يصفح لهم عن معاصيه (قديراً) يعنى قادراً على الانتقام منهم. و انما أراد بذلک انه مع صفحه قادراً على الانتقام، ليكون أعظم للمدح ليحث بذلک الخلق على العفو عمن أساء اليهم. إذا قدروا على انتقام منهم، و المكافات لهم. و لا يجهروا له بالسوء من القول مع القدرة عليه، و يتأدبوا فى ذلک بأدب اللَّه تعالى.
و روى عبد اللَّه بن مسعود قال: قال رسول اللَّه (ص): (ان اللَّه عفو يحب العفو).

قوله تعالى:[سورة النساء (4): الآيات 150 الى 151]..... ص: 373

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِکَ سَبِيلاً (150) أُولئِکَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً (151)
آيتان.

معنى الآية الاخبار من اللَّه تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ» و معناه يجحدون باللَّه و رسله من اليهود و النصارى «وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ» أى التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 374
يكذبوا رسل اللَّه الذين أرسلهم إلى خلقه و أوحى اليهم و يزعمون انهم كاذبون على اللَّه. و ذلک معنى إرادتهم التفريق بين اللَّه و رسله «وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ» و معناه أنهم يقولون نصدق بهذا و نكذب بهذا، كما فعلت اليهود صدقوا موسى و من تقدمه من الأنبياء، و كذبوا عيسى و محمداً (ص) و كما فعلت النصارى صدقت عيسى و من تقدمه من الأنبياء، و كذبوا محمداً (ص) «وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِکَ سَبِيلًا» يعنى يريد المفرقون بين اللَّه و رسله الزاعمون انهم يؤمنون ببعض و يكفرون ببعض أن يتخذوا بين قولهم: نؤمن ببعض، و نكفر ببعض سبيلا يعنى طريقاً إلى الضلالة التى أحدثوها، و البدعة التى ابتدعوها يدعون جهال الناس اليه، ثم اخبر عن حالهم فقال: «أُولئِکَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا» أى هؤلاء الذين أخبر عنهم بأنهم يؤمنون ببعض و يكفرون ببعض، و تفريقهم بين اللَّه و رسله هم الكافرون حقاً فاستيقنوا ذلک و لا ترتابوا بدعواهم انهم يقرون بما زعموا انهم فيه مقرون من الكتب و الرسل، فإنهم يكذبون فى دعواهم هذه، لأنهم لو كانوا صادقين فى ذلک، لصدقوا جميع رسل اللَّه، لأنه لا يصح أن يكونوا عارفين باللَّه و رسوله مع جحودهم، لنبوة بعض الأنبياء على ما يذهب اليه فى الموافات. و عند من قال بالإحباط لا يمتنع أن يكونوا عارفين باللَّه، و بعض رسله فإذا كفروا ببعضهم، انحبط ما معهم من الثواب على ايمانهم و هذا لا يصح على مذهبنا فى بطلان الإحباط فالصحيح إذا ما قلناه.
و قوله: «وَ أَعْتَدْنا» معناه أعددنا للكافرين يعنى الجاحدين الذين ذكرهم و لغيرهم من اصناف الكفار (عذاباً) فى الاخرة (مهيناً) يهينهم و يذلهم مخلدون فى ذلک و قال قتادة و السدى و مجاهد نزلت فى اليهود و النصارى و انما قال: إن هؤلاء هم الكافرون حقاً، و إن كان غيرهم أيضاً كافراً حقاً على وجه التأكيد لئلا يظن أنهم ليسوا كفاراً لقولهم: نؤمن ببعض و نكفر ببعض و قيل إنه قال ذلک استعظاماً لكفرهم، كما قال إنما المؤمنون الذين إذا ذكر اللَّه و جلت قلوبهم إلى التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 375
قوله: «أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا» و قد يكون مؤمناً حقاً من لم يلحق هذه الخصال بلا خلاف.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 152]..... ص: 375

اشارة

وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولئِکَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (152)
آية بلا خلاف.

قرأ يؤتيهم بالياء حفص الباقون بالنون حجة حفص قوله: «سَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ» و من قرأ نؤتيهم- بالنون- فلقوله: «وَ آتَيْناهُ أَجْرَهُ» و قوله: «أُولئِکَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً» و غير ذلک من الآى.

لما ذكر اللَّه تعالى حكم من فرق بين اللَّه و رسله، و الايمان ببعض دون بعض، و انهم الكافرون، و انهم أعد لهم العذاب المهين، اخبر عقيبه عمن آمن باللَّه و رسله، و صدقهم و أقر بنبوتهم، و لم يفرقوا بين احد منهم، بل آمنوا بجميعهم، فان اللَّه (تعالى) سيؤتيهم أجورهم بمعنى سيعطيهم ثوابهم الذى استحقوا على ايمانهم باللَّه و رسله، و الإقرار بهم، و إنه يعطيهم جزاءهم على ذلک. «وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» و معناه يغفر لمن هذه صفته ما سلف له من المعاصى و الآثام، و يسيرها عليهم، و يترک العقوبة عليها، فانه لم يزل كان غفوراً رحيما أى متفضلا عليهم بالهداية إلى سبيل الحق موفقاً لهم لما فيه خلاص رقابهم من عقاب النار.

يَسْئَلُکَ أَهْلُ الْکِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ کِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَکْبَرَ مِنْ ذلِکَ فَقالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ فَعَفَوْنا عَنْ ذلِکَ وَ آتَيْنا مُوسى سُلْطاناً مُبِيناً (153)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب للنبى (ص) يسألک يا محمد اهل الكتاب يعنى اليهود أن تنزل عليهم كتاباً من السماء و اختلفوا فى الكتاب الذى سأل اليهود محمد (ص) أن ينزل عليهم من السماء فقال قوم: سألوا ان ينزل كتابا من السماء مكتوبا، كما جاء موسى بنى إسرائيل بالتوراة مكتوبة من عند اللَّه فى الألواح. ذهب اليه السدى و محمد بن كعب القرطى، فانزل اللَّه فيهم هذه الآية إلى قوله: «عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً» و قال آخرون: بل سألوه أن ينزل عليهم كتابا خاصا لهم ذهب اليه قتادة.

و قال آخرون: بل يسألون أن ينزل على رجال منهم بأعيانهم كتبا بالأمر بتصديقه، و اتباعه ذكر ذلک ابن جريج، و اختاره الطبرى و قال الزجاج: ذلک حين سألوا فقالوا: «لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّکَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا کِتاباً نَقْرَؤُهُ» و قال الجبائى: كان سؤالهم على وجه التعنت و الا فكان فيما أنزله اللَّه من القرآن دلالة واضحة على نبوته.

و قوله: «فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَکْبَرَ مِنْ ذلِکَ» فانه توبيخ من اللَّه تعالى، سئل انزال الكتاب عليهم، و تفريع منه لهم بقوله لنبيه (ص): يا محمد لا يعظمن عليک مسألتهم، إياک ذلک فإنهم من جهلهم باللَّه عز و جل و جرأتهم عليه، و اغترارهم بحلمه، لو أنزلت عليهم الكتاب الذى سألوه لخالفوا امر اللَّه، كما خالفوا بعد أحياء اللَّه اوائلهم من صعقتهم، فعبدوا العجل، و اتخذوه آلهاً فعبدوه من دون خالقهم و بارئهم الذى أراهم قدرته، و عظمته و سلطانه بما أراهم، ثم قص من قصتهم و قصة موسى التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 377

ما قص، فقال «فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَکْبَرَ مِنْ ذلِکَ» يعنى سأل اسلاف هؤلاء اليهود موسى (ع) أعظم مما سألوک فقالوا أرنا اللَّه جهرة أى عيانا نعاينه و ننظر اليه.

و قد بينا معنى الجهرة فيما مضى. و حكى عن ابن عباس أنه قال: فيه تقديم و تأخير، و تقديره إنما قالوا جهرة أرنا اللَّه: و هو الذى اختاره أبو عبيدة. و قال غيره: أراد رؤية بالبصر ظاهرة منكشفة، لان من علم اللَّه فقد رآه. و هو اختيار الزجاج لقوله تعالى: «لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً» و قول ابن عباس يدل على انه كان يذهب إلى استحالة الرؤية عليه تعالى،

لان على تأويله بنفس سؤال الرؤية، اخذتهم الصاعقة دون رؤية مخصوصة على ما يذهب اليه من قال بالرؤية. و قوله «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ» يعنى فصعقوا بظلمهم أنفسهم عن سؤالهم موسى أن يريهم اللّه، لان ذلک مما هو مستحيل عليه (تعالى) و فى ذلک دلالة واضحة على استحالة الرؤية عليه (تعالى) و استعظام لتجويزها، لأنهم كانوا يكفرون به و يجحدونه و لم ينزل عليهم الصاعقة، فلما سألوا الرؤية أنزلها عليهم. و فى ذلک دلالة على أن اصل كل تشبيه تجويز الرؤية عليه تعالى على قول أبى على. و قد بينا معنى الصاعقة فيما مضى، فلا نطول باعادته.
و قوله: «ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ» معناه، ثم اتخذ هؤلاء الذين سألوا موسى ما سألوا من رؤية اللّه بعد ما أحياهم و بعثهم من صعقتهم- العجل الذى كان السامرى أضلهم به. و قد بينا فيما مضى السبب الذى من اجله اتخذوا العجل، و كيف كان أمرهم. و قوله: «مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ» معناه من بعد ما جاءت هؤلاء الذين سألوا موسى البينات من اللّه، و من الدلالات الواضحات بان الرؤية مستحيلة عليه، و منها اصعاق اللّه إياهم عند مسألتهم موسى يريدون ان يريهم ربهم جهرة، ثم إحياؤه إياهم بعد مماتهم مع غيره من الآيات التى أراهم اللّه دلالة على ذلک، فقال اللّه مقبحاً فعلهم، و موضعاً عن جهلهم و نقص عقولهم بإقرارهم للعجل بانه إلههم، و هم يرونه عياناً، و ينظرون اليه، فعكفوا على التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 378
عبادته مصدقين بإلهيته ثم قال تعالى: «فَعَفَوْنا عَنْ ذلِکَ» و معناه عفونا للذين عبدوا العجل عن عبادتهم بعد ان أرادهم اللّه آية على أنهم لا يرون ربهم. و قوله:
«وَ آتَيْنا مُوسى سُلْطاناً مُبِيناً» معناه أعطينا موسى حجة ظاهرة تبين عن صدقه و حقيقة نبوته، و تلک الحجة هى الآيات التى أتاه اللّه إياها.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 154]..... ص: 378

اشارة

وَ رَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثاقِهِمْ وَ قُلْنا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُلْنا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِی السَّبْتِ وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِیثاقاً غَلِیظاً (154)
- آیة اجماعا-.

قرأ أهل المدينة (لا تعدوا) بتسكين العين و تشديد الدال و الجمع بين ساكنين بمعنى لا تعتدوا، ثم ادغم التاء فى الدال فصارت دالا مشددة مضمومة، كما قرأ من قرأ (يهتدى) بتسكين الهاء- و قووا ذلک بقوله: «وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ» فجاء فى هذه القصة افتعلوا و قال: «لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» و قرأ الباقون بتسكين العين- من عدوت فى الامر: إذا تجاوزت الحق فيه أعدو عدوانا و عداء و عدواً قال ابو زيد: عدا على اللص: أشد العدو.
و العدو و العداء و العدوان اى سرقک و ظلمک. وعدت يمينه عن ذلک أشد العدو و تعدو و حجتهم قوله: إذا يعدون فى السبت فى هذه القصة و قوله: فأولئک هم العادون.

معنى قوله: «وَ رَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ» يعنى الجبل لما امتنعوا من العمل بما فى التوراة و قبول ما جاءهم به موسى بميثاقهم يعنى بما اعطوا اللّه من الميثاق و العهد، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 379
ليعلمن بما فى التوراة. «وَ قُلْنا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً» يعنى باب حطه حين أمرهم اللّه ان يدخلوا فيه سجوداً، فدخلوا على أستاههم يزحفون. و قلنا لهم:
«لا تَعْدُوا فِى السَّبْتِ» اى لا تتجاوزوا فى يوم السبت ما أبيح لكم الى ما حرم عليكم. قال قتادة: أمرهم اللّه ان لا يأكلوا الحيتان يوم السبت، و لا يعرضوا لها. و أحل له ما عداه. و قوله: «وَ أَخَذْنا- مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً» يعنى عهداً مؤكداً بأنهم يعلمون ما أمرهم اللّه به و ينتهون عما أنهاهم اللّه عز و جل عنه. و قد بينا فيما مضى السبت الذى من أجله كانوا أمروا بدخول الباب سجداً، و ما كان من أمرهم فى ذلک. قال ابن عباس: رفع اللّه فوقهم الجبل، فقيل لهم: إما إن تأخذوا التوراة بما فيها، أو يلقى عليكم الجبل. و قال ابو مسلم: رفع اللّه الجبل فوقهم ظلالًا لهم من الشمس بميثاقهم أى بعهدهم جزاء لهم على ذلک. و الاول قول اكثر المفسرين.

قوله تعالى: [سورة النساء (4): الآيات 155 الى 156]..... ص: 379

اشارة

فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ وَ كُفْرِهِمْ بِآياتِ اللَّهِ وَ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (155) وَ بِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً (156)
آيتان-.

المعنى فى قوله: «فَبِما نَقْضِهِمْ» قولان:
أحدهما- قال الفراء و الزجاج و غيرهما: إن (ما) زائدة. و تقديره فبنقضهم.
و الثانى- انها بمعنى شىء. و تقديره فبشىء و نقضهم. بدل منه و مجرور به. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 380
مثله قوله: «مَثَلًا ما بَعُوضَةً» «1» و فيه القولان. و التقدير فبنقض هؤلاء الذين وصفهم من اهل الكتاب و ميثاقهم يعنى عهودهم التى عاهدوا اللّه عليها أن يعملوا بما فى التوراة «وَ كُفْرِهِمْ بِآياتِ اللّهِ» يعنى جحودهم بآيات اللّه. و هى إعلامه، و أدلته التى احتج بها عليهم فى صدق أنبيائه، و رسله «وَ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ» يعنى و قتلهم الأنبياء بعد قيام الحجة عليهم بصدقهم بغير حق يعنى بغير استحقاق منهم، لكبيرة أتوها و لا خطيئة استوجبوا بها القتل. و قتل الأنبياء، و ان كان لا يكون إلا بغير حق، فإنما اكده بقوله: «بِغَيْرِ حَقٍّ» و معناه ما قدمنا القول فيه أنه لا يكون ذلک إلا بغير حق، كما قال: «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ» و المعنى إن هذا لا يكون عليه برهان. و مثله قول الشاعر:
على لا حب لا يهتدى بمناره «2»
و انما أراد لا منارها هناک يهتدى به. و قد استوفينا ما فى ذلک فيما مضى «وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ» تقديره يقولون: قلوبنا عليها غشاوة و أغطية لا نفقه ما تقول، و لا نعلق له، فاكذبهم اللّه فى ذلک و قال الفراء و الزجاج: معناه قلوبنا أوعية للعلم لا نفقة ما تقول. و قد بينا معنى الغلف فيما مضى. قوله: «بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ» و المعنى كذبوا فى قولهم قلوبنا غلف ما هى بغلف، و لا عليها اغطية، بل طبع اللّه عليها بكفرهم. و قد بينا معنى الطبع فيما مضى. و هو أنه السمة و العلامة و سم اللّه تعالى و علّم على قلوب من الكفار الذين علم من حالهم أنهم لا يؤمنون فيما بعد، و جعل ذلک عقوبة لهم على كفرهم الذى ارتكبوه فى الحال تعرفه الملائكة. و قوله: «فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا» معناه فلا يصدقون الا تصديقا قليلا. و إنما وصفه بالقلة لأنهم لم يصدقوا على ما أمرهم اللّه به لكن صدقوا ببعض الأنبياء، و بعض الكتب و كذبوا بالبعض، فكان تصديقهم بما صدقوا به قليلا، لأنهم و ان صدقوا به من وجه، فهم يكذبون به من وجه آخر. و يجوز

---

(1) سورة البقرة، آية 26.
(2) انظر ا: 189- 279- 444.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 381
أن يكون الاستثناء من الذين نفى اللّه عنهم الايمان فكأنه علم انه يؤمن

منهم جماعة قليلة فيما بعد، فاستثناهم من جملة من اخبر عنهم أنهم لا يؤمنون. و بهذه الجملة قال جماعة المفسرين: قتادة و غيره. و اختلفوا فى قوله: «فَبِما نَقْضِهِمْ» هل هو متصل بما قبله من الكلام او منفصل منه، فقال قتادة هو منفصل و قال لما ترک القوم أمر اللّه، و قتلوا رسله و كذبوا بآياته و نقضوا ميثاقه طبع اللّه على قلوبهم بكفرهم، و لعنهم و قال قوم: بل هو متصل بما قبله. قالوا: معناه فاخذتهم الصاعقة بظلمهم بنقضهم ميثاقهم، و بكفرهم بآيات اللّه، و بقتلهم الأنبياء بغير حق، و بكذا و كذا أخذتهم الصاعقة، فتبع الكلام بعضه بعضا. و معناه مردود على أوله، و جوابه قول «فبظلم» من الذين قالوا الزجاج هو بدل من قوله: «فَبِما نَقْضِهِمْ» و اختار الطبرى الاول، و أنه منفصل من معنى ما قبله و المعنى: فيما نقضهم ميثاقهم، و كفرهم بآيات اللّه و بكذا و كذا لعناهم، و غضبنا عليهم، فترک ذكر لعناهم لدلالة قوله: «بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ» على معنى ذلک من حيث كان من طبع على قلبه، فقد لعن و سخط عليه قال: و انما قلنا ذلک، لأن الذين اخذتهم الصاعقة كانوا على عهد موسى، الذين قتلوا الأنبياء، و الذين رموا مريم بالبهتان العظيم، و قالوا قتلنا عيسى، كانوا بعد موسى بدهر طويل، و معلوم أن الذين اخذتهم الصاعقة لم تأخذهم عقوبة على رميهم مريم بالبهتان، و لا لقولهم: أنا قتلنا المسيح فبان بذلک أن الذين قالوا هذه المقالة غير الذين عوقبوا بالصاعقة.
و قوله: «وَ بِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً» معناه و بكفر هؤلاء الذين وصفهم، و قولهم على مريم بهتاناً يعنى رميهم لها بالزنا، و هو البهتان و بقريتهم عليها، لأنهم رموها و هى بريئة بغير بينة و لا برهان به بل هتوها بباطل القول.
و هو قول ابن عباس و السدى و الضحاک.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): الآيات 157 الى 158]..... ص: 382

اشارة

وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (158)

- آية-

هذه الآية عطف على ما قبلها و تقديره، فيما نقضهم ميثاقهم و كفرهم بآيات اللّه و قتلهم الأنبياء بغير حق، و قولهم: قلوبنا غلف و قولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول اللّه، أنزلنا من العذاب، و أوجبنا لهم من العقاب، لان إخبارهم انهم قتلوا المسيح يقيناً، و ما قتلوه، كفر من حيث هو جرأة على اللّه فى قتل أنبيائه، و من دلت المعجزات على صدقه، ثم كذبهم اللّه فى قولهم: إنا قتلناه فقال: «وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ.»
و اختلفوا فى كيفية التشبيه الذى شبيه لليهود فى أمر عيسى فقال وهب بن منبه: أنى عيسى و معه سبعة عشر من الحواريين فى بيت فأحاطوا بهم، فلما دخلوا عليهم صيرهم اللّه كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا ليبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعاً، فقال عيسى لأصحابه: من يشرى نفسه منكم اليوم بالجنة، فقال رجل منهم: انا، فخرج اليهم فقال: أنا عيسى، و قد صيره اللّه على صورة عيسى، فأخذوه و قتلوه، و صلبوه. فمن ثم شبه لهم، و ظنوا انهم قد قتلوا عيسى، و ظنت النصارى مثل ذلک أنه عيسى، و رفع اللّه عيسى من يومه ذلک. و به قال قتادة و السدى و ابن إسحاق و مجاهد و ابن جريج، و ان اختلفوا فى عدد الحواريين، و لم يذكر احد غير وهب ان شبهه ألقى على جميعهم، بل قالوا: ألقى شبهه على
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 383
واحد، و رفع عيسى من بينهم قال ابن إسحاق: و كان اسم الذى القى عليه شبهه سرجس، و كان احد الحواريين، و يقال: إن الذى دلهم عليه و قال هذا عيسى أحد الحواريين أخذ على ذلک ثلاثين درهما، و كان منافقاً، ثم انه ندم على ذلک فاختنق حتى قتل نفسه، و كان اسمه بودس زكريا بوطا، و هو ملعون فى النصارى، و بعض النصارى يقول: إن بودس زكريا بوطا هو الذى شبه لهم فصلبوه، و هو و بعض النصارى يقول: إن بودس زكريا بوطا هو الذى شبه لهم فصلبوه، و هو يقول: لست بصاحبكم الذى دللتكم عليه. قال الطبرى: الأقوى قول ابن المنبه.
و هو ابن سبعة عشر القى على جماعتهم شبه عيسى، لأنه لو كان ألقى على واحد منهم مع قول عيسى أيكم يلقى عليه شبهى و له الجنة، ثم رأوا عيسى قد رفع من بين أيديهم لما اشتبه عليهم، و ما اختلفوا فيه، و ان جاز أن يشتبه على أعدائهم من اليهود الذين لم يكونوا يعرفونه، لكن لما ألقى شبهه على جميعهم، فكان يرى كل واحد بصورة عيسى، فلما قتل واحد منهم اشتبه الحال عليهم. و هذا الذى ذكره قريب. و قال الجبائى: وجه التشبيه ان رؤساء اليهود أخذوا إنساناً فقتلوه و صلبوه على موضع عال، و لم يمكنوا احداً من الدنو منه فتغيرت حليته و تنكرت صورته.

و قالوا: قتلنا عيسى، ليوهموا بذلک على عوامهم، لأنهم كانوا أحاطوا بالبيت الذى فيه عيسى فلما دخلوه كان رفع عيسى من بينهم، فخافوا أن يكون ذلک سبب إيمان اليهود به، ففعلوا ذلک. و الذين اختلفوا غير الذين صلبوا من صلبوه، و هم باقى اليهود، فان قيل: هل يجوز أن يلقى اللّه شبه زيد على عمر حتى لا يفصل الناظر اليهما بينهما، كما كان يفصل قبل إلقاء الشبه؟ قيل: ذلک مقدور للّه بلا خلاف، و يجوز ان يفعله عندنا تغليظاً للمحنة، و تشديداً للتكليف، و ان كان ذلک خارقاً للعادة، يجوز أن يجعل ذلک معجزة أو كرامة، لبعض أوليائه الصالحين، أو الائمة المعصومين (ع). و عند المعتزلة لا يجوز ذلک الا على يدى الأنبياء أو فى وقتهم، لأنه لا يجوز خرق العادة عنهم إلا على يده. و قد قيل: إن اصحاب عيسى (ع) تفرقوا عنه حتى لم يبق غير عيسى، و غير الذى القى شبهه عليه، فلذلک التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 384
اشتبه على النصارى، فان قيل: كيف يجوز من الخلق العظيم ان يخبروا بالشىء على خلاف ما هو به، و قد علمنا كثرة اليهود و النصارى، و مع كثرتهم أخبروا ان عيسى صلب و قتل، فكيف يجوز ان يكونوا مع كثرتهم كذابين؟ و لئن جاز هذا لم نثق بشىء من الاخبار أصلا و يؤدى ذلک إلى قول التسمية! قلنا: هؤلاء القوم دخلت عليهم الشبهة، لان اليهود لم يكونوا يعرفون عيسى، و انما أخبروا انهم قتلوا واحداً، و قيل لهم انه عيسى، فهم فى ذلک صادقون، و ان لم يكن المقتول عيسى. و أما النصارى فاشتبه عليهم، لأنه كان ألقى شبهه على غيره، فلما رأوا من هو فى صورته مقتولا، ظنوا انه عيسى، فلم يخبر احد من الفريقين بما ظن ان الامر على ما اخبر به، فلا يؤدى ذلک الى بطلان الاخبار بحال.
و قوله: «وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً» يعنى به الذين أحاطوا بعيسى و أصحابه حيث أرادوا قتله لأنهم كانوا قد عرفوا عدة من فى البيت، فلما دخلوا عليهم فقدوا واحداً منهم، فالتبس عليهم أمر عيسى بفقدهم واحداً من العدة، و قتلوا من قتلوا على شک منهم فى أمر عيسى. هذا على قول من قال: لم يتفرق أصحابه حتى دخل عليهم اليهود و اما من قال تفرقوا عنه، فانه يقول: اختلافهم كان بأن عيسى هل كان فى من بقى فى البيت أو كان فى الذين خرجوا. فاشتبه الامر عليهم. قال الزجاج: وجه اختلاف النصارى أن منهم من ادعى انه اله لا يقتل، و منهم من قال قتل، فكذب اللّه الجميع. و قوله: «إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ» استثناء منقطع. و تقديره لم يكن لهم بمن قتلوه علم لكنهم اتبعوه ظناً منهم إنه عيسى، و لم يكن به.
و قوله: «وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً» معناه و ما قتلوا ظنهم الذى اتبعوا المقتول الذى قتلوه، و هم يحسبونه عيسى يقيناً إنه عيسى، و لا انه غيره، لكنهم كانوا منه علىِ ظن و شبهة، كما يقول القائل: ما قلت هذا الامر علما، و ما قتلته

يقيناً: إذا تكلم فيه بالظن على غير يقين. فالهاء فى (قتلوه) عائدة على الظن. و قال ابن عباس و جويبر التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 385
و ما قتلوا ظنهم يقيناً. و حكى الزجاج عن قومهم: أن الهاء راجعة إلى عيسى (ع).
نفى اللَّه عنه القتل على وجه التحقيق و اليقين. و قال السدى: و ما قتلوا أمره يقينا إن الرجل هو عيسى (ع) و قوله: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» يعنى بل رفع اللَّه المسيح اليه، و لم يقتلوه، و لم يصلبوه، لكن اللَّه رفعه و طهره من الذين كفروا و قوله:
«كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً» معناه لم يزل اللَّه عزيزاً منتقما من أعدائه كانتقامه من الذين اخذتهم الصاعقة بظلمهم، و كلعنه من نقض ميثاقه و فعل ما قصه اللَّه، حكيما فى أفعاله و تدبيراته و تصريفه خلقه فى قضائه، و احذروا و أيها السائلون محمداً ان ينزل عليكم كتابا من السماء- حلول عقوبته بكم، كما حل باوائلكم الذين فعلوا فعلكم فى تكذيبهم رسلى و افترائهم على أوليائى. و به قال ابن عباس.
و قوله: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ» .

فى القراء من ادغم اللام فى الراء و عليه الأكثر. و هو الأقوى لقرب مخرج اللام من مخرج الراء. و هو أقوى من ادغام الراء فى اللام، لان فى الراء تكويراً فهو يجرى مجرى الحرفين. و من لم يدغم قال: لأنه من كلمتين. و قال الفراء: لا يجوز غير الإدغام. و قال سيبويه: الإدغام أجود و تركه جائز و هى لغة حجازية.

و قوله: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» معناه انه رفعه إلى الموضع الذى يختص اللَّه (تعالى) بالملك، و لم يملك احداً منه شيئاً. و هو السماء، لأنه لا يجوز ان يكون المراد انه رفعه إلى مكان هو (تعالى)، فيه لان ذلک من صفات الأجسام (تعالى اللَّه عن ذلک) و على هذا يحمل قوله حكاية عن ابراهيم «إِنِّى ذاهِبٌ إِلى رَبِّى» يعنى الى الموضع الذى أمرنى به ربى و مثل قوله: «وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» يعنى مهاجراً الى الموضع الذى أمره اللَّه بالهجرة اليه.

وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً (159)

- آية- معنى (ان) معنى (ما) النافية و موضعها الرفع و هى مثل قوله: «وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها» أى ما منكم احد إلا واردها. و معنى الآية الاخبار منه (تعالى) بانه إلا ليؤمن به يعنى بعيسى قبل موته و اختلفوا فى الهاء إلى من ترجع فقال قوم: هى كناية عن عيسى، كأنه قال: لا يبقى احد من اليهود الا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى بأن ينزله اللّه إلى الأرض إذا اخرج المهدى (عج) و أنزله اللّه لقتل الدجال، فتصير الملل كلها ملة واحدة و هى ملة الإسلام الحنيفية دين ابراهيم (ع). ذهب اليه ابن عباس و أبو مالک و الحسن و قتادة، و ابن زيد و ذلک حين لا ينفعهم الايمان. و اختاره الطبرى. قال: و الآية خاصة لمن يكون فى ذلک الزمان و هو الذى ذكره على بن ابراهيم فى تفسير أصحابنا. و روى شهر بن حوشب عن محمد بن على بن الحنفية ان الحجاج سأله عن هذه الآية و قال: نرى اليهود تضرب رقبته، فلا يتكلم بشىء فقال: حدثنى محمد بن على أن اللّه يبعث اليه ملكا ينفضه و يضرب رأسه و دبره، و يقول له: كذبت عيسى، فيؤمن حينئذ و يقول: كذبت عيسى و يعترف به. فقال الحجاج: عمن؟ فقال: عن محمد بن على فقال له، جئت بها من عين صافية. فقيل لشهر ما أردت بذلک؟ قال: أردت ان اغيظه و ذكره البلخى مثل ذلک و ضعف هذا الوجه الزجاج و قال: الذين يبقون إلى زمن نزول عيسى (ع) من أهل الكتاب قليل. و الآية تقتضى عموم إيمان أهل الكتاب أجمع قال: إلا ان تحمل على ان جميعهم يقول: ان عيسى الذى ينزل لقتل الدجال نحن نؤمن به فعلى هذا يجوز. و اختار الوجه الثانى و قال قوم: الهاء كناية عن الكتابى، و تقديره أنه لا يكون احد من أهل الكتاب يخرج من دار الدنيا إلا و يؤمن بعيسى عند التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 387

موته إذا زال تكليفه، و تحقق الموت، و لكن لا ينفعه الايمان حينئذ ذهب اليه ابن عباس فى رواية أخرى، و مجاهد. قال ابن عباس: لو ضربت رقبته لم تخرج نفسه حتى يؤمن. و به قال عكرمة و الضحاک. و فى رواية عن الحسن و قتادة و قال قوم: الهاء كناية عن محمد (ص) و التقدير و ليس من أهل الكتاب إلا من يؤمن بمحمد (ص) قبل موت الكتابى ذهب اليه عكرمة و طعن الطبرى على هذا الوجه بان قال: لو كان ذلک صحيحاً لما جاز اجزاء احكام الكفار عليهم إذا ماتوا من ترک الصلاة عليهم. و منع المدافنة و الموارثة. و غير ذلک. و وجب اجراء حكم الإسلام عليهم. و هذا الذى ذكره ليس بشىء لان ايمانهم بمحمد (ص) انما يكون فى حال زوال التكليف، فلا

حكم لذلک الايمان و ذلک مثل إيمان فرعون حين غرق و قال:
«آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِی آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِیلَ» فقال اللّه تعالى له: «آلْآنَ وَ قَدْ عَصَیْتَ قَبْلُ وَ کُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِینَ» فکذلک إيمان هؤلاء لا يعتد به، و انما يضعف هذا الجواب من حيث انه لم يجر لمحمد (ص) ذكر فيما تقدم، و لا ها هنا ضرورة موجبة لرد الكناية عليه. و ما هذه صورته لا تجوز الكناية عنه. و انما قلناه فى قوله: حتى توارت بالحجاب إنها كناية عن الشمس للضرورة، لأنه يحتمل سواها.
و قد جرى ذكر عيسى و الكتابى فأمكن ان يكون كناية عن كل واحد منهما، فلا يجوز العدول عنه. و قوله: «وَ يَوْمَ الْقِیامَةِ یَکُونُ عَلَیْهِمْ شَهِیداً» قال قتادة و ابن جريج: يكون عيسى عليهم شهيداً على أنه قد بلّغ رسالة ربه، و أقر على نفسه بالعبودية مكذباً من كذبه و مصدقاً من صدقه.

فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَ بِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً (160) وَ أَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ وَ أَكْلِهِمْ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً (161)

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 388

آيتان- هاتان الآيتان معطوفتان على ما تقدم.

قال الزجاج: قوله: «فبظلم» بدل من قوله: (فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ) و العامل فى الياء قوله: «حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ» لما طال الكلام أجمل (تعالى) ما ذكره ها هنا فى قوله: فبظلم و اخبر انه حرم على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذين واثقوا اللَّه عليه، و كفروا بآياته، و قتلوا أنبياءه، و قالوا البهتان على مريم و فعلوا ما فعلوا مما وصفه اللَّه فى كتابه طيبات من المأكل و غيرها، و كانت لهم حلالا، عقوبة لهم بظلمهم الذى أخبر اللَّه عنه لأنهم لما فعلوا ما فعلوا، اقتضت المصلحة تحريم هذه الأشياء عليهم. و هو قول مجاهد و اكثر المفسرين. و قوله: «وَ بِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً» يعنى بمنعهم عباد اللَّه عن دينه و سبيله التى شرعها لعباده صداً كثيراً، و كان صدهم عن سبيل اللَّه بقولهم على اللَّه الباطل، و ادعائهم ان ذلک عن اللَّه.

و تبديلهم كتاب اللَّه و تحريفهم معانيه عن وجوهه. و من أعظم ذلک جحدهم نبوة محمد (ص) و تركهم بيان ما قد عملوا من أمره من جهل أمره من الناس. و هو قول مجاهد و غيره. و قوله: «وَ أَخْذِهِمُ الرِّبَوا» يعنى على رؤوس أموالهم بتأخيرهم له عن محله إلى محل آخر و قد نهوا عنه يعنى عن الربا، و أكلهم اموال الناس بالباطل يعنى بغير استحقاق، و لا استيجاب. و هو ما كانوا يأخذونه من الرشا على الأحكام، كما قال تعالى: «وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» و منه ما كانوا يأخذونه من أثمان الكتب التى كانوا يكتبونها بأيديهم، و يقولون هذا من عند اللَّه، و ما أشبه ذلک من المآكل الخسيسة الخبيثة، فعاقبهم اللَّه تعالى على جميع ذلک بتحريم ما حرم عليهم من الطيبات. و قوله: «وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ مِنْهُمْ عَذاباً» معناه و جعلنا للظالمين أنفسهم بكفرهم باللَّه، و جحدهم رسوله محمد (صلى اللَّه عليه و آله) من هؤلاء اليهود العذاب الأليم. و هو المؤلم الموجع يصلونها فى الاخرة عدة لهم. قال ابو على: حرم اللَّه (تعالى) هذه الطيبات على الظالمين منهم عقوبة لهم على ظلمهم و من لم يكن ظالماً منهم نسخة منهم اما على لسان عيسى أو على لسان محمد (ص) التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 389

نبينا و هو ما حرمه من كل ذى ناب من السباع و مخلب من الطير، و غير

ذلک مما ذکره فی قوله: «وَ عَلَی الّذِینَ هادُوا حَرَّمْنا کُلّ ذِی ظَفُرٍ وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَیْهِمْ شُحُومَهُما إلی قوله... ذلِکَ جَزَیْناهُمْ بِبَغْیِهِمْ» فهذا البغی هو الظلم الذی ذکره ها هنا.

لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً (162)

آية.

استثنى اللَّه تعالى من اليهود الذين وصف صفتهم فيما مضى من الآيات فى قوله: يسألك أهل الكتاب إلى ها هنا من هداه اللَّه لدينه، و وفقه لرشده فقال:

«لكِنِ الرَّاسِخُونَ» و هم الذين رسخوا فى العلم و ثبتوا فيه. و قد مضى معنى الرسوخ فيما مضى فى العلم الذى جاء به الأنبياء، و احكام اللَّه التى أدوها إلى عباده، و المؤمنون باللَّه و رسوله منهم يؤمنون بالقرآن الذى أنزله اللَّه اليک يا محمد (ص) و بالكتب التى أنزلها على من قبلک من الأنبياء، و الرسل، و لا يسألونک ما يسأل هؤلاء الجهال من انزال كتاب من السماء، لأنهم قد علموا صدق قولک بما قرأوا من الكتب التى أنزلها على الأنبياء، و وصفک فيها و أنه يجب عليهم اتباعک، فلا حاجة بهم إلى ان يسألوک معجزة اخرى، و لا دلالة غير ما علموا من أمرک بالعلم الراسخ فى قلوبهم و هو قول قتادة و المفسرين. و قوله: «وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ» اختلفوا هل هم الراسخون فى العلم أو غيرهم؟ فقال قوم: هم هم. و اختلف هؤلاء فى إعرابه و مخالفته لاعراب الراسخين فقال قوم منهم: هو غلط من الكتب و انما هو، لكن الراسخون فى العلم منهم و المؤمنون و المقيمون الصلاة ذكر ذلک حماد بن سلمة عن الزبير. قال: قلت لابان بن عثمان بن عفان: ما شانها كتبت لكن الراسخون فى العلم التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 390

منهم و المؤمنون و المقيمين الصلاة فقال: قال: إن الكاتب لما كتب لكن الراسخون فى العلم منهم إلى قوله: من قبلک قال: ما اكتب؟ قيل له: اكتب و المقيمين الصلاة.

و روى عروة بن الزبير قال: سألت عائشة عن قوله: «وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ»، و عن قوله: «وَ الصَّابِئُونَ» و عن قوله: «إِنْ هذانِ» فقالت: يا بن اخى هذا عمل الكتاب أخطأوا فى الكتابة و فى مصحف ابن مسعود (و المقيمون الصلوة) و قال الفراء و الزجاج و غيرهما من النحويين: هو من صفة الراسخين، لكن لما طال، و اعترض بينهما كلام نصب المقيمين على المدح و ذلک سائغ فى اللغة كما قال فى الآيات التى تلوناها، و فى قوله: «وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِى الْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ» و قال اخرون: هو من صفة الراسخين فى العلم ها هنا، و ان كان الراسخون فى

العلم من المقيمين. قالوا: و موضع (المقيمين) خفض عطفاً على ما فى قوله: يؤمنون بما أنزل اليک و ما انزل من قبلک، و يؤمنون بالمقيمين الصلاة.
و المعنى يؤمنون باقام الصلاة و قوله: و المؤتون الزكاة: قالوا: عطف على قوله:
«وَ الْمُؤْمِنُونَ» و قال آخرون المقيمون الصلاة هم الملائكة. و إقامتهم للصلاة تسبيحهم ربهم، و استغفارهم لمن فى الأرض. و معنى الكلام و المؤمنون يؤمنون بما انزل اليک و ما أنزله من قبلک، و بالملائكة. و اختاره الطبرى. قال لأنه فى قراءة أبى كذلک، و كذلک هو فى مصحفه. فلما وافق مصحفه لمصحفنا ذلک على انه ليس بغلط. و قال اخرون: المعنى المؤمنون يؤمنون بما انزل اليک، و ما انزل من قبلک، و يؤمنون بالمقيمين الصلاة، و هم الائمة المعصومون، و المؤتون الزكاة، كما قال: يؤمن باللّه، و يؤمن للمؤمنين. و أنكروا النصب على المدح. قالوا: و انما يجوز ذلک بعد تمام خبره قالوا و خبر الراسخين قوله: «أُولئِکَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً» فلا يجوز نصب المؤمنين على المدح فى وسط الكلام قبل تمام الخبر. و اختار الزجاج ذلک. قال:
يجوز أن تقول مررت بزيد كريم. بالجر و النصب و الرفع: النصب على المدح، و الخفض على الصفة، و الرفع على تقدير هو الكريم. و انشد فى النصب على المدح التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 391
بيت خرنق:
لا يبعدن قومى الذين هم سم العداة و آفة الجزر
النازلين بكل معترک و الطيبون معاقد الأزر
على معنى اذكر النازلين و هم الطيبون. و لو نصب لكان جائزاً. و قال قوم المعنى لكن الراسخون فى العلم منهم و من المقيمين الصلاة قالوا فموضعه خفض. و قال:
قوم:المعنى يؤمنون بما أنزل. اليک و إلى المقيمين الصلاة و هذان الوجهان الأخيران ضعيفان عند النحويين، لأنه لا يكاد يعطف ظاهر على مكنى.
قوله:«أُولئِکَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً» إشارة الى هؤلاء الذين وصفهم اللَّه فأخبر أنه سيعطينهم أجراً أى ثواباً، و جزاء على ما كان منهم من طاعة اللّه و اتباع أمره من الخلود فى الجنة. و قيل من جملة الراسخين: عبد اللّه بن سلام و ابن يامين و ابن صوريا، و اسد و ثعلبة، و سلام و غيرهم من علماء اليهود الذين آمنوا بالنبى (ص).

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 163]..... ص: 391

اشارة

إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْکَ کَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ عِيسى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هارُونَ وَ سُلَيْمانَ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً (163)
آية.

قرأ حمزة و خلف (زبوراً) بضم الزاى. الباقون بفتحها حيث وقعت من ضم الزاى احتمل ذلک وجهين: أحدهما أن يكون جمع زبر، فأوقع على المزبور الزبر. كما قيل: ضرب الأمير و نسج اليمن. كما يسمى المكتوب الكتاب، ثم جمع الزبر على زبور لوقوعه موقع الأسماء التى ليست مصادر كما يجمع الكتاب كتب، فلما استعمل استعمال الأسماء قالوا: زبور و الوجه الآخران يكون جمع زبور بحذف الزيادة على زبور، كما قالوا: ظريف و ظروف، و كروان و كروان، و ورشان التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 392
و ورشان و نحو ذلک مما يجمع بحذف الزيادة يدل على قوة هذا ان التكسير مثل التصغير. و قد اطرد هذا الحذف فى ترخيم التصغير نحو أزهر و زهير، و حارث و حريث و ثابت و ثبيت و الجمع مثله فى القياس، و إن كان اقل منه فى الاستعمال، و من فتح الزاى أراد الكتاب المنزل على داود (ع) كما سمى المنزل على موسى التوراة، و المنزل على عيسى الإنجيل، و المنزل على محمد (ص) الفرقان.

قال الحسين بن على المغربى: زبور جمع زبور و مثله تخوم و تخوم و عذوب و عذوب قال: و لا يجمع فعول- بفتح الفاء- على فعول- بضم الفاء- إلا هذه الثلاثة فيما عرفنا. و الزبر احكام العمل فى البئر خاصة يقال: بئر مزبورة: إذا كانت مطوية بالحجارة. و يقال: ما لفلان زبر اى عقل. و زبر الحديد: قطعة و أحدها زبرة.
و يقول زبرت الكتاب ازبره زبراً مثل اذبره ذبراً- بالذال المعجمة-.

هذا خطاب من اللَّه للنبى (ص) يقول اللَّه: إنا أوحينا إليک يا محمد أى أرسلنا اليک رسلنا بالنبوة كما أرسلنا إلى نوح و سائر الأنبياء الذين سميناهم لک من بعد و الذين لم نسمهم لک. و قيل: إن هذه الآية نزلت على النبى (ص) لان بعض اليهود لما فضحهم اللَّه بالآيات- التى أنزلها على رسوله (ص) من عند قوله:
«يسألک أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء و ما بعده» فتلا ذلک عليهم رسول اللَّه، قالوا: ما انزل اللَّه على بشر من شىء بعد موسى، فأنزل اللَّه هذه الآيات تكذيباً لهم، و اخبر نبيه و المؤمنين بها انه قد انزل على من بعد موسى من الذين سماهم فى هذه الآية و على من لم يسمهم و هو قول ابن عباس. و قال آخرون بل قالوا لما انزل اللَّه الآيات التى قبل هذه فى ذكرهم: ما انزل اللَّه على بشر من التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 393
شىء، و لا على عيسى. ذهب اليه محمد بن كعب القرظى و فيه نزل قوله: «وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَىْءٍ» و الأسباط فى ولد إسحاق كالقبائل فى أولاد إسماعيل. و قد بعث منهم عدة رسل: كيوسف و داود و سليمان، و موسى و عيسى، فيجوز أن يكون أراد بالوحى اليهم الوحى إلى الأنبياء منهم، كما تقول: أرسلت الى بنى تميم، و إن أرسلت إلى وجوههم و ليس يصح عندنا ان الأسباط الذين هم اخوة يوسف، كانوا أنبياء.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 164]..... ص: 393

اشارة

وَ رُسُلاً قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْکَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْکَ وَ کَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَکْلِيماً (164)
آية بلا خلاف.

يحتمل نصب (و رسلا) أمرين:
أحدهما- على قول الفراء- انا أوحينا اليک كما أوحينا الى نوح، و الى رسل قد قصصناهم عليک، و رسول لم نقصصهم عليک. فلما حذف الى نصب رسلا. و قال الزجاج: تقديره انه لما قال: «إِنَّا أَوْحَيْنا» كان معناه أرسلناک رسولا عطف على ذلک، فقال: و رسلا. و تقديره و أرسلنا رسلا، فعطف الرسل على معنى الأسماء قبلها فى الاعراب كما قال الشاعر:
أوحيت بالخبز له ميسرا و البيض مطبوخاً معاً و السكرا
لم يرضه ذلک حتى يشكرا
و الوجه الثانى- أن يكون نصباً بفعل يفسره ما بعده، و يتلوه، و هو اختيار الزجاج. و تقديره و قصصنا عليک رسلا قد قصصناهم عليک، كما قال: «وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ» و التقدير و أعد للظالمين أعد لهم عذاباً أليما.
و قرأ أبى و رسل. بالرفع- لما كان فى الفعل عائد اليهم، و هو قوله: التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 394
«قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْکَ» و قوله:
«وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً» نصب تكليما على المصدر و فائدته و كلم اللَّه موسى بلا واسطة خصوصاً من بين سائر الأنبياء كلمهم اللَّه بواسطة الوحى و قيل: إنما قال ذلک، ليعلم، ان كلام اللَّه من جنس هذا المعقول الذى يشقق من التكلم على خلاف ما يقول المبطلون. و قيل انما اتى بالمصدر تأكيداً. و قيل: إنما أراد بذلک تعظيم كلامه، كأنه قال: كلم اللَّه موسى تكليما شريفا كما قال: «فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ» يريد بذلک تعظيم ما غشيهم من الأهوال فاما قول من قال: إن اللَّه كلم موسى باللغات كلها التى لم يفهمها، فلما كان آخر شىء كلمه بكلام فهمه، فان ذلک لا يجوز عليه تعالى، لان خطاب من لا يفهم خطابه عبث يجرى مجرى قبح خطاب العربى بالزنجية، و اللَّه (يتعالى عن ذلک) قال البلخى: و فى الآية دلالة على أن كلام اللَّه محدث من حيث انه كلم موسى خاصة دون غيره من الأنبياء، و كلمه فى وقت دون وقت، و لو كان الكلام قديماً و من صفات ذاته لم يكن فى ذلک اختصاص و من فصل بين الكليم و التكلم، فقد ابعد لان المتكلم لغيره لا يكون الا متكلما، و إن كان يجوز ان يكون متكلما و ان لم يكن مكلما فالمتكلم يجمع الامرين.

رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (165)

آية بلا خلاف.

نصب (رسلا) على القطع من اسماء الأنبياء الذين ذكر أسماءهم (مبشرين) نصب على الحال. و التقدير أرسلت هؤلاء الأنبياء رسلا إلى خلقى و عبادى مبشرين بثوابى من اطاعنى و صدق رسلى (و منذرين) يعنى مخوفين من عقابى من عصانى و خالف أمرى، و كذب رسلى «لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 395

ابو على: ذلک مخصوص بمن علم اللَّه من حاله أن له فى بعثه الأنبياء لطفاً، لأنه إذا كان كذلک متى لم يبعث اليهم نبيا يعرفهم ما فيه لطفهم، كان فى ذلک أتم الحجة عليه (تعالى) و ذلک يفسد قول من قال: فى مقدوره من اللطف ما لو فعله بالكافر لآمن به، لأنه لو كان الامر على ما قالوه، لكانت لهم الحجة بذلک على اللَّه (تعالى) قائمة. فاما من لم يعلم من حاله ان له فى إنفاذ الرسل اليه لطفاً، فالحجة قائمة عليه بالعقل، و أدلته على توحيده، و صفاته و عدله، و لو لم تقم الحجة بالعقل و لا قامت إلا بإنفاذ الرسل، لفسد ذلک من وجهين:

أحدهما- ان صدق الرسل لا يمكن العلم به الا بعد تقدم العلم بالتوحيد و العدل فان كانت الحجة، لم تقم عليه بالعقل فكيف الطريق له إلى معرفة النبى (ص) و صدقه.

و الثانى- انه لو كانت الحجة لا تقوم الا بالرسول لاحتاج الرسول أيضاً إلى رسول آخر حتى تقوم عليه الحجة. و الكلام فى رسوله كالكلام فى هذا الرسول و يؤدى ذلک إلى ما لا يتناهى. و ذلک فاسد فمن استدل بهذه الآية على ان التكليف، لا يصح بحال الا بعد إنفاذ الرسل، فقد ابعد على ما قلناه.

و قوله: «وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً» معناه انه مقتدر على الانتقام ممن يعصيه و يكفر به لا يمنعه منه مانع لعزته حكيم فيما امر به خلقه و فى جميع أفعاله.

لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْکَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ الْمَلائِکَةُ يَشْهَدُونَ وَ کَفى بِاللَّهِ شَهِيداً (166)
آية.
قال الزجاج: الرفع مع تخفيف (لكن) و النصب مع تشديده جائز، لكن لم يقرأ بالتشديد احد.
و معنى «لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ» أى يبين ما تشهد به و يعلم مع إبانته انه حق.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 396
«وَ الْمَلائِکَةُ يَشْهَدُونَ وَ کَفى بِاللَّهِ شَهِيداً» دخلت الباء مؤكدة. و المعنى اكتفوا باللّه فى شهادته و المعنى فى الآية ان هؤلاء اليهود الذين سألوک ان ينزل عليهم كتابا من السماء و قالوا لک ما أنزل اللّه على بشر من شىء، و قد كذبوا ليس الامر كما قالوا، لكن اللّه يشهد بتنزيل ما أنزله اليک من كتابه و وحيه انزل ذلک إليک، و هو عالم بأنک خيرته من خلقه، و صفوته من عباده يشهد لک بذلک ملائكته، فلا يحزنک تكذيب من كذبک، و خلاف من خالفک «وَ کَفى بِاللَّهِ شَهِيداً» أى حسبک باللّه شاهداً على صدقک، دون ما سواه. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية فى جماعة من اليهود كان النبى (ص) دعاهم إلى اتباعه، و أخبرهم أنهم يعلمون حقيقة نبوته فجحدوا نبوته، و أنكروا معرفته، فانزل اللّه فيهم هذه الآية تسلية للنبى (ص) و تعزية له عن تكذيب من كذبه. و من استدل بهذه الآية على انه تعالى عالم بعلم، فقد اخطأ لان، قوله بعلمه معناه، و هو عالم به. و لو كان المراد بذلک ذاتا اخرى، لوجب أن يكون العلم آلة فى الانزال، كما يقولون كتبت بالقلم، و قطعت بالسكين، و نجرت بالناس. و لا خلاف ان العلم ليس بآلة فى الانزال. و قال الزجاج معناه إنزال القرآن الذى علمه فيه. و هو اختيار الازهرى.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 167]..... ص: 396

اشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً (167) آية.

ان الذين جحدوا نبوتک بعد علمهم بها من أهل الكتاب الذين ذكر قصتهم، و أنكروا ان اللّه تعالى أوحى اليک و انزل كتابه عليک، و صدوا عن سبيل اللّه يعنى عن الدين الذى بعثک به الى خلقه. و هو الإسلام بقولهم للذين يسألونهم التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 397
عن صحة نبوتک ما نجد صفة محمد (ص) فى كتبنا، و ادعاؤهم عهد إليهم ان النبوة لا تكون إلا فى ولد هارون. و من ذرية داود، و ما أشبه ذلک فقد ضلوا ضلالا بعيداً يعنى جاروا عن قصد الطريق جوراً شديداً، و زالوا عن المحجة التى هى دين اللّه الذى ارتضاه لعباده و بعثک به الى خلقه زوالا بعيدا، و ابعدوا من الرشاد.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً (168) إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (169)

آيتان.

هذا خبر من اللَّه تعالى بان الذين جحدوا رسالة محمد (صلى اللَّه عليه و آله) كفروا باللَّه، و جحدوه بجحودهم رسالة نبيه و ظلموا نبيه بتكذيبهم إياه، و مقامهم على الكفر على علم منهم بظلمهم عباد اللَّه، و حسدا للعرب، و بغياً على رسوله «لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ» يعنى لم يكن اللَّه ليعفو عن ذنوبهم بترک عقابهم عليها، لكنه تعالى يفضحهم بها (جل ثناؤه) بعقوبته إياهم عليه، و لا ليهديهم طريقاً يعنى لا يهديهم لطريق الجنة، لان الهداية إلى طريق الايمان قد سبقت، و قد عم اللَّه أيضاً بها جميع المكلفين. و يحتمل أن يكون المراد لم يكن اللَّه يفعل بهم ما يؤمنون عنده فى المستقبل عقوبة لهم على كفرهم الماضى، و استحقاقهم حرمان ذلک، و انه يخذلهم عن ذلک حتى يسلكوا طريق جهنم، و يكون المعنى لم يكن اللَّه ليوفقهم للإسلام، لكنه يخذلهم عنه الى طريق جهنم جزاء لهم على ما فعلوه من الكفر خالدين فيها مقيمين ابداً «وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً» المعنى و كان تخليد هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم فى جهنم على اللَّه يسيراً، لأنه تعالى إذا أراد ذلک به لم يقدر على الامتناع منه، و لا يصعب عليه عقاب من يعصيه، فلذلک كان يسيراً عليه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 170]..... ص: 398

اشارة

يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ کانَ اللَّهُ عَلِیماً حَکِیماً (170) آیة بلا خلاف.

خاطب اللَّه بهذه الآیة جمیع الکفار الذین لم یؤمنوا بالنبی (ص) من مشرکی العرب، و جمیع اصناف الکفار، و بین انه قد جاءهم الرسول- یعنی محمد (صلی اللَّه علیه و آله)- بالحق من ربکم- یعنی بالإسلام الذی ارتضاه اللَّه لعباده دیناً من ربکم. یعنی من عند ربکم «فَآمِنُوا خَیْراً لَکُمْ» معناه صدقوه و صدقوا ما جاءکم به من عند ربکم من الدین فان الایمان بذلک خیر لکم من الکفر «وَ إِنْ تَکْفُرُوا» ای تجحدوا نبوته و تکذبوا رسالته و بما جاء به من عند اللَّه فان ضرر ذلک یعود علیکم دون اللَّه تعالی الذی له ملک السماوات، لا ینقص کفرکم بما کفرتم به من أمره، و عصیانکم فیما عصیتموه فیه من ملکه و سلطانه شیئاً. «وَ کانَ اللَّهُ عَلِیماً» بما أنتم صائرون الیه من طاعته أو معصیته «حکیما» فی أمره إیاکم و نهبه عما نهاکم عنه و فی غیر ذلک من تدبیره فیکم، و فی غیرکم من خلقه.

و اختلفوا فى نصب «خَيْراً لَكُمْ» فقال الخليل، و جميع البصريين: إن ذلک محمول على المعنى، لأنک إذا قلت: انته خيراً لک، فأنت تدفعه عن امر، و تدخله فى غيره، كأنک قلت: انته و أت خيراً لک و ادخل فيما هو خير لک و انشد الخليل و سيبويه قول عمر بن أبى ربيعة:

فواعديه سرحتى مالک او الربا بينهما اسهلا

و تقديره و أننى مكاناً اسهلا و قال الكسائى: انتصب بخروجه من الكلام.

قال: التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 399

و هذا تفعله العرب فى الكلام التام، نحو قولک لتقومن خيراً لک، و انته خيراً لک، فإذا كان الكلام ناقصاً، لم يخبر غير الرفع تقول ان تنته خير لک، و ان تصبروا خير لكم. و قال الفراء انتصب ذلک لأنه متصل بالأمر و هو من صفته. الا ترى انک، تقول: انته هو خير لک؟ فلما أسقطت هو اتصل بما قبله، و هو معرفة فانتصب و قال ابو عبيدة: انتصب ذلک على إضمار كان، كأنه قال: فامنوا يكن الايمان خيراً لكم قال: و كذلک كل امر و نهى قال الفراء: يلزم على ذلک ما يبطله. ألا ترى انک تقول: اتق اللّٰه تكن محسناً، و لا يجوز ان تقول: اتق اللّٰه محسناً بإضمار كان، و لا يصلح ان تقول: انصرنا أخانا، و انت تريد تكن أخانا. و قال قوم. انتصب ذلک بفعل مضمر اكتفى فى ذلک المضمر بقوله: لا تفعل ذلک و افعل صلاحا لک.

يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِی دِینِکُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَی اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِیحُ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ کَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلی مَرْیَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَیْراً لَکُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ یَکُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ کَفی بِاللَّهِ وَکِیلاً (171)

آیة واحدة.

هذا خطاب من اللَّه تعالی لأهل الکتاب الذی هو الإنجیل و هم النصاری نهاهم اللَّه (تعالی) ان یغلوا فی دینهم بان یجاوزوا الحق فیه، و یفرطوا فی دینهم، و لا یقولوا فی عیسی غیر الحق، فان قولهم فی عیسی أنه ابن اللَّه قول بغیر الحق، لأنه (تعالی) لم یتخذ ولداً فیکون عیسی أو غیره من خلقه ابناً له، و نهاهم أن یقولوا علی اللَّه. الا الحق، و هو الإقرار بتوحیده، و انه لا شریک له و لا صاحبة و لا ولد.

و اصل الغلو فی کل شیء تجاوز حده یقال: غلا فلان فی الدین یغلو غلواً. و غلا التبیان فی تفسیر القرآن، ج3، ص: 400

بالجاریة عظمها و لحمها: إذا انسرعت الشباب، و تجاوزت لذاتها. یغلو بها غلواً و غلاء قال الحارث بن خالد المخزومی:

خمصانة فلق موشحها رود الشباب غلا بها عظم «1»

و قوله: انما المسیح عیسی بن مریم، فأصل المسیح الممسوح- نقل من مفعول إلی فعیل. سماه اللَّه بذلک لتطهیره إیاه من الذنوب، و قیل مسح من الذنوب و الأدناس التی تکون فی الآدمیین کما یمسح الشیء من الأذی الذی یکون فیه. و هو قول مجاهد. و قال ابو عبیدة: هذه الکلمة عبرانیة أو سریانیة مشیحاً، فعربت فقیل المسیح، کما عرب سائر أسماء الأنبیاء فی القرآن، نحو إسماعیل و إسحاق و موسی و عیسی. و قال قوم لیس هذا مثل ذلک، لان إسماعیل و إسحاق و ما أشبههما اسماء، لا صفات. و المسیح صفة و لا یجوز ان یخاطب العرب و غیرها من أجناس الخلق فی صفة شیء إلا بما یفهم، فعلم بذلک انها کلمة عربیة و قال ابراهیم: المسیح المسیح الصدیق و اما المسیح الدجال فانه ایضاً بمعنی الممسوح العین صرف من مفعول إلی فعیل فمعین المسیح فی عیسی (ع) الممسوح البدن من الأدناس و الآثام. و معنی المسیح فی الدجال الممسوح العین الیمنی أو الیسر کما یروی عن النبی (ص) فی ذلک. و قوله:

رسول اللَّه اخباره منه (تعالی) ان المسیح أرسله اللَّه و جعله نبیاً. و قوله: «کَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلی مَرْیَمَ» فانه یعنی بالکلمة الرسالة التی امر اللَّه ملائکته أن یأتی بها بشارة من اللَّه (تعالی) لها التی ذکرت فی قوله: «قالَتِ الْمَلائِکَةُ یا مَرْیَمُ إِنَّ اللَّهَ یُبَشِّرُکِ بِکَلِمَةٍ مِنْهُ» یعنی برسالة منه و بشارة من

عنده و قال قتادة و الحسن: هو قوله: «كن فكان» و اختار الطبرى الاول و قال الجبائى: ذلک مجاز، و انما أراد بالكلمة انهم يهتدون بعيسى، كما يهتدون بكلامه. و كذلک يحيون به فى دينهم كما يحيى الحى بالروح، فلذلک سماه روحا.

_____

(1) اللسان (علا)- مجاز القرآن ا: 143 و فى الأغانى (علا) بدل (غلا).
خمصانة بفتح الخاء و ضمها- ضامرة البطن. رؤد الشباب شابة حسنة.

و قوله: «أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ» فمعناه أعلمها بها و أخبرها كما يقال ألقيت اليک كلمة حسنة بمعنى أخبرتک بها، و كلمتک بها. و قال الجبائى: معنى ألقاها الى مريم خلفه فى رحمها.

و قوله: «وَ رُوحٌ مِنْهُ» اختلفوا فيه على ستة اقوال:

فقال قوم: معناه و نفحة منه و سماه روحا، لأنه حدث عن نفحة جبرائيل فى درع مريم بأمر اللَّه له بذلک، و نسب الى اللَّه، لأنه كان بامره. و انما سمى النفخ روحا، لأنها ريح تخرج من الروح. و استشهدوا على ذلک قول ذى الرمة- و اسمه غيلان- فى صفة نار نفثها.

فلما بدت كفنها و هى طفلة بطلساء لم تكمل ذراعا و لا شبراً.

و قلت له: ارفعها اليک و احيها بروحک و اقتها لها قيتة قدراً

و ظاهر لها من يابس الشخت، و استعن عليها الصبا و اجعل يديک لها ستراً «1» .

معنى احيها بروحک اى بنفخک.

و قال بعضهم: معناه انه كان إنساناً باحياء اللَّه إياه بتكوينه بلا واسطة من جماع، و نطفة على مجرى العادة.

و قال قوم: قوله: «وَ رُوحٌ مِنْهُ» معناه و رحمة منه. كما قال فى موضع: «وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» و معناه و رحمة منه. قال: فجعل اللَّه عيسى رحمة على من اتبعه، و آمن به و صدقه، لأنه هداهم الى سبيل الرشاد.

و قال آخرون: معنى ذلک و روح من اللَّه خلقها فصورها، ثم أرسلها الى مريم، فدخلت فى فيها فصيرها اللَّه تعالى روح عيسى ذهب اليه ابو العالية عن أبى ابن كعب.

_____

(1) ديوانه. و اللسان (روح) يصف ناراً طلساء خرقة اقتتها...: (نفخ بها برفق) الشخت: الدقيق من كل شىء.

و قال بعضهم: ان معنى الروح- ها هنا- القوة التى كان بها يحيى الموتى قال الراجز:

إذا عرج الليل بروح الشمس

و قال قوم: معنى الروح ها هنا جبرائيل. قالوا: و الروح معطوفة به على ما في قوله من ذكر اللّه تعالى. و المعنى إن إلقاء الكلمة الى مريم كان من اللّه تعالى.
ثم من جبرائيل. و قوله: «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ» أمرٌ من اللّه إياهم بتصديق اللّه تعالى، و الإقرار بوحدانية، و تصديق رسله فيما جاءوا به من عند اللّه، و فيما أخبرهم به أن اللّه لا شريک له، و لا صاحبة و لا ولدا.
و قوله: «وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا» نهى لهم عن أن يقولوا الأرباب ثلاثة، و انما رفع ثلاثة بمحذوف دل عليه ظاهر الكلام. و تقديره و لا تقولوا: هم ثلاثة.
و انما جاز ذلک، لان القول حكاية و مثل ذلک قوله: «سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ» «1» و كذلک كلما ورد من مرفوع بعد القول لا رافع معه ففيه إضمار اسم رافع لذلک الاسم، ثم قال متوعداً لهم على عظيم قولهم الذى قالوه فى اللّه: انتهوا أيها القائلون اللّه ثالث ثلاثة عما تقولون من الزوج و الشرک باللّه، و الانتهاء عن ذلک خير لكم من قولكم لما لكم عند اللّه من العقاب العاجل لكم على قولكم ذلک ان أقمتم عليه، و لم ترجعوا إلى الحق.
و وجه النصب فى «انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ» ما قلناه فى قوله آمنوا خيراً لكم، فلا وجه لإعادته.
و قوله: «إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ» معناه الاخبار من اللّه (تعالى) ان الذين يحق له العبادة واحد، لان من كان له ولد، لا يكون آلهاً و كذلک من كان، له صاحبة لا يجوز ان يكون إلهاً معبوداً، و لكن اللّه الذى له الالوهية و العبادة إله واحد، و معبود واحد لا ولد له، و لا والد، و لا صاحبة، و لا شريک، ثم نزه تعالى نفسه و عظمها و رفعها عما قاله المبطلون الكافرون فقال: «سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ»

---

(1) سورة الكهف، آية 23.

و لفظة سبحان تفيد التنزيه عما لا يليق به من الولد و الصاحبة، لان من يملک ما فى السماوات و الأرض و ما بينهما و له التصرف فيهما، و فيهم عيسى و امه، و هم عبيده، و هو رازقهم و خالقهم، و هم أهل الحاجة إليه و الفاقة، فكيف يكون المسيح ابناً له، و هو إما فى الأرض أو فى السماء. و هو تعالى يملک جميع ذلک، و يحتمل أن يكون فى موضع نصب لأنه يصلح أن يقال عن ابن يكون او من ان يكون، فإذا حذف حرف الجر كانت فى موضع نصب. و كان الكسائى يقول هو فى موضع خفض. و الاول قول الفراء و غيره.
و قوله: «وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا» معناه حسب ما فى السموات و ما فى الأرض باللّه قيماً و مدبراً، و رازقاً من الحاجة معه إلى غيره و معنى كفى باللّه اكتفوا باللّه.

و قد شبهت النصارى قولها: انه ثلاثة أقانيم جوهر واحد بقولنا: سراج واحد، ثم نقول. انه ثلاثة أشياء دهن و قطن و نار و للشمس انها شمس واحدة، ثم نقول انها جسم وضوج و شعاع. قال البلخى، و هذا غلط، لأنا و ان قلنا إنه سراج واحد، لا نقول هو شىء واحد، و لا الشمس انها شىء واحد بل نقول هو أشياء على الحقيقة، كما نقول عشرة واحدة، و انسان واحد، و دار واحدة، و شهر واحد، و هى أشياء متغايرة. فان قالوا: إن اللّه شىء واحد حقيقة كما انه إله واحد، فقولهم بعد ذلک انه ثلاثة مناقضة لا يشبه ما قلناه. و ان قالوا: هو أشياء، و ليس بشىء واحد دخلوا فى قول المشبهة، و تركوا القول بالتوحيد. و العجب أنهم يقولون:
إن الأب له ابن و الابن لا أب له، ثم يزعمون ان الذى له ابن هو الذى لا أب له، و يقولون إن من عبد الإنسان، فقد اخطأ و ضلّ، ثم يزعمون أن المسيح إله انسان، و انهم يعبدون المسيح. و قد تكلمنا على ما نعقل من مذاهبهم فى الأقانيم و الاتحاد و النبوة فى كتاب شرح الجمل بما لا مزيد عليه لا نطول بذكره ها هنا.

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَ لا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً (172)
آية.
معنىَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ»
لم يأنف. و أصله فى اللغة من نكفت الدمع:
إذا نحيته بإصبعک من خدک. قال الشاعر:
فباتوا فلو لا ما تذكر منهم من الخلف لم ينكف لعينيک مدمع
فتأويلَنْ يَسْتَنْكِفَ»
لن ينقبض و لن يمتنع. فمعنى الآية «لن يستكبر المسيح ان يكون عبداً» بمعنى من ان يكون عبداً للّه و لا الملائكة المقربون. و معناه و لا يستنكف الملائكة أيضاً، و لا يأنفون، و لا يستكبرون من الإقرار للّه بالعبودية، و الإذعان له بذلک «المقربون» الذين قربهم و رفع منازلهم على غيرهم من خلقه.
و قال الضحاک: المقربون معناه انه قربهم إلى السماء الثانية. و قولهَ: مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ»
معناه من يأنف من عبادة اللّه، و يتعظم عن التذلل و الخضوع له، و الطاعة له من جميع خلقه «فسيحشرهم» . و معناه فسيبعثهم يوم القيام جميعاً يجمعهم لموعدهم عنده. و معنى إليه إلى الموضع الذى لا يملک التصرف فيه سواه، كما يقال صار أمر فلان إلى القاضى أى لا يملكه غير القاضى، و لا يراد بذلک المكان الذى فيه القاضى. و استدل قوم بهذه الآية على ان الملائكة أفضل من الأنبياء قالوا: لا يجوز أن يقول القائل: لا يأنف الأمير أن يركب إلىّ و لا غلامه. و انما يجوز أن يقال: لا يأنف الوزير أن يركب إلىّ و لا الأمير، فيعطف بعالى الرتبة على الأدون، و لا يعطف بالادون على الأعلى. و هذا الذى ذكروه لا دلالة فيه من وجوه:
أحدها- ان يكون هذا القول متوجهاً إلى قوم اعتقدوا أن الملائكة أفضل من الأنبياء، فأجرى الكلام على اعتقادهم، كما يقول القائل لغيره: لا يستنكف

من كذا، و لا أبوک. و إن كان القائل يعتقد أن أباه أفضل.
الثانى- انه لا تفاوت بين الأنبياء و الملائكة التفاوت البعيد كتفاوت الأمير و الحارس، و ما يجرى مجرى ذلک. و يجوز أن يقدم الفاضل و يؤخر المفضول. أ لا ترى أنک تقول: لا يستنكف الأمير فلان من كذا، و لا الأمير فلان؟ و ان كان الاول أفضل.
و الثالث- انه اخر ذكر الملائكة، لان جميع الملائكة اكثر ثواباً لا محالة من

المسيح منفرداً فمن اين ان كل واحد منهم أفضل من المسيح، أو غيره من الأنبياء؟

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَ اسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَلِيماً وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (173)

آية.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية و وعد ان الذين يقرون بوحدانيته تعالى، و يعترفون بربوبيته، و يخضعون لعبادته. و يعملون الاعمال الصالحات التى أمر اللَّه بها، و بعث بها رسله انه يوفيهم أجورهم. و معناه يؤتيهم جزاء أعمالهم الصالحة وافياً تاماً، و يزيدهم من فضله يعنى يزيدهم ما كان وعدهم به من الجزاء على أعمالهم الصالحة و الثواب عليها من الفضل، و الزيادة هو ما لم يعرفهم مبلغه لأنه (تعالى) وعد على الحسنة عشر أمثالها من الثواب، و الزيادة على ذلک تفضل من اللَّه عليهم، و إن كان كل ذلک من فضله إلى عباده. و قد روى ان الزيادة إلى سبعين ضعفاً و إلى سبعمائة و إلى ألفين و كل ذلک جائز على ما يختاره اللَّه و يفعله.

و قوله «وَ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَ اسْتَكْبَرُوا» معناه أن الذين يأنفون عن الإقرار بتوحيد اللَّه، و يتعظمون عن الاعتراف بعبوديته، و الإذعان له بالطاعة، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 406

و استكبروا عن التذلل له، و تسليم ربوبيته يعذبهم عذاباً أليما أى مؤلماً موجعاً، و لا يجدون لهم من دون اللَّه ولياً و لا نصيراً. و انما رفع و لا يجدون بالعطف على ما بعد فيعذبهم و لو جزم على موضع ما بعد الفاء، كان جائزاً يعنى و لا يجد المستنكفون و المستكبرون لأنفسهم ولياً ينجيهم من عذابه، و ناصراً ينقذهم من عقابه.

يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً (174)
- آية بلا خلاف- هذا خطاب من اللَّه (تعالى) لجميع الخلق من الناس المكلفين من سائر اصناف الملل الذين قص قصصهم فى هذه السورة من اليهود و النصارى و المشركين «قَدْ جاءَكُمْ» يعنى أتاكم حجة من اللَّه تبرهن لكم عن صحة ما أمركم به، و هو محمد (صلى اللَّه عليه و آله) جعله اللَّه حجة عليكم، و قطع به عذركم، «وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً» يعنى و أنزلنا إليكم معه نوراً مبيناً يعنى بين لكم المحجة الواضحة، و السبل الهادية إلى ما فيه لكم النجاة من عذاب اللَّه و اليم عقابه، و ذلک النور هو القرآن الذى أنزله اللَّه على محمد (ص) و هو قول مجاهد، و قتادة و السدى و ابن جريج، و جميع المفسرين. و انما سماه نوراً لنا فيه من الدلالة على ما امر اللَّه به و نهى عنه و الاهتداء به تشبها بالنور الذى يهتدى به فى الظلمات و فى الآية دلالة على أن كلام اللَّه محدث، لأنه وصفه بالانزال فلو كان قديماً، لما جاز ذلک عليه.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ اعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِنْهُ وَ فَضْلٍ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِراطاً مُسْتَقِيماً (175)

هذا اخبار من اللَّه و وعد منه لمن صدق اللَّه و أقر بوحدانيته، و اعترف بما بعث به نبيه محمداً صلى اللَّه عليه و آله من أهل الملل، و اعتصم به و تمسک بالنور الذى أنزله إلى نبيه. قال ابن جريج الهاء فى (به) كناية عن القرآن، فسيدخلهن فى رحمة منه معناه ستنالهم رحمته التى تنجيهم من عقابه، و توجب لهم ثوابه، و جنته، و يلحقهم ما لحق أهل الايمان به، و التصديق لرسله، «وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِراطاً مُسْتَقِيماً» يعنى يوفقهم لاصابة فضله الذى تفضل به على أوليائه و يسددهم لسلوک منهج من أنعم عليه من أهل طاعته و اقتفاء اثارهم و اتباع دينهم. و ذلک هو الصراط المستقيم. و هو الإسلام الذى ارتضاه اللَّه دينا لعباده.

و نصب «صِراطاً مُسْتَقِيماً» على القطع من الهاء فى قوله (إليه) و يحتمل أن يكون المراد بقوله: «وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ» يعنى إلى ثوابه.

قوله تعالى:[سورة النساء (4): آية 176]..... ص: 407

اشارة

يَسْتَفْتُونَکَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيکُمْ فِي الْکَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَکَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَها نِصْفُ ما تَرَکَ وَ هُوَ يَرِثُها إِنْ لَمْ يَکُنْ لَها وَلَدٌ فَإِنْ کانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثانِ مِمَّا تَرَکَ وَ إِنْ کانُوا إِخْوَةً رِجالاً وَ نِساءً فَلِلذَّکَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَکُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَ اللَّهُ بِکُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (176)
آية آخر السورة.

روى البراء بن عازب قال: آخر سورة نزلت كاملة براءة. و آخر آية نزلت خاتمة سورة النساء «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلالَةِ» و قال جابر بن عبد اللَّه:
نزلت فى المدينة و قال ابن سيرين: نزلت فى مسير كان فيه رسول اللَّه (ص) التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 408
و أصحابه. و اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية
فقال سعيد بن المسيب: سأل عمر النبى (ص) عن الكلالة، فقال: ا ليس قد بين اللَّه ذلک؟ قال: فنزلت «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلالَةِ»
و قال جابر بن عبد اللَّه: اشتكيت و عندى تسع أخوات لى أو سبع، فدخل علىّ النبى (ص) فنفخ فى وجهى، فأفقت. فقلت: يا رسول اللَّه ألا أوصى لأخواتى بالثلثين؟ قال: أحسن. قلت: الشطر. قال: احسن، ثم خرج و تركنى، و رجع الى فقال: يا جابر انى لا أراک ميتاً من وجعک هذا، و ان اللَّه عز و جل قد أنزل فى الذى لاخواتک فجعل لهن الثلثين. قال: و كان جابر يقول:
نزلت هذه الآية فىّ.
و قال قتادة: ان اصحاب رسول اللَّه (ص) همهم شأن الكلالة، فانزل اللَّه (عز و جل) فيها هذه الآية.

معنى يستفتونک يسألونک يا محمد ان تفتيهم فى الكلالة. و حذف اقتصاراً لما دل الجواب عليه. و الاستفتاء و الاستقضاء واحدة يقال: قاضيته و فأتيته. قال الشاعر:

تعالوا نفاتيكم أ أعيا و فقعس إلى المجد أدنى ام عشيرة حاتم

هكذا أنشده الحسين بن على المغربى. و قد فسرنا معنى الكلالة و ذكرنا اختلاف العلماء فى ذلک فأغنى عن الاعادة. و قوله: «إِنِ امْرُؤٌ هَلَکَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ» قال السدى: معناه مات ليس له ولد ذكر و أنثى، (و له اخت) يعنى و للميت اخت لأبيه و امه، فلها نصف ما ترک، فان لم يكن أخت لاب و أم، و كانت اختاً لاب قامت مقامها، و الباقى عندنا رد على الاخت سواء كان هناک عصبة، او لم يكن. و قال جميع الفقهاء: إن الباقى للعصبة، و إن لم يكن هناک عصبة، و هم العم و بنو العم، و أولاد الأخ. قال فمن قال: الرد على ذوى الأرحام، رد على الاخت الباقى و هو اختيار الجبائى، و أكثر اهل العلم. و قال زيد بن ثابت، و الشافعى و جماعة: إن الباقى لبيت المال يرثه جميع المسلمين. و قوله: «وَ هُوَ يَرِثُها إِنْ لَمْ يَكُنْ لَها وَلَدٌ» يعنى إن كانت الأخت

الميتة، و لها أخ من أب و أم، أو من أب فالمال كله له بلا خلاف إذا لم يكن هناک ولد، سواء كان ولدها ذكراً، أو أنثى، فان كان ولدها ذكراً، فالمال له بلا خلاف و يسقط الأخ، و إن كانت بنتاً كان لها النصف بالتسمية بلا خلاف و الباقى رد عليها، لأنها اقرب دون الأخ، و لأن اللّه (تعالى) انما قال: «وَ هُوَ يَرِثُها» يعنى الأخ إذا لم يكن لها ولد. و البنت [ولد] «1» بلا خلاف و من خالف فى تسمية البنت ولداً فقد اخطأ. ذكر ذلک البلخى و استدل على ذلک بان قال: لو مات و خلف بنتاً و أبوين إن للأبوين الثلث، مع. قوله: «و لأبويه لكل واحد منهما السدس ان كان له ولد» و إنما أراد الولد الذكر. و هذا الذى ذكره خطأ، لأنه خلاف لأهل اللغة. لأنه لا خلاف فى تسمية البنت بأنها ولد، و لأنه قال: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلادِكُمْ» ثم فسر الأولاد فقال: «فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» فلو كان الولد لا يقع على الأنثى، لكان المال بينهم بالسوية، و ذلک خلاف القرآن. على انا نخالف فى المسألة التى ذكرها، فنقول للأبوين السدسان، و للبنت النصف و الباقى رد عليهم على قدر سهامهم، فنجعل الفريضة من خمسة و من رد الباقى على الأب فإنما يرده بالتعصيب، لا لان البنت لا تسمى ولداً، فبان بطلان ما قاله. و من خالفنا من الفقهاء فى مسألة الأخ و البنت، يقول: الباقى للأخ،

لقوله (ع): (ما أبقت الفرائض فلأولى عصبته)

ذكر هذا الخبر عندنا ضعيف، لأنه أو لا خبر واحد. و قد طعن على صحته.

ضعفه أصحاب الحديث بما ذكرناه فى مسائل الخلاف، و تهذيب الأحكام، و غير ذلک من كتبنا. و ما هذه صفته لا يترک له ظاهر القران. و قوله: «فَإِنْ كانَتَا اثْنَتَيْنِ» يعنى ان كانت الأختان اثنتين، فلهما الثلثان. و هذا لا خلاف فيه و الباقى على ما بيناه من الخلاف فى الأخت الواحدة. عندنا، رد عليها دون عصبتها، و دون ذوى الأرحام، و إذا كان هناک عصبة، رد الفقهاء الباقى عليهم، و إن لم يكن رد على ذوى الأرحام.
من قال بذلک فرد على الأختين، لأنهما أقرب، و من لم يقل بذلک رد على بيت المال.
فان كانت احدى الأختين لاب و ام، و الاخرى لاب، فللأخت للأب و الام النصف،

---

(1)- ساقطة من المطبوعة. [.....]

بلا خلاف. و الباقى رد عليها عندنا، لأنها تجمع السببين و لا شىء للاخت للأب، لأنها انفردت بسبب واحد و عند الفقهاء لها السدس تكملة الثلثين و الباقى على ما بيناه من الخلاف، و إن كانوا أخوة رجالا و نساء يعنى يكون الورثة أخوة رجالا و نساء للأب، و الام، أو للأب فللذكر مثل حظ الأنثيين. بلا خلاف فان كان الذكور منهم للأب و الام و الإناث للأب، انفرد الذكور بجميع المال بلا خلاف. و إن كان الإناث للأب و الام و الذكور للأب كان للإناث الثلثان ما سمى بلا خلاف و الباقى عندنا، رد عليهن لما بيناه من اجتماع السببين لهن. و عند جميع الفقهاء ان الباقى للاخوة مع الأب، و لأنهم عصبة.
و قد قلنا ما عندنا فى خبر العصبة و يمكن ان يحمل خبر العصبة مع تسليمة على ما مات، و خلف زوجاً أو زوجة و أخا لاب و أم، و أخاً للأب أو ابن أخ لاب و أم، أو ابن أخ لأب أو ابن عمّ لاب و امّ، و ابن عمّ لاب فان للزوج سهمه المسمى و الباقى لمن يجمع كلالة الأب و الام دون من يتفرد بكلالة الأب.
و قوله: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» قال الفراء: معناه لئلا تضلوا.
قال القطامى:
رأينا ما رأى البصراء فيها فآلينا عليها ان تباعا «1»
و المعنى إلا تباعا. و قال الزجاج و البصريون: لا يجوز إضمار لا. و المعنى يبين اللّه لكم كراهة أن تضلوا. و حذف كراهة، لدلالة الكلام عليه. قالوا: و انما جاز الحذف فى قوله: «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» و المعنى و سل اهل القرية، لأنه بقى المضاف فدل على المحذوف. فاما حذف (لا) و هى حرف جاء لمعنى النفى، فلا يجوز، لكن قد تدخل فى الكلام مؤكدة و هى لغو كقوله: «لئلا يعلم أهل الكتاب» و المراد لئن يعلم. و مثله قول الشاعر:
و ما ألوم البيض الا تسخراً إذا رأين الشمط القفندرا «2»

(1)- ديوانه: 43 يصف ناقته.
(2)- أنظر ا: 45

و المعنى و ما ألوم البيض ان تسخر و مثله قوله: «لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ» «1» «و لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ» «2» و المعنى أقسم. و لا يجوز على القياس على ذلک أن تقول: لا أخلف عليک و تريد أخلف عليک، لان (لا) إنما تلغى إذا مضى صدر الكلام على غير النفى، فإذا بنيت الكلام على النفى، فقد نقضت الإيجاب و انما جاز الغاء (لا) فى أول السورة، لان القرآن كله كالسورة الواحدة ألا ترى أن جواب الشىء فيه يقع و بينهما سور؟ كما قال تعالى جواباً لقوله: «وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّکَ لَمَجْنُونٌ» «3» فقال: «ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ. ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّکَ بِمَجْنُونٍ» «4» و بينهما سور كثيرة. ذكره الزجاج. و قوله: «إِنِ امْرُؤٌ هَلَکَ» قال الفراء (هلک) فى موضع جزم. و مثله قوله: «وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَکَ» «5» و لو كان موضعها يفعل كان جزماً. و قال الزجاج: جاز مع ان تقديم الاسم قبل الفعل، لانّ (ان) لا تعمل فى الماضى، و لأنها (ام) فى الجزاء قال: و التقدير ان هلک امرؤ هلک. و انشد الفراء:
صعدة قد نبتت فى حائر انما الريح تميلها تمل
فجزم تميلها. و قد حال بينها و بين أينما بالاسم و هو الريح.
و قال عمر: سألت رسول اللّه (ص) عن الكلالة، فقال: أ لم تسمع الآية التى أنزلت فى الصيف. و فى خبر آخر- تكفيک آية الصيف.
و قوله: «امْرُؤٌ هَلَکَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ: فَلَها نِصْفُ ما تَرَکَ» يمنع أن يكون الاخت ترث مع البنت، لأنه شرط فى ميراثها عدم الولد. و البنت ولد بلا خلاف بين أهل اللغة.
و ما روى عن النبى (ص) أن الأخوات مع البنات عصبة
خبر واحد، لا يلتفت اليه، لأنه يخالف نصب القرآن. و بما قلناه قال ابن عباس، لأنه لم يجعل الأخوات مع البنات عصبة.

(1)- سورة البلد، آية 1.
(2)- سورة القيامة، آية 1.
(3)- سورة الحجر، آية 6.
(4)- سورة القلم، آية 1- 2.
(5) سورة التوبة، آية 7.

و موضع (ان) فى قوله (ان تضلوا) نصب فى قول الأكثر، لاتصالها بالفعل و فى قول الكسائى: خفض، لِان تقديره عنده لئلا تتولوا، فان قيل:

ما وجه قوله: «اثنتين» مع أن قوله: «فان كانتا» قد دل على اثنتين؟ قيل: يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يكون ذلک تأكيداً للمضمر يقول القائل: فعلت أنا.
و الثانى- ان يبين بذلک ان المطلوب فى ذلک العدد، لا غيره من الصفات من صغر او كبر أو عقل أو عدمه، و غير ذلک من الصفات، بل متى جعل العدد ثبت ما ذكره من الميراث.
و قوله: «وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» معناه عالم بكل شىء من مصالح عباده فى قسمته مواريثهم، و غيرها من جميع الأشياء، لا يخفى عليه شىء من جميعه.

5-سورة المائدة..... ص: 413

اشارة

هى مدنية فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة.
و قال جعفر بن مبشر: هى- مدنية إلا آية منها نزلت فى حجة الوداع و هى قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» و هى كلها مدنية بمعنى انها نزلت بعد الهجرة.
و قال الشعبى: نزل قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ» و النبى (صلى اللَّه عليه و آله) واقف على راحلته فى حجة الوداع.
و قال عبد اللَّه بن عمر آخر سورة نزلت المائدة. و هى مائة و عشرون آية كوفى و اثنتان و عشرون فى المدينتين. و ثلاثة و عشرون بصرى.

قوله تعالى:[سورة المائدة (5): آية 1]..... ص: 413

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ إِلاَّ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى الصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ ما يُرِيدُ (1)
آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 414
هذا خطاب من اللّه (تعالى) للمؤمنين المعترفين بوحدانيته تعالى المقرين له بالعبودية المصدقين لرسوله (ص) فى نبوته، و فيما جاء به من عند اللّه من شريعة الإسلام، أمرهم اللّه بإيفاء العقود و هى العهود التى عاهدوها مع اللّه و أوجبوا على أنفسهم حقوقاً، و الزموا نفوسهم بها فروضاً أمرهم اللّه تعالى بالإتمام بالوفاء و الكمال لما لزمهم يقال: أو فى بالعهد و وفى به و أوفى به لغة أهل الحجاز. و هى لغة القرآن، و اختلف اهل التأويل فى العقود التى امر اللّه (تعالى) بالوفاء بها فى هذه الآية بعد إجماعهم على ان المراد بالعقود العهود، فقال قوم: هى العقود التى كان اهل الجاهلية عاقد بعضهم بعضاً على النصرة و المؤازرة. و المظاهرة على من حاول ظلمهم او بغاهم سوءً و ذلک هو معنى الحلف. ذهب اليه ابن عباس و مجاهد، و الربيع ابن أنس و الضحاک و قتادة و السدى و سفيان الثورى.
و العقود جمع عقد. و أصله عقد الشىء بغيره. و هو وصله به، كما يعقد الحبل إذا وصل به شيئاً. يقال منه: عقد فلان بينه و بين فلان عقداً فهو يعقده. قال الحطيئة:
قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج و شدوا فوقه الكربا «1»
و ذلک إذا واثقه على امر عاهده على عهد بالوفاء له بما عاقده عليه من أمان، أو ذمة أو نصرة، أو نكاح أو غيره ذلک. قال قتادة: هى عقود الجاهلية الحلف.
و يقال: اعقدت العسل فهو عقيد و معقد و روى بعضهم عقدت، العسل و الكلام و أعقدت. و قال آخرون: هى العهود التى أخذ اللّه على عباده بالايمان به، و طاعته فيما أحل لهم أو حرم عليهم. روى ذلک عن ابن عباس و قال: هو ما أحل و حرم و ما فرض، و ما حد فى القرآن كله، فلا تعدوا أو لا تنكثوا، ثم سدد فقال:

---

(1) ديوانه: 6 مجاز القرآن لأبى عبيدة ا: 145 اللسان (كرب) من قصيدته التى قالها فى الزبرقان بن بدر و بغيض بن عامر من بنى أنف الناقة. العناء: خيط يشد فى أسفل الدلو. الكرب: الحبل.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 415
«وَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ» الى قوله: «سُوءُ الدَّارِ» . و به

قال أيضاً مجاهد: و قال قوم: بل العقود التى يتعاقدها الناس بينهم و يعقدها المرء على نفسه كعقد الايمان، و عقد النكاح، و عقد العهد، و عقد البيع، و عقد الحلف.
ذهب اليه عبد اللَّه بن عبيدة و ابن زيد، و هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه.
و قال آخرون: ذلک امر من اللَّه لأهل الكتاب بالوفاء بما أخذ به ميثاقهم من العمل بما فى التوراة و الإنجيل فى تصديق محمد (صلى اللَّه عليه و آله) و ما جاء به من عند اللَّه.
ذكر ذلک ابن جريج و أبو صالح. و قال الجبائى: أراد به الوفاء بالايمان فيما يجوز الوفاء به. فاما ما كان يميناً بالمعصية، فعليه حنثه و عليه الكفارة. و عندنا ان اليمين فى معصية لا تنعقد، و لا كفارة فى خلافها. و أقوى هذه الأقوال ما حكيناه عن ابن عباس أن معناه أوفوا بعقود اللَّه التى أوجبها عليكم، و عقدها فيما أحل لكم و حرم، و ألزمكم فرضه. و بين لكم حدوده. و يدخل فى جميع ذلک ما قالوه إلا ما كان عقداً على المعاونة على أمر قبيح. فان ذلک محظور بلا خلاف.
و قوله: «أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ» اختلفوا فى تأويل بهيمة الانعام فى هذه الآية فقال قوم: هى الانعام كلها: الإبل و البقر، و الغنم. ذهب اليه الحسن و قتادة و السدى و الربيع و الضحاک. و قال آخرون:
أراد بذلک اجنة الأنعام التى توجد فى بطون أمهاتها إذا ذكيت الأمهات. و هى ميتة. ذهب اليه ابن عمر و ابن عباس. و هو المروى عن أبى عبد اللَّه.
و الأولى حمل الآية على عمومها فى الجميع.
و الانعام جمع نعم، و هو اسم للإبل، و البقر و الغنم خاصة عند العرب كما قال تعالى: «وَ الْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَ مَنافِعُ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ» ثم قال: «وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَ زِينَةً» ففضل جنس النعم من غيرها من أجناس الحيوان و أما بهائمها فإنها أولادها. و قال الفراء بهيمة الانعام: وحشها كالظباء، و بقر الوحش، و الحمر الوحشية. و انما سميت بهيمة الانعام، لان كل حى لا يميز، فهو بهيمة الانعام، لأنه أبهم عن ان يميز. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 416
و قوله: «إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» اختلفوا فى المراد بقوله «إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» فقال بعضهم: أراد بذلک أحلت لكم أولاد الإبل، و البقر و الغنم إلا ما بين اللَّه تعالى فيما يتلى عليكم بقوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ... الآية» ذهب اليه مجاهد و قتادة و قال: الميتة، و ما لم يذكر اسم اللَّه عليه. و به قال السدى و ابن عباس. و قال آخرون: استثنى من ذلک الخنزير روى ذلک أيضاً عن ابن عباس، و الضحاک. و الاول أقوى، لان قوله: «إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» يجب حمله على عمومه فى جميع ما حرم اللَّه (تعالى) فى كتابه. و الذى حرمه هو ما ذكره فى قوله:

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ..... الى آخر الآية» و الخنزير و إن كان محرماً، فليس من بهيمة الانعام، فمتى حملناه عليه كان الاستثناء منقطعاً، و متى خصصنا بالميتة و الدم، كان الاستثناء متصلا. و إن حملناه على الكل تكون علينا حكم الميتة و ما ذكر بعده، فيكون الاستثناء أيضاً حقيقة و متصلا. و اختار الطبرى تخصيصه بالميتة و الدم، و ما أهل لغير اللّه به. قال الحسين ابن على المغربى إلا ما يتلى معناه من البحيرة و السائبة و الوصيلة فلا تكون المحرم، و استثنى ها هنا ما حرمه (تعالى) فلا يليق بذلك.

و قوله: «غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ» اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم: معناه أوفوا بالعقود غير محلين الصيد و أنتم حرم أحلت لكم بهيمة الانعام. و يكون فيه التقديم و التأخير، فغير يكون منصوباً على هذا الحال مما فى قوله: «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» من ذكر الذين آمنوا. و تقدير الكلام أوفوا أيها الذين آمنوا بعقود اللّه التى عقدها عليكم فى كتابه لا محلين الصيد، و أنتم حرم. و قال آخرون: معنى ذلک أحلت لكم بهيمة الانعام الوحشية من الظباء، و البقر و الحمر غير محلى الصيد غير مستحلين اصطيادهم، و أنتم حرم، و إلا ما يتلى عليكم (فغير) على هذا منصوب على الحال من الكاف، و الميم اللين فى قوله: «أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ» و التقدير أحلت لكم يا أيها الذين آمنوا بهيمة الانعام، لا مستحلى اصطيادها فى حال إحرامكم و قال آخرون: معناه أحلت لكم بهيمة الانعام كلها إلا ما يتلى عليكم. بمعنى إلا التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 417

ما كان منها وحشياً، فانه صيد، و لا يحل لكم و أنتم حرم. و التقدير على هذا أحلت لكم بهيمة الانعام كلها إلا ما بين لكم من وحشها غير مستحلى اصطيادها فى حال إحرامكم، فتكون (غير) منصوبة على الحال فى الكاف و الميم فى قوله: إلا ما يتلى عليكم. ذهب إلى ذلک الربيع، و الحرم جمع حرام. و هو المحرم قال الشاعر:

فقلت لها حثى اليک فاننى حرام و إنى بعد ذاک لبيب

أى و انى ملب.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ ما يُرِيدُ» معناه إن اللَّه يقضى فى خلقه ما يشاء من تحليل ما يريد تحليله، و تحريم ما يريد تحريمه، و إيجاب ما يريد إيجابه. و غير ذلک من أحكامه و قضاياه، فافعلوا ما أمركم به، و انتهوا عما نهاكم عنه.

(و ما) فى قوله: «إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» فى موضع نصب بالاستثناء. و قال الفراء يجوز أن يكون موضعها الرفع. كما تقول جاءنى القوم، إلا زيداً و إلا زيد قال الزجاج: و هذا لا يجوز إلا أن تكون إلا بمعنى غير، فتكون صفة. فاما بمعنى الاستثناء، فلا يجوز.
و قوله عليه السلام: (ذكاة الجنين ذكاة امه عندنا)
معناه انه إذا ذكيت الام و خرج الولد ميتاً، قد اشعرا و أوبر، جاز أكله. و به قال الشافعى و أهل المدينة و قال ابو حنيفة: معناه انه يذكى كما تذكى امه و هو اختيار البلخى.

قوله تعالى:[سورة المائدة (5): آية 2]..... ص: 417

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ وَ لا الشَّهْرَ الْحَرامَ وَ لا الْهَدْيَ وَ لا الْقَلائِدَ وَ لا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْواناً وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَ تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى وَ لا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (2)

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 418

آية.

قرأ أبو بكر عن عاصم، و ابو جعفر و إسماعيل المسيبى (شنآن) بسكون النون الاولى فى الموضعين. الباقون بفتحها و قرأ ابن كثير و أبو عمر (و ان صدوكم) بكسر الهمزة الباقون بفتحها.

هذا خطاب من اللَّه (تعالى) للمؤمنين ينهاهم ان يحلوا شعائر اللَّه. و اختلفوا فى معنى شعائر اللَّه على سبعة اقوال:
فقال بعضهم: معناه لا تحلوا حرمات اللَّه، و لا تعدوا حدوده، و حملوا الشعائر على المعالم. و أرادوا بذلک معالم حدود اللَّه و أمره و نهيه، و فرائضه ذهب اليه عطا و غيره.
و قال قوم: معناه لا تحلوا حرم اللَّه و حملوا شعائر اللَّه على معالم حرم اللَّه من البلاد. ذهب اليه السدى.
و قال آخرون: معنى شعائر اللَّه مناسک الحج. و المعنى لا تحلوا مناسک الحج، فتضيعوها. ذهب اليه ابن جريج، و رواه عن ابن عباس.
و قال ابن عباس: كان المشركون يحجون البيت، و يهدون الهدايا، و يعظمون حرمة المشاعر، و يتجرون فى حججهم، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم، فنهاهم اللَّه عن ذلک.
و قال مجاهد: شعائر اللَّه الصفا و المروة و الهدى من البدن، و غيرها. كل هذا من شعائر اللَّه. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 419
و قال الفراء
كانت عامة العرب لا ترى الصفا و المروة من الشعائر، و لا يطوفون بهما، فنهاهم اللَّه عن ذلک و هو قول أبى جعفر (عليه السلام).
و قال قوم: معناه لا تحلوا ما حرم اللَّه عليكم فى إحرامكم. روى ذلک عن ابن عباس فى رواية اخرى.
و قال الجبائى الشعائر: العلامات المنصوبة للفرق بين الحل، و الحرم نهاهم اللَّه أن يتجاوزها إلى مكة بغير إحرام. و قال الحسين بن على المغربى: المعنى لا تحلوا الهدايا المشعرة. و هو قول الزجاج و اختاره البلخى. و أقوى الأقوال قول عطا من أن معناه، لا تحلوا حرمات اللَّه، و لا تضيعوا فرائضه لان الشعائر جمع شعيرة و هى. على وزن فعلية، و اشتقاقها من قولهم: شعر فلان بهذا الامر: إذا علم به، فالشعائر المعالم من ذلک، و إذا كان كذلک، وجب حمل الآية على عمومها، فيدخل فيه مناسک الحج، و تحريم ما حرم فى الإحرام، و تضييع ما نهى عن تضييعه و استحلال حرمات اللَّه، و غير ذلک من حدوده و فرائضه و حلاله و حرامه، لان كل ذلک من معالمه، فكان حمل الآية على العموم اولى.
و قوله: «وَ لَا الشَّهْرَ الْحَرامَ» معناه و لا تستحلوا الشهر الحرام بقتالكم فيه أعداءكم من المشركين، كما قال: «يَسْئَلُونَکَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ» و هو قول ابن عباس و قتادة. و الشهر الحرام الذى عناه اللَّه ها هنا قال قوم:

هو رجب، و هو شهر كانت مضر تحرم فيه القتال. و قال قوم: هو ذو العقدة. ذكره عكرمة. و قال ابو على الجبائى: هو أشهر الحرام كلها، نهاهم اللّه عن القتال فيها.
و هو أليق بالعموم. و به قال البلخى.
و قوله: «وَ لَا الْهَدْىَ وَ لَا الْقَلائِدَ» فالهدى جمع واحدة هدية و أصله هدية و هو ما هداه الإنسان من بعير او بقرة أو شاة أو غير ذلک إلى بيت اللّه تقربا به إلى اللّه (تعالى) و طلباً لثوابه بقول اللّه: لا تستحلوا ذلک فتغصبوه أهله عليه، و لا تحولوا بينهم و بين ما اهدوا من ذلک إلى بيت اللّه ان يبلغوه محله من الحرم، و لكن التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 420
خلوهم حتى يبغوا به المحل الذى جعله عز و جعل له. و هو كعبته. قال ابن عباس:
و الهدى يكون هدياً قبل ان يقلد ما جعله على نفسه أن يهديه و يقلده. و قوله: «وَ لَا الْقَلائِدَ» معناه و لا تحلوا القلائد. و اختلفوا فى معناه فقال بعضهم: عنى بالقلائد الهدى. و انما كرر، لأنه أراد المنع من حل الهدى الذى لم يقلد، و الهدى الذى قلد. و هو قول ابن عباس. و قال آخرون: يعنى بذلک القلائد التى كان المشركون يتقلدونها إذا أرادوا الحج مقبلين إلى مكة من لحاء السمر، و إذا خرجوا منها إلى منازلهم منصرفين منها الى المشعر. ذهب اليه قتادة و قال كان فى الجاهلية إذا خرج الرجل من أهله يريد الحج تقلد من السمر، فلا يعرض له أحد و إذا رجع تقلد قلادة شعر، فلا يعرض له احد. و قال عطا: كانوا يتقلدون من لحاء شجر الحرم يأمنون به إذا خرجوا من الحرم. و قال الفراء: كان اهل الحرم يتقلدون بلحاء الشجر، و اهل غير الحرم يتقلدون بالصوف و الشعر و غيرهما، فنزلت «لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ...»
و قال مجاهد: و هو اللحا فى رقاب الناس. و البهائم أمن لهم. و هو قول السدى.
و قال ابن زيد: إنما عنى بالمؤمنين نهاهم أن ينزعوا شيئاً من شجر الحرم يتقلدون به، كم كان المشركون يفعلونه فى جاهليتهم. ذهب اليه عطا فى رواية و الربيع بن أنس. و قال ابو على الجبائى: القلائد هو ما قلده الهدى، نهاهم عن حلها، لأنه كان يحب أن يتصدق بها. قال: و يحتمل أن تكون عبارة عن الهدى المقلد. و الأقوى أن يكون المراد بذلک النهى عن حل القلائد، فيدخل فيه الإنسان و البهيمة إذ هو نهى عن استحلال حرمة المقلد، و هو هدياً كان ذلک أو إنساناً.
قوله: «وَ لَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ» معناه، و لا تحلوا قاصدين البيت الحرام.
يقال: أممت كذا: إذا قصدته و عمدته. و بعضهم يقول يممته قال الشاعر:
إنى كذلک إذا ما ساءنى بلدٌ يممت صدر بعيرى غيره بلدا «1»
و البيت الحرام بيت اللّه بمكة. و هو الكعبة.
_____

(1) مجاز القرآن لابی عبیدة ا: 146.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج3، ص: 421
و قوله: «یَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْواناً» معناه یلتمسون أرباحاً فی تجارتهم من اللّه «وَ رِضْواناً» یعنی و ان ترضی عنهم منسکهم. نهی اللّه تعالی ان یحلّ و یمنع من هذه صورته. فاما من قصد البیت ظلماً لأهله، وجب منعه و دفعه عنهم.

و قال ابو جعفر (عليه السلام): نزلت هذه الآية فى رجل من بنى ربيعة يقال له: الحطم. قال السدى: أقبل الحطم بن هند البكرى حتى أتى النبى (صلى اللَّه عليه و آله) وحده، و خلف خيله خارجة من المدينة، فدعاه فقال: الام تدعو فأخبره و قد كان النبى (ص) قال: لأصحابه: يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان، فلما أخبره النبى (صلى اللَّه عليه و آله) قال: انظروا لعلى اسلم ولى من أشاوره، فخرج من عنده فقال رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه و آله) لقد دخل بوجه كافر
، و خرج بعقب غادر، فمر بسرح من سرح المدينة فساده و انطلق به، و هو يرتجز و يقول:
قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعى ابل و لا غنم
و لا بجزار على ظهر و ضم باتوا نياماً و ابن هند لم يتم
بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج الساقين ممسوح القدم «1»
ثم اقبل من عام قبل حاجا قد قلد هدياً، فأراد رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه و آله) أن يبعث اليه، فنزلت هذه الآية «وَ لَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ» هذا قول ابن جريج، و عكرمة و السدى و قال ابن زيد: نزلت يوم الفتح فى ناس يأمون البيت من

---

(1) البيان و التبيين 2: 308 الاغانى 14: 44 اللسان (حطم) و قبل هذا الرجز قوله هذا أوان الشد فأشتدى زيم. حطم السائق الذى يسير بأقصى سرعة: الوضم: خشبة القصاب التى يقطع عليک اللحم الزلم: قدح الميسر، خدلج الساقين: ممتلئ الساقين. ممسوح القدم: قدمه مستو. و قد جاء فى صفة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم مسيح القدمين.

المشركين يهلون بعمرة. فقال المسلمون: يا رسول اللَّه (ص) إنما هؤلاء مشركون، مثل هؤلاء دعنا نغير عليهم، فانزل اللَّه تعالى الآية قال ابن عباس: ذلک فى كل من توجه حاجا. و به قال الضحاک و الربيع بن انس.

و اجمعوا على انه نسخ من حكم هذه الآية شىء إلا ابن جريج فانه قال: لم ينسخ منها شىء، لأنه لا يجوز أن يبتدأ المشركون فى أشهر الحرم بالقتال إلا إذا قاتلوا. و هو المروى عن أبى جعفر (ع)
و قال الشعبى: لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية و قال أبو ميسرة: فى المائدة ثمانية عشر فريضة ليس منها شىء منسوخ.
و اختلفوا فيما نسخ منه فقال بعضهم: نسخ جميعها ذهب إليه الشعبى و قال: لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية لا تحلوا شعائر اللّه و لا الشهر الحرام، و لا الهدى، و لا القلائد. و به قال مجاهد: قال: نسخها قوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» و به قال قتادة و الضحاک و حبيب بن أبى ثابت و ابن زيد. و قال آخرون: نسخ منها قوله: «و لا الشهر الحرام، أمين البيت الحرام» ذكر ذلک عن ابن أبى عروبة عن قتادة و قال: نسخها قوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» و قوله: «ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ» و قوله: «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ الآية» فى السنة التى نادى على (عليه السلام) فيها بالأذان.
و به قال ابن عباس و قال قوم: لم ينسخ منه إلا القلائد. و روى ذلک عن ابن أبى بحيح عن مجاهد. و أقوى الأقوال قول من قال: نسخ منها «و لا الشهر الحرام و لا القلائد و لا أمين البيت الحرام» لإجماع الامة على أنه (تعالى) أحل قتال أهل الشرک فى أشهر الحرام و غيرها من شهور السنة.
و اجمعوا أيضاً على أن مشركا لو قلد لحا جميع أشجار الحرم عنقه او ذراعه، لم يكن ذلک أماناً له من القتل إذا لم يتقدم له أمان.

و قوله: «وَ لَا آمِّينَ الْبَيْتَ» ظاهره يحتمل المسلم و المشرک لعموم اللفظ، لکن خصصنا المشرکين بقوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ... الآية» و يحتمل أيضاً أن يکون مخصوصاً بأهل الشرک. و عليه اکثر المفسرين. فان کان مخصوصاً بهم، فلا شک أيضاً أنه. منسوخ بما قدمناه من الآية و الإجماع. و قوله: «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْواناً» معناه يلتمسون و يطلبون الزيادة، و الأرباح فی التجارة و رضوان اللّه عنهم و ألا يحل بهم ما حل بغيرهم من الأمم بالعقوبة فی غالب دنياهم. و هو قول قتادة و قال: هی للمشرکين يلتمسون فضل اللّه، و رضوانه بما يصلح لهم دنياهم.
و به قال ابن عباس و الربيع بن انس و مجاهد و فی الآية دلالة علی جواز حمل المتاع للتجارة فی الحج. و قوله: إذا حللتم، فاصطادوا فأهل الحجاز يقولون: حللت من الإحرام أحل، و الرجل حلال. و کذلک سعد بن بکر و کذا يقولون: حرم الرجل فهو حرام: إذا صار محرماً، و قوم حرمٌ و اسد و قيس و تميم يقولون: أحلّ من إحرامه، فهو مُحلّ و أحرم فهو محرمٌ. معناه إذا حللتم من إحرامکم، فاصطادوا الصيد الذی نهيتکم أن تحلوه، و أنتم حرم. و هو بصورة الامر. و معناه الاباحة.
و تقديره لا حرج عليکم فی اصطياده فاصطادوه ان شئتم حينئذ لأن السبب المحرم قد زال. و هو قول جميع المفسرين: مجاهد و عطاء، و ابن جريج و غيرهم.
و قوله: «وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ» قال ابن عباس: و لا يحملنکم شنآن قوم. و هو قول قتادة. و اختلف اهل اللغة فی تأويلها، فقال الأخفش، و جماعة من البصريين، لا يحقن لکم، مثل قوله: «لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ» و معناه حق ان لهم النار.
و قال الکسائی و الزجاج معناه: لا يحملنکم و قال بعض: الکوفيين معناه لا يحملنکم.
قال: يقال: جرمنی فلان علی أن صنعت کذا أی حملنی عليه. و قال الفراء: معناه لا يکسبنکم شنآن قوم. و استشهد الجميع بقول الشاعر:
و لقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا «1»

---

(1) قائله أبو أسماء بن الضريبة. مجاز القرآن لابی عبيدة ا: 147 اللسان: (جرم)

فمنهم من حمل قوله: جرمت علی ان معناه حملت. و منهم من حمله علی أن معناه أحقت الطعنة، لفزارة الغضب. و منهم من قال: معناه کسبت

فزارة أن يغضبوا و قال المغربى: معناه قطعت فزارة و ليس من هذا فى شىء. و سمع الفراء من العرب من يقول: فلان جريمة أهله أى كاسبهم. و خرج يجرمهم أى يكسبهم.
و الأقاويل متقاربة المعانى. و قراءة القراءة المعروفين «لا يَجْرِمَنَّكُمْ» - بفتح الياء من جرمته. و قرأ يحيى بن وثاب، و الأعمش «يجرمنكم» بضم الياء من أجرمته فهو يجرمنى. و قيل: هما لغتان. و الاولى أفصح، و أعرف، و أجاز أبو على الفارسى معنى جرم كسب. قال: و هو فعل يتعدى الى مفعولين مثل كسب يدل على ذلک قول الشاعر فى صفة عقاب:
جريمة ناهض فى رأسه نيق يرى لعظام ما جمعت صليباً
معناه تكسب لفرخها. جريمة ناهض يحتمل تقريرين:
أحدهما- جريمه قوت ناهض اى كاسب قوته، كما قالوا ضارب قداح، و ضريب قداح و عريف و عارف.
و الآخر- أن تقدر حذف المضاف، و تضيف جريمة الى ناهض. و المعنى كاسب ناهض، فجرم يستعمل فى الكسب و ما يريد من سعى الإنسان عليه.
و أما جرم فمعناه اكتسب الإثم قال اللَّه تعالى: «إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ» و قال:
«فَعَلَيَّ إِجْرامِى» و معناه فعلى عقوبة إجرامى أو اثم أجرامى. و معنى «لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ» لا تكتسبوا لبغض قوم عدواناً، و لا تفتنوه، فمن فتح أن أوقع النهى فى اللفظ على الشنآن. و المعنى بالنهى المخاطبون، كما قالوا: لا أريتک ها هنا و لا تموتن إلا و أنتم مسلمون.

و كذلک قوله: لا يجر منكم شقاقي ان يصيبكم المفعول الثانى و اسماء المخاطبين المفعول الاول، كما أن المفعول الاول فى الآية الأخرى المخاطبون. و الثانى قوله: «أَنْ التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 425 تَعْتَدُوا»
و لفظ النهى واقع على الشقاق. و المعنى بالنهى المخاطبون. قال الزجاج: موضع (ان) الأولى نصب بانه مفعول له. و تقديره لا يحملنكم بغض قوم لان صدودكم عن المسجد يعنى النبى (ص) و أصحابه، لما صدوهم عن مكة. و موضع ان الثانية مفعول به و معناه لا يكسبنكم بغض قوم أى بغضكم قوماً الاعتداء عليهم، لصدهم عن المسجد الحرام.
و قوله: «شَنَآنُ قَوْمٍ» معناه بغض قوم فى قول ابن عباس، و قتادة و ابن زيد، و غيرهم يقول: شنئت الرجل اشناه شنئاً و شنآنا و شناً و منشأةً: إذا أبغضته و ذهب سيبويه الى أن ما كان من المصادر على فعلان لم يتعد فعله إلا أن يشدّ شىء نحو شنيته شنآنا و لا يجوز أن يكون شنيته يراد به حذف الجر، كقول سيبويه فى فرقته و حذرته أن أصله حذرت منه لان اسم الفاعل منه على فاعل، نحو شانى و «إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ» و قال الشاعر:
بشانيک الضراعة و الكلول
قال ابو على: هذا يقوى أنه مثل علم يعلم، فهو عالم، و نحوه من المتعدى و أيضاً، فان شنيت فى المعنى بمنزلة أبغضت، فلما كان معناه عدى كما عدى أبغضت كما أن الرفث لما كان بمعنى الإفضاء عدى بالجار، كما عدى الإفضاء به. و قال سيبويه:
قالوا: لويته حقه لياناً على فعلان، فيجوز أن يكون شنان فيمن أسكن النون مصدراً كالليان فيكون المعنى لا يحملنكم بغض قوم، لو فتح النون. قال ابو عبيدة: «شَنَآنُ قَوْمٍ» بغضاء و هى متحركة الحروف مصدر شنيت، و بعضهم يسكنون النون الاولى و انشد للاحوص:
و ما العيش الا ما تلذ و تشتهى و ان عاب فيه ذو الشنان و فندا
فحذف الهمزة قال أبو على: و يجوز أن يكون خففها. و قال أبو عبيدة: و شنيت أيضاً بمعنى أقررت به، و بؤت به و انشد للعجاج.
زلّ بنو العوام عن آل الحكم و شنئوا الملک لملک ذو قدم
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 426
و قال الفرزدق:
و لو كان هذا الامر فى جاهلية شنئت به أو غصّ بالماء شاربه
قال ابو على: و قد جاء فعلان مصدراً و وصفاً و هما جميعاً قليلا. فمما حل مصدراً ما حكاه سيبويه من قولهم: خمصان و ندمان. و انشد ابو زيد ما

ظاهره أن يكون فعلان منه صفة و هو:
لما استمر بها شيحان منبجح بالبين عنک بها مولاک شنآنا

حكى أبو زيد فى مؤنث شنآن شنآنى، و يقرب أن يكون شيحان فعلان.
و فى الحديث (ثم اعرض و أشاح) قال ابو على: و ترک صرف شيحان فى البيت مع أنه لا فعلى له. و يجوز أن يكون، لأنه اسم علم. و يجوز أن يكون على قول من يجوز ترک صرف ما يتصرف فى الشعر. فاما الشنان قال ابو على: فعلان يجىء على ضربين:
أحدهما- اسم، و الاخر- صفة فالاسم على ضربين:
أحدهما ان يكون مصدراً، كالنقران و الغليان، و الطوفان و الغثيان. و عامة ذلک يكون معناه التحرک و التقلب. و الاسم الذى ليس بمصدر نحو الورشان و العلجان. و أما مجيئه فنحو الزفيان و القطوان و الصميان، و كبش اليان و نعجة اليانة، و كباش إلى، و مثله حمار قطوان و اتان قطوانة من قطا يقطو قطواً و قطواً:
إذا قارب بين خطوه. و من خفف النون ذهب الى انه مصدر، مثل ليان. و معنى الاية لا يحملنكم بغض قوم أى بغضكم قوماً لصدهم إياكم و من اجل صدهم إياكم ان تعتدوا فأضيف المصدر الى المفعول و حذف الفاعل كقوله: من دعاء الخير و سؤال نعجتک و قوله: ان صدوكم من كسر الهمزة ذهب إلى أن (إن) للجزاء يقوى ذلک ان فى قراءة ابن مسعود ان يصدوكم فمتى؟ قيل كيف تكون للجزاء و الصد ماض، لأنه كان سنة الحديبية من المشركين للمسلمين، و ما يكون ماضياً لا يكون شرطاً؟ قيل: التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 427
ذكر ابو على ان الماضى قد يقع فى الجزاء لا ان المراد بالماضى الجزاء، لكن على انه إن كان مثل هذا الفعل، فيكون اللفظ على ما مضى و المعنى على مثله، كأنه يقول: إن وقع مثل هذا الفعل يقع منكم كذا. و على ذلک حمل قول الشاعر:
إذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة و لم تجدى من أن تقوى به بداً «1»
إن قد أغنى عنه ما تقدم من قوله: «لا يَجْرِمَنَّكُمْ» و المعنى إن صدوكم قوم عن المسجد الحرام، فلا تكسبوا عدواناً. و من فتح الهمزة، فلانه مفعول له و التقدير لا يجرمنكم شنآن قوم، لان صدوركم عن المسجد الحرام أن تعتدوا، فان الثانية فى موضع نصب بانه المفعول الثانى، و الأولى منصوبة، لأنه مفعول له و قوله:
«أَنْ تَعْتَدُوا» معناه إن تجاوزوا حكم اللَّه فيهم إلى ما نهاكم عنه. و ذكر انها نزلت فى النهى عن الطلب بدخول الجاهلية. ذهب اليه مجاهد و قال: هذا غير منسوخ. و هو الاولى. و قال غيره هو منسوخ ذهب اليه ابن زيد. و إنما قلنا: إنه غير منسوخ، لان معناه لا تتعدوا الحق فيما أمرتكم به. و إذا احتمل

ذلک، لم یخبر أن یقال هو منسوخ إلا بحجة.
و قوله: و تعاونوا علی البر و التقوی و لا تعاونوا علی الإثم و العدوان لیس بعطف علی أن تعتدوا، فیکون فی موضع نصب، بل هو استئناف کلام أمر اللَّه تعالی الخلق بان یعین بعضهم بعضاً علی البر و هو العمل بما أمرهم اللَّه به، و اتقاء ما نهاهم عنه، و نهاهم ان یعین بعضهم بعضاً علی الإثم. و هو ترک ما أمرهم به، و ارتکاب ما نهاهم عنه من العدوان، و نهاهم ان یجاوزوا ما حد اللَّه لهم فی دینهم، و فرض لهم فی أنفسهم و به قال ابن عباس و ابو العالیة و غیرهما من المفسرین.
و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعِقابِ» أمر من اللَّه، و وعید و تهدید لمن اعتدی حدوده، و تجاوز أمره بقول اللَّه: اتقوا اللَّه. و معناه احذروا معاصیه و تعدی حدوده فیما أمرکم به و نهاکم عنه، فتستوجبوا عقابه متی خالفتم و تستحقوا

---

(1) انظر ا: 289- 352.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج3، ص: 428
الیم عقابه، ثم وصف عقابه بالشدة فقال: إن اللَّه شدید العقاب لمن یعاقبه من خلقه، لأنه نار لا یطفی حرها، و لا یخمد جمرها، و لا یسکن لهیبها (نعوذ باللَّه منها).

قوله تعالى:[سورة المائدة (5): آية 3]..... ص: 428

اشارة

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ وَ الْمُتَرَدِّيَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ ما أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ ما ذَكَّيْتُمْ وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3)
آية بلا خلاف.

بين اللَّه (تعالى) فى هذه الآية ما استثناه فى قوله: «أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» فهذا مما تلاه علينا فقال مخاطباً للمكلفين: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» و أصله الميتة مشدد غير انه خفف، و لو قرئ على الأصل كان جائزاً إلا انه لم يقرأ به احد ها هنا إلا أبا جعفر المدنى يقال: ميت بمعنى واحد. و قال بعضهم الميت لما لم يمت و الميت لما قد مات و هذا ليس بشىء لان ميت يصلح لما قد مات، و لما سيموت. قال اللَّه (تعالى): «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» و قال الشاعر فى الجمع بين اللغتين:

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الأحياء

فجعل الميت مخففاً من الميت و قال بعضهم: الميتة كلما له نفسٌ سائلة

البر، و طيره مما أباح اللَّه أكلها أهليها و وحشيها فارقتها روحها بغير تذكية. و قد روى عن النبى (صلى اللَّه عليه و آله) انه سمى الجراد و السمك ميتاً فقال: ميتتان مباحان: الجراد، و السمك.

و قوله: «و الدم» تقديره، و حرم عليكم الدم. و قيل: إنهم كانوا يجعلون فى المباعر يشوونها و يأكلونها، فاعلم اللَّه تعالى ان الدم المسفوح أى المصبوب حرام، فاما المتلطخ، باللحم، فهو كاللحم، و ما كان منه كاللحم مثل الكبد فهو مباح.

و أما الطحال، فهو محرم عندنا. و قد روى كراهته عن «على عليه السلام ، و ابن مسعود و أصحابهما» و عند جميع الفقهاء أنه مباح. و انما شرطنا فى الدم المحرم ما كان مسفوحا، لأنه (تعالى) بين ذلک فى آية اخرى فقال: «أَوْ دَماً مَسْفُوحاً» .

و قوله: «وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ» معناه و حرم عليكم لحم الخنزير أهليه و بريه، فالميتة و لآدم مخرجهما فى الظاهر مخرج العموم. و المراد بهما الخصوص. و لحم الخنزير على ظاهره فى العموم. و كذلک كل ما كان من الخنزير حرام كلحمه من الشحم و الجلد، و غيره ذلک و قوله: «وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ» موضع ما رفع و تقديره و حرم عليكم ما اهلّ لغير اللَّه به. و معنى اهل لغير اللَّه به ما ذبح للأصنام و الأوثان أى ذكر اسم غير اللَّه عليه، لان الإهلال رفع الصوت بالشىء. و منه استهلال الصبى و هو صياحه إذا سقط من بطن امه. و منه إهلال المحرم بالحج أو العمرة: إذا لبى به. قال ابن احمر:

يهل بالفر قد ركباننا كما يهل الراكب المعتمر

فما تقرب به من الذبح لغير اللَّه او ذكر عليه غير اسمه حرام، و كل ما حرم اكله مما عددناه يحرم بيعه و ملكه، و التصرف فيه.

و الخنزير يقع على الذكر و الأنثى. و فى الاية دلالة علي ان ذبائح من خالف

الإسلام، لا يجوز اكله، لأنهم يذكرون عليه اسم غير اللّه لأنهم يعنون بذلک من ابد شرع موسى، أو اتخذ عيسى ابناً، و كذب محمد بن عبد اللّه (ص) و ذلک غير اللّه، فيجب أن لا يجوز أكل ذبيحته. فاما من اظهر الإسلام، و دان بالتجسيم، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 430
و الصورة و قال بالجبر و التشبيه أو خالف الحق، فعندنا لا يجوز أكل ذبيحته. فاما الصلاة عليه و دفنه فى مقابر المسلمين و موارثته، فانه يجرى عليه، لان هذه الأحكام تابعة فى الشرع لإظهار الشهادتين. و اما مناكحته فلا تجوز عندنا. و قال البلخى حاكياً عن قوم: إنه لا يجوز أجراء شىء من ذلک عليهم. و حكى عن آخرين أنه يجرى جميع ذلک عليهم، لأنها تجرى على من اظهر الشهادتين دون المؤمنين على الحقيقة، و كذلک أجريت على المجانين، و الأطفال. فاما التسمية على الذبيحة، فعندنا واجبة من تركها معتمداً، لا يجوز كل ذبيحته، و ان تركها ناسيا، لم يكن به بأس.
و كذلک إن ترک استقبال القبلة متعمداً لم يحل أكل ذبيحته، و ان تركه ناسياً، لم يحرم... و فى ذلک خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف.
و المنخنقة قال السدى: هى التى تدخل رأسها بين شعبتين من شجرة فتختنق و تموت. و قال الضحاک: هى التى تخنق و تموت. و قال قتادة: هى التى تموت فى خناقها. و قال ابن عباس: هى التى تختنق، فتموت. و حكى عن قتادة ان أهل الجاهلية كانوا يخنقونها، ثم يأكلونها. و الاولى حمل الآية على عمومها فى جميع ذلک و هى التى تختنق حتى تموت، سواء كان فى وثاقها أو بإدخال رأسها فى موضع لا تقدر على التخلص أو غير ذلک، لان اللّه (تعالى) وصفها بأنها المنخنقة، و لو كان الامر على ما حكى عن قتادة، لقال: «و المخنوقة» .
و قوله: «وَ الْمَوْقُوذَةُ» يعنى التى تضرب حتى تموت: يقال: و قذتها أقذها وقذاً و أوقذها يوقذها إيقاذاً: إذا أثخنتها ضرباً. و قال الفرزدق.
شفارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الأبكار
و هو قول ابن عباس، و قتادة و الضحاک و السدى:
و قوله: «وَ الْمُتَرَدِّيَةُ» يعنى التى تقع من جبل، أو تقع فى بئر أو من مكان عالٍ، فتموت. و هو قول ابن عباس. و قتادة و السدى، و الضحاک، و متى وقع فى بئر و لا يقدر على موضع ذكاته، جاز أن يطعن و يضرب بالسكين فى غير المذبح حتى التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 431
يبرد، ثم يؤكل. و قوله: «وَ النَّطِيحَةُ» يعنى التى تنطح أو تنطح، فتموت و النطيحة بمعنى المنطوحة، فنقل من مفعول الى فعيل، فان قيل: كيف تثبت فيها الهاء، و فعيل إذا كان بمعنى مفعول مثل لحية دهين، و عين كحيل و كف خضيب، بلا هاء التأنيث فى شىء من ذلک؟ قيل: اختلف فى ذلک فقال: بعض البصريين اثبت فيها الهاء أعنى فى النطيحة، لأنها جعلت كالاسم، مثل الطويلة و الظريفة فوجه. هذا تأويل النطيحة الى معنى الناطحة. و يكون

المعنى حرمت عليكم الناطحة التى تموت من نطاحها. و قال بعض الكوفيين: إنما يحذف الهاء من فعلية بمعنى مفعولة إذا كانت صفة لاسم قد تقدمها، مثل كف خضيب، و عين كحيل، فاما إذا حذف الكف و العين و الاسم الذى يكون فقيل نعتاً له و اجتزوا بفعيل أثبتوا فيه هاء التأنيث، ليعلم بثبوتها فيه أنه صفة للمؤنث دون المذكر فيقول: رأينا كحيلة و خضيبة و اكيلة السبع، فلذلک دخلت الهاء فى النطيحة، لأنها صفة المؤنث. و القول بأن النطيحة بمعنى المنطوحة هو قول اكثر المفسرين، ابن عباس، و ابن ميسرة و الضحاک، و السدى و قتادة، لأنهم اجمعوا على تحريم الناطحة و المنطوحة إذا ماتا.
و قوله: «وَ ما أَكَلَ السَّبُعُ» موضع (ما) رفع و تقديره و حرم عليكم ما أكل السبع بمعنى ما قتله السبع. و هو قول ابن عباس، و الضحاک و قتادة، و هو فريسة السبع.
و قوله: «إِلَّا ما ذَكَّيْتُمْ» معناه إلا ما أدركتم ذكاته، فذكيتموه من هذه الأشياء التى وصفها. و موضع (ما) نصب بالاستثناء. و اختلفوا فى الاستثناء إلى ما ذا يرجع فقال قوم: يرجع إلى جميع ما تقدم ذكره من قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ وَ الْمُتَرَدِّيَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ ما أَكَلَ السَّبُعُ» الا ما لا يقبل الذكاة من الخنزير و الدم. و هو الأقوى.
ذهب اليه على (عليه السلام) و ابن عباس قال: و هو أن تدركه تتحرک أذنه او ذنبه، أو تطرف عينه. و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع)
و به قال الحسن و قتادة التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 432
و إبراهيم و طاوس، و عبيد بن عمير و الضحاک، و ابن زيد و قال آخرون: هو استثناء من التحريم، لا من المحرمات، لان الميتة لا ذكاة لها، و لا الخنزير قالوا: و المعنى حرمت عليكم الميتة و الدم و سائر ما ذكر إلا ما ذكيتم مما أحله اللّه لكم بالتذكية، فانه حلال لكم. ذهب اليه مالک و جماعة من أهل المدينة، و الجبائى و سئل مالک من الشاة يخرق جوفها السبع حتى يخرج أمعاءها فقال لا أرى ان تذكى و لا يؤكل أى شىء يذكى منها. و قال كثير من الفقهاء إنه يراعى أن يلحق فيه حياة مستقرة، فيذكى و يجوز أن يؤكل و ما يعلم أنه لا حياة فيه مستقرة، فلا يجوز بحال. و اختار الطبرى الأقل. و قال: كل ما أدراک ذكاته مما ذكر من طير أو بهيمة قبل خروج نفسه و مفارقة روحه جسده، فحلال اكله إذا كان مما أحله اللّه لعباده و اختار البلخى، و الجبائى الاول، فان قيل: فما وجه تكرير قول: «وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ» و جميع ما عدد تحريمه فى هذه الآية و قد افتتح الآية بقوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» و الميتة تعم جميع ذلک و ان اختلفت أسباب موته من خنق أو ترد أو نطح أو إهلال لغير اللّه به أو أكيل سبع. و انما يكون لذلک معنى على قول من يقول: إنها، و ان كانت فيها

حياة إذا كانت غير مستقرة، فلا يجوز أكلها. قيل:
الفائدة فى ذلک ان الذين خوطبوا بذلک لم يكونوا يعدون الميت إلا ما مات حتف انفه من دون شىء من هذه الأسباب، فأعلمهم اللّه ان حكم الجميع واحد، و ان وجه الاستباحة هو التذكية المشروعة. و قال السدى إن ناساً من العرب كانوا يأكلون جميع ذلک، و لا يعدونه ميتاً. انما يعدون الميت الذى يموت من الوجع.
و التذكية: هو فرى الأوداج و الحلقوم إذا كانت فيه حياة، و لا يكون بحكم الميت. و اصل الذكاء فى اللغة تمام الشىء فمن ذلک الذكاء فى السن، و الفهم و هو تمام السن. قال الخليل: الذكاء أن تأتى فى السن على قروحه، و هو سن فى ذات الحافر، هى البزولة فى ذات الخف، و هى الصلوغه فى ذات الظلف. و ذلک تمام استكمال القوة. قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 433
يفضله إذا اجتهدا عليها تمام السن منه و الذكاء
و قيل جرى المذكيات غلاب اى جرى المسار التى قد أسنت و معنى تمام السن النهاية فى الشباب، فإذا نقص عن ذلک أو زاد، فلا يقال له الذكاء. و الذكاء فى الفهم أن يكون فهما تاماً سريع القبول و ذكيت النار إنما هو من هذا تأويله أتممت اشعالها فالمعنى على هذا ما ذكيتم أى ما أدركتم ذبحه على التمام.
و قوله: «وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ» فالنصب: الحجارة التى كانوا يعبدونها و هى الأوثان. واحدها نصب، و يجوز أن يكون واحداً، و جمعه أنصاب. (و ما) موضعه رفع عطفاً على ما تقدم. و تقديره و حرم عليكم ما ذبح على النصب. و به قال مجاهد و ابن جريج، و قتادة. و قال ابن جريج: النصب ليست أصناما الصنم يصور و ينقش، و هذه حجارة تنصب ثلاثمائة و ستون حجراً. و منهم من يقول ثلاثمائة منها لخزاعة، فكانوا إذا ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل من الميت، و شرحوا اللحم، و جعلوه على الحجارة. فقال المسلمون: كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن أحق أن نعظمه، فانزل اللّه «لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها....
الاية» و قوله: «وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ» موضع (ان) رفع.
و تقديره، و حرم عليكم الاستقسام بالأزلام. و واحد الأزلام زلم و زلم قال الراجز:
بات يراعيها غلام كالزلم
و هى سهام كانت للجاهلية مكتوب على بعضها أمرنى ربى، و على بعضها نهانى ربى، فإذا أرادوا سفرا أو أمراً يهتم به. ضربوا تلک القداح فان خرج السهم الذى عليه أمرنى ربى، مضى لحاجته و إن خرج الذى عليه نهانى ربى، لم يمض، و إن خرج ما ليس عليه شىء أعادوها فبين اللّه (تعالى) أن ذلک حرام العمل به.

و الاستقسام الاستفعال من قسمت أمرى أى قلبته و دبرته قال الراعى:
و تركت قومى يقسمون أمورهم اليک أم يتلبثون قليلا
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 434
و قيل: معناه طلب قسم الأرزاق بالقداح التى كانوا يتفاءلون بها فى أسفارهم و ابتداءات أمورهم قال الشاعر يفتخر بقوة عزيمته و انه لا يلتفت إلى ذلک.
أ و لم اقسم فترثبنى القسوم «1»
و به قال ابن عباس، و قتادة و سعيد بن جبير، و مجاهد و السدى قال مجاهد:
هى سهام العرب، و كعاب فارس و الروم كانوا يتقامرون بها.
و قوله: «ذلِكُمْ فِسْقٌ» معنى هذه الأشياء التى ذكرها فسق يعنى خروج من طاعة اللَّه الى معصيته و هو قول ابن عباس، و أصله من فسقت الرطبة: إذا خرجت من قشرها. قال الزجاج: و لو كان بعض هذه المرفوعات نصباً بتقدير و حرم اللَّه الدم و لحم الخنزير، لكان جائزا إلا انه لم يقرأ به احد و القراءة متبعة، لا يجوز خلاف ما قرئ به.
و قوله: «الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ» نصب اليوم على الظرف.
و العامل فيه يئس ذو الفسق اليوم. و ليس يراد به يوماً. بعينه و معناه الآن يئس الذين كفروا من دينكم، كما يقول القائل: أنا اليوم قد كبرت، و هذا لا يصلح إلى اليوم يريد الآن.
و يئس على وزن فعل ييأس على وزن يفعل- بفتح العين، و روى بكسرها- و قيل: يئس على وزن لعب بكسر اللام، و العين- و ذكر يأيس.
و المعنى انا للَّه قد حول الخوف الذى كان يلحقكم منكم اليهم، و يئسوا من بطلان الإسلام، و جاءكم ما كنتم توعدون به من قوله، ليظهره على الدين كله.
و الدين اسم لجميع ما تعبد اللَّه به خلقه و أمرهم بالقيام به. و معنى يئس انقطع طمعهم من دينكم أن تتركوه، و ترجعوا منه إلى الشرک. و به قال ابن عباس و السدى و عطا.
و قيل: إن اليوم الذى ذكر هو يوم عرفة من حجة الوداع بعد دخول العرب كلها فى الإسلام. ذهب اليه مجاهد، و ابن جريج و ابن زيد. و قيل: يوم جمعة، لما نظر

---

(1) فى المطبوعة «فتوثبنى» بدل «فترثبنى» . الطبرى 9- 510 مجاز القرآن لابى عبيدة ا: 152. قسوم جمع قسم: الحظ الربث حبسک الإنسان عن حاجته.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 435
النبى (صلى اللَّه عليه و آله) فلم ير الا مسلماً موحداً، أو لم ير مشركا.

و قوله: «فَلا تَخْشَوْهُمْ» هذا خطاب المؤمنين نهاهم اللّه ان يخشوا و يخافوا من الكفار أن يظهروا على دين الإسلام، و يقهروا المسلمين و يردوهم عن دينهم، و لكن اخشونى و خافونى إن خالفتم امرى و ارتكبتم معصيتى ان أحل بكم عقابى و أنزل عليكم عذابى و هو قول ابن جريج، و غيره.
و قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» فى تأويله ثلاثة اقوال:
أحدها- قال ابن عباس، و السدى و اكثر المفسرين إن معناه أكملت لكم فرائضى و حدودى و أمرى و نهى و حلالى و حرامى بتنزيلى ما أنزلت، و تبيانى ما بينت لكم، فلا زيادة فى ذلک، و لا نقصان منه بالمسخ بعد هذا اليوم. و كان ذلک اليوم عام حجة الوداع قالوا: و لم ينزل بعد هذا على النبى (ص) شىء من الفرائض فى تحليل شىء، و لا تحريمة و أنه (عليه السلام) مضى بعد ذلک بإحدى و ثمانين ليلة. و هو اختيار الجبائى و البلخى، فان قيل: أ كان دين اللّه ناقصاً فى حال حتى أئمه ذلک اليوم؟ قيل: لم يكن دين اللّه ناقصاً فى حال، و لا كان إلا كاملا، لكن لما كان معرضاً للنسخ، و الزيادة فيه. و نزول الوحى لم يمتنع أن يوصف غيره بانه أكمل منه، حين أمن جميع ذلک فيه. و ذلک يجرى مجرى وصف العشرة بأنها كاملة العدد، و لا يلزم أن توصف بأنها ناقصة، لما كان عدد المائة اكثر منها، و أكمل.
فكذلک ما قلناه. و قال الحكم و سعيد بن جبير و قتادة معناه أكملت لكم حجكم و أفردتكم بالبلد الحرام تحجون دون المشركين، و لا يخالطكم مشرک و هو الذى اختاره الطبرى قال لان اللّه قد انزل بعد ذلک قوله: «يَسْتَفْتُونَکَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلالَةِ» و قال الفراء هى آخر آية نزلت. و هذا الذى ذكره لو صح لكان ترجيحاً لكن فيه خلاف. و قال الزجاج: معنى أكملت لكم الدين كفيتكم خوف عدوكم و أظهرتكم عليهم، كما تقول: الآن كمل لنا الملک. و كمل لنا ما نريد أى كفينا ما كنا نخافه. و
روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع) أن الآية نزلت بعد أن نصب النبى (ص) علياً علماً للامة يوم غدير خم منصرفة عن حجة الوداع، فانزل التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 436
اللّه يومئذ «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» .
و قوله: «وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى» خاطب اللّه (تعالى) جميع المؤمنين بأنه أتم نعمته عليهم باظهارهم على عدوهم المشركين، و نفيهم إياهم عن بلادهم، و قطعة طمعهم من رجوع المؤمنين، و عودهم إلى ملة الكفر، و انفراد المؤمنين بالحج و البلد الحرام.
و: قال ابن عباس و قتادة و الشعبى.
و قوله: «وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً» معناه رضيت لكم الاستسلام لأمرى و الانقياد لطاعتى على ما شرعت لكم من حدوده، و فرائضه و معالمه ديناً يعنى بذلک طاعة منكم لى. فان قيل: أو ما كان اللّه راضياً الإسلام ديناً لعباده الا يوم أنزلت هذه الاية. قيل: لم يزل اللّه راضياً لخلقه الإسلام ديناً،

لكنه لم يزل يصف نبيه محمد (صلى اللّه عليه و آله) و أصحابه فى درجات الإسلام، و مراتبه درجة بعد درجة، و مرتبة بعد مرتبة، و حالا بعد حال حتى أكمل لهم شرائعه و بلغ بهم أقصى درجاته، و مراتبه، ثم قال: حين أنزلت هذه الآية «وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً» فالصفة التى لها اليوم و الحال التى أنتم عليها، فالزموه، و لا تفارقوه. قال ابن عباس و عمر و عامر الشعبى و قتادة، كان ذلک يوم الجمعة. و قال الطاووس بن شهاب، و شهر ابن خوشب، و اكثر المفسرين نزلت هذه الآية يوم عرفة حجة الوداع. و روى حنش عن ابن عباس، قال: ولد النبى (ص) يوم الاثنين، و خرج من مكة يوم الاثنين، و دخل المدينة يوم الاثنين، و أنزلت المائدة يوم الاثنين، و أنزلت «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ يوم الاثنين» و رفع الذكر يوم الاثنين. و قال الربيع بن أنس: نزلت فى المسير من حجة الوداع. و قوله: «فَمَنِ اضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ» معناه من دعته الضرورة فى مجاعة لان المخمصة شدة ضمور البطن.
لا ثم أى غير مائل إلى إثم.
و المخمصة مفعلة، مثل المجنبة و المنجلة من خمص البطن و هو طيه، و اضطماره من الجوع، و شدة السغب ها هنا دون أن يكون مخلوقا كذلک.
قال النابغة الدنبانى التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 437
فى صفة امرأة بخمص البطن:
و البطن ذو عكن خميصٌ لين و النحر ينفجه بثدى مقعد «1»
و لم يرد بذلک وصفها بالجوع، لكن أراد وصفها بلطافة طىّ ما علا الا وراک و الأفخاذ من جسدها، لان ذلک المحمود من النساء. فاما الاضطمار من الضر فكقول أعشى ثعلبة.
تبيتون فى المشى ملاءً بطونكم و جاراتكم غبرٌ تبئنَ خماصاً «2»
يعنى يبتن مضطمرات البطن من الجوع. و قال بعض نحوى البصريين:
المخمصة المصدر من خمصه الجوع. و غيره يقول: هو اسم للمصدر، و كذلک تقع المفعلة اسماً فى المصادر للتأنيث، و التذكير: و الذى قلناه هو قول ابن عباس و قتادة و السدى و ابن زيد.
و قوله: «غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ» نصب على الحال. و المتجانف المتمايل للاثم المنحرف اليه. و معناه فى هذا الموضع المعتمد له القاصد اليه من جنف القوم: إذا مالوا. و كل اعوج، فهو اجنف.
و المعنى فمن اضطر الى أكل الميتة، و ما عددّ اللَّه تحريمه عند المجاعة الشديدة غير متعمد الى ذلک، و لا مختار له، و لا مستحل له على كل حال، فان اللّه أباحه له. تناول ذلک مقدار ما يمسک رمقه، لا زيادة عليه. و هو قول أهل العراق. و قال أهل المدينة: يجوز أن يشبع منه عند الضرورة. و ما قلناه قول ابن عباس، و مجاهد و قتادة. قال قتادة: «غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ» أى غير عاص بان يكون باغياً أو محاربا أو خارجا فى معصية. و قال ابن زيد:

لا تأكل ذلک ابتغاء الإثم و لا جرأة عليه.
و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» فى الكلام متروک دلّ ما ذكر عليه، لان المعنى فى اضطر فى مخمصة الى ما حرمت عليه مما ذكرت فى هذه الآية غير متجانف لإثم، فأكله لدلالة الكلام عليه.
و معنى «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» ان اللَّه لمن أكل ما حرمت عليهم بهذه الآية

---

(1)- ديوانه: 66 و اللسان: (قعد). العكن: اطواء البطن. تنفجه: ترفعه. [.....]
(2) ديوانه: 109. و مجاز القرآن ا: 153.

أكله فى مخمصة متجانف، لإثم غفور لذنوبه أى ساتر عليه أكله، و يعفو عن مؤاخذته به، و ليس يريد أن يغفر له عقاب ذلک، لأنه اباحه له، فلا يستحق عليه العقاب و هو رحيم أى رفيق بعباده. لان رحمته و رفقه أنه أباح لهم أكل ما حرم عليهم فى حال الخوف على النفس و
روى المثنى قال: قلنا يا رسول اللّه (ص) إنا بأرض يصيبنا فيها مخمصة، فما يصلح لنا من الميتة؟ قال: إذا لم تصطبحوا أو تعتبقوا أو تختفؤا بها بقلا، فشأنكم بها.
و قال الحسن: يأكل منها مسكته.
و ذكر فى تختفئوا خمس لغات: تختفئوا بالهمزة و تختفوا- بحذفها- و تختفيوا- بقلبها ياء- و تختفوا و تخفوا- بالتخفيف- و الخفا أصل البردى كانوا يقشرونه و يأكلونه فى المجاعة، فمع وجود ذلک لا يجوز أكل الميتة.
و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» عقيب قوله: «فَمَنِ اضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ» لا يدل على ان له أن يعاقبهم على فعل المباح، لان الوجه فى ذلک أنه أراد أن يصف نفسه بمغفرة الذنوب و سترها، و الصفح عنها ليدل بذلک على أنه أحرى ألا يؤخذ بفعل المباحات التى ليست بذنوب، كما قال: «إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُکَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» فدل على أن ما يفعله من المغفرة أو العقوبة صواب و حكمة، ليكون أعم فى الدلالة على استحقاقه الأوصاف المحمودة.
و أجاز بعضهم أن يكون ذلک ثواباً لبعض المكلفين قدمه كما انه يجوز ان تكون الحدود عقاباً لهم قدمه فلا شبهة فى ذلک.

يَسْئَلُونَکَ ما ذا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَکُمُ الطَّيِّباتُ وَ ما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُکَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَکُمُ اللَّهُ فَکُلُوا مِمَّا أَمْسَکْنَ عَلَيْکُمْ وَ اذْکُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (4)

- آية بلا خلاف-. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 439

موضع (ما) رفع و يحتمل أن يكون وحدها اسما و خبرها قوله: (ذا) و أحل من صلة ذا. و تقديره أى شىء الذى أحل لهم؟ و يحتمل أن يكون ما و ذا اسما واحداً، و رفع بالابتداء و تقديره أى شىء أحل لهم؟ و أحل لهم خبر الابتداء.

فمعنى الآية يسألک يا محمد أصحابک ما الذى أحل لهم اكله من المطاعم، فقل لهم:

أحل لكم الطيبات منها و هى الحلال الذى أذن لكم ربكم فى أكله من الذبائح على قول الطبرى و الجبائى، و غيرهما و قال البلخى: الطيبات هو ما يستلذ به. قال قوم:

و أحل لكم ايضاً مع ذلک صيد ما علمتم من الجوارح و هى الكواسب من سباع الطير، و البهائم. و لا يجوز أن يستباح عندنا أكل شىء مما اصطاده الجوارح من السباع سوى الكلب إلا ما أدرک ذكاته. و سميت الطير جوارح، لجرحها أربابها و كسبها إياهم أقواتهم من الصيد يقال منه: جرح فلان أهله خيراً إذا كسبهم خيراً.

و فلان جارحة أهله يعنى كاسبهم، و لا جارحة لفلانة أى لا كاسب لها قال اعشى بنى ثعلبة:

ذات خد منضج ميسمها تذكر الجارح ما كان اجترح

يعنى اكتسب. و قوله: «و ما علمتم» تقديره و صيد ما علمتم من الجوارح و حذف لدلالة الكلام عليه، لان القوم على ما

روى كانوا سألوا رسول اللّه (ص) حين أمرهم بقتل الكلاب عما يحل لهم اتخاذه منها، و صيده، فأنزل اللّه (تعالى) فيما سألوا عنه هذه الآية، فاستثنى (عليه السلام) مما كان حرم اتخاذه منها، و أمر بقتله كلاب الصيد، و كلاب الماشية، و كلاب الحرث و أذن فى اتخاذ ذلک

ذكرت ذلک سلمى ام رافع عن أبى رافع. قال جاء جبرائيل إلى النبى (ص) يستأذن عليه، فاذن له فقال: قد اذنا لک يا رسول اللّه فقال: اجل و لكنا لا ندخل بيتاً فيه كلب. قال ابو رافع: فأمرنى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن أقتل كل كلب بالمدينة، فقتلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها، فتركته رحمة لها. و جئت إلى رسول اللّه (ص) فأخبرته، فأمرنى فرجعت، و قتلت الكب، فجاءوا فقالوا:

يا رسول اللّه ما يحل لنا من هذه الامة التى أمرت بقتلها، فسكت رسول اللَّه (ص) التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 440
فانزل اللَّه «يَسْئَلُونَکَ ما ذا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَکُمُ الطَّيِّباتُ وَ ما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُکَلِّبِينَ»
و به قَالَ عكرمة و محمد بن كعب القرظى و اختلفوا فى الجوارح التى ذكر الى الاية: بقوله: «وَ ما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُکَلِّبِينَ» فقال قوم: هو كل ما علم فصيد فيتعلمه بهيمة كانت او طائراً. ذهب اليه الحسن، و مجاهد و خيثمة بن عبد الرحمن. و
رووه عن ابن عباس، و طاوس و على بن الحسين و أبى جعفر (ع) و قالوا: الفهد و البازى من الجوارح. و قال قوم: عنى بذلک الكلاب خاصة دون غيرها من السباع. ذهب اليه الضحاک و السدى و ابن عمر و ابن جريج. و هو الذى رواه أصحابنا عن أبى عبد اللَّه (عليهما السلام)
فاما ما عدا الكلاب، فما أدرک ذكاته، فهو مباح، و إلا فلا يحل أكله. و يقوى قولنا قوله تعالى: «مكلبين» و ذلک مشتق من الكلب و من صادر بالباز و الصقر لا يكون مكلباً.
و قوله: «مكلبين» نصب على الحال و تقديره و أحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح مكلبين أى فى هذه الحال. يقال: رجل مكلب و كلاب إذا كان صاحب صيد بالكلاب. و فى ذلک دليل على أن صيد الكلب الذى لم يعلم، حرام إذا [لم] «1» تدرک ذكاته.
و قوله: «تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَکُمُ اللَّهُ» معناه تؤدبون الجوارح، فتعلمونهن طلب الصيد لكم بما علمكم اللَّه من التأديب الذى أدبكم به. و قال بعضهم: معناه كما علمكم اللَّه. ذهب اليه السدى. و هذا ضعيف لأن من المعنى الكاف لا يعرب فى اللغة، و لا بينهما تقارب، لان الكاف للتشبيه و من للتبعيض و اختلفوا فى صفة التعليم للكلب فقال بعضهم: هو ان يستشلى لطلب الصيد إذا أرسله صاحبه، و يمسک عليه إذا أخذه، فلا يأكل منه و يستجيب له إذا دعاه. فإذا توالى منه ذلک كان معلما.
ذهب إليه ابن عباس و عطا و ابن عمر و الشعبى و طاوس و ابراهيم و السدى. قال عطا: إذا أكل منه فهو ميتة. و قال ابن عباس: إذا أكل الكلب من الصيد، فلا تأكل منه فإنما امسک على نفسه. و هو الذى دلت عليه أخبارنا. غير أنهم اعتبروا ان يكون

---

(1) (لم) ساقطة من المطبوعة.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 441
أكل الكلب للصيد دائما. فاما إذا كان نادراً، فلا بأس بأكل ما أكل منه. و قال ابو يوسف، و محمد: حد التعليم أن يفعل ذلک ثلاث مرات. و قال قوم: لاحد لتعليم الكلاب، فإذا فعل ما قلناه، فهو معلم. و قد دل على ذلک رواية

أصحابنا، لأنهم
رووا أنه إذا أخذ كلب مجوسى فعلمه فى الحال، فاصطاده به، جاز أكل ما يقتله.
و قد بينا أن صيد غير الكلب، لا يحل أكله الا ما أدرک ذكاته. فلا يحتاج أن تراعى كيف تعلمه، و لا اكله منه. و من أجاز ذلک أجاز أكل ما أكل منه البازى و الصقر. ذهب اليه عطا و ابن عباس و الشعبى و ابراهيم، و قالوا: تعلم البازى هو أن يرجع إلى صاحبه. و قال قوم:
جوارح الطير و السباع سواء فى ذلک ما أكل منه، و ما لا يؤكل. روى ذلک عن النبى (ص)
و الشعبى و عكرمة، و ابن جريج. و قال قوم: تعليم كل جارحة من البهائم و الطير واحد و هو أن يشلى على الصيد، فيستشلى، و يأخذ الصيد، و يدعوه صاحبه، فيجيب، فإذا كان كذلک كان معلما أكل منه أو لم يأكل. روى ذلک عن سلمان رواه قتادة عن سعيد بن المسيب، عن سلمان، قال: و ان أكل ثلثه فكل. و به قال سعد بن أبى وقاص. و قال لو لم يبق إلا جذية، جاز أكلها و به قال ابو هريرة، و ابن عمر و قد بينا مذهبنا فى ذلک و هو الذى رواه عدى بن حاتم عن النبى (صلى اللَّه عليه و آله).
و قوله: «فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ» يقوى قول من قال: ما أكل منه الكلب لا يجوز أكله، لأنه أمسک على نفسه. و من شرط استباحة ما يقتله الكلب أن يكون صاحبه سمى عند إرساله، فان لم يسم لم يجز له اكله إلا إذا أدرک ذكاته وحده أن يجده يتحرک: عينه أو أذنه أو ذنبه، فيذكيه حينئذ بفرى الحلقوم و الأوداج، و اختلفوا فى (من) [من] قوله: «مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ» فقال قوم:
هى زائدة، لان جميع ما يمسكه، فهو مباح. و تقديره فكلوا ما أمسكن عليكم. و جرى ذلک مجرى قوله: «يُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ» و قوله: «وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ» و تقديره و ينزل من السماء جبالا فيها برد. و قال بعضهم: و ينزل من التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 442
السماء من جبال فيها من برد أى من السماء من برد يجعل الجبال من برد فى السماء و يجعل الانزال منها و أنكر قوم ذلک و قالوا (من) للتبعيض و يقوى قولهم: قد كان من مطر و كان من حديث. يقول هل كان من مطر، و هل كان من حديث:
عندكم و نكفر عنكم من سيئاتكم ما يشاؤه و يريده. و قوله: «وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ» يجيز حذف (من) برد و لا يجيز حذفها من الجبال. و يقول:
المعنى و ينزل من السماء من أمثال جبال برداً، ثم أدخلت فى من البرد مفسر عنده عن أمثال الجبال. و قد أقيمت الجبال مقام الأمثال. و الجبال

هى جبال فلا يجيز حذف (من) من الجبال، لأنها دالة على أن فى السماء الذى أنزل منه البرد أمثال جبال برد، لا جبال برد. و أجاز حذف (من) من برد، لان البرد مفسر من الأمثال، كما يقال: عندى رطلان زيتاً، و من زيت. و ليس عندک الرطلان و انما عندک المقدار، فمن تدخل فى المفسر و تخرج منه، و كذلک عند هذا القائل من السماء من أمثال جبالٍ، و ليس بجبال. و قال: فان كان أنزل من جبال فى السماء من برد جبالاً، ثم حذف الجبال الثانية فالجبال الأولى فى السماء جاز كما يقال: أكلت من الطعام يريد أكلت من الطعام طعاماً، ثم يحذف الطعام، و لا يحذف (من). و الأقوى أن تكون من فى الآية للتبعيض، لان ما يمسكه الكلب من الصيد، لا يجوز أكل جميعه لان فى جملته ما هو حرام من الدم، و الفرث و الغدد، و غير ذلک مما لا يجوز أكله، فإذا قال: فكلوا مما أمسكن عليكم، أفاد ذلک بعض ما أمسكن، و هو الذى أباح اللّٰه أكله من اللحم، و غيره. و قوله: «نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ» قد بينا الوجه فيه و سنبين الوجه فى قوله: «مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ» إذا انتهينا اليه ان شاء اللّٰه.
و قوله: «وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ» صريح فى وجوب التسمية عند الإرسال. و هو قول ابن عباس و السدى و غيرهما. و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معناه و اجتنبوا ما نهاكم عنه، فلا تقربوه، و احذروا معاصيه فى ارتكاب ما نهاكم عنه فى أن تأكلوا من صيد الكلب غير المعلم، أو مما لم يمسكه عليكم، أو تأكلوا مما لم يسمّ التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 443
اللّٰه عليه من الصيد، و الذبائح مما صاده اهل الأوثان و الأصنام «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ» معناه التخويف بأنه سريع حسابه لمن حاسبه على نعمه، لا يشغله حساب بعض عن بعض. و متى غاب الكلب و الصيد عن العين، ثم رآه ميتاً لا يجوز أن يأكله، لأنه يجوز أن يكون مات من غير قتل الصيد.
و فى الحديث: (كل ما أصميت و لا تأكل ما أنميت)
فمعنى أصميت أن تصطاد بكلب أو غيره، فمات و أنث تراه مات بصيدک. و اصل الصميان السرعة و الخفة: و معناه ها هنا ما أسرع فيه الموت و أنت تراه. و معنى ما أنميت ما غاب عنک فلا تدرى مات بصيدک أو بعارض آخر يقال نمت الرمية: إذا مضت و السهم فيها. و أنميت الرمية: إذا رميتها، فمضيت، و السهم فيها قال امرؤ القيس:
فهو لا تنمى رميته ماله لا عد من نفره
و قال الحارث بن و علة الشيبانى:
قالت سليمى فد غنيت فتىً فالآن لا تصمى و لا تنمى
أى عشت و متى أخذ الكلب الصيد و مات فى يده من غير أن يجرحه، لم يجز أكله. و أجاز قوم ذلک. و الاول أحوط. و كل من لا تؤكل ذبيحته من أجناس الكفار، لا يؤكل صيده أيضاً. فأما الاصطياد بكلابه المتعلمه فجائز إذا صاده المسلم.

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وَ طَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ وَ طَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ وَ لا مُتَّخِذِي أَخْدانٍ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ (5)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه أحلّ للمؤمنين الطيبات، و هى الحلال على ما بينا القول فيه فى الآية الاولى، دون ما حرم فى الآية المتقدمة. و قيل: معنى الطيبات ما يستلذ و يستطاب. و ظاهر الآية على هذا يقتضى تحليل كل مستطاب إلا ما قام دليل على تحريمه.

و قوله: «وَ طَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ» رفع بالابتداء «و حل لكم» خبره و ذلک يختص عند اكثر أصحابنا بالحبوب، لأنها المباحة من أطعمة اهل الكتاب، فاما ذبائحهم و كل مائع يباشرونه بأيديهم فانه نجس و لا يحل استعماله و تذكيتهم لا تصح لان من شرط صحتها التسمية، لقوله: و لا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللَّه عليه و هؤلاء لا يذكرون اسم اللَّه. و إذا ذكروه قصدوا بذلک اسم من ابد شرع موسى أو عيسى أو اتخذ عيسى ابناً. و كذب محمداً (صلى اللَّه عليه و آله) و ذلک غير اللَّه. و قد حرم اللَّه ذلک بقوله: «وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ» على ما مضى القول فيه و اكثر المفسرين على أن قوله: «وَ طَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» المراد به ذبائحهم و به قال قوم من أصحابنا: فمن ذهب اليه الطبرى و البلخى و الجبائى و اكثر الفقهاء، ثم اختلفوا، فمنهم من قال: أراد بذلک ذباحة كل كتابى ممن أنزل عليه التوراة و الإنجيل، أو ممن دخل فى ملتهم و دان بدينهم، و حرم ما حرموا، و حلل ما حللوا. ذهب اليه ابن عباس و الحسن و عكرمة و سعيد بن المسيب، و الشعبى و ابن جريج، و عطا و الحكم و قتادة. و أجازوا ذبائح نصارى بنى تغلب و قال آخرون:

إنما عنى به الذين أنزلت التوراة و الإنجيل عليهم، و من كان دخيلا فيهم من سائر الأمم، و دان بدينهم، فلا تحل ذبائحهم. حكى ذلک الربيع عن الشافعى من الفقهاء.

و

روى تحريم ذبائح نصارى تغلب عن على (عليه السلام)

و رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. و قال مجاهد، و ابراهيم و ابن عباس و قتادة و السدى و الضحاک، و ابن زيد و ابو الدرداء و إن اطعام الذين أوتوا الكتاب ذبائحهم و غيرها من الاطعمة. التبيان فى تفسير القرآن، ج3،

و به قال الطبرى و الجبائى و البلخى و غيرهم.
و قوله: «وَ طَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ» فيه بيان إن طعامنا ايضاً حل لهم، فان قيل فما معنى ذلک، و هم لا يستحلون طعامنا بتحليلنا لهم ذلک؟ قلنا: عنه جوابان:
أحدهما- ان اللَّه بين بذلک أنه حلال لهم ذلک سواء قبلوه، أو لم يقبلوه.
و الثانى- أن يكون حلال للمسلمين بذله لهم، و لو كان محرماً عليهم، لما جاز لمسلم بذله إياه.
و قوله: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ» معناه و أحل لكم العقد على المحصنات يعنى العفائف من المؤمنات. و قيل هن الحرائر منهن، و لا يدل ذلک على تحريم من ليس بعفيفة، لان ذلک دليل خطاب يترک لدليل يقوم على خلافه، و لا خلاف أنه لو عقد على من ليس بعفيفة، و لا أمة كان عقده صحيحا غير مفسوخ، و ان كان الاولى تجنبه. و كذلک لو عقد على أمة بشرط جواز العقد على الامة على ما مضى القول فيه. و اختلف المفسرون فى المحصنات التى عناهن هاهنا فقال بعضهم عنى بذلک الحرائر خاصة: فاجرة كانت أو عفيفة و حرموا إماء اهل الكتاب بكل حال لقوله: «وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ الْمُؤْمِناتِ فَمِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ فَتَياتِكُمُ الْمُؤْمِناتِ» . ذهب اليه مجاهد و طارق بن شهاب، و عامر الشعبى و الحسن و قتادة. و قال اخرون: أراد بذلک العفائف من الفريقين: حرائركن او إماء، و أجازوا العقد على الامة الكتابية. روى ذلک أيضاً عن مجاهد، و عامر الشعبى و سفين و ابراهيم و الحسن بن أبى الحسن و قتادة فى رواية، ثم اختلفوا فى المحصنات من الذين أوتوا الكتاب، فقال قوم: هو عام فى العفائف منهن: حرة كانت أو أمة، حربية كانت او ذمية. و هو قول من قال المراد بالمحصنات العفائف. و قال اخرون:
أراد الحرائر منهن: حربيات كن أو ذميات. و على قول الشافعى المراد بذلک من كان من نساء بنى إسرائيل دون من دخل فيهن من سائر الملل. و قال قوم. أراد بذلک الذميات منهن. ذهب اليه ابن عباس. و اختار الطبرى أن يكون المراد بذلک الحرائر التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 446
من المسلمات و الكتابيات. و عندنا لا يجوز العقد على الكتابية نكاح الدوام، لقوله تعالى: «وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ،» و لقوله: «وَ لا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ» فإذا ثبت ذلک، قلنا فى قوله: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» تأويلان.
أحدهما- ان يكون المراد بذلک اللائى أسلمن منهن. و المراد بقوله: «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ» من كن فى الأصل مؤمنات. ولدن على الإسلام قيل: إن قوماً كانوا يتحرجون من العقد على الكافرة إذا أسلمت فبين اللَّه بذلک انه لا حرج فى ذلک، فلذلک أفردهن بالذكر حكى ذلک البلخى.

و الثانى- أن يخص ذلک بنكاح المتعة أو ملک اليمين، لأنه يجوز عندنا وطؤهن بعقد المتعة، و ملک اليمين على أنه
روى أبو الجارود عن أبى جعفر (ع) أن ذلک منسوخ بقوله: «وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ»
روى عن أبى عبد اللَّه (ع) انه قال: هو منسوخ بقوله: «وَ لا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ»
و قوله: «إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» يعنى مهورهن. و هو عوض الاستمتاع بهن. و هو قول ابن عباس، و جميع المفسرين.
و قوله: «مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ وَ لا مُتَّخِذِي أَخْدانٍ» نصب على الحال و تقديره أحل لكم المحصنات من الفريقين، و أنتم محصنون غير مسافحين، و لا متخذى أخدان يعنى اعفاء غير مسافحين بكل فاجرة، و هو الزنا، و لا متخذى أخدان يعنى اعفاء غير مسافحين، و لا متخذى أخدان، و لا متفردين ببغية واحدة، خادنها و خادنته اتخذها لنفسه صديقة يفجر بها. و قد بينا معنى الإحصان و وجوهه، و معنى السفاح و الخدن فى سورة النساء، فلا وجه لإعادته و بذلک قال ابن عباس و قتادة و الحسن.
و قوله: «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ» يعنى من يجحد ما أمر اللَّه الإقرار به، و التصديق به من توحيد اللَّه، و نبوة نبيه، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 447
و الإقرار بما جاء به فقد حبط عمله يعنى الاعمال التي يعملها، و يعتقدها قربات الى اللَّه، فإنها تنحبط، و لا يستحق عليها ثواباً، بل يستحق عليها العقاب، «وَ هُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ» يعنى الهالكين الذين غبنوا نفوسهم حظها من ثواب اللَّه بكفرهم، و استحقاقهم العقاب على جحدهم التوحيد، و الإسلام. و قال قوم: إن قوله: «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ» عنى به اهل الكتاب، لان قوماً تحرجوا من نكاح نساء أهل الكتاب، و أكل طعامهم و ما بين اللَّه فى هذه الآية. ذهب اليه قتادة و ابن جريج و مجاهد و ابن عباس.
فان قيل ما معنى «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ» قيل:
الايمان هو الإقرار بتوحيد اللَّه، و صفاته، و عدله، و الإقرار بالنبى (صلى اللَّه عليه و اله) و ما جاء به من عند اللَّه. فمن جحد ذلک أو شيئاً منه كان كافراً بالايمان.
و قد حبط عمله الذى يرجو به الفوز و النجاة. و هو فى الاخرة من الخاسرين. و قال مجاهد: معناه من يكفر باللَّه. قال البلخى لا يعرف تأويل مجاهد فى اللغة.

قوله تعالى:[سورة المائدة (5): آية 6]..... ص: 447

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6)

- آية بلا خلاف-

قرأ نافع و ابن عامر و الكسائى و حفص و يعقوب، و الأعشى إلا النقار «و أرجلكم» - بالنصب- الباقون بالجر و قرأ لمستم بلا الف حمزة و الكسائى
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 448
و خلف الباقون لامستم بالف ها هنا و فى النساء هذا خطاب للمؤمنين أمرهم اللّه إذا أرادوا القيام إلى الصلاة، و هم على غير طهر، أن يغسلوا وجوههم، و يفعلوا ما أمرهم اللّه به فيها. و حذف الارادة، لان فى الكلام دلالة عليه، و مثله «فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» و معناه و إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ، و إذا قمت فيهم فأقمت لهم الصلاة و معناه فأردت أن تقيم لهم الصلاة. ثم اختلفوا اهل يجب ذلک كلما أراد القيام إلى الصلاة او بعضها او فى اى حال هى؟ فقال قوم: المراد به إذا أراد القيام اليها، و هو على غير طهر. و هو الذى اختاره الطبرى و البلخى و الجبائى و الزجاج و غيرهم. و هو المروى عن ابن عباس، و سعد بن أبى وقاص، و أبى موسى الاشعرى و أبى العالية، و سعيد بن المسيب و جابر بن عبد اللّه، و ابراهيم و الحسن و الضحاک، و الأسود و السدى، و غيرهم. و قال آخرون: معناه إذا قمتم من نومكم إلى الصلاة ذهب اليه زيد ابن اسلم و السدى و قال آخرون: المراد به كل حال قيام الإنسان إلى الصلاة، فعليه ان يجدد طهر الصلاة. ذهب اليه عكرمة. و قال: كان على يتوضأ عند كل صلاة، و يقرأ هذه الآية. و قال ابن سيرين إن الخلفاء كانوا يتوضئون لكل صلاة. و الاول هو الصحيح عندنا. و ما روى
عن على (عليه السلام) فى تجديد الوضوء عند كل صلاة محمول على الندب.
و قال قوم: كان الفرض أن يتوضأ لكل صلاة، ثم نسخ ذلک بالتخفيف،
و هو المروى عن ابن عمر انه حدثته أسماء بنت زيد بن الخطاب أن عبد اللّه بن حنظلة بن أبى عامر الغسيل حدثها أن النبى صلى اللّه عليه و آله أمر بالوضوء عند كل صلاة، فشق ذلک عليه فأمر بالسواک و رفع عنه الوضوء إلا من حدث
، فكان عبد اللّه يرى أن فرضه عليه، فكان يتوضأ
و روى سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يتوضأ لكل صلاة، فلما كان عام الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد. فقال عمر:
يا رسول اللّه صنعت شيئاً ما كنت تصنعه! قال: عمداً فعلته يا عمر.
و قال الحسين بن على المغربى: معنى إذا قمتم إذا عزمتم عليها و هممتم بها. قال الراجز للرشيد: التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 449

ما قاسم دون الفتى ابن امه و قد رضيناه فقم فسمه
فقال: يا أعرابى، ما رضيت ان تدعونا إلى عقد الامر له قعوداً حتى أمرتنا بالقيام، فقال: قيام عزم لا قيام جسم. و قال حريم الهمدانى:
فحدثت نفسى أنها أو خيالها أتانا عشاء حين قمنا لنهجعاً
أى حين عزمنا للهجوع. و أقوى الأقوال ما حكيناه أولا من ان الفرض بالوضوء يتوجه إلى من أراد الصلاة و هو على غير طهر، فاما من كان متطهراً، فعليه ذلک استحباباً. و ما روى عن النبى (ص) و الصحابة فى تجديد الوضوء، فهو محمول على الاستحباب فى جميع الأحوال، لإجماع أهل العصر على أن الفرض فى الوضوء كان فى كل صلاة، ثم نسخ، فعلمنا بذلک أن ما روى من تجديد الوضوء كان على وجه الاستحباب. و قال قوم: إن اللّه (تعالى) أنزل هذه الآية اعلاماً للنبى (صلى اللّه عليه و آله) أنه لا وضوج عليه إلا إذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الاعمال، لأنه كان إذا أحدث امتنع من الاعمال حتى يتوضأ فأباح اللّه له بهذه الآية أن يفعل ما بدا له من الاعمال بعد الحدث إلى عمل الصلاة، توضأ أو لم يتوضأ. و أمره بالوضوء للصلاة.
روى ذلک عبد اللَّه بن أبى بكر بن عمرو بن حزم عن عبد اللَّه بن علقمة عن أبيه قال: كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إذا بال لم يرد جواب السلام حتى يتطهر للصلاة، ثم يجيب حتى نزلت هذه الآية.
و قوله: «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ» امر من اللَّه بغسل الوجه و اختلفوا فى حد الوجه الذى يجب غسله، فحده عندنا من قصاص شعر الرأس إلى محاذى شعر الذقن طولا و ما دخل بين الوسطى و الإبهام عرضاً، و ما خرج عن ذلک فلا يجب غسله.
و ما نزل من الشعر عن المحادر، فلا يجب غسله. و قال بعضهم: ما ظهر من بشرة الإنسان من قصاص شعر رأسه منحدراً إلى منقطع ذقنه طولا، و ما بين الأذنين عرضاً. قالوا و الأذنان و ما بطن من داخل الفم و الانف و العين، فليس من الوجه، و لا يجب غسل ذلک، و لا غسل شىء منه.
و اما ما غطاه الشعر كالذقن، و الصدغين، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 450
فان إمرار الماء على ما علا الشعر عليه يجزى من غسل ما بطن منه من بشرة الوجه، لان الوجه عندهم ما ظهر لعين الناظر من ذلک يقابلها دون غيره. و هذا بعينه مذهبنا. إلا ما خرج عن الإبهام و الوسطى إلى الاذن، فانه لا يجب غسله. ذهب إلى ما حكيناه إبراهيم، و مغيرة و الحسن و ابن سيرين، و شعبة و الزهرى و ربعية و قتادة، و القاسم بن محمد و ابن عباس، و ابن عمر. قال ابن عمر: الأذنان من الرأس. و به قال قتادة و الحسن، و رواه أبو هريرة عن النبى (صلى اللّه عليه و آله)
و قال آخرون:

الوجه كل ما دون منابت شعر الرأس إلى منقطع الذقن طولا، و من الاذن الى الاذن الأخرى عرضاً ما ظهر من ذلک لعين الناظر، و ما بطن منه من منابت شعر اللحية، و العارضين، و ما كان منه داخل الفم و الأنف، و ما أقبل من الأذنين على الوجه.
و قالوا: يجب غسل جميع ذلک و من ترک شيئاً منه لم تجزه الصلاة. ذهب اليه ابن عمر فى رواية نافع عنه، و ابو موسى الأشعرى، و مجاهد و عطا و الحكم، و سعيد بن جبير و طاوس، و ابن شيرين و الضحاک، و انس بن مالک و ام سلمة، و ابو أيوب و ابو امامة، و عمار بن ياسر و قتادة كلهم قالوا بتخليل اللحية، فاما غسل باطن الفم، فذهب اليه مجاهد، و حماد و قتادة. و اما من قال: ما أقبل من الأذنين يجب غسله، و ما أدبر يجب مسحه فالشعبى. و قد بينا مذهبنا فى ذلک. و الذى يدل على صحة ذلک أن ما قلناه مجمع على انه من الوجه. و من ادعى الزيادة فعليه الادلة. و استوفينا ذلک فى مسائل الخلاف و تهذيب الأحكام.
و قوله: «وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ» منصوب بالعطف على الوجوه الواجب غسلها.
و يجب عندنا غسل الأيدى من المرافق، و غسل المرافق معها إلى رؤوس الأصابع، و لا يجوز غسلها من الأصابع إلى المرافق (و إلى) فى الآية بمعنى مع كقوله: «تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ» و قوله: «مَنْ أَنْصارِى إِلَى اللَّهِ» و أراد بذلک (مع) قال امرؤ القيس:
له كفل كالدعص لبده الندى الى حارک مثل الرتاج المضبب

و قال النابغة الجعدى:
و لوح ذراعين فى بركة الى جؤجؤ رهل المنكب
أراد مع حارک و مع رهل. و طعن الزجاج على ذلک فقال: لو كان المراد بالى مع، لوجب غسل اليد إلى الكتف، لتناول الاسم له. و انما المراد بالى الغاية و الانتهاء، لكن المرافق يجب غسلها مع اليدين. و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لأنا لو خلينا و ذلک، لقلنا بما قاله. لكن خرجنا بدليل. و دليلنا على صحة ما قلناه: اجماع الامة على أنه متى بدأ من المرافق كان وضوءه صحيحاً و إذا جعلت غاية ففيه الخلاف. و اختلف أهل التأويل فى ذلک، فقال مالک بن أنس: يجب غسل اليدين إلى المرفقين، و لا يجب غسل المرفقين. و هو قول زفر. و قال الشافعى:
لا أعلم خلافاً فى ان المرافق يجب غسلها. و قال الطبرى: غسل المرفقين، و ما فوقهما مندوب اليه غير واجب. و انما اعتبرنا غسل المرافق، لإجماع الأمة على أن من غسلهما صحت صلاته. و من لم يغسلهما، ففيه الخلاف. و المرافق جمع مرفق. و هو المكان الذى يرتفق به، و يتكأ عليه على المرفقة و غيرها.

و قوله: «وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ» اختلفوا فى صفة المسح، فقال قوم: يمسح منه ما يقع عليه اسم المسح، و هو مذهبنا. و به قال ابن عمر، و القاسم بن محمد، و عبد الرحمن بن أبى ليلى، و ابراهيم و الشعبى و سفيان. و اختاره الشافعى و أصحابه و الطبرى. و ذهب قوم إلى انه يجب مسح جميع الرأس ذهب اليه مالک. و قال ابو حنيفة، و ابو يوسف و محمد: لا يجوز مسح الرأس باقل من ثلاثة أصابع. و عنه روايتان فيهما خلاف، ذكرناهما فى الخلاف. و عندنا لا يجوز المسح إلا على مقدم الرأس. و هو المروى عن ابن عمر و القاسم بن محمد، و اختاره الطبرى. و لم يعتبر احد من الفقهاء ذلک. و قالوا: أى موضع مسح أجزاه و إنما اعتبرنا المسح ببعض الرأس، لدخول الباء الموجبة، للتبعيض لان دخولها فى الموضع الذى يتعدى الفعل فيه بنفسه لا وجه له غير التبعيض و إلا كان لغوا. و حملها على الزيادة لا يجوز
مع التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 452
إمكان حملها على فائدة مجددة، فان قيل: يلزم على ذلک المسح ببعض الوجه فى التيمم قلنا كذلک نقول، لأنا نقول بمسح الوجه من قصاص الشعر إلى طرف الانف و من غسل الرأس، فانه لا يجزيه عن المسح عندنا و خالف جميع الفقهاء فى ذلک، و قالوا يجزيه لأنه يشتمل عليه. و هذا غير صحيح، لان حد المسح هو إمرار العضو الذى فيه نداوة على العضو الممسوح من غير أن يجرى عليه الماء. و الغسل لا يكون الا بجريان الماء عليه. فمعناهما مختلف، و ليس إذا دخل المسح فى الغسل يسمى الغسل مسحاً، كما أن العمامة لا تسمى خرقة، و ان كانت تشتمل على خرق كثيرة.
و قوله: «وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» عطف على الرؤوس فمن قرأ بالجر ذهب إلى انه يجب مسحهما كما وجب مسح الرأس، و من نصبهما ذهب إلى انه معطوف على موضع الرؤوس، لان موضعها نصب لوقوع المسح عليها، و انما جر الرؤوس لدخول الباء الموجبة للتبعيض على ما بيناه فالقراءتان جميعاً تفيدان المسح على ما نذهب اليه. و ممن قال بالمسح ابن عباس و الحسن البصرى و ابو على الجبائى و محمد بن جرير الطبرى، و غيرهم ممن ذكرناهم فى الخلاف، غير إنهم أوجبوا الجمع بين المسح و الغسل المسح بالكتاب، و الغسل بالسنة، و خيرة الطبرى فى ذلک. و أوجبوا كلهم استيعاب جميع الرجل ظاهراً و باطناً. و عندنا أن المسح على ظاهرهما من رؤوس الأصابع إلى الكعبين. و هما الناتئان فى وسط القدم على ما استدل عليه. و قال عكرمة عن ابن عباس: الوضوء غسلتان و مسحتان. و به قال أنس بن مالک. و قال عكرمة ليس على الرجلين غسل إنما فيهما المسح. و به قال الشعبى: ألا ترى أن التيمم يمسح ما كان غسلا و يلغى ما كان مسحاً. و قال قتادة افترض اللّه مسحتين و غسلتين.
روى أوس ابن أبى أوس قال: رأيت النبى (صلى اللَّه عليه و آله) توضأ و

مسح على نعليه، ثم قام فصلى.
و روى حذيفة قال: أتى رسول اللَّه (ص) سباطة قوم، فبال عليها قائماً، ثم دعا بماءٍ، فتوضأ و مسح على نعليه.
و روى حبة الغربى قال: رأيت على ابن أبى طالب (عليه السلام) شرب فى الرحبة قائماً، ثم توضأ و مسح على نعليه.
و روى عن ابن عباس أنه وصف وضوء رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه و آله)

على رجليه.
و عنه أنه قال: إن كتاب اللَّه المسح و يأبى الناس الا الغسل. و عن أمير المؤمنين على (عليه السلام) أنه قال ما نزل القرآن إلا بالمسح. فان قيل: القراءة بالجر ليست على العطف على الرؤوس فى المعنى. و انما عطف عليها على طريق المجاورة، كما قالوا: حجر ضب خرب، و خرب، من صفات الحجر لا الضب و كما قال الشاعر:
كان بثيراً فى عرانين و بله كبير أناس فى بجاد مزمل
و المزمل من صفة الكبير لا البجاد. و قال الأعشى.
لقد كان فى حول ثواء ثويته تقضى لبانات و يسام سائم
قلنا: هذا لا يجوز من وجوه:
أحدها- ما قال الزجاج أن الاعراب بالمجاورة، لا يجوز فى القرآن، و انما يجوز ذلک فى ضرورة الكلام و الشعر.
و الثانى- أن الاعراب بالمجاورة لا يكون مع حرف العطف فاما قول الشاعر:
فهل انت ان ماتت أتانک راحل الى آل بسطام بن قيس فخاطب
قالوا: جر مع حرف العطف الذى هو الفاء، فانه يمكن أن يكون أراد الرفع و انما جر الراوى و هما. و يكون عطفاً على راحل يكون قد أقوى لان القصيدة مجرورة. و قال قوم: أراد بذلک الامر و إنما جر لإطلاق الشعر.
و الثالث- أن الاعراب بالمجاورة و إنما يجوز مع ارتفاع اللبس. فاما مع حصول اللبس، فلا يجوز، و لا يشتبه على احد أن خرب من صفة حجر، لا الضب.
و كذلک قوله: مزمل من صفة الكبير لا البجاد. و ليس كذلک فى الآية، لان الأرجل يمكن أن تكون ممسوحة و مغسولة، فاما قول الشاعر: ثواءٍ ثويته، فإنما جره بالبدل من الحول و المعنى لقد كان فى ثواءٍ ثوبته تقضى لبانات. و هو من بدل الاشتمال، كقوله: «قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ» . و قول الشاعر:
لم يبق الا أسير غير منفلت و موثق فى عقال الأسر مكبول
فليس خفض موثق على المجاورة، لان معنى البيت لم يبق غير أسير فالا

غير و هى تعاقبها فى الاستثناء. فقوله غير موثق عطف المعنى على موضع أسير.
و تقديره لم يبق غير أسير و غير منفلت. و اما قوله: «وَ حُورٌ عِينٌ» فى قراءة من جرهما، فليس بمجرور على المجاورة، بل يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون عطفاً على قوله: «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوابٍ وَ أَبارِيقَ وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ» الى قوله: «وَ حُورٌ عِينٌ» عطف على أكواب. و قولهم:
انه لا يطاف إلا بالكأس غير مسلم، بل لا يمتنع أن يطاف بالحور العين كما يطاف بالكأس و قد ذكر فى جملة ما يطاف به الفاكهة و اللحم.
و الثانى- أنه لما قال: «أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ» عطف بحور عين على جنات النعيم فكأنه قال: هم فى جنات النعيم. و فى مقاربة أو معاشرة حور عين.
ذكره أبو على الفارسى، فاما من قال: الرجلان ممسوحان و يراد بالمسح الغسل، فقوله: يبطل بما قلناه من أن المسح غير الغسل. و استشهادهم بقولهم: تمسحت للصلاة و أنهم سموا الغسل مسحاً. و قوله: «فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ»، و انه أراد غسلها باطل بما قدمناه، و لأنه لو كان ذلک محتملا لغة، لما احتمل شرعاً، لان الشرع فرق بين الغسل و المسح، و لذلک قالوا بعض أعضاء الطهارة مغسولة، و بعضها ممسوحة. و فلان يرى غسل الرجلين، و فلان يرى مسحهما، و لأنه لا خلاف أن الرأس ممسوح مسحاً ليس بغسل، فلا بد أن يكون حكم الرجلين حكمه، لكونهما معطوفتين عليه. و قولهم: تمسحت للصلاة، فلأنهم لما أرادوا أن يخبروا بلفظ مختصر عن جميع أفعال الصلاة، لم يجز أن يقولوا اغتسلت للصلاة، لان فى الطهارة ما ليس بغسل. و استطالوا أن يقولوا اغتسلت و تمسحت للصلاة قالوا: بدلا من ذلک تمسحت توسعاً، و مجازاً. و قوله: «فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ» فأكثر المفسرين على ان المراد به فطفق ضرباً. ذهب اليه الفراء و أبو عبيدة. و قال آخرون: أراد المسح فى الحقيقة، و أنه كان مسح أعراقها و سوقها. و انما حمل على الغسل شاذ منهم و من قال القراءة تقتضى المسح غير أنه المسح على الخفين، فقوله باطل، لان الخف التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 455
لا يسمى رجلا فى لغة و لا شرع. و اللَّه (تعالى) أمر بإيقاع الفرض على ما يسمى رجلا فى الحقيقة. و اما لقراءة بالنصب، فقد بينا أنها معطوفة على موضع الرؤوس لان موضعها النصب، و الحكم فيها المسح و العطف على الموضع جائز، لأنهم يقولون:
لست بقائم و لا قاعداً. و يقولون حسبت بصدره و صدر زيد و ان زيداً فى الدار و عمرو، فيرفع عمر و بالعطف على الموضع. و قال الشاعر:
معاوى اننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال و لا الحديدا

و قال آخر:
هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب أخا عونٍ بن مخراق
و انما نصب عبد رب، لان التقدير باعث ديناراً، فحمله على الموضع، و قد سوغوا العطف على المعنى، و ان كان اللفظ لا يقتضيه قال الشاعر:
جئنى بمثل بنى عمرو لقومهم أو مثل اسرة منظور بن سبار
لما كان معنى جئنى هات مثلهم، أو اعطنى مثلهم. قال: أو مثل بالنصب عطفاً على المعنى، و عطف الأرجل على الايدى لا يجوز، لان الكلام متى حصل فيه عاملان: قريب و بعيد لا يجوز إعمال البعيد دون القريب مع صحة حمله، عليه.
لا يجوز أن يقول القائل: ضربت زيداً و عمراً و أكرمت خالداً و بكراً. و يريد بنصب بكر العطف على زيد أو عمرو المضروبين، لان ذلک خروج عن فصاحة الكلام، و دخول فى معنى اللغو و بمثل ما قلناه ورد القرآن و اكثر الشعر قال اللّٰه تعالى: «وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً» و لو اعمل الاول، لقال:
كما ظننتموه. و قال «آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً» و لو أعمل الاول، لقال أفرغه.
و قال: «هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ» و لو اعمل الاول لقال: هاؤم اقرأوه. و قال الشاعر:
قضى كل ذى دين فوفى غريمه و عزة ممطول معنى غريمها
و لو أعمل الاول، لقال: فوقاه غريمه. فاما قول امرئ القيس.
فلو انما أسعى لأدنى معيشة كفانى و لم اطلب قليل من المال

فإنما أعمل الاول للضرورة، لأنه لم يجعل القليل مطلوباً و انما كان المطلوب عنده الملک. و جعل القليل كافياً. و لو لم يرد هذا و نصب، لفسد المعنى. فاما من نصب بتقدير و اغسلوا أرجلكم، كما قالوا:
متقلداً سيفاً و رمحاً و علفتها تبناً و ماء بارداً
فقد اخطأ، لان ذلک إنما يجوز إذا استحال حمله على اللفظ. فاما إذا جاز حمله على ما فى اللفظ، فلا يجوز هذا التقدير. و من قال يجب غسل الرجلين، لأنها محدودتان كاليدين، فقوله ليس بصحيح، لأنا لا نسلم ان العلة فى كون اليدين مغسولتين كونهما محدودتين. و انما وجب غسلهما، لأنهما عطفاً على عضو مغسول. و هو الوجه. فكذلک إذا عطف الرجلين على ممسوح هو الرأس، وجب أن يكونا ممسوحين. و الكعبان عندنا هما الناتئان فى وسط القدم. و به قال محمد بن الحسن و إن أوجب الغسل. و قال اكثر المفسرين و الفقهاء: الكعبان هما عظما الساقين يدل على ما قلناه أنه لو أراد ما قالوا، لقال إلى الكعاب، لان فى الرجلين منها أربعة. و ايضاً فكل من قال: يجب مسح الرجلين، و لا يجوز الغسل قال الكعب هو ما

قلناه، لان من خالف فى أن الكعب ما قلناه على قولين: قائل يقول بوجوب الغسل، و آخر يقول بالتخيير. قال الزجاج: كل مفصل للعظام فهو كعب.
و فى الآية دلالة على وجوب الترتيب فى الوضوء من وجهين:
أحدهما- ان الواو يوجب الترتيب لغة على قول الفراء و أبى عبيد و شرعا على قول كثير من الفقهاء، و
لقوله (عليه السلام): ابدأوا بما بدأ اللَّه به.
و الثانى- ان اللَّه أوجب على من يريد القيام الى الصلاة إذا كان محدثاً أن يغسل وجهه أولا، لقوله: «إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا» و الفاء توجب التعقيب و الترتيب بلا خلاف، فإذا ثبت أن البداءة بالوجه هو الواجب، ثبت فى باقى الأعضاء، لان أحداً لا يفرق و يقويه
قوله (عليه السلام) للاعرابى- حين علمه الوضوء، فقال: هذا وضوء لا يقبل اللَّه الصلاة إلا به، فان كان رتب فقد بين انه الواجب الذى لا يقبل اللَّه الصلاة إلا به
، و ان لم يرتب لزم أن يكون من رتب، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 457
لا يجزيه و قد اجتمعت الامة على خلافه. و فى الآية دلالة على أن من مسح على العمامة أو الخفين لا يجزيه، لان العمامة لا تسمى رأساً. و الخف لا يسمى رجلا كما لا يسمى البرقع و ما يستر اليدين وجهاً و لا يداً. و ما روى من المسح على الخفين أخبار آحاد لا يترك لها ظاهر القرآن. على أنه
روى عن على (عليه السلام) أنه قال: نسخ ذلک بهذه الآية و كذلک قال لمن قال: اقبل المائدة أو بعدها.
و فى الآية دلالة على وجوب النية فى الوضوء، لأنه قال: إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا. و تقديره فاغسلوا للصلاة كما يقول القائل: إذا أردت لقاء عدوک، فخذ سلاحک بمعنى فخذ سلاحک للقائه و لا يمكن أن يكون غاسلا هذه الأعضاء للصلاة إلا بنية. و قوله: «وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا» معناه و ان أصابتكم جنابة و أردتم القيام الى الصلاة فاطهروا بالاغتسال.
و الجنابة تكون بشيئين.
أحدهما- بانزال الماء الدافق فى النوم أو اليقظة. و على كل حال بشهوة كان أو بغير شهوة.
و الآخر- بالتقاء الختانتين وحده غيبوبة الحشفة أنزل أو لم ينزل، و الجنب يقع على الواحد و الجماعة و الاثنين، و المذكر و المؤنث مثل رجل عدل، و قوم عدل، و رجل زور و قوم زور، و نحو ذلک و هو بمنزلة المصدر قال الزجاج: تقديره ذو جنب. و يقال أجنب الرجل و جنب و اجتنب و الفعل الجنابة و قد حكى فى جمعه أجناب و الأول أظهر.
و اصل الجنابة البعد قال علقمة:
فلا تحرمنى نائلا عن جنابة فانى امرؤ وسط القباب غريب

و قوله: «وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ» معناه و ان كنتم مرضى يعنى ان كنتم جرحى أو مجدرين أو مرضى يضر بكم استعمال الماء و كنتم جنباً أو على غير وضوء قد بينا ذلک فى سورة النساء و قوله: «أَوْ عَلى سَفَرٍ» معناه و إن كنتم مسافرين و أنتم جنباً و جاء أحد منكم من الغائط معناه أو جاء أحد منكم من الغائط قد قضى حاجته فيه، و هو مسافر أو لامستم النساء معناه أو جامعتم النساء و أنتم مسافرون. و قد بينا اختلاف الفقهاء فى اللمس، و بينا أصح الأقوال فى ذلک، فلا وجه لإعادته، فان قيل: ما معنى التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 458
تكرير قوله: لامستم النساء إن كان معنى اللمس الجماع مع انه قد تقدم ذكر الواجب عليه لقوله: «وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا» قلنا وجه ذلک أن المعنى فى قوله:
«وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً» غير المعنى الذي ألزمه اللَّه بقوله: او لامستم النساء، لأنه (تعالى) بين الحكم بقوله: «وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا» معناه إذا كنتم واجدين للماء ممكنين لاستعماله، ثم بين حكمه إذا عدم الماء، أو لا يتمكن من استعماله أو هو مسافر غير مريض مقيم، فاعلمه أن التيمم هو فرضه، و هو طهارته. و قد بينا حكم التيمم و معناه و كيفيته فيما مضى. و قوله: «فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ» قد بينا جميع ذلک فيما مضى جملته أنه يقول: أيها المؤمنون إذا قمتم الى الصلاة، و أنتم على غير طهر، و لم تجدوا ماء، و لا تتمكنون من استعماله، فاقصدوا وجه الأرض طاهراً نظيفاً غير نجس، و لا قذر «فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ» يعنى مما يعلق باديكم منه يعنى من الصعيد و قد بينا كيفية التيمم، و أنه من قصاص الشعر الى طرف الانف، و من الزند الى أطراف الأصابع فى اليدين. و قد بينا اختلاف المفسرين و الفقهاء فى ذلک، فلا معنى لإعادته. و
قوله: «ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ» معناه ما يريد اللَّه مما فرض عليكم من الوضوء إذا قمتم الى الصلاة و الغسل من الجنابة و التيمم صعيداً طيباً عند عدم الماء أو تعذر استعماله، ليلزمكم فى دينكم من ضيق، و لا ليفتنكم فيه، و هو قول على (عليه السلام)
و مجاهد و جميع المفسرين. و قوله: «وَ لكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» معناه لكن يريد اللَّه ليطهركم بما فرض عليكم من الوضوء و الغسل من الأحداث و الجنابة أن ينظف بذلک أجسامكم من الذنوب. و اللام فى قوله:
«ليطهركم» دخلت لتبيين الارادة و المعنى ارادته لتطهيركم كما قال الشاعر:
أريد لانسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

روى ما قلناه عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبى امامة ان رسول اللّه (صلى اللَّه عليه و آله) قال: إن الوضوء يكفر ما قبله

و قوله: «وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 459 عَلَيْكُمْ»

معناه و يريد اللَّه مع تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم إياه فيما فرض عليكم من الوضوء و الغسل إذا قمتم الى الصلاة مع وجود الماء، و التيمم مع عدمه، أن يتم نعمته بإباحته لكم التيمم، و تصييره لكم الصعيد الطيب طهوراً رخصة منه لكم فى ذلک مع سوابغ نعمه التى أنعم بها عليكم «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» معناه و لتشكروا اللَّه على نعمه التى أنعم بها عليكم بطاعتكم إياه فيما أمركم به و نهاكم عنه.

وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مِيثاقَهُ الَّذِي واثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنا وَ أَطَعْنا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (7)
آية بلا خلاف.
فى هذه الآية اذكار بنعم اللَّه تعالى عليهم برسوله (صلى اللَّه عليه و آله) و ميثاقه الذى واثقهم به عند ما ضمنوا لرسول اللَّه (ص) السمع و الطاعة، ثم حذرهم ان ينقضوا ذلک بقلوبهم، و أعلمهم أنه عليهم بذات الصدور.
و الميثاق الذى واثقهم به قال البلخى: و الجبائى هو ما
أخذ عليهم رسول اللَّه (صلى اللَّه عليه و آله) عند إسلامهم و بيعتهم بأن يطيعوا اللَّه فى كل ما يفرضه عليهم مما ساءهم أو سرهم.
قال الجبائى: هو مبايعتهم له ليلة العقبة و بيعة الرضوان و هو قول ابن عباس و قال آخرون: هو ما اخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم (ع) و اشهدهم على أنفسهم ا لست بربكم؟ قالوا: بلى. ذهب اليه مجاهد. و الصحيح قول ابن عباس لامرين:
أحدهما- ان الخبر مروى فى أخذ الميثاق على من استخرج من صلب آدم (ع) ضعيف تحيله العقول.
و الثانى- أن اللَّه (تعالى) ذكر بعقب تذكيره المؤمنين ميثاقه الذى واثق به اهل التوراة بعد ما أنزل كتابه على نبيه موسى (ع) فيما أمرهم به و نهاهم عنه، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 460
فقال: «وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً» الآيات بعدها منبهاً بذلک أصحاب رسول اللَّه محمد (صلى اللَّه عليه و آله) على مواضع حظوظهم من الوفاء للَّه بما عاهدهم عليه و تعريفهم سوء عاقبة هل الكتاب فى تضييعهم من الوفاء للَّه بما عاهدهم عليه و ما ضيعوا من ميثاقه الذى واثقهم به فى أمره و نهيه زاجراً لهم عن نكث عهده لئلا يحل بهم ما حل بمن تقدم من الناكثين عهده من اهل الكتاب.
و قال ابو الجارود عن أبى جعفر (ع)- الميثاق هو ما بين لهم فى حجة الوداع من تحريم كل مسكر و كيفية الوضوء على ما ذكره اللَّه و غير ذلک و نصب امير المؤمنين (عليه السلام) اماماً للخلق
و هذا داخل فيما حكيناه عن ابن عباس إذ هو بعض ما أمر اللَّه به.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَداءَ بِالْقِسْطِ وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (8)

آية- بلا خلاف-.

هذا خطاب للمؤمنين أمرهم اللَّه تعالى ان يكونوا قوامين بالقسط أى قائمين بالعدل يقومون به، و يدومون عليه شهدا. اللَّه أى مبينون عن دين اللَّه، لان الشاهد يبين ما شهد عليه.

و «قوامين» نصب بانه خبر كان (شهداء) نصب على الحال.

و قوله: «و لا يجرمنكم» قد فسرناه فيما مضى. قال الكسائى: و ابو عبيدة معناه لا يحملنكم بغض قوم على الا تعدلوا يقال: جرمنى فلان على أن فعلت كذا أى حملنى عليه و قال الفراء يجرمنكم يكسبنكم يقال: جرمت على أهلى أى كسبتهم. و فلان جريمة أهله أى كاسبهم قال الكسائى: و فيه لغتان جرمت أجرم جرماً و أجرمت أجرم أجراماً. و شنآن قال الكسائى: معناه البغض و فيه لغتان: فتح التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 461

النون الاولى و جزمها. و قد بينا اختلاف القراء فيه. قال الزجاج: من حرك النون أراد بغض قوم. و من سكن أراد بغيض قوم. و حكى ايضاً جرم و أجرم لغتين و قيل أجرمته أدخلته فى الجرم كما قيل آثمته و معناه أدخلته فى الإثم و المعنى لا يحملنكم شنآن قوم اى بغض قوم ألا تعدلوا فى حكمكم فيهم، و سيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم. و

قال عبد اللَّه بن كثير: نزلت هذه الآية فى يهود حين مضى النبى (ص) إلى حصن بنى قريظة يستعينهم فى دية فهموا أن يقتلوه، فنزلت هذه الآية، ثم أمرهم بعد النهى عن الجور أن يفعلوا العدل مع كل أحد ولياً كان أو عدواً ، فان فعل العدل أقرب لكم أيها المؤمنون إلى التقوى، ثم حذرهم تعالى فقال: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» أى خافوا عقابه باجتناب معاصيه و فعل طاعاته، فان اللَّه خبير أى عالم بأعمالكم و الكناية فى قوله: «هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى» كناية عن العدل أى العدل أقرب للتقوى، و لو لم يكن هو فى الكلام، لكان أقرب نصباً، كما قال: انتهوا خيراً لكم و كنى عن الفعل فى هذا الموضع بهو.

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ (9)
- آية بلا خلاف-.
وعد اللَّه تعالى فى هذه الآية الذين صدقوا بوحدانية اللَّه و أقروا بنبوة نبيه محمد (صلى اللَّه عليه و آله) و عملوا الصالحات ان لهم مغفرة و وعدهم مغفرة و وقعت الجملة موقع المفرد كما قال الشاعر:
وجدنا الصالحين لهم جزاء و جنات و عيناً سلسبيلا
و تكون الجملة التى هى لهم مغفرة فى موضع النصب، و لذلک عطف فى البيت و عينا، فنصب على الموضع، و يحتمل أن يكون موضع (لهم مغفرة) فى موضع الرفع، و يكون الموعود به محذوفاً، و يكون التقدير لهم مغفرة و

وعدهم أو لهم مغفرة و أجر عظيم هو الجنة. و هو معنى قول الحسن و الجبائى و الوعد، هو الخبر الذى يتضمن النفع من المخبر. و الوعيد: هو الخبر الذى يتضمن الضرر من المخبر. و تقول: وعدته خيراً و أوعدته شراً و الا يعاد مطلقاً يكون فى الشر.
و الوعد مطلقاً فى الخير، فإذا قيدته بذكر الخير او الشر، قلت فيهما معاً وعدته و أوعدته معاً فيما حكاه الزجاج. و المغفرة أصلها التغطية و معناها تكفير السيئة.
و التكفير ايضاً: التغطية و منه تكفر فى السلاح: إذا تغطى به قال لبيد:
فى ليلة كفر النجوم غمامها
و الأجر المذكور فى الآية هو الثواب الذى وعد اللَّه المؤمنين به على فعلهم الطاعات. و الفرق بين الثواب و الأجر فى العرف أن الثواب هو الجزاء على الطاعات.
و الأجر قد يكون مثل ذلک و قد يكون فى المعنى المعاوضة على المنافع بمعنى الأجر.

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (10)
- آية-.
قوله: «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا» معناه جحدوا توحيد اللَّه، و صفاته و عدله، و أنكروا نبوة نبيه، و الاعتراف بما جاء به من عند اللَّه، و كذبوا بآيات اللَّه أخبر اللَّه عنهم أنهم اصحاب الجحيم. و جحيم اسم من اسماء جهنم، فعلى هذا قوله، «و الذين» فى موضع رفع على الابتداء «و كفروا» فى صلة الذين و كذبوا بآياتنا عطف على ما فى الصلة. و قوله: أولئک اصحاب الجحيم جملة فى موضع خبر الذين.
و حد الكفر عندنا كل معصية يستحق بها عقاب دائم، لان ما ليس بكفر من المعاصى لا يستحق عليه إلا عقاب منقطع، ثم ينقسم قسمين فان كان كفر ردة، تعلقت عليه أحكام من منع الموارثة من المسلم و الصلاة عليه، و الدفن فى مقابر المسلمين، و غير ذلک. و ان كان كافر ملة بأن يكون مظهراً للشهادتين لم يجر عليه شىء من هذه الأحكام. و قال قوم: إن الكفر أعظم الأجرام، لأنه جحد أنعم اللَّه، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 463
و نعمته أعظم النعم، و يستحق عليها أعظم الشكر، فيجب أن يكون كفرها و جحدها أعظم الاجرام و المكذب بآيات اللَّه، و ان يعلمها آيات، فهو كافر إذا كان له سبيل إلى معرفتها. و معنى أصحاب الجحيم أنهم يخلدون فى النار، لان المصاحبة تقتضى الملازمة كما يقال اصحاب الصحراء بمعنى الملازمين لها.

اشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11) - آية بلا خلاف-.

هذا خطاب للمؤمنين ذكرهم اللَّه نعمته عليهم حين هم قوم أن يبسطوا اليهم أيديهم. و اختلفوا فى الباسطين أيديهم على خمسة اقوال:

فقال مجاهد و قتادة و ابو مالک: هم اليهود هموا بأن يقتلوا النبى (ص) لما مضى إلى بنى قريظة يستعين بهم على دية مقتولين من بنى كلاب بعد بئر معونة كانا وفدا على النبى (صلى اللَّه عليه و آله) فلقيهما عمرو بن أمية الضمرى فقال: أ مسلمين؟

فقالا: بل رافدين، فقتلهما، فقال له النبى (ص) قتلت قتيلين قبل أن يبلغا الماء و اللَّه لا دينهما. و مضى إلى يهود بنى قريظة يستعين بهم.

و قيل: كان يستقرض لأجل الدية لأنه كان يحملها، فهمت بنو قريظة بالفتک به و بقتله، فأعلم اللَّه تعالى النبى (ص) ذلک فانصرف عنهم.

و قال الحسن: إنما بعثت قريش رجلا ليفتک بالنبى (صلى اللَّه عليه و آله) فاطلع اللَّه نبيه على أمره و منعه اللَّه منه، لأنه دخل على النبى (ص) و سيفه مسلول فقال له: أرنيه فأعطاه إياه، فلما حصل فى يده قال: ما الذى يمنعنى من قتلک؟

فقال النبى (صلى اللَّه عليه و آله) اللَّه يمنعک فرمى بالسيف و أسلم.

و اسم الرجل عمرو بن وهب الجمحى بعثه صفوان بن أمية ليغتاله (صلى اللَّه عليه و آله) بعد بدر، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 464

فاعلمه اللَّه ذلک. و كان ذلک سبب إسلام عمرو بن وهب.

و قال الواقدى. غزا رسول اللَّه (ص) جمعاً من بنى ذبيان و محارب بذى أمر فتحصنوا برءوس الجبال، و نزل رسول اللَّه (ص) بحيث يراهم، فذهب لحاجته فأصابه مطر فبل ثوبه، فنشره على شجرة و اضطجع تحته بعيداً من أصحابه، و الاعراب ينظرون اليه فأخبروا سيدهم دعثور بن الحارث المحاربى فجاء حتى وقف على رأسه بالسيف مشهوراً، فقال: يا محمد (ص) من يمنعک منى اليوم؟ فقال: اللَّه و دفع جبرائيل فى صدره و وقع السيف من يده، فأخذه رسول اللَّه (ص)، و قام على رأسه و قال: من يمنعک منى اليوم؟ فقال: لا احد و انا اشهد ان لا اله إلا اللَّه، و ان محمداً رسول اللَّه (ص) فنزلت الآية.

و قال ابو على الجبائى المعنى بذلک ما لطف اللَّه (تعالى) المسلمين من كف أعدائهم عنهم حين هموا باستئصالهم بأشياء شغلهم بها من الأمراض و القحط، و موت الأكابر، و هلاک المواشى و غير ذلک من الأسباب التى

انصرفوا عندها عن قتل المؤمنين:
و قال ابن عباس. كانت اليهود دعوا رسول اللَّه (ص) إلى طعام لهم، و عزموا على الفتک به، فاعلم اللَّه ذلک نبيه (ص) فلم يحضر.
و قال آخرون: نزلت الآية فيما عزم المشركون على الإيقاع بالنبى (ص) و أصحابه يوم بطن النخلة إذا دخلوا فى الصلاة، فاعلمه اللَّه ذلک، فصلى بهم صلاة الخوف. و انما جعل اللَّه تخليص النبى مما هموا به نعمة على المؤمنين من حيث كان إمامهم و سيدهم، و كان مبعوثاً اليهم بما فيه مصالحهم، فمقامه بينهم نعمة على المؤمنين، فلذلک اعتد به عليهم. و قال قوم: هو مردود على قوله: «الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ» و معناه جملة الظفر.

و الذكر هو حضور المعنى للنفس يقال: ذكر يذكر ذكراً. و اذكروه إذكاراً و تذاكروا تذاكراً. و ذاكره مذاكرة. و ذكره تذكيراً. و استذكر استذكاراً و ادكر ادكاراً.
و قد يستعمل الذكر بمعنى القول، لأن من شأنه أن تذكر به المعنى. و التذكر هو طلب التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 465
المعنى لا طلب القول. و الفرق بين الذكر و العلم ان الذكر ضده الجهل. و قد يجمع الذكر للشىء و الجهل به من وجه واحد. و محال ان يجتمع العلم به و الجهل به من وجه واحد و الفرق بين الذكر و الخاطر أن الخاطر مرور المعنى على القلب. و الذكر حصول المعنى فى النفس و ايضاً الذكر يجرى على نقيض النسيان، لأنه يستعمل بعد ما نسيه. و ليس كذلک الخاطر.
و الهم بالأمر هو حديث النفس بفعله. يقال: هم بالأمر يهم هما. و منه الهم. و هو الفكر الذى يغم.و جمعه هموم و اهتم اهتماماً. و أهمه الأمر إذا عنى به، فحدث نفسه به و الفرق بين الهم بالشىء و القصد اليه انه قد يهم بالشىء قبل أن يريده و يقصده بان يحدث نفسه به و هو مع ذلک مميل فى فعله ثم يعزم اليه و يقصد اليه.

قوله تعالى:[سورة المائدة (5): آية 12]..... ص: 465

اشارة

وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِی إِسْرائِیلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَیْ عَشَرَ نَقِیباً وَ قالَ اللَّهُ إِنِّی مَعَکُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَ آتَیْتُمُ الزَّکاةَ وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِی وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُکَفِّرَنَّ عَنْکُمْ سَیِّئاتِکُمْ وَ لَأُدْخِلَنَّکُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ فَمَنْ کَفَرَ بَعْدَ ذلِکَ مِنْکُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِیلِ (12)

- آیة بلا خلاف-.

المیثاق: الیمین المؤکدة، لأنه یستوثق بها من الأمر، فأخذ اللَّه میثاقهم بإخلاص العبادة له، و الایمان برسله. و ما یأتون به من شرایع دینه.

و قوله: «بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَیْ عَشَرَ نَقِیباً» فالنقیب فیه أربعة أقوال:

قال الحسن: هو الضمین و قال الربیع: هو الأمین.

و قال قتادة: هو الشهید علی قومه. و قال قوم: هو الرئیس من العرفاء.

و اصل النقيب فى اللغة النقب و هو الثقب الواسع. و قال ابو مسلم: هو فعيل بمعنى مفعول كأنه اختير و نقر عليه، فقيل نقيب، لأنه ينقب عن احوال التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 466
القوم، كما ينقب عن الاسرار. و منه نقاب المرأة. و منه المناقب و هى الفضائل.
و النقب: الطريق فى الجبل. و يقال نقب الرجل على القوم ينقب نقبا: إذا صار نقيباً. و نكب عليهم ينكب نكابة: إذا صار منكباً. و هو عون العريف. و قد نقب نقابة. و النقبة سراويل بغير رجلين لاتساع نقبه تلبسه المرأة. و أول الجرب النقبة و جمعها النقب. و النقب قال الشاعر:
متبذلا تبدوا محاسبه يضع الهاء مواضع النقب
و يقال: كلب نقيب إذا نقب حنجرته، لئلا يرتفع صوته فى نباحه يفعل ذلک البخلاء، لئلا يطرقهم ضعيف بسماع نباح الكلاب. و منه نقبت الحائط: إذا بلغت فى النقب آخره.
و فى معنى قوله: «اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً» قولان:
أحدهما- قال الحسن و الجبائى: أنه أخذ من كل سبط منهم ضميناً بما عقد عليهم بالميثاق من امر دينهم.
الثانى قال مجاهد و السدى: إنهم بعثوا إلى الجبارين، ليقفوا على آثارهم و يرجعوا بذلک إلى موسى، فرجعوا ينهون قومهم على قتالهم لما رأوا من شدة بأسهم، و عظم خلقهم إلى اثنين منهم.
و قال البلخى: يجوز أن يكون النقباء رسلا و يجوز ان يكونوا قادة. و قوله: «بعثا» لا يدل على أنهم رسل، كما إذا قال القائل: الخليفة بعث الأمير أو القضاة لا يفيد أنهم رسل، بل يفيد أنه ولاهم و قلدهم. و الغرض بذلک إعلام النبى (ص) أن هؤلاء الذين هموا بقتل النبى (ص) صفاتهم و أخلاقهم أخلاق أسلافهم الغدر، و نقض العهد.
و قوله: «وَ قالَ اللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ» معناه ناصركم على عدوكم و عدوى الذى أمرتكم بقتالهم إن قاتلوهم، و وفيتم بعهدى و ميثاقى الذى أخذته عليكم. و فى الكلام حذف، و تقديره و قال اللّه: إنى معكم. و إنما حذف استغناء بقوله: «وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِى إِسْرائِيلَ» ثم ابتدأ تعالى قسما، لئن أقمتم الصلاة معشر بنى إسرائيل التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 467
«وَ آتَيْتُمُ الزَّكاةَ» أى أعطيتموها «وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِى» معناه و صدقتم بما أتاكم به رسلى من شرائع دينى و قال الربيع بن أنس: هذا الخطاب من اللّه للنقباء و قال غيره:
هو خطاب لبنى إسرائيل. و التقدير ان موسى (ع) قال لهم عن اللَّه تعالى:

إن اللّه ناصركم على عدوكم ما أقمتم الصلاة و آتيتم الزكاة و آمنتم برسلى «وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ» قيل معناه قولان:
أحدهما- قال مجاهد و السدى: معناه نصرتموهم و هو اختيار الزجاج.
الثانى- قال عبد الرحمن بن زيد: معناه و نصرتموهم و أطعتموهم. و به قال أبو عبيدة. و العزر- فى اللغة-: الرد و المنع فى قول الفراء تقول: عزرت فلاناً: إذا أدبته، و فعلت به ما يردعه عن القبيح. و قال تعالى: «وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَقِّرُوهُ» و معناه تنصروه. و إلا كان تكراراً. و هو اختيار الطبرى و أنشد أبو عبيدة فى التعزير بمعنى التوقير قول الشاعر:
و كم من ما جد لهم كريم و من ليث يعزر فى الندى «1»
أى يعظم. و هو قول أبى على.
و قوله: «وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» معناه و أنفقتم فى سبيل اللَّه، و جهاد عدوه و عدوكم قرضاً حسناً. و قيل: معناه بطيبة نفس. و قيل معناه الا يتبعه من و لا أذى. و قيل من الحلال دون الحرام. و انما قال: قرضاً، و لم يقل إقراضاً، لأنه رده إلى قرض قرضاً، كما قال: «أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً» «2» و لم يقل إنباتاً و يقال: أعطيته عطاء. و قال امرؤ القيس:
و رضت فذلت صعبة اى إذلال «3»
لان فيه معنى أذللت.
و قوله: «لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ» اللام جواب القسم. و هو قوله: «لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ» فالأولى لام القسم و الثانية جوابه. و قال قوم: كل واحد منهما

---

(1) مجاز القرآن لابى عبيدة ا: 157 و تفسير الطبرى 10: 120. الندى مجلس القوم ما داموا مجتمعين فيه.
(2) سورة نوح، آية 17.
(3) ديوانه: 141. راض الدابة علمها السير.

قسم. و صحيح الأول، لان الكلام لم يتم فى قوله: «لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكاةَ» و معنى «لَأُكَفِّرَنَّ» لأعطين بعفوى و صفحى عن عقوبتكم على ما مضى اجرامكم، و لأدخلنكم مع ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار و الجنات البساتين و الكفر و معناه الجحود، و التغطية و الستر. قال لبيد:
فى ليلة كفر النجوم غمامها «1»
و قوله تجرى من تحتها يعنى من تحت أشجار هذه الجنات الأنهار.
و قوله: فمن كفر بعد ذلك منكم يعنى من جحد منكم يا معشر بنى إسرائيل ما أمرته به، فتركه أو ركب ما نهيته عند بعد اخذى الميثاق عليه، فقد ضل يعنى أخطأ قصد الطريق الواضح، و زال عن منهاج السبيل القاصد. و الضلال هو الركوب على غير هدى. و سواء السبيل يعنى وسطه.

قوله تعالى:[سورة المائدة (5): آية 13]..... ص: 468

اشارة

فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَ لا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13)

- آية بلا خلاف-.

قرأ حمزه و الكسائى قسية بلا الف- و قرأ الباقون قاسية- بالف.

المعنى بالآية تسلية النبى (ص) فقال اللَّه له: لا تعجبن من هؤلاء اليهود الذين هموا ان يبسطوا أيديهم اليک و إلى أصحابک و نکثوا العهد الذى بينک

---

(1)- انظر ا: 60.

و بينهم، و غدروا بک، فان ذلک من عادتهم، و عادات أسلافهم، لانى أخذت ميثاق سلفهم على عهد موسى على طاعتى، و بعثت منهم اثنى عشر نقيباً، فنقضوا ميثاقى، و نکثوا عهدى، فلعنهم بنقضهم ميثاقهم. و فى الکلام محذوف اکتفى بدلالة الظاهر عليه. و المعنى فمن کفر بعد ذلک منکم، فقد ضل سواء السبيل، فنقضوه، فلعنتهم فبما نقضهم ذلک لعناهم فاکتفى بقوله: فيما نقضهم من ذکر فنقضوا.

(و ما) زائدة و التقدير فبنقضهم (و ما) مؤکدة. و هو قول قتادة و جميع المفسرين و مثله قول الشاعر:

لشىء ما يسود من يسود

و الهاء و الميم کنايتان عن بنى إسرائيل و اللعن هو الطرد للسخط على العبد، و هو الابعاد من رحمة اللَّه على جهة العقوبة. و قال الحسن: هو المسخ الذى کان فيهم حين صاروا قردة، و خنازير. و معنى جعلنا- ها هنا- قال البلخى: سميناها بذلک عقوبة على کفرهم، و نقض ميثاقهم. قال: و يجوز أن يکون المراد ان اللَّه بکفرهم لم يفعل بهم اللطف الذى تنشرح به صدورهم کما يفعل بالمؤمن. و ذلک مثل قولهم: أفسدت سيفک: إذا ترکت تعاهده حتى صدئ. و يقولون: جعلت أظافيرک سلاحک: إذا لم تقصها. و يشهد للأول قوله تعالى: «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَکاءَ الْجِنَّ» و أراد بذلک انهم سموا للَّه شرکاء. و قال ابو على: هو البيان عن حالهم، و جفا قلوبهم عن الايمان باللَّه و رسوله، کما يقال: جعلته فاسقاً مهتوکا: إذا أبان عن حاله للناس.

و معنى قاسية. أى يابسة يقال للرحيم: لين القب، و لغير الرحيم: قاسى القلب. و القاسى و القاسح- بالحاء- الشديد الصلابة. و يقال: قسا يقسو قسوة و منه «فَهِيَ کَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» و قسية أشد مبالغة. و قاسية أعرف و أکثر فى الاستعمال. و قال ابو عبيدة: قاسية معناه فاسدة من قولهم: درهم قسى أى زائد قال أبو زبيد: التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 470

لها صواهل فى صم السلام کما صاح القسيات فى ايدى الصياريف.

يصفِ وقع المساحىِ فى الحجارة. و قال ابو عباس. الدرهم انما سمى

قسياً إذا كان فاسداً لشدة صوته بالقس الذى فيه، فهو راجع الى الاول. و قال الراجز:
و قد قسوت و قسا لداتى
و قوله: «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ» فالتحريف يكون بأمرين: بسوء التأويل، و بالتغيير و التبديل، كما قال تعالى: «وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» بعد قوله: «وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ» و الكلم جمع كلمة.
و قوله: «وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ» معناه تركوا نصيباً مما ذكروا به يعنى مما أنزل على موسى، و هو قول الحسين و السدى و ابن عباس.
و قوله: «وَ لا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ» معناه على خيانة منهم و فاعله فى اسماء المصادر كثير، نحو عافاه اللّه عافية. وَ الْمُؤْتَفِكاتُ بِالْخاطِئَةِ و فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ و يقال: قائلة بمعنى القيلولة. كل ذلک بمعنى المصدر و راغية الإبل و ثاغية الشاة. و يقال: رجل خائنة قال الشاعر:
حدثت نفسک بالوفاء و لم تكن للغدر خائنة مغل الإصبع
فخائنة على وجه المبالغة، كما قالوا: رجل نسابة، لأنه يخاطب رجلا.
و معناه لا تخن، فتغلل إصبعک فى المتاع أى تدخلها الخيانة، و مغل بدل من خائنة.
و يجوز أن يكون على خائنة معناه على فرقة خائنة.
و قوله: «إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ» نصب على الاستثناء من الهاء و الميم فى قوله: «عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ» .
و قوله: «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» قال قتادة: هو التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 471
منسوخ بقوله: «قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» و قال ابو على بقوله: «وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ» و قال البلخى: يجوز أن يكون أمر بالعفو و الصفح بشرط التوبة أو بذل الجزية، لأنهم إذا بذلوا الجزية لا يؤاخذون بشىء من كفرهم. و هو قول الحسن، و جعفر بن مبشر. و اختار الطبرى هذا. فعلى هذا لا يكون منسوخا و قوله: «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ» لا يدل على أنه جعل قلوبهم قاسية، ليحجرفوا بل يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يكون كلاماً مستأنفاً و يكون التمام عند قوله: «قاسية» ثم أخبر عنهم بأنهم يحرفون الكلام عن مواضعه.
الثانى- أن يكون ذلک حالا، لقوله: «فبما نقضهم ميثاقهم يحرفون» اى يحرفون الكلم ناسين لحظوظهم «لَعَنَّاهُمْ وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً» .

وَ مِنَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَ سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ (14)

- آية بلا خلاف-.

قوله: «وَ مِنَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى» انما لم يقل: من النصارى لما قاله الحسن: من أنه أراد تعالى بذلک أن يدل على أنهم ابتدعوا النصرانية التى هم عليها اليوم، و تسموا بها.

و قوله: «أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ» يعنى بتوحيد اللَّه عز و جل، و الإقرار بنبوة المسيح، و جميع أنبياء اللَّه و انهم كلهم عبيد اللَّه لا يذكر. و قال ابو على: معناه تركوا العمل به، فكان كالذى لا يذكر.

و قوله: «مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ» يعنى فيما أنزله اللَّه على موسى و عيسى فى التوراة و الإنجيل، و الكتب المتقدمة. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 472

و قوله: «فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ» قال مجاهد و قتادة و ابن زيد و السدى و الجبائى: معناه بين اليهود و النصارى. و قال الربيع و الزجاج و الطبرى:

معناه بين النصارى. و هو ما وقع بينهم من الخلاف نحو الملكية، و هم الروم و النسطورية و اليعقوبية من العداوة. و أصل الإغراء تسليط بعضهم على بعض.

و قيل: معناه التحريش. و أصله اللصوق. يقال: غريت بالرجل غرى- مقصور و ممدود- و معناه لصقت به. قال كثير:

إذا قيل مهلا قالت العين بالبكا غراء و مدتها حوافل تهمل

و أغريت زبداً بكذا حتى غرى به. و منه الغراء الذى يغرى به للصوق و الإغراء بالشىء معناه الإلصاق من جهة التسليط. و انما أغرى بينهم بالأهواء المختلفة فى الدين فى قول إبراهيم. و قيل: بإلقاء البغضاء بينهم- عن الحسن و قتادة- و قيل:

يأمر بعضهم أن يعادى بعضاً فى قول أبى على فكأنه يذهب إلى ما تقدم من الامر لهم بمعاداة الكفار. و الذى يقوله أن الوجه فى إغراء اللَّه فيما بينهم أنه امر النصارى بمعاداة اليهود فيما يفعله اليهود من القبيح فى التكذيب بالمسيح، و شتم امه، و القذف لها و الغرية عليها، و اضافتها اليه تعالى، و وصفها بما لا يليق، و امر اليهود بمعاداة النصارى فى اعتقادهم التثليث، و ان المسيح ابن اللَّه و غير ذلک من اعتقاداتهم الفاسدة، نقضوا هذا الميثاق و اعرضوا عنه حتى صار بمنزلة المنسى فكان فى ذلک أمر كل واحد منهما بالطاعة، فان قيل يمنع من ذلک قوله: «فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا

بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ» فجعل اغراءه لهم بالعداوة جواباً لقوله: «فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ» لان الفاء تدل على الجواب. و إذا كانت جواباً، وجب أن يكون (تعالى) إنما أغرى بينهم لأجل نسيانهم للحظ الذى ذكروا به، و انه عاقبهم بهذا الإغراء، و ليس فى الامر و النهى و العبادات عقوبات- بلا خلاف- فدل جوابه بالفاء فى قوله: «فأغرينا» عقيب قوله: «فنسوا حظاً» على أنه عاقب بالإغراء لا على ما قلتموه؟ قيل: قوله: «فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ» جوابه و انه فعل هذا الإغراء، لأجل نسيانهم. غير أنه ليس بعقوبة، و ان كان جواباً. فكا التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 473

لأجل نسيانهم. غير أنه ليس بعقوبة، و ان كان جواباً. فكان الإغراء إنما وقع بينهم من أجل نسيانهم لحظهم من قبل أنهم نسوا ما ذكروا به من معرفة التوحيد، و التدين به، فصاروا إلى القول بالاتحاد و الشرک و القربة عليه (تعالى) فلأجل ذلک أمر اللّه أضدادهم بمعاداتهم، و اغرائهم بهم. فان قيل: فان اللّه (تعالى) ذكر النصارى فى هذه الآية بنسيان حظهم ثم أجاب بالفاء فى قوله: «فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ» و ليس يصح على هذا أن يكون أغرى بينهم من اجل ما فعله النصارى من الكفر، لأنه إذا أمر اليهود بمعاداة النصارى، لأجل نسيان النصارى و كفرهم فإنما هذا عن امر اللّه اليهود بهم، و ليس بإغراء بعضهم ببعض، و قوله: «فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ» يدل على ان اللّه بعث كل واحد من الفريقين على صاحبه، و هذا يوجب خلاف قولكم؟! قيل: الامر على ما قلتم من أن امر اليهود بمعاداة النصارى هو إغراء لهم بهم، و ليس بإغراء بين النصارى، لكنه تعالى قد ذكر اليهود فيما تقدم من هذه السورة، و تكذيبهم، و فريتهم على اللّه، ثم ذكر النصارى، فلما جمع بين الفريقين فى الذكر فى هذه السورة، و ان لم يجمعهم فى هذه الآية، جاز ان يذكر انه اغرى بينهم العداوة بان امر كل واحد منهما بمعاداة عدوه فيما عصى فيه. و صح الإغراء بينهم و إلقاء العداوة و التباعد و المنافرة، و صح أن يجعل ذلک جواباً. و قد قال البلخى جواباً آخر: و هو ان يكون الإغراء بين النصارى خاصة بعضهم لبعض على ظاهر الآية، و هو أن اللّه تعالى نصب الادلة على إبطال قول كل فرقة من فرق النصارى، فإذا عرفت طائفة منها فساد مذهب الأخرى فيما نصب اللّه لها من الادلة، و ان جهلت فساد مقالة نفسها لتفريطها فى ذلک، و سوء اختيارها، فجاز على هذا أن يضاف الإغراء فى ذلک إلى اللّه من حيث انه امر كل فرقة منها بمعاداة الاخرى على ما تعتقده، و ان أمرها ايضاً بأن تترک ما هى متمسكة به لفساده و هذا واضح بحمد اللّه، فان قيل: أ يجوز على هذا ان يقال ان اللّه اغرى بين المؤمنين و الكفار العداوة؟

قلنا: اما إغراء المؤمن بالكفار فصحيح، و اما إغراء الكافر بالمؤمن، فليس بصحيح، لان ما عليه المؤمنون حق، و ما عليه الكفار، باطل. و إنما يقال: إن اللّه اغرى بين التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 474

قوم و قوم إذا كان على بطلان قول كل طائفة منهما دليل يدل على فساد

قول من يخالفها فعلى هذا لا يصح إطلاق القول بما قالوه، و متى قيد القول على ما بيناه، جاز، و أن لم يخبر مع الإطلاق.
و قوله: «وَ سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ» لما قال (تعالى) لنبيه: «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ» بين انه من وراء الانتقام منهم، و انه سيجازيهم عند ورودهم عليه، بما كانوا يصنعون فى الدنيا من نقض الميثاق، و نكث العهد و يعاقبهم على ذلک بحسب استحقاقهم.

يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)

آيتان كوفى و ثلاث بصرى و مدنى. هذا خطاب لأجل الكتاب من اليهود و النصارى الذين عصوا الرسول فيما أمرهم به، و دعاهم اليه، فقال لهم قد جاءكم رسولنا محمد (صلى اللّه عليه و آله) يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب أى يبين للناس ما كنتم تخفونه. و قال ابن عباس و قتادة: إن مما بينه رجم الزانين، و أشياء كانوا يحرفونها بسوء التأويل. و انما لم يقل: يا أهل الكتابين، لأن الكتاب اسم جنس. و فيه معنى العهد، و هو أو جزوا حسن فى اللفظ من حيث كانوا، كأنهم أهل كتاب واحد. و الوجه فى تبيين بعضه، و ترک بعضه أنه يبين ما فيه دلالة على نبوة النبى (ص) من صفاته، و نعته، و بشارته به، و ما يحتاج إلى علمه من غير ذلک مما تنفق له الأسباب التى يحتاج معها إلى استعلام ذلک، كما اتفق فى الرجم التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 475

و ما عدا هذين مما ليس فى تفصيله فائدة يكفى ذكره فى الجملة.

و قوله: «وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» معناه يترک كثيراً لا يأخذكم به، و لا يذكره لأنه لم يؤمر به على قول أبى على و قال الحسن: و يصفح عن كثير بالتوبة منه.

و معنى النور فى الآية يحتمل أمرين:

أحدهما- أنه النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى قول الزجاج.

و الاخر- هو القرآن على قول أبى على و انما سمى نوراً، لأنه يهتدى به كما يهتدى بالنور، و يجب ان يتبع لأنه نور مبين عن الحق من الباطل فى الدين.

و الاولى ان يكون كناية عن النبى، لأن قوله: «وَ كِتابٌ مُبِينٌ» المراد به القرآن، و قوله: «يَهْدِي بِهِ اللَّهُ» يعنى يفعل اللطف المؤدى الى سلوک طريق الحق يعنى بالنبى (صلى اللّه عليه و آله) او الكتاب «مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ» يعنى رضا اللّه و الرضوان و الرضا من اللّه ضد السخط. و هو ارادة الثواب لمستحقه و قال قوم: هو المدح على الطاعة و الثناء. و قال الرمانى: هو جنس من الفعل يقتضى وقوع الطاعة الخالصة مما يبطلها، و يضاف الغضب. قال لان الرضا بما كان يصح، و ارادة ما كان لا يصح إذ قد يصح أن يرضى بما كان، و لا يصح أن يريد ما كان. و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لان الرضا عبارة عن ارادة حدوث الشىء من الغير، غير انها لا تسمى بذلک إلا إذا وقع مرادها، و لم يتخللها كراهة، فتسميتها بالرضا موقوفة على وقوع المراد إلا أن بعد وقوع المراد بفعل ارادة هى رضا لما

كان فسقط ما قاله.
و قوله: «سُبُلَ السَّلامِ» السبل جمع سبيل. و فى السلام قولان:
أحدهما- هو اللّه فى قول الحسن و السدى- و المعنى دين اللّه. و قال:
«هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ» الثانى- قال الزجاج: إنه السلامة من كل مخافة و مضرة إلا ما لا يعتد به، لأنه يؤول إلى نفع فى العاقبة.
و قوله: «يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ» معناه من الكفر الى الايمان، لان الكفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير فى الظلام، و يهتدى بالايمان إلى النجاة كما التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 476
يهتدى. بالنور و قوله: «باذنه» معناه بلطفه.
و قوله: «يَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» معناه يرشدهم إلى طريق الحق. و هو دين الحق. و قال الحسن: هو الذى يأخذ بصاحبه حتى يؤديه إلى الجنة. و به قال أبو على. و معنى «صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» طريق مستقيم و هو دين اللّه القويم الذى لا اعوجاج فيه.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17)

آية بلا- خلاف- اللام فى قوله: «لَقَدْ كَفَرَ» جواب للقسم و تقديره أقسم لقد كفر الذين قالوا. و انما كفروا بقولهم: إن اللَّه هو المسيح بن مريم على وجه التدين به، لأنهم لو قالوه على وجه الحكاية منكرين لذلك لم يكفروا به. و انما كانوا بذلك كافرين من وجهين:

أحدهما- انهم كانوا بالنعمة من حيث أضافوها إلى غير اللَّه ممن ادعوا إلهيته.

و الثانى- كفر صفة لأنهم وصفوا المسيح و هو محدث بصفات اللَّه تعالى، فقالوا: هو إله واحد فكل جاهل باللَّه كافر، لأنه لما ضيع حق نعمة اللَّه، كان بمنزلة من أضافها إلى غيره و معنى من يملك من اللَّه شيئاً من يقدر ان يدفع من أمر اللَّه شيئاً، من قولهم: ملكت على فلان أمره: إذا اقتدرت عليه حتى لا يمكنه إنفاذ شىء من أمره الا بك. و تقديره من يملك من أمره شيئاً. و وجه الاحتجاج بذلك انه لو كان المسيح إلهاً، لقدر على دفع أمر اللَّه إذا اتى بإهلاكه و إهلاك غيره، و ليس التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 477

بقادر عليه لاستحالة القدرة على مغالبة القديم (تعالى) إذ ذلك من صفات المحتاج الذليل.

و قوله: «وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما» انها لم يقل و ما بينهن مع ذكر السموات على الجمع، لأنه أراد به النوعين أو الصنفين كما قال الشاعر:

طرقاً فتلك هما همى اقريهما قلصاً لواقح كالقسى و حولا

فقال: طرفاً، ثم قال: فتلك هما همى. فان قيل: كيف حكى عنهم ان اللَّه هو المسيح بن مريم. و عندهم هو ابن اللَّه؟ قلنا: لأنهم زعموا انه اله. و هذا الاسم انما هو للاله بمنزلة ذلك، كما لو قال الدهرى: إن الجسم قديم لم يزل، و ان لم يذكره بهذا الذكر.

وَ قالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18)

- آية بلا خلاف-.

روى عن ابن عباس أن جماعة من اليهود قالوا للنبى حين حذرهم بنقمات اللَّه و عقوباته، فقالوا: لا تخوفنا فاننا أبناء اللَّه و احباؤه و قال السدى: إن اليهود تزعم ان اللَّه عز و جل أوحى الى بنى إسرائيل إن ولدک بكر من الولد. و قال الحسن: انما قالوا ذلک على معنى قرب الولد من الوالد. و اما قول النصارى، فقيل فيه: إنهم تأولوا ما فى الإنجيل من قول عيسى اذهب الى أبى و أبيكم. و قال قوم: لما قالوا:

المسيح ابن اللَّه أجرى ذلک على جميعهم، كما يقولون: هذيل شعراء أى منهم شعراء و كما قالوا فى رهط مسيلمة قالوا: نحن أنبياء أى قال قائلهم. و كما قال جرير:

ندسنا أبا مندوسة القين بالقنى

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 478

فقال: ندسنا. و انما النداس رجل من قوم جرير.

و قوله: «وَ أَحِبَّاؤُهُ» جمع حبيب، فقال اللَّه لنبيه محمد (صلى اللَّه عليه و آله) قل لهؤلاء المفترين على ربهم: «فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ» فلأى شىء يعذبكم بذنوبكم إن كان الأمر على ما زعمتم، فان الأب يشفق على ولده. و الحبيب على حبيبه، لا يعذبه و هم يقرون بأنهم معذبون، لأنهم لو لم يقولوا به، كذبوا بكتبهم و أباحوا الناس ارتكاب فواحشهم. و اليهود تقر انهم يعذبون أربعين يوماً. و هى عدد الأيام التى عبدوا فيها العجل.

و قوله: «بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ» معناه قل لهم: ليس الامر على ما زعمتم انكم أبناء اللَّه و احباؤه، بل أنتم بشر ممن خلق من بنى آدم ان أحسنتم جوزيتم على إحسانكم مثلهم، و إن اسأتم، جوزيتم على إساءتكم، كما يجازى غيركم. و ليس لكم عند اللَّه إلا ما لغيركم من خلقه.

و قوله: «يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ» فانه و ان علق العذاب بالمشيئة، فالمراد به المعصية، لأنه تعالى لا يشاء العقوبة إلا لمن كان عاصياً، فكان ذكرها أوجز و أبلغ، لما فى ذلک من رد الامر الى اللَّه الذى يجازى به على وجه الحكمة. «1»

و انما هذا وعيد من اللَّه لهؤلاء اليهود و النصارى المتكلين على منازل أسلافهم فى الجنان عندهم. فقال اللَّه تعالى: لا تغتروا بذلک فإنهم نالوا ما نالوا بطاعتى و إيثار رضاى، لا بالامانى. و قال السدى: معنى «يَغْفِرُ لِمَنْ

يَشاءُ» يعنى يهدى من يشاء فى الدنيا فيغفر له، و يميت من يشاء على كفره، فيعذبه.
و قوله تعالى: «وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» معناه انه يملک ذلک وحده لا شريک له يعارضه، فقد وجب اليأس مما قدروا من كل جهة، و أنه لا منجى لهم الا بالعمل بطاعة اللّه و اجتناب معاصيه. و قال أبو على: ذلک بأنه يملک السموات، و الأرض و ما بينهما على أنه لا ولد له، لان المالک لذلک لا شبه له، و لان المالک لا يملک ولده لخلقه له.
و قوله: «وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» معناه انه يئول اليه امر العباد فى أنه لا يملک ضرهم،

---

(1)- فى المطبوعة (يجز بها).

و لا نفعهم غيره- عز و جل-، لأنه يبطل تمليكه لغيره ذلک اليوم كما ملكهم فى دار الدنيا كما يقال: صار أمرنا الى القاضى لا على معنى قرب المكان، و إنما يراد بذلک أنه المتصرف فينا و الآمر لنا دون غيره.

يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَ لا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَ نَذِيرٌ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (19)

- آية بلا خلاف-.

هذا خطاب لليهود و النصارى ناداهم اللَّه خصوصاً لينبههم على ما يذكر لهم.

و قوله (قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ) يدل على أنه اختصه من العلم بما ليس مع غيره «عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ» يعنى على انقطاع من الرسل. و فيه دلالة على أن زمان الفترة: لم يكن فيه نبى. و الفترة انقطاع ما بين النبيين عند جميع المفسرين. و الأصل فيها الانقطاع عما كان عليه من الجد فيه من العمل، يقال: فتر عن عمله و فترته عنه. و فتر الماء إذا انقطع عما كان عليه من البرد الى السخونة. و امرأة فاترة الطرف أى منقطعة عن حدة النظر. و فتور البدن كفتور الماء، و الفتر ما بين السبابة و الإبهام إذا فتحا. و قال الحسن:

كانت هذه الفترة بين عيسى و محمد (ص) ستمائة سنة و قال قتادة خمسمائة و خمسين سنة. و قال الضحاك أربعمائة سنة و بعضاً و ستين سنة.

و قوله (أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَ لا نَذِيرٍ) يدل على بطلان مذهب

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 480

المجبرة فى القدرة، لان الحجة بمنع القدرة أوكد من الحجة بمنع اللطف، و تكون الحجة فى ذلک لمن علم اللّه أن بعثة الأنبياء مصلحة لهم، فإذا لم يبعث، تكون لهم الحجة، فاما من لا يعلم ذلک فيهم، فلا حجة لهم، و ان لم يبعث اليهم الرسل. و معنى «أَنْ تَقُولُوا» ألا تقولوا «ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَ لا نَذِيرٍ» .

علىّ قول الفراء و غيره من الكوفيين، كقوله تعالى: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» و معناه ألا تضلوا. و قال البصريون: معناه كراهة أن تضلوا، و كراهة أن تقولوا، و حذفت كراهة. كما قال «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» و إنما أراد أهلها. و أن «تقولوا» فى موضع نصب عند أكثر البصريين و قال الخليل و الكسائى: موضعه الجر و تقديره لئلا تقولوا. و البيان الذى أتاهم به النبى (ص) هو دين الإسلام الذى ارتضاه اللّه. و هو بيان نفس الحق من الباطل، و ما يجب.

و البشير هو المبشر لكل مطيع بالثواب. و النذير هو المنذر المخوف كل عاص للّه بالعقاب ليتمسک المطيع بطاعته، و يجتنب العاصى لمعصيته. و الجملة التى ذكرناها قول ابن عباس و قتادة و جميع المفسرين.

وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَ آتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ (20)

آية بلا خلاف فى هذه الآية اعلام من اللّه تعالى للنبى (ص) قديم تمادى هؤلاء اليهود فى الغى و بُعدهم من الحق و سواء اختيارهم لأنفسهم و شدة خلافهم لانبيائهم مع التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 481

كثيرة نعم اللّه عليهم و تتابع أياديه و آلائه عليهم، مصلياً بذلک نبيه (ص) من مقاساتهم فى ذات اللّه. فقال: فاذكر يا محمد إذ قال موسى لهم (يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) و أياديه لديكم و آلائه عليكم. و هو قول ابن عباس و ابن عيينة.

و قوله (إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ) يعنى ان موسى ذكر قومه بنعمه عليهم، و بلائه لديهم فقال لهم (اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) إذ فضلكم بأن جعل فيكم أنبياء يخبرونكم بأنباء لغيب، و لم يعط ذلک غيركم فى زمانكم هذا. و قيل ان الأنبياء الذين ذكرهم اللّه أنهم جعلوا فيهم هم الذين اختارهم موسى إلى الجبل: و هم السبعون الذين ذكرهم اللّه تعالى فقال (وَ اخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقاتِنا) «1» و قال قوم: هم الأنبياء الذين كانوا بعد موسى (ع).

و قوله (وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً) معناه سخر لكم من غيركم خدماً يخدمونكم.

و قال قتادة: لأنهم أول من سخر لهم الخدم من بنى إسرائيل، و ملكوا. و قال قوم: كل من ملک بيتاً أو خادماً أو امرأة و لا يدخل عليه إلا بأمره فهو ملک- كائناً من كان- ذهب اليه عمرو بن العاص و زيد بن اسلم و الحسن و الفراء قال:

هؤلاء إنما خاطبهم موسى بذلک لأنهم كانوا يملكون الدور و الخدم و لهم نساء و أزواج. و به قال الحسن و ابن عباس و مجاهد. و روى عن النبى (ص).

و قال السدى جعلهم ملوكاً يملک الرجل منهم نفسه و أهله و ماله. و قال الزجاج: جعلكم اللّه تملكون أمركم و لا يغلبكم عليه غالب. و قال البلخى:

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 154.

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 482

ليس ينكر أن يكون اللّه يجعل لهم الملک و السلطان و وسع عليهم التوسعة التى يكون الإنسان بها ملكاً. و قال المؤرج: معناه- بلغة كنانة و هذيل- جعلكم أحراراً. و قال أبو على: الملک هو الذى له ما يستغنى به عن تكلف الاعمال و تحمل المشاق، و التسكع فى المعاش. و قال ابن عباس، و

مجاهد: جُعلوا ملوكاَ بالمن و السلوى و الحجر و الغمام. و زاد الجبائى: و بغير ذلک من الأموال. و قال قوم: ملوکا أنفسهم بالتخلص من الغيظ.
و قوله: (وَ آتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ) يعنى أعطاكم ما لم يعط أحداً من عالمى زمانهم. و هو قول الحسن و البلخى. و قال أبو على: أعطاكم ما لم يعط أحداً من العالمين أى من اجتماع هذه الأمور و كثرة الأنبياء فيهم، و الآيات التى جاءتهم، إنزال المن و السلوى عليهم. و هو قول الفراء و الزجاج.
و قال ابن عباس و مجاهد و الحسن: هذا خطاب موسى لامته- و هو الأظهر- و قال سعيد بن جبير، و أبو مالک: هو خطاب من اللّه لامة محمد (ص). و إنما قلنا: أن الاول أولى لأن اللّه أخبر حاكياً عن موسى (ع) أنه قال لهم (اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً) ثم عطف على ذلک قوله:
(وَ آتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ) فالعدول عن ذلک من غير ضرورة لا يجوز.
و قوله: «أنبياء» لا ينصرف فى معرفة و لا نكرة لان علامة التأنيث فيها لازمة مثل حمراء تأنيث أحمر. و يخالف ذلک علامة التأنيث فى طلحة و قائمة تأنيث قائم فلذلک انصرف هذا فى النكرة دون المعرفة.

يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِی کَتَبَ اللَّهُ لَکُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا عَلی أَدْبارِکُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِینَ (21)

آية بلا خلاف.

هذه حكاية عن موسى (ع) أنه خاطب قومه و أمرهم بالدخول الى الأرض المقدسة و هى: بيت المقدس على قول ابن عباس، و ابن زيد، و السدى و أبى على. و قال الزجاج و الفراء: هى دمشق و فلسطين و بعض الأردن. قال الفراء بتشديد النون- و قال قتادة: هى الشام. و قال مجاهد هى أرض الطور.

و المقدسة فى اللغة: المطهرة. و قيل: إنها طهرت من الشرک و جعلت مسكناً و قراراً للأنبياء و المؤمنين، و الأصل التقديس، و هو التطهير، و منه قيل للسطل الذى يتطهر منه: القدس. و قيل: بيت المقدس لأنه يطهر من الذنوب. و منه تسبيح اللّه و تقديسه سبوح قدوس، و هو تنزيهه عما لا يجوز عليه من نحو الصاحبة و الولد و الظلم و الكذب.

و قوله: «کَتَبَ اللَّهُ لَکُمْ» يعنى فى اللوح المحفوظ. فان قيل: كيف كتب اللّه لهم مع قوله «فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ» ؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- قال ابن إسحاق: إنها كانت هبة من اللّه لهم ثم حرمهم إياها.

و الثانى- إن ظاهر ذلک يقتضى العموم بأن اللّه كتب لهم، فلما قال «فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً» استثنى ذلک من جملته.

و يحتمل أن يكون المراد انها يدخلها قوم منهم. و قيل: ان القوم الذين كتب لهم دخولها غير الذين حرم عليهم، و الذين كتب لهم دخولها مع يوشع بن

نون بعد موت موسى بشهرين.

و قوله: «وَ لا تَرْتَدُّوا عَلی أَدْبارِکُمْ» فيه قولان:

أحدهما- لا ترجعوا عن طاعة اللّه الى معصيته- فى قول أبى على.

الثانى- لا ترجعوا عن الأرض التى أمرتم بدخولها.

و قوله «فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِینَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- أنه كان فرض عليهم دخولها كما فرضت الصلاة و الصوم و الزكاة و الحج، فلما لم يفعلوا فقد خسروا الثواب. هذا قول قتادة و السدى.

و الثانى- أنه أراد بذلک خسران حظهم كالخسران فى البيع بذهاب رأس المال.

و خاسرين نصب على الحال، و العامل فيه «فتنقلبوا» دون قوله «و لا ترتدوا» .

قالُوا يا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنَّا داخِلُونَ (22)

آية بلا خلاف هذه حكاية من اللَّه عن قوم موسى لما أمرهم بدخول الأرض المقدسة، انهم قالوا: إن فى الأرض قوماً جبارين، و نصب (جبارين) ب (أن) و (فيها) خبر (إن) قدم على الاسم. و الجبار هو الذى لا ينال بالقهر و أصله- فى النخل- ما فات اليد طولًا و الجبار من الناس هو الذى يجبرهم على ما يريد.

و قال ابن عباس: بلغ من جبرية هؤلاء القوم أنه لما بعث موسى من قومه

اثنى عشر نقيباً ليخبروه، خبرهم، رآهم رجل من الجبارين يقال له عوج فأخذهم فى كمه مع فاكهة كان حملها من بستانه و أتى بهم الملك فنثرهم بين يديه و قال معجباً للملك منهم: هؤلاء يريدون قتالنا؟! فقال الملك: ارجعوا إلى صاحبكم فأخبروه خبرنا.

و قال قتادة و مجاهد مثله. قال مجاهد كانت فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود لهم خمسة رجال بالخشب. و يدخل فى قشر نصف رمانة خمسة رجال.

و ان موسى كان طوله عشرة أذرع و له عصا طولها مثل ذلك و نزا من الأرض مثل ذلك، فبلغ كعب عوج بن عوق فقتله. و قيل كان سريره مائة ذراع.

و أصل الجبار من الإجبار على الامر و هو الإكراه عليه. و الجبر جبر العظم و هو كالاكراه على الصلاح. قال العجاج:

قد جبر الدين الاله فجبر و عوَّر الرحمن من ولى العور «1»

أى أصلحه و لأمه كجبر العظم كرهاً. و الجبار هدر الأرش لأن فيه معنى الكره. و الجبار فى صفات اللَّه صفة التعظيم، لأنه يفيد الاقتدار، و تقول: لم يزل اللَّه جباراً بمعنى أن ذاته تدعو العارف بها إلى تعظيمها.

و الفرق بين الجبار و القهار أن القهار هو الغالب لمن ناوأه أو كان فى حكم المناوئ بمعصيته إياه، و لا يوصف فيما لم يزل بأنه قهار. و الجبار فى صفة المخلوقين صفة ذم، لأنه يتعظم بما ليس له من العظمة. فان العظمة للَّه تعالى.

و قوله (وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها) يعنى هؤلاء الجبارين

---

(1) لسان العرب (جبر)، (عور)، و العور هنا بمعنى قبح الامر و فساده، تقول: عورت عليه أمره أى أفسدته عليه.

«فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنَّا داخِلُونَ» تمام الحكاية عن قوم موسى.

قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23)
آيتان فى البصرى و آية عند الباقين.
هذا إخبار من اللّه تعالى عن رجلين من جملة النقباء الذين بعثهم موسى لتعرف خبر القوم. و قيل هما يوشع بن نون، و كالب، و قيل كلاب بن يوفنا، فى قول ابن عباس و مجاهد و السدى و قتادة و الربيع. و قال الضحاك: هما رجلان كانا فى مدينة الجبارين و كانا على دين موسى (ع). و قوله «مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ» قال قتادة: يخافون اللّه- عز و جل- و قال أبو على يخافون الجبارين أى لم يمنعهم الخوف من الجبارين أن قالوا الحق «أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا» بالتوفيق للطاعة. و قال الحسن: أنعم اللّه عليهما بالإسلام. و كان سعيد بن جبير يقرأ «يخافون» بضم الياء. و روى تأويل ذلک عن ابن عباس: انهما كانا من الجبارين أنعم اللّه عليهما بالإسلام.
و قوله: «ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ» اخبار عن قول الرجلين انهما قالا ذلک. و إنما صار الظفر بدخول باب مدينة الجبارين لما رأوا من رعبهم و ما ألقى اللّه فى قلوبهم من حكمة بأنه كتبها لهم، و ما تقدم من وعد موسى (ع) إياهم بأنهم إن دخلوا الباب غلبوا.
و قوله «وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» معناه فتوكلوا على اللّه فى

نصره إياكم على الجبارين إن كنتم مؤمنين باللّه، و بما آتاكم به رسوله من عنده.

قالُوا يا مُوسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ (24)

آية بلا خلاف.

هذا إخبار عن قوم موسى أنهم قالوا: لا ندخل هذه المدينة ما دام الجبارون فيها، لأنهم جبنوا و خافوا من قتال الجبارين لعظم أجسامهم و شدة بطشهم، و لم يثقوا بوعد نبيهم بالنصر لهم عليهم و الغلبة لهم.

و قوله «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ» إنما أبرز الضمير ليصح العطف عليه، لأنه لا يجوز العطف على الضمير قبل أن يؤكد. و إنما جاز فى قوله «فَأَجْمِعُوا أَمْرَکُمْ وَ شُرَکاءَکُمْ» «1» ذلک، لأن ذكر المفعول صار عوضاً عن المنفصل مثل (لا) فى «لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَکْنا وَ لا آباؤُنا» «2» و إنما لم يقرن قوله «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقاتِلا» بالنكير- إذ الذهاب لا يجوز عليه تعالى- لأمرين:

أحدهما- لأن الكلام كله يدل على الإنكار عليهم و التعجب من جهلهم فى تلقيهم أمر نبيهم بالردِّ له و المخالفة عليه.

الثانى- لأنهم قالوا ذلک على المجاز بمعنى و ربک معين لک- على ما ذكره البلخى- و الأول أقوى لأنه أظهر من أولئک الجهال. و إنما يتأول على ما قاله البلخى لو كانوا ممن لا يجوز عليهم مثل ذلک. و قال الحسن: هذا القول منهم يدل على أنهم كانوا مشبهة و أنهم كفروا بذلک باللَّه. و قال أبو على: إن كانوا قالوه على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر، لان

---

(1) سورة يونس آية 71

(2) سورة الانعام آية 148.

ذلک جل باللَّه تعالى. و إن قالوه على وجه الخلاف فهو فسق.

فان قيل: هل يجوز وصفه تعالى بالقتال كما قال (قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَکُونَ) «1» ؟

قلنا: هذا مجاز، و المعنى إن عداوته لهم عداوة المقاتل، و انه يحل بهم ما يحله بالمقاتل المستعلى بالاقتدار و عظم السلطان، و ليس كذلک قول هؤلاء الجهال.

قالَ رَبِّ إِنِّی لا أَمْلِکُ إِلاَّ نَفْسِی وَ أَخِی فَافْرُقْ بَیْنَنا وَ بَیْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِینَ (25)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية إخبار من اللَّه تعالى عما قاله موسى (ع) عقيب ما كان من قومه من الخلاف و قلة القبول على نبيهم، و خرج ذلک مخرج الغضب منه على قومه لما كان من عصيانهم إياه. و مثل ذلک لا يخرج إلا على غضب.

و قوله «لا أَمْلِکُ إِلَّا نَفْسِی وَ أَخِی» مجاز، لأن الإنسان لا يصح أن يملک نفسه، لأن الأصل فى الملک القدرة، و المالک هو القادر، و محال أن يقدر الإنسان على نفسه، ثم من حق المملوک أن يكون مقدوراً عليه أو فى حكم المقدور عليه فى أن له أن يصرفه تصريف المقدور عليه كملک الإنسان للمال و العبد و نحوه، فلا يجوز على هذا أن يملک نفسه. و معنى الآية أنه لما ملک تصريف نفسه فى طاعة اللَّه جاز أن يصف نفسه بأنه يملكها، لأنه مما يجوز أن يملكه. و قوله: «و أخى» لأنه كان أيضاً طائعاً له فيما يأمره به، فكان كالقادر عليه. و يحتمل موضعه أربعة أوجه:

---

(1) سورة 9 التوبة آية 31 و سورة 65 المنافقون آية 4.

أحدهما- الرفع على موضع (إن) و تقدره: إنى لا أملک إلا نفسى و أخى لا يملک الا نفسه.

الثانى- الرفع أيضا بالعطف على الياء فى (إنى).

الثالث- النصب بالعطف على الياء فى (إنى).

الرابع- النصب بالعطف على نفسى.

و قوله «فَافْرُقْ بَیْنَنا وَ بَیْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِینَ» قيل فى الوجه الذى سأل الفرق بينه و بينهم قولان:

أحدهما- أن يحكم و يقضى بما يدل على بعدهم عن الحق و ذهابهم عن الصواب فيما ارتكبوا من العصيان و لذلک القوا فى التيه. هذا قول ابن عباس و الضحاک.

الثانى- قال أبو على إنما دعا بأن يفرق بينه و بينهم فى الآخرة بأن يكون هؤلاء فى النار، و أن يكون هؤلاء فى الجنة. و لو دعا بالهلاک فى الدنيا لأهلكهم اللَّه.

و قال قوم: إنما سأل أن ينصره اللَّه عليهم حتى يرجعوا الى الحق. و قال البلخى معناه باعد، و افصل. و حكى عن المؤرج ان معناه: اقض- بلغة مدبن- و الفرق الذى يدل على المباعدة مثل قول الراجز:

يا رب فافرق بينه و بينى أشدَّ ما فرَّقت بين اثنين
و قوله «الفاسقين» - فى الآية- لا يدل على ان ما وقع منهم كان فسقاً لا كفراً، لأن الكفر قد يوصف بالفسق، لأن الفسق هو الخروج من الطاعة الى المعصية على وجه التمرد، و يكون ذلک فى الكفر قال اللّه تعالى «إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» «1» و كان بذلک كافراً بلا خلاف.

_____

(1) سورة 18 الكهف آية 51.

قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ (26)
هذه الآية إخبار من اللَّه، و خطاب لموسى (ع) أنَّ قومه قد حرم عليهم دخول بلد الجبارين أربعين سنة، و فى كيفية التحريم قولان:
أحدهما- قول أكثر المفسرين: أنه تحريم منع كما قال الشاعر:
جالت لتصرعنى فقلت لها اقصرى انى امرؤ صرعى عليک محرم
يعنى دابته التى هو راكبها و يريد بذلک إنى فارس لا يمكنک أن تصرعنى. و قال أبو على: يجوز أن يكون المراد به تحريم تعبد- و الأول هو الأظهر- و قال البلخى: يجوز أن يكونوا أمروا بأن يطوفوا فيه أربعين سنة يتيهون فى الأرض يعنى فى المسافة التى بينهم و بينها. و قال الربيع: و كان مقداره ستة فراسخ. و قال مجاهد، و الحسن: كانوا يصبحون حيث أمسوا.
و يسمون حيث أصبحوا. و قال الحسن: لم يمت موسى (ع) فى التيه. و روى عن ابن عباس أنه مات فى التيه على علم منه فيه. و أما هارون فانه مات قبل موسى فى التيه، و كان أكبر من موسى. و استخلف موسى يوشع بعده و قال:
إن اللَّه بعثه نبياً. و فى دخوله أيضاً مدينة الجبارين خلاف.
و أصل التيه التحير الذى لا يهتدى لأجله للخروج عن الطريق الى الغرض المقصود. و أصله الحيرة. يقال: تاه يتيه تيهاً: إذا تحير. و تيهته و توهته، و الياء أكثر. و التيهاء- من الأرض- هى التى لا يهتدى فيها. يقال: أرض تيه و تيهاء. قال الشاعر:
تيه أتاويه على السفاط

فان قيل: يجوز على جماعة- عقلا- كثيرين أن يسيروا فى فراسخ يسيرة فلا يهتدوا للخروج منها؟ قلنا عنه جوابان:
أحدهما- قال أبو على: يكون ذلک بأن تحول الأرض التى هم عليها إذا ناموا فيردهم الى المكان الذى ابتدءوا منه.
الثانى. أن يكون بالاشتباه. و الأسباب المانعة من الخروج عنها إما بأن يمحو العلامات التى يستدل بها أو بان يلقى شبه بعضها على بعض، و يكون ذلک معجزة خارقة للعادة.
و قيل: إن التيه كان عقوبة لهم بعدد الأيام التى عبدوا فيها العجل عن كل يوم سنة. و من قال هذا قال: لم يكن موسى و هارون فيها، أو كانا فيها غير متوهين، كما كان ابراهيم فى نار نمرود غير متألم بها.
و قوله: (أربعين سنة) نصبه يحتمل أمرين:

أحدهما- على قول الربيع ب «محرمة» حرمها عليهم أربعين سنة.
و الثانى- «يتيهون» على قول الحسن و قتادة، لأنهما قالا: إنه ما دخلها أحد منهم. و قيل: انه دخلها يوشع بن نون و كالب بن يوفنا بعد موت موسى بشهرين. قالوا لأنه لا خلاف بين المفسرين أن دخلوها كان محرم عليهم على طريق التأبيد. و إنما دخلها أولادهم مع يوشع و كالب بن يوفنا. و قوله: «فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ» خطاب لموسى (ع) أمره اللّه أن لا يحزن على هلاكهم لفسقهم. و الاسى: الحزن يقال أسى يأسى أسى أى حزن قال امرؤ القيس:
وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلک أسى و تجمل
و قال الزجاج: هو خطاب للنبى (ص).

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27)
آية بلا خلاف.
وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن اللَّه تعالى أراد أن يبين أن حال اليهود فى الظلم و نقض العهد و ارتكاب الفواحش من الأمور كحال ابن آدم قابيل فى قتله أخاه هابيل، و ما عاد عليه من الوبال بتعديه. فأمر نبيه أن يتلو عليهم اخبارهما و فيه تسلية للنبى (ص) لما ناله من جهلهم بالتكذيب فى جحوده و تبكيت اليهود.
و قوله: «إِذْ قَرَّبا قُرْباناً» متعلق بنبإ، و تقديره: اقرأ عليهم خبر ابنى آدم و ما جرى منهما إذ قربا قرباناً. و القربان يقصد به القرب من رحمة اللَّه من أعمال البر و هو على وزن فعلان من القرب، كالفرقان من الفرق، و العدوان من العدو، و الشكران من الشكر، و الكفران من الكفر.
قال ابن عباس و عبد اللَّه بن عمر، و مجاهد، و قتادة، و أكثر المفسرين: إن المتقربين كانا ولدى آدم لصلبه: قابيل، و هابيل. و قال الحسن، و أبو مسلم محمد بن بحر، و الزجاج: هما من بنى إسرائيل، لأن علامة تقبل القربان لم تكن قبل ذلك. و كان سبب قبول قربان أحدهما. ورد الآخر أحد أمرين:
أحدهما- أنه رد قربان أحدهما لأنه كان فاجراً فاسقاً. و قبل قربان هابيل لأنه كان متقياً مطيعاً، و لذلك قال اللَّه (إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ).
الثانى- انه قرَّب بشر ماله و أخسه. و قرب الآخر بخير ماله، و أشرفه.

فتقبل الأشرف، و رد الأخس.
و قال قوم ان سبب القربان أنه لم يكن هناك فقير فمن أراد القربان أخرج من ماله ما أحب، ففعلا ذلك، فأكلت النار قربان أحدهما دون الآخر، و لم يكن ذلك عن أمر اللَّه. و قال أكثر المفسرين و رواه أبو جعفر و غيره من المفسرين:
أنه ولد لكل واحد من قابيل و هابيل اخت توأم له فأمر آدم كل واحد بتزويج اخت الآخر. و كانت اخت قابيل أحسن من الاخرى. فارادها، و حسد أخاه عليها، فقال آدم قربا قرباناً، فأيكما قبل قربانه فهى له، و كان قابيل صاحب زرع فعمد الى أخبث طعام. و عمد هابيل الى شاة سمينة و لبن و زبد، فصعدا به الجبل فأتت النهار فأكلت قربان هابيل، و لم تعرض لقربان قابيل. و كان آدم غائباً عنهما بمكة، فقال قابيل لا عشت يا هابيل فى الدنيا، و قد تقبل قربانك و لم يتقبل قربانى. و تريد أن تأخذ اختى الحسناء. و آخذ أختك

القبيحة، فقال له هابيل: ما حكاه اللّه تعالى، فشدخه بحجر فقتله، ثم حمله على عاتقه و كان يضعه على الأرض ساعة و يبكى و يعود يحمله كذلک ثلاثة أيام إلى أن رأى الغرابين.
و قوله: «لأقتلنک» معناه قال الذى لم يتقبل قربانه: و «قالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ» يعنى الذى تقبل قربانه، و إنما حذف لدلالة الكلام عليه.
و قيل فى علامة القبول قولان:
قال مجاهد كانت النار تأكل المردود. و قال غيره بل كانت العلامة فى ذلک ناراً تأتى فتأكل المتقبل و لا تأكل المردود.
و قال قوم فى الآية دلالة على ان طاعة الفاسق غير متقبلة لكنها تسقط عقاب تركها. و اما النافلة فيصل اليه ضرب من النفع بها. و تقبل الطاعة إيجاب الثواب عليها- و هذا الذى ذكروه غير صحيح- لأن قوله «إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ

مِنَ الْمُتَّقِينَ»
: معناه إنما يستحق الثواب على الطاعات من يوقعها لكونها طاعة فاما إذا فعلها لغير ذلک فانه لا يستحق عليها ثواباً. فإذا ثبت ذلک، فلا يمتنع أن تقع من الفاسق يوقعها على الوجه الذى يستحق عليها الثواب فيستحق الثواب و لا تحابط عندنا بين ثوابه و ما يستحق عليه العقاب. و الاتقاء يكون لكل شىء يمتنع منه غير أنه لا يطلق اسم المتقين إلا على المتقين للمعاصى خاصة بضرب من العرف، لأنه أحق ما يجب أن يخاف منه كما لا يطلق خالق إلا على اللّه- عز و جل- لأنه أحق بهذه الصفة من كل فاعل، لان جميع أفعاله تقع على تقدير و ترتيب و قوله: «إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» يعنى القرابين إنما

لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَیَّ یَدَکَ لِتَقْتُلَنِی ما أَنَا بِباسِطٍ یَدِیَ إِلَیْکَ لِأَقْتُلَکَ إِنِّی أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِینَ (28)
یتقبلها اللَّه من الذین یتقون معاصی اللَّه خوف عقابه دون من لا یتقیها.
فی هذه الآیة إخبار عن ولد آدم المقتول، و هو هابیل أنه قال لأخیه حین هدَّده بالقتل لما تقبل قربانه و لم یتقبل قربان أخیه، فقال «لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَیَّ یَدَکَ» و معناه لئن مددت إلی یدک. و البسط هو المد و هو ضدَّ القبض «لتقتلنی» و معناه لأن تقتلنی ما أنا باسط یدی الیک لأن أقتلک.
فان قیل لم قال ذلک و قد وجب بحکم العقل الدفع عن النفس و إن أدَّی إلی قتل المدفوع؟! قلنا: عنه جوابان:
أحدهما- أن معناه لئن بدأتنی بقتل لم أبدأک لا علی أنی لا أدفعک عن نفسی إذا قصدت قتلی هذا قول ابن عباس و جماعة، و قیل: إنه قتله غیلة بأن ألقی علیه و هو نائم صخرة شدخه بها. التبیان فی تفسیر القرآن، ج3، ص: 495
الثانی- قال الحسن، و مجاهد، و الجبائی: إنه کان کتب علیهم إذا أراد الرجل قتل رجل ترکه و لم یمتنع منه. و کان عمرو بن عبید یجیز الوجهین و هو الأقوی لأن کلا الامرین جائز.
فان قیل کیف یجوز الوجه الأخیر و فیه اطماع فی النفس؟! قلنا: لیس فیه شیء من ذلک لأنه یجری مجری قول القائل لغیره لئن ظلمتنی لم أظلمک، و لئن قبحت فی أمری لم أقبح فی أمرک بل فی ذلک غایة الزجر و الردع عن القبیح، لأن القبیح منفر عن نفسه صارف عن فعله.
و قوله: «إِنِّی أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِینَ» یعنی أخاف اللَّه فی ابتداء مدی الیک یدی لقتلک «رب العالمین» یعنی رب الخلائق.
و اللام فی قوله «لئن» لام القسم و تقدیره أقسم «لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَیَّ یَدَکَ» و جوابه «ما أَنَا بِباسِطٍ» و لا تقع (ما) جواباً للشرط و الفرق بینهما أن ل (ما) صدر الکلام و القسم لا یخرجها عن ذلک کما جاز ان یکون جواب القسم ب (أن) و لام الابتداء، و لم یجز بالفاء لأن المقسم علیه لیس یجب بوجوب القسم و إنما القسم یؤکده، و جواب الشرط یجب بوجوبه، و إذا اجتمع القسم و الجزاء کان جواب القسم أولی من جواب الجزاء، لأنه لما تقدم و صار الجزاء فی حشو الکلام غلبه علی الجواب فصار له و اکتفی به من جواب الجزاء لدلالته علیه.
و روی غیاث بن ابراهیم عن أبی اسحق الهمدانی عن علی (ع) أنه قال: لما قتل ابن آدم (ع) أخاه بکا و قال:
تغیرت البلاد و من علیها فوجه الأرض مغبر قبیح

تغير كل ذى لون و طعم و قل بشاشة الوجه المليح
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 496
فأجاب آدم (ع):
أيا هابيل قد قتلا جميعاً و صار الحى بالموت الذبيح
و جاء بشرة قد كان فيه على خوف فجاء بها يصيح

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِی وَ إِثْمِکَ فَتَکُونَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ وَ ذلِکَ جَزاءُ الظَّالِمِینَ (29)
فی هذه الآیة إخبار عن ابن آدم (ع) المقتول أنه قال: لا أبدأک بالقتل لأنی «أُرِیدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِی» و معناه أن ترجع، و أصله الرجوع الی المنزل یقال: باء إذا رجع الی المباءة و هی المنزل «وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» «1» أی رجعوا. و البواء الرجوع بالقود، و هم فی هذا الأمر بواء أی سواء، لأنهم یرجعون فیه الی معنی واحد. و قال الشاعر:
ألا تنتهی عنا ملوک و تتقی محارمنا لا یبؤؤ الدم بالدم «2»
أی لا یرجع الدم بالدم. و قوله «بِإِثْمِی وَ إِثْمِکَ» معناه اثم قتلی ان قتلتنی، و اثمک الذی کان منک قبل قتلی- هذا قول ابن عباس، و ابن مسعود و الحسن، و قتادة، و الضحاک، و مجاهد- و قال مجاهد معناه خطیئاتی و دمی، ذهب الی ان المعنی مثل إثمی. و قال الجبائی، و الزجاج. و إثمک الذی من أجله لم یتقبل قربانک. و یجوز أن یرید باثمی الأول اثم قتلی ان قتلتنی

---

(1) سورة 2 البقرة آیة 61 و سورة 3 آل عمران آیة 112. [.....]
(2) اللسان (بوء) و فیه روایتان: لا یبأء، لا یبؤء.

و اثمک الذی قتلتنی، فاضافة تارة الی المفعول و اخری الی الفاعل، لأنه مصدر یصح ذلک فیه، کما تقول ضربُ زیدٍ عمراً و ضَربُ عمروٍ زیدٌ فتضیفه تارة الی الفاعل و اخری الی المفعول.
فان قیل: کیف جاز أن یرید منه الإثم و هو قبیح؟
قلنا: المراد بذلک عقاب الإثم، لأن الرجوع بالإثم رجوع بعقابه، لأنه لا یجوز لأحد أن یرید معصیة اللّه من غیره کما لا یجوز أن یریدها من نفسه، و هو قول أبی علی و غیره. و قال قوم: التقدیر إنی أرید أن لا تبوء باثمی کما قال «یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ أَنْ تَضِلُّوا» و معناه ألا تضلوا. و هذا وجه یحتمله الکلام لکن الظاهر خلافه، و إنما یحتمل علی ذلک إذا دل الدلیل علی أنه لا یجوز أن یرید من غیره الإثم. و لیس هاهنا ما یدل علیه و الکلام یدل علی أنه أراد العقاب لا محالة لو أراد الإثم. و قوله «فَتَکُونَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ وَ ذلِکَ جَزاءُ الظَّالِمِینَ» لا یدل علی فساد القول بالارجاء، لان ظاهره یقتضی أنه یستحق بذلک النار و العذاب، و ان ذلک جزاءه و لیس فی ذلک ما یمنع من جواز إسقاطه بغیر توبة فینبغی أن لا یمنع منه.
و فی الآیة دلالة علی أن الوعید بالنار قد کان فی زمن آدم بخلاف ما یدعیه جماعة من الیهود و النصاری.

فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِينَ (30)
آية بلا خلاف التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 498
قيل فى معنى «فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ» ثلاثة أقوال:
أحدها- شجعته نفسه على قتل أخيه فى قول مجاهد. و قال قتادة زينت له نفسه قتل أخيه. و قال قوم: معناه ساعدته نفسه على قتل أخيه، فلما حذف حرف الجر نصب قوله «قَتْلَ أَخِيهِ» .
و من قال معناه زينت نصبه كأنه مفعول به. يقال طاع لهذه الظبية اصول الشجرة، و طاع لفلان كذا أى أتاه طوعاً، و يقال أيضاً انطاع. و لا يقال اطاعته نفسه، لأن (أطاع) يدل على قصد لموافقة معنى الأمر، و ليس كذلک طوع، لأنه بمنزلة انطاع له اصول الشجرة. و فى الفعل ما يتعدى الى نفس الفاعل نحو حرک نفسه، و قتل نفسه. و فيه ما لا يتعدى نحو أمرَ و نهى، لأن الأمر و النهى لا يكون إلا ممن هو أعلى لمن هو دونه.
و قال ابن عباس و ابن مسعود و أبو مالک و أبو جعفر (عليه السلام): إنه قتله بصخرة شدخ رأسه بها
، و قال مجاهد: لم يدر كيف يقتله حتى ظهر له إبليس فعلمه ذلک، ظهر فى صورة طير، فأخذ طيراً آخر و ترک رأسه بين حجرين فشدخه، و قابيل ينظر اليه ففعل مثله. و قيل هو أول قتل كان فى الناس. و قوله: «فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِينَ» لا يدل على أنه قتله ليلًا، لأن معناه صار من الخاسرين بقتله ليلًا أو نهاراً، لأنه يحسن فى هذا أن يقال:
أصبح، لأنه بمنزلة الأمر الذى بيت ليلًا، فكانت ثمرته الوبال و الخسران.
و المعنى- هاهنا- ذهاب رأس المال بهلاک نفسه. و ذلک أعظم الخسران كما قال تعالى «خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» فمعنى الآية أصبح من الذين باعوا الآخرة بالدنيا، فخسروا فى ذلک و خابت صفقتهم.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 499

فَبَعَثَ اللَّهُ غُراباً يَبْحَثُ فِی الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِی سَوْأَةَ أَخِيهِ قالَ يا وَيْلَتی أَ عَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هذَا الْغُرابِ فَأُوارِیَ سَوْأَةَ أَخِی فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31)

آية بلا خلاف.

قرأ الحسن (يا و يلتنى) مضاف، و هما لغتان يقال يا ويلتا و يا ويلتى ذكره الأزهرى.

قيل: إنه كان أول ميت من الناس فلذلك لم يدر كيف يواريه و كيف يدفنه حتى بعث اللَّه غرابين أحدهما حى و الآخر ميت، و قيل كانا حيين فقتل أحدهما صاحبه ثم بحث الحى الأرض فدفن فيه الغراب الميت، ففعل به مثل ذلک قابيل، و هو قول ابن عباس و ابن مسعود و ابن مالک و مجاهد و الضحاک و قتادة. و فى ذلک دلالة على فساد ما قال الحسن و أبو على و أبو مسلم إنهما كانا من بنى إسرائيل، لأنه لم يكن الناس الى زمان بنى إسرائيل، لا يدرون كيف يدفنون ميتهم، قال الرمانى و لا يجوز أن يكون الغراب مكلفاً، لأن المعلوم من دعوة الرسول أن المكلفين هم الملائكة و الانس و الجن، و المعلوم ضرورة أنه لا مطيع للَّه أحد إلا من هذه الثلاثة أصناف، و أيضاً فقد بعث اللَّه النبى (ص) الى كل مكلف سوى الملائكة و لا يقول أحد: إنه مبعوث الى الغربان. و معنى «فَبَعَثَ اللَّهُ غُراباً» ألهمها ذلک.

و قال الزجاج أكرم اللَّه التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 500

المقتول بأن بعث غراباً حثا عليه التراب ليريه كيف يوارى سوأة أخيه. و قال قوم: كان ملكاً فى صورة الغراب، و قال أبو على يجوز أن يكون الغراب قد زاد اللَّه فى عقله ما عقل أمر اللَّه لا على وجه التكليف كما نأمر صبياننا و أولادنا فيفهمون عنا.

و معنى «سَوْأَةَ أَخِيهِ» قيل فيه قولان: أحدهما- قال أبو على: إنه جيفة أخيه، لأنه كان تركه حتى أنتن فقيل لجيفته سوءة. و قال غيره: معناه عورة أخيه و الظاهر يحتمل الأمرين. و أصل السوء التكره تقول ساءه يسوءه إذا أتاه بما يكرهه.

و روى الحسن عن النبى (ص) (أن اللَّه ضرب لكم مثلًا ابنى آدم فخذوا من خيرهما و دعوا شرهما).

و قوله «قالَ يا وَيْلَتی» فيه حذف لأن تقديره ليريه كيف يوارى سوأة أخيه فواراه قال و القائل أخاه يا ويلتاه. و قال الزجاج الوقف فى غيره القرآن عليها يا ويلتاه، و النداء لغير الآدميين نحو «يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ» «1» .

و «يا وَيْلَتی أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ» «2» . و قال يا ويلتا و إنما وقع فى كلام العرب على تنبيه المخاطب و ان الوقت الذى يدعى هذه الأشياء هو وقتها.

و المعنى يا ويلتا تعالى فانه من ابانک أى قوله: منى الويل و كذلک يا عجبا: المعنى يا أيها العجب هذا وقتک. و قال سيبويه: الويل كلمة تقال عند الهلكة.
و قيل الويل وادٍ فى جهنم و قوله «أعجزت» يقال عجزت عن الأمر أعجز عجزاً و معجزة.

---

(1) سورة يس آية 30.
(2) سورة هود آية 72.

و قوله «فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ» قيل كانت توبته غير صحيحة، لأنها لو كانت صحيحة لاستحق عليها الثواب. و قال أبو على: ندم على قتله على غير الوجه الذى يكون الندم توبة لأنه ندم لأنه لم ينتفع به و ناله ضرر بسببه من أبيه و اخوته. و لو كان على الوجه الصحيح لقبل اللّه توبته. و على مذهبنا كان يستحق الثواب لو كانت صحيحة، و إن لم يسقط العقاب.

مِنْ أَجْلِ ذلِکَ کَتَبْنا عَلى بَنِى إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِى الْأَرْضِ فَکَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْياها فَکَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُنا بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ إِنَّ کَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذلِکَ فِى الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (32)

آية عند الجميع قرأ أبو جعفر و الزبير (من أجل) ذلک بفتح النون و اسکان الهمزة و مثله (قد أفلح) و ما أشبهه. الباقون يقطعون الهمزة بفتح النون بنقل الحرکة من الهمزة الى ما قبلها. و من أسکنها ترکها على أصلها.

و معنى (من أجل) من جراء ذلک و جريرته. و قال الزجاج: معناه من جناية ذلک. يقال أجلت الشىء أجلًا إذا اجنيته. قال الخوانى:

و أهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا فى عاجل أنا آجله «1»

---

(1) اللسان (أجل) و روايته (کنت بينهم) بدل (ذات بينهم) و فى الصحاح مثل هنا و قائله خوات بين جبير.

أى جانيه و قيل جاره عليهم. قال عدى بن زيد.

أجل ان اللّه قد فضلکم فوق من احکأ صلباً بإزار «1»

و أصله الجر. و منه الأجل الوقت الذى يجر اليه العقد الأول و منه الآجل نقيض العاجل. و منه (أجل) بمعنى نعم، لأنه انقياد الى ما يجر اليه و منه الآجال القطيع من بقر الوحش، لأن بعضها ينجر الى بعض.

و «ذلک» اشارة الى قتل أحد ابنى آدم أخاه ظلماً. حکمنا الى بنى إسرائيل أنه من قتل منهم نفساً بغير نفس أو فساد کان منها فى الأرض فاستحقت بذلک قتلها. و فسادها فى الأرض إنما يکون بالحرب للّه و لرسوله و اخافة السبيل- على ما سنبينه فيما بعد- و هو قول الضحاک و جميع المفسرين. و اختلفوا فى تأويل قوله (مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِى الْأَرْضِ، فَکَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْياها فَکَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) على ستة أقوال:

أحدهما- قال الزجاج: معناه إنه بمنزلة من قتل الناس جميعاً فى أنهم خصومه من قبل ذلک الإنسان.

و الثانى- قال أبو على: إن عليه مثل مأثم کل قاتل من الناس لأنه سنَّ القتل و سهله لغيره، فکان بمنزلة المشارک فيه. و مثله

قوله (ع): (من سنن سنة حسنة کان له أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيمة، و من سن سنة سيئة کان له وزرها و وزر من عمل بها).

الثالث- قال الحسن و قتادة و مجاهد: إن معناه تعظيم الوزر و المأثم

(1) اللسان (أجل).

و تقديره يا ابن آدم انک لو قتلت الناس جميعا كان لک من عملک ما تفوز به و تنجو من النار؟! و اللَّه- كذبتک نفسک و الشيطان، فكذلک قتلک ظلماً الإنسان أى كنت تستحق الخلود فى النار كما كنت تستحقه بقتل الناس جميعاً.
الرابع- قال ابن عباس: معناه من شد على عضد نبى أو امام عدل، فكأنما أحيا الناس جميعاً. و من قتل نبياً أو إماماً عدلًا، فكأنما قتل الناس جميعاً.
الخامس- قال ابن مسعود و غيره من الصحابة: معناه (مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً) عند المقتول «وَ مَنْ أَحْياهَا فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً» عند المستنقذ.
السادس- قال ابن زيد معناه انه عليه من القود و القتل مثل ما يجب عليه لو قتل الناس جميعاً. و قوله: (وَ مَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) قال مجاهد معناه من نجاها من الهلاک مثل الغرق و الحرق. و قال الحسن و ابن زيد معناه من عفا عن دمها و قد وجب القود عليها. و قال أبو على معناه من زجر عن قتلها بما فيه حياتها على وجه يقتدى به فيها بأن يقتدى به فيها بأن يعظم تحريم قتلها كما حرمه اللَّه. فلم يقدم عليه فقد حى الناس بسلامتهم منه و ذلک إحياؤه إياها. و هو اختيار الطبرى و اللَّه تعالى هو المحيى للخلق لا يقدر على ذلک غيره تعالى. و إنما قال: (أحياها) على وجه المجاز بمعنى نجاها من الهلاک كما حكى عن نمرود ابراهيم «أَنَا أُحْيِى وَ أُمِيتُ» فاستبقا واحداً و قتل الآخر. قوله (وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُنا بِالْبَيِّناتِ) قسم من اللَّه تعالى أن رسله أتت بنى إسرائيل الذين ذكر قصصهم و أخبارهم بالآيات الواضحة و الحجج الدالة على صدق رسله و صحة ما أتوا به ثم أخبر أن التبيان فى

كثيراً منهم يعنى من بنى إسرائيل لمسرفون بعد مجيئ رسل اللَّه اليهم و معنى (لمسرفون) لعاملون بمعاصى اللَّه، و مخالفون أمره و نهيه باتباعهم غير رسل اللَّه. و الإسراف الخروج عن التقصير و الاقتصاد و ضده التقطير. و الاقتصاد هو التعديل بلا إسراف و لا إقتار و قد يمدح بالاقتصاد.
و قال أبو جعفر (ع): المسرفون هم الذين يستحلون المحارم و يسفكون الدماء.

إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ (33)

آية بلا خلاف.

المحارب عندنا هو الذى أشهر السلاح و أخاف السبيل سواء كان فى المصر أو خارج المصر، فان اللص المحارب فى المصر و غير المصر سواء. و به قال الاوزاعى و مالک و الليث بن سعد و ابن لهيعة و الشافعى و الطبرى. و قال قوم: هو قاطع الطريق فى غير المصر ذهب اليه أبو حنيفة و أصحابه و هو المروى عن عطاء الخراسانى. و معنى (يُحارِبُونَ اللَّهَ) يحاربون أولياء اللّه و يحاربون رسوله (وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً) و هو ما ذكرناه من إشهار السيف و اخافة السبيل. و جزاءهم عَلى قدر الاستحقاق إن قتل قتل و ان أخذ المال و قتل قتل و صلب و ان أخذ المال و لم يقتل قطعت يده و رجله من خلاف. و ان أخاف السبيل فقط فإنما عليه النفى لا غير هذا مذهبنا. و هو المروى عن أبى جعفر التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 505

عليه السلام و أبى عبد اللَّه (ع)

و هو قول ابن عباس و أبى مجلز و سعيد بن جبير، و السدى، و قتادة، و الربيع و ابراهيم- على خلاف عنه- و به قال أبو على الجبائى و الطبرى و حكى عن الشافعى أنه إن أخذ المال جهراً كان للإمام صلبه حياً و ان لم يقتل.

«و ان يقتلوا» فى موضع رفع و تقديره إنما جزاؤهم القتل، و الصلب أو القطع من موضع الخلاف، و معنى (إنما) ليس جزاؤهم الا هذا قال الزجاج: إذا قال جزاؤک عندى درهم جاز أن يكون معه غيره، فإذا قال انما جزاؤک درهم كان معناه ما جزاؤک إلا درهم.

و اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس و الضحاک، نزلت فى قوم كان بينهم و بين النبى (ص) موادعة فنقضوا العهد، و أفسدوا فى الأرض، فخير اللَّه نبيه فى ما ذكر فى الآية، و قال الحسن و عكرمة نزلت فى أهل الشرک.

و قال قتادة، و أنس و سعيد بن جبير و السدى: انها نزلت فى العرنيين و العكليين حين ارتدوا و أفسدوا فى الأرض فأخذهم النبى (ص) و قطع أيديهم و أرجلهم من خلاف و سمل أعينهم «1» و فى بعض الاخبار أحرقهم بالنار.

ثم اختلفوا فى نسخ هذا الحكم الذى فعله بالعرنيين، فقال البلخى و غيره

نسخ ذلک بنهیه عن المثلة. و منهم من قال: حکمه ثابت فی نظرائهم لم ینسخ.
و قال آخرون لم یسمل النبی (ص) أعینهم و إنما أراد أن یسمل فأنزل اللَّه آیة المحاربة، و الذی نقوله: إن عندنا ان کان فیهم طلیعة لهم حتی یقتلوا قوماً

---

(1) سمل أعینهم أی فقأها بحدیدة محماة.

سلمت عین الربیئة «1» و أجری علی الباقین ما ذکرناه. و قال قوم: الامام مخیر فیه ذهب الیه ابن عباس فی روایة و مجاهد و الحسن و سعید بن المسیب، و عطا و ابراهیم فی روایة عنه. فمن قال بالأول، ذهب الی أن (أو) فی الآیة تقتضی التفصیل و من قال بالثانی ذهب الی انها للتخییر.
و معنی قوله: «وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ» معناه أن یقطع الید الیمنی و الرجل الیسری. و لو کان موضع (من) (علی) أو (الباء) لکان المعنی واحداً.
و قوله «أَوْ یُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ» فی معناه ثلاثة أقوال:
أحدهما- أنه یخرج من بلاد الإسلام ینفی من بلد الی بلد إلا أن یتوب و یرجع و هو الذی نذهب الیه. و به قال ابن عباس، و أنس بن مالک، و مالک ابن أنس، و الحسن و السدی و الضحاک، و قتادة، و سعید بن جبیر، و الربیع ابن انس، و الزهری. و قال أصحابنا لا یمکن أیضاً من دخول بلاد الشرک، و یقاتل المشرکون علی تمکینهم من ذلک حتی یتوبوا و یرجعوا الی الحق.
و قال الفراء النفی أن یقال: من قتله فدمه هدر.
و الثانی- انه ینفی من بلد الی بلد غیره ذهب الیه سعید بن جبیر فی روایة أخری، و عمر بن عبد العزیز.
الثالث ان النفی هو الحبس ذهب الیه أبو حنیفة و أصحابه.
أصل النفی الإهلاک و منه النفی الاعدام، فالنفی الإهلاک بالاعدام.
و منه النفایة لردیء المتاع. و منه النفی، و هو ما تطایر من الماء عن الدلو، قال الراجز:

---

(1) ربیئة القوم عینهم الذی یطلعهم علی أخبار العدو. یقف علی مرتفع عال و یرقب حرکات العدو.

کأن متنیه من النفی مواقع الطیر علی الصفیِّ «1»
و النفی الطرد قال أوس بن حجر:
ینفون عن طرق الکرام کما ینفی المطارق ما یلی الفرد
و قوله: «ذلِکَ لَهُمْ خِزْیٌ فِی الدُّنْیا» معناه أن فعل ما ذکرناه من الأحکام خزی فی الدنیا، و الخزی الفضیحة یقال خزی یخزی خزیاً إذا افتضح و خزی

يخزى خزاية إذا استحيا و خزوته اخزوه خزوا إذا سسته و منه قول لبيد:
و اخزها بالبر للّه الأجل «2»
«وَ لَهُمْ فِی الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِیمٌ» معناه زيادة على ذلک و هذا يبطل قول من قال اقامة الحدود تكفير للمعاصى لأنه يقال مع اقامة الحدود عليهم بين ان لهم فى الآخرة عذاباً عظيما و معنى ان لهم فى الآخرة عذاباً عظيما انهم يستحقون ذلک و لا يدل على انه يفعل بهم ذلک لا محالة لأنه يجوز أن يعفو اللّه عنهم و يتفضل عليهم بإسقاط عقابهم.

---

(1) اللسان (نفى) و روايته:
كأن متنيه من النفى من طول اشرافى على الطوى
مواقع الطير على الصفى
(2) اللسان (خزا) و قبله:
أكذب النفس إذا حدثتها ان صدق النفس يزدى بالأمل
غير أن لا تكذبنها فى التقى و اخزها بالبر للّه الأجل

إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (34)
آية بلا خلاف.
قال الزجاج يحتمل الذين ان يكون فى موضع الرفع بالابتداء و خبره فاعلموا ان اللّه غفور رحيم و المعنى غفور رحيم لهم و المعنى لكن التائبون من قبل القدرة عليهم فاللّه غفور رحيم. و يجوز أن يكون فى موضع نصب بالاستثناء من قوله (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)..
لما بين اللّه حكم المحارب- على ما فصلناه- استثناء من جملتهم من يتوب مما ارتكبه قبل أن يؤخذ، و يقدر عليه لأن توبته بعد حصوله فى قبضة الامام، و قيام البينة عليه بذلك لا ينفعه، و وجب اقامة الحد عليه.
و اختلفوا فيمن تدرأ عنه التوبة الحدود: هل هو المشرک أو من كان مسلماً من أهل الصلوة؟ فقال الحسن، و قتادة، و مجاهد و الضحاک: هو المشرک دون من كان مسلماً. فأما من أسلم، فانه لم يؤاخذ بما جناه إلا أن يكون معه عين مال قائمة فانه يجب عليه ردها و ما عداه يسقط. و أما على (ع) فانه حكم بذلک فيمن كان مسلماً و هو حارثة بن بدر، لأنه كان قد خرج محارباً ثم تاب فقبل على (ع) توبته. و جعل له أماناً على يد سعيد بن قيس.
و حكم به أبو موسى الاشعرى فى فلان المرادى جاء تائباً بعد كونه محارباً فقبل توبته. و أبو هريرة فى على الاسدى و به قال السدى و مالک بن أنس إلا أن مالكاً قال يؤخذ بالدم إذا طالب به وليه. و قال الليث بن سعيد لا يؤاخذ به و قال الشافعى تضع توبته عنه حدَّ اللّه الذى وجب لمحاربته، و لا يسقط عنه التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 509
حقوق بنى آدم و هو مذهبنا، فعلى هذا إن أسقط الآدمى حق نفسه و يكون ظهرت منه التوبة قبل ذلک لا يقاص عليه الحد، و إن لم يكن ظهرت منه التوبة أقيم الحد، لأنه محارب فيتحتم عليه الحد. و هو قول أبى على.
و لا خلاف أنه إذا أصيب المال بعينه فى يده أنه يرد الى أهله. فاما المشرک المحارب فمتى أسلم و تاب سقطت عنه الحدود، سواء كان ذلک منه قبل القدرة عليه أو بعدها بلا خلاف.
فاما السارق إذا قدر عليه بعد التوبة و تكون التوبة منه بعد قيام البينة فانه لا يسقط عنه الحد. و إن كان قبل قيام البينة استقطت عنه. و قال قوم:
لا تسقط التوبة الحد عن السارق- و لم يفصل. و ادعى فى ذلک الإجماع.
قالوا لأن اللّه جعل هذا الحكم للمحارب بالاستثناء بقوله: «فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» و لم يكن غير المحارب فى معناه فيقاص عليه، لأن ظاهر هذا التفرد و ليس كذلک هو فى المحارب الممتنع بفئة و فى الآية حجة على من قال لا تصح التوبة مع الاقامة على معصية أخرى يعلم صاحبها أنها معصية،

لأنه تعالى علق بالتوبة حكماً لا يحل به الاقامة على معصية هى السكر أو شرب نبيذ التمر على غير التأويل بإجماع المسلمين.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَ جاهِدُوا فِی سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (35)
آية بلا خلاف.
خاطب اللَّه فی هذه الآية المؤمنين و أمرهم أن يتقوه و معناه أن يتقوا معاصيه و يجتنبوها و يبتغوا اليه معناه يطلبون إليه الوسيلة و هی القربة فی

قول الحسن و مجاهد و قتادة و عطا و السدی و ابن زيد و عبد اللَّه بن كثير و أبی و ابل. و هی علی وزن (فعلية) من قولهم توسلت اليک أی تقربت قال عنترة ابن شداد:
إن الرجال لهم اليک وسيلة أن يأخذوک فلجلجی و تخضبی
و قال الآخر:
إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا و عاد التصافی بيننا و الوسائل
يقال منه سلت أسال أی طلبت و هما يتساولان أی يطلب كل واحد منهما من صاحبه. و الأصل الطلب و الوسيلة التی ينبغی أن يطلب مثلها.
فان قيل كيف قال تعالی «اتَّقُوا اللَّهَ» و هو غاية التحذير مع أنه تعالی رغب فی الدعاء إليه و هما كالمتنافرين؟ قيل إنما قال ذلک لئلا يكون المكلف علی غرور من أمره بكثرة نعم اللَّه عليه فيظن أنها موجبة للرضا عنه فحقيقة الدعاء اليه باتقائه من جهة اجتناب معاصيه و العمل بطاعته. فان قيل هل يجوز أن يتقی المعاقب من أجل عقابه كما يحمد المحسن من أجل إحسانه.
قلنا: لا لأن أصل الاتقاء الحجز بين الشيئين لئلا يصل أحدهما الی الآخر من قولهم اتقاه بالترس. و منه اتقاه بحقه، فالطاعة له تعالی حاجزة بين العقاب و بين العبد أن يصل إليه. و أما حمد الإنسان، فمجاز لأن المحمود فی الحقيقة يستحق الولاية و الكرامة.
و قوله: «وَ جاهِدُوا فِی سَبِيلِهِ» أمر منه تعالی بالجهاد فی دين اللَّه، لأنه وصلة و طريق الی ثوابه. و يقال لكل شیء وسيلة الی غيره هو طريق إليه فمن ذلک طاعة اللَّه فهی طريق الی ثوابه. و الدليل علی الشیء طريق الی العلم به و التعرض للشیء طريق الی الوقوع فيه و اللطف طريق الی طاعة اللَّه و الجهاد التبيان فی تفسير القرآن، ج3، ص: 511
فی سبيل اللَّه قد يكون باللسان و اليد و القلب و السيف و القول و الكتاب.
و قوله: (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) يحتمل أمرين:
أحدهما- اعملوا لتفلحوا و معناه و يكون غرضكم الصلاح فهذا يصح مع اليقين.

الثانى- اعملوه على رجاء الصلاح به فهذا مع الشک فى خلوصه مما يحبطه و هذا الوجه لا يصح إلا على مذهب من قال بالإحباط. فاما من لا يقول به فلا يصح ذلک فيه غير أنه يمكن أن يقال الشک فيه يجوز أن يكون فى هل أوقعه على الوجه المأمور به أم لا؟ لأنه لا حال إلا و هو يجوز أن يكون فرط فيما أمر به «هُمُ الْمُفْلِحُونَ» هم الفائزون بما فيه غاية صلاح أحوالهم.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذابِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ما تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (36) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ (37)

آيتان بلا خلاف أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ» و افتدوا بجميع ذلک من العذاب الذى يستحقونه على كفرهم «ما تُقُبِّلَ مِنْهُمْ» .

و الذين فى موضع نصب بان و خبر (ان) الجملة فى (لو) و جوابها.

و قوله: «وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» يحتمل أمرين: التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 512

أحدهما- أن يكون فى موضع الحال.

و الثانى- أن يكون عطفاً على الخبر، و لا يجوز أن يكون خبراً من «يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ، وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها» . و (لو) فى موضع الحال كما تقول مررت بزيد لو رآه عدوه لرحمه، لأنه فى موضع معتمد الفائدة مع أن الثانى فى استئناف (إنه) و لا يحكم بقطع الخبر، و إنما أجيبت (لو) ب (ما) و لم يجز أن يجاب (أن) ب (ما) لأن (ما) لها صدر الكلام و جواب (لو) لا يخرجها من هذا المعنى كما لا يخرجها جواب القسم، لأنه غير عامل. و (أن) عاملة فلذلک صلح أن يجاب ب (لا) و لم يصلح ب (ما) كقولک إن تأتنى لا يلحقک سوء، و لا يجوز (ما) لأن (لا) تنفى عما بعدها ما وجب لما قبلها فى أصل موضوعها كقولک قام زيد لا عمرو و (ما) تنفى عما بعدها ما لم يجب لغيرها، فلذلک كان لها صدر الكلام. و إنما نفى اللَّه أن يقبل منهم فدية من غير تقييد بالتوبة، لأمرين:

أحدهما لأنهم لا يستحقون هذه الصفة لو وقعت منهم التوبة مع البيان عن أن الآخرة لا تقبل فيها توبة.

الثانى ان ذلک مقيد بدليل العقل و السمع الذى دل على وجوب إسقاط العقاب عند التوبة كقوله «غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ» «1» و عندنا أنه لم يقيده بالتوبة لأن التوبة لا يجب إسقاط العقاب عندها عندنا و إنما يتفضل اللَّه بذلک عند التوبة فأراد اللَّه أن يبين أن الخلاص من عقابه الذى استحق على الكفر به و معاصيه لا يستحق على وجه. و إنما يكون ذلک تفضلا على كل حال.

و اللام فى قوله: «وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» لام الملک لأن حقيقتها الاضافة

---

(1) سورة غافر آية 3.

على معنى الاختصاص غير أنها إذا أضيفت تصح أن يكون فعلًا إلى ما يصح أن يكون فاعلًا فالاضافة بمعنى اضافة الفعل الى الفاعل نحو «إن قام زيد» و يجوز أن يكون على معنى المفعول بقرينة ككلام زيد و نحوه. و قوله: «لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً» يدل على أنه ليس لهم ما فى الأرض جميعاً، لأنه لو كان لهم لكان الأبلغ أن يقال يسلبون النعمة به من غير فدية تسقط عنهم شيئاً من العقوبة. و قوله: «يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ» فى معناه ثلاثة أقوال.
أحدها- قال أبو على معناه يتمنون أن يخرجوا منها فجعل الارادة هاهنا تمنياً.
و قال الحسن معناه الارادة على الحقيقة، لأنه قال كلما رفعتهم النار بلهبها رجوا أن يخرجوا منها، و هو قوله: «كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها» «1» . و قال بعضهم معناه يكادون أن يخرجوا منها، إذا رفعتهم بلهبها كما قال- عز و جل- «جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ» «2» أى يكاد و يقارب.
فان قيل كيف يجوز أن يريدوا الخروج من النار مع علمهم بأنهم لا يخرجون؟
قلنا: لأن العلم بأن الشىء لا يكون لا يصرف عن إرادته.
كما أن العلم بأنه يكون لا يصرف عن إرادته و إنما يدعو الى الارادة حسنها أو الحاجة اليها كما أن المراد بهذه المنزلة. فان قيل: هل يجوز أن يطمعوا فى الخروج من النار كما قال الحسن. قلنا الخروج منها الى غير عذاب يجرى مجرى عذابها فلا يجوز لعلمهم بأن العذاب دائم لا يفتر عنهم فان كان معه العلم بأنهم لا يخرجون منها لم يجز أن يطمعوا فى الخروج، لأن العلم ينافى

---

(1) سورة ا لم السجدة آية 20.
(2) سورة الكهف آية 78.

الطمع و لا ينافى الارادة كما لا يطمع العاقل فى أن يعود فى الدنيا شاباً كما كان. و قال أبو على: إنما يتمنون الخلاص منها قبل دخولها، لما فى التمنى من الترويح، و ليس ذلك من صفة أهلها. و لا يجوز أن يقال فى الكلام يريدون أن يستخرجون من النار كما جاز (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى) «1» لأن أن المخففة من الشديدة لتحقيق كائن فى الحال أو الماضى أو المستقبل، و ليس فى الارادة تحقيق وقوع المراد لا محالة، كما ليس فى الأمر تحقيق وقوع المأمور به، فلذلك لم يجز أمرته أن سيقوم، و جاز أمرته أن يقوم. قوله «وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها» يعنى من جهنم «وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ» أى دائم ثابت لا يزول و لا يحول، كما قال الشاعر:
فان لكم بيوم الشعب منى عذاباً دائماً لكم مقيماً
و روى أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس يا أعمى القلب يا أعمى البصر

تزعم ان قوماً يخرجون من النار و قد قال اللّه تعالى: «وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها» ! فقال ابن عباس ويحک أ و ما فقهت هذه للكفار؟!.

وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38)
آية بلا خلاف.
و قوله «وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ» قال سيبويه الأجود فيه النصب و مثله «الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي» . و بالنصب قرأ عيسى بن عمر و هو بخلاف ما عليه القراء لا يجوز أن يقرأ به و الوجه الرفع. و مثله «اللَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما» .

---

(1) سورة المزمل آية 20.

و يحتمل رفعهما شيئين:
أحدهما- قال سيبويه إنه على تفسير فرض فيما يتلى عليكم حكم السارق و السارقة. و منه «وَ اللَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ» «1» .
الثانى- قال المبرد و الفراء لأن معناه الجزاء و تقديره من سرق فاقطعوه، و له صدر الكلام. و قال الفراء و لو أردت سارقاً بعينه لكان النصب الوجه و يفارق ذلك قولهم زيداً فاضربه، لأنه ليس فيه معنى الجزاء.
و ظاهر قوله «وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ» يقتضى عموم وجوب القطع على كل من يكون سارقاً أو سارقة، لأن الألف و اللام إذا دخلا على الأسماء المشتقة أفادا الاستغراق إذا لم يكونا للعهد دون تعريف الجنس- على ما ذهب اليه قوم-. و قد دللنا على ذلك في أصول الفقه. فأما من قال القطع لا يجب إلا على من كان سارقاً مخصوصاً من مكان مخصوص مقداراً مخصوصاً و ظاهر الآية لا ينبئ عن تلك الشروط، فيجب أن تكون الآية مجملة مفتقرة الى بيان، فقوله فاسد لأن ظاهر الآية يقتضى وجوب القطع على كل من يسمى سارقاً و إنما يحتاج الى معرفة الشروط ليخرج من جملتهم من لا يجب قطعه فأما من يجب فانا نقطعه بالظاهر، فالآية مجملة فيمن لا يجب قطعه دون من يجب قطعه فسقط ما قالوه.
و قوله «فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما» أمر من اللّه بقطع أيدى السارق و السارقة.
و المعنى إيمانهما. و إنما جمعت أيدى لأن كل شيء من شيئين، فتثنيته بلفظ الجمع كما قال- عز و جل-: «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما» «2» و قال الفراء كلما

---

(1) سورة النساء آية 15. [.....]
(2) سورة التحريم آية 4.

كان فى البدن منه واحد فتثنيته بلفظ الجمع لأن أكثر أعضائه فيه منه اثنان، فحمل ما كان فيه الواحد على مثل ذلک، فقيل قلوبهما و ظهورهما. كما قيل عيونهما و أيديهما. و قال الفراء إنما فعلوا ذلک للفصل بين ما فى البدن منه واحد و بين ما فى البدن منه اثنان، فجعل ما فى البدن منه واحد تثنيته و جمعه بلفظ واحد و لم يثن أصلا، لأن الاضافة تدل عليه، و لأن التثنية جمع، لأنه ضم شىء الى شىء. و إن ثنى جاز قال الشاعر:

ظهراهما مثل ظهور الترسين

فجمع بين الأمرين. و إنما اعتبرنا قطع الايمان، لإجماع المفسرين على ذلک. كالحسن و السدى و الشعبى و غيرهم. و فى قراءة ابن مسعود «و السارقون و السارقات فاقطعوا إيمانهما» و النصاب الذى يتعلق القطع به قيل فيه ستة أقوال:

أولها- على مذهبنا، و هو ربع دينار. و به قال الاوزاعى و الشافعى، لما روى عن النبى (ص) أنه قال القطع فى ربع دينار.

الثانى- ثلاثة دراهم و هو قيمة المجن. ذهب اليه مالک بن أنس.

الثالث- خمسة دراهم

روى ذلک عن على (ع) و عن عمر، و انهما قالا: لا يقطع الخمس إلا فى خمسة دراهم

و هو اختيار أبى على، قال: لأنه بمنزلة من منع خمسة دراهم من الزكاة فى أنه فاسق.

الرابع- قال الحسن: يقطع فى درهم، لأن ما دونه تافه.

الخامس- عشرة دراهم ذهب اليه أبو حنيفة و أصحابه لما رووا أنه كان قيمة المجن عشرة دراهم.

السادس- قال أصحاب الظاهر و ابن الزبير يقطع فى القليل و الكثير.

و لا يقطع إلا من سرق من حرز. و الحرز يختلف، فكل شىء حرز يعتبر فيه حرز مثله فى العادة. وحدَّه أصحابنا بأنه كل موضع لم يكن لغيره الدخول اليه و التصرف فيه إلا باذنه فهو حرز. و قال أبو على الجبائى الحرز أن يكون فى بيت أو دار مغلق عليه و له من يراعيه و يحفظه.

و من سرق من غير حرز لا يجب عليه القطع. قال الرمانى، لأنه لا يسمى سارقاً حقيقة و إنما يقال ذلک مجازاً كما يقال سرق كلمة أو معنى فى شعر لأنه لا يطلق على هذا اسم سارق على كل حال. و قال داود: يقطع إذا سرق من غير حرز.

و كيفية القطع عندنا يجب من أصول الأصابع الأربعة و يترک الإبهام و الكف- و هو المشهور

عن على (ع): و قال أكثر الفقهاء: إنه يقطع من الرسغ.

و هو المفصل بين الكف و الساعد. و قالت الخوارج يقطع من الكتف. و أما الرِّجل فعندنا تقطع الأصابع الأربعة من مشط القدم و يترک الإبهام و العقب.
دليلنا أن ما قلناه مجمع على وجوب قطعه. و ما قالوه ليس عليه دليل.
و لفظ اليد يطلق على جميع اليد الى الكتف و لا يجب قطعه- بلا خلاف إلا ما حكيناه عمن لا يعتد به. و قد استدل قوم من أصحابنا على صحة ما قلناه بقوله «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ» «1» و إنما يكتبونه بالأصابع.
- و المعتمد ما قلناه- و عليه اجماع الفرقة المحقة.
و متى تاب السارق قبل أن يرفع الى الامام. و ظهر ذلک منه ثم قامت عليه البينة، فانه لا يقطع. غير أنه يطالب بالسرقة و إن تاب بعد قيام البينة

---

(1) سورة البقرة آية 79.

عليه وجب قطعه على كل حال. و قال الفقهاء يجب قطعه على كل حال. فان كان تاب كان قطعه امتحاناً، و ان لم يكن تاب كان عقوبة و جزاء. و متى قطع فانه لا يسقط عنه رد السرقة سواء كانت باقية أو هالكة، فان كانت باقية ردها- بلا خلاف- و إن كانت هالكة رد عندنا قيمتها. و قال أبو حنيفة و أصحابه: لا يجمع عليه القطع و الغرامة معاً، فان قطع سقطت الغرامة و ان غرم سقط القطع. و قد دللنا على صحة ما قلناه- فى مسائل الخلاف- و متى سرق بعد قطع اليد دفعة ثانية قطعت رجله اليسرى حتى يكون من خلاف.
فان سرق ثالثة حبس عندنا. و به قال الحسن. و قال أبو على تقطع اليد الاخرى، فان سرق فى الحبس قتل عندنا. و لا يعتبر ذلک أحد من الفقهاء.
و ظاهر الآية يقتضى وجوب قطع العبد و الأمة إذا سرقا لتناول اسم السارق و السارقة لهما.
و قوله: «جَزاءً بِما كَسَبا» معناه استحقاقاً على فعلهما «نَكالًا مِنَ اللَّهِ» أى عقوبة على ما فعلاه. قال زهير:
و لو لا أن ينال أبا طريفٍ عذاب من خزيمة أو نكال
أى عقوبة. و نصبه يحتمل أمرين:
أحدهما- مفعول له و تقديره لجزاء فعلهما.
الثانى- نصب على المصدر الذى دل عليه فاقطعوا لأن معنى فاقطعوا: جاوزهم و نكلوا بهم. و قال الازهرى معناه لينكل غيره نكالًا عن مثل فعله يقال نكل ينكل إذا جبن، فهو ناكل «وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» أى مقتدر لا يغالب «حكيم» فيما يأمر به من قطع السارق و السارقة، و فى غيره من الافعال.

فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَ أَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (39)

آية بلا خلاف أخبر اللَّه تعالى أن من تاب و أقلع و ندم على ما كان منه من فعل الظلم بالسرقة و غيرهما و فعل الفعل الجميل الصالح «فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ» و معناه يقبل توبته بإسقاط العقاب بها عن المعصية التى تاب منها. و وصف اللَّه تعالى بانه يتوب على التائب فيه فائدة عظيمة، لأن فى ذلک ترغيباً للعاصى فى فعل التوبة، و لذلک قال تعالى واصفاً نفسه بأنه تواب رحيم. و وصف العبد بأنه تواب معناه أواب و هى صفة مدح من أجل المدح على التوبة التى يسقط العقاب عندها. و لا خلاف فى سقوطه عندها و هى الندم على ما مضى من القبيح أو الإخلال بالواجب و العزم على ترک الرجوع الى مثله فى القبح.

و فى الناس من قال يكفى الندم مع العزم على ترک المعاودة. و الذى ذكرناه أولى، لأن سقوط العذاب عنده مجمع عليه. و ان اختلفوا هل هو واجب أو تفضل؟ و ما قالوه فيه خلاف. و يمكن التوبة من الحسن إلا أن حسنه لا يدعو الى التوبة منه كما يدعو قبح القبيح الى التوبة منه لكن قد يتوب الإنسان منه لقبحه فيما يتوهمه أو لمضرة تلحقه به. و لا يجوز التوبة من الحسن كيف تصرفت الحال لأنه تحريم لما ليس بحرام، و تقبيح لما ليس بقبيح. و يمكن أن تكون التوبة من القبيح معصية للَّه كالذى يتوب من الإلحاد و يدخل فى النصرانية.

و قال مجاهد: ان الحدَّ كفارة. و هذا غير صحيح، لأن اللَّه تعالى دل التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 520

على معنى الأمر بالتوبة. و إنما يتوب المذنب من ذنبه. و الحد من فعل غيره.

و أيضاً فمتى كان مُصراً كان اقامة الحد عليه عقوبة. و العقوبة لا تكفر الخطيئة. كما لا يستحق بها الثواب. و قوله «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» يدل على ما نذهب اليه من أن قبول التوبة و إسقاط العقاب عندنا تفضل من اللَّه، فلذلک صح و صفه بانه غفور رحيم. و لو كان الغفران واجباً عند التوبة لم يلق به غفور رحيم.

أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (40)

قيل فيمن يتوجه هذا الخطاب اليه قولان:

أحدهما- انه متوجه الى النبى (ص) و المراد به امته كما قال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» .

و الثانى- أنه متوجه الى كل مكلف من الناس و تقديره: أ لم تعلم يا انسان.

و اتصال هذا الخطاب بما قبله اتصال الحجاج و البيان عن صحة ما تقدم من الوعد و الوعيد. و ما ذكره من الأحكام.

و المعنى أ لم تعلم يا انسان «أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» يعنى له التصرف فيهما من غير دافع و لا منازع «يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ» إذا كان مستحقاً للعقاب «وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ» إذا عصاه و لم يتب، لأنه إذا تاب، فقد وعد بأنه لا يؤاخذ به بعد التوبة. و عند المخالفة يقبح مؤاخذته بعدها.

فعلى الوجهين معاً لا يعلق ذلك بالمشيئة. و فى ذلك دلالة على أنه قادر

أن يعاقب على وجه الجزاء، لأنه لو لم يكن قادراً عليه لما كان فيه وجه مدح «وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» معناه هاهنا أن من ملك السموات و الأرض و قدر على هذه الأجسام و الاعراض التى يتصرف فيها و يديرها، فهو لا يعجزه شىء لقدرته على كل جنس من أجناس المعانى. و قوله «عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» عام فى كل ما يصح أن يكون مقدراً له تعالى. و لا يحتاج الى أن يقيد بذكر ما تصح القدرة عليه لأمرين:

أحدهما- ظهور الدلالة عليه، فجاز ألا يذكر فى اللفظ.

و الآخر- أن ذلك خارج مخرج المبالغة كما يقول القائل أتانى أهل الدنيا. و لعله لم يجئه الا خمسة فاستكثرهم.

يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْکَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِی الْکُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمَّاعُونَ لِلْکَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوکَ يُحَرِّفُونَ الْکَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هذا فَخُذُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِکَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولئِکَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِی الدُّنْيا خِزْیٌ وَ لَهُمْ فِی الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ (41)

التبيان فی تفسير القرآن، ج3، ص: 522

هذا خطاب للنبی (ص) نهاه اللَّه أن يحزنه الذين يسارعون فی الكفر أی يبادرون فيه. و (يحزنک)- بفتح الياء و ضمها- لغتان. و قد قرئ بهما.

و قد قدمنا ذكره مستوفئ.

من المنافقين «الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا» يعنی صدقنا «بِأَفْواهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ» يعنی لم تصدق قلوبهم «وَ مِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمَّاعُونَ لِلْکَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوکَ» وقف هاهنا. و «سماعون» فيه مبالغة من سامع مثل جابر و جبار. و قيل فی رفع «سماعون» قولان:

أحدهما- قال سيبويه رفع على الابتداء و الخبر «مِنَ الَّذِينَ هادُوا» كما تقول من قومک عقلاء.

الثانی- قال الزجاج: على أنه خبر الابتداء. و تقديره: المنافقون هم، و اليهود سماعون للكذب. و قيل فی معنى ذلک قولان:

أحدهما- «سماعون» كلامک للكذب عليک سماعون كلامک «لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوکَ» ليكذبوا عليک إذا رجعوا اليهم أی هم عيون عليک.

و قيل انهم كانوا رسل اهل خيبر لم يحضروا. فلهذا جالسوک، هذا قول الحسن و الزجاج و أبو على.

الثانی- قال أهل التفسير «سَمَّاعُونَ لِلْکَذِبِ» قابلون له كما يقال لا تسمع من فلان أی لا تقبل منه، و منه سمع اللَّه لمن حمده «سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ» أرسلوا بهم فی قضية زان محصن. فقالوا لهم: إن أفتاكم محمد (ص) بالجلد فخذوه و إن أفتاكم بالرجم فلا تقبلوه، لأنهم قد كانوا حرفوا حكم الجلد الذی فی التوراة الى جلد أربعين، و تسويد الوجه و الاشهار على حمار.

هذا قول ابن عباس، و جابر، و سعيد بن المسيب و السدی، و ابن زيد.

التبيان فی تفسير القرآن، ج3، ص: 523

و قال قتادة: إنما كان ذلک فی قتيل منهم قالوا: إن أفتاكم بالدية فاقبلوه و إن أفتاكم بالقود فاحذروه.

و قال أبو جعفر (ع) نزلت الآية فی أمر بنی النضير و بنی قريظة و قوله:

«يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ»
قيل فى معنى (تحريفهم) قولان:
أحدهما- تحريف كلام النبى (ص) بعد سماعه. للكذب «يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هذا» أى دين اليهود فاقبلوه «وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا» أن تقبلوا خلافه- فى قول الحسن و أبى على.
الثانى- جعلهم بدل رجم المحصن جلد أربعين تغييراً لحكم اللَّه- فى قول المفسرين.
و قوله: «مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ» لأن المعنى من بعد استقراره فى مواضعه، و مضى الأيام عليه. و قال الزجاج من بعد أن فرض فروصه، و أحلَّ حلاله، و حرم حرامه. و لو قال مكان «بَعْدِ مَواضِعِهِ» عن مواضعه لجاز، لأن معناهما متقارب، هذا كما يقول القائل: أتيتك عن فراغى من الشغل، و بعد فراغى منه، و لا يجوز قياساً على ذلك أن تقول بدل قولك: رميت عن القوس، رميت بعد القوس، و لا فى قولك: جاء زيد بعد عمرو، أن تقول:
عن عمرو، لأن المعنى يختلف. و ذلك أن (عن) لما عدا الشىء الذى هو كالسبب له، و (بعد) إنما هى لما تأخر عن كون الشىء، فما صح معنى السبب و معنى التأخر جاز فيه الأمران، و ما لم يصح إلا أحد المعنيين لم يجز إلا أحد الحرفين.
و قوله: «وَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ» فى الفتنة ثلاثة أقوال:
أحدهما- قال الزجاج معناه من يرد فضيحته بإظهار ما ينطوى عليه.
الثانى- قال السدى من يرد اللَّه هلاكه. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 524
الثالث- قال الحسن و أبو على و البلخى من يرد اللَّه عذابه من قوله «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» أى يعذبون. و قوله «ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ» أى عذابكم. و قوله «إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ» يعنى الذين عذَّبوا.
و أصل الفتنة التخليص من قولهم: فتنت الذهب فى النار أى خلصته من الغش و الفتنة الاختبار تسمى بذلك لما فيها من تخليص الحال لمن أراد الإضلال. و إنما أراد الحكم عليه بذلك بإيراد الحجج. ففيه تمييز و تخليص لحالهم من حال غيرهم من المؤمنين. و من فسَّره على العذاب فلأنهم يحرقون كما يحرق خبث الذهب فهم خبث كلهم. و من فسَّره على الفضيحة فلما فيها من الدلالة عليهم التى يتميزون بها من غيرهم. و قوله: «أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ» قيل فيه قولان:
أحدهما- قال أبو على و غيره لم يرد اللَّه أن يظهرها من الحرج و الضيق الدال على دنس الكفر عقوبة لهم.
الثانى- قال البلخى و غيره: لم يرد أن يطهرها من الكفر بالحكم بأنها بريئة منه ممدوحة بضده كما يطهر قلوب المؤمنين بذلك. و لا يجوز أن يكون المراد بذلك الذين لم يرد اللَّه منهم الايمان، لأنه لو لم يكن مريداً منهم

الايمان، لم يكن مكلفاً لهم، لأن التكليف هو إرادة ما فيه المشقة و الكلفة، و لأن اللَّه أمرهم بالايمان- بلا خلاف- و الأمر لا يكون أمراً إلا بارادة المأمور به على ما بين فى غير موضع.
و قوله: «لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ» يعنى لهؤلاء الكفار و المنافقين الذين ذكرهم فى الآية، فبين أن لهم خزياً من عذاب اللَّه فى الدنيا. و هو ما كان يفعله بهم من الذل و الهوان، و البغض و الزام الجزية على وجه الصغار «وَ لَهُمْ

فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ»
مضافاً الى عذاب الدنيا و خزيها.
و قال أبو جعفر (ع) و جماعة من المفسرين ذكرنا أسماءهم: إن امرأة من خيبر- فى شرف منهم- زنت و هى محصنة فكرهوا رجمها، فأرسلوا الى يهود المدينة يسألون النبى (ص) طمعاً أن يكون أتى برخصة، فسألوه، فقال:
هل ترضون بقضائى؟ قالوا: نعم، فأنزل اللَّه عليه الرجم، فأبوه. فقال جبرائيل: سلهم عن ابن صوريا، ثم اجعله بينك و بينهم، فقال: تعرفون شاباً أبيضاً أعوراً أمرداً يسكن فدكاً يقال له ابن صوريا؟ قالوا: نعم هو أعلم يهودى على ظهر الأرض بما أنزل اللَّه على موسى. قال: فأرسلوا اليه فأرسلوا فأتى، فقال له رسول اللَّه (ص): أنت عبد اللَّه بن صوريا. قال: نعم. قال:
أنت أعلم اليهود قال: كذلك يقولون. قال رسول اللَّه (ص): فانى أناشدك اللَّه الذى لا إله إلا هو القوى إله بنى إسرائيل الذى أخرجكم من أرض مصر، و فلق لكم البحر فأنجاكم و أغرق آل فرعون، و ظلل عليكم الغمام و أنزل عليكم المنَّ و السلوى، و أنزل عليكم كتابه فيه حلاله و حرامه، هل تجدون فى كتابكم الذى جاء به موسى الرجم على من أحصن؟ قال عبد اللَّه بن صوريا:
نعم، و الذى ذكرتنى لو لا مخافتى من رب التوراة أن يهلكنى إن كتمت ما اعترفت لك به، فأنزل اللَّه فيه «يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» «1» فقام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتى رسول اللَّه (ص) ثم قال: هذا مقام العائذ باللَّه و بك أن تذكر لنا الكثير الذى أمرت أن تعفو عنه، فأعرض النبى (ص) عن ذلك، ثم سأله ابن صوريا عن نومه و عن شبه الولد بأبيه و امه و ما حظّ الأب من

---

(1) سورة 4 النساء آية 16.

أعضاء المولود؟ و ما حَظ الام؟ فقال: تنام عيناى و لا ينام قلبى، و الشبه

يغلبه أى الماءين علا، و للأب العظم و العصب و العروق، و للام اللحم و الدم و الشعر. فقال: أشهد أن أمرک أمر نبى، و أسلم، فشتمه اليهود.
فقال المنافقون لليهود: إن أمرک محمد بالجلد فاقبلوه و إن أمركم بالرجم فلا تقبلوا. و هو قوله: «يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هذا فَخُذُوهُ» يعنى الجلد «وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا» و سلاه عن ذلک بقوله: «لا يَحْزُنْکَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِى الْكُفْرِ» فلما أرادوا الانصراف تعلقت قريظة بالنضير، فقالوا يا أبا القاسم- و كانوا يكرهون أن يقولوا يا محمد لئلا يوافق ذلک ما فى كتابهم من ذكره- هؤلاء إخواننا بنوا النضير إذا قتلوا منا قتيلًا لا يعطونا القود و أعطونا سبعين وسقاً من تمر، و إن قتلنا منهم قتيلًا أخذوا القود و معه سبعون وسقاً من تمر، و إن أخذوا الدية أخذوا منا مائة و أربعين وسقاً. و كذلک جراحاتنا على أنصاف جراحاتهم، فأنزل اللّه تعالى «وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوکَ شَيْئاً، وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ» «1» فحكم بينهم بالسواء، فقالوا: لا نرضى بقضائک، فأنزل اللّه «أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» «2» .
ثم قال «وَ كَيْفَ يُحَكِّمُونَکَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فِيها حُكْمُ اللَّهِ» شاهداً لک بما يخالفونک. ثم فسر ما فيها من حكم اللّه فقال «وَ كَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» الآية «فَإِنْ تَوَلَّوْا» يعنى بنى النضير، لما قالوا لا تقبل حكمک «يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ» و هو إجلاؤهم من ديارهم.

---

(1) سورة 5 المائدة آية 53.
(2) سورة 5 المائدة آية 46.

و اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية. و قال السيدى نزلت فى أبى لبابة الانصارى لقوله لبنى قريظة حين حاصرهم النبى (ص): إنما هو الذبح فلا تنزلوا على حكم سعد.
و قال عكرمة و عامر الشعبى: نزلت فى رجل من اليهود قتل رجلا من أهل دينه فقال القاتل لحلفائهم من المسلمين سلوا لى محمداً (ص) فان بعث بالدية اختصمنا اليه و ان كان يأمرنا بالقتل لم نأته. و قال أبو هريرة: نزلت فى عبد اللّه بن صوريا، و ذلک
أنه ارتد بعد إسلامه على ما وصفناه عن أبى جعفر (ع)
و قال ابن جريج و مجاهد: نزلت فى المنافقين و هم السماعون لقوم آخرين و الأصح من هذه الأقوال
أنها نزلت فى ابن صوريا على ما قدمناه عن أبى جعفر (ع)
و هو اختيار الطبرى لأنه رواه أبو هريرة و البراء بن عازب و هما صحابيان.

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جاؤُکَ فَاحْکُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوکَ شَيْئاً وَ إِنْ حَکَمْتَ فَاحْکُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42)

قرأ السحت- بضم السين و الحاء- ابن كثير و أهل البصرة و الكسائى و أبو جعفر (ع)

الباقون بإسكان الحاء.

و قوله: «سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ» وصف لهؤلاء اليهود الذين تقدم وصفهم.

و رفعه كما رفع سماعون الأول سواء، لأنه صفة بعد صفة. و قد يجوز

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 528

النصب فى الموضعين على القطع لكن لم يقرأ به، و قد فسرنا معنى الكذب.

و قوله: «أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ» معناه أنه يكثر أكلهم للسحت، و هو الحرام.

و روى عن النبى (ص) أنه قال: (السحت الرشوة فى الحكم)

و فى السحت لغتان ضم الحاء و إسكانها. و قد قرئ بهما على ما بيناه، فالسحت اسم للشىء المسحوت و ليس بمصدر، و المصدر بفتح السين. و قال الحسن سمعوا كذبه و أكلوا رشوته. و قال ابن مسعود و قتادة و ابراهيم و مجاهد و الضحاک و السدى: السحت الرشى

و روى عن على (ع) أنه قال: (السحت الرشوة فى الحكم و مهر البغى و عسب الفحل، و كسب الحجام، و ثمن الكلب، و ثمن الخمر، و ثمن الميتة، و حلوان الكاهن و الاستعجال فى المعصية).

و روى عن أبى هريرة مثله.

و قال مسروق سألت عبد اللَّه عن الجور فى الحكم قال: ذلک الكفر، و عن السحت فقال الرجل يقتضى لغيره الحاجة فيهدى له الهدية.

و أصل السحت الاستئصال اسحت الرَّجل إسحاتاً و هو أن يستأصل كل شىء يقال: سحته و أسحته إذا استأصله. و أذهبه. قال الفرزدق:

و عض زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلف «1»

و يقال للحالق: اسحت أى استأصل، و منه قوله: «فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ» «2» أى يستأصلكم به و فلان مسحوت المعدة إذا كان أكولًا شرهاً.

---

(1) اللسان (جلف). عض زمان: ساء زمان. المسحت الشىء المهلک و المجلف- بضم الميم و تشديد اللام- الشىء الذى بقى منه بقية قليلة لا يعتنى بها.

(2) سورة طه آية 61.

و قد اسحت ماله إذا أفسده و أذهبه، ففى اشتقاق السحت أربعة أقوال:
قال الزجاج لأنه يعقب عذاب الاستئصال و البوار. و قال أبو على هو حرام لا بركة فيه لأهله، لأنه يهلک هلاک الاستئصال. و قال الخليل هو القبيح الذى فيه العار نحو ثمن الكلب و الخمر فعلى هذا يسحت مروَّة الإنسان.
و قال بعضهم حرام يحمل عليه الشره، فهو كشره المسحوت المعدة.
و قوله: «فَإِنْ جاؤُکَ فَاحْکُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ» قال ابن عباس، و الحسن، و مجاهد، و ابن شهاب: خيره اللَّه تعالى فى الحكم بين اليهود فى زناء المحصن، و فى رواية اخرى عن ابن عباس، و قتادة، و ابن زيد أنه خيره فى الحكم بينهم فى قتيل قتل من اليهود. و كلا القولين قد رواه أصحابنا على ما قدمناه.
و روى أن علياً (ع) دخل فى بيت المال فأفرط فيه ثم قال لا أمسى و فيک درهم ثم أمر رجلا فقسمه بين الناس، فقيل له لو عوضته شيئاً، فقال إن شاء لكنه سحت
و فى اختيار الحكام، و الأئمة الحكم بين أهل الذمة إذا احتكموا اليهم قولان:
أحدهما- قال ابراهيم و الشعبى و قتادة و عطاء و الزجاج، و الطبرى، و هو المروى عن على (ع) و الظاهر فى رواياتنا أنه حكم ثابت و التخيير حاصل.
و قال الحسن و عكرمة، و مجاهد، و السدى، و الحكم، و جعفر بن مبشر، و اختاره الجبائى: أنه منسوخ بقوله: «وَ أَنِ احْکُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ» «1» فنسخ الاختيار و أوجب الحكم بينهم بالقسط، و هو العدل يقال أقسط إقساطاً إذا عدل «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» يعنى العادلين، و قسط يقسط قسوطاً إذا جار. و منه قوله: أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً»

---

(1) سورة المائدة آية 52.

«1» أى الجائرون و قوله: «وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوکَ شَيْئاً» أى لا يقدرون لک على ضر فى دين، و لا دنيا، فدع النظر ان شئت و إن حكمت فاحكم بما أنزل اللَّه.

وَ كَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فِيها حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ ما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (43)
آية بلا خلاف.
المعنى كيف يحكمك هؤلاء اليهود يا محمد بينهم، فيرضوا بك حكماً، و عندهم التوراة فيها حكم اللَّه التى أنزلها على موسى التى يقرون بها أنها كتابى وجه التعجب للنبى (ص) و فيه تقريع لليهود الذين نزلت فيهم فكأنه قال الذى أنزلته على نبيى و إنه الحق و إن ما فيه حكم من حكمى لا يتناكرونه و يعلمونه، و هم مع ذلك يتولون: أى يتركون الحكم به جرأة على كيف تقرون أيها اليهود بحكم نبيى محمد مع جحدكم نبوته، و تكذيبكم إياه و أنتم تتركون حكمى الذى تقرون به أنه واجب و أنه حق من عند اللَّه.
و قوله: «فِيها حُكْمُ اللَّهِ» قال أبو على فيه دليل على أنه لم ينسخ لأنه لو نسخ لم يطلق عليه بعد النسخ أنه حكم اللَّه كما لا يطلق أن حكم اللَّه تحليل الخمر أو تحريم السبت. و قال الحسن «فِيها حُكْمُ اللَّهِ» بالرجم. و قال قتادة و عصياناً لى.
«فِيها حُكْمُ اللَّهِ» بالقود.

---

(1) سورة الجن آية 15.

فان قيل كيف يقولون «فِيها حُكْمُ اللَّهِ» و عندكم أنها محرَّفة مغيرة؟:
قلنا: على ما قال الحسن و قتادة لا يتوجه، لأنها و إن كانت مغيرة محرَّفة لا يمتنع أن يكون فيها هذان الحكمان غير مبدَّلين، و هو رجم المحصن و وجوب القود. و يحتمل أن يكون المراد بذلك فيها حكم اللَّه عندهم، لأنهم لا يقرون بأنها مغيرة بل يدعون أنها هى التى أنزلت على موسى (ع) بعينها.
و الحكم هو فصل الأمر على وجه الحكمة فيما يفصل به، و قد يفصل بالبيان أنه الحق و قد يفصل بالزام الحق و الأخذ به كما يفصل الحكام بين الخصوم بما يقطع الخصومة و تثبت القضية. و قوله: «ثم يتولون» فالتولى هو الانصراف عن الشىء و التولى عن الحق: الترك له. و هو خلاف التولى اليه، لأن الإقبال عليه و التولى له فاللَّه صرف النصرة و المعونة اليه و منه تولى اللَّه للمؤمنين.
و قوله: «مِنْ بَعْدِ ذلِكَ» قال عبد اللَّه بن كثير: إشارة الى حكم اللَّه فى التوراة. و قال قوم هو إشارة الى تحكيمك، لأنهم ليسوا منه على ثقة، و إنما طلبوا به الرخصة. و قوله: «وَ ما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- و ما هم بالمؤمنين بحكمك أنه من عند اللَّه مع جحدهم نبوتك و

العدول عما يعتقدونه حكماً للّه فيه لا على من يقرون بنبوته، فبين أن حالهم ينافى حال المؤمن به. و الثانى- قال أبو على أن من طلب غير حكم اللّه من حيث لم يرض به فهو كافر باللّه و هكذا هؤلاء اليهود.

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَ الرَّبَّانِيُّونَ وَ الْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ وَ كانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوْنِ وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ (44)

آية عند الجميع.

قرأ «اخشونى» بياء فى الوصل أهل البصرة و أبو جعفر، و إسماعيل، و يقف يعقوب بالياء.

أخبر اللَّه تعالى أنه الذى أنزل التوراة فيها هدى أى بيان أن أمر النبى حق و أنَّ ما سألوک عنه فى حكم الزانيين حق، و القود حق «و نور» يعنى فيها جلاء ما أظلم عليهم و ضياء ما التبس عليهم «يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا» يعنى يحكم بالتوراة النبيون الذين أذعنوا بحكم اللَّه و أقرَّوا به.

و قال الحسن و قتادة و عكرمة و الزهرى و السدى: إن النبى (ص) داخل فى ذلک، بل قال أكثرهم: هو المعنى بذلک لما حكم فى رجم المحصن، و لا يدل ذلک على أنه كان متعبداً بشرع موسى (ع) لأن اللَّه تعالى هو الذى أوجب عليه بوحى أنزل عليه لا بالرجوع الى التوراة فصار ذلک شرعاً له و إن وافق ما فى التوراة و إنما نبه اليهود بذلک على صحة نبوته من حيث علم ما هو من غامض علم التوراة و مما قد التبس على كثير منهم و هو قد عرف ذلک من غير قراءة كتبهم، و الرجوع الى علمائهم، فلم يكن ذلک إلا باعلام اللَّه له ذلک و ذلک من دلائل صدقه (صلى اللَّه عليه و آله). التبيان

و قوله: «لِلَّذِينَ هادُوا» العامل فى (الذين) أحد شيئين:

أحدهما (يحكم) فى قول الزجاج و أبى على و جماعة من أهل التأويل.

و الثانى- قال قوم العامل (أنزلنا) كأنه قال أنزلناها للذين هادوا.

و الربانيون. قد فسرناه فيما مضى «1» و هو جمع ربانى و هم العلماء البصراء بسياسة الناس و تدبير أمورهم، قال السدى: عنا به ابن صوريا.

و قال الباقون- و هو الأولى- إنه على الجمع، و الإجبار جمع جبر، و هو العالم مشتق من التجبير و هو التحسين فالعالم يحسن الحسن و يقبح القبيح، و قال الفراء، أكثر ما سمعت فيه حبر بالكسر. و قوله «بِمَا اسْتُحْفِظُوا» معناه بما استودعوا. و العامل فى الباء أحد سببين:

أحدهما-: «الأحبار» كأنه قال العلماء بما استحفظوا.

و الثانى- (يحكم) بما استحفظوا.

و قوله: «وَ كانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس شهداء على حكم النبى (ص) فى التوراة.
الثانى- شهداء على ذلک الحكم أنه الحق من عند اللّه.
و قوله: «فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوْنِ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- لا تخشوهم يا علماء اليهود فى كتمان ما أنزلت ذهب اليه السدى.
الثانى- لا تخشوهم فى الحكم بغير ما أنزلت بل اخشونى فان النفع و الضر بيدى «وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِى ثَمَناً قَلِيلًا» معناه لا تأخذوا بترک الحكم الذى أنزلته على موسى (ع) أيها الأحبار خسيساً. و هو الثمن القليل. و إنما

---

(1) فى تفسير آية 79 من سورة آل عمران المجلد الثانى ص 110- 111.

نهاهم عن أكل السحت على تحريفهم كتاب اللّه و تغييرهم حكمه، و هو قول ابن زيد و السدى.
و قوله: «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِکَ هُمُ الْكافِرُونَ» معناه من كتم حكم اللّه الذى أنزله فى كتابه و جعله حكماً بين عباده، فأخفاه و حكم بغيره: من رجم المحصن و القود «فَأُولئِکَ هُمُ الْكافِرُونَ» .
و اختلفوا هل الآية على عمومها أم لا؟ فقال ابن مسعود و الحسن و ابراهيم هى على عمومها. و قال ابن عباس: هى فى الجاحد لحكم اللّه.
و قيل فى اليهود خاصة فى قول الجبائى، لأنه قال لا حجة للخوارج فيها من حيث هى خاصة فى اليهود. و قال البلخى يجوز أن تكون (من) بمعنى (الذى) و تكون للعهد، و هو من تقدم ذكره من اليهود. و يحتمل أن يكون خرج مخرج الشتم لا على وجه المجازاة كما يقول القائل: من فعل كذا فهو الذى لا حسب له و لا أصل، و لا يريد أنه استحق الذَّناءة بالفعل الذى ذكروا أنه إنما كان غير حسيب من أجل فعله و إنما يريدون الشتم و إن كان قد يفعل ذلک لعارض الحسيب العظيم الهمة. و اختار الرمانى قول ابن مسعود غير أنه قال الحكم هو فصل الأمر على وجه الحكمة عند الحاكم بخلاف ما أنزل اللّه، لأنه بمنزلة من قال الحكمة خلاف ما أنزل اللّه. و الأولى أن تقول هى عامة فيمن حكم بغير ما أنزل اللّه مستحلا لذلک، فانه يكون كافراً بذلک- بلا خلاف- و متى لم يكن كذلک فالآية خاصة على ما قاله ابن عباس فى الجاحدين أو ما قاله أبو على فى اليهود.
و روى البراء بن عازب عن النبى (ص) أن هذه الآيات الثلاث: «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِکَ هُمُ الْكافِرُونَ. وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ

فَأُولئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ
. وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ» فى الكفار خاصة ، و به قال ابن مسعود و أبو صالح. و قال ليس فى أهل الإسلام منها شىء و به قال الضحاک و أبو مجلز و عكرمة و قتادة. و قال الشعبى: نزلت

«الكافرون» فى المسلمين «و الظالمون» فى اليهود «و الفاسقون» فى النصارى و قال عطا و طاوس أراد به كفراً دون كفر، و ظلماً دون ظلم، و فسقاً دون فسق. و رووه عن ابن عباس. و قال ابراهيم هى عامة فى بنى إسرائيل و غيرهم من المسلمين، و به قال الحسن: و قد بينا الأقوى من هذه الأقاويل.

وَ كَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45)

آية بلا خلاف.

قرأ الكسائى

«و العين بالعين و الأنف بالأنف و الاذن بالاذن و السن بالسن» بالرفع فيهن.

و روى ذلک عن النبى (ص) و أنه كان يقرأ به.

و قرأ نافع «الاذن» بسكون الذال حيث وقع. و قرأ نافع و عاصم و حمزة و خلف و يعقوب «و الجروح قصاص» بالنصب.

قوله «وَ كَتَبْنا» أى فرضنا عليهم يعنى اليهود الذين تقدم ذكرهم «فيها» يعنى فى التوراة «أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» و معناه إذا قتلت نفس نفساً أخرى متعمداً أنه يستحق عليها القود إذا كان القاتل عاقلًا مميزاً، و كان التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 536

المقتول مكافياً للقاتل. أما بأن يكونا مسلمين حرين أو كافرين أو مملوكين، فأما أن يكون القاتل حراً مسلما و المقتول كافراً أو مملوكاً فان عندنا لا يقتل.

و فيه خلاف بين الفقهاء. و إن كان القاتل مملوكاً أو كافراً أو المقتول مثله أو فوقه فانه يقتل به- بلا خلاف-.

و قوله: «وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصاصٌ» من نصب جميع ذلک عطفه على المنصوب بواو الاشتراک ثم استأنف، فقال و الجروح قصاص. و من نصب الجروح عطفها على ما قبلها من المنصوبات. و من لم ينصب غير النفس فعلى أن ذلک هو المكتوب عليهم.

ثم ابتدأ ما بعده بياناً مبتدأ. و يحتمل أن يكون الواو عاطفة جملة على جملة و لا يكون الاشتراک فيمن نصب. و يحتمل أن يكون حمل على المعنى، لأن التقدير قلنا لهم «أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» فحمل «الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ» على المعنى دون اللفظ. و يحتمل أن يكون عطف على الذكر المرفوع فى الظرف الذى هو الخبر، و إن لم يؤكد المعطوف عليه بضمير منفصل، كما قال «لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا» «1» فلم يؤكد كما أكد فى قوله: «يَراكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ» «2» ذكر الوجوه الثلاثة الزجاج، و أبو على الفارسى و من نصب الجميع جعل الكل فيما كتب عليهم.

هذا و إن كان إخبار من اللّه أنه ما كتب عليهم فى التوراة فانه لا خلاف أن ذلک ثابت فى هذا الشرع و يراعى فى قصاص الأعضاء ما يراعى فى

قصاص النفس من التكافؤ. و متى لم يكونا متكافئين، فلا قصاص على الترتيب

---

(1) سورة 6 الأنعام آية 148.
(2) سورة 7 الأعراف آية 26.

الذى رتبناه فى النفس سواء. و فيه أيضاً خلاف، و يراعى فى الأعضاء التساوى أيضاً، فلا تقلع العين اليمنى باليسرى، و لا تقطع اليمين باليسار. و تقطع الناقصة بالكاملة. فمن قطع يمين غيره و كانت يمين القاطع شللًا. قال أبو على: يقال له إن شئت قطعت يمينه الشلاء أو تأخذ دية يدك. و قد ورد فى أخبارنا أن يساره تقطع إذا لم يكن للقاطع يمين، فأما عين الأعور، فإنها تقلع بالعين التى قلعها سواء كانت المقلوعة عوراء أو لم تكن. و ان قلعت العين العوراء كان فيها كما الدية إذا كانت خلقة أو ذهبت بآفة من اللّه أو يقلع احدى عينى القالع و يلزمه مع ذلك نصف الدية. و فى ذلك خلاف ذكرناه فى الخلاف.

و أما الجروح، فانه يقتص منها إذا كان الجارح مكافياً للمجروح على ما بيناه فى النفس، و تقتص بمثل جراحته الموضحة بالموضحة و الهاشمة بالهاشمة و المنقلة بالمنقلة «1» و لا قصاص فى المأمومة و هى التى ام الرأس و لا الجايفة، و هى التى تبلغ الجوف، لأن فى القصاص منها تعزيراً بالنفس. و لا ينبغى أن يقتص من الجراح إلا بعد أن تندمل من المجروح، فإذا اندمل اقتص حينئذ

---

(1) الموضحة هى الجراح التى بلغة العظم فأوضحت عنه.
(الهاشمة) قيل: شجة تهشم العظم. و قيل: هى التى هشمت العظم و لم يتباين فراشه. و قيل هى التى هشمت العظم فنقش و اخرج، فتباين فراشه. و (المنقلة)- بكسر القاف و تشديده- هى التى تنقل العظم أى تكسره حتى يخرج منها فراش العظم و هى قشور تكون على العظم دون اللحم. و فيها أقوال أخر و روايات فى الشرع من شاء فليراجع كتب الفقه الاستدلالية.

من الجارح. و إن سرت الى النفس كان فيها القود. و كسر العظم لا قصاص فيه، و إنما فيه الدية. و كل جارحة كانت ناقصة فإذا قطعت كان فيها حكومة.

و لا يقتص لها الجارحة الكاملة كيد شلاء و عين لا تبصر و سن سوداء متأكلة «1»، فان جميع ذلك حكومة لا تبلغ دية تلك الجارحة. و قد روى أن فى هذه الأشياء مقدوراً و هو ثلث دية العضو الصحيح. و تفصيل أحكام الجنايات و

الديات استوفيناه فى النهاية و المبسوط فى الفقه لا نطول بذكره هاهنا.
و قوله: «فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ» الهاء فى «كَفَّارَةٌ لَهُ» يحتمل عودها الى أحد أمرين:
أحدهما- و هو الأقوى- ما قاله عبد اللَّه بن عمر و الحسن و قتادة و ابن زيد و ابراهيم- على خلاف عنه- و الشعبى بخلاف عنه: إنها عائدة على المتصدق من المجروح أو ولى المقتول، لأنه إذا تصدق بذلک على الجارح لوجه اللّه كفَّر عنه بذلک عقوبة ما مضى من معاصيه.
الثانى- على المتصدق عليه لأنه يقوم مقام أخذ الحق عنه ذهب اليه ابن عباس و مجاهد، و إنما رجحنا الأول، لأن العائد يجب أن يرجع الى مذكور، و هو من تصدق، و المتصدق عليه لم يجر له ذكر، و معنى «من تصدق» به عفا عن الحق و اسقط.
فان قيل: هل يكفر الذنب إلا التوبة أو اجتناب الكبيرة؟
قلنا: على مذهبنا يجوز أن يكفر الذنب شىء من أفعال الخير، و يجوز أن يتفضل اللّه بإسقاط عقابها. و قال قوم: يجوز أن يكفر بالطاعة الصغيرة

---

(1) (المتأكلة) هى السن المحتكة اما من الكبر أو من عاهة فيها و هى أيضاً السن التى قد ذهب منها شىء و بقى منها بقية. [.....]

حتى يسقط بها.
و قوله «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ» قد بينا أن فى الناس من قال ذلک يختص باليهود الذين لم يحكموا بما أنزل اللّه فى التوراة من القود و الرجم. و يمكن أن يحمل على عمومه فى كل من لم يحكم بما أنزل اللَّه و حكم بخلافه بأنه يكون ظالماً لنفسه بارتكاب المعصية الموجبة للعقاب.
و هذا الوجه يوجب أن ما تقدم ذكره من الأحكام يجب العمل به فى هذا الشرع و إن كان مكتوباً فى التوراة.

وَ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَ نُورٌ وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46)

آية عند الجميع.

قوله: (و قفينا) معناه أتبعنا يقال: قفاه يقفوه و قفواً و منه قافية الشعر لأنها تتبع الوزن و منه القفا، و يثنى قفوان، و استقفاه إذا قفا أثره ليسلبه.

و القفى الضيف، لأنه يقفى بالبر و اللطف. و قوله «على آثارهم» فالآثار جمع أثر و هو العمل الذى يظهر للحس، و آثار القوم ما أبقوا من أعمالهم، و منه المأثرة، و هى المكرمة التى يأثرها الخلف عن السلف، لأنها عمل يظهر نصاً المنفس، و الأثير الكريم على القوم لأنهم يؤثرونه بالبر، و منه الإيثار بالاختيار، لأنه اظهار أحد العملين على الآخر و استأثر فلان بالشىء إذا

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 540

اختاره لنفسه. و الهاء و الميم فى قوله: «آثارهم» قيل فيمن يرجع اليه قولان:

أحدهما- اختاره البلخى و الرمانى: انهما يرجعان الى النبيين الذين أسلموا، و قد تقدم ذكرهم. و قال أبو على يعودان على الذين فرض عليهم الحكم الذى مضى ذكره، لأنه أقرب. و الأول أحسن فى المعنى. و هذا أجود فى العربية.

و قوله: «بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ» نصب مصدقاً على الحال. و المعنى أنه يصدق على ما مضى من التوراة الذى أنزلها اللّه على موسى و يؤمن بها. و إنما قال لما مضى قبله بين يديه لأنه إذا كان ما يأتى بعده خلفه، فالذى مضى قبله قدامه و بين يديه.

و قوله (وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ) يعنى عيسى أنزلنا عليه الإنجيل «فيه» يعنى فى الإنجيل «هدى» يعنى بيان، و حجة «و نور» سماه نوراً لما فيه من الاهتداء به كما يهتدى بالنور و «هدىً» رفع بالابتداء «و فيه» خبره قدّم عليه. و «نور» عطف عليه و «مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ» نصب على الحال و ليس ذلک بتكرير لأن الأول حال لعيسى (ع) و أنه يدعوا الى التصديق بالتوراة. و الثانى- أن فى الإنجيل ذكر التصديق بالتوراة و هما مختلفان و «هدى» فى موضع نصبٍ بالعطف على «مصدقاً» .

و (موعظة) عطف على «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» . و إنما اضافه الى المتقين، لأنهم المنتفعون بها. و قد مضى مثل ذلک فيما مضى. و المتقون هم الذين يتقون معاصى اللّه و ترک واجباته خوفاً من عقابه و الوعظ و الموعظة هو الزجر

عما كرهه اللّه الى ما يحبه اللّه و التنبيه عليه.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 541

وَ لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (47)
آية.
قرأ حمزة (و ليحكم) بكسر اللام، و نصب الميم. الباقون بجزم الميم و سكون اللام على الأمر.
حجة حمزة أنه جعل اللام متعلقة بقوله «وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ» لأن إيتاءه الإنجيل انزال ذلک عليه، فصار كقوله «إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ» «1» و حجة من جزم الميم انه جعله أمراً بدلالة قوله: «وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ» فكما أمر النبى (ص) بالحكم بما أنزل عليه كذلک أمر عيسى (ع) بالحكم بما أنزل اللّه فى الإنجيل. و فى معنى الأمر قولان:
أحدهما- و قلنا: «لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ» فيكون على حكاية ما فرض عليهم و حذف القول لدلالة ما قبله فى قوله و قفينا، و آتينا كما قال: «وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ» «2» أى يقولون سلام عليكم.
الثانى- أنه استأنف الأمر لأهل الإنجيل على غير حكاية، لأن أحكامه كانت حينئذ موافقة لأحكام القرآن. و لم تنسخ بعد- هذا قول أبى على- و الأول أقوى- و هو اختيار الرمانى.
و قوله: «بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ» يعنى الإنجيل، و هو يذكر و يؤنث،

---

(1) سورة 4 النساء آية 104.
(2) سورة 13 الرعد آية 25.

و الإنجيل إفعيل من النجل و هو الأصل، و النجل النزّ من الماء. و النجل الولد. و النجل القطع. و منه سمى المنجل. و قرأ الحسن (أنجيل) بفتح الهمزة و هو شاذ و هو ضعيف. لأنه ليس فى كلام العرب شىء على وزن (أفعيل) و إنما جزمت لام الامر و نصبت لام كى، لأن لام الأمر توجب معنى لا يكون للاسم فأوجبت إعراباً لا يكون للاسم و لام كى يقدر بعدها (أن) بمعنى الاسم. و قوله: «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ» قيل فيه قولان:
أحدهما- قال أبو على ان (من) بمعنى الذى و هو خبر عن قوم معرفين، و هم اليهود الذين تقدم ذكرهم.
و الثانى- قال غيره ان ذلک خرج مخرج المجاراة و المعنى أن من لم يحكم بما أنزل اللّه من المكلفين فهو فاسق، لأن اطلاق الصفة يدل على أنه ذهب الى ان الحكمة فى خلاف ما أمر اللّه به فلهذا كان كافراً.

و قال ابن زيد: الفاسقون- هاهنا- و فى أكثر القرآن بمعنى الكاذبين كقوله «إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ» «1» يعنى كاذب.

وَ أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْکِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْکُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَکَ مِنَ الْحَقِّ لِکُلٍّ جَعَلْنا مِنْکُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَکُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لکِنْ لِيَبْلُوَکُمْ فِی ما آتاکُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَی اللَّهِ مَرْجِعُکُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48)

---

(1) سورة 49 الحجرات آية 6.

آية بلا خلاف.

هذا خطاب النبی (ص) بأنه تعالی أنزل إليه الکتاب يعنی القرآن «بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً» نصب علی الحال يصدق ما بين يديه من الکتاب يعنی التوراة و الإنجيل و ما فيهما من توحيد اللّه و عدله و الدلالة علی نبوته (ع) و الحکم بالرجم و القود علی ما تقدم ذکره. و فيه دلالة علی أن ما حکا اللّه أنه کتبه عليهم فی التوراة حکم بأنه يلزمنا العمل به، لأنه جعل القرآن مصدقاً لذلک و مهيمناً عليه.

و قيل فی معنی (المهيمن) خمسة أقوال: أحدهما- قال ابن عباس و الحسن و قتادة، و مجاهد: معناه أمين عليه و شاهد. و قال قوم: مؤتمن.

و قال آخرون: شاهد. و قال آخرون: حفيظ. و قال بعضهم: رقيب.

و الأصل فيه (مؤيمن) فقبلت الهمزة هاء، کما قيل فی أرقت الماء: هرقت.

هذا قول أبی العباس و الزجاج و قد صُرف، فقيل (هيمن) الرجل إذا ارتقب، و حفظ و شهد، يهيمن هيمنة فهو مهيمن. و قال بعضهم مهيماً- بفتح الميم الثانية- و هو شاذ. و فی معنی المهيمن هاهنا قولان:

قال ابن عباس، و الحسن و أکثر المفسرين: إنه صفة للکتاب.

الثانی- قال مجاهد هو صفة النبی (ص) و الأول أقوی، لأجل حرف العطف، لأنه قال: «وَ أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْکِتابِ» ثم قال: «و مهيمناً» و لا يجوز أن يعطف علی حال لغير الأول. لا تقول ضربت هند زيداً قاعداً و قائمة، و لو قلت قائمة بلا واو لکان جائزاً. و يجوز التبيان

أن يکون عطفاً علی مصدقا و يکون مصدقاً حالًا للنبی (ص) و الأول أظهر.

و قوله «فَاحْکُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ» قال ابن عباس، و الحسن، و مسروق: يدل علی أن أهل الکتاب إذا ترافعوا الی احکام يجب أن يحکموا بينهم بحکم القرآن و شريعة الإسلام، لأنه أمر من اللّه تعالی بالحکم بينهم و الأمر يقتضی الإيجاب. و قال أبو علی ذلک نسخ بالتخيير فی الحکم بين أهل

الكتاب و الاعراض عنهم و الترک. و قوله: «وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ» نهى له (ص) عن اتباع أهوائهم فى الحكم، و لا يدل ذلک على أنه كان اتبع أهواءهم، لأنه مثل قوله «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ» «1» و لا يدل ذلک على أن الشرک كان وقع منه. و قوله «عَمَّا جاءَکَ مِنَ الْحَقِّ» أى لا تتبع أهواءهم عادلًا عما جاءک من الحق.
و قوله «لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً» فالشرعة و الشريعة واحد و هى الطريقة الظاهرة. و الشريعة هى الطريق الذى يوصل منه الى الماء الذى فيه الحياة فقيل الشريعة فى الدين أى الطريق الذى يوصل منه الى الحياة فى النعيم، و هى الأمور التى تعبد اللّه- عز و جل- بها من جهة السمع قال الشاعر:
أ تنسوننى يوم الشريعة و القنا بصفين فى لباتكم قد تكسرا
يريد شريعة الفرات و الأصل فيه الظهور أشرعت القنا إذا أظهرته.
و شرعت فى الأمر شروعاً إذا دخلت فيه دخولًا ظاهراً، و القوم فى الأمر شرع سواء أى متساوون. و المنهاج الطريق المستمر يقال: طريق نهج و منهج أى بين قال الراجز:

---

(1) سورة 39 الزمر آية 65.

من يک ذا شک فهذا فلج ماء رواء و طريق نهج «1»
و قال المبرد: الشرعة ابتداء الطريق، و المنهاج الطريق المستمر قال:
و هذه الألفاظ إذا تكررت فلزيادة فائدة منه. و منه قول الحطيئة:
ألا حبذا هند و أرض هند و هند أتى من دونها النأى و البعد «2»
قال فالنأى لما قل بعده و البعد لما كثر بعده فالنأى للمفارقة، و قد جاء بمعنى واحد. قال الشاعر:
حييت من طلل تقادم عهده أقوى و أقفر بعد أم الهيثم
و أقفر و أقوى معناهما خلا و قال ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة و الضحاک «شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً» أى سنة و سبيلا و الشرعة التى جعلت «لكل» قيل فيه قولان: أحدهما- قال مجاهد شريعة القرآن لجميع الناس لو آمنوا به. الثانى- قال قتادة و غيره و اختاره الجبائى أنه شريعة التوراة و شريعة الإنجيل و شريعة القرآن.
و قوله «منكم» قيل فى المعنى به قولان:
أحدهما أمة نبينا و أمم الأنبياء قبله على تغليب المخاطب على الغائب.
الثانى- أنه أراد أمة نبينا وحده، و هو قول مجاهد. و الاول أقوى لأنه تعالى بين أنه جعل لكل شرعة و منهاجاً غير شرعة صاحبه و يقوى ذلک قوله «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً» و لو كان الأمر على ما قال مجاهد لما كان لذلک معنى، لأنه تعالى قد جعلهم أمة واحدة بأن أمرهم بالدخول

(1) مجاز القرآن لابى عبيدة 1: 168 و اللسان (روى). و قد رواه الطبرى (من يک فى شک).
(2) اللسان «نأى» .
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 546
فيها و الانقياد لها. و قوله «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً» قيل فى معناه أقوال:
أحدها قال الحسن و الجبائى انه اخبار عن القدرة كما قال «وَ لَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها» «1» .
الثانى قال البلخى معناه لو شاء اللَّه لفعل ما يختارون عنده الكفر، لكنه لا يفعله، لأنه مناف للحكمة و لا يلزم على ذلک أن يكون فى مقدوره ما يؤمنون عنده فلا يفعله، لأن ذلک لو كان مقدوراً لوجب أن يفعله ما لم يناف التكليف.
الثالث قال قوم: لو شاء اللَّه لجمعهم على ملة واحدة فى دعوة جميع الأنبياء و الأول أصح لأن دعوة الأنبياء تابعة للمصالح، فلا يمكن جمع الناس على شريعة واحدة مع اختلاف المصالح.
الرابع قال الحسين بن على المغربى: معناه لو شاء اللَّه ألا يبعث اليهم نبياً، فيكونون متعبدين بما فى العقل و يكونون أمة واحدة. و أقوى الوجوه أولها.
و قوله «وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِى ما آتاكُمْ» معناه ليختبركم بما كلفكم من العبادات و هو عالم بما يؤل اليه أمركم، لأنه عالم لنفسه و قد فسرنا معنى البلوى فيما مضىء. «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- بادروا فوت الحظ بالتقدم فى الخير.
الثانى- بادروا الفوت بالموت ذكره الجبائى.

(1) سورة 32 حم السجدة آية 13.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 547
و قوله «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» أى الى اللَّه مرجعكم يعنى الى الموضع الذى لا يملک أحد فيه لكم ضراً و لا نفعاً غيره فجعل رجوعهم الى هذا الحد بالموت رجوعاً اليه تعالى و بين أنه يعلمهم ما كانوا يختلفون فيه فى الدنيا من أمر دينهم و أنه يحكم فى ذلک بينهم بالحق.

وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَ احْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ (49)

آية بلا خلاف.

موضع «أن احكم» نصب و العامل فيها و أنزلنا و التقدير و أنزلنا اليک أن احكم بينهم بما انزل اللّه. و يجوز أن يكون موضعها رفعاً و تقديره و من الواجب أن احكم بينهم بما أنزل اللّه. و وصلت أن بالأمر و لا يجوز صلة الذى بالأمر لأن (الذى) اسم ناقص مفتقر الى صلة فى البيان عنه فتجرى مجرى صفة النكرة و لذلک لا بد لها من عائد يعود اليها و ليس كذلک «ان» لأنها حرف، و هى مع ما بعدها بمنزلة شىء واحد فلما كان فى فعل الأمر معنى المصدر جاز وصل الحرف به على معنى مصدره.

و انما كرر الأمر بالحكم بينهم، لامرين:

أحدهما-

أنهما حكمان أمر بهما جميعاً لأنهم احتكموا اليه فى زناء المحصن ثم احتكموا اليه فى قتيل كان منهم ذكره أبو على و هو المروى عن التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 548

أبى جعفر (ع).

الثانى- ان الأمر الاول مطلق و الثانى دل على أنه منزل.

و قوله «وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ» نهى له (ص) أن يتبع أهواءهم فيحكم بما يهوونه.

و قوله «وَ احْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ» فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس احذرهم ان يضلوک عن ذلک الى ما يهوون من الأحكام اطماعاً منهم فى الاستجابة الى الإسلام.

الثانى- قال ابن زيد احذرهم ان يضلوک بالكذب عن التوراة بما ليس فيها فانى قد بينت لک حكمها. و قال الشعبى الآية و ان خرجت مخرج الكلام على اليهود فان المجوس داخلون فيها.

و قوله «فَإِنْ تَوَلَّوْا» معناه فان أعرضوا عن حكمک بما أنزل اللّه «فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ» قيل فى معناه أربعة أقوال:

أحدهما- قال الجبائى انه و ان ذكر لفظ الخصوص فان المراد به العموم كما قد يذكر العموم و يراد به الخصوص.

الثانى- انه على تغليظ العقاب أى يكفى أن يؤخذوا ببغض ذنوبهم فى إهلاكهم و التدمير عليهم.

الثالث ان يعجل بعض العقاب بما كان من التمرد فى الاجرام لان ذلک من حکم اللّه فى العباد.
الرابع- قال الحسن: ان المراد به اجلاء بنى النضير بنقض العهد و قتل بنى قريظة و قوله «وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ» معناه تسلية للنبى (ص) عن اتباع هؤلاء القوم الى اجابته و الإقرار بنبوته بأن قليلا من الناس الذين

يؤمنون، و ان الأكثر هم الفاسقون، فلا ينبغى ان يعظم ذلک عليک.

أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)
آية بلا خلاف.
قرأ (تبغون) بالتاء ابن عامر وحده الباقون بالياء. من قرأ بالتاء فعلى معنى قل لهم، و من قرأ بالياء، فلأن ما قبله على لفظ الغيبة و هو قوله «وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ» فحملوا عليه. و الكناية فى قوله «أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ» قيل فيها قولان:
أحدهما- إنها كناية عن اليهود فى قول مجاهد، و أبو على قال أبو على لأنهم كانوا إذا وجب الحكم على ضعفائهم ألزموهم إياه. و إذا وجب على أقويائهم بالغنى و الشرف فى الدنيا لم يأخذوهم به، فقيل لهم «أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ» يعنى عبدة الأوثان «تبغون» و أنتم أهل كتاب.
الثانى- انها كناية عن كل من طلب غير حكم اللَّه أى انما خرج منه الى حكم الجاهلية. و كفى بذلك خزياً أن يحكم بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم.
و نصب «أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ» و هو مفعول به و معنى تبغون تطلبون يقال بغى يبغى بغياً إذا طلبه و البغاة هم الذين يطلبون التآمر على الناس و الترأس بغير حق و البغى الفاجرة لأنها تطلب الفاحشة، و منه قوله «وَ مَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ» «1» أى من طلب عليه الاستعلاء

---

(1) سورة الحج آية 60.

بالظلم. و قوله «وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً» نصب على التمييز أى فصلا بين الحق و الباطل من غير محاباة، و لا مقاربة لأنه لا يجوز للحاكم أن يحابى فى الحكم بأن يعمل على ما يهواه بدلا مما يوجبه العدل و قد يكون حكم أحسن من حكم بأن يكون أولى منه و أفضل منه و كذلك لو حكم بحق يوافق هواه كان ما يخالف هواه أحسن مما يوافقه و قوله «لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» معناه عند قوم يوقنون باللَّه و بحكمه فأقيمت اللام مقام (عند) هذا قول أبى على، و هذا جائز إذا تقاربت المعانى و لم يقع اللبس لأن حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51)

قوله «بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» إخبار منه تعالى ان الكفار يوالي بعضهم بعضاً و قوله «وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ» يعنى من استنصرهم و اتخذهم أنصاراً فانه منهم أى محكوم له بحكمهم فى وجوب لعنه و البراءة منه و يحكم بأنه من أهل النار. و قوله «إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» معناه لا يهديهم الى طريق الجنة لكفرهم، و استحقاقهم العذاب الدائم بل يضلهم عنها الى طريق النار، هذا قول أبى على. و قال غيره: معناه لا يحكم لهم بحكم المؤمنين فى المدح و الثناء و النصرة على الأعداء.

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ (52)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب للنبى (ص) أعلمه اللَّه أنه يرى الذين فى قلوبهم مرض أى شك و نفاق «يقولون» فى موضع الحال، و تقديره قائلين نخشى أن تصيبنا دائرة. و الذين يخشون أن تصيبهم دائرة قيل فيه قولان:

أحدهما- قال مجاهد و قتادة و السدى و أبو على الجبائى: إنهم قوم من المنافقين.

و قال عطية بن سعد و عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت: إنه عبد اللَّه ابن أبى بن سلول.

و «الدائرة» الدولة التى تحول الى من كانت له عمن هى فى يديه، قال الشاعر:

ترد عنک القدر المقدورا و دائرة الدهر أن تدورا»

يعنى دول الدهر الدائرة من قوم الى قوم.

و قوله «فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ» عسى موضوعة فى اللغة للشک و هى من اللَّه تعالى تفيد الوجوب، لأن الكريم إذا أطلع فى خير يفعله، فهو بمنزلة

---

(1) مجاز القرآن ا: 169 و تفسير الطبرى 10: 404.

الوعد به فى تعلق النفس به و إرجائها له، و لذلک حق لا يضيع و منزلة لا تخيب.

و الفتح القضاء و الفصل- و هو قول قتادة- و منه قوله «افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ» «1» و قال أبو على هو فتح بلاد المشركين على المسلمين و قال السدى: هو فتح مكة و يقال للحاكم الفتاح، لأنه يفتح الحكم و يفصل به الأمر. و قوله «أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

قال السدى: هو تجديد أمر فيه إذلال المشركين و عز للمؤمنين، و قيل هو الجزية.

و قيل: هو اظهار نفاق المنافقين مع الأمر بقتلهم فى قول الحسن و الزجاج.

و قال أبو على: هو أمر دون الفتح الأعظم أو موت هذا المنافق، لأنه إذا أتى اللَّه المؤمنين ذلک ندم المنافقون و الكفار على تقويتهم بأنفسهم ذلک، و

كذلک إذا ماتوا أو تحققوا ما يصيرون اليه من العقاب ندموا على ما فعلوه فى الدنيا من الكفر و النفاق.

وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خاسِرِينَ (53)
آية قرأ ابن كثير، و عامر، و نافع «يقول» بلا واو. الباقون بالواو، و كلهم قرأ بضم اللام إلا أبا عمرو، فانه فتحها. من نصب اللام فالمعنى عسى

---

(1) سورة 7 الأعراف آية 88.

أن يقول، و من رفعه فعلى الاستئناف.
فان قيل كيف يجوز النصب و لا يجوز أن يقول الذين آمنوا؟
قيل: قال أبو على الفارسى يحتمل ذلک أمرين غير هذا:
أحدهما- أن يحمل على المعنى، لأنه إذا قال عسى اللَّه أن يأتى بالفتح و كأنه قال عسى أن يأتى اللَّه بالفتح، «وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا» كما قال «فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ» كأنه قال: أصدق و أكن، و قد جاء مثله نحو قوله «وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ» «1» و قال «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا» «2».
و وجه آخر و هو: أن يبدل (أن يأتى) من اسم اللَّه اسم كما أبدلت (أن) من الضمير الذى فى قوله «وَ ما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ» «3» فإذا أبدلته فكأنک قلت عسى أن يأتى اللَّه بالفتح، و يقول الذين آمنوا. و أما من رفع فلانه عطف جملة على جملة، و لم يجعلها عاطفة على مفرد. و يقوى الرفع قراءة من قرأ بلا واو و أما إسقاط الواو و إثباتها فجميعاً حسنان: أما الحذف فلان فى الجملة المعطوفة ذكراً فى المعطوف عليها و ذلک أن من وصف بقوله «يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ» الى قوله «نادمين» هم الذين قال فيهم «أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ» فلما صار فى كل واحدة من الجملتين ذكر فيما تقدم من الأخرى حسن عطفها بالواو و بغير الواو، كما أن قوله

---

(1) سورة 2 البقرة آية 216.
(2) سورة 4 النساء آية 83.
(3) سورة 18 الكهف آية 64.

«سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ» «1» لما كان فى كل واحدة من الجملتين ذكر ما تقدم اكتفى بذلک عن الواو. و يدل على حسن اثبات الواو قوله «وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ».

و قوله «وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا» أى الذين صدقوا باللّه و رسوله ظاهراً و باطناً تعجباً من نفاق المنافقين «أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ» فى معاونتكم على أعدائكم و نصرتكم «حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ» أى ضاعت أعمالهم التى عملوها، لأنهم أوقعوها على خلاف الوجه المأمور به، لأن ما فعلوه فعلوه على وجه النفاق دون التقرب به الى اللّه. و قوله «فَأَصْبَحُوا خاسِرِينَ» ليس المراد به معنى الصباح، و إنما معناه صاروا خاسرين، و مثل ذلک قولهم: ظل فلان بفعل كذا، و بات يفعل كذا، و ليس بمراد وقت بعينه، و إنما وصفهم بالخسران، لأنهم فوتوا نفوسهم الثواب و استحقوا عوضاً منه العقاب فأى خسران أعظم من ذلک.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (54)
آية قرأ نافع و أهل المدينة «يرتدد» بدالين، و به قرأ ابن عامر، و كذلك

---

(1) سورة الكهف آية 22. [.....]

هو فى مصاحفهم. الباقون بدال واحدة مشددة، و كذلك هو فى مصاحفهم.
من أظهر و لم يدغم قال: لأن الحرف المدغم لا يكون إلا ساكناً و لا يمكن الإدغام فى الحرف الذى يدغم حتى يسكن، لان اللسان يرتفع عن المدغم و المدغم فيه ارتفاعة واحدة، فإذا لم يسكن لم يرتفع اللسان ارتفاعة واحدة، و إذا لم يرتفع كذلك لم يمكن الإدغام، فإذا كان كذلك لم يسغ الإدغام فى الساكن لأن المدغم إذا كان ساكناً و المدغم فيه كذلك التقى ساكنا، و التقاء الساكنين فى الوصل فى هذا النحو ليس من كلامهم فأظهر الحرف الاول فى حركة و أسكن الثانى من المثلين، و هذه لغة أهل الحجاز، فلم يلتق الساكنان.
و حجة من أدغم أنه لما اسكن الحرف الاول من المثلين للادغام لم يمكنه أن يدغمه فى الثانى و الثانى ساكن فحرك المدغم فيه لالتقاء الساكنين و هذه لغة بنى تميم. و فى القرآن نظيره قال اللّه تعالى: «وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ» «1» و قال: مَنْ يُشاقِقِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» «2» .
و اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على أربعة أقول:
فقال الحسن و قتادة و الضحاك و ابن جريج إنها نزلت فى أبى بكر.
الثانى- قال السدى: نزلت فى الأنصار.
الثالث- قال مجاهد:
نزلت فى أهل اليمن، و روى ذلك عن النبى (ص)
و اختاره الطبرى لمكان الرواية.
و روى أنهم قوم أبى موسى الأشعرى.
و كانت وفودهم قد أتت أيام عمر، و كان لهم فى نصرة الإسلام أثر. و قال أبو جعفر و أبو عبد اللّه (ع) و روى ذلك عن عمار و حذيفة، و ابن عباس: أنها نزلت فى أهل البصرة و من قاتل علياً (ع)
فروى عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال:

---

(1) سورة 4 النساء آية 114.
(2) سورة 8 الانفال آية 13.

يوم البصرة «و اللَّه ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم» و تلا هذه الآية.
و مثل ذلک روى حذيفة، و عمار و غيرهما. و الذى يقوى هذا التأويل أن اللَّه تعالى وصف من عناده بالآية بأوصاف وجدنا أمير المؤمنين (ع) مستكملا لها بالإجماع، لأنه قال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ»
و قد شهد النبى (ص) لأمير المؤمنين (ع) بما يوافق لفظ الآية فى قوله و قد ندبه لفتح خيبر بعد فرار من فر عنها واحدا بعد واحد (لأعطين الراية غداً رجلًا يحب اللَّه و رسوله و يحبه اللَّه و رسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح اللَّه على يديه) فدفعها الى أمير المؤمنين، فكان من ظفره ما وافق خبر الرسول (ص).
ثم قال «أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ» فوصف من عناه بالتواضع للمؤمنين و الرفق بهم، و العزة على الكافرين. و العزيز على الكافرين هو الممتنع من أن ينالوه مع شدة نكايته فيهم و وطأته عليهم، و هذه أوصاف أمير المؤمنين (ع) التى لا يدانى فيها و لا يقارب. ثم قال «يُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ» فوصف- جل اسمه- من عنا بهذا الجهاد و بما يقتضى الغلبة فيه، و قد علمنا أن أصحاب الرسول (ص) بين رجلين: رجلًا لا عناء له فى الحرب و لا جهاد. و الآخر له جهاد و عناء، و نحن نعلم قصور كل مجاهد عن منزلة أمير المؤمنين (ع) فى الجهاد، فإنهم مع علو منزلتهم فى الشجاعة و صدق البأس لا يلحقون منزلته و لا يقاربون رتبته لأنه عليه السلام المعروف بتفريج الغمم، و كشف الكرب عن وجه الرسول (ص) و هو الذى لم يحم قط عن قرن، و لا نكص عن هول، و لا ولى الدبر، و هذه حالة لم تسلم لأحد قبله و لا بعده فكان (ع) بالاختصاص بالآية أولى لمطابقة أوصافه لمعناها. التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 557
فاما من قال أنها نزلت فى أبى بكر فقوله بعيد من الصواب، لأنه تعالى إذا كان وصف من أراده بالآية بالعزة على الكافرين و بالجهاد فى سبيله مع اطراح خوف اللوم كيف يجوز أن يظن عاقل توجه الآية الى من لم يكن له حظ فى ذلک الموقف لأن المعلوم أن أبا بكر لم يكن له نكاية فى المشركين، و لا قتيل فى الإسلام، و لا وقف فى شىء من حروب النبى (ص) موقف أهل البأس و الفناء، بل كان الفرار شيمته، و الهرب ديدنه، و قد انهزم عن النبى (ص) فى مقام بعد مقام، فانهزم يوم أحد و يوم حنين، و غير ذلک، فكيف يوصف بالجهاد فى سبيل اللَّه- على ما يوصف فى الآية- من لا جهاد له جملة. وِ هل العدول بالآية عن أمير المؤمنين (ع) مع العلم

الحاصل. بموافقة أوصافه لها الى غيره إلا عصبية ظاهرة. و لم يذكر هذا طعناً على أبى بكر (رضى اللّه عنه) و لا قدحاً فيه، لان اعتقادنا فيه أجمل شىء، بل قلنا أ ليس فى الآية دلالة على ما قال.
و معنى «أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» أى أهل لين ورقة «أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ» أى أهل جفاة و غلظة. و الذل بكسر الذال غير الذل بضمها، لأن الأول اللين و الانقياد و الثانى و الهوان و الاستخفاف.
و روى عن على (ع) و ابن عباس (رحمة اللّه عليه) أن معنى «أذلة» أهل رحمة و رقة. و معنى «أعزة» أهل غلظة و شدة.
و قال الأعمش «أذلة» يعنى ضعفاء.
و محبة اللّه تعالى لخلقه إرادة ثوابهم و إكرامهم و إجلالهم. و محبتهم له إرادتهم لشكره و طاعته و تعظيمه. و الارتداد- عندنا- على ضربين: مرتد عن فطرة الإسلام، فانه يجب قتله و لا يستتاب، و يقسم ماله بين ورثته و تعتد منه زوجته عدة الوفاة من يوم ارتداده. و الآخر من أسلم عن كفر

ثم ارتد فهذا يستتاب، فان تاب و إلا وجب عليه القتل، فان لحق بدار الحرب.
اعتدت منه زوجته عدة الطلاق، فان رجع الى الإسلام فى زمان العدة كان أملك بها، و إن لم يرجع و انقضت العدة فقد ملكت نفسها، و لا سبيل له عليها و إن رجع فيما بعد. و أما المرأة فإنها تستتاب على كل حال، فان تابت و إلا حبست حتى تموت. و فى ذلک خلاف قد بيناه فى مسائل الخلاف.
فأما من يعتقد الجبر و التشبيه و أزلية صفات قديمة معه تعالى فهو كافر بلا خلاف بين أهل العدل. و اختلفوا فمنهم من قال حكمه حكم المرتد يستتاب فان تاب و إلا قتل. و منهم من قال يستتاب و لا يقتل لأنه لم يخرج عن الملة لإقراره بالشهادتين.
و قوله «يُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ» صفة للقوم الذين وعد اللّه أن يأتى بهم إن ارتدوا. و قوله «وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ» أى لا يخشون لوم أحد و عذلة و لا يصدهم ذلک عن العمل بما أمرهم اللّه به و ذلک إشارة الى هذا النعت الذى نعتهم به «ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ» أى ذلک فضل من اللّه و تيسر منه و لطف منه، و منة من جهته «وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ» يعنى جواد على من يجود به عليه لا يخاف نفاد ما عنده «عليم» بموضع جوده و عطائه و لا يبذله الا لمن تقتضى الحكمة إعطاؤه.

إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ (55)
آية بلا خلاف.
اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فيه، فروى أبو بكر الرازى فى كتاب التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 559
أحكام القرآن على ما حكاه المغربى عنه، و الطبرى، و الرمانى، و مجاهد، و السدى:
إنها نزلت فى على (ع) حين تصدق بخاتمه و هو راكع، و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع)
و جميع علماء أهل البيت. و قال الحسن و الجبائى:
انها نزلت فى جميع المؤمنين. و قال قوم نزلت فى عبادة بن الصامت فى تبرئه من يهود بنى قينقاع، و حلفهم الى رسول اللّه و المؤمنين. و قال الكلبى نزلت فى عبد اللّه بن سلام و أصحابه لما أسلموا فقطعت اليهود موالاتهم، فنزلت الآية.
و اعلم إن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين (ع) بعد النبى بلا فصل.
و وجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولىَّ فى الآية بمعنى الأولى و الأحق.
و ثبت أيضاً أن المعنى بقوله «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» أمير المؤمنين (ع) فإذا ثبت هذا الاصلان دل على إمامته، لأن كل من قال: ان معنى الولى فى الآية ما ذكرناه قال إنها خاصة فيه. و من قال باختصاصها به (ع) قال المراد بها الامامة.
فان قيل دلوا أولا على ان الولى يستعمل فى اللغة بمعنى الأولى و الاحق ثم على ان المراد به فى الآية ذلک، ثم دلوا على توجهها الى أمير المؤمنين (ع).
قلنا: الذى يدل على أن الولى يفيد الأولى قول أهل اللغة للسلطان المالک للأمر: فلان ولى الأمر قال الكميت:
و نعم ولى الأمر بعد وليه و منتجع التقوى و نعم المؤدب
و يقولون: فلان ولى عهد المسلمين إذا استخلف للأمر لأنه أولى بمقام من قبله من غيره
و قال النبى (ص) (أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل)
يريد من هو أولى بالعقد عليها. و قال تعالى: «فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْکَ التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 560
وَلِيًّا يَرِثُنِى وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»

«1» يعنى من يكون أولى بحيازة ميراثى من بنى العم. و قال المبرد: الولى و الأولى و الأحق و المولى بمعنى واحد و الأمر فيما ذكرناه ظاهر، فاما الذى يدل على أن المراد به فى الآية ما ذكرناه هو ان اللّه تعالى نفى ان يكون لنا ولى غير اللّه و غير رسوله، و الذين آمنوا بلفظة «إنما» و لو كان المراد به الموالاة فى الدين لما خص بها المذكورين، لأن الموالاة فى الدين عامة فى المؤمنين كلهم. قال اللّه تعالى «وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» «2» و إنما قلنا: أن لفظة (إنما) تفيد التخصيص، لأن القائل، إذا قال إنما لک عندى درهم فهم منه نفى ما زاد عليه، و قام مقام قوله: ليس لک عندى إلا درهم. و لذلک يقولون انما النحاة المدققون البصريون و يريدون نفى التدقيق عن غيرهم. و مثله قولهم: إنما السخاء سخاء حاتم يريدون نفى السخاء عن غيره، قال الأعشى:

و لست بالأكثر منهم حصى و إنما العزة للكاثر «3»

أراد نفى العزة عن من ليس بكاثر. و احتج الأنصار بما

روى عن النبى صلى اللّه عليه و آله أنه قال (إنما الماء من الماء) فى نفى الغسل من غير انزال.

و ادعى المهاجرون نسخ الخبر، فلو لا أن الفريقين فهموا التخصيص لما كان الأمر كذلک و لقالوا (إنما) لا تفيد الاختصاص بوجوب الماء من الماء.

و يدل أيضاً على أن الولاية فى الآية مختصة أنه قال: «وليكم» فخاطب به جميع المؤمنين و دخل فيه النبى (ص) و غيره ثم، قال و رسوله، فاخرج

---

(1) سورة مريم آية 4- 5.

(2) سورة التوبة آية 72.

(3) اللسان (كثر) و الأكثر هنا و الكاثر بمعنى العدد الكثير و ليس هو للتفضيل.

النبى (ص) من جملتهم لكونهم مضافين الى ولايته، فلما قال «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» وجب أيضاً أن يكون الذى خوطب بالآية غير الذى جعلت له الولاية. و إلا أدى الى أن يكون المضاف هو المضاف اليه و أدى الى أن يكون كل واحد منهم ولى نفسه، و ذلک محال. و إذا ثبت أن المراد بها فى الآية ما ذكرناه، فالذى يدل على أن أمير المؤمنين (ع) هو المخصوص بها أشياء:

منها- أن كل من قال: ان معنى الولى فى الآية معنى الأحق قال إنه هو المخصوص به. و من خالف فى اختصاص الآية يجعل الآية عامة فى المؤمنين و ذلک قد أبطلناه.

و منها- ان الطائفتين المختلفتين الشيعة و أصحاب الحديث رووا أن الآية نزلت فيه (عليه السلام) خاصة.

و منها- أن اللّه تعالى وصف الذين آمنوا بصفات ليست حاصلة إلا فيه، لأنه

قال: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ» فبين أن المعنى بالآية هو الذى أتى الزكاة فى حال الركوع. و أجمعت الأمة على أنه لم يؤت الزكاة فى حال الركوع غير أمير المؤمنين (ع)، و ليس لأحد أن يقول: إن قوله «وَ هُمْ راكِعُونَ» ليس هو حالًا ل «يُؤْتُونَ الزَّكاةَ» بل المراد به أن من صفتهم إيتاء الزكاة، لأن ذلک خلاف لأهل العربية، لأن القائل إذا قال لغيره لقيت فلانا، و هو راكب لم يفهم منه الا لقاؤه له فى حال الركوب، و لم يفهم منه أن من شأنه الركوب، و إذا قال: رأيته و هو جالس أو جاءنى و هو ماش لم يفهم من ذلک كله إلا موافقة رؤيته فى حال الجلوس أو مجيئه ماشياً. و إذا ثبت ذلک وجب أن يكون حكم الآية مثل ذلک.
فان قيل: ما أنكرتم أن يكون الركوع المذكور فى الآية المراد به التبيان فى

الخضوع كأنه قال يؤتون الزكاة خاضعين متواضعين كما قال الشاعر:
و لا تهين الفقير علک أن تركع يوماً و الدهر قد رفعه «1»
و المراد علک أن تخضع، قلنا الركوع هو التطأطأ المخصوص، و إنما يقال للخضوع ركوعاً تشبيهاً و مجازاً، لأن فيه ضرباً من الانخفاض، يدل على ما قلناه نص أهل اللغة عليه، قال صاحب العين: كل شىء ينكب لوجهه فتمس ركبتيه الأرض أو لا تمس بعد أن يطأطئ رأسه فهو راكع قال لبيد:
أخبر أخبار القرون التى مضت أدب كأنى كلما قمت راكع «2»
و قال ابن دريد: الراكع الذى يكبو على وجهه، و منه الركوع فى الصلاة قال الشاعر:
و أفلت حاجب فوق العوالى على شقاء تركع فى الظراب «3»
أى تكبوا على وجهها. و إذا كانت الحقيقة ما قلناه، لم يجز حمل الآية على المجاز.
فان قيل قوله «الَّذِينَ آمَنُوا» لفظ جمع كيف تحملون ذلک على الواحد؟
قيل: قد يعبر عن الواحد بلفظ الجمع إذا كان معظماً عالى الذكر قال تعالى «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» «4» و قال: «رَبِّ ارْجِعُونِ»

---

(1) قائله الأضبط بن قريع الاسدى. و هو فى اللسان (ركع). و قد مر فى موارد كثيرة من هذا الكتاب.
(2) اللسان (ركع) و قد مر فى 1/ 195.
(3) اللسان (ركع) و قد مر فى 1/ 195.
(4) سورة الحجر آية 9.

و قال «وَ لَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها» «1» و نظائر ذلک كثيرة. و قال: «الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ» «2» و لا خلاف فى أن المراد به واحد، و هو نعيم بن مسعود الاشجعى. و قال: «أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ

أفاضَ النَّاسُ» «3» و المراد رسول اللّه (ص) و قال «الّذِينَ قالَوا لِإِخْوانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا» «4» نزلت فى عبد اللَّه بن أبى ابن سلول.
فإذا ثبت استعمال ذلک كان قوله «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ» محمولا على الواحد الذى قدمناه.
فان قيل: لو كانت الآية تفيد الامامة لوجب أن يكون ذلک إماماً فى الحال و لجاز له أن يأمر و ينهى و يقوم بما يقوم به الأئمة.
قلنا: من أصحابنا من قال: إنه كان إماماً فى الحال و لكن لم يأمر لوجود النبىَّ (ص) و كان وجوده مانعاً من تصرفه، فلما مضى النبى (ص) قام بما كان له. و منه من قال- و هو الذى نعتمده- أن الآية دلت على فرض طاعته و استحقاقه للامامة. و هذا كان حاصلا له. و أما التصرف فموقوف على ما بعد الوفاة كما يثبت استحقاق الأمر لولى العهد فى حياة الامام الذى قبله و إن لم يجز له التصرف فى حياته. و كذلک يثبت استحقاق الوصية للوصى و ان منع من التصرف وجود الموصى. و كذلک القول فى الأئمة و قد استوفينا الكلام على الآية فى كتب الامامة بما لا يحتمل بسطه ها هنا.
فان قيل: أ ليس قد روى أنها نزلت فى عبادة بن الصامت أو عبد اللَّه بن سلام و أصحابه؟ فما أنكرتم أن يكون المراد بالذين آمنوا هم دون من

---

(1) سورة أ لم السجدة آية 13.
(2) سورة آل عمران آية 172.
(3) سورة البقرة آية 199.
(4) سورة آل عمران آية 168.

ذهبتم اليه؟
قلنا: أول ما نقوله: إنا دللنا على أن هذه الآية نزلت فى أمير المؤمنين (ع) بنقل الطائفتين، و لما اعتبرناه من اعتبار الصفة المذكورة فى الآية و أنها ليست حاصلة فى غيره بطل ما يروى فى خلاف ذلک، على أن الذى روى فى الخبر من نزولها فى عبادة بن الصامت لا ينافى ما قلناه، لأن عبادة لما تبرأ من حلف اليهود أعطى ولاية من تضمنته الآية، فأما ما روى من خبر عبد اللَّه بن سلام فبخلاف ما ذهبوا اليه، لأنه روى أن عبد اللَّه بن سلام لما اسلم قطعت اليهود حلفه و تبرؤوا منه فاشتد ذلک عليه، و على أصحابه فأنزل اللَّه تعالى الآية تسلية لعبد اللَّه ابن سلام و أصحابه و أنه قد عوضهم من محالفة اليهود، ولاية اللَّه و ولاية رسوله و ولاية الذين آمنوا. و الذى يكشف عما قلناه أنه
قد روى أنها لما نزلت خرج النبى (ص) من البيت، فقال لبعض أصحابه (هل أعطى أحد سائلًا شيئاً فقالوا: نعم يا رسول اللَّه قد أعطى على بن أبى طالب السائل خاتمه، و هو راكع. فقال النبى (ص) اللَّه أكبر قد أنزل اللَّه

فيه قرآنا) ثم تلا الآية الى آخرها.
و فى ذلک بطلان ما قالوه. و قد استوفينا ما يتعلق بالشبهات المذكورة فى الآية فى كتاب الاستيفاء و حللناها بغاية ما يمكن، فمن أراده وقف عليه من هناک. فأما الولى بمعنى الناصر فلسنا ندفعه فى اللغة لكن لا يجوز أن يكون مراداً فى الآية لما بيناه من نفى الاختصاص.
و إقامة الصلاة اتهامها بجميع فروضها من قولهم فلان قائم بعمله الذى وليه أى يوفى العمل جميع حقوقه، و منه قوام الآمر. و فى الآية دلالة على أن العمل القليل لا يفسد الصلاة.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 565

وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ (56)
آية قيل فى معنى قوله «وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» قولان:
أحدهما- قال أبو على من يتولى القيام بطاعة اللّه و رسوله و نصرة المؤمنين.
الثانى- من يكون ولياً للَّه و رسوله و المؤمنين: بنصرة دين اللَّه و الإخلاص له. و لا يدل ذلک على أن الولاية الأولى هى تولى النصرة من حيث كان فى هذه الآية كذلک. لأنه لا تنافى بين أن تفيد الآية الاولى الطاعة و إن أفادت الثانية تولى النصرة و ليس يجب أن تحمل الثانية على الآية الاولى من غير ضرورة.
على أن فى أصحابنا من قال: هذه الآية مطابقة للأولى و أنها تفيد وجوب طاعة اللَّه و طاعة رسوله و طاعة الذين آمنوا، و هم الذين ذكرهم اللّه فى الآية فعلى هذا زالت الشبهة.
و «من» رفع بالابتداء. و الجملة خبر عنه و فى «يتولى» ضمير يعود الى (من) و العائد الى «من» معنى الخبر، كأنه قال، فهو غالب و صار هذا الكلام فى موضعه، و هذا العائد فى موضع الجواب. و معنى «من» فى الجزاء معنى «إن» فلهذا جزمت الفعل المضارع، و «لو» لا تجزم لأنها للماضى، و ليست بمعنى «إن» و إنما يعرب الفعل المضارع دون الماضى.
و الفرق بين «من» و «الذى» من ثلاثة أوجه أحدها- أن «من» لما يعقل التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 566
و «الذى» مشتركة. و «من» فى الجزاء لما يستقبل، و هى فى معنى «إن» و ليس كذلک «الذى» و ثالثها- أن «من» تجزم و لا تحتاج فى الجزاء و الاستفهام الى صلة و لا يكون جوابها إلا بالفعل و الفاء.
و قوله: «فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ» قال الحسن حزب اللَّه جند اللَّه.
و قال غيره أنصار اللّه قال الشاعرة:
و كيف أضوى و بلال حزبى «1»
أى كيف استضام، و بلال ناصرى. و أصله النائبة من قولهم: حزبه الأمر يحزبه حزباً إذ أنابه، و كل قوم تشابهت قلوبهم و أعمالهم فهم أحزاب. و منه قوله «أُولئِکَ الْأَحْزابُ» «2» «و كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» «3» .
و «إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ» و تحزب القوم إذا اجتمعوا كالاجتماع على النائبة. و أرض حزبة غليظة و حمار حزابية مجتمع الخلق غليظ.

---

(1) قائلة رؤبة بن العجاج. ديوانه: 16، و مجاز القرآن 1: 169 من ارجوزة يمدح بها بلال بن أبى بردة و قد ذكر نفسه ثم اعترض من يعترضه فى

الهجاء فقال:
ذاک و ان عبى لى المعجبى و طحطح الجد لحاء القشب
ألقيت أقوال الرجال الكذب و كيف اضوى و بلال حزبى
و رواية الديوان «و لست اضوى» . (طحطح الشىء): فرقه.
و (اللحاء): المخاصمة و (القشب)- بفتح القاف و سكون الشين- الكلام المفترى. [.....]
(2) سورة ص آية 13.
(3) سورة المؤمنون آية 54 و سورة الروم آية 32.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَ لَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ أَوْلِياءَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57)

آية قرأ «و الكفار» بالجر أبو عمرو، و نافع، و الكسائى. و الباقون بالنصب، فمن نصب عطف على «الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ» و حجتهم فى ذلك قوله: «لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ» . و من جر عطف على «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» أى و من الكفار أولياء و حجتهم فى ذلك أن الحمل على أقرب العاملين أجود، لأنها لغة القرآن و حسن الحمل على الجر، لان فرق الكفار ثلاث المشرك. و المنافق. و الكتابى الذى لم يسلم و قد كان منهم الهزء فساغ لذلك أن يكون الكفار مجروراً و تفسيراً للموصول و موضحاً له.

و قد اخبر اللّه تعالى أن المشركين كان منهم استهزاء بقوله «إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» «1» و عن المنافقين فى قوله: «وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ» «2» و اخبر عن الكتابى فى هذه الآية. فقال «لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَ لَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ» و إن وقع على جميع الأصناف، فهو فى من ليس من أهل الكتاب أليق، و عليه أغلب، فلذلك أفرد بالذكر. و قال الحسن: المعنى بالكفار مشركوا العرب، و إنما دخل غيرهم فى الحكم بما صحب الكلام من الدليل

---

(1) سورة المجادلة آية 19.

(2) سورة البقرة آية 14.

و قال غيره: يدخل فيه جميع أصناف الكفار، و انما وصفهم اللّه تعالى بما كانوا عليه من التلاعب بالدين لامرين:

أحدهما- لاغراء المؤمنين بعداوتهم و البراءة منهم.

الثانى- ذماً لهم و تحذيراً من مثل حالهم لأنها حال السفهاء الذين لا خلاق لهم. و قال ابن عباس: كان رفاعة بن زيد بن التابوت و سويد بن الحارث قد أظهر الإسلام ثم نافقا، و كان رجال من المسلمين يوادونهما، فانزل اللّه هذه الآية و يجوز فى «هزواً» أربعة أوجه: الاول «هزؤا» بضم الزاى و تخفيف الهمزة، الثانى هزواً بالواو و من غير همز على التخفيف لأن الهمزة مفتوحة قبلها ضمة كجون، الثالث هزأ بسكون الزاى و الهمزة. الرابع هزى على وزن هدى بفتح الزاى و إسقاط الهمزة. و الهزء السخرية و هو اظهار ما يلهى تعجباً مما يجرى. قال اللّه تعالى: «وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» «1» و قال الشاعر:

ألا هزئت و أعجبها المشيب فلا نكر لديک و لا عجيب
و يقال هزئ به يهزأ و هزواً و هزؤا و استهزؤا به استهزاءاً. و هو (اللعب) الأخذ على غير طريق الحق، و مثله العبث و أصله من لعاب الصبى يقال: لعب يلعب لعباً إذا سال لعابه لأنه يخرج الى غيره جهته و كذلک اللاعب يمر فى غير جهة الصواب.
و قوله: «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» : قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ان كنتم مؤمنين بوعده و وعيده.
الثانى- إن من كان مؤمناً غضب لإيمانه على من طعن فيه. و كافاه

---

(1) سورة الانعام آية 10 و سورة الأنبياء آية 41.

بما يستحقه من المقت له.

وَ إِذا نادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوها هُزُواً وَ لَعِباً ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ (58)
آية بلا خلاف.
النداء و الدعاء بمد الصوت على طريقة يا فلان و أصله ندى الصوت و هو بعد مذهبه و ضجة جرمه. و منه قولهم: أناديک و لا أناجيک أى أعالنک النداء، و لا أسر لک النجوى، و أصل الباب الندو، و هو الاجتماع يقال ندى القوم يندون ندواً إذا اجتمعوا فى النادى، و منه دار الندوة و ندى الماء، لأنه يجتمع قليلا قليلا و ندى الصوت لأنه عن جرم ندى.
أخبر اللَّه تعالى عن صفة الكفار الذين نهى اللَّه المؤمنين عن اتخاذهم أولياء بأنهم إذا نادى المؤمنون الى الصلاة و دعوا اليها اتخذوها هزواً و لعباً و فى معنى ذلک قولان:
قال قوم: إنهم كانوا إذا أذن المؤمنون للصلاة تضاحكوا فيما بينهم و تغامزوا على طريق السخف و الجنون تجهيلا لأهلها، و تنفيراً للناس عنها، و عن الداعى اليها.
الثانى- أنهم كانوا يرون المنادى اليها بمنزلة اللاعب الهازئ بفعلها جهلا منهم بمنزلها و قال أبو ذهيل الجمحى:
و أبرزتها من بطن مكة بعد ما أصات المنادى بالصلاة فأعتما
و قوله تعالى: «بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- انهم لا يعقلون ما لهم فى اجابتهم لو أجابوا اليها من الثواب، التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 570
و ما عليهم فى استهزائهم بها من العقاب.
الثانى- انهم بمنزلة من لا عقل له يمنعه من القبائح و يردعه عن الفواحش و قال السدى: كان رجل من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن ينادى أشهد أن لا اله إلا اللَّه و أشهد أن محمداً رسول اللَّه (ص) قال: حرق الكاذب فدخلت خادمة له ليلة بنار و هو نائم و أهله فسقطت شرارة فأحرق البيت و احترق هو و أهله.

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ (59)
آية واحدة أمر اللّه تعالى نبيه (ص) أن يخاطب أهل الكتاب فيقول لهم «هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا» و قيل فى معناه ثلاثة أقوال: أحدها هل تسخطون. الثانى هل تنكرون. و الثالث هل تكرهون، و المعنى متقارب يقول نقم ينقم نقماً و نقم ينقم و الاول اكثر قال عبد اللّه بن قيس الرقيات:
ما نقموا من بنى أمية إلا أنهم يحملون إن غضبوا «1»
قال ابن عباس: أتى رسول اللّه (ص) نفر من يهود فيهم أبو ياسر بن أخطب و رافع ابن أبى رافع و غيره، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال

---

(1) ديوانه: 70 و مجاز القرآن 1: 170 و اللسان (نقم) من قصيدته التى قالها لعبد الملك بن مروان فى خبر ذكره ابو الفرج الاصفهانى فى الاغانى 5: 76- 80.

أؤمن «بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» «1» فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، و قالوا:
لا نؤمن به و بمن آمن به، فانزل اللّه هذه الآية.
و قوله «وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ» فى موضع نصب، لأنه مصدر فى تقدير بان أكثركم، و لو استأنفه كان صواباً لكن لم يقرأ به. و قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
قال الزجاج و الفراء هل تكرهون منا إلا أيماننا و فسقكم، و المعنى ليس هذا مما ينقم.
الثانى- قال الحسن: لفسقكم نقمتم ذلك علينا.
الثالث- قال أبو على: نقموا فسق أكثرهم، لأنهم لم يتابعوهم عليه.
فان قيل كيف قال: «وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ» و هم جميعاً فساق؟ قلنا عنه ثلاثة اجوبة:
أحدهما أنهم خارجون عن أمر اللّه طلباً للرئاسة و حسداً على منزلة النبوة.
الثانى- فاسقون بركوب الاهواء. الثالث- على التلطف للاستدعاء.
و معنى الآية هل تكرهون إلا أيماننا و فسقكم أى انما كرهتم أيماننا و أنتم تعلمون أنا على حق، لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرئاسة و تكسبكم بها الأموال.

فان قيل كيف يعلم عاقل أن دينا من الأديان حق فيؤثر الباطل على على الحق؟!

---

(1) سورة البقرة آية 136.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 572
قلنا: أكثر ما نشاهده كذلک، من ذلک أن الإنسان يعلم ان القتل يورده النار، فيقتل إما إيثاراً لشفاء غيظ أو لاخذ مال. و كما فعل إبليس مع علمه بأن اللّٰه يدخله النار بمعصيته فآثر هواه على القربة من اللّٰه و عمل لما يدخله النار. و هذا ظاهر فى العادات.

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِکَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنازِيرَ وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولئِکَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ (60)

قراء حمزة «و عبد الطاغوت» بضم الباء و خفض التاء يريد خدم الطاغوت فى قول الأعمش، و يحيى بن رئاب. الباقون بفتح الباء و الدال و نصب التاء.

قال أبو على: حجة حمزة أنه حمل على ما عمل فيه (جعل) كأنه قال و جعل منهم من عبد الطاغوت. و معنى (جعل) خلق، كما قال «وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها» «1» و قال «وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ» «2» قال: و ليس (عبد) لفظ جمع لأنه ليس فى أبنية الجمع شىء على هذا البناء لكنه واحد فى موضع جمع كما قال «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها» «3» و جاء على (فعل) لأن هذا البناء يراد به الكثرة نحو يقط و ندس و (عبد) فى الأصل صفة، و ان

---

(1) سورة الاعراف آية 188.

(2) سورة الانعام آية 1.

(3) سورة الرعد آية 34 و سورة النحل آية 18.

كان استعمل استعمال الأسماء، و لا يزيل ذلک عنه كونه صفة كما لم يزل فى الأبرق و الأبطح حيث كسر تكسير الأسماء لم يزل عنهما معنى الصفة بدلالة أنهم تركوا صرفهما كما تركوا صرف (أحمر) و لم يجعلوه كأوكل و أبدع.

و أما من فتح فانه عطفه على مثال الماضى الذى فى الصلة، و هو قوله «لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ» و أفرد الضمير فى (عبد) و ان كان المعنى فيه كثرة لأن الكلام محمول على لفظ (من) دون معناه، و لو حمل الكلام أو البعض على المعنى لكان صواباً قال الفراء: و قرأ أبى و عبد اللّه «و عبد الطاغوت» على الجمع، و المعنى و الذين عبد الطاغوت- بضم العين و الباء- مثل ثمار و ثمر، و عبيد و عبد، على أنه جمع جمع، و يكون المعنى و جعل منهم عبد الطاغوت كما تقول: جعلت زيداً أخاک أى نسبته اليک و يجوز على هذا رفع الدال على تقدير، و هم عبد الطاغوت لكن لم يقرأ به أحد. قال:

و لو قرأ قارئ و عبد الطاغوت كان صواباً يريد به عبدة الطاغوت و يحذف الهاء للاضافة كما قال الشاعر:

قام ولاها فسقوه صرخدا «1»

يريد ولاتها و حكى فى الشواذ و (عبد الطاغوت) على ما لم يسمى فاعله، ذكره الرمانى. قال الطبرى هى قراءة أبى جعفر المدنى. و حكى البلخى (عابد الطاغوت، و عبد الطاغوت) مثل شاهد و شهد. و حكى ايضا (عباد الطاغوت) مثل كافر و كفار، و لا يقرأ بشىء من ذلک. و قال الطبرى

---

(1) معانى القرآن للفراء 1: 314. و الطبرى 1: 441 (صرخد) موضع فى الشام تنسب له الخمرة الجيدة.

عن بريدة الاسلمى انه قرأ (عابد الطاغوت) فهذه ثمانية أوجه، لكن لا يقرأ إلا بقرائتين أو ثلاثة، لان القراءة متبوعة يؤخذ بالمجموع عليه، قال الفراء (عبد) على ما قرأ حمزة إن كانت لغة فهو مثل حذر و حذر، و عجل و عجل فهو وجه و الا فانه أراد قول الشاعر:

أبنى لبينى إن أمكم أمة و إن آباءكم عبد «1»

فحرک و هذا فى ضرورة الشعر لا فى القراءة و أنشد الأخفش:

أنسب العبد الى آبائه اسود الجلدة من قوم عبد «2»

أمر اللَّه تعالى فى هذه الآية نبيه (ص) أن يخاطب الكفار و يقول لهم «هَلْ أُنَبِّئُكُمْ» أى هل أخبركم «بِشَرٍّ مِنْ ذلِکَ» أى من الذى طعنتم عليه من المسلمين، و مما رغبتم عنه و نقمتم عليه، و انما قال «بِشَرٍّ مِنْ ذلِکَ» و ان لم يكن من المؤمن شرَّ و كذلک قوله «أُولئِکَ شَرٌّ مَكاناً» على الانصاف فى الخطاب و المظاهرة فى الحجاج لأن الكفار يعتقدون ان هؤلاء أشرار، و أن ما فيهم شر فخرج على ما يعتقدونه.

و قوله: «مثوبة» معناها الثواب الذى هو الجزاء و وزنها مفعولة مثل مقولة و مجوزة و مضوفة على معنى المصدر و قال الشاعر:

و كنت إذا جارى دعا لمضوفة أشمر حتى ينصف الساق مئزرى «3»

---

(1) قائله أوس بن حجر. ديوانه القصيدة: 5 البيت 4 و معانى القرآن للفراء 1: 314، 315 و اللسان (عبد).

(2) اللسان (عبد).

(3) قائله ابو جندب الهذلى. اشعار الهذلين 3: 92 و مجاز القرآن لابى عبيدة 170 و اللسان (ضيف)، (نصف). المضيفة، و المضافة: الامر يشفق منه و قد روى البيت بهما جميعاً. [.....]

و قال ابو عبيدة هى (مفعلة) مثل مكرهة و معقلة و مشغلة.

و موضع (من) يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب: أحدها- الجر و التقدير بشر من ذلک لمن لعنه اللَّه و الرفع على من لعنه اللَّه، و النصب على أنبئكم من لعنه اللَّه. و قيل فى معنى (الطاغوت) قولان:

أحدهما- قال الحسن: هو الشيطان، لأنهم أطاعوه طاعة المعبود.
و الثانى- كل ما دعا الى عبادته من دون اللّه من الفراعنة، فشبه به ما عبد من الأصنام و نحوها. قال ابو على: و هو ها هنا العجل الذى عبدته اليهود، لأن الكلام كله فى صفتهم.
و قوله (أُولئِكَ شَرٌّ مَكاناً) يعنى هؤلاء الذين وصفهم بأنهم لعنهم و غضب عليهم، و انهم عبدة الطاغوت شر مكانا يعنى فى عاجل الدنيا و آجل الآخرة.
و هو نصب على التمييز و قوله «وَ أَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ» يعنى أجوز عن الطريق المستقيم. و ظن بعضهم ان قوله (و جعل منهم القردة جعلهم كذلك و الخنازير و عبد الطاغوت) يفيد أنه جعلهم يعبدون الطاغوت- يتعالى اللّه عن ذلك- لأنه لو كان جعلهم كذلك لما كان عليهم لوم، و انما المعنى ما قلناه: من أنه اخبر عمن هو شر ممن عابوه، و هم الذين لعنهم و غضب عليهم، و من جعل منهم القردة و الخنازير، و من عبد الطاغوت، لأنه تعالى هو الخالق لهم، و ان كان لم يخلق عبادتهم للطاغوت. و قال ابو على: هو معطوف على قوله «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ» و من «عَبَدَ الطَّاغُوتَ» و من جعل منهم القردة و الخنازير و ليس بمعطوف على قوله (وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنازِيرَ) فعلى هذا سقطت الشبهة.

وَ إِذا جاؤُكُمْ قالُوا آمَنَّا وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما كانُوا يَكْتُمُونَ (61)

آية بلا خلاف أخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء المنافقين بأنهم إذا جاؤوا المؤمنين (قالُوا آمَنَّا) أى صدقنا (وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ) قيل فيه قولان:

أحدهما- قال الحسن و ابن عباس و السدى و قتادة و أبو على: و قد دخلوا بالكفر بخلاف ما أظهروه على النبى (ص) و خرجوا به من عنده.

الثانى- و قد دخلوا به فى أحوالهم و قد خرجوا به الى احوال أخر كقولك هو يتقلب فى الكفر و يتصرف به، و معناه تقريب الماضى من الحال و لهذا دخلت (فى) هذا الموضوع. و قال الخليل: و يكون لقوم ينتظرون الخبر كقولك قد ركب الأمير لمن كان ينتظره، و هو راجع الى ذلك الأصل لأنه تقريب من الحال المنتظرة و أصل الدخول الانتقال الى محيط كالوعاء إلا أنه قد كثر حتى قيل دخل فى هذا الامر، و لا يدخل فى المعنى ما ليس منه. و دخل فى الإسلام. و خرج بالردة منه. و كان ذلك مجاز. و قوله:

(جاؤكم) لا يجوز ان يكون عاملًا فى «إذا» كما يعمل فى «متى» لو قيل: متى جاؤكم، قالوا آمنا، لان «إذا» مضافة الى ما بعدها و المضاف اليه لا يعمل فى المضاف لأنه من تمامه. و ليس كذلك «متى» لأنها جزاء.

و قوله «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما كانُوا يَكْتُمُونَ» معناه ما يكتمونه من نفاقهم إذ أظهروا بألسنتهم ما أضمروا خلافه فى قلوبهم فبين اللَّه للناس أمرهم.

وَ تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسارِعُونَ فِى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (62)
آية بلا خلاف وصف اللَّه تعالى المنافقين الذين تقدم وصفهم لنبيه (ص) بأنه «تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسارِعُونَ» أى يبادرون فى الإثم و العدوان.
قال السدى: الإثم الكفر، و قال غيره و هو يقع على كل معصية و هو الاولى.
و الفرق بين الإثم و العدوان أن الإثم الجرم كائنا ما كان، و العدوان الظلم، فهم يسارعون فى ظلم الناس و فى الجرم الذى يعود عليهم بالوبال و الخسران. و قيل: العدوان من عدوهم على الناس بما لا يحل. و قيل- لمجاوزتهم حدود اللَّه و تعديتهم إياها. و يقال قائم إذا تحرج من الإثم. و الآثم الفاعل للاثم. و السحت الرشوة فى الحكم- فى قول الحسن- و أصله استئصال القطع فيكون من هذا لأنه يقتضى عذاب الاستئصال و يتكرر لأنه يقتضى استئصال المال بالذهاب.
و انما قال «يسارعون» بدل قوله «يعجلون» و ان كانت العجلة أدل على الذم لامرين:
أحدهما- أنهم يبادرون اليه كالمبادرة الى الحق، فأفاد «يسارعون» أنهم يعملونه كأنهم محقون فيه.
و الآخر- لازالة إيهام أن الذم من جهة العجلة. و إيجابه فى الإثم و العدوان.
و قوله «لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» يدل على أن الحمد و الذم يكونان التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 578
للافعال، لأنه بمنزلة بئس العمل عملهم، و هذا ذم لذلك العمل إلا انه جرى على طريقة الحقيقة أو طريقة المجاز بدليل آخر يعلم. و قد كثر استعماله حتى قيل الأخلاق المحمودة و الأخلاق المذمومة. و نعم ما صنعت و بئس ما صنعت و أصل الذم و اللوم واحد إلا أن الذم كثر فى نفس العمل دون اللوم، لأنه لا يقال: لمت عمله كما يقال ذممت عمله. و (ما) فى قوله «لبئس ما» يحتمل أمرين: أحدهما- ان تكون كافة كما تكون فى انما زيد منطلق و ليتما عمرو قائم، فلا يكون لها على هذا موضع. الثانى ان تكون نكرة موصوفة كأنه قيل: لبئس شيئاً كانوا يعملون.

لَوْ لا يَنْهاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَ الْأَحْبارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَصْنَعُونَ (63)

آية معنى «لو لا» ها هنا هلا. و أصلها ان يمتنع الشىء لوجود غيره.

(لو) معناها امتناع الشىء لامتناع غيره. و قال الرمانى أصلها التقدير لوجوب الشىء عن الاول فنقلت الى التحضيض على فعل الثانى من أجل الاول. و ان لم يذكر و لا بد معها من دلالة دخلها معنى: لم لا يفعل.

فان قيل كيف تدخل (لو لا) على الماضى و هى للتحضيض و فى التحضيض معنى الامر؟! قيل: لأنها تدخل للتحضيض و التوبيخ، فإذا كانت مع الماضى فهى توبيخ كقوله تعالى «لَوْ لا جاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ» «1» و قوله «لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً» «2» .

(1، 2) سورة 24 النور آية 12- 13.

و «الربانى» العالم بالدين الذى من قبل الرب، و هو منسوب الى الرب على وجه تغيير الاسم، كما قالوا روحانى فى النسبة الى الروح، و بحرانى فى النسبة الى البحر. و قال الحسن «الربانيون» علماء أهل الإنجيل و الأحبار علماء أهل التوراة. و قال غيره كله فى اليهود، لأنه يتصل بذكرهم.

و قوله: «لبئس ما» اللام فيه لام القسم و لا يجوز أن تكون لام الابتداء، لأنها لا تدخل على الفعل الا فى باب «أن» خاصة لأنها زحلقت عن الاسم الى الخبر لئلا يجمع بين حرفين فى موضع واحد بمعنى واحد و الصنع و العمل واحد. و قيل الفرق بينهما أن الصنع مضمن بالجودة من قولهم: ثوب صنيع، و فلان صنيعة فلان إذا استخلصه الى غيره و صنع اللّه لفلان أى احسن اليه و كل ذلک كالفعل الجيد.

وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً وَ أَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64)

آية التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 580

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية عن اليهود انها قالت: إن «يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ» و قيل فى معنى (مغلولة) قولان: أحدهما قال ابن عباس و قتادة، و الضحاك: إن المراد بذلک أنها مقبوضة من العطاء على وجه الصفة له بالبخل كما قال تعالى «وَ لا تَجْعَلْ يَدَکَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِکَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ» «1» و انما قالوا ذلک لما نزل قوله «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» «2» قالوا:

إن رب محمد فقير يستقرض منا فأنزل اللَّه هذه الآية.

الثانى- قال الحسن معناه انها مقبوضة عن عذابنا.

و قال البلخى يجوز ان يكون اليهود، قالوا قولا و اعتقدوا مذهباً معناه يؤدى الى ان اللَّه يبخل فى حال و يجود فى حال أخرى، فحكى اللَّه تعالى ذلک على وجه التعجب منهم و التكذيب لهم. و يجوز أن يكون ذلک على وجه التعجب منهم و التكذيب لهم. و يجوز ان يكونوا قالوا ذلک على وجه الهزء حيث لم يوسع على النبى (ص) و على أصحابه. و ليس ينبغى أن يتعجب من قوم يقولون لموسى: «اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ» و من اتخذ العجل إلهاً، و من زعم أنه ربه أبيض الرأس و اللحية جالس على كرسى، كيف يقولون إن اللَّه يبخل مرة و يجود اخرى. و قال الحسين بن على المغربى حدثنى بعض اليهود الثقات منهم بمصر ان طائفة قديمة من اليهود قالت ذلک بهذا اللفظ.

و اما اليد فإنها تستعمل على خمسة أوجه: أحدها- الجارحة. و الثانى- النعمة. الثالث- القوة. الرابع- الملک. الخامس- تحقيق إضافة الفعل،

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 29.

(2) سورة 2 البقرة آية 245 و سورة 57 الحديد آية 11.

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 581

قال اللَّه تعالى «أُولِي الْأَيْدِي وَ الْأَبْصارِ» «1» معناه القوى و يقال لفلان على فلان يد أى نعمة و له على يد أشكرها أى نعمة. و قال الشاعر:

له فى ذوى الحاجات أيد كأنها مواقع ماء المزن فى البلد القفر

و مثل ذلک يقولون له عليه صنع حسنة. و قوله «الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ»

«2» معناه من يملک ذلک و قوله «لِما خَلَقْتُ بِيَدَیَّ» «3» أی توليت خلقه.
و قوله «غلت أيدهم» قيل فی معناه قولان:
أحدهما- قال الزجاج و غيره معناه الزموا البخل علی مطابقة الكلام الأول فهم أبخل الناس.
الثانی- قال الحسن و أبو علی «غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ» فی جهنم.
و قوله «وَ لُعِنُوا بِما قالُوا» أی أبعدوا من رحمة اللّه و ثوابه. و قوله «بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ» تكذيب منه تعالی لما قالوا و إخبار أن يديه مبسوطتان أی نعمة مبسوطة. و قيل فی وجه تثنية اليد ثلاثة أقوال:
أحدها- أنه أراد نعمة الدنيا و نعمة الدين أو نعمة الدنيا و نعمة الآخرة.
الثانی- قال الحسن معناه قوتاه بالثواب و العقاب و الغفران و العذاب بخلاف قول اليهود إن يده مقبوضة عن عذابنا.
الثالث- أن التثنية للمبالغة فی صفة النعمة مثل قولهم: لبيک و سعديک، و كما يقول القائل: بسط يديه يعطی يمنة و يسرة و لا يريدون الجارحة و إنما يريدون كثرة العطية و قال الأعشی:

---

(1) سورة ص آية 45.
(2) سورة البقرة آية 237.
(3) سورة ص آية 75.

يداک يدا مجد فكف مفيدة و كف إذا ما ضن بالزاد تنفق «1»
و قوله تعالی «يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ» معناه يعطی من شاء من عباده و يمنع من شاء منهم، لأنه متفضل بذلک و يفعل حسب ما تقتضيه المصلحة.
و قوله «وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ طُغْياناً وَ كُفْراً» أی و سيزدادون عند ذلک طغياناً و كفراً لأن القرآن لا يفعل شيئاً من ذلک، كما يقول القائل: و عظتک فكانت موعظتی و بالاً عليک. و ما زادتک إلا شراً أی انک ازددت عندها شراً. و ذلک مشهور فی الاستعمال. و الطغيان هنا هو الغلو فی الكفر.
و قوله «وَ أَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ» قيل فيه قولان:
أحدهما- إن المراد بذلک بين اليهود و النصاری علی ما قلناه فی قوله «فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ» «2» هذا قول الحسن و مجاهد. و قد جری ذكرهم فی قوله «لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصاری أَوْلِياءَ» «3» .
الثانی- ان الكناية راجعة علی اليهود خاصة. و المراد ما وقع بينهم من الخلاف بين الاشمعينية و العنانية و غيرهم من طوائف اليهود ذكره الرمانی.
و بما ذا القی بينهم العداوة و البغضاء؟ قيل فيه قولان:
أحدهما- قال أبو علی بتعريف اليهود قبح مذهب النصاری فی عبادة المسيح و بتعريف النصاری قبح مذهب اليهود فیِ الكفر بالمسيح.

الثانى- قال الرمانى بوضع البغضاء عقاباً على الاختلاف بالباطل.
و قوله «إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ» فيه دلالة على أنهم لا يجتمعون على مذهب

---

(1) ديوانه: 150
(2) سورة المائدة آية 15.
(3) سورة المائدة آية 54.

واحد الى يوم القيامة. و لا بد أن يكون ذلک مختصاً بمن يعلم اللَّه من حالهم انهم لا يؤمنون.
و قوله «كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال الحسن و مجاهد: لحرب محمد (ص) و فى ذلک دلالة و معجزة، لأن اللَّه أخبر عن الغيب و كان كما أخبر، لأن اليهود كانت أشد أهل الحجاز بأساً و أمنعهم داراً حتى أن قريشاً كانت تعتضد بهم و الأوس و الخزرج تستبق الى محالفتهم و التكثر بنصرتهم، فأباد اللَّه حضراءهم و اقتلع أصلهم فأجلى النبى (ص) بنى قينقاع و بنى النضير، و قتل بنى قريظة و شرد أهل خيبر و غلب على فدک و دان له أهل وادى القرى. فمحا اللَّه آثارهم صاغرين و حقق بخبر نبيه (ص). و هذه كلمة مستعملة فى اللغة فى التشاغل بالحرب و الاستعداد لها. قال عوف ابن عطية.
إذا ما اجتنينا جنا منهل شببنا لحرب بعلياء نارا
الثانى- قال قتادة: هو عام. و المعنى إن اللَّه أذلهم بذلک لا يغزون أبداً و إنما يطفئ اللَّه بلطفه نار حربهم و ما يوقى نبيه (ص) من نقض ما يبرمون.
و ما يطلعه عليه من أسرارهم و يمن به عليه من النصر و التأييد، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء اليهود «يَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَساداً» يعنى بمعصية اللَّه و تكذيب رسله و مخالفة أمره و نهيه، و اجتهادَهم فى دفع الإسلام و محو ذكر النبى (ص) من كتبهم، و ذلک هو سعيهم بالفساد، ثم قال «وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» يعنى لا يحب من كان عاملًا بمعاصيه فى أرضه.

وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَأَدْخَلْناهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65)

التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 584

آية قد بينا أن معنى (لو) امتناع الشىء لامتناع غيره. و قال الرمانى معناه وجوب المعنى الثانى، بالأول على جهة التقدير بطريقة لو كان كذا لكان كذا، فان قطع الأول قطع الثانى بطريقه كقولك و قد كان كذا و كذا، و قد كان كذا و ما كان كذا، فما كان كذا فنحوه. و ما كفّرنا عنهم سيئاتهم فما آمنوا و اتقوا. و الفرق بين (لو) و (إن)- مع أن كل واحدة منهما تعلق المعنى الأول- أن «لو» للماضى و «ان» للمستقبل كقولك: ان أتيتنى أكرمتك. و لو اتيتنى لاكرمتك، فيقدر الإكرام بالإتيان فى الماضى. و فى «إن» وعد و ليس فى «لو» ذلك.

أخبر اللّه تعالى أن هؤلاء اليهود و الكفار لو آمنوا و اتقوا معاصيه لكفر عنهم سيئاتهم أى غطاها عليهم و أزال عقابها عنهم و أثابهم على إيمانهم و تقواهم.

«وَ لَأَدْخَلْناهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ» اللام لام القسم و أصل التكفير التغطية.

و منه يكفر فى السلاح قال الشاعر:

فى ليلة كفر النجوم غمامها «1»

و قوله «وَ لَأَدْخَلْناهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ» و ان كان على لفظ الماضى فالمراد به الاستقبال و إنما كان كذلك، لأنه قدر تقدير الماضى كما قال «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا» و ذلك يدل على أن «لو» أوسع من «ان» .

وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ (66)

---

(1) قد مر فى 1: 60 منسوب الى لبيد.

آية قد بينا معنى (لو) فيما مضى و إنما فتحت (أنهم) بعدها لأن هذا موضع قد خالف الابتداء بأنه بالفعل أولى فصار بمنزلة العامل الذى يختص بالفعل دون الاسم أو الاسم دون الفعل يبين ذلک امتناع اللام من الدخول على الخبر فى (لو) و ليس كذلک (حتى) و (الا). و معنى «أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ» علموا بما فيهما على ما فيهما دون أن يحرفوا شيئاً منهما أو يغيروا أو يبدلوا كما كانوا يفعلون و يحتمل أن يكون معناه بما فيهما بأن أقاموهما نصب أعينهم لئلا يزالوا فى شىء من حدودهما.

و قوله «وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ» يحتمل أمرين:

أحدهما- قال ابن عباس و أبو على و غيرهما: المراد به الفرقان.

الثانى- قال قوم: كل ما دل اللّه عليه من امور الدين. و قوله «لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ» بإرسال السماء عليهم مدراراً «وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» بإعطاء الأرض خيرها و بركتها و قال قوم «من فوقهم» ثمار النخل و الأشجار «وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» الزرع. و المعنى لو آمنوا لأقاموا فى أوطانهم، و أموالهم و زروعهم، و لم يجلوا عن بلادهم، ففى ذلک التأسيف لهم على ما فاتهم، و الاعتداد بسعة ما كانوا فيه من نعمة اللّه عليهم، و هو جواب التبخيل فى قولهم «يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ» «1» .

الثانى- ان المعنى فيه التوسعة، كما يقال: هو فى الخير من قرنه الى

---

(1) سورة المائدة آية 67.

قدمه أى يأتيه الخير من كل جهة يلتمسه منها. و اختار الطبرى الوجه الأول.

و قد جعل اللّه التقى من أسباب الرزق فقال «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ» «1» و قال «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» «2» و قال «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً» «3» و قال «وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً» «4» .

و قوله «مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ» يعنى من هؤلاء الكفار قوم معتدلون فى العمل من غير غلو و لا تقصير. قال أبو على: و هم الذين أسلموا منهم، و تابعوا النبى (ص)، و هو المروى فى تفسير أهل البيت.
و قال قوم: نزلت فى النجاشى و أصحابه. و حكى الزجاج عن قوم أنهم قالوا: نزلت فى قوم لم يناصبوا النبى (ص) مناصبة هؤلاء. و الأول أقوى، لأن اللَّه تعالى لا يجوز أن يسمى الناصب مقتصداً بحال. و يحتمل أن يكون أراد به من يقر منهم بأن المسيح عبد اللَّه، و لا يدعى فيه الالهية و النبوة.
و قال مجاهد: هم مسلمو أهل الكتاب. و به قال ابن زيد، و السدى.
و اشتقاق المقتصدين من القصد، لأنه القاصد الى ما يعرف، فكان خلاف الطالب المتحير فى طلبه. و الاقتصاد الاستواء فى العمل المؤدى الى الغرض. و قوله «وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ» أخبار منه تعالى أن أكثر هؤلاء اليهود و النصارى. و يعملون الاعمال السيئة و هم الذين يقيمون على

---

(1) سورة 65 الطلاق آية 2- 3.
(2) سورة الاعراف آية 95.
(3) سورة نوح آية 10- 13 [.....]
(4) سورة الجن آية 16.

الكفر و الجحود بالنبى (ص) و قوله «ساء» معناه قبح و «ما يَعْمَلُونَ» يحتمل أن تكون (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر و التقدير: بئس شيئاً عملهم كما قال: «ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا» . و الثانى أن تكون (ما) بمعنى الذى و ما بعدها صلة لها و العائد محذوف.

يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الْکافِرِينَ (67)
آية بلا خلاف قرأ نافع و عاصم فی رواية أبی بكر و ابن عامر «رسالاته» على الجمع.
الباقون «رسالته» على التوحيد. من قرأ على الجمع ذهب الى أن الأنبياء يبعثون بضروب الرسائل و اختلاف العبادات. و من وحد، فلأنه يدل على الكثرة.
قيل فی سبب نزول هذه الآية أربعة أقوال:
أحدها قال محمد بن كعب القرطی، و غيره: إن اعرابياً هم بقتل النبی (ص) فسقط السيف من يده و جعل يضرب برأسه شجرة حتى انتشر دماغه.
الثانی-
أن النبی (ص) كان يهاب قريشاً فأزال اللَّه- عز و جل- بالآية تلك الهيبة.
و
قيل كان النبی (ص) حراس بين أصحابه، فلما نزلت الآية قال الحقوا بملاحقكم، فان اللَّه عصمنی من الناس.
الثالث- قالت عائشة إن المراد بذلک إزالة التوهم أن النبی (ص) كتم شيئاً من الوحی للتقية. التبيان فی تفسير القرآن، ج3، ص: 588
الرابع-
قال أبو جعفر و أبو عبد اللَّه (عليهما السلام) إن اللَّه تعالى:
لما أوحى الى النبی (ص) أن يستخلف علياً كان يخاف، أن يشق ذلک على جماعة من أصحابه، فأنزل اللَّه تعالى هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره بادائه.
و الآية فيها خطاب للنبی (ص) و إيجاب عليه تبليغ ما أنزل اليه من ربه و تهديد له إن لم يفعل و انه يجرى مجرى إن لم يفعل و لم يبلغ رسالته.
فان قيل كيف يجوز ذلک؟ و لا يجوز أن يقول: إن لم تبلغ رسالته.
فما بلغتها لأن ذلک معلوم لا فائدة فيه! قلنا: قال ابن عباس: معناه إن كتمت آية مما أنزل اليک فما بلغت رسالته و المعنى ان جريمته كجريمته لو لم يبلغ شيئاً مما أنزل اليه فی انه يستحق به العقوبة من ربه.
و قوله «وَ اللَّهُ يَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ» معناه يمنعک أن ينالوک بسوء من فعل أو شر أو قهر. و أصله عصام القربة، و هو وكاؤها الذی يشد به من سير أو خيط. قال الشاعر:
و قلت عليكم مالكاً إن مالكاً سيعصمكم إن كان فی الناس عاصم «1»
أی سيمنعكم. و قوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الْکافِرِينَ» قيل فی

معناه قولان:
قال الجبائى: إن اللَّه لا يهدى الى الثواب و الجنة الكافرين.
و قال الرمانى: معنى الهداية هاهنا المعونة بالتوفيق و الألطاف الى الكفر بل إنما يهديهم الى الايمان و الثواب، لأن من هداه الى غرضه فقد أعانه

---

(1) مجاز القرآن ا: 171 و الطبرى 10: 472.

على بلوغه، و لا يجوز أن يكون المراد به أنه لا يهديهم الى الايمان، لأنه تعالى هداهم اليه بأن دلهم عليه و رغبهم فيه و حذرهم من خلافه.
و فى الآية دلالة على صحة نبوة النبى (ص) من وجهين:
أحدهما- أنه لا يقدم على الاخبار بذلک محققاً إلا من يأمن أن يكون مخبره على ما هو به، لأنه لا داعى له الى ذلک غير الصدق.
و الثانى- أنه لما وقع مخبره على ما أخبر به فيه و فى نظائره دل على أنه من عند علام الغيوب. و حكى البلخى أن بعد قوله تعالى «وَ اللَّهُ يَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ» لم يكن الكفار قادرين على قتل النبى و لا منهيون عن قتله، لأن مع المنع لا يصح النهى عنه، قال و إنما هم منهيون عن أسباب القتل التى تقتل غالباً، لأنهم كانوا قادرين عليها. قال و وجه آخر أنهم كانوا قادرين لكن علم أنهم لا يقتلونه. و أنه يحول بينهم و بين القتل. و الأول لا يصح، لأن القدرة على بعض الأجناس قدرة على كل جنس تتعلق القدرة بها.

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ طُغْياناً وَ كُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (68)

سبب نزول هذه الآية ما

روى عن ابن عباس أنه جاء جماعة من اليهود، فقالوا: يا محمد أ لست تقول: إن التوراة من عند اللَّه؟ قال بلى. قالوا فانا التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 590

نؤمن بها و لا نؤمن بما عداها فنزلت الآية.

و معناها أنه تعالى أمر نبيه (ص) أن يقول لأهل الكتاب «لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ» . و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- حتى تقيموهما بالتصديق بما فيهما من البشارة بالنبى (ص) و العمل بما يوجب ذلک فيهما.

الثانى- قال أبو على يجوز أن يكون الأمر باقامة التوراة و الإنجيل و ما فيهما إنما كان قبل النسخ لهما.

و قوله «وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يريد به القرآن الذى أنزله على جميع الخلق.

الثانى- أن يريد جميع ما نصبه اللَّه من الأدلة الدالة على توحيده و صفاته و صدق نبيه (صلى اللَّه عليه و آله).

و قوله: «وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ طُغْياناً وَ كُفْراً» و المراد أنهم يزدادون عند نزوله طغياناً و كفراً، لأن القرآن المنزل لا يزيد شيئاً طغياناً.

فان قيل هذا هو المفسدة بعينه، لأنهم إذا فسدوا عنده و لولاه لما فسدوا كان ذلک مفسدة. !!!

قيل ليس فى الآية أنه لو لم ينزل القرآن لم يكونوا يفعلون الكفر بل لا يمتنع أنه لو لم ينزل القرآن لفعلوا من الكفر ما هو أعظم، فصار إنزال القرآن لطفاً فى استنقاص الكفر و تقليل المفسدة، فالمفسدة زائلة و اللطف حاصل، على أنه لا يمنع أن يكونوا يفعلون الكفر بعينه لو لم ينزل القرآن التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 591

فحقيقة المفسدة اذاً ليست بحاصلة، لأن حد المفسدة ما وقع عنده الفساد و لولاه لم يقع من غير أن يكون تمكيناً.

و الطغيان هاهنا تجاوز الحد فى الظلم و الغلو فيه و أصله تجاوز الحد.

و منه قوله تعالى: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ» «1» و قوله: «إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى» «2» أى يتجاوز الحد فى الخروج عن الحق.

و قوله: «فَلا تَأسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ» معناه لا تحزن تقول أسى يأسى أسا إذا حزن. قال الشاعر:
و انحلبت عيناه من فرط الأسى «3»
و هذا تسلية للنبى (ص) و ليس بنهى عن الحزن، لأنه لا يقدر عليه لكنه تسلية و نهى عن التعرض للحزن. قال البلخى ذلک يدل على بطلان ما روى من أن النبى (ص) دعا للكفار بالهداية، لأنه نهاه عن الحزن و أمره بلعنهم و لا يجتمع قول اللهم العنهم، و اهدهم و اغفر لهم.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصَّابِئُونَ وَ النَّصارى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (69)
أخبر اللَّه تعالى أن الذين صدقوا اللَّه و أقروا بنبوة نبيه (ص) «وَ الَّذِينَ هادُوا» يعنى الذين اعتقدوا اليهودية و نبوة موسى، و تأييد شرعه «و الصابئون»

---

(1) سورة الحاقة آية 11.
(2) سورة العلق آية 6.
(3) قائله العجاج. ديوانه: 31 و مجاز القرآن ا: 171 و الكامل للمبرد ا: 352 و اللسان (حلب)، (كرس).

و هو جمع صابئ، و هو الخارج عن دين عليه امَّة عظيمة من الناس الى ما عليه فرقة قليلة، و هم عباد الكواكب. و عندنا لا يؤخذ منهم الجزية.
و عند المخالفين يجرون مجرى أهل الكتاب و صبأ ناب البعير و سن الصبى إذا خرج. و ضبأ- بالضاد المعجمة- معناه اختبأ فى الأرض، و منه اشتق ضابى البرجمى. و «النصارى» و هم الذين يقرون بالمسيح (ع) و قوله:
«مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» قيل فيه قولان:
أحدهما- يعنى الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم، و هم المنافقون ذكره الزجاج.
الثانى- من دام على الايمان و الإخلاص و لم يرتد عن الإسلام.
و قيل فى معنى رفع الصابئين ثلاثة أقوال: أحدها- قال سيبويه: إنه على التقديم و التأخير و التقدير: ان الذين آمنوا و الذين هادوا و النصارى من آمن باللَّه و اليوم الآخر و عمل صالحاً فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و الصابئون كذلك. قال الشاعر:
و إلا فاعلموا أنا و أنتم بغاة ما بقينا فى شقاق
و المعنى فاعلموا انا بغاة ما بقينا فى شقاق و أنتم كذلك. و قال ضابئ البرجمى:
فمن يک أمسى بالمدينة رحله فانى و قيار بها لغريب «1»
و الثانى- قال الكسائى هو عطف على الضمير فى (هادوا) و كأنه قال هادوا هم و الصابئون. قال الرمانى هذا غلط من وجهين: أحدهما- ان الصابئ لا يشارک اليهود فى اليهودية. و الآخر أنه عطف على الضمير المتصل

---

(1) قد مر هذا البيت فى ا: 203.

من غير تأكيد بالمنفصل.
و الثالث قال الفراء: إنه عطف على ما لا يتبين فيه الاعراب و هو (الذين) و يجوز النسق على مثل (الذين) و على المضمر نحو انى و زيد قائمان، فعطف على موضع (ان).
و قوله «وَ عَمِلَ صالِحاً» فالعمل و الفعل واحد. و قال الرمانى: فعل الشىء إحداثه و إيجاده بعد أن لم يكن و عمله إحداث ما يكون به متغيراً سواء كان إحداثه نفسه أو احداث حادث فيه.
و قوله تعالى «فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» مع ما يمر بهم من أجل يوم القيامة لأمرين: أحدهما- أن ذلک لا يعتد به لأنه عارض، ثم يصيرون الى النعيم الدائم. و منه قوله «لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ» «2» و هو عذاب النار كما يقال للمريض لا بأس عليک. الثانى أن أهوال يوم القيامة إنما تنال الضالين دون المؤمنون. و الأول أقوى لعموم قوله: «يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى وَ لكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» «3»
و روى عن النبى (ص) أن الناس يلجمهم العرق. و انهم يحشرون حفاة عراة عزلا، فقالت عائشة لا يحتشمون من ذلک، فقال (ص): «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» «4» فأما قوله «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» و قد ذكر الذين آمنوا، فأن المعنى بالذين آمنوا هاهنا- فى قول الزجاج- المنافقون بدلالة قوله «لا يَحْزُنْکَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِى الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ» «5» و التقدير من

---

(2) سورة الأنبياء آية 103.
(3) سورة الحج آية 2.
(4) سورة عبس آية 37.
(5) سورة المائدة آية 44.

آمن منهم. و قال قوم: من آمن يرجع الى من عدا الذين آمنوا و حمل «الَّذِينَ آمَنُوا» على ظاهره من حقيقة الايمان. و منهم من قال: يرجع الى الجميع و يكون المعنى فى «من آمن» من يستديم على الايمان و يستمر عليه.
و قد استوفينا ما يتعلق بذلک فى سورة البقرة.

لَقَدْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَ فَرِيقاً يَقْتُلُونَ (70)
آية عند الجميع.
اللام فى قوله «لقد» لام القسم. أقسم اللَّه تعالى أنه أخذ الميثاق و هو الأيمان المؤكدة التى أخذها أنبياءهم على بنى إسرائيل فى قول أبى على.
و قال غيره: يجوز أن يكون الميثاق هى الآيات البينة التى قرر بها علم ذلك عندهم. و إنما أخذ ميثاقهم على الإخلاص لتوحيد اللَّه تعالى، و العمل بما أمر به، و الانتهاء عما نهى عنه و التصديق برسله و البشارة بالنبى الامىّ و الإقرار به، حسب ما تقدمت صفته عندهم.
و وجه الاحتجاج على أهل الكتاب بما أخذ على آبائهم من الميثاق أنهم قد عرفوا ذلک فى كتبهم، و أقروا بصحته، فحجته لازمه لهم. و العمل به واجب عليهم، و عيب المخالفة يلحقهم كما لحق آباءهم الذين نقضوا الميثاق الذى أخذ عليهم.
و قوله «كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ» و الهوى هو لطف محل الشىء من النفس مع الميل اليه بما لا ينبغى، فلذلک غلب على الهوى
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 595
صفة الذم، كما قال تعالى: «وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى» «1» و يقال: منه: هو يهوى و يقال: هوى يهوى هوياً إذا انحط فى الهواء و أهوى بيده إذا انحط بها ليأخذ شيئاً. و «فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ» «2» أى جهنم، لأنه يهوى فيها. و هم يتهاوون فى الهواء إذا سقط بعضهم فى أثر بعض و الفرق بين الهوى و الشهوة: أن الشهوة تتعلق بالمدركات فيشتهى الإنسان الطعام، و لا يهوى الطعام. و هواء الجو ممدود، و هوى النفس مقصور.
و قوله: «وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ» «3» قيل فيه قولان: أحدهما- أنها منحرفة لا تعى شيئا كهواء الجو. و الآخر أنه قد أطارها الخوف. و منه قوله «كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرانَ» «4» أى استهوته من هوى النفس.
و قوله: «فَرِيقاً كَذَّبُوا وَ فَرِيقاً يَقْتُلُونَ» نصب فريقاً فى الموضعين بأنه مفعول به قدم. و إنما قال فى الأول «كذبوا» بلفظ الماضى. و فى الثانى «يقتلون» بلفظ المستقبل لأمرين:
أحدهما- ليدل بذلک على أن من شأنهم ذلک و عادتهم ففيه معنى كذبوا و قتلوا و يكذبون و يقتلون مع موافقته لرؤوس الآى.
الثانى- أن يكون على معنى فريقاً كذبوا، و لم يقتلوا و فريقاً كذبوا و قتلوا فيكون يقتلون صفة الفريق.

وَ حَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَ صَمُّوا ثُمَّ تابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ (71)

---

(1) سورة النازعات آية 40- 41.
(2) سورة القارعة آية 9.
(3) سورة ابراهيم آية 43.
(4) سورة الانعام آية 71. [.....]

آية بلا خلاف.
قرأ أبو عمرو و حمزة و الكسائى «ألا تكون» بالرفع. الباقون بالنصب. و لم يختلفوا فى رفع (فتنة) فمن رفع، فالمعنى حسبوا فعلهم غير فاتن لهم، لأنهم كانوا يقولون «نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ» و من نصبه فلأن «أن» تنصب الفعل المضارع. و قال أبو على الفارسى الافعال على ثلاثة أضرب: فعل يدل على ثبات الشىء و استقراره نحو العلم، و فعل يدل على خلاف الاستقرار و الثبات، و فعل يحتمل الأمرين، فما كان معناه العلم وقع بعده (أن) الثقيلة، و لم تقع بعده الخفيفة الناصبة للفعل، لأن الثقيلة معناها إثبات الشىء و استقراره و العلم بأنه كذلك أيضاً، فإذا أوقع عليه و استعمل معه كان وقعه ملائما له. و لو استعملت الناصبة للفعل بعد ما معناه العلم و استقرار الشىء له لتباينا و تدافعا، فمن استعمال الثقيلة بعد العلم و إيقاعه عليها قوله: «وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» «1» و «أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى» «2»، لأن الباء زائدة. و كذلك التبين و التيقن، و ما كان معناه العلم كقوله «ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ» «3» فهذا ضرب من العلم لأنه تبين لأمر قد بان فلذلك كان قسما كما كان علمت قسما فى نحو قوله:
و لقد علمت لتأتين منيتى و كذلك «ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ» «4» فهو

---

(1) سورة النور آية 25.
(2) سورة العلق آية 14.
(3، 4) سورة يوسف آية 35.

بمنزلة علموا ليسجننه و على ذلك قول الشاعر:
بدا لى أنى لست مدرك ما مضى (و لا سابقا شيئاً إذا كان جائيا)
فأوقع بعدها الشديدة كما يوقعها بعد علمت و اما ما كان معناه ما لم يثبت

و لم يستقر فنحو (أطمع) و (أخاف) و (اشفق) و (أرجو) فهذا و نحوه لا يستعمل بعده إلا الخفيفة الناصبة للفعل كقوله تعالى: «وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي» «1» و قوله «تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآواكُمْ» «2» و قوله: «إِلَّا أَنْ يَخافا أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ. فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» «3» و قوله: «فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما» «4» و قوله: «أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا» «5» و كذلک أرجو، و عسى، و لعل فأما ما يستعمل فى الامرين نحو حسبت و ظننت و زعمت فهذا النحو يجعل مرة بمنزلة (أرجو) و (أطمع) من حيث كان أمراً غير مستقر و مرة يجعل مرة بمنزلة العلم من حيث استعمل استعماله. و من حيث كان خلافه. و الشىء قد يجرى مجرى الخلاف نحو (عطشان) و (ريان) فاما استعمالهم استعمال العلم، فلأنهم قد أجابوه بجواب القسم. حكى سيبويه ظننت ليسقينى. و قيل فى قوله «وَ ظَنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ» «6» ان النفى جواب الظن كما كان جواباً لعلمت فى قوله «عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ» «7» و كلا الوجهين جاء به القرآن مثل قراءة من نصب قوله «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا» «8»

_____

(1) سورة الشعراء آية 82.
(2) سورة الانفال آية 26.
(3) سورة البقرة آية 229.
(4) سورة الكهف آية 81.
(5) سورة المجادلة آية 13.
(6) حم السجدة آية 48.
(7) سورة الإسراء آية 102.
(8) سورة العنكبوت آية 4.

«أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ» «9» «الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا» «10» و مثل قراءة من رفع قوله «أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ» «11» «أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ» «12» «أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ» «13» فهذه مخففة من الشديدة. و مثل ذلک فى الظن قوله: «تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ» «14» و قوله «إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» «15» و من الرفع قوله: «وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ.. وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً» «16» و إنما ها هنا الخفيفة من الثقيلة لأن الناصبة للفعل لا تقع بعدها (أن) لاجتماع الحرفين فى الدلالة على الاستقبال كما لم تجتمع الناصبة مع السين، و لم يجتمعا كما لم يجتمع الحرفان بمعنى واحد. و لذلک كانت (ان) فى قوله «عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ» «17» المخففة من الشديدة. و من ذلک قوله

«وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ» «18» فاما قوله: «الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ» «19» و قوله: «ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ» «20» فالظن ها هنا بمعنى العلم، و حسن وقوع الخفيفة من الشديدة فى قول من رفع و إن كان بعده فعل لدخول (لا) و كونها عوضاً من حذف الضمير معه و إيلاء

---

(9) سورة الجاثية آية 20.
(10) سورة العنكبوت آية 2.
(11) سورة الزخرف آية 80. [.....]
(12) سورة المؤمنون آية 56.
(13) القيامة آية 3.
(14) سورة القيامة آية 25.
(15) سورة البقرة آية 230.
(16) سورة الجن آية 5- 7.
(17) سورة المزمل آية 20.
(18) سورة يونس آية 22.
(19) سورة البقرة آية 46.
(20) سورة الحاقة آية 20.

ما لم يكن يليه. و لو قلت علمت أن يقول لم يجز حتى يأتى بما يكون عوضاً نحو (قد) و (لا) و السين و سوف، كما قال «عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ» و لا يدخل على ذلک قوله: «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى» «6» فلم يدخل بين (أن) و (ليس) شىء لأن (ليس) ليس بفعل على الحقيقة. و أما (فتنة) فلو نصب لكان صحيحاً فى العربية على تقدير: أن لا يكون قولهم فتنة.

و لكن لم يقرأ به أحد. قال الرمانى: وحد الحسبان هو قوة أحد النقيضين فى النفس على الآخر و أصله الحساب، فالنقيض القوى يحتسب به دون الآخر أى هو فيما يحتسب و لا يطرح و منه الحسب لأنه مما يحسب و لا يطرح لأجل الشرف و منه قولهم: حسبک أى يكفيک، لأنه بحساب الكفاية و منه احتساب الأجر، لأنه فيما يحتسب و يكفى.

و الفتنة ها هنا العقوبة. و قيل البلية- فى قول السدى و قتادة و الحسن و مجاهد- و قيل: الشدة. و كل ذلک متقارب. و قال ابن عباس: الفتنة- ها هنا- الشرک. و أصل الفتنة الاختبار، و منه افتتن بفلانة إذا هواها، لأنه يظهر ما يطوى من خبره بها. و فتنت الذهب فى النار إذا خلصته ليظهر خبره فى نفسه متميزاً من شائب غيره. و قوله «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» «1» أى يحرقون. فإذا هم خبث كلهم «وَ فَتَنَّاکَ فُتُوناً» «2» أى اختبرناک اختباراً أى ليظهره خبرک على خلوص أمرک فى طاعتک أو غير ذلک من حالک.

و قوله «فَعَمُوا وَ صَمُّوا» معناه عن الحق على وجه التشبيه بالأعمى

(6) سورة النجم آية 39.
(1) سورة الذاريات آية 13.
(2) سورة 20 طه آية 40.

و الأصم لأنه لا يهدى الى طريق الرشد فى الدين كما لا يهتدى هذا الى طريق الرشد فى الدنيا لأجل العمى و الصمم، فكذلک أولئک لاعراضهم عن النظر.
و قوله «ثُمَّ تابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا» إخبار منه تعالى أن هؤلاء الكفار حسبوا أن لا يكون فتنة على ما فسرناها «فَعَمُوا وَ صَمُّوا» و قتلوا الأنبياء و كذبوهم ثم أن فريقاً منهم تابوا فتاب اللّه عليهم «ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا» يعنى عادوا الى ما كانوا عليه. و قيل قوله «ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا» فى الإقرار بالنبى (ص) و قوله: «كَثِيرٌ مِنْهُمْ» قال الزجاج يحتمل رفعه ثلاثة أوجه:
أحدها- ان يكون بدلًا من الفاء، فكأنه لما قال «عَمُوا وَ صَمُّوا» أبدل الكثير منهم أى عمى و صم كثير منهم كما يقول جاءنى قومک أكثرهم.
و الثانى- أن يكون جمع الفعل متقدماً على لغة من قال اكلونى البراغيث، و ذهبوا قومک. قال أبو عمرو الهذلى:
و لكن ديافى أبوه و امه بحوران يعصرون السليط أقاربه «1»
الثالث ان يكون (كثيراً) خبر ابتداء محذوف و التقدير ذو العمى و الصمم «كَثِيرٌ مِنْهُمْ» ثم بين تعالى «إنه بصير» أى عالم «بِما يَعْمَلُونَ» أى بأعمالهم.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَ قالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَ مَأْواهُ النَّارُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ (72)

---

(1) اللسان (سلط)، (ديف) نسبه الى الفرزدق.

آية بلا خلاف.

اللام فى قوله «لقد» لام القسم. أقسم اللَّه تعالى بأنه «كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ» و الكفر هو الجحود لما يجب عليه الإقرار به، و التصديق له. و قال الرمانى: هو تضييع حق النعمة بالجحد او ما جرى مجراه فى عظم الجرم. و لذلک كان من قتل نبياً فهو كافر و ان أقر بجميع نعم اللَّه. و عندنا إن قتل نبى يدل على ان قاتله جاحد لما يجب عليه الإقرار به، و الاعتقاد لتصديقه.

و الذين يقولون من النصارى: إن اللَّه هو المسيح بن مريم هم اليعقوبية، و هم مع ذلک مثلثة، لأنهم يقولون إن الأب و الابن و روح القدس إله واحد.

و غيرهم يقولون: إن المسيح ابن اللَّه. و لا يقولون هو اللَّه و أجمعوا على أنه إله.

و قوله: «وَ قالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ» اخبار عن المسيح (ع) أنه قال لبنى إسرائيل الذين كانوا فى زمانه «اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ» الذى يملكنى و إياكم و إنى و إياكم عبيده، و من خلقنى و خلقكم «إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فالشرک هو الكفر. و إنما يطلق على من أشرک فى عبادة اللَّه غيره، و إنما كان كافراً، لأنه جحد نعمة اللَّه بإضافتها الى غيره، و زعمه أن غيره يستحق العبادة مع ما ثبت أنه لا يقدر أحد على ما يستحق به العبادة سوى اللَّه تعالى. و الشرک أصله الاجتماع فى الملک، فإذا كان الملک بين نفسين، فهما شريكان و كذلک كل شىء يكون بين نفسين، و لا يلزم على ذلک ما يضاف الى كل واحد منهما منفرداً كالعبد يكون مالكاً

للَّه و هو ملک للإنسان، لأنه لو بطل ملک الإنسان، لكان ملكاً للَّه كما كان، لم يزد فى ملكه شىء لم يكن.

و قوله: «فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» اخبار من المسيح لقومه أن من يشرک باللَّه، فان اللَّه يمنعه الجنة. و التحريم ها هنا هو تحريم منع لا تحريم عبادة.

و قوله: «وَ مَأْواهُ النَّارُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ» معناه أنهم مع حرمانهم

الجنة مستقرهم النار، و لا ناصر لهم يدفع عنهم و يخلصهم مما هم فيه من أنواع العذاب.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلاَّ إِلهٌ واحِدٌ وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (73)
آية بلا خلاف.
و هذا قسم آخر من اللَّه بأنه كفر من قال: «إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ» و القائلون بهذه المقالة هم جمهور النصارى من الملكانية، و اليعقوبية و النسطورية، لأنهم يقولون: أب، و ابن، و روح القدس إله واحد، و لا يقولون ثلاثة آلهة. و يمنعون من العبارة. و إن كان يلزمهم أن يقولوا إنهم ثلاثة آلهة.
و ما كان هكذا صح أن يحكى بالعبارة اللازمة. و إنما قلنا: يلزمهم، لأنهم يقولون الابن إله و الأب إله و روح القدس إله. و الابن ليس هو الأب.
و معنى «ثالِثُ ثَلاثَةٍ» أحد ثلاثة. و قال الزجاج، لا يجوز نصب ثلاثة لكن العرب فيه مذهب آخر و هو أنهم يقولون رابع ثلاثة، فعلى هذا يجوز التبيان
فى تفسير القرآن، ج3، ص: 603
الجر و النصب، لأنه معناه الذى صير الثلاثة أربعة بكونه فيهم.
ثم أخبر تعالى، فقال «وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا إِلهٌ واحِدٌ» أى ليس إلا اله واحد. و دخلت (من) للتوكيد.
و قوله: «وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ» أى إن لم يرجعوا و يتوبوا عما يقولون من القول بالتثليث أقسم «لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» يعنى الذين يستمرون على كفرهم و المس- ها هنا- ما يكون معه احساس و هو حلوله فيه، لأن العذاب لا يمس الحيوان إلا أحس به و يكون المس بمعنى اللمس، لأن فى اللمس طلباً لاحساس الشىء، فلهذا اختير ها هنا المس.
و اللمس ملاصقة معها إحساس و إنما قال «لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ» لأمرين:
أحدهما- ليعم الوعيد الفريقين الذين قالوا إن اللَّه هو المسيح بن مريم، و الذين قالوا هو ثالث ثلاثة و الضمير عائد الى أهل الكتاب.
الثانى- أنه من أقام منهم على الكفر لزمه هذا الوعيد فى قول أبى على، و الزجاج، و ليس فى الآية ما يدل على أن فى أفعال الجوارح ما هو كفر لأن الذى فيها هو الاخبار عن أن من قال اللَّه ثالث ثلاثة فهو كافر، و هذا لا خلاف فيه. و ليس فيها أن هذا القول بعينه هو كفر أو دلالة على الكفر، فمن يقول الكفر هو الجحود، و ان الايمان هو التصديق بالقلب يقول إن فى أفعال الجوارح ما يدل على الكفر الذى هو الجحود فى القلب مثل القول الذى ذكره اللَّه تعالى. و مثل ذلك السجود للشمس و عبادة الأصنام و غير ذلك، فلا دلالة فى الآية على ما قالوه.
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 604

أَ فَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَهُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74)
آية الألف فى قوله «أفلا» الف إنكار و أصلها الاستفهام، لأنه لا يصح للسؤال جواب عن مثل هذا فيكون حينئذ تقريعاً لهم و إنكارا عليهم ترک التوبة و إنما دخلت «إلى» فى قوله: «يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ» لأن معنى التوبة الرجوع الى طاعة اللّه، لأن التائب بمنزلة من ذهب عنها ثم عاد اليها، و قد بينا فيما مضى أن التوبة طاعة يستحق بها الثواب، فأما إسقاط العقاب عندها فهو تفضل من اللّه غير واجب.
و الفرق بين التوبة و الاستغفار أن الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء أو التوبة أو غيرها من الطاعة. و التوبة الندم على القبيح مع العزم على أن لا يعود إلى مثله فى القبيح أو الإخلال بالواجب و الاستغفار مع الإصرار على القبيح لا يصح و لا يجوز. و فى الآية تحضيض على التوبة و الاقلاع من كل قبيح و الإنكار لتركها، و حث على الاستغفار «وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» إخبار منه تعالى أنه يستر الذنوب و يغفرها رحمة منه لعباده.

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآياتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75)
آية بلَا خلاف أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه ليس المسيح بن مريم إلا رسول أرسله اللَّه «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ» أى انه رسول ليس بإله كما ان الأنبياء قبله بيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 605
رسل ليسوا بآلهة. و انه أتى بالمعجزات من قبل اللَّه كما أتوا بها من قبل ربهم، فمن ادعى له الإلهية فهو كمن ادعى الالهية لجميعهم لتساويهم فى المنزلة و معنى «خلت» مضت. «وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- أنها كانت تصدق بآيات ربها و منزلة ولدها، و تصدقة فيما أخبرها به بدلالة قوله «وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها» «1» ذكر ذلك الحسن، و الجبائى.
الثانى- لكثرة صدقها و عظم منزلتها فيما تصدق به من أمرها أو سميت صديقة على وجه المبالغة، كما قيل: رجل سكيت. أى مبالغ فى السكوت.
و قوله «كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ» فيه احتجاج على النصارى، لأن من ولدته النساء، و كان يأكل الطعام لا يكون إلها للعباد لأن سبيله سبيلهم فى الحاجة الى الصانع المدبر، لأن من فيه علامة الحدث، لا يكون قديماً. و من يحتاج الى غيره لا يكون قادراً لا يعجزه شىء و قيل إن ذلك كناية عن قضاء الحاجة لأن من أكل الطعام لا بد أن يحدث حدثاً مخصوصاً على مجرى العادة.
و قوله «انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآياتِ» أمر للنبى و أمته بأن يكفروا فيما بين اللَّه من الآيات و الدلالات لهم على بطلان ما اعتقدوه من ربوبية المسيح، و نبوته ثم أمره بأن ينظر ثانياً «أَنَّى يُؤْفَكُونَ» أى كيف يؤفكون. و قيل من أين يؤفكون و معنى «يؤفكون» يصرفون. و قيل يقبلون. و المعنى متقارب، لان المعنى انظر كيف يصرفون عن الآيات التى بيناها لهم و يقال:
لكل مصروف عن شىء مأفوك عنه، و قد افكت فلاناً عن كذا أى صرفته عنه صرفاً. فأنا آفكه إفكاً فهو مأفوك و قد أفكت الأرض إذا صرف عنها المطر،

---

(1) سورة التحريم آية 12. [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 606
و الافك الكذب، لأنه صرف الخبر عن وجهه. و المؤتفكات المنقلبات من الرياح، و غيرها، لأنها صرفت بقلبها عن وجهها.

قُلْ أَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً وَ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76)

آية أمر اللّه تعالى نبيه (ص) أن يقول لهؤلاء النصارى الذين قالوا «إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ» : «أَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً» أى توجهون عبادتكم الى من لا يقدر على الضر و النفع، لأن القادر عليهما هو اللّه تعالى او من يمكنه اللّه من ذلک. و لو جاز توجيه العبادة الى المسيح الذى لا يملک ذلک لجاز توجيهها الى الأصنام كما يقوله عباد الأصنام. و قد علمناک خلاف ذلک.

و الملک: هو القدرة على تصريف ما للقادر عليه أن يصرفه، فملک الضرر و النفع أخص من القدرة عليهما، لأن القادر عليهما قد يقدر من ذلک على ماله أن يفعل، و قد يقدر منه على ما ليس له أن يفعله. و النفع: هو فعل اللذة أو السرور او ما أدى اليهما أو الى واحد منهما مثل الملاذ التى تحصل فى الحيوان. و الصلة بالمال و الوعد باللذة، فان جميع ذلک نفع، لأنه يؤدى الى اللذة. و الضرر هو فعل الألم أو الغم أو ما أدى اليهما أو الى واحد منهما كالآلام التى توجد فى الحيوان و القذف و السب، لأن جميع ذلک يؤدى الى الآلام و الغضب ضرر لأنه من الأسباب المؤدية الى الآلام.

و قوله «وَ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» قيل فى معناه ها هنا قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 607

أحدهما- أنه ذكر للاستدعاء الى التوبة فهو يسمع قول العبد فيها و ما يضمره منها.

و الآخر التحذير من الجزاء بالسيئة، لأنه يعلم الاعمال و يسمع الاسرار و الإعلان. و ذلک دليل على ملک الجزاء بالثواب و العقاب.

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ (77)

آية بلا خلاف.

أمر اللَّه تعالى نبيه (ص) أن يخاطب أهل الكتاب، و هم النصارى ها هنا.

و قال قوم: المراد به اليهود و النصارى، لأن اليهود أيضاً غلوا فى تكذيب عيسى، و محمد (ص) و يقول لهم «لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ» و معناه لا تتجاوزوا الحد الذى حده اللَّه لكم الى الازدياد. و ضده التقصير و هو الخروج عن الحد الى النقصان. و الزيادة فى الحد و النقصان معاً فساد أى و دين اللَّه الذى أمر به هو بين الغلو، و التقصير، و هو الاقتصاد.

و قوله «وَ لا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ» و قل لهم: لا تسلكوا سبيل الأوائل، لأن الاتباع هو سلوك الثانى طريقة الأول على وجه الاقتداء به و قد يتبع الثانى الأول فى الحق و قد يتبعه فى الباطل. و إنما يعلم أحدهما بدليل.

و المراد ها هنا النهى عن اتباع سبيلهم الباطل. و (الأهواء) ها هنا المذاهب التى تدعوا اليها الشهوة دون الحجة، لأن قد يستثقل النظر لما فيه من المشقة، و يميل طبعه الى بعض المذاهب فيعتقده، و هو ضلال فيهلك به. و

«قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ» فيه قولان:

قال الحسن، و مجاهد: هم اليهود.

و قال أبو على هم أسلافهم الذين هم رؤساء ضلالتهم الذين سنوا لهم هذا الكفر من الفريقين اليهود و النصارى «وَ أَضَلُّوا كَثِيراً» يعنى هؤلاء الذين ضلوا من قبل و أضلوا أيضاً كثيراً من الخلق. و نسب الإضلال اليهم، من حيث كان بدعائهم و إغوائهم.

و قوله «وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ضلوا باضلالهم غيرهم فى قول الزجاج.

الثانى- و ضلوا من قبل، و ضلوا من بعد، فلذلك كرر. و قيل «ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ» عن الهدى فى الدنيا «وَ أَضَلُّوا كَثِيراً» عن طريق الجنة.

و «سَواءِ السَّبِيلِ» معناه مستقيم الطريق. و المعنى فيه الحق من الدين، لأنه يستقيم بصاحبه الى الجنة، و الخلود فى النعيم. و قيل له: سواء لاستمراره على استواء.

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ (78)
آية بلا خلاف.
قيل فى معنى «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرائِيلَ» الآية ثلاثة أقوال:
أحدهما- إياسهم من مغفرة اللّه مع الاقامة على الكفر و المعصية للّه- عز و جل- لدعاء الأنبياء (عليهم السلام) عليهم بالعقوبة و دعوتهم مستجابة مع ما فى ذلک من الفضيحة، و انطواء أولياء اللّه لهم على العداوة، و المظاهرة
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 609
عليهم فى إقامة الحجة.
الثانى- قال الحسن و مجاهد و قتادة و أبو مالک لعنوا على لسان داود، فصاروا قردة و على لسان عيسى، فصاروا خنازير. و انما ذكر عيسى و داود، لأنهما أنبه الأنبياء المبعوثين بعد موسى (ع) و لما ذكر داود أغنى عن ذكر سليمان، لأن قولهما واحد.
و قال أبو جعفر (ع) أما داود فلعن أهل ايلة لما اعتدوا فى سبتهم و كان اعتداؤهم فى زمانه، فقال: اللهم البسهم اللعنة مثل الرداء و مثل المنطقة على الحقوين، فمسخهم اللّه قردة. و أما عيسى فلعن الذين أنزلت عليهم المائدة ثم كفروا بعد ذلک.
الثالث- قال أبو على الجبائى: إنه إنما أظهر ذلک لئلا يوهموا الناس أن لهم منزلة بولادة الأنبياء تنجيهم من عقوبة المعاصى.
و اللعن هو الابعاد من رحمة اللّه، فلعنه اللّه يعنى أبعده اللّه من رحمته الى عقوبته، و لا يجوز لعن من لا يستحق العقوبة من الأطفال و المجانين و البهائم، لأنه تعالى لا يبعد من رحمته من لا يستحق الابعاد عنها. و قوله:
«ذلِکَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ» إشارة الى اللعن الذى تقدم ذكره بمعصيتهم و اعتدائهم.
ف (إذا) لما قرب و (ذلک) لما بعد، لأنه اجتزئ فى دلالة الخطاب لما قرب بالإقبال عليه. و فى القريب بالاشارة اليه فلما بعد لم يصلح الاجتزاء فيهما كما يصلح فيما قرب، فاتى بالكاف للخطاب و أكد ذلک باللام و كسرت لالتقاء الساكنين و الكاف فى ذلک حرف و فى غلامک اسم، و لهذا لم يؤكد بما يؤكد فى غلامک لأنک لا تقول ذلک نفسک. كما تقول فى غلامک نفسک.
و إنما قال: «بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ» و إن كان الكفر أعظم الاجرام
التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 610
ليدل على أن من خلصت معصيته مما يكفرها أو بقتة، و أنهم مع كفرهم قد عصوا بغير الكفر من الجرم الذى فسر فى الآية التى بعد.

كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ (79)
آية بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى أن هؤلاء الكفار الذين ذكرهم لم يكونوا يتناهون عن منكر أى لم يكن ينهى. بعضهم بعضاً مثل قولك لا يتضاربون و لا يترامون و لا ينتهون و معناه لا يكفون عما نهوا عنه.
و قوله: «لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ» و فتحت اللام لام القسم و تقديره اقسم لبئس ما كانوا يفعلون كما فتحت لام الابتداء لأنها لما لم تكن عاملة ك (لام الاضافة) اختير لها أخف الحركات. و لا يجوز أن تكون لام الابتداء، لأنها لا تدخل على الفعل الا فى باب (أن) و لا تدخل على الماضى.
و (ما) فى قوله «لَبِئْسَ ما» قيل فيها قولان: أحدهما- أن تكون (ما) كافة لـ (بئس) كما تكف فى (إنما) و (بعد ما) و (ربما) و الآخر- أن تكون اسماً نكرة كأنه قال: بئس شيئاً فعلوه، كما تقول بئس رجلا كان عندك.
و فى الآية دلالة على وجوب انكار المنكر، لأن كل شىء ذم اللَّه عليه.
فواجب تركه إلا أن يفيد بوقت يخصه، لأن ظاهر ذلك يقتضى قبحه، و التحذير منه. و المنكر هو القبيح، سمى بذلك لأنه ينكره العقل من حيث أن العقل يقبل الحسن و يعترف به، و لا يأباه و ينكر القبيح و يأباه و الإنكار

ضد الإقرار. فما يقر به العقل هو الحق، و ما ينكره، فهو الباطل.
و قيل فى معنى (المنكر)- ها هنا- ثلاثة أقوال: أحدها صيد السمك فى السبت. و الثانى- أخذ الرشوة فى الحكم. و الثالث- أكل الربا و أثمان الشحوم.
و قال رسول اللَّه (ص) لا قدست أمَّة لا تأخذ لضعيفها حقه غير مضيع.

تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ فِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ (80)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب من اللَّه للنبى (ص) يقول له «تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ» يعنى من هؤلاء اليهود فى قول الحسن و أبى على. و قال غيرهما يعنى أهل الكتاب أى «يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» من عبدة الأوثان فى قول الحسن و غيره. و قال أبو جعفر يتولون الملوك الجبارين و يزينون لهم أهوائهم ليصيبوا من دنياهم.

فان قيل: كيف يتولى أهل الكتاب عبدة الأوثان مع إكفارهم إياهم على تلك العبادة؟! قلنا لأنهم يعملون عمل المتولى بالنصرة و المعاونة و الرضا بما يكون منهم من عداوة النبى (ص) و محاربته. و يجوز أن يكونوا تولوهم على ذلک فى الحقيقة، فيكون على جهة تقييد الصفة.

فان قيل ما الفائدة فى اخباره (ص) يراه و هو عالم به؟ قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- التوبيخ لصاحبه فيقرعون بما هو معلوم من حالهم.

و الآخر التنبيه على باطن أمرهم بما يدل عليه ظاهر حالهم المعلومة التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 612

فينكشف باطنهم القبيح.

و قوله «لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما بئس شيئاً قدموه من العمل لمعادهم فى الآخرة فى قول أبى على. و اللام لام القسم على ما بيناه.

و الثانى- إنه يجرى مجرى قوله: «سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ» أى قدمت لهم أنفسهم بما بعثهم على تولى الذين كفروا مع مخالفتهم. و قوله: «أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» قيل فى موضع «أَنْ سَخِطَ اللَّهُ» قولان:

أحدهما- رفع كقولک: ما قدموه لأنفسهم سخط اللَّه أى هو سخط اللَّه عليهم و خلودهم فى النار بما كان من توليهم و رفعه كرفع (زيد) فى قولک: بئس رجلا زيد.

الثانى- أنه جر على تقدير لان سخط اللَّه عليهم و حصلوا على الخلود فى النار و قال الزجاج: يجوز أن يكون نصباً على تقدير بئس الشىء ذلک، لأن أكسبهم السخطة عليهم.

وَ لَوْ كانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِياءَ وَ لكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فاسِقُونَ (81)
آية بلا خلاف.
قيل فى معنى قوله «وَ لَوْ كانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ» مع العلم بأنهم لا يؤمنون بالنبى قولان:
أحدهما- قال الحسن و مجاهد أنه فى المنافقين من اليهود.
الثانى- المراد بالنبى موسى (ع) و معنى (لو)- ها هنا- النفى التبيان فى تفسير القرآن، ج3، ص: 613
لايمانهم و إن لم يكون حرف نفى لكنه خرج مخرج الحجاج الذى يدل على نفى الايمان. و انما معناه تعليق الثانى بالأول فى أنه يجب بوجوبه، فإذا ظهر أن الثانى لم يجب دل على ان الأول لم يكن قد دخله معنى النفى من هذه الجهة.
فان قيل: إذا كان المؤمن باللَّه لا يطلق عليه اسم مؤمن إلا و هو مؤمن بالنبى و بما أنزل اليه فلم ذكرا؟.
قلنا للدلالة على التفصيل لان تلك الصفة و ان كانت دالة فإنما تدل على طريق الجملة و قوله «مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِياءَ» يعنى هؤلاء لو كانوا مؤمنين على الحقيقة لما اتخذوا المشركين أولياء و (ما) يجوز أن تكون جواب (لو) و لا يجوز أن تكون جواب (ان) لأن حرف الجزاء يعمل فيما قبله و (ما) لها صدر الكلام فلا يعمل فيها. و ليس كذلك (لم) فلذلك لم يجز ان آتينى ما ضرك و يجوز ان آتينى لم يضرك. لأنه يجوز أن تقول زيدا لم أضرب و لا يجوز أن تقول زيداً ما ضربت و قوله: «وَ لكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فاسِقُونَ» إنما وصفهم بالفسق و إن كان الكفر أعظم فى باب الذم لامرين:
أحدهما إن معناه خارجون عن أمر اللَّه فهذا المعنى لا يظهر بصفة كافر.
و الآخر ان الفاسق فى كفره هو المتمرد فيه و الكلام يدل على أنهم فاسقون فى كفرهم أى خارجون الى التمرد فيه.

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (82)

آية بلا خلاف.

قيل فى سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و سعيد بن جبير و عطاء و السدى: إنها نزلت فى النجاشى ملك الحبشة و أصحابه لما اسلموا.

و قال قتادة: نزلت فى قوم من أهل الكتاب كانوا على الحق متمسكين بشريعة عيسى (ع) فلما جاء محمد (صلى اللّه عليه و آله) آمنوا به.

و قال مجاهد: نزلت فى الذين جاءوا مع جعفر بن أبى طالب (رحمه اللّه) مسلمين و اللام فى قوله «لتجدن» لام القسم. و النون دخلت لتفصل بين الحال و الاستقبال، هذا مذهب الخليل، و سيبويه و غيرهما. و قوله: «عداوة» منصرف منتصب على التمييز.

وصف اللّه تعالى اليهود و المشركين بأنهم أشد الناس عداوة للمؤمنين، لأن اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين مع أن المؤمنين يؤمنون بنبوة موسى و التوراة التى أتى بها، فكان ينبغى أن يكونوا الى من وافقهم فى الايمان بنبيهم و كتابهم أقرب. و ظاهروا المشركين حسداً للنبى (عليه السلام).

و قوله: «وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى» يعنى الذين قدمنا ذكرهم- عن المفسرين. و قال الزجاج يجوز أن يكون أراد به النصارى، لأنهم كانوا أقل مظاهرة للمشركين، و به قال الجبائى.

و روى عن ابن عباس أنه قال: من زعم أنها فى النصارى فقد كذب. و إنما

هم النصارى الأربعون الذين فاضت أعينهم حين قرأ النبى (ص) عليهم القرآن اثنان و ثلاثون من الحبشة، و ثمانية من أهل الشام. و سارعوا الى الإسلام و لم يسارع اليهود.

و المودة هى المحبة إذا كان معها ميل الطباع يقال: وددت الرجل أوده ودا و وداداً و مودة: إذا أحببته و ودته: إذا تمنيته أوده وداً. و منه قوله «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» «1» .

و قوله «ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً» فالقسيسون العباد فى قول ابن زيد و القس و القسيس واحد الا أنه قد صار كالعلم على رئيس من رؤساء النصارى فى العبادة. و يجمع قسوساً و أصله فى اللغة النميمة يقس قساً

إذا نم الحديث. قال رؤبة بن العجاج:
يضحكن عن قس الأذى غوافلا لا جعبريات و لا طهاملا «2»
الطهامل من النساء القباح. و مصدره القسوسة و القسيسة فالقس الذى ينم حاله بالاجتهاد فى العبادة. و الرهبان جمع راهب، كراكب و ركبان و فارس و فرسان. قال الشاعر:
رهبان مدين لو رأوک تنزلوا و العصم من شعف العقول الفادر «3»
و قيل: إنه يكون واحداً و يجمع رهابين كقربان و قرابين و رهابنة أيضاً قال الشاعر:

_____

(1) سورة القلم آية 9.
(2) اللسان (قسس)، (جعبر) و رايته (يمسين) بدل «يضحكن» .
(3) قائله جرير ديوانه: 305 و اللسان (ذهب)، و معجم البلدان (مدين).

لو عاينت رهبان دير فى القلل لأقبل الرهبان يمشى و نزل «1»
و كل ذلک من الرهبة التى هى المخافة و رهب يرهب رهباً إذا خاف و الترهيب ضد الترغيب. و قوله «وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ» معناه إن هؤلاء النصارى الذين آمنوا لا يستكبرون عن اتباع الحق و الانقياد له كما استكبر اليهود و عباد الأوثان و انفوا من قبول الحق، و أخبر اللّه تعالى فى هذه الآية عن مجاورى النبى (ص) من اليهود، و مودة النجاشى و أصحابه الذين أسلموا معه من الحبشة لأن الهجرة كانت الى المدينة و بها اليهود و الى الحبشة و بها النجاشى و أصحابه فأخبر عن عداوة هؤلاء و مودة أولئک.

_____

(1) تفسير القرطبى 6: 251 و تفسير الطبرى 10: 503.
تم المجلد الثالث من التبيان و يليه المجلد الرابع و أوله قوله تعالى:
«وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ...

المجلد الرابع

وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83)
آية بلا خلاف.
هذا وصف للذين آمنوا من هؤلاء النصارى الذين ذكرهم اللَّه أنهم أقرب مودة للمؤمنين بأنهم إذا سمعوا ما أنزل اللَّه من القرآن يتلى «تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ» يعنى من آمن من هؤلاء النصارى. قال الزجاج و أبو على: تقديره و منهم إذا سمعوا و لم يذكر (منهم) لدلالة الكلام عليه و ما وصفهم به فيما بعده. و فيض العين من الدمع امتلئوها منه سيلًا و منه فيض النهر من الماء و فيض الإناء، و هو سيلانه عن شدة امتلاء، و منه قول الشاعر:
ففاضت دموعى فظل الشؤو ن إما و كيفاً و إما انحدارا «1»
و خبر مستفيض أى شائع، و فاض صدر فلان بسره، و أفاض القوم من عرفات الى منى إذا دفعوا، و أفاض القوم فى الحديث إذا اندفعوا فيه، و الدمع الماء الجارى من العين و يشبه به الصافى، فيقال دمعة. و المدامع مجارى الدمع و شجة دامعة تسيل دماً.
و قوله «مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ» أى مما علموه من صدق النبى و صحة ما أتى به «يَقُولُونَ رَبَّنا» فى موضع الحال، و تقديره قائلين «ربنا آمنا» أى صدقنا بما أنزلت «فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- فاجعلنا مع الشاهدين فيكون بمنزلة ما قد كتب و دون.
الثانى- فاكتبنا معهم فى أم الكتاب و هو اللوح المحفوظ. و (الشاهدين) قال ابن عباس و ابن جريج: مع أمة محمد (ص) الذين يشهدون بالحق من

---

(1) قائله الأعشى. ديوانه: 35.

قوله تعالى «وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ» «1»
و قال الحسن: هم الذين يشهدون بالايمان. و قال أبو على الذين يشهدون بتصديق نبيك و كتابك.

وَ ما لَنا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ ما جاءَنا مِنَ الْحَقِّ وَ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84)

آية بلا خلاف.

هذا إخبار عن هؤلاء الذين آمنوا من النصارى بأنهم قالوا: «و ما لنا» قال الزجاج: و هو جواب لمن قال لهم من قومهم معنفين لهم: لم آمنتم.

و قال غيره: قدروا فى أنفسهم كأن سائلًا يسألهم عنه، فأجابوا بذلك. و قوله «لا نؤمن» فى موضع نصب على الحال، و تقديره أى شىء لنا تاركين للايمان أى فى حال تركنا للايمان. و الايمان هو التصديق عن ثقة، لأن الصدق راجع الى طمأنينة القلب بما صدق به. و الحق هو الشىء الذى من عمل عليه نجا، و من عمل على ضده من الباطل هلك. و معنى (من)- هاهنا- قيل فى معناه قولان:

أحدهما- تبيين الاضافة التى تقوم مقام الصفة، كأنه قيل: و الجائى لنا الذى هو حق.

و قال آخرون: إنها للتبعيض لأنهم آمنوا بالذى جاءهم على التفصيل.

و وصف القرآن بأنه (جاء) مجاز، كما قيل: نزل، و معناه نزل به الملك، فكذلك جاء به الملك. و يقال: جاء بمعنى حدث نحو «جاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ» «2» و جاء البرد و الحر.

و قوله «وَ نَطْمَعُ» فالطمع تعلق النفس بما يقوى أن يكون من معنى

---

(1) سورة 2 البقرة آية 143

(2) سورة 50 ق آية 19

المحبوب، و نظيره الأمل و الرجاء فالطمع يكون معه الخوف أو لا يكون.

«أَنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ» معناه أن يدخلنا معهم الجنة. و الصالح هو الذى يعمل الصلاح فى نفسه و إذا عمله فى غيره فهو مصلح، فلذلك لم يوصف اللَّه تعالى بأنه صالح و وصف بأنه مصلح.

فَأَثابَهُمُ اللَّهُ بِما قالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ ذلِکَ جَزاءُ الْمُحْسِنِینَ (85)
آیة بلا خلاف.
معنی «فَأَثابَهُمُ اللَّهُ» جازاهم اللَّه بالنعیم علی العمل کما أن العقاب الجزاء بالعذاب علی العمل و أصل الثواب الرجوع. و منه قوله «هَلْ ثُوِّبَ الْکُفَّارُ ما کانُوا یَفْعَلُونَ» «1» أی هل رجع الیهم جزاء عملهم. و قوله «بِما قالُوا» یعنی قولهم «رَبَّنا آمَنَّا» و قوله «جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» إنما ذکرها بلفظ الجمع و إن کانت هی جنة الخلد، لأنها جنة فیها جنات أی بساتین، و تذکر بالجمع لتبین عن اختلاف صورها و أحوال أشجارها و أنهارها و وجوه الاستمتاع بها، و وجه آخر: هو أن یکون جمعها مضافاً الیهم کما یقال لهم جنة الخلد إلا أنها مرة تذکر علی طریق الجنس، و مرة علی غیر طریق الجنس. و قوله «وَ ذلِکَ جَزاءُ الْمُحْسِنِینَ» (ذلک) إشارة الی الثواب.
و الإحسان هو إیصال النفع الحسن الی الغیر، و ضده الاساءة، و هی إیصال الضرر القبیح الیه، و لیس کل من کان من جهته إحسان فهو محسن مطلقاً، فالمحسن فاعل الإحسان الخالی مما یبطله، کما أن المؤمن هو فاعل الایمان الخالص مما یحبطه، و عندنا لا یحتاج الی شرط خلوه مما یبطله، لأن الإحباط عندنا باطل، لکن یحتاج أن یشرط فیه أن یکون خالیاً من وجوه

---

(1) سورة 83 المطففین آیة 36.

القبح. و قوله «وَ ذلِکَ جَزاءُ الْمُحْسِنِینَ» و إن کان مطلقاً فهو مقید فی المعنی بالمحسنین الذین یجوز علیهم الوعد بالنفع، لأنه وعد به، ألا تری أن اللَّه تعالی یفعل الإحسان و إن کان لا یصح علیه الثواب لأنه مضمن بمن یجوز علیه المنافع و المضار فجزاؤه هذه المنافع العظام دون المضار، لأنه خرج مخرج استدعاء العباد الی فعل الإحسان.

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (86)
آية بلا خلاف.
لما كان أهل الكتاب فريقين أحدهما آمنوا، و الثانى كفروا، و ذكر الوعد للمؤمنين منهم اقتضى أن يذكر الوعيد لمن كفر منهم و أطلق اللفظ ليكون لهم و لكل من جرى مجراهم، و إنما شرط فى الوعيد على الكفر بالتكذيب بالآيات و إن كان كل واحد، منهما يستحق به العقاب، لأن صفة الكفار من أهل الكتاب أنهم يكذبون بالآيات، فلم يصلح- هاهنا- لو كذبوا لأنهم قد جمعوا الأمرين، و لأن دعوة الرسول (ص) بوعيد الكفار ظاهرة مع مجىء القرآن به فى نحو قوله «إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ» «1» فلم يقع فيه اشكال لهذا. و قوله «أُولئِكَ» يعنى هؤلاء الكفار.
و «أَصْحابُ الْجَحِيمِ» يعنى الملازمون لها، كقولك أصحاب الصحراء و ليس كمثل أصحاب الأموال، لأن معنى ذلك ملاك الأموال. و ليس من شرط المكذب أن يكون عالماً أن ما كذب به صحيح بل إذا اعتقد أن الخبر كذب سمى مكذباً، و إن لم يعلم أنه كذب، و إنما يستحق الذم، لأنه جعل

---

(1) سورة 4 النساء آية 47، 116.

له طريق الى أن يعلم صحة ما كذب به. و «الجحيم» النار الشديدة الإيقاد و هو اسم من أسماء جهنم و يقال: جحم فلان النار إذا شدد إيقادها، و يقال أيضاً لعين الأسد: جحمة لشدة إيقادها، و يقال ذلك للحرب أيضاً قال الشاعر:
و الحرب لا تبقى لجا حمها التخيل و المراح
إلّا الفتى الصبار فى النج دات و الفرس الوقاح «1»

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (87)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب للمؤمنين خاصة نهاهم اللَّه أن يحرموا طيبات ما أحل اللَّه لهم.

و التحريم هو العقد على ما لا يجوز فعله للعبد، و التحليل حل ذلک العقد، و ذلک كتحريم السبت بالعقد على أهله، فلا يجوز لهم العمل فيه، و تحليله تحليل ذلک العقد بأنه يجوز لهم الآن العمل فيه. و الطيبات اللذيذات التى تشتهيها النفوس و تميل اليها القلوب. و يقال: طيب بمعنى حلال. و تقول: يطيب له كذا أى يحل له، و لا يليق ذلک بهذا الموضوع، لأنه لا يقال: لا تحرموا حلال ما أحل اللَّه لكم.

و الذى اقتضى ذكر النهى عن تحريم الطيبات- على ما قال ابن عباس و مجاهد و أبو مالک و قتادة و ابراهيم- حال الرهبان الذين حرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة و المشارب اللذيذة و حبسوا أنفسهم فى الصوامع و ساحوا فى الأرض، و حرموا النساء، فهمَّ قوم من الصحابة أن يفعلوا مثل ذلک، فنهاهم اللَّه عن ذلک. و قال أبو على: نهوا أن يحرموا الحلال من الرزق بما يخلطه من الغصب. و اختار الرمانى الوجه الأول، لأن أكثر المفسرين عليه.

---

(1) انظر 2: 438 من هذا الكتاب.

و قال السدى: نهاهم اللَّه عما همَّ به عثمان بن مظعون من جب نفسه.

و قال عكرمة: هو ما همَّت به الجماعة: من تحريم النساء و الطعام و اللباس و النوم.

و قال الحسن: لا تعتدوا الى ما حرم عليكم و هو أعم فائدة. و الاعتداء مجاوزة حد الحكمة الى ما نهى عنه الحكيم، و زجر عنه إما بالعقل أو السمع، و هو تجاوز المرء ماله الى ما ليس له. و قوله «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» معناه يبغضهم و يريد الانتقام منهم و انما ذكره على وجه النفى لدلالة هذا النفى على معنى الإثبات إذ ذكر فى صفة المعتدين، و كأنه قيل يكفيهم فى الهلاک ألا يحبهم اللَّه.

وَ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (88)
آية اجماعاً.
سبب نزول هذه الآية و التی قبلها علی ما
قال عكرمة و أبو قلابة و أبو مالک و ابراهيم و قتادة و السدی و ابن عباس و الضحاک: إن جماعة من الصحابة منهم علی (ع) و عثمان بن مظعون و ابن مسعود و عبد اللَّه بن عمر، همَّوا بصيام الدهر و قيام الليل، و اعتزال الناس وجب أنفسهم و تحريم الطيبات عليهم. فروی أن عثمان بن مظعون قال أتيت النبی (ص) فقلت: يا رسول اللَّه ائذن لی فی الترهب فقال: (لا إنما رهبانية أمتی الجلوس فی المسجد و انتظار الصلاة بعد الصلاة) فقلت: يا رسول اللَّه أ تأذن لی فی السياحة قال: (سياحة أمتی الجهاد فی سبيل اللَّه) فقلت: يا رسول اللَّه أ تأذن لی فی الاختصاء فقال:
(ليس منا من خصا و اختصا إنما اختصاء أمتی الصوم).
و قوله «و كلوا» لفظه لفظ الأمر و المراد به الاباحة أباح اللَّه تعالی التبيان فی تفسير القرآن، ج4، ص: 9
للمؤمنين أن يأكلوا مما رزقهم حلالًا طيباً، فالرزق هو ما للحی الانتفاع به و ليس لغيره منعه منه. و قال الرمانی: الرزق هو العطاء الجاری فی الحكم و من ذلک قيل: رزق السلطان الجند إذا جعل لهم عطاء جارياً فی حكمه فی كل شهر أو فی كل سنة. قال الرمانی: و كلما خلقه اللَّه فی الأرض مما يملک، فهو رزق العباد فی الجملة بدلالة قوله «هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَكُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِيعاً» «1» و لولا ذلک لجوزنا أن يكون منه ما ليس للانس إلا أنه و إن كان رزقاً لهم فی الجملة فتفصيل قسمته علی ما يصح و يجوز من الأملاک، و لا يجوز أن يكون الرزق حراماً، لأن اللَّه منع منه بالنهی، فاما البغاة فيرزقون حراماً إذا حكموا بأن المال للعبد، و هو مغصوب لا يحل، قال و ما افترسه السبع رزق له بشرط غلبته عليه كما أن غنيمة المشركين رزق لنا بشرط غلبتنا عليها، لأن المشرک يملک ما فی يده، فإذا غلبنا عليه بطل ملكه، و صار رزقاً لنا فی هذه الحال، قال: و قد أمرنا بأن نمنعه من الإنسان مع الإمكان، و أذن لنا أن نمنعه من غيره من نحو الميتة و الوحش إن شئنا و يسقط جميع ذلک فی حال التعذر علينا.
و عندی أنه لا يجب أن يطلق أن ما يغلب عليه السبع رزق له بل إنما نقول: إن رزقه ما ليس لنا منعه منه فأما مالنا منعه منه إما بأن يكون ملكاً لنا أو أذن لنا فيه، فلا يكون رزقاً له بالإطلاق، و قد يسلط اللَّه السبع علی بعض المشركين فيكون رزقاً له و عقاباً للمشرک، و الأصل فيه قوله تعالی «وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ إِلَّا عَلَی اللَّهِ رِزْقُها» «2» فمفهوم هذا أنه رزقه بشرط

الغلبة عليه.
فان قيل: إذا كان الرزق لا يكون إلا حلالًا فلم قال: (حلالًا)؟
قيل: ذكر ذلک على وجه التأكيد كما قال «وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً» «3»

---

(1) سورة 2 البقرة آية 29
(2) سورة 11 هود آية 6
(3) سورة 4 النساء آية 163
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 10
و قد أطلق فى موضع آخر على جهة المدح «وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ» «1».
و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ» استدعاء الى التقوى بألطف الاستدعاء، و تقديره أيها المؤمنون باللّه لا تضيعوا ايمانكم بالتقصير فى التقوى فيكون عليكم الحسرة العظمى و اتقوا تحريم ما أحله اللّه لكم فى جميع معاصيه من أنتم به تؤمنون و هو اللّه تعالى.
و أصل الصفة التعريف ثم يخرج الى غير ذلک من المدح و الذم و غير ذلک من المعانى التى تحسن فى مخرج الصفة، فلذلک قال الذى «أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ» و فى هاتين الآيتين دلالة على كراهة التخلى و التفرد و التوحش و الخروج عما عليه الجمهور فى التأهل و طلب الولد و عمارة الأرض.

لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمانِكُمْ وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الْأَيْمانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمانِكُمْ إِذا حَلَفْتُمْ وَ احْفَظُوا أَيْمانَكُمْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (89)
آية بلا خلاف.
قرأ «عاقدتم» بالألف ابن عامر، و «عقدتم» بلا ألف مع تخفيف القاف حمزة و الكسائى و أبو بكر عن عاصم. و الباقون بالتشديد. و منع من القراءة بالتشديد الطبرى، قال: لأنه لا يكون إلَّا مع تكرير اليمين و المؤاخذة تلزم من غير تكرير بلا خلاف. و هذا ليس بصحيح لان تعقيد

---

(1) سورة 2 البقرة آية 3. [.....]

اليمين إن يعقدها بقلبه و لفظه و لو عقد عليها فى أحدهما دون الآخر لم يكن تعقيداً، و هو كالتعظيم الذى يكون تارة بالمضاعفة و تارة بعظم المنزلة. و قال أبو على الفارسى من شدد احتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون لتكثير الفعل لقوله «وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ» مخاطباً الكثرة، فهو مثل «وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوابَ» «1».
و الآخر أن يكون (عقد) مثل (ضعف) لا يراد به التكثير، كما أن (ضاعف) لا يراد به فعل من اثنين. و قال الحسين بن على المغربى: فى التشديد فائدة، و هو أنه إذا كرر اليمين على محلوف واحد فإذا حنث لم يلزمه إلا كفارة واحدة. و فى ذلك خلاف بين الفقهاء. و الذى ذكره قوى.
و من قرأ بالتخفيف جاز أن يريد به الكثير من الفعل و القليل إلا ان فعَّل يختص بالكثير كما أن الركبة تختص بالحال التى يكون عليها الركوب، و قالوا: عقدت الحبل و العهد و اليمين عقداً ألا ترى أنها تتلقى بما يتلقى به القسم، قال الشاعر:
قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم «2»
و يقال: أعقدت العسل فهو معقد و عقيد. و حكى أبو إسحاق عقدت العسل. و الأول أكثر.
فأما قراءة ابن عامر فيحتمل أمرين:
أحدهما- ان يكون عاقدتم يراد به عقدتم كما أن (عافاه اللَّه) و (عاقبت اللص) و (طارقت النعل) بمنزلة فعلت. و يحتمل أن يكون أراد فاعلت الذى يقتضى فاعلين فصاعداً، كأنه قال يؤاخذكم بما عاقدتم عليه اليمين، و لما كان عاقد فى المعنى قريباً من عاهد عدَّاه ب (على) كما يعدى عاهد بها.

قال اللّه تعالى «وَ مَنْ أوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّهَ» «3» و التقدير يؤاخذكم بالذى عاقدتم

---

(1) سورة 12 يوسف آية 23
(2) اللسان (عقد)
(3) سورة الفتح آية 10

عليه، ثم قال: عاقدتموه الايمان فحذف الراجع. و يجوز أن يجعل (ما) مع الفعل بمنزلة المصدر فيمن قرأ عقدتم بالتخفيف و التشديد، فلا يقتضى راجعاً كما لا يقتضيه فى قوله «وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ» «1».
و قيل فى سبب نزول هذه الآية قولان:
أحدهما- قال ابن عباس: إن القوم لما حرموا الطيبات من المآكل و المناكح و الملابس حلفوا على ذلك فنزلت الآية.
و
قال ابن زيد نزلت فى عبد اللَّه بن رواحة كان عنده ضيف فأخرت زوجته عشاه فحلف لا يأكل من الطعام، و حلفت المرأة لا تأكل إن لم يأكل، و حلف الضيف لا يأكل ان لم يأكلا، فأكل عبد اللّه بن رواحة و اكلا معه، و أخبر النبى (ص) بذلک فقال له: أحسنت. و نزلت هذه الآية.
و اللغو فى اللغة هو ما لا يعتد به قال الشاعر:
أو مائة تجعل أولادها لغواً و عرض المائة الجلمد «2»
أى الذى يعارضها فى قوة الجلمد يعنى بالمائة نوقاً أى لا يعتد به بأولادها.
و لغو اليمين هو الحلف على وجه الغلط من غير قصد مثل قول القائل: لا و اللَّه و بلى و اللّه على سبق اللسان، هذا هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع)
و هو قول أبى على الجبائى. و قال الحسن و أبو مالک:
هو اليمين على ما يرى صاحبها أنه على ما حلف و لا كفارة فى يمين اللغو عند أكثر المفسرين و الفقهاء. و روى عن ابراهيم أن فيها الكفارة بخلاف عنه.
بين اللَّه تعالى بهذه الآية أنه لا يؤاخذ على لغو الأيمان و أنه يؤاخذ بما عقد عليه قلبه و نواه.
و قوله «فَكَفَّارَتُهُ» (الهاء) يحتمل رجوعها الى أحد ثلاثة أشياء.
أحدها- الى (ما) من قوله بما عقدتم الايمان. الثانى- على اللغو.
الثالث- على حنث اليمين لأنه مدلول عليه. و الأول هو الصحيح، و به قال

---

(1) سورة البقرة آية 10
(2) اللسان (جلمد).

الحسن و الشعبى و أبو مالك و عائشة. و قوله «إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ» إنما ذكر بلفظ المذكر تغليباً للتذكير فى كلامهم لأنه لا خلاف أنه لو أطعم الإناث لأجزاه، و يحتاج أن يعطى قدر ما يكفيهم. و قد حده أصحابنا أن يعطى كل واحد مدِّين أو مدّاً، و قدره رطلان و ربع منفرداً، أو يجمعهم على ما هذا قدره ليأكلوه. و لا يجوز أن يعطى خمسة ما يكفى عشرة، و هو قول أبى على، و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف.
و هل يجوز إعطاء القيمة؟ فيه خلاف، و الظاهر يقتضى أنه لا يجزى و الروايات تدل على إجزائه، و هو قول أبى على و أهل العراق. و انما ذكر الكفارة فى الآية و لم يذكر التوبة، لان المعنى فكفارته الشرعية كذا. و اما العقاب فلأنه يجوز أن تكون المعصية صغيرة أو كبيرة فلأجل ذلك لم يبين.
و عندنا أن حكم التوبة معلوم من الشرع، فلذلك لم يذكر.
و قوله «مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ» قيل فيه قولان:
أحدهما- الخبز و الأدم دون اللحم، لأن أفضله الخبز و اللحم و التمر، و أوسطه الخبز و الزيت أو السمن، و أدونه الخبز و الملح. و به قال ابن عمر و الأسود و عبيدة و شريح.
الثانى- قيل: أوسطه فى المقدار إن كنت تشبع أهلك أو لا تشبعهم، بحسب العسر و اليسر، فبقدر ذلك- هذا قول ابن عباس و الضحاك- و عندنا يلزمه أن يطعم كل مسكين مدين، و به قال على (ع)
و عمر و ابراهيم و سعيد بن جبير و الشعبى و مجاهد. و قال قوم:
يكفيه مد- ذهب اليه زيد ابن ثابت و الشافعى و الطبرى و غيرهم- و روى ذلك فى أخبارنا.
و قوله «أَوْ كِسْوَتُهُمْ» فالذى رواه أصحابنا أنه ثوبان لكل واحد مئزر و قميص، و عند الضرورة قميص، و قال الحسن و مجاهد و عطاء و طاوس و ابراهيم: ثوب. و قوله «أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ» فالرقبة التى تجزى فى الكفارة

كل رقبة كانت سليمة من العاهة صغيرة كانت أو كبيرة مؤمنة كانت أو كافرة و المؤمنة أفضل، لأن الآية مطلقة مبهمة. و فيه خلاف ذكرناه فى الخلاف.
و ما قلناه قول أكثر المفسرين: الحسن و غيره، و معنى فتحرير رقبة عتق رقبة.
و قيل: تحرير من الحرية أى جعلها حرة قال الفرزدق:
ابنى عدانة اننى حررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال «1»
أى أعتقتكم من ذل الهجاء و لزوم العار. و هذه الثلاثة أشياء مخير فيها بلا خلاف و عندنا أنها واجبة على التخيير. و قال قوم إن الواجب منها واحد لا بعينه. و الكفارة قبل الحنث لا تجزى ِو فيه خلاف.

و قوله «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ» يحتمل رفعه أن يكون بالابتداء و خبره فكفارته، و يجوز أن يكون رفعاً بالخبر، و يكون تقديره فكفارته صيام. و حد من ليس بواجد هو (من ليس عنده ما يفضل عن قوته و قوت عياله يومه و ليلته) و هو قول قتادة و الشافعى. و صوم الثلاثة أيام متتابعة، و به قال ابن كعب و ابن عباس و مجاهد و ابراهيم و قتادة و سفيان و أكثر الفقهاء. و يقويه أنه فى قراءة ابن مسعود و أبى «صيام ثلاثة أيام متتابعات».

و قال مالک و الحسن: التتابع أفضل و التفريق يجوز. فاما إذا قال القائل: إن فعلت كذا فللّه على أن أتصدق بمائة دينار، فان هذا نذر عندنا، و عند أكثر الفقهاء،- يلزمه به مائة دينار. و قال أبو على عليه كفارة يمين- لقوله «ذلِکَ كَفَّارَةُ أَيْمانِكُمْ» و هو عام فى جميع الأيمان. و هذا ليس بيمين عندنا بل هو نذر يلزمه الوفاء به لقوله «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» «2» و اليمين على ثلاثة أقسام:

أحدها- عقدها طاعة و حلها معصية، فهذه يتعلق بحنثها كفارة بلا خلاف كقوله: و اللّه لا شربت خمراً، و لا قتلت نفساً.

الثانى- عقدها معصية و حلها طاعة كقوله: و اللّه لا صليت و لا صمت، فإذا جاء بالصلاة و الصوم، فلا كفارة عليه- عندنا- و خالف جميع الفقهاء

---

(1) ديوانه: 726، و النقائض: 275

(2) سورة 5 مائدة آية 1

فى ذلک و أوجبوا عليها عليه الكفارة.

الثالث- أن يكون عقدها مباحاً كقوله: و اللّه لا لبست هذا الثوب فمتى حنث تعلق به الكفارة بلا خلاف. و قوله «ذلِکَ كَفَّارَةُ أَيْمانِكُمْ إِذا حَلَفْتُمْ» معناه حنثتم.

و قوله «وَ احْفَظُوا أَيْمانَكُمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- احفظوها أن تحلفوا بها، و معناه لا تحلفوا.

الثانى- احفظوها من الحنث، و هو الأقوى، لأن الحلف مباح إلا فى معصية بلا خلاف- و انما الواجب ترک الحنث، و ذلک يدل على أن اليمين فى المعصية غير منعقدة، لأنها لو انعقدت للزم حفظها، و إذا لم تنعقد لم تلزمه كفارة على ما بيناه.

و قوله «كَذلِکَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» معناه إن اللّه يبين لكم آياته و فرائضه كما بين لكم أمر الكفارة لتشكروه على تبيينه لكم أموركم و نعمه عليكم و تسهيله عليكم المخرج من الإثم بالكفارة. فأما إقسام الأيمان و ما ينعقد منها و ما لا ينعقد و شرائطها، فقد بيناها فى كتب الفقه مشروحة لا نطول بذكرها الكتاب.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)
آية بلا خلاف.
هذا خطاب للمؤمنين أخبرهم اللَّه تعالى أن الخمر و الميسر و الانصاب و الازلام رجس، فالخمر عصير العنب المشتد، و هو العصير الذى يسكر كثيره و قليله. و الخمر حرام و تسمى خمراً لأنها بالسكر تغطى على العقل،
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 16
و الأصل فى الباب التغطية من قول أهل اللغة خمرت الأناء إذا غطيته، و منه دخل فى خمار الناس إذا خفى فيما بينهم بسترهم له و الخمير العجين الذى يغطى حتى يختمر، و خمار المرأة، لأنها تغطى رأسها به. و خامره الحزن إذا خالطه منتشراً فى قلبه و استخمرت فلاناً أى استعبدته. و الأصل فيه أمرته أن يتخذ الخمر، ثم كثر حتى جرى فى كل شىء يأمر به. و على هذا الاشتقاق يجب أن يسمى النبيذ و كل مسكر على اختلاف أنواعه خمراً، لاشتراكها فى المعنى و ان يجرى عليها أجمع جميع أحكام الخمر.
و «الميسر» القمار كله مأخوذ من تيسير أمر الجزور بالاجتماع على القمار فيه و الذى يدخل فيه يسير و الذى لا يدخل فيه برم.
قال أبو جعفر (ع) و يدخل فيه الشطرنج و النرد و غير ذلک حتى اللعب بالجوز.
و الأصل فيه اليسر خلاف العسر و سميت اليد اليسرى تفاؤلًا بتيسير العمل بها. و قيل:
بل لأنها تعين اليمنى فيكون العمل أيسر، و ذهب يسرة خلاف يمنة.
«و الأنصاب» الأصنام واحدها نصب. و قيل لها أنصاب، لأنها كانت تنصب للعبادة و أصله الانتصاب: القيام، نصب ينصب نصباً. و منه النصب التعب عن العمل الذى ينتصب له، و نصاب السكين، لأنها تنصب فيه، و مناصبة العدو: الانتصاب لعداوته قال الأعشى:
و ذا النصب المنصوب لا تنسكنه و لا تعبد الشيطان و اللَّه فاعبدا «1»
و «الأزلام» القداح، و هى سهام كانوا يجيلونها و يجعلون عليها علامات (افعل، و لا تفعل) و نحو ذلک على ما يخرج من ذلک فى سفر أو إقامة أو غير ذلک من الأمور المهمة، و كانوا يجيلونها للقمار، واحدها زلم، و زلم.
و قال الاصمعى: كان الجزور يقسمونه على ثمانية و عشرين جزءاً. و قال أبو عمرو: كان عددها على عشرة. و قال أبو عبيدة: لا علم لى بمقدار عدتها، و قد ذكرت أسماؤها مفصلًا، و هى عشرة: ذوات الحظوظ منها سبعة

(1) ديوانه 46 و روايته (الأوثان) بدل (الشيطان).

و أسماؤها: الفذ، و التوءم، و الرقيب، و الحلس، و النافس، و المسبل، و المعلى. و الاغفال التى لا حظوظ لها ثلاثة اسماؤها: السفيح، و المنيح، و الوغد. ذكر القتيبى ذلک.
و قوله «رِجْسٌ» أى نجس «وَ الرُّجْزَ» العذاب. و منه قوله «لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ» «1» أى العذاب و قوله «وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ» «2» يعنى الأوثان. و معناه الرجس فاهجر، و أصل الرجز تتابع الحركات يقال ناقة رجزاء إذا كانت ترتعد قوائمها فى ناحية. و قال الزجاج: يقال: رجس يرجس إذا عمل عملا قبيحاً. و الرجس بفتح الراء شدة الصوت، و سحاب الرجاس، و رعد رجاس إذا كان شديد الصوت قال الشاعر:
و كل رجاس يسوق الرجسا «3»
و قوله «مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ» إنما نسبها الى عمل الشيطان و هى أجسام لما يأمر به فيها من الفساد فيأمر بالسكر ليزيل العقل، و يأمر بالقمار لاستعمال الأخلاق الدنيئة و يأمر بعبادة الأوثان لما فيها من الكفر باللّه العظيم، و يأمر بالأزلام لما فيها من ضعف الرأى و الاتكال على الاتفاق. و قوله «فَاجْتَنِبُوا» أمر بالاجتناب أى كونوا جانبا منه فى ناحية «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» و معناه لكى تفوزوا بالثواب.
و فى الآية دلالة على تحريم الخمر، و هذه الأشياء الأربعة من أربعة أوجه:
أحدها- أنه وصفها بأنها رجس و هى النجس و النجس محرم بلا خلاف.
الثانى- نسبها الى عمل الشيطان و ذلک لا يكون الا محرماً.
و الثالث- أنه أمرنا باجتنابه. و الامر يقتضى الإيجاب.
الرابع- أنه جعل الفوز و الفلاح باجتنابه.

(1) سورة 7 الاعراف آية 133
(2) سورة 74 المدثر آية 5
(3) اللسان (رجس).

و الهاء فى قوله «فاجتنبوه» راجعة الى عمل الشيطان، و تقديره اجتنبوا عمل الشيطان. قال ابن عباس: الرجس- هاهنا- معناه السخط. و قال ابن زيد: هو الشر.

إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ فِى الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91)
آية بلا خلاف.
قيل فى سبب نزول هذه الآية قولان:
أحدهما- أنه لاحق سعد بن أبى وقاص رجلا من الأنصار، و قد كانا شربا الخمر فضربه بلحى جمل ففزر أنف سعد بن أبى وقاص، فنزلت هذه الآية.
الثانى- أنه لما نزل قوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى» «1» قال عمر: اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية.
و الشيطان انما يريد إيقاع العداوة و البغضاء بينهم بالإغراء المزين لهم ذلك حتى إذا سكروا زالت عقولهم و أقدموا من المكاره و القبائح على ما كانت تمنعه منه عقولهم. و قال قتادة: كان الرجل يقامر فى ماله و أهله فيقمر، و يبقى حزيناً سلياً فيكسبه ذلك العداوة و البغضاء.
و قوله «وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلاةِ» أى يمنعكم من الذكر للَّه بالتعظيم له و الشكر له على آلائه، لما فى ذلك من الدعاء الى الصلاح و استقامة الحال فى الدين و الدنيا بالرغبة فيما عنده، و التوسل اليه بالاجتهاد فى طاعته التى تجمع محاسن الافعال و مكارم الأخلاق.
و قوله «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ»؟ صيغته صيغة الاستفهام و معناه النهى، و انما جاز ذلك، لأنه إذا ظهر قبح الفعل للمخاطب صار فى منزلة من نهى عنه،

---

(1) سورة 4 النساء آية 42.

فإذا قيل له: أ تفعله؟ بعد ما قد ظهر من أمره و صار فى محل من عقد عليه بإقراره.
فان قيل: ما الفرق بين انتهوا عن شرب الخمر، و بين لا تشربوا الخمر، قلنا: لأنه إذا قال: انتهوا دل ذلك على أنه مريد لأمر ينافى شرب الخمر.
و صيغة النهى إنما تدل على كراهة الشرب، لأنه قد ينصرف عن الشرب الى أخذ أشياء مباحة، و ليس كذلك المأمور به، لأنه لا ينصرف عنه إلا فى محذور.
و المنهى عنه قد ينصرف عنه الى غير مفروض.

وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ احْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (92)
آية بلا خلاف.
لما أمر اللّه تعالى باجتناب الخمر و الميسر و الانصاب و الازلام أمر فى هذه الآية بطاعته فى ذلک و غيره من أوامر اللّه تعالى. و الطاعة هى امتثال الأمر، و الانتهاء عن المنهى عنه، و لذلک يصح أن تكون الطاعة طاعة لاثنين بأن يوافق أمرهما و إرادتهما.
و قوله «وَ احْذَرُوا» أمر منه تعالى بالحذر، و هو امتناع القادر من الشىء لما فيه من الضرر. و الخوف هو توقع الضرر الذى لا يؤمن كونه.
و الجزع مفاجأة الضرر الذى يزعج النفس مثله. و الفزع و الرعب مثل الجزع.
و قوله «فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ» معناه الوعيد و التهديد كأنه قال: فاعلموا أنكم قد حق لكم العقاب لتوليكم عما أدى رسولنا من البلاغ المبين، يعنى الأداء الظاهر الواضح، فوضع كلام موضع كلام للإيجاز و لو كان على صيغته من غير هذا التقدير لم يصح، لأن عليهم أن يعلموا ذلک تولوا أو لم يتولوا. و «ما» فى قوله: «أنما» كافة التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 20
ل «أن» عن عملها، و ذلک أنها لما كانت من عوامل الأسماء خاصة ثم احتيج الى إدخالها على غيرها زيد عليها (ما) ليعلم تغيرها عن حالها فصارت كافة لها.

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (93)

آية.

قال ابن عباس و ابن مالک و البراء بن عازب و مجاهد، و قتادة و الضحاک: إنه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة كيف بمن مات من إخواننا و هو يشربها، فأنزل اللّه الآية و بين أنه ليس عليهم فى ذلک شيء إذا كانوا مؤمنين عاملين للصالحات، ثم يتقون المعاصى و جميع ما حرم اللّه عليهم.

فان قيل لم كرر الاتقاء ثلاث مرات فى الآية؟

قيل: الأول المراد به اتقاء المعاصى. الثانى- الاستمرار على الاتقاء.

و الثالث- اتقاء مظالم العباد، و ضم الإحسان الى الاتقاء على وجه الندب و اعتبر أبو علي فى الثالث الأمرين.

و قوله «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» أى يريد ثوابهم و إجلالهم و إكرامهم.

و الإحسان النفع الحسن الواصل الى الغير، و لا يقال لكل حسن إحسان، لأنه لا يقال فى العذاب بالنار أنه إحسان و ان كان حسناً. و الصلاح استقامة الحال و هو مما يفعله العبد، و قد يفعل اللّه تعالى له الصلاح فى دينه باللطف فيه. و الايمان هو الاطمئنان الى الصواب بفعله مع الثقة به و هو من أفعال العباد. و على هذا يحمل قوله «وَ آمَنُوا» و الاول على الايمان باللّه الذى هو التصديق. و

روى أن قدامة بن مظعون شرب الخمر فى أيام عمر، فأراد التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 21

عمر أن يقيم عليه الحد فقال «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا» فأراد عمر أن يدرأ عنه الحد حين لم يعلم تحريمها. فقال أمير المؤمنين (ع) أديروه على الصحابة، فان لم يسمع أحداً منهم قرأ عليه آية التحريم، فأدرؤا عنه، و ان كان قد سمع فاستتيبوه، و أقيموا عليه الحد، فان لم يتب وجب عليه القتل.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنالُهُ أَيْدِيكُمْ وَ رِماحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذلِكَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ (94)
آية واحدة بلا خلاف.
هذا خطاب من اللَّه تعالى للمؤمنين و قسم منه أنه يبلوهم بشىء من الصيد، لأن اللام فى قوله: «لَيَبْلُوَنَّكُمُ» لام القسم و الواو مفتوحة لالتقاء الساكنين فى قول بعضهم مثل (واو) اغزون. و أما واو «ليبلونكم» قال سيبويه هى مبنية على الفتح. و قال الزجاج: فتحت واو «ليبلونكم» لأنها حرف الاعراب الذى تتعاقب عليه الحركات و ضمت واو «لتبلون» لأنها واو الجمع، فصح لالتقاء الساكنين نحو قوله «فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوْنِ» «1» و معنى «لَيَبْلُوَنَّكُمُ» ليختبرن طاعتكم من معصيتكم «بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ» و أصله اظهار باطن الحال و منه البلاء للنعمة لأنه يظهر به باطن حال المنعم عليه فى الشكر، و الكفر. و البلاء النقمة، لأنه يظهر به ما يوجبه كفر النعمة. و البلى الخلوقة لظهور تقادم العهد فيه.
و قوله «بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ» قيل فى معنى (من) ثلاثة أوجه:
أحدها- صيد البر، دون البحر. و الآخر صيد الإحرام دون الإحلال.

---

(1) سورة 5 المائدة آية 47.

الثالث- للتجنيس نحو اجتنبوا الرجس من الأوثان- فى قول الزجاج- و قوله «تَنالُهُ أَيْدِيكُمْ وَ رِماحُكُمْ» يعنى به فراخ الطيور و صغار الوحش فى قول ابن عباس و مجاهد، و زاد مجاهد: و البيض. و الذى تناله الرماح الكبار من الصيد. قال أبو على: معنى «تَنالُهُ أَيْدِيكُمْ وَ رِماحُكُمْ» إن صيد الحرم يقرب من الناس و لا ينفر منهم فيه كما ينفر فى الحل، و ذلك آية من آيات اللَّه. و قال الحسن و مجاهد: حرم اللَّه بهذه الآية صيد البرِّ كله. و قال أبو على: صيد الحرم هو المحرم بهذه الآية. و قال الزجاج: بين النبى (ص) تحريم صيد الحرم على المحرم و غيره بهذه الآية، و هذا صحيح. و صيد غير المحرم إنما يحرم على المحرم دون المحل.
و قوله «لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخافُهُ بِالْغَيْبِ» معناه لعاملكم معاملة من يطلب أن يعلم، مظاهرة فى العدل. و وجه آخر- ليظهر المعلوم، و الأول أحسن.
و اختار البلخى الوجه الثانى، قال و اللَّه تعالى و ان كان عالماً بما يفعلونه فيما لم يزل، فانه لا يجوز أن يثيبهم و لا يعاقبهم على ما يعلم منهم، و انما يستحقون ذلك إذا علمه واقعاً منهم على وجه كلفهم، فإذاً لا بد من التكليف و الابتلاء.

و قوله «مَنْ يَخافُهُ بِالْغَيْبِ» يعنى من يخشى عقابه إذا توارى بحيث لا يقع عليه الحس- فى قول الحسن- تقول: غاب يغيب غياباً فهو غائب عن الحس، و منه الغيبة و هى الذكر بظهر الغيب بالقبيح. و قال قوم: معناه من يخاف صيد الحرم فى السر كما يخافه فى العلانية، فلا يعرضون له على حال.
و قوله «فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذلِكَ» يعنى من تجاوز حد اللّه بمخالفة أمره و ارتكاب نهيه بالصيد فى الحرم، و فى حال الإحرام «فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ» أى مؤلم. قال البلخى: يجوز أن يكون ذلك فى النار، و يجوز أن يكون غير ذلك من صنوف الآلام و العقوبات، قال سليمان «لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً» «1» يعنى الهدهد و لم يرد عذاب النار.

---

(1) سورة 27 النحل آية 21. [.....]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ أَوْ عَدْلُ ذلِكَ صِياماً لِيَذُوقَ وَبالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَ مَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ (95)

آية بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة و يعقوب «فجزاء» منونا «مثل» رفع. الباقون بالاضافة. و قرأ ابن عامر و أهل المدينة «أو كفارة» بغير تنوين «طعام» بالخفض. الباقون بالتنوين و أجمعوا على جمع مساكين. و قرأ بعضهم (أو عدل ذلك بالكسر) قال الأخفش: و هو الوجه، لأن العدل هو المثل. و العدل مصدر عدلت هذا بهذا عدلا حسناً. و العدل أيضا المثل «وَ لا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ» «1» أى مثل. قال الفراء: العدل- بفتح العين- ما عدل الشىء من غير جنسه- و بكسر العين- المثل، تقول: عندى غلام عدل غلامك- بالكسر- لأنه من جنسه و ان أردت قيمته دراهم، قلت: عندى عدل غلامك، لأنها من غير جنسه. قال أبو على الفارسى: حجة من رفع المثل أنه صفة للجزاء و المعنى فعليه جزاء من النعم مماثل المقتول. و التقدير فعليه جزاء أى فاللازم له أو فالواجب عليه جزاء من النعم مماثل ما قتل من الصيد. و قوله «من النعم» على هذه القراءة صفة للنكرة التى هى (جزاء) و فيه ذكر، و يكون مثل صفة للجزاء لان المعنى عليه جزاء مماثل للمقتول من الصيد من النعم. و المماثلة فى القيمة أو الخلقة على اختلاف الفقهاء فى ذلك. و لا ينبغى

---

(1) سورة 2 البقرة آية 123.

إضافة (جزاء) الى المثل ألا ترى انه ليس عليه جزاء مثل ما قتل فى الحقيقة، و انما عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله، و لا جزاء عليه لمثل المقتول الذى لم يقتله. و إذا كان كذلك علمت ان الجزاء لا ينبغى أن يضاف الى (مثل) و لا يجوز أن يكون قوله «من النعم» على هذه القراءة متعلقا بالمصدر كما جاز أن يكون الجار متعلقا به فى قوله «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» «1» ب (مثلها) لأنك قد وصفت الموصول، و إذا وصفته لم يجز أن تعلق به بعد الوصف شيئا كما انك إذا عطفت عليه أو أكدته لم يجز أن تعلق به شيئا بعد العطف عليه و التأكيد له. فأما فى قراءة من أضاف الجزاء الى المثل، فان قوله «من النعم» يكون صفة للجزاء كما كان فى قول من نوَّن، و لم يضف صفة له.

و يجوز فيه وجه آخر لا يجوز فى قول من نون و وصف: و هو أن يقدره

متعلقا بالمصدر. و لا يجوز على هذا القول أن يكون فيه ذكر كما تضمن الذكر لما كان صفة. و انما جاز تعلقه بالمصدر على قول من أضاف، لأنک لم تصف الموصول كما وصفته فى قول من نون، فيمتنع تعلقه به.
و أما من أضاف الجزاء الى (مثل) فانه و إن كان جزاء المقتول لا جزاء مثله فإنهم قد يقولون: أنا أكرم مثلک. يريدون أنا أكرمک، و كذلک إذا قال (فجزاء مثل) فالمراد جزاء ما قتل، فإذا كان كذلک كانت الاضافة فى المعنى كغير الاضافة لان المعنى فعليه جزاء ما قتل. و لو قدرت الجزاء تقدير المصدر و أضفته الى المثل كما تضيف المصدر الى المفعول به لكان فى قول من جر (مثلا) على الاتساع الذى وصفناه ألا ترى أن المعنى «فجزاء مثل» أى يجازى مثل ما قتل، و الواجب عليه فى الحقيقة جزاء المقتول لا جزاء مثل المقتول.
خاطب اللّه بهذه الآية المؤمنين و نهاهم عن قتل الصيد و هم حرم و قوله «وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ» قيل فيه ثلاثة أوجه:
أحدها- و أنتم محرمون لحج أو عمرة.

---

(1) سورة 42 الشورى آية 40.

الثانى- و أنتم فى الحرم. يقال: أحرمنا أى دخلنا فى الحرم كما يقال أنجدنا و اتهمنا.
الثالث- و أنتم فى الشهر الحرام. يقال أحرم إذا دخل فى الشهر الحرام.
قال أبو على: الآية تدل على تحريم قتل الصيد فى حال الإحرام بالحج، و العمرة و حين الكون فى الحرم. و قال الرمانى: يدل على الإحرام بالحج أو العمرة فقط. و الذى قاله أبو على أعم فائدة، و أما القسم الثالث فلا خلاف أنه غير مراد.
و قاتل الصيد إذا كان محرما لزمه الجزاء عامداً كان فى القتل أو أخطأ أو ناسيا لإحرامه أو ذاكراً. و به قال مجاهد، و الحسن- بخلاف عنه- و ابن جريج، و ابراهيم، و ابن زيد، و أكثر الفقهاء، و اختاره البلخى و الجبائى.
و قال ابن عباس و عطاء و الزهرى و اختاره الرمانى: انه يلزمه إذا كان متعمداً لقتله ذاكراً لإحرامه، و هو أشبه بالظاهر. و الأول يشهد به روايات أصحابنا.
و اختلفوا فى مثل المقتول فقال الحسن و ابن عباس و السدى و مجاهد و عطاء و الضحاک: هو أشبه الأشياء به من النعم:
إن قتل نعامة فعليه بدنة، حكم النبى (ص) بذلک فى البدنة. و ان قتل أروى «1» فبقرة. و ان قتل غزالا أو أرنبا، فشاة. و هذا هو الذى تدل عليه روايات أصحابنا.
و قال قوم: يقوم الصيد بقيمة عادلة ثم يشترى بثمنه مثله من النعم ثم

يهدى الى الكعبة، فان لم يبلغ ثمن هدى كفَّر أو صام، و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف و اختلف من قال بذلک فى المكان الذى يقوم فيه الصيد، فقال ابراهيم، و النخعى و حماد، و أبو حنيفة، و أبو يوسف، و محمد: يقوم بالمكان الذى أصاب فيه إن كان بخراسان أو غيره. و قال ابن عامر و الشعبى:
يقوم بمكة أو منى.

---

(1) «الاروى» إناث الوعل، و هو اسم جمعها و واحدها (أرِيَّة) بضم الهمزة و سكون الراء و كسر الواو و فتح الياء المشددة.

و قوله: «يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ» يعنى شاهدين عدلين فقيهين يحكمان بأنه جزاء مثل ما قتل من الصيد.
و قوله: «هَدْياً بالِغَ الْكَعْبَةِ» ف (هدياً) نصب على المصدر. و يحتمل ان يكون نصبا على الحال، و (بالغ الكعبة) صفة له و تقديره يهديه هديا يبلغ الكعبة و قوله «بالغ الكعبة» فهو و ان كان مضافا الى المعرفة فالنية فيه الانفصال، كما نقول هذا ضارب زيد، فيمن حذف النون و لم يكن قد فعل، فانه يكون نكرة، و الهدى يجب أن يكون صحيحا بالصفة التى تجزى فى الاضحية، و هو قول أبى على.
و قال الشافعى يجوز فى الهدى ما لا يجوز فى الاضحية. و ان قتل طائراً أو نحوه قال أبو على عليه دم شاة. و عندنا فيه دم. و قال قوم يجوز ان يهدى سخلة أو جديا. و النعم هى الإبل و البقر و الغنم. و قوله «أَوْ كَفَّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ» فمن رفع (طعام مساكين) جعله عطفا على الكفارة عطف بيان لان الطعام هو الكفارة، و لم يضف الكفارة الى الطعام، لأنها ليست للطعام و انما هى لقتل الصيد، فلذلک لم يضف الكفارة الى الطعام. و من أضافها الى الطعام، فلانه لما خير المكفر بين ثلاثة أشياء: الهدى، و الطعام، و الصيام أجاز الاضافة لذلک، فكأنه قال: كفارة طعام لا كفارة هدى، و لا كفارة صيام، فاستقامت الاضافة لكون الكفارة من هذه الأشياء و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- يقوَّم عدله من النعم ثم يجعل قيمته طعاما فى قول عطا.
و هو مذهبنا.
و قال قتادة: يقوم نفس الصيد المقتول حيا ثم يجعل طعاما.
و قوله: «أَوْ عَدْلُ ذلِکَ صِياماً» نصب صياما على التمييز و فى معناه قولان:
أحدهما- لكل مد يقوم من الطعام يوم فى قول عطاء. و قال غيره: التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 27
عن كل مدين يوم و هو مذهبنا. و قال سعيد بن جبير: يصوم ثلاثة أيام الى عشرة أيام.

و قوله «لِيَذُوقَ وَبالَ أَمْرِهِ» يعنى عقوبة ما فعله و نكاله. و قال المغربى: الوبال من الطعام الوبيلَ الذى لا يستمرى، أو لا يوافق، و هو قول الازهرى قال كثير:
فقد أصبح الراضون إذ أنتم بها مشوم البلاد يشتكون وبالها
و قوله: «عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال الحسن: عفا اللّه عما سلف من امر الجاهلية.
و قال آخرون: عما سلف من الدفعة الاولى فى الإسلام.
و قوله: «وَ مَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ» اختلفوا فى لزوم الجزاء بالمعاودة على قولين:
أحدهما- قال عطاء و ابراهيم و سعيد بن جبير و مجاهد: يلزمه الجزاء بالمعاودة و هو قول بعض أصحابنا.
الثانى- قال ابن عباس، و شريح، و الحسن، و ابراهيم، بخلاف عنه:
لا جزاء عليه و ينتقم اللّه منه، و هو الظاهر من مذهب أصحابنا، و اختار الرمانى الاول. و به قال أكثر الفقهاء، قال: لأنه لا ينافى الانتقام منه. و اختلفوا فى (أو) فى الآية هل هى على جهة التخيير أم لا؟ على قولين:
أحدهما- قال ابن عباس، و الشعبى، و ابراهيم، و السدى و هو الظاهر فى رواياتنا انه ليس على التخيير لكن على الترتيب.
و انما دخلت (أو) لأنه لا يخرج حكمه على أحد الثلاثة، على انه إن لم يجد الجزاء فالاطعام و ان لم يجد الإطعام فالصيام. و فى رواية أخرى عن ابن عباس، و عطاء و الحسن و ابراهيم- على خلاف عنه- و اختاره الجبائى، و هو قول بعض أصحابنا انه على التخيير.
و قوله «وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ» معناه قادر لا يغالب «ذُو انْتِقامٍ» معناه

ينتقم ممن يتعدا أمره و يرتكب نهيه. و ليس فى الآية دليل على العمل بالقياس، لان الرجوع الى ذوى عدل فى تقويم الجزاء مثل الرجوع الى المقومين فى قيم المتلفات، و لا تعلق لذلک بالقياس.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ وَ لِلسَّيَّارَةِ وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (96)
آية بلا خلاف.
قال ابن عباس، و زيد بن ثابت، و سعيد بن جبير، و سعيد بن المسيب، و قتادة، و السدى، و مجاهد: الذى أحل من هذه الآية من صيد البحر الطرى منه و أما العتيق فلا خلاف فى كونه حلالا، و إذا حل صيد البحر حل صيد الأنهار، لأن العرب تسمى النهر بحراً. و منه قوله «ظَهَرَ الْفَسادُ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» «1» و الأغلب على البحر هو الذى يكون ماؤه ملحا لكن إذا اطلق دخل فيه الأنهار بلا خلاف.
و قوله «وَ طَعامُهُ» يعنى طعام البحر و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال أبو بكر و عمر، و ابن عباس و ابن عمر، و قتادة هو ما قذف به ميتا.
الثانى- فى رواية أخرى عن ابن عباس و سعيد بن المسيب و سعيد بن جبير و قتادة و مجاهد و ابراهيم بخلاف عنه انه المملوح، و اختار الرمانى الاول.
و قال لأنه بمنزلة ما صيد منه و ما لم يصد منه فعلى هذا تصح الفائدة فى الكلام و الذى يقتضيه و يليق بمذهبنا القول الثانى، فيكون قوله «صَيْدُ الْبَحْرِ» المراد به ما أخذ طرياً.

---

(1) سورة 30 الروم آية 41.

و قوله «و طعامه» ما كان منه مملوحا، لأن ما يقذف به البحر ميتاً لا يجوز عندنا أكله لغير المحرم و لا للمحرم. و قال قوم معنى «و طعامه» ما نبت بمائة من الزرع و الثمار حكاه الزجاج.
و قوله «مَتاعاً لَكُمْ وَ لِلسَّيَّارَةِ» نصب متاعا على المصدر لان قوله «أُحِلَّ لَكُمْ» يدل على انه قد متعهم متاعا و قال ابن عباس و الحسن و قتادة معناه منفعة للمقيم و المسافر.
و
قوله «وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً» يقتضى ظاهره تحريم الصيد فى حال الإحرام و أكل ما صاده غيره، و به قال على (ع)
و ابن عباس و ابن عمر و سعيد بن جبير، و قال عمر و عثمان و الحسن، لحم الصيد لا يحرم على المحرم إذا صاده غيره، و منهم من فرق بين ما صيد و هو محرم و بين ما صيد قبل إحرامه. و عندنا لا فرق بينهما و الكل محرم، و الصيد يعبر به عن الاصطياد فيكون مصدراً و يعبر به عن المصيد،

فيكون اسماَ. و يجب أن تحمل الآية على تحريم الجميع. و قوله «وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ» أمر منه تعالى بان يتقى جميع معاصيه و يجتنب جميع محارمه من الصيد فى الإحرام و غيره، لأن اليه الرجوع فى الوقت الذى لا يملک أحد فيه الضرر و النفع سواه، و هو يوم القيامة فيجازى كلًا بعمله: المحسن على إحسانه و المسىء على إساءته.

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنَّاسِ وَ الشَّهْرَ الْحَرامَ وَ الْهَدْيَ وَ الْقَلائِدَ ذلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (97)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحده «قيماً للناس» بلا الف. الباقون قياما بالألف. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 30

قال أبو على الفارسى: قوله «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنَّاسِ» تقديره جعل اللّه حج الكعبة أو نصب الكعبة قياما لمعايش الناس أو مكاسب الناس، لأنه مصدر (قام) كأن المعنى قام بنصبه ذلك لهم، فاستتبت بذلك معايشهم، و استقامت أحوالهم به فالقيام كالعياذ و العيال. و على هذا لحقته تاء التأنيث فى هذه المصادر فجاءت (فعالة) كالزيادة و السياسة و الحياكة، فكما جاءت هذه المصادر على (فعال) أو (فعالة) كذلك حكم القيام أن يكون على (فعال).

و وجه قراءة ابن عامر أحد أمرين: إما أن يكون جعله مصدراً كالشبع أو حذف الالف و هو يريدها كما يقصر الممدود، و هذا الوجه انما يجوز فى الشعر دون الكلام. و انما أعلوا الواو فقلبوها ياءً لاعتلال الفعل، و لم يصححوها كما صحت فى الحول و العوض، ألا ترى أنهم قالوا ديمة و ديم، و حيلة و حيل فأعلوها فى المجموع لاعتلال آحادها، فاعلال المصدر لاعتلال الفعل أولى.

و القوام هو العماد تقول: هو قوام الامر و ملاكه، و هو ما يستقيم به أمره و قلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها فى مصدر (فعل، يفعل) و هو قام بالأمر قياما كقولك صام صياما. فأما صحة الواو فمن قاومه قواما مثل حاوره حواراً قال الراجز:

قوام دنيا و قوام دين «1»

و تقدير الآية جعل اللّه حج الكعبة أو نصب الكعبة قياما لمعاش الناس و مصالحهم.

و قوله «وَ الشَّهْرَ الْحَرامَ» معطوف على المفعول الأول ل (جعل) كما تقول ظننت زيداً منطلقاً و عمراً أى فعل ذلك ليعلموا أن اللّه يعلم مصالح ما فى السماوات و الأرض، و ما يجرى عليه شأنهم فى معاشهم و غير ذلك مما يصلحهم

---

(1) مجاز القرآن 1/ 177.

«وَ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ» بما يقيمهم، و يصلحهم عليه.
و قيل فى قوله «قِياماً لِلنَّاسِ» ان معناه أمناً لهم. و قيل انه مما ينبغى أن يقيموا به. و الاول أقوى. و قال قوم لما كان فى المناسک زجراً عن القبيح و دعا الى الحق كان بمنزلة الرئيس الذى يقوم به أمر أتباعه. و قال سعيد بن جبير «قياماً للناس» صلاحاً لهم. و قيل: يقوم به أبدانهم. و قيل «قياماً» يقومون به فى متعبداتهم قال مجاهد و عكرمة: سميت الكعبة كعبة لتربيعها.
و قال أهل اللغة و انما قيل كعبة البيت و أضيف لأن كعبة تربع أعلاه و الكعوبة: النتوء، فقيل للتربيع كعبة لنتوء زوايا المربع. و منه كعب ثدى الجارية إذا نتأ و منه كعب الإنسان لنتوئه. و سميت الكعبة حراما لتحريم اللّه إياها ان يصاد صيدها أو يخلى خلاءها أو يعضد شجرها. و قوله «وَ الشَّهْرَ الْحَرامَ» قال الحسن: هى الأشهر الحرام الاربعة، فهذا على مخرج الواحد مذهب الجنس. و هى واحد فرد، و ثلاثة سرد، فالفرد رجب، و السرد ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم.
و (القلائد) قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها- ان الرجل من العرب كان ينتهى به الحال من الضرر و الجوع الى ان يأكل العصب فيلقى الهدى مقلداً فلا يعرض له.
الثانى- أن من أراد الإحرام تقلد قلادة من شعر أو لحى الشجرة، فتمنعه من الناس حتى يأتى أهله.
الثالث- قال الحسن: القلائد ان يقلد الإبل و البقر النعال أو الخفاف، تقور تقويراً، على ذلک مضت السنة، فهذا على صلاح التعبد بها، و هذا هو المعتمد عليه عندنا.
فان قيل: ما معنى قوله «ذلِکَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ» بعد قوله «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنَّاسِ» و أى تعلق لها بذلک؟ و ما فى ذلک مما يدل على أنه بكل شىء عليم؟ قيل عن

ذلک ثلاثة أجوبة:
أحدها- أنه تعالى لما اخبر بما فى هذه السورة من قصة موسى و عيسى و قومهما و بالتوراة و الإنجيل، و ما فيهما من الأحكام و اخبار الأمم و فصله، و ذلک كله مما لم يشاهده محمد (ص) و لا قومه و لا أحد فى عصره و لا وقفوا على شىء من ذلک، قال ذلک لتعلموا أن اللّه تعالى لولا أنه بكل شىء عليم لما جاز أن يخبركم عنهم، فاخباره بذلک يدل على أنه بكل شىء عليم. و أيضا فان ما جعله اللّه من البلد الحرام و الشهر الحرام من الآيات و الأعاجيب دالًا على أنه تعالى لا يخفى عليه شىء، لأنه جعل البيت الحرام و الحرم أمنا، يأمن فيه كل شىء و يسكن قلبه، فالظبى يأنس بالسبع و الذئب ما دام فى الحرم، فإذا خرج عن الحرم خاف و طلبه السبع و هرب

منه الظبى حتى يرجع الى الحرم، فإذا رجع اليه كف عنه السبع، و هذا من عظيم آيات اللّه و عجيب دلائله، و كذلک الطير و الحمامة تأنس بالإنسان، فإذا خرج من الحرم خافه و لم يدن من أحد حتى يعود الى الحرم، و الطير يستشفى بالبيت الحرام إذا مرض يسقط على سطح البيت استشفاء به، فإذا زال عنه المرض لم ير على سطح البيت و لا محاذيه فى الهواء إجلالًا له و تعظيماً، مع أمور كثيرة يطول ذكرها، فيكون ما دبره اللّه من ذلک دالًا على أنه عالم بمصالح الخلق و بكل شىء. و أيضا فانه أخبرهم بأنه قد علم قبل أن يخلقهم ما هم صائرون اليه من القتال و الغارة و السبى و السلب فجعل من سنن ابراهيم و إسماعيل ان من دخل الحرم لم يقتل. و كذلک من عاذ بالبيت. و أن أشهر الحرم لا يجوز فيها قتال و أن من أهدى أو قلد أمن على نفسه، و كل ذلک يدل على أن من دبره عالم بالعواقب و لا يخفى عليه شىء من الأشياء على وجه من الوجوه.

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ وَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (98)
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 33
أمر اللّه تعالى أن يعلم المكلف أنه شديد العقاب، فالعلم ما اقتضى سكون النفس، و ان شئت قلت هو اعتقاد الشىء على ما هو به مع سكون النفس الى ما اعتقده، و الأول أخص، و لا يجوز أن يحد العلم بأنه المعرفة، لأن المعرفة هى العلم، و لا يحد الشىء بنفسه. و العلم يتناول الشىء على ما هو به و كذلک الرؤية. و الفرق بينهما ان العلم يتعلق بالمعلوم على وجوه، و الرؤية لا تتعلق إلا على وجه واحد. و العلم محله القلب. و الرؤية ليست معنى على الحقيقة و انما تثبت للرائى بكونه رائيا صفة. و من قال هو معنى قال محلها العين.
و فى الآية دلالة على أن المعرفة باللّه و بصفاته ليست ضرورية، لأنها لو كانت ضرورية لما أمرنا بها. و ليس لاحد أن يقول انما أمر على جهة التذكير، و التنبيه، لان ذلک ترک للظاهر.
و العقاب هو الضرر المستحق على جهة الاهانة و المقارن بالاستخفاف، و لو اقتصرت على ان تقول هو الضرر المستحق أو الضرر الذى يقارنه استخفاف و اهانة لكان كافيا لان ما ليس بعقاب ليس بمستحق و لا يقارنه استخفاف و إهانة و إنما سمى عقابا لأنه يستحق عقيب الذنب الواقع من صاحبه.
و قوله «وَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» منصوب ب (اعلموا) و تقديره و اعلموا ان اللّه غفور رحيم، و المغفرة هى ستر الخطيئة برفع عقابها. و أصلها الستر و منه المغفرة و ضم ذكر الرحمة الى المغفرة لبيان سبوغ نعم اللّه تعالى، و انه إذا أزال العقوبة بالتوبة أوجب الرحمة التى هى المغفرة. و ذلک يدل على أن الغفران عند التوبة غير واجب و أنه تفضل و إلا لم يكن كذلک.

ما عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَكْتُمُونَ (99)
آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 34
لما أنذر تعالى فى الآية الأولى شدة العقاب و بشَّر بالعفو و الغفران ذكر فى هذه أنه ليس على الرسول إلا البلاغ. و أما القبول و الامتثال فانه متعلق بالمكلفين المبعوث اليهم.
و أصل الرسول الإطلاق من قولهم أرسل الطير إرسالا إذا أطلقه و منه قولهم: ترسَّل فى القراءة ترسلًا إذا تثبت. و استرسل الشىء إذا تسلل و انطلق. و رسله مراسلة، و تراسلوا تراسلًا. و الرسل اللبن لاسترساله من الضرع. و فى الحديث (اعطى من رسلها) و قوله: «وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً» «1» قيل: هى الخيل. و قيل هى الرياح. و الفرق بين الرسول و النبى أن النبى لا يكون إلا صاحب المعجز الذى ينبئ عن اللّه أى يخبر، و الرسول إذا كان رسول اللّه فهو بهذه الصفة، و قد يكون الرسول رسولا لغير اللّه، فلا يكون بهذه الصفة. و الانباء عن الشىء قد يكون من غير تحميل النبأ. و الإرسال لا يكون الا بتحميل الرسالة. و البلاغ وصول المعنى الى غيره، و هو هاهنا وصول الانذار الى نفوس المكلفين. و أصل البلاغ البلوغ تقول: بلغ يبلغ بلوغاً و أبلغه ابلاغاً و تبلغ تبلغاً و بالغ مبالغة و بلغه تبليغاً، و منه البلاغة لأنها إيصال المعنى الى النفس فى حسن صورة من اللفظ. و تبالغ الرجل إذا تعاطى البلاغة و ليس ببليغ، و فى هذا بلاغ أى كفاية لأنه يبلغ مقدار الحاجة.
«وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَكْتُمُونَ» معناه أنه لا يخفى عليه شىء من أحوالكم التى تظهرونها أو تخفونها و تكتمونها و فى ذلک غاية التهديد و الزجر.

قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَ الطَّيِّبُ وَ لَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (100)
آية.
معنى قوله «لا يستوى» لا يتساوى. و الاستواء على أربعة اقسام:

---

(1) سورة 77 المرسلات آية 1.

استواء فى المقدار. و استواء فى المكان. و استواء فى الذهاب. و استواء فى الإنفاق. و الاستواء بمعنى الاستيلاء راجع الى الاستواء فى المكان، لأنه تمكن و اقتدار و قوله «الْخَبِيثُ وَ الطَّيِّبُ» قيل فى معناهما قولان:
أحدهما- الحرام، و الحلال فى قول الحسن و أبى على.
الثانى- قال السدى الكافر، و المؤمن. و الخبيث الردى بالعاجلة و يسوى بالآجلة. و منه خبث الحديد، و هو رديئه بعد ما يخلص بالنار جيدة ففى الخبيث امتزاج جيد بردىء و لذلك قال «وَ لَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ» و الاعجاب سرور بما يتعجب منه. و العجب و الاعجاب و التعجب من أصل واحد. و عجب يعجب عجباً و العجب مذموم، لأنه كبر يدخل النفس بحال يتعجب منها.
و عجب الذنب أصله عجوب الرمل أو آخره لانفراده عن جملته كانفراد ما يتعجب منه.
و معنى الآية أنه لا يتساوى الحرام و الحلال و ان أعجبك يا محمد كثرة ما تراه من الحرام و المراد به أمته. و قوله «فَاتَّقُوا اللَّهَ» معناه اجتنبوا ما حرمه عليكم «يا أُولِي الْأَلْبابِ» يعنى يا اولى العقول «لعلكم تفلحون» معناه لتفلحوا و تفوزوا بالثواب العظيم الدائم.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَ إِنْ تَسْئَلُوا عَنْها حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْها وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (101) قَدْ سَأَلَها قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِها كافِرِينَ (102)

آيتان بلا خلاف.

قيل فى سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و أنس و ابو هريرة و الحسن و قتادة و طاوس

و السدى: أنه سأل رسول اللَّه (ص) رجل يقال له عبد اللَّه و كان يطعن فى نسبه فقال: يا رسول اللَّه من أبى، فقال له حذافة. فنزلت الآية و قال أبو هريرة و مجاهد: نزلت حين سألوا عن أمر الحج لما انزل «وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» فقالوا: فى كل عام؟ قال: لا و لو قلت نعم لوجب. و قال قوم وقع السؤال الاول و الثانى فى مجلس واحد، فخاطب اللَّه تعالى بهذه الآية المؤمنين و نهاهم عن مسألة الأشياء التى إذا أبديت و أظهرت ساءت و احزنت من أظهرت له.

يقال بدا يبدو بدوّاً. و أبداه إبداء إذا أظهره و بدا له فى الامر بدواً و بداً و بداء إذا تغير رأيه، لأنه ظهر له. و البادية خلاف الحاضرة. و البدو خلاف الحضر من الظهور. و قيل فى وزن (أشياء) ثلاثة أقوال:

قال الكسائى: هو أفعال إلا انه لم يصرف، لأنهم شبهوه بحمراء فالزمه الزجاج ألا يصرف اسماء و لا انباء.

الثانى- قال الأخفش و الفراء هى (فعلاء) كقولك هين و أهوناء فالزمه المازنى و قال: سله كيف يصغرها؟ فقال الأخفش (أشياء) فقال يجب ان يصغرها شيئات كما يصغر أصدقاء فى المؤنث صديقات فى المذكر صديقون. قال الزجاج إنما قيل فى هين: أهوناء لأن هين أصله (هيين) على وزن فعيل فجمع على أفعلاء كنصب و أنصباء.

الثالث- قال الخليل و سيبويه: (افعاء) مقلوبة كما قلبوا (أنيق) عن انوق، و قسى عن قؤوس.

و قوله «تسؤكم» معناه تحزنكم. و قوله «عَفَا اللَّهُ عَنْها وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ» قيل فيما يعود الضمير اليه فى (عنها) قولان:

أحدهما- قال قوم على المسألة، لان قوله «لا تسألوا» دليل عليها فيكون العفو عن مسألتهم التى سلفت منهم.

الثانى- على الأشياء التى سألوا عنها من أمور الجاهلية، و ما جرى مجراها مما يسؤهم تشديد المحنة فيها. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 37

و قوله «قَدْ سَأَلَها قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ» قال ابن عباس: سأل قوم عيسى (ع)

إنزال المائدة ثم كفروا بها. و قال غيره: هم قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها و كفروا بها. و قال السدى هذا حين سألوا أن يحول لهم الصفا ذهباً. و قال أبو على: انما كانوا سألوا نبيهم عن مثل هذه الأشياء يعنى من آيات و نحوها فلما أخبرهم النبى (ص) قالوا: ليس الامر كذلک، فكفروا به.
و قال الرمانى: السؤال هو طلب الشىء اما بإيجاده و اما بإحضاره و اما بالبيان عنه، و الذى يجوز السؤال عنه هو ما يجوز العمل عليه من أمر دين أو دنيا. و ما لا يجوز العمل عليه من أمر دين أو دنيا لا يجوز السؤال عنه و لا يجوز أن يسأل اللّه تعالى شيئاً إلا بشرط انتفاء وجود القبح عن الاجابة، فعلى هذا لا يجوز أن يسأل الإنسان: من أبى لان المصلحة اقتضت ان من ولد على فراش انسان حكم بأنه ولده. و إن لم يكن مخلوقاً من مائه، فالمسألة بخلافه سفه لا يجوز.

ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ وَ لا وَصِيلَةٍ وَ لا حامٍ وَ لكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (103)
آية بلا خلاف.
هذه الآية من الادلة الواضحة على بطلان مذهب المجبرة من قولهم: من أن اللّه تعالى هو الخالق للكفر و المعاصى و عبادة الأصنام و غيرها من القبائح، لأنه تعالى نفى أن يكون هو الذى جعل البحيرة أو السائبة أو الوصيلة أو الحام، و عندهم ان اللّه تعالى هو الجاعل له و الخالق، تكذيباً للّه تعالى و جرأة عليه. ثم بين تعالى أن هؤلاء بهذا القول قد كفروا باللّه و افتروا عليه بأن أضافوا اليه ما ليس بفعل له، و ذلک واضح لا إشكال فيه. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 38
و معنى «ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ» أى ما حرمها على ما حرمها أهل الجاهلية، و لا أمر بها. و (البحيرة) هى الناقة التى تشق أذنها يقال بحرت الناقة أبحرها بحراً، و الناقة مبحورة، و بحيرة: إذا شققتها شقاً واسعاً، و منه البحر لسعته.
و كانوا فى الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن و كان آخرها ذكراً بحروا أذنها أى شقوها، و امتنعوا من ركوبها و ذبحها، و لم تطرد عن ماء، و لم تمنع من رعى. و إذا لقيها المعيى لم يركبها.
و (السائبة) المخلاة و هى المسيبة. و كانوا فى الجاهلية إذا نذر إنسان نذراً لقدوم من سفر أو برء من مرض أو ما أشبه ذلک قال: ناقتى سائبة، فكانت كالبحيرة فى التخلية، و كان إذا أعتق الإنسان عبداً، فقال: هو سائبة لم يكن بينهما عقل، و لا ولاء، و لا ميراث.
و (الوصيلة) الأنثى من الغنم إذا ولدت أنثى مع الذكر قالوا: أوصلت أخاها فلم يذبحوه. و قال أهل اللغة: كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهى لهم، و إذا ولدت ذكراً ذبحوه لآلهتهم فى زعمهم، و إذا ولدت ذكراً و أنثى قالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوه لآلهتهم.
و (الحام) الفحل من الإبل الذى قد حمى ظهره من أن يركب بتتابع أولاد تكون من صلبه. و كانت العرب إذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: حمى ظهره فلا يحمل عليه شىء و لا يمنع من ماء و لا مرعى. و قال محمد ابن إسحاق: البحيرة بنت السائبة و (السائبة) هى الناقة إذا تابعت بين عشر أناث ليس فيهن ذكر سيبت فلم يركبوها و لم يجزوا و برها و لم يشرب لبنها إلا ضيف. فما نتجت بعد ذلک من أنثى شق أذنها ثم يخلى سبيلها مع أمها فلم يركب ظهرها و لم يجز و برها، و لم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها.

و (الوصيلة) هى الشاة إذا أتأمت عشر أناث متتابعات فى خمسة أبطن ليس فيها ذكر جعلت وصيلة، و قالوا قد وصلت و كان ما ولدت بعد ذلک للذكور دون الإناث. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 39
و قوله «وَ لكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» إخبار منه تعالى بأن هؤلاء الذين كفروا يكذبون على اللَّه بادعائهم أن هذه الأشياء من فعل اللَّه أو بأمره. و قوله «وَ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ» خص الأكثر بأنهم لا يعقلون لأنهم أتباع، فهم لا يعقلون أن ذلک كذب و افتراء كما يفعله الرؤساء- فى قول قتادة و الشعبى- و قال ابو على «أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ» ما أحل لهم و ما حرم عليهم، يعنى أن المعاند هو الأقل منهم.

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ (104)
آية بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى عن الكفار الذين أخبر عنهم أنهم لا يعقلون، و الذين جعلوا البحيرة، و السائبة، و الوصيلة، و الحام، و «الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» من كفار قريش و غيرهم من العرب بأنه «إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا» أى هلموا «إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ» من القرآن و اتباع ما فيه، و الإقرار بصحته «و الى الرسول» و تصديقه، و الاقتداء به و بأفعاله «قالوا» فى الجواب عن ذلک «حسبنا» أى كفانا «ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا» يعنى مذاهب آبائنا. ثم اخبر تعالى منكراً عليهم فقال «أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ» أى إنهم يتبعون آباءهم فى ما كانوا عليه من الشرک و عبادة الأوثان و إن كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً من الدين و لا يهتدون اليه. و قيل فى معنى (لا يهتدون) قولان أحدهما- الذم بأنهم ضلال. و الثانى- أنهم لا يهتدون الى طريق العلم بمنزلة العمى عن الطريق.
و فى الآية دلالة على فساد التقليد، لأن اللَّه تعالى أنكر عليهم تقليد الآباء
فدل التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 40
ذلک على أنه لا يجوز لأحد أن يعمل على شىء من أمر الدين إلا بحجة.
و فيها دلالة على وجوب المعرفة و أنها ليست ضرورية، لأن اللَّه تعالى بين الحجاج عليهم فى هذه الآية ليعرفوا صحة ما دعا الرسول اليه، و لو كانوا يعرفون الحق ضرورة لم يكونوا مقلدين لآبائهم و كان يجب أن يكون آباؤهم أيضاً عارفين ضرورة، و لو كانوا كذلک لما صح الاخبار عنهم بأنهم لا يعلمون شيئاً و لا يهتدون. و انما نفى عنهم الاهتداء و العلم معاً لان بينهما فرقاً، و ذلک أن الاهتداء لا يكون إلا عن بيان و حجة. و العلم مطلق و قد يكون الاهتداء ضرورة.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)
آية واحدة بلا خلاف.
لما بين اللَّه تعالى حكم الكفار الذين قلدوا آباءهم و أسلافهم و ركنوا اليهم فى أديانهم، ذكر فى هذه الآية أن المكلف انما يلزمه حكم نفسه و أنه لا يضره ضلال من ضل إذا كان هو مهتدياً، حتى يعلم بذلک أنه لا يلزمهم من ضلال آبائهم شىء من الذم و العقاب.
و «أنفسكم» نصب على الإغراء كأنه قال: احفظوا أنفسكم أن تزلوا كما زل غيركم. و العرب تغرى ب (عليک، و اليک، و دونک، و عندک) فينصبون الأسماء بها، و لم يغروا ب (منک) كما أغروا ب (اليک)، لأن (اليک) أحق بالتنبيه من (منک). و الإغراء تنبيه على ما يجب أن يحذر، و لذلک لم يغروا ب (فيک) و نحوها من حروف الاضافة. و حكى المغربى: أنه سمع من يغرى ب (وراءک) و (قدامک). التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 41
و ليس فى الآية ما يدل على سقوط انكار المنكر. و إنما يجوز الاقتصار على الاهتداء بأتباع أمر اللَّه فى حال التقية، هذا قول ابن مسعود، على أن الإنسان إنما يكون مهتدياً إذا اتبع أمر اللَّه فى نفسه و فى غيره بالإنكار عليه. و
روى عن النبى (ص) أنه قال (إذا رأوا الناس منكراً فلم يغيروه عمهم اللَّه بالعقاب)
و فى الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة فى تعذيب الأطفال، لأنه لو كان الامر على ما قالوه لم يأمن المؤمنون أن يؤخذوا بذنوب آبائهم، و قد بين اللَّه تعالى أن الامر بخلافه مؤكداً لما فى العقل.
و قوله «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً» معناه اليه تعالى مآلكم فى الوقت الذى لا يملک أحد الضرر و النفع سواه بخلاف دار الدنيا التى مكن اللَّه تعالى الخلق من الضرر و النفع فيها. و قوله «فَيُنَبِّئُكُمْ» معناه يخبركم بأعمالكم التى عملتموها فى الدنيا من الطاعات و المعاصى، و يجازيكم بحسبها، و فى ذلک غاية الزجر و التهديد.
و قوله «لا يَضُرُّكُمْ» يحتمل أن يكون جزماً لأنه جواب الامر، و حرک الراء لأنها ثقيلة و أولها ساكن، فلا يستقيم إسكان آخرها، فيلتقى ساكنان. قال الأخفش: و الأجود أن يكون رفعاً على الابتداء، لأنه ليس بعلة لقوله «عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ» و إنما أخبر أنه لا يضرهم.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى وَ لا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ (106)

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 42

آية بلا خلاف.

ذكر الواقدى و ابو جعفر (ع) أن سبب نزول هذه الآية ما قال أسامة بن زيد عن أبيه قال: كان تميم الدارى و أخوه عدى نصرانيين و كان متجرهما الى مكة، فلما هاجر رسول اللّه (ع) الى المدينة قدم ابن أبى مارية مولى عمرو بن العاص المدينة و هو يريد الشام تاجراً فخرج هو و تميم الدارى و أخوه عدى حتى إذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن أبى مارية فكتب وصية بيده و دسها فى متاعه و أوصى اليهما و دفع المال اليهما و قال أبلغا هذا أهلى، فلما مات فتحا المتاع و أخذا ما أعجبهما منه ثم رجعا بالمال الى الورثة، فلما فتش القوم المال فقدوا بعض ما كان خرج به صاحبهم، و نظروا الى الوصية فوجدوا المال فيها تاماً و كلموا تميماً و صاحبه، فقالا: لا علم لنا به و ما دفعه إلينا أبلغناه كما هو، فرفعوا أمرهم الى النبى (ص) فنزلة هذه الآية.

قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ» قيل فى معنى الشهادة- هاهنا- ثلاثة أقوال:

أحدها- الشهادة التى تقام بها الحقوق عند الحكام.

الثانى- شهادة الحضور لوصيين.

الثالث- شهادة أيمان باللّه إذا ارتاب بالوصيين من قول القائل: أشهد باللّه انى لمن الصادقين. و الأول أقوى و أليق بالقصة. و فى كيفية الشهادة قيل قولان:

أحدهما- أن يقول صحيحاً كان أو مريضاً: إذا حضرنى الموت فافعلوا كذا و كذا. ذكره الزجاج.

الثانى- إذا حضرت أسباب الموت من المرض. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 43

و قيل فى رفع «شهادة» ثلاثة أقوال:

أحدها- أن يكون رفعاً بالابتداء و تقديره شهادة بينكم: شهادة اثنين، و يرتفع (اثنان) بأنه خبر الابتداء ثم حذف المضاف و أقيم المضاف اليه مقامه.

قال أبو على الفارسى: و اتسع فى (بين) و أضيف اليه المصدر، و ذلك يدل على قول من يقول: ان الظرف الذى يستعمل يجوز أن يستعمل اسماً فى

غير الشعر، كما قال تعالى «لَقَدْ تَقَطّعَ بَيْنَكُمْ» «1» فيمن رفع. و جاء فى الشعر:
فصادف بين عينيه الجبوبا «2»
الثانى- على تقدير محذوف و هو عليكم شهادة بينكم أو مما فرض عليكم شهادة بينكم، و يرتفع اثنان بالمصدر ارتفاع الفاعل بفعله.
و الثالث- ان يكون الخبر «إِذا حَضَرَ» فعلى هذا لا يجوز أن يرتفع (اثنان) بالمصدر، لأنه خارج عن الصلة بكونه بعد الخبر، لكن على تقدير ليشهد اثنان، و لا يجوز أن يتعلق إذا حضر بالوصية لأمرين:
أحدهما- ان المضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف، لأنه لو عمل فيما قبله للزم أن يقدر وقوعه فى موضعه فإذا قدِّر ذلک لزم تقديم المضاف عليه على المضاف، و من ثم لم يجز (القتال زيداً) حين يأتى.
و الآخر ان الوصية مصدر، فلا يتعلق به ما يتقدم عليه.
و قوله «إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ» يعنى قرب أحدكم من الموت كما قال «حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ» «3» و قال «حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا»»
و قال

---

(1) سورة 6 الانعام آية 94.
(2) قائله أبو خراش الهذلى. اللسان (بين) و صدره:
فلاقته ببلقعة براح يصف عقابا. و الجبوب- بفتح الجيم- وجه الأرض. و البلقع المكان الخالى، و براح صفة له. و الشاهد ضم النون فى (بين).
(3) سورة 4 النساء آية 17
(4) سورة 6 الانعام آية 61

«حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ» «3» و كل ذلک يريد به المقاربة. و لولا ذلک لما أسند اليه القول بعد الموت.
و قوله «حِينَ الْوَصِيَّةِ» فلا يجوز أن يحمل على الشهادة، لأنها إذا عملت فى ظرف من الزمان لم تعمل فى ظرف آخر منه، و يمكن حمله على أحد ثلاثة أشياء:
أحدها- أن تعلقه بالموت كان الموت فى ذلک الحين بمعنى قرب منه.
الثانى- على حضر أى إذا حضر: هذا الحين.
الثالث- أن يحمله على البدل من (إذا) لأن ذلک الزمان فى المعنى هو ذلک الزمان، فيبدله منه، و يكون بدل الشىء من الشىء إذا كان إياه. و قوله «اثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ» خبر المبتدإ الذى هو (شهادة) و تقديره شهادة بينكم شهادة اثنين على ما بيناه، لان الشهادة لا تكون إلا من اثنين و قوله «منكم» صفة لقوله «اثنان» كما ان (ذوا عدل) صفة لهما، و فى الظرف ضمير. و

فى معنى (منكم) قولان:
أحدهما- قال سعيد بن المسيب و عبيدة و يحيى بن يعمر و مجاهد و قتادة و ابن عباس:
أى من المسلمين، و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع).
الثانى- قال سعيد بن المسيب و عبيدة- فى رواية اخرى- و عكرمة:
إنهما من حى الموصى و الاول أظهر و أصح، و هو اختيار الرمانى، لأنه لا حذف فيه. و قوله «أَوْ آخَرانِ مِنْ غَيْرِكُمْ» تقديره أو شهادة آخرين من غيركم، و حذف المضاف و أقام المضاف اليه مقامه. و (من غيركم) صفة للآخرين.
و قيل فى معنى «من غيركم» قولان:
أحدهما قال ابن عباس و أبو موسى الاشعرى و سعيد بن المسيب و سعيد ابن جبير و شريح و ابراهيم و ابن سيرين و مجاهد و ابن زيد و اختاره أبو على الجبائى، و هو
قول أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع) أنهما من غير أهل ملتكم.

---

(3) سورة 23 المؤمنون آية 100.

الثانى- قال عكرمة و عبيدة- بخلاف عنه- و ابن شهاب و الحسن:
يعنى من غير عشيرتكم. قال الحسن لأن عشيرة الموصى أعلم بأحواله من غيرهم، و هو اختيار الزجاج. قال: لأنه
لا يجوز قبول شهادة الكفار مع كفرهم و فسقهم و كذبهم على اللَّه. و معنى (أو)- هاهنا- للتفصيل لا للتخيير، لأن المعنى أو آخران من غيركم إن لم تجدوا منكم، و هو قول أبى عبيدة و شريح و يحيى بن يعمر و ابن عباس و ابراهيم و سعيد بن جبير و السدى، و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع).
و قال قوم: هو بمعنى التخيير فيمن ائتمنه الموصى من مؤمن أو كافر.
و قوله «إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ» يعنى ان أنتم سافرتم كما قال «وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ» «1».
و قوله «فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ» فيه محذوف، و تقديره و قد استنتم الوصية اليهما فارتاب الورثة بهما تحبسونهما.
و قوله «تَحْبِسُونَهُما» خطاب للورثة و الهاء فى (به) تعود الى القسم باللَّه.
و الصلاة المذكورة فى هذه الآية قيل فيها ثلاثة أقوال:
أولها- قال شريح و سعيد بن جبير و ابراهيم و قتادة، و هو
قول أبى جعفر (ع) أنها صلاة العصر.
الثانى- قال الحسن: هى الظهر أو العصر، و كل هذا لتعظيم حرمت وقت الصلاة على غيره من الأوقات. و قيل: لكثرة اجتماع الناس كان بعد صلاة العصر.

الثالث- قال: ابن عباس صلاة اهل دينهما يعنى فى الذميين لأنهم لا يعظمون أوقات صلاتنا.
و قوله «فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ» الفاء دخلت لعطف جملة (ان ارتبتم) فى قول الآخرين الذين ليسا من أهل ملتنا أو من غير قبيلة الميت فغلب فى ظنكم

---

(1) سورة 4 النساء آية 100.

خيانتهم، و لا خلاف أن الشاهد لا يلزمه اليمين إلا أن يكونا شاهدين على وصية مستندة اليهما فيلزمهما اليمين لأنهما مدعيان. و قوله «لا نَشْتَرِى بِهِ ثَمَناً» لا نشترى جواب ما يقتضيه قوله «فيقسمان» لان (أقسم) و نحوه يتلقى بما تتلقى به الايمان. و معنى قوله «لا نَشْتَرِى بِهِ ثَمَناً» لا نشترى بتحريف شهادتنا ثمنا، فحذف المضاف و ذكر الشهادة، لأن الشهادة قول كما قال «وَ إِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى ...» ثم قال «فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ» «1» لما كانت القسمة يراد بها المقسوم، ألا ترى ان القسمة التى هى افراد الأنصباء لا يرزق منه. و انما يرزق من التركة، و تقديره لا نشترى به ثمنا أى ذا ثمن، ألا ترى أن الثمن لا يشترى، و انما الذى يشترى المبيع دون ثمنه، و كذلک قوله «اشْتَرَوْا بِآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا» «2» أى ذا ثمن. و المعنى انهم آثروا الشىء القليل على الحق، فاعرضوا عنه و تركوه، و لا يكون (اشتروا) فى الآية بمعنى (باعوا) لأن بيع الشىء إخراج و إنفاذ له من البائع، و ليس المعنى- هاهنا- على الإنفاذ و انما هو على التمسک به، و الإيثار له على الحق.
و قوله «وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى» تقديره و لو كان المشهود له ذا قربى، و خصَّ ذو القربى لميل الناس الى قراباتهم، و من يناسبونه.
و قوله «وَ لا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ» معناه انَّا ان كتمناها لمن الآثمين. و قال (شهادة اللَّه) فأضاف الشهادة الى اللَّه لأمره بها و بإقامتها و النهى عن كتمانها فى قوله «وَ مَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ» «3» و قوله «وَ أَقِيمُوا الشَّهادَةَ لِلَّهِ» «4».

فَإِنْ عُثِرَ عَلى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيانِ فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ لَشَهادَتُنا أَحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما وَ مَا اعْتَدَيْنا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (107)

---

(1) سورة 4 النساء آية 7
(2) سورة 9 التوبة آية 10 [.....]
(3) سورة 2 البقرة آية 283
(4) سورة 65 الطلاق آية 2

آية بلا خلاف.

قرأ حفص و الأعشى الا النفار و الكسائى عن أبى بكر «استحق» بفتح التاء و الحاء. الباقون- بضم التاء و كسر الحاء- و الابتداء على الاول بكسر الهمزة. و قرأ حمزة و أبو بكر إلا الأعشى- فى غير رواية النفار- و يعقوب، و خلف (الاوَّلين) بتشديد الواو، و كسر اللام و فتح النون على الجمع. و الباقون بسكون الواو، و فتح اللام و كسر النون على التثنية.

و قد ذكرنا سبب نزول الآية عمن رويناه عنه

فذكروا أنها نزلت فى أمر رسول اللّه (ص) ان يستحلفوهما (و اللَّه ما قبضنا له غير هذا و لا كتمناه) ثم ظهر على إناء من فضة منقوش مذهب معهما، فقالوا: هذا من متاعه، فقالا: اشتريناه منه، فارتفعوا الى رسول اللّه فنزلت قوله تعالى: «فَإِنْ عُثِرَ عَلى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ ..» فأمر رسول اللّه رجلين من أهل البيت أن يحلفا على ما كتما و غيبا، فحلف عبد اللّه ابن عمر «1» و المطلب بن أبى وداعة «2» فاستحقا. ثم ان تميما اسلم و تابع رسول اللّه (ص) و كان يقول: صدق اللّه، و بلغ رسول اللّه، أنا أخذت الإناء.

و معنى (عثر) ظهر على، تقول: عثرت على خيانته و أعثرت غيرى على خيانته أى أطلعته. و منه قوله «وَ كَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ» «3» أى أطلعنا عليهم و أصله الوقوع بالشىء من قولهم: عثر الرجل يعثر عثوراً إذا وقع إصبعه

---

(1) و قد روى فقام عمر بن العاص و رجل آخر فحلفا ...
(2) فى بعض النسخ (ابن أبى رفاعة) بدل (ابن أبى وداعة).
(3) سورة 18 الكهف آية 21.

بشىء صدمته، و عثر الفرس عثاراً قال الشاعر:
بذات لوث عفرناة إذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا «4»
و أعثر الرجل يعثر عثراً إذا أطلع على أمر كان خافياً عنه، لأنه وقع عليه بعد خفائه، و العثير الغبار الساطع، لأنه يقع على الوجه و غيره، و العثير الأثر الخفى، لأنه يوقع عليه من خفاء.
و قوله: «عَلى أَنَّهُمَا» يعنى على أن الوصيين المذكورين أولا فى قوله «اثنان» فى قول سعيد بن جبير. و قال ابن عباس: على أن الشاهدين استحقا اثما يعنى خانا و ظهر و علم منهما ذلک «فَآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما» يعنى من الورثة- فى قول سعيد بن جبير و غيره- و «من الذين استحق عليهم الاوليان» قيل فى قوله «الاوليان» ثلاثة أقوال:
أحدها- قال سعيد بن جبير و ابن زيد: الاوليان بالميت. الثانى قال ابن عباس و شريح: الاوليان بالشهادة و هى شهادة الايمان. الثالث قال الزجاج: الاوليان أن يحلفا غيرهما و هما النصرانيان. و يقال هو الاولى بفلان ثم يحذف فلان فيقال: هو الاولى، و هذان الاوليان كما يقال هو الأكبر بمعنى الكبير و هذان الاكبران. و فى رفع الاوليان ثلاثة أقوال:
أحدها- بانه اسم ما لم يسم فاعله و المعنى استحق عليهم اثم الأولين أى استحق منهم، فحذف المضاف و أقيم المضاف اليه مقامه.
الثانى- بانه بدل من الضمير «فى يقومان» على معنى فليقم الاوليان من الذين استحق عليه الوصية و هو اختيار الزجاج.
الثالث- بدل من قوله «آخران». و زعم بعض الكوفيين انه لا يجوز إبداله من «آخرين» لتأخر العطف فى (فيقسمان)، لأنه يصير بمنزلة

---

(4) قائله الأعشى ديوانه: 83. (اللوث). القوة. و عفرناة- بفتح العين و الفاء- يصف بها الناس بأنها شبه المجنونة فى السير. و (التعس) العثور. و (لعا) كلمة تقال للعاثر.

(مررت برجل قام زيد و قعد) قال الرمانى: يجوز على العطف بالفاء جملة على جملة. و قال أبو على الفارسى: و يجوز أن يكون رفعاً بالابتداء و قد أخر. و تقديره فالاوليان بأمر الميت آخران من أهله أو من أهل دينه يقومان مقام الخائنين اللذين عثر عليهما كقولک: تميمى أنا. و يجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف، و تقديره فآخران يقومان مقامهما هما الاوليان. و اختار أبو الحسن الأخفش أن يكون الاوليان صفة لقوله «فآخران» لأنه لما وصف اختص. فوصف لأجل الاختصاص بما توصف به المعارف. و اما الجمع فعلى اتباع «الذين» و موضعه الجر و تقديره من الأولين الذين استحق عليهم الإيصاء و الإثم. و إنما قيل لهم الأولين من حيث كانوا أولين فى الذكر ألا ترى أنه تقدم «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ» و كذلک «اثْنان ذَوا عَدْلٍ

مِنْكُمْ» ذكرا فى اللفظ، قيل قوله «أَوْ آخَرانِ مِنْ غَيْرِكُمْ» و حجتهَم فى ذلکَ أن قالوا: أ رأيت ان كان الاوليان صغيرين أراد انهما إذا كانا صغيرين لم يقوما مقام الكبيرين فى الشهادة و لم يكونا لصغرهما اولى بالميت، و ان كانا لو كانا كبيرين كانا أولى به.
و انما قال «اسْتَحَقَّا إِثْماً» لان آخذه انما يأخذه آثم فسمى (اثماً) كما يسمى ما يؤخذ منک بغير حق مظلمة. قال سيبويه: المظلمة اسم ما أخذ منک قهراً، و كذلک سمى هذا المأخوذ باسم المصدر. و قيل: معناه استحقا عذاب إثم و حذف المضاف و اقام المضاف اليه مقامه كما قال «إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِى وَ إِثْمِکَ» «1» أى بعقاب اثمى و عقاب اثمک. و قيل فى معنى (عليهم) ثلاثة أقوال:
أحدها- ان تكون (على) بمعنى (من) كأنه. قال من الذين استحق منهم الإثم كما قال «إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ» «2» أى من الناس.
الثانى- ان يكون المعنى كما تقول: استحق على زيد مال بالشهادة أى

---

(1) سورة 5 المائدة آية 32
(2) سورة 83 المطففين آية 2

لزمه و وجب عليه الخروج منه، لان الشاهدين لما عثر على خيانتهما استحق عليهما ما وليا من أمر الشهادة و القيام بها و وجب عليهما الخروج منها و ترک الولاية لها فصار إخراجهما منها مستحقا عليهما كما يستحق على المحكوم عليه الخروج مما وجب عليه.
الثالث- أن تكون (على) بمنزلة (فى) كأنه استحق فيهم، و قام (على) مقام (فى) كما قام (فى) مقام (على) فى قوله «وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ» «3» و المعنى من الذين استحق عليهم بشهادة الآخرين اللذين هما من غيرنا.
فان قيل: هل يجوز أن يسند (استحق فيه) الى الاوليان؟
قلنا لا يجوز ذلک لأن المستحق انما يكون الوصية أو شىء منها، و لا يجوز أن يستحق الاوليان و هما الاوليان بالميت، و الاوليان بالميت لا يجوز أن يستحقا فيسند (استحق) اليهما.
و قوله «فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ» أى يحلفان باللَّه. و قوله «لَشَهادَتُنا أَحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما» جواب القسم فى قوله «فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ» و قوله «وَ مَا اعْتَدَيْنا» يعنى فيما قلنا من أن شهادتنا أحق من شهادتهما «إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ» تقديره إنا ان اعتدينا لمن الظالمين لنفوسنا.
قال الزجاج: هذه الآية أصعب آية فى القرآن اعراباً.
فان قيل: كيف يجوز أن يقف أولياء الميت على كذب الشاهدين أو خيانتهما حتى حل لهما أن يحلفا؟

قيل: يجوز ذلک بوجوه: أحدها- أن يسمعا اقرارهما بالخيانة من حيث لا يعلمان أو يشهد عندهم شهود عدول بأنهم سمعوهما يقرَّ ان بأنهما كذبا أو خانا، أو تقوم البينة عندهما على أنه أوصى بغير ذلک أو على أن هذين لم يحضرا الوصية أو يعرفان بغير ذلک من الأسباب.

---

(3) سورة 20 طه آية 71.

ذلِكَ أَدْنى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهادَةِ عَلى وَجْهِها أَوْ يَخافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمانٌ بَعْدَ أَيْمانِهِمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اسْمَعُوا وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (108)
آية بلا خلاف.
قوله «ذلِكَ أَدْنى» معناه ذلک الاحلاف و الأقسام او ذلک الحكم أقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها أى حقها و صدقها، لان اليمين يردع عن أمور كثيرة لا يرتدع عنها مع عدم اليمين.
و اختلفوا فى ان اليمين هل تجب على كل شاهدين أم لا؟
فقال ابن عباس: انما هى على الكافر خاصة و هو الصحيح.
و قال غيره: هى على كل شاهدين وصيين إذا ارتيب بهما.
و اختلفوا فى نسخ حكم الآيتين المتقدمتين مع هذه على قولين:
فقال ابن عباس و ابراهيم و أبو على الجبائى: هى منسوخة الحكم.
و قال الحسن و غيره: هى غير منسوخة. و هو الذى يقتضيه مذهبنا و اخبارنا. و قال البلخى: أكثر أهل العلم على أنه غير منسوخ، لأنه لم ينسخ من سورة المائدة شىء، لأنها آخر ما نزلت. و وجه قول من قال: هى منسوخة أن اليمين لا يجب اليوم على الشاهدين بالحقوق. و انما كان قبل الامر باشهاد العدول فى قوله «وَ أَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ» «1» فنسخت هذه الآية و دلت على أن شهادة الذمى لا تقبل إلا على الذمى إذا ارتفعا الى حكام المسلمين لان الذمى ليس بعدل و لا ممن يرضى من الشهداء، و هو قول أبى على الجبائى. و من ذهب الى انها منسوخة جعلها بمعنى شهادة الايمان على الوصيين فإذا ظهروا على خيانة منهما مما وجد فى أيديهما صارا مدعيين و صار

---

(1) سورة 65 الطلاق آية 2.

الورثة فى معنى المنكر فوجبت عليهما اليمين من حيث صارا مدعيين.
و قوله «أَوْ يَخافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمانٌ بَعْدَ أَيْمانِهِمْ» يعنى أهل الذمة يخافوا أن ترد أيمان على أولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم فيفتضحوا و يغرموا و ينكشف بذلک للناس بطلان شهادتهم و يسترد منهم ما أخذوه بغير حق، حينئذ يؤدوا الشهادة على وجهها و يحذروا من الكذب.
و قوله «وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اسْمَعُوا» يعنى اجتنبوا معاصيه و احذروا ان تحلفوا ايمانا كاذبة أو تخونوا أمانة و اسمعوا مواعظ اللّه «وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ» يعنى لا يهدى الفاسقين- الذين خرجوا من طاعة اللّه الى

معصيته- الى الجنة. و قيل ان معنى «لا يَهْدِى» لا يحكم للفاسقين بأنهم مهتدين و لا يجرى عليهم مثل هذه الصفة لأنها صفة مدح.

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ قالُوا لا عِلْمَ لَنا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (109)
آية واحدة.
فى ما ينتصب به قوله «يوم»؟ قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها- انه انتصب بمحذوف تقديره احذروا «يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ» الثانى- اذكروا يوم يجمع اللّه.
الثالث- قال الزجاج: ينتصب بقوله «اتَّقُوا اللَّهَ». و قال المغربى:
يتعلق بقوله «لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ» الى الجنة «يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ» و لا يجوز أن ينتصب على الظرف بهذا الفعل، لأنهم لم يؤمروا بالتقوى فى ذلک اليوم، لكن انتصب على انه مفعول به. و اليوم لا يتقى و لا يحذر، و انما يتقى ما يكون فيه من العقاب و المحاسبة و المناقشة كأنه قال اتقوا عقاب يوم، و حذف المضاف و اقام المضاف اليه مقامه. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 53
و قوله «ما ذا أُجِبْتُمْ» تقرير للرسل فى صورة الاستفهام على وجه التوبيخ للمنافقين عند اظهار فضيحتهم و هتک أستارهم على رؤوس الاشهاد.
و قول الرسل «لا عِلْمَ لَنا» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أولها- قال الحسن و السدى و مجاهد أنهم قالوا ذلک لذهولهم من هول ذلک المقام. فان قيل كيف يجوز ذهولهم مع انهم آمنون لا يخافون؟
كما قال «لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ» «1» و قال «لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» «2» قيل ان الفزع الأكبر دخول جهنم. و قوله «وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» هو كقولک للمريض لا خوف عليک، و لا بأس عليک، مما يدل على النجاة من تلک الحال، و خالف أبو على فى هذا و لم يجز الا ما نحكيه عنه.
الثانى- قال ابن عباس، و مجاهد- فى رواية أخرى- ان معناه لا علم لنا إلا ما علمتنا فحذف لدلالة الكلام عليه.
الثالث- قال الحسن فى رواية أخرى و ابو على الجبائى: ان معناه لا علم لنا بباطن ما أجاب به أممنا لان ذلک هو الذى يقع عليه الجزاء.
و قال بعضهم معناه لا علم لنا مع علمک أى ليس عندنا شىء مما نعلمه الا و انت عالم به و بكل ما غاب و حضر بدلالة قوله «إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» و قيل فى معنى قوله «إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» انه قال علام للبالغة ها هنا لا للتكثير المعلوم.

إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلاً وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِي وَ إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110)

---

(1) سورة 21 الأنبياء آية 103
(2) سورة 3 آل عمران آية 70

آية بلا خلاف.
قرأ حمزة و الكسائى و خلف «ساحر» بألف هاهنا و فى أول سورة يونس، و فى هود، و فى الصف. وافقهم ابن عامر و عاصم فى يونس.
وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه من صفة يوم القيامة كما ان ما قبله من صفتها و من خطاب الرسل بالمسألة و التذكير بالنعمة لتوبيخ من يستحق التوبيخ من أممهم و تبشير من يستحق البشارة منهم.
العامل فى (إذ) يحتمل أحد أمرين: أحدهما- الابتداء عطفاً على قوله «يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ» قال و ذلک «إذ قال» فيكون موضعه رفعاً كما يقول القائل كأنک بنا قد وردنا بلد كذا فصنعنا فيه و فعلنا إذ صاح بک صائح فأجبته و تركتنى.
الثانى- اذكر إذ قال اللّه. و قال بعضهم ان معناه ما ذا أجبتم على عهد عيسى. قال الرمانى: هذا غلط، لأنه من صفة (يوم القيامة) و عندى لا يمتنع أن يكون المراد بذلک اخبار النبى (ص) إذ قال اللّه لعيسى بن مريم اذكر، أى أخبر قومک ما أنعمت به عليک و على أمک، و اشكر ذلک إذ أيدتک بروح القدس. و روح القدس هو جبرائيل و حسن قوله «إذ قال» و لم يقل (يقول) لأنه عطف على ما قبله لأنه قدم ذكر الوقت. و تأييد اللّه هو ما قواه به و أعانه على أمور دينه، و على رفع ظلم اليهود و الكافرين عنه. و وزن «أيدتک» فعلتک من الأيد على وزن قربتک. و قال الزجاج: يجوز أن يكون فاعلتک من الأيد. و قرأ مجاهد: أيدتک على وزن أفعلتک من الأيد. و روح القدس

جبرائيل قال الحسن و القدس هو اللّه.
و قوله «تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ» أى انک تكلم الناس فى حال ما كنت صبياً فى المهد- و المهد حجر أمه، فى قول الحسن- و فى حال ما كنت كهلا.

قال أبو على فكان كلم الناس فى هذين الوقتين بتبليغه إياهم ما أرسله اللّه به الى عباده، و ما يدعوهم اليه من طاعة اللّه و تصديق رسله، لأنه كان بين لهم عند كلامه فى المهد «إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ آتانِىَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِى نَبِيًّا وَ جَعَلَنِى مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِى بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا وَ بَرًّا بِوالِدَتِى وَ لَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّاراً شَقِيًّا» «1» فبين لهم فى هذا و فى وقت ما صار كهلا ان اللّه بعثه نبيا و لم يتكلم أحد من الأنبياء فى المهد سواه و لم يبعث أحد عند ما ولد غيره، فذكره هذه النعمة التى خصه بها ليشكره على ذلك.
و نصب قوله «كهلا» يحتمل أمرين:
أحدهما- على ان يكون عطفا على موضع تكلم أى أيدتك صغيراً و كهلا.
الثانى- أن يكون عطفاً على موضع فى المهد، أى و تكلمهم كهلا بالرسالة.
و قوله «وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ» يعنى و اذكر «إذ». و قيل فى معنى (الكتاب) قولان:
أحدهما- انه أراد الخط الكتابة.
الثانى- الكتب فيكون على طريق الجنس ثم فصله بذكر التوراة و الإنجيل.
و قوله «و الحكمة» يعنى العلم بما فى تلك الكتب.
و قوله «وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ» أى و اذكر ذلك أيضا كل ذلك تذكير له بنعمه عليه و الخلق هو الفعل المقدر على مقدار يعرفه الفاعل، فعلى هذا جميع أفعاله تعالى توصف بأنها مخلوقة، لأنه ليس فيها شىء على وجه السهو و الغفلة، و لا على سبيل المجازفة. و معنى ذلك أنه خلق من الطين كهيئة الطير أى تصور الطين بصورة الطير الذى تريد. و سماه خلقاً لأنه

---

(1) سورة 19 مريم آية 30- 32.

كان يقدره.
و قوله «باذنى» أى تفعل ذلك باذنى و أمرى.
و قوله «فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِى» معناه انه نفخ فيها الروح، لأن الروح جسم و يجوز أن ينفخها المسيح بأمر اللّه. و الطير يؤنث و يذكر فمن أنث أراد الجمع و من ذكر فعلى اللفظ. و الطير واحده طائر مثل ضائن و ضأن و راكب و ركب. و قد قالوا (أطيار) مثل صاحب و أصحاب و شاهد و أشهاد، و يمكن أن يكون (أطيار) جمع طير مثل ثبت و اثبات و بيت و أبيات.
قال أبو على و قد ينفخها فى الجسم على ما أخبر اللّه به جبرائيل، و على ما
روى عن النبى (ص) أنه يبعث اليه ملكا عند تمام مائة و عشرين يوما فينفخ فيه الروح و يكتب أجله و رزقه و شقى هو أم سعيد.
و يبين بقوله «فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِى» أنه إذا نفخ المسيح (ع) فيها الروح قلبها

اللّه لحماً و دماً، و خلق فيها الحياة فصارت طائراً بإذن اللّه و إرادته لا بفعل المسيح (ع) فلذلک قال «فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِی».
و قوله «وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِی» معناه إنک تدعونی حتی أبرئ الأكمه، و هو الذی خلق أعمی. و قال الخليل: يكون الذی عمی بعد ان كان بصيراً و الأصل الاول. و الأبرص معروف و نسب ذلک الی المسيح لما كان بدعائه و سؤاله.
و قوله «وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتی بِإِذْنِی» أی اذكر إذ تدعونی فأحيی الموتی عند دعائک و أخرجهم من القبور حتی يشادهم الناس أحياء. و انما نسبه الی عيسی لما بينا من أنه كان بدعائه.
و قوله «وَ إِذْ كَفَفْتُ بَنِی إِسْرائِيلَ عَنْکَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ» أی اذكر إذ كففت هؤلاء عن قتلک و إذ أيدتک حين جئتهم بالبينات مع كفرهم و عتوهم مع قولهم ان ما جئت به من الآيات سحر مبين. و يجوز أن يكون كفهم بألطافه التی لا يقدر عليها غيره، و يجوز أن يكون كفهم بالمنع و القهر كما منع من

قتل نبينا (ص) و قيل لأنه ألقی شبهه علی غيره حتی قتلوه و نجا.
و من قرأ (ساحر) أراد أن عيسی ساحر مبين أی ظاهر بين. و السحر هو الباطل المموه بالحق. و قوله فی أول الآية «اذْكُرْ نِعْمَتِی عَلَيْکَ وَ عَلی والِدَتِکَ» أی اخبر بها قومک الذين كذبوا عليک ليكون حجة عليهم، لأنهم ادعوا عليه أنه إله و أنه لم يكن عبداً منعما عليه، ثم عدد النعم نعمة نعمة علی ما بينا. و قال الطبری: انما عدد اللّه تعالی هذه النعم علی عيسی (ع) حين رفعه اليه فلذلک قال «إِذْ قالَ اللَّهُ».

وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِی وَ بِرَسُولِی قالُوا آمَنَّا وَ اشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ (111)
آية.
التقدير و اذكر إذ أوحيت الى الحواريين. و فی معنی «أَوْحَيْتُ» قولان:
أحدهما- أن معناه ألهمتهم كما قال «وَ أَوْحى رَبُّکَ إِلَى النَّحْلِ» «1» أی ألهمها.
و قيل أمرتهم.
الثانی- ألقيت اليهم بالآيات التی أريتهم إياها كما قال الشاعر:
الحمد للّه الذی استقلت باذنه السماء و اطمأنت
أوحى لها القرار فاستقرت «2»
أی القی اليها و يروى وحى لها. و الفرق بين أوحى و وحى من وجهين:
أحدهما- أن أوحى بمعنی جعلها على صفة كقولک جعلها مستقرة، و وحى جعل فيها معنى الصفة، لأن أفعل أصله التعدية. و قال قوم: هما لغتان.
و قال البلخی معنى «أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ» أی أوحيت اليک أن تبلغهم أو الى رسول متقدم. و قوله (أوحيت اليهم) يعنى أوحيت الى الرسول الذی جاءهم. و فی معنى الآية قولان:

_____
(1) سورة 16 النحل آية 68 [.....]
(2) انظر 2/ 59

أحدهما- قال أبو على اذكر نعمتی عليک إذ أوحيت الى الحواريين الذين هم أنصارک.
الثانی- اذكر نعمتی على الحواريين لما فی ذلک من العلم بنعم اللَّه خاصة و عامة. و انما حسن الحذف فی التذكير بالنعمة للشهرة و عظم المنزلة باجلال النعمة و لذلک يحسن الحذف فی الافتخار كقول الأعشى:
إن محلا و ان مرتحلا و إن فی السفر إذ مضوا مهلا «3»
أی لنا محلا. و (الحواريون) قال الحسن هم أنصار عيسى. و قيل:
هم وزراؤه على أمره. و قيل: هم خاصة الرجل و خلصائه. و منه قول النبی صلى اللّه عليه و آله للزبير أنه حوارى
، و معناه خالصتی من الناس، و الرفيق الحوارى، لأنه أخلص اليه من كل ما يشوبه، و أصله الخلوص، و منه حار يحور أی رجع الى حال الخلوص، ثم كثر حتى قيل صار لكل راجع و قيل:
انهم كانوا قصارين.

إِذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ قالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112)
آية بلا خلاف.
قرأ الكسائى و الأعشى إلا النفار «هل تستطيع» بالتاء «ربک» بنصب الباء. الباقون بالياء و ضم الباء. و أدغم الكسائى اللام فى التاء.
قيل فى العامل فى (إذ) قولان: أحدهما- أوحيت. الثانى- اذكر إذ قال الحواريون. و كلاهما يحتمل.
و قيل فى معنى قوله «هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ» ثلاثة أقوال:

---

(3) ديوانه القصيدة: 35 صفحة 155.

أحدها- هل يقدر و كان هذا فى ابتداء أمرهم قبل أن تستحكم معرفتهم باللّه تعالى، و ما يجوز عليه و ما لا يجوز من الصفات، و لذلک أنكر عليهم نبيهم، فقال «اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»، لأنه لم يستكمل ايمانهم فى ذلک الوقت.
الثانى- هل يفعل ذلک قاله الحسن، كما يقول القائل: هل تستطيع أن تنهض أى هل تفعل، لأن المانع من جهة الحكمة أو الشهوة قد يجعل بمنزلة المنافى للاستطاعة.
الثالث- هل يستجيب لک ربک. قال السدى هل يطيعک ربک ان سألته، فهذا على معنى استطاع و أطاع كقولهم استجاب بمعنى أجاب، و انما حكى سيبويه استطاع بمعنى أطاع على زيادة السين. و معنى قراءة الكسائى «هل تستطيع» ان تستدعى اجابة ربک. و أصله هل تستدعى طاعته فيما قبله من هذا- هذا قول الزجاج و فيه وجه آخر و هو هل تقدر أن تسأل ربک.
و الفرق بين الاستطاعة و القدرة أن الاستطاعة انطياع الجوارح للفعل و القدرة هى ما أوجبت كون القادر قادراً و لذلک يوصف تعالى بأنه قادر، و لا يوصف بانه مستطيع. و المائدة الخوان لأنها تميد بما عليها أى تحركه.
قال أبو عبيدة: هى (مفعولة) فى المعنى و لفظها (فاعلة) كقوله «عِيشَةٍ راضِيَةٍ» «1» أى مرضية و اصل المائدة الحركة من قولهم ماد يميد ميداً إذا تحرک، عن الزجاج. و منه المائد المدار به فى البحر ماد يميد ميداً. و مادة إذا أعطاه و منه قول رؤبة:
نهدى رؤوس المترفين الأنداد الى أمير المؤمنين الممتاد «2»
أى المستعطى و مادهم يميدهم ميداً إذا أطعمهم على المائدة ثم كثر حتى

---

(1) سورة 69 الحاقة آية 21 و سورة 101 القارعة آية 7
(2) ديوانه: 40 و مجاز القرآن 1: 183، و اللسان (ميد).

قيل لكم مطعم. و قوله «قالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» معناه اتقوا معاصيه و كثرة سؤال الآيات، لأنكم ان كنتم مؤمنين باللّه و بصحة نبوة عيسى، فقد أغناكم ما عرفتموه عن الآيات و اتقوا سؤال نزول المائدة، فإنكم لا تعلمون ما يفعل اللّه بكم عند هذا السؤال.

قالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْها وَ تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا وَ نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنا وَ نَكُونَ عَلَيْها مِنَ الشَّاهِدِينَ (113)
آية.
قيل فى معنى (الارادة) هاهنا قولان:
أحدهما- ان يكون بمعنى المحبة التى هى ميل الطباع.
الثانى- ان تكون الارادة التى هى من أفعال القلوب، و يكون التقدير فيه نريد بسؤالنا هذا، كأنهم قالوا: نريد السؤال من أجل هذا الذى ذكرنا، و هذه الارادة و ان تقدمت المراد بأوقات لا توصف بأنها عزم، لأنها متعلقة بفعل الغير و قوله «تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا» يجوز أن يكونوا قالوه و هم مستبصرون فى دينهم مؤمنون كما قال ابراهيم (ع) «أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى» «1» تحقيقه لنزداد طمأنانية الى ما نحن عليه من المعرفة، و ان كانت المعرفة لا تكون إلا مع الثقة التامة، فان الدلائل كلما كثرت مكنت فى النفس المعرفة.
و قوله «وَ نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنا وَ نَكُونَ عَلَيْها مِنَ الشَّاهِدِينَ» يعنى الشاهدين للّه بتوحيده بالدليل الذى نراه فى المائدة و الشهادة لک بالنبوة من جهة ذلک الدليل. و الصدق هو الاخبار بالشىء على ما هو به و الكذب هو الاخبار بالشىء لا على ما هو به.

---

(1) سورة 2 البقرة آية 260

قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وَ آخِرِنا وَ آيَةً مِنْكَ وَ ارْزُقْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114)
آية بلا خلاف.
أخبر اللّه تعالى عن عيسى (ع) أنه سأل ربه أن ينزل عليه مائدة من السماء تكون عيداً لهم لأولهم و آخرهم على ما يقترحه قومه. و رفع (تكون) لأنه صفة للمائدة كما قال «فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا یَرِثُنِی» «2» فی قراءة من رفعه لأنه جعله صفة. و فيه محذوف، لأن تقديره عيداً لنا و لأولنا و آخرنا لتصح الفائدة فی تكرير اللام فی أولنا و آخرنا، و قيل فی معناه قولان:
أحدهما- نتخذ اليوم الذی تنزل فيه عيداً نعظمه نحن و من يأتی بعدنا- فی قول السدی و قتادة و ابن جريج- و هو قول أبی علی.
الثانی- يكون ذلک عائدة فضل من اللّه و نعمة منه تعالى. و الاول هو وجه الكلام. و قيل: إنها نزلت يوم الأحد. و قوله «و آية منک» فالآية هی الدلالة العظيمة الشأن فی إزعاج قلوب العباد الى الإقرار بمدلولها، و الاعتراف بالحق الذی يشهد به ظاهرها، فهی دلالة على توحيدک و صحة نبوة نبيک. و قيل فی طعام المائدة ثلاثة أقوال:
أولها- قال ابن عباس و أبو عبد الرحمن:
هو خبز و سمک، و هو المروی عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه (ع)
قال عطية كانوا يجدون فی السمک طيب كل طعام.

---

(2) سورة 19 مريم آية 4- 5

الثانی- قال عمار بن ياسر: كان ثمراً من ثمار الجنة.
الثالث- قال زادان و ابو ميسرة: كان عليها من كل طعام إلا اللحم.
و قوله: «وَ ارْزُقْنا» قيل فی معناه- هاهنا- قولان:
أحدهما- و اجعل ذلک رزقاً لنا.
الثانی- و ارزقنا الشكر عليها- ذكرهما الجبائی- و انما يكون الشكر رزقاً منه لنا لأنه لطف فيه و وفق له و إعانة عليه كما يكون المال رزقا لنا إذا ملكنا إياه لا بخلقه له.
و فی الآية دلالة على أن العباد يرزق بعضهم بعضا بدلالة قوله «وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» لأنه لو لم يصح ذلک لم يجز (خير الرازقين) كما أنه لما لم يجز أن يكونوا آلهة لم يصح أن يقول أنت خير الآلهة، و صح «أرحم الراحمين»

«2» و «أحكم الحاكمين» «3» و «أسرع الحاسبين» «4».
و «أحسن الخالقين» «5».

قالَ اللَّهُ إِنِّی مُنَزِّلُها عَلَیْکُمْ فَمَنْ یَکْفُرْ بَعْدُ مِنْکُمْ فَإِنِّی أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِینَ (115)
آیة بلا خلاف.
قرأ «منزلها» بالتشدید أهل المدینة و ابن عامر، و عاصم. الباقون بالتخفیف.

---

(2) سورة 7 الاعراف آیة 150 و سورة 21 الأنبیاء آیة 83 و سورة 12 یوسف آیة 64 و 92.
(3) سورة 11 هود آیة 45 و سورة 95 التین آیة 8.
(4) سورة 6 الانعام آیة 62.
(5) سورة 23 المؤمنون آیة 14 و سورة 37 الصافات آیة 125.

من خفف طابق بینه و بین قوله «أنزل علینا» و من ثقل، فلأن نزل و أنزل بمعنی قال تعالی «تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ» «1». و قال «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی أَنْزَلَ عَلی عَبْدِهِ الْکِتابَ» «2» لما سئل اللَّه عیسی (ع) أن ینزل علیه المائدة تکون عیداً لأولهم و آخرهم، قال تعالی مجیبا له الی ما التمسه «إِنِّی مُنَزِّلُها عَلَیْکُمْ» یعنی المائدة «فَمَنْ یَکْفُرْ بَعْدُ مِنْکُمْ» یعنی بعد إنزالها علیکم «فَإِنِّی أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِینَ» و قیل فی معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال قتادة:
مسخوا قردة و خنازیر، و هو المروی عن أبی عبد اللَّه علیه السلام و لم یمسخ أحد خنازیر سواهم.
الثانی- أنه أراد به من عالمی زمانهم.
الثالث- أنه أراد به جنسا من العذاب لا یعذب به أحداً غیرهم. و انما استحقوا هذا النوع من العذاب بعد نزول المائدة «3» لأنهم کفروا بعد ما رأوا الآیة التی هی من أزجر الآیات عن الکفر لم یرها غیرهم بعد سؤالهم لها و تعلق سببهم بها فاقتضت الحکمة اختصاصهم بضرب من العذاب عظیم الموقع.
کما اختصت آیتهم بضرب من الزجر فی عظیم الموقع. و قال الحسن و مجاهد:
ان المائدة لم تنزل علیهم، لأنهم استعفوا من نزولها لما سمعوا الوعید المقرون بها. و قال قوم: هذا غلط من قائله، لأنه تعالی وعد بانزالها و لا خلاف لقوله و أکثر أهل العلم علی أنها أنزلت: منهم ابن عمر، و عمار بن

ياسر و أبو عبد الرحمن السلمى، و قتادة و السدى، و هو ظاهر القرآن. و أيضا فلا يجوز أن يسأل نبى على رؤوس الملأ آية لإيجاب اليها، لان ذلک ينفر عنه. و قال

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 1
(2) سورة 18 الكهف آية 1
(3) يقصد بعد نزول المائدة على بنى إسرائيل (الطعام) لا نزول سورة المائدة.

الحسن: انما كان الوعد من اللَّه بانزال المائدة بشرط أن يكون بتقدير انى منزلها عليكم ان تقبلتم الوعيد فيها «فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ ...» الآية، و هذا الشرط الذى ذكره لا دليل عليه. و المطلق لا يحمل على المقيد الا بقرينة و قال قوم: انها لو نزلت فكفروا لعذبوا و أنزل ذلک فى القرآن و لو لم يكفروا لكانت المائدة قائمة للمسلمين الى يوم القيامة. و هذا ليس بصحيح لأنه يجوز أن يكون عنى بالعذاب ما يفعله بالآخرة. و يجوز أن يكون عنى عذاب الدنيا و لم يذكره، لأنه ليس بواجب أن يكون كل من اختصه بضرب من العذاب لا بد أن يخبرنا عنه فى القرآن، لأنه يكون تجويز ذلک على منازل عظيمة فى الجملة أهول و أملأ للصدر من ذكره بالتصريح على تفصيل أمره.

و أما بقاؤها الى يوم القيامة فلا يلزم لأن وجه السؤال أن يكون يوم نزولها عيداً لهم و لمن بعدهم ممن كان على شريعتهم.

وَ إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّيَ إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (116)

آية بلا خلاف.

قوله «وَ إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ» أى اذكر و يحتمل ثلاثة أوجه:

أولها- أن يكون معطوفاً على ما قبله، كأنه قال «يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ» ثم قال: و ذلک إذ يقول يا عيسى اذكر نعمتى و إذ يقول له أ أنت قلت للناس. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 65

الثانى- قال البلخى: يمكن أن يكون لما رفع اللَّه عيسى اليه قال له ذلک، فيكون المقال ماضيا.

و الثالث- ذكره أيضا البلخى أن (إذ) استعملت بمعنى (إذا) فيصح حينئذ أن يكون القول من اللَّه يوم القيامة، و مثله «وَ لَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ»» كأنه قال إذ يفزعون، و قال «وَ لَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ» «2» كأنه قال إذا وقفوا لان هذا لم يقع بعد، و قال أبو النجم:

ثم جزاه اللَّه عنا إذ جزا جنات عدن فى العلالىّ العلا «3»

و المعنى إذا جزى، و قال الأسود (أعشى بنى نهشل)

فالآن إذ هازلتهن قائما يقلن ألا لم يذهب المرء مذهبا «4»

و قال أوس:

الحافظ الناس فى تحوط إذا لم يرسلوا تحت مائذ ربعا

وهبت الشامل البليل و إذ بات كميع الفتاة ملتفعا «5»

يقال (إذا) و (إذ) بمعنى واحد، و قال بعض أهل اليمن:

و ندمان يزيد الكأس طيبا سقيت إذا تغورت النجوم «6»

فقال (إذا) و المعنى (إذ) لأنه انما يخبر عما مضى. و قال أبو عبيدة (إذ) صلة. و المعنى قال اللَّه: يا عيسى. و قد بينا فساد هذا القول فيما مضى فأما لفظ (قال) فى معنى يقول فمستعمل كثيراً و ان كان مجازاً، قال اللَّه تعالى

---

(1) سورة 34 سبأ آية 51 [.....]

(2) سورة 34 سبأ آية 31

(3) اللسان (إذ)، (طها). و الاضداد لابن الانبارى: 102 و تفسير القرطبى 6: 375 و تفسير الطبرى 11: 235.

(4) ديوان الاعشيين/ 293 و الاضداد لابن الانبارى 101.
(5) اللسان (إذ).
(6) اللسان (ندم). قائله البرج بن مسهر اليمنى.

«وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ» «1» و المراد ينادى. و قد استعمل المستقبل بمعنى الماضى، قال زياد الأعجم فى المغيرة بن المهلب يرثيه بعد موته:
فإذا مررت بقبره فانحر به خوص الركاب و كل طرف سابح
و انضج جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم و ذبائح «2»
فقال (يكون) و معناه (كان) لدلالة الكلام عليه، لأنه فى مرثية له بعد موته.
و قوله «يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ» يحتمل عيسى أن يكون منصوبا مثل ما تقول: يا زيد بن عبد اللّه، و هو الأكثر فى كلام العرب. و انما يجوز ذلك إذا وقع الابن بين علمين، فأما إذا قلت يا زيد ابن الرجل لم يجز فى زيد إلا الضم. و يحتمل أن يكون عيسى فى موضع الضم و يكون نداء (ابن) كأنه قال يا عيسى يا ابن مريم.
و قوله «أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» تقريع فى صورة الاستفهام و المراد بذلك تقريع و تهديد من ادعى ذلك، لأنه تعالى كان عالما بذلك هل كان أو لم يكن. و يحتمل وجهاً آخر- ذكره البلخى- ان اللّه تعالى أراد أن يعلم عيسى أن قومه اعتقدوا فيه و فى أمه أنهما إلهان كما أن الواحد منا إذا أرسل رسولا الى قوم أن يفعلوا فعلا فأدى الرسالة و انصرف فخالفوا ذلك و علم المرسل و لم يعلم الرسول جاز أن يقول المرسل للرسول:
أ أنت أمرتهم بذلك؟ و غرضه أن يعلمه أنهم خالفوه. و انما قال (إلهين) تغليباً للذكر على الأنثى. و الغرض بالكلام أن النصارى يعتقدون فى المسيح أنه صادق لا يكذب و أنه الذى أمرهم بأن يتخذوه و أمه إلهين، فإذا كذبهم الصادق عندهم الذى ينسبون الامر به اليه كان ذلك آكد فى الحجة عليهم و أبلغ فى التوبيخ لهم و التوبيخ ضرب من العقوبة. و قيل فى قوله تعالى «الهين»

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 43
(2) الاغانى 15: 308 و رواية البيت الاول:
فإذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان و كل طرف سابح

ثلاثة أوجه:
أحدها- أنهم لما عظموهما تعظيم الآلهة أطلق ذلك عليهما كما قال «اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ» «1» و انما أراد تقريعهم على

معصيتهم.
و الثانى- انهم جعلوه إلها و جعلوا مريم والدة له ميزوها من جميع البشر تمييزاً شابهت الالهية و أطلق ذلک، لأنه مستخرج من قصدهم. و ان لم يكن صريح ألفاظهم، على طريقة الإلزام لهم.
الثالث- انهم لما سمُّوه إلها و عظموها هى، و كانا مجتمعين سماهما إلهين على طريقة العرب كقولهم: القمران للشمس و القمر، و العمران لابى بكر و عمر قال الشاعر:
جزانى الزهدمان جزاء سوء و كنت المرء يجزى بالكرامة «2»
يريد زهدماً و قيساً ابنى حزن القيسين، و هذا كثير، و ذكر لى بعض النصارى الذى قرأ كتب النصارى عن جاثليق لهم لم يكن فى زمانه مثله:
أنه سأله عن هذا فقال: كنت شاكا فى ذلک الى أن قرأت فى كتاب ذكره أن فيما مضى كان قوم يقال لهم المريمية كانوا يعتقدون فى مريم أنها آلهة، فعلى هذا القول أقرب. و ورد كما قلناه فى الحكاية عن اليهود أنهم قالوا: عزير ابن اللَّه. و قد ذكرناه فى سورة التوبة.
و قوله «سُبْحانَکَ ما يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِى بِحَقٍّ» معناه أنزهک أن يكون معک آلهة و أن يكون للأشياء إليه غيرک، و اعترف بأنه لم يكن لى أن أقول هذا القول. و قوله «إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ» أى لم أقله لانى لو كنت قلته لما خفى عليک إذ كنت علام الغيوب. و قوله «تَعْلَمُ ما فِى نَفْسِى وَ لا أَعْلَمُ ما فِى نَفْسِکَ» أى تعلم غيبى و لا أعلم غيبک، لان ما فى نفس عيسى و ما

---

(1) سورة 9 التوبة آية 33.
(2) اللسان (زهدم) نسبة الى قيس بن زهير.

فى قلبه هو ما يغيبه عن الخلق، و انما يعلمه اللَّه، و سمى ما يختص اللَّه بعلمه بأنه فى نفسه على طريق الازدواج فى الكلام كما قال «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ» «1» «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» «2» «يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ» «3» «و جزاء سيئة سيئة مثلها» «4» «وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا» «5» و كل ذلک وجه ازدواج الكلام، و يقوى هذا التأويل قوله «إِنَّکَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» لأنه علل أنه انما يعلم ما فى نفس عيسى، لأنه علام الغيوب، و عيسى ليس كذلک، فلذلک لم يعلم ما يختص اللَّه بعلمه.
و النفس فى اللغة على ضروب: أحدها- نفس الإنسان التى بها حياته، يقولون خرجت نفسه أى روحه و فى نفسى أن افعل أى فى روعى. و ثانيها أن نفس الشىء ذات الشىء يقولون: قتل فلان نفسه أى ذاته، و على هذا حمل قوله «وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» «6» أى ذاته و قيل عذابه. و النفس الهم بالشىء كما يحكى أن سائلا سأل الحسن فقال: ان لى نفسين

إحداهما تقول لى حج، و الآخر تزوج، فقال الحسن: النفس واحدة و انما لک همان همُّ- بكذا و هم بكذا و النفس الأنفة كقولهم: ليس لفلان نفس أى لا أنفة له، و النفس الارادة يقولون نفس فلان فى كذا أى ارادته قال الشاعر:
فنفساى نفس قالت ائت ابن بحدل تجد فرجا من كل غمى تهابها
و نفس تقول أجهد نجاءک و لا تكن كخاضبة لم يغن عنها خضابها «7»
و النفس أيضاً العين التى تصيب الإنسان يقال أصابت فلانا نفس أى عين و منه
قوله (ص) فى رقيا (بسم اللَّه أرقيک و اللَّه يشفيک من كل عاهة فيک من كل عين عاين و نفس نافس و حسد حاسد)
و قال عبيد اللَّه بن قيس الرقيات:

_____

(1) سورة 3 آل عمران آية 54
(2) سورة 2 البقرة آية 15
(3) سورة 2 البقرة آية 15
(4) سورة 42 الشورى آية 40
(5) سورة 16 النحل آية 126 [.....]
(6) سورة 3 آل عمران آية 28، 30
(7) اللسان (نفس).

تتقى نفسها النفوس عليها فعلى نحرها الرقى و التميم
و قال ابن الاعرابى: النفوس التى تصيب الناس بالنفس، و النفس أيضاً من الدباغ مقدار الدبغة.

ما قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ ما أَمَرْتَنِی بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّی وَ رَبَّکُمْ وَ کُنْتُ عَلَیْهِمْ شَهِیداً ما دُمْتُ فِیهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّیْتَنِی کُنْتَ أَنْتَ الرَّقِیبَ عَلَیْهِمْ وَ أَنْتَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ (117)

آیة بلا خلاف.

هذا اخبار عن عیسی (ع) أنه یقول للَّه تعالی فی جواب ما قرره علیه انی لم أقل للناس الا ما أمرتنی به، من الإقرار لک بالعبودیة و أنک ربی و ربهم و إلهی و إلههم، و أمرتهم بأن یعبدوک وحدک و لا یشرکوا معک فی العبادة.

و قال: انی کنت شهیداً أی شاهداً علیهم ما دمت فیهم بما شاهدته منهم و علمته و بما بلغتهم من رسالتک التی حملتنیها و أمرتنی بأدائها الیهم ما دمت حیاً بینهم «فَلَمَّا تَوَفَّیْتَنِی» أی قبضتنی الیک و أمتنی «کُنْتَ أَنْتَ الرَّقِیبَ عَلَیْهِمْ» و الرقیب هو الذی یشاهد القوم و یرقب ما یعملون و یعرف ذلک، ثم اعترف بأنه تعالی «عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ» لأنه عالم بجمیع الأشیاء لا یخفی علیه خافیة و لا یغیب عنه شیء فهو یشهد علی العباد بکل ما یعملونه. و فی اخباره تعالی عن المسیح أنه نفی القول الذی أدعوه علیه تأکید لتبکیت النصاری و تکذیب لهم و توبیخ علی ما أدعوه من ذلک علیه.

قال الجبائی و فی الآیة دلالة علی انه تعالی أمات عیسی (ع) و توفاه عند ما رفعه، لأنه بیَّن انه کان شهیداً علیهم. و توفیه إیاه بعد ان کان بینهم انما کان عند رفعه إیاه الی السماء عند ما أرادوا قتله. و عندی أن الذی ذکره لا یدل علی أنه أماته، لان التوفی هو القبض الیه و لا یستفاد منه الموت الا بشاهد الحال. و لذلک قال تعالی «اللَّهُ یَتَوَفَّی الْأَنْفُسَ حِینَ مَوْتِها التبیان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 70

وَ الَّتِی لَمْ تَمُتْ فِی مَنامِها»

«1» فبین انه یتوفی التی لم تمت فنفس التوفی لا یفید الموت بحال.

و قوله «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ» یجوز أن تکون (أن) بمعنی (أی) مفسرة فی قول سیبویه، کما قال «وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا» «2» أی امشوا، لأنها مفسرة لما قبلها. و المعنی ما قلت لهم إلا ما أمرتنی به أن اعبدوا اللَّه. و یجوز أن تکون (أن) فی موضع خفض علی البدل من الهاء و تکون (أن) موصولة ب (اعْبُدُوا اللَّهَ). و معناه الا ما أمرتنی به بأن یعبدوا اللَّه، و یجوز أن تکون موضعها نصبا علی البدل من (ما) و المعنی ما قلت لهم شیئا الا أن اعبدوا اللَّه، أی ما ذکرت لهم إلا عبادة اللَّه. و قوله «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّی وَ رَبَّکُمْ» شاهد بلفظ الإنجیل فانه ذکر فی الفصل الرابع من إنجیل لوقا، قال المسیح: مکتوب أن اسجد للَّه ربک و إیاه وحده فأعبد، و هذا لفظه و هو صریح التوحید.

إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُکَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَکِيمُ (118)
آية بلا خلاف.
ظاهر هذه الآية يدل على أن عيسى لم يكن أعلمه اللّه أن الشرک لا يغفر على كل حال، فلذلک قال «إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُکَ» الذين كفروا بک و جحدوا إلهيتک و كذبوا رسلک «وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَکِيمُ».
و قال البلخى: ان عيسى (ع) أخبر أنه لا علم له بما صنعوا بعده من الكفر به حتى قيل له: ما ذا أجبت؟ قال لا علم لى، ثم قال: ان كانوا كفروا فعذبتهم فهم عبادک و ان كانوا ثبتوا على ما دعوتهم اليه أو تابوا من كفرهم

---

(1) سورة 39 الزمر آية 42.
(2) سورة 38 ص آية 6.

فغفرت لهم فأنت العزيز الحكيم.
و من ذهب الى أن قول اللّه «يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ» إخبار عما مضى و أن اللّه قال ذلک عند ما رفعه اليه، قال: انما عنى عيسى ان تعذبهم بمقامهم على معصيتک فإنهم عبادک و ان تغفر لهم بتوبة تكون منهم، لان القوم كانوا فى الدنيا لان عيسى لم يشک فى الآخرة أنهم مشركون. و قد انقطعت التوبة، و انما قال ذلک فى الدنيا و جعل قول اللّه تعالى «هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ» جوابا للرسل حين سألهم ما ذا أجبتم «قالوا لا علم لنا» فصدقهم اللّه فى ذلک. و مثل ذلک قال عمرو ابن عبيد و الجبائى و الزجاج و كلهم شرط التوبة. و هذا الذى ذكروه ترک للظاهر و زيادة شرط فى ظاهرها ليس عليه دليل. و قوله «إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَکَ بِهِ» «1» انما هو اخبار لامة نبينا بأن لا يغفر الشرک و لا نعلم ان مثل ذلک أخبر به الأمم الماضية فلا متعلق بذلک. و يمكن أن يكون الوجه فى الآية مع تسليم ان كان عارفا بأن اللّه لا يغفر أن يشرک به و انه أراد بذلک تفويض الامر الى مالكه و تسليمه الى مدبره و التبرى من أن يكون له شىء من أمر قومه، كما يقول الواحد منا إذا تبرء من تدبير أمر من الأمور و يريد تفويضه الى غيره: هذا الامر لا مدخل لى فيه فان شئت أن تفعله و ان شئت ان تتركه مع علمه ان أحدهما لا يكون منه.
و قوله «فَإِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَکِيمُ» معناه انک القادر الذى لا يغالب و أنت حكيم فى جميع أفعالک فيما تفعله بعبادک.
و قيل معناه «فَإِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ» القدير الذى لا يفوتک مذنب و لا يمتنع من سطوتک مجرم «الحكيم» فلا تضع العقاب و العفو الا موضعهما. و لو قال:

الغفور الرحيم كان فيه معنى الدعاء لهم و التذكير برحمته، على أن العذاب و العفو قد يكونان غير صواب و لا حكمة فالإطلاق لا يدل على الحكمة و الحسن. و الوصف بالعزيز الحكيم يشتمل على العذاب و الرحمة إذا كانا

---

(1) سورة النساء آية 47، 151.

صوابين. و قال الحسين بن على المغربي رأيت على باب بمصرفى موضع يقال له (بيطار بلال) معروف لوحا قديماً من ساج عليه هذا العشر و فيه (فإنک أنت الغفور الرحيم) و تأريخ الدار سنة سبعين من الهجرة أو نحوها و لعلها باقية الى اليوم.

فان قيل قول عيسى ان تعذبهم فأنهم عبادک يدل على ان اللَّه تعالى له أن يعاقب عبيده من غير جرم كان منهم لأنه علل حسن ذلک بكونهم عبيدا لا بكونهم عصاة، و ذلک خلاف ما تذهبون اليه؟ قلنا: لا يجوز ان يريد عيسى (ع) بكلامه ما يدل على أن الفعل على كونه غير جائز عليه تعالى. و لا يحسن منه تعالى أيضا أن يترک انكار ذلک فلما علمنا أن اللَّه تعالى لا يجوز ان يعاقب خلقه من غير معصية سبقت منهم من حيث كان ذلک ظلماً محضاً، علمنا ان عيسى أراد بقوله ذلک «إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُکَ» الجاحدون لک المتخذون معک إلهاً غيرک لان ما تقدم من الكلام دل عليه فلم يحتج ان يذكره فى اللفظ فبطل ما توهموه.

قالَ اللَّهُ هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119) لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما فِيهِنَّ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (120)
آيتان بلا خلاف.
قرأ «يوم ينفع» بفتح الميم نافع. الباقون بضمها.
من رفع (يوما) جعله خبر المبتدأ الذى هو (هذا) و أضاف (يوما) الى (ينفع). و الجملة التى هى من المبتدأ و الخبر فى موضع نصب بأنه مفعول القول، كما تقول: قال زيد عمر أخوك. و من نصب احتمل أمرين: التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 73
أحدهما- ان يكون مفعول قال و تقديره قال اللَّه هذا القصص، و هذا الكلام «يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ» فيوم ظرف للقول (و هذا) اشارة الى ما تقدم ذكره من قوله: «إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ» و جاء على لفظ الماضى و ان كان المراد به المستقبل، كما قال «وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ» «1» و نحو ذلك على ما بيناه. و ليس ما بعد (قال) حكاية فى هذا الوجه كما كان إياها فى الوجه الآخر.
و يجوز ان يكون المعنى على الحكاية و تقديره قال اللَّه تعالى «هذا يَوْمُ يَنْفَعُ» أى هذا الذى اقتصصنا به يقع أو يحدث يوم ينفع، ف «يوم» خبر المبتدأ الذى هو (هذا) الامر إشارة الى حدث. و ظروف الزمان تكون اخبارا عن الأحداث. و الجملة فى موضع نصب بأنها فى موضع مفعول، قال الفراء: (يوم) منصوب لأنه مضاف الى الفعل و هو فى موضع رفع بمنزلة (يومئذ) مبنى على الفتح فى كل حال، قال الشاعر:
على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت ألما تصح و الشيب وازع «2»
قال الزجاج هذا خطأ عند البصريين، لأنهم لا يجيزون هذا يوم آتيتك، يريدون هذا يوم إتيانك، لان (آتيتك) فعل مضارع فالاضافة اليه لا يزيل الاعراب عن جهته، و لكنهم يجيزون (ذلك يوم يقع زيد أصدقه) لان الفعل الماضى غير مضارع للمتمكن فهى اضافة الى غير متمكن و الى غير ما ضارع المتمكن و يجوز (هذا يوم) منونا (يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ) على إضمار هذا يوم ينفع

---

(1) سورة الاعراف آية 43.
(2) قائله النابغة. ديوانه: 38 و معانى القرآن 1: 327، و سيبويه 1: 369
فيه الصادقين صدقهم كقوله: «وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً» و المعنى لا تجزى فيه، و قال الشاعر:
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 74

و ما الدهر الا تارتان فمنهما أموت و أخرى ابتغى العيش اكدح «1»
و المعنى فمنهما تارة أموت فيها.
و قوله «قالَ اللَّهُ هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ» يعنى يوم القيامة، و دل على أن قول اللَّه للمسيح «أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّيَ إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» يكون يوم القيامة، ثم بين ان الصادقين ينفعهم صدقهم و هو ما صدقوا فيه فى دار التكليف، لان يوم القيامة لا تكليف فيه على أحد، و لا يخبر أحد فيه الا بالصدق، و لا ينفع الكفار صدقهم الذى يقولونه يوم القيامة إذا أقروا على أنفسهم بسوء أعمالهم، ثم بين ان «لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ»، و أنهم «خالدون فيها أبدا» فى نعيم مقيم لا يزول، و ان اللّٰه قد «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا» هم عن اللَّه و بين ان ذلک «الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» و هو ما يحصلون فيه من الثواب و النجاة من النار، ثم قال تعالى: «لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما فِيهِنَّ» يعنى ان ملک السماوات و الأرض و ما بينهما له بالقدرة على التصرف فيهما و فيما بينهما على وجه ليس لاحد منعه منه و لا معارضته فيه خاصة، ثم بين انه تعالى: «عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» مما كان و يكون مما يصح ان يكون مقدورا له.

---

(1) قائله ابن مقبل. اللسان «كدح».

6-سورة الانعام ..... ص : 75

اشارة

قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و غيرهم: ان سورة الانعام مكية. و قال يزيد بن رومان بعضها مكى و بعضها مدنى. و قال شهر بن خوشب: هى مكية إلا آيتين منها قوله تعالى: «قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ» و التى بعدها. و روى عن ابن عباس انه قال نزلت سورة الانعام جملة بمكة معها سبعون الف ملک محدقون حولها بالتسبيح و التهليل و التحميد و هى مائة و خمس و ستون آية كوفى و ست فى البصرى و سبع فى المدنيين. و روى عن ابن عباس أيضا انه قال هى مكية غير ست آيات منها فإنها مدنيات. «قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ» و آيتان بعدها و قوله «وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» الى آخرها و الآية التى بعدها «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ ...» الى آخرها.

و روى عن أنس بن مالک انه قال: قال رسول اللَّه (ص): ما نزل على سورة من القرآن جملة غير سورة الأنعام و ما جمعت الشياطين لسورة من القرآن جمعها لها و لقد بعث بها الى مع جبرائيل مع خمسين ملكا، أو قال خمسين الف ملک- شک الواقدى- نزل بها و تحفها حتى أقرَّها فى صدرى كما يقر الماء فى الحوض و قد اعزنى اللَّه و إياكم بها عزاً لا يذلنا بعده ابداً فيها دحض حجج المشركين و وعد من اللَّه لا يخلفه.

و روى عن كعب الأحبار انه قال: افتتحت التوراة بالحمد للَّه الذى خلق السماوات و الأرض و جعل الظلمات و النور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون. و ختمت بالحمد للَّه الذى لم يتخذ ولداً و لم يكن له شريک فى الملک الى آخر الآية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1)
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 76
آية فى الكوفى و البصرى، و آيتان فى المدنيين، قوله «و النور» آخر آية أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أن المستحق للحمد من خلق السماوات و الأرض و جعل الظلمات و النور أى خلقهما لما اشتملا عليه من عجائب الخلق و متقن الصنع. ثم عجب ممن جعل له شركاء مع ما ترى فى السماوات و الأرض من الدلالة على أنه الواحد الذى لا شريک له، و قد بينا فيما تقدم وجه دلالة ذلک على أنه واحد ليس باثنين. و قوله «بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» أى يجعلون له مثلا يستحق العبادة مأخوذ من قولک: لا أعدل بفلان أحدا، أى لا نظير له عندى و لا أحد يستحق ما يستحقه. قال الكسائى: يقال عدلت الشىء بالشىء أعدله عدولا إذا ساويته، و عدل فى الحكم يعدل عدلا. و قال الحسن و مجاهد:
معنى يعدلون يشركون.
و انما ابتدأ تعالى هذه السورة بالحمد احتجاجا على مشركى العرب، و على من كذب بالبعث و النشور فابتدأ، فقال «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» فذكر أعظم الأشياء المخلوقة، لان السماء بغير عمد ترونها، و الأرض غير مائدة بنا. ثم ذكر الظلمات و النور، و ذكر الليل و النهار، و هما مما به قوام الخلق. فأعلم اللَّه تعالى أن هذه خلق له، و أن خالقها لا شىء مثله.
و روى عن أبى عبد اللَّه (ع) أنه قال: ان الانعام نزلت جملة، و شيعها سبعون الف ملک حين أنزلت على رسول اللَّه (ص) فعظموها، و بجلوها، فان اسم اللَّه تعالى فيها فى سبعين موضعا. و لو يعلم الناس ما فى قراءتها من الفضل ما تركوها.

هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ طِینٍ ثُمَّ قَضی أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمًّی عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 77

آیة بلا خلاف.

معنی قوله «هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ» أی انشأکم، و اخترعکم «مِنْ طِینٍ» و معناه خلق أباکم- الذی هو آدم و أنتم من ذریته، و هو بمنزلة الأصل لنا- من طین، فلما کان أصلنا من الطین جاز ان یقول «خَلَقَکُمْ مِنْ طِینٍ».

و قوله «ثُمَّ قَضی» معناه حکم بذلک. و القضاء یکون حکما، و یکون أمرا و یکون الإتمام و الإکمال.

و قوله «أَجَلًا وَ أَجَلٌ مُسَمًّی عِنْدَهُ» قیل فی معنام قولان:

أحدهما- قال ابو علی: کتب للمرء أجلا فی الدنیا، و حکم بأنه أجل لنا، و هو الأجل الذی یحیی فیه أهل الدنیا الی أن یموتوا، و هو أوقات حیاتهم، لان أجل الحیاة، هو وقت الحیاة، و أجل الموت هو وقت الموت «وَ أَجَلٌ مُسَمًّی عِنْدَهُ» یعنی آجالکم فی الآخرة، و ذلک أجل دائم ممدود لا آخر له، و انما قال له «مسمی عنده»، لأنه مکتوب فی اللوح المحفوظ، فی السماء و هو الموضع الذی لا یملک فیه الحکم علی الخلق سواه.

و قال الزجاج: أحد الأجلین أجل الحیاة، و هو الوقت الذی تحدث فیه الحیاة، و یحیون فیه «وَ أَجَلٌ مُسَمًّی عِنْدَهُ» یعنی أمر الساعة و البعث. و به قال الحسن، و سعید بن جبیر، و مجاهد، و عکرمة، و الضحاک. و قال بعضهم: «قَضی أَجَلًا» یعنی أجل من مضی من الخلق «وَ أَجَلٌ مُسَمًّی عِنْدَهُ» أجل الباقین و الذی نقوله: ان الأجل هو الوقت الذی تحدث فیه الحیاة أو الموت و لا یجوز ان یکون المقدر أجلا، کما لا یجوز أن یکون ملکا، فان سمی- ما یعلم اللّه تعالی أنه لو لم یقتل فیه لعاش الیه- أجلا، کان ذلک مجازا، لان الحی لا یعیش الیه. و لا یمتنع أن یعلم اللّه من حال المقتول أنه لو لم یقتله القاتل لعاش الی وقت آخر. و کذلک ما

روی: أن الصدقة و صلة الرحم تزید فی الأجل

، و ما روی فی قصة قوم یونس و أن اللّه صرف عنهم العذاب، و زاد التبیان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 78

فی آجالهم، لا یمنع منه مانع، و انما منع من التسمیة لما قلناه.

و قوله: «ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ» خطاب للکفار الذین یشکّون فی البعث و النشور. احتج اللّه بهذه الآیة علی الذین عدلوا به غیره، فأعلمهم انه خلقهم من طین، و نقلهم من حال الی حال، و قضی علیهم الموت، فهم یشاهدون ذلک، و یقرون بأنه لا محیص منه. ثم عجبهم من امترائهم أی من شکهم فی

انه الواحد القهار على ما يشاء، و فى أنه لم يعبث بخلقهم و ابقائهم و إماتتهم بعد ذلک، و أنه لا بد من جزاء المسىء و المحسن، و مثله قوله: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ» «1» ان الذى قدر على ذلک قادر على أن يبعثكم بعد أن تكونوا ترابا.
و قوله «وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ» رفع على الابتداء و تم الكلام عند قوله: «ثُمَّ قَضى أَجَلًا».

وَ هُوَ اللَّهُ فِی السَّماواتِ وَ فِی الْأَرْضِ یَعْلَمُ سِرَّکُمْ وَ جَهْرَکُمْ وَ یَعْلَمُ ما تَکْسِبُونَ (3)
آیة إجماعاً.
قوله «وَ هُوَ اللَّهُ فِی السَّماواتِ وَ فِی الْأَرْضِ» یحتمل معنیین:
أحدهما- قال الزجاج و البلخی، و غیرهما: انه المعبود فی السماوات و الأرض، و المتفرد بالتدبیر فی السماوات و فی الأرض، لان حلوله فیهما أو شیء منهما لا یجوز علیه. و لا یجوز أن تقول هو زید فی البیت، و الدار، و أنت ترید أنه یدبرهما الا ان یکون فی الکلام ما یدل علی ان المراد به التدبیر کقول القائل: فلان الخلیفة فی الشرق و الغرب، لان المعنی فی ذلک أنه المدبر فیهما.

---

(1) سورة 22 الحج آیة 5.

و یجوز ان یکون خبرا بعد خبر، کأنه قال: انه هو اللَّه و هو فی السماوات و فی الأرض. و مثل ذلک قوله «وَ هُوَ الَّذِی فِی السَّماءِ إِلهٌ وَ فِی الْأَرْضِ إِلهٌ» «1» و الوجه الثانی- قال أبو علی: ان قوله «وَ هُوَ اللَّهُ» قد تم الکلام، و قوله «فِی السَّماواتِ وَ فِی الْأَرْضِ» یکون متعلقا بقوله «یَعْلَمُ سِرَّکُمْ وَ جَهْرَکُمْ» فی السماوات و فی الأرض لأن الخلق إما أن یکونوا ملائکة فهم فی السماء أو البشر و الجن، فهم فی الأرض، فهو تعالی عالم بجمیع ذلک لا یخفی علیه خافیة، و یقوّیه قوله «وَ یَعْلَمُ ما تَکْسِبُونَ» أی یعلم جمیع ما تعملون من الخیر و الشر فیجازیکم علی حسب أعمالکم، و لا یخفی علیه شیء منها، و فی ذلک غایة الزجر و التهدید.
و فی الآیة دلالة علی فساد قول من قال: إنه تعالی فی مکان دون مکان تعالی اللَّه عن ذلک.

وَ ما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ (4)
آية بلا خلاف.
فى هذه الآية اخبار من اللَّه تعالى أنه لا يأتى هؤلاء الكفار- المذكورين فى أول الآية- من آيات من ربهم، و هى المعجزات التى يظهرها على رسوله و آيات القرآن التى كان ينزلها على نبيه (ص) «إِلَّا كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ» لا يقبلونها، و لا يستدلون بها على ما دلهم اللَّه عليه من توحيده و صدق رسوله محمد (ص).

فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْباءُ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (5)

---

(1) سوره 10 يونس آيه 22
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 80
آية بلا خلاف.
فى هذه الآية اخبار منه تعالى أن الكفار قد كذَّبوا بالحق الذى أتاهم به محمد (ص) لما جاءهم بالقرآن، و سائر أمور الدين، و انه سوف يأتيهم خبر العذاب الذي ينزله بهم عقوبة على كفرهم، و هذا العذاب هو الذى كانوا به يستهزؤن: بأخبار رسول اللّه إياهم به و بنزوله بهم.
فبين أن ذلک سيحل بهم و سيقفون على صحته. و دل ذلک على أنهم كانوا يستهزؤن، و ان كان لم يذكره هاهنا و ذكره فى موضع آخر. و مثل ذلک قول القائل للجانى عليه: سيعلم عملک. و انما يريد ستجازى على عملک.
و قال الزجاج: معنى «أَنْباءُ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» أى تأويله. و المعنى سيعلمون ما يؤل اليه استهزاؤهم.

أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَ أَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً وَ جَعَلْنَا الْأَنْهارَ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَنْشَأنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ (6)
آية بلا خلاف.
قوله «أَ لَمْ يَرَوْا» خطاب للغائب و تقديره ألم ير هؤلاء الكفار: ألم يعلموا كم أهلكنا من قبلهم من قرن. ثم قال «مَكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ» فخاطب خطاب المواجه، فكأنه اخبر النبى (ص) ثم خاطبه معهم، كما قال:
«حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ» «1» فذكر لفظ الغائب بعد

---

(1) سورة 10 يونس آية 22

خطاب المواجه. و معنى «مِنْ قَرْنٍ» من أمة. قال الحسن: القرن عشرون سنة. و قال ابراهيم: أربعون سنة. و قال ابو ميسرة: هو عشر سنين. و حكى الزجاج و الفراء: أنه ثمانون سنة و قال قوم: هو سبعون سنة. و قال الزجاج:
عندى القرن هو أهل كل مدة كان فيها نبى أو كان فيها طبقة من أهل العلم، قلت السنون او كثرت، فيسمى ذلک قرنا، بدلالة
قوله (ع): (خيركم قرنى) يعنى أصحابى (ثم الذين يلونهم) يعنى التابعين (ثم الذين يلونهم) يعنى تابعى التابعين.
قال: و جائز أن يكون القرن جملة الامة، و هؤلاء قرن فيها.
و اشتقاق القرن من الاقتران. و كل طبقة مقترنين فى وقت قرن، و الذين يأتوا بعدهم ذووا اقتران: قرن آخر.
و قوله «مَكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ» معناه جعلناهم ملوكا و أغنياء تقول مكنتک، و مكنت لک واحد.
و قوله «وَ أَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً» معناه أرسلنا عليهم مطرا كثيرا من السماء يقول القائل أصابتنا هذه السماء، و ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم، يعنون المطر. و قوله «مدراراً» يعنى غزيرا دائماً كثيرا. و هو قول ابن عباس و أبى روق. و (مفعال) من ألفاظ المبالغة، يقال ديمة مدراراً إذا كان مطرها غزيراً حادا، كقولهم امرأة مذكار: إذا كانت كثيرة الولادة للذكور، و مئناث فى الإناث. و مفعال لا يؤنث، يقال: امرأة معطار و مئناث و مذكار، بغير هاء.

بين اللّه تعالى أن هؤلاء الذين آتاهم اللّه هذه المنافع و أجرى من تحتهم الأنهار، و وسع عليهم، و مكنهم فى الأرض، لما كفروا بنعم اللّه و ارتكبوا معاصيه أهلكهم اللّه بذنوبهم، و انه انشأ قوما آخرين بعدهم. يقال: انشأ فلان يفعل كذا أى ابتدأ فيه.
و موضع (كم) نصب ب (أهلكنا)، لان لفظ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، فلذلک لا يجوز أن يكون منصوبا ب (يروا).
فان قيل: كيف قال: «أَ لَمْ يَرَوْا» و القوم كانوا غير مقرين بما أخبروا التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 82
به من شأن الأمم قبلهم؟ قيل: كان الكثير منهم مقرا بذلک فأنه دعى بهذه الآية الى النظر و التدبر ليعرف بذلک ما عرفه غيره.

وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَيْکَ کِتاباً فِی قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقالَ الَّذِينَ کَفَرُوا إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ (7)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه لو نزل على نبيه كتابا يعنى صحيفة مكتوبة فى قرطاس حتى يلمسوه بأيديهم و يدركوه بحواسهم، لأنهم سألوا النبى (ص) ان يأتيهم بكتاب يقرءونه من اللَّه الى فلان بن فلان أن آمن بمحمد، و انه لو أجابهم الى ذلک لما آمنوا، و نسبوه الى السحر لعظم عنادهم و قساوة قلوبهم و عزمهم على أن لا يؤمنون على كل حال. و عرفه أن التماسهم هذه الآيات ضرب من العنت و متى فعلوا ذلک اصطلمهم و استأصلهم، و ليس تقتضى المصلحة ذلک، لما علم فى بقائهم من مصلحة للمؤمنين، و علمه بمن يخرج من أصلابهم من المؤمنين و أن فيهم من يؤمن فيما بعد، فلا يجوز احترام من هذه صفته- عند أبى على و البلخى.

و قوله «إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» معناه ليس هذا الا سحر مبين. و احتج ابو على بهذه الآية على أنه متى كان فى معلوم اللَّه تعالى انه لو آتاهم الآيات التى طلبوها لآمنوا عندها وجب ان يفعلها بهم، قال: و لولا ذلک كذلک لم يحتج على العباد فى منعه إياهم الآيات التى طلبوها أى انما منعتهم إياها لأنهم كانوا لا يؤمنون، و لو آتاهم إياها لكانوا يقولون انها سحر مبين. و بهذا تبين بطلان قول من قال اللطف ليس بواجب، و انه يجوز ان يمنعهم اللَّه ما طلبوا و ان كانوا يؤمنون لو آتاهم ذلک و يكفرون لو منعهم إياه.

وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ (8) وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ (9)

آيتان بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى فى هذه الآية عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا (لولا) و معناه: هلا «أُنْزِلَ عَلَيْهِ» يعنون على محمد «ملك» يشاهدونه فيصدقه. ثم أخبر عن عظم عنادهم انه لو أنزل عليهم الملك على ما اقترحوه لما آمنوا به، و اقتضت الحكمة استئصالهم و ألا ينظرهم و لا يمهلهم. و ذلك بخلاف ما علم اللّه تعالى من المصلحة على ما بيناه.

و معنى «لَقُضِيَ الْأَمْرُ» أى أتم إهلاكهم و قضى على ضروب كلها ترجع الى معنى تمام الشىء و انقطاعه فى قول الزجاج. فمنه «قَضى أَجَلًا وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ» «1» معناه ثم ختم بذلك و أتمه، و منه الامر كقوله «وَ قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» «2» الا أنه أمر قاطع و منه الاعلام نحو قوله «وَ قَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ» «3» أى أعلمناهم إعلاماً قاطعا. و منه الفصل فى الحكم نحو قوله «وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» «4» أى لفصل الحكم بينهم. و منه قولهم قضى القاضى. و من ذلك قضى فلان دينه، أى قطع ما لغريمه عليه و أداه اليه و قطع ما بينه و بينه و كلما أحكم فقد قضى، تقول قضيت هذا الثوب و هذه الدار، أى عملتها و أحكمت عملها، قال أبو ذؤيب

و عليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع «5»

و قال مجاهد معنى «وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ» يريدون فى صورته.

قال اللّه تعالى «وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً» فى صورته «لَقُضِيَ الْأَمْرُ» أى لقامت الساعة أو

---

(1) سورة 6 الانعام آية 2

(2) سورة 17 الإسراء آية 23

(3) سورة 17 الإسراء آية 4 [.....]

(4) سورة 42 الشورى آية 14

(5) مر تخريجه فى 1/ 429.

وجب استئصالهم ثم قال «وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ» فى صورة رجل، لان أبصار البشر لا تقدر على النظر الى صورة ملك على هيئته للطف الملك و قلة شعاع أبصارنا و كذلك كان جبرائيل (ع) يأتى النبى (ص) فى صورة

دحية الكلبى، و كذلک الملائكة الذين دخلوا على ابراهيم فى صورة الأضياف حتى قدم اليهم عجلا جسدا، لأنه لم يعلم أنهم ملائكة، و كذلک لما تسور المحراب على داود الملكان كانا فى صورة رجلين يختصمان اليه. و قال بعضهم: المعنى لو جعلنا مع النبى ملكا يشهد بتصديقه (لَجَعَلْناهُ رَجُلًا) و الاول أصح.
و قوله «وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ» يقال: لبست الامر على القوم ألبسه إذا شبهته عليه، و لبست الثوب البسه، و كان رؤساء الكفار يلبسون على ضعفائهم أمر النبى (ع)، فيقولون: هو بشر مثلكم، فقال اللّه تعالى «وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً» فرأوا الملک رجلا و لم يعلمهم أنه ملک لكان يلحقهم من اللبس ما يلحق ضعفائهم منهم. و اللبوس ما يلبس من الثياب و اللباس الذى قد لبس و استعمل.
فان قيل: قوله: انه لو جعل الملک رجلا للبس عليهم يدل على أن له أن يلبس بالإضلال و التلبيس؟
قلنا: ليس ذلک فى ظاهره، لأنه لم يخبر أنه لبس عليهم و انما قال لو جعلته ملكا للبست و لم يجعله ملكا فإذا ما لبس، كما قال تعالى «لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ» «1» و ليس يجوز عليه اتخاذ الولد و لا الاصطفاء له بحال، فسقط ما قالوه.

وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِکَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (10)
آية بلا خلاف.

_____
(1) سورة 39 الزمر آية 4.
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 85
لما أخبر اللَّه تعالى أنه لو أنزل الآيات التى اقترحوها و امتنعوا عند ذلک من الإقرار باللَّه و تصديق نبيه اقتضت المصلحة استئصالهم كما اقتضت المصلحة استئصال من تقدم من الأمم الماضية عند نزول الآيات المقترحة، كما فعل بقوم صالح و غيرهم من أمم الأنبياء، قال ذلک تسلية لنبيه (ع) من استمرارهم على الكفر. و معنى (الحيق) ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله كما قال: «وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» «1» أى لا ترجع عاقبة مكروهه الا عليهم. و المعنى فحاق بالساخرين منهم: «ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» من وعيد أنبيائهم بعاجل العقاب فى الدنيا نحو ما نزل بقوم عاد و ثمود و غيرهم من الأمم.
و قال ابو على: حاق و حق بمعنى واحد. و المعنى انه لما نزل بهم العذاب حق بذلک الخبر عندهم: الخبر الذى كان أخبرهم به النبى (ص).

قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11)
آية بلا خلاف.
أمر اللَّه تعالى فى هذه الآية نبيه (ع) ان يأمر هؤلاء الكفار ان يسيروا فى الأرض لينظروا الى آثار تلك الأمم فإنها مشهورة و متواتر خبرها معلوم مساكنها و أراد بذلك زجر هؤلاء الكفار عن تكذيب محمد (ع) و التحذير لهم من ان ينزل بهم من العذاب ما نزل بالمكذبين للرسل من قبلهم.

قُلْ لِمَنْ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ کَتَبَ عَلی نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَیَجْمَعَنَّکُمْ إِلی یَوْمِ الْقِیامَةِ لا رَیْبَ فِیهِ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا یُؤْمِنُونَ (12) وَ لَهُ ما سَکَنَ فِی اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ (13)

---

(1) سورة 35 فاطر آية 43.

آيتان بلا خلاف.

أمر اللّه تعالى نبيه (ع) ان يقول لهؤلاء الكفار مقرعا لهم و موبخاً على كفرهم «لِمَنْ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» ثم أمره (ع) ان يقول لهم ان ذلک «لِلَّهِ کَتَبَ عَلی نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَیَجْمَعَنَّکُمْ» و اللام لام القسم و تقديره و اللّه ليجمعنكم و لذلک نصب (لام) ليجمعنكم، لان معنى كتب اليمين. و قال الزجاج يجوز أن يكون (ليجمعنكم) بدلا من الرحمة مفسرا لها، لأنه لما قال كتب على نفسه الرحمة، فسر رحمته بأنه يمهلهم الى يوم القيامة. و قال الفراء: يجوز ان يكون قوله «کَتَبَ عَلی نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» غاية ثم استأنف قوله «لَیَجْمَعَنَّکُمْ ... لا رَیْبَ فِیهِ» تمام، و معنى «کَتَبَ عَلی نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» أى كتب على نفسه ألا يستأصلكم و لا يعجل عقوبتكم بل يعذر و ينذر و يجمع آخركم الى أولكم قرناً بعد قرن الى يوم القيامة، و هو الذى لا ريب فيه.

و فى قوله «لَیَجْمَعَنَّکُمْ إِلی یَوْمِ الْقِیامَةِ» احتجاج على من أنكر البعث و النشور فقال ليجمعنكم الى اليوم الذى أنكرتموه كما تقول: جمعت هؤلاء الى هؤلاء، أى ضممت بينهم فى الجمع. و قوله «الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» قال الأخفش (الذين) بدل من الكاف و الميم. و المعنى ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم الى هذا اليوم الذى يجحدونه و يكفرون به. و قال الزجاج: هو فى موضع رفع على الابتداء و خبره «فَهُمْ لا یُؤْمِنُونَ» لان (لَیَجْمَعَنَّکُمْ) مشتمل على سائر الخلق على الذين خسروا أنفسهم و غيرهم.

و قوله «وَ لَهُ ما سَکَنَ فِی اللَّیْلِ وَ النَّهارِ» أى ما اشتمل عليه الليل و النهار فجعل الليل و النهار كالمسكن لما اشتملا عليه، لأنه ليس يخرج منهما شىء

كل الأشياء بهذا اللفظ القليل الحروف، و هذا من أفصح ما يكون من الكلام.

و قال النابغة:

فإنک كالليل الذى هو مدركى و ان خلت ان المنتأى عنک واسع «1»

فجعل الليل مدركا إذ كان مشتملا عليه.

و فى هذه الآية و فى التى قبلها إحتجاج على الكفار الذين عبدوا من دون اللَّه تعالى، فقال تعالى: «قُلْ لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ»؟ و كانوا لا يشركون باللَّه فى خلق السماوات و الأرض و ما بينهما احداً و انما كانوا يشركون فى العبادة، و يقولون: آلهتهم تقربهم الى اللَّه زلفى، لا أنها تخلق شيئاً، ثم قال: «قل لِلَّه» فإنهم لا ينكرون ذلک، و هو كقوله «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» «2» فذكرهم ما هم به مقرون ليتنبهوا و يشهدوا بالحق و يتركوا ما هم عليه، و معنى «خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» أهلكوها باستحقاق المصير الى العذاب الأليم الدائم، الذى لا ينتفعون معه بنفوسهم إذ كانوا لا يؤمنون.
و من أهلک نفسه فقد خسرها. و انما قال «وَ لَهُ ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَ النَّهارِ» لان فى الحيوان ما يسكن فى الليل، و فيه ما يسكن بالنهار و خص السكون بالذكر، لان الساكن أكثر من المتحرک، و لان الآية العجيبة فى قيام الساكن بلا عمد أعظم.

قُلْ أَ غَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ يُطْعِمُ وَ لا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (14)
آية بلا خلاف.
أجمع القراء على ضم الياء و فتح العين من قوله «و لا يطعم» و قرئ فى الشواذ

_____
(1) سمط اللآلى: 570
(2) سورة 43 الزخرف آية 87

بفتح الياء و العين معا. فمن ضم الياء أراد أن غيره لا يطعمه فى مقابلة قوله:
«وَ هُوَ يُطْعِمُ». و من فتح الياء أراد أنه نفسه لا يطعم. و المعنى هو يرزق الخلق و لا يرزقه أحد. و الطعمة و الطعم و الإطعام الرزق، قال امرؤ القيس:
مطعم للصيد ليس له غيرها كسب على كبره «1»
و قال علقمة بن عدى:
و مطعم الغنم يوم الغنم مطعمة أنى توجه و المحروم محروم «2»
ألا ترى أنه وضع الحرمان فى مقابلة الإطعام، كما يوضع أبداً مقابلا للرزق.
و قيل: إنه ذكر الإطعام، لان حاجة العباد اليه أشد، و لان نفيه عن اللّه أدل على نفى شبهه بالمخلوقين، لان الإطعام لا يجوز الا على الأجسام.
و الاختيار فى «فاطر» الخفض لأنه من صفة (اللّه). و الرفع، و النصب جائزان على المدح. فمن رفع فعلى إضمار (هو)، و تقديره: هو فاطر السماوات و الأرض، و هو يطعم و لا يطعم. و من نصب فعلى معنى: اذكروا عنى.
و معنى: «فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» خالقهما، كما قال: «وَ ما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» «3» أى خلقنى. قال ابن عباس: ما كنت أدرى ما معنى (فاطر) حتى اختصم الى أعرابيان فى بئر، فقال أحدهما:
أنا فطرتها أى ابتدأتها. و أصل الفطر الشق، و منه قوله تعالى: «إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ» «4» أى انشقت.
و معنى «فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» خلقهما خلقا قاطعا. و الإنفطار، و الفطور تقطع و تشقق و فى الآية دلالة و حجة على الكفار، لان من خلق السماوات و الأرض و أنشأ ما فيهما، و أحكم تدبيرهما، و اطعم من فيهما هو الذى ليس كمثله شىء

(1) ديوانه: 104، و اللسان (طعم).
(2) اللسان: الالف اللينة تفسير (أنى).
(3) سورة 36 يس آية 22
(4) سورة 82 الانفطار آية 1

و ان الخلق فقراء اليه و هو الغنى القادر القاهر، فلا يجوز لمن عرف ذلک أو جعل له السبيل الى معرفته ان يعبد غيره.
و قوله «أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ» معناه أن أكون أول من خضع، و آمن و عرف الحق من قومى، و أن اترک ما هم عليه من الشرک. و مثله قوله «قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ» «3» بأنه لم يكن للرحمن ولد، يعنى من هذه الامة، لأنه قد عبد اللّه النبيون و المؤمنون قبله، و مثله قوله «سُبْحانَکَ تُبْتُ إِلَيْکَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ» «4» ممن سألک أن تريه نفسک- بأنک لا ترى. و قول السحرة «إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ» «5» بأن هذا ليس بسحر، و أنه الحق، أى أول المؤمنين من السحرة، و معنى الولى- ها هنا- الإله الذى أعبده ليتولانى، و يحفظنى.
و قوله: «أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» أى أمرت بالأمرين معاً: أن أكون أول من أسلم من هذه الامة، و ألا أكون من المشركين. و المعنى أمرت بذلک و نهيت عن الشرک، لان الامر لا يتناول ألا يكون الشىء، لأنه لا يكون أمرا إلا بارادة المأمور، و الارادة لا تتعلق بألا يكون الشىء. و انما المراد ما قلناه: أنه كره منى الشرک.

قُلْ إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ (15)
آية بلا خلاف.
أمر اللَّه تعالى نبيه (ص) بهذه الآية أن يقول لهؤلاء الكفار: إنه يخاف

---

(3) سورة 43 الزخرف آية 81
(4) سورة 7 الاعراف آية 142
(5) سورة 26 الشعراء آية 52.
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 90
- ان عصاه- عذابه و عقوبته فى يوم عظيم و هو يوم القيامة. و معنى العظيم- ها هنا- أنه شديد على العباد، و عظيم فى قلوبهم.
و فى الآية دلالة على ان من زعم أن من علم اللَّه أنه لا يعصى فلا يجوز أن يتوعده بالعذاب. و على من زعم أنه لا يجوز أن يقال فيما قد علم اللَّه أنه لا يكون أنه لو كان لوجب فيه كيت و كيت، لأنه كان المعلوم للَّه تعالى أن النبى (ص) لا يعصى معصية يستحق بها العقاب يوم القيامة، و مع هذا فقد توعده به.

مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَ ذلِکَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (16)
آية بلا خلاف.
قرأ اهل الكوفة الا حفصاً، و يعقوب «من يصرف» بفتح الياء و كسر الراء.
الباقون بضم الياء و فتح الراء.
و فاعل (يصرف) هو الضمير العائد الى «ربى» من قوله: «إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّی». و يكون حذف الضمير العائد الى العذاب، و المعنى من يصرف اللَّه عنه، و كذلک هو فى قراءة أبى. قال أبو على: و ليس حذف الضمير بالسهل لأنه ليس بمنزلة الضمير الذي يحذف من الصلة إذا عاد الى الموصول، نحو «أَ هذَا الَّذِی بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» «1» و «سَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى آللَّهُ» «2» أى بعثهم اللَّه و اصطفاهم، و لا يعود الضمير المحذوف- ها هنا- الى موصول و لا الى (من) التى الجزاء، و انما يرجع الى العذاب من قوله «إِنْ عَصَيْتُ رَبِّی عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ»، و ليس هذا بمنزلة قوله «وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ» «3» لان هذا فعل واحدً قد تكرر وعدى الاول فيهما

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 41 [.....]
(2) سورة 27 النمل آية 59
(3) سورة 33 الأحزاب آية 35

الى المفعول، فعلم بتقدير الاول أن الثانى بمنزلته.
و الذى يحسن قراءة من قرأ «يصرف» بفتح الياء أن ما بعده من قوله «فقد رحمه» فعل مسند الى ضمير اسم اللَّه. فقد اتفق الفعلان فى الاسناد الى هذا الضمير، فيمن قرأ «يصرف» بفتح الياء. و يقويه أيضا أن الهاء المحذوفة من (يصرفه) لما كان فى حيز الجزاء، و كان ما فى حيزه فى أنه لا يتسلط على الموصول، حسن حذف الهاء منه كما حسن حذفها من الصلة.
و من ضم الياء فالمسند اليه الفعل المبنى للمفعول ضمير العذاب المتقدم ذكره، و يقوى ذلک قوله «أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ» «4» ألا ترى أن الفعل بنى للمفعول، و فيه ضمير العذاب. و قال الزجاج: التقدير من يصرف اللَّه عنه العذاب فيمن فتح الياء. و من ضم الياء، فتقديره من يصرف عنه العذاب.

وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (18)
آيتان بلا خلاف.
معنى الآية الاولى أنه لا يملك النفع و الضرر الا اللَّه تعالى أو من يملكه اللَّه ذلك. فبين تعالى أنه مالك السوء من جهته «فَلا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ» و لا يملك كشفه سواه مما يعبده المشركون و لا أحد سوى اللَّه، و أنه إن ناله بخير فهو على ذلك قادر. و قوله يمسسك بضر أو بخير، معناه يمسك ضره أو خيره. فجعل المس للَّه على وجه المجاز، و هو فى الحقيقة الخير و الضر، و هو مجاز فى الخير و الضر أيضاً، لأنهما عرضان لا تصح عليهما المماسة. و أراد

---

(4) سورة 11 هود آية 8

تعالى بذلك الترغيب فى عبادته وحده، و ترك عبادة سواه، لأنه المالك للضر و النفع دون غيره، و أنه القادر عليهما. و القاهر هو القادر على أن يقهر غيره.
فعلى هذا يصح وصفه فيما لم يزل بأنه قاهر. و فى الناس من قال: لا يسمى قاهرا الا بعد أن يقهر غيره، فعلى هذا لا يوصف تعالى فيما لم يزل بذلك.
و مثل قوله «فَوْقَ عِبادِهِ» قوله «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» «1» و المراد أنه أقوى منهم، و أنه مقتدر عليهم، لان الارتفاع فى المكان لا يجوز عليه تعالى، لأنه من صفات الأجسام. فإذاً المراد بذلك أنه مستعل عليهم، مقتدر عليهم. و كل شىء قهر شيئاً فهو مستعل عليه، و لما كان العباد تحت تسخيره و تذليله و أمره و نهيه، وصف بأنه فوقهم. و قوله «وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ» معناه أنه مع قدرته عليهم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة، و لا يفعل ما فيه مفسدة، أو وجه قبح لكونه عالماً بقبح الأشياء و بأنه غنى عنها.

قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ أُوحِىَ إِلَىَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ أَ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَ إِنَّنِى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19)

آية بلا خلاف.

اختلفوا فى الهمزتين إذا كانت الاولى مفتوحة، و الثانية مكسورة من كلمة واحدة نحو (أ إنک) و (أ إذا) و (أ انا) و (أ إفکا) فقرأ ابن عامر و أهل الكوفة و روح بتحقيق الهمزتين حيث وقع إلا فى قوله «أَ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ»

---

(1) سورة 48 الفتح آية 10.

ها هنا. و فى الاعراف «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ» «1» و «قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً» «2» و (أ اما) حيث وقع. و «أَ إِنَّکَ لَأَنْتَ يُوسُفُ» «3» و «أَ إِذا ما مِتُّ» «4» و فى العنكبوت «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ» «5» و «إِنَّا لَمُغْرَمُونَ» «6» فى الواقعة.

و الاستفهامين فى الرعد. و بنى إسرائيل. و المؤمن. و النحل. و سجدة لقمان.

و الصافات. و الواقعة. و النازعات. و سنذكر الخلاف فيها فى مواضعها.

الباقون بتحقيق: الاولى و تليين الثانية. و فصل بينهما بألف أهل المدينة.

الا ورشاً، و ابو عمرو، و الحلوانى عن هشام، وافقهم الداجونى عن هشام على الفصل فى قوله «أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا». و «أَ إِذا مِتْنا» فى (ق). و أما قوله «أ إنكم». ها هنا فقرأه ابن عامر و أهل الكوفة الا الكسائى عن أبى بكر و روح بتحقيق الهمزتين إلا أن الحلوانى عن هشام يفصل بينهما بألف الباقون بتحقيق الاولى و تليين الثانية. و فصل بينهما بألف أهل المدينة الا ورشاً و أبو عمرو و الكسائى عن أبى بكر. و قد روى عن الكسائى عن أبى بكر أنه لا يفصل.

أمر اللّه تعالى نبيه (ص) أن يقول لهؤلاء الكفار «أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً» لأنهم كانوا مقرين بأنه لا شىء أكبر شهادة من اللّه، و إذا أقروا بأنه اللّه حينئذ أمره أن يقول لهم هو الشهيد بينى و بينكم على ما بلغتكم و نصحتكم و قررت عندكم من أن إلهكم إله واحد، و على براءتى من شرككم.

و الوقوف على قوله «قُلِ اللَّهُ» وقف تام.

و فى الآية دلالة على من قال: لا يوصف تعالى بأنه شىء. لأنه لو كان كما قال لما كان للآية معنى كما أنه لا يجوز أن يقول القائل: أى الناس أصدق؟ فيجاب ب (جبرائيل) لما لم يكن من جملة الناس بل كان من الملائكة.

(1) سورة 7 الاعراف آية 80
(2) سورة 7 الاعراف آية 112
(3) سورة 12 يوسف آية 90
(4) سورة 19 مريم آية 66
(5) سورة 29 العنكبوت آية 28
(6) سورة 56 الواقعة آية 66

فان قيل قوله «أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً» تمام، و قوله «قُلِ اللَّهُ» ابتداء، و ليس بجواب، و لو كان جوابا كان ما بعده من قوله «شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ» لا ابتداء له و لا معنى له؟! قيل: لسنا ننكر ذلك- الا أن هذا و ان كان هكذا لولا أنه متقرراً عند السائل و المسئول- ان اللّه شهيد- ما كان للكلام معنى، و لكان قوله: «قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً» لغوا و حشوا، و ذلك منزه عن كلامه تعالى.
و قوله: «لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ» وقف تام. أى من بلغه القرآن الذى أنذرتكم به، فقد أنذرته كما أنذرتكم، و هو
قول الحسن رواه عن النبى (ص): انه قال: (من بلغه أنى أدعو الى لا إله الا اللّه، فقد بلغه).
يعنى بلغته الحجة، و قامت عليه. و قال مجاهد «لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ» يعنى اهل مكة. «وَ مَنْ بَلَغَ» من أسلم من العجم و غيرهم.
و قوله «آلِهَةً أُخْرى» و لم يقل اخر، لان الآلهة جمع و الجمع يقع على التأنيث، كما قال: «وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى» «1» و «قالَ فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى» «2» و لم يقل الاول. و الشاهد: هو المبين لدعوى المدعى. قال الحسن: قال المشركون لرسول اللّه (ص): من يشهد لك؟ فنزلت هذه الآية. و هى قوله: «وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ» أى انى أخوفكم به، لان الانذار هو الاعلام على وجه التخويف. «وَ مَنْ بَلَغَ» يعنى القرآن و (من) فى موضع نصب بالإنذار. ثم قال موبخا «أَ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرى» ثم قال لنبيه: قل أنت يا محمد: لا أشهد بمثل ذلك بل اشهد انه إله واحد «وَ إِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ» بعبادته مع اللّه و اتخاذه إلهاً.

الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (20)

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 179
(2) سورة 20 طه آية 51

آية بلا خلاف.
«الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ» رفع بالابتداء. و قوله «يعرفونه» خبر.
و قوله «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» أيضا رفع، و يحتمل رفعه وجهين:
أحدهما- ان يكون نعتاً ل (الذين) الاولى. و يحتمل ان يكون رفعا على الابتداء و خبره «فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ». فان حملته على النعت كان المعنى به أهل الكتاب و ان حملته على الابتداء يتناول جميع الكفار.
و قال بعض المفسرين: ما من كافر الا و له منزلة فى الجنة و أزواج فان أسلم و سعد صار الى منزله و أزواجه، و ان كفر صار منزله و أزواجه الى من أسلم، فذلک قوله «الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ» «1» و قوله:
«الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» و هذه الآية لا بد أن تكون مخصوصة بجماعة من أهل الكتاب، و هم الذين عرفوا التوراة و الإنجيل فعرفوا صحة نبوة محمد (ص) بما كانوا عرفوه من صفاته المذكورة، و دلائله الموجودة فى هذين الكتابين كما عرفوا أبناءهم فى أنها صحيحة لا مرية فيها و لم يرد أنهم عرفوا بنبوته اضطراراً، كما عرفوا أبناءهم ضرورة على أن أحدا لا يعرف أن من ولد على فراشه ابنه على الحقيقة، لأنه يجوز ان يكون من غيره، و ان حكم بأنه ولده لكونه مولوداً على فراشه، فصار معرفتهم بالنبى (ص) آكد من معرفتهم بابنائهم لهذا المعنى. و لم يكن جميع أهل الكتاب كذلک، فلذلک خصصنا الآية.
فان قيل: كيف يصح- على مذهبكم فى الموافاة- ان يكونوا عارفين باللَّه، و بنبيه ثم يموتون على الكفر؟! قلنا عنه جوابان:
أحدهما- ان لا يكونوا عارفين بذلک بل يكونوا معتقدين اعتقاد تقليد،

---

(1) سورة 23 المؤمنون آية 11.

و يعتقدون مع ذلک انهم عالمون به، فقال اللَّه تعالى «يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ» فى اعتقادهم، لا انهم يعرفونه على الحقيقة كما قال «ذُقْ إِنَّکَ

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» «1» يعنى عند نفسک، و قومک.
الثانى- أن يكونوا عرفوا ذلک على وجه لا يستحق به الثواب، لأنهم يكونون نظروا فى الادلة لا لوجه وجوب ذلک عليهم، فولد ذلک المعرفة لكن لا يستحق بها الثواب. و قد بينا مثل ذلک فى عدة مواضع فيما مضى «2» فسقط السؤال.
و قوله «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» يعنى بكفرهم بمحمد (ص) على وجه المعاندة «فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» و خسرانهم أنفسهم إهلاكهم لها بهذا الكفر، و تصييرهم لها الى ان لا ينتفعون بها. و من جعل نفسه بحيث لا ينتفع بها فقد خسر نفسه.

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (21)
آية.
أخبر اللَّه تعالى ان من أفترى على اللَّه الكذب فوصفه بخلاف صفاته، و اخبر عنه بخلاف ما أخبر به عن نفسه، و عن أفعاله أنه لا أحد أظلم لنفسه منه إذ كان بهذا الفعل قد أهلک نفسه و أوقعها فى العذاب الدائم فى النار. ثم أخبر أن الظالم لا يفلح أى لا يفوز برحمة اللَّه و ثوابه و رضوانه، و لا بالنجاة من النار، لان الظلم- ها هنا- هو الكفر بنبوة محمد (ص) و ذلک لا يغفر بلا خلاف.

وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22)

---

(1) سورة 44 الدخان آية 49 [.....]
(2) فى 1/ 192 و 2/ 21 و 498

آية.
قرأ يعقوب «و يوم يحشرهم جميعا ثم يقول» بالياء فيهما. الباقون بالنون فيهما من قرأ بالياء رده الى اللَّه تعالى فى قوله «عَلَى اللَّهِ كَذِباً» و تقديره: يوم يحشرهم اللَّه فيقول. و من قرأ بالنون ابتدأ، و تقدير الآية اذكر يوم نحشرهم جميعا، يعنى يوم القيامة، لأنهم يحشرون فيه جميعا من قبورهم الى موضع الحساب، و أنه يقول- للذين أشركوا باللَّه، و عبدوا معه إلها غيره- فى هذا اليوم: أين الذين كنتم تزعمون أنهم شركائى؟! و أين شركائى فى زعمكم؟! و إنما يقول هذا توبيخا لهم و تبكيتا على ما كانوا يدعون أنهم يعبدونه من الأصنام و الأوثان، و يعتقدون أنها شركاء للَّه، و أنها تشفع لهم، يوم القيامة، فإذا لم يجدوا لما كانوا يدعونه صحة، و لم ينتفعوا بهذه الأوثان و لا بعبادتهم، فيعلمون أنهم كانوا كاذبين فى أقوالهم.

ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قالُوا وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (24)
آيتان بلا خلاف.
قرأ حمزة و الكسائى و العليمى، و يعقوب «ثم لم يكن» بالياء. الباقون بالتاء. و قرأ ابن كثير، و ابن عامر، و حفص الا ابن شاهين «فتنتهم» بالرفع. الباقون بالنصب. و قرأ حمزة و الكسائى و خلف «و اللّه ربنا» بنصب الباء. الباقون بكسرها.
من قرأ بالتاء و رفع الفتنة أثبت علامة التأنيث. و تكون (أن) فى موضع نصب. و تقديره ثم لم تكن فتنتهم الا قولهم. و قد روى شبل عن ابن كثير «تكن» بالتاء «فتنتهم» نصباً مثل قراءة نافع و أبى عمرو عن عاصم. و وجهه
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 98
انه أنَّث «ان قالوا» لما كان الفتنة فى المعنى، كما قال «فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» «1» فأنَّث لما كانت الأمثال فى المعنى الحسنات. و مثله كثير فى الشعر، قال ابو على و الاول أجود من حيث كان الكلام محمولا على اللفظ. و يقوى قراءة من قرأ: (فتنتهم) بالنصب أن قوله (ان قالوا) أن يكون الاسم دون الخبر أولى لان (أن) إذا وصلت لم توصف، فأشبهت بامتناع وصفها المضمر، فكما أن المضمر إذا كان مع المظهر كان (أن يكون) الا سم أحسن، كذلك إذا كانت (أن) مع اسم غيرها كانت (أن يكون) الاسم أولى.
و من قرأ (و اللّه ربنا)- بكسر الباء- فعلى جعل الاسم المضاف وصفاً للمفرد، لان قوله (و اللّه) جر بواو القسم. و لو أسقطت لقال: (اللّه) بالنصب و مثله قولهم: رأيت زيداً صاحبنا و بكرا جارك، و يكون قوله «ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» جواب القسم.
و من نصب الباء يحتمل أمرين:
أحدهما- أن ينصبه بفعل مقدر، و تقديره: اعنى ربنا.
و الثانى- على النداء. و يكون قد فصل بالاسم المنادى بين القسم و المقسم عليه بالنداء، و ذلك غير ممتنع، لان النداء كثير فى الكلام. و قد حال الفصل بين الفعل و مفعوله فى قوله: «إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِينَةً وَ أَمْوالًا فِى الْحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ» «2». و المعنى آتيتهم أموالا ليضلوا و لا يؤمنوا و قد جاء الفصل بين الصلة و الموصول، و هو أشدها قال الشاعر:
ذاك الذى و أبيك يعرف مالك و الحق يدفع ترهات الباطل «3»
و قال ابو عبيدة: من قرأ بالتاء المعجمة من فوقها و نصب «فتنتهم» أضمر فى (يكن) اسما مؤنثاً ثم يجيئ بالتاء لذلك الاسم، و انما جعله مؤنثا لتأنيث

(فتنة) قال لبيد:

---

(1) سورة 6 الانعام آية 160
(2) سورة 10 يونس آية 88
(3) اللسان (تره).

فمضى و قدمها و كانت عادة منه إذا هى عودت أقدامها «1»
فأنث الاقدام لتأنيث (عادة). و قوله: «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ» أى لم تكن بليتهم التى ألزمتهم الحجة و زادتهم لائمة الا قولهم.
و معنى الآية: أنه تعالى لما ذكر قصص هؤلاء المشركين الذين كانوا مفتنين بشركهم، أعلم النبى (ص) أن افتتانهم بشركهم، و إقامتهم عليه لم يكن الا أن تبرءوا منه، و قالوا انهم ما كانوا مشركين، كما يقول القائل إذا رأى إنسان إنساناً يحب غاوياً فإذا وقع فى هلكة تبرأ منه فيقول له ما كانت محبتک لفلان الا أن انتفيت منه.
فان قيل: كيف قالوا و حلفوا أنهم ما كانوا مشركين- و قد كانوا مشركين- و هل هذا إلا كذب، و الكذب قبيح و لا يجوز من أهل الآخرة أن يفعلوا قبيحا، لأنهم ملجؤون الى ترک القبيح، لأنهم لو صح لم يكونوا ملجئين و كانوا مختارين، وجب أن يكونوا مزجورين عن فعل القبيح، و إلا أدى الى اغرائهم بالقبيح و ذلک لا يجوز، و لو زجروا بالوعيد عن القبائح لكانوا مكلفين و لوجب أن يتناولهم الوعد و الوعيد، و ذلک خلاف الإجماع، و قد وصفهم اللَّه تعالى أيضا بأنهم كذبوا على أنفسهم، فلا يمكن جحد أن يكونوا كاذبين، فكيف يمكن أن يرفع ذلک؟ و ما الوجه فيه؟
و الجواب عن ذلک من وجوه:
أحدها- ما قاله البلخى: إن القوم كذبوا على الحقيقة، لأنهم كانوا يعتقدون أنهم على الحق، و لا يرون أنهم مشركون، كالنصارى و من أشبههم، فقالوا فى الموقف ذلک. و قيل: ان يقع بهم العذاب فيعلموا بوقوعه أنهم كانوا على باطل فيقولوا «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» و هم صادقون عند أنفسهم و كذبهم اللَّه فى ذلک، لان الكذب هو الاخبار بالشىء لا على ما هو به، علم المخبر بذلک أو لم يعلم، فلما كان قولهم «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» كذباً فى

---

(1) اللسان (قدم) و روايته (عردت) بدل (عودت).

الحقيقة جاز أن يقال لهم «انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ». قال البلخى:
و يدل على ذلک قوله «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ» أى ذهب عنهم و أغفلوه، لأنهم لم يكونوا نظروا نظراً صحيحا و لم يجاروا فى نظرهم الالف و

العادة، فيعلموا فى هذا الوقت أن قولهم شرک، و لو صاروا الى العذاب لعلموا أنهم كانوا مشركين، و استغنوا بذلک، لكن هذا القول يكون عند الحشر. و قيل:
الجزاء بدلالة أول الآية. و قال مجاهد: قوله «انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» تكذيب من اللَّه إياهم.
و قال الجبائى: قولهم «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» اخبار منهم أنهم لم يكونوا مشركين عند أنفسهم فى دار الدنيا، لأنهم كانوا يظنون انهم على الحق، فقال اللَّه تعالى مكذبا لهم «أنظر» يا محمد «كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» فى دار الدنيا، لا أنهم كذبوا فى الآخرة، لأنهم كانوا مشركين على الحقيقة، و ان اعتقدوا أنهم على الحق. و قوله: «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ» أى ضلت عنهم أوثانهم التى كانوا يعبدونها و يفترون الكذب بقولهم: إنها شفعاؤنا عند اللَّه غدا، فذهبت عنهم فى الآخرة فلم يجدوها، و لم ينتفعوا بها.
و قال قوم: انه يجوز أن يكذبوا يوم القيامة للذهول و الدهش، لأنهم يصيرون كالصبيان الذين لا تمييز لهم و لا تحصيل معهم- اختاره أحمد ابن على بن الأخشاد. و أجاز النجار أن يكفروا فى النار فضلا عن وقوعه قبل دخولهم فيها، و هذا بعيد. و الوجهان الأولان أقرب.
و قيل فيه وجه آخر، و هو أنهم أملوا أملا فخاب أملهم و لم يقع الامر على ما أرادوا، لان من عادة الناس أنهم إذا عوقبوا بعقوبة فتكلموا و استعانوا و صاحوا فان العذاب يسهل عليهم بعض السهولة، و ظنوا أن عذاب الآخرة كذلک، فقالوا: «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» و قالوا «رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا» «1» و قالوا «رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا» «2» و

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 22
(2) سورة 23 المؤمنون آية 107

«رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا» «3» فأملوا أن يخف عنهم العذاب بمثل هذا الكلام على عادة الدنيا، فلم يخف و لم يكن لهم فيه راحة، فقال اللَّه «انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» أى خابوا فيما أملوا من سهولة العذاب و ذلک مشهور فى كلام العرب، قال الشاعر:
كذبتم و بيت اللَّه لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم «4»
و قال آخر:
كذبتم و بيت اللَّه لا تنكحونها بنى شاب قرناها تصر و تحلب «5»
أى كذبكم أملكم. و قال ابو داود الازدى:
قلت لما نصلا من فتنة كذب العير و ان كان برح «6»
و المعنى أمل أنه يتخلص بشىء فكذبه أمله، لأنه ظن أنه إذا مرَّ بارحا و هو

أن يأخذ فى ناحية الشمال الى ناحية اليمين لم يتهيأ لى طعنه، فلما قلب رمحه و طعنه قال: كذب العير أى كذب أمله.
و (الفتنة) فى الآية معناها المعذرة- فى قول قتادة- لأنها اعتذار عن الفتنة، فسميت باسم الفتنة. و قال قوم: هى المحنة. و قال قوم: تقديره عاقبة فتنتهم. و فتنتهم يجوز أن تكون بمعنى اغترارهم أى اغتروا بهذا الكذب و ظنوا أنه سينجيهم، و كذبوا على أنفسهم لما رجعت مضرته اليهم صار عليهم و ان قصدوا أن يكون لهم.
و فى الآية دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورية، لان اللَّه تعالى أخبر عنهم أنهم قالوا «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» فلا يخلو أن يكونوا صادقين أو كاذبين، فان كانوا صادقين لأنهم كانوا عارفين فى دار الدنيا فقد كذبهم اللَّه فى ذلک بقوله «انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا» و ان كانوا كاذبين لأنهم كانوا عارفين، فقد وقع منهم القبيح فى الآخرة، و ذلک لا يجوز. و معنى الآية على ما بيناه

---

(3) سورة 41 حم السجدة آية 29
(4) مجمع البيان 2: 290
(5) قائله الأسدى. اللسان (قرن).
(6) اللسان (كذب).

من أنهم أخبروا أنهم لم يكونوا مشركين عند أنفسهم فى دار الدنيا و ان اللَّه كذبهم و أنهم كانوا كاذبين على الحقيقة و ان اعتقدوا خلافه فى الدنيا.
فأما معارفهم فى الآخرة فضرورية عند البصريين، و عند البلخى و من وافقه، حاصلة على وجه هم ملجؤون اليها، فعلى الوجهين معا لا يجوز أن يقع منهم القبيح لا محالة.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْکَ وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها حَتَّى إِذا جاؤُکَ يُجادِلُونَکَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلاَّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (25)
آية بلا خلاف.
قال مجاهد قوله «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْکَ» يعنى قريشا. و قال البلخى: أى من أهل الكتاب و المشركين من يجالسک و يريد الاستماع منک و الإصغاء اليک «وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً» لأنهم لا يفقهوه، لألفهم الكفر و شدة عداوتهم «حَتَّى إِذا جاؤُکَ يُجادِلُونَکَ» أى حتى إذا صار الامر الى الجدال أظهروا الكذب و عاندوا، فقالوا «إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى ليس هذا إلا أساطير الأولين. و قال قوم: نزلت فى النظر بن الحارث بن كلدة. و قال الضحاک: معنى أساطير الأولين أحاديث الأولين و كل شىء فى القرآن أساطير، فهو أحاديث.
و (الاكنة) جمع كنان- بكسر الكاف- و هو كالغطاء و الاغطية «وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً» أى ثقلا، و الوقر- بكسر الواو- الحمل، يقال و قرت الاذن توقر قال الشاعر:
و كلام سيئ قد وقرت أذنى منه و ما بى من صمم
و نخلة موقرة و موقر، و نخيل مواقير. قال يونس سألت رؤبة، فقال التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 103
وقرت أذنه- بضم الواو و كسر القاف- يوقر- بفتح الياء و القاف- إذا كان فيها الوقر. و قال أبو زيد: سمعت العرب تقول: أذن موقرة- بضم الميم و فتح القاف- و من الحمل يقال: أوقرت الدابة فهى موقرة. و من السمع وقرت سمعه- بتشديد القاف- فهو موقر، قال الشاعر:
ولى هامة قد وقر الضرب سمعها «1»
و أساطير واحدها أسطورة، و إسطارة، مأخوذ من سطر الكتاب، قال الراجز:
انى و أسطار سطرن سطرا لقائل يا نصر نصرا نصرا «2»
و أسطار جمع سطر. و من قال فى واحده: سطر، قال فى الجمع أسطر، و جمع الجمع أساطير، و معناها الترهات البسابس يعنى ليس له نظام. و قال الأخفش: أساطير جمع لا واحد له، نحو (مذاكير و أبابيل) و قال بعضهم: واحد الأبابيل إبيل- بتشديد الباء و كسر الالف-.
و معنى قوله: «وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ» قد مضى نظائره.
فى قوله: «وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً» «3» أى منعناهم الالطاف التى تبسط المؤمنين و تبعثهم على الازدياد من الطاعة، لان اللّه تعالى لما أزاح علتهم

علله بالدعاء و البيان و الانذار و الترغيب و الترهيب فأبوا الا كفراً و عنادا و تمردا على اللّه و إعراضا عنه و عما دعاهم اليه، فمنعهم الطافه عقوبة لهم حيث علم أنهم لا ينتفعون بذلک و لا ينتهون الى الحق، و ألفوا الكفر و أحبوه حتى صاروا كالصم عن الحق و صارت قلوبهم كأنها فى أكنة فجاز أن يقال فى اللغة جعل على قلوبهم أكنة و فى آذانهم وقرا، كما يقول القائل لغيره أفسدت سيفک إذا ترک استعماله حتى يصدى، و جعلت أظافيرک سلاحاً إذا لم يقلمها. و يقال للرجل إذا آيس من عبده أو ولده بعد الاجتهاد فى تأديبه فخلاه و أقصاه قد جعلته بحيث لا يفلح

---

(1) تفسير الطبرى 11: 306.
(2) قائله رؤبة ملحقات ديوانه 174 و اللسان و الصحاح (نصر).
(3) سورة 5 المائدة آية 14. [.....]

أبدا و تركته أعمى أصما، و جعلته ثوراً و حماراً، و ان كان لم يفعل به شيئاً من ذلک و لم يرده بل هو مهموم به محب لخلافه، و لا يجوز أن يكون المراد بذلک أنه كلفهم ما لا يطيقونه، و ذلک لا يليق بحكمته تعالى، و لكانوا غير ملومين فى ترک الإيمان حيث لم يمكنوا منه، و كانوا ممنوعين منه، و كانت الحجة لهم على اللّه تعالى دون أن تكون الحجة له، و ذلک باطل، بل للّه الحجة البالغة.

قوله «وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها» أى كل علامة و معجزة تدلهم على نبوة النبى (ص) لا يؤمنون بها لعنادهم. قال الزجاج (أن يفقهوه) فى موضع نصب لأنه مفعول له، و المعنى جعلنا على قلوبهم أكنة لكراهة أن يفقهوه فلما حذفت اللام نصب الكراهة، و لما حذفت الكراهة أنتقل نصبها الى (أن).

قال أبو على: كانوا إذا سمعوا القرآن من النبى آذوه و رجموه و شغلوه عن صلاته، فحال اللّه بينهم و بين استماع ذلک فى تلک الحال التى كانوا عازمين فيها على ما ذكرناه بأن ألقى عليهم النوم إذا قعدوا يرصدونه فكانوا ينامون فلا يسمعون قراءته و لا يفقهون أنه قرآن، و لا يعرفون مكانه ليسلم النبى (ص) من شرهم و أذاهم فجعل منعه إياهم عن استماع القرآن، و عن التعرف لمكان النبى (ص) لئلا يرجموه و لا يؤذوه «أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ» أنه قرآن و أن محمدا هو الذى يقرأه. و بين أن كل آية يرددها عليهم النبى (ص) من قبل اللّه لا يؤمنون بها، فلهذا منعهم اللّه من استماع القرآن، لأنهم لم يكونوا يسمعونه ليستدلوا به على توحيد اللّه و صحة نبوة محمد (ص) و انما كانوا يريدون بذلک تعرف مكانه ليؤذوه و يرجموه، فلهذا منعهم اللّه من استماع القرآن و فهمه و لو كانوا ممن يؤمن و يقبل ما يردَّد عليه من الآيات من قبل اللّه و يستدلوا بها على نبوة محمد (ص) ما كان اللّه يمنعهم من

سماع ذلک و فهمه.
و قوله «حَتَّى إِذا جاؤُکَ يُجادِلُونَکَ» يعنى أنهم إذا دخلوا اليه بالنهار انما يجيئون مجيئ مخاصمين مجادلين رادين مكذبين، و لم يكونوا يجيئون مجيئ من يريد الرشاد و النظر فى الدلالة الدالة على توحيد اللّه و نبوة نبيه (ص)
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 105
و كانوا يريدون ذلک بأن يقولوا هذا أساطير الأولين، يعنون إنه من كلام الأولين و حوادثهم. و فى معنى هذه الآية قوله تعالى فى بنى إسرائيل: «وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَکَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً. وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِى آذانِهِمْ وَقْراً» «1» فمعنى الآيتين واحد و سبب نزولهما واحد، و انما أنزلت هذه الآيات لئلا يمتنع النبى من قراءة القرآن خوفا من أذى الكفار فيفوت المؤمنين سماعه فيغتمون لذلک و تفوتهم مصلحته بل حثه اللّه على قراءته و ضمن له المنع من أذاهم.
و قوله: «وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها» كالتعليل لجعله قلوبهم فى أكنة، و الوقر فى آذانهم، فقال: إنما فعلت هذا لعلمى بأنهم لا يؤمنون و أنه ليس فى سماعهم ذلک الا تطرُّق الأذى به عليک منهم، و قولهم «إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ».
و تحتمل الآية وجهاً آخر و هو: أنه يعاقب الكفار الذين لا يؤمنون بعقوبات يجعلها فى قلوبهم من نحو الضيق الذى ذكر أنه يخلقه فيها، و يجعل هذه العقوبات دلالة لمن شاهد قلوبهم و استماعهم من الملائكة، و شاهد منها هذه العقوبات، على أنهم لا يؤمنون من غير أن يكون ذلک حائلا بينهم و بين الايمان. ثم أخبر أنها بمنزلة الاكنة على قلوبهم عن فقه القرآن و بمنزلة الوقر فى الآذان على وجه التمثيل له بذلک تجوزاً و استعارة. و وجه الشبه بينهما أن من كانت فى نفسه هذه العقوبات معلوم أنه لا يؤمن كما أن من على قلبه أكنة لا يؤمن، و كما سمى الكفر عماً، سماه باسم العمى على وجه التشبيه.
و يحتمل أيضا أن يكون الكفر الذى فى قلوبهم من جحد توحيد اللّه و جحد نبوة نبيه، سماه كنا تشبيهاً و مجازاً، و إعراضهم عن تفهم القرآن و الإصغاء اليه على وجه الاستعارة وقراً توسعا، لان مع الكفر و الاعراض لا يحصل الايمان و الفهم كما أن مع الكنَّ و الوقر لا يحصلان، و نسب هذا

---

(1) سورة 17 الاسراء آية 45- 46
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 106
الجعل الى نفسه، لأنه الذى شبه أحدهما بالآخر و ذلک سائغ فى اللغة كما يقول القائل لغيره- إذا أثنى على إنسان و ذكر فضائله و مناقبه- جعلته فاضلا خيراً عدلا، و ان كان لم يفعل به ذلک. و بالعكس من ذلک إذا ذكر مقابحه و مخازيه و فسِقه يحسن أن يقال له: جعلته فاسقاً شريراً، و ان لم

يفعل فى الحالين شيئاً من ذلک و کل ذلک مجاز. و منه قولهم: جعل القاضى فلانا عدلا و جعله ثقة و جعله ساقطا فاسقا، کل ذلک یراد به الحکم علیه بذلک و الابانة عن حاله کما قال الشاعر:
جعلتنى باخلا کلاب و رب منى انى لأسمح کفا منک فى اللزب «1»
أى سمتنى باخلا. و قوله «وَ مِنْهُمْ مَنْ یَسْتَمِعُ إِلَیْکَ ...» فکنى عنها بلفظ الواحد حملا له على اللفظ، فلما قال «وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَکِنَّةً» رده الى المعنى فعامله معاملة الجمع، لان لفظة (من) تقع علَى الواحد و على الجمع حقیقة.

وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَ يَنْأَوْنَ عَنْهُ وَ إِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ (26)
آية بلا خلاف.
و قوله «و هم» كناية عن الكفار الذين تقدم ذكرهم عند أكثر المفسرين: الجبائى و البلخى و غيرهم. و قال قوم: نزلت فى أبى لهب، لأنه كان يتبعه فى المواسم فينهى الناس عن أذاه و ينأى عن اتباعه. و الاول أشبه بسياق الآية.
و قيل: نزلت فى أبى طالب، و هذا باطل عندنا، لأنه دل الدليل على إيمانه بما ثبت عنه من شعره المعروف و أقاويله المشهورة الدالة على اعترافه بالنبى (ص).
و قال مجاهد: نزلت فى قريش.

_____

(1) مجمع البيان 2: 286. و (كلاب) اسم قبيلة.

بين اللَّه تعالى أن هؤلاء الكفار الذين ذكرهم كانوا ينهون عن اتباع القرآن، و قبوله و التصديق بنبوة نبيه، و يبعدون عنه، لان معنى (ينأون) يبعدون الى حيث لا يسمعونه خوفاً من أن يسبق الى قلوبهم الايمان به و العلم بصحته.
و قوله «وَ إِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» معناه ليس يهلكون إلا أنفسهم «وَ ما يَشْعُرُونَ» انهم ما يهلكون بنهيهم عن قبوله، و بعدهم عنه «الا أنفسهم» لأنهم لا يعلمون إهلاكهم إياها بذلك و إهلاكهم إياها هو ما يستحقون به الصيرورة الى العذاب الابدى فى النار. و هل هناك هلاك أعظم من ذلك؟!.
و النأى:
البعد «ينأون» أى يتباعدون عنه، تقول نأيت عن الشىء أنأى نأيا، إذا بعدت عنه. و النؤى حاجز يجعل حول البيت من الخوف لان لا يدخله الماء من خارج يحفر حفرة حول البيت فيجعل ترابها على شفير الحفيرة، فيمنع التراب الماء أن يدخل من خارج، و هو مأخوذ من النأى، أى تباعد الماء عن البيت.
و فى الآية دلالة على بطلان قول من قال معرفة اللَّه ضرورة، و أن من لا يعرف اللَّه و لا يعرف نبيه لا حجة عليه، لان اللَّه بين أن هؤلاء الكفار قد أهلكوا أنفسهم بنهيهم عن قبول القرآن و تباعدهم عنه و انهم لا يشعرون و لا يعلمون بإهلاكهم أنفسهم بذلك، فلو كان من لا يعرف اللَّه و لا نبيه و لا دينه لا حجة عليه، لكانوا هؤلاء معذورين و لم يكونوا هالكين و ذلك خلاف ما نطق به القرآن.

وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27)
آية بلا خلاف.
قرأ حمزة و يعقوب و حفص «و لا نكذب ... و تكون» بالنصب فيهما، التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 108
وافقهم ابن عامر فى «و نكون» الباقون بالرفع فيهما، فمن قرأ بالرفع احتملت قراءته أمرين:
أحدهما- ان يكون معطوفا على نرد، فيكون قوله: «نرد و لا نكذب ... و نكون» داخلا فى التمنى و يكون قد تمنى الرد و ألا يكذب و أن يكون من المؤمنين، و هو اختيار البلخى و الجبائى و الزجاج.
و الثانى- أن يكون مقطوعا عن الاول، و يكون تقديره يا ليتنا نرد و لا نكذب كما يقول القائل: دعنى و لا أعود، أى فأنى ممن لا يعود، فإنما يسألك الترك، و قد أوجب على نفسه ألا يعود ترك أو لم يترك. و لم يقصد أن يسأل أن يجمع له الترك و أن لا يعود. و هذا الوجه الذى اختاره أبو عمرو فى قراءة جميع ذلك بالرفع، فالأول الذى هو الرد داخل فى التمنى و ما بعده على نحو دعنى، و لا أعود، فيكونون قد أخبروا على النيات أن لا يكذبوا و يكونوا من المؤمنين.
و استدل أبو عمرو على خروجه من المتمنى بقوله «وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ» فقال ذلك يدل على أنهم أخبروا بذلك عن أنفسهم، و لم يتمنوا، لان التمنى لا يقع فيه الكذب و انما يقع فى الخبر دون التمنى.
و من نصب «نكذب ... و نكون» أدخلهما فى التمنى، لان التمنى غير موجب، فهو كالاستفهام و الامر و النهى و العرض، فى انتصاب ما بعد ذلك كله من الافعال إذا دخلت عليها الفاء أو الواو على تقدير ذكر المصدر من الفعل الاول، كأنه قال: يا ليتنا يكون لنا رد، و انتفاء للتكذيب و كون من المؤمنين.
و من نصب «و نكون» فحسب، و رفع «نُرَدُّ وَ لا نُكَذِّبَ» يحتمل أيضاً وجهين:
أحدهما- أن يكون داخلا فى التمنى، فيكون فى المعنى كالنصب.
و الثانى- انه يخبر على النيات أن لا يكذب ردَّ أو لم يرد. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 109
و من نصب «وَ لا نُكَذِّبَ و نَكُونَ» جعلهما جميعا داخلين فى التمنى كما أن من رفع و عطفه على التمنى كان كذلك. فان قيل: كيف يجوز أن يتمنوا الرد الى الدنيا و قد علموا عند ذلك انهم لا يردون؟
قيل عن ذلك أجوبة:

أحدها- قال البلخى: إنا لا نعلم أن أهل الآخرة يعرفون جميع أحكام الآخرة، و انما نقول: انهم يعرفون اللّه بصفاته معرفة لا يتخالجهم فيها الشک لما يشاهدونه من الآيات و العلامات الملجئة لهم الى المعارف. و أما التوجع و التأوه و التمنى للخلاص و الدعاء بالفرج يجوز أن يقع منهم و أن تدعوهم أنفسهم اليه. و قال ابو على الجبائى و الزجاج: يجوز أن يقع منهم التمنى للرد، و لان يكونوا من المؤمنين، و لا مانع منه. و قال آخرون: التمنى قد يجوز لما يعلم انه لا يكون ألا ترى أن المتمنى يتمنى أن لا يكون فعل ما قد فعله و مضى وقته، و هذا لا حيلة فيه، فعلى هذا قوله فى الآية الثانية «وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ» يكون حكاية حال منهم فى دار الدنيا، كما قال: «وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ» «1» و كما قال «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» «2» و انما هو حكاية للحالة الآتية.
و قوله «وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ» أمال فى الموضعين ابو عمرو و غيره و هى حسنة فى أمثال ذلک، لان الراء بعده الالف مكسورة و هو حرف كأنه مكرر فى اللسان فصارت الكسرة فيه كالكسرتين، فحسن لذلک الامالة. و قوله «إذ وقفوا» يحتمل ثلاثة أوجه:
أحدها- أن يكون عاينوها و وردوها قبل أن يدخلوها. و يجوز أن يكونوا أقيموا عليها نفسها.
و الثانى- أن يكونوا عليها و هى تحتهم.
و ثالثها- أن يكون معناه دخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما يقول القائل:

---

(1) سورة 18 الكهف آية 18
(2) سورة 16 النحل آية 124

قد وقفت على ما عند فلان، أى فهمته و تبينته. قال الكسائى: يقال: وقفت الدابة و غيرها إذا حبستها- بغير ألف- و هى لغة القرآن، و هو الأفصح، و كذلک وقفت الأرض إذا جعلتها صدقة. و قال ابو عمرو ما سمعت احداً من العرب يقول: أوقفت الشىء بالألف الا أنى لو رأيت رجلا بمكان، فقيل له ما أوقفک هاهنا لرأيته حسناً.
و أستدل أبو على بهذه الآية على ان القدرة قبل الفعل خلافاً للمجبرة بأن قال تمنوا الرد الى دار الدنيا الى مثل الحالة التى كانوا عليها، و لا يجوز من عاقل أن يتمنى أن يرد الى الدنيا و يخلق فيه القدرة الموجبة للكفر، لان ذلک لا يخلصه من العذاب بل يؤديه الى حالته التى كان عليها. و هذا ضعيف، لان لقائل أن يقول: إنهم تمنوا الرد و رفع التكذيب و حصول الايمان بأن تحصل لهم قدرة الايمان، و لا تحصل لهم قدرة التكذيب، و ليس فى الآية أنهم سألوا الرد الى الحالة التى كانوا عليها، فلا متعلق فى ذلک. و استدل ايضاً على أنه إذا كان المعلوم من حال الكافر أنه يؤمن وجب تبقيته بأن

قال: أخبر اللّه أنه انما لم يردهم لأنهم «لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» و ظاهر ذلک يقتضى أنه لو علم أنه لو ردهم لآمنوا، لوجب أن يردهم، و إذا وجب أن يردهم إذا علم أنهم يؤمنون بأن يجب تبقيتهم إذا علم أنهم يؤمنون أولى. و هذا أيضاً ضعيف، لان الظاهر أفاد أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، و ليس فيه أنهم لو ردوا لآمنوا أو ما حكمهم بل هو موقوف على الدلالة، لأنه دليل الخطاب على أن غاية ما فيه أنه يفيد أنه لو علم من حالهم أنه متى ردهم آمنوا يردهم، فمن أين أن ذلک واجب عليه؟! و هل هذا الا كقوله «وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» فى أنه لا خلاف بين أهل العدل أنه كان يجوز له أن يعذب و ان لم يبعث رسولا بأن لا تقتضى المصلحة بعثته و يقتصر بهم على التكليف العقلى، فإنهم متى عصوا كان له أن يعذبهم فلا شبهة فى الآية.

بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (28)
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 111
آية.
قوله «بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ» معناه من عقاب اللَّه فعرفوه معرفة من كانوا يسترونه عنه. و قال قوم: بدا لبعضهم من بعض ما كان علماؤهم يخفونه عن جهالهم و ضعفائهم مما فى كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم.
و قيل: معناه بل بدأ من أعمالهم ما كانوا يخفونه، فأظهره اللَّه و شهدت به جوارحهم. و قال الزجاج: ظهر للذين أتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفونه من أمر البعث و النشور، لان المتصل بهذا قوله «وَ قالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ» لنجزى على المعاصى.
و قوله: «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» قال بعضهم: لو ردوا و لم يعاينوا العذاب لعادوا كأنه ذهب الى أنهم لم يشاهدوا ما يضطرهم الى الارتداع، و هذا ضعيف، لان هذا القول يكون منهم بعد أن يبعثوا و يعلموا أمر القيامة و يعاينوا النار بدلالة قوله: «وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ» و هذه الآيات كلها فى المعاندين، لأنه قال فى أولها «الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمُ» ثم قال بعد ذلک «وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها» و قال ابو على الجبائى: الآية مخصوصة بالمنافقين و ظهر لهم ما كانوا يخفونه من كفرهم الذى كانوا يضمرونه. قال و الآية الاولى و ان كان ظاهرها يقتضى جميع الكفار و المنافقون داخلون فيهم فيجوز أن يخبر عنهم بهذا الحكم. قال:
و يحتمل أن يكون أراد بها الكافرين الذين كان النبى يخوفهم بالعذاب على كفرهم فلم يؤمنوا بذلک لكن دخلهم الشک و الخوف و أخفوه عن ضعفائهم و عوامهم، فإذا كان يوم القيامة ظهر ذلک و ان أخفوه فى الدنيا فيتمنون حينئذ الرد الى حال الدنيا. و قيل: «بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ» معنى «يخفون» يجدونه خافيا. و معنى «بل بدا» ليس تمنيهم الرجعة و اظهار الانابة حقاً للايمان الصحيح، بل لما شاهدوه من العذاب الأليم. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 112
و قوله «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» معناه إنهم لو ردوا الى حال التكليف و الى مثل ما كانوا عليه فى الدنيا من المهلة و التمكين من الايمان و التوبة و القدرة على ذلک، لعادوا لمثل ما كانوا عليه من الكفر الذى نهوا عنه.
و قوله تعالى «وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ» قد بينا ان المراد به الحكاية عن حالهم فى

الدنيا و أنهم كانوا فيها كاذبين فى كفرهم و تكذيبهم رسول اللّه و القرآن. و قال البلخى هذا الكذب وقع منهم فى الحال و ان لم يعلموه كذباً، لأنهم أخبروا عن عزمهم أنهم لو ردوا لكانوا مؤمنين. و قد علم اللّه أنهم لو عادوا الى الدنيا لعادوا الى كفرهم، و كان إخبارهم بذلک كذبا، و ان لم يعلموه كذلک، لان مخبره على خلاف ما أخبروه و هذا الذى ذكروه ضعيف، لأنهم إذا أخبروا عن عزمهم على الايمان ان ردوا أو كانوا عازمين عليه لا يكونون كاذبين، لان مخبر خبرهم العزم، و هو على ما أخبروا فكيف يكذبون فيه، و الاول أقوى.

فأما الكذب مع العلم بأنه ليس كذلک، فلا خلاف بين أبى على و أبى القاسم أنه لا يجوز أن يقع منهم فى الآخرة، لان أهل الآخرة ملجؤون الى ترک القبيح، لأنهم لو لم يكونوا ملجئين لوجب أن يكونوا مزجورين من القبيح بالأمر و النهى و الثواب و العقاب، و ذلک يوجب أن يكون ذاک التكليف، و لا خلاف أنه ليس هناک تكليف. و إن لم يزجروا و لم يلجئوا الى تركه كانوا مغريين بالقبيح و ذلک فاسد. فإذاً لا يجوز أن يقع منهم القبيح بحال.

و

قال بعض المفسرين سئل النبى (ص) فقيل له: ما بال أهل النار عملوا فى عمر قصير بعمل أهل النار فخلدوا فى النار؟ و أهل الجنة عملوا فى عمر قصير بعمل أهل الجنة فخلدوا فى الجنة؟! فقال: (ان الفريقين كان كل واحد منهما عازماً على أنه لو عاش أبدا عمل بذلک).

وَ قالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَياتُنَا الدُّنْيا وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29) وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ قالَ أَ لَيْسَ هذا بِالْحَقِّ قالُوا بَلى وَ رَبِّنا قالَ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (30)

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 113

آيتان بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى فى هذه الآية عن الكفار الذين ذكرهم فى الآية الاولى، و بين أنهم قالوا لما دعاهم النبى (ص) الى الايمان و الإقرار بالبعث و النشور و خوفهم من العقاب فى خلافه، و حذرهم عذاب الآخرة و الحشر و الحساب على سبيل الإنكار لقوله و التكذيب له «ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا» و عنوا أنه لا حياة لنا فى الآخرة على ما ذكرت، و انما هى هذه حياتنا التى حيينا بها فى الدنيا و انا لسنا بمبعوثين الى الآخرة بعد الموت. ثم خاطب نبيه (ص) فقال «وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ» يعنى على ما وعدهم ربهم من العذاب الذى يفعله بالكفار فى الآخرة و الثواب الذى يفعله بالمؤمنين، و عرفوا صحة ما كان أخبرهم به من الحشر و الحساب. و قال لهم ربهم عند مشاهدتهم و وقوفهم عليه «أَ لَيْسَ هذا بِالْحَقِّ؟ قالُوا بَلى وَ رَبِّنا» مقرين بذلك مذعنين له و ان كانوا قبل ذلك فى الدنيا ينكرونه، قال حينئذ «فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» بذلك.

و يحتمل أن يكون معنى «إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ» أنهم حبسوا ينتظر بهم ما يأمر كقول القائل: احبسه على أمره به. و قد ظن قوم من المشبهة أن قوله «إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ» أنهم يشاهدونه، و هذا فاسد، لان المشاهدة لا تجوز الا على الأجسام أو على ما هو حال فى الأجسام، و قد ثبت حدوث ذلك أجمع، فلا يجوز أن يكون تعالى بصفة ما هو محدث. و قد بينا أن المراد بذلك:

وقوفهم على عذاب ربهم و ثوابه، و علمهم بصدق ما أخبرهم به فى دار الدنيا دون أن يكون المراد به رؤيته تعالى و مشاهدته، فبطل ما ظنوه. و ايضا فلا خلاف أن الكفار لا يرون اللّه، و الآية مختصة بالكافرين فكيف يجوز

أن يكون التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 114

المراد بها الرؤية! فلا بد للجمع من التأويل الذى بيناه. و يجوز ان يكون المراد بذلك إذا عرفوا ربهم، لأنه سيعرفهم نفسه ضرورة فى الآخرة، و تسمى المعرفة بالشىء وقوفا عليه يقول القائل: وقفت على معنى كلامك، و المعنى علمته، و إذا كان الكفار لا يعرفون اللّه فى الدنيا و ينكرونه، عرفهم اللّه نفسه ضرورة، فذلك يكون وقوفهم عليه، فإذا عرفوه قال لهم

«أَ لَيْسَ هذا بِالْحَقِّ» يعنى ما وعدهم به، فيقولون «بلى» لأنهم شاهدوا العقاب و الثواب و لم يشكوا فيهما.

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذا جاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قالُوا يا حَسْرَتَنا عَلى ما فَرَّطْنا فِيها وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلى ظُهُورِهِمْ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ (31)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى أنه خسر هؤلاء الكفار «الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ» يعنى الذين كذبوا بما وعد اللَّه به من الثواب و العقاب و جعل لقاءهم لذلك لقاء له تعالى مجازا، كما يقول المسلمون لمن مات منهم: قد لقى اللَّه و صار اليه.

و انما يعنون: لقى ما يستحقه من اللَّه و صار الى الموضع الذى لا يملك الامر فيه سواه، كما قال «وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» «1» و الموت لا يشاهد، و انما أراد انكم كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوا أسبابه، فقد رأيتم أسبابه و أنتم تنظرون، فجعل لقاء أسبابه لقاءه.

و قوله «حَتَّى إِذا جاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً» كل شىء أتى فجأة، فقد بغت يقال: قد بغتة الامر يبغته بغتا و بغتة إذا أتاه فجأة قال الشاعر:

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 143

و لكنهم ماتوا و لم أخش بغتة و أفظع شىء حين يفجؤك البغت «2»

و قوله «قالُوا يا حَسْرَتَنا عَلى ما فَرَّطْنا فِيها» قد علم أن الحسرة لا تدعى و انما دعاؤها تنبيه للمخاطبين. و (الحسرة) شدة الندم حتى يحسر النادم كما يحسر الذى تقوم به دابته فى السفر البعيد. قال الزجاج: العرب إذا اجتهدت فى المبالغة فى الاخبار عن أمر عظيم يقع فيه جعلته نداء، فلفظه لفظ ما ينبه، و المنبه به غيره، كقوله «يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ» «3» و قوله «يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ» «4» و «يا وَيْلَتى أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ» «5» و «يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هذا» «6»، فهذا أبلغ من ان يقول: أنا اتحسر على العباد و ابلغ من ان يقول:

الحسرة علينا فى تفريطنا. قال سيبويه: إذا قلت يا عجباه فكأنك قلت احضر و تعال يا عجب، فانه من أزمانك. و تأويل «يا حَسْرَتَنا» انتبهوا على أنا قد خسرنا. و قوله «عَلى ما فَرَّطْنا فِيها» يعنى قدمنا العجز. و قيل معناه ما ضيعنا فيها يعنى فى الساعة. و انما يحسروا على تفريطهم فى الايمان و التأهب لكونها بالأعمال الصالحة.

و قوله «وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ» يعنى ثقل ذنوبهم، و هذا مثل جائز ان يكون جعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل ما يتحمل، لان الثقل قد

يستعمل فى الوزن و قد يستعمل فى الحال تقول فى الحال: قد ثقل على خطاب فلان، و معناه كرهت خطابه كراهة اشتدت على. و يحتمل أن يكون المراد بالأوزار العقوبات التى استحقوها بالذنوب و العقوبات قد تسمى اوزاراً، فبين أنه لثقلها عليهم يحملونها على ظهورهم. و ذلک يدل على عظمها. و (الوزر) الثقل فى اللغة و اشتقاقه من الوزر، و هو الجبل الذى يعتصم به. و منه قيل: وزير،

_____

(2) قائله: يزيد بن ضبة الثقفى. اللسان (بغت) و مجاز القرآن 1: 193
(3) سورة 36 يس آية 30
(4) سورة 39 الزمر آية 56
(5) سورة 11 هود آية 72
(6) سورة 36 يس آية 52

كأنه يعتصم الملک به، و منه قوله «وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هارُونَ أَخِي» «3» و قال «وَ جَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً» «4». و قوله «أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ» يعنى بئس الشىء شيئا يزرونه أى يحملونه، و قد بينا عمل (بئس، و نعم) فيما مضى. و مثله «ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ» «5» و معناه ساء مثلا مثل القوم. و قال بعضهم: معنى «يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلى ظُهُورِهِمْ» وصف افتضاحهم فى الموقف بما يشاهدونه من حالهم و عجزهم عن عبور الصراط كما يعبره المخفون من المؤمنين. و معنى قوله «أَلا ساءَ» ما ينالهم جزاء لذنوبهم و أعمالهم الردية إذ كان ذلک عذابا و نكالا.
و قوله «يزرون» من وزر يزر وزراً إذا أثم. و قيل أيضا: وزر، فهو موزور إذا فعل به ذلک. و منه الحديث فى النساء يتبعن جنازة قتيل لهن (أرجعن موزورات غير مأجورات) و العامة تقول مأزورات.

وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (32)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر «و لدار الآخرة» بلام واحدة مع تخفيف الدال. و خفض (الآخرة) على الاضافة. الباقون بلامين و تشديد الدال و ضم الآخرة. و قرأ اهل المدينة و ابن عامر و حفص و يعقوب «تعقلون» بالتاء هاهنا و فى (الاعراف و يوسف) وافقهم يحيى و العليمى فى (يوسف). و من قرأ بلامين و شدد الدال جعل (الآخرة) صفة ل (و للدار)، و أجراها فى الاعراب مجراها. و استدل على كونها صفة (للدار) بقوله: «وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى» «6» فاقامتها مقامها يدل على أنها هى و ليس غيرها. فيجوز أن يضيف اليها، و قووا ذلک

---

(3) سورة 20 طه آية 29- 30

(4) سورة 25 الفرقان آية 35

(5) سورة 7 الاعراف آية 176

(6) سورة 93 الضحى آية 4 [.....]

بقوله «وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ» «2» و قوله «تِلْکَ الدَّارُ الْآخِرَةُ» «3» و من قرأ بلام واحدة و خفف الدال فانه لم يجعل «الآخرة» صفة (للدار) لان الشىء لا يضاف الى نفسه لكنه جعلها صفة للساعة، و كأنه قال:

و لدار الساعة الآخرة، و جاز وصف الساعة ب (الآخرة) كما وصف اليوم بالآخر فى قوله: «و ارجوا اليوم الآخر» «4» و حسن اضافة (الدار) الى الآخرة و لم يقبح من حيث استقبح اقامة الصفة مقام الموصوف، لان الآخرة صارت كالابطح و الأبرق، ألا ترى أنه قد جاء «وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى» «5» و استعملت استعمال الأسماء و لم تكن مثل الصفات التى لم تستعمل استعمال الآخرة. و مثل (الآخرة) فى انها استعملت استعمال الأسماء قولهم: الدنيا، لما استعملت استعمال الأسماء حسن أن لا تلحق لام التعريف فى نحو قول الشاعر:

فى سعى دنيا طال ما قد مدَّت و قال الفراء: جعلت (الدار) ها هنا اسما و (الآخرة) صفتها، و أضيفت فى غير هذا الموضع. و مثله مما يضاف الى مثله قوله: «حق اليقين» «6» و الحق هو اليقين، و مثله قولهم بارحة الاولى، و يوم الخميس، فيضاف الشىء الى نفسه إذا اختلف اللفظ، و إذا اتفق لم

يجز ذلک، لا يقولون حق الحق و لا يقين اليقين، لأنهم يتوهمون إذا اختلفا فى اللفظ أنهما مختلفان فى المعنى.
بين اللَّه تعالى فى هذه الآية أن ما يتمتع به فى الدنيا بمنزلة اللعب و اللهو، اللذين لا عاقبة لهما فى المنفعة و يقتضى زوالهما عن أهلها فى أدنى مدة و أسرع زمان، لأنه لاثبات لهما و لا بقاء، فأما الاعمال الصالحات، فهى من أعمال الآخرة و ليست بلهو و لا لعب. و بين ان الدار الآخرة و ما فيها من أنواع النعيم و الجنان خير للذين يتقون معاصى اللَّه، لأنها باقية دائمة لا يزول عنهم نعيمها

_____

(2) سورة 29 العنكبوت آية 64، 36
(3) سورة 28 القصص آية 83
(4) سورة 29 العنكبوت آية 64، 36
(5) سورة 93 الضحى آية 4
(6) سورة 56 الواقعة آية 5

و لا يذهب عنهم سرورها.
و قوله «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» أن ذلک كما وصفت لهم فيزهدوا فى شهوات الدنيا و يرغبوا فى نعيم الآخرة بفعل ما يؤديهم اليه من الاعمال الصالحة.
و من قرأ (يعقلون) بالياء، فلأنه قد تقدم ذكر الغيبة فى قوله «لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» و التقدير أفلا يعقل الذين يتقون ان الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار فيعملوا بما ينالون به من النعيم الدائم. و من قرأ بالتاء قصد خطاب جميع الخلق المواجهين به.
و العقل هو الإمساک عن القبيح و قصر النفس و حبسها على الحسن و الحجا أيضا احتباس و تمكث، قال الشاعر:
فهن يعكفن به إذا حجا «1»
و انشد الاصمعى
حيث يحجا مطرق بالفالق «2»
حجا أقام بالمكاره، و الحجا مصدر كالشبع، و منه الحجيا اللغز للتمكث الذى يلقى عليه حتى يستخرجها. قال ابو زيد: جمع حجى حجيات، فجاءت الحجيا مصغرة كالثريا و الجديا، و النهى يحتمل أن يكون جمعا بدلالة قوله «لِأُولِى النُّهى» «3» لأنه اضافه الى الجمع. و يجوز ان يكون مفردا فى موضع الجمع، و هو فى معنى ثبات، و حسن. و منه النهى، و النهى و التنهية للمكان الذى ينتهى اليه الماء فينتقع فيه لتسفله و يمنعه ارتفاع ما حوله من أن يسيح فيذهب على وجه الأرض.

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُکَ الَّذِی یَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا یُکَذِّبُونَکَ وَ لکِنَّ الظَّالِمِینَ بِآیاتِ اللَّهِ یَجْحَدُونَ (33)

---

(1) قائله العجاج. اللسان (حجا) و عجزه (عکف النبیط یلعبون الفنزجا)
(2) قائله عمار بن أیمن الریانی. اللسان (حجا).
(3) سورة 20 طه آیة 54، 128.

آیة بلا خلاف.
قرأ نافع و الکسائی و الأعشی الا النفار «لا یکذبوک» بسکون الکاف و تخفیف الدال، و هو المروی عن علی (ع) و عن أبی عبد اللَّه (ع).
الباقون بفتح الکاف و تشدید الذال من التکذیب. و قرأ نافع «انه لیحزنک» بضم الیاء و کسر الزای. الباقون بفتحها و ضم الزای. قال ابو علی الفارسی (فعل، و فعلته) جاء فی حروف، و الاستعمال فی (حزنته) أکثر من (أحزنته) فالی کثرة الاستعمال ذهب عامة القراء. و قال تعالی «إِنِّی لَیَحْزُنُنِی أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ» «1» و یقال حزن یحزن حزنا و حزنا، قال تعالی «وَ لا تَحْزَنْ عَلَیْهِمْ» «2» ثم قال: «وَ لا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ» «3» قال سیبویه: قالوا (حزن الرجل، و حزنته) قال و زعم الخلیل: أنک حیث قلت (حزنته) لم ترد ان تقول جعلته حزینا کما أنک حیث قلت أدخلته أردت جعلته داخلا، و لکنک أردت ان تقول جعلت فیه حزنا کما قلت کحلته أی جعلت فیه کحلا، و دهنته جعلت فیه دهنا، و لم یرد ب (فعلته) هذا تعدیة قوله حزن، و لو أردت ذلک لقلت احزنته و مثل ذلک ستر الرجل و سترت علیه، فإذا أردت تغییر ستر الرجل قلت أسترت کما تقول فزع و أفزعته.
و حجة نافع أنه أراد تغییر (حزن) فنقله بالهمزة. و قال الخلیل: إذا أردت تغییر (حزن) قلت (أحزنته) فدل ذلک علی أن (أحزن) مستعمل و ان کان (حزَّنته) اکثر. و حکی أبو زید: أحزننی الامر إحزانا، و هو یحزننی، ضموا الیاء. و قال سیبویه: قال بعض العرب: أفنیت الرجل و أحزنته و ارجعته و اعورت عینه، أی جعلته حزینا و فانیا، فغیروا ذلک کما فعلوا بالباب الاول.

---

(1) سورة 12 یوسف آیة 13
(2) سورة 15 الحجر آیة 88 و النحل 16 آیة 127 و النمل 27 آیة 70
(3) سورة 2 البقرة آیة 38، 62، 112، 262، 274، و 5 المائدة آیة 72 و 6 الانعام آیة 48 و 7 الاعراف آیة 34 و 10 یونس آیة 62 و غیرها.

و قوله «قد نعلم انه» انما كسرت الهمزة، لان فى خبرها لا ما للتأكيد.
لما علم اللّه تعالى أن النبى (ص) يحزنه تكذيب الكفار له و جحدهم نبوته سلاه عن ذلک بأن قال «فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَکَ وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» و من قرأ بالتخفيف قال: معناه لا يلفونک كاذبا، كما يقولون: سألته فما أبخلته، و قاتلته فما أجبنته أى ما وجدته بخيلا و لا جبانا. و
قال أبو عبد اللّه (ع) معنى «لا يُكَذِّبُونَکَ» لا يأتون بحق يبطلون به حقک.
و قال الفراء: معنى التخفيف لا يجعلونک كذابا، و انما يريدون أن ما جئت به باطل، لأنهم لم يفتروا عليک كذبا، فيكذبوا لأنهم لم يعرفوه (ص) و انما قالوا: ان ما جئت به باطل لا نعرفه من النبوة، فأما التكذيب بأن يقال له كذبت، و قال بعض اهل اللغة: هذا المعنى لا يجوز، لأنه لا يجوز أن يصدقوه و يكذبوا ما جاء به، و هو ان اللّه ارسلنى إليكم و أنزل علىَّ هذا الكتاب و هو كلام ربى. و من قرأ بالتشديد احتمل وجوها:
أحدها- انهم لا يكذبونک بحجة يأتون بها أو برهان يدل على كذبک، لان النبى (ص) إذا كان صادقا فمحال أن يقوم على كذبه حجة، و لم يرد أنهم لا يكذبونه سفها و جهلا به.
و الثانى- أنه أراد فإنهم لا يكذبونک بل يكذبونى لان من كذب النبى (ص) فقد كذب اللّه، لان اللّه هو المصدق له كما يقول القائل لصاحبه:
فلان ليس يكذبک، و انما يكذبنى دونک، يريد ان تكذيبه إياک راجع الى تكذيبى، لانى أنا المخبر لک و انت حاک عنى.
و ثالثها- ان يكون أراد انهم لا ينسبونک الى الكذب لأنک كنت معروفا عندهم بالامانة و الصدق فانه (ص) كان يدعى فيهم الأمين قبل الوحى، و كان معروفا بينهم بذلک لكنهم لما أتيتهم بالآيات جحدوها بقصدهم التكذيب بآيات اللّه و جحدها لا لتكذيبک، قال أبو طالب:

و رابعها- ان تكون الآية مخصوصة بقوم معاندين كانوا عارفين بصدقه و لكنهم يجحدونه عنادا و تمردا. و قال الحسن: معناه «نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُکَ الَّذِى يَقُولُونَ» انک ساحر و انک مجنون فإنهم لا يكذبونک، لان معرفة اللّه فى قلوبهم بانه واحد «وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ».
و خامسها- قال الزجاج: لا يكذبونک، لا يقدرون أن يقولوا لک فيما انبأت به بما فى كتبهم كذبت. قال أبو على: يجوز ان يكون المعنى- فيمن ثقل- قلت له كذبت، مثل زنَّيته و فسَّقته إذا نسبته الى الزنا و الفسق. و (فعلت) جاء على وجوه نحو خطأته أى نسبته الى الخطأ، و سقيته و رعيته، أى قلت له سقاک اللّه و رعاک، و قد جاء فى هذا المعنى أفعلته، قالوا: أسقيته، أى قلت له سقاک اللّه، قال الشاعر:
و أسقيته حتى كاد مما أبثه تكلمنى أحجاره و ملاعبه «1»
فيجوز على هذا أن يكون معنى القراءتين واحدا، و ان اختلف اللفظان، كما

تقول: قللت و كثرت و أقللت و أكثرت بمعنى واحد حكاه سيبويه، و قال الكميت:
فطائفة قد اكفرونى بحبكم و طائفة قالوا مسيئ و مذنب «2»
و حكى الكسائى عن العرب أكذبت الرجل إذا أخبرت انه جاء بكذب، و كذبته إذا أخبرت انه كذاب بقوله كذبته إذا أخبرت انه جاء بكذب، كقولهم: اكفرته إذا نسبوه الى الكفر، و كذبته أخبرته أنه كذاب مثل فسقته إذا أخبرت انه فاسق.
و قوله «وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ» يعنى هؤلاء الكفار «بِآياتِ اللَّهِ» يعنى القرآن و المعجزات يجحدون ذلک بغير حجة، سفها و جهلا و عنادا.

---

(1) مقاييس اللغة 1: 172.
(2) قد مر هذا البيت فى 1: 116.

وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّى أَتاهُمْ نَصْرُنا وَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ وَ لَقَدْ جاءَکَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (34)
آية بلا خلاف.
صلى اللَّه تعالى بهذه الآية نبيه (ص) بان اخبر ان الكفار قد كذبوا رسلا من قبلک، و صبر الرسل على تكذيبهم و على ما نالهم من أذاهم، و تكذيب الكفار لهم، حتى إذا جاء نصر اللَّه إياهم على المكذبين، فمنهم من نصرهم عليهم بالحرب و مكنهم من الظفر بهم حتى قتلوهم، و منهم من نصرهم عليهم بان أهلكهم و استأصلهم كما أهلک عادا و ثمودا و قوم نوح و لوط، و غيرهم.
فأمر اللَّه نبيه (ص) بالصبر على كفار قومه و أذاهم الى ان يأتيه نصره كما صبرت الأنبياء. و قوله «لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ» معناه لا أحد يقدر على تكذيب خبر اللَّه على الحقيقة، و لا على إخلاف وعده فان ما أخبر اللَّه به ان يفعل بالكفار، فلا بد من كونه لا محالة، و ما وعدک به من نصره فلا بد من حصوله، لأنه لا يجوز الكذب فى اخباره، و لا الخلف فى وعده. و قيل:
معناه انه لا مبطل لحججه و براهينه و لا مفسد لادلته.
و قوله «وَ لَقَدْ جاءَکَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ» معناه انه لا تبديل لخبر اللَّه و لا خلف لذلک و لا تكذيب، و ان ما أخبر اللَّه به ان ينزله بالكفار فانه سيفعل بهم كما فعل بأمم من تقدم من الأنبياء الذين أنزل اللَّه عليهم العذاب و استأصلهم بتكذيبهم أنبياءهم و عرفک أخبارهم على صحتها.

وَ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْکَ إِعْراضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِیَ نَفَقاً فِی الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِی السَّماءِ فَتَأْتِیَهُمْ بِآیَةٍ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَی الْهُدی فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِینَ (35)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 123

آیة بلا خلاف خاطب اللّه تعالی بهذه الآیة نبیه (ص) فقال له «إِنْ کانَ کَبُرَ عَلَیْکَ» و عظم عندک «اعراضهم» أی اعراض هؤلاء الکفار عما أتیتهم به من القرآن و المعجزات و امتناعهم من اتباعک و التصدیق لک و کنت حزینا لذلک «فَإِنِ اسْتَطَعْتَ» و قدرت أو تهیأ لک ان تبتغی نفقا ان تتخذ فی جوف الأرض مسکنا و هو النفق «فی الأرض» إذا کان له منفذ «أَوْ سُلَّماً فِی السَّماءِ» أو ان تصعد الی السماء بسلم «فَتَأْتِیَهُمْ بِآیَةٍ» یعنی بآیة تلجئهم الی الایمان و تجمعهم علیه و علی ترک الکفر فافعل ذلک. و حذف فافعل لدلالة الکلام علیه، کما تقول: ان رأیت ان تقوم و معناه فقم، و ان أراد غیر ذلک لم یجز ان یسکت الا بعد ان یأتی بالجواب، لأنه ان أراد ان أردت ان تقوم تصب خیرا فلا بد من الجواب، و لم یرد بذلک آیة یؤمنون عندها مختارین، لأنه تعالی فعل بهم الآیات التی تزاح علتهم بها و یتمکنون معها من فعل الایمان لأنه لو علم تعالی أنه إذا فعل بهم آیة من الآیات یؤمنون عندها مختارین وجب ان یفعلها بهم. و بیّن انه فعل بهم جمیع ما لا ینافی التکلیف و هم لا یؤمنون کما قال «وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَیْهِمُ الْمَلائِکَةَ» «1» الآیة، و کما قال «وَ لَئِنْ أَتَیْتَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ بِکُلِّ آیَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَکَ» «2» و انما لم یفعل ما یلجئهم الی الایمان، لان ذلک ینافی التکلیف و یسقط استحقاق الثواب الذی هو الغرض بالتکلیف، و انما أراد اللّه تعالی ان یبین لنبیه (ص) انه لا یستطیع هذا و لا یقدر علیه، فلا ینبغی ان یلزم نفسه الغم و الجزع لکفرهم و اعراضهم عن الایمان و التصدیق به، و جعل ذلک عزاء لنبیه (ص) و تسلیة له ثم اخبر انه لو شاء ان یجمعهم علی الایمان علی وجه الإلجاء لکان علی ذلک قادرا لکنه ینافی ذلک الغرض بالتکلیف، و جری ذلک مجری قوله

---

(1) سورة 6 الانعام آیة 111 [.....]

(2) سورة 2 البقرة آیة 145

التبیان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 124

«إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَیْهِمْ مِنَ السَّماءِ آیَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِینَ» «3» فانه أراد بذلک الاخبار عن قدرته و انه لو شاء ألجأهم الی الایمان لکان علیه قادرا. و لا یدل ذلک علی أنه لم یشأ منهم الایمان علی وجه الاختیار منهم أو

لم يشأ ان يفعل ما يؤمنون عنده مختارين، لان اللّه تعالى قد شاء منهم الايمان على هذا الوجه و انما أفاد نفى المشيئة لما يلجئهم الى الايمان، لأنه متى ألجأهم اليه لم يكن ذلک ايمانا يستحق عليه الثواب، و الغرض بالآية ان يبين تعالى ان الكفار لم يغلبوا اللّه بكفرهم و لا قهروه بخلافه و انه لو أراد أن يحول بينهم و بينه لفعل، لكنه يريد ان يكون ايمانهم على وجه يستحقون به الثواب، و لا ينافى التكليف.
و قوله «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ» انما هو نهى محض عن الجهل و لا يدل ذلک على ان الجهل كان جائزا منه (ص) بل يفيد كونه قادرا عليه، لأنه تعالى لا يأمر و لا ينهى الا بما يقدر المكلف عليه، و مثله قوله «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ» «4» و ان كان الشرک لا يجوز عليه لكن لما كان قادرا عليه جاز أن ينهاه عنه. و المراد ها هنا فلا تجزع و لا تحزن لكفرهم و اعراضهم عن الايمان، و انهم لم يجمعوا على التصديق بک فتكون فى ذلک بمنزلة الجاهلين الذين لا يصبرون على المصائب، و يأثمون لشدة الجزع.
و النفق: الطريق النافذ فى الأرض و النافقاء ممدودا و جر حجر اليربوع يحفره من باطن الأرض الى جلدة الأرض فإذا بلغ الجلدة أرقها فإذا رابه ريب وقع برأسه هذا المكان و خرج منه، و منه سمى المنافق منافقا لأنه أبطن غير ما أظهر، و السلّم مشتق من السلامة لأنه يسلمک الى مصعدک.

إِنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَ الْمَوْتى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (36)
أية بلا خلاف.

---

(3) سورة الشعراء آية 4
(4) سورة 39 الزمر آية 65

الوقف عند قوله «الَّذِينَ يَسْمَعُونَ» و معنى الآية انما يستجيب الى الايمان باللّه و ما أنزل اليک من يسمع كلامک و يصغى اليک، و الى ما تقرأ عليه من القرآن و ما تبين له من الحجج و الآيات و يفكر فى ذلک لأنه لا يتبين الحق من الباطل الا لمن تفكر فيه و استدل عليه بما يستمع أو يعرف من الآيات و الادلة على صحته، و جعل من لم يتفكر و لم ينتفع بالآيات بمنزلة من لم يستمع كما قال الشاعر:
لقد أسمعت لو ناديت حيا و لكن لا حياة لمن تنادى «1»
و كما جعله الشاعر بمنزلة الأصم فى قوله:
أصم عما ساءه سميع «2»
و قوله «وَ الْمَوْتى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ» معناه ان الذين لا يصغون اليک من هؤلاء الكفار و لا يسمعون كلامک ان كلمتهم، و لا يسمعون ما تقرأه عليهم و تبينه لهم من حجج اللّه و آياته، و ينفرون عنه إذا كلمتهم بمنزلة الموتى، فكما ان الموتى لا يستجيبون لمن يدعوهم الى الحق و الايمان، فكذلک هؤلاء الكفار لا يستجيبون لک إذا دعوتهم الى الايمان، فكما آيست ان يسمع الموتى كلامک الى ان يبعثهم اللّه و الى ان يرجعوا اليه، فكذلک فآيس من هؤلاء أن يسمعوا كلامک و أن يستجيبوا لک. و بين أن الموتى إذا بعثهم اللّه بمعنى أحياهم انهم يرجعون بعد الحشر و البعث الى الموضع الذى لا يملک الحكم فيه عليهم غير اللّه تعالى، و لا يملک محاسبتهم و ضرهم و نفعهم غيره، فجعل رجوعهم الى ذلک الموضع رجوعا الى اللّه و ذلک مستعمل فى اللغة.
و قال مجاهد: «إِنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ» يعنى المؤمنين يسمعون الذكر «وَ الْمَوْتى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ» يعنى المشركين الصم يبعثهم اللّه فيحييهم من شركهم حتى يؤمنوا «ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» يوم القيامة.

---

(1) مر هذا البيت فى 1: 64 و هو مشهور.
(2) انظر 2: 80.

وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قادِرٌ عَلى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (37)

قرأ ابن كثير «ينزل» بالتخفيف. الباقون بالتشديد.

و معنى «و قالوا» اخبار عما قاله الكفار من انهم قالوا «لولا» و معناه: هلا «أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ» يعنى الآية التى سألوها و اقترحوا أن يأتيهم بها من جنس ما شاءوا لما قالوا «فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ» «1» يعنون فلق البحر و احياء الموتى. و انما قالوا ذلك حين أيقنوا بالعجز عن معارضته فيما أتى به من القرآن، فاستراحوا الى أن يلتمسوا مثل آيات الأولين، فقال اللّه تعالى «أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ» «2» و قال ها هنا قل يا محمد «إِنَّ اللَّهَ قادِرٌ عَلى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» ما فى إنزالها من وجوب الاستئصال لهم إذا لم يؤمنوا عند نزولها. و ما فى الاقتصار بهم على ما أوتوا من المصلحة لهم. و بين فى آية أخرى انه لو أنزل عليهم ما أنزل لم يؤمنوا، و هو قوله «وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ» الى قوله: «ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» «3» ان يكرههم. و قال «وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ» «4» يعنى الآيات التى اقترحوها انما لم نأتهم بها، لأنا لو أتيناهم بها و لم يؤمنوا وجب استئصالهم، كما وجب استئصال من تقدمهم ممن كذب بآيات اللّه. و قال فى سورة العنكبوت «وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ» «5» الآية. فبين أن الآيات لا يقدر عليها الا اللّه، و قد أتاهم بما فيه

---

(1) سورة 21 الأنبياء آية 5
(2) سورة 29 العنكبوت آية 51
(3) سورة 6 الانعام آية 111
(4) سورة 17 الإسراء آية 59
(5) سورة 29 العنكبوت آية 50- 51

كفاية و إزاحة لعلتهم و هو القرآن، و غيره مما شاهدوه من المعجزات و الآيات، و لا يلزم اظهار المعجزات بحسب اقتراح المقترحين، لأنه لو لزم ذلك لوجب إظهارها فى كل حال و لكل مكلف و ذلك فاسد.

و قد طعن قوم من الملحدين، فقالوا: لو كان محمد قد أتى بآية لما قالوا له «لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ» و لما قال «إِنَّ اللَّهَ قادِرٌ عَلى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً».

قيل: قد بينا أنهم التمسوا آية مخصوصة و تلك لم يؤتوها و ان كان اللّه

تعالى قادرا عليها، و انما لم يؤتوها لان المصلحة منعت من انزالها، و انما اتى بالآيات الاخر التى دلت على نبوته من القرآن و غيره على ما اقتضته المصلحة، و لذلک قال فيما تلوناه «أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْکَ الْكِتابَ» فبين ان فى انزال الكتاب كفاية و دلالة على صدقه و انه لا يحتاج معه الى أمر آخر فسقط ما قالوه.

وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ ثُمَّ إِلی رَبِّهِمْ یُحْشَرُونَ (38)
آیة بلا خلاف.
الوقف عند قوله «أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ» وقف تام.
ابتدأ اللَّه تعالی بهذه الآیة فأخبر بشأن سائر الخلق. و بازاحة علة عباده المکلفین فی البیان لیعجب عباده فی الآیة التی بینها من الکفار و ذهابهم عن اللَّه تعالی فقال: «وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ» فجمع جمیع الخلق بهذین اللفظین، لأن جمیع الحیوان لا یخلو من أن یکون مما یطیر بجناحیه أو یدب «إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ» أی هم أجناس و اصناف کل صنف یشتمل علی العدد الکثیر و الأنواع المختلفة و ان اللَّه خالقها و رازقها، و انه یعدل علیها فیما یفعله، کما خلقکم و رزقکم و عدل علیکم، و ان جمیعها دالة و شاهدة علی مدبرها و خالقها و أنتم بعد ذلک تموتون و الی ربکم تحشرون. فبین بهذه العبارة أنه لا ینبغی التبیان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 128
لهم ان یتعدوا فی ظلم شیء منها، فان اللَّه خالقها و هو الناهی عن ظلمها و المنتصف لها.
و فی قوله: «یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ» أقوال: أحدها- ان قوله بجناحیه تأکید کما یقولون: رأیت بعینی، و سمعت باذنی، و ربما قالوا: رأت عینی و سمعت اذنی، کل ذلک تأکید. و قال الفراء: معنی ذلک انه أراد ما یطیر بجناحیه دون ما یطیر بغیر جناحین، لأنهم یقولون قد مر الفرس یطیر طیرا و سارت السفینة تطیر طیرا، فلو لم یقل (بجناحیه) لم یعلم انه قصد الی جنس ما یطیر بجناحیه دون سائر ما یطیر بغیر جناحین. و قال قوم: انما قال «بجناحیه» لان السمک عند اهل الطبع طائر فی الماء، و لا أجنحة لها، و انما خرج السمک عن الطائر، لأنه من دواب البحر، و انما أراد ما فی الأرض و ما فی الجو، و لا حیوان موجود غیرهما. و قال قوم: انما قال ذلک لیدل علی الفرق بین طیران الطیور بأجنحتها و بین الطیران بالاسراع تقول: طرت فی جناحین، إذا أسرعت، قال الشاعر:
فلو أنها تجری علی الأرض أدرکت و لکنها تهفو بتمثال طائر
و انشد سیبویه:
فطرت بمنصلی فی یعملات دوام الأید یحبطن السریحا «1»
و قال المغربی: أراد ان یفرق بین الطائر الذی هو الفائز الفالج فی القسم، و قال مزاحم العقیلی:
و طیر بمخراق أشم کأنه سلیل جیاد لم تنله الزعانف «2»

أى فوزى و اغنمى. و قوله: «ما فَرَّطْنا فِى الْكِتابِ مِنْ شَىْءٍ» قيل «ما فَرَّطْنا» معناه ما تركنا. و قيل: ما قصرنا. و فى الكتاب قولان:
أحدهما- انه أراد الكتاب المحفوظ عنده من أجال الحيوان و أرزاقه و آثاره ليعلم ابن آدم ان عمله اولى بالإحصاء و الاستقصاء، ذكره الحسن.
الثانى- ما فرطنا فى القرآن من شىء يحتاج اليه فى أمور الدين و الدنيا

(1، 2) اللسان (طير).

الا و قد بيناه اما مجملا أو مفصلا، فما هو صريح يفيد لفظا، و ما هو مجمل بيَّنه على لسان نبيه و أمر باتباعه فى قوله «وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» «1» و دل بالقرآن على صدق نبوته و وجوب أتباعه، فإذاً لا يبقى أمر من امور الدين و الدنيا الا و هو فى القرآن- و هذا الوجه اختاره الجبائى- و قال البلخى: «ما فَرَّطْنا فِى الْكِتابِ مِنْ شَىْءٍ» أى لم ندع الاحتجاج بما يوضح الحق و يدعو الى الطاعة و المعرفة و يزجر عن الجهل و المعصية، و تصريف الأمثال و ذكر أحوال الملائكة و بنى آدم و سائر الخلق من أصناف الحيوان. و كل جنس من الحيوان أمة، لان الامة الجماعة و يقال للصبيان: أمة و ان لم يجب عليهم التكليف.
و قوله تعالى: «ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» معناه يحشرون الى اللَّه بعد موتهم يوم القيامة كما يحشر العباد، فيعوض اللَّه تعالى ما يستحق العوض و ينتصف لبعضها من بعض، فإذا عوضهما، قال قوم: انها تصير ترابا فحينئذ يتمنى الكافر فيقولا لَيْتَنِى كُنْتُ تُراباً»
«2» و قال قوم: يديم اللَّه أعواضها و يخلقها على أحسن ما يكون من الصور فيسر بها المثابون و يكون ذلک من جملة ما ينعمون به، ذكره البلخى. و قال قوم: «يُحْشَرُونَ» معناه يموتون و يفنون و هذا بعيد، لان الحشر فى اللغة هو بعث من مكان الى غيره، و هاهنا لا معنى للحشر الذى هو الفناء و انما معناه انهم يصيرون الى ربهم و يبعثون اليه.
و استدل قوم من التناسخية بهذه الآية على ان البهائم و الطيور مكلفة، لأنه قال «أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ» و هذا باطل، لأنا قد بينا من أى وجه قال: انها «أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ» و لو وجب حملها على العموم لوجب ان تكون أمثالنا فى كونها ناسا و فى مثل صورنا و أخلاقنا، فمتى قالوا لم يقل أمثالنا فى كل شىء، قلنا: و كذلک الامتحان و التكليف، على انهم مقرون بان الأطفال غير مكلفين و لا ممتحنين، فما يحملون به امتحان الصبيان بعينه نحمل بمثله امتحان البهائم، و كيف يصح

---

(1) سورة 59 الحشر آية 7
(2) سورة 78 النبأ آية 40

تكليف البهائم و الطيور و هى غير عاقلة. و التكليف لا يصح الا لعاقل، على ان الصبيان أعقل من البهائم و مع هذا فليسوا مكلفين، فكيف يصح تكليف البهائم؟! و اما قوله: «وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ» «1» فانه مخصوص بالمكلفين العقلاء من البشر و الجن، و الملائكة بدلالة أن الأطفال أمم و ليس فيها نذيره و استدل ابو القاسم البلخى بهذه الآية على ان العوض دائم بان قال:
بيَّن اللَّه تعالى انه يحشر الحيوان كلها و يعوضها، فلو كان العوض منقطعا لكان إذا أماتها استحقت اعواضا أخر على الموت و ذلک يتسلسل، فدل على انه دائم و هذا ليس بشىء، لأنه يجوز ان يميت اللَّه الحيوان على وجه لا يدخل عليهم الألم، فلا يستحقون عوضا ثانيا، فالاولى ان يقول: ان دام دام تفضلا منه تعالى.
و قوله «وَ لا طائِرٍ» فانه جرَّ، عطف على دابة و تقديره و لا من طائر، و كان يجوز ان يقرأ بالرفع حملا على المعنى، كما تقول: ما جاءنى من رجل و لا امرأة، و تقديره ما جاءنى رجل و لا امرأة و مثله قوله «وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَكْبَرَ» «2» فى موضع بالنصب و فى موضع آخر بالرفع على ما قلناه.

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا صُمٌّ وَ بُكْمٌ فِى الظُّلُماتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَ مَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (39)

آية بلا خلاف.

الوقف التام عند قوله «فِى الظُّلُماتِ». و قوله «صُمٌّ وَ بُكْمٌ فِى الظُّلُماتِ» يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يراد ان هؤلاء الكفار الذين كذبوا بآيات اللَّه صم و بكم فى الظلمات فى الآخرة على الحقيقة عقوبة لهم على كفرهم، لأنه ذكرهم عند ذكر الحشر.

---

(1) سورة 35 فاطر آية 24 [.....]

(2) سورة 10 يونس آية 61 و سورة 34 سبأ آية 3

و الثانى- ان يكون عنى انهم صم و بكم فى الظلمات فى الدنيا. فمتى أريد الاول كان ذلک حقيقة، لأنه تعالى لا يمتنع ان يجعلهم صما بكما فى الظلمات، يضلهم بذلک عن الجنة و عن الصراط الذى يسلكه المؤمنون اليها و يصيرهم الى النار. و ان أريد به الوجه الثانى، فانه يكون مجازا و توسعا.

و انما شبههم بالصم و البكم الذين فى الظلمات، لان المكذبين بآيات اللَّه لا يهتدون الى شىء مما ناله المؤمنون من منافع الدين و لا يصلون الى ذلک، كما أن الصم البكم الذين فى الظلمات لا يهتدون الى شىء من منافع الدنيا و لا يصلون اليها، فتشبيههم من هذا الوجه بالصم البكم.

و قال البلخى «صُمٌّ وَ بُكْمٌ فِى الظُّلُماتِ» معناه فى الجهل و الشرک و الكفر و قوله «مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَ مَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» لا يجوز ان يكون على عمومه، لأنا قد علمنا ان اللَّه تعالى لا يشاء ان يضل الأنبياء و المؤمنين و لا يهدى الكافرين، لكن قد بين تعالى فى موضع آخر من الذى يشاء ان يضله، فقال «وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ» «1» و قال «وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ» «2» و قال «وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً» «3» و قال:

«يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ» «4» و قال «وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا» «5».

و قوله «مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ» ها هنا يحتمل أمرين:

أحدهما- «مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ» أى من يشأ يخذله بأن يمنعه ألطافه و فوائده، و ذلک إذا واتر عليه الادلة و أوضح له البراهين فأعرض عنها و لم يمعن النظر فيها، فصار كالأصم الأعمى، فحينئذ يشاء أن يضله بان يخذله.

و الثانى- من يشأ اللّه إضلاله عن طريق الجنة، و نيل ثوابها يضلله على

---

(1) سورة 2 البقرة آية 26
(2) سورة 14 ابراهيم آية 27
(3) سورة 47 محمد آية 17
(4) سورة 5 المائدة آية 18
(5) سورة 29 العنكبوت آية 69.

وجه العقوبة «وَ مَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» و معناه من يشأ ان يرحمه و يهديه الى الجنة و نيل الثواب يجعله على الصراط الذى يسلكه المؤمنون الى الجنة، و يعدل الكافرين عنه الى النار و لا يلحق الإضلال الا الكفار و الفساق المستحقين للعقاب و كذلک لا يفعل الثواب و الخلود فى الجنة الا بالمؤمنين، لأنه ثواب لا يستحقه سواهم.

قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَ غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (40) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ وَ تَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ (41)

آيتان بلا خلاف قرأ الكسائى وحده «أريتكم» و ما جاء منه إذا كان استفهاما بحذف الهمزة التى بعد الراء. و الباقون بإثباتها، و تخفيفها الا أهل المدينة، فإنهم جعلوها بين بين، فان كان غير استفهام اتفقوا على اثبات الهمزة و تخفيفها الا ما رواه و رش فى تحقيقها فى ستة مواضع ذكرت فى باب الهمزة فى القراءات.

من حقق الهمزة، فلانه (فعلت) من الرؤية، فالهمزة عين الفعل، و من خفف فانه جعلها بين بين، و هذا التخفيف على قياس التحقيق، و من حذف الهمزة فعلى غير مذهب التخفيف، لان التخفيف القياس فيها أن تجعل بين بين، كما فعل نافع، و هذا حذف، كما قالوا، و يلمه، و كما أنشد احمد بن يحيى:

ان لم أقاتل فالبسونى برقعا

و قال ابو الأسود:

يا با المغيرة رب أمر معضل

و ذكر أن عيسى كذلك كان يقرأها و يقوى ذلك قول الراجز:

أريت ان جاءت به أملودا مرجَّلا و يلبس البرودا

و قال الفراء: العرب لها فى (أ رأيت) لغتان: التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 133

أحدهما- ان يسأل الرجل الرجل أ رأيت زيدا بعينك؟ فهذه مهموزة، فإذا أوقعتها على الرجل منه قلت: أ رأيتك على غير هذه الحال تريد هل رأيت نفسك على غير هذه الحال ثم يثنى و يجمع، فتقول للرجلين أ رأيتما كما، و للقوم أ رأيتموكم، و للنسوة أ رأيتنكن، و للمرأة أ رأيتك بخفض التاء و لا يجوز إلا ذلك.

و الآخر- ان تقول أ رأيتك. و انت تريد اخبرنى، فتهمزها و تنصب التاء منها و تترك الهمز ان شئت، و هو اكثر كلام العرب، و تترك التاء مفتوحة للواحد، و الجمع مؤنثه و مذكره، تقول للمرأة: أ رأيتك زيدا، و للنساء أ رأيتكن زيدا ما فعل. و انما تركت العرب التاء واحدة لأنهم لم يريدوا أن يكون الفعل منها واقعا على نفسها، فاكتفوا بذكرها فى الكاف و وجهوا التاء الى المذكر و التوحيد، إذا لم يكن الفعل واقعا على نفسها.

و اختلفوا فى هذه الكاف، فقال الفراء: موضعها نصب و تأويلها رفع، مثل قولك: دونك زيدا، فموضع الكاف خفض، و معناه الرفع، لان المعنى خذ زيدا. قال الزجاج: هذا خطأ و لم يقله أحد قبله، قال: لان قولك أ رأيتك زيدا

ما شأنه يصير أ رأيت قد تعدت الى الكاف و الى زيد، فنصب أ رأيت اسمين فيصير المعنى: أ رأيت نفسک زيدا ما حاله. و هذا محال. قال و الصحيح الذى عليه النحويون ان الكاف لا موضع لها و المعنى أ رأيت زيدا ما حاله، و الكاف زيادة فى بيان الخطاب، و هو المعتمد عليه فى الخطاب و لذلک تكون التاء مفتوحة فى خطاب المذكر و المؤنث و الواحد و الجمع. فنقول للرجل أ رأيتک زيدا ما حاله بفتح التاء و الكاف و للمرأة أ رأيتک بفتح التاء و كسر الكاف، لأنها صارت آخر ما فى الكلمة، و للاثنين أ رأيتكما، و للجمع أ رأيتكم، فتوحد التاء، فكما وجب ان توحدها فى التثنية و الجمع، كذلک وجب ان تذكرها مع المؤنث، فان عديت الفاعل الى المفعول فى هذا الباب صارت الكاف مفعوله تقول: رأيتنى عالما بفلان، فإذا سألت على هذا الشرط قلت للرجل: أريتک عالما؟ و للاثنين أرأيتما كما التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 134
و للجمع أ رأيتموكم، لان هذا فى تأويل أرأيتم أنفسكم، و للمرأة أ رأيتک، و للثنتين أ رأيتما كما، و للجماعة أ رأيتكن، فعلى هذا قياس هذين البابين.
قال ابو على الفارسى: لا يخلو ان يكون الكاف للخطاب مجردا، و معنى الاسم مخلوعا منه أو يكون دالا على الاسم مع دلالته على الخطاب، و الدليل على انه للخطاب مجردا من علامة الاسم أنه لو كان اسما وجب ان يكون الاسم الذى بعده فى نحو قوله «أَ رَأَيْتَکَ هذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ» «1» و قولهم: أريتک زيدا ما صنع هو الكاف فى المعنى، ألا ترى ان (رأيت) يتعدى الى مفعولين يكون الاول منهما هو الثانى فى المعنى و إذا لم يكن المفعول الذى بعده هو الكاف فى المعنى، و إنما هو غيره وجب ان يدل ذلک على أنه ليس باسم، و إذ لم يكن اسما كان حرفا للخطاب مجردا من معنى الاسمية، كما أن الكاف فى (ذلک و هنا لک) للخطاب و مثله التاء فى (أنت) لأنه للخطاب معرى من معنى الاسم فإذا ثبت انه للخطاب معرى من معنى الأسماء ثبت ان التاء لا يجوز أن تكون بمعنى الخطاب ألا ترى أنه لا ينبغى ان يلحق الكلمة علامتان للخطاب، كما لا يلحقها علامتان للتأنيث، و لا علامتان للاستفهام، فلما لم يجز ذلک أفردت التاء فى جميع الأحوال لما كان الفعل لا بد له من فاعل و جعل فى جميع الأحوال على لفظ واحد، لان ما يلحق الكاف من معنى الخطاب يبين الفاعلين، لتخصيص التأنيث من التذكير و التثنية من الجمع، فلو لحق علامة التأنيث و الجمع التاء لاجتمع علامتان للخطاب بما كان يلحق التاء و ما يلحق الكاف و ذلک يؤدى الى ما لا نظير له فرفض لذلک.
أمر اللّه تعالى نبيه (ص) بهذه الآية ان يقول لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الأصنام «أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ» كما اتى الكافرين من قبلكم كعاد و ثمود، و غيرهم «أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ» و هى القيامة. قال الزجاج: الساعة اسم للوقت الذى يصعق فيه العباد و اسم للوقت الذى تبعث فيه، و المعنى أ

رأيتكم

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 62.

الساعة التى وعدتم فيها بالبعث و الفناء، لان قبل البعث يموت الخلق كلهم، أ تدعون فيها- لكشف ذلک عنكم- هذه الأوثان التى تعلمون أنها لا تقدر أن تنفع أنفسها و لا غيرها؟! أو تدعون لكشف ذلک عنكم اللّه تعالى الذى هو خالقكم و مالككم و من يملک ضركم و نفعكم؟ و دلهم بذلک على انه لا ينبغى لهم ان يعبدوا ما لا يملک لهم نفعا و لا يقدر أن يدفع عنهم ضرا و ان يعبدوا اللّه وحده الذى هو خالقهم و مالكهم و القادر على نفعهم و ضرهم.

و قوله «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» يعنى فى ان هذه الأوثان آلهة لكم، فبين اللّه لهم بذلک انها ليست آلهة و انهم فى هذا القول غير صادقين.

و قوله «بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ» معنى (بل) استدراک و إيجاب بعد نفى تقول ما جاءنى زيد بل عمرو. و أعلمهم اللّه تعالى انهم لا يدعون فى حال الشدائد الا إياه، لأنه إذا لحقهم الشدائد و الأهوال فى البحار و البرارى القفار، التجئوا فيه اليه و تضرعوا لديه، كما قال «وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ» «1» و فى ذلک أعظم الحجج عليهم، لأنهم عبدوا الأصنام.

و قوله «فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ» معناه يكشف الضر الذى من اجله دعوتم، و هو مجاز كقوله «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» و معناه و اسأل اهل القرية.

و قوله «وَ تَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ» معنى تنسون يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يكون بمعنى ما تشركون باللّه.

الثانى- أنكم فى تركككم دعاءهم بمنزلة من نسيهم، و هذا الذى أحتج اللّه به على الكفار دلالة على صحة الاحتجاج فى الدين على كل من خالف الحق، لأنه لو كان الاحتجاج لا يجوز و لا يفضى الى الحق لما احتج به على عباده فى كتابه. و انما قال: «ان شاء» لأنه ليس كلما يدعون لكشفه يكشفه عنهم بل يكشف ما شاء من ذلک مما تقتضيه المصلحة و صواب التدبر، و توجبه الحكمة.

---

(1) سورة 10 يونس آية 22.

و الاستثناء راجع الى العذاب دون الساعة، لأنها لا تكشف و لا محيص عنها.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْ لا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا وَ لكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (43)

آيتان اعلم اللَّه تعالى نبيه (ص) بهذه الآية انه قد أرسل الرسل قبله الى أقوام بلغوا من القسوة الى ان أخذوا بالشدة فى أنفسهم و أموالهم ليخضعوا و يذلوا لأمر اللَّه لان القلوب تخشع و النفوس تضرع عند ما يكون من أمر اللَّه البأساء و الضراء. و قال قوم: البأساء الجوع، و الضراء النقص فى الأموال و الأنفس.

و البأساء: من البأس و الخوف و الضراء من الضر، و قد يكون البأساء من البؤس، فأعلمه اللَّه انه أرسل الى أمم و أخذها بالبأساء و الضراء، فلم تخشع و لم تضرع. و قال: «لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ» و معناه لكى يتضرعوا. و قيل: معناها الترجي للعباد، كما قال: «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى» «1». قال سيبويه: المعنى اذهبا أنتما على رجائكما، و اللَّه عالم بما يكون من وراء ذلك.

و قوله «فَلَوْ لا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا» معناه هلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا «وَ لكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ» أى أقاموا على كفرهم. قال الفراء كلما رأيت فى الكلام (لولا) و لم تر بعدها أسماء، فهى بمعنى (هلا)، كقوله: «لَوْ لا أَخَّرْتَنِى إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ» «2» و «فَلَوْ لا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ» «3» و إذا كان بعدها اسم، فهى بمعنى (لو) التى تكون فى جوابها اللام، و (لوما) فيها ما فى (لولا) من الاستفهام و الخبر.

و قد اخبر اللَّه فى هذه الآية ان الشيطان هو الذى يزين الكفر للكافر بخلاف

---

(1) سورة 20 طه آية 44.

(2) سورة 63 المنافقون آية 10

(3) سورة 56 الواقعة آية 86

ما يقول المجبرة من ان اللَّه هو المزين لهم ذلك، و فيها حجة على من قال: ان اللَّه لم يرد من الكافر الايمان، و انه أرسل الرسل بينة عليهم، و على من زعم ان أخذه الكافرين بالبأساء و الضراء فى الدين ليس لما أراد من صلاحهم، لأنه بين اللَّه انما فعل بهم ذلك ليتضرعوا، و هذه لام الغرض، لان الشك لا يجوز عليه تعالى «يَتَضَرَّعُونَ» معناه يتذللون يقال ضرع فلان لفلان إذا بخع له و سأله أن يعطيه، و فلان ضارع أى نحيف.

فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (45)

آيتان قرأ ابن عامر و ابو جعفر، و ورش «فتحنا» و فى الاعراف «لفتحنا» و فى الأنبياء «فتحت» و فى القمر «ففتحنا أبواب السماء» بالتشديد فيهن، وافقهم روح فى الأنبياء و القمر. و الباقون بالتخفيف فيهن.

و من ثقل أراد التكثير، و من خفف أراد الفعل مرة واحدة.

بين اللَّه تعالى بهذه الآية ان هؤلاء الكفار لما لم ينتفعوا بالبأساء و الضراء على ما اقتضت مصلحتهم، و نسوها أى تركوها فصارت فى حكم المنسى ابتليناهم بالتوسعة فى الرزق ليرغبوا بذلک فى نعيم الآخرة، و ينبهوا عليه، فيطيعوا و يرجعوا عما هم عليه، فلما لم ينجع ذلک فيهم و لم يرتدعوا عن الفرح بما أوتوا، و لم يتَّعظوا و لم ينفعهم الزجر بالضراء و السراء، و لا الترغيب بالتوسعة و الرخاء أحللنا بهم العقوبة بغتة أى مفاجأة من حيث لا يشعرون «فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ».

قال الزجاج: (المبلس) الشديد الحسرة و (البائس) الحزين. و قال البلخى: معنى مبلسون يعنى: أذلة خاضعين. و قال الجبائى: معنى (مبلسون) آيسون، و قال الفراء المبلس: المنقطع الحجة، قال رؤبة: التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 138

و حضرت يوم خميس الأخماس و فى الوجوه صفرة و إبلاس «1»

و قال مجاهد: الإبلاس السكوت مع اكتئاب.

و قوله «كل شىء» المراد به التكثير دون العموم، و هو مثل قوله «وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» «2» و كقول القائل: أكلنا عنده كل شىء و رأينا منه كل خير، و كما يقال هذا قول اهل العراق، و اهل الحجاز، و يراد به قول أكثرهم.

و قال تعالى: «وَ لَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها» «3» و كل ذلک يراد به الخصوص، و موضوعه التكثير، و التفخيم. و إذا علمنا فى الجملة بالعقل ان هذه الآيات مخصوصة، فلا ينبغى ان يعتقد فيها تخصيص شىء بعينه، و ليس علينا اكثر من ان نعتقد أنهم أوتوا خيرا كثيرا، و فتح عليهم أبواب أشياء كثيرة كانت متعلقة عليهم، و ليس يلزمنا اكثر من ذلک.

فان قيل الذى يسبق الى القلوب غير ما تأولتم عليه و هو ان اللَّه انما فتح عليهم أبواب كل شىء ليفرحوا و يمرحوا ليستحقوا العقاب.

قلنا: الظاهر و ان كان كذلک انصرفنا عنه بدليل، كما انصرفنا عن قوله: «الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى» «4» و عن قوله «وَ جاءَ رَبُّکَ» «5» و عن

قوله:
«أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِی السَّماءِ» «6» فكما يجب ان تترک ظاهر هذه الآيات و ان كان ظاهرها التشبيه فكذلک ترک ما ظاهره يوجب اضافة القبيح اليه و ينافى عدله و يعدل الى ما يليق بحكمته و عدله.
و قوله «فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا» معناه أخذهم الذى يدبرهم و يدبرهم، لغتان- بضم الباء و كسرها- و هو الذى يكون فى أعقابهم.
و
روى عن أبى عبد اللَّه (ع) انه قال: من الناس من لا يأتى الصلاة إلا دبريا- بضم الدال- يعنى فى آخر الوقت
، هذا قول اصحاب الحديث. و قال

_____

(1) مجمع البيان 2: 300 و اللسان (بلس).
(2) سورة 27 النمل آية 23.
(3) سورة 20 طه آية 56 [.....]
(4) سورة 20 طه آية 5
(5) سورة 89 الفجر آية 22
(6) سورة 67 الملک آية 16، 17

أبو زيد الا دبريا بفتح الدال و الباء. ثم حمد اللَّه تعالى نفسه بأن استأصل ساقتهم و قطع دابرهم بقوله «وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» لأنه تعالى أرسل اليهم و انظرهم بعد كفرهم و أخذهم بالبأساء و الضَّراء، و النعمة و الرخاء، فبالغ فى الانذار و الامهال، فهو محمود على كل حال.

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (46)
آية بلا خلاف.
روى عن ورش: «به انظر» بضم الهاء الباقون بكسرها.
قال ابو على: من كسر الهاء حذف الياء التى تلحق الهاء فى نحو به انظر، لالتقاء الساكنين و الالف من (انظر). و من قرأ بضم الهاء فهو على قول من قال: «فخسفنا بهو و بدار هو» «1»، فحذف الواو لالتقاء الساكنين، كما حذف الياء فى (بهى) لذلك، فصار «به انظر» و مما يحسن هذا الوجه ان الضمة فيه مثل الضمة فى (ان اقتلوا) أو (انقص) و نحو ذلك.
و قوله: «أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ» ثم قال: «يَأْتِيكُمْ بِهِ» قال ابو الحسن هو كناية عن السمع او على ما أخذ منكم و قال الفراء: الهاء كناية عن الهدى.
أمر اللّه تعالى نبيه (ع) ان يقول لهؤلاء الكفار «أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ» أى أصمكم، «وَ أَبْصارَكُمْ» أى أعماكم، تقول العرب: أخذ اللّه سمع فلان و بصره، أى أصَّمه و أعماه «وَ خَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ» بأن سلب ما فيها من العقول التى بها يتهيأ لكم ان تؤمنوا بربكم و تتوبوا من ذنوبكم و وسمها

---

(1) سورة 28 القصص آية 81.

بسمة من يكون خاتمة أمره المصير الى عذاب النار، فلو فعل بكم، هل من اله غيره يأتيكم بهذا الذى سلبكم اللّه إياه؟! و هل يقدر على ذلك اله غير اللّه؟! فبين بهذا انه كما لا يقدر على ذلك غير اللّه فكذلك يجب ان لا يعبدوا سواه:
القادر على جميع ذلك.
و قوله «انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ» تنبيه للعباد على هذه الآية و على أمثالها من الآيات التى بين فيها انه لا يستحق العبادة سواه تعالى.
ثم بين انهم مع ظهور هذه الآيات يصدفون أى يعرضون عن تأملها، و التفكر فيها. يقال: صدف عنه، إذا أعرض.
و فى الآية دليل على ان اللّه قد مكنهم من الإقبال على ما ورد عليهم من البيان و انه لم يخلق فيهم الاعراض عنه و لا حملهم عليه، و لا اراده منهم و لا زينه لهم، لأنه لو كان فعل شيئا من ذلك لم يكن لتعجيبه من ذلك معنى.

قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ (47)
آية.
أمر اللَّه تعالى نبيه (ع) ان يخاطب كفار قومه، و يقول لهم أرأيتهم «إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً» و البغتة المفاجأة و هو ان يأتيهم العذاب، و هم غافلون غير متوقعين لذلک «او جهرة» أى و هم شاهدون له، و معاينون نزوله. و قال الحسن: (البغتة) ان يأتيهم ليلا و (جهرة) نهارا. ثم قال:
«هَلْ يُهْلَكُ» بهذا العذاب «إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ» الكافرون الذين يكفرون باللَّه و يفسدون فى الأرض. و هل ينجو منه الا المؤمنون العابدون لربهم.
و متى هلک فيهم أطفال او قوم مؤمنون فإنما يهلكون امتحانا و يعوضهم اللَّه على ذلک أعواضا كثيرة، يصغر ذلک فى جنبها، فجعل ذلک تحذيرا من المقام على الكفر و ترغيبا فى الايمان و النجاة من العذاب.

وَ ما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَ أَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (48) وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا يَمَسُّهُمُ الْعَذابُ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (49)

آيتان بلا خلاف.

بين اللّه تعالى فى هاتين الآيتين انه لا يبعث الرسل أربابا يقدرون على كل شىء يسألون عنه من الآيات او يخترعونه بل انما يرسلهم لما فى ذلک من المصلحة لهم و منبهين على ما فى عقولهم من توحيد اللّه، و عدله و حكمته مبشرين بثواب اللّه لمن آمن به و عرفه، و مخوفين لمن أنكره و جحده. ثم اخبر ان المرسل اليهم مختارون غير مجبرين و لا مضطرين و دل على انه غير محدث لشىء من أفعالهم فيهم، و ان الافعال لهم، هم يكتسبونها بما خلق اللّه فيهم من القدرة، و انه قد هداهم، و بين لهم و بشرهم و أنذرهم فمن آمن أثابه و من عصاه عاقبه. و لو كانوا مجبورين على المعاصى مخلوقا فيهم الكفر و لم يجعل فيهم القدرة على الايمان لما كان للآية معنى.

قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِی خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّی مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ ما يُوحی إِلَیَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِی الْأَعْمی وَ الْبَصِيرُ أَ فَلا تَتَفَكَّرُونَ (50)

آية بلا خلاف.

امر اللّه تعالى نبيه محمدا (ص) ان يقول لعباده: «لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِی خَزائِنُ اللَّهِ» اغنيكم منها «وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ» الذى يختص بعلم اللّه تعالى فاعرفكم مصالح دنياكم، و انما اعلم قدر ما يعلمنى اللّه من امر البعث و الجنة

و النار، و غير ذلک، و لا ادعى انى ملک، لانى انسان تعرفون نسبى، لا اقدر على ما يقدر عليه الملک، و ما أتبع الا ما يوحى اللّه به إلى.

و بين لهم ان الملک من عند اللّه، و الوحى هو البيان الذى ليس بإيضاح نحو الاشارة و الدلالة، لان كلام الملک كان له على هذا الوجه. و انما أمره بأن يقول ذلک لئلا يدعوا فيه ما ادعت النصارى فى المسيح، و لئلا ينزلوه منزلة خلاف ما يستحقه. ثم أمره بأن يقول لهم: «هَلْ يَسْتَوِی الْأَعْمی وَ الْبَصِيرُ» أى هل يستوى العارف باللّه تعالى و بدينه العالم به مع الجاهل به و بدينه، فجعل الأعمى مثلا للجاهل و البصير مثلا للعارف باللّه و نبيه، هذا قول الحسن و الجبائى.

و قال البلخى: معناه هل يستوى من صدق على نفسه و اعترف بحاله التى هو عليها من الحاجة و العبودية لخالقه، و من ذهب عن البيان و عمى عن الحق «أَ فَلا تَتَفَكَّرُونَ» فتنصفوا من أنفسكم و تعملوا بالواجب عليكم من الإقرار بوحدانيته تعالى و نفى الشركاء و التشبيه عنه، و هذا و ان كان لفظه لفظ الاستفهام فالمراد به الاخبار أى انهما لا يستويان.

و قال مجاهد: الأعمى الضال و البصير المهتدى. ثم قال: «أَ فَلا تَتَفَكَّرُونَ» تنبيها لهم على الفكر فى ما يدعوهم الى معرفته و يدلهم عليه من آياته و أمثاله التى بينها فى كتابه، للفرق بين الحق و الباطل، و الكافر و المؤمن.

و قال الحسن: «لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِی خَزائِنُ اللَّهِ» يعنى خزائن الغيب الذى فيه العذاب لقولهم: ائتنا بعذاب اللّه، و لا اعلم الغيب متى يأتيكم العذاب «وَ لا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّی مَلَكٌ» من ملائكة اللّه. و انما أنا بشر تعرفون نسبى. و لكنى رسول اللّه يوحى الى، و لا أتبع الا ما يوحى الى و لا أؤدى الا ما يأمرنى بأدائه و استدل الجبائى و البلخى و غيرهما بهذه الآية على ان الملائكة أفضل من الأنبياء لأنه قال «وَ لا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّی مَلَكٌ» فلولا ان الملائكة أفضل و أعلى منزلة ما جاز ذلک. و هذا ليس بشىء لان الفضل الذى هو كثرة الثواب لا معنى له ها هنا، و انما المراد «وَ لا أَقُولُ إِنِّی مَلَكٌ»

فأشاهد من امر اللّه و غيبته عن التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 143
العباد ما يشاهده الملائكة المقربون المختصون بملكوت السماوات و ان لم يكن فى ذلک استحقاق ثواب زائد.

وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَ لا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (51)

آية بلا خلاف.

امر اللَّه تعالى نبيه (ع) ان ينذر بهذه الآيات أى يخوف بها من هو مقر بالبعث و النشور من المؤمنين، و من يقر بذلک من الكفار و يعتقد انه لا معونة عند الشركاء يومئذ، لان الامر هناک له تعالى وحده. و قد كان خلق من مشركى العرب يعتقدون ذلک، فأمر اللَّه ان يخص هؤلاء بالإنذار، لان الحجة لهم ألزم و إن كانت لازمة للجميع.

و قوله: «يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ» أى يعلمون ذلک، فهم خائفون منه أى عاملون بما يؤديهم الى السلام عنده.

و قال الفراء: يخافون الحشر الى ربهم علما بأنه سيكون فلذلک فسَّره المفسرون يخافون بمعنى يعلمون.

و قال الجبائى: امر اللَّه ان يخوف بالعقاب من هو خائف، لأنه لما أعلمهم ان اللَّه يعذبهم بكفرهم إذا حشروا، كانوا يخافون الحشر لكونهم شاكين فيما أخبرهم به النبى (ص) من الحشر و العذاب. و كانوا يخافون ذلک لشكهم فيه، و ان كانوا غير مؤمنين. و الاول قول البلخى و الزجاج.

و قوله: «لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ» أو من يدفع عنهم ما يريد اللَّه إنزاله بهم من عذابه، و عقوباته، و لا شفيع يشفع يدفع بشفاعته عنهم ما يريد اللَّه انزاله بهم من ذلک على ما قالت النصارى انهم أبناء اللَّه و احباؤه.

و قوله: «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» أى لكى يتقوا معاصيه. و الهاء فى قوله «به» قال الزجاج: راجعة الى القرآن. و قال الجبائى: راجعة الى العذاب. و قال

البلخى: راجعة الى الانذار.

وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ ما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (52)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن عامر «بالغدوة» هنا و فى الكهف- بضم الغين و اسكان الدال و اثبات واو بعدها. الباقون بفتح الغين و الدال و اثبات الف بعد الدال.
سبب نزول هذه الآية ما رواه ابن مسعود و غيره: ان ملأ من قريش- و قال الفراء: من الكفار، منهم عيينة بن حصين الفزارى- دخلوا على النبى (ص) و عنده بلال و سلمان و صهيب و عمار، و غيرهم، فقال عيينة بن حصين يا رسول اللّه لو نحيت هؤلاء عنك، لاتاك أشراف قومك، و أسلموا، و كان ذلك خديعة منهم له و كان اللّه تعالى عالما ببواطنهم.
فأمر اللّه نبيه ان «لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ» يعنى انه نهاه عن طردهم لأنهم يريدون بإسلامهم و دعائهم وجه اللّه. قال الضحاك: «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ» يعنى بذلك الصلاة المفروضة فى هذين الوقتين و قال ابراهيم هم اهل الذكر. و قال قوم: الدعاء ها هنا هو التحميد و التسبيح و قوله: «يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» شهادة للمعنيين بالآية بالإخلاص و انهم يريدون بعبادتهم اللّه خالصا.
و قال البلخى: قراءة ابن عامر غلط، لان العرب إذا ادخلت الالف و اللام قالوا: الغداة يقولون: رأيتك بالغداة، و لا يقولون بالغدوة، فإذا نزعوا الالف و اللام قالوا رأيتك غدوة. و انما كتبت واو فى المصحف، كما كتبوا الصلاة و الزكاة و الحياة كذلك. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 145
قال ابو على الفارسى: الوجه الغداة، لأنها تستعمل نكرة و تتعرف باللام فأما غدوة فمعرفة أبدا، و هو علم صيغ له. قال سيبويه: غدوة و بكرة جعل كل واحد منهما اسما للجنس كما جعلوا أم حنين اسما لدابة معروفة، كذلك هذا و وجه قراءة ابن عامر أن سيبويه قال زعم الخليل أنه يجوز ان تقول أتيتك اليوم غدوة و بكرة، فجعلها بمنزلة ضحوة.
و قوله «فتطردهم» نصب الدال، لأنه جواب النفى فى قوله: «ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ» و نصب فيكون لأنه جواب لقوله: «وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ ...
ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ... فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ» قال قوم يعنى من حساب رزقهم فى الدنيا ليس رزقهم فى يدك و لا رزقك فى أيديهم، بل اللّه رازق الجميع.
و قال الجبائى و هو الأظهر: ما عليك من أعمالهم، و لا عليهم من أعمالك، بل كل واحد يؤاخذ بعمله، و يجازى على فعله، لا على فعل غيره. و قوله

«فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّالِمِينَ» اخبار منه تعالى انه لو طرد كل هؤلاء تقربا الى الكبراء منهم كان بذلک ظالما. و النبى (ص) و ان لم يقدم على القبيح جاز ان ينهى عنه، لأنه قادر عليه و ان كان النهى و الزجر يمتنع منه، كما قال تعالى «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ» و ان كان الشرک مأمونا منه.

وَ كَذلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (53)
آية بلا خلاف.
معنى الآية انه تعالى اخبر انه يمتحن «1» الفقراء بالأغنياء و الأغنياء بالفقراء فيختبر صبر الفقراء على ما يرون من حال الأغنياء، و اعراضهم عنهم الى طاعة الرسل و يختبر شكر الأغنياء و إقرارهم لمن يسبقهم من الفقراء، و الموالى و العبيد

---

(1) فى المخطوطة «ابتلى» بدل «يمتحن».

الى الايمان بالرئاسة فى الدين و التقدم فيه.
و قوله: «لِيَقُولُوا أَ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا» فليس المراد باللام لام الغوص لان اللّه لو قصد ذلك لكان قد قصد بما فعل ان يقولوا هذا القول فيكفروا به و يعصوا و يتعالى اللّه عن ذلك فكيف يقصده؟! و قد عابه من قولهم و هو يعاقبهم عليه و عابهم به، و لكن اللام لام العاقبة.
و المعنى انى فعلت ذلك بهم ليصبروا و يشكروا، فكان عاقبة أمرهم ان قالوا «أَ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا» و مثله قوله: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «1» و قال الشاعر:
و ام سماک فلا تجزعى فللشكل ما تلد الوالداه «2»
و الذى قال «أَ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا» هو عيينة بن حصين و أصحابه و قال الزجاج: أى ليقول الكبراء «أَ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا» أى ليكون ذلک آية بينة انهم اتبعوا الرسول و صبروا على الشدة فى حال شديدة.
و قال الجبائى: معنى قوله «فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ» أى شددنا التكليف على أشراف العرب و كبرائهم بأن امرناهم بالايمان برسول اللّه و بتقديم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم لتقدمهم إياهم فى الايمان، و كونهم أفضل عند اللّه.
و هذا أمر كان شاقاً عليهم، فلذلک سماه اللّه فتنة.
و قوله «لِيَقُولُوا أَ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا» أى فعلنا هذا بهم ليقول بعضهم لبعض على وجه الاستفهام منه لا على وجه الإنكار «أَ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا» يعنى بالايمان إذ رأوا النبى (ص) يقدم هؤلاء عليهم و يفضلهم و ليرضوا بذلک من فعل رسول اللّه، و لم يجعل هذه الفتنة و الشدة فى التكاليف ليقولوا ذلک على وجه الإنكار، لان إنكارهم ذلک كفر باللّه و معصية له و اللّه تعالى لا يريد ذلک و لا يرضاه، لأنه لو أراد ذلک منهم، و فعلوه كانوا مطيعين

(1) سورة 28 القصص آية 8
(2) مر هذا البيت فى 3: 60 و سيأتى فى 5: 43
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 147
له لا عاصين و قد ثبت خلافه.
و قوله: «أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ» معناه ان اللَّه تعالى أعلم بالشاكرين له و لنعمه من خلقه فيجازيهم على ذلک بما يستحقونه من الثواب و التعظيم و الإجلال.
و الشاكرون المعنيون بالآية هم هؤلاء الضعفاء و يدخل معهم فى ذلک سائر المؤمنين.
فان قيل فعلى هذا الوجه الذى ذكرتموه قد وجد من الكفار القول على ما أراده فيجب ان يكونوا مطيعين.
قلنا: ليس فى الآية ذلک و أنهم على أى وجه قالوه على وجه الإنكار أو على وجه الاستفهام؟ و انما بين انه فعل بهم ليقولوا ذلک على وجه الاستفهام لا على وجه الإنكار، فان كانوا قالوه على ما أراده اللَّه فهم مطيعون و ان قالوه منكرين فهم عصاة، فلما علمنا أن اللَّه تعالى ذمهم بهذا القول علمنا أنهم لم يقولوه على وجه المراد منهم انما قالوه على خلاف ما أريد منهم.

وَ إِذا جاءَکَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (54)

آية.

قرأ ابن عامر و عاصم و يعقوب: «انه من عمل ... فانه غفور رحيم» بفتح الهمزة فيهما وافقهم اهل المدينة فى الاولى منهما. الباقون بالكسر فيهما.

قال ابو على الفارسى من كسر (أنه) الاولى جعلها تفسير للرحمة كما أن قوله «لهم مغفرة و اجر كريم» تفسير للوعد. و اما كسر (إن) فى قوله «فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» فلأن ما بعد الفاء حكمه الابتداء، و من ثم حمل قوله «وَ

فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ»

«1» على إرادة المبتدأ بعد الفاء و حذفه.

و من فتح (أن) فى قوله «انه» فانه جعل (ان) الاولى بدلا من الرحمة كأنه قال كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم. و اما فتحها بعد الفاء فانه غفور رحيم، فعلى انه أضمر له خبرا تقديره، فله انه غفور رحيم أى فله غفرانه. أو أضمر مبتدأ تكون (أن) خبره، كأنه قال فأمره انه غفور رحيم

و اما قراءة نافع: بفتح الاولى و كسر الثانية فالقول فيهما انه أبدل من الرحمة و استأنف ما بعد الفاء. قال سيبويه: بلغنا ان الأعرج قرأ «أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ ... فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ». و نظيره قول ابن مقبل:

و انى إذا ملت ركابى مناخها فانى على حظى من الامر جامح

يريد ان قوله: (و انى إذا ملت ركابى) محمول على ما قبله كما ان قوله «أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ» محمول على ما قبله. و قوله: فانى على حظى مستأنف مثل قوله «فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» مستأنف به منقطع عما قبله.

قال الفراء: و اختاره الزجاج و يجوز ان يحمل (فانه) على التكرار، قال: لان الكتاب يحتاج الى (ان) مرة واحدة و لكن الخبر هو موضعها فلما دخلت فى ابتداء الكلام أعيدت الى موضعها، كما قال: «أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ» «2» فلما كان موضع (ان) أ يعدكم انكم مخرجون إذا متم دخلت فى أول الكلام و آخره. و مثله «كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ» «3» و مثله «أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ» «4» قال و لك ان تكسر (ان) بعد الفاء فى هذه الأحرف. قال ابو على هذا غير صحيح، لان (من) لا يخلو من ان تكون للجزاء الجازم الذى بنى اللفظ عليه او تكون موصولة، و لا يجوز ان يقدر التكرير مع الموصولة فلو كانت موصولة

(1) سورة 5 المائدة آية 98
. (2) سورة 23 المؤمنون آية 35
(3) سورة 22 الحج آية 4
(4) سورة 9 التوبة آية 64.

لبقى المبتدأ بلا خبر، و لا يجوز ذلک فى الجزء الجازم، لان الشرط يبقى بلا جزاء على اثبات الفاء فى قوله: (فان له) و يمتنع من ان يكون بدلا لأنه لا يكون بين المبدل و المبدل منه الفاء العاطفة و لا التى للجزاء، فان قيل: هى زائدة بقى الشرط بلا جزاء، فإذا بطل الامر ان ثبت ما قدمناه.
و اما من كسرهما فعلى مذهب الحكاية كأنه لما قال «كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» قال: «أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» بالكسر، و دخلت الفاء جوابا للجزاء.
هذه الآية متصلة بالأولى: نهى اللّه تعالى نبيه (ع) فى الاولى عن ان يطردهم. ثم أمره فى هذه الآية ان يقول لمن ورد عليه منهم- اعنى المؤمنين المصدقين بآيات اللّه و حججه و براهينه عربيا كان او أعجميا ضعيفا كان أو قويا- «سَلامٌ عَلَيْكُمْ» فيبدأهم بالتحية، و يبشرهم بالرحمة و يقوى قلوبهم و يعرفهم أن من أذنب منهم ثم تاب، فتوبته مقبولة كل ذلک خلافا على الكافرين فيما أرادوه عليه من طردهم و الغلظة عليهم.
و قال محمد بن يزيد: السلام فى اللغة أربعة أشياء: أحدها- سلمت سلاما مصدر. و ثانيها- السلام جمع سلامة. و ثالثها- السلام من أسماء اللّه. و رابعها- السلام شجر.
و معنى السلام الذى هو مصدر سلمت دعاء للإنسان ان يسلم فى دينه و نفسه، و معناه التخلص. و السلام الذى هو اسم اللّه معناه ذو السلام أى الذى يملک السلام الذى هو تخليص من المكروه. و السلام الذى هو الشجر، فهو شجر عظيم سمى بذلک لسلامته من الآفات. و السلام حجار صلبة لسلامتها من الرخاوة و يسمى الصلح: السلام و السلم و السلم، لان معناه السلامة من الشر. و السلام دلولها مروة واحدة نحو دلو السقائين. و السلم السبب الى لشىء. و السلم الذى يرتقى عليه لأنه يسلمک الى حيث تريد و قوله «مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ» ليس المراد أنهم يجهلون أنه سوء، لأنه

المسلم ما يجهل أنه سوء لكان كمن لم يتعمد سوءا. و تحتمل الآية أمرين:
أحدهما- انه عمله و هو جاهل بالمكروه فيه أى لم يعرف أن فيه مكروه.
و الآخر- انه أقدم مع علمه ان عاقبته مكروهة فآثر العاجل، فجعل جاهلا لأنه آثر القليل على الراحة الكثيرة و العاقبة الدائمة.
و يحتمل عندى أن يكون أراد «مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ» بمعنى أنه لا

يعرفها سوءا، لكن لما كان له طريق الى معرفته وجب عليه التوبة منه، فإذا تاب قبل اللّه توبته.
فان قيل: قوله «و أصلح» هل فعل الصلاح شرط فى قبول التوبة أو لا؟
فان لم يكن شرطا فلم علق الغفران بمجموعهما.
قيل: لا خلاف أن التوبة متى حصلت على شرائطها التى قدمنا ذكرها فى غير موضع، فانه يقبل التوبة و يسقط العقاب، و ان لم يعمل بعدها عملا صالحا غير أنه إذا تاب و بقى بعد التوبة، فان لم يعمل الصالح عاد الى الإصرار، لأنه لا يخلو فى كل حال من واجب عليه أو ندب من تجديد معرفة اللّه و معرفة نبيه، و غير ذلک من المعارف و كثير من أفعال الجوارح، فاما ان قدرنا اخترامه عقيب التوبة من غير فعل صلاح، فان الرحمة بإسقاط العقاب تلحقه بلا خلاف.

وَ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ وَ لِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (55)
آية بلا خلاف.
قرأ اهل الكوفة الا حفصا و «ليستبين» بالياء. الباقون بالتاء. و قرأ اهل المدينة «سبيل» بالنصب. الباقون بالرفع.
من قرأ بالتاء و رفع السبيل، فلأن السبيل يذكر و يؤنث، فالتذكير لغة تميم، و التأنيث لغة أهل الحجاز فأنّث- ها هنا- كما قال التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 151
«قُلْ هذِهِ سَبِيلِى» «1».
و من قرأ بالياء فانه ذكّر السبيل، لأنه الطريق. و هو يذكر، كما قال «وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا» «2».
و من قرأ بالتاء، و نصب (السبيل) أراد أن يكون خطابا للنبى (ص) كأنه قال: و لتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين. و النبى (ص) و ان كان مستبينا لطريق المجرمين عالما به فيجوز أن يكون ذلک على وجه التأكيد، و لان يستديم ذلک. و يحتمل أن يكون المراد به الامة، فكأنه قال ليزداد استبانة، و لم يحتج ان يقول: و لتستبين سبيل المؤمنين، لان سبيل المجرمين إذا بانت، فقد بان معها سبيل المؤمنين، لأنها خلافها. و يجوز ان يكون المراد، و لتستبين سبيل المجرمين و لتستبين سبيل المؤمنين، و حذف إحدى الجملتين لدلالة الكلام عليه، كما قال «سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ» «3» و لم يقل تقيكم البرد، لان الساتر يستر من الحر و البرد، لكن جرى ذكر الحر، لأنهم كانوا فى مكانهم أكثر معاناة له من البرد، و كذلک سبيل المجرمين، خص بالذكر، لان الكلام فى وصفهم، و ترک ذكر المؤمنين لدلالة الكلام عليه. و هذه الآية معطوفة على الآيات التى احتج اللّه بها على مشركى العرب، و غيرهم فلذلک قال «و كذلک» أى كما قدمنا «نُفَصِّلُ الْآياتِ» أى نميزها و نبينها و نشرحها لتلزمهم الحجة و «لِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ» من عاند بعد البيان أو ذهب عن فهم ذلک بالاعراض عنه لمن أراد التفهم منهم، و من المؤمنين ليجانبوها و يسلكوا غيرها.

قُلْ إِنِّی نُهِیتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْواءَکُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِینَ (56)

---

(1) سورة 12 یوسف آیة 108
(2) سورة 7 الاعراف آیة 145
(3) سورة 16 النحل آیة 81. [.....]

روی عن یحیی بن وثاب أنه قرأ «ضللت» بکسر اللام. و القراء کلهم علی فتحها، و هما لغتان. فمن کسر اللام فتح الضاد من «یضل». و من فتح اللام کسر الضاد. فقال «یضل» و قال أبو عبیدة اللغة الغالبة بالفتح.

و

روی ابو العالیة أن النبی (ص) قرأ هذه الآیة عند الکعبة و أظهر لهم المفارقة.

و هذه الآیة فیها خطاب للنبی (ص) و أمر له بأن یقول للکافرین:

ان اللّه قد نهانی أن اعبد هذه الأوثان التی تعبدونها من دون اللّه و تدعونها آلهة و أنها تقربکم الی اللّه زلفی، و أن یقول لهم انی لا أتبع أهواءکم فی عبادة الأوثان، و انی لو فعلت ذلک لکنت قد ضللت عن الصواب، و بعدت عن الرشد و لم أکن من المهتدین الی الخیر و الصلاح. و معناه معنی الشرط و تقدیره قد ضللت ان عبدتها. و قال الزجاج: «وَ ما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِینَ» أی و ما أنا من النبیین الذین سلکوا طریق الهدی.

قُلْ إِنِّی عَلی بَیِّنَةٍ مِنْ رَبِّی وَ کَذَّبْتُمْ بِهِ ما عِنْدِی ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُکْمُ إِلاَّ لِلَّهِ یَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَیْرُ الْفاصِلِینَ (57)
آیة بلا خلاف.
قرأ اهل الحجاز و عاصم «یَقُصُّ الْحَقَّ» من القصص و هو المروی عن ابن عباس و مجاهد. الباقون- بالضاد- المعجمة من فوقها من القضاء. و کان ابو عمرو یقوی القراءة بالضاد بقوله «وَ هُوَ خَیْرُ الْفاصِلِینَ». و یقول الفصل فی القضاء لا فی القصص و یقوی ذلک بقوله «وَ اللَّهُ یَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ یَهْدِی السَّبِیلَ».
و حجة من قرأ بالصاد قوله: «نَقُصُّ عَلَیْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ» «1» و قوله: «إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ» «2». و أما الفصل الذی قوی به أبو عمرو قراءته فقد

---

(1) سورة 12 یوسف آیة 3
(2) سورة 3 آل عمران آیة 62

جاء الفصل فی القول کما جاء فی الحکم و القضاء فی نحو قوله «إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ» «3» و قال: «أُحْکِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ» «4» و قال «نُفَصِّلُ الْآیاتِ» «5» و قال «لَقَدْ کانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِی الْأَلْبابِ ما کانَ حَدِیثاً یُفْتَری وَ لکِنْ تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ وَ تَفْصِیلَ کُلِّ شَیْءٍ» «6» فذکر فی القصص انه تفصیل. و الحق فی قوله «یَقُصُّ الْحَقَّ» یحتمل أمرین:
أحدهما- أن یکون صفة لمصدر محذوف و تقدیره یقضی القضاء الحق أو یقص القصص الحق.
و الثانی- أن یکون مفعولا به یعجل الحق کقول الهذلی:
و علیهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع «7»
أی صنعهما داود.
و فی هذه الآیة أمر من اللَّه لنبیه ان یقول للکفار انه علی بینة من ربه، أی علی أمر بین من معرفة اللَّه و صحة نبوته، لا متبع للهوی.
و قوله «وَ کَذَّبْتُمْ بِهِ» الهاء راجعة الی البیان، لان البنیة و البیان واحد، و تقدیره و کذبتم بالبیان لذی هو القرآن. و قال قوم: بینة من ربی من نبوتی «وَ کَذَّبْتُمْ بِهِ» یعنی باللَّه. و علی الاول یکون تقدیره کذبتم بما أتیتکم، لأنه هو البیان.
و قوله: «ما عِنْدِی ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ» (ما) بمعنی لیس. و الذی استعجلوا به یحتمل أمرین:

أحدهما- العذاب، كما قال «وَ يَسْتَعْجِلُونَکَ بِالْعَذابِ» «8».
و الثانى- أن يكونوا استعجلوا الآيات التى اقترحوها عليه فأعلمهم اللَّه أن ذلک عند اللّه و أن الحكم له تعالى «يَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفاصِلِينَ» و كتبت

---

(3) سورة 86 الطارق آية 13
(4) سورة 11 هود آية 1
(5) سورة 10 يونس آية 24
(6) سورة 12 يوسف آية 111
(7) مر تخريجه فى 1/ 429 و فى 4/ 88.
(8) سورة 22 الحج آية 47 و سورة 29 العنكبوت آية 53- 54.

يقضى بغير ياء، لأنها أسقطت فى اللفظ لالتقاء الساكنين، كما كتبوا «سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ» «3» بغير واو.
و من قرأ: بالصاد من القصص حمله على أن جميع ما أنبأ به و أمر به، فهو من أقاصيص الحق.
و قال الحسن: (البنية) النبوة و (كذبتم به) بالنبوة التى جاءت من عند اللَّه و «ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ» من العذاب جواب لقولهم: «أتنا بعذاب اللّه» «4» و فى قراءة ابن مسعود «يَقُصُّ الْحَقَّ» و لم يقرأ به احد.
و قوله «يَقْضِى بِالْحَقِّ» يدل على بطلان قول من يقول: ان الظلم و الجور بقضاء اللَّه، لان ذلک كله ليس بحق.

قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِی ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِیَ الْأَمْرُ بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِینَ (58)
آیة.
امر اللَّه تعالی نبیه ان یقول للکفار ما کان عندی ما تستعجلون به من کون العذاب و إنزاله بکم برأیی و ارادتی لفعلت ذلک بکم و لأنزلته علیکم و «لَقُضِیَ الْأَمْرُ بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ» بذلک و لا نفصل و لا نقطع، و لکن لیس ذلک إلی و انما هو الی اللّه «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِینَ» و بمن ینبغی إمهاله منهم و من یجب معالجته بالعقوبة فهو یدبر ذلک بحسب ما یعلم من وجه الحکمة و الصواب

وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاَّ هُوَ وَ يَعْلَمُ ما فِى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُها وَ لا حَبَّةٍ فِى ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاَّ فِى كِتابٍ مُبِينٍ (59)
آية بلا خلاف و هى تمام السبع المثانى.

---

(3) سورة 96 العلق آية 18
. (4) سورة 29 العنكبوت آية 29
التبيان في تفسير القرآن، ج4، ص: 155
«مَفاتِحُ الْغَيْبِ» معناه الأمور التى بها يستدل على الغائب فتعلم حقيقته، يقال: فتحت على الرجل، أى عرفته أولا، و يستدل به على آخر، و جملة يعرف بها التفصيل. و منه قولهم أفتح علىَّ أى عرفنى. قال الزجاج: معناه و عنده الوصلة الى علم الغيب و كل ما لا يعلم إذا استعلم.
و
روى عن ابن عمر أن رسول اللَّه (ص) قال: مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا اللَّه: ان اللَّه عنده علم الساعة، و ينزل الغيث، و يعلم ما فى الأرحام، و ما تدرى نفس ما ذا تكسب غدا و ما تدرى نفس بأى أرض تموت.
و معنى الآية أن اللَّه تعالى عالم بكل شىء من مبتدءات الأمور و عواقبها فهو يعجل ما تعجيله أصلح و أصوب، و يأخر ما تأخيره أصلح و أصوب، و أنه الذى يفتح باب العلم لمن يريد إعلامه شيئا من ذلک من أنبيائه و عباده، لأنه لا يعلم الغيب سواه، فلا يتهيأ لاحد ان يعلّم العباد ذلک، و لا أن يفتح لهم باب العلم به الا اللَّه، و بين أنه يعلم ما فى البر و البحر من الحيوان و الجماد. و بين أنه ما تسقط من ورقة من شجرة الا يعلمها و لا حبة فى جوف الأرض و فى ظلماتها الا و يعلمها و لا رطب و لا يابس جميع أصناف الأجسام، لأنها أجمع لا تخلو من احدى هاتين الصفتين.
و قوله: «وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُها» المعنى أنه يعلمها ساقطة و ثابتة كما تقول: ما يجيئک من أحد الا و أنا أعرفه، معناه الا و انا أعرفه فى حال مجيئه. و قوله: «وَ لا حَبَّةٍ فِى ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ» خبر على تقدير (من). و يجوز الرفع فيها على معنى وَ لا تسقط ورقة و لا حبة. و يجوز ان يرفعه على الابتداء و يقطعه عن الاول و يكون خبره «إِلَّا فِى كِتابٍ مُبِينٍ».
و قوله: «فِى كِتابٍ مُبِينٍ» يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يكون معناه فى علم اللَّه مبين.
و ثانيهما- ان يكون «فِى كِتابٍ مُبِينٍ» ان يكون اللَّه تعالى أثبت ذلک فى

كِتاب قبل أن يخلقه، كما قال «ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ، وَ لا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها» «1» و يكون الغرض بذلک اعلام الملائكة أنه علام الغيوب ليدل على أنه عالم بالأشياء قبل كونها. و يجوز ان يكون المراد بذلک أنه كتب جميع ما يكون ثم امتحن الملائكة بكتبه و تعبدهم باحصائه، كما تعبد سائر خلقه بما يشاء مما فيه صلاحهم. و قال البلخى: «فِى كِتابٍ مُبِينٍ» أى هو محفوظ غير منسى و لا مغفول كما يقول القائل لصاحبه: ما تصنعه عندى مسطر مكتوب. و انما يريد بذلک أنه حافظ له يريد مكافأته عليه، قال الشاعر:

ان لسلمى عندنا ديوانا

و يجوز أن يكون المراد بذكر الورقة و الحبة و الرطب و الياس التوكيد فى الزجر عن المعاصى و الحث على البر و التخويف لخلقه بأنه إذا كانت هذه الأشياء التى لا ثواب فيها و لا عقاب عليها محصاة عنده محفوظة مكتوبة، فأعمالكم التى فيها الثواب و العقاب أولى، و هو قول الحسن. و قال مجاهد: البر القفار و البحار كل قرية فيها ماء. و عن أبى عبد اللّه: الورقة السقط و الحبة الولد.

و ظلمات الأرض الأرحام و الرطب ما يبقى و يحيا و اليابس ما تغيض.

وَ هُوَ الَّذِی یَتَوَفَّاکُمْ بِاللَّیْلِ وَ یَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ ثُمَّ یَبْعَثُکُمْ فِیهِ لِیُقْضی أَجَلٌ مُسَمًّی ثُمَّ إِلَیْهِ مَرْجِعُکُمْ ثُمَّ یُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (60)

آیة بلا خلاف.

قوله: «و هو» کنایة عن اللَّه تعالی. و «الذی» صفة له «یَتَوَفَّاکُمْ بِاللَّیْلِ» قیل فی معناه قولان:

أحدهما- قال الجبائی: یقبضکم، و قال الزجاج: ینیمکم باللیل فیقبضکم

---

(1) سورة 57 الحدید آیة 22.

اللَّه الیه، کما قال: «اللَّهُ یَتَوَفَّی الْأَنْفُسَ حِینَ مَوْتِها» «1».

و قال البلخی: و اختاره الحسین بن علی المغربی «یَتَوَفَّاکُمْ» بمعنی یحصیکم عند منامکم و استقراارکم، قال الشاعر:

ان بنی الادرم لیسوا من أحد لیسوا من قیس و لیسوا من أسد

و لا توفاهم قریش فی العدد «2»

معناه لا تحصیهم فی العدد.

و قوله: «وَ یَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ» أی کسبتم، تقول فلان جارحة أهله أی کاسبهم، و منه قوله: «وَ ما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُکَلِّبِینَ» «3» أی من الکواسب التی تکسب علی أهلها، و هو قول مجاهد.

و قوله: «ثُمَّ یَبْعَثُکُمْ فِیهِ» أی فی النهار، فجعل انتباههم من النوم بعثا «لِیُقْضی أَجَلٌ مُسَمًّی» لیستوفی الأجل المسمی للحیاة الی حین الموت. ثم «إِلَیْهِ مَرْجِعُکُمْ» یعنی یوم القیامة فیحشرهم اللَّه الی حیث لا یملک فیه الأمر سواه. «ثُمَّ یُنَبِّئُکُمْ» یعنی یخبرکم و یعلمکم «بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فی الدنیا فیجازیکم علی أعمالکم، و فیها دلالة علی خزیهم و حاجتهم، و احتجاج علیهم أنه لا یستحق العبادة سواه إذ هو الفاعل لجمیع ما یستحق به العبادة مما عدده و القادر علیه دون من یعبدونه من الأوثان و الأصنام.

وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَ هُمْ لا يُفَرِّطُونَ (61) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ (62)
آيتان

---

(1) سورة 39 الزمر آية 42.
(2) مقاييس اللغة 3: 270 و اللسان (و فى) و روايته «الادرد» مع حذف البيت الثانى و جعل الثالث بعد الاول و كذلک فى الطبرى 11: 405.
(3) سورة 5 المائدة آية 5. [.....]

كلهم قرأ «تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا» بالتاء الا حمزة فانه قرأ «توفاه». و حجة من قرأ بالتاء قوله «كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ» «1» و قوله «إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ» «2» و «جاءتهم رسلهم بالبينات» «3» و «قالَتْ رُسُلُهُمْ» «4» و حجة حمزة انه فعل متقدم مسند الى مؤنث غير حقيقى. و انما التأنيث للجمع، فهو مثل قوله «وَ قالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ» «5» و ما أشبه ذلک مما يأتيه تأنيث الجمع، قال و ليس ذلک خلافا للمصحف، لان الالف الممالة تكتب ياء.
و قوله «وَ هُوَ الْقاهِرُ» معناه و اللَّه المتقدر المستعلى على عباده الذين هو فوقهم لا على أنه فى مكان مرتفع فوقهم و فوق مكانهم، لان ذلک لا يجوز عليه، لأنه صفة للأجسام. و مثله فى اللغة أمر فلان فوق أمر فلان، يراد به أنه أعلى امرا، و انفذ قولا. و مثله قوله تعالى «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» «6» و المراد أنه أقوى و اقدر منهم و انه القاهر لهم.
و قوله: «وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً» يعنى يرسل عليكم ملائكة يحفظون أعمالكم و يحصونها عليكم و يكتبونها ليعلموا بذلک أن عليهم رقيبا من عند اللَّه و محصيا عليهم فينزجروا عن المعاصى. و بين ان هؤلاء الحفظة هم شهداء عليكم بهذه الاعمال يوم القيامة.
و قوله «حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ» يعنى وقت الموت «تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا» يعنى قبضت الملائكة روح المتوفى، و هم رسل اللَّه الذين عنا هم اللَّه بهذه الآية.
و قال الحسن: «تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا» قال هو ملک الموت و أعوانه و أنهم لا يعلمون آجال العباد حتى يأتيهم علم ذلک من قبل اللَّه بقبض أرواح العباد. و قوله:

---

(1) سورة 6 الانعام آية 34
(2) سورة 41 حم السجدة آية 14
(3) سورة 7 الاعراف آية 100 و يونس 10 آية 13 و ابراهيم 14 آية 9 الروم 30 آية 9 و سورة 35 فاطر آية 25 و المؤمن 40 آية 83.
(4) سورة 14 ابراهيم آية 10
(5) سورة 12 يوسف آية 30
(6) سورة 48 الفتح آية 10
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 159
«تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا» أى تقبضه، و التوفى هو القبض على ما بيناه. ثم إن هؤلاء الرسل «لا يُفَرِّطُونَ» أى لا يقصرون- فى قول الزجاج- و لا يغفلون، و لا يتوانون. و قال الجبائى: لا يأخذون روحه قبل أجله و يبادرون الى ما أمروا به عن غير تقصير، و لا تفريط. و المعنى فى التوفى ان يعلم العباد أنهم يحصون إذا ماتوا فلا يرون أنهم يهملون إذا ماتوا و أن احداً منهم لا يثبت ذكره ليجزى بعمله.
ثم بين ان هؤلاء الذين تتوفاهم رسلنا يردون بعد الوفاة الى اللَّه فيردهم الى الموضع الذى لا يملك الحكم عليهم فيه الا اللَّه و لا يملك نفعهم و لا ضرهم سواه فجعل ردهم الى ذلك الموضع ردا الى اللَّه، و بين أنه هو «مَوْلاهُمُ الْحَقِّ» لأنه خالقهم و مالكهم، و القاهر عليهم القادر على نفعهم و ضرهم، و لا يجوز ان يوصف بهذه الصفة سواه، فلذلك كان مولاهم الحق. و قال البلخى: (الحق) اسم من اسماء اللَّه و هو خفض، لأنه نعت للَّه، و يجوز الرفع على معنى اللَّه مولاهم الحق، و يجوز ان ينصب على معنى يعنى مولاهم، و القراءة بالخفض.
و قوله: «أَلا لَهُ الْحُكْمُ» معناه ألا يعلمون أو ألا يقرون ان الحكم يوم القيامة هو له وحده؟، و لا يملك الحكم فى ذلك اليوم سواه، كما قد يملك الحكم فى الدنيا غيره بتمليك اللَّه إياه.
و قوله: «وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ»
روى أنه تعالى يحاسب عباده على مقدار حلب شاة
، و ذلك يدل على أنه لا يحتاج ان يكلفهم مشقة و آلة على ما يقوله المشبهة، لأنه لو كان كذلك لاحتاج ان يتطاول زمان محاسبته أو أنه يشغله محاسبته عن محاسبة غيره. و
روى عن أمير المؤمنين (ع) أنه قيل له: كيف يحاسب اللَّه الخلق و هم لا يرونه؟ قال: كما يرزقهم و لا يرونه.
و المعنى فى الآية أنه تعالى أحصى الحاسبين لما أحصى الملائكة و توفوا من الأنفس لا يخفى عليه من ذلك خافية و لا يحتاج فى عده الى فكر و نظر.
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 160

قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً لَئِنْ أَنْجانا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْها وَ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (64)
آيتان بلا خلاف.
قرأ يعقوب «قل من ينجيكم» مخففا. الباقون بالتشديد. و قرأ ابو بكر «و خفية» بكسر الخاء- ها هنا-، و فى الاعراف. و قرأ اهل الكوفة الا ابن شاهى «أنجانا» على لفظ الاخبار عن الواحد الغائب، و أماله حمزة و الكسائى و خلف. الباقون «أنجيتنا» على وجه الخطاب.
و قرأ اهل الكوفة الا العبسى و هشام و أبو جعفر «قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ» بالتشديد. الباقون بالتخفيف. يقال: نجا زيد ينجو، قال الشاعر:
نجا سالم و النفس منه لشدقه «1»
فإذا نقلت الفعل حسن أن تنقله بالهمزة فتقول أنجيته، و يجوز أن ننقله بتضعيف العين، فتقول نجيته، و مثله فرحته و أفرحته و عرضّته و أعرضته، قال اللّه تعالى «فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ» «2» «فَأَنْجَيْناهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ» «3» و قال «وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ» «4» فلما استوت اللغتان و جاء التنزيل بهما تساوت القراءتان.
و وجه قراءة من قرأ «لئن أنجانا» أنه حمله على الغيبة كقوله «تَدْعُونَهُ ... لَئِنْ أَنْجانا»، و كذلك ما بعده «قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ» «قُلْ هُوَ الْقادِرُ»، فهذا كله أسماء غيبة ف (أنجانا) أولى من (أنجيتنا) لكونه على ما قبله، و ما

---

(1) اللسان «نجا» نسبه الى الهذلى و روايته:
نجا عامر و النفس منه بشدقه و لم ينج الا جفن سيف و مئزرا
(2) سورة 29 العنكبوت آية 4
(3) سورة 7 الاعراف آية 63، 71
(4) سورة 41 حم السجدة آية 18

بعده من لفظ الغيبة، و موضع (يدعونه) نصب على الحال، و تقديره قل من ينجيكم داعين و قائلين «لئن أنجيتنا». و من قرأ من الكوفيين «لئن أنجانا» طلب المشاكلة. و من قرأ بالتاء واجه بالخطاب و لم يراع المشاكلة. و يقوى ذلك قوله فى أخرى «لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين. قل اللّه ينجيكم» فجاء أنجيتنا على الخطاب و بعده اسم غيبة.
و أما إمالة حمزة و الكسائى فحسنة، لان هذا النحو من الفعل إذا كان على أربعة أحرف استمرت فيه الامالة، لانقلاب الالف ياء فى المضارع.

و من قرأ «خفية» بكسر الخاء، فلأن أبا عبيدة قال «خفية» تخفون فى أنفسكم و خفى غيره خفية، و خفية لغتان، و حكى خفوة و خفوة بالواو، كما قالوا حل حبوته و حبيته، و لا يقرأ بذلک. فأما قوله «تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً» ففعلة من الخوف. و انقلبت الواو، للكسرة. و المعنى أدعوا خائفين خافيين، قال الشاعر:

فلا تقعدن على زخة و تضمر فى القلب وجدا و خيفا «1»

يريد جمع خيفة.

أمر اللّه تعالى نبيه ان يخاطب الخلق و يقول لهم على وجه التقريع لمن يعبد الأصنام منهم- «مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» و معناه شدائد البر و البحر، تقول العرب لليوم الذى يلقى فيه الشدة: يوم مظلم حتى أنهم يقولون:

يوم ذو كواكب أى قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل، قال الشاعر:

ابنى أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوم ذو كواكب أشهب

و قال آخر:

فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى إذا كان يوم ذو كواكب أشهب «2»

فمعنا ظلمات البر و البحر شدائدهما. و قوله: «تَدْعُونَهُ ... وَ خُفْيَةً» أى مظهرين الضراعة، و هى شدة الفقر الى الشىء و الحاجة و «تَدْعُونَهُ ...

---

(1) قائله صخر الغى. اللسان «زخخ». الزخ و الزخة «بتشديد الخاء»: الحقد و الغيظ.

(2) اللسان «شهب» أنشده سيبويه. فى المطبوعة «اشنع» بدل (اشهب)

خُفْيَةً» أى تدعونه فى أنفسكم بما تضمرون من حاجاتكم اليه كما تظهرون.

و قوله «لئن أنجيتنا من هذه» أى فى شدة وقعوا فيها، يقولون «لئن أنجيتنا من هذه» لنشكرنک، فأمر اللّه ان يسألهم على وجه التوبيخ لهم و التقرير بأنه ينجيهم و أنه القادر على نفعهم و ضرهم. ثم أعلمهم ان اللّه الذى أقروا بأنه ينجيهم هو ينجيهم ثم هم يشركون معه الأصنام التى قد علموا أنها من صنعهم و أنها لا تضر و لا تنفع و أنه تعالى على تعذيبهم قادر.

قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَ يُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (65)

آية بلا خلاف.

هذا أمر من اللَّه تعالى لنبيه (ص) أن يقول لهؤلاء الكفار: ان اللَّه قادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم نحو الحجارة التى أمطرها على قوم لوط، و الطوفان الذى غرق به قوم نوح «أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ» نحو الخسف الذى نال قارون و من خسف به «أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً» معنى يلبسكم يخلط أمركم خلط اضطراب، لا خلط اتفاق يقال: لبست عليه الامر ألبسه إذا لم تبينه، و خلطت بعضه ببعض، و منه قوله «وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ» «1» و يقال لبست الثوب ألبسه. و معنى «شيعا» أى يجعلكم فرقا لا تكونون شيعة واحدة فإذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضا و هو معنى قوله «وَ يُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ» و انما يلبسهم اللَّه شيعا بأن يكلهم الى أنفسهم و لا يلطف لهم اللطف الذى يؤمنون عنده و يخليهم من ألطافه بذنوبهم السالفة، فيلبس عند ذلک عليهم أمرهم، فيختلفوا حتى يذوق بعضهم بأس بعض. ثم أكد الاحتجاج عليهم، فقال: «انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ» لتفقهوا.

---

(1) سورة 6 الانعام آية 9

و قال الحسن: الآية متناولة، لأهل الكتابين فى التهديد بالخسف، و انزال العذاب «أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً» يتناول أهل الصلاة. و

قال: قال رسول اللَّه (ص): (سألت ربى أن لا يظهر على أمتى أهل دين غيرهم فأعطانى، و سألته ألا يهلكم جوعا فأعطانى، و سألته أن لا يجمعهم على ضلالة، فأعطانى، و سألته أن لا يلبسهم شيعا، فمنعنى ذلک).

و فى الآية دلالة على أنه تعالى أراد من الكفار الايمان، لأنه قال: فعلت هذا بهم «لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ» و معناه لكى يفقهوا، لان معنى الشک لا يجوز عليه تعالى. و إذا ثبت أنها دخلت للغرض ثبت أنه أراد ان يؤمنوا به و يوحدوه، و يفقهوا أدلته و يعرفوها.

و

روى عن أبى عبد اللَّه (ع) أنه قال معنى «عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ» السلطان الجائر «و من تحت أرجلكم» السفلة، و من لا خير فيه «أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً» قال: العصبية «وَ يُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ» قال سوء الجوار

، و يكون معنى البعث على هذا الوجه التمكين و رفع الحيلولة دون أن يفعل ذلک أو يأمر به، يتعالى اللّه عن ذلک.

وَ كَذَّبَ بِهِ قَوْمُکَ وَ هُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (66) لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (67)

آية فى المدنيين و البصرى و آيتان فى الكوفى، آخر الاولى «بوكيل».

قوله تعالى «وَ كَذَّبَ بِهِ قَوْمُکَ» أى بما صرف من الآيات التى ذكرها فى الآية الاولى- فى قول البلخى و الجبائى- و قال الازهرى: الهاء راجعة الى القرآن. ثم أخبر تعالى، فقال «وَ هُوَ الْحَقُّ» و أمره أن يقول لقومه «لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ» أى لم أؤمر بمنعكم من التكذيب بآيات اللّه و ان أحفظكم من ذلک و ان أحول بينكم و بينه، لان الوكيل على الشىء هو القائم بحفظه، و الذى يدفع الضرر عنه. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 164

و قال البلخى: هذه نزلت بمكة قبل أن يؤمر بالقتال، ثم امر فيما بعد ذلک. و أمره ان يخبرهم ان «لكل نباء» يخبرهم به «مستقر» و هو وقته الذى يعلمون فيه صحة ما وعدهم به و حقيقته، و ذلک عند كون مخبره، اما فى الدنيا، و اما فى الآخرة «وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ» فيه تهديد لهم بكون ما أخبرهم به من العذاب النازل بهم فى الدنيا و الآخرة، و وقت كون هذا العذاب هو مستقر الخبر. و قال بعضهم: أنبأه اللّه بالوقت الذى يظفره فيه بهم. و قال الزجاج يجوز أن يكون أراد وقت الاذن فى محاربتهم حتى يدخلوا فى الإسلام أو يقبلوا الجزية ان كانوا أهل كتاب.

و قوله: «وَ كَذَّبَ بِهِ قَوْمُکَ» المراد به الخصوص، لان فى قومه جماعة صدقوا به، و هو كما يقول القائل: هؤلاء عشيرتى، يشير الى جماعة و ان لم يكونوا جميع عشيرته.

وَ إِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِی آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّی يَخُوضُوا فِی حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَ إِمَّا يُنْسِيَنَّکَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّکْری مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (68)
آية بلا خلاف قرأ ابن عامر «و اما ينسينک» بتشديد السين. الباقون بالتخفيف.
خاطب اللّه تعالى نبيه (ص) بهذه الآية، فقال له «إذا رأيت» هؤلاء الكفار «الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِی آياتِنا». قال الحسن، و سعيد بن جبير: معنى «يخوضون» يكذبون «بآياتنا» و ديننا و الخوض التخليط فى المفاوضة على سبيل العبث و اللعب، و ترک التفهم و اليقين. و مثله قول القائل: تركت القوم يخوضون، أى ليسوا على سداد، فهم يذهبون و يجيئون من غير تحقيق و لا قصد للواجب- أمره حينئذ ان يعرض عنهم «حَتَّی يَخُوضُوا فِی حَدِيثٍ غَيْرِهِ» لان من حاج من هذه حاله و أراد التبيين له فقد وضع الشىء فى غير موضعه التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 165
و حط من قدر الدعاء، و البيان و الحجاج. ثم قال له (ص) ان أنساک الشيطان ذلک «فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّکْری»- و الذكرى و الذكر واحد- «مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» يعنى هؤلاء الذين يخوضون فى ذكر اللّه و آياته. ثم رخص للمؤمنين بقوله: «وَ ما عَلَی الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسابِهِمْ» «1» بأن يجالسوهم إذا كانوا مظهرين للتكبر عليهم غير خائفين منهم، و لكن ذكرى يذكرونهم أى ينبهونهم ان ذلک يسوءهم «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» ثم نسخ ذلک بقوله «وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِی الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ بِها» الى قوله: «إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ» «2» و بهذا قال سعيد بن جبير و السدى و جعفر بن مبشر، و اختاره البلخى و
قال: فى أول الإسلام كان ذلک يخص النبى (ص) و رخص المؤمنين فيه، ثم لما عزَّ الإسلام، و كثر المؤمنون نهوا عن مجالستهم و نسخت الآية.
و استدل الجبائى بهذه الآية على انه لا يجوز على الائمة المعصومين على مذهبنا التقية. (و قال: لأنهم إذا كانوا الحجة كانوا مثل النبى، و كما لا يجوز عليه التقية فكذا الامام- على مذهبكم-)! و هذا ليس بصحيح، لأنا لا نجوز على الامام التقية فيما لا يعرف الا من جهته، كالنبى و انما تجوز التقية عليه فيما يكون عليه دلالة قاطعة موصلة الى العلم، لان المكلف علته مزاحة فى تكليفه، و كذلک يجوز فى النبى (ص) أن لا يبين فى الحال، لامته ما يقوم منه بيان منه أو من اللّه أو عليه دلالة عقلية، و لذلک
قال النبى (ص) لعمر حين سأله عن الكلالة فقال (يكفيک آية الصيف) و أحال آخر فى تعرف الوضوء على الآية
، فأما ما لا يعرف الا من جهته، فهو و الامام فيه سواء لا يجوز فيهما التقية

فى شىء من الأحكام.
و استدل الجبائى أيضا بالآية على ان الأنبياء يجوز عليهم السهو و النسيان قال بخلاف ما يقوله الرافضة بزعمهم من أنه لا يجوز عليهم شىء من ذلک.
و هذا ليس بصحيح أيضا لأنا نقول انما لا يجوز عليهم السهو و النسيان فيما يؤدونه عن اللّه، فأما غير ذلک فانه يجوز أن ينسوه أو يسهو عنه مما لم يؤد ذلک الى

---

(1) سورة 6 الانعام آية 69 [.....]
(2) سورة 4 النساء آية 139

الإخلال بكمال العقل، و كيف لا يجوز عليهم ذلک و هم ينامون و يمرضون و يغشى عليهم، و النوم سهو و ينسون كثيرا من متصرفاتهم أيضا و ما جرى لهم فيما مضى من الزمان، و الذى ظنه فاسد.
و قال أيضا فى الآية دلالة على وجوب انكار المنكر لأنه تعالى أمره بالاعراض عنهم على وجه الإنكار و الازدراء لفعلهم و كل أحد يجب عليه ذلک اقتداء بالنبى.

وَ ما عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ لكِنْ ذِكْرى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (69)

آية بلا خلاف.

لهذه الآية تأويلان:

أحدهما- قال الجبائى و الزجاج و اكثر المفسرين ان المراد ليس على المتقين من حساب الكافرين و ما يخوض فيه المشركون، و لا من مكروه عاقبته شىء «وَ لكِنْ ذِكْرى» أى نهوا عن مجالستهم ليزدادوا تقى و أمروا ان يذكروهم و ينبهوهم على خطأهم لكى يتقى المشركون إذا رأوا أعراض هؤلاء المؤمنين عنهم، و تركهم مجالستهم فلا يعودون لذلک.

و الثانى- قال البلخى: ليس على المتقين من الحساب يوم القيامة مكروه و لا تبعة و لكنه أعلمهم بأنهم محاسبون و حكم بذلک عليهم لكى يعلموا أن اللَّه يحاسبهم، فيتقوا فعلى الاول الهاء و الميم كناية عن الكفار و على الثانى عن المؤمنين.

و (ذكرى) يحتمل ان يكون فى موضع رفع و نصب، فالنصب على تقدير ذكرهم ذكرى و الرفع على وجهين: أحدهما- و لكن عليكم ان تذكروهم، كما قال: «إِنْ عَلَيْکَ إِلَّا الْبَلاغُ» «1» و الثانى- على تقدير و لكن الذى يأمرونهم

---

(1) سورة 42 الشورى آية 48

به ذكرى ليتقوا عذاب اللَّه.

و

قال أبو جعفر (ع): لما نزلت «فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» قال المسلمون كيف نصنع ان كان كلما استهزء المشركون بالقرآن قمنا و تركناهم فلا ندخل إذا المسجد الحرام و لا نطوف بالبيت الحرام، فأنزل اللَّه تعالى «وَ ما عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» و أمرهم بتذكيرهم و تبصيرهم ما استطاعوا.

وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ ذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِما كَسَبَتْ لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَ لا شَفِيعٌ وَ إِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْها أُولئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِما كَسَبُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ (70)

آية عند الجميع معنى قوله «ذر» دع يقال: و ذر يذر مثل ودع يدع، فإذا أمرت منه قلت: ذر كما قال «ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا».

و قوله «الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً» يعنى هؤلاء الكفار الذين وصفهم انهم اتخذوا دين اللّه لعبا و لهوا، لأنه لا معنى لمحاجة من كانت هذه سبيله، لأنه لاعب عابث، لا يصغى لما يقال له، فالمكلم له و المحتج عليه غير منتفع و لا نافع. و قد قطع اللّه عذر هؤلاء الذين يذهبون مذهب اللعب بما أدركوه بعقولهم، و ما شاهدوه من آياته «وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا». ثم امر نبيه (ص) ان يذكر به، يعنى القرآن. و قيل الحساب، لكى لا تبسل نفس بما كسبت أى تدفع الى الهلكة على وجه الغفلة و تسلم لعملها غير قادرة على التبيان

التخلص، قال الشاعر فى الغريب المصنَّف:

و ابسالى بنى بغير جرم بعوناه و لا بدم مراق «1»

أى اسلامى إياهم. بعوناه اجترمناه، و البعو الجناية. و قيل: معنى تبسل ترهن و يسلم لعمله. قال الأخفش: معنى «تبسل» تجازى من ابسل ابسالا، و منه قوله «أُولئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا» «2» قال الكسائى: «تبسل» تجزى يعنى فى الكلام. و قال الفراء: معناه يسلم و يقال أعط الراقى بسلته أى أجرته على رقيته. و يقال أسد باسل، معناه ان معه من الاقدام ما يستبسل له قرنه، و يقال هذا بسل أى حرام، و هو بسل أى حلال. و هذا من الاضداد.

«شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ» قال الضحاك الحميم هو الماء الذى احمى حتى انتهى غليانه.

و قوله: «وَ إِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ» قال بعضهم ان يفد كل فدية يريد ان يجعلها عدلا لها من قوله «لا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ» «3» و قال غيره معناه و ان تقسط كل قسط لا يقبل منها فى ذلك اليوم، لان التوبة انما هى فى الحياة الدنيا.

ثم أخبر تعالى انه ليس لهؤلاء الكفار «وَلِيٌّ وَ لا شَفِيعٌ» أى لا ناصر لهم، و لا من يسأل فيهم و اخبر أيضا أن هؤلاء فى قوله «أُولئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا» هم الذين يجازون بما كسبوا و ان لهم شرابا من حميم و عقابا أليما بما كانوا يكفرون، نعوذ باللّه منها. و قيل: ما من أمة الا و لهم عيد يلعبون فيه و يلهون، الا أمة محمد فان أعيادهم صلاة و تكبير و دعاء و عبادة.

قُلْ أَ نَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُنا وَ لا يَضُرُّنا وَ نُرَدُّ عَلى أَعْقابِنا بَعْدَ إِذْ هَدانَا اللَّهُ كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرانَ لَهُ أَصْحابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ (71)

---

(1) تفسير الطبرى 11/ 445 و مجاز القرآن 1/ 149 و اللسان «بسل»
(2) سورة 6 الانعام آية 70
(3) سورة 2 البقرة آية 123

آية بلا خلاف.
قرأ حمزة «استهواه الشياطين» بألف ممالة، الباقون بالتاء المعجمة من فوق قال ابو عبيدة «كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ» أى استمالت به، ذهبت به، و منه «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها» «1» و كذلک هوى و أهوى غيره، قال تعالى:
«وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوى» «2» يقال أهويته و استهويته، كما قال «فأزلهما الشيطان» و «إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ» «3»، فكما أن أزله بمعنى استزله كذلک استهواه بمنزلة أهواه، و كما أن معنى استجابه أجابه فى قول الشاعر:
فلم يستجبه عند ذاک مجيب «4» و قرأ حمزة ها هنا مثل قراءته «توفاه» و كلا المذهبين حسن.
و قوله: «استهواه» انما هو من قولهم: هوى من حالق إذا تردى منه.
و يشبه به الذى زل عن الطريق المستقيم، كما أن زل انما هو من العباد، و المكان أمر اللّه نبيه (ص) و المؤمنين أن يقولوا لهؤلاء الذين يدعونهم الى عبادة الأوثان و الأصنام «أَ نَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُنا» ان عبدناه، و لا يضرنا ان تركنا عبادته «وَ نُرَدُّ عَلى أَعْقابِنا» بعد الهدى و الرشاد و بعد معرفتنا باللّه و تصديق رسله الى الضلال، و ذلک مثل يقال فيمن رجع عن خير الى شر: رجع على عقبيه، و كذلک إذا خاب من مطلبه، يقال رد على عقبيه، و يصير فى الحيرة «كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرانَ» لا يهتدى الى طريق، و لا معرفة «لَهُ أَصْحابٌ يَدْعُونَهُ» الى الطريقَ الواضح و هو الهدى و يقولون له «ائتنا» و لا يقبل منهم، و لا يصير اليهم غير انه لذهاب عقله من فعل اللّه، فيستولى الشيطان حينئذ عليه، و لا يقبل من أحد لحيرته. شبه اللّه به الكافر الذى يرجع

---

(1) سورة 2 البقرة آية 36
(2) سورة 53 النجم آية 53
(3) سورة 3 آل عمران آية 155
(4) انظر 2/ 131

عن إيمانه و هداه الى الضلال. قال و لا يقدر أحد من الشياطين على اذهاب عقل أحد، لأنهم لو قدروا على ذلک لسلبوا عقول العلماء من حيث انهم أعداؤهم، فلما لم يقدروا على ذلک دلَّ على أنه لا يقدر على ذلک الا اللَّه.
ثم أمره اللَّه أن يقول لهؤلاء الكفار «إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى» أى دلالة اللَّه لنا على توحيده و أمر دينه هو الهدى الذى يؤدى المستدل به الى الفلاح و الرشاد فى دينه و هو الذى يجب أن يعمل عليه و يستدل به دون ما يدل عليه غيره من سوى أمور الدين. و قوله «وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ» معناه أمرنا أن نسلم أمورنا للَّه رب العالمين و ان نفوضها اليه و نتوكل عليه لا على غيره مما يعبده المشركون.
و «حيران» نصب الحال، و تقديره كالذى استهوته الشياطين فى حال حيرته. و قوله «لَهُ أَصْحابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى» قيل: نزلت فى عبد الرحمن ابن أبى بكر، كان أبواه يدعو انه الى الايمان و يقولان له «ائتنا»، أى تابعنا فى أيماننا «وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ» تقول العرب: أمرتک ان تفعل و أمرتک لتفعل و أمرتک بأن تفعل، فمن قال: أمرتک بأن تفعل، فالباء للإلصاق. و المعنى وقع الامر بهذا الفعل. و من قال أمرتک أن تفعل حذف الباء، و من قال أمرتک لتفعل المعنى أمرنا للإسلام. قال الزجاج: يكون اللام لام التعليل و التقدير أمرنا كى نسلم قال الشاعر:
أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل «1»
أى كى أنسى. و قال الطبرى: معناه و أمرنا لنخضع له بالذلة و الطاعة و نخلص ذلک له دون ما سواه من الأنداد و الآلهة.

وَ أَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ اتَّقُوهُ وَ هُوَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (72)
آية بلا خلاف.

---

(1) مر هذا البيت فى 3/ 174 و هو فى مجمع البيان 2/ 319
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 171
تحتمل هذه الآية وجهين:
أحدهما- أن يكون التقدير أمرنا لان نسلم، و لان نقيم الصلاة.
و الثانى- ان يكون محمولا على المعنى، لان معناه أمرنا بالإسلام، و اقامة الصلاة، و موضع (أن) نصب، لان الباء لما أسقطت أفضى الفعل، فنصب. و يحتمل أن يكون محمولا على قوله «يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنا» و ان «أَقِيمُوا الصَّلاةَ» أى و يدعونه أن أقيموا الصلاة. و هذه الآية موصولة بالتى قبلها أى «أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ» و قيل لنا «أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ اتَّقُوهُ» اى اتقوا رب العالمين بأن تجتنبوا معاصيه و تتقوا عقابه. ثم بين أنه «هُوَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» أى تجمعون اليه يوم القيامة فيجازى كل عامل منكم بعمله، و توفى كل نفس بما كسبت.

وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ یَوْمَ یَقُولُ کُنْ فَیَکُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَ لَهُ الْمُلْکُ یَوْمَ یُنْفَخُ فِی الصُّورِ عالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَةِ وَ هُوَ الْحَکِیمُ الْخَبِیرُ (73)

آیتان فی البصری و المدنیین و آیة فی الکوفی.

أمر اللّه تعالی نبیه (ص) أن یقول لهؤلاء الکفار الذین یعبدون الأصنام، و یدعون المؤمنین الی عبادتها «وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِینَ» الذی خلق السماوات و الأرض بالحق، و فی معنی بالحق قولان:

أحدهما- قال الحسن و البلخی و الجبائی و الزجاج و الطبری: ان معناه خلقهما للحق لا للباطل. و معناه خلقهما حقا و صوابا لا باطلا و خطأ، کما قال تعالی: «وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما باطِلًا» «1» و ادخلت الباء

---

(1) سورة 38 ص آیة 27

و الالف و اللام کما أدخلت فی نظائرها یقولون: فلان یقول بالحق، بمعنی أنه یقول الحق، لا أن الحق معنی غیر القول بل التقدیر ان خلق اللّه السماوات و الأرض حکمة و صواب من حکم اللّه، و هو موصوف بالحکمة فی خلقهما و خلق ما سواهما من جمیع خلقه لا أن هناک حقا سوی خلقهما خلقهما به، و ذلک یدل علی بطلان ما یقوله المجبرة: ان هذا کله باطل و سفه، و ما یخالف الحکمة هو من فعل اللّه، تعالی اللّه عن ذلک.

و الثانی- قال قوم: معنی ذلک أنه خلق السماوات و الأرض بکلامه، و هو قوله «ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً» «2» قالوا: فالحق هو کلامه و استشهدوا علی ذلک بقوله «وَ یَوْمَ یَقُولُ کُنْ فَیَکُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ» «3» أن الحق هو قوله و کلامه. قالوا و اللّه خالق الأشیاء بکلامه، و ذلک یوجب أن یکون کلامه قدیما غیر مخلوق، و قد بینا فساد هذا الوجه فیما تقدم، و المعتمد الاول.

و قوله «وَ یَوْمَ یَقُولُ کُنْ فَیَکُونُ» نصب (یوم) علی وجوه:

أحدها- علی معنی و اتقوا «یَوْمَ یَقُولُ کُنْ فَیَکُونُ» نسقا علی الهاء کما قال: «وَ اتَّقُوا یَوْماً لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً» «4».

و الثانی- أن یکون علی معنی و اذکر یوم یقول کن فیکون لان بعده «وَ إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ» و المعنی و اذکر «یَوْمَ یَقُولُ کُنْ فَیَکُونُ» و اذکر «إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ» و هو الذی أختاره الزجاج.

و الثالث- أن یکون معطوفا علی «السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ» و خلق «یَوْمَ یَقُولُ کُنْ فَیَکُونُ». فان قیل: ان یوم القیامة لم یخلق بعد؟ قیل:

ما أخبر اللّه بكونه فحقيقة واقع لا محالة و قال قول: التمام عند قوله «كن» و قوله «فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ» ابتداء أى ما وعدوا به من الثواب و حذروا به من العقاب كائن حق قوله بذلک.

_____

(2) سورة 41 حم السجدة آية 11
(3) سورة 6 الانعام آية 73
(4) سورة 2 البقرة آية 48 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 173
و قوله «كُنْ فَيَكُونُ» قال قوم هو خطاب للصور. و المعنى و يوم يقول للصور كن فيكون. و قد بينا فيما مضى أن ذلک عبارة عن سرعة الفعل و تيسيره و انه لا يتعذر عليه شىء بمنزلة أن يقول كن فيكون، لا أن هناک أمر على الحقيقة و كيف يكون هناک أمر و الامر لا يتوجه الا الى الحى القادر؟! و المعدومات و الجمادات لا يحسن أمرها و لا خطابها. و الغرض بالآية الدلالة على سرعة أمر البعث و الساعة كأنه قال و يوم يقول للخلق: موتوا فيموتون و انتشروا فينتشرون اى لا يتعذر عليه و لا يتأخر عن وقت ارادته. و قيل «يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ» أى يأمر فيقع أمره. و الحق من صفة قوله. كما يقول القائل قد قلت، فكان قولک. و المعنى ليس انک قلت فكان الكلام.
و انما المعنى انه كان ما دل عليه القول. و على القول الاول يرفع (قوله) بالابتداء و (الحق) خبر الابتداء. و حكى عن قوم من السلف «فيكون» بالنصب بإضمار (ان). و تقديره كن فأن يكون، و هذا ضعيف.
و قوله «وَ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ» يحتمل نصب «يَوْمَ يُنْفَخُ» ثلاثة أوجه:
أحدها- ان يكون متعلقا ب (له الملک) و التقدير له الملک يوم ينفخ فى الصور و انما خص ذلک اليوم بأن الملک له كما خصه فى قوله «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ». و قرأ بعضهم «ينفخ» بفتح الياء. و «عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» فاعل (ينفخ) و هو شاذ، روى عن ابن عباس ذلک، و الوجه أنه لا يبقى ملک من ملكه اللّه فى الدنيا او يغلب عليه بل ينفرد هو تعالى بالملک.
و الثانى- أن يكون يوم ينفخ بيانا على قوله «يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ» الثالث- ان يكون منصوبا ب (قَوْلُهُ الْحَقُّ). و المعنى و قوله الحق يوم ينفخ، الصور.
و الوجه فى اختصاص ذلک اليوم بالذكر ما بيناه فى الوجه الاول، لان قوله حق فى جميع الأوقات. و فى معنى الصور قولان:
أحدهما- ما عليه اكثر المفسرين من انه اسم لقرن ينفخ فيه الملک التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 174
فيكون منه الصوت الذى يصعق له اهل السماوات و اهل الأرض، ثم ينفخ فيه نفخة أخرى للنشور، و هو الذى اختاره البلخى و الجبائى و الزجاج و

الطبرى و اكثر المفسرين.
و الثانى- أنه جمع صورة مثل قولهم سورة و سور اختاره ابو عبيدة.
و قرأ بعضهم فى الشواذ فى الصور بفتح الواو و ذلک يقوى ما قاله ابو عبيدة، و يكون تقديره يوم ينفخ فى الأموات. و يقوى الاول قوله تعالى «وَ نُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّماواتِ» ثم قال «ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى» «1» و لم يقل فيها أخرى او فيهن و ذلک يدل على انه واحد. و
روى ابو سعيد الخدرى قال قال رسول اللَّه (ص): كيف أنعم و قد التقم صاحب القرن و حنا جنبيه و أصغا سمعه ينتظر ان يؤمر، فينفخ؟! قالوا: فكيف نقول يا رسول اللَّه؟ قال قولوا: حسبنا اللَّه و نعم الوكيل.
و العرب تقول نفخ الصور و نفخ فى الصور، قال الشاعر:
لولا ابن جعدة لم يفتح قهندركم و لا خراسان حتى ينفخ الصور
و روى عن ابن عباس ان الصور يعنى به النفخة الاولى. ثم بين انه عالم الغيب و الشهادة اى ما يشاهده الخلق و ما لا يشاهدونه و ما يعلمونه و ما لا يعلمونه، و لا يخفى عليه شىء من ذلک. و بين انه الحكيم فى أفعاله الخبير العالم بعباده و بأفعالهم، و رفع عالم الغيب لأنه نعت للذى فى قوله «وَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ ... عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» و يحتمل ان يكون اسم ما لم يسم فاعله كما يقولون أكل طعامک عبد اللَّه، فيظهر اسم فاعل الاكل بعد ان قد جرى الخبر بما لم يسم فاعله، و الاول أجود، فأما من فتح الياء فى ينفخ فانه جعل عالم الغيب فاعله مرتفعا به.

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَ تَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً إِنِّی أَراکَ وَ قَوْمَکَ فِی ضَلالٍ مُبِينٍ (74)

---

(1) سورة 39 الزمر آية 68.

آية بلا خلاف.

قرأ اكثر القراء (آزر) بنصب الراء. و قرأ ابو بريد المدنی و الحسن البصری و يعقوب بالضم. فمن قرأ بالنصب جعل (آزر) فی موضع خفض بدلا من أبيه. و من قرأ بالضم جعله منادى مفردا و تقديره يا آزر.

و قال الزجاج: لا خلاف بين اهل النسب ان اسم أبی ابراهيم تارخ و الذی فی القرآن يدل على ان اسمه (آزر) و قيل (آزر) ذم فی لغتهم كأنه قال:

و إذ قال ابراهيم لأبيه يا مخطئ أ تتخذ أصناما فعلى هذا قال الزجاج الاختيار الرفع. قال: و يجوز أن يكون وصفا له كأنه قال و إذ قال ابراهيم لأبيه المخطئ. قال الزجاج: و قيل (آزر) اسم صنم، فموضعه نصب على إضمار الفعل، كأنه قال: و إذ قال ابراهيم لأبيه أ تتخذ آزر، و جعل (أصناما) بدلا من آزر و أشباهه. فقال بعد أن قال أ تتخذ آزر إلها أ تتخذ أصناما آلهة.

و الذی قاله الزجاج يقوى ما قاله أصحابنا، ان آزر كان جده لامه أو كان عمه، لان أباه كان مؤمنا من حيث ثبت عندهم أن آباء النبی (ص) الى آدم كلهم كانوا موحدين لم يكن فيهم كافر، و حجتهم فی ذلک اجماع الفرقة المحقة، و قد ثبت أن إجماعها حجة لدخول المعصوم فيها، و لا خلاف بينهم فی هذه المسألة. و أيضا

روى عن النبی (ص) أنه قال: نقلنی اللَّه من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات لم يدنسنی بدنس الجاهلية

، و هذا خبر لا خلاف فی صحته، فبين النبی (ص) أن اللَّه نقله من أصلاب الطاهرين فلو كان فيهم كافر لما جاز وصفهم بأنهم طاهرون، لان اللَّه وصف المشركين بأنهم أنجاس، فقال «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ» «1» و لهم فی ذلک أدلة لا نطول بذكرها الكتاب لئلا يخرج عن الغرض.

و اختلفوا فی معنى (آزر) هل هو اسم أو صفة، فقال السدی و محمد

---

(1) سورة 9 التوبة آية 29.

ابن إسحاق و سعيد بن عبد العزيز و الجبائی و البلخی: انه اسم أبی ابراهيم، و هو تارخ كما قيل ليعقوب: إسرائيل، قالوا: و يجوز ان يكون لقبا

غلب عليه. و قال مجاهد: ليس آزر أبا ابراهيم و انما هو اسم صنم. و قال قوم هو سب و عبث بكلامهم، و معناه معوج. و (إذ) فى الآية متعلقة بقوله و اذكر «إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَ تَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً» و الالف الف انكار لا استفهام و ان كان قد خرج مخرج الاستفهام.
و قوله «إِنِّى أَراكَ وَ قَوْمَكَ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ» يعنى فى ضلال عن الصواب و قوله «مبين» يدل على انه قال ذلك منكرا، و المبين هو البين الظاهر، و الغرض بالآية حث النبى (ص) على محاجة قومه الذين يدعونه الى عبادة الأصنام و الازدراء على فعلهم و الاقتداء فى ذلك بأبيه ابراهيم (ص) و صبره على محاجة قومه العابدين للأصنام ليتسلى بذلك و يقوى دواعيه الى ذلك.
و الأصنام جمع صنم و هو مثال من حجر او خشب او من غير ذلك فى صورة انسان و هو الوثن. و قد يقال للصورة المصورة على صورة الإنسان فى الحائط و غيره صنم و وثن.

وَ كَذلِكَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75)

آية بلا خلاف.

معنى قوله «وَ كَذلِكَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ» أى مثل ما وصفنا من قصة ابراهيم من قوله لأبيه ما قال نريه «مَلَكُوتَ السَّماواتِ» أى انا كما أريناه أن قومه فى عبادة الأصنام ضالون كذلك نريه ملكوت السماوات و الأرض و قيل فى معنى الملكوت أقوال: قال الزجاج، و الفراء و البلخى و الجبائى و الطبرى و هو قول عكرمة: ان الملكوت بمنزلة الملك غير أن هذه اللفظة ابلغ من الملك، لان الواو و التاء يزادان للمبالغة. و مثل الملكوت الرغبوت

و الرهبوت و وزنه (فعلوت) و فى المثل (رهبوت خير من رغبوت) و من روى (رهبوتى خير من رحموتى) معناه أن يكون له هيبة يرهب بها خير من أن يرحم.

و قال مجاهد (مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) ملكهما بالنبطية.

و قال الضحاك: يعنى خلقهما، و به قال ابن عباس، و قتادة. و روى عن مجاهد أيضا أن معناه آيات السماوات و الأرض. و روى عن مجاهد و ابن عباس أيضا أنه أراد بذلك ما أخبر اللّه عنه أنه أراه من النجوم و الشمس و القمر، حين خرج من المغارة، و به قال قتادة. و قال الجبائى: المعنى انا كنا نرى ابراهيم ملكوت السماوات و الأرض و الحوادث الدالة على أن اللّه مالك لها، و لكل شىء بنفسه، لا يملكه سواه، فأجرى الملكوت على المملوك الذى هو فى السماوات و الأرض مجازا.

و قوله «وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» أى أريناه ملكوت السماوات ليستدل به على اللّه و ليكون من الموقنين أن اللّه هو خالق ذلك و المالك له. و الموقن هو العالم الذى يتيقن الشىء بعد أن لم يكن مثبتا، و لهذا لا يوصف تعالى بأنه متيقن كما يوصف بأنه عالم، لأنه تعالى عالم بها فيما لم يزل. و

قال أبو جعفر (ع): كشط اللّه له السموات و الأرض حتى رآهن و ما عليهن من الملائكة و حملة العرش، و ذلك قوله: «وَ كَذلِكَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ».

فان قيل كيف يجوز أن يرى ما تحت الأرضين و الأرض حجاب لما تحتها و كذلك السماء فوقها؟

قلنا: لا يمتنع أن يجعل اللّه تعالى منها خروقا و منافذ و يقوى شعاعه حتى ينفذ فيها فيرى ما فوقها و ما تحتها و لا يمنع من ذلك مانع، و مثل هذا روى عن مجاهد و السدى و سعيد بن جبير و سلمان.

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّي هذا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قالَ يا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79)

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 178

أربع آيات بلا خلاف.

قرأ ابن ذكوان، و حمزة و الكسائى و خلف، و يحيى و الكسائى عن أبى بكر (رأى) بكسر الراء و امالة الهمزة منه و من قوله «رَأى أَيْدِيَهُمْ» «1» فى هود، و «رأى قمصه» و «رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ» فى يوسف «2» و «رَأى ناراً» فى طه «3» و «لَقَدْ رَأى» فى النجم «4» سبعة مواضع. و هو ما لم يقله ساكن و لم يتصل بمكنى، وافقهم العليمى فى «رَأى كَوْكَباً» حسب.

و قرأ ابو عمرو- بفتح الراء- و إمالة الهمزة فيهن. الباقون بفتح الراء و الهمزة. فان لقى (رأى) ساكنا، و هو ستة مواضع هاهنا: «رَأَى الْقَمَرَ» و «رَأَى الشَّمْسَ» و فى النحل «وَ إِذا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا» «5» و فى الكهف «وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ» «6» و فى الأحزاب «وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ» «7» بكسر الراء و كسر الهمزة فيهن حمزة و خلف و بصير و ابو بكر الا الأعشى. البرجمى.

الباقون بفتح الراء و الهمزة فان اتصل رأى بمكنى نحو (رآه و رآك و رآها) فكسر

---

(1) سورة 11 هود آية 70

(2) آية 24 و آية 28.

(3) آية 10

(4) آية 18.

(5) آية 85، 86

(6) آية 54.

(7) آية 22.

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 179

الراء و امال الهمزة حيث وقع حمزة و الكسائى و خلف و يحيى و الكسائى عن أبى بكر.

و قرأ ابو عمرو و الداحونى عن ابن ذكوان- بفتح الراء و امالة الهمزة- الباقون بفتحهما. قال ابو على الفارسى: وجه قراءة من لم يملها انه ترك

الامالة كما تركوا الامالة فى قولهم: دعا، و رمى. فلما لم يمل الالف لم يمل الالف التى قبلها، كما أمالها من يرى الامالة ليميل الالف نحو الياء.
و من قرأ بين الفتح و الكسر كما قرأ نافع، فلا يخلو أن يريد الفتحتين اللتين على الراء و الهمزة، او الفتحة التى على الهمزة وحدها، فان كان يريد فتحة الهمزة فإنما أمالها نحو الكسرة ليميل الالف التى فى «رأى» نحو الياء كما أمال الفتحة التى على الدال من (هدى) و الميم من (رمى). و ان كان يريد أنه أمال الفتحتين جميعا التى على الراء و التى على الهمزة، فإمالة فتحة الهمزة على ما تقدم ذكره، و اما امالة الفتحة التى على الراء فإنما أمالها لاتباعه إياها امالة فتحة الهمزة، كأنه امال الفتحة كما أمال الالف فى قولك: رأيت عمادا، إذ الفتحة الممالة بمنزلة الكسرة فكما أميلت الفتحة فى قولك: من عامر، لكسرة الراء كذلك أميلت فتحة الراء من (رأى) لامالة الفتحة التى على الهمزة. و التقديم و التأخير فى ذلك سواء.
و من كسر الراء و الهمزة فالوجه فيه أنه كسر الراء من (رأى) لان المضارع منه على (يفعل) و إذا كان المضارع منه على (يفعل) كان الماضى على (فعل) ألا ترى ان المضارع فى الامر العام إذا كان على (يفعل) كان الماضى على فعل.
و على هذا قالوا: ايت بيتنا، فكسروا حرف المضارعة. كما كسروا فى نحو يحيى، و يعلم، و يفهم. و كسروا الياء أيضا فى هذه الحروف، فقالوا: ايتنا، و لم يكسروها فى (يعلم و يفهم) إذا كان الماضى على فعل فيما يترك كسر الراء التى هى فاء، لان العين همزة. و حروف الحلق إذا جاءت فى كلمة على زنة (فعل) كسرت فيها الفاء لكسر العين فى الاسم و الفعل، نحو قولهم: غير قعر، التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 180
و رجل حبر، و فحل، و فى الفعل نحو (شهد و لعب و نعم) فكسرة الياء على هذا كسرة مخلصة محضة، و ليست بفتحة ممالة، و اما كسرة الهمزة فأنه يراد به امالة فتحتها الى الكسرة، لتميل الالف نحو الياء.
و من ترك الامالة إذا لقيها ساكن، فإنهم كانوا يميلون الفتحة لميل الالف نحو الياء، فلما سقطت الالف بطلت إمالتها بسقوطها، و بطلت بذلك امالة الفتحة نحو الكسرة لسقوط الالف التى كانت الفتحة الممالة لميلها نحو الياء فى مثل (رَأَى الشَّمْسَ) و (رَأَى الْقَمَرَ) و نحوهما فى جميع القرآن. و من وافق فى بعض ذلك دون بعض أحب الأخذ باللبس.
و وجه قراءة أبى بكر و حمزة فى (رَأَى الشَّمْسَ) و (رَأَى الْقَمَرَ) بكسر الراء و فتح الهمزة فى جميع القرآن، أن كسر الراء انما هو للتنزيل الذى ذكرناه، و هو معنى منفصل من إمالة فتحة الهمزة، ألا ترى انه يجوز ان يعمل هذا المعنى من لا يرى الامالة كما يجوز ان يعمله من يراها. و إذا كان كذلك كان انفصال أحدهما من الآخر سائغا غير ممتنع. فأما رواية يحيى عن أبى بكر- بكسر الراء و الهمزة معا- فإنما يريد بكسرة الهمزة إمالة فتحتها،

فوجه كسر الراء قد ذكروا امالة فتحها مع زوال ما كان يوجب امالتها من حذف الالف، فلأن الالف محذوفة لالتقاء الساكنين. و ما يحذف لالتقاء الساكنين ينزل تنزيل المثبت. ألا ترى انهم أنشدوا:
و لا ذاكر اللّه الا قليلا «1» فنصب الاسم بعد (ذاكر) و ان كانت النون محذوفة لما كان الحذف لالتقاء الساكنين. و الحذف لذلک فى تقدير الإثبات، من حيث كان التقاؤهما غير لازم و لذلک لم تزد الالف فى نحو (رمت المرأة) و يشهد لذلک أنهم قالوا:
شهد، فكسروا الفاء لكسر العين، ثم أسكنوا فقالوا- شهد، فأبقوا الكسرة فى الفاء مع زوال ما كان أصلها و انشد قول الأخطل:

---

(1) مر تخريجه فى 2/ 72

إذا غاب عنا غاب عنا فرأتنا و ان شهد أجدى فضله و جداوله «2»
و قالوا: صعق، ثم نسبوا اليه فقالوا: صعقى، فأقرُّوا كسرة الفاء مع زوال كسرة العين التى لها كسرت الفاء. و زعم ابو الحسن ان ذلک لغة مع ما فيه من وجوه التلبيس و أنها قراءة.
يقال: جنَّ عليه الليل، و جنه الليل، و أجنه، و أجنَّ عليه، و مع حذف «على» فأجنه بالألف أفصح من جنه الليل. و كل ذلک مسموع، فلغة أسد جنه الليل، و لغة تميم أجنه، و المصدر من جن عليه جنا و جنونا و جنانا و أجن إجنانا. و يقال: أتانا فلان فى جن الليل. و الجن مشتق من ذلک، لأنهم استجنوا عن أعين الناس، فلا يرون، و كلما توارى عن أبصار الناس، فان العرب تقول: قد جن. و منه قول الهذلى:
و ماء وردت قبيل الكرى و قد جنه السدف الأدهم «3»
و قال عبيد:
و خرق تصيح الهام فيه مع الصدى مخوف إذا ما جنه الليل مرهوب «4»
و تقول: اجننت الميت إذا واريته فى اللحد و جننته و هو مثل جنون الليل فى معنى غطيته و سمى الترس مجنا لأنه يجن اى يغطى، و قال الشاعر:
فلما أجن الليل بتنا كأننا على كثرة الاعداء محترسان
قوله «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ» أى أظلم. و قوله «فَلَمَّا أَفَلَ» معناه غاب يقال: أفل يأفل أفولا، و تقول اين أفلت عنا، و اين غبت عنا، قال ذو الرمة:
مصابيح ليست باللواتى تقودها نجوم و لا بالآفات الدوالک «5»

---

(2) ديوانه 64
(3) هكذا فى المطبوعة و المخطوطتين و تفسير الطبرى 11/ 479 و روى «و ماء وردت على خيفة» و «على جفنه» و «قبل الصباح». ديوان الهذليين 3: 56 و اللسان «سدف» «جنن».

(4) ديوانه 38 و الطبرى 11/ 479.
(5) ديوانه: 245 و مجاز القرآن 1/ 199 و اللسان و التاج «دلک»- [.....]

و قوله «رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً» أى طالعا، يقال: بزغت الشمس بزوغا إذا طلعت، و كذلک القمر، و قوله للشمس «هذا رَبِّى» و هى مؤنثة معناه هذا الشىء الطالع ربى او على أنه حين ظهرت الشمس و قد كانوا يذكرون الرَّب فى كلامهم، فقال لهم هذا ربى؟! و قيل فى معنى هذه الآية وجوه أربعة:
الوجه الاول- ما قاله الجبائى: ان ما حكى اللَّه عن ابراهيم فى هذه الآية كان قبل بلوغه، و قبل كمال عقله و لزوم التكليف له، غير انه لمقاربته كمال العقل خطرت له الخواطر و حركته الشبهات و الدواعى على الفكر فيما يشاهده من هذه الحوادث، فلما رأى الكوكب- و قيل: انه الزهرة- و بان نوره مع تنبيهه بالخواطر على الفكر فيه و فى غيره ظن انه ربه، و أنه هو المحدث لما شاهده من الأجسام و غيرها «فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ» لأنه صار منتقلا من حال الى حال و ذلک مناف لصفات القديم «فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً» عند طلوعه رأى كبره و اشراق ما انبسط من نوره فى الدنيا «قالَ هذا رَبِّى» فلما راعاه وجده يزول و يأفل، فصار عنده بحكم الكوكب الذى لا يجوز ان يكون بصفة الاله، لتغيره و انتقاله من حال الى حال، «فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً» أى طالعة قد ملأت الدنيا نورا و رأى عظمها و كبرها «قالَ هذا رَبِّى هذا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ» و زالت و غابت، فكانت شبيهة بالكوكب و القمر قال حينئذ لقومه «إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ» فلما أكمل اللَّه عقله ضبط بفكره النظر فى حدوث الأجسام بأن وجودها غير منفكة من المعانى المحدثة، و أنه لا بدَّ لها من محدث، قال حينئذ لقومه «إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ ...» الى آخرها.
و الوجه الثانى- ما قاله البلخى و غيره: من أن هذا القول كان من ابراهيم فى زمان مهلة النظر، لان مهلة النظر مدة، اللَّه العالم بمقدارها، و هى اكثر من

و الطبرى 11: 485 و الازمنة 2: 49 و كتاب القرطين 1: 26. يصف الإبل بأنها مصابيح اى تصبح فى مبركها فلا تقف فى الطريق.

ساعة. و قال البلخى: و أقل من شهر، و لا يدرى ما بينهما الا اللَّه، فلما أكمل اللَّه عقله و خطر بباله ما يوجب عليه النظر و حركته الدواعى على الفكر و التأمل له. قال ما حكاه اللَّه، لان ابراهيم (ع) لم يخلق عارفا باللَّه، و انما اكتسب المعرفة لما أكمل اللَّه عقله، و خوفه من ترک النظر بالخواطر، فلما رأى الكوكب- و قيل هو الزهرة- رأى عظمها و إشراقها و ما

هى عليه من عجيب الخلق، و كان قومه يعبدون الكواكب، و يزعمون أنها آلهة- قال هذا ربى؟! على سبيل الفكر و التأمل لذلک، فلما غابت و أفلت، و علم ان الأفول لا يجوز على اللّه علم انها محدثة متغيرة لتنقلها، و كذلک كانت حاله فى رؤية القمر و الشمس، و أنه لما رأى افولهما قطع على حدوثهما و استحالة إلهيتهما، و قال فى آخر كلامه «إِنِّی بَرِیءٌ مِمَّا تُشْرِکُونَ إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِیفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ» و كان هذا القول منه عقيب معرفته باللّه و علمه بأن صفات المحدثين لا تجوز عليه.
فان قيل: كيف يجوز ان يقول: هذا ربى مخبرا، و هو يجوز أن يكون مخبره لا على ما اخبر، لأنه غير عالم بذلک، و ذلک قبيح فى العقول، و مع كمال عقله لا بد أن يلزمه التحرز من الكذب؟! قلنا عن ذلک جوابان:
أحدهما- انه قال ذلک فارضا مقدرا، لا مخبرا بل على سبيل الفكر و التأمل، كما يقول الواحد منا لغيره إذا كان ناظرا فى شىء و محتملا بين كونه على إحدى صفتين: انا نفرضه على إحداهما لننظر فيما يؤدى ذلک الفرض اليه من صحة او فساد، و لا يكون بذلک مخبرا، و لهذا يصح من أحدنا إذا نظر فى حدوث الأجسام و قدمها ان يفرض كونها قديمة ليتبين ما يؤدى اليه ذلک الفرض من الفساد.
و الثانى- انه اخبر عن ظنه و قد يجوز ان يكون المفكر المتأمل ظانا فى حال نظره و فكره ما لا اصل له ثم يرجع عنه بالادلة و العلم و لا يكون ذلک

منه قبيحا.
فان قيل: ظاهر الآيات يدل على ان ابراهيم ما كان رأى هذه الكواكب قبل ذلک، لان تعجبه منها تعجب من لم يكن رآها، فكيف يجوز ان يكون الى مدة كمال عقله لم يشاهد السماء و ما فيها من النجوم؟! قلنا: لا يمتنع ان يكون ما رأى السماء الا فى ذلک الوقت، لأنه
روى أن أمه ولدته فى مغارة لا يرى السماء، فلما قارب البلوغ و بلغ حد التكليف خرج من المغارة و رأى السماء و فكر فيها.
و قد يجوز أيضا ان يكون رآها غير انه لم يفكر فيها و لا نظر فى دلائلها، لان الفكر لم يكن واجبا عليه، فلما كمل عقله و حركته الخواطر فكر فى الشىء الذى كان يراه قبل ذلک و لم يكن مفكرا فيه.
و الوجه الثالث- ان ابراهيم لم يقل ما تضمنته الآيات على وجه الشک و لا فى زمان المهلة النظر بل كان فى تلک الحال عالما باللّه و بما يجوز عليه، فانه لا يجوز ان يكون بصفة الكوكب، و انما قال ذلک على سبيل الإنكار على قومه و التنبيه لهم على ان ما يغيب و ينتقل من حال الى حال لا يجوز ان يكون إلها معبودا، لثبوت دلالة الحدث فيه. و يكون قوله «هذا رَبِّی» محمولا على أحد وجهين.

أحدهما- أى هو كذلک عندكم و على مذهبكم كما يقول أحدنا للمشبه على وجه الإنكار عليه: هذا ربى جسم يتحرک و يسكن و ان كان عالماً بفساد ذلک.
و الثانى- أن يكون قال ذلک مستفهما و أسقط حرف الاستفهام للاستغناء عنه، كما قال الأخطل:
كذبتک عينک أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا «1»
و قال آخر:

---

(1) ديوانه 41، و قد مر فى 1: 403، 475

لعمرک ما أدرى و ان كنت داريا بسبع رمين الجمر ام بثمانيا «1»
و قال ابن أبى ربيعة:
ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد النجم و الحصى و التراب «2»
و قال أوس بن حجر:
لعمرک ما أدرى و ان كنت داريا شعيب بن سهم أم شعيب بن منقر «3»
و انما أراد أشعيب بن سهم أم شعيب بن منقر.
فان قيل: حذف حرف الاستفهام انما يجوز إذا كان فى الكلام عوضا منه نحو (أم) للدلالة عليه، و لا يستعمل مع فقد العوض، و فى الأبيات عوض عن حرف الاستفهام، و ليس ذلک فى الآية.
قلنا: قد يحذف حرف الاستفهام مع ثبوت العوض تارة و أخرى مع فقده إذا زال اللبس، و بيت ابن أبى ربيعة ليس فيه عوض و لا فيه حرف الاستفهام، و انشد الطبرى:
رفونى و قالوا يا خويلد لا ترع فقلت و أنكرت الوجوه هم هم «4»
أى أهم هم؟، و روى عن ابن عباس فى قوله «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» أنه قال معناه أفلا اقتحم العقبة، و حذف حرف الاستفهام. و إذا جاز ان يحذفوا حرف الاستفهام لدلالة الخطاب جاز أن يحذفوه لدلالة العقل، لان دلالة العقل أقوى من غيرها.
و الوجه الرابع- أن ابراهيم قال ذلک على وجه المحاجة لقومه بالنظر كما يقول القائل: إذا قلنا: ان للّه ولد الزمنا أن نقول له زوجة، و ان يطأ النساء

---

(1) تفسير القرطبى 7/ 27.
(2) ديوانه: 117 «طبعة بيروت سنة 1311 ه».
(3) شواهد المغنى: 15 و الكامل للمبرد 1/ 384، 2/ 115 و البيان و التبيين 4/ 40 و سيبويه 1/ 845 و تفسير الطبرى 11/ 484 و غيرها.
(4) قائله ابو خراش الهذلى، ديوان الهذليين 2: 144 و اللسان (رفأ) (رفو) و القرطبى 7/ 26 و (رفونى) اى اسكنونى من الرعب.

و أشباه ذلک، و ليس هذا على وجه الإقرار و الاخبار و الاعتقاد بذلک، بل على وجه المحاجة فيجعلها مذهبا ليرى خصمه المعتقد لها فسادها.
و كل هذه الآيات فيها تنبيه لمشركى العرب و زجر لهم عن عبادة الأصنام و حث على الأخذ بدين ابراهيم أبيهم و سلوک سبيله فى النظر و الفكر و التدين، لأنهم كانوا قوما يعظمون أسلافهم و آباءهم فأعلمهم اللّه تعالى ان اتباع الحق من دين أبيهم الذى يقرون بفضله أوجب عليهم ان كان بهم تعظيم الآباء و الكراهة لمخالفتهم.
و فى الآية دلالة على ان معرفة اللَّه ليست ضرورية، لأنها لو كانت ضرورية لما احتاج ابراهيم الى الاستدلال على ذلک، و لكان يقول لقومه: كيف تعبدون الكواكب و أنتم تعلمون حدوثها و حدوث الأجسام ضرورة، و تعلمون ان لها محدثا على صفات مخصوصة ضرورة، و ما كان يحتاج الى تكلف الاستدلال و التنبيه على هذا.
و قوله «لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى» معناه لئن لم يلطف بى و يسددنى و يوفقنى لاصابة الحق فى توحيده «لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ» الذين ضلوا عن الحق و أخطأوا طريقه، فلم يصيبوا الهدى. و ليس الهداية- هاهنا- الادلة، لان الادلة كانت سبقت حال زمان النظر، فان التكليف لا يحسن من دونها و لا يصح مع فقدها.
و قوله فى الشمس «هذا أَكْبَرُ» يعنى من الكواكب و حذف لدلالة الكلام عليه. و قوله «إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ» معناه أخلصت عبادتى و قصدت بها الى اللّه الذى خلق السماوات و الأرض. و فيه اخبار عن ابراهيم و اقرار منه و اعتراف بأنه (ع) خالف قومه أهل الشرک، و لم يأخذه فى اللّه لومة لائم، و لم يستوحش من قول الحق لقلة تابعيه. و قال لهم «إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ» مع اللّه- الذى خلقنى و خلقكم- فى عبادته من آلهتكم بل «وَجَّهْتُ وَجْهِىَ» فى عبادتى الى الذى خلق السماوات و الأرض الذى يبقى

الذى لا يموت. و اخبر انه يوجه عبادته و يخلصها له تعالى. و الاستقامة فى ذلک لربه على ما يجب من التوحيد لا على الوجه الذى توجه له من حيث ليس بحنيف. و معنى الحنيف هو المائل الى الاستقامة على وجه الرجوع فيه. و قوله «وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» انى لست منكم، و لا ممن يدين بدينكم، و يتبع ملتكم أيها المشركون.

وَ حاجَّهُ قَوْمُهُ قالَ أَ تُحاجُّونِّی فِی اللَّهِ وَ قَدْ هَدانِ وَ لا أَخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ یَشاءَ رَبِّی شَیْئاً وَسِعَ رَبِّی کُلَّ شَیْءٍ عِلْماً أَ فَلا تَتَذَکَّرُونَ (80)
آیة عند الجمیع قرأ اهل المدینة و ابن ذکوان «أ تحاجونی» بتخفیف النون. الباقون بتشدیدها.
و قرأ الکسائی و العبسی «و قد هدانی» بالامالة. الباقون بالتفخیم.
قال ابو علی: من شدد فلا نظر فی قوله. و من خفف فانه حذف النون الثانیة لالتقاء الساکنین. و التضعیف یکره، فیتوصل الی إزالته تارة بالحذف نحو علم أنی فلان، و تارة بالابدال نحو لا املاه عنی تفارقا، و نحو دیوان و قیراط، فحذفوا الثانیة منهما کراهیة التضعیف. و لا یجوز ان یکون المحذوفة الاولی، لان الاستثقال یقع بالتکریر فی الامر الأعم و فی الاولی أیضا أنها دلالة الاعراب و لذا حذفت الثانیة کما حذف الشاعر فی قوله:
لیتی أصادفه و افقد بعض مالی «1»
و قال بعضهم حذف هذه النون لغة غطفان. و حکی سیبویه هذه القراءة مستشهدا بها فی حذف النونات کراهیة التضعیف. و اما إمالة (هدانی) فحسنة،

---

(1) قائله زید الخیل، اللسان (لیت) و روایته.
کمنیة جابر إذ قال لیتی أصادفه و أتلف جلّ مالی

لأنه من هدی یهدی، فهو من الیاء. و إذا کانوا أمالوا (غزا، و دعا)، لأنه قد یصیر الی الیاء فی غزی و دعی. فهذا لا اشکال فی حسنه.
قوله «وَ حاجَّهُ قَوْمُهُ» یعنی فی وجوب عبادة اللّه و ترک عبادة آلهتهم و خوَّفوه من ترکها و ان لا یأمن ان تخبله آلهتهم من الأصنام و غیرها، فقال لهم ابراهیم (ع) «أَ تُحاجُّونِّی فِی اللَّهِ وَ قَدْ هَدانِ» بأن وفقنی لمعرفته و لطف بی فی العلم بتوحیده و ترک الشرک و اخلاص العبادة له «وَ لا أَخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ» أی لا أخاف منه ضررا ان کفرت به و لا أرجو نفعا إن عبدته، لأنه بین صنم قد کسر، فلم یدفع عن نفسه أو نجم دل أفوله علی حدوثه، فکیف تحاجوننی و تدعوننی الی عبادة من لا یخاف ضرره و لا یرجا نفعه «إِلَّا أَنْ یَشاءَ رَبِّی شَیْئاً» فیه قولان:
أحدهما- الا أن یقلبها اللّه، فیحییها و یقدرها فتضر و تنفع، فیکون ضررها و نفعها إذ ذاک دلیلا علی حدوثها أیضا، و علی توحید اللّه و أنه المستحق للعبادة دون غیره و انه لا شریک له فی ملکه، ثم أثنی علیه تعالی فأخبر بأنه عالم بکل شیء، و أمرهم بالتذکر و التدبر لما أورده علیهم مما لا یدفعونه و

لا يقدرون على إنكاره ان أنصفوا.
الثاني- قال الحسن: قوله: «وَ لا أَخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ» أى لا أخاف الأوثان «إِلَّا أَنْ يَشاءَ رَبِّی شَيْئاً» استوجبه على اللَّه تعالى، او يشاء اللَّه ان يدخلنى فى ملتكم بالكفر. و الاول هو الأجود.
(أ تحاجونى) أصله (أ تحاجوننى) بنونين إحداهما للجمع و الاخرى لاسمه، فأدغمت إحداهما فى الاخرى، فشددت و مثله (تأمروننى) و قد يخفف مثل هذا فى بعض المواضع، قال الشاعر:
أبا لموت الذى لا بد أنى ملاق لا أباک تخوفينى
فجاء بنون واحدة و خففها، و الاول أجود و اكثر فى العربية.
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 189

وَ كَيْفَ أَخافُ ما أَشْرَكْتُمْ وَ لا تَخافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81)
آية بلا خلاف.
فى هذه الآية احتجاج من ابراهيم (ع) على قومه و تأكيد لما قدم من الحجاج لأنه قال لهم: و كيف تلزموننى ان أخاف ما أشركتم به من الأوثان المخلوقة و قد تبين حالهم، و انهم لا يضرون و لا ينفعون، و أنتم لا تخافون من هو القادر على الضرِّ و النفع بل تتجرؤن عليه و تتقدمون بين يديه بأن تجعلوا له شركاء فى ملكه و تعبدونهم من دونه، فأى الفريقين أحق بالأمن: نحن المؤمنون الذين عرفنا اللّه بأدلته و وجهنا العبادة نحوه؟ ام أنتم المشركون بعبادته غيره من الأصنام و الأوثان؟ و لو أطرحتم الميل و الحمية و العصبية لما وجدتم لهذا الحجاج مدفعا.
و قوله «ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً» أى حجة لان السلطان هو الحجة فى اكثر القرآن، و ذلک يدل على ان كل من قال قولا و اعتقد مذهبا بغير حجة مبطل.
و قوله «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» معناه ان كنتم تستعملون عقولكم و علومكم و تحكِّمونها على ما تهوونه و تميل اليه أنفسكم.
و فى الآية دلالة على فساد قول من يقول بالتقليد و تحريم النظر و الحجاج، لان اللّه تعالى مدح ابراهيم لمحاجته لقومه و امر نبيه بالاقتداء به فى ذلک فقال «وَ تِلْکَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ» «1». ثم قال بعد ذلک: «أُولئِکَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ» اى بأدلتهم اقتده.

---

(1) آية 83 من هذه السورة.

الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ (82)
آية عند الجميع.
تحتمل هذه الآية ان تكون اخبارا عن اللَّه تعالى دون الحكاية عن ابراهيم بأنه قال تعالى: ان من عرف اللَّه تعالى و صدق به و بما أوجب عليه و لم يخلط ذلک بظلم، فان له الامن من اللَّه بحصول الثواب و الامان من العقاب و هو المحكوم له بالاهتداء- و هو قول ابن إسحاق و ابن زيد و الطبرى و الجبائى و ابن جريج- و قال البلخى: ان ذلک من قول ابراهيم، لأنه لما قطع خصمه و الزمه الحجة أخبر ان الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم فإنهم الآمنون المهتدون. قال: و كذلک يفعل من وضحت حجته و انقطع بعد البيان خصمه.
و الظلم المذكور فى الآية هو الشرک عند أكثر المفسرين: ابن عباس و سعيد ابن المسيب و قتادة و مجاهد و حماد بن زيد و أبىُّ بن كعب و سلمان (رحمة اللَّه عليه) قال أبىُّ ألم تسمع قوله «إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» «1» و هو قول حذيفة.
و روى عن عبد اللَّه بن مسعود انه قال لما نزلت هذه الآية شق على الناس، و قالوا يا رسول اللَّه و أينا لا يظلم نفسه، فقال: انه ليس الذى تعنون ألم تسمعوا الى ما قال العبد الصالح «يا بُنَىَّ لا تُشْرِکْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» «2».
و قال الجبائى و البلخى و اكثر المعتزلة: انه يدخل فيه كل كبيرة تحبط ثواب الطاعة، قال فان من هذه صورته لا يكون آمنا و لا مهتديا. قال البلخى:
و لو كان الامر على ما قالوه انه يختص بالشرک لوجب ان يكون مرتكب الكبيرة إذا كان مؤمنا يكون آمنا و ذلک خلاف القول بالارجاء.
و هذا الذى ذكروه خلاف أقاويل المفسرين من الصحابة و التابعين. و ما

(1، 2) سورة 31 لقمان آية 13.

قاله البلخى لا يلزم لأنه قول بدليل الخطاب لان المشرک غير آمن بل هو مقطوع على عقابه بظاهر الآية، و مرتكب الكبيرة غير آمن لأنه يجوز العفو، و يجوز المؤاخذة و ان كان ذلک معلوما بدليل، و ظاهر قوله «وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ» و ان كان عاما فى كل ظلم، فلنا ان نخصه بدليل أقوال المفسرين و غير ذلک من الادلة الدالة على أنه يجوز العفو من غير توبة. و روى عن على (ع): أن الآية مخصوصة بإبراهيم.

و قال عكرمة مختصة بالمهاجرين. و اما الظلم فى أصل اللغة فقد قال الاصمعى هو وضع الشىء فى غير موضعه، قال الشاعر يمدح قوما:
هرت الشقاشق ظلامون للجزر «1»
فوصفهم انهم ظلامون للجزر، لأنهم عرقبوها فوضعوا النحر فى غير موضعه، و كذلک الأرض المظلومة سميت بذلک لأنه صرف عنها المطر، و منه قول الشاعر:
و النؤى كالحوض بالمظلومة الجلد «2»
سماها مظلومة لأنهم كانوا فى سفر فتحوضوا حوضا لم يحكموا صنعته و لم يضعوه فى موضعه.

وَ تِلْکَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إِنَّ رَبَّکَ حَکِيمٌ عَلِيمٌ (83)
آية بلا خلاف.
قرأ اهل الكوفة و يعقوب «دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ» الباقون بالاضافة، من أضاف ذهب الى ان المرفوعة هى الدرجات لمن نشاء و من نوَّن أراد ان المرفوع صاحب الدرجات، و تقديره نرفع من نشاء درجات، و الدرجات معناها المراتب.

_____
(1) مقاييس اللغة 3: 469 و صدره: (عاد الاذلة فى دار و كان بها).
(2) اللسان «بين»، «ظلم».

و فى أصل اللغة هى المراقى فشبه علو المنازل بها.
أخبر اللَّه تعالى ان الحجج التى ذكرها ابراهيم لقومه آتاه اللَّه إياها و أعطاها إياه، بمعنى انه هداه لها فانه احتج بها بأمر اللَّه و رضيها منه و صوَّبه فيها، و لهذا جعلها حجة على الكفار.
و قوله «نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ» من المؤمنين الذين يؤمنون باللَّه و يطيعونه و يبلغون من الايمان و الدعاء الى اللَّه منزلة عظيمة و أعلا درجة ممن لم يبلغ من الايمان مثل منزلتهم، و بين انه حكيم فيما يدبره من أمور عباده عليم بهم و بأعمالهم، و فى ذلک دلالة على صحة المحاجة و المناظرة فى الدين و الدعاء الى توحيد اللَّه و الاحتجاج على الكافرين، لأنه تعالى مدح ذلک و استصوبه. و من حرم الحجاج فقد ردَّ صريح القرآن.

وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنا وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسى وَ هارُونَ وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيى وَ عِيسى وَ إِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَ إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطاً وَ كلاًّ فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ (86) وَ مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ إِخْوانِهِمْ وَ اجْتَبَيْناهُمْ وَ هَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (88)

أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ (89) أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرى لِلْعالَمِينَ (90)

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 193

سبع آيات قرأ حمزة و الكسائى و خلف (اليسع) بتشديد اللام، و فتحها و سكون الياء ها هنا، و فى (ص). الباقون بسكون اللام و فتح الياء. قال الزجاج التشديد و التخفيف لغتان. و قال ابو على الالف و اللام ليستا للتعريف بل هما زائدتان و كان الكسائى يستصوب القراءة بلامين و يخطئ من قرأ بغيرهما كأن الاسم عنده (ليسع) ثم يدخل الالف و اللام. قال و لو كانت (يسع) لم يجز أن يدخل الالف و اللام، كما لا يدخل فى (يزيد) و (يحيى). قال الاصمعى فقلت له، ف (اليرصع) من الحجارة و (اليعمل) من الإبل و (اليحمد) حى من اليمن، فكأنما ألقمته حجرا، و بعدها فانا قد سمعناهم يسمعون ب (يسع) و لم نرهم يسمعون ب (ليسع). و قال الفراء: القراءة بالتشديد أشبه بالأسماء العجمية من التخفيف. قال لأنهم لا يكادون يدخلون الالف و اللام فى ما لا يجرّ مثل (يزيد، و يعمر) الا فى الشعر أنشدنى بعضهم:

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركاً شديدا بأعباء الخلافة كاهله «1»

قال و انما أدخلوا الالف و اللام فى يزيد لدخولهما فى الوليد، فإذا فعلوا ذلك فقد أمسَّوا الحرف مدحا.

قوله (وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ) الهاء فى (له) كناية عن ابراهيم (ع) «كُلًّا هَدَيْنا» نصب كلاً ب (هدينا) و (نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ) معناه هديناه قبل ابراهيم. و قوله (وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ) تقديره و هدينا داود و سليمان

---

(1) معانى القرآن 1/ 342 و شواهد المغنى 60 و خزانة الأدب 1/ 327 و تفسير الطبرى 11/ 511، و امالى ابن الشجرى 1/ 154 و 2/ 252، 342. من شعر يمدح به الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

نسقا على نوح. و يحتمل أن يكون قوله «وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ» الهاء راجعة الى نوح لان الأنبياء المذكورين كلهم من ذريته. قال الزجاج و يجوز أن يكون من ذريته ابراهيم لان ذكرهما جميعا قد جرى، و أسماء الأنبياء التى جاءت بعد قوله «وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ» نسق على (نوح) نصب كلها، و لو رفعت على الابتداء كان صوابا. قال أبو على الجبائى: الهاء لا يجوز أن تكون كناية عن ابراهيم، لان فيمن عدد من الأنبياء لوطا و هو كان ابن أخته، و قيل ابن أخيه، و لم يكن من ذريته.

و هذا الذى قاله ليس بشىء، لأنه لا يمنع أن يكون غلب الأكثر. و جميع من ذكر من نسل ابراهيم، على أنه قال فيما روى عنه ابن مسعود أن الياس: إدريس، و هو جدُّ نوح، و لم يكن من ذريته، و مع هذا لم يطعن على قول من قال: إنها كناية عن نوح. و قال ابن إسحاق: الياس هو ابن اخى موسى و يجوز أن تكون الهاء كناية عن ابراهيم و يكون من سمَّاهم الى قوله «كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ» من ذريته، ثم قال «وَ إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطاً» فعطفهم على قوله «وَ نُوحاً هَدَيْنا».

و فى الآية دلالة على أن الحسن و الحسين من ولد رسول اللَّه (ص)، لأن عيسى جعله اللَّه من ذرية ابراهيم أو نوح، و إنما كانت أمه من ذريتهما.

و الوجه فى الآيات أن اللَّه تعالى أخبر أنه رفع درجة ابراهيم بما جعل فى ذريته من الأنبياء و جزاه بما وصل اليه من السرور و الابتهاج عند ما أعلمه عن ذلک و بما أبقى له من الذكر الرفيع فى الأعقاب، و الجزاء على الإحسان لذة و سرور من أعظم السرور و اكثر اللذات إذ علم الإنسان بأنه يكون من عقبة و ولده المنسوبين اليه أنبياء يدعون الى اللَّه و يجاهدون فى سبيله و يكونون ملوكا و خلفاء يطيعون اللَّه و يحكمون بالحق فى عباد اللَّه.

ثم اخبر انه جزى نوحا بمثل ذلک على قيامه فى الدعاء اليه و الجهاد فى سبيله. و الهداية فى الآيات كلها هو الإرشاد الى الثواب دون الهداية التى هى التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 195
نصب الادلة، لأنه تعالى قال فى آخر الآيات: «وَ كَذلِکَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ» فبين أن ذلک جزاء و لا يليق إلا بالثواب الذى يختص به المحسنون دون الهداية التى هى الدلالة و يشترک فيها المؤمن و الكافر، و هو قول أبى على الجبائى و البلخى.

و قوله: «أُولئِکَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ» إشارة الى من تقدم ذكره من الأنبياء.

و قوله «فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ» يعنى الكفار الذين جحدوا نبوة النبى (ص) فى ذلک الوقت، «فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ» معنى (وَكَّلْنا بِها) اى وكلنا بمراعاة أمر النبوة و تعظيمها و الأخذ بهدى الأنبياء قوما ليسوا بها بكافرين. و إنما أضاف ذلک إلى المؤمنين و ان كان قد فعل بالكافرين أيضا

ازاحة العلة فى التكليف من حيث أن المؤمنين هم الذين قاموا بذلک و عملوا به فأضافه اليهم، كما أضاف قوله «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» و ان كان هداية لغيرهم.
و قيل فى المعنيين بقوله «لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ» ثلاثة اقوال: أحدها- انه عنى بذلک الأنبياء الذين جرى ذكرهم آمنوا بما أتى به النبى (ص) فى وقت مبعثهم و هو قول الحسن و الزجاج و الطبرى و الجبائى. قال الزجاج لقوله تعالى «أُولئِکَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ» و ذلک اشارة الى الأنبياء الذين ذكرهم و وصفهم و امر النبى (ص) بالاقتداء بهداهم.
و الثانى- انه عنى به الملائكة، ذهب اليه أبو رجاء العطاردى.
و قال قوم عنى به من آمن من أصحاب النبى (ص) فى وقت مبعثه.
و قال الفراء و الضحاک: قوله «فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ» يعنى أهل مكة «فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ» يعنى أهل المدينة، و الأول أقوى.
و فى الآية دلالة على ان اللَّه تعالى يتوعد من يعلم انه لا يشرک و لا يفسق و ان الوعد و الوعيد قد يكونان بشرط.
و قوله: «أُولئِکَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» معناه أولئک الذين حكم اللَّه لهم التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 196
بالهدى و الرشاد، و زادهم هدى حين اهتدوا. و المراد به الأنبياء الذين تقدم ذكرهم الثمانية عشر. و أمر النبى (ص) بأن يسلک سبيلهم و يأخذ بهداهم فى تبليغ الرسالة و الصبر على المحن و ان يقول لقومه «لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً» يعنى على الأداء و الإبلاغ، و لكنه يذكر به العالمين و ينبههم على ما يلزمهم من عبادة اللَّه و القيام بشكره.
و قوله (فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ) قرأ حمزة و الكسائى و خلف و يعقوب و الكسائى عن أبى بكر بحذف الهاء فى الوصل و إثباتها فى الوقف. الباقون بإثباتها فى الوصل و الوقف و سكونها، إلا ابن ذكوان فانه كسرها، و وصلها بياء فى اللفظ و إلا هشاما فانه كسرها من غير صلة بتاء، و لا خلاف فى الوقف انها بالهاء ساكنة.
قال ابو على الفارسى الوجه الوقف بالهاء لاجتماع الكثرة، و الجمهور على إثباته، و لا ينبغى أن يوصل و الهاء ثابتة، لان هذه الهاء فى السكت بمنزلة همزة الوصل فى الابتداء فى أن الهاء للوقف كما أن همزة الوصل للابتداء بالساكن، فكما لا تثبت الهمزة فى الوصل كذلک ينبغى أن لا تثبت الهاء.
قال ابو على و قراءة ابن عامر بكسر الهاء و إشمام الهاء الكسرة من غير بلوغ ياء ليس بغلط، و وجهها أن يجعل الهاء كناية عن المصدر لا التى تلحق للوقف.
و حسن إضماره لذكر الفعل الدال عليه، و مثل ذلک قول الشاعر:
فجال على وحشية و تخاله على ظهره سباً حديداً يمانيا
كأنه قال تخال خيلا على ظهره سباً حديدا، و مثل ذلک قول الشاعر:

هذا سراقة للقرآن يدرسه و المرؤ عند الرشا أن يلقها ذئب «1»
فالهاء كناية عن المصدر، و يدل يدرسه على الدروس، و لا يجوز ان يكون ضمير القرآن، لان الفعل قد تعدى اليه باللام، فلا يجوز أن يتعدى اليه و الى ضميره كما أنک إذا قلت أ زيداً ضربته لم ينصب زيدا بضربت لتعديه

---

(1) اللسان «سرق»

الى الضمير، و قياسه إذا وقف عليه أن يقول اقتده فيكسر (هاء) الضمير، كما تقول اشتره فى الوقف. و فى الوصل اشتريه لنا يا هذا.
و استدل قوم بقوله (فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ) على ان النبى (ص) كان متعبدا بشريعة من قبله من الأنبياء و هذا لا دلالة فيه، لان قوله (فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ) معناه فبأدلتهم اقتده. و الدلالة ما أوجبت العلم و يجب الاقتداء بها، لكونها موجبة للعلم لا غير و لذلک قال تعالى (ذلِکَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) فنسب الهدى الى نفسه، فعلم بذلک أنه أراد ما قلناه. و قوله (وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) يدل على أن الهدى فى قوله (وَ اجْتَبَيْناهُمْ وَ هَدَيْناهُمْ) هداية الثواب على الاعمال الصالحة، لان الثواب على الاعمال هو الذى ينحبط تارة و يثبت اخرى دون الهداية التى هى الادلة الحاصلة للمؤمن و الكافر. و قوله (وَ كلًّا فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ) يعنى على عالمى زمانهم الذين ليسوا أنبياء و إنما دخلت (من) فى قوله «مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ» للتبعيض كأنه قال: و بعض آبائهم و بعض ذرياتهم و بعض إخوانهم هديناهم و لو لم تدخل (من) لاقتضى انه هدى جميعهم الهداية التى هى الثواب، و الامر بخلافه. و قوله «اجْتَبَيْناهُمْ» معناه اخترناهم.
و قوله (وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) لا يدل على صحة ثواب طاعاتهم التى أشركوا فى توجيهها الى غير اللّه لأنهم أوقعوها على خلاف الوجه الذى يستحق به الثواب، فأما ما تقدم فليس فى الآية ما يقتضى بطلانه غير أنا قد عملنا أنه إذا أشرک لا ثواب معه أصلا، لإجماع الامة على أن المشرک لا يستحق الثواب، فلو كان معه ثواب و قد ثبت أن الإحباط باطل، لكان يؤدى الى أن معه ثوابا و عقابا، لأنا قد بينا بطلان القول بالتحابط فى غير موضع و ذلک خلاف الإجماع.

وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسى نُوراً وَ هُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ تُبْدُونَها وَ تُخْفُونَ كَثِيراً وَ عُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَ لا آباؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و أبو عمرو «تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ تُبْدُونَها وَ تُخْفُونَ كَثِيراً» بالتاء فيهن. الباقون بالياء فيهن. و من قرأ بالياء حمله على أنه للغيبة بدلالة قوله: «وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسى» فيحمله على الغيبة لان ما قبله غيبة.

و من قرأ بالتاء حمله على الخطاب يعنى قل لهم: «تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ تُبْدُونَها وَ تُخْفُونَ كَثِيراً» و يقوى القراءة بالتاء، قوله «وَ عُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا» فجاء على الخطاب، و كذلك ما قبله.

و معنى «تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ» تجعلونه ذوى قراطيس اى تودعونه إياها «وَ تُخْفُونَ» أى تكتمونه، و موضع قوله «تُبْدُونَها وَ تُخْفُونَ كَثِيراً» يحتمل أمرين: أحدهما- ان يكون صفة القراطيس، لان النكرة توصف بالجمل.

و الآخر- أن نجعله حالا من ضمير الكتاب من قوله «تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ» على أن تجعل القراطيس الكتاب فى المعنى، لأنه مكتوب فيها.

روى أن سبب نزول هذه الآية أن النبى (ص) رأى حبراً من أحبار اليهود سمينا يقال له: مالك بن الضيف، و قيل: فنحاص، فقال له النبى (ص)

أ ليس فى التوراة أن اللّه يبغض الحبر السمين؟ فغضب، و قال: ما أنزل اللّه على بشر من شىء، فلعنته اليهود و تبرأت منه، فنزلت هذه الآية، ذكر ذلك عكرمة و قتادة

، و قال محمد بن كعب القرطى: نزلت فى جماعة من اليهود. و روى مثل ذلك عن ابن عباس. و قال مجاهد نزلت فى مشركى قريش، و روى ذلك عن ابن عباس أيضا، و هو أشبه بسياق الآية، لأنهم الذين أنكروا أن يكون اللّه أنزل كتابا على بشر، دون اليهود و النصارى.

و معنى قوله «وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» أى ما عرفوه حق معرفته و ما وصفوه بما هو أهل أن يوصف به «إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ» أى ما أرسل اللّه رسولا، و لم ينزل على بشر من شىء، مع أن المصلحة و الحكمة يقتضيان ذلك، و دلت المعجزات الباهرة على بعثة كثير منهم. ثم أمر اللّه نبيه أن يقول لهم «مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسى نُوراً وَ هُدىً لِلنَّاسِ» فإنهم يقرون بذلك، و ان اللّه أنزله و بعث موسى (ع)

نبيا و إن لم يقروا بذلک فقد خرجوا من اليهودية الى قول من ينكر النبوات. و الكلام على من أنكر ذلک أصلا مذكور فى النبوات مستوفى لا نطول بذكره ها هنا.
و على ما قلناه: من أن الآية متوجهة الى مشركى قريش من حيث أن اللَّه تعالى من أول السورة الى ها هنا فى الاخبار عن أوصاف المشركين و عن أحوالهم و كذلک أول الآية فى قوله «وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» لأنهم كانوا لا يعتقدون التوحيد و يعبدون مع اللَّه الأصنام، و أهل الكتاب كانوا بخلاف ذلک، لأنهم كانوا يعتقدون التوحيد فلا يليق بهم ذلک، و إن كان اليهود عندنا أيضا غير عارفين باللَّه على وجه يستحقون به الثواب. و القول الآخر أيضا محتمل.
فعلى ما اخترنا يكون قوله «قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ» متوجها الى اليهود و النصارى، لأنهم المقرون بذلک دون قريش و مشركى العرب، و يجوز أن يكون متناولا للمشركين أيضا، و يكون على وجه الاحتجاج عليهم، و التنبيه لهم على ما ظهر من معجزات موسى و ظهور نبوته، و هذا الذى اخترناه
قول التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 200
مجاهد و اختاره الطبرى و الجبائى.
و قوله «تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ» أى تقطعونه فتجعلونه كتبا متفرقة و صحفا تبدون بعضها و تخفون بعضها، يعنى ما فى الكتب من صفات النبى (ص) و البشارة به. ثم عطف على ما ابتدأ به من وصف الكتاب الذى جاء به موسى و انه نور و هدى، فقال «وَ عُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَ لا آباؤُكُمْ» على لسان النبى (ص)، ثم أجاب عن الكلام الاول، فقال «قُلِ اللَّهُ» و هذا معروف فى كلام العرب، لان الإنسان إذا أراد البيان و الاحتجاج بما يعلم أن الخصم مقر به و لا يستطيع دفعه ذكر ذلک. ثم تولى الجواب عنه بما قد علم أن لا جواب له غيره.
و قوله «ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ» يقال مثل هذا لمن قامت عليه الحجة الواضحة التى لا يمكنه دفعها، و ليس على إباحة ترک الدعاء و الانذار بل على ضرب من الوعيد و التهديد، كأنه قال دعهم فسيعلمون عاقبة أمرهم.
و يجوز أن يكون أراد: دعهم فلا تقاتلهم، و لا تعمل على قهرهم على قبول قولک الى أن يؤذن لک فى ذلک، فيكون إنما أباح ترک قتالهم لا ترک الدعاء و التحذير و ترک البيان و الاحتجاج «يَلْعَبُونَ» رفعه لأنه لم يجعله جوابا لقوله «ذرهم» و لو جعله جوابا لجزمه، كما قال «ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا» «1» و كان ذلک جوابا و موضع «يلعبون» نصب على الحال، و تقديره ذرهم لاعبين فى خوضهم. و قال قوم: إن هذه الآية مدنية مع الآيتين اللتين ذكرناهما فى أول السورة، و يجوز أن يكون ذلک بمكة أيضاً.

وَ هذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَ مَنْ حَوْلَها وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ (92)
آية بلا خلاف.

---

(1) سورة 15 الحجر آية 3 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 201
قرأ أبو بكر وحده «و لينذر» بالياء. الباقون بالتاء. من قرأ بالتاء، فلقوله «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها» «1» و قوله «وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ» «2» و من قرأ بالياء جعل الكتاب هو المنذر، لان فيه إنذاراً لأنه قد خوَّف به فى قوله «هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَ لِيُنْذَرُوا بِهِ» «3» و قوله «إِنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ» «4» فلا يمتنع أسناد الانذار اليه على وجه التوسع.
و قوله «وَ هذا كِتابٌ» إشارة الى القرآن الذى أنزله اللَّه على نبيه محمد (ص) فعطف هذه الآية على ذكره الكتاب الذى جاء به موسى (ع) فلما وصفه قال تعالى «وَ هذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ» و انه مصدق لما بين يديه يعنى ما مضى من كتب الأنبياء كالتوراة و الإنجيل و غيرهما، و بين انه انما أنزله لتنذر به اهل مكة و هى ام القرى، و من حولها.
قال ابن عباس و قتادة و غيرهما: ام القرى مكة، و من حولها اهل الأرض كلهم و انما خص اهل مكة بذلک لأنها أعظم قدرا لان فيها الكعبة و لان الناس يقصدونها بالحج و العمرة من جميع الآفاق. و إنذاره بالقرآن هو تخويفه إياهم بألوان عذاب اللَّه و عقابه ان أقاموا على كفرهم باللَّه و لم يؤمنوا به و برسوله.
و قوله: «وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ» يعنى بالقرآن. و يحتمل ان يكون كناية عن محمد (ص) لدلالة الكلام عليه، و هذا يقوى مذهبنا فى انه لا يجوز ان يكون مؤمنا ببعض ما أوجب اللَّه عليه دون بعض. و بين انهم «عَلى صَلاتِهِمْ» يعنى على أوقات صلاتهم «يحافظون» بمعنى يراعون أوقاتها ليؤدّوها فى الأوقات و يقوموا بإتمام ركوعها و سجودها و جميع فرائضها.
و قيل سميت مكة ام القرى لأنها أول موضع سكن فى الأرض، و قيل ان الأرض كلها دحيت من تحتها فكانت امّا لها. و قال الزجاج سميت بذلک لأنها أعظم القرى شأناً.

---

(1) سورة النازعات آية 45
(2) سورة 6 الانعام آية 51
(3) سورة 14 ابراهيم آية 52

(4) سورة 21 الأنبياء آية 45
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 202

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَ مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَراتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ كُنْتُمْ عَنْ آياتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93)

آية بلا خلاف.

اختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال اكثر المفسرين ان قوله «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً» نزلت فى مسيلمة الكذاب حيث ادعى النبوة.

و قال انه يوحى اليه، و ان قوله «مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ» نزلت فى عبد اللّه بن سعد ابن أبى سرح، فانه كان يكتب الوحى للنبى (ص) و كان إذا قال له: اكتب عليما حكيما، كتب غفورا رحيما. و إذا قال: اكتب غفورا رحيما، كتب حكيما، و ارتد و لحق بمكة. و قال إنى انزل مثل ما أنزل اللّه، ذهب اليه عكرمة و ابن عباس و مجاهد و السدى و الجبائى و الفراء و الزجاج و غيرهم.

و قال قوم:

نزلت فى مسيلمة خاصة.

و قال آخرون: نزلت فى ابن أبى سرح خاصة و الاول هو المروى عن أبى جعفر (ع).

و قال البلخى: قوله «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ» هم الذين ادعوا النبوة بغير برهان و كذبوا على اللّه «وَ مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ» هم الذين قالوا «لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» «1» فادعوا بما لم يفعلوا و اعرضوا و بذلوا الأنفس و الأموال

---

(1) سورة 8 الانفال آية 31

و استعملوا فى إطفاء نور من جاء بالكتاب سائر الحيل. ثم اخبر تعالى عن حال من فعل ذلک، فقال: «وَ لَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَراتِ الْمَوْتِ» و حذف جواب (لو) و تقديره: و لو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت لرأيت عذاباً عظيما و كل من كان فى شىء كثير يقال له: غمر فلاناً ذلک. و يقال قد غمر فلانا الدين معناه كثر، فصار فيما يعلم بمنزلة ما يبصر قد غمر و غطى من كثرته و قوله «وَ الْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ» معناه باسطوا أيديهم بالعذاب و قيل بقبض أرواح الكفار.

و قوله: «أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ» يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يكون تقديره يقولون: اخرجوا أنفسكم، كما تقول للذى تعذبه لأزهقن نفسك و لأخرجن نفسك، فهم يقولون لهم اخرجوا أنفسكم على معنى الوعيد و التهديد، كما يدفع الرجل فى ظهر صاحبه و يكرهه على المضى بأن يجره او بغير ذلك، و هو فى ذلك يقول امض الآن لترى ما يحل بك.
و الغمرات جمع غمرة، و غمرة كل شىء كثرته و معظمه، و أصله الشىء الذى يغمر الأشياء فيغطيها. و قال ابن عباس غمرات الموت سكراته، و بسط الملائكة أيديها فهو مدها، و قال ابن عباس ايضا: البسط الضرب، يضربون وجوههم و أدبارهم و ملك الموت يتوفاهم، و قال الضحاك: بسطها أيديها بالعذاب.
و الثانى- ان يكون معناه خلصوا أنفسكم اى لستم تقدرون على الخلاص «الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ» اى العذاب الذى يقع به الهوان الشديد، و الهون- بفتح الهاء و سكون الواو- من الرفق و الدعة، كقوله «وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً» «1» و قال الشاعر:
هوناً كما لا يرد الدهر ما فاتا لا تهلكن أسفاً فى أثر من ماتا «2»

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 63
(2) قائله ذو جدن الحميرى. معجم البلدان (بينون) و اللسان (هون) و الاغانى 16/ 70 و سيرة ابن هشام 1/ 39 و تاريخ الطبرى 2/ 180 و تفسير الطبرى 11/ 541 و غيرها.

و قد روى فتح الهاء فى معنى الهوان، قال عامر بن جوين:
يهين النفوس و هون النفو س عند الكريهة اغلى لها «3»
و المعروف ضم الهاء إذا كان بمعنى الهوان. قال ذو الإصبع العدوانى:
اذهب اليک فما أمى براعية ترعى المخاض و لا اغضى على الهون «4»
يعنى على الهوان، و
عن أبى جعفر (ع) عذاب الهون يعنى العطش.
و قوله: «وَ مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ» فى موضع جرّ كأنه قال:
و من اظلم ممن قال ذلک.

وَ لَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ وَ ما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَ ضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (94)
آية بلا خلاف.
قرأ اهل المدينة و الكسائى و حفص «بينكم» بنصب النون. الباقون برفعها.
و البين مصدر بان يبين إذا فارق قال الشاعر:
بان الخليط برامتين فودعوا او كلما ظعنوا لبين تجرع «5»
و قال ابو زيد: بان الحى بينونة و بيناً إذا ظعنوا، و تباينوا تباينا إذا كانوا جميعا فتفرقوا، قال و البين ما ينتهى اليه بصرک من حائط او غيره و استعمل هذا

---

(3) و قيل أنه للخنساء. ديوان الخنساء: 215 و الاغانى 13/ 136 و اللسان «هون» و روايتهم «يوم الكريهة أبقى لها» و الطبرى 11/ 542
(4) أمالى القالى 1/ 366 و اللسان «هون» و شرح المفضليات: 323 و تفسير الطبرى 11/ 542.
(5) لم أجده بهذه الرواية و فى اللسان (خلط) أبيات كثيرة تشبهه.

الاسم على ضربين: أحدهما- ان يكون اسما منصرفا كالافتراق. و الآخر- ان يكون ظرفا فمن رفعه رفع ما كان ظرفا استعمله اسماً و يدل على جواز كونه اسماً قوله: «هذا فِراقُ بَيْنِي وَ بَيْنِکَ» «6» و قوله «مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِکَ حِجابٌ» «7» فلما استعمل اسماً فى هذه المواضع جاز ان يسند اليه الفعل الذى هو تقطع فى قراءة من رفع. و يدل على ان هذا المرفوع هو الذى استعمل ظرفا انه لا يخلو من ان يكون الذى هو ظرف اتسع فيه او يكون الذى هو مصدر و لا يجوز ان يكون الذى هو مصدر، لان التقدير يصير لقد تقطع افتراقكم، و هذا خلاف المعنى المراد، لان المراد لقد تقطع وصلكم، و ما كنتم تتألّفون عليه.
فان قيل كيف جاز ان يكون بمعنى الوصل و أصله الافتراق و التباين و على هذا قالوا: بان الخليط إذا فارق، و فى الحديث ما بان من الحى فهو ميتة؟!.
قيل: انه لما استعمل مع الشيئين المتلابسين نحو بينى و بينک شركة، و بينى و بينه صداقة و رحم صار لذلک بمنزلة الوصلة و على خلاف الفرقة فلذلک صار «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» بمعنى لقد تقطع وصلكم و مثل بين فى انه يجرى فى الكلام ظرفا ثم يستعمل اسماً بمعنى (وسط) ساكن العين ألا ترى أنهم يقولون:

جلست وسط القوم، فيجعلونه ظرفاً لا يكون الا كذلک، و قد استعملوه اسما كما قال الشاعر:
من وسط جمع بنى قريظة بعد ما هتفت ربيعة يا بنى خوَّات
و حكى سيبويه: هو احمر بين العينين. و اما من نصب بينكم ففيه وجهان:
أحدهما- انه أضمر الفاعل فى الفعل و دل عليه ما تقدم من قوله: «وَ ما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ» لان هذا الكلام فيه دلالة على التقاطع و التهاجر و ذلک المضمر هو الأصل، كأنه قال لقد تقطع وصلكم بينكم و الثانى- ان يكون على مذهب أبى الحسن ان يكون لفظه منصوبا و معناه مرفوعاً، فلما جرى فى كلامهم منصوبا ظرفا تركوه على ما يكون عليه

_____
(6) سورة 18 الكهف آية 79
(7) سورة 41 حم السجدة آية 5

فى اكثر الكلام و كذلک تقول فى قوله «يَوْمَ الْقِيامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ» «1» و كذلک قوله: «وَ أَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذلِکَ» «2» فدون فى موضع رفع عنده و ان كان منصوب اللفظ، كما تقول منا الصالح و منا الطالح فترفع.
و قال الزجاج: الرفع أجود و تقديره لقد تقطع وصلكم. و النصب جائز على تقدير لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم.
و قال الفراء فى قراءة عبد اللّه «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ»: و هو وجه الكلام إذا جعل الفعل ل (بين) ترک نصبا فى موضع رفع، لأنه صفة، فإذا قالوا هذا دون من الرجال، فلم يضيفوه رفعوه فى موضع الرفع. و كذلک تقول بين الرجلين بين بعيد و بون بعيد إذا أفردته أجريته فى العربية و أعطيته الاعراب.
قال مهلهل:
كأن رماحهم أشطان بئر بعيد بين جاليها جرور «3»
فرفع بين حيث كانت اسماً. و قال مجاهد: معنى تقطع بينكم اى تواصلكم، و به قال قتادة و ابن عباس، فمعنى الآية الحكاية عن خطاب اللّه تعالى يوم القيامة لهؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع اللّه أندادا و شركاء، و انه يقول لهم عند ورودهم:
«لَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى» و هو جمع فرد، و فريد، و فرد، و فردان قال الازهرى لا يجوز فرد على هذا المعنى. و العرب تقول: فرادى و فراد فلا يصرفونها يشبهونها بثلاث و رباع قال الشاعر:
ترى النعرات الزرق تحت لبانه فرادى و مثنى أضعفتها صواهله «4»
و قال نابغة بنى ذبيان:

(1) سورة 60 الممتحنة آية 3
(2) سورة 72 الجن آية 11 [.....]
(3) اللسان «بين» و أمالى القالى 2/ 132 و تفسير الطبرى 11/ 549.
«الاشطان» الحبال المحكمة الفتل و جالى البئر جوانبها. و «جرور» صفة للبئر البعيد القعر.
(4) مر تخريجه فى 3/ 106 تعليقة 2.

من وحش و جرة موشى أكارعه طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد «5»
و كان يونس يقول: فرادى جمع فرد كما قيل: توآم و توأم. و مثل الفرادى الردافى و العرابى، و رجل أفرد و امرأة فرداء: إذا لم يكن لها أخ. و قد فرد الرجل فهو يفرد فروداً يراد به تفرَّد فهو فارد.
فمعنى قوله «جِئْتُمُونا فُرادى» اى وحداناً لا مال لكم و لا أثاث و لا رقيق و لا شىء مما كان اللَّه خولكم فى الدنيا «كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ».
و
روى عن النبى (ص) انه قال: (يحشرون حفاة عراة عزلا) و العزل هم الغلف.
و
روى ان عائشة قالت لرسول اللَّه حين سمعت ذلك و إ سوأتاه ينظر بعضهم الى سوءة بعض من الرجال و النساء، فقال رسول اللَّه: «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» «6» فيشغل بعضهم عن بعض.
قال الزجاج: يحتمل ان يكون المعنى كما بدأكم أول مرة، اى كان بعثكم كخلقكم من غير كلفة و لا مشقة.
و قال الجبائى: معناه جئتم فرادى واحدا واحدا «كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» اى بلا ناصر و لا معين كما خلقكم فى بطون أمهاتكم، و لا احد معكم.
و قوله: «وَ تَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ» يعنى ما ملكناكم فى الدنيا مما كنتم تتباهون به فى الدنيا و هذا تعيير من اللَّه لهم لمباهاتهم التى كانوا يتباهون فى الدنيا بأموالهم، يقال: خولته اى أعطيته. و يقال خال الرجل يخال أشد الخيال بكسر الخاء و هو خائل و منه قول أبى النجم:
اعطى فلم يبخل و لم يبخل كوم الذرى من خول المخول «7»
«وَ ما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ» يقول تعالى

(5) ديوانه: 26 و اللسان «فرد». و (وجرة) اسم مكان بين مكة و البصرة قال الاصمعى: هى أربعون ميلًا ليس فيها منزل فهى مرتع للوحوش و قد أكثر الشعراء ذكرها. (و موشى أكارعه) فيها سواد و (طارى المصير) ضامر البطن. و (المصير) جمع مصران.

(6) سورة 80 عبس آية 37.
(7) تفسير الطبرى 11/ 545
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 208
لهؤلاء الكفار: ما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء الذين كنتم تزعمون فى الدنيا انهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة.
و قال عكرمة: ان الآية نزلت فى النظر بن الحارث بن كلدة حيث قال سوف يشفع فىّ اللات و العزى، فنزلت الآية.
و قوله «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» اى وصلكم «وَ ضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» اى جار عن طريقكم ما كنتم تزعمون من آلهتكم انه شريک للّه تعالى و انه يشفع لكم عند ربكم فلا شفيع لكم اليوم.

إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (95)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية تنبيه لهؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع اللَّه آلهة عبدوها، و حجة عليهم، و تعريف منه لهم خطأ ما هم عليه من عبادة الأصنام، بأن قال:

إن الذى له العبادة و مستحقها هو اللَّه الذى فلق الحب، يعنى شقه من كل ما ينبت عن النبات، فأخرج منه الزروع على اختلافها، «و النوى» من كل ما يغرس مما له نواة فأخرج منه الشجر، و الحب هو جمع حبة، و النوى جمع نواة، و ذلک لا يقدر عليه إلا اللَّه تعالى القادر بنفسه، لان القادر بقدرة لا يقدر على شق ذلک الا بآلة، و لا يقدر على إنبات شىء و إخراج شىء منهما، فعلم انه من فعل ذلک هو اللَّه الذى لا يشبه شيئا من الأجسام، و لا يشبهه شىء، القادر على اختراع الأعيان بلا معاناة و لا مزاولة.

ثم أخبر أنه «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ» لان اللَّه تعالى يخلق الحى من النطفة، و هى موات، و يخلق النطفة، و هى موات من الحى، و هو قول الحسن و قتادة و ابن زيد و غيرهم. و قال الضحاک و ابن عباس: معنى «فالِقُ الْحَبِّ التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 209

وَ النَّوى»

خالقهما. و قال مجاهد و ابو مالک: هو الشق الذى فى الحبة و النوى. و الاول أقوى الأقوال.

و قال قوم: أراد بإخراج الحى من الميت إخراج السنبل و هى حى من الحبِّ و هو ميت، و مخرج الحب الميت من السنبل الحى، و الشجر الحى من النوى الميت، و النوى الميت من الشجر الحى. و العرب تسمى الشجر ما دام غضا قائما بانه حى، فإذا يبس أو قطع من أصله او قلع سموه ميتا، ذهب اليه السدى و الطبرى و الجبائى. و ما ذكرناه أولًا قول ابن عباس، و هو الأقوى، لأنه الحقيقة.

و ما ذكروه مجاز، و إن كان جائزا محتملا.

و قوله «ذلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» معناه أن فاعل ذلک كله اللَّه تعالى فأنَّى وجوه الصد عن الحق أيها الجاهلون تصدون، و عن العذاب تصدفون، أفلا تتدبرون، فتعلمون أنه لا ينبغى أن يجعل لمن أنعم عليكم- فخلق الحب و النوى و اخرج من الحى الميت، و من الميت الحى، و من الحب الزرع و من النوى الشجر- شريک فى عبادته ما لا يضر و لا ينفع و لا يسمع و لا يبصر.

و فى الآية دلالة على بطلان قول من قال: إن اللَّه تعالى يحول بين العبد و بين ما دعاه اليه إذ يخلق فيه ما نهاه عنه، لأنه قال: فانَّى تؤفكون، و لو كان

شیئا من ذلک لکان هو المؤفک لهم و الصارف. تعالی اللّه عن ذلک علوا کبیرا.
و معنی قوله «فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ» ای تصرفون عقولکم، و هو قول الحسن و غیره و الافک هو الکذب.

فالِقُ الْإِصْباحِ وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْباناً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96)
آية بلا خلاف.
قرأ أهل الكوفة «جَعَلَ اللَّيْلَ» على الفعل. الباقون «جاعل» على الفاعل.
من قرأ «جاعل» على وزن فاعل فلأن قبله اسم فاعل، و هو قوله: التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 210
«فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى ...» و «فالِقُ الْإِصْباحِ» فقرأ «و جاعل الليل» ليكون (فاعل) المعطوف على (فاعل) المعطوف عليه، فيكون متشاكلًا، لان من حكم الاسم ان يعطف على اسم مثله، لأنه به أشبه من الفعل بالاسم، و هذه المشاكلة مراعاة فى كلام العرب، و مثله «فَرِيقاً هَدى وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ» «1» و قوله «يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِى رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ» «2» و قوله «وَ كُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَ كُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِيراً» «3» نصبوا هذا كله ليكون القارئ بنصبها كالعاطف جملة من فعل و فاعل على جملة من فعل و فاعل، فكما أن الفعل أشبه من المبتدأ بالفعل، كذلك الاسم بالاسم أشبه من الفعل بالاسم، و يقوى ذلك قول الشاعر:
للبس عباءة و تقر عينى أحب الى من لبس الشفوف «4»
و من قرأ «و جعل» فلأن اسم الفاعل الذى قبله بمعنى الماضى، فلما كان (فاعل) بمعنى (فعل) فى المعنى عطف عليه بالفعل لموافقته له فى المعنى و يدلك على أنه بمنزلة (فعل) أنه نزل منزلته فيما عطف عليه، و هو قوله «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْباناً» ألا ترى أنه لما كان المعنى (فعل) حمل المعطوف على ذلك فنصب الشمس و القمر على (فعل) لما كان فاعل كفعل. و يقوى ذلك قولهم: هذا معطى زيد درهما أمس، فالدرهم محمولا على (اعطى)، لان اسم الفاعل إذا كان لما مضى لم يعمل عمل الفعل، فإذا جعل (معطى) بمنزلة (أعطى) كذلك جعل (فالق) بمنزلة (فلق) لان اسم الفاعل لما مضى، فعطف على (فعل) لما كان بمنزلته، و لا يجوز حمل (جاعل) على الليل، لان اسم الفاعل إذا كان لما مضى لا يعمل عمل الفعل، و قد أجازه بعض الكوفيين.

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 29
(2) سورة 76 الدهر آية 31
(3) سورة الفرقان آية 39
(4) حاشية الصبان على الاشمونى 3/ 313 الشاهد 827 و يروى «و لبس» بدل «للبس».

معنى قوله «فالِقُ الْإِصْباحِ» أى شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل، و ذلک دال على القدرة العجيبة التى لا يقدر عليها غير اللَّه، و يحتمل أن يكون معناه خالقه على ما حكيناه عن الضحاک و ذكره الزجاج، و رفع «فالق» لأنه خبر عن اللَّه تعالى بعد خبر كأنه قال «إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى» فالق الإصباح.
و يحتمل أن يكون خبر ابتداء محذوف، فكأنه قال: هو فالق الإصباح.
و الإصباح مصدر أصبحنا إصباحاً، و المراد أصبح كل يوم، فهو فى معنى الإصباح. و روى عن الحسن أنه قرأ «فالق الإصباح» بفتح الالف و ما قرأ به غيره. و معنى «وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً» أى تسكنون فيه و تتودعون فيه، و هو قول مجاهد و الضحاک و قتادة و ابن عباس و أكثر المفسرين. و روى عن ابن عباس أن معناه، خالق الليل و النهار. و قوله «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْباناً» نصبهما عطفا على موضع الليل، لان موضعه النصب بأنه مفعول جاعل.
و اختلفوا فى معناه، فقال ابن عباس و السدى و الربيع و قتادة، و مجاهد و الجبائى: إنهما يجريان فى أفلاكهما بحساب، تقطع الشمس الفلک فى سنة و يقطعه القمر فى شهر قدره اللَّه تعالى به، فهو قوله «الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ» «1» و قوله: «وَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» «2».
و قال قتادة معناه انه جعل الشمس و القمر ضياء. و الاول أجود لان اللَّه تعالى ذكر بمثل هذا من أياديه عند خلقه و عظيم سلطانه بفلقه الإصباح لهم و إخراج النبات و الغراس من الحب و النوى، و عقب ذلک بذكر خلق النجوم للاهتداء بها فى البر و البحر، و كان وصفه اجراء الشمس و القمر بمنافعهم أشبه، و أنها تجرى بحسبان ما يحتاج الخلق اليه فى معايشهم و معاملاتهم: أما الشمس فللزرع و الحرث، و اما القمر فللمواعيد و آجال الديون فى المعاملات، و فيها منافع لا يعرف تفصيلها الا اللَّه تعالى، لأنه قال «فالِقُ الْإِصْباحِ» ذكر

---

(1) سورة 55 الرحمان آية 5.
(2) سورة 36 يس آية 40 و سورة 21 الأنبياء آية 33

الضياء و لا معنى لتكريره دفعة ثانية. و الحسبان جمع حساب على وزن شهبان و شهاب. و قيل فى هذا الموضع انه مصدر حسبت الحساب أحسبه حسابا.
و حكى عن بعض العرب على ذلک حسبان فلان و حسبته أى حسابه. و الحسبان- بكسر الحاء- جمع حسبانة، و هى وسادة صغيرة. و نصب حسبانا على تقدير بحسبان، فلما حذف الباء نصبه. و قال قوم: هو نصب لقوله «و

جعل».
و قوله: «ذلِکَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» أى هذا الذى وصفه بأنه فعله من فلقه الإصباح، و جعل اللیل سکَنا، و الشمس و القمر حسبانا، تقدير الذى عز سلطانه فلا يقدر أحد أراده بسوء او عقاب او انتقام على الامتناع منه، العليم بمصالح خلقه و تدبيرهم، لا تقدير الأصنام و الأوثان التى لا تسمع و لا تبصر و لا تفقه شيئا و لا تعقل.

وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِی ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ (97)
آیة.
هذه الآیة موصولة بالتی قبلها، و معناهما متقارب، و هو أن اللَّه تعالی عدد نعمه علی خلقه و أن من جملتها أنه جعل لهم النجوم بمعنی خلقها لیهتدوا بها فی أسفارهم فی ظلمات البر و البحر، و أنه قد فصل آیاته لقوم یعلمون.
و انما أضاف الآیات الی الذین یعلمون و ان کانت آیات لغیرهم، لأنهم المنتفعون بها، کما قال «هُدیً لِلْمُتَّقِینَ» و لیس فی قوله انه خلقها لیهتدوا بها فی ظلمات البر و البحر ما یدل علی أنه لم یخلقها لغیر ذلک. قال البلخی: بل یشهد أنه خلقها لأمور جلیلة عظیمة. و من فکر فی صغر الصغیر منها و کبر الکبیر، و اختلاف مواقعها و مجاریها و سیرها، و ظهور منافع الشمس و القمر فی نشؤ الحیوان و النبات علم أن الامر کذلک. و لو لم یخلقها إلا للاهتداء لما کان التبیان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 213
لخلقها صغارا و کبارا، و لاختلاف سیرها معنی. قال الحسین بن علی المغربی:
هذا من البلخی اشارة منه الی دلالتها علی الأحکام.

وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَفْقَهُونَ (98)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و أبو عمرو، و روح «فمستقر» بكسر القاف. الباقون بفتحها.

قال ابو على النحوى: قال سيبويه: قالوا قرَّ فى مكانه و استقر، كما قالوا: جلب و أجلب، يراد بهما شىء واحد، فكما بنى هذا على (أفعلت) بنى هذا على (استفعلت) فمن كسر القاف كان المستقر بمعنى القار، و الخبر مضمر، و تقديره منكم مستقر كقولك: بعضكم مسقر أى مستقر فى الأرحام.

و قال «یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ» «1» كما قال «وَ قَدْ خَلَقَکُمْ أَطْواراً» «2» و من فتح فليس على أنه مفعول، لان استقر لا يتعدى، و إذا لم يتعد لم يبن منه اسم مفعول، فإذا له يكن مفعولا كان اسم الفاعل مكانه، فالمستقر بمنزلة المقر كما أن المستقر بمعنى القار، و على هذا، لا يجوز أن يكون خبره المضمر (منكم) كما جاز فى قول من كسر القاف، و إذا لم يجز ذلک جعلت الخبر المضمر (لكم) و تقديره: لكم مقر، و مستودع، فان استودع فعل يتعدى الى مفعولين تقول: استودعت زيدا ألفا و أودعت زيدا ألفا، فاستودع مثل أودع، و مثل استجاب و أجاب، فالمستودع يجوز ان يكون الإنسان الذى استودع ذلک المكان، و يجوز أن يكون المكان نفسه. فمن فتح القاف فى (مستقر) جعل المستودع مكانا ليكون مثل المعطوف عليه أى فلكم مكان استقرار و مكان استيداع. و من كسر القاف، فالمعنى منكم

---

(1) سورة 39 الزمر آية 6

(2) سورة 71 نوح آية 14

مستقر فى الأرحام و منكم مستقر فى الأصلاب، فالمستودع اسم المفعول به ليكون مثل المستقر فى أنه اسم لغير المكان. قال الزجاج: و يحتمل ان يكون مستقرا فى الدنيا موجودا و مستودعا فى الأصلاب لم يخلق بعد. و يحتمل مستقر- بكسر القاف- فى الأحياء، و منكم مستودع فى الثرى. و رفع (مستقر و مستودع) على معنى فلكم مستقر و مستودع. و من كسر فمعناه فمنكم مستقر و منكم مستودع. و قال الفراء: تقديره ثم مستقر و مستودع.

و اختلف المفسرون فى قوله «فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ» فقال عبد اللّه بن مسعود:

المستقر ما فى الرحم، و المستودع حيث يموت، و به قال ابراهيم و مجاهد.
و قال سعيد ابن جبير: مستودع ما كان فى أصلاب الرجال، فإذا قروا فى أرحام النساء و على ظهر الأرض و فى بطونها، فقد استقروا به. و قال ابن عباس، و روى عن مجاهد- فى رواية أخرى- المستقر الأرض، و المستودع عند ربک.
و روى عن ابن مسعود- فى رواية- ان مستقرها فى الآخرة و مستودعها فى الصلب. و قال عكرمة: مستقر فى الآخرة و مستودع فى صلب لم يخلق سيخلق.
و به قال قتادة و الضحاک و السدى و ابن زيد. و قال الحسن: المستقر فى القبر و المستودع فى الدنيا.
و معنى الآية أن اللّه تعالى هو الذى أنشأ الخلق ابتداء من نفس واحدة يعنى آدم، منهم مستقر و مستودع، و إذا حمل على العموم، فانه يتناول كل أحد على تأويل من قال المستقر فى القبر و المستودع فى الحشر، و على تأويل من قال المستودع من كان فى الأصلاب و المستقر من كان فى الأرحام، لان كل الخلائق داخلون فيه، فالأولى حمل الآية على عمومها و هو اختيار الطبرى.
و قوله «قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ» معناه قد بينا الحجج و ميزنا الآيات و الادلة و الاعلام، و أحكمناها لقوم يفقهون مواقع الحجج و مواضع العبر، و يعرفون الآيات و الذكر، و هو قول قتادة و المفسرين.

وَ هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ کُلِّ شَیْءٍ فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراکِباً وَ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِیَةٌ وَ جَنَّاتٍ مِنْ أَعْنابٍ وَ الزَّیْتُونَ وَ الرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَ غَیْرَ مُتَشابِهٍ انْظُرُوا إِلی ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ یَنْعِهِ إِنَّ فِی ذلِکُمْ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (99)

آیة.

روی الأعشی و البرجمی «و جنات» بالرفع. الباقون «جنات» علی النصب. و قرأ حمزة و الکسائی و خلف «ثمره» و «کُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ» و فی (یس) «لِیَأْکُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ» بضم الثاء و المیم فیهن. الباقون بفتحها. من کسر التاء فلأنها تاء جمع المؤنث فی موضع النصب عطفا علی قوله «فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ کُلِّ شَیْءٍ» فأخرجنا به «جنات» و من رفع عطفها علی القنوان فی الاعراب و إن لم یکن من جنسها، کما قال الشاعر:

و رأیت زوجک فی الوغی متقلدا سیفا و رمحا «1»

أی و حاملا رمحا. و من قرأ «ثمره» بالفتح فیهما فوجهه ان سیبویه یری ان الثمر جمع ثمرة مثل بقرة و بقر و شجر و شجر و خرزة و خرز، و یقویه قوله ایضا «وَ مِنْ ثَمَراتِ النَّخِیلِ وَ الْأَعْنابِ» «2» و قد کسِّر علی (فعال) فقالوا: ثمار کما قالوا أکمة و اکام، و جذبة و جذاب و رقبة و رقاب. و من جمعها احتمل أمرین:

أحدهما- أن یکون جمع ثمرة علی ثمر، مثل خشبة و خشب فی قوله «کَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ» «3» و اکمة و اکم فی قول الشاعر:

تری الاکم منه سجداً للحوافر «4»

---

(1) مر هذا البیت فی 1: 6، 242، 3: 465 [.....]

(2) سورة 16 النحل آیة 67

(3) سورة 63 المنافقون آیة 4

(4) انظر 1/ 11 تعلیقة 5

و من المعتل ساحة و سوح، و قارة و قور، و لابة و لوب و ناقة و نوق.

و الثانی- أن یکون جمع ثمار علی ثمر، فیکون ثمر جمع الجمع، و جمعوه علی (فعل) کما جمعوه علی (فعایل) فی قولهم جمال و جمایل.

و معنی الآیة أن الذی یستحق العبادة خالصة لا شریک له فیها سواه هو الذی أنزل من السماء ماء. و أصل الماء ماه إلا أن الهمزة أبدلت من الهاء بدلالة قولهم أمواه فی الجمع و مویه فی التصغیر.

و قوله «فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ کُلِّ شَیْءٍ» معناه أخرج بالماء الذی أنزله من

السماء من غذاء الانعام و البهائم و الطير و الوحش و أرزاق بنى آدم و أقواتهم ما يتغذون به و يأكلونه فينبتون عليه و ينمون، و يكون معنى قوله «فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ» أخرجنا به ما ينبت كل شىء و ينمو عليه و يصلح. و يحتمل أن يكون المراد أخرجنا به جميع أنواع النبات فيكون كل شىء هو اصناف النبات. و الاول أحسن.
و قوله «فَأَخْرَجْنا بِهِ» يعنى من الماء «خضرا» يعنى أخضر رطبا من الزرع. و الخضر و الأخضر واحد يقال: خضرت الأرض خضرا و خضارة.
و الخضرة رطب البقول يقال: نخلة خضرة إذا كانت ترمى ببسرها أخضرا قبل ان ينضج، و قد اختضر الرجل و اغتضر إذا مات شابا مصححا، و يقال: هو لک خضرا مضرا أى هنيئا مريئا.
و قوله «نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراكِباً» يعنى يخرج من الخضر حبا يعنى ما فى السنبل من الحنطة و الشعير و الارز و غيرها من السنابل، لان حبها يركب بعضه بعضا.
و قوله «وَ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها» إنما خص الطلع بالذكر لما فيه من المنافع العجيبة و الاغذية الشريفة التى ليست فى شىء من كمام الثمار.
قوله «قِنْوانٌ دانِيَةٌ» تقديره و من النخل من طلعها ما قنوانه دانية، و لذلک رفع القنوان. و القنوان جمع قنو، كصنوان و صنو، و هو العذب، يقال لواحدة قنو و قنو، و قنى و يثنى قنوان على لفظ الجمع و قنيان و انما يميز بينهما التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 217
بإعراب النون، و يجمع قِنوان و قنوان و فى الجمع القليل ثلاثة أقناء، فالقنوان لغة أهل الحجاز، و القنوان لغة قيس قال امرؤ القيس:
فأتت اعياله و آدت أصوله و مال بقنوان من البسر أحمر «1»
و قنيان و قنوان لغة تميم و قوله «دانية» معناه قريبة متهدلة، و هو قول ابن عباس و قتادة و السدى و الضحاک. و قال الجبائى دانية أى متدانية فى حلوق النخل متكور بها.
و قوله «و جنات» يعنى و أخرجنا به أيضا جنات من أعناب يعنى بساتين من أعناب.
و قوله «وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَّانَ» عطف الزيتون على الجنات على تقدير و أخرجنا الزيتون و الرمان مشتبها و غير متشابه، قال قتادة متشابه ورقه مختلف ثمره. و يحتمل أن يكون المراد مشتبها فى الخلق مختلفا فى الطعم. و قال الجبائى مشتبها ما كان من جنس واحد، و غير متشابه إذا اختلف جنسه.
و المعنى و شجر الرمان و الزيتون، فاكتفى بذكر ثمره عن ذكر شجره، كما قال «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» فاكتفى بذكر القرية عن ذكر أهلها لدلالة الحال عليه.
و قوله «انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ يَنْعِهِ» الثمر جمع ثمرة، و هو ما انعقد على الشجر يقال: ثمر الثمر إذا نضج و المراد إذا أطلع ثمره.

و قوله «و ينعه» قال بعضهم: إذا فتحت ياؤه فهو جمع يانع مثل صاحب و صحب و تاجر و تجر. و قال آخرون: هو مصدر قولهم ينع الثمر فهو ينع ينعا. و يحكى فى مصدره ثلاث لغات يَنُع و يَنْع و ينع، و كذلک نضج و نضج و نضج قال الشاعر:
فى قباب حول دسكرة حولها الزيتون قد ينعا «2»

_____
(1) ديوانه 84 و اللسان (قنا) و الطبرى 11/ 575 و رواية الديوان:
سواحق جبار أثيث فروعه و عالين قنوانا من البسر أحمرا
(2) الحيوان للجاحظ 4/ 6 (طبع بيروت) و الكامل للمبرد 1/ 226 و مجاز-
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 218
و سمع أيضا أينعت الثمرة تونع إيناعا فمعنى «و ينعه» نضجه و بلوغه حين يبلغ و فى ينعه لغتان: فتح الياء و ضمها، فالفتح لغة اهل الحجاز و الضم لغة نجد. و قال ابن عباس و قتادة و السدى و الضحاک و الطبرى و الزجاج و غيرهم: معنى و ينعه و نضجه.
و قوله «إِنَّ فِي ذلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» يعنى فى انزال اللَّه الماء من السماء الذى أخرج به نبات كل شىء، و الخضر الذى أخرج منه الحب المتراكب و سائر ما عدد فى الآية «لآيات» أى دلالات أيها الناس إذا نظرتم فيها أدّاكم الى التصديق بتوحيده و خلع الأنداد دونه، و أنه لا يستحق العبادة سواه، لان فى ذلک بيانا و حججا و برهانا لقوم يؤمنون، فتصدقون بوحدانية اللَّه و قدرته على ما يشاء. و انما خصَّ المؤمنين بالذكر، لأنهم المنتفعون بذلک و المعتبرون به، كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» و فى الآية دلالة على بطلان قول من يقول بالطبع، لان من الماء الواحد و التربة الواحدة يخرج اللَّه ثمارا مختلفة و أشجارا متباينة و لا يقدر على ذلک غير اللَّه تعالى.

وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يَصِفُونَ (100)

آية بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة «خرَّقوا» بتشديد الراء. الباقون بتخفيفها، قال أبو عبيدة «وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ» أى جعلوا له و أشركوه. يقال: خرق و اخترق و اختلق بمعنى، إذا افتعل و افترا و كذب، قال أحمد بن يحيى: خرَّق و اخترق، و قال ابو الحسن الخفيفة أحب إلىَّ، لأنها أكثر.

القرآن 1/ 202 و اللسان و التاج (ينع)، (دسكر) و تفسير القرطبى 7/ 67 و قد روى (قد وفعا) بدل (قد ينعا).

و قيل ان المعنى المشركين ادعوا أن الملائكة بنات اللَّه، و النصارى المسيح ابن اللَّه و اليهود عزير ابن اللَّه و من شدد كأنه ذهب الى التكثير.

أخبر اللَّه تعالى أن هؤلاء الكفار العادلين عن الحق المتخذين معه آلهة جعلوا له أندادا و شركاء الجن، كما قال «وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً» «1» و قال «وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً» «2» و قال «وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ» «3» و وصفهم بالجن لخفائهم عن الأبصار و قوله «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ» أراد به الكفار الذين جعلوا الملائكة بنات اللَّه و النصارى الذين جعلوا المسيح ابن اللَّه، و اليهود الذين جعلوا عزيراً ابن اللَّه، و لذلك قال «وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ» ففصل أقوالهم.

و قيل ان معنى «شُرَكاءَ الْجِنَّ» فى استعاذتهم بهم.

و قيل ان المعنى ان المجوس تنسب الشرَّ الى إبليس و تجعله بذلك شريكا.

و الهاء و الميم فى قوله «و خلقهم» يحتمل أن تكون عائدة الى الكفار الذين جعلوا للَّه الجن شركاء. و يحتمل أن تكون عائدة على الجن، و يكون المعنى «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ» و اللَّه خلق الجن فكيف يكونون شركاء له.

و فى نصب الجن وجهان أحدهما- ان يكون تفسيرا للشركاء و بدلا منه.

و الآخر- ان يكون مفعولا به و معناه و جعلوا للَّه الجن شركاء و هو خالقهم.

و روى عن يحيى بن يعمر انه قرأ «و خلقهم» بسكون اللام بمعنى أن الجن شركاء للَّه فى خلقه إيانا، و هذه القراءة ضعيفة. و القراءة المعروفة أجود، لان المعنى و خلقهم بمعنى أن اللَّه خلقهم متفردا بخلقه إياهم.

و قوله «وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ» معناه تخرصوا، و هو قول ابن عباس و

مجاهد و قتادة و السدى و ابن زيد و غيرهم، فيتلخص الكلام أن هؤلاء الكفار جعلوا للّه الجن شركاء فى عبادتهم إياه مع انه المتفرد بخلقهم بغير شريک و لا معين

---

(1) سورة 37 الصافات آية 158
(2) سورة 43 الزخرف آية 17
(3) سورة 16 النحل آية 57.

و لا ظهير «وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ» معناه تخرصوا له كذبا بنين و بنات «بِغَيْرِ عِلْمٍ» أى بغير حجة. و يحتمل أن يكون معناه بغير علم منهم بما عليهم عاجلًا و آجلا و يحتمل ان يكون معناه بغير علم منهم بما قالوه على حقيقة ما يقولون، لكن جهلا منهم باللّه و بعظمته، لأنه لا ينبغى لمن كان إلها أن يكون له بنون و بنات و لا صاحبة و لا أن يشركه فى خلقه شريک، ثم نزه نفسه تعالى و أمرنا بتنزيهه عما أضافوه اليه، و أنه يجلُّ عن ذلک و يتعالى عنه، فقال «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يَصِفُونَ» من ادعائهم له شركاء و اختراقهم له بنين و بنات لان ذلک لا يليق بصفته و لا بوحدانيته.

بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101)
آية بلا خلاف.
البديع هو المبدع و هى صفة معدولة عن (مفعل) الى (فعيل) و لذلک تعدى (فعيل) لأنه يعمل عمل ما عدل عنه، فإذا لم يكن معدولا للمبالغة لم يتعد نحو طويل و قصير، و ارتفع بديع، لأنه خبر ابتداء محذوف، و تقديره هو بديع السموات و الأرض. و يجوز ان يكون رفعا بالابتداء و خبره (أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ).
و الفرق بين الابتداع و الاختراع فعل ما لم يسبق الى مثله، و الاختراع فعل ما لم يوجد سبب له، و لذلک يقال: البدعة و السنة، فالبدعة احداث ما لم يسبق اليه مما خالف السنة، و لا يوصف بالاختراع غير اللّه، لان حد ما ابتدئ فى غير محل القدرة عليه، و لا يقدر على ذلک الا القادر للنفس، لان القادر بقدرة اما ان يفعل مباشرا وحده ما ابتدئ فى محل القدرة عليه او متولد وحده ما وقع بحسب غيره، و هو على ضربين: أحدهما تولده فى محل القدرة عليه. و الآخر انه يتعداه بسبب هو الاعتماد لا غير، و لا يقدر غير
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 221
اللّه على الاختراع أصلا. فاما الابتداع فقد يقع منه، لأنه قد يفعل فعلا لم يسبق اليه. و اما «بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» فلا يوصف به غير اللّه لأنه خالقهما على غير مثال سبق.
و قوله «أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ» معناه و كيف يكون له ولد. و قيل: معناه من اين يكون له ولد؟ و لم تكن له صاحبة، فالولد هو الحيوان المتكون من حيوان، فعلى هذا آدم ليس بولد، لأنه لم يتكون عن والد، و المسيح (ع) ولد، لان مريم ولدته فهو متكون عنها، و ان لم يكن عن ذكر، و الصاحب هو القرين اللازم، و لذلک يقال: اصحاب الصحراء، و فى القرآن اصحاب النار و أصحاب الجنة. و معناه المقارنون لها. و قد يكون المقارن لما هو من جنسه و ما ليس من جنسه، فيوصف بانه صاحب الا انه لا بد من مشاكلته و يقال: صاحب القرآن أى حافظه، و صاحب الدار مالكها.
و قوله: «وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ» يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يكون أراد ب (خلق) قدر، فعلى هذا تكون الآية عامة، لأنه تعالى مقدر كل شىء.
و يحتمل ان يكون أحدث كل شىء، فعلى هذا يكون مخصوصا، لأنه لم يحدث أشياء كثيرة من مقدورات غيره، و ما هو معدوم لم يوجد على مذهب من يسميها أشياء. و كقديم آخر، لأنه يستحيل.

و قوله: «وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» عام، لان اللّه تعالى يعلم الأشياء كلها قديمها و محدثها، موجودها و معدومها، لا تخفى عليه خافية.

ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ خالِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (102)

آية بلا خلاف.

«ذلک» اشارة الى ما تقدم ذكره من وصف اللَّه بانه «بَدِيعُ السَّماواتِ

وَ الْأَرْضِ»

و غير ذَلک من صفاته تعالى. و انما ادخل فيه الميم، لأنه خطاب لجميع الخلق. «اللَّهُ رَبُّكُمْ» صفة بعد صفة.

و قوله: «لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» اخبار بانه لا معبود سواه تحق له العبادة.

و بين انه «خالِقُ كُلِّ شَىْءٍ» من اصناف الخلق. و حذف اختصارا- فى المبالغة- لقيام الدلالة على انه لا يدخل فيه ما لم يخلقه من اصناف الأشياء من المعدوم، و أفعال العباد و القبائح،و مثله فى المبالغة قوله: «تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها» «1». و قوله: «وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ» «2». ثم امر الخلق بعبادة من كان خالق الأشياء كلها، و المنعم على خلقه بما يستحق به العبادة:

من خلق الحياة و القدرة و الشهوة و البقاء، و غير ذلک. و اخبر انه تعالى «عَلى كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ» أى حافظ. و الوكيل على الشىء هو الحافظ الذى يحوطه و يدفع الضرر عنه. و انما وصف بانه وكيل مع انه مالک الأشياء، لأنه لما كانت منافعه لغيره لاستحالة المنافع عليه و المضار، صحة الصفة له من هذه الجهة بانه وكيل، و كان فيها تذكير بالنعمة مع كونه مالكا من جهة انه قادر عليه له ان يصرف أتم التصريف مما يريده بمنزلة ما يريده الوكيل فى ان منافعه تعود على غيره، و لا يلزم على هذا ان يقال: هو وكيل على القبائح و الفواحش، لأنه يوهم انها عرض و انما تدخل فى الجملة على طريق التبع، لأنه يجازى عليها بالعذاب المستحق بها.

و رفع «خالِقُ كُلِّ شَىْءٍ» بانه خبر ابتداء محذوف كأنه قيل هو خالق كل شىء، لأنه تقدم ذكره فاستغنى عن ذكره. و لا يجوز رفعه على ان خبره «فاعبدوه» لدخول الفاء. و كان يجوز نصبه على الحال لأنه نكرة اتصل بمعرفة بعد التمام.

---

(1) سورة 46 الأحقاف آية 25

(2) سورة 27 النمل آية 23

لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)
آية بلَا خلاف.
فى هذه الآية دلالة واضحة على انه تعالى لا يرى بالأبصار، لأنه تمدح بنفى الإدراک عن نفسه. و كلما كان نفيه مدحا غير متفضل به فاثباته لا يكون الا نقصا، و النقص لا يليق به تعالى. فإذا ثبت انه لا يجوز إدراكه، و لا رؤيته، و هذه الجملة تحتاج الى بيان أشياء:
أحدها- انه تعالى تمدح بالآية.
و الثانى- ان الإدراک هو الرؤية.
و الثالث- ان كلما كان نفيه مدحا لا يكون إثباته الا نقصا. و الذى يدل على تمدحه شيئان:
أحدهما- اجماع الامة، فانه لا خلاف بينهم فى انه تعالى تمدح بهذه الآية، فقولنا: تمدح بنفى الإدراک عن نفسه لاستحالته عليه. و قال المخالف:
تمدح لأنه قادر على منع الأبصار من رؤيته، فالإجماع حاصل على ان فيها مدحة.
و الثانى- ان جميع الأوصاف التى وصف بها نفسه قبل هذه الآية و بعدها مدحة، فلا يجوز ان يتخلل ذلک ما ليس بمدحة. و الذى يدل على ان الإدراک يفيد الرؤية ان اهل اللغة لا يفرقون بين قولهم: أدركت ببصرى شخصا، و آنست، و أحسست ببصرى. و انه يراد بذلک اجمع الرؤية. فلو جاز الخلاف فى الإدراک، لجاز الخلاف فيما عداها من الأقسام.
فاما الإدراک فى اللغة، فقد يكون بمعنى اللحوق، كقولهم: ادراک قتادة الحسن. و يكون بمعنى النضج، كقولهم أدركت الثمرة، و أدركت القدر، و أدرک الغلام إذا بلغ حال الرجال. و أيضا فان الإدراک إذا أضيف التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 224
الى واحد من الحواس أفاد ما تلک الحاسة آلة فيه ألا ترى انهم يقولون: أدركته بأدنى يريدون سمعته، و أدركته بانفى يريدون شممته و أدركته بفمى يريدون ذقته. و كذلک إذا قالوا: أدركته ببصرى يريدون رأيته. و اما قولهم أدركت حرارة الميل ببصرى فغير معروف و لا مسموع، و مع هذا ليس بمطلق بل هو مقيد، لان قولهم حرارة الميل تقييد لان الحرارة تدرک بكل محل فيه حياة، و لو قال أدركت الميل ببصرى لما استفيد به الا الرؤية.
و قولهم ان الإدراک هو الاحاطة باطل، لأنه لو كان كذلک لقالوا: أدرک الجراب بالدقيق و أدرک الحب بالماء و أدرک السور بالمدينة لإحاطة جميع ذلک بما فيه، و الامر بخلاف ذلک. و قوله «حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ» «1» فليس المراد به الاحاطة بل المعنى حتى إذا لحقه الغرق، كما يقولون

أدركت فلانا إذا لحقته، و مثله «فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ» «2» أى لملحقون، و الذى يدل على أن المدح إذا كان متعلقا بنفى فاثباته لا يكون الا نقصا، قوله «لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ» «3» و قوله «مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ» «4» لما كان مدحا متعلقا بنفى فلو ثبت فى حال لكان نقصا.
فان قيل كيف يتمدح بنفى الرؤية و مع هذا يشاركه فيها ما ليس بممدوح من المعدومات و الضمائر؟
قلنا: انما كان ذلک مدحا بشرط كونه مدركا للأبصار و بذلک يميز من جميع الموجودات لأنه ليس فى الموجودات ما يدرک و لا يدرک.
فان قيل: و لم إذا كان يدرک و لا يدرک يجب ان يكون ممدوحا؟؟
قلنا: قد ثبت ان الآية مدحة بما دللنا عليه، و لا بد فيها من وجه مدحة فلا يخلو من أحد وجهين: اما أن يكون وجه المدحة أنه يستحيل رؤيته مع كونه رائيا أو ما قالوه من أنه يقدر على منع الأبصار من رؤيته بأن لا يفعل

---

(1) سورة 10 يونس آية 90
(2) سورة 26 الشعراء آية 62
(3) سورة 2 البقرة آية 256. [.....]
(4) سورة 23 المؤمنون آية 92

فيها الإدراک، و ما قالوه باطل لقيام الدلالة على أن الإدراک ليس بمعنى الاحاطة، فإذا بطل ذلک لم يبق الا ما قلناه، و الا خرجت الآية من كونها مدحة.
و قد قيل: ان وجه المدحة فى ذلک أن من حق المرئى أن يكون مقابلا أو فى حكم المقابل و ذلک يدل على مدحته، و هذا دليل من أصل المسألة لا يمكن ان يكون جوابا فى الآية.
فان قيل: انه تعالى نفى أن تكون الأبصار تدركه فمن أين ان المبصرين لا يدركونه؟
قلنا: الأبصار لا تدرک شيئا البتة فلا اختصاص لها به دون غيره، و أيضا فان العادة ان يضاف الإدراک الى الأبصار و يراد به ذووا الأبصار، كما يقولون: بطشت يدى و سمعت أذنى و تكلم لسانى و يراد به أجمع ذووا الجارحة
فان قيل: انه تعالى نفى أن جميع المبصرين لا يدركونه، فمن أين أن البعض لا يدركونه و هم المؤمنون؟
قلنا: إذا كان تمدحه فى استحالة الرؤية عليه لما قدمناه فلا اختصاص لذلک براء دون رائى، و لک ان تستدل بأن تقول: هو تعالى نفى الإدراک عن نفسه نفيا عاما كما أنه أثبت لنفسه ذلک عاما فلو جاز ان يخص ذلک بوقت دون وقت لجاز مثله فى كونه مدركا. و إذا ثبت نفى إدراكه على كل حال

فكل من قال بذلک قال الرؤية مستحيلة عليه. و من أجاز الرؤية لم ينفها نفيا عاما فالقول بنفيها عموما مع جواز الرؤية عليه قول خارج عن الإجماع. فان عورضت هذه الآية بقوله «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ» «1» فانا نبين انه لا تعارض بينهما و انه ليس فى هذه الآية ما يدل على جواز الرؤية إذا انتهينا اليها ان شاء اللّه.

و قوله «وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» قيل فى معنى «اللطيف» قولان:

أحدهما- أنه اللاطف لعباده بسبوغ الانعام، غير انه عدل من وزن

---

(1) سورة 75 القيامة آية 23

(فاعل) الى (فعيل) للمبالغة.

الثانى- أنه لطيف التدبير، و حذف لدلالة الكلام عليه.

و الخبير هو العالم بالأشياء المتبين لها، و ما ذكرناه من أن معنى الآية نفى الرؤية عن نفسه على كل حال قول جماعة منهم عائشة، روى مسروق عن عائشة انها قالت: من حدثک أن رسول اللّه رأى ربه فقد كذب «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ» و «ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ» «1» و لكن رأى جبرائيل فى صورته مرتين. و فى رواية أخرى أن مسروقا لما قال لها: هل رأى محمد ربه؟ قالت: سبحان اللّه، لقد وقف شعرى مما قلت، ثم قرأت الآية. و قال الشعبى قالت عائشة من قال: ان أحدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على اللّه، و قرأت الآية، و هو قول السدى و جماعة أهل العدل من المفسرين كالحسن و البلخى و الجبائى و الرمانى و غيرهم. و قال أهل الحشو و المجبرة بجواز الرؤية على اللّه تعالى فى الآخرة و تأولوا الآية على الاحاطة و قد بينا فساد ذلک.

قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (104)
آية بلا خلاف.
البصائر جمع بصيرة و هى الدلالة التى توجب العلم الذى يبصر به نفس الشىء على ما هو به و المراد هاهنا قد جاءكم القرآن الذى فيه الحجج و البراهين، قال الشاعر:
جاءوا بصائرهم على أكتافهم و بصيرتى يعدو بها عتد و أى»

---

(1) سورة 42 الشورى آية 51
(2) اللسان (بصر)، (عتد)، (و أى) و تفسير الطبرى 12/ 24 و البصيرة الدم، و الشاعر يعير أخوته لأبيه لعدم أخذهم بثأر أبيهم و قد أخذ هو بدم أبيه و يروى (حملوا بصائرهم) و (راحوا بصائرهم). و العتد الحاضر المعد للكروب

و نعنى بالبصيرة الحجة البينة الظاهرة. و أما الإبصار فهو الإدراك و لذلك يوصف تعالى بأنه مبصر كما يوصف بأنه مدرك و يسمى بأنه بصير، لأنه يجب أن يدرك المبصرات إذا وجدت و انما وصفت الدلالة بأنها جائية و ان كان لا يجوز أن يقال جاءت الحركة، و لا جاء السكون و لا الاعتماد، و غير ذلك من الاعراض لتفخيم شأن الدلالة حيث كانت بمنزلة الغائب المتوقع حضوره للنفس كما يقال جاءت العافية و انصرف المرض و أقبل السعد و أدبر النحس.
و قوله «فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ» يعنى من تبين بهذه الحجج بأن نظر فيها حتى أوجبت له العلم و تبين بها، فمنفعة ذلك تعود عليه و لنفسه بما نظر. و من عمى فلم ينظر فيها و صدف عنها حتى جهل فعلى نفسه لان عقاب تفريطه لازم له و حال به، فسمى العلم و التبيين إبصارا مجازاً، و سمى الجهل عمى توسعا.
و فى ذلك دلالة على ان الخلق غير مجبرين بل هم مخيرون فى أفعالهم.
ثم خاطب اللَّه تعالى نبيه (ص) و أمره بأن يقول لهم «وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ» يعنى برقيب على أعمال العباد حتى يجازيهم بها،- فى قول الحسن- بل هو شهيد عليهم، لأنه يرجع الى الحال الظاهرة التى تقع عليها المشاهدة. قال الزجاج: هذا قبل أن يؤمر بالقتال. ثم أمر أن يمنعهم بالسيف عن عبادة الأوثان.
و هذه الآية فيها أمر من اللَّه لنبيه أن يقول لهؤلاء الكفار: قد جاءكم حجج

من اللّه و هو ما ذكره فى قوله «فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى» «1» الى ها هنا. و ما يبصرون به الهدى من الضلال، فمن نظر و علم فلنفسه نفع، و من جهل و عمى فلنفسه ضر. و لست أمنعكم منه و لا أحول بينكم و ما تحتاجون، و هو قول قتادة و ابن زيد.

وَ كَذلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ وَ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَ لِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (105)
آية بلا خلاف.

---

(1) آية 95 من هذه السورة.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو (دارست) بألف و فتح التاء. الباقون بلا الف «درست» بفتح التاء، الا ابن عامر فانه قرأ «درست» بسكون التاء و فتح السين بمعنى (انمحت) و ذكر الأخفش (درست) و هو أشد مبالغة فى الامحاء و قيل (درست) على ما لم يسم فاعله. و المعانى متقاربة غير ان هذين لم يقرأ بهما أحد من المعروفين. و فى قراءة عبد اللّه (درس) أى ليقولوا درس محمد.
قال أبو زيد: درست أدرس دراسة و هى القراءة. و انما يقال ذلك إذا قرأت على غيرك. قال الاصمعى أنشدنى ابن ميادة:
يكفيك من بعض ازديار الآفاق سمراء مما درس ابن مخراق «1»
يقال درس يدرس مثل داس يدوس. قال: و قال بعضهم: سمراء ناقته، و درسها رياضها قال و درس السورة من هذا أى يدرسها لتخف على لسانه، و الدريس الثوب الخلق، و أصل الدرس استمرار التلاوة. و قال ابو على النحوى: من قرأ «دارست» معناه أهل الكتاب و ذاكرتهم، قال و قد يحذف الالف فى مثل هذا فى المصحف. قال و يقوى ذلك قوله «وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا» «2» و قالوا «إِنْ هَذا إِلَّا إِفْكٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ» «3» و من قرأ (درست) قال لان أبيّا و ابن مسعود قرءا به فاسندا الفعل فيه الى الغيبة كما أسند الى الخطاب و معناه درست فتعلمت من أهل الكتاب. و قال المغربى: درست معناه علمت كما قال «وَ دَرَسُوا ما فِيهِ» «4» أى علموه فعلى هذا يكون اللام لام الغرض، كأنه قال فعلنا ذلك ليقولوا علمت. و وجه قراءة ابن عامر انه ذهب الى الدرس الذى هو تعفية الأثر و إمحاء الرسم. و اللام من قوله «وَ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ» على ضربين:
من قال (درست) بلا الف، فالمعنى لكراهة أن يقولوا أو لئلا يقولوا: درست، كما قال «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» «5» و معناه لئلا تضلوا و كراهة

---

(1) اللسان «سمر»
(2) سورة 25 الفرقان آية 5
(3) سورة 25 الفرقان آية 4

(4) سورة 7 الاعراف آية 168
(5) سورة 4 النساء آية 175
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 229
ان تضلوا، و المعنى انى فصلت الآيات و أحكمتها لئلا يقولوا: انها أخبار قد تقدمت و طال العهد بها و باد من كان يعرفها، كما قالوا «أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» «6» لان تلك الاخبار لا تخلو من خلل فإذا سلم الكتاب منه لم يكن لطاعن موضع طعن.
و الثانى- ليقولوا (درست) ذلک بحضرتنا أى ليقروا بورود الآية عليهم فتقوم الحجة عليهم.
و قال الزجاج: اللام لام العاقبة و من قرأ (دارست) فاللام على قوله كالتى فى قوله «لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «7» و لم يلتقطوه لذلک لكن كان عاقبته كذلک كما أنه تعالى لم يفصل الآيات ليقولوا دارست و درست. لكن لما قالوا ذلک أطلق ذلک عليه اتساعا.
و موضع الكاف فى و كذلک نصب، لان المعنى نصرف الآيات فى غير هذه السورة مثل التصريف فى هذه السورة، فهو فى موضع صفة المصدر كأنه قال تصريفا مثل هذا التصريف. قال الرمانى: و التصريف اجراء المعنى الدائر فى المعانى المتعاقبة ليجتمع فيه وجوه الفائدة.
و قال الحسن و مجاهد و السدى و ابن عباس و سعيد بن جبير (دارست) أى ذاكرت أهل الكتابين و قارأتهم، و قوله «وَ لِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» معناه لنبين الذى هذه الآيات دالة عليه لقوم يعلمون ما نورده عليهم من هذه الآيات، و يعقلون ذلک و هم الذين يلزمهم الاستدلال بذلک على اللَّه و على صحة دينه.
و قال قوم «لِيَقُولُوا دَرَسْتَ» معناه التهديد كما يقول القائل: قل لفلان: يوفينا حقنا و ليصنع ما شاء، و قل للناس الحق و ليقولوا ما شاءوا أى ذلک لا يضرک، و لان ضرره يعود عليهم من العقاب و الذم.

---

(6) سورة 16 النحل آية 24
(7) سورة 28 القصص آية 8
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 230

اتَّبِعْ ما أُوحِيَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِينَ (106)
آية بلا خلاف.
أمر اللَّه تعالى نبيه (ص) أن يتبع ما أوحى اليه من ربه، و الاتباع هو أن ينصرف الثانى بتصريف الاول، و النبى (ص) كان يتصرف فى الدين بتصريف الوحى فذلک كان متبعا، و كذلک كل متدبر بتدبير غيره فهو متبع له و الإيحاء هو إلقاء المعنى الى النفس من جهة يخفى، و انما أعاد قول «لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» لان المعنى ادعهم الى انه لا اله الا هو، فعلى هذا ليس بتكرار، هذا قول الحسن. و قال الجبائى: لأنه بمعنى الزمه وحده. و قال غيره: لان معناه اتبع ما أوحى اليک من أنه لا اله الا هو.
و قوله «وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِينَ» أمر للنبى (ص) بالاعراض عن المشركين، و لا ينافى ذلک أمره إياه بدعائهم الى الحق و قتالهم على مخالفتهم لامرين:
أحدهما- أنه أمره بالاعراض عنهم على وجه الاستجهال لهم فيما اعتقدوه من الاشراک بربهم.
الثانى- قال ابن عباس: نسخ ذلک بقوله «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِکِينَ» «1» و أصل الاعراض هو الانصراف بالوجه الى جهة العرض. و العرض خلاف الطول، و منه (و أعرضت اليمامة). أى ظهرت كالظهور بالعرض و منه العارضة لظهور المساواة بها كالظهور بالعرض، و الاعتراض المنع من الشىء بحاجز عنه عرضا و منه العرض الذى يظهر كالظهور بالعرض ثم لا يلبث. وحَّد أيضا بانه ما يظهر فى الوجود و لا يكون له لبث كلبث الجواهر.

---

(1) سورة 9 التوبة آية 6

وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكُوا وَ ما جَعَلْناکَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (107)

آية.

ان قيل: كيف قال تعالى «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكُوا» و المشيئة لا تتعلق إلا بفعل يصح حدوثه، و لا تتعلق بأن لا يكون الشىء؟! قلنا: التقدير لو شاء اللّه ان يكونوا على غير الشرک قسرا ما أشركوا فمتعلق المشيئة محذوف، فمراد هذه المشيئة حالهم التى تنافى الشرک قسرا بالاقتطاع عن الشرک عجزا او منعا أو الجاء. و انما لا يشاء اللّه هذه الحال لأنها تنافى التكليف. و انما لم يمنع العاصى من المعصية لأنه انما اتى بها من قبل نفسه، و اللّه تعالى فعل به جميع ما فعل بالمطيع من ازاحة العلة، فإذا لم يطع و عصى كانت الحجة عليه. و ربَّما كان فى بقائه لطف للمؤمن فيجب تبقيته و ليس لاحد ان يقول الآية دالة على انه تعالى لم يرد هدايتهم لأنه لو أراد ذلک لاهتدوا، و ذلک أنه لو لم يرد أن يهتدوا لم يكونوا عصاة بمخالفة الاهتداء، لان العاصى هو الذى خالف ما أريد منه و لما صح أمرهم أيضا بالاهتداء.

و الفرق بين الحفيظ و الوكيل هو أن الحفيظ يحفظهم من أن يزلوا بمنعه لهم، و الوكيل القيم بأمورهم فى مصالحهم لدينهم أو دنياهم حتى يلطف لهم فى تناول ما يجب عليهم، فليس بحفيظ فى ذاک و لا وكيل فى هذا، فذلک قال تعالى: انه لم يجعل نبيه حفيظا و لا جعله وكيلا عليهم، بل اللّه تعالى هو الرقيب الحافظ عليهم و المتكفل بأرزاقهم. و انما النبى (ص) مبلغ منذر و مخوف. و قيل: ان ذلک كان بمكة قبل أن يؤمر بالقتال.

وَ لا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (108)
آية بلا خلاف.
قرأ الحسن و يعقوب «عدوا» بضم العين و الدال و تشديد الواو. و الباقون بفتح العين و بسكون الدال. و أصل ذلک من العدوان. و «عدوا» مخففا و «عدوّا» لغتان، يقال عدا على عدوا و عدوانا و عداء إذا ظلم مثل ضرب ضربا. و عدا فلان على فلان أى ظلمه. و الاعتداء افتعال من عدا.
نهى اللّه تعالى المؤمنين أن يسبوا الذين يدعون من دون اللّه. و السب الذكر بالقبيح و مثله الشتم و الذم و هو الطعن فيه بمعنى قبيح، كما يطعن فيه بالسنان، و أصله السبب، فهو تسبب الى ذكره بالعيب.
و المعنى فى الآية لا تخرجوا فى مجادلتهم و دعائهم الى الايمان و محاجتهم الى ان تسبوا ما يعبدونه من دون اللّه، فان ذلک ليس من الحجاج فى شىء، و هو أيضا يدعوهم الى أن يعارضوكم و يسبوا اللّه بجهلهم و حميتهم، فأنتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما يستحقون، و هم أيضا لا يتقونكم، لان الدار دارهم و لم يؤذن لكم فى القتال.
و كان سبب نزول الاية- فى قول الحسن- أن المسلمين كانوا يسبون آلهة المشركين من الأوثان، فإذا سبوها يسب المشركون اللّه تعالى، فأنزل اللّه تعالى الاية. و قال أبو جهل: و اللّه يا محمد لتتركوا سب آلهتنا أو لنسبن إلهک الذى بعثک، فنزلت الآية. و فى ذلک دلالة على ان المحَّق يلزمه الكف عن سب السفهاء الذين يسرعون الى سبه مقابلة له، لأنه بمنزلة البعث على المعصية و المفسدة فيها. و انما قال «يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» بمعنى يعبدون، التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 233
لان معناه يدعونه إلهاً فلما قال «مِنْ دُونِ اللَّهِ» و هو من صفة الكفار دلَّ على هذا المعنى فحذف اختصارا. و انما قال «مِنْ دُونِ اللَّهِ» مع انهم كانوا يشركون فى العبادة بين اللّه و بين الأصنام لامرين:
أحدهما- ان ما وجهوه من العبادة الى الأوثان انما هو عبادة لها لا للّه، و ليس كالتوجه الى القبلة عبادة للّه.
و الثانى- أن ذلک غير معتد به، لأنهم أوقعوا العبادة على خلاف الوجه المأمور به فما أطاعوا اللّه بحال.
و قوله «كَذلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ» قيل فى معناه أربعة أقوال:
أحدها- قال الحسن و الجبائى و الطبرى و الرمانى: انا كما أمرناكم بحسن الدعاء الى اللّه تعالى و تزيين الحق فى قلوب المدعوين كذلک زينا للأمم المتقدمين أعمالهم التى أمرناهم بها و دعوناهم اليها بأن رغبناهم فى

الثواب، و حذرناهم من العقاب و يسمى ما يجب على الإنسان أن يعمله بأنه عمله كما يقول القائل لولده أو غلامه: اعمل عملک يريد به ما ينبغى له أن يفعله، لان ما وجد و تقضى لا يصح الامر بأن يفعله.
الثانى- زينا الحجة الداعية اليها و الشبهة التى من كمال العقل ان يكون المكلف عليها، لأنه متى لم يفعل معنى الشبهة لم يكن عاقلا.
الثالث- التزيين المراد به ميل الطبع الى الشىء فهو الى الحسن ليفعل و الى القبيح ليجتنب.
و الرابع- ذكره البلخى أيضا، و هو أن المعنى ان اللَّه زين لكل أمة عملهم من تعظيم من خلقهم و رزقهم و أنعم عليهم، و المحاماة عنه و عداوة من عاداه طاعة له، فلما كان المشركون يظنون شركاءهم هم الذين يفعلون ذلک أو أنهم يقربونهم الى اللّه زلفى، حاموا عنهم و تعصبوا لهم و عارضوا من شتمهم بشتم من يعز عليهم، فهم لم يعدوا فيما صنعوا ما زينه اللّه لهم فى الجملة، لكن غلطوا فقصدوا بذلک من لم يجب ان يقصدوه فكفروا و ضلوا. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 234
و قوله «عدوا» نصب على المصدر، و قرئ «عدوا» و المعنى جماعة يعنى أعداء و على هذا يكون نصبا على الحال.

وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِها قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ ما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ (109)
آية.
قرأ ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب و أبو بكر الا يحيى و نصير و خلف «و ما يشعركم انها» بكسر الهمزة. الباقون بفتحها.
و قرأ ابن عامر و حمزة «لا تؤمنون» بالتاء. الباقون بالياء.
و (ما) فى قوله «وَ ما يُشْعِرُكُمْ» استفهام و فاعل (يشعركم) ضمير (ما) و لا يجوز ان يكون نفيا، لان الفعل فيه يبقى بلا فاعل، و لا يجوز ان يكون نصبا و يكون الفاعل ضمير اسم اللّه، لان التقدير يصير، و ما يشعركم اللّه انتفاء إيمانهم، و هذا ليس بصحيح، لان اللّه قد أعلمنا أنهم لا يؤمنون بقوله «وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ ..» آية (111) فالمعنى و ما يدريكم ايمانهم إذا جاءت الآيات، فحذف المفعول، و تقديره و ما يدريكم ايمانهم إذا جاءت أى هم لا يؤمنون مع مجىء الآية. و من كسر الالف فلانه استئناف على القطع بأنهم لا يؤمنون، و لو فتحت ب «يشعركم» كان عدوا لهم، و يجوز فتحها على وجهين:
الاول قال الخليل: بمعنى لعلها إذا جاءت لا يؤمنون، كما يقول القائل: ائت السوق انک تشترى لنا شيئا معناه لعلک، قال عدى بن زيد:
أعاذل ما يدريک ان منيتى الى ساعة فى اليوم أو فى ضحى الغد «1»
و قال دريد بن الصمة:

_____
(1) جمهرة اشعار العرب 103 و اللسان (أنن) و تفسير الطبرى 12/ 41 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 235
ذرينى أطوف فى البلاد لاننى أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا «2»
و قال آخر:
هل أنتم عائجون بنا لأنا نرى العرصات أو أثر الخيام «3»
و قال الفراء: انهم يقولون: لعلک، و لعنک، و رعنک، و علک، و رأنک، و لأنک بمعنى واحد. و قال ابو النجم:
قلت لشيبان ادن من لقائه انا نغدى اليوم من شوائه «4»
الثانى- قال الفراء (لا)- هاهنا- صلة كقوله «ما مَنَعَکَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ» «5» و التقدير و ما يشعركم انها إذا جاءت يؤمنون، و المعنى على هذا لو جاءت لم يؤمنوا و مثل زيادة (لا) قول الشاعر:
أبا جوده لا النجل و استعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود فاعله

بنصب النجل و جره، فمن نصب جعلها زيادة، و تقديره أبا جوده النجل و من جره أضاف (لا) الى (النجل) و مثله قوله تعالى «وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ» «6» و هو يحتمل أمرين:
أحدهما- ان تكون (لا) زائدة و (ان) فى موضع رفع بأنه خبر المبتدإ الذى هو (حرام) و تقديره و حرام على قرية مهلكة رجوعهم، كما قال «فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَ لا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ» «7».
و الثانى- أن تكون (لا) غير زائدة بل تكون متصلة بأهلكناها، و التقدير بأنهم لا يرجعون أى أهلكناهم بالاستئصال، لأنهم لا يرجعون الى أهليهم

---

(2) تفسير الطبرى 3/ 78 و 12/ 42 و الشعر و الشعراء 210، 211 و مجاز القرآن 6/ 55 و اللسان (أنن)
(3) قائله جرير، مجمع البيان (صيدا) 2: 348 و اللسان (أنن)
(4) المعانى الكبير لابن قتيبة 393 و خزانة الآداب 3/ 951 و الطبرى 12/ 43
(5) سورة 7 الاعراف آية 11
(6) سورة 21 الأنبياء آية 95
(7) سورة 36 يس آية 50

للاستئصال الواقع بهم. و خبر الابتداء محذوف و تقديره حرام على قرية أهلكناها بالاستئصال بقاؤهم أو حياتهم و نحو ذلك.
من قرأ (يؤمنون) بالياء فلان قوله «و أقسموا» انما يراد به قوم مخصوصون بدلالة «وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ ..» الآية (111)، و ليس كل الناس بهذا الوصف، فالمعنى و ما يشعركم ايها المؤمنون لعلهم إذا جاءت الآيات التى اقترحوها لم يؤمنوا.
و من قرأ بالتاء فانه انصرف من الغيبة الى الخطاب، و يكون المراد بالمخاطبين فى «يؤمنون» هم القوم المقسمون الذين أخبر اللّه عنهم أنهم لا يؤمنون، و مثله قوله «الْحَمْدُ لِلَّهِ» ثم قال «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» و نحو ذلك مما ينصرف فيه الى خطاب بعد الغيبة.
و قوله «جَهْدَ أَيْمانِهِمْ» أى اجتهدوا فى اليمين و بالغوا فيه. و الآية التى سألوا النبى (ص) إظهارها قيل فيها قولان:
أحدهما- انهم سألوا تحول الصفا ذهبا.
الثانى- ما ذكره فى موضع آخر من قوله «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» الى قوله «كِتاباً نَقْرَؤُهُ» «1» و المعنى ان هؤلاء الكفار أقسموا متحكمين على النبى (ص) و بالغوا فى أيمانهم أنهم إذا جاءتهم الآية التى اقترحوها ليؤمنن بها أى عندها، فأمر اللّه نبيه (ص) ان يقول لهم: إنما الآيات عند اللّه.

فان قيل: كيف قال «الْآياتُ عِنْدَ اللّهِ» و ذلک معلوم؟! قيل: معناه من أجل أن الآيات عند اللّه، ليس لكم أن تتحكموا فى طلبها، لأنه لا يجوز أن يتخلف عنكم و لا عن غيركم ما فيه المصلحة فى الدين لأنه تعالى لا يخل بذلک.
قوله «وَ ما يُشْعِرُكُمْ» فيه تنبيه على موضع الحجة عليهم من أنه ليس

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 90- 94.
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 237
لهم ان يدعوا ما لا سبيل لهم الى علمه. و قال مجاهد و ابن زيد: الخطاب متوجه الى المشركين و قال الفراء و غيره: هو متوجه الى المؤمنين، لأنهم قالوا ظنا منهم أنهم لو أجيبوا الى الآيات لآمنوا.

وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ نَذَرُهُمْ فِى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ (110)
آية بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى أنه يقلب اللَّه أفئدة هؤلاء الكفار و أبصارهم عقوبة لهم و فى كيفية تقليبها قيل قولان:
قال ابو على الجبائى: انه يقلبها فى جهنم على لهب النار و حر الجمر، و جمع بين صفتهم فى الدنيا و صفتهم فى الآخرة، كما قال «هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلى ناراً حامِيَةً» «1» لان قوله «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ» يعنى فى الآخرة، و «عامِلَةٌ ناصِبَةٌ» فى الدنيا.
الثانى- انه يقلبها بالحسرة التى تغم و تزعج النفس. و قوله «كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ» قيل فيه قولان:
أحدهما- أول مرة أنزلت الآيات، فهم لا يؤمنون ثانى مرة بما طلبوا من الآيات كما لم يؤمنوا أول مرة بما أنزل من الآيات، و هو قول ابن عباس و ابن زيد و مجاهد.
الثانى- روى أيضا عن ابن عباس يعنى أول مرة فى الدنيا و كذلك لو أعيدوا ثانية، كما قال تعالى «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» «2» و الكاف فى قوله «كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ» قيل فيه قولان:
أحدهما- انها دخلت على محذوف كأنه قيل: فلا يؤمنون به ثانى مرة كما لم يؤمنوا به أول مرة.

_____
(1) سورة 88 الغاشية آية 1- 4
(2) سورة 6 الانعام آية 28

و الثانى- انها دخلت على معنى الجزاء كما قال «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» «3».
و الهاء فى قوله «به» يحتمل ان تكون عائدة على القرآن و ما أنزل من الآيات. و يحتمل أن تكون عائدة على النبى (ص). و قال بعضهم: انها عائدة على التقليب، لأنه الحائل بينهم و بين الايمان.
و هذا خطأ لأنه لو حيل بينهم و بين الايمان لما كانوا مأمورين به، و لان تقليب الأبصار لا يمنع من الايمان كما لا يمنع الأعمى عماه من الايمان.
و قوله «وَ نَذَرُهُمْ فِى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ» لا يدل على أنه تركهم فيه ليطغوا لأنه انما أراد انه خلى بينهم و بين اختيارهم و ان لم يرد منهم الطغيان، كما ان الائمة و الصالحين إذا خلوا بين اليهود و النصارى فى دخولهم كنائسهم لا

يدل على انهم خلوهم ليكفروا.
و قال الحسين بن على المغربى قوله «وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصارَهُمْ» معناه إنا نحيط علما بذات الصدور، و خائنة الأعين- و هو حشو بين الجملتين- و هو ان يختبر قلوبهم فيجد باطنها بخلاف الظاهر.

وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتى وَ حَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (111)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن عامر و نافع و ابو جعفر «قبلا» بكسر القاف و فتح الباء.
الباقون بضمها، قال أبو زيد: يقال لقيت فلانا قُبُلا و قبَلا و قَبُلا و قبيلا و مقابلة كله بمعنى المواجهة فعلى هذا المعنى واحد فى اختلاف القراءات.

---

(3) سورة 42 الشورى آية 40
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 239
و قال أبو عبيدة «قِبَلا» أى معاينة، فعلى هذا من كسر القاف و فتح الباء أراد معناه عيانا، و من قرأ بالضم فيهما قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال ابن عباس و قتادة و ابن زيد: معناه مقابلة.
الثانى- قال مجاهد و عبد اللّه بن زيد: معناه قبيلا قبيلا أى جماعة جماعة فيكون جمع قبيل، و قبيل جمع قبيلة نحو سفين و سفينة و يجمع أيضا سفنا.
الثالث- قال الفراء انه جمع قبيل بمعنى كفيل نحو رغيف و رغف لقوله «أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا» «1» أى يضمنون ذلک.
قال أبو على الفارسى: و هذا الوجه ضعيف لأنهم إذا لم يؤمنوا مع انزال الملائكة عليهم و كلام الموتى لهم مع ظهوره و بهوره و مشاهدته و الضرورة اليه، فألا يؤمنوا بالمقالة التى هى قول لا يبهر و لا يضطر أجدر، اللهم الا ان يقال موضع الاية الباهرة انه جمع القبيل الذى هو الكفيل هو حشر كل شىء، و فى الأشياء المحشورة ما ينطق و ما لا ينطق، فإذا نطق بالكفالة من لا ينطق كان ذلک موضع بهر الاية و كان ذلک قويا. فأما إذا حملت قوله «قبلا» على جمع القبيل الذى هو الصنف، فان موضع الآيات هو حشر جميع الأشياء جنسا جنسا، و ليس فى العادة ان يحشر جميع الأشياء الى موضع واحد، فإذا اجتمعت كذلک كان ذلک باهراً و إذا حملت «قبلا» بمعنى مواجهة فانه يكون حالا من المفعول به، و المعنى حشرناه معاينة و مواجهة، فيكون فى معنى قراءة نافع «قِبَلا» أى معاينة. فأما قوله «الْعَذابُ قُبُلًا» فمعناه مواجهة أو جمع قبيل. و المعنى يأتيهم العذاب صنفا صنفا. و قيل فيمن نزلت هذه الاية قولان:
أحدهما- قال ابن عباس: نزلت فى الكفار أهل الشقاء الذين علم اللّه انهم لا يؤمنون على حال.
الثانى- قال ابن جريج: نزلت فى المستهزئين الذين سألوا الآيات.

---

(1) سورة 17 الإسراء 92
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 240
أخبر اللَّه تعالى بهذه الآية عن هؤلاء الكفار الذين سألوا الآيات و علم من حالهم أنهم لا يؤمنون و لو فعل بهم ما فعل حتى لو أنزل عليهم الملائكة و كلمهم الموتى بأن يحييهم اللَّه حتى يكلموهم، و حشر عليهم كل شىء قبلا، على المعنى الذى فسرناه من ظهور خرق العادة فيه و المعجزة الباهرة فيه لم يؤمنوا لشدة عنادهم و عتوهم فى كفرهم. ثم قال «إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» و معناه احد أمرين:
أحدهما- قال الحسن: إلا أن يشاء اللَّه أن يجبرهم على الايمان بأن يمنعهم من أضداد الايمان كلها فيقع منهم الايمان.
الثانى- قال أبو على الجبائى: الا ان يشاء اللَّه ان يلجئهم بأن يخلق فيهم العلم الضرورى بأنهم ان راموا خلافه منعوا منه كما ان الإنسان ملجأ الى ترک قتل بعض الملوک بمثل هذا العلم. و انما قلنا: ذلک، لان اللَّه تعالى قد شاء منهم الايمان على وجه الاختيار، لأنه أمرهم به و كلفهم إياه، و ذلک لا يتم إلا بأن يشاء منهم الايمان، و لو أراد اللَّه من الكفار الكفر للزم أن يكونوا مطيعين إذا كفروا، لان الطاعة هي فعل ما أريد من المكلف. و للزم أيضا أن يصح أن يأمرهم به. و لجاز ان يأمرنا بأن نريد منهم الكفر كما أراد هو تعالى و فى الآية دلالة على ان ارادة اللَّه محدثة، لان الاستثناء يدل على ذلک لأنها لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء، كما لا يجوز ان يقول القائل: لا يدخل زيد الدار الا أن يقدر اللَّه أو الا ان يعلم اللَّه لحصول هذه الصفات فيما لم يزل.
و قوله «وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ» انما وصف أكثرهم بالجهل مع أن الجهل يعمهم لان المعنى يجهلون انه لو أوتوا بكل آية ما آمنوا طوعا. و فى الآية دلالة على انه لو علم اللَّه انه لو فعل بهم من الآيات ما اقترحوها لآمنوا أنه كان يفعل ذلک بهم و أنه يجب فى حكمته ذلک، لأنه لو لم يجب ذلک لما كان لهذا الاحتجاج معنى. و تعليله بأنه انما لم يظهر هذه الآيات لعلمه بأنه لو
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 241
فعلها لم يؤمنوا، و ذلک يبين ايضا فساد قول من يقول: يجوز ان يكون فى معلوم اللَّه ما إذا فعله بالكافر آمن، لأنه لو كان ذلک معلوما لفعله و لآمنوا و الامر بخلافه.

وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما يَفْتَرُونَ (112) آية.

التشبيه فى قوله «و كذلک» يحتمل أن يرجع الى أحد أمرين:

أحدهما- أن يكون تقديره جعلنا لک عدوا كما جعلنا لمن قبلک من الأنبياء.

الثانى- جعلنا تمكين من يعادى الأنبياء و تخليتنا بينهم و بين اختيارهم كتمكين غيرهم من السفهاء. و انما جعلهم اعداء على أحد معنيين:

أحدهما- بأن حكم بأنهم أعداء، و هو قول أبى على.

الثانى- بأن خلى بينهم و بين اختيارهم و لم يمنعهم من العداوة.

و يجوز ان يكون المراد بذلک أن اللّه تعالى لما أنعم على أنبيائه بضروب النعم و بعثهم الى خلقه و شرفهم بذلک، حسدهم على ذلک خلق، و عادوهم عليه، فجاز أن يقال على مجاز القول بأن اللّه جعل لهم اعداء كما يقول القائل إذا أنعم على غيره بنعم جزيلة فحسده عليها قوم و عادوه لأجلها: جعلت لک أعداء. و قيل المعنى أمرنا الأنبياء بمعاداتهم فكأنما جعلناهم أعداء الأنبياء.

و هذا القول من اللَّه تعالى تسلية للنبى (ص) فى أنه أجراه مجرى غيره من الأنبياء، و لا يجوز على قياس ذلک أن يقول: جعلنا للكافر كفرا، لان فيه إيهاما.

و قوله «شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ» قيل فى معناه قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 242

أحدهما- انه أراد مردة الكفار من الفريقين الانس و الجن، و هو قول الحسن و قتادة و مجاهد.

الثانى- قال السدى و عكرمة: شياطين الانس الذين يغوونهم، و شياطين الجن الذين هم من ولد إبليس. و يحتمل نصب (عدوا) وجهين:

أحدهما- على انه مفعول (جعلنا) و شياطين الانس بدل منه.

الثانى- على أنه خبر (جعلنا) فى الأصل و يكون هنا مفعول (جعلنا) كأنه قال جعلنا شياطين الانس و الجن عدوا.

و قوله «يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ» معناه يلقى اليه بكلام خفى، و هو الدعاء و الوسوسة. و قوله «زُخْرُفَ الْقَوْلِ» معناه هو المزين يقال زخرفه زخرفة إذا زينه و «غرورا» نصب على المصدر.

ثم أخبر اللَّه تعالى أنه لو شاء ربک أن يمنعهم من ذلک و يحول بينهم و بينه لقدر على ذلک، لكن ذلک ينافى التكليف، و لو حال بينهم و بينه لما فعلوه.

ثم أمر نبيه (ص) أن يتركهم و ما يفترون أى و ما يكذبون بأن يخلى بينهم و

بين ما يختارونه و لا يمنعهم منه بالقهر، فان اللّه تعالى سيجازيهم على ذلک. و هو تهديد لهم كقوله «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ» «1» دون أن يكون ذلک أمرا واجبا أو ندبا أو اباحة كما يقول القائل لصاحبه: دعنى و إياه، و يريد بذلک التهديد لا غير.

و

روى عن أبى جعفر عليه السلام فى معنى قوله «يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ» ان الشياطين يلقى بعضهم بعضا فيُلقى اليه ما يغوى به الخلق، حتى يتعلّم بعضهم من بعض.

وَ لِتَصْغى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ لِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ (113)
آية بلا خلاف.

---

(1) سورة 41 حم السجد (فصلت) آية 40

العامل فى قوله «و لتصغى» قوله «يوحى» و هى لام الغرض و تقديره يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغرونهم و لتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، و تكون الهاء فى قوله «اليه» عائدة الى القول المزخرف، و لا يجوز أن يكون العامل فيها جعلنا، لان اللَّه تعالى لا يجوز أن يريد منهم أن تصغى قلوبهم الى الكفر و وحى الشياطين، اللهم الا ان يجعلها لام العاقبة كما قال «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «2» غير ان هذا غير معلوم أن كل من أرادوا منه الصغو صغى، و لم يصح ذلک أيضا فى قوله «وَ لِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ» لأنه غير معلوم حصول جميع ذلک.
و على ما قلناه يكون جميع ذلک معطوفا بعضه على بعض و يكون مرادا كله للشياطين. و قال الجبائى: ان هذه لام الامر، و المراد بها التهديد، كما قال «وَ اسْتَفْزِزْ» «3» و قال «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ» «4» قال لان علامة النصب و الجزم تتفق فى سقوط النون فى قوله «وَ لِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا» و هذا غير صحيح، لأنها لو كانت لام الامر لقال «و لتصغ» بحذف الالف و ما قاله انما يمكن ان يقال فى قوله «وَ لِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا» فأما فى قوله «و لتصغى» فلا يمكن، فبان بذلک أنها لام كى. و قال الزجاج و البلخى: اللام فى «و لتصغى» لام العاقبة و ما بعده لام الامر الذى يراد به التهديد، و هذا جائز غير أن فيه تعسفا. و معنى (صغا) مال و «لِتَصْغى» أى لتميل، و هو قول ابن عباس و ابن زيد، تقول: صغوت اليه أصغى صغوا و صغوا و صغيت أصغى بالياء أيضا و أصغيت اليه إصغاء بمعنى قول الشاعر:
ترى السفيه به عن كل محكمة زيغ و فيه الى التشبيه إصغاء «5»
و يقال أصغيت الإناء إذا أملته لتجمع ما فيه فاصله الميل لغرض من الاغراض.

---

(2) سورة 28 القصص آية 8
(3) سورة 17 الإسراء آية 64 [.....]
(4) سورة 41 حم السجدة (فصلت) آية 40

(5) اللسان (صغا) و تفسير القرطبى 7/ 69 و تفسير الطبرى 12/ 58
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 244
و قوله «وَ لِيَقْتَرِفُوا» عطف على «وَ لِتَصْغى» و الاقتراف اكتساب الإثم، و معناه و ليكتسبوا الإثم- فى قول ابن عباس و ابن زيد و السدى- و يقال: خرج يقترف لأهله أى يكتسب لهم. و قارف فلان هذا الامر إذا واقعه و عمله و قرفتنى بما ادعيت علىَّ أى رميتنى بالريبة، و قرف القرحة أى أقشر منها، و اقترف كذبا قال رؤبة:
أعيا اقتراف الكذب المقروف يقوى البغى و عفة العفيف «6»
و أصله اقتطاع قطعة من الشىء و لام كى تنصب بإضمار (أن) مثل (حتى) غير أنها قد تظهر مع اللام، و لا تظهر مع (حتى) لان (حتى) محمولة على التأويل، و معناها (الى أن) لما فى (حتى) من الاشتراك. و ليس فى اللام حمل على تأويل حرف آخر. و قال البلخى: الاقتراف الادعاء و التهمة، يقول الرجل لغيره: أنت قرفتنى أى نسبتنى الى التهم.

أَ فَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتابَ مُفَصَّلاً وَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (114)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن عامر و حفص «منزل» بتشديد الزاى. الباقون بالتخفيف من شدد حمله على التكرير بدلالة قوله «تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» «7».
و من خفف فلقوله «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ» «8» و ما أشبهها.
امر اللَّه تعالى نبيه أن يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكرهم

---

(6) مجاز القرآن 1/ 205 و تفسير الطبرى 12/ 59.
(7) سورة 39 الزمر آية 1، و سورة 45 الجاثية آية 1 و سورة 46 الأحقاف آية 2
(8) سورة 44 الدخان آية 3
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 245
«أَ فَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً» أى أطلب سوى اللَّه حاكما، و نصب أ فغير اللَّه بفعل مقدر يفسره (أبتغى) تقديره أ أبتغى غير اللَّه أبتغى حكما، و الحكم و الحاكم بمعنى واحد، الا ان الحكم هو من كان أهلا أن يتحاكم اليه فهو أمدح من الحاكم، و الحاكم جار على الفعل، و قد يحكم الحاكم بغير الحق، و الحَكم لا يقضى الا بالحق لأنها صفة مدح و تعظيم.
و المعنى هل يجوز لاحد ان يعدل عن حكم اللَّه رغبة عنه، لأنه لا يرضى به؟! أو هل يجوز مع حكم اللَّه حكم يساويه فى حكمه؟! و قوله «وَ هُوَ الَّذِي» يعنى اللَّه الذى «أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتابَ مُفَصَّلًا» و انما مدح الكتاب بأنه مفصل، لان التفصيل تبيين المعانى بما ينفى التخليط المعمى للمعنى، و ينفى ايضا التداخل الذى يوجب نقصان البيان عن المراد.
و انما فصل القرآن بالآيات التى تفصل المعانى بعضها من بعض و تخليص الدلائل فى كل فن.
و قيل: معنى (مفصلا) أى بما يفصل بين الصادق و الكاذب من أمور الدين.
و قيل: فصل فيه الحرام من الحلال، و الكفر من الايمان، و الهدى من الضلال- فى قول الحسن-.
و قوله «وَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ» لا يجوز ان يكون على عمومه، لان كثيرا من أهل الكتاب، بل أكثرهم جهال لا يعرفون. و قوله: أهل الكتاب، قد يستعمل تارة بمعنى العلم، و بمعنى الإقرار أخرى، كما يقال للعلماء بالقرآن: أهل القرآن. و يقال لجميع المسلمين أهل القرآن بمعنى أنهم مقرون به. و قوله «يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ

مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- يعلمون ان كل ما فيه بيان عن الشىء على ما هو به، فترغيبه، و ترهيبه، و وعده، و وعيده، و قصصه، و أمثاله، و غير ذلک مما فيه كله بهذه الصفة و الثانى- أن معنى «بالحق» البرهان الذى تقدم لهم حتى علموه به.
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 246
فان قيل كيف يصح على أصلكم فى الموافاة و نفى الإحباط و صف الكفار بأنهم يعلمون الحق و ذلک مما يستحق به الثواب و لا خلاف أن الكافر لا ثواب معه؟!.
قلنا عنه جوابان: أحدهما- أن تكون الآية مخصوصة بمن آمن منهم فى المستقبل، فانا نجوز أن يكونوا فى الحال عالمين باللّه و بأن القرآن حق ثم يظهرون الإسلام فيما بعد فيتكامل الايمان، لان الايمان لا يحصل دفعة واحدة بل يحصل جزءا فجزءا، لان أوله العلم بحدوث الأجسام، ثم ان لها محدثا، ثم العلم بصفاته، و ما يجوز عليه و ما لا يجوز، ثم العلم بالثواب و العقاب و ما يتبعهما، و ذلک يحصل فى أوقات كثيرة و الثانى- أن يكونوا علموه على وجه لا يستحقون به الثواب لأنهم يكونون نظروا فى الادلة لا لوجه وجوب ذلک عليهم، بل لغير ذلک فحصل لهم العلم و ان لم يستحقوا به ثوابا.
و يحتمل أن يكون المراد بذلک أنهم يعلمون عند أنفسهم، لأنهم إذا كانوا معتقدين بصحة التوراة و أنها من عند اللّه، و فيها دلالة على صحة نبوة النبى (ص) و هم يدعون أن اعتقادهم علم، فهم اذاً على قولهم عالمون بأن القرآن منزل من ربک بالحق.
و يحتمل أن يكون المراد بقوله «الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ» المؤمنين المسلمين دون أهل الكتاب، و يكون المراد بالكتاب القرآن لأنا قد بينا أن اللّه سماه كتابا بقوله «الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ» «1» و بقوله «هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْکَ الْكِتابَ» «2» فعلى هذا سقط السؤال، لان هذه صفة المؤمنين المستحقين للثواب و قوله «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» معناه لا تكونن من الشاكين.
و الامتراء الشک و كذلک المرية و يكون الخطاب للنبى (ص) و المراد به الامة.
و قيل المراد بذلک «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» يا محمد فى أنهم يعلمون أن ذلک من ربک بالحق.

---

(1) سورة 11 هود آية 1
(2) سورة 3 آل عمران آية 7

وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِکَلِماتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (115)
آية بلا خلاف.
قرأ أهل الكوفة و يعقوب «كلمة» على التوحيد. الباقون «كلمات» جمع كلمة، و الكلمة و الكلمات ما ذكره اللَّه من وعده و وعيده و ثوابه و عقابه، فلا تبديل فيه، و لا تغيير له كما قال «ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ»»
، و قال تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ»
«4» و كان التقدير، و تمت ذوات الكلمات، و لا يجوز أن يعنى بالكلمات الشرائع هاهنا كما عنى بقوله «وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» «5» و قوله «وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها» «6» لأنه قال لا مبدل لكلماته.
و الشرائع يدخلها النسخ. و قوله «صدقا و عدلا» مصدران ينتصبان فى موضع الحال من الكلمة و تقديره صادقة عادلة، و قال قوم: هما نصبا على التمييز. فمن قرأ (كلمات) فلانه لما كان جمعا فى المعنى جمعه. و من أفرد فلأن الكلمة قد يعنى بها الكثرة، كما قالوا: قال زهير فى كلمته، يعنى فى قصيدته و قال قس فى كلمته، يعنى خطبته، فالمفرد يقع على الكثرة فأغنى عن الجمع و مثله «وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّکَ الْحُسْنى عَلى بَنِى إِسْرائِيلَ» «7». و قيل انه أراد به بقوله «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا» «8» الى آخر الآية فسمى هذا القصص كلمة.
و قال مجاهد فى قوله «كَلِمَةَ التَّقْوى» «9» قول لا إله الا اللَّه. و معنى

---

(3) سورة 50 ق آية 29
(4) سورة 10 يونس آية 64
(5) سورة 2 البقرة آية 124
(6) سورة 66 التحريم آية 12
(7) سورة 7 الاعراف آية 136
(8) سورة 28 القصص آية 5
(9) سورة 48 الفتح آية 26 [.....]

«وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّکَ» انها بتمامها موافقة لما توجبه المصلحة من غير زيادة و لا نقصان. و التمام و الكمال و الاستيفاء نظائر. و ان جميعه صدق و لا كذب فيه كما يقال: كمل فلان إذا تمت محاسنه.
و فى الآية دلالة على ان كلام اللَّه محدث، لأنه وصفه بالتمام و العدل و ذلک لا يكون الا حادثا. و التبديل وضع شىء مكان شىء، فلا أحد يقدر ان يضع مكان كلمة اللَّه يناقضها به. و قال قتادة: لا مبدل لها فيما حكم به لأنه و ان

أمكن التغيير و التبديل فى اللفظ كما بدل أهل الكتاب التوراة و الإنجيل، فانه لا يعتد بذلک، لأنه لا يقلبه بحق ينقضه. و يجوز أن يكون المراد بقوله «وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّکَ» أنها أتتک شيئا بعد شيء حتى كملت.
و قوله «وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» معناه أنه على صفة يجب ان يسمع المسموعات إذا وجدت عالم بما يكون ظاهرا و باطنا، فلا يظن ظان أن شيئا من ذلک يخفى عليه تعالى.

وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِی الْأَرْضِ یُضِلُّوکَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ إِنْ یَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاَّ یَخْرُصُونَ (116)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب من اللَّه لنبيه و لجميع المؤمنين انه من يطع أكثر من فى الأرض من الكفار و يتبع ما يريدونه يضلوه عن سبيل اللَّه، لأنه كان فى ذلک الوقت اكثر أهل الأرض كفارا. و الطاعة هى امتثال الامر و اجابة ما أريد منه إذا كان المريد فوقه، و الفرق بينه و بين الاجابة أن الاجابة عامة فى موافقة الارادة الواقعة موقع المسألة، و لا تكون اجابة الا بأن يفعل لموافقة الدعاء بالأمر، و من أجله لا يراعى فيها الرتبة. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 249

و الفرق بين الأكثر و الأعظم أن الأعظم قد يوصف به واحد، و لا يوصف بالأكثر واحد بحال، و لهذا يقال فى اللَّه تعالى انه عظيم و أعظم من كل شىء، و لا يقال أكثر و انما يقال أكبر بمعنى أعظم.

و انما قال: ان تطعهم يضلوک، و ان كانت البدأة بالإغواء منهم لامرين:

أحدهما- ان المطيع يبتدأ باستشعار الطاعة، فإذا كان من الداعى أمر بشىء من الأشياء كان اطاعة و صدق بأنه مطيع.

و الثانى- ان دعاءهم لا يوصف بأنه إضلال لمن دعوه الا بعد الاجابة فكأنه قال: ان تجبهم تستحق الصفة بأنهم قد أضلوک، ثم أخبر تعالى عن هؤلاء الكفار انهم لا يتبعون الا الظن الذى يخطئ و يصيب «وَ إِنْ هُمْ إِلَّا یَخْرُصُونَ» و معناه و ما هم الا كاذبين. و الخرص الكذب يقال: خرص يخرص خرصا و خروصا، و تخرص تخرصا و اخترص اختراصا و أصله القطع قال الشاعر:

ترى قصد المران تلقى كأنها تذرع خرصان بأيدى الشواطب «1»

يعنى جريدا يقطع طويلا و يتخذ منه الحصر، و هو جمع الخرص. و منه خرص النخل يخرصه خرصا إذا جزره، و الخريص الخليج ينقطع اليه الماء، و الخريص حبة القرط إذا كانت منفردة، و الخرص العود، لانقطاعه عن نظائره بطيب ريحه.

و قيل معنى «وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِی الْأَرْضِ یُضِلُّوکَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ» يعنى فى أكل الميتة، لأنهم قالوا للمسلمين: أ تاكلون ما قتلتم و لا تأكلون ما قتل ربكم؟! فهذا إضلالهم. و قال بعضهم قوله «إِنْ یَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا یَخْرُصُونَ» مثل قوله «یُوحِی بَعْضُهُمْ إِلی بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً» «2» يعنى المتعمدين المتردين.

و فى الآية دلالة على بطلان قول أصحاب المعارف، و بطلان قولهم ان اللَّه تعالى لا يتوعد من لا يعلم الحق، لان اللَّه بين فى هذه الآية أنهم يتبعون

الظن و لا يعرفونه، و توعدهم على ذلک. و ذلک بخلاف مذهبهم.

---

(1) قائله قيس بن الخطيم اللسان (شطب)
(2) سورة 6 الانعام آية 112
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 250

إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (117)
آية بلا خلاف.
خاطب اللّه تعالى بهذه الآية نبيه (ص) و ان عنى به جميع الامة انه تعالى «أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ» بمعنى أعرف، و المعنى انه أعلم به ممن يعلمه، لأنه يعلمه من وجوه تخفى على غيره، لأنه تعالى يعلم ما كان و ما يكون، و ما هو كائن الى يوم القيامة، و على جميع الوجوه التى يصح ان تعلم الأشياء عليها و ليس كذلک غيره، لان غيره لا يعلم جميع الأشياء، و ما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوهه. و أما من هو غير عالم أصلا، فلا يقال اللّه أعلم منه، لان لفظة أعلم تقتضى الاشتراک فى العلم و زيادة لمن وصف بأنه أعلم، و هذا لا يصلح فى من ليس بعالم أصلا الا مجازا، و لا يصح أن يقال: هو تعالى أعلم بأن الجسم حادث من كل من يعلم كونه حادثا، لان هذا قد ذكر الوجه الذى يعلم منه و هو انه حادث، فان أريد بذلک المبالغة فى الصفة، و أن هذه الصفة فيه أثبت من غيره فجاز أن يقال ذلک.
و ذكروا فى موضع (من) وجهين من الاعراب:
قال بعضهم: موضعه نصب على حذف الباء و تقديره أعلم بمن يضل ليكون مقابلا لقوله «وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ».
و قال الفراء و الزجاج: موضعها الرفع لأنها بمعنى (أى) كقوله «لِنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ» «1» و صفة (أفعل) من كذا لا تتعدى لأنها غير جارية على الفعل، و لا معدولة عن الجارية كعدل ضروب عن ضارب و منحار عن ناحر. و قال قوم:
ان (اعلم) هاهنا بمعنى يعلم كما قال حاتم الطائى:

---

(1) سورة 18 الكهف آية 12

فخالفت طى من دوننا خلفا و اللّه أعلم ما كنا لهم خولا «2»
و قالت الخنساء:
القوم أعلم ان جفنته تغدو غداة الريح أو تسرى «3»
قال الرمانى: هذا لا يجوز لأنه لا يطابق قوله «وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» فمعنى الآية ان اللّه تعالى أعلم بمن يسلک سبيل الضلال المؤدى الى الهلاک بالعقاب، و من سلک سبيل الهدى المفضى به الى النجاة و الثواب.

فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآياتِهِ مُؤْمِنِينَ (118)
آية بلا خلاف.
قيل فى دخول الفاء فى قوله «فكلوا» قولان:
أحدهما- انه جواب لقول المشركين لما قالوا للمسلمين: أ تأكلون ما قتلتم و لا تأكلون ما قتل ربكم؟ فكأنه قيل: اعرضوا عن جهلكم فكلوا.
و الثانى- ان يكون عطفا على ما دل عليه أول الكلام، كأنه قال: كونوا على الهدى فكلوا مما ذكر اسم اللّه عليه.
و قوله «فكلوا»، و ان كان لفظه لفظ الامر، فالمراد به الاباحة، لان الاكل ليس بواجب و لا مندوب، اللهم الا ان يكون فى الاكل استعانة على طاعة اللّه، فانه يكون الاكل مرغبا فيه، و ربما كان واجبا، فأما ما يمسك الرمق فخارج عن ذلک، لأنه عند ذلک يكون الإنسان ملجأ الى تناوله. و مثل هذه الآية فى لفظ الامر و المراد به الاباحة قوله «وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا» «4» و قوله «فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ» «5» و الاصطياد و الانتشار

_____
(2) تفسير القرطبى 7/ 72 و تفسير الطبرى 12/ 66
(3) ديوانها: 104 و تفسير الطبرى 2/ 66
(4) سورة 5 المائدة آية 3
(5) سورة 63 الجمعة آية 10

مباحان بلا خلاف.
و قوله «مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ» فالذكر المسنون هو قول بسم اللّه.
و قيل كل اسم يختص اللّه تعالى به أو صفة مختصة كقوله بسم اللّه الرحمن الرحيم أو بسم القدير أو بسم القادر لنفسه أو العالم لنفسه، و ما يجرى مجرى ذلک. و الاول مجمع على جوازه و الظاهر يقتضى جواز غيره، و لقوله «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى». «6»
و قوله «فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ» خطاب للمؤمنين و فيه دلالة على وجوب التسمية على الذبيحة، لان الظاهر يقتضى أن ما لا يسمى عليه لا يجوز أكله بدلالة قوله «إِنْ كُنْتُمْ بِآياتِهِ مُؤْمِنِينَ» لان هذا يقتضى مخالفة المشركين فى أكلهم ما لم يذكر اسم اللّه عليه، فأما ما لم يذكر اسم اللّه عليه سهوا أو نسيانا فانه يجوز أكله على كل حال. و الآية تدل على أن ذبائح الكفار لا يجوز أكلها، لأنهم لا يسمون اللّه عليها. و من سمى منهم لأنه

لا يعتقد وجوب ذلک بل يعتقد ان الذى يسميه هو الذى أبدى شرع موسى أو عيسى و كذب محمد بن عبد اللّه، و ذلک لا يكون اللّه، فإذا هم ذاكرون اسم شيطان و الاسم انما يكون المسمى مخصوص بالقصد. و ذلک مفتقر الى معرفته و اعتقاده، و الكفار على مذهبنا لا يعرفون اللّه تعالى، فكيف يصح منهم تسميته تعالى؟! و فى ذلک دلالة واضحة على ما قلناه.
و معنى قوله «إِنْ كُنْتُمْ بِآياتِهِ مُؤْمِنِينَ» ان كنتم عرفتم اللّه و عرفتم رسوله و صحة ما أتاكم به من عند اللّه، و هذا التحليل عام لجميع الخلق و ان خص به المؤمنين بقوله «إِنْ كُنْتُمْ بِآياتِهِ مُؤْمِنِينَ» لان ما حلل اللّه للمؤمنين، فهو حلال لجميع المكلفين و ما حرم عليهم حرام على الجميع.

وَ ما لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ قَدْ فَصَّلَ لَكُمْ ما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَ إِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (119)

---

(6) سورة 17 الإسراء آية 110

آية بلا خلاف.

قرأ نافع و حفص عن عاصم «و قد فصل لكم ما حرم» بفتح الفاء و الصاد و الحاء و الراء. و قرأ ابن كثير، و ابو عمرو، و ابن عامر (فصل) و (حرم) بضم الفاء و الحاء. و قرأ حمزة و الكسائى و ابو بكر (فصل) بفتح الفاء و (حرم) بضم الحاء. و قرأ أهل الكوفة (ليضلون) بضم الياء و كسر الضاد.

الباقون بفتح الياء.

من ضم الفاء و الحاء، فلقوله «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ ..» الآية «1» فهنا تفصيل هذا العام بقوله (حرم) و كذلک (فصل) لان هذا المفصل هو ذلک المحرم الذى حل فى هذه الآية.

و من فتحهما فلقوله «أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ» «2» و قوله «فَصَّلْنَا الْآياتِ» «3» و كذلک قوله «الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هذا» «4» و لأنه قال «وَ ما لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ قَدْ فَصَّلَ» فينبغى أن يكون الفعل مبنيا للفاعل لتقدم ذكر اسم اللّه.

و من فتح الفاء و ضم الحاء، فلقوله «فَصَّلْنَا الْآياتِ» و قوله «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ» و قوله «و ما لكم» خطاب للمؤمنين الذين ذكرهم فى الآية الاولى و معناه لم لا تأكلوا، و قيل بينهما فرق، لان (لم لا تفعل) أعم من حيث انه قد يكون لحال يرجع اليه و قد يكون لحال يرجع الى غيره، فأما (مالک أن لا تفعل)

---

(1) سورة 5 المائدة آية 4

(2) سورة 6 الانعام آية 153

(3) سورة 6 الانعام آية 97، 98، 126

(4) سورة 6 الانعام آية 150

فلحال يرجع اليه. و قيل فى معنى (لا) فى قوله (أَلَّا تَأْكُلُوا) قولان:

أحدهما- انها للجحد، و تقديره أى شىء لكم فى أن لا تأكلوا، اختاره الزجاج و غيره من البصريين.

و الثانى- أن يكون صلة، و المعنى ما منعكم ان تأكلوا، لان (مالک ان لا تفعل) (و مالک لا تفعل) بمعنى واحد. و قال قوم: معناه ليس لكم ان لا تأكلوا مما أمرناكم بأكله على الوصف الذى أمرناكم بفعله، و يجوز حذف (فى) من «ما لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا» و لا يجوز حذفها من مالكم فى ترک الاكل لان (ان) تلزمها الصلة فهى أحق بالاستحقاق من المصدر، لان المصدر لا تلزمه الصلة، كما حسن حذف الهاء من صلة (الذى) و لم يحسن من الصفة.
و قوله «وَ قَدْ فَصَّلَ لَكُمْ ما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ» يعنى ما ذكره فى مواضع من قوله «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» «1» الآية و غيرها.
و قوله «إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ» معناه الا إذا خفتم على أنفسكم الهلاک من الجوع و ترک التناول، فحينئذ يجوز لكم تناول ما حرمه اللّه فى قوله «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ» «2» و ما حرمه فى هذه الآية.
و اختلفوا فى مقدار ما يسوغ له حينئذ تناوله، فعندنا لا يجوز له ان يتناول الا ما يمسک الرمق. و فى الناس من قال: يجوز له أن يشبع منه إذا اضطر اليه و ان يحمل منها معه حتى يجد ما يأكله. و قال الجبائى: فى الآية دلالة على أن ما يكره عليه من أكل هذه الأجناس أنه يجوز له أكله، لان المكره يخاف على نفسه مثل المضطر.
و من قرأ «ليضلون» بفتح الياء ذهب الى ان المعنى ليضلون بأهوائهم أى يضلون باتباع أهوائهم، كما قال «وَ اتَّبَعَ هَواهُ» «3» أى يضلون فى أنفسهم من غير ان يضلوا غيرهم من أتباعهم بامتناعهم من أكل ما ذكر اسم اللّه

(1، 2) سورة 5 المائدة آية 4
(3) سورة 7 الاعراف آية 175، و سورة 18 الكهف آية 28 و سورة 20 طه آية 16 و سورة 28 القصص آية 50 [.....]

عليه و غير ذلک.
و من قرأ بضم الياء أراد انهم يضلون أشياعهم، فحذف المفعول به، و حذف المفعول كثير،و يقوى ذلک قوله «وَ ما أَضَلَّنا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ» «4» و قوله «رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا» «5».
و قوله «وَ إِنَّ كَثِيراً» أوقع (ان) على النكرة، لان الكلام إذا طال احتمل و دل بعضه على بعض.

وَ ذَرُوا ظاهِرَ الْإِثْمِ وَ باطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِما كانُوا يَقْتَرِفُونَ (120)

آية بلا خلاف.

الواو فى قوله «و ذروا»، واو العطف و لا يستعمل «و ذر» لما مضى و لا «واذر» لاسم الفاعل و استغنى عنه ب (ترک) و انما يستعمل منه يذر و (ذر) و أمثاله و مثله (يدع) لم يستعمل منه (فَعَل) و لا (فاعل) استغنوا أيضا ب (ترک) و (تارک) و أشعروا بذلک كراهية الواو فى الابتداء حتى لم يزيدوها هناک أصلا مع زيادتهم أخواتها. و الظاهر هو الكائن على وجه يمكن إدراكه، و الباطن هو الكائن على وجه يتعذر إدراكه.

أمر اللّه تعالى فى هذه الآية بترک الإثم مع قيام الدلالة على كونه اثما، و نهى عن ارتكابه سرا و علانية، و هو قول قتادة و الربيع بن أنس و مجاهد، لان الجاهلية كانت ترى ان الزنا إذا أظهر و أعلن كان فيه اثم، فإذا اسْتَسَرَّ به صاحبه لم يكن اثما- ذكره الضحاک- و قال الجبائى الظاهر أفعال الجوارح، و الباطن أفعال القلوب. و قال غيره: الظاهر الطواف بالبيت عريانا و الباطن الزنا. و الاول أعم على ما قلناه- ذكره ابن زيد- و قال قوم: ظاهر الإثم الزنا، و باطنه اتخاذ الأخدان- ذكره السدى و الضحاک- و قال سعيد

---

(4) سورة 26 الشعراء آية 99

(5) سورة الاعراف آية 37

بن جبير ظاهر الإثم امرأة الأب و باطنه الزنا.

أمر اللّه تعالى باجتناب الإثم على كل حال، ثم أخبر أن الذين يكسبون الإثم يعنى المعاصى و القبائح سيجازيهم اللّه يوم القيامة بما كانوا يرتكبونه.

و قد بينا أن معنى الاقتراف هو معنى الاكتساب. و الكسب هو فعل ما يجتلب به نفع الى نفسه أو يدفع به ضرر، و لذلک يوصف الواحد منا بأنه مكتسب و لا يوصف اللّه تعالى به، و الكواسب الجوارح من الطير، لأنها تكسب ما ينتفع به.

وَ لا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ وَ إِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (121)
آية بلا خلاف.
نهى اللَّه تعالى فى هذه الآية عن أكل ما لم يذكر اسم اللَّه عليه، و ذلک صريح فى وجوب التسمية على الذبيحة، لأنها لو لم تكن واجبة، لكان ترک التسمية غير محرم لها. فأما من ترک التسمية ناسيا، فمذهبنا أنه يجوز أن تؤكل ذبيحته بعد أن يكون معتقدا لوجوبها.
و كان الحسن يقول: يجوز له أن يأكل منها. و قال ابن سيرين: لا يجوز أن يأكل منها. و به قال الجبائى.
فأما إذا تركها متعمدا فعندنا لا يجوز اكله بحال. و فيه خلاف بين الفقهاء فقال قوم: إذا كان تارک التسمية متعمدا من المسلمين جاز أكل ذبيحته. و قال آخرون لا يجوز أكلها كما قلنا.
و ذلک يدل على ان ما يذبحه أهل الكتاب لا يجوز أكله، لأنهم لا يعتقدون وجوب التسمية و لا يذكرونها، و من ذكر اسم اللَّه منهم فإنما يقصد التبيان
فى تفسير القرآن، ج4، ص: 257
به اسم من أبدى شرعهم، و لم يبعث محمدا صلى اللَّه عليه و آله، بل كذبه، و ذلک ليس هو اللَّه، فلا يجوز أكل ذبيحتهم. و لأنهم لا يعرفون اللَّه، فلا يصح منهم القصد الى ذكر اسمه.
فأما من عدا أهل الكتابين فلا خلاف فى تحريم ما يذبحونه.
و ليست الآية منسوخة و لا شىء منها، و من ادعى نسخ شىء منها فعليه الدلالة.
و قال الحسن و عكرمة: نسخ منها ذبائح الذين أوتوا الكتاب بقوله «وَ طَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ» «1» و عندنا ان ذلک مخصوص بالحبوب دون الذبائح.
و قال قوم: ليس أهل الكتاب داخلين فى جملة من يذكر اسم اللَّه على ذبيحته، و ليس واحد من هؤلاء معنيا بالآية، فلا يحتاج الى النسخ.
و قوله «وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ» يعنى ما لم يذكر اسم اللَّه عليه أى أكله فسق.
و حذف لدلالة الكلام عليه.
و قوله «وَ إِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ» يعنى بالشياطين علماءهم و رؤساءهم المتمردين فى كفرهم يوحون و يشيرون الى أوليائهم الذين اتبعوهم من الكفار بأن يجادلوا المسلمين فى استحلال الميتة. و قال الحسن يجادلونهم بقولهم: ان ما قتل اللَّه أولى بأن يؤكل مما قتله الناس. و قال عكرمة: المراد بالشياطين مردة الكفار من مجوس فارس «إِلى

أَوْلِيائِهِمْ» من مشركى قريش. و قال ابن عباس: المراد بالشياطين هاهنا إبليس و جنوده بأن يوسوسوا اليهم و يوحون الى أهل الشرک بذلک، و به قال قتادة. و قال قوم:
الذين جادلوا بذلک كانوا قوما من اليهود جادلوا رسول اللَّه (ص) بأن ما قتله اللَّه أولى بالأكل مما قتله الناس. ثم قال تعالى «وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ» ايها المؤمنون فيما يقولونه من استحلال أكل الميتة و غيره «إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ» لان من استحل الميتة كافر بالإجماع. و من أكلها محرماً لها مختاراً، فهو فاسق

---

(1) سورة 5 المائدة آية 6

و هو قول الحسن و جماعة من المفسرين. و التقدير فى قوله «انكم» فإنكم، لان جواب الشرط لا يكون ب (أن) بلا فاء. و انما يكون ذلک جواب القسم.
و اختلفوا فى ما عناه اللَّه تعالى بقوله «وَ لا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ» فقال عطاء: ذلک يختص بذبائح كانت فى الجاهلية على الأوثان كانت العرب تذبحها و قريش. و قال ابن عباس ذلک الميتة. و قال قوم: عنى بذلک كل ذبيحة لم يذكر اسم اللَّه عليها. و هذا الوجه أقوى على ما بيناه. و من حمل الآية على الميتة فقد أبعد، لان أحدا من العرب ما كان يستحل الميتة. و انما ذلک مذهب قوم من المجوس، فالآية اما أن تكون مختصة بما كانت تذبح للأصنام على ما قاله عطاء، أو عامة فى كل ما لم يذكر اسم اللَّه عليه الا ما أخرجه الدليل. و قد بيناه ان ذلک أعم و أولى بحمل الآية عليه.

أَ وَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِى الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (122)
آية بلا خلاف.
قرأ أهل المدينة و يعقوب (ميتا) بالتشديد. الباقون بالتخفيف. قال أبو عبيدة الميتة مخففة و مثقلة معناهما واحد، و انما خفف استثقالا، قال ابن الرعلاء الغسانى:
ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الأحياء
انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء «1»
و قد وصف اللّه الكفار بأنهم أموات بقوله «أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ وَ ما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ» «2» و كذلك «أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ» و المعنى من كان ميتا

---

(1) مر تخريجه فى 2/ 432، 84 و 3/ 428
(2) سورة 16 النحل آية 21

بالكفر فصار حيا بالإسلام بعد الكفر، كالمصر على كفره؟! و قوله «وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ» يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يراد به النور المذكور فى قوله يسعى «نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» «3» و قوله «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ» «4» الثانى- أن يراد بالنور الأحكام التى يؤتاها المسلم بإسلامه، لأنه إذا جعل الكافر بكفره فى الظلمات فالمؤمن بخلافه.
و من خفف حذف الياء الثانية المنقلبة عن الواو، أعلت بالحذف كما أعلت بالقلب اختلفوا فى من نزلت هذه الآية، فقال ابن عباس و الحسن و غيرهما من المفسرين: نزلت فى كل مؤمن و كافر. و قال عكرمة:
نزلت فى عمار بن ياسر و أبى جهل، و هو قوله أبى جعفر (ع).
و قال الضحاك: نزلت فى عمر بن الخطاب و قال الزجاج: نزلت فى النبى (ص) و أبى جهل. و الاول أعم فائدة، لأنه يدخل فيه جميع ما قالوه.
بين اللّه تعالى أن «مَنْ كانَ مَيْتاً» يعنى كافرا «فَأَحْيَيْناهُ» يعنى وفقناه للايمان، فآمن أو صادفناه مؤمناً بأن آمن، لأن الأحياء بعد الإماتة- هاهنا- هو الإخراج من الكفر الى الايمان عند جميع أهل العلم: كابن عباس و الحسن و مجاهد و البلخى و الجبائى و غيرهم.
و قوله «وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ» يعنى جعلنا له علما، فسمى العلم نورا و حياة، و الجهل ظلمة و موتا، لان العلم يهتدى به الى الرشاد،

كما يهتدى بالنور فى الظلمات، و تدرک به الأمور كما تدرک بالحياة. و الظلمة كالجهل لأنه يؤدى الى الحيرة و الهلكة، و الموت كالجهل فى أنه لا تدرک به حقيقة.
و انما قال «كَمَنْ مَثَلُهُ فِى الظُّلُماتِ» و لم يقل كمن هو فى الظلمات، لان التقدير كمن مثله مثل من فى الظلمات و يجوز أن يدل بأن مثله فى الظلمات على أنه فى الظلمات الا انه يزيد فائدة أنه ممن يضرب به المثل فى ذلک.

(3، 4) سورة 57 الحديد آية 12- 13
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 260
و قيل فى المراد بالنور الذى يمشى به فى الناس قولان:
أحدهما- قال الحسن: و هو القرآن. و قال غيره: هو الايمان الذى لطف له به.
و وجه التشبيه فى قوله «كَذلِکَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ» أى زين لهؤلاء الكفر، فعملوه كما زين لأولئک الايمان فعملوه، فشبهت حال هؤلاء فى التزيين بحال أولئک فيه، كما قال «كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» «1» و انما زين اللّه تعالى الايمان عند المؤمنين، و زين الغواة من الشياطين و غيرهم الكفر عند الكافرين و هو قول الحسن و أبى على و الرمانى و البلخى و غيرهم.
و فى الآية دلالة على وجوب طلب العلم، لأنه تعالى رغب فيه بأن جعله كالحياة فى الإدراک بها و النور فى الاهتداء به.

وَ كَذلِكَ جَعَلْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكابِرَ مُجْرِمِيها لِيَمْكُرُوا فِيها وَ ما يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنْفُسِهِمْ وَ ما يَشْعُرُونَ (123)
آية بلا خلاف.
معنى قوله «كَذلِكَ جَعَلْنا» أى جعلنا ذا المكر من المجرمين، كما جعلنا ذا النور من المؤمنين، فكلما فعلنا بهؤلاء فعلنا بأولئک الا أن أولئک اهتدوا بحسن اختيارهم و هؤلاء ضلوا بسوء اختيارهم، لان كل واحد منهما جعل بمعنى صار به كذا الا أن الاول باللطف، و الثانى بالتمكين من المكر، فصار كأنه جعل كذا.
و موضع الكاف فى «و كذلک» نصب بالعطف على قوله «كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» و المعنى مثل ذلک الذى قصصنا عليک زين للكافرين عملهم. و مثل ذلک «جَعَلْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكابِرَ مُجْرِمِيها» و انما خص أكابر المجرمين بهذا المعنى دون الأصاغر، لأنه أحسن فى الاقتدار على الجميع، لان الأكابر إذا كانوا فى قبضة القادر فالاصاغر بذلک أجدر.

---

(1) سورة 23 المؤمنون آية 54 و سورة 30 الروم آية 32

و الأكابر جمع الأسماء، و الكبر جمع الصفات تقول: كبير و أكابر و يجوز أن يكون جمع أكبر على أكابر. و قد قالوا: الاكابرة و الاصاغرة، كما قالوا: الاساورة و الاحامرة قال الشاعر:
ان الاحامرة الثلاثة أهلكت مالى و كنت بهن قدما مولعا
الخمر و اللحم السمين أحبه و الزعفران فقد أبيت مودعا «1»
و قوله «لِيَمْكُرُوا فِيها» اللام لام العاقبة و يسمى لام الصيرورة، كما قال «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «2» و قال الشاعر:
فاقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حية راصدة
و ام سماک فلا تجزعى فللموت ما تلد الوالدة «3»
و ليس المراد بها لام الغرض، لأنه تعالى لا يريد أن يمكروا، و قد قال «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» «4» و إرادة القبيح قبيحة. و التقدير و كذلک جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليطيعونى و يمتثلوا أمرى، و كان عاقبتهم أن مكروا بالمؤمنين و خدعوهم، فقال اللّه تعالى «وَ ما يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ» لان عقاب ذلک يحل بهم. و المكر هو فتل الشىء الى خلاف الرشد على وجه الحيلة فى الامر. و المكر و الختل و الغدر نظائر. و أصل المكر الفتل. و منه جارية ممكورة أى مفتولة البدن. و وجه مكر الإنسان بنفسه أن وبال مكره يعود عليه، كأنه قال و ما يضرون بذلک المكر الا

أنفسهم، و ما يشعرون انهم يمكرون بها، و لا يصح أن يمكر الإنسان بنفسه على الحقيقة، لأنه لا يصح أن يخفى عن نفسه معنى ما يحتال به عليها و يصح أن يخفى ذلک عن غيره.
و فائدة الآية ان أكابر المجرمين لم يمكروا بالمؤمنين على وجه المغالبة للّه، إذ كأنه جعلهم ليمكروا مبالغة فى انتفاء صفة المغالبة.

---

(1) قائلة الأعشى. ديوان الاعشيين: 247 و اللسان «حمر» و تفسير الطبرى 12/ 94 و فيه اختلاف كثير فى الرواية، و قد أثبتنا ما فى مخطوطة التبيان
(2) سورة 28 القصص آية 8
(3) مر تخريجه فى 3/ 60 و سيأتى فى 5/ 43
(4) سورة 51 الذاريات آية 56.

وَ إِذا جاءَتْهُمْ آيَةٌ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتى مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمْكُرُونَ (124)

قرأ ابن كثير و حفص رسالته على التوحيد و نصب التاء. الباقون على الجمع. و من وحد، فلأن الرسالة تدل على القلة و الكثرة لكونها مصدرا.

و من جمع، فلما تكرر من رسل اللّه و تحميله إياهم رسالة بعد أخرى فاتى بلفظ الجمع.

أخبر اللّه تعالى عن هؤلاء الكفار أنه إذا جاءتهم آية و دلالة من عند اللّه تدل على توحيد اللّه و صدق أنبيائه و رسله «قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ» اى لا نصدق بها «حَتَّى نُؤْتى» أى نعطى آية مثل ما أعطى رسل اللّه حسدا منهم للأنبياء (عليهم السلام). ثم أخبر تعالى على وجه الإنكار عليهم بأنه تعالى أعلم منهم و من جميع الخلق حيث يجعل رسالاته، لان الرسالة تابعة للمصلحة، و لا يبعث اللّه تعالى الا من يعلم ان مصلحة الخلق تتعلق ببعثه دون من لا يتعلق ذلک به.

و من يعلم انه يقوم بأعباء الرسالة دون من لا يقوم بها. و توعدهم فقال: «سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا» أى سينال الذين انقطعوا الى القبيح و أقدموا عليه «صَغارٌ عِنْدَ اللَّهِ» و الصغار الذل الذى يصغر الى الإنسان نفسه يقال: صغر يصغر صغارا و صغرا، و قيل فى معنى الصغار عند اللّه ثلاثة اقوال:

أولها- صغار أى ذلة من عند اللّه، و لا يجوز على هذا أن يقال: زيد عند عمر بمعنى من عنده، لان حذف (من) تلبيس- هاهنا-.

الثانى- قال الفراء اكتسب من ترک اتباع الحق صغارا عند اللّه.

الثالث- قال الزجاج يعنى صغار فى الآخرة، و هو أقواها، لقوله «وَ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمْكُرُونَ» فى دار الدنيا، و «عِنْدَ اللَّهِ» يتعلق بقوله التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 263

«سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغارٌ» و يجوز أن يكون متعلقا ب «صغار»، و تقديره سيصيب الذين أجرموا صغار ثابت لهم عند اللّه.

و معنى الآية الإنكار لما طلبوا الاحتجاج عليهم فيما جهلوا، و الوعيد على ما فعلوا.

و قوله «رُسُلُ اللَّهِ» اللام مفخمة فى (اللّه) و لا تفخم من قوله «اللَّهُ أَعْلَمُ» لان ما وقع بعد فتح و ضم صح تفخيمه، كقولک من اللّه، لأنه بمنزلة تفخيم الالف مع هاتين الحركتين فى نحو كامل و عالم و ترک التفخيم فى الثانى كما ترک فى الالف مع الكسرة فى نحو عائد، و انما فخمت اللام فى تلک المواضع لتعظيم الاسم من غير إخلال بالخروج عن نظيره.

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (125)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير «ضيقا» بتخفيف الياء و سكونها- هاهنا- و فى الفرقان.

الباقون بتشديدها و كسرها. و قرأ أهل المدينة و أبو بكر «حرجا» بكسر الراء. الباقون بفتحها. و قرأ ابن كثير «يصعد» بتخفيف الصاد و العين و سكون الصاد من غير الف، و رواه أبو بكر بتشديد الصاد و ألف بعدها و تخفيف العين. الباقون بتشديد الصاد و العين و فتح الصاد من غير الف.

قال ابو على النحوى: الضيق و الضيق مثل الميِّت و الميت فى أن معناهما واحد. و الياء و الواو يشتركان فى الحذف، و ان لم تعل الياء بالقلب كما أعلت الواو به فاتبعت الياء الواو فى هذا، كما اتبعتها فى قولهم أيسر، قالوا فى أيسار التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 264

الجزور اتسر، فجعلت بمنزلة اتّعد. و قال غيره: يجوز أن يكون من ضاق الامر يضيق ضيقا. و قد قرأه من قرأ «وَ لا تَكُ فِي ضَيْقٍ». و من فتح الراء من (حرج) جعلها و صفا للمصدر، لان المصادر قد توصف بمثل ذلک، كقولهم رجل دنف أى ذو دنف و لا يكون كبطل لان اسم الفاعل فى الأكثر من (فَعَّل) انما يجىء على (فَعَل). و من كسر الراء فهو مثل دنِف، و فرق. قال ابو زيد و حرج عليه السحور و السحر: إذا أصبح قبل أن يتسحر و حرج عليه حرجا و هما واحد، و حرجت على المرأة الصلاة تحرج حرجا، و حرمت عليها الصلاة تحرم حرما بمعنى واحد، و يقال حرج فلان يحرج إذا هاب ان يتقدم على الامر أو قاتل فصبر و هو كاره.

و قال غيره: هما بمعنى واحد كالدنَف و الدنِف، و الوحِد و الوحَد، و الفرد و الفرد و قيل: الحرج الإثم و الحرج الضيق الشديد.

و من قرأ «يصعد» من الصعود، فالمعنى أنه فى نفوره عن الإسلام، و ثقله عليه بمنزلة من تكلف مالا يطيقه، كما أن صعود السماء لا يستطاع.

و من قرأ «يصعد» بتشديد الصاد و العين بلا الف أراد يتصعد فأدغم.

و المعنى كأنه يتكلف ما يثقل عليه. و كأنه تكلف شيئا بعد شىء كقولک يتصرف و يتحرج و غير ذلک مما يتعاطى فيه الفعل شيئا بعد شىء و يصاعد مثل يصعد و مثل ضاعف و ضعف و ناعم و نعم.

و الضمير فى قوله «يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ» يحتمل ان يكون راجعا الى (من) و تقديره أن المهدى يشرح صدر نفسه، و هو جيد و يكون تقديره: من أراد اللّه أن يثيبه و يهديه الى طريق الجنة فليطعه. و من أراد ان يعاقبه

فليعصه فالارادة واقعة على فعل العبد بقلبه بالاحراج و الضيق. و يقوى ذلک قوله «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ»»
فان الطمأنينة الى الايمان فعلهم

---

(1) سورة 16 النحل آية 106

لا محالة، لأنه ايمان. ثم نسب تعالى شرح صدورهم بالكفر اليهم.
و الثانى- أن يكون الضمير فيه عائدا أبدا الى اسم اللَّه تعالى و هو الأقوى لقوله «أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ» و قوله «أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ» «2» و كذلک يكون الضمير فى قوله «يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ» عائدا لاسم اللَّه تعالى.
و المعنى ان الفعل مستند الى اسم اللَّه فى اللفظ و فى المعنى للمشروح صدره، و انما نسبه الى ضمير اسم اللَّه لأنه بقدرته كان و توفيقه، كما قال «وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى» «3» و يدل على ان المعنى لفاعل الايمان اسناد هذا الفعل الى الكافر فى قوله «وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ» فكما أسند الفعل الى فاعل الكفر كذلک يكون اسناده فى المعنى الى فاعل الايمان، و معنى شرح الصدر اتساعه للايمان أو الكفر و انقياده له و سهولته عليه، بدلالة وصف خلاف المؤمن بخلاف الشرح الذى هو اتساع.
و قوله «وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ» يعنى يعاقبه أو يعدل به عن طريق الجنة يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يفعل ما يعجز عنه و لا يستطيعه لثقله عليه و تكاؤده عليه.
و قوله «يَصَّعَّدُ» و يصاعد من المشقة و صعوبة الشىء. و من ذلک قوله «يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً» «4» و قوله «سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً» «5» اى سأغشيه عذابا صعودا أى شاقا. و من ذلک قوله عمر: ما يصعدنى شىء كما يصعدنى خطبة النكاح أى ما يشق على مشقتها، فكان معنى يصعد يتكلف مشقة فى ارتقاء صعودا. و على هذا قالوا: عقبة عنوت و عنتوت، و عقبة كؤد، و لا يكون السماء فى هذا الموضع- على هذا القول- هى المظلة للأرض لكن كما قال سيبويه: القيدود الطويل فى غير سمائه يريد فى غير ارتفاع صعدا، و مثله «قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِکَ فِى السَّماءِ» «6» و اما قوله «يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً»

---

(2) سورة 94 الانشراح آية 1
(3) سورة 8 الانفال آية 17. [.....]
(4) سورة 72 الجن آية 17

(5) سورة 74 المدثر آية 17
(6) سورة 2 البقرة آية 144
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 266
فانه يحتمل أمرين:
أحدهما- التسمية كقوله «وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً» «7» اى سموهم بذلک فلذلک يسمى القلب ضيقا المحاولته الايمان و حرجا عنه و الآخر- الحكم كقولهم اجعل البصرة بغداد، و جعلت حسنى قبيحا أى حكمت بذلک و لا يكون هذا من الجعل الذى يراد به الخلق و لا الذى يراد به الإلقاء كقولک جعلت متاعک بعضه على بعض. و قوله «وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلى بَعْضٍ» «8» و قيل فى معنى الهداية و الإضلال فى الآية قولان:
أحدهما أنه يريد بالهدى تسهيل السبيل الى الإسلام بالدلائل التى يشرح بها الصدر، و الإضلال تصعيب السبيل اليه بالدلائل التى يضيق بها الصدر، لان حاله أوجبت تغليظ المحنة عليه من غير أن يكون هناک مانع له و لا تدبير غيره أولى منه، و انما هو حض على الاجتهاد فى طلب الحق حتى ينشرح بالدلائل الصدر، و لا يضيق بدعائها الى خلاف ما سبق من العقد، و الهدى الى ما طلبه طالب الحق، و الإضلال عما طلبه طالب تأكيد الكفر.
و الثانى- ان يراد بالهداية الهداية الى الثواب و بالإضلال الإضلال عن الثواب و السلوک به الى العقاب، و يكون التقدير من يرد اللّه أن يهديه للثواب فى الآخرة فيشرح صدره للإسلام فى الدنيا بأن يفعل له اللطف الذى يختار عنده الإسلام، و من يرد أن يعاقبه و يعدل به عن الثواب الى النار يجعل صدره ضيقا حرجا بما سبق من سوء اختياره للكفر جزاء على فعله و يخذله و يخلى بينه و بين ما يريده من الكفر أو يحكم على قلبه بالضيق و الحرج، أو يسميه بذلک على ما فسرناه. و هذا الإضلال لا يكون الا مستحقا كما أن تلک الهداية لا تكون الا مستحقة، و قد سمى اللّه تعالى الثواب الهداية فى قوله

---

(7) سورة 43 الزخرف آية 19
(8) سورة 8 الانفال آية 38
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 267
«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدانا لِهذا وَ ما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ» «1» و قال «وَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ، سَيَهْدِيهِمْ وَ يُصْلِحُ بالَهُمْ» «2» و الهداية بعد القتل انما هى الثواب فى الجنة، و قال تعالى «وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً» «3» و قال «وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ» «4» و قال «يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ» «5» و قال «وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا» «6» و كل ذلک يراد به الثواب و قد سمى العقاب ضلال فى قوله «وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ» «7» و قوله «وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ» «8» و

هذه الجملة معنى قول أبى على الجبائى و البلخى، و الاول قول الرمانى و قيل أيضا: انما يشرح قلب المؤمن بالآيات و الدلائل لكونه طالب للحق، و لم يفعل ذلک بالكافر لكونه طالبا لتأكيد الكفر و فى هذا الوجه حض على طلب الحق.
و الحرج الضيق الشديد، و قال ابن عباس: أصله الحرجة، و هى الشجرة الملتفة بالشجر حولها، فلا يصل اليها الراعى، فكذلک قلب هذا لا يصل اليه خير- فى قوله عمر- و قال ابن عباس لا يصل اليه حكمة.
و قوله «كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِى السَّماءِ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- كأنما كلف الصعود الى السماء بالدليل الذى يدعوه الى خلاف مذهبه. و قال سعيد بن جبير: كأنه لا يجد مسلكا الا صعدا.
و الثانى- كأنما ينزع قلبه الى السماء نبوا عن الحق بأن يتباعد فى الهرب.
و فى معنى الرجس قولان:
أحدهما- قال مجاهد: كلما لا خير فيه. و قال ابن زيد و غيره من أهل اللغة: هو العذاب. و يقال الرجس و النجس لما كان رجسا، و لقد رجس رجاسة و نجس نجاسة. و وجه التشبيه فى قوله

_____

(1) سورة 7 الاعراف آية 42
(2) سورة 47 محمد آية 4- 5
(3) سورة 47 محمد آية 17
(4) سورة 64 التغابن آية 11
(5) سورة 5 المائدة آية 18
(6) سورة 29 العنكبوت آية 69
(7) سورة 14 ابراهيم آية 27
(8) سورة 2 البقرة آية 26

«كَذلِکَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ» أنه يجعل الرجس على هؤلاء كما يجعل ضيق الصدر فى قلوب أولئک و ان كل ذلک على وجه الاستحقاق. و لا يجوز أن يكون المراد بالآية ان اللَّه تعالى يجعل سبب الايمان الذى يكون به الايمان، و سبب الكفر الذى يكون به الكفر، و انهما جميعا من فعل اللَّه على ما يقوله المجبرة، و ذلک أن اللَّه تعالى أنزل القرآن حجة له على عباده، لا حجة للعباد عليه، فلو كان كما قالوه لكانت الحجة عليه لا له على انه لا يجوز أن يكون فى كلام اللَّه تعالى مناقضة، و قد ذكره اللَّه تعالى فى مواضع أنه هدى للكفار نحو قوله «وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى» «1» و قال «وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» «2» و قال «وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى» «3» و قال «قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِىَ

فَعَلَيْها» «4» فبين بجميع ذلک انه تعالى هدى الكفار كما هدى المؤمنين، فكيف ينفى ذلک فى موضع آخر، و هل ذلک الا مناقضة و كلام اللّه منزه عنها؟! و متى حملنا الآيات على ما قلناه و وفقنا بينها لم يؤد الى المناقضة و لا التضاد، و يقوى ذلک ان اللّه اخبر انه يجعل قلب الكافر ضيقا حرجا و نحن نجد كثيرا من الكفار غير ضيقى الصدر بما هم فيه من الكفر بل هم فى غاية السرور و الفرح بذلک، فكيف يقال ان اللّه تعالى ضيق صدورهم بالكفر؟! و لا يلزمنا ذلک إذا قلنا ان اللّه يفعل ذلک بهم على وجه العقوبة لأنه تعالى إذا كان يفعل بهم ذلک عقوبة يجوز أن يفعل بهم ذلک إذا أراد عقابهم لا فى جميع الأحوال، و لا يلزم ان يجدوا نفوسهم على ذلک فى كل وقت. و أيضا فان سبب القبيح لا يكون الا قبيحا فعلى هذا سبب الكفر يجب ان يكون قبيحا، لأنه موجب له لا يصلح لضده من الايمان، لأنه لو صلح لذلک لم يكن سببا، و اللّه تعالى لا يفعل

---

(1) سورة 41 حم السجدة آية 17 [.....]
(2) سورة 90 البلد آية 10- 11
(3) سورة 17 الإسراء آية 94 و سورة 18 الكهف آية 56
(4) سورة 6 الانعام آية 104

القبيح. و انما ذكر اللّه ضيق صدر الكافر، و هو مما يصح ان يدعا به الى الايمان فى بعض الأحوال، كما يصح أن يدعا بانشراحه فى غير تلک الحال.
و يقوى ما قلناه قوله «كَذلِکَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ» و انما أريد بذلک ما يفعله بهم من العقاب و البراءة و اللعنة و الشتم و الأسماء القبيحة مع ما أعد لهم من العقاب. و قال الحسن: معناه انه يكون مقبول الايمان منشرح الصدر، و من يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا، و معناه انه يثقل عليه ما يدعا اليه من الايمان كأنما يصعد الى السماء، فبذلک صار ضيق الصدر عن الايمان. «يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ» يعنى رجاسة الكفر على الذين لا يؤمنون.
و وجه آخر فى الآية، و هو أن نحملها على التقديم و التأخير كأنه قال: من يشرح الله صدره للإسلام يرد اللّه أن يهديه، و من يجعل صدره ضيقا حرجا يرد اللّه أن يضله.
و وجه آخر و هو أن يكون اللَّه تعالى لما دعاهم الى الايمان و أمرهم ففعلوه انشرحت صدورهم، فنسب شرح ذلک الى اللّه تعالى، و لما ضاقت صدور الكفار عند دعاء اللّه و اقامة الحجج عليهم و أمره إياهم بذلک فضلوا عند ذلک، صح ان ينسب اضلالهم اليه، كما يقولون: أصل فلان بعيره إذا ضل عنه، و هو لم يرد ذلک.
و اللام فى قوله «للإسلام» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون اللّه تعالى هداه بالالطاف التى ينشرح بها صدره للتمسک بالإسلام و الاستبصار فيه، و لا يكون فعل ذلک بالكفار و ان لم يخل بينهم و بين الايمان و لا يمنعهم منه، لأنه تعالى قد اعطى الكفار الصحة و السلامة و القوة، و جميع ما يتمكن به من فعل ما أمره به، و انما لم يفعل بهم اللطف الذى يؤمنون عنده، لأنهم لما عدلوا عن النظر فى آيات اللّه و حججه خرجوا من أن يكون لهم لطف يختارون عنده الايمان و صاروا مخذولين، التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 270
فخلى اللّه تعالى بينهم و بين اختيارهم، فعبر عن ذلک بأنه جعل صدر الكافر ضيقا حرجا.
و الثانى- ان يكون اللام بمعنى لأجْل الشىء و بسببه كما يقول القائل: انما قلت هذا الكلام لزيد و المراعات عمرو، المعنى من أجله و بسببه، فيكون المعنى انه شرح صدره من أجل الإسلام، لأنه فعل إسلاما استحق به شرح الصدر.

وَ هذا صِراطُ رَبِّکَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (126) لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (127)
آيتان بلا خلاف.
الاشارة بقوله «وَ هذا صِراطُ رَبِّکَ مُسْتَقِيماً» يمكن ان تكون الى أحد شيئين:
أحدهما- ما قال ابن عباس: انه راجع الى الإسلام.
و الثانى- أن تكون اشارة الى البيان الذى فى القرآن، و أضيف الصراط الى اللَّه فى قوله «صِراطُ رَبِّکَ مُسْتَقِيماً» لأنه لما كانت الاضافة فيه انما هى على أنه الذى نصبه و دل به، و غلب عليه الاستعمال. و لم يجز قياسا على ذلک ان يقال: هذا طريق ربک، لأنه لم تجر العادة باستعماله كما انهم استعملوا قولهم: هذا فى سبيل اللَّه، و لم يقولوا فى طريق اللَّه، لما قلناه.
و قوله «مستقيما» نصب على الحال و معناه الذى لا اعوجاج فيه.
فان قيل كيف يقال: انه مستقيم مع اختلاف وجوه الادلة؟! قلنا: لأنها مع اختلافها يؤدى كل واحد منها الى الحق، و كأنها طريق واحد لسلامة جميعها من التناقض و الفساد، و كلها تؤدى من تمسک بها الى الثوب و قوله «قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ» أى بيناها «لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ» و انما أعيد ذكر تفصيل الآيات للاشعار بأن هذا الذى تقدم من الآيات التى فصلها اللَّه عز التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 271
و جل للعباد. و قوله «يذكرون» أصله يتذكرون فقلبت التاء ذالا و أدغمت الاولى فى الثانية، و لم يجز قلب الذال الى الدال كما جاز فى «فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» «1» لأنهم لما لهم يجيزوا ادغام التاء فى الدال، لأنها أفضل منها بالجهر، قلبت الى الدال لتعديل الحروف و ليس كذلک ادغام التاء فى الذال. و انما خص الآيات بقوم يتذكرون لأنهم المنتفعون بها و ان كانت آيات لغيرهم، كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ».
و فى الآية دلالة على بطلان قول من قال: المعارف ضرورية لأنها لو كانت ضرورية لم يكن لتفصيل الآيات ليتذكر بها فائدة.
و قوله «لَهُمْ دارُ السَّلامِ» هذه لام الاضافة و انما فتحت مع المضمر و كسرت مع الظاهر لامرين:
أحدهما- طلبا للتخفيف، لان الإضمار موضع تخفيف، و فتحت فى الاستغاثة فى (يا لبكر) تشبيها بالكناية، و لأنه موضع تخفيف بالترخيم و حذف التنوين.
و الثانى- أن أصلها الفتح، و انما كسرت مع الظاهر للفرق بينها و بين لام الابتداء.
و قيل فى معنا «السلام» هاهنا قولان:

أحدهما- قال الحسن و السدى: انه اللّه و داره الجنة.
و الثانى- قال الزجاج و الجبائى: أنها دار السلامة الدائمة من كل آفة و بلية.
و قوله «عِنْدَ رَبِّهِمْ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- مضمون عند ربهم حتى يوصله اليهم.
الثانى- فى الآخرة يعطيهم إياه.
و قوله «وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ» يعنى اللّه. و فى معنى (الولى) قولان:
أحدهما- انه يتولى إيصال المنافع اليهم و دفع المضار عنهم.

---

(1) سورة 54 القمر آية 15، 17، 22، 32، 40، 51

الثانى- ناصرهم على أعدائهم.
و قوله «بِما كانُوا يَعْمَلُونَ» يعنى جزاء بأعمالهم، و هو و ان كان مطلقا فالمراد بما كانوا يعملونه من الطاعات، لان من المعلوم ان ما لم يكن طاعة فلا ثواب عليه. و يجوز ايضا ان يكون مقيدا لدلالة قوله «يذكرون» عليه.
و الموعود بهذا الوعد المتذكر لآيات اللَّه بحقها، و هو العامل بها.

وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَ قالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ وَ بَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلاَّ ما شاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128)

آية بلا خلاف.

قرأ حفص و روح «وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ» بالياء. الباقون بالنون.

من قرأ بالياء فلقوله «لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ... وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ» و النون كالياء فى المعنى، و يقوى النون قولهِ «وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً» «1» و قوله «وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى» «2» و الذى يتعلق به (اليوم) هذا القول المضمر. و المعنى و يوم نحشرهم جميعا نقول «يا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ» أى قد استكثرتم ممن أضللتموه من الانس بالإغواء و الإضلال. قال ابن عباس و الحسن و قتادة و مجاهد: معناه استكثرتم من اغوائهم و اضلالهم «وَ قالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ».

و قيل فى وجه الاستمتاع من بعضهم ببعض قولان:

---

(1) سورة 18 الكهف آية 48

(2) سورة 20 طه آية 124

أحدهما- بتزيين الأمور التى يهوونها حتى يسهل عليهم فعلها.

و الثانى- قال الحسن و ابن جريج و الزجاج و الفراء و غيرهم: انه إذا كان الرجل أراد ان يسافر فيخاف سلوك طريق من الجن فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادى، ثم يسلك فلا يخاف، كما قال تعالى «وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً» «3» و وجه استمتاع الجن بالانس أنهم إذا اعتقدوا ان الانس يتعوذون بهم، و يعتقدون انهم ينفعونهم و يضرونهم أو أنهم يقبلون منهم إذا أغووهم كان فى ذلك تعظيم لهم و سرور و نفع، ذكر ذلك الزجاج و البلخى و الرمانى. و قال البلخى: و يحتمل ان يكون قوله «اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ» مقصوراً على الانس، فكأن الانس استمتع بعضهم ببعض دون الجن.

و قوله «بَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن و السدى: انه الموت.

الثانى- الحشر، لان كل واحد منهما اجل فى الحكم، فالموت اجل استدراك ما مضى، و الحشر أجل الجزاء. و قال ابو على: فى الآية دلالة على انه لا اجل الا واحد، قال لأنه لو كان له أجلان فكان إذا اقتطع دونه بأن قتل ظلما

لم يكن بلغ اجله، و الآية تتضمن انهم اجمع يقولون: بلغنا أجلنا الذى أجلت لنا. و قال الرمانى و غيره من البغداديين: لا تدل على ذلک، بل لا يمتنع ان يكون له أجلان: أحدهما ما يقع فيه الموت، و الآخر ما يقع فيه الحشر، و ما كان يجوز أن يعيش اليه.
و قوله «قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ» جواب من اللَّه تعالى لهم بأن النار مثواهم، و هو المقام، يقال: ثوى يثوى ثواء، قال الشاعر:
لقد كان فى حول ثواء ثويته تقضى ليانات و يسأم سائم «4»
و معنى الآية التقريع للغواة من الجن و الانس مع اعترافهم بالخطيئة فى

---

(3) سورة 72 الجن آية 6
(4) قائله الأعشى ديوانه: 56 و سيبويه 1/ 123، و تأويل مشكل القرآن: 59.

وقت لا ينفعهم الندم على ما سلف، و خاصة إذا كان الجواب لهم بأن مثواهم النار «خالِدِينَ فِيها» أى مؤبدين فيها، و هو نصب على الحال.
و قوله «إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ» قيل فى معنى هذا الاستثناء ثلاثة اقوال:
أحدها- «إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ» من الفائت قبل ذلک من الاستحقاق من وقت الحشر الى زمان المعاقبة، و تقديره: خالدين فيها على مقادير الاستحقاق الا ما شاء اللَّه من الفائت قبل ذلک، لان ما فات يجوز إسقاطه بالعفو عنه. و الفائت من الثواب لا يجوز تركه، لأنه بخس لحقه، ذكره الرمانى و البلخى و الطبرى و الزجاج و الجبائى.
الثانى- «إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ» من تجديد الخلود بعد احتراقهم و تصريفهم فى انواع العذاب فيها، و التقدير خالدين فيها على صفة واحدة الا ما شاء اللَّه من هذه الأمور.
الثالث- ما حكى عن ابن عباس، حكاه الرمانى و الطبرى عنه أنه قال:
هذه الآية توجب الوقف فى جميع الكفار، فانه ذهب الى ان وعيدهم بالقطع يدل عليه فيما بعد، و هو قوله «إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَکَ بِهِ» «1» و قال قوم:
معنى (ما) (من) و تقديره الا من شاء اللَّه إخراجه من النار من المؤمنين الذين لهم ثواب بعد استيفاء عقابهم.
و قوله «إِنَّ رَبَّکَ حَکِيمٌ عَلِيمٌ» أى هو حكيم فيما يفعله من جزائهم، و عالم بذلک و بغيره من المعلومات لا يخفى عليه شىء منها.

وَ كَذلِكَ نُوَلِّی بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (129)
آية بلا خلاف.
قيل فى معنى قوله «نُوَلِّی بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً» قولان:

---

(1) سورة 4 النساء آية 47، 115.

أحدهما- انا نكل بعضهم الى بعض فى النصرة و المعونة فى الحاجة، و لا نحول بينهم.
الثانى- نجعل بعضهم يتولى القيام بأمر بعض.
و قيل فى كيفية تولية اللّه الظالمين بعضهم بعضاً أقوال:
أحدها- بأن حكم ان بعضهم يتولى بعضا فيما يعود عليه بالوبال من الاعمال التى يتفقون عليها.
الثانى- بأن يخلى بينهم و بين ما يختارونه من غير نصرة لهم.
و ثالثها- ما قال قتادة: انه من الموالاة و التتابع فى النار، أى يدخل بعضهم عقيب بعض.
و وجه التشبيه فى قوله «و كذلک» قال الرمانى: اى كذلک المهل بتخلية بعضهم مع بعض للامتحان الذى معه يصح الجزاء على الاعمال، بجعل بعضهم يتولى أمر بعض للعقاب الذى يجرى على الاستحقاق. و قال الجبائى: المعنى إنا كما وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن و الانس بعضهم الى بعض يوم القيامة و تبرأنا منهم كذلک نكل الظالمين بعضهم إلى بعض يوم القيامة و نكل الاتباع الى المتبوعين، و نقول للاتباع قولوا للمتبوعين حتى يخلصوكم من العذاب.
و الغرض بذلک اعلامهم انه ليس لهم يوم القيامة ولىّ يدفع عنهم شيئا من العذاب. و قال غيره: لما حكى اللّه تعالى ما يجرى بين الجن و الانس من الخصام و الجدال فى الآخرة، قال اللّه لهم: النار مثواكم. ثم قال «وَ كَذلِکَ نُوَلِّی بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً» أى كما فعلنا بهؤلاء من الجمع بينهم فى النار و تولية بعضهم بعضا و جعل بعضهم أولى ببعض، نفعل مثله بالظالمين جزاء على أعمالهم.
و الفرق بين (ذلک) و (ذاک) أن زيادة اللام فى (ذلک) قامت مقام هاء التنبيه التى تدخل فى ذاک فتقول هذاک و لا تقول هذلک. و لا يجوز إمالة (ذلک) لان (ذا) بمنزلة الحرف، و الأصل فى الحروف ألا تمال، لان التصريف انما هو للافعال و الأسماء. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 276

و قوله «بِما كانُوا يَكْسِبُونَ» معناه بما كانوا يكسبونه من المعاصى و ان ما يفعله بهم من العقاب جزاء على أعمالهم القبيحة.

يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا قالُوا شَهِدْنا عَلى أَنْفُسِنا وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ (130)

آية بلا خلاف.

أخبر اللّه تعالى انه يخاطب الجن و الانس يوم القيامة بأن يقولا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ»

و المعشر الجماعة. و الفرق بينه و بين المجمع: أن المعشر يقع عليهم هذا الاسم مجتمعين كانوا او مفترقين كالعشيرة، و ليس كذلك المجمع، لأنه مأخوذ من الجمع. و الجن مشتق من الاجتنان عن العيون و هو اسم علم الجنس مما يعقل متميز عن جنس الإنسان و الملک. و الانس هم البشر.

و قولهَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ»

احتجاج عليهم بأن اللّه بعث اليهم الرسل إعذارا و إنذارا و تأكيدا للحجة عليهم، و لا بد أن يكون خطابا لمن بعث اللّه اليهم الرسل، فأما أول الرسل فلا يمكن ان يكونوا داخلين فيه، لأنه كان يؤدى الى ما لا نهاية لهم من الرسل و ذلک محال.

و قوله «منكم» و ان كان خطابا لجميعهم، و الرسل من الانس خاصة، فانه يحتمل ان يكون لتغليب أحدهما على الآخر، كما يغلب المذكر على المؤنث، و كما قال «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ» بعد قوله «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ» «1» و انما يخرج اللؤلؤ من الملح دون العذب. و كقولهم أكلت خبزا و لبنا و انما شرب اللبن. و كما يقولون: فى هذه الدار سرو، و انما هو فى بعضها. و هذا

---

(1) سورة 55 الرحمن آية 19

قول أكثر المفسرين: منهم ابن جريج و الفراء و الزجاج و الرمانى و البلخى و الطبرى. و روى عن ابن عباس انه قال: هم رسل الانس الى غيرهم من الجن كما قال تعالى «وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ» «2». و قال الضحاک: ذلک يدل على انه تعالى أرسل رسلا من الجن. و به قال الطبرى و اختاره البلخى أيضا، و هو الأقوى. و قال الجبائى و الحسين بن على المغربى: المعنىَ لَمْ يَأْتِكُمْ»

يعنى معشر المكلفين و المخلوقينُسُلٌ مِنْكُمْ»

يعنى من المكلفين.

و هذا اخبار و حكاية عما يقال لهم فى وقت حضورهم فى الآخرة، و ليس

بخطاب لهم فى دار الدنيا، و هم غير حضور، فيكون قبيحا، بل هو حكاية على ما قلناه.
و قولهَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِى» مثل يتلون عليكم دلائلى و بيناتىَ يُنْذِرُونَكُمْ» يعنى يخوفونكمِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا» يعنى لقاء ما تستحقونه من العقاب فى هذا اليوم و حصولكم فيه. ثم أخبر تعالى عنهم انهم يشهدون على أنفسهم بالاعتراف بذلک و الإقرار بأن الحياة الدنيا غرتهم، و يشهدون أيضا بأنهم كانوا كافرين فى دار الدنيا، فلذلک كرر الشهادة.
و معنى غرتهم الحياة الدنيا أى غرتهم زينة الدنيا و لذتها و ما يرون من زخرفها و بهجتها.
و استدل بهذه الآية قوم على ان اللَّه لا يجوز أن يعاقب الا بعد ان يرسل الرسل، و ان التكليف لا يصح من دون ذلک، و هذا ينتقض بما قلناه من أول الرسل، و انه صح تكليفهم و ان لم يكن لهم رسل، فالظاهر مخصوص بمن علم اللَّه ان الشرع مصلحة له، فان اللَّه لا يعاقبهم الا بعد ان يرسل اليهم الرسل و يقيم عليهم الحجة بتعريفهم مصالحهم، فإذا خالفوا بعد ذلک استحقوا العقاب.

---

(2) سورة 46 الأحقاف آية 29

ذلِکَ أَنْ لَمْ یَکُنْ رَبُّکَ مُهْلِکَ الْقُری بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها غافِلُونَ (131)
آية بلا خلاف.
موضع (ذلک) من الاعراب يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون رفعا كأنه قال: الامر ذلک، لأنه لم يكن (ذلک) إشارة الى ما تقدم ذكره من العقاب و الجواب بأن مثواهم النار.
و الثانى- أن يكون نصبا، و تقديره فعلناه ذلک لهذا.
و انما جازت الاشارة بذلک الى غير حاضر لان ما مضى صفة حاضرة للنفس فقام مقام حضوره، و يجوز الاشارة الى هذا الذى تقدم ذكره.
و قوله «أَنْ لَمْ یَکُنْ» ف (ان) هى المخففة من الثقيلة. و المعنى لأنه لم يكن و مثلها التى فى قول الشاعر:
فى فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالک كل من يحفى و ينتعل «1»
ف (أنَّ) المفتوحة لا بد فيها من إضمار الهاء، لأنه لا معنى لها فى الابتداء و انما هى بمعنى المصدر المبنى على غيره. و المكسورة لا تحتاج الى ذلک، لأنها يصح ان تكون حرفا من حروف الابتداء فلا تحتاج الى إضمار.
و قوله «بظلم» قيل فى معناه قولان:
أحدهما ما ذكره الفراء و الجبائى: انه بظلم منه على غفلة من غير تنبيه و تذكير و مثله قوله «وَ ما كانَ رَبُّکَ لِیُهْلِکَ الْقُری بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها مُصْلِحُونَ» «2».
الثانى- بظلم منهم حتى يبعث اليهم رسلا يزجرونهم و يذكرونهم على وجه الاستظهار فى الحجة دون ان يكون ذلک واجبا، لأنهم بما فعلوه من الظلم

---

(1) قائله الأعشى ديوانه: 45 القصيدة 6 و روايته:
فى فتية كسيوف الهند قد علموا أن ليس يدفع عن ذوى الحيلة الحيل
(2) سورة 11 هود آية 118.

قد استحقوا العقاب.
و من استدل بذلک على انه لا يحسن العقاب الا بعد إنفاذ الرسل، فقد أجبنا عن قوله فى الآية الاولى.

وَ لِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَ ما رَبُّکَ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (132)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن عامر «عما تعملون» بالتاء. الباقون بالياء.
و من قرأ بالياء حمله على الغيبة. و من قرأ بالتاء حمله على الخطاب للمواجهة.
و فى الآية حذف و تقديرها، و لكل عامل بطاعة اللَّه أو معصيته منازل من عمله حتى يجازيه ان خيرا فخيرا، و ان شرا فشرا. و ما تقدم من ذكر الغافلين يدل على هذا الحذف.
و (قبل. و بعد) بنيتا عند حذف المضاف فى مثل قوله «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ» «3» لأنهما فى حال الاعراب لم يكونا على التمكن التام، لأنه لا يدخلهما الرفع فى تلک الحال، فلما انضاف الى هذا النقصان من التمكن بحذف المضاف اليه أخرجا الى البناء، و ليس كذلک (كل) فانه متمكن على كل حال و لذلک لم يبن.
و (الدرجات) يحتمل أمرين: أحدهما- الجزاء. و الثانى- الاعمال فإذا وجهت الى الجزاء كان تقديره: و لكل درجات جزاء من اجل ما عملوا، و إذا حمل على الاعمال كان تقديره: و لكل درجات أعمال من أعمالهم. و انما مثل الاعمال بالدرجات ليبين انه و ان عمَّ احد قسميها صفة الحسن، و عم الآخر صفة القبيح، فليست فى المراتب سواء، و انه بحسب ذلک يقع الجزاء، فالاعظم من العقاب للاعظم من المعاصى، و الأعظم من الثواب للاعظم من الطاعات.

---

(3) سورة 30 الروم آية 4 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 280
و قوله «وَ ما رَبُّکَ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ» انما ذكره ليعلموا انه لا يفوته شىء منهما و لا من مراتبهما حتى يجازى عليه بما يستحق من الجزاء، و فيه تنبيه و تذكير للخلق فى كل أمورهم.
و الغفلة ذهاب المعنى عمن يصح ان يدركه. و الغفلة عن المعنى و السهو عنه و الغروب عنه نظائر، و ضد الغفلة اليقظة، و ضد السهو الذكر، و ضد الغروب الحضور.

وَ رَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ كَما أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (133)

آية بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى فى هذه الآية بأنه الغنى. و الغنى هو الحى الذى ليس بمحتاج. و الغنى عن الشىء هو الذى يكون وجود الشىء و عدمه و صحته و فساده عنده بمنزلة واحدة، فى انه لا يلحقه صفة نقص. و «ذو الرحمة» يعنى صاحب الرحمة، و هو تعالى بهذه الصفة لرحمته بعباده.

ثم أخبره عن قدرته و انه لو شاء ان يذهب الخلق بأن يميتهم و يهلكهم و يستخلف من بعدهم ما يشاء بان ينشئ بعد هلاكهم كما أنشأهم فى الاول من ذرية من تقدمهم. و كذلک ينشئ قوما آخرين من نسلهم و ذريتهم، و الجواب محذوف و الكاف فى (كما) فى موضع نصب و تقديره و يستخلف من بعدكم ما يشاء مثل ما استخلفكم. و فى ذلک دلالة على انه يصح القدرة على ما علم انه لا يكون لأنه بين انه لو شاء لذهب بهم و أتى بقوم آخرين و لم يفعل ذلک، فدل ذلک على انه يقدر على ما يعلم انه لا يفعله.

و (من) فى قوله «وَ يَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ» للبدل كقولک: أعطيتک من

دينارک ثوبا اى مكان دينارک و بدله، و معنى (من) فى قوله «كَما أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ» ابتداء الغاية لان التقدير، ان ابتداء غايتكم من قوم آخرين و قيل فى وزن «ذرية» ثلاثة أقوال: أولها- فعلية من الذر. الثانى- فعلية على وزن خليفة من ذرأ الخلق يذرأهم. الثالث- فعولة من (ذروة) الا أن الهمزة أبدلت واوا، ثم قلبت ياء، فيكون بمنزلة عليَّة من علوة. و قرئ فى الشواذ (ذرية) بكسر الذال و هما لغتان.

و انشأ اللّه الخلق إذا خلقه و ابتدأه و كل من ابتدأ شيئا فقد انشأه. و منه قولهم: انشأ فلان قصيدة، و النشأة الأحداث من الأولاد، واحدها ناشئ مثل خادم و خدم، و يقال للجوارىْ أنشاء، و للذكور نشاء، قال نصيب:

و لو لا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشأ الصغار «1»

و يقال لهذا السحاب نشؤ حسن، و هو أول ظهوره فى السماء.

إِنَّ ما تُوعَدُونَ لَآتٍ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (134)
آية بلا خلاف.
اخبر اللّه تعالى فى هذه الآية ان الذى أوعد الخلق به من عقابه على معاصيه و الكفر به واقع بهم لان (ما) فى قوله «انما» بمعنى الذى، و ليست كافة مثل قولک: انما قام زيد، لان خبرها جاء بعدها، و هو قوله «لآت» و هى فى موضع نصب، و الجنس فى موضع رفع، و الكافة لا خبر لها، و اللام فى قوله (لآت) لام الابتداء و لا يجوز ان تكون لام القسم، لان لام القسم لا تدخل على الأسماء و لا الافعال المضارعة الا أن تكون معها النون الثقيلة، و لا تعلق الفعل فى (قد علمت ان زيدا ليقومن).

_____
(1) اللسان (نشأ) النشأ: الشباب او الشابات.

و معنى «توعدون» من الإيعاد بالعقاب يقال: أوعدته أوعده إيعادا، و قال الحسن: انما توعدون من مجىء الساعة، لأنهم كانوا يكذبون بالبعث، فعلى هذا يجوز ان يكون المصدر الوعد لاختلاط الخير و الشر، فيكون على التغليب إذ مجىء الساعة خير للمؤمنين و شر على الكافرين.
و قال الجبائى: ان معناه «إِنَّ ما تُوعَدُونَ» من الثواب و العقاب، فان اللّه يأتى به.
و قوله «وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ» أى لستم معجزين اللّه عن الإتيان بالبعث و العقاب، و انما قيل ذلک لان من يعبد الوثن يتوهم انه ينفعه فى صرف المكروه عنه جهلا منه و وضعا للأمر فى غير موضعه. و ايضا فإنهم يعملون عمل من كان يفوته العقاب لتأخره عنه و طول السلامة بالامهال فيه.

قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّى عامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (135)
آية بلا خلاف.
قرأ ابو بكر «مكاناتكم» على الجمع. الباقون على التوحيد، و قرأ حمزة و الكسائى يكون بالياء. الباقون بالتاء المعجمة من فوق. و من قرأ بالياء فلان المصدر المؤنث يجوز تأنيثه على اللفظ و تذكيره على المعنى. و من قرأ بالتاء فعلى اللفظ، فمما جاء منها على اللفظ قوله «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ» «1» و قوله «قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» «2» و على المعنى قوله

---

(1) سورة 15 الحجر آية 73، 83 و سورة 23 المؤمنون آية 41
(2) سورة 10 يونس آية 57

«وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ» «3» و قوله «فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ» «4». و من وحد «مكانتكم» فلأنه مصدر، و المصادر فى الأكثر لا تجمع. و من جمع فلأنها قد تجمع كقولهم: الحلوم و الأحلام.
قال ابو عبيدة «مكانتكم» أى على حيالكم. و قال ابو زيد: رجل مكين عند السلطان من قوم مكناء، و قد مَكَن مكانة، كأنه قال: اعملوا على قدر منزلتكم و تمكنكم من الدنيا، فإنكم لن تضرونا بذلك شيئا.
أمر اللّه تعالى نبيه (ص) ان يخاطب المكلفين من قومه و يأمرهم بأن يعملوا على مكانتهم، و المكانة الطريقة يقال: هو يعمل على مكانته و مكينته أى طريقته و جهته. و قال ابن عباس و الحسن: على ناحيتكم. و قال الجبائى:
على حالتكم. و قال الزجاج: يجوز ان يكون المراد على تمكنكم، و هذا و ان كان صيغته صيغة الامر فالمراد به التهديد كما قال «اعملوا ما شئتم» «5» و انما جاء التهديد بصيغة الامر لشدة التحذير، أى لو امر بهذا لكان يجوز قبول أمره. و وجه آخر- هو ان التقدير «اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ» ان رضيتم بالعقاب أى انكم فى منزلة من يؤمر به ان رضيتم بالعقاب، فهذا على التبعيد أن يقيموا عليه، كالتبعيد أن يرضوا. و وجه ثالث هو ان الضرر يخص المقيم على المنكر، لان غيره بمنزلة الآمن فى انه لا يأمره بما يضره.
و قوله «انى عامل» إخبار من الرسول انه عامل بما امر اللّه تعالى به.
و قوله «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» فيه تهديد، و معناه فسوف تعلمون جزاء أعمالكم.
و قوله «من تكون» يحتمل موضع (من) أمرين من الاعراب:

أحدهما- الرفع و تقديره أينا يكون له عاقبة الدار.
و الثانى- النصب بقوله «يعلمون» و يكون بمعنى الذى.

---

(3) سورة 11 هود آية 67
(4) سورة 2 البقرة آية 275
(5) سورة 41 حم السجدة آية 40

و انما قال: ان عاقبة الدار للمؤمنين دون الكافرين و ان كان الكفار أيضا لهم عاقبة من حيث يصيرون الى العقاب المؤبد و هى للمؤمنين من حيث يصيرون الى النعيم الدائم، كما يقول العرب: لهم الكرة، و لهم الحملة، لأنه إذا فصل قيل: لهم و على أعدائهم.
و قوله «إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ» أى لا يفوز الظالمون بشىء من الثواب و المنافع، و انما لم يقل (الكافرون) و ان كان الكلام فى ذكرهم لأنه أعم و اكثر فائدة، و لأنه إذا لم يفلح الظالم، فالكافر بذلک اولى، على ان الكافر يسمى ظالما فيجوز ان يكون عنى به انه لا يفلح الظالمون الذين هم الكافرون، كما قال «وَ الْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» «6» و قال «إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» «7».

وَ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعامِ نَصِيباً فَقالُوا هذا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هذا لِشُرَكائِنا فَما كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَ ما كانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلى شُرَكائِهِمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ (136)

آية بلا خلاف.

قرأ الكسائى «بزعمهم» بضم الزاى فى الموضعين. الباقون بفتحها.

و فى الزعم ثلاث لغات: الفتح، و الضم، و الكسر مثل فتلك و فتك و فتك.

و قبل و قبل و قبل. وَ وِدَّ و وَدَّ و وُدَّ. و لم يقرأ بالكسر احد. فالفتح لغة اهل الحجاز، و الضم لغة تميم، و الكسر لغة بعض بنى قيس.

اخبر اللَّه تعالى عن الكفار الذين تقدم وصفهم أنهم يجعلون شيئا من أموالهم للَّه و شيئا لشركائهم تقربا اليهما، من جملة من خلقه اللَّه و اخترعه، لان الذرأ هو الخلق على وجه الاختراع، و أصله الظهور، و منه ملح ذرآنى

---

(6) سورة 2 البقرة آية 254

(7) سورة 31 لقمان آية 13

و ذِرآنى، لظهور بياضة. و الذرأة ظهور الشيب. قال الراجز:

و قد علتنى ذَرأة بادى بدى وَ رِيثة تنهض فى تشددى «1»

يقال: ذرأ اللَّه الخلق يذرأهم ذرءاً و ذروا. و يقال: ذرئت لحيته ذرءاً إذا شابت. و منه طعنه فأذراه- غير مهموز- إذا ألقاه، و ذرت الريح التراب تذروه ذروا إذا أبادته، و ذُروة كل شىء أعلاه. و (الحرث) الزرع و (الحرث) الأرض التى تثار للزرع، و منه حرثها يحرثها حرثا، و منه قوله «نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ» «2» لان المرأة للولد كالأرض للزرع و (الانعام) المواشى من الإبل و البقر و الغنم، مأخوذ من نعمة الوطء، و لا يقال لذوات الحافر: أنعام.

و انما جعلوا الأوثان شركاءهم، لأنهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونه عليها فشاركوها فى نعمهم.

و قوله «فَما كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ، وَ ما كانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلى شُرَكائِهِمْ» قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

أحدها- قال ابن عباس و قتادة: انه إذا اختلط شىء مما جعلوه لاوثانهم بشىء مما جعلوه للَّه ردوه الى ما لاوثانهم، و إذا اختلط بشىء مما جعلوه للَّه لم يردوه الى ما للَّه.

الثانى- قال الحسن و السدى: كان إذا هلك الذى لاوثانهم أخذوا بدله مما للَّه، و لا يفعلون مثل ذلك فى ما للَّه (عز و جل).

الثالث- قال ابو على: انهم كانوا يصرفون بعض ما جعلوه للّه فى النفقة على أوثانهم، و لا يفعلون مثل ذلک فيما جعلوه للأوثان.
و قوله «ساءَ ما يَحْكُمُونَ» فيه قولان: أحدهما- قال الزجاج:
تقديره ساء الحكم حكمهم. فيكون على هذا موضع (ما) رفعا. و قال

---

(1) تفسير الطبرى 12/ 17 و اللسان و التاج (ذرأ) (بدا)
(2) سورة 2 البقرة آية 223
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 286
الرمانى: يجوز ان يكون موضع (ما) نصبا و تقديره ساء حكما حكمهم.

وَ كَذلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما يَفْتَرُونَ (137)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن عامر وحده «زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم» بضم الزاى، و نصب (الأولاد) و خفض «شركائهم». الباقون بفتح الزاى، «قتل» مفتوح اللام «أولادهم» بجر الدال «شركاؤهم» بالرفع بالتزيين.
فوجه قراءة ابن عامر انه فرق بين المضاف و المضاف اليه بالمفعول، و التقدير: قتل شركائهم أولادهم، و شركاؤهم فاعل القتل، و انما جر بالاضافة و من أضاف القتل الى الأولاد فى القراءة الاخرى يكون الأولاد فى موضع النصب، و هو مفعول به بالقتل و انشدوا فيه بيتا على الشذوذ أنشده بعض الحجازيين ذكره ابو الحسن:
فزججتها بمزجة زج القلوص أبى مزاده «1»
و ذلک لا يجوز عند اكثر النحويين لان القراءة لا يجوز حملها على الشاذ القبيح، و لأنه إذا ضعف الفصل بالظرف حتى لم يجز الا فى ضرورة الشعر كقول الشاعر:
كما خط الكتاب بكف يوما يهودى «2»
فان لا يجوز فى المفعول به أجدر، و لم يكن بعد الضعف الا الامتناع.

---

(1) معانى القرآن 1/ 358 و تفسير الطبرى 12/ 138 و خزانة الأدب 2/ 251
(2) قائله ابو حية النمرى ألفية ابن عقيل 2/ 68 و القرطبى 7/ 111 و تمامه:
كما خط الكتاب بكف يوما يهودى يقارب او يزل

و قيل انما حمل ابن عامر على هذه القراءة انه وجد (شركائهم) فى مصاحف اهل الشام بالياء لا بالواو، و هذا يجوز فيه قتل أولادهم شركائهم على إيقاع الشرک للأولاد يعنى شركائهم فى النعم و فى النسب و فى الأولاد، و لو قيل أيضا زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على ذكر الفاعل بعد ما ذكر الفعل على طريقة ما لم يسم فاعله جاز كما قال الشاعر:
ليبک يزيد ضارع لخصومة و مختبط مما تطيح الطوائح «2»
أى ليبكه ضارع. و مثله «يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ رِجالٌ» «3» و تقديره كأنه لما قال «زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ» قال قائل من

زينه؟ قيل زينه شركاؤهم. و قال الفراء تكون «شركائهم» على لغة من قال فى عشاء عشاى كما قال الشاعر:
إذا الثريا طلعت عشايا فبع لراعى غنم كسايا
و ابو العباس يأبى هذا البيت، و يقول الرواية الصحيحة بالهمزة.
و وجه التشبيه فى قوله «وَ كَذلِكَ زَيَّنَ» أنه كما جعل أولئک فى الآية الاولى ما ليس لهم كذلک زين هؤلاء ما ليس لهم ان يزينوه. و الشركاء الذين زينوا قتل الأولاد قيل فيهم خمسة اقوال:
أحدها- قال الحسن و مجاهد و السدى: هم الشياطين زينوا لهم و أدِ البنات أحياء خوف الفقر و العار.
و الثانى- قال الفراء و الزجاج: هم قوم كانوا يخدمون الأوثان.
و الثالث- انهم الغواة من الناس.
و الرابع- قيل: شركاؤهم فى نعمهم.

---

(2) قائله نهشل بن حرى النهشلى، و قيل الحارث بن نهيک النهشلى. و قيل ضرار النهشلى، و قيل مرزرد. و قيل المهلهل. و قيل غير ذلک. شواهد العينى على الاشمونى فى حاشية الصبان 2/ 49 الشاهد 75 و غيره.
(3) سورة 24 النور آية 36 [.....]

و الخامس- شركاؤهم فى الاشراک.
و قوله «ليردوهم» فالارداء الإهلاک، تقول: أراده يرديه إرداء و ردى يردى ردى إذا هلک، و تردَّى ترديا، و منه قوله «وَ ما يُغْنِى عَنْهُ مالُهُ إِذا تَرَدَّى» «1» و المراد به الحجر يتردَّى من رأس جبل.
و اللام فى قوله «ليردوهم» قال قوم هى لام العاقبة، كما قال «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «2» لأنهم لم يكونوا معاندين فيقصدوا أن يردوهم و يلبسوا عليهم دينهم، هذا قول أبى على. و قال غيره: يجوز ان يكون فيهم المعاند، و يكون ذلک على التغليب.
و قوله «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ» معناه لو شاء ان يضطرهم الى تركه، او لو شاء ان يمنعهم منه لفعل، و لو فعل المنع و الحيلولة لما فعلوه، لكن ذلک ينافى التكليف. ثم أمر نبيه (ص) ان يذرهم اى يتركهم و لا يمنعهم و يخلى بينهم و بين ما يكذبون و ذلک غاية التهديد كما يقول القائل: دعنى و إياه.

وَ قالُوا هذِهِ أَنْعامٌ وَ حَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُها إِلاَّ مَنْ نَشاءُ بِزَعْمِهِمْ وَ أَنْعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها وَ أَنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِراءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِما كانُوا يَفْتَرُونَ (138)

آية بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى عن هؤلاء الكفار انهم «قالُوا هذِهِ أَنْعامٌ وَ حَرْثٌ» يعنى الانعام و الزرع الذى جعلوهما لآلهتهم و أوثانهم. و قوله «بزعمهم» يدل على أنهم فعلوا ذلک بغير حجة بل بقولهم العارى عن برهان.

و قيل فى الانعام الاولى قولان

---

(1) سورة 92 الليل آية 11

(2) سورة 28 القصص آية 8

أحدهما- قال الجبائى: التى ذكرها أولا فهو ما جعلوه لاوثانهم كما جعلوا الحرث للنفقة عليها فى خدامها و ما ينوب من أمرها. و قيل: قرباناً للأوثان.

و أما الانعام التى ذكرت ثانياً، فهى السائبة و البحيرة و الحام، و هو الفحل الذى يخلونه و يقولون: حمى ظهره، و هو قول الحسن و مجاهد. و أما التى ذكرت ثالثا- قيل فيه قولان: أحدهما التى إذا ولدوها أو ذبحوها أو ركبوها لم يذكروا اسم اللّه عليها، و هو قول السدى و غيره.

و الثانى قال ابو وائل هى التى لا يحجون عليها.

و قوله «حجر» معناه حرام تقول: حجرت على فلان كذا أى منعته منه بالتحريم، و منه قوله «حِجْراً مَحْجُوراً» «1» و الحجر لامتناعه بالصلابة، و الحجر العقل للامتناع به من القبيح، قال المتلمس:

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام ألا تلک الدهاريس «2»

و قال رؤبة:

و جارة البيت لها حجرى «3»

و قال الآخر:

فبت مرتفقاً و العين ساهرة كأن نومى علىَّ الليل محجور «4»

و قيل: حجر و حرج مثل جذب و جبذ، و به قرأ ابن عباس. و بضم الحاء قراءة الحسن و قتادة. و يقال: حِجر و حَجر و حُجر بمعنى المنع بالتحريم، و حَجر الإنسان، و حِجر بالكسر و الفتح. و انما أعيبوا بتحريم ظهور الانعام،

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 22، 53

(2) قائله جرير بن عبد المسيح، و هو الملتمس. ديوانه القصيدة 4 و مجاز

القرآن 1/ 207 و اللسان (دهرس) و معجم البلدان (نخلة القصوى) و تفسير الطبرى 12/ 140 و «الدهاريس» الدواهى
(3) و قيل انه للعجاج. ديوان العجاج: 68 و اللسان «حجر»
(4) نسبه ابن منظور فى اللسان (رفق) الى (أعشى بأهله). و هو فى الطبرى 12/ 141 غير منسوب. و معنى (مرتفقا) أى متكئا على يده

و الواجب تحريمها عقلا حتى يرد سمع با باحته، لأنهم حرموا ذلک على وجه الكذب على اللّه، و انه أوجب ذلک إذا كانت على صفة مخصوصة. و انما أعيبوا بأكلها بعد ذبحها، و هى حينئذ تجرى مجرى الميتة، و ذلک لا يعلم تحريمه عقلا، لأنهم ادعوا انه على وجه التذكية افتراء على اللّه، فقصدوا به هذا القصد، و لذلک أعيبوا بتملكها و ان كانوا سبقوا أليها، و انما وجب تحريم الانتفاع باستهلال الانعام، لان الإيلام لا يحسن الا مع تضمن العوض الموافى عليه، و ذلک مفتقر الى السمع.
و قوله «افتراء» يعنى كذبا، و فى نصبه قولان: أحدهما- قالوا:
افتراء على اللَّه، الثانى- لا يذكرون اسم اللّه افتراء على اللَّه، كأنه قيل: افتروا بتركهم التسمية الذى أضافوه الى اللَّه افتراء عليه.

وَ قالُوا ما فِی بُطُونِ هذِهِ الْأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُکُورِنا وَ مُحَرَّمٌ عَلی أَزْواجِنا وَ إِنْ یَکُنْ مَیْتَةً فَهُمْ فِیهِ شُرَکاءُ سَیَجْزِیهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَکِیمٌ عَلِیمٌ (139)
آیة بلا خلاف.
قرأ ابن کثیر «و ان یکن» بالیاء «میتة» رفع. و قرأ ابن عامر الا الداحونی عن هشام، و ابو جعفر «تکن» بالتاء «میتة» رفع. و قرأ ابو بکر عن عاصم الا الکسائی «یکن» بالیا «میتة» نصب. الباقون بالتاء «میتة» نصب. وجه قراءة الأکثر ان یحمل علی (ما) و تقدیره و ان یکن ما فی بطون الانعام میتة. و وجه قراءة ابن عامر ان یضیف الفعل الی المیتة فیرتفع المیتة به، فلذلک أنث الفعل. و وجه قراءة أبی بکر ان ما فی بطون الانعام مؤنث، لأنها من الانعام. و یجوز ان یکون أراد ان تکون الاجنة میتة.
و وجه قراءة ابن کثیر ان یضیف الفعل الی المیتة، لکن لما لم یکن تأنیث

تأنیث ذوات الفروج، و تقدم الفعل جاز ان یذکر، کما قال «فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ» «1» و «أَخَذَ الَّذِینَ ظَلَمُوا الصَّیْحَةُ» «2» و تکون (کان) تامة، و معناه و ان وقع میتة.
اخبر اللّه تعالی فی هذه الآیة عن هؤلاء الکفار الذین ذکرهم أنهم «قالُوا ما فِی بُطُونِ هذِهِ الْأَنْعامِ» التی تقدم ذکرها أحیاء، فهو خالص لذکورهم، و محرم علی أزواجهم الإناث و بناتهم. و قال بعضهم انه یختص بالزوجات، و الاولی عموم النساء تفضیلا للذکور علی الإناث. و قیل ان الذکور کانوا القوَّام بخدمة الأوثان.
و المراد بما فی بطون الانعام قیل فیه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال قتادة المراد به الألبان.
و الثانی- قال مجاهد و السدی: انه الاجنة.
الثالث- ان المراد به الجمیع، و هو أعم.
و قوله «خالِصَةٌ لِذُکُورِنا» معناه لا یشرکهم فیها أحد من الإناث و لیس المراد به تسویة تصفیة شیء عن شیء کالذهب الخالص و الفضة الخالصة، و من ذلک إخلاص التوحید و اخلاص العمل للّه.
و الهاء فی قوله «خالصة» قیل فیها ثلاثة أقوال:
أحدها- أنها للمبالغة فی الصفة کالعلامة و الروایة.
الثانی- علی تأنیث المصدر کالعاقبة و العافیة، و منه قوله «بِخالِصَةٍ ذِکْرَی الدَّارِ» «3».
الثالث- لتأنیث ما فی بطونها من الانعام. و یقال فلان خالصة فلان و من خلصائه. و حکی الزجاج و الفراء: انه قرئ خالصة لذکورنا، و المعنی ما

خلص منها. و قيل أصل (الذكور) من الذكر سمى الذكر بذلک، لأنه أنبه و اذكر

---

(1) سورة 2 البقرة آية 275
(2) سورة 11 هود آية 67
(3) سورة 38 ص آية 46

من الأنثى.
و قوله «وَ إِنْ يَكُنْ مَيْتَةً» معناه ان كان جنين الانعام ميتة فالذكور و الإناث فيه سواء، فقال اللَّه تعالى «سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ» يعنى سيجزيهم جزاء وصفهم، و حذف المضاف و اقام المضاف اليه مقامه.
و قوله «إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ» معناه انه تعالى حكيم فيما يفعل بهم من العقاب آجلا، و فى إمهالهم عاجلا «عليم» بما يفعلون لا يخفى عليه شىء منها.
و قوله «خالصة» رفع بانه خبر الابتداء و المبتدأ قوله «ما فِى بُطُونِ» و لا يجوز عند البصريين النصب، لان العامل فيه لا يتصرف، فلا يتقدم عليه، و أجازه الفراء مع قوله انهم لا يكادون يتكلمون به، لا يقولون زيد قائما فيها، و لكنه قياس.
و قد عاب اللَّه على الكفار فى هذه الآية من أربعة أوجه:
أولها- ذبحهم الانعام بغير إذن اللَّه.
و ثانيها- أكلهم على ادعاء التذكية افتراء على اللَّه.
و ثالثها- تحليلهم للذكور و تحريمهم على الإناث تفرقة بين ما لا يفترق الا بحكم من اللَّه.
و رابعها- تسويتهم بينهم فى الميتة من غير رجوع الى سمع موثوق.

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ حَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِراءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ (140)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن كثير و ابن عامر «قتّلوا» بتشديد التاء. الباقون بالتخفيف.
من شدد حمله على التكرار، كقوله «جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً» «1». و من خفف

---

(1) سورة 38 ص آية 50
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 293
فلانه يدل على الكثرة.
اخبر اللّه تعالى ان هؤلاء الكفار الذين قتلوا أولادهم الإناث خوفا من الفقر و هربا من العار قد خسروا، و معناه هلكت نفوسهم باستحقاقهم على ذلک عذاب الأبد. و الخسران هلاک رأس المال.
و قوله «سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ» نصب على انه مفعول له و يجوز ان يكون نصبا على المصدر، و تقديره سفهوا بما فعلوه سفها خوفا من الفقر و هربا من العار.
و السفه خفة الحلم بالعجلة الى ما لا ينبغى ان يعجل اليه. و أصله الخفة. و ضد السفيه الحليم. و الفرق بين السفه و النزق ان السفه عجلة يدعو اليها الهوى، و النزق عجلة من جهة حدة الطبع و الغيظ.
و قوله «وَ حَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللَّهُ» يعنى ما حرموه على نفوسهم من الحرث بزعمهم انه حجر. و قال الحسن: انه راجع الى الانعام. و قال الرمانى: لا يجوز ذلک لأنها محرمة عليهم بحجة العقل حتى يأتى بسمع. و القتل نقض البنية التى تحتاج الحياة إليها و الموت- عند من أثبته معنى- ضد الحياة.
و قوله «افْتِراءً عَلَى اللَّهِ» يعنى كذبا. و نصبه على المصدر و العامل فيه قوله «و حرموا» لان ذلک قول منهم أضافوه الى اللّه. ثم اخبر تعالى انهم قد ضلوا بما فعلوه و جازوا عن طريق الحق و أنهم لم يكونوا مهتدين الى طريق الرشاد و الحق.

وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وَ غَیْرَ مَعْرُوشاتٍ وَ النَّخْلَ وَ الزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُکُلُهُ وَ الزَّیْتُونَ وَ الرُّمَّانَ مُتَشابِهاً وَ غَیْرَ مُتَشابِهٍ کُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ آتُوا حَقَّهُ یَوْمَ حَصادِهِ وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا یُحِبُّ الْمُسْرِفِینَ (141)

آیة بلا خلاف. التبیان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 294

قرأ اهل البصرة و ابن عامر و عاصم (حصاده)- بفتح الحاء- الباقون بکسرها. و هما لغتان. و قال سیبویه: جاءوا بالمصادر حین أرادوا انتهاء الزمان علی مثال (فعال) نحو الضرام و الجزاز، و الجداد و القطاف و الحصاد. و ربما دخلت اللغتان فی بعض هذا، و کان فیه (فِعال و فَعال).

لما اخبر اللّه عن هؤلاء الکفار و عن عظیم ما ابتدعوه و افتروا به علی اللّه و شرعوا من الدین ما لم یأذن اللّه فیه، عقب ذلک البیان بأنه الخالق لجمیع الأشیاء فلا یجوز اضافة شیء منها الی الأوثان، و لا تحلیله، و لا تحریمه الا بأذنه، فقال «وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ» و الإنشاء هو احداث الافعال ابتداء لا علی مثال سبق، و هو کالابتداع. و الاختراع هو أحداث الافعال فی الغیر من غیر سبب، و الخلق هو التقدیر و الترتیب. و الجنات جمع جنة، و هی البساتین التی یجنها الشجر من النخل و غیره. و الروضة هی الخضرة بالنبات و الزهور المشرقة باختلاف الألوان الحسنة.

و قوله «مَعْرُوشاتٍ وَ غَیْرَ مَعْرُوشاتٍ» قیل فی معناه قولان:

أحدهما- ما قال ابن عباس و السدی: المعروشات هو ما عرش الناس من الکروم و نحوها، و هو رفع بعض أغصانها علی بعض «وَ غَیْرَ مَعْرُوشاتٍ» ما یکون من قبل نفسه فی البراری و الجبال.

و الثانی- قال ابو علی یعرشه أی یرفع له حظائر کالحائط. و أصله الرفع و منه قوله تعالی «خاوِیَةٌ عَلی عُرُوشِها» «1» یعنی علی أعالیها، و ما ارتفع منها لم یندک فیستوی بالأرض، و منه العرش للسریر لارتفاعه.

(و معرشات) فی موضع النصب، لأنها صفة ل (جنات) و النخل و الزرع معناه و أنشأ النخل و الزرع «مُخْتَلِفاً أُکُلُهُ» یعنی طعمه، و نصب مختلفا علی الحال، و انما نصبه علی الحال، و هو یؤکل بعد ذلک بزمان، لامرین:

أحدهما- ان معناه مقدار اختلاف أکله کقولهم: مروت برجل معه صقر

---

(1) سورة 2 البقرة آیة 259 و سورة 18 الکهف آیة 43 و سورة 22 الحج آیة 45

صایدا به غدا أی مقدار الصید به غدا.

الثانی- ان یکون معنی (أکله) ثمره الذی یصلح ان یؤکل منه.

«وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَّانَ» أى و انشأ الزيتون و الرمان. و انما قرن الزيتون الى الرمان، لأنه لما ذكر الكرم و النخل و الزرع اقتضى ذكر ما خرج عن ذلک، فقرنا لفضلهما بعد ما ذكره. و قيل: لأنهما يشتبهان باكتناف الأوراق فى أغصانها «مُتَشابِهاً وَ غَيْرَ مُتَشابِهٍ» معناه متماثلا و غير متماثل. و قيل «متشابها» فى النظر «وَ غَيْرَ مُتَشابِهٍ» فى الطعم بل الطعم مختلف.
و قوله «كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ» المراد به الاباحة لا الامر. و قال الجبائى و جماعة: ان ذلک يدل على جواز الاكل من ثمره، و ان كان فيه حق للفقراء.
و قوله «وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ» أمر إيجاب بإيتاء الحق يوم الحصاد على طريق الجملة، و الحق الذى يجب إخراجه يوم الحصاد فيه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس و محمد بن الحنفية و زيد بن أسلم و الحسن و سعيد بن المسيب و طاوس و جابر بن عبد اللّه و بريد و قتادة و الضحاک: انه الزكاة العشر، او نصف العشر.
الثانى-
روى عن جعفر (ع) عن أبيه (ع) و عطاء و مجاهد و ابن عامر و سعيد بن جبير و الربيع بن أنس: انه ما ينثر مما يعطى المساكين.
و روى أصحابنا أنه الضغث بعد الضغث و الحفنة بعد الحفنة.
و قال ابراهيم و السدى: الآية منسوخة بفرض العشر و نصف العشر، قالوا: لان الزكاة لا تخرج يوم الحصاد، و قالوا لان هذه الآية مكية و فرض الزكاة نزل بالمدينة. و لما
روى بأن فرض الزكاة نسخ كل صدقة.
قال الرمانى: و هذا غلط، لان يوم حصاده ظرف لحقه، و ليس بظرف الإيتاء المأمور به.
و قوله «وَ لا تُسْرِفُوا» قيل فى المخاطبين به ثلاثة أقوال:
أحدها- قال ابو العالية و ابن جريح انه يتوجه الى ارباب الأموال، التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 296
لأنهم كانوا يعطون شيئا سوى الزكاة يسرفون فيه، فروى عن ثابت بن شماس انه كان له خمس مائة رأس نخلا فصرهما و تصدق بها، و لم يترک لأهله منها شيئا فنهى اللّه عن ذلک، و بين أنه مسرف، و لذلک
قال النبى (ص) ابدأ بمن تعول.
الثانى- قال ابن زيد انه خطاب للسلطان.
الثالث- انه خطاب للجميع و هو أعم فائدة.
و قيل: ان السرف يكون فى التقصير، كما يكون فى الزيادة قال الشاعر:
اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما فى عطائهم من و لا سرف «1»
معناه و لا تقصير. و قيل و لا إفراط، لأنه لا يستكثر كثيرهم. و الإسراف هو مجاوزة حد الحق و هو افراط و غلو. و ضده تقصير و إقتار. و مسرف صفة ذم فى العادة.

و ينبغى ان يؤدى الحق الذى فى الغلات الى امام المسلمين ليصرفه الى اهل الصدقات و لهم ان يخرجوه الى المساكين إذا لم يأخذهم الامام بذلک فأما مقدار ما يجب من الزكاة، و النصاب الذى يتعلق به و صفة الأرض الزكوية فقد بيناه فى كتب الفقه مستوفى لا نطول بذكره الكتاب.

وَ مِنَ الْأَنْعامِ حَمُولَةً وَ فَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (142)
آية بلا خلاف.
العامل فى قوله «حَمُولَةً وَ فَرْشاً» قوله «انشأ» المتقدم، كأنه قال و انشأ لكم من الانعام «حَمُولَةً وَ فَرْشاً». و قيل فى معنى: «حَمُولَةً وَ فَرْشاً»

---

(1) قائله جرير ديوانه 389 و طبقات فحول الشعراء: 359 و اللسان (هند)، «سرف» و تفسير الطبرى 7/ 579 و 12/ 177 و تفسير القرطبى 7/ 111، و هنيدة: اسم لكل مائة من الإبل، و هو ممنوع من الصرف.

ثلاثة أقوال:
أحدها- ما روى عن ابن مسعود، و ابن عباس فى احدى الروايتين، و الحسن فى رواية- و مجاهد: ان الحمولة كبار الإبل، و الفرش الصغار.
الثانى- ما روى عن الحسن- فى رواية- و قتادة و الربيع و السدى و الضحاك و ابن زيد: ان الحمولة ما حمل من الإبل و البقر، و الفرش الغنم.
الثالث- ما روى عن ابن عباس- فى رواية- ان الحمولة كل ما حمل من الإبل و البقر و الخيل و البغال و الحمير، و الفرش الغنم، كأنه ذهب الى أنه يدخل فى الانعام ذو الحافر على الاتباع.
و (الحمولة) لا واحد لها من لفظها كالركوبة و الجزورة. و (الحمولة) بضم الحاء هى الأحمال، و هى الحمول. و انما قيل للصغار: فرش، لامرين:
أحدهما- لاستواء أسنانها فى الصغر و الانحطاط، كاستواء ما يفترش.
الثانى- من الفرش و هى الأرض المستوية التى يتوطأها الناس.
و قال الجبائى: فى التفسير، و ابو بكر الرازى فى احكام القرآن: ان الفرش ما يفترش من البسط، و الزرابى. و هذا غلط قبيح جدا فى اللغة.
و قوله «خطوات» يجوز فيه ثلاثة أوجه- بضم الخاء و الطاء، و ضم الخاء و سكون الطاء، و ضم الخاء و فتح الطاء- و فى معناه قولان:
أحدهما- ما يتخطى بكم الشيطان اليه من تحليل الى تحريم، و من تحريم الى تحليل.
الثانى- طرق الشيطان، فانه لا يسعى الا فى عصيان.
و قوله «انه» الهاء كناية عن الشيطان «لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» فيه اخبار من اللَّه ان الشيطان عدو للبشر «مبين» أى ظاهر. و قيل فى معنى «مبين» قولان:
أحدهما- انه أبان عداوته لكم بما كان منه الى أبيكم آدم حين أخرجه من الجنة الثانى- بين العداوة أى لإظهاره ذلك فى حزبه، و أوليائه من الشياطين

هذا قول الحسن.
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 298

ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (143)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن كثير الا ابن فليح و ابن عامر الا الداحونى عن هشام و اهل البصرة (المعز) بفتح العين. الباقون بسكونها. قال أبو على من قرأ بالفتح أراد الجمع بدلالة قوله «مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ» و لو كان واحدا لم يسغ فيه هذا، و نصب اثنين على تقدير: و انشأ ثمانية ازواج: انشأ من الضأن اثنين و من المعز اثنين، و نظير معز جمع ماعز خادم و خدم و طالب و طلب، و حارس و حرس، و قال ابو الحسن:
هو جمع على غير واحد، و كذلك المعزى، و حكى ابو زيد أمعوز و انشد:
كالتيس فى أمعوزه المربل
و قالوا: المعيز كالكليب، و من سكن العين، فهو أيضا جمع ما عز كصاحب و صحب و تاجر و تجر و راكب و ركب. و ابو الحسن: يرى هذا الجمع مستمرا، و من يرده فى التصغير الى الواحد، فيقول فى تحقير ركب رويكبون، و فى تجر:
تويجرون، و سيبويه يراه اسما من أسماء الجمع، و انشد ابو عثمان حجة لقول سيبويه:
بنيته بعصبة من ماليا أخشى ركيبا او رجيلا عاديا «1»
- بالعين و الغين- عن غير أبى على فتحقيره له على لفظه من غير ان يرده

_____

(1) البيت ل (أحيحة بن الجلال) و قد أنشده ابو عثمان شاهدا على البيت الذى يأتى بعده من أنه يقال فى تصغير (ركب) ركيب- بضم الراء و فتح الكاف و تسكين الياء

الى الواحد الذى هو فاعل- و الحاق الواو و النون أو الياء و النون، يدل على إنه اسم للجمع و أنشد ابو زيد:
و اين ركيب واضعون رحالهم الى أهل نار من أناس بأسود «2»
و قال ابو عثمان البقرة عند العرب نعجة، و الظبية عندهم ماعزة، الدليل على ذلك قول ذى الرمة:
إذا ما رآها راكب الضيف لم يزل يرى نعجة فى مرتع فيثيرها
مولعة خنساء ليست بنعجة يدمّن أجواف المياه و قيرها «3»
قوله لم يزل يرى نعجة يريد بقرة، ألا ترى انه قال مولعة خنساء، و الخنس و التوليع إنما يكونان فى البقر دون الظباء. و قوله ليست بنعجة معناه انها

ليست بنعجة أهلية، لأنه لا يخلو من ان يريد أنها ليست بنعجة أهلية، أو ليست بنعجة، و لا يجوز أن يريد انها ليست بنعجة، لأنک ان حملته على هذا فقد نفيت ما أوجبه من قوله: لم يزل يرى نعجة، و إذا لم يجز ذلک علمت انه أراد ليست بنعجة أهلية، و الدليل على ان الظبية ماعزة قول أبى ذؤيب.
و عادية تلقى الثياب كأنها تيوس ظباء محصها و انبتارها «4»
فقوله تيوس ظباء كقوله: تيوس معز، و لو كانت عندهم ضائنية لقال كأنها كباش ظباء، و الوقير الشاة يكون فيها كلب و حمار فى قوله الاصمعى.
قوله «ثمانية ازواج» منصوب، لأنه بدل من «حمولة و فرشا» لدخوله فى الإنشاء، و تقديره و أنشأ حمولة و فرشا ثمانية أزواج «مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ» نصب (اثنين) بتقدير أنشأ من الضأن اثنين، و لو رفع على تقدير منها ماعز اثنان كما تقول رأيت القوم منهم قائم و قاعد كان جائزا، و انما أجمل ما فصله فى الاثنين للتقدير على شىء منه، لأنه أشد فى التوبيخ من ان يكون دفعة واحدة.

_____

(2) أنشده شاهدا على ما تقدم على انه يقال فى تصغير (راكب) ركيب، و ذلک يدل على ان ركبا مفرد، و ليس جمعا لراكب [.....]
(3) اللسان (نعج)
(4) اللسان «تيس»

و قوله «ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ» يريد ثمانية افراد، لان كل واحد من ذلک يسمى زوجا، و الأنثى زوج، و انما سمى بذلک، لأنه لا يكون زوج الا و معه آخر له مثل اسمه، فلما دل على الاثنين من اقرب الوجوه، وقع على طريقه، و منه قول لبيد.
من كل محفوف يظل عصيّه زوج عليه كلة و قرامها «5»
و مثل ذلک قولهم: خصم للواحد و الاثنين، و قوله «مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ» يعنى ذكر و أنثى، فالضأن الغنم ذوات الاصواف و الأوبار، و المعز الغنم ذوات الاشعار و الاذناب القصار، و واحد الضأن ضائن، كقولهم تاجر و تجر فى قول الزجاج. و الأنثى ضائنة. و قال غيره: هو جمع لا واحد له، و يجمع ضئين كقولهم: عبد و عبيد، و يقال فيه (ضئين) كما يقولون فى شعر شعير، و كذلک ماعز و معز، الا أنه يجوز فتحه لدخول حرف الحلق فيه و يجمع مواعز.
و
روى عن أبى عبد اللَّه (ع) ان المراد بقوله «مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ» أهلى و وحشى و كذلک المعز و البقر «وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ» العرابى و البخاتى.
و انما خص هذه الثمانية أزواج، لأنها جميع الانعام التى كانوا يحرمون منها ما يحرمونه مما تقدم ذكره.

فان قيل: إذا كان ما حرموه معلوما فلم عدل بهم فى السؤال الى غيره؟ قيل على وجه المعارضة لهم على طريقة الحجاج أى انكم بمنزلة من قال هذا، و لذلک وقع السؤال أعلى كذا أم كذا؟ و ان لم يتقدم دعوى أن أحدهما كذا، لأنهم فى حكم هذا المدعى. و قوله «آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ» منصوب ب (حرم)، و المعنى فى قوله «آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ» أ جاءكم التحريم فيما حرمتم من السائبة و البحيرة و الوصيلة و الحام من الذكرين أم من الأنثيين، فالالف ألف استفهام و المراد به التوبيخ، فلو قالوا من قبل الذكر حرم عليهم كل ذكر، و لو قالوا من قبل

---

(5) تفسير الطبرى 11/ 143

الأنثى حرمت عليهم كل أنثى. ثم قال «أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ» فلو قالوا ذلک حرم عليهم الذكر و الأنثى، لان الرحم يشتمل عليهما، قال الحسن معناه ما حملت الرحم.

و قوله «نَبِّئُونِى بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» فى ذلک.

و قوله «آلذكرين» دخلت الف الاستفهام على الف الوصل لئلا يلتبس بالخبر، و لو أسقطت جاز، لان (أم) تدخل على الاستفهام، و على هذا أجاز سيبويه قال الشاعر ان يكون استفهاما:

فو اللّٰه ما ادرى و ان كنت داريا شعيب بن سهم أم شعيب بن منقر «1»

أجاز تقديره أشعيب. و (ما) فى قوله «أما اشتملت» فى موضع نصب عطفا على الأنثيين، و انما قال: الأنثيين مثنى، لأنه أراد من الضأن و المعز.

وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهذا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (144)

آية بلا خلاف.

قوله «وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ» تفصيل لتمام الثمانية أزواج التى أجملها فى الآية الاولى. و قد بينا معنى قوله «آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ» و اصل الاشتمال الشمول تقول: شملهم الأمر يشملهم شمولا فهو شامل، و منه الشمال لشمولها على ظاهر الشىء

---

(1) مر تخريجه فى 4/ 199

و باطنه بقوتها و لطفها و الشمول الخمر لاشتمالها على العقل. و قيل: لان لها عصفة كعصفة الشمال.

و قوله «أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهذا» ف (أم) معادلة لقوله «آلذكرين» و انما قال «أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهذا» لان طرق العلم اما الدليل الذى يشترك العقل فى ادراك الحق بها أو المشاهدة التى يختص بها بعضهم دون بعض، فإذا لم يكن واحد من الامرين سقط المذهب.

و المعنى أعلمتم ذلک بالسمع و الكتب المنزلة فأنتم لا تقرون بذلک أم شافهكم اللّه به فعلتموه؟! فإذا لم يكن واحد منهما علم بطلان ما تذهبون اليه.

و الوصية مقدمة مؤكدة فيما يفعل او يترک، يقال: وصاه يوصيه توصية و أوصاه يوصيه إيصاء، و الوصى الموصى اليه.

و قوله «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ» يعنى من أظلم لنفسه ممن يكذب عليه فيضيف اليه تحريم ما لم يحرمه و تحليل ما لم يحلله «لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ» أى عمل القاصد الى إضلالهم من اجل دعائه الى ما يشک بصحته مما لا يؤمن ان يكون فيه هلاكهم و ان لم يقصد إضلالهم، فلذلک قال «لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ».

ثم أخبر «إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى» الى الثواب «الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» لأنهم مستحقون للعقاب الدائم بكفرهم و ضلالهم.

قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (145)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 303

قرأ ابن كثير و حمزة «تكون» بالتاء «ميتة» بالنصب. و قرأ ابن عامر بالتاء و الرفع. الباقون بالياء و النصب.

من قرأ بالياء و نصب الميتة جعل فى «تكون» ضميرا و نصب الميتة بأنه خبر كان و تقديره: الا ان يكون ذلک او الموجود ميتة.

و من قرأ بالتاء و رفع الميتة رفعها ب (يكون) و يكون من كان التامة دون الناقصة التى تدخل على المبتدأ و الخبر، و هذه القراءة ضعيفة، لان ما بعده «أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ» بالعطف عليه، فلو كان مرفوعا لضعف ذلک.

و من قرأ بالتاء و نصب الميتة جعل فى (يكون) ضمير العين او النفس، و تقديره الا أن تكون النفس ميتة، و نصب الميتة بأنه خبر كان.

أمر اللّه تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار انه لا يجد فى ما أوحى اليه شيئا محرما الا نحو ما ذكره فى المائدة «1» كالمنخنقة و الموقوذة و المتردية و النطيحة، لان جميع ذلک يقع عليه اسم الميتة، و فى حكمها، فبين هناک على التفصيل، و هاهنا على الجملة و أجود من ذلک ان يقال: ان اللّه تعالى خص هذه الثلاثة أشياء تعظيما لتحريمها و بين ما عداها فى موضع آخر. و قيل:

انه خص هذه الأشياء بنص القرآن و ما عداه بوحى غير القرآن. و قيل: ان ما عداه حرم فيما بعد بالمدينة و السورة مكية.

و الميتة عبارة عما كان فيه حياة فقدت من غير تذكية شرعية. و الدم المسفوح هو المصبوب، يقال: سفحت الدمع و غيره أسفحه سفحا إذا صببته، و منه السفاح الزنا، لصب الماء صب ما يسفح و السفح و الصب و الاراقة بمعنى و انما خص المسفوح بالذكر، لان ما يختلط بالدم منه مما لا يمكن تخليصه منه معفو مباح، و هو قول أبى محلز، و عكرمة و قتادة.

و قوله «أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ» فانه و ان خص لحم الخنزير بالذكر، فان جميع

---

(1) آية 3 من سورة 5 المائدة 3/ 428

ما يكون منه من الجلد و الشعر و الشحم و غير ذلک محرم.

و قوله «فَإِنَّهُ رِجْسٌ» يعنى ما تقدم ذكره، فلذلک كنا عنه بكناية المذكر، و

الرجس العذاب أيضا.
و قوله «أو فسقا» عطف على قوله «او لحم خنزير» فلذلك نصبه، و المراد بالفسق «ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ» يعنى «مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ» او تذكر الأصنام و الأوثان، و سمى ما ذكر عليه أسم الوثن: فسقا لخروجه عن أمر اللَّه.
و أصل الإهلال رفع الصوت بالشىء، و منه اهل الصبى إذا صاح عند ولادته.
و قوله «فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ» قيل فيه قولان:
أحدهما- غير طالب بأكله التلذذ.
و الثانى- غير قاصد لتحليل ما حرم اللَّه. و
روى أصحابنا فى قوله «غَيْرَ باغٍ» ان معناه ان لا يكون خارجا على إمام عادل أى لا يعتدى بتجاوز ذلك الى ما حرمه اللَّه.
و
روى أصحابنا ان المراد به قطاع الطريق، فإنهم غير مرخصين بذلك على حال.
و الضرورة التى تبيح أكل الميتة هى خوف التلف على النفس من الجوع.
و انما قال عند التحليل للمضطر «فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» لان هذه الرخصة لأنه «غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى حكم بالرخصة كما حكم بالمغفرة. و فى ذلك بيان عن عظم موقع النعمة.
و قد استدل قوم بهذه الآية على إباحة ما عدا هذه الأشياء المذكورة.
و هذا ليس بصحيح، لان هاهنا محرمات كثيرة غيرها كالسباع، و كل ذى ناب و كل ذى مخلب، و غير ذلك. و كذلك أشياء كثيرة اختص أصحابنا بتحريمها، كالجرى و المار ما هى، و غير ذلك، فلا يمكن التعلق بذلك.
و يمكن ان يستدل بهذه الآية على تحريم الانتفاع بجلد الميتة فانه داخل تحت قوله «أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً» و يقويه
قوله (عليه السلام) لا ينتفع من الميتة التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 305
بأهاب و لا عصب.
فأما دلالته على ان الشعر و الصوف و الريش منها و الناب و العظم محرم، فلا يدل عليه، لان ما لم تحله الحياة لا يسمى ميتة على ما مضى القول فيه.

وَ عَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما إِلاَّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما أَوِ الْحَوايا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَ إِنَّا لَصادِقُونَ (146)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى انه حرم على اليهود فى أيام موسى كل ذى ظفر.

و اختلفوا فى معنى «كُلَّ ذِي ظُفُرٍ» فقال ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و قتادة و السدى: انه كل ما ليس بمنفرج الأصابع، كالإبل، و النعام، و الاوز، و البط.

و قال أبو على الجبائى: يدخل فى ذلك جميع انواع السباع و الكلاب و السنانير و سائر ما يصطاد بظفره من الطير.

و قال البلخى: هو كل ذى مخلب من الطائر، و كل ذى حافر من الدواب.

و يسمى الحافر ظفرا مجازا، كما قال الشاعر:

فما رقد الولدان حتى رأيته على البكر يمريه بساق و حافر «1»

فجعل الحافر موضع القدم. و اخبر تعالى انه كان حرم عليهم شحوم البقر و الغنم من الثرب، و شحم الكلى، و غير ذلك مما فى أجوافها، و استثنى من ذلك بقوله «إِلَّا ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما» ما حملته ظهورها فانه لم يحرمه، و استثنى أيضا ما على الحوايا من الشحم، فانه لم يحرمه.

---

(1) قائله جبيها الاسدى. اللسان (حفر)

و اختلفوا فى معنى الحوايا، فقال ابن عباس و الحسن و سعيد بن جبير و قتادة و مجاهد و السدى: هى المباعر. و قال ابن زيد: هن بنات اللبن.

و قال الجبائى: الحوايا الأمعاء التى عليها الشحم من داخلها.

و حوايا جمع حوية و حاوية. و قيل فى واحده حاوياء- فى قول الزجاج- على وزن راضعات و رواضع، و ضاربة و ضوارب، و من قال: حِوِيَّة قال وزنه فعائل مثل سفينة و سفائن فى الصحيح، و هى ما يجرى فى البطن فاجتمع و استدار، و يسمى بنات اللبن و المباعر و المرابض و ما فيها الأمعاء بذلك.

و استثنى أيضا من جملة ما حرم «مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ» و هو شحم الجنب و الإلية، لأنه على العصص- فى قول ابن جريج و السدى- و قال الجبائى: الإلية تدخل فى ذلك، لأنها لم تستثن و ما اعتد بعظم العصص.

و موضع (الحوايا) من الاعراب يحتمل أمرين:

أحدهما- قول اكثر اهل العلم: انه رفع عطفا على الظهور على تقدير: و ما حملت الحوايا.

الثانى- نصب عطفا على ما فى قوله «إِلّا ما حَمَلَتْ» فأما قوله «أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ» فيكون نسقاً على ما حرم لا على الاستثناء. و التقدير- على هذا القول- حرمنا عليهم شحومهما أو الحوايا او ما اختلط بعظم الا ما حملت الظهور، فانه غير محرم. و (أو) دخلت على طريق الاباحة كقوله «وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً» «1» و المعنى اعص هذا و أعص هذا، فان جميعهم اهل ان يعصى، و مثله جالس الحسن أو ابن سيرين اى جالس أيهما شئت.

و هذه الأشياء و إن كان اللَّه تعالى حرمها على اليهود فى شرع موسى، فقد نسخ تحريمها على لسان محمد (صلى اللَّه عليه و آله) و أباحها، و تدعى النصارى ان ذلک نسخ فى شرع عيسى (ع) و لسنا نعلم صحة ما يقولونه.

و قوله «ذلِکَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ» معناه انا حرمنا ذلک عليهم عقوبة لهم

---

(1) سورة 76 الدهر آية 24

على بغيهم.

فان قيل: كيف يكون التكليف عقابا، و هو تابع للمصلحة، و مع ذلک فهو تعريض للثواب؟؟

قلنا: إنما سماه عقوبة، لان عظيم ما أتوه من الاجرام و المعاصى اقتضى تحريم ذلک و تغير المصلحة، و حصول اللطف فيه، فلذلک سماه عقوبة، و لو لا عظم جرمهم لما اقتضت المصلحة ذلک.

و قوله «وَ إِنَّا لَصادِقُونَ» يعنى فيما أخبرنا به من تحريم ذلک على اليهود فيما مضى. و ان ذلک عقوبة لاوائلهم و مصلحة لمن بعدهم الى وقت النسخ.

و حكى عن ابن علية أنه كان يقول: ان ما يذبحه اليهود لا يجوز أكل شحمه و ان جاز أكل لحمه، لان الشحوم كانت حراما عليهم. و عندنا ان ما يذبحه اليهود لا يجوز استباحة شىء منه، و هو بمنزلة الميتة غير ان الذى ذكره غير صحيح، لأنه يلزم عليه انه لو نحر اليهود جملا ان لا يجوز اكله، لأنه كان حراما عليهم، و ذلک باطل عنده.

فَإِنْ كَذَّبُوکَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ وَ لا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (147)

آية بلا خلاف.

المعنى بقوله «فَإِنْ كَذَّبُوکَ» قيل فيه قولان:

أحدهما- قال مجاهد و السدى: انهم اليهود، لأنهم زعموا أنهم حرموا الثروب، لان إسرائيل حرمها على نفسه، فحرموها هم اتباعا له دون ان يكون اللَّه حرم ذلک على لسان موسى.

الثانى- انه يرجع الى جميع المشركين فى قول الجبائى و غيره على ظاهر الآية، فقال اللَّه لنبيه «فَإِنْ كَذَّبُوکَ» يا محمد فى انى حرمت ذلک على اليهود على لسان موسى «فقل» لهم «رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ» و اقتضى ذكر الرحمة التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 308

أحد أمرين:

الاول- انه برحمة أمهلهم مع تكذيبهم، بالمؤاخذة عاجلا- فى قول أبى على الجبائى-.

الثانى- انه ذكر ذلک ترغيبا لهم فى ترک التكذيب و تزهيدا فى فعله و انما قابل بين لفظ الماضى فى قوله «كذبوک» بالمستقبل فى قوله «فقل» لتأكيد وقوع القول بعد التكذيب إذ كونه جوابا يدل على ذلک. و (ذو) بمعنى صاحب. و الفرق بينهما ان أحدهما يصح ان يضاف الى المضمر، و لا يصح فى الآخر، لان (ذو) وصلة الى الصفة بالجنس، و لذلک جعل ناقصا لا يقوم بنفسه دون المضاف اليه، و المضمر ليس بجنس و لا يصح ان يوصف به.

و قوله «لا يُرَدُّ بَأْسُهُ» معناه لا يمكن أحدا أن يرده عنهم، و هو أبلغ من قوله بأسه نازل بالمجرمين، لأنه دل على هذا المعنى و على أن أحدا لا يمكنه ردُّه. و قوله «عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ» معناه أن أحدا لا يتمكن من ردِّ عقاب اللَّه عن العصاة المستحقين للعقاب مع انه تعالى ذو رحمة واسعة.

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (148)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى نبيه (ص) بأن هؤلاء المشركين سيحتجون فى إقامتهم على شركهم، و على تحريمهم ما أحله اللَّه من الانعام التى تقدم وصفها بأن يقولوا: لو شاء اللَّه ان لا نفعل نحن ذلک و لا نعتقده و لا آباؤنا، او أراد منا خلاف ذلک «ما أشركنا نحن و لا آباؤنا و لا حرمنا» شيئا من ذلک. فكذَّبهم

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 309

اللَّه تعالى بذلک فى قوله «كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» و معناه مثل هذا التكذيب الذى كان من هؤلاء- فى انه منكر- «كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» و انما قال كذلک لتقضى الخبر، و لو قال (كذا) لجاز، لأنه قريب بعد الاول، و (كذلک) أحسن، لان ما فيه من تأكيد الاشارة تغنى عن الصفة.

و حكى انه قرئ «كذب الذين» بالتخفيف، فمن خفف أراد ان هؤلاء كاذبون كما كذب الذين من قبلهم على اللَّه بمثله. و من قرأ بالتشديد، فلأنهم بهذا القول كذبوا رسول اللَّه لأنهم قالوا له: ان اللَّه أراد منا ذلک و شاءه، و لو أراد غيره لما فعلناه، مكذبين للرسول (ص) كما كذب من تقدم أنبياءهم فيما أتوا به من قبل اللَّه.

ثم بيَّن بقوله «قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا» أن ما قالوه باطل و كذب على اللَّه لأنه لو كان صحيحا لما رده عليهم.

ثم أكد تكذيبهم بقوله «إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ» أى ليس يتبعون إلا ظنا من غير علم «وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ» يعنى تكذبون، و الخرص الكذب كقوله «قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ» «1».

و فى هذه الآية أدلُّ دلالة على ان اللَّه تعالى لا يشاء المعاصى و الكفر، و تكذيب ظاهر لمن أضاف ذلک الى اللَّه مع قيام ادلة العقل على انه تعالى لا يريد القبيح، لان إرادة القبيح قبيحة، و هو لا يفعل القبيح، و لان هذه صفة نقص، فتعالى اللَّه عن ذلک علوا كبيرا.

و قوله «حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا» معناه حتى ذاقوا عذابنا، و أراد به حلول العذاب بهم فجعل وجدانهم لذلک ذوقا مجازا. و جاز قوله «ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا» و لم يجز ان يقال: قمنا و زيد، لان العطف على المضمر المتصل لا يحسن الا بفصل، فلما فصلت (لا) حسن، كما حسن: ما قد قمنا و لا زيد كان كذلک، لان الضمير المتصل يغيَّر له الفعل فى (فعلت) فيصير كجزء منه.

---

(1) سورة 51 الذاريات آية 10
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 310
فان قيل: انما أنكر اللّه تعالى عليهم هذا القول، لأنهم جعلوا هذا القول حجة فى إقامتهم على شركهم، فأعلم اللّه عزَّ و جل ان «كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا» و لم ينكر عليهم انهم قالوا الشرک بمشيئة اللّه، و لو كان منكرا لذلک، لقال: كذلک كذب الذين- بتخفيف الذال-.
قلنا: لا يجوز ذلک، لأنه تعالى بين انهم كذبوا فى هذا القول بقوله «وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ» أى تكذبون، فاما كذبوا فقد حكينا أنه قرئ- بالتخفيف- و من شدد الذال، فلان تكذيب الصادق كذب، و هو يدل على الامرين، فان قالوا: انما عابهم، لأنهم كانوا متهزئين بهذا القول لا معتقدين و لا متدينين.
قلنا: المعروف من مذهبهم خلافه، لأنهم كانوا يعتقدون ان جميع ما يفعلونه قربة الى اللّه، و ان اللّه تعالى اراده و اخبر عنه، فكيف يكونون متهزئين، على ان الهازئ بالشىء لا يسمى كاذبا، فكيف سماهم اللّه كاذبين؟ على انه إذا كان كل ما يجرى بمشيئته فلا يجب ان ينكر على احد ما يعتقده، لأنه اعتقد ما شاء اللّه. و من فعل ما شاء كان مطيعا له، لان الطاعة هى امتثال الامر و المراد منه. و هذا باطل بالإجماع.
فان قيل: انما عاب اللّه المشركين بهذه الآية، لأنهم قالوا ذلک حدسا و ظنا لا عن علم، و ذلک لا يدل على انهم غير صادقين، و قد يجوز ان يكون الإنسان صادقا فيما يخبر به و يكون قوله صادرا عن حدس و عن ظن.
قلنا: لو كان الامر على ما قلتم لما كانوا كاذبين إذا كان مخبر ما أخبروا به على ما أخبروا، و قد كذبهم اللّه فى اخبارهم بقوله «كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» و بقوله «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ» على ان من ظن شيئا فأخبر عنه لا يوصف بأنه كاذب و ان كان على خلاف ما ظنه فكيف إذا كان على ما ظنه.

قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ (149)
آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 311
امر اللَّه تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار الذين احتجوا بما قالوه ان اللَّه لو شاء منهم ذلک لما كان للَّه الحجة البالغة يعنى الحجة التى احتج بها على الكافرين فى الآية الاولى، و جميع ما احتج به على عباده فى صحة دينه الذى كلفهم إياه. و معنى (البالغة) التى تبلغ قطع عذر المحجوج و تزيل كل لبس و شبهة عمن نظر فيها و استدل أيضا بها. و انما كانت حجة اللَّه صحيحة بالغة، لأنه لا يحتج الا بالحق و ما يؤدى الى العلم. و قوله «وَ لَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ» يحتمل أمرين:
أحدهما- لو شاء لألجأ الجميع الى الايمان غير ان ذلک ينافى التكليف.
الثانى- انه لو شاء لهداهم الى نيل الثواب و دخول الجنة، و بيَّن بذلک قدرته على منافعهم و مضارهم، و بيَّن انه لم يفعل ذلک، لأنه يوجب زوال التكليف عنهم و اللَّه تعالى أراد بالتكليف تعريضهم للثواب الذى لا يحسن الابتداء به، و لو كان الامر على ما قالته المجبرة من ان اللَّه تعالى شاء منهم الكفر لكانت الحجة للكفار على اللَّه من حيث فعلوا ما شاء اللَّه، و كان يجب ان يكونوا بذلک مطيعين له و لا تكون الحجة عليهم من حيث انه خلق فيهم الكفر و أراد منهم الكفر، فأى حجة مع ذلک.

قُلْ هَلُمَّ شُهَداءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هذا فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (150)

آية بلا خلاف.

معنى هذه الآية ان الحجاج بأن الطريق الموصل الى صحة مذهبهم غير مسندّ إذ لم يثبت من جهة حجة عقل و لا سمع. و ما لم يصح ان يثبت من

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 312

أحد هذين الوجهين باطل لا محالة، لان ما لا يصح ان يعلم فاسد لا محالة.

امر اللَّه تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار الذين تقدم وصفهم «هلموا» و معناه هاتوا. و هلم كلمة موضوعة للجماعة بنى مع (ها) فصار بمنزلة الصوت نحو (صه) قال الأعشى:

و كان دعا قومه هلّم الى أمركم قد صُرِم «1»

و من قال: هلموا، فانه لم يبنهم مع (ها) بل قدره على الانفصال.

و الاول أفصح، لأنها لغة القرآن، و هى لغة اهل الحجاز. و اهل نجد يقولون: هلم و هلما و هلموا و هلمى و هلميا و هلمن، قال سيبويه أصله (ها) ضم اليه (لم) فبنى فقيل: هلم، و هات فصل و لم يتصل بما يبنى معه، فلذلك لا بد ان يقال للجماعة: هاتوا. و (هلم) لفظ يتعدى تارة، و اخرى لا يتعدى، فإذا كانت بمعنى (هاتوا) فإنها تتعدى مثل قوله «هَلُمَّ شُهَداءَكُمُ» و إذا كانت بمعنى (تعالوا) نحو «هلم إلينا» «2» فإنها لا تتعدى و نظيره: عليك زيدا يتعد الى واحد، و علىَّ زيدا يتعدى الى اثنين بمعنى أولنى زيدا، و مثله من الفعل: رجع و رجعته، و لا يجوز فى (هلم) الضم و الكسر، كما يجوز فى وَرُد: وَرَد. قال الزجاج: لأنها لا تتصرف على طريقة: فَعَل يَفعَل، مع ما اتصلت بها من هاء.

و معنى الآية هاتوا شهداءكم الذين يشهدون بصحة ما تدعون من ان اللَّه حرم هذا الذى ذكرتموه. و قوله «فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ» فان قيل كيف دعاهم الى الشهادة مع أنهم إذا شهدوا لم تقبل شهادتهم؟؟! قلنا عنه جوابان أحدهما- قال أبو على: لأنهم لم يشهدوا على الوجه دعوا ان يُشهِدوا بيِّنة عادلة تقوم بها الحجة.

الثانى- شهداء من غيرهم، و لن يجدوا ذلک، و لو وجدوه ما وجب

---

(1) ديوانه 34، و مجاز القرآن 1/ 208 و تفسير الطبرى 12/ 150، و اللسان و التاج (ربع)

(2) سورة 33 الأحزاب آية 18

قبول شهاداتهم، لأنها لا ترجع الا الى دعوى مجردة. و لكن المذهب مع هذه الحال أبعد عن الصواب، لأنهم لا يجدون من يشهد لهم. و هو قول الحسن.
و قوله «وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا» نهى من اللّه لنبيه و المراد به أمته ان يعتقدوا مذهب من اعتقد مذهبه هوى، و يمكن اتخاذ المذهب هوى من وجوه.
أحدها- هوى من سبق اليه فقلده فيه.
و الثانى- ان يدخل عليه شبهة فيتخيَّله بصورة الصحيح مع ان فى عقله ما يمنع منه. و منها- ان يقطع النظر دون غايته، للمشقة التى تلحقه فيعتقد المذهب الفاسد. و منها- ان يكون نشأ على شىء و ألفه و اعتاده فيصعب عليه مفارقته. و كل ذلك متميز مما استحسنه بعقله.
و انما قال «الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» و كلهم كفار ليفصل وجوه كفرهم، لان منه ما يكون مع الإقرار بالآخرة كحال اهل الكتاب، و منه ما يكون مع الإنكار كحال عبدة الأوثان. و قوله «وَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» معناه يعدلون به عن الحق لاتخاذهم مع اللّه شركاء و اضافتهم إليه ما لم يقله و افترائهم عليه.
و فى الآية دلالة على فساد التقليد لأنه لو كان التقليد جائزا لما طالب اللَّه الكفار بالحجة على صحة مذهبهم، و لما كان عجزهم عن الإتيان بها دلالة على بطلان ما ذهبوا اليه.

قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151)

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 314

آية بلا خلاف.

لما حكى اللَّه تعالى عن هؤلاء القوم انهم حرموا ما لم يحرمه اللَّه و أحلُّوا ما حرمه، قال لنبيه «قل» لهم «تعالوا» حتى أبين لكم ما حرمه اللَّه.

و (تعالوا) معناه أدنوا، و هو مشتق من العلو، و تقديره كأن الداعى فى المكان العالى، و ان كانا فى مستوى من الأرض كما يقال للإنسان: ارتفع الى صدر المجلس.

و قوله «اتل» مشتق من التلاوة مثل القراءة. و المتلو مثل المقروء، فالمتلوُّ هو المقروء الاول، و التلاوة هى الثانى منه على طريق الاعادة، و هو مثل الحكاية و المحكى. و قوله «اتل» مجزوم بأنه جواب الامر، و علامة الجزم فيه حذف الواو، و من شأن الجازم أن يأخذ الحركة إذا كانت على الحرف، فان لم يكن هناك حركة أخذ نفس الحرف.

و قوله «ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ» (ما) فى موضع نصب ب (أتل) و هى بمعنى الذى، و تقديره أتل الذى حرم ربكم عليكم: ان لا تشركوا به شيئا، و يجوز ان يكون نصبا ب (حرَّم) و تقديره أى شىء حرم ربكم، لان (أتلوا) بمنزلة أقول.

و قوله «أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» يحتمل موضع (ان) ثلاثة أوجه من الاعراب:

أحدها- الرفع على تقدير ذلك ان لا تشركوا به شيئا.

و الثانى- النصب على تقدير أوصى ان لا تشركوا به شيئا.

و قيل فيه وجه رابع- ان يكون نصبا ب (حرَّم) و تكون (لا) زائدة، و تقديره حرم ربكم ان تشركوا به شيئا، كما قال «ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ» «1» و نظائر ذلك قد قدمنا طرفا منها. و موضع تشركوا يحتمل أمرين، أحدهما-

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 11

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 315

النصب ب (ان). الثانى- الجزم ب (لا) على النهى.

و

قال ابو جعفر عليه السلام: ادنى الشرك الرياء.

و قوله «وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» العامل فيه (أمر) أى امر بالوالدين إحسانا، و

اوصى بالوالدين إحسانا. و دليله من وجهين: أحدهما- ان فى (حرم كذا) معنى اوصى بتحريمه، و امر بتجنبه. الثانى «ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ».
و قوله «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ» عطف بالنهى على الخبر، لان قوله «و لا تقتلوا» نهى، و قوله اوصى ألاَّ تشركوا به شيئا، و أوصى بالوالدين إحسانا خبر، و جاز ذلك كما جاز فى قوله «قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» «2» و قال الشاعر:
حج و أوصى بسليمى الاعْبُدَ ان لا ترى و لا تكلم أحدا
و لا تمش بقضاء بَعُدا و لا يزل شرابها مبردا «3»
و الاملاق: الإفلاس من المال و الزاد يقال: املق إملاقا و منه الملق لأنه اجتهاد فى تقرب المفلس للطمع فى العطية.
و قال ابن عباس و قتادة و السدى و ابن جريج و الضحاك: الاملاق الفقر، نهاهم اللَّه ان يقتلوا أولادهم خوفا من الفقر. و قال «نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ»
و قوله «وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ» نهى عن الفواحش و هى القبائح. و قيل: الفاحش العظيم القبح، و القبيح يقع على الصغير و الكبير، لأنه يقال القرد قبيح الصورة و لا يقال فاحش الصورة. و ضد القبيح الحسن و ليس كذلك الفاحش. قال الرمانى و يدخل فى الآية النهى عن الصغير، لان قرب الفاحش عمل الصغير من القبيح. و قوله «ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس و الضحاك و السدى: كانوا لا يرون بالزنا بأسا سرا، و يمنعون منه علانية، فنهى اللَّه عنه فى الحالتين.

---

(2) سورة 6 الانعام آية 14
(3) مجاز القرآن 1/ 364 و تفسير الطبرى 12/ 216.

الثانى- لئلا يظن و يتوهم ان الاستبطان جائز.
و
قال ابو جعفر (عليه السلام) ما ظهر هو الزنا، و ما بطن المخالَّة.
و قيل معناه ما علن و ما خفى يعنى من جميع أنواع الفواحش و هو أعم فائدة.
و قوله «وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» فالنفس المحرم قتلها هى نفس المسلم و المعاهد دون الكافر الحربى، و الحق الذى يستباح به قتل النفس المحرمة ثلاثة أشياء: قود بالنفس الحرام، و الزنا بعد إحصان، و الكفر بعد الايمان.
و قوله «ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ» خطاب لجميع الخلق «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» معناه لكى تعقلوا عنه ما وصاكم به فتعملوا به.

وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى وَ بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152)
آية بلا خلاف.
قرأ اهل الكوفة الا أبا بكر «تذكرون» بتخفيف الذال حيث وقع.
الباقون بالتشديد. قال سيبويه: ذكرته ذكرا مثل شربا، قال ابو على:
(ذكر) فعل يتعدى الى مفعول واحد، كقوله «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» «1» فإذا ضاعفت العين تعدى الى مفعولين كقولك ذكرته أباه قال الشاعر:
يُذَكْرنِيک حنين العجول و نوح الحمامة تدعو هديلا
فان نقله بالهمزة كان كنقله بالتشديد، و تقول: ذكرته فتذكر، لان تذكر مطاوع (فعل) كما تفاعل مطاوع فاعل، قال تعالى

---

(1) سورة 2 البقرة آية 152 [.....]

«إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا» «2» و قد تعدى تفعلت قال الشاعر:
تذكرت أرضا بها أهلها أخوالها فيها و أعمامها
و أنشد ابو زيد:
تذكرت ليلى لات حين أذكارها و قد حنى الإضلال ضلا بتضلال
فقال أذكارها، كما قال «وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا» «3» و نحو ذلک مما لا يحصى مما لا يجىء المصدر على (فعلة)، و جاء المصدر على (فعلى) بالف التأنيث، فقالوا ذكرى و قالوا فى الجمع الذكر، فجعلوه بمنزلة (سدرة، و سدر) و قالوا: الدكر بالدال غير المعجمة حكاه سيبويه، و المشهور بالذال.
فمن قرأ بتشديد الذال أراد يتذكرون و يأخذون به، و لا يطرحونه و ادغم التاء فى الذال، و المعنى يتذكرون، كما قال «وَ النَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ» «4» أى يتفكر و قال «أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ» «5» معناه او لا يتفكر، و قال «وَ لَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا» «6» أى ليتفكروا فيه.
و من قرأ- بتخفيف الذال- أراد لكى يذكروه و لا ينسوه فيعلموا به.
و القراءتان متقاربتان غير ان هذا حذف التاء الاولى، و الأولون أدغموا التاء فى الذال. و المعنى فيها لعلكم تتذكرون.
هذه الآية عطف على ما حرم اللّه فى الآية الاولى و اوصى به، فنهى فى هذه الآية ان تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن، و المراد بالقرب التصرف فيه، و انما خص اليتيم بذلک و ان كان واجبا فى كل احد، لان اليتيم

لما كان لا يدفع عن نفسه و لا له والد يدفع عنه، فكان الطمع فى ماله أقوى تأكد النهى فى التصرف فى ماله.
و قوله «إِلَّا بِالَّتِى هِيَ أَحْسَنُ»
قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

---

(2) سورة 7 الاعراف آية 200
(3) سورة 73 المزمل آية 8
(4) سورة 25 الفرقان آية 62
(5) سورة 19 مريم آية 67
(6) سورة 25 الفرقان آية 50

أحدها- حفظه عليه الى ان يكبر فيسلم اليه.
و قيل معناه تثميره بالتجارة فى قول مجاهد و الضحاك و السدى.
و الثالث- ما قاله ابن زيد: ان يأخذ القيم عليه بالمعروف دون الكسوة.
و قوله «حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ»
اختلفوا فى حد الأشد، فقال ربيعة و زيد بن أسلم و مالک و عامر الشعبى: هو الحلم. و قال السدى: ثلاثون سنة. و قال قوم: ثمانى عشرة سنة. لأنه اكثر ما يقع عندهم البلوغ و استكمال العقل.
و قال قوم قوم: انه لاحد له و انما المراد به حتى يكمل عقله و لا يكون سفيها يحجر عليه. و المعنى حتى يبلغ أشده فيسلم اليه ماله او يأذن فى التصرف فى ماله، و حذف لدلالة الكلام عليه. و هذا أقوى الوجوه.
و واحد الأشد قيل فيه قولان:
أحدهما- شد مثل أضر جمع ضر، و أشد جمع شد. و الشد القوة، و هو استحكام قوة شبابه و سنه، كما شد النهار ارتفاعه. و حكى الحسين بن على المغربى عن أبى اسامة ان واحدة شدة. مثل نعمة و أنعم. و قال بعض البصريين: الأشد واحد مثل الافک. و من قال ان واحده شد استدل بقول عنترة:
عهدى به شد النهار كأنما خضب البنان و رأسه بالعظم «1»
هكذا رواه المفضل الضبى. و قال الآخر:
يطيف به شد النهار ظعينة طويلة انقاء اليدين سحوق «2»
و قوله «وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ»
أمر من اللّه بتوفية كيل ما يكال و توفية وزن ما يوزن بالقسط يعنى بالعدل وفاء من غير بخس.
و قوله «لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها»
معناه هنا انه لما كان التعويل فى الوزن و الكيل على التحديد من اقل القليل يتعذر، بين انه لا يلزم فى ذلک الاجتهاد فى التحرز.

(1) ديوانه 27 و تفسير الطبرى 12: 222
(2) تفسير الطبرى 12: 222

و قوله «وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا»
يعنى قولوا الحق. و لو كان على ذى قرابة لكم. و انما خص القول بالعدل دون الفعل، لان من جعل عادته العدل فى القول دعاه ذلک الى العدل فى الفعل، لان ذلک من آكد الدواعى اليه و البواعث عليه.
و قوله «وَ بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا»
قيل فى معنى العهد هاهنا قولان:
أحدهما- كل ما أوجبه على العبد فقد عهد اليه بإيجابه عليه و تقديم القول فيه و الدلالة عليه.
الثانى- قال ابو على عهد اللَّه الحلف باللَّه، فإذا حلف فى غير معصية اللَّه وجب عليه الوفاء. و قوله «ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»
قيل فى معناه قولان:
أحدهما- لئلا تغفلوا عنه فتتركوا العمل به و القيام بما يلزم منه.
الثانى- لتتذكروا كل ما يلزمكم بتذكر هذا فتعملوا به.

وَ أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)
آية بلا خلاف.
قرأ الكسائى و حمزة «و ان هذا» بكسر الهمزة. الباقون بفتحها.
و كلهم شدد النون الا ابن عامر فانه خففها. و كلهم سكن الياء من (صراطى) الا ابن عامر فانه فتحها. و به قرأ يعقوب. و قرأ ابن كثير و ابن عامر «سراطى» بالسين. الباقون بالصاد الا حمزة، فانه قرأ بين الصاد و الزاى. و روى ابن فليح و البزى الا القواس «فتفرق» بتشديد التاء. و وجهه ان أصله (فتتفرق) فأدغم أحدهما فى الاخرى.
و من فتح (أنَّ) احتمل ذلک وجهين: التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 320
أحدهما- ان يكون عطفا على «أَلَّا تُشْرِكُوا».
و الثانى- و لان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه.
و من كسر (انَّ) احتمل ايضا وجهين: أحدهما- عطفه على «أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ» و اتل «ان هذا» بمعنى أقول. و الثانى- استأنف الكلام.
و من خفف (ان) فأن المخففة فى قوله تتعلق بما تتعلق به المشددة.
و موضع (هذا) رفع بالابتداء و خبره (صراطى) و فى (ان) ضمير القصة و الشأن. و على هذه الشريطة تخفف، و ليست المفتوحة كالمكسورة إذا خففت. و الفاء فى قوله «فاتبعوه» على قول من كسر (ان) عاطفة جملة على جملة. و على قول من فتح زائدة و نصب «مستقيما» على الحال.
و الفائدة ان هذا صراطى و هو مستقيم، فاجتمع له الأمران، و لو رفع مستقيم، لما أفاد ذلک.
و انما سمى اللَّه تعالى ان ما بيَّنه و ذكره من الواجب و المحرم صراط و طريق لان امتثال ذلک على ما أمر به يؤدى الى الثواب فى الجنة، فهو طريق اليها، و الى النعيم فيها و قوله «فَاتَّبِعُوهُ» أمر من اللَّه تعالى باتباع صراطه و ما شرعه للحق. و طريق اتباع الشرع- و فيه الحرام و الحلال و المباح- هو اعتقاد ذلک فيه، و العمل على ما ورد الشرع به، فيفعل الواجب و الندب، و يجتنب القبيح، و يكون مخيرا فى المباح. و لا يجب فعل جميعه، لان ذلک خلاف الاتباع. و انما قيل لاعتقاد صحة الشرع اتباع له، لأنه تعالى إذا حظر شيئا أو حظر تركه كان حكمه، و وجب اتباعه فى انه محرم و واجب، و كذلک الندب و المباح.
و قوله «وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ» يعنى سبل الشيطان و اتباع اهل البدع من اليهود و النصارى و غيرهم، فنهى تعالى عن اتباع ذلک فان اتباع غير سبيله

تصرف عن اتباع سبيله، و لا يمكن ان يجتمعا «ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» معناه أمركم به و أوصاكم بامتثاله لكى تتقوا عقابه باجتناب معاصيه. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 321
و انما اتى بلفظة (لعل) لان المعنى انكم تعاملون فى التكليف و الجزاء معاملة الشک للمظاهرة فى العدل.

ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ تَماماً عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَىْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (154)
آية بلا خلاف.
قيل فى معنى قوله «ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ» مع ان كتاب موسى قبل القرآن و (ثم) تقتضى التراخى قولان:
أحدهما- ان فيه خذفا، و تقديره: ثم اتل «آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ» و قال ابو مسلم عطفه على المنن التى امتنَّ بها على ابراهيم من قوله «وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ» الى قوله «إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» و استحسنه المغربى.
و قوله «تَماماً عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ» قيل فيه خمسة أقوال:
أحدها- قال الربيع و الفراء: تماما على إحسانه اى احسان موسى كأنه قال ليكمل إحسانه الذى يستحق به كمال ثوابه فى الآخرة.
الثانى- قال مجاهد: تماما على المحسنين. و قيل فى قراءة عبد اللَّه «تَماماً عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ» كأنه قيل إتماما للعنة على المحسنين الذين هو أحدهم.
الثالث قال ابن زيد: تماما على احسان اللَّه الى أنبيائه.
الرابع- قال الحسن و قتادة: لتمام كرامته فى الجنة على إحسانه فى الدنيا.
الخامس- قال ابو على: تماما على احسان اللَّه الى موسى بالنبوة، و غيرها من الكرامة. و قال أبو مسلم تماما على الذى احسن ابراهيم، فجعل ما اعطى موسى منَّة على ابراهيم و اجابة لدعوته بما تقدم من إحسانه و طاعته، و ذلک إذ يقول ابراهيم «وَ اجْعَلْ لِى لِسانَ صِدْقٍ فِى الْآخِرِينَ» «1».
و قوله «تَماماً عَلَى الَّذِى» يقتضى مضاعفة (عليه). و لو قال: تماما،

---

(1) سورة 26 الشعراء آية 84

لدل على نقصانه قبل تكميله. و قوله «أحسن» فى موضع خفض عند الفراء، زعم ان العرب تقول مررت بالذى خير منک، و بالذى أخيک. و لا يقولون:
بالذى قائم، لأنه نكرة و أنشد عن الكسائى:
ان الزبيرى الذى مثل الحكم مشى بأسلابک فى اهل العلم «2»
قال الزجاج: أجمع البصريون على انه لا يجوز ذلک، لان (الذى) يقتضى صلة، و لا يصح ان يوصف الا بعد تمام صلته.
و قوله «وَ هُدىً وَ رَحْمَةً» صفتان للكتاب الذى أنزله على موسى، و معناه حجة و رحمة «وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَىْءٍ» مثل ذلک. و قوله «لَعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ

يُؤْمِنُونَ» معناه لكى يؤمنوا بجزاء ربهم، فسمى الجزاء لقاء اللّه تفخيما لشأنه و تعظيما له مع الاختصار و الإيجاز. و (تماما) و (تفصيلا) نصب على انه مفعول له، و تقديره إنا فعلنا للتمام و التفصيل لكل ما شرعنا له. و روى فى الشواذ (أحسن) رفعا و تقديره على الذى هو أحسن.

وَ هذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَ اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155)
آية بلا خلاف.
قوله «و هذا» اشارة الى القرآن، وصفه بأنه كتاب أنزله اللَّه و انما وصفه بأنه كتاب و ان لم يكن قرآنا من اجل انه يكتب، لأنه لما كان التقييد بالكتاب من اكثر ما يحتاج اليه فى الدلائل و الحكم، وصف بهذا الوصف، لبيان انه مما ينبغى ان يكتب، لأنه اجل الحكم، و ذكر فى هذا الموضع بهذا الذكر ليقابل ما تقدم من ذكر كتاب موسى (ع).
و قوله «مبارک» فالبركة ثبوت الخير بزيادته و نموه، و أصله الثبوت، و منه (تبارک) أى تعالى بصفة اثبات لا أول له و لا آخر، و هذا تعظيم

---

(2) معانى القرآن 1/ 365 و تفسير الطبرى 12/ 234.

لا يستحقه غير اللَّه تعالى. و رفعه بأنه صفة للكتاب، و لو نصب على الحال كان جائزا غير ان الرفع يدل على لزوم الصفة للكتاب، و النصب يجوز ان يكون لحالة عارضة فى وقت الفعل.
و قوله «فَاتَّبِعُوهُ» امر من اللَّه باتباعه و تدبر ما فيه و امتثاله.
و قوله «وَ اتَّقُوا» أمر منه تعالى باتقاء معاصيه، و تجنب مخالفة كتابه.
و قوله «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» أى لكى ترحموا، و انما قال «اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» مع انهم إذا اتقوا رحموا لا محالة لامرين:
أحدهما- اتقوا على رجاء الرحمة، لأنكم لا تدرون بما توافون فى الآخرة.
الثانى- اتقوا لترحموا، و معناه ليكن الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند اللَّه من الرحمة و الثواب.

أَنْ تَقُولُوا إِنَّما أُنْزِلَ الْكِتابُ عَلى طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا وَ إِنْ كُنَّا عَنْ دِراسَتِهِمْ لَغافِلِينَ (156)
آية بلا خلاف.
العامل فى (أن) قوله «أنزلناه» و تقديره لان لا تقولوا، فحذف (لا) لظهور المعنى فى انه أنزله لئلا يكون لهم حجة بهذا، و حذف (لا) فى قول الفراء، و قال الزجاج: تقديره كراهة ان تقولوا، و لم يجز حذف (لا) هاهنا، و إذا كان يجوز حذف المضاف فى غير (ان) فهو مع (أن) أجدر، لطولها بالصلة، و (ان) إذا كانت بمعنى المصادر تعمل، و لا تعمل إذا كانت بمعنى (أى) لان هذه تختص بالفعل، و الاخرى تدخل للتفسير، فتارة تفسير جملة من ابتداء و خبر، و تارة جملة من فعل و فاعل.
و قوله «إِنَّما أُنْزِلَ الْكِتابُ عَلى طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا» معنى (انما) الاختصاص، و انما كان كذلك، لان (أن) كانت تحقيقا بتخصيص المعنى مما خالفه، فلما صحبتها (ما) ممكنة لها ظهر هذا المعنى فيها. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 324
و المعنى «عَلى طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا» اليهود و النصارى- فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و ابن جريج و قتادة و السدى- و انما خصا بالذكر لشهرتهما و لظهور أمرهما.
و قوله «وَ إِنْ كُنَّا عَنْ دِراسَتِهِمْ لَغافِلِينَ» اللام فى قوله «لغافلين» لام الابتداء، و لا يجوز ان يعمل ما قبلها فيما بعدها الا فى باب (إنَّ) خاصة لأنها زحلقت معها عن الاسم الى الخبر للفصل بين حرفين بمعنى واحد، و تقدير الآية: انا أنزلنا الكتاب الذى هو القرآن لئلا يقولوا: انما أنزل الكتاب على اليهود و النصارى، و لم ينزل علينا، و لو أريد منا ما أريد ممن قبلنا لأنزل إلينا كتاب كما أنزل على من قبلنا «وَ إِنْ كُنَّا عَنْ دِراسَتِهِمْ لَغافِلِينَ» و تقديره و ان كنا غافلين عن تلاوة كتبهم يعنى الطائفتين اللتين أنزل عليهم الكتاب، لأنهم كانوا أهله دوننا.

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتابُ لَكُنَّا أَهْدى مِنْهُمْ فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللَّهِ وَ صَدَفَ عَنْها سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنا سُوءَ الْعَذابِ بِما كانُوا يَصْدِفُونَ (157)

آية بلا خلاف.

هذه الآية عطف على ما قبلها و التقدير: انا أنزلنا القرآن المبارک لئلا يقولوا: انه ما أنزل علينا الكتاب، كما أنزل على من قبلنا، او يقولوا: لو أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فى المبادرة الى قبوله و التمسک به، كما يقول القائل: لو أتيت بدليل لقبلته منک. و مثل هذا يستبق الى النفس.

و قوله «أَهْدى مِنْهُمْ» فلإدلالهم بالاذهان و الافهام. و قد يكون العارف بالشىء أهدى اليه من عارف آخر، بأن يعرفه من وجوه لا يعرفها الآخر، و بأن التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 325

يكون ما يعرفه به أثبت مما يعرفه به الآخر.

قال الرمانى: و الفرق بين الهداية و الدلالة ان الهداية مضمنة بأنها نصبت ليهتدى بها صاحبها، و ليس كذلک الدلالة، قال: و لذلک كثر تصرفها فى القرآن، كما كثر تصرف الرحمة، لأنها على المحتاج. و هذا فرق غير صحيح لان الدلالة أيضا لا تسمى دلالة الا إذا نصبت ليستدل بها، و لذلک لا يقال: اللص دل على نفسه إذا فعل آثار أمكن ان يستدل بها على مكانه، و لم يقصد ذلک.

و قوله «لو أنا» فتحت (ان) بعد (لو) مع انه لا يقع فيه المصدر، لان الفعل مقدر بعد (لو) كأنه قيل: لو وقع إلينا أنا أنزل هذا الكتاب علينا، الا أن هذا الفعل لا يظهر من اجل طول (ان) بالصلة، و لا يحذف مع المصدر الا فى الشعر قال الشاعر:

لو غيركم علق الزبير بحبله أدى الجوار الى بنى العوام

فقال اللّه لهم «فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» يعنى حجة واضحة «وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ» و ادلة مؤدية الى الحق، و رحمة منه تعالى و انعام «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللَّهِ» يعنى فمن أظلم لنفسه ممن كذب بآيات اللّه «وَ صَدَفَ عَنْها» أى اعرض عنها غير مستدل بها و لا مفكر فيها. و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و السدى.

فان قيل كيف قال «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللَّهِ» بأن يجحدها، و لو فرضنا انه ضم الى ذلک قتل النفوس و انتهاک المحارم كان اظلم؟.

قلنا عنه جوابان:

أحدهما- للمبالغة لخروجه الى المنزلة الداعية الى كل ضرب من الفاحشة.

و الآخر- انه لا خصلة ممن ظلم النفس أعظم من هذه الخصلة.

ثم قال تعالى «سَنَجْزِى الّذِينَ يَصْدِفُونَ» أى يعرضون «عَنْ آياتِنا سُوءَ الْعَذابِ» أى شديدة «بِما كانُوا يَصْدِفُونَ» أى جزاء بما كانوا يعرضون التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 326
و هو ما أعد اللّه للكفار نعوذ باللّه.
فان قيل: فهل للذين ماتوا قبل من خوطب بهذه الآية ان يقولوا هذا القول؟
قيل: لا، ليس له ذلک، لان عذره كان مقطوعا بعقله، و بما تقدم من الاخبار و الكتب و هؤلاء أيضا لو لم يأتهم الكتاب و الرسول لم يكن لهم حجة، لكن فعل اللّه تعالى ما علم ان المصلحة تعلقت به لهؤلاء، و لو علم ذلک فيمن تقدم، لأنزل عليهم مثل ذلک، لكن لما لم ينزل عليهم علمنا ان ذلک لم يكن من مصلحتهم.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158)
آية.
قرأ حمزة و الكسائى «يأتيهم الملائكة» بالياء. الباقون بالتاء.
و قد مضى الكلام فى أمثال ذلک فيما مضى، فلا وجه للتطويل باعادته.
قوله «هَلْ يَنْظُرُونَ» ما ينتظرون، يعنى هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم. و قال ابو على: معناه هل تنتظر انت يا محمد و أصحابک الا هذا؟
و هم و ان انتظروا غيره فذلک لا يعتد به فى جنب ما تنتظرونه من الأشياء المذكورة لعظم شأنها، و هو مثل قوله «وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى» «1»، و تكلمت و لم تتكلم بما لا يعتد به.
و قوله «إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ» يعنى لقبض أرواحهم. و قال مجاهد و قتادة و السدى: تأتيهم الملائكة، لقبض أرواحهم «أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ» أى يوم

---

(1) سورة 8 الانفال آية 17.

القيامة «أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ»، كطلوع الشمس من مغربها.
و قوله «أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- او يأتى امر ربک بالعذاب. و حذف المضاف و اقام المضاف اليه مقامه، و مثله «وَ جاءَ رَبُّكَ» «2» و قوله «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» «3» يعنى يؤذون اولياء اللّه.
الثانى- او يأتى ربک بعظم آياته فيكون (يأتى) به على معنى الفعل المعتدى، و مثل ذلک قول الناس: أتانا الروم يريدون أتانا حكم الروم و سيرتهم.
و قوله «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ». قيل فى الآيات التى تحجب من قبول التوبة ثلاثة أقوال:
أحدها- قال الحسن، و
روى عن النبى (ص) انه قال (بادروا بالأعمال قبل ستة: طلوع الشمس من مغربها، و الدابة، و الدجال، و الدخان، و خويصة أحدكم- اى موته- و امر القيامة) يعنى القيامة.
الثانى- قال ابن مسعود: طلوع الشمس من مغربها و الدجال و دابة الأرض، و هو قول أبى هريرة.
الثالث-

طلوع الشمس من مغاربها رواها جماعة عن النبى (ص).
و قوله «أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمانِها خَيْراً» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- الإبهام فى احد الامرين:
الثانى- التغليب، لان الأكثر ممن ينتفع بإيمانه حينئذ من كان كسب فى إيمانه خيرا قبل.
الثالث- انه لا ينفعه إيمانه حينئذ و ان اكتسب فيه خيرا الا أن يكون ممن آمن قبل- فى قول السدى- و معنى كسب الخير فى الايمان عمل النوافل و الاستكثار من عمل البر بعد أداء الفرائض. و الاول عندى أقواها،

---

(2) سورة 89 الفجر آية 22
(3) سورة 33 الأحزاب آية 57

لان المعنى انه لا ينفع نفسا إيمانها الا إذا كانت آمنت قبل، فإنها إذا آمنت قبل نفعها إيمانها بانفراده او إذا ضمت الى إيمانها أفعال الخير، فان ذلک ينفعها أيضا، فانه ازداد خيرا.
و قوله «قُلِ انْتَظِرُوا» خطاب للنبى (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار:
انتظروا إتيان الملائكة و هذه الآيات، فانا منتظرون حصولها. و معنى الآية الحث على المبادرة الى الايمان قبل الحال التى لا تقبل فيها التوبة، و هى ظهور الآيات التى تقدم ذكرها، و فى ذلک غاية التهديد.

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِی شَیْءٍ إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَی اللَّهِ ثُمَّ یُنَبِّئُهُمْ بِما کانُوا یَفْعَلُونَ (159)
آیة.
قرأ حمزة و الکسائی «فارقوا» بألف، و هو المروی عن علی (ع)
الباقون «فرقوا» بلا الف مع تشدید الراء. و المعنیان متقاربان، لان القراءتین یؤلان الی شیء واحد، لان جمیع ذلک مخالف لما یوجبه دینهم، فهم بتفریقه من جهة إکفار بعضهم بعضا علی جهالة فیه مخالفون له، و هم بخروجهم عنه الی غیره مفارقون له مخالفون. و قیل فی المعنیین بهذه الآیة اربعة أقوال:
أحدها- قال مجاهد: هم الیهود، لأنهم کانوا یمالئون عبدة الأوثان علی المسلمین.
الثانی- قال قتادة: هم الیهود و النصاری، لان بعض النصاری یکفر بعضا و کذلک الیهود.
الثالث- قال الحسن هم جمیع المشرکین، لأنهم جمیعا بهذه الصفة.
الرابع-
قال ابو جعفر (ع): هم اهل الضلالة و البدع من هذه الامة.
و هو قول أبی هریرة و المروی عن عائشة.
حذرهم اللَّه تعالی من تفرق الکلمة و دعاهم الی الاجتماع علی ما تقوم

الحجة. و الدین الذی فارقوه: قیل فیه قولان:
قال ابو علی و غیره: هو الدین الذی امر اللّه باتباعه و جعله دینا لهم.
الثانی- الدین الذی هم علیه، لانکار بعضهم بعضا بجهالة فیه.
و معنی الشیع الفرق التی یمالئ بعضهم بعضا علی امر واحد مع اختلافهم فی غیره، و قیل أصله الظهور من قولهم: شاع الخبر یشیع إذا ظهر. و قال الزجاج: أصله الاتباع من قولک: شایعه علی الامر إذا اتبعه.
و قوله «لَسْتَ مِنْهُمْ فِی شَیْءٍ» خطاب للنبی (ص) و اعلام له انه لیس منهم فی شیء، و انه علی المباعدة التامة من ان یجتمع معهم فی معنی من مذاهبهم الفاسدة، و لیس کذلک بعضهم مع بعض، لأنهم یجتمعون فی معنی من الباطل و ان افترقوا فی غیره، فلیس منهم فی شیء، لأنه بریء من جمیعه و قال الفراء: معناه النهی عن قتالهم، ثم نسخ بقوله «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِکِینَ» «1» و هو قول السدی.
اخبر اللَّه تعالی ان الذین فرقوا دینهم- و خالفوه و باینوه و صاروا فرقا یمالئ بعضهم بعضاً علی أمر واحد مع اختلافهم فی غیره- لیس النبی (ص)

منهم فى شىء و انه مباين لهم لفساد ما هم عليه. ثم قال «إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ» يعنى ان اللّه تعالى هو الذى يخبرهم بأفعالهم و يجازيهم عليها دون غيره يعنى يوم القيامة.

مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلاَّ مِثْلَها وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (160)
آية بلا خلاف.
يجوز فى قوله «فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» ثلاثة أوجه: الجر بالاضافة، و عليه جميع القراء الا يعقوب. و رفع (أمثالها) مع التنوين على الصفة، و به قرأ

---

(1) سورة 9 التوبة آية 6.

الحسن و يعقوب. و نصبه على التمييز، كما تقول عندى خمسة أترابا ذكر ذلك الزجاج، و الفراء.
و معنى القراءة الأولى، فله عشر حسنات أمثالها، و يجوز فى العربية فله عشر مثلها، فيكون المثل فى لفظ الواحد و فى معنى الجمع، كما قال «إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ» «2». و من قال: أمثالها فهو كقوله «لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ» «3» و انما جاز فى (مثل) التوحيد فى معنى الجمع، لأنه على قدر ما يشبه به، تقول: مررت بقوم مثلكم و بقوم أمثالكم. و قال الرمانى: كلما لم يتميز بالصورة فان جمعه يدل على الاختلاف، كقولك: رمال و مياه، فأما (رجال) فلا يدل على الاختلاف، لأنه يتميز بالصورة، و يجوز ان يكون (المثل) فى موضع الجمع و لا يجوز مثل ذلك فى (العدل) لان (المثل) لا يضاف الى الجماعة الا على معنى انه مثل لكل واحد منهم. و ليس كذلك (العدل) لأنه يكون لجماعتهم دون كل واحد منهم.
و قال اكثر اهل العدل ان الواحد من العشرة مستحق و تسعة تفضل.
و قال بعضهم: المعنى فله من الثواب ثواب عشر حسنات أمثالها، و هذا لا يجوز، لأنه يقبح ان يعطى غير العامل مثل ثواب العامل كما يقبح ان يعطى الأطفال مثل ثواب الأنبياء و مثل إجلالهم و إكرامهم و ان يرفع منزلتهم عليهم.
و انما لم يتوعد على السيئة الا بمثلها، لان الزائد على ذلك ظلم. و اللَّه يتعالى عن ذلك، و زيادة الثواب على الجزاء تفضل و احسان فجاز ان يزيد عليه. قال الرمانى: و لا يجوز على قياس عشرة أمثالها عشر صالحات بالاضافة لان المعنى ظاهر فى ان المراد عشر حسنات أمثالها، و قال غيره لان الصالحات لا تعد، لأنها اسماء مشتقة. و انما تعد الأسماء. و (المثل) اسم فلذلك جاز العدد به، و قال الرمانى: دخول الهاء فى قوله (الحسنة) يدل على ان تلك الحسنة ما هو مباح لا يستحق عليه المدح و الثواب. و لو قيل: دخول الالف

(2) سورة 4 النساء آية 139 [.....]
(3) سورة 47 محمد آية 38
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 331
و اللام فيها يدل على ان الحسنة هى المأمور بها، و دخلا للعهد، و اللَّه لا يأمر بالمباح، لكان أقوى مما قاله، و يجوز أن يكون التفضل مثل الثواب فى العدد و الكثرة، و يتميز منه الثواب بمقارنة التعظيم و التبجيل اللذين لو لا هما لما حسن التكليف. و انما قلنا: يجوز ذلک لان وجه حُسن ذلک: الإحسان و التفضل، و ذلک حاصل فى كل قدر زائد. و فى الناس من منع من ان يساوى التفضل الثواب فى باب الكثرة. و الصحيح ما قلناه أولا.
فان قيل: كيف تجمعون بين قوله «فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» و بين قوله «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ» «1» و قوله «مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً» «2» و لان المجازاة بدخول الجنة مثابا فيها على وجه التأبيد، لا نهاية له، فكيف يكون ذلک عشر أمثالها، و هل هذا الا ظاهر التناقض؟؟! قلنا: الجواب عن ذلک ما ذكره الزجاج و غيره: ان المعنى فى ذلک ان جزاء اللَّه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذى هو النهاية فى التقيد فى النفوس، و يضاعف اللَّه عن ذلک بما بين عشرة أضعاف الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة، ففائدة ذلک انه لا ينقص من الحسنة عن عشر أمثالها، و فيما زاد على ذلک يزيد من يشاء من فضله و إحسانه.
و قال قوم: المعنى من جاء بالحسنة فله عشر أمثال المستحق عليها، و المستحق مقداره لا يعلمه الا اللَّه و ليس يريد بذلک عشر أمثالها فى العدد، كما يقول القائل للعامل الذى يعمل معه: لک من الأجر مثل ما عملت اى مثل ما تستحقه بعملک.
و قال آخرون: المعنى فى ذلک ان الحسنة لها مقدار من الثواب معلوم للَّه تعالى فأخبر اللَّه تعالى انه لا يقتصر بعباده على ذلک بل يضاعف لهم الثواب حتى تبلغ ذلک ما أراد و علم أنه أصلح لهم، و لم يرد العشرة بعينها لكن أراد الاضعاف

---

(1) سورة 2 البقرة آية 261
(2) سورة 2 البقرة آية 245
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 332
كما يقول القائل: لئن أسديت إلىَّ معروفا لأكافينَّک بعشرة أمثاله، و عشرة أضعافه. و فى الوعيد لئن كلمتنى واحدة لأكلمنک عشرة، و ليس يريدون بذلک العدد المعين لا اكثر منها، و انما يريدون ما ذكرناه.

و قال قوم: عنى بهذه الآية الاعراب، و اما المهاجرون فحسناتهم سبع مائة، ذهب اليه ابو سعيد الخدري، و عبد اللّه بن عمر.
و قال قوم: معنى «عَشْرُ أَمْثالِها» لأنه كان يؤخذ منهم العشر فى الزكاة، و كانوا يصومون فى كل شهر ثلاثة ايام و الباقى لهم.
و قال قوم «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ» يعنى الايمان، فله يعنى للايمان عشر أمثالها، و هو ما ذكره فى قوله «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ ...» «1» الى آخر الآية. و هذان الوجهان قريبان، و المعتمد ما قدمناه من الوجوه.
و قال اكثر المفسرين: ان السيئة المذكورة فى الآية هى الشرک، و الحسنة المذكورة فيها هى التوحيد و اظهار الشهادتين.
فان قيل كيف يجوز الزيادة فى نعم المثابين مع ان الثواب قد استغرق جميع مناهم و ما يحتملونه؟
قلنا عنه جوابان: أحدهما- انه ليس للمنية نهاية مما يحتمله من اللذات.
و الثانى- ان يزاد فى البنية و القوة مثل أن يزاد فى قوة البصر حتى يرى الجزء الذى لا يتجزَّء و ان لم يزد فى إخفاء الإنسان.

قُلْ إِنَّنِی هَدانِی رَبِّی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ دِیناً قِیَماً مِلَّةَ إِبْراهِیمَ حَنِیفاً وَ ما کانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ (161) قُلْ إِنَّ صَلاتِی وَ نُسُکِی وَ مَحْیایَ وَ مَماتِی لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ (162)

آیتان.

قرأ ابن عامر و اهل الکوفة «قیما» بکسر القاف و تخفیف الیاء و فتحها.

الباقون بفتح القاف مع تشدید الیاء.

---

(1) سورة 33 الأحزاب آیة 35

التبیان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 333

من قرأ بتشدید الیاء فحجته قوله «وَ ذلِکَ دِینُ الْقَیِّمَةِ» «1» کأنه قال دین الملة القیِّمة، و یکون وصفا للدین إذا کان نکرة، کما کان وصفا للملة، لان الملة هی الدین. قال ابو الحسن: قال اهل المدینة «دِیناً قِیَماً» و هی حسنة، و لم أسمعها من العرب. قال ابو الحسن: و هو فی معنی المستقیم.

فأما من قرأ بالتخفیف، فانه أراد المصدر، مثل الشبع، و لم یصحح (عوض و حول). قال الزجاج: لأنه جاء علی (فَعل) معتل، و هو (قام) و الأصل (قوم، أقوم قوما) قال ابو علی: و کان القیاس یقتضی ان یصحح، لکنه شذَّ عن القیاس، کما شذ (أشیاء) و نحوه عن القیاس نحو (ثیرة) فی جمع (ثور) و نحو (جیاد) فی جمع (جواد) و کان القیاس الواو، کما قالوا:

طویل و طوال قال الأعشی:

جیادک فی الصیف فی نعمة تصا ن الجلال و تعطی الشعیرا «2»

و قوله «دِیناً قِیَماً» یحتمل نصبه ثلاثة أوجه:

أحدها- انه قال «إِنَّنِی هَدانِی رَبِّی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ» و استغنی بجری ذکر الفعل عن ذکره، فقال «دِیناً قِیَماً» کما قالَ «اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ».

و الثانی- نصبه علی تقدیر عرِّفنی، لان هدایتهم الیه تعریف لهم فحمله علی عرِّفنی دینا قیما.

و قال الزجاج: معناه عرفنی دینا قیما. و ان شئت حملته علی الاتباع کما قال «اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ» «3» و قال الفراء: هو نصب علی المصدر، کأنه قال هدانی اهتداء، و وضع (دینا) موضعه.

أمر اللّه تعالی نبیه (ص) ان یقول للخلق و خاصة لهؤلاء الکفار «إِنَّنِی هَدانِی رَبِّی» و قیل فی معنی الهدایة قولان:

---

(1) سورة 98 البینة آیة 5

(2) ديوانه: 17
(3) سورة 2 البقرة آية 170
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 334
أحدهما- قال ابو على: أراد بالهداية الدلالة و أضافه الى نفسه دونهم، و ان كان قد هداهم أيضا، لأنه اهتدى دونهم.
و قال غيره: أراد به لطف لى ربى فى الاهتداء.
و «إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» قد فسرناه فى غير موضع. و انه الطريق الموصل الى ثواب اللَّه من غير اعوجاج، و انما قال «إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ»- هاهنا- و قال فى موضع آخر «وَ يَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً» «4»، لأنه إذا ضمن معنى النهاية دخلت (الى) و إذا لم تضمن لم تدخل (الى) و صار بمعنى عرِّفنى.
و الاول بمنزلة ارشدنى، و انما كرر (مستقيم) و قيم) للمبالغة، كأنه قال: هو مستقيم على نهاية الاستقامة. و قوله «مِلَّةَ إِبْراهِيمَ» فالملة الشريعة و هى مأخوذة من الاملاء كأنه ما يأتى به السمع و يورده الرسول من الشرائع المتجددة فيمله على أمته ليكتب او يحفظ.
فأما التوحيد و العدل فواجبان بالعقل، و لا يكون فيهما اختلاف.
و الشرائع تختلف، و لهذا يجوز ان يقال دينى دين الملائكة. و لا يقال ملتى ملة الملائكة. و الملة دين، و ليس كل دين ملة. و انما وصف دين النبى (ص) بأنه ملة ابراهيم ترغيبا فيه للعرب لجلالة ابراهيم فى نفوسهم و غيرهم من أهل الأديان.
و قوله «حنيفا» معناه مخلصا لعبادة اللَّه فى قول الحسن. و أصله الميل من قولهم: رجل أحنف إذا كان مائل القدم بإقبال كل واحدة منهما على الاخرى من خلقة لا من عارض. و قال الزجاج: الحنيف هو المائل الى الإسلام ميلا لازما لا رجوع معه. و قال ابو على: أصله الاستقامة. و انما جاء (أحنف) على التفاؤل «وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» يعنى ابراهيم (ع) و «حنيفا» نصب على الحال من (ابراهيم) و «مِلَّةَ أَبِيكُمْ» نصب على المصدر- فى قول الفراء- و قال الزجاج: هو بدل من قوله «دِيناً قِيَماً».

---

(4) سورة 48 الفتح آية 20
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 335

لا شَرِيکَ لَهُ وَ بِذلِکَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)
آية.
أسكن الياء من «محياى» أهل المدينة. قال ابو على الفارسى: اسكان الياء من (محياى) شاذ خارج عن القياس و الاستعمال، فشذوذه عن القياس ان فيه التقاء الساكنين، و لا يلتقيان على هذا الحد، و شذوذه عن الاستعمال انک لا تجده فى نظم و لا نثر الا شاذا. و وجهه ما حكى بعض البغداديين انه سمع او حكى له: التقت حلقتا البطان بإسكان الالف مع سكون لام المعرفة، و حكى غيره: له ثلثا المال و ليس هذا مثل قوله «حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها» «1» لان هذا فى المنفصل مثل دأبه فى المتصل. و مثل ما أجاز يونس من قوله:
اضربان زيدا، و سيبويه ينكر هذا من قول يونس. قال الرمانى: و لو وصله على نية الوقف جاز.
أمره ان يقول لهؤلاء الكفار «إِنَّ صَلاتِى وَ نُسُكِى» و قد فسرنا معنى الصلاة فيما مضى.
و قيل فى معنى و «نسكى» ثلاثة أقوال:
أحدها- قال سعيد بن جبير و مجاهد و قتادة و السدى و الضحاک: ذبيحتى فى الحج و العمرة. و قال الحسن (نسكى) دينى. و قال الزجاج و الجبائى «نسكى» عبادتى. قال الزجاج: و الأغلب عليه امر الذبح الذى يتقرب به الى اللَّه. و يقولون: فلان ناسک بمعنى عابد. و انما ضم الصلاة الى اصل الواجبات من التوحيد و العدل لان فيها التعظيم للَّه عند التكبير، و فيها تلاوة القرآن التى تدعو الى كل برَّ، و قرر فيها الركوع و السجود و هما خضوع للَّه، و فيها التسبيح و هو تنزيه للَّه.

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 37.

و قوله «وَ مَحْيايَ وَ مَماتِى» يقولون حيى يحيا حياة و محيا، و مات يموت موتا و مماتا. و انما جعل للفعل الواحد مصادر فى الثلاثى لقوَّته، و لأنه الأكثر الأغلب. و انما جمع بين صلاته و حياته، و أحدهما من فعله، و الآخر من فعل اللَّه، لأنهما جميعا بتدبير اللَّه تعالى و ان كان أحدهما من حيث إيجاده و اعدامه لما فيه من الصلاح. و وجه ضم الموت الى اصل الواجب الرغبة الى من يقدر على كشفه الى الحياة فى النعيم الدائم بطاعته فى أداء الواجبات.
و قوله «لا شَرِيکَ لَهُ» فالشركة هى تلک المساهمة، فلما كان عبدة الأوثان

جعلوا العبادة على هذه الصفة كانوا مشركين فى عبادة اللّه، فأمر اللّه ان ينفى عنه هذا الشرک و يقول «لا شريک له». و المعنى لا يستحق العبادة سواه.
ثم أمره بأن يقول انى أمرت بذلک يعنى بنفى الاشراک مع اللَّه و توجيه العبادة اليه تعالى وحده «وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» قال الحسن: معناه أول المسلمين من هذه الامة. و به قال قتادة و بيَّن ذلک لوجوب اتباعه (ص) و لبيان فضل الإسلام إذا كان أول مسارع اليه نبينا (ص) و معنى الآية وجوب نفى الشرک عن اللَّه و وجوب اعتقاد بطلانه و اخلاص العبادة اليه تعالى.

قُلْ أَ غَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَ لا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْها وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164)

امر اللَّه تعالى نبيه ان يخاطب هؤلاء الكفار، و يقول على وجه الإنكار لفعلهم «أَ غَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي» أى أتخذ «ربّاً» معبوداً؟! فالكلام خرج مخرج الاستفهام، و المراد به الإنكار، لأنه الجواب لصاحبه الا بما هو قبيح، لان تقديره أ يجوز أن اطلب الضر و النفع بعبادتى ممن هو مربوب مثلى!؟

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 337

عادلا بذلک عن رب کل شىء و لیس بمربوب؟! أم هذا قبیح فى العقول؟ و هو لازم لکم على عبادة الأوثان. و الرب إذا أطلق أفاد المالک لتصریف الشىء بأتم التصریف و إذا أضیف فقیل رب الدار، و رب الضیعة، فمعناه المالک لتصریفه بأتم تصریف العباد و أصله التربیة و هى تنشئة الشىء حالا بعد حال حتى یصیر الى الکمال. ثم صرف الى معنى الملک لهذه الأحوال من الشىء و ماجرى مجراها.

و الفرق بین الرب و السید، أن السید هو المالک لتدبیر السواد الأعظم، و الرب المالک لتدبیر الشىء حتى یصیر الى الکمال مع اجرائه على تلک الحال.

و قوله «وَ لا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْها» معناه لا یکون جزاء عمل کل نفس الا علیها. و وجه اتصاله بما قبله أنه لا ینفعنى فى ابتغاء رب غیره ما أنتم علیه من ذلک، لأنه لیس بعذر لى فى اکتساب غیرى له، لأنه «لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» و قیل: ان الکفار قالوا للنبى (ص) اتبعنا، و علینا وزرک ان کان خطأ، فأنزل اللَّه الآیة. و فیها دلالة على فساد قول المجبرة من وجهین:

أحدهما- ان قوله «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» یدل على انه لا یعذب الطفل بکفر أبیه.

و الثانى- أنه لا یعذب أحدا بغیر ذنب کان منه، لأنهما سواء فى أن کل منهما مستحق. و تقول: وَزِر یزِر وِزرا، و وُزر، یوزر، فهو موزور، و کله بمعنى الإثم. و الوزر الملجأ. و منه قوله «كَلَّا لا وَزَرَ» «1» فحال الموزور کحال الملتجئ من غیر ملجأ. و منه الوزیر لان الملک یلتجئ الیه فى الأمور. و قیل: أصله الثقل، و منه قوله «وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ» «2» و کلاهما محتمل «ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ» یعنى مالککم و مصیرکم الى اللَّه فى یوم لا یملک فیه الأمر غیره تعالى.

و قوله «فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» معناه انه یخبرکم بالحق فیما اختلفتم فیه من الباطل، فیظهر المحسن من المسىء بما یزول معه الشک

و الارتياب

---

(1) سورة 75 القيامة آية 11
(2) سورة 94 الانشراح آية 2
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 338
و يقع معه الندامة فى وقت قد فات فيه استدراک الخطيئة، فمعنى الآية الحجة على ان كل شىء سوى اللّه فاللّه ربه من كل وجه يصح منه الربوبية، و فيها دلالة على فساد قول المجبرة: ان اللّه يعذب على غير ذنب.

وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (165)
اخبر اللّه تعالى انه الذى جعل الخلق خلائف الأرض، و معناه ان كل اهل عصر يخلفون اهل العصر الذى قبله كلما مضى واحد خلفه آخر على انتظام و اتساق و ذلک يدل على مدبر أجراه على هذه الصفة قال الشماخ:
تصيبهم و تخطينى المنايا و أخلف فى ربوع عن ربوع «3»
و واحد الخلائف خليفة، مثل صحيفة و صحائف، و سفينة و سفائن، و وصيفة و وصائف، هذا قول الحسن و السدى. و قال قوم: معناه انه جعلهم خلفاء الجان قبل آدم. و قال آخرون معناه و المراد به أمة نبينا (ص) لان اللّه جعلهم خلفاء سائر الأمم.
و قوله «وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ» وجه الحكمة فى ذلک مع انه يخلقهم كذلک ابتداء من غير استحقاق بعمل يوجب التفاضل بينهم ما فيه من الالطاف الداعية الى الواجبات و الصارفة عن القبائح، لان من كان غنيا فى ماله شريفا فى نسبه قويا فى جسمه ربما دعاه ذلک الى طاعة من يملكها رغبة فيها.
و الحال فى أضدادها ربما كان دعته الى طاعته رهبة منها و من أمثالها و رجاء أن ينقل عنها الى حال جليلة يغتبط عليها. و قال السدى: رفع بعضهم فوق

---

(3) ديوانه 58 و اللسان (ربع) و تفسير الطبرى 12/ 288.

بعض فى الرزق و قوة الأجسام و حسن الصورة، و شرف الإنسان. و غير ذلک بحسب ما علم من مصالحهم. و قوله «درجات» يحتمل نصبه ثلاثة أشياء:
أحدها- ان يقع موقع المصدر كأنه قال رفعة فوق رفعة.
الثانى- الى درجات، فحذفت (الى) كما فى قولهم: دخلت البيت، و تقديره دخلت الى البيت.
الثالث- أن يكون مفعولا من قولک: ارتفع درجة و رفعته درجة مثل اكتسى ثوباً و كسوته ثوباً.
و قوله «لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ» معناه فعل بكم ذلک ليجزيكم فيما أعطاكم.
و القديم تعالى لا يبتلى خلقه ليعلم ما لم يكن عالما به، لأنه تعالى عالم بالأشياء قبل كونها. و انما قال ذلک، لأنه يعامل معاملة الذى يبلو، مظاهرة فى العدل، و انتفاء من الظلم.

و قوله «إِنَّ رَبَّکَ سَرِیعُ الْعِقابِ» انما وصف نفسه بأنه سریع العقاب مع وصفه تعالی بالامهال و مع ان عقابه فی الآخرة من حیث کان کل آت قریبا، فهو اذاً سریع، کما قال «وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا کَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» «1» و قد یکون سریع العقاب بمن استحقه فی دار الدنیا، فیکون تحذیر الواقع فی الخطیئة علی هذه الجهة. و قیل معناه انه قادر علی تعجیل العقاب، فاحذروا معاجلته. و انما قابل بین العقاب و الغفران و لم یقابل بالثواب، لان ذلک ادعی الی الاقلاع عما یوجب العقاب، لأنه لو ذکر الثواب لجاز ان یتوهم انه لمن لم یکن فیه عصیان.

---

(1) سورة 16 النحل آیة 77.

7-سورة الاعراف ..... ص : 340

اشارة

قال قتادة سورة الاعراف مكّيّة. و قال قوم: هى مكية إلا قوله «وَ سْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ» «1» الى آخر السورة.
و قال قوم هى محكمة كلها. و قال آخرون حرفان منها منسوخان أحدهما قوله «خُذِ الْعَفْوَ» «2» يريد من أموالهم و ذلک قبل الزكاة. و الآخر قوله «وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ» «3» نسخ بآية السيف «4».
و قال قوم ليس واحد منهما منسوخا بل لكل منهما موضع و السيف له موضع. و هو الأقوى، لان النسخ يحتاج الى دليل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الْمص (1) كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْکَ فَلا يَکُنْ فِی صَدْرِکَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَ ذِکْری لِلْمُؤْمِنِينَ (2)
آيتان فى الكوفى و آية فيما عداه قد بينا فى أول سورة البقرة اختلاف المفسرين فى أوائل السور بالحروف المقطعة، و قلنا: ان الأقوى من ذلک قول من قال: انها أسماء للسور، و هو قول الحسن و البلخى و الجبائى، و اكثر المحصلين. و روى عن ابن عباس أنه قال: هى اختصار من كلام لا يفهمه الا النبى (ص) قال الشاعر:

---

(1) آية 162 [.....]
(2، 3) آية 198.
(4) يريد الآية 6 من سورة التوبة.

نادوهم أن ألجموا ألاتا قالوا جميعا كلهم ألافا «1»
يريد ألا تركبون قالوا فاركبوا. و بنى قوله «المص» على السكون فى الوصل مع ان قبله ساكنا، لان حروف الهجاء توصل على نية الوقف، لأنه يجزى على تفصيل الحروف، للفرق بينها و بين ما وصل للمعانى، و كأن مجموع الحروف يدل على معنى واحد، و متى سميت رجلا ب (المص)، وجبت الحكاية. فان سميته ب (صادق) أو (قاف) لم يجب ذلک، لان صاد، و قاف، لهما نظير فى الأسماء المفردة، مثل، باب، و ناب، و نار. و ليس كذلک (المص) لأنه بمنزلة الجملة، و ليس له نظير فى المفرد. و انما عد الكوفيون «المص» آية، و لم يعدوا (ص) لان «المص» بمنزلة الجملة مع ان آخره على ثلاثة أحرف بمنزلة المردف، فلما اجتمع هذان السببان، و كل واحد منهما يقتضى عدَّه عدوه. و لم يعدوا (المر) لان آخره لا يشبه المردف. و لم يعدوا (ص) لأنه بمنزلة اسم مفرد، و كذلک (ق) و (ن).
و انما سميت السورة بالحروف المعجمة، و لم تسم بالأسماء المنقولة لتضمنها معانى أخرى مضافة الى التسمية، و هو أنها فاتحة لما هو منها، و أنها فاصلة بينها و بين ما قبلها، و لأنه يأتى من التأليف بعدها ما هو معجز مع انه تأليف كتأليفها، فهذه المعانى من أسرارها.
و قيل فى موضع (المص) من الاعراب قولان:
أولهما- انه رفع بالابتداء و خبره كتاب، او ان يكون على هذه (المص) فى قول الفراء.
الثانى- لا موضع له، لأنه فى موضع جملة على قول ابن عباس، كأنه قال: أنا

اللّه أعلم و افصل- اختاره الزجاج.
و قوله «كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْکَ» قيل فى العامل فى قوله «كتاب» ثلاثة أقوال:
أحدها- هذا كتاب، فحذف لأنها حال اشارة و تنبيه.

_____

(1) مر فى 1/ 470 و هو فى تفسير القرطبى 1/ 135.

الثانى- «المص كِتابٌ» على أنه اسم للسورة و كتاب خبره.
و قال الفراء: رفعه بحروف الهجاء، لأنها قبله، كأنک قلت الالف و اللام و الميم و الصاد، من الحروف المقطعة كتاب أنزل اليک مجموعا، فنابت (المص) عن جميع حروف المعجم، كما تقول: أ، ب، ت، ث، ثمانية و عشرون حرفا.
و كذلک تقول قرأت الحمد، فصار اسم الفاتحة الكتاب.
و قوله «فَلا يَكُنْ فِى صَدْرِکَ حَرَجٌ» يحتمل دخول الفاء وجهين:
أحدهما- أن يكون عطفا و تقديره إذا كان أنزل اليک لتنذر به، فلا يكن فى صدرک حرج منه، فيكون محمولا على معنى إذا.
و الثانى- ان النهى و ان كان متناولا للحرج، فالمعنى به المخاطب، نهى عن التعرض للحرج، و جاز ذلک لظهور المعنى ان الحرج لا ينهى، و كان مخرج له برده الى نهى المخاطب ابلغ، لما فيه من أن الحرج لو كان مما ينهى له لنهيناه عنک، فانته انت عنه بترک التعرض له.
و قيل فى معنى الحرج فى الآية ثلاثة أقوال:
قال الحسن: معناه الضيق أى لا يضيق صدرک لتشعب الفكر بک خوفا ألا تقوم بحقه، و انما أنزل اليک لتنذر به.
الثانى- قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و السدى: ان معناه الشک هاهنا و المعنى لا تشک فيما يلزمک له فإنما أنزل اليک لتنذر به.
الثالث- قال الفراء: لا يضيق صدرک بأن يكذبوک، كما قال- عزَّ و جلَّ- «فَلَعَلَّکَ باخِعٌ نَفْسَکَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً».
و قوله «لِتُنْذِرَ بِهِ» يعنى لتخوف بالقرآن. و قال الفراء و الزجاج و اكثر أهل العلم: هو على التقديم و التأخير، و تقديره أنزل اليک لتنذر به و ذكرى للمؤمنين، و الذكرى مصدر ذكر يذكر تذكيرا، فالذكرى اسم للتذكير و فيه مبالغة، و مثله الرجعى، و قيل فى موضعه ثلاثة أقوال:
أولها- النصب على أنزل للانذار و ذكرى، كما تقول جئتک للإحسان و شوقا اليک.
الثانى- الرفع بتقدير و هو ذكرى.
الثالث- قال الزجاج: يجوز فيه الجر، لان المعنى، لان تنذر و ذكرى.
قال الرمانى: هذا ضعيف، لأنه لا يجوز أن يحمل الجر على التأويل، كما لا يجوز مررت به و زيد.

اتَّبِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ (3)

قرأ حمزة، و الكسائى و حفص «تذكرون» بتخفيف الذال بتاء واحدة.

الباقون بالتشديد الا ابن عامر، فانه قرأ يتذكرون بياء و تاء، قال الزجاج: التخفيف على حذف التاء الثانية كراهة اجتماع ثلاثة أحرف متقاربة، كما قالوا استطاع يستطيع، فحذفوا أحدى الثلاثة المتقاربة دون الاول، لان الاول بمعنى الاستقبال، لا يجوز حذفها، و الثانية يدل عليها تشديد العين.

و من قرأ بتشديد الذال، فأصله تتذكرون فأدغم التاء فى الذال لقرب مخرجهما، لان التاء مهموسة و الذال مجهورة. و المجهورة أزيد صوتا و أقوى من المهموس فحسن ادغام الأنقص فى الأزيد. و لا يسوغ ادغام الأزيد فى الأنقص، ألا ترى ان الصاد و أختيها لم يدغمن فى مقاربهنَّ لما فيهنَّ من زيادة الصفير.

و قراءة ابن عامر بالياء و التاء: انه مخاطبة للنبى (ص) أى قليلا ما يتذكرون هؤلاء الذين ذكروا بهذا الخطاب.

قوله «اتَّبِعُوا» خطاب من اللّه للمكلفين و أمر منه بأن يتبعوا ما أنزل عليهم من القرآن. و يحتمل ان يكون المراد قل لهم يا محمد: اتبعوا ما أنزل إليكم، لأنه قال قبل ذلک «لِتُنْذِرَ بِهِ» و كان الخطاب متوجهاً اليه. و الاتباع تصرف الثانى بتصريف الاول و تدبيره، فالأول امام و الثانى مؤتم. و الفرق التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 344

بين الإتباع و الاتباع ان أحدهما يتعدى الى مفعول، و الثانى يتعدى الى مفعولين، تقول: اتَّبعت زيدا و أتبعت زيدا عمرا. و وجوب الإتِّباع فيما أنزل اللّه يدخل فيه الواجب و الندب و المباح، لأنه يجب ان يعتقد فى كل جنس ما أمر اللّه به، كما يجب ان يعتقد فى الحرام وجوب اجتنابه.

و قوله «وَ لا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ» نهى من اللّه ان يتبعوا من دون اللّه و يتخذوا أولياء. و أولياء جمع ولىَّ و هو ضد العدو، و هو يفيد الاولى و يفيد الناصر و غير ذلک مما بيناه فيما مضى «1».

و قوله «قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ» معناه الاستبطاء فى التذكر، و خرج مخرج الخبر و فيه معنى الامر، و معناه تذكروا كثيرا مما يلزمكم من أمر دينكم، و ما أوجبه اللّه عليكم. و اخبر انهم قليلا ما يتذكرون و (ما) زائدة، و تذكر معناه أخذ فى التذكر شيئا بعد شىء مثل تفقه و تعلم، و يقال: تقيَّس إذا انتمى الى قيس، و لم يكن منهم، لأنه يدخل نفسه فيهم شيئا بعد شىء.

وَ كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا بَياتاً أَوْ هُمْ قائِلُونَ (4)
آية بلا خلاف.
(كم) لفظة موضوعة للتكثير و (رب) للتقليل. و انما كان كذلك، لان (رب) حرف، و (كم) اسم. و التقليل ضرب من النفى و (كم) تدخل فى الخبر بمعنى التكثير. فأما فى الاستفهام، فلا، لان الاستفهام موكول الى بيان المجيب و الخبر الى بيان المخبر، و انما دخلها التكثير، لان استبهام العدد ان يظهر او يضبط انما يكون لكثرته فى غالب الامر، ف (كم) مبهمة قال الفرزدق:

---

(1) سورة البقرة آية 257 فى 2/ 313- 314 و فى سورة المائدة آية 58، فى 3/ 549 و غيرهما كثير.

كم عمة لک يا جرير و خالة فدعاء قد حلبت علىَّ عشارى «2»
فدل ب (كم) على كثرة العمات، و موضع (كم) فى الآية رفع بالابتداء و خبرها (أهلكناها) و لو جعلت فى موضع نصب جاز، كقوله «إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ» «3»، و الاول أجود.
اخبر اللّه تعالى- على وجه الترهيب للكفار و الإيعاد لهم- أنه أهلک كثيرا من القرى، يعنى أهلها بما ارتكبوه من معاصيه، و الكفر به، و انه أنزل عليهم بأسه، يعنى عذابه «بَياتاً» يعنى فى الليل «أَوْ هُمْ قائِلُونَ» يعنى فى وقت القيلولة، و هو نصف النهار. و أصله الراحة، فمعنى أقلته البيع أرحته منه باعفائى إياه من عقده، و قلت إذا استرحت الى النوم، فى وسط النهار: القائلة. و الأخذ بالشدة فى وقت الراحة أعظم فى العقوبة فلذلک خص الوقتين بالذكر.
و قيل فى دخول الفاء فى قوله «فَجاءَها بَأْسُنا بَياتاً» ثلاثة أقوال:
أحدها- أهلكناها فى حكمنا «فَجاءَها بَأْسُنا» و قد قيل: هو مثل زرنى و اكرمنى فان نفس الإكرام هى الزيارة، قال الرمانى: و ليس هذا مثل ذلک، لان هذا انما جاز لأنه قصد الزيارة. ثم بالإكرام بها.
و الثانى- قال قوم «أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا» أى فكان صفة أهلكنا أن جاءهم بأسنا.
و الثالث- أهلكناها فصح انه جاءها بأسنا. و قال الفراء الفاء بمعنى الواو، و قال الرمانى: هذا لا يجوز، لأنه نقل للحرف عن معناه بغير دليل.
و قال بعضهم: ان المعنى أهلكناها بخذلاننا لها عن الطاعة فجاءها بأسنا عقوبة على المعصية، و هذا لا يجوز لأنه ليس من صفة الحكيم ان يمنع من

طاعته حتى تقع المعصية، ثم يعاقب عليها.

---

(2) ديوانه 451 و تفسير الطبرى 12/ 300 و سيبويه 1/ 253، 293
(3) سورة 54 القمر آية 49.

و قوله «أَوْ هُمْ قائِلُونَ» قال الفراء: واو الحال مقدرة فيه، و تقديره أو «و هم قائلون» و انما حذفت استخفافا. و قال الزجاج و جميع البصريين لا يحتاج الى ذلک، لأنه يستغنى برجوع الذكر عن الواو، كما يقال: جاءنى زيد راجلا او هو فارس، او جاءنى زيد هو فارس لم يحتج الى واو، لان الذكر قد عاد على الاول.

فمعنى الآية ان اللَّه أهلک اهل قريات كثيرة بتمردهم فى المعاصى، و حذر من ان يعمل مثل عملهم فينزل بالعامل مثل ما نزل بهم.

فَما كانَ دَعْواهُمْ إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا إِلاَّ أَنْ قالُوا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ (5)
آية بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى انه لم يكن دعاء هؤلاء الذين أهلكهم عقوبة على معاصيهم و كفرهم فى الوقت الذى جاءهم بأس اللَّه، و هو شدة عذابه، و منه البؤس شدة الكفر. و البئس الشجاع لشدة بأسه، و بئس من شدة الفساد الذى يوجب الذم. «إِلَّا أَنْ قالُوا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ» يعنى اعترافهم بذلک على نفوسهم و إقرارهم به، و كان هذا القول منهم عند معاينة البأس و اليقين بأنه نازل بهم، و يجوز ان يكون قالوه حين لابسهم طرف منه، لم يهلكوا منه، و (دعواهم) خبر كان و اسمها «ان قالوا» و هو بمعنى قولهم، و هما معرفتان يجوز ان يجعل كل واحد منهما اسما و الآخر خبرا، كما قال «ما كانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا» «1» بالرفع، و النصب، و انما قدم الخبر على الاسم، لان الثانى وقع موقع الإيجاب، و الاول موقع النفى، و النفى أحق بالخبر.
و الدعوى، و الدعاء واحد. و فرق قوم بينهما بأن فى الدعوى اشتراكا

---

(1) سورة 45 الجاثية آية 24

بين الدعاء و الادعاء المال و غيره، و أصله الطلب قال الشاعر:
ولت و دعواها كثير صخبه «2»
أى دعاؤها، و يجوز ان يقال: اللهم أشركنا فى دعوى المسلمين يريد دعاء المسلمين حكاه سيبويه، قال الشاعر:
و ان مَذِلَتْ رجلى دعوتک اشتفى بدعواک من مذل بها فيهون «3»
معنى مذلت اى خدرت.

فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (6) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَ ما كُنَّا غائِبِينَ (7)

آيتان بلا خلاف.

الفاء فى قوله «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ» عطف جملة على جملة، و قد يكون لهذا، و قد يكون لعطف مفرد على مفرد، و قد يكون للجواب. و انما دخلت الفاء و هى موجبة للتعقيب مع تراخى ما بين الاول و الثانى، و ذلک يليق ب (ثم) لتقريب ما بينهما، كما قال «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» «4» و قال «وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» «5» و قال «أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ» «6» و بينهما بعد.

و النون فى قوله «فلنسألن» نون التأكيد يتلقى بها القسم، و انما بنى

---

(2) اللسان (دعا)، و روايته «قالت» بدل (ولت) و فى رواية أخرى (ولت و دعواها شديد صخبه).

(3) ديوانه 2/ 245 و اللسان (مذل) و تفسير الطبرى 12/ 304 و نهاية الارب 2/ 125. و كانوا يدَّعون ان الإنسان إذا خدرت رجله و دعا باسم من يحب زال الخدر

(4) سورة 54 القمر آية 1

(5) سورة 16 النحل آية 77

(6) سورة 36 يس آية 77.

المضارع مع نون التأكيد، لأنه انما دخلت عليه طلباً للتصديق، كما ان الامر طلب للفعل فأدخلت عليه نون التأكيد و تثبت مع الفعل، لان هذه الزيادة التى لا تكون للاسم باعدته كما باعدت الالف و اللام ما لا ينصرف من الفعل، فانصرف.

أقسم اللّه تعالى فى هذه الآية انه يسأل المكلفين الذين أرسل اليهم رسله و اقسم أيضا انه ليسأل الصادقين المرسلين الذين بعثهم، فيسأل هؤلاء عن الإبلاغ و يسأل أولئک عن الامتثال، و هو تعالى و ان كان عالما بما كان منهم، فإنما أخرجه مخرج التهديد و الزجر ليتأهب العباد و يحسنوا الاستعداد لذلک السؤال.

و حقيقة السؤال طلب الجواب بأداته فى الكلام، و حقيقة الاستخبار طلب الخبر بأداته فى الكلام.

و قوله «فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ» قسم آخر، و اخبار منه تعالى انه يقص عليهم بما عملوه فانه علم جميع ذلک. و انما ذكره بنون الجمع لاحد أمرين:

أحدهما- ان هذا على كلام العظماء من الملوک لان أفعالهم تضاف الى أوليائهم.
و الثانى- ان الملائكة تقص عليهم بأمر اللَّه.
و قال ابن عباس نقص عليه بما نجده فى كتاب عمله.
و
روى عن النبى (ص) انه قال: (ان اللَّه يسأل كل احد بكلامه له ليس بينه و بينه ترجمان)
و القص ما يتلو بعضه بعضا. و منه المقص، لان قطعه يتلو بعضه بعضا، و منه القصة من الشعر، و القصة من الكتاب، و منه القصاص لأنه يتلو الجناية فى الاستحقاق، و منه المقاصة فى الحق، لأنه يسقط ماله قصاصا بما عليه.
و انما دخلت نون التأكيد مع لام القسم فى المضارع دون الماضى، لأنها تؤذن بطلب الفعل الذى تدخل فيه نحو (لأكرمَنَّ زيداً) فان فيه طلب الإكرام بأداته، فالتصديق بالقسم، و لهذا ألزمت النون فى طلب الفعل من جهتين، و فتحت هذه النون ما قبلهم فى جمع المتكلم، و لم تفتحه فى بيان
فى تفسير القرآن، ج4، ص: 349
الغائب، لان الضمة يجب ان تبقى لتدل على الواو المحذوفة فى (ليقصنَّ) بالياء و ليس كذلک المتكلم، لأنه لا واو فيه.
و معنى قوله «بعلم» قيل فيه وجهان: أحدهما بأنا عالمون، و الآخر بمعلوم، كما قال «وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ» «1» أى من معلومه، و وجه المسألة له و القصص عليهم أنه سؤال توبيخ و تقريع للضالين، و سؤال تذكير و تنبيه للمؤمنين، فبمقدار ما يغتم أولئک يسَّر هؤلاء. ثم يسأل الرسل لان من الأمم من يجحد، فيقول ما جاءنا من بشير و لا نذير، و منهم من يقول:
و اللَّه ربنا ما كنا مشركين.
فان قيل كيف يجمع بين قوله «وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» «2» و قوله «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ»؟
قلنا فيه قولان: أحدهما- انه نفى ان يسألهم سؤال استرشاد و استعلام و انما يسألهم سؤال توبيخ و تبكيت. الثانى- تنقطع المسألة عند حصولهم فى العقوبة، كما قال «فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ» «3» و قال فى موضع آخر «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ» «4» و الوجه ما قلناه انه يسألهم سؤال توبيخ قبل دخولهم فى النار فإذا دخلوها انقطع سؤالهم. و السؤال فى اللغة على اربعة اقسام:
أحدها- سؤال استرشاد و استعلام، كقولک اين زيد؟، و من عندک؟
و هذا لا يجوز عليه تعالى.
و الثانى- سؤال توبيخ و تقريع، و هو خبر فى المعنى، كقولک ألم احسن اليک فكفرت نعمتنى؟؟ أ لم أعطيكِ فجحدک عطيتى؟!. و منه قوله تعالى

«أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ» «5» و قولهَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ» «6» و قوله

---

(1) سورة 2 البقرة آية 256
(2) سورة 28 القصص آية 78. [.....]
(3) سورة 55 الرحمن آية 9
(4) سورة 37 الصافات آية 24.
(5) سورة 36 يس آية 60
(6) سورة الانعام آية 130 و سورة 39 الزمر آية 71

«أَ لَمْ تَكُنْ آياتِى تُتْلى عَلَيْكُمْ» «7» و قال الشاعر:

أ لستم خير من ركب المطايا و اندى العالمين بطون راح «8»

و لو كان سائلا لما كان مادحا، و قال العجاج:

اطربا و انت قِنَّسرِىٌّ «9»

معنى قنسرى كبير السن، و هذا توبيخ لنفسه أى كيف اطرب مع الكبر و الشيب.

الثالث- سؤال التحضيض و فيه معنى (ألا) كقولك: هلا تقوم، و ألا تضرب زيدا أى قم و اضرب زيدا.

و الرابع- سؤال تقريب بالعجز و الجهل، كقولك للرجل: هل تعلم الغيب؟ و هل تعرف ما يكون غدا؟ و هل تقدر ان تمشى على الماء؟ و كما قال الشاعر:

و هل يصلح العطار ما أفسد الدهر

المعنى و ليس يصلح العطار ما أفسد الدهر، فإذا ثبت ذلک فقوله «فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس و لا جان» «10» و قوله «وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» «11» المراد به لا يسألون سؤال استعلام و استخبار ليعلم ذلک من قولهم، لأنه تعالى عالم بأعمالهم قبل خلقهم. و اما قوله «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ» و قوله «فَوَ رَبِّکَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ» «12» فهو مسألة توبيخ و تقريع، كقوله «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ» «13».

و سؤاله للمرسلين ليس بتوبيخ و لا تقريع لكنه توبيخ للكفار و تقريع لهم أيضا. و اما قوله «فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ» «14» فمعناه سؤال

---

(7) سورة 23 المؤمنون آية 106
(8) قائله حسان و قد مر فى 1/ 61، 132، 400 و 2/ 327 و سيأتى فى 5/ 319

(9) اللسان (قنسر).
(10) سورة 55 الرحمن آية 39
(11) سورة 28 القصص آية 78.
(12) سورة 15 الحجر آية 92
(13) سورة 36 يس آية 60
(14) سورة 23 المؤمنون آية 102

تعاطى و استخبار عن الحال التى جهلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلک، كما قال «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» «6» و قوله «وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ» «7» فهو سؤال توبيخ و تقريع و تلاوم، كما قال «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ» «8» و كقوله «أَ نَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ» «9» و قوله «رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هذا فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً فِى النَّارِ» «10» و هذا كثير فى القرآن، و ليس فى شىء من ذلک تضاد بين المسألتين، و لا تنافى بين الخبرين بل اثبات لسؤال عن شىء آخر و مثله قول الشاعر:
فأصبحت و الليل لى ملبس و أصبحت الأرض بحرا طما
فقوله: و أصبحت و الليل لى ملبس لم يرد به الصبح، لأنه لو أراد لما نفاه ب (و الليل لى ملبس) و انما أراد أصبحت بمعنى اشعلت المصباح و هو السراج أى أسرجت فى ظلمة الليل، فلم يكن خبراه متضادين.
و قوله «وَ ما كُنَّا غائِبِينَ» فالغائب البعيد عن حضرة الشىء، و معناه فى الآية انه لا يخفى عليه شىء و ذلک يدل على انه ليس بجسم، لأنه لو كان جسما على العرش على ما يذهب اليه المجسمة لكان غائبا عما فى الأرضين السفلى، لان من كان دون هذا بكثير فهو غائب عنا.

وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8) وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِکَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِما كانُوا بِآياتِنا يَظْلِمُونَ (9)
آيتان

---

(6) سورة 80 عبس آية 37.
(7) سورة 37 الصافات آية 27، 50 و سورة 52 الطور آية 25. [.....]
(8) سورة 68 القلم آية 30
(9) سورة 34 سبأ آية 32
(10) سورة 38 ص آية 61
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 352
ارتفع قوله «و الوزن» بالابتداء، و خبره (الحق)، و هو الوجه المختار.
و قال الفراء: يجوز ان يكون خبره (يومئذ) و ينصب (الحق) على المصدر، و تقديره و الوزن يومئذ- يعنى فى يوم القيامة- حقا، فينصب الحق و ان كان فيه الالف و اللام، كما قال «فَالْحَقُّ وَ الْحَقَّ أَقُولُ» «1» و الوزن فى اللغة هو مقابلة أحد الشيئين بالآخر حتى يظهر مقداره، و قد استعمل فى غير ذلک تشبيهاً به، منها وزن الشعر بالعروض، و منها قولهم: فلان يزن كلامه وزنا قال الأخطل:
و إذا وضعت أباک فى ميزانهم رجحوا و شال أبوک فى الميزان
و قيل فى معنى الوزن فى الآية أربعة أقوال:
قال الحسن: موازين الآخرة لها كفتان فالحسنات و السيئات توضعان فيهما و توزنان. ثم اختلفوا، فقال بعضهم: انما توضع صحائف الاعمال فتوزن، و هو قول عبد اللّه بن عمر. و قال ابو على: انما تتفضل كفة الحسنات من كفة السيئات بعلامة يراها الناس يومئذ، و ذهب عبيد بن عمير الى انه يوزن الإنسان فيؤتى بالرجل العظيم الجثة، فلا يزن جناح بعوضة. و قال مجاهد: الوزن عبارة عن العدل فى الآخرة و انه لا ظلم فيها على أحد، و هو قول البلخى و هو أحسن الوجوه، و بعده قول الجبائى. و وجه حسن ذلک- و ان كان اللّه تعالى عالما بمقادير المستحقات- ما فيه من المصلحة فى دار التكليف و حصول الترهيب به و التخويف.
و قوله «يومئذ» يجوز فى (يومئذ) الاعراب و البناء، لان اضافته الى مبنى اضافة غير محضة تقربه من الأسماء المركبة، و اضافته الى الجملة تقربه من الاضافة الحقيقية. و نوّن يومئذ لأنه قد قطع عن الاضافة إذ شأن التنوين ان يعاقبها، و قد قطع (إذ) فى هذا الموضع عنها.
و (الحق) وضع الشىء موضعه على وجه تقتضيه الحكمة. و قد

(1) سورة 38 ص آية 84.
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 353
استعمل مصدرا على هذا المعنى و صفة، كما جرى ذلک فى العدل، قال اللّه تعالى «ذلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» «1» فجرى على طريق الوصف.
و قوله «فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ» فالثقل عبارة عن الاعتماد اللازم سفلا و نقيضه الخفة، و هى اعتماد لازم علواً، و مثلت الاعمال بهما لما ذكر من المقارنة. و المعنى ان من كانت طاعاته أكثر، فهو من الفائزين بثواب اللّه.
و من قلت طاعاته «فَأُولئِکَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» بأن استحقوا عذاب الأبد جزاء على ما كانوا يظلمون أنفسهم بجحود آياتنا و حجتنا.
و قوله «موازينه» فالموازين جمع ميزان، و أصله من الواو، و قلبت ياء لسكونها و انكسار ما قبلها. و لم يقلب فى (خوان) لتحركها و أنها لم تجر على فعل لها. و الخسران ذهاب رأس المال، و من أعظم رأس المال النفس، فإذا أهلک نفسه بسوء عمله، فقد خسر نفسه. و ظلمهم بآيات اللّه مثل كفرهم بها و جحدهم إياها.

وَ لَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِى الْأَرْضِ وَ جَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ (10)
آية بلا خلاف.
روى خارجة عن نافع همز (معايش) و روى ذلک عن الأعمش، و عبد الرحمن الأعرج. الباقون غير مهموز.
و عند جميع النحويين أن (معايش) لا يهمز، و متى همز كان لحنا، لان الياء فيها اصلية، لأنه من عاش يعيش، و لم يعرض فيها علة كما عرض فى (أوائل) و هى فى (مدينة) زائدة علة لا تدخلها الحركة كما لا تدخل الالف، و مثله (مسألة، و مسائل، و منارة و منائر، و مقام و مقاوم) قال الشاعر:
و انى لقوام مقاوم لم يكن جرير و لا مولى جرير يقومها

---

(1) سورة 22 الحج آية 6، 62 و سورة 31 لقمان آية 30.

و وزنه (مفعلة) مثل مسورة و مساور، و من همزهما اعتقدها (فعلية) على وزن (صحيفة) فجمعها على (فعائل) مثل (صحائف) و ذلک غلط، لان الياء أصلها لقولهم عاش يعيش عيشا و معيشة. قال ابو على من همز (مدائن) لم يجعله (مفعلة) و لكنه (فعيلة) بدلالة قولهم: مدنى، و لا يجوز ان يكون (مفعلة) من دان يدين، و من أخذه من ذلک قال فى الجمع مداين، بتصحيح الياء. و اعتل (معيشة) لأنه على وزن (يعيش) و زيادتها تختص بالاسم دون الفعل، فلم يحتج الى الفصل بين الاسم و الفعل، كما احتيج اليه فيما كان زيادته مشتركة، نحو الهمزة فى (أجاد) و (هو أجود منک)، و موافقة الاسم لبناء الفعل توجب فى الاسم الاعتلال، ألا ترى انهم أعلّوا (بابا) و (دارا) لما كانا على وزن الفعل. و صححوا نحو (حول) و (غيبة) و (لومة) لما لم تكن على مثال الفعل، ف (معيشة) موافقة للفعل فى البناء، مثل (يعيش) فى الزنة، و تكسيرها يزيل مشابهتها فى البناء، فقد علمت بذلک زوال المعنى الموجب للإعلال فى الواحد و فى الجمع، فلزم التصحيح فى التكسير لزوال المشابهة فى اللفظ، لان التكسير معنى لا يكون فى الفعل، و انما يختص الاسم به، فإذا زالت مشابهة الفعل وجب تصحيحه.
و من همز (مصايب) فانه غلط، كما غلط من همز (معايش) و مثله جاء فى جمع (مسيل) أمسلة، جاء ذلک فى الشعر لبنى هذيل، فتوهموه (فعيلة) و انما هو (مفعلة) و حكى يعقوب: مسيل و ميسل، فالميم على هذا فاء و مسيل (فعيل)، و على الاول (مفعل) من سال.
قال الزجاج: من همز (مصايب) جعل الهمزة بدلا من الواو، كما قالوا: أقب فى (وقب) و هذا ان وقع فى أول الكلام. و قد قالوا فى (أدور) أدأر،

فهمزوه، فجاز على هذا ان يكونوا حملوا المكسورة على المضمومة.
و يقال: عاش فلان بمعنى حيى، و طيب العيش طيب الحياة، فلهذا كانت المعيشة مضمنة بالحياة. و حد المعيشة الرمانى: بأنها وصلة من جهة

المطعم و المشرب و الملبس الى ما فيه الحياة.
اخبر اللّه تعالى على وجه الامتنان على خلقه بأصناف نعمه انه مكن عباده فى الأرض بمعنى مكنهم من التصرف فيها، و التمكين إعطاء ما يصح معه الفعل مع ارتفاع المنع، لان الفعل كما يحتاج الى القدرة فقد يحتاج الى آلة و الى سبب، كما يحتاج الى رفع المنع، فالتمكين عبارة عن حصول جميع ذلک.
و الأرض هذه الأرض المعروفة، و فى الأصل عبارة عن قرار يمكن أن يتصرف عليه الحيوان، فعلى هذا لو خلق مثلها، لكانت أرضا حقيقة.
و قوله «وَ جَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ» فالجعل وجود ما به يكون الشىء على خلاف ما كان، مثل ان تقول جعلت الساكن متحركا، لأنک فعلت فيه الحركة، و نظيره التصيير و العمل،. و جعل الشىء أعم من حدوثه، لأنه قد يكون بحدوث غيره فيه مما يتغير به.
و قوله «قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ» نصب قليلا ب (تشكرون)، و تقديره تشكرون قليلا. و (ما) زائدة. و يحتمل ان تكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر، و تقديره قليلا شكركم. و الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم، و الحمد مثله. و قيل: الفرق بينهما ان كل شكر حمد، و ليس كل حمد شكرا، لان الإنسان يحمد على إحسانه الى نفسه، و لا يشكر عليه، كما انه يذم على إساءته الى نفسه، و لا يجوز ان يكفر من اجل إساءته الى نفسه.

وَ لَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11)
آية بلا خلاف.
هذا خطاب من اللَّه تعالى لخلقه بأنه خلقهم. و الخلق هو احداث الشىء على تقدير تقتضيه الحكمة، لا زيادة على ما تقتضيه، فيخرج الى الإسراف،

و لا ناقص عنه فيخرج الى الإقتار. و قد استوفينا اختلاف الصور، و الصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة.
و قوله «ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» فالسجود هو وضع الجبهة على الأرض و أصله الانخفاض من قول الشاعر:
ترى الا كم فيها سجدا للحوافر «1»
و قيل فى معنى السجود لآدم قولان:
أحدهما- انه كان تكرمة لآدم و عبادة للَّه، لان عبادة غير اللَّه قبيحة لا يأمر اللَّه بها. و عند أصحابنا كان ذلک دلالة على تفضيل آدم على الملائكة على ما بينا فى سورة البقرة. «2» و قال أبو على الجبائي: أمروا ان يجعلوه قبلة، و أنكر ذلک أبو بكر بن أحمد بن على الأخشاد بأن قال: هو تكرمة.، لأن اللَّه تعالى امتن به على عباده، و ذكرهم بالنعمة فيه. فان قيل كيف قال «ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ» مع أن القول للملائكة كان قبل خلقنا و تصويرنا؟
قلنا عن ذلک ثلاثة أجوبة:
أحدها- قال الحسن و ابو على الجبائى: المراد به خلقنا إياكم ثم صورنا إياكم. ثم قلنا للملائكة، و هذا كما يذكر المخاطب و يراد به أسلافه، و ذكرنا لذلک نظائر فيما مضى، منها قوله «وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ» «3» أى ميثاق اسلافكم. قال الزجاج المعنى ابتدأنا خلقكم بأن خلقنا آدم، ثم صورناه، ثم قلنا.
الثانى- قال ابن عباس و مجاهد و الربيع و قتادة و الضحاک و السدى:
ان المعنى خلقنا آدم ثم صورناكم فى ظهره. ثم قلنا للملائكة.
الثالث- خلقناكم ثم صورناكم ثم إنا نخبركم أنا قلنا للملائكة، كما تقول: انى راحل ثم أنى معجل. و قال الأخفش (ثم) هاهنا بمعنى الواو، كما

---

(1) مر فى 1/ 263
(2) المجلد الاول صفحة 139.
(3) سورة 2 البقرة آية 63، 93

قال «اللّهُ شَهِيدٌ عَلى ما تَعْمَلُونَ» و مثله قوله «ثُمَّ كانَ مِنَ الّذِينَ آمَنُوا» «4» على قول بعض المتأخرين معناه و كان من الذين آمنوا، و مثله «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ» «5» على بعض الأقوال معناه و توبوا اليه، قال الزجاج هذا خطأ عند جميع النحويين. و قال الشاعر:
سألت ربيعة من خيرها أبا ثم اما فقالوا لمه «6»
معناه سألت أولا عن الأب ثم الام. و قال بعضهم: معناه خلقناكم فى ظهور آبائكم ثم صورناكم فى بطون أمهاتكم. و قال قوم: فى الآية تقديم و تأخير، و تقديره خلقناكم بمعنى خلقنا أباكم أى قدرناكم. ثم قلنا للملائكة اسجدوا. ثم صورناكم.

قالَ ما مَنَعَکَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية لما كان من خطاب اللَّه لا بليس حين امتنع من السجود لآدم، انه قال له «ما مَنَعَکَ» بمعنى اى شىء منعک «أَلَّا تَسْجُدَ» و فيه ثلاثة أقوال:
أحدها- ان تكون (لا) صلة مؤكدة، كما قال «لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ» «7» و معناه ليعلم، كقوله «لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ» و كقوله «فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ» و كما قال الشاعر:
أبى جوده لا البخل و استعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله «8»
معناه أبى جوده البخل، و روى أبو عمرو بن العلا: أبى جوده لا البخل

---

(4) سورة 90 البلد آية 17.
(5) سورة 11 هود آية 3، 52، 90
(6) تفسير الطبرى 12: 322.
(7) سورة 57 الحديد آية 29
(8) اللسان (نعم) و تفسير الطبرى 21/ 224 و أمالى ابن الشجرى 2/ 228، 221 و شرح شواهد المغنى 217. و قد روى (فاعله) بدل (قاتله) و روى أيضا «قائله».

بالجر، كأنه قال أبى جوده كلمة البخل، و رواه كذا عن العرب. و قال الزجاج:
فيه وجه ثالث لا البخل على النصب بدلا من (لا) كأنه قال ابى جوده ان يقول (لا) فقال نعم. و هى حكاية فى كل هذا.
الثانى- انه دخله معنى ما دعاک ان لا تسجد.
الثالث- معنى «أَلَّا تَسْجُدَ» ما الحال ان لا تسجد أو ما أحوجک.
و قال الفراء لما تقدم الجحد فى أول الكلام أكد بهذا، كما قال الشاعر:
ما ان رأينا مثلهن لمعشر سود الرؤوس فوالج و فيول «9»
ف (ما) للنفى و (ان) للنفى فجمع بينهما تأكيدا.
فان قيل كيف قال «ما مَنَعَکَ» و لم يكن ممنوعا؟! قلنا: لان الصارف عن الشىء بمنزلة المانع منه، كما ان الداعى اليه بمنزلة الحامل عليه.
و قوله «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» حكاية لجواب إبليس حين ذمه تعالى على الامتناع من السجود، فأجاب بما قال، و هذا الجواب غير مطابق لأنه كان يجب أن يقول معنى كذا، لأن قوله «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ»

جواب لمن يقول أيكما خير، و لكن فيه معنى الجواب، و يجرى ذلک مجرى أن يقول القائل لغيره: كيف كنت، فيقول أنا صالح، و كان يجب أن يقول كنت صالحاً لكنه جاز ذلک، لأنه أفاد انه صالح فى الحال مع ما كان صالحاً فيما مضى. و وجه دخول الشبهة عليه فى أنه خلقه من نار و خلق آدم من طين أنه ظن أن النار إذا كانت أشرف لم يجز أن يسجد الأشرف للأدون، و هذا خطأ، لأن ذلک تابع لما يعلم اللّه من مصالح العباد، و ما يتعلق به من اللطف

---

(9) معانى القرآن 1/ 176، 374 و تفسير الطبرى 12/ 325. (الفوالج) جمع (فالج) و هو الجمل ذو سنامين. و (الفيول) جمع (فيل). و كانت هذه الجمال تجلب من السند، و هى البلاد التى فيها الفيلة. [.....]

لهم، و لم يكن ذلک استخفافاً بهم بالأعمال.

و قد قال الجبائى: إن الطين خير من النار، لأنها أكثر منفعة للخلق من حيث أن الأرض مستقر الخلق و فيها معايشهم، و منها تخرج أنواع أرزاقهم لأن الخيرية فى الأرض أو النار، إنما يراد بهما كثرة المنافع، دون كثرة الثواب، لأن الثواب لا يكون إلا للمكلف المأمور، و هذان جمادان.

و على ما يذهب اليه أصحابنا أن ذلک يدل على تفضيل آدم على الملائكة و كان ذلک مستحقاً، فلذلک أسجد اللّه الملائكة له.

فإن قيل: لم اعترض إبليس على اللّه مع علمه أنه لا يفعل إلا الحكمة؟

قلنا عنه جوابان:

أحدهما- أنه اعترض كما يعترض السفيه على الحكيم الحليم فى تدبيره من غير فكر فى العاقبة.

و الثانى- أن يكون جهل هذا بشبهة دخلت عليه. و على ما نذهب اليه من أنه لم يكن عرف اللّه قط سقطت الشبهة.

و استدل أيضاً بهذه الآية على أن الجواهر متماثلة بأن قيل: لا شىء أبعد الى الحيوان من الجماد، فإذا جاز أن ينقلب الطين حيواناً و إنساناً جاز أن ينقلب الى كل حال من أحوال الجواهر، لأنه لا فرق بينهما فى العقل.

و استدل أيضاً بهذه الآية على أن الأمر من اللّه يقتضى الإيجاب بأن اللّه تعالى ذم إبليس على امتناعه من السجود حين أمره، فلو كان الأمر يقتضى الندب لما استحق العيب بالمخالفة و ترک الامتثال، و الامر بخلاف ذلک فى الآية.

قالَ فَاهْبِطْ مِنْها فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13)
قوله «قالَ فَاهْبِطْ مِنْها» حكاية لقول اللّه تعالى لإبليس و أمره إياه أن
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 360
يهبط منها، و ما بعد القول و إن كان استئنافاً و الفاء لا يستأنف بها و انما يكون كذلک، لأن ما قيل له بعد جوابه الذى أجاب به، فهو حكاية ما كان من الكلام له الثانى بعد الأول.
و الهبوط و النزول واحد. و فرق بينهما بأن النزول يقتضى تنزله الى جهة السفل بمنزلة بعد منزلة، و ليس كذلک الهبوط، لأنه كالانحدار فى المرور الى جهة السفل، و كأن الانحدار دفعة واحدة، كما قال الشاعر:
كل بنى حرة مصيرهم قل و إن أكثروا من العدد
إن يغبطوا يهبطوا و إن أمّروا يوماً فهم للفناء و الفند «1»
و قيل فى الضمير الذى فى قوله «منها» قولان:
أحدهما- قال الحسن: إنه كناية عن السماء، لأنه كان فى السماء فاهبط منها.
الثانى- قال أبو على: كناية عن الجنة.
فان قيل من أين علم إبليس أن اللّه تعالى قال له هذا القول؟
قلنا عنه جوابان: أحدهما- قال أبو على: إنه قال له على لسان بعض الملائكة.
الثانى- أنه رأى معجزة تدله على ذلک.
و قوله «فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها» معناه ليس لک أن تتكبر فيها، و التكبر إظهار كبر النفس على جميع الأشياء، فهو فى صفة العباد ذم، و فى صفة اللّه مدح، كما قال تعالى «الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ» «2» فالجبار القاهر لجميع الأشياء. و المتكبر الدال بذاته على أنه أكبر من جميع الأشياء. و قوله «فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ» أمر من اللّه لإبليس بالخروج، لأنه من الصاغرين.
و الصاغر هو الذليل بصغر القدر، صغر يصغر صغراً و صغاراً، و تصاغرت اليه نفسه ذلًا و مهانة، و الأصل الصغر.

---

(1) قائلة لبيد و قد مر فى 1/ 73
(2) سورة 59 الحشر آية 23.

قالَ أَنْظِرْنِی إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ (14) قالَ إِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِینَ (15)
آیتان.
فی الآیة الأولی حکایة عن إبلیس أنه سأل اللَّه تعالی أن ینظره. و الانظار الامهال الی مدة فیها النظر فی الأمر طال أم قصر. و الانظار و الامهال و التأخیر و التأجیل نظائر فی اللغة، و بینها فرق. و ضد الامهال الاعجال. و أصل الانظار المقابلة، و هی المناظرة. و (الجبلان یتناظران) أی یتقابلان، و نظر الیه بعینه أی قابله لینظر له و نظر الیه بیده، لیظهر له حاله فی اللین و الخشونة أو الحرارة و البرودة.
و قوله «إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ» مدة للانظار الذی طلبه. و البعث الإطلاق فی الامر، و الانبعاث الانطلاق. و البعث و الحشر و النشر و الجمع نظائر.
و یجوز فی «یَوْمِ یُبْعَثُونَ» ثلاثة أوجه من العربیة: بالجر و ترک التنوین علی الاضافة، و الجر مع التنوین علی الصفة. و الفتح و ترک التنوین علی البناء. و لیس بالوجه، لأن الفعل معرب.
و الوجه فی مسألة إبلیس الانظار- مع علمه أنه مطرود ملعون مسخوط علیه- علمه بأن اللَّه یظاهر الی عباده بالإحسان، و یعمهم بفضله و إنعامه، فلم یصرف ارتکابه المعصیة و إصراره علی الخطیئة عن المسألة طامعاً فی الاجابة، و عن انس من بلوغ المحبة.
و قیل فی قوله «قالَ إِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِینَ» هل فیه إجابة الی ما التمسه أم لا؟
فقال السدی و غیره: إنه لم یجبه «إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ» لأنه یوم القیامة، و هو یوم بعث لا یوم موت، و لکن انظر الی یوم الوقت المعلوم، کما ذکره فی سورة اخری «1». و یقوی ذلک قوله «إِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِینَ» و لیس لأحد

---

(1) سورة 38 ص آیة 79- 81.

أن ینظر أحداً الی یوم القیامة علی هذا المعنی.
الثانی- أنه سأل تأخیر الجزاء بالعقوبة الی یوم یبعثون. لما خاف من تعجیل العقوبة، فأنظر علی هذا. و قال قوم: انظر الی یوم القیامة، و الأقوی الوجه الثانی، لأنه لا یجوز أن یعلم اللَّه أحداً من المکلفین الذین لیسوا بمعصومین أنه یبقیهم الی وقت معین، لأن فی ذلک إغراء له بالقبح من حیث أنه یعلم انه باق الی ذلک الوقت فیرتکب القبیح، فإذا قارب الوقت جدد التوبة فیسقط عنه العقاب.
و هل یجوز اجابة دعاء الکافر أم لا؟ فیه خلاف:

فذهب أبو على الى أنه لا يجوز، لما فى ذلک من التعظيم و التبجيل لمجاب الدعوة فى مجرى العادة، ألا ترى أنه إذا قيل: فلان مجاب الدعوة دل ذلک على أنه صالح المؤمنين. و أجاز ذلک أبو بكر بن الأخشاد على وجه الاستصلاح. و كان يقول: بتفصيل ذلک بحسب الوجه الذى يقع عليه.
و كسرت «إن» لأنها حكاية بعد القول، و هى تكسر فى هذا الموضع، و فى الابتداء بها، و إذا كان فى خبرها لام التأكيد. و انما عملت (إن) لشبهها بالفعل الماضى من حيث كانت على ثلاثة أحرف مفتوحة الآخر، فهى بمنزلة (كان) إلا أنه خولف بعملها لأنها حرف.

قالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ وَ لا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ (17)

آيتان بلا خلاف.

قوله «قال فبما» حكاية عن قول إبليس، لما لعنه اللَّه، و طرده و حكى سؤاله الانظار، و اجابة اللَّه تعالى الى شىء منه، قال حينئذ «فَبِما أَغْوَيْتَنِى» أى فبالذى أغويتنى. و قيل فى معنى هذه الباء ثلاثة أقوال: التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 363

أحدهما- انى مع اغوائك إياى كما تقول بقيامك تناول هذا أى مع قيامك.

الثانى- معناه اللام، و التقدير فلإغوائك إياى.

الثالث- أنها بمعنى القسم كقولك باللَّه لأفعلن.

و قيل فى معنى اغويتنى ثلاثة أقوال:

أحدها- قال أبو على و البلخى: معناه بما خيبتنى من جنتك، كما قال الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغوَ لا يعدم على الغى لائما «1»

أى من يخب، و قال قوم: يجوز أن يكون أراد إنك امتحنتنى بالسجود، لآدم فغويت عنده، فقال (أغويتنى) كما قال «فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ» «2».

الثانى- قال ابن عباس و ابن زيد: معناه حكمت بغوايتى كقولك:

أضللتنى أى حكمت بضلالتى.

الثالث- أغويتنى بمعنى أهلكتنى بلعنك إياى، كما قال الشاعر:

معطفة الأثناء ليس فصيلها برازئها درَّاً و لا ميت غوى «3»

أى و لا ميت هلاكاً بالقعود عن شرب اللبن. و منه قوله «فسوف يلقون غياً» «4» أى هلاكاً. و يقولون: غوى الفصيل إذا أنفذ اللبن فمات. و المصدر غِوَى مقصوراً و قوله «لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ» جواب القسم. و القسم محذوف، لأن غرضه بالكلام التأكيد، و هو ضد قوله «ص وَ الْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ» «5»

---

(1) مر هذا البيت فى 2/ 312 و سيأتى فى 5/ 548.

(2) سورة 9 التوبة آية 126.

(3) قائله (مدرج الريح الجرمى) و أسمه (عامر بن المجنون)، الشعر و الشعراء: 713، و المعانى الكبير: 1047 و المخصص 7/ 41، 180 و تهذيب إصلاح المنطق 2/ 54 و اللسان (غوى) و تفسير الطبرى 12/ 333.

(4) سورة 19 مريم آية 59.

(5) سورة 38 ص آية 2.

فانه حذف الجواب، و هى القسم، لأن الغرض تعظيم المقسم به.
و قعوده على الصراط معناه أنه يقعد على طريق الحق ليصد عنه بالإغواء حتى يصرفه الى طريق الباطل عداوة له وكيداً.
و قوله «صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ» قيل فى نصب (صراطك) أنه نصب على الحذف دون الظرف، و تقديره على صراطك، كما قيل ضرب زيد الظهر و البطن أى على الظهر و البطن قال الشاعر:
لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب «6»
و قال آخر:
كأنى إذا أسعى لأظفر طائراً مع النجم فى جو السماء يصوب «7»
أى لأظفر على طائر، و إغواء اللّه تعالى لإبليس لم يكن سبباً لضلاله، لأنه تعالى علم أنه لو لم يغوه لوقع منه مثل الضلال الذى وقع أو أعظم، فأما قول من قال: إنه لو كان ما يفعل به الايمان هو ما يفعل به الكفر، لكان قوله «فَبِما أَغْوَيْتَنِى» و بما أصلحتنى بمعنى واحد، فكلام غير صحيح، لأن صفة الآلة التى يقع بها الايمان خلاف صفتها إذا وقع بها الكفر. و إن كانت واحدة كالسيف. و لا يجب من ذلک أن تكون صفتها واحدة من أجل أنها واحدة بل لا يمتنع أنه متى استعمل آلة الايمان فى الضلال سمى إغواء، و إن استعمل فى الايمان سمى هداية، و إن كان ما يصح به الايمان و الكفر و الضلال واحداً.
و قوله «ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال ابن عباس و قتادة و ابراهيم بن الحكم و السدى و ابن

---

(6) قائله ساعدة بن جؤية الهذلى ديوانه 1/ 190 و سيبويه 1/ 16، 190 و خزانة الأدب 1/ 474 و تفسير الطبرى 12/ 337 و غيرها.
(7) تفسير الطبرى 12/ 337.

جريج: من قبل دنياهم و آخرتهم. و من جهة حسناتهم و سيئاتهم.
الثانى- قال مجاهد: من حيث يبصرون و من حيث لا يبصرون.
الثالث- قال البلخى و أبو على: من كل جهة يمكن الاحتيال عليهم بها.
و قال ابن عباس: و لم يقل من فوقهم، لأن رحمة اللّه تنزل عليهم من فوقهم، و لم يقل من تحت أرجلهم، لأن الإتيان منه موحش. و
قال أبو جعفر (ع) «ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ» معناه أهوّن عليهم أمر الآخرة و من خلفهم أمرهم بجمع الأموال و البخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم «وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ» و أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة و تحسين الشبهة «وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ» بتحبيب اللذاتِ اليهم و تغليب الشهوات على قلوبهم.

و قال الزَجاج: «مِنْ بَيْنِ أيْدِيهِمْ» معناه أغوينهم حتى يكذبوا بالبعث و النشور، «وَ مِنْ خَلْفِهِمْ» حتى يجحدوا ما كان من أخبار الأمم الماضية و الأنبياء السالفة.
و إنما دخلت (من) فى الخلف و القدام، و (عن) فى اليمين و الشمال، لأن فى القدام و الخلف معنى طلب النهاية، و فى اليمين و الشمال الانحراف عن الجهة.
و دخول (ثم) فى الكلام: بيان أن هذا المعنى يكون بعد القعود فى طريقهم.
و قوله «وَ لا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ» إخبار من إبليس أن اللّه لا يجد أكثر خلقه شاكرين. و قيل: يمكن أن يكون علم ذلک من أحد وجهين.
أحدهما- قال أبو على: ذلک علمه من جهة الملائكة باخبار اللّه تعالى إياهم.
الثانى- قال الحسن: يجوز أن يكون أخبر عن ظنه ذلک، كما قال تعالى «وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ» لأنه لما أغوى آدم فاستزله، قال ذرية هذا أضعف منه، و ظن أنهم سيجيبونه و يتابعونه.

قالَ اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکُمْ أَجْمَعِينَ (18)
آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 366
حكى عن عاصم فى الشواذ «لمن تبعک» بكسر اللام، و يكون خبره محذوفاً و تقديره لمن تبعک النار، و ليس بمعروف.
هذا خبر من اللّه تعالى أنه «قالَ اخْرُجْ مِنْها» يعنى من الجنة «مَذْؤُماً» قال ابن عباس: معناه معيباً. و قال ابن زيد: مذموماً، يقال: ذأمه يذأمه ذأماً و ذامه يذيمه ذيماً و ذاماً. و قيل الذأم و الذيم أشد العيب. و مثله اللوم قال الشاعر:
صحبتک إذ عينى عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسى أذيمها «1»
و أكثر الرواية ألومها. و قوله «مَدْحُوراً» فالدحر الدفع على وجه الهوان و الاذلال يقال: دحره يدحره دحراً و دحوراً. و قيل الدحر الطرد- فى قول مجاهد و السدى-.
و قوله «لَمَنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ» جواب القسم، و حذف جواب الجزاء فى «لَمَنْ تَبِعَکَ» لأن جواب القسم أولى بالذكر من حيث أنه فى صدر الكلام، و لو كان فى حشو الكلام، لكان الجزاء أحق منه، كقولک: إن تأتنى و اللّه أكرمک، و لا يجوز أن تكون (من) ههنا بمعنى الذى، لأنها لا تقلب الماضى الى الاستقبال، و يجوز أن تقول: و اللّه لمن جاءک أضربه بمعنى لأضربه، و لم يجز بمعنى لأضربنه، كما يجوز و اللّه أضرب زيداً بمعنى لأضرب و لا يجوز بمعنى لأضربن، لأن الإيجاب لا بد فيه من نون التأكيد مع اللام على قول الزجاج.
و إنما قال «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکُمْ» بلفظ الجمع و إن كان المخاطب واحداً على التغليب للخطاب على الغيبة، كما يغلب المذكر على المؤنث، و كما يغلب الأخف على الأثقل فى قولهم: سنة العمرين، لأن المفرد أخف من المضاف، لأن المعنى لأملأن جهنم منک و ممن تبعک منهم أجمعين، كما ذكره فى موضع آخر.
و قوله «أجمعين» تأكيد لقوله «منكم» و هو و إن كان بلفظ الغائب أكد به المخاطب، لأنه تابع للأول، فإن كان غائباً فهو غائب و إن كان مخاطباً،

---

(1) قائله (الحارث بن خالد المخزومى) الاغانى (دار الثقافة) 3/ 313 و تفسير الطبرى 1/ 265 و 12/ 343.

فهو مخاطب و إن كان متكلماً، فهو متكلم كقولک: نحن منطلق أجمعون عامدون، لأن الاتباع قد دل على ذلک.

وَ يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ (19)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية حكاية خطاب اللَّه تعالى لآدم و أمره إياه أن يسكن هو و زوجه حواء الجنة. و اختلفوا فى الجنة التى أسكن اللَّه آدم فيها.

فقال قوم: إنها جنة الخلد، لأن الجنة إذا أطلقت معرفة بالألف و اللام لا يعقل منها فى العرف إلا جنة الخلد، كما أن السموات و الأرض إذا أطلق لم يعقل منه إلا السموات المخصوصة دون سقف البيت.

و قوله «و زوجک» إنما جاء به على لفظ التذكير، لأن الاضافة أغنت عن ذلک و أبانت عن المعنى، فكان الحذف أحسن، لأنه أوجز يقال: لصاحب المنزل ساكن فيه، و إن كان يتحرک فيه أحياناً للتغليب، لأن سكونه فيه أكثر، بجلوسه و نومه فى ليله. و غير ذلک من أوقاته، و أباح اللَّه تعالى لهما أن يأكلا من حيث شاءا، و أين شاءا ما شاءا، و نهاهما على وجه الندب ألا تقربا هذه الشجرة.

و عندنا إن ذلک لم يكن محرماً عليهما بل نهاهما نهى تنزيه دون حظر و بالمخالفة فاتهما ثواب كثير، و إن لم يفعلا بذلک قبيحاً، و لا أخلا بواجب.

و من خالفنا قال أخطأ فى ذلک على خلاف بينهم بأن ذلک صغيرة أو كبيرة.

و من قال كانت صغيرة، منهم من قال: وقع ذلک منه سهواً و نسياناً. و منهم من قال: وقع ذلک تأويلًا من حيث نهى عن جنس الشجر، فحمله على شجرة بعينها، فأخطأ فى التأويل. و قد بينا فساد ذلک فيما مضى «1».

---

(1) فى المجلد الأول ص 160- 164.

و قوله «فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ» يحتمل أن يكون نصباً على جواب النهى.

و الثانى- أن يكون جزماً عطفاً على النهى، فكأنه قال لا تقربا هذه الشجرة، و لا تكونا من الظالمين. و معنى «الظالمين» على مذهبنا المراد به الباخسين نفوسهم ثواباً كثيراً، و المفوتين نعيماً عظيماً. و من قال: إنهما ارتكبا قبيحاً قال: ظلما أنفسهما بارتكاب القبيح. و على مذهب من يقول بأن ذلک كانت صغيرة وقعت مكفرة لا بد أن يحمل الظلم هاهنا على نقصان الثواب الذى انحبط بمقارنة الصغيرة له، فأبو علىّ: ذهب الى أن ذلک وقع منه نسياناً. و قال البلخى وقع منه تأويلًا، لأنه نهى عن جنس الشجرة فتأوَّله على شجرة بعينها، و هذا خطأ، لأن ما يقطع سهواً أو نسياناً لا يحسن

المؤاخذة به. و أما الخطأ فى التأويل فقد زاد من قال ذلک قبيحاً آخر. أحدهما ارتكاب المنهى. و الثانى الخطأ فى التأويل به.

فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ لِيُبْدِيَ لَهُما ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما وَ قالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ (20)
آية بلا خلاف.
قرأ يحيى بن كثير و يعلى بن حكيم «إِلَّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ» بكسر اللام من قوله «هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لا يَبْلى» الباقون بفتح اللام.
أخبر اللّه تعالى أنه لما نهى آدم و زوجته عن أكل الشجرة وسوس لهما الشيطان. و الوسوسة الدعاء الى أمر بضرب خفى كالهمهمة و الخشخشة قال رؤبة مراجعة:
وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق سراً و قد أوَّن تأوين العقق «1»

---

(1) ديوانه: 108 و اللسان (وسوس) و هو من ارجوزة يصف بها صائداً مختفياً يرتقب حمر الوحش.

و قال الأعشى:
تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل «2»
و قوله «لِيُبْدِيَ لَهُما» فالابداء الاظهار، و هو جعل الشىء على صفة ما يصح أن يدرك، و ضده الإخفاء و كل شىء أزيل عنه الساتر فقد أبدى.
و قوله «ما وُورِيَ» فالمواراة جعل الشىء وراء ما يستره. و مثله المساترة، و ضده المكاشفة، و لم يهمز، لأن الثانية مدة، و لو لا ذلك لوجب الهمز.
و قيل للفرج سوأة، لأنه يسوء صاحبه إظهاره، و كلما قبح إظهاره سوأة، و السوء من هذا المعنى. و إذا بالغوا قالوا: السوأة السوآء، و لم يقصد آدم و حواء (عليهما السلام) بالتناول من الشجرة القبول من إبليس و الطاعة له بل إنما قصدا عند دعائه شهوة نفوسهما، و لو قصدا القبول منه لكان ذلك قبيحاً لا محالة. و قال الحسن لو قصدا ذلك لكانا كافرين.
و فرق بين وسوس اليه و وسوس له مثل قولك ألقى اليه المعنى، و وسوس له معناه أوهمه النصيحة له. فإن قيل كيف وصل إبليس الى آدم و حواء حتى وسوس لهما؟ و هو خارج الجنة، و هما فى الجنة، و هما فى السماء و هو فى الأرض؟ قلنا: فيه أقوال.
أحدها- قال الحسن: كان يوسوس من الأرض الى السماء و الى الجنة فوصلت وسوسته بالقوة التى خلقها اللّه له.
الثانى- قال أبو على إنهما كانا يخرجان من السماء فبلغهما و هما هناك.
الثالث- قال أبو بكر بن الإخشيد إنه خاطبهما من باب الجنة و هما فيها.

و قوله «ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ» فيه قولان:
أحدهما- أن فيه حذفاً و تقديره إلا أن تكونا ملكين و لستما ملكين.
و معناه لئلا تكونا ملكين.

_____

(2) ديوانه: 42 القصيدة 6. [.....]

الثانى- إلا كراهة أن تكونا ملكين.
فإن قيل كيف يموِّه عليهما أن الأكل من الشجرة يوجب الانقلاب من صورة البشرية الى صورة الملائكة أو يوجب الخلود فى الجنة؟! قلنا: عن ذلک جوابان:
أحدهما- أنه أوهم أن ذلک فى حكم اللَّه فى كل من أكل من تلک الشجرة.
الثانى- أنه أراد إلا أن تكونا بمنزلة الملائكة فى علو المنزلة.
و استدل جماعة من المعتزلة بهذه الآية على أن الملائكة أفضل من البشر، و الأنبياء منهم. و هذا ليس بشىء، لأنه لم يجر هاهنا ذكر لكثرة الثواب و أن الملائكة أكثر ثواباً من البشر بل كان قصد إبليس أن يقول لآدم ما نهاک اللّه عن أكل الشجرة إلا أن تكونا ملكين، فإن كنتما ملكين فقد نهاكما، و حيث لستما من الملائكة فما نهاكما اللّه عن أكلها، و تلخيص الكلام أن المنهى من أكل الشجرة هم الملائكة فقط، و من ليس منهم فليس بمنهى، و لا تعلق لذلک بكثرة الثواب و لا بقلته و على قول من كسر اللام لا متعلق فى الآية و لا شبهة.
و الشجرة التى نهى عنها آدم، قال قوم هى الكرمة، و قال آخرون هى السنبلة. و قيل فيه أقوال غيرهما ذكرناها فى سورة البقرة «1».

وَ قاسَمَهُما إِنِّی لَکُما لَمِنَ النَّاصِحِینَ (21)
آية بلا خلاف.
المقاسمة لا تكون إلا بين اثنين، و القسم كان من إبليس لآدم، لأن آدم مقسم له. و انما قال و قاسمهما كما يقال: عاقبت اللص و طارقت النبل و ناولت الرجل و عافاه اللّه، و كذلک قاسمته، لان فی جميع ذلک معنی المقابلة، كأنه قابله فی المنازعة باليمين و المعاقبة مقابلة بالجزاء و كذلک المعافاة، و قال الهذلی:
و قاسمها باللّه جهدا لأنتم ألَذ من السلوی إذا ما نشورها «2»

---

(1) فی تفسير آية 35 المجلد 1/ 158، 162
(2) ديوان الهذليين 1/ 158 و تفسير الطبری 12/ 350

أی حالفها، و فی موضع آخر «قالُوا تَقاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ» «3» أی تحالفوا- و سئل الحسن فقيل له: أ ليس اللّه خلق آدم ليكون خليفة فی الأرض قال: بلی، قال و كان لا بد له من ان يهبط الأرض، قال: لا و اللّه، و لكن لو هبط مطيعا للّه كان خيرا له من ان يهبط عاصيا، و لم يعاتبه اللّه على الهبوط، و انما عاتبه على مخالفة الأمر. و أصل القسم القسمة، قال أعشی بنی ثعلبة:
رضيعی لبان ثدی أم تقاسما باسحم داج عوض لا نتفرق «1»
و القسم تأكيد الخبر بطريقة و اللّه، و باللّه، و تاللّه.
اخبر اللّه تعالى فی هذه الآية ان إبليس حلف، لآدم و حواء انه لهما ناصح فی دعائهما الى التناول من الشجرة و لذلک تأكدت الشبهة عندهما، و ظنا ان أحداً لا يقدم على اليمين باللّه إلا صادقاً، فكان ذلک داعياً لهما الى تناول الشجرة.
و يجوز ان تقول: انی لک لناصح، و لا يجوز ان تقول أنا لک لناصح، لان لام الابتداء موضعها صدر الكلام لا تؤخر عنه الا فی باب (ان) خاصة لئلا يجتمع حرفا تأكيد فی موضع واحد، فيوهم اختلاف المعنی، لان الأصل فی اجتماع الحرفين فی موضع انه لا ينوب أحدهما عن الآخر، و تقدير الكلام، و قاسمهما انی لكما ناصح، ثم فسر ذلک بقوله من الناصحين ليكون متعلقا بقوله لمن الناصحين فقدم الصلة على الموصول، و مثله قوله «وَ أَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» «2» و تقديره و أنا على ذلكم شاهد، و بينه بقوله من الشاهدين.

فَدَلاَّهُما بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَ طَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ ناداهُما رَبُّهُما أَ لَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ (22)

---

(3) سورة النمل آية 49.
(1) ديوانه: 150 و اللسان (عوض)، (سحم) و تفسير الطبرى 12/ 350
(2) سورة 21 الأنبياء آية 56.

آية بلا خلاف.
معنى قوله «فَدَلَّاهُما» حطهما الى الخطيئة بغرور، و منه قولهم: فلان يتدلى الى الشر، لان الشر سافل و الخير عال. و قيل: دلاهما من الجنة الى الأرض بغرور. الغرور إظهار النصح مع ابطان الغش، و أصله الغر: طىُّ الثوب يقال: اطوه على غره أى على كسر طيه، و قال الشاعر:
كأن غرَّ متنه إذ نجنبه سير صناع فى خريز تكلبه «1»
فالغرور بمنزلة الغر لما فيه من اظهار حال و إخفاء حال، و منه الغرر لخفاء ما لا يؤمن فيه. و الغر الذى لم يجرب الأمور، لأنها تخفى عليه. و الغرة الأخذ على غفلة. و الغرارة الوعاء، لأنها تخفى ما فيها. و الأغر الأبيض لظهور الثوب فى غره، و منه الغرة فى الجبهة.
و قوله «فَلَمَّا ذاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما» أى ظهرت عورتاهما، و لم يكن ذلک على وجه العقوبة، لان الأنبياء لا يستحقون العقوبة، و انما كان ذلک لتغير المصلحة، لأنهما لما تناولا من الشجرة اقتضت المصلحة إخراجهما من الجنة و نزعهما لباسهما الذى كان عليهما، و اهباطهما الى الأرض، و تكليفهما فيها.
و قوله «و طفقا» قال ابن عباس: معنى طفق جعل يفعل، و مثله قولهم: ظل يفعل و أخذ يفعل و ابتدأ يفعل، فقد يكون ذلک بأول الفعل و قد يكون بالقصد الى الفعل، و يقال: طفق يَطفِق و طفق يَطفَق طفقا.
و قوله «يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ» معناه يقطفان من ورق الجنة ليستترا به، و يحوزان بعضه الى بعض، و منه المخصف: المثقب الذى يخصف به النعل، و الخصاف الذى يرقع النعل قال الشاعر:

---

(1) قائله (دكين بن رجاء الفقيمى) اللسان (كلب) و «غرَّ متنه» ما تثنى من جلده و (سير صناع) أى سير متصنع به من كثر الخرز فيه.

و أسعى للندى و الثوب جرد محاسرة و فى نعلى خصاف
يعنى ترقيع، و قال الأعشى:
قالت أرى رجلا فى كفه كتف او يخصف النعل لهفى آية صنعا «1»
و منه
قول النبى (ص) (خاصف النعل فى الحجرة) يعنى عليا (ع).
و الاخصاف سرعة العدو، لأنه يقطعه بسرعة. و الخصف ثياب غلاظ جدا، لأنه يعسر قطعها لغلظها. و كان الحسن يقرأ «يخصفان» بمعنى يختصفان.
و قوله «مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ» قيل: انه من ورق التين. و اصل الورق ورق الشجرة، و منه الورق اسم الدراهم. و الورقة سواد فى غبرة كأنه كلون الورق الذى بهذه الصفة، و حمامة ورقاء.
و فى ذلك دلالة على ان ستر العورة كان واجبا فى ذلك الوقت.
و قوله «وَ ناداهُما رَبُّهُما أَ لَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ» حكاية عما قال اللَّه تعالى لآدم و حواء- بعد ان بدت سوآتهما و طفقا يخصفان عليهما من ورق الشجر- أ ليس كنت نهيتكما عن تلكما الشجرة، و انما قال «تلكما» لأنه خاطب اثنين و أشار الى الشجرة، فلذلك قال (تلكما) و «أقل لكما» عطف على «أنهكما» فلذلك جزمه «إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ» يعنى ظاهر العداوة.
و قد بينا ان آدم لم يرتكب قبيحا و ان ما توجه اليه بصورة النهى كان المراد به ضربا من الكراهة دون الحظر، و انما قلنا ذلك لقيام الدلالة على عصمتهما من سائر القبائح صغائرها و كبائرها، فعلى هذا لا يحتاج ان نقول: انهما تأولا فأخطئا، على ما قال البلخى و الرمانى، أو وقع منهما سهواً على ما قاله الجبائى

قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ (23) آية بلا خلاف.

---

(1) ديوانه: 83 القصيدة 13.

فى هذه الآية حكاية عما قال آدم و حواء (ع) لما عاتبهما اللَّه و وبخهما على ارتكابهما ما نهاهما عنه، و اخبار عن اعترافهما على أنفسهما بأن «قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا» و معناه بخسناها الثواب بترک المندوب اليه. و الظلم هو النقص.

و على مذهب من يقول انهما فعلا صغيرة لا بد ان يحمل قوله «ظَلَمْنا أَنْفُسَنا» على تنقيص الثواب، لان عندهم ان الصغيرة انقصت ثواب طاعاتهم، فكان ذلک ظلما للنفس، فأما من يقول: ان الصغيرة انقصت ثواب طاعاتهم، فكان ذلک ظلما للنفس، فأما من يقول: ان الصغير تقع مكفرة من غير ان ينقص من ثواب فاعلها شىء، فلا يتصور معنى لقوله «ظَلَمْنا أَنْفُسَنا» و لا يثبت فيهما فائدة، لأنهما لم يستحقا عقابا بلا خلاف.

و صفة ظالم مفارقة لقولنا: ظلمنا، لان الظالم اسم ذم فى اكثر التعارف، و ظلم قد يستعمل فى غير المستحق للعقاب و الذم، كما ان اسم (مؤمن) اسم مدح لمستحق الثواب، و آمن يؤمن بخلاف ذلک عند القائلين بالوعيد.

و قوله «وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا» معناه ان لم تستر علينا، لان الغفر هو الستر على ما بيناه فيما مضى، و على مذهب من يقول: ان معصيتهم كانت صغيرة وقعت مكفرة لا معنى لقوله «وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا»، لان الغفران كائن لا محالة، و لا يحسن المؤاخذة به.

و قوله «لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ» المعنى ان لم تتفضل علينا بنعمک التى تتم بها ما فوتناه نفوسنا من الثواب بضروب تفضلک لنكونن من جملة من خسر، و لم يربح. و الإنسان يصح ان يظلم نفسه بأن يدخل عليها ضررا غير مستحق، و لا يدفع عنها ضررا أعظم، و لا يجتلب منفعة توفى عليه. و لا يصح ان يكون معاقبا لنفسه، و يجوز ان يأمر اللَّه تعالى المكلف ان يضر بنفسه، و لا يحسن ان يأمره ان يعاقب نفسه، لان امر الحكيم يدل على الترغيب فى الشىء، و لا يجوز أن يرغبه فى عقابه، كما لا يجوز ان يرغبه فى ذمه و لعنه.

قالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِی الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلی حِینٍ (24)

آية بلا خلاف.

اختلفوا فی المعنی بهذه الآية، فقال السدی و أبو علی الجبائی و أبو بكر ابن الإخشيد: ان المراد بالخطاب آدم و حواء و إبليس، جمع بينهم فی الذكر، و ان كان الخطاب لهم وقع فی أوقات متفرقة، لان إبليس امر بالهبوط حين أمتنع من السجود، و آدم و حواء حين أكلا من الشجرة، و انتزع لباسهما. و قال أبو صالح: الخطاب متوجه الی آدم و حواء و الحية. و قال الحسن- قولا بعيدا من الصواب- و هو ان المراد به آدم و حواء و الوسوسة، و هذا قول منعزب عنه، لان الوسوسة لا تخاطب.

و الهبوط هو النزول بسرعة، و البعض هو أحد قسمی العدة، و أحد قسمی العشرة بعضها، و احد قسمی الاثنين بعضهما و لا بعض للواحد، لأنه لا ينقسم. و قوله «بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ» أضاف (البعض) الی جملة هو منها، و لا يجوز ان يضاف (غير) الی جملة هو منها، لان اضافة (غير) الی الجملة و التفصيل لصحة ان يكون لكل واحد غير، و ليس كذلک بعض، لأنه لا يصح ان يكون لكل واحد بعض فأضافته الی الجملة فقط.

و العدوُّ ضد الوليِّ، و من صفة العدو انه مراصد بالمكاره. و من صفة الوليِّ انه مراصد بالمحاب. و قال الرمانی: العدو هو النائی بنصرته فی وقت الحاجة الی معونته، و الولی هو الدانی بنصرته فی وقت الحاجة الی معونته.

و قوله «وَ لَكُمْ فِی الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ» فالمستقر قيل فی معناه قولان:

أحدهما- قال ابو العالية: هو موضع استقرار.

الثانی- انه الاستقرار بعينه، لان المصدر يجیء علی وزن المفعول نحو

و «نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيماً» «1» أی إدخالا كريما قال الشاعر:

أقاتل حتی لا أری لی مقاتلا و أنجو إذا غم الجبان من الكرب «2»

و قوله «وَ مَتاعٌ إِلی حِینٍ» فالمتاع الانتفاع بما فيه عاجل استلذاذ، لان المناظر الحسنة يستمتع بها لما فيها من عاجل اللذة. و الحين الوقت، قصيرا كان او طويلا، الا انه قد استعمل علی طول الوقت- هاهنا- و ليس بأصل فيه كقول القائل: ما لقيته منذ حين قال الشاعر:

و ما مزاحک بعد الحلم و الدين و قد علاک مشيب حين لا حين «3»

أی وقت لا وقت، و قال البلخی «الی حين» معناه الی القيامة.

قالَ فِيها تَحْيَوْنَ وَ فِيها تَمُوتُونَ وَ مِنْها تُخْرَجُونَ (25)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن ذكوان و حمزة و الكسائى و خلف و يعقوب «تخرجون» بفتح التاء و ضم الراء. الباقون بضم التاء و فتح الراء. من قرأ بضم التاء، فلقوله «انكم مخرجون» «4» و قوله «كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى» «5». و من فتح التاء، فلإجماع الكل فى قوله «ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ» «6» بفتح التاء و لقوله «إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ» «7» فأسندَ الفعل اليهم، و لأنه أشبه

---

(1) سورة 4 النساء آية 30
(2) قائله كعب بن مالک. اللسان (قتل).
(3) قائله جرير. ديوانه: 586 و سيبويه 1/ 358 و مجاز القرآن 1/ 212 و تفسير الطبرى 12/ 359. و رواية الديوان و سيبويه (ما بال جهلک بعد الحلم و الدين).
(4) سورة 23 المؤمنون آية 35
(5) سورة 7 الأعراف آية 56.
(6) سورة 30 الروم آية 25
(7) سورة 36 يس آية 51. [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 377
بما قبله من قوله «فِيها تَحْيَوْنَ وَ فِيها تَمُوتُونَ» «8» و كما قال «كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ» «9» أضاف الفعل اليهم.
و فى الآية اخبار من اللَّه تعالى و حكاية عما قاله لآدم انكم تحيون فى هذه الأرض التى تهبطون اليها، و فيها تموتون، و منها تخرجون، للبعث يوم القيامة.
قال الجبائى فى الآية دلالة على ان اللَّه (عز و جلَّ) يخرج العباد يوم القيامة من هذه الأرض التى حيوا فيها بعد موتهم، و انه يفنيها بعد ان يخرج العباد منها فى يوم الحشر، و إذا أراد إفناءها زجرهم عنها زجرة فيصيرون الى ارض اخرى و هذا معنى قوله «فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ» «10».

يا بَنِی آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِی سَوْآتِكُمْ وَ رِيشاً وَ لِباسُ التَّقْوی ذلِكَ خَيْرٌ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26)
آية بلا خلاف.
قرأ أهل المدينة، و ابن عامر و الكسائی «و لباس التقوی» بالنصب.
الباقون بالرفع، و من نصب حمله علی (انزل) من قوله «قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً، ... وَ لِباسُ التَّقْوی» و أنزلنا هاهنا مثل قوله «وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» «11» و مثل قوله «وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ» «12» أی خلق. و انما قال «أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً» لاحد أمرين.
أحدهما- لأنه ينبت بالمطر الذی ينزل من السماء، فی قول الحسن و الجبائی.
الثانی- لأن البركات تنسب الی أنها تأتی من السماء كقوله

---

(8) سورة 7 الاعراف آية 24
(9) سورة 7 الاعراف آية 29.
(10) سورة 79 النازعات آية 14.
(11) سورة 57 الحديد آية 25
(12) سورة 39 الزمر آية 6.

«وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» «3» و قوله «ذلک» علی هذا مبتدأ و خبره (خير)، و من رفع قطع اللباس من الاول و استأنف، فجعله مبتدأ و جعل قوله «ذلک» صفة له أو بدلا أو عطف بيان. و من قال «ذلک» لغو فقد أخطأ، لأنه يجوز أن يكون علی أحد ما قلناه، و (خير) خبر ل (لباس) و تقديره لباس التقوی خير لكم إذا أخذتم به و أقرب لكم الی اللّه مما خلق لكم من اللباس و الرياش الذی يتجمل به، و أضيف اللباس الی التقوی كما أضيف فی قوله «فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ» «4» الی (الجوع).
و هذه الآية خطاب من اللّه تعالی لأهل كل زمان من المكلفين علی ما يصح و يجوز من وصول ذلک اليهم، كما يوصی الإنسان لولده و ولد ولده- و ان نزلوا- بتقوی اللّه و إيثار طاعته، و يجوز خطاب المعدوم بمعنی أن يراد بالخطاب إذا كان المعلوم أنه سيوجد و تتكامل فيه شروط التكليف، و لا يجوز أن يراد من لا يوجد لأن ذلک عبث لا فائدة فيه.
و اللباس كلما يصلح للبس من ثوب أو غيره من نحو الدرع، و ما يغشی بها البيت من نطع او كسوة. و أصله المصدر تقول: لبسه يلبسه لبَساً و لباساً، و لبساً- بكسر اللام- قال الشاعر:

فلما كشفن اللبس عنه مسحنه بأطراف طفل زان غيلا موشما «5»
الغيل الساعد، و وصفها بلطف الكف. (و الريش): ما فيه الجمال، و منه ريش الطائر، و قيل أصله المصدر من راشه يريشه، و قد تريش فلان أى صار له ما يعيش به، قال الشاعر أنشده سيبويه:
و ريشى منكم و هواى معكم و إن كانت زيارتكم لماما «6»

---

(3) و سورة 57 الحديد آية 25
(4) سورة 16 النحل آية 112.
(5) قائله «حميد بن ثور الهلالى» ديوانه 14 و معانى القرآن 1/ 375 و تفسير الطبرى 12/ 364 و اللسان (لبس)، (طفل).
(6) كتاب سيبويه 2/ 45 نسبه الى الراعى.

و قال سعيد الجهنى الرياش المعاش. و قال الزجاج: الريش اللباس يقولون: أعطيت الرجل فريشته أى كسوته، و جمعه رياش.
قال مجاهد: و إنما ذكر اللباس- هاهنا- لأن المشركين كانوا يتعرون فى الطواف حتى تبدو سوآتهم باغواء الشياطين، كما أغوى أبويهم قبل هذا الإغواء. و قوله «يُوارِى سَوْآتِكُمْ» معناه يستر ما يسوؤكم انكشافه من الجسد، لأن السوءة ما يسوء انكشافه من الجسد، و العورة ترجع الى النقيصة فى الجسد قال الشاعر:
خرقوا جيب فتاتهم لم يبالوا سوءة الرجلة «7»
و لِباسُ التَّقْوى فيه خمسة أقوال:
أحدها- قال ابن عباس: هو العمل الصالح.
الثانى- قال قتادة و السدى و ابن جريج هو الايمان.
الثالث- قال الحسن: هو الحياء الذى يكسبكم التقوى.
الرابع- قال الجبائى: هو الذى يقتصر عليه من أراد التواضع و النسك فى العبادة من لبس الصوف و الخشن من الثياب.
الخامس- قال الرمانى: هو العمل الذى يقى العقاب، و فيه الجمال مثل جمال الناس من الثياب. و قال الحسين بن على المغربى «لِباسُ التَّقْوى» يعنى الذى كان عليكما فى الجنة خير لكم بدلالة قوله «ذلك» و هى للبعيد.
و قوله «ذلِكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ» معناه إن الذى فعلناه بكم من حجج اللّه التى دلتكم على توحيده من اللّه «لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ» معناه لكى يتفكروا فيها و يؤمنوا باللّه و برسوله.

---

(7) اللسان (رجل) و الكامل للمبرد 1/ 165 و تفسير الطبرى 12/ 361 و شرح الحماسة 1/ 117.

يا بَنِى آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْآتِهِما إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (27)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب من اللَّه لأولاد آدم العقلاء منهم المكلفين، فنهاهم أن يفتنوا بفتنة الشيطان. و الفتنة هى الاختبار و الابتلاء و افتتان الشيطان يكون بالدعاء الى المعاصى من الجهة التى تميل اليها النفوس و ما تشبهيه. و انما جاز ان ينهى الإنسان بصيغة النهى للشيطان، لأنه أبلغ فى التحذير من حيث يقتضى أنه يطلبنا بالمكروه، و يقصدنا بالعداوة، فالنهى له يدخل فيه النهى لنا عن ترک التحذير منه.

و قوله «كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ» يعنى أغوى أبويكم آدم و حواء حتى خرجا من الجنة، فنسب الإخراج اليه لما كان باغوائه، و جرى ذلک مجرى ذم اللَّه تعالى فرعون بأنه يذبح أبناءهم و إنما أمر بذلک، و تحقيق الذم فيها راجع الى فعل القتل المذموم، و لكنه يذكر بهذه الصفة لبيان منزلة فعله فى عظم الفاحشة.

و قوله «يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما» فى موضع الحال من الشيطان، و تقديره نازعاً عنهما لباسهما لكى تبدوا سوءاتهما فيرياها، و النزع قلع الشىء من موضعه الذى هو ملابس له و يقال: نزع من الأمر ينزع نزوعاً تشبيهاً بهذا، و نازعه إذا حاول كل واحد منهما أن يزيل صاحبه عما هو عليه، و غرض الشيطان فى ان يريا سوآتهما هو ان يغمهما ذلک و يسوأهما ان تبدو لغيرهما، كما بدا لهما، لان ذلک صفة كل من له مروءة. و اللباس الذى ينزع عنهما قيل فيه ثلاثة التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 381

أقوال:

أحدها- قال ابن عباس: كان لباسهما الظفر.

و قال وهب بن منية كان لباسهما نوراً.

و قال قوم هى ثياب من ثياب الجنة.

و قوله «إنه» يعنى الشيطان «يَراكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ» و انما كانوا يرونا و لا نراهم لان أبصارهم احد من أبصارنا، و أكثر ضوءاً من أبصارنا، فابصارنا قليلة الشعاع، و مع ذلک أجسامهم شفافة و أجسامنا كثيفة، فصح أن يرونا و لا يصح منا أن نراهم، و لو تكثفوا لصح منا أيضاً أن نراهم.

و قال أبو على: فى الآية دلالة على بطلان قول من يقول: إنه يرى الجن من حيث أن اللَّه عمَّم أن لا نراهم، قال: و إنما يجوز أن يروا فى زمن الأنبياء

بأن يكثف اللّه أجسامهم.
و قال أبو الهذيل و أبو بكر بن الإخشيد: يجوز أن يمكنهم اللَّه أن يتكثفوا فيراهم حينئذ من يختص بخدمتهم.
و قبيل الشيطان، قال الحسن و ابن زيد: هو نسله، و به قال أبو على، و استدل على ذلک بقوله «أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِی وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ» «1».
و قوله «إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ» معناه إنا حكمنا بذلک لأنهم يتناصرون على الباطل، و مثله قوله «وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً» «2» أى حكموا بذلک حكما باطلا.
و (حيثَ) فى موضع خفض بحرف (من) غير أنها بنيت على الضم، و أصلها ان تكون مرفوعة لأنها ليست لمكان بعينه، و ان ما بعدها صلة لها ليست بمضافة اليه. و منهم من يقول (من حيث) خرجت- بالفتح- لالتقاء الساكنين. و منهم من يقول (حوث) و لا يُقرأ بهما.

---

(1) سورة 18 الكهف آية 51.
(2) سورة 43 الزخرف آية 19.

وَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَ اللَّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (28)
آية بلا خلاف.
الكناية فى قوله «فَعَلُوا فاحِشَةً» كناية عن المشركين، الذين كانوا يبدون سوآتهم فى طوافهم: النساء و الرجال الحمس خاصة، و له خبر طويل- فى قول ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبير و الشعبى و السدى، و قالت العامرية:
اليوم يبدو بعضه او كله و ما بدا منه فلا أحله «1»
قال الفراء: كانوا يعملون ستاً من سور مقطعة يشدون على حقوهم فسمى حوقاً، و إن عمل من صوف سمى رهطاً.
و قال الحسن و أبو على: هى كناية عن عبدة الأوثان و فواحشهم الشرك باللّه و الكفر بنعمه. و الفاحشة ما عظم قبحه فى قول الزجاج، يقال فحش يفحش فحشاً، و لا يقال فى الصغيرة- عند من قال بها- فاحشة، و إن قيل فيها: إنها قبيحة، كما لا يقال فى القوم فاحش، و إن قيل: قبيح.
أخبر اللّه تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم «إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً» و ارتكبوا قبيحاً اعتذروا لنفوسهم بأن قالوا: وجدنا آباءنا يفعلونها. قال الحسن:
و إنما دعاهم الى هذا القول، لأن أهل الجاهلية كانوا أهل إجبار، و قالوا: لو كره اللّه ما نحن عليه من هذا الدين لنقلنا عنه، فهو قوله «وَ اللَّهُ أَمَرَنا بِها» و قال غيره: إنهم توهموا أن آباءهم لم يفعلوا ذلک إلا و هو من قبل اللّه.
و إنما قال آباؤهم بسببه فحينئذ رد اللَّه عليهم قولهم بأن قال «إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ» ثم قال على وجه الإنكار «أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ»؟!

---

(1) تفسير الطبرى: 12/ 377، 389، 390، 391، 393 و معانى القرآن للفراء 1/ 377.

لأنهم ان قالوا لا، نقضوا مذهبهم، و إن قالوا: نعم، افتضحوا فى قولهم و قال الزجاج: معنى «أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ» أ تكذبون عليه؟! و فى الآية حجة على أصحاب المعارف، و أهل التقليد، لأنه ذم الفريقين، و لو كان الأمر على ما يقولون لما توجه عليهما الذم!!.
فإن قيل: إنما أنكر اللّه قولهم: إن اللَّه أمرنا بها، و لا يدفع ذلک أن يكون مريداً لها، لأن الأمر منفصل من الارادة.

قلنا: الأمر لا يكون أمراً إلا بارادة المأمور به، فما أراده فقد رغب فيه و دعا اليه فاشتركا فى المعنى.

قُلْ أَمَرَ رَبِّی بِالْقِسْطِ وَ أَقِیمُوا وُجُوهَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ کَما بَدَأَکُمْ تَعُودُونَ (29) فَرِیقاً هَدی وَ فَرِیقاً حَقَّ عَلَیْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّیاطِینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (30)
آیتان، تمام الأولی فی الکوفی «تعودون» و فی البصری تمام الأولی «مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ» و تمام الأخری عند الجمیع «مهتدون».
لما أخبر اللّه تعالی عن هؤلاء الکفار أنهم قالوا: إن اللّه أمرنا بما نفعله و نعتقده من الفواحش، و ردَّ علیهم بقوله «إِنَّ اللَّهَ لا یَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ» أمر نبیه (ص) أن یقول «ان الله یأمر بالقسط» و هو العدل- فی قول مجاهد و السدی و أکثر المفسرین- و أصله العدول، فإذا کان الی جهة الحق، فهو عدل. و منه قوله «إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُقْسِطِینَ» «1». و إذا کان الی جهة الباطل،

---

(1) سورة 5 المائدة آیة 45 و سورة 49 الحجرات آیة 9 و سورة 60 الممتحنة آیة 8. [.....]

فهو جور، و منه قولهَ أَمَّا الْقاسِطُونَ فَکانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً» «2». و أمرهم أن یقیموا وجوههم عند کل مسجد و قیل فیه وجوه:
أحدها- قال مجاهد و السدی و ابن زید: معناه توجهوا الی قبلة کل مسجد فی الصلاة علی استقامة.
الثانی- قال الربیع: توجهوا بالإخلاص للّه، لا للوثن و لا غیره. و قال الفراء: معناه إذا دخل علیک وقت الصلاة فی مسجد فصل فیه، و لا تقل آتی مسجد قومی، و هو اختیار المغربی:
و قوله «وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ» أمرهم بالدعاء و التضرع الیه تعالی علی وجه الإخلاص. و أصل الإخلاص إخراج کل شائب من الخبث، و منه إخلاص الدین للّه (عز و جل) و هو توجیه العبادة الیه خالصاً دون غیره.
و قوله «کَما بَدَأَکُمْ تَعُودُونَ» قیل فی معناه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس و الحسن و قتادة و مجاهد و ابن زید: کما خلقکم أولًا تعودون بعد الفناء، و
روی عن النبی (ص) أنه قال (یحشرون عراة حفاة عزلًا، کما بدأنا أول خلق نعیده. وعداً علینا انا کنا فاعلین).
الثانی- قال ابن عباس و جابر فی روایة أنهم یبعثون علی ما ماتوا علیه: المؤمن علی إیمانه و الکافر علی کفره. و إنما ذکر هذا القول، لأحد أمرین:
أحدهما- قال الزجاج: علی وجه الحجاج علیهم، لأنهم کانوا لا یقرُّون بالبعث.

الثانى- على وجه الأمر بالإقرار به، كأنه قيل و أقروا أنه كما بدأكم تعودون. و البدأ فعل الشىء أول مرة، و العود فعله ثانى مرة. و قد يكون فعل أول خصلة منه بدأ، كبدء الصلاة، و بدء القراءة، بدأهم و أبداهم لغتان.
و قوله «فَرِيقاً هَدى» فالفريق جماعة انفصلت من جماعة، و ذكر (فريق) هاهنا أحسن من ذكر (نفر و قوم أو نحوه) لما فيه من الاشعار بالمباينة و نصب

---

(2) سورة 72 الجن آية 15.

«فريقاً هدى». و قوله «وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ» لتقابل فريقاً هدى بعطف فعل على فعل، و تقديره و فريقا أضل إلا انه فسره ما بعده نظير قوله «يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِى رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً» «1». و قال الفراء: نصب فريقاً على الحال، و العامل فيه (تعودون) فريقاً، و الثانى عطف عليه، و لو رفع على تقدير أحدهما كذا، و الآخر كذا، كان جائزاً كما قال «قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتا: فِئَةٌ تُقاتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرى كافِرَةٌ» «2» و الهدى و الإضلال فى الآية يحتمل أربعة أوجه:
أحدها- أنه حكم بأن هؤلاء مهتدون مدحاً لهم، و حكم بأن أولئک ضالون ذماً لهم.
الثانى- الدلالة التى انشرح بها صدور هؤلاء للاهتداء، و ضاقت بها صدور أولئک لشدة محبتهم لما هم عليه من مذهبهم.
الثالث- هدى بأن لطف لهؤلاء بما اهتدوا عنده، و صار كالسبب لضلال أولئک بتخيرهم لينتقلوا عن فساد مذهبهم.
الرابع- أنه هدى هؤلاء الى طريق الثواب، و أولئک لعمى الإضلال عنه بالعقاب فى النار.
و قوله «إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» اخبار منه تعالى انه فعل بهم ما فعل من الضلال، لأنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون اللّه، و الاتخاذ الافتعال من الأخذ بمعنى أعداد الشىء لأمر من الأمور، فلما أعدوا الشياطين لنصرتهم، كانوا قد اتخذوهم أولياء باعدادهم.
و قوله «وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ» يعنى هؤلاء الكفار يظنون أنهم مهتدون. و الحسبان و الظن واحد، و هو ما قوى عند الظَّانِّ كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه أن يكون على غيره، فبالقوة يتميز من اعتقاد التقليد و التخمين، و بالتجويز يتميز من العلم، لأن مع العلم القطع.

---

(1) سورة 76 الدهر آية 31.
(2) سورة 3 آل عمران آية 13.

يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)
آية بلا خلاف.
أمر اللَّه تعالى فى هذه الآية أولاد آدم الذكور منهم،- لأن (بنى) جمع ابن، و إنما نصب لأنه نداء مضاف، و الابن هو الولد الذكر، و البنت الولد الأنثى- أمرهم اللَّه بأن يأخذوا، و معناه أن يتناولوا زينتهم. و الزينة هى اللبسة الحسنة، و يسمى ما يتزين به زينة، كالثياب الجميلة و الحلية، و نحو ذلك. و قوله «عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ»
روى عن أبى جعفر (ع) أنه قال فى الجمعات و الأعياد.
و قال ابن عباس و عطاء و ابراهيم و الحسن و قتادة و سعيد ابن جبير: كانوا يطوفون بالبيت عراة فنهاهم اللَّه عن ذلك. و قال مجاهد:
ما وارى العورة، و لو عباءة. و قال الزجاج: هو أمر بالاستتار فى الصلاة، قال أبو على: و لهذا صار التزين للاعياد، و الجمع سنَّة.
و قيل فى وجه شبهتهم فى تعرِّيهم فى الطواف و إبداء السوأة وجهان:
أحدهما- أن الثياب قد دنستها المعاصى فيجردوا منها.
الثانى- تفألوا بالتعرى من الذنوب.
و قوله «وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا» صورته صورة الأمر، و معناه إباحة الأكل و الشرب.
و قوله «و لا تسرفوا» نهى لهم عن الإسراف، و هو الخروج عن حد الاستواء فى زيادة المقدار. و قيل: المراد الخروج عن الحلال إلى الحرام، و قيل: الخروج مما ينفع الى ما يضر، و قيل: الزيادة على الشبع فالإسراف و الإقتار مذمومان.
و قوله «إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» معناه يبغض المسرفين، لأنه ذم لهم، و لو كان بمعنى لا يحبهم و لا يبغضهم لم يكن ذماً لهم و لا مدحاً، و قال أبو على:

من لا يحبه اللَّه فهو يبغضه و يعاديه.

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّیِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِیَ لِلَّذِینَ آمَنُوا فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا خالِصَةً یَوْمَ الْقِیامَةِ کَذلِکَ نُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ (32)

آية بلا خلاف.

قرأ نافع وحده «خالصة يوم القيامة» بالرفع. الباقون بالنصب.

من رفعه جعله خبر المبتدأ الذى هو (هى) و يكون «لِلَّذِينَ آمَنُوا» تبييناً للخلوص، و لا شىء فيه على هذا. و من قال هذا حلو حامض أمكن أن يكون «للذين آمنوا» خبراً و (خالصة) خبراً آخر. و من نصب (خالصة) كان حالًا مما فى قوله «للذين آمنوا» ألا ترى أن فيه ذكراً يعود الى المبتدأ الذى هو (هى) فخالصة حال عن ذلک الذكر، و العامل فى الحال ما فى اللام من معنى الفعل، و «هى» متعلقة بمحذوف يعود اليه الذكر الذى كأن يكون فى المحذوف، و لو ذكر و لم يحذف، و ليس متعلقاً بالخلوص، كما تعلق به فى قول من رفع. و تقديره هو للذين آمنوا فى الحياة الدنيا لهم خالصة، ذكره الفراء.

و حجة من رفع أن المعنى هى خالصة للذين آمنوا يوم القيامة، و إن شركهم فيها غيرهم من الكافرين فى الدنيا.

و من نصب فالمعنى عنده هى ثابتة للذين آمنوا فى حال خلوصها يوم القيمة لهم و انتصابه على الحال أشبه بقوله «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِی جَنَّاتٍ وَ عُیُونٍ آخِذِینَ» «1» و نحو ذلک مما انتصب الأمر فيه على الابتداء و خبره، و ما يجرى مجراه إذا كان فيه معنى (فعل).

لما أباح اللّه تعالى و حث على تناول الزينة فى كل مسجد و ندب اليه و أباح

---

(1) سورة 51 الذاريات آية 15.

الاكل و الشرب، و نهى عن الإسراف، و هناک قوم يحرمون كثيرا من الأشياء من هذا الجنس، قال اللّه تعالى منكراً لذلک «مَنْ حَرَّمَ زِینَةَ اللَّهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّیِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ». و قيل فى معنى الطيبات قولان: أحدهما- المستلذ من الرزق. الثانى- الحلال من الرزق، و الاول أشبه بخلوصه يوم القيامة. و إنما ذكر الطيبات من جملة ذلک- فى قول ابن زيد و السدى- لأنهم كانوا يحرمون البحائر و السوائب، و ظاهر الآية يدل على أنه لا يجوز لأحد تجنب الزينة و الملاذ الطيبة على وجه التحريم، و أما من اجتنبها على ان غيرها أفضل منها فلا مانع منه.

ثم أخبر تعالى فقال (هى) يعنى الطيبات «لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ» و قيل فى معنى «خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ» قولان:
أحدهما- قال ابن عباس و الحسن و الضحاک و ابن جريج، و ابن زيد: هى خالصة للمؤمنين دون أعدائهم من المشركين.
و قال أبو على: هى خالصة لهم من شائب مضرَّة تلحقهم.
و قال أبو على الفارسى: لا يخلو قوله «فِى الْحَياةِ الدُّنْيا» من أن يتعلق ب (حرم) أو ب (زينة) أو ب (أخرج) أو ب «الطيبات» أو ب «الرزق» من قوله «من الرزق» أو بقوله «آمنوا» و لا يجوز أن يتعلق ب (حرم) فيكون التقدير قل من حرم فى الحياة الدنيا، و يكون المعنى قل من حرم فى وقت الحياة الدنيا، و لا يجوز أن يتعلق ب (زينة) لأنه مصدر أو جار مجراه، و لما وصفها لم يجز أن يتعلق بها شىء بعد الوصف كما لا يتعلق به العطف عليه، و يجوز أن يتعلق ب (أخرج) لعباده فى الحياة الدنيا.
فإن قيل: كيف يتعلق ب (أخرج) و فيه فصل بين الصلة و الموصول بقوله «قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا» و هو كلام مستأنف ليس فى الصلة؟
قيل لا يمنع الفصل به، لأنه مما يسدد القصة، و قد قال «وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» «1» فقوله «وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ»

---

(1) سورة 10 يونس آية 27.

معطوف على كسبوا، فكذلک قوله «قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا».
و يجوز أن يتعلق ب (الرزق) أيضاً إن كان موصولًا.
و يجوز أن يتعلق ب (آمنوا) الذى هو صلة (الذين) أى آمنوا فى الحياة الدنيا، و كل ما ذكرناه من هذه الأشياء يجوز أن يتعلق به هذا الظرف.
و قوله «كَذلِکَ نُفَصِّلُ الْآياتِ» أى كما نميز لكم الآيات و ندلكم بها على منافعكم و صلاح دينكم، كذلک نفصل الآيات لكل عاقل يعلم معناها و دلالتها.

قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (33)

آية بلا خلاف.

لما أنكر تعالى على من حرم زينة اللَّه التى أخرج لعباده و الطيبات من الرزق، و ذكر أنه أباح ذلک للمؤمنين فى دار الدنيا بيَّن عقيب ذلک ما حرمه عليهم، فقال «قل» يا محمد «إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ» و معناه لم يحرم ربى إلا الفواحش، لأنا قد بينا أن (إنما) تدل على تحقيق ما ذكر، و نفى ما لم يذكر.

و التحريم هو المنع من الفعل باقامة الدليل على وجوب تجنبه، و ضده التحليل، و هو الإطلاق فى الفعل بالبيان عن جواز تناوله. و أصل التحريم المنع من قولهم: حرم فلان الرزق، فهو محروم حرمانا، و حرم الرجل إذا لج فى الشىء بالامتناع منه، و حرمه تحريماً، و أحرم بالحج إحراماً و تحرَّم بطعامه تحرما، و استحرمت الشاة إذا طلبت الفحل، لأنها تتبعه كما تتبع الحرمة البعل، و الحرمة مكة و ما حولها مما هو معروف، و أشهر الحُرم ذو العقدة و ذو التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 390

الحجة و المحرم و رجب، و المحرَم القرابة التى لا يحل تزوجها، و حريم الدار ما كان من حقوقها، و المحرم السوط الذى لا يلين لأنه حرام أن يضرب به حتى يلين.

و الفواحش جمع فاحشة، و هى أقبح القبائح. و هى الكبائر.

و قوله «ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ» يعنى ما علن و ما خفى.

و قد قدمنا اختلاف المفسرين فى ذلک، و انما ذكر مع الفواحش هذه القبائح، و هى داخلة فيها لأحد أمرين:

أحدهما- للبيان عن التفصيل، كأنه قيل الفواحش التى منها الإثم، و منها البغى، و منها الاشراک باللَّه.

و الثانى- ان الفواحش- هاهنا- الزنا و هو الذى بطن، و التعرى فى الطواف، و هو الذى ظهر- فى قول مجاهد- و قال قوم: الإثم هو الخمر، و ما ظهر الزنا، و ما بطن هو نكاح امرأة الأب، و الإثم يعم جميع المعاصى، و أنشد ابن الانبارى فى أن الإثم هو الخمر:

شربت الإثم حتى ضل عقلى كذاک الإثم يصنع بالعقول «1»

و قال الفراء: الإثم ما دون الحد، و البغى هو الاستطاعة على الناس، وحده طلب الترأس بالقهر من غير حق. و أصل البغى الطلب، تقول: هذه بغيتى أى طلبتى، و أبتغى كذا ابتغاء. و ما تبغى؟ أى ما تطلب، و ينبغى كذا أى هو

الأولى أن يطلب.
و قوله «ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً» السلطان الحجة- فى قول الحسن و غيره- و مثله البرهان و البيان و الفرقان، و حدودها تختلف، فالبيان إظهار المعنى للنفس كإظهار نقيضه، و البرهان إظهار صحة المعنى و فساد نقيضه، و الفرقان إظهار تميز المعنى مما التبس به. و السلطان إظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال.

---

(1) اللسان (أثم).

و «أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» أى و حرم عليكم ذلک، و ذلک يدل على بطلان التقليد، لأن المقلد لا يعلم صحة ما قلد فيه.

وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ (34)
آية بلا خلاف.
قيل الفرق بين أن تقول: و لكل أمة أجل، و بين و لكل أحد أجل من وجهين:
أحدهما- أن ذكر الأمَّة يقتضى تقارب أعمار أهل العصر.
و الثانى- أنه يقتضى إهلاكهم فى الدنيا بعد إقامة الحجة عليهم بإتيان الرسل.
و الامة الجماعة التى يعمها معنى. و أصله أمه يؤمه إذا قصده، فالأمَّة الجماعة التى على مقصد واحد. و الأجل الوقت المضروب لانقضاء المهل، لأن بين العقد الأول الذى يضرب لنفس الأجل، و بين الوقت الآخر مهلا، مثل أجل الدين، و أجل الوعد، و أجل العمر.
و قال أبو على الجبائى: فى الآية دلالة على أن الأجل واحد، لأنه لا يجوز أن يكون الظالم بقتل الإنسان قد اقتطعه عن أجله. و قال أبو بكر ابن الإخشيد: ليس الأمر على ذلك لأنها قد دلت أنه غير هذا على الأجلين.
و قوله «فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ» معنى لا يستأخرون، و لا يتأخرون، و إنما قيل لا يستأخرون من أجل أنهم لا يطلبون التأخر، فهو أبلغ فى المعنى من لا يتأخرون، لأن الاستئخار طلب التأخر.
و قوله «وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ» معناه لا يتقدمون، و المعنى إذا قرب أجلهم لا يطلبون التقدم و لا التأخر، لأن بعد حضور الأجل و نزول الاملاك يستحيل منهم طلب ذلك، كما يقال جاء الشتاء و جاء الصيف إذا قارب وقته لأنه

متوقع كتوقعه.

يا بَنِی آدَمَ إِمَّا یَأْتِیَنَّکُمْ رُسُلٌ مِنْکُمْ یَقُصُّونَ عَلَیْکُمْ آیاتِی فَمَنِ اتَّقی وَ أَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ (35)

آیة بلا خلاف.

هذا خطاب من اللَّه تعالی لجمیع بنی آدم المکلفین منهم أنه یبعث إلیهم رسلًا منهم یقصون علیهم آیات اللَّه و حججه و براهینه، و هو ما أنزله علیهم من کتبه و نصب لهم من أدلته.

و قوله «إِمَّا» أصله (إنْ) حرف الشرط دخلت علیه (ما) و لدخولها دخلت النون الثقیلة فی (یأتینکم) و لو قال: إن یأتینکم، لم یجز، و إنما کان کذلک، لأن (ما) جعلته فی حکم غیر الواجب، لأنه ینزل منزلة ما هو غیر کائن حتی احتیج معه الی القسم مع خفاء أمره من جهة المستقبل، و لم یجز دخول النون علی الواجب فی مثل هو، هون، لأن هذه النون تؤذن بأن ما دخلت علیه قد احتاج الی التأکید لخفاء أمره من جهة المستقبل. و انه غیر واجب لخفاء أمره من هاتین الجهتین، لأجله احتاج الی نون التأکید. و إنما قال «رُسُلٌ مِنْکُمْ» بلفظ الجمع، و إنما أتی هؤلاء رسول منهم لأنه علی تقدیر یأتین لکل أمة، فصار کأنه خطاب لجمیع المکلفین. و جواب (إنْ) یحتمل أن یکون أحد أمرین:

أحدهما- أن یکون قوله «فَمَنِ اتَّقی» منکم «وَ أَصْلَحَ» لأن التفصیل یقتضی منکم.

الثانی- أن یکون محذوفاً یدل الکلام علیه کأنه قال فأطیعوهم.

و قوله «یقصون» فالقصص وصل الحدیث بالحدیث فی وصل الحدیث الممتنع بحدیث مثله. التبیان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 393

و قوله «فَمَنِ اتَّقی وَ أَصْلَحَ» معناه فمن اتقی منکم و أصلح «فَلا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ» و ظاهر الآیة یدل علی أن من اتقی معاصی اللَّه و اجتنبها، و أصلح بأن فعل الصالحات، لا خوف علیهم فی الآخرة- و هو قول الجبائی- و قال أبو بکر بن الإخشید: لا یدل علی ذلک، لأن اللَّه تعالی قال فی وصفه یوم القیامة «یَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ کُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ کُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَی النَّاسَ سُکاری وَ ما هُمْ بِسُکاری» «1» و إنما هو کقول الطبیب للمریض لا بأس علیک، و لا خوف علیک، و معناه أن أمره یؤل الی السلامة و العافیة. و الاول أقوی، لأنه الظاهر غیر أن ذلک یکون لمن اتقی جمیع معاصی اللَّه، فأما من جمع بین الطاعات و المعاصی فان خوفه من عقاب اللَّه علی معاصیه لا بد منه، لأنا لا نقطع علی أن اللَّه تعالی یغفر له لا محالة، و لا نقول بالإحباط فنقول ثواب إیمانه أحبط عقاب معاصیه، فإذا اجتمعا فلا بد من أن یخاف من وصول العقاب الیه. و

من قال لفظة «اتقى» لا تطلق إلا للمؤمن من أهل الثواب، لأنها صفة مدح، فلا بد من أن يكون مشروطاً بالخلوص مما يحبطه، فما ذكروه أولًا صحيح نحن نعتبره، لأن المتقى لا يكون إلا مؤمناً مستحقاً للثواب، غير أنه ليس من شرطه ألا يكون معه شىء من العقاب، بل عندنا يجتمعان، فلا يستمر ما قالوه.

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (36)
آية.
أخبر اللَّه تعالى أن الذين كذبوا بحججه و براهينه-، و لم يصدقوه، و استكبروا عنها- انهم أصحاب النار الملازمون لها على وجه الخلود و التأبيد.
و التكذيب هو تنزيل الخبر على أنه كذب. و التصديق تنزيل الخبر على

---

(1) سورة 22 الحج آية 2.

انه صدق، فالتكذيب بآيات اللَّه كفر، و التكذيب بالطاغوت إيمان، فلذلك توعد على التكذيب بآيات اللَّه بعقاب الأبد. و الاستكبار طلب الترفع بالباطل، و لفظة «مستكبر» صفة ذم فى جميع الخلق، و الخلود هو لزوم الشىء على ما هو فيه. و معنى «أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ» «1» لزوم الركون اليها.
و الصاحب و القرين متقاربان غير أن القرين فيه معنى النظير، و ليس ذلك فى الصاحب فلذلك قيل: أصحاب رسول اللَّه، و لم يقل قرناؤه.
و لفظة (الذين) مبنية على هذه الصيغة فى جميع الأحوال: الرفع، و النصب، و الجر، و إنما تثبت مع بعدها بالجمع عن الحرف، لأن العلة التى لها هى التى موجودة فيه، و هى نقصانه عن سائر الأسماء حتى تأتى صلته فتتمه، و ليس هذا كالشبيه العارض الذى يزول على وجه. فأما من قال:
الذون و الذين فانه اعتد بتبعيد الجمع، فجعله على طريقة المعرف، و لان هذه الطريقة لما لم تكن اعراباً تاماً لم يمنعوه لما وقع بعده من شبه الحرف بالجمع.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ أُولئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ حَتَّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قالُوا أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَ شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ (37)

آية بلا خلاف.

قوله «فمن أظلم» صورته صورة الاستفهام، و المراد به الاخبار عن عظم جرم من يفترى على اللّه كذباً أو يكذب بآيات اللّه، لا أنه أحد أظلم لنفسه منه. و انما أورد هذا الخبر بلفظ الاستفهام، لأنه ابلغ برد المخاطب

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 175.

الى نفسه فى جوابه مع تحريک النفس له بطريق السؤال. و قد بينا فيما مضى من الكتاب حقيقة الظلم، و أن أجود ما حُدَّ به أن قيل: هو الضرر المحض الذى لا نفع فيه يوفَّى عليه، و لا دفع ضرر أعظم من دفعه، لا عاجلا و لا آجلا، و لا يكون مستحقاً و لا واقعاً على وجه المدافعة. و قد حد الرمانى الظلم بأنه الضرر القبيح من جهة بخس الحق به، و هذا ينتقض بالألم الذى يدفع به ألم مثله، لما قلناه.

و قوله «أُولئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ» فالنيل هو وصول النفع الى العبد إذا أطلق، فان قيد وقع على الضرر، لأن أصله الوصول الى الشىء من نلت النخلة أنالها نيلًا، قال امرؤ القيس:

سماحة ذا و برٌّ ذا و وفاء ذا و نائل ذا إذا صحا و إذا سكر «1»

و البخل منع النائل لمشقة الإعطاء.

و قيل فى معنى «يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ» أقوال:

أحدها- قال الزجاج و الفراء: هو ما ذكره اللّه تعالى من أنواع العذاب للكفار مثل قوله «فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظَّى لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَ تَوَلَّى» «2» و قوله «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ» «3» و غير ذلک مما كتب اللّه فى اللوح المحفوظ.

الثانى- قال الربيع و ابن زيد: من الرزق و العمر، و العمل: من الخير و الشر فى الدنيا.

الثالث- قال مجاهد: جميع ما كتب لهم و عليهم، و هو قول عطية.

و قال بعضهم معناه ينالهم نصيبهم من خير أو شر فى الدنيا، لأنه قال «حَتَّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ» و هى الانتهاء. و الاجوبة الاولى أقوى

---

(1) ديوانه: 86. من قصيدة يمدح بها سعد بن الصباب و يهجو هانئ بن

مسعود.
(2) سورة 92 الليل آية 14- 16.
(3) سورة 3 آل عمران آية 106

لأن الاظهار فيما يقتضيه عظم الظلم فى الفحش الوعيد و العذاب الأبدى.
و قال سيبويه و الزجاج: لا تجوز إمالة (حتى) لأنها حرف لا يتصرف، و الامالة ضرب من التصريف، و كذلك (إما، و أيا، و الا، و لا). و (أينما) كتبت بالياء مع امتناع إمالتها تشبيهاً ب (حبلى) من جهة أن الالف رابعة، و لم يجز مثل ذلك فى (إلا) لأن (إلا) تشبه الى. و لا فى (اما) التى للتخيير، لأنها بمنزلة (إن ما) التى للجزاء.
و قوله «حَتَّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ» يعنى الملائكة التى تنزل عليهم لقبض أرواحهم. و قيل فى معنى الوفاة- هاهنا- قولان:
أحدهما- الحشر الى النار يوم القيامة بعد الحشر الثانى، وفات الموت الذى يوبخهم عنده الملائكة- فى قول أبى على- و الوجه فى مسألة الملك لمن يتوفاه: التبكيت لمن لم يقم حجته، و البشارة لمن قام بحجته. و فى الاخبار عن ذلك مصلحة السامع إذا تصور الحال فيه.
و قوله «قالُوا أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» حكاية سؤال الملائكة لهم و توبيخهم أن الذين كانوا يدعونهم من دون اللّه من الأوثان و الأصنام لم ينفعوهم فى هذه الحال، بل ضروهم.
و قوله «قالُوا ضَلُّوا عَنَّا» حكاية عن جواب الكفار للملائكة أنهم يقولون: ضل من كنا ندعوه من دون اللّه عنا «وَ شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» يعنى الكفار أقروا على أنفسهم «أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ» جاحدين باللّه، و كافرين لنعمه بعبادتهم الأنداد من دون اللّه.

قالَ ادْخُلُوا فِی أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِکُمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ فِی النَّارِ کُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها حَتَّی إِذَا ادَّارَکُوا فِیها جَمِیعاً قالَتْ أُخْراهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قالَ لِکُلٍّ ضِعْفٌ وَ لکِنْ لا تَعْلَمُونَ (38)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 397

آیة واحدة بلا خلاف.

هذا حکایة عن قول اللَّه تعالی للکفار یوم القیامة و أمره لهم بالدخول فی جملة الأمم الذین تبعوا من قبلهم من جملة الجن و الانس و هم فی النار.

و یجوز أن یکون ذلک إخباراً عن جعله إیاهم فی جملة أولئک فی النار، من غیر أن یکون هناک قول، کما قال «کُونُوا قِرَدَةً خاسِئِینَ» «1» و المراد أنه جعلهم کذلک.

و معنی الخلو انتفاء الشیء عن مکانه فکل ما انتفی من مکانه، فقد خلا منه، و کذلک (خلت) بمعنی مضت، لأنها إذا مضت بالهلاک، فقد خلا مکانها منها. و الجن جنس من الحیوان مستترون عن أعین البشر لرقتهم، یغلب علیهم التمرد فی أفعالهم، لأن الملک أیضاً مستتر لکن غلب علیه أفعال الخیر.

و عند قوم: أنهم أجمع رسل اللَّه. و الانس جنس من الحیوان یتمیز بالصورة الانسانیة.

و قوله «کُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها» یعنی فی دینها لا فی نسبها، فأما قوله «وَ إِلی مَدْیَنَ أَخاهُمْ شُعَیْباً» «2» یعنی أنه منهم فی النسب. و قوله «حَتَّی إِذَا ادَّارَکُوا فِیها جَمِیعاً» فوزن ادارکوا (تفاعلوا) فأدغمت التاء فی الدال و اجتلبت ألف الوصل لیمکن النطق بالساکن الذی بعده، و معناه تلاحقوا.

و قوله «قالَتْ أُخْراهُمْ لِأُولاهُمْ» یعنی الفرقة المتأخرة التابعة تقول للامة المتقدمة المتبوعة، و تشیر الیها «هؤُلاءِ أَضَلُّونا» عن طریق الحق و أغوونا

---

(1) سورة 2 البقرة آیة 65 و سورة 7 الاعراف آیة 165.

(2) سورة 7 الاعراف آیة 84 و سورة هود آیة 83 و سورة 29 العنکبوت آیة 36.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 398

«فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ» دعاء منهم علیهم أن یجعل عذابهم ضعفاً، فقال اللَّه تعالی «لِکُلٍّ ضِعْفٌ وَ لکِنْ لا تَعْلَمُونَ» و الضعف المثل الزائد علی مثله، فإذا قال القائل: أضعف هذا الدرهم معناه أجعل معه درهماً آخر، لا دیناراً، و کذلک أضعف الاثنین أی اجعلهما أربعة. و حکی أن المضعف فی

كلام العرب ما كان ضعفين، و المضاعف ما كان أكثر من ذلک. و روى عن عبد اللّه بن مسعود أن الضعف أفاعى و حيات. و استعمل الضعف بمعنى المثل، و منه قوله «يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ» «3» يعنى مثلين.
و قرأ أبو بكر عن عاصم «وَ لكِنْ لا يَعْلَمُونَ» بالياء. الباقون بالتاء.
و من قرأ بالتاء، فتقديره لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق منهم. و من قرأ بالياء تقديره لكن لا يعلم كل فريق ما على الآخر من العقاب.

وَ قالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْراهُمْ فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (39)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية عن جواب قول الامة الاولى المتبوعة للأخرى التابعة حين سمعت دعاءها عليهم بأن يؤتيهم ضعفاً من العذاب «فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ» و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ما كان لكم علينا من فضل فى ترك الضلال، و هو قول أبى مخلد و السدى. و قال الجبائى: لمساواتكم لنا فى الكفر.
الثانى- من فضل فى التأويل فتطالبونا بتضييع حقه.
و لفظة (أفعل) على ثلاثة أوجه:
أحدها- ما فيه معنى يزيد كذا على كذا، فهذا لا يجوز فيه التأنيث و التذكير و التثنية و الجمع مضافاً كان أو على طريقة (أفعل من كذا) كقولك

---

(3) سورة 33 الأحزاب آية 30. [.....]

أفضل من زيد و أفضل القوم لتضمنه معنى الفعل، و المصدر كقولك أفضل القوم بمعنى يزيد فضله على فضلهم.
الثانى- ما لم يقصد فيه معنى يزيد كذا على كذا، فهذا يجوز فيه كل ذلك كقولك: الأكبر و الكبرى و الأكابر.
الثالث- (أفعل) من الألوان و العيوب الظاهرة للحاسة، فهذا يجىء على (أفعل، و فعلاء) و جمعه (فُعُل) نحو أحمر، و حمراء، و حمر. و أعرج و عرجاء و عرج.
و أما (أفعل)إذا كان اسم جنس، فانه يثنى و يجمع و لا يؤنث، و كذلك إذا كان علماً نحو أفكل و أفاكل و أحمد و أحامد. فاما ابطح و أباطح و أجزع و اجازع، فأجرى هذا المجرى، لأنه استعمل على طريقة اسم الجنس و أصله الوصف، و لا يجوز فى (أفعل) الفعول إلا بالتعريف لأيذان معنى (أفعل) معنى أفعل من كذا، قال سيبويه: لا يجوز نسوة صُغر و لا كبر حتى تعرفه فتقول: النسوة الصغر و الكبر.

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِياطِ وَ كَذلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ (40)
آية بلا خلاف.
قرأ حمزة و الكسائى و خلف «لا يفتح» بالياء و التخفيف، و قرأ أبو عمرو بالتاء و التخفيف. الباقون بالتاء، و التشديد. من شدَّد ذهب الى التكثير. و المعنى أنهم ليسوا كحال المؤمن فى التفتيح مرة بعد أخرى. و من قرأ بالتاء، فلان الأبواب جماعة فأنث تأنيث الجماعة. و من قرأ بالياء، فلأن التأنيث غير حقيقى، و ذهب الى معنى الجمع. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 400
أخبر اللّٰه تعالى فى هذه الآية «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا» بآيات اللّٰه و جحدوها، و إستكبروا عنها بمعنى طلبوا التكبر و الترفع عن الانقياد لها «لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ» هوانا لهم و استخفافا، بهم فان فتحت فتحت عليهم بالعذاب. و قال ابن عباس و السدى: لأنها تفتح لروح المؤمن، و لا تفتح لروح الكافر، و فى رواية أخرى عن ابن عباس، و مجاهد، و ابراهيم: لا تفتح لدعائهم، و لا أعمالهم.
و
قال أبو جعفر (ع) أما المؤمنون فترفع أعمالهم و أرواحهم الى السماء، فتفتح لهم أبوابها. و أما الكافر، فيصعد بعمله و روحه حتى إذا بلغ السماء نادى منادٍ: اهبطوا بعمله الى سجين، و هو واد بحضر موت يقال له: برهوت. و قال الحسن لا تفتح لدعائهم. و قال ابن جريج: لا تفتح لأرواحهم و لا أعمالهم. و قال أبو على: لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة، لان الجنة فى السماء.
ثم قال «وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» يعنى هؤلاء المكذبين بآيات اللّٰه و المستكبرين عنها سواء كانوا معاندين فى ذلك أو غير عالمين بذلك. و إنما تساويا فى ذلك، لان من ليس بعالم قد ازيحت علته باقامة الحجة، و نصب الأدلة على تصديق آيات اللّٰه، و ترك الاستكبار عنها.
و قوله «حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِياطِ» إنما علق الجائز، و هو دخولهم الجنة بمحال، و هو دخول الجمل فى سم الخياط، لأنه لا يكون، كما قال الشاعر:
إذ شاب الغراب أتيت أهلى و صار القار كاللبن الحليب «1»
و الآخر أنه مضمر بما لا يمكن من قلب الدليل، و الجمل هو البعير- هاهنا- فى قول عبد اللّٰه و الحسن و مجاهد و السدى و عكرمة و أكثر المفسرين.
و السم الثقب. و منه قيل: السم القاتل لأنه ينفذ بلطفه فى مسامِّ البدن

حتى

---

(1) تفسير الخازن 2/ 87.

يصل الى القلب فتنتقض بنيته، و كل ثقب فى البدن لطيف فهو سُم و سَم بضم السين و فتحها و جمعه سموم، و قال الفرزدق:

فنفست عن سميه حتى ينفسا و قلت له لا تخش شيئاً و رائيا «2»

يعنى بسميه ثقبى أنفه، و يجمع السم القاتل سماماً. و الخياط و المخيط الابرة. و قيل خياط و مخيط، كما قيل لحاف و ملحف، و قناع و مقنع، و إزار و مئزر، و قرام و مقرم- ذكره الفراء-.

لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ وَ كَذلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ (41)
آية بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى أن لهؤلاء الكفار الذين كذبوا بآيات اللَّه و استكبروا عنها لهم من جهنم مهاد، و (جهنم) فى موضع جر ب (من) لكن فتح لأنه لا ينصرف لاجتماع التأنيث و التعريف فيه، و اشتقاقه من الجهومة، و هى الغلظ، رجل جهم الوجه غليظه، فسميت بهذا لغلظ أمرها فى العذاب، نعوذ باللَّه منها. و المهاد الوطء الذى يفترش. و منه مهد الصبى، و مهدت له لأمر إذا وطأته له، و إنما قيل: مهاد من جهنم أى موضع المهاد، كما قال تعالى «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» «3» و قال الحسن «مهاد» فراش من نار، و «غواش» ظلل منها.
و قوله «وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ» فالغواش لباس مجلل، و منه غاشية السرج، و فلان يغشى فلاناً أى يأتيه و يلابسه. و منه غشى المرض، و الغشاوة التى تكون على الولد. و قال محمد بن كعب: الغواشى هى اللحف، و هى أزر الليل محشوة كانت أو غير محشوة، ذكره الأزهرى، و روى الطبرى مثله.

---

(2) تفسير الخازن 2/ 87.
(3) سورة 3 آل عمران آية 21 و سورة 9 التوبة آية 35 و سورة 84 الانشقاق آية 24.

و قيل فى دخول التنوين على (غواش) مع أنه على (فواعل) و هو لا ينصرف قولان:
أحدهما- قال سيبويه: إن التنوين عوض من الياء المحذوفة و ليس بتنوين الصرف.
الثانى- أنه تنوين الصرف عند حذف الياء لإلتقاء الساكنين فى التقدير.
و قوله «وَ كَذلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ» أى مثل ما نجزى هؤلاء المكذبين بآيات اللَّه المستكبرين عنها نجزى كل ظالم و كل كافر. و الوصف ب (ظالم) يقتضى لحوق الذم به فى العرف.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (42)

آية.

لما أخبر اللَّه تعالى بصفة المكذبين المستكبرين عن آياته، و ما أعد لهم من أنواع العذاب و الخلود فى النيران، أخبر بعده بما أعده للمؤمنين العاملين بالأعمال الصالحات، فقال «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» يعنى الذين صدقوا بآيات اللَّه و اعترفوا بها، و لم يستكبروا عنها. ثم أضافوا الى ذلک الأعمال الصالحات، و هو ما أوجبه اللَّه عليهم أو ندبهم اليه.

و قوله «لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» فالتكليف من اللَّه هو إرادة ما فيه المشقة، و قال قوم: هو اعلام وجوب ما فيه المشقة او ندبه. و الارادة شرط.

و قال قوم: التكليف هو تحميل ما يشق فى الأمر و النهى، و منه الكلفة، و هى المشقة. و تكلف القول أى تحمل ما فيه المشقة حتى أتى على ما ينافره العقل.

أخبر اللَّه تعالى أنه لا يُلزم نفساً إلا قدر طاقتها و ما دونها، لأن الوسع دون الطاقة. و فى ذلک دلالة على بطلان قول المجبرة: من أن اللَّه تعالى كلف

العبد ما لا قدرة له عليه، و لا يطيقه.

و موضع «لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» قيل فيه قولان:

أحدهما- ان يكون رفعا بأنه الخبر على حذف العائد، كأنه قيل:

منهم، و لا من غيرهم، و حذف لأنه معلوم.

و الآخر- ألا يكون له موضع من الاعراب، لأنه اعتراض، و الخبر الجملة فى (أولئک) لأن قوله «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» مبتدأ، و قوله «أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» خبر بأن هؤلاء الذين آمنوا و عملوا الصالحات ملازمون الجنة مخلدون لنعمتها.

وَ نَزَعْنا ما فِی صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی هَدانا لِهذا وَ ما کُنَّا لِنَهْتَدِیَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ وَ نُودُوا أَنْ تِلْکُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43)
آیة بلا خلاف.
نزع الغل فی الجنة تصفیة الطباع، و إسقاط الوساوس، و إعطاء کل نفس مناها، و لا یتمنی أحد ما لغیره.
قرأ ابن عامر «ما کُنَّا لِنَهْتَدِیَ» بلا واو، و کذلک هی فی مصاحف أهل الشام. الباقون بإثباتها. وجه الاستغناء عن الواو أن الجملة متصلة بما قبلها فأغنی التباسها بها عن حرف العطف. و مثله «سَیَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ کَلْبُهُمْ» فاستغنی عن حرف العطف بالالتباس من احدی الجملتین بالأخری. و من أثبت الواو فلعطفه جملة علی جملة.
فی هذه الآیة إخبار عما یفعله بالمؤمنین فی الجنة بعد أن یخلدهم فیها، بأن ینزع ما فی صدورهم من غل، فالنزع رفع الشیء عن مکانه المتمکن فیه،

إما بتحویله، و إما باعدامه. و معنی نزع الغل- هاهنا- إبطاله.
و قیل فی ما ینزع الغل من قلوبهم قولان:
أحدهما- قال أبو علی: بلطف اللّه لهم فی التوبة حتی تذهب صفة العداوة.
الثانی- بخلوص المودة حتی یصیر منافیاً لغل الطباع.
و الثانی أقوی، لأن قوله «تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ» حال لنزع الغل، و کأنه قال: و نزعنا ما فی صدورهم من غل فی حال تجری من تحتهم الأنهار و علی الأولی یکون «تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ» مستأنفاً.
و الغُل: الحقد الذی ینقل بلطفه الی صمیم القلب، و منه الغلول، و هو الوصول بالحیلة الی دقیق الخیانة، و منه الغَل الذی یجمع الیدین و العنق بانغلاله فیها. و الصدر: ما یصدر من جهته التدبیر و الرأی، و منه قیل للرئیس: صدر، و قیل صدر المجلس.
و قوله «تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ» فالجریان انحدار المائع، فالماء یجری، و الدم یجری، و کذلک کل ما یصح أن یجری، فهو مائع، و جری الفرس فی عدوه مشبه بجری الماء فی لینه و سرعته.
و قوله «تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ» فالنهر المجری الواسع من مجاری الماء، و منه النهار لاتساع ضیائه، و انْهار الدم لاتساع مخرجه.
و قوله «وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی هَدانا لِهذا وَ ما کُنَّا لِنَهْتَدِیَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ» إخبار عن قول أهل الجنة و اعترافهم بالشکر للّه تعالی الذی عرَّضهم له بتکلیفه إیاهم ما یستحقون به الثواب. و قیل: معنی «هَدانا لِهذا» یعنی

لنزع الغل من صدورنا. و قيل: هدانا لثبات الايمان فى قلوبنا.
و قيل: هدانا لجواز الصراط.
و قوله «لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ» إقرار من أهل الجنة و اعتراف بأن ما جاءت به الرسل اليهم من جهة اللّه أنه حق لا شبهة فيه، و لا مرية التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 405
فى صحته.
و قوله «وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فالنداء الدعاء بطريقة يا فلان كأنه قيل لهم: أيُّها المؤمنون «أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» جزاء لكم على ذلک، على وجه التهنئة لهم بها.
و (أن) مخففة من الثقيلة و (الهاء) مضمرة، و التقدير و نودوا بأنه تلكم الجنة. و قال الزجاج «أن تلكم» تفسير للنداء، و المعنى قيل لكم: تلكم الجنة. و إنما قال «تلكم» لأنهم وعدوا بها فى الدنيا، و كأنه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها. و يجوز أن يكونوا عاينوها، فقيل لهم- قبل أن يدخلوها- إشارة اليها «تِلْكُمُ الْجَنَّةُ».
و من أدغم، فلان الثاء و التاء مهموستان متقاربتان فاستحسن الإدغام.
و من ترک الإدغام فى «أُورِثْتُمُوها» و هو ابن كثير، و نافع و عاصم و ابن عامر- فلتباين المخرجين، و أن الحرفين فى حكم الانفصال، و إن كانا فى كلمة واحدة، كما لم يدغموا «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا» «1» و إن كانا مثلين لا يلزمان لأن تاء (افتعل) قد يقع بعدها غير التاء، فكذلک أورث، قد يقع بعدها غير التاء، فلا يجب الإدغام.
و استدل الجبائى بذلک على إن الثواب يستحق بأعمال الطاعات، و لا يستحق من جهة الأصلح، لان اللّه تعالى بين انهم اورثوها جزاء بما عملوه من طاعته (عز و جل).

وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44)

---

(1) سورة 2 البقرة آية 253

آية.

قرأ حمزة، و الكسائى و ابن كثير فى رواية شبل (انَّ) مشددة النون. الباقون خفيفة. و كذلک ابن كثير فى رواية قنبل بتخفيف النون سكونها و رفع (لعنة). الباقون بتشديد النون و نصب (لعنة). و قرأ الكسائى وحده «قالوا نعم» بكسر العين. و فى الشعراء «قال نعم» و فى الصافات «قل نعم» بفتح النون. قال ابو الحسن الأخفش: نَعم و نِعم لغتان، فالكسر لغة كنانة و هذيل، و الفتح لغة باقى العرب، و فى القراءة الفتح. و قال سيبويه (نَعم) عدة و تصديق فإذا استفهمت أجبت ب (نعم). و لم يحک سيبويه الكسر، و معنى قوله: عدة و تصديق انه يستعمل عدة و يستعمل تصديقا، و لا يريد أن العدة تجتمع مع التصديق ألا ترى انه إذا قال قائل: أ تعطينى، فقال: نعم، كان عدة، و لا تصديق فى ذلک، و إذا قال: قد كان كذا و كذا، فقلت نعم، فقد صدقته، و لا عدة فى هذا.

و قوله «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ» بمنزلة اعلم معلم، قال سيبويه: أذن اعلام بصوت، فالتى تقع بعد العلم. و (أن) إنما هى المشددة او المخفضة عنها و التقدير اعلم معلم ان لعنة اللَّه. و من خفف (ان) كان على إضمار القصة و الحديث، فتقديره انه لعنة اللَّه، و مثل ذلک قوله «وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» «1» و التقدير (انه) و لا تخفف (ان) الا مع إضمار الحديث فالقصة تراد معها. و من ثقل نصب ب (ان) ما بعدها، كما ينصب بالمشددة المكسورة. و المكسورة إذا خففت لا يكون ما بعدها على إضمار القصة و الحديث، كما تكون المفتوحة كذلک.

و الفرق بينهما ان المفتوحة موصولة، و الموصولة تقتضى صلتها، فصارت لاقتضائها الصلة أشد اتصالا بما بعدها من المكسورة، فقدِّر بعدها الضمير الذى هو من جملة صلتها، و ليست المكسورة كذلک، لان (ان) المفتوحة

---

(1) سورة 10 يونس آية 10

بمعنى المصدر، فلا بدَّلها من اسم و خبر، لأنها تلتغى بأن يكون دخولها

كخروجها، و ليس كذلک (ان)، و من المفتوحة قول الأعشى:
في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالک كل من يخفى و ينتعل «2»
و أما قراءتهم فى النور «أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ» «3» فان (ان) فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ، و اما قراءة نافع «أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ» فحسن، و هو بمنزلة قوله «وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» «4» و ليس لاحد ان يقول: هذا لا يستحسن لان المخففة من الشديدة لا يقع بعدها الفعل حتى يقع عوض من حذف (ان) و من أنها تولى ما يليها من الفعل، يدل على ذلک «عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ» «5» و قوله «لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ» «6» و ذلک انهم استجازوا ذلک و ان لم يدخل معه شىء من هذه الحروف، لأنه دعاء، و ليس شىء من هذه الحروف يحتمل الدخول معه، و نظير هذا فى انه لما كان دعاء لم يلزمه العوض قوله «نُودِيَ أَنْ بُورِکَ مَنْ فِى النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَها» «7» فولى قوله «بورک» (ان) و ان لم يدخل معها عوض، كما لم يدخل فى قراءة نافع «أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْها» «8» و الدعاء قد استجيز معه ما لم يستجز مع غيره ألا ترى انهم قالوا: (اما ان جزاک اللَّه خيرا من) حمله سيبويه على إضمار القصة فى (ان) المكسورة و لم يضمر القصة مع المكسورة الا فى هذا الموضع.
و قوله «وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ» معناه و قال اصحاب الجنة يا أصحاب النار بعد دخول هؤلاء الجنة و دخول هؤلاء النار. و الصاحب هو المقارن للشىء على نية طول المدة، و الصحبة و المقارنة نظائر، الا ان فى الصحبة الارادة. و منه قيل اصحاب الصحراء.

---

(2) ديوانه: 45 و تفسير الطبرى 12/ 444 و غيرهما و سيأتى فى 5/ 396
(3) سورة 24 النور آية 9
(4) سورة 10 يونس آية 10
(5) سورة 73 المزمل آية 20
(6) سورة 57 الحديد آية 29
(7) سورة 27 النمل آية 8
(8) سورة 24 النور آية 9

و قوله «أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا» معناه وجدنا ما وعدنا اللَّه على لسان رسله من الثواب على الايمان و عمل الطاعات «فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ» على ألسنتهم «حَقًّا» جزاء على الكفر من العقاب و على معاصيه من أليم العذاب، فأجابهم اهل النار: بأن «قالُوا نَعَمْ» و الغرض بهذا النداء تبكيت الكفار و توبيخهم، و ان اللَّه تعالى صدق فيما وعد به على لسان نبيه ليحزن الكفار بذلک و يتحسروا عليه.
و الوجدان على ضربين: أحدهما بمعنى العلم فهو يتعدى الى مفعولين.

و الآخر بمعنى الاحساس يتعدى الى واحد. و انما كان كذلک، لان الذى بمعنى العلم يتعلق بمعنى الجملة، و الذى يتعلق بالإحسان يتعلق بمعنى المفرد من حيث ان الاحساس لا يتعلق بالشىء الا من وجه واحد.
و جواب الإيجاب يكون (نعم) و جواب النفى (بلى)، لان (نعم) تحقق معنى الخبر المذكورة فى الاستفهام و (بلى) تحققه بإسقاط حرف النفى.
و قوله «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ» معناه نادى مناد نداء أسمع الفريقين «أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» و لعنة اللَّه غضبه و سخطه و عقوبته على من كفر به فيسر بذلک اهل الجنة و يغتم اهل النار.
و قال الأخفش و الزجاج: يجوز ان تكون (ان) بمعنى اى «قَدْ وَجَدْنا» و لا يجب ان تكون (أن) بمعنى أى (قد وجدنا). و نادوهم مشرفين عليهم من السماء فى الجنة، لان الجنة فى السماء، و النار فى الأرض.
و قوله «وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا» إنما أضافوا الوعد بالجنة الى نفوسهم، لأن الكفار ما وعدهم اللَّه بالجنة و الثواب إلا بشرط أن يؤمنوا، فلما لم يؤمنوا فكأنهم لم يوعدوا، و كذلک قوله «ما وَعَدَ رَبُّكُمْ» يعنون من العقاب لان المؤمنين لما كانوا مطيعين مستحقين للثواب فكأنهم لم يوعدوا بالعقاب، و انما خص الكفار.

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ كافِرُونَ (45)
آية بلا خلاف.
«الذين» فى موضع جر، لأنه صفة للظالمين، و التقدير ألا لعنة اللَّه على الظالمين الذين يصدون عن سبيل اللَّه و يبغونها عوجا، و ذلک يبين ان المراد بالظالمين الكفار، لان ما ذكرهم به من أوصاف الكفار.
و الصد هو العدول عن الشىء عن قلى، و الصد و الاعراض بمعنى واحد، إلا ان الصد يجوز ان يتعدى تقول: صده عن الحق يصده صدا، و صد هو عنه أيضا، و الاعراض لا يتعدى.
و قوله «عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى الحق الذى دعا اللَّه اليه و نصب عليه الادلة و بعث به رسله. و قيل: هو دين اللَّه. و قيل: الطريق الذى دل اللَّه على انه يؤدى الى الجنة و المعنى متقارب.
و قوله «يَبْغُونَها عِوَجاً» معنى يبغونها يطلبون لها العوج بالشبه التى يلبسون بها و يوهمون انها تقدح فيها، و انها معوجة عن الحق بتناقضها.
و (العِوج) بالكسر يكون فى الطريق و فى الدين، و بالفتح يكون فى الخلقة كقولک: فى ساقه عوج بفتح العين، قال الشاعر:
قفا نسأل منازل آل ليلى على عِوج اليها و انثناء «1»
بكسر العين، و يحتمل نصب عوجا أمرين:
أحدهما- ان يكون مفعولا به كقولک يبغون لها العوج.
الثانى- ان يكون نصبا على المصدر، و كأنه قال: يطلبونها هذا الضرب من الطلب، كما تقول: رجع القهقرى أى هذا الضرب من الرجوع اى طلب الاعوجاج.

---

(1) اللسان (عوج) و تفسير الطبرى 12/ 448

وَ بَيْنَهُما حِجابٌ وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ وَ نادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَ هُمْ يَطْمَعُونَ (46)
آية بلا خلاف.
قوله «و بينهما» يعنى بين أصحاب الجنة و أصحاب النار «حجاب» و الحجاب هو الحاجز المانع من الإدراک، و منه قيل للضرير: محجوب، و حاجب الأمير، و حاجب العين. و حجبه عنه أى منعه من الوصول اليه.
و قوله «وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ» فالاعراف المكان المرتفع أخذ من عرف الفرس و منه عرف الديک، و كل مرتفع من الأرض يسمى عرفا، لأنه بظهوره أعرف مما انخفض، قال الشماخ:
و ظلت بأعراف تغالى كأنها رماح نحاها وجهة الرمح راكز «1»
و قال آخر:
كل كناز لحمه نياف كالعلم الموفى على الاعراف «2»
يعنى بنشوز من الأرض، و قيل: هو سور بين الجنة و النار، كما قال تعالى «فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ» «3» و هو قول مجاهد و السدى.
و اختلفوا فى الذين هم على الاعراف على أربعة اقوال:

---

(1) ديوانه: 53 و مجاز القرآن 1/ 215، و روايتهما (و ظلت تغالى باليفاع كأنها) و فى الطبرى 12/ 449 مثل هنا تماما. [.....]
(2) مجاز القرآن 1/ 215 و اللسان (نوف) و الطبرى 12/ 450.
(الكناز) المجتمع (و النياف) الطويل. و (العلم) الجبل.
(3) سورة 57 الحديد آية 13
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 411
أحدها- أنهم فضلاء المؤمنين- فى قول الحسن و مجاهد- قال ابو على الجبائى هم الشهداء، و هم عدول الآخرة، و
قال ابو جعفر (ع) هم الائمة، و منهم النبى (ص).
و
قال ابو عبد اللَّه (ع) الاعراف كثبان بين الجنة و النار، فيوقف عليها كل نبى و كل خليفة نبى مع المذنبين من اهل زمانه، كما يوقف قائد الجيش مع الضعفاء من جنده، و قد سبق المحسنون الى الجنة، فيقول ذلک الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا الى إخوانكم المحسنين، قد سبقوا الى الجنة فيسلم المذنبون عليهم. و ذلک قوله «وَ نادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ».

ثم اخبر تعالى «انهم لَمْ يَدْخُلَوها وَ هُمْ يَطْمَعُونَ» يعنى هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة، و هم يطمعون ان يدخلهم اللّه إياها بشفاعة النبى و الامام، و ينظر هؤلاء المذنبون الى اهل النار، فيقولون «رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ». ثم ينادى اصحاب الاعراف، و هم الأنبياء و الخلفاء اهل النار مقرعين لهم «ما أَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ ... أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ» يعنى هؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحتقرونهم و تستطيلون بدنياكم عليهم. ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن أمر اللّه لهم بذلك «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ» «1».

و يؤكد ذلك ما

رواه عمر بن شيبة و غيره: ان عليا (ع) قسيم الجنة و النار

، فروى عمر بن شيبة بأسناده عن النبى (ص) انه قال: (يا على كأنى بك يوم القيامة و بيدك عصا من عوسج تسوق قوما الى الجنة و آخرين الى النار).

الثانى- قال ابو مجاز: هم ملائكة يرون فى صورة الرجال.

الثالث- قال حذيفة: هم قوم تبطئ بهم صغائرهم الى آخر الناس.

الرابع- قال الفراء و الزجاج و غيرهما: هم قوم استوت حسناتهم و سيئاتهم، فأدخلهم اللّه تعالى الجنة متفضلا عليهم. و طعن الرمانى و الجبائى

---

(1) سورة الاعراف آية 47- 48.

على هذا الوجه بأن قالا: الإجماع منعقد على انه لا يدخل الجنة من المكلفين الا المطيع للّه.

و هذا الذى ذكروه ليس بصحيح، لان هذا الإجماع دعوى ليس على صحته دليل، بل من قال ما حكيناه لا يسلّم ذلك، و اكثر المرجئة أيضا لا يسلمون ذلك.

و قوله «يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ» يعنى هؤلاء الرجال الذين هم على الاعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم اهل الجنة بسيما المطيعين و اهل النار بسيما العصاة.

و السيماء العلامة، و هى فى اهل النار سواد الوجوه و رزقة العيون، و فى اهل الجنة بياض الوجوه و حسن العيون- فى قول الحسن و غيره- و قيل فى وزن سيما قولان:

أحدهما- انه (فِعلى) من سام ابله يسومها إذا أرسلها فى المرعى، و هى السائمة.

الثانى- ان وزنه وزن (فَعلى)، و هو من وسمت، فقلبت الواو الى موضع العين، كما قالوا له جاه فى الناس أى وجه، و قالوا: اضمحل و امضحل و ارض خامة أى وخيمة، و فيها ثلاث لغات القصر و المد. و سيماء، قال

الشاعر:
غلام رماه اللَّه بالحسن يافعا له سيماءٍ لا تشق على البصر «1»
على زنة (كبرياء). و قوله «وَ نادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّةِ» يعنى هؤلاء الذين على الاعراف ينادون يا أصحاب الجنة «سَلامٌ عَلَيْكُمْ، لَمْ يَدْخُلُوها وَ هُمْ يَطْمَعُونَ» قيل فى الطامعين قولان:
أحدهما- قال ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و قتادة انهم اصحاب الاعراف. و قال أبو مجلز: هم اهل الجنة الذين ما دخلوها بعد. و الطمع-

---

(1) قائله سدير بن عنقاء الفزارى. الاغانى 17/ 117، و الكامل 1/ 14 و معجم الشعراء: 159، 323 و امالى القالى 1/ 237 و الحماسة 4/ 68.

هاهنا- هو يقين بلا شک، لأنهم عالمون بذلک ضرورة. و هو مثل قول ابراهيم «وَ الَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ» «2» و لم يكن ابراهيم (ع) شاكا فى ذلک بل كان عالما قاطعا، و انما حسن ذلک لعظم شأن المتوقع فى جلالة النعمة به، و هو قول الحسن و أبى على الجبائى و اكثر المفسرين.

وَ إِذا صُرِفَتْ أَبْصارُهُمْ تِلْقاءَ أَصْحابِ النَّارِ قالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (47)
آية بلا خلاف.
هذا اخبار من اللَّه تعالى عن أحوال هؤلاء الذين على الاعراف انه إذا صرف أبصارهم. و الصرف هو العدول بالشىء من جهة الى جهة. و التلقاء جهة اللقاء، و هى جهة المقابلة، و لذلک كان ظرفا من ظروف المكان تقول: هو تلقاک، كقولک هو حذاک. و الأبصار جمع بصر، و هو الحاسة التى يدرک بها المبصر و قد يستعمل بمعنى المصدر، فيقال: له بصر بالأشياء أى علم بها، و هو بصير بالأمور اى عالم. و «أَصْحابِ النَّارِ» هم اهل النار و انما يفيد «اصحاب» انهم ملازمون لها. و الأصل يقتضى المناسبة فيهم لسبب لازم، كالنسيب، كما يقال اهل البلد.
و حد الرمانى (النار) بأن قال: جسم لطيف فيه الحرارة و الضياء، و زيد فيه و من شأنه الإحراق.
و قوله «قالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» أى لا تجمعنا و إياهم فى النار و انما حسنت المسألة مع علمهم الضرورى بأن اللَّه لا يفعل بهم ذلک، لما لهم فى ذلک من السرور بموقف الخاضع للَّه فى دعائه الشاكر بخضوعه لربه، و كما يجوز ان يريدوا من اللَّه النعيم كذلک يجوز ان يسألوا السلامة من العذاب مع العلم بهما. و نظير ذلک قوله تعالى

---

(2) سورة 26 الشعراء آية 82

«يَوْمَ لا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِىَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَ اغْفِرْ لَنا» «1» و ان كان النبى و من معه من المؤمنين يعلمون ذلک.

وَ نادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ رِجالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ قالُوا ما أَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (48)

آية بلا خلاف.

قوله «وَ نادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ» معناه سينادى، و انما جاز ان يذكر الماضى بمعنى المستقبل، لامرين:

أحدهما- لتحقيق المعنى كأنه قد كان.

و الثانى- على وجه الحكاية و الحذف. و التقدير إذا كان يوم القيامة «نادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ».

و نادى معناه دعا، غير ان فى (نادى) معنى امتداد الصوت و رفعه، لأنه مشتق من النداء يقال: صوت نداء أى يمتد و ينصرف خلاف الواقف، و ليس كذلک (دعا) لأنه قد يكون بعلامة كالاشارة من غير صوت و لا كلام، و لكن اشارة تنبئ عن معنى يقال.

فى هذه الآية اخبار و حكاية من اللَّه تعالى ان اصحاب الاعراف ينادون قوما يعرفونهم من الكفار بسيماهم من سواد الوجوه و زرقة العين و ضروب من تشويه الخلق يبينون به من اهل الجنة و غيرهم «ما أَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ» معناه ما نفعكم ذلک. و قيل فى معنى (الجمع) قولان: أحدهما- جماعتكم التى استندتم اليها. الثانى- جمعكم الأموال و العدد فى الدنيا.

قوله «وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ» معناه و لا نفعكم تكبركم و تجبركم فى دار الدنيا عن الانقياد لانبياء اللَّه و اتباع أمره.

---

(1) سورة 66 التحريم آية 8.

أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (49)

آية بلا خلاف.

قيل فى القائل لهذا القول الذى هو «أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ» قولان:

أحدهما- قال الحسن و ابو مجلز و الجبائى و اكثر المفسرين: انهم اصحاب الاعراف يقولون للكفار مشيرين الى اهل الجنة «أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ» و هذا يدل على ان الواقفين على الاعراف هم ذووا المنازل الرفيعة و المراتب السنية.

الثانى- انه من قول اللّه تعالى فى اصحاب الاعراف.

و قوله «أ هؤلاء» مبتدأ و خبره «الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ» و لا يجوز ان يكون (الذين) صفة لهؤلاء من وجهين: أحدهما- ان المبهم لا يوصف الا بالجنس.

و الآخر- انه يبقى المبتدأ بلا خبر. و يجوز نصب (هؤلاء) بالفعل فى «أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ» و لا يجوز مع «الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ» لان ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله، لأنه من تمام الاسم. و الأقسام تأكيد الخبر تقول: و اللّه و تاللّه، للقطع عليه او ليدخل فى قسم ما يقطع به العمل عليه.

و قوله «لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ» فالنيل هو لحوق البر. و أصله اللحوق، تقول: نلت الحائط انا له نيلا إذا لحقته.

و قوله «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ» أمر بدخول الجنة للمؤمنين.

و قوله «لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ» فالخوف هو توقع المكروه، و ضده الا من و هو الثقة بانتفاء المكروه و «لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ» معناه ادخلوا الجنة، لا خائفين و لا محزونين، و فائدة الآية تقريع الزارئين على ضعفاء المؤمنين حتى حلفوا أنهم لا خير لهم عند اللّه، فقيل لهم «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ» على أكمل سرور و أتم كرامة.

وَ نادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ (50)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية حكاية ان اصحاب النار يوم القيامة ينادون اصحاب الجنة و اصحاب النار هم المخلدون فى عذابها، لا جميع من فيها، لان فيها الزبانية الموكلون بعذاب أهلها.

و انما توعد اللّه بالعقاب بالنار دون اختراع لآلام او غيره من الأسباب، لأنه أهول فى النفس و أعظم فى الزجر، لما يتصور من الحال فيه، و ما تقدم من ادراک البصر له، و انهم يسألونهم ان يفيضوا عليهم شيئا من الماء. و الافاضة اجراء المائع من عل، و منه قولهم: أفاضوا فى الحديث أى أخذوه بينهم من أوله لأنه بمنزلة أعلاه. و أفاضوا من عرفات الى مزدلفة معناه صاروا اليها.

قال الرمانى: حد الماء جسم سيال يروى العطشان من غير غذاء الحيوان، و هو جوهر عظيم الرطوبة يزيد على جميع المائعات فى كثرة المنفعة.

و قوله «أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» قال ابن زيد و السدى: طلبوا مع الماء شيئا من الطعام. و قال ابو على: طلبوا شيئا من نعيم الجنة، فأجابهم اهل الجنة بتحريم المنع، لا تحريم العبادة، فقالوا: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ» و انما جاز ان يطلبوا شيئا من نعيم الجنة مع اليأس منه، لأنهم لا يخلون من الكلام به او السكوت عنه، و كلاهما لا فرج لهم فيه. و انما لم يدرک اهل الجنة- مع خيريتهم- رقة على أهل النار، لان من الخيرية القسوة على اعداء اللّه و أعدائهم، و ذلک من تهذيب طباعهم كما يبغض المسىء و يحب المحسن، و ذلک دلالة على ان اللّه تعالى بنى هذه الجملة بنية لا تستغنى عن الغذاء، لان اهل النار مع ما هم عليه من العذاب يطلبون الطعام و الشراب.

الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَ لَعِباً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا وَ ما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ (51)
آية بلا خلاف.
يحتمل قوله «الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ» أن تكون فى موضع جرٍّ بأن يكون صفة للكافرين، و يكون ذلک من قول أهل الجنة، و تقديره «إن اللَّه حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهواً و لعباً». و يحتمل أن يكون رفعاً بالابتداء و يكون إخباراً من اللَّه تعالى على وجه الذم لهم.
و (اتخذوا) وزنه وزن (افتعلوا) و الاتخاذ الافتعال، و هو أخذ الشىء باعداد الأمر من الأمور، فهؤلاء أعدوا الدِّين للهو و اللعب. و معنى الدين- هاهنا- ما أمرهم اللَّه تعالى به و رغبهم فيه مما يستحق به الجزاء. و اصل الدين الجزاء، و منه قوله «مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» و اللهو طلب صرف الهمِّ بما لا يحسن أن يطلب به، فهؤلاء طلبوا صرف الهمَّ بالتهزى بالدين و عيب المؤمنين، و اللعب طلب المدح بما لا يحسن ان يطلب به مثل حال الصبى فى اللعب و اشتقاقه من اللعاب و هو المرور على غير استواء. و أصل اللهو الانصراف عن الشىء و منه قوله (إذا استأثر اللَّه بشىء لاه عنه) أى انصرف عنه.
و قوله «وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا» فمعنى الغرور تزيين الباطل للوقوع فيه، غرَّه يغره غروراً. و إنما اغتروا هم بالدنيا فى الحقيقة فصارت و كأنها غرتهم. و الدنيا هى النشأة الاولى. و الآخرة النشأة الاخرى، و سميت الدنيا دنياً لدنوها من الحال، و هما كرتان، فالكرة الاولى الدنيا، و الكرة الثانية هى الآخرة.
و قوله «فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- نتركهم من رحمتنا بأن نجعلهم فى النار- فى قول ابن عباس

و الحسن و مجاهد و السدى- فسمى الجزاء على تركهم طاعة اللَّه نسياناً، كما قال «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» «1» و الجزاء ليس سيئة.
الثانى- أنه يعاملهم معاملة المنسيين فى النار، لأنه لإيجاب لهم دعوة، و لا يرحم لهم عبرة- فى قول الجبائى- «كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ» معناه كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم، هذا على القول الاول. و على الثانى- كما نسوا فى أنهم لم يعملوا به مثل الناسين لذلک لا نجيب لهم دعوة، لأنهم نسوا.
و قوله «وَ ما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ» فالجحد إنكار معنى الخبر. و اما إنكار المنكر، فبكل ما يصرف عن فعله الى تركه. و (ما) فى الموضعين مع ما

بعدها بمنزلة المصدر، و التقدير كنسيانهم لقاء يومهم هذا، و كونهم جاحدين لآياتنا.

وَ لَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52)
آية بلا خلاف.
هذا إخبار من اللَّه تعالى أنه أتى هؤلاء الكفار بكتاب، و المجىء نقل الشىء الى حضرة المذكور، جئته بكذا ضد ذهبت به عنه، لان ذلک نقل اليه، و هذا نقل عنه. و الكتاب المراد به القرآن. و أصل الكتاب صحيفة فيها كتابة، و الكتابة حروف مسطورة تدل بتأليفها على معان مفهومة.
و قوله «فَصَّلْناهُ» معناه ميزنا معانيه على وجه يزول معه اللبس، و التفصيل و التبيين و التقسيم نظائر.
و قوله «عَلى عِلْمٍ» معناه فصلناه، و نحن عالمون به، لأنه لما كانت صفة (عالم) مأخوذة من العلم جاز أن يذكر ليدل به على العالم، كما أن الوجود فى صفة الموجود كذلک.

---

(1) سورة 42 الشورى آية 40.

و قوله «هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» إنما جعل القرآن نعمة على المؤمن دون غيره مع أنه نعمة علَى جميع المكلفين من حيث أنهم عرضوا به للهداية، غير أن المؤمن لما اهتدى به كانت النعمة بذلک عليه أعظم فأضيف اليه، و غير المؤمن لم يتعرض للهداية فلم يهتد، فالمؤمنون على صفة زائدة.
و قوله «هُدىً وَ رَحْمَةً» يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب: النصب من وجهين: الحال، و المفعول له، و به القراءة. و الرفع على الاستئناف، و الجر على البدل. و إنما لم يوصف القرآن بأنه هدى للكفار لئلا يتوهم أنهم اهتدوا به و إن كان هداية لهم بمعنى أنه دلالة لهم و حجة.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (53)

آية بلا خلاف.

قوله «هَلْ يَنْظُرُونَ» معناه هل ينتظرون، لأن النظر قد يكون بمعنى الانتظار، قال أبو على: معناه هل ينتظر بهم أو هل ينتظر المؤمنون بهم إلا ذلک. و إنما أضافه اليهم مجازاً، لأنهم كانوا جاحدين لذلک غير متوقعين، و إنما كان ينتظر بهم المؤمنون، لايمانهم بذلک و اعترافهم به. و الانتظار هو الإقبال على ما يأتى بالتوقيع له. و أصله الإقبال على الشىء بوجه من الوجوه.

و إنما قيل لهم: ينتظرون و إن كانوا جاحدين، لأنهم فى منزلة المنتظر أى كأنهم ينتظرون ذلک، لأنه يأتيهم لا محالة إتيان المنتظر.

و التأويل معناه ما يؤل اليه حال الشىء تقول: أوَّله تأويلا، و تأوله تأولًا، و آل اليه أمره يؤل أولا، و قيل «تأويله» عاقبته من الجزاء به- فى التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 420

قول الحسن و قتادة و مجاهد- و قال أبو على «تأويله» ما وعدوا به من البعث و النشور و الحساب و العقاب.

و قوله «يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال مجاهد: أعرضوا عنه فصار كالمنسى.

الثانى- قال الزجاج: يقول الذين تركوا العمل به.

و قوله «قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ» إخبار عن اعتراف الكفار الذين أعرضوا عن حجج اللَّه و بيِّناته و الإقرار بتوحيده و نبوة أنبيائه، و إقرار منهم بأن ما جاءت به الرسل كان حقاً. و الحق ما شهد بصحته العقل، و ضده الباطل، و هو ما يشهد بفساده العقل.

و قوله «فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا» و الشفيع هو السائل لصاحبه إسقاط العقاب عن المشفع فيه، و العفو عن خطيئته فيتمنون ذلک مع يأسهم منه- فى قول أبى على- و قوله «فيشفعوا لنا» فى موضع نصب، لأنه جواب التمنى بالفاء «أو نرد» عطف بالرفع على تأويل هل يشفع لنا شافع «أو نرد» و لو نصب «أو نرد» كان جائزاً. و معناه فيشفعوا لنا إلا أن نرد، و ما قرئ به.

و قوله «فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ» إخبار من الكفار و تمنيهم أن يردوا الى الدنيا حتى يعملوا غير ما عملوه من الكفر و الضلال. فأخبر اللَّه تعالى عند ذلک، فقال «قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» أى أهلكوها بالكفر و المعاصى «وَ ضَلَّ

عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ».
و فى الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة من وجهين:
أحدهما- أنهم كانوا قادرين على الايمان فى الدنيا فلذلک طلبوا تلک الحال، و لو لم يكونوا قادرين لما طلبوا الرد الى الدنيا و الى مثل حالهم الأولى.
و الآخر- بطلان مذهب المجبرة فى تكليف أهل الآخرة، قال أبو على:
و هو مذهب الحسين النجار، و هو خلاف القرآن و الإجماع، و لو كانوا التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 421
مكلفين لما طلبوا الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا بل كانوا يؤمنون فى الحال.
و معنى «خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» أى منعوا من الانتفاع بها، و من منع الانتفاع بنفسه فقد خسرها «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ» معناه ضل عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء للّه و آلهة معه، و هذا كان افتراؤهم على اللّه.

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ (54)

آية بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة الا حفصا و يعقوب «يغشّى الليل» بالتشديد، و كذلك فى الرعد. و قرأ ابن عامر «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ» بالرفع فيهن. الباقون بالنصب.

هذا خطاب من اللّه تعالى لجميع الخلق و إعلام لهم بأن ربهم الذى أحدثهم و أنشأهم هو اللّه تعالى «الذى خلق» بمعنى اخترع «السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» فابتدعهما و أوجدهما لا من شىء، و لا على مثال «فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» و قيل: إن هذه الستة أيام هى الأحد و الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء و الخميس و الجمعة، فاجتمع له الخلق فى يوم الجمعة، فلذلك سميت: جمعة- فى قول مجاهد- و (السماوات) إنما جمعت بالواو، لأنه رد الى أصله، لأن أصله سماوة، و ليس مثل ذلك (قراءة) لأن أصلها الهمزة، و لذلك قيل فى الجمع قراءات.

و الوجه فى خلقه إياهما «فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» مع أنه قادر على إنشائهما دفعة واحدة قيل فيه وجوه:

أحدها- أن تدبير الحوادث على إنشاء شىء بعد شىء على ترتيب، التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 422

أدلُّ على كون فاعله عالماً قديراً يصرفه على اختياره و يجريه على مشيئته.

و قال أبو على: ذلك لاعتبار الملائكة بخلق شىء بعد شىء. و قال الرمانى: يجوز أن يكون الاعتبار بتصور الحال فى الإخبار، و معناه إذا أخبر اللّه تعالى بأنه «خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» كان فيه لطف للمكلفين، و كان ذلك وجه حسنه.

و قوله «ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- أنه استولى كما قال البَغيث:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق «1»

يريد بشر بن مروان.

الثانى- قال الحسن: استوى أمره. و قيل فى معنى «ثم استوى» ثلاثة أقوال:

أحدها- قال أبو على: ثم رفع العرش بأن استولى عليه ليرفع.

الثانى- ثم بيَّن أنه مستوى على العرش.

الثالث- ثم صح الوصف بأنه مستوى على العرش، لأنه لم يكن عرشاً قبل

وجوده.
و قوله «يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهارَ» معناه يجلل الليل النهار أى يدخل عليه.
و قال الأزهرى: أقبل عليه. و الاغشاء هو إلباس الشىء مارق بما يجلله، و منه غاشية السرج، و الغشاوة التى تخرج على الولد، و غشى على الرجل إذا غشيه ما يزيل عقله من عارض علة.
و من شدد العين، فلانه يدل على الكثرة. و غشى فعل يتعدى الى مفعول واحد، كقوله «وَ تَغْشى وُجُوهَهُمُ النَّارُ» «2» فإذا نقلته بالهمزة أو التضعيف تعدى الى مفعولين، و قد ورد القرآن بهما قال اللّه تعالى

---

(1) مر هذا البيت فى 1/ 125 و 2/ 396، و سيأتى فى 5/ 386.
(2) سورة 14 ابراهيم آية 50.

«فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ» «3» فالمفعول الثانى محذوف، و تقديره فأغشيناهم العمى، و فقد الرؤية. و بالتضعيف نحو قوله «فَغَشَّاها ما غَشَّى» «4» (ما) فى موضع نصب بأنه مفعول ثان.
و من خفف، فلأنه يحتمل القليل. و الكثير، و الليل هو الذى يلبس النهار فى هذا الموضع، لأنه منقول من غشى الليل النهار.
و قوله «يَطْلُبُهُ حَثِيثاً» معناه أنه يستمر على منهاج واحد و طريقة واحدة من غير فتور يوجب الاضطراب، كما يكون فى السوق الحثيث.
و قيل: إن معنى الحثيث السريع بالسوق.
و قوله «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ» عطف على «خَلَقَ السَّماواتِ» كأنه قال و خلق «الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ» و هى نصب على الحال، و من رفع استأنف و أخبر عنها بأنها مسخرة.
و قوله «أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» إنما فصل الخلق من الأمر، لأن فائدتهما مختلفة لأن «لَهُ الْخَلْقُ» يفيد أن له الاختراع، «و له الأمر» معناه له أن يأمر فيه بما أحب فأفاد الثانى ما لم يفده الأول.
فمن استدل بذلک على أن كلام اللّه قديم، فقد تجاهل لما بينا، و لو كان معناهما واحداً لجاز أيضاً مع اختلاف اللفظين، كما قالوا: كذب و مين و أشباهه. و قوله «تَبارَکَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ» معناه تبارک تعالى بالوحدانية فيما لم يزل و لا يزال و أصله الثبات من قول الشاعر:
و لا ينجى من الغمرات إلا براكاء القتال أو الفرار «1»
فهو بمعنى تعالى بدوام الثبات. و يحتمل تعالى بالبركة فى ذكر اسمه.
و قيل فى معنى (العرش) قولان:

---

(3) سورة 36 يس آية 9.
(4) سورة 53 النجم آية 54.

(1) قائله بشر بن أبى خازم. اللسان (برک). البراکاء: الثبات فى الحرب و المقاتلة بجد.

أحدهما- أنه سرير تعبد اللّه تعالى الملائكة بحمله.
و قيل: المراد به الملک.

ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55)
آية قرأ أبو بكر «خفية» بكسر الخاء- هاهنا- و فى الأنعام. الباقون بضمهما، و هما لغتان. أمر اللّه تعالى عباده المكلفين أن يدعوه و الدعاء، طلب الفعل بطريقة (اللهم افعل) و قد يجىء بطريقة غفر اللّه له، فهذه صيغة الخبر، و الأول صيغة الأمر غير أنه إنما يسمى أمراً إذا كان المقول له دون القائل، و إن كان فوقه سمى دعاء و طلباً. و أما قول القائل: يا اللّه يا رحمن يا رحيم يا غفور يا قدير يا سميع و ما أشبه ذلک من اسماء اللّه، فإنما هو على جهة النداء و معناه التعظيم.
و قوله «تَضَرُّعاً» فالتضرع التذلل، و هو اظهار الذل الذى فى النفس، و مثله الخشع و منه الطلب لأمر من الأمور. و أصل التضرع الميل فى الجهات ذلًا من قولهم: ضرع الرجل يضرع ضرعاً إذا مال بإصبعه يميناً و شمالًا، ذلًا و خوفاً. و منه ضرع الشاة، لأن اللبن يميل. و منه المضارعة للمشابهة لأنها تميل الى شبهه بمعنى المقاربة، و الضريع نبت لا يسمن و لا يغنى من جوع، لأنه يميل مع كل داء.
و قوله «وَ خُفْيَةً» فالخفية خلاف العلانية. قال ابن عباس: الخفية هى السرُّ، و به قال الحسن. و قال أبو على: إنما ذاک لئلا يشوب الدعاء معنى الرياء، و حد الإخفاء خلاف حد الاظهار، و الاظهار إخراج الشىء الى حيث يقع عليه الإدراک. و الإخفاء إغماضه بحيث لا يقع عليه الإدراک.
و قوله «إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» فالمحبة من اللّه تعالى للعبد إرادة الثواب، و لذلک يحب المؤمن و لا يحب الكافر، و يحب الصلاح و لا يحب الفساد.
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 425
و الاعتداء تجاوز حد الحق أى لا تتجاوزوا حدَّ الحق فى الدعاء فتطلبوا منازل الأنبياء و ما لا يجوز أن يعمل فى الدنيا- فى قول أبى مجلز- و قال ابن جريج يكره الصياح فى الدعاء و «تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً» مصدر ان فى موضع الحال، و تقديره ادعوا اللّه متضرعين فى حال السر و العلانية. و الخفية و الإخفاء، و الخيفة و الخوف و الرهبة نظائر. و الهمزة فى الإخفاء منقلبة عن الياء بدلالة الخفية و الإخفاء، ضد الإعلان. و يقال أحفيت الشىء إذا أظهرته قال الشاعر:
يحفى التراب بأظلاف ثمانية «1»

وَ لا تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِیبٌ مِنَ الْمُحْسِنِینَ (56)
آیة بلا خلاف.
نهی اللَّه تعالی فی هذه الآیة عن الفساد فی الأرض و هو الإضرار بما تمنع الحکمة منه یقال: أفسد الحر التفاحة إذا أخرجها الی حال الضرر بالتغییر.
و الإصلاح النفع بما تدعو الیه الحکمة و لذلک لم تکن الآلام فی النار إصلاحاً لأهلها، لأنه لا نفع لهم فیها. و قال الحسن: إفساد الأرض بالقتل للمؤمنین و الاعتداء علیهم. و قیل: إفساد الأرض العمل فیها بمعاصی اللَّه، و إصلاحها العمل فیها بطاعة اللَّه.
و قوله «وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً» أمر من اللَّه تعالی لهم أن یدعوه خوفاً و طمعاً، و هما منصوبان علی المصدر، و هما فی موضع الحال. و تقدیره ادعوا ربکم خائفین من عقابه طامعین فی ثوابه. و الخوف هو الانزعاج بما لا یؤمن، و الأمن سکون النفس الی انتفاء المضارِّ، و الخوف یکون بالعصیان. و الأمنُ بالایمان. و الطمع توقع المحبوب، و نقیضة الیأس و هو القطع

---

(1) مر فی 2/ 71 کاملا.

بانتفاء المحبوب.
و قوله «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِیبٌ مِنَ الْمُحْسِنِینَ» إخبار منه تعالی أن رحمته قریبة واصلة الی المحسن. و الإحسان هو النفع الذی یستحق به الحمد.
و الاساءة هی الضرر الذی یستحق به الذم. و قیل: المراد بالمحسنین من تکون أفعاله کلها حسنة و هذا لا یقتضیه الظاهر، بل الذی یفیده أن رحمة اللَّه قریب الی من فعل الإحسان، و لیس فیها أنها لا تصل الی من جمع بین الحسن و القبیح بل ذلک موقوف علی الدلیل. و قال الفراء: إنما لم یؤنث قوله «قریب» و هو وصف ل (رحمة) لأنه ذهب مذهب المکان، و ما یکون کذلک لا یثنی و لا یجمع و لا یؤنث. و لو ذهب به مذهب النسب أنث و ثنی و جمع قال عروة بن حزام:
عشیة لا عفراء منک قریبة فتدنوا و لا عفراء منک بعید «1»
و قال الزجاج هذا غلط بل کل ما قرب من مکان أو نسب فهو جائز علیه التأنیث و التذکیر. و جعله الأخفش من باب الصیحة و الصیاح، لأن الرحمة و الإحسان و الانعام من اللَّه واحد. و قال بعضهم المراد بالرحمة ها هنا المطر فلذلک ذکر.

وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ حَتَّی إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَیِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ کَذلِکَ نُخْرِجُ الْمَوْتی لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ (57)

---

(1) دیوانه: 48، و معانی القرآن للفراء 1/ 381 و تفسیر الطبری 12/ 488 و البکری فی شرح الأمالی 401 و تفسیر أبی حیان 4/ 313 و قد روی:
عشیة لا عفراء منک بعیدة فتسلو و لا عفراء منک قریب
[.....]

آیة بلا خلاف.

قرأ ابن کثیر و حمزة و الکسائی و خلف «الریح» علی التوحید، هاهنا و فی النمل، و الثانی من الروم و فی فاطر و قرأ عاصم «بشراً» بالباء و ضمها و سکون الشین. و قرأ نافع بالنون و ضمها و ضم الشین و هم أهل الحجاز و البصرة، و کذلک الخلاف فی الفرقان، و النمل.

قال أبو علی (الریح) اسم علی وزن (فعَل)، و العین منه و او فانقلبت یاء فی الواحد للکسرة و صحت فی الجمع القلیل، لأنه لا شیء یوجب الاعلال ألا تری أن الفتحة لا توجب اعلال هذه الواو فی مثل یوم و قول و عون قال ذو الرمة:

إذا هبت الأرواح من نحو جانب به آل میّ هاج شوقی هبوبها «1»

و لیس ذلک کعید و أعیاد، لأن هذا بدل لازم و لیس البدل فی الریح کذلک. فاما فی الجمع الکثیر فریاح انقلبت الواو بالکسرة التی قبلها کما انقلبت فی نحو دیمة و دیم، و حیلة و حیل، و فی ریاح أجدر، لوقوع الالف بعدها، و الالف تشبه الیاء، و الیاء إذا تأخرت عن الواو وجب فیها الاعلال فکذلک الألف لشبهها بها، و الریح علی لفظ الواحد، و یجوز ان یراد بها الکثرة، لقولهم:

کثیر الدرهم و الدینار، و قوله «إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ» ثم قال «إِلَّا الَّذِینَ آمَنُوا» «2» فکذلک من قرأ «الریح بشراً» فأفرد، و وصفه بالجمع، فانه حملها علی المعنی. و قد أجاز أبو الحسن ذلک و قال الشاعر:

فیها اثنتان و أربعون حلوبة سوداً «3»

---

(1) تفسیر ابن حیان 4: 316.
(2) سورة 103 العصر آیة 2- 3.
(3) قائله عنترة و تمام البیت:

فيها اثنتان و أربعون حلوبة سوداَ كخافية الغراب الأسحم
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 428
و من نصب جاء قوله على المعنى، لأن المفرد يراد به الجمع، و هذا وجه قراءة ابن كثير لأنه أفرد (الريح) و وصفه بالجمع، فلا يكون (الريح) على هذا اسم جنس و قول من جمع الريح إذا وصفها بالجمع أحسن إذ الحمل على المعنى أقل من الحمل على اللفظ، و يؤكد ذلک قوله «الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ» «4» فلما وصفت بالجمع جمع الموصوف أيضاً. فأما ما جاء فى الحديث من أن النبى (ص) كان يقول إذا هبت ريح: (اللهم اجعلها رياحاً و لا تجعلها ريحاً) فلأن عامة ما جاء بلفظ الرياح السقيا و الرحمة، كقوله «وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ» «5» و قوله «وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ» «6» و قوله «اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِى السَّماءِ» «7». و ما جاء بخلاف ذلک جاء على الإفراد كقوله «وَ فِى عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ» «8» و قوله «وَ أَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ» «9» و قوله «بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ» «10».
قال أبو عبيدة «نشراً» أى متفرقة من كل جانب، و قال أبو زيد:
انشر اللَّه الموتى إنشاراً إذا بعثها و أنشر اللَّه الريح مثل أحياها، فنشرت الجنوب و أحييت، و الدليل على ذلک قول المراد الفقسى:
و هبت له ريح الجنوب و أحييت له ريدة يحيى المياه نسيمها «11»
و الريدة و الريدانة الريح، قال الشاعر:

---

(4) سورة 30 الروم آية 46.
(5) سورة 15 الحجر آية 22.
(6) سورة 30 الروم آية 46.
(7) سورة 30 الروم آية 48.
(8) سورة 51 الذاريات آية 41.
(9) سورة 69 الحاقة آية 6.
(10) سورة 46 الأحقاف آية 24.
(11) اللسان (ريد) و تفسير أبى حيان 4/ 316، و رواية اللسان (الممات) بدل (المياه).
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 429
إنى لأرجو أن تموت الريح فأقعد اليوم و استريح «2»
و من قرأ «نشراً» بضم النون و الشين يحتمل ضربين: جمع ريح، ريح نشور و ريح ناشر، و يكون على معنى النسب فإذا جعله جمع نشور احتمل أمرين: أحدهما- أن يكون النشور بمعنى المنشر كما أن الركوب بمنزلة المركوب كان المعنى ريح أو رياح منشرة، و يجوز أن يكون نشراً جمع نشور يريد به الفاعل مثل طهور و نحوه من الصفات. و يحتمل أن يكون نشر جمع ناشر

كشاهد و شهد و نازل و نزل و قايل و قيل، قال الأعشى:
إنا لأمثالكم يا قومنا قيل «3»
و قول ابن عامر (بشراً) يحتمل الوجهين: أن يكون جمع فعول و فاعل فخفف العين، كما خفف فى كتب و رسل، و يكون جمع فاعل كبارک و برک و غائظ و غيظ.
و من فتح النون و سكن الشين فانه يحتمل ضربين: أحدهما- أن يكون المصدر حالًا من الريح فإذا جعلته حالًا منها احتمل أمرين أحدهما- أن يكون النشر الذى هو خلاف الطى، كأنها كانت بانقطاعها كالمطوية، و يجوز على تأويل أبى عبيدة أن تكون متفرقة فى وجوهها. و الآخر- أن يكون النشر الذى هو الحياة من قوله:
حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشر «4»
فإذا حملته على ذلک- و هو الوجه- كان المصدر يراد به الفاعل، كما تقول أتانا ركضاً أي راكضاً، و يجوز أن يكون المصدر يراد به المفعول كأنه يرسل الرياح انشاراً أى محياة فحذف الزوائد من المصدر، كما يقال

---

(2) اللسان (نشر) و تفسير أبى حيان 4/ 316.
(3) ديوانه: 47 قصيدة 6 و روايته (قتل) بدل (قيل) و صدره:
كلا زعمتم بأنا لا نقاتلكم
(4) تفسير أبى حيان 4/ 316 و اللسان (نشر). [.....]

عمرک اللّه. و كما يقال: فان يهلک فذلک كان قدرى أى تقديرى. و الضرب الآخر- أن يكون «نشراً» على هذه القراءة ينصب انتصاب المصادر من باب «صُنْعَ اللَّهِ» «5» لأنه إذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على تنشير الريح نشراً.
و قراءة عاصم «بشراً» بالباء فهو جمع بشير و بُشر من قوله «يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ» «6» أى تبشر بالمطر و الرحمة و جمع (بشير) على (بشر) ككتاب و كتب.
لما أخبر اللّه تعالى فى الآية الأولى أنه الذى خلق السماوات و الأرض و خلق الشمس و القمر و النجوم مسخرات، و أنه الذى يجلل الليل النهار، عطف على ذلک بأن قال «وَ هُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ» تعداداً لنعمه على خلقه. و الإرسال هو الإطلاق بتحميل معنى، كما تقول:
أرسلت فلاناً أى حملته رسالة، فلما أطلق اللّه الرياح كان ذلک بمنزلة المطوى فى الامتناع من الإدراک ثم صارت تدرک فى الآفاق، كانت كنشر الثوب بعد طيه فى الإدراک قال امرؤ القيس:
كان المدام و صوب الغمام و ريح الخزامى و نشر القطر «7»
و قال الفراء: النشر من الرياح: الطيبِة اللينة التى تنشئ السحاب، و

السحاب الغيم الجارى فى السماء مشتقاً من الاسحاب، يقال: سحبه سحباً و أسحب إسحاباً و تسحب تسحباً.
و قوله «بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ» معناه قدام رحمته، كما يقدم الشىء بين يدى

---

(5) سورة 27 النمل آية 88.
(6) سورة 30 الروم آية 46.
(7) ديوانه: 79 و اللسان (نشر) و تفسير الطبرى 12/ 490 يصف صاحبته بأن ريح فمها ذا نكهة طيبة عند قيامها من النوم. و القطر: عود طيب الرائحة.

الإنسان، كما قال «لِما خَلَقْتُ بِيَدَىَّ» «8» أى توليت خلقه، كما يقول الإنسان:
عملت بيدى، و الرحمة يراد بها- هاهنا- الغيث.
و قوله «حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالًا» فالاقلال حمل الشىء بأسره حتى يقل فى طاقة الحامل له بقوة جسمه، يقال: استقل بحمله استقلالًا. و أقله إقلالا، و الثقال جمع ثقيل، و الثقيل ما فيه الاعتماد الكثير سفلًا. و قال قوم: هو ما تجمع أجزاؤه كالذهب و الحجر، و قد يكون بكثرة ما حمل كالسحاب الذى يثقل بالماء.
و قوله «سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ» أى الى بلد، فالسوق حث الشىء فى السير حتى يقع الاسراع فيه، ساقه يسوقه سوقاً، و استاقه استياقاً، و ساوقه مساوقة، و تساوقوا تساوقاً، و تسوق تسوقاً، و انساق انسياقاً، و سوقه تسويقاً.
(و البلد الميت) هو الذى اندرست مشاربه و تعفت مزارعه.
و قوله «فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ» الهاء فى (به) راجعة الى البلد. و يحتمل أن تكون راجعة الى السحاب. و قوله «فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ» فالهاء فى (به) يحتمل أن تكون راجعة الى البلد، و يكون التقدير أخرجنا بهذا البلد.
و يحتمل أن تكون راجعة الى الماء، فكأنه قال فأخرجنا بهذا الماء من كل الثمرات. و يحتمل أن تكون (من) للتبعيض. و يحتمل أن تكون لتبيين الجنس.
و قوله «كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى» معناه كما أخرجنا الثمرات. كذلك نخرج الموتى بعد موتها بأن نحييها «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» معناه لكى تتذكروا، و تتفكروا و تعتبروا بأن من قدر على إنشاء الأشجار و الثمار فى البلد الذى لا ماء فيه و لا زرع، فانه يقدر على أن يحيى الأموات بأن يعيدها الى ما كانت عليه بأن يخلق فيها الحياة و القدرة.
و استدل البلخى بهذه الآية على أن كثيراً من الأشياء تكون بالطبع.

---

(8) سورة 38 ص آية 75.

قال: لأن اللّه تعالى بين انه يخرج الثمرات بالماء الذى ينزله من السماء، قال:
و لا ينبغى أن ينكر ذلک و إنما ينكر قول من يقول بقدم الطبائع أو قول من يقول: إن الجمادات تفعل. فأما من قال: إن اللّه تعالى يفعل هذه الأشياء غير أنه يفعلها تارة مخترعة بلا وسائط و تارة بوسائط، فلا كراهة فى ذلک كما تقول فى السبب و المسبب، و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لأنه إن أشار بالطبع الى رطوبات مخصوصة و يبوسات مخصوصة، فلا خلاف فى ذلک غير أن هذه الأشياء لا تتولد عنها ذوات أخر، بل ما يحصل عندها اللّه تعالى يفعلها مبتدأ، و ليس كذلک السبب و المسبب، لان السبب الذى يفعل الفعل بها و هو الاعتماد و المجاوزة يوجب التأليف، و ما عدا ذلک فليس فيه شىء تولد أصلًا، و إن أراد بالطبع غير هذا المعقول فليس فى الآية دلالة على صحته بحال.

وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (58)
آية بلا خلاف.
قرأ أبو جعفر «نكداً» بفتح الكاف. الباقون بكسرها، و الوجه فى ذلک أنهما لغتان. و حكى الزجاج (نكداً) بضم النون و سكون الكاف.
و لا يقرأ به. و قال الفراء: يقتضى القياس أيضاً (نكداً) بضم الكاف، و فتح النون، غير أنى لم أسمعه مثل دَنَف و دنف و حذر و حذر، و يقظ و يقظ و يقظ، بالفتح و الضم و الكسر.
قوله «وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ» فالبلد هو الأرض التى تجمع الخلق الكثير، و تنفصل بما لهم فيها من العمل، وال. و البلدة خلاف الفلاة، و الصحراء، و أما البادية فكالبلد للأعراب و نحوهم من الأكراد و الأتراک. و الطيب ما فيه التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 433
أسباب التلذذ، و ضده الخبيث، و هو ما فيه أسباب النكرة و قال ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة و السدى: هذا مثل، ضربه اللَّه للمؤمنين فشبه المؤمن- و ما يفعله من الطاعات و الأفعال، و الانتفاع بما أمرم اللَّه و نهاه عنه- بالأرض العذبة التربة التى تخرج الثمرة الطيبة بما ينزله اللَّه عليها من الماء العذاب، و الكافر- و ما يفعله من الكفر و المعاصى- بالأرض السبخة الملحة التى لا ينتفع بنزول المطر عليها، فينزع عنها البركة.
و قوله «يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ» فالاخراج نقل الشىء من محيط به الى غيره، فهذا النبات كأنه كان فى باطن الأرض فخرج منه، (و الاذن) هو الإطلاق فى الفعل برفع المنعة فيه، فكذلک منزلة هذا البلد، كأنه قد أطلق فى إخراج النبت الكريم.
و وجه ضرب المثل بالأرض الطيبة و الأرض الخبيثة مع أنهما من فعل اللَّه و كلاهما حكمة و صواب، و الطاعات و المعاصى أحدهما بأمر اللَّه و الآخر بخلاف أمره، هو أن اللَّه تعالى لما جعل المنفعة بأحدهما و المضرة بالآخر مثل بذلک الانتفاع بالعمل الصالح و الاستضرار بالمعاصى و القبائح.
و قوله «وَ الَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً» فالنكد العسر بشدته الممتنع من إعطاء الخير على وجه البخل تقول: نكد ينكد نكداً، فهو نَكد و نَكَد.
و قد نكُد إذا سئل فبخل، و نكد ينكد نكداً، قال الشاعر:
لا تنجز الوعد إن وعدت و إن أعطيت أعطيت تافهاً نكداً «1»
و قال الآخر:
و أعط ما أعطيته طيباً لا خير فى المنكود و الناكد «2»
و قال السدى: النكد القليل الذى لا ينتفع به. و قوله «كَذلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ

لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ» فالتصريف توجيه الشىء فى جهتين فصاعداً، فلما

---

(1) مجاز القرآن 1/ 217 و اللسان (تفه) و تفسير الطبرى 12/ 495.
(2) اللسان (نكد) و تفسير الطبرى 12/ 495.

كان معنى الآية بوجه فى الدلالات المختلفة كانت الآية متصرفة، فالنشأة الثانية مصرَّفة بأنها كإحياء الأرض بالماء للبنات، و بأنها كالخارج من الأرض فى الاختلاف، فمنه طيب، و منه خبيث، و بأنها فى حال المؤمن و الكافر، كحال الأرض فى الطيب و الخبث. و المعنى أنه تعالى يبين لهم آية بعد آية، و حجة بعد أخرى، و يضرب مثلا بعد مثل «لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ» اللّٰه على إنعامه عليهم هدايته إياهم لما فيه نجاتهم و تبصيرهم سبيل أهل الضلال و أمره إياهم تجنب ذلک و العدول عنه.

لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59)
آية واحدة بلا خلاف.
قرأ أبو جعفر و الكسائى «من إله غيره»- بخفض الراء و كسر الهاء و وصلها- بناء فى اللفظ حيث وقع. الباقون بضم الراء و ضم الهاء و إشباعها بالواو، قال الكسائى تقديره ما لكم غيره من إله. فى قراءة نافع.
قال أبو على الفارسى: من جرَّ جعل (غير) صفة ل (إله) على اللفظ و جعل (لكم) مستقراً أو غير مستقر، و أضمر الخبر، و الخبر ما لكم فى الوجود أو فى العالم و نحو ذلک لا بد من هذا الإضمار إذا لم يجعل (لكم) مستقراً، لأن الصفة. و الموصوف لا يستقل بهما الكلام.
و من رفع حجته قوله «وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ» «1» فكما أن قوله «إلا اللَّه» بدل من قوله «من إله» كذلک قوله «غيره» يكون بدلًا من قوله «من إله» و (غير) يكون بمنزلة الاسم الذى بعد (إلا)، و هذا الذى ذكرناه أولى

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 62.

أن يحمل عليه من أن يجعل (غير) صفة ل (إله) على الموضع. فان قلت ما ينكر أن يكون «إلا اللَّه» صفة ل (إله)؟ قيل: إن (الا) بكونها استثناء أعرف و أكثر من كونها صفة. و إنما جعلت صفة على التشبيه بغير، فإذا كان الاستثناء أولى حملنا «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ» «2» على الاستثناء من النفى فى المعنى، لأن قوله «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ» بمنزلة ما من خالق غير اللَّه، و لا بد من إضمار الخبر، كأنه قال: ما من خالق للعالم غير اللَّه، و يؤكد ذلک قوله «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» «3» فهذا استثناء من منفى مثل لا أجد فى الدار إلا زيداً.
فأما حمزة و الكسائى فإنهما جعلا (غير) صفة لخالق و أضمرا الخبر، كما تقدم. و الباقون جعلوه استثناء بدلًا من النفى، و هو أولى لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله «وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ» «4».
أخبر اللَّه تعالى و أقسم على خبره- لأن اللام فى قوله «لقد» لام القسم- بأنه أرسل نوحاً (ع) الى قومه و إرساله إياه هو تكليفه القيام بالرسالة و هى منزلة جليلة شريفة يستحق بها الرسول بتقلبه إياها و القيام باعبائها أن يعظم أعلى تعظيم البشر، و أخبر أن نوحاً قال لقومه «يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ» و العبادة هى الخضوع بالقلب فى أعلى مراتب الخضوع يعظم به من له أعظم النعم، فلذلک لا يستحق العبادة غير اللَّه، و أخبر أنه أمرهم بأن تكون

عبادتهم للّه وحده، لأنه لا إله لهم غيره، و لا معبود لهم سواه. و قال لهم «إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ» يريد به يوم القيامة، و العذاب هو الألم الجارى على استمرار، و قد يكون غير عقاب، إلا أن المراد به- هاهنا- العقاب. و العقاب الألم على ما كان من المعاصى. و لم يجعل خوفه عليهم على وجه الشک، بل أخبرهم أن هذا العذاب سيحل بهم إن لم يقبلوا

---

(2) سورة 35 فاطر آية 3.
(3) سورة 37 الصفات آية 35. و سورة 47 محمد آية 19.
(4) سورة 3 آل عمران آية 62.

ما أتاهم به، لأن الخوف قد يكون مع اليقين كما يكون مع الشک ألا ترى أن الإنسان يخاف من الموت، و لا يشک فى كونه.

قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِی ضَلالٍ مُبِينٍ (60)
آية بلا خلاف.
(قال) أصله (قول) فانقلبت الواو الفاً لحركتها و انفتاح ما قبلها.
أخبر اللّه تعالى عن الملأ من قوم نوح. و قيل فی معنى الملأ قولان:
أحدهما- أنهم الجماعة من الرجال سموا بذلک لأنهم يملئون المحافل.
و الثانی- أنهم الاشراف، و قيل: الرؤساء، لأنهم يملئون الصدر بعظم شأنهم، و منه قوله (ص) أولئک الملأ من قريش. و القوم يقال لمن يقوم بالأمر، و لا نسوة فيهم- على قول الفراء- و هو مأخوذ من القيام.
و إنما سموا بالمصدر، كما قال بعض العرب إذا أكلت طعاماً أحببت نوماً و أبغضت قوماً أی قياماً.
و قوله «إِنَّا لَنَراکَ» قيل فی معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- انه من رؤية القلب الذی هو العلم.
الثانی- من رؤية العين، كأنهم قالوا نراک بأبصارنا على هذه الحال.
الثالث- أنه من الرأی الذی هو غالب الظن و كأنه قال: إنا لنظنک.
و قوله «فِی ضَلالٍ مُبِينٍ» أرادوا بالضلال هاهنا العدول عن الصواب الى الخطأ فيما زعموا مخالفتهم إياه فيما دعاهم اليه من اخلاص العبادة للّه تعالى.
و «مبين» أی بين ظاهر.

قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِی ضَلالَةٌ وَ لكِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (61)
آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 437
فى هذه الآية إخبار عما أجابهم به نوح (ع) و قال لهم «لَيْسَ بِی ضَلالَةٌ» أى ليس بى عدول عن الحق، و يقال،: به ضلالة لأن فيه معنى عرض به كما يقال به جنة، و لا يجوز أن يقال: به معرفة، لأنها ليست مما تعرض بصاحبها، و لكن يصح أن يقال: به جوع، و به عطش، لأنه عارض به.
قوله «يا قوم» أصله يا قومى، فحذفت ياء الاضافة لقوة النداء على التغيير، حتى يحذف للترخيم، فلما جاز أن يحذف فى غيره للاجتزاء بالكسرة منها، لزم أن يحذف فيه لاجتماع السببين فيه.
و قوله «وَ لكِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ» معنى (لكن) و الاستدراك الخفيفة يستدرک بها معنى المفرد. و المشددة يستدرک بها معنى الجملة، فلذلک صارت من أخوات (إنَّ). «و لكننى» أصله (و لكننى) و حذفت النون لاجتماع النونات، و يجوز الإتمام، لأنه الأصل، و كذلک (انى، و كأنى) فأما (ليتنى) فلا يجوز فيه الا اثبات النون، لأنه لم يعرض فيه علة الحذف. و اما (لعلى) فيجوز فيه الوجهان، لأن اللام قريبة من النون.
و معنى (من)- هاهنا- لابتداء الغاية، و معناه أن اللّه تعالى هو الذى ابتدأنى بالرسالة، و كل مبتدئ بفعل فذلک الفعل منه. و أصل (من) موضع ابتداء الغاية كقولک: خرجت من بغداد الى الكوفة أى ابتداء خروجى من بغداد.

أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّی وَ أَنْصَحُ لَكُمْ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (62)
آية بلا خلاف.
قرأ أبو عمرو وحده «أبلغكم» مخففة اللام. الباقون بتشديدها.
و (بلغ) فعل يتعدى الى مفعول واحد تقول: بلغنى خبركم، و بلغت أرضكم، فإذا نقلته تعدى الى مفعولين. و النقل يكون تارة بالهمزة و أخرى التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 438
بتضعيف العين، و قد ورد بهما التنزيل، قال اللَّه تعالى «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ» «1» فنقل بالهمزة، و قال «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ» «2» فنقل بتضعيف العين، فعلى هذين الوجهين اختلفوا فى القراءة.
و فى الآية حكاية عن قول نوح (ع) لقومه أنه قال لهم بعد ما أنكر عليهم أنه ليس به ضلالة، و انه رسول من عند اللَّه، و أنه بلغهم ما حمله اللَّه من رسالات ربه. و الإبلاغ إيصال ما فيه بيان و افهام، و منه البلاغة، و هى إيصال المعنى الى النفس بأحسن صورة من اللفظ. و البليغ الذى ينشئ البلاغة، لا الذى يأتى بها على وجه الحكاية. و الفرق بين الإبلاغ و الأداء أن الأداء لما يسمع، و حسن الأداء للقراءة. و الرسالات جمع رسالة، و هى جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها الى غيره. و انما جمع- هاهنا- (رسالات) و فى موضع آخر «رسالة» «3» على التوحيد، لأنه يشعر تارة بالجملة و تارة بالتفصيل، فلما دعا الى عبادة اللَّه و طاعته و اجتناب محارمه و العمل بشريعته، كان هذا تفصيل رسالات اللَّه تعالى. و رسالات اللَّه حكم:
من ترغيب، و تحذير، و وعد، و وعيد، و مواعظ، و مزاجر، و حجج، و براهين و أحكام يعمل بها، و حدود ينتهى اليها.
و قوله «وَ أَنْصَحُ لَكُمْ» فالنصيحة اخلاص النية من شائب الفساد فى المعاملة. و (النصح) خلاف الغش فى العمل، و لا يكون الغش إلا بسوء النية. و قوله «وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» فيه حث لهم على طلب العلم من جهته، و تحذير من مخالفته، لما يعلم من العاقبة، فكأنه قال: أنا أعلم بحلول العقاب بمخالفتكم و ترك القبول منى «ما لا تَعْلَمُونَ» أنتم، و يجوز أن يريد «و أعلم من» توحيد اللَّه و صفاته و حكمته «ما لا تعلمونه». و فى ذلک بطلان مذهب القائلين بأن معرفة اللَّه ضرورة- و أن من لم يعرفه ضرورة فليس

---

(1) سورة 11 هود آية 57.
(2) سورة 5 المائدة آية 70.

(3) سورة 7 الاعراف آية 78.
التبيان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 439
بمكلف- لأن نوحاً (ع) بين أنه خاف عليهم مع أنه يعلم ما لا يعلمونه.

أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَ لِتَتَّقُوا وَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (63)
آية.
فى هذه الآية تقريع من نوح (ع) لقومه على صورة الاستفهام بأنهم عجبوا أن جاءهم ذكر من ربهم. و إنما دخل الاستفهام معنى التقريع، لأن المجيب لا يأتى الا بما يسوء من القبيح، فهو إنكار و تقريع، و قد يدخل معنى التمنى، لأنه بمنزلته فى انه طلب، لأن يكون أمر، و إنما فتحت الواو فى قوله «أو عَجبتم» لأنها واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام، فالكلام مستأنف من وجه، متصل من وجه، كما أن المبتدأ فى خبر الأول بهذه الصفة.
و التعجب تغير النفس بما خفى سببه، و خرج عن العادة مثله، لأنه لا مثل له فى العادة. و الذكر حضور المعنى للنفس، و الذكر على وجهين: ذكر البيان و ذكر البرهان، فذكر البيان إحضار المعنى للنفس، و ذكر البرهان الشهادة بالمعنى فى النفس، و كلا الوجهين يحتمل فى الآية.
و قوله «عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ» فالرجل هو إنسان خارج عن حد الصبى من الذكران، و كل رجل انسان، و ليس كل انسان رجلًا، لأن المرأة انسان.
و قيل فى دخول (على) فى قوله «عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ» قولان:
أحدهما- أنه بمعنى مع رجل منكم، قال الفراء: كما تقول: جاءنى الخير على وجهك و مع وجهك.
الثانى- لأن فيه معنى منزل «عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ».
و قوله «لينذركم» فالانذار هو الاعلام بموضع المخافة، و التحذير هو الزجر عن موضع المخافة. و قوله «وَ لِتَتَّقُوا وَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» معناه إن اللّه تعالى أرسل هذا الرسول مع هذا الذكر، و أراد إنذاركم، و غرضه أن التبيان

تتقوا معاصيه لكى يرحمكم و يدخلكم الجنة و نعيم الأبد.
و فى ذلك دلالة على بطلان مذهب المجبرة: أن اللّه تعالى لم يرد منهم أن يتقوا و لا أن يؤمنوا.

فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْناهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ فِى الْفُلْكِ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً عَمِينَ (64)

آية بلا خلاف.

هذا اخبار من اللَّه تعالى عن قوم نوح أنه لم ينفع فيهم ذلک التخويف و لا الوعظ و الزجر، و أنهم كذبوه يعنى نوحاً. و معناه أنهم نسبوا خبره الى الكذب، لأن التكذيب نسبة الخبر الى الكذب، و التصديق نسبة الخبر الى الصدق، و هذا مما يختلف فيه معنى (فعَّل، و فَعَل).

و قوله «فأنجيناه» إخبار من اللَّه تعالى انه أنجى نوحاً، و الانجاء هو التخليص من الهلكة، و الإهلاک الإيقاع فيها و هى المضرة الفادحة. «و من معه» يعنى و أنجى من معه من المؤمنين به «فى الفلک» و هى السفن و يقع على الواحد و الجمع بلفظ واحد، و أصله الدور مشتق من قولهم: فلک ثدى الجارية، إذا استدار، و منه الفلكة و الفَلک من هذا، لأنه يدور على الماء كيف أداره صاحبه.

و قوله «وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا» و الإغراق هو الغوص المتلف فى الماء، و أصله الغوص فى الشىء، فمنه أغرق فى النزع، و لا تغرق فى هذا الأمر.

و قوله «إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً عَمِينَ» فيه بيان أنه إنما أغرقهم و أهلكهم، لأنهم كانوا عمين. و العمى الضلال عن طريق الهدى، فهم كالعمى فى أنهم لا يبصرون طريق الرشد، فهم عمى عن الحق.

وَ إِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ (65)
آية بلا خلاف.
انتصب قوله «أخاهم هوداً» بقوله «أرسلنا» فى أول الكلام و إن تطاول ما بينهما، لأن تفصيل القصص يقتضى ذلک، و التقدير و أرسلنا «الى عاد أخاهم هوداً» و يجوز فى مثله الرفع و تقديره، و الى عاد أخوهم هود مرسل.
و (الأخ) أحد الوالدين لواحد. و إنما قال لهود (ع) أنه أخوهم، لأنه كان من قبيلهم، و جاز ذلک على غير الاخوة فى الدين، لأنه احتج عليهم أن يكون رجلا منهم، لأنهم عنه أفهم و اليه أسكن.
و صرف (هود) لخفته، كما صرفت جمل لخفتها، و هو أحق بالصرف، لأنه أكثر فى الاستعمال.
فى هذه الآية إخبار من اللَّه تعالى انه أرسل الى قوم عاد هودا، و أنه قال لهم «يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» و قد فسرنا معنى ذلک أجمع و بينا أيضا حقيقة العبادة، و أنه لا يستحقها غير اللَّه، لأنها على أصول النعم، و الشكر قد يستحقه غير اللَّه، لأنه يستحق بالنعمة و ان قلت، و كذلک الطاعة قد تجب لغير اللَّه، فعلى هذا تكون عبادة اثنين شركا، و لا يكون طاعة اثنين شركا، كما أن الشكر على النعمة لاثنين لا يكون كذلک إذا لم يكن واقعا على وجه العبادة. و قوله «أَ فَلا تَتَّقُونَ» معناه، فهلا تتقون، و هو بصورة الاستفهام و المراد به حضَّهم على تقوى اللَّه و اتقاء معاصيه.

قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِى سَفاهَةٍ وَ إِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكاذِبِينَ (66)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية إخبار عما قالت الجماعة الكافرة من قوم هود له «إِنَّا لَنَراكَ فِى سَفاهَةٍ» و السفاهة خفة الحلم، كما قال الشاعر:

مبذرا و عاتب سيعى ..... «1»

أى سفيه، و ثوب سفيه إذا كان خفيفا (و قال) المؤرج: السفاهة الجنون بلغة حمير، و قوله «فِى سَفاهَةٍ» معناه منغمس فى السفاهة، فالسفاهة بمعنى أنت سفيه، أقيم المصدر مقام اسم الفاعل، و لا يجوز قياسا على ذلك أن يقال فى إرادة بمعنى مريد، و كسرت (إن) لأنها وقعت بعد القول حكاية، و الحكاية تقتضى استئناف المحكى و (إنَّ) إذا شددت عملت، و لا تعمل إذا خففت، لأنها مشددة تشبه (كان) فلما خففت قل الشبه الا ان يحمل على كان محذوفة، و ليس قوة حملها عليها تامة كقوة حملها محذوفة، و حذفت الهمزة فى مضارع رأيت دون ماضيه، لاجتماع ثلاثة أشياء:

الزيادة في أوله، و كثرة الاستعمال لها، و لان فيما بقى دليل عليها، و لم يلزم فى نأيت تنأي مثل ذلک.

و قوله «وَ إِنَّا لَنَظُنُّكَ» و لم يقولوا نعلمک لامرين: أحدهما- قال الحسن: لان تكذيبهم كان على الظن دون اليقين. و قال الرمانى: معناه انک تجرى مجرى من أخبر عن غائب لا يعلم ممن هو منهم. الثانى- انهم أرادوا بالظن العلم كما قال الشاعر:

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج سراتهم فى الفارسى المشدد «2»

معناه أيقنوا. و فائدة الآية أن أمَّة هود جرت على طريقة أمَّة نوح فى الكفر بنبيها كأنهم قد تواصوا بالتكذيب بالحق و معاندة أهله و الرد لما أوتوا به

---

(1) هكذا فى الأصل و الكلامات غير منقطة، فلم أعرف له وجها [.....]

(2) مر هذا البيت فى 1/ 205 و 2/ 296.

قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِی سَفاهَةٌ وَ لكِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (67)
آية بلا خلاف.
هذه الآية فيها إخبار عما قال هود (ع) لقومه مجيبا لهم حين قالوا له:
«إِنَّا لَنَراکَ فِی سَفاهَةٍ» و أنه قال «لَيْسَ بِی سَفاهَةٌ» و موضع (قوم) نصب، لأنه نداء مضاف فلو وصفته لما جاز فی صفته الا النصب، و انما حذفت بالاضافة، لان النداء أحق بالحذف الذی يكون فی غيره لقوة اليقين فيه.
و قوله «وَ لكِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ» استدراک ب (لكن) لان فيه معنى ما دعانی الى أمركم السفه، و لكن دعانی اليه أنی رسول من رب العالمين.
و قد بينا أن (من) هاهنا بمعنى ابتداء الغاية، و التقدير المبتدئ بالرسالة رب العالمين و المنتهى اليه الرسالة لامته، لأنه أرسل اليهم.

أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّی وَ أَنَا لَکُمْ ناصِحٌ أَمِینٌ (68)
قد بينا معنى الإبلاغ، و هو إحضار الشىء غيره على وجه الانتهاء، و منه قوله «ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ» «1» و قد يكون إحضار النفس البيان للافهام، و الإبلاغ أشد اقتضاء للمنتهى اليه من الإيصال، لأنه يقتضى بلوغ فهمه و عقله كالبلاغة التى تصل الى سويداء قلبه. و لا يجوز بدل «رسالات ربى» نبوات ربى، لان النبوة تكليف القيام بالرسالة، فإنما يبلغ الرسالة و لا يبلغ التكليف.
و قوله «وَ أَنَا لَکُمْ ناصِحٌ أَمِینٌ» معناه انى ناصح لكم فيما أدعوكم اليه من طاعة اللَّه و اخلاص عبادته. و قيل: ان معناه انى كنت فيكم أمينا قبل النبوة

---

(1) سورة التوبة آية 7

و النصح إخلاص المعاملة من شائب الفساد فى النية. و الأمين المأمون من أن يكون منه تغيير له أو تبديل.
و فى الآية دلالة على أنه يجوز للإنسان أن يزكى نفسه عند الحاجة اليه.

أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَ زادَكُمْ فِى الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (69)
آية.
قد بينا معنى قوله «أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ» فلا معنى لإعادته. و انما أنكر العجب مع أنه خفى بسببه، و خرج عن العادة لظهور الدلائل فيه و قيام البراهين عليه من الإرسال اليهم من تنبيههم على ما اغفلوه و تعريفهم ما جهلوه. و الفرق بين العَجب و العُجب، أن العجب- بضم العين- عقد النفس على فضيلة لا ينبغى ان يعجب منها السبب لها، و ليس كذلك العجب- بفتح العين و الجيم- لأنه قد يكون حسنا. و قد قيل فى المثل (لا خير فيمن لا يتعجب من العجب و أرذل منه المتعجب من غير عجب).
و قوله «وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ» فخلفاء جمع خليفة، و هو الكائن بدل غيره ليقوم بالأمر مقامه فى تدبيره. و خلفاء جمعه على التكذيب مثل ظريف و ظرفاء، و لو جمعه على اللفظ لقال: خلائف نحو كريمة و كرائم، و ورد ذلک فى القرآن، قال اللَّه تعالى «هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلائِفَ» «1».
و قوله «مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ» امتنان عليهم بما مكنهم فى الأرض و جعلهم بدل قوم نوح حين أهلكهم اللَّه. و قوله «وَ زادَكُمْ فِى الْخَلْقِ بَصْطَةً» قرىء

---

(1) سورة 35 فاطر آية 39

بالسين و الصاد و قيل فى معناه قولان: أحدهما- قال ابن زيد: زادهم قوة. و قال غيره: أراد به المرة من بسط اليدين إذا فتحت على أبعد أقطارها. و قال الزجاج و الرمانى: كان أقصرهم طوله سبعين ذراعا و أطولهم مائة ذراع. و قال قوم: كان أقصرهم اثنى عشر ذراعا. و
قال ابو جعفر (ع): كانوا كأنهم النخل الطوال، و كان الرجل منهم ينحت الجبل بيده فيهدم منه قطعة.
و قوله «فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ» قال الحسن و غيره: الآلاء النعم فى واحدها لغات:
(ألًا) مثل (معاً) و (ألا) مثل «قفا» و «الى» مثل «حسى» و «إلى» مثل «دمى» قال الشاعر:
أبيض لا يرهب الهزال و لا يقطع رحما و لا يخون إلا «2»

إلا و ألا رويا جميعا. و قوله «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» معناه اذكروا نعم اللّه و اشكروه عليها لكى تفوزوا بثواب الجنة و النعيم الدائم الابدى.

قالُوا أَ جِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَ نَذَرَ ما كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (70)
آية بلا خلاف.
قيل فى الفرق بين «قالوا» و تكلموا، أن القول مضمن بالحكاية من حيث هو على صفة القول، و ليس كذلک من حيث هو على صفة الكلام.
و فى الآية حكاية ما قال قوم هود، و هم قبيلة عاد لهود (ع) «أ جئتنا» و معناه أتيتنا «لنعبد اللَّه وحده» و تريد منا أن نوجه عبادتنا الى اللَّه وحده.
و المجىء و الإتيان و الإقبال واحد، و قال قوم المجىء إتيان من أى جهة كان، و الإتيان إقبال من قبل الوجه.
و قوله «و نذر» و معناه و نترک، و لم تستعمل فيه (و ذرنا) استغناء بتركنا، و لا يلزم أن يستغنى بنترک عن نذر، لان نذر خفيفة، لان الواو

---

(2) قائله الأعشى ديوانه: 157 و لسان العرب (ألا)

حذفت منه. «ما كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا» تمام الحكاية عن الكفار أنهم قالوا: كيف نترک ما كان يعبد آباؤنا؟! و أنهم قالوا «فَأْتِنا بِما تَعِدُنا» من العذاب «ان كنت صادقا» «من» جملة «الصادقين» و انما لم يجب اتباع الآباء، و ان كانوا عقلاء و وجب اتباع العقلاء، لأنه انما يجب اتباع العقلاء فيما علموه بعقولهم ضرورة، فأما ما طريقه الدليل فانه يجوز أن يغلطوا فيه فلا يجوز حينئذ اتباعهم و ان كانوا آباءا.

قالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَ غَضَبٌ أَ تُجادِلُونَنِي فِي أَسْماءٍ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما نَزَّلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (71)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية حكاية عما قال هود لقومه جوابا عما قالوه فى الآية الاولى: أنه «قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَ غَضَبٌ» فالوقوع و السقوط و النزول نظائر. و الوقوع وجود الشىء نازلا بالحدوث، فقد يكون بحدوثه، و قد يكون بحدوث غيره، كوقوع الحائط و نحوه. و الرجس العذاب. و قيل:

الرجس و الرجز واحد فقلبت الزاى سيناً، كما قلبت السين تاء فى قول الشاعر:

ألا لحى اللَّه بنى السعلات عمرو بن يربوع لئام النات

ليسوا باعفاف و لا أكيات «1»

يريد الناس، و يريد أكياس. و قال رؤبة:

كم قد رأينا من عديد ميزى حتى أقمنا كيده بالرجز «2»

حكى ذلك عن أبى عمرو بن العلا. و قال ابن عباس: الرجس السخط،

---

(1) تفسير الطبرى 12: 522، و نوادر أبى زيد: 104، 147.

(2) ديوانه: 64 و تفسير الطبرى 12: 522.

و الغضب معنى يدعو الى الانتقام دعاء الانتقاص الطباع لشدة الإنكار، و نقيضه الرضا، و هو معنى يدعو الى الانعام دعاء ميل الطباع. و مثل الغضب السخط، هذا قول الرمانى. و قال غيره: الغضب هو ارادة العقاب بمستحقيه، و مثله السخط، و الرضا هو الارادة إلا أنها لا توصف بذلك إلا إذا وقع مرادها و لم يتعقبها كراهة، و لهذا جاز إطلاق ذلك على اللَّه، و لو كان الأمر على ما قاله الرمانى لما جاز أن يقال: إن اللَّه غضب على الكفار، و لا أنه سخط عليهم.

و قوله «أ تجادلوننى اللَّه بها من برهان، و لا نصب عليهم حجة. و المعنى أ تنازعوننى فى أسماء سميتموها يعنى تسميتهم ما يعبدون من دون اللَّه آلهة، ما أنزل اللَّه عليكم بذلك حجة بما عبدتم، فالبينة عليكم بما ادعيتم و سميتم، و ليس على ان آتيكم بالبينة على ما تعبدون من دون اللَّه بل ذلك عليكم، و علىَّ أن آتيكم بسلطان مبين أن اللَّه تعالى هو المعبود وحده دون من سواه و أنى رسوله.

و قوله «فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ» قال الحسن: معناه انتظروا

عذاب اللّه فانه نازل بكم، فانى معكم من المنتظرين» قال الحسن: معناه انتظروا عذاب اللّه فانه نازل بكم، فانى معكم من المنتظرين لنزوله بكم، و هو قول الجبائى و غيره من المفسرين.

فَأَنْجَيْناهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ قَطَعْنا دابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ ما كانُوا مُؤْمِنِينَ (72)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية إخبار من اللَّه تعالى أنه أنجى هوداً و الذين آمنوا معه برحمة منه، و الانجاء التخليص من الهلاک، و أصله من النجوة و هى الارتفاع من الأرض و النجاء السرعة فى السير، لأنه ارتفاع فيه بالاسراع و إنما جاز أن يقول: برحمة منا مع أن النجاة هى الرحمة، لأنه عقد معنى النجاة بالرحمة،

فصار كأنه يعمل بالقدرة.

و قوله «وَ قَطَعْنا» فالقطع هو افراد الشىء عن غيره مما كان على تقدير الاتصال به، فلما أفردوا بالهلاک عما كان على تقدير التبع لهم من نسلهم و آثارهم من بعدهم كان قد قطع دابرهم. و قال الحسن: معناه قطعنا أصل الذين كذبوا بديننا و ما كانوا مؤمنين. و قال ابن زيد: قطعنا دابرهم معناه: استأصلناهم عن آخرهم. و الدابر الكائن خلف الشىء. و نقيضه القابل، و يكون القابل الآخذ للشىء من قبل وجهه.

و قوله «وَ ما كانُوا مُؤْمِنِينَ» انما أخبر بذلک عن حالهم مع أنه معلوم منهم ذلک لبيان أن هذه الصفة لا تجوز أن تلحق المكذب بآيات اللَّه الجاحد لها و إن فى نفيها عن المكلف ذماً له.

وَ إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللَّهِ وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (73)

آية بلا خلاف.

هذه الآية عطف على ما تقدم، و التقدير و أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحاً.

و ثمود اسم قبيلة، و قد جاء مصروفاً و غير مصروف، فمن صرفه، فعلى أنه اسم لحى مذكر، و من ترك صرفه، فعلى أنه اسم القبيلة، كما قال تعالى «أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ» «1» صرف الأول و لم يصرف الثانى. و اختير ترك الصرف فى موضع الجر، لأنه أخف.

---

(1) سورة 11 هود آية 68.

و يجوز فى قوله «ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» ثلاثة أوجه من العربية: الجر على اللفظ، و الرفع على الموضع، و قد قرئ بهما، و قد بيناه فيما مضى، و النصب على الاستثناء و الحال، و لم يقرأ به. و يجوز عند الفراء الفتح على البناء، لأنه أجاز ما جاءنى غيرَك، و منع منه الزجاج. و قال: إنما يجوز ذلك إذا أضيف الى غير متمكن إضافة غير حقيقة، كما قال الشاعر:

لم يمنع الشرب منها غيرَ أن نطقت حمامة فى غصون ذات أو قال «2»

و قوله «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» قد بيناه فيما مضى.

و قوله «قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» فالبينة العلامة التى تفصل الحق من الباطل من جهة شهادتها به. و البيان هو إظهار المعنى للنفس الذى يفصله من غيره حتى يدركه على ما يقويه كما يظهر نقيضه، فهذا فرق بين البينة و البيان.

و قوله «هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً» فالناقة الأنثى من الجمال و الأصل فيها التوطئة و التذليل من قولهم بعير منوق أى موطَّأ مذلل، و تنوق فى العمل أى جوَّده كالموطإ المذلل. و الناق الحزُّ بين أليه الإبهام و طرفها، لأنه وطأ به لقبض الكف و بسطها. و انما قال «ناقَةُ اللَّهِ» لأنه لم يكن لها مالك سواه تعالى. و نصب «آية» على الحال. و الآية هى البينة العجيبة بظهور الشهادة و لطف المنزلة. و الآية و العبرة و الدلالة و العلامة نظائر. و الآية التى كانت فى الناقة خروجها من صخرة ملساء تمخضت بها كما تتمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التى طلبوها، و كان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادى كله و تسقيهم اللبن بدله، و لهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم، فى قول أبى الطفيل، و السدى و ابن إسحاق.

و قوله «فَذَرُوها» أى اتركوها «تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّٰهِ وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ» يعنى بعقر أو نحر «فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» أى ينالكم عذاب مؤلم.

---

(2) اللسان (و قل) و أو قال: جمع و قل، و هو ثمار شجر المقل.

وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ وَ بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِها قُصُوراً وَ تَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية حكاية لقول صالح (ع) لقومه بعد أن أمرهم بعبادة اللَّه وحده لا شريک له، و نهيه إياهم أن يمسوا الناقة بسوء، و حذرهم من المخالفة التى يستحق بها العذاب المؤلم فقال- عاطفاً على ذلک- و «اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ» أى تفكروا فيما أنعم اللَّه عليكم حيث جعلكم بدل قوم عاد بعد أن أهلكهم و أورثكم ديارهم «وَ بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ» أى مكنكم من منازل تأوون اليها، يقال بوأته منزلًا إذا مكنته منه ليأوى اليه.

و أصله من الرجوع من قوله «فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ» «1» و قوله «وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» «2» أى رجعوا، قال الشاعر:

و بوَّأت فى صميم معشرها فتم فى قومها مبوَّأها «3»

أى أنزلت و مكنت من الكرم فى صميم النسب.

و قوله «تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِها» فالسهل ما ليس فيه مشقة على النفس من عمل أو أرض، يقال: السهل و الجبل، و أرض سهلة. و قوله «قصوراً» جمع قصر، و هو الدار الكبيرة بسور تكون به مقصورة. و أصله القصر الذى هو الجعل على منزلة دون منزلة، فمنه القصير، لأنه قصر به على مقدار دون ما هو أطول منه، و القصر الغاية، يقال: قصره الموت لأنه قصر عليه، و اقصر عن الأمر أى كف عنه. و القصر العشى، و منه القصَّار لأنه يقصر

---

(1) سورة 2 البقرة آية 90.

(2) سورة 2 البقرة آية 61 و سورة 3 آل عمران آية 112.

(3) اللسان (بوأ).

الثوب على النقاء دون ما هو عليه. و القصرة أصل العنق.

و قوله «وَ تَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتاً» فالجبل جسم عظيم بعيد الاقطار عال فى السماء، و يقال: جبل الإنسان على كذا أى طبع عليه، لأنه يثبت عليه لصوق الجبل، و المعنى انهم كانوا ينحتون فى الجبال سقوفاً كالأبنية، فلا ينهدم، و لا يخرب، «فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ» معناه تفكروا فى نعمه المختلفة كيف مكنكم من الانتفاع بالسهل و الجبل «وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» معناه لا تضطربوا فى الأرض مفسدين يقال: عاث يعيث عيثاً، و عثى يعثى بمعنى واحد. و مفسدين نصب على الحال. و معنى الآية التذكير بنعم اللَّه من

التمكين فى الأرض و التسخير حتى تبوأوا القصور و شيدوا المنازل و الدور مع طول الآمال و تبليغ الآجال.

قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَ تَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن عامر «و قال الملأ» بزيادة واو، و كذلک فى مصاحف أهل الشام الباقون بلا واو.
فى هذه الآية حكاية عما قال الملأ من قوم صالح، و هم جماعة من أشراف قومه و رؤساء أمَّته «الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» أى طلبوا الكبر فوق القدر، لان الاستكبار هو طلب الكبر فوق القدر، حتى يؤدى صاحبه إلى إنكار ما دعى اليه من الحق، أنفة من اتباع الداعى الى الحق «لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا» فالاستضعاف طلب الضعف بالأحوال التى تقعد صاحبها عما كان يمكن غيره من القيام بالأمر، و الأصل فى باب (استفعل) الطلب منه. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 452
و قوله «لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ» موضعه من الاعراب نصب على البدل من اللام الاولى و هو بدل البعض من الكل إلا أنه أعيد فيه حرف الجر، كقولک مررت بإخوتک بعضهم. و انما فعل ذلک لئلا يظن انهم كانوا مستضعفين غير مؤمنين، لأنه قد يكون المستضعف مستضعفاً فى دينه، فلا يكون مؤمناً. فأزال هذه الشبهة.
و قوله «أَ تَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ» حقيقة و يقيناً ام لا تعلمون ذلک؟ و غرضهم بذلک الاستبعاد، لأن يكون صالح نبياً مرسلا من قبل اللّه.
و قوله «إِنَّا بِما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ» جواب من هؤلاء المستضعفين لهم انهم مؤمنون بالذى أرسل به صالح مصدقون. و قد بينا أن حدَّ العلم هو ما اقتضى سكون النفس. و حد الرمانى- هاهنا- العلم بأنه اعتقاد للشىء على ما هو به عن ثقة من جهة ضرورة أو حجة، قال: و العالم هو المبين للشىء بعدم أو ذات تنبئ عن العلم.

قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِى آمَنْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (76)
آية هذه الآية حكاية عما قال المستكبرون للذين آمنوا منهم حين سمعوا منهم الايمان به و الاعتراف بنبوته و التصديق لقوله «إِنَّا بِالَّذِى آمَنْتُمْ بِهِ» يعنى صدقتم به «كافرون» أى جاحدون. و القول هو الكَلام، و منه المقول، و هو اللسان، لأن صاحبه يقول به. و تقوَّل بمعنى كذَب و قال الكذب.
و المقيال المخبر الى نفسه بالقول امراً من خير أو شر. و القيل ملک دون الملک الأعظم بلغة حِميَر، و جمعه أقيال، لأنه يقول عنه كالوزير.

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَ قالُوا يا صالِحُ ائْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77)
آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 453
فى هذه الآية إخبار من اللّه تعالى عما فعل المستكبرون من قوم صالح و أنهم عقروا الناقة التى هى آية اللّه فى الأرض، و العقر الجرح الذى يأتى على أصل النفس، و هو من عقر الحوض و هو أصله، قال الشاعر:
بإزاء الحوض أو عقره «1»
و منه العقار، لأنه اعتقار أصل مال، لأن ثبوته كثبوت الأصل. و منه العاقر، لأنها قد حدث ما عقر الحال التى يجىء منها الولد فأبطل الأصل، و المعاقرة على الشراب منه، لأنه كالأصل فى الثبوت على تلك الحال.
و قوله «وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ» أى تجاوزوا الحد فى الفساد. و قيل:
العتوُّ الغلو فى الباطل- فى قول مجاهد- و منه جبار عاتٍ، و العاتى فى الكبر و منه «وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا» «2» أى بلغت حال العاتى كبراً، و العتو عن الأمر هو المخالفة إلا أن فى العتو مخالفة على وجه التهاون به و الاستكبار عن قبوله.
و قوله «يا صالِحُ ائْتِنا» إن وصلته همزته، و ان ابتدأته لم تهمز بل تقول: (ايتنا) و انما كان كذلك، لأن أصله (ائتنا) بهمزتين، فكره ذلك فقلبوا الثانية ياء على ما قبلها، فإذا وصل سقطت ألف الوصل و ظهرت همزة الأصل.
و قوله «بِما تَعِدُنا» فالوعد الخبر بخير أو شرّ بقرينة فى الشر.
و قوله «ائْتِنا بِما تَعِدُنا» أى من الشر، لأنا قد علمنا ما توعدتنا عليه فأت الآن بالعذاب الذى خوَّفتنا منه، و متى تجرَّد عن قرينة، فهو بالخير أحق للفصل بين الوعد و الوعيد.

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِی دارِهِمْ جاثِمِینَ (78) فَتَوَلَّی عَنْهُمْ وَ قالَ یا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُکُمْ رِسالَةَ رَبِّی وَ نَصَحْتُ لَکُمْ وَ لکِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِینَ (79)

---

(1) اللسان (عقر) و تمامه:
فرماها فی فرائصها بإزاء الحوض أو عقره
(2) سورة 19 مریم آیة 7.

آیتان بلا خلاف.
أخبر اللّه تعالی فی هذه الآیة بما حلَّ بثمود من العذاب، فقال «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ» و هی حرکة القرار المزعجة لشدة الزعزعة تقول: رجف بهم السقف رجوفاً إذا اضطرب من فوقهم، و قال مجاهد و السدی: الرجفة الصیحة.
و قال آخرون: هی زلزلة أهلکوا بها، قال الأخطل:
اما ترینی حِنانی الشیب من کبر کالنشر أرجف و الإنسان مهدود «1»
و قوله «فَأَصْبَحُوا فِی دارِهِمْ جاثِمِینَ» إنما قال دراهم علی التوحید لأمرین:
أحدهما- إن المعنی فی بلدهم، و هو واحد.
و الآخر- أن معناه فی دورهم، و إنما وحد کما توحد أسماء الأجناس کقوله «إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ» «2» و الأخذ نقل الشیء عن حاله الی جهة الناقل له، و ضده الترک کأخذ الدینار و ترک الدرهم. و معنی «جاثمین» بارکین علی رکبهم موتی، جثم یجثم جثوماً إذا برک علی رکبتیه. و قیل:
صاروا رماداً کالرماد الجاثم، لأن الصاعقة أحرقتهم، و قال جریر:
عرفت المنتأی و عرفت منها مطایا القدر کالجدء الجثوم «3»
و قوله «فَتَوَلَّی عَنْهُمْ» یعنی أن صالحاً تولی عن قومه، و التولی الذهاب عن الشیء و هو الاعراض عنه، و انما تولی، لأنه أقبل علیهم بالدعاء الی توحید اللّه و طاعته، فلما خالفوا و نزل بهم العذاب تولی عنهم للیأس منهم و تولاه بمعنی أولاه نصرته و معونته، و منه قولهم (تولاک اللّه بحفظه) و قوله

---

(1) دیوانه: 146 و تفسیر الطبری 12/ 544. [.....]
(2) سورة 103 العصر آیة 2.
(3) دیوانه: 507 و مجاز القرآن 1/ 218 و تفسیر الطبری 12/ 546.

«وَ مَنْ یَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا» «1» فهو مثل قوله «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ یَنْصُرْکُمْ» «2» أی إن تنصروا دین اللّه، و تولی عنه بمعنی أعرض عنه.

و قوله «وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّی» انما جاز أن يناديهم مع كونهم جاثمين موتى لما فى تذكر ما أصارهم الى تلك الحال العظيمة التى صاروا بها نكالًا لكل من اعتبر بها و فكر فيها من الحكمة و الموعظة الحسنة.

و قوله «وَ نَصَحْتُ لَكُمْ» يقال: نصحته و نصحت له مثل شكرته و شكرت له، و معناه و كنت نصحت لكم «وَ لكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ» فمحبة الشىء إرادة الحال الجليلة له عند المريد، فمن أحبَّ الناصح قبل منه، لنهيه لهم عن ركوب أهوائهم و اتباع شهواتهم، و قد روى أنه لم يعذب أمَّة نبى قط و نبيها فيها، فلذلک خرج، فأما إذا أهلک المؤمنون فيما بينهم، فان اللَّه سيعوضهم على ما يصيبهم من الآلام و الغموم.

وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (80)
آية.
العامل فى قوله «و لوطاً» يحتمل أن يكون أحد أمرين:
أحدهما- أن يكون عطفاً على ما مضى، فيكون تقديره و أرسلنا لوطاً.
و الثانى- أن يكون على تقدير و اذكر لوطاً إذ قال لقومه- فى قول الأخفش- و لا يجوز فى قصة عاد و ثمود إلا (و أرسلنا)، لأن فيها ذكر الى.
و (لوط) مصروف لخفته، لأنه على ثلاث أحرف ساكن الأوسط، و لا ينصرف يعقوب، لأنه أعجمى معرفة.
و اختلفوا فى اشتقاق (لوط) فقال بعض أهل اللغة: إنه مشتق من لطت الحوض إذا ألزقت عليه الطين و ملسته به، و يقال: هذا (ألوط) بقلبى

---

(1) سورة 5 المائدة آية 59
(2) سورة 47 محمد آية 7.
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 456
أى ألصق، و الليطة القشر للصوقه بما اتصل به، و قال الزجاج: هو اسم غير مشتق، لأن العجمى لا يشتق من العربى، و انما قال ذلك لأنه لم يوجد علماً إلا فى أسماء الأنبياء.
و قوله «أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ»؟! فالفاحشة هى السيئة العظيمة القبح.
و قوله «ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ» فالسبق وجود الشىء قبل غيره. و قيل: ما ذكر على ذكر قبل قوم لوط، ذكره عمرو بن دينار، فلذلك قال «ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ» و به قال أكثر المفسرين، قال البلخى: يحتمل أن يكون أراد «ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ» يريد عالمى زمانهم، كما قال «وَ أَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ» «1» قال: و يحتمل أن يكون ما سبقكم الى ذلك أحد على وجه القهر و المجاهرة به على ما كانوا يفعلونه. و قال بعضهم: العقل كان يبيح ذلك و انما منع منه السمع. قال البلخى: هذا خطأ، لأنه يؤدى الى انقطاع النسل، و لأن الطباع مبنية على الاستنكاف من ذلك، و ان يكون الإنسان مفعولًا به، و لو كان الفاعل لذلك غير مقبح لما لحق المفعول به من ذلك و صمة، كما أن المرأة المنكوحة بالعقد الصحيح لا يلحقها بذلك و صمة و لا عيب بلا خلاف. قال: و من حمل نفسه على استحسان ذلك و انه يجوز أن يكون مفعولًا به كان ما جنا ملوماً عند جميع العقلاء.

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81)
آية.
قرأ أهل المدينة و حفص هاهنا «إنكم» على الخبر، و كذلک مذهبه فى قراءته ان يكتفى بالاستفهام الأول من الثانى فى كل القرآن، و هو مذهب الكسائى إلا فى قصة لوط. الباقون بهمزتين الثانية مكسورة، و خففها ابن

---

(1) سورة 2 البقرة آية 47، 122.

عامر و أهل الكوفة إلا حفصاً، و الحلوانى عن هشام يفصل بينهما بالألف، و ابن كثير و أبو عمرو و ورش تحقق الأولى و تلين الثانية، و فصل بينهما بألف أبو عمرو.
و قال أبو على: قوله «أ تأتون الفاحشة .... إنكم لتأتون الرجال» كل واحد من الاستفهامين كلام مستقل بنفسه لا حاجة لواحد منهما الى الآخر، فإذا كان كذلک، فمن قرأ (أ إنكم) على الاستفهام جعل ذلک تفسيراً للفاحشة، كما أن قوله «لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» «1» تفسير للوصية. و من قرأ على الخبر استأنف، و من أراد أن يلين همزة (إنكم) فانه يجعلها بين بين، لأن ألف الاستفهام بمنزلة المنفصل، و لو لا ذلک لوجب أن يقلب الثانية على ما قبله ثم يحذف لالتقاء الساكنين.
و معنى قوله «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ» قال الحسن: إن قوم لوط كانوا ينكحون الرجال فى أدبارهم و لا ينكحون إلا الغرباء و لا ينكح بعضهم بعضاً. و قوله «شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ» فالشهوة مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة، و ليست كالارادة، لأنها قد تدعو الى الفعل من جهة الحكمة. و الشهوة من فعل اللّه ضرورة فينا، و الارادة من فعلنا، تقول شهيت أشهى شهوة، قال الشاعر:
و اشعث يشهى النوم قلت له ارتحل إذا ما النجوم أعرضت و اسبكرَّت
فقام يجرُّ البرد لو أن نفسه يقال له خذها بكفيک خرت «2»
و قوله «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ» معناه الاضراب عن الأول الى جميع المعايب من عبادة الأوثان و إتيان الذكران و ترک ما قام به البرهان، و تقديره

---

(1) سورة 4 النساء آية 10.
(2) اللسان (شهى) و تفسير الطبرى 12: 548 (يشهى النوم) بمعنى يشتهى. و (اسبكرت) امتدت و استقامت و أسرعت فى مسبحها و رواية

الطبرى (و اسبطرت) بدل (و اسبكرت).
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 458
إنكم مستوفون لجميع المعائب إتيان الذكران و غيره، و يحتمل أن يكون بل لاسرافكم لا تفلحون. و الإسراف الخروج عن حدّ الحق الى الفساد.

وَ ما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (82)

آية بلا خلاف.

الوجه فى قوله «جواب قومه» بالنصب أنه وقع الاسم بعد (إلا) موقع الإيجاب، و ذلک أن ما قبلها إذا كان إيجاباً كان ما بعدها نفياً، و إذا كان ما قبلها نفياً كان ما بعدها ايجاباً، و الجواب خبر يقتضيه أول الكلام، و الغالب عليه جواب النداء و السؤال، و يكون على وجوه كجواب الجزاء و جواب القسم و جواب (لو).

أخبر اللّٰه فى هذه الآية بما أجاب به قوم لوط (ع) حين قال لهم «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ» كأنهم قالوا: بعضهم لبعض «أخرجوهم» يعنون لوطاً و أهله الذين آمنوا به. و الإخراج نقل الشىء عن محيط الى غيره، كما أن الإدخال النقل الى محيط عن غيره. و قال الزجاج و الفراء: أرادوا اخرجوا لوطاً و ابنتيه.

و قوله «من قريتكم» فالقرية هى المدينة، كما قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت قرويين أفصح من الحسن و الحجاج، يعنى رجلين من أهل المدن إلا أنه صار بالعرف عبارة عن مجتمع الناس فى منازل متجاورة بقرب ضيعة يأوى اليها للاكراء.

و قوله «إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ» قيل فيه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: يعنى يتطهرون عن إتيان الرجال فى الأدبار فعابوهم بما يجب أن يمدحوا به.

الثانى- أنه أراد يتطهرون يتنزهون عن أفعالكم و طرائقكم.

فَأَنْجَيْناهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (83) وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (84)
آيتان.
أخبر اللَّه تعالى أنه أنجى لوطاً و من معه بمعنى أنه خلصه من الهلاک «و أهله» يعنى المختصين به. و الأهل هو المختص بالشىء اختصاص القرابة، و لذلک قيل: أهل البلد لأنهم بلزومهم سکناه قد صاروا على مثل لزوم القرابة. و قوله «إلا امرأته» استثنى من جملة من أنجاه مع لوط من أهله امرأته، لأن امرأته أراد به زوجته و لا يقال: مرؤها بمعنى زوجها، لأنه صار بمنزلة المالک لها. و ليست بمنزلة المالکة له. و إنما تجرى هذه الاضافة التى بمعنى اللام على طريقة الملک. و قوله «كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ» يعنى من الباقين فى عذاب اللَّه- فى قول الحسن و قتادة.
فان قيل: فعلى هذا يجب أن تکون امرأته ممن نجى لأنه تعالى قال «كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ» أى الباقين.
قلنا: المعنى إنها من الباقين فى عذاب اللَّه، على ما حکيناه عن الحسن و قتادة. و قال قوم: معناه إنها من الباقين قبل الهلاک و المعمرين الذين قد أتى عليهم دهر طويل حتى هرمت فيمن هرم من الناس، و كانت ممن غبر الدهر عليه قبل هلاک القوم. ثم هلكت فيمن هلک من قوم لوط.
و قيل: أراد بذلک من الباقين فى عذاب اللَّه، ذكر ذلک قتادة.
و انما قلنا: إنها كانت من الهالكين، لقوله فى سورة هود «إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ» «1» ذكر ذلک البلخى و الطبرى، فالغابر الباقى. و يقال: غبر يغبر غبوراً و غبراً إذا بقى قال الأعشى:

---

(1) سورة 11 هود آية 81.

عض بما أبقى المواسى له من أمه فى الزمن الغابر «1»
و قال آخر:
و أبى الذى فتح البلاد بسيفه فأذلها لبنى أبان الغابر «2»
و قال الزجاج «مِنَ الْغابِرِينَ» عن النجاة. و منه الغبرة بقية أثر البياض بعد الامتزاج بغيره من الألوان. و قال الرمانى: هذا استثناء متصل، لأنه يجوز أن يدخل الزوجة فى الأهل على التغليب فى الجملة دون التفصيل كما قال «يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِکَ» «3» و من أجل التغليب قال «مِنَ الْغابِرِينَ» و لم يقل من الغابرات. و يقوى فى نفسى أنه استثناء منقطع، لأن الزوجة لا تدخل تحت قولنا: الأهل حقيقة، و قد بينا ذلک فى سورة البقرة مستوفاً.

و قوله «وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً» و أمطرها اللّه إمطاراً. و قيل: أمطر عليهم حجارة من سجيل، و هذا اخبار من اللّه تعالى عما أنزله اللّه بقوم لوط من العذاب.
و قوله «فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ» أمر للنبى (ص) و المراد به جميع المكلفين بأن يتفكروا فى ذلک و يعلموا كيف كان عاقبة المجرمين، يعنى الى ما صار اليه عاقبة هؤلاء العاصين. و (كيف) سؤال عن حال إلا أنها تقع فى التسوية، لأن فيها ادعاء. و إذا قال القائل: كيف هو، معناه قد علمت ما يطلبه الطالب كيف هو من حاله. و العاقبة آخر ما تؤدى اليه التأدية، و أصله كون الشىء فى أثر الشىء و منه العقاب، لأنه يستحق عقيب الذنب، و منه العقاب لأنه يعقب على صيده لشدته، و العَقِب، لأنه عقب به بشدة شيئاً بعد شىء. و الاجرام اقتراف السيئة، أجرم إجراماً إذا أذنب و الجرم

---

(1) ديوانه: 106 و مجاز القرآن 1/ 219 و تفسير الطبرى 12/ 551 و اللسان (غير).
(2) قائله يزيد بن الحكم بن أبى العاص خزانة الأدب 1/ 55 و تفسير الطبرى 12/ 552.
(3) سورة 11 هود آية 46.

الذنب و أصله القطع فالمجرم منقطع عن الحسنة الى السيئة، و فائدة الآية الاخبار عن سوء عاقبة المجرمين بما أنزل عليهم عاجلًا من عذاب الاستئصال قبل عذاب الآخرة بالنيران.

وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (85)

آية بلا خلاف.

هذه الآية عطف على ما تقدم و التقدير فيها فأرسلنا «الى مدين» و هى قبيلة، قال أبو إسحاق: أصله (مديان) و هو مديان بن ابراهيم و هؤلاء ولده. و (مدين) لا ينصرف، لأنه معرب فى حال تعريفه. و العلة المانعة من الصرف هى العجمة و التعريف و قال الزجاج: لأنه اسم قبيلة و هو معرفة و جائز أن يكون أعجمياً.

و قوله «أَخاهُمْ شُعَيْباً» نسب اليهم بالاخوة فى النسب دون غيره. و قال لهم «قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» يعنى أتتكم حجة من اللّه تعالى و معجزة دالة على صدق قولى، و أخبر انه أمرهم بأن يوفوا الكيل و الميزان. و الإيفاء إتمام الشىء الى حدّ الحق فيه، و منه إيفاء العهد و هو إتمامه بالعمل به.

و الكيل تقدير الشىء بالمكيال حتى يظهر مقداره منه. و الوزن تقدير الشىء بالميزان، و المساحة تقدير الشىء بالذراع أو ما زاد عليه أو نقص.

«وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ» نهى من شعيب إياهم عن بخس الحقوق و تنقيصها فى الكيل و الميزان و غيرهما، و البخس النقص عن الحد الذى يوجبه الحق تقول: بخس يبخس بخساً فهو باخس. و البخص بالصاد فقأ العين. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 462

قتادة و السدى: البخس الظلم، و منه المثل (تحسبها حمقاء و هى باخسة).

و قوله «وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها» يعنى بعد أن أصلحها اللّه بالأمر و النهى و بعثة الأنبياء و تعريف الخلق مصالحهم. و الإفساد إخراج الشىء الى حد لا ينتفع به بدلًا عن حال ينتفع بها، و ضده الإصلاح، و المعنى لا تخرجوا الى العمل فى الأرض بالقبائح بعد أن أصلحها اللّه بالمحاسن.

و قوله «ذلكم» إشارة لقومه الى ما أمرهم به و نهاهم عنه بأن امتثاله و الانتهاء اليه خير لهم و أعود عليهم إن كانوا مؤمنين مصدقين باللّه، و انما علق خيريته بالإيمان و إن كان هو خيراً على كل حال من حيث أن من لا يكون مؤمناً باللّه، و عارفاً بنبيه لم يمكنه أن يعلم أن ذلك خير له، و كأنه قال لهم:

كونوا مؤمنين لتعلموا أن ذلك خير لكم. و يحتمل أن يكون المراد لا ينفعكم إيفاء الكيل و الميزان إلا بعد أن تكونوا مؤمنين. قال الفراء: لم يكن لشعيب آية على النبوة. قال الزجاج و غيره: هذا غلط، لأنه قال «قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا» فجاء بالفاء جواباً للجزاء، فكيف يقول «قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ» و لم

يكن له آية على النبوة، فان كان مع النبوة آية فقد جاءهم بها لأنه لو ادعى النبوة من غير آية لم يقبل منه. و آيات شعيب و إن لم يذكرها اللّه فى القرآن لا يجب أن يقال: لا آية له، لأن نبينا (ص) لم يذكر اللّه آياته كلها فى القرآن و لا أكثرها و إن كانت له آيات كثيرة، و لم يوجب ذلک نفيها.

وَ لا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ وَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ تَبْغُونَها عِوَجاً وَ اذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَ انْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (86)

آية بلا خلاف.

قيل فى معنى قوله «و لا تقعدوا» بكل صراط توعدون قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 463

أحدهما- قال ابن عباس و الحسن و قتادة و مجاهد: إنهم كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيباً للايمان به فيخوفونه بالقتل. و قال أبو هريرة: إنما نهاهم عن قطع الطريق.

و قوله «بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ» يجوز فيه تعاقب حروف الاضافة بأن يقول: على كل صراط، و فى كل صراط، لأن معانى هذه الحروف اجتمعت فيه- هاهنا- كما تقول: قعد له بكل مكان، و على كل مكان، و فى كل مكان، لأن الباء للإلصاق و هو قد لاصق المكان، و (على) للاستعلاء و هو قد علا المكان، و (فى) للمحل و هو قد حلَّ المكان. و يقال: قعد عن الأمر بمعنى ترك العمل به كائناً ما كان، و قام به إذا عمل به كالقعود عن الواجب و نحوه. و معنى الإيعاد الاخبار بالعذاب على صفة من الصفات، و هو الوعيد و التهديد، فإذا ذكر المتعلق من الخير أو الشر قلت: وعدته كذا، كما قال تعالى «النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» «1» و إذا لم يذكر قيل فى الخير وعدته، و فى الشر أوعدته. و تقول: وعدته خيراً بلا باء و أوعدته بالشر بإثبات الباء.

و قوله «وَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» فالصد هو الصرف عن الفعل بالإغواء فيه، كما يصد الشيطان عن ذكر اللّه و عن الصلاة. تقول: صده عن الأمر يصده صداً، و هو كالمنع.

و قوله «مَنْ آمَنَ بِهِ» (من) فى موضع نصب، لأنه مفعول به، و تقديره و تصدون المؤمنين باللّه عن اتباع دينه، و هو سبيل اللّه.

و قوله «وَ تَبْغُونَها عِوَجاً» فالهاء راجعة الى السبيل، و معنى «تبغون» تطلبون، و البغية الطلبة: بغاه يبغيه بغية. و المعنى- هاهنا- و تبغون السبيل عوجاً عن الحق، و هو أن يقولوا: هذا كذب و باطل و ما أشبه ذلك، و هو قول قتادة. و العوج- بكسر العين- فى الدين و كل ما لا يرى- و بفتح العين- فى العود و كل ما يرى كالحائط و غيره.

---

(1) سورة 22 الحج آية 72.

و قوله «وَ اذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ» قال الزجاج: يحتمل أشياء:
أحدها- اذكروا نعمة اللّه عليكم إذ كثر عددكم.
و ثانيها- أنه كثركم بالغنى بعد الفقر.
و ثالثها- كثركم بالقدرة بعد الضعف، و وجهه أنهم كانوا فقراء و ضعفاء، فهم بمنزلة القليل فى قلة الغناء.
و قوله «وَ انْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ» معناه فكروا فيما مضى من إهلاک من تقدم بأنواع العذاب و انزال العقوبات بهم و استئصال شأفتهم و ما فعل اللّه بالمفسدين، و كيف كان عاقبتهم فى ذلک و ما حلَّ بهم من البوار.

وَ إِنْ كانَ طائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِی أُرْسِلْتُ بِهِ وَ طائِفَةٌ لَمْ یُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّی یَحْکُمَ اللَّهُ بَیْنَنا وَ هُوَ خَیْرُ الْحاکِمِینَ (87)
آیة بلا خلاف.
الطائفة الجماعة من الناس، و هو من الطوف صفة غالبة أقیمت مقام الموصوف مأخوذة من أنها تجتمع علی الطواف، و قد یکون جماعة الکتب و الدور و نحو ذلک.
و قوله «وَ طائِفَةٌ لَمْ یُؤْمِنُوا» إنما جاز أن یخبر عمن لم یؤمن بأنهم طائفة و إن کانوا هم الأکثر لتقابل قوله «طائِفَةٌ مِنْکُمْ آمَنُوا» و لأن من حق الضد أن یأتی علی حد ضده، کما تقول: ضربت زیداً و ما ضربت زیداً، و إنما ذکر طائفة، لأنه راجع الی الرجال، و ان کان اللفظ مؤنثاً فغلب فیه المعنی فی هذا الموضع لیدل علی معنی التذکیر، و المعنی إن شعیباً قال لقومه:
و إن انقسمتم قسمین، ففرقة آمنت و فرقة کفرت، فاصبروا حتی یحکم اللَّه بیننا، علی وجه التهدید لهم و الإنکار الی من خالف منهم، و الصبر حبس النفس عما تنازع الیه من الجزع و أصله الحبس، و منه
قوله (ع): (اقتلوا التبیان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 465
القاتل و اصبروا الصابر)
و منه قیل للسیء: صبر، لأنه یحبس النفس عن لفظه لیداویه. و الحکم المنع من الخروج عن الحق بدعاء الحکمة الیه من جهة معروفة أو حجة، و أصله المنع قال الشاعر:
أبنی حنیفة احکموا سفهاءکم إنی أخاف علیکم أن أغضبا «1»
و قوله «وَ هُوَ خَیْرُ الْحاکِمِینَ» لأنه لا یجوز علیه الجور، و لا المحاباة فی الحکم، و إنما علق جواب الجزاء بالصبر، و هو لازم علی کل حال، لأن المعنی فسیقع جزاء کل فریق بما یستحقه من ثواب أو عقاب، کأنه قال:
فأنتم مصبورون علی حکم اللَّه بذلک. قال البلخی: أمرهم فی هذه الآیة بالکف عما کانوا یفعلون من الصد عن الدین و التوعد علیه، و الکف عن ذلک خیر و رشد، و لم یأمرهم بالمقام علی کفرهم و الصبر. و فی ذلک دلالة علی أنه لیس کل أفعال الکافرین کفراً و معصیة، کما یذهب الیه بعض أهل النظر.

قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا قالَ أَ وَ لَوْ كُنَّا كارِهِينَ (88)
آية بلا خلاف.
أخبر اللّه تعالى فى هذه الآية عن الملأ، و هم الجماعة الأشراف و الرؤساء من قوم شعيب الذين استكبروا، و معناه امتنعوا من اتباع الحق أنفة عن الداعى اليه أن يتبعوه فيه، و تكبروا عليه جهلًا منهم بمنزلة الحق و منزلة الداعى اليه، إذ أنهم قالوا لشعيب و أقسموا «لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا» و قيل فى معنى (لتعودن) قولان:
أحدهما- على توهمهم أنه كان فيها على دين قومه.

_____
(1) مر هذا البيت فى 1/ 142 و 2/ 188 و سيأتى فى 5/ 512.

الثانى- أن الذين اتبعوا شعيباً قد كانوا فيها. و قال الزجاج: و جائز أن يقال: قد عاد علىَّ من فلان مكروه و إن لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك أى لحقنى منه مكروه، و وجه هذا أنه قد كان قبل ذلك فى قصده لى كأنه قد أتى مرة بعد مرة. و قال الشاعر:
لئن كانت الأيام أحسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب «1»
و العود هو الرجوع، و هو مصير الشيء الى الحال التى كان عليها قبل، و منه إعادة الخلق، و قوله تعالى «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» «2» و تستعمل لفظة الاعادة فى الفعل مرة ثانية حقيقة، و فى فعل مثله مجازاً، و كلاهما يسمى اعادة، لكن لما كان مثله كأنه هو فى أنه يقوم مقامه جرت عليه الصفة كقولك: أعدت الكتابة و القراءة و معناه فعلت مثله.
و قوله «أَ وَ لَوْ كُنَّا كارِهِينَ» حكاية لما قال شعيب لأمته من أنه لا يعود فى ملتهم إلا أن يكون على وجه الإكراه منهم لذلك و أنهم يريدون أن يردوا المؤمنين الى مثل ما هم عليه من المعاصى مع كراهتهم لذلك و يقينهم لبطلانه، فبين بهذا أنا مع كراهتنا لذلك مع ما عرفناه من بطلانه لا نرجع، و تقديره أ تعيدوننا فى ملتكم و إن كرهناها؟! فأدخل ألف الاستفهام على (لو).

قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها وَ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ (89)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية اخبار من اللَّه عما قال شعيب لقومه من أنه قد افترى هو

---

(1) مر تخريجه فى 2/ 315. [.....]

(2) سورة 6 الانعام آية 28.

و من آمن به على اللَّه كذباً إن عاد فى ملتهم بأن يحللوا ما يحللونه و يحرموا ما يحرمونه و ينسبونه الى اللَّه بعد إذ نجاهم اللَّه منها.

و الافتراء الكذب، و منه الافتعال، و الاختلاق و هو القطع بخبر مخبره لا على ما هو به، مشتقاً من فرى الأديم تقول فريت الأديم أفريه فرياً.

و الملة الديانة التى تجتمع على العمل بها فرقة عظيمة. و الأصل فيه تكرر الامر من قولهم طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى توطأ، و منه الملل و هو تكرر الشىء على النفس حتى تضجر. و الملة الرماد الحار يدفن فيه الخبز حتى ينضج لتكرر الحمى عليها، و منه المليلة من الحمى. و الملة لتكرر العمل فيها على ما تأتي به الشريعة.

و قوله «بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها» باقامة الدليل و الحجج على بطلانها، و علمنا بذلک و انتهائنا عنها. و قوله «رَبَّنَا افْتَحْ» قال ابن عباس: ما كنت أدرى معنى قوله «ربنا افتح» حتى سمعت بنت سيف بن ذى يزن تقول: تعال حتى أفاتحكم يعنى أقاضيک.

و قوله «وَ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا» إخبار عن قول شعيب لهم أنه ليس له أن يعود فى ملتهم، و يرجع فيها إلا بعد مشيئة اللَّه ذلک. و قيل فى معنى هذه المشيئة مع حصول العلم بأنه لا يشاء تعالى عبادة الأصنام و الأوثان ثلاثة أقوال:

أحدها- أن فى ملتهم أشياء كان يجوز أن يتعبد اللَّه بها، فلو شاءها منهم لوجب عليهم الرجوع فيها.

الثانى- أنه إذا فعل ما شاء اللَّه كان ذلک طاعة للَّه تعالى.

الثالث- أنه علق ما لا يكون بما علم أنه لا يكون على وجه التبعيد كما قال الشاعر:

إذا شاب الغراب أتيت أهلى و صار القار كاللبن الحليب «1»

---

(1) مر فى 4/ 430.
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 468
و كما قال تعالى «حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِياطِ» «2» وجه ذلک- هاهنا- أنه كما لا يشاء اللّه عبادة الأصنام و القبائح- لأن ذلک لا يليق بحكمته- فكذلک لا أعود فى ملتكم. و قال قوم: فيه وجه رابع، و هو أن الهاء فى قوله «فيها» راجعة الى القرية، و كأنه قال: و ما يكون لنا أن نعود فى قريتكم غانمين لكم ظاهرين عليكم بعد إذ نجانا اللّه منها بخروجنا منها سالمين إلا أن يشاء اللّه أن ينصرنا عليكم و يشاء منا الرجوع فيها.
و قوله «وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً» نصب (علماً) على التمييز.
و قيل فى وجه اتصال ذلک بما قبله قولان:
أحدهما- أن الملة إنما يتعبد بها على حسب ما فى معلومه من مصلحة العباد بها، فهو تعالى لا يخفى عليه ذلک.
و الثانى- أنه عالم بما يكون منا من عود أو ترک دوننا.
ثم حكى عن شعيب أنه قال لهم «عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ» سؤال من شعيب و رغبة منه اليه تعالى أن يحكم بينه و بين قومه بالحق، و الفتح القضاء. و معنى افتح اقض- فى قول ابن عباس و الحسن و قتادة و السدى- و الحاكم الفاتح و الفتاح، و فاتحته فى كذا قاضيته. و إنما قيل ذلک، لأنه يفتح باب العلم الذى انغلق على غيره.
و قوله «بالحق» فيه وجهان:
أحدهما- سؤال اللّه ما يجوز عليه، كما قال فى موضع آخر «رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ» «3».
و الآخر- ما ينكشف به لمخالفينا أنَّا على الحق من انزال العذاب عليهم، و قال الفراء: اهل عمان يسمون الحاكم الفتاح، قال الشاعر:

---

(2) آية 39 من هذه السورة.
(3) سورة 21 الأنبياء آية 112.
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 469
ألا أبلغ بنى عصم رسولا فأنى عن فتاحتكم غنىٌّ «2»
أى قضائكم و حكمكم، و قال الجبائى: معنى «افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا» انزل بهم ما يستحقون من العقوبة لكفرهم باللّه و ظلمهم المؤمنين.
و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة، لأنه قال «وَ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» فعلم أن لهم الرجوع فيها إذا شاء اللّه، فإذا لم يشأ لم يكن ذلک، فيجب على هذا إن كان اللّه يريد الكفر أن يكون للكافر الرجوع فى الكفر، و هذا لا يقوله أحد، فبطل ما قالوه. على أن الظاهر من معنى الملة هو ما يعلم بالشرع، و ذلک يجوز أن ينسخه اللّه فيريد منهم الرجوع فيه، و ليس لأحد أن يقول إن قوله «بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها» لا يليق

بما قلتم و انما يليق بما قالوه، و ذلک أن قوله ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّٰهُ مِنْها﴾ معناه على هذا القول أزاله عنا و نسخه عنا، فان شاء أن يعيدنا ثانياً جاز لنا الرجوع فيها.

وَ قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ (90)
آية بلا خلاف.
فى هذه الآية حكاية ما قالت الجماعة الكافرة الجاحدة بآيات اللَّه و لنبوة شعيب للباقين منهم و أقسموا عليهم «لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً» و انقدتم له و رجعتم الى أمره و نهيه لأن الاتباع هو طلب الثانى موافقة الأول فيما دعا اليه تقول:
اتَّبعه اتباعاً و تبعه تبعاً، و هو متبع و تابع «إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ» و قوله «إنكم» جواب القسم و اللام فى (لخاسرون) لام التأكيد فى خبر (إن) و (الخسران) ذهاب رأس المال، فكأنهم قالوا: لئن تبعتموه كنتم بمنزلة من ذهب رأس ماله أو أعظم من ماله، لأنكم لا تنتفعون باتباعه فتخسرون فى اشتغالكم بما لا تنتفعون به و بانقضاء عمركم إذ لم تكسبوا فيه نفعاً

---

(2) تفسير الطبرى 12/ 564 و قد مر فى 1/ 315، 345.

لأنفسكم. و قيل: معناه لهالكون، و قيل: لمفتونون.
و (إذا) من عوامل الأفعال، و انما دخلت- هاهنا- على الاسم، لأنها ملغاة، و إذا ألغيت من العمل صلح ذلک فيها، لأنها حينئذ تجرى مجرى الف الاستفهام فى أنها لا تختص، لأنها لا تعمل.
و قوله «إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ» جواب القسم و قد سد مسد جواب الشرط من قوله «لئن» و لا يجوز قياساً على ذلک إن أتاک زيد إنه لكريم، لأن جواب الشرط انما هو بالفعل أو الفاء لترتب الثانى بعد الأول بلا فصل.

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِی دارِهِمْ جاثِمِینَ (91)
آية واحدة بلا خلاف.
قد مضى تفسير مثل هذه الآية فلا معنى لإعادته «1». و الفاء فى فأخذتهم عطف على قوله «قالَ الْمَلَأُ» و فيها معنى الجواب كأنه قيل: كان جواب ما ارتكبوا من عظيم الفساد أخذ الرجفة لهم بالعذاب و أخذ الرجفة إلحاقها بهم مدمرة عليهم، و لا يقال أخذتهم الرحمة، لأن العذاب لما كان يذهب بهم اهلاكاً، صلح فيه الأخذ و لا يصلح فى النعيم.
و الرجفة الزلزلة، و هى حركة تزلزل الاقدام و توجب الهلاک لشدتها.
و الإصباح الدخول فى الصباح، و الإمساء الدخول فى المساء و يستعمل على وجهين: أحدهما- ما يحتاج الى خبر. و الآخر- مكتف بالاسم بمنزلة (سواء) و الجثوم البروک على الركبة، جثم يجثم جثوماً، و قد جثم هذا الأمر على قلبى أى ثقل عليه لثبوته على تلک الحال.

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الْخاسِرِينَ (92)

---

(1) فى تفسير آية 77 من هذه السورة.

آية بلا خلاف.

«الذين» الأولى فى موضع رفع بأنه مبتدأ و خبره «كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا».

و هذه الآية إخبار من اللّه تعالى عن حال هؤلاء الكفار الذين كذبوا شعيباً. و شبههم بمن لم يغن فيها، و معنى «لم يغنوا» لم يقيموا اقامة مستغن بها عن غيرها، و الغانى النازل، و المغانى المنازل، و غنى بالمكان إذا أقام به يغنى غناء و غنياً، و قال النابغة:

غنيت بذلک إذ هم لک جيرة منها بعطف رسالة و تودد «1»

و قال آخر:

و لقد تغنى بها جيرانک الممم سكوا منک بعهد الوصال «2»

و قال رؤبة:

و عهد مغنى رمته بضلفعا «3»

و قال حاتم طى:

غنينا زماناً بالتصعلک فكلا سقاناه بكأسيهما الدهر

فما زادنا بغياً على ذى قرابة غِنانا و لا أزرى بأحسابنا الفقر «4»

و وجه التشبيه فى قوله «كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا» أن حال المكذبين يشبه حال من لم يكن قط فى تلک الديار، لما أخذتهم الرجفة بالإهلاک، و هذا مما يتحسر عليه الناس أعظم الحسرة كما قال الشاعر:

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس و لم يسمر بمكة سامر

---

(1) سيأتى هذا البيت فى 5/ 417.

(2) قائله عبيدة بن الأبرص ديوانه: 58 و مختارات ابن الشجرى 2/ 37 و الخصائص لابن جنى 2/ 255.

(3) ديوانه: 87 و تفسير الطبرى 12/ 570.

(4) مجمع البيان 2 (صيدا) 450 و اللسان (صعلک).

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالى و الجدود العواثر «1»

و إنما أعيد ذكر (الذين) دفعة ثانية من غير كناية لتغليظ الأمر فى تكذيبهم شعيباً مع بيان أنهم الذين حصلوا على الخسران، لا من نسبوه الى ذلک من

أهل الايمان.
و (هم) فى قوله «هُمُ الْخاسِرُونَ» فصل، و يسميه الكوفيون عماداً، و إنما دخل الفصل مع أن المضمر لا يوصف، لأنه يحتاج فيه الى التوكيد ليتمكن معناه فى النفس، و ان الذى بعده من المعرفة لا يخرجه ذلک من معنى الخبر، و إن كان الأصل فى الخبر النكرة.
و هذه الآية جواب لقولهم «لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ» فبين اللَّه فى هذه الآية أن الخاسرين هم الذين كذبوه لا الذين اتبعوه.

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّى وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسى عَلى قَوْمٍ كافِرِينَ (93)

آية بلا خلاف.

هذا إخبار من اللَّه تعالى عما فعل شعيب (ع) مع قومه لما أبلغهم رسالات ربه تعالى، فلما لم يقبلوها و أقاموا على تكذيبه و جحد ما أتى به، أنه تولى عنهم و معناه أعرض عنهم إعراض آيس منهم، فنزل بهم العذاب «فَتَوَلَّى عَنْهُمْ» لأنه كان مقبلًا عليهم بالوعظ و الدعاء الى الحق، فلما تمادوا فى غيهم و أخذهم اللَّه ببأسه تولى عنهم، و انما قال لمن هلك «لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّى» لأن معناه إن ما نزل بكم من البلاء و ان كان عظيماً، فهو حق، لأنه بجنايتكم على أنفسكم، فلا ينبغى أن يحزن عليهم للأمور التى ذكرناها من شأنهم. قال ابن إسحاق عزَّى نفسه عنهم بعد أن كان حزن عليهم.

---

(1) قيل: إنه لعمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو. و قيل: هو للحارث الجرهمى اللسان (حجن).

و قوله «رِسالاتِ رَبِّى» إنما أتى بلفظ الجمع ليدل على اختلاف معانى الرسالة إذا جمعت، فهى تجرى مجرى جمع الأجناس، كقولك تمور، و أما ضربات فإنما يدل على عدد المرات.

و قوله «فَكَيْفَ آسى» أحزن- فى قول ابن عباس و الحسن و السدى- و الأسى شدة الحزن يقال أسى يأسى أسىً قال الشاعر:

و انحلبت عيناه من فرط الأسى «1»

و قال امرؤ القيس:

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسىً و تجمل «2»

و قوله فكيف «آسى» لفظه لفظ الاستفهام و المراد به النفى، و انما كان كذلك: لأن جوابه فى هذا الموضع لا يصح إلا بالنفى، كما يدخله معنى الإنكار لهذه العلة. قال العجاج:

أ طرباً و أنت قنسرىٌّ «3»

أى لا يكون ذلك مع كبر السنِّ، و هذا تسلّ من شعيب (ع) بما يذكر من حاله معهم فى مناصحته لهم و تأدية رسالة ربه اليهم، و أنه لا ينبغى أن يأسى عليهم مع تمردهم فى كفرهم و شدة طغيانهم، و انه لا حيلة فى فلاحهم، قال البلخى: و فى ذلك دلالة على انه لا يجوز للمسلم ان يدعو للكافر بالخير كما يقول: لعن اللَّه فلانا و أخزاه ثم يقول هداه اللَّه و أرشده

و رحمه. و قال ابو عبد اللّه البجلى: أبو جاد، و هواز، و حطى، و كلمون، و صعفص، و قرشت: أسماء ملوک مدين، و كان ملكهم يوم الظلة فى زمان شعيب (كلمون) فقالت أخت كلمن تبكيه:

_____

(1) مرَّ تخريجه فى 3/ 578.

(2) ديوانه: 144 من معلقته الشهيرة التى مطلعها:

قفا نبک من ذكرى حبيب و منزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(3) مر تخريجه فى 4/ 350. [.....]

كلمون هَّد ركنى هلكه وسط المحلة

سيد القوم أتاه الحتف نارا وسط ظله

جعلت نارا عليهم دارهم كالمضمحلة «2»

وَ ما أَرْسَلْنا فِی قَرْیَةٍ مِنْ نَبِیٍّ إِلاَّ أَخَذْنا أَهْلَها بِالْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ یَضَّرَّعُونَ (94)
آیة بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآیة أنه لم یرسل رسولا الى اهل قریة الا و أخذ أهلها بالبأساء و الضراء تغلیظا فى المحنة و تشدیدا للتکلیف لیلین قلوبهم، و لکى یتضرعوا الى ربهم فى کشف ما نزل بهم فى ذلک، و انما یفعل بهم ذلک لعلمه بما لهم فیه من الصلاح لکى یتضرعوا. و القریة أصلها الجمع من قولهم: قریت الماء أقریه قریا إذا جمعته، فالقریة مجتمع الناس فى المنازل المتجاورة مما هو دون المدینة، و کذلک تسمى المدینة أیضا قریة.
و النبى هو الذى یؤدى عن اللَّه تعالى بلا واسطة من البشر، و قیل: هو من کان ینبئ بالوحى عن اللَّه تعالى مما أنزله علیه.
و قیل: فى معنى «البأساء و الضراء» ثلاثة أقوال:
أحدها- ان البأساء ما نالهم من الشدة فى أنفسهم، و الضراء ما نالهم فى أموالهم.
و الثانى- ما قال الحسن: ان البأساء الجوع، و الضراء الآلام من الأمراض و الشدائد التى تصیبهم.
الثالث- قال السدى: ان البأساء الجوع و الضراء الفقر.
و قیل فى معنى «لعلهم» قولان:
أحدهما- انما عاملناهم معاملة الشاک فى إیراد أسباب التضرع مظاهرة

---

(2) تفسیر الطبرى 12/ 568
التبیان فى تفسیر القرآن، ج4، ص: 475
علیهم فى الحجة.
الثانى- ان یکون (لعل) بمعنى اللام و تقدیره لیضرعوا. و اصل «یضرَّعون» یتضرعون فأدغمت التاء فى الضاد و لا یدغم الضاد فى التاء، لان فى التاء استطالة، و انما یدغم الناقص فى الزائد، و لا یدغم الزائد فى الناقص لما فى ذلک من الإخلال.

ثُمَّ بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَ قالُوا قَدْ مَسَّ آباءَنَا الضَّرَّاءُ وَ السَّرَّاءُ فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (95)
آية بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية انه بدل مكان السيئة الحسنة «و قالوا قد مسَّ آباءنا الضراء و السراء» و معناه انه تعالى بعد ان يفعل بهم البأساء و الضراء ليتضرعوا يبدل مكان السيئة الحسنة. و التبديل وضع أحد الشيئين مكان الآخر، فلما رفعت السيئة عنهم و وضعت الحسنة كانت مبدلة بها.
و قال ابن عباس و الحسن و قتادة و مجاهد: المراد بالسيئة و الحسنة- هاهنا- الشدة و الرخاء و هو ما يسؤ صاحبه او يحسن اثره عليه. و قال ابو على:
جرى فى هذا الموضع على سبيل المثل.
و قوله «حَتَّى عَفَوْا» قال ابن عباس و مجاهد و السدى و ابن زيد:
معناه حتى كثروا. و قال الحسن حتى سمنوا، و أصله الترك من قوله «فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ» «1» أى ترك له، و عفوا تركوا حتى كثروا، قال الشاعر:
و لكنا نعض السيف منها بأسوق عافيات الشحم كوم «2»
و قوله «وَ قالُوا قَدْ مَسَّ آباءَنَا الضَّرَّاءُ وَ السَّرَّاءُ» معناه ان الكفار قال

---

(1) سورة 2 البقرة آية 178
(2) مر تخريجه فى 2/ 214

بعضهم لبعض: ان هكذا عادة الدهر، فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم فلم ينفكوا عن تلك الحال فينتقلوا.
و قوله «فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» اخبار من اللَّه تعالى انه أخذ من ذكره ممن لم يقبل مواعظ اللَّه و خرج عن طاعته الى عداوته «بغتة» يعنى فجاءة و هى الأخذ على غرة من غير تقدمة تؤذن بالنازلة تقول: بغتة يبغته بغتة كما قال الشاعر:
و أفظع شىء حين يفجؤک البغت «3»
و معنى الآية انه تعالى يدبر خلقه الذين يعملون بمعاصيه أن يأخذهم تارة بالشدة و اخرى بالرخاء، فإذا فسدوا على الامرين جميعا أخذهم بغتة ليكون ذلک أعظم فى الحسرة، و ابلغ فى باب العقوبة. و معنى قوله «وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» أى لم يشعروا بنزول العذاب الا بعد حلوله.

وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (96)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن عامر «لفتحنا» بتشديد التاء. الباقون بتخفيفها.
من شدد ذهب الى التكثير، و من خفف، فلانه يحتمل القلة و الكثرة.
و معنى (لو) امتناع الشىء لامتناع غيره، و (لو لا) معناه امتناع الشىء لوجود غيره. و قال الرمانى: معنى (لو) تعليل الثانى بالأول الذى يجب بوجوبه، و ينتفى بانتفائه على طريقة ان كان، و (ان) فيها هذا المعنى على طريقة يكون. و الفرق بين (لو) و (ان) أن (ان) تعلق الثانى بالأول الذى يمكن أن يكون و يمكن أن لا يكون كقولك ان آمن هذا الكافر استحق الثواب،

---

(3) مر تخريجه فى 4/ 115.

و هذا مقدور و ليس كذلك (لو) لأنها قد تدخل على ما لا يمكن ان يكون كقولك: لو كان الجسم قديما لاستغنى عن صانع. و فتحت (أن) بعد (لو) لأنها مبنية على شبه التعليل اللفظى لاختصاصه بالفعل الماضى، فكأنه قيل لو كان أن اهل القرى آمنوا، و صارت (لو) خلفا منه. و اما (لو لا انه خارج لاتيته) فتشبه (لو) من جهة تعليق الثانى بالأول فأجريت مجراها.
يقول اللّه تعالى «لو ان اهل» هذه «القرى» التى أهلكناها: من قوم لوط و صالح، و شعيب و غيرهم أقروا بوحدانيتى و صدقوا رسلى «لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ» و هى الخيرات النامية، و أصله الثبوت فنموُّ الخير يكون كناية عن ثبوته بدوامه، فبركات السماء بالقطر، و بركات الأرض بالنبات و الثمار، كما وعد نوح بذلك أمته، فقال «يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً ... «1»» الآيات. و قيل بركات السماء اجابة الدعاء، و بركات الأرض تيسير الحوائج «وَ لكِنْ كَذَّبُوا» يعنى كذبوا برسلى فأخذناهم بما كانوا يكسبون من المعاصى و مخالفتى.
و الكسب العمل الذى يجتلب به نفع او يدفع به ضرر عن النفس، و قد يكسب الطاعة و يكسب المعصية إذا اجتلب النفع من وجه يقبح.
قال البلخى: و فى الآية دلالة على أن المقتول ظلما لو لم يقتل لم تجب إماتته، لأنه تعالى قال «لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» و هذا انما يقوله لقوم أهلكهم و دمر عليهم، و قد كان عالما بما ينزل بهم من الهلاك، فأخبر أنهم لو آمنوا لم يفعل بهم ذلك، و لعاشوا حتى ينزل عليهم بركات من السماء فيتمتعوا بذلك.

أَ فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَ هُمْ نائِمُونَ (97) أَ وَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى وَ هُمْ يَلْعَبُونَ (98)

---

(1) سورة 11 هود آية 52 و سورة 71 نوح آية 11 و فى سورة 6 الانعام آية 6 «وَ أَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً ....».

آيتان.

قرأ أهل المدينة و ابن عامر (او) بسكون الواو الا ان ورشا على أصله فى إلقاء حركة الهمزة على الساكن فتصير قراءته مثل قراءة الباقين.

الالف فى قوله «أَ فَأَمِنَ أَهْلُ» ألف الإنكار، أنكر عليهم ان يأمنوا، و انما دخل حرف الاستفهام معنى الإنكار لظهور المعنى فيه، و ان الجواب عنه لا يكون الا بالنفى. و الفاء فى قوله «أ فأمن» فاء العطف دخل عليها حرف الاستفهام، و انما جاز ذلک مع منافات العطف للاستئناف، لأنهما انما يتنافيان فى المفرد، لان الثانى إذا عمل فيه الاول كان من الكلام الاول، و الاستئناف قد أخرجه عن ان يكون منه. و اما فى عطف جملة على جملة فيصح، لأنه على استئناف جملة بعد جملة.

و (الامن) سكون النفس الى الحال المنافية لانزعاجها. و الامن و الثقة و الطمئنية نظائر فى اللغة، و ضدُّ الامن الخوف، و ضد الثقة الريبة، و ضد الطمأنينة الانزعاج. و الامن الثقة بالسلامة من الخوف. و البأس العذاب، و البؤس الفقر و الأصل الشدة، و رجل بئس شديد فى القتال، و منه قولهم: بئس الرجل زيد، معناه شديد الفساد. و النوم نقيض اليقظة. و النوم سهو يغمر القلب و يغشى العين و يضعف الحس و ينافى العلم. نام الرجل ينام نوما و هو حسن النيمة إذا كان حسن هيئة النوم، و رجل نومة- بسكون الواو- إذا كان خسيسا لا يؤبه به- ذكره الزجاج- و رجل نومة- بفتح الواو- كثير النوم، و النيم: فرو النوم، لأنه يغشى كما يغشى النوم أو لأنه من شأنه أن ينام فيه.

و معنى الآية الابانة عما يجب ان يكون عليه العبد من الحذر لبأس اللَّه و سطوته، بالمسارعة الى طاعته و اتباع مرضاته. و المعنى بقوله «اهل القرى» التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 479

هم اهل القرى الظالم أهلها، و المقيمون على معاصى اللَّه فى كل وقت و كل أوان، و ان نزلت بسبب اهل القرى الظالم أهلها المشركين فى زمن النبى (ص).

و قوله «أَ وَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرى» انما قال- هاهنا- بالواو، و فى الآية الاولى

بالفاء، لان الفاء تدل على ان الثانى ادى اليه الاول، كأنه قيل:
أ فأمنوا أن يأتيهم بأس اللّه من أجل ما هم عليه من تضييع امر اللَّه، لأنه يشبه الجواب، و ليس كذلک الواو بل هى لمجرد العطف، و انما دخلت ألف الاستفهام عليها للإنكار على ما بيناه، و الواو مفتوحة فى «أو أمن» لأنها واو العطف دخل عليها حرف الاستفهام، و انما فتحت لأنها أخف الحركات، و لمثل ذلک فتحت ألف الاستفهام و كسرت باء الاضافة و لا مها، لأنهما حرفان لازمان لعمل الجِّر. و من قرأ هذه القراءة قال لأنها أشبه بما قبلها و ما بعدها، لأنه قال قبلها «أ فأمن» و قال بعدها «أو لم يهد» و من سكن الواو أراد الاضراب عن الاول من غير ان يبطل الاول، لكن كقوله «الم. تَنْزِيلُ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ» «1» فجاء هذا على معنى أمنوا هذه الضروب من معاقبتهم و الأخذ لهم. و ان شئت جعلته مثل (أو) التى فى قولک ضربت زيدا او عمرا، كأنک أردت أ فأمنوا احدى هذه العقوبات، و (أو) حرف يستعمل على ضربين:
أحدهما- بمعنى احد الشيئين، كقولک: جاءنى زيد أو عمرو، كما تقول: جاءنى أحدهما، و من ذلک قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين، لأنه مخير فى مجالسة أيهما شاء.
و الثانى- ان يكون بمعنى الاضراب بعد الخبر كقولک: انا أخرج ثم تقول: أو أقيم، فتضرب عن الخروج و تثبت الاقامة، كأنک قلت: لا بل أقيم. و من ثم قال سيبويه فى قوله «وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً» «2» لو قلت و لا تطع كفورا انقلب المعنى، و انما كان ينقلب المعنى لأنه لو كان

---

(1) سورة 32 الم السجد آية 1- 3
(2) سورة 76 الدهر آية 24.

للاضراب لجاز ان يطيع الآثم، و ذلک خلاف المراد، لان الغرض لا تطع هذا الضرب، و لا تطع هؤلاء.
و (الضحى) صدر النهار فى وقت انبساط الشمس و أصله الظهور من قولهم: ضحا الشمس يضحو ضحوا إذا ظهر، و فعل ذلک الامر ضاحية إذا فعله ظاهراً و الا ضحية من هذا، لأنها تذبح عند الضحى يوم العيد، قال رؤبة:
هابى العشى ديسق ضحاؤه «1»
و قال آخر:
عليه من نسج الضحى شفوف «2»
فشبه السراب بالسور البيض. (و اللعب) هو العمل للذة لا يراعى فيه الحكمة كعمل الصبى، لأنه لا يعرف الحكيم و لا الحكمة، و انما يعمل للذة، و أصله الذهاب على غير استقامة، كلعاب الصبى إذا سال على فيه، و انما خصَّ وقت الضحى بهذا الذكر، لأنهم بمنزلة لا يجوز لهم ان يأمنوا ليلا و لا

نهارا- فى قول الحسن- و لأنه ابتداء الدخول فى الاستمتاع. و معنى الآية البيان عن وجوب الأخذ بالجرم فى كل ما لا يؤمن معه هلاک النفس، لانکار اللّٰه عليهم ان يكونوا على حال الامن و قد ضيعوا الواجب من الامر.

أَ فَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ (99)
آية بلا خلاف.
انما دخلت الفاء فى «أ فأمنوا» بعد الواو فى «أ و أمن» لان فيها معنى (بعد) كأنه قيل ابعد هذا كله أمنوا مكر اللَّه. ثم صار الفاء فى «فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ» كأنها جواب لمن قال قد أمنوا، و المكر أخذ العبد بالضِّر من حيث

(1، 2) اللسان (ضحا).

لا يشعر الا أنه قد كثر استعماله فى الحيلة عليه، قال الخليل: المكر الاحتيال بإظهار خلاف الإضمار، و انما جاز اضافة المكر الى اللَّه لما فى ذلک من المبالغة من جهة انه قد صار العذاب كالمكر على الحقيقة، لأنه أخذ للعبد بالضِّر من حيث لا يشعر، و اصل المكر الالتفاف، فمنه ساق ممكورة أى ملتفة حسنة قال ذو الرمة:
عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح و ثم الجسم و العصب «1»
و المكور شجر ملتف قال الراجز:
يستن فى علقى و فى مكور «2»
و رجل ممكور قصير ملتف الخلقة ذكره الخليل فى هذا الباب تقول:
مكر يمكر مكرا إذا التف تدبيره على مكروه لصاحبه.
و قوله «فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ» انما ارتفع ما بعد (الا) لان الرافع مفرغ له فارتفع لأنه فاعل، و كلما فرغ الفعل لما بعد (الا) فهى فيه ملغاة، و كل ما شغل بغيره فهى فيه مسلطة، لان الاسم لا يتصل على ذلک الوجه الا بها. و انما قال «فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ» مع ان الأنبياء المعصومين يأمنون ذلک لامرين:
أحدهما- انهم لا يأمنون عقاب اللَّه للعاصين، و لذلک سلموا من مواقعة الذنوب الثانى- «فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ» من المذنبين «إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ».
و معنى الآية الابانة عما يجب أن يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب اللَّه، ليسارع الى طاعته و اجتناب معاصيه، و لا يستشعر الامن من ذلک، فيكون قد خسر فى دنياه و آخرته بالتهالک فى القبائح.

أَ وَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (100)

---

(1) مقاييس اللغة 4/ 233 و سيأتى فى 5/ 128 من هذا الكتاب.
(2) قائله العجاج. اللسان (مكر)، (علق).

آية.
قيل فى فاعل «يهد» من جهة الاعراب قولان:
أحدهما- انه مضمر كأنه قيل: أو لم يهد اللّه لهم، و قوّى ذلک بقراءة من قرأ بالنون على ما ذكره الزجاج.
الثانى- أ و لم يهد لهم مشيؤنا، لان «أن لو نشاء» فى موضعه و التقدير أو لم يكن هاديا لهم استئصالنا لمن اهلكناه.
و قيل فى معنى الهداية- هاهنا- قولان:
أحدهما- قال ابن عباس و مجاهد و السدى و ابن زيد: يهدى لهم يبين لهم.
الثانى- أن الهداية الدلالة المؤدية الى البغية، و المعنى أ وَ لم نبين للذين متعناهم فى الأرض بعد إهلاكنا من كان قبلهم فيها. و جعلنا آباءهم المالكين لها بعدهم، انا لو شئنا أصبناهم بعقاب ذنوبهم و أهلكناهم بالعذاب كما أهلكنا الأمم الماضية قبلهم.
و قوله «لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها» فالارث ترک الماضى للباقى ما يصير له بعده، و حقيقة ذلک فى الأعيان التى يصح فيها الانتقال، و قد استعمل على وجه المجاز فى الاعراض، فقيل: العلماء ورثة الأنبياء لأنهم تعلموا منهم، و قاموا بما أدوه اليهم.
و قوله «أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ» الاصابة إيقاع الشىء بالغرض المنصوب، و ضده الخطأ و هو إيقاع الشىء بخلاف الغرض المطلوب.
و قوله «وَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِهِمْ» قيل فى معنى الطبع- هاهنا- قولان:
أحدهما- الحكم بأن المذموم كالممنوع من الايمان لا يفلح، و هو أبلغ الذم.
الثانى- انه علامة و سمة فى القلب من نكتة سوداء ان صاحبه لا يفلح

تعرفه الملائكة.
و حكى عن البكرية فى تأويل هذه الآية ان معنى الآية لو نشاء طبعنا على قلوبهم، و أنكر ابو على ذلک، و قال: هذا غلط لان معنى قوله: انى لو شئت اصبتهم بعقاب ذنوبهم و أهلكتهم كما أهلكت الأمم قبلهم بعقوبة ذنوبهم، فلا يجوز أن يعنى انى لو شئت أهلكتهم فلا يتهيأ لهم ان يسمعوا بعد إهلاكهم،

لان من المعلوم للعقلاء أجمع ان الموتى لا يسمعون، و لا يقبلون الايمان.
و قوله «وَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِهِمْ» انما هو استئناف و خبر منه أنه يفعل ذلک، و لم يرد أنى لو شئت لطبعت لأنه بين فى هذه الآية و غيرها انه مطبع على قلوب الكافرين، كقوله «بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها» يعنى على القلوب «بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا» «1» أى الا قليلا منهم، لان اهل الطبع قد يؤمن بعضهم، و هو خلاف قول الحسن، فان تأويله عنده الا ايمانا قليلا. و قال الزجاج: هو على الاستئناف، لأنه لو كان محمولا على أصبنا لكان وجه الكلام و لطبعنا، و هو قول الفراء.
و قوله «فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ» أى لا يقبلون الايمان مع هدايتنا لهم و تخويفنا إياهم. و فائدة الآية الإنكار على الجهال تركهم الاعتبار بمن مضى من الأمم قبلهم، و انه قد طبع على قلوب من لا يفلح منهم عيبا و ذما لهم.
و قال البلخى: شبه اللَّه تعالى الكفر بالصدى الذى يركب المرآة و السيف لأنه يذهب عن القلوب بحلاوة الايمان و نور الإسلام، كما يذهب الصدى بنور السيف، و صفاء المرآة، و لما صاروا عند امر اللَّه لهم بالايمان الى الكفر جاز ان يضيف الطبع الى نفسه، كما قال «فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ» «2» و ان كانت السورة لم تزدهم ذلک.

---

(1) سورة 4 النساء آية 154
(2) سورة 9 التوبة آية 126

تِلْکَ الْقُری نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْبائِها وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّناتِ فَما کانُوا لِیُؤْمِنُوا بِما کَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ کَذلِکَ یَطْبَعُ اللَّهُ عَلی قُلُوبِ الْکافِرِینَ (101)
آیة بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالی عن اهل القری التی ذکرها و قص خبرها و أشار ب «تلک» الیها، لأنه خاطب النبی (ص). و قوله «نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْبائِها» یعنی قصص انباء القری ما فیه من الاعتبار بما کانوا علیه من الاغترار بطول الامهال مع إسباغ النعم و تظاهر المنن حتی توهموا أنهم علی صواب فیما دعاهم الیه الشیطان من قبح الطغیان.
و القصص اتباع الحدیث، و یقال فلان یقص الأثر أی یتبعه و منه «قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّیهِ» «1» أی اتبعی اثره، و منه المقص لأنه یتبع فی القطع أثر القطع. و (النبأ) هو الخبر الا ان النبأ خبر عن امر عظیم الشأن و أخذ منه اسم نبی، و یقال: أنبأ بکذا بمعنی اخبر به.
و قوله «وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّناتِ» یعنی أتتهم رسلهم بالآیات و الدلالات، و انما أضاف الرسل الیهم مع أنهم رسل اللَّه، لان الاختصاص فیها علی طریقة الملک إذ المرسل مالک لرسالته، و قد ملک العباد الانتفاع بها و الاهتداء بما فیها من البیان و البرهان.
و قوله «فَما کانُوا لِیُؤْمِنُوا بِما کَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ» قیل فی معناه قولان:
أحدهما- انه بمنزلة قوله «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» فی قول مجاهد أی انا لم نهلکهم الا و فی معلومنا أنهم لا یؤمنون.
الثانی- ان عتوهم فی کفرهم و تمردهم فیه یحملهم علی ان لا یترکوه

---

(1) سورة 28 القصص آیة 11.

الی الایمان- فی قول الحسن و الجبائی- فالآیة علی هذا مخصوصة بمن علم من حاله انه لا یؤمن. و قال الأخفش «بما کذبوا» معناه بتکذیبهم فجعل (ما) مصدریة. و المعنی لم یکونوا لیؤمنوا بالتکذیب.
و قوله «کَذلِکَ یَطْبَعُ اللَّهُ عَلی قُلُوبِ الْکافِرِینَ» وجه التشبیه فیه أن دلالته علی انهم لا یؤمنون ذما بأنهم لا یفلحون کالطبع علی قلوب الکافرین الذین فی مثل صفتهم فی المعلوم.

وَ ما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَ إِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ (102)
آية بلا خلاف.
معنى قوله «وَ ما وَجَدْنا» أى ما أدركنا، لان الوجدان و الالفاء و الإدراک و المصادفة نظائر. و قوله «لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ» فالعهد العقد الذى تقدم لتوطين النفس على أداء الحق، و إذا أخذ على الإنسان العهد فنقضه، قيل ليس عليه عهد أى كأنه لم يعهد اليه، فلما كان اللّه تعالى أخذ عليهم العهد بما جعله فى عقولهم من وجوب شكر المنعم و القيام بحق المنعم، و طاعة المالک المحسن فى اجتناب القبائح الى المحاسن فألقوا ذلک لم يكن لهم عهد و كأنه قال و ما وجدنا لأكثرهم من طاعة لانبيائهم- و قيل العهد ما عهد اليهم مع الأنبياء ان يعبدوه و لا يشركوا به شيئا، و هو قول الحسن و أبى على. و المعنى فى النفى يؤل الى انه لم يكن لأكثرهم عهد فيوجد.
و قوله «من عهد» قيل فى دخول (من) هاهنا قولان:
أحدهما- انها للتبعيض لأنه إذا لم يوجد بعض العهد فلم يوجد الجميع لأنه لو وجد جميعه لكان قد وجد بعضه.
الثانى- انها دخلت على ابتداء الجنس الى النهاية. و قوله «وَ إِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ» معنى (ان) هى المخففة جاز الغاؤها من العمل و ان
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 486
يليها الفعل، لأنها حينئذ قد صارت حرفا من حروف الابتداء. و اللام فى قوله «لفاسقين» لام الابتداء التى تكسر لها (ان) و انما جاز ان يعمل ما قبلها فيما بعدها، لأنها مزحلقة عن موضعها إذ لها صدر الكلام و لكن كره الجمع بينها و بين (ان) فأخرت.
و قال قوم: المعنى و ما وجدنا أكثرهم الا فسقة. فان قيل: كيف قال «أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ» و هم كلهم فاسقون؟
قيل يجوز ان يكون الرجل عدلا فى دينه غير متهتک و لا مرتكب لما يعتقد قبحه و تحريمه، فيكون تأويل الآية و ما وجدنا أكثرهم- مع كفره- الا فاسقا فى دينه غير لازم لشريعته خائنا للعهد قليل الوفاء، و ان كان ذلک واجب عليه فى دينه.
و فيها دلالة على انه يكون فى الكفار من يفى بعهده و وعده و بعيد عن الخلف و ان كان كافرا. و كذلک قد يكون منهم المتدين الذى لا يرى ان يأتى ما هو فسق فى دينه كالغصب و الظلم، فأخبر تعالى انهم مع كفرهم كانوا لا وفاء لهم و لا يدينون بمذهبهم بل كانوا يفعلون ما هو فسق عندهم، و ذلک يدل على صحة قول من يقول تجوز شهادة أهل الذمة فى بعض المواضع.

ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى بِآياتِنا إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِ فَظَلَمُوا بِها فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (103)
آية أخبر اللّه تعالى فى هذه الآية انه بعد إرسال من ذكر قصته من الأنبياء، و كفر قومهم، و انزال عذابه بهم. فالهاء و الميم يجوز ان يكون كناية عن الأنبياء الذين جرى ذكرهم، و يحتمل ان يكون كناية عن الأمم التى- قد تقدم ذكرهم و إهلاكهم- بعث اليهم موسى و أرسله اليهم. و البعث الإرسال و هو فى الأصل النقل باعتماد يوجب الاسراع الى الشىء، فمنه قوله «أَنْظِرْنِى

إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ»
«1» أى من القبور، و منه قوله «ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ» «2» أى نقلناكم الى حال الحياة، و كذلک نقلنا موسى عن حاله بالإرسال الى فرعون و ملائه «بآياتنا» يعنى بحججنا و براهيننا. و قوله «فَظَلَمُوا بِها» معناه ظلموا أنفسهم بجحدها، لان الظلم بالشىء على وجوه:
منها السبب و الآلة و الجهة، نحو ظلم بالسيف الذى قتل به الناس، و ظلم بذنبه له، و ظلم بغصبه المال، و ظلم بجحده الحق. و قيل «ظلموا بها» أى جعلوا بدل الايمان الكفر بها، لان الظلم وضع الشىء فى غير موضعه الذى هو حقه.
و قوله «فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ» معنى النظر هو محاولة التصور للشىء بالفكر فيه، و هو طلب ادراک المعنى بالتأويل له. و قيل: هو تحديق القلب الى المعنى لإدراكه، و كأنه قيل فانظر- يعنى بالقلب- كيف كان عاقبتهم، و موضع (كيف) نصب لأنه خبر (كان) و تقديره انظر أى شىء كان عاقبة المفسدين.

وَ قالَ مُوسى يا فِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (104)
آية بلا خلاف.
فى هذه الآية حكاية لما قال موسى (ع) لفرعون و نداؤه له: انى رسول من قبل رب العالمين مبعوث اليک و الى قومک و (من) فى قوله «مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ» لابتداء الغاية، لان المرسل المبتدئ بالرسالة و انتهاؤها المرسل اليه.
و (موسى) على وزن (مفعل) و الميم فى موسى زائدة لكثرة زيادتها أولا

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 13 و سورة 15 الحجر آية 36 و سورة 38 ص آية 79 [.....]
(2) سورة 2 البقرة آية 56.

كالهمزة التى صارت أغلب من زيادة الالف أخيرا. و (أفعى) على وزن (أفعل) لهذه العلة. و (موسى) اسم لا ينصرف، لأنه أعجمى و معرفة، و موسى الحديد عربى أن سميت به رجلا لم تصرفه، لأنه مؤنث و معرفة على أكثر من ثلاثة أحرف، كما لو سميته ب (عناق) لم تصرفه. و لو سميته (فقد) صرفته. و (فرعون) على وزن «فعلون» و مثله برذون، فالواو زائدة، لأنها جاءت مع سلامة الأصول الثلاثة، و النون زائدة للزومها.
و (فرعون) لا ينصرف لأنه أعجمى معرفة، و عرب فى حال تعريفه لأنه نقل من الاسم العلم، و لو عرب فى حال تنكيره لا ينصرف كما ينصرف (بأقرب) اسم رجل.

حَقِيقٌ عَلى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ (105)
آية بلا خلاف.
قرأ نافع وحده «حقيق على». بتشديد الياء. الباقون بتخفيف الياء.
فمن قرأ بالتشديد قال تقديره: واجب علىَّ ان لا أقول. و من خفف فعلى تقدير: حريص على أن لا أقول، قال ابو على قوله «حقيق» يحتمل وجهين:
أحدهما- ان (حق) الذى هو (فعل) قد تعدى ب «على» قال اللّه «فَحَقَّ عَلَيْنا قَوْلُ رَبِّنا» «1» و قال «فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ» «2» فحقيق يصل ب (على) من هذا الوجه.
و الثانى- ان حقيقا بمعنى واجب، فكما ان واجب يتعدى ب (على) كذلك تعدى حقيق بها.
و من لم يشدد أجاز تعدِّيه ب (على) من الوجهين اللذين ذكرناهما،

---

(1) سورة 37 الصافات آية 31
(2) سورة 17 الإسراء آية 16.

و قد قالوا: هو حقيق بكذا، فيجوز على هذا أن تكون (على) بمعنى الباء فتوضع (على) موضع الباء، قال ابو الحسن: كما قال «وَ لا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ» «3» و المعنى (على) قال أبو على: و الاول أحسنها، لان أبا الحسن قال: لان (على) بمعنى الباء ليس بمقيس ألا ترى انك لو قلت ذهبت على زيد تريد بزيد لم يجز، و قال: و جاز فى الآية لان القراءة وردت به، و تقدير «حقيق على ان لا أقول» حقيق بأن لا أقول قال الفراء: العرب تقول: رميت على القوس و بالقوس و جئت على حال حسنة و بحال حسنة، و معناهما متقارب، لأنه مستقل على القول بالنظر حتى يؤديه على الحق فيه.
و الحق أيضا منعقد بالقول فيه لا ينفك.
و قوله «الا الحق» نصب بأنه مفعول القول على غير الحكاية بل على معنى الترجمة عن المعنى دون حكاية اللفظ.
و قوله «قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» خطاب من موسى لقومه أنه قد جاء قومه بدلائل من ربه عز و جل. و قوله «فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ» خطاب من موسى لفرعون، و أمره إياه أن يخلى عن بنى إسرائيل من اعتقاله، لأنه كان قد اعتقلهم للاستخدام فى الاعمال الشاقة من نحو ضرب اللبن و نقل التراب و ما أشبه ذلك.

و معنى الآية البيان عن وجوب اتباع موسى (ع) لمكان الادلة التى تشهد بصدقه، و بأنه لا يقول على اللّه الا الحق و لا يدعو الا الى الرشد.

قالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِها إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (106)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية عما قال فرعون لموسى (ع) من انه ان كان معک حجة

---

(3) سورة 7 الاعراف آية 85
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 490
و دلالة تشهد لک على ما تقول «فات بها» أى هات بها «ان كنت» صادقا «من الصادقين» على طريق اليأس منه بذلک و جهله بصحته و إمكانه.
و اختلف النحويون- هاهنا- فى نقل (ان) الماضى الى الاستقبال، فقال ابو عباس لم تنقله هنا من أجل قوة (كان) لأنها أم الافعال، و لم يجزه من غيرها، و قال ابن السراج: المعنى ان تكن جئت بآية أى ان يصح ذلک، لأنه إذا أمكن ان يجرى الحرف على أصله لم يجز إخراجه، و انما جاز نقل (ان) الماضى الى المستقبل للبيان عن قوتها فى النقل إذ كانت تنقل الفعل نقلين الى الشرط و الاستقبال، كما أن (لم) تنقله الى النفى و الماضى.
و ضمير المخاطب فى «كنت» يرجع الى المكنى، و لا يجوز مثل ذلک فى (الذى) لان (الذى) غائب فحقه أن يعود اليه ضمير الغائب، و قد أجازوه- إذا تقدمت كناية المتكلم- كما فى قول الشاعر:
و انا الذى قتلت بكرا بالقنا و تركت تغلب غير ذات سنام «1»
فعلى هذا لا يجوز أتيت الذى ضربک عمرو، و الوجه ضربه. و انما جاز وقوع الامر فى جواب الشرط، لان فيه معنى: ان كنت جئت بآية فانى ألزمک أن تأتى بها، فقد عاد الى انه يجب الثانى بوجوب الاول. و لا يجوز مثل ذلک فى الاستفهام، لأنه لم يقع معرفة غيره، و لو اتسع فيه جاز، مثل أن تقول: ان كان عندک دليل فما هو؟، و لا يجوز: ان قدم زيد، فأ عمرو أقدمه؟ لان الالف لها صدر الكلام.

فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ (107) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ (108)
آيتان بلا خلاف.

---

(1) مجمع البيان 2/ 456
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 491
هذا اخبار من اللّه تعالى عن إلقاء موسى عصاه، و العصا عود كالقضيب يابس و أصله الامتناع بيبسه يقال: عصى يعصى إذا أمتنع قال الشاعر:
تصف السيوف و غيركم يعصى بها يا بن القيون و ذاک فعل الصيقل «1»
و قيل: عصى بالسيف إذا أخذه أخذه العصا، و يقال لمن استقر بعد تنقل: ألقى عصاه، قال الشاعر:
فألقت عصاها و استقر بها النوى كما فر عينا بالإياب المسافر «2»
و العصى من بنات الواو، و المعصية من بنات الياء قال الشاعر:
فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابرى مشبرق»
و تقول عصى يعصى فهو عاص مثل رمى يرمى و اصل ألقى من اللقاء الذى هو الاتصال، فألقى عصاه أى أزال اتصالها عما كان، و منه التقاء الحدين يعنى اتصالهما، و الملاقاة كالمماسة، و زيدت ألف ألقى لتدل على هذا المعنى و انما صارت الياء ألفا فى ألقى، لأنها فى موضع حركة قبلها فتحة، و لذلک رجعت الى أصلها فى ألقيت. و انما وجب هذا، لأنه بمنزلة التضعيف فى موضع يقوى فيه التغيير مع نقل الحركة فى حروف العلة.
و قوله «فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ» فالثعبان هو الحية الضخمة الطويلة. و قال الفراء: الثعبان أعظم الحيات، و هو الذكر، و هو مشتق من ثعبت الماء أثعبه ثعباً إذا فجرته. و المثعب موضع انفجار الماء، فسمى الثعبان، لأنه يجرى كعنق الماء عند الانفجار قال الشاعر:
على نهج كثعبان العرين
و قيل: إن ذلک الثعبان فتح فاه، و جعل فهى فرعون بين نابيه فارتاع

---

(1) قائله جرير، ديوانه: 175 و اللسان و التاج (عصا).
(2) اللسان و التاج (عصا) و قال ابن برى: هذا البيت لابن عبد ربه السلمى.
(3) قائله ذو الرمة ديوانه 76، و اللسان (عصا) و مجمع البيان 2/ 456
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 492
فرعون و استغاث بموسى أن يأخذه، ففعل- فى قول ابن عباس و السدى و سفيان- و معنى «مبين» أى بيّن أنه حية لا لبس فيه.

و قوله «وَ نَزَعَ يَدَهُ» فالنزع هو ازالة الشىء عن مكانه الملابس له المتمكن فيه كنزع الرداء عن الإنسان، و النزع و القلع و الجذب نظائر، و اليد معروفة و هى الجارحة المخصوصة، و اليد النعمة، لأنها بمنزلة ما اشتدت بالجارحة، و قد يكون اليد بمعنى تحقيق الاضافة فى الفعل، لأنه بمنزلة ما عمل باليد التى هى جارحة.
و قوله «فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ» معنى (إذا)- هنا- المفاجأة.
و هى بخلاَف (إذا) التى للجزاء، قال الزجاج هى من ظروف المكان مثل (ثم، و هناک)، و المعنى بيضاء للمناظرين هناک، و البيضاء ضد السوداء و هو أن يكون به المحل أبيض، و كان موسى (ع) أسمر شديد السمرة. و قيل: أخرج يده من جيبه فإذا هى بيضاء «مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» «1» يعنى برص. ثم أعادها الى كمه فعادت الى لونها الأول- فى قول ابن عباس و مجاهد و السدى- و قال أبو على: كان فيها من النور و الشعاع ما لم يشاهد مثله فى يد أحد و الناظر هو الطالب لرؤية الشىء ببصره لأن النظر هو تطلب الإدراک للمعنى بحاسة من الحواس، أو وجه من الوجوه.

قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ (109) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَما ذا تَأْمُرُونَ (110)

---

(1) سورة 20 طه آية 22 و سورة 27 النمل آية 12 و سورة 28 القصص آية 38.

آيتان.

هذا حكاية ما قال أشراف قوم فرعون، أن موسى ساحر عليهم بالسحر، و إنما قيل للأشراف الملأ لأمرين: أحدهما- قال الزجاج: لأنهم مليئون بما يحتاج اليه منهم. الثانى- لأنه يملأ الصدر هيبتهم، فالملأ جعل الوعاء على كل ما يتحمل مما يلقى فيه كامتلاء المكيال و نحوه. و يقال: الخلاء و الملأ على وجه التقابل، و قوم فرعون هم الجماعة الذين كانوا يقومون بأمره و معاونته و نصرته، و لهذا لا يضاف القوم الى اللّه، فلا يقال: يا قوم اللّه كما يقال يا عباد اللّه، و السحر لطف الحيلة فى إظهار أعجوبة توهم المعجزة و قال الأزهرى السحر صرف الشىء عن حقيقته الى غيره، و الساحر إنما يكفر بادعاء المعجزة، لأنه لا يمكن مع ذلك علم النبوة.

و أصل السحر خفاء الأمر، و منه خيط السحارة، لخفاء الأمر فيها، و منه قوله تعالى «إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» «1» أى الذين يعدون لخفاء الأمرين فى العدو، و السحر العدو، و السَّحَر آخر الليل لخفاء الشخص ببقية ظلمته، و السحور طعام السحر، و السحر الرئة و ما تعلق بها لخفاء أمرها فى انتفاخها تارة و ضمورها أخرى، قال ذو الرمة:

و ساحرة الشراب من الموامى يرقص فى نواشرها الأروم «2»

و يقال: سحر الأرض المطر إذا جادها فقطع نباتها من أصوله بقلب الأرض ظهراً لبطن، سحرها سحراً و الأرض مسحورة، فشبه سحر الساحر بذلك بتخييله الى من سحره أنه يرى الشىء بخلاف ما هو به.

---

(1) سورة 26 الشعراء آية 153، 185.

(2) ديوانه: 591 و اللسان (أرم) و تفسير الطبرى 13/ 19 و روايته:

و ساحرة السراب من الموامى ترقص فى عساقفها الأروم

و معنى قوله تعالى «يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ» بإزالة ملككم بتقوية أعدائكم عليكم. و قوله «مِنْ أَرْضِكُمْ» فالأرض المستقر الذى يمكن الحيوان التصرف فيه عليه. و جملة الأرض التى جعلها اللّه قراراً للعباد فإذا أضيفت،

فقيل أرض بنى فلان، فمعناه مستقرهم خاصة.
و قوله «فَما ذا تَأْمُرُونَ» موضع (ما) يحتمل أن يكون رفعاً، و يكون المعنى فما الذى تأمرون، و يجوز أن يكون نصباً بمعنى فبأى شىء تأمرون، و يجعل (ما) مع (ذا) بمنزلة اسم واحد، و فى الجواب يتبيَّن الاعراب، و يحتمل أن يكون قوله «فَما ذا تَأْمُرُونَ» من كلام الملأ بتقدير أن يكون قال بعضهم لبعض: ما ذا تأمرون، و يحتمل أن يكونوا قالوا ذلک لفرعون على خطاب الملوک، و يحتمل أن يكون من كلام فرعون و التقدير قال فرعون:
فما ذا تأمرون خطاباً لقومه، فعلى هذا تقول قلت لجاريتک قومى أنا قائمة، و تقديره قالت: أنا قائمة، و هو قول الفراء و أبى على الجبائى، و أنشد الفراء قول عنترة، و زعم أن فيه معنى الحكاية:
الشاتمى عرضى و لم أشتمهما و الناذرين إذا لقيتهما دمى «1»
لأن المعنى قالا إذا لقينا عنترة لنقتلنه.

قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ أَرْسِلْ فِی الْمَدائِنِ حاشِرِینَ (111) یَأْتُوکَ بِکُلِّ ساحِرٍ عَلِیمٍ (112)
آیتانِ بلا خلاف.
قرأ أهل الکوفة إلا عاصماً «سحَّار» بتشدید الحاء و ألف بعدها.
الباقون (ساحر) بألف قبل الحاء علی وزن (فاعل) و قرأ عاصم إلا یحیی و حمزة «أرجهْ» بسکون الهاء من غیر همزة. و قرأ أهل البصرة و الداحونی

---

(1) دیوانه: 31 و معانی القرآن للفراء 1/ 387.

عن هشام و یحیی بالهمزة، و ضم الهاء من غیر إشباع. و قرأ ابن کثیر و الحلوانی عن هشام کذلک إلا أنهما وصلا الهاء بواو فی اللفظ، و روی ابن ذکوان بالهمزة و کسر الهاء من غیر إشباع. و قرأ أبو جعفر من طریق بن العلاف و قالون و المسیبی بکسر الهاء من غیر إشباع، و بغیر همز. الباقون و هم الکسائی و خلف و إسماعیل و ورش، و أبو جعفر من طریق النهروانی بکسر الهاء و وصلها بیاء فی اللفظ من غیر همز، و کذلک اختلافهم فی الشعراء.
و الهمزة لغة قیس و غیرهم، و ترک الهمزة لغة تمیم و أسد یقولون:
أرجیت الأمر، و قال أبو زید: أرجیت الأمر إرجاء إذا أخرَّته. و قوله تعالی «أرجیه» أفعله من هذا، و لا بد من ضم الهاء مع الهمزة، لا یجوز غیره، و الا یبلغ الواو أحسن، لأن الهاء خفیة فلو بلغ بها الواو لکان کأنه قد جمع بین ساکنین، ألا ترى أن من قال: ردُّه یا فتی بضم الدال إذا وصل بالهاء فی ضمیر المؤنث، قال ردَّها ففتح، کما تقول ردَّ لخفاء الهاء، و کذلک «أرجهه» لا ینبغی أن یبلغ بها الواو فیصیر کأنه جمع بین ساکنین، و من ألحق الواو فلان الهاء محرکة و لم یلتق ساکنان لان الهاء فاصل، قال (أرجیهوا) کما یقال (أضربهو) فلو کان الیاء حرف لین، لکان وصلها بالواو أقبح نحو (علیهو) لاجتماع حروف متقاربة مع أن الهاء لیست بحاجز قوی فی الفصل، و اجتماع المتقاربة کاجتماع الأمثال.
قال أبو علی الفارسی: من وصل الهاء ب (یا)، فلأن هذه الهاء توصل فی الإدراج بواو، أو یاء، نحو (بهی) أو (بهو) و (ضربهو) و لا تقول فی الوصل (به) و لا (به) و لا (ضربه) حتی تشبع فتقول «بهو» ما علم (بهی) الا فی ضرورة الشعر کقوله:
و ما له من مجلد یلبد
و قال: و من کسر الهاء مع الهمز، فقد غلط و انما یجوز إذا کان قبله یاء

فقال «أرجيه» بكسر الهاء، و لم يستقم، لأن هذه الياء فى تقدير الهمزة،

فكما لم يدغم الواو إذا خففت الهمزة لأن الواو فى تقدير الهمزة كذلک لا يحسن تحريک الهاء بالضم مع الياء، المنقلبة عن الهمزة، و قياس من قال (رويا) فأدغم أن يحرک الياء أيضاً بالضم، و على هذا المسلک من قال (يتيهم) إذا كسر الهاء مع قلب الهمزة ياء، قال: و معنى «أرجه» أخره، و قال قتادة:
معناه احبسه، يقال أرجأت الأمر إرجاء و منه قولهم: المرجئة، و هم الذين يجيزون الغفران لمرتكبى الكبائر من غير توبة.
قال الرمانى: لا وجه لقراءة حمزة عند البصريين فى القياس، و لا الاستعمال على لغة من همز، و قال الزجاج إسكان هاء الضمير لا يجوز عند حذاق النحويين، و أجاز الفراء ذلک، قال يقولون: هذه طلحة أقبلت، و أنشد قول الراجز:
أنحى علىَّ الدهر رجلا و يداً يقسم لا يصلح إلا أفسدا
فيصلح اليوم و يفسده غدا «1»
و زعم ان اسكان هاء التأنيث جائز و أنشد
لما رأى ان لا دعة و لا شبع مال الى ارطاة حقف فاضطجع «2»
و قال الآخر:
لست لزعبلة إن لم أغيِّر بكلتى إن لم أساو بالطول «3»
كلتى معناه طريقتى، و (الطول) جمع امرأة طولى، قال الزجاج: هذا

---

(1) قائله دويد بن زيد بن نهد القضاعى و هو أحد المعمرين أنظر طبقات فحول الشعراء: 180 و المعمرين: 20 و معانى القرآن للفراء 1/ 388 و تفسير الطبرى 13/ 21 و أمال الشريف المرتضى 1/ 137.
(2) اللسان (ضجع) و تفسير الطبرى 13/ 21 و معانى القرآن للفراء 1/ 388 و هو يصف ذئباً قد قطع أمله من أن ينال الظبى، و لم يجد ما يشبعه فلما يئس أضطجع بقرب شجرة. [.....]
(3) معانى القرآن 1/ 388.

الشعر الذى أنشده الفراء لا يعرف، و لا وجه له، و إنما لم يلين أبو عمرو الهمزة الساكنة على أصله فى تخفيف الهمزة لأن سكونه علامة للجزم، فلا يترک همزه، لأن التسكين عارض و كذلک «مؤصدة» لا يترک همزه، لأنه يخرج من لغة الى لغة.
و الأخ هو من النسب بولادة الأدنى من أب أو أم أو منهما و يقال الأخ الشقيق و يسمى الصديق الأخ تشبيهاً بالنسيب فأما الموافق فى الدين فانه أخ بحكم اللّه فى قوله «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» «4».

و معنى الآية أن قوم فرعَون أشاروا عَليه بأن يؤخِّر موسى و أخاه الى أن يرسل فى بلاد مملكته حاشرين، و قال ابن عباس: هو الشرط، و قال مجاهد و السدى: يحشرون من يعلمونه من السحرة و العالمين بالسحر ليقابل بينهم و بين موسى جهلًا منهم بأن ذلك ليس بسحر، و مثله فى عظم الاعجاز لا تتم فيه الحيلة، لأن السحر هو كل أمر يوهموه على من يراه، و لا حقيقة له، و إنما يشتبه ذلك على الجهال و الأغبياء دون العقلاء المحصلين.
و قوله «يَأْتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ» (يأتوك) جزم، لأنه جواب الأمر، و المعنى إن ترسل يأتوك، و حجة من قال «ساحر» قوله «ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ» «1» و الفاعل من السحر ساحر، و يقوّيه قوله «فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ» «2» و السحرة جمع ساحر، و لأنه قال «سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ» «3» و اسم الفاعل ساحر، و من قرأ «سحَّار» فلأنه وصف ب (عليم)، و وصفه به يدل على تناهيه فيه و حذقه، فحسن لذلك أن يذكر بالاسم الدال على المبالغة.
و الإتيان هو الانتقال الى مطلوب، و مثله المجىء أتى يأتى إتياناً و أتىَ يؤتى إيتاء إذا أعطى، و إنما دخلت (كل) و هى للعموم على واحد، لأنه فى معنى الجمع، كأنه قال بكل السحرة إذا أفردوا ساحراً ساحراً. و الفرق بينه و بين

---

(4) سورة 48 الحجرات آية 10.
(1) سورة 10 يونس آية 81.
(2) سورة 26 الشعراء آية 46.
(3) سورة 7 الاعراف آية 115.

كل السحرة أنه إذا قيل بكل السحرة، فالمعنى المطلوب للجميع، و إذا قيل:
بكل ساحر، فالمعنى المطلوب لكل واحد منهم، و يبين ذلك قول القائل: لكل ساحر درهم، و لكل السحرة درهم، فان الأول يفيد أن لكل واحد درهماً، و الثانى أن الجميع لهم درهم.
و الباء فى قوله «بكل» قيل فيه قولان:
أحدهما- انه للتعدية كما يعدى بالألف، و منه ذهبت به و أذهبته و أتيت به و أتيته.
الثانى- أنها بمعنى (مع) أى يأتون و معهم كل ساحر عليم.

وَ جاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ (113) قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (114)

آيتان قرأ أهل الحجاز و حفص «إن لنا لأجراً» بهمزة واحدة على الخبر، و قرأ بهمزتين مخففتين ابن عامر و أهل الكوفة إلا حفصاً و روح، إلا أن الحلوانى عن هشام يفصل بينهما بألف، و أبو عمرو و رويس لا يفصل. قال أبو على: الاستفهام فى هذا الموضع أشبه، لأنهم يستفهمون عن الأجر، و ليس يقطعون أن لهم الأجر، و يقوّى ذلک إجماعهم فى الشعراء، و ربما حذفت همزة الاستفهام، قال الحسن قوله تعالى «وَ تِلْکَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِى إِسْرائِيلَ» «1» إن من الناس من يذهب الى انه على الاستفهام و قد جاء ذلک فى الشعر:

أفرح أن أرزأ الكرام و أن أورث ذوداً شصائصاً نبلا «2»

---

(1) سورة 26 الشعراء آية 22.

(2) اللسان (نبل) يقول أ أفرح بصغار الإبل التى ورثتها، و قد رزئت بالكرام؟؟

و هذا أقبح من قوله:

و أصبحت فيهم آمنا لا كمعشر أتونى فقالوا من ربيعة أم مضر «3»

لأن (أم) تدل على الهمزة. و فى الكلام حذف، لأن التقدير فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين يحشرون السحرة، فحشروهم «وَ جاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا: إِنَّ لَنا لَأَجْراً» أى ان لنا ثوابا على غلبتنا موسى عندک «إِنْ كُنَّا نَحْنُ» يا فرعون «الْغالِبِينَ»، و هو قول ابن عباس و السدى.

و تقول: جئته و جئت اليه، فإذا قلت: جئت اليه، ففيه معنى الغاية لدخول (الى) فيه و جئته معناه قصدته بمجيئى، و إذا لم يعده لم يكن فيه دلالة على القصد كما تقول: جاء المطر.

و قوله «وَ جاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا» إنما لم يقل: فقالوا حتى يتصل الثانى بالأول، لأن معناه لما جاءوا قالوا، فلم يصلح دخول الفاء على هذا الوجه، و انما قالوا: أئنَّ لنا لأجراً، و لم يقولوا: لنا أجر، لأن أحدهما سؤال عن تحقيق الأجر و تأكيده، كما لو قال أبا للّه لنا أجر، و ليس كذلک الوجه الآخر.

و قوله «إِنْ كُنَّا نَحْنُ» موضع (نحن) يحتمل وجهين:

أحدهما- أن يكون رفعاً و يكون تأكيداً الضمير المتصل فى كنا.

و الثانى- لا موضع له، لأنه فصل بين الخبر و الاسم.

و الأجر الجزاء بالخير، و الجزاء قد يكون بالشر بحسب العمل و بحسب ما

يقتضيه العدل. و الغلبة إبطال المقاومة بالقوة، و من هذا قيل فى صفة اللّه (عز و جل) القاهر الغالب، لأنه القادر الذى لا يعجزه شىء.
و قوله «قال نعم» حكاية عن قول فرعون مجيبا لهم عما سألوه من أن لهم أجراً أو لا؟ بأن قال نعم لكم الأجر، و (نعم) حرف جواب مع أنه

---

(3) قائله عمران بن حطان، يقوله فى قوم نزل بهم متنكراً، و هو يشكر صنيعهم، انظر الكامل 7/ 187 و الخصائص لابن جنى 2/ 281.

يجوز الوقف عليها، لأنها فى الإيجاب نظيرة (لا) فى النفى، و إنما جاز الوقف عليها، لأنها جواب لكلام يستغنى بدلالته عما يتصل بها.
و قوله «قال» أصله (قول) فانقلبت الواو الفاً لتحركها و انفتاح ما قبلها و إنما قلبوها مع خفة الفتحة لتجرى على (قلت و تقول) فى الاعلال مع أن الالف الساكنة أخف من الواو المتحركة، و ان كانت بالفتحة. و الواو فى قوله تعالى «و انكم» واو العطف كأنه قال: لكم ذاک، و انكم لمن المقربين، و هو فى مخرج الكلام، كأنه معطوف على الحرف. و كسرت الف «إنكم» لأنها فى موضع استئناف بالوعد، و لم تكسر لدخول اللام فى الخبر، لأنه لو لم يكن اللام لكانت مكسورة. و مثل هذا قوله تعالى «وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَکَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ» «1» و معنى «لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» انكم من المقربين الى مراتب الجلالة التى يكون فيها الخاصة، و لا يتخطى فيها العامة.
و فى الآية دليل لقوم فرعون على حاجته و ذلته لو استدلوا و أحسنوا النظر لنفوسهم، لأنه لم يحتج الى السحرة الا لذلة و عجز، و كذلک فى طلب السحرة الأجر دليل على عجزهم عما كانوا يدعون من القدرة على قلب الأعيان، لأنهم لو كانوا قادرين على ذلک لاستغنوا عن طلب الأجر من فرعون، و لقلبوا الصخر ذهباً و لقلبوا فرعون كلباً و استولوا على ملكه.
قال ابن إسحاق: و كان السحرة خمسة عشر ألفاً. و قال ابن المكندر: كانوا ثمانين ألفاً، و قال كعب الأحبار: كانوا اثنى عشر الفاً. و قال عكرمة: كانوا سبعين ألفاً ذكره الطبرى.

قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) قالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جاؤُ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116)

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 20.

آيتان بلا خلاف.

هذا حكاية قول السحرة أنهم قالوا لموسى اختر أحد شيئين إما أن تلقى أنت عصاك أو نحن نلقى عصيَّنا، و انما دخلت (أن) فى قوله «إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ» و لم تدخل فى «إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ» «2» لأن فيه معنى الأمر كأنهم قالوا: اختر إما أن تلقى أى إما القاؤك و إما القاؤنا، و مثله «إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً» «3» فموضع (ان) نصب، و يجوز أيضا ان يكون التقدير إما إلقاؤك مبدوء به و إما القاؤنا، و يجوز أن تقول: يا زيد اما أن تقوم أو تقعد، و لا يجوز أن تقول يا زيد إن تقوم أو تقعد، لأن (إما) يبتدأ بالمعنى فيها أى بمعنى التخيير، فلذلك تدل على معنى اختر، و ليس كذا (أو) و قد يقع موقع (اما) و ليس بجيد، كما قال الشاعر:

فقلت لهن امشين إما نلاقه كما قال او تشفى النفوس فنعذرا «4»

و قال ذو الرمة:

فكيف بنفس كلما قلت أشرفت على البرء من حوصاء هيض اندمالها
تهاض بدار قد تقادم عهدها و اما بأموات ألمَّ خيالها «5»

---

(2) سورة 9 التوبة آية 107.

(3) سورة 18 الكهف آية 87.

(4) معانى القرآن للفراء 1/ 390.

(5) هذان البيتان للفرزدق. ديوانه 2/ 618 و مجاز القرآن 1/ 390 و هما مطلع قصيدة له يمدح بها ابن عبد الملك، و يهجو الحجاج بن يوسف.

و قد تكون نسبتهما لذى الرمة- هنا- خطأ من الناسخ.

موضع (اما) موضع (أو). و الإلقاء إرسال المعتمد الى جهة السفل، و مثله الطرح، و ضده الإمساك. و قول القائل: ألق علىَّ مسألة الى هذا يرجع، و إنما قال «وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ» و لم يقل و اما أن نلقى، لأنه ليس المعنى على ليكن إلقاء أحدنا فقط، فيجىء على التقابل، و انما هو

على أن يلقى أحدنا فيبطل ما أتى به الآخر.

و قوله «ألقوا» حكاية عن قول موسى (ع) للسحرة (ألقوا) أنتم «فَلَمَّا أَلْقَوْا

سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ» قال البلخى: معناه غشوا أعين الناس، و قال: السحر هو الخفة، و الافراط فيها حتى تخيل بها الأشياء عن الحقيقة و الاحتيال بما يخفى على كثير من الناس كتغييرهم الطرجهالة و الحيلة فيها ان يجعل (الطرجهالة) طاقين و يرقق بغاية الترقيق، و يجعل بين الطبقتين زيبق، فإذا وضعت فى الشمس حمى الزيبق فسار بالطرجهالة، لأن من طبع الزيبق إذا حمى ان يتحرك و يفارق مكانه.
و قال قوم: معناه خيلوا الى أعين الناس بما فعلوه من لتخييل و الخدع أنها تسعى، كما قال تعالى «يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى «6»» و قال الرمانى: معنى سحر الأعين قلبها عن صحة إدراكها بما يتخيل من الأمور المموهة لها بلطف الحيلة التى تجرى مجرى الخفة و الشعبذة مما لا يرجع الى حقيقة، و المحدث لهذا التخيل هو اللّه تعالى عند ما أظهروا من تلك المخاريق و إنما نسب اليهم لأنهم لو لم يعرضوا بما يعملونه لم يقع، كما لو جعل أحد طفلًا تحت البرد، فمات، فهو القاتل له فى الحكم، و اللّه تعالى أماته، و إنما جاز من موسى (ع) أن يأمرهم بإلقاء السحر و هو كفر لأمرين:
أحدهما- إن كنتم محقين فالقوا.
الثانى- القوا على ما يصح و يجوز، لا على ما يفسد و يستحيل.
و قال الجبائى: هذا على وجه الزجر لهم و التهديد، و ليس بأمر.
و قوله «فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ» و الفرق بين (لما) و (إذا) هو الفرق بين (لو) و (أن) فى ان أحدهما للماضى و الآخر للمستقبل، و كل هذه الأربعة تعليق أول بثان، الا ان (لو) على طريقة الشك، و (لما) يقين.
و قوله «وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ» معناه طلبوا منهم الرهبة، و هو خلاف الإرهاب،

---

(6) سورة 20 طه آية 66. [.....]

لأنه جعل الرهبة للذى يرهب، و العظيم ما يملأ الصدر بهوله، و وصف السحر بأنه عظيم لبعد مرام الحيلة فيه، و شدة التمويه به، فهو لذلک عظيم الشأن عند من يراه من الناس، و لأنه على ما ذكرناه من الخلاف فى عدة السحرة من سبعين ألفاً أو ثمانين الفاً كان مع كل واحد حبل و عصا، فلما ألقوها و خيل الى الناس أنها تسعى استعظموا ذلک و خافوه، فلذلک وصفه اللّه بأنه سحر عظيم.
و (إما) إذا كانت للتخيير، فأهل الحجاز و من جاورهم من قيس و بعض تميم يكسرونها و ينصبها قيس و أسد و (أما) إذا كانت منصوبة فهى التى يقتضى أن يكون فى جوابها الفاء.

وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ (117) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَ بَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (118)
آيتان بلا خلاف.
قرأ حفص عن عاصم «تلقف» خفيفة. الباقون بتشديد القاف، و قرأ ابن كثير فإذا هى «تلقف» بتشديد التاء و القاف فى رواية البزى عنه إلا النقاش، و ابن فليح.
و الوحى هو إلقاء المعنى الى النفس من جهة تخفى، و لذلک لم يشعر به إلا موسى (ع) حتى امتثل ما أمر به فإذا العصا حية تسعى.
و فى هذه الآية إخبار من اللّه تعالى أنه أوحى الى موسى (ع) حين ألقى السحرة سحرهم و سحروا أعين الناس و استرهبوهم و جاءوا بسحر عظيم:
أن ألق عصاک ف (أن) يحتمل أمرين:
أحدهما- أن تكون مع ما بعدها من الفعل بمنزلة المصدر، و تقديره أوحينا الى موسى بالإلقاء.
الثانى- أن تكون (أن) بمعنى أى لأنه تفسير ما أوحى اليه. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 504
«فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ» معنى تلقف تبتلغ تناولًا بفيها بسرعة منها، فهى تلتقمه استراطاً حالًا فحالًا قال الشاعر:
و أنت عصى موسى التى لم تزل تلقف ما يأفكه الساحر «1»
يقال: لقِفتهُ ألقفه لقفاً و لقفاناً، و لقَفته ألقَفه و تلقَّفته تلقفا إذا أخذته فى الهواء. و من قرأ بتشديد التاء قال: أصله تتلقف فأدغم احدى التائين فى الأخرى بعد أن سكن الثانية. و من خفف القاف أخذه من لقفته. و من شددها قال: هو من تلقَّف.
و قوله «ما يَأْفِكُونَ» فالافک هو قلب الشىء عن وجهه، و منه «الْمُؤْتَفِكاتِ» «2» المنقلبات. و الافک الكذب لأنه قلب المعنى عن جهة الصواب. و قال مجاهد: «ما يَأْفِكُونَ» أى يكذبون و فى الآية حذف، و تقديره فألقى عصاه فصارت حية «فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ» و المعنى إنها تلقف المأفوک الذى حلَّ فيه الافک، و على هذا يحمل قوله تعالى «وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ» «3» و معناه و ما تعملون فيه.
و قوله «فَوَقَعَ الْحَقُّ» معناه ظهر الحق- فى قول الحسن و مجاهد- و أصل الوقوع السقوط كسقوط الحائط و الطائر تقول: وقع يقع وقعاً و وقوعاً و أوقعه ايقاعاً، و وقَّع توقيعاً و توقَّع توقعاً و أوقعه مواقعة، و الميقعة المطرقة. و الواقعة النازلة من السماء، و الوقائع الحروب. قال الرمانى:
الوقوع ظهور الشىء بوجوده نازلا الى مستقره. و (الحق) كون الشىء فى

موضعه الذى اقتضته الحكمة. و الحق موافق لداعى الحكمة، و لذلک يقال وقع الشىء فى حقه. و (الباطل) الكائن بحيث يؤدى الى الهلاک، و هو نقيض الحق، فالحق كون الشىء بحيث يؤدى الى النجاة. و العمل

_____

(1) تفسير الطبرى 7/ 260 و الفتح القدير (تفسير الشوكانى) 2/ 221 و روايتهما (تلقم) بدل (تلقف) و هو فى مجمع البيان 2/ 460 (تلقف).
(2) سورة 52 النجم آية 53.
(3) سورة 37 الصافات آية 96.

تصيير الشىء على خلاف ما كان اما بإيجاده أو بإيجاد معنى فيه و مثله التغيير.
و (ما) فى قوله «ما كانُوا يَعْمَلُونَ» يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون بمعنى المصدر، و التقدير و بطل عملهم.
و الثانى- أن يكون بمعنى الذى و تقديره و بطل الحبال و العصى التى عملوا بها السحر. و (ما) إذا كانت بمعنى المصدر لا تعمل عمل (إنَّ) إذا كانت بمعنى المصدر، لأمرين: أحدهما- أن (ما) اسم، و الاسم لا يعمل فى الفعل. و الآخر- أن تنقل الفعل نقلين الى المصدر و الاستقبال تقول: يعجبنى ما تصنع، و يعجبنى أن تصنع الخير.

فَغُلِبُوا هُنالِکَ وَ انْقَلَبُوا صاغِرِينَ (119) وَ أُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ (120) قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ (122)

أربع آيات.

أخبر اللَّه تعالى أنه لما القى موسى عصاه و صارت حية، و تلقفت ما أفكت السحرة: أن السحرة «فَغُلِبُوا هُنالِکَ وَ انْقَلَبُوا صاغِرِينَ» و الغلبة الظفر بالبغية من العدو، و فى حال المنازعة تقول: غلب يغلب غلبة، فهو غالب و ذاک مغلوب أى مقهور، و غالبه مغالبة و تغالبا تغالباً و غلب تغليباً. و معنى (هنالک) أى عند ذلک الجمع، فهو ظرف مبهم كما أن (ذا) مبهم و فيه معنى الاشارة.

و قيل: هنا و هنالک و هناک، مثل ذا و ذاک و ذلک. و إنما دخلت اللام فى (هنالک) لتدل على بعد المكان المشار اليه، كما دخلت فى (ذلک) لبعد المشار اليه، ف (هنا) لما بعد قليلا، و هنالک لما كان أشد بعداً. و إنما دخل كاف المخاطبة مع بعد الاشارة ليشعر بتأكيد معنى الاشارة الى المخاطب ليتنبه على بعد المشار اليه من المكان، و البعيد أحق بعلامة التنبيه من القريب.

و قوله «وَ انْقَلَبُوا صاغِرِينَ» أى رجعوا أذلاء، و الصاغر الذليل، التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 506

و الصغر و الصغار الذلة، يقال: صغر الرجل يصغر صغراً و صغاراً إذا ذل، و أصله صغر القدر.

و قوله تعالى «وَ أُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ» إنما جاء على ما لم يسم فاعله لأمرين:

أحدهما- أنه بمعنى ألقاهم ما رأوا من عظيم آيات اللَّه بأن دعاهم الى السجود للَّه و الخضوع له.

الثانى- أنهم لم يتمالكوا أن وقعوا ساجدين، فكأنَّ ملقيا ألقاهم، و لم يكن ذلک على وجه الاضطرار الى الايمان، لأنه لو كان كذلک لما مدحوا عليه بل علموا ذلک بدليل، و هو عجزهم من ذلک مع تأتى سائر أنواع السحر منهم. و الإلقاء اطلاق الشىء الى جهة السفل و نقيضه الإمساک، و مثله الاسقاط و الطرح. و معنى الآية البيان عن حال من تيقن البرهان، فظهر منه الإذعان للحق و الخضوع بالسجود للَّه تعالى، و لم يكن ممن تعامى عن الصواب و تعاشى عن طريق الرشاد.

و قوله تعالى «قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ» حكاية لما قالت السحرة عند تبيُّنهم الحق و وقوعهم للسجود للَّه تعالى و اعترافهم بأنهم آمنوا برب العالمين الذى خلق السموات و الأرض و ما بينهما و خلق موسى و هارون، و القول

كلام يدل على الحكاية، و لو قيل: (تكلموا) لم يقتض حكاية كلامهم على صورته، فإذا قيل: (قالوا) اقتضى حكاية كلامهم. و الايمان هو التصديق الذى يؤمّن من العقاب، و هو التصديق بما أوجب اللّه عليهم. و قال الرمانى:
يجوز أن يقال للّه أنه لم يزل ربّاً و لا مربوب، كما جاز لم يزل سميعاً و لا مسموع، لأنه صفة غير جارية على الفعل كما تجرى صفة مالک على ملک يملک، فالمقدور هو المملوک. و أصل الصفة ب (رب) التربية و هى تنشئة الشىء، حالًا بعد حال حتى يصير الى حال التمام و الكمال، و منه رب النعمة يربها ربّاً إذا تممها، و ربى الطفل تربية، و اللّه تعالى رب العالمين المالک لهم و لتدبيرهم. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 507
و (العالم) كل أمة من الحيوان و جمعه العالمون على تغليب ما يعقل، و هو مأخوذ من العلم، لكنه كثر فى استعمال أهل النظر على أنه لجميع ما أحاط به الفلک من الأجسام المتصرفة فى الأحوال، و قال قوم (عالم) لا يقع إلا لجماعة العقلاء. و قد بينا ذلک فى فاتحة الكتاب.
و قوله «رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ» إنما خص موسى و هارون بالذكر بعد دخولهما فى الجملة من «آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ» لأمرين:
أحدهما- أن فيه معنى الذى دعا الى الايمان موسى و هارون.
الثانى- خصا بالذكر لشرف ذكرهما على غيرهما على طريق المدحة لهما و التعظيم. و الرب بالإطلاق لا يطلق إلا على اللّه تعالى، لأنه يقتضى أنه رب كل شىء يصح ملكه، و فى الناس يقال: رب الدار و رب الفرس، و مثله (خالق) لا يطلق إلا فيه تعالى، و فى غيره يقيد، يقال خالق الأديم.
قال الرمانى: و إنما جاز نبيان فى وقت و لم يجز إمامان فى وقت، لأن الامام لما كان يقام بالاجتهاد كانت إمامة الواحد أبعد من المناقشة و اختلاف الكلمة و أقرب الى الألفة و رجوع التدبير الى رضا الجميع.
و هذا الذى ذكره غير صحيح، لأن العقل غير دال على أن الامام يجب أن يكون واحداً كما أنه غير دال على أنه يجب أن يكون النبى واحداً، و إنما علم بالشرع أنه لا يكون الامام فى العصر الواحد إلا واحداً كما علمنا أنه لم يكن فى عصر النبى (ص) نبى آخر، و استوى الأمران فى هذا الباب.

قالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْها أَهْلَها فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124)

آيتان بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 508

قرأ حفص و ورش و رويس «آمنتم» على الخبر. الباقون بهمزتين على الاستفهام. و حقق الهمزتين أهل الكوفة إلا حفصاً و روحاً. الباقون بتحقيق الأولى و تليين الثانية إلا أن قنبلًا فى غير رواية ابن السائب يقلب همزة الاستفهام واواً إذا اتصلت بنون فرعون، و لم يفصل أحد بين الهمزتين بألف، قال أبو على: قياس قول أبى عمرو و مذهبه أن يفصل بين الهمزتين بألف كما يفصل بين النونات فى (اخشينان) إلا أنه يشبه أن يكون ترك القياس، و قوله هنا لما كان يلزم منه اجتماع المتشابهات فترك الألف التى تدخل بين الهمزتين، و خفف الهمزة الثانية التى هى همزة (افعل) من (آمن) فأما رواية أبى الاخريط عن ابن كثير بابدال الهمزة واواً، فانه أبدل من ألف الاستفهام واواً، لانضمام ما قبلها و هى النون المضمومة فى (فرعون) و هذا فى المنفصل مثل المتصل من نوره، فقوله (نوأ) على وزن (نود) و فى رواية قنبل عن القواس مثل رواية البزى عن أبى الاخريط غير انه يهمز بعد الواو، قال أبو على: من همز بعد الواو، لأن هذه (الواو) هى منقلبة عن همزة الاستفهام، و بعد همزة الاستفهام همزة (أ فعلتم) فخففها، و لم يخففها كما خفف فى القول الاول، و وجهه ان الاولى لما زالت عن لفظ الهمزة و انقلبت واواً حقق الهمزة بعدها، لأنه لم يجتمع همزتان. و وجه القول الأول أن (الواو) لما كان انقلابها عن الهمزة تخفيفاً قياس، كان فى حكم الهمزة فلم يحقق معها الثانية كما لا تحقق مع الهمزة نفسها، لأن الواو فى حكمها، كما كانت فى حكمها فى (روياً) فى تخفيف (رؤياً) فلم يدغموها فى الياء، كما لم يدغم الهمزة فيها.

و من قرأ على الخبر فوجهه أنه يخبرهم بايمانهم على جهة التقريع لهم بايمانهم، و الإنكار عليهم. و وجه الاستفهام أنه استفهام على وجه التوبيخ و التقريع، و الإنكار عليهم. و حمزة و الكسائى قرءا بهمزتين الثانية ممدودة، لأن الهمزة الثانية تتصل بها الألف المنقلبة عن الهمزة التى هى فاء فى (آمن).

فى هذه الآية حكاية لما قال فرعون للسحرة حين آمنوا بموسى و صدقوه

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 509

لظهور الحق، فقال لهم «آمَنْتُمْ بِهِ؟» و انما قال لهم ذلک، لأنه توهم أن الاقدام على خلاف الملک بما عمل قبل الاذن فيه منكر يقتضى سطوة

الملک بصاحبه و التنکیل به، و عندنا أن فرعون لم یعرف اللّه قط معرفة یستحق بها الثواب. و قال الرمانی: لا یمتنع أن یکون عارفاً باللّه، و إنما قال هذا القول تمویهاً علی قومه و للتحذیر من مثل حال السحرة الذین أقدموا علی المخالفة له فی الایمان بموسی (ع).
و قوله تعالی «إِنَّ هذا لَمَکْرٌ مَکَرْتُمُوهُ فِی الْمَدِینَةِ» معناه تواطأتم علی هذا الأمر لتستولوا علی العباد و البلاد، فتخرجوا من المدینة أهلها و تتغلبوا علیها، و المکر قیل الاغترار بالحیلة الی خلاف جهة الاستقامة و أصله القتل و الالتفاف کما قال ذو الرمة.
عجزاء ممکورة خمصانة قلق عنها الوشاح و ثم الجسم و العصب «1»
و المکر و الخدع نظائر فی اللغة، و قوله «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» تهدید من فرعون لهم و تخویف من مخالفته، و إنما هدد فرعون ب (سوف تعلم)، لأن فیه معنی أقدمت بالجهل علی سبب الشر، فسوف تعلم حین یظهر مسببه الذی أدی الیه کیف کانت منزلته، فهو أبلغ من الإفصاح به.
و قوله «لَأُقَطِّعَنَّ أَیْدِیَکُمْ» فالتقطیع تکثیر القطع و نظیره التفصیل و التفریق، و نقیضه التوصیل تقول: قطع قطعاً و أقطع اقطاعا، و قطّع تقطیعا و تقطّع تقطعاً و اقتطع اقتطاعاً و تقاطع تقاطعاً و استقطع استقطاعاً و قاطع مقاطعة و انقطع انقطاعاً. و الأیدی جمع ید، و هی الجارحة المخصوصة، و الید النعمة، لأنها تسدی الی صاحبها بالید. و الأرجل جمع رجل و هی الجارحة التی یمشی بها من یمین و شمال. و الراجل خلاف الراکب و ترجل الإنسان إذا نزل عن دابته واقفاً علی رجله، و رَجَّله غیره، و ارتجل القول ارتجالًا إذا کان فیه کالراجل الذی لم یستعن برکوب غیره. و رجَّل الشعر إذا سرحه حاطّاً له

---

(1) سیأتی فی 5/ 128 و هو فی مقاییس اللغة 4/ 233.

عن رکوب بعضه بعضاً.
و (التقطیع من خلاف) هو قطع الید الیمنی مع الرجل الیسری، و هو قول الحسن، و قال غیره: و کذلک یکون قطع الید الیسری مع الرجل الیمنی.
و قوله «ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّکُمْ أَجْمَعِینَ» القراء کلهم علی ضم الهمزة، و تشدید اللام من (أصلبکم) و ذکر الفراء «و لأصلبنکم» بفتح الهمزة و کسر اللام من الصلب، و هو الشد علی الخشبة أو ما جری مجراها من الاشخاص البارزة، و هو مشتق من صلابة الشد، یقال: صلب صلابة و صلبه تصلیباً و تصلب تصلباً.
و قال ابن عباس: أول من صلب و قطع الایدی و الأرجل من خلاف فرعون.

قالُوا إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ (125)
آية إجماعاً.
و هذا إخبار عن جواب السحرة حين آمنوا، و توعد فرعون إياهم بقطع الأيدى و الأرجل و الصلب بأنهم «قالُوا إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ» أى راجعون و غرضهم بهذا التسلى فى الصبر على الشدة، لما عليه من المثوبة، مع مقابلة وعيده بوعيد هو أشد عليه هو عقاب اللّه.
و أصل (إنَّا) إننا و حذفت احدى النونين لكثرة النونات، فإذا قيل إننا، فلأنه الأصل و إذا قيل (إنا) فللاستخفاف مع كراهة التضعيف، و الانقلاب الى اللّه هو الانقلاب الى جزائه و المصير اليه، إلا أنه فخم بالاضافة الى اللّه لعظم شأنه، و الانقلاب مصير الشىء على نقيض ما كان عليه مما يتغير به، و إذا صار الى الآخرة بعد الدنيا فانقلب اليها، و إذا كان على خلق فتركه الى ضده فقد انقلب اليه.

وَ ما تَنْقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ تَوَفَّنا مُسْلِمِينَ (126)

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 511

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية إخبار عما قالت السحرة حين آمنوا و توعدهم فرعون بأنواع العذاب بأنهم قالوا له: إنا راجعون الى اللّه، و قالوا له أيضاً: ليس تنقم منا إلا إيماننا باللّه و تصديقنا بآياته التى جاءتنا. و النقمة الأخذ بالعقوبة:

نقَم ينقِم، و نقُم ينقُم، و اللغة الاولى أفصح و انتقم انتقاماً و نقمة، فالنقمة ضد النعمة.

و الفرق بين النقمة و الاساءة ان النقمة قد تكون بحق، جزاء على كفر النعمة، و لذلک يقال انتقم اللّه من فلان نقمة عاجلة، و الاساءة لا تكون الا قبيحة، لأنه ليس لأحد أن يسىء فى فعله، و المسىء مذموم على إساءته.

و قوله تعالى «رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً» حكاية عن قول هؤلاء السحرة الذين آمنوا، و أنهم بعد أن قالوا لفرعون ما قالوه، سألوا اللّه تعالى أن يفرغ عليهم صبراً، و معناه أن يفعل بهم من اللطف ما يصبرون معه على عذاب فرعون و يتشجعوا عليه، و لا يفزعوا منه.

و الافراغ صب ما فى الإناء أجمع، حتى يخلو، مشتقاً من الفراغ، و الفراغ نقيض الشغل، و قيل: أفرغ عليه الصبر تشبيهاً بإفراغ الإناء، كما يقال صب عليه العذاب صباً، و الصبر هو حبس النفس عن إظهار الجزع، صبر يصبر صبراً و الصبر على الحق عزٌّ، كما أن الصبر على الباطل ذل.

و الصبر فى الجملة محمود، قال اللّه تعالى «وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَکَ إِنَّ ذلِکَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ».

و قوله تعالى «وَ تَوَفَّنا مُسْلِمِينَ» رغبة منهم الى اللّه تعالى و سؤالهم إياه بأن يقبضهم اليه و يميتهم فى حال السلامة.

وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَ تَذَرُ مُوسى وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ قالَ سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِى نِساءَهُمْ وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ (127)

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 512

آية بلا خلاف.

قرأ أهل الحجاز «سنقتل أبناءهم» بالتخفيف. الباقون بالتثقيل، فمن ثقل ذهب الى التكثير، و من خفف، فلاحتماله التكثير و التقليل.

فى هذه الآية إخبار عن إنكار قوم فرعون و أشرافهم و رؤسائهم على فرعون تركه موسى و قومه ليفسدوا فى الأرض على اعتقادهم، و إنما أنكروا على فرعون ذلک مع عبادتهم له، لأنه جرى على خلاف عادة الملوک فى السطوة بمن خالف عليهم و شق العصا فى ملكهم. و كان ذلک بلطف من اللّه تعالى و حسن دفاعه عن موسى. و عنوا بالإفساد فى الأرض دعاء الخلق الى مخالفة فرعون فى عبادته و تجهيله إياه فى ديانته لما يتفق عليه من ذلک مما لا قبل له به مما فيه انتقاض أمره و بطلان ملكه.

و قوله تعالى «وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ» معناه قال الحسن: إنه كان يعبد الأصنام، فعلى هذا كان يعبد و يعبد، كما حكى اللّه تعالى عنه من قوله «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى» «2» و قال السدى: كان يعبد ما يستحسن من البقر، و على ذلک أخرج السامرى «عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقالُوا هذا إِلهُكُمْ وَ إِلهُ مُوسى» «3» و قال الزجاج: إنما كانت له أصنام يعبدها قومه تقرباً اليه. و قرأ ابن عباس «و يذرک و إلهتک» بمعنى و عبادتک. و قال كان فرعون يعبد و لا يَعبد، و قال بعضهم (إلاهتک) إنما هو تأنيث إله و جمعه آلهتک كما قال الشاعر، و هو عتيبة بن شهاب اليربوعى

تروحنا من اللعباء قصراً فأعجلنا الاهة ان تؤوبا «5»

---

(2) سورة 79 سورة النازعات آية 24.

(3) سورة 20 طه آية 88.

(5) انظر الى معجم ما استعجم: 115، و معجم البلدان (اللعباء) و لسان العرب «لعب» «أله» و تفسير الطبرى 13/ 40 و غيرها. و «اللعباء»

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 513

يعنى الشمس، فأدخل التاء فى هذا كما أدخلوا فى قولهم: ولدتى و كوكبتى و هالتى و هو أهلة ذاک، كما قال الراجز:

يا مضر الحمراء أنت اسرتى و أنت ملجاتى و أنت ظهرتى «6»

و قوله تعالى «سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ» إنما تهددهم بقتل أبنائهم مع ان موسى هو

الذى دعاهم الى اللّه دونهم من حيث أنه لم يطمع فيه، لما رأى من قوة أمره و علوّ شأنه فعدل الى ضعفاء بنى إسرائيل بقتل أبنائهم ليوهم انه يتم له ذلک فيهم.
و قوله تعالى «وَ نَسْتَحْيِی نِساءَهُمْ» معناه نستبقى من تولد من بناتهم للمهنة و الخدمة من غير أن يكون لهم نجدة و لا عندهم منعة.
و نصب قوله «و يذرک» لاحد وجهين: أحدهما- الصرف، و الآخر العطف. و الصرف على ان يكون تقديره ليفسدوا فى الأرض الى ان يذرک و آلهتک، و العطف على ليفسدوا و يذرک. و قرأ الحسن «و يذرک» بالرفع عطفا على أ تذر، و يجوز فيه الاستئناف، و هو يذرک.

قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَ اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية من اللَّه تعالى عما قال موسى لقومه حين تهددهم فرعون بقتل أبنائهم و استحياء نسائهم، و انه أمرهم ان يستعينوا باللّه و الاستعانة طلب المعونة، و قد يسأل السائل المعونة لغيره يقول: اللهم أعنه على أمره الا ان الغالب على الاستعانة طلب المعونة لنفس الطالب.
و قوله «و اصبروا» أمر من موسى إياهم بالصبر و هو حبس النفس

اسم مكان. و «قصراً» أى عشياً. و روى «عصراً» و «إلاهة»: الشمس
(6) لم أعرف قائله. و هو فى تفسير الطبرى 13/ 41.

عما يؤدى الى ترک الحق مع تجرع مرارة ذلک الحبس و نقيضه الجزع قال الشاعر:
فان تصبرا فالصبر خير مغبة و ان تجزعا فالأمر ما تريان «1»
و قوله «إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» اخبار عما قال موسى لقومه من أن الأرض كلها ملک للّه يورثها من يشاء من عباده، و الإرث جعل الشىء للخلف بعد السلف، و الأغلب ان يكون ذلک فى الأموال، و قد يستعمل فى غيرها مجازا كقولهم: العلماء ورثة الأنبياء، و قولهم ما ورث والد ولدا أجلُّ من ادب حسن.
و معنى «يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- التسلية لهم بأنها لا تبقى على أحد لأنها تنقل من قوم الى قوم اما محنة او عقوبة.
الثانى- الاطماع فى ان يورثهم اللَّه ارض فرعون و قومه.
و المشيئة هى الارادة و هى ما أثرت فى وقوع الفعل على وجه دون وجه من حسن أو قبح او غيرهما من الوجوه.
و قوله تعالى «وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» فالعاقبة ما تؤدى اليه التأدية من خير او شر الا انه إذا قيل: العاقبة له فهو فى الخير، فإذا قيل: العاقبة عليه فهو فى الشر مثل الدائرة له و عليه و قال ابن عباس: لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بنى إسرائيل.

قالُوا أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا وَ مِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا قالَ عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (129)
آية بلا خلاف.

---

(1) مر فى 1/ 202.

هذا اخبار من اللّه تعالى عن ما قال قوم موسى لموسى بأنا أوذينا من قبل أن تأتينا بالرسالة. و الأذى ضرر لا يبلغ بصاحبه ان يأتى على نفسه، تقول: آذاه يؤذيه أذى و تأذى به تأذيا، و مثله آلمه يؤلمه ايلاما و تألم به تألما. و الأذى الذى كان بهم قيل: هو استعباد فرعون إياهم و قتل أبنائهم و استحياء نسائهم للاستخدام. و الذى كان بعد مجىء موسى الوعيد لهم بتجديد ذلك العذاب من فرعون و التوعيد عليه، و كان هذا على سبيل الاستبطاء منهم لما وعدهم فجدد الوعد لهم و حققه، و قال الحسن: كان يأخذ منهم الجزية.
و قوله «قالَ عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ» قال سيبويه: لعل و عسى طمع و اشفاق، و قال الحسن (عسى) من اللّه واجبة، و به قال الزجاج.
و قال ابو على الفارسى (عسى) هاهنا يقين.
و قوله «وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْأَرْضِ» قال أبو على: استخلفوا فى مصر بعد موت موسى (ع) فى التيه. ثم فتح اللّه لهم بيت المقدس مع يوشع بن نون. ثم فتح اللّه لهم مصر و غيرها فى زمن داود و سليمان، فملكوها فى ذلك الزمان على ما وعدوا به من الاستخلاف.
و قوله تعالى «فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» قيل: ان معنى ينظر- هاهنا- يعلم، و قيل يرى و كلا منهما مجاز لان النظر هو الطلب لما يدرك و هذا لا يجوز عليه تعالى، و لكنه جاء على قوله تعالى «وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ» «1» و فائدة الآية تسليمة موسى (ع) لقومه بما وعدهم عن اللّه من إهلاك فرعون و قومه و جعل قومه بدلا منهم ليعملوا بطاعته.

وَ لَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (130)

---

(1) سورة 47 محمد آية 31.

آية بلا خلاف.

أخبر اللّه تعالى فى هذه الآية، و اقسم عليه بأنه أخذ آل فرعون بالسنين و هى الأعوام المقحطة، و اللام فى قوله «لقد» لام القسم، (و قد) معناه الاخبار عن متوقع و هى تقرب الماضى من الحال، لأنه إذا توقع كون أمر فقيل قد كان، دل على قربه من الحال. و الآل خاصة الرجل الذين يؤول أمرهم اليه، و لذلک يقال: اهل البلد، و لا يقال: آل البلد، لان فى الأهل معنى القرب فى نسب او مكان، و ليس كذلک الآل.

و معنى «أخذناهم بالسنين» أخذناهم بالجدوب، و العرب تقول: أخذتهم السنة إذا كانت قحطة يقال أسنت القوم إذا أجدبوا، و انما قيل للمجدبة: السنة و لم يقل للخصبة، لأنها نادرة فى الانفراد بالجدب، و النادر أحق بالافراد بالذكر، لانفراده بالمعنى الذى ندر به. و قال الفراء: معنى بالسنين بالجدوبة تقول العرب (وجدنا البلاد سنين) أى جدوبا، قال الشاعر:

و أموال اللئام بكل أرض تجحفها الجوائح و السنون

و قال آخر:

كأن الناس إذ فقدوا علياً نعام جال فى بلد سنيناً

أى فى بلد جدوب و أهل الحجاز و علياء قيس يقولون: هن السنون، فيجعلونها بالواو فى الرفع، و بالياء فى الخفض و النصب على هجاءين، و بعض تميم يقول هى السنين، فإذا ألقوا الألف و اللام لم يجروها، فقالوا قد مضت له سنون كثيرة، و كنت عندهم بضع سنين، و بنو عامر، فإنهم يجرونها فى النصب و الجر و الرفع فيقولون: أقمت عنده سنيناً كثيرة. و قال الكسائى:

على هجاءين فى اللغة الغالبة فى كلام العرب: السنون، و السنين و ينصبون النون على كل حال مثل نون الجمع فى الموضعين، و عليه اجماع القراء، قال:

و بعض العرب يجعلها على هجاء واحد، و يلزم النون الاعراب بجعلها كأنها

نفس الكلمة، و أنشد:

سنينى كلها واسيت حرباً أقاس مع الصلادمة الذكور

و أنشد:

و لقد ولدت بنين صدق سادة و لأنت بعد اللّه كنت السيدا
فأثبت النون فى بنين و هى مضافة.
و قوله تعالى «وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ» أى و أخذناهم مع القحط و جدب الأرض بنقصان من الثمار.
و قوله تعالى «لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ» معناه لكى يتفكروا فى ذلک و يرجعوا الى الحق و إنما قال «لعلهم» و هى موضوعة للشک و هو لا يجوز فى كلام اللّه لأنهم عُومِلوا معاملة الشاک مظاهرة فى القول كما جاء الابتلاء و الاختيار مثل ذلک. و الآية تدل على بطلان مذهب المجبرة من أن اللّه تعالى يريد الكفر و المعاصى، لأنه بين أنه فعل بهم ذلک لكى يذكروا، و يرجعوا فقد أراد منهم الاذكار، فكأنه قال من أجل أن يذكروا، و ليس كذلک إذا كلفهم من أجل الثواب، لأن إرادة المريد لما يكون من فعله فى المستأنف عزم، و ذلک لا يجوز عليه تعالى، و ليس كذلک إرادته لفعل غيره، قال مجاهد: السنين الحاجة، و نقص من الثمرات دون ذلک، و قال قتادة: كان السنين بباديتهم، «وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ» كان فى أمصارهم و قراهم. و قال كعب: يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة.

فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (131)
آية بلا خلاف.
المراد بالحسنة- هاهنا- النعمة من الخصب و السعة فى الرزق و العافية
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 518
و السلامة. و (السيئة) النقمة من الجدب و ضيق الرزق و المرض و البلاء، و فيه ضرب من المجاز، لأن حقيقة الحسنة ما حسن من الفعل فى العقل، و السيئة ما قبح من الفعل، و إنما شبه هذا بذلك، لتقبل العقل لهذا كتقبل الطبع لذلك. و قال قوم: هو مشترك لظهور العلم فى ذلك فى الناس جميعاً على منزلة سواء.
أخبر اللَّه تعالى عن قوم فرعون أنه إذا جاءهم الخصب و السعة و النعمة من اللَّه «قالُوا لَنا هذِهِ» و المعنى إنا نستحق ذلك على العادة الجارية لنا من نعمنا وسعة أرزاقنا فى بلادنا، و لم يعلموا أنه من اللَّه فيشكروه عليه و يؤدوا حق النعمة، لئلا يسلبهم اللَّه إياها.
و قوله «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ» يعنى جدب و قحط و بلاء «يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَ مَنْ مَعَهُ» و المعنى إنهم تشاءموا بهم، و هو قول الحسن و مجاهد، و ابن زيد، لأن العرب كانت تزجر الطير، فتتشاءم بالبارح و هو الذى يأتى من جهة الشمال، و تتبرك بالسانح، و هو الذى يأتى من جهة اليمين، قال الشاعر:
زجرت لها طير الشمال فإن يكن هواك الذى يهوى يصبك اجتنابها»
و قال آخر:
فقلت غراب لا اغتراب من النوى و بان لبين ذى العيافة و الزجر
و أصل الطائر النصيب، يقال: طار له من القسم كذا و كذا، و أنشد ابن الأعرابى:
و انى لست منك و لست منى إذا ما طار من مالى الثمين
أى أخذت الزوجة ثمنها من ميراثه.
و قوله تعالى «أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ» معناه إن اللَّه هو الذى يأتى بطائر البركة و طائر الشؤم، من الخير و الشر و النفع و الضِّر، فلو عقلوا طلبوا الخير من جهته، و السلامة من الشر من قبله.

---

(1) اللسان (طير) و روايته (لهم) بدل (لها).
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 519
و موضع (إذا) نصب بأنها ظرف للقول، و لا يجوز أن يعمل فيها الفعل الذى يليها، لأنها مضافة اليه، و لو جازيت بها جاز عمله فيها، و قال الأزهرى و

الزجاج: معنى «إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللّهِ» شؤمهم الذى وعدوا به من العقاب عند اللّه يفعله بهم يوم القيامة، و قال ابن عباس معناه إن مصائبهم عند اللّه.

وَ قالُوا مَهْما تَأْتِنا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنا بِها فَما نَحْنُ لَکَ بِمُؤْمِنِينَ (132)
آية بلا خلاف.
«مهما» أى شىء، و قال الخليل: أصلها (ما) إلا أنهم أدخلوا عليها (ما) كما يدخلونها على حروف الجزاء، فيقولون (ماما) و (متى ما) و (إذا ما) فغيروا ألفها بأن أبدلوها هاء، لئلا يتوهم التكرير و صار (ما) فيها مبالغة فى معنى العموم، و قال غيره: أصلها (مه) بمعنى اكفف دخلت على (ما) التى للجزاء.
و الفرق بين (ما) و (مهما) أن (مهما) خالصة للجزاء و فى (ما) اشتراک، لأنها قد تكون استفهاماً تارة، و بمعنى الذى أخرى، و تارة بمعنى الجزاء، و إن كان الأصل فى (مهما) (ما)، لأن (ما) يجازى به من الأسماء ما قد لا يستعمل فى الجزاء، و التركيب ظاهر فيها لفظا و معنى.
و قوله تعالى «تأتنا» فى موضع جزم، و علامة الجزم فيه حذف الياء، و إنما حذف الحرف للجزم، لأنه من حروف المد و اللين، و هى مجانسة لحركات الاعراب، و من شأن الجازم أن يحذف ما يصادفه من الحركة، فإن لم يصادف حركة عمل فى نفس الحرف، لئلا يتعطل عن العمل.
فى هذه الآية إخبار من اللّه تعالى، و حكاية ما قال قوم فرعون لموسى (ع) بأنهم قالوا له: أى شىء تأتينا به من المعجزات و تسحرنا بها، فانا لا نصدقک عليه، و لا نؤمن بک. و (الآية) هى المعجزة الدالة على نبوته، و هو كل ما يعجز الخلق عن معارضته و مقاومته، كما لا يمكن مقاومة الشبهة للحجة، التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 520
و كما لا يمكن أن يقاوم الجهل للعلم، و السراب للماء، و ان توهم ذلک قبل النظر و الاعتبار، و يخيل قبل الاستدلال الذى يزول معه الالتباس، و قد بينا حقيقة السحر فيما مضى، و قد يسمى السحر ما لا يعرف سببه و إن لم يكن محظوراً، كما
روى عنه (ص) أنه قال: (إن من البيان لسحراً)
و كما قال الشاعر:
و حديثها السحر الحلال لو أنه لم يجز قتل المسلم المتحرز
و ذلک مجاز و تشبيه دون أن يكون حقيقة.

فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَ الْجَرادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفادِعَ وَ الدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (133)
آية.
أخبر اللَّه تعالى أنه لما قال فرعون و قومه ما قالوا- من أنهم لا يؤمنون، و ان أتى بجميع الآيات، فإنهم لا يصدقونه على نبوته- أنه أرسل عليهم الطوفان، و هو السيل الذى يعم بتفريقه الأرض، و هو مأخوذ من الطوف فيها، و قيل: هو مصدر كالرجحان و النقصان. و قال الأخفش: واحده طوفانة، و أما المفسرون فإنهم اختلفوا فى معناه، فقال ابن عباس فى بعض الروايات عنه: إنه الغرق. و قال مجاهد: هو الموت. و فى رواية أخرى عن ابن عباس أنه كان أمراً من اللَّه تعالى طاف بهم، و قال تعالى فى قصة نوح «فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ» «1» و قال الحسن بن عرفطة:
غيَّر الجدة من آياتها خرق الريح بطوفان المطر «2»
و قال الراعى:

---

(1) سورة 29 العنكبوت آية 14.
(2) نوادر أبى زيد: 77 و اللسان (طوف) و تفسير الطبرى 13/ 53 و غيرها، و يروى: خرق الريح و طوفان المطرف [.....]

تضحى إذا العيس أدركنا نكائثها خرقاء يعتادها الطوفان و الزُّؤد «3»
الزؤد الفزع، و قال أبو النجم:
قد مدَّ طوفان فبث مددا شهراً شآبيب و شهراً بردا «4»
و قال أبو عبيدة: الطوفان من السيل البعاق، و من الموت الذريع.
و قوله تعالى «و القمل» فاختلفوا فى معناه، فقال ابن عباس- فى رواية عنه- و قتادة و مجاهد: إنه بنات الجراد، و هو الدبا صغار الجراد الذى لا أجنحة له. و فى رواية أخرى عن ابن عباس و سعيد: أنه السوس الذى يقع فى الحنطة. و قال ابن زيد هو البراغيث. و قال أبو عبيدة: هو الحمنان واحده حمنة. و قيل: حمنانة و هو كبار القردان. و قال الحسن و سعيد بن جبير: هو دواب صغار سود واحدته قملة، قال الأعشى:
قوم تعالج قملًا أبناؤهم و سلاسلًا أجداً و باباً مؤصدا «5»
و قوله «و الضفادع» فهو جمع ضفدع، فهو ضرب من الحيوان يكون فى الماء له نقيق و اصطخاب، و هو معروف. و قيل: إنه كان يوجد فى فرشهم و أبنيتهم و يدخل فى ثيابهم، فيشتد أذاهم به.
و (الدم) معروف و قد حده الرمانى: بأنه جسم مائع أحمر مسترق عرض له

الجمود كهذا الذى يجرى فى العروق. و قيل: إن مياههم كانت عذبة طيبة فانقلبت دماً، فكان الاسرائيلى إذا أغترف صار ماء، و إذا اغترف القبطى كان دماً، حتى ان المرأة القبطية تقول للمرأة الاسرائيلية مجِّى من فيک

---

(3) اللسان (نكث) (زأد) و تفسير الطبرى 13/ 53. (النكائث) آخر ما عند العيس من قوة على السير، و (الزؤد) الفزع. و خرقاء صفة للناقة التى لا تتعهد مواضع قوائمها لحدة فيها.
(4) تفسير الطبرى 13/ 54.
(5) ديوانه: 154 و اللسان (قمل) و تفسير الطبرى 13/ 56 و هو من قصيدته التى قالها لكسرى.
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 522
فى فمى فإذا فعلت ذلک تحول دماً، و قال زيد بن أسلم: الذى سلط اللَّه عليهم، كان الرعاف.
و قوله «آياتٍ مُفَصَّلاتٍ» نصب على الحال، قال مجاهد: معجزات مبينات ظاهرات و أدلة واضحات. و قال غيره: لأنها كانت تجىء شيئاً بعد شىء، و قيل: إنها كانت تمكث من السبت الى السبت، ثم ترفع شهراً- فى قول ابن جريج-.
قوله «فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ» معناه إنهم مع مشاهدتهم لهذه الآيات العظيمة و المعجزات الظاهرة، أنفوا من الحق و تكبروا عن الإذعان و الانقياد له، و كانوا قوماً عصاة مرتكبين للاجرام و الآثام.

وَ لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قالُوا يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائِيلَ (134) فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلى أَجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ (135)
آيتان.
(لما) للماضى مثل (لو). و (إذا) للمستقبل مثل (أن) و إن دخلت على الماضي.
أخبر اللّه تعالى عن هؤلاء القوم أنه حين وقع عليهم الرجز ... و هو العذاب- فى قول الحسن و مجاهد و قتادة و ابن زيد و فى قول سعيد بن جبير:
هو الطاعون و قال قوم هو الثلج و لم يكن وقع قبل ذلک، و أصل الرجز الميل عن الحق، و منه قوله تعالى «وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ» «1» يعنى عبادة الوثن، و العذاب رجز، لأنه عقوبة على الميل عن الحق، و منه الرجازة ما يعدل به الحمل إذا مال، و الرجازة أيضاً صوف أحمر يزيَّن به الهودج، لأنه كالرجازة

---

(1) سورة 74 المدَّثر آية 5.

التى هى تقويم له إذا مال، و الرجز: رعدة فى رجل الناقة لداء يلحقها يعدل بها عن حق سيرها، و الرجز ضرب من الشعر أخذ من رجز الناقة، لأنه متحرک و ساكن ثم متحرک و ساكن فى كل أجزائه، فهو كالرعدة فى رجل الناقة، يتحرک بها، ثم يسكن، ثم يستمر على ذلک.
و قوله «قالُوا يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ» حكاية لمسألة قوم فرعون لموسى أن يدعو اللّه لهم بما عهد عند موسى، و العهد التقدم فى الأمر فمنه العهد الوصية، و العهود الوثائق و الشروط. و العهد مطر بعد مطر قد عهد قبله. و المعاهد المعاقد على الذمة، و التعاهد التقدم فى تفقد الشىء و كذلک التعهد و قيل فى معنى «بِما عَهِدَ عِنْدَكَ» قولان:
أحدهما- بما تقدم اليک به و علمک أن تدعوه به فإنه يجيبک كما أجابک فى آياتک.
الثانى- بما عهد عندک من العهد على معنى القسم.
و قوله «فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلى أَجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ» فيه إخبار من اللّه تعالى أنه لما كشف عنهم العذاب عند ذلک و أخرهم الى أجل هم بالغوه يعنى أجل الموت «إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ» و انهم عند ذلک نكثوا ما قالوه و لم يفوا بشىء منه.
و العامل فى (إذا) «ينكثون»، و ليست (إذا) هذه (إذا) المضافة الى جملة،

بل هى بمنزلة- هناک- و هى المکتفية بالاسم، و لو قال (إذا النکث) صح الکلام، کما تقول: خرجت فإذا زيد. و معنى (إذا) المفاجأة و فيه وقوع خلاف المتوقع منهم، لأنه أتى منهم نقض العهد بدلًا من الوفاء، فکأنه فاجأ الرأى عجب من نکثهم، و البلوغ منتهى المرور، و مثله الوصول، غير أن فى الوصول معنى الاتصال، و ليس کذلک البلوغ. و الانتهاء نقيض الابتداء فى کل شىء، و إن لم يکن فيه معنى المرور. و النکث نقض العهد الذى يلزم الوفاء به، و مثله الغدر، إلا أن (الغدر) فيما عقد من الايمان على النفس، و لذلک جاء فى نقض الغزل فى قوله تعالى «کَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَها التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 524
مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْکاثاً»
«1» و أصله النکاثة و هى تشعيب الشىء من حبل أو غيره.
و انتکث الشىء إذا تشعب و النکيثة نقض العهد، و جواب (لما) (إذا) و مثله قوله «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ» «2» و لا يجوز أن يجاب بعد (إذ)، لأنها لوقت الماضى و الجواب بعد الأول، يقتضى الاستقبال، و لذلک صلحت فيه الفاء و لم يصلح الواو، و حرف الجزاء يقلب الفعل دون الوقت.

فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ فِى الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ كانُوا عَنْها غافِلِينَ (136)

آية بلا خلاف.

أخبر اللّه تعالى فى هذه الآية أنه بعد أن أظهر الآيات التى مضى ذكرها و فزع قوم فرعون الى موسى ليسأل اللّه أن يرفع عنهم العذاب، فإنهم إذا رفع عنهم ذلک آمنوا، ففعل موسى، و رفع اللّه عنهم ذلک، و لم يؤمنوا و نكثوا ما عهدوا به من القول و أنه انتقم منهم، و معناه سلب نعمهم بانزال العذاب عليهم و حلول العقاب بهم.

و قوله «فَأَغْرَقْناهُمْ فِى الْيَمِّ» فالاغراق فى الأمر أو النزع، فهو مشبه بالاغراق فى الماء. و «اليم» البحر فى قول الحسن و جميع أهل العلم- قال ذو الرمة:

دوّيّة و دجى ليل كأنهما يمٌّ تواطن فى حافاته الروم «3»

و قال الراجز:

كبازخ اليم سقاه اليم «4»

---

(1) سورة 16 النحل آية 92.

(2) سورة 30 الروم آية 36.

(3) ديوانه: 576 و تفسير الطبرى 13/ 74.

(4) قائله العجاج ديوانه: 63 و مجاز القرآن 1/ 277 و تفسير الطبرى 13/ 75.

و قوله تعالى «بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا» معناه إنا فعلنا بهم ذلک جزاء بما كذبوا من آيات اللّه و حججه و براهينه الدالة على نبوة موسى و صدقه «وَ كانُوا عَنْها غافِلِينَ» معناه أنهم أنزل عليهم العذاب و كانوا غافلين عن نزول ذلک بهم.

و الغفلة حال تعترى النفس تنافى الفطنة و اليقظة تقول: غفل يغفل غفولا، و غفلا و غفلة، و تغافل تغافلًا و أغفل الأمر إغفالًا، و استغفله استغفالا، و اغتفله اغتفالا و تغفل تغفلا، و غفله تغفيلا و هو مغفل.

فإن قيل كيف جاء الوعيد على الغفلة، و ليست من فعل البشر؟! قلنا عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها- أنهم تعرضوا لها حتى صاروا، لا يفطنون بها.

الثانى- أن الوعيد على الاعراض عن الآيات حتى صاروا كالغافلين عنها.

الثالث- أن المعنى و كانوا عن النعمة غافلين و دل عليه (انتقمنا).

وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا فِيها وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا وَ دَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ (137)

آية فى الكوفى و البصرى، و فى المدنيين آيتان آخر الاولى «بنى إسرائيل» قرأ ابن عامر و أبو بكر عن عاصم «يعرشون» بضم الراء. الباقون بكسرها، و هما لغتان فصيحتان: الكسر و الضم، و الكسر أفصح.

أخبر اللّه تعالى فى هذه الآية أنه أورث الأرض مشارقها و مغاربها الذين استضعفوا فى يدى فرعون و قومه. و إنما أورثهم بأن أهلك من كان فيها و مكن هؤلاء، و حكم بأن لهم أن يتصرفوا فيها على ما أباحه اللّه تعالى لهم.

و الاستضعاف طلب الضعف بالاستطالة و القهر. و قد استعمال استضعفته بمعنى التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 526

وجدته ضعيفاً بامتحانى إياه، كأنه قال طلبت حال ضعفه بمحنته، فوجدته ضعيفاً. و قوله «بارَكْنا فِيها» يعنى بإخراج الزروع و الثمار و سائر صنوف النبات و الأشجار الى غير ذلک من العيون و الأنهار و ضروب المنافع للعباد.

و قيل «بارَكْنا فِيها» بالخصب الذى حصل فيها.

و مشارق الأرض و مغاربها يريد جهات المشرق بها و المغرب. و قال الحسن هى أرض الشام و مصر. و قال قتادة هى أرض الشام. و قال أبو على: هى أرض مصر. و قال الزجاج: كان من بنى إسرائيل داود و سليمان ملكا جميع الأرض.

و قوله «وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ» يعنى صح كلامه بإنجاز الوعد الذى تقدم باهلاک عدوهم، و استخلافهم فى الأرض، و إنما كان الانجاز تمام للكلام لتمام النعمة به. و قيل كلمته الحسنى هى قوله تعالى «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ، وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ». و إنما قيل الحسنى، و إن كانت كلمات اللّه كلها حسنة، لأنه وعد بما يحبون.

و انتصب قوله تعالى «مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا» لأحد أمرين:

أحدهما- بأنه مفعول (أورثنا) كقولک: أورثه المال.

الثانى- بأنه ظرف كأنه قال: أورثتهم الأرض التى باركنا فيها فى مشارقها و مغاربها، و الأول أظهر.

و قوله «وَ دَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ» معناه أهلكنا ما كان عمله فرعون و قومه مما كانوا يستعبدونهم و يسعون فى افساد أمر موسى و يستعينون به فى أمرهم «وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ» معناه ما كانوا يبنونه من

الأبنية و القصور- فى قول ابن عباس و مجاهد. و قال الحسن: هو تعريش الكرم. و قال أبو على: تعريش الشجر و الأبنية. و أصل التعريش الرفع، قال أبو عبيدة التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 527
«يَعْرِشُونَ» معناه يبنون، و (العرش) فى هذا الموضع البناء، يقال: عروش مكة أى بناؤها، و قال أبو الحسن: هما لغتان، و مثله نبطِش و نبطُش و نحشِر و نحشُر، فى أمثال ذلک.

وَ جاوَزْنا بِبَنِی إِسْرائِیلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلی قَوْمٍ یَعْکُفُونَ عَلی أَصْنامٍ لَهُمْ قالُوا یا مُوسَی اجْعَلْ لَنا إِلهاً کَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّکُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138)
آیة بلا خلاف.
قرأ حمزة و الکسائی و خلف یعکفون- بکسر الکاف- الباقون بضمها و هما لغتان، و مثله یفسقون- بکسر السین- و الضم، فی أمثال ذلک.
المجاوزة الإخراج عن الحد یقال: جاوز الوادی جوازاً إذا قطعه و خلَّفه وراءه و تقول: جاز یجوز جوازاً، و أجازه إجازة، و جاوزه مجاوزة، و تجاوز تجاوزاً، و اجتاز اجتیازاً، و تجوَّز تجوزاً، و جوَّزه تجویزاً، و استجاز استجازة. و البحر الواسع العظیم السعة من مستقر الماء مما هو أعظم من کل نهر، و أصله السعة، و منه البحیرة التی یبحر أذنها أی توسع شقتها، و تبحر فی العلم: إذا اتسع فیه، و قوی تصرفه به.
أخبر اللّه تعالی فی هذه الآیة أنه حین أجاز قوم موسی و قطع بهم البحر و أنجاهم من العدو و أغرق عدوهم فرعون و قومه، و أنهم بلغوا الی قوم عاکفین علی أصنام لهم- و معنی (العکوف) اللزوم للأمر بالإقبال علیه و المراعاة له تقول: عکف عکوفاً و اعتکف اعتکافاً، و منه الاعتکاف لزوم المسجد للعبادة فیه، و عکف علیه أی واظب علیه- و أنه لمَّا رأی قوم موسی أولئک العاکفین علی أصنامهم و الملازمین لها دعاهم جبلتهم الی التشبیه بعبادة الأوثان، لما فی طبع الإنسان من الحکایة- أن قالوا لموسی:
اجعل لنا إلهاً کما لهم آلهة. التبیان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 528
و فی طبع کل حیوان الحکایة، و أقوی الحیوان طبعاً فی الحکایة القرد، و له حکایات عجیبة، و هذا الطلب منهم یدل علی جهل عظیم من بنی إسرائیل بعد ما رأوا الآیات التی توالت علی فرعون و قومه حتی غرَّقهم اللّه فی البحر بکفرهم بعد ما نجَّا بنی إسرائیل، فلم یردعهم ذلک عن أن قالوا لموسی (ع) «اجْعَلْ لَنا إِلهاً کَما لَهُمْ آلِهَةٌ» و توهمهم أنه یجوز عبادة غیر اللّه، و إن اعتقدوا أنه لا یشبه الأشیاء و لا تشبهه، و لا یدل طلبهم ذلک علی أنهم مشبهة، لما قلناه.
و قوله تعالی «إِنَّکُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» حکایة عما أجابهم به موسی (ع) فقال لهم: إنکم قوم تجهلون مَن المستحق للعبادة و ما الذی یجوز أن یتقرب به الی اللّه تعالی، و یحتمل أن یکون أراد تجهلون من صفات اللّه ما یجوز علیه و ما لا یجوز.

إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (139)
آية بلا خلاف.
في هذه الآية حكاية عما قال موسى (ع) لقومه حين سألوه أن يجعل لهم إلهاً بعد أن قال لهم «إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» ما يجوز أن يعبد و ما لا يجوز و أنه أخبرهم «إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ» يشير فيه الى العابد و المعبود من الأصنام و معناه مهلك، فالمتبر المهلك المدمر عليه، و التبار الهلاك، و منه قوله تعالى «وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَباراً» «1» و منه التبر للذهب سمى بذلك لأمرين: أحدهما- أن معدنه مهلكة، و قال الزجاج: يقال لكل أناء متكسر متبر، و كسارته تبره.
و قوله تعالى «وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» فالبطلان انتفاء المعنى بعدمه،

---

(1) سورة 71 نوح آية 28.

و بأنه لا يصح فى عدم و لا وجود. و المعنى فى بطلان عملهم أنه لا يعود عليهم بنفع و لا يدفع ضرر، فكأنه بمنزلة ما لم يكن من هذا الوجه. و العمل إحداث ما به يكون الشىء على نقيض ما كان، و هو على ضربين: أحدهما- إحداث المعمول. و الآخر- إحداث ما يتغير به.
و (هؤلاء) أصله أولاء ادخلت عليه (هاء) التنبيه، و هو مبنى لتضمنه معنى الاشارة المعرفة، و هو مع ذلك مستبهم استبهام الحروف، إذا هو مفتقر فى البيان عن معناه الى غيره.

قالَ أَ غَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلهاً وَ هُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ (140)
آية فى هذه الآية إخبار أيضاً عما قال موسى لقومه بعد إزرائه على الأصنام و على من كان يعبدها و أن ما يفعلونه باطل مهلک: أ أطلب غير اللّه لكم إلهاً؟! قاله على وجه الإنكار عليهم و إن كان بلفظ الاستفهام، فنصب «أغير اللّه» على أنه مفعول به، و نصب (إلهاً) على أحد شيئين:
أحدهما- كأنه قال أ أطلب لكم غير اللّه تعالى معبوداً؟!.
و الثانى- أن يكون نصب إلهاً على أنه مفعول به، و نصب (غير) على الحال التى لو تأخرت كانت صفة.
و (بغى) يتعدى الى مفعولين، و طلب يتعدى الى مفعول واحد، لأن معنى بغى أعطى: بغاه الخير أعطاه الخير، و ليس كذلک طلب، لأنه غير مضمن بالمطلوب، و قد يجوز أن يكون بمعنى أبغى لكم.
و قوله «وَ هُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال الحسن و أبو على و غيرهما: يريد على عالمى زمانهم.
الثانى- معناه خصكم بفضائل من النعم بالآيات التى آتاكم، و إرسال التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 530
موسى و هارون، و هما رجلان منكم، و من إهلاک عدوكم بالتغريق فى البحر، و نجاتكم. و كل ذلک بمرأى و مستمع منكم. و الفرق بين التعظيم و التفضيل أن التفضيل يدل على فضل فى النفس، و هو زيادة على غيره، و ليس كذلک التعظيم، و لذلک جاز وصف اللّه تعالى بالتعظيم و لم يجز بالتفضيل.

وَ إِذْ أَنْجَيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُقَتِّلُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَ فِى ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (141)
آية.
قرأ ابن عامر (نجيناكم) على لفظ الماضى. الباقون «أنجيناكم» و قرأ نافع وحده «يَقتلون» بالتخفيف. الباقون بالتشديد. من شدد أراد التكثير. و من خفف، فلأنه يحتمل القلة و الكثرة.
و قد مضى تفسير مثل هذه الآية فى سورة البقرة «1» فلا وجه للتطويل بتفسيرها، و إنما نذكر جملها، فنقول: هذا خطاب لبقية بنى إسرائيل الذين كانوا فى زمن النبى (ص) فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بما أنعم على آبائهم و أسلافهم و اذكروا «إِذْ أَنْجَيْناكُمْ» من آل فرعون بمعنى خلصناكم لأن النجاة الخلاص مما يخاف الى رفعة من الحال، و أصله الارتفاع، فمنه النجا أى الارتفاع فى السير، و منه قوله «نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ» «2» أى نلقيك على نجوة من الأرض، و النجو كناية عن الحدث، لأنه كان يلقى بارتفاع من الأرض للابعاد به، و قد كان أيضاً يطلب به الانخفاض للابعاد به.
و الفرق بين (أنجيناكم) و بين (نجيناكم) أن ألف (أنجيناكم) للتعدية

---

(1) فى تفسير آية 49- 50 من سورة 2 البقرة، المجلد الأول ص 217- 231.
(2) سورة 10 يونس آية 92.

و تشديد [نجيناكم] يحتمل التعدية، و يحتمل التكثير.
و قوله تعالى «يَسُومُونَكُمْ» معناه يولونكم اكراها و يحملونكم إذلالا «سُوءَ الْعَذابِ» و أصل السوم مجاوزة الحدِّ فمنه السوم فى البيع، و هو تجاوز الحد فى السعر الى الزيادة، و السائمة من الإبل الراعية، لأنها تجاوزت حد الانبات للرعى، و منه فلان سيم الخسف أى ألزمه إكراهاً، و (السوء) مأخوذ من أنه يسوء النفس لنافرية لها. «يُقَتِّلُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ» معناه إن فرعون كان يقتل من تولد من بنى إسرائيل ذكراً و يستبقى الإناث للاستخدام.
و قوله تعالى «وَ فِى ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» فالمراد بالبلاء هاهنا النعمة و قد يكون بمعنى النقمة، و أصله المحنة، فتارة تكون المحنة بالنعمة، و أخرى بالنقمة، و بالخير تارة و بالشر أخرى.

وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَ قالَ مُوسى لِأَخِيهِ هارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَ لا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (142)

آية بلا خلاف.

قيل فى فائدة قوله «وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ» و لم يقل أربعين ليلة أقوال:

أحدها- أنه أراد شهراً و عشرة أيام متوالية. و قيل: إنه ذو العقدة و عشر من ذى الحجة. و لو قال أربعين ليلة لم يعلم أنه كان الابتداء أول الشهر، و لا أن الأيام كانت متوالية، و لا أن الشهر شهر بعينه، هذا قول الفراء، و هو معنى قول مجاهد و ابن جريج و مسروق و ابن عباس، و أكثر المفسرين.

الثانى- أن المعنى وعدناه ثلاثين ليلة يصوم فيها و يتفرد للعبادة بها.

ثم أتمت بعشر الى وقت المناجاة. و قيل فى العشر نزلت التوراة فلذلك أفردت بالذكر. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 532

الثالث-

قال أبو جعفر (ع) كان أول ما قال لهم: إنى أتأخر عنكم ثلاثين يوماً، ليسهل عليهم، ثم زاد عليهم عشراً، و ليس فى ذلک كذب، لأنه إذا تأخر عنهم أربعين ليلة، فقد تأخر ثلاثين قبلها.

و قال الحسن كان الموعد أربعين ليلة فى أصل الوعد، فقال فى البقرة «واعَدْنا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» «1» و فصله- هاهنا- على وجه التأكيد فقال ثلاثين ليلة و أتممناها بعشر.

و قوله تعالى «فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» و معناه فتم الميقات أربعين ليلة، و إنما قال ذلک مع أن ما تقدم دل على هذا العدد، لأنه لو لم يورد الجملة بعد التفصيل و هو الذى يسميه الكتاب الفذلكة، لظن قوله «وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ» أى كملنا الثلاثين بعشر حتى كملت ثلاثين، كما يقال: تممت العشرة بدرهمين و سلمتها اليه.

و قيل فى معنى قوله تعالى «واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً» ينفرد فيها للعبادة فى المكان الذى وقت له ثم أتم الأربعين.

و الفرق بين الميقات و الوقت أن الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الاعمال و الوقت وقت الشىء قدره مقدر أو لم يقدره، و لذلک قيل: مواقيت الحج و هى المواضع التى قدرت للإحرام بها.

و قوله تعالى «وَ قالَ مُوسى لِأَخِيهِ هارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَ لا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ» الذين يفسدون فى الأرض، و انما أمره بذلک مع أنه نبى مرسل، لأن الرياسة كانت لموسى (ع) على هارون و جميع أمته، و لم

يكن يجوز أن يقول هارون لموسى مثل ذلک. و قال أبو على: السبعون الذين اختارهم موسى للميقات كانوا معه فى هذا الخروج، و سمعوا كلام اللّه لموسى (ع) و كانوا شهدوا له بذلک.
و قوله «هارون» فى موضع جرّ، لأنه بدل من قوله (لأخيه) و إنما فتح لأنه لا ينصرف، و لو رفع على النداء كان جائزاً و لم يقرأ به أحد.

---

(1) سورة 2 البقرة آية 51.

وَ لَمَّا جاءَ مُوسى لِمِيقاتِنا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَرانِي وَ لكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)

آية بلا خلاف.

قرأ أهل الحجاز إلا عاصماً «دكاء» بالمد و الهمزة من غير تنوين- هاهنا و فى الكهف- وافقهم عاصم فى الكهف. الباقون «دكاً» منونة مقصورة فى الموضعين، قال أبو زيد: يقال: دككت على الميت التراب أدكه دكاً: إذا دفنته و أهلت عليه، و هما بمعنى واحد، و دككت الركية دكاً إذا دفنته، و دك الرجل فهو مدكوك إذا مرض، و قال أبو عبيدة «جعله دكاً» أى مندكاً، و الدَّك و الدَّكة مصدره، و ناقة دكاء ذاهبة السنام و الدك المستوى، و انشد للأغلب: هل غير عاد دكّ عاداً فانهدم و قال أبو الحسن: لما قال «جعله دكاً» فكأنه قال: دكه أى أراد جعله ذا دك، و يقال: دكاء جعلوها مثل الناقة الدكاء التى لا سنام لها. قال أبو على الفارسى: المضاف محذوف- على تقدير فى قول أبى الحسن، و فى التنزيل «وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً» «1» و قال «كَلَّا إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا» «2» و قال الرمانى: معنى دكاً مستويا بالأرض، يقال: دكه يدكه دكاً إذا سحقه سحقاً، و منه الدكة. و اندك السنام إذا لصق بالظهر.

و قال الزجاج: دكاً يعنى مدقوقاً مع الأرض، و الدكاء و الدكاوات الروابى

---

(1) سورة 69 الحاقة آية 14

(2) سورة 89 الفجر آية 21. [.....]

التى مع الأرض ناشزة عنها لا تبلغ أن تكون جبلًا. و قيل: إيه سباخ فى الأرض- فى قول الحسن و سفيان و أبى بكر الهذلى. و قال ابن عباس: صار تراباً، و قال حميد:

يدك أركان الجبال هزمه يخطر بالبيض الرقال بهمه «3»

و قيل فى معنى قراءة من قرأها ممدودة قولان:

أحدهما- انه شبَّه الجبل بالناقة التى لا سنام لها، فيقال لها: دكاء فكأنه قال فجعله مثل دكاء.

الثانى- فجعله أرضاً دكاء.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أن موسى (ع) لما جاء الى ميقات ربه و هو الموضع الذى وقته له، و كلَّمه اللَّه تعالى فيه سأل اللَّه تعالى أن يريه لينظر

اليه.
و اختلف المفسرون فى وجه مسألة موسى (ع) ذلک مع أن الرؤية بالحاسة لا تجوز عليه تعالى على ثلاثة أقوال:
أحدها- أنه سأل الرؤية لقومه حين، قالوا له «لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً» «4» بدلالة قوله «أَ تُهْلِکُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا» «5».
فإن قيل على هذا ينبغى أن يجوزوا أن يسأل اللّه تعالى هل هو جسم أم لا أو يسأله الصعود و النزول، و غير ذلک مما لا يجوز عليه؟!! قلنا عنه جوابان:
أحدهما- أنه يجوز ذلک إذا علم أن فى ورود الجواب من جهة اللّه مصلحة، و أنه أقرب الى زوال الشبهة عن القوم بأن ذلک لا يجوز عليه تعالى، كما جاز ذلک فى مسألة الرؤية. و قال الجبائى: إنهم سألوا اللّه تعالى قبل ذلک هل يجوز عليه تعالى النوم أم لا؟ و قالوا له: سل اللّه أن يبين لنا ذلک، فسأل اللّه تعالى ذلک، فأمره بأن يأخذ قدحين يملأ أحدهما ماء، و الآخر دهناً، ففعل

---

(3) تفسير الطبرى 13/ 100.
(4) سورة 2 البقرة آية 55.
(5) سورة 7 الاعراف آية 154.

و ألقى عليه النعاس، فضرب أحدهما على الآخر فانكسرا، فأوحى اللّه تعالى اليه أن لو جاز عليه تعالى النوم لاضطراب أمر العالم، كما اضطرب القدحان فى مدة حتى تكسرا.
الثانى- عن هذا السؤال أنه إنما يجوز أن يسأل اللّه ما يمكن أن يعلم صحته بالسمع، و ما يكون الشک فيه لا يمنع من العلم بصحة السمع، و إنما يمنع من ذلک سؤال الرؤية التى تقتضى الجسمية و التشبيه، لأن الشک فى الرؤية التى لا تقتضى التشبيه مثل الشک فى رؤية الضمائر و الاعتقادات، و ما لا يجوز عليه الرؤية، و ليس كذلک الشک فى كونه جسماً أو ما يتبع كونه جسماً من الصعود و النزول، لأن مع الشک فى كونه جسماً، لا يصح العلم بصحة السمع من حيث أن الجسم لا يجوز أن يكون غنياً و لا عالماً بجميع المعلومات، و كلاهما لا بد فيه من العلم بصحة السمع، فلذلک جاز أن يسأل الرؤية التى لا توجب التشبيه و لم يجز أن يسأل كونه جسماً، و ما أشبهه.
و الجواب الثانى- فى أصل المسألة: أنه سأل العلم الضرورى الذى يحصل فى الآخرة، و لا يكون فى الدنيا ليزول عنه الخواطر و الشبهات، و الرؤية تكون بمعنى العلم، كما تكون الإدراک بالبصر، كما قال «أَ لَمْ تَرَ کَيْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ» «1» و أمثاله. و للأنبياء أن يسألوا ما يزول عنهم الوساوس و الخواطر، كما سأل ابراهيم ربه «فقال رَبِّ أَرِنِى کَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى» «2» غير أنه سأل ما يطمئن قلبه الى ذلک و تزول عنه الخواطر و الوساوس، فبين اللّه تعالى له أن ذلک لا يكون فى الدنيا.

الثالث- أنه سأل آية من آيات الساعة التى يعلم معها العلم الذى لا يختلج فيه الشک كما يعلم فى الآخرة و هذا قريب من الثانى.
و قال الحسن و الربيع و السدى: إنه سأل الرؤية بالبصر على غير وجه التشبيه.

---

(1) سورة 105 الفيل آية 1.
(2) سورة 2 البقرة آية 260.

و قوله «لن ترانى» جواب من اللّه تعالى لموسى أنه لا يراه على الوجه الذى سأله، و ذلک دليل على أنه لا يرى لا فى الدنيا و لا فى الآخرة، لأن (لن) تنفى على وجه التأبيد، كما قال «وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً» «1» و هذا إنما يمكن أن يعتمده من قال بالجواب الأول، فأما من قال: انه سأل العلم الضرورى أو عالماً من أعلام الساعة لا يمكنه أن يعتمده، لأن ذلک يحصل فى الآخرة، فيجرى ذلک مجرى اختصاص الرؤية بالبصر على مذهب المخالف بحال الدنيا.
و قوله تعالى «فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِى» معناه إن استقر الجبل فى حال ما جعله دكاً متقطعاً فسوف ترانى، فلما كان ذلک محالًا لأن الشىء لا يكون متحركاً ساكناً فى حال واحدة، كانت الرؤية المتعلقة بذلک محالة، لأنه لا يعلق بالمحال إلا المحال.
و قوله «فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ» معناه ظهر بآياته التى أحدثها فى الجبل لحاضرى الجبل بأن «جَعَلَهُ دَكًّا». و قيل: إن اللّه تعالى أبرز من ملكوته ما تدكدک به إذ فى حكمه أن الدنيا لا تقوم لما يبرز من الملكوت الذى فى السموات، كما قيل: إنه ابرز الخنصر من العرش، و يجوز أن يكون المراد «فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ» لأهل الجبل، كما قال «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» «2» و التجلى هو الظهور، و يكون ذلک تارة بالرؤية، و أخرى بالدلالة، قال الشاعر:
تجلى لنا بالمشرفية و القنا و قد كان عن وقع الأسنة نائيا
و إنما أراد الشاعر أن تدبيره دل عليه حتى علم أنه المدبر لذلک و أن تدبيره صواب، فقال تجلى أى علم، و لم ير بالأبصار، و لا أدرک بالحواس، لأنه كان عن وقع الأسنة نائياً، و لكن استدل عليه بحسن تدبيره.
و قال قوم: معناه فلما تجلى بالجبل لموسى قالوا: و حروف الصفات تتعاقب فيكون (اللام) بمعنى (الباء). و قال قوم: لو أراد موسى الرؤية بالبصر لقال أرينک أو أرنى نفسک، و لا يجوز غير ذلک فى اللغة.

---

(1) سورة 62 الجمعة آية 6.
(2) سورة 12 يوسف آية 82.

و قوله «وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً» قيل فى معنى ذلک قولان:
أحدهما- قال ابن عباس و الحسن و ابن زيد و أبو على الجبائى: إنه وقع مغشياً عليه من غير أن يكون قد مات بدلالة قوله «فَلَمَّا أَفاقَ» و لا يقال للميت إذا عاش أفاق، و إنما يقال: عاش أو حيى، و قال قتادة: معناه مات.
و قوله «قالَ سُبْحانَکَ تُبْتُ إِلَيْکَ» قيل فى معنى توبته ثلاثة أقوال:
أحدها- أنه تاب، لأنه سأل قبل أن يؤذن له فى المسألة، و ليس للأنبياء ذلک.
الثانى- أنه تاب من صغيرة ذكرها.
الثالث- أنه قال ذلک على وجه الانقطاع اليه و الرجوع الى طاعته، و إن كان لم يعص، و هذا هو المعتمد عندنا دون الأولين، على أنه يقال لمن جوز الرؤية على اللَّه تعالى إذا كان موسى (ع) إنما سأل ما يجوز عليه فمن أى شىء تاب؟ فلا بد لهم من مثل ما قلناه من الأجوبة.
فإن قيل: كيف يجوز أن يكون تجويز الرؤية صغيراً مع أنه جهل باللَّه على مذهب من قال إنه كان ذلک صغيرة؟! قيل: لأنه إذا لم تكن الرؤية المطلوبة على وجه التشبيه جرى مجرى تجويزه أن تكون هذه الحركة من مقدورات اللَّه فى أنه لا يخرجه من أن يكون عارفاً به تعالى، و إنما شک فى الرؤية و الحركة.
و قوله «وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال الجبائى: أنا أول المؤمنين بأنه لا يراک شىء من خلقک فأنا أول المؤمنين من قومى باستعظام سؤال الرؤية.
الثانى- قال مجاهد: و أنا أول المؤمنين من بنى إسرائيل.

قالَ يا مُوسى إِنِّى اصْطَفَيْتُکَ عَلَى النَّاسِ بِرِسالاتِى وَ بِكَلامِى فَخُذْ ما آتَيْتُکَ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144)
آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 538
قرأ أهل الحجاز، و روح «برسالتى» على التوحيد. الباقون «برسالاتى» على الجمع. و الرسالة تجرى مجرى المصدر فتفرد فى موضع الجمع، و إن لم يكن المصدر من (أرسل) يدلک على أنه جار مجراه قول الأعشى:
ففادک بالخيل أرض العدو و جذعانها كلقيطة العجم «1»
فاعماله إياها إعمال المصدر بذلک على أنه يجرى مجراه، و المصدر قد يقع لفظ الواحد فيه و المراد به الكثرة، و كان المعنى على الجمع لأنه مرسل لضروب من الرسالة، و المصادر قد تجمع مثل الحلوم و الألباب. و قال تعالى «إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» «2» فجمع الأصوات لما أريد بها أجناس مختلفة صوت الحمار بعضها، فأفرد صوت الحمار، و إن كان المراد به الكثرة، لأنه صوت واحد.
أخبر اللّه تعالى فى هذه الآية أنه نادى موسى (ع) و قال له «يا مُوسى إِنِّى اصْطَفَيْتُکَ» و معنى الاصطفاء استخلاص الصفوة لما لها من الفضيلة. و الفضائل على وجوه كثيرة: أجلها قبول الأخلاق الكريمة و الأفعال الجميلة، و لهذا المعنى اصطفى موسى (ع) حتى استحق الرسالة، و أن يكلم بتلقين الحكمة.
و قوله تعالى «برسالاتى و بكلامى» فيه بيان ما به اصطفاه و هو أن جعله نبياً و خصه بكلامه بلا واسطة، و هما نعمتان عظيمتان منه تعالى عليه، فلذلک امتن بهما عليه، و إنما صار فى كلام الجليل نعمة على المكلم، لأنه كلمه بتعليم الحكمة من غير واسطة بينه و بين موسى، و من أخذ العلم عن العالم المعظم كان أجل رتبة، و لو كلم إنساناً بالانتهار و الاستخفاف، لكان نقمة عليه بالضد من تلک الحال.
و قوله تعالى «فَخُذْ ما آتَيْتُکَ» معناه تناول ما أعطيتک «وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» يعنى من المعترفين بنعمتى، و الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع القيام بحقها على حسب مرتبتها، فإذا كانت من أعظم النعم، وجب أن تقابل

---

(1) ديوانه: 30 القصيدة 3.
(2) سورة 31 لقمان آية 19.

بأعظم الشكر، و هو شكر العباد للّه وحده على وجه الإخلاص له.

وَ كَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْها بِقُوَّةٍ وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها سَأُرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ (145)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه كتب لموسى (ع) فى الألواح من كل شىء موعظة و تفصيلًا لكل شىء، و قال الجبائى: المكتوب فى الألواح التوراة، فيها اخبار الأمم الماضية، و فصل فيها الحرام و الحلال. و (الألواح) جمع لوح، و قال الزجاج: كانا لوحين فجمع، قال: و يجوز أن تكون ألواحاً جماعة، و اللوح صفيحة مهيأة للكتابة فيها، و قد يقال لوح فضة تشبيهاً باللوح من الخشب، و مثله لو عمل من حجر، و قال الحسن: و كانت الألواح من خشب نزلت من السماء، و معنى كتبنا له من كل شىء كتبنا اليه كل ما فى شرعه من حلال و حرام، و حسن و قبيح، و واجب و ندب، و غير ذلک مما يحتاجون الى معرفته. و قيل: كتب له التوراة فيها من كل شىء من الحكم و العبر.

و أصل اللوح اللمع يقال: لاح الامر يلوح، لوحا إذا لمع و تلألأ.

و التلويح تضمير، و لوَّحه السفر و العطش إذا غيَّره تغييراً تبين عليه أثره، لأن حاله يلوِّح بما نزل به، و اللوح الهواء، لأنه كاللامع فى هبوبه، و اللوح مأخوذ من أن المعانى تلوح بالكتابة فيه. و (الموعظة) التحذير بما يزجر عن القبيح و تبصر مواقع الخوف تقول: وعظه يعظه وعظاً و موعظة، و اتعظ اتعاظاً إذا قبل الوعظ.

و قوله «وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» يعنى تمييزاً لكل ما يحتاجون اليه.

و قوله «فَخُذْها بِقُوَّةٍ» قيل: معناه بجد و اجتهاد. و قيل: بصحة عزيمة،

و لو أخذه بضعف نية لأداه الى فتور العمل به.

و قوله «وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها» معناه يأخذوا بأحسن المحاسن، و هى الفرائض و النوافل، و أدونها فى الحسن المباح، لأنه لا يستحق عليه حمد و لا ثواب. و قال الجبائى: أحسنها الناسخ دون المنسوخ المنهى عنه، لأن العمل بهذا المنسوخ قبيح. و قال الزجاج: يأخذوا بأحسنها معناه بما هو حسن دون ما هو قبيح، و هذا تأويل بعيد، لأنه لا يقال فى الحسن أنه أحسن من القبيح. و يجوز أن يكون المراد بأحسنها حسنها، كما قال تعالى «وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» «1» و معناه هين. و يحتمل ان يكون أراد بأحسنها الى ما دونه من الحسن، ألا ترى أن استيفاء الدين حسن و تركه أحسن، و أما القصاص فى الجنايات فحسن و العفو أحسن و يكون ذلک على وجه الندب.

و قوله عز و جل «سَأُرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ» قال الحسن و مجاهد و الجبائى:

يعنى به جهنم، و المراد به فليكن منكم على ذكر لتحذروا أن تكونوا منهم، و قال قتادة: هى منازلهم أى لتعتبروا بها و بما صاروا اليه من النكال فيها.

سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ كانُوا عَنْها غافِلِينَ (146)

آية بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى و خلف «الرشد» بفتح الراء و الشين. الباقون بضم الراء و سكون الشين. و فرق بينهما أبو عمرو بن العلاء، فقال: الرشد- بضم الراء- الصلاح، كقوله «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً» «2» أي صلاحاً، لدفعه اليهم، و الرشد الاستقامة فى الدين، كقوله «عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً»

---

(1) سورة 30 الروم آية 27.

(2) سورة 4 النساء آية 5.

«3» و قال الكسائى: هما لغتان بمعنى واحد، مثل الحزْن و الحزَن، و السِقم و السَقم، و الرشد سلوك طريق الحق تقول: رشُد يرشد رشداً، و رشِد يرشد رشدا، و أرشده إرشادا، و استرشد استرشادا، و ضده الغى: غوى يغوى غياً و غواية، و أغواه إغواء، و استغواه استغواء.

و قال الجبائى و الرمانى: معنا «سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ» أى سأصرف عن آياتى من العز و الكرامة بالدلالة التى كسبت الرفعة فى الدنيا و الآخرة، و يجوز ان يكون معناه أى احكم عليهم بالانصراف و اسميهم بأنهم منصرفون عنها، لأنهم قد انصرفوا عنها، كما قال «ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» «4».

و يحتمل أن يكون المراد انى سأصرفهم عن التوراة و القرآن، و ما أوحى اللّه من كتبه بمعنى امنعهم من إفساده و تغييره و إبطاله، لأنه قال فى أول الآية «وَ كَتَبْنا لَهُ فِى الْأَلْواحِ» الى قوله تعالى «سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ» و يجوز أن يكون المراد «سأريهم آياتى» فينصرفون عنها و هم الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق، كما يقول القائل: سأحير فلانا أى اسأله عن شىء فيتحير عند مسألتى، و سأنجل فلانا أى أسأله ما ينجل عنده، و كذلك يقال: سأقطع فلانا بكلامى، و المراد انه سينقطع عند كلامى، و كل ذلك واضح بحمد اللّه.

و يجوز أن يكون المراد انهم لما عاندوا و تمردوا بعد لزوم الحجة عليهم و حضروا للتلبيس و الشغب على ما حكاه اللّه عنهم انهم قالوا «لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ» «5» صرفهم اللّه بلطفه عن الحضور كما كانوا يحضرونه، و يحتمل أن يكون المراد سأصرف عن جزاء آياتى.

و من زعم انه بمعنى سأصرف عن الايمان بآياتى فقد أخطأ، لأنه تعالى لا يأمر بالايمان ثم يمنع منه، لان حكمته تمنع من ذلک.
و الصرف نقل الشىء الى خلاف جهته، يقال: صرفه يصرفه صرفا،

---

(3) سورة 18 الكهف آية 67.
(4) سورة 9 التوبة آية 128.
(5) سورة 41 حم السجدة آية 26. [.....]

و صرَّفه تصريفا، و تصرف تصرفا، و صارفه مصارفة، و انصرف انصرافا.
و قوله تعالى «الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الْأَرْضِ» و التكبر اظهار كبر النفس على غيرها، و صفة متكبر صفة ذم فى جميع البشر، و هو مدح فى صفات اللَّه تعالى، لأنه يستحق اظهار الكبر على كل شىء سواه، لان ذلک حق، و هذا المعنى فى صفة غيره باطل، فمعنى الآية الاخبار من اللَّه انه يصرف عن ثواب آياته «الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق و ان يروا كل آية لا يؤمنوا بها» يعنى الذين إذا شاهدوا الحجج و البراهين لا ينقادون لها، و لا يصدِّقون بها «وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا» و معناه انهم متى رأوا سبيل الصلاح عدلوا عنه، و لم يتخذوه طريقا لهم بمعنى انهم لا يعملون بذلک «وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ ...» يعنى و ان يروا ضد الرشد من الكفر و الضلال سلكوه و ارتكبوا معصية اللَّه فى ذلک.
و قوله تعالى «ذلِکَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا» يحتمل ذلک أن يكون فى موضع رفع أى أمرهم ذلک، و يحتمل ان يكون نصبا أى فعلنا بهم ذلک، لأنهم تكبروا و كذبوا، و معناه: أفعل ذلک بهم، يعنى صرفى لهم عن ثواب الآيات الجزيل و المنزلة الجليلة.
و من قال من المجبرة: ان اللَّه تعالى يصرفه عن الايمان قوله باطل، لأنه تعالى لا يجوز ان يصرف أحدا عن الايمان، لأنه لو صرفه عنه ثم أمره به لكان كلفه ما لا يطيقه، و ذلک لا يجوز عليه تعالى. و أيضا فان اللَّه تعالى بين انه يصرفهم عن ذلک فى المستقبل، جزاء لهم على كفرهم الذى كفروا، فكيف يكون ذلک صرفا عن الايمان!! و قيل: إن معنى الآية أى سأصرف عن آياتى، و لا أظهرها لهم كما أظهرتها للمؤمنين، و يريد بذلک المعجزات الباهرات، لعلمى بأن إظهارها مفسدة لهم يزدادون عندها كفرا، تبين ذلک فى قوله تعالى «وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا».
و قيل: معناه سأصرف عن إبطالها و الطعن فيها بما أظهره من حججها، كما يقال: سأمنعک من فلان أى من أذاه، ذكره البلخى.

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ لِقاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (147)
آية بلا خلاف.
هذا إخبار من اللَّه تعالى أن الذين كذبوا بآياته، و جحدوا البعث و النشور فى الآخرة. و هى الكرة الثانية، لأنه حقيق على من عرف النشأة الأولى ألا ينكر النشأة الأخرى، لأن الذى قدر على الأولى، فهو على الثانية أقدر، كما أن من بنى دارا ابتداء، فهو على إعادتها أقدر.
و أصل اللقاء التقاء الحدين. ثم يحمل عليه الإدراك، فيقال لما أدركه: لقيه، فهؤلاء كذبوا بإدراك الآخرة استبعاداً لكونها.
و قوله «حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ» إخبار من اللَّه تعالى أن من كذب بآياته و جحد البعث و النشور تنحبط أعماله، لأنها تقع على خلاف الوجه الذى يستحق بها المدح و الثواب فيصير وجودها و عدمها سواء، و الحبوط سقوط العمل حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل.
و أصل الإحباط الفساد مشتق من الحبط، و هو داء يأخذ البعير فى بطنه من فساد الكلأ عليه، يقال: حبطت الإبل تحبط: إذا أصابها ذلك، و إذا عمل الإنسان عملا على خلاف الوجه الذى أمر به يقال: أحبطه، بمنزلة من يعمل شيئاً ثم يفسده.
و قوله «هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ» أى به، و صورته صورة الاستفهام و المراد به الإنكار و التوبيخ، و المعنى ليس يجزون إلا ما كانوا يعملون إن خيراً فخيراً و إن شراً فشراً.

وَ اِتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَ لا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَ كانُوا ظالِمِينَ (148)
آية بلا خلاف.
قرأ حمزة و الكسائى «من حِلِيّهم»- بكسر الحاء و اللام- الباقون بضم الحاء و كسر اللام و تشديد الياء، و قرأ يعقوب بفتح الحاء و سكون اللام، و تخفيف الياء، فوجه قراءة يعقوب أن (الحلى) اسم جنس يقع على القليل و الكثير. و من قرأ بضم الحاء، فلأنه جمع (حلى) نحو ثِدِيّ و ثَدْى، و إنما جمعه لأنه أضافه الى جمع.
و من قرأ بكسر الحاء أتبع الكسرة الكسرة، و كره الخروج من الضمة الى الكسرة، و أجراه مجرى (قسى) جمع (قوس).
أخبر اللّه تعالى عن قوم موسى أنهم اتخذوا من بعد مفارقة موسى لهم و مضيّه الى ميقات ربه من حليهم، و معنى الاتخاذ الاعداد، و هو (افتعال) من الأخذ و أصله يتخذ إلا أن الياء تقلب فى (افتعل) و تدغم لأنها فى موضع ثقيل فى كلمة واحدة، و لا يجوز فى مثل (أحسن نوماً) الإدغام، و الاتخاذ اجتباء الشىء لأمر من الأمور، فهؤلاء اتخذوا العجل للعبادة، و الحلى ما أتخذ للزينة من الذهب و الفضة، يقال: حلى بعينى يحلا، و حلا فى فمى يحلو حلاوة، و حليت الرجل تحلية إذا وضعته بما يرى منه. و قد تحلى بكذا أى تحسن به، و العجل ولد البقرة القريب العهد بالولادة، و هو العجول أيضاً، و إنما أخذ من تعجيل أمره لصغره.
و قيل: إنهم عملوا العجل من الذهب، و قوله «جَسَداً لَهُ خُوارٌ» فالجسد جسم الحيوان مثل البدن، و هو روح و جسد، و الروح ما لطف، التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 545
و الجسد ما غلظ، و الجسم يقع على جسد الحيوان و غيره من الجمادات، و الخوار صوت الثور، و هو صوت غليظ كالجؤار، و بناء (فعال) يدل على الآفة نحو الصراخ، و العوار و السكات و العطاش و النباح. و فى كيفية خوار العجل مع أنه مصوغ من الذهب خلاف، فقال الحسن: قبض السامرى قبضة من تراب من أثر فرس جبرائيل (ع) يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب فى فم العجل، فتحول لحماً و دماً، و كان ذلك معتاداً غير خارق للعادة، و جاز أن يفعل اللّه لمجرى العادة. و قال الجبائى و البلخى: إنما احتال بإدخال الريح فيه حتى سمع له كالخوار، كما قد يحتال قوم اليوم كذلك.
ثم أخبر تعالى فقال «أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَ لا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا» على وجه الإنكار عليهم و التعجب من جهلهم و بعد تصورهم، فقال: كيف يعبدون هذا العجل، و هم يشاهدونه، و لا يكلمهم و لا يتأتى منه ذلك، و لا يهديهم الى

سبیل خیر. ثم قال «اتَّخَذُوهُ» إلهاً «وَ کانُوا ظالِمِینَ» فی اتخاذهم له إلهاً واضعین للعبادة فی غیر موضعها.
و الحلی الذی صاغ السامری منه العجل کانوا أصابوه من حلی آل فرعون قذفه البحر، فقال السامری ل (هارون): إن هذا حرام کله و ینبغی أن نحرقه کله أو نصرفه فی وجه المصلحة، فأمر هارون بجمع ذلک کله، و أخذه السامری لأنه کان مطاعاً فیهم، فصاغه عجلًا و کان صائغاً، و طرحه فی النار و طرح معه التراب الذی معه.

وَ لَمَّا سُقِطَ فِی أَیْدِیهِمْ وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قالُوا لَئِنْ لَمْ یَرْحَمْنا رَبُّنا وَ یَغْفِرْ لَنا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِینَ (149)
آیة.
قرأ أهل الکوفة إلا عاصماً «لئن لم ترحمنا» بالتاء «ربنا» بالنصب على النداء. الباقون بالیاء «ربنا» بالرفع على الخبر. التبیان فی تفسیر القرآن، ج4، ص: 546
و معنى قوله «سُقِطَ فِی أَیْدِیهِمْ» وقع البلاء فی أیدیهم أی وجدوه وجدان من یده فیه، یقال: ذلک للنادم عند ما یجده مما کان خفی علیه، و یقال أیضاً:
سقط فی یدیه أی صار الذی کان یضربه فی یدیه.
و معنى قوله «وَ رَأَوْا» علموا «أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا» و تبینوا بطلان ما کانوا علیه من عبادة العجل و الکفر و الضلال، لأن ما تعلق به الرؤیة، لا یجوز أن یکون مدرکاً بالبصر، و هو معنى الجملة، و إنما یصح أن یعلم و أن یدخل على الجملة، و هی فی تقدیر المفرد، و متى ظهر فساد الاعتقاد، فلا بد أن یندم صاحبه علیه، لأنه لا معنى للاقامة علیه مع توافر الدواعی الى خلافه، کما أنه لا معنى أن یکذب على نفسه مع علمه بکذبه، غیر أنه مع ظهور الضلالة لهم لم یکونوا ملجئین الى الندم، لأن الإلجاء یقع إما بالعلم بالمنع أو تخوف من المضرة العاجلة أو النفع العظیم العاجل الذی مثله یلجئ، و لم یکن القوم على واحد من الأمرین، لأنهم کانوا مکلفین للندم.
و فی الآیة دلالة على بطلان قول من یقول لا محجوج الا عارف، لأن اللَّه وصفهم بأنهم سقط فی أیدیهم عند ما رأوا من ضلالهم، فدل على أنهم کانوا محجوجین فی ترک الضلال الذی إن لم یغفر لهم هلکوا.
و قوله «لَئِنْ لَمْ یَرْحَمْنا رَبُّنا وَ یَغْفِرْ لَنا» أخبار عمَّا قال القوم حین تبینوا ضلالهم و سقط فی أیدیهم و التجائهم الى اللَّه و اعترافهم بأنه ان لم یغفر لهم ربهم و یتغمدهم بمغفرته یکونوا من جملة الخاسرین الذین خسروا أنفسهم بما یستحقونه من العقاب الدائم.
و قال الحسن: کلهم عبدوا العجل إلا هارون بدلالة قول موسى «رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِأَخِی» «1» و لو کان هناک مؤمن غیرهما لدعا له، و قال الجبائی:
إنما عبد بعضهم بدلالة ما ورد من الاخبار عن النبی (ص) فیما روى عنه فی هذا المعنى.

---

(1) آیة 150 من سورة الاعراف.

وَ لَمَّا رَجَعَ مُوسى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قالَ بِئْسَما خَلَفْتُمُونِى مِنْ بَعْدِى أَ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَ أَلْقَى الْأَلْواحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَ كادُوا يَقْتُلُونَنِى فَلا تُشْمِتْ بِىَ الْأَعْداءَ وَ لا تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (150)

آية بلَا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى و أبو بكر و ابن عامر «ابن أم» بكسر الميم.

الباقون بالفتح و القراء كلهم على «تُشمِت» بضم التاء. و قرأ حميد الأعرج، و مجاهد «لا تَشمت» بفتح التاء. و اللغة الفصيحة بضم التاء من (أشمت) و قد ذكر: شمت يَشمت، و أشمت يُشمت.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أن موسى حين رجع من مناجاة ربه رجع غضبان آسفاً، لما رأى من عكوف قومه على عبادة العجل. و الغضب معنى يدعو الى الانتقام على ما سلف و هو يضادُّ الرضا، يقال: غضب غضباً و أغضبه إغضاباً و غاضبه مغاضبة و تغضب تغضباً، و الأسف الغضب الذى فيه تأسف على فوت ما سلف. و قال ابن عباس: أسفاً يعنى حزيناً، و قال أبو الدرداء:

معناه شديد الغضب بدلالة قوله تعالى «فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا»»

و معناه أغضبونا كغضب المتحسر فى الشدة، و هو مجاز فى الصفة.

و قوله تعالى «بِئْسَما خَلَفْتُمُونِى مِنْ بَعْدِى» معناه بئس ما عملتم خلفى، يقال: خلفه بما يكره و خلفه بما يحب إذا عمل خلفه ذلك العمل يقال: خلف خلفاً، و أخلف إخلافاً، و خالفة مخالفة، و اختلف اختلافاً، و استخلف استخلافاً

---

(1) سورة 43 الزخرف آية 55.

و تخلّف تخلفا، و خلف تخليفا، و تخالفا تخالفاً.

و قوله «أَ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ» قال الجبائى معناه أ عجلتم منه ما وعدكم من ثوابه و رحمته، فلما لم تروه فعل بكم ذلك كفرتم، و استبدلتم به عبادة العجل، و العجلة التقدم بالشىء، قبل وقته، و السرعة عمله فى أول وقته، و لذلك صارت العجلة مذمومة، و السرعة محمودة و يقال: عجلته أى سبقته و أعجلته استحثثته.

و قوله «وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الجبائى: إنما هو كقبض الرجل منا على لحيته و عضه على شفته أو إبهامه، فأجرى موسى هارون مجرى نفسه، فقبض على لحيته، كما يقبض على لحية نفسه اختصاصاً. و قال أبو بكر بن الإخشيد: إن هذا أمر

يتغير بالعادة و يجوز أن تكون العادة فى ذلک الوقت أنه إذا أراد الإنسان أن يعاتب غيره لا على وجه الهوان أخذ بلحيته و جره اليه ثم تغيرت العادة الآن و قال: انما أخذ برأسه ليسر اليه شيئاً أراده. و قال «يا بن أم» حكاية عما قال هارون لموسى حين أخذ برأسه خوفاً من أن يدخل الشبهة على جهال قومه، فيظنون أن موسى فعل ذلک على وجه الاستخفاف به و الإنكار عليه «يا ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَ كادُوا يَقْتُلُونَنِى».
و من فتح ميم (أم) تحتمل قراءته أمرين:
أحدهما- أنه بنى لكثرة اصطحاب هذين حتى صار بمنزلة اسم واحد مع قوة النداء على التغيير نحو خمسة عشر.
الثانى- أنه على حذف الألف المبدلة من ياء الاضافة، كما قال الشاعر:
يا بنية عما لا تلومى و اهجعى «1»
و القياس يا بن أمى، و من كسر الميم اضافه الى نفسه بعد أن جعله اسماً واحداً، و من العرب من يثبت الياء كما قال الشاعر:

_____

(1) سيأتى فى 5: 561 من هذا الكتاب و هو فى اللسان (عم).

يا بن أمى و يا شقيق نفسى أنت خليتنى لدهر شديد «2»
و قال الآخر:
يا بن أمى و لو شهدتک إذ تدعو تميماً و أنت غير مجاب «3»
و قال الحسن: كان أخاه لأبيه و أمه، و العرب تقول ذلک على وجه الاستعطاف بالرحم.
و قوله «فَلا تُشْمِتْ بِىَ الْأَعْداءَ» فالشماتة سرور العدو بسوء العاقبة تقول: شمت به شماتة و أشمته إشماتاً إذا عرضته لتلک الحال.
و قوله «وَ أَلْقَى الْأَلْواحَ» يعنى رماها. و قال مجاهد: كانت من زمرد أخضر.
و قال سعيد بن جبير: كانت من ياقوت أحمر، و قال أبو العالية:
كانت من زبرجد، و قال الحسن: كانت من خشب.
و قوله «وَ لا تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» سؤال من هارون لموسى ألا يشمت به عدوه و لا يجعله فى جملة القوم الظالمين لبراءة ساحته مما فعل قومه، فلما ظهر لموسى براءة ساحة هارون بأن له عذراً، عذره فى المقام بينهم من خوفه على نفسه قال عند ذلک «رَبِّ اغْفِرْ لِى وَ لِأَخِى».

قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِأَخِی وَ أَدْخِلْنا فِی رَحْمَتِکَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِینَ (151)
آية بلا خلاف.
فى هذه الآية حكاية عن دعاء موسى (ع) ربه عز و جل- حين تبين له

---

(2) قائله أبو زبيد آمالى الزبيدى 9 و جمهر اشعار العرب 139 و اللسان (شقق) و تفسير الطبرى 13/ 129 و قد روى (كنود) بدل (شديد).
(3) قائله غلفاء ابن الحارث، و هو معديكرب بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرارة الكندى و هو عم امرئ القيس، و سمى (غلفاء) لأنه كان يغلف رأسه بالمسک. أنظر الأغانى 12/ 213 و تفسير الطبرى 13/ 130.

ما نبهه عليه هارون من خوف التهمة، و دخول الشبهة عليهم بجره رأسه اليه- بأن يغفر له و لأخيه، و أن يدخلهما رحمته، و المقتضى لهذا الدعاء بالمغفرة قيل فيه قولان:
أحدهما- ما أظهره من الموجدة على هارون و هو برىء مما يوجب العتب عليه، لأنه لم يكن منه تقصير فى الإنكار على من عبد العجل، لأنه بلغ معهم من الإنكار الى أن همُّوا بقتله لشدة إنكاره، و لذلک قال «إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِی وَ کادُوا یَقْتُلُونَنِی».
و الثانى- قال أبو على: إنه بين بذلک لبنى إسرائيل أنه لم يأخذ برأسه على جهة الغضب عليه، و إنما فعل ذلک كما يفعله الإنسان بنفسه عند شدة غضبه على غيره، و لم يكن منه فى تلک الحال معصية.
و كان هذا الدعاء من موسى انقطاعاً منه الى اللَّه تعالى، و تقرباً اليه لا أنه كان وقع منه أو من أخيه قبيح صغير أو كبير يحتاج أن يستغفر منه، و من قال: إنه استغفر من صغيرة كانت منه أو من أخيه، فقد أخطأ. و يقال له: الصغيرة على مذهبكم تقع مكفرة محبطة، فلا معنى لسؤال المغفرة لها. و قد بينا فى غير موضع أن الأنبياء (ع) لا يجوز عليهم شىء من القبائح لا كبيرها و لا صغيرها لأن ذلک يؤدى الى التنفير عن قبول قولهم، و الأنبياء منزهون عما ينفر عنهم على كل حال.
و قوله «وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِینَ» اعتراف من موسى بأن اللَّه تعالى أرحم الراحمين و اعترافه بذلک دليل على قوة طمعه فى نجاح طلبته، لأن من هو أرحم الراحمين يؤمل الرحمة من جهته و من هو أجود الأجودين يؤمل الجود من قبله.

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّةٌ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ كَذلِكَ نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ (152)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 551

فى هذه الآية حذف، و تقديره إن الذين اتخذوا العجل إلهاً و معبوداً سينالهم غضب، فحذف لدلالة الكلام عليه، و قوله فى موضع آخر «فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقالُوا هذا إِلهُكُمْ وَ إِلهُ مُوسى فَنَسِىَ» «1».

أخبر اللّه تعالى فى هذه الآية أن الذين اتخذوا العجل إلهاً و عبدوه من دون اللّه سينالهم غضب، و معناه فسيلحقهم، و النول اللحوق و أصله مدُّ اليد الى الشىء الذى يبلغه، و منه قولهم: نولک أن تفعل كذا أى ينبغى أن تفعله فانه يلحقک خيره و نواله. و تقول: ناوله مناولة، و تناول تناولا، و أناله إنالة.

و قوله «غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ» يعنى عقاب من اللّه تعالى و إنما ذكر الغضب مع الوعيد بالنار لأنه ابلغ فى الزجر عن القبيح، كما أن ارادة الحسنة فى الدعاء اليها و الترغيب فيها أبلغ من الاقتصار على الوعد بها.

و قوله «وَ ذِلَّةٌ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا» بمعنى صغر النفس و الاهانة، يقال: ذل يذل ذلة، و اذله إذلالًا، و تذلل تذللًا، و ذلله تذليلًا، و استذله استذلالًا.

و قيل المراد به ما يؤخذ منهم من الجزية على وجه الصغار.

و قوله «وَ كَذلِکَ نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ» إخبار منه تعالى أنه مثل هذا الوعيد و العذاب و الغضب يجزى الكاذبين و المتخرصين عليه، و إنما كان عبادة غير اللّه كفراً لأنه تضييع لحق نعمة اللّه كتضييعه بالجحد للنعمة فى عظم المنزلة، و ذلک لما ينطوى عليه من تسوية من أنعم بأجل النعمة بمن لم ينعم، و فى ذلک إبطال لحق النعمة.

وَ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها وَ آمَنُوا إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (153)
آية بلا خلاف.
لمَّا توعد اللَّه تعالى الذين عبدوا مع اللَّه غيره و عطف على وعيدهم توعيد

---

(1) سورة 20 طه آية 88.

المفترين عليه و المتخرصين فى دينه ما لم يأمر اللَّه به، عطف على ذلک، فقال «وَ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها وَ آمَنُوا» و هى جمع سيئة و هى الخصلة التى تسوء صاحبها عاقبتها، و هى نقيض الحسنة، كما أن الاساءة نقيض الإحسان «ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها وَ آمَنُوا» يعنى رجعوا الى اللَّه تعالى بعد فعلهم السيِّئة و ندموا عليها و عزموا على أن لا يعودوا الى مثلها فى القبح، و آمنوا بما أوجب اللَّه عليهم أجمع «إن ربک» يا محمد «من بعدها» يعنى من بعد السيئة «لغفور رحيم» يعنى يغفرها لهم و يسترها عليهم، لرحمته بعباده.
و قد بينا فيما مضى أن التوبة التى أجمعوا على سقوط العقاب عندها هى الندم على القبيح، و العزم على أن لا يعود الى مثله فى القبح، و فى غيرها خلاف، يقال: تاب يتوب توبة و (تاب اللَّه عليه) بمعنى وفقه للتوبة على الدعاء له، و (تاب عليه) أيضا: بمعنى قبل توبته، و التوبة طاعة يستحق بها الثواب بلا خلاف و يسقط العقاب عندها بلا خلاف، إلا أن عندنا يسقط ذلک تفضلا من اللَّه تعالى بورود السمع بذلک و عند المعتزلة العقل يوجب ذلک.
فإن قيل كيف قال «تابُوا مِنْ بَعْدِها وَ آمَنُوا» و التوبة هى إيمان؟
قلنا عنه ثلاثة أجوبة:
أحدها- تابوا من بعد المعصية و آمنوا بتلک التوبة.
الثانى- استأنفوا عمل الايمان.
الثالث- آمنوا بأن اللَّه قابل التوبة. و قيل: إن الآية نزلت فيمن تاب من الذين كانوا عبدوا العجل، فإنهم تابوا و ندموا، و أكثرهم تعبدهم اللَّه بأن يقتلوا أنفسهم فقتل بعضهم بعضاً، و استسلموا لذلک، فقتل فى يوم واحد سبعون ألفاً ثم رفع عنهم ذلک و قبل توبتهم.

وَ لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْواحَ وَ فِى نُسْخَتِها هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (154)

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 553

آية بلا خلاف.

معنى قوله «و لما سكت» سكن، و سمى ذلک سكوتاً و إن كان الغضب لا يتكلم، لأنه لما كان بفورته دالًا على ما فى النفس من المغضوب عليه كان بمنزلة الناطق بذلک، فإذا سكنت تلک الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلماً به و السكوت فى هذا الموضع أحسن من السكون، لتضمنه معنى سكوته عن المعاتبة لأخيه، مع سكون غضبه. و السكوت هو الإمساک عن الكلام بهيئة منافية لسببه، و هو تسكين آلة الكلام.

و إنما قيل: سكت الغضب و سكت الحزن على طريق المجاز إلا أنه فى شىء يظهر أثره، فيكون بمنزلة الناطق به، قال أبو النجم:

و همَّت الأفعى بأن تسيحا و سكت المكاء أن يصيحا «1»

فإن قيل: كيف جاز أن يستفزه غضب الحمية عن غضب الحكمة؟

قلنا: ليس كذلک، و لكن غضب الحكمة صحبه غضب الحمية لما توجبه الحكمة. و سكون الغضب عن موسى (ع) لا يدل على أن قومه كانوا تابوا من عبادة العجل، لأنه يحتمل أن تكون زالت فورة الغضب و لم يزل الغضب، لأنه لم يخلص توبتهم بعد.

و يحتمل أن يكون زال غضبه لتوبتهم من كفرهم، و إذا احتمل الأمران لم يحكم بأحدهما إلا بدليل.

و قوله تعالى «أَخَذَ الْأَلْواحَ وَ فِى نُسْخَتِها هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ» معناه أنه لما سكن غضبه رجع فأخذ الألواح التى كان ألقاها، و كان الألواح مكتوبا فيها ما هو هدى و حجة و بيان و رحمة للذين هم لربهم يرهبون بمعنى يخافون عقابه، و يجوز أن يقال: لربهم يرهبون، و لا يجوز يرهبون لربهم، لأنه إذا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فيه فصار بمنزلة ما لا يتعدى فى دخول اللام عليه تقدم أو تأخر، كما قال تعالى «ردف لكم» «2».

---

(1) تفسير الطبرى 13/ 138.

(2) سورة 27 النمل آية 72.

التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 554

و فى الآية دلالة على أنه يجوز إلقاء التوراة للغضب الذى يظهر بالقائها ثم أخذها، للحكمة التى فيها من غير أن يكون إلقاؤها رغبة عنها.

وَ اخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيَّايَ أَ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَ تَهْدِي مَنْ تَشاءُ أَنْتَ وَلِيُّنا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْغافِرِينَ (155)

آية بلا خلاف.

الاختيار هو إرادة ما هو خير يقال: خيره بين أمرين فاختار أحدهما:

و الاختيار و الإيثار بمعنى واحد.

أخبر اللّه تعالى أن موسى (ع) اختار من قومه سبعين رجلًا و حذف (من) لدلالة الفعل عليه مع إيجاز اللفظ قال الشاعر:

و منا الذى اختير الرجال سماحة و جوداً إذا هب الرياح الزعازع «3»

و قال غيلان:

و أنت الذى اخترت المذاهب كلها بوهبين إذ ردت علىَّ الأباعر

و قال آخر:

فقلت له اخترها قلوصاً سمينة و ناباً عليها مثل نابک فى الحيا «4»

يريد أختر منها، و قال العجاج:

---

(3) قائله الفرزدق. ديوانه: 516 و النقائض 696 و سيبويه 1/ 18 و اللسان (خير) و تفسير الطبرى 13/ 155 و الكامل للمبرد 1/ 21.

(4) قائله الراعى النميرى. طبقات فحول الشعراء: 450 و معانى القرآن 1/ 395 و شرح الحماسة 4/ 37 و تفسير الطبرى 13/ 146.

تحت الذى اختار له اللّه الشجر «5»

و إنما اختار إخراجهم للميقات. و الميقات المذكور- هاهنا- هو الميقات المذكور أولًا، لأنه فى سؤال الرؤية، و قد ذكر أولًا و دل عليه ثانياً. و قيل هو غيره، لأنه كان فى التوبة من عبادة العجل.

و قوله «فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ» قيل فى السبب الذى، لأجله أخذتهم الرجفة قولان:

أحدهما- لأنهم سألوا الرؤية فى قول ابن إسحاق.

الثانى- قال ابن عباس: لأنهم لم ينهوا عن عبادة العجل. و قد بينا معنى الرجفة فيما مضى، و أنها الزلزلة العظيمة و الحركة الشديدة.

و قوله «قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيَّايَ» حكاية عما قال موسى للّه تعالى، و أنه ناداه، و قال يا رب لو شئت أهلكتنى و إياهم من قبل هذا الموقف.

و قوله «أَ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا» معناه النفى، و إن كان بصورة الإنكار كما تقول (أ تشتمنى و أسكت عنک) أى لا يكون ذلک، و المعنى إنک لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، فبهذا نسألک رفع المحنة بالإهلاک عنا.
و قوله «إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُکَ» معناه إن الرجفة إلا اختبارک و ابتلاؤک و محنتک أى تشديدک تشديد التبعد علينا بالصبر على ما أنزلته بنا من هذه الرجفة و الصاعقة اللتين جعلتهما عقاباً لمن سأل الرؤية و زجراً لهم و لغيرهم، و مثله قوله «أَ وَ لا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ» «1» يعنى بذلک الأمراض و الأسقام التى شدد اللَّه بها التعبد على عباده، فسمى ذلک فتنة من حيث يشدد الصبر عليها، و مثله «الم. أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ»

_____

(5) ديوانه: 15 و مجاز القرآن 1/ 229 و معانى القرآن 1/ 395 و اللسان (خير) و تفسير الطبرى 13/ 147.
(1) سورة 9 التوبة آية 127.

«2» و معناه لا ينالهم شدائد الدنيا و الأمراض و غيرها، و يحتمل أن يكون المراد بذلک أن هى الا عذابک و قد سمى اللَّه تعالى العذاب فتنة فى قوله «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» «3» أى يعذبون، فكأنه قال ليس هذا الإهلاک إلا عذابک لهم بما فعلوه من الكفر و عبادة العجل، و سؤالهم الرؤية، و غير ذلک.
و السبعون الذين كانوا معه و إن لم يعبدوا العجل، فقد كانوا سألوا موسى أن يسأل اللَّه تعالى ان يريه نفسه، ليخبروا بذلک أمته و يشهدوا له بأن اللَّه كلمه، فإن بنى إسرائيل قالوا لموسى: لا نصدقک على قولک إن اللَّه كلمک من الشجرة، فاختار السبعين حتى سمعوا كلام اللَّه، و شهدوا له بذلک عند قومه، فسألوا أن يسأل اللَّه الرؤية أيضاً ليشهدوا له، فلذلک استحقوا الإهلاک و لم يثبت أن السبعين كانوا معصومين، و لا أنهم كانوا أنبياء، فينتفى عنهم ذلک.
و قيل المراد بقوله «أَ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا» أى أ تميتنا بالرجفة التى تميتهم بها، و إن لم يكن ذلک عقوبة لنا. و الهلاک الموت، لقوله «إِنِ امْرُؤٌ هَلَکَ» «4» و الفتنة الكشف و الاختبار، قال المسيب بن علس:
إذ تستبيک بأصلتى ناعم قامت لتفتنه بغير قناع
أى لتكشفه و تبرزه. و قوله «تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ» معناه تضل بترک الصبر على فتنتک و ترک الرضا بها من تشاء عن نيل ثوابک. و دخول جنتک، و تهدى بالرضا بها و الصبر عليها من تشاء، و إنما نسب الضلال الى اللَّه لأنهم ضلوا عند أمره و امتحانه، كما أضيفت زيادة الرجس الى السورة فى قوله «فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلى رِجْسِهِمْ» «5» و إن كانوا هم الذين ازدادوا عندها.

و المعنى تَختبر بَالمحَنة مَن تشاء لينتقل صاحبه عن الضلالة، و تهدى من تشاء

---

(2) سورة العنكبوت آية 1- 2.
(3) سورة 51 الذاريات آية 13 [.....]
(4) سورة 4 النساء آية 175.
(5) سورة 9 التوبة آية 126.

معناه تبصره بدلالة المحنة ليثبت صاحبها على الهداية من تشاء.
و قوله «أَنْتَ وَلِيُّنا». معناه أنت ناصرنا و أولى بنا «فَاغْفِرْ لَنا» سؤال منه المغفرة له و لقومه. و قوله «وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْغافِرِينَ» إخبار من موسى بأن اللّه خير الساترين على عباده و المتجاوزين لهم عن جرمهم.

وَ اكْتُبْ لَنا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ قالَ عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ (156)
آية بلا خلاف.
هذا تمام الاخبار عما قال موسى و قومه الذين كانوا معه، و أنهم سألوا اللَّه تعالى المغفرة و أن يكتب لهم فى هذه الدنيا حسنة و هى النعمة، و إنما سميت النعمة حسنة و إن كانت الحسنة اسم الطاعة للَّه لأمرين:
أحدهما أن النعمة تتقبلها النفس كما يتقبل العقل الحسنة التى هى الطاعة.
و الآخر- أن النعمة ثمرة الطاعة للَّه عز و جل، و إنما سألوا أن يكتب لهم، و لم يسألوا أن يجعل لهم، لأن ما كتب من النعمة أثبت لا سيما إذا كانت الكتابة خبراً بدوام النعمة، و يقال كتب له الرزق فى الديوان، فيدل على ثبوته على مرور الأزمان. «وَ فِي الْآخِرَةِ» معناه و اكتب لنا فى الآخرة أيضاً النعمة التى هى الثواب «إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ» قال ابن عباس معناه تبنا اليك، و به قال سعيد بن جبير و ابراهيم و قتادة و مجاهد. و أصله الرجوع من هاد يهود، فهو هايد إذا رجع، فمعناه رجعنا بتوبتنا اليك، و التهويد الترفق فى السير و التفريج و التمكث. و قال أبو وجرة:- هدنا- بكسر الهاء من هاد يهيد، و هو شاذ، و ثوب مهود أى مرقع ذكره الجبائى، و ليس اليهود التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 558
مشتقاً منه، بل إنما قيل يهودى، لأنه نسب الى يهودا، لكن العرب غيرته فى النسب.
و قوله «قالَ عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ» حكاية عما أجابهم اللَّه به من أن عذابه يصيب به من يشاؤه ممن استحقه بعصيانه. و قيل: إنما علقه بالمشيئة و لم يعلقه بالمعصية لأمرين:
أحدهما- الاشعار بأن وقوعه بالمشيئة له، دون المعصية.
الثانى- انه لا يشأ ذلك إلا على المعصية، فأيهما ذكر دل على الآخر و عندنا أنه علقه بالمشيئة، لأنه كان يجوز الغفران عقلًا بلا توبة.
و قوله «وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» معناه إنى أقدر أن أنعم على كل شىء يصح الانعام عليه، و قيل: المعنى إنها تسع كل شىء إن دخلوها، فلو دخل الجميع فيها لو سمعتهم الا أن فيهم من يمتنع منها بالضلال بأن لا يدخل معه فيها، و قال ابن عباس: و هى خاصة فى المؤمنين، و قال الحسن و قتادة هى عامة للبرد و الفاجر- فى الدنيا- خاصة. و فى الآخرة للبر.
و قوله «فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» معناه إن الرحمة فى الآخرة مكتوبة للذين يتقون معاصيه و يحذرون عقابه «وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ» قيل فى معناه- هاهنا-

قولان:
أحدهما- يخرجون زكاة أموالهم، فذكره، لأنه من أشق فرائضهم.
الثانى- يطيعون اللّه و رسوله فى قول ابن عباس و الحسن ذهبا الى ما يزكى النفس و يطهرها من الأعمال، و الذين هم بآياتنا يؤمنون يعنى أكتبها للذين يصدقون بآيات اللّه و حججه و بيناته، و ليس إذا كتب الرحمة للذين يتقون منع أن يغفر للعصاة و الفساق بلا توبة، لأن الذى تفيده الآية القطع على وصول الرحمة الى المتقين، و الفساق ليس ذلک بمقطوع لهم و إن كان مجوَّزاً.
التبيان فى تفسير القرآن، ج4، ص: 559

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)

آية بلا خلاف.

قرأ «إصارهم» ابن عامر وحده على الجميع. الباقون «إصرهم» على التوحيد. و من وحد فلأن (الإصر) مصدر يقع على الكثير و القليل بدلالة قوله تعالى «أصرهم» فأضافه الى الكثرة. و قال «لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً» «1» و من جمع أراد ضروباً من المآصر مختلفة، فلذلك جمع.

قوله «الذين» في موضع جر، لأنه صفة ل (الذين) فى الآية الاولى بعد صفة فى قوله «فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» فذكر أن من تمام صفاتهم اتباعهم للرسول «النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ» يعنى محمداً (صلى اللّه عليه و آله).

و (الأمى) الذى لا يكتب. و قيل: إنه منسوب الى الأمة. و المعنى أنه على جبلة الأمة قبل استفادة الكتابة. و قيل: إنه منسوب الى الأمِّ، و معناه أنه على ما ولدته أمه قبل تعلم الكتابة. و

عن أبى جعفر الباقر (ع) أنه منسوب الى مكة، و هى أم القرى.

و قيل: إنه نسب الى العرب، لأنها لم تكن تحسن الكتابة.

و معنى «يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ» أنهم يجدون

---

(1) سورة 2 البقرة آية 286.

نعته و صفته، و لأنه مكتوب فى التوراة (أتانا اللّه من سينا و أشرف من ساعير، و استعلن من جبال فاران) و فيها (سأقيم لهم نبياً من إخوتهم مثلك و اجعل كلامى فى فمه فيقول لهم كلما أوصيه به) و فيها، (و أما ابن الأمة فقد باركت عليه جداً جداً و سيلد اثنى عشر عظيماً و أؤخره لأمَّة عظيمة).

و فى الإنجيل بشارة بالفارقليط فى مواضع منها (يعطيكم فارقليط آخر يكون معكم آخر الدهر كله) و فيها أنه (إذا جاء فنَّد أهل العلم) و فيها (أنه يدبركم بجميع الخلق، و يخبركم بالأمور المزمعة و يمدحنى و يشهد لى).

و قوله تعالى «يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ» صفة للنبى (ص) الأمى، و هو فى موضع الحال، و تقديره آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، و سمى الحق (معروفاً) و الباطل (منكراً) لأن الحق يعرف صحته العقل إذ

الاعتماد فی المعرفة علی الصحة، و ینکر الباطل بمعنی ینکر صحته.
و قوله «وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ» معناه یبیح لهم المستلذات الحسنة التی کانت حراماً علیهم، و یحرِّم علیهم الخبائث یعنی القبائح، و ما یعافی الأنفس.
و قوله «وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ» یعنی الثقل بأمور محرمة و فی تکلیفها مشقة، کتحریم العروق و الغدد و تحریم السبت، و کانت کالاغلال فی أعناقهم، کما یقولون هذا طوق فی عنقک. و قیل: ما امتحن به بنو إسرائیل من قبل نفوسهم، و قرض ما یصیبه البول من أجسادهم و التزام للمکاره فی کل شیء یخالفون اللّه فیه.
و قوله «فَالَّذِینَ آمَنُوا بِهِ» یعنی صدقوا بهذا النبی «و عزروه» یعنی عظموه بمنعهم کل من أراد کیده، و أصله المنع، و منه تعزیر الجانی و هو منعه بتأدیبه من العود، و قال قوم: عزرته معناه رددته، و قال آخرون: معناه أعنته. و قال بعضهم معناه نصرته. و قال آخرون: منعته و نصرته.
و قوله «وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ» یعنی القرآن سماه نوراً لأنه یهتدی به کما یهتدی بالنور. و اخبر عنهم بأن من فعل ما قلناه فأولئک هم المفلحون الفائزون بثواب ربهم.

المجلد الخامس

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيم الحمد للَّه الذي وفقنا لطاعته و العمل على فهم كتابه و أحكامه. و إنى اشكره استتماماً لنعمته و رضاء بتدبيره و اعترافاً بربوبيته و اعتقاداً بحكمته. و صلى اللَّه على محمّد رسوله الأمين و على آله الميامين الذين اذهب اللَّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

و بعد فانى اقدم لاخوانى المؤمنين العاملين بأحكام القرآن هذا المجلد الخامس من تفسير التبيان. و قد لاقيت من العناء فى إخراجه الشىء الكثير.

و لما نفد هذا الجزء و رأينا الطلب باقياً توكلنا على اللَّه و واعدناه طبعة ثانية منقحة و اللَّه الملهم للصواب.

أحمد حبيب قصير التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 5

قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ جَمِیعاً الَّذِی لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ یُحیِی وَ یُمِیتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِیِّ الْأُمِّیِّ الَّذِی یُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ کَلِماتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ (158)

أمر اللَّه تعالى نبيه صلى اللَّهُ عليه و آله ان يخاطب الخلق، و يقول لهم إنى رسول اللَّه أرسلنى إليكم يعنى الى الناس أجمع «الَّذِی لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» يعنى أرسلنى إليكم الذى له التصرف فى السماوات و الأرض من غير دافع، و لا منازع «لا إله» اى لا معبود «إِلَّا هُوَ یُحیِی وَ یُمِیتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ» أمر من النبى صلى اللَّهُ عليه و آله للخلق بأن يصدقوا بتوحيد اللَّه و يقروا بنبوة النبى «الْأُمِّیِّ الَّذِی یُؤْمِنُ» يعنى يصدق باللَّه و كلماته، و أمرهم بأن يتبعوه و يرجعوا الى طاعته لكى يهتدوا الى الثواب و الجنة.

و «جميعاً» نصب على الحال من ضمير المخاطب الذى عمل حرف الاضافة فيه و العامل فى الحال معنى الفعل فى «رسوله» الا أنه لا يتقدم على جرف الاضافة، لأنه قد صار بمنزلة العامل.

و إنما وصفه بأنه يحيى و يميت لأنه لا يقدر على الأحياء إلا اللَّه، و لا على الاماتة أيضاً سواه لأنه لو قدر أحد على الاماتة لقدر على الأحياء، لأن من شأن القادر على الشىء أن يكون قادراً على ضده، و انما استعمل بمعنى لتهتدوا على الرجاء و الطمع فى الفوز به من العذاب.

وَ مِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ (159)
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 6
أخبر اللَّه تعالى أن من قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون.
قال ابن عباس و السدى: قوم وراء الصين.
و قال ابو جعفر عليه السلام: هم قوم خلف الرمل لم يغيروا و لم يبدلوا.
و أنكر الجبائى قول ابن عباس، و قال شرع موسى عليه السلام، منسوخ بشرع عيسى عليه السلام و شرع محمّد صَلى اللَّه عليه و آله فلو كانوا باقين لكفروا بنبوة محمّد.
و هذا ليس بشىء، لأنه لا يمتنع ان يكون قوم لم تبلغهم الدعوة من النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم فلا نحكم بكفرهم.
و قال الجبائى يحتمل ذلك وجهين:
أحدهما- انهم كانوا قوماً متمسكين بالحق فى وقت ضلالتهم «1» بقتل أنبيائهم.
و الاخر- انهم الذين آمنوا بالنبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم مثل ابن سلام و ابن صوريا و غيرهما.
و تقدير الكلام فى معنى الآية إذاً: كان من قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون، قد مدحوا بذلك و عظموا، فعلى كل أمة أن يكونوا كهذه الأمة الكريمة فى هذا المعنى. و الامة الجماعة التى تؤم أمراً بأن تقصده و تطلبه. و أمة محمّد صلى اللَّه عليه و آله تؤم شريعته و أمة موسى و عيسى مثل ذلك.
و ليس فى الآية ما يدل على ان فى كل عصر أمة هادية من قوم موسى لأن بعد نبوة نبينا صلى اللَّه عليه و آله و سلم لم يبق احد يجب اتباعه فى شرع موسى عليه السلام و كذلك قوله تعالى «وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ» «2» و لا دلالة فى ذلك على ان تلك الأمة موجودة فى كل عصر، بل لو لم توجد هذه الأمة الا فى وقت واحد هادية بالحق عادلة به لصح معنى الآية على ان عندنا فى كل عصر لا يخلون من قوم بهذا الوصف و هم حجج اللَّه على خلقه، المعصومين الذين لا يجوز عليهم الخطأ و الزلل، فقد قلنا بموجب الآية.

---

(1) أى وقت ضلالة قومهم
(2) سورة 7 الأعراف آية.
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 7
و صريح الآية يدل على بطلان قول من قال لا يهدى الى الحق الا اللَّه

تعالى، لأن اللّه تعالى بين ان فيمن خلقه أمة يهدون بالحق و به يعدلون، و ظاهر ذلک الحقيقة و صريح الآية بخلاف ما يقوله المخالف، و لا ينافى ذلک قوله تعالى «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى» «1» لأنه يصح اجتماعه مع ذلک، و المعنى من يهده اللّه الى الجنة فهو المهتدى اليها على ان قوله تعالى «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى» لا يمنع من ان يهديه ايضاً غير اللّه و يهتدى، لان المتعلق بذلک تعلق بدليل الخطاب. و هو ليس بصحيح عند اكثر العلماء، على ان من هدى غيره الى الحق فإنما يهديه بأن ينبهه على الحجج التى نصبها اللّه على الحق فجاز ان يضاف ذلک الى انه بهداية اللّه. و من حمل قوله تعالى «يهدون» على ان المعنى يهتدون فقد غلط، لان ذلک لا يعرف فى اللغة.

وَ قَطَّعْناهُمُ اثْنَتَیْ عَشْرَةَ أَسْباطاً أُمَماً وَ أَوْحَیْنا إِلی مُوسی إِذِ اسْتَسْقاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصاکَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَیْناً قَدْ عَلِمَ کُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ وَ ظَلَّلْنا عَلَیْهِمُ الْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَیْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوی کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ ما رَزَقْناکُمْ وَ ما ظَلَمُونا وَ لکِنْ کانُوا أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ (160)

قد مضی تأویل معنی اکثر هذه الآیة فی سورة البقرة «2» فلا معنی للتطویل بذکر ما مضی و انما نذکر ما لم یذکر هناک: انما أنث قوله اثنتی عشرة اسباطاً لان النیة التقدیم و التأخیر و التقدیر و قطعناهم اممأ اثنتی عشرة اسباطاً و لم

---

(1) سورة 7 الأعراف آیة 177

(2) آیة 60 من سورة البقرة المجلد 1/ 269

یقل سبطاً لاحد ثلاثة أشیاء:

أحدها- انه بدل لیس بتمییز و المعنی قطعناهم اسباطاً ذکر ذلک الزجاج.

الثانی- علی ان کل قسم أسباط لان الواحد یقال له سبط، فیجوز علی هذا عندی عشرون دراهم علی ان کل قسم منها دراهم قال کثیر:

علی و الثلاثة من بنیه هم الأسباط لیس بهم خفاء

فسبط سبط ایمان و بر و سبط غیبته کربلا «1»

الثالث- ان یکون اقام الصفة مقام الموصوف. و تقدیره اثنتی عشرة فرقة اسباطاً.

و السبط: الجماعة التی تجری فی الامر بسهولة لاتفاقهم فی الکلمة علی انه مأخوذ من السبوط. و قیل انه مأخوذ من السبط ضرب من الشجر، فجعل الأب الذی یجمعهم کالشجرة التی تتفرع عنها الأغصان الکثیرة. و قال ابو علی لأنهم کانوا بنی اثنی عشر رجلا من ولد یعقوب و قیل انما فرقوا اسباطاً لاختلاف رتبتهم.

و الانبجاس: خروج الماء الجاری بقلة، و الانفجار خروجه بکثرة، فکان یبتدئ بقلة ثم یتسع حتی یصیر الی الکثرة، فلذلک ذکره هاهنا بالانبجاس و فی البقرة بالانفجار.

و الظلة السترة التی تقی من الشمس، و الأغلب علیها العلو.

فجعل اللّه عز و جل لهم من الغمام ظلة تکنهم لما احتاجوا الی ذلک فی التیه کما أعطاهم المن و السلوی. و المن ضرب من الحلاوة یسقط علی الشجر. و السلوی طائر کالسمانی. و انما أنث «اثنتا عشرة اسباطاً» مع ان السبط ذکر، لأحد ثلاثة أشیاء:

أحدها- اثنتى عشرة فرقة ثم حذف.
الثانى- و قطعناهم قطعاً اثنتى عشرة، فحذف على هذا التقدير.
الثالث- أن السبط لما وقع على الامة أنث. كما قال الشاعر:

---

(1) الاغانى 9/ 14
التبيان في تفسير القرآن، ج5، ص: 9
و ان كلاباً هذه عشر أبطنٍ و انت برىء من قبائلها العشر
و قوله تعالى «وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» معناه: ما أنقصونا شيئاً و لكن انقصوا أنفسهم تقول العرب: ظلمت سقاک إذا سقيته قبل ان يخرج زبده، و يقال: ظلم الوادى إذا بلغ الماء منه موضعاً لم يكن ناله فيما مضى، قال الفراء و انشدنى بعضهم:
يكاد يطلع ظلماً ثم يمنعه عن الشواهق فالوادى به شرق
و يقال هو أظلم من حية. لأنها تأتى جحراً لم تحفره فتسكنه و يقال ما ظلمک ان تفعل كذا أى ما منعک. و الأرض المظلومة التى لم ينلها المطر.

وَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ وَ كُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا حِطَّةٌ وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (161)
آية بلا خلاف.
قرأ اهل المدينة و ابن عامر و يعقوب (يغفر) بالياء و ضمها، و فتح الفاء الباقون بالنون و كسر الفاء، و قرأ اهل المدينة و يعقوب (خطيئاتكم) على جمع السلامة و رفع التاء، و قرأ ابن عامر على التوحيد و رفع التاء، و قرأ ابو عمرو (خطاياكم) بغير همز على جمع التكسير، الباقون و هم ابن كثير و اهل الكوفة (خطيآتكم) على جمع السلامة و كسر التاء.
من قرأ «يغفر» حمله على قوله تعالى «وَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ» ادخلوا ... يغفر، و التى فى البقرة (نغفر) بالنون، فالنون هناك أحسن لقوله «و إذ قلنا» و جاز هاهنا بالنون كأنه قيل لهم ادخلوا ... نغفر. أى إن دخلتم غفرنا.
و من قرأ تغفر بالتاء المضمومة فلانه أسند اليها خطيئاتكم و هو مؤنث فأنث
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 10
و بنى الفعل للمفعول أشبه بما قبله، لان قبله و إذ قيل.
و من قرأ بالنون فلقوله «سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ» و خطايا جمع خطيئة جمع تكسير (و خطاياتكم) مسكناً لأنه يكثر فيه السكون و سميت القرية قرية لان الماء يقرى اليها يقال قريت الماء فى الحوض أقريه قرياً إذا جمعته. و يجوز ان يكون مشتقاً من اجتماع الناس اليها.
و قد مضى تفسير مثل هذه الآية فى سورة البقرة «1» فلا معنى لإعادته.
و إنما نذكر جمل ذلك فنقول:
هذا خطاب من اللّه تعالى لنبيه محمّد صلى الله عليه و آله و سلم يقول اذكر يا محمّد إذ قيل لبنى إسرائيل اسكنوا هذه القرية و هى بيت المقدس على قول الجبائى و غيره من المفسرين و قال الحسين هى ارض الشام. و قال قوم غير ذلك. و قد ذكرنا اختلافهم فى سورة البقرة «2» لأنه كان أمرهم بدخولها و إخراج من فيها من الكفار و غيرهم و وعدهم ان يوسع عليهم فيها الرزق و يبيحهم ذلك ليأكلوا من حيث شاءوا ما يريدون من انواع الاغذية و الرزق. و قال لهم: «كلوا من حيث شئتم» على كثرة الرزق و الغذاء فى هذه القرية و فى كل ناحية منها.
و قوله تعالى: «وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً» يعنى متواضعين و كانوا أمروا بأن يدخلوا باباً منه معيناً فى هذا الموضع كانوا فيه- فى قول الجبائى- و قال ذلك قبل دخولهم الى بيت المقدس، قال و لم يرد ان يدخلوا الباب سجداً منحنين.
قال ابن عباس كان هناك باب ضيق أمروا بان يدخلوه ركعاً فدخلوه على

أستاههم. و قيل لهم «قُولَوا حِطّةٌ» أى مغفرة، فقالوا حنطة. و ذكرنا اختلاف الناس فى ذلك.
و قوله «وَ قُولُوا حِطَّةٌ» معناه قولوا حط عنا ذنوبنا و هو بمنزلة الاستغفار و التوبة.
و قوله «نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ» جواب الأمر و فيه معنى الجزاء. و التقدير انكم

(1، 2) آية 58 المجلد 1/ 263
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 11
ان فعلتم ذلك غفرنا لكم خطاياكم. و قوله (سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) معناه سنزيد المحسنين منكم نعماً و فضلا فى الدنيا و الاخرة، و لا نقتصر لهم على نعم هذه القرية.
و رفع حطة على تقدير مسألتنا حطة و مطلوبنا حطة. و ان نصب جاز بمعنى حط عنا حطة. و قوله سجداً نصب على الحال من دخول الباب. و قال ابو على ليس بحال لدخول الباب، لأنهم بدلوا فى حياة موسى.

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَظْلِمُونَ (162)
اخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء الذين أمرهم بدخول القرية متواضعين، و ان يقولوا حطة لذنوبنا، انهم بدلوا قولا غير الذى قيل لهم.
و التبديل تغيير الشىء برفعه الى بدل، فقال الحسن قالوا حنطة بدل حطة.
و قال قوم: قالوا قولا ينافى الاستغفار و يخالف التوبة. و قالوا ما يدل على الإصرار.
و اخبر تعالى انه أرسل عليهم عند ذلک رجزاً و هو العذاب و العقوبة جزاء بما كانوا يفعلونه من معاصى اللَّه تعالى و يظلمون بها أنفسهم.
و اصل الرجز الميل عن الحق فمنه الرجازة و ما يعدل به الحمل إذا مال عن خفة و الرجز عبادة الوثن و الناقة الرجزاء التى تميل فى احد شقيها لداء يعرض لها فى عجزها.

وَ سْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِی کانَتْ حاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ یَعْدُونَ فِی السَّبْتِ إِذْ تَأْتِیهِمْ حِیتانُهُمْ یَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَ یَوْمَ لا یَسْبِتُونَ لا تَأْتِیهِمْ کَذلِکَ نَبْلُوهُمْ بِما کانُوا یَفْسُقُونَ (163)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 12

القراء کلهم علی فتح الیاء فی قوله تعالی (لا یسبتون) و روی عن الحسن ضمها.

من قال أسبتوا أراد دخلوا فی السبت و من فتح الیاء أراد یفعلون السبت ای یقومون بأمره کما یفعل المسلمون یوم الجمعة، و مثله أجمعنا ای مرت بنا جمعة، و جمعنا شهدنا الجمعة. قال الفراء: قال لی بعض العرب: أ ترانا اشهرنا منذ لم نلتق یرید مرّ بنا شهراً.

امر اللَّه نبیه صلی اللَّه علیه و آله و سلم أن یسأل بنی إسرائیل الذین کانوا فی وقته عن القریة التی کانت حاضرة البحر، و عن سبب هلاکها، سؤال تقریر و توبیخ لا سؤال استفهام، کما یقول الرجل لغیره أنا فعلت کذا؟ و انت تعلم أنک لم تفعل، و انما تسأله لتقریره و توبیخه، فوجه امر النبی صلی اللَّه علیه و آله و سلم ان یسأل اهل الکتاب عن اهل هذه القریة مع ما أخبره اللَّه تعالی بقصتها لتقریرهم تقدیم کفرهم و تعلمهم ما لا یعلم الا بکتاب او وحی، و هو صلی اللَّه علیه و آله و سلم لم یکن ممن قرأ الکتب، فعلموا بذلک ان ذلک وحی انزل علیه.

و قوله تعالی (إِذْ یَعْدُونَ فِی السَّبْتِ) معناه إذ یظلمون فی السبت، یقال عدا فلان یعدو عدواناً، و عدا عدواً إذا ظلم.

و قوله تعالی (إِذْ تَأْتِیهِمْ حِیتانُهُمْ) فی موضع نصب بیعدون.

و المعنی سلهم إذ عدوا فی وقت إتیان الحیتان «شرعاً» ای ظاهرة و الحیتان جمع حوت و اکثر ما یسمی العرب السمک بالحیتان و النیتان، و کانت الحیتان تأتی ظاهرة فکانوا یحتالون بحبسها یوم السبت ثم یأخذونها فی یوم الأحد. و قال قوم: جاهروا بأخذها یوم السبت.

و قوله تعالی (کَذلِکَ نَبْلُوهُمْ) ای مثل هذا الاختبار الشدید نختبرهم.

و موضع الکاف نصب بقوله: (نَبْلُوهُمْ بِما کانُوا یَفْسُقُونَ) ای شددت علیهم المحنة بفسقهم. قال الزجاج و یحتمل ان یکون «و یوم یسبتون لا تأتیهم کذلک» ای لا تأتیهم شرعاً و یکون «نبلوهم» مستأنفاً. و الأول قول اکثر المفسرین.

و الوجه فی تشدید المحنة التی هی التکلیف أن اللَّه تعالی أمر بنی إسرائیل التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 13

بإمساک السبت و التفرغ فیه للعبادة و أن لا یتشاغلوا بشیء من أمر الدنیا

فيه فتهاون قوم ممن كان يسكن هذه القرية و هى (ايلة) فى قول قوم من المفسرين. و قال قوم هى مدين، و رويا جميعاً عن ابن عباس. و لم يقوموا بما وجب عليهم فشدد اللّه على من أخذوه. قال الحسن: كانت تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض فيعدون فيأخذونها و تبعد عنهم فى باقى الأيام و أمرهم ان لا يصطادوا يوم السبت فكان ذلک تشديداً للتكليف و تغليظاً للمحنة و البلوى، و كان ذلک عقوبة على تهاونهم بما أوجب اللّه عليهم فخالفوا فأرسلوا الشباک يوم السبت و أخرجوها يوم الأحد.

وَ إِذْ قالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً قالُوا مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (164)
آية بلا خلاف.
قرأ حفص وحده عن عاصم «معذرة» بالنصب. الباقون بالرفع.
من رفع فعلى تقدير موعظتنا معذرة الى ربكم. و من نصب فعلى المصدر، كما يقول القائل لغيره: معذرة الى اللَّه و اليک من كذا على النصب.
و المعنى قالوا نعتذر معذرة و اعذاراً.
قال ابو زيد عذرته اعذره عذراً و معذرة و عذرى. و التقدير و اذكر إذ قالت أمة منهم لطائفة منهم لم تعظون قوماً علمتم انهم هالكون فى الدنيا و يعذبهم اللَّه عذاباً شديداً فى الآخرة، فقالوا فى جوابهم وعظناهم إعذاراً الى اللَّه اى نعظهم اعتذاراً الى ربكم لئلا يقول لنا لم لم تعظوهم و لعلهم ايضاً بالوعظ يتقون و يرجعون.
و فى ذلک دليل على انه يجب النهى عن القبيح و إن علم الناهى ان المنهى لا ينزجر و لا يقبل، و ان ذلک هو الحكمة و الصواب الذى لا يجوز غيره.
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 14
و اختلفوا فى هذه الفرقة التى قالت: لم تعظون قوماً اللَّه مهلكهم؟ هل كانت من الناجية او من الهالكة عن الاعتداء فى السبت. ذهب اليه ابن عباس و قال نجت الطائفتان من الهلاک الناهية و التى قالت لها لم تعظون، و به قال السدى و قال قوم الفرقة التى قالت لم تعظون قوماً اللَّه مهلكهم كانت من الفرقة الهالكة ذهب اليه ابن عباس فى رواية اخرى عنه.
و قال قتادة عن ابن عباس هم ثلاث فرق التى وعظت و الموعظة، فنجت الاولى و هلكت الثانية، و اللَّه اعلم ما فعلت الفرقة الثالثة، و هم الذين قالوا لم تعظون و اختاره الجبائى.
و قال الكلبى: هما فرقتان الواعظة و الموعظة.
و قال الجبائى لم يريدوا بذلک الا نهيهم إياهم عن ذلک القبيح. و انما قالوا ذلک على سبيل الإياس من قبولهم منهم.
و قوله «لم» أصله (لما) الا انه حذف الألف مع حرف الجر نحو «عَمَّ يَتَساءَلُونَ» و لم يقولوا (عن ما).

فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذابٍ بَئِيسٍ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (165)

قرأ أبو بكر إلاّ العليمى «بيئس» بفتح الباء و بعدها ياء ساكنة و بعدها همزة مفتوحة على وزن (فيعل) و روى عنه بكسر الهمزة. و قرأ اهل المدينة و الداحونى عن هشام بكسر الهاء و بعدها ياء ساكنة من غير همز. و قرأ مثل ذلک ابن عامر الا الدارحونى عن هشام إلا أنه همز. الباقون بفتح الباء و بعدها همزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على وزن (فعيل). و روى خارجة عن نافع بفتح الباء بعدها التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 15

ياء بلا همز على وزن (فعل).

قال ابو زيد: قد بؤس الرجل يبؤس بأساً إذا كان شديد البأس، و فى البؤس بئس و بيس يبأس بؤساً و بيئساً و باساً و البأساء الاسم.

قال أبو على: من قرأ على وزن (فعيل) يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون فعيلا من بؤس يبؤس إذا كان شديد البأس مثل «من عذاب شديد» «1» قال ابو محمّد الفقعسى:

أشعث غير حسن اللبوس باق على عيش له بئيس

أى شديد.

و الثانى- أن يكون من عذاب ذى بئيس. فوصفه بالمصدر، و المصدر قد يجىء على (فعيل) مثل نكير و نذير و شحيح و عذير الحى، و التقدير من عذاب ذي بئيس أى عذاب ذى بؤس.

و من قرأ بكسر الباء من غير همز فانه جعلها اسماً، فوصفه به مثل قوله صلى اللّه عليه و آله و سلم (إن اللّه نهى عن قيل و قال)

و مثله: منذ شب الى رب. و نظيره من الصفة نقض و بصق.

و من فتح الباء من غير همز فهو أيضاً (فعل) فى الأصل وصف به و أبدلت الهمزة ياء و حكى سيبويه أنه سمع بعض العرب يقول: بيس فلا يحقق الهمزة و يدع الحرف على الأصل الذى هو (فعل) كأنه يسكن العين كما يسكن من (علم) و يقلب الهمزة ياء الا أنه لما أسكنها لم يجز أن يجعلها بين بين فأخلصها ياء.

و قراءة ابن عامر مثل قراءة نافع إلا أن ابن عامر حقق الهمزة.

و قراءة أبى بكر على وزن «فيعل»، فانه جعله وصفاً كضيغم و حيدر، و هذا البناء كثير فى الصفة و لا يجوز كسر العين من بيئس لان «فيعل» بناء اختص به ما كان عينه ياء أو واواً مثل سيد و طيب، و لم يجئ مثل ضيغم و جاء فى المعتل حكى سيبويه عيِّن و انشد لرؤبة.

---

(1) سورة 14 ابراهيم آية 2
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 16
ما بال عينى كالشعيب العين «1»
فينبغى ان يحمل بيئس على الوهم عمن رواه عن عاصم و الأعمش بالكسر و قد أنشد بعضهم:
كلاهما كان رئيساً بيئسا يضرب فى يوم الهياج القونسا «2»
أعلى كل شى قونسه بكسر العين. فمن كسر العين حمله على هذه اللغة.
أخبر اللّه تعالى أنه لما ترک أهل هذه القرية الرجوع عن ارتكاب المعصية بصيد السمک يوم السبت بعد أن ذكرهم الواعظون ذلک و لم ينتهوا عن ذلک أنه أنجى الناهين عن ذلک و أخذ الذين ظلموا أنفسهم بعذاب شديد جزاء بما كانوا يفسقون و يخرجون عن طاعة اللّه الى معصيته.
و روى عن عطا أن رجلا دخل على ابن عباس و بين يديه المصحف و هو يبكى و قد أتى على هذه الاية الى آخرها، فقال ابن عباس قد علمت ان اللّه أهلک الذين أخذوا الحيتان و أنجى الذين نهوهم، و لا ادرى ما صنع بالذين لم ينهوهم و لم يواقعوا المعصية و هى حالنا.
و «نسوا» فى الاية معناه تركوا و يحتمل ان يكون تركهم القبول فى منزلة من نسى، و لا يجوز أن يكون المراد النسيان الذى هو السهو، لأنه ليس من فعلهم فلا يذمون عليه.
و قال الجبائى العذاب الشديد لحقهم قبل ان يمسخوا قردة خاسئين.

فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ ما نُهُوا عَنْهُ قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ (166)

---

(1) و قيل قائله الطرماح. اللسان (عين)
(2) قائله امرئ القيس بن عابس الكندى. تفسير ابن حيان 4/ 143 و تفسير الطبرى 13/ 200
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 17
اخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء العصاة الذين عصوا بصيد السمک فى السبت، و نهوا فلم ينتهوا و وعظوا فلم يتعظوا، و أنه أنزل عليهم العذاب الشديد، فلما عتوا عما نهى اللَّه و تمردوا فى معصيته مسخهم اللَّه قردة خاسئين.
و العاتى الشديد الدخول فى الفساد المتمرد الذى لا يقبل موعظة. و العتو الخروج الى الجرأة على أفحش الذنوب و قوله «خاسئين» معناه مبعدين من قولهم خسأت الكلب إذا أقصيته فخسأ أى بعد. و قال الحسن معناه صاغرين، و قال: إن أهل المسخ يتناسلون. و قال ابن عباس: لا يتناسلون. و أجاز الزجاج كلا الامرين.
و سئل ابو مالک: أ كانت القردة و الخنازير قبل ان يمسخوا؟ قال: نعم و كانوا فيما خلق اللَّه من الأمم. و قول ابن عباس أصح، لأن المعلوم أن القردة ليست من ولد آدم كما أن الكلاب ليست من ولد آدم. قال قتادة: صاروا قردة لها أذناب تعاوى بعد ما كانوا نساء و رجالا.
و قوله تعالى: «كُونُوا قِرَدَةً» صيغته صيغة الامر و المراد به الاخبار: من أنه جعلهم قردة على وجه يسهل عليه و لم يتعب به و لم ينصب كما قال تعالى: «إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون» «1». و قال «ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ» «2» و لم يكن هناک أمر لأنه تعالى لا يأمر المعدوم، و إنما هو إخبار عن تسهيل الفعل، و أجاز الزجاج أن يكون قيل لهم ذلک بكلام سمعوه فيكون ذلک أبلغ فى الآية النازلة بهم لما يدل على وقوع الأول الذى تبعه الثانى. و ليس كذلک إذا قلت: لما جاء المطر خرج النبات، و قوله تعالى «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا» فلا يقع الرد أصلا.

وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّکَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ إِنَّ رَبَّکَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (167)

---

(1) سورة 16 النحل آية 40
(2) سورة 41 حم السجدة (فصلت) آية 11 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 18
آية بلا خلاف.
التقدير اذكر يا محمّد «إذ تأذن ربک» و معنى تأذن: أعلم، و العرب تقول تعلم ان هذا كذا بمعنى اعلم، قال زهير:
تعلم أن شرّ الناس حى ينادى فى شعارهم يسار «1»
و يسار اسم عبد. و قال زهير ايضاً:
فقلت تعلم ان للصيد غرة و الا تضيعه فإنک قاتله «2»
و قال الزجاج معنى (تأذن) تألى ربک ليبعثن. و قال قوم: معناه امر من اذن يأذن. و قوله: «لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ» قسم من اللّه تعالى انه يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب اى من يوليهم سوء العذاب.
قال ابو جعفر عليه السلام و ابن عباس و قتادة و سعيد بن جبير و الحسن: أراد به أمة محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم يأخذون منهم الجزية.
فان قيل فقد جعلوا قردة كيف يبقون الى يوم القيامة؟
قلنا: إن الذكر لليهود فمنهم من مسخ فجعل منهم القردة و الخنازير و من بقى قمع بذل من اللّه، فهم أذلاء بالقتل او أذلاء بإعطاء الجزية، فهم فى كل مكان أذل اهله لقوله تعالى «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ» «3» اى إلّا ان يعطوا الذمة و العهد.
و فى الآية دليل على ان اليهود لا يكون لهم دولة الى يوم القيامة و لا عزلهم ايضاً و قيل فى معنى البعث هاهنا قولان: أحدهما- الأمر و الإطلاق. و الآخر-

---

(1) الاغانى- دار الثقافة بيروت- 10: 317 الشعار علامة ينصبونها فى سفرهم
(2) تفسير القرطبى 7: 309. و روايته (تضيعها) بدل (تضيعه).
(3) سورة 3 آل عمران آية 112.
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 19
التخلية، و إن وقع على وجه المعصية، كما قال تعالى: «أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا» «1».

و قوله تعالى:«إِنَّ رَبَّکَ لَشَدِيدُ الْعِقابِ» معناه إن ربک يا محمّد لسريع العقاب لمن يستوجبه على كفره و معصيته «وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» اى صفوح عن ذنوب من تاب إليه من معاصيه و رجع الى طاعته يستر عليهم بعفوه و بفضله رحمة بهم فلا ينبغى لأحد ان يصرّ و يأمن عقابه بل ينبغى ان يجوز سرعة عقابه فيبادر إلى التوبة و الاستغفار.

وَ قَطَّعْناهُمْ فِی الْأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَ مِنْهُمْ دُونَ ذلِکَ وَ بَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ وَ السَّيِّئاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (168)

اخبر اللّه تعالى انه قطع بنى إسرائيل يعنى فرقهم فرقاً فى الأرض «اممماً» يعنى جماعات شتى متفرقين فى البلاد، و هو قول ابن عباس و مجاهد، و على اى وجه فرقهم؟ قيل فيه قولان:

أحدهما- فرقهم حتى تشتت أمرهم و ذهب عزهم عقوبة لهم.

الثانى- فرقهم على ما علم انه أصلح لهم فى دينهم.

ثم اخبر عنهم فقال: منهم هؤلاء الصالحون يعنى من بنى إسرائيل الصالحون، و هم الذين يؤمنون باللّه و رسله، و منهم دون ذلک يعنى دون الصالح، و إنما وصفهم بذلک لما كانوا عليه قبل ارتدادهم عن دينهم، و قبل كفرهم بربهم، و ذلک قبل ان يبعث فيهم عيسى عليه السلام.

و قوله: «وَ بَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ وَ السَّيِّئاتِ» معناه اختبرناهم بالرخاء فى العيش

---

(1) سورة 19 مريم آية 84

و الخفض فى الدنيا و الدعة و السعة فى الرزق، و هى الحسنات، و يعنى بالسيئات الشدائد فى الحبس و المصائب فى الأنفس و الأموال «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» اى لكى يرجعوا الى طاعته و ينيبوا الى امتثال أمره.

فان قيل كيف قال: لكى يرجعوا الى الحق، و هم لم يكونوا عليه قط؟! قلنا عنه جوابان:

أحدهما- انهم مارون على وجوههم الى جهة الباطل فدعوا الى الرجوع الى جهة الحق لأن الانصراف عن الباطل رجوع الى الحق.

الثانى- انهم ولدوا على الفطرة و هى دين الحق الذى يلزمهم الرجوع اليه

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى وَ يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا وَ إِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَ دَرَسُوا ما فِيهِ وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (169)

آية بلا خلاف.

معنى الآية ان اللَّه اخبر انه خلف- بعد القوم الذين كانوا فرقهم فى الأرض- خلف، و هم قوم نشؤوا بعدهم من أولادهم و نسلهم، يقال للقرن الذى يجىء فى اثر قرن خلف، و الخلف ما اخلف عليك بدلا مما أخذ منك. و يقال فى هذا خلف ايضاً. فأما ما اخلف عليك بدلا مما ذهب منك، فهو- بفتح اللام- افصح. قال الفراء: يقال: أعطاك اللّه خلفاً مما ذهب لك، فأنت خلف صدق و خلف سوء، قال اللّه تعالى «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ» «1» و اكثر ما يجىء فى المدح

---

(1) سورة 19 مريم آية 59

- بفتح اللام- و فى الذم بتسكينها- و قد تحرك فى الذم و تسكن فى المدح، فمن ذلک فى تسكين اللام فى المدح قول حسان بن ثابت:

لنا القدم الاولى اليک و خلفنا لأولنا فى طاعة اللّه تابع»

و يقال: خلف اللبن إذا حمض من طول تركه فى السقاء حتى يفسد، فالرجل الفاسق مشبه به، و منه خلوف فم الصائم و هو تغيره. و أما بتسكين اللام فى الذم فقول لبيد:

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم و بقيت فى خلف كجلد الأجرب «2»

و قيل ان الخلف الذين ذكرهم اللّه فى هذه الآية أنهم خلفوا من قبلهم هم النصارى- ذهب اليه مجاهد- و هذا الذى قاله جائز، و جائز أيضاً أن يكون المراد به قوم خلفوهم من اليهود.

و قوله تعالى «وَرِثُوا الْكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى» قال قوم. كانوا يرتشون على الأحكام، و يحكمون بجور. و قال آخرون: كانوا يرتشون و يحكون بحق، و كل ذلک عرض خسيس، و معنى «هذَا الْأَدْنى» هذا العاجل، و «يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا» معناه إذا فعلوا ذلک يقولون اللّه يغفر لنا ذلک تمنياً منهم للأباطيل كما قال تعالى «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» «3».

و قوله تعالى «وَ إِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ» دليل على إصرارهم و أنهم

تمنوا أن يغفر لهم مع الإصرار، لان المعنى و ان جاءهم حرام من الرشوة بعد ذلک أخذوه و استحلوه، و لم يرتدعوا عنه- و هو قول سعيد بن جبير و قتادة و السدى و ابن عباس و قال الحسن: معناه لا يشبعهم شىء.

---

(1) ديوانه: 84. و اللسان (خلف) و تفسير القرطبى 7/ 310
(2) ديوانه القصيدة: 8. و اللسان (خلف) و تفسير القرطبى 7/ 310
(3) سورة 2 البقرة آية 79

و قوله «أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَ دَرَسُوا ما فِيهِ» معناه الم يؤخذ على هؤلاء المرتشين فى الأحكام القائلين سيغفر لنا هذا إذا عوتبوا على ذلک و «مِيثاقُ الْكِتابِ» هو ما أخذ اللّه على بنى إسرائيل من العهود باقامة التوراة و العمل بما فيها، فقال تعالى لهؤلاء الذين قصهم توبيخاً لهم على خلافهم أمره و نقضهم عهده و ميثاقه: أ لم يأخذ اللّه عليهم الميثاق فى كتابه ان لا يقولوا على اللّه الا الحق، و لا يضيفوا اليه الا ما أنزله على رسوله موسى فى التوراة و لا يكذبوا عليه و انما احتج عليهم بميثاق الكتاب، و لم يحتج عليهم بالعقل، ليعلمنا ما لا نعلمه مما هو فى كتبهم من ادلة تؤكد ما فى العقل.

و قوله تعالى: «وَ دَرَسُوا ما فِيهِ» المعنى قرؤوا ما فيه و درسوه فضيعوه، و تركوا العمل به. و الدرس تكرر الشىء يقال درس الكتاب إذا كرر قراءته، و درس المنزل: إذا تكرر عليه مرور الأمطار و الرياح حتى يمحى اثره.

و قوله تعالى «وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» أى ما أعده اللّه تعالى لأوليائه فى دار الآخرة من النعيم و الثواب و ذخره للعاملين بطاعته الحافظين لحدوده «خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» يعنى يجتنبون معاصى اللّه و يحذرون عقابه.

و قوله: «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» فمن قرأ بالياء معناه أفلا تعقل هذه الطائفة التى تقدم ذكرها و هم الذين يأخذون عرض هذا الأدنى على أحكامهم و يقولون سيغفر لنا و من قرأ بالتاء قال: معناه قل لهم: أ فلا تعقلون ان الامر على ما اخبر اللّه به و حكى ان طياً تقول فى جمع ميثاق: مياثيق، و فى جمع ميزان: مبازين، و حكى عن غيرهم من اهل الحجاز أيضاً ذلک و انشد بعض الطائيين:

حمى لا يحل الدهر الا باذننا و لا نسل الأقوام عقد المياثيق «1»

---

(1) قائله عياض بن درة الطائى. اللسان (وثق)

وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتابِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (170)
قرأ أبو بكر «يمسكون» بتسكين الميم، الباقون بفتحها و تشديد السين. من خفف السين فلقوله تعالى «فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ» «1» و قوله «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» «2» و قوله «فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ» «3». و من شدد أراد التكثير، و هو اولى لقوله تعالى «وَ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ» «4» اى لا تؤمنون ببعضه و تكفرون ببعضه بل تؤمنون بجميعه. و يقوى التشديد ما روى عن أبى أنه قرأ (مسّكوا بالكتاب) و معنى «يمسكون» اى يأخذون بما فيه من حلاله و حرامه.
أخبر اللَّه تعالى ان الذين يعملون بما فى الكتاب و يقيمون الصلاة مع دخولها فى التمسك بالكتاب لجلالة موقعها و شدة تأكدها أنه لا يضيع جزاء عملهم، و يثيبهم بما يستحقونه، لأنى لا أضيع لاحد- أصلح عمله فعمل بطاعتى- أجر عمله، و هو قول ابن زيد و مجاهد، و جميع المفسرين. و التقدير إنا لا نضيع أجر المصلحين منهم لان من كان غير مؤمن و أصلح فأجره ساقط، لأنه يوقعه على خلاف الوجه الذى يستحق به الثواب. و يمسكون بالكتاب و يمسكون و يتمسكون و يستمسكون بمعنى واحد أى يعتصمون به و يعملون بما فيه. و خبر (الذين) قوله «إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ» فاستغنى بذكر العلة عن ذكر المعلول.

---

(1) سورة 2 البقرة آية 229
(2) سورة 33 الأحزاب آية 37.
(3) سورة 5 المائدة آية 5
(4) سورة 3 آل عمران آية 119.

وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَ ظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (171)

هذا خطاب لنبينا محمّد صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقول اللَّه له: اذكر يا محمّد الوقت الذى نتقا فيه الجبل اى رفعناه فوقهم حتى صار كأنه ظلة. و قيل: إنه رفع الجبل على عسكرهم فرسخاً فى فرسخ.

و امرأة منتاق و ناتق كثيرة الولد. و قال ابن الاعرابى الناتق الرافع، و الناتق الفاتق، و الناتق الباسط، و قال العجاج:

ينتق انتقاق الشليل نتقا «1»

يعنى يرفعه عن ظهره. و قال الآخر:

و نتقوا أحلامنا الاثاقلا «2»

و قال النابغة:

لم يحرموا حسن الغذاء و أمهم دحقت عليک بناتق مذكار «3»

و يروى طفحت عليک بناتق. و يقال: نتق السير إذا حركه، و يقال: ما ينتق برجله و لا يركض، و النتق نتق الدابة صاحبها حين تعدو به و تتبعه حتى تربو فذلک النتق. و قال بعضهم: معنى «نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ» فرفعناه بنتقه نتقاً.

قال ابو عبيدة:

سمعت من يقول: أخذ الجراب فنتق ما فيه إذا نثر ما فيه و الأصل نتقت كل شىء و قوله عز و جل «كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ» يعنى به غماماً من الظلال و قوله «وَ ظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ» قال الحسن معناه علموا. و قال الجبائى و الرمانى: هو الظن بعينه، لأنه قوى فى

---

(1) ديوانه 40 و تفسير الطبرى الطبعة الثانية 9/ 109 [.....]

(2، 3) اللسان (نتق). و تفسير الطبرى الطبعة الثانية 9/ 110

نفوسهم ذلک.

و قوله «خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ» أى قلنا لهم: خذوا ما آتيناكم بجد يعنى ما ألزمناكم من احكام كتابنا و فرائضه فاقبلوه باجتهاد منكم فى أوانه من غير تقصير و لا توان. و قال الجبائى: معناه خذوه بالقدرة التى آتاكم اللَّه و أقدركم بها لأنهم لو لم يكونوا قادرين لما كلفهم اللَّه ذلک، و ذلک يفسد مذهب من قال القدرة مع الفعل.

و قوله «وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ» معناه ما فى كتابه من العهود و المواثيق التى أخذناها عليكم، بالعمل بما فيه لكى تتقوا ربكم فتخافوا عقابه بترككم العمل به إذا ذكرتم ما أخذ عليكم فيه من مواثيق.

و كان سبب رفع الجبل عليهم ان موسى عليه السلام لما أتاهم بالتوراة و وقفوا على ما فيها من الأحكام و الحدود و التشديد فى العبادة أبوا أن يقبلوا ذلک و إن يتمسكوا به و ان يعملوا بما فيه. و قالوا: إن ذلک يغلظ علينا، فرفع اللّه الجبل كالظلة عليهم، و عرفهم موسى انهم إن لم يقبلوا التوراة و لم يعملوا بما فيها وقع عليهم فأخذوا بالتوراة و قبلوا ما فيها و صرف اللّه نزول الجبل عليهم. قال ابن عباس فلذلک صارت اليهود تسجد على قرنها الأيسر، لأنهم سجدوا كذلک ينظرون الى الجبل و كأنها سجدة نصبها اللّه. و إنما اتخذت النصارى المشرق قبلة، لأن مريم عليها السلام اتخذت مكاناً شرقياً حين حملت بعيسى. و قال مجاهد: معناه إن أخذتموه بجد و حسن نية و إلا القى الجبل عليكم. و قال ابو مسلم إن رفع الجبل كان ليظلهم من الغمام، و ذلک خلاف اقوال المفسرين و ما يقتضيه سياق الكلام.

وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلی أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قالُوا بَلی شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ الْقِیامَةِ إِنَّا کُنَّا عَنْ هذا غافِلِینَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَکَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ کُنَّا ذُرِّیَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِکُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 26

قرأ ابن کثیر و أهل الکوفة «ذریتهم» علی التوحید. الباقون ذریاتهم علی الجمع. و قرأ ابو عمرو «و ان یقولوا، او یقولوا» بالیاء فیهما. الباقون بالتاء.

و (الذریة) قد یکون جمعاً نحو قوله تعالی «وَ کُنَّا ذُرِّیَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ» و قوله تعالی «ذُرِّیَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ» «1» و قد یکون واحداً کقوله: «هَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ ذُرِّیَّةً طَیِّبَةً ... فَنادَتْهُ الْمَلائِکَةُ ... أَنَّ اللَّهَ یُبَشِّرُکَ بِیَحْیی» «2» فهو مثل قوله:

«فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا یَرِثُنِی» «3» فقال اللَّه: «یا زَکَرِیَّا إِنَّا نُبَشِّرُکَ بِغُلامٍ اسْمُهُ یَحْیی» «4».

فمن أفرد جعله اسماً و استغنی عن جمعه بوقوعه علی الجمع.

و من جمع قال: لأنه إن کان واقعاً علی الواحد فلا شک فی جواز جمعه و إن کان جمعاً فجمعه أیضاً حسن، لأنه قد وردت الجموع المکسرة و قد جمعت نحو الطرقات و صواحبات یوسف.

و حجة من أفرد قال: لا یقع علی الواحد و الجمیع. فأما وزن (ذریة) فانه یجوز أن تکون (فعلولة) من الذر، فأبدلت من الراء التی هی لام الفعل الأخیرة یاء کما أبدلت من دهریة، یدلک علی البدل فیه قولهم: دهرورة، و یحتمل ان تکون فعلیة منه فأبدلت من الراء الیاء، کما تبدل من هذه الحروف فی التضعیف و إن وقع فیها الفصل. و یحتمل أن تکون (فعلیه) نسبة الی الذر و أبدلت الفتحة منها ضمة کما أبدلوا فی الاضافة إلی الدهر دهری و الی سهل سهلی. و یجوز أن تکون (فعلیة) من ذرأ اللَّه الخلق، أجمعوا علی تخفیفها کما أجمعوا علی تخفیف البرّیة. و یجوز ان

---

(1) سورة 17 الاسراء آیة 3

(2) سورة 3 آل عمران آیة 38- 39

(3) سورة 19 مریم آیة 4

(4) سورة 19 مریم آیة 6.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 27

تکون من قوله «تَذْرُوهُ الرِّیاحُ» «1» أبدلت من الواو الیاء لوقوع یاء قبلها.

و حجة أبی عمرو فی قراءته بالیاء ان ما تقدم ذکره من الغیبة و هو قوله

عز و جل «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظَهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلی أَنْفُسِهِمْ» کراهیة ان یقولوا أو لئلا یقول، و یؤکد ذلک ما جاء بعد من الاخبار عن الغیبة و هو قوله:
«قالُوا بَلی».
و حجة من قرأ بالتاء انه قد جری فی الکلام خطاب و هو قوله «أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قالُوا بَلی شَهِدْنا» و کلا الوجهین حسن لأن الغیب هم المخاطبون فی المعنی.
و هذا خطاب للنبی صلی اللَّه علیه و آله و سلم قال اللَّه تعالی له: و اذکر أیضاً الوقت الذی أخذ اللَّه فیه من بنی آدم من ظهورهم ذریتهم و اشهدهم علی أنفسهم ا لست بربکم؟.
و اختلفوا فی معنی هذا الأخذ فیه و هذا الاشهاد:
فقال البلخی و الرمانی أراد بذلک البالغین من بنی آدم و إخراجه إیاهم ذریة قرناً بعد قرن و عصراً بعد عصر و اشهاده إیاهم علی أنفسهم تبلیغه إیاهم و إکماله عقولهم، و ما نصب فیها من الأدلة الدالة بأنهم مصنوعون و ان المصنوع لا بد له من صانع، و بما اشهدهم مما یحدث فیهم من الزیادة و النقصان و الآلام و الأمراض الدال بجمیع ذلک علی ان لهم خالقاً رازقاً تجب معرفته و القیام بشکره، و ما اخطر بقلوبهم من تأکید ذلک و الحث علی الفکر فیه، ثم إرساله الرسل و إنزاله الکتب، لئلا یقولوا إذا صاروا الی العذاب: إنا کنا عن هذا غافلین، لم ینبه علینا و لم تقم لنا حجة علیه و لم تکمل عقولنا فنفکر فیه، او یقول قوم منهم: إنما أشرک آباؤنا حین بلغوا و عقلوا فأما نحن فکنا أطفالا لا نعقل و لا نصلح للفکر و النظر و التدبیر.
و قال الجبائی: أخذه ذریاتهم من ظهورهم انه خلقهم نطفاً من ظهور الآباء، ثم خلقهم فی أرحام الأمهات، ثم نقلهم من خلقة الی خلقة، و صورة الی صورة، ثم صاروا حیواناً بأن أحیاهم اللَّه فی الأرحام، و أتم خلقهم، ثم أخرجهم من الأرحام بالولادة

---

(1) سورة 18 الکهف آیة 46

و قوله تعالی: «وَ أَشْهَدَهُمْ عَلی أَنْفُسِهِمْ» یعنی عند البلوغ و کمال العقل و عند ما عرفوا ربهم فقال لهم علی لسان بعض أنبیائه «أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ»؟ فقالوا: بلی شهدنا بذلک و أقررنا به لأنهم کانوا باللَّه عارفین انه ربهم.
و قوله تعالی «أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ الْقِیامَةِ إِنَّا کُنَّا عَنْ هذا غافِلِینَ» معناه لئلا تقولوا یوم القیامة إنا کنا عن هذا غافلین فأراد بذلک انی انا قررتکم بهذا لتواظبوا علی طاعتی و تشکروا نعمتی و لا تقولوا یوم القیامة: إنا کنا عن هذا غافلین.
و قوله تعالی «أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَکَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ کُنَّا ذُرِّیَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ»

فنشأنا على شركهم فتحتجَوا يوم القيامة بذلک، فبين انى قد قطعت بذلک حجتكم هذه بما قررتكم به من معرفتى و أشهدتكم على أنفسكم باقراركم و بمعرفتكم إياى.
و قوله «أَ فَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ» من آبائنا. و هذا يدل على انها مخصوصة فى قوم من بنى آدم و انها ليست فى جميعهم، لأن جميع بنى آدم لم يؤخذوا من ظهور بنى آدم لان ولد آدم لصلبه لا يجوز ان يقال: إنهم أخذوا من ظهور بنى آدم فقد خرج ولد آدم لصلبه من ذلک و خرج ايضاً أولاد المؤمنين من ولد آدم الذين لم يكن آباؤهم مشركين، لأنه بين ان هؤلاء الذين أقروا بمعرفة اللَّه و أخذ ميثاقهم بذلک كان قد سلف لهم فى الشرک آباء. فصح بذلک انهم قوم مخصوصون من أولاد آدم.
فأما ما
روى ان اللَّه تعالى اخرج ذرية آدم من ظهره و اشهدهم على أنفسهم و هم كالذر
، فان ذلک غير جائز لأن الأطفال فضلا عمن هو كالذر لا حجة عليهم، و لا يحسن خطابهم بما يتعلق بالتكليف، ثم ان الآية تدل على خلاف ما قالوه.
لأن اللَّه تعالى قال «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِى آدَمَ» و قال «مِنْ ظُهُورِهِمْ» و لم يقل من ظهره. و قال «ذريتهم» و لم يقل ذريته، ثم قال «أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَکَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ» فأخبر ان هذه الذرية قد كان قبلهم آباء مبطلون و كانوا هم بعدهم. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 29
على ان راوى هذا الخبر سليمان بن بشار الجهنى، و قيل مسلم بن بشار عن عمر بن الخطاب و قال يحيى بن معين: سليمان هذا لا يدرى اين هو. و ايضاً فتعليل الآية يفسد ما قالوه. لأنه قال: فعلت هذا لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين و العقلاء اليوم فى دار الدنيا عن ذلک غافلون.
فان قيل نسوا ذلک لطول العهد او لأن الزمان كان قصيراً كما يعلم الواحد منا أشياء كثيرة ضرورة ثم ينساها كما ينسى ما فعله فى امسه و ما مضى من عمره.
قلنا: إنما يجوز ان ينسى ما لا يتكرر العلم به و لا يشتد الاهتمام به، فأما الأمور العظيمة الخارقة للعادة، فلا يجوز ان ينساها العاقل. الا ترى ان الواحد منا لو دخل بلاد الزنج و رأى الأفيلة و لو يوماً واحداً من الدهر لا يجوز ان ينسى ذلک حتى لا يذكره أصلا مع شدة اجتهاده و استذكاره؟! و لو جاز ان ينساه واحد لما جاز ان ينساه الخلق بأجمعهم. و لو جوزنا ذلک للزمنا مذهب التناسخ و ان اللَّه كان قد كلف الخلق فيما مضى و أعادهم، إما لينعمهم أو ليعاقبهم. و نسوا ذلک، و ذلک يؤدى الى التجاهل.
على ان أهل الآخرة يذكرون ما كان منهم من احوال الدنيا و لم يجب ان ينسوا ذلک لطول العهد، و لا المدة التى مرت عليهم و هم أموات و كذلک

اصحاب الكهف لم ينسوا ما كانوا فيه قبل نومهم لما انتبهوا مع طول المدة فى حال نومهم، فعلمنا ان هؤلاء العقلاء لما كانوا شاهدوا ذلک و حضروه و هم عقلاء لما جاز ان يذهب عنهم معرفة ذلک لطول العهد، و لوجب أن يكونوا كذلک عارفين.
و قال قوم و هو المروى فى أخبارنا إنه لا يمنع ان يكون ذلک مختصاً بقوم خلقهم اللّه و أشهدهم على أنفسهم بعد ان أكمل عقولهم و أجابوه ب (بلى)، و هم اليوم يذكرونه و لا يغفلون عنه، و لا يكون ذلک عاماً فى جميع العقلاء و هذا وجه ايضاً قريب يحتمله الكلام.
و حكى أبوا الهذيل فى كتابه الحجة: أن الحسن البصرى و أصحابه كانوا التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 30
يذهبون الى ان نعيم الأطفال فى الجنة ثواب عن إيمانهم فى الذر.
و حكى الرمانى عن كعب الأحبار: انه كان يخبر خبر الذر غير انه يقول ليس تأويل الآية على ذلک. و إنما فعل ليجروا على الاعراف الكريمة فى شكر النعمة و الإقرار للّه بالوحدانية، كما
روى انهم ولدوا على الفطرة.
و يدل على فساد قولهم قوله تعالى «وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً» «1» فهم لو كانوا أخرجوا من ظهر آدم على صورة الذر كانوا ابعد من ان يعلموا او يعقلوا و متى قالوا أكمل اللّه عقولهم فقد مضى الكلام عليهم.
و ذكر الأزهرى و روى ذلک عن بعض من تقدم إن قوله: «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى» تمام الكلام. و قوله «شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ» حكاية عن قول الملائكة انهم يقولون شهدنا لئلا تقولوا.
و هذا خلاف الظاهر و خلاف ما عليه جميع المفسرين لأن الكل قالوا (شهدنا) من قول من قال (بلى) و ان اختلفوا فى كيفية الشهادة على ان الملائكة لم يجر لها ذكر، فكيف يكون ذلک إخباراً عنهم.

وَ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ وَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (174)
إنا كما بينا لكم هذه الآيات كذلک نفصلها للعباد و نبينها لهم. و تفصيله الآيات هو تمييز بعضها من بعض ليتمكنوا من الاستدلال بكل واحدة منها على جهتها و بين أنه فعل ذلک بهم ليتوبوا و ليرجعوا عن معاصيه الى طاعته و عن الكفر الى الايمان به.

---

(1) سورة 16 النحل آية 78

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ (175)
آية بلا خلاف.
هذا خطاب من اللّه تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يأمره بأن يقرأ على بنى إسرائيل و غيرهم من أمته خبر الذى أتاه اللّه حججه و بيناته فانسلخ منها فأتبعه الشيطان و كان من جملة الغاوين الخائبين الخاسرين. و قيل معناه الضالين الهالكين.
و اختلفوا فى المعنى بقوله «آتَيْناهُ آياتِنا»: فقال ابن عباس و مجاهد: هو بلعام بن باعورا من بنى إسرائيل. و قال: معنى «فَانْسَلَخَ مِنْها» ما نزع منه من العلم. و روى عن عبد اللّه بن عمر انها نزلت فى أمية بن أبى الصلت. و قال مسروق و عبد اللَّه: هى فى رجل من بنى إسرائيل يقال له بلعم بن باعورا. و قال قوم: هو رجل من الكنعانيين. و قال الحسن: هذا مثل ضربه اللّه للكافر آتاه اللّه آيات دينه «فَانْسَلَخَ مِنْها» يقول اعرض عنها و تركها «فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ» خذ له اللّه و خلى عنه و عن الشيطان، و هو مثل قوله تعالى «كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ» «1» اى كتب على الشيطان انه من تولى الشيطان فان الشيطان يضله. و قال الجبائى أراد به المرتد الذى كان اللّه آتاه العلم به و بآياته فكفر به و بآياته و بدينه من بعد ان كان به عارفاً فانسلخ من العلم بذلك و من الايمان.
و قوله «فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ» معناه ان الشيطان اتبعه كفار الانس و غواتهم حتى اتبعوه على ما صار اليه من الكفر باللّه و بآياته. و قيل اتبعه الشيطان بالتزيين و الإغواء حتى تمسك بحبله و كان من الغاوين الخائبين من رحمة اللّه، قال و هو رجل من المتقدمين يقال له: بلعام بن باعورا.

---

(1) سورة 22 الحج آية 4

اتبعه الشيطان، و اتبعه لغتان و بالتخفيف معناه قفاه، و بالتشديد حذا حذوه و إذا أردت اقتدا به فبالتشديد لا غير. فأما ما روى أن الآية كانت النبوة فانه باطل، فان اللّه تعالى لا يؤتى نبوته من يجوز عليه مثل ذلك، و قد دل دليل العقل و السمع على ذلك قال اللّه تعالى «وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ» «1» و قال «الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ» «2» فكيف يختار من ينسلخ عن النبوة.
و قيل: إن الآية كانت الاسم الأعظم و هذا ايضاً نظير الاول لا يجوز ان يكون مراداً، و القول هو ما تقدم من اكثر المفسرين: ان المعنى به بلعم بن

باعورا و من قال امية بن أبى الصلت قال كان اوتى علم الكتاب فلم يعمل به. و الوجه الذى قاله الحسن يليق بمذهبنا دون الذى قاله الجبائى، لان عندنا لا يجوز ان يرتد المؤمن الذى عرف اللّٰه على وجه يستحق به الثواب.
و النبأ الخبر عن الامر العظيم و منه اشتقاق النبوة: نبأه اللّٰه جعله نبياً و إنما آتاه اللّٰه الآيات باللطف حتى تعلمها و فهم معانيها و قال ابو مسلم: الاية فى كل كافر بين اللّٰه له الحق فلم يتمسک به.
و قال ابو جعفر عليه السلام فى الأصل بلعم ثم ضرب مثلا لكل مؤثر هواه على هدى اللّٰه تعالى من اهل القبلة.

وَ لَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176)

---

(1) سورة 44 الدخان آية 32
(2) سورة 38 ص آية 47

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 33

الهاء فى (لرفعناه) كناية عن الذى تقدم ذكره، و هو الذى آتاه اللَّه آياته فانسلخ منها، فأخبره اللَّه تعالى انه لو شاء لرفعه بتلك الآيات.

و اختلفوا فى معنى هذه المشيئة فقال الجبائى: المعنى لو شئنا لرفعناه بإيمانه و معرفته قبل ان يكفر لكن ابقيناه ليزداد الايمان، فكفر. و قال البلخى هذا اخبار عن قدرته انه لو شاء لحال بينه و بين الكفر و الارتداد، و هو الذى نختاره لأنا قد بينا ان المؤمن لا يجوز ان يرتد. و قال الزجاج: معناه لو شئنا ان نحول بينه و بين المعصية لفعلنا.

و قوله «وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ» معناه سكن الى الدنيا و ركن اليها و لم يسم الى الغرض الأعلى. يقال أخلد فلان الى كذا و كذا و خلد، و بالألف اكثر فى كلام العرب، و المعنى إنه سكن الى لذات الدنيا و اتبع هواه أى لم نرفعه بالآيات لاتباع هواه. و قيل معنى أخلد قعد و يقال: فلا مخلد إذا أبطأ عنه الشيب و مخلد إذا لم تسقط أسنانه- هكذا ذكره الفراء- و من الدواب الذى تبقى ثناياه حتى تخرج رباعيتاه. و أخلد بالمكان إذا اقام به، قال زهير:

لمن الديار غشيتها بالفدفد كالوحى فى حجر المسيل المخلد «1»

و قال مالك بن نويرة:

بأبناء حى من قبائل مالك و عمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا «2»

و قال ابو عبيدة هو اللزوم للشىء و التقاعس فيه و قال سعيد بن جبير معناه ركن الى الأرض، و قال مجاهد: معناه سكن اليها.

---

(1) ديوانه 268، و اللسان (خلد). و (الفدفد) الفلاة التى لا شىء بها.
و قيل: هى الأرض الغليظة ذات الحصى، و قيل غير ذلك و (الوحى) الكتابة و (حجر المسيل) هو حجر صلب يكتبون فيه.
(2) الاصمعيات: 323.

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 34

و قوله: «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ» ضرب اللَّه مثل التارك لآياته و العادل عنها بأخس مثل فى أخس أحواله، فشبهه بالكلب، لأن كل شىء يلهث فإنما

يلهث فى حال الاعياء و الكلال إلا الكلب فانه يلهث فى حال الراحة و التعب، و حال الصحة و حال المرض. و حال الرى و حال العطش، و جميع الأحوال، فقال تعالى إن وعظته فهو ضال و ان لم تعظه فهو ضال كالكلب إن طردته و زجرته فانه يلهث، و إن تركته يلهث، و هو مثل قوله «وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَواءٌ عَلَيْكُمْ أَ دَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ» «1».

و قوله تعالى «ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا» يعنى هذا المثل الذى ضربه بالكلب هو مثل الذين كَذبوا بآيات اللَّه. و قال الجبائى إنما شبهه بالكلب لأنه لما كفر بعد إيمانه صار يعادى المؤمنين و يؤذيهم، كما ان الكلب يؤذى الناس طردته أو لم تطرده فانه لا يسلم من اذاه.

و قوله تعالى «فَاقْصُصِ الْقَصَصَ» معناه فاقصص على الناس ما نبينه لک لكى يتذكروا و يتفكروا فيرجعوا الى طاعة اللَّه و ينزجروا عن معاصيه. و قال ابن جريج مثله بالكلب، لان الكلب لا فؤاد له فيقطعه الفؤاد حملت عليه او تركته، شبه من ترک الآيات كأنه لا فؤاد له. و اللهث التنفس الشديد من شدة الاعياء، و فى الكلب طباع يقال: لهث يلهث لهثاً فهو لاهث و لهثان.

ساءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ أَنْفُسَهُمْ كانُوا يَظْلِمُونَ (177)
آية بلا خلاف.
التقدير ساء مثلا مثل القوم، و حذف لدلالة الكلام عليه و «أنفسهم» نصب

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 192
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 35
ب (يظلمون) وصف اللّه تعالى هذا المثل الذى ضربه و ذكره بأنه ساء مثلا اى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات اللّه، و انهم بذلک لا يظلمون إلا أنفسهم دون غيرهم، لأن عقاب ما يفعلونه من المعاصى يحل بهم فان اللّه تعالى لا يضره كفرهم و لا معصيتهم كما لا ينفعه طاعتهم و إيمانهم.

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِی وَ مَنْ يُضْلِلْ فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ (178)
«فَهُوَ الْمُهْتَدِی» کتب- هاهنا- بالیاء لیس فی القرآن غیره بالیاء، و اثبت الیاء فی اللفظ هاهنا جمیع القراء. و قال الجبائی: معنی الآیة من یهدیه اللّه الی نیل الثواب. کما یهدی المؤمن إلی ذلک و الی دخول الجنة فهو المهتدی للایمان و الخیر، لأن المهتدی هو المؤمن فقد صار مهتدیاً الی الایمان و الی نیل الثواب.
و من یضله اللَّه عن الجنة و عن نیل ثوابها عقوبة علی کفره او فسقه، «فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ» لأنهم خسروا الجنة و نعیمها و خسروا أنفسهم و الانتفاع بها. و قال البلخی المهتدی هو الذی هداه اللّه فقبل الهدایة و أجاب الیها، و الذی أضله اللّه هو الضال الذی اختار الضلالة فأضله اللّه بمعنی خلی بینه و بین ما اختاره و ترک منعه بالخیر علی انه إذا ضل عن امر اللّه عند امتحانه و تکلیفه جاز أن یقال: ان اللّه أضله. و قیل: معنی «مَنْ یَهْدِ اللَّهُ» من یحکم اللّه بهدایته «فَهُوَ الْمُهْتَدِی» و من حکم بضلالته فهو الخائب الخاسر.

وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ (179)

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 36

آية بلا خلاف.

معنى «ذَرَأنا» خلقنا يقال: ذرأهم يذرأهم و اللام فى (لجهنم) لام العاقبة.

و المعنى انه لما كانوا يصيرون اليها بسوء اختيارهم و قبح أعمالهم جاز أن يقال: إنه ذرأهم لها و الذى يدل على ان ذلک جزاء على أعمالهم قوله «لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها» و أخبر عن ضلالهم الذى يصيرون به الى النار، و هو مثل قوله تعالى «إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً» «1» و مثل قوله «رَبَّنا إِنَّکَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِينَةً وَ أَمْوالًا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِکَ» «2» و مثل قوله عز و جل «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «3» و إنما التقطوه ليكون قرة عين كما قالت امرأة فرعون عند التقاطه «قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَکَ لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً» «4» و مثله قول القائل: أعددت هذه الخشبة ليميل الحائط فأسنده بها و هو لا يريد ميل الحائط. و مثله قول الشاعر:

و للموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن «5»

و قال الآخر:

أموالنا لذوى الميراث نجمعها و دورنا لخراب الدهر نبنيها «6»

و قال الآخر:

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 178 [.....]

(2) سورة 10 يونس آية 88

(3) سورة 28 القصص آية 8

(4) سورة 28 القصص آية 9

(5) قائله سابق البربرى او (البريدى) العقد الفريد 1/ 269

(6) انظر 3/ 60 من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 37

وام سماک فلا تجزعى فللموت ما تلد الوالدة «1»

و قال آخر:

لدوا للموت و ابنوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب «2»

و قوله «لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها» معناه انهم لما لم يفقهوا بقلوبهم و لم يسمعوا بآذانهم و لم

يبصروا بعيونهم ما كانوا يؤمرون به و يدعون اليه سموا بكما عمياَ صماَ. و لما لم ينتفعوا بجوارحهم اشبهوا العمى البكم الصم، لان هؤلاء لا ينتفعون بجوارحهم فأشبهوهم فى زوال الانتفاع بالجوارح و سموا بأسمائهم، و مثله قول مسكين الدارمى:
أعمى إذا ما جارتى خرجت حتى يوارى جارتى الخدر
و يصم عما كان بينهما سمعى و ما بى غيره و قر «3»
فجعل نفسه أصم و أعمى لما لم ينظر و لم يسمع و قال آخر:
و كلام سىء قد و قرت أذنى عنه و ما بى من صمم
و قال آخر:
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به و إن ذكرت بسوء عندهم أذنوا «4»
و هذا كثير. و يجوز أن يكون قوله تعالى «ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ» معناه ميزنا.
و يقال: ذرأت الطعام و الشعير أى ميزت ذلك من التبن و المدر، فلما كان اللّه

(1، 2) انظر 3/ 60 من هذا الكتاب.
(3) تفسير الطبرى الطبعة الثانية 9/ 132. و روايته «الستر» بدل «الخدر» «و ما بالسمع من وقر» بدل «و ما بى غيره وقر» و قد مر البيتان فى 1/ 90 و فى 2/ 113 من هذا الكتاب.
(4) قائله قعنب بن أم صاحب اللسان و التاج (أذن) و فى مجاز القرآن 1/ 177 هكذا:
إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا و إن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

تعالى قد ميز اهل النار من اهل الجنة فى الدنيا بالتسمية و الحكم و الشهادة جاز ان يقول ذرأناهم اى ميزناهم. ثم وصفهم بصفة تخالف أوصاف اهل الجنة يعرفون بها فقال «لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها» إلى آخرها.
و يجوز ان يكون قوله «ذرأنا» بمعنى سنذرأ كما قال: «وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ» «1» بمعنى سينادون، فكأنه قال سيخلقهم خلقاً ثانياً للنار بأعمالهم التى تقدمت منهم فى الدنيا إذ كانوا استحقوا النار بتلك الاعمال. و لا يجوز أن يكون معنى الاية إن اللّه خلقهم لجهنم و أراد منهم ان يفعلوا المعاصى، فيدخلوا بها النار، لأن اللّه تعالى لا يريد القبيح، لأن إرادة القبيح قبيحة، و لان مريد القبيح منقوص عند العقلاء تعالى اللّه عن صفة النقص، و لأنه قال «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» «2» فبين انه خلق الخلق للعبادة و الطاعة و قال «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ» «3» و قال «وَ لَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا» «4» و قال «لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» «5» و قال «إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» «6» و نظائر

ذلَک اکثر من ان تحصی، فکیف یقول بعد ذلکَ «وَ لَقَدْ ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ» و هل هذا إلا تناقض تنزه کلام اللَّه عنه.
و قوله «أُولئِکَ کَالْأَنْعامِ» یعنی هؤلاء الذین لا یتدبرون بآیات اللَّه و لا یستدلون بها علی وحدانیته و صدق رسله أشباه الانعام و البهائم التی لا تفقه و لا تعلم ثم قال «بَلْ هُمْ أَضَلُّ» یعنی من البهائم، لأن فی البهائم ما إذا زجرتها انزجرت و إذا أرشدتها الی طریق اهتدت و هؤلاء لعتوهم و کفرهم لا یهتدون الی شیء من الخیرات مع ما رکب اللَّه فیهم من العقول التی تدلهم علی الرشاد و تصرفهم عن الضلال

---

(1) سورة 7 الأعراف آیة 43
(2) سورة 51 الذاریات آیة 56
(3) سورة 4 النساء آیة 63
(4) سورة 25 الفرقان آیة 50
(5) سورة 57 الحدید آیة 25
(6) سورة 63 المؤمنون آیة 45 [.....]

و لیس ذلک فی البهائم، و مع ذلک تهتدی الی منافعها و تتحرز عن مضارها، و الکافر لا یفعل ذلک. ثم قال «أُولئِکَ هُمُ الْغافِلُونَ» یعنی هؤلاء هم الغافلون عن آیاتی و حججی و الاستدلال بها و الاعتبار بتدبرها علی ما تدل علیه من توحیده، لان البهائم التی هی مسخرة مصروفة لا اختیار لها

وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ سَيُجْزَوْنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (180)
آية اجماعاً.
قرأ حمزة «يلحدون» بفتح الحاء و الياء- هاهنا- و فى النحل و حم السجدة وافقه الكسائى و خلف فى النحل، و الباقون بضم الياء من قرأ بكسر الحاء، فلقوله «وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ» «1» و ألحد أكثر فى الكلام قال الشاعر:
ليس الامام بالشحيح الملحد و لا يكاد يسمع لأحد «2»
و الإلحاد العدول عن الاستقامة و الانحراف عنها و منه اللحد الذى يحفر فى جانب القبر خلاف الضريح الذى يحفر فى وسطه فمعنى «يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا» يجورون عن الحق فيها. و روى ابو عبيدة عن الأحمر: لحدت جرت و ملت و ألحدت ما ريت و جادلت قال: و قال ابو عبيدة لحدت له و ألحدت للميت بمعنى واحد.
و قال ابن جريج اشتقوا العزى من العزيز و اللات من اللَّه. و كان ذلك إلحاداً.
و قال ابن عباس: الحادهم تكذيبهم. و قال قتادة: هو شركهم. و قال قوم: هو تسميتهم الأصنام بآنها آلهة.
أخبر اللَّه تعالى ان له الأسماء الحسنى نحو قوله تعالى «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»

---

(1) سورة 22 الحج آية 25
(2) قائله حميد بن ثور. اللسان «لحد»

و غير ذلك من الأسماء التى تليق به، و هى الأسماء الراجعة إلى ذاته او فعله نحو العالم العادل، و السميع البصير المحسن المجمل، و كل اسم للَّه فهو صفة مفيدة لأن اللقب لا يجوز عليه. و امر تعالى ان يدعوه خلقه بها و ان يتركوا اسماء اهل الجاهلية و تسميتهم أصنامهم آلهة و لاتاً و غير ذلك. و قال الجبائى: يحتمل أن يكون أراد تسميتهم المسيح بأنه ابن اللَّه و عزيراً بأنه ابن اللَّه تعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً.
و قال قوم: هذا يدل على أنه لا يجوز أن يسمى اللَّه إلا بما سمى به نفسه.
و قوله «وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ» فيه تهديد للكفار و أن اللَّه تعالى سيعاقبهم على عدولهم عن الحق فى تغيير أسمائه.
و قوله تعالى «سَيُجْزَوْنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» معناه سيجزون جزاء ما كانوا يعملون من المعاصى بأنواع العذاب. قال الرمانى الاسم كلمة تدل على

المعنى دلالة الاشارة، و الفعل كلمة تدل على المعنى دلالة الافادة. و الصفة كلمة مأخوذة للمذكور من اصل من الأصول لتجرى عليه تابعة له.

وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ (181)
أخبر اللَّه تعالى أن من جملة من خلقه جماعة يهدون بالحق، و هداهم بالحق هو دعاؤهم الناس الى توحيد اللَّه و الى دينه و تنبيههم إياهم على ذلک. و قال قوم معنى (يهدون) يهتدون «وَ بِهِ يَعْدِلُونَ» معناه إنهم يعملون بالعدل و الانصاف فيما بينهم و بين الناس.
و هذا إخبار ان فيما خلق قوماً هذه صفتهم و لا يدل ذلک على ان فى كل عصر يوجد قوم هذه صفتهم و لو لم يوجدوا إلا فى وقت واحد كانت الفائدة حاصلة بالاية، فلا يمكن الاستدلال بها على ان اجماع اهل الاعصار حجة. على ان عندنا انه لا يخلوا وقت من الأوقات ممن يجب اتباعه و تثبت عصمته و يكون حجة اللَّه على التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 41
خلقه فيمكن أن يكون المراد بالآية من ذكرناه.
و قال ابو جعفر عليه السلام و قتادة و ابن جريج: الآية فى أمة محمّد صلّى اللَه عليه و آله و سلم و هو مثل قوله تعالى «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا» «1» فكما أنه لا يدل على وجود أئمة فى كل وقت فكذلک ما قالوه.

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (182) وَ أُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ (183)

آيتان المعنى إن الذين كذبوا بآيات اللَّه التى تضمنها القرآن و المعجزات الدالة على صدق النبى صلى الله عليه و آله و سلم و كفروا بها سنستدرجهم من حيث لا يعلمون استدراجاً لهم الى الهلكة حتى يقعوا فيها بغتة من حيث لا يعلمون، كما قال تعالى «بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّها» «2» و قال: «فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» «3» فيقولوا هل نحن منظرون؟ و يجوز ان يكون من عذاب الآخرة.

فأما من قال من المجبرة: إن معنى الآية أن اللَّه يستدرجهم الى الكفر و الضلال فباطل، لأن اللَّه تعالى لا يفعل ذلک لأنه قبيح ينافى الحكمة، ثم إن الآية بخلاف ذلک لأنه بين أن هؤلاء الذين يستدرجهم كفار باللَّه و برسوله و بآياته، و انه سيستدرجهم فى المستقبل لأن السين لا تدخل إلا على المستقبل فلا معنى لقوله «إن الذين كفروا سنستدرجهم» الى الكفر، لأنهم كفار قبل ذلک، و لا يجب فى الكافر أن يبقى حتى يواقع كفراً آخر، لأنه يجوز أن يميته اللَّه تعالى، فبان بذلک أن المراد أنه سيستدرجهم الى العذاب و العقوبات من حيث لا يعلمون فى مستقبل أمرهم بقوا أو لم يبقوا.

على ان الاستدراج عقوبة من اللَّه و اللَّه لا يعاقب أحداً على فعل نفسه كما لا يعاقبهم

---

(1) سورة 21 الأنبياء آية 73

(2) سورة 21 الأنبياء آية 40

(3) سورة 26 الشعراء آية 202

على طولهم او قصرهم.

و يحتمل ان يكون معنى الآية إنا نعاقبهم على استدراجهم للناس و إغوائهم إياهم و نعاقبهم على كيدهم، فجعل العقوبة على الاستدراج استدراجاً، و العقوبة على الكيد كيداً، كما قال «سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» «1» و قال «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» «2» و قال «يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ» «3» و قال «وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ» «4» و ما أشبه ذلک.

و يحتمل ان يكون المراد: إنى سأفعل بهم ما يدرجون فى الفسوق و الضلال عنده و يكون ذلک إخبار عن بقائهم على الكفر عند إملائه لهم، فسمى ذلک استدراجاً لأنهم عند البقاء كفروا و ازدادوا كفراً و معصية. و ان كان اللَّه لم يرد منهم ذلک و لا بعثهم عليه، كما قال «أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما

يَتَذَكّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكّرَ» «5» كما يقول القائل: أبطر فلان فلاناً بانعامه عليه. و لقد أبطرته النعمة و اكفرته السلامة، و إن كان المنعم لا يريد ذلک بل أراد ان يشكره عليها.
و معنى قوله «وَ أُمْلِی لَهُمْ» أؤخر هؤلاء الكفار فى الدنيا و ابقيهم مع إصرارهم على الكفر و لا أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم، لأنهم لا يفوتونى و لا يعجزونى، و لا يجدون مهرباً و لا ملجأ.
و قوله تعالى «إِنَّ كَيْدِی مَتِينٌ» معناه إن عذابى و سماه كيداً لنزوله بهم من حيث لا يشعرون. و قيل: إنه أراد أن جزاء كيدهم و سماه كيداً للازدواج على ما بينا نظائره. و معنى «متين» شديد قوى قال الشاعر:
عدلن عدول اليأس و الشيخ يبتلى أفانين من الهوب شد مما تنى «6»

---

(1) سورة 9 التوبة آية 80
(2) سورة 2 البقرة آية 15
(3) سورة 4 النساء آية 141
(4) سورة 3 آل عمران آية 54
(5) سورة 35 فاطر آية 47
(6) تفسير الطبرى 13/ 288 و الطبعة الثانية 9/ 136 و فيه اختلاف
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 43
يعنى شد او شديداً باقياً لا ينقطع. و المتن أصله اللحم الغليظ الذى عن جانب الصلب و هما متنان. و الكيد و المكر واحد، و هو الميل الى الشرّ فى خفى، كاد يكيد كيداً و مكيدة، و فلان يكيد بنفسه.
و أصل الاستدراج اغترار المستدرج من حيث يرى أن المستدرج محسن اليه حتى يورطه مكروهاً. و الاستدراج أن يأتيه من مأمنه من حيث لا يعلم.
و (أملى) بمعنى أؤخر من الملى- ثقيلة الياء- يقال مضى عليه ملى من الدهر و ملاؤ من الدهر- بفتح الميم و ضمها و كسرها- أى قطعة منه. و وجه الحكمة فى أخذهم من حيث لا يعلمون أنه لو أعلمهم وقت ما يأخذهم و عرفهم ذلک لأمنوه قبل ذلک و كانوا مغريين بالقبيح قبله تعويلا على التوبة فيما بعد و ذلک لا يجوز عليه تعالى.
و الاستدراج على ضربين:
أحدهما- ان يكون الرجل يعادى غيره فيطلب له المكايدة و الختل من وجه يغتره به و يخدعه و يدس اليه من يوقعه فى ورطة حتى يشفى صدره و لا يبالى كيف كان ذلک، فهذا سفيه غير حكيم.
و الآخر- أن يحلم فيه و يتأنى و يترک العجلة فى عقوبته التى يستحقها على معاصيه كيداً و مكراً و استدراجاً. ألا ترى لو ان إنساناً عادى غيره فجعل يشتمه و يعيبه و ذاک يعرض عنه و لا يكافيه مع قدرته على مكافاته جاز أن يسمى كيداً و استدراجاً و مكراً و حيلة، و لجاز ان يقال: فلان متين الكيد

شدید الاستدراج، بعید الغور محکم التدبیر.
و قیل فی معنی «سَنَسْتَدْرِجُهُمْ» سنأخذهم قلیلا قلیلا و لا نباغتهم، یقال: امتنع فلان علی فلان و اتی علیه حتی استدرجه ای خدعه حتی حمله علی ان درج الیه درجاناً أی أخذ فی الحرکة نحوه کما یدرج الصبی أول ما یمشی، و یقال:
صبی دارج: و یقال: درجوا قرناً بعد قرن ای فنوا قلیلا قلیلا.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 44

أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ (184) أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (185)

آيتان هذا خطاب من اللّه تعالى للكفار الذين كانوا ينسبون النبى صلى الله عليه و آله و سلم الى الجنون على وجه التوبيخ لهم و التقريع «أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ» اى و ليس بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم جنة و هى الجنون، فانه لا يأتى بمثل ما يأتى به المجنون، و هم يرون الأصحاء منقطعين دونه و يرون صحة تدبيره و استقامة أعماله و ذلك ينافى أعمال المجانين.

و بين انه ليس به صلى الله عليه و آله و سلم إلا الخوف للعباد من عقاب اللّه، لأن الانذار هو الاعلام عن المخاوف، فبين لهم ما عليهم من أليم العذاب بمخالفته ثم قال «أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا» و معناه يفكروا «فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و عجيب صنعهما فينظروا فيهما نظر مستدل معتبر، فيعرفون بما يرون من اقامة السماوات و الأرض مع عظم أجسامهما و ثقلهما على غير عمد و تسكينها من غير آلة فيستدلوا بذلك على انه خالقها و مالكها و أنه لا يشبهها و لا تشبهه.

و قوله «وَ ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» يعنى و ينظروا فيما خلق اللّه تعالى من اصناف خلقه فيستدلوا بذلك على انه تعالى خالق جميع الأجسام و أنه أولى بالالهية من الأجسام المحدثة.

و قوله تعالى «وَ أَنْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ» معناه أ و لم يتفكروا

فى ان عسى ان يكون قد اقترب أجلهم، و هو اجل موتهم فيدعوهم ذلك إلى ان يحتاطوا لدينهم و لا نفسهم فيما يصيرون اليه بعد الموت من امور الآخرة و يزهدهم فى الدنيا و فيما يطلبونه من فخرها و عزها و شرفها فيدعوهم ذلك الى النظر فى الأمور التى أمرهم بالنظر فيها.

و قوله تعالى «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ» معناه بأى حديث بعد القرآن يؤمنون مع وضوح دلالته على أنه كلام اللّه إذ كان معجزاً لا يقدر أحد من البشر ان يأتى بمثله، و سماه حديثاً لأنه محدث غير قديم. لأن إثباته حديثاً ينافى كونه قديماً.

و فى الآية دلالة على وجوب النظر و فساد التقليد، لان النظر المراد به الفكر دون نظر العين، لان البهائم ايضاً تنظر بالعين، و كذلك الأطفال و المجانين، و الفكر موقوف على العقلاء.

و قال الحسن و قتادة سبب نزول الآية ان النبى صلى الله عليه و آله و

سلم وقف على الصفا يدعوا قريشاً فخذاً فخذاً، فيقول: يا بنى فلان يا بنى فلان يحذرهم بأس اللّه و عقابه، فقال قائلهم: إن صاحبكم لمجنون بأن يصوت على الصباح: فأنزل اللّه الآية.
و الملكوت هو الملک الأعظم للمالک الذى ليس بمملک.

مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ وَ يَذَرُهُمْ فِى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ (186)
قرأ أهل العراق «و يذرهم» بالياء، و اسكن الراء منه حمزة و الكسائى و خلف الباقون بالنون و ضم الراء من قرأ بالنون قال لأن الشرط من اللّه، فكأنه قال «من يضلل اللّه ... فنذرهم». و من قرأ بالياء رده الى اسم اللّه تعالى و تقديره اللّه يذرهم. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 46
و من ضم الراء قطعه عن الأول و لم يجعله جواباً. و يجوز ان يكون أضمر المبتدأ و كان تقديره و نحن نذرهم، فيكون فى موضع الجزم. و يجوز أن يكون استأنف الفعل فيرفعه و من جزمه فانه عطفه على موضع الفاء و ما بعدها من قوله «فَلا هادِيَ لَهُ» لان موضعه جزم، فحمل «و نذرهم» على الموضع، و مثله فى الحمل على الموضع قوله تعالى «فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ» «1» لأنه لو لم يلحق الفاء لقلت لو لا أخرتنى أصدق، لان معنى «لَوْ لا أَخَّرْتَنِى» «2» أخرنى أصدق. فحمل قوله تعالى «و أكن» على الموضع.
و معنى قوله «مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ» اى يمتحنه اللّه فيضل عند امتحانه و أمره إياه بالطاعة و الخير و الرشاد «فَلا هادِيَ لَهُ» أى لا يقدر أحد أن يأتيه بالهدى و البرهان بمثل الذى آتاه اللّه تعالى، و لا بما يقارنه أو يزيد عليه «وَ يَذَرُهُمْ فِى طُغْيانِهِمْ» بمعنى يخلى بينهم و بين ذلك، و ترك إخراجه بالقسر و الجبر، و منعه إياه لطفه الذى يؤتيه من آمن و اهتدى و قيل الوعظ.
و الطغيان الغلو فى الكفر، و العمه: التحير و التردد فى الكفر. و يحتمل ان يكون المراد من يضلل اللّه عن الجنة عقوبة على كفره فلا هادى له اليها و إن اللّه لا يحول بين الكافر بل يتركه مع اختياره لأن ما فعله من الزجر و الوعيد كاف فى ازاحة علة المكلف. و قيل معناه من حكم اللّه تعالى بضلاله و سماه ضالا بما فعله من الكفر و الضلال فلا احد يقدر على إزالة هذا الاسم عنه و لا يوصف بالهداية، و كل ذلك واضح بحمد اللّه تعالى

يَسْئَلُونَکَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْئَلُونَکَ كَأَنَّکَ حَفِيٌّ عَنْها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (187)

_____

(1، 2) سورة 63 المنافقين أية 10

آية بلا خلاف.

«أيان» معناه متى، و هى سؤال عن الزمان على وجه الظرف.

أخبر اللَّه تعالى ان الكفار يسألون النبى صلى الله عليه و آله و سلم عن الساعة، و هى القيامة «أَيَّانَ مُرْساها» أى وقت قيامها و ثباتها. و معنى «أيان» متى قال الراجز:

أيان تقضى حاجتى إيانا أما ترى لنجحها إبانا «1»

و «مرساها» فى موضع رفع بالابتداء، يقال: رسى يرسوا إذا ثبت فهو راس و جبال راسيات ثابتات، و أرساها اللَّه اى ثبتها. و قيل معنى «مرساها» الوقت الذى يموت فيه جميع الخلق، و معنى سؤالهم عنها اى متى وقوعها و كونها. فأمر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله و سلم ان يجيبهم و يقول لهم «عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ» لم يطلع عليها احداً كما قال «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» «2» و قوله تعالى «لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ» اى لا يظهرها فى وقتها إلا اللَّه.

و قوله تعالى «ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ثقل علمها على السماوات و الأرض ذهب اليه السدى و غيره.

الثانى- ثقل وقوعها على اهل السماوات و الأرض- ذكره ابن جريج و غيره-.

ثم اخبر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله و سلم بكيفية وقوعها فقال «لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً» يعنى فجأة.

و قوله «يَسْئَلُونَکَ كَأَنَّکَ حَفِيٌّ عَنْها» قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

أحدها- ان معناه و تقديره حفى عنها يسألونک عن الساعة و وقتها كأنک عالم بها

_____

(1) تفسير القرطبى 7/ 335 و مجاز القرآن 1/ 234 و اللسان (ابن)

(2) سورة 31 لقمان آية 34. [.....]

و قيل: معناه كأنک فرح بسؤالهم عنها. و قيل: معناه كأنک أكثرت السؤال عنها ذكره مجاهد. يقال حفيف بفلان فى المسألة إذا سألته سؤالا أظهرت

فيه المحبة و البر، قال الشاعر:
سؤال حفى عن أخيه كأنه بذكرته و سنان او متواسن «1»
و يقال: احفى فلان بفلان فى المسألة إذا اكثر عليه، و يقال: حفيت الدابة تحفى حفاً مقصوراً إذا كثر عليها الم المشى، و الحفاء- ممدوداً- المشى بغير نعل.
ثم امر اللّه نبيه ان يقول «إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ» اى لا يعلمها إلا اللّه.
و قوله تعالى «وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» معناه اكثر الناس لا يعلمون ان ذلک لا يعلمه إلا اللّه، و يظنون انه قد يعلمه الأنبياء و غيرهم من خلقه. و قال الجبائى معناه «لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» لم أخفى اللّه تعالى علم ذلک على التعيين على الخلق. و الوجه فيه انه ازجر لهم عن معاصيه لأنهم إذا جوزوا فى كل وقت قيام الساعة و زوال التكليف كان ذلک صارفاً لهم عن فعل القبيح خوفاً من فوات وقت التوبة. و قوله فى أول الآية «قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّى» يعنى علم وقت قيامها. و قوله فى آخرها «قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ» معناه علم كيفيتها و شرح هيئتها و تفصيل ما فيها لا يعلمه إلا اللّه، فلا تكون تكراراً لغير فائدة.
و قال قتادة الذين سألوا عن ذلک قريش. و قال ابن عباس: هم قوم من اليهود و قال الفراء: فى الآية تقديم و تأخير و تقديرها يسألونک عنها كأنک حفى بهم.
قال الجبائى و فى الاية دليل على بطلان قول الرافضة من أن الأئمة معصومون منصوص عليهم واحداً بعد الآخر الى يوم القيامة، لأن على هذا لا بد أن يعلم آخر الأئمة أن القيامة تقوم بعده و يزول التكليف عن الخلق، و ذلک خلاف قوله «قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ».

---

(1) قائله المعطل الهذلى. ديوانه 3/ 45 و تفسير الطبرى 13/ 301 (طبعة دار المعارف) و 9/ 142 الطبعة الثانية.

و هذا الذى ذكره باطل لأنه لا يمتنع أن يكون آخر الائمة يعلم أنه لا إمام بعده و إن لم يعلم متى تقوم الساعة، لأنه لا يعلم متى يموت، فهو يجوّز أن يكون موته عند قيام الساعة إذا أردنا بذلک انه وقت فناء الخلق. و إن قلنا إن الساعة عبارة عن وقت قيام الناس فى الحشر فقد زالت الشبهة، لأنه إذا علم أنه يفنى الخلق بعده لا يعلم متى يحشر الخلق. على انه قد روى أن بعد موت آخر الأئمة يزول التكليف لظهور أشراط الساعة و تواتر إماراتها نحو طلوع الشمس من مغربها و خروج الدابة و غير ذلک، و مع ذلک فلا يعلم وقت قيام الساعة، و لهذا قال الحسن و جماعة من المفسرين: بادروا بالتوبة قبل ظهور الست: طلوع الشمس من مغربها، و الدجال، و الدابة، و غير ذلک مما قدمناه فعلى هذا سقط السؤال.

قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِی نَفْعاً وَ لا ضَرًّا إِلاَّ ما شاءَ اللَّهُ وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ ما مَسَّنِیَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)

آية بلا خلاف.

أمر اللَّه تعالى نبيه صلى اللَّه عليه و آله و سلم أن يقول للمكلفين إنى «لا أَمْلِكُ لِنَفْسِی نَفْعاً وَ لا ضَرًّا إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ» ان يملكنى إياه فمشيئته تعالى فى الآية واقعة على تمليک النفع و الضر لا على النفع و الضر، لأنه لو كانت المشيئة إنما وقعت على النفع و الضر كان الإنسان يملک ما شاء اللَّه من النفع، و كان يملک الأمراض و الاسقام و سائر ما يفعله اللَّه فيه مما لا يجد له عن نفسه دفعاً. و معنى الاية إنى املک ما يملكنى اللَّه من الأموال و ما أشبهها مما يملكهم و يمكنهم من التصرف فيها على ما شاءوا، و كيف شاءوا.

و الضر الذى ملكهم اللَّه إياه هو ما مكنهم منه من الإضرار بأنفسهم و غيرهم، و من لم يملكه اللَّه شيئاً منه لم يملكه. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 50

و ذلک يفسد تأويل المجبرة الذين قالوا: معنى الاية إن اللَّه يريد جميع ما ينال الناس من النفع و الضرر و إن كان ظلماً و جوراً من أفعال عباده.

و قوله عز و جل «وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ ما مَسَّنِیَ السُّوءُ» معناه إنى لو كنت أعلم الغيب لعلمت ما يربح من التجارات فى المستقبل و ما يخسر من ذلک فكنت اشترى ما اربح و أتجنب ما أخسر فيه، فتكثر بذلک الأموال و الخيرات عندى، و كنت أعده فى زمان الخصب لزمان الجدب «وَ ما مَسَّنِیَ السُّوءُ» يعنى الفقر إذا فعلت ذلک. و قيل: و ما مسنى تعذيب. و قيل: و ما مسنى جنون جواباً لهم حين نسبوه الى الجنون. و قال ابن جريج «لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ» من العمل الصالح قبل حضور الأجل، و هو قول مجاهد و ابن زيد. و قال البلخى:

لو كنت اعلم الغيب لكنت قديماً، و القديم لا يمسه السوء لان احداً لا يعلم الغيب الا اللَّه.

و فى الآية دلالة على ان القدرة قبل الفعل، لأن قوله «لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ» يفيد أنه كان قادراً لأنه لو لم تكن القدرة إلا مع الفعل لو علم الغيب لما امكنه الاستكثار من الخير و ذلک خلاف الآية.

و قوله تعالى «إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» معناه لست الا مخوفاً من العقاب محذراً من المعاصى و مبشراً بالجنة حاثاً عليها غير عالم بالغيب

«لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» فيصدقون بما أقول، و خصهم بذلک لأنهم الذين ينتفعون بانذاره و بشارته دون من لا يصدق به كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ».

هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِیَسْکُنَ إِلَیْها فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِیفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَیْتَنا صالِحاً لَنَکُونَنَّ مِنَ الشَّاکِرِینَ (189) فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَکاءَ فِیما آتاهُما فَتَعالَی اللَّهُ عَمَّا یُشْرِکُونَ (190)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 51

آیتان.

قرأ اهل المدینة و ابو بکر و عکرمة و الأعرج «شرکاً» بکسر الشین منوناً الباقون بضم الشین علی الجمع. و قرا ابن یعمر «فمرت» بتخفیف الراء و هو شاذ.

قال ابو علی الفارسی: من قرا «شرکاً» بکسر الشین منوناً- حذف المضاف کأنه أراد جعلا له ذا شرک ای ذا نصیب او ذوی شرک، و یکون کقول من جمع فالقراءتان یؤلان الی معنی واحد. و الضمیر فی قوله «له» یعود الی اسم اللّه کأنه قال جعلا للّه شرکاء.

و قال ابو الحسن: کان ینبغی لمن قرأ- بکسر الشین- أن یقول جعلا لغیره شرکا. و قول من قرا «جَعَلا لَهُ شُرَکاءَ» یجوز ان یرید جعلا لغیره فیه شرکاء، فحذف المضاف، فالضمیر علی هذا ایضاً فی «له» راجع الی اللّه تعالی. و قال ابو علی یجوز ان یکون الکلام علی ظاهره، و لا یقدر حذف المضاف فی قوله تعالی «جعلا له» و انت ترید لغیره و لکن یقدر حذف المضاف الی شرک فیکون المعنی جعلا له ذوی شرک، و إذا جعلا له ذوی شرک کان فی المعنی مثل لغیره شرکاً، فلا یحتاج الی تقدیر جعلا لغیره شرکاً.

قال ابو علی: و یجوزان یکون قوله تعالی «جَعَلا لَهُ شُرَکاءَ» جعل أحدهما له شرکاء او ذوی شرک فحذف المضاف و اقام المضاف الیه مقامه کما حذف من قوله تعالی «لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلی رَجُلٍ مِنَ الْقَرْیَتَیْنِ عَظِیمٍ» و المعنی علی رجل واحد من احد رجلی القریتین. و حکی الازهری ان الشرک و الشریک واحد و یکون بمعنی النصیب. التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 52

قوله «هو الذی» کنایة عن اللّه تعالی و إخبار عن الذی خلق البشر من نفس واحدة و هی آدم و خلق منها زوجها یعنی حواء.

و قیل: انه خلقها من ضلع من أضلاعه و بین انه إنما خلقها لیسکن الیها آدم و یأنس بها.

و قوله «فَلَمَّا تَغَشَّاها» معناه لما وطأها و جامعها. و قیل: تغشاها بدنوه بها لقضاء حاجة، فقضی حاجته منها «حملت» ففی الکلام حذف «حَمَلَتْ حَمْلًا

خَفِيفاً» لأن الحمل أول ما يكون خفيفاً، لأنه الماء الذى يحصل فى رحمها. و الحمل- بفتح الحاء ما كان فى الجوف و كذلک ما كان على نخلة او شجرة فهو مفتوح.
- و بكسر الحاء- ما كان من الثقل على الظهر.
و قوله تعالى «فمرت به» معناه استمرت به و قامت و قعدت و قيل: شكت له و آلمها ثقلها. و من خفف الراء أراد شكت و مارت فلم تدر هى حامل ام لا. و قال الحسن أ غلاماً ام جارية.
و قوله تعالى «فَلَمَّا أَثْقَلَتْ» اى صارت ذات ثقل كما يقال اثمر اى صار ذا ثمر، و ذلک قرب ولادتها. «دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما» يعنى آدم و حواء دعوا اللَّه اى سألاه «لَئِنْ آتَيْتَنا صالِحاً» اى لو أعطيتنا ولداً صالحاً. قال الجبائى: صالحاً يعنى سليماً من الآفات صحيح الحواس و الآلات. و قال غيره: معنى صالحاً مطيعاً فاعلا للخير «لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ» اى نكونن معترفين بنعمک علينا نعمة بعد نعمة تسديها إلينا.
و قوله عز و جل «فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً» يعنى فلما آتى اللَّه آدم و حواء ولداً صالحاً جعلا له شركاء، و اختلفوا فى الكناية الى من ترجع فى قوله «جعلا»: فقال قوم هى راجعة الى الذكور و الإناث من أولادهما او الى جنسى من أشرک من نسلهما، و إن كانت الادلة تتعلق بهما. و يكون تقدير الكلام فلما آتى اللَّه آدم و حواء الولد الصالح الذى تمنياه و طلباه جعل كفار أولادهما ذلک مضافاً الى غير التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 53
اللَّه. و يقوى ذلک قوله تعالى «فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» فلو كانت الكناية عن آدم و حواء لقال عما يشركان. و إنما أراد تعالى اللَّه عما يشرک هذان النوعان او الجنسان و جمعه على المعنى. و قد ينتقل الفصيح من خطاب الى خطاب غيره. و من كناية الى غيرها. قال اللَّه تعالى «إِنَّا أَرْسَلْناکَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» «1» فانصرف من مخاطبة الرسول الى المرسل اليهم ثم قال «وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَقِّرُوهُ» «2» يعنى الرسول ثم قال «و تسبحوه» يعنى اللَّه تعالى، قال الهذلى:
يا لهف نفسى كان جده خالد و بياض وجهک للتراب الأعفر «3»
و لم يقل و بياض وجهه. و قال كثير:
اسىء بنا او احسنى لا ملومة لدنيا و لا مقلية إن تقلت «4»
فخاطبها ثم ترک الخطاب. و قال الاخر:
فدى لک ناقتى و جميع اهلى و مالى إنه منه آتانى
و لم يقل منک اتانى. و ليس لاحد ان يقول كيف يكنى عمن لم يجر له ذكر، و ذلک ان لنا عنه جوابين:
أحدهما- انه يجوز ذلک إذا دل الدليل عليه، كما قال «حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ» «5» و لم يتقدم للشمس ذكر. و قال الشاعر:
لعمرک ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً و ضاق بها الصدر «6»

و لم يتقدم للنفس ذكر.
و الجواب الثانى- انه تقدم ذكر ولد آدم فى قوله «هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ» و أراد بذلک جميع ولد آدم، و تقدم ايضاً فى قوله «فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً»

(1، 2) سورة 48 الفتح آية 8- 9
(3) مر هذا البيت فى 1: 35 من هذا الكتاب.
(4) اللسان (سوأ)
(5) سورة 38 ص آية 32
(6) اللسان (حشرج)

لان معناه ولداً صالحاً، و يريد بذلک الجنس. و إن كان لفظه واحداً، و إذا تقدم مذكوران و عقبا بأمر لا يليق بأحدهما وجب ان يضاف الى الاخر، و الشرک لا يليق بآدم، لأنه نبى نزهه اللَّه عن ذلک، و عن جميع القبائح، و يلق بكفار ولده و نسله فوجب ان نرده اليهم.
و قال الزجاج و ابن الأخشاد: جعل من كل نفس زوجها كأنه قال: و جعل من النفس زوجها على طريق الجنس و أضمر لتقدم الذكر.
و قال ابو مسلم محمّد بن بحر الاصفهانى: الكناية فى جميع ذلک غير متعلقة بآدم و حواء و جعل الهاء فى «تغشاها» و الكناية فى «دعوا اللَّه ربهما، و آتاهما صالحاً» راجعين الى من أشرک و لم يتعلق بآدم و حواء إلا قوله: «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ» و الاشارة بذلک الى جميع الخلق. و كذلک قوله «وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها» ثم خص بها بعضهم، كما قال «هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ» «1» فخاطب الجماعة ثم خص راكب البحر، فكذلک اخبر اللَّه تعالى عن جملة امر البشر بأنهم مخلوقون من نفس واحدة و زوجها و هما آدم و حواء ثم عاد الذكر الى الذى سأل اللَّه تعالى ما سأل فلما أعطاه إياه ادعى له الشركاء فى عطيته.
و قال قوم: يجوز ان يكون عنى بقوله «هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ» المشركين خصوصاً، إذ كان كل بنى آدم مخلوقون من نفس واحدة كأنه قال:
خلق كل احد من نفس واحدة و خلق من النفس الواحدة زوجها، و مثله كثير نحو قوله عز و جل «فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً» «2» و المعنى فاجلدوا كل واحد منهم.
و قال قوم: ان الهاء فى قوله: «جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ» راجعة إلى الولد لا إلى اللَّه و يكون المعنى انهما طلبا من اللَّه تعالى أمثالا للولد الصالح فاشركا بين الطلبتين، كما يقول القائل:

طلبت منى درهما فلما أعطيتكه شركته بآخر أى طلبت آخر مضافاَ اليه، فعلى هذا

---

(1) سورة 10 يونس آية 22
(2) سورة 24 النور آية 4

يجوز أن تكون الكناية من أول الكلام إلى آخره راجعة إلى آدم و حواء.
فان قيل: فعلى هذا فأى تعلق لقوله «فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» بذلک.
و كيف ينزه نفسه عن ان يطلب منه ولد آخر؟! قلنا: لم ينزه نفسه عن ذلک و إنما نزهها عن الاشراک به، و ليس يمتنع ان يقطع هذا الكلام عن حكم الاول، لأنه قال بعد ذلک «أَ يُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ» فنزه نفسه عن هذا الشرک دون ما تقدم.
فأما الخبر المدعى فى هذا الباب، فلا يلتفت اليه، لأن الاخبار تبنى على ادلة العقول، فإذا علمنا بدليل العقل ان الأنبياء لا يجوز عليهم المعاصى تأولنا كل خبر يتضمن خلافه او أبطلناه، كما نفعل ذلک بأخبار الجبر و التشبيه. على ان هذا الخبر مطعون فى سنده، لأنه يرويه قتادة عن الحسن عن سمرة، و هو مرسل، لأن الحسن لم يسمع من سمرة شيئاً- فى قول البغداديين- و لان الحسن قال بخلاف ذلک فيما روى عنه عروة- فى قوله عز و جل «فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما» قال هم المشركون. و يعارض ذلک ما روى عن سعيد بن جبير و عكرمة و الحسن و غيرهم: من ان الشرک غير منسوب الى آدم و زوجته، و أن المراد به غيرهما على ان فى الخبر اشركا إبليس اللعين فيما ولد لهما بأن سمياه عبد الحرث، و الاية تقضى انهم أشركوا الأصنام التى لا تخلق و هى تخلق، و التى لا تستطيع ضرّاً و لا نفعاً و ليس لإبليس فى الآية ذكر، و لو كان له ذكر لقال أ تشركون من. و قال فى آخر القصة «أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها ...» و كذا، و لا يليق ذلک بإبليس. و يقوى ان الاية مصروفة عن آدم الى ولده انه قال «فَلَمَّا تَغَشَّاها» و لو كان منسوقاً على النفس الواحدة لقال فلما تغشتها، لان ذلک هو الأجود و الأفصح و إن جاز خلافه.
و حكى البلخى عن قوم انهم قالوا: لو صح الخبر لم يكن فى ذلک الا إشراكاً فى التسمية، و ليس ذلک بكفر و لا معصية كبيرة، و ذهب اليه كثير من المفسرين و اختاره الطبرى.

أَ يُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ (191) وَ لا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَ لا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (192) وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَواءٌ عَلَيْكُمْ أَ دَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ (193)
ثلاث آيات قرأ نافع «لا يتبعوكم» و فى الشعراء «يتبعهم» بالتخفيف. الباقون بالتشديد و هما لغتان، و بالتشديد اكثر. قال ابو زيد تقول: رأيت القوم فأتبعتهم اتباعاً إذا سبقوك فأسرعت نحوهم و مروا على فاتبعتهم اتباعاً إذا ذهبت معهم و لم يسبقوك، قال: و تبعتهم اتبعهم تبعاً مثل ذلک.
و فى الآية توبيخ من اللّه و تعنيف للمشركين، و إن خرج مخرج الاستفهام، بأنهم يعبدون مع اللّه جماداً لا يخلق شيئاً من الأجسام و لا ما يستحق به العبادة، و هم مع ذلک مخلوقون محدثون و لهم خالق خلقهم. و نبههم بذلک على انه لا ينبغى أن يعبد إلا من يقدر على إنشاء الأجسام و اختراعها و خلق اصول النعم التى يستحق بها العبادة، و ان ذلک لا يقدر عليه إلا اللّه تعالى الذى ليس بجسم، و القادر لنفسه، ثم بيّن أن هذه الأشياء التى يعبدونها و يتخذونها آلهة و أشركوا بها مع اللّه تعالى لا تقدر لمن عبدها و اتخذها إلهاً على نفع و لا على ضرّ و لا أن ينصروهم، و لا ان ينصروا أنفسهم إن أراد بهم غيرهم سوءاً، و من هذه صورته فهو على غاية العجز، و لا يجوز أن يكون إلهاً. و إنما يجب ان يكون كذلک من يقدر على الضرّ و النفع و نصرة أوليائه.
و قوله تعالى «وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَتَّبِعُوكُمْ» معناه إن الأصنام و الأوثان التبيان فى تفسير القرآن، ج‌5، ص: 57
التى كانوا يعبدونها و يتخذونها آلهة إن دعوها إلى الهدى و الرشد لم يستمعوا ذلک، و لا تمكنوا من اتباعهم، لأنها جمادات لا تفقه و لا تعقل- فى قول أبى و غيره- و قال الحسن: إن ذلک راجع الى قوم من المشركين قد عموا بالكفر فهم لا يعلمون.
ثم قال «سَواءٌ عَلَيْكُمْ أَ دَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ» يعنى سواء عندها دعاؤها و السكوت عنها لكونها جماداً لا تعقل و إنما قال «أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ» و لم يقل أم صمتم ليكون فى مقابلة «أَ دَعَوْتُمُوهُمْ» فيفيد الماضى و الحال لأن المقابلة دلت على معنى الماضى، و اللفظ يدل على معنى الحال، و عليه أكثر الكلام يقولون: سواء علىَّ أقمت ام قعدت، و لا يقولون أقمت أم انت قاعد، قال الشاعر:
سواء إذا ما أصلح اللّه أمرهم علينا ادثر ما لهم ام اصارم «1»
و انشد الكسائى:

سواء عليک النفر ام بت ليلة بأهل القبا من نمير بن عامر «2»
و انشد بعضهم:(ام انت بائت)

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (194)
إنما قال «إن الذين» و هو يريد الأصنام، لأنها لما كانت عندهم معبودة تنفع و تضرّ، جاز أن يكنى عنها بما يكنى عن الحىّ، كما قال فى موضع آخر

---

(1) معانى القرآن 1/ 401 «الدثر» المال الكثير. و «اصارم» جمع اصرام و هو الفريق القليل العدد و يقصد- هنا- الفريق من الإبل. و أصله اصاريم، و حذف الياء لضرورة الشعر.
(2) معانى القرآن 1/ 401. يريد النفر من منى.

«بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ» «1» و لم يقل فعله كبيرها فاسألوها، و قال «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ» «2» لما أضاف السجود إليها جمعها بالواو و النون التى تختص بالعقلاء و معنى «مِنْ دُونِ اللَّهِ» غير اللّه، كأنه قال كل مدعو إلهاً غير اللّه «عِبادٌ أَمْثالُكُمْ» و «من» لابتداء الغاية فى أن الدعاء دون دعاء اللّه إلى حيث انتهى إنما هو لعباد اللّه.
ثم قال «عِبادٌ أَمْثالُكُمْ» فإنما سماها كذلك لأن التعبد التذلل، فلما كانت الأصنام تنصرف على مشيئة اللّه، و هى غير ممتنعة عما يريد اللّه تعالى بها كانت بذلك فى معنى العباد. و يقال عبدت الطرق إذا وطئته حتى تقرر و سهل سلوكه. و منه قوله تعالى «وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَىَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِى إِسْرائِيلَ» «3» اى ذللتهم و استخدمتهم ضروباً من الخدم. و قال الجبائى و غيره: معنى «عباد» أى أملاك لربهم كما أنتم عبيد له، فان كنتم صادقين فى ادعائكم انها آلهة فادعوهم فليستجيبوا لدعائكم، و هذه لام الأمر على معنى التهجين كما قال «هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» «4» فإذا لم يستجيبوا لكم، لأنها لا تسمع دعاءكم فاعلموا انها لا تنفع و لا تضرّ و لا تستحق العبادة.
فأما من قال الأصنام تعبد اللّه على الحقيقة كما يعبد العقلاء، و ان كنا لا نفقه ذلك فقد تجاهل، لأن العبادة ضرب من الشكر، و الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم. و العبادة و ان كانت شكراً فانه يقارنها خضوع و تذلل. و كل ذلك يستحيل من الجماد.
و يحتمل من حيث انهم توهموا انها تضر و تنفع فقيل لهم ليس يخرج هؤلاء بذلك عن حكم اللّه تعالى. و قال الحسن: معناه إنها مخلوقة أمثالكم. و العبد المملوك من جنس ما يعقل، لأن الثوب مملوك، و لا يسمى عبداً.
و قيل الدعاء الأول فى الآية تسميتهم الأصنام آلهة كأنه قال «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ»

(1) سورة 21 الأنبياء آية 63
(2) سورة 12 يوسف آية 4
(3) سورة 26 الشعراء آية 22
(4) سورة 27 النمل آية 64 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 59
آلهة من دون اللّه فاطلبوا منهم المنافع و كشف المضار، فإذا كان ذلک ميئوساً منها، فعبادتها جهل و سخف. و قوله «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» قال الحسن: معناه فى أنهم آلهة.

أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِها أَمْ لَهُمْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها قُلِ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ (195)
قرأ ابو جعفر «يبطشون» و يبطش- بظم الطاء- حيث وقع. الباقون بكسرها. و هما لغتان، و الكسر افصح و اكثر. و قرأ «كيدونى» بياء فى الحالين الوقف و الوصل الحلوانى عن هشام و يعقوب وافقهما فى الوصل أبو عمرو و ابو جعفر و إسماعيل و الدحوانى عن هشام. الباقون بغير ياء فى الحالين. و «تنظرونى» بياء فى الحالين عن يعقوب.
قال ابو على الفارسى: الفواصل و ما أشبهها من الكلام التام تجرى مجرى القوافى لاجتماعهما فى أن الفاصلة آخر الآية، كما ان القافية آخر البيت و قد الزموا الحذف فى هذا الباب فى القوافى كقوله:
فهل يمنعن ارتيادى البلاد من قدر الموت أن يأتين
و الياء التى هى لام الكلمة كذلك نحو قوله:
يلمس الأحلاس فى منزله بيديه كاليهودى المصلَّ «1»
أكد اللَّه تعالى فى هذه الآية الحجة على المشركين فى انه لا ينبغى لهم أن يعبدوا هذه الأصنام و لا يتخذونها آلهة، فقال «أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها». لأن لفظه و إن

---

(1) قائله لبيد. اللسان «لمس» و الأحلاس ملازمة المنزل و عدم التدخل بشئون الدولة. و «المصل» بمعنى الخاسر الذى ليس له شىء فى الامر.

كان لفظ الاستفهام، فالمراد به الإنكار، اى ليس لهم ارجل يمشون بها و لا لهم أيد يبطشون بها و لا أعين يبصرون بها و لا آذان يسمعون بها، فعرفهم بذلك انهم دون منزلتهم و أن الكفار مفضلون عليهم بما أنعم اللَّه عليهم من هذه الحواس التى لم تؤت الأصنام. و إذا كنتم مفضلين عليها و كنتم أقدر على الأشياء و أعلم، فكيف يجوز لكم ان تتخذوها مع ذلك آلهة لأنفسكم.
و قوله تعالى «قُلِ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ» معناه ادعوا هذه الأوثان و الأصنام التى تزعمون أنها آلهة و تشركونها فى أموالكم فتجعلون لها خطاً من الأموال و المواشى و توجهون عبادتكم اليها اشركا باللَّه لها و اسألوهم ان يضرونى و ان يكيدونى معكم، و لا تؤخروا ذلك إن قدروا عليه، و متى لم يتمكنوا من ذلك فتبينوا انها لا تستحق العبادة، لأنها فى غاية الضعف و العجز.

إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِی نَزَّلَ الْكِتابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196)
روى ابن خنيس عن السوسى «ان ولى الله» بياء مشددة مفتوحة. الباقون بثلاث ياءات الأولى ساكنة و الثانية مكسورة و الثالثة مفتوحة- على الاضافة- و من قرأ مشدداً حذف الوسطى و ادغم الاولى فى الثالثة. و لا يجوز إدغام الثانية فى الثالثة، لأنها متحركة و قبلها ساكن لا يمكن الأدغام.
امر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله و سلم ان يقول للمشركين «إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِی» يحفظنى و ينصرنى و يحوطنى و يدفع شرككم عنى هو اللَّه الذى خلقنى و إياكم جميعاً و يملكنى و يملككم الذى نزل القرآن، و هو ينصر الصالحين الذين يطيعونه و يجتنبون معاصيه تارة بالحجة و اخرى بالدفع عنهم.
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 61

وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَ لا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (197)
هذا عطف على الاية الاولى، فكأنه قال قل وليى اللّه القادر على نصرتى عليكم و على من أراد بى ضرّاً. و الذين تتخذونهم أنتم آلهة لا يقدرون على ان ينصروكم و لا أن يدفعوا عنكم ضررّاً. و لا يقدرون ان ينصروا أنفسهم ايضاً لو ان إنساناً أراد بهم سوءاً من كسر او غيره.
و إنما كرر هذا المعنى لأنه ذكره فى الاية التى قبلها على وجه التقريع، و ذكره هاهنا على وجه الفرق بين صفة من تجوز له العبادة ممن لا تجوز، كأنه قال: إن ناصرى اللّه و لا ناصر لكم ممن تعبدون.
و انما قال تدعون من دونه و هم يدعونهم معه، لأن معنى من دونه من غيره و مع ذلک فانه بمنزلة من أفرد غيره بالعبادة فى عظم الكفر و الشرک.

وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَسْمَعُوا وَ تَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْکَ وَ هُمْ لا يُبْصِرُونَ (198)
قال الفراء و الزجاج: المعنى إن دعوتم هؤلاء الذين تعبدونهم من الأصنام الى صلاح و منافع لا يسمعوا دعاءكم، و تراهم فاتحة أعينهم نحوكم على ما صورتموهم عليه من الصور، و هم مع ذلک لا يبصرونكم.
قال الجبائى: جعل اللّه انفتاح عيونهم فى مقابلتهم نظراً منهم اليهم مجازاً، لان النظر حقيقة تقلب الحدقة الصحيحة نحو المرئى طلباً لرؤيته و ذلک لا يتأتى فى الجماد. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 62
و يقال فى اللغة: تناظر الحائطان إذا تقابلا و كل شىء قابل غيره يقال: نظر اليه.
و قال الحسن: المعنى و إن تدع يا محمّد المشركين، فلم يجعل الكناية عن الأوثان و قال الرمانى: الكناية عن الأوثان لأنهم جعلوها تضر و تنفع، كما يكون ذلک فيما يعقل.
و فى الآية دلالة على ان النظر غير الرؤية، لأنه تعالى أثبت النظر و نفى الرؤية و قوله «وَ تَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْکَ وَ هُمْ لا يُبْصِرُونَ» وجه الخطاب الى النبى صلى الله عليه و آله و لو كان أمره بخطاب المشركين بمعنى قل لهم لقال و ترونهم. و قال السدى و مجاهد:
أراد به المشركين، فعلى هذا يكون قوله «وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ» خطاباً للنبى صلى الله عليه و آله انه ان دعا المشركين الى الهدى لا يسمعوا بمعنى لا يقبلوا و هم يرونه و لا ينتفعون برؤيته.

خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ (199)
امر اللَّه تعالى نبيه أن يأخذ مع النّاس بالعفو، و هو التساهل فيما بينه و بينهم و قبول اليسير منهم الذى سهله عليهم و يسر فعله لهم، و ان يترك الاستقصاء عليهم فى ذلک، و هذا يكون فى مطالبة الحقوق الواجبة للَّه تعالى و للناس و غيرها. و هو فى معنى الخبر
عن النبى صلى الله عليه و آله «رحم اللَّه سهل القضاء سهل الاقتضاء».
و لا ينافى ذلک ان لصاحب الحق و الديون و غيرها استيفاء الحق و ملازمة صاحبه حتى يستوفيه، لأن ذلک مندوب إليه دون ان يكون واجباً. و قد يكون العفو فى قبول العذر من المعتذر و ترک المؤاخذة بالاساءة.
و قوله «وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ» يعنى بالمعروف، و هو كل ما حسن فى العقل فعله او فى الشرع، و لم يكن منكراً و لا قبيحاً عند العقلاء.
و قوله عز و جل «وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ» امر بالاعراض عن الجاهل: السفيه الذى إن كلمه سفه عليه و آذاه بكلامه. و أمره إذا أقام عليهم الحجة و بين بطلان التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 63
ما هم عليه من الكفر و المعاصى أن يعرض عنهم و لا يجاوبهم فى مكروه يسمعه، صيانة لنفسه عنهم. و قال عطا العفو: الفضل. و قال مجاهد: العفو من اخلاق الناس، و عفو أموالهم من غير تجسس عليهم. و قال: ما عفا لک من أموالهم، و ذلک قبل فرض الزكاة. و قال السدى: نسخ ذلک بآية الزكاة.
و قال ابن زيد: أمره بالاعراض عنهم ثم نسخ بقوله «وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ» «1».
و روى عن النبى صلى الله عليه و آله فى قوله: «وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ» أن جبرائيل قال له معناه تصل من قطعک و تعطى من حرمک و تعفو عمن ظلمک.

وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّکَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200)
النزغ ادنى حركة تقول: نزغته إذا حركته. و المعنى ان نالک يا محمّد من الشيطان ادنى حركة من معاندة و سوء عشرة «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» اى سل اللّه ان يعيذک، و يحفظک منه فانه سميع للمسموعات و عالم بالخفيات يسمع دعاء من يدعوه و يعلم دعاءه و ما يستحقه بذلک من اللّه.
و النزغ الفساد ايضاً يقال: نزغ فلان بيننا اى أفسد، و منه قوله تعالى: «نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِی وَ بَيْنَ إِخْوَتِی» «2» و نزع ينزع و نغز ينغز إذا أفسد. و موضع ينزغنک جزم ب (إن) التى للجزاء الا انه لا يبين فيه الاعراب، لأنه مبنى مع نون التأكيد على الفتح و إذا كانت مشددة لا بد من تحريک ما قبلها فى الجزم لالتقاء الساكنين و النزغ الإزعاج بالإغواء و اكثر ما يكون ذلک عند الغضب و اصل النزغ الإزعاج بالحركة نزغته انزغه نزغاً.

---

(1) سورة 9 التوبة آية 74 و سورة 66 التحريم آية 9
(2) سورة 12 يوسف آية 100

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ (201)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن كثير و اهل البصرة و الكسائى «طيف» بغير الف و بغير همز. الباقون بألف بعدها همزة. قال الحسن: الطيف فى كلام العرب اكثر من طائف. و قال ابو زيد:: طاف الرجل يطوف طوفاً إذا اقبل و أدبر و أطاف يطوف طوفاً إذا جعل يستدبر القوم و يأتيهم من نواحيهم. و طاف الخيال طيفاً إذا ألم فى المنام. و قال ابو عبيدة: طيف من الشيطان بأن يلم به، لما يقال منه: طفت اطيف طيفاً. و قال قوم: الطائف ما أطاف بك من وسوسة الباطل. و الطيف اللمم و المس. و قال ابو عمرو ابن العلا: الطيف الوسوسة. و حكى الرمانى: ان الطيف أصله طوف من الواو مثل سيد و ميت، فخفف، و انشد ابو عبيدة للأعشى فى الإلمام.
و نصبح عن غب السرى و كأنما أ لم بها من طائف الجن اولق «1»
و كأن معنى الآية إذا مسهم من ينظر لهم نظرة من الشيطان. و يكون طائف مثل العاقبة و العافية، مما جاء المصدر منه على فاعل و فاعلة، فالطيف اكثر لان المصدر على هذا الوزن اكثر منه على وزن فاعل، و الطائف كالخاطر. و قال الحسن معناه يطوف عليهم الشيطان بوساوسه، فيقبل بعض و حبه من يعصى اللّه. و قوله «تذكروا» أى تذكروا ما عندهم من المخرج و التوبة «فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ» قد تابوا. و قال مجاهد: هم المؤمنون إذا مسهم طيف أى غضب تذكروا. و قال سعيد ابن جبير: هو الرجل يغضب الغضب فيذكر فيكظم غيظه. و قال مجاهد: هو الرجل يهم بالذنب فيذكر اللّه تعالى فيتركه.

---

(1) ديوانه 147 و مجاز القرآن 1/ 236 و اللسان «طيف»
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 65
اخبر اللّه تعالى بأن الذين يتقون اللّه باجتناب معاصيه إذا وسوس اليهم الشيطان و أغراهم بمعاصيه تذكروا، فعرفوا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه و يتركونه.
و قال مجاهد و سعيد بن جبير: الطيف الغضب. و قال ابن عباس و السدى: هى الزلة التى إذا ارتكبها تاب منها. و «إذا» الأولى بمنزلة الجزاء و لها جواب، و الثانية بمعنى المفاجأة كقولك خرجت، فإذا زيد. و قال ابن عباس الطيف النزغ. و قال أبو عمرو بن العلا: الوسوسة. و قال غيره هو اللمم.

وَ إِخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِی الغَیِّ ثُمَّ لا یُقْصِرُونَ (202)
قرئ «یمدونهم» بضم الیاء و کسر المیم عن نافع. الباقون بفتح الیاء و ضم المیم و معنی الآیة أن إخوان الشیاطین من الکفار یمدهم الشیاطین فی الغی، و معناه یزیدونهم فی الغوایة، و الإضلال، و یزینون لهم ما هم فیه.
ثم اخبر ان هؤلاء مع ذلک «لا یقصرون» کما یقصر الذین اتقوا إذا مسهم طیف من الشیطان. و هو قول ابن عباس و السدی و ابن جریج و أبی علی، و أکثر المفسرین. و قال مجاهد: هم إخوان المشرکین من الشیاطین. و قال قتادة قوله «ثُمَّ لا یُقْصِرُونَ» یعنی الشیاطین «لا یُقْصِرُونَ» عن استغوائهم و لا یرحمونهم.
و قصرت و أقصرت لغتان، و القراءة علی لغة أقصرت، و من ضم الیاء من «یمدونهم» فلقوله تعالی «أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِینَ» «1» و قوله عز و جل «وَ أَمْدَدْناهُمْ بِفاکِهَةٍ» «2» و قوله «أَ تُمِدُّونَنِ بِمالٍ» «3» و من فتح الیاء فلقوله تعالی «وَ یَمُدُّهُمْ فِی طُغْیانِهِمْ یَعْمَهُونَ» «4». و أمددت فیما یستحب، و مددت فیما یکره. قال ابو زید: أمددت القائد بالجند و أمددت الدواة و أمددت القوم بالمال و الرجال. و قال ابو عبیدة

---

(1) سورة 23 المؤمنون آیة 55
(2) سورة 52 الطور آیة 22
(3) سورة 27 النمل آیة 36
(4) سورة 2 البقرة آیة 15

«یَمُدُّونَهُمْ فِی الغَیِّ» ای یزینون لهم یقال: مد له فی غیه. هکذا یتکلمون به و وجه قراءة نافع قوله تعالی «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ».

وَ إِذا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قالُوا لَوْ لا اجْتَبَيْتَها قُلْ إِنَّما أَتَّبِعُ ما يُوحى إِلَىَّ مِنْ رَبِّى هذا بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (203)

معنى الآية انک يا محمّد إذا لم تأتهم بآية يقترحونها، قالوا: لم لا تطلبها من اللّه فيأتينا بها. و قوله «لو لا» معناه هلا «اجتبيتها» معناه هلا «اجتبيتها» معناه اختلفتها و اقتلعتها من قبل نفسک فى قول الزجاج، و الفراء، و الحسن، و الضحاک، و قتادة، و ابن جريج، و ابن زيد، و ابن عباس.

و فى رواية أخرى عن ابن عباس و قتادة: معناه هلا أخذتها من ربک و تقبلتها منه. و يكون الاجتباء بمعنى الاختيار. و قال الفراء: اجتبيت الكلام و اختلقته و ارتجلته إذا اقتعلته من قبل نفسک. و قال ابو عبيدة: اخترعته مثل ذلک. و قال ابو زيد: هذه الحروف تقولها العرب للكلام يبتدؤه الرجل لم يكن أعده قبل ذلک فى نفسه.

فأمر اللّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله أن يقول لهم إنى لست آتى بالآيات من عندى و إنما يفعلها اللّه و يظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة فى ذلک لا بحسب اقتراح الخلق، و إنما اتبع ما يوحى إلىّ.

و قوله «هذا بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ» يعنى هذا القرآن حجج و براهين و أدلة من ربكم. و البصائر جمع بصيرة، و هى البراهين الواضحة و الحجج النيرة. و تكون البصائر جمع بصيرة. و هى طريق الدم. و البصيرة الرأس ايضاً. و جمعها بصائر، و معناه ظهور التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 67

الشىء و بيانه. و إنما قال «هذا بَصائِرُ» لأن المراد به القرآن، و قوله تعالى «و هدى» يعنى بيان و حجة و رحمة لقوم يؤمنون، فأضافه اليهم لأنهم هم المنتفعون بها، دون غيرهم من الكفار، و ان كان بياناً للكل. و قال الجبائى قوله «هذا بَصائِرُ» إشارة إلى الادلة الدالة على توحيده و صفاته و عدله و حكمته و صحة نبوة النبى و صحة ما أتى به النبى صلى الله عليه و آله.

وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (204)
آية بلا خلاف.
امر اللَّه تعالى المكلفين بأنه إذا قرئ القرآن ان يسمعوا له و يصغوا إليه ليفهموا معانيه و يعتبروا بمواعظه و ان ينصتوا لتلاوته و يتدبروه و لا يلغوا فيه ليرحمهم بذلک ربهم، و باعتبارهم به و اتعاضهم بمواعظه.
و اختلفوا في الوقت الذى أمروا بالإنصات و الاستماع:
فقال قوم: أمروا حال كون المصلى فى الصلاة خلف الامام الذى يأتم به و هو يسمع قراءة الامام، فعليه أن ينصت و لا يقرأ و يتسمع لقراءته.
و منهم من قال: لأنهم كانوا يتكلمون فى صلاتهم و يسلم بعضهم على بعض، و إذا دخل داخل و هم فى الصلاة قال لهم كم صليتم فيخبرونه و كان مباحاً فنسخ ذلک، ذهب اليه عبد اللَّه بن مسعود، و أبو هريرة و الزهرى و عطا و عبيد اللَّه بن أبى عمير و مجاهد و قتادة و سعيد بن المسيب و سعيد بن جبير و الضحاک و ابراهيم و عامر الشعبى و ابن عباس و ابن زيد، و اختاره الجبائى.
و قال قوم: هو امر بالإنصات للإمام إذا قرأ القرآن فى خطبته. روى ذلک عن مجاهد. و قال قوم: هو امر بذلک فى الصلاة و الخطبة. و روى ذلک عن مجاهد التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 68
ايضاً، و الحسن. و أقوى الأقوال الاول. لأنه لا حال يجب فيها الإنصات لقراءة القرآن إلا حال قراءة الامام فى الصلاة، فان على المأموم الإنصات لذلک و الاستماع له. فأما خارج الصلاة فلا خلاف أنه لا يجب الإنصات و الاستماع.
و عن أبى عبد اللَّه عليه السلام انه فى حال الصلاة و غيرها.
و ذلک على وجه الاستحباب.
و قال الجبائى: يحتمل ان يكون أراد الاستماع إذا قرأ النبى صلى الله عليه و آله عليهم ذلک، فانه كان فيهم من المنافقين من لا يستمع. و الاول اكثر فائدة و أعم. و قال الزجاج: يجوز أن يكون الأمر بالاستماع للقرآن للعمل بما فيه و ان لا يتجاوزه كما تقول سمع اللَّه لمن حمده بمعنى أجاب اللَّه دعاه، لأن اللَّه سميع عليم.
و الإنصات السكوت مع الاستماع، قال الطرماح يصف وحشاً، و حذرها الصيادين:
يخافتن بعض المضغ من خشية الردى و ينصتن للسمع إنصات القناقن «1»
و القناقن عراف الماء.

وَ اذْكُرْ رَبَّکَ فِی نَفْسِکَ تَضَرُّعاً وَ خِیفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ وَ لا تَکُنْ مِنَ الْغافِلِینَ (205)
امر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله أن يذكره على حال التضرع و المراد به الأمة.
و نصب «تضرعاً» على الحال، و على وجه الخوف من عذابه، و الخفيفة هو الخوف و يكون دعاؤه خالصاً للَّه و يفعل هذا الدعاء «بالغدو»، و هو أول النهار، «وَ الْآصالِ» و هو جمع اصل. و الأصل جمع الأصيل، فالآصال جمع الجمع و تصغيره أصيلال على بدل النون. و قال قوم: هو جمع اصل، و الأصل يقع على الواحد و الجمع و معناه

---

(1) اللسان (نصت)

العشيات، و هو ما بين العصر إلى غروب الشمس.
و قال ابن زيد: الخطاب متوجه الى المستمع للقرآن إذا تلى ثم أكد توصيته له فى الدعاء بقوله «وَ لا تَکُنْ مِنَ الْغافِلِینَ» و المعنى لا تكن من الغافلين عما أمرتک به من الدعاء له و الذكر للَّه. و قال الجبائى: فى الآية دليل على ان الذين يرفعون أصواتهم بالدعاء و يجهرون بها مخطؤن على خلاف الصواب.
و من قرأ «خفية» أراد أخف الدعاء و اترک الإجهار، و هو تأكيد لم امر به من الدعاء إخفاء.
و قوله «وَ دُونَ الْجَهْرِ» يعنى دعاء باللسان فى خفاء الإجهار.
و قال قوم: الآية متوجهة الى من أمر بالاستماع للقرآن و الإنصات له الذين كانوا إذا سمعوا القرآن رفعوا أصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة او النار- ذهب اليه ابن زيد و مجاهد و ابن جريج، و اختاره الطبرى- و الاولى ان يكون ذلک متوجهاً الى النبى، و المراد به جميع الامة، فانه اكثر فائدة.
و إنما أمره بالذكر فى النفس و إن كان لا يقدر عليه العبد لامرين:
أحدهما- ان المراد به التعرض للذكر من جهة الفكر، و هذا فى الذكر المضاد للسهو الثانى- انه امر بالذكر الذى هو القول فيما يخفى كحديث النفس.

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّکَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ (206)

بين اللّه تعالى ان الذين عنده، و هم الملائكة، و معناه انهم عنده بالمنزلة الجليلة لا بقرب المسافة، لأنه تعالى ليس فى مكان و لا جهة فيقرب غيره منه، لأن ذلک من صفات الأجسام، و هذا حث منه على الطاعة و الاستكانة و الخضوع له، لأن الملائكة مع فضلها و ارتفاع منزلتها إذا كانت لا تستكبر عن عبادته بل تسبحه دائماً و تسجد التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 70

مثل ذلک فبنوا آدم بذلک اولى و أحق و لهم أوجب و الزم.

قال الجبائى معنى «عند ربک» إنهم فى المكان الذى لا يملک فيه الحكم بين الخلق سواه لأنه ملک عباده الحكم فى الأرض على وجه حسن. قال: و يجوز ان يكون المراد بذلک أنهم رسله الذين يبعثهم فى أمور الانس، و إذا كانوا رسله جاز أن ينسبهم الى نفسه فيقول: إنهم عنده، كما يقال: عند الخليفة جيش كثير، و لا يراد به فى مكانه، و لا بالقرب منه، و إنما يراد انهم أصحابه و إن كانوا متفرقين فى البلاد. و قال الزجاج: من قرب من رحمة اللّه و فضله فهو عند اللّه اى قريب من تفضله و إحسانه.

و هذه أول سجدات القرآن، و هى- عندنا- مستحبة غير واجبة و فى ذلک خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف.

و سبب نزول الآية ان قريشاً لما قالت: و ما الرحمن؟ أ نسجد لما تأمرنا؟! نزلت هذه الآية.

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 71

8-سورة الانفال ..... ص : 71

اشارة

هذه السورة مدنية فى قول قتادة و ابن عباس و مجاهد و عثمان، و قال: هى أول ما نزل على النبى صلى الله عليه و آله بالمدينة، و حكى عن ابن عباس: انها مدنية إلا سبع آيات:
أولها «وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا» إلى آخر سبع آيات بعدها. و هى خمس و سبعون آية فى الكوفى، و سبع و سبعون آية فى الشامى، و ست و سبعون فى المدنيين و البصرى.

[سورة الأنفال (8): آية 1] ..... ص : 71

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَنْفالِ قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِکُمْ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)
اختلف المفسرون فى معنى الأنفال- هاهنا- فقال بعضهم: هى الغنائم التى غنمها النبى صلى الله عليه و آله يوم بدر، فسألوه لمن هى؟ فأمر اللّه تعالى نبيه أن يقول لهم:
هى للّه و لرسوله- ذهب اليه عكرمة و مجاهد و الضحاک و ابن عباس و قتادة و ابن زيد- و قال قوم: هى أنفال السرايا- ذهب اليه على بن صالح بن يحيى- و قال قوم:
و هو ما شذ من المشركين الى المسلمين من عبد او جارية من غير قتال او ما أشبه ذلک- عن عطا- و قال: هو للنبى صلى الله عليه و آله خاصة يعمل به ما يشاء.
و روى عن ابن عباس- فى رواية اخرى- انه ما سقط من المتاع بعد قسمة
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 72
الغنائم من الفرس و الدرع و الرمح. و فى رواية اخرى- أنه سلب الرجل و فرسه ينفل النبى صلى الله عليه و آله من شاء.
و قال قوم: هو الخمس، روى ذلک مجاهد، قال: قال المهاجرون: لِم يرفع منا هذا الخمس و يخرج منا؟ فقال اللّه: هو للّه و الرسول.
و
روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السلام (أن الانفال كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال إذا انجلى عنها أهلها).
و يسميه الفقهاء فيئاً، و ميراث من لا وارث له، و قطائع الملوک إذا كانت فى أيديهم من غير غصب، و الآجام و بطون الأودية و الموات و غير ذلک مما ذكرناه فى كتب الفقه. و قالا: هو للّه و للرسول و بعده للقائم مقامه يصرفه حيث يشاء من مصالح نفسه و من يلزمه مؤنته ليس لاحد فيه شىء.
و قالا: إن غنائم بدر كانت للنبى صلى الله عليه و آله خاصة، فسألوه أن يعطيهم.
و فى قراءة اهل البيت: «يسألونک الأنفال» فأنزل اللّه تعالى قوله «قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ» و لذلک قال «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِکُمْ» و لو سألوه عن موضع الاستحقاق لم يقل لهم: اتقوا اللّه.
و الانفال جمع نفل و النفل هو الزيادة على الشىء، يقال: نفلتک كذا إذا زدته قال لبيد بن ربيعة:
إن تقوى ربنا خير نفل و بإذن اللّه ريثى و العجل «1»

و النفل هو ما أعطيته المرء على البلاء، و الفناء على الجيش على غير قسمة.
و كل شىء كان زيادة على الأصل فهو نفل و نافلة، و منه قيل لولد الولد: نافلة، و لما زاد على فرائض الصلاة نافلة.
و اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية، فقال قوم: نزلت فى غنائم بدر، لأن النبى صلى الله عليه و آله كان نفل أقواماً على بلاء، فأبلى أقوام و تخلف آخرون مع النبى صلى الله عليه و آله فلما انقضى الحرب اختلفوا، فقال قوم: نحن أخذنا، لأنا قتلنا. و قال آخرون:

---

(1) تفسير القرطبى 8/ 361 و اللسان (نفل) و مجاز القرآن 1/ 240.

نحن أحطنا بالنبى صلى الله عليه و آله و لو أردنا لأخذنا و قال آخرون: نحن كنا وراءكم نحفظكم فأنزل اللَّه هذه الآية يعلمهم أن ما فعل فيها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ماض جائز- ذهب اليه ابن عباس و عكرمة و عبادة بن الصامت-.
و قال قوم: نزلت فى بعض اصحاب النبى صلى الله عليه و آله سأل من المغنم شيئاً قبل قسمتها فلم يعطه إياها إذ كان شركاً بين الجيش، فجعل اللَّه جميع ذلک للنبى صلى الله عليه و آله روى ذلک عن سعد بن مالک، و هو ابن أبى وقاص. قال: و كان سيف سعد بن العاص لما قتله اخوته، و كان يسمى ذا الكثيفة،
قال سعد أتيت النبى صلى الله عليه و آله فسألته سيفاً فقال:
ليس هذا لى و لا لک فوليت عنه. قال: فإذا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله خلفى فقال: إن السيف قد صار لى فأعطانيه، و نزلت الآية.
و روى عن أبى أسيد مالک بن ربيعة قال: أصبت سيف ابن عابد، و كان يسمى المرزبان فألقيته فى النفل، فقام الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى، فسأل رسول اللَّه فأعطاه إياه.
و قال آخرون: إن أصحاب النبى صلى الله عليه و آله سألوه أن يقسم غنيمة بدر عليهم يوم بدر، و أعلمهم اللَّه أن ذلک للَّه و لرسوله دونهم ليس لهم فيه شىء.
و قالوا معنى «عن» هاهنا معنى «من» و كان ابن مسعود يقرأه «يسألونک الانفال» على هذا التأويل. و هذا مثل ما رويناه عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام و روى ذلک عن الأعمش، و الضحاک عن ابن مسعود، و روى ذلک عن ابن عباس و ابن جريح و عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده و عن الضحاک، و عكرمة، و اختاره الطبرى و هو قول الحسن. و
قال الحسن: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: أيما سرية خرجت بغير إذن إمامها فما أصابت من شىء، فهو غلول.

و قال الزجاج: كانت الغنائم قبل النبى صلى الله عليه و آله حراماً، فسألوا النبى عن ذلک، فنزلت الآية
، و هذا بعيد.
و اختلفوا هل هى منسوخة أم لا؟
فقال قوم: هى منسوخة بقوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ...» الاية و روى التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 74
ذلک عن مجاهد و عكرمة و السدى و عامر الشعبى و اختاره الجبائى.
و قال آخرون: ليست منسوخة، ذهب اليه ابن زيد و اختاره الطبرى، و هو الصحيح، لأن النسخ محتاج إلى دليل، و لا تنافى بين هذه الآية و بين آية الخمس، فيقال انها نسختها.
و اختلفوا هل لأحد بعد النبى صلى الله عليه و آله ان ينفل احداً- ذكرناه فى الخلاف- فقال سعيد بن المسيب لا نفل بعد رسول اللَّه. و به قال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. و عندنا و عند جماعة من الفقهاء و اختاره الطبرى: أن للأئمة أن يتأسوا بالنبى صلى الله عليه و آله فى ذلک.
و قوله «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ» امر من اللَّه للمكلفين أن يتقوا معاصيه و يفعلوا طاعاته و ان يصلحوا ذات بينهم.
و اختلفوا فى معناه، فقال قوم: هو ان النبى صلى الله عليه و آله كان ينفل الرجل من المؤمنين سلب الرجل من الكفار إذا قتله، فلما نزلت الاية أمرهم أن يرد بعضهم على بعض، ذهب اليه قتادة و ابن جريج.
و قال قوم: هذا نهى من اللَّه للقوم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة يوم بدر، ذهب اليه مجاهد و ابن عباس و سفيان و السدى.
و اختلفوا لم قال «ذاتَ بَيْنِكُمْ» فأنث، و البين مذكر؟ فقال قوم: أراد «ذات بينكم» للحال التى للبين، كما يقولون ذات العشاء يريدون الساعة التى فيها العشاء، و لم يصفوا مذكراً لمؤنث و لا مؤنثاً لمذكر. قال الزجاج: أراد الحال التى يصلح بها أمر المسلمين. و قال الأخفش: جعله «ذات» لأن بعض الأشياء يوضع عليه اسم المؤنث و بعضه يذكر مثل الدار و الحائط أنث الدار و ذكر الحائط.
و قوله «وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» امر من اللَّه للخلق ان يطيعوه و لا يعصوه، و يطيعوا رسوله فيما يأمرهم به إن كانوا مصدقين لرسوله فيما يأتيهم به من قبل اللَّه، لأنهم متى لم يطيعوه و لم يقبلوا منه لم يكونوا مؤمنين. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 75
و
روى: ان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قسم غنائم بدر بينهم عن تواء، يعنى سواء، و لم يخمس و إنما خمس بعد ذلک.
و قال الزجاج: «ذات بينكم» معناه حقيقة وصلكم، و البين الوصل، لقوله تعالى «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» اى وصلكم.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (4)

ثلاث آيات بلا خلاف.

استدل- من قال: إن الايمان يزيد و ينقص و ان أفعال الجوارح قد تكون إيماناً- بهذه الآيات، فقالوا: نفى اللّه ان يكون المؤمن إلا من إذا ذكر اللّه و جل قلبه و إذا تليت عليه آياته أى قرئت زادتهم الاية إيماناً، بمعنى أنهم يزدادون عند تلاوتها ايماناً، و انهم على اللّه يتوكلون فى جميع أمورهم «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ» بمعنى يأتون بها على ما بينها النبى صلى الله عليه و آله و ينفقون مما رزقهم اللّه فى أبواب البر.

و إخراج الواجبات من الزكاة و غيرها. ثم وصفهم بأن هؤلاء الذين وصفهم بهذه الأوصاف هم المؤمنون حقاً، يعنى الذين أخلصوا الايمان، لا كمن كان له اسمه على الظاهر، و إن لهم الدرجات عند اللّه و هى المنازل التى يتفاضل بها بعضهم على بعض و إن لهم المغفرة و الرزق الكريم فدل على أن من ليس كذلك ليس له ذلك.

و من خالف فى ذلك قال: هذه أوصاف أفاضل المؤمنين، و خيارهم، و ليس التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 76

يمتنع أن يتفاضل المؤمنون فى الطاعات و ان لم يتفاضلوا فى الايمان، يبين ذلك انه قال فى أول الاية «إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» و وجل القلب ليس بواجب بلا خلاف، و انما ذلك من المندوبات. و قوله «وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» لأنه إذا صدق بآية آية انها من عند اللّه، فلا شك ان معارفه تزداد و إن لم يزد بفعل الجوارح.

و قوله «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ» يدخل فى ذلك الفرائض و النوافل، و لا شك أن الإخلال بالنوافل لا يخرج من الايمان و لا ينقص منه عند الأكثر. و الإنفاق أيضاً قد يكون بالواجب و النفل. و الإخلال بما ليس بواجب منه لا يخرج من الايمان بلا خلاف. و قوله «أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا» يبين ذلك انه أشار به: الى خيارهم و أفاضلهم، لأن هذه اوصافهم فمن اين ان غيرهم و إن كان دونهم فى المنزلة لا يكون مؤمناً؟! و قال ابن عباس: أراد ان المنافق لا يدخل قلبه شىء من ذلك عند ذكر اللّه.

و أن هذه الأوصاف منتفية عنه.

و الوجل و الخوف و الفزع واحد، يقال وجل فلان يوجل و جلا، و يقال يأجل و ييجل و أفصحها يوجل. قال اللّه تعالى «لا تَوْجَلْ» أى لا تخف و قال

الشاعر:
لعمرک ما ادری و إنی لأوجل على أینا تعدو المنیة أول «1»
و إنما وصفهم بالوجل- هاهنا- و باطمئنان القلوب فی قوله: «الَّذِینَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِکْرِ اللَّهِ» «2» لأن الوجل یکون بالخوف من عقابه و بارتکاب معاصیه.
و الاطمئنان بذکر اللَّه معناه: بنعمه و عدله، و وصفهم بالوجل یکون فی دار الدنیا، و أما فی الآخرة فانه «لا یَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَکْبَرُ» «3»

---

(1) قطر الندی 23 الشاهد 6 باب المعرب و المبنی.
(2) سورة 13 الرعد آیة 30
(3) سورة 21 الأنبیاء آیة 103
التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 77
و قال الربیع: معنی زادتهم إیماناً زادتهم حسنة، و الدرجات عند اللَّه، قال قوم: معناه أعمال رفیعة و فضائل استحقوها فی أیام حیاتهم- ذهب الیه مجاهد- و قال غیره: معناه لهم مراتب رفیعة. و الرزق الکریم، قال قتادة: هو الجنة. و قال غیره: هو ما أعد اللَّه لهم و وعدهم به فی الجنة من انواع النعیم و المغفرة یعنی لذنوبهم و معاصیهم سترها اللَّه علیهم.
و قوله «حقاً» منصوب بمعنی دلت علیه الجملة، و هی قوله «أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ» و المعنی أحق ذلک حقاً. و التوکل هو الثقة باللَّه فی کل امر یحتاج الیه تقول وکلت الأمر الی فلان، إذا جعلت الیه القیام به، و منه الوکیل القائم بالأمر لغیره. و الکریم القادر علی النعم من غیر مانع، و لم یزل اللَّه کریماً بهذا المعنی.

كَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَيْتِکَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ (5) يُجادِلُونَکَ فِی الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ (6)

من مد الف (كما) فلأن المد يقع فى حروف اللين، و هى الالف و الواو و الياء، فإذا كان الحرف منها قبل همزة، و كانت الواو و الياء ساكنتين و الالف لا تكون الا ساكنة مدوا الالف كألف هذه الكلمة، و كقوله «مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ» «1» بمد الف السماء و الف ماء، و الياء نحو قوله «وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ يُوحى» «2» بمد الياء من الهوى، و الواو نحو قوله «قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا» «3» بمد الواو.

---

(1) سورة 2 البقرة آية 164 [.....]
(2) سورة 53 النجم آية 3- 4
(3) سورة 21 الأنبياء آية 62

و اختلفوا فى الكاف من قوله «كما» إشارة الى ما ذا؟ فقال الزجاج و غيره:

قوله «كما أخرجک» معطوف على قوله «قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ» و المعنى فى ذلک أن رسول اللّه لما جعل النفل لمن جعله له و سلمه المؤمنون لذلک على كراهية بعضهم له كراهية طباع، فقال «الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ» فامض لذلک، و إن كرهه قوم كما مضيت «كَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَيْتِکَ بِالْحَقِّ» و هم كارهون أيضاً لأنهم كانوا كرهوا خروجه الكراهية التى ذكرناها، و ليس على المؤمنين فى هذه الكراهية حرج، إذا سلموا الأمر للّه و رسوله و عملوا بما فيه طاعاتهما. و قال غيره: ذلک معطوف على قوله «يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَنْفالِ» كأنه قال: يسألونک الأنفال كما جادلوک عند ما أخرجک ربک من بيتک، فذلک قوله «يُجادِلُونَکَ فِی الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ». و قال قوم: يجوز أن يكون الكاف عطفاً على قوله «أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ... كَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَيْتِکَ بِالْحَقِّ». و قال بعضهم «كَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَيْتِکَ ...

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ». و قال مجاهد «كَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَيْتِکَ بِالْحَقِّ ... يُجادِلُونَکَ فِی الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ» يعنى يجادلونک فى القتال بعد ما أمرت به. و قال الفراء: قوله «كَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَيْتِکَ بِالْحَقِّ» جواب قوله «وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ» فقال: فامض لأمرک فى الغنائم على ما شئت «كَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ» مجاز اليمين كأنه، قال و الذى أخرجک

ربک، فتکون «ما» فی موضع الذی کقوله «وَ ما خَلَقَ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی» «1» و تقدیره و الذی خلق الذکر، و قال ابو عبیدة معمر بن المبنی: «ما» فی قوله «کَما أَخْرَجَکَ» کما فی قوله «وَ ما بَناها» «2» ای و بنائها. و قال عکرمة: المعنی «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَیْنِکُمْ» فان ذلک خیر لکم «کَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَیْتِکَ بِالْحَقِّ» و کان خیر لکم.
و قال بعضهم: الکاف بمعنی (علی) کأنه قال: امض علی الذی أخرجک

---

(1) سورة 92 اللیل آیة 3
(2) سورة 91 الشمس آیة 5
التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 79
من بیتک. و الحق الذی جادلوا فیه هو القتال فی قول مجاهد. و «بیتک» یراد به المدینة، أخرجه اللَّه الی بدر- فی قول ابن جریج، و ابن أبی نجیح و اکثر المفسرین- و وجه کراهیة القتال- ما ذکره ابن عباس- من ان أبا سفیان لما اقبل بعیر قریش من الشام فیها أموالهم، ندب النبی صلی الله علیه و آله المسلمین الی الخروج الیها، قال لعل اللَّه أن ینفلکموها، فانتدب الیهم، فخف بعضهم، و ثقل بعضهم، و لم یظنوا أن رسول اللَّه ملقی کیداً و لا حزناً، و هو قول السدی و المفسرین. و اختلفوا فی المؤمنین الذین کرهوا القتال، و جادلوا النبی صلی الله علیه و آله. فقال قوم: أراد به أهل الایمان یوم بدر- ذکر ذلک عن ابن عباس، و ابن إسحاق- و قال قوم: عنی المشرکین- ذهب الیه ابن زید- و قال: هؤلاء المشرکون جادلوه فی الحق کأنما یساقون إلی الموت حین یدعوهم الی الإسلام، و هم ینظرون، قال و تکون هذه صفة مبتدأة لأهل الکفر. و قول ابن عباس هو الظاهر، و علیه اکثر المفسرین، و هو ان هذا صفة للمؤمنین لکن کرهوا ذلک کراهیة الطبع، لکونهم غیر مستعدین للقتال، و لقلتهم و کثرة المشرکین، و یقوی ذلک قوله بعد هذه الآیة «وَ إِذْ یَعِدُکُمُ اللَّهُ إِحْدَی الطَّائِفَتَیْنِ أَنَّها لَکُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَیْرَ ذاتِ الشَّوْکَةِ تَکُونُ لَکُمْ» فبین بذلک انهم کانوا یودون العیر دون الحرب.
و قوله «بَعْدَ ما تَبَیَّنَ» انک یا محمّد لا تصنع إلا ما أمرک اللَّه به. و قال ابن عباس معناه یجادلونک فی القتال بعد ما أمرت به. و الجدل شدة الفتل و منه قولهم: جدلت الزمام إذا شددت فتله، و الأجدل الصقر لشدته.
و قوله «کَأَنَّما یُساقُونَ إِلَی الْمَوْتِ وَ هُمْ یَنْظُرُونَ» معناه کأن هؤلاء الذین یجادلونک فی لقاء العدو فی کراهتهم للقتال إذا دعوا الیه و صعوبته علیه بمنزلة من یساق الی الموت، و هم یرونه أو یتوقعونه.
و السوق الحث علی السیر عجلة. و الإخراج فی الایة معناه الدعاء الی الخروج الذی یقع به، تقول: أخرجه فخرج ای دعاه فخرج، و مثله أضربت زیداً عمراً، التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 80

فضربه و سمى البيت بيتاَ لأنه جاء مهيئاَ للبيتوتة فيه. و قوله «من بيتک» قال الحسن و ابن أبى برة و ابن جريج معناه من المدينة.

وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ (7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْباطِلَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8)

آيتان تقدير الاية و اذكر يا محمّد إذ يعدكم اللّه إحدى الطائفتين إما العير و إما قريشاً.

قال الحسن كان المسلمون يريدون العير، و رسول اللّه يريد ذات الشوكة لما وعده اللّه. و قوله «إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ» يعنى عير قريش او قريشاً، و كان اللّه وعد نبيه حصول إحداهما.

و قوله «إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ» فى موضع نصب ب «يَعِدُكُمُ اللَّهُ» و قوله «إنها لكم» نصب بدل من قوله «إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ» و مثله «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» «1» فإنها فى موضع نصب بدلا من (الساعة). و مثله: «وَ لَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ» «2» قال الزجاج: تقديره لو لا أن تطؤهم.

و قوله «وَ تَوَدُّونَ» معناه و تحبون «أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ» يعنى القتال. و انما قال «ذاتِ الشَّوْكَةِ» فأنث لأنه عنى الطائفة، و الشوكة الجد، يقال: ما أشد شوكة بنى فلان، و فلان شاك فى السلاح و شائك و شاک- بتشديد الكاف- من الشكة.

---

(1) سورة 43 الزخرف آية 66

(2) سورة 48 الفتح آية 25

و مثله شاک فى قول الشاعر:

فيوهمونى اننى هو ذاكم شاک سلاحى فى الحوادث معلم

و قال الضحاک، وغيره: كرهوا القتال و أعجبهم أن يأخذوا العير.

و قوله «وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ» معناه إن اللّه يريد أن يظهر محمّداً صلى الله عليه و آله و من معه على الحق «وَ يُبْطِلَ الْباطِلَ» اى يبطل ما جاء به المشركون.

و قيل: هذه الآية نزلت قبل قوله «كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ» و هى فى القراءة بعدها- ذكره البلخى و الحسن- و فى الاية دلالة على ان اللّه لا يريد الباطل و لا يريد إبطال الحق بخلاف ما يقول المجبرة من ان كل ما فى الأرض من باطل و سفه و فسق فان اللّه يريده لأن ذلک خلاف الاية.

و قوله «وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ» معناه يريد اللّه ان يجتث الجاحدين من أصلهم و الدابر المأخر، و قطعه الإتيان على جميعهم- و هو قول ابن زيد و

غیره- و قال قوم: الحق فی هذا الموضع القرآن. و الباطل إبلیس. و قیل الحق الإسلام، و الباطل الشرک.
و قال ابن عباس: کان عدة اهل بدر مع النبی صلی الله علیه و آله ثلاثمائة و ثلاث عشر رجلا و
روی ان النبی صلی الله علیه و آله لما بلغه خروج قریش لحمایة العیر شاور أصحابه، فقال قوم:
خرجنا غیر مستعدین للقتال. و قال المقداد: امض لما أمرک اللَّه به، فو اللَّه لو خضت بنا الجمر لتبعناک، فجزاه خیراً. و أعاد الاستشارة، فقال سعد بن معاذ (رحمه اللّه) یا رسول اللّه لعلک تریدنا؟ قال: نعم، فقال سعد: إنا آمنا بک و صدقناک، و شهدنا أن ما جئت به حق و أعطیناک علی ذلک عهودنا و مواثیقنا علی السمع و الطاعة، فامض یا رسول اللّه لما أردت، فو الذی بعثک بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لنخوضنه معک، فسرّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله بقول سعد و نشطه ذلک. ثم قال سیروا علی برکة اللّه و ابشروا فان اللّه وعدنی إحدی الطائفتین، و اللّه لکأنی الآن انظر الی مصارع القوم.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 82
و (الحق) وقوع الشیء فی موضعه الذی هو له فإذا اعتقد شیء بضرورة او حجة فهو حق، لأنه وقع موقعه الذی هو له، و عکسه الباطل.
و روی ان احداً لم یشاهد الملائکة یوم بدر إلا رسول اللّه صلی الله علیه و آله. و معنی قوله «لِیُحِقَّ الْحَقَّ» لیظهر تحقیق الحق للمخلوقین، و یبطل الباطل، لا أنهما لم یکونا کذلک عنده.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9)
آية بلا خلاف.
قرأ أهل المدينة و يعقوب «مردفين» بفتح الدال. الباقون بكسرها. قال ابو على: من قرأ بكسر الدال احتمل شيئين:
أحدهما- ان يكونوا مردفين مثلهم. كما تقول: أردفت زيداً دابتى فيكون المفعول الثانى محذوفاً فى الاية و ذلک كثير.
الثانى- ان يكون معنى «مردفين» جاءوا بعدهم. قال ابو الحسن: تقول العرب بنو فلان يردفوننا أى هم يجيئون بعدنا. و هو قول أبى عبيدة. و ردفنى و أردفنى واحد. قال الشاعر:
إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا «1»
و قال قوم: ردفه صار له ردفاً و اردفه جعله له ردفاً. و يكون أردفت الثريا الجوزاء. و معنى البيت ان الجوزاء إذا طلعت فى شدة الحر لم يبق حينئذ احد من

---

(1) قائله خزيمة بن مالک و هو من قدماء شعراء الجاهلية الاغانى 13/ 75 طبعة دار الثقافة. و معجم ما استعجم 19، و سمط اللآلى 100 و اللسان (قرظ)، (ردف).

البوادى فى مناجعهم، لأن مياه الغدران يبست فتفرق الحلل بعد اجتماعها فتفترق ظنونه فى امر فاطمة انها اى ماء تأخذ لتعلق قلبه بها، و هى فاطمة بنت حل بن عدى.
و قول أبى عبيدة: ردفنى و أردفنى واحد أقوى لقوله «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ» اى جاء من بعد استغاثتكم ربكم ف «مردفين» على هذه صفة للالف الذين هم الملائكة.
و من قرأ بفتح الدال فمعناه اردفوا الناس أى انزلوا بعدهم، فيجوز على هذا أن يكون حالا من الضمير المنصوب فى «ممدكم» مردفين بألف من الملائكة، و العامل فى (إذ) يحتمل شيئين: أحدهما- و يبطل الباطل (إذا) و الثانى- بتقدير اذكروا (إذ) فعلى الوجه الأول يكون متصلا بما قبله و على الثانى يكون مستأنفاً.
و الاستغاثة طلب المعونة و هو سد الخلة فى وقت شدة الحاجة. و قيل: فى معنى «تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ» تستجيرون به من عدوكم و الاستجابة موافقة المسألة بالعطية، و أصله طلب الموافقة بالارادة و ليس فى الاجابة معنى

الطلب من هذه الجهة.
و قيل فى معنى «مردفين» ثلاثة أقوال:
قال ابن عباس: مع كل ملک ردفاً له، و قال الجبائى: هم ألفان لأن مع كل واحد واحد ردفاً له.
و الثانى- قال السدى و قتادة: إن معناه متتابعين.
و الثالث- قال مجاهد ممدين بالارداف و أمداد المسلمين بهم. و يقال هذه دابة لا ترادف، و لا يقال تردف، و يقال: أردفت الرجل إذا جئت بعده. و كان يجوز أن يقرأ بتشديد الدال و فتح الراء و ضمها- لأن الأصل مرتدفين، و قرئ فى الشواذ- بضمها- فمن فتح الراء نقل فتحة التاء اليها، و من كسرها فلاجتماع الساكنين و من ضمها فللاتباع.
أخبر اللّه تعالى عن حال اهل بدر انهم لقلة عددهم استغاثوا باللّه و التجأوا اليه فأمدهم اللّه بألف من الملائكة مردفين، رحمة لهم و رأفة بهم، و هو قول ابن عباس، التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 84
و قال:
الداعى كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و هو قول أبى جعفر عليه السلام
و السدى و أبى صالح و هو المروى عن عمر بن الخطاب. و قيل: إنهم قتلوا يومئذ سبعين و أسروا سبعين. و قال الحسن: جميع ما أمدوا به من الملائكة خمسة آلاف: ما ذكر هنا، و ما ذكر فى آل عمران. و قال غيره: جميعهم ثمانية آلاف. و قال الحسن: اردف بهؤلاء الألف الثلاثة آلاف الذين ذكرهم فى آل عمران. ثم أردفهم بألف آخر فصاروا خمسة آلاف.

قوله تعالى:[سورة الأنفال (8): آية 10] ..... ص : 84

وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرى وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَ مَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10)
الهاء فى قوله «جَعَلَهُ اللَّهُ» يحتمل أن تكون عائدة الى الامداد، لأنه معتمد الكلام. و قال الفراء: هى راجعة الى الارداف.
و يحتمل أن تكون عائدة على الخبر بالمدد، لان تقديم ذلک اليهم بشارة فى الحقيقة اخبر اللّه تعالى أنه لم يجعل هذا الذى أخبر به من إمداد الملائكة إلا بشرى.
و إنما جعله بأن اراده به فقلبه الى هذا المعنى. و قيل: جعله بشرى بأن امر الملائكة أن تبشر به، و الجعل على ضروب: أولها- أن يكون بمعنى القلب، كقولک: جعلت الطين خزفاً. و بمعنى الحكم كقولک: جعله الحاكم فاسقاً. و بمعنى الظن كقولک جعلته كريماً بحسن ظنى به. و بمعنى الأمر كقولک جعله اللّه مسلماً بمعنى أمره بالإسلام.
و قوله «وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ» فالاطمئنان الثقة ببلوغ المحبوب، و هو خلاف الانزعاج. و الطمأنينة: السكون و الدعة.
و قوله «وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» معناه لا يكون النصر و قهر الاعداء من الكفار إلا بفضل من عند اللّه و نصر من جهته. و ليس ذلک بشدتكم و قوة بأسكم التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 85
و إنما أضافه الى اللّه، لئلا يظن أنه من قبل الملائكة من غير أمره.
فأما الغلبة بكثرة العدد، فقد يتفق للكافر و المبطل، فعلى هذا المؤمن و ان قتل، فهو منصور غير مخذول، و الكافر و إن غلب و قتل فهو مخذول.
و هل قاتلت الملائكة يوم بدر قيل فيه قولان:
قال ابو على الجبائى: ما قاتلت، و إنما أراد اللّه بالامداد البشارة بالنصر و اطمئنان القلب ليزول عنهم الخوف الذى كان بهم، قال لأن ملكاً واحداً يقدر ان يدمر على جميع المشركين كما أهلک جبرائيل قريات لوط.
و روى عن ابن مسعود: أنها قاتلت. و قيل: سأل ابو جهل من اين كان يأتينا الضرب و لا نرى الشخص، قالوا له: من قبل الملائكة، فقال هم غلبونا لا أنتم.
و قوله «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» يعنى قادر لا يغالب «حكيم» فى أفعاله ليثقوا بوعده.

إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَ لِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ (11)
قرأ ابن كثير و ابو عمرو «يغشاكم» بفتح الياء و سكون الغين و بألف مخفف.
و قرأه اهل المدينة- بضم الياء و سكون الغين و كسر الشين مخففاً من غير الف الباقون بضم الياء و فتح الغين و تشديد الشين و كسرها من غير الف.
و كلهم نصب النعاس إلا ابن كثير و ابو عمرو، فإنهما رفعاه.
و حجة من فتح الياء قوله «أَمَنَةً نُعاساً يَغْشى» «1». فكما أسند الفعل الى النعاس و الأمنة، كذلك هاهنا. و من قرأ بضم الياء و شدد الشين او خففها، فالمعنى واحد.

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 154
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 86
قال اللّه تعالى «فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ» «1» و قال «فَغَشَّاها ما غَشَّى» «2» و قال «كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ» «3» و حجتهما أنه أشبه بما بعده، لأنه قال «وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً» فكما أن (ينزل) مسند الى اسم اللّه كذلك «يغشى».
و «الغشيان» لباس الشىء ما يتصل به، و منه غشى الرجل امرأته، فكأن النعاس قد لابسهم بمخالطته إياهم. و «النعاس» ابتداء حال النوم قبل الاستثقال فيه، و هو السنة، تقول: نعس ينعس نعاساً فهو ناعس. و حكى الفراء أنه سمع نعسان.
و «الأمنة» الدعة التى تنافى المخافة، تقول: أمن أمناً و أماناً و أمنة. و انتصب «أمنة» بأنه المفعول له، و العامل فيه «يغشى».
و قوله «وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنى مطراً و غيثاً.
و قوله: «لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ» قال ابن عباس: معناه يذهب عنكم وسوسة الشيطان، بأنه غلبكم على الماء المشركون حتى تصلوا و أنتم مجنبين، لأن المسلمين باتوا ليلة بدر على غير ماء، فأصبحوا مجنبين، فوسوس اليهم الشيطان، فيقول: تزعمون أنكم على دين اللّه و أنتم على غير الماء تصلون مجنبين، و عدوكم على الماء، فأرسل اللّه عليهم السماء، فشربوا و اغتسلوا و أذهب به وسوسة الشيطان، و كانوا فى رمل تغوص فيه الأقدام، فشدده المطر حتى تثبت عليه الرجال فهو قوله «وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ». و الهاء فى «به» راجعة الى الماء. و قال ابن زيد:
يذهب بوسوسته أنه ليس لكم بهؤلاء طاقة. و قال الجبائى: لان الاحتلام

بوسوسة الشيطان.
و قوله «وَ لِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ» معناه ليشد عليها بما يسكنها و قوله «وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس و مجاهد و الضحاک و أكثر المفسرين: لتلبيده الرمل

---

(1) سورة 36 يس آية 9
(2) سورة 53 النجم آية 54
(3) سورة 10 يونس آية 27

الذى لا يثبت عليه القدم.
و الثانى- الصبر الذى أفرغه عليهم عند ذلک حتى ثبتوا لعدوهم- فى قول أبى عبيدة و الزجاج-. و «إذ» فى موضع نصب على معنى و ما جعله اللَّه إلا بشرى فى ذلک الوقت، و يجوز على تقدير اذكروا «إذ يغشاكم».

إِذْ يُوحِی رَبُّکَ إِلَی الْمَلائِکَةِ أَنِّی مَعَکُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِینَ آمَنُوا سَأُلْقِی فِی قُلُوبِ الَّذِینَ کَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ کُلَّ بَنانٍ (12)
معنی الآیة اذکروا «إِذْ یُوحِی رَبُّکَ إِلَی الْمَلائِکَةِ أَنِّی مَعَکُمْ» یعنی بالمعونة و النصرة، کما یقال: فلان مع فلان بمعنی ان معونته معه. و ذکر الفراء قال: کان الملک یأتی الرجل من اصحاب النبی صلی الله علیه و آله فیقول سمعت المشرکین یقولون، و اللّه لئن حملوا علینا لنکشفن، فیحدث المسلمون بعضهم بعضاً فیقوی أنفسهم بذلک و «الإیحاء» إلقاء المعنی إلی النفس من وجه یخفی، و قد یکون ذلک بنصب دلیل یخفی إلا علی من ألقی الیه من الملائکة.
و قوله «فَثَبِّتُوا الَّذِینَ آمَنُوا» قیل فی معناه قولان: أحدهما- احضروا معهم الحرب. و الثانی- قال الحسن: قاتلوا معهم یوم بدر. و قال قوم: معنی ذلک الاخبار بأنه لا بأس علیهم من عدوهم.
و قوله «سَأُلْقِی فِی قُلُوبِ الَّذِینَ کَفَرُوا الرُّعْبَ» اخبار من اللّه تعالی انه یلقی فی قلوب الکفار الرعب، و هو الخوف. تقول: رعبته أرعبه رعباً و رعباناً، فانا راعب، و ذاک مرعوب. و «الرعب» انزعاج النفس بتوقع المکروه. و اصل الرعب التقطیع من قولهم رعبت السنام ترعیباً: إذا قطعته مستطیلا. و الرعب یقطع حال التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 88
السرور بضده من انزعاج النفس بتوقع المکروه. و جاریة رعبوبة إذا کانت شطنة مشبهة بقطعة من السنام. و رعب السیل فهو راعب: إذا امتلأ منه الوادی، لأنه انقطع الیه من کل جهة. و الرعیب من الرجال النصیر. قال الراجز:
و لا أجیب الرعب ان دعیت «1» و قوله «فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ» قیل فی معناه ثلاثة أقوال.
أحدها- اضربوا الاعناق- ذهب الیه عطیة- و قال غیره اضربوا علی الاعناق.
و قال قوم اضربوا فوق جلدة الاعناق.
و قوله «وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ کُلَّ بَنانٍ» قال ابن جریج و الضحاک و السدی: أراد بنان الأطراف من الیدین و الرجلین و الواحد بنانة. و یقال: للإصبع بنانة.
و أصله اللزوم من قولهم: أبنت السحابة إبناناً إذا لزمت. و أبن بالمکان إذا لزمه فسمی البنان بناناً، لأنه یلزم به ما یقبض علیه، قال الشاعر:
ألا لیتنی قطعت منی بنانة و لاقیته فی البیت یقظان حاذرا «2»
و قال الفراء: أعلمهم مواضع الضرب، فقال: اضربوا الرؤوس و الأیدی و الأرجل.

و قال الزجاج: أباح اللّه قتلهم بكل نوع يكون فى الحرب. و «إذ» فى موضع نصب على قوله «وَ لِيَرْبِطَ ... إِذْ يُوحِى» و يجوز على تقدير و اذكروا.

ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشاقِقِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (13)
أخبر اللَّه تعالى أنه فعل بهؤلاء الكفار، ما فعل و امر بقتلهم و ضرب أعناقهم

---

(1) قائله رؤبة. اللسان (رعب) و يروى (إن رقبت)
(2) قائله عباس بن مرداس اللسان و التاج (بنن) و مجاز القرآن 1/ 242

و قطع بنانهم جزاء بما شاقوا اللَّه و رسوله. قال الزجاج: معناه جانبوا اللَّه، اى صاروا فى جانب غير جانب المؤمنين، و مثله حاربوا اللَّه. و «الشقاق» أصله الانفصال من قولهم: انشق انشقاقاً، و شقه شقاً، و اشتق القوم إذا مر بينهم، و شاقه شقاقاً إذا صار فى شق عدوه عليه، و تشقق تشققاً، و شقق تشقيقاً، و منه اشتقاق الكلام لأنه انفصال الكلمة عما يحتمله الأصل.
و معنىَاقُّوا اللَّهَ»
شاقوا اولياء اللَّه كما قال «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» «1». و قولهَ مَنْ يُشاقِقِ اللَّهَ»
يجوز فى العربية الاظهار و الإدغام، فاما أن يأتى على الأصل للحاجة إلى حركة الأول، و إما ان يحرك الثانى- لالتقاء الساكنين- بالكسر. و يجوز الفتح و الأول أجود مع الألف و اللام لتأكد سببه.
و قولهَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ»
شدة العقاب عظمه بجنس فوق جنس أدنى منه، لأن العظم على ضربين: أحدهما- بالتضاعف فى المرتبة الواحدة. و الثانى- بالترقى الى مرتبة بجنس يخالف الجنس الذى فى ادنى مرتبة.

ذلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَ أَنَّ لِلْكافِرِينَ عَذابَ النَّارِ (14)
العامل فى «ذلكم» يحتمل احد وجهين: أحدهما- الابتداء على تقدير الأمر «ذلكم»، قال الزجاج: من قال: إنه يرفع «ذلكم» بما عاد عليه من الهاء او بالابتداء و جعل «فذوقوه» الخبر، فقد أخطأ، لأن ما بعد الفاء لا يكون خبر المبتدأ لا يجوز «زيد فمنطلق» و لا «زيد فاضربه» الا ان تضمر هذا كقول الشاعر:
و قائلة خولان فانكح فتاتهم و أكرومة الحيين خلو كما هيا «2»
أى هذه خولان. الثانى- أن يكون نصباً بذوقوا، كما تقول: زيداً فاضربه.

---

(1) سورة 33 الأحزاب آية 57 [.....]
(2) اللسان (خلا)
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 90
و الكاف فى قوله «ذلكم» لا موضع له من الاعراف لأنه حرف خطاب، و لو كان اسماً لجاز أن يؤكد بالنفس و ذلك غير جائز اجماعاً. و الاشارة بذلك الى ما تقدم من انواع العقوبات، و انما ضم الى الكاف الميم، لأنه خطاب للمشركين.
و قوله «فذوقوه» فالذوق طلب ادراك الطعم بتناول اليسير بالفم كما ان الشم طلب ادراك الرائحة بالأنف، و ليس بالإدراك، لأنه يقال ذقته فلم أجد له طعماً، و شممته فلم أجد له رائحة، و انما قال «فذوقوه» و الذوق اليسير من الطعام، لان المعنى كونوا للعذاب كالذائق للطعام، لأن معظمه بعده. و قيل: لان الذائق أشد احساساً بالطعم من المستمر عليه، فكأن حالهم ابداً حال الذائق فى شدة إحساسه نعوذ باللّه منه.
و قوله «و أن للكافرين» فموضع «أن» يحتمل النصب و الرفع، فالرفع بالعطف على ذلكم كأنه قال «ذلكم، فذوقوه» و ذلكم «أَنَّ لِلْكافِرِينَ عَذابَ النَّارِ» مع ذا و النصب من وجهين: أحدهما- و بان للكافرين، و الآخر- و اعلموا ان للكافرين، كما أنشده الفراء:
تسمع للأحشاء منه لغطا و لليدين جسأة و بددا «1»
اى و ترى لليدين و انما قدم الخبر فى قوله: «وَ أَنَّ لِلْكافِرِينَ» على الاسم لدلالته على الكفر الذى هو السبب للعذاب. و مرتبة السبب قبل المسبب.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ (15)

---

(1) معانى القرآن للفراء 1/ 405. (اللغط) الأصوات المبهمة، و الجسأة- بضم الجيم- الخشونة و الصلابة و الغلظ. و البدد تباعد ما بين اليدين.

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 91

هذا خطاب للذين آمنوا من بين المكلفين ناداهم اللَّه ليقبلوا الى امر اللَّه بما يأمرهم به و انتهائهم عما ينهاهم عنه بالتأمل له و التدبر لموجبه ليعملوا به و يكونوا على يقين منه. و قوله «إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا» فالالتقاء الاجتماع على وجه المقاربة لأن الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربة، فلا يكون لقاء كاجتماع الاعراض فى المحل الواحد. و «الَّذِينَ كَفَرُوا» هم الذين جحدوا نعم اللَّه او من كان بمنزلة الجاحد.

فالمشرک كافر، لأنه فى حكم الجاحد لنعم اللَّه إذ عبد غيره.

و قوله «زحفاً» نصب على المصدر، فالزحف هو الدنو قليلا قليلا و التزاحف التدانى، زحف يزحف زحفاً، و ازحفت القوم إذا دنوت لقتالهم و ثبت لهم، و المزحف من الشعر الذي قد تدانت حروفه على ما أبطلت وزنه.

و قوله: «فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ» نهى لهم عن الفرار عن الفرار عند لقائهم الكفار و قتالهم إياهم.

وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (16)

اخبر اللَّه تعالى ان «مَنْ يُوَلِّهِمْ» يعنى الكفار «يومئذ» يوم القتال «دبره فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ». و التولية جعل الشىء يلى غيره و هو متعد الى مفعولين. ولاه دبره إذا جعله يليه، و منه ولاه البلد من ولاية الامارة، و تولى هو إذا قبل الولاية و أولاه نعمة، لأنه جعلها تليه.

و قوله «يومئذ» يجوز اعرابه و بناؤه، فاعرابه لأنه متمكن أضيف على تقدير الاضافة الحقيقية، كقولك هذا يوم ذلک، و أما البناء فلانه أضيف الى مبنى اضافة غير حقيقية، فأشبه الأسماء المركبة. و قوله «إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ»

فالتحرف الزوال التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 92

من جهة الاستواء الى جهة الحرف. تقول تحرف تحرفاً، و انحرف انحرافاً و حرفه تحريفاً و احترف احترافاً، لأنه يقصد جهة الحرف لطلب الرزق، مثل ابعد فى طلب الرزق، و المحارف المحدود من جهة الرزق الى جهة الحرف و منه حروف الهجاء لأنها أطراف الكلمة كحرف الجبل، و نحوه.

و قوله «أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ» فالتحيز طلب حيز يتمكن فيه، تحيز تحيزاً و انحاز انحيازاً و حازه يحوزه حوزاً، و الحيز المكان الذى فيه الجوهر. و الفئة القطعة من الناس، و هى جماعة منقطعة عن غيرها. و ذكر الفئة فى هذا الموضع حسن جداً، و هو من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعته.

و فى تناول الوعيد لكل فار من الزحف خلاف.

فقال الحسن و قتادة و الضحاک: انما كان ذلک يوم بدر خاصة.

و قال ابن عباس:

هو عام، و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام.

ثم اخبر تعالى ان من ولى دبره على غير وجه التحرف للقتال، او التحيز الى الفئة انه باء بغضب من اللَّه. أى رجع بسخطه تعالى و استحقاق عقابه. و ان مستقره «جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ» هى لمن صار اليها.

و قوله «مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ» نصب على الحال، و تقديره الا ان يتحرف لأن يقاتل، و كذلک «متحيزاً» نصب على الحال و تقريره حال تحيزه الى فئة، و يجوز النصب فيهما على الاستثناء، و تقديره الا رجلا متحيزاً او يكون متفرداً، فينحاز ليكون مع المقاتلة. و اصل متحيز متحيوز فأدغمت الياء فى الواو بعد قلبها ياء.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى وَ لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17)
آية بلا خلاف. بيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 93
قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائى و خلف «و لكن الله قتلهم ... و لكن الله رمى» بالتخفيف فيهما و رفع اسم اللَّه فيهما. الباقون بتشديد النون و نصب «اللَّه».
نفى اللَّه ان يكون المؤمنون قتلوا المشركين يوم بدر فقال «فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ» و إنما نفى القتل عمن هو فعله على الحقيقة و نسبه الى نفسه و ليس بفعل له من حيث كانت أفعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل، و المؤدى اليه من إقداره إياهم و معونته لهم و تشجيع قلوبهم فيه، و إلقاء الرعب فى قلوب أعدائهم المشركين حتى خذلوا و قتلوا على شركهم عقاباً لهم. و قوله «وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى» مثل الأول فى انه نفى الرمى عن النبى صلى اللَه عليه و آله و إن كان هو الرامى و أضافه الى نفسه من حيث كان بلطفه، و أقداره.
و هذه الرمية
ذكر جماعة من المفسرين، كابن عباس و غيره: أن النبى صلى الله عليه و آله أخذ كفاً من الحصباء فرماها فى وجوههم، و قال: شاهت الوجوه، فقسمها اللَّه تعالى على أبصارهم، و شغلهم بأنفسهم حتى غلبهم المسلمون، و قتلوهم كل مقتل.
و قال بعضهم: أراد بذلک رمى النبى صلى الله عليه و آله أبى امية بن الخلف الجمحى يوم احد فأصابه فقتله. و قال آخرون: أراد بذلک رمية سهمه يوم خيبر، فأصاب ابن أبى الحقيق فى فراشة رأسه، فقتله. و الأول أشهر الأقوال.
فأما تعلق من تعلق بذلک من الغلاة، بأن قال: لما قال «وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى»- و كان النبى هو الرامى- دل ذلک على انه هو اللَّه تعالى، فهو جهل و قلة معرفة بوجوه الكلام لأنه لو كان على ما قالوه لكان الكلام متناقضاً، لأنه خطاب للنبى صلى الله عليه و آله بأنه لم يرم، فان كان هو اللَّه تعالى فالى من توجه الخطاب؟ و إن توجه اليه الخطاب دل على ان اللَّه غيره. و أيضاً فإذا كان هو اللَّه فقد نفى عنه الرمى فإذا أضافه بعد ذلک الى اللَّه كان متناقضاً على انه قد دلت الأدلة العقلية على ان اللَّه ليس بجسم، و لا حال فى جسم، فبطل قول من قال إن اللَّه كان حل فى محمّد صلى الله عليه و آله و ليس هذا موضع نقضه. و قد ذكرنا الكلام فى ذلک و استوفيناه فى الأصول. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 94

و أما من قال: إن الفعل واجد، و هو من اللّه تعالى بالإيجاد، و من العبد بالاكتساب فباطل، لأنه خلاف المفهوم من الكلام، و لو كان كذلک لم يجز أن ينفى عنه إلا بتقييد كما لا ينفى عن اللّه إلا بتقييد.

و قوله «وَ لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً» معناه لينعم عليهم نعمة حسنة.

و المعنى و لينصرهم اللّه نصراً جميلا و يختبرهم بالتى هى احسن، و معنى يبليهم- هاهنا- يسدى اليهم. و قيل للنعمة بلاء و للمضرة أيضاً مثل ذلک، لأن أصله ما يظهر به الأمر من الشكر أو الصبر، و منه يبتلى بمعنى يختبر و يمتحن و سميت النعمة بذلک لإظهار الشكر، و الضر لإظهار الصبر الذى يجب به الأجر.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه انه يسمع دعاء من يدعوه و يعلم ما له فيه من المصلحة فيجيبه اليه.

ذلِكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكافِرِينَ (18)
قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائى و أبو بكر عن عاصم: «موهن» خفيفة منونة.
و قرا ابو عمرو و ابن كثير و نافع شديدة. و قرأ حفص عن عاصم خفيفة مضافة و خفض «كيد». و قرأ الباقون بنصب كيد.
تقول: و هن الشىء و أوهنته انا كما تقول: فرح و أفرحته، و خرج و أخرجته فمن قرأ «موهن» مخففاً فمن اوهن اى جعله واهناً، و من شدد فمن قولهم: و هنته كما تقول خرج و خرجته و عرف و عرفته. و منه قوله «فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ» «1» و تقول: وهن يهن مثل ومق يمق و ولى يلى، و هو أيضاً ينقل بالهمزة و تثقيل العين ايضاً و الأمران جميعاً حسنان، و اختار الأخفش القراءة بالتخفيف. و الوهن الضعف و منه قولهم: توهن توهناً اى ضعف، و من قال قوله «ذلكم» فى موضع رفع قال

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 164

الزجاج: تقديره الامر «ذلِكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ» و الامر ان اللّه.
و قوله «ذلكم» اشارة الى قتل المشركين و رميهم حتى انهزموا و ابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم و إمكانهم من قتلهم و اسرهم فعلنا الذى فعلناه. و معنى «وَ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكافِرِينَ» يضعف مكرهم حتى يذلوا و يهلكوا. و فى فتح «أن» من الوجوه ما فى قوله «ذلِكُمْ فَذُوقُوهُ، وَ أَنَّ لِلْكافِرِينَ عَذابَ النَّارِ»- و قد بيناه- و الكيد يقع بأشياء منها الاطلاع على عوراتهم، و منها إبطال حيلتهم، و منها إلقاء الرعب فى قلوبهم، و منها تفريق كلمتهم، و منها نقض ما أبرموا باختلاف عزومهم

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ وَ إِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ إِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَ لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَ لَوْ كَثُرَتْ وَ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (19)
قرأ نافع و ابن عامر و حفص «و ان اللّه» بفتح الالف. الباقون بالكسر، من فتح الهمزة فوجهه «وَ لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَ لَوْ كَثُرَتْ» و لأن اللّه مع المؤمنين اى لذلك لا تغنى عنكم فئتكم شيئاً، و من كسر قطعه عما قبله و استأنفه، و قوى ذلك لما روى ان فى قراءة ابن مسعود «و اللّه مع المؤمنين». و الكسر اختيار الفراء، و من نصب فعلى ان موضعه نصب بحذف حرف الجر، و يجوز ان يكون عطفاً على قوله «وَ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ».
و الاستفتاح طلب النصرة التى بها يفتح بلاد العدو كأنه قال ان تستنصروا على أعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبى صلى الله عليه و آله. و قال الزجاج: يجوز ان يكون المراد استحكموا لأن الاستفتاح الإستقضاء. و يقال للقاضى: الفتاح، و المعنى فقد جاءكم الحكم من عند اللّه، و هو قول الضحاك و عكرمة و مجاهد و الزهرى، و الأول قول التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 96
ابن عباس و غيره، و المعنيان متقاربان. و قيل فى معنى الاية قولان:
أحدهما- قال الحسن و مجاهد و الزهرى و الضحاك و السدى و الفراء: انه خطاب للمشركين لأنهم استنصروا بان قالوا: اللهم أقطعنا للرحم، و أظلمنا لصاحبه فانصرنا عليه روى ان أبا جهل قال ذلك.
الثانى- قال ابو على: هو خطاب للمؤمنين و المعنى و ان تعودوا الى مثل ما كان منكم يوم بدر فى الأشر و البطر بالنعمة بعد الإنكار عليكم. و قال الحسن و ان تعودوا لقتال محمّد صلى الله عليه و آله نعد عليكم بالقتل و الأسر يا معشر قريش و جماعة الكفار و ان تنتهوا عن الكفر باللّه العظيم و رسوله و عن قتال نبيه فهو خير لكم و انفع لكم و اقرب الى مرضاة اللّه.
و الانتهاء ترک الفعل لأجل النهى عنه، تقول نهيته عن كذا فانتهى، و أمرته فاتمر، على فعل المطاوع و قد يطاوع بأن يقال: كسرته فانكسر، و قد يكون الانتهاء بمعنى بلوغ الغاية.
و قوله تعالى «وَ لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً» معناه انه لن يغنى عنكم جمعكم فى الدفاع عنكم و النصرة- و ان كانوا كثيرين- و إن اللّه مع المؤمنين بالنصرة لهم و المعونة.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20)
هذا خطاب من اللّه تعالى للمؤمنين، و إنما خصهم بالخطاب، لان غيرهم بمنزلة من لا يعتد به فى العمل بما يجب عليه مع ما فى إفراده إياهم بالخطاب من إعظام لهم و إجلال و رفع من أقدارهم، و إن دخل فى معناه غيرهم.
و الايمان: هو التصديق بما أوجب اللّه على المكلف او ندبه اليه. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 97
و قال الرمانى: هو التصديق بما يؤمن من العقاب مع العمل به.
امر اللّه تعالى المؤمنين أن يطيعوا اللّه و رسوله، و الطاعة هى امتثال أمره و موافقة إرادته الجاذبة الى الفعل بطريق الرغبة او الرهبة، و الاجابة موافقة الارادة فيما يعمل من أجلها. و قوله «وَ لا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ» معناه و لا تعرضوا عن أمره و نهيه و أنتم تسمعون دعاءه لكم، فنهاهم عن التولى فى هذه الحال. و قال الحسن:
معناه و أنتم تسمعون الحجة.

وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَ هُمْ لا يَسْمَعُونَ (21)
«وَ لا تَكُونُوا» فى موضع جزم و حذف النون دلالة على الجزم.
نهى اللّه تعالى المؤمنين الذين خصهم بالذكر فى الآية الاولى عن ان يكونوا كالذين قالوا سمعنا و هم لا يسمعون، و فى الكلام حذف المنهى عنه، لأنه قد دل عليه من غير جهة الذكر له، و فى ذلک غاية البلاغة، و التقدير و لا يكونوا فى قولهم المنكر هذا «كالذين» و التشبيه على ثلاثة أوجه: أعلى و أدنى و أوسط، فالأعلى هو الذى حذف معه أداة التشبيه، كقولهم للإنسان: هذا الأسد، و الأوسط تثبت معه مجردة كقوله «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ» «1» و الأدنى تأتى معه مقيدة كقولهم الجسم كالعرض فى الحدوث.
و معنى قوله «قالُوا سَمِعْنا وَ هُمْ لا يَسْمَعُونَ» معناه سمعنا سماع عالم قابل، و ليسوا كذلک، و هو من صفة المنافقين فى قول ابن إسحاق و أبى على. و قال الحسن: يعنى به أهل الكتاب. و قيل: هو من صفة المشركين، فجعلوا بمنزلة من لا يسمع فى أنهم لم ينتفعوا بالمسموع. و قال ابو على: هى نفى القبول من قولک

---

(1) سورة 24 النور آية 39

سمع اللّه لمن حمده. و قال الزجاج: يعنى الذين قالوا «لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا» فسماهم اللّه لا يسمعون لأنهم استمعوا استماع عداوة و بغضاء فلم يتفهموا و لم يتفكروا فكانوا بمنزلة من لم يسمع. و قال ابن إسحاق: أراد به الذين يظهرون الايمان و يسرون النفاق.

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (22)
آية بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ» و الشر إظهار السوء الذى يبلغ من صاحبه و هو نقيض الخير. و قيل الشر الضر القبيح، و الخير النفع الحسن. و قيل الشر الضر الشديد. و الخير النفع الكثير، و اصل الشر الاظهار من قول الشاعر:
كما اشرّت بالأكف المصاحف «1»
اى أظهرت، و شر الرجل يشر شرّاً و شررت الثوب إذا بسطته فى الشمس و شرر النار ما تطاير منه لظهوره بانتشاره و تفرقه، و منه الشر و هو ما يظهر من الضرر كشرر النار.
و الدواب جمع دابة و هى ما دب على وجه الأرض إلا انه تخصص فى العرف بالخيل دب يدب دبيباً.
فبين ان هؤلاء الكفار شر ما دب على الأرض من الحيوان. ثم شبههم بالصم

---

(1) نسب الى كعب بن جعيل. و قيل هو لابن الحمام المرى. و قيل لابن جهمة الأسدى راجع: وقعة صفين: 336، 411، و اللسان «شرر» و روايته:
فما برحوا حتى رأى اللَّه صبرهم و حتى أشرت بالأكف المصاحف
و أشرت- بتشديد الراء المفتوحة، مبنى للمفعول- اى أظهرت بكثرة.
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 99
البكم الذين لا يعقلون من حيث لم ينتفعوا بما كانوا يسمعون من وعظ اللَّه و لا يتكلمون بكلمة الحق، و الصمم آفة فى الاذن تمنع السمع، صم يصم صمماً و هو أصم. و صمم على الامر إذا حقق العزم عليه و تصام عن القول إذا تغافل عنه. و عود أصم خلاف المجوف و أصله المطابقة من غير خلل. و البكم الخرس: الذى يولد به صاحبه لأنه قد يكون لآفة عارضة، و قد يكون لآفة لازمة.
و
قال ابو جعفر عليه السلام نزلت الآية فى بنى عبد الدار لم يكن اسلم منهم غير مصعب بن عمير و حليف لهم يقال له سويبط.
و قيل: نزلت الآية فى النضر ابن الحارث بن كلدة من بنى عبد الدار بن قصى.

وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (23)
معنى الآية ان اللّه تعالى اخبر انه لو علم فيهم. يعنى هؤلاء الكافرين انهم يصلحون بما يورده عليهم من حججه و آياته لأسمعهم إياها و لم يخلف عنهم شيئاً منها و إن كان قد أزاح علتهم فى التكليف بما نصب لهم من الأدلة الموصلة الى الحق، و لكنهم لا يصلحون بل يتولون و هم معرضون.
و قال ابن جريج و ابن زيد: لأسمعهم الحجج و المواعظ سماع تفهم.
و قال ابو على: لأسمعهم كلام الموتى الذين طلبوا إحياءهم من قصى بن كلاب و غيره و قال الزجاج: لأسمعهم جواب كل ما يسألون عنه.
و الاعراض خلاف الإقبال و هو الانصراف بالوجه عن جهة الشىء و الإقبال الانصراف بالوجه الى جهته و الاستماع إيجاد السماع بإيجاده و التعريض له. فان اللّه تعالى يسمعهم بأن يوجد السماع لهم، و الإنسان يسمعهم بأن يعرضهم للسماع التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 100
الذى يوجد لهم، هذا على مذهب من قال: إن الإدراک معنى، و من قال: انه ليس بمعنى، فمعنى الاسماع هو ان يوجد من كلامه الدال على ما يجب أن يسمعوه لكونهم أحياء لا آفة بهم فى حواسهم.
و قال الزجاج المعنى «وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ» كلما يسألون عنه و لو أسمعهم كلما يخطر ببالهم لتولوا و هم معرضون. و قال الحسن: هو إخبار عن علمه كما قال «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» «1».
و فى الآية دلالة على بطلان قول من يقول: يجوز ان يكون فى مقدوره لطف لو فعله بالكافر لآمن

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24)
امر اللّه تعالى المؤمنين ان يجيبوا اللّه و الرسول إذا دعاهم و ان يطلبوا موافقته و الاستجابة طلب موافقة الداعى فيما دعا اليه على القطع به. و قال ابو عبيدة و الزجاج:
معنى استجيبوا أجيبوا. و قال كعب بن سعد الغنوى:
وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاک مجيب «2»
اى لم يجبه. و الفرق بين الدعاء الى الفعل و بين الامر به أن الامر فيه ترغيب فى الفعل المأمور به، و يقتضى الرتبة، و هى ان يكون متوجها الى من دونه، و ليس

---

(1) سورة 6 الانعام آية 28
(2) مر هذا البيت فى 1/ 86 و 2/ 131 و 3/ 88.

كذلک الدعاء لأنه يصح من دونک لک.
و قوله «إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- دعاكم الى احياء أمركم بجهاد عدوكم مع نصر اللّه إياكم، و هو قول ابن إسحاق و الفراء و الجبائى. و قال البلخى: معناه لما يبقيكم و يصلحكم و يهديكم و يحيى أمركم.
الثانى- معناه لما يورثكم الحياة الدائمة فى نعيم الاخرة من اتباع الحق:
القرآن الثالث- معناه لما يحييكم بالعلم الذى تهتدون به من اتباع الحق، و الاقتداء بما فيه.
و قوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ» قيل فى معناه ثلاثة اقوال:
أحدها- ان يفرق بين المرء و قلبه بالموت او الجنون و زوال العقل. فلا يمكنه استدراک ما فات. و المعنى بادروا بالتوبة من المعاصى قبل هذه الحال.
الثانى- ان معناه بادروا بالتوبة لأنه اقرب الى المرء من حبل الوريد لا يخفى عليه خافية من سره و علانيته و فى ذلک غاية التحذير.
و الثالث- تبديل قلبه من حال الى حال لأنه مقلب القلوب من حال الأمن الى حال الخوف و من حال الخوف الى حال الأمن على ما يشاء.
و
روى عن أبى عبد اللّه عليه السلام فى معنى قوله «يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ

قَلْبِهِ» قال لا يستيقن القلب أن الحق باطل أبداً و لا يستيقن أن الباطل حق ابداً.
فأما من قال من المجبرة: إن المراد إن اللَّه يحول بين المرء و الايمان بعد أمره إياه به فباطل، لأنه تعالى لا يجوز عليه أن يأمر أحداً بما يمنعه منه و يحول بينه و بينه، لان ذلک غاية السفه، تعالى اللّه عن ذلک. و ايضاً فلا احد من الامة يقول: إن الايمان مستحيل من الكافر، فإنهم و ان قالوا إنه لا يقدر على الايمان يقولون يجوز منه الايمان و يتوقع منه ذلک، و من ارتكب ذلک فقد خرج من الإجماع. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 102
و يحتمل ان يكون المراد ان امر اللَّه بالموت يحول بين المرء و قلبه، كما قال «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ» «1» أى أمر اللَّه.
و قال قوم: يجوز ان يكون معناه يحول بينه و بين قلبه بان يسلبه قلبه فيبقى حياً بلا قلب و هذا قريب من معنى زوال العقل، قالوا: يجوز أن يكون المراد: انه عالم بما ينظرون اليه، و ما يضمره العبد فى نفسه من معصيته فهو فى المعنى كأنه حائل بينه و بينه، لأن العبد لا يقدر على إضمار شيء فى قلبه إلا و اللَّه عالم به، و هذا وجه حسن. و روى فى التفسير أن اللّه يحول بين المؤمن و بين الكفر. و المعنى فى ذلک ان اللّه يحول بينه و بين الكفر بالوعد و الوعيد، و الامر و النهى، و الترغيب فى الثواب و العقاب.
فأما ما روى عن سعيد بن جبير و غيره من ان اللَّه يحول بين الكافر و الايمان فقد بينا ان ذلک لا يجوز على اللّه. و العقل مانع منه. و لو صح ذلک لكان الوجه فيه ان اللّه يحول بين الكافر و بين الايمان فى المستقبل بان يميته، لأنه لا يجب تبقيته حتى يؤمن، بل لو أبقاه لكان حسناً، و ان لم يبقه كان ايضاً حسناً. و قوله تعالى «وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» معناه انكم تحشرون يوم القيامه للجزاء على أعمالكم إن خيراً فخير، و إن شراً فشر، فلذلک يجب المبادرة بالطاعة و الاقلاع عن المعصية بالتوبة و ترک الإصرار على القبائح.

وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (25)
امر اللَّه تعالى المكلفين من خلقه أن يتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منهم خاصة.
و الفتنة البلية التى يظهر بها باطن امر الإنسان فيها. و الفتنة الهرج الذى يركب فيه

---

(1) سورة 2 البقرة آية 210

الناس بالظلم. قال ابن عباس امر اللَّه المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم اللَّه بالعذاب. و قال عبد اللَّه: هو من قوله تعالى «أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ»
«1» و قال الحسن: الفتنة البلية. و قال ابن زيد: هى الضلالة. و قال الجبائى:
هى العذاب. «لا تصيبن» فالاصابة الإيقاع بالشىء بحسب الارادة، و ضده الخطأ.
يقال: أصاب الغرض او أخطأه.
و قوله «لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» معناه انها تعم لان الهرج إذا وقع دخل ضرره على كل أحد. و يجوز أن يقال يخص الظالم، و لا يعتد بما وقع بغيره للعوض الذى يصل إليه. و يحتمل أن يكون أراد إن هذه العقوبة على فتنتكم لا تختص بالظالمين منكم بل كل ظالم منكم كان أو من غيركم فستصيبه عقوبة ظلمه و فسقه و فتنته و أراد بذلک تحذير الناس كلهم، و أنهم سواء فى المعصية، و ما توجبه من العقوبة ليكون الزجر عاماً.
و فى دخول النون الثقيلة فى «تصيبين» قولان:
أحدهما- قال الفراء: لأنه نهى بعد أمر و فيه معنى الجزاء، كقوله «يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ» «2» و مثله لا ارينكم هاهنا.
و الثانى- أن يكون خرج مخرج جواب القسم.
و قال الزجاج: يحتمل ان يكون نهياً بعد أمر و تقديره اتقوا فتنة، ثم نهى، فقال «لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا» أى لا يتعرض الذين ظلموا لما ينزل معه العذاب.
و مثله قال فى قوله «لا يحطمنكم» فيكون لفظ النهى لسليمان، و معناه النمل، كما يقول القائل لا أرينک هاهنا، فلفظ النهى لنفسک، و المراد لا

تكون هاهنا، فانى أراک.
و «الخاصة» للشىء ما كان له دون غيره و نقيضة العامة.

---

(1) سورة 8 الانفال آية 28 و سورة 64 التغابن آية 15
(2) سورة 27 النمل آية 18

و قوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ» معناه لمن لم يتق معاصيه و لم يتبع أوامره.
و قال الحسن و السدى و مجاهد و ابن عباس: نزلت هذه الآية فى أهل الجمل.
و قال قتادة قال الزبير: لقد نزلت و ما نرى ان أحداً منا يقع فيها ثم اختلفنا حتى أصابتنا خاصة. و روى ذلک عن الزبير من جهات.

وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآواكُمْ وَ أَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (26)

الذكر ضد السهو، و هو إحضار المعنى للنفس. و إنما أمروا بالتعرض له، لان إحضار المعنى بقلوبهم ليس من فعلهم.

و قوله «إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ» فالقلة النقصان عن المقدار فى العدد و كان اصحاب النبى صلى الله عليه و آله قليلين فى الأصل فلطف اللّه لهم حتى كثروا و عزوا، و قل أعداؤهم و ذلوا و كانوا مستضعفين، فقووا.

و الاستضعاف طلب ضعف الشىء بتهوين حاله. و الضعف خلاف القوة.

و الاستضعاف استجلاب ضعفه بتحقير حاله، فامتن اللّه عليهم بذلک و بين انهم كانوا قليلين فكثرهم و كانوا مستضعفين، فقواهم بلطفه.

و قوله «تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ» فالتخطف الأخذ بسرعة انتزاع، تخطف تخطفاً و خطف خطفاً و اختطف اختطافاً، فبين انهم كانوا خائفين من ان ينال منهم العدو.

و قوله «فآواكم» اى جعل لكم مأوى حريزاً ترجعون إليه و تسكنون فيه

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 105

و قال السدى «آواكم» الى المدينة. و قوله، «وَ أَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ» يعنى بالأنصار فى قول السدى و قيل فى المعنى بقوله «الناس» قولان:

أحدهما- مشركوا قريش فى قول عكرمة و قتادة.

و قال وهب بن منبة يعنى فارس و الروم.

و قوله «وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ» أى أطعمكم غنيمتكم حلالا طيباً «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أى لكى تشكروه على هذه النعم المترادفة و الآلاء المتضاعفة.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (27)

هذا خطاب من اللَّه تعالى للمؤمنين ينهاهم ان يخونوا اللَّه و الرسول. و الخيانة منع الحق الذى قد ضمن التأدية فيه. و هى ضد الامانة. و أصل الخيانة ان تنقص من ائتمنک أمانته، قال زهير:

بارزة الفقارة لم تخنها قطاف فى الركاب و لا خلاء «1»

أى لم تنقص من فراهتها. و المعنى لا تخونوا مال اللَّه الذى جعله لعباده فلا يخن بعضكم بعضاً فيما ائتمنه عليه فى قول ابن عباس. و قال الحسن، و السدى:

لا تخونوه كما صنع المنافقون. و قال الجبائى: نهاهم ان يخونوا الغنائم. و قال ابن زيد: الأمانة هاهنا الدين، نزلت فى بعض المنافقين. و الامانة مأخوذة من الأمن من منع الحق و هى حال يؤمن معها منع الحق الذى تجب فيه التأدية و قوله «وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- و أنتم تعلمون انها امانة من غير شبهة.

---

(1) مقاييس اللغة 1/ 79

و الثانى- و أنتم تعلمون ما فى الخيانة من الذم و العقاب بخلاف الجهال بتلک المنزلة.

و قوله: «و تخونوا» موضعه الجزم بتقدير، و لا تخونوا فى قول ابن عباس و قال السدى: هو نصب على الظرف «1» أى إنكم إذا خنتم الرسول فقد خنتم أماناتكم. قال الفراء، و مثله قول الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأت مثله عار عليک إذا فعلت عظيم «2»

وحكى الفراء فى بعض القرآات: «و لا تخونوا أمانتكم» و قال جابر بن عبد اللَّه: نزلت الاية فى بعض المنافقين حين انذر أبا سفيان بخروج النبى لأخذ العير. و قال الزهرى:

نزلت فى أبى لبابة فى قصة بنى قريظة و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (عليهما السلام).

وَ اعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (28)
أمر اللَّه تعالى المكلفين ان يعلموا و يتحققوا ان أموالهم و أولادهم فتنة. و إنما يمكنهم معرفة ذلک بالنظر و الفكر فى الأدلة المؤدية إليه، و هو ما يدعو إليه الهوى فى الأموال و الأولاد، و ما يصرف عنه فمن تفقد ذلک و تحرز منه نجاه من مضرته و المراد بالفتنة هاهنا المحنة التى يظهر بها ما فى النفس من اتباع الهوى او تجنبه فيخلص حاله للجزاء بالثواب او العقاب بحسب الاستحقاق.

_____
(1) المقصود من الظرف كونه بعد الواو التى بمعنى (مع)
(2) قطر الندى 77 الشاهد 23 و قد مر فى أماكن كثيرة من هذا الكتاب
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 107
و الولد حيوان يتكون من حيوان بخلق اللَّه له، فعلى هذا لم يكن آدم ولداً و كان عيسى ولد مريم. و المال هو النصاب الذى تتعلق به الزكاة من ذهب او فضة او ابل او بقر او غنم عند بعض المفسرين. و أصله الكسر من العين و الورق.
و (العظيم) استحقاق الصفة بالغنى. فالكثير عظيم للاستغناء بهن القليل من جنسه، و القليل لا يستغنى [به] عنه.
بين اللَّه تعالى ان الأموال و الأولاد فى هذه الدنيا محنة و بلاء و ان اللَّه تعالى عنده الثواب العظيم على الطاعات و ترک المعاصى.
و روى عن ابن مسعود انه قال: ليس احد منكم إلا و هو مشتمل على فتنة لقوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ»
فاسألوا اللَّه تعالى ان يعيذكم منها.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً وَ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)

هذا خطاب للمؤمنين خاطبهم اللّه بأنهم ان يتقوا معاصيه و يمتثلوا طاعاته و يتقوا عقابه باجتناب معاصيه يجعل لهم اجراً على ذلک «فرقاناً». و قيل فى معنى الفرقان اقوال:- أحدها- قال ابن زيد و ابن إسحاق يجعل هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق و الباطل.

و قال مجاهد: معناه يجعل لكم محرجاً فى الدنيا و الآخرة.

و قال السدى: معناه يجعل لكم نجاة. و قال الفراء: يجعل لكم فتحاً و نصراً

و عزاً كقوله: «يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ» «1» و قال الجبائى: يجعل لكم نصراً و عزاً و ثواباً لكم، و على أعدائكم خذلانا و ذلا و عقاباً كل ذلک يفرق بينكم و بينهم فى الدنيا و الآخرة.

و انما جاز الشرط فى اخبار اللّه مع اقتضائه شک المخبر منا من حيث ان اللّه تعالى يعامل عباده فى الجزاء معاملة الشاک للمظاهرة فى العدل و لذلک جازت صفة الابتلاء و الاختبار لما فى ذلک من البيان ان الجزاء على ما يظهر من الفعل دون ما فى المعلوم مما لم يقع منه. ثم بين انه يضيف الى ذلک تكفير سيئاتهم و غفران ذنوبهم و سترها عليهم تفضلا منه تعالى.

و قوله «وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الجبائى: معناه انّ من ابتدأكم بالفضل العظيم لأنه كريم لنفسه لا يمنعكم ما استحققتموه بطاعاتكم له.

الثانى- انه الذى يملک الفضل العظيم فينبغى ان يطلب من جهته.

وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ (30)

خاطب اللّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله فقال: و اذكر «إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا» و المكر القتل الى جهة الشرّ فى خفى و أصله الالتفاف من قول ذى الرمة.

عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح و تم الجسم و القصب «2»

اى ملتفة. و المكر و الختل و الغدر نظائر. و الفرق بين المكر و الغدر ان الغدر نقض العهد الذى يلزم الوفاء به، و المكر قد يكون ابتداء من غير عقد.

---

(1) سورة 8 الأنفال آية 41 [.....]

(2) مقايس اللغة 4/ 133

و وصف اللّه تعالى بأنه ماكر يحتمل وجهين:

أحدهما- انه سمى الجزاء على المكر مكراً للازدواج، كقوله «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» «1» اى يجازيهم على الاستهزاء فيكون التقدير و اللّه خير المجازين على المكر، ذكره الزجاج، و الثانى- ان يكون على غير تضمن الحيلة لكن على اصل اللغة. قال ابو على: و مكره بهم حق و صواب «و هو خير الماكرين» مكراً.

و قوله «ليثبتوك» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ليثبتوك فى الوثاق، فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة.

و الثانى- قال عطا و عبد اللّه بن كثير، و السدى «ليثبتوك» فى حبس و قال ابو على الجبائى: معناه ليخرجوك، يقال: أثبته فى الحرب إذا جرحه جراحة ثقيلة.

و قوله «او يخرجوك» قال الفراء: او يخرجوك على بعير تطرد به حتى تهلك او يكفيكموه بعض العرب. و هو قول أبى البخترى و هشام.

و كان سبب ذلك أنهم تآمروا فى دار الندوة، فقال عمرو بن هشام: قيدوه تتربصون به ريب المنون. و قال البخترى: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه لكم. و قال أبو جهل: ما هذا برأى، و لكن اقتلوه بان يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربونه بأسيافهم ضربة رجل واحد، فترضى حينئذ بنو هاشم بالدية فصوب إبليس هذا الرأى و خطأ الأولين و زيفهما، فأوحى اللّه تعالى إلى نبيه صلى الله عليه و آله بذلك فأمره بالخروج، فخرج إلى الغار، فى قول ابن عباس، و مجاهد و قتادة، و هو قوله «وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ» و لا خلاف بين المفسرين أنه بات علىّ تلك الليلة، و هى

الليلة التى أمر النبى صلى الله عليه و آله بالخروج على فراشه إلى أن أصبح، و كانوا يحرسونه إلى الصباح، و لما طلع الفجر ثاروا اليه

---

(1) سورة 2 البقرة آية 15
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 110
فإذا على، قالوا له أين صاحبک؟ قال: لا أدرى، فتركوه و خرجوا فى أثره

وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلاَّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (31)

اخبر اللّه تعالى عن عناد هؤلاء الكفار و مباهتتهم للحق بأنهم بلغوا فى ذلک إلى رفع الحق بما ليس فيه شبهة، و هو أنه «إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا» يعنى القرآن قالوا «لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا» و قد أبان التحدى كذبهم فى ذلک و تخرصهم فيه بما ظهر من عجزهم عن سورة مثله، و انما قالوا «لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا» و لم يجز أن يقولوا لو نشاء لقلبنا الجماد حيواناً، لأنه يتموه هذا على كثير من الناس و لا يتموه ذلک، على أن قوم فرعون ظنوا أن السحرة يمكنهم قلب الجماد حيواناً.

و قوله «قد سمعنا» معناه أدركناه بآذاننا. و السماع إدراک الصوت بحاسة الأذن، و لو لم نذكر الصوت لانتقض بالحرارة و البرودة و الآلام و اللذة إذا أدرک بها، و لا يسمى سماعاً. و على هذا إذا قيل: ما الرؤية بالبصر؟ ينبغى أن يقال: هى ادراک المرئيات بها، لأنه قد يدرک الحرارة و البرودة بها. فإذا قلنا المرئيات لم ينتقض بذلک.

ثم أخبر اللّه تعالى عن قولهم بأن قالوا ليس هذا الذى سمعناه «إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» و الأساطير جمع واحده أسطورة فى قول الزجاج. و قال غيره: هو جمع أسطر، و اسطر جمع سطر، و زيدت الياء للمد، كما قالوا دراهم، و أرادوا ما هذا إلا ما سطره من الأحاديث بكتبه سطراً بعد سطر.

وَ إِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِکَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ (32)
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 111
آية بلا خلاف.
تقديره و اذكر يا محمّد إذ قال هؤلاء الكفار «إِنْ كانَ هذا» القرآن «هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِکَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ» شديد مؤلم.
قال سعيد ابن جبير، و مجاهد: كان الطالب لذلک النضر بن الحارث بن كلدة لأنه كان سمع سجع اهل الحيرة و كلام الرهبان، فقتله النبى صلى الله عليه و آله يوم بدر صبراً فقال: يا رسول اللَّه من للصبية؟ قال النار.
و قيل عقبة بن أبى معيط، و المطعم بن عدى، قتل هؤلاء الثلاثة صبراً من جملة من أسر، و فى النضر نزل قوله «سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ لِلْكافِرِينَ» «1» يعنى ما سأله هاهنا. و هذا القول من قائله يجوز أن يكون عناداً، فان المعاند قد تحمله شدة عداوته للحق على اظهار مثل هذا القول. ليوهم انه على بصيرة فى أمره. و يجوز أن يكون ذلک لشبهة تمكنت فى نفوسهم.
و قال الجبائى: ذلک دليل على اعتقادهم خلاف الحق الذى اتى به النبى صلى الله عليه و آله و هو حجة اهل المعارف، لأنهم لو عرفوا بطلان ما هم عليه، لما قالوا مثل هذا القول.
فان قالوا كيف طلبوا بالحق من اللَّه العذاب و انما يطلب به الخير و الثواب؟.
قلنا: لأنهم قالوا ذلک على أنه ليس بحق من اللَّه عندهم. و إذا لم يكن حقاً من اللَّه لم يصبهم البلاء الذى طلبوه.
فان قيل لم قالوا «فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ» و الأمطار لا يكون إلا من السماء؟ قلنا عنه جوابان:
أحدهما- أن امطار الحجارة يمكن ان يكون من عل دون السماء.
و الثانى- ان يكون على جهة البيان ب (من).

_____
(1) سورة 70 المعارج آية 1- 2
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 112
و الحجارة واحد الأحجار، و هو ما صلب من الأجسام، يقال استحجر الطين إذا صلب، فصار كالحجر. و اكثر ما يقال حجر للمدر، و مع ذلک فالياقوت حجر و لذلک يقال الياقوت أفضل الحجارة، و لا يقال الياقوت أفضل الزجاج، لأنه ليس من الزجاج و كل شىء من العذاب يقال أمطرت و من الرحمة

يقال مطرت.
و قوله «هو» يجعل عماداً فى ظننت و أخواتها. و يسميه البصريون صلة زائدة و توكيداً كزيادة (ما) و لا يزاد إلا فى كل فعل لا يستغنى عن خبره، و فى لغة تميم يرفع ذلك كله، فيقولون «إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ» و كذلك قوله «وَ لكِنْ كانُوا هُمُ الظّالِمِينَ» «1» و «تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً» «2» كل ذلك يرفعونه. و على الاول ينصب ما بعدها و مثله قوله «وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» إلى قوله «هُوَ الْحَقَّ» «3».

وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)
اخبر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله على وجه الامتنان عليه و اعلامه منزلته عنده انه لا يعذب احداً من هؤلاء الكفار بهذا العذاب الذى اقترحوه على وجه الفساد للحق «و انت» يا محمّد «فيهم» موجود.
و التعذيب تجديد الآلام حالا بعد حال، لأن أصله الاستمرار، فالعذب من استمرار الشىء لما فيه من الملاذ. و العذاب من استمراره لما فيه من الآلام و اللام فى قوله «لِيُعَذِّبَهُمْ» لام الجحد. و أصلها لام الاضافة. و إنما دخلت فى النفى

---

(1) سورة 43 الزخرف آية 76
(2) سورة 73 المزمل آية 20
(3) سورة 34 سبأ آية 6

و لم تدخل فى الإيجاب لتعلق الخبر بحرف النفى، كما دخلت الباء فى خبر (ما) و لم تدخل فى الإيجاب.
و إنما لم يعاقب اللَّه تعالى الخلق مع كون النبى صلى الله عليه و آله فيهم على سلامته مما ينزل بهم، لأنه تعالى أرسله رحمة للعالمين. و ذلک يقتضى ألا يعذبهم و هو فيهم.
و قوله «وَ ما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» قيل فى معناه أقوال:
أحدها- ان النبى صلى الله عليه و آله لما خرج من مكة بقى فيها بقية من المؤمنين يستغفرون، و هو قول ابن عباس، و عطية، و أبى مالک، و الضحاک، و اختاره الجبائى.
و قال آخرون: أراد بذلک لا يعذبهم بعذاب الاستئصال فى الدنيا، و هم يقولون يا رب غفرانک. و يعذبهم على شركهم فى الآخرة، و ذلک عن ابن عباس فى رواية أخرى، و هو قول أبى موسى، و يزيد بن رومان، و محمّد بن مبشر.
الثالث- أنهم لو استغفروا لم يعذبوا، و فى ذلک استدعاء إلى الاستغفار روى ذلک عن ابن عباس فى رواية أخرى، و به قال مجاهد و قتادة و السدى و ابن زيد.
و قال الزجاج: معناه لا يعذب اللَّه من يؤل إلى الإسلام.
و قال الحسن و عكرمة: هذه الآية منسوخة بالتى بعدها. قال الرمانى: هذا غلط، لأن الخبر لا ينسخ.

وَ ما لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ ما كانُوا أَوْلِياءَهُ إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (34)

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 114

(ما) فى قوله «وَ ما لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ» خرجت مخرج الاستفهام و معناه إيجاب العذاب، و جاز ذلک، لأنه ابلغ فى معنى الإيجاب، من حيث انه لا جواب- لمن سأل عن مثل هذا- يصح فى نفى العذاب، و المعنى لم لا يعذبهم و هذا فعلهم.

و موضع (أن) نصب بمعنى أى شىء لهم فى أن لا يعذبهم، لكن لما حذف الجار عمل معنى الفعل من الاستقرار، و جاز الحذف مع (أن) و لم يجز مع المصدر لطول (أن) بالصلة اللازمة من الفعل و الفاعل، و ليس كذلک المصدر. و حكى عن الأخفش ان (أن) زائدة مع عملها.

و قوله «وَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ» و الصد المنع، و الصد الاعراض عن الشىء من غير حيلولة بينه و بين غيره و المراد هاهنا المنع.

و قوله: «وَ ما كانُوا أَوْلِياءَهُ» جمع ولى و هو الذى يستحق القيام بأمر الشىء و يكون أحق به من غيره، فعلى هذا اللّه تعالى ولى المتقين دون المشركين. و

قال ابو جعفر عليه السلام و الحسن قال المشركون: نحن اولياء المسجد، فرد اللّه ذلک عليهم، فقال «وَ ما كانُوا أَوْلِياءَهُ». ثم اخبر اللّه تعالى «إِنْ أولياؤه» بمعنى ليس أولياء المسجد إلا المتقون الذين يتركون معاصى اللّه و يجتنبونها.

و قال قوم: المعنى إن اولياء اللَّه إلا المتقون و الاول احسن: لأنه مما يقتضيه الإنكار.

و قيل فى معنى (لا) قولان: أحدهما- ان معناها الجحد اى ما لهم فى الامتناع من العذاب. و قيل هى صلة، لان المعنى إيجاب العذاب، كما قال الشاعر:

لو لم تكن غطفان لا دنوت لها إذن للام ذووا احسابها عمرا «1»

---

(1) قائلة الفرزدق ديوانه 283 و الخزانة 2/ 87 و الطبرى 5/ 302 و 13/ 519

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 115

و الاول احسن، لأن المعنى لم لا يعذبهم اللَّه. فان قيل: كيف تجمعون بين الآيتين على قول من لا ينسخ الاولى، فان فى الاولى نفى ان يعذبهم اللّه و هم يستغفرون و فى الثانية اثبت ذلک؟ قلنا عنه ثلاثة اجوبة:

أحدها- ان يكون أراد و ما لهم ان لا يعذبهم اللّه فى الآخرة و الثانى- ان يكون يعنى بالأولى عذاب الاستئصال كما فعل بالأمم الماضية و بالثانية أراد عذاب السيف و الأسر و غير ذلک و يكون قوله «وَ ما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» اى انه لا يعذبهم بعذاب الدنيا، و الآخرة إذا تابوا و استغفروا.
الثالث- أنه لا يعذبهم ما دام النبى فيهم و ما داموا يستغفرون و إن كانوا يستحقون العذاب بكفرهم و عنادهم.
و قوله: «وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» دليل على بطلان قول من قال المعارف ضرورة.

وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكاءً وَ تَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (35)

روى الحسين الجعفى عن أبى بكر «صلاتهم» نصباً «إِلَّا مُكاءً وَ تَصْدِيَةً» رفع فيهما. و الصواب ما عليه القراء، لان «صلاتهم» معرفة و «مُكاءً وَ تَصْدِيَةً» نكرة و لا يجوز ان يجعل اسم كان نكرة و خبره معرفة. و من قرأ كذلك فلان الصلاة لما كانت مؤنثة و لم يكن فى كان علامة التأنيث أضاف الفعل إلى المذكر و هو «مكاء». و هذا ليس بصحيح، لأن «صلاتهم» لما كان مضافاً إلى المذكر جاز ان يذكر كما ان المذكر إذا أضيف إلى المؤنث جاز ان يؤنث، نحو قولهم: ذهبت بعض أصابعه. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 116

و معنى الآية الاخبار من اللَّه تعالى أنه لم تكن صلاة هؤلاء الكفار الصادين عن المسجد الحرام «إلا مكاء» لئلا يظن ظان ان مع كونهم مصلين و مستغفرين لا يعذبهم اللَّه، كما قال فى الآية الاولى، فبين ان صلاتهم كانت مكاء و تصدية.

و المكاء صفير كصفير المكاء. و هو طائر يكون بالحجاز و له صفير قال الشاعر:

و مكا بها فكأنما يمكو بأعصم عاقل «1»

و أصل المكاء جمع الريح للصفير. و يقال مكا يمكو مكاء إذا صفر بفيه و منه يمكو است الدابة إذا انتفخت بالريح. و الاست: الكوة، و المكو ان يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما فى فيه ثم يصيح. و منه قول عنترة:

و حليل غانية تركت مجدلا تمكو فريضته كشدق الا علم «2»

اى يصفر بالريح لما طعنه و التصدية التصفيق يقال صدى يصدى تصدية إذا صفق بيديه. و منه الصدى صوت الجبل، و نحوه. و منه تصدى للملك إذا تعرض له ليكلمه. و قال ابن عباس، و ابن عمر، و الحسن، و عطية، و مجاهد، و قتادة و السدى: المكاء الصفير، و التصدية التصفيق، قال الراجز:

ضنت بخد و جلت عن خد فأنا من غر و الهوى أصدى

أى اصفق بيدى تعجباً. و الغرو: العجب.

و قال ابو على الجبائى: كان بعضهم يتصدى لبعض ليراه بذلك الفعل، و كان يصفر له. و قال سعيد بن جبير و ابن زيد: التصدية صدهم عن البيت الحرام.

و قيل:

إنهم كانوا يخلطون و يشوشون بذلك على النبى صلى الله عليه و آله.

و إنما سمى مكاؤهم بأنه صلاة لأمرين:

---

(1) مجاز القرآن 1/ 246
(2) ديوانه: 24 من معلقته الشهيرة. و اللسان (مكا) و تفسير القرطبى 7/ 400 و الطبرى 13/ 521.
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 117
أحدهما- انهم كانوا يقيمون فعلهم الصفير و التصفيق مقام الصلاة و الدعاء و التسبيح.
و الاخر- انهم كانوا يعملون كعمل الصلاة مما فيه هذا.
و قوله «فَذُوقُوا الْعَذابَ» قال الحسن، و الضحاک، و ابن جريج، و ابن إسحاق: إن معناه عذاب السيف. و قال ابو على الجبائى: يقال لهم فى الاخرة «فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» فى دار الدنيا و هو قول البلخى. و المعنى باشروه و ليس المراد به من ذوق الفم.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36)
آية فى الكوفى و المدنيين وَ آيتان فى البَصرى خاصة.
أخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء الكفار بأنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل اللَّه و غرضهم المنع عن سبيل اللَّه. و سبيل اللَّه هاهنا، هو دين اللَّه الذى أتى به محمّد صلى الله عليه و آله و سمى سبيل اللَّه هاهنا، لان بسلوكه و اتباعه يبلغ ما عند اللَّه، و إن لم يعلموا أنها سبيل اللَّه لأنهم قصدوا إلى الصد عنها، و هى سبيل اللَّه على الحقيقة. و يجوز أن يقال قصد الصد عن سبيل اللَّه، و إن لم يعلم. و لا يجوز قصد أن يصد من غير أن يعلم، لأن (أن) تفسر الوجه الذى منه قصد، فلا يكون إلا مع العلم بالوجه كقولک قصد أن يكذب، و قصد الكذب من غير ان يعلم أنه كذب.
و إنما قال «يُنْفِقُونَ» ثم قال «فَسَيُنْفِقُونَها»، لأن الاول معناه ان من التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 118
شأنهم ان ينفقوا للصد، و الثانى- معناه انه سيقع الإنفاق الذى يكون حسرة بما يرونه من الغلبة. و الحسرة الغم بما انكشف من فوت استدراک الخطيئة. و الأصل الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسراً و الحاسر خلاف الدارع. و حسر حسرة و هو حسير قال المراد:
ما انا اليوم على شىء خلا يا بنة القين تولى يحسرا «1»
و كان الإنفاق المذكور فى الاية القائم به أبو سفيان: صخر بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من كنانة فى قول سعيد، و ابن ابرى، و مجاهد و الحكم ابن عيينة. و فى ذلک قال كعب بن مالک:
و جئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر و مقنع
ثلاثة آلاف و نحن نصية ثلاث مئين ان كثرن فأربع «2»
و قال الضحاک: إنما عنى بالآية الإنفاق يوم بدر.
و فى الآية دلالة على نبوة النبى صلى الله عليه و آله لأنه اخبر بالشىء قبل كونه فكان على ما اخبر به.

لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِى جَهَنَّمَ أُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ (37)
آية بلا خلاف.

---

(1) اللسان (حسر). الحسر: الندامة. و القين العبد المملوک.
(2) سيرة ابن هشام 3/ 141، و طبقات فحول الشعراء: 183. و الطبرى 13/ 530 و مقاييس اللغة 2/ 129.

قرأ حمزة و الكسائى «ليميز» مضمومة الياء مشددة، و الباقون بفتح الياء خفيفاً.
اخبر اللَّه تعالى انه يحشر الكفار إلى جهنم «ليميز الخبيث» الذى هو الكافر «من الطيب» الذى هو المؤمن. (و التمييز) هو إخراج الشىء عما خالفه مما ليس منه، و إلحاقه بما هو منه. تقول مازه يميزه، و ميزه تمييزاً. و امتاز امتيازاً و انماز انمازاً و الخبيث الردىء من كل شىء. و ضده الطيب. و منه خبث الحديد و خبث الفضة، و خبث الإنسان خبثاً، و تخبث تخبثاً، و تخابث تخابثاً و خبثه تخبيثاً و (الطيب) المستلذ من الطعام و الطيب الحلال من الرزق، و الطيب من الولد الذى يفرح به و الطيب نقيض الخبيث، و هو الجيد من كل شىء.
و قيل المعنى ليميز اللَّه ما أنفقه المؤمنون فى طاعة اللَّه مما أنفقه المشركون فى معاصيه. و قوله «وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلى بَعْضٍ» معناه إن الكافر يكون على أسوء حال كالمتاع و الركام، هواناً، و تحقيراً، و إذلالا.
و قوله «فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً» معناه تراكب بعضه فوق بعض. كالرمل الركام و هو المتراكب. ركمه يركمه ركماً و تراكم تراكماً و ارتكم ارتكاماً. و منه قوله تعالى فى صفة السحاب «ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً» «1» و قال الحسن يركمهم اللَّه مع ما أنفقوا فى جهنم، كما قال «يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِى نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ» «2» ثم اخبر انه إذا ركمه جميعاً يجعله فى جهنم و اخبر عنهم بأنهم الخاسرون نفوسهم باهلاكهم إياها بارتكاب المعاصى و الكفر المؤدى الى عذاب الأبد

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ وَ إِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (38)

---

(1) سورة 24 النور آية 43
(2) سورة 9 التوبة آية 36
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 120
أمر اللّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله ان يقول للكفار إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف و المعنى إن أنابوا عن الكفر و المعاصى و تابوا منها توبة خالصة، لأن الكف عن المعاصى مع الإصرار لا يوجب الغفران. و إنما اطلق الوعد فى الآية بالانتهاء عن المعصية، لان الانتهاء عنها لا يكون مع الإصرار عليها، لان الإصرار معصية.
و قوله «وَ إِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ» معناه و ان يعودوا، و يرجعوا إلى المعصية «فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ» فى تعجيل العقاب لهم فى الدنيا بعذاب الاستئصال و ما جرى مجراه من الأسر و القتل، يوم بدر، و بالنصر من اللّه، فى قول الحسن و مجاهد، و السدى.
و السلوف: التقدم، تقول سلف يسلف سلوفاً و أسلف إسلافاً و تسلف تسلفاً و سلفه تسلفاً و تسليفاً و استسلف استسلافاً، و السالفة على العنق، و السلافة أخلص الخمر و أجودها. و السلفان المتزوجان بأختين و السنة الطريقة التى يجرى عليها الامر، و منه قولهم هذا مستمر على سنن واحد.

وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (39) وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ (40)

آيتان.

أمر اللَّه تعالى بهذه الآية نبيه صلى الله عليه و آله و المؤمنين ان يقاتلوا الكفار «حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ» و هى الكفر من غير اهل العهد، و ما جرى مجراه من البغى، لأنهم يدعون الناس إلى مثل حالهم بتعززهم على اهل الحق و تطاولهم فيفتنونهم فى دينهم. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 121

و قال ابن عباس، و الحسن: معناه حتى لا يكون شرك. و قال ابن إسحاق حتى لا يفتن مؤمن عن دينه و الفرق بين قوله «حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ» و بين قوله حتى لا يكون كفر هو ان الذليل و الأسير و الشريد لا يفتن الناس فى دينهم لان الذل لا يدعو الى حال صاحبه كما يدعو العزّ.

و قوله «وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ» معناه ان يجمع اهل الباطل و أهل الحق على الدين الحق فيما يعتقدونه و يعملون به، فيكون الدين كله حينئذ للّه بالاجتماع على طاعته و عبادته، و الدين هاهنا الطاعة بالعبادة.

و قوله «فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» معناه فان رجعوا عن الكفر و انتهوا عنه فان اللّه يجازيهم مجازاة البصير بهم و بأعمالهم باطنها و ظاهرها لا يخفى عليه شىء منها.

و قوله «وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- و ان تولى هؤلاء الكفار و اعرضوا عن الدين الحق و اتباعه فثقوا باللّه و تذكروا ما وعدكم به ايها المؤمنون تسكيناً لنفوسهم و تمكيناً للحق عندهم.

و الثانى- فاعلموا ان اللَّه ينصركم عليهم على طريق الأمر بعلم هذا ليكونوا على بصيرة فى ان الغلبة لهم و قوله «وَ إِنْ تَوَلَّوْا» شرط. و قوله «فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ» امر فى موضع الجواب، و إنما جاز ذلک لان فيه معنى الخبر، فلم يخرج من ان يجب الثانى بالأول، كأنه قال فواجب عليكم العلم بأن اللّه مولاكم او فينبغى ان تعلموا ان اللّه مولاكم.

و المولى هاهنا هو الناصر. و هو الذى يوليكم عن الغلبة. و المولى على اقسام بمعنى الناصر و بمعنى الحليف، و بمعنى المعنق و المعتق. و بمعنى الأولى و الأحق كما قال لبيد:

فقدت كلا الفرحين يحسب انه مولى المخافة خلفها و امامها «1»

---

(1) مقاييس اللغة 2/ 212 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 122
و منه
قول النبى صلى الله عليه و آله «أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها فنكاحها باطل»
، اى من هو اولى بالعقد عليها. و قال الأخطل يمدح عبد الملک بن مروان:
فأصبحت مولاها من الناس كلهم و احرى قريش ان تهاب و تحمدا «1»
و قال ابو عبيدة: و منه قوله «النار مولاهم» معناه الاولى بهم و استشهد ببيت لبيد المتقدم ذكره. و قد استوفينا اقسام مولى فى غير هذا الموضع «2» فلا نطول بذكره هاهنا. و التولى عن الدين هو الذهاب عنه الى خلافه و هو و الاعراض بمعنى واحد و التولى فى الدين هو الذهاب إلى جهة الحق و متابعة النبى صلى الله عليه و آله و النصرة له و المعونة له.

وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (41)

الغنيمة ما أخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال. و هى هبة من اللَّه تعالى للمسلمين.

و الفىء ما أخذ بغير قتال فى قول عطا بن السائب، و سفيان الثورى و هو قول الشافعى، و هو المروى فى اخبارنا.

و قال قوم: الفىء و الغنيمة واحد. و قالوا إن هذه الآية ناسخة للتى فى الحشر من قوله

---

(1) مر هذا البيت فى 3/ 187

(2) فى 3/ 186، 187.

«ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى، فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ» «1» لأنه بين فى هذه الآية ان الأربعة اخماس للمقاتلة. و على القول الأول لا يحتاج إلى هذا، و عند أصحابنا

ان مال الفىء للإمام خاصة يفرقه فيمن شاء بعضه فى مؤنة نفسه و ذوى قرابته. و اليتامى و المساكين و ابن السبيل من اهل بيت رسول اللَّه ليس لسائر الناس فيه شىء. و اما خمس الغنيمة، فانه يقسم عندنا ستة اقسام: فسهم للَّه، و سهم لرسوله للنبى، و هذان السهمان مع سهم ذى القربى، للقائم مقام النبى صلى الله عليه و آله ينفقها على نفسه و أهل بيته من بنى هاشم، و سهم لليتامى: و سهم للمساكين: و سهم لأبناء السبيل من أهل بيت الرسول لا يشركهم فيها باقى الناس لأن اللَّه تعالى عوضهم ذلك عما أباح لفقراء المسلمين و مساكينهم و أبناء سبيلهم من الصدقات إذ كانت الصدقات محرمة على أهل بيت الرسول عليهم السلام و هو قول على بن الحسين بن على بن أبى طالب، و محمّد بن على الباقر ابنه عليهم السلام رواه الطبرى بإسناده عنهما.

و قال الحسين بن على المغربى حاكياً عن الصابونى من أصحابنا، إن هؤلاء الثلاثة فرق لا يدخلون فى سهم ذى القربى و إن كان عموم اللفظ يقتضيه، لأن سهامهم مفردة، و هو الظاهر من المذهب. و الذين يستحقون الخمس عندنا من كان من ولد عبد المطلب، لأن هاشماً لم يعقب إلا منه: من الطالبيين و العباسيين و الحارثيين و اللهبيين، فاما ولد عبد مناف من المطلبيين، فلا شىء لهم فيه، و عند أصحابنا الخمس يجب فى كل فائدة

تحصل للإنسان من المكاسب و أرباح التجارات و الكنوز و المعادن و الغوص و غير ذلک مما ذكرناه فى كتب الفقه.
و يمكن الاستدلال على ذلک بهذه الآية، لأن جميع ذلک يسمى غنيمة.
و قال ابن عباس، و ابراهيم، و قتادة، و عطا: الخمس يقسم خمسة أقسام فسهم اللّه و سهم الرسول واحد.
و قال قوم: يقسم أربعة أقسام سهم لبنى هاشم و ثلاثة للذين ذكروا بعد ذلک

---

(1) سورة 59 الحشر آية 7

من سائر المسلمين، ذهب اليه الشافعى.
و قال اهل العراق: يقسم الخمس ثلاثة اقسام، لان سهم الرسول صرفه الأئمة الأربعة إلى الكراع و السلاح.
و قال مالک: يقسم على ما ذكره اللَّه. و يجوز للإمام ان يخرج عنهم حسب ما يراه و إنما جاء على طريق الاولى فى بعض الأحوال.
و قال ابو العالية- و هو رجل من صالحى التابعين- يقسم ستة اقسام، فسهم اللَّه للكعبة، و الباقى لمن ذكر بعد ذلک.
و قال ابن عباس و مجاهد: ذو القربى هم بنو هاشم، و قد بينا نحن ان المراد بذى القربى اهل بيت النبى صلى الله عليه و آله: و بعد النبى القائم مقامه، و به قال على بن الحسين عليه السلام
و
روى جبير بن مطعم عن النبى صلى الله عليه و آله انهم بنو هاشم، و بنو المطلب
و اختاره الشافعى و قال الحسن و قتادة: سهم اللَّه و سهم رسوله و سهم ذى القربى لولى الأمر من بعده و هو مثل مذهبنا.
و قال ابو على الجبائى: إن الأئمة الأربعة جعلوا سهم الرسول و ذى القربى فى الكراع و السلاح و اجمعوا على ان سهم اليتامى و المساكين و ابن السبيل شائع فى الناس بخلاف ما قلناه.
و اليتيم من مات أبوه و هو صغير قبل البلوغ. و كل حيوان يتيم من قبل أمه إلا ابن آدم، فانه من قبل أبيه.
و اما ابن السبيل، فهو المنقطع به فى سفره. و إنما قيل ابن السبيل بمعنى أخرجه إلى هذا المستقر، كما يخرجه أبوه من مستقره لقى محتاجاً.
و المسكين المحتاج الذى من شأنه ان تسكنه الحاجة عما ينهض به الغنى.
و قوله «فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ» قيل فى فتح (ان) قولان: أحدهما- فعلى ان للَّه خمسه و حذف حرف الجر فنصب الثانى- انه عطف على (ان) الاولى و حذف خبر الأولى لدلالة الكلام عليه، و تقديره اعلموا ان ما غنمتم من شىء

يجب قسمته و اعلموا ان للّه خمسه. قال الفراء: إنه جزاء بمنزلة «أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً» قال الرمانى: هذا غلط التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 125
لأن (ان) لا تدخل على الجزاء إلا مع العماد، كما لا تدخل (ان) إلا على هذا الوجه.
و قوله «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ» «1» معناه اعلموا أنما غنمتم من شىء لهؤلاء الذين ذكرناهم ان كنتم مؤمنين باللّه مصدقين له فى اخباره و ما أنزله على عبده محمّد صلى الله عليه و آله من القرآن.
و قال الزجاج يجوز ان يكون قوله «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ» متعلقاً بقوله «فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ. إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ» اى فأيقنوا ان اللّه ناصركم إذ كنتم شاهدتم من نصره ما شاهدتم. و معنى «يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ» يوم بدر و سمى يوم الفرقان لأنه تميز اهل الحق مع قلة عددهم من المشركين مع كثرة عددهم بنصر اللّه المؤمنين. و قيل كان يوم السابع عشر من شهر رمضان و قيل
التاسع عشر، سنة اثنتين من الهجرة؟ و هو المروى عن أبى عبد اللّه عليه السلام
ثم قال «وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» اى هو قادر على مجازاة من أطاعه بجزيل الثواب، و على عقاب من عصاه بأليم العذاب.

إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا وَ هُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى وَ الرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ لَوْ تَواعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعادِ وَ لكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ إِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42)

---

(1) سورة 9 التوبة آية 64

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 126

آيتان فى المدنيين و البصرى و آية واحدة فى الكوفى.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو (بالعدوة) بكسر العين، الباقون بضمها و هما لغتان قال الراعى فى الكسر:

و عينان حمر مآقيهما كما نظر العدوة الجؤذر «1»

و قال أوس بن حجر فى الضم:

و فارس لا يحل الحى عدوته و لوا سراعاً و ما هموا بإقبال «2»

و العدوة شفير الوادى. و قال البصريون: الكسر اكثر اللغات. و قال احمد ابن يحيى: بالضم اكثر. و قال قوم: هما لغتان سواء، و قرأ نافع و ابو بكر عن عاصم و ابن كثير فى رواية البزى و شبل «حيى» بإظهار الياءين. و قرأ الباقون بالإدغام و إنما جاز الإدغام فى (حيى) للزوم الحركة فى الثانى يجرى مجرى (ردّوا) إذا أخبروا عن جماعة قالوا: حيوا فخففوا و قد جاء مدغماً، فقالوا حيوا و من اختار الاظهار، فلامتناع الإدغام فى مضارعه مضارعه من يحيى فجرى على شاكلته قال الزجاج، لأن الحرف الثانى ينتقل عن لفظ الياء تقول حيى يحيى فاما احيا يحيى فلا يجوز فيه الإدغام عند البصريين، لان الثانى إذا سكن فى الصحيح من المضاعف فى نحو لم يردد كان الاظهار أجود فالمعتل بذلك أولى، لان سكونه ألزم فلذلك وجه الاظهار فى (يحيى) لأنه أحق من (لم يردد) لان السكون له ألزم و قد أجاز الفراء الإدغام فى يحيى و انشد بيتاً لا يعرف شاعره:

و كأنها بين النساء سبيكة تمشى بشدة بأنها فتعى «3»

تقدير معنى الآية و اذكروا أيها المؤمنون «إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ» و هى الجهة التى هى نهاية الشىء من احد جانبيه. و منه قولهم عدوتا الوادى. و هما شفيراه و جانباه. و (الدنيا) بمعنى الأدنى الى المدينة. و (القصوى) بمعنى الأقصى

(1، 2) تفسير الطبرى 13/ 565

(3) معانى القرآن 1/ 412

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 127

منها الى جهة مكة، و ذلک ان النبى صلى الله عليه و آله و أصحابه نزلوا بالجانب الأدنى إلى المدينة. و قريش نزلت بالجانب الأقصى منها الى مكة فنزلا الوادى بهذه الصفة، قد اكتنفا شفيريه. و قوله «وَ الرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» يعنى أبا سفيان و أصحابه فى موضع أسفل منكم الى ساحل البحر. و إنما نصب أسفل، لان تقديره بمكان أسفل. فهو فى موضع خفض، و نصب لأنه لا ينصرف و كان يجوز الرفع على تقدير و الركب أشد سفلا منكم، و من نصب يجوز ان يكون أراد و الركب مكاناً أسفل منكم بجعله ظرفاً. و الذى حكيناه، هو قول الحسن، و قتادة، و ابن إسحاق و مجاهد و السدى.
و اصل الدنيا الدنو بالواو، بدلالة قولهم دنوت إلى الشىء أدنو دنواً، فقلبت الواو ياء. و لم تقلب مثل ذلک فى القصوى، لأنه ذهب بالدنيا مذهب الاسم فى قولهم الدنيا و الاخرة، و ان كان أصلها صفة، فخففت. لأن الاسم أحق بالتخفيف.
و تقول: أدناه ادناء و استدناه استدناء، و تدانوا تدانياً. و داناه مداناة. و (العلو) قرار تحته قرار. و (السفل) قرار فوقه قرار، تقول: سفل يسفل سفلا، و تسفل تسفلا و تسافل تسافلا و سفل تسفيلا، و سافله مسافلة، و هو الأسفل، و هى السفلى.
و قوله «وَ لَوْ تَواعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِى الْمِيعادِ» و المواعدة وعد كل واحد من الاثنين الآخر و تواعدوا تواعداً. و (الاختلاف) مذهب كل واحد من الشيئين فى نقيض الآخر، و منه الاختلاف فى الميعاد لذهاب كل واحد من الفريقين فيما يناقض الميعاد من التقدم و التأخر و الزيادة و النقصان عما انعقد به الميعاد.
و قيل: اختلافهم فى الميعاد بمعنى «لَوْ تَواعَدْتُمْ» أيها المؤمنون على الاجتماع فى الموضع الذى اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد، فى قول ابن إسحاق. و وجه آخر «و لو تواعدتم» من غير لطف اللّه لكم «لاختلفتم» بالعوائق و القواطع فذكر الميعاد لتأكيد أمره فى الاتفاق و لو لا التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 128
لطف اللَّه مع ذلک لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر:
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
و قوله «لِيَقْضِىَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا» معناه ليفصل اللَّه امراً كان مفعولا من عز الإسلام و علو اهله على عبدة الأوثان و غيرهم من الكفار بحسن تدبيره و لطفه.
و قوله «لِيَهْلِکَ مَنْ هَلَکَ عَنْ بَيِّنَةٍ» معناه ليهلک من هلک عن قيام حجة عليه بما رأى من المعجزات الباهرات للنبى صلى الله عليه و آله فى حروبه و غيرها «وَ يَحْيى مَنْ حَىَّ عَنْ بَيِّنَةٍ» يعنى ليستبصر من استبصر عن قيام حجة، فجعل اللّه المتبع للحق بمنزلة الحى، و جعل الضال بمنزلة الهالک.

و قوله: «وَ إِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه «سميع» لما يقوله القائل فى ذلک «عليم» بما يضمره، فهو يجازيه بحسب ما يكون منه.

إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلاً وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ لكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (43)

التقدير و اذكر يا محمّد «إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلًا» و الهاء و الميم كناية عن الكفار الذين قاتلوه يوم بدر «وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ» و هذه الرؤية كانت فى المنام عند اكثر المفسرين. و الرؤيا فى المنام تصور يتوهم معه الرؤية فى اليقظة و الرؤيا على اربعة اقسام: رؤيا من اللّه عز و جل، و لها تأويل و رؤيا من وسوسة الشيطان، و رؤيا من غلبة الاخلاط، و رؤيا من الأفكار، و كلها أضغاث أحلام إلا الرؤيا من قبل اللّه تعالى التى هى إلهام فى المنام يتصور به الشىء التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 129

كأنه يرى فى اليقظة. و رؤيا النبى صلى الله عليه و آله هذه بشارة له، و للمؤمنين بالغلبة و قال الحسن: معنى «فى منامك» فى عينك التى تنام بها، و ليس من الرؤيا فى النوم، و هو قول البلخى، و هو بعيد، لأنه خلاف الظاهر من مفهوم الكلام.

قال الرمانى: و يجوز أن يريه اللّه الشىء فى المنام على خلاف ما هو به، لأن الرؤيا فى المنام يخيل له المعنى من غير قطع و إن جاء معه تطلع من الإنسان على المعنى و إنما ذلک على مثل تخييل السراب ماء من غير تطلع على أنه ماء، فهذا يجوز ان يفعله اللّه. و لا يجوز ان يلهمه إعتقاد الشىء على خلاف ما هو به. لان ذلک يكون جهلا، و لا يجوز أن يفعله اللّه تعالى.

و النوم ضرب من السهو يزول معه معظم الحس، تقول نام ينام نوماً و نومه تنويماً و أنامه إنامة و تناوم تناوماً و استنام استنامة. و (المنام) موضع النوم و المضطجع موضع الاضطجاع.

و (القلة) نقصان عن عدد، كما أن الكثرة زيادة على عدد يقال: قل يقل قلة و قلله تقليلا، و استقل استقلالا و تقلل تقللا. و الشىء يكون قليلا بالاضافة إلى ما هو اكثر منه. و يكون كثيراً بالاضافة إلى ما هو أقل منه. و أقل منه. و أقله إقلالا إذا أطاقه فصادفه قليلا فى طاقته، فهو مشتق من هذا و استقل من المرض إذا قوى قوة يزول بها المرض اى وجده قليلا فى قوته لا يعتد به.

و قوله «لَفَشِلْتُمْ» فالفشل ضعف الوجل لان الضعف قد يكون لمرض من غير فزع و قد يكون من فزع. فالفشل إنما هو الضعف عن فزع. فشل يفشل فشلا فهو فاشل، و فشله تفشيلا: إذا نسبه إلى الفشل، و تفاشلوا تفاشلا.

و قوله «وَ لَتَنازَعْتُمْ» فالتنازع الاختلاف الذى يحاول كل واحد منهم نزع

صاحبه مما هو عليه تنازعوا تنازعا، و نازعه منازعة و نزع عن الامر ينزع نزوعاً، و استنزعه إذا طلب نزوعه. و انتزعه إذا اقتلعه عن مكانه.
و قوله «وَ لكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ» فالسلامة النجاة من الآفة. سلم يسلم سلامة و أسلمه التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 130
إسلاماً إذا دفعه على السلامة، و أسلم الإنسان إذا دخل فى السلامة من جهة الدين و سلمه تسليماً إذا نجاه. و استسلم استسلاماً إذا سلم نفسه للأمر، و تسلم تسلماً إذا طلب السلامة، و استلم الحجر إذا طلب لمسه على السلامة و سالمه مسالمة، و تسالما تسالماً.
و قوله «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» فالصدر الموضع الأجل لكون القلب فيه.
و صدر المجلس أجله، لأنه موضع الرئيس، و صدر الدار مشبه بصدر الإنسان لأنه المستقبل منه كاستقباله من الإنسان يقال صدر يصدر صدوراً و أصدره اصداراً و تصدر تصدراً و صدره تصديراً و صادره مصادرة، و تصادروا تصادراً.
ففائدة الآية إن اللَّه لطف للمؤمنين بما لو لم يكن لفشلوا و لاضطراب أمرهم و اختلفت كلمتهم. و لكن سلمهم اللَّه من ذلک بلطفه لهم و إحسانه بهم حتى بلغوا ما أرادوه من عدوهم.

وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَ يُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (44)

التقدير اذكروا أيها المؤمنون إذ يريكموهم، فالهاء و الميم كناية عن المشركين، و الكاف و الميم كناية عن المؤمنين، أرى اللّه تعالى الكفار قليلين فى أعين المؤمنين ليشتد بذلك طمعهم فيهم و جرأتهم عليهم، و قلل المؤمنين فى أعين الكفار لئلا يتأهبوا و لا يستعدوا لقتالهم و لا يكترثوا بهم و يظفر بهم المؤمنون. و المراد بالرؤية هاهنا الرؤية بالبصر، و هو الإدراك بحاسة البصر و الرائى هو المدرک. و العين حاسة يدرک بها البصر، و العين مشتركة، فمنها عين الماء، و عين الميزان، و عين الركبة، و عين الذهب، و العين النفس، و الالتقاء اجتماع الاتصال، لان الاجتماع التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 131

على وجهين: اجتماع الاتصال و اجتماع فى معنى من غير اتصال كاجتماع القوم فى الدار، و ان لم يكن هناک اتصال. و يقال للعسكرين إذا تصافا التقيا لوقوع العين على العين.

فان قيل كيف قللهم اللّه فى أعينهم مع رؤيتهم لهم؟

قلنا: بأن يتخيلوهم بأعينهم قليلا من غير رؤية على الصحة لجميعهم و ذلک بلطف من ألطافه تعالى مما يصد به عن الرؤية من قتام يستر بعضهم و لا يستر بعضاً آخر. و روى عن ابن مسعود انه قال رأيناهم قليلا حتى قلت لمن كان الى جانبى أ تراهم سبعين رجلا؟ فقال لى هم نحو المائة. فلما أسرنا رجلا منهم سألناه كم كانوا، فقال ألفاً.

و قوله «لِيَقْضِىَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا» إنما كرره فى هذه الآية مع ذكره فى الآية الاولى، لاختلاف الفائدة، فمعناه فى الآية الاولى «وَ لَوْ تَواعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِى الْمِيعادِ. وَ لكِنْ لِيَقْضِىَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا» من الالتقاء على الصفة التى حصلتم عليها، و معناه فى الثانية يقلل كل فريق ف. ى عين صاحبه «لِيَقْضِىَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا» من إعزاز الدين بجهادكم على ما دبره لكم. و إنما قال «كانَ مَفْعُولًا» و المعنى يكون مفعولا فى المستقبل لتحقيق كونه لا محالة حتى صار بمنزلة ما قد كان إذ قد علم اللّه انه كائن لا محالة.

و قوله تعالى «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» اى ترجع الأمور الى ملكه و تدبيره خاصة، و يزول ملک كل من ملكه فى دار الدنيا.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 132

هذا خطاب من اللّه تعالى للمؤمنين خاصة يأمرهم بأنهم إذا لقوا جماعة من الكفار لحربهم أن يثبتوا و يذكروا اللّه كثيراً، و يستنصروه عليهم لكى يفلحوا و يفوزوا بالظفر بهم، و بالثواب عند اللّه يوم القيامة. و قد بينا ان معنى الايمان هو التصديق بما أوجبه اللّه على المكلفين أو ندبهم اليه. و الفئة الجماعة المنقطعة من غيرها و أصله من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعته. و الثبوت حصول الشىء فى المكان على استمرار، يقال لمن استمر على صفة: قد ثبت كثبوت الطين. و الذكر ضد السهو، و قد يكون الذكر القول من غير سهو. و الفئة المذكورة فى الآية و ان كانت مطلقة، فالمراد بها المشركة او الباغية، لأن اللّه لا يأمر المؤمنين بالثبوت لقتال احد الا من هو بهذه الصفة، و لا يأمر بقتال المؤمنين.

وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46)

أمر اللّه تعالى هؤلاء المؤمنين الذين ذكرهم بأن يطيعوا اللَّه و رسوله، و لا يختلفوا فيضعفوا عن الحرب. و العامل فى «فتفشلوا» الفاء التى هى بدل من (أن) على معنى جواب النهي كقولك لا تأت زيداً فيهينك، و لذلك عطف بالنصب فى قوله «وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ» عليه.

و قوله «وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ» معناه كالمثل أى ان لكم ريحاً تنصرون بها يقال ذهب ريح فلان اى كان يجرى فى أمره على السعادة بريح تحمل اليها، فلما ذهبت وقف أمره، فهذه بلاغة حسنة. و قيل: المعنى ريح النصرة التى يبعثها اللّه مع من ينصره على من يخذله، فى قول قتادة و ابن زيد. و قيل: تذهب دولتكم، من قولهم ذهب ريحه، أى ذهبت دولته. فى قول أبى عبيدة و أبى على. و قال عبيد التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 133

ابن الأبرص:

كما حميناک يوم النعف من شطب و الفضل للقوم من ريح و من عدد «1»

اى من ريح عز و من عدد. و

قال أبو جعفر عليه السلام: هذه الآية نزلت حين أشار خباب بن المنذر على النبى صلى الله عليه و آله ان ينتقل من مكانه حتى ينزلوا على الماء و يجيؤهم من خلفهم، فقال بعضهم لا تنغفر معصاتک يا رسول اللَّه. فتنازعوا، فنزلت الآية و عمل النبى صلى الله عليه و آله على قول خباب.

وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَ رِئاءَ النَّاسِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ اللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (47)

نهى اللّه تعالى المؤمنين فى هذه الآية ان يكونوا مثل «كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَ رِئاءَ النَّاسِ» و هم قريش، لما خرجت لتحمى العير، فلما نجا ابو سفيان أرسل اليهم ان ارجعوا، فقد سلمت عيركم و هم بالجحفة: فقال أبو جهل و اللّه لا نرجع حتى نرد بدراً و ننحر جزراً، و نشرب خمراً و تعزف علينا القيان و يرانا من غشينا من اهل الحجاز، ذكره ابن عباس و مجاهد و عروة بن الزبير و ابن إسحاق. و البطر الخروج عن موجب النعمة- من شكرها، و القيام بحقها- الى خلافه. و أصله الشق فمنه البيطار الذى يشق اللحم بالمبضع، و بطر الإنسان بطراً و أبطره كثرة النعمة عليه إبطاراً و بطره تبطيراً. و الرئاء اظهار الجميل مع ابطان القبيح تقول: راءى يرائى مراءاة و رياء. و المرائى رجل سوء لما بينا. و النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر. و الصد المنع. و قيل هو جعل ما يدعو إلى الاعراض

---

(1) ديوانه: 49 و الطبرى 13/ 575 و اعجاز القرآن للباقلانى: 131 و (النعف) ما انحدر من حزونة الجبل و (شطب) اسم جبل.

فهؤلاء يصدون عن سبيل اللّه بما يدعون الناس إلى الاعراض عنها من معادات أهلها و قتالهم عليها و تكذيبهم بما جاء به الداعى اليها. و الفرق بين الصد و المنع أن المنع ما يتعذر معه الفعل و الصد ما يدعو الى ترك الفعل.

و قوله «وَ اللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ» معناه يحتمل أمرين: أحدهما- انه يحيط علمه بما يعملونه. الثانى- انه قادر على جزاء ما يعملونه من ثواب أو عقاب.

وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّی جارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلی عَقِبَيْهِ وَ قالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْكُمْ إِنِّی أَری ما لا تَرَوْنَ إِنِّی أَخافُ اللَّهَ وَ اللَّهُ شَدِیدُ الْعِقابِ (48)

التقدير: و اذكر «إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ» يعنى المشركين «زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ» بمعنى حسنها فى نفوسهم و التزيين هو التحسين. و المعنى أن إبليس حسن للمشركين أعمالهم و حرضهم على قتال محمّد، و خروجهم من مكة، و قوى نفوسهم، و قال لهم «لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ». تقول غلب يغلب غلبة، فهو غالب، و غالبه مغالبة و تغالبا تغالبا و غلبه تغليبا. و الغلبة القهر للمنازع، و الملك لأمره.

و قوله «وَ إِنِّی جارٌ لَكُمْ» حكاية عما قال إبليس للمشركين، فانه قال لهم انى جار لكم، لأنهم خافوا بنى كنانة لما كان بينهم، فأراد إبليس بأن يسكن خوفهم، و الجار هو الدافع عن صاحبه السوء أجاره يجيره جواراً. و منه قوله «وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ» «1» اى يعقد لمن أحب دفع الضرر عنه من كل احد

---

(1) سورة 23 المؤمنون آية 89

و لا يعقد عليه، فالجار المجير. و قوله «فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ» معناه، فلما التقتا و رأى بعضهم بعضاً «نكص» يعنى إبليس «عَلی عَقِبَيْهِ» و النكوص هو الرجوع قهقرى خوفاً مما يرى. نكص ينكص نكوصاً، قال زهير.

هم يضربون حبيک البيض إذ لحقوا لا ينكصون إذا ما استلحموا و حموا «1»

و اختلفوا فى ظهور الشيطان لهم حتى رأوه، فقال ابن عباس، و السدى و قتادة، و ابن إسحاق.:

ظهر لهم فى صورة سراقة بن مالک بن جعشم الكنانى المدلجى فى جماعة من جنده، و قال لهم: هذه كنانة قد أتتكم نجدة، فلما رأى الملائكة «نَكَصَ عَلی عَقِبَيْهِ» فقال الحارث بن هشام الى اين يا سراقة، فقال «إِنِّی أَری ما لا تَرَوْنَ» و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام.

و قيل إنه رأى جبرائيل بين يدى النبى صلى الله عليه و آله. و قال ابو على الجبائى حوّله اللَّه على صورة إنسان علماً للنبى صلى الله عليه و آله بما يخبر به عنه. و قال الحسن و البلخى: إنما هو يوسوس من غير ان يحول فى صورة انسان.

و قوله «إِنِّی أَخافُ اللَّهَ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ» حكاية عن قول إبليس حين ولى فقال لقريش انى ارى من الملائكة ما لا ترون انى أخاف اللَّه و اللَّه

شديد العقاب.
و انما خافه من ان يأخذه فى تلک الحال بعقوبته دون ان يكون خاف معصيته فامتنع منها.
قال الحسن: إبليس عدو اللَّه لا يخاف اللَّه لكن كلما استؤصل جند من جنوده وقعت بذلک عليه مخافة و ذلة. و قال البلخى هو كقولک للرجل جمعت بين الفريقين حتى إذا وقع الشر بينهم خليتهم و انصرفت، و قلت اعملوا ما شئتم و تريد بذلک انک خليت بينهم دون ان يكون هناک قول، و الاول هو المشهور فى التفاسير.

---

(1) ديوانه 159 من قصيدته فى هرم بن سنان. و الطبرى 14/ 11 و (حبيک البيض) طرائق حديد. و (البيض) الخوذ من سلاح المحارب. و (حموا) من الحمية، و هى الانفة و الغضب.
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 136
و الواو دخلت فى قوله «وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ» للعطف على خروجهم بطراً و رئاء الناس، فعطف حالهم فى تزيين الشيطان أعمالهم على حالهم فى خروجهم بطراً.

إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُمْ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (49)

العامل فی «إذ» يحتمل أن يكون احد شيئين: أحدهما- الابتداء و التقدير ذاک «إذ يقول» و الآخر بتقدير اذكر «إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ» و هم الذين يبطنون الكفر و يظهرون الايمان «وَ الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» الشاكين فی الإسلام مع اظهارهم كلمة الايمان، و هم بمكة جماعة خرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا هذا القول، و هم قيس بن الوليد بن المغيرة «1» و الحارث بن زمعة و على بن أمية و العاص بن المنبه بن الحجاج، هذا قول مجاهد، و الشعبى و قال الحسن: المرض الشرک «وَ الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» المشركون. و قال ابو على فصلوا فی الذكر لان المنافقين كانوا يضمرون عداوة النبى صلى الله عليه و آله و المؤمنين، و كانوا هؤلاء مرتبتين و كلهم فی معنى المنافقين، لان الشک فی الإسلام كفر.

و قوله «غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُمْ» معناه ان المسلمين اغتروا بالإسلام. و الغرور: اظهار النصح مع إبطان الغش تقول: غره يغره غروراً و اغتر به اغتراراً و منه الغرر، لأنه عمل بما لا يؤمن معه الغرور. و قوله «وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» معناه و من يسلم لأمر اللّه و يثق به و يرضى بفعله، لان التوكل على اللّه هو التسليم لأمره مع الثقة و الرضا به، تقول: و كل أمره الى اللّه، يكل و اتكل عليه يتكل اتكالا و توكل توكلا و تواكل القوم تواكلا إذا اتكل بعضهم على بعض، و وكل توكيلا. و قوله

---

(1) فى بعض النسخ (ابو قيس بن الفاكهة بن المغيرة)

«فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» معناه انه قادر لا يغالب واضح للأشياء مواضعها

وَ لَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبارَهُمْ وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ (50)

قرأ ابن عامر «إذ تتوفى» بتاءين فأدغم أحدهما فى الاخرى هشام عنه.

الباقون بالياء و التاء. من قرأ بالتاء أسند الفعل الى الملائكة كقوله «إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ» «1» و من قرأ بالياء، فلأن التأنيث غير حقيقى.

هذا خطاب من اللَّه تعالى للنبى صلى الله عليه و آله يقول اللَّه تعالى له: «و لو ترى» الوقت الذى تتوفى الملائكة الذين كفروا بمعنى انهم يقبضون أرواحهم على استيفائها، لان الموت انما يكون بإخراج الروح على تمامها. و جواب «لو» محذوف، و تقديره لرأيت منظراً عظيماً اوامراً عجيباً او عقاباً شديداً، و حذف الجواب فى مثل هذا أبلغ، لان الكلام يدل عليه. و المرئى ليس بمذكور فى الكلام لكن فيه دلالة عليه لان تقديره: لو رأيت الملائكة يضربون من الكفار الوجوه و الأدبار، و حذفه ابلغ و أوجز مع أن الكلام يدل عليه. و قال مجاهد و سعيد بن جبير: معنى أدبارهم أستاههم لكنه كنى عنه. و قال الحسن: معناه ظهورهم. و قال ابو على: المعنى ستضربهم الملائكة عند الموت. قال الرمانى: و هذا غلط، لأنه خلاف الظاهر، و خلاف الإجماع المتقدم أنه يوم بدر. و روى الحسن: ان رجلا قال يا رسول اللَّه إنى رأيت بظهر أبى جهل مثل الشرك، فقال: ذاك ضرب الملائكة. و

روى عن مجاهد ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه و آله انى حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فبدر رأسه، فقال: سبقك اليه الملائكة. و عن ابن عباس انه كان يوم بدر.

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 45

و قوله: «وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ» تقديره، و يقولون يعنى الملائكة للكفار يقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق يوم القيامة و حذف لدلالة الكلام عليه. و مثله قوله «وَ لَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا» «1» أى يقولون ربنا أبصرنا، و دل الكلام عليه. و الحريق تفريق الأجسام الكبيرة العظيمة بالنار العظيمة يقال: احترق احتراقاً و احرق إحراقاً و تحرق تحرقاً و حرقه تحريقاً، و جواب «لو» محذوف، و تقديره لرأيت منظراً هائلا و إنما حذف جواب «لو» لأن ذكره يخص وجهاً و مع الحذف يظن وجوه كثيرة فهو أبلغ.

ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (51)
قوله «ذلک» إشارة من الملائكة للكفار الى ما تقدم ذكره من قولهم «ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ» قالوا ذلک العذاب «بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ» و موضع «بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ» يحتمل وجهين من الاعراب: أحدهما- الرفع بأنه خبر ذلک. و الثانى- النصب بأنه متصل بمحذوف، و تقديره ذلک جزاؤكم «بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ» و إنما قيل بما قدمت أيديكم مع أن اليد لا تعمل شيئاً لتبين أنه بمنزلة ما يعمل باليد فى الجناية، و لذلک لم يذكر القلوب، و إن كان بها معتمد العصيان، لأنه قصد إظهار ما يقع به الجنايات فى غالب الأمر و تعارف الناس. و التقديم ترتيب الشىء أولا قبل غيره:
قدمه تقديماً و تقدم تقدما و استقدم استقداماً و تقادم عهده تقادماً و اقدم على الأمر إقداما.
و قوله: «أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» العامل فى «ان» يحتمل شيئين:
أحدهما- أن يكون موضعه نصباً بتقدير و بأن اللّه او خفضاً على الخلاف فيه.
و الثانى- ان يكون رفعاً بمعنى و ذلک ان اللّه كما تقول ذلک هذا.

---

(1) سورة 32 الم السجدة آية 12

و إنما نفى المبالغة فى الظلم عنه تعالى دون نفى الظلم رأساً، لأنه جاء على جواب من أضاف اليه فعل جميع الظلم، و لأن ما ينزل بالكفار لو لم يكن باستحقاق لكان ظلماً عظيما، و لكان فاعله ظلاماً.

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ (52)

العامل فى قوله: «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ» الابتداء و تقديره دأبهم كدأب آل فرعون، فموضعه رفع، لأنه خبر المبتدأ، كما تقول زيد خلفك، فموضع خلفك رفع بأنه خبر المبتدأ، و لفظه نصب بالاستقرار، فكذلك الكاف فى «كدأب».

و الدأب العادة و الطريقة تقول ما ذلک دأبه و دينه و ديدنه.

و المعنى انه جوزى هؤلاء بالقتل و الأسر كما جوزى آل فرعون بالغرق.

و قال الزجاج الدأب إدامة الفعل داب يدأب فى كذا إذا دام عليه، و دأب يدأب داباً و دؤباً فهو دائب يفعل كذا اى يجرى فيه على عادة. و قال خداش بن زهير العامرى:

و ما زال ذاک الدأب حتى تجادلت هو ازن و ارفضت سليم و عامر «1»

و آل فرعون المراد به اتباعه فيما دعاهم اليه من ربوبيته، سموا «آل» لأن مرجع أمرهم اليه بسبب اكيد. و الفرق بين «آل فلان» و «الأصحاب» ان الاصحاب مأخوذ من الصحبة لطلب علم او غيره، كالأصحاب فى السفر، و كثر فى الموافقة على المذهب، كما يقولون اصحاب مالک و اصحاب الشافعى يراد به الموافقة فى المذهب، و لا يوصفون بأنهم آل الشافعى او أبى حنيفة. و الآل يرجعون اليه بالسبب الأوكد الأقرب.

---

(1) روح المعانى 10/ 17، و مجاز القرآن 1/ 248.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ» معناه قادر و قد يكون القوى بمعنى الشديد، و ذلک لا يجوز إطلاقه على اللّه، و كذلک لا يوصف بأنه شديد العقاب و إنما وصف عقابه بأنه شديد دون اللّه تعالى.

فمعنى الآية تشبيه حال المشركين فى تكذيبهم بآيات اللّه التى اتى بها محمد صلى الله عليه و آله بحال آل فرعون فى التكذيب بآيات اللّه التى اتى بها موسى عليه السلام لأن تعجيل العقاب لهؤلاء بالإهلاک كتعجيله لأولئک بعذاب الاستئصال.

ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (53)

الاشارة بقوله: «ذلک» الى ما تقدم ذكره من أخذ اللّه الكفار بالعقاب فكأنه قال ذلک العقاب المدلول عليه بأن اللّه لا يغير النعمة الى النقمة إلا بتغيير النفس الى الحال القبيحة، ف «ذلک» ابتداء و خبره «بان اللّه» كما يقول القائل: العقاب بذنوب العباد، و الكاف فى «ذلک» للخطاب و «ذلک» إشارة الى البعيد و «ذاک» إشارة الى ما دونه، و «ذا» اشارة الى ما هو حاضر. و قوله «لم يک» أصله يكون فحذفت الواو للجزم و التقاء الساكنين، ثم حذفت النون استخفافاً لكثرة الاستعمال مع انه لا يقع بالحذف إخلال بالمعنى، لأن «كان و يكون» أم الافعال الا ترى أن كل فعل فيه معناها، لأنک إذا قلت ضرب معناه كان ضرب، و يضرب معناه يكون يضرب فلما قربت بأنها ام الأفعال و كثر استعمالها احتمل الحذف و لم يحتمل نظائرها، و ذلک مثل لم يجز و لم يصن كما جاز فيها. و التغيير تصيير الشىء على خلاف ما كان بما لو شوهد لشوهد على خلاف ما كان. و انما قيل بما لو شوهد لشوهد على خلاف ما كان للتفريق بينه و بين ما يصير على خلاف ما كان بالحكم فيه بما لم يكن عليه، التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 141

ألا ترى ان المعلوم بعد ان لم يكن معلوماً لا يتغير بهذا العلم، لأنه لو شوهد لم يشاهد على خلاف ما كان، و القدرة شوهدت على خلاف ما يشاهد العجز.

و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة، لأنها تدل على انه لا يكون العقاب الا بتغيير النفس الى ما لا يجوز ان يغير اليه، و هذا يبين انه لا يحسن من اللّه العقاب الا لمن فعل قبيحاً او اخل بواجب، و ذلک يبطل قول من قال: يجوز ان يعاقب اللّه البرىء بجرم السقيم، و جملة معنى الآية إنا أخذنا هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا من مشركى قريش ببدر بذنوبهم، و تغييرهم نعمة اللّه عليهم من بعث رسوله و تكذيبهم إياه و إخراجهم له من بين أظهرهم، ففعلنا بهم مثل ما فعلنا بالماضين من الكفار.

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَ كُلٌّ كانُوا ظالِمِينَ (54)

انما أعاد قوله: «كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» لا على وجه التكرار بلا فائدة بل لوجهين: أحدهما- قال ابو على: لأنه على نوعين مختلفين من العقاب و قال الرمانى: فيه تصريف القول فى الذم بما كانوا عليه من قبح الفعل و تقدير الكلام: دأب هؤلاء الكفار مثل داب آل فرعون. و يحتمل ان يكون كناية عن هؤلاء الكفار «كَذَّبُوا بِآياتِ».

و التكذيب نسبة الخبر الى الكذب، فالتكذيب بالحق مذموم، و التكذيب بالباطل- لأنه باطل- ظاهر أمره محمود، و انما وجب فى التكذيب بآيات اللّه تعجيل العقوبة، و لم يجب ذلک فى غيره. لما فى تعجيل عقوبتهم من الزجر لغيرهم، فيصلحون به مع علم اللّه بأنه ليس فيهم من يفلح- على مذهب من يقول: لو علم اللّه ان فيهم التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 142

من يؤمن، لأبقاه. و انما كان التكذيب بآيات اللّه من أعظم الاجرام، لما يتبعه من تضييع حقوق اللّه فيما يلزم من طاعاته التى لا تصح الا بالتصديق بآياته التى جاءت بها رسله. اخبر اللّه انه كما أهلک هؤلاء الكفار بتكذيبهم النبى صلى الله عليه و آله كذلک أهلک من الكفار قوماً آخرين بتكذيبهم بآيات اللّه، و أغرق آل فرعون بمثل ذلک، ثم اخبر ان كل هؤلاء كانوا ظالمين لنفوسهم بارتكاب معاصى اللّه و بترک طاعاته.

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (55)
الشر الرمى بالمكاره كشرر النار و مثله الضرر، و ضد الشر الخير و ضد الضرر النفع. و الدابة ما من شأنه ان يدب على الأرض لكن بالعرف لا يطلق إلا على الخيل، و من ذلك قوله «وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها «1»» و قوله «عِنْدَ اللَّهِ» معناه فى معلوم اللّه و فى حكمه. و أصل «عند» أن يكون ظرفاً من ظروف المكان إلا أنه قد تصرف فيها على هذا المعنى. و الفاء فى قوله «فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» عطف جملة على جملة، و هو من الصلة، كأنه قال: كفروا مصممين على الكفر «فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» و انما حسن عطف جملة من ابتداء و خبره على جملة من فعل و فاعل، لما فيها من التأدية الى معنى الحال و ذلک ان صلابتهم بالكفر ادى الى الحال فى انهم لا يؤمنون.
فأخبر اللّه تعالى فى هذه الآية ان شر خصلة يكون الإنسان عليها هو الكفر لما فى ذلک من تضييع نعم اللّه التى توجب أعظم العقاب.
و الآية متناولة لمن علم اللّه منه انه لا يؤمن، لأن قوله «فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» اخبار عن نفى ايمانهم فيما بعد.

---

(1) سورة 11 هود آية 6. [.....]

الَّذِينَ عاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِی كُلِّ مَرَّةٍ وَ هُمْ لا يَتَّقُونَ (56)
قال مجاهد: هذه الآية نزلت فی بنی قريظة، لما نقضت عهد النبی صلی الله عليه و آله فی ألا يحاربوه و لا يمالئوا عليه، فقضوا عهده، و مالئوا عليه، و عاونوا قريشاً يوم الخندق، فانتقم اللّه منهم. و المعاهدة المعاقدة علی أمر يتقدم فيه للوثيقة به بالأيمان المؤكدة علی ما يعقد عليه، و نقض العهد مثل نقض الوعد لأنه حق للمعاهد كما ان ذلک حق للموعود، و نقض العزم هو الرجوع عما عزم عليه. و النقض يكون بشيئين: أحدهما- فيما كان من بناء و شبهه. الثانی- فی عقد أوامر يعزم عليه.
و قوله تعالی «ثم ينقضون» عطف المستقبل علی الماضی، لان الغرض ان من شأنهم نقض العهد مرة بعد اخری فی مستقبل أوقاتهم بعد العهد اليهم.
و قوله «فهم لا يتقون» معناه نقضوا عهدک من غير ان يتقوا عقاب اللّه عاجلا و آجلا.

فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِی الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ یَذَّکَّرُونَ (57)
معنى «تثقفن» تصادفن و تلقين. و أصله الإدراک بسرعة تقول ثقف الكلمة فهو ثقف، و ثقفه إذا قومه و ثاقفه مثاقفة إذا تدارک كل واحد منهما امر صاحبه بسرعة و دخلت نون التأكيد لما دخلت «ما» و لو لم تدخله لما حسن دخول النون، لأن دخول «ما» كدخول القسم فى أنه علامة تؤذن أنه من مواضع التأكيد المطلوب من التصديق، لأن النون تدخل لتأكيد المطلوب فيما يدل على المطلب، و هى فى التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 144
ستة مواضع: الأمر، و النهى، و الاستفهام، و العرض، و القسم، و الجزاء مع «ما» و قوله «فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ» يحتمل معنيين:
أحدهما- إذا اسرتهم فنكل بهم تنكيلا يشرد غيرهم من ناقضى العهد خوفاً منک، و هو قول الحسن و قتادة و سعيد بن جبير و السدى و ابن زيد.
الثانى- افعل بهم من القتل ما يفرق من خلفهم، فى قول الزجاج.
و التشريد التفريق على اضطراب، شرد يشرد شروداً و شرده تشريداً و تشرد تشرداً. و دابة شرود. و التشريد و التطريد و التبديد و التفريق نظائر.
و قوله «لَعَلَّهُمْ یَذَّکَّرُونَ» معناه لكى يفكروا فيتعظوا و ينزجروا عن الكفر و المعاصى. و روى فى الشواذ «من خلفهم» و المعنى نكل بهم انت يا محمّد من ورائهم و الاول أجود. و عليه القراء.

وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ (58)

بنى المضارع مع نون التأكيد، لأن النون لما أبطلت السكون اللازم للجزم الذى هو أمكن فى الفعل، كانت على إبطال غيره من الاعراب أقوى. و إنما بنى على الفتح لسلامتها من البابين الكسرة و الضمة فى المؤنث و الجمع، فى قولهم لا تحسبن يا امرأة، و لا تحسبن يا قوم. و تثبت الألف مع الجازم فى (أما تخافن) و لم تثبت مع الجازم فى قولك (لا تخف القوم) لان الحركة فى هذا عارضة، لأن التقاء الساكنين من كلمتين.

أمر اللّه تعالى نبيه انه متى خاف- ممن بينه و بينه عهد- خيانة أن ينبذ اليه عهده على سواء. و الخيانة نقض العهد فيما ائتمن عليه، تقول: خانه يخونه خيانة، و اختان

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 145

المال اختياناً. و تخونه تخوناً و خونه تخويناً. و (النبذ) إلقاء الخبر الى من لا يعلمه بما يوجب أنه حرب بنقض عهد أو إقامة على بغى تقول: نبذ ينبذ نبذاً و انتبذ انتباذاً و تنابذ القوم تنابذاً، و نابذه منابذة.

و قوله «عَلى سَواءٍ» قيل فى معناه قولان: أحدهما- على استواء فى العلم به أنت و هم فى انكم حرب لئلا يتوهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب. و الثانى- ان معناه على عدل من قول الراجز:

فاضرب وجوه الغدر الاعداء حتى يحيوك على السواء «1»

أى على العدل. و منه قيل للوسط سواء، لاعتداله الى الجهات، كما قال حسان بن ثابت:

يا ويح أنصار النبى و رهطه بعد المغيب فى سواء الملحد «2»

اى فى وسطه. و قال الوليد بن مسلم: معناه على مهل و هذا بعيد، لأنه لا يعرف فى اللغة. فان قيل كيف جاز نبذ العهد و نقضه بالخوف من الخيانة؟

قيل: انما فعل ذلك لظهور أمارات الخيانة التى دلت على نقض العهد و لم تشتهر و لو اشتهرت لم يجب النبذ، كما حارب رسول اللّه صلى الله عليه و آله أهل مكة، لما نقضوا العهد بقتل خزاعة، و هم فى ذمة النبى صلى الله عليه و آله أهل مكة، لما نقضوا العهد بقتل خزاعة، و هم فى ذمة النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم فلما فعلوا ذلك فعلا ظاهراً مشهوراً أغنى ذلك عن نبذ العهد اليهم، و لو نقضوه على خفى لم يكن بد من نبذ العهد اليهم، لئلا ينسب الى نقض العهد و الغدر.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ» معناه انه يبغضهم و انما عبر بحرف النفى، لأن صفة النفى تدل على الإثبات إذا كان هناك ما يدل عليه، و هو أبلغ فى هذا الموضع لأن معناه: انهم حرموا محبة اللّه بخيانتهم و أوجب

ذلک بغضه إیاهم. و محبة اللّه للخلق ارادة منافعهم و بغضه إیاهم ارادة عقابهم.

---

(1) تفسیر الطبری 14/ 27 و القرطبی 8/ 33
(2) تفسیر القرطبی 8/ 33 و قد مر فی 1/ 405 من هذا الکتاب.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 146
و الآیتان معاً نزلنا فی بنی قریظة، قال الواقدی: نزلت هذه الآیة فی بنی قینقاع، و بهذه الآیة سار النبی صلی الله علیه و آله الیهم.

وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ (59)
قرأ ابن عامر و حمزة و حفص و أبو جعفر «وَ لا يَحْسَبَنَّ» بالياء. الباقون بالتاء.
و قرأ ابن عامر «انهم» بفتح الهمزة. الباقون بكسرها.
قال أبو على الفارسى: من قرأ بالتاء جعل «الَّذِينَ كَفَرُوا» المفعول الأول و «سبقوا» المفعول الثانى، و موضعه النصب، و هو واضح. و من قرأ بالياء احتمل ثلاثة أشياء:
أحدها- (لا يحسبن الذين كفروا) و هو قول أبى الحسن.
الثانى- أن يكون أضمر المفعول الاول و تقديره: و لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقونا و إياهم سبقوا الثالث- ان يقدر على حذف (أن) كأنه قال: و لا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا. قال الزجاج يقوى ذلك، ان فى قراءة ابن مسعود «إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ» فعلى هذا يكون ان سبقوا سد مسد المفعولين، كما ان قوله «أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا» «1» كذلك. و من فتح الهمزة جعل الجملة متعلقة بالجملة الاولى و التقدير و لا تحسبنهم سبقوا، لأنهم لا يفوتون فهم يجازون على كفرهم. و من كسر استأنف الكلام، قال ابو عبيدة: سبقوا معناه فاتوا، فإنهم لا يعجزون اى لا يفوتون، و مثله «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا» ثم استأنف، فقال: «ساءَ ما يَحْكُمُونَ» «2»

---

(1) سورة 29 العنكبوت آية 2.
(2) سورة 29 العنكبوت آية 4.

فكذلك ها هنا استأنف الكلام. و انما امتنع الاقتصار على احد المفعولين فى (حسب) لأن المفعول الثانى خبر عن الأول، و الفعل متعلق بما دلت عليه الجملة فهو بخلاف (أعطيت) فى هذا.
و الحسبان هو الظن. و قال الرمانى: هو شك يقوى فيه احدى النقيضين لقوة المعنى فى حيز القولين. و أصله الحساب، لأن المعنى فيه داخل فيما يحسب به و يعمل عليه. و الاحتساب قبول الحساب و الاعتداد به و فى المضارع لغتان، فتميم تفتح السين و أهل الحجاز يكسرونها. و السبق تقدم الشىء على طالب اللحوق به: سبق يسبق سبقاً و تسابقا تسابقاً، و سابقه مسابقة و استبقوا استباقاً و سبقة تسبيقاً إذا أعطاه السبق.
و السابق و المصلى فى صفة الفرس. و الاعجاز إيجاد ما يعجز عنه: أعجزه إعجازاً و عجزه تعجيزاً و عاجزه معاجزة و استعجز استعجازاً. و قال ابو

عبيدة: معنى «لا يُعْجِزُونَ» لا يفوتون. و قال الحسن: معنى لا يعجزون اللّه لا يفوتونه حتى لا يثقفنهم يوم القيامة. و قال الجبائى: معناه لا يعجزونک حتى يظفرک اللّه بهم. و قال الزجاج:
المعنى لا يحسبن من أفلت من هذه الحرب قد سبق الى الحياة. و قال الزجاج:
يجوز أن تكون (لا) صلة على ضعف فيه. و المعنى لا يحسبن الذين كفروا انهم يعجزون. اى يفوتون.

وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ وَ آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ (60)

امر اللَّه تعالى المؤمنين ان يعدوا ما قدروا عليه من السلاح و آلة الحرب و الخيل و غير ذلک. و الاعداد اتخاذ الشيء لغيره مما يحتاج اليه فى أمره و لو اتخذه له فى التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 148

نفسه محبة له لم يكن اعداداً و هو مما يعد فيما يحتاج اليه من غيره و الاستطاعة معنى تنطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاء المنع، تقول: استطاع استطاعة، و طاوع مطاوعة و أطاع طاعة، و تطوع تطوعاً، و انطاع انطياعاً.

و قوله تعالى «من قوة» اى مما تقوون به على عدوه. و قيل:

معناه من الرمى ذكره الفراء. و رواه عن النبى صلى الله عليه و آله عقبة بن عامر، على ما ذكره الطبرى.

و قال عكرمة: أراد به الحصون.

و قوله تعالى: «وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ» فالرباط شد أيسر من العقد: ربطه يربطه ربطاً و رباطاً و ارتبطه ارتباطاً و رابطه مرابطة.

و قوله «تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ» فالهاء فى (به) راجعة الى الرباط و ذكره لأنه على لفظ الواحد و ان كان فى معنى الجمع، لأنه كالجراب و القراب و الذراع. و الإرهاب إزعاج النفس بالخوف تقول: ارهبه ارهاباً و رهبه ترهيباً و رهب رهبة و ترهب ترهباً و استرهبه استرهاباً، و قال طفيل:

ويل ام حى دفعتم فى نحورهم بنى كلاب غداة الرعب و الرهب «1»

و العدو المراصد بالمكاره لتعديتها الى صاحبها و العدو ضد الولى.

و قوله «وَ آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ» لا تعلمونهم تقديره و ترهبون آخرين، فهو نصب ب (ترهبون) و يجوز ان يكون نصباً بقوله: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ) و للآخرين من دونهم. و قيل فى المعنيين بذلک خمسة اقوال: أحدها- قال مجاهد: هم بنو قريظة و قال السدى. هم اهل فارس. و قال الحسن و ابن زيد: هم المنافقون. الرابع- الجن، و هو اختيار الطبرى، قال: لأن الاعداد للأعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوة فلم يبق إلا من لا يشاهد. الخامس- قال الجبائى: كل من لا تعرفون عداوته داخل فيه. و معنى «لا تعلمونهم» لا تعرفونهم فلذلک لم يكن معه المفعول الثانى.

و قوله: «اللَّه يعلمهم» معناه يعرفهم كما قال الشاعر:

---

(1) ديوانه: 65 و مجاز القرآن 1/ 249

. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 149

فان اللّه يعلمنى و وهباَ و إنا سوف نلقاه كلانا «1»
و قوله تعالى: «وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَىْءٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ» يعنى ما من شىء تنفقونه فى الجهاد إلا و اللّه يوفيكم ثوابه على ذلک بأتم الجزاء و لا تبخسون، فمعنى الآية الأمر باعداد السلاح و الكراع لا خافة اعداء اللّه بما بملإ صدورهم من الاستعداد لقتالهم مع تضمن أخلاف ما أنفق فى سبيل اللّه بأحوج ما يكون صاحبه اليه بما تربح فيه تجارته.

وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61)
قرأ ابو بكر عن عاصم «السلم» بكسر السين. الباقون بفتحها و فى ذلک ثلاث لغات:
الفتح و الكسر مع سكون اللام، و فتح السين و اللام معاً. و معناها المسالمة و لذلک أنث قال رجل من اليمن جاهلى:
أنا بل اننى سلم لأهلک فاقبلى سلمى «2»
قال ابو الحسن: السلم فيها الكسر و الفتح لغتان. و قال غيره: السلم بفتح السين و اللام على ثلاثة أوجه. تقول: أخذت الأسير سلماً اى على الاستسلام. و السلم السلف على السلامة. و السلم شجر واحده سلمة، تقول له بالسلامة.
و قوله: «وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ» معناه ان مالوا الى المسالمة، تقول: جنح يجنح جنوحاً و جنحت السفينة إذا مالت الى الوقوف، و منه جناح الطائر لأنه يميل به فى

---

(1) قائله النمر بن ثولب العكلى. الاقتضاب: 303، و المفصل للزمخشرى: 88 و تفسير الطبرى 14/ 39.
(2) مجاز القرآن 1/ 250 و التاج و اللسان (سلم).

احد شقيه. و لا جناح عليه فى كذا اى لا ميل الى مأثم، قال ابو زيد: جنح يجنح جنوحاً إذا اعطى بيده او عدل الى ما يحب القوم، و جنح العدو و الخيل، و جنحت الإبل إذا اخفضت فى السير. و ليس فى الآية ما يدل على ان الكفار إذا ما لو الى الهدنة وجب اجابتهم اليها على كل حال، لأن الأحوال تختلف فى ذلک، فتارة تقتضى الاجابة، و تارة لا تقتضى، و ذلک إذا و تروا المسلمين بأمر يقتضى الغلظة مع حصول العدة و القوة.
فان قيل: إذا جازت الهدنة مع الكفار فهلا جاز المكافة فى أمر الامامة حتى يجوز تسليمها الى من لا يستحقها؟. قلنا: تسليم الامامة الى من لا يستحقها فساد فى الدين كفساد تسليم النبوة الى مثله. و قوله «وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» اى فوض أمرک اليه تعالى وثق بأنه لا يدبره الا على ما تقتضيه الحكمة.
و اختلفوا هل فى الآية نسخ؟ فقال الحسن و قتادة و ابن زيد: نسخها قوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» «1» و قال قوم: ليست منسوخة، لأنها فى الموادعة لأهل الكتاب و الاخرى فى عباد الأوثان، و الصحيح أنها ليست منسوخة، لأن قوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» نزلت فى سنة تسع و بعث بها رسول اللَّه الى مكة ثم صالح اهل نجران بعد ذلک على ألفى حلة: ألف فى صفر و ألف فى

رجب. و قوله «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» معناه انه يسمع دعاء من يدعوه عليم بما تقتضى المصلحة من اجابته و حسن تدبيره

وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوکَ فَإِنَّ حَسْبَکَ اللَّهُ هُوَ الَّذِی أَیَّدَکَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِینَ (62) وَ أَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ما أَلَّفْتَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لکِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَیْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (63)

---

(1) سورة 9 التوبة آية 6

. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 151

آيتان فى الكوفى و المدنى، و آية فى البصرى.

هذا خطاب للنبى صلى الله عليه و آله يقول له: «إِنْ يُرِيدُوا» يعنى الكفار. و قيل هم بنو قريظة، و معناه ان قصدوا بالصلح خديعتک. و الخديعة اظهار المحبوب فى الامر للاستجابة له مع ابطان خلافه: خدع خدعاً و خديعة و اختدعه اختداعا و تخادع له تخادعا. و انخدع انخداعاً. و قوله «فَإِنَّ حَسْبَکَ اللَّهُ» معناه، فان اللّه كافيک يقال: اعطانى ما احسبنى اى كفانى. و أصله الحساب، و انما أعطاه بحساب ما يكفيه. و قوله «هُوَ الَّذِی أَیَّدَکَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِینَ» فالتأييد التمكين من الفعل على أتم ما يصح فيه، تقول: أيده تأييداً و تأيد تأيداً. و الأيد القوة. و المعنى ان اللّه قواه بالنصر من عنده، بالمؤمنين الذين ينصرونه على أعدائه. و قوله «وَ أَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِهِمْ» و التأليف الجمع على تشاكل، فلما جمعت قلوبهم على تشاكل فيما تحبه و تنازع اليه كانت قد الفت، و لذلک قيل: هذه الكلمة تأتلف مع هذه، و لا تأتلف. و

المراد بالمؤمنين الأنصار و بتأليف قلوبهم ما كان بين الأوس و الخزرج من العداوة و القتال، هذا قول أبى جعفر عليه السلام

و السدى و بشر بن ثابت الانصارى و ابن إسحاق. و قال مجاهد: هو فى كل متحابين فى اللّه. و انما كان الجمع على المحبة تأليفاً بين القلوب، لأنه مأخوذ من الالفة و هى الاجتماع على الموافقة فى المحبة، و لا يجوز فى الجمع على البغضاء ان يسمى بذلک. و قوله «لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً» فالإنفاق إخراج الشىء عن الملک. و المعنى «لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً» لتجمعهم على الالفة مأتم لک ذاک، و لكن اللّه الف بينهم بلطف من الطافه و حسن تدبيره، و بالإسلام الذى هداهم اللّه اليه. و نصب «جميعاً» على الحال.

و قوله «إِنَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ» معناه قادر لا يمتنع عليه شىء يريد فعله «حَکِیمٌ عَلِیمٌ» لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة فعلى ذلک جمع قلوبهم على الالفة.

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64)
هذا خطاب من اللّه تعالى لنبيه محمّد صلى الله عليه و آله يقول له: يكفيك ان يكون ناصرک على أعدائک اللّه تعالى، و الذين اتبعوک من المؤمنين من المهاجرين و الأنصار، و انما كرر قوله «حسبک» مع انه قد ذكر فيما قبل، لأن المعنى هناک إن أرادوا اخداعک كفاک اللّه أمرهم. و ها هنا معناه عام فى كل ما يحتاج فيه الى كفاية اللّه إياه. و قوله «وَ مَنِ اتَّبَعَکَ» يحتمل اعرابه وجهين:
أحدهما- ان يكون نصباً. و المعنى و يكفى من اتبعک على التأويل، لأن الكاف فى موضع خفض بالاضافة لكنه مفعول به فى المعنى، فعطف على المعنى، و ليس ذلک بكثير. و أجاز الفراء الرفع لقوله «إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ» و مثله قوله «إِنَّا مُنَجُّوکَ وَ أَهْلَکَ» «1» و قال الشاعر:
إذا كانت الهيجاء و انشقت العصا فحسبک و الضحاک سيف مهند «2»
و هو معنى قول الشعبى و ابن زيد. و قال الحسن: هو عطف على اسم اللّه، فيكون رفعاً. و الكسائى، و الفراء، و الزجاج أجازوا الوجهين و حمل عليهما معاً ابو على الجبائى. و الاتباع موافقة الداعى فيما يدعوا اليه من اجل دعائه.
و المؤمنون يوافقون النبى صلى الله عليه و آله فى كل ما دعا اليه. و قال الواقدى: نزلت هذه الاية فى بنى قريظة و بنى النضير لما قالوا له: نحن نسلم و نتبعک.

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (65)

---

(1) سورة 29 العنكبوت آية 33.
(2) القرطبى 8/ 42 و معانى القرآن 1/ 417 و تفسير القاسمى 8/ 303
. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 153
و هذا ايضاً خطاب للنبى صلى الله عليه و آله يأمره اللَّه بأن يحرض المؤمنين على قتال المشركين.
و التحريض و الحث نظائر، و هو الدعاء الأكيد بتحريک النفس على أمر من الأمور. و ضده التفتير. و المعنى حثهم على القتال. و التحريض الحث على الشىء الذى يعلم معه انه حارض إن خالف و تأخر. و الحارض هو الذى قارب الهلاک. و منه قوله:
«حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً» اى حتى تذوب غما على ذلک و تقارب الهلاک «أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ» «1» و حارض فلان على أمره إذا واظب عليه. و التحريض ترغيب فى الفعل بما يبعث على المبادرة اليه مع الصبر عليه. و القتال محاولة الصد و المنع بما فيه تعرض للقتل. و المجاهدة ان يقصد الى قتل المشركين بقتاله، و من يدفع عن نفسه فليس كذلک. و الصبر هو حبس النفس عما تنازع اليه من صد ما ينبغى أن يكون عليه و ضده الجزع، و قال الشاعر:
فان تصبرا فالصبر خير مغبة و ان تجزعا فالأمر ما تريان «2»
و الغلبة الظفر بالبغية فى المحاربة قتلا او اسراً او هزيمة. و قد يقال فى الظفر بالبغية فى المنازعة بالغلبة. و معنى «لا يفقهون» ها هنا انهم على جهالة، خلاف من يقاتل على بصيرة، و هو يرجو به ثواب الاخرة. و قال قوم: معناه لا يعلمون ما لهم من استحقاق الثواب بالقتال. و قوله «إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ» و ان كان بلفظ الخبر، فالمراد به الأمر، و يدل على ذلک قوله «الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ» لأن التخفيف لا يكون الا بعد المشقة.

---

(1) سورة 12 يوسف آية 85
(2) مجمع البيان 2/ 556
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 154

الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (66)
قرأ اهل الكوفة «إن يكن ... مائة. و ان يكن ... الف» بالياء فيهما وافقهم اهل البصرة فى الاولى. و قرأ اهل الكوفة الا الكسائى «ضعفاً» بفتح الضاد الباقون بضمها، و لكنهم سكنوا العين الا أبا جعفر، فانه فتحها و مد و همز على وزن «فعلاء» على الجمع. من قرأ «ان يكن» بالياء فلان المراد به المذكر بدلالة قوله «يغلبوا» و كذلك ما وصف به المائة بقوله «صابرة» لأنهم رجال: حملا على المعنى كما حمل على المعنى فى قوله «فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» «1» فأنث لما كانت فى المعنى حسنات. و من قرأ بالتاء فلان اللفظ لفظ التأنيث. و من قرأ الاول بالتاء و الثانى بالياء فلان القراءة بالتاء فى الاولى أشد مشاكلة لقوله «مِائَةٌ صابِرَةٌ» و ليس كذلك فى الاخرى، لأنه اخبر عنهم بقوله «يغلبوا». و قال سيبويه يقال: ضعف ضعفاً فهو ضعيف. قال و قالوا الفقر كما قالوا الضعف، فعل ذلك انهما لغتان.
هذه الاية نسخت حكم ما تقدمها، لأن فى الاولى كان وجوب ثبات الواحد للعشرة و العشرة للمائة، فلما علم اللّه تعالى ان ذلك يشق عليهم و تغيرت المصلحة فى ذلك نقلهم الى ثبات الواحد للاثنين و المائة للمائتين، فخفف ذلك عنهم، و هو قول ابن عباس و الحسن و عكرمة و قتادة و مجاهد و السدى و عطا و البلخى و الجبائى و الرمانى، و جميع المفسرين. و التخفيف رفع المشقة بالخفة. و الخفة نقيض الثقل و الخفة و السهولة بمعنى واحد. و الضعف نقصان القوة، و هو من الضعف لأنه ذهاب بعض القوة

---

(1) سورة 6 الانعام آية 160

و قوله «بِإِذْنِ اللَّهِ» فالاذن الإطلاق فى الفعل، لأنه يسمع بالاذن، و منه الأذان و الإيذان و الاستئذان، و قوله «الآن» مبنى مع الالف و اللام لأنه خرج عن التمكن بشبه الحرف، لأنه ينكر تارة و يعرف أخرى، فاستبهم استبهام الحروف بأنه للفصل بين الزمانين على انتقال معناه الى الذى يليه من الوقت كما ينتقل أمس، فالأمس و الغد و الآن نظائر و أحكامها مختلفة لعلل لزمتها.
و قوله تعالى «وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» معناه انه معهم بالمعونة لهم، و المعنى ان معونة اللّه مع الصابرين و حقيقة «مع» ان تكون للمصاحبة للجهة بالمعونة و ذلك لا يجوز عليه تعالى. و قيل هذه الآية نزلت بعد الاولى بمدة.

ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَّى يُثْخِنَ فِى الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67)
قرأ اهل البصرة و ابن شاهى «ان تكون» بالتاء. الباقون بالياء. و قرأ ابو جعفر «أسارى» و من الأسارى- بفتح الهمزة منهما و بألف بعد السين- وافقه ابو عمرو فى الثانى. الباقون بفتح الهمزة و سكون السين من غير الف فيهما.
من قرأ بالتاء فلان لفظ الأسرى لفظ التأنيث، فحمله على اللفظ.
و من قرأ بالياء فلان الفعل متقدم و الأسرى المراد به المذكورون.
و ايضاً فقد وقع الفصل بين الفعل و الفاعل و كل واحد من ذلک إذا انفرد يذكر الفعل معه، مثل جاء الرجل و حضر القاضى امرأة، فإذا اجتمعت هذه الأشياء كان التذكير اولى. و اختار الأخفش التذكير. و قال ابو على الفارسى: الأسرى أقيس من الأسارى لأن أسير فعيل بمعنى مفعول، و ما كان كذلک لا يجمع بالواو التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 156
و النون، و لا بالألف و التاء. و إنما يجمع على فعلى مثل جريح و جرحى و قتيل و قتلى و عفير و عفرى، و لديغ و لدغى، و كذلک كل من أصيب فى بدنه مثل مريض و مرضى و أحمق و حمقى و سكران و سكرى. و من قرأ أسارى شبهه بكسالى و قالوا كسلى شبهوه باسرى. و أسارى فى جمع أسير ليس على بابه، و قال ابو الحسن: الأسرى ما لم يكن موثقاً و الأسارى موثوقون. قال: و العرب لا تعرف ذلک بل هما عندهم سواء. و قال الأزهرى: الأسارى جمع اسرى فهو جمع الجمع، و الأسر الشد على المحارب بما يصير به فى قبضة الآخذ له. و أصله الشد، يقال: قتب مأسور اى مشدود و كانوا يشدون الأسير بالفداء.
و المعنى: ما كان لنبى ان يحبس كافراً للفداء و المن حتى يثخن فى الأرض، و الإثخان فى الأرض تغليظ الحال بكثرة القتل. و قال مجاهد: الإثخان القتل.
و الثخن و الغلظ و الكثافة نظائر. و قوله «تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا» يعنى تريدون الفداء و العرض متاع الدنيا و سماه عرضاً لقلة لبثه لأنه بمعنى العرض فى اللغة.
و قوله «وَ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» معناه و اللَّه يريد عمل الاخرة من الطاعات التى تؤدى الى الثواب و إرادة اللَّه لنا خير من إرادتنا لأنفسنا.
و قوله «وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» معناه يريد عمل الاخرة، فانه يعزكم و يرشدكم الى إصلاحكم، لأنه عزيز حكيم، فلا تخافوا قهراً مع إعزازه إياكم.
و هذه الاية نزلت فى أسارى بدر قبل ان يكثر الإسلام، فلما كثر المسلمون

قال اللّه تعالى «فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِداءً» «1» و هو قول ابن عباس و قتادة. و قال فادوهم بأربعة آلاف، و فى الاية دليل على بطلان مذهب المجبرة لأنه تعالى فصل إرادة نفسه من إرادتهم، و لو كان يريد ما أرادوه لم يصح هذا الفعل من التفصيل فان قيل: كيف يكون القتل فيهم كان أصلح و قد اسلم منهم جماعة، و من علم اللّه من حاله انه يؤمن يجب تبقيته؟! قلنا: فى ذلک خلاف، فمن قال:

_____

(1) سورة 47 محمّد آية 4 [.....]

لا يجب ذلک لا يلزمه السؤال. و من قال: ذلک واجب قال: ان اللَّه أراد ان يأمرهم بأخذ الفداء و إنما عاتبهم على ذلک لأنهم بادروا اليه قبل ان يؤمروا به.

لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (68)
قيل فى معنى قوله «لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ» قولان:
قال الحسن لو لا ما كتبه اللّه فى اللوح المحفوظ من انه لا يعذبهم على ذلک.
و قال غيره: لو لا ما كتب اللَّه فيه انه يغفر لأهل بدر ما تقدم و ما تأخر.
الثانى- قال مجاهد: يعنى ما ذكره من قوله «وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» «1» فكأنه قال: لا أعذب إلا بعد المظاهرة فى البيان و تكرير الحجة به.
و قال قوم «لو لا ما كتبه اللَّه» من ان الفدية ستحل لهم فيما بعد، ذهب إليه سعيد ابن جبير. و معنى الاية «لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ» من فداء الأسرى و الغنيمة عذاب عظيم، لأنهم أخذوه قبل ان يؤذن لهم. و قد كان سبق ان اللّه سيحله لهم فى قول ابن عباس و الحسن، و قال الجبائى: و المعنى «لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ» و هو القرآن الذى آمنتم به و استحققتم لذلک غفران الصغائر لمسكم فيما أخذتم به من الفداء عذاب عظيم. و لا يجوز ان يكون المراد به الا الصغائر لأنهم قبل الغفران لم يكونوا فساقاً اجماعاً. قال الجبائى: و قد كان من النبى صلى الله عليه و آله فى هذا معصية اجماعاً من غير تعيين ما هى، و أظن انها فى ترک قتل الأسرى. و هذا الذى ذكره غير صحيح، لأنه لا إجماع فى ذلک بل عندنا لا يجوز على النبى صلى الله عليه و آله فعل شىء من القبائح صغيراً كان او كبيراً لما فى ذلک من التنفير عنه على ما بيناه

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 15

فى غير موضع. و اكثر المفسرين على ان النبى صلى الله عليه و آله لم يقع منه خلاف لأمر اللَّه و
قد روى ان النبى صلى الله عليه و آله كره أخذ الفداء حتى رأى سعد بن معاذ كراهية ذلک فى وجهه، فقال يا رسول اللَّه هذا أول حرب لقينا فيه المشركين أردت ان يثخن فيهم القتل حتى لا يعود احد بعد هذا الى خلافک و قتالک، فقال رسول اللَّه: قد كرهت ما كرهت، و لكن رأيت ما صنع القوم، فالمعصية فى ذلک كانت من قوم من الصحابة الذين مالوا الى الدنيا و أخذ الفداء.
و قد قال البلخى ايضاً إن اجلاء الصحابة براء من ذلک. و
روى عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال إن الغنائم أحلت لى و لم تحل

لنبى قبلى.
و معنى «لو لا» امتناع الثانى لوقوع الأول كقولک: لو لا زيد بالمكان الذى هو به لاتيتک، فامتنع الإتيان لمكان زيد. و السبق يكون تقدماً فى الزمان و المكان و الرتبة بأن يكون له و إن لم يكن فيها. و المس مماسة يقع معها إدراک، و هو كاللمس فى الحقيقة. و العظيم ما يصغر فيه قدر غيره، و يكون ذلک بعظم الجثة تارة و بعظم الشأن أخرى. و العظيم هو المستحق للصفة بأن قدر غيره صغير عنده.

و

قال أبو جعفر عليه السلام كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين بأربعين أوقية من فضة و الاوقية أربعون مثقالا إلا العباس فان فداءه كان مائة اوقية و كان أخذ منه حين أسر اثنين و عشرين اوقية ذهباً، فقال النبى صلى الله عليه و آله ذاک غنيمة ففاد نفسک و ابنى أخيک عقيل و نوفل بن الحارث، فقال: ليس معى، فقال: اين الذهب الذى سلمته الى ام الفضل و قلت: ان حدث بى حدث، فهو لک و للفضل و عبد اللّه و ميثم، فقال من أخبرک بهذا؟ قال: اللّه، قال: اشهد انک رسول اللّه، و اللّه ما اطلع على هذا احد إلا اللّه تعالى.

فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (69)

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 159

أباح اللّه تعالى للمؤمنين بهذه الاية أن يأكلوا مما غنموه من اموال المشركين بالقهر من دار الحرب. و لفظه و إن كان لفظ الامر. فالمراد به الاباحة و رفع الحظر.

و الغنيمة ما أخذ من دار الحرب بالقهر. و الفىء ما رجع الى المسلمين، و انتقل اليهم من المشركين. و الاكل تناول الطعام بالفم مع المضغ و البلع، فمتى فعل الصائم هذا فقد أكل فى الحقيقة. و الفرق بين الحلال و المباح ان الحلال من حل العقد فى التحريم و المباح من التوسعة فى الفعل و ان اجتمعا فى الحل و الطيب المستلذ، و شبه الحلال به فسمى طيباً. و اللذة نيل المشتهى. قال الزجاج: الفاء فى قوله «فكلوا» على تقدير قد أحللت لكم الفداء فكلوه.

و قوله «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معناه اتقوا معاصيه فان اللّه غفور رحيم لمن أطاعه و ترک معاصيه.

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70)

قرأ ابو عمرو وحده من السبعة و ابو جعفر «الأسارى» الباقون «الأسرى» و ابو عمرو جمع المذهبين فى الاول و الثانى. و حمله الباقون على النظير فى المعنى.

و قد فسرنا فيما مضى الأسير من أخذ من دار الحرب من أهلها، و لو أخذ مسلم لكان قد فک اسره. خاطب اللّه بهذه الآية نبيه صلى الله عليه و آله و أمره ان يقول لمن حصل فى يده من الأسرى يعنى من حصل فى وثاقه و سماه فى يده لأنه بمنزلة ما التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 160

قبض على يده بالاستيلاء عليه و لذلک يقال فى الملک المتنازع فيه لمن اليد؟ و قوله «إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً» يعنى اسلاماً. و قيل معناه إن يعلم منكم خيراً فى المستقبل بأن يفعلوه فيعلمه اللّه موجوداً، لان ما لم يفعل لا يعلمه موجوداً و الخير النفع العظيم، و هو ها هنا البصيرة فى دين اللّه و حسن النية فى امر اللّه. و قوله «يُؤْتِكُمْ خَيْراً» يعنى يعطيكم خيراً «مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ» من الفداء. و قال الحسن اطلقهم بالفداء، و لو لم يسلموا لم يتركهم.

و قوله «وَ يَغْفِرْ لَكُمْ» يعنى زيادة مما يؤتيهم يغفر لهم معاصيهم و يسترها عليهم لأنه غفور رحيم. و روى عن العباس انه قال: كان معى عشرون اوقية فأخذت منى فاعطانى مكانها عشرين عبداً و وعدنى بالمغفرة. و قال العباس فىّ نزلت و فى و فى اصحابى هذه الاية، و هو قول ابن عباس و الضحاک و قتادة و غيرهم.

وَ إِنْ يُرِيدُوا خِيانَتَکَ فَقَدْ خانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْکَنَ مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَکِيمٌ (71)

معنى الاية ان هؤلاء الأسارى ان علم اللّه فى قلوبهم خيراً اخلف عليهم خيراً مما أخذ منهم. و ان عزموا على الخيانة، و نقض العهد و فعلوا خلاف ما وقع عليه العقد من تأدية فرض اللّه، فقد خانوا اللّه من قبل هذا. و المعنى فقد خانوا أولياء اللّه، لأن اللّه لا يمكن ان يخان، لأنه عالم بالأشياء كلها لا يخفى عليه خافية.

و الخيانة ها هنا نقض عقد الطاعة للّه و رسوله التى شهدت بها الدلالة. و قوله «فَأَمْکَنَ مِنْهُمْ» المعنى لما خانوا بأن خرجوا الى بدر و قاتلوا مع المشركين، فقد أمكن اللّه منهم بان غلبوا و أسروا. فان خانوا ثانياً فيمكن اللّه منهم مثل ذلک. و الإمكان هو القدرة على الشىء مع ارتفاع المانع، و ما لو حرص عليه صاحبه أتم الحرص لم التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 161

يصح ان يقع منه لا يكون إمكاناً، فالامكان ينافى المنع و الإلجاء كما ينافى العجز القدرة.

و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَکِيمٌ» معناه عالم بما تقولونه و ما فى نفوسكم و بجميع الأشياء «حكيم» فيما يفعله. و الحكيم هو العالم بوجوه الحكمة فى الفعل مما يصرف عن خلافها و الأصل فى الحكمة المنع فهى تمنع الفعل من الخلل و الفساد.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا وَ إِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72)

قرأ حمزة «ولايتهم» بكسر الواو. الباقون بفتحها. قال الزجاج: إنما جاز الكسر لأنه يشبه الصناعة كالخياطة و القصارة و الحياكة، و قال الشاعر فى الفتح:

دعيهم فهم ألبّ على ولاية و حفرهم ان يعلموا ذاک دائب «1»

قال ابو عبيدة: بفتح الواو مصدر المولى تقول: مولى بين الولاية و إذا كسرت فهو من وليت الشىء. قال ابو الحسن: يفتح الواو من الولاية إلا الولاية فى السلطان بكسر الواو، و كسر الواو فى الاخرى لغة. و قرأ الأعمش بكسر الواو من الولاية فى الدين هنا. قال ابو على الفارسى: الولاية ها هنا فى الدين و الفتح أجود. قال ابو الحسن. و هى قراءة الناس. و عن الأعمش أنه كسر الواو، و هى لغة. و ليست

---

(1) معانى القرآن 1/ 419

بذلک. قال المبرد عن الاصمعى: ان الأعمش لحن فى كسره لذلک. قال ابو على:

إذا كان ذلک لغة لا يكون لحناً. قال الفراء: و الكسر أحب الى، لأنها ولاية المواريث. و قال الازهرى: فى النصرة و النسب بفتح الواو. و فى الامارة بكسرها.

اخبر اللّه تعالى فى هذه الآية عن احوال المؤمنين الذين هاجروا من مكة الى المدينة بقوله «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و عن احوال الأنصار بقوله «وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا» يعنى النبى صلى الله عليه و آله. ثم قال «أولئک» يعنى المهاجرين و الأنصار «بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» و الهجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد فراراً من المفتنين فى الدين، لأنهم هجروا دار الكفار الى دار الإسلام. و الجهاد تحمل المشاق فى قتال اعداء الدين جاهد جهاداً و جهده الامر جهداً و اجتهد اجتهاداً، و جاهد مجاهدة. و الإيواء ضم الإنسان صاحبه اليه بانزاله عنده و تقريبه له، تقول: آواه يؤويه إيواء و أوى يأوى اوياً، و أويت معناه رجعت الى المأوى. و الولاية عقد النصرة للموافقة فى الديانة.

ثم اخبر تعالى عن الذين آمنوا و لم يهاجروا من مكة الى المدينة فقال «وَ

الّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ولاية القرابة نفاها عنهم لأنهم كانوا يتوارثون بالهجرة و النصرة دون الرحم- فى قول ابن عباس و الحسن و قتادة و السدى- و
عن أبى جعفر عليه السلام انهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الاولى.
الثانى- انه نفى الولاية التى يكونون بها يداً واحدة فى الحل و العقد، فنفى عن هؤلاء ما أثبته للأولين حتى يهاجروا. ثم قال «وَ إِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ» اى طلبوا نصركم «فى الدين» يعنى الذين آمنوا و لم يهاجروا «فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ» اى نصرهم بسبب الايمان الذى يجب عليكم ان تنصروهم على الكفار «إِلَّا عَلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ» يعنى موادعة و مهادنة تقتضيه من جهة ان عقدهم بخلاف عقدهم. التبيان في تفسير القرآن، ج5، ص: 163
و قيل انه نسخ ذلک بقوله «وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» «1».
و قوله «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» يعنى عالم بما يعملونه.

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الْأَرْضِ وَ فَسادٌ كَبِيرٌ (73)

اخبر اللّه تعالى عن الكافرين أن بعضهم اولياء بعض بمعنى النصرة، لأنه ينصر بعضهم بعضاً. و قوله «إِلَّا تَفْعَلُوهُ» الهاء عائدة الى معنى ما أمروا به فى الآية الاولى و الثانية، و مخرجه مخرج الخبر و المراد به الأمر، و تقديره الا تفعلوا ما أمرتم به من التناصر و التعاون و البراءة من الكفار «تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الْأَرْضِ وَ فَسادٌ كَبِيرٌ» على المؤمنين الذين لم يهاجروا. فالفتنة ها هنا المحنة بالمَيل الى الضلال لأنه إذا لم يتوال المؤمن المؤمن على ظاهر حاله من الايمان و الفضل، و لم يدعه الى التبرى من الضلال ادى ذلک الى الضلال. و الفساد ضد الصلاح و هو الانقلاب الى الضرر القبيح. و الصلاح جريان الشىء على استقامة. و الولى هو المختص بالعقد على النصرة فى وقت الحاجة، و قد يعقد بالعزم، و قد يعقد بالحكم. و قيل فى معنى قوله «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» قولان: أحدهما- فى الميراث، فى قول ابن عباس، و أبى مالک. و الثانى- قال قتادة و ابن اسحق فى النصرة.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (74)

---

(1) سورة 9 التوبة آية 72

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان الذين آمنوا باللَّه و صدقوا رسوله و هاجروا من ديارهم و أوطانهم، يعنى من مكة الى المدينة، و جاهدوا مع ذلک فى سبيل اللَّه و قتال أعدائه. و الذين آووا من الأنصار و معناه ضموهم اليهم و نصروا النبى صلى الله عليه و آله بأنهم المؤمنون حقاً، و قيل فى معناه قولان: أحدهما انهم المؤمنون الذين حققوا ايمانهم لما يقتضيه من الهجرة و النصرة بخلاف من اقام بدار الشرک. الثانى- قال ابو على الجبائى: معناه انهم المؤمنون حقاً، لان اللَّه حقق ايمانهم بالبشارة التى بشرهم بها، و لو لم يهاجروا و لم ينصروا لم يكن مثل هذا.

و اختلفوا فى هل تصح الهجرة فى هذا الزمان أو لا؟

فقال قوم: لا تصح لان

النبى صلى الله عليه و آله قال: لا هجرة بعد الفتح

و لأن الهجرة انتقال من دار الكفر الى دار الإسلام على هجر الأوطان، و ليس يقع مثل هذا فى هذا الزمان لاتساع بلاد الإسلام إلا أن يكون نادراً لا يعتد به.

و قال الحسن: بقيت هجرة الاعراب الى الأمصار الى يوم القيامة.

و الأقوى أن يكون حكم الهجرة باقياً، لأن من أسلم فى دار الحرب ثم هاجر الى دار الإسلام كان مهاجراً، و سمى الجهاد فى سبيل اللَّه لأنه طريق الى ثواب اللَّه فى دار كرامته.

و قوله «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ» اخبار منه تعالى أن لهؤلاء المغفرة لذنوبهم و الرزق الكريم يعنى العظيم الواسع و الكريم الذى يصح منه الكرم من غير مانع.

و الكرم الجود العظيم و الشرف قال الشاعر:

تلک المكارم لأقعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

و قيل: الرزق الكريم هنا طعام الجنة لأنه لا يستحيل الى أجوافهم نجواً بل يصير كالمسک ريحاً.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولئِکَ مِنْكُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِی کِتابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ (75)
اخبر اللّه تعالى بأن الذين هاجروا بعد هجرة من هاجر، و قيل أراد بعد الفتح و جاهدوا مع المؤمنين بأن قال «فَأُولئِکَ مِنْكُمْ» و معناه حكمهم حكمكم فى وجوب موالاتهم و مواريثهم و نصرتهم. و قوله «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِی کِتابِ اللَّهِ» قيل فى معنى «كِتابِ اللَّهِ» قولان:
أحدهما- فى كتاب اللّه من اللوح المحفوظ، كما قال «ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِی الْأَرْضِ، وَ لا فِی أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِی كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها» «1».
و الثانى- قال الزجاج: يعنى فى حكم اللّه.
و معنى «أولوا» ذووا، واحده ذو، و لا واحد له من لفظه.
و فى الآية دلالة على ان من كان قرباه أقرب الى الميت كان أولى بالميراث سواء كان عصبة او لم يكن او له تسمية او لم يكن لان مع كونه اقرب تبطل التسمية. و من وافقنا فى توريث ذوى الأرحام يستثنى العصبة، و ذوى السهام.
و هذه الآية نسخت حكم التوارث بالنصرة و الهجرة فإنهم كانوا لا يورثون الاعراب من المهاجرين على ما ذكره فى الآيات الاول. و من قال: الولاية فى الاية الأولى ولاية النصرة دون الميراث يقول: ليست هذه ناسخة لها بل هما محكمتان.
و دخلت الفاء فى قوله: «فأولئک» كما تقول الذى يأتينى فله درهم، لأن فيه معنى المجازات و قال مجاهد: فى هذه الآيات الثلاث ذكر ما ولاية رسول اللّه بين

---

(1) سورة 57 الحديد آية 22

المهاجرين و الأنصار فى الميراث، ثم نسخ ذلک بآخرها من قوله «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِی کِتابِ اللَّهِ» و قال عبد اللّه بن الزبير نزلت فى العصبات كان الرجل يعاقد الرجل يقول ترثنى و أرثک فنزلت «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ» الى آخرها.
و قال الحسن: و الذين آمنوا من بعد يعنى بعد فتح مكة. و قوله «منكم» معناه مؤمنون مثلكم، و لا هجرة بعد فتح مكة، و قال: الهجرة الى الأمصار قائمة الى يوم القيامة. و كان الحسن يمنع ان يتزوج المهاجر الى اعرابية. و روى عن عمر انه قال: لا تنكحوا أهل مكة، فإنهم اعراب.
و أكثر هذه السورة فى قصة بدر. و كانت فى صبيحة السابع عشر من شهر

رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة، من شهد هذه الواقعة فله الفضل.
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 167

9-سورة براءة ..... ص : 167

اشارة

و تسمى سورة التوبة مدنية و هى مائة و تسع و عشرون آية فى الكوفى و ثلاثون فى البصرى و المدنيين قال مجاهد و قتادة و عثمان: هى آخر ما نزلت على النبى صلى الله عليه و آله بالمدينة و روى عن حذيفة انه قال: كيف يسمونها سورة التوبة و هى سورة العذاب؟! و روى عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة قال: تلک الفاضحة ما زالت تنزل و فيهم و منهم حتى خشينا الا تدع احداً. قال و سورة الأنفال نزلت فى بدر، و سورة الحشر فى بنى النضير.

بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1)
قيل فى علة ترک افتتاح هذه السورة ب (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) قولان:
أحدهما- ما روى عن أبى بن كعب أنه ضمت هذه السورة الى الانفال بالمقاربة، فكانتا كسورة واحدة لأن الاولى فى ذكر العهود و الاخرى فى رفع العهود. و قال عثمان لاشتباه قصتهما، لان الاولى فى ذكر العهود و الاخرى فى رفع العهود. و قال المبرد: لأن «بسم اللّه الرحمن الرحيم» أمان و براءة نزلت رفع الامان.
و يحتمل رفع «براءة» وجهين:
أحدهما- ان يكون خبراً لمبتدأ محذوف و تقديره هذه الآيات براءة. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 168
و الثانى- ان يكون مبتدأ و خبره الظرف فى قوله «الى الذين». و الاول أجود لأنه يدل على حصول المدرک كما تقول لما تراه حاضرا: حسن و اللّه اى هذا حسن.
و معنى البراءة انقطاع العصمة برىء براءة و ابرأه إبراءً و تبرأ تبرؤاً و برئت من المرض و برأت أبرأ و أبرؤ و برأ تبريئا. و روى أهل اللغة برأت أبرؤ برءاً، و لم يجىء من المهموز (فعلت أفعل) إلا فى هذا الحرف الواحد و بريت القلم أبريه برياً بغير همز، و براه السير إذا هزله. و برىء له يبرئ إذا تعرض له، و باراه إذا عارضه و أبرأت البعير إذا جعلت لأنفه براه بالألف.
و معنى الآية برىء اللّه من المشركين و رسوله «إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» من إعطائهم الامان، و العهود و الوفاء لهم بها إلا إذا نكثوا، لأنهم كانوا ينكثون ما كان بينهم و بين النبى صلى الله عليه و آله، فأمر اللّه تعالى النبى صلى الله عليه و آله ان ينبذ ايضاً اليهم عهدهم. و قوله «إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» فالعهد العقد الذى يتقدم به لتوثيق الامر عهد عهداً و عاهد معاهدة و تعاهد الامر تعاهداً و تعهده تعهداً. و قوله:
«عاهدتم» انما جاء بلفظ الخطاب، لأن فيه دلالة على الأمر بالنبذ الى المشركين برفع الامان و لو لا ذلک لجاز عاقدنا، لان معاقدة النبى صلى الله عليه و آله انما هى عن اللّه عز و جل. و يجوز رفع الامان و البراءة من غير نقض العهد إذا كان مشروطاً الى ان يرفعه اللّه اليهم.

فَسِيحُوا فِی الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِی اللَّهِ وَ أَنَّ اللَّهَ مُخْزِی الْكافِرِينَ (2)
السيح السير فى الأرض على مهل تقول: ساح يسيح سيحاً و سياحة و سيوحاً

و سيحاناً و انساح الماء انسياحاً و سيحه تسييحاً.
امر اللّه تعالى فى هذه الآية ان يقال لهؤلاء المشركين أن يسيحوا فى الأرض أربعة أشهر آمنين و إنما أحلهم هذه الأشهر لأنها الأشهر الحرم الى آخر المحرم من أول شوال، فى قول ابن عباس و الزهرى. و قال الفراء: كانت المدة الى آخر المحرم لأنه كان فيهم من كان مدته خمسين ليلة، و هو من لم يكن له عهد من النبى صلى الله عليه و آله فجعل اللّه ذلک له. قال: و معنى الأشهر الحرم المحرم وحده و إنما جمعه لأنه متصل بذى الحجة و ذى القعدة فكأنه قال: فإذا انقضت الثلاثة أشهر.

و
قال ابو عبد اللَّه عليه السلام أول الاربعة الأشهر يوم النحر و آخرها العاشر من شهر ربيع الآخر
، و هو قول محمّد بن كعب القرطى و مجاهد، و قال الحسن: إنما جعل لهم هذه المدة، لان منهم من كان عهده اكثر من اربعة أشهر فحط اليها. و منهم من كان اقل فرفع اليها. و قال ابو على الجبائى: كان يوم النحر لعشرين من ذى القعدة الى عشرين من ربيع الاول، لان الحج كان تلک السنة فى ذلک الوقت ثم صار فى السنة الثانية فى ذى الحجة و فيها حجة الوداع، و كان سبب ذلک النسىء الذى كان فى الجاهلية.

و
قرأ براءة على الناس يوم النحر بمكة على بن أبى طالب عليه السلام لأن أبا بكر كان على الموسم فى تلک السنة فاتبعه النبى صلى الله عليه و آله بعلى عليه السلام، و قال:
لا يبلغ عنى الا رجل منى-
فى قول الحسن و قتادة و مجاهد و الجبائى- و
روى أصحابنا ان النبى صلى الله عليه و آله كان ولاه ايضاً الموسم، و أنه حين أخذ البراءة من أبى بكر رجع أبو بكر فقال: يا رسول اللّه انزل فىّ قرآن؟ فقال: لا، و لكن لا يؤدى إلا أنا او رجل منى.
و روى الشعبى عن محرز بن أبى هريرة: قال: قال ابو هريرة: كنت أنادى مع على عليه السلام حين أذن المشركين فكان إذا اضمحل صوته مما ينادى دعوت مكانه قال فقلت يا ابه اى شىء كنتم تقولون؟ قال: كنا نقول لا يحج

مشرک- قال و ما حج بعد عامنا مشرک- و لا يطوف بالبيت عريان و لا يدخل الجنة الا مؤمن و من كانت بينه و بين رسول اللّه صلى الله عليه و آله مدة فان اجله الى اربعة أشهر فإذا انقضت اربعة أشهر فان اللّه برىء من المشركين و رسوله. و فتحت مكة سنة ثمان و نزلت براءة سنة تسع و حج رسول اللّه صلى الله عليه و آله حجة الوداع سنة عشر.
و قوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ» معناه انكم غير فائتين كما يفوت ما يعجز عنه لأنكم حيث ما كنتم فى سلطان اللّه و ملكه و الاعجاز إيجاد العجز و العجز ضد القدرة عند من أثبته معنى.
و قوله «وَ أَنَّ اللَّهَ مُخْزِى الْكافِرِينَ» فالاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة و العار.
و الخزى النكال الفاضح.

وَ أَذانٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَ بَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِيمٍ (3)

آية فى الكوفى و المدنى، و آيتان فى البصرى.

الأذان الاعلام فى قول ابن زيد و الزجاج و الجبائى، تقول: أذننى فلان كذا فأذنت اى اعلمنى فعلمت. و قال بعضهم: معناه النداء الذى يسمع بالاذن.

و قال الفراء و الزجاج: انما ارتفع لأنه عطف على قوله «براءة» و قيل معناه عليكم اذان، لأن فيه معنى الامر. و الحج المقصد الى اعمال المناسك على ما امر اللّه به و قد بينا شرائط الحج و أركانه و فرائضه فى كتب الفقه، و لا نطول بذكره ها هنا و الحج الأكبر قال عطا، و مجاهد، و عامر و بشر بن عبادة: هو ما فيه الوقوف التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 171

بعرفة، و الأصغر العمرة، و قال مجاهد: الحج الأكبر هو القران، و الحج الأصغر هو الافراد. و قيل فى معنى «يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ» ثلاثة اقوال:

أحدها- ما

روى عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال: عرفة

، و هو المروى عن عمر و ابن عباس بخلاف فيه و به قال عطا و مجاهد و ابن الزبير و ابو حنيفة.

الثانى-

فى رواية اخرى عن النبى صلى الله عليه و آله و على عليه السلام و ابن عباس و سعيد ابن جبير، و عبد اللّه بن أبى أوفى، و ابراهيم و مجاهد أنه يوم النحر، و هو المروى عن أبى عبد اللّه عليه السلام.

و سمى بالحج الأكبر لأنه حج فيه المشركون و المسلمون و لم يحج بعدها مشرك.

الثالث- قال مجاهد و شعبة: هو جميع ايام الحج.

اعلم اللّه تعالى فى هذه الاية المشركين انه و رسوله برىء من المشركين و انه ان تبتم و رجعتم الى الايمان و طاعة الرسول «فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» و ان أعرضتم و توليتم فاعلموا انكم لا تفوتون اللّه و ان اللّه يبشر الكافرين بعذاب اليم اى شديد مؤلم.

قال الحسن الحج الأكبر ثلاثة ايام الحج اجتمعت فى تلك الأيام الثلاثة أعياد المسلمين و أعياد اليهود و أعياد النصارى،

فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله لم يكن فيما خلا و لا يكون الى يوم القيامة.

إِلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَ لَمْ يُظاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (4)
آية اجماعاً.
استثنى اللّه تعالى من براءته عز و جل، و براءة و رسوله صلى الله عليه و آله من المشركين من كان لهم العهد، فى قول الزجاج، و قال الفراء: هذا استثناء فى موضع نصب، و هو التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 172
قوم من بنى كنانة كان قد بقى من أجلهم تسعة أشهر، فقال اللّه تعالى «فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ» لا تحطوهم الى الاربعة أشهر، و قال مجاهد: عنى بذلک جماعة من خزاعة و مدلج. و قال ابن عباس: توجه ذلک الى كل من كان بينه و بين رسول اللّه عهد قبل براءة. و ينبغى أن يكون ابن عباس أراد بذلک من كان بينه و بينه عقد هدنة او الى قوم من المشركين لم يتعرضوا له صلى الله عليه و آله بعداوة و لا ظاهروا عليه عدوه، لان النبى صلى الله عليه و آله صالح اهل هجر و اهل البحرين و ايلى و دومة الجندل، و أدرج، و اهل معنا، و هم ناس من اليهود فى توجهه الى تبوک او فى مرجعه منها، و له عهود الصلح و الحرب غير هذه، و لم ينبذ اليهم بنقض عهد، و لا حاربهم بعد ان صاروا اهل ذمة الى ان مضى لسبيله. و وفى لهم بذلک من بعده، فمن حمل ذلک على جميع العهود فقد اخطأ. و قال الحسن: هذا استثناء من قوله تعالى «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ»، «إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» ثم نقلت الى ها هنا و باقى الناس على خلافه.
و قوله «ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً» النقصان حط العدة عن عدة، و الزيادة الحاق العدة بعدة. و المعنى ثم لم ينقصوكم من شروطكم العهد شيئاً، و لم يظاهروا عليكم أحداً فالمظاهرة المعاونة على العدو للظهور عليه فهؤلاء إن لم يعاونوا عليكم احداً من أعدائكم و لا نقصوكم شيئاً من حقكم فى عهدهم فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم، و هو أمن من اللّه تعالى الى ان يبلغوا المدة التى وافقهم عليها. قال قتادة: و هم مشركوا قريش كانوا عاهدوه فى الحديبية و بقى من مدتهم اربعة أشهر بعد يوم النحر. و الإتمام بلوغ الحد فى العدة من غير زيادة و لا نقصان فهنا معناه إمضاء الامر على ما تقدم به العهد الى انقضاء اجل العقد. و المدة زمان طويل الفسحة، و اشتقاقه من مددت له فى الأجل للمهلة. و المعنى الى انقضاء مدتهم.
و قرأ عطاء «ثم لم ينقضوكم» بالضاد المعجمة و هى شاذة (و أن) بفتح الهمزة، لان تقديره بأن اللّه برىء من المشركين، و لا يجوز أن يكون المراد نبذ العهد الى التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 173

مكة، لأن مكة فتحت سنة ثمان و صارت دار الإسلام، و نبذ العهد كان فى سنة تسع فعلم بذلک ان المراد غيرهم.

فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ خُذُوهُمْ وَ احْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)

الانسلاخ إخراج الشىء مما لابسه، و كذلک سلخ الشاة إذا نزع الجلد عنها و سلخنا شهر كذا نسلخه سلخاً و سلوخاً. و قيل فى الأشهر الحرم قولان:

أحدهما- رجب و ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم، ثلاثة سرد و واحد فرد

الثانى- الأشهر الأربعة التى جعل لهم ان يسيحوا فيها آمنين، و هى عشرون من ذى الحجة، و المحرم، و صفر، و شهر ربيع الاول، و عشر من ربيع الآخر، فى قول الحسن و السدى و غيرهما.

امر اللّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله و المؤمنين انه إذا انقضت مدة هؤلاء المعاهدين، و هى الاربعة أشهر ان يقتلوا المشركين حيث وجدوهم.

قال الفراء: سواء كان فى الأشهر الحرم او غيرها و سواء فى الحل او فى الحرم، و ان يأخذوهم، و يحصروهم و الحصر المنع من الخروج عن محيط و أحصر الرجل إحصاراً و حاصره العدو محاصرة و حصاراً، و حصر فى كلامه حصراً و انحصر الشىء انحصاراً. و الحصر و الحبس و الأسر نظائر. و قوله «وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ» يعنى كل موضع يرقب فيه العدو و المرصد الطريق و مثله المرقب و المربأ، يقال: رصده يرصده رصداً، و نصب كل

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 174

مرصد على تقدير على كل مرصد- على قول الأخفش- كما قال الشاعر:

نغالى اللحم للاضياف نياً و نرخصه إذا نضج القدور «1»

اى نغالى باللحم. و قال الزجاج هو ظرف كقولک ذهبت مذهباً و قال الشاعر:

إن المنية للفتى بالمرصد «2»

فجعله بمنزلة المحدود، و المرصد مبهم، و الطريق محدود، فهذا فرق ما بينهما و استدل بهذه الاية على ان تارک الصلاة متعمداً يجب قتله، لأن اللّه تعالى أوجب الامتناع من قتل المشركين بشرطين: أحدهما- ان يتوبوا من الشرک.

و الثانى- ان يقيموا الصلاة، فإذا لم يقيموا الصلاة وجب قتلهم.

وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَکَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ (6)

قوله «احد» ليست التى تقع فى النفى فى مثل قولک (ما جاءنى احد) لأن الإيجاب لا يصح فيه أعم العام الذى هو هو على الجملة و التفصيل كقولک: ليسوا مجتمعين، و لا متفرقين، و لا يصح مثل ذلک فى الإيجاب، و يصح فى الاستفهام لان فيه معنى النفى، و لو لا ذلک لم يصح جوابه ب «لا» و التقدير و إن استجارک احد من المشركين استجارک فأضمر الفعل، و لم يجز فى الجواب ان يقول: إن يقوم احد زيد يذهب، لقوة «إن» إنها للفعل خاصة و مثله انشد الأخفش:

لا تجزعى إن منفساً أهلكته فإذا هلكت فعند ذلک فاجزعى «3»

---

(1) مر تخريج هذا البيت فى 1/ 470 تعليقة 3

(2) تفسير القرطبى 8/ 73 و مجاز القرآن 1/ 253

(3) القرطبى 8/ 77. نسبه للنمير بن تولب.

فأخبر، ثم جزم على جواب الجزاء، لأنها شرط و ليس كذلک الجواب، لأنه قد يكون بالفاء و لا يجوز إضمار الفعل فى شىء من حروف المجازاة إلا فى «إن» لأنها ام الباب، و هى الأصل الذى يلزمه، قال الشاعر:

فان انت تفعل فللفاعلى ن انت المجيرين تلک الغمارا «1»

و اما قول الشاعر:

فمتى واغل ينبهم يحيو ه و يعطف عليه كأس الساقى

فإنما هو ضرورة، لا يجوز مثله فى الكلام قال الفراء «استجارک» فى موضع جزم، و انه فرق بين الجازم و المجزوم ب «احد» و ذلک جائز فى «ان» خاصة و قد يفرق بينهما و بين المجزوم بالمنصوب و المرفوع، فالمنصوب مثل قولک:

إن أخاک ضربت ظلمت، و المرفوع مثل قوله تعالى «إِنِ امْرُؤٌ هَلَکَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ» «2» امر اللّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله انه متى استجارک احد من المشركين الذين أمرتک بقتالهم اى طلب منه الجار فى رفع الأذى عن صاحبه. و قيل: المعنى ان استأمنک احد فأمنه «حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ» و المشرک يصح ان يسمع كلام اللّه على الحقيقة لان حكاية كلام اللّه يطلق عليه الاسم بأنه كلام اللّه لظهور الامر فيه، و لا يحتاج ان يقدر اصل له، كما يقال: كلام سيبويه و غيره. و من ظن ان الحكاية تفارق المحكى لأجل هذا الظاهر فقد غلط، لان المراد ما ذكرناه فيما يقال فى العرف انه كلام اللّه.

و قوله «ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ» فالابلاغ التصيير الى منتهى الحد. و الا بلاغ و الأداء نظائر. و فى الاية دلالة على بطلان قول من قال: المعارف ضرورية لأنها لو كانت كذلک لما كان لطلب ما هو عالم به معنى. و معنى قوله «لا يعلمون» اخبار عن جهلهم فى أفعالهم، لا انهم لا يعقلون، و إنما أراد لا ينتفعون بمثله. و لا يعرفون ما لهم و عليهم من الثواب و العقاب.

---

(1) معانى القرآن 1/ 422. نسبه للكميت.
(2) سورة 4 النساء آية 175

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فَمَا اسْتَقامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (7)
قال الفراء: هذا على التعجب كما تقول: كيف تستبقى مثلك؟! اى لا ينبغى ان يستبقى، و فى قراءة عبد اللّه: كيف يكون لهم عهد عند اللّه، و لا ذمة، فادخل الكلام «لا» مع الواو، و لان معنى الاول جحد. و قال غيره: فى الكلام حذف لان الكلام خرج مخرج الإنكار عليهم. و تقديره كيف يكون للمشركين عهد عند اللّه و عند رسوله مع إضمار الغدر فى عهدهم، فجاء الإنكار ان يكون لهم عهد مع ما ينبذ من العهد على ذلك، و ذلك يقتضى إضمار الغدر فيما وقع من العهد.
ثم استثنى من ذلك «الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» فكان ذلك ايجاباً فيهم لان ما قبله فى معنى النفى، و التقدير ليس للمشركين عهد الا الذين.
و موضع «الذين» يحتمل الجر و النصب. و حكى الكسائى: اين كنت لتنجو منى اى ما كنت.
و «المسجد» الموضع المهيأ لصلاة الجماعة، و المراد ها هنا مسجد مكة خاصة و أصله موضع السجود كالمجلس موضع الجلوس و «الحرام» المحظور بعض أحواله فالخمر حرام لحظر شربها و سائر انواع التصرف فيها. و الام حرام بحظر نكاحها و المسجد الحرام لحظر صيده و سفلك الدم فيه و ابتذاله ما يبتذل به غيره. و قوله «فَمَا اسْتَقامُوا لَكُمْ» معناه ما استمروا لكم على العهد. و الاستقامة الاستمرار على جهة الصواب. و متى كان الاستمرار على وجه الخطأ لا يسمى استقامة. و معنى «فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ» استمروا لهم على العهد مثلهم و المراد بالذين عوهدوا عند المسجد

الحرام، قيل فيهم ثلاثة أقول: قال مجاهد: هم خزاعة. و قال ابن إسحاق: هم قوم من بنى كنانة. و قال ابن عباس: هم قريش.
و قوله «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» اخبار منه تعالى انه يحب من يتقى معاصيه و يعمل بطاعاته و انه يريد ثوابه و منافعه. و فى الآية دليل على ان تمكين الحربى من المقام فى دار الإسلام بعد قضاء حاجته ليس بجائز

كَيْفَ وَ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَ لا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْواهِهِمْ وَ تَأْبى قُلُوبُهُمْ وَ أَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ (8)
تقدير الاية كيف لهم عهد و كيف لا تقتلونهم و حذف، لان قوله فى الاية لاولى «كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ» دل على ذلک و مثله قول الشاعر:
و خبّرتمانى أنما الموت فى القرى فكيف و هاتا هضبة و قليب «1»
و يروى و هذى اى كيف مات و ليس فى قرية. و قال الحطيئة فى حذف الفعل بعد كيف:
فكيف و لم أعلمهم خذلوكم على معظم و لا اديمكم قدوا «2»
أى كيف تلومونى على مدح قوم و تذمونهم. و المعنى كيف لهم يعنى لهؤلاء المشركين عهد، و هم إن يظهروا عليكم بمعنى يعلوا عليكم بالغلبة، لان الظهور هو العلو بالغلبة. و أصله خروج الشىء الى حيث يصح ان يدرک «لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ» معناه لا يراعون فيكم، و الرقوب هو العمل فى الامر على ما تقدم به العهد. و المراقبة

---

(1) قائله كعب بن سعد الغنوى. الأصمعيات 99 و تفسير الطبرى 14/ 145 و أمالى القالى 2/ 151 و معانى القرآن 1/ 424
(2) معانى القرآن 1/ 424.

و المراعاة نظائر فى اللغة. و قوله: «إِلًّا وَ لا ذِمَّةً» قيل فى معنى الإل ستة اقوال:
أولها- قال مجاهد و ابن زيد: إن معناه العهد. و الثانى- فى رواية اخرى عن مجاهد أنه اسم اللّه. و منه قول أبى بكر لما سمع كلام مسيلمة: لم يخرج هذا من إل، فأين يذهب بكم. الثالث- قال ابن عباس: هو القرابة. الرابع- قال الحسن: هو الجوار. الخامس- قال قتادة: هو الحلف. السادس- قال ابو عبيدة:
هو التميز. و الأصل فى جميع ذلک العهد و هو مأخوذ من الأليل و هو البريق، يقال: أل يؤل إذا لمع و الألة الحربة للمعانها، و أذن مؤللة مشبهة بالحربة فى تحديدها و قال الزجاج: أصله التحديد قال الشاعر:
وجدناهم كاذباً إلهم و ذو الال و العهد لا يكذب «1»
أى ذو العهد، و قال ابن مقبل:
أفسد الناس خلوف خلفوا قطعوا الال و أعراق الرحم «2»
يعنى القرابة، و قال حسان:
لعمرک إن إلكم فى قريش كال السقب من رأل النعام «3»

و قوله «يُرْضُونَكُمْ بِأَفْواهِهِمْ» معناه يقولون قولا يرضيكم بذلک فى الظاهر و تأبى قلوبهم أن يذعنوا لكم بتصديق ما يبدونه لكم. ثم اخبر تعالى عن حالهم بأن أكثرهم فاسقون. و قال ابن الأخشاد: أراد بذلک انهم متمردون فى شركهم لأن الفاسق هو الخارج من الشىء من قولهم فسقت الرطبة. و إنما كان أكثرهم بهذه الصفة و لم يكن جميعهم و إن كانوا كلهم فاسقين لأن المراد به رؤساءهم.

_____

(1، 2) تفسير الطبرى 14/ 148، 149

(3) ديوانه: 407 اللسان (أ لک) و تفسير الطبرى 14/ 149

اشْتَرَوْا بِآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (9)
قيل فى من نزلت هذه الآية بسببه قولان:
قال مجاهد: نزلت فى أبى سفيان لما جمعهم على طعامه فاطعم حلفاءه و ترک حلفاء النبى صلى الله عليه و آله. و قال ابو على الجبائى: نزلت فى قوم من اليهود دخلوا فى العهد فيما دلت عليه هذه الصفة. و معنى «اشْتَرَوْا بِآياتِ اللَّهِ» استبدلوا بحجج اللّه و بيناته العظيمة الشأن «ثَمَناً قَلِيلًا» اى عرضاً قليلا و اصل الاشتراء استبدال ما كان من المتاع بالثمن، و نقيضه البيع، و هو العقد على تسليم المتاع بالثمن.
و الثمن ما كان من العين و الورق- فى الأصل- ثم قيل لما أخذوه بدل آيات اللّه ثمن، لأنه بمنزلته فى أنه يستبدل به. و قوله «فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ» اى صدوا عن الإسلام، و معنى هذه الفاء كمعنى جواب الجزاء، لان اشتراءهم هذا أداهم الى الصد عن سبيل اللّه. و الصد هو المنع. ثم اخبر تعالى عنهم انهم بئس ما كانوا يعملونه من هذا الاستبدال.

لا يَرْقُبُونَ فِی مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَ لا ذِمَّةً وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (10)
قد بينا ان المراقبة هى المراعاة لما تقدم من العهد الذى يلزم الديانة، لئلا يقع إخلال بشىء منه. و الإل العهد. و الذمة عقد الجوار، و هما متقاربان. و فصل بينهما بأن الذمة عقد قوم يذم نقضه. و الإل الذى هو العهد عقد يدعو الى الوفاء و البيان الذى فيه، لأنه يلوح المعنى الذى يدعو الى الوفاء إذا ضل كل واحد التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 180
منهما يقتضى هذا. و انما أعيد ذكر «لا يَرْقُبُونَ فِی مُؤْمِنٍ إِلًّا وَ لا ذِمَّةً» لأنه فى صفة «الذين اشتروا بآيات الله ثمنا» و الاول فى صفة جميع الناقضين للعهد. و قال فى الثانى «فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ فَإِخْوانُکُمْ فِی الدِّينِ»، فلذلک كرر بوصفين مختلفين. و قال الجبائى: لأنه فى صفة اليهود خاصة، و الأول فى صفة الناقضين عامة، و إنما ذموا بترک المراقبة، لأن مع تركها الغالب ان يقع إخلال بما تقدم من العقد، فلزمت المراقبة لهذه العلة. و ترک المراقبة فى عهد المؤمن أعظم منها فى ترک عهد غيره لكثرة الزواجر عن الغدر بالمؤمن، لأنه ليس من شأنه الغدر.
اخبر اللّه تعالى عن هؤلاء المشركين انهم لا يراعون فى المؤمن عقد العهد و لا ذمة الجوار، و انهم مع ذلک معتدون. و الاعتداء الخروج من الحق و أصله المجاوزة، و منه التعدى و هو تجاوز الحد و معاداة القوم مجاوزة الحد فى البغضة و كذلک العداوة. و الاستعداء طلب معاملة العدو فى الإيقاع به، و العدو مجاوزة حد السعى. و الغرض بالآية حث المسلمين على قتالهم، و أن لا يبقوا عليهم كما انهم لو ظهروا على المسلمين لم يبقوا عليهم.

فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ فَإِخْوانُكُمْ فِى الدِّينِ وَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (11)

شرط اللّه لهؤلاء المشركين بأنهم إن تابوا و رجعوا عما هم عليه من الشرک الى طاعة اللّه، و الاعتراف بوحدانيته، و الإقرار بالنبى صلى الله عليه و آله، و أقاموا الصلاة المفروضة على ما شرعها اللّه و اعطوا الزكاة الواجبة عليهم، فإنهم يكونون اخوان المؤمنين فى الدين، و الايمان. و تقديره فهم إخوانكم. و التوبة هى الندم على القبيح لقبحه مع العزم على ترک العود الى مثله فى القبح، و فى الناس من قال الى مثله فى صفته التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 181

فمن قال ذلک قال توبة المجبوب من الزنا هى الندم على الزنا مع العزم على ترک المعاودة الى مثله على ما يصح و يجوز من الإمكان، و هو انه لو رد اللّه عز و جل عضوه ما زنى، فاما من نسى الذنب فان توبته صحيحة لا يؤاخذ بالذنب، لأنه مكلف قد ادى جميع ما عليه فى الحال، فقد تخلص بذلک من العقاب. فان قيل لم شرط مع التوبة من الشرک و حصول الايمان إيتاء الزكاة؟ مع انه ليس كل مسلم عليه الزكاة! قلنا: انما يجب عليه بشرط الإمكان فإذا أقر بحكم الزكاة مع التعذر عليه دخل فى حكم الصفة التى يجب بها.

و قوله «وَ نُفَصِّلُ الْآياتِ» معناه نبينها و نميزها بخاصة لكل واحد منها بما يتميز به من غيرها حتى يظهر مدلولها على أتم ما يكون من الظهور فيها «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» ذلک و يثبتونه دون الجهال الذين لا يعقلون عن اللّه.

وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِی دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (12)

قرأ أهل الكوفة و ابن عامر «أئمة» بهمزتين، إلا هشاماً عن ابن عامر فانه فصل بين الهمزتين بالف. الباقون بهمزة واحدة و ياء بعدها. و فصل بينهما بالف ابو جعفر و المرى عن المسيبى و السوسنجرذى عن يزيد بن إسماعيل. و قرأ ابن عامر و الحسن «لا أَيْمانَ لَهُمْ» بكسر الألف الباقون بفتحها. و الكسر يحتمل وجهين: أحدهما- انهم ارتدوا، و لا إسلام لهم، ذكره الزجاج. قال: و يجوز «لا إيمان لهم» على المصدر، و تقديره لا تأمنوهم بعد نكثهم العهد. و الآخر- لأنهم كفروا «لا أَيْمانَ لَهُمْ» و يحتمل أن يكون المراد أنهم آمنوا إيماناً لا يفون به فلا إيمان لهم. و من فتح الهمزة فلقوله: «وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ» و لقوله التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 182

«عهدهم» و أثبت لهم الايمان. فان قيل كيف نفى فقال «إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ» و قد أثبتها فى الأول من الآية بقوله «وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ»؟! قلنا: اليمين التى أثبتها هى ما حلفوا بها و عقدوا عليها، و لم يفوا، و انما المراد به انهم لا أيمان لهم يفون بها، و يتمسكون بموجبها. و قال ابو على النحوى «أئمة» على وزن «افعلة» جمع إمام نحو مثال و امثلة فصار أئمة، و اجتمع همزتان الف أفعلة، و الهمزة التى هى فاء الفعل، و التى هى فاء الفعل ساكنة فنقل اليها حركة التى بعدها ليمكن النطق بها. فمن خففها اتى بالهمزتين الاولى مفتوحة و الثانية مكسورة. و من كره ذلک قلب الثانية ياء و لم يجعلها بين بين، لأن همزة بين بين فى تقدير التحقيق و ذلک مكروه عندهم. و قال الرمانى: انما جاز اجتماع الهمزتين فى كلمة، لئلا يجتمع على الكلمة تغيير الإدغام و الانقلاب مع خفة التحقيق لأجل ما بعده من السكون، و هو مذهب ابن أبى إسحاق من البصريين. و الباقون لا يجيزونه، ذكره الزجاج، قال: لأنه يلزم عليه ان يقرأ «أ أم» بهمزتين و ذلک باطل بالاتفاق. و على هذا القول هذا أ أم بهمزتين، قال: و انما قلبت الهمزة فى أئمة على حركتها دون حركة ما قبلها، لان الحركة إنما نقلها الى الهمزة لبيان زنة الكلمة، فلو ذهبت تقلبها على ما قبلها لكان مناقضاً للغرض فيها و إذا بنيت من الامامة هذا افعل من هذا قلت هذا أوم من هذا- فى قول المازنى- لأن أصله كان أ أم فلم يمكنه ان يبدل منها الفاء لاجتماع الساكنين، فجعلها واواً كما قالوا فى جمع آدم أوادم. قال الزجاج: و هو القياس و هذا ايم من هذا فى قول الأخفش، قال: لأنها صارت الياء فى أيمة بدلا لازماً.

و قوله «وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ» فالنكث نقض العهد الذى جعل لتوثيق الامر و ذلک بالخلاف لما تقدم من العزم. و «الأيمان» جمع يمين، و هو القسم و

القسم هو قول عقد بالمعنى لتأكيده، و تغليظ الأمر فيه نحو و اللّه ليكونن و تاللّه ما كان، فيجوز أن يكون من اعطى صفقة بيمينه، و يجوز أن يكون من يمن التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 183
التيسير فى فعله. و قوله «وَ طَعَنُوا فِى دِينِكُمْ» فالطعن هو الاعتماد بالعيب. و أصله الطعن بالرمح، و نحوه فى الشىء لنقض بنيته.
و قوله «فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ» امر من اللّه تعالى بقتال أئمة الكفر، و هم رؤساء الضلال و الكفار، و الامام هو المتقدم الاتباع، فأئمة الكفر رؤساء الكفر و الامام فى الخير مهتد هاد، و فى الشر ضال مضل، كما قال تعالى «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» «1» و المعنى بائمة الكفر رؤساء قريش، فى قول ابن عباس و مجاهد. و قال قتادة: هم ابو جهل بن هشام، و أمية بن خلف و عتبة بن ربيعة و ابو سفيان بن حرب، و سهيل بن عمرو، و هم الذين هموا بإخراجه، و كان حذيفة يقول: لم يأت أهل هذه الآية.
و
روى عن أبى جعفر عليه السلام انها نزلت فى اهل الجمل و روى ذلک عن على عليه السلام
و عمار، و غيرهما. و يقول حذيفة قال يزيد بن وهب: قوله «إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ» معناه لا تأمنوهم. و من كسر معناه، لأنهم كفروا لا إيمان لهم.
و قوله: «لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» معناه لكى ينتهوا.
و فى الاية دلالة على ان الذمى إذا اظهر الطعن فى الإسلام فانه يجب قتله، لان عهده معقود على أن لا يطعن فى الإسلام، فإذا طعن فقد نكث عهده.

أَ لا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَ هَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ وَ هُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَ تَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (13)
قوله «أَلا» كلمة موضوعة للتحضيض على الفعل، و أصلها «لا» دخلت عليها

---

(1) سورة 28 القصص آية 41. [.....]

الف الاستفهام، فصارت تحضيضاً كما انها إذا دخلت على «ليس» صارت تقريراً و «أَلا» موافقة للتحضيض بالاستقبال و «أليس» إنما هى للحال، فهى موافقة للحال بهذا المعنى. و إذا قال: «أَ لا تُقاتِلُونَ» كان معناه التحضيض على قتالهم و إذا قال: «الا قاتلتم» كان ذلک تأنيباً، لأن ما يلزم إذا ترک ذم على ترکه و يحض على فعله قبل وقته. حض اللّه تعالى المؤمنين على قتال الكفار الذين «نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَ هَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ» من مكة اى قصدوه. و الهم مقاربة الفعل بالعزم من غير اتباع له، و قد ذموا بهذا الهم ففيه دليل على العزم و قد يستعمل الهم على مقاربة العزم.
و قوله «وَ هُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» فالبدوء فعل ما لم يتكرر و المرة الفعلة من المر، و المرة و الكرة و الدفعة نظائر. و معنى «بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» بدءوا حلفاء النبى صلى الله عليه و آله بالقتال من خزاعة، فى قول الزجاج، و قال ابن إسحاق و الجبائى:
بدءوا بنقض العهد. و قال الطبرى: بدؤهم بخروجهم الى بدر، لقتالهم.
و قوله «أَ تَخْشَوْنَهُمْ» معناه أ تخافونهم. ثم قال: «فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ» اى تخافوه «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» و فى ذلک غاية الفصاحة لأنه جمع بين التقريع و التشجيع. و المعنى أ تخشون ان ينالكم من قتالهم مكروه، فاللّه أحق ان تخشوا عقابه فى ارتكاب معاصيه إن كنتم مصدقين بعقابه و ثوابه.

قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يُخْزِهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14) وَ يُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15)

آيتان.

هذا امر من اللَّه تعالى للمؤمنين بأن يقاتلوا هؤلاء الناقضين للعهد البادئين

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 185

بقتال حلفاء النبى صلى الله عليه و آله من خزاعة، فإنهم إذا قاتلوهم يعذب اللَّه الكفار بأيديهم يعنى بأيدى المؤمنين الذين يقاتلونهم، و ينصركم ايها المؤمنون ينصركم اللَّه «عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ» بذلک «صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ» و فى ذلک دليل على انه اشتد غضب جماعة المؤمنين للَّه، فوعدهم اللَّه النصر، فى قول قتادة و الزجاج. و فيها دلالة على نبوة النبى صلى الله عليه و آله لأنه وعده النصر فكان الأمر على ما قال. و قوله «وَ يُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ» قيل المراد بهم خزاعة الذين قاتلوهم، فى قول السدى و غيره، لأنهم كانوا حلفاء النبى صلى الله عليه و آله. و التعذيب إيقاع العذاب لصاحبه و العذاب الم يستمر به، قال عبيد ابن الأبرص:

و المرء ما عاش فى تكذيب طول الحياة له تعذيب

و معنى «يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ» اى انكم إذا تناولتموهم بالسلاح من السيوف و النبل و الرماح انزل اللَّه بهم العذاب. و قال ابو على: ذلک مجاز و المعنى انه لما كان ذلک بأمر اللَّه اضافه الى نفسه، و هو احسن من الاول.

و قوله «و يخزهم» معناه يذلهم و الاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة على صاحبه خزى خزياً و أخزاه اللَّه إخزاء. و يجوز فى «و يخزهم» ثلاثة أوجه من الاعراب:

الجزم باللفظ و عليه القراء، و النصب على الظرف، و الرفع على الاستئناف و لم يقرأ بهما.

و قوله «وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ» فالشفاء سلامة النفس بما يزيل عنها الأذى، فكلما وافق النفس و أزال عنها الهم فهو شفاء و قيل «وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ» يعنى خزاعة، لأنهم نقضوا العهد بقتالهم- فى قول مجاهد و السدى- و الصدور جمع الصدر و هو الموضع الأجل الذى يصدر عنه الأمر، و منه الإيراد و الإصدار.

و قوله «وَ يُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ» معناه يبطل غيظهم و يعدمه. و الاذهاب جعل الشىء يذهب و الذهاب الانتقال عن الشىء، و المجىء الانتقال الى الشىء، و الغيظ نقص الطبع بانزعاج النفس. تقول: غاظه يغيظه غيظاً و اغتاظ اغتياظاً و غايظه مغايظة. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 186

و قوله «وَ يَتُوبُ اللّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ» معناه يقبل اللّه توبة من يشاء من عباده.
و وجه اتصال قوله «وَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ» بما قبله من وجهين:
أحدهما- بشارتهم بأن فيهم من يتوب و يرجع عن الكفر الى الايمان.
و الآخر- انه ليس فى قتالهم اقتطاع لأحد منهم عن التوبة.
و رفع «و يتوب» بخروجه عن موجب القتال فاستأنفه.
و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» معناه عليم بتوبتهم إذا تابوا حكيم فى أمركم بقتالهم إذا نكثوا قبل أن يتوبوا و يرجعوا، لأن أفعاله كلها صواب و حكمة.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (16)
قوله «ام حسبتم» من الاستفهام الذى يتوسط الكلام فيجعل ب (أم) ليفرق بينه و بين الاستفهام المبتدأ الذى لم يتصل بكلام و لو كان المراد الابتداء لكان اما بالألف أو ب (هل) كقوله «هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ» «1» و المعنى ظننتم أن تتركوا. و الظن و الحسبان نظائر، و الحسبان قوة المعنى فى النفس من غير قطع، و هو مشتق من الحساب لدخوله فيما يحتسب به «أَنْ تُتْرَكُوا» معنى الترك هو ضد ينافى الفعل المبتدأ فى محل القدرة عليه. و يستعمل بمعنى (ألا يفعل) كقوله «وَ تَرَكَهُمْ فِى ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ» «2» و قوله «وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ» إذا قيل: لما يفعل، فهو نفى للفعل مع تقريب لوقوعه. و إذا قيل: لم يفعل، فهو نفى بعد اطماع فى

---

(1) سورة 76 الدهر آية 1.
(2) سورة 2 البقرة آية 17

وقوعه. و المعنى و لما يجاهدوا و يمتنعوا ان يتخذوا وليجة و يعلم اللَّه ذلک منكم فجاء مجىء نفى العلم لنفى المعلوم، لأنه متى كان علم اللَّه انه كائن. و كان ابلغ و أوجز، لأنه اتى على طريقة نفى صفات اللَّه تعالى.
و قوله «وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً» تقديره و لما يعلم اللَّه الذين آمنوا لم يتخذوا من دون اللَّه و لا رسوله وليجة، فالوليجة الدخيلة فى القوم من غيرهم تقول: ولج يلج ولوجاً و أولج إيلاجاً و تولج تولجاً بمعنى الدخول.
و الوليجة و الدخيلة و البطانة نظائر. و كل شىء دخل فى شىء و ليس منه فهو وليجة، قال طرفة:
فان القوافى يتلجن موالجاً تضايق عنها ان تولجها الابر «1»
و قال آخر:
متخذاً من ضعوات تولجا متخذاً فيها اياداً دولجا «2»
يعنى الكناس. و قال الفراء: نهوا ان يتخذوا بطانة يفشون اليهم أسرارهم.
و قال الجبائى: اتخاذ الوليجة من دون اللَّه و دون رسوله هو النفاق. نهوا أن يكونوا منافقين، و هو قول الحسن، فانه قال: الوليجة هى الكفر و النفاق. و فى الآية دلالة على انه لا يجوز ان يتخذ من الفساق وليجة، لان فى ذلک تأليفاً بالفسق يجرى مجرى الدعاء اليه مع ان الواجب معاداة الفساق و البراءة منهم، و مع ذلک فهو غير مأمون على الأسرار و الاطلاع عليها. قال

الزجاج: كانت براءة تسمى الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، لأنه لما فرض القتال تميز المؤمنون من المنافقين و من يوالى المؤمنين ممن يوالى أعداءهم.

ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ شاهِدِينَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ وَ فِى النَّارِ هُمْ خالِدُونَ (17)

(1، 2) مجاز القرآن 1/ 254 و اللسان (ولج)
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 188
قرأ ابن كثير و ابو عمرو «مسجد اللّه» على التوحيد. الباقون على الجمع، فمن قرأ على التوحيد، قال الحسن أراد به المسجد الحرام و به قال الجبائى. و يحتمل ان يكون أراد المساجد كلها، لأن لفظ الجنس يدل على القليل و الكثير. و من قرأ على الجمع يحتمل ان يكون أراد جميع المساجد. و يحتمل ان يكون أراد المسجد الحرام. و إنما جمع لأن كل موضع منه مسجد يسجد عليه. و القراءتان متناسبتان.
و الأصل فى المسجد هو موضع السجود و فى العرف يعبر به عن البيت المهيأ لصلاة الجماعة فيه.
اخبر اللّه تعالى انه ليس لمشرک ان يعمر مسجد اللّه. و العمارة ان يجدد منه ما استرم من الأبنية، و منه قولهم: اعتمر إذا زار، لأنه يجدد بالزيارة ما استرم من الحال. و قوله «شاهِدِينَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ» نصب على الحال، فالشهادة خبر عن علم مشاهد بأن يشاهد المعنى او يظهر ظهور ما يشاهد كظهور المعنى فى شهادة أن لا إله إلا اللّه. و المعنى بذلک أحد شيئين:
أحدهما- ان فيما يخبرون به دليلا على كفرهم، لا أنهم يقولون نحن كفار، و لكن كما يقال للرجل ان كلامک ليشهد انک ظالم- هذا قول الحسن.
و الثانى- قال السدى: ان النصرانى إذا سئل ما انت؟ قال نصرانى و اليهودى يقول انا يهودى و عابد الوثن يقول مشرک فذلک شهادتهم على أنفسهم بالكفر.
و قال الكلبى: معناه شاهدين على النبى بالكفر، و هو من أنفسهم. و قوله «أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ وَ فِى النَّارِ هُمْ خالِدُونَ» اخبار منه تعالى ان اعمال هؤلاء الذين شهدوا على أنفسهم بالكفر باطلة بمنزلة ما لم يعمل، لأنهم أوقعوها على وجه لا يستحق بها الثواب، و انهم مع ذلک مخلدون فى نار جهنم معذبون بأنواع العذاب.
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 189

إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكاةَ وَ لَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسى أُولئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (18)
اخبر اللّه تعالى فى هذه الآية انه ينبغى الا «يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ» إلا «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» و أقر بوحدانيته و اعترف باليوم الآخر يعنى يوم القيامة ثم اقام بعد ذلک «الصلاة» بحدودها. و أعطى «الزكاة» الواجبة- ان وجبت عليه- مستحقيها و لم يخف سوى اللّه احداً من المخلوقين، فإذا فعلوا ذلک فإنهم يكونون من المهتدين الى الجنة و نيل ثوابها، لأن عسى من اللّه واجبة ليست على طريق الشک، و هو قول ابن عباس و الحسن. و قال قوم: انما قال عسى ليكونوا على طريق الحذر، مما يحبط أعمالهم، و يدخل فى عمارة المساجد عمارتها بالصلاة فيها، و الذكر للّه. و العبادة له، لأن تجديد احوال الطاعة للّه من أوكد الأسباب التى تكون بها عامرة، كما ان إهمالها من أوكد الأسباب فى اخرابها، و ذكر قوله «وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكاةَ وَ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ» بعد ذكر قوله «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» يدل على ان الايمان لا يقع على أفعال الجوارح، لأنه لو كان الايمان متناولا لذلک اجمع لما جاز عطف ما دخل فيه عليه. و من حمل ذلک على ان المراد به التفصيل و زيادة البيان فيما يشتمل على الايمان تارک للظاهر. و الخشية انزعاج النفس لتوقع ما لا يؤمن من الضرر تقول: خشى يخشى خشية فهو خاش، و مثله خاف يخاف خوفاً و مخافة، فهو خائف. و الخاشى نقيض الآمن. و الاهتداء المذكور فى الآية هو التمسک بطاعة اللّه التى تؤدى الى الجنة و فاعلها يسمى مهتدياً.

أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِی سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19)

خاطب اللَّه تعالى بهذه الآية قوماً جعلوا القيام بسقى الحجيج و عمارة المسجد الحرام من الكفار مع مقامهم على الكفر مساوياً أو أفضل من ايمان من آمن باللَّه و اليوم الآخر و جاهد فى سبيل اللَّه، فأخبر تعالى انهما لا يستويان عند اللَّه فى الفضل لان الذى آمن باللَّه و اليوم الآخر و جاهد فى سبيل اللَّه أفضل ممن يسقى الحجيج و لم يفعل ذلك و فى الآية حذف احد أمرين: أحدهما- ان يكون تقديره كايمان من آمن باللَّه و أقام الاسم مقام المصدر، لأن اصل السقاية مصدر كما قال الشاعر:

لعمرک ما الفتيان ان تنبت اللحى و لكنما الفتيان كل فتى ندى «1»

اى فتيان نبات. و السقاية آلة تتخذ لسقى الماء. و قيل كانوا يسقون الحجيج الماء و الشراب. و بيت البئر سقاية ايضاً قال الرمانى المشبه لا يجوز ان يكون مجاهداً فى سبيل اللَّه لأنه لا يعرف اللَّه فيتبع أمره فى ذلک و المجاهد إذا عرف اللَّه صح ان يكون مطيعاً بالجهاد لاتباعه امر اللَّه فيه. و روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام ان الاية نزلت فى امير المؤمنين عليه السلام و العباس.

و روى الطبرى بإسناده عن ابن عباس انها نزلت فى العباس حين قال يوم بدر: إن سبقتمونا الى الإسلام و الهجرة لم تسبقونا الى سقاية الحاج و سدنة البيت، فأنزل اللَّه الاية. و روى الطبرى بإسناده عن الحسن انها نزلت فى على و العباس و عثمان و شيبة. و قال الشعبى: نزلت فى على و العباس، و به قال ابن وهب و السدى.

---

(1) تفسير الطبرى 14/ 172 و معانى القرآن 1/ 427

و قوله «وَ اللَّهُ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» اخبار منه تعالى انه لا يهدى احداً ممن ظلم نفسه و كفر بآيات اللَّه، و جحد وحدانيته الى الجنة كما انه يهدى اليها من كان عارفاً بذلک فاعلا لطاعته مجتنباً لمعصيته.

و اختلفوا فى سبب نزول الاية فقال قوم: سأل المشركون اليهود فقالوا: نحن سقاة الحجيج و عمار المسجد الحرام أ فنحن أفضل ام محمّد و أصحابه؟ فقالت اليهود لهم: أنتم أفضل، عناداً للنبى صلى الله عليه و آله و المؤمنين. و قال آخرون: تفاخر المسلمون الذين جاهدوا و الذين لم يجاهدوا. فنزلت الآية، ذكره الزجاج.

الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَ أُولئِکَ هُمُ الْفائِزُونَ (20)

موضع «الذین» رفع بالابتداء و خبره أعظم درجة. اخبر اللَّه تعالى ان الذین آمنوا یعنی صدقوا باللَّه و اعترفوا بوحدانیته، و أقروا بنبوة نبیه، و هاجروا عن أوطانهم التی هی دار الکفر الى دار الإسلام، و جاهدوا فی سبیل اللَّه بأموالهم و أنفسهم أعظم درجة عند اللَّه. و معناه یتضاعف فضلهم عند اللَّه مع شرف الجنس.

و لو قال على درجة أفاد شرف الجنس فقط.

و قوله «أُولئِکَ هُمُ الْفائِزُونَ» اخبار منه تعالى ان من وصفه هم الذین یظفرون بالبغیة و یدرکون الطلبة، لان الفوز هو الظفر بالبغیة و هو و الفلاح و النجاح نظائر.

و قیل: إنه یلحق بمثل منزلة المجاهدین من لم یجاهد بأن یجاهد فی طلب العلم الدینی فیتعلمه و یعلم غیره و یدعو الیه و الى اللَّه. و ربما کانت هذه المنزلة فوق تلک فان قیل کیف قال «أَعْظَمُ دَرَجَةً» من الکفار بالساقیة و السدانة؟ قلنا: على ما روینا عن أبی جعفر و أبی عبد اللَّه علیهما السلام و ابن عباس و غیرهم لا یتوجه السؤال عن التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 192

ذلک لان المفاضلة جرت بینهم، لان لجمیعهم الفضل عند اللَّه و من لا یقول ذلک یجیب بجوابین: أحدهما- انه على تقدیر ان لهم بذلک منزلة کما قال تعالى «أَصْحابُ الْجَنَّةِ یَوْمَئِذٍ خَیْرٌ مُسْتَقَرًّا» «1» هذا قول الحسن و أبی على. و الثانی- قال الزجاج المعنى أعظم من غیرهم درجة. و (الذی) یجوز وصفها و لا یجوز وصف «من» إذا کانت بمعنى الذی، لأن «من» تکون تارة معرفة موصولة فلذلک افترقا. و قیل معنى «الفائزی» انهم الظافرون بثواب اللَّه الذی استحقوه على طاعتهم.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَ رِضْوانٍ وَ جَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ (21)
فى الآية اخبار من اللّه تعالى بالبشارة و اعلام للذين آمنوا و هاجروا برحمة من جهته تعالى، و البشرى و البشارة الدلالة على ما يظهر به السرور فى بشرة الوجه تقول بشرته أبشره بشرى و ابشر ابشاراً و استبشر استبشاراً و تباشر تباشراً و بشره تبشيراً فاما باشره مباشرة، فبمعنى لاقاه ببشر و رضوان. و هو معنى يستحق بالإحسان، يدعو الى الحمد على ما كان، و يضاد سخط الغضبان، تقول: رضى رضاً و رضواناً و أرضاه إرضاء و ترضاه ترضياً و ارتضاه ارتضاء و استرضاه استرضاء و تراضوه تراضيا.
و قوله «وَ جَنَّاتٍ» يعنى البساتين التى يجنها الشجر، و أما الرياض فهى الموطأة للخضرة التى قد ينبت فيها نبات الزهر و منه الرياضة لأنها توطئة لتقريب العمل.
و قوله «لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ» فالنعيم لين العيش اللذيذ، و هو مشتق من النعمة

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 24

و هى اللين، و أما النعمة بكسر النون، فهى منفعة يستحق بها الشكر لأنها كنعم العيش و المقيم الدائم بخلاف الراحل فكأنه قال: المقيم ابداً.

خالِدِينَ فِيها أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (22)
«خالِدِينَ» نصب على الحال من الهاء و الميم فى قوله: «لهم» و الخلود فى العرف الدوام فى الشىء كالخلود فى الجنة مأخوذ من قولهم: خلد هذا الكتاب فى الديوان على تقدير الدوام من غير انقطاع. و الأبد الزمان المستقبل من غير آخر كما أن (قط) للماضى تقول: ما رأيته قط، و لا أراه ابداً و جمع الأبد آباد و أبود تقول لا أفعل ذلک أبداً، و تأبد المنزل إذا أقفر و أتى عليه لا بد، و الاوابد الوحوش سميت بذلک لطول أعمارها و بقائها. و قيل: لم يمت وحش حتف أنفه و انما يموت بآفة، و جاء فلان بأبدة اى بداهية و أتان آبد تسكن القفر متأبدة.
و قوله «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» اخبار منه تعالى ان عنده الجزاء أى فى مقدوره الجزاء الذى يستحق بالأعمال تقول: أجره يأجره أجراً و آجره إجارة و استأجره استئجاراً و منه الأجير.
و قوله «عظيم» يعنى كبير متضاعف لا تبلغه نعمة غيره من الخلق، و الأبد قطعة من الدهر متتابعة فى اللغة قال الحر بن البعيث:
أهاج عليک الشوق اطلال دمنة بناصفة البردين أو جانب الهجل
اتى ابد من دون حدثان عهدها و جرت عليها كل نافحة شمل «1»
و من الدليل على أن الأبد قطعة من الدهر أنه ورد مجموعاً فى كلامهم. قالت صفية بنت عبد المطلب تخاطب ولدها الزبير:
و خالجت آباد الدهور عليكم و أسماء لم تشعر بذلک أيم

---

(1) اللسان «شمل»

فلو كان زبر مشركاً لعذرته و لكن زبراً يزعم الناس مسلم
و يقال: تأبد الربيع إذا مر عليه قطعة من الدهر و ليس يعنون انه مر عليه أبد لا غاية له قال مزاحم العقيلى:
أ تعرف بالغرين داراً تأبدت من الحى و استبقت عليها العواصف
فأما الخلود، فليس فى كلام العرب ما يدل على انه بقاء لا غاية له و إنما يخبرون به عن البقاء الى مدة كما قال المخبل السعدى:
الا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سحم «1»
أراد دفع الرياح عن النؤى الى هذا الوقت هذه الاثافى التى بقيت الى هذا الوقت.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَ إِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23)
روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السلام ان هذه الآية نزلت فى حاطب بن بلتعة حيث كتب الى قريش بخبر النبى صلى الله عليه و آله حين أراد فتح مكة.
هذا خطاب من اللّه تعالى للمؤمنين ينهاهم فيه عن اتخاذ آبائهم و إخوانهم أولياء متى استحبوا الكفر، و آثروه على الايمان. و «الاتخاذ» هو الافتعال من أخذ الشىء. و الاتخاذ أعداد الشىء لأمر من الأمور.
و اتخاذهم اولياء: هو ان يعتقدوا موالاتهم و وجوب نصرتهم فيما ينوبهم، و ليس ذلک بمانع من صلتهم، و الإحسان اليهم، لأنه تعالى حث على ذلک، فقال: «وَ إِنْ جاهَداکَ عَلى أَنْ تُشْرِکَ بِى ما لَيْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِى الدُّنْيا مَعْرُوفاً»

---

(1) مر هذا البيت فى 2/ 28

«1». و الأب و الوالد نظائر. و الأخ الشقيق فى النسب من قبل الأب و الام، و كل من رجع من آخر الى واحد فى النسب من والد و والدة، فهو أخ.
و الأولياء جمع ولى و هو من كان مختصاً بايلاء التصرف فى وقت الحاجة. و قال الحسن: من تولى المشرک، فهو مشرک. و هذا إذا كان راضياً بشركه، و يكون سبيله سبيل من يتولى الفاسق أن يكون فاسقاً.
و قوله «إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ» معناه إن طلبوا محبة الكفر على الايمان. و قد يكون استحب بمعنى أحب كما ان استجاب بمعنى أجاب. ثم اخبر تعالى ان من استحب الكفار على المؤمنين فإنهم أيضاً ظالمون نفوسهم و الباخسون حظها من الثواب، لأنهم وضعوا الموالاة فى غير موضعها.

قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكُمْ وَ أَزْواجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهادٍ فِی سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّی يَأْتِیَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (24)

قرأ ابو بكر عن عاصم و «عشيراتكم» على الجمع. الباقون على التوحيد.

من جمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة، فإذا جمع قال و عشيراتكم.

و من أفرد قال العشيرة تقع على الجمع. و قال ابو الحسن: العرب لا تجمع العشيرة عشيرات. و انما تقول عشائر.

---

(1) سورة 31 لقمان آية 15

أمر اللَّه تعالى بهذه الآية نبيه صلى الله عليه و آله أن يخاطب هؤلاء الذين تخلفوا عن الهجرة الى دار الإسلام. و أقاموا بدار الكفر، و قال الجبائى: هو خطاب للمؤمنين أجمع و تحذير لهم من ترک الجهاد و حث لهم عليه، فأمره أن يقول لهم «إِنْ كانَ آباؤُكُمْ» الذين ولدوكم «وَ أَبْناؤُكُمْ» الذين ولدتموهم، و هم الأولاد الذكور «وَ أَزْواجُكُمْ» جمع زوجة و هى المرأة التى عقد عليها عقدة نكاح صحيح، لأن ملک اليمين و المعقود عليها عقد شبهة لا تسمى زوجة «وَ عَشِيرَتُكُمْ» و هى الجماعة التى ترجع الى عقد كعقد العشرة. و منه المعاشرة، و هى الاجتماع على عقد يعم.

و منه العشار النوق التى أتى على حملها عشرة أشهر «وَ أَمْوالٌ» جمع مال «اقْتَرَفْتُمُوها» أى اقتطعتموها و اكتسبتموها، و مثله الاحتراف. و الاقتراف اقتطاع الشىء عن مكانه الى غيره «وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها» يعنى ما اشتريتموه طلباً للربح تخافون خسرانها و وقوفها «وَ مَساكِنُ» جمع مسكن و هى المواضع التى تسكنونها و ترضونها «أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» يعنى آثر فى نفسوكم و أقرب الى قلوبكم. و المحبة إرادة خاصة للشىء فمن أحب الجهاد فقد أراد فعله و من أحب اللَّه أراد شكره و عبادته. و من أحب النبى أراد إجلاله و إعظامه. و الذى اقتضى نزول هذه الاية محبتهم التى منعتهم الهجرة. و قوله «فَتَرَبَّصُوا» اى فتثبتوا. و التربص التثبت فى الشىء حتى يجىء وقته. و التربص و التنظر و التوقف نظائر فى اللغة. و نقيضه التعجل بالأمر.

و قال مجاهد قوله «حَتَّی يَأْتِیَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» من عقوبة عاجلة أو آجلة. و قوله «وَ اللَّهُ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ» معناه إنه لا يهديهم الى الثواب و الجنة

لأنه تعالى قد هداهم الى الايمان فقال «وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى» «1».

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِی مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25)

---

(1) سورة 41 حم السجدة (فصلت) آية 17

أقسم اللّه تعالى فى هذه الاية- لأن لام «لقد» لام القسم- بأنه نصر المؤمنين فى مواطن كثيرة. و مواطن فى موضع جر ب «فى» و انما نصب، لأنه لا ينصرف لأنه جمع لا نظير له فى الآحاد، فلا ينصرف. و جر كثيرة على المواضع و أنثه على اللفظ. و مواطن جمع موطن. و معنى النصر الغلبة على العدو. و المعونة قد تكون فى حمل الثقيل، و تكون فى شراء متاع و تكون فى قضاء حاجة، و لا يكون النصر إلا المعونة على العدو خاصة. و الموطن هو الموضع الذى يقيم فيه صاحبه و إنما قد أقاموا فى هذه المواطن للقتال. و معنى كثيرة

روى عن أبى عبد اللّه عليه السلام انها كانت ثمانين موطناً

، و الكثيرة عدة زائدة على غيرها فهى كثيرة بالاضافة الى ما دونها قليلة بالاضافة الى ما فوقها.

و قوله «وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ»، و حنين اسم واد بين مكة و الطائف فى قول قتادة.

و قال عروة: هو واد الى جانب ذى المجاز، فلذلک صرف، و يجوز ترک صرفه على انه اسم للبقعة قال الشاعر:

نصروا نبيهم و شدوا أزره بحنين يوم تواكل الابطال «1»

و قوله «إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ» فالاعجاب السرور بما يتعجب منه، و العجب السرور بالنفس على الفخر بما يتعجب منه. و قال قتادة: إنه كان سبب انهزام المسلمين يوم حنين أن بعضهم قال حين رأى كثرة المسلمين يوم حنين لأنهم كانوا اثنى عشر ألفاً، فقال: لن نغلب اليوم عن قلة. فانهزموا بعد ساعة. و قيل: إنهم كانوا عشرة آلاف. و قال بعضهم: ثمانية آلاف و الأول أشهر. و لما انهزموا لم يبق مع النبى صلى الله عليه و آله الا تسعة نفر من بنى هاشم و أيمن ابن ام ايمن. و العباس بن عبد

---

(1) قائله حسان ديوانه 334 و معانى القرآن 1/ 429 و اللسان (حنن)

المطلب. و ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، و على بن أبى طالب عليه السلام فى آخرين،

فأخذ النبى صلى الله عليه و آله كفاً من الحصباء فرماهم به، و قال شاهت

الوجوه فانهزم المشركون.
و قوله «فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً» معناه لم تغن كثرتكم شيئاً. و الإغناء إعطاء ما يرفع الحاجة. و لذلک قيل فى الدعاء أغناک اللّه «فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً» معناه لم تعطلكم ما يرفع حاجتكم.
و قوله «وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ» معناه ليس فيها موضع يصلح لكم لفراركم عن عدوكم. و الضيق مقدار ناقص عن مقدار، و الرحب السعة فى المكان و قد يكون فى الرزق. و السعة فى النفقة.
و قوله «ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ» فالادبار الذهاب الى جهة الخلف و الإقبال الى جهة القدام. و المعنى وليتم عن عدوكم منهزمين. و تقديره و ليتموهم الأدبار.
و كانت غزوة حنين عقيب الفتح فى شهر رمضان أو فى شوال سنة ثمان.
فان قيل كيف قال انه نصرهم فى مواطن كثيرة؟ و المؤمنون منصورون فى جميع الأحوال؟
قلنا عنه جوابان: أحدهما- ان ذلک اخبار بأنه نصرهم دفعات كثيرة و لا يدل على انه لم ينصرهم فى موضع آخر، و الثانى- لأنهم لما انهزموا لم يكونوا منصورين و كان ذلک منهم خطأ و إن وقع مكفراً.

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ (26)

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 199

اخبر اللّه تعالى أنه حين انهزم المسلمون و بقى النبى صلى الله عليه و آله فى نفر من قومه أنه أنزل السكينة، و هى الرحمة التى تسكن اليها النفس و يزول معها الخوف حتى رجعوا اليهم و قاتلوهم و هزمهم اللّه تعالى بأن أنزل النصر و أنزل السكينة. و قيل السكينة هى الطمأنينة و الامنة. و قال الحسن: هى الوقار قال الشاعر:

للّه قبر غالها ما ذا يجن لقد اجن سكينة و وقارا «1»

و قوله «وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها» و الجنود هى الجموع التى تصلح للحروب. و المراد بها ها هنا الملائكة، جند و أجناد و جنود، فانزل اللّه الملائكة مدادا للمؤمنين و قال الجبائى: إنما نزلت الملائكة يوم حنين من جهة الخاطر الذى يشجع قلوبهم و يجبن عنهم أعداءهم، و لم تقاتل إلا يوم بدر خاصة.

و قوله «وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا» معناه- ها هنا- القتل و الأسر و سلب الأموال مع الاذلال و الصغار. ثم قال «وَ ذلِكَ» يعنى ذلك العذاب «جَزاءُ الْكافِرِينَ» من جحد نعم اللّه و أنكر وحدانيته، و جحد نبوة نبيه مع ما أعده لهم من عذاب النار.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَلى مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (27)
معنى (ثم) ها هنا العطف على الفعل الاول، و قد ذكرت (ثم) فى ثلاثة مواضع متقاربة: فالأول- عطف على ما قبلها. و الثانية- عطف على «وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ» و الثالثة- عطف على (أَنْزَلَ ... ثُمَّ يَتُوبُ) و انما حسن عطف المستقبل على الماضى لأنه مشاكله فان الأول تذكير بنعمه و الثانى وعد بنعمه.
و التوبة هى الندم على ما مضى من القبيح، و العزم على أن لا يعود الى مثله إما فى

---

(1) مجاز القرآن 1/ 286.

الجنس او فى القبح على الخلاف فيه، فشرط الندم بالعزم، لأن الندم إنما هو على الماضى و العزم على ما يستقبل، فلو لم يجتمعا لم تكن توبة. و معنى «ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَلى مَنْ يَشاءُ» انه يقبل التوبة من بعد هزيمة من انهزم. و يجوز أن يكون المراد بعد كفر من كفر يقبل توبة من يتوب و يرجع الى طاعة اللّه و الإسلام و يندم على ما فعل من القبيح «على من يشاء» و إنما علقه بالمشيئة، لأن قبول التوبة و إسقاط العقاب عندها تفضل- عندنا- و لو كان ذلک واجباً لما جاز تعلق ذلک بالمشيئة كما لم يعلق الثواب على الطاعة و العوض على الألم فى موضع بالمشيئة. و من خالف فى ذلک قال: إنما علقها بالمشيئة، لأن منهم من له لطف يؤمن عنده فاللّه تعالى يشاء أن يلطف له مع صرف العمل فى ترک التوبة الى اللّه.
و قوله «وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» معناه انه ستار للذنوب لا يفضح احداً على معاصيه بل يسترها عليه إذا تاب منها، و هو رحيم بعباده.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ بَعْدَ عامِهِمْ هذا وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (28)

هذا خطاب من اللَّه تعالى للمؤمنين يخبرهم فيه أن المشركين أنجاس و يأمرهم ان يمنعوا المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا أى الذى أشار اليه، و هى سنة تسع من الهجرة التى نبذ فيها براءة المشركين. و كانت بعده حجة الوداع- و هو قول قتادة و غيره من المفسرين- و المراد بالمسجد الحرام الحرم كله- فى قول عطاء و غيره- و كل شىء مستقذر فى اللغة يسمى نجساً، فإذا استعمل مفرد قيل: نجس- بفتح النون و الجيم معاً- و يقع على الذكر و الأنثى سواء. و ظاهر التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 201

الآية يقتضى أن الكفار أنجاس، و لا يجوز مع ذلك أن يمكنوا من دخول شىء من المساجد، لأن شركهم أجرى مجرى القذر الذى يجب تجنبه، و على هذا من باشر يد كافر، وجب عليه ان يغسل يده إذا كانت يده او يد المشرك رطبة. و إن كانت أيديهما يابستين مسحها بالحائط. و قال الحسن: من صافح مشركاً فليتوضأ، و لم يفصل.

و اختلفوا فى هل يجوز دخولهم المسجد الحرام بعد تلك السنة أم لا؟.

فروى عن جابر ابن عبد اللَّه، و قتادة أنه لا يدخله احد إلا أن يكون عبداً او أحداً من اهل الذمة. و قال عمر بن عبد العزيز: لا يجوز لهم دخول المسجد الحرام، و لا يدخل احد من اليهود و النصارى شيئاً من المساجد بحال. و هذا هو الذى نذهب اليه. و قال الطبرى و قتادة: سموا أنجاساً، لأنهم لا يغتسلون من جنابة.

و قوله «فان خفتم عيلة» فالعيلة الفقر، تقول: عال يعيل إذا افتقر قال الشاعر:

و ما يدرى الفقير متى غناه و ما يدرى الغنى متى يعيل «1»

و كانوا خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين، فقال اللَّه تعالى «وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً» يعنى فقراً بانقطاعهم، فاللَّه يغنيكم من فضله إن شاء- فى قول قتادة و مجاهد- و إنما علقه بالمشيئة لأحد أمرين: أحدهما- لان منهم من لا يبلغ هذا المعنى الموعود به، لأنه يجوز ان يموت قبله- فى قول أبى على- و الثانى- لتنقطع الآمال الى اللَّه تعالى، كما قال «لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ» «2». و قوله «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» معناه عالم بمصالحكم حكيم فى منع المشركين من دخول المسجد الحرام.

قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ (29)

---

(1) مر هذا البيت فى 3/ 109 و هو فى مجاز القرآن 1/ 255
(2) سورة 48 الفتح آية 27
. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 202
قوله تعالى «قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» امر من اللَّه تعالى لنبيه و للمؤمنين بأن يقاتلوا الذين لا يعترفون بتوحيد اللَّه، و لا يقرون باليوم الاخر و البعث و النشور. و ذلک يدل على صحة مذهبنا فى اليهود و النصارى و أمثالهم انه لا يجوز أن يكونوا عارفين باللَّه و إن أقروا بذلک بلسانهم. و انما يجور أن يكونوا معتقدين لذلک اعتقاداً ليس بعلم. و الاية صريحة بأن هؤلاء الذين هم أهل الكتاب الذين تؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون باللَّه و لا باليوم الاخر و انه يجب قتالهم «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ». و من قال: إنهم يجوز أن يكونوا عارفين باللَّه تعالى، قال: الاية خرجت مخرج الذم لهم، لأنهم بمنزلة من لا يقربه فى عظم الجرم، كما انهم بمنزلة المشركين فى عبادة اللَّه بالكفر. و قال الجبائى:
لأنهم يضيفون اليه ما لا يليق به فكأنهم لا يعرفونه. و انما جمعت هذه الأوصاف لهم و لم يذكروا بالكفار من اهل الكتاب للتحريض على قتالهم بما هم عليه من صفات الذم التى توجب البراءة منهم و العداوة لهم.
و قوله «وَ لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ» يدل على ان دين اليهودية و النصرانية غير دين الحق، و ذلک يقوى انهم غير عارفين باللَّه، لأنهم لو كانوا عارفين كانوا فى ذلک محقين، فأما اعتقادهم لشريعة التوراة فإنما وصف بأنه غير حق لامرين:
أحدهما- انها نسخت فالعمل بها بعد النسخ باطل غير حق. الثانى- ان التوراة التى هى معهم مغيرة مبدلة لقوله «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ» «1» و يقلبونه عن معانيه.
و قوله «وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» معناه انهم لا يعترفون بالإسلام

---

(1) سورة 4 النساء آية 45 و سورة 5 المائدة آية 14 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 203
الذى هو الدين الحق، و لا يسلمون لأمر اللَّه الذى بعث به نبيه محمّد صلى الله عليه و آله فى تحريم حرامه و تحليل حلاله. و الدين فى الأصل الطاعة

قال زهير:
لئن حللت بجوفى بنى اسد فى دين عمرو و حالت بيننا فدک «1»
و قوله «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ» فالجزية عطية عقوبة جزاء على الكفر باللَّه على ما وضعه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على أهل الذمة- و هو على وزن جلسة، و قعدة- لنوع من الجزاء. و إنما قيل «عن يد» ليفارق حال الغصب على اقرار أحد. و قال ابو على: معناه يعطونا من أيديهم يجيئون بها بنفوسهم لا ينوب عنهم فيها غيرهم إذا قدروا عليه. فيكون أذل لهم. و قال قوم: معناه عن نقد كما يقال: باع يداً بيد. و قال آخرون: معناه عن يد لكم عليهم و نعمة تسدونها اليهم بقبول الجزية منهم. و قال الحسين بن على المغربى: معناه عن قهر، و هو قول الزجاج.
و قوله «وَ هُمْ صاغِرُونَ» فالصغار الذل و النكال الذى يصغر قدر صاحبه، صغر يصغر صغاراً، فهو صاغر. و قيل: الصغار إعطاء الجزية قائماً، و الآخذ جالس ذهب اليه عكرمة. و الجزية لا تؤخذ عندنا إلا من اليهود و النصارى و المجوس. و أما غيرهم من الكفار على اختلاف مذاهبهم من عباد الأصنام و الأوثان و الصابئة و غيرهم فلا يقبل منهم غير الإسلام أو السبى. و انما كان كذلک لما علم اللَّه تعالى من المصلحة فى اقرار هؤلاء على كفرهم و منع ذلک فى غيرهم، لأن هؤلاء على كفرهم يقرون بألسنتهم بالتوحيد و بعض الأنبياء، و ان لم يكونوا على الحقيقة عارفين. و أولئک يجحدون ذلک كله، فلذلک فرق بينهما.
فان قيل: إعطاء الجزية منهم لا يخلوا أن يكون طاعة او معصية، فان كان معصية فكيف أمر اللَّه بها؟ و إن كان طاعة وجب أن يكونوا مطيعين للَّه.
قلنا: إعطاؤهم ليس بمعصية. و أما كونها طاعة للَّه فليس كذلک، لأنهم انما يعطونها دفعاً للقتل عن أنفسهم لا طاعة للَّه، فان الكافر لا يقع منه طاعة عندنا

---

(1) ديوانه 183 و مجاز القرآن 1/ 286 و تفسير الطبرى 14/ 198

بحال، لأنه لو فعل طاعة للَّه لاستحق الثواب و الإحباط باطل، فكان يجب ان يكون مستحقاً للثواب و ذلک خلاف الإجماع.

وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30)
قرأ «عزير» بالتنوين عاصم و الكسائى و عبد الوارث عن أبى عمرو. الباقون بترک التنوين. و قرأ عاصم وحده «يضاهؤن» بالهمزة. الباقون بغير همزة.
من ترک التنوين فى «عزير» قيل فى وجه ذلک ثلاثة أقوال: أحدها- انه اعجمى معرفة لا ينصرف. و الثانى- لأن ابن ها هنا صفة بين علمين و الخبر محذوف و التقدير معبودنا أو نبينا عزير ابن اللّه. الثالث- انه حذف التنوين لالتقاء الساكنين تشبيهاً بحرف اللين، كما قال الشاعر:
فألفيته غير مستعتب و لا ذاكر اللّه إلا قليلا «1»
هذا الوجه قول الفراء: و عند سيبويه هو ضرورة فى الشعر قال أبو على: من نونه جعله مبتدأ و جعل ابناً خبره، و لا بد مع ذلک من التنوين فى حال السعة و الاختيار، لأن أبا عمرو و غيره يصرف عجمياً كان او عربياً.
و من حذف التنوين يحتمل وجهين: أحدهما- أنه جعل الموصوف و الصفة بمنزلة اسم واحد، كما يقال: لا رجل ظريف. و حذف التنوين و لم يحرک لالتقاء الساكنين، كما يحرک يا زيد العاقل، لأن الساكنين كأنهما التقيا فى تضاعيف كلمة واحدة، فحذف الاول منهما و لم يحرک لكثرة الاستعمال. و الوجه الاخر-

---

(1) مر تخريجه فى 2/ 76 تعليقة 3

أن يجعل مبتدأ و الاخر الخبر مثل من نون و حذف التنوين لالتقاء الساكنين، و على هذا قراءة من قرأ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ» فحذف التنوين لالتقاء الساكنين.
فان قيل كيف أخبر اللّه عن اليهود بأنهم يقولون عزير ابن اللّه و اليهود تنكر هذا؟! قلنا: إنما اخبر اللّه بذلک عنهم، لأن منهم من كان يذهب اليه، و الدليل على ذلک ان اليهود فى وقت ما انزل اللّه القرآن سمعت هذه الآية فلم تنكرها. و هو كقولک: الخوارج تقول بتعذيب الأطفال، و إنما يقول بذلک الازارقة منهم خاصة.
قال ابن عباس: القائل لذلک جماعة جاءوا الى النبى صلى الله عليه و آله، فقالوا له ذلک، و هم سلام ابن مشكم، و نعمان بن اوفى، و شاس بن قيس، و مالک بن الصيف، فانزل اللّه فيهم الآية.
و قوله «ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ» معنا انه لا يرجع الى معنى صحيح: فهو لا

يجاوز أفواههم، لأن المعنى الصحيح ما رجع الى ضرورة العقل او حجته او برهانه او دليل سمعى. و قوله «يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ» معناه يشابهون و منه قولهم امرأة ضهياء التى لا تحيض، و لا يخرج ثدياها اى أشبهت الرجال. و قال أبو على الفارسى: ليست يضاهؤن من قولهم امرأة ضهياء، لأن هذه الهمزة زائدة غير اصلية لأنه ليس فى الكلام شىء على وزن (فعياء) و يشبه ان يكون ذلک لغة، كما قالوا ارجأت و أرجيت. و اختار الزجاج أن تكون الهمزة أصلية، كما جاء كثير من الأشياء على وزن لا يطرد نحو (كنهبل) و هو الشجر العظام، و كذلک (قرنفل) لا نظير له. و وزنه (فعنلل).
و قال ابن عباس «الَّذِينَ كَفَرُوا» أراد به عبدة الأوثان، و قال الفراء: يشابهونهم فى عبادة اللات و العزى و مناة الثالثة الاخرى. و قال قوم فى قولهم: الملائكة بنات اللّه. و قال الزجاج: شابهوهم فى تقليدهم أسلافهم فى هذا القول.
و قوله «قاتَلَهُمُ اللَّهُ» قيل فى معناه ثلاثة اقوال: أحدها- قال ابن عباس معناه لعنهم اللّه. الثانى- معناه قتلهم اللّه كقولهم عافاه اللّه من السوء.
الثالث- التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 206
كالمقاتل لغيره في عداوة اللّه.
و قوله «أَنَّى يُؤْفَكُونَ» معناه كيف يصرفون عن الحق الى الافک الذى هو الكذب، و رجل مأفوک عن الخير و ارض مأفوكة صرف عنها المطر قال الشاعر:
أنى الم بک الخيال تطيف

اِتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ ما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)
اخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء اليهود و النصارى الذين حكى حكايتهم انهم اتخذوا أحبارهم، و هو جمع حبر، و هو العالم الذى صناعته تحبير المعانى بحسن البيان و قيل حبر و حبر- بفتح الباء و كسرها- حكاه الفراء. و الرهبان جمع راهب و هو الخاشى الذى يظهر عليه للناس الخشية. و قد كثر استعماله فى متنسكى النصارى و
روى عنه صلى الله عليه و آله أن معنى اتخاذهم أرباباً أنهم قبلوا منهم التحريم و التحليل بخلاف ما أمر اللَّه تعالى، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام
، فسمى اللَّه ذلک اتخاذهم إياهم أرباباً من حيث كان التحريم و التحليل لا يسوغ إلا للَّه تعالى. و هو قول أكثر المفسرين.
و قوله «وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ» عطف على الأرباب أى و اتخذوا عيسى رباً.
و قوله «وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً» معناه ان اللَّه تعالى لم يأمر هؤلاء اليهود و النصارى و غيرهم إلا بعبادة اللَّه وحده لا شريک له. ثم أخبر فقال «لا إِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحانَهُ» يعنى تنزيهاً عما يشركون. و معنى سبحانه براءة اللَّه من السوء كما قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 207
أقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر «1»
و الآية تدل على أن المشرک مع اللَّه فى التحليل و التحريم على مخالفة امر اللَّه كالمشرک فى عبادة اللَّه، لأن استحلال ما حرم اللَّه كفر بالإجماع. و كل كافر مشرک و لا يلزم على ذلک أن يكون من قبل من الشيطان باغوائه فارتكب المعاصى أن يكون كافراً على ما استدل به بعض الخوارج، لأنه إذا قبل من الشيطان ما يعتقد انه معصية و لا يقصد بذلک طاعة الشيطان و لا تعظيمه يكون فاسقاً، و لا يكون كافراً. و ليس كذلک من ذكره اللَّه تعالى فى الاية، لأنهم كانوا يقبلون تحريم علمائهم و أحبارهم و يقصدون بذلک تعظيمهم. و لا يلزم على ذلک قبول المعاصى من العالم، لأن العامى يعتد بالرجوع الى العالم فيقبل منه ما أدى اجتهاده اليه و علمه، فإذا قصد العالم و أفتاه بغير ما علمه فهو المخطئ دون المستفتى. و ليس كذلک هؤلاء، لأنهم ما كانوا تعبدوا بالرجوع الى الأحبار و القبول منهم لأنهم لو كانوا تعبدوا بذلک لما ذمهم اللَّه على ذلک.

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ (32)
اخبر اللّه تعالى عن هؤلاء الكفار من اليهود و النصارى انَهم «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ» و الإطفاء اذهاب نور النار. ثم استعمل فى اذهاب كل نور. و «نُورَ اللَّهِ» القرآن و الإسلام، فى قول المفسرين: السدى و الحسن. و قال الجبائى: نور اللّه: الدلالة و البرهان، لأنه يهتدى بها كما يهتدى بالأنوار.
و واحد الأفواه فم فى الاستعمال، و أصله فوه فحذفت الهاء و أبدلت من الواو

---

(1) قائله الأعشى. و قد مر تخريجه فى 3/ 81

ميم، لأنه حرف صحيح من مخرج الواو مشاكل لها. و لما سمى اللَّه تعالى الحجج و البراهين نورا سمى معارضتهم له إطفاء. و أضاف ذلك الى الأفواه، لأن الإطفاء يكون بالأفواه، و هو النفخ، و هذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم و تضعيف كيدهم، لأن النفخ يؤثر فى الأنوار الضعيفة دون الاقباس العظيمة ذكره الحسين بن على المغربى. و قوله «وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ» الاباء الامتناع مما طلب من المعنى. قال الشاعر:
و إن أرادوا ظلمنا أبينا
أى منعناهم من الظلم، و ليس الاباء من الكراهة فى شىء على ما يقول المجبرة لأنهم يقولون: فلان يأبى الضيم، فيمدحونه، و لا مدحة فى كراهة الضيم لتساوى الضعيف و القوى فى ذلك. و إنما المدح فى المنع خاصة، و لذلك مدح عورة بن الورد بأنه أبى للضيم بمعنى أنه ممتنع منه، و قوله (و إن أرادوا ظلمنا أبينا) يدل على ذلك لأنه لا مدحة فى ان يكرهوا ظلم من يظلمهم. و إنما المدحة فى منع من أراد ظلمهم. و المنع فى الاية بمنع اللّه إلا إتمام نوره. و إن كره الكافرون. و لا يجوز على قياس «وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ» أن تقول: ضربت إلا أخاك، لأن فى الاباء معنى النفى، فكأنه قال: لا يمكنهم اللّه إلا أن يتم نوره. و إذا لم يكن فى اللفظ مستثنى منه لم تدخل «إلا» فى الإيجاب، و تدخل فى النفى على تقدير الحذف قال الشاعر:
و هل لى أم غيرها ان تركتها أبى اللَّه إلا أن أكون لها ابنما «1»
و التقدير فى الآية و يأبى اللَّه كل شىء الا إتمام نوره. فى قول الزجاج، و أنكر أن يكون فى الآية معنى الجحد.

(1) تفسیر القرطبی 8/ 121 و معانی القرآن 4331
التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 209

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33)
اخبر اللّه تعالى انه «هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ» صلى الله عليه و آله و حمله الرسالة التى يؤديها الى أمته «بالهدى» يعنى بالحجج و البينات و البيان لما يؤديهم العمل به الى أبواب الجنة. و «دِينِ الْحَقِّ» هو الإسلام و ما تضمنه من الشرائع، لأنه الذى يستحق عليه الجزاء بالثواب. و كل دين سواه باطل لأنه يستحق به العقاب. و من شأن الرسول أن يكون أفضل من جميع أمته من حيث يجب عليهم طاعته و امتثال ما يأمرهم به بما هو مصلحة لهم، و لأنه رئيس لهم فى الدين، و يقبح تقديم المفضول على الفاضل فيما كان أفضل فيه.
و قوله «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» معناه ليعلى دين الإسلام على جميع الأديان بالحكم و الغلبة و القهر لهم. و قال البلخى: ظهوره على جميع الأديان بالحكم، لأن جميع الأديان نال المسلمون منهم و غزوا فيهم و أخذوا سبيهم و جزيتهم.
و فى الآية دلالة على صدق نبوته صلى الله عليه و آله لأنها تضمنت الوعد بظهور الإسلام على جميع الأديان، و قد صح ظهوره عليها. و قال ابو جعفر عليه السلام ان ذلک يكون عند خروج القائم عليه السلام. و قال ابن عباس: إن الهاء فى «ليظهره» عائدة الى الرسول صلى الله عليه و آله أى ليعلمه اللّه الأديان كلها حتى لا يخفى عليه شىء منها.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبارِ وَ الرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ (34)

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 210

هذا خطاب من اللّه تعالى للمؤمنين يعلمهم أن كثيراً من أحبار اليهود و علمائهم و رؤسائهم، و كثيراً من رهبان النصارى ليأكلون أموال الناس بالباطل من حيث كانوا يأخذون الرشا فى الأحكام- فى قول إسحاق و الجبائى- و أكل المال بالباطل تملكه من الجهات التى يحرم منها اخذه. و قيل فى معنى «لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ» وجهان: أحدهما- انهم يتملكون، فوضع يأكلون موضعه لأن الاكل غرضهم. و الثانى- يأكلون اموال الناس من الطعام، فكأنهم يأكلون الأموال، لأنها من المأكول، كما قال الشاعر:

ذر الآكلين الماء لوماً فما أرى ينالون خيراً بعد أكلهم الماء «1»

اى ثمن الماء. و قوله «وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» معناه يمنعون غيرهم من اتّباع الإسلام الذى هو سبيل اللّه التى دعاهم الى سلوكها. و الغرض بذلك التحذير من اتباعهم و التهوين على المسلمين مخالفتهم.

و قوله «وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ، وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ» معناه الذين يخبئون أموالهم من غير ان يخرجوا زكاتها، لأنهم لو اخرجوا زكاتها و كنزوا ما بقى لم يكونوا ملومين بلا خلاف. و هو قول ابن عباس، و جابر، و ابن عمر، و الحسن و السدى، و الجبائى. قال: و هو إجماع. و اصل الكنز كبس الشىء بعضه على بعض.

و منه قولهم كنز التمر و الطعام قال الهذلى:

لا درّ درّى إن أطعمت نازلكم قرف الحتى و عندى البر مكنوز «2»

---

(1) اللسان (أكل) و روايته (من) بدل (ذر) و (ظلماً) بدل (لوماً).

(2) مقاييس اللغة 2/ 136 و اللسان «كنز».

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 211

الحتى سويق المقل. و قوله «وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ» إنما لم يقل و لا ينفقونهما لأحد أمرين: أحدهما- ان تكون الكناية عائدة الى مدلول عليه و تقديره و لا ينفقون الكنوز أو الأموال. و الآخر- ان يكون الكناية عائدة الى مدلول عليه و تقديره و لا ينفقون الكنوز أو الأموال. و الآخر- ان يكون اكتفى بأحدهما عن الآخر للإيجاز و مثله «وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها» «1» و قال حسان:

إن شرخ الشباب و الشعر الاس ود ما لم يعاص كان جنونا «2»
و قال الآخر:
نحن بما عندنا و انت بما عندک راض و الرأى مختلف «3»
و كان يجب ان يقول راضيان. و معنى البيت نحن بما عندنا راضون و أنت بما عندک راض و حذف الخبر من الاول لدلالة الثانى عليه كما حذف المفعول فى الثانى لدلالة الأول عليه فى قوله «وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِراتِ» «4» و التقدير و الذاكرات اللّه. و مثل ذلک الآية. و تقديرها و الذين يكنزون الذهب و لا ينفقونه فى سبيل اللّه و يكنزون الفضة و لا ينفقونها فى سبيل اللَّه. و موضع «و الذين يكنزون» يحتمل وجهين من الاعراب: أحدهما- ان يكون نصباً بالعطف على اسم (إنّ) و تقديره: يأكلون و الذين يكنزون الذهب: و الثانى- ان يكون رفعاً على الاستئناف.
و قال ابن عمر كل ما أخرجت زكاته فليس بكنز، و به قال عكرمة. و قال الجبائى و غيره: «الَّذِينَ يَكْنِزُونَ» نزلت فى مانعى الزكاة من أهل الصلاة. و قال قوم: نزلت فى المشركين، و الأولى أن تحمل الآية على العموم فى الفريقين.
و قوله «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ان اصل البشرى مما يظهر فى بشرة الوجه من فرح أو غم، إلا

---

(1) سورة 62 الجمعة آية 11
(2) تفسير القرطبى 8/ 128 و مجاز القرآن 1/ 258
(3) تفسير القرطبى 8/ 128 و معانى القرآن 1/ 434، 445.
(4) سورة 33 الأحزاب آية 35.

انه كثر استعماله فى الفرح كما قال الجعدى.
و أرانى طرباً فى إثرهم طرب الواله او كالمختبل «1»
لأن أصل الطرب ما يستخف من سرور او حزن.
و الثانى- انه وضع الوعيد بالعذاب الأليم موضع البشرى بالنعيم. و
روى عن على عليه السلام انه قال: كلما زاد على أربعة آلاف، فهو كنز. أديت زكاته او لم تؤد، و ما دونها فهو نفقة.
و قال أبو ذر: من ترک بيضاء او صفراء كوى بها و
سئل رسول اللّه صلى الله عليه و آله عند نزول هذه الآية أى مال يتخذ، فقال: لساناً ذاكراً و قلباً شاكراً و زوجة تعين أحدكم على دينه.

يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35)
قوله «يَوْمَ يُحْمى» متعلق بقوله «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» فى يوم يحمى عليها.
و معناه انه يدخل الذهب و الفضة الى النار فيوقد عليها يعنى على الكنوز التى كنزوا فالهاء فى قوله «عليها» عائدة على الكنوز او الفضة.
و الاحماء جعل الشىء حاراً فى الاحساس، و هو فوق الاسخان، و ضده التبريد تقول: حمى حماً و أحماء احماء إذا امتنع من حر النار.
و قوله «فتكوى» فالكى إلصاق الشىء الحار بالعضو من البدن. و منه قولهم اخر الداء الكى لغلظ أمره كقطع العضو إذا عظم فساده تقول: كواه يكويه كيّاً

---

(1) مقاييس اللغة 3/ 445 و اللسان (خيل)
. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 213
و اكتوى اكتواء. و قوله «جباههم» جمع جبهة و هى صفحة على الوجه فوق الحاجبين.
و جبهه بالمكروه يجبهه جبهاً إذا استقبله به «وَ جُنُوبُهُمْ» جمع جنب و الجنب و الضلع و الأبطل نظائر «و ظهورهم» جمع ظهر، و هو الصفحة العليا من خلف، المقابلة للبطن يقال: كتب فى ظهر الدرج و بطنه إذا كتب فى جانبيه. و المعنى ان اللّه يحمى هذه الكنوز بالنار ليكوى بها جباه من كنزها و لم يخرج حق اللّه منها و جنوبهم و ظهورهم، فيكون ذلک أشد لعذابهم و أعظم لخزيهم.
و قوله «هذا ما كَنَزْتُمْ» اى يقال لهم: هذا ما ذخرتموه لأنفسكم «فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ» و معناه فأطعموا جزاء ما كنتم تدخرونه من منع الزكوات و الحقوق الواجبة فى أموالكم.

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِی کِتابِ اللَّهِ یَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِیهِنَّ أَنْفُسَکُمْ وَ قاتِلُوا الْمُشْرِکِینَ کَافَّةً کَما یُقاتِلُونَکُمْ کَافَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِینَ (36)

قرأ ابو جعفر «اثنا عشر» و «أحد عشر» و «تسعة عشر» بسكون الشين فيهن إلا أن النهروانى روى عنه حذف الألف التى قبل العين.

لما ذكر اللّه تعالى وعيد الظالم لنفسه بكنز المال من غير إخراج الزكاة و غيرها من الحقوق التى للّه منه اقتضى ذلک ان يذكر النهى عن مثل حاله، و هو الظلم فى الأشهر الحرم التى تؤدى الى مثل حاله او شر منها فى سوء المنقلب، فأخبر تعالى «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ» فى السنة على ما تعبد اللّه المسلمين بأن يجعلوه لسنتهم دون ما يعتبره مخالفوا الإسلام «اثْنا عَشَرَ شَهْراً» و انما قسمت السنة اثنى عشر شهراً لتوافق أمر التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 214

الاهلة مع نزول الشمس فى اثنى عشر برجاً تجرى على حساب متفق، كما قال:

«الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ» «1» و الشهر مأخوذ من شهرة أمره لحاجة الناس اليه فى معاملاتهم و محل ديونهم و حجهم و صومهم، و غير ذلک من مصالحهم المتعلقة بالشريعة.

و قوله «فِی کِتابِ اللَّهِ» معناه فيما كتبه اللّه فى اللوح المحفوظ و فى الكتب المنزلة على أنبيائه.

و قوله «یَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» متصل ب «عِنْدَ اللَّهِ» و العامل فيها الاستقرار. ثم بين أمر هذه الاثنى عشر شهراً «مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ» و هى ذو القعدة، و ذو الحجة، و المحرم، و رجب: ثلاثة سرد و واحد فرد كما يعتقده العرب.

و معنى «حرم» انه يعظم انتهاک المحارم فيها اكثر مما يعظم فى غيرها، و كانت العرب تعظمها حتى ان الرجل لو لقى قاتل أبيه لم يهجه لحرمته. و انما جعل اللّه تعالى بعض الشهور أعظم حرمة من بعض لما علم فى ذلک من المصلحة فى الكف عن الظلم فيها، فعظم منزلتها، و انه ربما أدى ذلک الى ترک الظلم أصلا لانطفاء النائرة تلک المدة و انكسار الحمية، فان الأشياء تجر الى اشكالها.

و قوله «ذلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ» معناه التدين بذلک هو الدين المستقيم.

و قوله «فَلا تَظْلِمُوا فِیهِنَّ أَنْفُسَکُمْ» نهى منه تعالى لخلقه عن أن يظلموا أنفسهم لأن من فعل قبيحاً يستحق عليه العقاب، فقد ظلم نفسه بذلک بإدخال الضرر عليها و قال ابو مسلم: معناه لا تدعوا قتال عدوكم فى هذه

الأشهر بأجمعكم، و لا تمتنعوا من أحد إلا من دخل تحت الجزية و الصغار، و كان من أهلها بدلالة قوله «وَ قاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً» و كافة مشتقة من كفة الشىء و هى طرفه و انما أخذ من أن الشىء إذا انتهى الى ذلک كف عن الزيادة، و لا يثنى كافة و لا يجمع.
و قوله «وَ قاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً» امر منه تعالى بقتال المشركين أجمع: امر

---

(1) سورة 55 الرحمان آية 5
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 215
اللَّه تعالى المؤمنين بأن يقاتلوهم كما أن المشركين يقاتلونهم كذلک، و الضمير فى قوله «فيهن» يحتمل أن يكون عائداً على الشهور كلها على ما قال ابن عباس، و يحتمل أن يعود على الأربعة الحرم على ما قال قتادة لعظم أمرها. و اختار الفراء رجوعه الى الأشهر الحرم. قال لأنه لو رجع الى الاثنى عشر لقال فيها. و الصحيح ان الجميع جائز و انما خص الأربعة أشهر بذلک فى قول قتادة لتعاظم الظلم لا أن الظلم يجوز فعله على حال من الأحوال.
و قوله «ذلِکَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» معناه ذلک الحساب الصحيح هو الدين القيم لا ما كانت عليه العرب من النسىء. و قيل: معناه ذلک التدين هو الدين القيم. و قوله «كافة» نصب على المصدر، و لا يدخل عليها الالف و اللام، لأنه من المصادر التى لا تنصرف لوقوعه موقع معاً و جمعاً بمعنى المصدر الذى هو فى موضع الحال المذكورة، فهو فى لزوم النكرة نظير أجمعين فى لزوم المعرفة.
و قوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» لمعاصيهم و ما يؤدى الى عقابه و يكون معهم بالنصرة و الولاية دون الاجتماع فى مكان او محل، لأن اللَّه لا يجوز عليه ذلک لأنه من أمارات الحدث

إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيادَةٌ فِى الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً وَ يُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُواطِؤُا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (37)

قرأ ابو جعفر و ابن فرج عن البزى «انما النسى» من غير همز قلب الهمزة ياء و ادغم الياء الاولى فيها فلذلک شدد. الباقون «النسىء» ممدود مهموز على وزن فعيل. و روى عن ابن مجاهد و ابن مسعود عن عبيد بن عقيل عن شبل عن ابن كثير التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 216

«النسء» على وزن النسع. و قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «يضل» بضم الياء و فتح الضاد. و قرأ يعقوب بضم الياء و كسر الضاد. الباقون بفتح الياء و كسر الضاد.

قال ابو على: وجه قراءة ابن كثير إذا قرأت على وزن النسع ان (النسىء) التأخير. قال ابو زيد: نسأت الإبل فى ظمئها يوماً او يومين او اكثر من ذلک، و المصدر «النسىء» و يقال: الإبل نسأتها على الحوض و أنا أنسأها نسئا إذا أخرتها عنه. قال: و ما روى عن ابن كثير من قراءته بالياء فذلک على ابدال الياء من الهمزة، و لا أعلمها لغة فى التأخير، كما ان أرجيت لغة فى ارجأت. و ما روى فيه من التشديد فعلى تخفيف الهمز، لأن النسىّ بتشديد الياء على وزن فعيل بالتخفيف قياسى. و سيبويه لا يجيز نحو هذا القلب الذى فى النسىء الا فى ضرورة الشعر. و ابن زيد يراه و يروى كثيراً عن العرب. و من قرأ بالمد و الهمز فلأنه اكثر هذا فى المعنى. قال أبو زيد: أنسأته الدين إنساء إذا اخترته و اسم ذلک النسيئة و النسأ. و كان النسىء فى الشهور تأخير حرمة شهر الى شهر ليست له تلک الحرمة فيحرمون بهذا التأخير ما أحل اللّه و يحلون ما حرم اللّه. و النسىء مصدر كالنذير و النكير و عذير الحى. و لا يجوز أن يكون (فعيلا) بمعنى مفعول لأنه حمل على ذلک كأن معناه انما المؤخر زيادة فى الكفر. و المؤخر الشهر و ليس الشهر نفسه بزيادة فى الكفر، و انما الزيادة فى الكفر تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر ليست له تلک الحرمة. و قال ابو عبيدة فيما روى عن الثورى من قوله: انما النسىء زيادة فى الكفر قال: كانوا قد و كلوا قوماً من بنى كنانة يقال لهم:

بنوا فقيم و كانوا يؤخرون المحرم و ذلک نساء الشهور لا يفعلون ذلک الا فى ذى الحجة إذا اجتمعت العرب للموسم، فينادى مناد أن افعلوا ذلک لحاجة او لحرب، و ليس كل سنة يفعلون ذلک، فان أرادوا ان يحلوا المحرم نادوا هذا صفر و ان المحرم الأكبر صفر، و ربما جعلوا صفراً محرماً مع ذى القعدة حتى يذهب الناس الى منازلهم إذا نادى المنادى بذلک، و كانوا يسمون

المحرم صفراً و يقدمون صفراً سنة و يؤخرونه. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 217
و قال الفراء: و الذى يتقدم به رجل من بنى كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة و كان رئيس الموسم، فيقول: أنا الذى لا أعاب و لا أجاب و لا يرد لى قضاء فيقولون:
نعم صدقت انسئنا شهراً او أخر عنا حرمة المحرم و اجعلها فى صفر و أحل المحرم فيفعل ذلک. و انما دعاهم الى ذلک توالى ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها و كان معاشهم فى الغارة. و الذى كان ينسأها حين جاء الإسلام هو جنادة بن عوف بن أبى امية و كان فى بنى معد إن قبل بنو كنانة قال الشاعر:
ألسنا الناسئين على معدّ شهور الحل نجعلها حراما «1»
و قال ابن عباس كانوا يجعلون المحرم صفراً و قال ابو على: كانوا يؤخرون الحج فى كل سنة شهراً و كان الذين ينسئون بنو سليم، و غطفان، و هوازن، و وافق حج المشركين فى السنة التى حج فيها ابو بكر فى ذى القعدة،
فلما حج النبى صلى الله عليه و آله فى العام المقبل وافق ذلک فى ذى الحجة فلذلک قال: ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات و الأرض.
و قال مجاهد: فكان النسىء المنهى عنه فى الآية تأخير الأشهر الحرم عما رتبها اللّه، و كانوا فى الجاهلية يعملون ذلک و كان الحج يقع فى غير وقته و اعتقاد حرمة الشهر فى غير أوانه، فبين تعالى أن ذلک زيادة فى الكفر.
قال ابو على: من قرأ «يضل» بفتح الياء و كسر الضاد قال الذين كفروا لا يخلو أن يكونوا مضلين لغيرهم أو ضالين هم فى أنفسهم فإذا كان كذلک لم يكن فى حسن اسناد الضلال فى قوله «يضل» اشكال، ألا ترى أن المضل لغيره ضال بفعله إضلال غيره كما ان الضال فى نفسه الذى لم يضله غيره لا يمتنع اسناد الضلال اليه و من ضم الياء و كسر الضاد فمعناه ان كبراءهم و اتباعهم يضلونهم بأمرهم إياهم بحملهم على هذا التأخير فى الشهور. و روى فى التفسير ان رجلا من كنانة يقال له ابو ثمامة كان يقول للناس فى منصرفهم من الحج إن آلهتكم قد أقسمت

---

(1) قائله الكميت. تفسير القرطبى 8/ 138

لنحرمنّ. و ربما قال لنحلن هذا الشهر يعنى المحرم فيحلونه و يحرمون صفراً و ان حرموه أحلوا صفراً و كانوا يسمونهما الصفرين فهذا إضلال من هذا المنادى.
و من قرأ بضم الياء و فتح الضاد- و قيل انها قراءة ابن مسعود- يقوى ذلک قوله «زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ» اى زين ذلک لهم حاملوهم عليه و داعوهم

اليه. و على هذه القراءة يكوَن «الّذِينَ كَفَرُوا» فى موضع رفع بأنهم فاعلون و المفعول به محذوف و تقديره يضل منسئوا الشهور الذين كفروا تابعيهم و الآخذين لهم بذلک.
و معنى قوله «لِيُواطِؤُا» فالمواطأة موافقة امر التوطئة و المعنى ليواطئوا العدة فى الاربعة أشهر.
و قوله «زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ» قال الحسن و أبو على المزين لهم أنفسهم و الشيطان و قيل: زين بالشهوة و ليجتنبوا المشتهى فذكر ذلک للتحذير و الاعتراف به. و التزيين يكون بمعنى الفعل له و يكون بمعنى تقبل الطبع. و إنما سمى إنساؤهم زيادة فى الكفر من حيث أنهم اعتقدوا أن ذلک صحيح و صواب فلذلک كان كفراً فلا حجة فى ذلک ان تكون أفعال الجوارح كفراً.
و قوله «وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكافِرِينَ» معناه انه لا يهديهم الى طريق الجنة إذ كانوا كفاراً مستحقين لعذاب الأبد.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَ رَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَةِ فَما مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)

هذا خطاب من اللَّه تعالى لجماعة من المؤمنين و عتاب و توبيخ لهم بأنهم إذا قيل لهم على لسان رسوله «انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و معناه اخرجوا فى سبيل اللَّه يعنى الجهاد التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 219

و سماه سبيل اللَّه، لأن القيام به موصل الى معنى الجنة و رضا اللَّه تعالى و النفر الخروج الي الشىء لأمر هيج عليه و ضده الهدوء تقول: نفر الى الثغر ينفر نفراً و نفيراً و لا يقال النفور إلا فى المكروه كنفور الدابة عما تخاف، و قوله «اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ» أصله تثاقلتم و أدغمت التاء فى الثاء لمناسبتها لها و ادخلت الف الوصل ليمكن الابتداء بها و مثله اداركوا قال الشاعر:

تولى الضجيع إذا ما استافها خصراً عذب المذاق إذا ما أتابع القبل «1»

و التثاقل تعاطي اظهار ثقل النفس و مثله التباطئ و ضده التسرع. و معنى «اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ» قيل فيه قولان:

أحدهما- الى المقام بأرضكم و وطنكم.

الثانى- لما اخرج من الأرض من الثمر و الزرع. قال الحسن و مجاهد:

دعوا الى الخروج الى غزوة تبوک بعد فتح مكة و غزوة الطائف، و كان ايام ادراک الثمرة و محبة القعود فى الظل فعاتبهم اللَّه على ذلک. و الآية مخصوصة بقوم من المؤمنين دون جميعهم، لأن من المعلوم ان جميعهم لم يكن بهذه الصفة من التثاقل فى الجهاد، و هو قول الجبائى و غيره. فقال اللَّه تعالى لهم على جهة التوبيخ، و التعنيف أ رضيتم بالحياة الدنيا على الاخرة، آثرتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة الباقية. و هو استفهام، و المراد به الإنكار. و الرضا هو الارادة غير انها لا توصف بذلک إلا إذا تعلقت بما مضى من الفعل و الارادة توصف بما لم يوجد بعد قال تعالى مخبراً «فَما مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ» اى ليس الانتفاع بما يظهر للحواس الا قيل و منه قولهم: تمتع بالرياض و المناظر الحسان. و يقال للأشياء التى لها أثمان: متاع تشبيهاً بالانتفاع به.

---

(1) معانى القرآن 1/ 438 و الطبرى 14/ 252 (استاف) الشىء قرب منه و شمه، و (القبل)- بضم القاف- جمع قبلة. [.....]

إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً وَ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَ لا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)

هذا تحذير من اللّه تعالى لهؤلاء الذين استبطأهم و وصفهم بالتثاقل عن سبيل اللّه بقوله «إِلَّا تَنْفِرُوا» أى إن لم تخرجوا الى سبيل اللّه التى دعيتم اليها من الجهاد «يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً وَ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ» يقومون بنصرة نبيه و لا يتثاقلون فيه.

و الاستبدال جعل أحد الشيئين بدل الاخر مع الطلب له و التعذيب بطول وقت العذاب، لأنه من الاستمرار و قد يكون عقاباً و غير عقاب.

و قوله «وَ لا تَضُرُّوهُ شَيْئاً» قيل فيمن يرجع اليه قولان: أحدهما- انه يعود على اسم اللّه فى قول الحسن. قال: لأنه غنى بنفسه عن جميع الأشياء و الاخر- قال الزجاج: إنها تعود الى النبى صلى الله عليه و آله لأن اللّه عصمه من جميع الناس و قوله «وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» معناه قادر على الاستبدال بكم و على غيره من الأشياء. و فيه مبالغة.

إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40)

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 221

قرأ يعقوب وحده «وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا» بالنصب على تقدير و جعل كلمة اللّه هى العليا و من رفع استأنف، و هو أبلغ لأنه يفيد أن كلمة اللّه العليا على كل حال.

و هذا ايضاً زجر آخر و تهديد لمن خاطبه فى الآية الاولى بأنهم إن لم ينصروا النبى صلى الله عليه و آله و لم يقاتلوا معه و لم يجاهدوا عدوه «فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ» أى قد فعل اللّه به النصر حين أخرجه الكفار من مكة «ثانِيَ اثْنَيْنِ». و هو نصب على الحال اى هو و معه آخر، و هو ابو بكر فى وقت كونهما فى الغار من حيث «يَقُولُ لِصاحِبِهِ» يعنى أبا بكر «لا تَحْزَنْ» اى لا تخف. و لا تجزع «إِنَّ اللَّهَ مَعَنا» أى ينصرنا. و النصرة على ضربين: أحدهما- يكون نعمة على من ينصره. و الآخر- لا يكون كذلك، فنصرة المؤمنين تكون إحساناً من الناصر الى نفسه لأن ذلك طاعة للّه و لم تكن نعمة على النبى صلى الله عليه و آله. و الثانى- من ينصر غيره لينفعه بما تدعو اليه الحكمة كان ذلك نعمة عليه مثل نصرة اللّه لنبيه صلى الله عليه و آله.

و معنى «ثانِيَ اثْنَيْنِ» أحد اثنين يقولون هذا ثانى اثنين، و ثالث ثلاثة، و رابع أربعة، و خامس خمسة، لأنه مشتق من المضاف اليه. و قد يقولون خامس اربعة أى خمس الاربعة بمصيره فيهم بعد أن لم يكن.

و الغار ثقب عظيم فى الجبل. قيل: و هو جبل بمكة يقال له ثور، فى قول قتادة.

و قال مجاهد: مكث النبى صلى الله عليه و آله فى الغار مع أبى بكر ثلاثاً. و قال الحسن: أنبت اللّه على باب الغار ثمامة، و هى شجيرة صغيرة. و قال غيره: الهم العنكبوت فنسجت على باب الغار. ثمامة، و هى شجيرة صغيرة.

و قال غيره: الهم العنكبوت فنسجت على باب الغار. و أصل الغار الدخول الى عمق الخباء. و منه قوله «إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً» «1» و غارت عينه تغور غوراً إذا دخلت فى رأسه. و منه أغار على القوم إذا أخرجهم من أخبيتهم بهجومه عليهم.

و قوله «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ» قيل فيمن تعود الهاء اليه قولان: أحدهما- قال الزجاج: إنها تعود الى النبى صلى الله عليه و آله. و الثانى- قال الجبائى: تعود على أبى بكر

(1) سورة 67 الملک آية 30
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 222
لأنه كان الخائف و احتاج الى الأمن لأن من وعد بالنصر فهو ساكن القلب. و الاول أصح، لأن جميع الكنايات قبل هذا و بعده راجعة الى النبى صلى الله عليه و آله ألا ترى أن قوله «إِلَّا تَنْصُرُوهُ» الهاء راجعة الى النبى صلى الله عليه و آله بلا خلاف، و قوله «فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ» فالهاء أيضاً راجعة الى النبى صلى الله عليه و آله و قوله «إِذْ أَخْرَجَهُ» يعنى النبى صلى الله عليه و آله «إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ» يعنى صاحب النبى صلى الله عليه و آله ثم قال «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ» و قال بعده «وَ أَيَّدَهُ بِجُنُودٍ» يعنى النبى صلى الله عليه و آله فلا يليق أن يتخلل ذلک كله كناية عن غيره و تأييد اللَّه إياه بالجنود ما كان من تقوية الملائكة لقلبه بالبشارة بالنصر من ربه و من إلقاء اليأس فى قلوب المشركين حتى انصرفوا خائبين.
و قوله «وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى» أى جعلها نازلة دنية و أراد بذلک أن يسفل وعيدهم النبى صلى الله عليه و آله و تخويفهم إياه فأبطل وعيدهم و نصر رسول اللَّه و المؤمنين عليهم فعبر عن ذلک بأنه جعل كلمتهم كذلک، لا انه خلق كلمتهم كما قال «وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً» «1».
و قيل: إن كلمة الذين كفروا الشرک، و كلمة اللَّه التوحيد، و هى قول: لا اله الا اللَّه. و قيل: كلمتهم هو ما تغامزوا عليه من قتله. و «كَلِمَةُ اللَّهِ» ما وعد به من النصر و النجاة. ثم أخبر ان «كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا» المرتفعة اى هى المنصورة بغير جعل جاعل، لأنها لا يجوز أن تدعو الى خلاف الحكمة. و قوله «وَ اللَّهُ عَزِيزٌ» معناه قادر لا يقهر «حكيم» واضع الأشياء مواضعها ليس فيها وجه من وجوه القبح.
و ليس فى الاية ما يدل على تفضيل أبى بكر، لأن قوله «ثانِيَ اثْنَيْنِ» مجرد الاخبار أن النبى صلى الله عليه و آله خرج و معه غيره، و كذلک قوله «إِذْ هُما فِي الْغارِ» خبر عن كونهما فيه، و قوله «إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ» لا مدح فيه أيضاً، لأن تسمية الصاحب لا تفيد فضيلة ألا ترى أن اللَّه تعالى قال فى صفة المؤمن و الكافر

---

(1) سورة 43 الزخرف آية 19
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 223
«قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَ هُوَ يُحاوِرُهُ أَ كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَکَ» «1» و قد يسمون البهيمة بأنها صاحب الإنسان كقول الشاعر (و صاحبى بازل شمول) و قد يقول الرجل المسلم لغيره: أرسل اليک صاحبى اليهودى، و لا يدل ذلک على الفضل، و قوله «لا تَحْزَنْ» إن لم يكن ذماً فليس بمدح بل هو نهى محض

عن الخوف، و قوله «إِنَّ اللّهَ مَعَنا» قيل إن المراد به النبى صلى الله عليه و آله، و لو أريد به أبو بكر معه لم يكن فيه فضيلة، لأنه يحتمل أن يكون ذلک على وجه التهديد، كما يقول القائل لغيره إذا رآه يفعل القبيح لا تفعل إن اللّه معنا يريد أنه متطلع علينا، عالم بحالنا. و السكينة قد بينا أنها نزلت على النبى صلى الله عليه و آله بما بيناه من ان التأييد بجنود الملائكة كان يختص بالنبى صلى الله عليه و آله فأين موضع الفضيلة للرجل لولا العناد، و لم نذكر هذا للطعن على أبى بكر بل بينا أن الاستدلال بالاية على الفضل غير صحيح.

انْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالاً وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَیْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41)

هذا أمر من اللّه تعالى للمؤمنين أن ينفروا الى جهاد المشركين خفافاً و ثقالا و قيل فى معنى «خِفافاً وَ ثِقالًا» ثمانية أقوال: أحدها- قال الحسن و مجاهد و الضحاك و الجبائى: إن معناه شباناً و شيوخاً. و ثانيها- قال صالح: معناه أغنياء و فقراء. و ثالثها- قال ابن عباس و قتادة: نشاطاً و غير نشاط. و رابعها- قال ابو عمرو: ركباناً و مشاة. و خامسها- قال ابن زيد: ذا صنعة و غير ذى صنعة.

و سادسها- قال الحكم: مشاغيل و غير مشاغيل. و سابعها- قال الفراء: ذو العيال، و الميسرة: هم الثقال، و ذو العسرة و قلة العيال هم الخفاف. و ثامنها- ان يحمل

---

(1) سورة 18 الكهف آية 38

على عمومه فيدخل فيه جميع ذلک. و هو الأولى و الأليق بالظاهر، و هو اختيار الطبرى، و الرمانى و يكون ذلک على حال خفة النفير و ثقله لأن هذا الذى ذكر يجرى مجرى التمثيل لما يعمل هذا العمل به.

و قوله «وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ» أمر من اللّه لهم بأن يجاهدوا فى قتال أعدائه بأموالهم و أنفسهم. و الجهاد بالمال واجب كالجهاد بالأنفس، و هو الإنفاق فى سبيل اللّه، و ظاهر الاية يدل على وجوب ذلک بحسب الإمكان، فمن لم يطق الجهاد إلا بالمال فعليه ذلک يعين به من ليس له مال.

و ظاهر الآية يقتضى وجوب مجاهدة البغاة كما يجب مجاهدة الكفار، لأنه جهاد فى سبيل اللّه، و لقوله «فَقاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتَّی تَفِیءَ إِلی أَمْرِ اللَّهِ» «1» فأوجب قتال البغاة الى حين يرجعوا الى الحق. و قوله «ذلِكُمْ خَیْرٌ لَكُمْ» إشارة الى الجهاد و تقديره ذلک الجهاد خير لكم. و إنما قال «خَیْرٌ لَكُمْ» و ان لم يكن فى ترک الجهاد خير، لأحد أمرين: أحدهما- خير من تركه الى المباح. و الثانى- ان فيه الخير لكم لا فى تركه، فلا يكون خير بمعنى أفعل من كذا.

و قوله «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» معناه إن كنتم تعلمون الخير فى الجملة فاعلموا أن هذا خير. و قال أبو على: معناه «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» صدق اللّه فيما وعد به من الثواب الدائم.

و قال أبو الضحى: أول ما نزل من سورة براءة «انفروا».

و قال مجاهد: أول ما نزل قوله «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ».
و قال ابن عباس: نسخ هذه الاية قوله «وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً» «2».
و قال جعفر بن قيس: هذا ليس بمنسوخ، لأن المنسوخ ما لا يجوز فعله.
و هذا ليس بصحيح، لأنه يجوز أن يكون وجوبه زال الى الندب او الاباحة.

---

(1) سورة 49 الحجرات آية 9
(2) سورة 9 التوبة آية 123

لَوْ كانَ عَرَضاً قَرِيباً وَ سَفَراً قاصِداً لاتَّبَعُوكَ وَ لكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (42)

هذه الاية فى قوم تخلفوا عن النبى صلى الله عليه و آله و لم يخرجوا معه الى غزوة تبوک.

و حسن الكناية عنهم و إن لم يجر لهم ذكر لكونهم داخلين فى جملة الذين أمروا بالخروج مع النبى صلى الله عليه و آله الى الجهاد و أن ينفروا معه. و المعنى لو كان المدعو اليه عرضاً قريباً من الغنيمة و ما يطمع فيه من المال «وَ سَفَراً قاصِداً» معناه سفراً سهلا باقتصاده من غير طول فى آخره. و سمى العدل قصداً، لأنه مما ينبغى أن يقصد «لَاتَّبَعُوكَ» يعنى خرجوا معک و بادروا الى اتباعک «وَ لكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ» اى بعدت عليهم المسافة، لأنهم دعوا الى الخروج الى تبوک ناحية الشام، فالشقة القطعة من الأرض التى يشق ركوبها على صاحبها لبعدها. و يحتمل أن يكون من الشق و يحتمل ان يكون من المشقة. و الشقة السفر و المشاقة. و قريش يضمون الشين، و قيس يكسرونها. و قريش يضمون العين من (بعدت).

و قوله «وَ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ» اخبار منه تعالى ان هؤلاء الذين ذكرهم يحلفون و يقسمون على وجه الاعتذار اليک و يقولون فيما بعد «لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ» اى لو قدرنا و تمكنا من الخروج لخرجنا معكم ثم اخبر تعالى انهم «يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ» بذلک و اخبر تعالى انه يعلم انهم يكذبون فى هذا الخبر الذى أقسموا عليه. و فى الاية دلالة على أن الاستطاعة قبل الفعل لأنهم لا يخلون من احد أمرين: إما أن يكونوا مستطيعين من الخروج و قادرين عليه و لم يخرجوا او لم يكونوا قادرين عليه و إنما حلفوا أنهم لو قدروا فى المستقبل التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 226

لخرجوا، فان كان الاول فقد ثبت ان القدرة قبل الفعل، و إن كان المراد الثانى فقد أكذبهم اللّه فى ذلک و بين انه لو فعل لهم الاستطاعة لما خرجوا، و فى ذلک أيضاً تقدم القدرة على المقدور و ليس لهم أن يحملوا الاستطاعة على آلة السفر و عدة الجهاد، لأن ذلک ترک الظاهر من غير ضرورة فان حقيقة الاستطاعة القدرة و إنما يشبه غيرها بها على ضرب من المجاز، على انه إذا كان عدم الآلة و العدة يعذر صاحبه فى التأخر فمن ليس فيه قدرة اولى بأن يكون معذوراً و فى الاية دلالة على النبوة لأنه اخبر انهم سيحلفون فى المستقبل على ذلک باللّه «لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ» فجاءوا فيما بعد و حلفوا على ما اخبر به.

عَفَا اللَّهُ عَنْکَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَکَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْکاذِبِينَ (43)

هذا خطاب فيه بعض العتاب للنبى صلى الله عليه و آله فى إذنه من استأذنه فى التأخر فأذن له، فأخبر اللَّه بأنه كان الأولى ان لا تأذن لهم و تلزمهم الخروج معک حتى إذا لم يخرجوا ظهر نفاقهم، لأنه متى أذن لهم ثم تأخروا لم يعلم بالنفاق كان تأخرهم أم بغيره. و كان الذين استأذنوه منافقين. و حقيقة العفو الصفح عن الذنب، و مثله الغفران، و هو ترک المؤاخذة على الاجرام. و قد كان يجوز أن يعفو اللَّه عن جميع المعاصى كفراً كان او غيره، غير أنه أخبر أنه لا يعفو عن عقاب الكفر، لإجماع الامة على ذلک، و ما عداه من الفسق باق على ما كان عليه من الجواز.

و انما قال «عَفَا اللَّهُ عَنْکَ» على غير لفظ المتكلم لأنه أفخم من الكناية لأن هذا الاسم من اسماء التعظيم كما أن قولک إن رأى الأمير افخم من قولک إنى رأيت.

و قال ابو على الجبائى: فى الاية دلالة على ان النبى صلى الله عليه و آله كان وقع منه ذنب التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 227

فى هذا الاذن. قال: لأنه لا يجوز أن يقال لم فعلت ما جعلت لک فعله؟ كما لا يجوز أن يقول لم فعلت ما أمرتک بفعله. و هذا الذى ذكره غير صحيح، لأن قوله «عَفَا اللَّهُ عَنْکَ» إنما هى كلمة عتاب له صلى الله عليه و آله لم فعل ما كان الأولى به أن لا يفعله، لأنه و ان كان له فعله من حيث لم يكن محظوراً فان الأولى ان لا يفعله، كما يقول القائل لغيره إذا رآه يعاتب أخاً له: لم عاتبته و كلمته بما يشق عليه؟ و ان كان له معاتبته و كلامه بما يثقل عليه. و كيف يكون ذلک معصية وقد قال اللَّه فى موضع آخر:

«فَإِذَا اسْتَأْذَنُوکَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ» و إنما أراد اللَّه أنه كان ينبغى أن ينتظر تأكيد الوحى فيه. و من قال هذا ناسخ لذلک فعليه الدلالة.

و قوله «لِمَ أَذِنْتَ» فالاذن رفع التبعة، عاتب اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله لم أذن لقوم من المتأخرين عن الخروج معه الى تبوک و إن كان له إذنهم لكن كان الاولى ان لا يأذن «حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَکَ» حتى يظهر لک «الَّذِينَ صَدَقُوا» فى قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم، لأنه كان فيهم من اعتل بالمرض و العجز و عدم الحمولة «وَ تَعْلَمَ الْکاذِبِينَ» منهم فى هذا القول.

لا يَسْتَأْذِنُکَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (44)

أخبر اللّه تعالى نبيه بعلامة المنافقين و الكاذبين بأن بين أنه لا يستأذن احد النبى صلى الله عليه و آله فى التأخر عنه و الخروج معه الى جهاد أعدائه و لا يسأله الاذن فى التأخر القوم الذين يؤمنون باللّه و يصدقون به و يقرون بوحدانيته و يعترفون باليوم الاخر. و الاستئذان طلب الاذن من الآذن. و معنى قوله «أَنْ يُجاهِدُوا» فيه حذف و تقديره لأن لا يجاهدوا بحذف (لا) لان ذمهم قد دل عليه- هذا قول أبى على التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 228

الجبائى- و قال الحسن: تقديره كراهية أن يجاهدوا بأموالهم و أنفسهم. و قال الزجاج: هو فى موضع نصب، لان تقديره فى أن يجاهدوا، فلما حذف حرف الجر انتصب، و عند سيبويه و غيره هو فى موضع الجر.

و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ» اخبار منه تعالى بانه يعلم من يتقى معصية اللّه و يخاف عقابه، و من لا يتقيه. قال ابن عباس هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوه فى القعود عن الجهاد و عذر للمؤمنين، فقال: لم يذهبوا حتى يستأذنوه. و المعنى انه لم يخرجهم من صفة المتقين إلا انه علم أنهم ليسوا منهم.

فان قيل أى الجهادين أفضل: أ جهاد السيف أم جهاد العلم؟

قيل: هذا بحسب الحاجة اليه و المصلحة فيه، و كذلک الجهاد بالمال و الجهاد بالنفس. و إنما يقع التفاضل مع استواء الأحوال الا بمقدار الخصلة الزائدة من خصال الفضل. و أجاز الرمانى الجهاد مع الفساق إذا عاونوا على حق فى قتال الكفار لأنهم يطيعون فى ذلک الفعل كما هم مطيعون فى الصلاة و الصيام و غير ذلک من شريعة الإسلام. و الظاهر من مذهب أصحابنا أنه لا يجوز ذلک إلا ما كان على وجه الدفع عن النفس و عن بيضة الإسلام.

إِنَّما يَسْتَأْذِنُکَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِی رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (45)

أخبر اللّه تعالى فى هذه الاية بانه إنما يستأذن النبى صلى اللّه عليه و آله فى التأخر عن الجهاد و القعود عن القتال معه القوم «الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» اى لا يصدقون باللّه و لا يعترفون به «وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» يعنى بالبعث و النشور «وَ ارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ» يعنى اضطربت و شكت. و الارتياب هو الاضطراب فى الاعتقاد بالتقدم مرة و التأخر اخرى. و الريبة التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 229

شک معه تهمة: رابنى ريباً و ريبة و ارتاب ارتياباً، و استراب استرابة.

و قوله «فَهُمْ فِی رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ» معناه فهم فى شكهم يذهبون و يرجعون و التردد هو التصرف بالذهاب و الرجوع مرات متقاربة، مثل المتحير، ردّه ردّاً و ردّده ترديداً، و تردّد ترددا و ارتدّ ارتداداً، و راده مرادة، و ترادّ القوم ترداداً، و استرده استرداداً. و قوله «فِی رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ» يدل على بطلان قول من يقول: إن المعارف ضرورة، لأنه تعالى أخبر أنهم فى شكهم يترددون، صفة الشاک المتحير فى دينه الذى ليس على بصيرة من أمره. و قيل فى معنى اليوم الاخر قولان:

أحدهما- انه آخر يوم من أيام الدنيا و المؤذن بالكرة الأخيرة.

الثانى- و هو الأقوى- انه يوم الجزاء و الحساب و هو يوم القيامة و هو الأظهر من مفهوم هذه اللفظة.

وَ لَوْ أَرادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَ لكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِينَ (46)
اخبر اللّه تعالى ان هؤلاء المنافقين لو أرادوا الخروج مع النبى صلى الله عليه و آله نصرة له و رغبة فى جهاد الكفار كما أراد المؤمنون ذلک لأعدوا للخروج عدة، و هو ما يتهيأ لهم معها الخروج، و لكن لم يكن لهم فى ذلک نية و كان عزمهم على أن النبى صلى الله عليه و آله ان لم يأذن لهم فى الاقامة فخرجوا، أفسدوا عليک و ضربوا بين أصحابک، و أفسدوا قلوبهم، فكره اللّه خروجهم على هذا الوجه، لان ذلک كفر و معصية. و اللّه لا يكره الخروج الذى أمرهم به، و هو أن يخرجوا لنصرة نبيه و قتال عدوه و الجهاد فى سبيله كما خرج المؤمنون كذلک، فثبطهم اللّه عن الخروج الذى عزموا عليه و لم يثبطهم عن الخروج الذى أمرهم به، لأن الاول كفر. و الثانى طاعة.
و قوله «وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِينَ» يحتمل شيئين: أحدهما- أن يكون التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 230
القائلون لهم ذلک أصحابهم الذين نهوهم عن الخروج مع النبى نصرة له و رغبة فى الجهاد. و الثانى- ان يكون ذلک من قول النبى صلى الله عليه و آله لهم على وجه التهديد لا على وجه الاذن، و يجوز أن يكون إذنه لهم فى القعود الذى عاتبه اللّه عليه. و أنه كان الأولى أن لا يأذن لهم فيه، و لا يجوز أن يكون ذلک من قول اللّه، لأنه لو كان كذلک لكان مباحاً لهم التأخر. اللهم إلا أن يكون ذلک على وجه التهديد، فيجوز أن يكون ذلک من قول اللّه. و العدة و الاهبة و الآلة نظائر. و الانبعاث الانطلاق بسرعة فى الأمر، و لذلک يقال: فلان لا ينبعث فى الحاجة أى ليس له نفاذ فيها.
و التثبط التوقف عن الامر بالتزهيد فيه و مثله التعقيل. و قوله «مَعَ الْقاعِدِينَ» يعنى مع النساء و الصبيان و المرضى و الزمنى، و من ليس به حراک. قال ابن إسحاق:
كان الذين استأذنوه اشرافاً و رؤساء كعبد اللّه بن أبى بن أبى سلول و الحد بن قيس.
و زاد مجاهد رفاعة بن التابوت و أوس بن قبطى.

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلاَّ خَبالاً وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَ فِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47)

بين اللّه تعالى فى هذه الآية الوجوه فى كراهية انبعاثهم و وجه الحكمة فى تثبيطهم عن ذلک و هو ما علم من ان فى خروجهم مفسدة للمؤمنين، لأنه قال «لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلَّا خَبالًا» قال الفراء: لو قال ما زادكم يريد خروجهم لكان جائزاً، و هذا من سعة العربية. و الخبال الفساد، و الخبال الموت، و الخبال الاضطراب فى الرأى بتزيين أمر لقوم و تقبيحه لآخرين ليختلفوا و تفترق كلمتهم.

و قوله «وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ» و الإيضاع الاسراع فى السير بطرح العلق التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 231

قال الشاعر:

أرانا موضعين لأمر غيب و نسحر بالطعام و بالشراب «1»

و قال آخر:

يا ليتنى فيها جذع أخب فيها و أضع «2»

و ربما قالوا للراكب: وضع بغير الف، و منه وضعت الناقة تضع وضعاً، و أوضعتها إيضاعاً. و معنى الإيضاع ها هنا إسراعهم فى الدخول بينهم للتضريب بنقل الكلام على وجه التخويف. قال الحسن: معناه مشوا بينكم بالنميمة، لإفساد ذات بينكم. و قوله «وَ فِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال قتادة و ابن إسحاق: فيكم القابلون منهم عند سماع قولهم، و قوله «إلا خبالا» استثناء منقطع و تقديره ما زادوكم قوة و لكن طلبوا لكم الخبال و يحتمل أن يكون المعنى إنهم على خبال فى الرأى فيعقده حتى يصير خبالا فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا.

الثانى- قال مجاهد و ابن زيد: لهم عيون منهم ينقلون أخباركم الى المشركين.

و قوله «يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ» معناه يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة و الفرقة.

قال الحسن: يبغونكم أن تكونوا مشركين. و أصل الفتنة إخراج خبث الذهب بالنار، تقول: بغيتک كذا بمعنى بغيت لک و مثله جلبتک و جلبت لک و «خلالكم» أى بينكم مشتق من التخلل، و هى الفرج تكون بين القوم فى الصفوف و غيرها، و منه

قول النبى صلى الله عليه و آله تراصوا فى الصفوف لا يتخللكم أولاد الخذف.

و قوله: «وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّٰالِمِينَ» معناه- ها هنا- عالم بمن يستأذن

---

(1) مر تخريجه فى 1/ 372
(2) قائله دريد بن الصمة قاله يوم حنين: اللسان (وضع) و سيرة ابن هشام 4/ 82 و تفسير الطبري 14/ 278
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 232
النبى صلى الله عليه و آله فى التأخر شكاً فى الإسلام و نفاقاً، و عالماً بمن سمع حديث المؤمن و ينقله الى المنافقين فان هؤلاء ظالمون أنفسهم و باخسون لها حظها من الثواب.

لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَ قَلَّبُوا لَکَ الْأُمُورَ حَتَّى جاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَ هُمْ کارِهُونَ (48)

اقسم اللّه تعالى أن هؤلاء المنافقين «ابتغوا» أى طلبوا إفساد ذات بينكم و افتراق كلمتكم فى يوم أحد حتى انصرف عبد اللّه بن أبى بأصحابه و خذل النبى صلى الله عليه و آله و كان هو و جماعة من المنافقين يبغون للإسلام الغوائل قبل هذا، فسلم اللّه المؤمنين من فتنتهم و صرفها عنهم. و قوله «وَ قَلَّبُوا لَکَ الْأُمُورَ» فالتقليب هو تصريف الشىء بجعل أسفله أعلاه مرة بعد أخرى، فهؤلاء صرفوا القول فى المعنى للحيلة و المكيدة و قوله «حَتَّى جاءَ الْحَقُّ» أى حتى اتى الحق «وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَ هُمْ کارِهُونَ» أى فى حال كراهتهم لذلک، فهى جملة فى موضع الحال. و الظهور خروج الشىء الى حيث يقع عليه الإدراک و قد يظهر المعنى للنفس إذا حصل العلم به.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِی وَ لا تَفْتِنِّی أَلا فِی الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ (49)

قال ابن عباس و مجاهد و ابن زيد: نزلت هذه الآية فى ألحد بن قيس، و ذلک ان النبى صلى الله عليه و آله لما دعا الناس الى الخروج الى غزوة تبوک لقتال الروم جاءه ألحد ابن قيس، فقال: يا رسول اللّه إنى رجل مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الأصفر، قال الفراء: سمى الروم أصفر، لأن حبشياً غلب على ناحية الروم، و كان له بنات التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 233

قد أخذن من بياض الروم و سواد الحبشة فكنّ صفراً لعساً، فنزلت هذه الآية فيه.

و قال الحسن و قتادة و أبو عبيدة و أبو على و الزجاج: معنى و لا تفتنى و لا تؤثمنى بالعصيان فى المخالفة التى توجب الفرقة، فتضمنت الآية ان من جملة المنافقين من استأذن النبى صلى الله عليه و آله فى التأخر عن الخروج، و الاذن رفع التبعة فى الفعل، و هو و الاباحة بمعنى، و قال له «لا تفتنى» اى لا تؤثمنى بأن تكلفنى المشقة فى ذلک فأهم بالعصيان أو لا تفتنى ببنات أصفر على ما حكيناه، فقال اللّه تعالى «أَلا فِی الْفِتْنَةِ سَقَطُوا» أى وقعوا فى الكفر و المعصية بهذا القول و بهذا الفعل. و السقوط الوقوع الى جهة السفل و وقوع الفعل حدوثه و سقوطه أيضاً. و قوله «وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ» اخبار منه تعالى أن جهنم مطيفة بما فيها من جميع جهاتها بالكافرين.

و الاحاطة و الاطافة و الاحداق نظائر فى اللغة. و لا يدل ذلک على انها لا تحيط بغير الكفار من الفساق الا ترى أنها تحيط بالزبانية و المتولين للعقاب، فلا تعلق للخوارج بذلک.

إِنْ تُصِبْکَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْکَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ وَ يَتَوَلَّوْا وَ هُمْ فَرِحُونَ (50)

هذا خطاب من اللّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله بأن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم متى نال النبى صلى الله عليه و آله و المؤمنين حسنة أى نعمة من اللّه تعالى و ظفر بأعدائهم و غنيمة ينالونها ساءهم ذلک و أحزنهم، و إن تصبهم مصيبة أى آفة فى النفس او الأهل او المال- و أصلها الصوب- و هو الجرى الى الشىء، يقال: صاب يصوب صوباً، و منه صوب الإناء إذا ميله للجرى، و الصواب اصابة الحق «يَقُولُوا» يعنى هؤلاء المنافقين «قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ» و معناه قد حذرنا و احترزنا، فى قول مجاهد و غيره، و معناه، التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 234

أخذنا أمرنا من مواضع الهلكة فسلمنا مما وقعوا فيه «وَ يَتَوَلَّوْا» اى يعرضوا «وَ هُمْ فَرِحُونَ» يعنى فرحين بتأخرهم و سلامتهم مما نال المؤمنين من المصيبة. و الاصابة وقوع الشىء بما قصد به.

قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إِلاَّ ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا هُوَ مَوْلانا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51)

امر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله ان يقول لهؤلاء المنافقين الذين يفرحون بمصيبات المؤمنين و سلامتهم منها «لَنْ يُصِيبَنا إِلَّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان كل ما يصيبنا من خير أو شر فهو مما كتبه اللَّه فى اللوح المحفوظ من أمرنا، و ليس على ما تظنون و تتوهمون من إهمالنا من غير أن نرجع فى أمرنا الى تدبير ربنا، هذا قول الحسن. الثانى- قال الجبائى و الزجاج: يحتمل أن يكون معناه لن يصيبنا فى عاقبة أمرنا إلا ما كتب اللَّه لنا فى القرآن من النصر الذى و عدنا. و قال البلخى: يجوز ان يكون (كتب) بمعنى علم و يجوز ان يكون بمعنى حكم، و الأولان أقوى. فان قيل: ما الفائدة فى كتب ما يكون من أفعال العباد قبل كونها؟ قلنا فى ذلك مصلحة للملائكة ما يقابلون به فيجدونه متفقاً فى الصحة، مع ان تصور كثرته اهول فى النفس و أملأ للصدر.

و قوله: «هُوَ مَوْلانا» يحتمل معنيين: أحدهما- انه مالكنا و نحن عبيده.

و الثانى- فان اللَّه يتولى حياطتنا و دفع الضرر عنا.

و قوله «وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» امر منه تعالى للمؤمنين ان يتوكلوا عليه تعالى دون غيره. و التوكل تفويض الامر الى اللَّه و الرضا بتدبيره و الثقة بحسن اختياره، كما قال «وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» «1» و حرف الجر الذى فى

---

(1) سورة 63 الطلاق آية 3.

معنى الظرف متعلق بالأمر فى قوله «فليتوكل» و تقديره فليتوكل على اللَّه المؤمنون و انما جاز تقديمه لأنه لا يلبس، و لا يجوز تقديمه على حرف الجزاء لأنه يلبس بالجزاء فى الجواب.

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (52)
روى ابن فليح و البزى إلا النقاش «هَلْ تَرَبَّصُونَ» بتشديد التاء، وجهه أنه أراد تتربصون فأدغم احد التاءين فى الاخرى.
امر اللّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله ان يقول لهؤلاء المنافقين «هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا» و التربص التمسک بما ينتظر به مجىء حينه و لذلک قيل تربص بالطعام إذا تمسک به الى حين زيادة سعره، و قوله «إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ» و احدى الشيئين واحدة منهما، واحد العشر واحد منها، و احدى النساء معناه واحدة منهن. و الحسنيان عظيمان فى الحسن من النعم و معانيهما ها هنا إما الغلبة بنصر اللّه عز و جل و الشهادة المودية الى الجنة، فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة و غيرهم. و (هل) حرف من حروف الاستفهام و المراد ها هنا التقريع بالتربص المؤدى صاحبه الى كل ما يكرهه من خيبته و فوز خصمه. و قوله «وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ» أى قل لهؤلاء: و نحن ايضاً نتوقع بكم ان يوقع بكم عذاباً «مِنْ عِنْدِهِ» يهلككم به «او بأيدينا» بأن ينصرنا عليكم فيقتلكم بأيدينا. و قوله «فتربصوا» صورته صورة الأمر و المراد به التهديد كما قال: «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ» «1» «وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ» «2» و انما قلنا ذلک لأن

---

(1) سورة 41 حم السجدة آية 40
(2) سورة 17 الإسراء آية 64

تربص المنافقين بالمؤمنين تمسک بما يؤدى الى الهلاک و ذلک قبيح لا يريده اللّه و لا يأمر به. و قال الفراء: العرب تدغم لام هل و بل فى التاء خاصة و هو كثير فى كلامهم.

قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ (53)
أمر اللّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله ان يقول لهؤلاء المنافقين «أنفقوا» و صورته صورة الامر و فيه ضرب من التهديد و هو مثل قوله «فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ» «1» و انما هو بيان عن توسعة التمكين من الطاعة و المعصية، و قال قوم: معناه الخبر الذى تدخل (إن) فيه للجزاء كما قال كثير:
اسيئى بنا او احسنى لا ملومة لدينا و لا مقلية ان تقلت «2»
كأنه قال: إن أحسنت أو أسأت لم تلامى، و إنما حسن ان يأتى بصيغة الأمر على معنى الخبر بتوسعة التمكين لأنه بمنزلة الأمر فى طلب فعل ما يتمكن الذى قد عرفه المخاطب، كأنه قيل اعمل بحسب ما يوجبه الحق فيما مكنت من الامرين.
و وجه آخر أن كل واحد من الضربين كالمأمور به فى انه لا يعود و بال العائد الا على المأمور. و قوله «طوعا» فالطوع الانقياد بارادة لمن عمل عليها. و الكره فعل الشىء بكراهة حمل عليها. و قوله «لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ» معناه لا يجب لكم به الثواب على ذلک مثل تقبل الهدية و وجوب المكافاة و تقبل التوبة و إيجاب الثواب عليها، و مثله فى كل طاعة.
و قوله «إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ» اخبار منه تعالى و خطاب لهؤلاء المنافقين بأنهم كانوا فاسقين متمردين عن طاعة اللّه، فلذلک لم يقبل نفقاتهم و إنما كانوا ينفقون

---

(1) سورة 18 الكهف آية 29
(2) معانى القرآن 1/ 441 و قد مر فى 1/ 327
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 237
أموالهم فى سبيل اللّه للرياء و دفعاً عن أنفسهم.

وَ ما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ لا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَ هُمْ كُسالى وَ لا يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَ هُمْ كارِهُونَ (54)

قرأ اهل الكوفة إلا عاصما «ان يقبل» بالياء. الباقون بالتاء. وجه قراءة من قرأ بالياء ان التأنيث ليس بحقيقى فجاز أن يذكر كقوله «فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ» «1» و من قرأ بالتاء فعلى ظاهر التأنيث.

و المنع أمر يضاد الفعل و ينافيه. و المعنى ها هنا أن هؤلاء المنافقين منعوا أنفسهم ان يفعل بهم قبول نفقاتهم، كما يقول القائل: منعته برى و عطائى.

و قوله «ان تقبل» فى موضع نصب، و تقديره و ما منعهم من أن تقبل و حذف (من). و قوله «إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ» انهم فى موضع رفع و العامل فى اعراب انهم يحتمل احد أمرين: أحدهما- ما منعهم من ذلك إلا كفرهم.

و الثانى- أن يكون تقديره ما منعهم اللَّه منه إلا لأنهم كفروا باللَّه. و عندنا ان الكافر لا يقع منه الإنفاق على وجه يكون طاعة، لأنه لو أوقعها على ذلك الوجه لاستحق الثواب. و الإحباط باطل، فكان يؤدى الى ان يكون مستحقاً للثواب.

و ذلك خلاف الإجماع. و عند من خالفنا من المعتزلة و غيرهم يصح ذلك، غير انه ينحبط بكفره فأما الصلاة فلا يصح أن تقع منهم على وجه تكون طاعة بلا خلاف، لأن الصلاة طريقها الشرع فمن لا يعترف بالشرع لا يصح أن يوقعها طاعة، و ليس كذلك الإنفاق، لأن العقل دال على حسنه غير انهم و إن علموا ذلك لا يقع منهم

---

(1) سورة 2 البقرة آية 275

كذلك على ما بيناه.

و قوله «وَ لا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَ هُمْ كُسالى» اى يقومون اليها على وجه الكسل و ذلك ذم لهم بأنهم يصلون الصلاة على غير الوجه الذى أمروا به، من النفاق الذى يبعث على الكسل عنها دون الايمان الذى يبعث على النشاط لها.

و قوله «وَ لا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَ هُمْ كارِهُونَ» اخبار منه تعالى بأنهم لا ينفقون ما ينفقونه لكونه طاعة بل ينفقونه كارهين لذلك و ذلك يقوى ما قلناه.

فَلا تُعْجِبْکَ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كافِرُونَ (55)
هذا نهى للنبى صلى الله عليه و آله و المراد به المؤمنون و المعنى: لا يروق ناظركم ايها المؤمنون ظاهر حسنها يعنى اموال المنافقين و الكفار و أولادهم تستحسنونه بالطبع البشرى. و انما قلنا ذلک، لأن النبى صلى الله عليه و آله مع زهده لا يجوز ان يعجب بها إعجاب مشته لها. و قوله «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِى الْحَياةِ الدُّنْيا» و قيل فى معنى ذلک وجوه: أحدها- قال ابن عباس و قتادة و الفراء: ان فيه التقديم و التأخير و التقدير فلا تعجبک أموالهم و لا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد اللّه ليعذبهم بها فى الآخرة، فيكون الظرف على هذا متعلقاً بأموالهم و أولادهم، و مثله قوله تعالى «فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ» «1» و تقديره فالقه اليهم فانظر ما ذا يرجعون ثم تول عنهم. الثانى- قال ابن زيد: معناه انما يريد اللّه ليعذبهم بحفظها و المصائب فيها مع حرمان النفقة بها. و الثالث- قال الجبائى: تقديره انما

---

(1) سورة 27 النمل آية 28 [.....]

يريد اللّه ليعذبهم فى الحياة الدنيا عند تمكن المؤمنين من أخذها و غنمها فيتحسرون عليها و يكون ذلک جزاء على كفرهم نعم اللّه تعالى بها. و الرابع- قال البلخى و الزجاج: ان معناه فلا تعجبک أموالهم، فإنها و بال عليهم، لأن اللّه يعذبهم بها اى بما يكلفهم من إنفاقها فى الوجوه التى أمرهم بها فتزهق أنفسهم لشدة ذلک عليهم لانفاقهم، و هم مع هذا كله كافرون و عاقبتهم النار فيكون قوله «وَ هُمْ كافِرُونَ» اخباراً عن سوء أحوالهم و قلة نفع المال و الولد لهم و لا يكون عطفاً على ما مضى.
و الخامس- أن يكون المعنى أن مفارقتها و تركها و الخروج عنها بالموت صعب عليهم شديد، لأنهم يفارقون النعم و لا يدرون الى ما ذا يصيرون بعد الموت فيكون حينئذ عذاباً عليهم. بمعنى ان مفارقتها غم و عذاب. و معنى «وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ» اى تهلک و تذهب بالموت يقال: زهق بضاعة فلان اى ذهبت اجمع. السادس- قال الحسن: اخبر اللّه تعالى عن عاقبتهم انهم يموتون على النفاق. و قال: ليعذبهم بزكاتها و إنفاقها فى سبيل اللّه، و هو قول البلخى ايضاً و الزجاج مع اعتقادهم ان ذلک ليس بقربة، فيكون ذلک عذاباً أليماً.
و اللام فى قوله «ليعذبهم» يحتمل ان يكون بمعنى (أن) و التقدير إنما يريد

اللّه أن يعذبهم. و الزهق الخروج بصعوبة. و أصله الهلاک، و منه قوله «قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ» «1» و کل هالک زاهق، زهق یزهق زهوقاً. و الزاهق من الدواب السمین الشدید السمن، لأنه هالک یثقل بدنه فی السیر و الکر و الفر. و زهق فلان بین ایدی القوم إذا زهق سابقاً لهم حتی یهلک منهم. و الاعجاب السرور بما یعجب منه تقول: اعجبنی حدیثه ای سرنی بظرف حدیثه.
و لیس فی الآیة ما یدل علی ان اللَّه تعالی أراد الکفر علی ما یقوله المجبرة، لأن قوله «وَ هُمْ کافِرُونَ» فی موضع الحال کقولک أرید ان تذمه و هو کافر و أرید ان تضربه و هو عاص و أنت لا ترید کفره و لا عصیانه بل ترید ذمه فی حال

---

(1) سورة 17 الإسراء آیة 81

کفره و عصیانه، و تقدیر الایة إنما یرید اللَّه عذابهم و إزهاق أنفسهم ای اهلاکها فی حال کونهم کافرین، کما یقول القائل للطبیب: اختلف الی کل یوم و أنا مریض، و هو لا یرید المرض، و یقول لغلامه: اختلف الی و أنا محبوس، و لا یرید حبس نفسه.

وَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَ ما هُمْ مِنْكُمْ وَ لكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (56)
اخبر اللّه تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم يقسمون باللّه انهم لمنكم يعنى من المؤمنين و على دينهم الذى يدينون به. ثم قال اللّه تعالى مكذباً لهم «وَ ما هُمْ مِنْكُمْ» اى ليسوا مؤمنين مثلكم و لا مطيعين للّه فى اتباع دينه كما أنتم كذلک، و لكنهم قوم يفرقون اخبار منه تعالى ان هؤلاء المنافقين يفرقون من اظهار الكفر لئلا يقتلوا و الفرق انزعاج النفس بتوقع الضرر. و أصله من مفارقة الا من الى حال الانزعاج.

لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغاراتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَ هُمْ يَجْمَحُونَ (57)
قرأ يعقوب «أو مدخلا» بفتح الميم و تخفيف الدال و سكونها. و قرأ شاذّ «مدخلا» بضم الميم و سكون الدال.
اخبر اللّه تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم لو وجدوا ملجأ. و معناه لو أدركوا مطلوبهم، يقال: وجدت الضالة وجداناً و وجدت على الرجل وجداً و موجدة.
و الملجأ الموضع الذى يتحصن فيه و مثله المعقل و الموئل، و المعتصم و المنتصر. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 241
ابن عباس: معناه ها هنا حرزا. و قال مجاهد: أى حصناً، و مثله يستعمل فى الناصر و المساعد. و قوله «أو مغارات» اى لو وجدوا مغارات، و هى جمع مغارة و هى المدخل الساتر من دخل فيه. و قال ابن عباس: معناه المغارات و الغيران و الغار و الثقب الواسع فى الجبل، و منه غارت العين من الماء إذا غابت فى الأرض، و غارت عينه إذا دخلت فى رأسه. و المدخل المسلک الذى يتدسس بالدخول فيه و هو مفتعل من الدخول كالمتّلج من الولوج. و أصله متدخل. و
قال ابن عباس و أبو جعفر عليه السلام و الفراء: المدّخل الاسراب فى الأرض.
و قوله «لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَ هُمْ يَجْمَحُونَ» فالجماح مضى الماء مسرعاً على وجهه لا يرده شىء عنه. و قال الزجاج: فرس جموح، و هو الذى إذا حمل لم يرده اللجام. و قيل: هو المشى بين المشيين قال مهلهل:
لقد جمحت جماحاً فى دمائهم حتى رأيت ذوى أجسامهم جمدوا
و قال الزجاج: معنى (مدخلا) اى لو وجدوا قوماً يدخلون فى جملتهم أو قوماً يدخلونهم فى جملتهم يعتصمون بهم لفعلوا.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُکَ فِی الصَّدَقاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَ إِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ (58)

قرأ يعقوب «يلمزک» بضم الميم. الباقون بكسرها، و هما لغتان، و هذه الآية فيها اخبار أن من جملة المنافقين الذين ذكرهم من يلمزک يا محمّد صلى الله عليه و آله فى الصدقات اى يعيبک فى قول الحسن. و اللمز العيب على وجه المساترة، و الهمز العيب- بكسر العين و غمزها- فى قول الزجاج- تقول: لمزه يلمزه و يلمزه- بالكسر و الضم- و هى صفتهم قال الشاعر:

إذا لقيتک تبدى لى مكاشرة و ان تغيبت كنت الهامز اللمزة «1»

و قال رؤبة:

قاربت بين عنقى و جمزى فى ظل عصرى باطلى و لمزى «2»

و قال ابو عبيدة: يلزمک معناه يعيبک. و قال قتادة: معناه يطعن عليک.

و الهمز الغيبة. و منه قوله «هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ» «3». و قيل لاعرابى: أ تهمز الفأرة؟

قال: الهر يهمزها، فأوقع الهمز على الاكل، و الهمز كاللمز، و منه قوله «أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً» «4» و الصدقات جمع صدقة و هى العطية للفقير على وجه البر و الصلة. و الصدقة الواجبة فى الأموال حرام على رسول اللّه و أهل بيته كأنهم جعلوا فى تقدير الأغنياء، فأما البر على وجه التطوع فهو مباح لهم.

و قوله «فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا» يعنى من الصدقات رضوا بذلک و حمدوک عليه «وَ إِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ» يعنى إذا لم يعطوا ما طلبوه من الصدقات سخطوا و غضبوا. و الصدقة محرمة على من كان غنياً.

و اختلفوا فى حد الغنى، فقال قوم: هو من ملک نصاباً من المال. و قال آخرون:

هو من كانت له مادة تكفيه، ملک النصاب أو لم يملک، و الذى كان يلمز النبى صلى الله عليه و آله فى الصدقات بلتعة بن حاطب، و كان يقول: إنما يعطى محمّد الصدقات من يشاء فربما أعطاه النبى صلى الله عليه و آله فيرضى و ربما منعه فسخط، فتكلم فيه، فنزلت الآية فيه.

وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا ما آتاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ قالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ رَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ راغِبُونَ (59)

---

(1) قائله زياد الأعجم مجاز القرآن 1/ 263 و اللسان «همز» و مقاييس اللغة 6/ 66 و تفسير الطبرى 14/ 301 و فيه اختلاف كثير فى الرواية.
(2) ديوانه: 64 و تفسير الطبرى 14/ 300.
(3) سورة 68 القلم آية 11
(4) سورة 49 الحجرات آية 12

اخبر اللّه تعالى فى هذه الآية ان هؤلاء المنافقين الذين طلبوا منک الصدقات و عابوک بها لو رضوا بما أعطاهم اللّه و رسوله «وَ قالُوا» مع ذلک «حَسْبُنَا اللَّهُ» اى كفانا اللّه و انه سيعطينا اللّه من فضله و انعامه و يعطينا رسوله مثل ذلک و قالوا «إِنَّا إِلَى اللَّهِ راغِبُونَ» و الجواب محذوف و التقدير لكان خيراً لهم و أعود عليهم و حذف الجواب فى مثل هذا ابلغ لأنه لتأكيد الخبر به استغنى عن ذكره.

إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقابِ وَ الْغارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (60)

اخبر اللّه تعالى فى هذه الآية انه ليست الصدقات التى هى زكاة الأموال إلا للفقراء و المساكين و من ذكرهم فى الآية.

و اختلفوا فى الفرق بين الفقير و المسكين، فقال ابن عباس و الحسن و جابر و ابن زيد و الزهرى و مجاهد: الفقير المتعفف الذى لا يسأل، و المسكين الذى يسأل، ذهبوا الى أنه مشتق من المسكنة بالمسألة. و

روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال (ليس المسكين الذى تردّه الاكلة و الاكلتان و التمرة و التمرتان و لكن المسكين الذى لا يجد غنى فيغنيه و لا يسأل الناس إلحافاً).

و قال قتادة: الفقير ذو الزمانة من اهل الحاجة. و المسكين من كان صحيحاً محتاجاً. و قال قوم: هما بمعنى واحد إلا انه ذكر بالصفتين لتأكيد أمره قال الشاعر:

انا الفقير الذى كانت حلوبته وفق العيال فلم يترک له سبد «1»

_____

(1) اللسان (وفق). الحلوبة: الناقة التى تحلب (وفق العيال) على قدر حاجتهم و (السبد) كناية عن القليل و أصله الوبر و هو الشعر الضعيف.

و يسمى المحتاج فقيراً تشبيهاً بأن الحاجة كأنها قد كسرت فقار ظهره يقال:

فقر الرجل فقراً و أفقره اللّه افقاراً و افتقر افتقارا، و تفاقر تفاقراً. و سمى المسكين بذلک تشبيهاً بأن الحاجة كأنها سكنته عن حال اهل السعة و الثروة. قال اللّه تعالى «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ» «1» فمن قال: المسكين أحسن حالا احتج بهذه الآية. و من قال هما سواء قال: السفينة كانت مشتركة بين جماعة لكل واحد منهم الشىء اليسير.

و قوله «وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها» يعنى سعاة الزكاة و جباتها، و هو قول الزهرى و ابن زيد و غيرهم. و قوله «وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ» معناه أقوام أشراف كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه و آله فكان يتألفهم على الإسلام و يستعين بهم على قتال غيرهم و يعطيهم سهماً من الزكاة. و هل هو ثابت فى جميع الأحوال ام فى وقت دون وقت؟ فقال الحسن و الشعبى:

ان هذا كان خاصاً على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله. و روى جابر عن أبى جعفر محمّد بن على عليهما السلام ذلک.

و اختار الجبائى انه ثابت فى كل عصر الا ان من شرطه ان يكون هناک امام عدل يتألفهم على ذلک.
و قوله «وَ فِى الرِّقابِ» يعنى المكاتبين و أجاز أصحابنا ان يشترى به عبد مؤمن إذا كان فى شدة و يعتق من مال الزكاة، و يكون ولاؤه لأرباب الزكاة، و هو قول ابن عباس و جعفر بن مبشر.
و قوله «وَ الغارِمِينَ» قال مجاهد و قتادة و الزهرى و جميع المفسرين، و هو
قول أبى جعفر عليه السلام انهم الذين ركبتهم الديون فى غير معصية و لا إسراف فتقضى عنهم ديونهم
، و «فِى سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى الجهاد بلا خلاف، و يدخل فيه عند أصحابنا جميع مصالح المسلمين، و هو قول ابن عمر و عطاء. و به قال البلخى، فانه قال: تبنى به المساجد و القناطر و غير ذلک، و هو قول جعفر بن مبشر. و «ابْنِ السَّبِيلِ» و هو المسافر

---

(1) سورة 18 الكهف آية 80
. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 245
المنقطع به فانه يعطى من الزكاة و ان كان غنياً فى بلده من غير ان يكون ديناً عليه، و هو قول مجاهد و قتادة قال الشاعر:
انا ابن الحرب ربتنى وليداً الى ان شبت و اكتهلت لداتى «1»
و قال بعضهم: جعل اللَّه الزكاة لامرين: أحدهما- سدّ خلة. و الآخر- تقوية و معونة لعز الإسلام. و استدل بذلک على ان المؤلفة قلوبهم فى كل زمان.
و اختلفوا فى مقدار ما يعطى الجابى للصدقة، فقال مجاهد و الضحاک: يعطى الثمن بلا زيادة. و قال عبد اللَّه بن عمر بن العاص و الحسن و ابن زيد:
هو على قدر عمالته، و هو المروى فى اخبارنا.
و قال ابن عباس و حذيفة و عمر بن الخطاب و عطاء و ابراهيم و سعيد بن جبير، و هو
قول أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام ان لقاسم الزكاة ان يضعها فى اى الأصناف شاء. و كان بعض المتأخرين لا يضعها الا فى سبعة أصناف لأن المؤلفة قد انقرضوا. و ان قسمها الإنسان عن نفسه، ففى ستة لأنه بطل سهم العامل، و زعم انه لا يجزى فى كل صنف أقل من ثلاثة.
و عندنا ان سهم المؤلفة و السعاة و سهم الجهاد قد سقط اليوم، و يقسم فى الخمسة الباقية كما يشاء رب المال و ان وضعها فى فرقة منهم جاز.
و قوله «فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ» نصب على المصدر اى فرض ذلک فريضة و كان يجوز الرفع على الابتداء و لم يقرأ به، و معناه ان ما فرضه اللَّه و قدره واجب عليكم.

و قوله «وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» معناه عالم بمصالحكم حكيم فيما يوجبه عليكم من إخراج الصدقات و غير ذلک.

وَ مِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (61)

---

(1) تفسير الطبرى 14/ 320.

قرأ نافع «أذن خير» بالتخفيف الباقون بالتثقيل. و كلهم أضاف، و رفع «و رحمة» الا أبا عمر و فانه جر (و رحمة) و كان يجوز النصب على (و رحمة) يفعل ذلک، و لم يقرأ به أحد، قال أبو على: تخفيف «أذن» من أذن قياس مطرد نحو طنب و طنب، و عنق و عنق و ظفر و ظفر لأن ذلک تخفيف و تثقيل لا تفاقهما فى الوزن و فى جمع التكسير تقول: آذان و أطناب و أعناق و أظفار، فأما الأذن فى الآية فانه يجوز ان يطلق على الجملة و ان كان عبارة عن جارحة فيها، كما قال الخليل فى الناب من الإبل سميت به لمكان الناب البازل، فسميت الجملة كلها به. و يجوز أن يكون (فعلا) من اذن يأذن إذا استمع. و معناه انه كثير الاستماع مثل شلل و أنف و شحح، قال ابو زيد: رجل اذن و يقن إذا كان يصدق بكل ما يسمع فكما ان (يقن) صفة كيطل كذلک (اذن) كشلل، و يقولون: اذن يأذن إذا استمع، و منه قوله «وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها» «1» اى استمعت، و قوله «ائْذَنْ لِى» «2» اى استمع. و فى الحديث (ما اذن اللّه لشىء كإذنه لنبى يتغنى بالقرآن) قال الشاعر.

فى سماع يأذن الشيخ له و حديث مثل ما ذى مشار «3»

و المعنى- فى الاضافة- مستمع خير لكم و صلاح و مصغ اليه، لا مستمع شر و فساد. و من رفع (رحمة) فالمعنى فيه أذن خير و رحمة اى مستمع خير و رحمة فجعله للرحمة لكثرة هذا المعنى فيه، كما قال «وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ» «4» و يجوز ان يقدر حذف المضاف من المصدر. و أما من جر فعطفه على (خير) كأنه قال اذن خير و رحمة، و تقديره مستمع خير و رحمة. و جاز هذا كما جاز مستمع

---

(1) سورة 84 الانشقاق آية 2

(2) سورة 9 التوبة آية 50

(3) اللسان (اذن) نسبه الى (عدى) و الماذى المشار: العسل المصفى

(4) سورة 21 الأنبياء آية 107.

خير، لأن الرحمة من الخير و إنما خص تشريفاً، كما قال «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ

الّذِی خَلَقَ» ثم قال «خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ» «1» و ان كان قوله تعالى «خلق» عم الإنسان و غيره. و البعد بين الجار و ما عطف عليه لا يمنع من العطف ألا ترى ان من قرأ «وَ قِيلِهِ يا رَبِّ» انما جعله عطفاً على «وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» «2» و علم قيله.
و روى ان الأعمش قرأ قل «اذن خير و رحمة» و هى قراءة ابن مسعود.
اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان من جمله هؤلاء- المنافقين الذين وصفهم و ذكرهم- من يؤذى النبى صلى الله عليه و آله و الأذى هو ضرر ربما تنفر منه النفس فى عاجل الامر و انهم يقولون هو اذن يعنون النبى صلى اللَّه عليه و آله. و معنى (اذن) انه يصغى الى كل احد فيقبل ما يقوله- فى قول ابن عباس و قتادة و مجاهد و الضحاک- و قيل أصله من اذن إذا استمع على ما بيناه قال عدى بن زيد:
ايها القلب تعلل بددن إن همى فى سماع و أذن «3»
و قيل السبب فى ذلک: ان قوماً من المنافقين تكلموا بما أرادوه، و قالوا ان بلغه إعتذرنا اليه، فانه اذن يسمع ما يقال له، فقال اللَّه تعالى «قل» يا محمد «أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ» لا اذن شر، و ليس بمعنى أفعل. و انما معناه أذن صلاح و لو رفع خيراً لكان معناه أصلح، و هى قراءة الحسن و الأعشى و البرجمى. و انما قال بعد ذلک «يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» لأن معناه انه لإيمانه باللَّه يعمل بالحق فيما يسمع من غيره. و قيل يصغى الى الوحى من قبل اللَّه.
و قوله «وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ» قال ابن عباس: معناه و يصدق المؤمنين. و قيل دخلت اللام كما دخلت فى قوله «رَدِفَ لَكُمْ» «4» و تقديره ردفكم، و اللام مقحمة و مثله «لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ» «5» و معناه يرهبون ربهم. و اللام مقحمة.

---

(1) سورة 96 العلق 2.
(2) سورة 43 الزخرف آية 88، 85 [.....]
(3) اللسان (اذن) و امالى المرتضى 1/ 33 و تفسير الطبرى 14/ 325
(4) سورة 27 النمل آية 72.
(5) سورة 7 الاعراف آية 153.

و قال قوم: دخلت اللام للفرق بين إيمان التصديق و ايمان الامان.
و قوله «وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ» يعنى ان النبى صلى الله عليه و آله رحمة للمؤمنين منكم و انما خص المؤمنين بالذكر و ان كان رحمة للكفار أيضاً من حيث انتفع المؤمنون به دون غيرهم من الكفار. ثم قال «وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» اى مؤلم موجع جزاء لهم على أذاهم للنبى صلى الله عليه و آله.

و
قال ابن إسحاق: نزلت هذه الآية فى نبتلِ بن الحارث كان يقول: إنى لأنال

من محمد ما شئت، ثم آتيه اعتذر اليه و أحلف له فيقبل، فجاء جبرائيل الى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقال: انه يجلس اليک رجل ادلم ثائر شعر الرأس اسفع الخدين احمر العينين كأنهما قدران من صفر كبده اغلظ من كبد الجمل ينقل حديثک الى المنافقين فاحذره، و كان ذلک صفة نبتل بن الحارث من منافقى الأنصار، فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله من اختار أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث، ذكره ابن إسحاق.

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كانُوا مُؤْمِنِينَ (62)

اخبر اللَّه تعالى أن هؤلاء المنافقين يقسمون باللَّه أنهم على دينكم و أن الذى بلغكم عنهم باطل «لِيُرْضُوكُمْ» و معناه يريدون بذلك رضاكم لتحمدوهم عليه. ثم قال تعالى «وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ» أى اللَّه و رسوله أولى بأن يطلبوا مرضاتهما «إِنْ كانُوا مُؤْمِنِينَ» مصدقين باللَّه مقرين بنبوة نبيه، و الفرق بين الاحق و الأصلح ان الأحق قد يكون موضعه غير الفعل كقولک: زيد أحق بالمال، و الأصلح لا يقع هذا الموقع لأنه من صفات الفعل و تقول: اللَّه أحق أن يطاع و لا تقول أصلح، و قيل فى رد ضمير الواحد فى قوله «وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ» قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 249

أحدهما- أنه لما كان رضى رسول اللَّه رضى اللَّه ترک ذكره، لأنه دال عليه و التقدير و اللَّه أحق أن يرضوه و رسوله أحق أن يرضوه كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا و انت بما عندک راض و الرأى مختلف «1»

و الثانى- أنه لا يذكر على طريق المجمل مع غيره تعظيماً له بافراد الذكر المعظم بما لا يجوز إلا له، و لذلک

قال النبى صلى الله عليه و آله لمن سمعه يقول: من أطاع اللَّه و رسوله هدى (و من يعصمه فقد غوى)

و انما أراد ما قلناه.

أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِيها ذلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (63)

يقول اللّه تعالى على وجه التهديد و التقريع و التوبيخ لهؤلاء المنافقين «أَ لَمْ يَعْلَمُوا» أى أو ما علموا «أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ» اى يتجاوز حدود اللّه التى أمر المكلفين ان لا يتجاوزها، فالمحادة مجاوزة الحد بالمشاقة و مثله المباعدة. و المعنى مصيرهم فى حد غير حد أولياء اللّه. فالمخالفة و المحادة و المجانبة و المعاداة نظائر فى اللغة.

و انما قال: لمن لا يعلم «أَ لَمْ يَعْلَمُوا» لأحد أمرين: أحدهما- على وجه الاستبطاء لهم و التخلف عن علمه. و الآخر- انه يجب ان تعلموا الآن هذه الاخبار. و قال الجبائى: معناه أ لم يخبرهم النبى صلى الله عليه و آله بذلك.

و قوله «فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِيها» يحتمل أن يكون على التكرير، لأن الأولى للتأكيد مع طول الكلام، و تقديره فله نار جهنم أو فان له نار جهنم.

قال الزجاج: و لو قرئ (فان) بكسر الهمزة على وجه الاستئناف كان جائزاً، غير أنه لم يقرأ به احد. و قوله «ذلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ» معناه ذلك الذى ذكرناه

---

(1) انظر 1/ 172. و 5/ 211

من أن له نار جهنم هو الخزى يعنى الهوان بما يستحى من مثله. تقول: خزى خزيا إذا انقمع للهوان فأخزاه إخزاء و خزياً.

يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِی قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ (64)

قیل فی معنی یحذر المنافقون قولان:

أحدهما- قال الحسن و مجاهد و اختاره الجبائی: ان معناه الخبر عنهم بأنهم كانوا يحذرون ان تنزل فيهم آية يفتضحون بها لأنهم كانوا شاكين، حتى قال بعضهم: لوددت ان اضرب كل واحد منكم مائة و لا ينزل فيكم قرآن، ذكره ابو جعفر و قال: نزلت فی رجل يقال له مخشی بن الحمير الاشجعی.

الثانی- قال الزجاج: انه تهديد و معناه ليحذروا، و حسن ذلک لأن موضوع الكلام على التهديد. و الحذر أعداد ما يتقى الضرر، و مثله الخوف و الفزع تقول:

حذرت حذراً و تحذر تحذراً و حاذره محاذرة و حذاراً و حذره تحذيراً. و المنافق الذی يظهر من الايمان خلاف ما يبطنه من الكفر و اشتق ذلک من نافقاء اليربوع لأنه يخفی باباً و يظهر باباً ليكون إذا أتی من أحدهما خرج من الآخر.

و قوله «تُنَبِّئُهُمْ بِما فِی قُلُوبِهِمْ» أی تخبرهم، غير أن (تنبئهم) يتعدى الى ثلاثة مفاعيل بمنزلة أعلمت. و قوله «قُلِ اسْتَهْزِؤُا» أمر للنبی صلى الله عليه و آله أن يقول لهؤلاء المنافقين (استهزؤا) اى اطلبوا الهزء، و الهزء إظهار شیء و ابطان خلافه للتهزؤ به، و هو بصورة الأمر و المراد به التهديد. و قوله «إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ» إخبار من اللّه تعالى أن الذی تخافون من ظهوره فان اللّه يظهره بأن يبين لنبيه صلى الله عليه و آله باطن حالهم و نفاقهم.

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ أَ بِاللَّهِ وَ آياتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ (65)

خاطب اللّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله فأقسم، لأن اللام لام القسم بأنك يا محمّد صلى الله عليه و آله إن سألت هؤلاء المنافقين عما تكلموا به «لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ» قال الحسن و قتادة: هؤلاء قالوا فى غزاة تبوک: أ يرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشام و حصونها- هيهات هيهات- فأطلع اللّه نبيه صلى الله عليه و آله على ما قالوه، فلما سألهم النبى عن ذلک على وجه التأنيب لهم و التقبيح لفعلهم: لم طعنتم فى الدين بالباطل و الزور؟ فأجابوا بما لا عذر فيه بل هو وبال عليهم: بأنا كنا نخوض و نلعب.

و الخوض دخول القدم فيما كان مائعاً من الماء أو الطين هذا فى الأصل ثم كثر حتى صار فى كل دخول منه أذى و تلويث. و اللعب فعل ما فيه سقوط المنزلة لتحصيل اللذة من غير مراعاة الحكمة كفعل الصبى، و قالوا: ملاعب الأسنة اى انه لشجاعته يقدم على الاسنة كفعل الصبى الذى لا يفكر فى عاقبة أمره. فقال اللّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله: «قل» لهم «أَ بِاللَّهِ وَ آياتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ» قال ابو على:

ذكر الاستهزاء ها هنا مجاز، لأنه جعل الهزء بالمؤمنين و بآيات اللّه هزءاً باللّه.

و الهزء إيهام امر على خلاف ما هو به استصغاراً لصاحبه.

لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفَةً بِأَنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ (66)

قرأ عاصم «ان نعف» بنون مفتوحة و ضم الفاء «نعذب» بالنون و كسر

الذال «طائفة» بالنصب. الباقون بضم الياء فى (يعف تُعذب طائفةٌ) بضم التاء و رفع طائفة. من قرأ بالنون فلقوله «ثُمَّ عَفَوْنا عَنْكُمْ» «1» و من قرأ بالتاء فالمعنى ذاک بعينه. و أما «تعذب» فمن قرأ بالتاء، فلان الفعل فى اللفظ مسند الى مؤنث.

قوله تعالى: «لا تَعْتَذِرُوا» صورته صورة النهى و المراد به التهديد. و المراد ان اللَّه تعالى امر نبيه صلى اللَّه عليه و آله أن يقول لهؤلاء المنافقين الذين يحلفون بأنهم ما قالوه إلا لعباً و خوضاً على وجه الهزء بآيات اللَّه «لا تَعْتَذِرُوا» بالمعاذير الكاذبة فإنكم بما فعلتموه «قَدْ كَفَرْتُمْ» بعد أن كنتم مظهرين الايمان الذى يحكم لمن أظهره بأنه مؤمن، و لا يجوز ان يكونوا مؤمنين على الحقيقة مستحقين للثواب ثم يرتدّون، لما قلناه فى غير موضع: ان المؤمن لا يجوز عندنا أن يكفر لأنه كان يؤدى الى اجتماع استحقاق الثواب الدائم و العقاب الدائم، لبطلان التحابط.

و الإجماع يمنع من ذلک. و الاعتذار اظهار ما يقتضى العذر، و العذر ما يسقط الذم عن الجناية.

و قوله «إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفَةً» اخبار منه تعالى أنه ان عفا عن قوم منهم إذا تابوا يعذب طائفة أخرى لم يتوبوا. و العفو رفع التبعة عما وقع من المعصية و ترک العقوبة عليها. و مثله الصفح و الغفران. و قوله «بِأَنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ» معناه انه انما يعذب الطائفة التى يعذبها لكونها مجرمة مذنبة مرتكبة لما يستحق به العقاب. و الاجرام الانقطاع عن الحق الى الباطل، و أصله الصرم تقول:

جرم الثمر يجرمه جرماً و جراماً إذا صرمه. و الجرم مصرم الحق بالباطل و أصله الصرم تقول:

جرم الثمر يجرمه جرماً و جراماً إذا صرمه. و الجرم مصرم الحق بالباطل و تجرمت السنة إذا تصرّمت قال لبيد:

دمن تجرّم بعد عهد انيسها حجج خلون حلالها و حرامها «2»

قال الزجاج و الفراء: نزلت الآية فى ثلاثة نفر فهزأ اثنان و ضحک واحد

---

(1) سورة 2 البقرة آية 52.

(2) اللسان «جرم»

. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 253
قال ابن إسحاق: كان الذى عفا عنه مخشى بن حصين الأشجعى حليف بنى سلمة لأنه أنكر منهم بعض ما سمع فجعلت طائفة للواحد و يراد بها نفس طائفة. و أما فى اللغة فيقال للجماعة طائفة، لأنهم يطيفون بالشىء. و قوله تعالى «وَ لْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» «1» يجوز أن يراد به واحد على ما فسرناه.

الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الفاسِقُونَ (67)

أخبر اللَّه تعالى بأن المنافقين الذين يظهرون الايمان و يسرون الكفر بعضهم من بعض. و المعنى إن بعضهم يضاف الى بعض بالاجتماع على النفاق، كما يقول القائل لغيره: أنت منى و أنا منك و المعنى إن أمرنا واحد لا ينفصل. و قيل: بعضهم من بعض فيما يلحقهم من مقت اللَّه و عذابه أى منازلهم متساوية فى ذلك. ثم أخبر أن هؤلاء المنافقين يأمرون غيرهم بالمنكر الذى نهى اللَّه عنه و توعد عليه من الكفر باللَّه و نبيه و جحد آياته «وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ» يعنى الأفعال الحسنة التى أمر اللّه بها و حث عليها، و انهم يقبضون أيديهم اى يمسكون أموالهم عن إنفاقها فى طاعة اللَّه و مرضاته و هو قول قتادة. و قال الحسن و مجاهد: أراد إمساكها عن الإنفاق فى سبيل اللَّه.

و قال الجبائى: أراد به إمساك الايدى عن الجهاد فى سبيله اللَّه.

و قوله «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» معناه تركوا امر اللَّه يعنى صار بمنزلة المنسى بالسهو عنه فجازاهم اللَّه بأن صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه و رحمته، و ذكر ذلك لازدواج الكلام. و قال قتادة: اى نسوا من الخير و لم ينسوا من الشر. ثم اخبر

---

(1) سورة 24 النور آية 2

تعالى فقال «إِنَّ الْمُنافِقِينَ» الذين يخادعون المؤمنين بإظهار الايمان مع ابطانهم الكفر «هُمُ الْفاسِقُونَ» الخارجون عن الايمان باللَّه و برسوله و عن طاعاته.

وَعَدَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْكُفَّارَ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها هِيَ حَسْبُهُمْ وَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ (68)

اخبر اللَّه تعالى بأنه «وَعَدَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ» الذين يظهرون الإسلام و يبطنون الكفر «نارَ جَهَنَّمَ» يعاقبون فيها أبد الآبدين و كذلک الكفار الذين يتولونهم، و هم على ظاهر الكفر، فلذلک أفردهم بالذكر ليعلم أن الفريقين معاً يتناولهم الوعيد و تقول: وعدته بالشر و عيداً و وعدته بالخير و عداً و أوعدته إيعاداً و توعدته توعداً فى الشر لا بالخير، و واعدته مواعدة، و تواعدوا تواعداً و قوله «هِيَ حَسْبُهُمْ» يعنى نار جهنم و العقاب فيها كافيهم، و لعنهم اللَّه يعنى أبعدهم اللَّه من جنته و خيره «و لهم» مع ذلک «عَذابٌ مُقِيمٌ» و معناه دائم لا يزول و قيل معنى «هِيَ حَسْبُهُمْ» أى هى كفاية ذنوبهم، و وفاء لجزاء عملهم. و اللعن الابعاد من الرحمة عقاباً على المعصية، و لذلک لا يقال لعن البهيمة كما لا يدعا لها بالعفو.

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَ أَكْثَرَ أَمْوالاً وَ أَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي خاضُوا أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (69)

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 255

الكاف فى قوله «كالذين» فى موضع نصب، و التقدير احذروا أن يحل بكم من العذاب و العقوبة كالذين. و يحتمل أن يكون المراد وعدكم اللّه على الكفر كما وعد الذين من قبلكم، فشبه المنافقين فى عدولهم عن أمر اللّه للاستمتاع بلذات الدنيا بمن قبلكم مع أن عاقبة امر الفريقين يؤل الى العقاب مع أن الأولين كانوا أشد من هؤلاء قوة فى أبدانهم و أطول اعماراً و اكثر أموالا و أشد تمكيناً فلم يقدروا ان يدفعوا عن نفوسهم ما حل بهم من عقاب اللّه.

و قوله «فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ» فالاستمتاع هو طلب المتعة و هى فعل ما فيه اللذة من المآكل و المشارب و المناكح. و معناه انهم تمتعوا بنصيبهم من الخير العاجل و باعوا بذلک الخير الآجل فهلكوا بشر استبدال، كما تمتعتم ايها المنافقون بخلاقكم اى بنصيبكم و الخلاق النصيب سواء كان عاجلا او آجلا.

و قوله «وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي خاضُوا» خطاب للمنافقين بأن قيل لهم خضتم فى الباطل و الكذب على اللّه كالذين تابعوهم على ذلک من المنافقين و غيرهم من الكفار «حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ» لأنهم كانوا أوقعوها على خلاف ما أمرهم اللّه به فلم يستحقوا عليها ثواباً بل استحقوا عليها العقاب، فلذلک كانوا خاسرين أنفسهم و مهلكين لها بفعل المعاصى المؤدى الى الهلاک و روى عن ابن عباس انه قال فى هذه الآية:

ما أشبه الليلة بالبارحة كذلک من قبلكم هؤلاء بنو إسرائيل لشبهنا بهم لا أعلم إلا

انه قال (و الذى نفسى بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم حجر ضب لدخلتموه) و مثله روى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه و آله و عن أبى سعيد الخدرى مثله.

أَ لَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ قَوْمِ إِبْراهِيمَ وَ أَصْحابِ مَدْيَنَ وَ الْمُؤْتَفِكاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (70)

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 256

آية فى الكوفى و البصرى و آيتان فى المدنيين آخر الأولى «و ثمود» قوله «ألم» صورته صورة الاستفهام، و المراد به التقرير و التحذير. و إنما حسن فى الاستفهام أن يخرج الى معنى التقرير لأن الاحتجاج بما يلزمهم الإقرار به فقال اللّه تعالى مخاطباً لنبيه: أ لم يأت هؤلاء المنافقين الذين وصفهم خبر من كان قبلهم من قوم نوح و عاد و ثمود و قوم ابراهيم و أصحاب مدين، على وجه الاحتجاج عليهم فيتعظوا، لأن الأمم الماضية و القرون السالفة إذا كان اللّه تعالى إنما أهلكها و دمرها لتكذيبها رسلها كان ذلک واجباً فى كل أمة يساوونهم فى هذه العلة، فأقل أحوالهم ألا يأمنوا أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئک. قال الرمانى: و الحكمة تقتضى إذا تساوى جماعة فى استحقاق العقاب ان لا يجوز العفو عن بعضهم دون بعض مع تساويهم فى الأحوال. و انما يجوز العدول من قوم الى قوم فى الواحد منا للحاجة و هذا يتم على قول من يقول بالأصلح، و من لا يقول بذلک يقول: هو متفضل بذلک و له ان يتفضل على من يشاء و لا يلزم ان يفعل ذلک بكل مكلف.

و قوله «وَ الْمُؤْتَفِكاتِ» قال الحسن و قتادة: هى ثلاث قرّيات لقوم لوط و لذلک جمعها بالألف و التاء. و قال فى موضع آخر «وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوى» «1» فجاء به على طريق الجنس. قال الزجاج: معناه ائتفكت بأهلها انقلبت. و مدين ابن ابراهيم اسم له. و قوله «أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ» معناه جاءت هؤلاء المذكورين الرسل من عند اللّه معها حجج و دلالات على صدقها فكذبوا بها فأهلكهم اللّه، و حذف لدلالة الكلام عليه. ثم قال «فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ» اى لم يكن اللّه ظالماً لهم بهذا الإهلاک «وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بأن فعلوا من الكفر و المعاصى ما استحقوا به الهلاک.

---

(1) سورة 53 النجم آية 53

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 257

و قيل: ان اللّه تعالى أهلک قوم نوح بالغرق. و أهلک عاداً بالريح الصرصر العاتية. و أهلک ثمود بالرجفة و الصاعقة. و أهلک قوم ابراهيم بالتشتيت و سلب الملک و النعمة. و أهلک اصحاب مدين بعذاب يوم الظلة. و أهلک قوم لوط بانقلاب الأرض، كل ذلک عدل منه على من ظلم نفسه و عصى اللّه و استحق عقابه.

وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71)

لما ذكر اللّه تعالى المنافقين و وصفهم بأن بعضهم من بعض بالاتفاق و التعاضد اقتضى ان يذكر المؤمنين، و يصفهم بضد أوصافهم، فقال تعالى «وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» أى يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه و ان يواليه و قال الرمانى: العقل يدل على وجوب موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً، لأنها تجرى مجرى استحقاق الحمد على طاعة اللّه و الذم على معصيته. و لا يجوز ان يرد الشرع بخلاف ذلك. و إذا قلنا: المؤمن ولى اللّه معناه أنه ينصر أولياء اللّه و ينصر دينه، و اللّه وليه بمعنى أولى بتدبيره و تصريفه و فرض طاعته عليه. ثم قال «يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» يعنى المؤمنين يأمرون بما أوجب اللّه فعله أو رغب فيه عقلا أو شرعاً و هو المعروف «وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» و هو ما نهى اللّه تعالى عنه و زهد فيه إما عقلا أو شرعاً.

و يضيفون الى ذلك إقامة الصلاة اى إتيانها بكمالها و المداومة عليها و يخرجون زكاة أموالهم حسب ما أوجبها اللّه عليهم، و يضعونها حيث امر اللّه بوضعها فيه و يطيعون التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 258

اللّه و رسوله اى يمتثلون أمرهما و يتبعون ارادتها و رضاهما.

ثم قال «أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ» يعنى المؤمنين الذين وصفهم ان ستنالهم فى القيامة رحمته. ثم اخبر عن نفسه فقال «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» فالعزيز معناه قادر لا يغلبه احد من الكفار و المنافقين، حكيم فى عقاب المنافقين و اثابة المؤمنين، و غير ذلك من الافعال. و إنكار المنكر يجب بلا خلاف سمعاً و عليه الإجماع و كذلك الأمر بالمعروف واجب، فأما العقل فلا يدل على وجوبهما أصلا، لأنه لو أوجب ذلك لوجب ان يمنع اللّه من المنكر، لكن يجب على المكلف اظهار كراهة المنكر الذى يقوم مقام النهى عنه. و فى الآية دلالة على ان الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من فروض الأعيان لأن اللّه تعالى جعل ذلك من صفات المؤمنين، و لم يخص قوماً دون قوم.

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً فِی جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)

اخبر اللَّه تعالى بأنه كما وعد المنافقين بنار جهنم و الخلود فيها كذلک «وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ» المعترفين بوحدانيته و صدق رسله و كذلک «الْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ» يعنى بساتين يجنها الشجر «تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» و تقديره تجرى من تحت أشجارها الأنهار. و قيل: أنهار الجنة أخاديد فى الأرض، فلذلک قال «من تحتها» و انهم فيها خالدون اى دائمون «وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً» معناه وعدهم مساكن طيبة. و المسكن الموضع الذى يسكن و روى الحسن انها قصور من اللؤلؤ و الياقوت الأحمر و الزبرجد الأخضر مبنية بهذه الجواهر. و قوله «فِی جَنَّاتِ عَدْنٍ» فالعدن الاقامة و الخلود، التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 259

و منه المعدن قال الأعشى:

و ان يستضافوا الى حكمه يضافوا الى راجح قد عدن «1»

و

روى أنها جنة لا يسكنها إلا النبيون و الشهداء و الصالحون.

و قوله «وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ» قال الرمانى: الرضوان معنى يدعو الى الحمد بالاجابة يستحق مثله بالطاعة فيما تقتضيه الحكمة. و انما رفع (رضوان) لأنه استأنفه للتعظيم كما يقول القائل: أعطيتک و وصلتک ثم يقول: و حسن رأى فيک و رضاى عنک خير من جميع ذلک. و قوله «ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» معناه هذا النعيم الذى وصفه هو النجاح العظيم الذى لا شىء فوقه و لا أعظم منه.

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (73)
امر اللّه تعالى فى هذه الآية نبيه صلى الله عليه و آله أن يجاهد الكفار و المنافقين. و الجهاد هو ممارسة الأمر الشاق و الجهاد يجب باليد و اللسان و القلب، فمن امكنه الجميع وجب عليه جميعه. و من لم يقدر باليد فباللسان فان لم يقدر فبالقلب. و اختلفوا فى كيفية جهاد الكفار و المنافقين. فقال ابن عباس: جهاد الكفار بالسيف و جهاد المنافقين باللسان و الوعظ و التخويف، و هو قول الجبائى. و قال الحسن و قتادة:
جهاد الكفار بالسيف و جهاد المنافقين باقامة الحدود عليهم. و كانوا اكثر من يصيب الحدود. و قال ابن مسعود: هو بالأنواع الثلاثة حسب الإمكان فان لم يقدر فليكفهر فى وجوههم و هو الأعم.

---

(1) ديوانه: 16 و روايته (هادن قد رزن) بدل «راجح قد عدن» و تفسير الطبرى 14/ 350، و اللسان «وزن» و مجاز القرآن 1/ 264

و روى فى قراءة اهل البيت عليهم السلام «جاهد الكفار بالمنافقين».
و قوله «وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ» امر منه تعالى لنبيه ان يقوى قلبه على إحلال الألم بهم و أسماعهم الكلام الغليظ الشديد و لا يرق عليهم. ثم قال «وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ» اى منزلهم جهنم و مقامهم. و المأوى منزل مقام، لا منزل ارتحال. و مثله المثوى و المسكن. و قوله «وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ» اخبار منه تعالى ان مرجع هؤلاء و مآلهم بئس المرجع و المآل.

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ما قالُوا وَ لَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَ هَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا وَ ما نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْناهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَ إِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذاباً أَلِيماً فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ فِى الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (74)

اختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية، فقال عروة و ابن إسحاق و مجاهد: إنها نزلت فى الخلاس بن سويد بن الصامت بأنه قال: فان كان ما جاء به محمّد حقاً لنحن شرّ من الحمير، ثم حلف باللّه أنه ما قال. و قال قتادة: نزلت فى عبد اللّه بن أبى بن سلول حين قال «لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ» «1» و قال الحسن: كان ذلک فى جماعة من المنافقين. و قال الواقدى و الزجاج: نزلت فى اهل العقبة فإنهم ائتمروا أن يغتالوا رسول اللّه فى عقبة فى الطريق عند مرجعهم من تبوک. و أرادوا ان يقطعوا اتساع راحلته، و اطلعه اللّه على ذلک. و كان ذلک

---

(1) سورة 63 المنافقون آية 8

من معجزاته صلى الله عليه و آله لأنه لا يمكن معرفة مثل ذلک إلا بوحى من اللّه تعالى، فسار رسول اللّه فى العقبة وحده و أمر الناس كلهم بسلوک بطن الوادى و كانوا اثنى عشر رجلا أو خمسة عشر رجلا على الخلاف فيه. و عرفهم واحداً واحداً عمار بن ياسر و حذيفة، و كان أحدهما يقود ناقة رسول اللّه و الآخر يسوقها، و الحديث مشروح فى كتاب الواقدى. و

قال ابو جعفر عليه السلام كانوا ثمانية من قريش و اربعة من العرب

و قوله «وَ هَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا» قيل فيه ثلاثة اقوال:

أحدها- قال مجاهد: همّ المنافقون بما لم يبلغوه من التنفير برسول اللّه.

الثانى- قال قتادة: هموا بما ذكر فى قوله «لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ» فلم يبلغوا ذلک.

و الثالث- عن مجاهد أنهم هموا بقتل من أنكر عليهم ذلک. و قال بعضهم: كان المنافقون قالوا: لو رجعنا وضعنا التاج على رأس عبد اللّه ابن أبى، فلما أوقفوا على ذلک حلفوا بأنهم ما قالوا ذلک و لا هموا به، فأخبر اللّه تعالى عن حالهم انهم يحلفون باللّه ما قالوا، ثم اقسم تعالى بأنهم قالوا ذلک، لأن لام لقد لام القسم و انهم قالوا كلمة الكفر، و هى كل كلمة فيها جحد لنعم اللّه او بلغت منزلتها فى العظم، و كانوا يطعنون فى الإسلام و النبوة، و أخبر انهم هموا بما لم يبلغوه. و الهم مقاربة الفعل بتغليبه فى

النفس تقول: هم بالشىء يهم هماَ، و منه قوله «وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأى» «1» و ليس الهم من العزم فى شىء إلا ان يبلغ نهاية العزم فى النفس. و النيل لحوق الأمر. و منه قوله (نال السيف و نال ما اشتهى او قدر او تمنى) فهؤلاء قدّروا فى أنفسهم من كيد الإسلام ما لم يبلغوه.
و قوله «وَ ما نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْناهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ» يعنى ما فتح اللَّه عليهم من الفتوح و أخذ الغنائم و استغنوا بعد أن كانوا محتاجين و قيل فى معناه قولان: أحدهما- انهم عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر الغنى أن نقموا

---

(1) سورة 12 يوسف آية 24
. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 262
قال الشاعر:
ما نقموا من بنى أمية إلا انهم يحلمون ان غضبوا «1»
و الآخر- انهم بطروا النعمة بالغنى فنقموا بطراً و اشراً فهم لا يفلحون بهذه الحال و لا بعدها. و الفضل الزيادة فى الخير على مقدارها، و التفضل هو الزيادة من الخير الذى كان للقادر عليه ان يفعله و أن لا يفعله.
ثم قال تعالى «فَإِنْ يَتُوبُوا» هؤلاء المنافقون و يرجعوا الى الحق «يَكُ خَيْراً لَهُمْ» فى دينهم و دنياهم، فإنهم ينالون بذلک رضى اللَّه و رسوله و الجنة «وَ إِنْ يَتَوَلَّوْا» اى يعرضوا عن الرجوع الى الحق و سلوک الطريق الصحيح «يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذاباً أَلِيماً» اى مؤلماً «فِى الدُّنْيا» بما ينالهم من الحسرة و الغم و سوء الذكر و انواع المصائب و فى «الْآخِرَةِ» بعذاب النار «وَ ما لَهُمْ فِى الْأَرْضِ» اى ليس لهم فى الأرض «مِنْ وَلِيٍّ» اى محب «وَ لا نَصِيرٍ» يعنى من ينصرهم و يدفع عنهم عذاب اللَّه. و قيل: إن خلاساً تاب بعد ذلک، و قال: استثنى اللَّه تعالى لى التوبة فقبل اللَّه توبته.

وَ مِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75)

اخبر اللَّه تعالى أن من جملة المنافقين الذين تقدم ذكرهم «مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ» أى منه «وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ» بإنفاقه فى طاعة اللَّه و صلة الرحم و المواساة و أن يعمل الاعمال الصالحة التى يكون بها صالحاً.

و قيل: نزلت الآية فى بلتعة بن حاطب كان محتاجاً فنذر لئن استغنى ليصدقن فأصاب اثنى عشر الف درهم، فلم يتصدق، و لم يكن من الصالحين. هكذا قال

---

(1) مر تخريجه فى 3/ 559

الواقدى. و قال ابن إسحاق: هما بلتعة و مقنب بن قشير. و قيل: سبب ذلک أنه قتل مولى له فأخذ ديته اثنى عشر ألف درهم: أعطاه النبى صلى الله عليه و آله.

فان قيل كيف يصح أن يعاهد اللّه من لا يعرفه؟

قلنا: إذا وصفه بأخص صفاته جاز منه أن يصرف عهده اليه و إن جاز أن يكون غير عارف و قال الجبائى: كانوا عارفين، و انما كفروا بالنبى صلى الله عليه و آله.

و المعاهدة هى أن يقول علىّ عهد اللَّه لأفعلن كذا، فانه يكون قد عقد على نفسه وجوب ما ذكره، لأن اللَّه تعالى حكم بذلک و قدر وجوبه عليه فى الشرع.

و الآية دالة على وجوب الوفاء بالعهد. و اللام الاولى من قوله «لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ» و الثانية من قوله «لنصدقن» جميعهما لام القسم غير أن الأولى وقعت موقع الجواب، و التقدير علينا عهد اللَّه لنصدقن إن آتانا من فضله. و لا يجوز أن تكون اللام الأولى لام الابتداء، لأن لام الابتداء لا تدخل إلا على الاسم المبتدأ، لأنها تقطع ما قبلها أن يعمل فيما بعدها إلا فى باب (إنّ) فإنها زحلقت الى الخبر لئلا يجتمع تأكيدان، و يجوز ان يقول: ان رزقنى اللَّه ما لا صلحت بفعل الصلاة و الصوم لأن ذلک واجب عليه آتاه ما لا أو لم يؤته.

فَلَمَّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (76)
أخبر اللّه تعالى عن هؤلاء المنافقين الذين عاهدوا اللّه، و قالوا متى آتانا اللّه من فضله لنصدقن و لنكونن من الصالحين أنه آتاهم ما اقترحوه و رزقهم ما تمنوه من الأموال، و انهم لما آتاهم ذلک شحت نفوسهم عن الوفاء بالعهد.
و معنى (لما) معنى (إذا) إلا أن (لما) الغالب عليها الجزاء، و هى اسم، لأنها تقع فى جواب (متى) على تقدير الوقت كقولک: متى كان هذا، فيقول السامع: لما كان ذلک. و (لما) و (لو) لا يكونان إلا لما مضى بخلاف (إن)
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 264
و (إذا) فإنهما لما يستقبل الا أن (لو) على تقدير نفى وجوب الثانى لانتفاء الأول و (لما) يدل على وقوع الثانى لوقوع الاول.
و البخل منع النائل لشدة الإعطاء، ثم صار فى اسماء الذى منع الواجب، لأن من منع الزكاة فهو بخيل. قال الرمانى: و لا يجوز أن يكون البخل منع الواجب بمشقة الإعطاء قال زهير:
ان البخيل ملوم حيث كان و ل كن الجواد على علاته هرم «1»
قال: لأنه يلزم على ذلک ان يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقة.
و إنما قال زهير ما قاله لأن البخل صفة نقص. قال الرمانى: و من منع ما لا يضره بذله و لا ينفعه منعه مما تدعو اليه الحكمة فهو بخيل، لأنه لا يقع المنع على هذه الصفة إلا لشدة فى النفس، و إن لم يرجع الى ضرر، إذ الشدة من غير ضرر معقولة كما يصفون الجوزة بأنها لئيمة لأجل الشدة. و قال عبد اللّه بن عمر و الحسن و محمّد ابن كعب القرطى:
يعرف المنافق بثلاث خصال: إذا حدث كذب، و إذا وعد خلف و إذا ائتمن خان. و خالفهم عطاء ابن أبى رياح فى ذلک و قال: إن النبى صلى الله عليه و آله إنما قال ذلک فى قوم من المنافقين.
و روى ان الحسن رجع الى قول عطاء. و قوله «وَ تَوَلَّوْا» اى أعرضوا عما عاهدوا اللّه عليه. و قوله «وَ هُمْ مُعْرِضُونَ» اخبار منه بأنهم معرضون عن الحق بالكلية.

فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِی قُلُوبِهِمْ إِلی یَوْمِ یَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ وَ بِما کانُوا یَکْذِبُونَ (77)
بین اللّه تعالی أنه أعقب هؤلاء المنافقین و معناه أورثهم و أداهم الی نفاق فی

---

(1) اللسان (هرم).

قلوبهم بخلهم بما آتاهم اللّه من فضله مع الاعراض عن أمر اللّه، و هو قول الحسن و قال مجاهد: معناه أعقبهم ذلک بحرمان التوبة کما حرم إبلیس، و جعل ذلک إمارة و دلالة علی أنهم لا یتوبون أبداً لأحد شیئین: من قال: اعقبهم بخلهم رد الضمیر الیه. و المعنی یلقون جزاء بخلهم. و من ذهب الی ان اللّه أعقبهم رد الضمیر الی اسم اللّه.
و قوله «بِما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ» فالاخلاف نقض ما تقدم به العقد من وعد أو عزم و أصله الخلاف، لأنه فعل خلاف ما تقدم به العقد. و الوعد متی کان بأمر واجب أو ندب أو أمر حسن قبح الأخلاف، و ان کان الوعد وعداً بقبیح کان إخلافه حسناً. و قوله «وَ بِما کانُوا یَکْذِبُونَ» یقوی قول من قال: إن الضمیر عائد الی اللّه لأنه بین انه انما فعل ذلک جزاء علی اخلافهم وعده و جزاء علی ما کانوا یکذبون فی اخبارهم علیه.

أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (78)
الالف فى قوله «أَ لَمْ يَعْلَمُوا» الف استفهام و المراد به الإنكار. يقول اللَّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله «أَ لَمْ يَعْلَمُوا» هؤلاء المنافقون «أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ» يعنى ما يخفون فى أنفسهم و ما يتناجون بينهم، و المعنى انه يجب عليهم أن يعلموا ذلک. تقول:
اسره إسراراً، و استسرّ استسراراً، و ساره مسارة و سراراً، و تسار إسراراً، و الاسرار إخفاء المعنى فى النفس و النجوى رفع الحديث بإظهار المعنى لمن يسلم عنده من إخراجه الى عدّو فيه لأنه من النجاة تقول: ناجاه مناجاة، و تناجوا تناجياً فكأن هؤلاء المنافقون يسرّون فى أنفسهم الكفر و يتناجون به بينهم. و قيل: السرّ و النجوى التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 266
واحد مكرر باختلاف اللفظين كما يقول القائل: آمرک بالوفاء و أنهاک عن الغدر و المعنى واحد مكرر باختلاف اللفظين. و قوله «أَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ» معناه يعلم كل ما غاب عن العباد مما غاب عن احساسهم او ادراكهم من موجود أو معدوم من كل وجه يصح ان يعلم منه، لأنها صفة مبالغة و اقتضى ذكر العلم- ها هنا- حال المنافقين فى كفرهم سرّاً و إظهارهم الايمان جهراً، فقيل لهم ان المجازى لكم يعلم سركم و نجواكم، كما قال: ذو الرمة فى معنى واحد بلفظين مختلفين:
لمياء فى شفتيها حوة لعس و فى اللثات و فى أنيابها شنب
فاللعس حوة و كرر لاختلاف اللفظين، و يمكن ان يكون لما ذكر الحوة خشى أن يتوهم السامع سواداً قبيحاً فبين انه لعس لأنه يستحسن ذلک.

الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقاتِ وَ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (79)

قيل: نزلت هذه الآية فى علية بن زيد الحارثى و زيد بن اسلم العجلانى فجاء علية بصاع من تمر فنثره فى الصدقة، و قال: يا رسول اللَّه عملت فى النخل بصاعين فصاعاً تركته لأهلى و صاعاً أقرضته ربى، و جاء زيد بن أسلم بصدقة فقال: معتب ابن قشير و عبد اللَّه بن نهيک إنما أراد الرياء. و قال قتادة و غيره من المفسرين:

إن هذه الآية نزلت فى حجاب بن عثمان، لأنه أتى النبى صلى الله عليه و آله بصاع من تمر و قال: يا رسول اللَّه إنى عملت فى النخل بصاعين من تمر فتركت للعيال صاعاً و أهديت للَّه صاعاً. و جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف دينار و هى شطر ماله للصدقة، فقال المنافقون: إن عبد الرحمن لعظيم الرياء، و قالوا فى الآخر: إن التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 267

اللَّه لغنى عما أتى به، فأنزل اللَّه تعالى الآية فقال «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ» أى ينسبونهم الى النقص فى النفس يقولون: لمزه يلمز لمزاً إذا انتقصه و عابه و المطوعين على وزن (المتفعلين) و تقديره المتطوعين، فأدغمت التاء فى الطاء، و معناه المتقلين من طاعة اللَّه بما ليس بواجب عليهم، لأن الخير قد يكون واجباً و قد يكون ندباً و قد يكون مباحاً و لا يستحق المدح الا على الواجب و الندب دون المباح، و قوله «وَ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ» و الجهد هو الحمل على النفس بما يشق تقول:

جهده يجهده جهداً و جهداً- بالضم و الفتح- كالوجد و الوجد و الضعف و الضعف. و قال الشعبى: الجهد فى العمل و الجهد فى القوت. و قوله «فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ» يعنى المنافقين يهزءون بالمطوعين «سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» اى يجازيهم على سخريتهم بأنواع العذاب «وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» اى مؤلم موجع، و لما كان ضرر سخريتهم عائداً عليهم جاز ان يقال «سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» لا انه يفعل السخرية.

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (80)
قوله «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ» صيغته صيغة الأمر و المراد به المبالغة فى الأياس من المغفرة انه لو طلبها طلبة المأمور بها أو تركها ترک المنهى عنها لكان ذلک سواء فى ان اللّه لا يفعلها، كما قال فى موضع آخر «سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» «1». و الاستغفار طلب المغفرة من اللّه تعالى بالدعاء بها و المغفرة ستر المعصية برفع العقوبة عليها. و تعليق الاستغفار بالسبعين مرة، و المراد

---

(1) سورة 63 المنافقون آية 6 [.....]

به المبالغة لا العدد المخصوص، و يجرى ذلک مجرى قول القائل: لو قلت ألف مرة ما قبلت، و المراد بذلک إنى لا أقبل منک، و كذلک الآية المراد بها نفى الغفران جملة. و ما
روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال (و اللّه لأزيدن على السبعين) خبر واحد لا يلتفت اليه، و لأن فى ذلک ان النبى صلى الله عليه و آله استغفر للكفار و ذلک لا يجوز بالإجماع.
و
قد روى أنه قال (لو علمت انى لو زدت على السبعين مرة لغفر لفعلت).
و كان سبب نزول هذه الاية
ان النبى صلى الله عليه و آله كان إذا مات ميت صلى عليه و استغفر له ، و لم يكن بمنزلة المنافقين بعد، فأعلمه اللّه تعالى ان فى جملة من تصلى عليهم من هو منافق و إن استغفاره له لا ينفع قل ذلک ام كثر، ثم نهى اللّه نبيه أن يصلى على أحد منهم و أن يستغفر له حين عرفه إياهم بقوله «وَ لا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ» «1» الاية. و قوله «ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» اشارة منه تعالى الى ان ارتفاع الغفران انما كان لأنهم كفروا باللّه و جحدوا نعمه، و كفروا برسوله فجحدوا نبوته «وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ» فمعناه انه لا يهديهم الى طريق الجنة و الثواب. فأما الهداية الى الايمان بالإقرار بالتوحيد للّه و الاعتراف بنبوة النبى صلى الله عليه و آله فقد هدى اللّه اليه كل مكلف متمكن من النظر و الاستدلال، بأن نصب له على ذلک الدلالة و أوضحها له.

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَ كَرِهُوا أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ قالُوا لا تَنْفِرُوا فِی الْحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا یَفْقَهُونَ (81)

اخبر اللَّه تعالى بأن جماعة من المنافقين الذين خلفهم النبى صلى الله عليه و آله و لم يخرجهم

---

(1) سورة 9 التوبة آية 85.

معه الى تبوک لما استأذنوه فى التأخر فأذن لهم، فرحوا بقعودهم خلاف رسول اللَّه.

و المخلف المتروک خلف من مضى، و مثله المؤخر عمن مضى تقول: خلف تخليفاً و تخلف تخلفاً. و الفرح ضد الغم، و الغم ضيق الصدر بفوت المشتهى، و عند البصريين من المعتزلة هو اعتقاد وصول الضرر اليه فى المستقبل او دفع الضرر المظنون و المعلوم عنه. و معنى خلاف رسول اللَّه قال أبو عبيدة: بعد رسول اللَّه و أنشد:

عقب الربيع خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا «1»

و قال غيره: معناه المصدر من قولک خالف خلافاً و هو نصب على المصدر.

و قوله «وَ كَرِهُوا أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ» اخبار منه تعالى ان هؤلاء المخلفين فرحوا بالتأخر و كرهوا إنفاق أموالهم و الجهاد بنفوسهم فى سبيل اللَّه، فالجهاد بالمال هو تحمل لمشقة الإنفاق فى وجوه البر، و الجهاد بالنفس هو تعريضها لما يشق عليها اتباعاً لأمر اللَّه. و قوله «لا تَنْفِرُوا فِی الْحَرِّ» معناه انهم قالوا لنظرائهم و من يقبل منهم: لا تخرجوا فى الوقت الحار، فقال اللَّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله قل لهم «نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا یَفْقَهُونَ» لأنهم توقوّا بالقعود عن الخروج حرّ الشمس، فخالفوا بذلک أمر اللَّه و أمر رسوله، و استحقوا حرّ نار جهنم، و كفى بهذا الاختيار جهلا ممن اختاره. و قوله «لَوْ كانُوا یَفْقَهُونَ» معناه لو كانوا يفقهون وعظ اللَّه و تحذيره و تزهيده فى معاصيه.

فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَ لْيَبْكُوا كَثِيراً جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (82)

---

(1) قائله الحارث بن خالد المخزومى. الاغانى 3/ 333 و روايته (الرذاذ) بدل (الربيع) و اللسان (عقب)، (خلف).

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 270

قوله «فليضحكوا» صيغته صيغة الامر و المراد به التهديد، و إنما قلنا: إنه بصورة الأمر، لأن اللام ساكنة و لو كانت لام الاضافة لكانت مكسورة لأنها تؤذن بعملها للجزاء المناسب لها، فلذلک ألزمت الحركة. و المراد بالاية الاخبار عن حال هؤلاء المنافقين و أنها فى وجه الضحک کحال المأمور منه فيما يؤل اليه من خير أو شر على صاحبه، فلذلک دخله معنى التهدد، و الضحک حال تفتح و انبساط يظهر فى وجه الإنسان عن تعجب مع فرح، و الضحاک هو الإنسان خاصة. و البکاء حال يظهر عن غم فى الوجه مع جرى الدموع على الخد، و هو ضد الضحک تقول:

بکا بکاءً، و أبکاه اللّه إبکاءً، و بکاه تبکية و تباکى تباکياً و استبکى استبکاءً و معنى الآية أن يقال لهؤلاء المنافقين: فاضحکوا بقليل تمتعکم فى الدنيا فإنکم ستبکون کثيراً يوم القيامة إذا حصلتم فى العقاب الدائم «جَزاءً بِما کانُوا يَکْسِبُونَ» نصب (جزاء) على المصدر أى تجزون على معاصيکم، ذلک جزاء على أفعالکم التى اکتسبتموها.

فَإِنْ رَجَعَکَ اللَّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوکَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِیَ أَبَداً وَ لَنْ تُقاتِلُوا مَعِیَ عَدُوًّا إِنَّکُمْ رَضِیتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِینَ (83)

قال اللّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله «فَإِنْ رَجَعَکَ اللَّهُ» يعنى ان ردّک اللّه «إِلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ» يعنى جماعة. فالرجوع هو تصيير الشىء الى المكان الذى كان فيه، تقول:

رجعته رجعاً كقولک رددته ردّاً، و قد يكون التصيير الى الحال التى كان عليها كرجوع الماء الى حال البرودة. و الطائفة الجماعة التى من شأنها أن تطوف و لهذا لا يقال فى جماعة الحجارة طائفة، و قد يسمى الواحد بأنه طائفة بمعنى نفس طائفة التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 271

و الأول اظهر. و قوله «فَاسْتَأْذَنُوکَ لِلْخُرُوجِ» اى طلبوا منک الاذن فى الخروج فى غزوة أخرى، و الاذن رفع التبعة فى الفعل و أصله أن يكون بقول يسمع بالاذن.

و الخروج الانتقال عن محيط، فقال اللّه لنبيه صلى الله عليه و آله قل لهم حينئذ «لَنْ تَخْرُجُوا مَعِیَ أَبَداً» اى لا يقع منكم الخروج أبداً، فالابد الزمان المستقبل من غير انتهاء الى حد، و نظيره للماضى (قط) إلا انه مبنى كما بنى أمس لتضمنه حروف التعريف و أعرب (الأبد) كما أعرب (غد) لأن المستقبل أحق بالتنكير.

و قوله «وَ لَنْ تُقاتِلُوا مَعِیَ عَدُوًّا» اخبار بأنهم لا يفعلون ذلک ابداً و لا يختارونه. و قوله «إِنَّکُمْ رَضِیتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِینَ» معناه اخبار منه تعالى انهم رضوا بالقعود أول مرة فينبغى ان يقعدوا مع الخالفين. و قيل فى معناه ثلاثة اقوال: أحدها- قال الحسن و قتادة: هم النساء و الصبيان. و قال ابن عباس: هم من تأخر من المنافقين. و قال الجبائى: هم كل من تأخر لمرض او نقص و قيل: معناه مع اهل الفساد مشتقاً من قولهم: خلف خلوفاً اى تغير الى الفساد.

و قيل: الخالف كل من تأخر عن الشاخص.

وَ لا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ ماتُوا وَ هُمْ فاسِقُونَ (84)
هذا نهى من اللّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله عن أن يصلى على أحد من المنافقين او يقوم على قبره و معناه أن يتولى دفنه او ينزل فى قبر كما يقال: قام فلان بأمر فلان.
و
قال ابن عباس و ابن عمر و قتادة و جابر: صلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على عبد اللّه ابن أبى بن أبى سلول و البسه قميصه قبل أن ينهى عن الصلاة على المنافقين. و قال أنس: أراد أن يصلى عليه فأخذ جبرائيل بثوبه.
و قال له «لا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 272
مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ».
و الصلاة على الأموات فرض على الكفايات إذا قام به قوم سقط عن الباقين.
و اقل من يسقط به الفرض واحد و هى دعاء ليس فيها قراءة و لا تسبيح، و فيه خلاف.
و فيها خمس تكبيرات عندنا، و عند الفقهاء أربع تكبيرات، فالتكبيرة الأولى يشهد بعدها الشهادتين، و يكبر بالثانية، و يصلى بعدها على النبى صلى الله عليه و آله و يكبر الثالثة و يدعو للمؤمنين و المؤمنات، و يكبر الرابعة و يدعو للميت إن كان مؤمناً و عليه إن كان منافقاً، و يكبر الخامسة و يقف يومى الى يمينه حتى ترفع الجنازة، و ليس فيها تسليم. و سمعت أبا الطيب الطبرى و كان امام أصحاب الشافعى يقول: الخلاف بيننا و بينكم فى عبارة، لأن عندكم ينصرف بالخامسة. و عندنا بالتسليم، فجعلتم مكان التسليم التكبير. و ذلک خلاف فى عبارة.
و قوله «مات» موضع (مات) جر لأنه صفة ل (أحد) لان تقديره على احد ميت منهم و «أبداً» منصوب متصل، و (أحد) هذه هى التى تكون فى النفى دون الإيجاب لأنه يصح النهى عن الصلاة عليهم مجتمعين و متفرقين، كما يصح فى النفى و لا يمكن فى الإيجاب لأنه كنفى الضدين فى حال واحدة، فانه لا يصح إثباتها فى حال أصلا. و القبر حفرة يدفن فيها الميت، تقول: قبرته اقبره قبراً فأنا قابرٌ و هو مقبور و أقبرت فلاناً اقباراً إذا جعلته بقبره.
و قوله «إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» و المعنى انما نهيتک عن الصلاة عليهم لأنهم كفروا باللّه و رسوله، فهى للتعليل، و انما كسرت لتحقيق الاخبار بأنهم على الصفة التى ذكرها و أنهم «ماتُوا وَ هُمْ فاسِقُونَ» اى خارجون عن طاعة اللّه الى معصيته.

وَ لا تُعْجِبْکَ أَمْوالُهُمْ وَ أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِها فِى الدُّنْيا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كافِرُونَ (85)

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 273

قد مضى تفسير مثل هذه الآية فلا وجه لإعادته «1» و بينا أنه خطاب للنبى صلى الله عليه و آله و المراد به الامة، ينهاهم اللَّه أن يعجبوا بما اعطى اللَّه الكفار من الأموال و الأولاد فى الدنيا حتى يدعوهم ذلک الى الصلاة عليهم، و لا ينبغى ان يغتروا بذلک فإنما يريد اللَّه ان يعذبهم بها فى الدنيا، لأنهم لا ينفقونها فى طاعة اللَّه و لا يخرجون حق اللَّه منها. و يجوز أن يعذبهم بها فى الدنيا بما يلحقهم فيها من المصائب و الغموم و بما يأخذها المسلمون على وجه الغنيمة و بما يشق عليهم من إخراجها فى الزكاة و الإنفاق فى سبيل اللَّه مع اعتقادهم بطلان الإسلام و تشدد ذلک عليهم و يكون عذاباً لهم، و ان نفوسهم تزهق اى تهلک بالموت «وَ هُمْ كافِرُونَ» أى فى حال كفرهم، فلذلک عذبهم اللَّه فى الآخرة. و الاعجاب هو إيجاد السرور بما يتعجب منه من عظيم الإحسان، تقول: اعجبنى أمره اعجاباً إذا سررت بموضع بموضع التعجب منه و الزهق خروج النفس بمشقة شديدة و منه قوله «فَإِذا هُوَ زاهِقٌ» «2» أى هالک.

و قيل: فى وجه حسن تكرار هذه الآية دفعتين قولان:

أحدهما- قال ابو على: يجوز أن تكون الآيتان فى فريقين من المنافقين كما يقول القائل: لا يعجبک حال زيد و لا يعجبک حال عمرو.

الثانى- أن يكون الغرض البيان عن قوة هذا المعنى فيما ينبغى ان يحذر منه مع أنه للتذكير فى موطنين بعد أحدهما عن الاخر، فيجب العناية به، و ليس ذلک بقبيح، لأن الواحد منا يحسن به أن يقوم فى مقام بعد مقام، و يكرر الوعظ و الزجر و التخويف و لا يكون ذلک قبيحاً.

---

(1) فى تفسير آية 56 من هذه السورة

(2) سورة 21 الأنبياء آية 18

وَ إِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَ جاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَکَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَ قالُوا ذَرْنا نَکُنْ مَعَ الْقاعِدِينَ (86)

بين اللّه تعالى فى هذه الآية أنه إذا أنزل سورة من القرآن على النبى صلى الله عليه و آله «أَنْ آمِنُوا» و معناه بأن آمنوا فحذفت الباء و جعل «أن آمنوا» فى موضع نصب و التقدير بالايمان على وجه الأمر و لا يجوز الحذف مع صريح المصدر، و إنما جاز مع (أن) للزوم الصلة و الحمل على التأويل فى اللفظ كما حمل على المعنى.

و هذا خطاب للمؤمنين و أمر لهم بأن يدوموا على الايمان و يتمسكوا به فى مستقبل الأوقات و يدخل فيه المنافق و يتناوله الأمر بأن يستأنف الايمان و يترک النفاق ثم يجاهدوا بعد ذلک بنفوسهم و أموالهم لأنه لا ينفعهم الجهاد مع النفاق.

و قوله «اسْتَأْذَنَکَ أُولُوا الطَّوْلِ» معناه أن ذوى الغنى من المنافقين إذا أنزلت السورة يأمرهم فيها بالايمان و الجهاد يستأذنون النبى صلى الله عليه و آله فى القعود و التأخر عنه، مع اعتقادهم بطلان الإسلام فيشد ذلک عليهم و يكون عذاباً لهم- و هو قول الحسن و ابن عباس- فإنهما قالا: إنما لحق هؤلاء الذم لأنهم أقوى على الجهاد.

و قوله «وَ قالُوا ذَرْنا نَکُنْ مَعَ الْقاعِدِينَ» اخبار منه تعالى أن هؤلاء المنافقين من ذوى الغنى يقولون للنبى صلى الله عليه و آله: اتركنا نكن مع القاعدين من الصبيان و الزمنى و المرضى الذين لا يقدرون على الخروج. قال الرمانى: و السورة جملة من القرآن تشتمل على آيات قد أحاطت بها كما يحيط سور القصر بما فيه، و سؤر الهر بقيته من الماء. و الجهاد بالقتال دفعاً عن النفس معلوم حسنه عقلا لأنه مركوز فى العقل وجوب التحرز من المضار، و ليس فى العقل ما يدل على انه يجب على الإنسان ان يمنع غيره من الظلم و إنما يعلم ذلک سمعاً.

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ وَ طُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ (87)
اخبر اللّه تعالى بأن هؤلاء الذين قالوا «ذَرْنا نَكُنْ مَعَ الْقاعِدِينَ» من المنافقين رضوا لنفوسهم أن يكونوا مع الخوالف و هم النساء و الصبيان و المرضى و المقعدون قال الزجاج: الخوالف النساء لتخلفهن عن الجهاد، و يجوز أن يكون جمع خالفة فى الرجال، و الخالف و الخالفة الذى هو غير نجيب، و لم يأت فى (فاعل) (فواعل) صفة إلا حرفين قولهم: فارس و فوارس. و هالك و هوالك.
و قوله «وَ طُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- انه تعالى يجعل نكتة سوداء فى قلب المنافق و الكافر لتكون علامة للملائكة يعرفون بها أنه ممن لا يفلح أبداً.
الثانى- أن يكون المراد بذلك الذم لها بأنها كالمطبوع عليها فلا يدخلها صبر و لا ينتفى عنها شر، لأن حال الذم لها يقتضى صفات الذم، كما أن حال المدح يقتضى صفات المدح، كما قال جرير فى قصيدة أولها:
أ تصحوا أم فؤادک غير صاح عشية همّ صحبک بالرّواح
أ لستم خير من ركب المطايا و اندى العالمين بطون راح «1»
و لا تحمل الا على المدح دون الاستفهام. و الطبع فى اللغة هو الختم تقول: طبعه و ختمه بمعنى واحد.

لكِنِ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ أُولئِکَ لَهُمُ الْخَيْراتُ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (88)

---

(1) مر تخريجه فى 1/ 132، 400 و قد مر فى 2/ 327

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 276

لما أخبر اللَّه تعالى عن حال المتأخرين عن النبى صلى الله عليه و آله و القاعدين عن الجهاد معه و أنهم منافقون قد طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون. أخبر عن الرسول صلى الله عليه و آله و من معه و أنهم منافقون قد طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون. أخبر عن الرسول صلى الله عليه و آله و من معه من المؤمنين المطيعين للَّه و رسوله بأنهم يجاهدون فى سبيل اللَّه بأموالهم و أنفسهم بالأموال التى ينفقونها فى مرضاة اللَّه و عدة الجهاد و يقاتلون الكفار بنفوسهم. ثم اخبر عما أعدّ لهم من الجزاء على أفعالهم تلک و انقيادهم للَّه و رسوله، فقال «أولئک» يعنى النبى و الذين معه «لَهُمُ الْخَيْراتُ» فى الجنة و نعيمها و خيراتها، و انهم المفلحون ايضاً الفائزون بكرامة اللَّه. و الخيرات هى المنافع التى تسكن النفس اليها و ترتاح بها من النساء الحسان و غيره من نعيم الجنان واحده خيرة- هذا قول أبى عبيدة- و قال رجل من بنى عدى:

و لقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات «1»

و الفلاح النجاح بالوصول الى البغية من نجح الحاجة و هو قضاؤها.

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ (89)

بین اللَّه تعالی انه «أعد» لهؤلاء المؤمنین و الرسول «جنات» یعنی بساتین «تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا» و معناه من تحت أشجارها «الْأَنْهارُ». و الاعداد جعل الشیء مهیئاً لغیره تقول: اعدّ إعداداً و استعدّ له استعداداً و هو من العدد، لأنه قد عدّ اللَّه جمیع ما یحتاج الی تقدیمه له من الأمور و مثله الاتخاذ. و الوجه فی أعداد ذلک قبل مجیء وقت الجزاء أن تصوره لذلک ادعی الی الطاعة و آکد فی الحرص علیها

---

(1) مجاز القرآن 1/ 267 و اللسان (خیر) الربلة لحمة الفخذ

و یحتمل أن یکون المراد أنه سیجعل لهم جنات تجری من تحتها الأنهار غیر أنه ترک للظاهر. و قوله «ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ» اشارة الی ما أعده لهم و اخبار منه بأنه الفوز العظیم. و الفوز النجاة من الهلکة الی حال النعمة، و سمیت المهلکة مفازة تفاؤلا بالنجاة و إنما وصفه بالعظیم لأنه حاصل علی جهة الدوام.

وَ جاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَ قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (90)

قرأ يعقوب و قتيبة (المعذرون) بسكون العين و تخفيف الذال. الباقون بفتح العين و تشديد الذال، وجه قراءة من قرأ بالتخفيف أنه أراد جاءوا بعذر.

و من قرأ بالتشديد احتمل أمرين: أحدهما- انه أراد المعتذرون، كان لهم عذر أو لم يكن، و إنما أدغم التاء فى الذال لقرب مخرجهما مثل قوله «يذكرون و يدكرون» و غير ذلک، و أصله يتذكرون. الثانى- انه أراد المقصرون، و المعذر المقصر، و المعذر المبالغ الذى له عذر. و أما المعتذر فانه يقال لمن له عذر و لمن لا عذر له قال لبيد:

الى الحول ثم اسم السلام عليكما و من يبک حولا كاملا فقد اعتذر «1»

معناه جاء بعذر. و قال الزجاج: يجوز أن يكون المعذرون الذين يعتذرون فيوهمون أن لهم عذراً و لا عذر لهم. و روى عن ابن عباس انه قرأ بالتخفيف، و قال:

لعن اللّه المعذرين أراد من يعتذر بغير عذر، و بالتخفيف من بلغ أقصى العذر.

---

(1) ديوانه القصيدة: 21، و خزانة الأدب 2/ 217 و تفسير الطبرى 1/ 119 14/ 117 و اللسان (عذر).

و أصل التعذير التقصير مع طلب إقامة العذر، عذر فى الامر تعذيراً إذا لم يبالغ فيه. و الفرق بين الاعتذار و التعذير، أن الاعتذار قد يكون بعذر من غير تصحيح الأمر، و التعذير تقصير يطلب معه اقامة العذر فيه. و اختلفوا فى معنى «وَ جاءَ الْمُعَذِّرُونَ» على قولين: قال قتادة و اختاره الجبائى: انه من عذر فى الأمر تعذيراً إذا قصر. و قال مجاهد: جاء أهل العذر جملة على معنى المعتذرين. و قال الحسن:

اعتذروا بالكذب. و قال قوم: إنما جاء بنو غفار، خفاف بن إيماء بن رخصة و قومه.

و معنى الاية أن قوماً من الأعراب جاءوا الى النبى صلى الله عليه و آله يظهرون أنهم مؤمنون و لم يكن لهم فى الايمان و الجهاد نية فيعرضون نفوسهم عليه و غرضهم أن يأذن النبى صلى الله عليه و آله لهم فى التخلف، فجعلوا عرضهم أنفسهم عليه عذراً فى التخلف عن الجهاد و قوله «وَ قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» يعنى المنافقين، لأنهم الذين كذبوا اللّه

و رسوله فيما كانوا يظهرون من الايمان، فقال اللّه «سَيُصِيبُ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» اى ينالهم عذاب مؤلم موجع فى الآخرة.

لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ وَ لا عَلَى الْمَرْضى وَ لا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (91)

عذر اللَّه تعالى فى هذه الآية من ذكره و وصفه، فقال «لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ» و هو جمع ضعيف، و هو الذى قوته ناقصة بالزمانة و غيرها «وَ لا عَلَى الْمَرْضى» و هو جمع مريض و هم الاعلاء «وَ لا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ» يعنى من ليس معه نفقة الخروج و آلة السفر «حرج» يعنى ضيق و جناح. و أصل الضيق الذى يتعذر معه الامر. و قوله «إِذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ» شرط تعالى فى رفع الجناح و الاسم عن التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 279

المذكورين ان ينصحوا اللَّه و رسوله بأن يخلصوا العمل من الغش، يقال: نصح فى عمله نصحاً، و ناصح نفسه مناصحة، و منه التوبة النصوح. ثم قال «ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ» أى ليس على من فعل الحسن الجميل طريق. و الإحسان هو إيصال النفع الى الغير لينتفع به مع تعريه من وجوه القبح. و يصح أن يحسن الإنسان الى نفسه و يحمل على ذلک، و هو إذا فعل الأفعال الجميلة التى يستحق بها المدح و الثواب.

و قوله «وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» معناه ساتر على ذوى الاعذار بقبول العذر منهم «رحيم» بهم لا يلزمهم فوق طاقتهم. و قال قتادة: نزلت هذه الآية فى عابد بن عمرو المزنى و غيره. و

قال ابن عباس: نزلت فى عبد اللَّه بن معقل المزنى، فانه و جماعة معه جاءوا الى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقالوا له: احملنا فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لا أجد ما أحملكم عليه.

وَ لا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ (92)

هذه الاية عطف على الاولى و التقدير ليس على الذين جاءوک- و سألوک حملهم حيث لم يكن لهم حملان، فقلت لهم يا محمّد «لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ» إى ليس لى حملان فحينئذ «تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ» يبكون «حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ» فى هذا الطريق و يتابعونک- حرج و أثم و لا ضيق و إنما حذف لدلالة الكلام عليه. و الحمل إعطاء المركوب من فرس أو بعير أو غير ذلک تقول حمله يحمله حملا إذا أعطاه ما يحمل عليه، و حمل على ظهره حملا، و حمله الأمر تحميلا و تحمل تحملا، و احتمله احتمالا، و تحامل تحاملا. و اللام فى قوله «لتحملهم» التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 280

لام الغرض، و المعنى جاؤک و أرادوا منک حملهم و تقول: وجدت فى المال وجداً وجدة، و وجدت الضالة وجداناً و وجدت عليه- من الموجدة- وجداً. و الفيض الجرى عن امتلاء من حزن قلوبهم، و الحزن أ لم فى القلب لفوت أمر مأخوذ من حزن الأرض و هى الغليظة المسلک.

و قال مجاهد: نزلت هذه الاية فى نفر من مزينة، و قال محمّد بن كعب القرطى و ابن إسحاق: نزلت فى سبعة نفر من قبائل شتى. و قال الحسن: نزلت فى أبى موسى و أصحابه. و قال الواقدى: البكاءون سبعة من فقراء الأنصار، فلما بكوا حمل عثمان منهم رجلين، و العباس بن عبد المطلب رجلين، و يامين بن كعب بن نسيل النصرى من بنى النضير ثلاثة، و من جملة البكائين عبد اللّه بن معقل. و قال الواقدى:

كان الناس بتبوک ثلاثين الفاً، و عشرة آلاف فارس.

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَ هُمْ أَغْنِياءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (93)

بين اللّه تعالى فى هذه الآية ان السبيل و الطريق بالعقاب و الحرج انما هو للذين يطلبون الاذن من رسول اللّه فى المقام، و هم مع ذلک أغنياء يتمكنون من الجهاد فى سبيل اللّه، الراضين بكونهم مع الخوالف من النساء و الصبيان و من لا حراک به. ثم قال: و طبع اللّه على قلوبهم بمعنى وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيميزون بينهم و بين غيرهم من المؤمنين، و يحتمل أن يكون المراد انه بمنزلة المطبوع فى أن لا يدخلها الايمان كما لو طبعوا على الكفر. و مثله قوله «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ» و معناه لترک تلفظهم بالحق و عدولهم عن سماع الحق و انصرافهم عن النظر الى الصحيح كأنهم صم بكم عمى، و هم لا يعلمون ذلک، و لا يدرون الى ما يصير أمرهم من

عقاب الأبد، و لا يعرفون ما يلزمهم من احكام الشرع ما يعرفه المؤمنون. و قال البلخى: معناه لالفهم للخلاف و المعصية كأنهم لا يعلمون، و التقدير ان حكم هؤلاء المذكورين بهذه الأوصاف بخلاف من قد تحصن من العقاب بالايمان، لأنهم قد فتحوا على أنفسهم أبواب العذاب.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبارِكُمْ وَ سَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (94)

اخبر اللَّه تعالى ان هؤلاء القوم الذين تأخروا عن الخروج مع النبى صلى الله عليه و آله من غير عذر كان يبيحهم ذلک إذا عاد النبى صلى الله عليه و آله و المؤمنون إنهم كانوا يجيئون اليهم و يعتذرون اليهم عن تأخرهم بالأباطيل و الكذب، فقال اللَّه تعالى لنبيه: قل يا محمّد لهم «لا تَعْتَذِرُوا» فلسنا نصدقكم على ما تقولون، فان اللَّه تعالى قد أخبرنا من اخباركم و أعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم «وَ سَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ» أى سيعلم اللَّه فيما بعد عملكم هل تتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه؟ و يحتمل أن يكون المراد أنه يحل فى الظهور محل ما يرى «ثُمَّ تُرَدُّونَ» اى ترجعون الى من يعلم الغيب و الشهادة يعنى السر و العلانية الذى لا يخفى عليه بواطن أموركم «فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أى فيخبركم بأعمالكم كلها حسنها و قبيحها فيجازيكم عليها أجمع.

و الاعتذار اظهار ما يقتضى العذر و يمكن ان يكون صحيحاً و يمكن ان يكون فاسداً كاعتذار هؤلاء المنافقين. و الفرق بين الاعتذار و التوبة ان التوبة

سيئة قد وقعت، و الاعتذار اظهار ما يقتضى انها لم تقع، و لذلک يجوز ان يتوب الى اللَّه و لا يجوز ان يعتذر اليه. و الاعتذار الذى له قبول هو ما كان صاحبه محقاً، فأما الاعتذار بالباطل فهو أسوء لحال صاحبه قال الشاعر:

إذا اعتذر الجانى محا العذر ذنبه و كل امرئ لا يقبل العذر مذنب «1»

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (95)

أخبر اللّه تعالى عن هؤلاء الذين يعتذرون بالباطل الى النبى و المؤمنين فى تأخرهم عن الخروج معهم أنهم سيقسمون أيضا على ذلک للمؤمنين «إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ» يعنى إذا رجعتم اليهم «لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ» اى لتصفحوا عنهم و لا توبخوهم و لا تعنفوهم. ثم أمر اللّه تعالى المؤمنين و النبى صلى الله عليه و آله أن يعرضوا عنهم اعراض المقت و بين «إِنَّهُمْ رِجْسٌ» اى هم كالنتن فى قبحه و هم أنجاس و يقال: رجس نجس على الاتباع، و ان «مَأْواهُمْ» يعنى مصيرهم و مآلهم و مستقرهم «جَهَنَّمُ جَزاءً» اى مكافاة على ما كانوا يكسبونه من المعاصى. و الجزاء مقابلة العمل بما يقتضيه من خير او شر.

قال احمد بن يحيى ثعلب: اللام فى قوله «لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ» ليست لام غرض و انما معناه لاعراضكم، و انما علق- ها هنا- بذلک لئلا يتوهم أنه إذا رضى المؤمنون فقد رضى اللّه عنهم أيضاً فذكر ذلک ليزول هذا الإلباس لأن المنافقين لم يحلفوا لهم لكى يعرضوا، و لكنهم حلفوا تبرئاً من النفاق و لاعراض المسلمين عنهم و أنشد:

سموت و لم تكن أهلا لتسمو و لكن المضيع قد يصاب

---

(1) العقد الفريد 2/ 15

أراد ما كنت أهلا للسمو.

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ (96)

بين اللَّه تعالى أن هؤلاء المنافقين يقسمون باللَّه طلباً لمرضاتكم عنهم «فَإِنْ تَرْضَوْا» ايها المؤمنون «عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ» الخارجين من طاعته الى معصيته، و المعنى انه لا ينفعهم رضاكم مع سخط اللَّه عليهم و ارتفاع رضاه عنهم:

رضى المؤمنون عنهم او لم يرضوا، و انما علق ها هنا بذلک لئلا يتوهم أنه إذا رضى المؤمنون فقد رضى اللَّه عنهم أيضاً، فذكر ذلک ليزول هذا الإلباس و لأن المراد بذلک انه إذا كان اللَّه لا يرضى عنهم فينبغى لكم ايضاً أن لا ترضوا عنهم

الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفاقاً وَ أَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (97)

أخبر اللّه تعالى فى هذه الاية أن الاعراب الجفاة الذين لا يعرفون اللّه و رسوله حق معرفتهما أشد كفراً و نفاقاً و جحوداً لنعم اللّه، و أعظم نفاقاً من غيرهم. و قيل:

انها نزلت فى اعراب كانوا حول المدينة من اسد و غطفان، فكفرهم أشد، لأنهم أقصى و أجفى من أهل المدن، و لأنهم أبعد عن سماع التنزيل و مخالطة أهل العلم و الفضل، و يقال: رجل عربى إذا كان من العرب و إن سكن البلاد، و إعرابى إذا كان ساكناً فى البادية. و روى أن زيد بن صوحان كانت يده اليسرى قد قطعت يوم اليمامة و كان قاعداً يوماً يروى الحديث و الى جانبه إعرابى، فقال له: ان حديثك التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 284

يعجبنى و ان يدك تريبنى فقال زيد: إنها الشمال، فقال: و اللّه ما أدرى اليمين يقطعون أو الشمال، فقال زيد: صدق اللّه، و قرأ «الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً» الآية.

و قوله «وَ أَجْدَرُ» معناه أخلق و أولى و أقرب الى «أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ» من الشرائع و الأحكام. و موضع (أن) نصب لأن تقديره أجدر بأن، فحذف الباء فانتصب، و تقديره أجدر بترك العلم غير أن الباء لا تحذف مع المصدر الصريح، و إنما تحذف مع (أن) للزوم العلم بها و حملها على التأويل.

و (أجدر) مأخوذ من جدر الحائط. و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» معناه عالم بأحوالهم و بواطنهم حكيم فيما يحكم به عليهم من الكفر و غير ذلك من أفعاله.

وَ مِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ مَغْرَماً وَ يَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (98)

قرأ ابن كثير و ابو عمرو «دائرة السوء» بضم السين. الباقون بفتح السين.

من فتح أراد المصدر، و إنما أضاف الدائرة الى السوء تأكيداً كما يقال: عينى رأسه و شمس النهار، تقول: سؤته أسوءه سوءاً و مساءة و مسائية، و قوله «ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ» «1» لا يجوز فيه غير فتح السين، و كذلك فى قوله «وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ» «2» لأن الضم بمعنى الاسم، و تقديره عليهم دائرة العذاب و البلاء.

أخبر اللّه تعالى ان من جملة هؤلاء المنافقين من الأعراب من يتخذ ما ينفقه فى الجهاد و غيره من طرق الخير «مَغْرَماً» اى غرماً من قولهم: غرمته غرماً و غرامة.

و الغرم لزوم نائبة فى المال من غير جناية، و منه قوله «مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ» «3»

---

(1) سورة 19 مريم آية 28.

(2) سورة 48 الفتح آية 12

(3) سورة 52 الطور آية 40 و سورة 68 القلم آية 46

و أصل المغرم لزوم الأمر، و منه قوله «إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً» «1» أى لازما، و حبّ غرام أى لازم، و الغريم كل واحد من المتداينين، و غرمته كذا ألزمته إياه فى ماله. و قوله «وَ يَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ» فالتربص التمسك بالشىء لعاقبة و منه التربص بالطعام لزيادة السعر، فهؤلاء يتربصون بالمؤمنين لعاقبة من الدوائر.

و الدائرة جمعها دوائر و هى العواقب المذمومة. و قال الفراء و الزجاج: كانوا يتربصون بهم الموت و القتل، و إنما خص رفع النعمة بالدوائر دون رفع النقمة، لأن النعمة أغلب و أعم لأن كل واحد لا يخلو من نعم اللّه و ليس كذلك النقمة، لأنها خاصة. و النعمة عامة. و قد قيل: دارت لهم الدنيا بخلاف دارت عليهم. ثم قال تعالى «عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ» يعنى على هؤلاء المنافقين دائرة العذاب و البلاء- فى قراءة من قرأ بالضم- و قوله «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه- ها هنا- انه يسمع ما يقوله هؤلاء المنافقون و يعلم بواطن أمورهم، و لا يخفى عليه شىء من حالهم و حال غيرهم.

وَ مِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَ صَلَواتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (99)

قرأ ورش و إسماعيل «قربة» بضم الراء، اتبع الضمة التى قبلها. و قال ابو على: لا يجوز ان يكون اتباعاً لما قبله لأن ذلک إنما يجوز فى الوقف آخر الكلم و إنما الضمة فيها الأصل، و إنما خففت فى قولهم: رسل و طنب، فقالوا: رسل و طنب فإذا جمع فلا يجوز فيه غير ضم الراء، لأن الحركة الأصلية لا بد من ردها فى الجمع.

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 65.

لما ذكر اللَّه تعالى ان من جملة الأعراب من يتخذ إنفاقه فى سبيل اللَّه مغرماً ذكران من جملتهم ايضاً «مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» اى يصدق به و باليوم الآخر يعنى يوم القيامة، و انه يتخذ ما ينفقه فى سبيل اللَّه قربات عند اللَّه. قال الزجاج: يجوز فى (قربات) ثلاثة أوجه- ضم الراء و إسكانها و فتحها- و ما قرئ إلا بالضم، و القربة هى طلب الثواب و الكرامة من اللَّه تعالى بحسن الطاعة، و هى تدنى من رحمة اللَّه و التقدير انه يتخذ نفقته و صلوات الرسول اى دعاءه له قربة الى اللَّه. و قال ابن عباس و الحسن: معنى و صلوات الرسول استغفاره لهم، و قال قتادة: معناه دعاؤه بالخير و البركة قال الأعشى:

تقول بنتى و قد قرّبت مرتحلا يا ربّ جنّب أبى الأوصاب و الوجعا
عليک مثل الذى صليت فاغتمضى نوماً فان لجنب المرء مضطجعاً «1»

ثم قال «أَلا إِنَّها» يعنى صلوات الرسول «قُرْبَةٌ لَهُمْ» اى تقربهم الى ثواب اللَّه. و يحتمل ان يكون المراد ان نفقتهم قربة الى اللَّه. و قوله «سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ» و عد منه لهم بان يرحمهم و يدخلهم فيها، و فيه مبالغة، فان الرحمة و سعتهم و غمرتهم، و لو قال فيهم رحمة اللَّه لأفاداتهم اتسعوا للرحمة من اللَّه تعالى و قوله «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» معناه إنه يستر كثيراً على العصاة ذنوبهم و لا يفضحهم بها لرحمته بخلقه و «غَفُورٌ رَحِيمٌ» جميعا من ألفاظ المبالغة فيما وصف به نفسه من المغفرة و الرحمة.

وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100)

---

(1) ديوانه 720 القصيدة 13 و قد مر البيت الثانى فى 1/ 193

. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 287

قرأ ابن كثير وحده «جنات تجرى من تحتها» بإثبات (من) و كذلک هو فى مصاحف اهل مكة. الباقون بحذف (من) و نصبوا تحتها على الظرف.

و قرأ يعقوب «و الأنصار و الذين» بضم الراء. الباقون بجرها. من رفع عطف على قوله «وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ» و رفع على الابتداء و الخبر قوله «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

و من جرّ عطفه على «المهاجرين» كأنه قال: من المهاجرين و من الأنصار و من اثبت (من) فلأن فى القرآن مواضع لا تحصى «جنات تجرى من تحتها» و من أسقطها تبع مصحف غير أهل مكة. و المعنى واحد.

اخبر اللّه تعالى أن الذين سبقوا أولا الى الايمان باللّه و رسوله و الإقرار بهما من الذين هاجروا من مكة الى المدينة و الى الحبشة، و من الأنصار الذين سبقوا أولا غيرهم الى الإسلام من نظرائهم من أهل المدينة، و الذين تبعوا هؤلاء بأفعال الخير و الدخول فى الإسلام بعدهم و سلوكهم منهاجهم. و قال الفراء: يدخل فى ذلک من يجىء بعدهم الى يوم القيامة. و قال الزجاج: مثله.

ثم اخبر أن اللَّه رضى عنهم و رضى أفعالهم و رضوا هم ايضاً عن اللَّه لما أجزل لهم من الثواب على طاعاتهم و إيمانهم به و بنبيه. و السبق كون الشىء قبل غيره.

و منه قيل فى الخيل السابق، و المصلى هو الذى يجىء فى اثر السابق يتبع صلاة.

و إنما كان السابق الى الخير أفضل لأنه داع اليه بسبقه- و الثانى تابع- فهو امام فيه و كذلک من سبق الى الشر كان أسوء حالا لهذه العلة. و الاتباع طلب الثانى لحال الاول أن يكون على مثلها على ما يصح و يجوز، و مثله الاقتداء. و الإحسان هو النفع الواصل الى الغير مع تعريه من وجوه القبح فأما قولهم أحسن فمن فعله فقد يكون بفعل النفع و بفعل الضرر، لأنه تعالى إذا فعل فى الآخرة العقاب يقال التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 288

إنه أحسن لكن لا يقال: أحسن اليه. و قوله «وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا

الْأَنْهارُ» اخبار منه تعالى انه مع رضاه عنهم و رضاهم عنه أعد لهم الجنات يعنى البساتين التى تجرى تحت أشجارها الأنهار، و قيل: ان أنهارها أخاديد فى الأرض فلذلک قال:
تحتها «خالِدِينَ فِيها أَبَداً» اى يبقون فيها ببقاء اللَّه لا يفنون، منعمين. و قوله «ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» معناه إن ذلک النعيم الذى ذكره هو الفلاح العظيم الذى تصغر فى جنبه كل نعمة.
و اختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية، فقال ابو موسى و سعيد بن المسيب و ابن سيرين و قتادة: نزلت فيمن صلى القبلتين، و قال الشعبى: نزلت فيمن بايع بيعة الرضوان و هى بيعة الحديبية، و قال: من اسلم بعد ذلک و هاجر فليس من المهاجرين الأولين. و قال ابو على الجبائى: نزلت فى الذين أسلموا قبل الهجرة.
و روى أن عمر قرأ «و الأنصار» بالرفع «الذين اتبعوهم» بإسقاط الواو، فقال أبى:
و الذين اتبعوهم بأمير المؤمنين فرجعوا الى قوله.

وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ (101)

معنى قوله «وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ» من جملة من حولكم يعنى حول مدينتكم و حول الشىء المحيط به، و هو مأخوذ من حال يحول إذا دار بالانقلاب و منه المحالة لأنها تدور فى المحول و قوله «مِنَ الْأَعْرابِ» و الأعراب هم الذين يسكنون البادية إذا كانوا مطبوعين على العربية و ليس واحدهم عرباً، لأن العرب قد يكونوا حاضرة و الاعراب بادية. و قوله «مُنافِقُونَ» معناه من يظهر الايمان و يبطن الكفر «وَ مِنْ التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 289

أَهْلِ الْمَدِينَةِ»

أيضاً منافقون، و انما حذف لدلالة الأول عليه «مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ» يقال: مرد على الشىء يمرد مروداً فهو مارد و مريد إذا عتا و طغى و أعيا خبثاً، و منه (شيطان مارد، و مريد). و قال ابن زيد: معناه أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب غيرهم. و قال ابن إسحاق: معناه لجوا فيه و أبوا غيره. و قال الفراء: معناه مرنوا عليه و تجرّءوا عليه. و قال الزجاج: فيه تقديم و تأخير و التقدير و ممن حولكم من الاعراب منافقون مردوا على النفاق و من اهل المدينة ايضاً مثل ذلک. و أصل المرود الملاسة. و منه قولهَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِيرَ»

«1» اى مملس و منه الأمرد الذى لا شعر على وجهه، و المرودة و المرداء الرملة التى لا تنبت شيئاً، و التمراد بيت صغير يتخذ للحمام مملس بالطين، و المرداء الصخرة الملساء. «لا تَعْلَمُهُمْ» معناه لا تعرفهم يا محمّد «نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ» اى نعرفهم.

و قوله: «سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ» قيل فى معناه أقوال:

أحدها- قال الحسن و قتادة و الجبائى: يعنى فى الدنيا و فى القبر. و قال ابن عباس: نعذبهم فى الدنيا بالفضيحة لأن النبى صلى الله عليه و آله ذكر رجالا منهم و أخرجهم من المسجد يوم الجمعة فى خطبته قال: اخرجوا فإنكم منافقون، و الاخرى فى القبر.

و قال مجاهد: يعنى فى الدنيا بالقتل و السبى و الجوع. و فى رواية اخرى عن ابن عباس: أن إحداهما اقامة الحدود عليهم، و الاخرى عذاب القبر. و قال الحسن:

إحداهما أخذ الزكاة منهم:و الاخرى عذاب القبر، و قال ابن إسحاق: إحداهما غيظهم من اهل الإسلام، و الاخرى عذاب القبر. و كل ذلک محتمل غير أنا نعلم ان المرتين معاً قبل ان يردوا الى عذاب النار يوم القيامة. و قوله «ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ» معناه ثم يرجعون يوم القيامة الى عذاب عظيم

مؤبد فى النار. و
روى أن الآية نزلت فى عيينة بن حصين و أصحابه.

---

(1) سورة 27 النمل آية 44 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 290

وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (102)

روى عن ابن عباس أنه قال: نزلت هذه الآية فى عشرة أنفس تخلفوا عن غزوة تبوک فيهم أبو لبابة، فربط سبعة منهم أنفسهم الى سوارى المسجد الى أن قبلت توبتهم. و قيل: كانوا سبعة منهم ابو لبابة. و

قال ابو جعفر عليه السلام: نزلت فى أبى لبابة، و لم يذكر غيره

، و كان سبب نزولها فيه ما جرى منه فى غزوة بنى قريظة و به قال مجاهد. و قال الزهرى: نزلت فى أبى لبابة خاصة حين تأخر عن تبوک.

و اكثر المفسرين ذكروا أن أبا لبابة كان من جملة المتأخرين عن تبوک. و روى عن ابن عباس أنها نزلت فى قوم من الأعراب. و قيل: نزلت فى خمسة عشر نفساً ممن تأخر عن تبوک.

هذه الآية عطف على قوله «وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ» أى و منهم «آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ» أى أقروا بها مع معرفتهم بها فان الاعتراف هو الإقرار بالشىء عن معرفة، و الإقرار مشتق من قرّ الشىء إذا ثبت. و الاعتراف من المعرفة. و قوله «خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً» معناه انهم يفعلون افعالا جميلة، و يفعلون افعالا سيئة قبيحة، فيجتمعان، و ذلک يدل على بطلان القول بالإحباط، لأنه لو كان صحيحاً لكان أحدهما إذا طرأ على الآخر أحبطه، فلا يجتمعان، فكيف يكون خلطاً.

و قوله «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» قال الحسن و كثير من المفسرين: إن (عسى) من اللّه واجبة. و قال قوم: انما قال (عسى) حتى يكونوا على طمع و اشفاق فيكون ذلک أبعد من الاتكال على العفو و إهمال التوبة، و التقدير فى قوله «خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً» اى بآخر سىء و مثله قولک: خلطت الماء و اللبن التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 291

اى باللبن. و قد يستعمل ذلک فى الجمع من غير امتزاج كقولهم: خلطت الدراهم و الدنانير. و قال قوم: هو يجرى مجرى قولهم: استوى الماء و الخشبة اى مع الخشبة. و قال اهل اللغة: خلط فى الخير مخففاً و خلط فى الشر مشدداً. و قوله «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» تعليل لقبول التوبة من العصاة لأنه غفور رحيم.

خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَکَ سَکَنٌ لَهُمْ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)

قرأ اهل الكوفة الا أبا بكر «إن صلاتک» على التوحيد و نصب التاء. الباقون على الجمع و كسر التاء، لأنه جمع السلامة. فمن قرأ على التوحيد فلأنه مصدر يقع على القليل و الكثير، فلا يحتاج الى جمعه. و مثله «لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» «1» و مما ورد فى القرآن بلفظ التوحيد و المراد به الجمع قوله «وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكاءً» «2» و قوله «أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ» «3» و من جمع فلاختلاف الصلاة، كما ان قوله «إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ» «4» جمع لاختلاف ضروبه و الصلاة فى اللغة الدعاء قال الأعشى فى الخمر:

و قابلها الريح فى دنها و صلى على دنها و ارتسم «5»

و معنى «صَلِّ عَلَيْهِمْ» ادع لهم، فان دعاءک سكن لهم بمعنى تسكن اليه

---

(1) سورة 31 لقمان آية 19

(2) سورة 8 الانفال آية 35

(3) سورة 4 النساء آية 76 و سورة 22 الحج آية 78 و سورة 24 النور آية 56 و سورة 58 المجادلة آية 13 و سورة 73 المزمل آية 20

(4) سورة 31 لقمان آية 19

(5) ديوانه: 29 القصيدة 4 و قد سلف فى 1/ 56، 193

نفوسهم و تطيب به، و لفظ التوحيد- ها هنا- أحسن لأن المراد دعاء النبى صلى الله عليه و آله لهم لا أداء الصلوات، و الجمع على ضروب دعائه. و قولهم: صلى اللَّه على رسول اللَّه و على ملائكته، و لا يقال: إنه دعاء لهم من اللَّه كما لا يقال فى نحو (ويل للمكذبين) أنه دعاء عليهم، لكن المعنى أن هؤلاء ممن يستحق عندكم أن يقال فيهم هذا اللغو من الكلام. و مثله قوله «بَلْ عَجِبْتَ وَ يَسْخَرُونَ» «1» فيمن ضم التاء هذا مذهب سيبويه، و ذكر الفراء و غيره أن هؤلاء الذين تابوا و أقلعوا قالوا للرسول: خذ من أموالنا ما تريد، فقال رسول اللَّه: لا أفعل حتى يؤذن لى فيه، فأنزل اللَّه «خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً» فأخذ منهم بعضا و ترک الباقى و روى ذلک عن ابن عباس و زيد بن اسلم و سعيد بن جبير و قتادة و الضحاک ، و هى فى أبى لبابة وجد بن قيس و أوس و حذام. و قوله «خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً» امر من اللَّه تعالى أن يأخذ من المالكين لنصاب الزكاة: الورق إذا بلغ مائتين، و الذهب إذا بلغ عشرين مثقالا، و الإبل إذا بلغت خمسا، و البقر

إذا بلغت ثلاثين، و الغنم إذا بلغت أربعين. و الغلات إذا بلغت خمسة أوسق.
و قوله «خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ» يدل على أن الأخذ من اختلاف الأموال، لأنه جمعه. و لو قال: خذ من مالهم أفاد وجوب الأخذ من جنس واحد متفق. و (من) دخلت للتبعيض، فكأنه قال: خذ بعض مختلف الأموال. و ظاهر الآية لا يدل على انه يجب أن يأخذ من كل صنف لأنه لو أخذ من صنف واحد لكان قد أخذ بعض الأموال و إنما يعلم ذلک بدليل آخر. و الصدقة عطية ماله قيمة للفقر و الحاجة. و البر عطية لاجتلاب المودة. و مثله الصلة.
و قوله «تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها» انما ارتفع (تطهرهم) لاحد أمرين:
أحدهما- ان تكون صفة للصدقة و تكون التاء للتأنيث، و قوله «بها» تبيين له و التقدير صدقة مطهرة.

---

(1) سورة 37 الصافات آية 12

و الثانى- أن تكون التاء خطاباً للنبى صلى الله عليه و آله و التقدير فإنک تطهرهم بها، و هو صفة للصدقة ايضاً الا انه اجتزأ بذكر (بها) فى الثانى عن الاول. و قيل: انه يجوز ان يكون على الاستئناف، و حمله على الاتصال أولى، و لا يجوز ان يكون جواباً للأمر لأنه لو كان كذلک لكان مجزوماً. و قوله «و تزكيهم» تقديره و أنت تزكيهم على الاستئناف. و قيل فى هذه الصدقة قولان: قال الحسن: انها هى كفارة الذنوب التى أصابوها، و قال أبو على: هى الزكاة الواجبة. و أصل التطهير إزالة النجس، و المراد- ها هنا- إزالة النجس: الذبوب بما يكفرها من الطاعة. و قوله «وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ» أمر من اللَّه تعالى للنبى أن يدعو لمن يأخذ منه الصدقة. و قال الجبائى: يجب ذلک على كل ساع يجمع الزكوات ان يدعوا لصاحبها بالخير و البركة، كما فعل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. و قوله «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه انه تعالى يسمع دعاءک لهم بنياتهم فى الصدقة التى يخرجونها.

أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَأْخُذُ الصَّدَقاتِ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104)

الالف فى قوله «أَ لَمْ يَعْلَمُوا» الف استفهام و المراد بها التنبيه على ما يجب ان يعلم المخاطب إذا رجع الى نفسه و فكر فيما نبه عليه علم وجوباً. و إنما وجب ان يعلم ان اللّه يقبل التوبة، لأنه إذا علم ذلک كان ذلک داعياً له الى فعل التوبة و التمسک بها و المسارعة اليها، و ما هذه صورته وجب عليه ان يعلمه ليتخلص به من العقاب و يحصل له الثواب. و سبب ذلک

انهم لما سألوا النبى صلى الله عليه و آله ان يأخذ من ما لهم ما يكون كفارة لذنوبهم فامتنع النبى من ذلک و قال: حتى يؤذن لى فيه

فبين اللّه تعالى انه ليس الى النبى قبول توبتكم و ان ذلک الى اللَّه تعالى دونه، فانه التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 294

الذى يقبل التوبة و يقبل الصدقات. و فعل التوبة يستحق به الثواب لأنها طاعة. فأما إسقاط عقاب المعاصى المتقدمة عندها فالعقل لا يوجب ذلک. و انما علم ذلک سمعاً لان السمع قطع العذر بأن اللَّه يسقط العقاب عند التوبة الصحيحة. و قد بينا فى غير موضع فيما تقدم ان التوبة التى يسقط العقاب عندها قطعاً هى الندم على القبيح و العزم على ان لا يعود الى مثله فى القبح، لان الامة مجمعة على سقوط العقاب عند هذه التوبة و فيما خالف هذه التوبة خلاف.

و قوله «وَ يَأْخُذُ الصَّدَقاتِ» معناه انه يأخذها يتضمن الجزاء عليها كما تؤخذ الهدية كذلک. و قال ابو على الجبائى: جعل اللّه أخذ النبى صلى الله عليه و آله و المؤمنين للصدقة أخذاً من اللّه على وجه التشبيه و المجاز، من حيث كان بأمره. و

قد روى عن النبى صلى الله عليه و آله ان الصدقة قد تقع فى يد اللَّه قبل ان تصل الى يد السائل

، و المراد بذلک انها تنزل هذا التنزيل ترغيباً للعباد فى فعلها، و ذلک يرجع الى تضمن الجزاء عليها.

و قوله «وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» عطف على قوله «الم يعلموا» و لذلک فتح (أن) لأنها مفعول به. و التوّاب فى صفة اللّه معناه انه يقبل التوبة كثيراً و فى صفة العبد يفيد انه يفعل التوبة كثيراً و قيل فى معنى «وَ تابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» «1» صفح عنكم و لم يكونوا أذنبوا فيتوبوا ليتوب اللّه عليهم و كذلک قوله «عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ» «2» بمعنى صفح لأنهم لم يتوبوا

وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)

---

(1) سورة 58 المجادلة آية 13
(2) سورة 2 البقرة آية 187
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 295
هذا امر من اللّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله أن يقول للمكلفين «اعْمَلُوا» ما أمركم اللّه به من الطاعة و اجتنبوا معاصيه فان اللّه «سيرى عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ» و فى ذلک ضرب من التهديد، كما قال مجاهد، و المراد بالرؤية ها هنا العلم الذى هو المعرفة و لذلک عداه الى مفعول واحد، و لو كان بمعنى العلم الذى ليس بمعرفة لتعدّى الى مفعولين، و ليس لأحد أن يقول: ان اعمال العباد من الحركات يصح رؤيتها لمكان هذه الآية، لأنه لو كان المراد بها العلم لعداه الى الجملة و ذلک أن العلم الذى يتعدى الى مفعولين ما كان بمعنى الظن، و ذلک لا يجوز على اللّه و انما يجوز عليه ما كان بمعنى المعرفة. و
روى فى الخبر أن أعمال العباد تعرض على النبى صلى الله عليه و آله فى كل اثنين و خميس فيعلمها. و كذلک تعرض على الأئمة عليهم السلام فيعرفونها
، وهم المعنيون بقوله «وَ الْمُؤْمِنُونَ»، و إنما قال «فَسَيَرَى اللَّهُ» على وجه الاستقبال، و هو عالم بالأشياء قبل وجودها. لأن المراد بذلک انه سيعلمها موجودة بعد أن علمها معدومة و كونه عالماً بأنها ستوجد من كونه عالماً بوجودها إذا وجدت لا يجدد حال له بذلک. و قوله «وَ سَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» معناه سترجعون الى اللّه الذى يعلم السر و العلانية «فَيُنَبِّئُكُمْ» اى يخبركم «بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» و يجازيكم عليه.

وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (106)

قرأ أهل المدينة عن أبى بكر «مرجون» بغير همزة. الباقون بالهمزة.

و الوجه فيهما أنهما لغتان ... و يقال: أرجأت و أرجيت بمعنى واحد.

و هذه الآية عطف على قوله «وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ ... وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ... وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ» و الارجاء تأخير الامر التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 296

الى وقت، يقال: أرجأت الأمر إرجاء و أرجيته بالهمزة و ترك الهمزة لغتان.

و قوله «إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ» فلفظة (إمّا) لوقوع أحد الشيئين و اللّه اعلم بما يصير اليه أمرهم إلا ان هذا للعباد، خوطبوا بما يعلمون. و المعنى و ليكن أمرهم عندكم على هذا اى على الخوف و الرجاء. و الآية تدل على صحة قولنا فى جواز العفو عن العصاة، لأنه تعالى بين ان قوماً من هؤلاء العصاة أمرهم مرجأ الى اللّه: ان شاء عذبهم و ان شاء قبل توبتهم فعفا عنهم. فلو كان سقوط العقاب عند التوبة واجباً، لما جاز تعليق ذلک بالمشيئة على وجه التخيير، لأنهم ان تابوا وجب قبول توبتهم عند الخصم و إسقاط العقاب عنهم، و ان أصرّوا و لم يتوبوا فلا يعفى عنهم، فلا معنى للتخيير- على قولهم- و انما يصح ذلک على ما نقوله: من أن مع حصول التوبة تحسن المؤاخذة فان عفا فبفضله و ان عاقب فبعد له. و قوله «وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ» معناه و إما يقبل توبتهم. و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» معناه عالم بما يؤل اليه حالهم «حكيم» فيما يفعله بهم. و الفرق بين الآخِر و الآخر أن الآخِر يفيد أنه بعد الأول، و الآخر مقابل لأحد فى تفصيل ذكر اثنين أحدهما كذا و الآخر كذا.

و

قال مجاهد و قتادة: الاية نزلت فى هلال بن امية الرافعى و فزارة بن ربعى و كعب بن مالک من الأوس و الخزرج، و كان كعب بن مالک رجل صدق غير مطعون عليه، و انما تخلف توانياً عن الاستعداد حتى فاته المسير و انصرف رسول اللّه و لم يعتذر اليه بالكذب. و قال: و اللّه مالى من عذر، فقال صلى الله عليه و آله: صدقت فقم حتى يقضى اللّه فيک. و جاء الرجلان الآخران فقالا مثل ذلک و صدقاً، فنهى رسول اللّه صلى الله عليه و آله عن كلامهم بعد ما عذر المنافقين و جميع المتخلفين، و كانوا نيفاً و ثمانين رجلا فأقام هؤلاء الثلاثة على ذلک خمسين ليلة حتى هجرهم ولدانهم و نساؤهم طاعة لرسول اللّه صلى الله عليه و آله بأمره. و بنى كعب خيمة على سلع يكون فيها وحده. و قال فى ذلک: التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 297

أبعد دور بنى القين الكرام و ما شادوا على بنيت البيت من سعف
ثم نزلت التوبة عليهم فى الليل فأصبح المسلمون يبتدرونهم يبشرونهم ، قال كعب: فجئت الى رسول اللّٰه فى المسجد و كان إذا سر يستبشر كأن وجهه فلقة قمر فقال لى و وجهه يبرق من السرور: ابشر بخير يوم طلع عليک شرفه منذ ولدتک أمک قال كعب، فقلت له: أمن عند اللّٰه او من عندک يا رسول اللّٰه؟ قال فقال: من عند اللّٰه. و تصدق كعب بثلث ماله شكراً للّٰه على توبته.

وَ الَّذِينَ اِتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَ كُفْراً وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلاَّ الْحُسْنى وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (107)

قرأ ابن عامر و أهل المدينة «الذين اتخذوا» بإسقاط الواو. الباقون بإثبات الواو. فمن أثبت الواو، عطفه على ما تقدم من الآيات و تقديره: و منهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً و من حذفها ابتدأ الكلام و حذف الخبر لطول الكلام قال الزهرى، و يزيد بن رومان، و عبد اللّه بن أبى بكر، و عاصم بن عمر بن قتادة:

نزلت هذه الآية فى اثنى عشر رجلا من المنافقين، قال الفراء: كانوا من بنى عمرو ابن عوف من الأنصار. و قال غيره: كانوا من بنى غنم ابن عوف من الأنصار الذين بنوا مسجد الضرار. و قيل انهم كانوا خمسة عشر رجلا منهم عبد اللّه بن نفيل- فى قول الواقدى- و قال ابن إسحاق: هو نفيل بن الحارث و لم يذكر عبد اللّه و هذا المختلف فى اسمه هو الذى كان ينقل حديث النبى الى المنافقين فأعلم اللّه نبيه ذلك. و أخبر اللّه عنهم انهم بنوا المسجد الذى بنوه ضراراً اى مضارة. و نصب على أنه مفعول له أى بنوه للمضارة. و الضرار هو طلب الضرّ و محاولته كما أن الشقاق التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 298

محاولة ما يشق، تقول: ضاره مضارة و ضراراً. و الآية تدل على ان الفعل يقع بالارادة على وجه القبح دون الحسن، أو الحسن دون القبح، لأنهم لو بنوا المسجد للصلاة فيه لكان حسناً، لكن لما قصدوا المضارة كان ذلك قبيحاً و معصية.

و قوله «وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى بنوه للمضارة و الكفر و التفريق بين المؤمنين. و انما يكون تفريقاً بين المؤمنين بأن يتحزبوا، فحزب يصلى فيه و حزب يصلى فى غيره لتختلف الكلمة و تبطل الالفة. و اتخذوه ايضاً ليكفروا فيه بالطعن على النبى صلى الله عليه و آله و الإسلام و المسلمين. و قوله «وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» معناه اتخذوه له ليكون متى أراد الاجتماع معهم حضره و أنس به، و هو رجل يقال له ابو عامر الراهب لحق بقيصر فتنصر و بعث اليهم سآتيكم بجند فأخرج به محمّداً و أصحابه. فبنوه يترقبونه، و هو الذى حزب الأحزاب و حارب مع المشركين، فلما فتحت مكة هرب الى الطائف، فلما اسلم اهل الطائف لحق بالشام و خرج الى الروم و تنصر، و ابنه عبد اللّه قتل يوم احد- و هو غسيل الملائكة- ذهب اليه اكثر المفسرين كابن عباس و مجاهد و قتادة. و أصل الارصاد الارتقاب تقول: رصده يرصده رصداً و أرصد له و راصده مراصدة و تراصد تراصداً و

ارتصده ارتصاداً.
و قوله «وَ لَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا الْحُسْنى» معناه إن هؤلاء يحلفون على أنهم ما أرادوا ببناء هذا المسجد إلا الحسنى يعنى إلا الفعلة الحسنى، فقال اللّه تعالى تكذيباً لهم «وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ» و كفى بمن يشهد اللّه بكذبه خزياً.
و
وجّه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قبل قدومه من تبوک عاصم بن عون العجلانى و مالک بن الدخثم و كان مالک من بنى عوف، فقال لهما (انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه ثم حرّقاه) فخرجا يشتدّان سريعين على أقدامهما ففعلا ما أمرهما به فثبت قوم من جملتهم زيد بن حارثة بن عامر حتى احترقت البتة.
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 299

لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (108)
نهى اللّه نبيه- و عنى معه جميع المؤمنين- أن يقوموا فى المسجد الذى بنى ضراراً «ابدا» أو يصلوا فيه، و أقسم ان المسجد الذى «أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ» و قيل فى المسجد الذى أسس على التقوى قولان:
أحدهما- قال ابن عباس و الحسن و عطية: إنه مسجد قباء.
و قال ابن عمر و ابن المسيب: هو مسجد المدينة. و قال عمر بن شبه: المسجد الذى أسس على التقوى مسجد رسول اللّه صلى الله عليه و آله و الذى أسس على التقوى و رضوان مسجد قباء كذلك فصل بينهما. و رواه عن أشياخه. و التقوى خصلة من الطاعة يحترز بها من العقوبة، و المتقى صفة مدح لا تطلق الا على مستحق الثواب.
و واو (تقوى) أبدلت من الياء. لأنه من تقيت و انما أبدلت للفرق بين الاسم و الصفة فى الابنية، و مثله شروى من شريت، فأما الصفة فنحو خزيا. و لو قيل: كيف يبنى (فعلى) من قصيت؟ قلت: قصوى فى الاسم و قصيا فى الصفة. و قوله «مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ» معناه أول الأيام إذا ميزت يوما يوما. لان افعل بعض ما أضيف اليه. و مثله أعطيت كل رجل فى الدار اى كل الرجال إذا ميزوا رجلا رجلا. و الفرق بين من أول يوم، و منذ أول يوم، ان (منذ) إذا كانت حرفا، فهى الوقت الخاص كقولك: منذ اليوم و منذ الشهر و منذ السنة، و ليس كذلك (من) و إذا كانت اسما وقع على ما بعدها على تقدير كلامين و (من) على النهاية لأنها نقيض (الى) قال زهير: التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 300
لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج و من شهر «1»
و قوله «أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ» مع أن القيام فى الآخر قبيح منهى عنه، و انما قال ذلك على وجه المظاهرة بالحجة بأنه لو كان من الحق الذى يجوز لكان هذا أحق و يجوز على هذا أن تقول: عمل الواجب أصلح من تركه. و قيل: المراد به القيام فيه حق ظاهراً و باطناً إذ كانت الصلاة فى المساجد على ظاهرها حق.
و قوله «فيه رجال» الأول ظرف للقيام. و الثانى ظرف لكون الرجال و قوله «يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا» قال الحسن: معناه يريدون أن يتطهروا من الذنوب و قيل:
يتطهرون بالماء من الغائط و البول، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السلام

ثم قال «وَ اللّهُ يُحِبَّ الْمُطَّهِّرِينَ» اى يريد منافع المتطهرين من الذنوب و كذلک المتطهرين من النجاسة بالماء. و
روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال لأهل قباء (ما ذا تفعلون فى طهركم فان اللّه أحسن عليكم الثناء) قالوا: نغسل أثر الغائط فقال (أنزل اللّه فيكم و اللّه يحب المطهرين).
و قيل: إن سبب نزول هذه الاية أن أهل مسجد ضرار جاءوا اليه، فقالوا يا رسول اللّه بنينا مسجداً للضعيف فى وقت المطر نسألک أن تصلى فيه و كان متوجهاً الى تبوک فوعدهم أن يفعل إذا عاد فنهاه اللّه عن ذلک. و قوله «وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً» مبتدأ و خبره فى قوله «لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً» كما تقول: و الذى يدعوک الى الغى فلا تسمع دعاءه. و التقدير فى الآية لا تقم فى مسجدهم أبداً، و اسقط ذلک اختصاراً.

أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109)

---

(1) اللسان (حجر) و تفسير القرطبى 8/ 260

. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 301

قرأ نافع و ابن عباس «أَسَّسَ بُنْيانَهُ» بضم الهمزة و كسر السين و رفع النون من بنيانه فى الموضعين جميعاً. الباقون بفتح الهمزة و نصب النون من بنيانه. و قرأ ابن عامر الا الداحونى عن هشام و حمزة و خلف و أبو بكر الا الأعشى و البرجمى «جرف» بسكون الراء. الباقون بضمها. و قرأ ابو عمرو و الكسائى و الداحونى عن أبى ذكوان و هبة اللّه عن حفص من طريق النهروانى و الدورى عن سليم من طريق ابن فرج و ابو بكر الا الأعشى و البرجمى «هار» بالامالة. وافقهم على الوقف على بن مسلم و ابن غالب و محمّد فى الوقف من طريق السوسى من طريق ابن جيش.

قال ابو على الفارسى: البنيان مصدر، و هو جمع كشعير و شعيرة لأنهم قالوا فى الواحد بنيانة قال أوس:

كبنيانة القرئ موضع رحلها و آثار نسعيها من الدف أبلق

و جاء بناء المصادر على هذا المثال فى غير هذا الحرف نحو الغفران و ليس بنيان جمع بناء، لأن فعلاناً إذا كان جمعاً نحو كثبان و قضبان لم تلحقه تاء التأنيث، و قد يكون ذلک فى المصادر، نحو: أكل و أكلة و ضرب و ضربة من ذلک.

و قال ابو زيد يقال: بنيت أبنى بنياً و بناء و بنية و جمعها البنى و أنشد:

بنى السماء فسواها ببنيتها و لم تمد باطناب و لا عمد

فالبناء و البنية مصدران و من ثم قوبل به الفراش فى قوله «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَ السَّماءَ بِناءً» «1» فالبناء لما كان رفعاً للمبنى قوبل به الفراش الذى هو خلاف البناء. و من ثم وقع على ما كان فيه ارتفاع فى نصبته و ان لم يكن مبنياً فأما من فتح الهمزة و بنى الفعل للفاعل، فلأنه البانى و المؤسس فأسند الفعل اليه و بناه له كما أضاف البنيان اليه فى قوله «بنيانه» فكما ان المصدر مضاف الى الفاعل

---

(1) سورة 2 البقرة آية 22

. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 302

كذلک يكون الفعل مبنياً له. و من بنى الفعل للمفعول لم يبعد ان يكون فى

المعنى كالأول، لأنه إذا أسس بنيانه فتولى ذلک غيره بأمره كان كبنائه هو له. و الأول أقوى لما قلناه. و قال ابو على (الجرف)- بضم العين- هو الأصل، و الإسكان تخفيف و مثله الشغل و الشغل. و مثله الطنب و الطنب. و العنق و العنق، يجوز فى جميعه التثقيل و التخفيف. و كلاهما حسن و قال ابو عبيدة «عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ» مثل، قال: لأن ما يبنى على التقوى فهو أثبت أساساً من بناء يبنى على شفا جرف و يجوز ان تكون المعادلة وقعت بين البنائين، و يجوز أن تكون بين البناءين، فإذا عادلت بين البنائين كان المعنى المؤسس بنيانه متقناً خير ام المؤسس بنيانه غير متقن لأن قوله «عَلى شَفا جُرُفٍ» يدل على أن بانيه غير متق للّه. و يجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف كأنه قال: أبناء من أسس بنيانه على تقوى خير أم بناء من أسس بنيانه على شفا جرف. و البنيان مصدر يراد به المبنى، كما أن الخلق يراد به المخلوق إذا أردت ذلک، و ضرب الأمير إذا أردت به المضروب. و كذلک نسج اليمن يراد به المنسوج، فإنما قلنا ذلک لأنه لا يجوز أن يراد به الحدث، لأنه إنما يؤسس المبنى الذى هو عين. يبين ذلک قوله «عَلى شَفا جُرُفٍ» و الحدث لا يكون على شفا جرف، و الجار فى قوله «على تقوى» و فى قوله «على شفا جرف» فى موضع نصب، و التقدير أ فمن أسس بنيانه متقياً خير ام من أسس بنيانه معاقباً على بنيانه، و فاعل (انهار) البنيان، و تقديره انهار البنيان بالبانى فى نار جهنم، لأنه معصية و فعل لما كرهه اللّه من الضّرار و الكفر و التفريق بين المؤمنين. و من أمال «هار» فقد أحسن لما فى الراء من التكرير فكأنک لفظت براءين مكسورتين و بحسب كثرة الكسرات تحسن الامالة. و من لم يمل فلأن كثيراً من العرب لا يميلون هذه الألفات. و ترک الامالة هو الأصل. و أما ألف «هار» فمنقلبة عن الواو، لأنهم قالوا: تهوّر البناء إذا تساقط و تداعى، و الانهيار و الانهيال متقاربان فى المعنى. و الالف فى قوله «أ فمن» الف استفهام يراد بها- ها هنا- الإنكار التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 303
و معنى «خير» فى الآية أفضل، و ليس فيه اشتراک، يقولون: هذا خير، و هذا شر، و لا يراد به (أفعل من) قال الشاعر:
و الخير و الشر مقرونان فى قرن فالخير متبع و الشر محذور
و أما قوله: و افعل الخير معناه افعلوا الأفضل. و (الشفا جرف) الشىء و شفيره و جرفه نهايته فى المساحة و يثنى شفوان، و الجرف جرف الوادى و هو جانبه الذى ينحفر بالماء أصله فيبقى واهياً، و هو من الجرف و الاجتراف، و هو اقتلاع الشىء من أصله. و معنى (انهار) انصدع بالتهدم هار الجرف يهور هوراً فهو هائر و تهور تهوراً و انهار انهياراً، و يقال ايضاً: هار يهار، و أصل هار هائر إلا انه قلب كما قال الشاعر:
لاث به الأشاء و العبرىّ «1»
اى لائث بمعنى دائر، و مثله شاک فى السلاح و شائک. و الاشاء النخل، و

العبرى السدر الذى على ساقى الأنهار، و معنى لاث أى مطيف به.
شبه اللَّه تعالى بنيان هؤلاء المنافقين مسجد الضرار ببناء يبنى على شفير جهنم فانهار ذلک البناء بأهله فى نار جهنم، و وقع فيه. و روى عن جابر بن عبد اللَّه انه قال: رأيت المسجد الذى بنى ضراراً يخرج منه الدخان، و هو قول ابن جريح.

لا يَزالُ بُنْيانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (110)
قرأ ابن عامر و حمزة و حفص و ابو جعفر و يعقوب «تقطع» بفتح التاء الباقون بضمها. و قرأ يعقوب وحده «الى ان» على أنه حرف جر.

---

(1) اللسان (عبر) (لوث) (لثى) و التاج (عبر) و مجاز القرآن 1/ 269
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 304
و قوله «لا يزال» من أخوات (كان) ترفع الاسم و تنصب الخبر و انما عمل فى الاسم و الخبر، لأنه إنما يتعلق فى معنى الجملة، فيدل على انه يدوم إذ المعنى فيه أن يكون الشىء على الصفة أبداً. قال ابو على: البنيان مصدر واقع على المبنى و تقديره لا يزال بناء المبنى الذى بنوه ريبة أى شكاً فى قلوبهم فيما كان من إظهار إسلامهم و ثباتاً على النفاق الى أن تقطع قلوبهم بالموت و البلى لا يخلص لهم إيمان و لا ينزعون عن النفاق الى ان تقطع قلوبهم بالموت و البلى. و من قرأ «الى ان تقطع» فانه يريد حتى تبلى و تقطع بالبلى أى لا تثلج قلوبهم بالايمان ابداً و لا ينزعون عن الخطيئة فى بناء المسجد و لا يتوبون. و من ضم الياء أضاف الفعل الى المقطع المبلى المقلوب بالموت، و من فتحها أسند الفعل الى القلوب لما كانت هى البالية، كما قالوا: مات زيد و مرض عمرو، و وقع الحائط. و فى قراءة أبى (حتى الممات).
و معنى قوله «الَّذِى بَنَوْا» مع قوله «بُنْيانُهُمُ» انما هو ليعلم ان البناء ماض دون المستقبل إذ قد تجوز الاضافة على جهة الاستقبال كقولك للغير: أقبل على عملك. و قيل فى معنى الريبة فى الاية ثلاثة اقوال: أحدها- ان هذا البنيان الذى بنوه لا يزال شكاً فى قلوبهم. و قيل معناه حزازة فى قلوبهم، و قيل حسرة فى قلوبهم يتردّدون فيها. و قوله «إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ» موضع «ان تقطع» نصب و التقدير الأعلى تقطع قلوبهم غير ان حرف الاضافة يحذف مع (ان) و لا يحذف مع المصدر. و معنى (إلا) ها هنا (حتى) لأنه استثناء من الزمان المستقبل، و الاستثناء منه منته اليه فاجتمعت مع (حتى) فى هذا الموضع على هذا المعنى. قال الزجاج: يحتمل ان يكون المراد إلا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندماً و اسفاً على تفريطهم. و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» اى عالم بنيتهم فى بناء مسجد الضرار «حكيم» فى أمره بنقضه و المنع من الصلاة فيه.
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 305

إِنَّ اللَّهَ اِشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111)

قرأ حمزة و الكسائى «فيقتلون و يقتلون» على مفعول و فاعل. الباقون على فاعل و مفعول. من قدم الفعل المسند الى الفاعل، فلأنهم يقتلون أولا فى سبيل اللّه و يقتلون، و لا يقتلون إذا قتلوا. و من قدّم الفعل المسند الى المفعول جاز أن يكون أراد ذلک المعنى ايضاً لأن المعطوف بالواو يجوز أن يراد به التقديم و ان لم يقدّر ذلک كأن المعنى يقتل بعضهم و يقتل من بقى منهم بعد قتل من قتل منهم، كما أن قوله «فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ» «1» و معناه ما وهن من بقى منهم لقتل من قتل من المؤمنين. و حقيقة الاشتراء لا يجوز على اللّه تعالى، لأن المشترى انما يشترى ما لا يملک، و اللّه تعالى مالک الأشياء كلها. و انما هو كقوله «مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» «2» فى أنه اجرى بحسن المعاملة و التلفظ فى الدعاء الى الطاعة مجرى ما لا يملكه المعامل فيه، و لما كان اللّه تعالى رغب فى الجهاد و قتال الأعداء و ضمن على ذلک الثواب عبر عن ذلک بالاشتراء، فجعل الثواب ثمناً و الطاعات مثمناً على ضرب من المجاز، و كما أن فى مقابلة الطاعة الثواب فكذلک فى مقابلة الألم العوض غير أن الثواب مقترن بالإجلال و الإكرام، و العوض خال منهما، و المثاب محسن مستحق على إحسانه المدح و ليس كذلک المعوض.

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 146

(2) سورة 2 البقرة آية 245

أخبر اللّه تعالى أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بما ضمن لهم على بذلها من الثواب فى قوله «بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ» اعداء اللّه و اعداء نبيه فيقتلون اعداء اللّه و يقتلهم اعداء اللّه فيصبرون على ذلک. و من قدم المفعول أراد يقتل بعضهم، فيقتل الباقون أعداء اللّه.

و قوله «وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا» نصب (وعداً) على المصدر بما دل عليه اشترى إذ يدل على أنه وعد، و مثله «صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ» «1» و «فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها» «2» و الوعد خبر بما يفعله المخبر من الخير بغيره. و الوعيد خبر بما يفعله المخبر من الشر بغيره. و قوله «حقاً» معناه يتبين الوعد بالحق الواجب من الوعد بما لم يكن واجباً. فالوعد بالثواب دل

على وجوبه من وجهين: أحدهما- من حيث انه جزاء على الطاعة. و الثانى- أنه إنجاز الوعد. و قوله «فِى التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ» معناه إن هذا الوعد للمجاهدين مذكور فى هذه الكتب.
قال الزجاج: و ذلک يدل على أن الجهاد كان واجباً على أهل كل ملة. و قوله «وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ؟!» معناه لا أحد أحق بالوفاء بالعهد من اللَّه «فَاسْتَبْشِرُوا» ايها المؤمنون «بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» يعنى ذلک الشراء و البيع هو الفلاح العظيم الذى لا يقارنه شىء.

التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112)

قيل فى ارتفاع قوله «التائبون» ثلاثة اقوال: أحدها- انه ارتفع بالمدح

---

(1) سورة 27 النمل آية 88 [.....]

(2) سورة 30 الروم آية 30

و التقدير هم التائبون. الثانى- بالابتداء و خبره محذوف بعد قوله: «وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ» لهم الجنة. الثالث- على أن يكون بدلا من الضمير فى «يقاتلون» أى إنما يقاتل فى سبيل اللَّه من هذه صفته. و قيل هو كقوله «لكِنِ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ... «1» التَّائِبُونَ» و قرأ أبى كل ذلك بالنصب على أنه صفة للمؤمنين.

وصف اللَّه تعالى المؤمنين الذين اشترى منهم أنفسهم و أموالهم بأنهم التائبون و معناه الراجعون الى طاعة اللَّه المنقطعون اليه و النادمون على ما فعلوه من قبيح «الْعابِدُونَ» اى يعبدون اللَّه وحده لا شريك له «الْحامِدُونَ» يعنى الشاكرون لنعم اللَّه عليهم على وجه الإخلاص له. و قال الحسن: هم الذين يحمدون اللَّه على كل حال فى سرّاء كانوا او ضرّاء، و به قال قتادة. «السَّائِحُونَ» قيل معناه الصائمون و قال المؤرج: السائحون الصائمون بلغة هذيل. و

روى عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال (سياحة امتى الصوم)

و هو قول ابن مسعود و ابن عباس و سعيد بن جبير و الحسن و مجاهد. و قال الحسن: هم الذين يصومون ما افترض اللَّه عليهم. و قال غيره: هم الذين يصومون دائماً و كذلك قال فى قوله «الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ» انهم الذين يؤدون ما افترض اللَّه عليهم من الصلاة و الركوع و السجود. و أصل السيح الاستمرار بالذهاب فى الأرض كما يسيح الماء فالصائم مستمر على الطاعة فى ترك المشتهى من المآكل و المشارب و المنكح.

و قوله «الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ» معناه الذين يقيمون الصلاة التى فيها الركوع و السجود «الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ» معناه الذين يأمرون بما امر اللَّه به من الواجبات و المندوبات و ينهون عمّا نهى اللَّه عنه و زهد فيه من القبائح.

و انما عطف الناهون بالواو دون غيره من الصفات لأنه لا يكاد يذكر على الافراد بل يقال: الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، فجاءت الصفة

مصاحبة للأولى، فأما

---

(1) سورة 9 التوبة آية 89

قوله «وَ الْحافِظُونَ» فلأنه جاء و هو أقرب الى المعطوف، و معنى «الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ» انهم يحفظون ما أمر اللّه به و نهى عنه فلا يتجاوزونه الى غيره. و قوله:

«وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» امر للنبى صلى الله عليه و آله ان يبشر المؤمنين المصدقين باللّه المعترفين بنبوته بالثواب الجزيل و المنزلة الرفيعة و خاصة إذا جمعوا هذه الأوصاف على كمالها و تمامها دون غيرهم.

ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِى قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (113)

أخبر اللّه تعالى أنه لم يكن «لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا» و معناه أن يطلبوا المغفرة «لِلْمُشْرِكِينَ» الذين يعبدون مع اللّه إلها آخر و الذين لا يوحدونه و لا يقرّون بإلهيّته «و ان كان» الذى يطلب لهم المغفرة أقرب الناس اليهم بعد أن يعلموا أنهم كفار مستحقون للخلود فى النار. و القربى معناه القرب فى النسب بالرجوع الى أب أو أم باضافة قريبة. و معنى قوله «وَ لَوْ كانُوا أُولِى قُرْبى» أى القرابة و إن دعت الى الحنو و الرقة، فانه لا يلتفت الى دعائها فى الخصلة التى نهى اللّه عنها.

وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114)

لما ذكر اللّه تعالى أنه ليس للنبى و الذين آمنوا أن يطلبوا المغفرة للمشركين التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 309

بين الوجه فى استغفار ابراهيم لأبيه مع أنه كان كافراً سواء كان أباه الذى ولده او جده لأمه أو عمه على ما يقوله أصحابنا. و هو أن قال: وجه حسن ذلک أنه كان تقدم ذلک موعدة، فلأجلها وجب عليه الوفاء به.

و قيل فى معنى الموعدة التى كانت عليه فى حسن الاستغفار قولان:

أحدهما- ان الموعدة كانت من أبى إبراهيم لإبراهيم أنه يؤمن إن استغفر له فاستغفر له لذلک و طلب له الغفران بشرط أن يؤمن «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ» بعد ذلک «أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ».

و الثانى- أن الوعد كان من إبراهيم بالاستغفار ما دام يطمع فى الايمان كما قال «إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَکَ وَ ما أَمْلِکُ لَکَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» «1» فاستغفر له على ما يصح و يجوز من شرائط الحكمة «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ» و آيس من إيمانه «تَبَرَّأَ مِنْهُ». و الذى عندى و هو الأقوى أن أباه أظهر له الايمان و صار اليه، و كان وعده أن يستغفر له إن آمن فلما أظهر الايمان استغفر له، فأعلمه اللّه ان ما ظهر منه بخلاف ما يبطنه «فتبرأ منه» و يقوى ذلک قوله «وَ اغْفِرْ لِأَبِى إِنَّهُ كانَ مِنَ الضَّالِّينَ» «2» اى فيما مضى، و يجوز أن يكون أظهر الكفر بعد ذلک فلما تبين ذلک تبرأ منه. فأما من قال: إن الوعد كان من ابراهيم فالسؤال باق لأن لقائل أن يقول و لم وعد كافراً أن يستغفر له؟ فان قلنا: وعده بأن يستغفر له إن آمن كان الرجوع الى الجواب الآخر.

و العداوة هى الابعاد من النصرة الى أعداد العقوبة. و الولاية التقريب من النصرة من غير فاصلة بالحياة و الكرامة.

و قوله «إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» قيل فى معنى «أواه» ثمانية اقوال:

فقال ابن عباس فى معنى (اواه) تواب. و قال ابن مسعود: معناه دعاء. و قال الحسن و قتادة: معناه رحيم. و قال مجاهد: معناه موقن. و قال كعب: معناه إذا

---

(1) سورة 60 الممتحنة آية 4

(2) سورة 26 الشعراء آية 86

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 310

ذكر النار قال أوه. و قال الضحاک: معناه المؤمن الموقن بالخشية الرحيم.

و قال آخرون: معناه فقيه. و قال ابو عبيدة: معناه المتوجع المتضرع الى اللَّه خوفاً و إشفاقاً. و أصل الأواه من التأوه و هو التوجع و التحزن تقول، تأوه تأوهاً و أوه تأويهاً، قال المثقب العبدى:
إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين «1»
و العرب تقول: أوه من كذا بكسر الواو و تسكين الهاء قال الشاعر:
فأوه لذكراها إذا ما ذكرتها و من بعد أرض دونها و سماء «2»
و العامة تقول: أوه يقال ايضاً أوه بسكون الواو و كسر الهاء و ينشد البيت المتقدم ذكره كذلک، و قال الجعدى:
صروح مروح يتبع الورق بعد ما يعرس شكوى آهة و تنمرا «3»
و قال الراجز:
فأوه الداعى و ضوضاء أكلبه «4» و لو جاء منه (فعل يفعل) لكان آه يؤوه أوهاً على وزن (قال يقول قولا) و الحليم هو الممهل على وجه حسن. و الحلم الامهال على ما تقتضيه الحكمة. و هى صفة مدح. و اللَّه حليم عن العصاة بإمهاله لهم مع قدرته على تعجيل عقوبتهم و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: إنما تبين عداوته لما مات على كفره. و قال ابو على الجبائى: لما آيس من فلاحه عند تصميمه على بعد الوعد فى الايمان باللَّه الذى

---

(1) ديوانه: 29 و مجاز القرآن 1/ 270 و اللسان (أوه) و تفسير الطبرى 14/ 535 يصف ناقته بأنها تحن الى الديار.
(2) اللسان (أوه) و الطبرى 14/ 535
(3) ديوانه: 33، 52 و جمرة أشعار العرب: 146 و الطبرى 14/ 534 و يروى (خنوف) و (ظروح) و (طروح) بدل (صروح).
(4) تفسير الطبرى 14/ 535

كان وعد بإظهاره فى وقت بعينه.

وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (115)

قال مجاهد: وجه اتصال هذه الاية بما قبلها هو أنه لما حرم اللَّه تعالى على المؤمنين الاستغفار للمشركين بين أنه لم يكن اللَّه ليؤاخذكم به إلا بعد ان يدلكم على تحريمه و أنه يجب عليكم أن تتقوه.

و قوله «لِيُضِلَّ قَوْماً» معناه- ها هنا- لم يكن اللَّه ليحكم بضلال من عدل عن طريق الحق على وجه الذم له إلا بعد أن ينصب له على ذلک الدليل، و الهدى هو الحكم بالاهتداء الى الحق على وجه الحمد له. و البيان و البرهان و الحجة و الدلالة بمعنى واحد، و فرق الرّمانى بين البيان و البرهان، فقال: البيان إظهار المعنى فى نفسه بمثل اظهار نقيضه. و البرهان اظهار صحته بما يستحيل فى نقيضه كالبيان عن معنى قدم الأجسام و معنى حدوثها، فالبرهان يشهد بصحة حدوثها و فساد قدمها. و قال مجاهد: معناه حتى يبين لهم ما يتقون من ترک الاستغفار للمشركين لأنهم كانوا يستغفرون لهم، فلما نهوا عنه انتهوا. و قوله «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» معناه انه يعلم جميع المعلومات حتى لا يشذ شىء منها عنه لكونه عالماً لنفسه. و قال الحسن: مات قوم من المسلمين على الإسلام قبل فرض الصلاة و الزكاة و غيرهما من فرائض الدين، فقال المسلمون: يا رسول اللَّه إخواننا الذين ماتوا قبل الفرائض ما منزلتهم؟ فقال اللَّه تعالى «وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً» و هم مؤمنون و لم يبين لهم الفرائض.

إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِی وَ يُمِيتُ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِيرٍ (116)

وجه اتصال هذه الاية بما قبلها الحض على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين ملوكهم و غير ملوكهم، لأنهم عبيد من له ملك السماوات و الأرض يأمر فيهم ما يشاء و يدبرهم على ما يشاء. فأخبر اللّه ان «لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و معناه انه قادر على التصرف فيهما و ليس لأحد منعه منهما. و الملك اتساع المقدور لمن له السياسة و التدبير. و خزائن اللّه لا تفنى و ملكه لا يبيد و لا يبلى، و كل ذلك يرجع الى مقدوراته فى جميع أجناس المعانى. و قوله «يُحْيِی وَ يُمِيتُ» معناه انه يحيى الجماد و يميت الحيوان. و الحياة معنى يوجب كون الحيوان حياً. و الحى المختص بصفة لا يستحيل معها كونه عالماً قادراً. و الموت عند من أثبته معنى هو ما يضاد الحياة.

و من لا يثبته معنى، يقول: هو عبارة عن فساد بنية الحياة. و قوله «وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِيرٍ» فالولى هو المقرب بالنصرة من غير فاصلة. و الإنسان ولى اللّه، لأنه يقربه بالنصرة من غير فاصلة. و اللّه وليه بهذا المعنى، و النصير و الاستنصار طلب النصرة و الانتصار و الانتصاف بالنصرة

لَقَدْ تابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (117)

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 313

قرأ حمزة و حفص «يزيغ» بالياء. الباقون بالتاء. قال أبو على النحوى:

يجوز أن يكون فاعل (كاد) احد ثلاثة أشياء:

أحدها- ان يضمر فيه القصة أو الحديث و يكون (تزيغ) الخبر و جاز ذلک للزوم الخبر لها، فأشبه العوامل الداخلة على الابتداء للزوم الخبر لها، و لا يجوز ذلک فى (عسى) لأن (عسى) يكون فاعله المفرد فى الأكثر و لا يلزمه الخبر، نحو قوله «وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ» «1» فإذا كان فاعله المفرد فى كثير من الأمر لم يحتمل الضمير الذى احتمله (كاد) كما لم تحتمله سائر الأفعال التى تسند الى فاعلها مما لا يدخل على المبتدأ.

و ما يجىء فى الشعر من كاد أن يفعل، و عسى يفعل، فلا يعتد به، لأنه من ضرورة الشعر.

الثانى- من فاعل (كاد) أن يضمنه ذكراً مما تقدم، و لما كان النبى صلى الله عليه و آله و المهاجرون و الأنصار قبيلا واحداً و فريقاً جاز أن يضمر فى (كاد) ما يدل عليه ما تقدم ذكره من القبيل و الحزب و الفريق. و قال: منهم من حمله على المعنى كما قال «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» ثم قال «وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» «2» فكذلک فاعل (كاد).

و الثالث- من فاعل (كاد) أن يكون فاعلها (القلوب) كأنه من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ و إنما قدم (تزيغ) كما قدم خبر كان فى قولهَ كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ»

«3» و جاز تقديمه و إن كان فيه ضمير من القلوب و لم يكن ذلک من الإضمار قبل الذكر، لأن النية به التأخير. و من قرأ بالياء يجوز ان يكون جعل فى (كاد) ضمير الحديث فإذا اشتغل (كاد) بهذا الضمير ارتفع القلوب

---

(1) سورة 2 البقرة آية 216

(2) سورة 2 البقرة آية 62، و سورة 5 المائدة آية 72

(3) سورة 30 الروم آية 47.

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 314

ب (تزيغ) فذكر و ان كان فاعله مؤنثاً لتقدم الفعل. و من قرأ بالتاء جاز أن يكون ذهب الى أن القلوب مرتفعة ب (كاد) فلا يكون يرفع فعلا مقدماً فإذا

لم يكن مقدماً قبح التذكير لتقدم ذكر الفاعل كما قبح فى قول الشاعر:
و لا أرض أبقل إبقالها «1»
و لم يصح أبقل أرض، و يجوز أن يكون الفعل المسند على القصة و الحديث يؤنث إذا كان فى الجملة التى تفسيرها مؤنث كقوله «فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا» «2» و يجوز إلحاق التاء فى «كاد» من وجه آخر، و هو أن يرفع «تزيغ قلوب» ب «كاد» فتلحقه علامة التأنيث من حيث كان مسنداً الى مؤنث كقوله «قالَتِ الْأَعْرابُ» «3» فعلى هذا يكون فى «تزيغ» ضمير القلوب، لأن النية فى «تزيغ» التأخير.
اقسم اللَّه تعالى فى هذه الاية- لأن لام «لقد» لام القسم- بأنه تعالى تاب على النبى و المهاجرين و الأنصار بمعنى أنه رجع اليهم، و قبل توبتهم «الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِى ساعَةِ الْعُسْرَةِ» يعنى فى الخروج معه الى تبوک. و «العسرة» صعوبة الأمر و كان ذلک فى غزوة تبوک لأنه لحقهم فيها مشقة شديدة من قلة الماء حتى نحروا الإبل و عصروا كروشها و مصوا النوى، و قل زادهم و ظهرهم- فى قول مجاهد و جابر و قتادة- و روى عن عمر أنه قال: أصابنا عطش شديد فأمطر اللَّه السماء بدعاء النبى صلى الله عليه و آله فعشنا بذلک «مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ» و الزيغ ميل القلب عن الحق، و منه قوله «فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» «4» و منه قوله «لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا» «5» و
كان أبو خيثمة عبد اللَّه بن خيثمة تخلف الى ان مضى من مسير رسول اللَّه عشرة أيام ثم دخل يوماً على امرأتين له- فى يوم حار- عريشين

---

(1) مر تخريجه فى 1/ 126
(2) سورة 21 الأنبياء آية 97
(3) سورة 49 الحجرات آية 14 [.....]
(4) سورة 61 الصف آية 5
(5) سورة 3 آل عمران آية 8

لهما قدر شتاهما و بردتا الماء و هيأتا له الطعام، فقام على العريشين فقال: سبحان اللَّه رسول اللَّه قد غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر فى الضح و الريح و الحر و القر يحمل سلاحه على عاتقه و أبو خيثمة فى ظلال باردة و طعام مهيأ و امرأتين حسناوين ما هذا بالنصف، ثم قال. و اللَّه لا أكلم واحدة منكما كلمة و لا ادخل عريشاً حتى الحق بالنبى صلى الله عليه و آله فأناخ ناضحه و اشتد عليه و تزود و ارتحل و امرأتاه تكلمانه و لا يكلمهما ثم سار حتى إذا دنا من تبوک، قال الناس: هذا راكب على الطريق فقال النبى صلى الله عليه و آله كن أبا خيثمة، فلما دنا قال الناس: هذا أبو خيثمة يا رسول اللَّه فأناخ راحلته و سلم على رسول اللَّه صلى الله عليه و

آله فقال له النبى صلى الله عليه و آله أولى لک. فحدثه الحديث، فقال له خيراً، و دعا له، فهو الذى زاغ قلبه للمقام. ثم ثبته اللّه.
و قيل: إن من شدة ما لحقهم همّ كثير منهم بالرجوع فتاب اللَّه عليهم، و قيل من بعد ما كان شک جماعة منهم فى دينه ثم تابوا فتاب اللّه عليهم. و قوله «ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ» أى رجع عليهم بقبول توبتهم «إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» إخبار منه تعالى أنه بهم رؤوف، فالرأفة أعظم الرحمة، قال كعب بن مالک الانصارى:
نطيع نبينا و نطيع ربا هو الرحمن كان بنا رؤوفا «1»
و قال آخر:
ترى للمسلمين عليک حقاً كمثل الوالد الرؤوف الرحيم «2»

وَ عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَ ضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَ ظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118)

---

(1) مر تخريجه فى 2/ 12 و هو مجاز القرآن 1/ 270
(2) اللسان «رأف» نسبه الى جرير و روايته «يرى للمسلمين عليه» و «كفعل» بدل «كمثل» و مجاز القرآن 1/ 271

تقدير الكلام و تاب اللّه على الثلاثة الذين خلفوا. و قيل نزلت هذه الاية بسبب الثلاثة الذين تخلفوا عن غزاة تبوک و لم يخرجوا مع النبى صلى الله عليه و آله لا عن نفاق، لكن عن توان، ثم ندموا، فلما ورد النبى صلى الله عليه و آله جاءوا اعتذروا، فلم يكلمهم النبى صلى الله عليه و آله و تقدم الى المسلمين بأن لا يكلمهم أحد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان و أهاليهم و جاءت نساؤهم الى رسول اللّه صلى الله عليه و آله تعتزلهم، فقال: لا و لكن لا يقربونكن فضاقت عليهم المدينة، فخرجوا الى رؤس الجبال، فكان أهاليهم يجيئون لهم بالطعام و يتركونه لهم و لا يكلمونهم، فقال بعضهم لبعض: قد هجرنا الناس و لا يكلمنا أحد، فهلا نتهاجر نحن ايضاً، فتفرقوا و لم يجتمع منهم اثنان، و ثبتوا على ذلک نيفاً و أربعين يوماً. و قيل سنة يضرعون الى اللّه تعالى و يتوبون اليه، فقبل اللّه تعالى حينئذ توبتهم، و انزل فيهم هذه الاية و الثلاثة هم كعب بن مالک و هلال بن امية و فزارة بن ربيعة، و كلهم من الأنصار- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و جابر- و التخليف تأخير الشىء عمن مضى، فأما تأخير الشىء عنک فى المكان، فليس بتخليف، و هو من الخلف الذى هو مقابل لجهة الوجه. و قال مجاهد: خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبته من المنافقين، كما قال تعالى فيما مضى «وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ» «1» و قال قتادة «خلفوا» عن غزوة تبوک كما تخلفوا هم. و به قال الحسن. و فى قراءة اهل البيت عليهم السلام «خالفوا» قالوا لأنهم لو خلفوا لما توجه عليهم العتب.
و قوله «حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ» فالضيق ضد السعة و منه ضيق الصدر، خلاف اتساعه بالهم الذى يحدث فيه فيشغله عن غيره، و ليس كذلک

---

(1) سورة 9 التوبة آية 107

السرور لأنه لا يشغل عن ادراک الأمور. و معنى «بما رحبت» اى بما اتسعت تقول:
رحبت رحباً، و منه مرحباً و أهلا اى رحبت بلادک و اهلت، و ضيق أنفسهم هاهنا بمعنى ضيق صدورهم، بالهم الذى حصل فيها. و قوله «وَ ظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ» معناه و علموا انه لا يعصمهم منه موضع إذا اعتصموا به و التجئوا اليه كأنه قال: لا معتصم من اللّه إلا به، لجأ يلجأ لجاء و ألجأه الى كذا إلجاء إذا صيره اليه بالمنع من خلافه. و التجأ اليه التجاء و تلاجئوا تلاجؤاً. و قوله «ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا» قيل فى معناه ثلاثة اقوال: أحدها- لطف لهم فى التوبة، كما يقال فى الدعاء: تاب اللّه عليه. الثانى- قبل توبتهم ليتمسكوا بها فى المستقبل.
الثالث- قبل توبتهم ليرجعوا الى حال الرضا عنهم. و قال الحسن: جعل لهم التوبة ليتوبوا بها، و المخرج ليخرجوا به. و قوله «إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» اخبار منه تعالى بأنه يقبل توبة عباده كثيراً و يغفر ذنوبهم إذا رجعوا اليه لرحمته عليهم و رأفته بهم. و كان أبو عمرو يحكى عن عكرمة بن خالد «وَ عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا» بفتح الخاء و التخفيف و كان لا يأخذ بها. فان قيل: ما معنى التوبة عليهم و اللائمة لهم و هم قد خلفوا فهلا عذروا؟
قيل: ليس المعنى انهم أمروا بالتخلف او رضى منهم به بل كقولک لصاحبک:
أين خلفت فلاناً؟ فيقول: بموضع كذا ليس يريد انه أمره بالتخلف هناک بل لعله ان يكون نهاه و انما يريد انه تخلف هناک.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)
هذا امر من اللَّه تعالى للمؤمنين المصدقين باللَّه و المقرين بنبوة نبيه بأن يتقوا معاصى اللَّه و يجتنبوها و أن يكونوا مع الصادقين الذين يصدقون فى اخبارهم و لا يكذبون، قال ابن مسعود: لا يصلح من الكذب جد و لا هزل، و لا ان يعد التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 318
أحدكم ولده شيئاً ثم لا ينجزه ثم قرأ «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ...» الآية و قال: هل ترون فى هذه رخصة؟ و قال نافع و الضحاك: أمروا بأن يكونوا مع النبيين و الصديقين فى الجنة بالعمل الصالح. و قيل: إن المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم اللَّه فى قوله «رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ» و هم حمزة و جعفر «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» «1» يعنى علياً عليه السلام فأمر اللَّه تعالى بالاقتداء بهم و الاهتداء بهديهم، و هم الذين وصفوا فى قوله «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ...» الآية الى قوله «أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا» «2» فأمر بالاقتداء بهؤلاء.
و قال بعضهم: ان (مع) بمعنى (من) و كأنه أمر بأن يكونوا فى جملة الصادقين و فى قراءة ابن مسعود «و كونوا من الصادقين». و قيل: أراد كونوا مع كعب بن مالك و أصحابه الذين صدقوا فى أقوالهم و لم يكذبوا فى الاعتذار.
و الصادق هو القائل بالحق العامل به، لأنها صفة مدح لا تطلق الا على من يستحق المدح على صدقه. فأما من فسق بارتكاب الكبائر فلا يطلق عليه اسم صادق و لذلك مدح اللَّه الصديقين و جعلهم تالين للنبيين فى قوله «فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ» «3».

ما كانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَ لا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لا نَصَبٌ وَ لا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَ لا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120)

---

(1) سورة 33 الأحزاب آية 23
(2) سورة 2 البقرة آية 177
(3) سورة 4 النساء آية 68
. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 319
لما قص اللّه تعالى قصة الذين تأخروا عن النبى صلى الله عليه و آله و الخروج معه الى تبوک ثم اعتذارهم عن ذلک و توبتهم منه و أنه قبل توبة من ندم على ما كان منه لرأفته بهم و رحمته عليهم، ذكر عقيب ذلک على وجه التوبيخ لهم و الإزراء على ما كانوا فعلوه فقال: لم يكن لأهل المدينة و لا من يسكن حول المدينة من الاعراب و البوادى «أَنْ يَتَخَلَّفُوا» بمعنى ان يتأخروا عن رسول اللّه «وَ لا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ» و معناه و لا أن يطلبوا نفع نفوسهم، لأن الرغبة طلب المنفعة و نقيضها الرهبة. و يقال رغب فيه إذا طلب المنفعة به و رغب عنه طلب المنفعة بتركه، و الترغيب ضد الترهيب و معنى «يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ» اى يطلبون المنفعة بترفيه أنفسهم دون نفسه و هذه فريضة الزمهم اللّه إياها، لحقه فيما دعاهم من الهدى الذى اهتدوا به و خرجوا من ظلمة الكفر الى نور الايمان.
و قوله «ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لا نَصَبٌ» اشارة الى ما الزمهم اللّه إياه من تحمل هذه المشقة لأنهم لا يصيبهم ظمأ و هو شدة العطش تقول: ظمئ يظمأ ظمأ و هو ظمىء و ظمآن و أظمأه اللّه إظماء. و منه قيل: أنا ظمآن الى رؤية فلان و معنى «وَ لا نَصَبٌ» اى تعب تقول: نصب ينصب نصباً فهو نصب. و مثله الوصب قال النابغة:
كلينى لهم يا أميمة ناصب و ليل اقاسيه بطىء الكواكب «1»
و قوله «و لا مخمصة» يعنى مجاعة و أصله ضمور البطن للمجاعة و منه رجل خميص البطن و امرأة خمصانة. و قوله «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى من قتال أعدائه المشركين. و قوله «وَ لا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ» اى لا يخطون خطوة إلا كتب لهم أجرها، و الموطئ الأرض، و الغيظ انتقاض الطبع بما يرى مما يشق. و الغضب

---

(1) اللسان (نصب) و الأغانى 11/ 15

هو ما يدعو الى الانتقام على ما سلف من المعصية مما هى متعلقة به، و هو مستحق بها و لذلک جاز ان يطلق الغضب على اللّه و لم يجز اطلاق الغيض عليه.
و قوله «وَ لا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ» و النيل لحوق الشىء تقول: نلته اناله نيلا إذا نلته بيدک و هو منيل، و ليس من التناول لأن هذا من الواو تقول: نلته بخير انوله نولا و نوالا و انالنى خيراً انالة.
و المعنى ان هؤلاء المؤمنين لا يصيبون من المشركين امراً، من قتل او جراح أو مال، او امر يغمهم و يغيظهم الا و يكتب اللّه للمؤمنين «به عملا صالح إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» اخبار منه تعالى انه لا يضيع اجر من فعل الأفعال الحسنة التى يستحق بها المدح و قد يكون فاعل الحسن لا يستحق المدح مثل فاعل المباح.
و قال قتادة: حكم هذه الآية مختص بالنبى فانه إذا غزا النبى صلى الله عليه و آله لم يكن لأحد ان يتخلف عنه، فاما من بعده من الخلفاء فان ذلک جائز، و قال الاوزاعى و عبد اللّه بن المبارک و الفرازى و السبيعى و أبو جابر و سعيد بن عبد العزيز: ان هذه الاية لأول الأمة و آخرها من المجاهدين فى سبيل اللّه. و قال ابن زيد: هذا حين كان المسلمون قليلين، فلما كثروا نسخ بقوله «وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ» و هذا هو الأقوى لأنه لا خلاف ان الجهاد من فروض الكفايات فلو لزم كل احد النفر لصار من فروض الأعيان.

وَ لا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً وَ لا يَقْطَعُونَ وادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (121)

هذه الاية عطف على ما تقدم ذكره فى الاية الاولى من قوله «وَ لا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَ لا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا ... وَ لا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً» التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 321

اى لا ينفق هؤلاء المؤمنون فى سبيل اللّه و جهاد أعدائه نفقة صغيرة و لا كبيرة يريدون بها إعزاز دين اللّه و نفع المسلمين و التقرب إلى اللّه بها، لأن الإنفاق متى كان للشهوة أو ليذكر بالجود كان ذلک مباحاً. و ان كان للرياء و السمعة و للمعاونة على فساد كان معصية. و الصغير ما نقص ثوابه عن ثواب ما هو اكبر منه، و الكبير ما زاد ثوابه على ثواب ما هو دونه. و قوله «وَ لا يَقْطَعُونَ وادِياً» معناه و لا يتجاوزون و ادباً.

و قوله «إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ» ثواب ذلک لهم «لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» معناه انه يكتب طاعاتهم ليجزيهم عليها أحسن مما فعلوه. و قال الرمانى: ذلک يدل على انه يكون حسن أحسن من حسن، قال: لان لفظة أفعل تقتضى التفاضل فيما شاركه فى الحسن. و هذا ليس بشىء لأن المعنى ان اللّه تعالى يجزيهم أحسن ما كانوا يعملون يعنى ما له مدخل فى استحقاق المدح و الثواب من الواجبات و المندوبات دون المباحات التى لا مدخل لها فى ذلک و ان كانت حسنة.

وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122)
قوله «فَلَوْ لا نَفَرَ» معناه هلا نفر، و هى للتحضيض إذا دخلت على الفعل، فإذا دخلت على الاسم فهى بمعنى امتناع الشىء لأجل وجود غيره. و قيل فى معناه ثلاثة اقوال: أحدها- قال الحسن: حث اللّه تعالى الطائفة النافرة على التفقه لترجع الى المتخلفة فتحذرها. و قال قتادة: ان المعنى انه لم يكن لهم ان ينفروا بأجمعهم فى السرايا و يتركوا النبى صلى الله عليه و آله بالمدينة وحده، و لكن تبقى بقية لتتفقه البقية ثم تنذر التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 322
النافرة، و به قال الضحاك و ابن عباس، و قال ابو على الجبائى: تنفر الطائفة من كل ناحية الى النبى صلى الله عليه و آله لتسمع كلامه و تنفقه عنه، ثم يبينوا ذلك لقومهم إذا رجعوا اليهم. و قال مجاهد: نزلت الآية فى قوم خرجوا الى البادية ليفقهوهم و لينالوا منهم خيراً، فلما عاتب اللّه من تأخر عن النبى عند خروجه الى تبوك و ذم آخرين خافوا ان يكونوا منهم فنفروا بأجمعهم، فقال اللّه: هلا نفر بعضهم ليفقه عن النبى صلى الله عليه و آله ما يجب عليهم و ما لا يجب و يرجعون فيخبرون أصحابهم بذلك ليحذروا.
و النفور عن الشىء هو الذهاب عنه لتكره النفس له، و النفور اليه الذهاب اليه لتكره النفس لغيره. و التفقه تعلم الفقه. و الفقه فهم موجبات المعنى المضمنة بها من غير تصريح بالدلالة عليها، و صار بالعرف مختصاً بمعرفة الحلال و الحرام، و ما طريقه الشرع. و قوله «لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» معناه لكى يحذروا، لأن الشك لا يجوز على اللّه. و الحذر تجنب الشىء لما فيه من المضرة يقال: حذر حذراً و حذّرته تحذيراً و حاذره محاذرة و تحذر تحذراً.
و استدل جماعة بهذه الآية على وجوب العمل بخبر الواحد بأن قالوا:
حث اللّه تعالى الطائفة على النفور و التفقه حتى إذا رجعوا الى غيرهم لينذروهم ليحذروا، فلو لا انه يجب عليهم القبول منهم لما وجب عليهم الانذار و التخويف.
و الطائفة تقع على جماعة لا يقع بخبرهم العلم بل تقع على واحد. لأن المفسرين قالوا فى قوله «وَ لْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أنه يكفى أن يحضر واحد.
و هذا الذى ذكروه ليس بصحيح، لأن الذى يقتضيه ظاهر الاية وجوب النفور على الطائفة من كل فرقة، و وجوب التفقه و الانذار إذا رجعوا، و يحتمل ان يكون المراد بالطائفة الجماعة التى يوجب خبرهم العلم، و لو سلمنا انه

يتناول الواحد او جماعة قليلة، فلم إذا وجب عليهم الانذار وجب على من يسمع القبول؟ و اللّه تعالى إنما أوجب على المنذرين الحذر، و الحذر ليس من القبول فى شىء بل الحذر يقتضى وجوب البحث عن ذلک حتى يعرف صحته من فساده بالرجوع الى الأدلة، ألا ترى التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 323
ان المنذر إذا ورد على المكلف و خوفه من ترک النظر فانه يجب عليه النظر و لا يجب عليه القبول منه قبل ان يعلم صحته من فساده، و كذلک إذا ادعى مدع النبوة و ان معه شرعاً وجب عليه ان ينظر فى معجزه و لا يجب عليه القبول منه و تصديقه قبل ان يعلم صحة نبوته. فكذلک لا يمتنع ان يجب على الطائفة الانذار و يجب على المنذرين البحث و التفتيش حتى يعلموا صحة ما قالوه فيعلموا به، و قد استوفينا الكلام فى ذلک فى كتاب اصول الفقه لا نطول بذكره ها هنا.
و قيل: ان اعراب اسد قدموا على النبى صلى الله عليه و آله المدينة فغلت الأسعار و ملئوا الطرق بالعذرة فانزل اللّه تعالى الآية يقول: فهلا جاء منهم طوائف ثم رجعوا الى قومهم فأخبروهم بما تعلموا. و روى الواقدى ان قوماً من خيار المسلمين خرجوا الى البدو يفقهون قومهم فاحتج المنافقون فى تأخرهم عن تبوک بأولئک فنزلت «وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً» قال: و فيهم نزلت «وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ» «1» يعنى ان احتجوا بتأخر هؤلاء فى البادية فإنهم مستجيبون مؤمنون، فكيف يكون لهم بهم اسوة او حجة فى تأخرهم و هم منافقون مدهنون. و
قال ابو جعفر عليه السلام كان هذا حين كثر الناس فأمرهم اللَّه ان ينفر منهم طائفة و تقيم طائفة للتفقه و ان يكون الغزو نوباً.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (123)

روى المفضل عن عاصم (غلظة) بفتح الغين. الباقون بكسرها، قال ابو الحسن قراءة الناس بالكسر، و هى العربية، قال و به أقرأ و لا أعلم الفتح لغة. و قال غيره:

---

(1) سورة 42 الشورى آية 16

هى لغة. و ذكر الزجاج أن فيه ثلاث لغات الفتح و الضم و الكسر، و الكسر أفصحها و الكسر لغة أهل الحجاز و الضم لغة تميم.

امر اللَّه تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار الذين يلونهم يعنى الأقرب فالأقرب و ذلک يدل على أنه يجب على اهل كل ثغر أن يقاتلوا دفاعاً عن أنفسهم إذا خافوا على بيضة الإسلام إذا لم يكن هناک إمام عادل، و انما جاز من اللَّه تعالى ان يأمر بالقتال ليدعوهم الى الحق، و لم يجز ان يمنعهم من الكفر، لأن المنع ينافى التكليف.

و من قاتل الأبعد من الكفار و ترک الأقرب فالأقرب فان كان بإذن الامام كان مصيباً و ان كان بغير أمره كان مخطئاً، و لو قال: قاتلوا الأقرب فالأقرب لصح لأنه يمكن ذلک. و لو قال: قاتلوا الأبعد فالأبعد لم يصح لأنه لا حدّ للأبعد يبتدأ منه كما للأقرب. و قوله «وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً» معناه و ليخشوا منكم بالغلظة، و الغلظة ضد اللين و خلاف الرقة، و هى الشدة فى إحلال النقمة، و مخرج الكلام على الأمر بالوجود، و إنما معناه يجدون ذلک، و يجوز ان يكون المراد و ليعلموا منكم الغلظة.

و قوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» امر من اللَّه للمؤمنين ان يتيقنوا أن اللَّه مع الذين يتقون معصيته، بالنصرة لهم، و من كان اللَّه ناصره فى الحرب لم يغلبه احد. فأما إذا نصره بالحجة فى غير الحرب فانه يجوز أن يغلب بالحرب لضرب من المحنة و شدة التكليف.

وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124)

(ما) فى قوله: «و إذا ما» يحتمل أمرين: أحدهما- ان تكون دخلت لتسليط (إذا) التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 325

على الجزاء. و الثانى- أن تكون صلة مؤكدة، و قوله «فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ» الضمير عائد على المنافقين فى قول الحسن و الزجاج، و التقدير فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض على وجه الإنكار «أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً» و قال الجبائى: يقول المنافقون لضعفة المؤمنين على وجه الاستهزاء. فأخبر اللّه تعالى انه متى نزلت سورة من القرآن قال المنافقون على وجه الاستهزاء و الإنكار «أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً» ثم قال تعالى «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً» المعنى ازدادوا عندها ايماناً. و انما أضافه الى السورة لأن عندها ازدادوا، فوجه زيادة الايمان انهم يصدقون بأنها من عند اللّه و يعترفون بذلک و يعتقدونه و ذلک زيادة اعتقاد على ما كانوا معتقدين له. و قوله «وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» جملة فى موضع الحال، و تقديره انهم يزدادون الايمان عندها مستبشرين بذلک فرحين بما لهم فى ذلک من السرور و الثواب. و الزيادة ضم الشيء الى جنسه لأنک لو ضممت حجراً الى ذهب لم تكن زدت، و لو ضممت ذهباً الى ذهب أو حجراً الى حجر لكنت زدته.

وَ أَمَّا الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَی رِجْسِهِمْ وَ ماتُوا وَ هُمْ کافِرُونَ (125)

لما بين اللّه تعالى ان المؤمنين يزدادون الايمان عند نزول السورة بين ان الذين فی قلوبهم مرض يعنی شک و نفاق من الإسلام يزدادون عند ذلک رجساً الی رجسهم ای نفاقاً و کفراً الی کفرهم، لأنهم يشکون فی هذه السورة کما يشکون فی الذی تقدم، فکان ذلک هو الزيادة. و سمی الشک فی الدين مرضاً، لأنه فساد يحتاج الی علاج کالفساد فی البدن الذی يحتاج الی مداواة. و مرض القلب أعضل و علاجه أعسر و دواؤه أعز و اطباؤه أقل. و الرجس و النجس واحد، و سمی الکفر رجساً علی وجه الذم، و أنه يجب تجنبه کما يجب تجنب الانجاس. و انما أضاف الزيادة الی التبيان فی تفسير القرآن، ج5، ص: 326

السورة لأنهم يزدادون عندها، و مثله کفی بالسلامة داء، کما قال الشاعر:

ارى بصری قد رابنی بعد صحة و حسبک داء أن تصح و تسلما «1»

و قوله «وَ ماتُوا وَ هُمْ کافِرُونَ» فيه بيان أن المرض فی القلب أدّاهم الی ان ماتوا علی شر حال، لأنها تسوق الی النار نعوذ باللّه منها، و انما قال «و ماتوا» علی لفظ الماضی لأنه عطف علی قوله «فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَی رِجْسِهِمْ» و المعنی انهم يموتون و هم کافرون.

أَ وَ لا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَ لا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (126)

قرأ حمزة و يعقوب «أو لا ترون» بالتاء. الباقون بالياء.

قوله «أَ وَ لا يَرَوْنَ» تنبيه و تقريع لمن عنى بالخطاب.

فمن قرأ بالتاء فوجهه أن المؤمنين نبهوا على إعراض المنافقين عن النظر و التدبر لما ينبغى أن ينظروا فيه و يتدبروا، لأنهم يمتحنون بالأمراض و الأسباب التى لا يؤمن معها الموت، فلا يرتدعون عن كفرهم و لا ينزجرون عما هم عليه من النفاق، فلا يقدمون عليه إذا ماتوا فنبه فنبه المسلمين على قلة اعتبارهم و اتعاظهم.

و من قرأ بالياء وجّه التقريع- بالاعراض عما يجب أن لا يعرضوا عنه من التوبة و الاقلاع عما هم عليه من النفاق- الى المنافقين دون المسلمين، لان المسلمين قد عرفوا ذلک من أمرهم. و كان الاولى أن يلحق التنبيه من يراد تنبيهه و تقريعه بتركه ما ينبغى ان يأخذ به. و تحتمل الرؤية فى الآية على القراءتين أن تكون متعدية الى مفعولين. و أن تكون من رؤية العين أولى فإذا جعلت متعدية الى مفعولين

---

(1) قائله حميد بن ثور الهلالى العقد الفريد 2/ 331

سدّ (أن) مسدّهما. و إن جعلت من رؤية العين كان أولى، لأنهم مبتلون فى الاعراض عنه على ترک الاعتبار به، و هذا أبلغ من المتعدية الى مفعولين ألا ترى أن تارک الاستدلال أعذر ممن يكابر المشاهدات. و لو قرئ بضم الياء و بنى الفعل للمفعول به كان (ان) فى موضع نصب بأنه مفعول الفعل الذى يتعدى الى مفعول، و فتحت الواو فى قوله «أولا» لأنها واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام، فهو متصل بذكر المنافقين و متصل بذكر آخرين ذكرهم بدليل العلامتين الواو و الألف.

و الفتنة المحنة بالقتل و السبى و نصر اللَّه لنبيه حتى يستعلى على كل من ناواه- فى قول الحسن و قتادة- و قال مجاهد: هى بالقحط و الجوع. و قال الجبائى: هى بالمرض الذى ينزل بهم. و قيل: تهتک استارهم بما يظهره اللَّه من سوء نياتهم و خبث سرائرهم، و قال الزجاج: معناه انهم يختبرون بالدعاء الى الجهاد، و هو قول الحسن و قتادة. و أجاز الرمانى أن تفعل التوبة خوفاً من العقاب، كما يجوز أن تفعل لقبح المعصية. قال: لأن كل واحد من الأمرين يدعو اليه الفعل، و من جحد أحد الأمرين كمن جحد الآخر. و الذى عليه أكثر أهل العدل أنه لا يجوز أن تفعل التوبة الا لوجه قبح

المعصية. و متى فعلت لخوف العقاب لم تكن مقبولة.
و قوله «ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَ لا هُمْ يَذَّكَّرُونَ» اخبار منه تعالى انه مع ما يمتحنهم فى كل سنة دفعة او دفعتين فإنهم لا يقلعون عن المعاصى و لا يتوبون منها و لا يتفكرون فيها. و التذكر طلب الذكر بالفكر فيه.

وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ هَلْ يَراكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (127)

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 328

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه متى أنزل سورة من القرآن «نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ» نظراً يومئون به «هَلْ يَراكُمْ مِنْ أَحَدٍ» و انما يفعلون ذلک، لأنهم منافقون يتحذرون أن يعلم بهم، فكأنهم يقول بعضهم لبعض: هل يراكم من أحد ثم يقومون فينصرفون. و يحتمل أن يكون انصرافهم عن العمل بشىء مما يستمعون.

فقال اللَّه تعالى «صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» يعنى عن رحمته عقوبة لهم «بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ» مواعظ اللَّه و لا أمره و نهيه. و إنما صرف قلوبهم عن السرور بالفائدة التى تحصل للمؤمنين بسماع الوحى، فيحرمون ما للمؤمنين من الاستبشار بتلک الحال. و الفقه فهم موجب المعنى المضمن به، و قد صار علماً على علم الفتيا فى الشريعة لان المعتمد على المعنى. و كان القوم عقلاء يفقهون الأشياء، و إنما نفى اللَّه عنهم ذلک لأنهم لم ينظروا فيه، و لم يعملوا بموجبه، فكأنهم لم يفقهوه، كما قال «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ» «1» لما لم ينتفعوا بما سمعوه و رأوه.

لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (128)

أقسم اللّٰه تعالى فى هذه الآية بأنه قد «جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ» لان لام (لقد) هى اللام التى يتلقى بها القسم. و الخطاب متوجه الى جميع الخلق.

و معنى «مِنْ أَنْفُسِكُمْ» أى انكم ترجعون الى نفس واحدة كما قال «قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» «2» و يحتمل ان يكون المراد به من العرب كما انكم كذلك.

و يكون- على هذا- الخطاب متوجها الى العرب خاصة، فأنتم تخبرونه قبل مبعثه. و قيل: إنه لم يبق بطن من العرب إلا و ولد النبى صلى الله عليه و آله و إنما ذكر ذلك لأنه أقرب الى الالفة، و أبعد من المحك و اللجاج، و اسرع الى فهم الحجة، فهو

---

(1) سورة 2 البقرة آية 18

(2) سورة 18 الكهف آية 111

من أنفسكم فى اشرف نسبه منكم، و من أنفسكم فى القرب منكم، و من أنفسكم بالاختصاص بكم.

و قوله «عَزِيزٌ عَلَيْهِ» أى شديد عليه لأنه لا يقدر على إزالته، و العزيز فى صفات اللّٰه معناه المنيع القادر الذى لا يتعذر عليه فعل ما يريده. و العزة امتناع الشىء بما يتعذر معه ما يحاول منه، و هو على ثلاثة أوجه: امتناع الشىء بالقدرة أو بالقلة أو بالصعوبة. و قوله «ما عَنِتُّمْ» يعنى ما يلحقكم من الأذى الذى يضيق الصدر به و لا يهتدى للخروج منه، و منه قيل: فلان يعنت فى السؤال، و منه قوله تعالى «وَ لَوْ شاءَ اللّٰهُ لَأَعْنَتَكُمْ» «1» أى ضيق عليكم حتى لا تهتدوا للخروج منه، و العنت إلقاء الشدة و (ما) فى قوله «ما عنتم» بمعنى الذى، و هو فى موضع رفع بالابتداء و خبره (عزيز) قدّم عليه. و قال الفراء: هو رفع ب (عزيز). و قوله «حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ» فالحرص شدة الطلب للشىء على الاجتهاد فيه. و المعنى: حريص عليكم ان تؤمنوا- فى قول الحسن- ثم استأنف فقال «بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» أى رفيق بهم رحيم عليهم.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129)
معنى «فَإِنْ تَوَلَّوْا» إن ذهبوا عن الحق و اتباع الرسول و ما يأمرهم به و اعرضوا عن قوله. و نقيض التولى عنه التوجه اليه. و مثل التولى الاعراض.
و قال الحسن:
المعنى فان تولوا عن طاعة اللَّه. و قيل «فَإِنْ تَوَلَّوْا» عنک، و معناه فان ذهبوا عنک هؤلاء الكفار، و لم يقروا بنبوتک «فَقل» يا محمّد «حَسْبِيَ اللَّهُ» و معناه كفانى اللَّه و هو

---

(1) سورة 2 البقرة آية 220 [.....]

من الحساب لأنه تعالى يعطى بحسب الكفاية التى تغنى عن غيره، و يزيد من نعمه ما لا يبلغ الى حدّ و نهاية، إذ نعمه دائمة و مننه متظاهرة. و قوله «لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» جملة فى موضع الحال، و تقديره حسبى اللَّه مستحقاً لاخلاص العبادة و الاقرار بأن لا إله إلا هو. و قوله «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» فالتوكل تفويض الامر الى اللَّه على الثقة بحسن تدبيره و كفايته، بإخلاص النية فى كل شىء يحذر منه، و منه قوله «حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» «1» أى المتولى للقيام بمصالح عباده و فى هذه الصفة بلطف. و قوله «وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» قيل فى تخصيصه الذكر بأنه «رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» ثلاثة أقوال: أحدها- انه لما ذكر الأعظم دخل فيه الأصغر. الثانى- أنه خص بالذكر تشريفاً له و تفخيماً لشأنه. الثالث- ليدل به على أنه ملک الملوک لأنه رب السرير الأعظم. و جرّ القراء كلهم «العظيم» على أنه صفة للعرش. و قال الزجاج: يجوز رفعه بجعله صفة لرب العرش.
قال أبى بن كعب و سعيد بن جبير و الحسن و قتادة: هذه آخر آية نزلت من القرآن و لم ينزل بعدها شىء.

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 173

10- سورة يونس ..... ص : 331

اشارة

[مكية و هى مائة و تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ (1)
إنما لم تعدّ (الر) آية كما عدَّ (الم) آية فى عدد الكوفيين لأن آخره لا يشاكل رؤس الآى التى بعده، إذ هى بمنزلة المردف بالياء. و (طه) عدّ، لأنه يشاكل رؤس الآى التى بعده. و قرأ (الر) بالتفخيم ابن كثير و نافع و أبو جعفر. و قرأ بالامالة أبو عمرو، و ابن عامر، و حمزة، و الكسائى. و اختلفوا عن عاصم: فروى هبيرة عن حفص بكسر الراء. الباقون عنه بالتفخيم. قال ابو على الفارسى: من ترک الامالة، فلأن كثيراً من العرب لا يميل ما يجوز فيه الامالة كما يمنعها المستعلى. و من أمال، فلأنها اسم لما يلفظ به من الأصوات، فجازت الامالة من حيث كانت اسماً و لم تكن كالحروف التى تمنع فيها الامالة. و قال الرمانى: انما جاز إمالة حروف الهجاء، لأن ألفه فى تقدير الانقلاب عن ياء.
و قد بينا فى أول سورة البقرة معنى هذه الحروف التى فى أول السور، و اختلاف المفسرين، و قلنا: إن أقوى الوجوه أنها اسماء السور، فلا وجه لإعادته.
و قوله «تلک» قال ابو عبيدة معناه هذه. و قال الزجاج: المعنى الآيات التى تقدم ذكرها، و هو قول الجبائى. و قال قوم: انما قال «تلک» لتقدم الذكر (الرفى) كقولک هند هى كريمة. و انما أضيفت الآيات الى الكتاب لأنها

الكتاب، كما أن السورة أبعاضه، و كذلک محكمه و متشابهه و أسماؤه و صفاته و وعده و وعيده و أمره و نهيه و حلاله و حرامه و الآية العلامة التى تنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة. و القرآن مفصل بالآيات مضمن بالحكم النافية للشبهات و انما وصف الكتاب بأنه حكيم، لأنه دليل على الحق كالناطق بالحكمة، و لأنه يؤدى الى المعرفة التى يميز بها طريق الهلاک من طريق النجاة. و قال ابو عبيدة: حكيم هاهنا بمعنى محكم و أنشد لأبى ذؤيب:
يواعدنى عكاظ لننزلنه و لم يشعر إذن أنى خليف «1»
أى مخلف من أخلفته الوعد. و يؤكد ذلک قوله «الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ» و الآيات العلامات. و الكتاب اسم من اسماء القرآن و قد بيناه فيما مضى. و حكى عن مجاهد أنه قال (تلک) اشارة الى التوراة الإنجيل و هذا بعيد لأنه لم يجر لهما ذكر.

أَ كانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنا إِلى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قالَ الْكافِرُونَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ مُبِينٌ (2)
قرأ ابن كثير و عاصم و حمزة و الكسائى «لَساحِرٌ مُبِينٌ» بألف. الباقون بغير ألف. قال أبو على الفارسى: يدل على ساحر قوله «وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ» «2» و يدل على «سحر» قوله «وَ لَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ قالُوا هذا سِحْرٌ وَ إِنَّا بِهِ كافِرُونَ» «3» و القول فى الوجهين أنه قد تقدم قوله «أَنْ أَوْحَيْنا إِلى رَجُلٍ مِنْهُمْ» فمن قال «ساحر» أراد به الرجل و من قال «سحر» أراد الذى أوحى «سحر»

---

(1) ديوان الهذليين 1/ 99 و اللسان (خلف) و مجاز القرآن 1/ 273
(2) سورة 38 ص آية 4
(3) سورة 43 الزخرف آية: 30

أى الذى يقول أنه وحى «سحر» و ليس بوحى.
و معنى قوله «أَ كانَ لِلنَّاسِ عَجَباً» أ كان ايحاؤنا القرآن الى رجل منهم عجباً؟
و إنذارهم عقاب اللَّه على معاصيه كأنهم لم يعلموا أن اللَّه قد أوحى من قبله الى مثله من البشر، فعجبوا من وحينا اليه الآن؟ فالألف ألف استفهام و المراد به الإنكار.
و قال ابن عباس و مجاهد و ابن جريج: عجبت العرب و قريش أن يبعث اللَّه منهم نبياً فأنزل اللَّه الآية. و قال الحسن: معناه ليس بعجب ما فعلنا فى ذلك. و المعنى أ لم يبعث اللَّه رسولا من أهل البادية و لا من الجن و لا من الانس. و العجب تغير النفس بما لا يعرف سببه مما خرج عن العادة الى ما يجوز كونه. و الانذار هو الاخبار على وجه التخويف، فمن حذّر من معاصى اللَّه فهو منذر. و هذه صفة النبى صلى الله عليه و آله.
و قوله «أَنْ أَوْحَيْنا» فى موضع رفع و تقديره أ كان للناس عجباً و حينا و «أَنْ أَنْذِرِ» فى موضع نصب، و تقديره و حينا بأن أنذر، فحذف الجار فصار موضعه نصباً، و «أن لهم» نصب بقوله «وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا» و لو قرئ بالكسر كان جائزاً لأن البشارة هى القول إلا أنه لم يقرأ به. و قوله «وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا» أمر للنبى صلى الله عليه و آله أن يبشر المؤمنين، و هو أن يعرّفهم ما فيه السرور بالخلود فى نعيم الجنة على وجه الإكرام و الإجلال بالأعمال الصالحة. و قوله «أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ» معناه ان لهم سابقة إخلاص الطاعة كاخلاص الصدق من شائب الكذب. و قالوا:

أَ

له قدم فى الإسلام، و الجاهلية. و هو كالقدم فى سبيل اللّه، قال حسان:
لنا القدم العليا اليک و خلفنا لأولنا فى طاعة اللّه تابع «1»
و قال ذو الرمة:
لكم قدم لا ينكر الناس أنها مع الحسب العادى طمّت على البحر «2»
و
قال أبو سعيد الخدرى و أبو عبد اللَّه عليه السلام: معناه إن محمّداً صلى الله عليه و آله لهم شفيع يوم القيامة، و هو المروى عن أبى عبد اللّه عليه السلام.
و قال مجاهد: معناه لهم

---

(1) ديوانه 254 و قد مرّ فى 5/ 21
(2) ديوانه 19 و الطبرى 11/ 53
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 334
قدم خير بأعمالهم الصالحة. و قال قتادة: معناه لهم سلف صدق. و قال الضحاک: لهم ثواب صدق. و قال ابن عباس: لهم ما قدموه من الطاعات.
و قوله «قالَ الْكافِرُونَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ مُبِينٌ» حكاية عن الكفار أنهم يقولون إن النبى ساحر مظهر، أو ما أتى به سحر مبين على اختلاف القراءات. و السحر فعل يخفى وجه الحيلة فيه حتى يتوهم أنه معجز. و العمل بالسحر كفر لادعاء المعجزة به، و لا يمكن مع ذلک معرفة النبوة. و قال الزجاج: المراد ب (الناس) فى الآية أهل مكة. و قيل إنهم قالوا: لم يجد اللّه من يبعثه رسولا إلا يتيم أبى طالب؟!

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ یُدَبِّرُ الْأَمْرَ ما مِنْ شَفِیعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (3)

خاطب اللّه تعالى بهذه الاية جميع الخلق و أخبرهم بأن اللَّه الذى يملك تدبيركم و تصريفكم بين أمره و نهيه و يجب عليكم عبادته «اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» فاخترعهما و أنشأهما على ما فيهما من عجائب الصنعة و متقن الفعل. و إطلاق الربّ لا يقال إلا فيه تعالى، فاما غيره فانه يقيد له، فيقال: رب الدار، و رب الضيعة بمعنى أنه مالكها. و كذلك معنى قوله «رَبُّ الْعَرْشِ» و الربوبية ملك التدبير الذى يستحق به العبادة. و قيل فى الوجه «الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ» بلا زيادة و لا نقصان مع قدرته على إنشائهما دفعة واحدة قولان:

أحدهما- أن فى إظهارهما كذلك مصلحة للملائكة و عبرة لهم.

و الثانى- لما فيه من الاعتبار إذا أخبر عنه بتصرف الحال كما صرّف اللَّه

الإنسان من حال الى حال، لأن ذلك أبعد من توهم الاتفاق فيه.

و قوله «ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ» معناه استولى عليه بإنشاء التدبير من جهته كما يستوى الملك على سرير ملكه بالاستيلاء على تدبيره، قال الشاعر:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق «1»

يعنى بشر بن مروان. و دخلت (ثم) لأن التدبير من جهة العرش بعد استوائه.

و قوله «یُدَبِّرُ الْأَمْرَ» فالتدبير تنزيل الأمور فى مراتبها على إحكام عواقبها، و هو مأخوذ من الدبور، فتجرى على أحكام الدابر فى البارى.

و قوله «ما مِنْ شَفِیعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ» فالشفيع هو السائل فى غيره لإسقاط الضرر عنه. و عند قوم أنه متى سأله فى زيادة منفعة توصل اليه كان شفيعاً. و الذى اقتضى ذكره- هاهنا- صفات التعظيم مع اليأس من الاتكال فى دفع الحق على الشفيع. و المعنى- هاهنا- ان تدبيره للأشياء و صنعته لها ليس يكون منه بشفاعة شفيع و لا بتدبير مدبر لها سواه، و أنه لا يجسر أحد أن يشفع اليه إلا بعد ان يأذن له فيه، من حيث كان تعالى أعلم بموضع الحكمة و الصواب من خلقه بمصالحهم. و قوله «ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ» معناه إنّ الموصوف بهذه الصفات هو ربكم و إلهكم فاعبدوه وحده، لأنه لا إله لكم سواه، و لا يستحق هذه الصفات غيره. و حثهم على التذكر و التفكر فى ذلك و على تعرّف صحة ما أخبرهم به و قيل: ان

العرش المذكور- هاهنا- هو السموات و الأرض، لأنهن من بنائه. و العرش البناء. و منه قوله «يعرشون» «2» أى يبنون. و أما العرش المعظم الذى تعبد اللّه الملائكة بالحفوف به و الإعظام له و عناه بقوله «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ» «3» فهو غير هذا. و انما ذكر الشفيع فى الآية و لم يجر له ذكر، لأن

---

(1) مر هذا البيت فى 1/ 125 و 2/ 396
(2) سورة 16 النحل آية 68 و سورة 7 الأعراف آية 136
(3) سورة 40 المؤمن آية 7

المخاطبين بذلک کانوا يقولون الأصنام شفعاؤهم عند اللّه. و ذكر بعدها «وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ» «1» و إذا كانت الأصنام لا تعقل فكيف تكون شافعة؟! مع أنه لا يشفع عنده الا من ارتضاه اللّه.

و اختار البلخى أن يكون خلق السموات و الأرض فى ستة أيام إنما كان لان خلقه لهما دفعة واحدة لم يكن ممكناً كما لا يمكن الجمع بين الضدين، و لا يمكن الحركة إلا فى المتحرک. و هذا الذى ذكره غير صحيح، لأن خلق السموات و الأرض خلق الجواهر و اختراعها، و الجواهر لا تختص بوقت دون وقت، فلا حال إلا و يصح اختراعها فيه ما لم يكن فيما لم يزل. و انما يصح ما ذكره فى الاعراض التى لا يصح عليها البقاء او ما يستحيل جمعه للتضاد، فأما غيره فلا يصح ذلک فيه.

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ بِالْقِسْطِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ (4)

قرأ أبو جعفر «حقاً أنه» بفتح الهمزة. الباقون بكسرها. من فتح، فمعناه اليه مرجعكم، لأنه يبدأ. و من كسر استأنف. قال الفراء: من فتح جعله مفعول حقّاً كأنه قال حقاً أنه. قال الشاعر:

أ حقاً عباد اللّه ان لست زائراً بثينة او يلقى الثريا رقيبها «2»

---

(1) آية 18 من هذه السورة

(2) تفسير الطبرى 11/ 54

اخبر اللّه تعالى أن الذى خلق السموات و الأرض هو اللَّه تعالى، و هو الذى يستحق العبادة لا غيره و ان اليه مرجع الخلق كلهم. و المرجع يحتمل معنيين:

أحدهما- أن يكون فى معنى الرجوع فيكون مصدراً.

و الاخر- موضع الرجوع فيكون ظرفاً، كأنه قال: اليه موضع رجوعكم يكوّنه إذا شاء. و معنى الرجوع اليه يحتمل أمرين: أحدهما- ان يعود الأمر الى ان لا يملك أحد التصرف فى ذلك الوقت غيره تعالى بخلاف الدنيا، لأنه تعالى قد ملك كثيراً من خلقه التصرف فى دار الدنيا و مكنهم من ذلك. و الثانى- ان يكون معناه انكم ترجعون اليه احياء بعد الموت أى الى موضع جزائه.

و قوله «وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا» نصب على المصدر و تقديره احقه حقاً او وعد اللَّه وعداً حقاً، لأن فى قوله «مرجعكم» انه وعد بذلك الا انه لما لم يذكر الفعل أضيف المصدر الى الفاعل، كما قال كعب بن زهير:

يسعى الوشاة جنابيها و قيلهم انك يا ابن أبى سلمى لمقتول «1»

اى و يقولون قيلهم. و قوله «إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» اخبار منه تعالى انه الذى أنشأ الخلق ابتداء، و هو الذى يعيدهم بعد موتهم النشأة الاخرى ليدل بذلك خلقه على أنه إذا كان قادراً على الابتداء فهو قادر على الاعادة.

و قوله «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» فيه بيان أنه انما يعيد الخلق ليعطيهم جزاء أعمالهم من طاعة و معصية، و العطاء إذا كان ابتداء لا يسمى جزاء.

و قوله «بِالْقِسْطِ» معناه بالعدل، لأنه لو زاد الجزاء او نقص لخرج عن العدل، و لكن يجزيهم وفق أعمالهم حتى لا يكون الجزاء على النبوة كالجزاء على الايمان بل كل طاعة يستحق الجزاء على قدرها.

و قوله «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ» معناه ان الذين يجحدون نعم اللَّه و يكفرون بوحدانيته و يجحدون رسله «لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ» و هو الذى اسخن

_____

(1) ديوانه 19 و مجاز القرآن 1/ 112، 273 و قد مر فى 1/ 300

بالنار اشدّ اسخان. قال المرقش الأصغر:

و كل يوم لها مقطرة فيها كباء معدّ و حميم «1»

الكباء العود الذى يتبخر به. و قوله «وَ عَذابٌ أَلِيمٌ» معناه مؤلم «بِما كانُوا يَكْفُرُونَ» اى جزاء على كفرهم.

هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ ما خَلَقَ اللَّهُ ذلِکَ إِلاَّ بِالْحَقِّ یُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ (5)

روی ابن مجاهد عن قنبل، و المولی عن الربیبی (ضئاء) بهمزة بعد الضاد مکان الیاء حیث وقع. الباقون بیاء بعد الضاد و مدة بعدها. قال ابو علی الفارسی:

لا یخلو «ضیاء» من أن یکون جمع ضوء کسوط و سیاط، و حوض و حیاض، او مصدر (ضاء) یضوء ضیاء مثل عاذ یعوذ عیاذاً أو قام یقوم قیاماً، و علی أی الوجهین حملته فالمضاف محذوف، و المعنی جعل الشمس ذات ضیاء، و القمر ذا نور، أو یکون جعل النور و الضیاء لکثرة ذلک فیهما، فأما الهمزة فی موضع العین من «ضیاء» فیکون علی القلب کأنه قدم اللام التی هی همزة الی موضع العین و اخّر العین التی هی واو الی موضع اللام، فلما وقعت طرفاً بعد الف زائدة قلبت همزة، کما فعلوا ذلک فی (سقاء و علاء) و هذا إذا قدّر جمعاً کان أسوغ، کما قالوا قوس و قسی، فصححوا الواحد و قلبوا فی الجمع، و إذا قدّرته مصداً کان أبعد، لأن المصدر یجری علی فعله فی الصحة و الاعتلال، و القلب ضرب من الاعتلال فإذا لم یکن فی الفعل یمتنع أن یکون أیضاً فی المصدر ألا تری انهم قالوا: لاذ لواذاً

---

(1) لسان العرب «قطر»، «حمم» و مجاز القرآن 1/ 274

و باع بیاعاً، فصححوها فی المصدر کصحتها فی الفعل، و قالوا: قام قیاماً فأعلوه و نحوه، لاعتلاله فی الفعل. و قرأ ابن کثیر و اهل البصرة و حفص (یفصل) بالیاء.

الباقون بالنون. من قرأ بالیاء فلأنه قد تقدم ذکر اللّه تعالی فأضمر الاسم فی الفعل. و من قرأ بالنون فهذا المعنی یرید. و یقویه بقوله «تِلْکَ آیاتُ اللَّهِ نَتْلُوها» و قد تقدم «أوحینا» فیکون نفصل محمولا علی «أوحینا» و الیاء أقوی، لأن الاسم الذی یعود الیه أقرب الیه من (أوحینا).

اخبر اللّه تعالی ان الذی یرجع الیه الخلق هو اللّه «الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً» و الجعل وجود ما به یکون الشیء علی صفة لم یکن علیها، فتارة یکون باحداثه و أخری باحداث غیره. و الشمس و القمر آیتان من آیات اللّه تعالی لما فیهما من عظم النور، و مسیرهما بغیر علاقة و لا دعامة، و فیهما أعظم الدلالة علی وحدانیة اللّه تعالی. و النور شعاع فیه ما ینافی الظلام. و نور الشمس لما کان أعظم الأنوار سماه اللّه ضیاء، کما قیل للنار ناراً، لما

فيها من الضياء، و لما كان نور القمر دون ذلک سماه نوراً، لأن نور الشمس و ضياءها يغلب عليه، و لذلک يقال أضاء النهار، و لا يقال أضاء الليل بل يقال أنار الليل، و ليلة منيرة. و يقولون: فى قلبه نور، و لا يقال فيه ضياء، لأن الضوء يقال لما يحس بكثرته. و قوله «وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ» انما وحد فى قوله «و قدره» و لم يقل و قدرهما، لأحد أمرين: أحدهما- أنه أراد به القمر، لأن بالقمر تحصى شهور الأهلة التى يعمل الناس عليها فى معاملتهم. و الاخر- ان معناه التثنية غير أنه وحده للإيجاز اكتفاء بالمعلوم، كقوله «وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ» «1» و قال الشاعر:

رمانى بأمر كنت منه و والدى بريئاً و من جول الطوى رمانى «2»

و قوله «ما خَلَقَ اللَّهُ ذلِکَ إِلَّا بِالْحَقِّ» معناه لم يخلق ما ذكره من السموات و الأرض و الشمس و القمر و قدرهما منازل إلا حقاً. و قوله «يُفَصِّلُ الْآياتِ» اى

---

(1) سورة 9 التوبة آية 63 [.....]

(2) مر تخريجه فى 1/ 172، 203

يميز بعضها من بعض «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» ذلک و يتبينونه. و قال قوم: معناه لقوم لهم عقول يتناولهم التكليف و يصح منهم الاستدلال دون البهائم و من لا عقل له.

إِنَّ فِی اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَّقُونَ (6)

الاختلاف ذهاب كل واحد من الشيئين فى غير جهة الاخر، فاختلاف الليل و النهار ذهاب أحدهما فى جهة الضياء و الآخر فى جهة الظلام. و الليل عبارة عن وقت غروب الشمس الى طلوع الفجر الثانى، و هو جمع ليلة كتمرة و تمر. و النهار عبارة عن اتساع الضياء من طلوع الفجر الثانى الى غروب الشمس. و النهار و اليوم معناهما واحد إلا أن فى النهار فائدة اتساع الضياء. و قوله «وَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» معناه ما قدر فيهما و فعله على مقدار تقتضيه الحكمة: من الحيوان و النبَات و غيرهما من غير نقصان و لا زياد،. و إن فى رفعه السماء بلا عمد، و تسكينه الأرض بلا سند، مع عظمها الأعظم آيات لمن تفكر فى ذلک و تعقله، و يتقى مخالفته. و الخلق مأخوذ من خلقت الأديم إذا قدرته. و إنما خص ما خلق فى السموات و الأرض بالذكر للاشعار بوجوه الدلالات إذ قد تكون الدلالة فى الشىء من جهة الخلق، و قد تكون من جهة اختلاف الصورة و من جهة حسن المنظر، و من جهة كثرة النفع و من جهة عظم الأمر، كالجبل و البحر. و قوله «لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَّقُونَ» معناه ان فى هذه الأشياء التى ذكرها دلالات على وحدانية اللّه لقوم يتقون معاصيه و يخافون عقابه، و خص المتقين بالذكر لما كانوا هم المنتفعين بها دون غيرهم.

إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَ رَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَ اطْمَأَنُّوا بِها وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ (7)

معنى «إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا» يحتمل أمرين:

أحدهما- لا يخافون عقابنا، كما قال الهذلى:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و خالفها فى بيت نوب عواسل «1»

و الثانى- أن يكون معناه لا يطمعون فى ثوابنا، كما يقال تاب رجاء لثواب اللَّه و خوفاً من عقابه. و الملاقاة و إن كانت لا تجوز الا على الأجسام. فإنما أضافها الى نفسه، لان ملاقاة ما لا يقدر عليه إلا اللَّه يحسن ان يجعل لقاء اللَّه تفخيماً لشأنه كما جعل إتيان ملائكته اتياناً للَّه فى قوله «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ» «2» و كما قال «وَ جاءَ رَبُّكَ» «3» و انما يريد و جاء امر ربك.

و معنى قوله «وَ رَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا» قنعوا بها دون غيرها من خير الاخرة و من كان على هذه الصفة، فهو مذموم لانقطاعه بها عن الواجب من أمر اللَّه. و قوله «وَ اطْمَأَنُّوا بِها» معناه ركنوا اليها على وجه التمكين فيه، فهؤلاء مكنوا الأحوال الدنيا، فصاحبها يفرح لها و يغتم لها و يرضى لها و يسخط لها.

و قوله «وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ» معناه الذين يذهبون عن تأمل هذه الآيات و لا يعتبرون بها.

و الغفلة و السو نظائر، و هو ذهاب المعنى عن القلب بما يضاده و قد تستعمل الغفلة فى التعرض لها، و لذلک يقولون: تغافل و لا يقولون مثله فى السهو.

---

(1) اللسان (خلف) و مجاز القرآن 1/ 275 و قد مر فى 2/ 210 و 3/ 315

(2) سورة 2 البقرة آية 210

(3) سورة 89 الفجر آية 22

أُولئِکَ مَأْواهُمُ النَّارُ بِما کانُوا یَکْسِبُونَ (8)
«أولئک» اشارة الى الذين تقدم ذكرهم فى الاية الأولى، و الكاف فى «أولئک» حرف الخطاب، مثل الكاف فى قولهم أنا ذاک، و لهذا لم يجز تأكيده و لا البدل منه، و لو كان اسماً لجاز: أولئک نفسک، و أولاء مبنى على الكسر، و إنما بنى لتضمنه معنى الاشارة الى المعرفة لأن أصله أن يتعرف بعلامة، إذ لم يوضع للشىء بعينه، كما وضع زيد و عمرو، و بنى على الحركة لالتقاء الساكنين، و بنى على الكسر لأنها فى الأصل فى حركة التقاء الساكنين إذا كثر ذلک فى الفعل لما يدركه من الجزم فاستحق الكسر لأنه لما يدخله فى حال الاعراب و (هؤلاء) لما قرب و (أولئک) لما بعد، كما تقول فى (هذا) و (ذاک) لأن ما بعد يقتضى التعريف بالخطاب و ما قرب يكفى فيه التنبيه. اخبر اللّه تعالى أن الذين تقدم وصفهم فى الاية الاولى مستقرهم النار جزاء بما كانوا يكسبون من المعاصى.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ (9)

لما ذكر اللَّه تعالى الكفار و ما يستحقونه من المصير الى النار فى الآيات الأول ذكر فى هذه «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» يعنى صدقوا باللَّه و رسوله، و اعترفوا بهما و أضافوا الى ذلك الاعمال الصالحات «يهديهم» اللَّه تعالى جزاء بايمانهم الى الجنة «تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ» يعنى البساتين التى تجرى تحت أشجارها الأنهار التى فيها النعيم يعنى أنواع اللذات و المنافع يتنعمون فيها. و معنى «تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 343
الْأَنْهارُ»
تجرى بين أيديهم، و هم يرونها من عل، كما قال تعالى «قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا» «1» و معلوم انه لم يجعل السرى تحتها و هى قاعدة عليه، لان السرى هو الجدول، و إنما أراد أنه جعل بين يديها. و قال حاكياً عن فرعون «أَ لَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَ هذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى» «2» و قيل من تحت بساتينهم و أسرتهم و قصورهم- فى قول أبى على. و معنى الهدى- هنا- الإرشاد الى طريق الجنة ثواباً على أعمالهم الصالحة، ألا ترى انه قال «يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ» يعنى جزاء على إيمانهم، و ذلك لا يليق إلا بما قلناه. و يحتمل أن يكون وصفهم بالهداية على وجه المدح جزاء على إيمانهم باللَّه تعالى.

دَعْواهُمْ فِيها سُبْحانَکَ اللَّهُمَّ وَ تَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (10)
معنى «دَعْواهُمْ فِيها» ان دعاء المؤمنين للَّه فى الجنة، و ذكرهم له فيها هو ان يقولوا «سُبْحانَکَ اللَّهُمَّ» و يقولون ذلک و لهم فيها لذة لا على وجه العبادة، لأنه ليس هناک تكليف. و قيل: إنه إذا مرّ بهم الطير يشتهونه قالوا «سُبْحانَکَ اللَّهُمَّ» فيؤتون به، فإذا نالوا منه شهوتهم قالوا «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» هذا قول ابن جريح. و قال الحسن: آخر كلام يجرى لهم فى كل وقت «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» لا أنه ينقطع. و الدعوى قول يدعى به الى أمر، و معنى «سُبْحانَکَ اللَّهُمَّ» ننزهک يا اللَّه من كل ما لا يليق بک و لا يجوز من صفاتک من تشبيه أو فعل قبيح. و قيل
معناه براءة اللَّه من السوء فيما يروى عن النبى صلى الله عليه و آله
و قال الشاعر:

---

(1) سورة 19 مريم آية 23
(2) سورة 43 الزخرف آية 51
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 344
أقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر «1»
أى براءة منه. و التحية التكرمة بالحال الجليلة، و لذلک يسمون الملک التحية، قال عمرو بن معد يكرب:
ازور بها أبو قابوس حتى أنيخ على تحيته بجند «2»
و قال زهير بن خباب الكلبى:
من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحية «3»
و هو مأخوذ من قولهم أحياک اللَّه حياة طيبة. و المعنى تحية بعضهم لبعض سلام اى سلمت و امنت مما ابتلى به اهل النار. و (أن) فى الآية هى المخففة من الثقيلة و جاز ان لا تعمل لخروجها بالتخفيف عن شبه الفعل، كما قال الشاعر:
فى فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالک كل من يحفى و ينتعل «4»
و الميم فى اللهم بمعنى (يا) كأنه قال يا اللَّه، و لم يجعل فى موضع (يا) لئلا يكون كحروف النداء التى تجرى فى كل اسم.

وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ (11)

قرا ابن عامر و يعقوب «لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ» بفتح القاف. الباقون بضمها على ما لم يسم فاعله. قال ابو علي الفارسي: اللام فى قوله «لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ» جواب (لو) فى قوله «وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ» و المعنى «وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ» دعاء

---

(1) مر هذا البيت فى 1/ 134 و 3/ 81 و 5/ 241

(2، 3) تفسير الطبرى 11/ 58

(4) حاشية الصبان 1/ 290

«الشَّرَّ» اى ما يدعون به من الشر على أنفسهم فى حال ضجر و بطر «اسْتِعْجالَهُمْ» إياه بدعاء «الخير» فأضاف المصدر الى المفعول به و حذف الفاعل كقوله دعاء الخير، و حذف ضمير الفاعل، و التقدير «وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ» استعجالا مثل «اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ» قال ابو عبيدة: معناه الفراغ من أجلهم و مدتهم المضروبة للحياة، فهلكوا، و هو قريب من قوله «وَ يَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا» «1». و قيل للميت مقضى كأنه قضى إذا مات و قضى فعل، التقدير استوفى أجله، قال ذو الرمة:

إذا الشخص فيها هزه الآل أغمضت عليه كاغماض المقضى هجولها «2»

و المعنى أغمضت هجول هذه البلاد على الشخص الذى فيها، فلم ير لقربه كاغماض المقضى، و هو الميت. فأما قوله «لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ» و بما يتعلق هذا الجار، فانه لما كان معنى قضى معنى (فرغ) و كان قولك (فرغ) قد يتعدى بهذا الحرف و فى التنزيل «سَنَفْرُغُ لَكُمْ» «3» فانه يمكن أن يكون الفعل يتعدى باللام كما يتعدى ب (الى) كما ان اوحى فى قوله «وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِ» قد تعدى ب (الى) و فى قوله «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها» «4» تعدّى باللام، فلما كان معنى قضى فرغ، و فرغ تعلق بها (الى) كذلك تعلق بقضى. و وجه قراءة ابن عامر و اسناده الفعل الى الفاعل، لأن الذكر قد تقدم فى قوله «وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ» فقال (لقضى) اللّه- على هذا- و قوى ذلك بقوله «ثُمَّ قَضى أَجَلًا وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ» «5» فقوله «قَضى أَجَلًا» اضافه الى الفاعل فكذلك فى هذه الآية. و قوله «وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ» يعنى أجل البعث بدلالة قوله «ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ» «6» أى تشكون فى البعث.

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 11
(2) اللسان «غمض» الآل ما أشرف من البعير و معنى البيت أن الإبل مسرعة.
(3) سورة 55 الرحمن آية 31
(4) سورة 99 الزلزال آية 5
(5، 6) سورة 6 الانعام آية 2 [.....]

و من ضم القاف و بنى الفعل للمفعول، فلأنه فى المعنى مثل قول من بنى الفعل للفاعل.
أخبر اللَّه تعالى فى هذه الاية انه لو عجل للخلق الشر، و التعجيل تقديم الشىء قبل حينه. و قد يكون تقديم الشىء فى المكان، فلا يكون تعجيلا. و الفرق بين التعجيل و الاسراع ان التعجيل بالشىء عمله قبل وقته الذى هو أولى به. و الاسراع عمله فى وقته الذى هو أحق به، و ضده الإبطاء. و الشر ظهور ما فيه الضرر. و أصله الاظهار من قولهم: شررت الثوب إذا أظهرته الشمس، و منه شرر النار لظهوره و انتشاره. و قوله «لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ» قيل: إن معناه لأميتوا كأنه قيل لقطع أجلهم و فرغ منه قال ابو ذؤيب:
و عليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع «1»
و قال الحسين بن على المغربى: معناه ردّ قطع أجلهم اليهم لكون السبب فيه دعاؤهم. و قوله «اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ» نصب استعجالهم على المصدر و تقديره و لو يعجل اللَّه للناس تعجيله استعجالهم بالخير إذا دعوا. و قيل فى معناه قولان أحدهما- قال مجاهد و قتادة: و هو كقول الرجل لولده و ماله فى حال غضبه: اللهم لا تبارک فيه و العنه. و قال الحسن: هو كقوله «وَ يَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ» «2» و قال الجبائى: معناه إنهم يطلبون الخير قبل حينه، و سبيله فى أنه لا ينبغى أن يكون كسبيل الشر من الإهلاک بالعقاب قبل حينه لما فيه من الاقتطاع عن التوبة و اللطف.
و قوله «فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا» معناه نترک الذين لا يخافون لقاءنا أو لا يطمعون فيه بمعنى أنهم لا يخافون عقاب معاصينا، و لا يطمعون فى ثواب طاعتنا «فِى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ» فالطغيان الغلو فى ظلم العباد و الطاغى و الباغى نظائر. و (العمه) شدة الحيرة، و تقديره نتركهم و هم يترددون فى ضلالتهم، لا أنه يريد منهم العمه

---

(1) مجاز القرآن 1/ 275 و قد مر فى 1/ 429 و 4/ 88، 165
(2) سورة 17 الاسراء آية 11.

فى الطغيان، لأنه إنما يتركهم ليتوبوا من ذلک و يؤمنوا لكنه بين أنه لا

يعاجلهم بالعقاب فى الدنيا، و هم مع ذلک لا يرعوون بل يترددون فى الطغيان. و قيل المعنى نتركهم فى الاخرة يتحيرون فى جزاء طغيانهم.

وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (12)
اخبر اللّه تعالى فى هذه الاية عن قلة صبر الإنسان، إذا ناله الضر دعا ربه على سائر حالاته التى يصيبه ذلک عليها، سواء كان قائما أو قاعداً إذا أطاقه، أو على جنبه من شدة المرض فيجتهد فى الدعاء لأن يهب اللّه له العافية. و ليس غرضه بذلک نيل الثواب للآخرة. و انما غرضه زوال ما هو فيه من الآلام، فإذا كشف اللّه عنه ذلک الضرر، و وهب له العافية، مرّ معرضاً عن شكر ما وهبه له من نعمة و عافية فلا يتذكر ما كان فيه من الآلام، و صار فى الاعراض عن ذلک بمنزلة من لم يدع اللّه كشف ألمه و لا سأله ازالة الضرر عنه الذى كان به. و قوله «كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» قال ابو على الجبائى: الشياطين الذين دعوا المسرفين الى المعاصى و أغووهم بها و بترک شكر نعم اللّه زينوا لهؤلاء المسرفين ما كانوا يعملونه من المعاصى و الاعراض عن ذكر نعمه و أداء شكره. و الغرض بذلک انه ينبغى لمن وهب اللّه له العافية بعد المرض ان يتذكر حسن صنع اللّه اليه و جزيل نعمه عليه، فيشكره على ذلک و يسأله ادامة ذلک عليه. و نبه بذلک على انه يجب عليه الصبر عند المرض و ترک الجزع عند احتساب الأجر و طلب الثواب فى الصبر على ذلک، و أن يعلم أن اللّه محسن اليه بذلک، و ليس بظالم له. و قال الحسن التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 348
التزيين هو التحسين من الشيطان و الغواة. و قال غيره هو التحبيب بالشهوة لتحبيب المشتهى. و قوله «أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً» نصب على الحال. و قوله «كأنه» هى المخففة عن الثقيلة، و تقديره كأنه لم يدعنا، و مثله قول الخنساء:
كأن لم يكونوا حمى متقى إذ الناس إذ ذاک من عزّ بزّ «1»
اى كأنهم. و قوله «مَرَّ كَأَنْ لَمْ» اى استمر على طريقته الأولى كأنه لم يدعنا و لم يسألنا ذلک. و موضع الكاف نصب على أنه مفعول ما لم يسم فاعله و المعنى زين للمسرفين عملهم «كذلک» أى مثل ذلک.

وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (13)

أقسم اللّه تعالى فى هذه الاية أنه أهلك من كان قبل هذه الأمة من القرون، و هو جمع قرن. و سمى أهل كل عصر قرناً لمقارنة بعضهم لبعض. و القرن هو المقاوم لقرينه فى الشدة، و يعنى بذلك الذين كذبوا رسل اللّه الذين بعثهم اللّه اليهم فكفروا بذلك بربهم و ظلموا أنفسهم، فأهلكهم اللّه بأنواع العذاب و فنون الاستئصال كما أهلك قوم لوط و قوم موسى و غيرهم، و بين بقوله «وَ ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا» ان هذه الأمم التى أهلكهم لم يكونوا مؤمنين و لو أبقاهم اللّه لم يؤمنوا بالرسل الذين أتوهم و الكتب التى جاءوهم بها، و لما كان ذلك المعلوم من حالهم استحقوا من اللّه تعالى العذاب فأهلكهم.

و قوله «كَذلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ» اى نعاقب مثل عقوبة هؤلاء المجرمين إذا استحقوا أو كانوا ممن لا يؤمن و لا يصلح. و جعل ابو على الجبائى ذلك دليلا

---

(1) ديوانها أنيس الجلساء 144

على ان تبقية الكافر إذا علم من حاله أنه يؤمن فيما بعد واجبة.

ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِی الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ کَیْفَ تَعْمَلُونَ (14)
بین اللَّه تعالی بهذه الایة أنه إنما جعل المخاطبین بهذا الخطاب بعد إهلاک من أهلک و تکلیفه إیاهم بطاعته و تصدیق رسله مثل ما کان کلفهم «لِنَنْظُرَ کَیْفَ تَعْمَلُونَ» معناه إنکم إن عملتم بالمعاصی مثل ما عمل بها أولئک و کذبتم الرسل و لم ترجعوا عن الکفر أهلککم ببعض العقاب کما أهلک من تقدم. و إن آمنتم أثابکم اللَّه فی الدنیا و الآخرة و رضی عنکم، فجعل قوله «لِنَنْظُرَ کَیْفَ تَعْمَلُونَ» دلالة لهم علی انی أفعل بکم احد هذین: الثواب إن آمنتم و أطعتم، و العذاب إن کفرتم و عصیتم. و استعمل ذلک علی هذا المعنی مجازاً کما یستعمله اهل اللغة علی هذا المعنی، لأنهم لا یعلمون ما یکون من المکلفین و ما یفعل بهم من الثواب و العقاب و هو عالم بذلک. و مثل ذلک یستعمله العرب فیما یعلمه الإنسان یقول القائل لغلامه الذی یأمره: إنی سأعاقبک و أضربک لأنظر کیف صبرک، و أعطیک ما لا لأنظر کیف تعمل، و إن کان عالماً بما یؤل الیه الأمر فی ذلک.
و موضع (کیف) نصب بقوله «تعملون» و إنما قدم لأنه للاستفهام و لا یجوز أن یکون معمولا «لننظر» لأن ما قبل الاستفهام لا یعمل فی الاستفهام و لو قلت لننظر أخیراً یعملون أو شراً؟ کان العامل فی (خیر، و شر) یعملون

وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ ما يُوحى إِلَيَّ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15)

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 350

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه إذا قرأ النبى صلى الله عليه و آله على الكفار آيات اللَّه و كلامه. و (بينات) نصب على الحال. و هى الآيات التى امر فيها عباده بأشياء و نهاهم عن أشياء «قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا» اى لقاء عذاب اللَّه او ما وعدهم به من ثوابه ان أطاعوه «قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا» اى لقاء عذاب اللَّه او ما وعدهم به من ثوابه ان أطاعوه «ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا» الذى تتلوه علينا «أو بدله» فاجعله على خلاف ما تقرأه علينا، و إنما فرق بين قوله «ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ» لان الإتيان بغيره قد يكون معه، و تبديله لا يكون إلا برفعه، و الإتيان بغيره. و انما لم يرجوا ثواب اللَّه و عذابه لأنهم كانوا غير مقرين باللَّه و لا معترفين بنبوة نبيه صلى الله عليه و آله و لا يصدقونه فيما يخبرهم به عن اللَّه و يذكرهم به من البعث و النشور و الحساب و الجزاء. و كان قولهم هذا له على وجه التعنت و التسبب الى الكفر به و تكذيبه، و احتجاجاً عليه بما ليس بحجة لأنه صلى الله عليه و آله كان قد بين لهم ان هذا القرآن ليس من كلامه و انه ليس له تغييره و تبديله، فأرادوا أن يوهموا ان الأمر موقوف على رضاهم به، و ليس يرضون بهذا فيريدون غيره. و قال الزجاج: إنه كان غرضهم إسقاط ما فيه من عيب آلهتهم و تسفيه أحلامهم و من ذكر البعث و النشور، فأمر اللَّه تعالى نبيه أن يقول لهم فى جواب ذلك: ليس لى «أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي» أى من جهة نفسى و من ناحية نفسى كأنه قيل له: قل ليس لى أن أتلقاه بالتبديل كما ليس لى أن أتلقاه بالرد. و التلقاء جهة مقابلة الشىء إلا أنه قد يستعمل ظرفاً فيقال: هو تلقاءه كما يقال: هو حذاه و قبالته و تجاهه.

قوله «إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ» أى ليس لى أن أتبع إلا الذى يوحى إلى

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 351

«إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي» فى اتباع غيره «عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» يعنى يوم القيامة.

و من استدل بهذه الاية على أن نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد أبعد، لأنه إذا نسخ ما يتضمنه القرآن بالسنة، فالسنة لا يقولها النبى صلى الله عليه و آله إلا بوحى من اللَّه.

و ليس بنسخه من قبل نفسه. بل يكون ذلك النسخ مضافاً الى اللَّه. و انما

لا يكون قرآناً لأنه تعالى قد يوحى الى نبيه ما هو قرآن و ما ليس بقرآن، لأن جميع ما بينه النبى صلى الله عليه و آله من الشريعة لم يبينها إلا بوحى من اللّه لقوله «وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحى» «1» و ان كان تفصيل ذلک ليس بموجود فى القرآن فالاستدلال بذلک على ما قالوه بعيد.

قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (16)
حكى عن الحسن انه قرأ «وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ» و قرأ ابو ربيعة و قنبل الا المالكى و العطار «و لأدراكم به» يجعلانها (لاما) ادخلت على (أدراكم) و أمال و أمال (أدراكم) و (ادراك) فى جميع القرآن ابو عمرو و حمزة و الكسائى و خلف و الداحونى عن ابن ذكوان، و الكسائى عن أبى بكر، وافقهم يحيى و العليمى فى هذه السورة.
حكى سيبويه: دريته و دريت به، قال و اكثر الاستعمال التعدى بالباء، يبين ذلك قوله «وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ» و لو كان على اللغة الاخرى لقال و لا ادراكموه، و قالوا: الدرية على وزن (فعلة) كما قالوا الشعرة و الفطنة، و هى مصادر يراد بها ضروب من العلم. فأما الدراية فكالهداية و الدلالة، و كأن الدراية التأنى و التعمل لعلم الشىء و على هذا المعنى ما تصرف من هذه الكلمة، و قالوا: داريت الرجل إذا لا ينته و ختلته

---

(1) سورة 53 النجم آية 3- 4

فعلى هذا لا يوصف اللّه تعالى بالدارى، و اما قول الراجز.
اللهم لا أدرى و انت الدارى فلا يكون حجة فى جواز ذلك لأمرين: أحدهما- انه لما تقدم قوله:
لا أدرى استجاز أن يذكر الدارى بعده، ليزدوج الكلام، كما قال تعالى «فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» «1» و نظائره كثيرة. و الثانى- إن الأعراب ربما ذكروا أشياء امتنع جوازها كما قال:
لو خافك اللّه عليه حرمه «2»
و قال آخر:
اللهم إن كنت الذى بعهدى و لم تغيرک الأمور بعدى
فاما الهمزة على ما حكى عن الحسن، فلا وجه له لأن الدرء الدفع، كما قال «فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ» «3» و قال «فَادَّارَأْتُمْ فِيها» «4» و قوله عليه السلام (ادرأوا الحدود بالشبهات)
قال الفراء: ان كان ما حكى عن الحسن لغة، و إلا يجوز أن يكون الحسن ذهب الى طبعه و فصاحته فذهب الى درأت الحد، و قد يغلط بعض العرب فى الحرف إذا ضارعه آخر فى الهمزة فيهمز ما ليس مهموزاً، سمعت امرأة من غنى تقول: رثأت زوجى بأبيات، و يقولون: لبأت بالحج و حلأت السويق. و كل ذلک غلط، لأن (حلأت) انما هو من دفع الإبل العطاش عن

الماء و «لبأت» من اللباء الذى يؤكل، و «رثأت» من الرثية إذا حلبت الحليب على الرايب، و من أمال فتحة الراء و أمال الالف بعدها، فلان هذه الألف تنقلب ياء فى أدريته، و هما مدريان. و من لم يمل فلأن الأصل عدم الامالة، و لأن كثيراً من الفصحاء لا يميل ذلک.
و معنى قوله «وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ» قال ابن عباس و لا أعلمكم به من (دريت به)

---

(1) سورة 2 البقرة آية 194
(2) قد مر فى 2/ 185
(3) سورة 3 آل عمران آية 168
(4) سورة 2 البقرة آية 72

و أدرانى اللّه به. و معنى الاية الأمر للنبى صلى الله عليه و آله بأن يقول لهؤلاء الكفار لو أراد اللّه ان يمنعهم فائدته ما أعلمهم به، و لا أمر النبى صلى الله عليه و آله بتلاوته عليهم.
و قوله «فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ» معناه لبثت على هذه الصفة لا أتلوه عليكم و لا يعلمكم اللّه به حتى أمرنى به و شاء اعلامكم. و قال قتادة: لبث فى قومه أربعين سنة قبل أن يوحى اليه.
و قوله «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» معناه هلا تتفكرون فيه بعقولكم فتتبينوا بذلک ان هذا القرآن من عند اللّه أنزله تصديقاً لنبيه صلى الله عليه و آله. قال الرمانى: و العقل هو العلم الذى يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب. و الناس يتفاضلون فيه بالأمر المتفاوت فبعضهم أعقل من بعض إذ كان أقدر على الاستدلال من بعض. و معنى ذلک ان يقول لهم قد لبثت فيكم حيناً طويلا و نشأت بين أظهركم و عرفتم منصرفى و منقلبى فلو كان ما أتيت به مخترعاً او كان ما فيه من الاخبار من عند غير اللّه لكنتم عرفتم ذلک إذ فيكم ولدت و نشأت و معكم تصرفت «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» فى التدبير و النظر و الانصاف فتفعلون فعل من يعقل. على انه صلى الله عليه و آله لو كان أخذ ذلک من غيره و خالط أهلها، او لو كان شاعراً، او لو كان يعلم السحر- كما ادعوا- ثم خفى ذلک اجمع عليهم حتى لم يعرفوا الوجه الذى منه أخذ لكان فى ذلک أعظم الحجة. و على ما روى عن قنبل يكون المعنى «لَوْ شاءَ اللّهُ ما تَلَوْتُهُ» يكون نفياً للتلاوة «و لأدراكم» و لأعلمكم ثبوته، و يكون اثباتاً للعلم، و على قراءة الباقين يكون نفياً للأمرين معاً.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (17)

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 354

قوله «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ» ظاهره الاستفهام و المراد به الاستعظام و الاخبار به انه لا احد اظلم ممن اخترع كلاماً او خبراً ثم اضافه الى اللّه و يريد به النبى نفسه لو كان فعل «أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ» يعنيهم «إِنَّهُ لا يُفْلِحُ» اى لا يفوز «المجرمون» و انما قال: لا احد اظلم ممن هذه صفته، لأنه ظلم كفر، و هو أعظم من ظلم ليس بكفر. و التقدير لا أحدا ظلم ممن يظلم ظلم كفر، فعلى هذا من يدعى الربوبية داخل فى هذه الجملة لان ظلمة ظلم كفر، كأنه قيل لا احد اظلم من الكافر، و ليس لاحد ان يقول: المدعى للربوبية اظلم من المدعى للنبوة و هو كاذب. و الكذاب بآيات اللّه ظالم لنفسه بما يدخل عليها من استحقاق العقاب و ظالم لغيره ممن يجوز ان تلحقه المنافع و المضار بتكذيبه إياه ورده عليه، لان من شأنه ان يعمه مثل هذا التكذيب. و (من) فى الآية للاستفهام و هى لا توصل لأنها تضمنت حرف الاستفهام فعوملت معاملته، كما انها إذا كانت بمعنى الجزاء لم توصل لتضمنها معنى (إن) التى هى ام الباب فى الجزاء.

وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِى السَّماواتِ وَ لا فِى الْأَرْضِ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (18)

قرأ اهل الكوفة الا عاصماً «عما تشركون» بالتاء هاهنا و فى النحل فى موضعين و فى الروم. الباقون بالياء. من قرأ بالتاء بناه على ما تقدم من قوله «أَ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ» فلما خاطبهم بذلک وجه اليهم الخطاب بتنزيهه عما يشركون. و من قرأ بالياء بناه على الخبر عن الغائب لأن أول الآية مبنى على ذلک، و هو قوله «وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و كلاهما حسن.

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 355

اخبر اللَّه تعالى على وجه الذم للكفار بأنهم يوجهون عبادتهم الى من هو دون اللَّه من الأصنام و الأوثان التى لا تضر و لا تنفع.

فان قيل: كيف ذمهم على عبادة الوثن الذى لا ينفع و لا يضر مع انه لو نفع و ضر لم تجز عبادته؟! قلنا: لأنه إذا كان من يضر و ينفع قد لا يستحق العبادة إذا لم يقدر على اصول النعم، فمن لا يقدر على النفع و الضر أصلا ابعد من ان يستحق العبادة.

و قوله «وَ يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ» اخبار منه تعالى عن هؤلاء الكفار انهم يقولون انا نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند اللَّه، فتوهموا ان عبادتها أشد فى تعظيم اللَّه من قصده تعالى بالعبادة، فحلت من هذه الجهة محل الشافع عند اللَّه.

و قال الحسن: شفعاء فى صلاح معاشهم فى الدنيا لأنهم لا يقرون بالبعث بدلالة قوله «وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ» و العبادة خضوع بالقلب فى على مراتب الخضوع، فكل طاعة فعلت على هذا الوجه فهى عبادة. و انما قال «وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» مع انهم كانوا يشركون فى عبادة اللَّه لامرين:

أحدهما- ان عابد الوثن خاصة قد أشرک فى استحقاق العبادة.

الثانى- ان من عبد اللَّه و عبد الوثن فقد عبده من دون اخلاص العبادة للَّه.

و قوله «أَ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ» امر منه تعالى لنبيه ان يقول لهم على وجه الإلزام ا تخبرون اللَّه بما لا يعلم من حسن عبادة الأوثان و كونها شافعة لان ذلک لو كان صحيحاً لكان اللَّه به عالماً و لما نفى العلم بذلک نفى المعلوم.

و قوله «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ» تنزيه منه تعالى لنفسه، و تنزيه من ان يعبد معه إله او يتخذ من دونه معبود.

وَ ما كانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيما فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (19)

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 356

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الاية انه لم يكن الناس فيما مضى الا أمة واحدة و الامة الجماعة التى على معنى واحد فى خلق او ما يستمر على عبادته بالظاهر، فعلى هذا الناس أمة و الطير أمة. و المراد- هاهنا- أنها كانت على دين واحد.

و اختلفوا فى الدين الذى كانوا مجتمعين عليه قبل حدوث الاختلاف بينهم على قولين: فقال الحسن كانوا على الشرک كما قال تعالى «كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ» «1» و قال الزجاج: أراد بذلک العرب الذين كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه و آله فإنهم كانوا مشركين، فلما بعث النبى آمن به قوم و كفر به آخرون. و قال الجبائى: انهم كانوا على الإسلام، فى عهد آدم و ولده و أنكر الأول. قال لأن اللَّه تعالى قال «فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً» «2» فلو كانوا كلهم على الكفر لما كان فيهم شهيداً أصلا قال الرمانى: لا يمتنع ان يكون الأمر على ما قال الحسن و يكون المراد التغليب كأن المسلمين كانوا قليلين، فلا يعتد بهم، فيجوز أن يقال فيهم أنهم أمة مشركة كما

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال (ان اللَّه نظر الى اهل الأرض فمقتهم الا بقايا من أهل الكتاب).

و قال مجاهد: فاختلفوا حين قتل ابن آدم أخاه. و الاختلاف هو الذهاب فى الجهتين فصاعداً من الجهات، و حدّ المختلفين ان لا يسد أحدهما مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته كما لا يسد السواد مسد البياض.

و قوله «وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» معناه لو لا كلمة سبقت من ربک من انه لا يعاجل العصاة بالعقوبة انعاماً عليهم فى التأنى بهم «لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» فى اختلافهم بما يضطرهم الى علم المحق من المبطل. و قيل معنى ذلک «لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» اى فصل بينهم بأن أهلک العصاة و أنجى المؤمنين، لكنه أخرهم الى يوم القيامة

---

(1) سورة 2 البقرة آية 213

(2) سورة 4 النساء آية 40

تفضلا منه و زيادة فى الانعام عليهم.

وَ يَقُولُونَ لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّی مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (20)

حكى اللّه تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا: هلا أنزل على محمّد آية و أرادوا بذلک أنه يضطرهم الى المعرفة و لا يحتاجون معها الى النظر و الاستدلال، و لم يطلبوا معجزة يستدل بها على صدقه، لأنه قد كان أتاهم بالمعجزات التى تدل على صدقه فلم يجبهم اللّه الى ما التمسوه، لأن التكليف يمنع من الاضطرار الى المعرفة، لأن الغرض بالتكليف التعريض للثواب. و لو عرفوا اللّه تعالى ضرورة لما استحقوا ثواباً فكان ذلک ينقض غرضهم. و قال ابو على: طلبوا آية سوى القرآن.

و الأصل فى (لو لا) امتناع الثانى لكون الأول كقولک: لو لا زيد لجئتک فخرجت الى معنى التحضيض بأنه ليس ينبغى ان يمتنع ذا لكون غيره.

قوله «فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ» معناه إن ما لا تعرفونه و لا نصب لكم عليه دليل يجب أن تسلموا علمه الى اللّه، لأنه العالم بالخفيات و ما يكون فى المستقبل، فلأجل ذلک لا يفعل الآية التى اقترحتموها فى هذا الوقت لما فى ذلک من حسن التدبير و وجه المصلحة. و الغيب خفاء الشىء عن علم العباد، و اللّه تعالى عالم الغيب و الشهادة لأنه عالم لنفسه يعلم الأشياء قبل كونها و بعد كونها لا يخفى عليه خافية.

و قوله «فَانْتَظِرُوا» معناه انتظروا ما وعدكم اللّه من نصر المؤمنين و قهر الكافرين و انزال الذل و العقاب بهم إن أقاموا على كفرهم ف «إِنِّی مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ» لذلک.

وَ إِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذا لَهُمْ مَكْرٌ فِی آیاتِنا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنا یَكْتُبُونَ ما تَمْكُرُونَ (21)

روی روح «یمكرون» بالیاء. الباقون بالتاء.

أخبر اللّه تعالى بأنه إذا أذاق الناس یعنی الكافرین «رحمة» بأن أنعم علیهم و أوسع أرزاقهم و أخصب أسعارهم «مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ» یعنی بعد شدة كانوا فیها من جدب و ضیق نالتهم «مكروا فی آیاتنا» فجواب (إذا) الأولى فی (إذا) الثانیة و إنما جعلوا (إذا) جواباً إذا كانت بمعنى الجملة علی ما فیها من المفاجأة، كما قال تعالى «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَیِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ إِذا هُمْ یَقْنَطُونَ» «1». و حقیقة الذوق تناول ما له طعم بالفم لیوجد طعمه. و انما قال: اذقناهم الرحمة على طریق البلاغة لشدة إدراك الحاسة. و المكر فتل الشیء الى غیر وجهه على طریق الحیلة فیه، فهؤلاء محتالون لدفع آیات اللّه بكل ما یجدون السبیل الیه من شبهة او تخلیط فی مناظرة أو غیر ذلك من الأمور الفاسدة. و قال مجاهد: مكرهم استهزاؤهم و تكذیبهم.

فقال اللّه لنبیه صلى الله علیه و آله «قُلِ» لهم «اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً» یعنی اقدر جزاء على المكر، و ذلك أنهم: جعلوا جزاء النعمة المكر مكان الشكر، فقوبلوا بما هو أشد. و السرعة عمل الشیء فی وقته الذی هو أحق به، و المعنى: إن ما یأتیهم من العقاب اسرع مما أتوه من المكر ای وقع فی حقه. و قوله «إِنَّ رُسُلَنا یَكْتُبُونَ ما تَمْكُرُونَ» إخبار منه تعالى أن ملائكة اللّه الموكلین بهم یكتبون ما یمكرون من كفرهم و تكذیبهم، ففی ذلك غایة الزجر و التهدید على ما یفعلونه من المكر و الحیل فی امر النبی صلى الله علیه و آله

---

(1) سورة 30 الروم آیة 36

و قیل انما سمی جزاء المكر مكراً، لأنهم إذا نالهم العذاب على مكرهم بحیث لا یحتسبونه و لا یتوقعونه فكأنه مكربهم.

هُوَ الَّذِی یُسَیِّرُکُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتَّی إِذا کُنْتُمْ فِی الْفُلْکِ وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِها جاءَتْها رِیحٌ عاصِفٌ وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ کُلِّ مَکانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِیطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ لَئِنْ أَنْجَیْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَکُونَنَّ مِنَ الشَّاکِرِینَ (22)

قرأ ابن عامر و ابو جعفر «ینشرکم» بالنون و الشین من النشر. الباقون بالیاء و السین و تشدید الیاء من التسییر. قال ابو علی: حجة ابن عامر أن (ینشرکم) مثل قوله «وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا کَثِیراً وَ نِساءً» «1» فالبث تفریق و نشر. و حجة الباقین قوله «قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ» «2» «فَامْشُوا فِی مَناکِبِها» «3» فالمعنیان متقاربان.

امتن اللَّه علی خلقه فی هذه الآیة و عدد نعمه التی یفعلها بهم فی کل حال، فقال «هُوَ الَّذِی یُسَیِّرُکُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» و تسییره إیاهم اما فی البحر، فلأنه بالریح و اللَّه المحرک لها دون غیره، فلذلک نسبه الی نفسه، و اما فی البر فلأنه کائن باقداره و تمکینه و تسبیبه، فلذلک نسبه الی نفسه. و التسییر التحریک فی جهة تمتد کالسیر الممدود، و البر الأرض الواسعة التی تقطع من بلد الی بلد، و منه البرّ لاتساع الخیر به

---

(1) سورة 4 النساء آیة 1

(2) سورة 6 الانعام آیة 11 و سورة 27 النمل آیة 69 و سورة 29 العنکبوت آیة 20 و سورة 30 الروم آیة 42

(3) سورة 67 الملک آیة 15 [.....]

و البحر مستقر الماء الواسع حتی لا یری من وسطه حافتاه و جمعه أبحر و بحور، و یشبه به الجواد، فیقال انما هو بحر لاتساع عطائه. و قوله «حَتَّی إِذا کُنْتُمْ فِی الْفُلْکِ» خص الخطاب براکبی البحر. و الفلک السفن، و سمیت فلکا لدورانها فی الماء، و أصله الدور، و منه فلکة المغزل، و الفلک الذی تدور فیه النجوم. و تفلک ثدی الجاریة إذا استدار. و الفلک- هاهنا- جمع، و قد یکون واحداً. کقوله «فِی الْفُلْکِ الْمَشْحُونِ» «1» و قوله «وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَةٍ» عدل عن الخطاب الی الاخبار عن الغائب تصرفاً فی الکلام مع انه خطاب لمن کان فی تلک الحال و إخبار لغیره من الناس، قال لبید:

باتت تشکی الی النفس مجهشة و قد حملتک سبعاً بعد سبعینا «2»

و قوله «وَ فَرِحُوا بِها» یعنی بالریح الطیبة «جاءَتْها رِیحٌ عاصِفٌ» یعنی ریحاً شدیدة یقولون: عصفت الریح فهی عاصف و عاصفة، و منهم من یقول: أعصفت فهی معصف و معصفة. و الریح مؤنثة، و انما قال عاصف، لأنه لا

يوصف بذلک غير الريح فجرى مجرى قولهم امرأة حائض، قال الشاعر:
حتى إذا عصفت ريح مزعزعة فيها قطار و رعد صوته زجل «3»
و قوله «وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ» معناه جاء راكبى الفلک الأمواج العظيمة الهائلة من جميع الوجوه. «وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ» أى ظنوا انهم هالكون لما أحاط بهم من الأمواج «دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» اى عند هذه الشدائد و الأهوال و التجئوا الى اللّه و دعوه على وجه الإخلاص، و لم يذكروا الأوثان و الأصنام لعلمهم بأنها لا تنفع هاهنا شيئاً و قالوا «لَئِنْ أَنْجَيْتَنا» يا رب من هذه الشدة «لنكونن» من جملة من يشكرک لنعمک، و يقوم بآدابها. و يقال لمن اشرف على الهلاک أحيط

---

(1) سورة 36 يس آية 41 و سورة 26 الشعراء آية 119
(2) مر تخريجه فى 1/ 35، 472.
(3) تفسير الطبرى «الطبعة الاولى» 11/ 63

به، و منه قوله «وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ» «1» أى أهلكت.

فَلَمَّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23)

قرأ حفص «مَتاعَ الْحَياةِ» بنصب العين. الباقون بالرفع من رفع يحتمل أمرين: أحدهما- ان يكون رفعاً بأنه خبر المبتدأ و المبتدأ قوله «بغيكم» الثانى- ان يكون بغيكم مبتدأ، و قوله «عَلى أَنْفُسِكُمْ» خبره. و رفع متاع على تقدير ذلک متاع الحياة الدنيا. و من نصب فعلى المصدر. قال أبو على الفارسى «على أنفسكم» يحتمل أن يكون متعلقاً بالمصدر، لأن فعله متعد بهذا الحرف كما قال «بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ» «2» و قال «ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ» «3» فإذا جعلت الجار من صلة المصدر كان الخبر متاع الحياة الدنيا، و المعنى بغى بعضكم على بعض متاعاً فى الحياة الدنيا. و يجوز ان تجعله متعلقاً بمحذوف، و لا تجعله من صلة المصدر، و فيه ذكر يعود الى المصدر. و التقدير انما بغى بعضكم على بعض عائد على أنفسكم، فعلى هذا يتعلق بالمحذوف دون المصدر المبتدأ و هو فى المعنى كقوله «وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» «4» و قوله «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ» «5» فإذا رفعت متاع الحياة على هذا كان خبر مبتدأ محذوف كأنک قلت: ذاک متاع الحياة الدنيا أو هو متاع. و من نصب احتمل وجهين:

---

(1) سورة 18 الكهف آية 43
(2) سورة 38 ص آية 22
(3) سورة 22 الحج آية 60
(4) سورة 35 فاطر آية 43
(5) سورة 48 الفتح آية 10

أحدهما- ان يجعل من صلة المصدر، فيكون الناصب للمتاع هو المصدر الذى هو البغى، و يكون خبر المبتدأ محذوفاً، و حسن ذلک لطول الكلام، لأن بغيكم يدل على تبغون. و الآخر- ان يجعل على أنفسكم خبر المبتدأ، و يكون نصب متاع على أحد وجهين: أحدهما- بمتعون متاع الحياة فيدل انتصاب المصدر عليه. و الآخر- ان يضمر تبغون كأنه قال تبغون متاعاً، فيكون مفعولا له.

و لا يجوز أن يتعلق بالمصدر إذا جعلت (على) خبراً، لقوله إنما بغيكم على أنفسكم، لفصلک بين الصلة و الموصول.

اخبر اللّه تعالى فى هذه الاية عن هؤلاء الكفار الذين إذا رأوا الأهوال و

الشدائد فی الفلک فی البحر فزعوا الی اللّه و دعوه مخلصین له الدین، و قالوا متی أنجیتنا من هذه «لَنَکُونَنَّ مِنَ الشَّاکِرِینَ» أنه إذا أنجاهم و خلصهم من تلک الشدائد عادوا الی البغی و هو الاستعلاء بالظلم. و اصل البغی الطلب. تقول بغاه یبغیه إذا طلبه. و البغیة الطلبة، و النجاة التخلص من الهلاک. و التخلیص من الاختلاط لا یسمی نجاة. و معنی «لما» إیجاب وقوع الثانی بالأول کقولک: لما قام قمت، و لما جاء زید قام عمرو. و الحق وضع الشیء فی موضعه علی ما یدعو العقل الیه، و الحق و الحسن معناهما واحد. و قوله «یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْیُکُمْ عَلی أَنْفُسِکُمْ» خطاب من اللّه تعالی للخلق بأن بغیکم علی أنفسکم من حیث ان عقابه یلحقکم دون غیرکم «مَتاعَ الْحَیاةِ الدُّنْیا» معناه إنکم تطلبون بالبغی بغیر الحق التمتع فی الحیاة الدنیا. ثم بعد ذلک ترجعون الی اللّه بعد موتکم فیجازیکم بأعمالکم بعد أن یعلمکم ما عملتموه و ما استحققتم به من انواع العقاب. و قال مقاتل: معنی «یَبْغُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ» یعبدون غیر اللّه. و قال غیره: معناه کلما أنعمنا علیهم بغوا للدین و أهله الغوائل.

إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعامُ حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَ ازَّيَّنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24)

المثل قول سائر يشبه به حال الثانى بالأول. و قيل «مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا» صفة الحياة الدنيا. و قيل فى المشبه و المشبه به فى الآية ثلاثة اقوال:

أحدها- قال الجبائى: إنه تعالى شبه الحياة الدنيا بالنبات على ما وصفه اللَّه تعالى فى الاغترار به و المصير الى الزوال كالنبات الذى يصير الى مثل ذلك.

الثانى- انه شبه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع ثم الانقطاع.

الثالث- إنه شبه الحياة الدنيا بحياة مقدرة على هذه الأوصاف، لما يقتضيه «وَ ظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها» أى علموا الانتفاع بها.

و قوله «فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ» فالاختلاط تداخل الأشياء بعضها فى بعض فربما كان على صفة مدح، و ربما كان على صفة ذم. و قوله «حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها» فالزخرف حسن الألوان كالزهر الذى يروق البصر، و منه قيل زخرفت الجنة لأهلها و قوله «وَ ظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها» معناه ظنوا أنهم قادرون على استصحاب تلك الحال منها- جعلها على غير شىء منها، لأن القادر عليهم و عليها أهلكها. و قوله «و ازينت» أصله تزينت فأدغمت التاء فى الزاى و أجلبت الهمزة لإمكان النطق بها. و قرأ الأعرج و غيره «و ازينت» على وزن التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 364
(افعلت) و الأول أجود لأن عليه القراء. و قوله «كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ» معناه كأن لم تقم على تلك الصفة فيما قبل، يقال: غنى بالمكان إذا أقام به و المغانى المنازل، قال النابغة:

غنيت بذلك إذ هم لك جيرة منها بعطف رسالة و تودد

و قوله «كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» معناه مثل ذلك نميز الآيات و نبينها لقوم يفكرون فيها و يعتبرون بها، لأن من لا يفكر فيها و لا يعتبر بها كأنها لم تفصل له، فلذلك خصصهم بالذكر.

وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ وَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (25)
أخبر اللّه تعالى بأنه الذى يدعو عباده الى دار السلام. و الدعاء طلب الفعل بما يقع لأجله، و الداعى الى الفعل خلاف الصارف عنه. و قد يدعو اليه باستحقاق المدح عليه. و الفرق بين الدعاء و الأمر أن فى الأمر ترغيباً فى الفعل، و زجراً عن تركه، و له صيغة تنبئ عنه، و ليس كذلك الدعاء، و كلاهما طلب. و ايضاً الأمر يقتضى أن يكون المأمور دون الآمر فى الرتبة. و الدعاء يقتضى أن يكون فوقه.
و فى معنى دار السلام قولان: أحدهما- قال الحسن: السلام هو اللّه. و داره الجنة. و به قال قتادة. الثانى- قال الجبائى و الزجاج: معناه دار السلامة.
و قوله «وَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» قيل فى الهداية هاهنا ثلاثة اقوال:
أحدها- يفعل الألطاف التى تدعوهم الى طريق الحق لمن كان المعلوم أن له لطفاً.
الثانى- الأخذ بهم فى الآخرة الى طريق الجنة. الثالث- قال ابو على: يريد به نصب الأدلة لجميع المكلفين دون الأطفال و المجانين. و الاستقامة المرور

تؤدى الى البغية، فالادلة طرق الى العلم على الاستقامة لأنها تؤدى اليه.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ وَ لا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَ لا ذِلَّةٌ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (26)
أخبر اللّه تعالى بأن للذين يفعلون الحسن من الطاعات التى أمرهم اللّه بها جزاء على ذلک «الحسنى» و هى الجنة و لذاتها. و قيل: جامعة المحاسن من السرور و اللذات على أفضل ما يكون و هى تأنيث الأحسن. و قوله «و زيادة» معناه إن لهم زيادة التفضل على قدر المستحق على طاعاتهم من الثواب، و هى المضاعفة المذكورة فى قوله «فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» «1» ذهب اليه ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة و علقمة ابن قيس و
قال ابو جعفر عليه السلام «وَ زِيادَةٌ» معناه ما أعطاهم اللّه فى الدنيا لا يحاسبهم به فى الآخرة.
و قوله «وَ لا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَ لا ذِلَّةٌ» فالرهق لحاق الأمر، و منه راهق الغلام إذا لحق حال الرجال، و رهقه فى الحرب إذا أدركه. و (الرهاق) الاعجال. و (القتر) الغبار. و القترة الغبرة. و منه الإقتار فى النفقة لقلته، قال الشاعر:
متوّج برداء الملک يتبعه موج ترى فوقه الرايات و القترا «2»
و الذلة صغر النفس بالاهانه. و الذلة نقيض العزة. و قد يكون صغر النفس بضيق المقدرة. و قوله «أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» اخبار منه تعالى بأن الذين وصفهم الملازمون للجنة على وجه الخلود و النعيم فيها و لا زوال لذلک عنهم.

---

(1) سورة 6 الانعام آية 160
(2) قائله الفرزدق ديوانه 290 و تفسير الطبرى 11/ 69 و تفسير القرطبى 8/ 311 و اللسان «قتر». و رواية الديوان «متعصب» بدل «متوج»

وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (27)

لما وصف اللَّه تعالى المطيعين، و ما لهم من الثواب الجزيل فى الجنة و الخلود فيها، ذكر حكم العصاة الذين يرتكبون السيئات و يكسبونها و أن لهم جزاء كل سيئة مثلها يعنى قدر ما يستحق عليها من غير زيادة، لأن الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم، و ليس كذلك الزيادة على قدر المستحق من الثواب، لأن ذلك تفضل يحسن فعله ابتداء. فالمثل- فى الآية- المراد به مقدار المستحق من غير زيادة و لا نقصان. و الكسب فعل يجتلب به نفع او يدفع به ضرر، و قد يكتسب الإنسان الحسنة و السيئة، و لهذا لا يوصف اللَّه تعالى بالكسب. و قوله «وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» اى يلحقهم هو ان فى أنفسهم. و «ما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ» أى ما لهم مانع من عقاب اللَّه. و فى رفع (جزاء) فى الآية وجهان: أحدهما- ان تقديره فلهم جزاء سيئة بمثلها ليشاكل «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا». و الآخر- ان يكون الخبر بمثلها و الباء زيادة كزيادتها فى قولك ليس زيد بقائم. و قوله «كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً» شبه سواد وجوههم بقطع من الليل المظلم و انما ذكّر و وحّد مظلَم لاحد أمرين: أحدهما- ان يكون حالا من الليل. و الثانى- على قول الشاعر:

لو أن مدحة حيّ تنشرن أحداً أحيا أبا كرّ يا ليلى الأماديح

و (القطع) قرأه بتسكين الطاء ابن كثير و الكسائى. الباقون بالتحريك،

و هما لغتان. و قوله «أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» اخبار منه تعالى بأن من وصفهم ملازمون للنار خالدون فيها غير زائل عنهم عذابها. قال ابو عبيدة «قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ» و هو بعض الليل تقول أتيته لقطع من الليل اى ساعة من الليل، و قطع و أقطاع. و قال ابو على: القطع الجزء من الليل الذى فيه ظلمة. فأما قوله «مُظْلِماً» إذا أجريته على (قطع) فيحتمل نصبه وجهين: أحدهما- ان يكون صفة من القطع و هو احسن، لأنه على قياس قوله «وَ هذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ» «1» وصف الكتاب بالمفرد بعد ما وصفه بالجملة و أجراه على النكرة. و الثانى- يجوز أن يكون حالا من الذكر الذى فى الظرف. و من قرأ «قطعاً» لم يكن مظلماً صفة ل (قطع) و لا حالا من الذكر الذى فى قوله «من الليل» و لكن يكون حالا من الليل المظلم فلما حذف الألف و اللام نصب على الحال.

وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكانَكُمْ أَنْتُمْ وَ شُرَكاؤُكُمْ فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ وَ قالَ شُرَكاؤُهُمْ ما كُنْتُمْ إِيَّانا تَعْبُدُونَ (28)
اخبر تعالى فى هذه الآية أنه يوم يحشر الخلائق أجمعين. و الحشر هو الجمع من كل أوب الى الموقف، و إنما يقومون من قبورهم الى ارض الموقف «ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا» يعنى من أشرك مع اللّه فى عبادته غيره، و المشرك بالإطلاق لا يقال إلا فيمن أشرك فى العبادة، لأنها صفة ذم مثل كافر و ظالم. و قوله «مكانكم» معناه انتظروا مكانكم. «جميعاً» نصب على الحال و (مكانكم) نصب على الامر كأنه قال انتظروا مكانكم حتى نفصل بينكم. و يقول المتوعد لغيره: مكانك

---

(1) سورة 6 الانعام آية 92، 155

فانتظر، يستعمل ذلك فى الوعيد. و قوله «أَنْتُمْ وَ شُرَكاؤُكُمْ» يعنى انتظروا أنتم مع شركائكم الذين عبدتموهم من دون اللّه. و قوله «فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ» مأخوذ من قولهم زلت الشىء عن مكانه أزيله- و زيلنا للكثرة من هذا- إذا نحيته عن مكانه و زايلت فلاناً إذا فارقته. و قال القتيبى: و هو مأخوذ من زال يزول، و هو غلط و خلاف لقول جميع المفسرين و أهل اللغة. و التزييل التفريق. و المعنى فرقنا بين المشركين باللّه و ما أشركوا به.
و قوله «وَ قالَ شُرَكاؤُهُمْ ما كُنْتُمْ إِيَّانا تَعْبُدُونَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال مجاهد: انه ينطق الأوثان يوم القيامة فيقولوا: ما كنا نشعر بأنكم إيانا تعبدون. و الثانى- ان ذلك قول من كانوا يعبدونهم من الشياطين. و فى كيفية جحدهم لذلك قولان: أحدهما- انهم يقولون ذلك على وجه الاهانة بالرد عليهم. و المعنى ما اعتذرنا بذلك لكم. و الآخر- انه فى حال دهش ككذب الصبى. و قال الجبائى: يريد انكم لم تعبدونا بأمرنا و دعائنا و لم يرد انهم لم يعبدوها أصلا، لأن ذلك كذب و هو لا يقع فى الآخرة لكونهم ملجئين الى ترك القبيح. و هذه الاية نظيرة قوله «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» «1» و كان مجاهد يقول: الحشر هاهنا هو الموت. و الأول اولى.

فَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ (29)
هذا اخبار من اللّه تعالى عن شركاء المشركين من الآلهة و الأوثان يوم القيامة حين قال المشركون إنا إنما إياكم كنا نعبد، و أنهم يجحدون ذلک و يقولون:

---

(1) سورة 2 البقرة آية 166

حسبنا اللّه شاهداً بيننا و بينكم أيها المشركون بأنه تعالى عالم أنا ما علمنا ما تقولون، و أنا كنا عن عبادتكم إيانا غافلين، لا نشعر به و لا نعلمه. و إنما قال «شَهِيداً بَيْنَنا» و لم يقل علينا، لأنه إذا قال بيننا فمعناه لنا و علينا، فهو أعم و أحسن. و نصب (شهيدا) على التمييز، و تقديره و كفى باللّه من الشهداء. و قال الزجاج: نصب على الحال و تقديره كفى باللّه في حال الشهادة. و قوله «إن كنا» فهذه (إن) المخففة عن الثقيلة بدلالة دخول اللام في الخبر للفرق بين (إن) الجحد و (إن) المؤكدة. و قال الزجاج: هي بمعنى (ما) و معناه ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين.

هُنالِکَ تَبْلُوا کُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما کانُوا یَفْتَرُونَ (30)

قرأ اهل الکوفة الا عاصما (تتلوا) بالتاء من التلاوة. الباقون بالباء. من قرأ بالباء فمعناه تختبر من قوله «وَ بَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ وَ السَّیِّئاتِ» «1» ای اختبرناهم، و منه قولهم البلاء ثم الثناء أی الاختبار للثناء علیه ینبغی أن یکون قبل الثناء لیکون عن علم بما یوجبه. و معنی اختبار النفس ما أسلفت إن قدّم خیراً أو شراً جزی علیه، کما قال «فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا یَرَهُ» «2» و غیر ذلک. و من قرأ بالتاء فمن التلاوة. و یقوی ذلک قوله «فَأُولئِکَ یَقْرَؤُنَ کِتابَهُمْ» «3» و قوله «اقْرَأْ کِتابَکَ» «4» و قوله «وَ رُسُلُنا لَدَیْهِمْ یَکْتُبُونَ» «5» و یکون (تتلو) بمعنی تتبع و یکون المعنی هنالک تتبع کل نفس ما أسلفت من

---

(1) سورة 7 الاعراف آیة 167
(2) سورة 99 الزلزال آیة 7- 8 [.....]
(3) سورة 17 الإسراء آیة 71
(4) سورة 17 الإسراء آیة 14
(5) سورة 43 الزخرف آیة 80

حسنة و سیئة، فمن أحسن جوزی بالحسنات و من أساء جوزی به، فعلی هذا یکون المعنی مثل قراءة من قرأ بالباء. و قال ابن زید: معنی «تتلو» تعاین. و قال الفراء: معناه تقرأ، و قال غیره تتبع. و قال ابن عباس معنی (تتلو) تخبر قال الشاعر:

قد جعلت دلوی تستتلینی و لا أحب تبع القرین

ای تتبعنی من ثقلها، و معنی «هنالک» فی ذلک المکان، و هو ظرف ف (هنا) للقریب و (هنالک) للبعید و (هناک) لما بینهما قال زهیر:

هنالک إن یستخبلوا المال یخبلوا و إن یسألوا یعطوا و إن ییسروا یغلوا «1»

و الاسلاف تقدیم امر لما بعده، فمن أسلف الطاعة للَّه جزی بالثواب. و من أسلف المعصیة جزی بالعقاب. و قوله «وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ» فالرد هو الذهاب الی الشیء بعد الذهاب عنه، فهؤلاء ذهبوا عن أمر اللَّه فأعیدوا الیه. و الرد و الرجع نظائر، و یجوز أن یکون الرد بمعنی النشأة الثانیة، و هو الألیق هاهنا. و قوله «مَوْلاهُمُ الْحَقِّ» فالمولی المالک للعبید، و معناه مالکهم لأنه یملک أمرهم، و هو أملک بهم من أنفسهم. و قوله «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما کانُوا

يَفْتَرُونَ» يعنى ما كانوا يدعونهم- بافترائهم من الشركاء- مع اللّه يضلون عنهم يوم القيامة و يبطلون.

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ (31)

أمر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله أن يقول لهؤلاء الكفار و غيرهم من خلقه «مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ» بانزال المطر و الغيث، و من الأرض بإخراج النبات و انواع الثمار.

---

(1) ديوانه 112 و اللسان (خبل) و فيه اختلاف فى الرواية.

و الرزق العطاء الجارى يقال: رزق السلطان الجند، الا ان كل رزق، فاللَّه رازق به، لأنه لو لم يطلقه على يد الإنسان لم يجئ منه شىء. و الواحد منا يرزق غيره إلا أنه لا يطلق اسم رازق إلا على اللَّه، كما لا يقال: (ربّ) بالإطلاق إلا فى اللَّه و فى غيره يقيد، فيقال رب الدار و رب الفرس. و يطلق فيه، لأنه يملك الجميع غير مملك. و كذلك هو تعالى رازق الجميع غير مرزوق، و لا يجوز أن يخلق اللَّه حيواناً يريد تبقيته إلا و يرزقه، لأنه إذا أراد بقاءه فلا بدّ له من الغذاء. فان لم يرد تبقيته كالذى يولد ميتاً فانه لا رزق له فى الدنيا. و قوله «أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ» يعنى من الذى له التصرف فيها بلا مانع يمنعه منها و ان شاء أصحها و ان شاء أمرضها. و «مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ» معناه من الذى يخلق الحيوان و يخرجه من امه حياً سوّياً إذا ماتت أمه «وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ» يعنى من يخرجه غير تام و لا بالغ حدّ الكمال. و قيل: معناه انه يخرج الحى من النطفة، و هى ميتة و يخرج النطفة من الحى. و قيل: يخرج المؤمن من الكافر و الكافر من المؤمن.

و «مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ» اى و من الذى يدبر جميع الأمور فى السما و الأرض؟ و ليس جواب ذلك لمن أنصف و لم يكابر الا ان يقول: اللَّه الفاعل لجميع ذلك.

و إذا قالوا ذلك و اعترفوا به قيل لهم «أَ فَلا تَتَّقُونَ» و معناه فهلا تتقون خلافه و تحذرون معاصيه؟ و فى الاية دلالة على التوحيد، لأن ما ذكره فى الاية يوجب أن المدبر واحد و لا يجوز أن يقع ذلك اتفاقاً، لا حالة العقل ذلك، و لا يجوز أن يقع بالطبيعة، لأنها فى حكم الموات لو كانت معقولة، فلم يبق بعد ذلك إلا ان الفاعل لذلك قادر عالم يدبره على ما يشاء، و هو اللَّه تعالى، مع ان الطبيعة مدبَّرة- مفعولة- فكيف تكون هى المدِّبرة و إنما دخلت (أم) على (من) لأن (من) ليست أصل الاستفهام بل أصله الألف، فلذلك جاز

الجمع بينهما.
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 372

فَذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (32)
«ذلک» إشارة الى اسم اللّه الذى ذكره فى الآية الاولى، و وصفه بأنه الذى يخرج الحى من الميت، و الميت من الحى و يرزق الخلق من السماء و الأرض و (الكاف و الميم) للمخاطبين، و إنما جمع لأنه أراد جميع الخلق، فأخبر اللّه تعالى ان الذى وصفه فى الاية الأولى هو «اللَّهُ رَبُّكُمُ» الذى خلقكم و يملک تصرفكم. و إنما وصفه بأنه «الحق» لأن له معنى الالهية دون غيره من الأوثان و الأصنام، و هو الرب تعالى وحده.
و قوله «فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ» صورته صورة الاستفهام و المراد به التقرير على موضع الحجة، لأنه لا يجد المجيب محيداً عن الإقرار به إلا بذكر ما لا يلتفت اليه، و كلما تدعو اليه الحكمة على اختلافه فهو حق، و المراد انه ليس بعد الإقرار بالحق و الانقياد له إلا الضلال و العدول عنه. و قوله «فَأَنَّى تُصْرَفُونَ» أى كيف تصرفون و تعدلون عن عبادته مع وضوح الدلالة على أنه لا معبود سواه و الصرف هو الذهاب عن الشىء، فالصرف عن الحق ذهاب الى الباطل، و قد أنكر اللّه ذلک. و فيه دلالة على أنه من فعل غيره من الغواة لأنه لو كان من فعله لما أنكره كما لم ينكر شيئاً من أفعال نفسه.

كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (33)
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 373
قرأ أهل المدينة و ابن عامر (كلمات) هاهنا و فى آخرها، و فى المؤمن على الجمع. الباقون على التوحيد. قال ابو على: من قرأ على التوحيد احتمل فى ذلک وجهين:
أحدهما- ان يكون جعل ما أوعد به الفاسقين كلمة و إن كانت فى الحقيقة كلمات، لأنهم قد يسمون القصيدة و الخطبة كلمة، فكذلک ما ذكرناه.
و الثانى- ان يريد بذلک الجنس و قد أوقع على بعض الجنس كما أوقع اسم الجنس على بعضه فى قوله «وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَ بِاللَّيْلِ» «1» و من جمع فانه جعل الكلمات التى يوعدون بها كل واحدة منها كلمة ثم جمع، فقال: كلمات.
و أما قوله «كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا» «2» فيجوز ان يكون عنى بها قوله «كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِي» «3» كما فسر قوله «وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى» «4» انه لا إلهه الا اللّه، ذكره مجاهد. و الكاف فى قوله كذلک فى موضع نصب و التقدير مثل أفعالهم جازاهم ربک. و قيل فى المشبه به «كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ» قولان:
أحدهما- المعنى فى انه ليس بعد الحق الا الضلال فشبه به كلمة الحق بأنهم لا يؤمنون فى الصحة.
الثانى- ما تقدم من العصيان شبه به الجزاء بكلمة العذاب فى الوقوع على المقدار. و انما اطلق فى الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون، لأنه أريد به الذين تمردوا فى كفرهم. و (انهم) فى موضع نصب على قول الفراء و التقدير بأنهم أو لأنهم لا يؤمنون فقوله «أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» بدل من كلمة ربک. فأعلم اللّه أنهم بأعمالهم قد منعوا من الايمان، و جائز ان تكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب. و الفسق فى الشرع هو الخروج فى المعصية الى الكبيرة فان كانت كفراً فالخروج الى أكبره و كذلک ان كانت منع حق. و فائدة الآية الابانة عن الحال التى لا يفلح صاحبها ليحذر من

---

(1) سورة 37 الصافات آية 137
(2) سورة 9 التوبة آية 41
(3) سورة 58 المجادلة آية 21
(4) سورة 48 الفتح آية 26
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 374
مثلها، لأنه قد يكون فى المعلوم أنه من بلغ ذلک الحد لم يفلح، قال: و أصل

المعنى حقت كلمة ربک ان الفساق و الكفار ما داموا كفاراً فساقاً فلا يكونون مؤمنين.
و قال الجبائي: معناه وجدانكم إياهم على الكفر و الإصرار عليه دليل على ان ما أخبر اللّه تعالى عنهم بأنهم لا يؤمنون حق و صدق.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (34)

أمر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله أن يقول لهؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع اللَّه آلهة يعبدونها «هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ» بأن ينشئهم و يخترعهم. ثم إذا أماتهم يعيدهم و يحييهم، لينبئهم بذلک على انه لا يقدر على ذلک الا اللَّه القادر لنفسه الذى لا يعجزه شىء. و قيل فى معنى (شركائكم) قولان: أحدهما- انهم الذين جعلوهم شركاء فى العبادة. الثانى- الذين جعلوهم شركاء فى أموالهم من أوثانهم، كما قال «فَقالُوا هذا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هذا لِشُرَكائِنا» «1» و الإعادة إيجاد الشىء ثانياً، و قال لنبيه قل لهم: اللَّه تعالى القادر لنفسه هو الذى يبدؤ الخلق فينشئهم ثم يميتهم ثم يعيدهم لا يعجزه شىء عن ذلک. و قوله «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» معناه انى تصرفون عن الحق و تقلبون عنه، و منه الافک، و الكذب، لأنه قلب المعنى عن جهته.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَ فَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّى إِلاَّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (35)

---

(1) سورة 6 الانعام آية 136

قرأ أهل الكوفة الا عاصماً «يهدى» بفتح الياء و سكون الهاء و تخفيف الدال. و قرأه أهل المدينة إلا ورشاً بفتح الياء، و سكون الهاء، و تشديد الدال. و قرأه ابن كثير و ابن عامر و ابو عمرو و ورش بفتح الياء و الهاء و تشديد الدال، الا أن السوسى من طريق ابن جيش لا يشبع فتحة الهاء، و كذلك روى الحمانى عن شجاع و قرأه يعقوب و حفص و الأعشى و البرجمى بفتح الياء و كسر الهاء و تشديد الدال و قرأه يعقوب و حفص و الأعشى و البرجمى بفتح الياء و كسر الهاء و تشديد الدال و رواه ابو بكر الا الأعشى و البرجمى بكسر الياء و الهاء و تشديد الدال. قال ابو على: من قرأ «يهدى» بفتح الياء و الهاء و تشديد الدال فقد نسبهم الى غاية الذهاب عن الحق فى معادلتهم الآلهة باللّه تعالى، ألا ترى ان المعنى أ فمن يهدى غيره الى طريق التوحيد و الحق أحق ان يتبع أم من لا يهتدى هو إلا أن يهدى، و التقدير أ فمن يهدى غيره فحذف المفعول الثانى. فان قيل: هذه التى اتخذوها آلهة لا تهتدى و إن هديت لأنها موات من حجارة و أوثان و نحو ذلک!؟ قيل: تقدير الكلام على أنها إن هديت اهتدت و إن لم تكن فى الحقيقة كذلک لأنهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عن الذى يجب له العبادة، كما قال «وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِکُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ شَيْئاً وَ لا يَسْتَطِيعُونَ» «1» و قال «إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ» «2» فأجرى عليه اللفظ كما يجرى على من يعلم، كأنه قال أم من لا يهدى الا ان يهدى أى أم من لا يعلم حتى يُعلم، و من لا يستدل على شىء حتى يدل، و إن كان لو دل أو أعلم لم يعلم و لم يستدل. و أراد اللّه بذلک تعجيبهم من أنفسهم و تبيين جهلهم و قلة تمييزهم فى تسويتهم من لا يعلم و لا يقدر باللّه القادر العالم. و قرأ حمزة و الكسائى «أم من لا يهدى» معناه أم من لا يهدى غيره، و لكن يهدى أى لا يعلم شيئاً و لا يعرّفه، و لكن

---

(1) سورة 16 النحل آية 73

(2) سورة 35 فاطر آية 14

يهدى أى لا هداية له، و لو هدى أيضاً لم يهتد، غير أن اللفظ جرى عليه كما قلناه فيما تقدم. و من شدد، فلأن أصله يهتدى فأدغم التاء فى الدال. و من حرك الهاء القى حركة الحرف المدغم على الهاء لأنها من كلمة واحدة. و من كسر الهاء لم يلق الحركة تشبيهاً بالمنفصل، و كسر الهاء لالتقاء الساكنين. و من سكن الهاء جمع بين الساكنين. و من أشم فلان الإشمام فى حكم التحريک. و من كسر الياء اتبع الياء ما بعدها من الكسر لأن أصله يفتعل و قال قوم: معنى «أَمَّنْ لا يَهِدِّى إِلَّا أَنْ يُهْدى» لا يتحرک حتى يحرک.
أمر اللَّه تعالى نبيه أن يقول أيضاً لهؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع اللَّه شركاء فى العبادة «هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ» الذين تعبدونهم من دون اللَّه أو تشركون بينهما فى العبادة من يهدى غيره الى الحق و الى طريق الرشاد، ثم قال: قل يا محمّد «اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ» و أفعال الخير، ثم قال «أَ فَمَنْ يَهْدِى غيره إِلَى الْحَقِّ» و الى الصراط المستقيم أولى «أن يتبع» و يقبل قوله، «أَمَّنْ لا يَهِدِّى إِلَّا أَنْ يُهْدى» أى إلا بعد أن يهدى و حكى عن البلخى أنه قال: هدى و اهتدى بمعنى واحد.
و قوله «فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» أى بما تدعونه من عبادة- من دون اللَّه- فالهداية المعرفة بطريق الرشاد من الغى، فكل هداية قائدة الى سلوک طريق النجاة بدلا من طريق الهلاک. و قال الزجاج «ما لكم» كلام تام، كأنه قال أى شىء لكم فى عبادة الأوثان ثم قال لهم «كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟!» على أى حال، فموضع (كيف) نصب ب (تحكمون) و يقال هديته للحق و الى الحق بمعنى واحد.

وَ ما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ (36)

التبيان فی تفسير القرآن، ج5، ص: 377

أخبر اللّه تعالى أنه ليس يتبع أكثر هؤلاء الكفار إلا الظن الذى لا يجزى شيئاً، من تقليد آبائهم و رؤسائهم. ثم قال تعالى «إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً» لأن الحق إنما ينتفع به من عرفه و علمه حقاً، لأن الظن حقيقة ما قوى كون المظنون عند الظان على ما ظنه مع تجويز أن يكون على غيره، فإذا كان معه تجويز كون المظنون على خلاف ما ظنه. فلا يكون مثل العلم. و قد يكون للظن حكم إذا قام على ذلک دليل إما عقلى أو شرعى، و يكون صادراً عن أمارات معروفة بالعادة و الخبر أورده الى نظيره عند من قال بالقياس، و كل ذلک إذا اقترن به دليل يوجب العمل به، و كل موضع يمكن أن يقوم عليه دليل و يعلم صحته من فساده فلا يجوز أن يعمل فيه على الظن، لأن بمنزلة من ترک العلم و عمل على ظن غيره. و قوله «إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً» معناه انه لا يقوم مقام العلم مع وجوده أو إمكان وجوده، و انما يعبد اللّه فى الشرع فى مواضع بالرجوع الى الظن مع أنه كان يمكنه أن ينصب عليه دليلا يوجب العلم لما فى ذلک من المصلحة. و قوله «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ» فيه ضرب من التهديد، لأنه أخبر أنه تعالى يعلم ما يفعلونه و لا يخفى عليه منه شىء فيجازيهم على جميعه: على الطاعة بالثواب و على المعصية بالعقاب.

وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (37)
نفى اللّه تعالى فى هذه الآية أن يكون هذا القرآن الذى أنزله على نبيه محمّد صلى الله عليه و آله مفترى من دون اللّه و الافتراء الاخبار على القطع بالكذب، و هو مأخوذ من فرى الأديم، و هو قطعه بعد تقديره. و القرآن عبارة عن هذا الكلام التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 378
الذى هو فى أعلى طبقات البلاغة مع حسن النظم و الجزالة، و كل شىء منه فيه فائدة و كل فصل منه فيه فائدة أخرى. و قوله «وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ» شهادة من اللّه له بأنه صدق و بأنه شاهد لما تقدم من التوراة و الإنجيل و الزبور بأنها حق، و شاهد ايضا من حيث انه مصدق لها إذ جاء على ما تقدمت البشارة به فيها. و قيل مصدق لما بين يديه من البعث و النشور و الجزاء و الحساب. و قوله «وَ تَفْصِيلَ الْكِتابِ» أى تبيين الفصل من المعانى الملتبسة حتى يظهر كل معنى على حقيقته. و التفصيل و التمييز و التقسيم نظائر، و ضده التلبيس و التخليط. و قوله «لا رَيْبَ فِيهِ» أى لا شك فيه «مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ» اى نازل من عند مالك العالمين.
و قيل: إن معنى «تَفْصِيلَ الْكِتابِ» أى تفصيل الفروض الشرعية. و الكتاب- هاهنا- المفروض. و قال الفراء: معنى «وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى» اى لا ينبغى ان يكون افتراء، كما قال تعالى «وَ ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ» «1» أى لا ينبغى له. و قال غيره: تقديره و ما كان هذا القرآن مفترى.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (38)

معنى «أم» هاهنا تقرير على موضع الحجة بعد مضى حجة أخرى، و تقديره بل أ تقولون افتراه، فالزموا على هذا الأصل الفاسد إمكان أن يأتوا بمثله.

و قوله «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ» صورته صورة الأمر، و المراد به التحدى بإتيان سورة، و هو الزام لهم على أصلهم إذ أصلهم فاسد يوجب عليهم أن يأتوا بسورة مثله، فالتحدى يطلب ما يوجبه أصلهم عليهم. و قوله «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ» معناه

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 161

سورة منه. و قيل فى معناه قولان: أحدهما- أن فيه حذفاً و تقديره فاتوا بسورة مثل سورته ذكره بعض البصريين. و الاخر- ائتوا بسورة مثله فى البلاغة، و هو أحسن الوجهين. و السورة منزلة محيطة بآيات اللّه كاحاطة سور البناء من أجل الفاتحة و الخاتمة، و كل منزلة من سورة البناء محيطة بما فيها. و قوله «وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» معناه ادعوهم الى الموازنة على المعارضة بسورة مثله أى استعينوا بكل من قدرتم عليه. و الاستطاعة حالة للحى تنطاع بها الجوارح للفعل و هى مأخوذة من الطوع. و القدرة مأخوذة من القدر، فهى معنى يمكن أن يوجد به الفعل و ان لا يوجد لتقصير قدره عن ذلك المعنى. و قوله «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» معناه ان كنتم صادقين فى أن هذا القرآن مفترى من دون اللّه فأنتم تقدرون على معارضته، فحيث لا تقدرون على ذلك علم أن الامر بخلاف ما تذكرونه من أنه من عند غير اللّه، و صح أنه من عند اللّه، لأنه لو قدر محمّد صلى الله عليه و آله على افترائه لقدرتم على معارضته لمشاركتكم إياه فى النشوء و الفصاحة.

بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39)

أخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء الكفار الذين حكى عنهم أنهم قالوا إن محمّداً صلى الله عليه و آله افترى هذا القرآن و لم ينزله اللَّه عليه بأنهم «كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ» و معناه بما لم يعلموه من كل وجوهه، لان فى القرآن ما يعلم المراد منه بدليل، و يحتاج الى الفكر فيه و الرجوع الى الرسول فى معرفة مراده و ذلک مثل المتشابه، فالكفار لما لم يعرفوا المراد بظاهره كذبوا به، و قالوا انه افترى على اللَّه كذبا، و معنى التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 380

كذبوا انهم شهدوا بان الدعاة الى اللَّه و الدعاة الى الحق من المؤمنين كاذبون جهلا منهم و توهماً لا حقيقة لهم و لا حجة معهم به و قوله «وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ» معناه ما يؤول أمره اليه و هو عاقبته، و معناه متأوله من الثواب و العقاب. ثم حكى اللَّه أنه مثل ذلک كذب الذين من قبلهم أنبياء اللَّه و رسله فأهلكهم اللَّه و دمرهم ثم قال لنبيه «فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ» يعنى ما أدى الى إهلاكهم بعذاب الاستئصال على ما تقدم من ظلمهم لأنفسهم و غيرهم فى كذبهم. و قيل فى موضع «كيف كان» نصب بأنه خبر كان، و لا يكون معمول (انظر) لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فى الاستفهام

وَ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ وَ رَبُّکَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (40)
أخبر اللّه تعالى ان من جملة هؤلاء الكفار الذين كذبوا بالقرآن و نسبوه الى الافتراء من سيؤمن به أى بالقرآن فى المستقبل، و منهم من لا يؤمن بل يموت على كفره. و قوله «وَ رَبُّکَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ» معناه من يدوم على الفساد ممن يتوب، و إنما بقاهم اللّه لما فى معلومه انه يتوب منهم. و إنما جاز ان يقول «أعلم» و ان لم يكن هناک كثرة علوم لاحد أمرين: أحدهما- ان الذات تغنى عن كل علم. و الثانى- انه يراد كثرة المعلوم

وَ إِنْ كَذَّبُوکَ فَقُلْ لِی عَمَلِی وَ لَکُمْ عَمَلُکُمْ أَنْتُمْ بَرِیئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَ أَنَا بَرِیءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (41)

خاطب اللّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله فقال «وَ إِنْ كَذَّبُوکَ» هؤلاء الكفار و لم يصدقوک التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 381

و ردّوا عليک بذلک و نسبوک الى الكذب «فَقُلْ لِی عَمَلِی» أى إن كنت كاذباً فوباله على «وَ لَکُمْ عَمَلُکُمْ» أى ان كنتم غير محقين فيما تردونه على و تكذبونى، فلكم جزاء عملكم، فأنتم تبرؤن مما أعمل و أنا ابرأ من أعمالكم. و فائدة ذلک الاخبار بأنه لا يجازى احد الا على عمله، و لا يؤخذ أحد بجرم غيره كما قال تعالى «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» «1» و البراءة قطع العلقة التى توجب رفع المطالبة و ذلک كالبراءة من الدين، و البراءة من العيب فى البيع، و لم يقل النبى صلى الله عليه و آله هذا القول شكاً منه فيما يجازى اللّه الكفار و المؤمنين به من الثواب و العقاب. و انما قال على وجه التلطف لخصمه و حسن العشرة، و أن لا يستقبلهم بما يكرهونه من الخطاب فربما كان داعياً لهم ذلک الى الانقياد و النظر فى قوله. و قال ابن زيد: هذه الاية منسوخة بآية الجهاد، و على ما قلناه لا يحتاج الى ذلک.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْکَ أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ (42)
اخبر اللّه تعالى ان من جملة هؤلاء الكفار «من يستمع اليک» يا محمّد.
و الاستماع طلب السمع، فهم كانوا يطلبون السمع للرد لا للفهم، فلذلک لزمهم الذم، فهم إذا سمعوه على هذا الوجه كأنهم صم لم يسمعوه حيث لم ينتفعوا به.
و قوله «أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ» خطاب للنبى صلى الله عليه و آله بأنه لا يقدر على إسماع الصم الذين لا يسمعون، و بهم صمم، و هم الذين ولدوا صماً، و الأصم المفسد السمع بما يمنع من ادراک الصوت، و قد صم يصم صمماً. و السمع إدراک الشىء بما به يكون مسموعاً.

_____
(1) سورة 6 الانعام آية 164 و سورة 17 الإسراء آية 15 و سورة 35 فاطر آية 18 و سورة 39 الزمر آية 7

و تسمى الأذن السليمة سمعاً، لأنه يسمع بها. و قوله «وَ لَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ» تشبيه من اللّه تعالى لهؤلاء الكفار فى ترک إصغائهم الى النبى صلى الله عليه و آله و استماع كلامه طلباً للفائدة بالذين لا يسمعون أصلا، و ان النبى صلى الله عليه و آله و لا يقدر على أسماعهم على وجه ينتفعون به إذا لم يستمعوا بنفوسهم، للفكر فيه، كما لا يقدر على إسماع الصم.
و قوله «من» يقع على الجمع كما يقع على الواحد، فلذلک أخبر عنه بلفظ الجمع بقوله «يَسْتَمِعُونَ إِلَيْکَ» و (لو) فى اكثر الأمر يكون ما بعدها أقل مما قبلها تقول: أعطنى دابة و لو حماراً، و قد يجىء ما بعدها اكثر مما قبلها، كما يقول الرجل: انا أقاتل الأسد فيستعظم ذلک منه، فيقال: أنت تقاتل الأسد و لو كان ضارباً، و على هذا مخرج الاية. قال الزجاج: و المعنى و لو كانوا جهالا كما قال الشاعر:
أصم عما ساءه سميع «1»

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْکَ أَ فَأَنْتَ تَهْدِی الْعُمْیَ وَ لَوْ کانُوا لا یُبْصِرُونَ (43)
اخبر اللَّه تعالى بأن من جملة الكفار «مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْکَ» يا محمّد صلى الله عليه و آله، فلم يخبر بلفظ الجمع لأنه حمله علَى اللفظ، و اللفظ لفظ الواحد. و النظر المذكور فى الاية معناه تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئى طلباً لرؤيته. و قيل: معناه من ينظر الى أدلتک. و النظر يكون بمعنى الاعتبار و الفكر، و هو الموازنة بين الأمور حتى يظهر الرجحان او المساواة، و ذلک الجمع بين الشيئين فى التقدير بما يظهر به شهادة أحدهما بالآخر، ثم قال «أَ فَأَنْتَ تَهْدِی الْعُمْیَ وَ لَوْ کانُوا لا یُبْصِرُونَ»

---

(1) مرّ فى 2/ 80 و 4/ 125 [.....]

اى نظرهم اليک لا على وجه الاستفادة بمنزلة نظر الأعمى الذى لا يبصر، فكما لا يقدر ان يهدى الأعمى. فكذلک هؤلاء لا ينتفعون بنظرهم اليک، فكأنهم لا يبصرون.
و العمى آفة تمنع من الرؤية، و هو على وجهين: عمى العين، و عمى القلب، و كلاهما يصلح له هذا الحد. و الأبصار إدراک المبصر بما يكون به مبصراً، كما أن السمع إدراک المسموع بما به يكون مسموعاً.

إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَ لكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (44)
أخبر اللّه تعالى فى هذه الآية على وجه التمدح به بأنه لا يظلم أحداً شيئاً و انما الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بارتكاب ما نهى اللّه عنه من القبائح فيستحقون بها عقاباً، فكأنهم الذين أدخلوا عليها ضرراً فلذلک كانوا ظالمين لنفوسهم. و المعنى- هاهنا- ان اللّه لا يمنع احداً الانتفاع بما كلفهم الانتفاع به من القرآن و أدلته، و لكنهم يظلمون أنفسهم بترک النظر فيه و الاستدلال به، و تفويتهم أنفسهم الثواب و إدخالهم عليها العقاب. ففى الآية دلالة على انه لا يفعل الظلم، لان فاعل الظلم ظالم، كما أن فاعل الكسب كاسب، و ليس لهم أن يقولوا يفعل الظلم و لا يكون ظالماً به، كما يفعل العلم و لا يكون به عالما. و ذلک أن معنى قولنا: ظالم أنه فعل الظلم، كقولنا: ضارب، أنه يفيد انه فعل الضرب. و كذلک يكون ظالماً بما يفعله من الظلم فى غيره، و ليس كذلک العالم، لأنه يفيد انه على صفة مخصوصة و لذلک قد يكون عالماً بما يفعل فيه من العلم، و لا يكون ظالماً بما يفعل فيه من الظلم و لا يكون عالماً بما يفعل فى غيره من العلم و ليس كذلک الظلم، فبان الفرق بينهما. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 384
و ليس لأحد ان يقول: ان الانتفاء من الظلم كالانتفاء من السنة و النوم، فى انه ليس بنفى الفعل، و ذلک أن الظلم مقدور قبل العدل، و ليس كذلک النوم و اليقظة لأنهما يستحيلان عليه. و (لكن) إذا كانت مشددة عملت عمل (إن) و إذا خففت لم تعمل لأن المخففة تدخل على المفرد كما يدخل حرف العطف، و الثقيلة تدخل على الجملة فتزيل الابتداء.

وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ ساعَةً مِنَ النَّهارِ يَتَعارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ (45)

قرأ حفص «يحشرهم» بالياء. الباقون بالنون. قال أبو على الفارسى: قوله «كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا» يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها- أن يكون صفة اليوم.

و الآخر- أن يكون صفة للمقدر المحذوف. و الثالث- أن يكون حالا من الضمير فى «يحشرهم» فإذا جعلته صفة لليوم احتمل أن يكون التقدير «كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا» قبله «إلا ساعة» كما قال «فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» «1» أى امسكوهن قبله، و كذلك قوله «فَإِنْ فاؤُ فَإِنَّ اللَّهَ» «2» معناه فان فاءوا قبل انقضاء الاربعة أشهر. و يحتمل أن يكون المعنى «كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا» قبله، فحذف المضاف و أقام المضاف اليه مقامه، ثم حذفت الهاء من الصفة. و مثله «تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ واقِعٌ بِهِمْ» «3» و التقدير و جزاؤه واقع بهم. و إن جعلته صفة للمصدر كان على هذا التقدير الذى وصفيناه، و مثله «كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا» قبله

---

(1) سورة 2 البقرة آية 231 و سورة 65 الطلاق آية 2

(2) سورة 2 البقرة آية 226

(3) سورة 42 الشورى آية 22

فحذف و أقام المضاف اليه مقام المضاف، ثم حذف العائد من الصفة، كما يحذف من الصلة فى نحو قوله «أَ هذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» «1» و إن جعلته حالا من الضمير المنصوب لم يحتج الى حذف شىء فى اللفظ، لأن الذكر من الحال قد عاد الى ذى الحال. و المعنى يحشرهم مشابهة أحوالهم أحوال من لم يلبث الا ساعة.

و يحتمل أن يكون معمولا بما دل عليه قوله «كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا» فإذا جعلته معمولا ل (يتعارفون) انتصب (يوم) على وجهين: أحدهما- أن يكون ظرفاً و الآخر- ان يكون مفعولا على السعة، على يا سارق الليلة أهل الدار.

و معنى «يتعارفون» يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يكون المعنى يتعارفون مدة إماتتهم التى وقع حشرهم بعدها و حذف المفعول للدلالة عليه، أو يكون أعمل الفعل الذى دل عليه (يتعارفون) ألا ترى انه قد دل على سيعلمون إذ يتعارفون، فعلى هذا يكون قوله «وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ» معمول «يتعارفون».

و الآخر- أن يكون «يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ» معمول ما دل عليه قوله «كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا» لأن المعنى تشابه أحوالهم أحوال من لم يلبث، فعمل فى الظرف هذا

المعنى و لا يمنع المعنى من أن يعمل فى الظرف و ان تقدم الظرف عليه كقولهم: أكل يوم لک ثوب؟ و إذا جعلت «يتعارفون» العامل فى «يحشرهم» لم يجز أن يكون صفة اليوم، على أنک كأنک وصفت اليوم بقوله كأن لم يلبثوا و يتعارفون، فوصفت يوم يحشرهم بجملتين لم يجز أن يكون معمولا لقوله «يتعارفون» لأن الصفة لا تعمل فى الموصوف، و جاز وصف اليوم بالجمل و ان أضيف، لأن الاضافة ليست محضة، فلم تعرفه. و من قرأ بالنون فلقوله «وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ» «2» و قوله «فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً» «3» و قوله «وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى» «4». و من قرأ بالياء فلقوله

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 41
(2) سورة 18 الكهف آية 48
(3) سورة 18 الكهف آية 100
(4) سورة 20 طه آية 124

«لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ» «1» و النون و الياء متعارفان فى مثل هذا بدلالة قوله «وَ كَذلِکَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِآياتِ رَبِّهِ» «2» فعلم من هذا ان كل واحد منهما يجرى مجرى الآخر.

يقول اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه يوم يحشر الخلق الى المحشر و الموقف «كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا ساعَةً مِنَ النَّهارِ» عند أنفسهم، لقلة بقائهم فيها و سرعة تصرمها عنهم مع طول وقوفهم يوم القيامة و مع علمهم بدوام بقائهم فى الآخرة، شبه قرب الوقت الى ذلک الحين بساعة من النهار لأن كل ما هو آت قريب، كما قال «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» «3» و دل بذلک على أنه لا ينبغى لأحد أن يغتر بطول ما يأمله من البقاء فى الدنيا إذ كان عاقبة ذلک الى الزوال. و قوله «يَتَعارَفُونَ بَيْنَهُمْ» اخبار منه تعالى أن الخلق يعرّف بعضهم بعضاً فى ذلک الوقت خسرانهم و يتذاكرونه. و قوله «قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ» اخبار منه تعالى بأن الذين كذبوا بالبعث و النشور و لقاء ثواب اللَّه و لقاء عقابه يخسرون نفوسهم. و الخسران ذهاب رأس المال، فالنفس أكبر من رأس المال. و قوله «وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ» معناه لا يكونون مهتدين الى طريق الجنة لكونهم مستحقين للعقاب. و قال الزجاج: معنى الآية قرب ما بين موتهم و بعثهم كما قالوا «لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» «4» و «يَتَعارَفُونَ بَيْنَهُمْ» أى يعرف بعضهم بعضاً، و فى ذلک توبيخ لهم و إثبات الحجة عليهم.

وَ إِمَّا نُرِيَنَّکَ بَعْضَ الَّذِی نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّکَ فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما يَفْعَلُونَ (46)

---

(1) سورة 4 النساء آية 86 و سورة 6 الانعام آية 12
(2) سورة 20 طه آية 127
(3) سورة 54 القمر آية 1
(4) سورة 23 المؤمنون آية 114، و سورة 18 الكهف آية 19

نون التأكيد فى الجزاء لا تجوز الا مع (ما) كما لا يجوز الجزاء ب (إذ، و حيث) الا مع (ما) يخرجونها عن أخواتها، فدخلت (ما) لتقريبها منها، فالنون تدخل فى الأمر و النهى و الاستفهام و العرض، و كله طلب، و كله غير واجب.
و ليس فى الجزاء طلب إلا أنه يشبه غير الواجب.
و قوله «نرينک» من رؤية العين لأنها لو كانت من رؤية الاعلام لتعدى الى مفعولين و البعض شىء يفصل من الكل، و البعض و القسم و الجزء نظائر.
و التوفى القبض على الاستيفاء بالأمانة، لأن الروح تخرج من البدن على تمام و كمال من غير نقصان. و معنى الاية إن أريناک يا محمّد بعض ما نعد هؤلاء الكفار من العذاب عاجلا بأن ننزل عليهم ذلک فى حياتک، و إن أخرنا ذلک عنهم الى بعد وفاتک و وفاتهم، فان ذلک لا يفوتهم، لأنه إلينا مرجعهم، و اللّه شاهد بأعمالهم، و عالم بها، و حافظ لها، فهو يوفيهم عقاب معاصيهم. و قال مقاتل: المعنى إما نرينک بعض الذى نعد المؤمنين من النصر و الاعلاء، و هو يوم بدر. و قوله «ثم اللّه» عطف فى قول الفراء، و قال غيره: (ثم) بمعنى الواو.

وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (47)

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الاية أن لكل جماعة على دين واحد و طريقة واحدة كأمة محمّد و أمة موسى و عيسى عليهم السلام رسولا بعثه اللَّه اليهم و حمله الرسالة التى يؤديها اليهم ليقوم بأدائها. و قوله «فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ» يعنى يوم القيامة- فى قول مجاهد- و قال الحسن: فى الدنيا، بما أذن اللَّه تعالى من الدعاء عليهم. و قوله «قُضِيَ التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 388

بَيْنَهُمْ»

معناه فصل بينهم الأمر على الحتم. و اللَّه تعالى يقضى بين الخصوم أى يفصل بينهم فصلا لا يرد «بالقسط» يعنى بالعدل. و المقسط العادل. و القاسط الجائر، و منه قولهَ أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً»

«1» و الأصل واحد، و المقسط العادل الى الحق و القاسط العادل عن الحق. و قوله «وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ» إنما نفى عنهم الظلم بعد أن وصف أنه يقضى بينهم بالعدل ليكون العدل فى جميع الأحوال من الابتداء الى الانتهاء لأنه كان يمكن ان يكون العدل فى أوله و الظلم فى آخره، فنفى بذلک نفياً عاماً ليخلص العدل فى كل أحوالهم.

وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (48)
حكى اللّه تعالى عن الكفار و الذين تقدم وصفهم أنهم «يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ» الذى تعدوننا به من البعث و النشور و الثواب و العقاب «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» فى كون ذلک. و القول كلام مضمن فى ذكره بالحكاية، و قد يكون كلام لا يعبر عنه، فلا يكون له ذكر متضمن بالحكاية، فلا يكون قولا، لأنه إنما يكون قولا من أجل تضمين ذكره بالحكاية. و «متى» سؤال عن الزمان. و (أين) سؤال عن المكان، و هما ظرفان يتصلان بالفعل من غير حرف إضافة تقول: متى يكون هذا، و لا يجوز أن تقول: ما يكون هذا على معنى الظرف. و لكن فى ما يكون هذا. و الوعد خبر ما يعطى من الخير. و الوعيد خبر ما يعطى من الشرّ، هذا إذا فصل فان أجمل وقع الوعد على الجميع. و الصدق الاخبار عن الشىء على ما هو به.

قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِی ضَرًّا وَ لا نَفْعاً إِلاَّ ما شاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ (49)

---

(1) سورة 72 الجن آية 15

التبيان فی تفسير القرآن، ج5، ص: 389

لما حكى اللَّه تعالى عن الكفار استبطاءهم ما وعد اللَّه و قولهم «مَتى هذَا الْوَعْدُ» امر اللَّه نبيه صلى الله عليه و آله أن يقول لهم على وجه الإنكار عليهم إنى «لا أَمْلِكُ لِنَفْسِی ضَرًّا وَ لا نَفْعاً» من الثواب و العقاب بل ذلک الى اللَّه، و لا أملک إلا ما ملكنى اللَّه، فكيف أملک لكم. و الملک هو القدرة على التصرف فى الشىء على وجه ليس لأحد منعه منه، فالإنسان لا يملک إلا ما ملكه اللَّه، لأن له تعالى منعه منه. و قد يملک الطفل و من لا عقل له من المجانين بالحكم. و النفع هو اللذة أو السرور أو ما أدى إليهما او الى واحد منهما. و الضرر الألم نفسه أو الغم او ما أدى اليهما او الى واحد منهما. و قوله «إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ» أن يملكنى إياه من نفع او ضر، فيمكنه مما جعل له أخذه او أوجب عليه تركه. و الأجل هو الوقت المضروب لوقوع امر، كأجل الدين و أجل البيع و اجل الإنسان و اجل المسافر فأخبر تعالى انه إذا اتى اجل الموت الذى وقته اللَّه لكل حى بحياة، لا يتأخر ذلک ساعة و لا يتقدم على ما قدره اللَّه تعالى.

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ بَياتاً أَوْ نَهاراً ما ذا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (50)
امر اللّه تعالى نبيه بهذه الاية ان يقول لهؤلاء الكفار الذين استبطأوا وعد اللّه «أ رأيتم» اى أعلمتم؟ لأنها من رؤية القلب، لأنها دخلت على الجملة من الاستفهام «إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ» يعنى عذاب اللّه. و العذاب الألم المستمر و أصله التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 390
الاستمرار، و منه العذوبة لاستمرارها فى الحلق «بياتاً» و هو إتيان الشىء ليلا يقال بيته تبييتاً و بياتاً و بات بيتوتة، و فلان لا يستبيت إذا لم يكن له ما يبيت به.
و جواب «إن» محذوف، و تقدير الكلام ا رأيتم ما ذا يستعجل المجرمون من العذاب إن أتاكم عذابه بياتاً او نهاراً، و وقع «إن أتاكم» فى وسط الكلام موقع الاعتراض. و معنى (ما) فى قوله «ما ذا» للإنكار لأن يكون فى العذاب شىء يستعجل به، و جاء على صيغة الاستفهام، لأنه لا جواب لصاحبه يصح له. و
قال ابو جعفر عليه السلام هو عذاب ينزل فى آخر الزمان على فسقة أهل القبلة.
نعوذ باللَّه منه. و قال هو عذاب ينزل فى آخر الزمان على فسقة أهل القبلة. نعوذ باللّه منه. و قال الزجاج: موضع (ما ذا) رفع من وجهين: أحدهما- ان يكون (ذا) بمعنى (الذى) و التقدير ما الذى يستعجل منه المجرمون. و يجوز أن يكون (ما ذا) اسماً واحداً، و المعنى اى شىء يستعجل منه. و الهاء فى قوله «منه» عائدة على العذاب و يجوز ان تكون عائدة على الاستعجال.

أَ ثُمَّ إِذا ما وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَ قَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (51)
«أ ثم» دخلت الف الاستفهام على (ثم) ليدل على ان الجملة الثانية بعد الاولى مع أن للألف صدر الكلام. و قال الطبرى معنى (ثم)- هاهنا- (هنالک) و هذا غلظ، لان (ثم) بالفتح تكون بمعنى هنالک، و هذه مضمومة فلا تكون الا للعطف. و العامل فى (إذا) يحتمل أمرين: أحدهما- ان يكون «آمنتم به» على أن تكون (ما) صلة. الثانى- ان يكون العامل (وقع) و تكون (ما) مسلطة على الجزاء. و إنما جاز ان يعمل الفعل الأول فى الجزاء دون الثانى، و لم يجز فى (إذا) لئلا يختلط الشرط بجزائه و ليس كذلک (إذا) لأنها مضافة الى التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 391
الفعل الذى بعدها. و الوقوع الحدوث. و قوله «آلآن» مبنى على الفتح، لأن تعريفه كتعريف الحرف فى الانتقال من معنى الى معنى. و معناه عند سيبويه أ نحن من هذا الوقت نفعل كذا، و فتحت لالتقاء الساكنين. و قال الفراء: أصلها (آن) دخلت عليها الالف و اللام و بنيت كالذين، و دخول الالف و اللام على اللزوم لا يمكنه، كما لا يمكن الذى. و معنى الآية أ تأمنون حلول هذا العذاب بكم؟
ثم يقال لكم إذا وقع بكم العذاب و شاهدتموه: آلآن آمنتم به، و كنتم به تستعجلون. و فائدتها الابانة عما يوجبه استعجال العذاب من التوبيخ عند وقوعه حين لا يمكن استدراک الامر فيه بعد أن كان ممكناً لصاحبه.

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (52)

قوله (ثم) عطف على الايمان الذى وقع فى حال الإلجاء اليه. و «قيل» لهم بعد ذلک هذا القول على وجه التوبيخ و التقريع، لأنها ليست حال استدراک لما فات. و المعنى انه يقال لهؤلاء الذين آمنوا حين نزول العذاب بهم- و قيل لهم آلآن و قد استعجلتم «ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ» يعنى الدائم. و يقال لهم «هل تجزون» بهذا العقاب الا بما كنتم تكسبون من المعاصى. و الذوق طلب الطعم بالفم فى الابتداء، شبهوا بالذائق لأنه أشد إحساساً. و قيل لأنهم يتجرعون العذاب بدخوله أجوافهم.

وَ يَسْتَنْبِئُونَکَ أَ حَقٌّ هُوَ قُلْ إِی وَ رَبِّی إِنَّهُ لَحَقٌّ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ (53)
التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 392
معنی «وَ یَسْتَنْبِئُونَکَ» یستخبرونک أی یطلبون النبأ الذی هو الخبر «أحق هو» یعنی هذا الوعید الذی ذکره اللَّه فی هذه الآیة الأولی، فقال اللَّه لنبیه «قُلْ إِی وَ رَبِّی» أی نعم و حق اللَّه انه لحق. و الحق فی الدین ما شهدت به الادلة الموجبة للعلم او اقتضاه غالب الظن فیما طریقه الظن. و قوله «وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ» أی لستم تقدرون علی اعجاز اللَّه عما یریده من انزال العذاب بکم.

وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ما فِی الْأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ (54)
أخبر اللَّه تعالى على وجه التعظيم لهذا العذاب و شدته بأنه لو كان لمن ظلم بارتكاب المعاصى «ما فِی الْأَرْضِ» من الأموال «لَافْتَدَتْ بِهِ» من هول ما يلحقه من العذاب.
المعاصى «ما فى الأرض» من الأموال «لافتدت به» من هول ما يلحقه من العذاب.
و فتحت (أن) بعد (لو) لأنها مبنية على ما هو بمنزلة العامل لاختصاصها بالفعل.
و التقدير لو كان أن لكل نفس، إلا أنه لا يظهر المعنى عن إظهاره بطلب (أن) له. و جاز أن تقع (أن) بعد (لو) و لم يجز المصدر، لأن فتحها يدل على إضمار العامل اللفظى و ليس كذلک المصدر، لأنه مما يعمل فيه الابتداء.
و الافتداء إيقاع الشىء بدل غيره لدفع المكروه يقال: فداه يفديه فدية و فداء، و افتداه افتداء، و فاداه مفاداة و تفادى تفادياً، و فدّاه تفدية.
و قوله «وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ» أى أخفوا الندامة. و قيل «وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ» رؤساء الضلالة من الاتباع و السفلة. و قيل «أَسَرُّوا النَّدامَةَ» أى خلصوها. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 393
و الندامة الحسرة على ما كان يتمنى انه لم يكن، و هى حالة معقولة يتأسف صاحبها على ما وقع منه و يود أنه لم يكن أوقعه. و قال ابو عبيدة «أسروا» معناه أظهروا.
قال الازهرى: هذا غلط إنما يكون بمعنى الاظهار ما كان بالشين المنقطة من فوق و قوله «وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْقِسْطِ» اى فصل بينهم بالعدل «وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ» فى القضاء و الحكم بينهم و ما يفعل بهم من العقاب، لأنهم جرّوه على أنفسهم بارتكاب المعاصى.
و
روى أنه قيل لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله ما يغنيهم اسرار الندامة و هم فى النار؟ قال:
(يكرهون شماتة الاعداء) و روى مثله عن أبى عبد اللَّه عليه السلام.

أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ (55)

«ألا» کلمة تستعمل فی التنبیه، و أصلها (لا) دخلت علیها حرف الاستفهام تقریراً و تأکیداً، فصارت تنبیهاً و کسرت (إن) بعد (ألا) لأن (ألا) یستأنف ما بعدها لینبه بها علی معنی الابتداء: و لذلک وقع بعدها الامر و الدعاء کقول امرئ القیس:

ألا أنعم صباحاً أیها الطلل البالی و هل ینعمن من کان فی العصر الخالی «1»

و وجه اتصال هذه الایة بما قبلها أحد أمرین: أحدهما- للاثبات بعد النفی لأن ما قبلها تقدیره لیس للظالم ما یفتدی به بل جمیع الملک للّه تعالی. و الثانی- ان یکون معناه من یملک السموات و الأرض یقدر علی إیقاع ما توعد به. و السموات جمع سماء و هو مأخوذ من السمو الذی هو العلو، و هی المزینة بالکواکب و هی سقف الأرض، و هی طبقات، کما قال سبع سموات طباقاً. و جمعت السموات، و وحدت

---

(1) دیوانه 158 و هو مطلع قصیدة له مشهورة.

الأرض فی جمیع القرآن، لان طبقاتها السبع خفیة عن الحس و لیس کذلک السموات. و قوله «أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ» صحة ذلک لجهلهم به تعالی و بما یجوز علیه و ما لا یجوز، و جهلهم بصحة ما أنی به النبی صلی الله علیه و آله.

هُوَ يُحيِی وَ يُمِيتُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (56)
فی هذه الاية اخبار منه تعالى أن الذى يملك التصرف فى السموات و الأرض هو الذى يحيى الخلق بعد كونهم أمواتاً و هو الذى يميتهم إذا كانوا أحياء. ثم يرجعون اليه يوم القيامة فيجازيهم بمثل أعمالهم إن كانوا مطيعين بالثواب الدائم، و ان كانوا كفاراً بالعقاب الدائم. قال أبو على: فى هذه الآية دلالة على أنه لا يقدر على الحياة إلا اللّه لأنه تعالى تمدّح بكونه قادراً على الأحياء و الاماتة، فلو كان غيره قادراً على الحياة لما كان فى ذلک مدح. و فيها دلالة على كونه قادراً على الاعادة لان من قدر على النشأة الأولى يقدر على النشأة الثانية.

يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفاءٌ لِما فِى الصُّدُورِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57)

هذا خطاب من اللَّه تعالى للمكلفين من الناس يخبرهم اللَّه تعالى بأنه أتاهم موعظة من اللَّه. و الموعظة ما يدعو الى الصلاح و يزجر عن القبيح بما يتضمنه من الرغبة و الرهبة و يدعو الى الخشوع و النسک، و يصرف عن الفسوق و الإثم، و يريد بذلک القرآن و ما أتى به النبى صلى الله عليه و آله من الشريعة. و قوله «وَ شِفاءٌ لِما فِى الصُّدُورِ» فالشفاء معنى كالدواء لازالة الداء. فداء الجهل أضر من داء البدن و علاجه أعسر التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 395

و أطباؤه اقل و الشفاء منه أجل. و الصدور جمع صدر و هو موضع القلب، و هو اجل موضع فى الحى لشرف القلب. و قوله «وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» وصف القرآن بأنه يقال عما يؤدى الى الحق و دلالة تؤدى الى المعرفة و نعمة على المحتاج لأنه لا يقال للملک إذا اهدى الى ملک آخر جوهرة أنه قد رحمه بذلک، و إن كانت نعمة يجب بها شكره و مكافأته. و إنما أضافه الى المؤمنين، لأنهم الذين انتفعوا به دون الكفار الذين لم ينتفعوا به، كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» و إن كان هدى لغيرهم.

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58)
قرأ الحسن «فلتفرحوا» بالتاء. و به قرأ ابو جعفر المدنى و رويس و روى ذلک عن أبى بن كعب. الباقون بالياء. و كان الكسائى يعيب القراءة بالتاء و أجازها الفراء و احتج بقولهم: لتأخذوا مصافكم. و اللام فى قوله «فليفرحوا» لام الامر و إنما احتيج اليها ليؤمر الغائب بها. و قد يجوز أن يقع فى الخطاب للتصرف فى الكلام. و قرأ أبو جعفر و ابن عامر و رويس «تجمعون» بالتاء. الباقون بالياء. قال ابو على: الجار فى قوله «فبذلک» يتعلق بقوله «فليفرحوا» لان هذا الفعل يصل به قال الشاعر:
فرحت بما قد كان من سيدبكما «1»
و الفاء فى قوله «فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا» زائدة لأن المعنى فافرحوا بذلک و مثله قول الشاعر:

---

(1) قائله زهير ابن أبى سلمى ديوانه: 109 [.....]

فإذا هلكت فعند ذلک فاجزعى «1»
فالفاء فى قوله فاجزعى زيادة مثل التى فى «فليفرحوا» و قال الفراء «فبذلک» بدل من قوله «بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ». و من قرأ بالياء جعله أمراً للغائب، و اللام انما تدخل على فعل الغائب لان المواجهة استغنى فيها عن اللام بقولهم (افعل) فصار مشبهاً للماضى فى قولک (يدع) الذى استغنى عنه ب (ترک)، و لو قلت بالتاء لكنت مستعملا لما هو كالمرفوضْ، و ان كان الأصل. و لا يرجح القراءة بالتاء لكونها هى الأصل لأنه اصل مرفوض. و من قرأ بالتاء اعتبر الخطاب الذى قبله من قوله «قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ ... فلتفرحوا» و زعموا أنها فى قراءة أبى فافرحوا قال أبوا الحسن: و زعموا انها لغة و هى قليلة بمعنى لتضرب، و انت تخاطب. فان قيل: كيف جاء الامر للمؤمنين بالفرح، و قد ذم اللّه ذلک فى مواضع من القرآن كقوله «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ» «2» و قال «إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ» «3» و غير ذلک؟. قيل: اكثر ما جاء مقترناً بالذم من ذلک ما كان مطلقاً، فإذا قيد لم يكن ذماً كقوله «يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ» «4» و فى الاية مقيد بذلک. فأما قوله «فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ» «5» فانه مقيد و مع ذلک فهو مذموم، لكنه مقيد بما يقتضى الذم، كما جاء مقيداً بما لا يقتضى الذم، فمطلقه يقتضى الذم، و مقيده بحسب ما يقيد به، فان قيد بما يقتضى الذم أفاد الذم و إن قيد بما يقتضى المدح أفاد المدح. فأما قوله «فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» «6» و قوله «وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ

الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ» «7» و الفرح بنصر اللّه المؤمنين محمود، كما ان القعود عن رسول اللّه بالتقييد فى الموضعين مذموم.

---

(1) قد مرّ فى 5/ 174
(2) سورة 28 القصص آية 76
(3) سورة 11 هود آية 10
(4) سورة 3 آل عمران آية 170
(5) سورة 9 التوبة آية 82
(6) سورة 40 المؤمن آية 83
(7) سورة 30 الروم آية 4- 5

امر اللّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله أن يقول للمكلفين افرحوا بفضل اللّه، و هو زيادة نعمه و انما جاز أن يقول: فضل اللّه، و انما هو من إفضال اللّه، لأنه فى موضع إفضال، كما ان النبات فى موضع إنبات فى قوله «أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً» «1» و ايضاً فان اضافة الفضل الى اللّه بمعنى الملك كما يضاف العبد اليه بمعنى انه مالك له. و الفرح لذة فى القلب بإدراك ما يحب، و ان شئت قلت: هو لذة فى القلب بنيل المشتهى، و قد حسنه اللّه فى هذه الاية، فدل على انه لا يحب الفرحين بمعنى البطرين.

و قوله «هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» قيل فضل اللّه هو القرآن، و رحمته هو الإسلام «خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» من الذهب و الفضة. ذكره ابن عباس و ابو سعيد الخدرى و الحسن و قتادة و مجاهد. و من قرأ بالياء عنى به المخاطبين و الغيب، غير أنه غلب الغيّب على المخاطبين، كما غلب التذكير على التأنيث، فكأنه أراد به المؤمنين و غيرهم. و من قرأ بالتاء كان المعنى فافرحوا بذلك ايها المؤمنون اى افرحوا بفضل اللّه، فان ما آتاكموه من الموعظة شفاء ما فى الصدور خير مما يجمع غيركم من اعراض الدنيا. و

قال ابو جعفر عليه السلام «بِفَضْلِ اللَّهِ» يعنى الإقرار برسول اللّه و «بِرَحْمَتِهِ» الائتمام بعلى عليه السلام «خَيْرٌ مِمَّا» يجمع هؤلاء من الذهب و الفضة.

و إذا حملت الاية على عمومها كان هذا ايضاً داخلا فيها.

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَ حَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (59)

قال الحسن: المعنى بهذه الاية مشركوا العرب قال اللَّه لهم «أَ رَأَيْتُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ» أى أرزاق العباد من المطر الذى ينزله اللَّه «فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَ حَلالًا»

---

(1) سورة 71 نوح آية 17

يعنى ما حرموا من السائبة و الوصيلة و الحام، و ما حرموا من زروعهم.

قل يا محمّد لهم «آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ؟» معناه انه لم يأذن لكم فى شىء من ذلک بل أنتم تكذبون فى ذلک على اللَّه. و استدل قوم بذلک على أن القياس فى الأحكام لا يجوز. قال الزجاج (ما) فى قوله «ما أَنْزَلَ اللَّهُ» في موضع نصب ب (انزل) و المعنى انكم جعلتم البحائر و السوائب حراماً، و اللَّه تعالى لم يحرم ذلک و تكون (ما) بمعنى الاستفهام. و يحتمل أن تكون (ما) بمعنى الذى و تكون نصباً ب (أ رأيتم). و الرزق منسوب كله الى اللَّه لأنه لا سبيل للعبد اليه الا باطلاقه بفعله له او اذنه فيه اما عقلا او سمعاً. و لا يكون الشىء رزقاً بمجرد التمكين لأنه لو كان كذلک لكان الحرام رزقاً، لأن اللَّه مكّن منه. قال الرمانى:

التحريم عقد بمعنى النهى عن الفعل و التحليل حل معنى النهى بالاذن.

وَ ما ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ (60)

المعنى أى شىء يظن الذين يكذبون على اللَّه انه يصيبهم يوم القامة على افترائهم على اللَّه، اى لا ينبغى ان يظنوا ان يصيبهم على ذلک الا العذاب و العقاب، و جعل ذلک زجراً عن الكذب على اللَّه. ثم اخبر تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» بما فعل بهم من ضروب النعم «وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ» نعمه و لا يعترفون به و يجحدونه، و هذا خرج مخرج التقريع على افتراء الكذب، و إن كان بصورة الاستفهام و تقديره ا يؤديهم الى خير ام شر؟. و افتراء الكذب أفحش من فعل الكذب بتزويره و تنميقه فالزاجر عنه أشد. و قيل: معنى قوله «لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» أى لم يضيق عليهم بالتحريم لما لا مصلحة لهم فى تحريمه كما ادعيتم عليه. و قيل: التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 399

معناه انه لذو فضل على خلقه بتركه معاجلة الكذاب بالعقوبة فى الدنيا، و إمهاله إياه الى يوم القيامة.

وَ ما تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ ما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَ لا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (61)

قرأ الكسائى «يعزب» بكسر الزاى هنا و فى سبأ. الباقون بضمها، و هما لغتان. و ان كان الضم أفصح و اكثر. و قرأ حمزة و خلف و يعقوب «و لا أصغر ...

و لا اكبر» بالرفع فيهما. الباقون بفتحهما. فمن فتح الراء فلأن (افعل) فى الموضعين فى موضع جر، لأنه صفة المجرور الذى هو قوله «مِثْقالِ ذَرَّةٍ» و انما فتح، لأن (افعل) إذا اتصل به منكر كان صفة لا تنصرف فى النكرة. و من رفعه حمله على موضع الموصوف، لأن الموصوف الذى هو «مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ» الجار و المجرور فى موضع رفع، كما كانا فى موضعه فى قوله «كَفى بِاللَّهِ» «1» و مثل قوله «مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» «2» فمن رفع يجوز ان يكون صفة بمنزلة (مثل) و يجوز أن يكون استثناء كما تقول: ما لكم من إله الا اللّه. و مثله

---

(1) سورة 4 النساء آية 5، 44، 69، 78، 80، 131، 165، 170، و يونس آية 29 و الرعد 45 و الإسراء 96، و العنكبوت 52، و الأحزاب 3، 48 و الفتح 28.

(2) سورة 11 هود آية 50، 61، 83 و سورة 23 المؤمنون آية 23، 32

«فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ» «1» و غير ذلک. و يجوز أن يعطف قوله «و لا أصغر» على «ذرة» فيكون التقدير و ما يعزب عن ربک مثقال ذرة و لا مثقال أصغر، فعلى هذا لا يجوز الا الجر لأنه لا موضع للذرة غير لفظها، كما كان لقولک من مثقال ذرة موضع غير لفظه.

و لا يجوز على قراءة حمزة ان يكون معطوفاً على (ذرة) كما جاز فى قول الباقين لأنه إذا عطف على (ذرة) وجب ان يكون أصغر مجروراً، و انما فتح، لأنه لا ينصرف و كذلک يكون على قول من عطفه على الجار الذى هو (من).

معنى قوله «وَ ما تَكُونُ فِي شَأْنٍ» ليس تكون فى حال من الأحوال، لأن الشأن و البال و الحال نظائر و جمعه شئون. و الشأن معنى مفخم على طريق الجملة يقال: ما شأنک و ما حالک و ما بالک. و قوله «وَ ما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ» اى و ليس تتلو من القرآن، فتكون الهاء كناية عن القرآن قبل الذكر لتفخيم ذكر القرآن، كما قال «إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» «2» و

يحتمل أن تكون الهاء عائدة على الشأن و تقديره و ما يكون من الشأن. و قوله «وَ لا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً» اى ليس يخفى على اللَّه شىء من أعمالكم بل يعلمها كلها و يشهدها.
و المشاهدة الإدراک بالحاسة. و المشاهد المدرک بحاسة اى ذات يعنى عن حاسة يقال:
شاهد و شهود و شهداء. و قوله «إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ» فالاضافة الدخول فى العمل على جهة الانصباب اليه، و هو الانبساط اليه فى العمل مأخوذ من فيض الإناء إذا انصب من جوانبه. و منه قوله «أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ» «3» اى تفرقتم كتفرق الماء الذى ينصب من الإناء. و مثله أفاض الماء عليه و أفاض فى الحديث و قوله «وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّکَ» فالعزوب الذهاب عن المعلوم و ضده حضور المعنى للنفس. و تعزّب إذا انفرد عن اهله. و قال ابن عباس معنى لا يعزب لا يغيب. و قوله «مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ» فالذر صغار النمل واحده ذرّة، و هو خفيف الوزن جداً. و معنى مثقال ذرة وزن

---

(1) سورة 63 المنافقون آية 10
(2) سورة 27 النمل آية 9
(3) سورة 2 البقرة آية 198
. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 401
ذرة يقال: خذ هذا فانه أخف مثقالا اى أخف وزناً. و قوله «وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتابٍ مُبِينٍ» معناه لا يخفى عليه ما وزنه مثقال ذرة و لا ما هو أصغر منها و لا ما هو اكبر الا و قد بينه فى الكتاب المحفوظ و كتبته ملائكته و حفظوه.

أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)
بين اللَّه تعالى فى هذه الآية أن أولياءه لا خوف عليهم يوم القيامة من العقاب «وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» اى و لا يخافون. و قال ابن عباس و سعيد بن جبير: هم قوم ذكرهم اللَّه بما هم عليه من سيماء الخير و الإخبات. و قال ابن زيد: هم الذين آمنوا و كانوا يتقون. و قد بينهم فى الاية بعدها. و قال قوم: هم المتحابون فى اللَّه ذكر ذلک فى خبر مرفوع. و الأولياء جمع ولى و هو الذى يستحق من اللَّه ان يوليه ثوابه و كرامته، و هو المطيع للَّه الذى يتولى إجلاله و إعظامه. و قيل: الولى النصير و لا يسمى المتولى الانعام على غيره انه وليه، لأنه قد يتولى الانعام عليه للمظاهرة بالجميل فى أمره و استصلاحه الذى يصرف عن القبيح، و ان كان عدوه. و لا يجتمع الولاية و العداوة. و الخوف انزعاج القلب لما يتوقع من المكروه. و الخوف و الفزع و الجزع نظائر، و ضده الأمن. و الحزن غلظ الهّم مأخوذ من الحزن، و هى الأرض الغليظة، و ضده السرور. قال الجبائى: هذه الآية تدل على ان المؤمنين المستحقين للثواب لا يخافون يوم القيامة أصلا بخلاف ما يقول قوم انهم يخافون الى ان يجوزوا الصراط. و قال البلخى: ليس يمتنع ان يخافوا من اهوال يوم القيامة و ان علموا ان مصيرهم الى الجنة و الثواب. و على ما نذهب اليه من انه يجوز ان يعاقب اللَّه بعض الفساق ثم يردهم الى الثواب ينبغى ان تكون الآية مخصوصة بمن لا يستحق العقاب أصلا. او نقول المراد بذلک لا خوف عليهم و لا هم يحزنون لذلک. و
روى عن الحسين عليه السلام انهم الذين ادّوا فرائض اللَّه و أخذوا بسنن رسول اللَّه و تورعوا التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 402
عن محارم اللَّه و زهدوا فى عاجل زهرة الدنيا، و رغبوا فيما عند اللَّه و اكتسبوا الطيب من رزق اللَّه لمعايشهم لا يريدون به التفاخر و التكاثر. ثم أنفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبة، فأولئک الذين يبارک اللَّه لهم فيما اكتسبوا و يثابون على ما قدموا منه لآخرتهم.

الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ (63)
يحتمل موضع (الذين) ثلاثة أوجه من الاعراب: أحدها- ان يكون نصباً بأن يكون صفة للأولياء. و الثانى- ان يكون رفعاً على المدح. و الثالث- ان يكون رفعاً بالابتداء، و خبرهَُمُ الْبُشْرى»
.اخبر اللَّه تعالى ان الذين آمنوا هم الذين يصدقون باللَّه و يعترفون بوحدانيته و هم مع ذلک يتقون معاصيه. و الفرق بين الايمان و التقوى ان التقوى مضمن باتقاء المعاصى مع منازعة النفس اليها. و الايمان من الأمن بالعمل من عائد الضرر.
و الفرق بين الايمان باللَّه و الطاعة له ان الطاعة من الانطياع بجاذب الأمر و الارادة المرغبة فى الفعل. و الايمان هو الامن المنافى لانزعاج القلب. و قوله «يتقون» فالاتقاء أصله من (وقيت) فقلبت الواو، و أدغمت فى تاء الافتعال كما قلبت فى اتجاه و تراث.

لَهُمُ الْبُشْرى فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِى الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64)
ذكر اللّه تعالى ان الذين وصفهم فى الاية الاولى من انهم مؤمنون باللّه و يتقون معاصيهَ«هُمُ الْبُشْرى»
و هى الخبر بما يظهر سروره فى بشرة الوجه. و البشرى التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 403
و البشارة واحد. و قولهِ«فِى الْحَياةِ الدُّنْيا»
قيل فيه ثلاثة اقوال:
أحدها- قال قتادة و الزهرى و الضحاک و الجبائى: هو بشارة الملائكة عليهم السلام انها الرؤيا الصادقة الصالحة يراها الرجل او يرى له. و
قال ابو جعفر عليه السلام البشرى فى الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او يرى له و فى الآخرة الجنة.
و الثالث- بشرى القرآن بشرف الايمان- ذكره الفراء و الزجاج و غيرهما. و قوله تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ»
معناه لا خلف لما وعد اللّه تعالى به من الثواب بوضع كلمة اخرى مكانها بدلا منها، لأنها حق و الحق لا خلف له بوجه. و قولهلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»
اشارة الى هذه البشرى المتقدمة بأنه الفوز الذى يصغر كل شىء فى جنبه.

وَ لا يَحْزُنْکَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (65)
ظاهر قوله «وَ لا يَحْزُنْکَ قَوْلُهُمْ» ظاهره النهى و المراد به التسلية للنبى صلى الله عليه و آله عن قولهم الذى يؤذونه به. و النهى فى اللفظ القول. و انما هو عن السبيل المؤدى الى التأذى بالقول. و مثله لا أراک هاهنا و المعنى لا تكن هاهنا فمن كان هاهنا رأيته، فكذلک المراد بالآية لا تعبأ بالأذى فيمن عنى به أذاه. و قوله «إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً» كسرت (إن) بالاستئناف بالتذكير لما ينفى الحزن لا انها مفعول القول لأنها ليست حكاية عنهم، لأنهم لم يقولوا ان العزة للّه. و لا يجوز نصبها على ان تكون معمول القول لأنهم لو قالوه لما احزن ذلک النبى صلى الله عليه و آله و لو فتحت (ان) على معنى (لان) جاز. و العزة القدرة على كل جبار بالقهر بأن لا يرام و لا يضام عز يعز عزاً فهو عزيز و المعنى انه الذى يعزک و ينصرک حتى تصير أعز ممن ناواک و قوله «هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» معناه انه يسمع قولهم و يعلم ضميرهم فيجازيهم بما تقتضيه حالهم و يدفع عنک شرهم.

أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ وَ ما یَتَّبِعُ الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَکاءَ إِنْ یَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاَّ یَخْرُصُونَ (66)

قد بینا فیما مضی أن أصل (ألا) (لا) و انما دخلت علیها حرف الاستفهام تنبیهاً. و الفرق بین (ألا) و (أما) أن (ألا) للاستقبال و لا تقع بعدها (إن) الا مکسورة. و (اما) تکون بمعنی حقاً کقولهم اما انه منطلق، لأنها للحال و یجوز بعد (اما) کسر (ان) و فتحها.

لما سلی اللّه النبی صلی الله علیه و آله فقال «لا یحزنک» قول هؤلاء الکفار ف «إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ» یعنی القدرة و القهر فإنهم لا یفوتونه، بین بعد ذلک ما یدل علیه و ینبه علی صحته و هو أن له تعالی «مَنْ فِی السَّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ» یعنی العقلاء. و إذا کان له ملک العقلاء فما عداهم تابع لهم، و وجب ان یکون ملکاً له و انما خص العقلاء تعظیماً للأمر. و قوله «وَ ما یَتَّبِعُ الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَکاءَ» تحتمل (ما) فی قوله «وَ ما یَتَّبِعُ» وجهین: أحدهما- إن تکون بمعنی (ای) کأنه قال و ای شیء یتبع الذین یدعون من دون اللّه شرکاء، تقبیحاً لفعلهم. الثانی- ان تکون نافیة، و تقدیره و ما یتبعون شرکاء فی الحقیقة و المعرفة.

و قوله «إِنْ یَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ» معناه لیس یتبعون فی اتخاذهم مع اللّه شرکاء الا الظن لتقلیدهم أسلافهم فی ذلک او لشبهة دخلت علیهم بأنهم یتقربون بذلک الی اللّه تعالی و بین بعد ذلک انهم لیسوا الا کاذبین بهذا القول و الاعتقاد- فی قوله «إِنْ هُمْ إِلَّا یَخْرُصُونَ». و فائدة الایة الابانة عن انه یجب اخلاص العبادة لمن یملک السموات و الأرض و ان لا یشرک معه فی العبادة غیره.

هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اللَّیْلَ لِتَسْکُنُوا فِیهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَسْمَعُونَ (67)

بین اللّه تعالی فی هذه الآیة ان الذی یملک من فی السموات و من فی الأرض «هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اللَّیْلَ» ای خلقه «لِتَسْکُنُوا فِیهِ» ای خلقه و عرّضه لتسکنوا فیه و انه لأجل ذلک خلقه لیزول التعب و الکلال بالسکون فیه و جعل «النَّهارَ مُبْصِراً» و انما یبصر فیه تشبیهاً و مجازاً و استعارة فی صفة الشیء بسببه علی وجه المبالغة و مثله قول جریر:

لقد لمتنا یا أم عیلان فی السری و نمت و ما لیل المطی بنائم «1»

و قال رؤبة:

و نام لیلی و تجلی همی «2»

و الفرق بین الجعل و الفعل ان جعل الشیء قد یکون باحداث غیره کجعل الطین خزفاً و لا یکون فعله إلا باحداثه. و الفرق بین الجعل و التغییر أن تغییر الشیء لا یکون الا بتصییره علی خلاف ما کان، و جعله یکون بتصییره علی مثل ما کان کجعل الإنسان نفسه ساکتاً علی استدامة الحال.

و قوله «إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَسْمَعُونَ» اخبار منه تعالی و تنبیه علی ان هذا الجعل لا یقدر علیه الا اللّه تعالی، و انه لا یصح الا من عالم قاصد، و انه نعمة علی الخلق بما لهم فی ذلک من النفع و الصلاح، و انه من الأمور اللازمة الدائرة، و انه منصوب للفکر لا یغیب عنه طرفة عین.

---

(1) دیوانه 544 و تفسیر الطبری 11/ 89 و مجاز القرآن 1/ 279 [.....]

(2) دیوانه 143 و مجاز القرآن 1/ 279

قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بِهذا أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (68)
الذين أضافوا اتخاذ الولد اليه طائفتان: إحداهما- كفار قريش و العرب، فإنهم قالوا: الملائكة بنات اللّه. و الاخرى- النصارى الذين قالوا: المسيح ابن اللّه، فكذب اللّه الفريقين. و لا يجوز اتخاذ الولد على اللّه على وجه التبنى، كما لا يجوز عليه اتخاذ إله على التعظيم، لأنه لما استحال حقيقته عليه استحال مجازه المبنى عليها. و حقيقة الولد من ولد على فراشه او خلق من مائه، و لذلک لا يقال: تبنى الشاب شيخاً، و لا تبنى الإنسان بهيمة لما كان ذلک مستحيلا، و هذه الحقيقة مستحيلة فيه تعالى، فاستحال مجازها أيضاً. و اتخاذ الخليل جائز، لان الخلة اصفاء المودة التى توجب الاطلاع على سره ثقة به. و ان كان مشتقاً من الخلة- بفتح الخاء- فهو لافتقاره اليه، لان الخلة هى الحاجة. و يجوز ان يقال المسيح روح اللّه، لان الأرواح كلها ملک للّه. و انما خص المسيح بالذكر تشريفاً له بهذا الذكر كما خص الكعبة بأنها بيت اللّه، و ان كانت الأرض كلها للّه تعالى.
و قوله «سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ» تنزيه من اللّه تعالى نفسه عن اتخاذ الولد لكونه غير محتاج الى ذلک، لأنه مالک ما فى السموات و الأرض. و قوله «إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بِهذا» إخبار منه أنه ليس مع هؤلاء الذين يتخذون مع اللّه ولداً برهان و لا حجة، لأنّ السلطان هو البرهان الظاهر، و وبخهم على قولهم ذلک فقال «أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» لأن من أقدم على الاخبار عما لا يعلم صحته و لا يأمن كونه كذباً مقبح عند العقلاء.

قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (69) مَتاعٌ فِى الدُّنْيا ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذابَ الشَّدِيدَ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ (70)

آيتان عند الجميع.

قوله «لا يفلحون» وقف تام. أمر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله ان يقول للمكلفين «إن الذين» يكذبون على اللَّه باتخاذ الولد و غير ذلک «لا يُفْلِحُونَ» اى لا يفوزون بشىء من الثواب. و كسرت (إنّ) بعد القول، لأنه حكاية لما يستأنف الاخبار به و لذلک دخلت لام الابتداء فى الخبر، لأنها تؤذن بأنه موضع ابتداء. و الكذب يتعاظم الإثم عليه بحسب تعاظم الضرر به و كثرة الزواجر عنه، فالكذب على اللَّه أعظم لكثرة الزواجر عنه لما فيه من تضييع حق المنعم بأجل النعم. و قوله «مَتاعٌ فِى الدُّنْيا» رفع بأنه خبر الابتداء. و تقديره ذاک متاع أو هو متاع.

و يجوز أن يكون على تقدير لهم متاع. و إنما خص بالدنيا لئلا يغتر به. و المتاع ما يقع به الانتفاع من أثاث أو غيره. و الانتفاع حصول الالتذاذ. و انما جاز أن يمتعوا فى الدنيا دون الاخرة، لأن الدنيا دار عمل و الآخرة دار جزاء، و لذلک كان التكليف فى الدنيا دون الآخرة. و قوله «ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ» فالمرجع المصير الى الشىء بعد الذهاب عنه، فهؤلاء ابتدأهم اللَّه ثم يصيرون الى الهلاک بالموت. ثم يرجعون بالانشاء ثانية. و قوله «ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذابَ الشَّدِيدَ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ» معناه انا لا نقتصر على بعثهم بعد موتهم بل نوصل اليهم العذاب الشديد و ننزله بهم جزاء بما كانوا يكفرون فى دار الدنيا.

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقامِي وَ تَذْكِيرِي بِآياتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَ لا تُنْظِرُونِ (71)

قرأ نافع فى رواية الأصمعى عنه «فاجمعوا» من جمع الباقون بقطع الهمزة و قرأ يعقوب «و شركاؤكم» بالرفع. الباقون بالنصب. قال أبو على: ما رواه الأصمعى عن نافع من وصل الهمزة من جمعت، و الأكثر فى الامر يقال أجمعت، كقوله «وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ» «1» و كما قال الشاعر:

[يا ليت شعرى و المنى لا تنفع] هل أغدون يوماً و أمرى مجمع «2»

اى معد، و يمكن أن يكون المراد، و اجمعوا ذوى الأمر منكم أى رؤساءكم و وجوهكم، كما قال «أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ» «3» فحذف المضاف و أجرى على المضاف اليه ما كان يجرى على المضاف لو ثبت. و يجوز ان يكون جعل الامر ما كانوا يجمعونه من كيدهم ثم الذين يكيدونه به، فيكون بمنزلة قوله «فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا» على أن أبا الحسن يزعم أن وصل الألف فى «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكاءَكُمْ» أكثر فى كلام العرب. قال: و انما يقطعون الهمزة إذا قالوا أجمعوا على كذا و كذا، قال: و القراءة بالقطع غريبة. و من وصل الهمزة حمل الشركاء على هذا الفعل الظاهر لأنك جمعت الشركاء و جمعت القوم، و على هذا

---

(1) سورة 12 يوسف آية 102

(2) تفسير الطبرى 11/ 90 و القرطبى 8/ 362

(3) سورة 4 النساء آية 82

قال «ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ» «1» و من قطع الهمزة أضمر للشركاء فعلا آخر كأنه قال فاجمعوا أمركم و اجمعوا شركاءكم أو ادعوا شركاءكم، قال الشاعر:

علفتها تبناً و ماء بارداً «2»

و قال آخر:

شراب البان و تمر و أقط

و فى قراءة أبى «و ادعوا شركاءكم» و يجوز أن يكون انتصاب الشركاء على انه مفعول معه، و هو قول الزجاج، كما قالوا: استوى الماء و الخشبة، و جاء البرد و الطيالسة، و قالوا: لو ترك الفصيل و امه لرضع من لبنها. و من رفع «و شركاؤكم» كيعقوب و الحسن حمله على الضمير، و تقديره

فاجمعوا أنتم و شركاؤكم. قال الزجاج: و حسن ذلک لدخول المنصوب بينهما. و لو لم يدخل لما حسن. و لا يجوز أن تقول اجمعوا و شركاؤكم. و انما يجوز العطف على الضمير إذا أكد. و زعم ابو الحسن أن قوماً يقيسون هذا الباب. و قوماً يقصرونه على ما سمع. قال ابو على الفارسى: و الاول عندى أقيس.
امر اللّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله أن يقرأ على هؤلاء الكفار أخبار نوح عليه السلام حين «قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقامِى» بين أظهركم «و تذكيرى» إياكم «بِآياتِ اللَّهِ» و حججه و هممتم بقتلى و اذاى فافعلوا ما بدا لكم فانى على اللّه توكلت و إنما جعل جواب الشرط «فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ» مع انه متوكل عليه فى جميع أحواله ليبين لهم أنه متوكل فى هذا على التفصيل لما فى إعلامه ذلک من زجرهم عنه لان اللّه تعالى يكفيه أمرهم. و التوكل و التفويض جعل الامر الى من يدبره للثقة به فى تدبيره فمن فوض أمره الى اللّه فقد توكل عليه. و قوله «ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً» معناه ليكن أمركم ظاهراً مكشوفاً و لا يكونَّ مغطى مستوراً من

---

(1) سورة 11 هود آية 104
(2) تاويل مشكل القرآن 165 و أمالى المرتضى 2/ 170 و اللسان (علف)

غممت الشىء إذا سترته، فالغمة ضيق الامر الذى يوجب الحزن، و الغمة و الضغطة و الكربة و الشدة نظائر، و نقيضه الفرجة. و قيل (غمة) معناه مغطى تغطية حيرة مأخوذة من غم الهلاک. و قوله «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكاءَكُمْ» فيه تهديد. و قوله «ثُمَّ اقْضُوا إِلَىَّ وَ لا تُنْظِرُونِ» معناه افعلوا ما تريدون، على وجه التهديد لهم، و انه إذا كان اللّه ناصره و عليه توكله فلا يبالى بمن عاداه و أراد به السوء فان اللّه يكفيه أمره. و قرئ بالفاء و معناهما متقاربان، و لان معنى اقضوا توجهوا الى. و قال ابن الانبارى معنى «اقضوا» امضوا، يقال قضى فلان إذا مات و مضى. و معنى «وَ لا تُنْظِرُونِ» و لا تؤخرون.

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (72)

يقول اللَّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله تمام ما حكاه عن نوح انه قال لقومه إن «توليتم» اى هربتم عن الحق و اتباعه و لم تقبلوه و لم تنظروا فيه. و التولى و الاعراض و الانصراف نظائر. و قوله «فَما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ» اى لا اطلب منكم اجراً على ما أؤديه إليكم من اللَّه، فيثقل ذلک عليكم. و الأجر النفع المستحق بالعمل. و الاجرة مضمنة بشريطة او مجرى عادة. و قوله «إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ» اى ليس اجرى فى القيام بأداء الرسالة الا على اللَّه.

و قوله «وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» معناه قل لهم: أمرنى اللَّه بأن أكون من المسلمين لأمر اللَّه بطاعته ثقة بأنها خير ما يكسبه العباد.

فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِی الْفُلْکِ وَ جَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِینَ (73)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 411

لما حکی اللَّه تعالی ما قال نوح لقومه فی الآیتین الاوّلتین، ذکر ما کان من قومه فی مقابلة ذلک، و هو انهم کذبوه ای نسبوه الی الکذب فیما ذکره من انه نبی اللَّه و ان اللّه بعثه الیهم لیدعوهم الی طاعته، و انه تعالی عند ذلک نجا نوحاً ای خلصه، و خلص الذین معه فی السفینة و جعلهم خلائف معه، انه جعل الذین نجوا مع نوح لمن هلک بالغرق عبرة. و قیل انهم کانوا ثمانین نفساً.

و قال البلخی: یجوز أن یکون أراد به جعل منهم رؤساء فی الأرض و أهلک باقی أهل الأرض أجمع لتکذیبهم لنوح. و الغرق الإهلاک بالماء الغامر، و قد یغرق الحصاة بالماء علی هذا المعنی. و اما التغریق فی رحمة اللّه. فإنما هو تشبیه بما اکتنفه الماء الغامر. ثم قال لنبیه صلی الله علیه و آله «فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِینَ» خوفوا باللّه و عذابه فلم یخافوه، کیف اهلکهم اللَّه لیعلمهم بذلک ان حکم هؤلاء الذین کذبوه و جحدوا نبوته حکم أولئک فی أن اللّه یهلکهم و یدمر علیهم، یسلیه بذلک عن ترک انقیادهم له.

ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (74)
أخبر اللَّه تعالى انه بعث رسلا- بعد نوح و إهلاک قومه- الى قومهم الذين كانوا فيهم بعد ان تناسلوا و كثروا فأتوهم بالحجج و المعجزات الدالة على صدقهم و انهم مع التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 412
ذلک «فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ» و يحتمل ذلک أمرين: أحدهما- انهم لم يكونوا ليؤمنوا بما كذبوا به قوم نوح من قبل: من توحيد اللَّه و تصديق أنبيائه و الثانى- قال البلخى ما كانوا ليؤمنوا بالحجج و البينات بعد إتيان الأنبياء بها بما كذبوا به من قبل يخبر عن عنادهم و عتوهم.
و قال «كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ» معناه إنا جعلنا على قلوب هؤلاء الكفار سمة و علامة على كفرهم يلزمهم الذم بها، و تعرفهم بها الملائكة و إنا مثل ذلک نفعل بقلوب المعتدين. و ليس المراد بالطبع فى الآية المنع من الايمان، لان مع المنع من الايمان لا يحسن تكليف الايمان. و الطبع جعل الشىء على صفة غيره بمعنى فيه. و المعتدون هم الظالمون لنفوسهم الذين تعدوا حدود اللّه.

ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى وَ هارُونَ إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِ بِآياتِنا فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (75)
هذا اخبار من اللّه تعالى انه- بعد إرسال من أرسل من الأنبياء بعد نوح و إهلاک قومه و ما ذکره من انهم لم يؤمنوا به و انه طبع على قلوبهم عقوبة لهم على ذلک- بعث ايضاً بعدهم موسى و هارون عليهما السلام نبيين مرسلين «إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ» يعنى رؤساء قومه «بآياتنا» اى بأدلتنا و حججنا و انهم استكبروا عن الانقياد لها و الايمان بها «وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ» فى ذلک مستحقين للعقاب الدائم. و الملاء الجماعة الذين هم وجوه القبيلة مأخوذ من انهم تملا الصدور هيبتهم عند منظرهم.
و منه
قوله صلى الله عليه و آله فى قتلى بدر (أولئک الملاء من قريش).
و الاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق فأما المتكبر فى أوصاف اللَّه فهو الظاهر، فان له على مراتب الكبر، و هو صفة ذم فى العباد و مدح فى صفة اللّه تعالى. و الاجرام اكتساب السيئة التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 413
و هى صفة ذم. و اصل الاجرام القطع يقال: جرم التمر يجرمه جرماً فهو جارم و الجمع جرام إذا صرمه، و زمن الجرام زمن الصرام. و تجرمت السنة إذا انصرمت. و فلان جريمة اهله اى كاسبهم. و قوله «لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ» «1» اى لا بد لهم النار قطعاً قال الشاعر:
و لقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا «2»
اى حملتهم على الغضب بقطعها إياهم. و انجرم الجسيم، و الجرم الصوت، و الجرم الذنب. و وزن (موسى) مفعل و هو محمول على قياس العربية فزيادة الميم أولا اكثر من زيادة الالف اخيراً و كذلک زيادة همزة الفعل فى افعل لهذه العلة.

فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا إِنَّ هذا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (76)
أخبر اللّه تعالى عن قوم فرعون الذين ذكرهم و أخبر عنهم بالاستكبار انهم قالوا مع ذلک حين جاءهم الحق من عند اللّه: ان هذا الذى اتى به موسى من المعجزات و البراهين سحر ظاهر. و (لما) تدل على ما مضى و لا بد لها من الجواب و (إذ) لما مضى و تستغنى عن الجواب كقولک: مضى اليه إذ قدم اى يوم قدم.
(و إذا) تكون للمستقبل كحرف الجزاء. و الحق معنى معتقده على ما هو به، و هو ما أتت به الرسل من البيان و البرهان عن اللّه تعالى. و السحر إيهام المعجزة على طريق الحيلة، و يشبه به البيان فى خفاء السبب قال الشاعر:
و حديثها السحر الحلال لو انّه لم يجن قتل المسلم المتحرز
و الساحر الذى يعتقد صحة سحره كافر، لأنه لا يمكنه مع ذلک معرفة النبوة فان كان يمخرق بالسحر و يعلم انه باطل لم يكفر و لم يطلق عليه صفة ساحر.

_____
(1) سورة 16 النحل آية 62
(2) مرّ تخريجه فى 3/ 423

قالَ مُوسى أَ تَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَكُمْ أَ سِحْرٌ هذا وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (77)
حكى اللّه تعالى عن موسى انه قال لقومه الذين نسبوه الى السحر «أَ تَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَكُمْ أَ سِحْرٌ هذا» و يريد بذلک تبكيتهم و تهجينهم. ثم قال موسى «وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ» اى لا يفوزون بشىء من الخير. و يجوز أن يكون ذلک اخباراً من اللّه تعالى لا حكاية عن موسى و ذلک يدل على بطلان السحر أجمع. و قيل فى تكرير الف الاستفهام فى قوله «أَ سِحْرٌ هذا» بعد ان قال «أَ تَقُولُونَ» ثلاثة اقوال: أحدها- انه يكون لتأكيد التقريع على الحذف كأنه قال ا تقولون للحق لما جاءكم ان هذا لسحر مبين أسحر هذا. و الثانى- على وجه التكرار كقولک ا تقول ا عندک مال. و الثالث- أن يكون حكاية قولهم و ان اعتقدوا انه السحر كما يقول الرجل للجارية إذا أتته أحق هذا، فيقولونه على التعجب.
و لو قالوا الحق لا يكون سحراً. و لكن ليس بحق لقال لهم فلو كان حقاً كيف كان الا هكذا من قلب الجماد حيواناً يرونه عياناً و غير ذلک من الآيات.

قالُوا أَ جِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا وَ تَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِياءُ فِى الْأَرْضِ وَ ما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ (78)
روى العليمى «و يكون» بالياء. الباقون بالتاء. وجه الياء انه تأنيث غير حقيقى، و قد فصل بينهما. و من قرأ بالتاء فلان الكبرياء لفظها لفظ التأنيث.
أخبر اللّه تعالى عن قوم موسى انهم قالوا له لما اظهر لهم المعجزات و دعاهم الى التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 415
التصديق بنبوته «أَ جِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا» اى لتصرفنا عن ذلک و اللفت الصرف عن امر تقول: لفته يلفته لفتاً، و لفت عنقه إذا لواها، قال رؤبة:
و لفت لفاتٍ لها حصاد
و قال ايضاً:
لفتاً و تهزيعاً سواء اللفت
التهزيع الدق و اللفت اللى. و قوله «وَ تَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِياءُ فِى الْأَرْضِ» قال مجاهد: الكبرياء الملک. و قال قوم هى العظمة. و قال آخرون هى السلطان.
و الكبرياء استحقاق صفة الكبر فى أعلى المراتب. و الالف فى قوله «أ جئتنا» الف استفهام، و المراد به الإنكار على طريق اللجاج و الحجاج منهم، فتعلقوا بالشبهة فى انهم على رأى آبائهم، و ان من دعاهم الى خلافه فظاهر أمره انه يريد التأمر عليهم.
و قوله «وَ ما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ» حكاية انهم قالوا لموسى و هارون لسنا بمصدقين لكما فيما تدعيانه من النبوة.

وَ قالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِی بِکُلِّ ساحِرٍ عَلِیمٍ (79)
قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً «بكلّ سحّار» بتشديد الحاء و الف بعدها الباقون (ساحر) على وزن فاعل. و قد بينا الوجه في ذلک فی الاعراف.
حكى اللَّه تعالى عن فرعون انه حين أعجزه المعجزات التى ظهرت لموسى، و لم يكن له فى دفعها حيلة قال لقومه ائتونى بكل ساحر عليم بالسحر بليغ فى علمه.
و (فرعون) لا ينصرف لأنه أعجمى معرفة، و هو منقول فى حال تعريفه و لو نقل فى حال تنكيره انصرف كياقوت. و وزن فرعون فعلون، الواو زائدة، لأنها لحقت عند سلامة الثلاثة. و مثله فردوس. و إنما طلب فرعون كل ساحر ليتعاونوا على دفع ما اتى به موسى و حتى لا يفوته شىء من السحر بتأخر بعضهم. و إنما التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 416
توهم مقاومة السحرة لموسى مع قول موسى له «لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» لأنه إنما عرف ذلک فيما بعد لما بهره الامر فكان قبل ذلک على الجهل لتوهمه ان السحر يقاوم الحق.

فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالَ لَهُمْ مُوسى أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ (80)
حكى اللَّه تعالى ان السحرة الذين طلبهم فرعون و امر باحضارهم لما جاءوا فرعون و موسى حاضر «قالَ لَهُمْ مُوسى أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ» و هذا ظاهره الامر و يحتمل أمرين: أحدهما- أن يكون قال ذلک على سبيل التحدى و الإلزام بمعنى: من كان عنده انه يقاوم المعجزات لزمه ان يأتى بها معه حتى تظهر منزلته و انما جاز إلزام الباطل على الخصم ليتبين ان أصله الفاسد يوجب عليه اعتقاد ذلک الباطل، كما ان الشيطان يوجب الفساد و يدعوه الى الضلال. الثانى- أن يكون ذلک امراً على الحقيقة بدليل ان كان معه قوله «أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ» انما لم يقتصر على قوله «القوا» لأن المراد به القوا جمع ما أنتم ملقون فى المستأنف فلا يكفى منه القوا. و الإلقاء إخراج الشىء عن اليد الى جهة الأرض و يشبه بذلک قولهم القى عليه مسألة و القى عليه كلمة، و الإلقاء و الطرح نظائر. و فى الكلام حذف، لان تقديره قال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فأتوه بهم فقال لهم موسى.

فَلَمَّا أَلْقَوْا قالَ مُوسى ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (81)

قرأ ابو عمرو وحده «آلسحر» على الاستفهام. الباقون على الخبر. التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 417

قال ابو على الفارسى: فى قراءة أبى عمرو (ما) يرفع بالابتداء، و جئتم به فى موضع الخبر و الكلام استفهام، لأن الكلام يستقبل بقوله جئتم به. و لو كانت موصولة احتاج الى خبر آخر. و هذا الاستفهام المراد به التقرير كما، قال «أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ» «1» لان موسى كان عالماً بأن ذلک السحر. و انما ألحق الف الاستفهام بقوله «السحر» لان السحر بدلا من «ما» المبتدأ و لزم ان يلحق السحر الاستفهام ليساوى المبدل منه فى انه استفهام، الا ترى انه ليس فى قولک السحر استفهام و على هذا قالوا كم مالک أ عشرون أم ثلاثون، فجعلت العشرون بدلا من كم فألحقت ام لأنک فى قولک كم درهماً مالک، مدع ان له مالا. و من قرأ على الخبر جعل (ما) موصولة (و جئتم به السحر) صلة، و الهاء مجرورة عائدة على الموصول و السحر خبر المبتدأ الذى هو الموصول. و حكى الفراء: انه دخل الالف و اللام فى فى قوله «السحر» للعهد، لأنهم قالوا لما اتى به موسى إنه سحر، قال موسى ما جئتم به فهو من السحر. و فى قراءة أبى ما جئتم به سحر بلا الف و لام. و من قرأ بالاستفهام جعل (ما) فى قوله «ما جِئْتُمْ بِهِ» للاستفهام. و من قرأ على الخبر جعل (ما) بمعنى الذى و فسرت (ما) بالواحد فى السحر، لأن المعنى عليه، و انما ذكر للتوبيخ كقولک ما صنعت الفساد.

حكى اللَّه تعالى انه لما ألقى السحرة سحرهم قال لهم موسى: الذى جئتم به السحر فمن قرأ على الخبر، و اى شىء جئتم به السحر مقرراً لهم ثم اخبر ان اللَّه سيبطل هذا السحر الذى فعلتموه «إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ» فالاصلاح تقديم العمل على ما ينفع بدلا مما يضر. و الصلاح استقامة العمل على هذا الوجه.

و الإفساد تعويج العمل الى ما يضر بدلا مما ينفع. و الفساد اضطراب العمل على هذا الوجه. و الصلاح مضمن بالنفع لأنه إذا أضيف ظهر معنى النفع فيه كقولک صلاح لزيد، و هو أصلح له اى انفع له و ان كان فيه فساد على غيره.

---

(1) سورة 5 المائدة آية 119

وَ يُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (82)
هذا عطف على قوله «قالَ مُوسى ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ. وَ يُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ» و قيل فى معناه ثلاثة اقوال:
أولها- قال الحسن: بوعده لموسى. الثانى- قال ابو على: بكلامه الذى يبين به معانى الآيات التى أتاها نبيه صلى الله عليه و آله. الثالث- بما سبق من حكمه فى اللوح لمحفوظ بأن ذلک يكون. و احقاق الحق معناه إظهاره و تمكينه بالدلائل الواضحة و الآيات البينة حتى يرجع الطاعن عليه حسيراً و المناصب له مفلولا. و قوله «وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ» معناه انه يحق الحق و ان كرهه من هو مجرم.
و فى الآية دلالة على انه تعالى ينصر المحقين كلهم لنصره إياهم بالحجة فأما بالغلبة فى كل حال فموقوف، لان المصلحة قد تكون بالتخلية تارة و بالحيلولة اخرى. و الحق على ضربين: أحدهما- ما كان يمكن ان يكون حقاً و غير حق، فهذا لا يصير حقاً إلا بأن يقصد فاعله على إيقاعه حقاً، فجاز ان يقال انه حق بالفاعل.
و الآخر لا يؤثر فيه قصد فاعله فلا يقال فى ذلک انه حق بالفاعل.

فَما آمَنَ لِمُوسى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِى الْأَرْضِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (83)
أخبر اللّه تعالى انه لم يصدق لموسى بالنبوة الا ذرية من قومه مع خوفهم من فرعون و رؤساء قومه ان يفتنوهم. (و الذرية) الجماعة من نسل القبيلة. و حكى التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 419
ابن عباس انه أراد الا قليل من قومه. و قيل كانت أمهاتهم من بنى إسرائيل و آباؤهم من القبط. و قيل سموا ذرية لأنهم أولاد الذين أرسل عليهم موسى فلم يستجب الاباء و قيل: الأبناء. و قيل: هم قوم من بنى إسرائيل أخذهم فرعون بتعلم السحر و جعلهم من أصحابه. و يحتمل أن يكون ذرية على وزن (فعلية) مأخوذاً من الذر كقمرية.
و الثانى- أن يكون على وزن (فعلية) من الذرو فى تذروه الرياح كقولك مزقته، و يجوز أن يكون من ذرأ اللّه الخلق فترك همزه. و الفتنة فى الدين الامتحان الذى يصرف عنه، و قد يكون ذلك بالإكراه تارة و بالهدى أخرى، و بالشبهة الداعية الى الضلال. و قوله «إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِى الْأَرْضِ» فالعلو فى الامر عظم الشأن فيه، و كل معنى لا يخلو من أن يكون فى صفة عالية أو دانية أو فيما بينهما من الجلالة و الضعة.
و الضمير فى قوله «و ملائهم» قيل فيمن يعود اليه ثلاثة اقوال: أحدها- الى الذرية فقط. الثانى- الى فرعون و اتباعه. الثالث- الى فرعون، لأنه معلوم.
و قوله «وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ» اخبار منه تعالى ان فرعون لمن جملة من أبعد فى مجاوزة الحق. و الإسراف قد يكون فى القتل و فى الإكثار من المعاصى.

وَ قالَ مُوسى يا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (84)

حكى اللَّه تعالى عن موسى انه قال لقومه: إن كنتم صدقتم بتوحيد اللَّه فتوكلوا عليه إن كنتم مسلمين و انما أعاد قوله «إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ» بعد قوله «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ» ليتبين المعنى بالصفتين من الايمان و الإسلام و بالتقييد و الإطلاق على أن الثقة باللَّه توجب الاستسلام لأمره. و التوكل التوثق بإسناد الامر الى اللَّه. و الوكالة عقد الامر لمن يقوم به مقام مالكه. و اللَّه عز و جل أملك بالعبد من نفسه فهو أحق بهذه التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 420

الصفة. و يوجب التوكل على اللَّه النجاة من كل محذور، و الفوز بكل سرور و حبور إذا أخلص العمل فيه و سلمت النية فيه. و حذفت ياء الاضافة من قوله «يا قوم» اجتزاء بالكسرة منها و هو فى النداء أحسن من إثباتها لقوة النداء على التغيير. و فائدة الآية البيان عما يعمل عليه عند نزول الشدة من ان من كان يؤمن باللَّه فليتوكل على اللَّه و يسلم أمره اليه ثقة بحسن تدبيره له.

فَقالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (85) وَ نَجِّنا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (86)

الفاء فى قوله «فَقالوا» فاء العطف و جواب الأمر كما يقال قال السائل كذا فقال المجيب كذا. و انما جازت الفاء فى الجواب و لم تجز الواو، لأن الفاء ترتيب من غير مهلة، فهى موافقة لمعنى وجوب الثانى بالأول و ليس كذلك الواو.

لما حكى اللّه تعالى قول موسى لقومه «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا» حكى ما أجاب به قومه من قولهم: توكلنا على اللّه، و انهم سألوا اللّه و قالوا «رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً» أى محنة و اعتباراً «لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» و خلصنا «بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ» الذين كفروا بآياتك، و كل كافر ظالم لنفسه بتعرضه للعقاب و ليس كل ظالم كافراً. و الفتنة أصلها البلية و هى معاملة تظهر الأمور الباطنة. يقال: فتنت الذهب إذا أحرقته بالنار ليظهر الخلاص و قوله «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» «1» اى يحرقون بما فيه من اظهار حالهم فى الضلال و قوله «وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ» «2» معناه التعذيب للرد عن الدين، لما فيه من اظهار النصرة أشد، و معنى «لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» لا تمكنهم من ظلمنا بما يحملنا على اظهار الانصراف عن ديننا

---

(1) سورة 51 الذاريات آية 13

(2) سورة 2 البقرة آية 191

- فى قول مجاهد- و قال ابو الضحى و الجبائى معناه: لا يظهروا علينا فيروا أنهم خير منا.

و قوله «و نجنا» معناه خلصنا مما فيه المخافة و الشماتة. و انما جاز وصف اللّه تعالى بالرحمة مع كثرة استعمالها فى الرقة لدلالة التعظيم على انتفاء معنى الرقة ان نعمه فى الإسباغ و الكثرة تقع موقع ما تبعث عليه الرقة. و انما سألوا النجاة من استعباد فرعون و ملائه إياهم و أخذهم بالأعمال الشاقة و المهن الخسيسة.

وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى وَ أَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (87)

أخبر اللّه تعالى انه أوحى الى موسى و أخيه بمعنى ألقى اليهما فى خفاء و الإيحاء و الإيماء و الاشارة نظائر، و كله بيان و دلالة. و حكى الرمانى أن قوماً أجازوا أن يوحى اللّه الى من ليس بنبى برؤيا أو إلهام، قال: و ليس يجوز عندنا على المعنى الذى يقع الوحى الى الأنبياء، لأنه إنما يقع على خلاف مجرى العادة بمعجزة تشهد بأنه تعالى ألقى المعنى اليه. و لا يجوز ان تطلق الصفة بالوحى إلا لنبى فان قيد ذلک على خلاف هذا المعنى كان جائزاً، كقوله «وَ أَوْحى رَبُّکَ إِلَى النَّحْلِ» «1» و معنى قوله «تَبَوَّءا» اتخذا يقال: بوّأته منزلا أى اتخذته له و أصله الرجوع من «باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» «2» أى رجعوا، و المبوأ المنزل لأنه يرجع اليه للمقام فيه و منه قولهم (بؤ بشسع كليب) أى ارجع به. و قوله «وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً» معناه مصلى. و قيل قبلة: مسجداً، لأنهم كانوا خائفين فأمروا بأن يصلوا فى بيوتهم- فى قول ابن عباس و مجاهد و ابراهيم و السدى و الضحاک و الربيع-

---

(1) سورة 16 النحل آية 68

(2) سورة 2 البقرة آية 61 و سورة 3 آل عمران آية 112

و قال الحسن يعنى قبلة نحو الكعبة. و لم يصرف (مصر) لأنه مؤنث معرفة كقولک هند، و لو صرفته لخفته كما صرفت هند كان جائزاً، و ترک الصرف أقيس. و قوله «وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ» أمر من اللّه إياهم باقامة الصلاة و الدوام على فعلها «وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» أمر منه لموسى ان يبشر المؤمنين بالجنة و ما وعد اللّه تعالى من الثواب و انواع النعيم.

وَ قالَ مُوسى رَبَّنا إِنَّکَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِينَةً وَ أَمْوالاً فِى الْحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِکَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ (88)

حكى اللَّه تعالى في هذه الاية عن موسى عليه السلام أنه قال يا «رَبَّنا إِنَّکَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ» يعنى قومه و رؤساءهم «زِينَةً وَ أَمْوالاً فِى الْحَياةِ الدُّنْيا» و إنما أعطاهم اللَّه تعالى ذلک للانعام عليهم مع تعريه من وجوه الاستفساد. و (الزينة) ما يتزين به من الحلى و الثياب و المتاع. و يجوز أن يراد به حسن الصورة «لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِکَ» فهذه لام العاقبة، و هى ما يؤل اليه الأمر كقوله «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «1» و يحتمل ان يكون المعنى لئلا يضلوا عن سبيلک فحذفت (لا) كقوله «مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما» «2» اى لئلا تضل إحداهما، و كقوله «أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ» «3»

---

(1) سورة 28 القصص آية 8 [.....]
(2) سورة 2 البقرة آية 282
(3) سورة 7 الاعراف آية 171

اى لئلا يقولوا، و لا يجوز أن يكون لام الغرض، لأن اللَّه تعالى لا يفعل بهم الزينة و يعطيهم و يريد منهم ان يضلوا بل إنما يفعل لينتفعوا و يطيعوه و يشكروه. و قال قوم: لو كان أراد منهم الضلال لكانوا إذا ضلوا مطيعين، لان الطاعة هى موافقة الارادة و ذلک باطل بالاتفاق. و قوله «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ» إخبار عن موسى انه دعا على قومه فسأل اللَّه ان يطمس على أموالهم. و الطمس محو الأثر تقول: طمست عينه اطمسها طمساً و طموساً و طمست الريح آثار الديار. فدعا موسى عليه السلام عليهم بأن يقلب حالهم عن الانتفاع بها كقوله «مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً» «1» و الطمس تغير الى الدبور و الدروس قال كعب بن زهير:

من كل نضاخة الذفرى إذا عرفت عرصتها طامس الاعلام مجهول «2»

و قال قتادة و الضحاک و ابن زيد و ابو صالح: صارت أموالهم حجارة.

و قوله «وَ اشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ» معناه ثبتهم على المقام ببلدهم بعد إهلاک أموالهم فيكون ذلک أشد عليهم. و قوله «فلا يؤمنوا» يحتمل موضعه وجهين من الاعراب:

أحدهما- النصب على جواب صيغة الامر بالفاء او بالعطف على «ليضلوا» و تقريره لئلا يضلوا فلا يؤمنوا. و الثانى- الجزم بالدعاء عليهم، كما قال

الأعشى:
فلا ينبسط من بين عينيک ما انزوى و لا تلقنى إلا و انفک راغم «3»
و قال الفراء: ذلک دعاء عليهم بأن لا يؤمنوا. و حكى الجبائى عن قوم ان المراد بذلک الاستفهام و الإنكار كأنه قال: إنک لا تفعل ذلک ليضلوا عن سبيلک.
و قال احمد بن يحيى ثعلب: هذه لام الاضافة، و المعنى لضلالتهم عن سبيلک «اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ». و حكى البلخى: انه يجوز أن يكون ذلک على التقديم و التأخير و تقديره ربنا ليضلوا عن سبيلک فلا يؤمنوا ربنا اطمس على أموالهم. و قيل إن قوله «فَلا يُؤْمِنُوا» خرج مخرج الجواب للأمر و معناه

---

(1) سورة 4 النساء آية 46
(2) انظر 1/ 226 تعليقة 1 و 3/ 216
(3) ديوان الأعشى و الاعشيين 58 و تفسير القرطبى 8/ 275

الاخبار، كما يقولون انظر الى الشمس تغرب. و قيل: ان المعنى لا يؤمنون ايمان الجاء حتى يروا العذاب الأليم و هم مع ذلک لا يؤمنون ايمان اختيار أصلا. و قال بعضهم: اللام لام (كى) و انه أعطاهم الأموال و الزينة لكى يضلوا عقوبة و هذا خطأ، لأنه يوجب ان يكون ضلالهم عن الدين طاعة للَّه.

قالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فَاسْتَقِيما وَ لا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (89)
حكى اللَّه تعالى أنه أجاب موسى و هارون، فقال لهما «قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما» و الجواب موافقة للدعوة فيما طلب بها لوقوعها على تلك الصفة. فاللَّه تعالى يجيب الدعاء إذا وقع بشروط الحكمة. و اختلفوا فى هل يجوز أن يجيب اللَّه تعالى دعوة الكافر أم لا؟ فقال ابو على الجبائى: لا يجوز لان اجابته إكرام له كما يقولون: فلان مجاب الدعوة اى هو رجل صالح. و الكافر ليس بهذه المنزلة. و قال ابو بكر بن الأخشاد: يجوز ذلک إذا كان فيه ضرب من المصلحة. و الاجابة قد تكون من الأعلى للأدون من غير ترغيب المدعو. و الطاعة لا تكون إلا من الأدنى للأعلى.
و لا يجوز عند اكثر المحصلين ان يدعو نبى على قومه من غير إذن سمعى، لأنه لا يأمن أن يكون منهم من يتوب مع اللطف فى التبقية، فلا يجاب. و يكون ذلک فتنة.
و الدعوة طلب الفعل بصيغة الامر و قد يدعى بصيغة الماضى كقولک: غفر اللَّه لک و احسن اليک، و جزاک اللَّه خيراً. و إنما قال «أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما» و الداعى موسى لان دعاء موسى كان مع تأمين هارون- على ما قاله الربيع و ابن زيد و عكرمة و محمّد بن كعب و أبو العالية- و المؤمّن داع، لأن المعنى فى التأمين اللهم أجب هذا الدعاء. و قوله «فاستقيما» امر منه تعالى لهما بالاستقامة فى دعائهما لفرعون التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 425
و قومه على ما أمرتكما به و لا تتبعا سبيل الجاهلين لوعدى و وعيدى فانه لا خلف له و قال ابن جريح: مكث فرعون بعد هذه الأمور أربعين سنة.
و قوله «وَ لا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ» نهى منه تعالى لموسى و هارون أن يتبعا طريقة من لا يؤمن باللَّه و لا يعرفه. و قرأ ابن عامر وحده «وَ لا تَتَّبِعانِّ» مخففة النون الا الداحوانى عن هشام، فانه خير بين تخفيفها و تشديدها. و قرأ ابن عامر وحده «و لا تتبعان» ساكنة التاء مخففة مشددة النون. و فى قراءة الأخفش الدمشقى عن ابن عامر بتخفيف التاء و النون. الباقون بتشديد التاء و النون. قال ابو على النحوى: من شدد النون فلأن هذه النون الثقيلة إذا دخلت على (تفعل) فتح لام الفعل، لدخولها و بنى الفعل معها على الفتح نحو (لتفعلن) و حذفت النون التى تثبت فى (تفعلان) فى حال الرفع مع النون الشديدة، و حذف الضم فى (لتفعلن)، و إنما كسرت الشديدة بعد ألف التثنية. لوقوعها بعد الف التثنية، فأشبهت التى تلحق الألف فى رجلان، لما كانت فى هذه مثلها، و دخلت لمعنى كدخلوها، و لم يعتد بالنون قبلها، لأنها ساكنة، و لأنها خفيفة فصارت المكسورة كأنها وليت الألف. و من خفف النون يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة كما

خففوا (رب) و (ان) و نحوهما، و حذفوا الاولى من المثلين كما أبدلوا الاولى من المثلين فى نحو (قيراط و دينار) و لان أصلهما (قرّاط و دّنار) فأبدلوا من إحدى النونين ياء.
و يحتمل ان يكون حالا من قوله «فاستقيما» و تقديره فاستقيما غير متبعين.
و يحتمل ان يكون على لفظ الخبر و المراد به الامر.

وَ جاوَزْنا بِبَنِی إِسْرائِیلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْیاً وَ عَدْواً حَتَّی إِذا أَدْرَکَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ الَّذِی آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِیلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِینَ (90)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 426

قرأ أهل الکوفة الا عاصماً «آمنت انه» بکسر الألف. الباقون بفتحها.

قال ابو علی: من فتح الهمزة فلأن هذا الفعل فصل بحرف الجر فی نحو «یُؤْمِنُونَ بِالْغَیْبِ» «1» و «یُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ» «2» فلما حذف الحرف وصل الفعل الی (ان) فصار فی موضع نصب او خفض علی الخلاف فی ذلک. و من کسر الالف حمله علی القول المضمر کأنه قال «آمنت» فقلت إنه، و إضمار القول فی نحو هذا کثیر. و هذا احسن لان قوله (انه لا إله إلا اللّه) فی المعنی ایمان، و إذا قال آمنت فکأنه ذکر ذلک. و قال الرمانی: من کسر (إن) جعله بدلا من (آمنت).

و من فتح جعله معمول (آمنت) و فی الکلام حذف، لأن تقدیره فاتبعهم فرعون و جنوده بغیاً و عدواً فیه فغرقناه حتی إذا أدرکه الغرق.

حکی اللّه تعالی أنه جاوز ببنی إسرائیل البحر بمعنی أخرجهم منه بأن جفف لهم البحر و جعله طرقاً حتی جاوزوه. و المجاوزة الخروج عن الحد من احدی الجهات الأربعة، لأنه لو خرج عن البحر بقلیل و هو متعلق علیه لم یکن قد جاوزه.

و البحر مستقر الماء الواسع بحیث لا یدرک طرفه من کان فی وسطه. و یقال: ما فلان إلا بحر لسعة عطائه. و قوله «فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْیاً وَ عَدْواً» فالاتباع طلب اللحاق بالأول: اتبعه اتباعاً و تبعه بمعنی. و حکی ابو عبیدة عن الکسائی انه قال إذا أرید انه اتبعه خیراً او شرّاً قالوا بقطع الهمزة، و إذا أرید انه اقتدی بهم و اتبع أثرهم قالوا بتشدید التاء و وصل الهمزة. و البغی طلب الاستعلاء بغیر حق. و الباغی مذموم لقوله تعالی «فَقاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتَّی تَفِیءَ إِلی أَمْرِ اللَّهِ» «3». و (عدواً) معناه عدواناً و ظلما.

_____

(1) سورة 2 البقرة آیة 3

(2) سورة 4 النساء آیة 50

(3) سورة 49 الحجرات آیة 9

التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 427

و قوله «حَتَّی إِذا أَدْرَکَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِی آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِیلَ» اخبار منه تعالی أن فرعون حین لحقه الغرق و الهلاک قال ما

حكاه اللّه و كان ذلک ايمان إلجاء لا يستحق به الثواب كما لا يستحق بالايمان الضرورى.
و قوله «بَغْياً وَ عَدْواً» نصب على المصدر و المراد بغياً على موسى و قومه و اعتداء عليهم.

آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91)
قرأ أبو جعفر من طريق النهروانى و نافع إلا أبا طاهر عن إسماعيل و احمد ابن صالح عن قالون و الحلوانى عن قالون من طريق الحمامى «الآن» فى الموضعين فى هذه السورة بإلقاء حركة الهمزة على اللام و حذف الهمزة منهما. قال ابو على النحوى: اعلم ان لام المعرفة إذا دخلت على كلمة أولها الهمزة فخففت الهمزة فان فى تخفيفها وجهين: أحدهما- ان تحذف و تلقى حركتها على اللام و تقر همزة الوصل فيقال الحمر بالألف. و الثانى- ان يقولوا: كالحمر بلا الف فيحذفون همزة الوصل، فالذين أثبتوا الهمزة فلأن التقدير باللام السكون و ان كانت فى اللفظ متحركة. و اللغة الأخرى كما انشد الكسائى:
فقد كنت تخفى حب سمراء حقبة فبح لان منها بالذى انت بائح «1»
فاسكن الحاء لما كانت اللام متحركة، و لو لم يعتد بالحركة كما لم يعتد فى الوجه الاول تحرك الحاء بالكسر كما يحركه فى بح اليوم. و معنى (الآن) فصل بين الزمان الماضى و المستقبل مع انه الى الحاضر و لهذا بنى كما بنى (إذا) و عرف (الآن) بالألف و اللام (و أمس) بتضمين حرف التعريف لأن ما مضى بمنزلة المضمن فى المعنى فى أنه ليس له صورة، و الحاضر فى معنى المصرح فى صحة الصورة.

---

(1) مرّ هذا البيت فى 1/ 300 و هو فى اللسان (أين).

و اختلفوا فيمن القائل هذا القول، فقال الجبائى: ان القائل له ملك قال ذلك بأمر اللّه. و قال (غيره) ان ذلك كلام من اللّه قاله له على وجه الاهانة و التوبيخ و كان ذلك معجزة لموسى عليه السلام و معنى الآية حكاية ما قيل لفرعون حين قال «آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ» بأنك تقول هذا فى هذه الساعة «وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ» هذا «وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» فى الأرض بقتل المؤمنين و ادعاء الإلهية، و غير ذلك من انواع الكفر!.

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيکَ بِبَدَنِکَ لِتَکُونَ لِمَنْ خَلْفَکَ آيَةً وَ إِنَّ کَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ (92)

قرأ يعقوب و قتيبة «ننجيک» بالتخفيف. الباقون بالتشديد.

معنى قوله «نُنَجِّيکَ بِبَدَنِکَ» نلقيک على نجوة من الأرض ببدنک عرياناً دون روحک قال أوس بن حجر:

فمن بنجوته كمن بعقوته و المستكنّ كمن يمشى بقرواح «1»

القرواح حيث لا ماء و لا مطر، و البدن مستكن روح الحيوان على صورته و كل حيوان له روح و بدن، و الحى فى الحقيقة الروح دون البدن عند قوم، و فيه خلاف.

و معنى قوله «لِتَکُونَ لِمَنْ خَلْفَکَ آيَةً» قيل فيه قولان.

أحدهما- لمن يأتى بعدک ممن يراک على تلک الصفة و قد كنت تدعى الربوبية.

الثانى- ان بنى إسرائيل قالوا: ما مات فرعون، فألقاه اللَّه تعالى على نجوة من الأرض ليروه، ذهب اليه ابن عباس و قتادة. و قوله «وَ إِنَّ کَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ» اخبار منه تعالى أن كثيراً من الخلق غافلون عن الفكر فى

---

(1) مرّ هذا البيت فى 1/ 218 و 3/ 326 منسوب الى عبيد بن الأبرص

حجج اللَّه و بيناته أى ذاهبون عنها و الغفلة ذهاب المعنى عن النفس و نقيضها اليقظة، و المراد بذمهم بالغفلة عن آيات اللَّه التعريض بأنهم تركوا النظر فى آيات اللَّه.

وَ لَقَدْ بَوَّأْنا بَنِی إِسْرائِیلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّی جاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ فِیما کانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ (93)
قوله «وَ لَقَدْ بَوَّأْنا» اخبار منه تعالى أنه وطّأ منزل بنى إسرائيل و التبوّء توطئة المنزل لصاحبه الذى يأوى اليه، تقول: بوأته منزلا تبويئاً و تبوأ، و باء بالأمر بواء أى رجع. و قوله «مُبَوَّأَ صِدْقٍ» أى منزل صدق أى فيه فضل كفضل الصدق، كما يقال: أخو صدق و قيل: انه يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة. و قوله «وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ» أى ملكناهم الأشياء اللذيذة. و الرزق العقد على العطاء الجارى، و دلت الآية على سعة أرزاق بنى إسرائيل. و قوله «فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّی جاءَهُمُ الْعِلْمُ» قيل فى معناه وجهان: أحدهما- أنهم كانوا على الكفر فما اختلفوا حتى جاءهم الدليل المؤدى الى العلم من جهة الرسول و الكتاب، فآمن فريق و كفر آخرون- و هو قول الحسن و ابن جريج و ابن زيد- و قال قوم: كانوا على الإقرار بالنبى قبل مبعثه بصفته و نعته، فما اختلفوا حتى جاءهم معلوم العلم به. و المنزل الصدق الذى أنزلوه قيل فيه ثلاثة اقوال: قال الحسن: هو مصر و هو منزل صالح خصب آمن.
و قال قتادة: هو الشام و بيت المقدس. و قال الضحاک: هو الشام و مصر.
و قوله «إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ فِیما کانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ» اخبار منه تعالى انه الذى يتولى الفصل بين بنى إسرائيل فى الأمور التى يختلفون فيها.

فَإِنْ كُنْتَ فِی شَکٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَیْکَ فَسْئَلِ الَّذِینَ یَقْرَؤُنَ الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکَ لَقَدْ جاءَکَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِینَ (94)

هذا خطاب من اللّه تعالى لنبيه محمّد صلى الله عليه و آله يقول له «فَإِنْ کُنْتَ فِی شَکٍّ مِمَّا» أى من الذى «أَنْزَلْنا إِلَیْکَ» و الشک هو توقف النفس فيما يخطر بالبال عن اعتقاده على ما هو به، و على ما ليس به. و قيل: إن هذا و إن كان خطاباً للنبى صلى الله عليه و آله فان المراد به الذين كانوا شاكين فى نبوته. و قال قوم: إن معناه فان كنت أيها السامع فى شک مما أنزلنا على نبينا اليک، و مثله قول القائل لعبده: إن كنت مملوكى فانتبه الى امرى. و قول الرجل لابنه: ان كنت ابنى فبرنى. و قوله: إن كنت والدى فتعطف على. و حكى الزجاج وجهاً ثالثاً و هو أن يكون معنى (إن) معنى (ما) و التقدير: ما كنت فى شک مما أنزلنا اليک «فَسْئَلِ الَّذِینَ» أى لسنا نريد بأمرک لأنک شاک لكن لتزداد بصيرة، كما قال لإبراهيم «أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لکِنْ لِیَطْمَئِنَّ قَلْبِی» «1» و قوله «فَسْئَلِ الَّذِینَ یَقْرَؤُنَ الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکَ» قيل: انما أمره بأن يسأل اهل الكتاب مع جحد أكثرهم لنبوته لامرين:

أحدهما- ان يكون أمره بأن يسأل من آمن من اهل الكتاب كعبد اللَّه بن سلام و كعب الأحبار و ابن صوريا، ذهب اليه ابن عباس و مجاهد و ابن زيد و الضحاک.

و الثانى- سلهم عن صفة النبى صلى الله عليه و آله المبشر به فى كتبهم ثم انظر فمن وافق فيه تلک الصفة. و قال البلخى ذلک راجع الى قوله «فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ» فأمره بأن يسألهم هل الأمر على ذلک؟ فإنهم لا يمتنعون عن الاخبار به و لم

---

(1) سورة 2 البقرة آية 260

يأمره بان يسألهم هل هو محق فيه أم لا؟ و لا ان ما أنزله عليه صدق ام لا؟ و وجه آخر و هو انه انما أمره أن يسألهم ان كان شاكاً و لم يكن شاكاً فلا يجب عليه مسألتهم و هذا معنى ما

روى عنه صلى الله عليه و آله انه قال (ما شككت و لا انا شاک).

و قوله «لَقَدْ جاءَکَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ» قسم منه تعالى بأنه قد جاءک يا محمّد الحق من عند ربک لان لام (لقد) لام القسم. و قوله «فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِینَ» اى لا تكونن من الشاكين. و الامتراء طلب الشک مع ظهور الدليل، و هو من مرى الضرع اى مسحه ليدر، فلا معنى لمسحه بعد دروره

بالحلب. و
قال سعيد بن جبير و الحسن و قتادة و ابو عبد اللَّه صلى الله عليه و آله: لم يسأل النبى صلى الله عليه و آله و يقوى ان الخطاب متوجه الى النبى و المراد به غيره قوله بعد هذا «قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى شَكٍّ».

وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخاسِرِينَ (95)
هذا الكلام عطف على قوله «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ. وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ» أى من جملة من يجحد بآيات اللّه و لا يصدق بها فإنک ان فعلت ذلک كنت من الخاسرين. و المراد بالخطاب غير النبى صلى الله عليه و آله من جملة أمته من كان شاكاً فى نبوته. و النون فى قوله (لا تكونن) نون التأكيد، و هى تدخل فى غير الواجب لأنک لا تقول انت تكونن، و دخلت فى القسم على هذا الوجه لأنه يطلب بالقسم التصديق، و بنى الفعل مع نون التأكيد لأنها ركبت مع الفعل على تقدير كلمتين كل واحدة مركبة مع الاخرى مع ان الاولى ساكنة، و اقتضت حركة بناء لالتقاء الساكنين. و انما شبه الكافر بالخاسر مع ان حاله أعظم من حال الخاسر لان حال الخاسر قد جرت بها عادة. و ذاق طعم الحسرة فيها فرد اليها لبيان أمرها، و خسران النفس الذى هو أعظم منها.

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ (96) وَ لَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ (97)
آيتان عند الجميع قد ذكرنا اختلافهم فى (كلمة و كلمات) و إن من وحد فلأنه اسم جنس. و من جمع أراد اختلاف الألفاظ. اخبر اللّه تعالى «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّکَ» يا محمّد اى وجب على التحقيق بأنهم لا يؤمنون من غير شرط و لا تقييد، تقول: حق الامر يحق حقاً. و انما جاز وصف جملة من الكلام بالكلمة لأنه لما كان فى معنى واحد صار بمنزلة الكلمة الواحدة، و لذلک قالوا فى قصيدة من الشعر انها كلمة. و قوله «حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ» معناه انهم انما يؤمنون إذا شاهدوا العذاب فآمنوا ملجئين ايماناً لا ينفعهم. و الرؤية فى الآية رؤية العين، لأنها تعدت الى مفعول واحد.
و العذاب و ان كان ألماً و هو لا يصح ان يرى فلأنه ترى أسبابه و مقدماته فصار بمنزلة ما يرى، فلذلک اخبر عنه بالرؤية له.
و قوله «وَ لَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ» اعلام بأن هؤلاء الكفار لا لطف لهم يؤمنون عنده ايمان اختيار و انما جاز تكليفه الايمان باخبار اللّه تعالى انه لا يؤمن للانعام بالمنافع فى احوال التكليف التى لا تحصى كثرة مع ما فى ذلک من اللطف لغيره.
و لا ظلم فيه لاحد. و انما يظلم الكافر نفسه بسوء اختياره. و انما أنث قوله «جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ» لأنه مضاف الى الآية و هى مؤنثة كما قالوا: ذهبت بعض أصابعه. و معنى الآية الاخبار عن ان هؤلاء لا يؤمنون ايماناً يستحقون به الثواب، و لا ينافى ذلک قدرتهم على الايمان كما انه إذا اخبر انه لا يقيم القيامة الساعة لم يمنع ذلک من قدرته على إقامتها فى الحال. و قيل ان التقدير فى الاية ان الذين لا يؤمنون حقت عليهم كلمة ربک.

فَلَوْ لا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ مَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ (98)
معنى (فلو لا) هلا، و هى تستعمل على وجهين: أحدهما- على وجه التحضيض و الثانى- على وجه التأنيب كقولك: هلا يأتى زيد بحاجتك، و هلا امتنعت من الفساد الذى رغبت اليه، قال الشاعر:
تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بنى ضوطرى لو لا الكمى المقنعا «1»
أى هلا تعدون الشجعان.
و قوله «إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ» نصب لأنه منقطع كما قال الشاعر:
أعيت جواباً و ما بالربع من أحد إلا الأوارى لأيا ما أبينها
و النؤى كالحوض بالمظلومة الجلد «2» و حكى الفراء: لا إن ما أبينهما و قال: جمع الشاعر بين ثلاثة أحرف فى النفى (لا و ان و ما) و انما جاز فلو لا كانت قرية آمنت لان المراد أهل قرية فحذف اختصاراً من غير إخلال بالمعنى. و قوله «فَنَفَعَها إِيمانُها» معناه هلا كانت اهل قرية آمنت فى وقت ينفعها الايمان، و جرى هذا مجرى قول فرعون «حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِى» «3» فاعلم اللّه أن الايمان لا ينفع عند نزول العذاب و لا عند حضور الموت، و قوم يونس لم يقع بهم العذاب كأنهم لما رأوا الآية الدالة على العذاب آمنوا فلما آمنوا كشف عنهم العذاب. و النفع هو

---

(1) انظر 1/ 319، 435
(2) مرّ هذا الشعر فى 1/ 44، 151 و 3/ 327 و 4/ 191
(3) سورة 10 يونس آية 90 [.....]

اللذة، و معناه هاهنا انه وجبت لهم اللذة بفعل ما يؤدى اليها كما أن الصلة بالمال نفع، لأنه يؤدى الى اللذة، و كذلك أكل الطعام الشهى و تناول الكريه عند الحاجة نفع لأنه يؤدى الى اللذة. و الخزى هو الهوان الذى يفضح صاحبه و يضع من قدره.
و قال الجبائى: المراد بأهل القرية- على قول كثير من أهل التأويل- ثمود الذين أهلكهم اللّه بكفرهم، و التقدير هلا أهل قرية سوى قوم يونس آمنوا فنفعهم ايمانهم و زال عنهم العذاب كما آمن قوم يونس لما أحسوا بنزول العذاب، فكشف اللّه عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا و متعهم و بقاهم أحياء سالمين فى الدنيا بعد توبتهم الى مدة من الزمان. و هذا الذى ذكره إنما كان يجوز لو كان (إلا قوم يونس) رفعاً و كان يكون «إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ»

صفة أو بدلا من الاول لان المعنى إلا قوم يونس محمول على معنى هلا كان قوم قرية أو قوم نبى آمنوا الا قوم يونس، قال الزجاج: لم يقرأ أحد بالرفع، و يجوز فى الرفع أن يكون بدلا من الأول، و إن لم يكن من جنس الأول كما قال الشاعر:
و بلدة ليس لها أنيس الا اليعافير و الا العيس «1»
و قال ابو عبيدة (الا) هاهنا بمعنى الواو، و المعنى و قوم يونس. و قال الحسن:
معنى الاية انه لم يكن فيما خلا أن يؤمن أهل قرية بأجمعها حتى لا يشذ منهم أحد الا قوم يونس، فهلا كانت القرى كلها هكذا. و قرأ طلحة بن مصرف يونس و يوسف بكسر النون و السين أراد أن يجعل الاسمين عربيين مشتقين من أسف و أنس، و هو شاذ.
فان قيل: قوله «كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ» يدل على نزول العذاب بهم فكيف ينفع مع ذلک الايمان، و هل ذلک الا ضد قوله «فَلَمْ يَکُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا» «2»؟ قلنا: ليس يجب ان يكون العذاب نزل بهم بل لا يمتنع أن يكون ظهرت لهم دلائله و ان لم يروا العذاب كما أن العليل المدنف قد يستدرک التوبة

---

(1) مرّ تخريجه فى 1/ 151 و 3/ 327
(2) سورة 40 المؤمن آية 85

فيقبل اللّه توبته قبل ان يتحقق الموت، فإذا تحققه لم يقبل بعد ذلک توبته.
و قد قال اللّه تعالى «وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها» «1» و لا يدل ذلک على انهم كانوا دخلوا النار فأنقذوا منها فكذلک لا يمتنع ان يكون كشف عنهم العذاب و ان لم يكن حل بهم و لا عاينوه إذا كان قد قرب منهم و استحقوه فى الحكم.

وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ لَآمَنَ مَنْ فِی الْأَرْضِ کُلُّهُمْ جَمِیعاً أَ فَأَنْتَ تُکْرِهُ النَّاسَ حَتَّی یَکُونُوا مُؤْمِنِینَ (99)

أخبر اللّه تعالی فی هذه الآیة انه لو شاء و أراد «لَآمَنَ مَنْ فِی الْأَرْضِ کُلُّهُمْ جَمِیعاً» فکلهم رفع لأنه تأکید ل (من) و هی مرتفعة بالایمان (و جمیعاً) منصوب علی الحال. و المشیئة و الارادة و الإیثار و الاختیار نظائر، و انما یختلف علیهم الاسم بحسب مواقعها علی ما بیناه فی الأصول. و قیل: إن الشیء مشتق من المشیئة لأنه مما یصح ان یذکر و یشاء، کما اشتقوا المعنی من عنیت.

و معنی الآیة الاخبار عن قدرة اللّه و انه یقدر علی ان یکوّن الخلق علی الایمان، کما قال «إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَیْهِمْ مِنَ السَّماءِ آیَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِینَ» «2» و انما أراد بذلک الاخبار عن قدرته بلا خلاف، و لذلک قال بعد ذلک «أَ فَأَنْتَ تُکْرِهُ النَّاسَ حَتَّی یَکُونُوا مُؤْمِنِینَ» و معناه انه لا ینبغی ان یرید إکراههم لان اللّه عز و جل یقدر علیه و لا یریده، لأنه ینافی التکلیف، و أراد بذلک تسلیة النبی صلی الله علیه و آله و التخفیف عنه مما یلحقه من التحسر و الحرص علی ایمانهم.

و فی الایة دلالة علی بطلان قول المجبرة، فانه تعالی لم یزل شائیاً و انه لا یوصف بالقدرة ایضاً، لأنه تعالی اخبر انه لو یشاء لقدر علیه لکنه لم یشأ فلذلک لم

---

(1) سورة 3 آل عمران آیة 103

(2) سورة 26 الشعراء آیة 4

یوجد و لو کان شائیاً لم یزل لما جاز ان یقول و لو شاء ربک کما لا یجوز أن یقول لو شاء لقدر لما کان کونه قادراً حاصلا لم یزل.

وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (100)

قرأ ابو بكر إلا الأعشى و البرجمى (و نجعل) بالنون. الباقون بالياء.

من قرأ بالياء فلانه تقدم ذكر اللّه فكنى عنه. و من قرأ بالنون ابتدأ بالأخبار عن اللّه.

و معنى قوله «وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» انه لا يمكن احد ان يؤمن إلا بإطلاق اللّه له فى الايمان و تمكينه منه و دعاءه اليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلک. و قال الحسن و ابو على الجبائى: اذنه هاهنا أمره كما قال «يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ» «1» و حقيقة إطلاقه فى الفعل بالأمر، و قد يكون الاذن بالإطلاق فى الفعل برفع التبعة. و قيل: معناه و ما كان لنفس أن تؤمن إلا بعلم اللّه. و أصل الاذن الإطلاق فى الفعل فأما الاقدار على الفعل فلا يسمى أذناً فيه، لان النهى ينافى الإطلاق. قال الرمانى: و النفس خاصة الشىء التى لو بطل ما سواها لم يبطل ذلک الشىء، و نفسه و ذاته واحد إلا انه قد يؤكد بالنفس و لا يؤكد بالذات. و النفس مأخوذة من النفاسة.

و قوله «وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الفراء: الرجس العذاب يجعله على الذين لا يعقلون امر اللّه و لا نهيه و لا ما يدعوهم اليه. و الثانى- قال الحسن: الرجس الكفر أى يجعله بمعنى انه

---

(1) سورة 4 النساء آية 169

يحكم انهم اهله ذمّاً لهم و اسماً «عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ» اى كأنهم لا يعقلون شيئاً ذمّاً لهم و عيباً و قال ابن عباس: الرجس الغضب و السخط. و قال ابو عبيدة الرجز العذاب و مثله الرجس، و منه قوله «لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ» «1» و قوله «فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ» «2» و قوله «وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ» «3» معناه و ذا الرجز أى الذى تؤدى عبادته الى العذاب. و قال الحسن: الرجز بضم الراء العذاب، و بكسرها الرجس. و قال الفراء: يجوز أن يكون الرجز بمعنى الرجس و قلبت الزاى سيناً كما قالوا اسد و أزد.

قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما تُغْنِی الْآیاتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ (101)

امر اللّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله أن يأمر الخلق بالنظر لأنه الطريق المؤدى الى معرفة اللّه تعالى. و النظر المراد فى الاية الفكر و الاعتبار. و قال الرمانى: هو طلب الشىء من جهة الفكر كما يطلب إدراكه بالعين. و معنى قوله تعالى «ما ذا فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» أى ما فيهما من العبر من مجىء الليل و النهار و مجرى البحور و الأفلاک و نتاج الحيوان و خروج الزرع و الثمار، و وقوف السماوات و الأرض بغير عماد، لان كل ذلک تدبير يقتضى مدبراً لا يشبه الأشياء و لا تشبهه. و قوله «وَ ما تُغْنِی الْآیاتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- أن تكون (ما) نفياً بمعنى ما يغنى عنهم شيئاً بدفع الضرر، إذا لم يفكروا فيها و لم يعتبروا بها كقولک: و ما يغنى عنک المال شيئاً إذا لم تنفقه فى وجوهه.

(1، 2) سورة 7 الأعراف آية 133، 134

(3) سورة 74 المدثر آية 5

و الاخر- أن تكون (ما) للاستفهام كقولک أى شىء يغنى عنهم من اجتلاب نفع أو دفع ضرر إذا لم يستدلوا بها. و النذر جمع نذير و هو صاحب النذارة و هى اعلام بموضع المخافة ليقع به السلامة.

فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (102)

خاطب اللّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله بلفظ الاستفهام و المراد به النفى لان تقديره ليس ينتظر هؤلاء الكفار الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم. و انما قابل بين الأيام المنتظرة و الأيام الماضية فى وقوع العذاب و الحسرة حين لا تنفع الندامة. و الانتظار هو الثبات لموقع ما يكون من الحال، تقول: انتظرنى حتى ألحقك و لو قلت توقعنى لم تكن أمرته بالثبات. و المثل فى الجنس ماسد أحدهما مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته و المثل فى غير الجنس ما كان على المعنى يقربه من غيره كقربه من جنسه كتشبيه اعمال الكفار بالسراب و قوله «قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ» أمر من اللَّه لنبيه أن يقول لهم: انتظروا ما وعد اللَّه به من العقاب فانى منتظر نزوله بكم مع جميع المنتظرين كما وعد اللَّه به.

ثُمَّ نُنَجِّی رُسُلَنا وَ الَّذِینَ آمَنُوا کَذلِکَ حَقًّا عَلَیْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِینَ (103)
قرأ یعقوب «ثم ننجی» بالتخفیف. و قرأ الکسائی و یعقوب و حفص و الکسائی عن أبی بکر «ننجی المؤمنین» بالتخفیف. الباقون بالتشدید فیهما.
قال ابو علی التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 439
النحوی: یقال نجا زید نفسه، فإذا عدیته، فان شئت قلت أنجیته و ان شئت قلت نجیته. و من شدد فلقوله «وَ نَجَّیْنَا الَّذِینَ آمَنُوا» «1» و من خفف فلقوله «فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ» «2» و کلاهما حسن.
أخبر اللَّه تعالی أنه إذا أراد إهلاک قوم استحقوا الهلاک نجی رسله من بینهم و خلصهم من العقاب، و یخلص مع الرسل المؤمنین الذین أقروا له بالوحدانیة و للرسل بالتصدیق. و قوله «کَذلِکَ حَقًّا عَلَیْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِینَ» وجه التشبیه فی ذلک أن نجاة من یقر من المؤمنین کنجاة من مضی فی أنه حق علی اللَّه ثابت لهم و یحتمل أن یکون العامل فی «کذلک» ننجی الاول و تقدیره ننجی رسلنا و الذین آمنوا کذلک الانجاء و یحتمل أن یعمل فیه الثانی، و کذلک حقاً علینا.
و معنی قوله «حَقًّا عَلَیْنا» یحتمل أمرین: أحدهما- أن یکون معناه واجباً علینا ننجی المؤمنین من عقاب الکفار، ذکره الجبائی. و الثانی- أن یکون علی وجه التأکید کقولک مررت بزید حقاً إلا أن علینا یقتضی الوجه الاول.
و النجاة مأخوذة من النجوة و هی الارتفاع عن الهلاک. و السلامة مأخوذة من إعطاء الشیء من غیر نقیصة، أسلمته الیه إذا أعطیته سالماً من غیر آفة.

قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِی شَکٍّ مِنْ دِینِی فَلا أَعْبُدُ الَّذِینَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لکِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِی یَتَوَفَّاکُمْ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ (104)
هذا خطاب من اللّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله ان يقول للخلق

---

(1) سورة 41 حم السجدة آية 18
(2) سورة 29 العنكبوت آية 24
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 440
«يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِی شَکٍّ مِنْ دِینِی» فان دينى أن «فَلا أَعْبُدُ الَّذِینَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى إن كنتم فى شک مما أذهب اليه من مخالفتكم فانى أظهره لكم و أبرء مما أنتم عليه و أعرفكم ما أمرت به و هو أن أكون مؤمناً باللّه وحده و أن أقيم وجهى للدين حنيفاً.
إن قيل: لم قال «إِنْ كُنْتُمْ فِی شَکٍّ مِنْ دِینِی» مع اعتقادهم بطلان دينه؟
قلنا عنه ثلاثة أجوبة: أحدها- أن يكون على وجه التقدير أى من كان شاكاً فى أمرى و هو مصمم على أمره فهذا حكمه. و الثانى- انهم فى حكم الشاک للاضطراب الذى يجدون نفوسهم عليه عند ورود الآيات. و الثالث- ان فيهم الشاک فغلب ذكرهم، و إنما جعل جواب (ان كنتم فى شک) (لا أعبد) و هو لا يعبد غير اللّه شكوا أولم يشكوا، لان المعنى لا تطمعوا أن تشككونى بشككم حتى أعبد غير اللّه كعبادتكم، كأنه قيل: إن كنتم فى شک من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون اللّه بشككم و لكن أعبد اللّه الذى يتوفاكم أى الذى أحياكم ثم يقبضكم و هو الذى يحق له العبادة دون أوثانكم و دون كل شىء سواه.

وَ أَنْ أَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَ لا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِکِينَ (105)
هذه الاية عطف على ما قبلها و التقدير و أمرت أن أكون من المؤمنين، و قيل لى: أقم وجهک و قيل فى معناه قولان: أحدهما- استقم بإقبالک على ما أمرت به من القيام بأعباء النبوة و تحمل أمر الشريعة و دعاء الخلق الى اللّه بوجهک، إذ من أقبل على الشىء بوجهه يجمع همته له فلم يضجع فيه. و الثانى- أن يكون معناه أقم وجهک فى الصلاة بالتوجه نحو الكعبة. و الاقامة نصب الشىء المنافى لاضجاعه تقول: أقام العود إذا جعله على تلک الصفة فأما أقام بالمكان فمعناه استمر به. و الوجه عبارة عن عضو مخصوص و يستعمل بمعنى الجهة كقولهم:
هذا معلوم فى وجه كذا، و يستعمل بمعنى الصواب كقولک: هذا وجه الرأى
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 441
و قيل فى معنى الحنيف قولان: أحدهما- الاستقامة. و قيل للمائل القدم أحنف تفاؤلا. و الثانى- الميل، و قيل الحنف فى الدين لأنه ميل الى الحق.
و قوله «وَ لا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِکِينَ» معناه نهى عن الاشراک مع اللّه تعالى غيره فى العبادة تصريحاً بالتحذير عن ذلک و الذم لفاعله.

وَ لا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُکَ وَ لا يَضُرُّکَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّکَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ (106)

قيل فى معنى قوله «وَ لا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» قولان: أحدهما- لا تدعه إلهاً كما يدعو المشركون الوثن إلهاً. الثانى- لا تدعه دعاء الآلهة فى العبادة بدعائه. و الدعاء يكون على وجهين: أحدهما- بلفظ النداء كقولک: يا زيد إذا دعوته باسمه. و الثانى- أن تدعوه الى الفعل و تطلب منه فعله كقول القائل لمن فوقه: افعل. و قوله «وَ لا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» معناه لا تدع غير اللَّه إلهاً. و انما قال «ما لا يَنْفَعُکَ وَ لا يَضُرُّکَ» مع أنه لو نفع و ضر لم تحسن عبادته لامرين:

أحدهما- أن يكون معناه ما لا ينفک و لا يضرک نفع الاله و ضره.

و الثانى- انه إذا كان عبادة غير اللَّه ممن يضر و ينفع قبيحة فعبادة من لا يضر و لا ينفع أقبح و أبعد من الشبهة. و قوله «فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّکَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ» معناه انک إن خالفت ما أمرت به من عبادة اللَّه كنت ظالماً لنفسک بإدخال الضرر الذى هو العقاب عليها. و هذا الخطاب و إن كان متوجهاً الى النبى فالمراد به أمته، و يجوز أن يكون الإنسان يضر نفسه بما يفعل بأن يؤديها الى الضرر. و لا يجوز أن ينعم على نفسه لان النعمة تقتضى شكر المنعم عليه و ذلک لا يمكن من الإنسان و نفسه كما لا يمكن أن يثبت له فى نفسه مال أو دين.

وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (107)

قوله «وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ» اى ان أحل بک الضر، لان المس الحقيقى لا يجوز عليه، لان حقيقتها تكون بين الجسمين، لكن لما ادخل الباء للتعدية جرى مجرى ان تقول يمسک من امسه. و أما إذا لم يتعد فيكون كقوله «مَسَّنِيَ الضُّرُّ» «1» و المماسة و المطابقة و المجامعة نظائر، و ضدها المباينة. و الكشف رفع الساتر المانع من الإدراک. فكأن الضر هاهنا كأنه ساتر يمنع من ادراک الإنسان.

و قوله «وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ» تقديره و ان يرد بک الخير، و جاز على التقديم و التأخير كما يقول القائل: فلان يريدک بالخير و يريد بک الخير. و المعنى انه لا رادّ لما يريد اللَّه بخلقه فان أراد بهم سوءاً لا يقدر على دفعه احد. و ان أرادهم بخير فلا يقدر احد على صرفه عنهم «يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» يعنى بالخير.

و قوله «وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» معناه انه الغفار لكل من تاب من شركه و ذنبه فلا ييأس من ذلک احد فى حال تكليفه. و عندنا يجوز أن يغفر اللَّه ذنب المؤمن من غير توبة. و (الرحيم) معناه انعامه على جميع خلقه.

قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (108)

---

(1) سورة 21 الأنبياء آية 83

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 443

امر اللَّه تعالى نبيه فى هذه الاية أن يقول للخلق قد جاءكم الحق من اللَّه و هو الذى من عمل به من العباد نجا، و ضده الباطل و هو الذى من عمل به هلك، فمن عمل بالحق كان حكيما، و من عمل بالباطل كان سفيهاً. و المراد بالحق هاهنا ما أتى به النبى صلى الله عليه و آله من القرآن و الشرائع و الأحكام و غير ذلك من الآيات و الدلالات «فَمَنِ اهْتَدى» بها بأن نظر فيها و عرفها حقاً و صواباً «فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ» و معناه فان منافع ذلك تعود عليه من الثواب دون غيره «وَ مَنْ ضَلَّ» عنها و عدل عن تأملها و الاستدلال بها و العمل بموجبها «فَإِنَّما يَضِلُّ» عن منافع نفسه و هو الجانى عليها. و قوله «وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ» معناه و ما أنا عليكم بوكيل فى منعكم من اعتقاد الباطل بل انظروا لأنفسكم نظر من يطالب بعمله و لا يطالب غيره بحفظه كأنه قال ما أنا حافظكم من الهلاك إذا لم تنظروا أنتم لأنفسكم و لم تعملوا بما يخلصها كما يحفظ الوكيل مال غيره.

وَ اتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْکَ وَ اصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ (109)
أمر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله ان يتبع ما يوحى اليه. و الإيحاء إلقاء المعنى فى النفس على وجه خفى و هو ما يجىء به الملک الى النبى صلى الله عليه و آله عن اللَّه تعالى فيلقيه اليه و يخصه به من غير أن يرى ذلک غيره من الخلق.
و قوله «و اصبر» امر من اللَّه تعالى له بالصبر و هو تجرع مرارة الامتناع

من المشتهى إلى الوقت الذى يجوز فيه تناوله، كصبر الصائم على الجوع و العطش، و كصبر النفس عن تناول المحرّمات. و انما يعين على الصبر العلم بعاقبته و كثرة الفكر فيه و فى الخير الذى ينال به و بذكر ما وعد اللَّه على فعله من الثواب و على تركه من العقاب. و قوله «حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ» امر منه تعالى للنبى صلى الله عليه و آله بالصبر على أذى المشركين و على قولهم انک ساحر كذاب و مجنون، حتى يحكم فيأمرک بالهجرة و الجهاد. قال الحسن: و قد كان اللَّه اعلمه انه سيفرض عليه جهاد الكفار. و قيل نسخ ذلک فيما بعد بالأمر بالجهاد، و التقدير إلى أن يحكم اللَّه بهلاكهم و عذابهم فى يوم بدر و غيره «وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ» معناه خير الحكام لأنه قد يكون حاكم أفضل من حاكم مع كونهما محقين كمن يحكم على الباطن فانه أفضل ممن يحكم على الظاهر، لان الأول لا يقع إلا حقاً، و الاخر يجوز أن يكون حقاً فى الظاهر و ان كان فاسداً فى الباطن.

اشارة

مكية فى قراءة قتادة و مجاهد و غيرهما. و هى مائة و ثلاث و عشرون آية فى الكوفى، و اثنتان فى المدنى، و واحدة فى البصرى و عند إسماعيل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1)
روى الكسائى عن أبى بكر «من لدن حكيم» هاهنا و فى النمل، بسكون الدال و اشمامها الضم و كسر النون. الباقون بضم الدال و اسكان النون. و لم يعدّ أحد من القراء (الر) آية كما عد قوم (طه) و (الم) و (حم) آية، لان ثانيه لا يشبه رؤس الاى بنفس الحرف و لا بالردف. و قد بينا فى أول سورة البقرة اختلاف المفسرين فى هذه الحروف و أمثالها و أن الأقوى أن يقال إنها أسماء للسور.
و روى عن الحسن أنه قال: ما أدرى تأويل (الر) غير ان المسلمين كانوا يقولون: هى اسماء للسور و مفاتحها. و خرجت هذه الحروف على وجه التهجى لا يعرب شىء منها، لأنها حروف و لو كانت اسماء لدخلها الاعراب. و قال الفراء «الر كِتابٌ» رفع بحروف الهجاء. و قال غيره «كتاب» رفع بأنه خبر المبتدأ و تقديره هو كتاب او هذا كتاب و المراد ب (كتاب) القرآن.
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 446
و قوله «أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال الحسن: أحكمت بالأمر و النهى، و فصلت بالثواب و العقاب.
الثانى- قال قتادة أحكمت آياته من الباطل. ثم فصلت بالحرام و الحلال.
الثالث- قال مجاهد «أُحْكِمَتْ آياتُهُ» على وجه الجملة «ثُمَّ فُصِّلَتْ» اى بينت بذكرها آية آية. و الأحكام منع الفعل من الفساد، قال الشاعر:
أبنى حنيفة احكموا سفهاءكم إنى أخاف عليكم أن أغضبا «1»
و قوله «مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» معناه من عند حكيم عليم. و قوم يجعلون فى (لدن) ضميراً فينصبون ما بعده فيقولون لدن غدوة. و قوم يجعلونه غاية و لا يضمرون فيه شيئاً بعينه فيرفعون ما بعده لان ما بعد الغاية مرفوع، فيقولون لدن غدوة.
و روى عن عكرمة انه قرأ «فصلت» بفتح الفاء و الصاد و تخفيفها- و هى شاذة لم يقرأ بها احد.
و الحكيم يحتمل معنيين: أحدهما- عليم، فعلى هذا يجوز وصفه بأنه حكيم فيما لم يزل. و الثانى- بمعنى أن محكم لأفعاله. و على هذا لا يوصف به فيما لم يزل.
و الحكمة المعرفة بما يمنع الفعل من الفساد و النقص و بها يميز القبيح من الحسن و الفاسد من الصحيح. و قال الجبائى فى الاية دلالة على أن كلام اللّه محدث بأنه وصفه بأنه أحكمت آياته، و الأحكام من صفات الافعال، و لا يجوز أن تكون أحكامه غيره لأنه لو كان أحكامه غيره لكان قبل ان يحكمه

غير محكم و لو كان كذلک لكان باطلا، لان الكلام متى لم يكن محكماً وجب أن يكون باطلا فاسداً، و هذا باطل.

أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِی لَکُمْ مِنْهُ نَذِیرٌ وَ بَشِیرٌ (2)

---

(1) مر تخریجه فی 2/ 188
التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 447
یحتمل (أن) فی قوله «أَلَّا تَعْبُدُوا» أمرین:
أحدهما- أن یکون بمعنی المصدر کقولک کتبت الیه أن لا تخرج بالجزم و کان یجوز فی العربیة أن لا تعبدون علی الوجه الأول، و هو الاخبار بأنهم لا یعبدون کما تقول: کتبت الیه أن لا تخرج أی بأنک لا تخرج. و «أَلَّا تَعْبُدُوا» فی موضع نصب و تقدیره فصلت آیاته بأن لا تعبدوا او لئلا تعبدوا.
و الثانی- یحتمل أن یکون المعنی أمرتم بأن لا تعبدوا، فلما حذف الباء نصب بعدها، و معنی (إلا) فی الآیة إیجاب للمذکور بعدها و هو ما نفی عن کل ما سواه من العبادة و هی التی تفرغ عامل الاعراب لما بعدها من الکلام. و قوله «إِنَّنِی لَکُمْ مِنْهُ نَذِیرٌ وَ بَشِیرٌ» اخبار أن النبی صلی الله علیه و آله مخوف من مخالفة اللَّه و عصیانه بألیم عقابه مبشر بثواب اللَّه علی طاعاته و اجتناب معاصیه، و النذارة اعلام موضع المخافة لیتقی، و نذیر بمعنی منذر کألیم بمعنی مؤلم. و البشارة اعلام بما یظهر فی بشرة الوجه به المسرة و بشیر بمعنی مبشر. و قوله «وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ» معناه و استبشروا.

وَ أَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (3)
هذه الاية عطف على ما قبلها و تقديره ثم فصلت من لدن حكيم خبير بان لا تعبدوا إلا اللَّه و بأن استغفروا ربكم بمعنى سلوا اللَّه المغفرة ثم توبوا اليه، و انما ذكرت التوبة بعد الاستغفار، لان المعنى اطلبوا المغفرة بأن تجعلوها غرضكم ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة، فالمغفرة أول فى الطلب و آخر فى السبب. و قيل ان التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 448
المعنى استغفروا ربكم من ذنوبكم ثم توبوا اليه فى المستأنف متى وقعت منكم المعصية، ذكره الجبائى و قوله «يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى» يعنى انكم متى استغفرتموه و تبتم اليه متعكم متاعاً حسناً فى الدنيا بالنعم السابغة و الملاذّ المختلفة الى الوقت الذى قدر لكم أجل الموت فيه.
و قوله «وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ» يحتمل أمرين: أحدهما- أن يعطى كل ذى عمل على قدر عمله فى الاخرة دون الدنيا، لأنها ليست دار الجزاء.
و الثانى- الترغيب فى عمل الخير لأنه على مقداره يجازى صاحبه.
و قوله «وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ» يحتمل أمرين: أحدهما- فان تتولوا، إلا انه حذف للتضعيف و لذلك شدده ابن كثير فى رواية البزى عنه.
و الاخر- ان يكون بمعنى فقل «فَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ» يعنى عذاب يوم القيامة و وصف ذلك اليوم بالكبير لعظم ما يكون فيه من الأهوال و المجازاة لكل انسان على قدر عمله.

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (4)
قيل فى معنى قوله «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ» قولان: أحدهما- اليه مصيركم باعادته إياكم للجزاء. و الثانى- الى اللّه مرجعكم باعادته الى مثل الابتداء من انه لا يملک لكم ضرّاً و لا نفعاً سواه تعالى، و المرجع المصير الى مثل الحال الاولى.
و قوله «وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» اخبار منه تعالى انه يقدر على كل شىء إلا ما أخرجه الدليل مما يستحيل أن يكون قادراً عليه من مقدورات غيره و ما يقضى وقته من الأجناس التى لا يصلح عليها البقاء.

أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (5)
روى عن ابن عباس أنه قرأ «أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ» على وزن (يحلون) و أراد المبالغة و معنى (ألا) التنبيه، و ما بعده مبتدأ.
أخبر اللَّه تعالى ان الكفار يثنون صدورهم. و قيل فى معناه ثلاثة اقوال:
أحدها- قال الفراء و الزجاج: يثنونها على عداوة النبى صلى الله عليه و آله.
و قال الحسن:
يثنونها على ما هم عليه من الكفر. و قال ابو على الجبائى. يثنى الكافر صدره على سبيل الانحناء، فى خطابه لكافر مثله ممن يختصه لئلا يعرف اللَّه ما أضمره. و قال ابو عبد اللَّه بن شداد: ولى ظهره إذا رأى النبى صلى الله عليه و آله و غطى وجهه بالثوب و اصل الثنى العطف تقول: ثنيته عن كذا اى غطيته و منه الاثنان لعطف أحدهما على الاخر فى المعنى، و منه الثناء لعطف المناقب فى المدح، و منه الاستثناء لأنه عطف عليه بالإخراج منه.
و قوله «لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ» فالاستخفاء طلب خفاء النفس تقول استخفى استخفاء و تخفى تخفياً، و نظيره استغشى و تغشى قالت الخنساء:
أرعى النجوم و ما كلفت رعيتها و تارة ا تغشى فضل اطمارى «1»
و الهاء فى منه يحتمل أن تكون عائدة الى اسم اللَّه- فى قول الحسن و مجاهد و الجبائى- جهلا منهم بأن اللَّه لا يخفى عليه خافية. و قال ابو عبد اللَّه بن شداد:
هى عائدة على النبى صلى الله عليه و آله.
و قوله «أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ» معناه انهم كانوا يتعطون بثيابهم ثم يتفاوضون

---

(1) ديوانها 109 و اللسان (رعى) و أساس البلاغة 351

ما كانوا يدبرونه على النبى و على المؤمنين و يكتمونه عن الناس، فبين اللَّه تعالى انهم وقت ما يتغطون بثيابهم و يجعلونها غشاء فوقهم عالم بما يسرون و ما يعلنون، لا انه يتجدد له العلم فى حال استغشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك فى الأزل. و معنى «ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ» اى ما يخفونه فى أنفسهم و ما يعلنونه أى يظهرونه «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» و معناه عالم بأسرار ذات الصدور.

وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَی اللَّهِ رِزْقُها وَ یَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَ مُسْتَوْدَعَها کُلٌّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ (6)

أخبر اللَّه تعالی أنه لیس فی الأرض دابة إلا و اللَّه تعالی متکفل برزقها.

و الدابة الحی الذی من شأنه أن یدب یقال: دب یدب دبیباً و أدبه ادباباً، غیر انه صار بالعرف عبارة عن الخیل و البراذین دون غیرها من الحیوان.

و قوله «وَ یَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَ مُسْتَوْدَعَها» فالمستقر الموضع الذی یقر فیه الشیء و هو قراره و مکانه الذی یأوی الیه. و المستودع المعنی المجعول فی القرار کالولد فی البطن و النطفة التی فی الظهر و قیل: مستودعها مدفنها بعد موتها. و قیل: مستقرها فی أصلاب الآباء و مستودعها فی أرحام الأمهات. و قیل: مستقرها ما تستقر علیه، و مستودعها ما تصیر الیه.

و قوله «کُلٌّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ» خبر من اللَّه تعالی أن جمیع ذلک مکتوب فی کتاب ظاهر یعنی اللوح المحفوظ، و انما اثبت تعالی ذلک مع انه عالم انه لا یعزب عنه شیء لما فیه من اللطف للملائکة او یکون فیه لطف لمن یخبر بذلک.

وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَ لَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ (7)

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 451

اخبر اللَّه تعالى أنه خلق السماوات و الأرض و أنشأهما فى ستة ايام، و انما خلقهما فى هذا المقدار من الزمان مع قدرته ان يخلقهما فى أقل من لمح البصر ليبين بذلک ان الأمور جارية فى التدبير على منهاج، و لما علم فى ذلک من مصالح الخلق من جهة اقتضاء ان ينشأها على ترتيب يدل على انها كانت عن تدبير عالم بها قبل فعلها مثل سائر الافعال المحكمة.

و قوله «وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ لِيَبْلُوَكُمْ» معناه انه خلق الخلق و دبر الامر ليظهر احسان المحسن، لأنه الغرض الذى يجرى بالفعل اليه. و فى وقوف العرش على الماء، و الماء على غير قرار أعظم للاعتبار لمن أمعن النظر و استعمل الفكر.

و المراد بقوله «فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» ما مقدارة مقدار ستة أيام، لأنه لم يكن هناک ايام تعد، لان اليوم عبارة عما بين طلوع الشمس و غروبها.

و قوله «ليبلوكم» معناه ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر مظاهرة فى العدل لئلا يتوهم أنه يجازى العباد بحسب ما فى المعلوم أنه يكون منهم قبل أن يفعلوه.

و قوله «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» فيه دلالة على أنه يكون فعل حسن أحسن من فعل حسن آخر لان لفظة أفعل حقيقتها ذلک. و لا يجوز ترک ذلک الا لدليل، و ليس هاهنا ما يوجب الانصراف عنه.

و قوله «وَ لَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» إعلام من اللَّه تعالى لنبيه انه لو قال لهؤلاء الكفار ان اللَّه يبعثكم بعد موتكم و يجازيكم على أعمالكم لقالوا: ليس هذا القول الا سحر ظاهر. و من التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 452

قرأ (ساحر) أراد ليس هذا يعنون النبى صلى الله عليه و آله الا ساحر مبين.

و قال الجبائى فى الاية دلالة على انه كان قبل خلق السماوات و الأرض الملائكة قال: لان خلق العرش على الماء لا وجه لحسنه الا أن يكون فيه لطف لمكلف يمكنه الاستدلال به فلا بد اذاً من حىّ مكلف. و الأقوى ان يقال: انه لا يمتنع ان يتقدم خلق اللَّه لذلک إذا كان فى الاخبار بتقدمه مصلحة للمكلفين، و هو الذى اختاره الرمانى. و كان على بن الحسين الموسوى المعروف بالمرتضى (ره) ينصره.

و ظاهر الاية يقتضى ان العرش الذى تعبد اللَّه الملائكة بحمله كان مخلوقاً

قبل السموات و الأرض، و هو قول جميع المفسرين: كابن عباس و مجاهد و قتادة و البلخى و الجبائى و الرمانى و الفراء و الزجاج و غيرهم. و قال ابن عباس: كان العرش على الماء، و الماء على الهواء، و قال الجبائى: ثم نقل اللّه العرش الى فوق السماوات

وَ لَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (8)

اللام فى قوله «وَ لَئِنْ أَخَّرْنا» لام القسم، و لا يجوز ان تكون لام الابتداء، لأنها دخلت على (ان) التى للجزاء، و لام الابتداء إنما هى للاسم او ما ضارع الاسم فى باب (ان) و جواب الجزاء مستغنى عنه بجواب القسم، لأنه إذا جاء فى صدر الكلام غلب عليه كما انه إذا تأخر او توسط الغى. و معنى قوله «أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ» اخر الى حين أمة معدودة كما قال «وَ ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ» «1» اى بعد حين. و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و الزجاج و الفراء و غيرهم.

---

(1) سورة 12 يوسف آية 45

و قال الجبائى: معناه الى أمم بعد هؤلاء يكلفهم فيعصونه فتقتضى الحكمة إهلاكهم و إقامة القيامة. و قال الرمانى: معناه الى جماعة معدودة بانه ليس فيها من يؤمن فإذا صاروا الى هذه الصفة أهلكوا بالعذاب، كما أهلك قوم نوح فى الدنيا.

و أهلكوا بعذاب الآخرة لكونهم على هذه الصفة.

و قوله «لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ» فالحبس المنع بالحصر فى خباء. و يقال: حبس الماء إذا منع من النفوذ. و حبس السلطان الرزق إذا منعه. و حبس عنهم العذاب إذا منع من إتيانهم الى الأجل المعلوم. و التقدير ما الذى يمنع من تعجيل هذا العذاب الذى نتوعد به؟ فقال اللّه تعالى «أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ» و معناه ان هذا العذاب الذى يستبطئونه إذا نزل بهم فى الوقت المعلوم لا يقدر على صرفه أحد عنهم و لا يتمكنون من إذهابه عنهم إذا أراد اللّه ان تأتيهم به. و قوله «وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» معناه انه نزل بهم الذى كانوا يسخرون منه من نزول العذاب و يتحققونه.

وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ (9)
أقسم اللّه تعالى فى هذه الاية انه لو أحل تعالى بالإنسان رحمة من عنده يعنى ما يفعله اللّه تعالى بهم فى الدنيا من الأرزاق، فانه يعم بها خلقه كافرهم و مؤمنهم.
ثم نزعها منه و سلبها، و سمى إحلال اللذات بهم اذاقة تشبيهاً و مجازاً، لان الذوق فى الحقيقة تناول الشىء بالفم لادراک الطعم، و الإنسان حيوان على الصورة الانسانية لأن الصورة الانسانية بانفرادها قد تكون للتمثال و لا يكون إنساناً فإذا اجتمعت الحيوانية و الصورة لشىء فهو انسان. قال الرمانى: و كلما لا حياة فيه فليس بإنسان التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 454
كالشعر و الظفر و غيرهما. و النزع رفع الشىء عن غيره مما كان مشابكا له، و النزع و القلع و الكشط نظائر. و اليأس القطع بأن الشىء لا يكون و هو ضد الرجاء و يؤوس كثير اليأس من رحمة اللّه و هذه صفة ذم، لأنه لا يكون كذلک الا للجهل بسعة رحمة اللّه التى تقتضى قوة الأمل. و فائدة الآية الاخبار عن سوء خلق الإنسان و قنوطه من الرحمة عند نزول الشدة و أنه إذا أنعم عليه بنعمة لم يشكره عليها و إذا سلبها منه يئس من رحمة اللّه و كفر نعمه، و هو مصروف الى الكفار الذين هذه صفتهم.

وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّى إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (10)

أقسم اللّه تعالى فى هذه الآية أنه لو أحل بالإنسان «نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ» لأن الهاء كناية عن الإنسان الذى مضى ذكره، و النعماء إنعام يظهر أثره على صاحبه و الضراء مضرة تظهر الحال بها، لأنها أخرجت مخرج الأحوال الظاهرة كحمراء و عوراء مع ما فيها من المبالغة. و معنى «مسته» نالته. و قوله «لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّى» أى يقول عند نزول النعماء به بعد أن كان فى ضدها من الضراء:

ذهبت الخصال التى تسوء صاحبها من جهة نفور طبعه أو عقله، و هو- هاهنا- بمعنى المرض و الفقر، و نحو ذلک. و قوله «إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ» إخبار منه تعالى أن الإنسان فرح فخور. و الفرح انفتاح القلب بما يلتذ به و ضده الغم، و مثله السرور و المرح. و الفرح لذة فى القلب أعظم من ملاذ الحواس. و الفخور المتطاول بتعديد المناقب، و فخور كثير الفخر، و هى صفة ذم إذا أطلقت لما فيه من التكبر على من لا يجوز أن يتكبر عليه. و قيل: للعالم أن يفخر على الجاهل بالعلم لتعظيم التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 455

العلم و تحقير الجهل، و لذلک تفخر النبى على الكفار.

إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِکَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ کَبِيرٌ (11)
لما أخبر اللَّه تعالى عن أحوال الخلق و أن أكثرهم إذا حل بهم نعمه تعالى بعد أن كانوا فى مضرة شديدة و انهم إذا يقولون ذهب السيئات عنهم و ان كثيراً منهم فرح فخور، استثنى من جملتهم المؤمنين بتوحيد اللَّه الصابرين على طاعاته و الكف عن معاصيه و أضافوا الى ذلک الأعمال الصالحات. و الصبر حبس النفس عن المشتهى من المحارم. و الصبر على مرارة الحق يؤدى الى الفوز بالجنة فى الآخرة مع ما فيه من الجمال فى الدنيا. و استثنى الذين صبروا من الإنسان، لأنه فى معنى الجمع كما قال «وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» «1» و قال الزجاج و الأخفش: (إلا) بمنى (لكن) لأنه ليس من جنس الأول. و الأول قول الفراء. و قوله «أُولئِکَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ کَبِيرٌ» إخبار من اللَّه تعالى عن هؤلاء المؤمنين بأن لهم عند اللَّه المغفرة و الأجر العظيم.

فَلَعَلَّکَ تارِکٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْکَ وَ ضائِقٌ بِهِ صَدْرُکَ أَنْ يَقُولُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ کَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَکٌ إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ وَ اللَّهُ عَلى کُلِّ شَيْءٍ وَکِيلٌ (12)

---

(1) سورة 103 العصر 1- 2 [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 456

هذا خطاب من اللّه تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله يحثه على أداء جميع ما بعثه به و أوحى اليه، و ينهاه عن كتمانه، و يشجعه على الأداء، و يقول له لا يكون لعظم ما يرد على قلبك و يضيق به صدرك من غيظهم يوهمون عليك انهم يزيلونک عن بعض ما أنت عليه من امر ربک، و أنک تترک بعض الوحى و يضيق به صدرک مخافة أن يقولوا أو لئلا يقولوا «لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ» أى هلا انزل عليه كنز فينفق منه «أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَکٌ» يعينه على أمره بل «إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ» أى منذر مخوف من معاصى اللّه و عقابه «وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَکِيلٌ» أى حافظ يكتب عليهم أفعالهم و أقوالهم، و مجازيهم عليها، فلا تغمک أقوالهم و لا أفعالهم و لا يضيق بذلک صدرک فان وبال ذلک عائد عليهم. و ضائق و ضيق واحد الا ان (ضائق) هاهنا احسن لمشاكلته لقوله: تارک، و الضيق قصور الشىء عن مقدار غيره ان يكون فيه، فإذا ضاق صدر الإنسان قصر عن معان يتحملها الواسع الصدر. و الصدر مسكن القلب و يشبه به رفيع المجالس و رئيس القوم لشرفه على غير، و الكنز المال المدفون لعاقبته، و صار فى الشرع اسم ذم فى كل مال لا يخرج منه حق اللّه من الزكاة و غيره، و إن لم يكن مدفونا.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (13)

هذه الآية صريحة بالتحدى و فيها قطع لاعتلال المشركين و بغيهم، لأنهم لما عجزوا عن معارضة القرآن قالوا: إن ما فيه من الاخبار كذب اختلقه و اخترعه أو قرأ الكتب السالفة، فقال اللّه تعالى لهم: افتروا أنتم مثله، و ادحضوا حجته فذلک أيسر و أهون مما تكلفتموه، فعجزوا عن ذلک و صاروا الى الحرب و بذل النفس و المال و قتل الآباء و الأبناء. و لو قدروا على إطفاء أمره بالمعارضة لفعلوه التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 457

مع هذا التقريع العظيم. و فيه دلالة على جهة إعجاز القرآن و أنها الفصاحة فى هذا النظم المخصوص، لأنه لو كان غيره لما قنع فى المعارضة بالافتراء و الاختلاق.

و قوله «فأتوا» و إن كان لفظه لفظ الأمر فالمراد به التهديد و التحدى و المثل المذكور فى الاية ما كان مثله فى البلاغة و النظم أو ما يقاربه، لأن البلاغة ثلاث طبقات فأعلاها معجز، و أدناها و أوسطها ممكن، فالتحدى وقع بما هو فى أعلى طبقة فى البلاغة، و لا يجوز أن يكون المراد بالمثل إلا المثل فى الجنسية، لأن مثله فى العين يكون حكايته و ذلک لا يقع به تحدى. و انما يرجع الى ما هو متعارف بينهم فى تحدى بعضهم بعضاً كمناقضات امرئ القيس و علقمة، و عمر بن كلثوم و الحارث بن حلزة، و جرير و الفرزدق و غيرهم. و معنى (أم) تقرير بصورة الاستفهام، و تقديره بل «يَقُولُونَ افْتَراهُ». و قال بعضهم: إن الاستفهام محذوف، كأنه قال أ يكذبونک أم يقولون افتراه. و هذا ليس بصحيح لأن (أم) هاهنا منقطعة ليست معادلة، و انما يجوز حذف الاستفهام فى الضرورة. و قوله «ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى ادعوهم الى معاونتكم على المعارضة. و هذا غاية ما يمكن من التحدى و المحاجّة.

و قوله «بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ» اى مثل سورة منه كل سورة منها. و معنى «مفتريات» أى مختلقات يقال: افترى و اختلق و اخترق، و خلق و خرق و خرص و اخترص إذا كذب

فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (14)

قيل فى المعنى بقوله «فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ» قولان:

أحدهما- ان المراد به المؤمنون، و التقدير فان لم يقبلوا إجابتک يا محمّد

و المؤمنين، و لا يأتون بعشر سور معارضة لهذا القرآن، فليعلم المؤمنون إنما أنزل بعلم اللَّه بهذا الدليل، و هو قول مجاهد و الجبائى.

و الآخر- أن يكون المراد به المشركين، فالتقدير فان لم يستجب لكم من تدعونهم الى المعاونة و لا يهيأ لكم المعارضة، فقد قامت عليكم الحجة.

و الاستجابة فى الاية طلب الاجابة بالقصد الى فعلها، يقال: استجاب و أجاب بمعنى واحد. و الفرق بين الاجابة و الطاعة أن الطاعة موافقة للارادة الجاذبة الى الفعل برغبة أو رهبة، و الاجابة موافقة الداعى الى الفعل من أجل أنه دعا به.

و قوله «أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ» يحتمل أمرين: أحدهما- بعلم اللَّه انه حق من عنده أى عالم به. و الآخر- بعلم اللَّه بمواقع تأليفه فى علو طبقته. و قوله «وَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» اى فاعلموا أن لا إله إلا هو. و قوله «فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» معناه هل أنتم بعد قيام الحجة عليكم بما ذكرناه من كلام اللَّه و انه أنزله على نبيه تصديقاً له فيما أدّاه إليكم عن اللَّه مسلمون له موقنون به؟ لأن كل من سلم له الأمر فقد استسلم له. قال مجاهد: و هذا خطاب لأصحاب النبى من المسلمين.

مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ (15)
آية شرط اللّه تعالى بهذه الآية أن «مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها» و حسن بهجتها، و لا يريد الآخرة، فان اللّه تعالى يوفيه جزاء عمله فيها يعنى فى الدنيا، و لا يبخسه شيئاً منه. و الزينة تحسين الشىء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة، يقال:
زانه يزينه و زيّنه تزييناً. و التوفية تأدية الحق على تمام. و البخس نقصان الحق، يقال: بخسه بخساً إذا ظلمه بنقصان الحق. و فى المثل (يبخسها حمقاء) و هى التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 459
باخس. و قيل فى العمل الذى يوفون حقهم من غير بخس قولان: أحدهما- قال الضحاك و مجاهد: هو أن يصل الكافر رحمه أو يعطى سائلا سأله أو يرحم مضطراً أو غير ذلك من أفعال الخير، فان اللّه تعالى يعجل له جزاء عمله فى الدنيا بتوسيع الرزق، و إقرار العين فيما خوّل، و دفع مكاره الدنيا. الثانى- الغزو مع النبى صلى الله عليه و آله للغنيمة دون ثواب الاخرة، أمر اللّه نبيه أن يوفيهم قسمهم و هذا من صفة المنافقين، ذكره الجبائى. و انما جاز أن يقول «مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ» و لم يجز أن تقول: من جاءنى أكرمه، لأن الأجود فى الشرط و الجزاء أن يكونا مستقبلين أو يكونا ماضيين بنية الاستقبال، فان كان أحدهما ماضياً، و الآخر مستقبلا كان جائزاً على ضعف كما قال زهير:
و من هاب أسباب المنايا تنلنه و لو رام أسباب السماء بسلم «1»
قلنا عنه جوابان: أحدهما- قال الفراء: إن المعنى من يرد الحياة الدنيا و (كان) زائدة. و الثانى: إن المعنى أن يصح أنه كان، كقوله «إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ» «2» و لا يجوز مثل هذا فى غير (كان) لأنها أم الأفعال.

أُولئِکَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (16)

قوله «أولئک» كناية عن الذين ذكرهم فى الاية الأولى، و هم الذين يريدون الحياة الدنيا و زينتها، دون ثواب الاخرة. فأخبر اللّه أنه ليس لهم فى الآخرة مستقر إلا النار، و أن أعمالهم كلها محبطة لا يستحقون عليها ثواباً، لأنهم أوقعوها

---

(1) اللسان (سبب) و روايته (المنية يلقها) بدل (المنايا تنلنه)

(2) سورة 12 يوسف آية 27

على غير الوجه المأمور به، و على حدّ لا تكون طاعة، و أن جميع ما فعلوه فى الدنيا باطل لا ثواب عليه. و قد بينا فساد القول بالإحباط «1» على ما يذهب اليه المعتزلة و أصحاب الوعيد، سواء قالوا الإحباط بين الطاعة و المعصية أو بين المستحق عليها، فلا معنى للتطويل بذكره هاهنا. و قوله «وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» بعد قوله «حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها» يحقق ما نقوله: إن نفس الاعمال تبطل بأن توقع على خلاف الوجه الذى يستحق به الثواب.

أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى إِماماً وَ رَحْمَةً أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (17)
الالف فى قوله «أَ فَمَنْ كانَ» ألف استفهام، و المراد بها التقرير، و التقدير هل الذى كان على بينة- يعنى برهان و حجة من اللّه- و المراد بالبينة هاهنا القرآن و المعنى بقوله «أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ» النبى صلى الله عليه و آله و كل من اهتدى به و اتبعه.
و قوله «وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ» قيل فى معناه أقوال: أحدها-
شاهد من اللّه هو محمّد صلى الله عليه و آله، و روى ذلک عن الحسين بن على عليهما السلام
و ذهب اليه ابن زيد و اختاره الجبائى.
و الثانى- قال ابن عباس و مجاهد و ابراهيم و الفراء و الزجاج: جبرائيل يتلو القرآن على النبى صلى الله عليه و آله. و الثالث- شاهد منه لسانه، روى ذلک عن محمّد بن على أعنى ابن الحنفية، و هو قول الحسن و قتادة و الرابع-
روى عن أبى جعفر محمّد

---

(1) انظر 2/ 336، 353، 522، 525

ابن على بن الحسين عليهما السلام أنه على بن أبى طالب عليه السلام و رواه الرمانى، و ذكره الطبرى بإسناده عن جابر بن عبد اللّه عن على عليه السلام.
و ذكر الفراء وجهاً خامساً- قال: و يتلوه يعنى القرآن يتلوه شاهد هو الإنجيل، و من قبله كتاب موسى يعنى التوراة. و المعنى و يتلوه فى الحجة و البينة. و قوله «وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى» الهاء فى «قبله» عائدة على القرآن المدلول عليه فيما تقدم من الكلام، و المعنى أنه يشهد به بالبشارة التى فيه. و قوله «إِماماً وَ رَحْمَةً» العامل فيه أحد أمرين:
أحدهما- الظرف فى قوله و من قبله. و الثانى- و شاهد من قبله كتاب موسى إماماً و رحمة، و خبر (من) فى قوله «أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ» محذوف و التقدير أ فمن كان على بينة من ربه و على الأوصاف التى ذكرت كمن لا بينة معه، قال الشاعر:
و أقسم لو شىء أتانا رسوله سواک و لكن لم نجد عنک مدفعا
و أنشد الفراء:

و أقسم لو شىء أتانا رسوله سواک و لکن لم نجد عنک مدفعا
و أنشد الفراء:
فما أدرى إذا يممت وجهاً أريد الخير أيهما يلينى
آلخير الذى أنا أبتغيه أم الشر الذى لا يأتلينى «1»
قال: أيهما، و إنما ذكر الخير وحده، لأن المعنى مفهوم، لأن المبتغى للخير متق للشر. و قال قوم خبره قوله «مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا» و قد تقدمه، و استغنى به. و قوله «أُولئِکَ يُؤْمِنُونَ بِهِ» كناية عمن كان على بينة من ربه أنهم يصدقون بالقرآن و يعترفون بأنه حق، و قوله «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ» معناه إن كل من يجحده و لا يعترف به من الأحزاب الذين اجتمعوا على عداوته. و قال الفراء: يقال: كل كافر حزب النار «فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ» يعنى مستقره و موعده «فلا تک» يا محمّد صلى الله عليه و آله فى شک من ذلک، فالخطاب متوجه الى النبى صلى الله عليه و آله و المراد به جميع المكلفين. و قوله «إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ» اخبار منه تعالى بأن

---

(1) مرّ هذا الشعر فى 2/ 113

هذا الخبر الذى ذكره حق من عند اللّه، و لكن اكثر الناس لا يعلمون صحته و صدقه لجهلهم باللّه و جحدهم نبوة نبيه صلى الله عليه و آله. و روى أن الحسن قرأ (فى مرية) بضم الميم، و هى لغة أسد و تميم، و أهل الحجاز يكسرون الميم و عليه القراء.

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ وَ يَقُولُ الْأَشْهادُ هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (18)
قال الحسن معنى قوله «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً» لا أحد أظلم منه إلا انه خرج مخرج الاستفهام مبالغة فى انه أظلم لنفسه من كل ظالم، و انما كان المفترى على اللّه كذباً أظلم من كل ظالم، لأنه يجحد نعم اللّه و لا يشكرها. و قوله «أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ» اخبار منه تعالى أن من هذه صفته يعرض على اللّه يوم القيامة. و العرض إظهار الشىء بحيث يرى للتوقيف على حاله يقال: عرضت الكتاب على فلان، و عرض الجند على السلطان، و معنى العرض على اللّه أنهم يقفون فى المقام الذى يرى العباد، و قد جعله اللّه تعالى للمطالبة بالأعمال فهو بمنزلة العرض فى الحقيقة، لأنهم لا يخفون عليه فى حال من الأحوال بل هو تعالى يراهم حيث كانوا. و قوله «وَ يَقُولُ الْأَشْهادُ» يعنى الملائكة و الأنبياء و العلماء، يشهدون بما كان منهم من الكذب عليه تعالى. و قيل: هو جمع شاهد مثل صاحب و أصحاب، و قيل: جمع شهيد كشريف و أشراف. و قوله «أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» تنبيه من اللّه تعالى لخلقه بأن لعنته على الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بإدخال الضرر عليها و على غيرهم بإدخال الآلام عليهم، و لعنة اللّه إبعاده من رحمته.

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ (19)
وصف اللّه تعالى الظالمين الذين جعل لعنة اللّه عليهم بأنهم يصدون عن سبيل اللّه بمعنى أنهم يغرّون الخلق و يصرفونهم عن المصير اليه و اتباعه، بغير الحق، و يجوز أن يكون صدّه عن الفساد بدعائه الى تركه، و الصد عن الحق سبب الامتناع منه إذا صادف منه ما يهواه، فيفعله من أجل ذلک الداعى، و انما جاز تمكين الصادّ من الفساد لأنه مكلف للامتناع. و ليس فى منعه لطف بأن ينصرف عن الفساد الى الصلاح، فهو كشهوة القبيح الذى به يصح التكليف. قال ابو على: و لو لم يكن إغواء الشيطان إضلالا لعمل من قبل نفسه ذلک أو شرّاً منه. و قوله «يَبْغُونَها عِوَجاً» معناه إنهم يطلبون لسبيل اللّه عدولا عنه. و العوج العدول عن طريق الصواب، و هو فى الدين عوج بالكسر، و فى العود عوج بالفتح، فرّقوا بين ما يرى و بين ما لا يرى فجعلوا السهل للسهل و الصعب للصعب بالفتح و الكسر. و البغية طلبة أمر من الأمور تقول: بغاه يبغيه بغية مثل طلبه يطلبه طلبة. و قوله «وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ» إخبار منه تعالى أن هؤلاء الذين يصدون عن سبيل اللّه كافرون بالآخرة و بالبعث و النشور و الثواب و العقاب أى جاحدون غير مقرين. و قوله «وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ» كرر (هم) مرتين كما قال «أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ» «1» كرر (أنكم) مرتين، و وجه ذلک أنه أنه لما طال الكلام و فارق فعله كرره مرة أخرى.

---

(1) سورة 23 المؤمنين آية 35

أُولئِکَ لَمْ یَکُونُوا مُعْجِزِینَ فِی الْأَرْضِ وَ ما کانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِیاءَ یُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ ما کانُوا یَسْتَطِیعُونَ السَّمْعَ وَ ما کانُوا یُبْصِرُونَ(20)
أخبر اللّه تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأن عليهم لعنة اللّه و أنهم الذين يصدون عن سبيل اللّه و يبغونها عوجاً بأنهم غير «مُعْجِزِینَ فِی الْأَرْضِ» أى لم يكونوا فائتين فيها هرباً من اللّه تعالى إذا أراد إهلاكهم كما يهرب الهارب من عدو، و قد جد فى طلبه. و الاعجاز الامتناع من المراد بما لا يمكن معه إيقاعه، و انهم لم يكن لهم ولى يستطيع الدفاع عنهم من دون اللّه. و الولى الخصيص بأن يلى بالمعاونة لدفع الاذية، و منه قولهم: تولاك اللّه بحفظه، فلا ولى لهؤلاء يعاونهم و يدفع العقوبة عنهم، لأن اللّه تعالى قد أ يأسهم من ذلک. و قوله «یُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ» قيل فى معناه قولان: أحدهما- بحسب تضاعف الاجرام. و الآخر- كلما مر ضعف جاء ضعف، و كله على قدر الاستحقاق. و قوله «ما کانُوا یَسْتَطِیعُونَ السَّمْعَ وَ ما کانُوا یُبْصِرُونَ» معناه انه كان يثقل عليهم سماع الحق و رؤيته، كما يقال:
فلان لا يستطيع النظر الى فلان، و حقيقة الاستطاعة القوة التى تنطاع بها الجارحة للفعل، و لذلک لا يقال فى اللّه انه يستطيع. و ليس المراد بنفى الاستطاعة فى الاية نفى القدرة بل ما ذكرناه، لأنه لو لم يكن فيهم قدرة لما حسن تكليفهم. و قد ذكر الفراء فيه وجهاً مليحاً، فقال: المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع و لا يعقلون، و حذف الباء كما قال «أَلِیمٌ بِما کانُوا یَکْذِبُونَ» «1» اى بتكذيبهم و سقوط الباء جائز، كما قال «أَحْسَنَ ما کانُوا یَعْمَلُونَ» «2» و يقول

---

(1) سورة 2 البقرة آية 10
(2) سورة 9 التوبة آية 122

القائل: لأجزينک ما عملت، و بما عملت. و اختار ذلک البلخى. و السمع إدراک الصوت بما به يكون مسموعاً. و الأبصار إدراک الشىء بما به يكون مبصراً.

أُولئِکَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (21)
ثم أخبر عنهم بخبر آخر، و هو أنهم «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ»
من حيث أنهم فعلوا ما يستحقون به العذاب و هلكوا بذلک فى خسران أنفسهم، و خسران النفس أعظم الخسران، لأنه ليس عنها عوض، و عن هلاک رأس المال عوض، فسلامة النفس أجل فائدة، و ما كان بعده من نفع فهو ربح. و قوله «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ»
قيل فى معناه قولان: أحدهما- ذهب عنهم الانتفاع بالافتراء كما كانوا فى الدنيا و الثانى- ذهب عنهم الأوثان التى كانوا يأملون بها الانتفاع- فى قول الحسن- و (أولئک) اشارة الى البعيد، (و هؤلاء) إشارة الى القريب و أولاء مبنى على الكسر، لأنه اسم للجمع بمنزلة الواحد و الكاف فى (أولئک) حرف يدل على أن الكلام الذى معه مخاطباً به. و وجه اتصال (ما) فى الآية أن (أولئک) إشارة الى من تقدم ذكره و (الذين) صفة لهم و هو موصول و (خسروا) صلته و (أنفسهم) معمول الصلة و (ضل) معطوف على الصلة و (كانوا) صلة فاعل معطوف الصلة و (يفترون) خبر صلة فاعل معطوف الصلة، و هو تمام (الاسم).

لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِی الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (22)
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 466
معنى (لا جرم) قال الزجاج: معنى (لا) نفى لما ظنوه أنه ينفعهم كأن المعنى لا ينفعهم ذلک. ثم ابتدأ «جَرَمَ أَنَّهُمْ» أى كسب ذلک الفعل لهم الخسران.
و قال غيره: معناه لا بد انهم، و لا محالة أنهم. و قيل: معناه حقاً أنهم. و اصل (الجرم) القطع فكأنه قال لا قطع من انهم فى الاخرة هم الأخسرون و (جرم) فى قوله (لا جرم) فعل، و تقديره لا قطع قاطع عن ذا، إلا أنهم كثر فى كلامهم حتى صار كالمثل و هو من قول الشاعر:
و لقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا «1»
اى قطعتهم الى الغضب، فرواية الفراء نصب فزارة، و المعنى كسبهم أن يغضبوا.
و خسران النفس يتعاظم، لأن خسران النفس بعذاب دائم أعظم من خسرانها بعذاب منقطع، و (هم) فى قوله «هُمُ الْأَخْسَرُونَ» يحتمل أن يكون فصلا و الأخسرون خبر (أن) و (هم) إذا كانت فصلا لم تقع فى النكرة. و قولهم: ما كانوا فى الدار هم القائمون. فلا يكون إلا اسماً، فان جعلتهما فصلا قلت: كانوا فى الدار هم القائمون.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ أَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (23)
لما ذكر اللَّه تعالى الكفار، و وصف ما أعدّ لهم من العذاب و خسران النفس أخبر- هنا- أن الذين يؤمنون باللَّه و يعتقدون وحدانيته و يصدقون رسله، و عملوا الأعمال الصالحة التى أمرهم اللَّه بها و رغبهم فيها «وَ أَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ» أى خشعوا اليه.
و الإخبات الخشوع المستمر على استواء فيه، و أصله الاستواء من الخبت، و هو

---

(1) مرّ فى 3/ 423 و 5/ 413

الأرض المستوية الواسعة. و قيل: إن الإخبات الانابة- ذكره ابن عباس- و قال مجاهد: هو الاطمئنان الى ذكر اللَّه. و قال قتادة: هو الخشوع اليه و الخضوع له و قال الحسن: هو الخشوع للمخافة الثابتة فى القلب. و قال الجبائى: الإخبات سكون الجوارح على وجه الخضوع للَّه تعالى. و ليس كل عمل صالح يستحق عليه حمد أو مدح، لأنه مثل الحسن فى أنه ينقسم قسمين: أحدهما- يستحق عليه الحمد. و الآخر- لا يستحق عليه كالمباح، فكذلک الصالحات. و المراد بالصالحات- هاهنا- الطاعة، لأنه وعد عليها الجزاء فى قوله «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ» «1». و قوله «وَ أَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ» قال قوم: معناه أخبتوا لربهم، فوضع (الى) مكان اللام، لأن حروف الاضافة توضع بعضها مكان بعض، كما قال «أَوْحى لَها» «2» بمعنى أوحى اليها. و الآخر- أن معناه عمدوا باخباتهم الى اللَّه. و قوله «أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» إشارة الى المؤمنين الذين وصفهم بأنهم يعملون الصالحات و يخبتون الى ربهم، فأخبر عنهم أنهم أصحاب الجنة اللازمون لها و أنهم فيها مخلدون دائمون.

مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمى وَ الْأَصَمِّ وَ الْبَصِيرِ وَ السَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (24)
المثل قول سائر يشبه فيه حال الثانى بحال الأول، و الأمثال لا تغير عن صورتها كقولک للرجل (اطرى انک ناعلة) و كذلک يقال للكافر: هو أعمى أصم أى هو بمنزلة الذين قيل لهم هذا القول، و يجرى هذا فى كل كافر يأتى من بعد.

---

(1) سورة 11 هود آية 115
(2) سورة 99 الزلزال آية 5

و (الواو) فى قوله «كَالْأَعْمى وَ الْأَصَمِّ» قيل فى دخولها قولان:
أحدهما- العموم فى التشبيه أى حال الكافر كحال الأعمى و كحال الأصم و كحال من جمع العمى و الصمم.
الثانى- أن المعنى واحد، و إنما دخلت الواو لاتصال الصفة الأولى بعلامة.
و إنما قال: هل يستويان، لأنه أراد الفريقين: الموصوف أحدهما بالصمم و العمى، و الاخر بالبصر و السمع. و فائدة الآية تشبيه المؤمن و الكافر فى تباعد ما بينهما فشبههما، بالأعمى و البصير، و الأصم و السميع، فالكافر كالأعمى و الأصم فى أنه لا يبصر طريق الرشد، و لا يسمع الحق، و أنه مع ذلک على صفة النقص. و الصمم عبارة عن فساد آلة السمع، و لو كان معنى يضاد السمع لتعاقبا على الحى، و الأمر بخلافه، لأنه قد ينتفى حال الصمم و لا يكون سامعاً، و كذلک العمى عبارة عن فساد آلة الرؤية، و ليس بمعنى يضاد الأبصار، لأن الصحيح أن الإدراک أيضاً ليس بمعنى، و لو كان معنى لما وجب أن يكون العمى ضده. لأنه لو كان ضده لعاقبه على حال الحى و كان يجوز أن يحضر المرئى من الأجسام الكثيفة من غير ساتر فلا يرى مع حصول شروط الإدراک لأجل وجود الضد، و كذلک الصمم، و لا ضد له لأنه ليس هناک حال يعاقبه على حال مخصوصة كمعاقبة العجز القدرة على حال الحياة.
و قوله «هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا» و إن كان بصورة الاستفهام فهو لضرب من التوبيخ و التقريع. و قوله «أَ فَلا تَذَكَّرُونَ» معناه أ فلا تتفكرون فى ذلک فتعلموا صحة ما ذكرنا.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (25) أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26)

قرأ نافع و ابن عامر و عاصم و حمزة (إنى) بكسر الهمزة. الباقون بفتحها

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 469

قال أبو على النحوى: من فتحها حملها على (أرسلنا) أى أرسلناه بأنى لكم و لم يقل إنه انتقل عن الغيبة الى الخطاب، و مثله كثير، قال اللّه تعالى «وَ كَتَبْنا لَهُ فِى الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَوْعِظَةً» ثم قال بعده «فَخُذْها بِقُوَّةٍ» «1» فكذلك الآية. و من كسر يضمر القول قبلها كأنه قال: أرسلنا نوحاً الى قومه فقال: إنى لكم نذير، و مثله كثير، قال اللّه تعالى «وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ» «2» اى يقولون: سلام عليكم، و قوله تعالى «وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى» «3» أى قالوا:

ما نعبدهم، و يكون الكلام على ظاهره لم يرجع من الغيبة الى الخطاب. و ليس لأحد أن يرجح القراءة بالفتح من حيث أن ما بعده من قوله «أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» محمول على الإرسال، فإذا فتحت كان أشكل بما بعدها لحملهما جميعاً على الإرسال. و ذلك أن من كسر حمل قوله «انى لكم» و ما بعده على الاعتراض بين المفعول و ما يتصل به مما بعده، كما أن قوله «إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ» اعتراض بينهما فى قوله «وَ لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ» «4» فكذلك قوله «إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ» لان التقدير و لقد أرسلنا نوحاً لانذار أن لا تعبدوا الا اللّه إنى أنذركم لتوحدوا اللّه و أن تتركوا عبادة غيره.

أقسم اللّه تعالى فى هذه الآية أنه أرسل نوحاً و أمره أن يقول لهم: إنى مؤد عن اللّه و مخوفكم من عقابه و ترك طاعاته، لأن اللام فى قوله «لقد» لام القسم، و هى تدخل على الفعل و الحرف الذى يختص بالفعل مما يصح معناه معه، و لام الابتداء للاسم خاصة. و معنى (قد) وقوع الخبر على وجه التقريب من الحال تقول: قد ركب الأمير- لقوم يتوقعون ركوبه-.

---

(1) سورة 7 الاعراف 144

(2) سورة 13 الرعد آية 25- 26

(3) سورة 39 الزمر آية 3

(4) سورة 3 آل عمران آية 73 [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 470

و قوله «أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» يحتمل أن يكون موضع (تعبدوا) من الاعراب

نصباً، و المعنى أن لا تعبدوا الا اللّه، و يجوز أن يكون موضعه جزماً على تقدير أي لا تعبدوا. و يحتمل أن يكون متعلقاً بقوله «أرسلنا» و تقديره أرسلنا بأن لا تعبدوا الا اللّه، على ما بينا من الاعتراض و حملها جميعاً على الإرسال.
و قوله «إِنِّی أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ» أى مؤلم عذابه و انما قال عذاب يوم اليم بالجر و معناه مؤلم، لأن الألم يقع في اليوم، فكأنه سبب الألم. و لو نصبته على أن يكون صفة للعذاب كان جائزاً، و لم يقرأ به أحد. و انما بدأ بالدعاء الى العبادة دون سائر الطاعات، لأنها أهم ما يدعى اليه من خالف الحق فيه و لأنه يجب أن يفعل كل واحدة من الطاعات على وجه الإخلاص و العبادة فيها للّه. و انما قال «إِنِّی أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ» مع أن عذاب الكافر معلوم لأنه يخاف ما لم يعلم ما يؤل اليه أمرهم من ايمان أو كفر، و هذا لطف فى الاستدعاء و أقرب الى الاجابة فى غالب أمر الناس.

فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنا وَ ما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيِ وَ ما نَرى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ (27)

قرأ أبو عمرو «بادىء الرأى» بالهمز فى بادى. الباقون بلا همز.

قال ابو على: حدثنا محمد بن السدّى أن اللحيانى قال: يقال: أنت بادى الرأى تريد ظلمنا لا يهمز (بادى) و بادىء الرأى مهموز. فمن لم يهمز أراد أنت أول الرأى و مبتدؤه و هما فى القرآن. و قال أبو على: من قال (بادى الرأى) بلا همز جعله من بدو الشىء و هو ظهوره، و ما اتبعك إلا أراذل فيما ظهر لهم من الرأى التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 471

اى لم يفعلوه بنظر فيه و لا بتبين له. و من همز أراد اتبعوك فى أول الامر من غير فكر فيه و لا رويّة، و القراءتان متقاربتان، لأن الهمز فى اللام منها ابتداء الشىء و أوله و ابتداء الشىء يكون ظهوراً، و ان كان الشىء الظاهر قد يكون مبتدأ و غير مبتدأ، فلذلك يستعمل كل واحد منهما مكان الآخر يقولون: انا بادى بدا و بادىء بدء، فانى أحمد اللّه.

أخبر اللّه تعالى فى هذه الآية عن جماعة الرؤساء من قوم نوح الذين كفروا و جحدوا نبوته أنهم قالوا له «ما نَراكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنا» و البشر مأخوذ من ظهور البشرة، لأن الغالب على الحيوان غير الإنسان أن يلبس البشرة منه بالصوف أو الشعر أو الريش أو الصدف. و الإنسان مأخوذ من النسيان، لأنهم يصغرونه أنيسيان و يجوز أن يكون من الإنسان الا أنهم زادوا الياء فى التصغير. و المثل ما سد مسد غيره فى الجنس بمعنى أنه لو ظهر للمشاهد لسد مسده كما يسد الأسود مسد الأسود فى الجنس من غير فضل. و قوله «ما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا» حكاية أيضاً عما قاله قوم نوح من أنه ما نرى من اتبعك الا أنه رذل خسيس حقير من جماعتنا تقول: رذل و جمعه أرذل، و جمع الجمع أراذل مثل كلب و أكلب و أكالب.

و العامل فى (الذين) قوله «اتبعك» كأنه قال ما اتبعك الا الذين هم أراذلنا و نراك ملغى، ذكره الفراء. قال ابو على النحوى: هو نصب على الحال، و العامل فيه (اتبعك) و أخر الظرف و أوقع بعد (الا) و لو كان غيره لم يجز، لأن الظرف اتسع فيه فى مواضع. و معنى «بادِيَ الرَّأْيِ» أول الرأى ما نراهم. و الرأى و الرؤية من قوله «يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ» «1» و هو نصب على المصدر كقولك ضربته أول الضرب. و قال الزجاج: نصبه ب (اتبعوك أول الرأى) من غير فكر كأنه قيل اتبعوك رأياً غير سديد، و من قرأ بادى الرأى بلا همز أراد ظاهر الرأى قال الشاعر:

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 13
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 472
و قد علتنى ذرأة بادى بدى و ريثة تنهض فى تشددى «1»
و قال آخر:
اضحى لخالى شبهى بادى بدى و صار للفحل لسانى و يدى «2»
و قوله «وَ ما نَرى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ» تمام الحكاية عن كفار قوم نوح و انهم قالوا لنوح: إنا لا نرى لک و لامثالک علينا زيادة خير، لأن الفضل هو زيادة الخير، و انما قالوا ذلک، لأنهم جهلوا فى طريقة الاستدلال. و قوله «بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ» ايضاً تمام الحكاية عن كفار قومه أنهم قالوا له و لمن آمن معه هذا القول.

قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَ آتانِى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَ نُلْزِمُكُمُوها وَ أَنْتُمْ لَها كارِهُونَ (28)
قرأ حمزة و الكسائى و حفص «فعميت» بضم العين و تشديد الميم. الباقون بتخفيف الميم و فتح العين. و قال ابو على: من قرأ «فعميت» بالتخفيف فلقوله «فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْباءُ يَوْمَئِذٍ» «3» و هذه مثلها، و يجوز فى قوله (فعميت) أمران:
أحدهما- ان يكون عموا هم، الا ترى ان الرحمة لا تعمى و انما يعمى عنها، فيكون هذا من المقلوب، كقولهم: أدخلت القلنسوة فى رأسى، و أدخلت الخاتم فى أصبعى و نحو ذلک مما يقلب إذا زال الاشكال. و الاخر- ان يكون معنى عميت خفيت كقول الشاعر:
و مهمه أطرافه فى مهمه أعمى الهدى فى الحائرين العمه «4»

(1، 2) اللسان (بدا)
(3) سورة 28 القصص آية 66
(4) قائله رؤبة ديوانه: 166 و تفسير الطبرى 1/ 310 و قد مرّ فى 1/ 81

أى خفى الهدى ألا ترى أن الهدى ليس بذى جارحة تلحقها هذه الآفة، و قد قيل للسحاب: العمى لخفاء ما يخفيه، كما قيل له: الغمام و من ذلک قول زهير:
و لكننى عن علم ما فى غد عمى «1»
و من شدد اعتبر قراءة الأعمش فانه قرأها فعمّاها عليهم. و روى ذلک الفراء عن أبى، و المعنيان متقاربان. قال الفراء: يقال عمى على الخبر و عمى بمعنى واحد.
حكى اللّه تعالى عن نوح ما قاله لقومه جواباً عما قالوه له مما حكيناه فانه «قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ» أى برهان و حجة من المعجزة التى تشهد بصحة النبوة. و خصهم بهذا إذ هو طريق العلم بالحق لا ما التمسوا من اختلاف الخلق. و قوله «آتانِى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ» يرّد عليهم ما ادعوه من أنه ليس له عليهم فضل، فبين ذلک بالهداية الى الحق من جهة البرهان المؤدى الى العلم. و قوله «فعميت» يحتمل أمرين: أحدهما- خفيت عليكم، لأنكم لم تسلكوا الطريق المؤدى اليها. و الاخر- ان يكون المعنى عميتم عنها، و أضاف العمى الى البينة لما عموا عنها لضرب من المجاز، لأن المعنى ظاهر فى ذلک، كما يقال: ادخلت الخاتم فى يدى و القلنسوة فى راسى، و المراد ادخلت يدى فى الخاتم و رأسى فى القلنسوة.

و من قرأ بتشديد الميم و ضم العين أضاف التعمية الى غيرهم ممن صدهم عن النظر فيها و أغواهم فى ذلک من الشياطين و المضلين عن الحق.
و قوله «أَ نُلْزِمُكُمُوها وَ أَنْتُمْ لَها كارِهُونَ» أ نضطركم الى موجب البينة مع العلم مع كراهتكم لذلک فيبطل تكليفكم الاستدلال بالبينة المؤدية الى المعرفة أى اضطركم الى حال الضرورة. و وجه آخر- و هو أن يكون المراد إن الذى على أن أدل بالبينة، و ليس على أن اضطركم الى المعرفة.
و فى قوله «أ نلزمكموها» ثلاث مضمرات ضمير المتكلم و ضمير المخاطب و ضمير الغائب، و هو أحسن ترتيب: بدأ بالمتكلم، لأنه أخص بالفعل ثم بالمخاطب

---

(1) اللسان (عمى)

ثم بالغائب، و لو اتى بالمنفصل لجاز لتباعده عن العامل بما فرق بينه و بينه، فأشبه ما ضربت إلا إياک، و ما ضربنى إلا انت. و أجاز الفراء «أ نلزمكموها» بتسكين الميم جعله بمنزلة عضد و عضد و كبد و كبد. و لا يجوز ذلک عند البصريين، لأن الاعراب لا يلزم فيه النقل كما يلزم فى بناء الكلمة، و إنما يجيزون مثل ذلک فى ضرورة الشعر كقول امرئ القيس:
فاليوم أشرب غير مستحقب إثماً من اللّه و لا واعل «1»
و قال آخر:
و ناع يخبرنا بمهلک سيد تقطع من وجد عليه الأنامل
و قال آخر:
إذا اعوججن قلت صاحب قوم

وَ يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مالاً إِنْ أَجرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَ ما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ لكِنِّي أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ (29)

فى هذه الآية حكاية ما قال نوح لقومه أى لا أطلب منكم ما لا أجراً على الرسالة و دعائكم الى اللَّه فتمتنعون من إجابتى بل أجرى و ثوابى فى ذلک على اللَّه.

و قوله «وَ ما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا» معناه إنى لست أطرد المؤمنين من عندى و لا أبعدهم على وجه الاهانة. و قيل: انهم كانوا سألوه طردهم ليؤمنوا أنفة أن يكونوا معهم على سواء، ذكره ابن جريح و الزجاج- و قوله «إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ» اخبار بأن هؤلاء المؤمنين ملاقوا جزاء ربهم بعقاب من طردهم. فى قول الزجاج.

_____

(1) ديوانه: 130 و تفسير القرطبى 9/ 26

و قوله «وَ لكِنِّي أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ» معناه أراكم تجهلون انهم خير منكم لايمانهم بربهم و كفركم به.

و قال قوم: إنهم قالوا له إن هؤلاء اتبعوک طمعاً فى المال على الظاهر دون الباطن، فقال لهم نوح انهم ملاقوا جزاء أعمالهم فيجازيهم على ما يعلم من بواطنهم و ليس لى الا الظاهر احملهم على ظاهر الايمان فأنتم تجهلون ذلک.

وَ يا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِی مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (30)
ثم قال لهم نوح عليه السلام «يا قوم» و أراد به الجماعة الذين يقومون بالأمر و (قوم) اسم جمع لا واحد له من لفظه. «مَنْ يَنْصُرُنِی مِنَ اللَّهِ» أی من يمنعنی من اللّه، يقال: نصره من كذا يعنی منعه منه، و نصره عليه بمعنی أعانه عليه حتی يغلب، و نصره الی كذا بمعنی نصره معه، و منه قوله «مَنْ أَنْصارِی إِلَی اللَّهِ» «1» و يجوز أن يقدر اللّه الكافر علی الكفر، و لا يجوز أن ينصره عليه لأن النصرة علی الشیء زيادة فی القوة ليقع ذلک الشیء، و هذا لا يجوز علی اللّه.
و القدرة تصلح للضدين علی منزلة سواء و لا دليل فيها علی ارادة أحدهما.
و قوله «أَ فَلا تَذَكَّرُونَ» معناه أ فلا تتفكرون، فتعلمون أن الامر علی ما قلته. و فرق الطبری بين التذكر و التفكر بأن قال: التذكر طلب معنی قد كان حاضراً للنفس و (التفكر) طلب معرفة الشیء بالقلب و ان لم يكن حاضراً للنفس.
و (النصرة) المذكورة فی الآية ليست من الشفاعة فی شیء، لأن النصرة هی المنع علی وجه المغالبة و القهر. و الشفاعة هی المسألة علی وجه الخضوع.
و ليس لأحد ان يستدل بذلک علی نفی الشفاعة للمذنبين.

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 52

وَ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِی خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ إِنِّی مَلَكٌ وَ لا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِی أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِما فِی أَنْفُسِهِمْ إِنِّی إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (31)

فی هذه الآية تمام الحكاية عما قال نوح لقومه و حاجهم به، و هو أن قال لهم مضافاً الى ما مضى حكايته «وَ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِی خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ إِنِّی مَلَكٌ» و المعنى إنى لا أرفع نفسى فوق قدرها، فأدعى أن عندى خزائن اللّه من الأموال فأعطيكم منها و أستطيل عليكم بها، أو أقول إنى أعلم الغيب، أو أقول لكم إنى ملك روحانى غير مخلوق من ذكر و أنثى بخلاف ما خلقنى اللّه، بل أنا بشر مثلكم و انما خصنى اللّه بالرسالة و شرفنى بها. و قيل معنى خزائن اللّه مقدوراته لأنه يوجد منها ما يشاء. و فى وصفها بذلك بلاغة.

و قيل «لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِی خَزائِنُ اللَّهِ» فادعوكم الى أن أعطيكم منها، ذكره ابن جريج. و (الغيب) ذهاب الشىء عن الإدراك، و منه الشاهد خلاف الغائب.

و إذا قيل: علم الغيب معناه علم من غير تعلم، و هو جميع الغيب، و على هذا لا يعلم الغيب إلا اللّه تعالى. و قوله «وَ لا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِی أَعْيُنُكُمْ» أى لست أقول للذين احتقرتهم أعينكم. و (الازدراء) الافتعال من الزراية، يقال: زريت عليه إذا عبته، و أزريت عليه إذا قصرت به، و الازدراء الاحتقار.

و قوله «لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً» معناه لا أقول لهؤلاء المؤمنين الذين احتقرتموهم انهم لا يعطيهم اللّه فى المستقبل خيراً من أعمالهم، و لا يثيبهم عليها، من حيث لا علم لى بباطنهم بل اللّه اعلم بما فى أنفسهم، هل هم مؤمنون فى باطنهم ام لا، و متى قلت لا يعطيهم خيراً كنت اذاً من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم و غيرهم.

قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (32)

فى هذه الآية حكاية عما قال قوم نوح لنوح جواباً عما قاله لهم فيما تقدم «يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا» اى خاصمتنا و حاججتنا فأكثرت مجادلتنا، و روى فأكثرت جدلنا- و المعنى واحد، فلسنا نؤمن لك «فَأْتِنا بِما تَعِدُنا» من العذاب «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» فيما تقوله على اللّه تعالى. و حقيقة المجادلة المقابلة بما يقبل الخصم من مذهبه بالحجة أو شبهه، و هو من الجدل لشدة الفتل، و يقال للصقر أجدل، لأنه أشد الطير. و (الإكثار) الزيادة على مقدار الكفاية. و «الاقلال» النقصان عن مقدار الكفاية. و الفرق بين الجدال و الحجاج: ان المطلوب بالحجاج ظهور الحجة، و المطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب. و المراء مذموم لأنه مخاصمة فى الحق بعد ظهور الحق كمرى الضرع بعد دروره، و ليس كذلك الجدال. و فى الآية دلالة على حسن الجدال فى الدين، لأنه لو لم يكن حسناً لما استعمله نوح مع قومه، لأن الأنبياء لا يفعلون إلا ما يحسن فعله.

قالَ إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شاءَ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (33)
فأجابهم نوح عليه السلام عما قالوه فقال: إنما يأتى بالعذاب اللَّه تعالى دون غيره يأتى به متى يشاء، و لستم تفوتونه هرباً. و معنى (انما) اختصاص ما ذكر لمعنى دون غيره، تقول: إنما زيد كريم أى هو كريم دون غير، و إنما دخل (إنما) بمعنى الاختصاص بالمذكور دون غيره، لأنها لتحقيق المعنى: و من تحقيقه أن التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 478
يكون لها دون غيره إذ المشرك لم يحقق على شىء بعينه، و إذا دخلت (إنما) هذه على (اسم) كان الاسم مرفوعاً، لأن (ما) كافة للعامل، و لو لا ذلک لما دخلت على الفعل، و الاعجاز هو الفوت بالهرب. و فى الاية دلالة على أن المجادلة تقوم بها الحجة على مخالف الحق، لأنه لو لم تقم بها الحجة ما جادلهم نوح و لما قال اللَّه تعالى للنبى صلى الله عليه و آله «وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ» «1».

وَ لا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِی إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (34)

هذه الآية عطف على قول نوح: إنما يأتيكم بالعذاب اللَّه إن شاء و لستم تفوتونه، «وَ لا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِی». و يحتمل قوله «يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ» أمرين:

أحدهما- ان كان اللَّه يريد أن يخيبكم من رحمته بأن يحرمكم ثوابه، و يعاقبكم لكفركم به، و لا ينفعكم نصحى يقال: غوى يغوى غياً، و منه قوله تعالى «فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا» «2» أى خيبة و عذاباً و قال الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغى لائماً «3»

فلما كان اللَّه قد خيب قوم نوح من رحمته و ثوابه و جنته أعلم نبيه نوحاً بذلک فى قوله «لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ» «4» و أنهم سيصيرون الى خيبة و عذاب، أخبرهم اللَّه بذلک على لسان نبيه، فقال «وَ لا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِی» مع إتيانكم ما يوجب خيبتكم و العذاب الذى جرّه عليكم قبيح أفعالكم، و يريد اللَّه إهلاككم و عقوبتكم على ذلک. و حكى عن طى انها تقول: أصبح فلان غاوياً أى

---

(1) سورة 16 النحل آية 125

(2) سورة 19 مريم آية 59

(3) مرّ تخريجه فى 2/ 312

(4) سورة 11 هود آية 36

مريضاً. و حكى عن غيرهم سماعاً منهم: أغويت فلاناً أهلكته، و غوى الفصيل إذا فقد اللبن فمات: بكسر الواو فى الماضى، و فتحها فى المستقبل، و منه قوله تعالى «وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى» «1» اى خاب من الثواب الذى كان يحصل له بتركه.

و الوجه الثانى- أن يكون جرى على عادة العرب فى تسمية العقوبة باسم الشىء المعاقب عليه، فيكون المعنى ان كان اللَّه يريد عقوبتكم على اغوائكم الخلق و اضلالكم إياهم، فسمى عقوبته إياهم على اغوائهم إغواء كما قال «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ» «2» «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ» «3» و «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» «4» و نظائر ذلک كثيرة. و مثله قوله حكاية إبليس «فَبِما أَغْوَيْتَنِی» «5» فانه يحتمل هذين الوجهين، الأول يحتمل أن يكون فبما خيبتنى، و الثانى- فبما جازيتنى على اغوائى الخلق عن الهدى. و لا يجوز أن يكون المراد بذلک أن يجعلهم كفاراً على ما يذهب اليه المجبرة، لأن الإغواء بمعنى الدعاء الى الكفر او فعل الكفر لا يجوز عليه تعالى. لقبحه كقبح الامر

بالكفر. و النصح اخلاص العمل من الفساد على الاجتهاد فيه. و النصح نقيض الغش. و كان نصح نوح لقومه اعلامهم موضع الغى ليتقوه، و موضع الرشد ليتبعوه. و انما شرط النصح بالارادة- فى قوله «إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ» مع وقوع هذا النصح- استظهاراً فى الحجة، لأنهم ذهبوا الى أنه ليس بنصح، فقال: لو كان نصحاً ما نفع من لا يقبله. و قوله «هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» اخباره من نوح أن اللّه الذى عذبكم و خيبكم من رحمته هو الذى خلقكم و يميتكم ثم يردكم بأن يحييكم ليجازيكم على أفعالكم و يعاقبكم على كفركم بنعمه حيث لا ينفعكم استدراک ما فات، و لا ينفعكم الندم على ما مضى. و قال الحسن:
معنى الاية ان كان اللَّه يريد أن يعذبكم و ينزل بكم عذابه فأنتم عند ذلک لا ينفعكم

---

(1) سورة 20 طه آية 121
(2) سورة 42 الشورى آية 40
(3) سورة 3 آل عمران آية 54 [.....]
(4) سورة 2 البقرة آية 15
(5) سورة 7 الاعراف آية 15 و سورة 15 الحجر آية 39

نصحى، لأن اللّه تعالى لا يقبل الايمان عند نزول العذاب.
و قال بعض العلماء: ان قوم نوح كانوا يعتقدون أن ما هم عليه بارادة اللَّه لو لا ذلک لغيّره و أجبرهم على خلافه، فقال نوح على وجه الإنكار عليهم و التعجب من قولهم: ان نصحى لا ينفعكم ان كان القول كما تقولون و تعتقدونه، حكى ذلک البلخى.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرامِی وَ أَنَا بَرِیءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (35)

معنى قوله «أَمْ يَقُولُونَ» اخبار من اللَّه تعالى بأن هؤلاء الكفار الذين ليس يقبلون ما أتاهم به من عند اللَّه يقولون: ليس هذا القرآن من عند اللَّه بل افتراه و تخرصه و كذبه على اللَّه، فمعنى (ام) فى الاية (بل)، فأمر اللَّه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله ان يقول لهم: إن افتريته، فعلى اجرامى. و قيل فى معناه قولان: أحدهما- انه وعيد، بأنى ان كنت افتريته فيما أخبرتكم به من الخبر عن نوح فعلى عقاب جرمى، و ان كانت الاخرى فعليكم عقاب تكذيبى، و ستعلمون صدق قولى و أينا الاحق. و الثانى- انه قال ذلک على وجه الاحتجاج بصحة أمره بأن لا يتقول مثل هذا مع ما فيه من العذاب فى الاخرة و العار فى الدنيا مع انه ذو امانة و صيانة. و هو فى خطاب محمّد صلى الله عليه و آله و قوله «وَ أَنَا بَرِیءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ» معناه ليس على من اجرامكم ضرر و انما ضرر ذلک عليكم فاعملوا بحسب ما يقتضيه العقل من التفكر فى هذا المعنى.

و الفرق بين افتراء الكذب و بين قول الكذب: ان قول الكذب قد يكون على وجه تقليد من الإنسان لغيره، و اما افتراؤه فهو افتعاله من قبل نفسه.

و معنى أجرم التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 481

أذنب و مثله جرم قال النميرى حار الزبرقان:

طريد عشيرة، و رهين ذنب بما جرمت يدى و جنى لسانى «1»

و معنى أجرم اقترف السيئة بفعلها لأنه من القطع، و أذنب اى تشبه بالذنب فى السقوط، و جرم و أجرم فى المأثم أكثر، قال الشاعر:

كذا الناس مجروم عليه و جارم

وَ أُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ (36)

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية انه اوحى الى نوح، و قال له انه لن يؤمن احد من قومک فى المستقبل اكثر من الذين آمنوا، فلا تبتئس أى لا تغتم و لا يلحقک حزن لاجلهم، يقال ابتأس ابتآساً فهو مبتئس، و قد يكون البؤس الفقر و الابتئاس حزن فى الاستكانة انشد ابو عبيدة.

ما يقسم اللَّه أقبل غير مبتئس منه و أقعد كريماً ناعم البال «2»

و أصله البؤس و هو الفقر و المسكنة. و لما اعلم اللَّه نوحاً عليه السلام أن أحداً من قومه لا يؤمن فيما بعد، و لا من نسلهم قال «رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً إِنَّکَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَکَ وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً» «3» ذكره قتادة و غيره. و العقل لا يدل على أن قوماً لا يؤمنون فى المستقبل و إنما طريق ذلک السمع، و قد يغلب فى الظن ذلک مع قيام التجويز، ألا ترى انه يغلب فى ظنوننا

---

(1) تفسير الطبرى 12/ 18 و اللسان و التاج (جرم)

(2) قائله حسان ديوانه 326 و اللسان (بأس)

(3) سورة 71 نوح آية 26- 27

أن الروم مع كثرتهم لا يؤمنون جملة إلا انه ليس يمتنع مع ذلک أن يؤمنوا، لان اللَّه كلفهم الايمان، فلو لم يكن ذلک جائزاً لما كلفهم.

وَ اصْنَعِ الْفُلْکَ بِأَعْیُنِنا وَ وَحْیِنا وَ لا تُخاطِبْنِی فِی الَّذِینَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (37)

فی هذه الآیة اخبار من اللَّه تعالی عما أمر به- عزّ و جلّ- نوحاً علیه السلام حین أیأسه من ایمان قومة فیما بعد، و أنه مهلکهم بالطوفان. بأن یتخذ الفلک و یصنعها، و الصنع جعل الشیء موجوداً بعد أن کان معدوماً، و مثله الفعل، و ینفصلان من الحدوث من حیث أن الصنعة تقتضی صانعاً، و الفعل یقتضی فاعلا من حیث اللفظ، و لیس کذلک الحدوث، لأنه یفید تجدد الوجود لا غیر. و الصناعة الحرفة التی یکتسب بها، و الفلک السفینة، و یکون ذلک واحداً و جمعاً، کما قیل فی أسد و أسد قالوا: فی فلک و فلک، لأن (فعلا و فعلا) جمعهما واحد، و یأتیان بمعنی واحد کثیراً یقال عجم و عجم، و عرب و عرب، و مثله فلک و فلک.

و الفلک و الفلکة یقال لکل شیء مستدیر أو شیء فیه استدارة، و تفلک ثدی المرأة إذا استدار، و منه الفلک. و قوله «بأعیننا» معناه بحیث نراها و کأنها تری بأعین علی طریق المبالغة، و المعنی بحفظنا إیاک حفظ من یراک و یملک دفع السوء عنک.

و قال الجبائی بأعین أولیائنا من الملائکة الذین یعلمونک کیفیة عملها، و الموکلین بک. و قیل: معناه بعلمنا. و قوله «و وحینا» ای علی ما أوحینا الیک من صفتها و حالها. قال ابن عباس: أمره اللَّه تعالی ان یبنیها علی هیئة جؤجؤ الطائر. و یجوز أن یکون المراد بوحینا الیک أن اصنعها. و قوله «وَ لا تُخاطِبْنِی فِی الَّذِینَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ» نهی لنوح علیه السلام أن یراجع اللَّه تعالی و یخاطبه و یسأله فی أمرهم التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 483

بأن یمهلهم، و یؤخر إهلاکهم، لأنه حکم بإهلاکهم و أخبر بأنه سیغرقهم، فلا یکون الأمر بخلاف ما أخبر به. و یجوز الامر بما علم أنه لا یکون، و لا یجوز أن یدعو بما یعلم أنه لا یکون، لأن فی ذلک إیهاماً بأنه لا یرضی باختیاره، و لیس کذلک الأمر، لأنه یتناول من یجوز علیه هذا المعنی. و کسر (إنهم) علی الابتداء.

وَ يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَ كُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ (38) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ (39)

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الاية عن نوح أنه أخذ فى عمل السفينة، قال الحسن:

كان طولها ألف ذراع و مئتى ذراع و عرضها ستمائة ذراع. و قال قتادة: كان طولها ثلاثمائة ذراع، و عرضها خمسين ذراعاً، و ارتفاعها ثلاثين ذراعاً، و بابها فى عرضها و قال ابن عباس: كانت ثلاث طبقات طبقة للناس، و طبقة للطير و طبقة للدواب و الوحش.

و قوله «وَ كُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ» اخبار من اللَّه عن أشراف قومه و رؤسائهم أنهم كلما اجتازوا به و هو يعمل السفينة هزءوا من فعله. و قيل:

إنهم كانوا يقولون: يا نوح صرت نجاراً بعد النبوة على طريق الاستهزاء. و قال الرمانى: السخرية إظهار خلاف الباطن على جهة يفهم منها استضعاف العقل و منه التسخير: التذليل استضعافاً بالقهر. و الفرق بين السخرية و اللعب أن فى السخرية خديعة و استنقاصاً، و لا يكون إلا لحيوان، و قد يكون اللعب بجماد لأنه طلب الفرجة من غير مراعاة لما يعقب، كفعل الصبى. و انما كانوا يسخرون من التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 484

عمل السفينة، لأنه كان يعملها فى البر على صفة من الهول، و لا ماء هناك يحمل مثلها فكانوا يتضاحكون و يتعجبون من عمله. و قوله «فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ» جواب من نوح لهم بأنا نسخر منكم يعنى نذمكم على سخريتكم، و سماه سخرية، كما قال «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» «1» و قوله «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ» «2» و أطلق عليه اسم السخرية على وجه الازدواج. و قال قوم: معناه إن تستجهلونا فى هذا الفعل فانا نستجهلكم، كما تستجهلون، ذكره الزجاج. و قوله «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» (سوف) ينقل الفعل عن الحال الى الاستقبال مثل السين سواء إلا أن فيه معنى التسويف و هو تعليق النفس بما يكون من الأمور. و قوله «مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ» قيل فى معنى (من) قولان: أحدهما- أن يكون بمعنى (أى) كأنه قال فسوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه.

الثانى- أن يكون بمعنى الذى، و المعنى واحد. و (من) إذا كانت استفهاماً استغنت عن الصلة، و إذا كانت بمعنى الذى فلا بدّ لها من الصلة، كما استغنت (كم. و كيف) لأن البيان مطلوب من المسئول دون السائل. و الخزى العيب الذى تظهر فضيحته و العار به، و منه الذل و الهوان. و قوله

ُ

«وَ يَحِلّ عَلَيْهِ» معناه ينزل عليه. و قال الرمانى: الحلول النزول للمقام و هو من الحل خلاف الارتحال. و حلول العرض وجوده فى الجوهر من غير شغل حيز. و قوله «عَذابٌ مُقِيمٌ» أى دائم لا يزول.

حَتَّى إِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (40)

---

(1) سورة 42 الشورى آية 40
(2) سورة 3 آل عمران آية 54
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 485
قرأ حفص «مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ» بتنوين فى اللام هنا، و فى المؤمنون. و قال أبو الحسن: يقال للاثنين هما زوجان، قال اللّه تعالى «وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ» «1» يقال للمرأة زوج، و للرجل زوجها، قال اللّه تعالى «وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها» «2» و قال «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» «3» و قال بعضهم زوجة، قال الأخطل:
زوجة أشمط مرهوب بوادره قد صار فى رأسه التخويص و النزع «4»
و قال ابو الحسن: يقال للاثنين هما زوج. قال أبو على الفارسى: يدل على ان الزوج يقع للواحد، قوله «ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ» الى قوله «وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ» «5» و قال الكسائى أكثر كلام العرب بالهاء. و قال القاسم بن معن أنه سمعها من العرب من اسد شنوءة، و ليس فى القرآن بالهاء، و هو أفصح من إثباتها عند البصريين.
و من قرأ بالاضافة كان قوله «اثنين» مفعول الحمل. و المعنى احمل من الأزواج إذا كانت اثنين اثنين زوجين، فالزوجان من قوله «مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ» يريد بهما الشياع، و لا يراد به الناقص من الاثنين، و منه قول الشاعر:
فما لك بالأمر الذى لا تستطيع بدارا
و من نون حذف المضاف من (كل) و المعنى من كل شىء أو من كل زوج زوجين اثنين، فيكون انتصاب اثنين على انه صفة لزوجين، و ذكر تأكيداً كما قال «إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ» «6».

---

(1) سورة 51 الذاريات آية 49
(2) سورة 4 النساء آية 1
(3) سورة 33 الأحزاب آية 37
(4) ديوانه 69 و اللسان (خوص) الشمط:
البياض من السواد، و إذا بدا فى رأسه البياض قيل: خوصه الشيب. و النزع: الصلع
(5) سورة 6 الانعام آية 143- 144
(6) سورة 16 النحل آية 51

اعلم اللّه نوحاً فى هذه الاية ان وقت هلاک قومه الکفار فور التنور، و فى (التنور) اقوال: منها أن الماء إذا فار من التنور الذى يخبز فيه. و قيل: التنور عين ماء معروفة، و تنور الخابزة وافقت فيه لغة العرب لغة العجم. و قيل: ان التنور وجه الأرض، ذکره ابن عباس، و اختاره الزجاج. و قيل
التنور تنور الصبح، روى ذلک عن على عليه السلام.
و (حتى) متعلقة بقوله «وَ اصْنَعِ الْفُلْکَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا ... حتى».
أخبر اللّه تعالى أنه لما جاء أمره باهلاک قوم نوح عليه السلام لاستحقاقهم ذلک بالکفر، و فار التنور يعنى خروج الماء من موضع لم يعهد خروجه منه علامة لنوح عليه السلام و هو تنور الخبز- فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد- و قيل: هو تنور آدم عليه السلام و يقال: فار إذا ارتفع ما فيه، كما يفور القدر بالغليان، فار يفور فوراً و فؤراً. و قال ابن عباس: فار إذا نبع. و قوله «قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ کُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ» إخبار منه تعالى أنه أمر نوحاً أن يحمل معه فى سفينته من کل جنس زوجين: و الزوج واحد له شكل إلا أنه قد كثر على الرجل الذى له امرأة:
قال الحسن: فى قوله «مِنْ کُلٍّ شَىْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ» فالسماء زوج، و الأرض زوج و الشتاء زوج، و الصيف زوج، و الليل زوج، و النهار زوج، حتى يصير الأمر الى اللّه الفرد الذى لا يشبهه شىء قال الأعشى:
و كل زوج من الديباج يلبسه أبو قدامة محبوّا بذاک معا «1»
و قوله «وَ أَهْلَکَ» معناه و احمل معک أهلک «إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ» بالإهلاک قال الضحاک و ابن جريج: هو ابنه و امرأته. و قوله «و من آمن» تقديره و احمل من آمن. ثم أخبر تعالى فقال «وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ». قال ابن جريج: القليل الذين نجو معه كانوا ثمانية. و قال الأعمش: كانوا سبعة، و قال ابن عباس:
كانوا ثمانين، و كان فيهم ثلاثة: بنيه: يافث، و سام، و حام. و ثلاث كائن له

---

(1) ديوانه 86 و تفسير القرطبى 9/ 35 [.....]

و يافث جد الترک و الروم و الصقالبة و أصناف البيضان. و حام جد السودان، و هم الحبش و النوبة و الزنج و غيرهم. و سام أبو فارس و أصناف العجم.

وَ قالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَ مُرْساها إِنَّ رَبِّی لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (41)
قرأ حمزة و الكسائی «مجراها» بفتح الميم. الباقون بضمها، و كلهم ضم ميم مرساها. و من ضمها قابل بينها و بين مرسها لما بينهما من المشاكلة. و من فتح فلانه قال بعده «و هی تجری» و من اختار الأول، قال التقدير اجری فجرت.
قال أبو على الفارسی: يجوز فی «بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَ مُرْساها» أن يكون حالا من شيئين: أحدهما- ان يكون من الضمير الذی فی (اركبوا) او من الضمير الذی فی (فيها)، فان جعلت «بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها» خبر مبتدأ مقدم فی قول من لا يرفع بالظرف، أو جعلته مرتفعاً بالظرف، و لم يكن قوله «بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها» الا جملة فی موضع الحال من الضمير الذی فی (فيها) و لا يجوز أن يكون الضمير فی قوله «ارْكَبُوا فِيها»، لأنه لا ذكر فيها يرجع الی الضمير، ألا ترى أن الظرف فی قول من يرفع به ارتفع به الظاهر، و فی قول من رفع مثل هذا بالابتداء قد حصل فی الظرف ضمير المبتدأ، فإذا كان كذلک خلت الجملة من ضمير يعود من الحال الی ذی الحال. و إذا كان كذلک لم يكن الا حالا من الضمير الذی فی (فيها).
و الثانی- يجوز أن يكون قوله «بِسْمِ اللَّهِ» حالا من الضمير الذی فی (اركبوا) على ان لا يكون الظرف خبراً عن الاسم الذی هو (مجراها) على ما كان فی الوجه الأول، و يكون المعنى اركبوا الآن متبركين ببسم اللَّه فی الوقتين اللذين لا ينفک الراكبون فيها منهما من الارساء و الاجراء، و ليس يريد اركبوا فی وقت الجری التبيان فی تفسير القرآن، ج5، ص: 488
و الرسو، فموضع «مجراها» نصب على هذا الوجه بأنه ظرف عمل فيه على المعنى.
و فی الوجه الأول رفع بالابتداء و بالظرف. و من فتح الميم فلأنه قال «و هی تجری». و من ضم، فلأن جرت بهم و أجری بهم متقاربان فی المعنى، و يقال:
جری الشیء و جريت به و أجريته، و إنما ضموا الميم من (مرساها) لقوله «أَيَّانَ مُرْساها» «1» و قوله «وَ الْجِبالَ أَرْساها» «2» و من أمال او ترک الامالة، فكلاهما حسنان.
اخبر اللَّه تعالى عما قال نوح حين دنا ركوبهم السفينة «ارْكَبُوا فِيها» يعنى فی السفينة، و الركوب العلو على ظهر الشیء، فمنه ركوب الدابة و ركوب السفينة و ركوب البر و ركوب البحر.
و العامل فی «بِسْمِ اللَّهِ» يحتمل ثلاثة أشياء: أحدها- (اركبوا). و الثانی- ابتدءوا ببسم اللَّه. و الثالث- أجراها و أرساها. و المجری يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- أن يكون موضع الاجراء. و الثانى. وقت الاجراء. و الثالث- نفس الاجراء. و قيل: كان إذا أراد أن تجرى قال «بِسْمِ اللَّهِ» فجرت، فإذا أراد أن ترسوا قال «بِسْمِ اللَّهِ» فرست ذكره الضحاک. قال لبيد:
عمرت حين ثلاثاً قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود «3»
و الارساء إمساک السفينة بما تقف عليه أرساها إرساء و رست ترسو قال عنترة.
فصرت نفساً عند ذلک حرة ترسو إذا نفس الجبان تطلع «4»
و قوله «إِنَّ رَبِّی لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» إخبار منه تعالى حكاية عما قال نوح لقومه «إِنَّ رَبِّی لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» أى ساتر عليهم ذنوبهم رحيم بهم منعم عليهم.
و وجه اتصال الآية بما قبلها أنه لما ذكرت النجاة بالركوب فى السفينة

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 186 و سورة 79 النازعات آية 42
(2) سورة 79 النازعات آية 32
(3) ديوانه: 25 و اللسان و التاج (جرى)
(4) ديوانه: 29 و الدر المنثور 3/ 338

ذكرت النعمة بالمغفرة و الرحمة ليجتلب الطاعة كما اجتلب النجاة.

وَ هِیَ تَجْرِی بِهِمْ فِی مَوْجٍ کَالْجِبالِ وَ نادی نُوحٌ ابْنَهُ وَ کانَ فِی مَعْزِلٍ یا بُنَیَّ ارْکَبْ مَعَنا وَ لاٰ تَکُنْ مَعَ الْکافِرِینَ (42)

أخبر اللّه تعالى عن حال السفينة بعد الغرق أنها كانت تجرى على الماء فى أمواج كالجبال. و الجرى مرّ سريع كمرّ الماء على وجه الأرض. و السفينة تجرى بالماء و الفرس يجرى فى عدوه، و يقال: هذه العلة تجرى فى أحكامها، أى تمر فيها من غير مانع منها. و الموج جمع موجة، و هى قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير، و منه أمواج البحر و أعظم ما يكون إذا اشتدت به الريح، و شبه اللّه تعالى الأمواج بالجبال فى عظمها، و الجبل جسم عظيم الغلظ شاخص من الأرض هو لها كالوتد فى عظمه، و جمعه أجبال و جبال. و قوله «وَ نادی نُوحٌ ابْنَهُ وَ کانَ فِی مَعْزِلٍ» فالمعزل موضع منقطع عن غيره. و كان ابن نوح فى ناحية منقطعة عنه حين ناداه و قرأ عاصم «يا بنى اركب» بفتح الياء. الباقون بكسرها. و فى قوله «يا بنى» ثلاث ياءات، ياء التصغير، و ياء الأصل، و ياء الاضافة. و فى قوله «يا بَنِیَّ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفی لَکُمُ الدِّینَ» «1» يا آن، ياء الجمع، و ياء الاضافة. قال أبو على الفارسى:

الوجه كسر الياء، لأن اللام من (ابن) ياء أو واو، و حذفت من (ابن) كما حذفت من (اسم) فإذا حقرت ألحقت ياء التحقير، لزم أن ترد اللام الذى حذفت لأنك لو لم تردها لوجب أن تحرك ياء التصغير بحركات الاعراب، و هى لا تحرك أبداً بحركات الاعراب و لا غيرها، فإذا أضفته الى نفسك اجتمعت ثلاث ياءات:، الأولى التى للتحقير، و الثانية لام الفعل، و الثالثة هى التى للاضافة تقول: بنى،

---

(1) سورة 2 البقرة آية 132

فإذا ناديت جاز فيه وجهان: إثبات الياء و حذفها، فمن قال يا عبادى فأثبت الياء فقياسه أن يقول يا بنىّ، و من قال يا عباد يقول يا بنىّ حذفت التى للاضافة، و أبقيت الكسرة دلالة عليها. و هذا هو الجيد عندهم. و من فتح الياء أراد الاضافة كما أرادها فى قوله يا بنىّ إذا كسر الياء التى هى آخر الفعل، كأنه قال يا بنى ثم أبدل من الكسرة الفتحة، و من الياء الالف، فصار (يا بنيّا) كما قال:

يا بنت عما لا تلومى و اهجعى ثم حذفت الالف كما كانت تحذف الياء: فى يا بنى إيها، و قد حذفت الياء التى للاضافة إذا أبدلت الألف منها قال أبو الحسن:

فلست بمدرک ما فات منى بلهف و لا بليت و لا لو أنى «1»
كذلک سمع من العرب، فقوله: بلهف إنما هو بلهفا، فحذفت الالف. قال أبو عثمان: و وضع الالف مكان الياء فى الاضافة مطرد و أجاز يا زيد اقبل إذا أردت الاضافة.

قالَ سَآوِی إِلی جَبَلٍ یَعْصِمُنِی مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْیَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَ حالَ بَیْنَهُمَا الْمَوْجُ فَکانَ مِنَ الْمُغْرَقِینَ (43)
حکی اللّه تعالی فی هذه الایة ما أجاب ابن نوح أباه علیه السلام فانه «قالَ سَآوِی إِلی جَبَلٍ یَعْصِمُنِی مِنَ الْماءِ» أی سأرجع الی مأوی من جبل یعصمنی من الماء أی یمنعنی منه، یقال آویِ یأوی أویاً إذا رجع الی منزل یقیم فیه و (العصمة) المنع من الآفة و المعصوم فی الدین الممنوع باللطف من فعل القبیح لا علی وجه الحیلولة.

---

(1) اللسان (لهف)

فان قیل کیف دعا نوح ابنه الی الرکوب معه فی السفینة مع أن اللّه تعالی نهاه أن یرکب فیها کافراً. قلنا: فیه جوابان: أحدهما- أنه دعاه الی الرکوب بشرط أن یؤمن. الثانی- قال الحسن و الجبائی: انه کان ینافق بإظهار الایمان.
فان قیل: هلاکان ما صار الیه ابن نوح من تلک الحال الهائلة إلجاء؟.
قلنا: لا. لان الإلجاء لا یکون إلا بأحد شیئین: أحدهما- بأن یخلق فیه العلم بأنه متی رام خلافه منع منه. الثانی- تتوفر الدواعی من ترغیب او ترهیب، و لم یحصل له واحد من الأمرین، لأنه جوز أن یکون من عجائب الزمان، و أنه وقع الی نوح علم به، فتقدم فیه. و قوله «لا عاصِمَ الْیَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ» حکایة لما قال نوح لولده حین «قالَ سَآوِی إِلی جَبَلٍ یَعْصِمُنِی مِنَ الْماءِ» بأنه لا مانع الیوم من أمر اللّه. و استثنی من رحم، و قیل فیه ثلاثة اقوال:
أحدها- أنه استثناء منقطع، کأنه قال من رحم فانه معصوم. الثانی- لا عاصم إلا من رحمنا برحمة اللّه سبحانه لنا کأنه قال: لا عاصم إلا من عصمه اللّه فنجا، و هو نوح علیه السلام، و هو اختیار أبی علی النحوی. و قال: لأنه یحتمل أن یکون (عاصم) بمعنی معصوم مثل دافق بمعنی مدفوق، فیکون الاستثناء متصلا. و قال ابن کیسان: لما قال (لا عاصم) کان معناه لا معصوم، لأن فی نفی العاصم نفی المعصوم ثم قال «إِلَّا مَنْ رَحِمَ» فاستثناه علی المعنی و یکون متصلا. و قوله «وَ حالَ بَیْنَهُمَا الْمَوْجُ» إخبار منه تعالی انه حال بین نوح و ولده الموج، «فَکانَ مِنَ الْمُغْرَقِینَ».

وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِی ماءَکِ وَ یا سَماءُ أَقْلِعِی وَ غِیضَ الْماءُ وَ قُضِیَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَی الْجُودِیِّ وَ قِیلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِینَ (44)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 492

حکی اللّه تعالی فی هذه الآیة قصة نوح و قومه بأوجز لفظ و أبلغه، و بلوغ. الغایة التی لا تدانیها بلاغة و لا تقاربها فصاحة، لأن قوله «وَ قِیلَ یا أَرْضُ ابْلَعِی ماءَکِ» اخبار منه عن إذهاب الماء عن وجه الأرض فی أوجز مدة فجری ذلک مجری ان قال لها ابلعی فبلعت. و البلع فی اللغة انتزاع الشیء من الحلق الی الجوف، فکانت الأرض تبلع الماء هکذا حتی صار فی بطنها الغراء، یقال: بلعت و بلعت بفتح اللام و کسرها. و قوله «وَ یا سَماءُ أَقْلِعِی» اخبار أیضاً عن اقشاع السحاب، و قطع المطر فی أسرع وقت، فکأنه قال لها اقلعی فأقلعت. و الاقلاع إذهاب الشیء من أصله حتی لا یبقی منه شیء. و أقلع عن الأمر إذا ترکه رأساً. و قوله «وَ غِیضَ الْماءُ» أی أذهب به عن وجه الأرض الی باطنها، یقال: غاض الماء یغیض غیضاً إذا ذهب فی الأرض. و قوله «وَ قُضِیَ الْأَمْرُ» معناه أوقع الهلاک بقوم نوح علی تمام. و القضاء وقوع الأمر علی تمام و إحکام. و قوله «وَ اسْتَوَتْ عَلَی الْجُودِیِّ» جبل معروف. قال الزجاج بناحیة أمد، و قال غیره: بقرب جزیرة الموصل، قال زید بن عمر بن نفیل:

و قبلنا سبح الجودی و الجمد.

و قیل: أرست علی الجودی شهراً، و قال قتادة: اهبطوا یوم عاشوراء.

و قوله «وَ قِیلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِینَ» معناه أبعدهم اللّه من الخیر بعداً، علی وجه الدعاء. و یجوز أن یکون اللّه تعالی قال لهم ذلک. و یجوز أن یکون المؤمنون دعوا علیهم بذلک، و هو منصوب علی المصدر.

و قیل فی هذه الآیة وجوه کثیرة من عجیب البلاغة: منها أنه خرج مخرج الأمر علی وجه التعظیم من نحو «کُنْ فَیَکُونُ» «1» لأنه من غیر معاناة، و لا

---

(1) سورة 2 البقرة آیة 118 و سورة 3 آل عمران آیة 47، 59 و سورة 6 الانعام آیة 73 و سورة 16 النحل آیة 40 و سورة 19 مریم آیة 35 و سورة 36 یس آیة 82 و سورة 40 المؤمن آیة 68.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 493

لغوب. و منها حسن تقابل المعنی. و منها حسن ائتلاف الألفاظ. و من ذلک حسن البیان فی تصویر الحال. و منها الإیجاز من غیر إخلال. و منها تقبل الفهم علی أتم الکمال الی غیر ذلک مما علیه هذا الکلام فی الحسن العجیب و اللطف البدیع.

وَ نادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی وَ إِنَّ وَعْدَکَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْکَمُ الْحاکِمِینَ (45)

حکی اللّه تعالی عن نوح أنه حین رأی قومه قد أهلکهم اللّه تعالی «فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی وَ إِنَّ وَعْدَکَ الْحَقُّ» لأنه تعالی کان وعده بأنه ینجیه و أهله، و أمره بأن یحملهم معه فی الفلک فی قوله «قُلْنَا احْمِلْ فِیها مِنْ کُلٍّ زَوْجَیْنِ اثْنَیْنِ وَ أَهْلَکَ» فسأل نوح ربه أن ابنه إن کان ممن وعده بنجاته أن ینجیه، فسأله بهذا الشرط لأنه لا یجوز أن یسأل نبی من أنبیاء اللّه أمراً لا یجاب الیه، و خاصة علی رؤس الملأ لأن ذلک ینفر عنهم. و انما یجوز أن یسأل بما یظهر له بشرط مقترن بالکلام و حال یدل علیه، فیعرف أنه لم یحصل الشرط. و الرب و المالک واحد.

و قیل: ان الرب المالک للشیء من کل وجه یصح أن یملک به، و هو أتم الملک، و لا تصح الصفة به علی الإطلاق الا للّه تعالی. و الإنسان قد یکون مالکاً بالإطلاق.

و قوله «وَ أَنْتَ أَحْکَمُ الْحاکِمِینَ» یعنی فی قولک و فعلک، لأنه حق تدعو الیه الحکمة، فقال نوح ذلک علی وجه الاعتراف تعظیماً للّه تعالی.

قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّی أَعِظُکَ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ (46)
التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 494
قرأ الكسائى و يعقوب «إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ» على الفعل، و نصب (غير) الكسائى. الباقون «عمل» اسم مرفوع منوّن (غير) رفع. و قرأ ابن كثير (تسألنّ) بالتشديد، و فتح النون، وافقه نافع فى التشديد الا انه كسر النون. الباقون بالتخفيف و كسر النون الا أن أبا عمرو يثبت الياء فى الأصل. قال أبو على النحوى (سألت) فعل يتعدى الى مفعولين و ليس مما يدخل على المبتدأ و خبره، و يمتنع ان يتعدى الى مفعول واحد. فمن قرأ بفتح اللام، و لم يكسر النون عداه الى مفعول واحد فى اللفظ. و المعنى على التعدى الى ثان و من كسر النون دل على انه عداه الى مفعولين، أحدهما: اسم المتكلم. و الآخر- الاسم الموصول، و حذف النون المتصلة بياء المتكلم، كما حذفت من قولهم (انى) كراهة اجتماع النونات. و من اثبت الياء فهو الأصل، و من حذفها اجتزأ بالكسرة الدالة عليها.
فى هذه الآية حكاية عما أجاب اللّه به نوحاً حين سأله نجاة ابنه بأن قال له «يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ...» و قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال ابن عباس و سعيد بن جبير و الضحاك و اكثر المفسرين: انه ليس من أهلك الذين وعدتک بنجاتهم معک، و انه كان ابنه لصلبه، بدلالة قوله «وَ نادى نُوحٌ ابْنَهُ» فأضافه اليه اضافة مطلقة. و الثانى- انه أراد بذلک أنه ليس من أهل دينک، كما
قال النبى صلى الله عليه و آله (سلمان منا أهل البيت)
و إنما أراد على ديننا.
و ثالثها- قال الحسن و مجاهد: انه كان لغيره، و ولد على فراشه، فسأل نوح على الظاهر فأعلمه اللّه باطن الأمر، فنفاه منه على ما علمه، فيكون على هذا هو نفسه عمل غير صالح، كما يقولون: الشعر زهير. و هذا الوجه ضعيف، لأن فى ذلک طعناً على نبى و إضافة ما لا يليق به اليه. و المعتمد الأول. و قال ابن عباس: التبيان فى تفسير القرآن، ج5، ص: 495
ما زنت امرأة نبى قط، و كانت الخيانة من امرأة نوح انها كانت تنسبه الى الجنون و الخيانة من امرأة لوط انها كانت تدل على أضيافه. و
روى عن على عليه السلام أنه قرأ و نادى نوح ابنها فنسبه الى المرأة، و أنه كان يربيه.
و
روى عن محمّد بن على بن الحسين عليهم السلام و عروة بن الزبير أنهما

قرءا «وَ نادى نُوحٌ ابْنَهُ» بفتح الهاء و ترک الالف کراهة ما یخالف المصحف، و أرادا أن ینسباه الی المرأة، و أنه لم یکن ابنه لصلبه.
و قال الحسن: کان منافقاً یظهر الایمان و یستر الکفر.
و قوله «إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ» فمن قرأ علی الفعل، فمعناه انه لیس من أهلک لأنه عمل غیر صالح، و تقدیره انه عمل عملا غیر صالح، و حذف الموصوف و أقام الصفة مقامه، و ذلک یستعمل کثیراً، و هذه القراءة تقوی قول من قال: إن ابنه لم یکن علی دینه، لأن اللّه تعالی علل کونه لیس من أهله بأنه عمل عملا غیر صالح.
و أما من قرأ علی الرفع و التنوین علی الاسم فتقدیره إنه ذو عمل غیر صالح فجاء علی المبالغة فی الصفة کما قالت الخنساء:
ترتع ما رتعت حتی إذا ادّکرت فإنما هی إقبال و إدبار «1»
قال الزجاج: تقدیره فإنما هی ذات إقبال و ادبار، تصف الناقة فی حنینها الی ولدها. و قیل: ان المعنی ان سؤالک ایای هذا عمل غیر صالح، ذکره ابن عباس و مجاهد و ابراهیم، و هذا و ضعیف، لأن فیه اضافة القبیح الی الأنبیاء علیهم السلام و ذلک لا یجوز عندنا علی حال. فالأول هو الجید. و یحتمل ان یکون المراد ان کونه مع الکافرین و انحیازه الیهم و ترکه الرکوب مع نوح عمل غیر صالح.
و قوله «فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ» معناه لا تسألنی ما لا تعلم أنه جائز فی حکمی لأن هذا من سؤال الجاهلین، نهاه عن ذلک، و لا یدل علی أن ما نهاه عنه قد وقع کما أن قوله «لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ»» لا یدل علی وقوع

---

(1) مرّ تخریجه فی 2/ 95 و هو فی تفسیر القرطبی 9/ 49
(2) سورة 39 الزمر آیة 65

الشرک. و قوله «إِنِّی أَعِظُکَ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ» فالوعظ الزجر عن القبیح بما یدعو الی الجهل علی وجه الترغیب و الترهیب. و الصحیح أن الجهل قبیح علی کل حال. و قال الرمانی: انما یکون قبیحاً إذا وقع عن تعمد، فاما إذا وقع غلطاً او سهواً لم یکن قبیحاً و لا حسناً. و هذا لیس بصحیح، لأن استحقاق الذم علیه یشرط بالعمد فاما قبحه فلا کما نقوله فی الظلم سواء.

قالَ رَبِّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ أَنْ أَسْئَلَکَ ما لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ وَ إِلاَّ تَغْفِرْ لِی وَ تَرْحَمْنِی أَکُنْ مِنَ الْخاسِرِینَ (47)

فی هذه الآیة اخبار عما قاله نوح علیه السلام حین عرّفه اللَّه حال ولده و أنه لا یستحق الغفران و وعظه بان یکون من الجاهلین، فانه قال «إِنِّی أَعُوذُ بِکَ أَنْ أَسْئَلَکَ ما لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ» فالعیاذة طلب النجاة بما یمنع من الشر، یقال: عاذ یعوذ عوذاً و عیاذاً فهو عائذ باللّه. و العیاذ الاعتصام بما یمنع من الشر. و المعنی انی أعتصم بک أن أسألک ما لا أعلمه، و انما اعتصم من ذلک، لأن ما یعلمه الإنسان یجوز أن یکون حسناً و یجوز کونه قبیحاً. و لا یحسن أن یسأل ما یجوز کونه قبیحاً و ان شرط حسن السؤال. و ینبغی أن یشرط ان کان ما سأله حسناً فیحسن السؤال حینئذ. و قال الرمانی: لا یحسن أن تسأل فتقول: اللهم احیی اقاربی فی دار الدنیا علی ما یصح و یجوز. لأنه قد دل الدلیل علی أن ذلک لا یحسن فی الحکمة فلا یجوز أن یسأله بحال. و انما جاز اطلاق «ما لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ» مع أنه قد علمه سؤالا. لأن هذا العلم لا یعتد به لأن المراد علم ماله أن یسأله إیاه.

و انما حذفت (یا) من قوله «رَبِّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ» و أثبته فی قوله «یا نوح» لأن ذلک نداء تعظیم. و هذا نداء تنبیه فوجب أن یأتی بحرف التنبیه. و قوله (به) التبیان فی تفسیر القرآن، ج5، ص: 497

یحتمل وجهین: أحدهما- أن یکون کقوله «وَ کانُوا فِیهِ مِنَ الزَّاهِدِینَ» «1» و «إِنِّی لَکَ مِنَ النَّاصِحِینَ» «2» و «أَنَا عَلی ذلِکُمْ مِنَ الشَّاهِدِینَ» «3» قال ابو الحسن: انما یجوز فی حروف الجرّ ذلک، لأن التقدیر فیه التعلق بمضمر یفسره هذا الذی یظهر بعد، و ان کان لا یجوز تسلیطه علیه. و مثله «یَوْمَ یَرَوْنَ الْمَلائِکَةَ لا بُشْری یَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِینَ» «4» فانتصب «یَوْمَ یَرَوْنَ» بما دل علیه «لا بُشْری یَوْمَئِذٍ» و لا یجوز فیما بعد (لا) هذه أن یتسلط علی (یوم) و کذلک «ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ» یتعلق بما دل علیه (علم) المذکور و إن لم یجز أن یعمل فیه. و الثانی- أن یکون متعلقاً بالمستقر، و هو العامل فیه کتعلق الظروف بالمعانی کما تقول: لیس لک فیه رضاء، فیکون (به) فی الایة بمنزلة (فیه).

قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَ بَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَ عَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَ أُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ (48)

فى هذه الآية حكاية ما أمر اللَّه تعالى به نوحاً حين استوت السفينة على الجبل، و أنه قال له «اهبط» أى انزل من الجبل، فالهبوط نزول من أعلى مكان فى الأرض الى ما دونه و من السماء. و قوله «بِسَلامٍ مِنَّا» قيل فى معناه وجهان:

أحدهما- بسلامة منا و تحية منا، قال لبيد:

الى الحول ثم اسم السلام عليكما و من يبک حولا كاملا فقد اعتذر «5»

قيل: انه بمعنى السلام عليكما. و قيل: معناه بتسليم منا عليک و قوله

---

(1) سورة 12 يوسف آية 20

(2) سورة 28 القصص آية 20

(3) سورة 21 الأنبياء آية 56

(4) سورة 25 الفرقان آية 22

(5) ديوانه 2/ 1 و اللسان «عذر» [.....]

«وَ بَرَكاتٍ عَلَيْكَ» معناه و نعم دائمة و خير ثابت حالا بعد حال، و أصله الثبوت، فمنه البروک، و البركة لثبوت النماء فيها قال الشاعر:

و لا ينجى من الغمرات إلا براكاء القتال أو الفرار «1»

أى الثبوت للقتال، و معنى تبارک اللَّه ثبت تعظيم ما لم يزل و لا يزال.

و قوله «وَ عَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ» فالأمة الجماعة الكثيرة على ملة واحدة متفقة، لأنه من (أمّه يؤمّه أمّاً) إذا قصده، أو الاتفاق فى المنطق على نحو منطق الطير و المأكل و المشرب و المنكح، حتى قيل: إن الكلاب أمة. و قيل فى معناه- هنا- قولان: أحدهما- أنه أراد الأمم الذين كانوا معه فى السفينة، فأخرج اللَّه أمماً من نسلهم و جعل فيهم البركة. و قال قوم: يعنى بذلک الأمم من سائر الحيوان الذين كانوا معه، لأن اللَّه تعالى جعل فيها البركة، و تفضل عليها بالسلامة حتى كان منها نسل العالم. و قوله «وَ أُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ» معناه إنه يكون من نسلهم أمم سيمتعهم اللَّه فى الدنيا بضروب من النعم، فيكفرون نعمه و يجحدون ربوبيته، فيهلكهم اللَّه. ثم يمسهم بعد ذلک عذاب مؤلم موجع. و انما رفع (أمم) لأنه استأنف الاخبار عنهم.

تِلْکَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْکَ ما کُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُکَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49)
الاشارة بقوله «تلک» الى ما تقدم ذكره من اخبار نوح و قومه و ما أحل اللَّه بهم من الإهلاک، و التقدير تلک الانباء من أنباء الغيب، و لو قال ذلک كان جائزاً، لأن المصادر يكنى عنها بالتأنيث تارة و بالتذكير أخرى يقولون: قدم فلان

---

(1) قائله بشر بن أبى خازم اللسان (برک)

ففرحت بها و فرحت به أى بقدومه أو بقدمته. و الغيب ما غاب عن النفس معرفته بطريق الستر له بخلاف السهو لأنه ذهاب المعنى عن النفس بحال ينافى الذكر.
و قوله «نُوحِيها إِلَيْکَ» أى نوحى اليک تلک الاخبار. و قوله «ما کُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُکَ» معناه إن هذه الاخبار التى أعلمناک إياها لم تكن تعلمها قبل و حبنا اليک و لا قومک من العرب يعرفونها قبل إيحائنا اليک. و قوله «فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ» أمر للنبى صلى الله عليه و آله بأن يصبر على أذى قومه و جهلهم بموضعه كما صبر نوح مثل ذلک على قومه، و هو أحد الوجوه التى لأجلها كرر اللَّه تعالى قصص الأنبياء: فى الاعراف، و هود، و الشعراء، ليصبر النبى صلى الله عليه و آله على أذى قومه حالا بعد حال. و قوله «إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ» اخبار منه تعالى بأن العاقبة المحمودة لمن اتقى معاصى اللَّه و تحرز من عقابه.
تم المجلد الخامس- و يليه المجلد السادس و أوله قوله تعالى: و إلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا اللَّه ... آية (50) من سورة هود

المجلد السادس

وَ إِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ (50)
آية بلا خلاف قوله «أخاهم» نصب بتقدير (أرسلنا) كأنه قال: و أرسلنا إلى عاد أخاهم و دل عليه ما تقدم من قوله «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً» و (عاد) مصروف، لأن المراد به الحى و قد يقصد به القبيلة، فلا يصرف قال الشاعر:
لو شهد عاد فى زمان عاد لابتزها مبارک الجلاد «1»
و إنما سمى هوداً أخا عاد مع انهم كفار، و هو نبى لان المراد بذلک الاخوة فى النسب، لا فى الدين، فحذف لدلالة الحال عليه.
و قوله «ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» حكاية ما قال هود (ع) لهم و أمرهم ان يوجهوا عبادتهم الى اللَّه و نفى ان يكون معبود يستحق العبادة غيره.
و من ضم الراء حمله على الموضع، لأن فيها معنى الاستثناء، فكأنه قال ما لكم من إله إلا هو، و لا يجوز فى هذا الاستثناء الحمل على اللفظ، لأن الواجب لا يدخله (من) الزائدة.
و من جره حمله على اللفظ. و قال بعضهم تقديره ما لكم إله غيره و (من) زائدة، فلذلک رفع.
و قوله «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ» أخبار من اللَّه تعالى: حكاية ما قال هود لهم بأنه ليس أنتم إلا متخرصون. و إنما سماهم مفترين بعبادة غير اللَّه، لأنهم فى حكم من قال هى جائزة لغير اللَّه، فلذلک قال لهم ذلک. و مساكن عاد كانت بين بلاد الشام و اليمن تعرف بالأحقاف، و كانوا أصحاب بساتين و زروع، و يسكنون

---

(1) مجمع البيان 3: 169 و روايته (لاقبرها) بدل (لابتزها).

الرمال، دعاهم هود الى الايمان باللَّه و توجيه العبادة اليه، فكفروا به فأهلكهم اللَّه بالريح، فذكر انها كانت تدخل فى أفواههم فتخرج من أستاههم فتقطعهم عضواً عضواً، نعوذ باللَّه منها.

قوله تعالى:[سورة هود (11): آية 51] ..... ص : 6

اشارة

يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِیَ إِلاَّ عَلَى الَّذِی فَطَرَنِی أَ فَلا تَعْقِلُونَ (51)

آية بلا خلاف اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية عن هودٍ أنه قال لقومه: لست أطلب منكم- على دعائى لكم الى عبادة اللَّه- أجراً، لأنه ليس جزائى فى ذلک إلا على اللَّه الذى خلقنى، فهلا تتفكرون- بعقولكم- فى ذلک، فتعلمون أن ذلک محض النصيحة لأنه لو كان لغيره لطلبت عليه الأجر.

و السؤال و الطلب معناهما واحد، الا ان الطلب قد يكون فى غير معنى السؤال، لأن من ضاع منه شىء يطلبه، او طلب الماء إذا استعذبه أو طلب المعادن، لا يقال فيه (سأل) و لا هو سائل. و (الأجر) هو الجزاء على العمل على عمل الخير بالخير. و قد يستحق الأجر على الشكر، كالاجر الذى يعطيه اللَّه العبد على شكره لنعمه. و (الفطر) الشق عن أمر اللَّه، كما ينفطر الورق عن الثمر، و منه فطر اللَّه الخلق. و منه قوله «إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ» «1» و «هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ» «2» و منه فطر اللَّه الخلق لأنه بمنزلة ما شق عنه فظهر. و قوله «أَ فلا تعقلون» يقال لمن عدل عن الاستدلال: لا يعقل، لأنه بمنزلة من لا يعقل،

---

(1) سورة الانفطار آية 1.
(2) سورة الملک آية 3.

فى انه لا ينتفع بموجب العقل. و قيل ان المعنى «أفلا تعقلون» أنى اطلب بذلک نصحكم و صلاحكم فتقبلوه و لا تردوه.

وَ يا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَ يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ وَ لا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (52)
آية بلا خلاف.
هذه الآية عطف على ما قبلها، و فيها حكاية ايضاً عما قال هود لقومه، فانه ناداهم، و قال «يا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ» اى اطلبوا منه المغفرة «ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ» و انما قدم الاستغفار قبل التوبة، لأنه طلب المغفرة التى هى الغرض، ثم بين ما به يتوصل اليها هو التوبة، و الغرض مقدم فى النفس، لان الحاجة اليه ثم السبب، لأنه يحتاج اليه من اجله. و قيل ان (ثم) فى الآية بمعنى الواو، كما قال «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها» «1» و كان جعل الزوج منها قبل جميع البشر.
و قيل ان المعنى استغفروا ربكم من الوجه الذى يصح، من الايمان به و تصديق رسله، و الاقلاع عن معاصيه، و التوبة من القبائح «ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ» بمعنى استديموا على ذلک و جددوا التوبة بعد التوبة، لئلا يكونوا مصرين. و كل ذلک جائز.
و ظاهر هذه الآية يقتضى أن اللَّه تعالى يجعل الخير بالتوبة ترغيباً فيها، لأنه وعد متى تاب العاصى يرسل السماء عليهم مدراراً و هو الدرر الكثير المتتابع على قدر الحاجة اليه دون الزائد المفسد المضر، و نصبه على الحال.
و
روى انهم كانوا أجدبوا، و انهم متى تابوا أخصبت بلادهم و أثمرت أشجارهم و انزل عليهم الغيث الذى يعيشون به.

---

(1) سورة الزمر آية 6.

و (مفعال) صفة للمبالغة كقولهم: منجار، و معطار، و مغزار. و مثله «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً. وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ» «1» و لو لا هذا الوعد لما وجب ذلک. و اما الثواب على التوبة فمعلوم عقلًا.
و قوله «وَ يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ وَ لا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ» معنا ان اللَّه تعالى إذا تبتم «يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَ يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى» القوة التى فعلها فيكم، و يجوز ان يريد بذلک تمكينهم من النعم التى ينتفعون بها و يلتذون باستعمالها، فان ذلک يسمى قوة.
و قوله «وَ لا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ» تمام الحكاية عنه انه قال لقومه لا تتولوا من عصا اللَّه و ترک عبادته.

قالُوا يا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ وَ ما نَحْنُ بِتارِكِی آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِکَ وَ ما نَحْنُ لَکَ بِمُؤْمِنِينَ (53)
آية بلا خلاف.
فى هذه الآية حكاية عما قاله قوم هود له حين دعاهم الى عبادة اللَّه و ترک ما سواه بأنهم قالوا له يا هود لم تجئنا ببينة يعنى بحجة دالة على صدقک و لسنا نترک عبادة آلهتنا لأجل قولک و لسنا مصدقيک، و لا معترفين بعبادة إلهک الذى تدعى انک رسوله، فالبينة الحجة الواضحة التى تفصل بين الحق و الباطل. و البيان فصل المعنى من غيره حتى يظهر للنفس متميزاً مما سواه، و يجوز ان يكون حملهم على رفع البينة مع ظهورها أمور:
أحدها- تقليد الآباء و الرؤساء فدفعوها لذلک.
و منها اتهامهم لمن جاء بها حيث لم ينظروا فيها.

---

(1) سورة الطلاق آية 2- 3.

و منها انهم دخلت عليهم الشبهة فى صحتها.
و منها اعتقادهم لأصول فاسدة تدعوهم الى جحدها.
و اما الداعى الى عبادة الأوثان فيحتمل ان يكون احد أشياء:
أحدها- انهم ظنوا انها تقربهم الى اللَّه زلفى إذا عبدوها.
الثانى- ان يكونوا على مذهب المشبهة فجعلوا وثناً على صورته فعبدوه.
الثالث- ان يكون القى اليهم ان عبادتها تحظى فى دار الدنيا.
و قوله «عن قولک» معناه بقولک، و جعلت (عن) مكان الباء، لان معنى كل واحد من الحرفين يصح فيه. و قال الرمانى: من عبد إلهاً فى الجملة هو ممن عبد غير اللَّه، لان كل واحد منها لم تخلص العبادة له و لا أوقعها على وجه يستحق به الثواب.

إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَراکَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ قالَ إِنِّی أُشْهِدُ اللَّهَ وَ اشْهَدُوا أَنِّی بَرِیءٌ مِمَّا تُشْرِکُونَ (54)
آیة.
فی هذه الایة تمام الحکایة عن جواب قوم هود لهود، و هو انهم قالوا مع جحدهم لنبوته «ان نقول» لسنا نقول «إلا اعتراک» أصابک من قولهم عراه یعروه إذا اصابه، قال الشاعر:
من القوم یعروه اجترام و مأثم «1»
و قیل «اعتراک» أصابک بجنون خبل عقلک، ذهب الیه ابن عباس، و مجاهد.
و انما جاز ان یقول «إلا اعتراک» مع انهم قالوا أشیاء کثیرة غیر هذا، لان المعنی

_____
(1) قائله ابو خراش: مجمع البیان 3: 169، و تفسیر الطبری 12: 35 و مجاز القرآن 1: 290 و صدره: (تذکر داخلا عندنا و هو فاتک)
التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 10
ما نقول فی سبب الخلاف الا اعتراک، فحذف، لان الحال یقتضی ان کلامهم فی الخلاف و سببه.
و قوله «قالَ إِنِّی أُشْهِدُ اللَّهَ» اخبار عما أجابهم به هود بأن قال: اشهد اللَّه علی ادائی إلیکم و نصحی إیاکم، و علی ردکم ذلک علی و تکذیبکم ایای و «اشهدوا» أنتم ایضاً اننی بریء مما تشرکون، و انما اشهدهم- علی ذلک و ان لم یکونوا اهل شهادة من حیث کانوا کفاراً فساقاً- اقامة للحجة علیهم لا لتقوم الحجة بهم، فقیل هذا القول اعذاراً و إنذاراً، و یجوز ان یکون یرید بذلک اعلموا کما قال «شهد اللَّه» بمعنی علم اللَّه.

مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِى جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ (55)
آية بلا خلاف.
فى هذه الاية دلالة على صحة النبوة، لأنه قال لقوم من اهل البأس و النجدة «فَكِيدُونِى جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ» اى لا تمهلونى ثقة بأنهم لا يصلون اليه بسوء، لما وعده اللّه (عز و جل) من العز و الغلبة. و مثله قال نوح لقومه «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَىَّ وَ لا تُنْظِرُونِ» «1» و
قال نبينا صلّى اللّه عليه و سلم «فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ» «2».
و الفرق بين الانظار و التأخير ان الانظار امهال لينظر صاحبه فى أمره، و التأخير خلاف التقديم من غير تضمين.
و فى هذه الاية تضمين بما قبلها، لان التقدير انى برىء مما تشركون من دونه، و هاهنا يحسن الوقف و يحسن ايضاً ان يقف على قوله «تشركون» كان ذلک وقفاً كافياً، لأنه يحسن الوقف عليه، و لا يحسن استئناف ما بعده.
و اما الوقف التام

---

(1) سورة يونس آية 71
(2) سورة المراسلات آية 39

فهو الذى يحسن الوقف عليه و يحسن استئناف ما بعده نحو قوله «وَ إِيَّاکَ نَسْتَعِينُ» ثم يستأنف «اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ» «1».
و الكيد طلب الغيظ بالسر و هو الاحتيال بالسر، تقول: كاده يكيده كيداً و كايده مكايدة مثل غايظه مغايظة.

إِنِّی تَوَکَّلْتُ عَلَی اللَّهِ رَبِّی وَ رَبِّکُمْ ما مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِناصِیَتِها إِنَّ رَبِّی عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (56)
آیة بلا خلاف.
هذه الآیة فیها حکایة ما قال هود لقومه بعد ذکر ما قدم من القول فیه انی توکلت علی اللَّه. و التوکل تفویض الامر الی اللَّه تعالی علی طاعته فیما امر به، لان ذلک من تسلیم التدبیر له، لان أفعاله کلها جاریة علی ما هو أصلح للخلق.
و قوله «ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِیَتِها» معناه لیس من حیوان یدب الا و هو تعالی آخذ بناصیته ای قادر علی التصرف فیه، و تصریفه کیف شاء.
و (الناصیة) قصاص الشعر و منه قوله «فَیُؤْخَذُ بِالنَّواصِی وَ الْأَقْدامِ» «2» و فی جر الرجل بناصیته إذلال له. و اصل الناصیة الاتصال من قولهم: (مفازة بناصی مفازة) إذا کانت الاخیرة متصلة بالأولی قال الشاعر:
فیء تناصیها بلا دفیء «3»
و قال ذو الرمة:
ینصو الجماهین «4»
و نصوته انصوه نصواً إذا اتصلت به.

---

(1) سورة الفاتحة آیة 5- 6
(2) سورة الرحمن آیة 41
(3) مجمع البیان 3: 169
(4) لم أجده

و قال ابو النجم:
ان یمس رأسی اشمط العناصی کأنما فرقه مناصی «1»
ای یجاذب لیتصل به فی مره، و انما قال أخذ بناصیتها مع انه مالک لجمیعها لما فی ذلک من تصویر حالها علی عادة معروفة من أمرها فی إذلالها، فکل دابة فی هذه المنزلة فی الذلة للَّه تعالی. و قوله «إِنَّ رَبِّی عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ» معناه أن أمر ربی فی تدبیر خلقه علی صراط مستقیم لا عوج فیه و لَا اضطراب، فهو یجری علی سبیل الصواب لا یعدل الی الیمین و الشمال و الفساد. و الفائدة هنا ان ربی و إن کان قادراً علی التصریف فی کل شیء فانه لا یفعل إلا العدل و لا یشاء الا الخیر.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفُ رَبِّی قَوْماً غَيْرَكُمْ وَ لا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّی عَلى كُلِّ شَیْءٍ حَفِيظٌ (57)
آية بلا خلاف.
معنى الاية حكاية ما قال هود لقومه من قوله لهم ان توليتم، فليس ذلک لتقصير فى ابلاغكم و انما هو لسوء اختياركم فى الاعراض عن نصحكم، و يجوز ان يكون ذلک حكاية ما قال اللّه لهود انهم ان تولوا فقل لهم فقد أبلغتكم. و قال الزجاج: التقدير فان تتولوا فحذف احدى التائين، لدلالة الكلام عليها، فعلى هذا تقديره قل لهم فان تتولوا، و مثله قال الجبائى. و التولى الذهاب الى خلاف جهة الشىء و هو الاعراض عنه. و المعنى هنا التولى عما دعوتكم اليه من عبادة اللّه، و اتباع أمره، و الإبلاغ إلحاق الشىء بنهايته، و ذلک انه قد يلحق الحرف بالحرف على جهة الوصل، فلا يكون إبلاغاً، لأنه لم يستمر الى نهايته.

_____
(1) اللسان (نصا) و مجمع البيان 3: 169 [.....]

و قوله «وَ يَسْتَخْلِفُ رَبِّی قَوْماً غَيْرَكُمْ» فالاستخلاف جعل الثانى بدل الاول يقوم مقامه فيما كان عليه الاول، فلما كانوا قد كلفوا، فلم يجيبوا، جعل الثانى بدلًا منهم فى التكليف.
و قوله «وَ لا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً» معناه انه إذا استخلف غيركم، لا تقدرون له على ضر و لا نفع. و قيل ان معناه لا ينقصه هلاككم شيئاً، لأنه يجل عن الحاق المنافع و المضار به.
و قوله «إِنَّ رَبِّی عَلى كُلِّ شَیْءٍ حَفِيظٌ» لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها.
و قيل معناه يحفظنى من ان تنالونى بسوء.

وَ لَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا هُوداً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ نَجَّيْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ (58)
آية.
المعنى و لما جاء أمرنا بهلاک عاد، و دلائله «نَجَّيْنا هُوداً، وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ نَجَّيْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ» يعنى من عذاب الدنيا و الآخرة فسلموا من الامرين.
و النجاة السلامة من الهلاک، و قد تكون السلامة من اصابة الم ما، و الرحمة قد تكون مستحقة بدلالة قوله «و نجيناهم برحمة منا» و يجوز ان يكون المراد بما أريناهم من الهدى و البيان الذى هو رحمة. و الرحمة مستحقه بالوعد و حسن التدبير فى الفصل بين الولى و العدو. و الغليظ عظيم الجثة و الكثيفة، و انما وصف به العذاب لأنه بمنزلته فى الثقل على النفس و طول المكث.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 14

وَ تِلْکَ عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَ عَصَوْا رُسُلَهُ وَ اتَّبَعُوا أَمْرَ کُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (59)
آية بلا خلاف.
قوله «و تلک» اشارة الى من تقدم ذكره، و تقديره و «تلک» القبيلة «عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ» و الجحد الخبر بأن المعنى ليس بكائن على صحة، فعلى هذا جحدوا هؤلاء الكفار بآيات اللّه، اى أخبروا بأن المعنى لا نعرف صحته، و النفى خبر بعدمه.
و قال صاحب العين: الجحد إنكارک بلسانک ما تستيقنه نفسک.
و قوله «وَ عَصَوْا رُسُلَهُ» فيه أخبار انهم مع جحدهم دلالة رسل اللّه، و انكارهم آيات اللّه، خالفوا ما اراده الدعاة الى اللّه، على طريق الإيجاب بالترغيب و الترهيب فالرسول دعاهم الى عبادة اللّه، فخالفوه و انما قال «عَصَوْا رُسُلَهُ» و هم عصوا هوداً، لأن الرسل قد تقدمت عليهم بمثل ذلک، و ذلک عصيان لهم فيما أمروا به و دعوا اليه من توحيد اللّه و عدله و ان لا يشركوا به شيئاً.
و قوله «وَ اتَّبَعُوا أَمْرَ کُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ» و العنيد العاتى الطاغى، عند يعند عنداً و عنوداً إذا حاد عنه كثيراً قال الشاعر.
انى كبير لا أطيق العندا «1»

وَ أُتْبِعُوا فِی هذِهِ الدُّنْیا لَعْنَةً وَ یَوْمَ الْقِیامَةِ أَلا إِنَّ عاداً کَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ (60)

_____

(1) مجاز القرآن 1: 291 و تفسیر الطبری 12: 35 و القرطبی 9: 54 و صدره:
إذا رحلت فاجعلونی وسطا.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 15
آیة بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالی فی هذه الآیة ان عاداً لما عصوه، و کفروا به، و کذبوا هوداً ألحق اللَّه بهم الهلاک و اتبعهم فی دار الدنیا لعنة، بمعنی انه اخبر نبینا و الأمم المستقبلة باهلاکهم و انه لعنهم و امر بلعنهم، و عرفهم انه ابعدهم من رحمته.
و اللعنة الدعاء بالابعاد من قولک لعنه إذا قال علیه لعنة اللَّه، و أصله الابعاد من الخیر یقال ذئب لعین ای طرید، و لا یجوز ان یلعن شیء من البهائم، و ان کانت مؤذیة، لأنه لا یجوز ان یدعی علیها بالابعاد من رحمة اللَّه.
و قوله «وَ یَوْمَ الْقِیامَةِ» ای و یتبعون لعنة یوم القیامة، یعنی یوم یقوم الناس من قبورهم للجزاء و الحساب، کما قال «یَوْمَ یَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ سِراعاً کَأَنَّهُمْ إِلی نُصُبٍ یُوفِضُونَ» «1» و قوله «أَلا إِنَّ عاداً کَفَرُوا رَبَّهُمْ» (ألا) معناها التنبیه، و ما بعدها أخبار بأن قوم عاد کفروا ربهم.
و قوله «أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ» نصب (بعداً) علی المصدر، و المعنی ابعدهم اللَّه بعداً، و وقع (بعداً) موضع ابعاد، کما وقع نبات موضع إنبات فی قوله «أَنْبَتَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً» «2».

وَ إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيها فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (61)

آية بلا خلاف.

حكى اللّه تعالى فى هذه الآية أنه أرسل «إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً» و نصب

---

(1) سورة المعارج آية 43.

(2) سورة نوح آية 17.

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 16

(أخاهم) بأرسلنا، عطف على ما تقدم، و انه «قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» و قد فسرناه «1». و قوله «هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه خلقكم من آدم و آدم من تراب.

الثانى- انه خلقكم من الأرض، و الاول اختيار الجبائى و هو الأقوى. و الإنشاء الإيجاد ابتداء من غير استعانة بشىء من الأسباب، و هما نشأتان الاولى فى الدنيا و الثانية فى الآخرة.

و قوله «وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيها» اى جعلكم قادرين على عمارة الأرض، و مكنكم من عمارتها و الحاجة الى سكناها. و الاستعمار جعل القادر يعمر الأرض كعمارة الدار.

و قال مجاهد معنى «اسْتَعْمَرَكُمْ فِيها» أى أعمركم بأن جعلها لكم طول أعماركم. و منه العمرى المسألة المعروفة فى الفقه.

و فى الآية دلالة على فساد قول من حرم المكاسب، لأنه تعالى امتن على خلقه بأن مكنهم من عمارة الأرض فلو كان ذلك محرماً لم يكن لذلك وجه، و العبادة لا تستحق إلا بالنعم المخصوصة التى هى أصول النعم فلذلك لا يستحق بعضنا على بعض العبادة ابتداء، و ان استحق الشكر، و لذلك لا تحسن العبادة ابتداء، كما لا يحسن الشكر إلا فى مقابلة النعم.

و قوله «فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ» قد بينا معناه «2» و قوله «إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ» معناه أنه قريب الرحمة لا من قرب المكان، لكنه خرج هذا المخرج لحسن البيان فى المبالغة. و قيل ان بلاد ثمود بوادى القرى بين المدينة و الشام، و كانت عاد باليمن.

---

(1) فى تفسير آية. 5 من هذه السورة صفحة 5 من هذا المجلد.

(2) انظر 5: 514 فی تفسیر آیة 3 من هذه السورة.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 17

قالُوا يا صالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينا مَرْجُوًّا قَبْلَ هذا أَ تَنْهانا أَنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا وَ إِنَّنا لَفِی شَکٍّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (62)
آية بلا خلاف.
فی هذه الآية حكاية ما أجاب به قوم صالح له حين قالوا له يا صالح قد كنت فينا مرجوّاً قبل هذا، و معناه قد كنا نرجو منک الخير، و نطمع فيه من جهتک قبل هذا لما كنت عليه من الأحوال الجميلة، فالآن يئسنا منک.
و الرجاء تعلق النفس بمجىء الخير على جهة الظن، و مثله الأمل و الطمع.
و قوله «أَ تَنْهانا أَنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا» معناه تحظر علينا عبادة كان يعبدها آباؤنا.
و قوله «إِنَّنا لَفِی شَکٍّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مُرِيبٍ» معناه إن الذى أتيتنا به لا يوجب العلم بل يوجب الشک فنحن فی شک مما جئتنا به. و الريبة هى الشک إلا ان مع الريبة تهمة للمعنى ليست فی نقيضه، و الشک قد يعتدل فيه النقيضان.

قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَ آتانِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِى مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَما تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ (63)
آية بلا خلاف.
حكى اللَّه تعالى فى هذه الآية ما أجاب به صالح قومه ثمود بأن قال لهم «أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ» أى حجة من ربى و دليل من جهته. و لا مفعول التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 18
ل (رأيتم) لأنه يلغى كما يلغى إذا دخل عليه لام الابتداء فى قولك (رأيت لزيد خير منك) فكذلك الجزاء. و جواب (إن) الاولى الفاء، و جواب (إن) الثانية محذوف، و تقديره ان عصيته فمن ينصرنى، إلا انه يستغنى بالأول، فلا يظهر.
و قوله «فَمَنْ يَنْصُرُنِى مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ» صورته صورة الاستفهام، و معناه النفى كأنه قال فلا ناصر لى من اللَّه ان عصيته، و معنى الكلام أعلمتم من ينصرنى من اللَّه ان عصيته بعد بينة من ربى و نعمة، و انما جاز إلغاء (رأيت) لأنها دخلت على جملة قائمة بنفسها من جهة انها تفيد لو انفردت عن غيرها، و (من) يتعلق بمعناها دون تفصيل لفظها.
و قوله «فَما تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ» قيل فى معناه ثلاثة اقوال:
أحدها- ليس تزيدوننى باحتجاجكم بعبادة آبائكم اى ما تزدادون أنتم الا خساراً، هذا قول مجاهد.
و الثانى- قال قوم: تزيدوننى لأنهم يعطونه ذاک بعد أول أمرهم.
الثالث- قال الحسن معناه ان أجبتكم الى ما تدعوننى اليه كنت بمنزلة من يزداد الخسران.
و قال اخرون معناه ما تزيدوننى على ما انا عندكم الا خساراً.

وَ يا قَوْمِ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُلْ فِی أَرْضِ اللَّهِ وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ (64)

فی هذه الآية حكاية ما قال صالح لقومه بعد ان أنذرهم و خوفهم عبادة غير اللّه، و حذرهم معاصيه. «وَ يا قَوْمِ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً» و أشار الى ناقته التى جعلها اللّه معجزة، لان اللّه تعالى أخرجها لهم من جوف صخرة و هم يشاهدونها على تلك الصفة، و خرجت و هى حامل كما طلبوا، انها كانت تشرب يوماً فتنفرد به و لهم يوم و تأتى المرعى يوماً و الوحش يوماً. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 19

و قوله «وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ» نهى منه لهم ان يمسوا الناقة بسوء اى بعقر او ضرر. و المس و اللمس متقاربان. و فرق بينهما الرمانى بان المس يكون بين جمادين و اللمس لا يكون إلا بين حيين لما فيه من الإدراک، و قوله «فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ» جواب النهى بالفاء و كذلک نصبه. و المعنى ان مسستموها بضر اخذكم عذاب عاجل.

فَعَقَرُوها فَقالَ تَمَتَّعُوا فِی دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (65)
آية بلا خلاف.
اخبر اللّه تعالى عن قوم صالح بأنهم عصوه فيما أمرهم و ارتكبوا ما نهاهم عنه من أذى الناقة و انهم عقروها و العقر قطع العضو الذى له سراية فى النفس قال امرؤ القيس:
يقول و قد مال الغبيط بنا معاً عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل «1»
و كان سبب عقرهم لها انهم كرهوا أن يكون لها يوم، و لهم يوم فى الشرب لضيق الماء عليهم و المرعى على ماشيتهم فعقرها (احمر ثمود) و ضربت به العرب المثل فى الشؤم، فلما فعلوا ذلک قال لهم صالح «تَمَتَّعُوا فِی دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ» أى تلذذوا، فيما يريدون من المدركات الحسان من المناظر و الأصوات و غيرها مما يدرک بالحواس، و يقال للبلاد: دار، لأنها تجمع أهلها كما تجمع الدار. و منه قولهم:
ديار ربيعة، و ديار مضر.
و قيل معنى «فى داركم» اى فى دار الدنيا. و ايام أصله (ايوام) فقلبت الواو ياء و أدغمت الياء الاولى فيها فصارت ايام لاجتماعها و سكون الاولى و انما وجب ذلک لاشتراكهما فى انهما حرفا علة. و قوله «ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ» معناه إن

---

(1) ديوانه 127 (الطبعة المصرية)

ما وعدتكم به من نزول العذاب بعد ثلاثة ايام وعد صدق ليس فيها كذب.

فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا صالِحاً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (66)
آية بلا خلاف.
قرأ اهل المدينة إلا إسماعيل و الكسائى و البرجمى و السمونى «يومئذ» بفتح الميم، هنا و فى المعارج. الباقون بكسر الميم على الاضافة. قال ابو على قوله «يومئذ» ظرف- كسرت او فتحت- فى المعنى إلا انه اتسع فيه فجعل اسماً كما اتسع فى قوله «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ» «1» فأضيف المكر اليهما و إنما هو فيهما، فكذلك العذاب و الخزى و الفزع اضفن الى اليوم، و المعنى على ان ذلک كله فى اليوم كما إن المكر فى الليل و النهار.
و من كسر الميم من «عذاب يومئذ» فلان يوماً اسم معرب أضاف اليه ما اضافه من العذاب و الخزى و الفزع، فانجر بالاضافة، و لم تفتح اليوم فتبنيه لاضافته الى المعنى، لان المضاف منفصل عن المضاف اليه و لا يلزمه الاضافة، و المضاف لم يلزم البناء.
و من فتح فقال: من عذاب يومئذ فيفتح مع انه فى موضع جر، فلان المضاف يكتسب من المضاف اليه التعريف و التنكير، و معنى الاستفهام و الجزاء فى نحو غلام من تضرب اضربه، فلما كان يكتسب من المضاف اليه هذه الأشياء اكتسب منه الاعراف و البناء ايضاً، إذا كان المضاف من الأسماء الشائعة المبنية نحو (اين.
و كيف) و لو كان المضاف مخصوصاً نحو (رجل و غلام) لم يكتسب منه البناء كما اكتسبت من الأسماء الشائعة. و من أضاف على تقدير من عذاب يومئذ و من خزى

---

(1) سورة سبأ آية 33.

يومئذ، فلأنها معارف تعرفت بالاضافة الى اليوم.
اخبر اللّه تعالى انه لما جاء أمره باهلاک قوم صالح الذين هم ثمود نجا صالحاً و المؤمنين معه برحمة منه تعالى.
و قوله «وَ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ» فالخزى العيب الذى تظهر فضيحته و يستحى من مثله، خزى يخزى خزياً إذا ظهر له عيب بهذه الصفة.
و قوله «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ» فالقوى هو القادر، و العزيز هو القادر على منع غيره من غير ان يقدر أحد على منعه. و أصله المنع فمنه عز على الشىء إذا امتنع بقلبه و منه العز الأرض الصلبة الممتنعة بالصلابة، و منه تعزز بفلان اى امتنع به و يقال (من عزّ بز) اى من غلب سلب.

و كانت علامة العذاب فى ثمود ما قال لهم صالح: آية ذلک ان وجوهكم تصبح فى اليوم الاول مصفرة و فى اليوم الثانى محمرة و فى الثالث مسودة، ذكره الحسن، هذا من حكمته تعالى و حسن تدبيره فى الانذار بما يكون من العقاب قبل ان يكون، للمظاهرة فى الحجة.
و لم يختر ابو عمرو بناء (يوم) إذا أضيف الى مبنى كما اختير فى قوله «عَلى حِينِ غَفْلَةٍ» «1» لأن هذا أضيف الى الاسم مبنى، و ذلک أضيف الى فعل مبنى فباعده عن التمكن بأكثر مما باعده الاول.

وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دِيارِهِمْ جاثِمِينَ (67)
آية بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى أنه لما نجا صالحا و المؤمنين و أراد إهلاک الكفار أخذ الذين ظلموا الصيحة، و هى الصوت العظيم من الحيوان. و قال الجبائى لا تكون

---

(1) سورة القصص آية 15.

الصيحة إلا حدوث صوت فى فم و حلق حيوان. و قيل ان جبرائيل عليه السلام صاح بهم، و يجوز ان يكون اللَّه تعالى أحدث الصيحة فى حلق حيوان، و انما ذكر اللفظ لأنه حمله على المعنى، لان الصيحة و الصياح واحد. و يجوز تأنيثه حملًا على اللفظ، كما جاء فى موضع آخر «1». و قوله «فَأَصْبَحُوا فِى دِيارِهِمْ جاثِمِينَ» معناه أنه لما أتتهم الصيحة ليلًا أصبحوا فى ديارهم خامدين على هذه الصفة، و العرب تقول فى تعظيم الأمر: (وا سوأة صباحاه) و الجثوم السقوط على الوجوه. و قيل هو القعود على الركب، يقال: جثم على القلب إذا ثقل عليه، و ذكرهم اللَّه بالظلم هنا دون الكفر ليعلم أن الكفر ظلم النفس إذ يصير الى أعظم الضرر بعذاب الأبد.

كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ (68)
آية بلا خلاف.
قرأ الكسائى وحده «لثمود» بخفض الدال و تنوينها. و الباقون بغير صرف.
و قرأ حمزة و حفص و يعقوب «ألا إن ثمود» و فى الفرقان. و «عاداً و ثمود» و فى العنكبوت «وَ ثَمُودَ فَما أَبْقى» بغير تنوين فيهن وافقهم يحيى و العليمى و السمونى فى سورة (النجم).
قال الفراء قلت للكسائى: لم صرفت (ثمود) هنا؟ فقال: لأنه قرب من المنصوب، و هو مجرور، و انما صرف ثمود فى النصب دون الجر و الرفع، لأنه لما جاز الصرف اختير الصرف فى النصب، لأنه أخف.
قال ابو على الفارسى: الأسماء التى تجرى على القبائل و الأحياء على اضرب

---

(1) سورة هود آية 95 و سورة الحجر آية 73، 83، و سورة المؤمنون آية 41 و غيرها كثير و الآيات التى ذكرناها الفعل فيها لمؤنث.

أحدها- ان يكون اسماً للحى او للأب.
و الثانى- ان يكون اسماً للقبيلة.
الثالث- ان يكون غلب عليه الأب دون الحى و القبيلة.
و الرابع- ان يستوى ذلک فى الاسم فيجرى على الوجهين، و لا يكون لاحد الوجهين مزية على الآخر فى الكثرة، فمما جاء اسماً للحى قولهم ثقيف و قريش، و كلما لا يقال فيه بنو فلان. و اما ما جاء اسماً للقبيلة فنحو تميم بنت مرة قال سيبويه سمعناهم يقولون: قيس ابنة عيلان، و تميم صاحبة ذلک، و قال تغلب ابنة و ابل. و اما ما غلب عليه اسم ام الحى او القبيلة، فقد قالوا باهلة ابن اعصر، و قالوا يعصر، و باهلة اسم امرأة، قال سيبويه جعل اسم الحى، و محوس لم يجعل اسم قبيلة، و سدوس أكثرهم يجعله اسم القبيلة، و تميم أكثرهم يجعله اسم قبيلة. و منهم من يجعله اسم الأب.
و اما ما يستوى فيه اسم قبيلة، و ان يكون اسماً للحى، فقال سيبويه نحو ثمود و عاد، و سماهما مرة للقبيلتين و مرة للحيين، فكثرتهما سواء.
قال: و عاداً و ثموداً، و قال «أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ» و قال «و أتينا ثمود الناقة» فإذا استوى فى ثمود ان يكون مرة للقبيلة و مرة للحى و لم يكن لحمله على احد الوجهين مزية فى الكثرة:
فمن صرف فى جميع المواضع كان حسناً، و من لم يصرف ايضاً كذلک، و كذلک ان صرف فى موضع و لم يصرف فى موضع آخر إلا انه لا ينبغى ان

يخرج عما قرأت به القراء لان القراءة سنة، فلا يجوز ان تحمل على ما يجوز فى العربية حتى تنضم اليه الرواية.
معنى قوله «كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا» أى كأن لم يقيموا فيها لانقطاع آثارهم بالهلاک و ما بقى من اخبارهم الدالة على الخزى الذى نزل بهم، يقال غنى بالمكان إذا اقام به و المغانى المنازل قال النابغة: التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 24
غنيت بذلک إذ هم لک جيرة منها بعطف رسالة و تودد «1»
و اصل الغنى الاكتفاء فمنه الغنى بالمال و الغناء الصوت الذى يتغنى به، و الغناء الاكتفاء بحال الشىء و غنى بالمكان إذا اقام به، لاكتفائه بالاقامة فيه، و الغانية الشابة المتزوجة. و (ألا) معناها التنبيه و هى الف استفهام دخلت على (لا) فالالف يقتضى معنى و (لا) ينفى معنى، فاقتضى الكلام بهما معنى التنبيه مع نفى الفعلية.

وَ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69)
آية بلا خلاف.
قرأ حمزة و الكسائى «قال سلم» بكسر السين و سكون اللام من غير الف هنا، و فى الذاريات. قال محمد بن يزيد المبرد (السلام) فى اللغة يحتمل اربعة أشياء، منها مصدر سلمت، و منها جمع سلامة، و منها اسم من اسماء اللّه، و منها اسم شجرة، و منه قول الأخطل:
الإسلام و حرمل و قوله «دار السلام» «2» يحتمل ان يكون مضافاً الى اللَّه تعظيماً لها، و يجوز ان يكون دار السلام من العذاب لمن حصل فيها. و اما انتصاب قوله «سلاماً» فانه لا يحك شيئاً تكلموا به فيحكى كما تحكى الجمل، و لكن هو ما تكلمت به الرسل، كما ان القائل إذا قال لا اله الا اللّه، فقلت له قلت حقاً او قلت اخلاصاً أعملت القول فى المصدر لأنك ذكرت معنى ما قال، فلم يحك نفس الكلام الذى هو جملة يحكى، فكذلك نصب سلاماً هنا، لما كان معنى ما قيل و لم يكن نفس

---

(1) ديوانه: 65 و مجمع البيان 3: 178 و تفسير الطبرى 15: 56، 465.
(2) سورة الانعام 127 و سورة يونس آية 25.

القول بعينه. و قوله «إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً» «1» قال بسيبويه زعم ابو الخطاب: ان مثله يراد به مثل قولك سبحان اللّه الذى، تفسيره براءة اللّه من السوء، و قولك للرجل سلاماً تريد مسلماً منك لا ابتلى بشىء من أمرك. و قوله «سلام» مرفوع، لأنه من جملة الجملة المحكية، و تقديره سلام عليكم فحذف الخبر كما حذف من قوله «فصبر جميل» «2» اى فصبر جميل أمثل او يكون المعنى امرى سلام و شأنى سلام، كما يجوز ان يكون فى قوله «فصبر جميل» المحذوف منه المبتدأ، و مثله على حذف المبتدإ قوله تعالى «فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَ قُلْ سَلامٌ» «3» او حذف الخبر و يكون سلام مبتدأ و اكثر ما يستعمل (سلام) بغير الف و لام لأنه فى معنى الدعاء، فهو مثل قولهم خير بين يديك، فمن ذلك قوله «قالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى» «4» و قوله «سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ» «5» و قوله «سَلامٌ عَلى نُوحٍ» «6» و «سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ» «7» و قوله «سَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى» «8» و قد جاء بالألف و الا قال تعالى «وَ السَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى» «9» و «السَّلامُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدْتُ» «10» و ز ابو الحسن انّ من العرب من يقول: السلام عليكم، و منهم من يقول سلام عليكم فمن ألحق

فيه الالف و اللام حمله على المعهود. و من لم يلحقه حمله على غير المعهود و زعم أن منهم من يقول سلام عليكم بلا تنوين، و حمل ذلک على وجهين:
أحدهما- انه حذف الزيادة من الكلمة كما يحذف الأصل فى نحو لم يک و لا أدر و يوم يأت.

---

(1) سورة الفرقان آية 63.
(2) سورة يوسف آية 18، 83.
(3) سورة الزخرف آية 89. [.....]
(4) سورة مريم آية 47.
(5) سورة الرعد آية 26.
(6) سورة الصافات آية 79.
(7) سورة الصافات آية 109.
(8) سورة النمل آية 59.
(9) سورة طه آية 47.
(10) سورة مريم آية 33.

و الآخر- انه لما كثر استعمال هذه الكلمة، و فيها الالف و الام جاز حذفها منها لكثرة الاستعمال كما حذفوا من اللهم فقالوا: لا هم كما قال الشاعر:
لا هم لا هم ان عامر العجوز قد حبس الخيل على يعمور
و من قرأ (سلم) بلا الف احتمل أمرين: أحدهما- ان يكون بمعنى (سلم) و المعنى أمرنا سلم و سلم عليكم، و يكون سلام بمعنى سلم، كقولهم حل و حلال، و حرم و حرام، انشد القراء:
وقفنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما أكيل بالبرق الغمام اللوائح «1»
و روى كما أنكل. ثم قال الفراء فى رفع سلام انه حين نكرهم، قال هو سلم ان شاء اللّه، من أنتم؟ فعلى هذا القراءتان بمعنى واحد. و الآخر أن يكون (سلم) خلاف العدو، و الحرب. كأنهم لما كفوا عن تناول ما قدم اليهم فنكرهم و أوجس منهم خيفة، قال انا سلم، و لست بحرب و لا عدو، فلا تمتنعوا من تناول طعامى، كما يمتنع من تناول طعام العدو، و قوله «و لقد» دخلت اللام لتأكيد الخبر، كما يؤكد القسم، و معنى (قد) هنا ان السامع لقصص الأنبياء يتوقع قصة بعد قصة، و (قد) للتوقع فجاءت لتؤذن أن السامع فى حال توقع. أخبر اللّه تعالى أنه لما جاءت رسل ابراهيم يبشرونه.
و قيل فى البشارة بما ذا كانت قولان:
أحدهما- قال الحسن كانت بأن اللّه تعالى يهب له إسحاق ولداً و يجعله رسولا الى عباده.

و قال غيره كانت البشارة باهلاک قوم لوط. و قوله «قالَوا سَلاماً» حكاية ما قال رسل اللّه لإبراهيم مجيباً لهم «سلام».

---

(1) تفسير الطبرى 12: 39 و اللسان (سلم) و قد روى ايضاً:
وقفنا فقلنا ايه سلم فسلمت فما كان الا ومؤها بالحواجب

و قوله «فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ» معنى ذلک لم يتوقف حتى جاء- على عادته فى إكرام الأضياف و تقديم الطعام اليهم- بعجل، و هو ولد البقرة يسمى بذلک لتعجيل أمره بقرب ميلاده. و يقال: فيه عجول و جمعه عجاجيل، و «الحنيذ» المشوى و معناه محنوذ، فجاء «فعيل» بمعنى «مفعول» كطبيخ و مطبوخ، و قتيل و مقتول تقول: حنذه حنذاً و يحنذه قال العجاج:

و رهبا من حنذه أن يهجرا «1»

يعنى الحمراء الوحشية أى حنذها حر الشمس على الحجارة. و قال الحسن حنيذ بمعنى نضيج مشوى. و قال ابن عباس و قتادة و مجاهد: نضيج.

و حكى الزجاج أن الحنيذ هو الذى يقطر ماؤه تقول العرب أحنذ هذا الفرس أى جلله حتى يقطر عرقاً.

و انما قدم الطعام اليهم و هم ملائكة لأنه رآهم فى صورة البشر، فظنهم أضيافاً.

و قال الحسن: جاؤوه فاستضافوه، و الا لم يخف عليه أن الملائكة لا يأكلون و لا يشربون. و قوله «أن جاء» فى موضع نصب بوقوع لبث عليه، كأنه قال فما ابطأ عن مجيئه بعجل، فلما حذف حرف الجر نصب.

قال الفراء: و يحتمل «ان جاء بعجل» أن يكون فى موضع رفع بأن تجعل (لبث) فعلا له كأنک قلت فما أبطأ مجيئه بعجل حنيذ، قال الفراء: (الحنيذ) ما حفرت له فى الأرض ثم عممته و هو فعل أهل البادية. قال الفراء و غيره: و انما

---

(1) ديوانه: 9 و مجاز القرآن 1: 292 و تفسير الطبرى 12: 41 و اللسان (حنذ)، (هرج).

خافهم ابراهيم من حيث لم ينالوا طعامه، لان عادة ذلک الوقت إذا قدم الطعام إلى قوم فلا يمسونه ظنوا أنهم أعداء.

فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ (70)
آية بلا خلاف.
قيل فى وجه إتيان الملائكة ابراهيم صلّى اللَّه عليه و سلم فى صورة الأضياف قولان:
أحدهما- قال الحسن أنهم أتوه على الصفة التى كان يحبها، لأنه كان يقرى الضيف.
و الآخر- انهم أروه معجزاً من مقدور اللَّه فى صورتهم مع البشارة له بالولد على الكبر، فأخبر اللَّه تعالى ان ابراهيم لما رآهم ممتنعين من تناول الطعام و ان أيديهم لا تصل اليه، و العقل لم يكن مانعاً من أكل الملائكة الطعام و إنما علم ذلک بالإجماع و بهذه الآية، و الا ما كان يجوز أن يقدم ابراهيم الطعام مع علمه بأنهم ملائكة. و يجوز بان يأكلوه و انما جاز ان يتصور الملائكة فى صورة البشر مع ما فيه من الإيهام لأنهم أتوه به دلالة، و كان فيه مصلحة فجرى مجرى السراب الذى يتخيل انه ماء من غير علم انه ماء.
و قوله «نكرهم» يقال نكرته و أنكرته بمعنى. و قيل نكرته أشد مبالغة و هى لغة هذيل و اهل الحجاز، و أنكرته لغة تميم قال الأعشى فى الجمع بين اللغتين:
و انكرتنى و ما كان الذى نكرت من الحوادث الا الشيب و الصلعا «1»

---

(1) ديوانه: 72 القصيدة 13 و تفسير الطبرى 12: 41 و الاغانى 16: 18، و الصحاح، و التاج و اللسان (نكر) و تفسير القرطبى 9، 66. و مجمع البيان 3: 177 و تفسير الشوكانى 2: 486.

و قال ابو ذؤيب:
فنكرته فنفرن و افترست به هو جاء هاربة و هاد خرسع «1»
و قوله «أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً» اى أضمر الخوف منهم، و الإيجاس الاحساس قال ذو الرمة:
و قد توجس ركزاً مغفراً ندساً بنبأة الصوت ما فى سمعه كذب «2»
اى تجسيس. و قيل أوجس أضمر، و انما خافهم حين لم ينالوا من طعامه لأنه رآهم شباباً أقوياء و كان ينزل طرفاً من البلد لم يأمن- من حيث لم يتحرموا بطعامه ان يكون ذلک البلاء حتى قالوا له لا تخف يا ابراهيم «إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ» بالعذاب و الإهلاک و قيل انهم دعوا اللَّه فأحيا العجل الذى كان ذبحه ابراهيم و شواه فظهر و رعى، فعلم حينئذ انهم رسل اللَّه.

وَ امْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ (71)
آية بلا خلاف قرأ ابن عباس و حمزة و حفص و يعقوب (فبشرناها) بنصب الباء. الباقون بالرفع. قال ابو على من رفع فباحد أمرين: أحدها بالابتداء، و الآخر بالظرف على مذهب من رفع و ذلک بين. و من فتح احتمل ثلاثة أشياء:
أحدها- ان يكون فى موضع جر و المعنى فبشرناها بإسحاق و يعقوب، و قال ابو الحسن: و هو قوى فى المعنى، لأنها قد بشرت به قال و فى أعمالها ضعف، لأنک فصلت بين الجار و المجرور بالظرف كما لا يجوز مررت بزيد فى الدار و البيت

---

(1) مجمع البيان 3: 178
(2) مجمع البيان 3: 178

عمرو. و قال الرمانى لا يجوز ذلک لأنه يجب منه العطف على عاملين، و ذلک لا يجوز، لأنه أضعف من العامل الذى قام مقامه و هو لا يجر و لا ينصب.
الثانى- بحمله على موضع الجار و المجرور كقول الشاعر:
إذا ما تلاقينا من اليوم او غدا «1»
و كقراءة من قرأ «حورا عينا» بعد قوله «يطاف عليهم» بكذا «2» و مثله قوله:
فلسنا بالجبال و لا الحديدا «3»
و كقول الشاعر:
جئنى بمثل بنى بدر لقومهم او مثل اسرة منظور بن سيار
او عامر بن طفيل فى مراكبه او حارثاً حين نادى القوم يا جار «4»
فنصب (عامراً) و (حارثاً) كأنه قال او جئنى بعامر فلما اسقط حرف الجر نصب.
الثالث- أن تحمله على فعل مضمر، كأنه قال فبشرناه بإسحاق، و وهبنا له يعقوب.
قال ابو على الفارسى: و الوجه الاول نص سيبويه فى فتح مثله نحو مررت بزيد أول أمس و أمس عمرو، و كذلک قال ابو الحسن قال: لو قلت مررت بزيد اليوم و أمس عمرو، كان حسناً و لم يحسن الحمل على الموضع على حد مر رب بزيد و عمراً، فالفصل فيها ايضا قبيح كما قبح الحمل على الجار و غير الجار، فهذا فى القياس مثل الجار فى القبح لأن الفعل يصل بحرف

العطف و حرف العطف هو الذى يشرک فى الفعل، و به يصل

---

(1) لم أجده
(2) سورة الصافات آية 45 و سورة الزخرف آية 71 و سورة الدهر آية 15 [.....]
(3) مر هذا البيت فى 3: 455 تاما
(4) تفسير الطبرى 12: 43 (الطبعة الاولى)

الفعل الى المفعول به، كما يصل الجار فإذا قبح الأمران وجب أن تحمل قراءة من قرأ بالنصب على تقدير فعل آخر مضمر يدل عليه (بشرنا).
و قيل فى معنى قوله «وَ امْرَأَتُهُ قائِمَةٌ» ثلاثة أوجه:
أحدها- انها كانت قائمة بحيث ترى الملائكة فضحكت سروراً بالسلامة و أردف ذلک السرور بما كان من البشارة.
و الثانى- انها كانت قائمة من وراء الستر تستمع الى الرسل.
و الثالث- انها كانت قائمة تخدم الأضياف و ابراهيم جالس.
و قال مجاهد: معنى فضحكت حاضت، قال الفراء: لم أسمع ذلک من ثقة وجدته كتابة قال الكميت.
و أضحكت السباع سيوف سعد لقتلى ما دفن و لا ودينا «1»
يعنى بالحيض و قالوا لحرب بن كعب: تقول ضحكت النخلة إذا أخرجت الطلع و البسر، و قالوا الضحک الطلع و سمع من يحكى أضحكت حوضک إذا ملأته حتى فاض، و انشد بعضهم فى الضحک بمعنى الحيض قول الشاعر:
و ضحک الأرانب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا «2»
و قال قوم: الضحک العجب و انشد لابى ذؤيب.
فجاء بمزج لم يرَ الناس مثله هو الضحک إلا انه عمل النحل «3»
و قيل فى معنى «ضحكت» ثلاثة اقوال:

---

(1) تفسير الطبرى 12: 42 و مجمع البيان 3: 180.
(2) مجمع البيان 3: 180 و تفسير القرطبى 8: 66 و الطبرى 12: 42 و الشوكانى 2: 486.
(3) تفسير القرطبى 8: 67 و الطبرى 12: 543.

أحدها- انها ضحكت تعجباً من حال الأضياف فى امتناعهم من أكل الطعام مع أن ابراهيم و زوجته سارة يخدمانهم.
و ثانيها- قال قتادة: ضحكت تعجباً من حال قوم لوط أتاهم العذاب و هم فى غفلة.
و ثالثها- قال وهب بن منية: انها ضحكت تعجباً من ان يكون لهما ولد، و قد

هرما، فعلى هذا يكون فى الكلام تقديم و تأخير، كأنه قال فبشرناها بإسحاق فضحكت بعد البشارة.
قوله «فبشرناها» يعنى امرأة ابراهيم سارة بإسحاق انها تلده و من بعد إسحاق يعقوب من ولده فبشرت بنى بين نبيين، و هو إسحاق أبوه نبى و ابنه نبى.
و قال الزجاج: انما ضحكت لأنها كانت قالت لإبراهيم اضمم لوطاً ابن أخيک اليک فانى أعلم ان سينزل على هؤلاء القوم عذاب فضحكت سروراً لما اتى الأمر على ما توهمت.
و قال ابن عباس و الشعبى و الزجاج يقال لولد الولد هذا ابنى من ورائى هو ابن ابنى.

قالَتْ يا وَيْلَتى أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هذا بَعْلِى شَيْخاً إِنَّ هذا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ (72)
آية بلا خلاف.
فى هذه الآية اخبار عما قالت امرأة ابراهيم حين بشرت بأنها تلد إسحاق و هو ان قالت يا ويلتى. و معنى يا ويلتى الانذار بورود الأمر الفظيع تقول العرب يا للدواهى اى تعالى فانه من ازمانک بحضور ما حضر من اشکالک.
و الف (يا ويلتى) يجوز ان يكون الف ندبة. و يحتمل ان يكون للاضافة انقلبت من الياء التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 33
و كان هذا القول من امرأة ابراهيم على وجه التعجب بطبع البشرية، إذ ورد عليها ما لم تجربه العادة قبل ان تفكر فى ذلک كما ولىّ موسى مدبراً حين انقلبت العصا حية حتى قيل له «أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ» «1» و إلا هى كانت مؤمنة عارفة بأن اللَّه تعالى يقدر على ذلک.
قال الرمانى: و السبب فى ان العجوز لا تلد أن الماء- الذى يخلق اللَّه (عز و جل) منه الولد مع نطفة الرجل- قد انقطع بدلالة ارتفاع الحيض، فجعل اللَّه الولد على تلک الحال معجزاً لنبيه ابراهيم (ع).
و قال مجاهد: كان لإبراهيم فى ذلک مائة سنة و لها تسع و تسعون سنة.
و قال ابن إسحاق: كان لإبراهيم مائة و عشرون سنة، و لسارة تسعون سنة.
و البعل الزوج، و أصله القائم بالأمر، فيقولون للنخل الذى يستغنى بماء السماء عن سقى الأنهار و العيون: بعل، لأنه قائم بالأمر فى استغنائه عن تكلف السقى له، و مالک الشىء القيم بتدبيره: بعل، و منه قوله تعالى «أَ تَدْعُونَ بَعْلًا وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخالِقِينَ» «2».
و (شيخاً) نصب على الحال، و العامل فيه ما فى هذا من معنى الاشارة أو التنبيه. و فى قراءة ابن مسعود بالرفع. و يحتمل الرفع فى قوله سيبويه و الخليل أربعة أوجه، فيرفع (هذا) بالابتداء، و (بعلى) خبره، و (شيخ) خبر ثانى، كأنه قال هذا شيخ، و يجوز ان يكونا خبرين لهذا، كقولک هذا حلو حامض، و يجوز ان يكون (بعلى) بدلًا من (هذا) و بياناً له و (شيخ) خبره.
و قوله «إِنَّ هذا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ» ان يكون الولد بين عجوزين شيخين شىء يتعجب منه.

---

(1) سورة القصص آية 31.
(2) سورة الصافات آية 125.

قالُوا أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73)
آية بلا خلاف.
فى هذه الآية حكاية عما قالت الملائكة لامرأة ابراهيم حين تعجبت من ان تلد بعد الكبر، فإنهم قالوا لها «أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» و هذه الألف للاستفهام و معناها هاهنا التنبيه، و ليست الف انكار، و انما هى تنبيه و توقيف. و العجب يجرى على المصدر و على المتعجب منه كقولك: هذا أمر عجب، و لا يجوز العجب من أمر اللّه، لأنه يجب ان يعلم انه قادر على كل شىء من الأجناس، لا يعجزه شىء، و ما عرف سببه لا يعجب منه.
و قوله «رَحْمَتُ اللَّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ» يحتمل معنيين:
أحدهما- الدعاء لهم بالرحمة و البركة.
الثانى- التذكير بنعمة اللّه و بركاته عليهم، و الإخبار لهم بذلك.
و قوله «اهل البيت» يدل على ان زوجة الرجل تكون من أهل بيته فى- قول الجبائى- و قال غيره إنما جعل سارة من أهل البيت لما كانت بنت، عمه على ما قاله المفسرون.
و قوله «إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» معناه مستحمد الى عباده. و قال ابو على: يحمد المؤمنين من عباده، و المجيد الكريم- فى قول الحسن- يقال: مجد الرجل يمجد مجداً إذا كرم قال الشاعر:
رفعت مجد تميم باهلال لها رفع الطراف على العلياء بالعمد «1»

---

(1) لم أجده فى ما حضرنى من المصادر.

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَ جاءَتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِى قَوْمِ لُوطٍ (74)
آية فى الكوفى و المدنى.
أخبر اللَّه تعالى انه حين ذهب عن ابراهيم الروع، و هو الافزاع، يقال: راعه يروعه روعاً إذا افزعه قال عنترة:
ما راعنى الا حمولة أهلها وسط الديار تسف حب الخمخم «1»
أى ما افزعنى، و ارتياع ارتياعاً إذا خاف. و (الروع) بضم الراء النفس، يقال ألقى فى روعى، و هو موضع المخافة و «جاءَتْهُ الْبُشْرى» يعنى بالولد «يجادلنا» و تقديره جعل يجادلنا، فجواب (لما) محذوف لدلالة الكلام عليه، لان (لما) تقتضيه، و الفعل خلف منه. و قال الأخفش (يجادلنا) بمعنى جادلنا.
و قال الزجاج: يجوز ان يكون ذلک حكاية حال قد جرت، و الا فالجيد ان تقول: لما قام قمت، و لما جاء جئت. و يضعف ان تقول: لما قام أقوم، و التقدير فى الآية لما ذهب عن ابراهيم الروع و جاءته البشرى اقبل يجادلنا، و أخذ يجادلنا.
و قوله «يجادلنا» يحتمل معنيين أحدهما يجادل رسلنا من الملائكة- فى قول الحسن- الثانى- يسألنا فى قوم لوط. و المعنى انه سأل اللَّه، إلا انه استغنى بلفظ (يجادلنا) لأنه حرص فى السؤال حرص المجادل.
و قيل فى ما به جادل ثلاثة اقوال:
أحدها- قال الحسن: انه جادل الملائكة بأن قال لهم: «إِنَّ فِيها لُوطاً» «2» كيف تهلكونهم، فقالت له الملائكة «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ» «3».

---

(1) ديوانه (دار بيروت): 17 و المعلقات العشر: 124 و تفسير الطبرى 15: 401.
(2، 3) سورة العنكبوت آية 32.

الثانى- قال قتادة انه سألهم: أ تعذبون خمسين من المؤمنين ان كانوا؟ قالوا:
لا، ثم نزل الى عشرة فقالوا: لا.
الثالث- قال ابو على: جادلهم ليعلم بأى شىء استحقوا عذاب الاستئصال و هل ذلک واقع بهم لا محالة أم على سبيل الاخافة؟ ليرجعوا الى الطاعة.

إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75)
آية فى الكوفية و المدنى هذا آخر الآية مع الاولى فى البصرى.
هذا إخبار من اللّه تعالى عن حال ابراهيم، وصفه بانه كان اوّاها. و قيل فى معناه ثلاثة اقوال:
أحدها- قال الحسن: الاوّاه الرحيم. و قال مجاهد هو الرّجاع، و قال الفراء: هو كثير الدعاء.
و قال قوم: هو المتأوه. و قال قوم: هو الرّجاع المتأوه خوفاً من العقاب، و لمثل ذلک حصل له الامان لتمكن الأسباب الصارفة عن العصيان. و (الحليم) هو الذى يمهل صاحب الذنب، فلا يعاجله بالعقوبة.
و قيل: كان ابراهيم ذا احتمال لمن آذاه و خنى عليه لا يتسرع الى المكافأة، و ان قوى عليه. و الاناة السكون عند الحال المزعجة عن المبادرة، و كذلک التأنى: التسكن عند الحال المزعجة من الغضب، و يوصف اللّه تعالى بانه حليم من حيث لا يعاجل العصاة بالعقاب الذى يستحقونه لعلمه بما فى العجلة من صفة النقص.
و (المنيب) هو الراجع الى الطاعة عند الحال الصارفة، و منه قوله «وَ أَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ» «1» و التوبة الانابة، لأنها رجوع الى حال الطاعة، و كون ابراهيم منيباً

---

(1) سورة الزمر آية 54.

الى طاعة اللّه لا يدل على انه كان عاصياً قبل ذلک، بل انه يفيد أنه كان يرجع الى طاعته فى المستقبل، و ان كان على طاعته أيضاً فيما مضى، و قال ابو على: كان يرجع الى اللّه فى جميع أموره و يتوكل عليه.

يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هذا إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّکَ وَ إِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76)
آية.
فى هذه الآية حكاية ما قالت الملائكة لإبراهيم (ع) فإنها نادته بأن قالت «يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هذا» القول. و الاعراض الذهاب عن الشىء فى جهة العرض، و يكون انصرافاً عنه بالوجه و التفكر.
و الاشارة بقوله «عن هذا» الى الجدال، و تقديره يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال فى قوم لوط، لان العذاب نازل بهم لا محالة.
و قوله «جاءَ أَمْرُ رَبِّکَ» يحتمل أمرين: أحدهما- جاء أمره لنا بالعذاب.
و الثانى- جاء إهلاكه لهم بما لا مردّ له.
و قوله «غير مردود» اى غير مدفوع، و الرد اذهاب الشىء الى حيث جاء منه، تقول ردّه يرده رداً، فهو راد و الشىء مردود و الرد و الدفع واحد، و نقيضه الأخذ. و الفرق بين الدفع و الرد، ان الدفع قد يكون الى جهة القدام و الخلف، و الرد لا يكون إلا الى جهة الخلف.

وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قالَ هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 38

فى هذه الآية إخبار من اللّه تعالى أنه لما جاءت رسله لوطاً سىء بهم، معناه ساءه مجيؤهم، و أصله سوئ بهم فنقلت حركة الواو الى السين، و قلبت همزة، و الضمير فى (بهم) عائد الى الرسل، و يجوز تخفيف الهمزة بإلقاء الحركة على ما قبلها، و منهم من يشدد على الشذوذ.

و قوله «وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً» قال ابن عباس ساء بقومه «وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً» أى باضيافه، و انه لما رأى لهم من جمال الصورة، و قد دعوه إلى الضيافة، و قومه كانوا يسارعون الى أمثالهم بالفاحشة، فضاق بهم ذرعاً، لهذه العلة.

و المعنى انه ضاق بهم ذرعه: ضاق بأمره ذرعاً إذ لم يجد من المكروه مخلصاً.

و قوله «ضاق» بحفظهم من قومه ذرعه. حيث لم يجد سبيلًا الى حفظهم من فجّار قومه.

و الفرق بين السوء و القبيح ان السوء ما يظهر مكروهه لصاحبه، و القبيح ما ليس للقادر عليه ان يفعله.

و قوله «وَ قالَ هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ» حكاية ما قاله لوط فى ذلك الوقت بأن هذا يوم شديد الشر، لان العصيب الشديد فى الشر خاصة، كأنه التف على الناس بالشر او يكون التف شره بعضه على بعض يقال يوم عصيب، قال عدى بن زيد:

و كنت لزاز قومک لم اعرد و قد سلوک فى يوم عصيب «1»

و قال الراجز:

---

(1) تفسير الطبرى 15: 409 و الاغانى (دار الثقافة) 2: 93 و مجاز القرآن 1: 294 و قد روى (خصمک) بدل (قومک) و البيت من قصيدة قالها و هو فى حبس النعمان بن المنذر. و (اللزاز) هو شدة الخصومة. و معنى (لم اعرد) لم احجم، و لم انكص.

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 39

يوم عصيب يعصب الأبطالا عصب القوى السلم الطوالا «1»

و قال آخر:

فإنک إن لا ترض بكر بن وائل يكن لک يوم بالعراق عصيب «2»

و قال كعب بن جعيل:

و يلبون بالخضيض قيام عارفات منه بيوم عصيب «3»

وَ جاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَ مِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ قالَ يا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِی هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ لا تُخْزُونِ فِی ضَيْفِی أَ لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78)

اخبر اللَّه تعالى عن قوم لوط أنهم حين أحسوا بمن نزل بلوط، و ظنوهم أضيافه جاءوا لوطاً «يهرعون» أى يسرعون، و الاسراع: الاهراع فى الشیء- فى قول مجاهد، و قتادة، و السدى- و انما أهرعوا لطلب الفاحشة، لما أعلمتهم عجوز السوء: امرأة لوط بمكان الأضياف، فقالت ما رأيت احسن وجوهاً، و لا أطيب ريحاً، و لا انطق لساناً و ثنايا منهم. و قال الشاعر:

بمعجلات نحوه مهارع «4»

---

(1) تفسير الطبرى 15: 410 و مجاز القرآن 1: 294 و روح المعانى 12: 95 و لم يعرف قائله.

(2) تفسير الطبرى 15: 410 و مجاز القرآن 1: 294. [.....]

(3) تفسير الطبرى 15: 410 و مجاز القرآن 1: 294 و روايته (فئام).

(4) تفسير الطبرى 15: 412 و مجاز القرآن 1: 294.

و قال مهلهل:

فجاءوا يهرعون و هم أسارى نقودهم على رغم الأنوف «1»

و قوله «وَ مِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ» و هى إتيان الذكور فى الأدبار، و معناه انهم كانوا قبل هذا المجىء يعملون ذلک. و قيل من قبل ألفوا الفاحشة، فجاهروا بها، و لم يستحيوا منها و قوله «قالَ يا قَوْمِ» يعنى لوطاً لما رآهم هموا باضيافه عرض عليهم النكاح المباح، و أشار الى نساء فقال «هؤُلاءِ بَناتِی هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ» قال قتادة. كنّ بناته لصلبه. و قال مجاهد كنّ بنات امّته فكنّ كالبنات له، فان كل نبىّ ابو أمّته و أزواجه أمهاتهم و هو أب لهم.

و قوله «فَاتَّقُوا اللَّهَ» امر من لوط لهم بتقوى معاصى اللَّه و أن لا يفضحوه فى أضيافه. و قوله «أَ لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ» خرج مخرج الإنكار عليهم و ان كان لفظه لفظ الاستفهام. و الرشيد هو الذى يعمل بما يقتضيه عقله، لأنه يدعو الى الحق، و منه الإرشاد فى الطرق، فقال: أما منكم من يدعو الى الحق و يعمل به.

و نقيض الرشد الغى.

و لا يجوز نصب (أطهر) فى- قول سيبويه و اكثر النحويين- لأن الفصل إنما يدخله مع الخبر ليؤذن بأنه معتمد الفائدة دون ما هو زائد فى الفائدة، او

على معنى الصفة، فلهذا لم يخبر فى الحال. و أجمعوا على انه لا يجوز (قدم زيد هو ابنک) الا بالرفع. و من اجازه فإنما يجيزه مع المبهم من (هذا) و نحوه تشبيهاً بخبر (كان). و قرأ الحسن و عيسى بن عمرو بالنصب.
و قيل فى وجه عرض المسلمة على الكفار قولان:
قال الحسن: ان ذلک كان جائزاً فى شرع لوط، و فى صدر الإسلام أيضاً،

---

(1) اللسان (هرع) و تفسير الطبرى 15: 412 و تفسير روح المعانى 12: 95، و غيرها.

و لذلک
زوج النبى صلى اللّه عليه و سلم بنته بابى العاص قبل أن يسلم.
ثم نسخ بقوله «وَ لا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا» «1».
و الثانى- قال الزجاج إن ذلک عرض بشرط ان يؤمنوا، على ما هو شرط النكاح الصحيح.
و الضيف يقع على الواحد و الاثنين و الجماعة.

قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِی بَناتِکَ مِنْ حَقٍّ وَ إِنَّکَ لَتَعْلَمُ ما نُرِیدُ (79)
آیة بلا خلاف.
هذا حکایة ما أجاب به قوم لوط حین عرض علیهم بناته و نهاهم عن الفواحش، و دعاهم الی النکاح المباح، بأن قالوا «ما لَنا فِی بَناتِکَ مِنْ حَقٍّ»
و قیل فی معناه قولان:
قال ابن إسحاق و الجبائی: معناه انهنّ لسن لنا بازواج.
و الآخر- اننا لیس لنا فی بناتک من حاجة، فجعلوا تناول ما لیس لهم فیه حاجة بمنزلة ما لا حق لهم فیه. فمن قال بالأول ردّه علی ظاهر اللفظ. و من قال بالثانی حمله علی المعنی. و قوله «وَ إِنَّکَ لَتَعْلَمُ ما نُرِیدُ» تمام حکایة ما قالوه للوط، کأنهم قالوا له انک تعلم مرادنا من إتیان الذکران دون الإناث.

قالَ لَوْ أَنَّ لِی بِکُمْ قُوَّةً أَوْ آوِی إِلی رُکْنٍ شَدِیدٍ (80)
آیة بلا خلاف.
هذه حکایة ما قال لوط عند إیاسه من قبول قومه، بأنه قال «لَوْ أَنَّ لِی بِکُمْ قُوَّةً»

---

(1) سورة البقرة آیة 221.

و معناه انی لو قدرت علی دفعکم و قویت علی منعکم من اضیافی لحلت بینکم و بین ما جئتم له من الفساد، و حذف لدلالة الکلام علیه.
و قوله «أَوْ آوِی إِلی رُکْنٍ شَدِیدٍ» معناه لو کان لی من استعین به فی دفاعکم.
و قیل معناه لو کان لی عشیرة، قال الراجز:
یأوی الی رکن من الأرکان فی عدد طیس و مجد بان «1»
و الرکن معتمد البناء بعد الأساس، و رکنا الجبل جانباه. و إنما قال هذا القول مع انه کان یأوی الی اللّه تعالی، لأنه انما أراد العدة من الرجال، و إلا، فله رکن وثیق من معونة اللّه و نصره، إلا انه لا یصح التکلیف إلا مع التمکین.
و القوة القدرة التی یصح بها الفعل، و یقال للعدة من السلاح قوة، کقوله «وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» «2» و الشدة بجمع یصعب معه التفکک، و قد یکون بعقد یصعب معه التحلل.

قوله تعالى:[سورة هود (11): آية 81] ..... ص : 42

اشارة

قالُوا يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّکَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْکَ فَأَسْرِ بِأَهْلِکَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَکَ إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81)
آية بلا خلاف.

قرأ أهل الحجاز (فاسر) بوصل الهمزة من سريت. الباقون بقطعها. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو «إلا امرأتک» بالرفع. الباقون بالنصب.

_____

(1) مجاز القرآن 1: 294 و تفسير الطبرى 15: 422 و معنى (عدد طيس) عدد كثير.
(2) سورة الانفال آية 61.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 43
فحجة من قرأ بقطع الهمزة قوله تعالى «سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ» «1» و من وصل الهمزة فالمعنى واحد.

يقال اسرى يسرى و سرى يسرى، فهو سار لغتان بمعنى واحد. و الاسراء: سير الليل قال امرؤ القيس:
سريت بهم حتى تكلّ مطيهم و حتى الجياد ما يقدن بأرسان «2»
و قال النابغة:
أسرت عليه من الجوزاء سارية تزجى الشمال عليه جامد البرد «3»
اخبر اللّه تعالى عما قالت الملائكة رسله للوط حين رأته كئيباً بسببهم «إِنَّا رُسُلُ رَبِّکَ» بعثنا اللّه لإهلاک قومک، فلا تغتم، فإنهم لا ينالونک بسوء «فَأَسْرِ بِأَهْلِکَ» اى امض و معک أهلک بالليل.
و قوله «بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ» و القطع القطعة العظيمة تمضى من الليل. و قال ابن عباس: طائفة من الليل. و قيل هو نصف الليل كأنه قطع نصفين، ذكره الجبائى و قيل معناه فى ظلمة الليل.
و قوله «وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال مجاهد لا ينظر احد وراءه، كأنهم تعبدوا بذلک للنجاة بالطاعة فى هذه العبادة.
و الآخر- قال أبو على لا يلتفت منكم احد الى ماله و لا متاعه بالمدينة، و ليس

---

(1) سورة الإسراء آية 1.
(2) ديوانه: 210 و روايته (مطوت) بدل (سريت) و المعنى واحد لأن المطو: هو امتداد السير. و (مطيهم) ما يركبونه من خيل او جمال. و الأرسان هى الحبال التى يقودون الخيل بها.
(3) ديوانه 31 و مجمع البيان 3: 182.

المعنى لا يلتفت من الرؤية، كأنه أراد ان فى الرؤية عبرة، فلم ينهوا عنها و انما نهوا عما يفترهم عن الجد فى الخروج من المدينة.
و من رفع (امرأتک) جعله بدلًا من قوله «وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ» و من نصبه جعله استثناء من قوله «فَأَسْرِ بِأَهْلِکَ» كأنه قال فأسر بأهلک إلا امرأتک، و زعموا ان فى مصحف عبد اللّه و أبى «فأسر بأهلک بقطع من الليل إلا امرأتک»، و ليس فيه «وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ» و جاز النصب على ضعفه. و الرفع الوجه. و قيل ان لوطاً لما عرف الملائكة اذن لقومه فى الدخول الى منزله، فلما دخلوه طمس جبرائيل (ع) أعينهم فعميت- هكذا ذكره قتادة- و على أيديهم، فجفت حكاه الجبائى.
و قوله «إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ» معناه إن موعد إهلاكهم

عند الصبح. و إنما قال «أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ»، لأنه لما اقتضى عظيم ما قصدوا له- من الفحش- إهلاكهم، فقالت الملائكة هذا القول تسلية له.
و قيل انه قال لهم اهلكوهم الساعة، فقالت الملائكة له ان وقت إهلاكهم الصبح «أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ».

فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (82) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّکَ وَ ما هِیَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (83)
آيتان تمام الآية الاولى فى المدنى قوله «سجيل» و عند الباقين قوله «منضود».
قيل فى قوله «فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا» ثلاثة أقوال.
أحدها- جاء أمرنا الملائكة باهلاک قوم لوط. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 45
الثانى- جاء أمرنا يعنى العذاب، كأنه قيل (كن) على التعظيم و طريق المجاز، كما قال الشاعر:
فقالت له العينان سمعاً و طاعة و حدرتا كالدر لما يثقب «1»
و الثالث- ان يكون الأمر نفس الإهلاک، كما يقال: لأمر ما، أى لشىء ما و قال الرمانى: انما قال أمرنا بالاضافة و لم يجز مثله فى شىء، لان فى الأمر معنى التعظيم، فمن ذلک الأمر خلاف النهى، و من ذلک الامارة، و التأمر.
و قوله «جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها» معناه قلبنا القرية أسفلها أعلاها «وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها» يعنى أرسلنا على القرية حجارة بدل المطر حتى أهلكتهم عن آخرهم.
و الأمطار إحدار المطر من السماء.
و قوله «من سجيل» قيل فى معنى سجيل ثمانية أقوال:
أحدها- انها حجارة صلبة ليست من جنس حجارة الثلج و البرد. و قيل هو فارسى معرب (سنگ، و گل) ذكره ابن عباس و قتادة و مجاهد و سعيد بن جبير.
و الثانى- قال الفراء من طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الآجر، و يقويه قوله «لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ» «2». و قال ابو عبيدة انها شديدة من الحجارة و انشد لابن مقبل:
ضرباً تواصى به الابطال سجيناً «3» إلا ان النون قبلت لاماً.
الثالث- من مثل السجيل فى الإرسال، و السجيل الدلو، و قال الفضل ابن العباس:
من يساجلنى يساجل ماجداً يملأ الدلو الى عقد الكرب «4»

---

(1) مر تخريجه فى 1: 431 و هو فى مجمع البيان 3. 185.
(2) سورة الذاريات آية 33.
(3) مجمع البيان 3. 183 و مجاز القرآن 1. 296 و اللسان (سجل)،

(سجن) و تفسير الطبرى 15. 434.
(4) تفسير الطبرى 15. 435

الرابع- من اسجلته أذا أرسلته، فكأنه مثل ما يرسل فى سرعة الإرسال.
الخامس- من اسجلته إذا أعطيته، فتقديره مرسل من العطية فى الإدرار.
السادس- من السجلّ و هو الكتاب، فتقديره من مكتوب الحجارة، و منه قوله «كَلَّا إِنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ وَ ما أَدْراكَ ما سِجِّينٌ كِتابٌ مَرْقُومٌ» «1» و هى حجارة كتب اللّه ان يعذبهم بها، اختاره الزجاج.
السابع- من سجين اى من جهنم ثم ابتدلت النون لاماً.
الثامن- قال ابن زيد من السماء الدنيا، و هى تسمى سجيلًا.
و معنى «منضود» قيل فيه قولان:
أحدهما- قال الربيع نضد بعضه على بعض حتى صار حجراً، و قال قتادة مصفوف فى تتابع، و هو من صفة سجيل، فلذلك جره.
و قوله «مسومة» يعنى معلمة، و ذلك انه جعل فيها علامات تدل على انها معدة للعذاب، فاهلكوا بها، قال قتادة: كانوا أربعة آلاف الف. و قيل:
كانت مخططة بسواد و حمرة ذكره الفراء فتلك تعليمها، و نصب (مسومة) على الحال من الحجارة.
و قوله «عند ربك» معناه فى خزائنه التى لا يتصرف فى شىء منها إلا باذنه، فإذا أمر الملك ان يمطرها على قوم فعل ذلك باذنه. و اصل المسوّمة من السيماء، و هى العلامة، و ذلك ان الإبل السائمة تختلط فى المرعى، فيجعل عليها السيماء لتمييزها.
و قوله «وَ ما هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ان مثل ذلك ليس ببعيد من ظالمى قومك يا محمد أراد به اذهاب قريش، و قال ابو على ذلك لا يكون إلا فى زمان نبى أو عند القيامة، لأنه معجز.
و الثانى- قال «وَ ما هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ» يعنى من قوم لوط انها لم تكن تخطيهم. و قال مجاهد: إن جبرائيل (ع) ادخل جناحه تحت الأرض السفلى من قوم

---

(1) سورة المطففين آية 7- 9. [.....]

لوط ثم أخذهم بالجناح الأيمن فاخذهم مع سرحهم و مواشيهم. ثم رفعها الى سماء الدنيا حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم. ثم قلبها، فكان أول ما سقط منها شرافها، فذلك قول اللّه تعالى «فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها» قال السدى و هو قوله «وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوى» «1» و إنما أمطر اللّه عليهم الحجارة بعد أن قبلت قريتهم تغليظاً للعذاب و تعظيماً له، و قيل قتل بها

من كان بقى حياً، و قرية قوم لوط يقال لها:
سدوم، بين المدينة و الشام. و قيل إن إبراهيم (ع) كان يشرف عليها فيقول:
سدوم يوم مالک.

وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ وَ لا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَ الْمِيزانَ إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ وَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (84)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى انه أرسل شعيباً- أخا مدين- اليهم نبياً، و انما سمى شعيباً أخاهم، لأنه كان من نسبهم. و قيل: انهم من ولد مدين بن ابراهيم. و قيل ان مدين اسم القبيلة او المدينة التى كانوا فيها- فى قول الزجاج- فعلى هذا يكون التقدير، و الى أهل مدين أخاهم كما قال «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» فقال لهم شعيب:

يا قوم اعبدوا اللَّه وحده لا شريک له، فانه ليس لكم إله يستحق العبادة سواه، و نهاهم ان يبخسوا الناس فيما يكيلوا به لهم و يزينونه لهم، و قال لهم إنى أراكم بخير، يعنى برخص السعر، و حذرهم الغلاء- فى قول ابن عباس و الحسن- و قال قتادة و ابن زيد: أراد بالخير زينة الدنيا و المال. و قال لهم «إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ» يعنى يوم القيامة، لأنه يحيط عذابه بجميع الكفار فى قول الجبائى، فوصف اليوم بالاحاطة، و هو من نعت العذاب فى الحقيقة، لأن اليوم

---

(1) سورة النجم آية 53.

محيط بعذابه بدلًا من إحاطته بنعيمه، و ذلک أظهر فى الوصف و أهول فى النفس.

و النقصان أخذ الشىء عن المقدار و الزيادة ضم الشىء الى المقدار، و كله خروج عن المقدار أو نقصه عنه. و الوزن تعديل الشىء بغيره فى الخفة و الثقل بآلة التعديل، و إذا قيل شعر موزون معناه معدل بالعروض.

قوله تعالى:[سورة هود (11): آية 85] ..... ص : 48

اشارة

وَ يا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (85)
آية بلا خلاف.
و هذا أيضاً حكاية ما قال شعيب لقومه، و إنه أمرهم ان يوفوا المكيال و الميزان بالقسط يعنى بالعدل و السوية، «وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ» أى لا تنقصوهم «وَ لا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» أى لا تضطربوا بالقبيح.

يقال عثى يعثى عثاء، و عاث يعيث عيثاً، بمعنى واحد، و الوفاء تمام الحق.
و الوفاء به إتمامه يقال: و فى يفى و أوفى لغتان، و نقيض الوفاء البخس. و الفرق بين البخس و الظلم أن الظلم أعم، لأن البخس نقصان الحق اللازم، و قد يكون الظلم الألم بغير حق.

بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (86)
آية.
البقية تركه شىء من شىء قد مضى، و المعنى بقية اللَّه من نعمه. و قيل «بقية الله» طاعة اللَّه- فى قول الحسن و مجاهد- لأنه يبقى ثوابها أبداً، و كانت هذه البقية خيراً من تعجيلهم النفع بالبخس فى المكيال و الميزان، و انما شرط أنه خير بالايمان فى قوله «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» و هو خير على كل حال، لأنهم إن كانوا مؤمنين باللّه التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 49
عرفوا صحته. و وجه آخر- ان المراد «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» فهو ثابت.
و قوله «وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ» معناه هاهنا ان هذه النعمة التى أنعمها اللَّه عليكم لست أقدر على حفظها عليكم. و إنما يحفظها اللَّه عليكم. إذا أطعتموه، فان عصيتموه أزالها عنكم.
و قال قوم «وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ» احفظ عليكم كيلكم و وزنكم حتى توفوا الناس حقوقهم، و لا تظلموهم، و إنما على ان أنهاكم عنه.

قالُوا يا شُعَيْبُ أَ صَلاتُکَ تَأْمُرُکَ أَنْ نَتْرُکَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِی أَمْوالِنا ما نَشؤُا إِنَّکَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87)
آية بلا خلاف.
قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «أ صلاتک» على التوحيد. الباقون على الجمع.
هذا حكاية ما قال قوم شعيب له (ع) حين نهاهم عن بخس المكيال و الميزان و أمرهم بايفاء الحقوق «يا شُعَيْبُ أَ صَلاتُکَ تَأْمُرُکَ» بهذا، قال الحسن و أرادوا بالصلاة الدين أى أدينک. و قال الجبائى يريدون ما كانوا يرونه من صلاته للّه و عبادته إياه، و انما أضاف ذلک الى الصلاة، لأنها بمنزلة الامر بالخير، و التناهى عن المنكر، و قيل أدينک، على ما حكيناه عن الحسن.
و قوله «أَنْ نَتْرُکَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا» كرهوا الانتقال عن دين آبائهم و دخلت عليهم شبهة بذلک، لأنهم كانوا يعظمون آباءهم و ينزهونهم عن الغلط فى الأمر، فقالوا لو لم يكن صواباً ما فعلوه، و ان خفى عنا وجهه. و قوله «إِنَّکَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ» قيل فى معناه قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 50
أحدهما- أنهم قالوا ذلک على وجه الاستهزاء- فى قول الحسن و ابن جريج و ابن زيد. و الآخر- أنهم أرادوا «لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ» عند قومک، فلا يليق هذا الأمر بک، و قال المؤرج «الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ» معناه الأحمق السفيه، بلغة هذيل، و الحليم الذى لا يعاجل مستحق العقوبة بها، و الرشيد المرشد.
قال الزجاج «أَوْ أَنْ نَفْعَلَ» موضع (أن) نصب و المعنى او تأمرک ان نترک او ان نفعل فى أموالنا ما نشاء، و المعنى إنا قد تراضينا بالبخس فيما بيننا.
و قال الفراء: معناه أ تأمرک ان نترک ان نفعل فى أموالنا ما نشاء، ف (ان) مردودة على نترک. و وجه آخر، و هو ان يجعل الأمر كالنهى، كأنه قال أ صلاتک تأمرک بذا أو تنهانا عن ذا، فهى حينئذ مردودة على (ان) الاولى و لا إضمار فيه، كأنک قلت تنهانا ان نفعل فى أموالنا ما نشاء، كما تقول أضربک ان تسىء كأنه قال أنهاک بالضرب عن الاساءة. و يقرأ «أَنْ نَفْعَلَ فِی أَمْوالِنا ما نَشؤُا». و الذى نقوله ان قوله «ان نفعل» ليس بمعطوف على (ان) الاولى، و انما هو معطوف على (ما) و تقديره فعل ما نشاء فى أموالنا، و ليس المعنى أ صلاتک تأمرک ان نفعل فى أموالنا ما نشاء، لأنه ليس بذلک أمرهم.
و «الرشيد» معناه رشيد الأمر، فى أمره إياهم ان يتركوا عبادة الأوثان.
و قيل ان قوم شعيب عذبوا فى قطع الدراهم و كسرها و حذفها.

قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَ رَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَ ما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ ما تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ (88)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 51

جواب (أن) فى الاية محذوف، و التقدير يا قوم إن كنت على حجة و دلالة من ربى، و مع ذلک رزقنى منه رزقاً حسناً، و انما وصفه بأنه حسن مع ان جميع رزق اللّه حسن لامرين:

أحدهما- انه أراد ب (حسناً) حسن موقعه لجلالته و عظمته.

و الثانى- انه أراد ما هو عليه على وجه التأكيد. و قيل إن الرزق الحسن هاهنا النبوة. و قال البلخى معناه الهدى و الايمان، لأنهما لا يوصل اليهما إلا بدعائه و بيانه و معونته و لطفه، و تريدون أن أعدل عما انا عليه من عبادته مع هذه الحال الداعية اليها؟، و انما حذف لدلالة الكلام عليه، و الرزق عطاء الخير الجارى فى حكم المعطى، و العطية الواصلة من الإنسان رزق من اللّه. و صلة من الإنسان، لإدرار الخير على العبد فى حكمه.

و قوله «وَ ما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ». قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ليس نهيى لكم لمنفعة اجرّها الى نفسى بما تتركون من منع الحقوق.

و الثانى- أنا لا انهى عن القبيح و افعله مثل من ليس بمستبصر فى أمره، كما قال الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليک إذا فعلت عظيم «1»

و قوله «إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ» معناه لست أريد بما آمركم به و أنهاكم عنه الا إصلاح حالكم ما قدرت عليه.

و قوله «وَ ما تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللَّهِ» و التوفيق عبارة عن اللطف الذى تقع عنده الطاعة و ذلک بحسب ما يعلم اللّه تعالى. و انما لم يكن الموفق للطاعة الا اللّه، لان احداً لا يعلم ما يتفق عنده الطاعة- من غير تعليم- سواه تعالى.

و قوله «عليه توكلت» معناه على اللّه توكلت و فوضت أمرى اليه على وجه الرضا بتدبيره مع التمسک بطاعته «وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ» قيل فى معناه قولان:

---

(1) مر هذا البيت فى 1: 191 و 2: 193 و 3: 4 و 5: 125

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 52

أحدهما- قال مجاهد: اليه ارجع. و الثانى- قال الحسن: اليه ارجع بعملى و بنيتى اى اعمل اعمالى لوجه اللّه.

وَ يا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِی أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صالِحٍ وَ ما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (89)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية ما قال شعيب لقومه حين لم يقبلوا أمره و نهيه «يا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ» و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال الحسن و قتادة لا يحملنكم.
و الثانى- قال: الزجاج معناه لا يكسبنكم، كأنه قال لا يقطعنكم اليه بحملكم عليه.
و الشقاق و المشاقة المباعدة بالعداوة الى جانب المباينة، و شقها. و كان سبب هذه العداوة دعاؤه لهم الى مخالفة الاباء و الأجداد فى عبادة الأوثان. و ما يثقل عليهم من الإيفاء فى الكيل و الميزان.
و قوله «أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صالِحٍ» قيل أهلك اللّه قوم نوح بالغرق، و قوم هود بالريح العقيم، و قوم صالح بالرجفة، و قوم لوط بالائتفاك، فحذرهم شعيب ان يصيبهم مثل ذلک.
و قوله «وَ ما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قريب منكم فى الزمان الذى بينهم و بينكم، فى قول قتادة.
و الاخر- ان دارهم قريبة من دارهم فيجب ان يتعظوا بهم.

وَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّی رَحِيمٌ وَدُودٌ (90)
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 53
آية بلا خلاف.
فى هذه الآية حكاية ما قال شعيب أيضاً لقومه بعد تحذيره إياهم عذاب اللَّه و حثهم على ان يطلبوا مغفرة اللَّه. ثم يرجعوا الى طاعته، و أخبرهم ان اللَّه رحيم بعباده، يقبل توبتهم و يعفو عن معاصيهم، ودود بهم أى محب لهم، و معناه مريد لمنافعهم.
و قيل فى معنى «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ» قولان:
أحدهما- اطلبوا المغفرة من اللَّه بأن يكون غرضكم. ثم توصلوا اليها بالتوبة.
الثانى- استغفروا ربكم ثم أقيموا على التوبة.
و وجه ثالث- ان معناه استغفروا ربكم على معاصيكم الماضية. ثم ارجعوا اليه بالطاعات فى المستقبل.
و المودة على ضربين: أحدهما- بمعنى المحبة، تقول وددت الرجل إذا أحببته، و الثانى- وددت الشىء إذا تمنيته أود فيهما مودة و انا واد، و الودود المحب لا غير.

قالُوا يا شُعَيْبُ ما نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَ إِنَّا لَنَراکَ فِينا ضَعِيفاً وَ لَوْ لا رَهْطُکَ لَرَجَمْناکَ وَ ما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ (91)
آية بلا خلاف.
فى هذه الآية حكاية ما أجاب به قوم شعيب له (ع) فقالوا له حين سمعوا منه الوعظ و التخويف: لسنا نفقه أى لسنا نفهم عنک معنى كلامک، و الفقه: فهم الكلام على ما تضمن من المعنى، و قد صار علماً لضرب من علوم الدين، فصار الفقه عبارة عن علم مدلول الدلائل السمعية، و اصول الدين علم مدلول الدلائل العقلية. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 54
و قوله «وَ إِنَّا لَنَراکَ فِينا ضَعِيفاً» قيل فى معناه اربعة اقوال: قال الحسن: معناه مهيناً، و قال سفيان: معناه ضعيف البصر، و قال سعيد بن جبير و قتادة:
كان أعمى. قال الزجاج و يسمى الأعمى بلغة حمير ضعيفاً.
و قال الجبائى معناه: ضعيف البدن.
و قوله «وَ لَوْ لا رَهْطُکَ» فالرهط عشيرة الرجل و قومه، و أصله الشد، و الترهط شدة الاكل، و منه الرهطاء حجر اليربوع لشدته و توثيقه ليخبئ فيه ولده.
و قوله «لرجمناک» فالرجم الرمى بالحجارة، و المعنى لرميناک بالحجارة.
و قيل معناه لسبّيناک «وَ ما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ» اى علينا لست بممتنع، فلا نقدر عليک بالرجم، و لا أنت بكريم علينا، و انما تمتنع لمكان عشيرتک. و عشيرته كانوا على دينه.

قالَ يا قَوْمِ أَ رَهْطِی أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ اتَّخَذْتُمُوهُ وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّی بِما تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (92)
آية.
هذا حكاية ما قال شعيب لقومه حين قالوا «لَوْ لا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ» يا قوم أ عشيرتی و قومی أعز عليكم من اللّه. و الأعز الأقوى الا منع. و الأعز نقيض الأذل، و العزة نقيض الذلة و العزيز نقيض الذليل.
و قوله «وَ اتَّخَذْتُمُوهُ وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا» فالاتخاذ أخذ الشیء لأمر يستمر فی المستأنف كاتخاذ البيت و اتخاذ المركوب، و الظهری جعل الشیء وراء الظهر قال الشاعر:
وجدنا نبی البرصاء من ولد الظهر «1»

---

(1) قائله ارطاة ابن سيهة، انظر نسبه فی الأغانی 13: 27 (دار الثقافة). و البيت فی اللسان (ظهر) و مجاز القرآن 1: 398 و تفسير الطبری (دار المعارف) 15: 459 و صدره:
فمن مبلغ أبناء مرة أننا ...

و قال آخر:
تميم بن قيس لا تكونن حاجتی بظهر و لا يعيا علی جوابها «1»
و قيل فيما تعود الهاء اليه من قوله «اتخذتموه» ثلاثة اقوال: فقال ابن عباس و الحسن: انها عائدة علی اللّه. و قال مجاهد: هی عائدة علی ما جاء به شعيب.
و قال: الزجاج: هی عائدة علی أمر اللّه.
و قوله «إِنَّ رَبِّی بِما تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ» قيل فی معناه هاهنا قولان:
أحدهما- أنه محص لأعمالكم لا يفوته شیء منها.
الثانی- انه خبير باعمال العباد ليجازيهم بها- ذكره الحسن- قال سفيان كان شعيب خطيب الأنبياء.

وَ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّى عامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَ مَنْ هُوَ كاذِبٌ وَ ارْتَقِبُوا إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ (93)
آيتان.
فقال لهم شعيب ايضاً «يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ» و المكانة الحال التى يتمكن بها صاحبها من عمل ما، فقال لهم قد مكنتم فى الدنيا من العمل، كما مكن غيركم ممن عمل بطاعة اللَّه، و سترون منزلتكم من منزلته. و هذا الخطاب و إن كان ظاهره ظاهر الأمر فالمراد به التهديد، و تقديره كأنكم انما أمرتم بأن تكونوا على هذه الحال من الكفر و العصيان. و فى هذا نهاية الخزى و الهوان.
و قوله «سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ» معناه انكم تعلمون فى المستقبل

---

(1) قائله الفرزدق ديوانه 1: 95 و قد مر فى 3: 74 و هو فى اللسان (ظهر) و رواية الديوان (زيد لا تهونن) بدل (قيس لا تكونن).

من يحل به العذاب الذى يخزيه اى يفضحه و يذله، و هو أشد من العذاب الذى لا يفضح «وَ مَنْ هُوَ كاذِبٌ» و تعرفون من هو الكاذب منى و منكم.
و قوله «و ارتقبوا» معناه انتظروا ما وعدتكم به من العذاب، يقال رقبه يرقبه رقوباً و ارتقبه ارتقاباً و ترقباً «إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ» اى منتظر لنزول ذلک بكم. و موضع «من يأتيه» ان جعلت (من) بمعنى الذى نصب، و قوله «وَ مَنْ هُوَ كاذِبٌ» عطف عليه، و ان جعلتها للاستفهام كان موضعها الرفع، ذكره الفراء و ادخلوا (هو) فى قوله «و من هو» لأنهم لا يقولون: من قائم؟ و لا من قاعد؟، و انما يقولون: من قام؟ و من يقوم؟ أو من القائم؟ فلما لم يقولوا إلا المعرفة او يفعل، ادخلوا (هو) مع قائم، ليكونا جميعاً فى مقام (فعل، و يفعل) لأنهما يقومان مقام اثنين، و قد ورد فى الشعر من قائم؟ قال الشاعر:
من شارب مربح بالكأس نادمنى لا بالحصور و لا فيها بسئوار «1»
قال الفراء: و ربما خفضوا بعدها، فيقولون: من رجل يتصدق علىّ؟ بتأويل هل من رجل؟

وَ لَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْباً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِی دِيارِهِمْ جاثِمِينَ (94)
آية بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى انه «لَمَّا جاءَ أَمْرُنا» اللَّه باهلاک قوم شعيب، و قد بينا معناه فيما مضى «2» «نَجَّيْنا شُعَيْباً» ای خلصناه، و نجينا معه من کان مؤمناً من قومه برحمة

---

(1) قائله الأخطل ديوانه 107 و اللسان (سور) و روايته: (و شارب مرج).
(2) فی 4: 462- 504.

من جهته تعالى، و يجوز ان يکون فی نجاة شعيب، و من آمن معه لطف لمن سمع بأخبارهم فيؤمن، کما انه متی کان فی نجاة الظالمين لطف وجب تخليصهم، و کذلک ان کان المعلوم من حال الکافر انه يؤمن فيما بعد وجب تبقيته- عند أبی علی و من وافقه- و عند قوم آخرين لا يجب.
و قوله «وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ» أنث الفعل هاهنا لأنه رده الی الصيحة، و فيما قبل «1» ذکّر، لأنه رده الی الصياح.
و قوله «فَأَصْبَحُوا فِی دِيارِهِمْ جاثِمِينَ» قال الجبائی: معناه منکبين علی وجوههم.
و قال قوم: الجثوّ علی الرکب. و قال قوم: معناه خامدين موتی. قال البلخی يجوز ان تکون الصيحة صيحة علی الحقيقة، کما روی ان اللَّه تعالی امر جبرائيل فصاح بهم صيحة ماتوا کلهم من شدتها، و يجوز ان يکون ضرباً من العذاب اهلکهم و اصطلمهم تقول العرب: صاح الزمان بآل فلان إذا هلکوا. قال امرؤ القيس:
دع عنک نهباً صيح فی حجراته و لکن حديث ما حديث الرواحل «2»
(معنی صيح فی حجراته) ای أهلک و ذهب به.

كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ (95)
آية بلا خلاف.
شبه اللَّه تعالى هلاک قوم شعيب و انقطاع آثارهم منها بحالهم لو لم يكونوا فيها يقال: غنى بالمكان إذا اقام به على وجه الاستغناء به عن غيره. و اتخاذه وطناً و مأوى يأوى اليه، و لذلک قيل للمنازل المغانى، و انما شبه حالهم بحال ثمود خاصة، لأنهم أهلكوا بالصيحة كما أهلكت ثمود مثل ذلک مع الرجفة.

---

(1) آية 67 من هذه السورة.
(2) ديوانه: 174 و اللسان (حجر).

و قوله «أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ» دعاء عليهم بانتفاء الرحمة عنهم كما أهلک اللَّه تعالى ثمود، فلم يرحمهم، و جعل انتفاء الرحمة بعداً من الرحمة، لأنه أظهر فيما يتصور، فكأنهم يرونها حسرة لأنها لا تصل اليهم منها منفعة لما يحصلون عليه من مضرة الحسرة، و (كأن) هذه يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة على ان يضمر فيها، كالاضمار فى (ان) من قوله «وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» «1» و يجوز ان تكون (ان) التى تنصب الفعل بمعنى المصدر. و بعدت و بعُدت بالكسر و الضم لغتان. و كانت العرب تذهب بالرفع الى التباعد، و بالكسر الى الدعاء، و هما واحد. و قرأ ابو عبد الرحمن السلمى كما بعدت بضم العين. و الآخر بعداً فنصب على المصدر، و تقديره ألا أهلكهم اللَّه فبعدوا بعداً.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ (96) إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ ما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (97)
آيتان بلا خلاف.
اخبر اللّه تعالى و اقسم انه أرسل موسى نبياً بالآيات، و هى الحجج و المعجزات الدالة على نبوته «وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ» اى و حجة ظاهرة مخلصة من تلبيس و تمويه، على أتم ما يمكن فيه. و السلطان، و الآيات و إن كان معناهما الحجج، فإنما عطف إحداهما على الأخرى، لاختلاف اللفظ، و لان معناهما مختلف، لان الآيات حجج من وجه الاعتبار العظيم بها، و السلطان من جهة القوة العظيمة على المبطل، و كل علم له حجة يقهر بها شبهة من نازعه من اهل الباطل تشبهه، فله سلطان. و قد قيل إن سلطان الحجة انفذ من سلطان المملكة، و السلطان متى كان محقاً حجة

---

(1) سورة يونس آية 10.

وجب اتباعه، و إذا كان بخلافه لا يجب اتباعه.
و قال الزجاج. سمى السلطان سلطاناً، لأنه حجة اللّه فى ارضه، و اشتقاقه من السليط و هو مما يستضاء به، و من ذلک قيل للزيت السليط.
و قوله «إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ» معناه انه أرسل موسى الى فرعون و اشراف قومه الذين تملأ الصدور هيبتهم.
و قوله «فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ» فالاتباع طلب الثانى للتصرف بتصرف الاول فى اى جهة أخذ، و الأمر هو قول القائل لمن دونه: (افعل). و فيه أخبار ان قوم فرعون اتبعوه على ما كان يأمرهم به. ثم اخبر تعالى ان أمر فرعون لم يكن رشيداً. و الرشيد هو الذى يدعو الى الخير و يهدى اليه فأمر فرعون بضد هذه الحال، لأنه يدعو الى الشر و يصد عن الخير.
و استدل قوم بهذه الآية على ان لفظة الأمر مشتركة بين القول و الفعل، لأنه قال «وَ ما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ» يعنى و ما فعل فرعون برشيد، و هذا ليس بصحيح، لأنه يجوز ان يكون أراد بذلک الأمر الذى هو القول، او يكون مجازاً.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (98)
آية بلا خلاف.
هذا اخبار من اللَّه تعالى ان فرعون يوم القيامة يقدم قومه، و معناه يمشى على قدمه يقودهم الى النار، و لو قال يسبق، لجاز ان يوجده اللَّه (عز و جل) قبلهم فى النار. و القيامة هو وقت قيام الناس من قبورهم للجزاء و الحساب بأعمالهم.
و قوله «فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ» معناه أوجب ورودهم الى النار، و الإيراد إيجاب الورود الى الماء او ما يقوم مقامه. قال ابو على: انما لم يقل يوردهم النار، لأنه التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 60
ذكر ليوم القيامة انه يقدمهم فيه، يدل على انه فعل مستقبل فأجرى الماضى مجرى المستقبل لدلالة الكلام عليه.
و قوله «وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ» قال ابو على: انه مجاز، و المعنى بئس وارد النار. و قال البلخى: بل هو حقيقة، لأنه تعالى وصف النار بأنها بئس الورد المورود، و هى كذلك. و الورد الماء الذى ترده الإبل، و الورد الإبل التى ترد الماء، و الورد ما يجعله عادة لقراءة أو تلاوة للقرآن. و الورد ورد الحمى، كل ذلك بكسر الواو، و حكى عن ابن عباس ان الورد الدخول. و المعنى ان ما وردوه من النار هو المورود بئس الورد لمن ورده. و يقال إنهم إذا وردوه عطاشاً فيردون على الحميم و النيران و لا يزيدون بذلك إلا عذاباً و عطشاً. و انما وصف بأنه بئس، و ان كان عدلًا حسناً لما فيه من الشدة مجازاً.

وَ أُتْبِعُوا فِی هذِهِ لَعْنَةً وَ یَوْمَ الْقِیامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (99)
آیة بلا خلاف.
معنی قوله «وَ أُتْبِعُوا فِی هذِهِ لَعْنَةً» ان اللَّه لعنهم و الملائکة و المؤمنون، فاختصر علی وجه ما ذکرنا علی ما لم یسم فاعله، لان الإیجاز لا یخل بهذا المعنی. و اللعن من العباد الدعاء و المسألة للّه تعالی بالابعاد من الرحمة- فی قولهم لعنة اللّه- و الذم الوصف بالقبیح علی وجه التحقیر.
و معنی الآیة انهم کیف تصرفوا، و حیث کانوا، فاللعنة تتبعهم. و اللعنة من اللّه الابعاد من رحمته بان یحکم بذلک، فمن لعنة اللّه فقد حکم بابعاده من رحمته و انه لا یرحمه.
و قوله «وَ یَوْمَ الْقِیامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ» و الرفد العون علی الأمر، و انما قیل التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 61
هاهنا- رفد، لان اللعنة جعلت بدلا من الرفد بالعطیة، و یقال: رفده و هو یرفده رفداً، و رفد- بفتح الراء و کسرها- قال الزجاج کل شیء جعلته عوناً لشیء و أسندت به شیئاً فقد رفدته، یقال عهدت الحائط و رفدته بمعنی واحد، و الرفد القرح العظیم، و روی- بفتح الراء- فی الایة و هی لغة شاذة.

ذلِکَ مِنْ أَنْباءِ الْقُری نَقُصُّهُ عَلَیْکَ مِنْها قائِمٌ وَ حَصِیدٌ (100)
آية بلا خلاف.
قوله «ذلک» اشارة الى النبأ كأنه قال النبأ من انباء القرى، و قد تقدم ذكره. ثم وقعت الاشارة اليه، و الانباء جمع نبأ كالاخبار جمع خبر الا انه لا يقال نبأ الا فى خبر عظيم، يقال لهذا الأمر نبأ اى خبر عظيم.
قوله «نقصه عليه» فالقصص الخبر عن الأمور التى يتلو بعضها بعضاً، يقال قص قصصاً و هو يقص اثره اى يتبع اثره، و اقتص منه اى يتبعه بجنايته.
و قوله «مِنْها قائِمٌ وَ حَصِیدٌ» فالقائم المعمور، و الحصيد الخراب من تلک الديار، لان الإهلاک قد اتى عليها و لم تعمر فيما بعد. و قيل «مِنْها قائِمٌ» على بنائه و ان كان خالياً من اهله، و الحصد قطع الزرع من الأصل، فالحصيد منهم كالزرع المحصود، و حصدهم بالسيف إذا قتلهم.

وَ ما ظَلَمْناهُمْ وَ لكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِی یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَیْءٍ لَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّکَ وَ ما زادُوهُمْ غَیْرَ تَتْبِیبٍ (101)
آیة بلا خلاف. التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 62
اخبر اللَّه تعالی انه بما فعله بالأمم التی أهلکها لم یظلم احداً منهم، و لکن ظلموا هم أنفسهم بأن ارتکبوا المعاصی التی استحقوا بها الهلاک فکان ذلک ظلمهم لأنفسهم، و بین انه «فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ» یعنی الأوثان التی کانوا یعبدونها من دون اللَّه ما دفعت عنهم و لا اعانتهم بشیء لما جاء امر اللَّه و إهلاکه و عذابه «وَ ما زادُوهُمْ غَیْرَ تَتْبِیبٍ» بمعنی غیر تخسیر- فی قول مجاهد و قتادة- مأخوذ من تبت یده أی خسرت، و منه تباً له، و قال جریر:
عرادة من بقیة قوم لوط ألا تباً لما فعلوا تبابا «1»
و انما قال یدعون من دون اللَّه، لأنهم کانوا یسمونها آلهة و یطلبون الحوائج منها، کما یطلب الموحدون من اللَّه. و معنی «من دون الله» مَن منزلته ادنی من منزلة عبادة اللَّه، لأنه من الأدون، و هو الأقرب الی جهة السفلی.

وَ كَذلِکَ أَخْذُ رَبِّکَ إِذا أَخَذَ الْقُری وَ هِیَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِیمٌ شَدِیدٌ (102)
آية بلا خلاف.
وجه التشبيه فى قوله «وَ كَذلِکَ أَخْذُ رَبِّکَ» ان اخذه الظالم الذى يساوى من تقدمه فى ظلمه و حاله فى بطلان الفلاح ببقائه، كأخذه الذى قبله، لأنه ليس هناک محاباة لاحد من خلقه. و الأخذ نقل الشىء الى جهة الآخذ، فلما نقلهم اللّه الى جهة عقابه كان قد أخذهم به، و الظالم الفاعل للظلم و العادل الفاعل للعدل.
ثم اخبر تعالى ان اخذه للظالم مؤلم شديد، و الشدة تجمع يصعب معه التفكک، و يقال للنقص شدة، و شدة الألم لجمعه على النفس بما يعسر زواله.

_____

(1) ديوانه: 72 من قصيدة فى هجاء الراعى النميرى، و هو فى تفسير الطبرى 15: 472.

إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لِمَنْ خافَ عَذابَ الْآخِرَةِ ذلِکَ یَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذلِکَ یَوْمٌ مَشْهُودٌ (103)
آیة بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى ان فیما أخبر به- من إهلاک من ذکره على وجه العقوبة لهم على کفرهم- آیة أی علامة عظیمة بما فیها من البیان عن الامر الکثیر قال الشاعر:
بآیة تقدمون الخیل زوراً کأن على سنابکها مداماً «1»
قوله «لِمَنْ خافَ عَذابَ الْآخِرَةِ» أی لمن خشی عقوبة اللَّه یوم القیامة، و الخوف انزعاج النفس بتوقع الشر و نقیضه الامن، و هو سکون النفس بتوقع الخیر. و الفرق بین العذاب و الألم أن العذاب استمرار الألم قال عبید:
فالمرؤ ما عاش فی تکذیب طول الحیاة له تعذیب «2»
و قوله «ذلِکَ یَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذلِکَ یَوْمٌ مَشْهُودٌ» معناه ان یوم القیامة یوم یجمع فیه الناس و یشهده جمیع الخلائق، و لیس یوصف فی هذه الصفة یوم سواه، و الجمع ضم احد الشیئین الى الآخر. و قیل هو جعل الشیئین فصاعداً فی معنى، و القبض ضم الشیء الى الوسط کقبض البساط، و هو نقیض بسطه من غیر تبرى اجزائه.

وَ ما نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (104) يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ (105)
آيتان بلا خلاف.
قرأ أهل الكوفة إلّا الكسائى و ابن عامر يوم (يأت) بغير ياء. الباقون بياء فى

---

(1) اللسان (أيا) و روايته (شعثا) بدل (زورا)
(2) مر هذا البيت فى 5: 216
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 64
الوصل دون الوقف، إلا ابن كثير، فانه أثبت الياء فى الحالين.
قال أبو على: من أثبت الياء فى الوصل، فهو القياس البين، لأنه لا شىء- هاهنا- يوجب حذف الياء فى الوصل، و من حذفها فى الوقف شبهها بالفاصلة، و ان لم يكن فاصلة، لأن هذه الياء تشبه الحركات المحذوفة بدلالة انهم قد حذفوها كما حذفوا الحركة، فكما ان الحركة تحذف فى الوقف، فكذلك ما يشبهها من هذه الحروف، فكان فى حكمها، و من أثبتها فى الحالين فقد أحسن، لأنها أكثر من الحركة فى الصوت، فلا ينبغى إذا حذفت الحركة للوقف ان تحذف الياء له، كما لا تحذف سائر الحروف، و من حذف الياء فى الحالين جعلها فى الحالين بمنزلة ما يستعمل محذوفاً مما لم يكن ينبغى فى القياس ان يحذف نحو (لم يک، و لا أدر) و هى لغة هذيل، قال الشاعر:
كفاک كفاً لا تليق درهماً جواداً و أخرى تعط بالسيف الدما «1»
فحذف الياء فى تعط، و ليس هذا ما يوجب حذفها.
و الضمير فى قوله «وَ ما نُؤَخِّرُهُ» عائد على قوله «يَوْمٌ مَشْهُودٌ» و هو يوم الجزاء. و معناه الاخبار بأنه تعالى ليس يؤخر يوم الجزاء إلا ليستوفى الأجل المضروب لوقوع الجزاء فيه. و انما قال «لأجل» و لم يقل الى اجل، لان قوله «لأجل» يدل على الغرض، و ان الحكمة اقتضت تأخيره. و لو قال الى اجل لما دل على ذلک. و قوله «يَوْمَ يَأْتِ» يعنى يوم القيامة الذى تقدم ذكره بأنه مشهود. و الضمير فى (يأتى) حين الجزاء، لأنه قد تقدم الدليل عليه فى قوله «يوم مشهود» و احسن الإضمار ما يدلّ الكلام عليه، و انما أضاف (يوم) الى الفعل، لأنه اسم زمان فناسب الفعل للزمان من حيث انه لا يخلو منه، و انه يتصرف بتصرفه. و انه لا يكون حادثاً الا وقتاً، كما ان الزمان لا يبقى.
و معنى قوله «لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ» أى لا تتكلم فحذف أحدى التائين

---

(1) تفسير القرطبى 9: 98 و اللسان (ليق)
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 65
لدلالة الكلام عليه. و قيل فى معنى «لا تكلم» قولان:
أحدهما- ان فيه وقتاً يمنعون من التكلم إلا بالحق فهو باذنه تعالى.
و الاخر- انه لا يتكلم بكلام ينفع إلا بإذنه: من شفاعة و وسيلة، بدلالة قولهم «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ. انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ» «1».
و قال الجبائى: الاذن الجاؤهم الى الحسن، لأنه لا يقع منهم ذلک اليوم قبيح.
و قوله «فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَ سَعِيدٌ» اخبار منه تعالى بأنهم ينقسمون قسمين منهم الأشقياء، و هم المستحقون للعقاب، و منهم السعداء و هم المستحقون للثواب.
و الشقاء قوة أسباب البلاء، و الشقى من شقى بسوء عمله فى معاصى اللَّه، و السعيد من سعد بحسن عمله فى طاعة اللَّه، و انما وصف الأجل بأنه معدود، لأنه متناه منقض، لان كل معدود قد وجد عدده، لا يكون ذلک الا متناهياً.
فان قيل كيف قال- هاهنا- «يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ» و قال فى موضع آخر «هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ. وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ» «2» و قال فى موضع آخر «يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها» «3» و قال «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ» «4» و قال فى موضع آخر «فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ» «5» و هل هذا إلا ظاهر التناقض؟!.
قلنا: لا تناقض فى ذلک لان معنى قوله «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ» انهم يسألون سؤال توبيخ و تقرير و تقريع، لإيجاب الحجة عليهم لا سؤال استفهام، لأنه تعالى

---

(1) سورة الانعام آية 24- 25 [.....]
(2) سورة المرسلات 35- 36
(3) سورة النحل آية 111
(4) سورة الصافات آية 24
(5) سورة الرحمن آية 39
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 66
عالم بذلک لنفسه. و قوله «فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ» «1» اى لا يسأل ليعلم ذلک منه حيث انه تعالى قد علم أعمالهم قبل ان يعملوها.
و قيل ان معناه إنه لا يسأل عن ذنب المذنب إنس و لا جان غيره، و انما يسأل المذنب لا غير، و كذلک قوله «يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ» «2» أى لا ينطقون بحجة، و انما يتكلمون بالإقرار بذنوبهم و لوم بعضهم بعضاً، و طرح بعضهم على بعض الذنوب، فاما المتكلم بحجة، فلا. و هذا كما يقول القائل لمن

يخاطبه بخطاب كثير فارغ من الحجة: ما تكلمت بشىء، و ما نطقت بشىء، فسمى من يتكلم بما لا حجة فيه له: غير متكلم، كما قال «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ» «3» و هم كانوا يبصرون و يسمعون إلا انهم لا يقبلون و لا يفكرون فيما يسمعون، و لا يتأملون، فهم بمنزلة الصم، قال الشاعر:

أصم عما ساءه سميع «4»

و قال بعضهم ان ذلک اليوم يوم طويل له مواضع، و مواطن، و مواقف، فى بعضها يمنعون من الكلام، و فى بعضها يطلق لهم ذلک بدلالة قوله «يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ» و كلاهما حسن و الاول احسن.

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ (106) خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ (107)
آيتان بلا خلاف.
أخبر اللّه تعالى فى هذه الآية ان الذين شقوا باستحقاقهم عذاب النار جزاء بسوء أعمالهم داخلون فى النار، و انما سمى الشقى شقياً قبل دخوله فى النار، لأنه

---

(1) سورة الرحمن آية 39
(2) سورة المرسلات 35
(3) سورة البقرة آية 171
(4) مر تخريجه فى 2: 80، 4: 134، 5: 439
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 67
على حال تؤديه الى دخولها، من قبائح اعماله. فاما ما
روى من قوله (ع) (إن الشقى شقىّ فى بطن امه)
، فجاز، لان المعنى ان العلوم من حاله انه سيشقى بارتكاب المعاصى التى تؤديه الى عذاب النار، كما يقال لولد شيخ هرم هذا يتيم و معناه انه سييتم.
و قوله «لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ» قال أهل اللغة: الزفير أول نهاق الحمير، و الشهيق آخر نهاقها، قال رؤبة:
حشرج فى الجوف سحيلًا أو شهق حتى يقال ناهق و ما نهق «1»
و الزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن حتى تنتفخ الضلوع قال الجعدى:
خيط على زفيرة فتم و لم يرجع الى دقة و لا هضم «2»
و أصل الزفير الشدة من قولهم للشديد الخلق المزفور، و الزفر الحمل على الظهر خاصة لشدته، قال الشاعر:
طوال انضية الاعناق لم يجدوا ريح الإماء إذا راحت بأزفار «3»
و الزفر السيد، لأنه يطيق عمل الشدائد، و زفرت النار إذا سمع لها صوت فى شدة توقدها، و الشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف عند النفس. و أصله الطول المفرط من قولهم: جبل شاهق أى ممتنع طولا.
و قوله «خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ» فالخلود الكون فى الامر أبداً، و الدوام البقاء أبداً، و لهذا يوصف اللّه تعال بأنه دائم، و لا يوصف بأنه خالد.
و قوله «إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ» اختلفوا فى هذا الاستثناء على عدة أقوال:
فالذى نختاره- و يليق بمذهبنا فى الارجاء- ان اللّه تعالى أخبر ان الأشقياء

(1) ديوانه 106 و تفسير القرطبى 9: 98 و اللسان (حشرج) و تفسير الطبرى 15: 479
(2) اللسان (زفر)
(3) اللسان (زفر)

المستحقين للعقاب يحصلون فى النار ثم استثنى من أراد من فساق أهل الصلاة إذا أراد التفضل بإسقاط عقابه، أو من يشفع فيه النبى صلى اللّه عليه و سلم فانه عند ذلک لا يدخله النار و تكون على هذا- (ما) معناها (من) كأنه قال الا من شاء ربک، فلا يدخله النار، و هو قول ابن عباس و قتادة و الضحاک، و جابر بن عبد اللّه، و أبى سعيد الخدرى و جماعة من المفسرين.
و يجوز على هذا المذهب أن يكون استثناء من الخلود، فكأنه قال إلا ما شاء ربک بأن لا يخلدهم فى النار بل يخرجهم عنها.
و قال قتادة: ذكر لنا أن ناساً يصيبهم سفع من النار بذنوب أصابوا، ثم يدخلهم اللّه الجنة بفضله و رحمته يقال لهم الجهنميون، قال قتادة
و حدثنا أنس ابن مالک أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال يخرج قوم من النار.
و قال قتادة: و لا نقول ما يقول اهل حروراء.
و روى عن ابن عباس أنه قال قوله «لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً» «1» و قوله «خالِدِينَ فِيها إِلَّا ما شاءَ رَبُّکَ» فى اهل التوحيد. و روى عن ابن مسعود أنه قال:
ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد. و ذلک بعد أن يلبثوا فيها أحقابا. و قال الشعبى: جهنم أسرع الدارين عمرانا، و اسرعهما خراباً.
ثانيها- قال ابن زيد و حكاه الرمانى: إن المعنى خالدين فيها ما دامت السموات سموات، و الأرض أرضاً إلا ما شاء ربک، من الزيادة المضاعفة.
و ثالثها- قال الجبائى: إن المعنى ما دامت السموات لأهل الآخرة و أرضهم إلا ما شاء ربک مما كان قبل أن يدخلوها من أوقات وقوفهم فى صدر يومهم فى الموقف، لان اللّه تعالى قال «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ».
و رابعها- ما ذكره كثير من أهل العربية كالفراء و الزجاج و غيرهم: ان (إلا) فى الاية بمعنى (سوى) و التقدير ما دامت السموات و الأرض سوى ما شاء ربک كما يقول القائل: لو كان معنا رجل إلا زيد أى سوى زيد، و لک عندى ألف درهم

(1) سورة النبأ آية 23

الا الألفين التى لک عندى، أى سوى الألفين و مثله قوله «وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ» «1» أى سوى ما قد سلف، لأن قوله «وَ لا تَنْكِحُوا» مستقبل «و إِلَّا ما شاءَ رَبُّکَ» ماض، و المعنى على هذا «خالِدِينَ فِيها» مقدار دوام السموات و الأرض سوى «ما شاءَ رَبُّکَ» من الخلود و الزيادة.
و خامسها- ما قال الفراء: إن (الا) بمعنى الواو كما قال الشاعر:
و كل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيک الا الفرقدان «2»
و على هذا لو قال القائل لک عندى ألف الا ألفين لزمه ثلاثة آلاف درهم، لأنه استثناء الزائد من الناقص، فكأنه قال الا ألفين منفردين. و لو قال ما لک عندى الف الا ألفين فإنما أقر بألفين كأنه قال ما لک عندى سوى ألفين. و لو قال لک عندى ألف الا ألفان بالرفع أقر بألف فقط، لأنها صفة مثبتة، كأنه قال الف لا الفان.
و سادسها- أن ذلک تعليق لما لا يكون بما لا يكون، كأنه قال «إِلَّا ما شاءَ رَبُّکَ» و هو لا يشاء ان يخرجهم منها و تكون الفائدة أن لو شاء أن يخرجهم لقدر، و لكنه قد أعلمنا انهم خالدون أبداً.
و سابعها- ذكره الزجاج: ان الاستثناء وقع على أن لهم زفيراً و شهيقاً إلا ما شاء ربک من أنواع العذاب التى لم يذكرها.
و ثامنها- ذكره البلخى: ان المراد بذلک الا ما شاء ربک من وقت نزول الآية الى دخولهم النار، و لو لا هذا الاستثناء لوجب ان يكونوا فى النار من وقت نزول الآية أو من يوم يموتون.
فان قيل كيف يستثنى من الخلود فيها ما قبل الدخول فيها؟! قلنا: يجوز ذلک إذا كان الاخبار به قبل دخولهم.

---

(1) سورة النساء آية 22.
(2) امالى السيد المرتضى 2: 88 و سيبويه 1: 371 و تفسير القرطبى 9: 101 و قد نسب الى عمرو بن معد كرب. [.....]

و تاسعها- ما ذكره قوم من أصحابنا فى التفسير إن المعنى انهم فيها يعنى فى النار فى حال كونهم فى القبور دائمين فيها ما دامت السموات و الأرض، فإنها إذا عدمت انقطع عقابهم الى أن يبعثهم اللّه للحساب.
و قوله «إِلَّا ما شاءَ رَبُّکَ» مما يكون فى الآخرة.
و قوله «إِنَّ رَبَّکَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ» معناه انه كلما أراد شيئاً فعله، لأنه لا يجوز عليه البداء بالرجوع عما أراده، و لا المنع من مراده و لا يتعذر عليه شىء منه مع كثرته بارادة من أفعاله.

قوله تعالى:[سورة هود (11): آية 108] ..... ص : 70

اشارة

وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ رَبُّکَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108)
آية بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة الا أبا بكر «سعدوا» بضم السين. الباقون بفتحها.
قال ابو على: حكى سيبويه: سعد يسعد سعادة، فهو سعيد. و ينبغى أن يكون غير متعد، كما أن خلافه الذى هو (شقى) كذلک، و إذا لم يكن متعدياً لم يجب أن يبنى منه المفعول به، و إذا كان كذلک، ضم السين مشكل الا ان يكون سمع فيه لغة خارجة عن القياس أو يكون من باب (فعل و فعلته) نحو غاض الماء و غضته، و حزن و حزنته، و لعلهم استشهدوا على ذلک بقولهم (مسعود) فانه على سعد فهو مسعود، و لا دلالة فى ذلک، لأنه يجوز ان يكون مثل أجنه اللّه فهو مجنون، و أحبه فهو محبوب، فالمفعول جاء فى هذا على أنه حذفت الزيادة منه، كما حذف من اسم الفاعل فى نحو (و يكشف جمانة دلو الدالى) و انما هو المدلى، التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 71
و مثله «وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ» «1» يعنى ملاقح فجاء على حذف الزيادة، فعلى هذا يكون أصله أسعدوا بحذف الزائد. و حكى البلخى انهما لغتان- ضم السين- لغة هذيل، و فتحها لغة سائر العرب.

لما اخبر اللَّه تعالى أن الذين شقوا بفعلهم المعاصى و استحقوا الخلود فى النار، اخبر ان الذين سعدوا بطاعات اللَّه و الانتهاء عن معاصيه يكونون فى الجنة «ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّکَ» و معنى ما دامت السموات و الأرض المصدر، كأنه قال دوام السموات و الأرض الا مشيئة ربک، و فيه حسن التقابل، و فيه جميع ما ذكرناه فى الاستثناء من الخلود فى النار إلا الوجهين الذين ذكرناهما فى جواز إخراج بعض الأشقياء ممن تناول الوعيد لهم و إخراجهم من النار بعد دخولهم فيها، فان ذلک لا يجوز- هاهنا- لإجماع الأمة على أن كل مستحق للثواب لا بد أن يدخل الجنة، و لا يخرج منها بعد دخوله فيها.

و قيل فيه وجه آخر يوافق ما قلناه فى الآية الاولى، و هو أن يكون المعنى «أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا» بطاعات اللَّه يدخلون الجنة خالدين فيها، و استثنى من جملتهم من كان مستحقاً للنار، و أراد اللَّه عقابهم. ثم إخراجهم منها فكأنه قال خالدين فيها الا مدة ما كانوا معاقبين فى النار، ذهب اليه الضحاک و هو يليق بقولنا فى الارجاء.

و قوله «عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» يعنى غير مقطوع- فى قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الضحاک- يقال جذّه يجذه جذّاً فهو جاذ، و جذ اللَّه أثرهم قال النابغة:

يجذّ السلوقى المضاعف نسجه و يوقد بالصفاح نار الحباحب «2»

---

(1) سورة الحجر آية 22.

(2) ديوانه: 44 و تفسير القرطبى 9: 103 و اللسان (حبحب)، (سلق)، (صفح) و روايته (تقد) بدل (يجذ) و (توقد) بدل (يوقد).

و يقال جذه اللَّه جذ الصليانة، و هى نبات. و قوله (عطاء) نصب على المصدر بما يدل عليه الأول كأنه قال أعطاهم النعيم عطاء غير مجذوذ.

فَلا تَكُ فِی مِرْیَةٍ مِمَّا یَعْبُدُ هؤُلاءِ ما یَعْبُدُونَ إِلاَّ کَما یَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِیبَهُمْ غَیْرَ مَنْقُوصٍ (109)
آیة بلا خلاف.
نهی اللَّه تعالی نبیه- و المراد به أمته- ان یکونوا فی شک من عبادة هؤلاء یعنی الکفار الذین تقدم ذکرهم، و انه باطل. و (المریة)- بکسر المیم و ضمها- الشک مع ظهور الدلالة البینة. و أصله مری الضرع لیدر بعد دروره، فلا معنی له إلا العبث بفعله.
و قوله «ما یَعْبُدُونَ إِلَّا کَما یَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ» أنهم مقلدون فی عبادتهم الأوثان، کما کان آباؤهم کذلک.
و قوله «وَ إِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِیبَهُمْ غَیْرَ مَنْقُوصٍ» أخبار منه تعالی انه یعطیهم- علی جهة الوفاء- قسمتهم من خیر أو شر علی قدر استحقاقهم- فی قول ابن عباس- و قال ابن زید: ما یستحقونه من العذاب من غیر ان ینقص منه شیء علی وجه العقوبة بعد أن یوفوا ما حکم لهم به من الخیر فی الدنیا.
و (النصیب) القسم المجعول لصاحبه و منه أنصباء الورثة. و النصیب الحظ و النقص البخس و المنقوص المبخوس.

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (110)
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 73
آية بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى أنه أعطى موسى الكتاب يعنى التوراة و إن قومه اختلفوا فيه يعنى فى صحة الكتاب الذى انزل اليه، و أراد بذلک تسلية النبى صلى اللَّه عليه و سلم عن تكذيب قومه إياه و جحدهم للقرآن المنزل عليه، فبين له أنه كذلک فعل قوم موسى بموسى، فلا تحزن لذلک، و لا تغتم له. ثم قال «وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» معناه و لو لا خبر اللَّه السابق بأنه يؤخر الجزاء الى يوم القيامة لما فى ذلک من المصلحة، لعجل الثواب و العقاب لأهله. (و الكلمة) واحدة الكلم و لذلک، يقال للقصيدة: كلمة. ثم أخبر عن حال كفار قوم النبى صلى اللَّه عليه و سلم أنهم لفى شک مما أخبرناک به مريب، و (الريب) أقوى الشک. (و الاختلاف) ذهاب كل واحد الى جهة غير جهة الآخر، و هو على ثلاثة أوجه:
أحدها- اختلاف النقيضين فهذا لا يجوز أن يصحا معاً، فأحدهما مبطل لصاحبه. و الآخر اختلاف الجنسين، كاختلاف المجتهدين فى جهة القبلة، فهذا يجوز أن يصحا، لأنه تابع للمصلحة و لا تناقض فى ذلک، و منه اختلاف المجتهدين فى الفروع على مذهب من قال بجوازه.

قوله تعالى:[سورة هود (11): آية 111] ..... ص : 73

اشارة

وَ إِنَّ كُلاًّ لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّکَ أَعْمالَهُمْ إِنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (111)
آية بلا خلاف.

اختلف القرّاء فى قوله «وَ إِنَّ كُلًّا لَمَّا» على اربعة أوجه:
قرأ ابن كثير و نافع بتخفيف (إن) و تخفيف (لما) و قرأ ابن عامر و حمزة

و حفص عن عاصم بتشديدهما معاً. و قرأ أبو عمرو و الكسائى بتشديد الأولى و تخفيف الثانية.
و قرأ أبو بكر عن عاصم بتخفيف الاولى و تشديد الثانية.

و قيل فى معنى (لمَّا) بالتشديد خمسة أوجه:
أوّلها- قول الفراء إنها بمعنى (لمن ما) فاجتمعت ثلاث ميمات، فحذفت واحدة ثم أدغمت الاولى فى الثانية، كما قال الشاعر:
و انّى لمّا أصدر الامر وجهه إذا هو أعيا بالسبيل مصادره «1»
ثم تخفف، كما قرأ بعض القراء: «وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ» «2» فحذف احدى الياءين ذكره الفراء.
و الثانى- ما اختاره الزجاج: أن (لمّا) بمعنى (إلا) كقولهم سألتک لما فعلت، و مثله «إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ» «3» لأنه دخله معنى ما كلهم إلا لنوفينّهم.
و قال الفراء هذا لا يجوز إلا فى التمييز، لأنه لو جاز ذلک لجاز ان تقول جاءنى القوم لمّا زيداً بمعنى الّا زيداً، هذا لا يجوز بلا خلاف.
الثالث- اختاره المازنى: أنَّها هى المخففة شددت للتأكيد. قال الزجاج:
هذا لا يجوز، لأنه انما يجوز تخفيف المشددة عند الضرورة، فأما تشديد المخففة، فلا يجوز بحال.
الرابع- حكاه الزجاج: إنها من لممت الشىء ألمه لمّاً إذا جمعته إلا أنها

---

(1) قائله العجاج تفسير الطبرى 15: 494 و تفسير القرطبى 9: 105 و مجمع البيان 3: 200
(2) سورة النحل آية 90.
(3) سورة الطارق آية 4.

بنيت على (فعلى) فلم تصرف نحو (تترى) كأنه قال و إن كلا جميعاً ليوفينهم.
الخامس- قراءة الزهرى (لما) بالتنوين بمعنى شديداً، كقوله «وَ تَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلًا لَمًّا» «1».
و اللام فى قوله (لما) يحتمل أن تكون لام القسم دخلت على (ما) التى للتوكيد، و يحتمل أن تكون لام الابتداء دخلت على (ما) بمعنى الذى، كقوله «فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ» «2» و مثله «وَ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ» «3» قال الشاعر:
فلو ان قومى لم يكونوا أعزة لبعد لقد لاقيت لا بد مصرعا «4»
و حكى عن العرب انى لبحمد اللّه لصالح قال أبو على من قرأ بتشديد (إن) و تخفيف (لما) فوجهه بين، و هو انه نصب (كلا) ب (إن) و (إن) تقتضى أن يدخل على خبرها أو اسمها لام، فدخلت هذه اللام و هى لام الابتداء على

الخبر فى قوله «وَ إِنَّ كُلّا لَمَّا» و قد دخلت الخبر لام اخرى و هى التى يتلقى بها القسم، و تختص بالدخول على الفعل و يلزمها فى اكثر الامن النونين، فلما اجتمعت اللامان و اتفقا فى تلقى القسم، و اتفقا فى اللفظ فصل بينهما، كما فصل بين (إن) و اللام، فدخلت (ما) لهذا المعنى، و ان كانت زائدة للفصل، كما جاءت النون- و إن كانت زائدة- فى قوله «فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ» «5» و كما صارت عوضاً من الفعل فى قولهم: أما لى، فهذا بين، و يلى هذا الوجه فى البيان قول من خفف (ان) و نصب (كلا) و خفف (لما)، كما قال الشاعر:
كأن ثدييه حقان «6»

---

(1) سورة الفجر آية 19
(2) سورة النساء آية 3
(3) سورة النساء آية 72
(4) تفسير الطبرى 15: 498
(5) سورة مريم آية 26
(6) الكتاب لسيبويه 1: 280 و الفية ابن عقيل 1: 334 الشاهد 108 و تفسير الطبرى 15: 497 و تمام البيت:
و صدر مشرق النحر كأن ثدياه حقان

و أراد (كأن) المشددة، فخفف، و اعمل، لان سيبويه حكى عمن يثق به أنه سمع من العرب من يقول: ان عمراً لمنطلق، قال و أهل المدينة يقرؤن «وَ إِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ» «1» يخفون و ينصبون، و وجه النصب بها مع التخفيف ان (ان) مشبهة فى نصبها بالفعل، و الفعل يعمل محذوفاً كما يعمل غير محذوف فى نحو (لم يک زيد منطلقاً، فلا تک منطلقاً) و كذلک «فَلا تَكُ فِى مِرْيَةٍ» فاما من خفف (ان) و نصب (كلا) و شدد (لما) فقراءته مشكلة لأن (أن) إذا نصب بها و كانت مخففة كانت بمنزلة الثقيلة و (لما) إذا شددت كانت بمنزلة (إلا) فكذلک قراءة من شدد (لما) و ثقل (ان) مشكلة، لأنه كما لا يحسن أن تقول: ان زيد إلا منطلقاً فكذلک لا يحسن تثقيل (ان) و تخفيفها و يراد الثقيلة مع تثقيل (لما) فاما قولهم: نشدتک اللّه لما فعلت، و الا فعلت، فقال الخليل: معناه لتفعلن، كما تقول: أقسمت عليک لتفعلن و إنما دخل (إلا و لما) لان المعنى الطلب، فكأنه قال: ما أسألک إلا فعل كذا، فلم يذكر حرف النفى فى اللفظ، و إن كان مراداً، و ليس فى الآية معنى نفى و لا طلب، و ضعف ابو على الوجه الذى حكيناه من ان أصله (لمن ما) فأدغم النون فى الميم بعد ما قلبت ميماً. قال: لان الحرف المدغم، إذا كان قبله ساكن نحو (يوم مالک) لم يقوّ الإدغام فيه على أن يحرک الساكن الذى قبل الحرف المدغم، فإذا لم يجز ذلک فيه، و كان

التغيير أسهل من الحذف، فانه لا يجوز الحذف الذى هو أجدر، فى باب التغيير من تحريک الساكن على أنّ فى هذه السورة ميمات اجتمعت فى الإدغام، أكثر مما اجتمعت فى (لمن ما) و لم يحذف منها شىء نحو قوله «وَ عَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَکَ» «2» و لم يحذف شىء منها فبأن لا يحذف- هاهنا- أجدر و حكى عن الكسائى أنه قال لا أعرف وجه التثقيل فى (لما) قال ابو على: و لم يبعد فى ذلک، قال أبو على: و لو خفف مخفف (ان) و رفع (كلا) و ثقل (لما) و يكون المعنى ما كل الا ليوفينهم، كما قال «وَ إِنْ كُلُّ ذلِکَ لَمَّا مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا» «3» لكان ذلک أبين من النصب فى (كل) و تثقيل

---

(1) سورة يس آية 32
(2) سورة هود آية 48
(3) سورة الزخرف آية 35 [.....]

(لما) و (كل) فى الآية معرفة، و المعنى و إن كل المكلفين ليوفينهم ربک أعمالهم أو كل المختلفين على ما تقدم ذكره كما يقولون: مررت بكل قائماً، و التوفية بلوغ المقدار من غير نقصان، و التوفية مساواة المقدار فى معناه، لأنه إذا ساواه فى جنسه لم يجب به توفية.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية انه يوفى جميع المكلفين ما يستحقونه على أعمالهم من الثواب و العقاب، لأنه عالم بما فعلوه خبير به، لا يخفى عليه شىء من ذلک و من ليس بعالم لا يمكنه ذلک، لأنه يجوز ان يكون قد خفى عليه كثير منه، و هو تعالى لا يخفى عليه خافية.

فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَ مَنْ تابَ مَعَكَ وَ لا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112)
آية بلا خلاف.
أمر اللَّه النبى صلّى اللَّه عليه و سلم و أمته أن يستقيموا كما أمرهم اللَّه، و كذلک من رجع الى اللَّه و الى نبيه «و لا تطغوا» يعنى فى الاستقامة، فيخرجوا عن حدها بالزيادة على ما أمرهم فرضاً كان أو نفلًا. و قيل: معناه لا تطغينكم النعمة، فتخرجوا من الاستقامة.
و (الاستقامة) الاستمرار فى جهة واحدة، و ان لا يعدل يميناً و شمالًا.
و (الطغيان) تجاوز المقدار فى الفساد. و الطاغى كالباغى فى صفة الذم، و طغى الماء مشبه بحال الطاغى، و انما خص من تاب دون ان أسلم من أول حاله للتغليب فى الأكثر و يدخل فيه الأقل على وجه التبع.
و قوله «إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» اخبار منه تعالى أنه عالم بأعمالهم لا يخفى عليه شىء منها.

وَ لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ (113)
آية بلا خلاف.
نهى اللّه تعالى فى هذه الآية عباده المكلفين عن أن يركنوا الى الذين ظلموا نفوسهم و غيرهم. و (الركون) الى الشىء هو السكون اليه بالمحبة اليه و الإنصات اليه، و نقيضه النفور عنه. و انما نهاهم عن الركون الى الظلمة لما فى ذلک من الاستئناس به «فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ» جواب النهى و بيان، لأنهم متى خالفوا هذا النهى، و سكنوا الى الظالمين نالتهم النار، و لم يكن لهم ناصر من دون اللّه يدفع عنهم ثم لا يجدون من ينصرهم، و يدفع عنهم على وجه المغالبة، و الولى ضد العدو، و جمعه أولياء. و قال الجبائى معنى «ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ» انكم إن ركنتم الى الكفار و الظالمين، و سكنتم اليهم مستكم النار فى الآخرة ثم لا تنصرون فى الدنيا على الكفار.

وَ أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ (114)
آية بلا خلاف.
قرأ أبو جعفر (زلفا) بضم اللام. أمر اللَّه تعالى فى هذه الآية نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم و أمة نبيه باقامة الصلاة، و إقامتها هو الإتيان بأعمال الصلاة على وجه التمام فى ركوعها و سجودها و سائر فروضها. و قيل اقامة الصلاة هو عمل على استواء كالقيام الذى هو الانتصاب فى الاستواء. و قيل هو الدوام على فعلها من قولهم:
ما قائم اى دائم واقف. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 79
و قوله «طَرَفَيِ النَّهارِ» يريد بهما صلاة الفجر و المغرب- فى قول ابن عباس و الحسن و ابن زيد و الجبائى- و قال الزجاج يعنى الغداة الظهر و العصر، و به قال مجاهد، و محمد بن كعب القرطى، و الضحاك. و يحتمل أن يريد بذلك صلاة الفجر و العصر، لان طرف الشىء من الشىء و صلاة المغرب ليست من النهار.
و قوله «وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ» قال ابن عبّاس و مجاهد و ابن زيد: يريد العشاء الآخرة و قال الزجاج يعنى المغرب و العشاء الآخرة. و (الزلفة) المنزلة و جمعها زلف قال العجاج:
ناج طواه الأين ممّا و جفا طى الليالى زلفاً فزلفا «1»
قال الزجاج:و يجوز زلفاً بضم اللام، و نصبه على الظرف و هو واحد مثل الحلم، و يجوز أن يكون جمع زليف مثل قريب و قرب، و منه اشتقاق المزدلفة لأن ازدلاف الناس اليها منزلة من عرفات.
و من قال: المراد ب (طرفى النهار) الفجر و المغرب، قال ترک ذكر الظهر و العصر لأحد أمرين:
أحدهما ترک ذكرهما لظهورهما فى انهما صلاة النهار، و التقدير أقم الصلاة طرفى النهار مع الصلاة المعروفة من صلاة النهار.
و الآخر- انهما ذكرا على التبع للطرف الأخير، لأنهما بعد الزوال، فهما أقرب اليه. و قد قال اللَّه تعالى «أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ» «2» و دلوكها زوالها.

---

(1) ديوانه: 84 و مجاز القرآن 1/ 300 و سيبويه 1: 180 و اللسان (زلف، حقف، سما، و جف) و الصحاح، و التاج (زلف) يصف الشاعر بعيره. و بعده:
سماوة الهلال حتى احقوقفا
و الأين التعب، و الوجف السرعة فى السير. شبهه بالهلال. لاعوجاجه، عند

علوه و صعوده.
(2) سورة الإسراء آية 78.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 80
و قوله «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ» قيل فيه و جهان:
أحدهما- تذهب به على وجه التكفير إذا كانت المعصية صغيرة.
و الآخر- ان المراد بالحسنات التوبة تذهب بالسيئة أى تسقط عقابها، لأنه لا خلاف فى ان سقوط العقاب عند التوبة. و قد قيل ان الدوام على فعل الحسنات يدعو الى ترك السيئات فكأنها أذهبت بها.
و قوله «ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ» يعنى ما ذكره من قوله «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ» فيه تذكار لمن تذكر به و فكّر فيه.

وَ اصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (115)
آية بلا خلاف.
أمر اللَّه تعالى نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم بالصبر على أذى قومه و تكذيبهم إياه، و التجلد عليه، و على القيام بما افترض عليه من أداء الواجب، و الامتناع من القبيح، و بين له انه لا يضيع و لا يهمل أجر المحسنين على إحسانهم بل يكافيهم عليه أتم الجزاء و أكمل الثواب، و (الصبر) حبس النفس عن الخروج الى ما لا يجوز من ترک الحق، و ضده الجزع قال الشاعر:
فان تصبرا فالصبر خير مغبة و ان تجزعا فالأمر ما تريان «1»
و الصبر على الباطل مذموم، قال اللَّه تعالى «وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ» «2» و يعين على الصبر شيئان:

---

(1) من هذا البيت فى 1: 202.
(2) سورة ص آية 6.

أحدهما- العلم بما يعقب من الخير فى كل وجه و عادة النفس له.
و الثانى- استشعار ما فى لزوم الحق من العز و الأجر بطاعة اللَّه. و الصبر مأخوذ من الصبر المر، لأنه تجرع مرارة الحق بحسب النفس عن الخروج الى المشتهى.

فَلَوْ لا كانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِى الْأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ وَ كانُوا مُجْرِمِينَ (116)

آية بلا خلاف.

معنى «فَلَوْ لا كانَ» هلا كان، و لم لا، و ألا كان، و معناه النفى و تقديره لم يكن من القرون من قبلكم، فهو تعجيب و توبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من كان قبلهم فى الفساد نحو عاد و ثمود، و سائر القرون الذين مرّ ذكرهم فى القرآن، و أخبر اللّه بهلاكها «أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِى الْأَرْضِ» أى كان يجب أن يكون منهم قوم باقون فى الأرض ينهون عن الفساد فى الأرض مع إنعام اللّه عليهم بكمال العقل و القدرة، و بعثة الرسل اليهم، و اقامة الحجج. و أولوا بقية هم الباقون، فعجب اللّه نبيه كيف لم يكن منهم بقية فى الأرض يأمرون فيها بالمعروف و ينهون فيها عن المنكر، و كيف اجتمعوا على الكفر حتى استأصلهم اللّه بالعذاب و العقوبات لكفرهم باللّه و معاصيهم له ثم استثنا بقوله «الا قليلا» و المعنى انهم هلكوا جميعاً الا قليلا ممن أنجى اللّه منهم، و هم الذين آمنوا مع الرسل، و نجوا معهم من العذاب الذى نزل بقومهم.

و قوله «وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ وَ كانُوا مُجْرِمِينَ» معناه أنهم اتبعوا التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 82

التلذذ و التنعم بالأموال و النعم التى أعطاهم اللّه إياها، و قضوا الشهوات و ذلک من الحرام. و بين انهم كانوا بذلک مجرمين عاصين للّه تعالى.

و قال الفراء و الزجاج: ان قوله «الا قليلا» استثناء منقطع، لأنه إيجاب لما تقدم فيه صيغة النفى و إنما تقدم تهجين لمخرج السؤال، و لو رفع لجاز فى الكلام.

و معنى «أُتْرِفُوا فِيهِ» اى عوّدوا الترفة بالتنعيم و اللذة، و ذلک ان الترفة عادة النعمة قال الشاعر:

يهدى رؤس المترفين الصداد الى أمير المؤمنين الممتاد «1»

اى المسئول، و أبطر بهم النعمة حتى طغوا و بغوا، و فى الآية دلالة على وجوب النهى عن المنكر، لأنه تعالى ذمهم بترک النهى عن الفساد، و انه نجا القليل بنهيهم عنه، فلو نهى الكثير كما نهى القليل لما اهلكوا، و معنى «أُولُوا بَقِيَّةٍ» اصحاب جماعة تبقى من نسلهم، و البقية ممدوحة يقال فى فلان بقية أى فيه فضل و خير، كأنه قيل بقية خير من الخير الماضى.

وَ ما كانَ رَبُّکَ لِيُهْلِکَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها مُصْلِحُونَ (117)
آية بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى انه لم يهلک أهل قرية فيما مضى، ممن ذكر إهلاكهم مع أن أهلها او أكثرهم يفعلون الصلاح، و انما اهلكهم إذا أفسدوا كلهم او أكثرهم و الإصلاح فعل الصلاح. و قوله «بظلم» فيه ثلاثة أوجه: أولها بظلم صغير، فيكون منهم لأنه يقع مكفراً بما معهم من الثواب الكثير.

---

(1) قائلة رؤية و قد مر فى 4/ 63 من هذا الكتاب و هو تفسير الطبرى 12/ 79 (الطبعة الاولى).

الثانى- بظلم كثير من قليل منهم، مع أن أكثرهم المصلحون، لان القليل لا يعتد به فى جنب الكثير.
الثالث- ان المعنى بظلم منا، كما قال اللَّه تعالى «إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً» «1».

وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ وَ لِذلِکَ خَلَقَهُمْ وَ تَمَّتْ کَلِمَةُ رَبِّکَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)

آيتان فى الكوفى و البصرى تمام الاولى عند قوله مختلفين و هى آية فيما سوى ذلک.

هذه الآية تتضمن الاخبار عن قدرته تعالى بأنه لو شاء تعالى لجعل الناس أمة واحدة أى على دين واحد، كما قال «إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ» «2» و قال «وَ لَوْ لا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً» «3» أى على دين واحد بأن يلجئهم الى الإسلام بأن يخلق فى قلوبهم العلم بأنهم لو داموا على غير ذلک لمنعوا منه، لكن ذلک ينافى التكليف و يبطل الغرض بالتكليف لأن الغرض به استحقاق الثواب.

و قوله «وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ» معناه فى الأديان كاليهود و النصارى و المجوس و غير ذلک من اختلاف المذاهب الباطلة فى قول مجاهد و قتادة و عطا و الأعمش و الحسن فى رواية، و فى رواية أخرى عن الحسن أنهم يختلفون بالارزاق و الأحوال و يتحيز بعضهم لبعض. و الاول أقوى.

---

(1) سورة يونس آية 44.

(2) سورة الزخرف آية 22، 23.

(3) سورة الزخرف آية 33.

و الاختلاف هو اعتقاد كل واحد نقيض ما يعتقده الآخر، و هو ما لا يمكن أن يجتمعا فى الصحة و ان أمكن ان يجتمعا فى الفساد، ألا ترى أن اليهودية و النصرانية لا يجوز أن يكونا صحيحين مع اتفاقهما فى الفساد، و يجوز ان يكون فى اختلاف اهل الملل المخالفة للإسلام حق، لأن باعتقاد اليهودى ان النصرانية باطلة و اعتقاد النصرانى ان اليهودية فاسدة حق.

و قوله «إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ» استثناء منقطع، و لذلک جعل رأس آية، و لو كان متصلًا لم يجز ذلک، و انما كان استثناء منقطعاً، لان الاول على انهم يختلفون بالباطل، و ليس كذلک من رحم لاجتماعهم على الحق. و المعنى «وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ» بالباطل «إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ» بفعل اللطف لهم الذى يؤمنون عنده و يستحقون به الثواب، فان من هذه صورته ناج من الاختلاف بالباطل.

و قوله «وَ لِذلِکَ خَلَقَهُمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاک ان المراد و للرحمة

خلقهم و ليس لاحد ان يقول لو أراد ذلک لقال: و لتلک خلقهم لأن الرحمة مؤنثة اللفظ و ذلک ان تأنيث الرحمة ليس بتأنيث حقيقى، و ما ذلک حكمه جاز ان يعبر عنه بالتذكير، و لذلک قال اللّه تعالى «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» «1» و لم يقل قريبة على انه لا يمتنع ان يكون المراد: و لأن يرحم خلقهم، لأن الرحمة تدل على ذلک، فعلى هذا يكون التذكير واقعاً موقعه.
الثانى- ان يكون اللام لام العاقبة، و التقدير أنه خلقهم و علم أن عاقبتهم تؤل الى الاختلاف المذموم، كما قال «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «2» و كما قلنا فى قوله «وَ لَقَدْ ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ» «3» و هو المروى عن ابن عباس و الحسن و عطاء و مالک، و قد يكون اللام بمعنى (على) كقولک أكرمتک على

---

(1) سورة الاعراف آية 56.
(2) سورة القصص آية 8.
(3) سورة الاعراف آية 179.

برّک بى اى لبرّک بى، فيكون التقدير، و على ذلک خلقهم، و لا يجوز ان يكون اللام لام الغرض، و يرجع الى الاختلاف المذموم، لان اللّه تعالى لا يخلقهم و يريد منهم خلاف الحق، لأنه صفة نقص يتعالى اللّه عن ذلک. و ايضاً فلو أراد منهم ذلک الاختلاف، لكانوا مطيعين له، لأن الطاعة هى موافقة الارادة و الأمر، و لو كانوا كذلک لم يستحقوا عقاباً. و قد قال تعالى «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» «1». فبيّن تعالى انه خلقهم و أراد منهم العبادة، فكيف يجوز مع ذلک ان يكون مريداً لخلاف ذلک، و هل هذا الا تناقض؟! يتعالى اللّه عن ذلک.
على ان فى اختلاف أهل الضلال ما يريده اللّه، و هو اختلاف اليهود و النصارى فى التثليث، و اختلاف النصارى لليهود فى تأبيد شرع موسى.
و قيل ان معنى الاختلاف هاهنا هو مضى قوم و مجىء قوم آخرين، كما قال «هُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً» «2». و هذا الاختلاف يجوز ان يريده اللّه.
و قال الحسن قوله «وَ لِذلِکَ خَلَقَهُمْ» مردود على قوله «وَ ما كانَ رَبُّکَ لِيُهْلِکَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها مُصْلِحُونَ» «3» و المعنى خلقهم ليكون عدله فيهم، هذا، لا أن يهلكهم و هم مصلحون.
و قوله «وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً» على الايمان، و هذه مشيئة القدرة «وَ لِذلِکَ خَلَقَهُمْ» ان تكون مشيئته و قدرته عليهم، «وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ وَ لِذلِکَ خَلَقَهُمْ» قال ليخالف اهل الحق اهل الباطل، و هو كقوله «لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَ مَنْ حَوْلَها وَ تُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ

فِيهِ فَرِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ» «4».

---

(1) سورة الذاريات آية 56.
(2) سورة الفرقان آية 62.
(3) سورة هود آية 118. [.....]
(4) سورة الشورى آية 7.

و يقوى هذا التأويل قوله «وَ إِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِى عَمَلِى وَ لَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَ أَنَا بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ» «1». و قوله «قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ» «2»، فيكون اللّه خلقهم ليخالفوا الكافرين و المبطلين. و قال عمر عن الحسن: ان معنى «وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ» ليكون أمر الكفار مختلفاً بكفرهم و تكذيبهم. و قال البلخى: أخبر أنهم لا يزالون مختلفين إلا من رحم، فإنهم غير مختلفين، هذا معنى الآية، و الا فلا معنى لها. ثم قال «وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ» اى لان يكونوا أمة واحدة متفقين غير مختلفين.

و قوله «وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ»، معناه التحذير لكل احد ان يكون ممن تملأ جهنم به، و تمامها وقوع مخبرها على ما تقدم بها، و هذا يمين أقسم اللّه به، و تقديره يميناً لاملأن، كما تقول: حلفى لأضربنک، و بدا لى لأضربنک. و كل فعل كان تأويله كتأويل بلغنى، أو قيل لى أو انتهى إلىّ، فان (اللام) و (ان) يصلحان فيه، فتقول بدا لى لأضربنک، و بدا لى ان أضربک، فلو قيل و تمت كلمة ربک أن يملأ جهنم من الجنة و الناس كان صواباً.

وَ كُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْکَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَکَ وَ جاءَکَ فِی هذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِکْری لِلْمُؤْمِنِینَ (120)
آية بلا خلاف.
قوله «و كلا» نصب على المصدر، و تقديره، كل القصص نقص عليک. و قال قوم: نصب على الحال، فقدم الحال قبل العامل، كما تقول: كلا ضربت، و يجوز ان يكون نصباً على انه مفعول به، و تقديره: و كل الذى تحتاج اليه نقص عليک،

---

(1) سورة يونس آية 41.
(2) سورة الكافرون آية 1- 2.

و يكون «ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَکَ» بدلًا منه- فى قول الزجاج- و القصص الخبر عن الأمور بما يتلو بعضه بعضاً، مأخوذاً من قصه يقصه إذا اتبع أثره، و منه قوله «قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ» «1» أى اتبعى اثره. و الانباء جمع نبأ، و هو الخبر بما فيه عظم الشأن، و كذلک يقولون لهذا الأمر نبأ، و التثبيت تمكين اقامة الشىء ثبته تثبيتاً إذا مكنه، و معنى «ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَکَ» يحتمل ان يكون ذلک بتسكينه، و يحتمل ايضاً ان يكون بالدلالة على وجوده. و الفؤاد القلب مأخوذ من المفتاد، و هو المشوى قال النابغة:
كان خارجاً من حيث صفحته سفود شرب نسوه عند مفتأد «2»
.و معنى «وَ جاءَکَ فِی هذِهِ الْحَقُّ» قال ابن عباس، و الحسن، و مجاهد: يعنى فى هذه السورة. و قال الجبائى يعنى جاءک فى هذه الأنباء. و قال الزجاج: يعنى فى هذه الأزمان. و قال قتادة: معناه فى هذه الدنيا. و الأول أصح، و التقدير و جاءک فى هذه السورة الحق مع ما جاءک فى سائر السور.
و معنى (الآية) الاعتبار بقصص الرسل لما فيه من حسن صبرهم على أمتهم و اجتهادهم فى دعائهم الى عبادة اللّه مع الحق الذى من عمل عليه نجا، و مع الوعظ الذى يلين القلب لسلوک طريق الحق، و مع تذكر الخير و الشر، و ما يدعو اليه كل واحد منهما فى عاقبة النفع أو الضرر.
و قوله «و موعظة» يعنى جاءک موعظة تعظ الجاهلين باللّه.
و قوله «وَ ذِکْری لِلْمُؤْمِنِینَ» معناه تذكرة تذكر المؤمنين باللّه و رسله كى لا يفعلوا غير الواجب.

---

(1) سورة القصص آية 11.

(2) اللسان (فأد) و مجمع البيان 3/ 203.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 88

وَ قُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنَّا عامِلُونَ (121) وَ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (122)

آيتان فى الكوفى و البصرى، و إحدى المدينين تمام الاولى انا عاملون، و آية فيما سوى ذلک.

أمر اللَّه نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم ان يقول للكفار الذين لا يصدقون بتوحيد اللَّه و لا يعترفون بنبوة نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم «اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ» و المكانة الطريقة التى يتمكن من العمل عليها، و يقال: له مكانة عند السلطان- أى جاه، و قدر- و هذا خرج مخرج التهديد، و هو مثل قوله «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ» «1».

و قوله «إِنَّا عامِلُونَ» معناه إنا عاملون على الايمان الذى أمرنا اللَّه به و دعانا اليه.

و قوله «وَ انْتَظِرُوا» أى توقعوا، و قد فرق بينهما بأن التوقع طلب ما يقدر أنه يقع، لأنه من الوقوع. و الانتظار طلب ما يقدر النظر اليه، لأنه من النظر.

و الفرق بين الانتظار و الترجى، أن الترجى للخير خاصة، و الانتظار فى الخير و الشر. و لو دخلت الفاء فى قوله «إنا» لأفاد أن الثانى لأجل الأول و حيث لم تدخل لم تفد ذلک.

و متعلق الانتظار يحتمل أمرين:

أحدهما- انتظروا ما يعدكم الشيطان من الغرور، فانا منتظرون ما يعدنا ربنا من النصر و العلوّ، فى قول ابن جريج.

---

(1) سورة حم السجدة آية. 4.

الثانى- انتظروا ما يعدكم ربكم على الكفر من العذاب، فانا منتظرون ما يعدنا على الايمان من الثواب.

وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)
آية بلا خلاف.
قرأ نافع و حفص يرجع- بضم الياء و فتح الجيم- و قرأ أهل المدينة، و ابن عامر، و حفص، و يعقوب (يعلمون) بالياء- هاهنا، و فى النمل. الباقون بالتاء.
من ضم الياء فلقوله «ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ» «1»، و المعنى رد أمرهم الى اللَّه.
و من فتح الياء فلقوله «وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ» «2»، و المعنيان متقاربان.
و من قرأ بالتاء فى «تعملون» جعل الخطاب للنبىّ و لأمته، و هو أعمّ فائده.
و من قرأ بالياء فى «يعملون» جعل ذلک متوجهاً الى من تقدم ذكره من الكفار، و فيه ضرب من التهديد.
أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية بأن له غيب السموات و الأرض، و خص الغيب بذلک لاحد أمرين:
أحدهما- لان ذلک يدل على ان له شهادة ايضاً.

---

(1) سورة الانعام آية 62، و فى سورة يونس آية 30 «وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ».
(2) سورة الانفطار آية 19.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 90
الثانى- لعظم شأن الغيب الذى له. و من كان له الغيب كان له الشهادة، و الغيب كون الشىء بحيث لا يلحقه الحس، و منه «عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» «1».
أى عالم الموجود و المعدوم، و ما يغيب عن احساس الناس و ما يظهر لها، و معنى «وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ» أى يذهب الى حيث ابتدأ منه، فرجوع الأمر الى اللَّه بالاعادة بعد النشأة الاولى. و قيل ترجع الأمور الى ان لا يملكها سواه تعالى- فى قول أبى على الجبائى.
و قوله «فاعبده» أى وجه عبادتک اليه وحده «وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» فالغفلة السهو، الا ان الغفلة يغلب عليها ان تكون بعد اليقظة، كالنوم بعد الانتباه، و السهو نقيض الذكر من غير علة فى الصفة. و المعنى انه ليس ربک يا محمد صلّى اللَّه عليه و سلم بساه عن اعمال عباده، بل هو عالم بها و مجاز كلًا على ما يستحقه من ثواب أو عقاب، فلا يحزنک إعراضهم عنک، و ترک قبولهم منک. و قال كعب الا حبار خاتمه التوراة خاتمه هود.

---

(1) سورة التوبة آية 95، 109 و سورة المؤمنون آية 93، و سورة الزمر

آیة 46، و سورة الجمعة آیة 8.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 91

اشارة

مكية فى قول مجاهد، و قتادة، و هى مائة و احدى عشر آية بلا خلاف فى ذلک

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ (1)
آية بلا خلاف.
لم يعدوا (الر) آية، لأنه على حرفين، و لا يشاكل رؤوس الآى، فيعد من الفواصل بالوجهين، لأنه بالحرفين يجرى مجرى الأسماء الناقصة. و إنما يؤمّ بالفواصل التمام، و انما يعد (طه) لأنه يشبه رؤوس الآى. و قد بينا فيما تقدم اختلاف المفسرين فى مبادئ السور بهذه الحروف «1». و قلنا أن أقوى الأقوال قول من قال إنها اسماء للسور، فلا وجه، لا عادة القول فيها.
قوله «تِلْكَ آياتُ» قال قوم: هو اشارة الى ما تقدم من ذكره السورة فى قول «الر» كأنه قال سورة يوسف «تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ».
الثانى- انه اشارة الى ما يأتى من ذكرها على وجه التوقع لها. و قال قوم:

---

(1) انظر 1/ 47- 50، 2/ 388، 4/ 367، 5/ 381، 511.

معناه هذه تلك الآيات التى وعدتم بها فى التوراة، كما قال «الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ» معناه المظهر لحلال اللّه و حرامه و المعانى المرادة به، و هو قول مجاهد و قتادة، و يروى عن معاذ أنه قال (المبين) قال بين الحروف التى سقطت عن ألسن الأعاجم، و هى ستة يعنى حروف الحلق.
و البيان هو الدلالة. و قال الرمانى البيان: إظهار المعنى من الطريق التى من جنسه. و البرهان إنما هو إظهار صحة المعنى بما يشهد به، و إنما سميت (آيات) لما فيها من الدلالة القاطعة على صحة ما تضمنته الآية الدالة.

إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)
آية بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى أنه انزل هذا الكتاب قرآناً عربياً لكى يعقلوا معانيه و أغراضه، و سمّاه (قرآناً) لما تضمن مجموع خبر يوسف و غير ذلک. و (القرآن) كلام فى أعلا طبقة البلاغة، و وجه بلاغة القرآن كونه فى نهاية التلاؤم المنافى للتنافر فى تأليف اللفظ و المعنى: مع تشاكل المقاطع فى الفواصل بما يقتضيه المعنى و مع تصريف القول على احسن ما تصرف به المعنى.
و العقل مجموعة علوم يتمكن معها من الاستدلال بالشاهدين على الغائب، و يفصل به بين الحسن و القبيح. ثم يجرى على كل ما يعقله الإنسان فى نفسه من المعانى.
و فى الآية دليل على ان كلام اللَّه محدث، لأنه وصفه بالانزال و بأنه عربى، و لا يوصف بذلک القديم.
و فيه دلالة على أن القرآن غير اللَّه، لأنه وصفه بأنه عربى، و من يزعم أن اللَّه عربى، فقد كفر، و ما كان غير اللَّه فهو محدث. بيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 93
و الهاء فى قوله «إِنَّا أَنْزَلْناهُ» كناية عن الكتاب الذى تقدم ذكره. قال الزجاج: و يجوز ان يكون المعنى إنا أنزلنا خبر يوسف، و قصته، لأن علماء اليهود، قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمداً صلّى اللَّه عليه و سلم لم انتقل يعقوب من الشام الى مصر، و عن قصة يوسف، فانزل اللَّه الآية و دليله قوله «لَقَدْ كانَ فِى يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ».

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْکَ هذَا الْقُرْآنَ وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ (3)
آية بلا خلاف.
أخبر اللَّه انه يقص على نبيه احسن القصص، و (القصص) يتعدى بحرف الجر فى عليک لان معناه يتلو بعض الحديث بعضاً، و لو قال: نخبرک، لتعدى بنفسه و قوله «أَحْسَنَ الْقَصَصِ» يدل على ان الحسن يتفاضل و يتعاظم، لأن لفظ أفعل حقيقتها ذلک، و انما يتعاظم بكثرة استحقاق المدح عليه.
و قوله «بِما أَوْحَيْنا إِلَيْکَ هذَا الْقُرْآنَ» دخلت الباء فى بما أوحينا، لتبيين أن القصص يكون قرآناً و غير قرآن، و القصص- هاهنا- بالوحى: القرآن كأنه قال أوحينا اليک هذا القرآن، و نصب القرآن بإيقاع الوحى عليه، و كان يجوز فيه الجر على البدل من (ما) و الرفع على ان يكون جواب (ما) (هذا) فى قول الزجاج، و لم يقرأ بغير النصب.
و قوله «وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ» بمعنى كنت يا محمد صلّى اللَّه عليه و سلم قبل وحينا اليک غافلًا عن الأحكام التى ذكرناها فى القرآن حتى أتيناک بها، و دللناک عليها، و لم تكن تهتدى اليها. و قيل معناه من الغافلين عن قصة يوسف و أخوته، حتى أخبرناک بها.

إِذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّی رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِی ساجِدِينَ (4)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن عامر و ابو جعفر «يا أبت» بفتح التاء فی جميع القرآن. الباقون بكسر التاء، و ابن كثير يقف بالهاء. الباقون يقفون بالتاء، و قرأ ابو جعفر أحد عشر و تسعة عشر بسكون العين فيها. الباقون بفتحها.
العامل فی (إذ) أحد أمرين: أحدهما- اذكر «إِذْ قالَ يُوسُفُ». و الثانی- نقص عليک «إذ قال»، فی قول الزجاج، و لا يكون على هذا الوجه ظرفاً للقصص فی معنى نذكره، و يجوز فی «يا أبت» ثلاثة أوجه من الاعراب:
أحدهما- الكسر على حذف ياء الاضافة.
الثانی- (يا أبت) بفتح التاء على حذف الألف المنقلبة عن ياء الاضافة، كأنه أراد يا أبتا، فحذف الالف كما تحذف الياء، فتبقى الفتحة دالة على الالف، كما ان الكسرة دالة على الياء، قال رؤبة:
يا أبتا علّک أو عساكا «1»
فلما كثرت هذه الكلمة فی كلامهم ألزموه القلب، قال ابو على الفارسی:
و يحتمل ان يكون مثل يا طلحة اقبل، و وجهه ان الأسماء التی فيها تاء التأنيث أكثر ما ينادى مرخماً، فلما كان كذلک رد التاء المحذوفة فی الترخيم و ترک الامر يجرى على ما كان يجرى عليه فی الترخيم من الفتح، فلم يعتد بالهاء، و اقحامها كما قالوا: و أجمعت اليمامة يريدون أهل اليمامة، قالوا: أجمعت أهل اليمامة، فلم يعتدوا برد اهل.

---

(1) تفسير القرطبی 9: 119 و صدره:
تقول بنتی قد انی اناكا

الثالث- يا أبة بضم الهاء فی قول الفراء و لم يجره الزجاج، قال: لأن التاء عوض من ياء الاضافة. قال الرمانی هذا جائز لأن العوض لا يمنع من الحذف، و الوقف يجوز على التاء، لان الاضافة مقدّرة بعدها، و ان قدر على حذف الالف لم يجز الوقف، الا بالتاء و ان قدر على الاقحام جاز الوقف كقول النابغة:
كلينی لهم يا أميمة ناصب و ليل اقاسيه بطیء الكواكب «1»
و انما دخلت الهاء فی (يا أبت) للعوض من ياء الاضافة إذ يكثر فی النداء، مع لزوم معنى الاضافة، فكان أحق بالعلامة لهذه العلة. و قال أبو على: إنما وقف ابن كثير بالهاء، فقال يا أبة، لأن التاء التی للتأنيث تبدل منها الهاء فی

الوقف، و لم يجز على تقدير الاضافة، لأنه إذا وقف عليها سكنت للوقف و إذا سكنت كانت بمنزلة ما لا يراد به الاضافة فأبدل منها الهاء كما إذا قال يا طلحة أقبل بفتح التاء، و إذا وقف عليها أبدل الهاء ياء.
و إنما- أعاد ذكر «رأيتهم» لامرين: أحدهما- للتوكيد حيث طال الكلام.
الثانى- ليدل انه رآهم و رأى سجودهم، و فى معنى سجودهم قولان:
أحدهما- هو السجود المعروف على الحقيقة تكرمة له لا عبادة له.
الثانى- الخضوع- فى قول أبى على- كما قال الشاعر:
ترى الا كم فيه سجدا للحوافر «2»
و هو ترک للظاهر، و قال الحسن: الأحد عشر اخوته، و الشمس و القمر أبواه، و انما قال ساجدين بالياء و النون، و هو جمع ما لا يعقل، لأنه لما وصفها بفعل ما يعقل من السجود أجرى عليها صفات ما يعقل، كما قال «يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ» «3» لما أمروا امر من يعقل.

---

(1) مر تخريجه فى 5: 368.
(2) مر هذا الشعر فى 1: 148، 263، 311، 4: 233، 383.
(3) سورة النمل آية 18. [.....]

و (كوكباً) منصوب على التمييز و (أحد عشر) الاسمان جعلا اسماً واحداً، و كذلک الى تسعة عشر، و اللغة الجيدة عند البصريين فتح العين، و حكى سكون العين، و حكى الزجاج احدى عشر و هى لغة ردية.

قالَ يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5)
آية بلا خلاف.
قرأ الكسائى الا أبا الحارث و قتيبة، و العبسى، و ابن اليزيدى بامالة «رؤياک» و الرؤيا فى جميع القرآن، و روى ابو الحارث فتح «رؤياک» و امالة الباقى. و قرأ قتيبة امالة «الرؤيا» و نصب «رؤياک».
و قرأ خلف فى اختياره بامالة ما فيه ألف و لام. الباقون بالتفخيم.
و خفف الهمزة فى جميع ذلک أبو جعفر، و ورش، و السمونى، و شجاع و الترمذى فى الإدراج، إلا ان أبا جعفر يدغم الواو فى الياء فتصير ياء مشددة، قال ابو على النحوى (الرؤيا) مصدر كالبشرى و السقيا و البقيا و الشورى إلا انه لما صار اسماً لهذا التخيل فى المنام جرى مجرى الأسماء، كما أن (درّ) لما كثر فى كلامهم فى قولهم للّه درک جرى مجرى الأسماء، و خرج من حكم الاعمال: فلا يعمل واحد منهما اعمال المصدر، و مما يقوى خروجه عن أحكام المصادر تكسيرهم لها (درى) فصادر بمنزلة (ظلم) و المصادر فى الأكثر لا تكسر، و الرؤيا على تحقيق الهمزة، فان حذفت قلبتها فى اللفظ واواً و لم يدغم الواو فى الياء، لان الواو فى تقدير الهمزة فهى لذلک غير لازمة، فلا يقع الاعتداد بها فلم تدغم، و قد كسر اوّلها قوم فقالوا (ريا) فهؤلاء قلبوا الواو قلباً لا على وجه التخفيف، و من ثم كسروا الفاء، كما كسروا من قولهم: قرن لوى و قرون لى. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 97
فى هذه الآية حكاية ما أجاب به يعقوب يوسف حين قصَّ عليه رؤياه و منامه، فقال له «يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ» أى لا تخبرهم بها فإنک إن أخبرتهم بذلک حسدوک و كادوک و احتالوا عليک، و انما قال ذلک لعلمه بأن تأويل الرؤيا أنهم يخضعون له.
و قوله «يا بنى» فيه ثلاث يا آت، الياء الاصلية، و ياء الاضافة، و ياء التصغير.
و حذفت ياء الاضافة اجتزاء بالكسرة و أدغمت احدى الياءين فى الاخرى. و فتح الياء و كسرها لغتان. و انما صغر (بنى) مع عظم منزلته، لأنه قصد بذلک صغر السن، و لم يقصد به تصغير الذم.
و الرؤيا تصور المعنى فى المنام على توهم الأبصار، و ذلک أن العقل مغمور بالنوم، فإذا تصور الإنسان المعنى توهم أنه يراه.
و الأخ المساوى فى الولادة من أب او أم أو منهما، و يجمع أخوة و آخاء. و الكيد طلب الغيظ بأذى الطالب لغيره كاده يكيد كيداً، فهو كائد.
و قوله «إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ» اخبار منه تعالى بأن الشيطان

معاد للإنسان، و يلقى العداوة بينهم، و اللام في قوله (لک کيداً) لام التعدية، كما يقال قدمت له طعاماً، و قدمت اليه طعاماً. و قال قوم: هو مثل قولهم شكرته و شكرت له، لأنه يقال كاده يكيده، و كاد له.
و حكى الكسائى أن قوماً يقولون: (الرّيا) بكسر الراء و تشديد الياء فيقلبون الهمزة واواً و يدعمون الواو فى الياء. و (رؤياً) فيها أربع لغات بضم الراء مع الهمزة و بالواو بلا همزة. و قد قرئ بهما، و بضم الراء و الإدغام. و بكسر الراء، و لا يقرأ بهاتين.

وَ كَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ عَلى آلِ يَعْقُوبَ كَما أَتَمَّها عَلى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6)

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 98

آية بلا خلاف.

هذه حكاية ما قال يعقوب لابنه يوسف (ع) و قوله له ان اللَّه يجتبيك، و يختارك، و يصطفيك و يكرمك بذلك، كما أكرمك بأن أراك فى منامك هذه الرؤيا، فوجه التشبيه و هو إعطاء الرؤيا بإعطاء الاجتباء مع ما انضاف اليه من الصفات الكريمة المحمودة التى ذكرها. و الاجتباء إختيار معالى الأمور للمجتبى مثل ما اختاره اللَّه تعالى ليوسف من الخصال الكريمة و الأمور السنية، و قال الحسن: اجتباه اللَّه بالنبوّة، و بشره بذلك. و أصله من جبيت الشىء إذا أخلصته لنفسك، و منه جبيت الماء فى الحوض.

و موضع الكاف من و (كذلك) نصب، و المعنى مثل ما رأيت تأويله يجتبيك ربك.

«وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ» معناه أنه تعالى يعرفك عبارة الرؤيا- فى قول قتادة، و مجاهد- و ذلك تأويل أحاديث الناس عما يرونه فى منامهم، و قيل كان أعبر الناس للرؤيا، ذكره ابن زيد. و قال الزجاج، و الجبائى: معناه يعلمك تأويل الأحاديث فى آيات اللَّه تعالى و دلائله على توحيده، و غير ذلك من أمور دينه. و التأويل فى الأصل هو المنتهى الذى يؤل اليه المعنى. و تأويل الحديث فقهه الذى هو حكمه، لأنه اظهار ما يؤل اليه أمره مما يعتمد عليه و فائدته.

و قوله «وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ» فاتمام النعمة هو أن يحكم بدوامها على إخلاصها من شائب بها فهذه النعمة التامة بخلوصها مما ينغصها، و لا تطلب الا من اللَّه تعالى لأنه لا يقدر عليها سواه. و قوله «كَما أَتَمَّها عَلى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ» اخبار من يعقوب ليوسف أن اللَّه تعالى يديم عليه هذه النعمة، كما أدامها على أبويه قبله: إبراهيم و إسحاق، و اصطفائه إياهما و جعله لهما نبيين رسولين الى خلقه التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 99

ثم أخبر مع ذلك أن اللَّه تعالى عليم بمن يصلح أَن يجتبى، حكيم فى اجتبائه من يجتبيه واضع للشىء فى موضعه، و فى غير ذلك من أفعاله. قال الفراء: قوله «وَ كَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ» جواب لقوله إنى رأيت أحد عشر كوكبا، فقيل له، و هكذا يجتبيك ربك (فكذلك، و هكذا) سواء فى المعنى، و قال ابن إسحاق إنما قص اللَّه تعالى قصة يوسف على محمد (صلّى اللَّه عليه و

سلم) ليعلمه أنه بغى عليه أخوته و حسدوه، فيسليه بذلک من بغى قومه عليه و حسدهم إياه.

لَقَدْ كانَ فِی یُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آیاتٌ لِلسَّائِلِینَ (7)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن كثير وحده «آية للسائلين» على التوحيد الباقون «آيات» على الجمع. قال أبو على النحوى من أفرد جعل شأنه كله آية. و يقوى ذلک قوله «وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً» «1»، فأفرد، و كل واحد منهما على انفراده يجوز أن يقال آية، فأفرد مع ذلک، و من جمع جعل كل واحد من أحواله آية، و من جمع على ذلک على أن المفرد المنكر فى الإيجاب يقع دالا على الكثرة كما يكون ذلک فى غير الإيجاب قال الشاعر:
فقتلا بتقتيل و ضرباً بضربكم جزاء العطاش لا ينام من الثار «2»
اللام فى قوله «لقد» هى اللام التى يتلقى بها القسم. أقسم اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه كان فى يوسف و فى اخوته آيات. و الآية الدلالة على ما كان من الأمور العظيمة.
و الآية و العلامة و العبرة نظائر فى اللغة. و قال الرمّانى: الفرق بين الآية و الحجة:
أن الحجة معتمد البينة التى توجب الثقة بصحة المعنى. و الآية تكشف عن المعنى

---

(1) سورة المؤمنون آية 51
(2) مجمع البيان 3: 210

الذى فيه أعجوبة. و وجه الآية فى يوسف و اخوته أنهم نالوه للحسد بالأذى مع أنهم أولاد الأنبياء: يعقوب و إسحاق و ابراهيم، فصفح و عفا، و أحسن و رجع الى الأولى، و كان ذلک خروجا عن العادات.
و قال الزجاج: معناه بصيرة للذين سألوا النبى صلّى اللَّه عليه و سلم فانبأهم بقصة يوسف- و هو صلّى اللَّه عليه و سلم لم يقرأ كتاباً، و لم يعلمه إلا من جهة الوحى- جوابا لهم حين سألوه.
و فى يوسف لغتان ضم السين و كسرها، و كذلک يونس بضم النون، و كسرها، و القراء على الضم فيهما، و حكى قطرب فتح النون فى يونس و هى شاذة.

إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنَّا وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبانا لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ (8)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن كثير و نافع و الكسائى «مبين اقتلوا» بضم التنوين. الباقون بكسره
قال أبو على: من ضم التنوين اتبع حركة التنوين ضمة الهمزة بعده، لان تحريكه ملزم لالتقاء الساكنين، كما قالوا مذ به و فى ظلمات فاتبعوا الضمة و كذلك «مُبِينِ اقْتُلُوا» «وَ قالَتِ اخْرُجْ»، و من كسر لم يتبع، و كسر على أصل الحركة لالتقاء الساكنين فى الامر الأكثر.
و العامل فى (إذا) اذكر، و تقديره اذكر إذ قالوا ليوسف. و يحتمل أن يكون العامل فيه ما فى الآية الاولى من قوله «لَقَدْ كانَ فِى يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ. إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ».
و فى الآية اخبار عما قالت أخوة يوسف حين سمعوا منام يوسف و تأويل يعقوب إياه. و قولهم: ان يوسف و أخاه لأبيه و أمه، و هو ابن يامين «أَحَبُّ إِلى أَبِينا» يعقوب «منا» مع انا عصبة أى جماعة، و الحب ضد البغض، و
الحب التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 101
- بفتح الحاء- سمى به، لأنه مما يحب، و الحب- بكسر الحاء- المفرط لما فيه من الحب، و الأحباب ان يبرك البعير فلا يثور، لأنه يحب البروك و المحبة، على ضربين:
أحدهما- المحبة التى هى ميل الطباع.
و الثانى- ارادة المنافع.
و الفرق بين المحبة و الشهوة أن الإنسان يحب الولد، و لا يشتهيه بأن يميل طبعه اليه و يرق عليه و يريد له الخير. و الشهوة منازعة النفس الى ما فيه اللذة.
و العصبة الجماعة التى يتعصب بعضها لبعض، و قولهم «وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ» أى جماعة يعين بعضها البعض، و كانوا عشرة. و العصبة يقع على الجماعة من عشرة إلى خمسة عشر، و لا واحد له من لفظه، كالرهط و القوم و النفر.
و قوله «إِنَّ أَبانا لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ» معناه الاخبار عن قولهم ان أبانا فى ذهاب عن طريق الحق و الصواب الذى فيه التعديل بيننا فى المحبة. و قيل: انهم أرادوا انه غلط فى تدبير أمر الدنيا إذ كانوا انفع له من يوسف و أخيه من أمه و أبيه إذ كانوا يقومون بأمواله و مواشيه، و لم يريدوا الضلال فى الدين، لأنهم لو أرادوا ذلك، لكانوا كفاراً، و ذلك خلاف الإجماع.
و اكثر المفسرين على ان اخوة يوسف كانوا أنبياء، و قال قوم: لم يكونوا كذلك، و هو مذهبنا، لأن الأنبياء لا يجوز ان تقع منهم القبائح، و خاصة ما

فعلوه مع أخيهم يوسف من طرحه فى الجب، و بيعهم إياه بالثمن البخس، و ادخالهم الغم به على أبيهم يعقوب، و كل ذلک يبين أنهم لم يكونوا أنبياء. و قال البلخى:
ذهب قوم الى أنهم لم يكونوا فى تلک الحال بلغوا الحلم، و قد يقع مثل ذلک ممن قارب البلوغ، و ان لم يبلغ، و يعاتب عليه و يذم، و يضرب على فعله.
و من قال: كانوا بالغين غير انهم لم يكونوا أنبياء استدل على بلوغهم بقوله «وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ»، و قولهم «يا أَباتَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا» و قال الأنبياء الأسباط من بنى يعقوب غير هؤلاء.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 102

اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ (9)

آية بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى عن اخوة يوسف انهم قال بعضهم لبعض «اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ، وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ» و معناه اطرحوه فى أرض تأكله السباع او يهلک بغير ذلک من الأمور. و قيل: معناه اطرحوه فى أرض يبعد عن أبيه، و لا يقدر عليه.

و قوله «يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ» جواب الأمر فى قوله «اقْتُلُوا يُوسُفَ» و لا يجوز فيه غير الجزم، لأنه ليس فيه ضمير، و المعنى انكم متى قتلتموه او طرحتموه فى أرض اخرى خلالكم أبوكم و حن عليكم «وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ» معناه إنكم إذا فعلتم ذلک و بلغتم أغراضكم تبتم مما فعلتموه، و كنتم من جملة الصالحين الذين يفعلون الخيرات، فيكفر عنكم عقاب ما فعلتموه. و قال الحسن: معناه تكونوا قوماً صالحين فى أمر دنياكم، و لم يريدوا أمر الدين.

قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِی غَیابَتِ الْجُبِّ یَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّیَّارَةِ إِنْ کُنْتُمْ فاعِلِینَ (10)
آیة بلا خلاف.
قرأ نافع و ابو جعفر «غیابات» على الجمع. الباقون «غیابة» على التوحید، و قرأ الحسن تلتقطه بالتاء، کما قالوا ذهبت بعض أصابعه، قال ابو على: وجه قول من أفرد، أن الجب لا یخلوا ان یکون له غیابة واحدة او غیابات، فغیابة المفرد یجوز ان یعنى به الجمع، کما یعنى به الواحد، و وجه قول من جمع: انه یجوز ان یکون له غیابة واحدة، فجعل کل جزء منه غیابة، فجمع على ذلک، کقولهم التبیان فى تفسیر القرآن، ج6، ص: 103
شابت مفارقة، و یجوز ان یکون عنده للجب غیابات، فجمع على ذلک.
اخبر اللّه تعالى فى هذه الآیة عن واحد من جملة القوم أنه قال على وجه المشورة علیهم «لا تَقْتُلُوا یُوسُفَ» و لکن اطرحوه فى جب عمیق قلیل الماء. و قیل إنه کان اسم القائل لذلک (روبیل) و کان ابن خالة یوسف- فى قول قتادة و ابن إسحاق- و قال الزجاج: کان یهوذا، و الغیابة الموضع الذى یغیب فیه صاحبه و غیابة البئر شبه الجاف او طاف فوق الماء وضعوه فیها. و کلما غیب شىء عن الحس بکونه، فهو غیابة. و قال الحسن یعنى فى قعر الجب قال المنخل:
فان انا یوم غیبتنى غیابتى فسیروا بسیرى فى العشیرة و الأهل «1»
و الجب البئر التى لم تطوَ، لأنه قطع عنها ترابها حتى طغى الماء من غیر طى، و منه المحبوب قال الأعشى:
لئن کنت فى جب ثمانین قامة و رقّیت أسباب السماء بسلم «2»
و (السیارة) الجماعة المسافرون، لأنهم یسیرون فى البلاد. و قیل: هم مارة الطریق. و (الالتقاط) تناول الشىء من الطریق، و منه اللقطة و اللقیطة.
و قیل: انهم أشاروا علیه بأن یقعد فى دلو المدلى إذا استسقى لیخرجه من البئر ففعل. و معنى التقاطه أن یجدوه من غیر ان یحسبوه، یقال وردت الماء التقاطاً إذا وردته من غیر ان تحسبه.

قالُوا يا أَبانا ما لَکَ لا تَأْمَنَّا عَلى يُوسُفَ وَ إِنَّا لَهُ لَناصِحُونَ (11)
آية بلا خلاف.

_____
(1) الشاعر هو المنخل بن نسيع العنبرى. تفسير القرطبى 9/ 132 و التاج (غيب) و مجاز القرآن 1/ 302.
(2) ديوان (دار بيروت) 182 و الصبح المنير 84 و مجاز القرآن 1/ 2. 3 و تفسير القرطبى 9/ 132 و الكتاب لسيبويه 1/ 231.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 104
كلهم قرأ «تأمنا» بفتح الميم و ادغام النون الأولى فى الثانية، و الاشارة الى اعراب النون المدغمة بالضم اتفاقاً، قال ابو على وجه ذلک ان الحرف المدغم بمنزلة الموقوف عليه من حيث جمعهما السكون، فمن حيث اشموا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً فى الإدراج اشموا النون المدغمة فى (تأمنا) و ليس ذلک بصوت خارج الى اللفظ، و انما هى هيئة العضو لإخراج ذلک الصوت به ليعلم بذلک أنه يريد ذلک المتهيأ له.
حكى اللّه تعالى عن أخوة يوسف لما تآمروا على ما يفعلونه بيوسف أنهم، قالوا لأبيهم لم «لا تَأْمَنَّا عَلى يُوسُفَ» قال الزجاج: يجوز فى (تأمنا) أربعة أوجه:
تأمننا بالإظهار و رفع النون الأولى، لان النونين من كلمة، و «تأمنا» بالإدغام و هى قراءة القراء لالتقاء المثلين، و (تأمنا) بالإدغام و الإشمام، و هو الذى حكاه ابن مجاهد عن الفراء، للاشعار بالضمة، و (تئمنا) بكسر التاء و هى قراءة يحيى ابن و ثاب، لأن ماضيه فعل، كما قالوا تعلم و نعلم إلا ان القراءة بالإدغام و الإشمام.
و الأمن سكون النفس الى انتفاء الشرّ، و ضده الخوف، و هو انزعاج النفس لما يتوقع من الضر. و قوله «وَ إِنَّا لَهُ لَناصِحُونَ» تمام الحكاية عنهم أنهم قالوا إنا ليوسف لناصحون مشفقون عليه. و النصح إخلاص العمل من فساد يتعمد، و نقيضه الغش. و النصح فى التوبة إخلاصها مما يفسدها. و ذلک واجب فيها و هى التوبة النصوح.

أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَ يَلْعَبْ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (12)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن كثير و ابن عامر و أبو عمرو «نرتع و نلعب» بالنون فيهما. و كسر العين من «يرتع» من غير بلوغ الى الياء أهل الحجاز، إلا المالكى. و العطار عن الزبيبى اثبات (ياء) فى الوصل، و الوقف بعد العين. الباقون بسكون العين، و لم التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 105
يختلفوا فى سكون الباء من و يلعب، و قرأ نافع يرتع، و يلعب بالياء فيهما، و كسر العين. و قرأ أهل الكوفة بالياء فيهما، و جزم العين و الباء. قال ابو على: قراءة ابن كثير حسنة، لأنه جعل الارتعاء القيام على المال لمن بلغ و جاوز الصغر، و أسند اللعب الى يوسف لصغره، و لا لوم على الصغير فى اللعب، و لا ذم.
و الدليل على صغر يوسف قول أخوته «وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» و لو كان كبيراً ما احتاج الى حفظهم. و ايضاً قال يعقوب أخاف ان يأكله الذئب، و لو لم يكن صغيراً ما خاف عليه، و انما يخاف الذئب على من لا دفاع فيه، و لا ممانعة له: من شيخ، فانٍ او صبى صغير قال الشاعر:
أصبحت لا أحمل السلاح و لا املک رأس البعير ان نفرا
و الذئب أخشاه ان مررت به وحدى و أخشى الرياح و المطرا «1»
فأما اللعب فمما لا ينبغى ان ينسب الى اهل النسک و الصلاح، ألا ترى الى قوله: «أَ جِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ» «2» فقوبل اللعب بالحق فدل على انه خلافه، و قال «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ» «3» و قال «وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً» فأما الارتعاء فهو افتعال من رعيت مثل سويت و استويت و كل واحد منهما متعد الى مفعول به، قال الشاعر:
ترتعى السفح فالكثيب فذا قا ر فروض القطا فذات الرّئال «4»
و قال ابو عبيدة: و يجوز ان يقال نرتع و يراد ترتع إبلهم و وجه ذلک انه كان الأصل ترتع إبلنا ثم حذف المضاف و أسند الفعل الى المتكلمين، فصار نرتع و كذلک نرتعى على ترتعى إبلنا، ثم يحذف المضاف فيكون نرتعى. و قال أبو عبيدة: نرتع نلهو، و قد تكون هذه الكلمة على غير معنى النيل من الشىء كقولهم فى المثل العبد و الرتعة، فكان على هذا النيل و التناول مما يحتاج اليه الحيوان.

---

(1) قائله الربيع بن ضبيع الفزارى. سيبويه 1: 46 و مجمع البيان 3: 214.
(2) سورة الأنبياء آية 55،

(3) سورة التوبة 9 آية 65
(4) قائله الأعشى، ديوان: 163 و اللسان (سفح)، (رأَل).
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 106
و اما قراءة أبى عمرو، و ابن عامر، فعلى أن معناه نرتع إبلنا، او على اننا ننال ما نحتاج اليه و معناه ننال. فأما قوله «و نلعب» فحكى ان أبا عمرو قيل له كيف يقولون نلعب، و هم أنبياء؟ فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء، فعلى هذا سقط الاعتراض و لا يجوز ان يكون المراد به مثل ما قال الشاعر:
حدَّت حداد تلاعب و تقشعت غمرات قالت ليسه حيران «1»
فكان اللعب هاهنا الذى لم يتشمّر فى أمره، فدخله بعض الهوينا، فهذا أسهل من الوجه الذى قوبل بالحق،
و قد روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم انه قال لجابر: (فهلّا بكراً تلاعبها و تلاعبك)
و انما أراد بذلک التشاغل بالمباح و العمل بما يتقوى به على العبادة و الطاعة. و قد روى عن بعض السلف انه كان إذا اكثر النظر فى مسائل الفقه قال احمضونا، و
قد روى عن النبى صلّى اللَّه عليه و سلم انه قال ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق فان المبتت لا أرضاً قطع و لا ظهراً أبقى. فليس هذا اللعب من الذين «قال إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ» فى شىء.
و من قرأ بالياء فإن كان يرتع من اللهو، كما فسّره ابو عبيدة، فلا يمتنع ان يخبر به عن يوسف لصغره، كما لا يمتنع ان ينسب اليه اللعب كذلک إن كان «يرتع» من النيل من الشىء، فلذلک ايضاً لا يمتنع عليه ايضاً، فوجهها بيّن، و هو أبين من قول من قال «و نلعب» بالنون، لأنهم سألوا إرساله ليتنفس بلعبه، و لم يسألوا إرساله ليلعبوهم.
و الرتع الاتساع فى البلاد بالذهاب فى جهاتها من اليمين و الشمال، فلان يرتع فى المال و غيره من ضروب الملاذ، و اصل الرتعة التصرف فى الشهوات رتع فلان فى ماله إذا أنفق فى شهواته قال القطامى:
أ كفراً بعد رد الموت عنى و بعد عطائک المائة الرِّتاعا «2»

---

(1) مجمع البيان 3: 214 و روايته:
جدت جداد بلاعب و تقشعت عمرات قالت ليسه حيران
(2) مر فى 1/ 26 و تفسير الطبرى (دار المعارف) 15: 569، و الطبعة الاولى 12/ 88.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 107
و قال مجاهد معنى «نرتع» يحفظ بعضنا بعضاً من الرعاية. و اللعب يحتمل ما يستهجن و يسترذل لطلب الفرح من غير مراعاة شىء من الحِلْم كفعل الصبى إذا قصد هذا القصد.

أخبر اللّه تعالى عن اخوة يوسف انهم قالوا لأبيهم أرسل يوسف معنا ينال الملاذ و يتفرَّح، و نحن حافظون له و مراعون لأحواله فلا تخشى عليه.

قالَ إِنِّی لَیَحْزُنُنِی أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَ أَخافُ أَنْ یَأْکُلَهُ الذِّئْبُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ (13)

آية بلا خلاف.

قرأ الكسائى و خلف فى اختياره، و ابو جعفر و ورش و الأعشى و اليزيدى فى الإدراج إلا سجادة، و مدين من طريق عبد السلام «الذّيب» بتخفيف الهمزة فى المواضع الثلاثة. الباقون الهمزة. و الهمز و ترک الهمز لغتان مشهورتان قال ابو علی: و الأصل فيه الهمزة، فان خفف جاز، و ان وقع فى مكان الردف قلب قلباً كما قال الشاعر:

كأن مكان الردف منه على رال «1»

فقلب الهمزة الفاً.

أخبر اللّه تعالى حكاية عن يعقوب انه قال حين طلب اخوة يوسف إنفاذ يوسف معهم، و احتيالهم فى ذلک. و اشفق من ذلک، قال «إِنِّی لَیَحْزُنُنِی» اى يؤلم قلبى. يقال حزّنتک و أحزنتک لغتان، و الحزن ألم القلب بفراق المحب و يعظم إذا كان فراقه الى ما يبغض «أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ» اى ليحزننى اذهابكم به، و الذهاب

---

(1) قائله امرؤ القيس، ديوانه: 165 و امالى الشريف المرتضى 1: 229 و صدره:

و صم صلاب ما يقين من الوجى

و هو يصف حوافر الفرس بأنها (صم) اى صلبة (لا يقين) ليس فيها تجويف (من الوجى) و هو الخفاء. و (مكان الردف) الموضع الذى يردف عليه الراكب. و (الرال) فرخ الغزال.

و المرور و الانطلاق نظائر و بيّن انه يخاف عليه الذئب ان يأكله لان الذئاب كانت ضارية فى ذلک الوقت. و الذئب سبع معروف، و اشتقاقه من تذاءب الريح إذا جاءت من كل جهة، فالذئب يختل بالحيلة من كل وجه.

و قوله «وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ» جملة فى موضع الحال و تقديره أخاف ان يأكله الذئب فى حال كونكم ساهين عنه، و الخوف و الفزع و القلق نظائر و نقيضه الأمن.

قالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخاسِرُونَ (14)
آية بلا خلاف.
لما قال لهم يعقوب ما ذكره فى الآية الاولى، قالوا فى الجواب عن ذلک لئن اكله الذئب و نحن جماعة متعاضدون متناصرون نرى الذئب قد قصده، فلا نمنع عنه «إِنَّا إِذاً لَخاسِرُونَ» أى بمنزلة الخاسر الذى ذهب رأس ماله على رغم منه، و الخسران ذهاب رأس المال، و الربح زيادة على رأس المال. و اللام فى قوله «لئن» هى التى يتلقى بها القسم، فكأنهم أقسموا على ما قالوه. و أعظم الخسران ما يذهب بالثواب، و يؤدى الى العقاب، فلذلک أقسموا عليه، و قال المؤرج: معناه إنا اذاً لمضيّعون بلغة قيس عيلان.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِی غَیابَتِ الْجُبِّ وَ أَوْحَیْنا إِلَیْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ (15)
آیة بلا خلاف. التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 109
حکی اللّه تعالی انه لما أذن یعقوب لیوسف فی المضی معهم، و ذهبوا به «وَ أَجْمَعُوا أَنْ یَجْعَلُوهُ فِی غَیابَتِ الْجُبِّ» ای عزموا علی فعل ذلک، و لا یقال:
أجمع الا إذا قویت الدواعی الی الفعل من غیر صارف و أما من دعاه داع واحد، فلا یقال فیه أنه أجمع، فکأنه مأخوذ من اجتماع الدواعی، و یجوز ان یکون المراد انهم اتفقوا علی إلقائه فی غیابة الجب، و الجعل و التصییر و العمل نظائر فی اللغة.
و الغیابة البقعة التی یغیب فیها الشیء عن الحس. و قیل طلبوا بئراً قلیلة الماء تغیبه و لا تغرقه. و قیل بل جعلوه فی جانب جبها، و سمّی البئر التی لم تطو جباً لأنه جبّ ترابها عنها فقط، کأنه لیس فیها إلا قطع التراب. و جواب (لمّا) محذوف و تقدیره عظمت فتنتهم أو کبر ما قصدوا له. و قال قوم: الواو فی و أجمعوا مقحمة. و المعنی أجمعوا أن یجعلوه و هو مذهب الکوفیین، و أنشدوا قول امرئ القیس:
فلمّا أجزنا ساحة الحیّ و انتحی بنا بطن خبت ذی قفاف عقنقل «1»
یرید، فلما أجزنا ساحة الحی انتحی، و قال آخر:
حتی إذا قملت بطونکم و رأیتم أبناءکم شبّوا
و قلبتم ظهر المجن لنا ان اللئیم العاجز الخبُّ»
یرید قلبتم، فادخل الواو. و البصریون لا یجیزونه. و قوله «وَ أَوْحَیْنا إِلَیْهِ» یعنی إلی یوسف، قال الحسن أعطاه اللّه النبوة، و هو فی الجب «لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا» معناه ستخبرهم بذلک فی المستقبل و «هُمْ لا یَشْعُرُونَ» قال ابن عباس و الحسن و ابن جریج لا یشعرن بأنه یوسف. و قال مجاهد و قتادة: لا یشعرون بأنه اوحی الیه.
و الشعور ادراک الشیء بمثل الشعرة فی الدقة، و منه المشاعر فی البدن. و قال

---

(1) دیوانه: 149 من معلقته الشهیرة و تفسیر الطبری 15: 575 و فی المعلقات العشر (حقاف) بدل (قفاف) و قال و روی (حقف ذی رکام).
(2) انظر 3: 19 تعلیقة 4.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 110
قوم: معنی قوله «لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ» لتجازینهم علی فعلهم، تقول العرب

للرجل:
تتوعده بمجازاة سوء فعله: لأنبئنک، و لأعرفنک، يعنى لأجازينک.

وَ جاؤُ أَباهُمْ عِشاءً يَبْكُونَ (16) قالُوا يا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَ تَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَ لَوْ كُنَّا صادِقِينَ (17)
آيتان بلا خلاف.
فى الكلام حذف، لان التقدير إنهم أجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب، و فعلوا ذلک، فلما فعلوه جاؤوا حينئذ «أَباهُمْ عِشاءً يَبْكُونَ» و المجىء و المصير الى الشىء واحد، و قد يكون المصير بالانقلاب، كمصير الطين خزفاً، و قد يكون بمعنى الانتقال. و العشاء آخر النهار. و نصبه لأنه من ظروف الزمان. و منه اشتق (الأعشى) لأنه يستضىء ببصر ضعيف. و البكاء جريان الدمع من العين عند حال الحزن، فكانوا يعلمون أن أباهم يحزن لما جاءوا من خبر يوسف، فبكوا مع بكائه عليه، و فى حال خبره لما تصوروا تلک الحال. و قيل: إنهم أظهروا البكاء ليوهموا أنهم صادقون فيما قالوه.
و قوله «إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال الزجاج: ذهبنا نتنصل مشتق من السباق فى الرمى. و قال الجبائى: نستبق فى العدو لنعلم أينا أسرع عدواً «وَ تَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا» يعنى تركناه عند الرحل ليحفظه.
و قوله «وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا» أى لست بمصدق لنا «وَ لَوْ كُنَّا صادِقِينَ» و جواب (لو) محذوف، و تقديره: و لو كنا صادقين ما صدقتنا، لاتهامک لنا فى أمر يوسف، و دل الكلام عليه. و لم يصفوه بأنه لا يصدق الصادق، لان المعنى التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 111
انه لا يصدقهم اتهاماً لهم لشدة محبته ليوسف يسىء الظن بهم، و لا تسكن نفسه الى خبرهم.

وَ جاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ (18)

آية بلا خلاف.

حكى اللّه تعالى عن أخوة يوسف انهم جاءوا أباهم، و معهم قميص يوسف ملطخ بدم. و قالوا له هذا دم يوسف حين أكله الذئب. و قال ابن عباس و مجاهد كان دم سخلة، قال الحسن: لما رأى يعقوب القميص صحيحاً، قال: يا بنى و اللّه ما عهدت الذئب عليماً.

قال عامر الشعبى: كان فى قميص يوسف ثلاث آيات:

أحدها- حين ألقى على وجه أبيه، فارتد بصيراً، و حين قدّمن دبر، و حين جاءوا على قميصه بدم كذب. و معنى (كذب) مكذوب فيه، كما قيل الليلة الهلال فيرفع، و كما قال «فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ» «1» أى ما ربحوا فى تجارتهم إلا انه وصف فى المصدر، و تقديره بدم ذى كذب، لكن إذا بولغ فى الصفة اجرى على هذه الصفة، و قال الفراء يجوز ان يكون المصدر وقع موقع مفعول، كما يقع مفعول موقع المصدر فى مثل قول الراعى القطامى:

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً و لا لفؤاده معقولا «2»

---

(1) سورة البقرة آية 16. [.....]

(2) تفسير الطبرى 15: 583، و جمهرة اشعار العرب: 175 و مجاز القرآن 1: 303 و امالى الشريف المرتضى 1: 106.

و لا يجيزه سيبويه، و يقول مفعول لا يكون مصدراً، و يتأول قولهم: خذ ميسوره، و دع معسوره أى خذ ما يسر و دع ما عسر عليه، و كذلك: ليس لفؤاده معقولًا أى ما يعقل به.

و قوله «قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً» حكاية ما قال يعقوب لهم. و التسويل تزيين النفس ما ليس بحسن- فى قول قتادة- و قيل معناه تقرير معنى فى النفس على الطبع فى تمامه، و هو تقدير معنى فى النفس على توهم تمامه.

و قوله «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ» فالصبر الجميل هو الصبر الذى لا شكوى فيه على ما يدعو إليه العقل، و يحتمل رفع الصبر أمرين: أحدهما- ان يكون خبر ابتداء و تقديره فأمرى صبر جميل. الثانى- ان يكون مبتدأ، و خبره محذوف، و تقديره فصبر جميل أولى من الجزع الذى لا ينبغى لى، قال الشاعر:

يشكوا الى جملى طول السرى صبر جميل فكلانا مبتلى «1»

و لو نصب لجاز، و لكن الأحسن الرفع، لأنه موصوف. و قوله «وَ اللّٰهُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ» حكاية ما قال يعقوب عند ذلک، بأن اللَّه تعالى هو الذى يطلب منه المعونة على ما ذكروه، و تقديره استعين باللَّه على احتمال ما تصفونه، و على الصبر كله.

وَ جاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ فَأَدْلى دَلْوَهُ قالَ يا بُشْرى هذا غُلامٌ وَ أَسَرُّوهُ بِضاعَةً وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَعْمَلُونَ (19)
آية بلا خلاف.

_____

(1) امالى الشريف المرتضى 1: 107، و روايته:
شكا الى جملى طول السرى يا جملى ليس الى المشتكى
الدرهمان كلفان ما ترى صبر جميل فكلانا مبتلى
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 113
قرأ أهل الكوفة «يا بشرى» بغير الف. الباقون بالألف و الياء، و كان يجوز أن يقرأ بياء مشددة «بشرىّ» و هى لغة هذيل غير انه لم يقرأ به احد، قال أبو ذؤيب:
سبقوا هوىّ و اعنقوا لهواهم فتخرموا و لكل جنب مصرع «1»
قال ابو على: من قرأ (يا بشراى) فاضافه الى الياء التى للمتكلم، كأن للألف التى هى حرف الاعراب موضعان من الاعراب:
أحدهما- ان تكون فى موضع نصب لأنه منادى مضاف.
و الآخر- ان تكون فى موضع كسر، لأنه بمنزلة حرف الاعراب فى غلامى.
و من قرأ «يا بشرى» احتمل وجهين:
أحدهما- ان يكون فى موضع ضم مثل يا رجل بالنداء لاختصاصه كاختصاص الرجل.
و الآخر- ان يكون فى موضع النصب لأنك اشعت النداء و لم تخص به، كما فعلت فى الوجه الاول كقوله «يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ» «2».
اخبر اللَّه تعالى أنه حين ألقى أخوة يوسف يوسف فى غيابة الجب جاءت سيارة، و هم جماعة مسافرون مارة فبعثوا واردهم، و هو الذى يصير الى الماء ليستسقى منه «فَأَدْلى دَلْوَهُ» يعنى أرسل دلوه ليملأ، يقال أدليت الدلو إذا أرسلتها لتملأ، و دلوتها إذا أخرجتها مملأة، و قيل انه لما أرسل الدلو تعلق بها يوسف، فقال المدلى «يا بشراى» هذا غلام، فى قول قتادة و السدى.
و قيل فى معنى (بشراى) قولان:

_____

(1) ديوانه 1: 2 و امالى الشريف المرتضى 1: 293 و رواية الامالى (لسبيلهم) بدله (لهواهم).
(2) سورة يس آية 30.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 114

أحدهما- انه بشر أصحابه بأنه وجد عبداً.
الثانى- قال السدى كان اسمه (بشرى) فناداه.
و قوله «وَ أَسَرُّوهُ بِضاعَةً» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال مجاهد و السدى أسره المدلى، و من معه من باقى التجار لئلا يسألوهم الشركة فيه.
الثانى- قال ابن عباس اسره اخوته يكتمون أَنه أَخوهم و تابعهم على ذلک يوسف لئلا يقتلوه. و البضاعة قطعة من المال تجعل للتجارة من بضعت الشىء إذا قطعته، و منه المبضع، لأنه يبضع به العرق. و معنى «و أسروه» أنهم لما وجدوه أحبوا أن لا يعلم أنه موجود، و ان يوهموا أنه بضاعة دفعها اليهم أهل الماء، و نصب بضاعة على الحال.
و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَعْمَلُونَ» اخبار منه تعالى بأنه عالم بأفعالهم، فيجازيهم على جميعها، و ان أسروا بها، و فى ذلک غاية التهديد.

وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ وَ كانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (20)
آية بلا خلاف.
حكى اللّه تعالى عن اخوة يوسف أنهم باعوا يوسف. يقال شريت أشرى إذا بعت. و منه قوله «وَ لَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ» «1» و قال يزيد ابن مفرغ الحميرى:
و شريت برداً ليتنى من بعد برد كنت هامه «2»

---

(1) سورة البقرة آية 102
(2) مر هذا البيت فى 1: 348، 3: 257
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 115
و قوله «بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ» أى بثمن ذى بخس أى ناقص. و قيل بثمن ذى ظلم، لأنه كان حرّاً، لا يحل بيعه، فالثمن هو بدل الشىء من العين أو الورق. و يقال فى غيرهما أيضاً مجازاً. و البخس النقص من الحق، يقال: بخسه فى الوزن او الكيل إذا نقصه من حقه فيهما. و معنى «معدودة» اى قليلة، لان الكثير قد يمنع من عدده لكثرته. و قيل: عدوها و لم يزنوها. و قيل: انهم كانوا لا يزنون الدراهم حتى تبلغ أوقية، و أوقيتهم أربعون درهماً. و قال عبد اللّه بن مسعود و ابن عباس و قتادة: إنها كانت عشرين درهماً. و عن أبى عبد اللّه (ع) إنها كانت ثمانية عشر درهماً. و قال ابن عباس و مجاهد: ان الذين باعوه اخوته، و انهم كانوا حضوراً، فقالوا هذا عبد لنا ابق، فباعوه. و قال قتادة الذين باعوه السيارة.
و قوله «وَ كانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ» يعنى الذين باعوه، زهدوا فيه، فلذلك باعوه بثمن بخس، و تقديره و كانوا زاهدين فيه من الزاهدين بجهلهم بما له عند اللّه من المنزلة الرفيعة، و انما قدموا الظرف، لأنه أقوى فى حذف العامل من غيره، و لا يجوز قياساً على ذلك (و كانوا زيداً من الضاربين)

وَ قالَ الَّذِی اشْتَراهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَکْرِمِی مَثْواهُ عَسی أَنْ یَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ کَذلِکَ مَکَّنَّا لِیُوسُفَ فِی الْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِیلِ الْأَحادِیثِ وَ اللَّهُ غالِبٌ عَلی أَمْرِهِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ (21)

آیة بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالی عن من اشتری یوسف (ع) من بایعه من أَهل مصر أنه قال: لامرأته حین حمله الیها «أَکْرِمِی مَثْواهُ» یعنی موضع مقامه، و انما أمرها بإکرام مثواه دون إکرامه فی نفسه، لان من أکرم غیره لأجله کان أعظم منزلة ممن یکرم فی نفسه فقط، و الإکرام إعطاء المراد علی جهة الإعظام، و هو یتعاظم التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 116

فأعلاه منزلة ما یستحق بالنبوة، و أدناه ما یستحق لخصلة من الطاعة أَدناها کإماطة الأذی من الطریق و غیره.

و قوله «عَسی أَنْ یَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً»، بین أَنه إنما یأمرها بإکرامه لما یرجو من الانتفاع به فیما بعد أو للتبنی به. و قال ابن مسعود: احسن الناس فراسة ثلاثة:

العزیز حین قال لامرأَته «أَکْرِمِی مَثْواهُ عَسی أَنْ یَنْفَعَنا» و ابنة شعیب حین قالت فی موسی «یا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ» «1» و أبو بکر حین ولی عمر.

و قوله «وَ کَذلِکَ مَکَّنَّا لِیُوسُفَ فِی الْأَرْضِ» و وجه التشبیه فیه انه تعالی شبه التمکین له فی الأرض بالتوفیق للأَسباب التی صار بها الی ما صار بالنجاة من الهلاک و الإخراج الی اجلّ حال.

و قوله «وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِیلِ الْأَحادِیثِ» اللام فیه محمولة علی تقدیر دبرنا ذلک لنمکنه فی الأرض، و لنعلمه من تأویل الأحادیث.

و قوله «وَ اللَّهُ غالِبٌ عَلی أَمْرِهِ» معناه أَنه قادر علیه من غیر مانع حتی یقع ما أَراد، و منه وقوع المقهور بالغلبة فی الذلة. و قیل غالب علی امر یوسف یدبره و یحوطه.

و قوله «وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ» اخبار منه تعالی ان اکثر الخلق غیر عالمین بحسن تدبیر اللّه لخلقه، و ما یجریه الیهم من مصالحهم و انه قادر لا یغالب، بل هم جاهلون بتوحیده، و لا یدل ذلک علی ان من فعل ما کرهه اللّه یکون قد غالب اللّه، لان المراد بذلک ما قلناه من انه غالب علی ما یرید فعله بعباده.

فاما ما یریده علی وجه الاختیار منهم فلا یدل علی ذلک، و لذلک لا یقال إن الیهودی المقعد قد غلب الخلیفة حیث لم یفعل ما اراده الخلیفة من الایمان، و فعل ما کرهه من الیهودیة و هذا واضح.

---

(1) سورة القصص آية 26.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 117

وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ (22)
آية بلا خلاف.
اخبر اللّه تعالى ان يوسف لما بلغ أَشده، و هو كمال القوة. و قال قوم هو من ثمانى عشرة سنة الى ستين سنة، و قال ابن عباس من عشرين. و قال مجاهد من ثلاث و ثلاثين سنة، و الأشد جمع، لا واحد له من لفظه مستعمل. و فى القياس واحده شد، كواحد الاضرّ ضرّ، و واحد الأشر شر قال الشاعر:
هل غير ان كثر الأشر و أهلكت حرب الملوك أكاثر الأموال «1»
و قوله «آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً» يعنى أعطيناه ذلک، و الحكم القول الفصل الذى يدعو الى الحكمة و يقال تقديراً لما يؤتى له بعلة: يعلم من دليل الحكم و من غير دليل الحكم. و الأصل فى الحكم تبيين ما يشهد به الدليل، لأن الدليل حكمة من اجل أنه يقود الى المعرفة. و قيل: معناه آتيناه الحكم على الناس. و قيل آتيناه الحكمة فى فعله بألطافنا له، و الحكيم العامل بما يدعو اليه العلم. و العلم ما اقتضى سكون النفس. و قال قوم هو تبيين الشىء على ما هو به، و زاد فيه الرمانى: ما يحل فى القلب تحرزا من الرؤية، لأنها يبين بها الشىء على ما هو به، لكنه معنى يحل فى العين. و من قال الإدراک ليس بمعنى لا يحتاج الى ذلک.
و قوله «وَ كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ» معناه مثل ما جازينا يوسف نجازى كل من أحسن و فعل الافعال الحسنة من الطاعات. و الإحسان هو النفع بالحسن الذى يستحق به الحمد، فعلى هذا يصح أن يحسن الإنسان إلى نفسه كما يصح أن يسىء الى

---

(1) مجمع البيان 3: 221 و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 12: 98 و روايته (الأشد) بدل (الأشر).

نفسه، و لا يصح ان ينعم على نفسه، لأن النعمة تقتضى استحقاق الشكر عليها، و لا يصح ذلک بين الإنسان و نفسه.

وَ راوَدَتْهُ الَّتِی هُوَ فِی بَیْتِها عَنْ نَفْسِهِ وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوابَ وَ قالَتْ هَیْتَ لَکَ قالَ مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّی أَحْسَنَ مَثْوایَ إِنَّهُ لا یُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23)
آیة بلا خلاف.
قرأ ابو عمرو، و عاصم و حمزة و الکسائی (هیت) بفتح الهاء و التاء، و قرأ ابن کثیر بفتح الهاء، و ضم التاء. و قرأ نافع و ابن عامر (هیت) بکسر الهاء و فتح التاء. و روی هشام بن عامر عن ابن عامر (هئت) بالهمز من تهیأت، و کسر الهاء، و ضم التاء، و أنکر الهمزة أبو عمرو بن العلاء و الکسائی، قال طرفة:
لیس قومی بالابعدین إذا ما قال داع من العشیرة هیت
هم یجیبون ذا هلم سراعاً کالابابیل لا یغادر بیت «1»
فهذا شاهد لابن کثیر قال ابو عبیدة: «هَیْتَ لَکَ» معناه هلم، قال: و قال: رجل لعلی (ع):
أبلغ أمیر المؤمنین أخا العراق إذا أتیتا ان العراق و اهله سلم الیک فهیت هیتا «2»
قال ابو الحسن: و کسر الهاء لغة، و قال بعضهم بالهمز من تهیأت لک، و هی حسنة إلا ان المعنی الاول أحسن، لأنها دعته، و المفتوحة أکثر اللغات، ففیه ثلاث لغات.

---

(1) مجاز القرآن 1: 303، و تفسیر القرطبی 9: 194، و تفسیر الشوکانی (الفتح القدیر) 3: 15، و تفسیر الطبری (الطبعة الاولی) 12: 100.
(2) انظر تخریجه فی الصفحة التی بعدها.

و معنی قوله «و راودته» أی طالبته، و المراودة المطالبة بأمر للعمل به، و منه المرود لأنه یعمل به، و لا یقال فی المطالبة بدین راوده. و معنی «الَّتِی هُوَ فِی بَیْتِها» یعنی امرأة العزیز «وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوابَ» فالتغلیق اطباق الباب بما یعسر فتحة. و انما قیل (غلقت) لتکثیر الاغلاق او المبالغة فی الاغلاق، و ألف (باب) منقلبة من الواو لقولهم: بویب و أبواب.
و معنی «هیت لک» تعال و هلم الی ما هو لک، أنشد ابو عمرو بن العلاء:
أبلغ أمیر المؤمنین أخا العراق إذا أتیت ان العراق و اهله سلم الیک فهیت هیت «1»
و یقال للواحد و الاثنین و الجمع و الذکر و الأنثی (هیت) بلفظ واحد. و قال ابن عباس و الحسن و ابن زید معنی «هیت لک» هلم لک.
و قوله «معاذ الله» حکایة عن یوسف أنه قال ذلک. و المعنی أعوذ عیاذاً

باللّه أن أجيب الى هذا أو ان يكون هذا أى اعتصم باللّه من هذا. و قوله «إِنَّهُ رَبِّی أَحْسَنَ مَثْوایَ» معناه ان الملک الذی هو زوجها، مالکی فی الحکم «أَحْسَنَ مَثْوایَ» باکرامی و بسط یدی و رفع منزلتی، و هو قول مجاهد و ابن إسحاق و السدی و الجبائی، و قال الحسن یعنی العزیز، و قال الزجاج یجوز ان یکون أراد ان اللّه ربی احسن مثوای أی فی طول مقامی. و قوله «إِنَّهُ لا یُفْلِحُ الظّالِمُونَ» حکایة ان یوسف قال: ان من ظلم نفسه بارتکاب المعاصی لا یفلح و لا یفوز بشیء من الثواب.

وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24)

---

(1) اللسان (هيت) و مجاز القرآن 1: 305، و تفسير القرطبى 9: 194 و تفسير الشوكانى (الفتح القدير) 3: 15، و تفسير الطبرى 12: 99.

آية بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة، و نافع «المخلصين» بفتح اللام. الباقون بكسرها. قال أبو على حجة من كسر اللام قوله «أَخْلَصُوا دِينَهُمْ» «1» و من فتح اللام، فيكون بنى الفعل للمفعول به، و يكون معناه و معنى من كسر اللام واحد، فإذا أخلصوا هم دينهم فهم مخلصون، و إذا أخلصوا فهم مخلصون.

و معنى (الهمّ) فى اللغة على وجوه، منها: العزم على الفعل، كقوله «إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ» «2»، أى أرادوا ذلك و عزموا عليه. و مثله قول الشاعر:

هممت و لم افعل و كدت و ليتنى تركت على عثمان تبكى حلائله «3»

و قال حاتم طى:

و للّه صعلوك تساور همه و يمضى على الأيام و الدهر مقدما «4»

و منها: خطور الشىء بالبال، و ان لم يعزم عليه. كقوله «إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَ اللَّهُ وَلِيُّهُما» «5» و المعنى ان الفشل خطر ببالهم، و لو كان الهم هاهنا عزماً لما كان اللّه وليهما، لأنه قال «وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» «6»، و ارادة المعصية و العزم عليها معصية بلا خلاف، و قال قوم: العزم على الكبير كبير، و على الكفر كفر، و لا يجوز أن يكون اللّه ولىّ من عزم على الفرار عن نصرة نبيه صلّى اللّه عليه و سلم و يقوى ذلك ما قال كعب ابن زهير:

---

(1) سورة النساء آية 145.

(2) سورة المائدة آية 12.

(3) تفسير القرطبى 9: 166 و مجمع البيان 3: 223. [.....]

(4) مجمع البيان 3: 223.

(5) سورة آل عمران آية 122

(6) سورة الانفال آية 16.

فكم فيهم من سيد متوسع و من فاعل للخير إن هم أو عزم

ففرق بين الهم و العزم و ظاهر التفرقة يقتضى اختلاف المعنى، و منها المقاربة يقولون: هم بكذا، و كذا أى كاد يفعله قال ذو الرّمة:
أقول لمسعود بجرعاء مالک و قد هم دمعى ان تسيح اوائله «1»
و الدمع لا يجوز عليه العزم، و انما أراد كاد، و قارب، و قال ابو الأسود الدؤلى:
و كنت متى تهمم يمينک مرة لتفعل خيراً يعتقبها شمالكا «2»
و على هذا قوله تعالى «جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ» «3» أى يكاد و قال الحارثى:
يريد الرمح صدر أبى براءٍ و يرغب عن دماء بنى عقيل «4»
و منها الشهوة و ميل الطباع، يقول القائل فيما يشتهيه و يميل طبعه و نفسه اليه هذا من همى، و هذا أهم الأشياء الى. و روى هذا التأويل فى الآية عن الحسن. و قال: اما همها و كان أخبث الهم، و اما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء، و إذا احتمل الهم هذه الوجوه نفينا عنه (ع) العزم على القبيح و أجزنا باقى الوجوه، لان كل واحد منها يليق بحاله، و يمكن ان يحمل الهم فى الآية على العزم، و يكون المعنى، و هم بضربها و دفعها عن نفسه، كما يقول القائل كنت هممت بفلان اى بأن أوقع به ضرباً او مكروهاً، و تكون الفائدة على هذا الوجه فى قوله «لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ» مع ان الدفع عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها، إنه لما هم بدفعها أراه اللّه برهاناً على انه ان اقدم على ما يهم به، أهلكه أهلها و قتلوه، و انها تدّعى عليه المراودة لها على القبيح و تقذفه بأنه دعاها اليه و ضربها لامتناعها منه، فأخبر تعالى انه صرف بالبرهان عنه السوء

---

(1) الاغانى (دار الثقافة) 17: 308.
(2) مجمع البيان 3: 224.
(3) سورة الكهف آية 78.
(4) تأويل مشكل القرآن: 100، و مجمع البيان 3: 224.

و الفحشاء اللذين هما القتل و المكروه او ظن القبيح و اعتقاده فيه.
فان قيل هذا يقتضى ان جواب (لو لا) تقدمها فى ترتيب الكلام، و يكون التقدير: لو لا ان رأى برهان ربه لهمّ بضربها، و تقدم جواب (لو لا) قبيح او يقتضى ان تكون (لو لا) بغير جواب!.
قلنا: اما تقدم جواب (لو لا) فجائز مستعمل و سنذكر ذلک فيما بعد، و لا نحتاج اليه فى هذا الجواب، لان العزم على الضرب و الهم به وقعا إلا انه انصرف عنها بالبرهان الذى رآه، و يكون التقدير و لقد همت به و هم بدفعها لو لا ان رأى برهان ربه، لفعل ذلک، فالجواب المتعلق ب (لو لا) محذوف فى الكلام، كما حذف فى قوله «وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ. وَ أَنَّ اللَّهَ

رَؤُفٌ رَحِيمٌ» «1» معناه، و لو لا فضل اللّه عليكم لهلكتم و مثله «كَلّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ» «2» لم تنافسوا فى الدنيا و تحرصوا على حطامها، و قال امرؤ القيس:
فلو انها نفس تموت سويّة و لكنها نفس تساقط أنفسا «3»
و المعنى فلو انها نفس تموت سوية لنقصت و فنيت، فحذف الجواب تعويلًا على ان الكلام يقتضيه، و لا بد لمن حمل الآية على انه هم بالفاحشة ان يقدر الجواب، لان التقدير، و لقد همت بالزنا و هم بمثله، و «لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ» لفعله.
و انما حمل همّها على الفاحشة و همّه على غير ذلک، لأن الدليل دل من جهة العقل و الشرع على ان الأنبياء، لا يجوز عليهم فعل القبائح، و لم يدل على انه لا يجوز عليها ذلک بل نطق القرآن بأنها همت بالقبيح، قال اللّه تعالى و قال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه. و قوله حاكياً عنها الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه و إنه لمن الصادقين و قال «قالَتْ فَذلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَ لَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ» و أجمعت الأمة من المفسرين و اصحاب الاخبار

---

(1) سورة النور آية 20.
(2) سورة التكاثر آية 5.
(3) ديوانه: 117 و اللسان «جمع» و امالى السيد المرتضى 1: 479. و رواية اللسان «جميعه» بدل «سوية».

على انها همت بالمعصية، و قد بين اللّه تعالى ذلک فى مواضع كثيرة ان يوسف لم يهم بالفاحشة. و لا عزم عليها منها قوله «كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشاءَ» و قوله «إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ» و من ارتكب الفاحشة لا يوصف بذلک و قوله «ذلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ» و لو كان الأمر على ما قاله الجهال من جلوسه مجلس الخائن و انتهائه الى حل السراويل، لكان خائناً، و لم يكن صرف عنه السوء و الفحشاء. و قال ايضاً «وَ لَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَاسْتَعْصَمَ» و فى موضع آخر حكاية عنها «أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» و قوله حكاية عن العزيز حين رأى القميص قد من دبر «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ» فنسب الكيد اليها دونه، و قوله ايضاً «يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا وَ اسْتَغْفِرِى لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخاطِئِينَ» فخصها بالخطاب و أمرها بالاستغفار دونه. و قوله «رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِى إِلَيْهِ. وَ إِلّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنْ مِنَ الْجاهِلِينَ، فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ» و الاستجابة تقتضى براءة ساحته من كل سوء، و يدل على انه لو فعل ما ذكروه، لكان قد صبا و لم يصرف عنه كيدهن. و قوله «قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ» و العزم

على المعصية من اكبر السوء. و قوله حاكياً عن الملک «ائْتُونِی بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِی، فَلَمَّا كَلَّمَهُ قالَ إِنَّکَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ» و من فعل ما قاله الجهال لا يقال له ذلک.
و وجه آخر فی الآية: إذا حمل الهم على ان المراد به العزم، و هو ان يحمل الكلام على التقديم و التأخير، و يكون التقدير و لقد همت به و لو لا ان رأى برهان ربه لهم بها و يجرى ذلک مجرى قولهم: قد كنت هلكت، لو لا انى تداركتک، و قتلت لو لا انى خلصتک، و المعنى لو لا تداركى لک لهلكت و لو لا تخليصى لک لقتلت، و ان لم يكن وقع هلاک و لا قتل قال الشاعر:
فلا يدعنى قومى صريحاً لحرة لئن كنتُ مقتولًا و يسلم عامر «1»

---

(1) الكتاب لسيبويه 1/ 27: و أمالى الشريف المرتضى 1/ 480 و مجمع البيان 3/ 226

و قال آخر:
فلا يدعنى قومى صريحاً لحرَّة لئن لم أُعجل طعنة أو اعجل «1»
فقدم جواب (لئن) فى البيتين جميعاً. و قال قوم: لو جاز هذا لجاز أَن تقول: قام زيد لو لا عمرو، و قصد زيد لو لا بكر، و قد بينا ان ذلک غير مستبعد، و ان القائل قد يقول: قد كنت قمت لو لا كذا، و كذا، و قد كنت قصدتک لو لا ان صدنى فلان، و ان لم يقع قيام و لا قصد. على ان فى الكلام شرطاً، و هو قوله «لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ» فكيف يحمل على الإطلاق.
و البرهان الذى رآه، روى عن ابن عباس، و الحسن، و سعيد بن جبير، و مجاهد: انه رأى صورة يعقوب عاضّاً على أنامله.
و قال قتادة: انه نودى يا يوسف أنت مكتوب فى الأنبياء و تعمل عمل السفهاء.
و روى فى رواية أخرى عن ابن عباس: انه رأى الملک.
و هذا الذى ذكروه كلّه غير صحيح، لان ذلک يقتضى الإلجاء و زوال التكليف، و لو كان ذلک لما استحق يوسف على امتناعه من الفاحشة مدحاً و لا ثواباً، و ذلک ينافى ما وصفه اللّه تعالى. من انه صرف عنه السوء و الفحشاء، و انه من عبادنا المخلصين.
و يحتمل ان يكون البرهان لطفاً لطف اللَّه تعالى له فى تلک الحال او قبلها، اختار عنده الامتناع من المعاصى، و هو الذى اقتضى كونه معصوماً و يجوز ان تكون الرؤية بمعنى العلم، و قال قوم: البرهان هو ما دل اللّه تعالى يوسف على تحريم ذلک الفعل، و على ان من فعله استحق العقاب، لان ذلک صارف عن الفعل و مقوّى لدواعى الامتناع، و هذا ايضا جائز، و هو قول محمد بن كعب القرطى و اختيار الجبائى.

---

(1) مجمع البيان 3/ 225 و أمالى السيد المرتضى 1/ 480
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 125

وَ اسْتَبَقَا الْبابَ وَ قَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَ أَلْفَيا سَيِّدَها لَدَى الْبابِ قالَتْ ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذابٌ أَلِيمٌ (25)

آية بلا خلاف.

معنى قوله «وَ اسْتَبَقَا الْبابَ» اى طلب كل واحد من يوسف و امرأَة العزيز السبق الى الباب، و السبق تقدم الشىء لصاحبه فى مجيئه.

و قوله «وَ قَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ» اى شقته طولًا، و القد شق الشىء طولًا، و منه:

قد الأديم يقده قدّاً، فهو مقدود، إذا كان ذاهبا فى جهة الطول على استواء.

و قوله «من دبر» اى من جهة الخلف. و القبل جهة القدام، يقال أتاه قبلًا، و دبراً، إذا أتاه من الجهتين و معنى «أَلْفَيا سَيِّدَها» صادفاه، ألفى يلفى الفاً قال ذو الرمة:

و مطعم الصيد هبّال لبغيته الفى أباه بذاك الكسب يكتسب «1»

و قوله «قالَتْ ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً» حكاية ما قالت المرأة للملك، و ما فى مقابلة من أراد بأهلك سوءاً، و الجزاء مقابلة العمل بما هو حقه من خير او شر يقال: جازاه يجازيه مجازاة، و جزاءً «إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذابٌ أَلِيمٌ» معناه انه ليس مقابلته إلّا سجنه أو يعذب على فعله عذاباً مؤلماً موجعاً. و عطف العذاب- و هو اسم- على الفعل، و هو قوله «ان يسجن» لأن تقديره إلا السجن أو عذاب اليم.

قالَ هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ (26) وَ إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28)

---

(1) اللسان «طعم»

ثلاث آيات بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى فى الاية الأولى عن يوسف انه قال للملك حين قذفته زوجته بالسوء: هى طالبتنى عن نفسى، و انا برىء الساحة، و شهد له بذلك شاهد من أهل المرأة. قال ابن عباس، و سعيد بن جبير- فى رواية عنهما- و ابو هريرة: انه كان صبياً فى المهد. و فى رواية اخرى عن ابن عباس، و ابن جبير، و هو قول الحسن و قتادة: انه كان رجلًا حكيما، و اختاره الجبائى، قال: انه لو كان طفلًا لكان قوله معجزاً لا يحتاج معه الى الثانى، فلما قال الشاهد إن كان قميصه كذا، و كذا ذهب الى الاستدلال بأنه لو كان هذا المراود، لكان القميص مقدوداً من قبل، و حيث هو مقدود من دبر علم أنها هى المراودة و مع كلام الطفل لا يحتاج الى ذلك.

و قوله «إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ» حكاية ما قال الشاهد، و كذلك قوله «وَ إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ» تمام الحكاية عن الشاهد.

و (من) فى قوله «قد من دبر ... و ... من قبل» لابتداء الغاية، لان ابتداء القد كان منها. و التى فى قوله «من الكاذبين» للتبعيض، لأنه بعض الكاذبين و اسقط (أن) من شهد أنه ان كان لأنه ذهب مذهب القول فى الحكاية، كما قال «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» «1» لان التقدير يوصيكم اللَّه فى أولادكم ان المال، و قال ابو العباس المبرد: معنى

---

(1) سورة النساء آية 11 [.....]

«إِنْ كانَ قَمِيصُهُ» ان يكن، و جاز ذلك فى كان، لأنها ام الباب، كما جاز ما كان أبردها.

و لم يجز ما أصبح أبردها. و قال ابن السراج: إن يكن بمعنى ان يصح قد قميصه من دبر.

و قوله «فَلَمَّا رَأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ» حكاية من اللَّه ان الملك لما سمع

قول الشاهد و رأى قميصه قد من دبر اقبل عليها و قال: «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ» و قال قوم إن ذلک من قول الشاهد. و الكيد طلب الشىء بما يكرهه، كما طلبت المرأة يوسف بما يكرهه و يأباه.
و قوله «فلما رأى» تحتمل الرؤية أمرين:
أحدهما- ان يكون المعنى رؤية العين، فلا يكون رؤية للقد، لأنه حال، و انما بين رؤية القميص.
و الاخر- ان يكون بمعنى العلم فيكون رؤية للقد، لأنه خبر. و الهاء فى قوله (إنه) يحتمل ان تكون عائدة الى السوء، و يحتمل ان تكون عائدة الى ما تقدم ذكره من معنى الكذب.
و النون فى قوله «كيدكن» نون جماعة النساء، و شددت لتكون على قياس نظيرها من المذكر فى ضربكموا فى انه على ثلاثة أحرف. و قال قوم ان ذلک من قول الزوج. و قال آخرون من قول الشاهد

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا وَ اسْتَغْفِرِی لِذَنْبِکِ إِنَّکِ کُنْتِ مِنَ الْخاطِئِینَ (29)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية ما نادى زوج المرأة يوسف، فقال له يا يوسف، و لذلک قال قوم: إنه لم يكن له غيرة. و روى عن ابن عباس انه قال ذلک من قول الشاهد و اسقط حرف النداء لأنه اسم علم و لم يجز ذلک فى المبهم «أَعْرِضْ عَنْ هذا» اى اصرف وجهک عنه. و الاغراض صرف الوجه عن الشىء الى جهة العرض، التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 128
فكأنه قال اجعله بمنزلة ما تصرف وجهک عنه بأن لا تذكره «وَ اسْتَغْفِرِی لِذَنْبِکِ» اى اطلبى المغفرة من اللّه من خطيئتک، و الذنب الخطيئة، و الخطيئة العدول عما تدعوا اليه الحكمة الى ما تزجر عنه، و يقال لصاحبه خاطئ إذا قصد ذلک، فإذا وقع عن غير قصد قيل اخطأ المقصد، فهو مخطئ، و ان لم يكن صفة ذم. و اصل الخطأ العدول عن الغرض الحكمى بقصد أو غير قصد، فان كان بقصد قيل خطئ يخطأ خطأ فهو خاطئ قال أمية:
عبادک يخطئون و انت ربّ بكفيک المنايا و الحياة «1»
و انما قال «من الخاطئين» و لم يقل من الخاطئات تغليبا للمذكر على المؤنث إذا اختلطا، كما تقول عبيدک و اماءک جاءونى.

وَ قالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَها حُبًّا إِنَّا لَنَراها فِى ضَلالٍ مُبِينٍ (30)
آية بلا خلاف.
اخبر اللّه تعالى انه «قالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ» التى كان فيها الملک و زوجته و يوسف إن امرأة العزيز تطلب فتاها عن نفسه، و العزيز المنيع بقدرته عن ان يضام فى أمره و سمى بذلک لأنه كان ملكاً ممتنعا بملكه و اتساع قدرته قال أبو داود:
درة غاص عليها تاجر حليت عند عزيز يوم ظل «2»
و الفتى الغلام الشاب و المرأة فتاة قال الشاعر:

---

(1) مجمع البيان 3/ 226، و تفسير الطبرى «الطبعة الاولى» 12/ 109 و روايته «الحتوم» يدل «الحياة»
(2) تفسير الطبرى 12/ 110 و مجمع البيان 3/ 229. و رواية الطبرى «عاص» بدل «غاص» و «جليت» بدل «حليت»

كأنا يوم فرىّ انما يقتل إيانا قتلنا منهم كل فتى ابيض حسانا «1»
و معنى «شَغَفَها حُبًّا» بلغ الحب شغاف قلبها، و هو داخله. و قوله «إِنَّا لَنَراها فِى ضَلالٍ مُبِينٍ» معناه إنا لنعلمها فى عدول عن طريق الرشد، فعابوها بذلک و ذلک انّ تصير الى ما يذهلها و يبلغ صميم قلبها بحب إنسان. و إنما حذف حرف التأنيث فى قوله «وَ قالَ نِسْوَةٌ» لأنه تأنيث جمع قدم عليه الفعل، و تأنيث الجمع تأنيث لفظ يبطل تأنيث المعنى، لأنه لا يجتمع فى اسم واحد تأنيثان، و كما يبطل تذكير المعنى فى رجال، فإذا صار كذلک جاز فيه و جهان، ان حمل على اللفظ أنث، و ان حمل على المعنى ذكر.
و قيل فى معنى الشغاف ثلاثة أوجه: شغاف القلب غلافه، و هو جلدة عليه تقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب- فى قول السدى و أبى عبيدة- الثانى- قال الحسن: هو باطن القلب. الثالث- قال ابو على الجبائى: هو وسط القلب قال النابغة:
و قد حال همّ دون ذلک داخل مكان الشغاف تبتغيه الأصابع «2»
و روى شعفها بالعين اى ذهب بها الحب كل مذهب من شعف الجبال و هى رءوسها قال امرؤ القيس:
أ تقتلنى و قد شعفت فؤادها كما شغف المهنوءة الرجل الطالى «3»
قال ابو زيد هما مختلفان فالشعف بالعين فى البغض و بالغين فى الحب.

---

(1) الكتاب لسيبويه 1/ 271، 383
(2) ديوانه 79 و روايته (شاغل) بدل (داخل) و تفسير القرطبى 9/ 179 و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 12/ 110
(3) ديوانه 162، و تفسير الطبرى 12/ 111 و القرطبى 9/ 177 و الشوكانى (الفتح القدير.) 3/ 19 و رواية الديوان:
ليقتلنى انى شغفت فؤادها كما شغف المهنوءة الرجل الطالى

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَ أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَ آتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَ قالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَ قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31)

آية بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو و نافع فى رواية الأصمعى عنه «حاشا» بألف. الباقون بلا الف، فمن حجة أبى عمرو، قول الشاعر:

حاشى أبى ثوبان إن به ضنّأ عن الملحاة و الشّتم «1»

قال ابو على الفارسى لا يخلوا قولهم: حاش للّه من ان يكون الحرف الجار فى الاستثناء، كما ذكرناه فى البيت أو فاعل من قولهم: حاشى يحاشى، و لا يجوز ان يكون حرف الجر لأن حرف الجر لا يدخل على مثله، و لأن الحروف لا تحذف إذا لم يكن فيها تضعيف، فإذا بطل ذلک ثبت انها فاعل مأخوذاً من الحشا الذى هو الناحية. و المعنى انه صار فى حشاء اى ناحية مما قذف به، و فاعله يوسف، و المعنى بعد عن هذا الذى رمى به «للّه» اى لخوفه من اللّه، و مراقبة أمره. و من حذف الالف، فكما حذف لم يک، و لا أدر، فإذا أريد به حرف الجر يقال حاشا، و حاش، و حشا، ثلاث لغات قال الشاعر:

حشا رهط النبى فان فيهم بحوراً لا تكدرها الدّلاء «2»

حكى اللّه تعالى عن امرأة العزير انها حين سمعت قول نسوة المدينة فيها

---

(1) تفسير القرطبى 9/ 181 و مجاز القرآن 1/ 310، و المفضليات. 19 و الاصمعيات 80، و اللسان و التاج «حشى» و تفسير الطبرى «الطبعة الاولى» 12/ 115

(2) اللسان «حشا» و مجمع البيان 3: 229.

و عذلهنّ إياها، و مكرهنَّ بها. و قيل انهن مكرن بها لتريهن يوسف، فلما اطلعتهن على ذلک أشعن خبرها، و المكر الفتل بالحيلة الى ما يراد من الطلبة يقال: هى ممكورة الساقين بمعنى مفتولة الساقين، و ممكورة البدن أى ملتفة «أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ» أى بعثت إليهن تدعوهن الى دعوتها.

و قوله «وَ أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً» معناه اعدَّت، و معناه اتخذت من العتاد، و قولهم: اعتدت من العدوان، و الألف فيه ألف وصل، و المتكأ الوسادة، و هو النمرق الذى يتكأ عليه. و قال قوم: انه الأترج. و أنكر ذلک ابو عبيدة.

و قوله «وَ آتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً» قيل انها قدمت إليهن فاكهة و أعطتهن سكّيناً ليقطعن الفاكهة، فلما رأينه- يعنى يوسف- دهشن «وَ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ» و قوله «أكبرنه» أى أعظمنه و أجللنه. و قال قوم: معنى ذلک انهن

حضن حين رأينه و أنشد قول الشاعر:
يأتى النساء على اطهارهنَّ و لا يأتى النساء إذا اكبرن اكبارا «1»
و أنكر ذلک ابو عبيدة، و قال: ذلک لا يعرف فى اللغة، لكن يجوز ان يكون من شدة ما أعظمنه حضن، و البيت مصنوع لا يعرفه العلماء بالشعر.
و قوله «حاش لله» تنزيه له عن حال البشر، و انه لا يجوز ان تكون هذه صورة للبشر، و انما هو ملک كريم. و قال الجبائى: فيه دلالة على تفضيل الملائكة على البشر لأنه خرج مخرج التعظيم، و لم ينكره اللَّه تعالى، و هذا ليس بشىء، لأن اللَّه تعالى حكى عن النساء انهن أعظمن يوسف، لما رأين من وقاره و سكونه و بعده عن السوء. و قلن: ليس هذا بشراً، بل هو ملک يريدون فى سكونه، و لم يقصدن كثرة ثوابه على ثواب البشر، و كيف يقصدنه، و هن لا طريق لهن الى معرفة ذلک، على ان هذا من قول النسوة اللاتى وقع منهن من الخطأ و الميل

---

(1) تفسير القرطبى 9: 180 و تفسير الشوكانى 3: 20

اليه ما لا يجوز ان يحتج بقولهن. و قوله لم ينكره اللَّه، انما لم ينكره، لأنه تعالى علم انهن لم يقصدن ما قال الجبائى، و لو كن قصدنه لأنكره، على أن ظاهر الكلام انهن نفين ان يكون يوسف من البشر، و فيه قطع على انه ملک، و هذا كذب، و لم ينكره اللَّه. و الوجه فيه انهن لم يقصدن الاخبار بذلک عن حاله، و انما اخبرن بتشبيه حاله فيما قلناه بحال الملائكة، فلذلک لم ينكره اللَّه.
و قوله «ما هذا بَشَراً» نصب بشراً على مذهب اهل الحجاز فى اعمال (ما) عمل ليس، فيرفعون بها الاسم، و ينصبون الخبر، فأما بنو تميم، فلا يعلونها قال الشاعر:
لشتّان ما أنوى و ينوى بنو أبى جميعاً فما هذان مستويان
تمنّوا لى الموت الذى يشعب الفتى و كل فتى و الموت يلتقيان «1»
و قد قرئ «ما هذا بشرى» أى ليس بمملوک، و هو شاذ، لا يقرأ به.
و قرئ (متكأ) بتسكين التاء. قال مجاهد: معنا الا ترج، و قال قتادة: معناه طعاماً، و به قال عكرمة و ابن اسحق و ابن زيد و الضحّاک، و قال مجاهد و غيره: اعطى يوسف نصف الحسن، و قيل ثلثه. و قيل ثلثاه. و الباقى لجميع الخلق.

قالَتْ فَذلِكُنَّ الَّذِی لُمْتُنَّنِی فِیهِ وَ لَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَ لَئِنْ لَمْ یَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَیُسْجَنَنَّ وَ لَیَکُوناً مِنَ الصَّاغِرِینَ (32)
آیة بلا خلاف.
هذه الآیة فیها حکایة ما قالت امرأة العزیز للنسوة اللاتی عذلنها علی محبتها لیوسف،

---

(1) مجمع البیان 3/ 229 و تفسیر الطبری 12/ 115

و انها حین رأت ما فعلت النسوة للدهش بیوسف، قالت لهن هذا هو ذلک الذی لمتنَّنی فیه، و اللوم الوصف بالقبیح علی وجه التحقیر، و مثله الذم و ضده الحمد.
و قوله «وَ لَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ» اعتراف منها انها هی التی طلبته عن نفسه و انه استعصم منها أی امتنع من ذلک، و الاستعصام طلب العصمة من اللّه بفعل لطف من ألطافه لیمتنع من الفاحشة. و فیه دلالة علی ان یوسف لم یقع منه قبیح.
و قوله «وَ لَئِنْ لَمْ یَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَیُسْجَنَنَّ» اخبار عما قالت امرأة العزیز علی وجه التهدید لیوسف من انه ان لم یفعل ما تأمره به من المعصیة و یجیبها الی ملتمسها لتمنعنّه التصرف من مراده بالحبس، تقول: سجنه یسجنه سجناً، و السجان المتولی للسجن علی وجه الحرفة.
و قوله «وَ لَیَکُوناً مِنَ الصَّاغِرِینَ» هذه النون الخفیفة التی یتلقی بها القسم، و إذا وقفت علیها وقفت بالألف، تقول: و لیکونا، و هی بمنزلة التنوین الذی یوقف علیه بالألف قال الشاعر:
و صلّ علی حین العشیات و الضحی و لا تعبد الشیطان و اللّه فاعبدا «1»
ای فاعبدن، فأبدل فی الوقف من النون ألفاً. و الصغار الذل بصغر القدر صغر یصغر صغاراً، و منه قوله «حَتَّی یُعْطُوا الْجِزْیَةَ عَنْ یَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ» «2».

قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِى إِلَيْهِ وَ إِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنْ مِنَ الْجاهِلِينَ (33)

---

(1) قائله الأعشى، ديوانه 103 القصيدة 17 و روايته «فاحمدا» بدل «فاعبدا» و هو فى مجمع البيان 3. 230 و تفسير الطبرى 12: 16 «فاعبدا».
(2) سورة التوبة آية 29

آية بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى عن يوسف انه لما سمع وعيد المرأة له بالحبس و الصغار ان لم يجبها الى ما تريده، قال يا «رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِى إِلَيْهِ» من ركوب الفاحشة، و انما جاز ان يقول السجن أحب إلىَّ من ذلک، و هو لا يحب ما يدعونه اليه، و لا يريده، و لا يريد السجن ايضاً، لأنه ان أريد به المكان فذلک لا يراد، و ان أريد به المصدر، فهو معصية منهى عنها، فلا يجوز ان يريده لأمرين:
أحدهما- ان ذلک على وجه التقدير، و معناه انى لو كنت مما أريد لكانت ارادتى لهذا أشد.
الثانى- ان المراد ان توطين نفسى على السجن أحب إلىَّ.
و قيل معناه ان السجن أسهل علىَّ مما يدعوننى اليه.
و قرأ الحس (السجن) بفتح السين و أراد المصدر، و به قرأ يعقوب، و تأويله ما قلناه. و الدعاء طلب الفعل من المدعو و صيغته صيغة الامر إلا ان الدعاء لمن فوقک و الأمر لمن دونک.
و قوله «إِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ» معناه ضرر كيدهن، لأن كيدهن قد وقع، و الصرف نفى الشىء عن غيره بضده او بأن لا يفعل، و صورته كصورة النهى إلا ان النهى مع الزجر لمن هو دونک، و ليس كذلک الصرف (و الصبا) رقة الهوى، يقال صبا يصبو صباً فهو صاب، فكأنه قيل أميل هواى اليهنَّ، قال الشاعر:
الى هند صبا قلبى و هند مثلها يصبى «1»
و قال ايضاً:

---

(1) قائله زيد بن ضبة، تفسير القرطبى 9: 185 و مجاز القرآن 1: 311 و اللسان (صبا) و تفسير الشوكانى (الفتح القدير) 3: 21 و تفسير الطبرى 12/ 117.

صبا صبوة بل لجَّ و هو لجوج و زالت له بالانعمين حدوج «1»
و قوله «وَ أَكُنْ مِنَ الْجاهِلِينَ» معناه و أكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل، لأنه بمنزلة من قد اعتقد الشىء على خلاف ما هو به، و إلا فهو كان عالماً بأن ذلک معصية، و الغرض فيه بيان ان صفة الجهل من أغلظ صفة الذم.
و قال البلخى و الجبائي: فى الآية دلالة على انه لا ينصرف احد عن معصية إلا بلطف اللّه عزَّ و جلَّ، لأنه لو لم يعلم ذلک، لما صح خبره به، و ليس فى الآية ما يدل على ذلک، بل فيها ما يدل على ان يوسف كان له لطف، و لولاه لفعل المعصية، و أما ان يدل على انه لا أحد ينتهى عن معصية إلا بلطف، فلا، بل ذلک مجوّز، و ليس فيها ما يمنع منه، و يحتمل قوله «أصب إليهن» على لفظ الجمع أشياء:
أحدها- قال ابو على الجبائى: ان كل واحدة منهن دعته الى مثل ما دعت اليه امرأة العزيز بدلالة هذا الكلام. و قال قوم: انهن قلن لها نحن نسأله ان يفعل ما دعوته اليه، فخلت كل واحدة منهن به. و يحتمل ان يكون المراد أصب الى قولهن فى الدعاء الى اجابة امرأة العزيز.

فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (34)
آية بلا خلاف.
اخبر اللّه تعالى انه أجاب يوسف الى ما دعاه به و أراد منه و رغب اليه فيه و انه فعل، لأنه دعا به، فهو اجابة له و استجابة و الذى تعلقت به الارادة مستجاب، و قال ابو على الجبائى: الاجابة من اللّه تعالى ثواب لقوله تعالى

---

(1) قائله ابو ذؤيب الهذلى، ديوانه 1/ 50 و شواهد المغنى 109، و الخزانة 1/ 194 و مجاز القرآن 1/ 311 و مجمع البيان 3/ 229.

«وَ ما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِى ضَلالٍ» «1» و هذا انما هو فى الجملة، قال الرمّانى: و صرف اللّه تعالى له عن الفعل بالزجر عنه و اعلامه الذم على فعله، و فرق بين الصرف عن الفعل و الزجر عنه، بأن الزجر عنه بالذم على إيقاعه. و الصرف عنه اعلامه ان غيره أصلح له من غير ذم عليه لو عمله كما يجب فى الزجر، و الظاهر بغير ذلک أشبه، لأن يوسف (ع) كان عالماً بأن ما دعته اليه قبيح يستحق به الذم، و مع ذلک سأل ان يصرف ضرر كيدهن عنه، لأن كيدهن الذى هو دعاؤهن و اغواؤهن، كان قد حصل، فكأنه قد سأل اللّه تعالى لطفاً من ألطافه يصرفه عنده عن اجابة النسوة إلى ما دعوته من ارتكاب المعصية، لأن ظاهر القول خرج مخرج الشرط و الجزاء المقتضيين للاستقبال، فكان ما قلناه أولى. فقوله «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» معناه هاهنا انه السميع لدعاء الداعى العليم باخلاصه فى دعائه او ترک إخلاصه و بما يصلحه من الاجابة او يفسده، قال الرمّانى: و لا يجوز ان يكون السميع للصوت بمعنى العليم بالصوت موجوداً، لأنه قد يعلم الإنسان موجوداً، إذا كان بعيداً و هو لا يسمعه كعلمه بصوت المطارق فى الحدادين، و ليس من طريق الحاسة و انما يعلمه بضرب من الاستدلال او يظن ذلک، و إذا علمه من طريق الحاسة علمه ضرورة، فكان ذلک فرقاً بين الموضعين.
و قال ابو على الجبائى: فى الآية دلالة على جواز الدعاء بما يعلم انه يكون، لان يوسف عالماً بأنه إن كان له لطف فلا بد ان يفعل اللّه به، و مع هذا سأله.
و ليس فى الآية ما يدل على ذلک لأنه لا يمتنع ان يكون يوسف سأل لتجويزه ان يكون له لطف عند الدعاء، و لو لم يدع له لم يكن ذلک لطفاً، فما سأل الا ما جوَّز ان لا يكون لو لم يدع، غير ان المذهب: ما قال ابو على لأنه تعالى تعبَّدنا بأن نقول «رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ» «2» و قد علمنا انه لا يحكم

الا بالحق، و لكن الآية لا تدل على ذلک.

---

(1) سورة الرعد آية 15 و سورة المؤمن (غافر) آية 50. [.....]
(2) سورة الأنبياء آية 112.

ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (35)
آية بلا خلاف.
أخبر اللّه تعالى انه ظهر لهم من بعد ما رأوا الآيات، يقال بدا يبدو بدواً، و بدأ و البداء فى الرأى التلون فيه، لأنه كلما ظهر رأى مال اليه، و انما قال «لهم» و لم يقل (لهن) مع تقدم ذكر النسوة، لامرين: أحدهما- قال الحسن انه أراد بذلك الملك. و الثانى- انه أراد ذكر الذكور معهنّ من أعوانها فغلب المذكر، فقال لهم، قال الرمانى: و فاعل (بدا) مضمر و تقديره ثم بدا لهم بداء، و دل عليه قوله «ليسجننه».
و الآيات التى رأوها، قال قتادة: هو قدّ القميص و حز الايدى و قال غيره: هو قطع الايدى و الاستعظام، و قدّ القميص.
و قوله «ليسجننه» انما هو فعل المذكر كما قال «بدا لهم» و لم يقل (لهن) و دخلت النون الثقيلة جواباً للقسم و ليس بفعل المؤنث، و لو كان على صيغة فعل المؤنث قيل (ليسجنَّ) (و ليقتلنّ) ثم تدخل عليها نون التأكيد الشديدة فيصير ليسجنانه كقولك تقتلنانه.
و قوله «حتى حين» ف (حتى) تنصرف على اربعة أوجه، تكون حرف جر، و حرف عطف، و ناصبة للفعل، و حرف من حروف الابتداء، فالجارّة نحو هذه التى فى الآية، و العاطفة كقولهم خرج الناس حتى الأمير، و الناصبة كقوله «حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ» «1»، و حرف الابتداء كقولك سرحت القوم حتى زيد مسرّح.

---

(1) سورة الرعد آية 33.

وَ دَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ قالَ أَحَدُهُما إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَ قالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36)

آية بلا خلاف.

و فى الآية تقدير فسجن يوسف، و دخل معه فتيان يعنى شابّان. و الفتى الشاب القوى قال الشاعر:

يا عزّ هل لک فى شيخ فتى ابداً و قد يكون شباب غير فتيان

و قال الزجاج: كانوا يسمون المملوک فتى، شيخاً كان او شاباً. و الفتيان قال السدى و قتادة: كانا غلامى ملک مصر الأكبر أحدهما صاحب شرابه و الآخر صاحب طعامه، فنمى اليه ان صاحب طعامه يريد ان يسمَّه. و ظن ان الآخر ساعده و مالأه على ذلک.

و قوله «قالَ أَحَدُهُما» يعنى احد الفتيين ليوسف: «إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً» من رؤيا المنام، و الخمر عصير العنب إذا كان فيه الشدة و التقدير اعصر العنب للخمر، و قال الضحاک: هى لغة، تسمى العنب خمراً ذكر جماعة انها لغة عمان.

و قال الزجاج: تقديره عنب الخمر.

و قوله «وَ قالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً» فالحمل رفع الشىء بعماد، يقال: حمل يحمل حملا، و احتمل احتمالًا، و تحمَّل تحمُّلا، و حمَّله تحميلا.

و (الخبز) معروف «تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ» و قوله «نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ» اى أخبرنا بتأويل رؤيانا «إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» معناه انَّا نعلمک او نظنک ممن يعرف تأويل الرؤيا. و من ذلک

قول على (ع) (قيمة كل ما يحسنه)

اى ما يعرفه.

و الإحسان النفع الواصل الى الغير إذا وقع على وجه يستحق به الحمد و إذا اختصرت فقلت هو النفع الذى يستحق عليه الحمد جاز، لان ما يفعله الإنسان

لا يسمى احساناً. و قيل انه كان يداوى مريضهم و يعزّى حزينهم

و يجتهد فى عبادة ربه. و قال الزجاج: كان يعين المظلوم و ينصر الضعيف و يعود المريض. و قيل «من المحسنين» فى عبارة الرؤيا، لأنه كان يعبِّر لغيرهم، فيحسن.

ذكره الجبائى.

قالَ لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُما ذلِكُما مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ (37)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية اخبار بما أجاب به يوسف للفتيين اللذين سألاه عن المنام، فقال لهما «لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ» و الطعام كل جسم فيه طعم يصلح للأكل، غير انه يختلف بإضافته الى الحيوان. و الرزق العطاء الجارى فى الحكم و كذلك لو أعطاه مرة واحدة، و قد حكم بانه يجريه كان رزقاً. و قال السدى و ابن إسحاق: معنى ذلك انى عالم بتعبير الرؤيا إذ لا يأتيكما ما ترزقانه فى منامكما إلا نبأتكما بتأويله فى اليقظة. و قال ابن جريج: كان الملك إذا أراد قتل إنسان صنع له طعاماً معلوماً، فأرسل به اليه، فعلى هذا يرزقانه فى اليقظة. و قيل إنه كان يخبر بما غاب كما كان عيسى (ع)، و إنما عدل عن تعبير الرؤيا إلى الجواب بهذا لاحد أمرين:

أحدهما- ما قال ابن جريج: انه كره ان يخبرهما بالتأويل على أحدهما فيه، فلم يتركاه حتى أخبرهما. و قال ابو على: إنما قدم هذا، ليعلما ما خصه اللّه به من النبوة، و ليقبلا الى الطاعة، و الإقرار بتوحيد اللّه. و الانباء: الاخبار بما يستفاد و ذلك ان النبأ له شأن، و فيه تعظيم الخبر بما فيه من الفائدة، و لذلك أخذت منه النبوة. و التأويل: الخبر عما حضر بما يؤل اليه أمره، فيما غاب.

و لذلك قال «قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُما» و تأويل القرآن ما يؤل اليه من المعنى أى يرجع التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 140

اليه و التعليم تفهيم الدلالة المؤدية الى العلم بالمعنى، و قد يكون الاعلام بخلق العلم بالمعنى فى القلب.

و قوله «إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ» اخبار من يوسف أنه إنما علمه اللّه تعالى تأويل ما سألاه لإيمانه باللّه وحده لا شريک له و عدوله عن ملة الكفار و جحدهم البعث و النشور و الجزاء بالثواب و العقاب، و (هم) الثانية دخلت للتأكيد لأنه لما دخل بينهما قوله «و بالآخرة» صارت الأولى كالملغاة، و صار الاعتماد على الثانية، كما قال «وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ» «1» و كما قال «أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ» «2».

وَ اتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِی إِبْراهِیمَ وَ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ ما کانَ لَنا أَنْ نُشْرِکَ بِاللَّهِ مِنْ شَیْءٍ ذلِکَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَیْنا وَ عَلَی النَّاسِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَشْکُرُونَ (38)
آیة بلا خلاف.
فی هذه الآیة أخبار عن یوسف أنه قال لهما: إنی فی ترک اتباع ملة الکفار و جحدهم البعث و النشور و فی إیمانی باللّه و توحیدی له اتبعت ملة آبائی ابراهیم و إسحاق و یعقوب، فالاتباع اقتفاء الأثر و هو طلب اللحاق بالأول، فاتباع المحق بالقصد الی موافقته من أجل دعائه. و الملة مذهب جماعة یحمی بعضها بعضاً فی الدیانة، و أصله الحمّی من المالیلة و هی حمی ما یلحق الإنسان دون الحمی. و الآباء جمع أب و هو الذی یکون منه نطفة الولد، و الأم الأنثی التی یکون منها الولد و الجد أب بواسطة، و لا یطلق علیه صفة أب، و إنما یجوز ذلک بقرینة تدل علی انه أب بواسطة الأبن، وجد الأب أب بواسطتین.

---

(1) سورة النمل آیة 3، و سورة الروم آیة 4.
(2) سورة المؤمنون آیة 35.

و قوله «ما کانَ لَنا أَنْ نُشْرِکَ بِاللَّهِ مِنْ شَیْءٍ» إخبار من یوسف أنه لیس له، و لا لاحد من آبائه أن یشرک باللّه شیئاً، و دخلت (من) للنفی العام، و الاشراک بلوغ منزلة الجمع لعبادة غیر اللّه الی عبادته- فی عظم الجرم. و الیهودی مشرک، لأنه بکفره بالنبی قد بلغ تلک المنزلة فی عظم الجرم. و قوله «ذلِکَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَیْنا» اعتراف منه ان ذلک العدول عن عبادة غیر اللّه هو من فضل اللّه علیهم من حیث کان بلطفه و هدایته و توفیقه. و الفضل النفع الزائد علی مقدار الواجب بوجوب الدین الذی یستحق به الشکر، و کل ما یفعله اللّه تعالی بالعبد، فهو فضل من فضله و العقاب ایضاً فضل، لأنه زجر به عن المعاصی. و قیل ذلک من فضل اللّه علینا ان جعلنا أنبیاء و علی الناس ان جعلنا رسلاً الیهم- فی قول ابن عباس- و قوله «علی الناس» دال علی اللّه قد عمّ جمیع خلقه بفضله و هدایته إیاهم الی التوحید و الایمان.

يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (39)
آية.
هذا حكاية ما نادى به يوسف للمستفتين له عن تأويل رأياهما، فقال لهما «يا صاحِبَيِ السِّجْنِ» اى يا ملازمى السجن. و الصاحب الملازم لغيره على وجه الاختصاص بوجه من الوجوه، و هو خلاف ملازمة الاتصال، و لذلک قيل أصحاب مالک، و اصحاب الشافعى للاختصاص بمذاهبهما، و اصحاب النبى لملازمتهم له، و الكون معه فى حروبه، و صاحبا السجن هما الملازمان له بالكون فيه.
و السجن هو الحبس الذى يمنع من التصرف قال الفرزدق:
و ما سجنونى غير انى ابن غالب و انى من الأثرين غير الزعانف «1»

---

(1) ديوانه 1: 536 و سيبويه 1: 366 و قد مر فى 1: 320 من هذا الكتاب.

و قوله «أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ» فيه أقوال: قال قوم أملاک متباينون خير أم المالک القاهر للجميع، يدلهم بهذا على أنه لا يجوز ان يعتقدوا الربوبية إلا للّه تعالى- عز و جل- وحده. و قال الحسن متفرقون من صغير و كبير و وسط، يعنى الأوثان. و قال قوم: معناه متفرقون بمباينة كل واحد للآخر بما يوجب النقص، و القاهر القادر بما يجب به الغلبة لا محالة و القهار مبالغة فى الصفة يقتضى انه القادر بما يجب به الغلبة لكل احد و الخير الا بلغ فى صفة المدح، و الشر الا بلغ فى صفة الذم.

ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (40)

آية بلا خلاف.

و هذا تمام ما قال يوسف للكفار الذين يعبدون غير اللَّه، فقال لهم لستم تعبدون من دون اللَّه إلا أسماء سميتموها. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه لما كانت الأسماء التى سموا بها آلهتهم لا تصح معانيها صارت كأنها اسماء فارغة يرجعون فى عبادتهم اليها فكأنهم إنما يعبدون الأسماء، لأنه لا يصح معانى يصح لها من إله و رب.

الثانى- إلا اصحاب أسماء سميتموها لا حقيقة لها، و العبادة هى الاعتراف بالنعمة مع ضرب من الخضوع فى أعلى الرتبة، و لذلك لا يستحقها إلا اللَّه تعالى و قوله «ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ» أى لم ينزل اللَّه على صحة ما تدعونه حجة، و لا برهاناً، فهى باطلة لهذه العلة، لأنها لو كانت صحيحة، لكان عليها دليل. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 143

و قوله «إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ» معناه ليس الحكم إلا للَّه فيما فعله او أمر به، و الحكم فصل المعنى بما تدعو إليه الحكمة من صواب او خطأ. و الأمر قول القائل لمن دونه (افعل) و الصحيح انه يقتضى الإيجاب. و قوله «أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» معناه أمر أن تعبدوه، و كره منكم عبادة غيره، لان الأمر لا يتعلق بأن لا يكون الشىء، لأنه انما يكون أمراً بارادة المأمور و الارادة لا تتعلق الا بحدوث الشىء.

و قوله «ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» معناه ان الذى أمر به من عبادته وحده، و ان لا يشرك به شىء هو «الدِّينُ الْقَيِّمُ» المستقيم الصواب، و لكن اكثر الناس لا يعلمون صحة ما أقوله، لعدولهم عن الحق، و النظر و الاستدلال.

يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْراً وَ أَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِىَ الْأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ (41)
آية بلا خلاف.
فى هذه الآية اخبار عما أجاب به يوسف للفتيين فى تأويل رؤياهما حين راجعاه فى معرفته، فقال «يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْراً» يعنى سيده، و مالكه، لأنه كان صاحب شرابه، و اجرى عليه صفة الرب، لأنه مضاف كما يقال رب الدار، و الضيعة. و «أَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ» فروى ان صاحب الصلب، قال ما رأيت شيئاً، فقال له قضى الامر الذى فيه تستفتيان.
و هذا يدل على انه كان ذلک بوحى من اللَّه و لفظ احد لواحد من المضاف اليه مما له مثل صفة المضاف فى الافراد نحو احد الانسانين، واحد الدرهمين، فهو إنسان و درهم لا محالة. و البعض يحتمل ان يكون لاثنين فصاعدا، و لذلک إذا قال جاءنى احد الرجال، فهم منه إنه جاءه واحد منهم. و إذا قال جاءنى بعض الرجال جاز ان يكون اكثر من واحد. و الاستفتاء طلب الفتيا. و الفتيا جواب بحكم التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 144
المعنى، فهو غير الجواب بعينه.

وَ قالَ لِلَّذِی ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذْکُرْنِی عِنْدَ رَبِّکَ فَأَنْساهُ الشَّیْطانُ ذِکْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِی السِّجْنِ بِضْعَ سِنِینَ (42)
آیة بلا خلاف.
و هذا حکایة عما قال یوسف (ع) للذی ظن انه ینجو منهما، و قال ابو علی: الظن هاهنا بمعنی العلم لقوله «ظَنَنْتُ أَنِّی مُلاقٍ حِسابِیَهْ» «1» و قال قتادة: الرؤیا علی الظن، و قال غیره: إلا رؤیا الأنبیاء، فإنها یقین. و الظن هو ما قوی عند الظان کون المظنون علی ما ظنه مع تجویزه ان یکون علی خلافه. و النجاة هی السلامة. و قوله «اذْکُرْنِی عِنْدَ رَبِّکَ» یعنی عند سیدک کما قال الشاعر:
و إن یک رب أذواد فحسبی أصابوا من لقائک ما أصابوا «2»
و انما سأله ان یذکره عند سیده بخیر و یعرفه علمه و ما خصه اللَّه تعالی من الفضل و العلم لیکون ذلک سبب خلاصه. و الذکر حضور المعنی للنفس، و علی حال الذکر یتعاقب العلم و أضداده من الجهل و الشک. و النسیان ذهاب المعنی عن النفس و عزوبه عنها. و الهاء فی قوله «فأنساه» تعود الی یوسف فی قول ابن عباس- و التقدیر فأنسی یوسف الشیطان ذکر اللَّه، فلذلک سأل غیره حتی قال مجاعة إن ذلک کان سبب للبثه فی السجن مدة من الزمان. و قال ابن إسحاق و الحسن و الجبائی یعود علی الساقی، و تقدیره فأنسی الساقی الشیطان ذکر یوسف.

---

(1) سورة الحاقة آیة 20
(2) قائله النابغة الذبیانی. دیوانه 19 (دار بیروت) و روایته:
و ان تکن الفوارس یوم حسبی أصابوا من لقائک ما أصابوا

و قوله «فَلَبِثَ فِی السِّجْنِ بِضْعَ سِنِینَ» فاللبث فی المکان هو الکون فیه علی طول من الزمان، و اللبث و الثبوت و السکون نظائر. و البضع قطعة من الدهر.
و قیل البضع من الثلث الی العشر- فی قول ابن عباس- و قال قتادة و مجاهد الی التسع و قال وهب: الی سبع سنین. و السنة إثنا عشر شهراً و یجمع سنین و سنوات.

وَ قالَ الْمَلِكُ إِنِّی أَری سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ یَأْکُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَ سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ یابِساتٍ یا أَیُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِی فِی رُءْیایَ إِنْ کُنْتُمْ لِلرُّءْیا تَعْبُرُونَ (43)

آیة بلا خلاف.

حکی اللّه تعالی فی هذه الآیة: إن الملک الذی کان یوسف فی حبسه، و کان ملک مصر فیما روی، قال إنه رأی فی المنام «سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ یَأْکُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ» یعنی مهازیل «وَ سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ یابِساتٍ» ثم أقبل علی قومه، فقال «یا أَیُّهَا الْمَلَأُ» ای یا ایها الاشراف و العظماء الذین یرجع إلیهم «أَفْتُونِی فِی رُءْیایَ إِنْ کُنْتُمْ» تعبرون الرؤیا، و تدعون العلم بتأویلها، و الملک القادر الواسع المقدور الذی الیه السیاسة و التدبیر.

و الرؤیا تخیل النفس للمعنی فی المنام حتی کأنه یری، و یجوز فیها الهمزة و ترکها. و البقرات جمع بقرة و السمن زیادة فی البدن من الشحم و اللحم و هو علی الشحم أغلب، و العجف یبس الهزال یقال: عجف یعجف عجفاً، فهو أعجف.

و الأنثی عجفاء، و الجمع عجاف، و سنبلات جمع سنبل، و العبارة: نقل معنی التأویل الی نفس السائل بالتفسیر، و هی من عبور النهر و غیره، و منه المعبر و العبّارة، و إنما دخلت اللام فی قوله «للرؤیا» مع أن الفعل یتعدی بنفسه، لأنه التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 146

إذا تقدم المفعول ضعف عمله، فجاز إدخال حرف الاضافة لهذه العلة، و لا یجوز یعبرون للرؤیا، لأنه فی قوة عمله.

قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَ ما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ بِعالِمِينَ (44)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية ما أجاب به الملأ الملک حين سألهم عن تعبير رؤياه و لم يعرفوا معناها، قالوا: «أَضْغاثُ أَحْلامٍ» أى هذه الرؤيا أضغاث أحلام، و الأضغاث جمع ضغث، قال قوم: هو الحزمة من الحشيش، و البقل، و غيره. و قال آخرون: هو خلط قش المد، و هو غير متشاكل، و لا متلائم، فشبهوا به تخليط المنام، و نفوا ان يكونوا عالمين بمثل ذلک. و قال قتادة: هى اخلاط أحلام.
و قال ابن مقبل:
خود كان فراشها وضعت به أضغاث ريحان عداه شمال «1»
و قال آخر:
يحمى ذمار جنين قل مانعه طاوٍ لضغث الخلا فى البطن ممتكن «2»
و قال آخر:
و استقل منى هذه قدر بطنها و ألقيت صغثاً من خلًا متطيب «3»
و الأحلام جمع حلم، و هو الرؤيا فى النوم، و قد يقال: جاء بالحلم أى الشىء الكثير، كأنه جاء بما لا يرى إلا فى النوم لكثرته. و الحلم: الاناة، حلم حلماً: إذا كان ذا أناة و إمهال. و الحلم ضد الطيش. و منه

(1، 2) تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 12: 125 و روايته (غداة) بدل (عداه).
(3) مجاز القرآن 1: 312 و جمهرة اشعار العرب 2: 23 و قد نسب الى عوف بن عطية ابن عمر بن الحارث بن تميم. انظر. سمط اللآلى 377، 723 و معجم البلدان 277

«إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ» «1» و الحليم: من له ما يصح به الأناة دون الخرق و العجلة. و اللّه الحليم، الكريم، و (الحلم) بضم اللام ما يرى فى المنام، لأنها حال أناة و سكون و دعة تقول: حلم يحلم حلماً- بسكون اللام- إذا أردت المصدر، و الحلمة رأس الثدى، لأنها، تحلم الطفل، و الحلام الجدى الذى قد حلمه الرضاع، ثم كثر حتى قيل لكل جدى.

وَ قالَ الَّذِی نَجا مِنْهُما وَ ادَّکَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُکُمْ بِتَأْوِیلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45)
آية بلا خلاف.
حكى اللّه تعالى فى هذه الآية أن الذى نجا من الفتيين اللذين رأيا المنام، و فسره لهما يوسف- و هو صاحب الشراب- على ما ذكره له يوسف، فتذكر بعد وقت و حين من الزمان، لأمر يوسف، و قال لهم أنا أخبركم بما يؤل اليه هذا المنام، فابعثونى حتى ابحث عنه.
و (النجاة) التخلص من الهلاک. و الاذكار طلب الذكر. و مثله التذكّر و الاستذكار، و وزنه (الافتعال) من الذكر و أصله الاذتكار، فقلبت التاء ذالًا و أدغمت فيها الدال على أصل ادغام الاول فى الثانى و يجوز ادّكر، على تغليب الأصلى على الزائد. و (الامة) المذكورة هى الجملة من الجبن، و أصله الجماعة من الجبن، و سميت الجماعة الكثير من الناس أمة، لاجتماعها على مقصد فى أمرها.
و قال ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة: «بعد أمة» أى بعد حين، و حكى الزجاج و غيره عن ابن عباس «بعد أمة» اى بعد نسيان، يقال أمه يأمه أمهاً- بفتح الميم-، و حكى عن أبى عبيدة- بسكون الميم- قال الزجاج هذا ليس بصحيح و أجازه غيره، و روى هذه القراءة عن جماعة كقتادة و عكرمة و غيرهم.

---

(1) سورة هود آية 75

و تأويل الرؤيا تفسير ما يؤل اليه معناه، و تأويل كل شىء تفسير ما يؤل اليه معنى الكلام. و حكى عن الحسن أنه قرأ «أنا أجيبكم بتأويله» و هو خلاف المصحف.

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنا فِي سَبْعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَ سَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يابِساتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46)
آية بلا خلاف.
حكى اللّه تعالى عن الذى نجا من الفتيين انه جاء يوسف بعد أن قال لهم ابعثونى. و قال له يا «يوسف» و حذف حرف النداء، لأنه اسم علم «أَيُّهَا الصِّدِّيقُ» و الصديق الكثير التصديق بالحق للأدلة عليه، و كل نبىّ صدّيق بهذا المعنى «أَفْتِنا فِي سَبْعِ بَقَراتٍ» أى أخبرنا عن حكم هذه الرؤيا، و (الفتيا) جواب عن حكم المعنى، و قد يكون الجواب عن نفس المعنى فلا يسمى فتيا.
و قوله «لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ» معنى (لعل) الشك، لأنها طمع و اشفاق، و انما قال ذلك لطمعه أن يكون، و اشفق ان لا يكون، و لو قال لأرجع الى الناس ليعلموا، لكان فيه تعليل السؤال، غير ان الشك فى (لعل) قد يكون للمتكلم، و قد يكون للمخاطب، و (الرجوع) الى الشىء المرور الى الجهة التى جاء منها، و الرجوع عنه الذهاب عنه. و قوله «لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ» يحتمل أمرين:
- أحدهما لعلهم يعلمون بمكانك و منزلتك.
الثانى- لعلهم يعلمون تأويل الرؤيا.

قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِى سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ (47)
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 149
آية.
حكى اللَّه تعالى عن يوسف ما أجاب به المستفتي عن تعبير الرؤيا التى رآها الملک، فقال له إنكم «تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً» أى مستمرة. و قيل: متوالية.
و قيل: على عادتكم. و الدأب استمرار الشىء على عادة، يقال هو دأب بفعل كذا إذا استمر فى فعله، و قد دأب يدأب دأباً. و سكن القراء كلهم الهمزة، إلا حفصاً فانه فتحها، و هى لغة مثل سمع، و سمع، و نهر و نهر. و نصب (دأباً) على المصدر أى تدأبون دأباً، و كلهم همز إلا من مذهبه ترک الهمزة و أبو عمرو إذا أدرج.
و قوله «فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِى سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ» حكاية عن تمام ما قال يوسف له: من أن ما تحصدونه لا تذرّوه و لا تدرسونه، و دعوه فى السنبل إلا القليل الذى تأكلونه. و قيل إنما أمرهم بذلک، لأن السنبل لا يقع فيه السوس، و لا يهلک، و ان بقى مدة من الزمان، و إذا صفى أسرع اليه الهلاک، و (الزرع) طرح الحب فى الأرض بالدفن مع التعاهد له بالسقى، تقول. زرع يزرع زرعاً، و إزرع ازراعاً، و زارعه مزارعة، و (الحصد) قطع الزرع، حصده يحصده حصداً و استحصد الزرع إذا جاز حصاده.

ثُمَّ يَأْتِی مِنْ بَعْدِ ذلِکَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ (48)

آية بلا خلاف.

و هذا تمام حكاية ما فسر به الرؤيا يوسف (ع)، فقال لهم: إنه يجىء بعد هذه السنين التى زرعتم فيها و حصدتم، سبع سنين أخر شداد و هى جمع شديدة، و الشدة قوة الالتفاف، و الشدة و الصلابة و الصعوبة نظائر. و شدة الزمان التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 150

و صعوبته بمعنى. و ضدها الرخاء. و قيل الشدة تكون فى سبعة أصناف فى الأصل:

فى العقد، و المد، و الزمان، و الغضب، و الألم، و الشراب، و البدن.

و قوله «يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ» أضاف الأكل الى السنين، لأنها بمنزلة ما يأكل ذلک لوقوع الأكل فيها كما يكون الاكل فى الآكل قال الشاعر:

نهارک يا مغرور سهو و غفلة و ليلک نوم و الردى لک لازم «1»

و التقديم التقريب الى جهة القدام، و التأخير التبعيد الى جهة الخلف، و الإحصان الاحراز، و هو إلقاء الشىء فيما هو كالحصن المنيع، أحصنه إحصاناً إذا أحرزه.

ثُمَّ يَأْتِی مِنْ بَعْدِ ذلِکَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ وَ فِيهِ يَعْصِرُونَ (49)
آية بلا خلاف.
قرأ حمزة و الكسائى بالتاء (تعصرون) على الخطاب أى أنتم. الباقون بالياء على الرجوع الى الناس، و هذا حكاية ما بشر به يوسف المستفتى له أنه يأتى بعد هذه السنين الصعبة سنة. و العام السنة مأخوذ من العوم، لما لأهله فيه من السبح الطويل.
و قال الخليل: العام حول يأتى على شتوة و صيفة. و الحول، و السنة مثل ذلک.
و قوله «فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ» فالغوث النفع الذى يأتى على شدة حاجة ينفى المضرّة، و الغيث المطر الذى يجىء فى وقت الحاجة، غاثهم اللّه يغيثهم غيثاً، و أصابهم غيث. و الغيث الكلأ الذى ينبت من ماء السماء و جمعه غيوث. و الغياث أصله من الواو، اغاثه اللّه اغاثة، و غوث تغويثاً: إذا قال وا غوثاه من يغيثنى، و يقول الواقع فى بلية: اغثنى أغاثک اللّه، و (يغاث) يحتمل ان يكون من الياء.

_____
(1) تفسير القرطبى 9: 294 و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 12: 127
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 151
و يحتمل ان يكون من الواو «و يعصرون» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: يعصرون الثمار التى تعتصر فى الخصب من العنب و الزيتون و السمسم. و حكى بعضهم أنهم لم يعصروا- أربع عشرة سنة- زيتاً و لا عنباً، فيكون المعنى تعصرون للخصب الذى أتاكم، كما كنتم تعصرون فى ايام الخصب.
الثانى- فى رواية أُخرى عن ابن عباس تحلبون.
الثالث- قال ابو عبيدة و الزجاج: تنجون نجاء المعتصر بالماء عند الغصص، كما قال عدى بن زيد:
لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى «1»
و قال ابو زيد الطائى:
صاديا يستغيث غير مغاث و لقد كان عصرة المنجود «2»
و اصل العصر عصر العنب، و نحوه من الرطب المستخرج ماؤه و كذلک ما فيه الدهن ليستخرج دهنه، و منه العصارة ما يخرج بالعصر، و الاعتصار شرب الماء قليلًا قليلًا عند الغصص، و المعصر الكاعب، لأنه يجرى فيها ماء الشباب، و المعصرات السحائب التى تنعصر بالمطر، و الاعصار ريح تثير السحاب او الغبار، لأنه كالمعتصر منها. و العصرة المنجاة كنجا الغصان

باعتصار الماء، و العصرة الدنية فى النسب، لأنه كالمعتصر من الرطب. و قرئ يعصرون بضم الياء، و فتح الصاد شاذاً و معناه يمطرون.
و قال البلخى: و هذا التأويل من يوسف يدل على بطلان قول من يقول: ان الرؤيا على ما عبرت اولًا، لأنهم كانوا قالوا هى أضغاث أحلام، فلو كان ما قالوه صحيحاً لما كان يتأوّلها.

---

(1) مر هذا البيت فى 1: 412
(2) تفسير القرطبى 9: 204 و مجاز القرآن 1: 313 و تفسير القرطين 1: 226

وَ قالَ الْمَلِكُ ائْتُونِی بِهِ فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجِعْ إِلی رَبِّکَ فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِی قَطَّعْنَ أَیْدِیَهُنَّ إِنَّ رَبِّی بِکَیْدِهِنَّ عَلِیمٌ (50)
آیة بلا خلاف.
قرأ البرجمی و السلمونی «النسوة» بضم النون. و الباقون بکسرها، و هما لغتان. و الکسر افصح. و فی الکلام حذف، لأن تقدیره إن الناجی الذی استفتی یوسف عن تفسیر رؤیا الملک حین فسره له، رجع الی الملک و أخبره به، و عرّفه ان ذلک فسره له یوسف، فقال الملک عند ذلک: ائتونی به و الکلام دال علیه، و ذلک من عجائب القرآن، و عظم فصاحته. و معنی «ائْتُونِی بِهِ».
أجیئونی به «فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ» یعنی رسول الملک، قال له یوسف ارجع الی سیدک. «فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِی قَطَّعْنَ أَیْدِیَهُنَّ» و انما رد الرسول لیبین للملک براءته مما قرف به، و انه حبس بظلم من غیر بینة، و لا اعتراف بذنب، و قال قتادة: طلب العذر.
و قوله «إِنَّ رَبِّی بِکَیْدِهِنَّ عَلِیمٌ» قیل فی معناه قولان:
أحدهما- و هو الصحیح- انه أخبر ان اللّه تعالی عالم بکید النسوة.
و الثانی- ان سیدی العزیز علیم بکیدهن. و الاول علیه اکثر المفسرین.
و الملک هو القادر الواسع المقدور الذی الیه السیاسة و التدبیر، و کان هذا الملک ملک مصر. و یجوز ان یمکّن اللّه تعالی الظالم من الظلم، و ینهاه عن فعله، و لا یجوز أن یملکه الظلم، لأن ما یملکه، فقد جعله له، و ذلک لا یلیق بعدله. و التملیک تمکین الحی مما له ان یتصرف فیه فی حکم اللّه تعالی بحجة العقل و السمع، و علی هذا إذا مکّن اللّه تعالی من الظلم او الغصب لا یکون ملکه، لأنه لم یجعل له التصرف فیه، بل زجره عنه، قال الرمانی:
یجوز أن یسلب اللّه تعالی الخلق التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 153
ما ملکهم فی الدنیا بسوء أفعالهم، کما یسلب بعضهم بکفرهم، و الا فهو له، فان أخذ بالموت عنه علی طریق العاریة ثم یرد الیه و یعوض مما فاته بکرمه تعالی، و قیل: إن یوسف انما قال ما بال النسوة جمیع النساء و لم یخص امرأة العزیز حسن عشرة منه، و قال قوم ذلک یدل علی ان کل واحدة منهن دعته الی نفسها مثل امرأة العزیز.

قالَ ما خَطْبُكُنَّ إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51)

آية بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى انه حين رجع الرسول الى الملک برسالة يوسف جمع النساء و قال لهنّ ما خطبكن إذ راودتنّ يوسف عن نفسه، و الخطب الأمر الذى يخاطب به صاحبه، مما يستعظم شأنه، يقال هذا خطب جليل، و ما خطبک، و ما شأنک؟.

و قوله «قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ» حكاية عما اجابته به النسوة، فإنهن قلن للملک على وجه التنزيه «حاش لله» اى عياذ باللّه، و تنزيهاً من هذا الأمر، كقوله «معاذ اللّه». و قد يستثنى به، فيقال أتانى القوم حاشى زيد، بمعنى إلا زيداً «ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ» اى لم نعلم عليه امراً قبيحاً. قالت امرأة العزيز عند ذلک معترفة بخطئها «الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ» أى بان الحق يقال حصحص الأمر و حصحص الحق اى حصل على أمكن وجوهه، و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة، و أصله حصّ من قولهم حص شعره إذا استأصل قطعة منه، و الحصة اى القطعة التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 154

من الشىء، فمعنى «حَصْحَصَ الْحَقُّ» انقطع عن الباطل بظهوره. و مثله كبوا و كبكبوا، و كف الدمع و كفكفه، و رده و ردده، فهو زيادة تضعيف دل عليها الاشتقاق ذكره الزجاج. و أصله من حصحص البعير ثفناته فى الأرض إذا برک حتى يستبين آثارها فيها. قال حميد بن ثور الهذلى:

و حصحص فى صمّ القنا ثفناته و رام القيام ساعة ثم صمما «1»

و يقال انحص الوبر عن جنب البعير و انحت إذا انحسر و معنى «أَنَا راوَدْتُهُ» انا طالبته بذلک، «وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» فى امتناعه من ذلک.

ذلِکَ لِيَعْلَمَ أَنِّی لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِی كَيْدَ الْخائِنِينَ (52)
آية بلا خلاف.
اختلفوا فی من هذا الكلام حكاية عنه؟ فقال اكثر المفسرين كالحسن و مجاهد و قتادة و الضحاک: انه من قول يوسف «ذلک» يعنی ذلک الامر من فعلی من ردّ الرسول ليعلم العزيز انی لم اخنه بالغيب، و قطع الحكاية عن المرأة، و جاز ذلک لظهور الكلام الدال علی ذلک، كما قال «و كذلک يفعلون» و قبله حكاية عن المرأة «وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً» «2» و كما قال «فَما ذا تَأْمُرُونَ» و مثله حكاية قول الملأ «يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ» «3» و قال الجبائی و البلخی: انه من قول المرأة. و المعنی ان اعترافی علی نفسی بذلک ليعلم يوسف انی لم اخنه بالغيب، لان العزيز سألها و لم يكن يوسف حاضراً و كلا الأمرين جائزان، و الاول أشبه، و الخيانة مخالفة الحق بنقض العهد فی السر، و ضد الخيانة الامانة،

---

(1) اللسان (صمم) و روايته:
و حصحص فی صم القنا ثفناته و ناء بسلمی نوءة ثم صمما
[.....]
(2) سورة النمل آية 34
(3) سورة الاعراف آية 109- 111

و هی تأدية الحق علی ما وقع به العقد. و الفرق بين الخيانة و الغدر أن الخيانة تكون علی وجه السر و الغدر نقض العهد بخلاف الحق جهراً، و الكيد الاحتيال فی إيصال الضرر الی صاحبه، كاده يكيده كيداً، فهو كائد.
و اللام فی قوله «ليعلم» لام (كی) و معناها تعليق ما دخلت عليه بالفعل الذی قبله، بمعنی انه وقع من اجله، و انما يتعلق بذلک الارادة. و قوله «وَ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِی كَيْدَ الْخائِنِينَ» ای لا يدعوهم اليها و لا يرغبهم فيها و انما يفعلونها بسوء اختيارهم.

وَ ما أُبَرِّئُ نَفْسِی إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ ما رَحِمَ رَبِّی إِنَّ رَبِّی غَفُورٌ رَحِیمٌ (53)
آية بلا خلاف.
هذا اخبار عما قال يوسف على وجه التواضع للَّه لست أبرئ نفسى من السوء، و التبرئة ازالة الشىء عما كان لازماً له، لان النفس امارة بالسوء اى تنازع الى السوء، فلست أبرئ نفسى من ذلک، و ان كنت لا اطاوعها فيما نازعت اليه، و الأمّارة الكثيرة الامر بالشىء، و النفس بهذه المنزلة لكثرة ما تشتهيه و تنازع اليه مما يقع الفعل لأجله، و هذا مجاز فى الأصل غير انه كثر استعماله فى العرف، فيقال نفسى تأمرنى بكذا و تدعونى الى كذا من جهة شهوتى له، و الا فلا يصح ان تأمر الإنسان نفسه، لأنه يقتضى الرتبة، لأنه قول القائل لمن دونه (افعل) و ذلک لا يصح بين الإنسان و بين نفسه، و اكثر المفسرين على ان هذا من قول يوسف. و قال ابو على الجبائى هو من كلام المرأة.
و قوله «إِلَّا ما رَحِمَ رَبِّی» استثناء من الأنفس التى يرحمها اللَّه، فلا تدعو الى القبيح، بان يفعل معها من الالطاف ما تنصرف عن ذلک. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 156
و قوله «إِنَّ رَبِّی غَفُورٌ رَحِیمٌ» تمام الحكاية عن قائل ذلک انه اعترف بان اللَّه تعال غفور رحيم اى ساتر عليهم ذنوبهم رحيم بهم بان يعفو عنهم و يقبل توبتهم.

وَ قالَ الْمَلِكُ ائْتُونِی بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِی فَلَمَّا كَلَّمَهُ قالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ (54)
آية بلا خلاف.
هذه السياقة تدل على ان ما مضى حكاية عن قول المرأة، لان يوسف لم يكن حاضراً ذلک المجلس، و ان الملک حين سمع جميع ذلک قال ائتونى بيوسف استخلصه لنفسى، و طلب هذا الملک ان يكون يوسف له وحده دون شريک فيه، و الاستخلاص طلب خلوص الشىء من شائب الاشتراک. و قال ابن إسحاق كان هذا الملک: الوليد ابن ريان.
و قوله «فلما كلمه» فيه حذف، و تقديره انه لما أمر بإحضاره فأحضر قال له بعد ان كلمه «انک» يا يوسف «الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ» اى عرفنا أمانتک، و ثقتک، و انت على حالة يتمكن من كان عليها مما يريد، يقال لفلان مكانة عند الملک، و هو مكين عنده، و أصله التمكن من الامر (و الأمين) الموثوق به، و الامانة حالة ثقة يؤمن معها نقض العهد بالفتح، و ذلک كالعقد فى الوديعة و فى التخلية و العقد فى الدين، و العقد فى القيام بالحق.

قالَ اجْعَلْنِی عَلی خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ (55)
آية بلا خلاف.
و هذا حكاية ما قال يوسف حين قال له الملک انک اليوم لدينا مكين أمين
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 157
«اجْعَلْنِی عَلی خَزائِنِ الْأَرْضِ» يعنى أرضک، و الالف و اللام يعاقبان حرف الكناية، و أراد بذلک الأرض الّتى هى ملكه و يجمع فيها ماله و طعامه، طلب اليه ذلک ليحفظ ذلک عمّن لا يستحقه و يوصله الى الوجوه التى يجب صرف الأموال لها، فلذلک رغب الى الملک فيه، لان الأنبياء لا يجوز ان يرغبوا فى جمع اموال الدنيا الا لما قلناه. و قوله «إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ» معناه حافظ للمال عمن لا يستحقه عليم بالوجوه التى يجب صرفها اليه، و فى الآية دلالة على جواز تقلد الامر من قبل السلطان الجائر إذا تمكن معه من إيصال الحق الى مستحقه.

وَ كَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ وَ لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56)
آية بلا خلاف.
قرأ «نشاء» بالنون ابن كثير وحده. الباقون بالياء.
من قرأ بالنون، فعلى معنى ان يوسف يتبوّء من الأرض حيث يشاء، و طابق بينه و بين قوله «نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ»، و يكون على احد معنيين:
أحدهما- ان تكون المشيئة أسندت اليه، و هى ليوسف، لما كانت بأمره و ارادته كما قال «وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى» «1» فأضاف الرمى الى اللَّه، لما كان بقدرته و ارادته.
و الثانى- ان يكون الموضع المتبوإ موضع نسك و عبادة او موضعاً يقام فيه الحق، من أمر بمعروف، او نهى عن منكر، و يقوى النون قوله «نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ».

---

(1) سورة الانفال آية 17

و من قرأ بالياء حمله، على انه يتبوء يوسف حيث يشاء هو نفسه.
اخبر اللَّه تعالى أنه كما لطف ليوسف حين أخرجه من السجن و خلصه من المهالك كذلك مكنه من التصرف، و المقام فى الأرض حيث يشاء كيف يشاء، و قال الجبائى: كان هذا التمكن ليوسف ثواباً من اللَّه على طاعته و إحسانه الذى تقدم منه فى الدنيا. و قال غيره: ليس فى ذلك دلالة على انه ثواب، و يجوز أن يكون تفضلًا عليه بذلك من غير ان ينقص من ثوابه شىء، و التمكين الاقدار بما يتسهل به الفعل من رفع الموانع و إيجاد الآلات و الالطاف و غير ذلك مما يحتاج اليه فى الفعل. و التبوء هو اتخاذ منزل يرجع اليه و أصله الرجوع من «باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» قال الشاعر:
فان تكن القتلى بواء فإنكم فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر «1»
اى يرجع بدم بعضها على بعض، فان هذا المقتول لا كفاء لدمه. و قوله «نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ» اخبار منه تعالى انه يفعل رحمته بمن يشاء من عباده على وجه التفضل عليهم و الإحسان اليهم، و انه لا يضيع اجر الذين يحسنون أفعالهم و يفعلون ما أمرهم اللَّه به على وجهه، بل يثيبهم على ذلك.
و الإحسان على ثلاثة أوجه:
أحدها- ان يحسن الى غيره، فذلك انعام.
و ثانيها- ان يحسن الى نفسه بأن ينفعها نفعاً حسناً.

و ثالثها- ان يفعل حسناً مبهماً لا يضيفه الى نفسه و لا الى غيره.
و اللام فى قوله «مَكَّنَّا لِيُوسُفَ» يحتمل ان يكون مثل قوله «رَدِفَ لَكُمْ» «2» و «لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ» «3» بدلالة قوله «مَكَّنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ» «4» و قوله «مَكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ» «5» «و يتبوء» فى موضع نصب على الحال.

_____

(1) قائلة ليلى الاخيلية، قد مر فى 1: 378 و هو فى اللسان (بوأ)
(2) سورة النمل آية 72
(3) سورة يوسف آية 44
(4) سورة الأحقاف آية 26
(5) سورة الانعام آية 6

وَ لَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ (57)
آية بلا خلاف.
اخبر اللّه تعالى ان الثواب الذى يثيب اللّه به الذين يؤمنون به و يتقون معاصيه فى الآخرة، و هى النشأة الثانية، فان الدنيا هى النشأة الاولى و الآخرة خير و أعظم نفعاً من منافع الدنيا التى تنالها الكفار.
و قال ابو على الجبائى:اجر الآخرة خير من ثواب الدنيا، لان ما تقدم فى الآية الاولى يقتضيه.

وَ جاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (58)
آية بلا خلاف.
حكى اللّه تعالى عن اخوة يوسف الذين كانوا ألقوه فى الجب، و باعوه بثمن بخس انهم جاءوه و دخلوا عليه، فعرفهم يوسف و لم يشک فيهم، و لم يعرفه اخوته بل كانوا جاهلين بحاله منكرين له، و كان سبب مجيئهم اليه مجىء سنى القحط التى كان ذكرها يوسف فى تعبير الرؤيا، فجاءوا الى مصر يمتارون كما جاء غيرهم من الناس- فى قول السدى، و ابن اسحق و غيرهما، و ليس لأحد ان يقول: كيف يجوز مع كمال العقل ان يعرفهم يوسف، و هم يجهلونه مع انه نشأ معهم؟.
و ذلک ان عنه جوابين.
أحدهما- قال الجبائى: انهم فارقوه و هو صبى امرد، فجاءوه و قد التحى و كبر و تغيرت حاله، فلم يعرفوه. و قال البلخى: ان ذلک مما خرق اللّه تعالى فيه العادة لنبيه (ع).

وَ لَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ قالَ ائْتُونِی بِأَخٍ لَکُمْ مِنْ أَبِیکُمْ أَ لا تَرَوْنَ أَنِّی أُوفِی الْکَیْلَ وَ أَنَا خَیْرُ الْمُنْزِلِینَ (59)
آیة بلا خلاف.
اخبر اللّه تعالى فى هذه الآیة ان یوسف لما أمر بتجهیز اخوته فجهزهم، و الجهاز فاخر المتاع الذى یحمل من بلد الى بلد، و منه قولهم: فلان یجهز، و منه جهاز المرأة، قال لهم جیئونى «بِأَخٍ لَکُمْ مِنْ أَبِیکُمْ» و انما قال ذلک، لأنه کان أخا یوسف لأبیه و امه، و هو ابن یامین- فى قول قتادة و غیره- و کان أخاهم لأبیهم خاصة.
و قوله «أَ لا تَرَوْنَ أَنِّی أُوفِی الْکَیْلَ» خطاب من یوسف لإخوته، فقال أ لیس قد عرفتم عدلى و إیفائى الکیل من غیر بخس له. و الوفاء تمام الامر على ما یوجبه الحق، و یکون ذلک فى الکیل، و فى الوزن، و فى الذرع، و فى العدّ، و فى العقد.
و (الکیل) مصدر کال یکیل، و هو فصل المکیال بملئه. و (المکیال) مقدار یفصل علیه ما یطرح فیه.
و قوله «وَ أَنَا خَیْرُ الْمُنْزِلِینَ» فیه قولان: أحدهما- قال مجاهد: خیر المضیفین.
و الثانى- خیر المنزلین فى سعر الطعام. و (المنزل) واضع الشىء فى منزلته، و قد یکون للشىء منزلتان، إحداهما اولى من الاخرى، فمن وضعها فى الاولى فهو خیر المنزلین کسعر الطعام الذى یضعه فى اولى منزلتیه.

فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِی بِهِ فَلا کَیْلَ لَکُمْ عِنْدِی وَ لا تَقْرَبُونِ (60)
آیة بلا خلاف. التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 161
ثم قال یوسف لإخوته بعد ان قال لهم «ائْتُونِی بِأَخٍ لَکُمْ مِنْ أَبِیکُمْ» متی ما لم تفعلوا ما أمرتکم به من إتیانکم بأخیکم، فأنی لا أکیل لکم الطعام، و لا أبایعکم، و مع هذا فلا تقتربون یعنی لا تجیئونی، و الذی اقتضی طلبه الأخ من أبیهم انه فاوضهم و ساءلهم عن اخبارهم و أحوالهم، و اخبار أهلهم، کما یتساءل الناس عن مثل ذلک، و دل الکلام علی ذلک، و هو من عجیب فصاحة القرآن، و إنما استجاز ان یطلب أخاهم و لا معاملة بینه و بینهم، لأنهم ذکروا ان أباهم آثره علیهم بالمحبة مع حکمته و فضله، أحب ان یراه و تطلعت نفسه الی ان یعلم السبب فیما یقتضی هذه الحال، و انما أخفاهم أمره و لم یطلعهم علی ما أنعم اللّه علیه، لأنه خاف ان یکتموا أباه أمره لما تقدم لهم فیه و أحب ان یجری تدبیره علی تدریج لئلا یهجم علیه ما یشتد معه اضطرابهم.

قالُوا سَنُراوِدُ عَنْهُ أَباهُ وَ إِنَّا لَفاعِلُونَ (61)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية ما أجاب به اخوة يوسف يوسف حين حثهم على الإتيان بأخيهم بأنهم «قالُوا سَنُراوِدُ عَنْهُ أَباهُ» و نحن نفعل ذلک، و المراودة المطالبة من قولهم راد يرود، فهو رائد اى طلب، و فلان يرتاد موضعاً اى يطلبه، و فى المثل (الرائد لا يكذب اهله) و منه الارادة و هى طلب الفعل بما هو كالسبب له، لان الداعى الى الفعل داع الى ارادته، لأنّ باجتماع الامرين يقع الفعل من عالم قادر، و الفاعل من جعل الشىء موجوداً بعد ان كان معدوماً، و كل فاعل جاعل، و ليس كل جاعل فاعلًا، لأنه قد يكون جاعلًا على صفة، كالجاعل للجسم متحركاً. قال الرمانى: الفرق بين العامل و الفاعل ان العامل للشىء قد يكون المغير له، و الفاعل لا يكون إلا الموجد له، و الفرق بين العامل و الجاعل ان العامل لا التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 162
يكون الا مغيراً له، و قد يكون الجاعل غير مغير له، لأنه يجعله على صفة بحكمه فيه كالذى يجعله كافراً بحكمه انه كافر.
و قال ابن إسحاق: الذى وعدوا بفعله الاجتهاد فى المصير بأخيهم اليه لأنهم جوّزوا ان لا يجيبهم أبوهم الى الإرسال به معهم. و قال ابو على: و عدوه بان يصيروا به اليه ان أرسله أبوه معهم، فالعدة به كانت واقعة بشرط.

وَ قالَ لِفِتْيانِهِ اجْعَلُوا بِضاعَتَهُمْ فِی رِحالِهِمْ لَعَلَّهُمْ یَعْرِفُونَها إِذَا انْقَلَبُوا إِلی أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ (62)
آیة بلا خلاف.
قرأ اهل الکوفة إلا أبا بکر «لفتیانه» الباقون «لفتیته» قال ابو الحسن کلام العرب قل: لفتیانک، و ما فعل فتیانک، و ان کانوا ایضاً فی أدنی العدد إلا ان یقولوا: ثلاثة و أربعة.
اخبر اللّه تعالی عن یوسف انه أمر فتیانه بأن یجعلوا بضاعتهم فی رحالهم.
و (الفتی) الشاب القوی، و جمعه فتیة و فتیان. و قال قتادة: کانوا غلمانه.
و قال غیره: کانوا ممالیکه. و (البضاعة): قطعة من المال التی للتجارة.
و (الرحال) جمع رحل و هو الشیء المعد للرحیل من وعاء المتاع او مرکب من مراکب الجمال، و جمعه فی القلیل ارحل و فی الکثیر رحال. و انما جعل بضاعتهم فی رحالهم، لیقوی دواعیهم فی الرجوع الیه إذا رأوا إکرامه إیاهم، ورد بضاعتهم الیهم مع جدوب الزمان و شدته. و یجوز ان یکون جعلها فی رحالهم لیرجعوا الیه متعرّفین عن سبب ردها. و قال قوم معناه لیعلموا انی لست اطلب أخاهم للرغبة فی مالهم.
و قوله «لَعَلَّهُمْ یَعْرِفُونَها» معناه لکی یعرفونها، و انما قال (لعل) لأنه جوز أن تشتبه علیهم، فیمسکوا فیها «إِذَا انْقَلَبُوا» أی إذا رجعوا الی أهلیهم «لَعَلَّهُمْ

یَرْجِعُونَ»
ای لکی یرجعوا، و اللّام لام الغرض، و انما اتی ب (لعل) لأنه جوز أن لا یعودوا.

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلى أَبِيهِمْ قالُوا يا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَكْتَلْ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (63)
آية بلا خلاف.
قرأ (يكتل) بالياء حمزة و الكسائى. الباقون بالنون.
من قرأ بالياء رد الكناية الى أخو يوسف، و من قرأ بالنون رده الى جماعتهم، لقوله «وَ نَمِيرُ أَهْلَنا».
حكى اللّه تعالى عن أخوة يوسف أنهم حين رجعوا الى أبيهم و حصلوا معه، قالوا يا أبانا منعنا الكيل «فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا» اى ابعثه «معنا نكتل» و نحن نحفظه و نحتاط عليه. و الاكتيال هو الكيل للنفس، و هو افتعال من الكيل، و انما قال «مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ،» و هو قد كال لهم، لان المعنى منع منا الكيل ان لم نأت بأخينا. لقوله «فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِى وَ لا تَقْرَبُونِ» و هو قول الحسن و الزجاج و الجبائى. و هو الصحيح.
و قال قوم: معناه إنه لما كال لهم لكل واحد كيل بعير و منعهم تمام الكيل الذى أرادوه.

قالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَما أَمِنْتُكُمْ عَلى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حافِظاً وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (64)
آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 164
قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «حافظاً» على وزن فاعل. الباقون «حفظاً» على المصدر.
و هذا حكاية ما قال يعقوب لولده حين قالوا له «فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا» فانه قال لهم «هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ» و الامن اطمئنان القلب الى سلامة الأمر يقال: أمنه يأمنه.
أمناً و ائتمنه يأتمنه ائتماناً. و منه قوله «فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ» «1» ثم أخبر تعالى، فقال «فَاللَّهُ خَيْرٌ حافِظاً» فمن قال على لفظ الفاعل نصبه على الحال. و يحتمل ان يكون نصبه على التمييز، و لم ينصبه على الحال، و الحال يدل على انه تعالى الحافظ.
و التمييز يرجع الى من يحفظ بأمره من الملائكة و كلا الوجهين أجازهما الزجاج.
و من قرأ على المصدر نصبه على التمييز لا غير، و لو قرئ (خير حافظ) على الاضافة لدل على ان الموصوف حافظ، و ليس كذلک التمييز، و حقيقة (خير من كذا) انه أنفع منه على الإطلاق، و انه لا شىء انفع منه، قال ابو على الفارسى:
وجه قراءة من قرأ (حفظاً) بغير ألف انه قد ثبت من قولهم «و نحفظ أخانا» و قولهم «وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» انهم أضافوا الى أنفسهم «حفظاً» فالمعنى على الحفظ الذى نسبوه الى أنفسهم، و ان كان منهم تفريط فى حفظ يوسف، كما قال «أَيْنَ شُرَكائِىَ» «2» و لم يثبت للّه شريک، و لكن على معنى الشركاء الذين نسبتموهم إلىّ، فكذلک المعنى على الحفظ الذى نسبوه الى أنفسهم، و المعنى «فاللّه خير حفظاً» من حفظكم الذى نسبتموه الى أنفسكم. و من قرأ (حفظاً) فعلى التمييز دون الحال.

وَ لَمَّا فَتَحُوا مَتاعَهُمْ وَجَدُوا بِضاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قالُوا يا أَبانا ما نَبْغِي هذِهِ بِضاعَتُنا رُدَّتْ إِلَيْنا وَ نَمِيرُ أَهْلَنا وَ نَحْفَظُ أَخانا وَ نَزْدادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (65)
آية بلا خلاف.

---

(1) سورة البقرة آية 283.
(2) سورة النحل آية 27، و سورة القصص آية 62، 74.

أخبر اللَّه تعالى عن اخوة يوسف أنهم لما فتحوا متاعهم، و المتاع مبيع التجار مما يصلح للاستمتاع، فالطعام متاع و البر متاع و البر متاع و أثاث البيت متاع، و المراد به هاهنا أوعية الطعام «وَجَدُوا بِضاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ» اى أصابوا بضاعتهم التى كانوا وزنوها بشرى الطعام قد جعلت فى وسط أمتعتهم، فلما رأوا ذلک «قالُوا يا أَبانا ما نَبْغِي» و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال قتادة: ما نطلب؟ على وجه الاستفهام.
و الثانى- قال الجبائى: ما نبغى: فيما أخبرناک به عن ملک مصر ليس بالكذب و دليله ان هذه بضاعتنا ردت إلينا، و أجاز الفراء، و الزجاج كلا الوجهين، و قولهم «وَ نَمِيرُ أَهْلَنا» اى نجلب لهم الميرة، و الميرة الاطعمة التى تحمل من بلد الى بلد يقال: ماره يميره ميراً إذا حمل له الطعام الى بلده قال الشاعر:
بعثتک مائراً فمكثت حولًا متى يأتى غياثک من تغيث «1»
و قوله «وَ نَزْدادُ كَيْلَ بَعِيرٍ» اى و يعطينا فضل كيل بعير، لمكان أخينا «ذلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ» و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال الجبائى: ان ذلک كيل قليل، لا يكفينا نحتاج ان نضيف اليه كيل بعير أخينا.
الثانى- قال الحسن: ان ذلک متيسر على من يكيل لنا، و اليسر إتيان الخير بغير مشقة، و ضده العسر. و كذلک اليسير و العسير.

قالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِی بِهِ إِلاَّ أَنْ یُحاطَ بِکُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قالَ اللَّهُ عَلی ما نَقُولُ وَکِیلٌ (66)

---

(1) تفسیر الطبری (الطبعة الاولی) 13/ 8 و تفسیر القرطبی 9/ 224 و اللسان (غوث) و روایته:
بعثتک مائراً فلبثت حولًا متی یأتی غواثک من تغیث

آیة بلا خلاف.
هذه حکایة ما قال یعقوب- لبنیه حین سألوه إنفاذ أخیهم معهم، و ان بضاعتهم ردت الیهم، و انه ان أنفذه معهم ازدادوا کیل بعیر- انی لست «أُرْسِلَهُ مَعَکُمْ حَتَّی تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ» و معناه حتی تحلفوا لی باللّه لتجیؤنی به. و الإیتاء الإعطاء آتاه یؤتیه إیتاء، و الإتیان به المجیء به، و الموثق العقد المؤکد بالقسم، و انما قال موثقاً من اللّه، و انما هو موثق من أنفسهم، لأن المعنی موثقاً من جهة إشهاد اللّه او القسم باللّه، فاما علی أنفسهم، فهو العقد علیها بما لا یجوز حله لها.
و قوله «إِلَّا أَنْ یُحاطَ بِکُمْ» موضع (أن) نصب بأنه مفعول له، و تقدیره إلا لإحاطة بکم، کما یقول القائل: ما تأتینی إلا لأخذ الدراهم، و ما تأتینی إلا ان تأخذ الدراهم- ذکره الزجاج- و الاحاطة أصله ضرب السور حول الشیء. و منه قیل یعلمه علم احاطة ای علی التحدید. و المعنی هاهنا إلا ان یحال بینکم و بینه.
و قوله «فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قالَ اللَّهُ عَلی ما نَقُولُ وَکِیلٌ» معناه انهم لما أجابوه الی الیمین، و حلفوا له و اشهدوا علی أنفسهم بذلک قال یعقوب «اللَّهُ عَلی ما نَقُولُ وَکِیلٌ» ای حافظ و قیم به. و الوکیل القیم بالتدبیر و القائم بالقسط فهو العدل فی حکمه.

وَ قالَ يا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَ ما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ عَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (67)

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 167

آية بلا خلاف.

حكى اللّه تعالى عن يعقوب أنه قال لبنيه حين أنفذ أخاهم معهم «يا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ» و قيل فى سبب قوله ذلك قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و قتادة، و الضحاك، و السدى، و الحسن: انه خاف عليهم العين، لأنهم كانوا ذوى صور حسنة و جمال و هيبة.

و قال الجبائى: انه خاف عليهم حسد الناس لهم، و ان يبلغ الملك قوتهم و شدة بطشهم فيقتلهم خوفاً على ملكه، و أنكر العين. و قال لم تثبت بحجة. و انما هو شىء يقوله الجهال العامة.

و الذى قاله غير صحيح فى امر العين بل غير منكر ان يكون ما قال المفسرون صحيحاً،

و قد روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم انه قال: (العين حق)، و انه عوذ الحسن و الحسين (ع)، فقال فى عوذته: (و أعيذ كما من كل عين لامّة)

و قد رويت فيه أخبار كثيرة، و قد جرت العادة به و اختاره البلخى، و الرمانى و اكثر المفسرين، و ليس يمتنع ان يكون اللّه تعالى أجرى العادة لضرب من المصلحة أنه متى ما نظر انسان الى غيره على وجه مخصوص اقتضت المصلحة إهلاكه أو إمراضه أو إتلاف ماله، فالمنع من ذلك لا وجه له.

و قوله «وَ ما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» اعتراف منه بأنه لا يملك الامر، و لا يغنى عمن يريده اللّه بسوء. و الغنى ضد الحاجة.

و قوله «إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ» اى ليس للفصل بين الأمور على ما تقتضيه الحكمة الا اللّه.

و قوله «عليه توكلت» اى فوضت امرى الى اللّه يدبره كيف يشاء. و التوكل من صفات المؤمنين.

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 168

وَ لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ما كانَ يُغْنِی عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَیْءٍ إِلاَّ حاجَةً فِی نَفْسِ یَعْقُوبَ قَضاها وَ إِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِما عَلَّمْناهُ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ (68)

آیة بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالی ان اخوة یوسف، لما وردوا علیه، و دخلوا علیه من أبواب متفرقة حسب ما أمرهم به أبوهم و رغبهم فیه لم یکن یعقوب یغنی عنهم من اللَّه شیئاً الا حاجة فی نفس یعقوب قضاها من خوف العین علیهم أو الحسد علی اختلاف القولین، و (الّا) بمعنی (لکن) لأن ما بعدها لیس من جنس ما قبلها.

و قوله «وَ إِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِما عَلَّمْناهُ» اخبار من اللَّه تعالی ان یعقوب عالم بما علمه اللَّه. و قیل فی معناه قولان:

أحدهما- ان ما ذکره اللَّه من وصفه بالعلم کان ترغیباً فیه.

و الاخر- انه لیس ممن یعمل علی جهل، بل علی علم، براءة له من الامر لولده بما لا یجوز له، «وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ» ذلک من حاله، کما علمه اللَّه.

وَ لَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَخاهُ قالَ إِنِّى أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (69)
آية بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى عن اخوة يوسف أنهم لما دخلوا على يوسف آوى يوسف أخاه اليه، و الإيواء ضم المحبوب و تصييره الى موضع الراحة. و منه المأوى المنزل الذى يأوى اليه صاحبه للراحة فيه. و قال الحسن و قتادة: ضمه اليه و أنزله معه، و قد اجتمعت فى (آوى) حروف العلة كلها الالف و الواو و الياء، و العلة فى ذلک التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 169
أن الهمزة بمنزلة الحرف الصحيح، لأنها ليست حرف مد و لين، فجاز ذلک على قلبه لهذه العلة. و قال له حين اواه الى نفسه «إِنِّى أَنَا أَخُوكَ» يوسف «فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ» و إنما قال له ذلک، لأنه و إن كان علم ان له أخاً من أبيه و أمه إلا انه لا يعلم انه هذا، و الابتئاس و الاكتئاب و الاغتمام نظائر، و معناه اختلاط البؤس بالحزن، و انما جاز ان يأخذه بالصواع مع تعريفه انه أخوه لامرين:
أحدهما- انه كان بمواطأة منه له.
و الثانى- قال وهب بن منيه: انه أراد أنا أخوک مكان أخيک الذى هلک.
و الأول أصح.

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ جَعَلَ السِّقايَةَ فِی رَحْلِ أَخِیهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَیَّتُهَا الْعِیرُ إِنَّکُمْ لَسارِقُونَ (70)
آية بلا خلاف.
أخبر اللّه تعالى ان يوسف لما جهز أخوته بجهازهم يعنى الطعام الذى إشتروه ليحملوه الى بلدهم. و منه جهاز المرأة «جَعَلَ السِّقايَةَ فِی رَحْلِ أَخِیهِ» و السقاية المراد بها هاهنا صواع الملک الذى كان يشرب فيه. و قيل: كان من فضة. و قال ابن زيد كان كأساً من ذهب. و قيل انه صير مكيالًا للطعام. و السقاية فى الأصل الإناء الذى يسقى فيه، و الرحل آلة السفر من وعاء أو مركب، و المراد هاهنا وعاء أخيه الذى يحمل فيه طعامه.
و قوله «ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ» اى نادى مناد. و الإيذان الاعلام بقول يسمع بالاذن. و مثله الأذن، و الاذن الإطلاق فى الفعل بقول يسمع بالاذن، و (و العير) قافلة الحمير- فى قول مجاهد. و قيل هى القافلة التى فيها الإحمال. و الأصل الحمير إلا انه كثر حتى صارت تسمى كل قافلة محملة عيراً تشبيهاً.
و قوله «إِنَّکُمْ لَسارِقُونَ» فالسرقة أخذ الشىء من حرز فى خفى بغير حق، إلا ان الشرع قدر أنه لا يتعلق بها القطع التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 170
إلا إذا سرق مقداراً معيناً على خلاف بين الفقهاء، فعندنا هو ما قدره ربع دينار، و عند قوم عشرة دراهم، و عند آخرين ثلاث دراهم.
و قيل فى وجه ندائهم بالسرقة مع انهم لم يسرقوا شيئاً قولان:
أحدهما- ان ذلک من قول أصحابه، و لم يأمرهم يوسف بذلک، و لا علم.
و إنما كان أمر بجعل السقاية فى رحل أخيه على ما أمره اللّه تعالى، فلما فقدها الموكلون بها اتهموهم بها. و هو اختيار الجبائى.
و الثانى- انهم نادوهم على ظاهر الحال فيما يتغلب على ظنونهم و لم يكن يوسف أمر به، و إن علم انهم سيفعلونه. و قال قوم قولًا ثالثاً: ان معناه إنكم سرقتم يوسف من أبيه حين طرحتموه فى الجب. و قال آخرون: ان ذلک خرج مخرج الاستفهام، و ليس فى جعل السقاية فى رحل أخيه تعريضاً لأخيه بأنه سارق، لأنه إذا كان ذلک يحتمل السرقة، و يحتمل الحيلة فيه حتى يمسكه عنده، فلا ينبغى ان يسبق احد الى اعتقاد السرقة فيه، و ليس فى ذلک إدخال الغم على أخيه لأنا بينا انه كان اعلمه إياه، و واطأه عليه، ليتمكن من إمساكه عنده على ما أمره اللّه تعالى به، و النداء و ان كان للعير فالمراد به اهل العير، كما قال «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» و إنما أراد أهلها.

قالُوا وَ أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ ما ذا تَفْقِدُونَ (71) قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِكِ وَ لِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ (72)

آيتان.

حكى اللَّه تعالى عن اهل العير انهم حين سمعوا نداءهم بأنكم سارقون أقبلوا عليهم و قالوا اى شىء فقدتموه، فقال لهم اصحاب يوسف انا فقدنا صواع الملك، و من جاء به ورده، فله حمل بعير من الطعام. و الإقبال مجىء الشىء الى جهة المقابلة التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 171 بوجهه، و ضده الأدبار. و مثله التوجه، و التحاذى. و الفقد غيبة الشىء عن الحس بحيث لا يدرى اين هو، و الفاقد من الوحش هى التى تغيب ولدها عنها قال الشاعر:

بكاء ثكلى فقدت حميماً فهى ترثى بأبى و ابنى ما «1»

و الصواع مكيال الطعام. و كان هذا الصواع كأساً للملك يشرب فيه و جمعه صيعان و أصواع. و قال ابن عباس: كان من فضة، و (الحمل) بالكسر على الظهر و بفتح الحاء فى البطن، و جمعه أحمال و حمول. و البعير الجمل و جمعه بعران و ابعرة. و قوله «وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ» اى كفيل به، و ضمين له، و قائل، قال الشاعر:

فلست بآمن فيها بسلم و لكنى على نفسى زعيم «2»

و إنما قال و انا به زعيم و قبله ذكر جمع، لأن زعيم القوم متكلم عنهم فكأنه قد كلم بذلك جميعهم قالت ليلى الا خيلية:

حتى إذا برزوا اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيما «3»

و ذلك انه زعيم القوم لرئاسته، زعم زعامة و زعاماً إذا صار رئيساً، قال ابو على: أصله القول.

قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِی الْأَرْضِ وَ ما كُنَّا سارِقِينَ (73)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية ما أجاب به اهل العير لما سمعوا النداء، و ما يدل على رد الصواع

---

(1) قائلة رؤبة اللسان (بنى) و يروى (ترثى بأبا و ابنا ما).
(2) تفسير الطبرى (الطبعة الأولى) 13: 13 و مجاز القرآن 1: 315.
(3) تفسير القرطبى 9: 232 و سمط اللآلى: 43 و تفسير الطبرى 13: 13 و امالى السيد المرتضى 1: 497 حاشية. [.....]

انهم اقسموا باللّه انا لم نجىء للافساد فى الأرض و إنا لم نكن سارقين. و الفساد اضطراب التدبير على وجه قبيح، و نقيضه الصلاح. و يقال فسد الشيء إذا تغير الى حال تضر كفساد الطعام، و غيره من الأمور، و قوله «تاللّه» التاء بدل من بدل، لأنها بدل من الواو و الواو بدل من الباء، فضعفت عن التصرف، فاختصت بدخولها على اسم اللّه لا غير دون غيره من الأسماء، لأنه لا يقال (تالرحمن) و دخلت التاء فى تاللّه على وجه التعجب، لأنها لما كانت نادرة فى حروف القسم جعلت للنادر من المعانى يتعجب منه. و إنما قالوا «تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِی الْأَرْضِ» مع انهم لم يعلموا ذلک لأمرين:
أحدهما- لما رأوا من صحة معاملتهم و شده توقّيهم لما لا يجوز لهم مما ينبئ عن مقاصدهم.
الثانى- قيل لأنهم ردوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم ظناً منهم أن ذلک عن سهو، و هذا لا يليق بحال الشراق من الناس. و ضعف البلخى هذا الوجه، و قال كيف يكون ذلک و هم لما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم أظهروا السرور به و الفرح، و قالوا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا فكيف يردونها مع ذلک !.

قالُوا فَما جَزاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ (74) قالُوا جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِی رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ كَذلِکَ نَجْزِی الظَّالِمِينَ (75)
آيتان.
حكى اللَّه تعالى عن اصحاب يوسف انهم قالوا لأهل العير لما سمعوا جحودهم الصواع، و أنكروا ان يكونوا سارقين «فَما جَزاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ» فى جحودكم و إنكاركم، و قامت البينة على انكم سرقتموه، و ما الذى يستحق ان يفعل بمن التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 173
سرق؟ فأجابهم اهل العير، و قالوا من أدرک عنده الصواع، و وجد فى رحله جزاؤه أخذ من وجد فى رحله رقّاً، فهو جزاؤه عندنا كجزائه عندكم لأنه كان من عادتهم ان يسترّقوا السارق- فى قول الحسن، و معمر، و السدى، و ابن إسحاق- و فيه تقديران فى الاعراب:
أحدهما- جزاؤه استرقاق من وجد فى رحله، فهذا الجزاء جزاؤه، كما تقول جزاء السارق القطع، فهو جزاؤه لتمكين البيان الأخير.
الثانى- جزاؤه من وجد فى رحله، فالسارق جزاؤه، فيكون مبتدأ ثانياً، و الفاء جواب الجزاء، و الجملة خبر (من) و (من) هاهنا يحتمل وجهين:
أحدهما- ان يكون بمعنى الذى، و تقديره جزاؤه الذى وجد فى رحله مسترقاً.
و الآخر- معنى الشرط، كأنه قال جزاء السرّاق إن وجد فى رحل إنسان منا، فالموجود فى رحله جزاؤه استرقاقاً. و قوله «كَذلِکَ نَجْزِی الظَّالِمِينَ» اخبار منهم بأن ذلک عادتهم فى مجازاة كل ظالم.
و قد قيل فى تأويل الآية وجهان:
أحدهما- ان يكونوا فى ذلک على شرع لنبى من أنبياء اللَّه.
و الآخر- ان يكون ذلک على عادة الملوک فى اهل الجنايات لمصالح العباد لا على حقيقة الجزاء الذي يعمل بأمر اللَّه بدلالة قوله فيما بعد «ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِی دِينِ الْمَلِکِ» فأضاف الجزاء الى دين الملک دون اللَّه.

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَها مِنْ وِعاءِ أَخِيهِ كَذلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِی دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِی عِلْمٍ عَلِيمٌ (76)

آية بلا خلاف.

قرأ يعقوب «يرفع درجات من يشاء» بالياء فيهما على وجه الكناية عن اللَّه. الباقون بالنون فيهما على وجه الاخبار منه تعالى عن نفسه. و نوّن التاء من (درجات) اهل الكوفة. الباقون على الاضافة.

اخبر اللَّه تعالى ان يوسف أمر أصحابه بأن يفتشوا أوعيتهم و رحالاتهم، و ان يبدؤوا بأوعية الجماعة قبل وعاء أخيه ليكون ابعد من التهم، فلما لم يجدوا فيها شيئاً امر حينئذ باستخراجها من وعاء أخيه. ثم اخبر اللَّه تعالى انه كاد ليوسف، و الكيد التعريض للغيظ، و كان التدبير على أخوة يوسف حتى أخذ منهم أخوهم بما يوجبه حكمهم، هو كالتعريض للغيظ من جهة اغتمامهم بما نزل من ذلک الامر بهم. و التقدير كدنا اخوته له بما دبرنا فی أمره.

و قيل الكيد التعريض للضرّ بما خفی، و قد يعبر عن الجزاء على المعصية بالكيد، كقوله «وَ أُمْلِی لَهُمْ إِنَّ كَيْدِی مَتِينٌ» ای عقوبتی.

و قوله «ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِی دِينِ الْمَلِكِ» معناه إنه لم يكن يوسف ممن يأخذ أخاه على دين الملک فی جزاء من سرق ان يستعبد قال الشاعر:

تقول إذا درأت لها وضينی أ هذا دينه ابداً و دينی «1»

ای هذا عادته ابداً و عادتی. و قوله «إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» قال الحسن إنما قال ذلک لأنه تعالى كان أمره بذلک بدلالة قوله «نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ» ای بما نريه من وجوه الصواب فی بلوغ المراد.

و قوله «وَ فَوْقَ كُلِّ ذِی عِلْمٍ عَلِيمٌ» قيل فی معناه قولان:

---

(1) مر هذا الشعر فی 1: 36، 2: 148، 3: 45.

أحدهما- قال ابن عباس، و الحسن، و سعيد بن جبير: معناه «وَ فَوْقَ كُلِّ ذِی عِلْمٍ» معلم «عليم» و هو اللَّه تعالى الغنی بنفسه عن التعليم.

و الثانی- ان معناه «وَ فَوْقَ كُلِّ ذِی عِلْمٍ» ممن رفعه اللَّه «عليم» قد رفعه بالعلم من وجه آخر، فهو أعلم بذلک الامر الآخر.

و فی ذلک دلالة على أنه تعالى عالم لنفسه، لأنه لو كان عالم بعلم، لكان فوقه عليم، و ذلک باطل. و الضمير فی قوله تعالى «استخرجها» عائدة الى السقاية.

و قال الزجاج هى عائدة الى الصواع و انه يذكر و يؤنث، و من قرأ درجات من نشاء على الاضافة، فالمعنى نرفع منازل من نشاء رفع منازله و مراتبه فى الدنيا بالعلم على غيره، كما رفعنا مرتبة يوسف فى ذلک على مراتب اخوته. و من قرأ بتنوين «درجات» فالمعنى نرفع من نشاء درجات و مراتب كما رفعنا ليوسف، ف «من» منصوبة على هذه القراءة، و على القراءة الاولى مخفوضة.

قالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِى نَفْسِهِ وَ لَمْ يُبْدِها لَهُمْ قالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكاناً وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ (77)
آية بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى عن اخوة يوسف انه لما استخرج الصواع من رحل أخيه، قالوا إن كان هذا سرق، فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف، و اختلفوا فيما نسبوه اليه من السرقة من قبل، قال سعيد بن جبير، و قتادة، و ابن جريج انه كان سرق صنماً كان لجده أبى امه، فكسره و ألقاه على الطريق، فقال ابن إسحاق: إن جدته خبأته فى ثيابه منطقة إسحاق لتملكه بالسرقة محبة لمقامه عندها و قال قوم انه كان يسرق من طعام المائدة للمساكين. و قوله «فَأَسَرَّها التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 176
يُوسُفُ فِى نَفْسِهِ»
يعنى أخفى هذه الكلمة فى نفسه، «وَ لَمْ يُبْدِها لَهُمْ» أى لم يظهرها لهم.
و اختلفوا فيما أسر فى نفسه، فقال ابن عباس و الحسن و قتادة: أسر قوله «أَنْتُمْ شَرٌّ مَكاناً» أى ممن قلتم له هذا «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ» انه كذب.
و قال قوم: أسرها بإضمار الكلمة للدلالة عليها قال حاتم طى:
أ ماوى ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً و ضاق بها الصدر «1»
و انما قال إن مكانكم شرّاً لما ظهر من الأمر الذى يقتضى هذا الوصف. و الصفة و الوصف مصدران بمعنى واحد مثل وعد وعدة، و وجه وجهة. و قال الحسن لم يكن اخوة يوسف يومئذ أنبياء، و إنما اعطوا النبوة فيما بعد، و عندنا إنهم لم يكونوا أنبياء فى وقت، لا فى الحال، و لا فيما بعد، لان ما فعلوه بيوسف من الافعال القبيحة ينافى النبوة لأن النبى لا يقع- عندنا- منه قبيح أصلًا، لا صغير و لا كبير.
و قال البلخى: كذبوا فى قولهم «سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ» و اللَّه اعلم بما يعنون فى ذلك و انه كذب، و قال لم يصح عندنا ان اخوة يوسف كانوا أنبياء و جوز ان يكون الأسباط غيرهم او كانوا من أولادهم.

قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنا مَكانَهُ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (78)
آية بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية عن أخوة يوسف انه لما أخذ يوسف أخاه منهم مظهراً لاسترقاقه قالوا له، و هم لا يعرفونه «يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ» و العزيز الممتنع

---

(1) مر هذا البيت فى 5: 63

بقدرته من ان يضام. و العزّ منع الضيم بسعة المقدور و السلطان «إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً» يعنون يعقوب أبا أخيهم اى انه كبير السن، و يجوز ان يريدوا: كبير القدر «فَخُذْ أَحَدَنا مَكانَهُ» اى خذ واحداً منا عبداً بدله- فى قول الحسن و غيره- «إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» إلينا فى الكيل ورد بضاعتنا. و قد أملنا ذلک منک.

قالَ مَعاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظالِمُونَ (79)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية ما أجاب به يوسف أخوته حين قالوا له خذ واحداً منا بدله، لأنه قال لهم «معاذ الله» أى اعتصاماً باللَّه أن يكون هذا. و الاعتصام امتناع الهارب من الامر بغيره، و لذلک يقال اعتصم بالجبل من عدوه. و اعتصم باللَّه من شر عدوه، فانا لا نأخذ «إِلَّا مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا» يعنى الصواع «عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظالِمُونَ» و معناه إنا لو أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده لكنا ظالمين، واضعين للشىء فى غير موضعه. و العرب تقول معاذ اللَّه، و معاذه اللَّه و عوّذه اللَّه و عياذ اللَّه. و تقول: اللهم عائذاً بک اى انى أعوذ عائذاً بک، فكأنه قال استجير باللَّه من أن آخذ بريئاً بسقيم.

فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قالَ كَبِيرُهُمْ أَ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ وَ مِنْ قَبْلُ ما فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ (80)

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 178

آية بلا خلاف.

أخبر اللّه تعالى عن اخوة يوسف حين آيسوا من تسليم أخيهم اليهم، فاليأس ضد الطمع، يقال: يئس يأساً و استيأس استيئاساً، فهو يائس، و مستيئس، و آيس يأس مثله.

و قوله «خَلَصُوا نَجِيًّا» أى انفردوا من غير أن يكون معهم غيرهم ممن ليس منهم، و هذا من عجيب فصاحة القرآن الخارقة للعادة لأن بقوله «خلصوا» دل على ما قلناه من معنى الكلام الطويل.

و اصل الخلوص حصول الشىء من غير شائب فيه من غيره، كخلوص الذهب من الشئاب، و سمى الخلاص لذلك، و قوله «نجياً» مصدر يدل بلفظه على القليل و الكثير، و الواحد و الجمع. و النجوى مثله، و لذلك قال تعالى فى الواحد «وَ قَرَّبْناهُ نَجِيًّا» «1» و فى الجمع «خَلَصُوا نَجِيًّا» قال الشاعر:

إنى إذا ما القوم كانوا أَنجيه و اضطرب القوم اضطراب الأرشية

هناک أوصينى و لا توصى بيه «2»

و المناجاة رفع المعنى من كل واحد الى صاحبه على وجه خفى. و اصل النجو الارتفاع من الأرض و المناجاة المسارة و نجى جمعه أنجية، و هم يتناجون.

و «قالَ كَبِيرُهُمْ» يعنى أكبرهم، و قال قتادة و ابن إسحاق: هوروبيل، فانه كان أكبرهم سناً. و قال مجاهد: هو شمعون، و كان أكبرهم عقلًا و علماً دون السن. و الأول أليق بالكلام و الظاهر: «أَ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ» يعنى أما علمتم أن أباكم قد حلفكم و أقسمتم له باللّه فى حفظ أخيكم، و قبل هذا ما فرطتم فى يوسف أى قصرتم فى حفظه. و اصل التفريط التقديم من

قوله صلّى اللّه عليه و سلم (انا فرطكم على الحوض) أى متقدمكم.

و الموثق و الايثاق: العهد الوثيق و (ما) فى قوله

---

(1) سورة مريم آية 52

(2) مر هذا الشعر فى 1: 218 و هو فى تفسير القرطبى 9: 241

«ما فَرَّطْتُمْ» يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب:
أحدها- ان تكون منصوبة ب (تعلموا)، كأنه قال ألم تعلموا تفريطكم فى يوسف.
الثانى- رفع بالابتداء و الخبر (من قبل).
الثالث- ان تكون صلة لا موضع لها من الاعراب، لأنها لم تقع موقع اسم معرب.
و قوله «فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِى أَبِى» لست أقوم من موضعى الا أن «يَأْذَنَ لِى أَبِى أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ» اى الى ان يحكم اللّه. و قيل معناه بمجازاة أو غيرهما مما أردّ به أخى ابن يامين على أبيه، و كانوا تناجوا بمحاربته فلم يتفقوا على ذلک خوفاً من غمّ أبيهم بأن يقتل بعضهم فى الحرب و قوله «وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ» اخبار من هذا القائل بأنه تعالى خير الحاكمين و الفاصلين، و اعتراف منه برد الامر الى اللّه تعالى.

ارْجِعُوا إِلى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يا أَبانا إِنَّ ابْنَکَ سَرَقَ وَ ما شَهِدْنا إِلاَّ بِما عَلِمْنا وَ ما كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ (81)
آية بلا خلاف.
و هذا اخبار من اللَّه تعالى بما قال أحدهم المتخلف عنهم بمصر، فانه قال لإخوته الباقين ارجعوا الى أبيكم. و يحتمل ان يكون حكاية عما قال اخوة يوسف بعضهم لبعض، فإنهم قالوا ارجعوا الى أبيكم.
و قوله «يا أَبانا إِنَّ ابْنَکَ سَرَقَ» يعنون ابن يامين، على ما ظهر لنا من الامر و لا نشهد الا بما علمنا من الظاهر، فأما الغيب و الباطن فلا نعلمه و لا نحفظه.
و قيل ما شهدنا إلا بما علمنا فى قولنا لهم إن من يسرق يستعبد، لأن ذلک متقرر عندنا فى شرعنا- ذكره ابن زيد- و الشهادة خبر عن مشاهدة أو اقرار او حال التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 180
و يجوز أن يشهد الإنسان بما علمه من جهة الدليل كشهادتنا بأن لا إله إلا اللَّه و أن محمداً رسول اللَّه.
و قال الرمانى: علم الغيب هو علم من لو شاهد الشىء لشاهده بنفسه لا بأمر يستفيده. و العالم بهذا المعنى هو اللَّه وحده تعالى.
و قيل فى معنى قوله «وَ ما كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ» قولان:
أحدهما- ما كنا نشعر ان ابنک سيسرق، فى قول الحسن و مجاهد و قتادة.
و الثانى- انا لا ندرى باطن الامر فى السرقة، و هو الأقوى. و روى عن ابن عباس و قراءة الكسائى فى رواية قتيبة عنه «سرِّق» بتشديد الراء على ما لم يسم فاعله، و معناه انه قذف بالسرقة، و اختار الجبائى هذه القراءة. قال لأنها ابعد من ان يكونوا أخبروا بما لم يعلموا.

وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِی کُنَّا فِیها وَ الْعِیرَ الَّتِی أَقْبَلْنا فِیها وَ إِنَّا لَصادِقُونَ (82)
آیة بلا خلاف.
هذا حکایة ما قال اخوة یوسف لیعقوب أبیهم حین رجعوا الیه و حکوا له ما جری، فقالوا له سل أهل القریة التی کنا فیها، و اهل العیر التی أقبلنا فیها عمّا أخبرناک به «وَ إِنَّا لَصادِقُونَ» فیما أخبرناک به، و حذف المضاف الذی هو الأصل، و اقام المضاف الیه- من القریة و العیر- مقامه اختصاراً لدلالة الکلام علیه.
و المراد بالقریة- هاهنا- مصر، فی قول ابن عباس و الحسن و قتادة. و کل أرض جامعة لمساکن کثیرة بحدود فاصلة تسمی- فی اللغة- قریة، و أصلها من قربت الماء ای جمعته، و القریة و البلدة و المدینة نظائر فی اللغة. و انما أرادوا بذلک أن من سألت من أهلها أخبروک بما ظهر فی هذه القصة. و انا ما کذبناک.

قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية ما قال يعقوب لبنيه حين قالوا له ما تقدم ذكره، فإنه قال «بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ» و قال قتادة معناه بل زيّنت. و قال غيره: معناه سهّلت.
و التسويل حديث النفس بما تطمع فيه، و منه السؤل، و المنى، و يقال أعطاك اللّه سؤلك، فكأنه قال هذا من تقدير النفس فيما تطمع ان يكون.
ثم اخبر يعقوب، فقال «صبر جميل» اى شأنى او أمرى صبر جميل، فعلى هذا يكون واقع بأنه خبر الابتداء. و يجوز ان يكون ابتداء، و خبره محذوف، و تقديره فصبر جميل أمثل من غيره، و الصبر حبس النفس عما تنازع اليه مما لا يجوز.
و الصابر على هذا الوجه من صفات المدح، و الجميل معناه- هاهنا- ما يتقبله العقل، و قد يسمى ما يتقبله الطبع بأنه جميل.
و قوله «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعاً» يعنى روبيل و ابن يامين و يوسف «إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» معناه- هاهنا- انه عليم بحسرتى على فقد اولادى و صدق ما يقولونه من كذبه، انه الحكيم فى تدبيره بخلقه، عسى ان يأتينى بهم اجمع.

وَ تَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84)
آية بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى عن يعقوب أنه تولى عنهم بعد ان قال لهم ما تقدم ذكره بمعنى أعرض بوجهه عنهم، و التولى و الاعراض بمعنى واحد «وَ قالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ» التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 182
اى يا حسرتاه، فى قول الحسن و قتادة و الضحاک. و انما نادى بالاسف على وجه البيان، لان الحال حال حزن كأنه قال: يا اسف احضر، فانه من احيانک و أوقاتک، و مثله (وا حزناه). و الاسف الحزن على ما فات. و قيل: هو أشد الحزن يقال: أسف يأسف أسفاً و تأسف تأسفاً، و هو متأسف.
و قوله «ابْيَضَّتْ عَيْناهُ» فالابيضاض انقلاب الشىء الى حال البياض. و المعنى انه عمى فلم يبصر شيئاً. و العين حاسة الإدراک للمرئيات. و الحزن الغم الشديد، و هو من الحزن، و هى الأرض الغليظة، و الكظيم هو الممسک للحزن فى قلبه لا يبثه بما لا يجوز الى غيره، و منه قوله «وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ» «1» اى لا يتسرع بموجبه الى غيره. و قيل كظيم على الحزن لم يقل يا أسفاه- فى قول مجاهد و الضحاک، و الحسن- و قيل كظيم بالغيظ على نفسه، لم أرسله مع إخوته- فى قول السدى و الجبائى.

قالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ (85)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية ما قال بنو يعقوب لأبيهم حين رأوه حزيناً «تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ» معناه لا تزال تذكر، فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة و السدى، يقال فتئ يفتأ فتئاً و فتوءاً، و قال أوس بن حجر:
فما فتئت خيل تثوب و تدعى و يلحق منها لاحق و تقطع «2»
اى فما زالت، و حذفت (لا) من تفتأ، لأنه جواب القسم بمعنى نفى

---

(1) سورة آل عمران آية 134.
(2) ديوانه 58 و مجاز القرآن 1/ 316 و تفسير القرطبى 9/ 250،

المستقبل، لأنه لو كان اثباتاً لم يكن بد من اللام و النون، فجاز لما فيه من الإيجاز من غير التباس، كما قال امرؤ القيس:
فقلت يمين اللّه أبرح قاعداً و لو قطعوا رأسى لديک و اوصالى «1»
و الحرض ذو المرض و البلى- فى قول ابن عباس و مجاهد- و قال الحسن و قتادة: معناه حتى تكون ذا الهرم او تكون من الميتين. و اصل الحرض فساد الفعل و الجسم للحزن و الحب، قال العرجى:
انى امرؤ لج بى حب فاحرضنى حتى بليت و حتى شفنى السقم «2»
و رجل محرض إذا كان مريضاً قال امرؤ القيس:
ارى المرء ذا الأذواد يصبح محرضا كإحراض بكر فى الديار مريض «3»
و لا يثنى حرض و لا يجمع لأنه مصدر، يقال: حرضه على فلان اى أفسده عليه بما يغريه، و إنما قالوا هذا القول إشفاقاً عليه و كفّاً له عن البكاء اى لا تزال تذكر يوسف بالحزن و البكاء عليه حتى تصير بذلک الى مرض لا تنتفع بنفسک معه، لأنه كان قد أشفى على ذهاب بصره و فساد جسمه، او تموت بالغم.
و الهلاک ذهاب الشىء بحيث لا يدرى الطالب له اين هو، فالميت هالک لهذا المعنى.

قالَ إِنَّما أَشْكُوا بَثِّی وَ حُزْنِی إِلَی اللَّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (86)
آية بلَا خلاف.

---

(1) ديوانه 161 و قد مر فى 2/ 227، 3/ 216.
(2) مجاز القرآن 1/ 316 و تفسير القرطبى 9/ 251 و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 13/ 25.
(3) ديوانه 129 و تفسير القرطبى 9/ 251 و الطبرى 13/ 25.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 184
هذا حكاية ما أجاب به يعقوب بنيه لما قالوا له ما تقدم ذكره، أى انما أشكو، و الشكوى صفة ما يجده من البلوى، و انما وصف (ع) ذلک للّه طلباً للفرج من جهته، و البث تفريق الهمّ بإظهاره عن القلب، يقال: بثه ما فى نفسه بثاً و أبثه إبثاثاً، و بث الخيل على العدو: إذا فرقها عليه. و قال ابن عباس معنى (بثى) همى.
و قولهَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ»
قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس: اعلم ان رؤيا يوسف صادقة و انى ساجد له.
و الثانى- قال قتادة: أعلم من احسان اللّه (عزّ و جل) الى ما يوجب حسن ظنى به، و انما جاز على يعقوب و هو نبى، ان يبكى حتى تبيض عيناه من الحزن، لان عظم المصيبة يهجم على النفس حتى لا يملک معه القرار بالصبر حتى يرتفع الحزن، مع انه على ولد لا كالأولاد، فى جماله، و عقله، و عفافه، و علمه، و أخلاقه، و بره، من غير تأس يوجب السلوة، و لا رجاء يقرب الحال الجامعة، و مع هذا فلم يكن منه الا ما يوجب الأجر العظيم و الثواب الجزيل الكريم، و البكاء ليس بممنوع منه فى الشرع، و انما الممنوع اللطم، و الخدش، و الجز، و تخريق الثياب، و القول الذى لا يسوغ، و كل ذلک لم يكن منه (ع) و إنما جاز أن يخفى خبر يوسف على يعقوب مع قرب المسافة بينهما، لأن يوسف كان بمصر و يعقوب بأرض الجزيرة من أرض حران، و لم يعرف يوسف أباه مكانه ليزول همه، لأنه فى تلک المدة كان بين شغل و حجر على ما توجبه سياسة الملک، و بين حبس فى السجن، لأنه مكث فيه سبع سنين لما محن به من امرأة العزيز، فلما تمكن من التدبير تلطف فى ذلک لئلا يكون من أخوته حال تكره فى إيصال خبره الى أبيه لشدة ما ينالهم من التهجين فى أمره إذا وقف على خبره.
و انما جاز ان يستخرج الصواع من رحل أخيه مع إيجاب التهمة فى ذلک عند الناس، و غمّ أبيه و أخيه خاصة و سائر اخوته عامة لوجوه:

أحدها- انه كان ذلک بمواطأة أخيه على ذلک بما يسر فى باطنه. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 185
و منها انه ليس لاحد اتهامه بالسرقة مع إمكان جعله فى رحله بما لا صنع له فيه.
و منها اغمام أبيه بالأمر اليسير ليزيل عنه الغم العظيم، و تأتيه البشرى بسلامتهما على أجمل حال يتمنى لهما، و ذلک يحسن و لا يقبح.

يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ وَ لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ (87)

آية بلا خلاف.

هذا إخبار عما قال يعقوب لبنيه بعد ان قال ما تقدم ذكره «يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا» و التحسس طلب الشىء بالحاسة فاما طلبه بالدعاء الى فعله، فلا يسمى تحسساً، و التحسس و التجسس بالحاء و الجيم بمعنى واحد.

«وَ لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ» اى لا تقطعوا رجاءكم منه. و الروح و الفرج نظائر، و هو رفع ترح بلذة، مأخوذ من الريح التى تأتى بما فيه اللذة.

و قوله «إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ» اخبار منه بأن الذى يائس من رحمة اللّه الكافرون، و ذلك يدل على ان الفاسق الملّى لا ييأس منه، بخلاف ما يقوله اهل الوعيد، و قد أجاب عن ذلك اهل الوعيد بجوابين:

أحدهما- ان ذلك على وجه التغليب، فيدخل فيه الفاسق فى الجملة.

و الثانى- أنه لا ييأس فى حال التكليف إلا الكافر الذى لا يعرف اللّه تعالى، فاما من يعرف اللّه فانه لا ييأس منه، لأنه يسوّف التوبة.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وَ أَهْلَنَا الضُّرُّ وَ جِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ (88)

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 186

آية بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى ان اخوة يوسف لما قال لهم يعقوب «اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ» رجعوا الى يوسف و دخلوا عليه، و قالوا له «يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ» لأنهم كانوا يسمون الملک العزيز. و العزيز فى اللغة هو الواسع المقدور الذى لا يهتضم المنيع بسعة مقدوره «مَسَّنا وَ أَهْلَنَا الضُّرُّ» أى أصابنا الضر، و المس ملابسة ما يحس، و لما كان الضر بمنزلة الملامس لهم، و هو مما يحس، عبر عنه بأنه مسَّه.

و الأهل: خاصة الشىء الذى ينسب اليه، و منه قوله «إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى» «1» و تسمى زوجة الرجل بأنها أهله و كذلک اهل البلد و اهل الدار، و هم خاصته الذين ينسبون اليه.

و قوله «وَ جِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ» قيل فى معنى المزجاة ثلاثة اقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و سعيد بن جبير: إنها ردية لا تؤخذ الّا بوكس.

و قال الحسن و مجاهد و ابراهيم و قتادة و ابن زيد: إنها قليلة. و قال الضحاک: هى كاسدة غير نافعة. و روى انه كان معهم متاع البادية من الصوف و الشعر و السمن و الحبال البالية و غير ذلک. و أصلها القلة قال الأعشى:

الواهب المائة الهجان و عبدها عوذاً يزجّى خلفها أطفالها «2»

اى يسوقهم قليلًا قليلًا، و قال النابغة:

و هبت الريح من تلقاء ذى أرل تزجى مع الليل من صرّادها صرما «3»

يعنى تسوق، و تدفع، و قال آخر:

---

(1) سورة هود آية 45

(2) ديوانه 152 (دار بيروت) و تفسير الطبرى 13: 29

(3) ديوانه 102 و اللسان (صرم). و مجمع البيان 3: 259

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 187

و حاجة غير مزجاة من الحاج «1»

و قيل الأصل الدفع بالسوق فهى مدفعه لا تنفق.

و قوله «فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ» اى لا تنقصنا من كيلنا لنقصان بضاعتنا، و تصدق علينا. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال سعيد بن جبير: سألوا التفضل بترک النقصان من السعر، لان

الصدقة ما كانت تحل لهم. و قال سفيان بن عيينة. إنهم سألوا الصدقة و هم أنبياء و كانت حلالا لهم، و كان مجاهد يكره ان يقول الرجل فى دعائه اللهم تصدق على، لان الصدقة ممن يبتغى الثواب. و الصدقة العطية للفقراء إبتغاء الأجر، و لهذا يطلق، فيقال: «إِنَّ اللَّهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ» و «لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» «2» من العباد، و المعنى انه يثيبهم على ذلک.

قالَ هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ (89)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية ما أجاب به يوسف إخوته حين سألوه التصدق عليهم و إيفاء كيلهم، فرقّ لهم، و قال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف و أخيه؟! على وجه التوبيخ لهم و التذكير لهم بما فعلوه من إلقائه فى الجب بعد ان كانوا عزموا على قتله ثم بيعهم إياه عبداً للتاجر الذى حمله الى مصر، و فعلوا بأخيه ما عرضوه به للغم بأن أفردوه عن أخيه لأبيه و امه مع جفائهم له حتى كان لاذلالهم إياه لا يمكنه ان يكلم احداً منهم الّا كلام الذليل للعزيز، فعاملوه هذه المعاملة، و سلكوا فى أمره هذه الطريقة. و معنى قوله «إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ» انكم فعلتم ذلک فى حال

---

(1) اللسان (زجا) و مجاز القرآن 1: 317
(2) سورة التوبة آية 121 و سورة هود آية 116 و سورة يوسف آية 90 [.....]

كنتم فيها جاهلين جهالة الصبى لا جهالة المعاصى، و ذلک يقتضى انهم الآن على خلافه، و لو لا ذلک لقال و أنتم جاهلون. و انما وبخوا بحال قد أقلعوا عنها و تابوا منها على وجه التذكير و ليتنبهوا على حال من يخاطبهم و يعرفوه بها، لا ان تلک الحال ذكرت بطريق التقبيح لها. و قال السدى و ابن إسحاق إن يوسف لما قالوا له ما قالوا أدركته الرقة، فدمعت عينه و باح لهم بما كان يكتمه من شأنه و شأنهم.

قالُوا أَ إِنَّکَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هذا أَخِی قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90)
آية بلا خلاف.
قرأ ابن كثير و ابو جعفر «انک» بهمزة واحدة على الخبر. الباقون بهمزتين، و حققهما ابن عامر، و أهل الكوفة، و روح، إلا ان الحلوانى عن هشام فصل بينهما بألف. الباقون يخففون الأولى و يلينون الثانية. و فصل بينهما بألف نافع إلا ورشاً و ابو عمرو. قال ابو على: الأجود الاستفهام لقوله «قالَ أَنَا يُوسُفُ» و هذا جواب الاستفهام، و من قرأ على الخبر أراد الاستفهام لقوله «قالَ أَنَا يُوسُفُ» و هذا جواب الاستفهام، و من قرأ على الخبر أراد الاستفهام، و حذف حرف الاستفهام كما حكى ابو الحسن فى قوله «وَ تِلْکَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَیَّ» «1» و معناه اى تلک نعمة، و حذف حرف الاستفهام.
هذا حكاية ما قال اخوة يوسف له حين قال لهم «هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ» فإنهم قالوا حينئذ له «أَ إِنَّکَ لَأَنْتَ يُوسُفُ» على وجه الاستفهام له، فإنهم تنبهوا و استيقظوا غير انهم لم يقطعوا به، فاستفهموه.

---

(1) سورة الشعراء آية 22.

و قال الزجاج يجوز فى «أ إنک» اربعة أوجه فى العربية:
تحقيق الهمزتين، و هو مذهب اهل الكوفة و اهل الشام.
الثانى- إدخال الألف بين الهمزتين (آ إِنک) و هو مذهب هشام ابن عمار عن ابن عامر.
الثالث- تليين الثانية بان يجعل بين بين أينک، و هو مذهب أبى عمرو، و ابن كثير و نافع.
الرابع- بهمزة واحدة على الخبر.
فقال يوسف مجيباً لهم «أَنَا يُوسُفُ وَ هذا أَخِی» يعنى ابن يامين- من أبى و أمى «قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا» أى أنعم علينا بنعمة قطعتنا عن حال الشدّة يقال: منّ اللّه عليه يمن منّاً، و أصله القطع من قوله «لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» «1» أى غير مقطوع، و منه منّ عليه فى الصنيعة إذا ذكرها بما يجرى مجرى التعيير بها، لأنه قاطع عن شكرها. و المنون الموت، لأنه يقطع عن تصرف الأحياء. ثم أخبر يوسف فقال إنه من يتق اللّه باجتناب معاصيه، و فعل طاعاته و يصبر على بليته و يتجرع مرارة المنع، لما يشتهى من الأمر «فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» اى لا يذهب بثوابهم. و الاضاعة هو الإهلاک و هو إذهاب الشىء بحيث لا يدرى الطالب له اين هو. و الأجر ما يستحق على

العمل الصالح من الثواب، و منه الاجارة. و تقول:
آجره اللّه يآجره أجراً، و الإحسان فعل حسن يستحق به الحمد.
و حكى ابن كثير انه قرأ «من يتقى» بالياء فى الوصل. و الوجه فيه ان يجعل (من) بمعنى (الذى) فيكون (ينقى) فى موضع رفع، و يكون قوله «و يصبر» حذف الحركة استخفافاً، او جملة على الموضع، كما قال «فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ» «2» و لا يجوز ان يكون مثل قول الشاعر:

_____

(1) سورة حم السجدة آية 8 و سورة الانشقاق آية 25 و سورة التين آية 6.
(2) سورة المنافقون آية 10.

ألم يأتيک، و الأبناء تنمى «1»
لان ذلک يجوز فى الشعر، و الأجود قول من قرأ بحذف الياء.

قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَکَ اللَّهُ عَلَيْنا وَ إِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ (91)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية عما قال إخوة يوسف حين سمعوا اعتراف يوسف بأنه يوسف، و ان أخاهم الذى احتبسه أخوه، و ان اللَّه منّ عليهم بذلک، فقالوا له عند ذلک «تاللَّه» على وجه القسم «لَقَدْ آثَرَکَ اللَّهُ عَلَيْنا» اى فضلک اللَّه علينا. و الإيثار إرادة التفضيل، لاحد الشيئين على الآخر و مثله الاختيار، و يقال: آثرت له، و آثرت عليه ضده. و أصل الإيثار الأثر الجميل، فيما يؤثر على غيره بمنزلة ما له أثر جميل و الآثار الاخبار، لأنها إخبار عن أثر ما تقدم فى أمر الدين و الدنيا.
و قوله «وَ إِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ» اعتراف منهم بأنهم كانوا خاطئين. و قال قوم: إنهم كانوا صبياناً وقت ما فعلوا بأخيهم ما فعلوا و سموا أنفسهم «خاطئين» اى ابتداء فعلهم كان و هم صبيان. ثم بلغوا مقيمين على كتمان الأمر عن أبيهم موهمين له ما كانوا اخبروه به من شأنهم، فالايهام معصية لا تبلغ تلک المنزلة. و الخطيئة ازالة الشيء عن جهته الى ما لا يصلح فيه، يقال خطئ يخطأ فهو خاطئ مثل أثم إثماً فهو آثم. و (خطئ) إذا تعمد الخطأ و (أخطأ) إذا لم يتعمد الخطأ كمن رمى شيئاً فأصاب غير ما أراد.

قالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92)
آية بلا خلاف.

---

(1) قائلة قيس بن زهير العبسى. اللسان (اتى) و عجزه:
بما لاقت لبون بنى زياد
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 191
آية بلا خلاف.
هذا اخبار من اللَّه تعالى عما قال يوسف لأخوته حين اعترفوا بأن اللَّه فضله عليهم، و انهم خطئوا فيما فعلوه، بأن قال «لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ» و معناه لا بأس عليكم بما سلف له منكم، و التثريب تعليق الضرر بصاحبه من اجل جرم كان منه. و قال سفيان: معنى لا تثريب لا تعيير. و قيل: معناه لا تخليط بعائده مكروه. و قيل: معناه لا تثريب مكروه بتوبيخ، و لا غيره.
و قوله «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ» معناه يستر اللَّه عليكم خطيئاتكم و لا يعاقبكم عليها، و هو ارحم الراحمين، فالرحمة النعمة على المحتاج، و من الرحمة ما هو واجب و فيها ما ليس بواجب، فالواجبة ما لا يجوز الا حلال بها، و ان كان سببها تفضلًا، كالثواب الذى سببه التكليف، و هو تفضل.
و قيل: فى معنى قوله «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ» قولان:
أحدهما- انه دعا لهم بالمغفرة، و يكون الوقف عند قوله «لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ» ثم ابتدأ، فقال «يَغْفِرُ اللَّهُ» و قد وقف بعضهم عند قوله «عليكم» و الأول أجود.
الثانى- لما كان ظلمهم له معلقاً باحلاله أباهم منه حسن هذا القول، لان اللَّه هو الآخذ له بحقه إلا ان يصفح.

اِذْهَبُوا بِقَمِيصِی هذا فَأَلْقُوهُ عَلی وَجْهِ أَبِی يَأْتِ بَصِيراً وَ أْتُونِی بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (93)
آية بلا خلاف.
هذا اخبار من اللَّه تعالى بأن يوسف أعطى اخوته قميصه. و قال: احملوه إلى أبى يعقوب و اطرحوه على وجهه، فإنه يرجع بصيراً، و يزول عنه العمى

و ذلک معجز دال على نبوته، لأنه- على قول المفسرين كالحسن و السدى و غيرهما- كان قد عمى، و لو لا ان اللَّه أعلمه انه يرجع اليه بصره لما أرسله اليه، و انما حمل اليه القميص، لان اللَّه تعالى كان جعله علامة له إذا شمه شم منه رائحة يوسف، و بشارة له قبل لقائه.
و قوله «وَ أْتُونِی بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ»، معناه احملوا أهاليكم أجمع الى عندى و جيئونى بهم.

وَ لَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قالَ أَبُوهُمْ إِنِّی لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94)
آية بلا خلاف.
اخبر اللّه تعالى فى هذه الآية انه حين انصرفت العير من عند يوسف. قال: لهم أبوهم يعقوب انى لأجد ريح يوسف اى إنى أحس برائحته. و قال ابن عباس جاءت الريح برائحة يوسف من ثمانى ليال. و قال الحسن من مسيرة شهر. و قيل إنه كان بينهم ثمانين فرسخاً، لأن يعقوب كان بوادى كنعان من ارض فلسطين.
و قيل إنه كان بأرض الجزيرة، و يوسف بمصر.
و الفصل القطع بحاجز بين الشيئين. و نقيضه الوصل، و مثله الفرق. و العير قافلة الحمير، و ان كان فيها الجمال، و كل جماعة خرجت من بلد الى بلد، فهم قافلة.
و قوله «لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ» قال ابن عباس: معناه لو لا ان تسفهون. و قال الحسن و مجاهد: لو لا ان تهرمون. و قال ابن إسحاق: معناه تضعفون. و قال الضحاک معناه تكذبون.
و انما قال يعقوب هذا القول لمن حضره من أهله و قرابته دون ولده، لأنهم

كانوا غيّباً عنه لم يصلوا إليه. و التفنيد فى اللغة هو تضعيف الرأى يقال فنده تفنيداً إذا نسبه الى ضعف الرأى، قال الشاعر:
يا صاحبى دعا لومى و تفنيدى فليس ما فات من امر بمردود «1»
و فنده الدهر اى أفسده، و قال ابن مقبل:
دع الدهر يفعل ما يشاء فانه إذا كلف الإنسان بالدهر افندا «2»
و روى (إذا كلف الافناد بالناس فندا).

قالُوا تَاللَّهِ إِنَّکَ لَفِی ضَلالِکَ الْقَدِیمِ (95)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية ما أجاب به من خاطبه يعقوب من اهله «إِنِّی لَأَجِدُ رِیحَ یُوسُفَ» فإنهم قالوا له «تَاللَّهِ إِنَّکَ لَفِی ضَلالِکَ الْقَدِیمِ» و الضلال هو الذهاب عن جهة الصواب فيه، و انما قالوا لنبى اللّه «إِنَّکَ لَفِی ضَلالِکَ الْقَدِیمِ» لأنهم قالوا كلمة غليظة لم يجز أن يقولوها لنبى اللّه، فحق الأمر فيها أنهم قالوها اشفاقاً عليه من شدة محبته ليوسف- فى قول قتادة- و قال الحسن كان عندهم ان يوسف مات، فكان فى لهوجه فى تذكره ذاهباً عن الصواب فى أمره، و القديم فى اللغة هو كل شىء متقدم الوجود، و فى عرف المتكلمين عبارة عن الموجود لم يزل، و انما جعلوا الضلال قديما على وجه المبالغة فى الصفة و مثله «كَالْعُرْجُونِ الْقَدِیمِ» «3» و يقال بناء قديم، و لا يجوز قياساً على ذلک ان يقال: هذا جسم قديم، لما فيه من الإيهام.

فَلَمَّا أَنْ جاءَ الْبَشِيرُ أَلْقاهُ عَلى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (96)

_____

(1) تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 13: 34 و مجاز القرآن 1: 318
(2) تفسير القرطبى 9: 261 و الطبرى 13: 34
(3) سورة يس آية 39

آية بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى إنه لما جاء المبشر بيوسف الى يعقوب ألقى القميص على وجهه فرجع بصيراً. و البشير الذى يأتى بالبشارة العظيمة. و جاء على لفظ (فعيل) لما فيه من المبالغة يقال بشره تبشيراً، و معنى أبشرته: قلت له: استبشر، كقوله «وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» «1» و قال الحسن، و مجاهد، و الضحاك:
كان البشير يهوذ بن يعقوب، و الإلقاء إيقاع الشىء على الشىء، و يكون بمعنى إيجاد الشىء.
و قوله «فَارْتَدَّ بَصِيراً» فالارتداد انقلاب الشىء الى حال، قد كان عليها، و هو و الرجوع بمعنى واحد. و البصير من كان على صفة يجب لأجلها ان يبصر المبصرات إذا وجدت، و (ان) بعد قوله «فلما» زائدة للتوكيد، كما قال «وَ لَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا» «2» و لا موضع لها من الاعراب و هى تزاد مع (لما) و (حتى) على وجه الصلة تأكيداً، تقول: قد كان ذاک حتى كان كذا و كذا، و حتى ان كان كذا.
و قوله «إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» .. قيل فى معناه قولان:
أحدهما- إنى اعلم من صحة رؤيا يوسف، و إن تأويلها سيكون على ما رأى «ما لا تَعْلَمُونَ» من تأويل الرؤيا.
و الثانى- «إِنِّى أَعْلَمُ» من بلوى الأنبياء بالشدائد و المحن التى يصيرون منها الى وقت الفرج «ما لا تَعْلَمُونَ». ذكره الجبائى.

قالُوا يا أَباتَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ (97)
آية بلا خلاف.

---

(1) سورة حم السجدة آية 30.
(2) سورة العنكبوت آية 33.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 195
فى الكلام حذف، لان تقديره إن اخوة يوسف وصلوا إلى أبيهم بعد ان جاء البشير و ألقوا قميصه على وجهه ورد اللّه بصره عليه، فلما رأوه قالوا له «يا أَباتَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا» أى سل اللّه تعالى ان يستر علينا ذنوبنا، و لا يعاقبنا عليها، فانّا «كُنَّا خاطِئِينَ» فيما فعلناه بيوسف.
و متى قيل: كيف سألوه الاستغفار مع انهم كانوا تابوا و التوبة تسقط العقاب؟
قلنا أما على مذهبنا فلان التوبة لا تسقط العقاب وجوباً، و انما يسقطه اللّه تعالى عندها تفضلا. و أما على مذهب مخالفنا، فإنهم سألوه ذلک، لأجل المظلمة المتعلقة بصفح المظلوم، و سؤال صاحبه ان لا يأخذ بظلمه، لا بد انه توبة خاصة منه و وجه آخر، و هو ان يبلغه منزلة بدعائه يصير بمنزلة عالية لمكان سؤاله.

قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّی إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (98)
آية بلا خلاف.
هذا حكاية ما أجاب به يعقوب حين قالوا له «اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا» فانه قال فى جواب ذلک سوف استغفر لكم ربى، و المعنى إنى أفعل ذلک فى المستقبل، و لم يستغفر لهم فى الحال.
و
روى عن أبى جعفر (ع) انه قال: أخّرهم الى ليلة الجمعة.
و قال ابن مسعود و ابراهيم التيمى، و ابن جريج و عمرو بن قيس: انه اخرهم الى السحر، لأنه اقرب إلى اجابة الدعاء. و قال الجبائى: وجه ذلک أنهم سألوه ان يستغفر لهم دائماً فى دعائه، فوعدهم بذلک فى المستقبل.
و قوله «إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» اخبار من يعقوب و اعتراف منه بأن اللّه هو الذى يستر على عباده معاصيهم، و يعفو لهم عن عقابها رحمة منه بعباده و رأفة منه بخلقه.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَ قالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99)
آية بلا خلاف.
فى الكلام حذف، لان تقديره ان يعقوب و بنيه و أهلهم رحلوا الى يوسف، فلما وصلوا اليه و دخلوا عليه. «آوى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ» يعنى أباه يعقوب و أمه، فثنى على لفظ الأب تغليبا للذكر على الأنثى، و لم يثن على لفظ الأم، كما غلب المفرد على المضاف فى قولهم: سنة العمرين. و مثله قوله «وَ وَرِثَهُ أَبَواهُ» «1» يعنى أباه و امه.
قال الحسن و ابن إسحاق و الجبائى: كانت امه بحق، و قال السدى كانت امه ماتت و تزوج يعقوب أختها، و هى خلة يوسف، فأقامها مقام الأم، و الاول حقيقة و الثانى مجاز. و الإيواء ضم القريب بالمحبة لصاحبه كضم المأوى بجمع شمله، و انما قال لهم «ادْخُلُوا مِصْرَ» بعد دخولهم عليه، لاميرين:
أحدهما- قال السدى: و فرقد السحى: ان يوسف خرج يستقبل يعقوب و خرج معه أهل البلد، فلما رجع قال «ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ».
و قال آخرون أراد «ادْخُلُوا مِصْرَ» مقيمين «إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ» و المشيئة هى الارادة، و الأمن سكون النفس الى الامر. و الخوف انزعاج النفس من الأمر. و الامن التام الأمن من كل جهة، فاما الأمن من جهة دون جهة، فهو أمن ناقص.
و فى الناس من قال: ان قوله «إِنْ شاءَ اللَّهُ» متعلق بقوله «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ» ان شاء اللَّه، لأنه كان قاطعاً على انهم يدخلون مصر آمين، و ليس يحتاج الى ذلك لأنه مطابق لقوله «وَ لا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّى فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» «2»

---

(1) سورة النساء آية 11
(2) سورة الكهف آية 23

وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَ قالَ يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا وَ قَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَ جاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى عن يوسف انه حين حضر عنده أبواه و أخوته، و رفع أبويه على العرش، و الرفع النقل الى جهة العلو. و مثله الاعلاء و الإصعاد، و ضده الوضع، و العرش السرير الرفيع و أصله الرفع من قوله «خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها» «1» اى على ما ارتفع من أبنيتها، و عرّش الكرم إذا رفعه، و عمل عريشاً إذا عمل مجلساً رفيعاً. و قال ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة: العرش السرير.

و قوله «وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً» معناه انحطوا على وجوههم و الخرّ الانحطاط على الوجه، و منه «خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ» «2» و السجود فى الشرع خضوع بوضع الوجه على الأرض و أصله الذل، كما قال الشاعر:

ترى الأكم فيها سجداً للحوافر «3»

و قيل فى وجه سجودهم قولان:

قال قوم: إن الهاء فى قوله «له» راجعة الى اللَّه، فكأنه قال فخروا للَّه سجداً شكراً على ما أنعم به عليهم من الاجتماع.

---

(1) سورة البقرة آية 259 و الكهف 43 و الحج 45

(2) سورة الحج آية 31

(3) مر هذا البيت فى 1: 148، 263، 311 و 4: 233، 383 [.....]

الثانى انهم سجدوا الى جهة يوسف على وجه القربة الى اللَّه، كما يسجد الى الكعبة على وجه القربة الى اللَّه.

و قيل انه كانت تحية الملوك السجود، قال اعشى بنى ثعلبة:

فلما أتانا بعيد الكرى سجدنا له و رفعنا العمارا «1»

و قوله «يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ» حكاية ما قال يوسف لأبيه بأن هذا تفسير رؤياى من قبل و ما تؤول اليه، و هو ما ذكره فى أول السورة «إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً» يعنى أخوته «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» يعنى أبويه سجدوا له، كما رآه فى المنام.

و الرؤيا تصور ما يتوهم انه يرى لغمور النوم، و متى قيل إذا كانت رؤيا الأنبياء لا تكون الا صادقة، فهلا تسلى يعقوب بأن تأويل الرؤيا سيكون؟

قلنا عنه جوابان:
أحدهما- انه قيل: انه رآها و هو صبىّ فلذلک لم يثق بها.
و الآخر- ان طول الغيبة مع شدة المحنة يوجب الحزن كما يوجبه مع الثقة بالالتقاء فى الآخرة.
«وَ قَدْ أَحْسَنَ بِی إِذْ أَخْرَجَنِی مِنَ السِّجْنِ» بأن لطف و سهل إلىَّ الخروج منه «وَ جاءَ بِکُمْ مِنَ الْبَدْوِ» اى اتى بكم من أرض فلسطين، لأن مسكن يعقوب و ولده فيما ذكر كان هناک. و البدو: البرية العظيمة مأخوذ من بدا يبدوا بدوّاً. و يقال: بدو، و حضر.
و قوله «مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِی وَ بَيْنَ إِخْوَتِی» و النزغ التحريش بين الاثنين، و هو مس بسوء يغضب، و منه قوله «وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّکَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» «2» و قوله «إِنَّ رَبِّی لَطِيفٌ لِما يَشاءُ» معنا لطيف التدبير، و اللطف ما يدعو إلى

---

(1) ديوانه 83 (دار بيروت) و روايته (عمارا).
(2) سورة الاعراف آية 199 و حم السجدة آية 36.

فعل الواجب و يصرف عن القبيح. و قال الحسن: كان بين الرؤيا و تأويلها ثمانين سنة. و قال سلمان، و عبد اللَّه بن سداد: كانت أربعين سنة. و قال ابن إسحاق: ثماني عشرة سنة.
و قوله «إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» معناه إنه تعالى عالم بأحوال الخلق، و ما يصلحهم و ما يفسدهم «حكيم» فى أفعاله لا يضع الشىء الا فى موضعه.
و قال بعضهم: غاب يوسف عن أبيه و له سبع عشرة سنة، و بقى بعد الاجتماع معهم فى الملک ثلاثاً و عشرين سنة، و مات، و له مائة و عشرون سنة.

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِی مِنَ الْمُلْکِ وَ عَلَّمْتَنِی مِنْ تَأْوِیلِ الْأَحادِیثِ فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَلِیِّی فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ تَوَفَّنِی مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِی بِالصَّالِحِینَ (101)

آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما قال يوسف حين اجتمع مع أبويه و أخوته و أهل بيته، و انه قال يا «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِی مِنَ الْمُلْکِ» و حذف حرف النداء للدلالة عليه. و على وجه الاعتراف بأنواع نعمة اللّه عليه، و ان من جملتها أنه أعطاه الملک و السياسة و التدبير بين الخلق، و أنه مع ذلک علمه، و فهمه أنواع العلوم، و نصب له الدلالة على علوم كثيرة. و قد يقال: علمه تعليماً إذا بين له الدليل المفضى الى العلم.

و الاعلام هو إيجاب العلم بإيجاده و التعريض له. و المعنى فهمتنى تأويل الأحاديث التى تؤدى الى العلم بما احتاج إليه. و الأحاديث الاخبار عن حوادث الزمان.

و قوله «فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» فالفطر الشق عن أمر باختراعه عند انشقاقه، ففطر السموات و الأرض: اختراعهما بما هو كائن كالشق عما يظهر فيه. و منه تفطر الشجر بالورق. و نصبه يحتمل أمرين: التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 200

أحدهما- أن يكون صفة لقوله «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِی مِنَ الْمُلْکِ» لأنه مضاف، كما يقال: يقول يا زيد ذى الجمة.

و الثانى- ان يكون على النداء بتقدير يا فاطر.

و قوله «أَنْتَ وَلِیِّی» أى ناصرى، و الولى النصير بما يتولى من المعاونة، فإذا وصف تعالى بانه ولىّ المؤمن، فلانه ينصره بما يتولى من معونته و حياطته. و إذا وصف المؤمن بأنه ولى اللّه، فلان اللّه ينصره بمعونته، فتجرى الصفة على هذا المعنى.

و قوله «تَوَفَّنِی مُسْلِماً» معناه اقبضنى إليک إذا امتنى و أنا مسلم اى الطف لى بما أموت معه على الإسلام «وَ أَلْحِقْنِی بِالصَّالِحِینَ» من آبائى إسحاق و ابراهيم اى اجعلنى من جملتهم.

و (من) فى قوله «من الملک» و قوله «مِنْ تَأْوِیلِ الْأَحادِیثِ» دخلتا للتبعيض لأنه لم يؤته اللّه جميع الملک، و لا علمه جميع الأشياء، و يحتمل ان تكون دخلت لتبيين الصفة، كما قال «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ» «1»

ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ (102)
آية بلا خلاف.
هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم انه قال له «ذلک» يعنى الذى أخبرناک به من أخبار ما يعظم شأنه، لأن الأنباء هى الاخبار بما له شأن. و منه قولهم:
لهذا نبأ اى شأن عظيم. و (الغيب) ذهاب الشىء عن الحس، و منه «عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» «2» اى عالم بما غاب عن الحواس، و بما حضرها «نُوحِيهِ إِلَيْكَ»

---

(1) سورة الحج آية 30
(2) سورة الانعام آية 73، و التوبة آية 94، 105 و الرعد 10 و المؤمنون 93 و الم السجدة 6 و الزمر 46 و الحشر 22 و التغابن 18.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 201
اى نلقيه. و الإيحاء إنهاء المعنى الى النفس، فقد أفهم اللَّه تعالى نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم تلک المعانى بانزال الملک بها عليه.
و قوله «وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ» اى لم تحضرهم حين عزموا على أمورهم. و إجماع الأمر هو اجتماع الرأى على الامر بالعزم عليه. و المكر: قتل الحيل عن الأمر، و اصل المكر من قولهم: ساق ممكورة اى مفتولة. و مثله الخديعة، و كان مكرهم بيوسف إلقاؤهم إياه فى غيابت الجب- فى قول ابن عباس و الحسن و قتادة- و قال الجبائى: كان مكرهم احتيالهم فى امر يوسف حين القوه فى الجب. و انما قال ذلک لنبيه، لأنه لم يكن ممن قرأ الكتب و لا خالط أهلها و إنما اعلمه اللَّه تعالى ذلک بوحى من جهته ليدل بذلک على نبوته، و انه صادق على اللَّه تعالى

وَ ما أَكْثَرُ النَّاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)
آية بلا خلاف.
هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم على وجه التسلية بقلة من آمن به بأن الناس كثيرون، و ان حرصت على ان يكونوا مؤمنين فإنهم قليلون. و الأكثر القسم الآخر من الجملة، و نقيضه الأقل. و الناس جماعة الإنسان، و هو من ناس ينوس نوساً إذا تحرک يميناً و شمالًا، من نفسه لا بمحرک. و الحرص طلب الشىء فى اصابته، حرص عليه يحرص حرصاً، فهو حريص على الدنيا إذا اشتد طبله لها و التقدير: و ما اكثر الناس بمؤمنين، و لو حرصت على هدايتهم.

وَ ما تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ (104)
آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 202
هذا اخبار من اللّه تعالى و خطاب لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم انک يا محمد لست تسألهم يعنى أمّته الذين بعث اليهم على ما يعرفهم به من اخبار الماضين اجراً، و لا جزاء فى مقابلته. و ليس ذلک إلا ذكر للعالمين. و السؤال قول القائل لمن هو فوقه (افعل) إذا كان سؤال طلب و دعاء، و ان كان سؤال استخبار، فهو طلب الاخبار بادلته، و الأجر جزاء العمل بالخير يقال: آجره اللّه يآجره أجراً إذا جازاه بالخير، و يدعا به، يقال: آجرک اللّه. و الذكر حضور المعنى للنفس، و هو ضد السهو. و قد يقال للقول الذى يحضر المعنى للنفس ذكر. و (العالم) جماعة الحيوان الكثيرة التى من شأنها ان تعلم، لأنه مأخوذ من العلم، و منه معنى التكثير، و فى عرف المتكلمين عبارة عن الفلک و ما حواه عن طريق التبع للحيوان الذى ينتفع به، و هو مجعول لأجله. و معنى الآية إنک لست تسألهم على إبلاغک إياهم ما اوحى اللّه به اليک، و لا على ما تدعوهم اليه من الايمان اجراً، فيكون تركهم لذلک إشفاقاً من إعطاء الأجر، بل هم يزهدون فى الحق مع أمنهم من إعطاء الأجر، و ليس ما تؤديه اليهم من القرآن، و جميع ما ينزله اللّه من الأحكام «إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ» اى طريق الى العلم بما أوجب اللّه عليهم، فذكر الدليل طريق الى العلم بالمدلول عليه. و الفكر سبب مولد له، فالذكر سبب مؤد، و الفكر سبب مولد. و يحتمل ان يكون المراد ليس هذا القرآن الا شرفاً للعالمين لو قبلوه و عملوا بما فيه.

وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ (105)
آية بلا خلاف.
معنى (كأين) كم. و الأصل فيها (أى) فدخلت عليها الكاف للتفخيم بالإبهام، و تقديره كالعدد، فهو أبهم من نفس العدد، لما فيه من التكثير و التفخيم، و غلبت على (كاين) (من) دون (كم) لان (كأين) أشد إبهاماً، فاحتاجت الى (من) لتدل على ان ما يذكر بعدها تفسير لها. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 203
اخبر اللّٰه تعالى إن فى خلق السموات و الأرض آيات، و دلالات كثيرة تدل على ان لها صانعاً صنعها، و مدبراً دبرها، و على صفاته، و علمه، و حكمته، و أنه لا يشبه شيئاً، و لا يشبهه شىء، و هو ما فيها من تدبير الشمس و القمر و النجوم و الجماد و الحيوان، و ما بينهما من الأشجار و النبات، و غير ذلک من الأمور الظاهرة للحواس المدركة بالعيان. و قال الحسن: من الآيات إهلاک من أهلک من الأمم الماضية، يعرضون عن الاستدلال بها عليه و على ما يدلهم عليه من توحيده و حكمته، مع مشاهدتهم لها و مرورهم عليها.

وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ (106)
آية بلا خلاف.
قيل فى معنى هذه الآية قولان:
أحدهما- قال الحسن: الآية فى اهل الكتاب، لان معهم إِيماناً و شركاً.
و قال ابن عباس، و مجاهد و قتادة: المعنى «وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ» فى إقراره بأن اللّه خلقه و خلق السموات و الأرض إِلا و هو مشرك بعبادة الأوثان، و هذا هو الأولى، لان التقدير ما يصدقون بعبادة اللّه إِلا و هم يشركون الأوثان معه فى العبادة.
و قال الرمانى: الآية دالة على ان اليهودى معه إِيمان بموسى، و كفر بمحمد، لأنها دلت على انه قد جمع الكفر و الايمان، و انه لا ينافى ان يؤمنوا باللّه من وجه و يكفروا به من وجه آخر، كما قال «أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ» «1».

---

(1) سورة البقرة آية 85.

و على مذهب من قال بالموافاة من المرجئة لا يصح ذلك، لان الإحباط عنده باطل، فمن آمن باللّه لا بد ان يوافى به.
و الجواب على مذهبه ان يقال تأويل الآية انه لا يؤمن أكثرهم باللّه و يصدق رسله فى الظاهر الا و هو مشرك فى باطنه، فتكون الآية فى المنافقين خاصة- يعنى هذه الآية- و قد ذكره البلخى ايضاً.

أَ فَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (107)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب لهؤلاء الكفار الذين ذكرهم بأنهم لا يؤمنون إلا و هم مشركون، و توبيخ لهم و تعنيف، و ان كان متوجهاً الى غيرهم، فهم المعنون به، يقول:

أ فأمن هؤلاء الكفار أن تجيأهم غاشية من عذاب، و هو ما يتغشاهم من عذابه.

و الغاشية ما يتجلل الشىء بانبساطها عليه، يقال: غشيه يغشاه، فهو غاش، و هى غاشية أو: تجيأهم القيامة بغتة أى فجأة. و البغتة و الفجأة و الغفلة نظائر، و هى مجىء الشىء من غير تقدمة. قال يزيد بن مقسم الثقفى:

و لكنهم باتوا و لم أدر بغتة و أفظع شىء حين يفجؤک البغت «1»

و الساعة مقدار من الزمان معروف، و سمى به القيامة لتعجيل أمرها، كتعجيل الساعة.

و قوله «وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» معناه لا يعلمون بمجيئه، فلذلک كان بغتة. و الشعور إدراک الشىء بما يلطف، كدقة الشعر يقال: شعر به يشعر شعوراً و أشعره بالأمر اشعاراً، و منه اشتقاق الشاعر لدقة فكره.

---

(1) مر هذا البيت فى 4: 122، 507.

قُلْ هذِهِ سَبِيلِی أَدْعُوا إِلَی اللَّهِ عَلی بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی وَ سُبْحانَ اللَّهِ وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب للنبی صلّی اللَّه عليه و سلم أمره اللَّه تعالی ان يقول لهؤلاء الكفار «هذِهِ سَبِيلِی» يعنی دينه الذی دعا إليه من توحيد اللَّه و عدله و توجيه العبادة اليه و العمل بشرعه «ادعو» الناس «الی» توحيد «اللَّه» و الی طاعته، و اتباع سبيله علی معرفة منی بذلک، و حجة معی اليه، و من تابعنی علی ذلک، فهو يدعو الناس الی مثل ما أدعو اليه من التوحيد و خلع الأنداد و العمل بشرع الإسلام «وَ سُبْحانَ اللَّهِ» ای تنزيهاً للَّه من ان يعبد معه إله غيره، و ان يضاف اليه ما لا يليق به و لست أنا من المشركين الذين يشركون مع اللَّه فی عبادته سواه و السبيل هو الطريق، و هو يذكر و يؤنث قال الشاعر:

و لا تبعد فكل فتی أناس سيصبح سالكاً تلک السبيلا «1»

و الدعاء طلب الفعل من الغير، و سمی الإسلام سبيلًا، لأنه طريق الی الثواب لمن عمل به. و (البصيرة) المعرفة التی يميز بها بين الحق و الباطل فی الدين و الدنيا، يقال: فلان علی بصيرة من أمره ای كأنه يبصره بعينه.

وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِی إِلَیْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُری أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَدارُ الْآخِرَةِ خَیْرٌ لِلَّذِینَ اتَّقَوْا أَ فَلا تَعْقِلُونَ (109)
آیة واحدة بلا خلاف.

---

(1) مجمع البیان 3: 268، و مجاز القرآن 1: 319.

قرأ ابو بکر «یوحی» بالیاء و فتح الحاء. و قرأ حفص بالنون و کسر الحاء.
قال ابو علی الفارسی: وجه القراءة بالنون قوله «إِنَّا أَوْحَیْنا إِلَیْکَ کَما أَوْحَیْنا إِلی نُوحٍ» «1» و من قرأ بالیاء، فلقوله «وَ أُوحِیَ إِلی نُوحٍ» «2» و قوله «قُلْ أُوحِیَ إِلَیَّ» «3» فأما فی «حم عسق کَذلِکَ یُوحِی إِلَیْکَ» «4»، فلان الفعل مسند الی اسم اللّه تعالی، فارتفع الاسم بأنه فاعل یوحی، و لو قرئ یوحی الیک، و الی الذین و أسند الفعل الی الجار و المجرور، لکان جائزاً، و کان یکون قوله «اللَّهِ الْعَزِیزِ الْحَکِیمِ» مبتدءاً و خبراً، و الاول احسن، لان قوله «الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ» ان یکون صفة احسن من ان یکون خبر المبتدأ.
معنی الآیة الاخبار من اللّه أنی ما أرسلت قبلک من الأنبیاء و المرسلین الی عبادی إلا رجالًا یوحی الیهم بکتبی و احکامی، «مِنْ أَهْلِ الْقُری» أی لم أرسل علیهم ملکاً و لا جنیّاً، بل رجالًا أمثالک، لقول جهال قریش ان اللّه لو شاء ان یرسل إلینا أحداً، لأرسل إلینا ملکاً، فبین هاهنا انه لم یرسل فیما مضی الا رجالًا، مثل محمد، من البشر، «أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ» معناه أ فلیس قد ساروا فی الأرض و سمعوا اخبار من أرسله اللّه من الأنبیاء المبعوثین الی خلقه مثل ابراهیم و موسی و عیسی، فیعرفوا بذلک کیف کان عاقبة من کذب هؤلاء الرسل من قبلهم، و ما نزل بهم من العذاب لکفرهم. ثم أخبر ان دار الاخرة خیر للذین اتقوا و اجتنوا معاصیه خیر لهم من الدنیا، أفلا یعقلون ان الامر علی ما أخبرنا به، و ان ذلک خیر من دار الدنیا التی فیها تنغیص و تکدیر، و فنون الآلام.
و قال قتادة معنی «مِنْ أَهْلِ الْقُری» یرید به الأمصار دون البوادی، لأنهم اعلم و أحکم. و قال الحسن ما بعث اللّه نبیاً من اهل البادیة قط، و لا من الجن و لا من النساء.
و قوله «وَ لَدارُ الْآخِرَةِ» علی الاضافة و فی موضع آخر و للدار الآخرة علی الصفة. فمن اضافه قال تقدیره و لدار الحال الآخرة، لان للناس حالین حال

---

(1) سورة النساء آیة 162.

(2) سورة هود آية 36.
(3) سورة الجن آية 1.
(4) سورة الشورى آية 1.

لدنيا و حال الآخرة. و مثله صلاة الاولى و الصلاة الاولى، فمن اضافه قدر صلاة الفريضة الاولى، و من لم يضف جعله صفة، و مثله ساعة الاولى، و الساعة لاولى، ذكره الزجاج. و قال الفراء قد يضاف الشىء الى نفسه إذا اختلف لفظهما مثل «حق اليقين». و مثل بارحة الاولى و البارحة الاولى و مسجد الجامع، و المسجد الجامع.

حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُجِّىَ مَنْ نَشاءُ وَ لا يُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110)
آية بلا خلاف.
قرأ «كذبوا» خفيفة بضم الكاف أهل الكوفة. الباقون مشددة بضم الكاف. و قرأ عاصم و ابن عامر «فنجى من نشاء» بنون واحدة و تشديد الجيم و فتح الياء. الباقون بنونين على الاستقبال، و هى فى المصحف بنون واحدة.
من قرأ «كذبوا» خفيفة، فالمعنى إن الأمم ظنت ان الرسل كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر اللّه إياهم و إهلاك أعدائهم، و مثله قراءة من قرأ، و ان كان شاذاً «كذبوا» يعنى ان قومهم ظنوا ان الرسل كذبت فيما أخبرت به، و هو قول ابن عباس و ابن مسعود و سعيد بن جبير و مجاهد و ابن زيد و الضحاك. و من قرأ بالتشديد حمل الظن على العلم، و المعنى أيقن الرسل ان الأمم كذبوهم تكذيباً عمهم حتى لا يفلح احد منهم، و هو قول الحسن و قتادة و عائشة قال الشاعر:
فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج سراتهم فى الفارسى المسرّد «1»
معناه أيقنوا، فان قيل على الوجه الاول كيف يجوز ان يحمل الضمير على انه للمرسل اليهم و الذين تقدم ذكرهم الرسل دون المرسل اليهم، قيل ان ذلک

---

(1) مر هذا البيت فى 1: 205، 2: 296، 4: 373 و قد روى (المشدد) بدل (المسرد).

لا يمتنع لان ذكر الرسل يدل على المرسل اليهم و قد قال الشاعر:
امنک البرق ارقبه فهاجا فبتّ أخاله دهماً خلاجا «1»
اى بتّ إخال الرعد صوت دهم، فأضمر الرعد و لم يجر له ذكر لدلالة البرق عليه. و ان قلت قد جرى لهم ذكر فى قوله «أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا» فيكون الضمير للذين من قبلهم من مكذبى الرسل كان جيداً، ذكره ابو على.
و من قرأ «فننجى» بنونين، فعلى انه حكاية حال، لان القصة كانت فيما مضى، فإنما حكى فعل الحال على ما كانت، كما قال «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ» «2» حكاية الحال الكائنة، و مثله «وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ» «3» فلو لم يكن على الحال لم يعمل اسم الفاعل، لأنه إذا مضى اختص، و صار معهوداً، فخرج بذلک من شبه الفعل. و اما النون الثانية من (ننجى) فهى مخفاة مع الجيم، و كذلک النون مع جميع حروف الفم، لا تكون الا مخفاة،

قال ابو عثمان المازنى و تبيينها معها لحن. قال و للنون مع الحروف ثلاثة احوال: الإدغام، و الإخفاء، و البيان، فهى تدغم مع ما يقارنها كما تدغم سائر المتقارنة. و الإخفاء فيها مع حروف الفم التى لا تقارنها و البيان منها مع حروف الحلق، و حذف النون الثانية من الخط يشبه ان يكون لكراهة اجتماع المثلين فيه. و من ذهب الى ان الثانية مدغمة فى الجيم، فقد غلط، لأنها ليست بمثل للجيم، و لا مقارنة له. و وجه قراءة عاصم انه اتى به على لفظ الماضى، لان القصة ماضية. و ما رواه هبيرة عن عاصم بنونين، و فتح الياء، فهو غلط من الراوى، كما قال ابن مجاهد، و روى نصر بن على عن أبيه عن أبى عمرو «فنجى» بنون واحدة ساكنة الياء خفيفة الجيم، فهذا غلط، لأنا قد بيّنا انّ النون، لا تدغم فى الجيم، لما بيناه.

_____

(1) قائله ابو ذؤيب الهذلى، ديوان الهذليين 1: 164، و اللسان (دهم) و امالى السيد المرتضى 1: 616.

(2) سورة النحل آية 124 [.....]

(3) سورة الكهف آية 18

اخبر اللَّه تعالى ان الرسل لما يئسوا من فلاح القوم و علموا ان القوم لقوهم بالتكذيب و نسبوهم الى الكذب، لان التكذيب نسبة القائل الى الكذب، و ضده التصديق و الاستيئاس و اليأس انقطاع الطمع «جاءَهُمْ نَصْرُنا» اى أتاهم نصر اللَّه باهلاک من كذبهم و لا يرد بأسنا فالبأس شدة الأمر على النفس يقال له بأس فى الحرب و البئيس الشجاع لشدة أمره. و منه البؤس الفقر و البائس الفقير «عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ» يعنى المخطئين الذين اقترفوا السيئات.

لَقَدْ كانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِی الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِی بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَیْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)
آية بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى ان فى قصص الأمم الماضين التى ذكرها دلالة لذوى العقول على تصديق الرسل و ان ما أخبرناک به لم يكن حديثاً كذباً. و الحديث الاخبار عن حوادث الزمان و تسميته بأنه حديث يدل على انه حادث، لان القديم لا يكون حديثاً، و الافتراء القطع بالمعنى على خلاف ما هو به و أصله القطع من قولهم قريت الأديم فرياً إذا قطعته، و وجه الاعتبار بتلک القصص ان الذى من قولهم قريت الأديم فرياً إذا قطعته، و وجه الاعتبار بتلک القص ان الذى قدر على إعزاز يوسف بعد القائه فى الجب و اعلائه بعد حبسه فى السجن و تمليكه مصر بعد ان كان كبعض أهلها فى حكم العبيد و جمعه بينه و بين والديه و إخوته على ما أحبوا بعد مدة طويلة و شقة بعيدة لقادر ان يعز محمد صلّى اللَّه عليه و سلم، و يعلى كلمته و ينصره على من عاداه.
و قوله «وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِی بَيْنَ يَدَيْهِ» معناه تصديق الكتب التى قبله من التوراة، و الإنجيل و غيرهما من كتب اللَّه فى قول الحسن و قتادة. و انما قيل لما التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 210
قبله: بين يديه، لأنه قد وجد فكأنه حاضر له، و قيل بين يديه، لأنه قريب منه كقرب ما كان بين يدى الإنسان. و إنما قال «وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَیْءٍ» على وجه المبالغة من حيث كان فيه تفصيل كل شىء يحتاج اليه فى أمور الدين من الحلال و الحرام و الحجاج و الاعتبار و الوعظ و الازجار، أما جملة او تفصيلا و «هُدىً وَ رَحْمَةً» فالهداية الدلالة «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» اى يصدقون بها و ينتفعون بالنظر فيها و خص المؤمنين بالهداية و إن كانت هداية لغيرهم من حيث انهم انتفعوا هم بها دون غيرهم، و نصب تصديق على تقدير، و لكن كان تصديق الذى بإضمار كان على قول الزجاج.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 211

(13)سورة الرعد ..... ص : 211

اشارة

قال قتادة هى: مدنية إلا آية منها فإنها مكية و هى قوله «لا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَةٌ».
و قال مجاهد: هى مكية و ليس فيها ناسخ و لا منسوخ.
و هى ثلاث و أربعون آية فى الكوفى و أربع فى المدنيين و خمس فى البصرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الْمر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ وَ الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ الْحَقُّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (1)
آية بلا خلاف.
لم يعد احد «المر» آية وعد الكوفيون «طه» و «حم» آية قالوا، لان (طه) مشاكلة لرؤوس الآى التى بعدها بالألف مع انه لا يشبه الاسم المفرد، كما أشبه «صاد» و «قاف» و «نون» لأنها بمنزلة (باب) و «نوح»، وعد «كهيعص» لأنه يشاكل رؤوس الآى بعده بالارداف. و قد بينا فى أول سورة البقرة أقوال المفسرين فى تأويل أوائل السور بالحروف «1». و ان أقواها ان يقال أنها اسماء السور و اجبنا عما اعترض عليه، فلا وجه لإعادته.

---

(1) فى 1: 47- 51.

و روى عن ابن عباس ان معنى قوله «المر» انا اللَّه أرى. و قال غيره: معناه انا اللَّه أعلم. و روى انها حروف تدل على اسم الرب. و قوله «تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ» و معناه هذه تلك آيات الكتاب التى تقدمت صفتها. و البشارة بها بما فيها من الهداية، كما تقول تلك الدلالة اى التى وصفها بأنه لا غنا لأحد عنها، فيقول: هذا تنبيهاً عليها، و تفخيماً لشأنها.
و قال الحسن و الجبائى: يعنى بالكتاب القرآن. و قال مجاهد و قتادة: يعنى به الإنجيل. و الاول أصح. و آيات الكتاب هى الكتاب، و لكن أضيف الى نفسه، لما اختلف لفظه كما قال «حق اليقين» «1» و غير ذلک مما قد مضى ذكره، و كما يقال مسجد الجامع، و المسجد الجامع، و الآيات الدلالات المعجبة المؤدية الى المعرفة باللَّه و انه لا يشبه الأشياء، و لا تشبهه، و الكتاب الصحيفة التى فيها الكتابة، و قد يكون مصدر كتب، تقول: كتب كتاباً و كتابة. «وَ الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ الْحَقُّ» يحتمل وجهين من الاعراب: الرفع و الجر، فالرفع على الابتداء و خبره الحق، و الجر على انه عطف على الكتاب، و هو غيره- على قول مجاهد- و يجوز ان تكون صفة- فى قول الحسن- كما قال الشاعر:
الى الملک القرم و ابن الهمام و ليث الكتيبة فى المزدحم «2»
«وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ» اى لا يصدق اكثر الناس بأنه كذلک، و يكفرون به. و الحق وضع الشىء فى موضعه على ما تقتضيه الحكمة و الانزال النقل من علوّ الى سفل أنزله إِنزالًا، و نزّله تنزيلًا، و ضده الإصعاد.

اللَّهُ الَّذِی رَفَعَ السَّماواتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّی یُدَبِّرُ الْأَمْرَ یُفَصِّلُ الْآیاتِ لَعَلَّکُمْ بِلِقاءِ رَبِّکُمْ تُوقِنُونَ (2)

---

(1) سورة الواقعة آية 95.
(2) مر تخریجه فی 2: 98.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 213
آیة بلا خلاف.
أخبر اللّه تعالی فی هذه الآیة بما یدل علی وحدانیته و کونه علی صفات لا یشارکه فیها احد من المخلوقین من کونه قادراً لنفسه، لأنه قال تعالی هو الذی رفع السموات بغیر عمد ترونها. و قیل فیه قولان:
الاول- قال ابن عباس و مجاهد: یعنی لیس ترونها دعامة تدعمها، و لا فوقها علاقة تمسکها.
الثانی- قال قتادة و إیاس بن معاویة: ان المعنی إنه رفع السموات بلا عمد و نحن نراها.
و قال الجبائی: تأویل ابن عباس و مجاهد خطأ لأنه لو کان لها عمد، لکانت اجساماً غلاظاً و رؤیت، و کانت تحتاج الی عمد آخر إلا هو تعالی.
و هذا هو الصحیح. و الوجه فی قوله «بِغَیْرِ عَمَدٍ» انه لو کان لها عمد لرئیت.
و مثله قول الشاعر:
علی لا حب لا یهتدی لمناره «1»
و المعنی انه لا منار له، لأنه لو کان له منار لاهتدی به، و قد بینا نظائر ذلک فیما مضی «2». و (عمد) جمع عمود یقال: عمد، کما یقال: أدیم و أدم. قال ابو عبیدة: و هذا الجمع قلیل. و قد قرئ فی الشواذ (عمد) بضم العین و المیم، و هو القیاس. و العمود السایة، و مثله الدعائم و السند و أصله منع المیل، فمنه التعمید و الاعتماد، قال النابغة:
و خیس الجنّ انی قد أذنت لهم یبنون تدمر بالصفائح و العمد «3»

---

(1) مر هذا البیت فی 1: 189، 279، 444، 2: 88، 356، 423، 562، 3: 380.
(2) راجع ما سبق ان أشرنا الیه فی التعلیقة قبل هذه رقم 1.
(3) دیوانه (دار بیروت) 33 و معنی (خیس) ذلل، و (تدمر) بلد بالشام.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 214
و قوله «ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ» معناه استولی بالاقتدار علیه و نفوذ

السلطان.
و أصله استواء التدبير، كما ان اصل القيام الانتصاب ثم قال: قائم بالتدبير، فالمعنى مستو على العرش بالتدبير المستقيم من جهته بجميع الأمور. و (ثم) دخلت على معنى «ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ» بالتدبير للأجسام التى قد كونها، فهى تدل على حدوث التدبير.
و قال ابو على: هى لتسخير الشمس و القمر لكنه قدم فى صدر الكلام، كما قال «وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ» «1» و المعنى حتى يجاهد من نعلم من المجاهدين.
و قوله «وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» فالتسخير و التذليل و التوطئة نظائر، و المسخر هو المهيأ، لأنه يجرى بنفسه من غير معاناة صاحبه فيما يحتاج اليه كتسخير النار للاسخان و الماء للجريان، و الفرس للركوب.
و قوله «وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» فالتسخير و التذليل و التوطئة نظائر، و المسخر هو المهيأ، لأنه يجرى بنفسه من غير معاناة صاحبه فيما يحتاج اليه كتسخير النار للاسخان و الماء للجريان، و الفرس للركوب.
و قوله «كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى» أجراه على لفظ كل، و مثله كل منطلق اى أكلهم، و رفع كلا، لأنه مستأنف، و ذهب بمعنى الاثنين فى الشمس و القمر الى الجمع، كما قال «فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ» «2» و إنما هما أخوان. و (الأجل) هو الوقت ضروب لحدوث أمر و انقطاعه، فأجل الدنيا الوقت المضروب، لانقضائها و اجل الآخرة، الوقت المضروب لحدوثها، و اجل الدين وقت حدوث أدائه، و اجل العمر الوقت المضروب لانقضائه، و الأجل المسمى- هاهنا- قيل يوم القيامة.
و قوله «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ» فالتدبير تصريف الأمور على ما يقتضيه مستقبل حاله فى عاقبته، فتدبير السموات و الأرض فيه دلالة على مدبر حكيم، قد جعل جميع ذلک لما يصلح فى عاقبته، و عاجلته. و دخلت الالف و اللام على (الشمس) و هى واحدة لا ثانى لها، لأن فى اسمها معنى الصفة، لأنه لو وجد مثلها لكان شمساً، و كذلک (القمر) لو خلق اللّه مثله لكان قمراً، و ليس كذلک زيد و عمرو.

---

(1) سورة محمد آية 31.
(2) سورة النساء آية 11.

و قوله «يُفَصِّلُ الْآياتِ» اى يميز الدلالات و اختلاف مدلولاتها، من كونه قادراً عالماً حكيماً لا يشبه شيئاً، و لا يشبهه شىء «لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ» معنا لكى توقنوا لقاء ثواب طاعات اللّه و لقاء عقاب معاصيه، فسمى لقاء ثوابه و عقابه لقاءه مجازاً.

وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ وَ أَنْهاراً وَ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِیها زَوْجَیْنِ اثْنَیْنِ یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهارَ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ (3)
آية بلا خلاف.
ذكّر اللَّه تعالى فى الآية الاولى بالسماء و الشمس و القمر، لان اكثر ما فى العالم متعلق بذلک و جار مجراه كالنبات و الحرث و النسل، ثم ذكر فى هذه الآية الأرض و تدبيره لها على ما فيه من المصلحة لينبه بذلک من ذهب عن الاستدلال به على حكمته تعالى، و توحيده، فقال «وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ» يعنى بسطها طولًا و عرضاً «وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ» يعنى جبالًا راسيات ثابتات، يقال: رسى هذا الوتد و أرسيته. و واحد (الرواسى) راسية «و أنهارا» اى و خلق فيها أنهاراً يجرى المياه فيها «وَ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِیها زَوْجَیْنِ اثْنَیْنِ» ثم ابتدأ فقال: و جعل فيها من جميع الثمرات زوجين أى ضربين. قال الحسن يعنى لونين من كل ما خلق من البنات. و الزوج يكون واحداً و يكون اثنين، و هاهنا واحد.
و قريش تقول: للأنثى زوج و للذكر زوج. قال اللَّه تعالى «اسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّةَ» «1» لآدم.
و معنى «یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهارَ» اى يجلل الليل النهار و النهار بالليل.
و المعنى انه يذهب كل واحد منهما بصاحبه و مثله

---

(1) سورة البقرة آية 35 و سورة الاعراف آية 19

«یُکَوِّرُ اللَّیْلَ عَلَى النَّهارِ وَ یُکَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّیْلِ» «1» و المعنى ان أحدهما يُذهب الآخر. ثم أخبر تعالى ان فيما ذكره من الدلالات لآيات واضحات لمن فكر، و اعتبر بها، لان من لم يفكر فيها و لم يعتبر، كأنه لا آية له.
و قوله «زوجين اثنين» انما أكد ب (اثنين) و ان كان قوله «زوجين» أفاد العدد لامرين:
أحدهما- على وجه التأكيد و هو مستعمل كثيراً.
الثانى- ان الزوجين قد يقع على الذكر و الأنثى. و على غيرهما، فأراد ان يبين ان المراد به هاهنا لونين أو ضربين دون الذكورة و الانوثة، و ذلک فائدة لا يفيدها قوله «زوجين» فلا تكرار فيه بحال. و هو قول الحسن و الجبائى و غيرهما.

وَ فِی الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِیلٌ صِنْوانٌ وَ غَیْرُ صِنْوانٍ یُسْقَی بِماءٍ واحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلی بَعْضٍ فِی الْأُکُلِ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (4)
آیة بلا خلاف.
قرأ ابن کثیر و أهل البصرة و حفص «وَ زَرْعٌ وَ نَخِیلٌ صِنْوانٌ وَ غَیْرُ صِنْوانٍ» بالرفع فیهن. الباقون بالخفض. و روی ابو شعیب القواس عن حفص ضم الصاد من صنوان فی الموضعین. الباقون بکسرها. و قرأ ابن عامر و عاصم و یعقوب «یسقی» بالیاء. الباقون بالتاء. و قرأ اهل الکوفة الا عاصما یفضل بالیاء.
الباقون بالنون.

---

(1) سورة الزمر آیة 5

قال ابو علی النحوی: من قرأ «و زرع» مرفوعاً جعله محمولًا علی قوله «فی الأرض» و یکون تقدیره و فی الأرض قطع متجاورات و جنات من أعناب و فی الأرض زرع و نخیل صنوان، فالجنة علی هذا تقع علی الأرض التی فیها النخیل دون غیرها. و یقوی ذلک قول زهیر:
کأن عینیّ غربی مقتّلة من النواضح تسقی جنة سحقا «1»
السحق جمع سحوق یوصف بها النخیل إذا بسقت فکأنه سمی الأرض ذات النخل جنة، و لم یذکر ان فیها غیرها، فکما ان الجنة تکون من النخیل من غیر ان یکون منها شیء آخر، کذلک تکون من الکروم، و ان لم یکن فیها غیرها.
فاما من قرأ بالخفض فانه حمل الزرع و النخیل علی الأعناب، کأنه قال جنات من أعناب و من زرع، و من نخیل. و قد تسمی الأرض إذا کان فیها النخل و الکرم و الزرع جنة، قال اللّه تعالی «جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَیْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَ حَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنا بَیْنَهُما زَرْعاً» «2» و یقوی ذلک قول الشاعر:
أقبل سیل جاء من أمر اللَّه یجرد جرد الجنة المغلة «3»
فقوله (المغلة) فی وصف الجنة یدل علی ان الجنة یکون فیها الزرع، لان الغلة لا یقال إلا فیما یکال و یوزن، فلذلک قال الفقهاء: إذا قال: أوصیت له بغلة هذه القریة انه یکون علی ما فیها، من الحال من الثمرة و غیرها وقت التلفظ بالوصیة دون ما یحدث بعد.
و (الصنوان) فیما ذهب الیه ابو عبیدة صفة النخل قال: و المعنی ان یکون

الأصل واحداً ثم يتشعب من الرؤوس فيصير نخلًا و يحملن. و قال و قوله

---

(1) ديوانه: 140 (دار بيروت).
(2) سورة الكهف آية 32
(3) مجمع البيان 3: 275 [.....]

«يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ» لأنها تشرب من اصل واحد «وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِى الْأُكُلِ» و هو الثمرة، و أجاز غيره ان يكون (الصنوان) من صفة الجنات: قال ابو على فكأنه فى المعنى يراد به ما فى الجنات. و ان جرى على لفظ الجنات.

و على هذا يجوز ان ترفع و ان جررت النخل غير أنه لم يقرأ به. و من ضم الصاد من صنوان جعله مثل ذئب و ذؤبان، و ربما يعاقب فِعلان و فُعلان على بناء واحد نحو خشن و خشان. و أظن سيبويه حكى الضم فى صنوان و الكسر اكثر. و من قرأ «تسقى» بالتاء أراد تسقى هذه الأشياء «بماء واحد» و يقوى ذلک قوله «وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ» فحمله على التأنيث. و من قرأ بالياء فعلى تقدير ما ذكرناه. و من قرأ «يفضل» بالياء. رده الى اللّه، و تقديره و يفضل اللّه بعضها على بعض و من قرأ بالنون، فعلى الاخبار عن اللّه عز و جل أنه قال «و نفضل» نحن «بَعْضَها عَلى بَعْضٍ».

اخبر اللّه تعالى على وجه التنبيه لعباده على الاستدلال بآياته بان قال فى الأرض التى خلقتها قطع متجاورات. قال ابن عباس و مجاهد و الضحاک: معناه سبخة و غير سبخة. و قيل عامرة و غير عامرة. و المتجاورة المتقاربة بعضها من بعض.

و قوله «وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ» فالجنة البستان الذى يجنه الشجر و هى منفصلة من الروضة و الزهرة «من أعناب» جمع عنب و هو ثمر الكرم يقع على انواع كثيرة، و الزرع إلقاء الحب للنبات فى الأرض، و الغرس جعل الأصل من الشجر الثابت فى الأرض، و الصنوان المتلاصق و هى الفسيلة تكون فى اصل النخلة. و يقال:

هو ابن أخيه صنو أبيه اى لصنو أبيه فى ولادته، و يجوز فى جمع صنو اصناء كعدل و اعدال. و يقال: صنو بضم الصاد و إذا كثرت، فهو الصنى و الصنى، و قال البراء بن عازب و ابن عباس و مجاهد و قتادة: الصنوان النخلات التى أصلها واحد. و قال الحسن: الصنوان النخلتان أصلهما واحد «يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ» معناه ان ما ذكرناه يسقى بماء واحد «وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِى الْأُكُلِ» بان التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 219

يكون بعضه حلواً و بعضه حامضاً و بعضه مراً فى الاكل. و الاكل الطعام الذى يصلح للأكل، فدل بذلک على بطلان قول من يقول بالطبع، لأنه لو كان قولهم صحيحاً لما اختلفت طعوم هذه الأشياء مع ان التربة واحد و الماء

واحد، و جميع أحوالها المعقولة متساوية، فلما تفاضلت مع ذلک دل على ان المدبر لها عالم حكيم ففعله بحسب المصلحة «إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ» اخبار منه تعالى ان فيما ذكرناه دلالات لقوم يعقلونها و يتدبرونها لان من لا عقل له لا ينتفع بالاستدلال بها، و انما ينتفع بذلک ذوو الألباب و العقول.

وَ إِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذا كُنَّا تُراباً أَ إِنَّا لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ أُولئِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَ أُولئِکَ الْأَغْلالُ فِی أَعْناقِهِمْ وَ أُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ (5)

آیة فی الکوفی. و فی المدنیین و البصری آیتان تمام الاولی قوله «لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ».

قرأ ابن عامر و ابو جعفر «إذا» بهمزة واحدة علی الخبر. الباقون بهمزتین علی الاستفهام. و حقق الهمزتین اهل الکوفة و روح. و قرأ نافع و ابن کثیر و ابو عمرو و رویس بتخفیف الاولی و تلیین الثانیة. و فصل بینهما بالف نافع الا ورشاً و ابو عمرو.

و اما «إنا» فقرأه بهمزة واحدة علی الخبر نافع و الکسائی و یعقوب. الباقون بهمزتین علی الاستفهام. و حقق الهمزتین ابن عامر و عاصم و حمزة و خلف الا ان هشاما یفصل بینهما بالف. و قرأ ابن کثیر و ابو عمرو، و ابو جعفر بتحقیق الاولی و تلیین الثانیة إلا ان أبا عمرو و أبا جعفر یفصلان بینهما بالف، و ابن کثیر لا یفصل. و کذلک اختلافهم فی الموضعین فی (سبحان) و سورة المؤمنین و السجدة و لقمان. و الثانی من اللذین فی الصافات. و ما سوی ذلک من الاستفهامین التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 220

یذکر فی موضعه ان شاء اللَّه قال ابو علی الفارسی من قرأ (أ إذا، أ إنا) بالاستفهام فیهما، فموضع (إذا) نصب بفعل مضمر یدل علیه قوله «إِنَّا لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ» لان هذا الکلام یدل علی نبعث و نحشر، فکأنه قال أ نبعث إذا کنا تراباً. و من لم یدخل الاستفهام فی الجملة الثانیة کان موضع (إذا) نصباً بما دل علیه قوله «إِنَّا لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ» فکأنه قال انبعث إذا کنا تراباً، و ما بعد (ان) لا یعمل فیما قبله بمنزلة الاستفهام، فکما قدرت هذا الناصب فی (إذا) مع الاستفهام، لان الاستفهام لا یعمل ما بعده فیما قبله کذلک نقدره فی (إنا) لان ما بعدها ایضاً لا یعمل فیما قبلها. و قراءة ابن عباس «إِذا کُنَّا تُراباً» علی الخبر (أ إنا) علی الاستفهام ینبغی ان یکون علی مضمر کما حمل ما تقدم علی ذلک، لان بعد الاستفهام منقطع مما قبله. فاما ابو عمرو، فأنه یفصل بین الهمزتین بألف، کما یفصل فی «أ أنذرتهم» و کما یفصل بین النونات فی (اخشینان) و یأتی بعد ذلک بالهمزة بین بین، و لیست (یا) یاء محضة، کما ان الهمزة فی السائل لیست یاء محضة، و انما هی همزة بین بین، و ابن کثیر ان اتی بیاء ساکنة بعد الهمزة من غیر مد فلیس ذلک علی التخفیف القیاسی، لأنه لو کان کذلک، لوجب ان یجعل الهمزة بین بین، کما فعل فی سم فی المتصل و فی إذ قال ابراهیم- فی المنفصل لذلک، و لکنه

يبدل من الهمزة ابدالًا محضاً كما حكى سيبويه انه سمع من العرب من يقول (يئس) و قد جاء فى الشعر يومئذ على القلب.
مدح اللّه تعالى نبيه صلّى اللّه عليه و سلم تعجُّبه من الكفار فى عبادتهم ما لا يملک لهم نفعاً و لا ضرّاً. ثم اخبر ان هذا موضع العجب، و ذمهم بعجبهم من اعادتهم ثانية مع علمهم بالنشأة الاولى، و فيما بين اللّه تعالى من خلق السموات و الأرض، و ما بينهما من عجائب أفعاله التى تدل على انه قادر على الاعادة، كما دلت على الإنشاء، لان هذا مما ينبغى ان يتدبره العاقل، و قد قيل: (لا خير فيمن لا يتعجب من العجب و أرذل منه المتعجب من غير عجب) و العجب و التعجب واحد. و هو تغير النفس بما خفى سببه عن الكافر و خرج عن العادة، فهؤلاء الجهال توهموا انهم إذا صاروا تراباً لا يمكن ان يصيروا حيواناً. و الذى انشأهم أول مرة قادر ان يعيدهم ثانية.
ثم اخبر تعالى عنهم، فقال: هؤلاء هم الذين جحدوا نعم اللّه، و كفروا بآياته

و دلالاته، و هم الذين يحشرهم اللّه يوم القيامة، و الاغلال فى أعناقهم. و الغل طوق يقيد به اليد فى العنق، و أصله الغل فى الشىء إِذا انتسب فيه. و غل:
إذا خان بانتسابه فى مال الحرام و الاعناق جمع عنق، و هو مغرز الرأس. و قيل إن المعنى فى ذلک انهم يؤاخذون بأعمالهم، و هى الاغلال، كما قال «إِذِ الْأَغْلالُ فِى أَعْناقِهِمْ» «1» فكأنهم بمنزلة من الغلّ فى عنقه لما لزمهم من الكفر به، فقال و «أُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» اخبار منه تعالى انهم بعد الغل فى أعناقهم يجعلون فى النار مؤبدين فيها معذبين بأنواع العذاب.

وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقابِ (6)
آية بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم بأن هؤلاء الكفار يطلبون منك ما يسوؤهم ان يعجل لهم، كما قالوا «فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ» «2» قبل ان يسألوا الإحسان بالانتظار لهم، و قد حكم اللَّه تعالى ان يمهلهم التوبة. ثم يأخذ من أقام على القبح بالعقوبة. و الاستعجال طلب التعجيل، و التعجيل تقديم الشيء قبل وقته الذى يقدر له. و السيئة خصلة تسوء النفس، ساءه يسوءه سوءاً، و هو ساء و هى سايئة و سىء و سيئة قال الشاعر:
و لا سىء يردى إذا ما تلبسوا الى حاجة يوماً مخلسه بزلا
و الحسنة خصلة تسر النفس و قد يعبر بهما عن الطاعة، و المعصية.

---

(1) سورة المؤمن (غافر) آية 71.
(2) سورة الانفال آية 32.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 222
و قوله «خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ» أى مضت بانقضائها كمضى اهل الدار عنها، يقال: خلت الديار بهلاك أهلها و خلوهم بخلو مكانهم منها، و المثلات العقوبات التى تزجر عن مثل ما وقعت لأجله واحدها مثلة مثل سمرة و صدقة، و فى الجمع سمرات و صدقات، و يقال مثلت به أمثل مثلًا بفتح الميم و سكون الثاء، و أمثلته من صاحبه إمثالًا إذا قصصته منه و تميم تقول: مثلة على وزن غرفة، ثم قال «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ» على وجه الاخبار عن نفسه بالرحمة بخلقه و التفضل عليهم بأنه يغفر للناس على كونهم ظالمين و ذلك يدل على بطلان قول من قال إن اصحاب الكبائر لا يجوز ان يعفو اللَّه عنهم إلا بالتوبة، لأنه تعالى لم يشرط فى ذلك التوبة و من شرط فى الآية التوبة او خصها بالصغائر كان تاركاً للظاهر.
و قوله «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقابِ» اخبار منه تعالى بأنه كما يغفر تارة مع الظلم، كذلك قد يعاقب مع الإصرار عذاباً شديداً فلا تغتروا بذلك و لا تعولوا على مجرد العفو لأنه يجوز ان لا يعفو.

وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ (7)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى ان هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم يقولون هلا انزل على محمد آية يقترحونها مثل ما حكى اللّه عنهم من نحو تفجير الأنهار بحيث سألوا سقى البلاد و نقل جبال مكة عن أماكنها لتتسع على أهلها و إنزال كتاب من السماء الى الأرض يقرؤن فيه الأمور التى دعاهم اليها، فقال اللّه تعالى له ليس أمر الآيات اليک إنما أمرها الى اللّه ينزلها على ما يعلمه من مصالح العباد «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ» اى معلم لهم على وجه التخويف لهم معاصى اللّه و عقابه، «وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» يهديهم الى الحق. و للناس فى معناه خمسة اقوال: التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 223

أحدها- روى عن ابن عباس بخلاف فيه ان الهادى هو الداعى الى الحق.

و الثانى- قال مجاهد و قتادة و ابن زيد: انه نبى كل أمة.

الثالث- فى رواية اخرى عن ابن عباس و سعيد بن جبير و رواية عن مجاهد و الضحاک: ان الهادى هو اللّه.

الرابع- قال الحسن و قتادة فى رواية و أبو الضحى و عكرمة: انه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم، و هو اختيار الجبائى.

و الخامس- ما

روى عن أبى جعفر، و أبى عبد اللَّه (ع) إِن الهادى هو امام كل عصر، معصوم يؤمن عليه الغلط و تعمد الباطل.

و روى الطبرى بإسناده عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» وضع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يده على صدره، و قال انا المنذر «وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» و أومأ بيده الى منكب على (ع)، فقال انت الهادى يا على بک يهتدى المهتدون من بعدى.

اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثى وَ ما تَغِيضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ (8) عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعالِ (9)
آيتان بلا خلاف.
قرأ ابن كثير «المتعالى» بياء فى الوصل و الوقف الا المالكى و العطار عن الزبيبى و يعقوب، و روى المالكى و العطار عن الزبيبى بياء فى الوقف دون الوصل.
الباقون بغير ياء فى الحالين. و روى عن أبى عمير- فى رواية شاذة- مثل ابن كثير، قال أبو على: اثبات الياء فى الحالين هو القياس، و ليس ما فيه الالف و اللام من هذا الباب كما لا الف فيه و لام نحو قاض و غاز. قال سيبويه إذا لم يكن فى موضع تنوين يعنى اسم الفاعل فان الإثبات أجود فى الوقف نحو هذا التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 224
القاضى، و هذا الغازى، لأنها ثابتة فى الوصل يريد ان الياء مع الالف و اللام تثبت و لا تحذف كما تحذف من اسم الفاعل إذا لم يكن فيه الالف و اللام، نحو هذا قاض، فاعلم، فالياء مع غير الالف و اللام تحذف فى الوصل، فإذا حذفت فى الوصل كان القياس ان تحذف فى الوقف. و هى اللغة و الأقيس. فأما إذا حذفت الالف و اللام، و لا يحذف اللام- فى اللغة التى هى اكثر عند سيبويه، فأما من حذف فى الوصل و الوقف فلأن سيبويه زعم ان من العرب من يحذف هذا فى الوقف شبهه بما ليس فيه الف و لام إذ كانت تذهب الياء فى الوصل فى التنوين لو لم يكن الف و لام. و اما حذفهم لها فى الوصل فلم يكن القياس، لأنه لم يضطر الى حذفه لشىء كما اضطر ما لا الف و لام فيه لالتقاء الساكنين، فكرهوا حركة الياء بالضم و الكسر لكن حذف، كما حذف فى الفواصل و ما أشبه الفواصل تشبيهاً بالقوافى.
اخبر اللَّه تعالى انه جل و عز «يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثى» من علقة او مضغة و من ذكر او أنثى و من زائد او ناقص و على جميع أحواله و صفاته، لأنه عالم لنفسه.
(و الحمل) بفتح الحاء ما كان فى البطن- و بكسرها- ما كان على الظهر. و قوله «وَ ما تَغِيضُ الْأَرْحامُ» و ما تزداد، و قيل فيه ثلاثة اقوال:
الأول ما ينقص من ستة أشهر و ما يزداد لان الولد يولد لستة أشهر فيعيش و يولد لسنتين فيعيش ذهب اليه الضحاك.
الثانى- قال الحسن ما ينقص بالسقط و ما يزداد بالتمام.
الثالث قال ابن زيد ما ينقص بغور النطفة و ظهور دم الحيض فينقص تلك الأيام، لأنه لا يعتد بها فى الحمل و ينقص حال الولد و ما يزداد من الأشهر، و فى حال الولد. و قال الفراء الغيض النقصان، تقولون: غاضت المياه اى

نقصت، و فى الحديث (إذا كان الشتاء غيضاً و الولد غيضاً و غاضت الكرم غيضاً و فاضت اللئام فيضاً) و قال الزجاج الغيض النقصان.
و قوله «وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ» قيل فى معناه قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 225
أحدهما- ان جميع ما يفعله اللَّه على مقدار ما تدعو اليه الحكمة من غير نقصان و لا زيادة، و قال قتادة: معناه كل شىء عنده بمقدار فى الرزق و الأجل.
و المقدار مثال يقدر به غيره. ثم اخبر تعالى أنه عالم بما غاب عن الحواس و بما ظهر لها فالغيب كون الشىء بحيث يخفى عن الحس، يقال غاب يغيب، فهو غائب. و الشهادة حصول الشىء بحيث يظهر للحس و منه الشاهد خلاف الغائب، و يقال شهد فى المصر إذا حضر فيه. و منه قوله «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» «1» اى من حضر المصر فيه، و انما قال «عالم الغيب» مع ان اللَّه تعالى لا يغيب عنه شىء، لأنه أراد ما غاب عن احساس العباد. و قيل انه أراد انه يعلم المعدوم و الموجود، فالغيب هو المعدوم. و قال الحسن: الغيب السر، و الشهادة العلانية.
و قوله «الْكَبِيرُ الْمُتَعالِ» فالكبير هو السيد المقتدر. و معناه الأكبر بسعة مقدوره. و المتعالى المقتدر بما يستحيل ان يكون أعلى منه فى الاقتدار أو مساوياً له، فهو أقدر من كل قادر، و لهذا استحالت مساواته فى المقدور، لان من لا يساويه أحد فى المقدور فهو أعلى فى المقدور، كأنه قال: تعالى مقدوره الى ما يستحيل ان يكون على منه. و قال الحسن: المتعالى عما يقول المشركون فيه.

سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سارِبٌ بِالنَّهارِ (10)
آية بلا خلاف.
معنى الآية ان اللَّه تعالى الذى وصف نفسه بأنه الكبير المتعالى على غيره بسعة قدرته سواء عليه الأشياء فى أنه يعلمها على اختلاف حالاتها، و انه يعلم الإنسان

---

(1) سورة البقرة آية 185

على تصرف أحواله مما يسر فى نفسه اى يخفيه او يعلنه أو يستتر بالليل او يسرب بالنهار، كل ذلک سواء فى ظهوره له، فيجب ان يحذر من هذه صفته، و يعلم انه يأتى بالآيات بحسب ما يعلمه من مصلحة خلقه. و قال الزجاج: المعنى ان الظاهر فى الطرقات و المستخفى فى الظلمات و الجاهر بنطقه و المضمر فى نفسه فى معلوم اللَّه «سواء» اى ليس ببعض ذلک اعلم من بعض. و قال الحسن: «سارِبٌ بِالنَّهارِ» اى مستتر فيه. و قال قطرب: يجوز ان يكون معنى «مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ» اى ظاهر بالليل «وَ سارِبٌ بِالنَّهارِ» اى مستتر فيه. قال الزجاج: هذا جائز فى اللغة، يقال منه انسرب الوحش إذا دخل فى كناسه. و قال ابو رجاء: السارب الذاهب على وجهه، يقال انسرب فلان انسراباً. و قال ابن عباس و قتادة:
السارب الظاهر من خفى كان فيه. و يقال: فلان سارب فى مذهبه اى ظاهر يقال: خلا سربه اى طريقه، و يقال: فلان آمن فى سربه بالفتح و الخفض معاً قال قيس بن الخطيم:
أنّى سربتِ و كنت غير سروب و تقرُّب الأحلام غير قريب «1»
و قال قوم: السارب الذى يسلک فى سربه اى فى مذهبه، يقال منه:
سرب يسرب سروباً. و قال بعضهم السارب الجارى فى خروجه الى الأمر بسرعة، يقال انسرب الماء من خروز القربة، قال ذو الرمة:
ما بال عينک منها الماء منسكب كأنها من كلى مفرية سرب «2»
فالاستخفاء طلب الاختفاء، خفى يخفى نقيض ظهره يظهر ظهوراً. و اختفى اختفاء و أخفاه إخفاء، و تخفى تخفياً. و الاسرار إخفاء المعنى فى النفس، فأسر القول معناه أخفى فى نفسه، و الجهر رفع الصوت بالقول، يقال: لصوته جهارة اى قوة فى رفعه إياه، و هو يجاهر بأمره اى يظهره و يعلنه. و السواء هو

---

(1) اللسان (سرب).
(2) مجمع البيان 3: 279 و اللسان (سرب) و الطبرى 13: 66 و روايته.
(تنسكب) بدر (منسكب).

الاعتدال فى الوزن. و (من) فى موضع الذى، و هما مرتفعان و «سواء» رفع بالابتداء، و هو يطلب اثنين. تقول: سواء زيد و عمرو، اى هما مستويان.

لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ (11)
آية بلا خلاف.
اختلفوا فى الهاء فى قوله «له» الى من ترجع، فقال ابن زيد: على اسم النبى صلّى اللّه عليه و سلم فى قوله «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ» و قال غيره: على اسم اللّه فى قوله «عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ». و قال قوم: على (من) فى قوله «مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ» فكأنه قال للإنسان معقبات. و هو الأقوى.
و المعقبات فى هذا الموضع هم الملائكة، فقال الحسن و قتادة و مجاهد: ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار، و قال ابن عباس- فى رواية- انهم الامراء و الولاة لهم حرس و أعوان يحفظونهم. و قال الحسن: هم اربعة أملاك يجتمعون عند صلاة الفجر، و المعقبات المتناوبات التى يخلف كل واحد منها صاحبه، و يكون بدلًا منه. و أصل التعقيب كون شىء بعد آخر، فالمعقبات الكائنات على خلف بعضها لبعض بعد ذهابه، و المعقب الطالب دينه مرة بعد اخرى قال لبيد:
حتى تهجر فى الرواح و هاجه طلب المعقب حقه المظلوم «1»
و منه العقاب لأنه يستحق عقيب المعصية. و العقاب لأنه يعقب بطلبه لصيده

---

(1) مجمع البيان 3: 279 و تفسير الطبرى 13: 72

مرة بعد مرة، و العقب لأنه يعقب به لشده على الشىء مرة بعد مرة، و هو جمع الجمع، لان واحده معقب مثل رجالة و رجالات. و فى قراءة أهل البيت «له معقبات من خلفه و رقيب بين يديه» قالوا لان المعقب لا يكون الا من خلفه.
و قوله «يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» قيل فى معناه أقول:
أحدها- قال الحسن و قتادة: المعنى بأمر اللّه، كما تقول جئتك من دعائك اياى اى بدعائك، و فى قراءة اهل البيت «بأمر اللّه».
و قال مجاهد و ابراهيم: يحفظونه من امر اللّه من الجن و الهوام. و المعنى ذلك الحفظ من امر اللّه.
و قال قوم: معناه عن أمر اللّه، كما يقال أطعمه عن جوع و من جوع.
و قال الفراء: فيه تقديم و تأخير، كأنه قال له معقبات من بين يديه و من خلفه من أمر اللّه يحفظونه، و انما قال يحفظونه على التذكير مع قوله «له

معقبات» على التأنيث حملًا على المعنى، و فى تفسير اهل البيت إِن معناه يحفظونه بأمر اللَّه.
و قوله «إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ» معناه ان اللَّه لا يسلب قوماً نعمة حتى يعملوا بمعاصيه التى يستوجبون بها العقاب فانه حينئذ يعاقبهم و يغير نعمه عليهم.
و فى ذلک دلالة على فساد قول المجبرة: إِن اللَّه يعذب الأطفال، لأنهم لم يغيروا ما بأنفسهم بمعصية كانت منهم. و التغيير تصيير الشىء على خلاف ما كان مما لو شوهد شوهد على خلاف ما كان.
و قوله «وَ إِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً» يعنى هلاكاً «فَلا مَرَدَّ لَهُ وَ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ» معناه لا يقدر أحد على دفعه و لا نصرته عليه بل هو تعالى الغالب لكل شىء القاهر لمن يريد قهره، و الوالى فاعل من ولى يلى فهو وال و ولىّ مثل عالم و عليم، و اللَّه ولى المؤمن اى ناصره، و المعنى لا يتولاهم أحد الا اللَّه.

هُوَ الَّذِی یُرِیکُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ یُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ (12) وَ یُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلائِکَةُ مِنْ خِیفَتِهِ وَ یُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَیُصِیبُ بِها مَنْ یَشاءُ وَ هُمْ یُجادِلُونَ فِی اللَّهِ وَ هُوَ شَدِیدُ الْمِحالِ (13)
آیتان بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى انه هو الذى یرى الخلق البرق اى یجعلهم على صفة الرؤیة بإیجاد المرئى لهم و جعله إیاهم على هذه الصفة التى یرون معها المرئیات من کونهم احیاء و رفع الموانع و الآفات منهم یقال: أراه یریه إراءة إذا جعله رائیاً مثل أقامه یقیمه إقامة، و هو مشتق من الرؤیة. و البرق ما ینقدح من السحاب من اللمعان کعمود النار و جمعه بروق و فیه معنى السرعة، یقال: امض فى حاجتک کالبرق، و الخوف انزعاج النفس بتوهم وقوع الضرر، خاف من کذا یخاف خوفاً فهو خائف. و الشىء مخوف. و الطمع تقدیر النفس لوقوع ما یتوهم من المحبوب. و مثله الرجاء و الأمل.
و قیل فى معنى قوله «خَوْفاً وَ طَمَعاً» قولان:
أحدهما- قال الحسن: خوفاً من الصواعق التى تکون مع البرق و طمعاً فى الغیث الذى یزیل الجدب و القحط.
و قال قتادة: خوفاً للمسافرین من أذاه و طمعاً للمقیم فى الرزق به، و هما منصوبان على أنه مفعول له.
و قوله «وَ یُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ» و الإنشاء فعل الشىء من غیر سبب مولد، و لذلک قیل النشأة الاولى، و النشأة الثانیة. و مثله الاختراع و الابتداع.
و السحاب هو الغیم، سمى به، لأنه ینسحب فى السماء. و إذا قیل سحابة

على سحائب، کقولک غمامة و غمائم و السحاب جمع سحابة، و الثقال جمع ثقیل مثل شریف و شراف و کریم و کرام. و الثقل الاعتماد الى جهة السفل، و المعنى إن السحاب ثقال بالماء، و هو قول مجاهد.
و قوله «وَ یُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ» فالتسبیح تنزیه اللَّه عز و جل عما لا یجوز علیه، و التنزیه له من کل صفة نقص تضاف الیه، و أصله البراءة من الشىء قال الشاعر:
أقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر «1»
اى براءة منه. و (الرعد) اصطکاک اجرام السحاب بقدرة اللَّه تعالى و فیه أعظم العبرة و أوضح الدلالة، لأنه مع ثقله و هو له، و غلظ جرمه حتى یسمع مثل الرعد فى عظمه معلق بقدرته تعالى لا یسقط الى الأرض منه شىء ثم ینقشع کأنه لم یکن، و لا شىء منه، و قد ذکرنا اختلاف المفسرین فى الرعد فى سورة البقرة «2». و الحمد الوصف بالجمیل من الإحسان على

وجه التعظيم.
و قيل فى معنى قوله «وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ» ثلاثة اقوال:
أحدها- يسبح بما فيه من الدلالة على تعظيم اللَّه و وجوب حمده، فكأنه هو المسبح للَّه عز و جل.
الثانى- انه يسبح بما فيه من الآية التى تدعو الى تسبيح اللَّه تعالى.
الثالث ان الرعد ملك يزجر السحاب بالصوت الذى يسمع، و هو تسبيح اللَّه بما يذكره من تعظيم اللَّه.
و قوله «وَ الْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ»، تقديره و يسبحه الملائكة من خيفته. و الفرق بين الخيفة و الخوف، ان الخيفة صفة للحال مثل قولك: هذه ركبة اى حال من

---

(1) مر هذا البيت فى 1: 134، 3: 81، 5: 241، 395
(2) فى 1: 92

الركوب الحسن، و كذلك هذه خيفة شديدة. و الخوف مصدره مطلق غير مضمن بالحال.
و قوله «وَ يُرْسِلُ الصَّواعِقَ» و هى جمع صاعقة و هى نار لطيفة تسقط من السماء بحال هائلة من شدة الرعد و عظم الامر يقال: إنها قد تسقط على النخلة و كثير من الأشجار تحرقها، و على الحيوان فتقتله.
و قوله «فَيُصِيبُ بِها» يعنى بالصاعقة من يشاء من عباده. و قوله «وَ هُمْ يُجادِلُونَ فِى اللَّهِ» يعنى هؤلاء الجهال مع مشاهدتهم لهذه الآيات يخاصمون اهل التوحيد، و يحاولون فتلهم عن مذهبهم بجدالهم. و الجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج.
و قوله «وَ هُوَ شَدِيدُ الْمِحالِ» فالشدة قوة العقدة و فى بدن فلان شدة اى قوة كقوة العقدة، و شدة العقاب قوته يغلط على النفس، كقوة العقدة، و المحال الأخذ بالعقاب، يقال ماحلت فلاناً أماحله مماحلة و محالًا، و محلت به أمحل محلًا إذا فتلته الى هلكه. و الميم أصلية فى المحل يقال محّلنى يا فلان اى قوّنى. و قال الجبائى: شديد الكيد للكفار، و سنى المحل سنى الهلاك بالقحط. و أصله الفتل الى الهلاك قال الأعشى:
فرع نبع يهتز فى غصن المج- - د غزير الندى شديد المحال «1»
و قيل فيمن نزلت هذه الآية قولان:
أحدهما-
قال أنس بن مالك و عبد الرحمن صحار العبدى، و مجاهد: انها نزلت فى رجل من الطغاة جاء الى النبى صلّى اللَّه عليه و سلم يجادله، فقال يا محمد ممّ ربک أمن لؤلؤ ام ياقوت أم من ذهب ام من فضة؟ فأرسل اللَّه عليه صاعقة، فذهبت بقحفه.

(1) ديوانه (دار بيروت) 166 و تفسير الطبرى 13: 75 المحال: العقوبة
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 232

و
قال ابن جريج: نزلت فى أربد، لما أراد هو و عامر بن الطفيل قتل رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و سلم فجفت يده على قائم سيفه، فرجع خائباً، فأرسل اللَّه (عز و جل) عليه فى طريقه صاعقة فأحرقته و ابتلى عامراً بغدة كغدة البعير قتلته حتى قال عند موته: غدة كغدة البعير و موت فى بيت سلولية.
و فى ذلک يقول لبيد ابن ربيعة فى أربد، و كان أخاه:
أخشى على أربد الحتوف و لا أرهب نوء السماک و الأسد
ففجعنى البرق و الصواعق بال - فارس يوم الكريهة النجد «1»

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْماءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وَ ما هُوَ بِبالِغِهِ وَ ما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ (14)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى بأن له (عز و جل) دعوة الحق. و قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس و قتادة و ابن زيد إنها شهادة ان لا إله على اخلاص التوحيد.

الثانى- قال الحسن: اللَّه هو الحق، فمن دعاه دعا الحق. و قال قوم: كل دعوة هى حق جاز ان تضاف الى اللَّه، قال ابو على دعوة الحق هى الدعوة التى يدعى اللَّه بها على اخلاص التوحيد، و الدعوة طلب فعل الشىء، فالإنسان يدعو ربه ان يدخله فى رحمته و هو أهل المغفرة و الرحمة، و كل ما لابسه الإنسان، فقد دخل فيه. و المعنى للَّه من خلقه الدعوة الحق. و قوله «وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» قيل فى معناه قولان:

---

(1) تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 13: 71، 74 و مجمع البيان 3: 283

أحدهما- قال الحسن: و الذين يدعون من الأوثان لحاجاتهم.

الثانى- الذين يدعون أرباباً. و قيل ان المعنى الذين يدعون غيره مقصرين عن دعائهم له، كما قال الشاعر:

أ توعدنى وراء بنى رياح كذبت لتقصرن يداك دونى «1»

اى عنى. «لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ» فالاستجابة متابعة الداعى فيما دعا اليه بموافقة إرادته و الاستجابة، و الاجابة واحد إلا ان صيغة الاستجابة تفيد طلب الموافقة، قال الشاعر:

و داع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب «2»

و قوله «إِلَّا كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْماءِ» معناه قال مجاهد: كباسط كفه الى الماء مشيراً اليه من غير تناول الإناء ليبلغ فاه ببسط كفه و دعائه له. و قال الحسن معناه كباسط كفيه الى الماء، فمات قيل ان يصل اليه. و العرب تضربه مثلًا لمن سعى فيما لا يدركه كالقابض على الماء قال الشاعر:

فأنى و إياكم و شوقاً إليكم كقابض ماء لم تسقه أنامله «3»

و قال الآخر:

فأصبحت مما كان بينى و بينها من الود مثل القابض الماء باليد «4»

«وَ ما هُوَ بِبالِغِهِ» إخبار منه تعالى ان من كان كذلك لا يبلغ الماء فاه. ثم أخبر تعالى فقال «وَ ما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ» أى ليس دعاؤهم

الأوثان من دون اللّه إلا الإضلال عن الحق و عدولًا عن طريقه و أنه جار مجرى ما ذكره من باسط كفيه

---

(1) تفسير الطبرى 2: 90، 13: 76
(2) قد مر هذا البيت فى 1: 36، 86، 2: 131، 3: 88، 4: 182، 5: 119 و هو فى اللسان و التاج (جوب) و امالى القالى 2: 115 و مجاز القرآن 1: 67، 326.
(3) قائلة ضابى بن الحارث البرجمى. تفسير الطبرى 13: 76 و مجمع البيان 3: 284.
(4) مجاز القرآن 1: 327 و الطبرى 13: 76 و القرطبى 9: 301 و الشوكانى 3: 96 و مجمع البيان 3: 284. [.....]

الى الماء، و هو بعيد منه من غير أن يتناوله و يدعوه الى فمه، فان ذلک لا يصل اليه أبداً.

وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ (15)
آية بلا خلاف.
أخبر اللّه تعالى ان جميع من فى السموات و الأرض يسجدون له إِما طوعاً منهم او كرهاً. و قيل فى معنى ذلک ثلاثة اقوال:
أحدها- قال الحسن و قتادة و ابن زيد: ان المؤمن يسجد طوعاً، و الكافر يسجد كرهاً بالسيف، و يكون المعنى على هذا إِن السجود واجب للّه، فالمؤمن يفعله طوعاً و الكافر يؤخذ بالسجود كرهاً اى هذا الحكم فى وجوب السجود للّه الثانى- ان المؤمن يسجد للّه طوعاً، و الكافر فى حكم الساجد كرهاً بما فيه من الحاجة اليه، و الذلة التى تدعو الى الخضوع للّه تعالى.
الثالث- قال ابو على: سجود الكره بالتذليل للتصريف من عافية الى مرض، و غنى الى فقر و حياة الى موت كتذليل الأكم للحوافر فى قول الشاعر:
ترى الاكم فيها سجداً للحوافر «1»
و قال الزجاج: يجوز ان يكون المعنى إِن فيمن سجد للّه من يسهل ذلک عليه و فيهم من يشقّ عليه فيكرهه، كما قال «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً» «2».
و قوله «وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ» أى و تسجد ظلالهم. و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ان سجود الظلال بما فيه من تغير الذلة التى تدعو إِلى صانع غير

---

(1) قد مر هذا البيت فى 1: 263، 4: 233، 6/ 197، 235.
(2) سورة الأحقاف 46 آية 15

مصنوع له العزة و القدرة.
و الثانى- قيل سجود الظل لأنه يقصر بارتفاع الشمس و يطول بانحطاطها، و ذلک من آيات اللّه الدالة عليه، و السجود هو وضع الوجه على الأرض على وجه الخضوع مذلّة لمن وضع له، و أصله التذليل من قول الشاعر:
بجمع تظل البلق فى حجراته ترى الا كم فيها سجداً للحوافر «1»
و اصل السجود هو الميل و التطأطؤ يقال: سجد البعير و أسجده صاحبه إِذا طأطأه ليركبه شبه السجود فى الصلاة بذلک و على هذا يحمل سجود الظلال و سجود الكفار، و يراد بذلک حركاتهم و تصاريفهم، فان ذلک أجمع يدل على أن اللّه الخالق لهم و المدبر لمعايشهم، و الطوع الانقياد للأمر

الذى يدعا اليه من قبل النفس و هو نقيض الكره، و الكره الجر الى الأمر على إباء النفس، و أصله الكراهة ضد الارادة، إلا انه جعل نقيض الطوع. و الظلال جمع ظل و هو ستر الشخص ما بإزائه. و الظلّ الظّليل هو ستر الشمس اللازم. و اما الفىء فهو الذى يرجع بعد ذهاب ضوئه، و منه الظلّة، لأنها ساترة. و الظلّ و الظّلال مثل زق و زقاق. و الآصال جمع أصل، و الأصل جمع أصيل، و هو العشىّ، فكأنه قيل أصل الليل الذى ينشأ منه، لأنه مأخوذ من الأصيل، و هو ما بين العصر الى مغرب الشمس، قال ابو ذؤيب:
لعمرى لانت البيت أكرم أهله و اقعد فى افنائه بالاصائل «2»

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَ لا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُماتُ وَ النُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (16)

---

(1) قد مر فى 1: 263، 4: 233.
(2) تفسير الطبرى 13/ 77 و روايته (و ابعد) بدل (و اقعد)
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 236
آية فى الكوفى و آيتان فى البصرى و المدنيين تمام الاولى «و النور».
قرأ أهل الكوفة إلا «حفصاً أم هل يستوى» بالياء. الباقون بالتاء، من قرأ بالتاء فلانه مسند الى مؤنث لم يفصل بينه و بين فاعله بشىء كما قال «قالَتِ الْأَعْرابُ» «1»، و «قالت اليهود» «2» و «إِذْ قالَتْ أُمَّةٌ» «3» و قد جاء فى مثل ذلک التذكير، كقوله «وَ قالَ نِسْوَةٌ» «4» و من قرأ بالياء، فلانه تأنيث غير حقيقى و الفعل مقدّم.
هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم، يأمره بأن يقول لهؤلاء الكفار «مَنْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» أى من مدبرهما و مصرّ فيهما على ما فيهما من العجائب، فإنهم لا يمكنهم أن يدّعوا أنَّ مدبر السماوات و الأرض الأصنام التى يعبدونها، فإذا لم يمكنهم ذلک، فقل لهم رب السماوات و الأرض و ما بينهما من انواع الحيوان و النبات و الجماد «اللَّه» تعالى، فإذا أقروا بذلک فقل لهم على وجه التبكيت لهم و التوبيخ لفعلهم:
أفاتّخذتم من دون اللَّه اولياء توجهون عبادتكم اليهم؟! فالصورة صورة الاستفهام و المراد به التقريع و التوبيخ. ثم بين ان هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من الأصنام و الأوثان لا يملكون لأنفسهم نفعاً و لا ضراً، و من لا يملک لنفسه ذلک فانه بأن لا يملک لغيره اولى و أحرى، و من كان كذلک كيف يستحق العبادة ثم قال لهم «هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ» ام هل يتساوى الأعمى عن طريق الحق و العادل عنه الى الضلال. و البصير الذى اهتدى الى الحق، فإنهما لا يتساويان ابداً، كما لا

---

(1) سورة الحجرات آية 14
(2) سورة البقرة آية 113 و التوبة آية 30 و المائدة 19، 65
(3) سورة الاعراف آية 164
(4) سورة يوسف 12 آية 30،
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 237

يتساوى الظلمات و النور. ثم قال هل جعلوا يعنى هؤلاء الكفار للّه شركاء فى العبادة خلقوا أفعالا مثل خلق اللَّه، من خلق الأجسام و الألوان و الطعوم و الاراجيح، و الموت و الحياة، و الشهوة و النفار، و غير ذلک من الافعال التى مختص تعالى بالقدرة عليها فاشتبه ذلک عليهم، فظنوا انها تستحق العبادة، لان افعالها مثل أفعال اللَّه، فإذا لم يكن ذلک شبيهاً بل كان معلوماً لهم ان جميع ذلک ليست من جهة الأصنام، فقل لهم اللَّه خالق كل شىء اى هو خالق جميع ذلک يعنى ما تقدم من الأفعال التى يستحق بها العبادة.

و قوله «وَ هُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ» اى الخالق لذلک واحد لا ثانى له و هو الذى يقهر كل قادر سواه لا يقدر على امتناعه منه.

و من تعلق من المجبرة بقوله «قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَىْءٍ» على ان أفعال العباد مخلوقة للَّه، فقد أبعد، لان المراد بذلک ما قدمناه من أنه تعالى خالق كل شىء يستحق بخلقه العبادة دون ما لا يستحق به ذلک. و لو كان المراد ما قالوه لكان فيه حجة للخلق على اللَّه تعالى و بطل التوبيخ الذى تضمنته الآية إلى من وجه عبادته الى الأصنام، لأنه إذا كان الخالق لعبادتهم الأصنام هو اللَّه على قول المجبرة فلا توبيخ يتوجه على الكفار، و لا لوم يلحقهم بل لهم ان يقولوا: إنک خلقت فينا ذلک فما ذنبنا فيه و لم توبخنا على فعل فعلته؟ فتبطل حينئذ فائدة الآية. على أنه تعالى إنما نفى ان يكون أحد يخلق مثل خلقه، و نحن لا نقول إن احداً يخلق مثل خلق اللَّه، لان خلق اللَّه اختراع مبتدع، و أفعال غيره مفعولة فى محل القدرة عليه مباشراً او متولداً فى غيره بسبب حال فى محل القدرة و لا يقدر أحدنا على اختراع الأفعال فى غيره على وجه من الوجوه، و لان أحدنا يفعل ما يجرّبه نفعاً او يدفع به ضرراً، و اللَّه تعالى لا يفعل لذلک فبان الفرق بين خلقنا و خلقه. و لان أحدنا يفعل بقدرة محدثة. يفعلها اللَّه فيه و اللَّه تعالى يفعل، لأنه قادر لنفسه. و ايضاً فان هاهنا اجناساً لا نقدر عليها، و هو تعالى قادر على جميع الأجناس، و نحن لا نقدر ان نفعل بقدرة واحدة فى وقت واحد فى محل واحد التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 238

من جنس واحد اكثر من جزء واحد، و اللَّه تعالى يقدر ان يفعل ما لا نهاية له فبان الفرق بيننا و بينه من هذه الوجوه.

أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَ مِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَ الْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَ أَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ (17)

آية واحدة بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «وَ مِمَّا يُوقِدُونَ» بالياء. الباقون بالتاء. قال أبو على: من قرأ بالتاء فلما قبله من الخطاب، و هو قوله «قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ» و يجوز ان يكون خطاباً عاماً، يراد به الكافة، فكان المعنى «مما توقدون» عليه ايها الموقدون زبد مثل زبد الماء الذى عليه السيل «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً» لا ينتفع به كما ينتفع بما يخلص بعد الزبد من الماء و الذهب و الفضة و الصفر. و من قرأ بالياء، فلان الغيبة قد تقدم فى قوله «أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ» و يجوز ان يراد به جميع الناس و يقوى ذلك قوله «وَ أَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ» فكما ان الناس يعم المؤمن و الكافر كذلك الضمير فى «يوقدون» و قال «وَ مِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ» كقوله «فَأَوْقِدْ لِى يا هامانُ عَلَى الطِّينِ» «1» فهذا إيقاد على ما ليس فى النار، و ان كان يلحقه وهجها و لهبها. و أما قوله «بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ» «2» فالمعنى على من فى قرب النار، و ليس يراد به متوغلها «وَ مَنْ حَوْلَها» «3» و من لم يقرب منها قرب الآخرين

---

(1) سورة القصص 28 آية 38

(2، 3) سورة النمل 27 آية 8

ألا ترى ان قوله «وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ» «1» لم يقرب المنافقون الذين حولهم فيه قرب المخالطين لهم حيث يحضرونه و يشهدونه فى مشاهدهم.

قال الحسن يقول الذى «أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها» الى قوله «ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ» الذهب و الفضة و المتاع و الصفر و الحديد «كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَ الْباطِلَ» كما أوقد على الذهب و الفضة و الصفر و الحديد، فيخلص خالصه، «كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَ الْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً، وَ أَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ» قال فكذلك الحق بقى لأهله فانتفعوا به.

و قرأ الحسن «بقدرها» بتخفيف الدال و هما لغتان يقال أعطى قدر شبر و فى المصدر بالتخفيف لا غير تقول: قدرت اقدر قدراً، و فى المثل التخفيف،

و التثقيل تقول: هم يختصمون فى القدر بالسكون و الحركة قال الشاعر:
الا يا لقوم للنوائب و القدر و للأمر يأتى المرء من حيث لا يدرى «2»
أخبر اللّه تعالى انه هو الذى ينزل من السماء ماء يعنى الأمطار و الغيوث، فتسيل هذه المياه أودية بقدرها من القلة و الكثرة. و السيل جرى الماء من الوادى على وجه الكثرة. يقال جاء السيل يغرق الدنيا، و سال بهم السيل إذا جحفهم بكثرته. و الوادى سفح الجبل العظيم المنخفض الذى يجتمع فيه ماء المطر، و منه اشتقاق الدية، لأنه جمع المال العظيم الذى يؤدى عن القتيل، و القدر إقران الشىء بغيره من غير زيادة و لا نقصان. و الوزن يزيد و ينقص، فإذا كان مساوياً، فهو القدر.
و قوله «فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً» فالاحتمال رفع الشىء على الظهر بقوة الحامل له، و يقال علا صوته على فلان فاحتمله، و لم يغضبه، فقوله هذا يحتمل وجهين: معناه له قوة يحمل بها الوجهين، و الزبد و ضر الغليان، و هو خبث الغليان و منه زبد القدر، و زبد السيل، و زبد البعير. و الجفاء ممدود مثل الغثاء و أصله

_____

(1) سورة التوبة 9 آية 101
(2) مجمع البيان 3: 286

الهمزة يقال جفا الوادى جفاء. قال الفراء: كل شىء ينضم بعضه الى بعض فأنه يجىء على (فعال) مثل الحطام و القماش و الغشاء و الجفاء، فإذا أردت المصدر، فهو مقصور.
و قوله «رابياً» معناه زائداً، يقال ربا يربو رباً فهو راب. و منه الربا المحرم.
و قوله «و مما توقدون عليه» اى و من ذلک توقدون عليه زبد مثله، و الإيقاد إلقاء الحطب فى النار أوقد ايقاداً و استوقدت النار و اتّقدت و توقّدت.
و قوله «ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ» معناه طلب حلية من الذهب و الفضة أو متاع يعنى الصفر و الحديد، و المتاع ما تمتعت به قال الشاعر:
تمتع يا مشعّث إن شيئاً سبقت به الممات هو المتاع «1»
«زَبَدٌ مِثْلُهُ» يعنى من الذى يوقد عليه زبد مثل زبد السيل، و مثل الشىء ما سد مسده، و قام مقامه، فيما يرجع الى ذاته.
و قوله «كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَ الْباطِلَ» اى يضرب المثل للحق و الباطل، و ضرب المثل تسييره فى البلاد حتى يتمثل به الناس.
و قوله «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً» اخبار منه تعالى ان الزبد الذى يعلو على الماء و النار يذهب باطلًا و هالكاً، قال أبو عبيدة قال أبو عمرو، و تقول العرب أجفأت القدر إذا غلت فانصب زبدها، و سكنت فلا يبقى منه شىء. و الجفاء ممدودٍ مثل الغثاء، و أصله الهمز.

و قوله «وَ أَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ» من الماء الصافى، و الذهب، و الفضة، و الحديد، و الصفر «فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ» اى يلبث و يثبت. و المكث الكون فى المكان على مرور الزمان مكث يمكث مكثاً و تمكث تمكثاً و المكث طول المقام.
و قوله «كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ» اى يضرب اللَّه مثل الحق و الباطل بالماء الذى ينزل من السماء، و بجواهر الأرض، فإن لهما جميعاً زبداً، هذا عند سيله

---

(1) قائلة المشعث العامرى. مجاز القرآن 1: 328 و اللسان و التاج (متع) و معجم المرزبانى 475 و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 13: 81.

و جريه، و هذا عند اذابته بالنار و هو وسخه و خبثه، فالحق ثابت كالماء الذى يبقى فى الأرض ينبت به الزرع و الشجر و كالجواهر التى فى ايدى الناس تصبر على النار، فلا تبطل فينتفعون بها. و الباطل كزبد هذين يذهب، لا منفعة فيه بعد ان يرى له حركة و اضطراب. و فى ذلك تنبيه لمن تقدم ذكره من المشركين الذين سألوا الآيات على سبيل التكذيب و العناد.

لِلَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنى وَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُولئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسابِ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهادُ (18)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان الذين يجيبون دعاء اللَّه الى طريق التوحيد و العمل بشريعته و تصديق نبيه و يطلبون مرضاته فى فعل ما دعاهم اليه، لهم الحسنى، و هى المنفعة العظمى فى الحسن، و قال المفسرون: أراد بالحسنى الجنة و الخلود فى نعيمها. و ان الذين لم يجيبوا دعاءه و لم يقرّوا بنبيه و لم يعملوا بما دعاهم اليه «لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً» ملكاً لهم و يضيفوا اليه مثله فى الكثرة لافتدوا بجميع ذلک أنفسهم من عذاب النار و طلبوا به الخلاص منه، لو قبل ذلک منهم.

و الافتداء جعل أحد الشيئين بدلًا من الآخر على وجه الاتقاء به، فهؤلاء لا يقيهم من عذاب اللَّه شىء- نعوذ باللَّه منه- ثم أخبر تعالى ان لهؤلاء سوء الحساب.

و قيل فى معناه قولان:

قال ابراهيم النخعى: ان سوء الحساب هو مؤاخذة العبد بذنبه لا يغفر له شىء منه. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 242

و قال الجبائى: معناه و اخذه به على وجه التوبيخ و التقريع. و الحساب إحصاء ما على العبد و له، يقال: حاسبته حساباً و محاسبة، و حسبه يحسبه حسباً و حسباناً.

و قوله «وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهادُ» فالمهاد الفراش الذى يوطّأ لصاحبه، و انما قيل لجهنم: مهاد أى هى موضع المهاد لهم.

أَ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ الْحَقُّ کَمَنْ هُوَ أَعْمی إِنَّما يَتَذَکَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ (19)
آية بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى ان من يؤمن باللَّه و يعلم ان ما أنزل اليک يا محمد من ربک الحق، لا يكون مثل من يشهد ذلک و عمى عنه، فاخرج الكلام مخرج الاستفهام و المراد به الإنكار، أى لا يكون هذان مستويين، و بين ان الفرق بينهما بمنزلة الفرق بين الأعمى و البصير.
و قوله «إِنَّما يَتَذَکَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ» معناه إنما يتذكر فى ذلک و يفكر فيه و يستدل به ذوو العقول و المعرفة. و الألباب هى العقول، واحدها لب. و لبّ الشىء أجل ما فيه و أخلصه و أجوده، فلب الإنسان عقله لأنه أجل ما فيه، و لب النخلة قلبها، و لب الطلعة ثمرتها التى فيها، و انما شبه العلم بالبصر، و الجهل بالعمى، لان العلم يهتدى به الى طريق الرشد من الغى كما يهتدى بالبصر الى طريق النجاة من طريق الهلاک، و عكس ذلک حال الجهل و الغى. قال الرمانى:
وجه الاحتجاج بالآية انه إذا كانت حال الجاهل كحال الأعمى، و حال العالم كحال البصير و أمكن هذا الأعمى ان يستفيد بصراً، فما الذى يبعده عن طلب العلم الذى يخرجه عن حال الأعمى بالجهل؟!. و هذا إلزام طلب العلم، لأنه خروج عن حال الأعمى بالجهل الى البصير بالعلم. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 243
و قوله «إِنَّما يَتَذَکَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ» معناه إنما ينتفع بالذكر من كان له لب، كقولک: إنما يترک السرف و البغى من له عقل و علم بالعواقب، و ان كان كثير ممن له عقل لا يترک ذلک و لا يفكر فى العواقب.

الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ لا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ (20)
آية بلا خلاف.
موضع «الذين» رفع لأنه صفة لاولى الألباب، فكأنه قال إنما يتذكر أولوا الألباب الذين صفتهم أنهم يوفون بعهد اللّه و لا ينقضون مواثيقه. و الإيفاء جعل الشىء على المقدار من غير زيادة و لا نقصان، و العهد العقد المتقدم على الأمر بما يفعل، و النهى عما يجتنب يقال: عهد للّه عهداً، و عاهده معاهدة. و تعهده تعهداً و تعاهده تعاهداً، و النقض حل العقد بفعل ما ينافيه، و النقيض معنى تنافى صحته صحة غيره. و النقض فى المعانى إيجاد ما لا يمكن ان يصح مع غيره، كاعتقاد ان زيداً فى الدار و ليس هو فيها على وجه واحد. و الميثاق العهد الواقع على إحكام. توثق توثقاً و استوثق استيثاقاً، و واثقه مواثقة، و وثق به وثوقاً، و أوثقه ايثاقاً، و وثقه توثيقاً.
و العهد الذى جعله فى عقول العباد ما جعل فيها من اقتضاء صحة أمور الدين و فساد أمور أخر، كاقتضاء الفعل للفاعل، و أنه لا يصح الفعل الا ان يكون فاعله قادراً، و ان المحكم لا يصح الا من عالم، و ان الصانع لا بد ان يرجع الى صانع غير مصنوع، و الا أدى الى ما لا نهاية له، و ان للعالم مدبر لا يشبهه، و لا يحتاج الى مدبر لحاجته و ما أشبه ذلک. و قد يكون ايضاً على العهد الذى عاهد عليه النبى صلّى اللّه عليه و سلم. و فى الآية دلالة على وجوب الوفاء بالعهود التى تنعقد بين الخلق سواء كان بين المسلمين او الكفار، من الهدنة و غيرها.

وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ يَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ (21)
آية بلا خلاف.
هذه الآية عطف على الاولى، و هى من صفة الذين يوفون بعهد اللَّه و لا ينقضون ميثاقه، و انهم مع ذلک «يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» و الوصل ضد الفصل يقال وصله يصله وصلًا، و أوصله إيصالًا، و اتصل اتصالًا، و تواصلوا تواصلًا، و واصله مواصلة، و وصله توصيلًا. و الوصل ضم الثانى الى الاول من غير فاصلة.
و قيل: المعنى يصلون الرحم. و قال الحسن: المعنى يصلون محمد صلّى اللَّه عليه و سلم.
و قوله «وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ» اى يخافون عقابه فيتركون معاصيه «وَ يَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ» و قد فسرناه. و الخوف و الخشية و الفزع نظائر، و هو انزعاج النفس مما لا تأمن معه من الضرر، و ضد الأمن الخوف. و السوء ورود ما يشق على النفس، ساءه يسوءه سوءاً، و أساء اليه إِساءة. و الاساءة ضد الإحسان.
و قيل «سوء الحساب» مناقشة الحساب. و الحساب احصاء ما على العامل و له، و هو- هاهنا- إِحصاء ما على المجازى و له.

وَ الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22)
آية بلا خلاف.
هذه الآية ايضاً من تمام وصف الذين يوفون بعهد اللَّه و لا ينقضون ميثاقه و يصلون ما امر اللَّه بوصله، و يصبرون على ترک معاصى اللَّه، و القيام بما أوجبه عليهم، و الصبر على بلاء اللَّه و شدائده من الأمراض و الفقر و غير ذلک. و الصبر التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 245
حبس النفس عما تنازع اليه مما لا يجوز من الفعل و هو تجرع مرارة تمنع النفس مما تحب من الامر.
و معنى قوله «ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ» اى يفعلون ذلک طلب عظمة ربهم.
و العرب تقول ذلک فى تعظيم الشىء يقولون: هذا وجه الرأى، و هذا نفس الرأى المعظم، فكذلک سبيل وجه ربهم اى نفسه المعظم بما لا شىء أعظم منه، و لا شىء يساويه فى العظم. و المعنى ابتغاء ثواب ربهم.
و قوله «وَ أَقامُوا الصَّلاةَ» يعنى أقاموها بحدودها. و قيل: معناه داوموا على فعلها و «أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً» اى ظاهراً و باطناً، ما يجب عليهم من الزكاة، و ما ندبوا اليه من الصدقات. و السر إخفاء المعنى فى النفس، و منه السرور، لأنه لذة تحصل فى النفس، و منه السرير، لأنه مجلس سرور.
و قوله «وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ» معناه يدفعون بفعل الطاعة المعاصى، يقال: درأته ادرؤه درءاً إذا دفعته. و قال ابن زيد: الصبر على وجهين:
أحدهما- الصبر للَّه على ما أحب. و الآخر- الصبر على ما كره، كما قال «سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» و قيل و يدرؤن سفه الجهال بما فيهم من الحلوم.
و قيل: انهم يدفعون ظلم الغير عن نفوسهم بالرفق و المواعظ الحسنة. ثم قال تعالى مخبرا ان هؤلاء الذين وصفهم بهذه الصفات «لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ» اى عاقبة الدار، و هى الجنة التى وعد اللَّه الصابرين بها.

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ (23) سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24)

آيتان فى الكوفي و البصرى. و آية فى الباقى تمام الاولى فى الكوفى و البصرى. «مِنْ كُلِّ بابٍ» التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 246

يقول اللّه تعالى إن من وصفه بالصفات المذكورة «لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ» و هى «جنات عدن» قال الزجاج: (جنات) بدل على قوله «عقبى الدار» و الجنات البساتين التى يحفها الشجر واحدها جنة و أصله الستر من قوله «جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ» «1» و جنه إذا ستره. و (العدن) الاقامة الطويلة، عدن بالمكان إذا اقام به يعدن عدناً، و منه المعادن التى يخرج منها الذهب و الفضة و غيرهما.

و قوله «وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ» اى و يدخل هذه الجنات الذين عملوا الصالحات من آباء المؤمنين، و من أزواجهم و ذرياتهم. و الصلاح استقامة الحال الى ما يدعو إليه العقل او الشرع. و المصلح من يفعل الصلاح، و الصالح المستقيم الحال فى نفسه.

و قوله «وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ» اى يدخلون من كل باب بالتحية و الكرامة، و فى ذلك تعظيم الذكر للملائكة. و فى الآية دلالة على ان ثواب المطيع للّه سروره بما يراه فى غيره من أحبّته، لأنهم يسرون بدخول الجنة مع من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرياتهم، و هم أولادهم. و ذلك يقتضى سرورهم بهذا الخبر. و قوله «سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ» اى يقول هؤلاء الملائكة الداخلون عليهم «سلام عليكم». و السلام التحية بالكرامة على انتفاء كل امر يشوبه من مضرة.

و القول محذوف لدلالة الكلام عليه. و العقبى الانتهاء الذى يؤدى اليه الابتداء من خير او شر، فعقبى المؤمن الجنة فهى نعم الدار، و عقبى الكافر النار، و هى بئس الدار. و (الباء) فى قوله «بما صبرتم» يتعلق بمعنى «سلام عليكم» لأنه دل على السلامة لكم بما صبرتم، و يحتمل ان يتعلق بمحذوف، و تقديره هذه الكرامة لكم بما صبرتم.

و قيل فى معنى «بما صبرتم» قولان:

أحدهما- ان تكون (ما) بمعنى المصدر، فكأنه قال: بصبركم.

و الثانى- ان تكون بمعنى (الذى) كأنه قال بالذى صبرتم على فعل طاعاته و تجنب معاصيه.

---

(1) سورة الانعام 6 آية 76 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 247

وَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ أُولئِکَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (25)
آية بلا خلاف.
لما ذكر اللّه تعالى الذين يوفون بعهده، و لا ينقضون ميثاقه، و وصفهم بالصفات التى يستحقون بها الجنة، و هى عقبى الدار، اخبر بعد ذلک عن حال من ينقض عهده من بعد إعطائه المواثيق، و يقطع ما امر اللّه به ان يوصل، و هو ما بيّناه من صلة الرحم أو صلة النبى صلّى اللّه عليه و سلم و يفسد مع ذلک فى الأرض، و معناه ان يعمل فيها بمعاصى اللّه و الظلم لعباده، و اخراب بلاده، فهؤلاء لهم اللعنة، و هى الابعاد من رحمة اللّه، و التبعيد من جنته، «وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» يعنى عذاب النار، و الخلود فيها. و قد بينا معنى النقض، و أنه التفريق بين شيئين متآلفين، و مثله الهدم، و نقض العهد هو العمل بخلاف موجبه، و العهد عقد يتقدم به فى الامر و عهد اللّه عقده، و هو لزوم العمل بالحق فى جميع ما أوجبه عليه، و الميثاق احكام العقد بأبلغ ما يكون مثله، و ميثاق العهد توثيقه بأوكد ما يكون من الأمر. و القطع نقيض الوصل، و قطع ما امر اللّه به ان يوصل، فى كل عمل يجب تنميته، من صلة رحم او غيره من الفروض اللازمة، و الإفساد نقيض الإصلاح.

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ وَ فَرِحُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ مَتاعٌ (26)
آية بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى انه «يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ» و معناه يوسعه على من يشاء التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 248
من عباده، بحسب ما يعلم من مصلحته، و يضيّقه على آخرين إذا علم ان مصلحتهم فى ذلک.
و قوله «وَ فَرِحُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا» معناه و سروا- هؤلاء الذين بسط لهم فى الرزق- بالرزق فى الحياة الدنيا فنسوا فناءه و بقاء امر الآخرة. و يحتمل ان يكون أراد به أنهم فرحوا فرح البطر، كقوله «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ» «1» و الفرح هو السرور، و هو لذة فى القلب بنيل المشتهى، و منه قوله «فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ». «2»
ثم قال تعالى «وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتاعٌ» و معناه ليست هذه الحياة الدنيا بالاضافة الى الحياة فى الآخرة «إِلّا متاع» اى إِلّا قليل ذاهب فى- قول مجاهد- و انما كان كذلک، لان هذه فانية و تلک دائمة باقية. و المتاع ما يقع من الانتفاع به فى العاجلة، و أصله التمتع، و هو التلذذ بالأمر العاجل، و لذلک وصفت الدنيا بأنها متاع. و القدر قطع الشىء على مساواة غيره من غير زيادة و لا نقصان، و المقدار المثال الذى يعمل فيه غيره فى مساواته، و معنى و يقدر- هاهنا- يضيق. و قال ابن عباس: ان اللَّه تعالى خلق الخلق فجعل الغنا لبعضهم صلاحاً، و الفقر لبعضهم صلاحاً، فذلک الخيار للفريقين.

وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ (27)

آية بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى فى هذه الآية عن الكفار الذين وصفهم انهم يقولون «لَوْ لا أُنْزِلَ» على محمد «آية» يعنى علامة و معجزة. و المعنى هلا انزل عليه آية من ربه

---

(1) سورة القصص 28 آية 76

(2) سورة آل عمران 3 آية 170

يقترحونها، و يعلمون انها أنزلت من ربه، و ذلک لما لم يستدلوا، فيعلموا مدلول الآيات التى اتى بها لم يعتدوا بتلک الآيات، فقالوا هذا القول جهلا منهم بها، فأمر اللَّه نبيه ان يقول لهم «إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ» بمعنى انه يحكم على من يشاء بالضلال إذا ضل عن طريق الحق، و يجوز ان يكون المراد «يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ» عن طريق الجنة بسوء أفعالهم و عظم معاصيهم، و لا يجوز ان يريد بذلک الإضلال عن الحق، لان ذلک سفه لا يفعله اللَّه تعالى.

و قوله «وَ يَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ» اى يحكم لمن رجع الى طاعة اللَّه و العمل بها بالجنة و يهديه اليها. و الهداية الدلالة التى تؤدى الى طريق الرشد بدلا من طريق الغى، و المراد بها- هاهنا- الحكم له بسلوک طريق الجنة رفعا لقدره، و مدحا لصاحبه. و الإضلال العدول بالمارّ عن طريق النجاة الى طريق الهلاک، و المراد- هاهنا- الحكم له بالعدول عن طريق الجنة و سلوک طريق النار، و الإنابة الرجوع الى الحق بالتوبة، يقال: ناب ينوب نوبة إذا رجع مرة بعد مرة.

الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)
آية بلا خلاف.
موضع «الذين» نصب، لأنه من صفة من أناب، و تقديره و يهدى اللَّه الذين أنابوا الى اللَّه «الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ» و الايمان- هاهنا- هو الاعتراف بتوحيد اللَّه على جميع صفاته، و الإقرار بنبوة نبيه، و قبول ما جاء به من عند اللَّه، و العمل بما أوجبه عليهم، و فى اللغة: الايمان هو التصديق.
و قوله «وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ» أى تسكن قلوبهم و تأنس الى ذكر اللَّه الذى معه ايمان به، لما فى ذلک من ذكر نعمه التى لا تحصى و أياديه التى لا تجازى، مع عظيم سلطانه و بسط إحسانه. و الذكر حضور المعنى للنفس، و قد يسمى العلم ذكراً، و القول الذى فيه المعنى الحاضر للنفس يسمى ذكراً. و وصف اللَّه التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 250
تعالى- هاهنا- المؤمن بأنه يطمئن قلبه الى ذكر اللَّه، و وصفه فى موضع آخر بأنه إذا ذكر اللَّه و جل قلبه»
، لان المراد بالأول انه يذكر ثوابه و انعامه، فيسكن اليه، و الثانى يذكر عقابه و انتقامه فيخافه و يجل قلبه.
و قوله «أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» إخبار منه تعالى ان بذكر اللَّه تسكن القلوب و تستأنس و تطمئن الى ما وعد اللَّه به من الثواب و النعيم، و من لم يكن مؤمناً عارفاً لا يسكن قلبه الى ذلک.

الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ طُوبى لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ (29)
آية بلا خلاف.
يحتمل قوله «الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» ان يكون فى موضع نصب بأن يكون من صفة «الذين» فى الآية الاولى، و يحتمل ان يكون رفعاً بالابتداء، فكأنه أخبر ان الذين يؤمنون باللَّه و يعترفون بوحدانيته و يصدقون نبيّه، و يعملون بما أوجبه عليهم من الطاعات، و يجتنبون ما نهاهم عنه من المعاصى «طُوبى لَهُمْ» و قيل فى معناه عشرة أقوال:
أحدها- لهم بطيب العيش.
و ثانيها- قال ابن عباس: معناه فرح لهم تقرّبه أعينهم.
و ثالثها- قال قتادة: معناه الحسنى لهم.
و رابعها- قال عكرمة: نعم ما لهم.
و خامسها- قال الضحاك: غبطة لهم.
و سادسها- قال ابراهيم: كرامة لهم من اللَّه.
و سابعها- قال مجاهد: الجنة لهم.

---

(1) فى سورة الانفال 8 آية 2 «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

و ثامنها- قال ابو هريرة: طوبى شجرة فى الجنة.
و تاسعها- قال الجبائى: تأنيث الأطيب من صفة الجنة، و المعنى إنها أطيب الأشياء لهم.
و عاشرها- قال الزجاج: المعنى العيش الأطيب لهم.
و هذه الأقوال متقاربة المعنى.
و قوله «وَ حُسْنُ مَآبٍ» فالمآب المرجع يقال: آب يؤب أوباً و مآباً إذا رجع، و سمى المثوى فى الآخرة مآباً، و منقلباً، لأن العباد يصيرون اليه، كما يصيرون الى ما كانوا انصرفوا عنه. و الحسن النفع الذى يتقبله العقل، و قد يجرى على ما تتقبله النفس، كما يجرى القبح الذى هو نقيضه على ما ينافره الطبع، و المعنى إن لهم طوبى و لهم حسن مآب، و «طوبى» فى موضع رفع «وَ حُسْنُ مَآبٍ» عطف عليه و يجوز ان يكون موضعه النصب، و ينصب «حسن مآب» على الاتباع كما يجوز الحمد للَّه، و لم يقرأ به.

كَذلِكَ أَرْسَلْناكَ فِی أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِها أُمَمٌ لِتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِی أَوْحَيْنا إِلَيْکَ وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ قُلْ هُوَ رَبِّی لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ مَتابِ (30)

آية بلا خلاف.

قيل فى التشبيه فى قوله «كَذلِكَ أَرْسَلْناكَ» وجهان:

أحدهما- قال الحسن و الجبائى: إِن المعنى إِنا أرسلناک كما أرسلنا الأنبياء قبلک.

و قال قوم: ان المعنى إِن النعمة على من أرسلناک اليه، كالنعمة على من تقدم ذكره بالثواب فى «حسن مآب»، و المعنى إِنا أرسلناک يا محمد «فِی أُمَّةٍ» قد مضت «مِنْ قَبْلِها أُمَمٌ» و غرضى ان تتلو أى تقرأ عليهم ما «أَوْحَيْنا إِلَيْکَ» من الأمر و النهى و الوعد و الوعيد. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 252

و الإرسال تحميل الرسول الرسالة، فرسول اللَّه قد حمله اللَّه رسالة الى عباده، فيها أمره و نهيه و بيان ما يريده و ما يكرهه. و الأمّة الجماعة الكثيرة من الحيوان التى ترجع الى معنى خاص لها دون غيره، فمن ذلک أمة موسى، و أمة عيسى، و أمة محمد صلّى اللَّه عليه و سلم، و كذلک كل جنس من أجناس الحيوان أمة، لاختصاصها بمعنى جنسها، فعلى هذا العرب أمة، و الترک أمة، و الزنج أمة، و (الخلو) مضى الشىء بنقيضه على تجرد مما كان عليه، كأنه ينفيه دون أحواله التى كان عليها، فقد انفرد عنها. و (التلاوة) جعل الثانى يلى الأول بعده بلا فصل. و التلاوة و القراءة واحد.

و قوله «وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ» إِنما قال «بالرحمن» دون (اللَّه) لان اهل الجاهلية من قريش، قالوا اللَّه نعرفه، و الرحمن لا نعرفه. و كذلک قالوا «وَ مَا الرَّحْمنُ أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا» «1» و قال «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى» «2»، و هو قول الحسن، و قتادة.

ثم أمر اللَّه تعالى نبيه ان يقول لهم «هو» يعنى الرحمن «ربى» أى خالقى و مدبرى «لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» ليس لى إِله و لا معبود سواه «عليه توكلت» اى وثقت به فى تدبيره و حسن اختياره. و التوكل التوثيق فى تدبير النفس بردّه الى اللَّه «وَ إِلَيْهِ مَتابِ» أى الى اللَّه الرحمن توبتى و هو الندم على ما سلف من الخطيئة مع العزم على ترک المعاودة الى مثله فى القبح، و المتاب و التوبة مصدران، يقال: تاب يتوب توبة و متاباً.

وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَ لا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ (31)

---

(1) سورة الفرقان 25 آية 60
(2) سورة الأسرى 17 آية 110

آية بلا خلاف.

هذه الآية تتضمن وصف القرآن بغاية ما يمكن من علو المنزلة و بلوغه أعلى طبقات الجلال، لأنه تعالى قال «لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ» من مواضعها و قلعت من أماكنها لعظم محله و جلالة قدره. و التسيير تصيير الشىء بحيث يسير، تقول سار يسير سيراً، و سيره غيره تسييراً. «أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ» لمثل ذلک.

و التقطيع تكثير القطع، قطعه قطعة، و قطّعه تقطيعاً. و القطع فصل المتصل.

«أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى» لمثل ذلک حتى يعيشوا او يحيوا، تقول: كلمه كلاماً، و تكلم تكلماً، و الكلام ما انتظم من حرفين فصاعداً من الحروف المعقولة إذا وقع ممن يصح منه او من قبيلة، لافادة. و (الموتى) جمع ميت مثل صريع و صرعى، و جريح و جرحى. و لم يجئ جواب (لو) لدلالة الكلام عليه، و تقديره: لكان هذا القرآن لعظم محله فى نفسه و جلالة قدره. و كان سبب ذلک أنهم سألوا النبى صلّى اللّه عليه و سلم ان يسيّر عنهم جبال مكة لتتسع عليهم المواضع، فأنزل اللّه تعالى الآية، و بين انه لو سيرت الجبال بكلام، لسيرت بهذا القرآن لعظم مرتبته و جلالة قدره. و قد يحذف جواب (لو) إذا كان فى الكلام دلالة عليه، قال امرؤ القيس:

فلو انها نفس تموت سوية و لكنها نفس تساقط أنفسا «1»

و هو آخر القصيدة، و قال الآخر:

فأقسم لو شىء أتانا رسوله سواک و لكن لم نجد لک مدفعا «2»

و قال الفراء: يجوز ان يكون جوابه (لكفروا بالرحمن) لتقدم ما يقتضيه،

---

(1) ديوانه (الطبعة الرابعة): 117 و روايته (جميعه) بدل (سوية) و بعده اربع أبيات من القصيدة، و قد مر هذا البيت فى 6: 122
(2) تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 12: 12، 13: 90، و قد مر فيما سف

فى 5: 529
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 254
و قال البلخى. يجوز ان يكون معطوفاً على قوله «وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ ...
وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً» و يستغنى بذلک عن الجواب، كما تقول: هو يشتمنى و لو أحسنت اليه، و هو يؤذينى و لو أكرمته.
و قوله «بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً» معناه ان جميع ما ذكر- من تسيير الجبال و تقطيع الأرض و إحياء الموتى، و كل تدبير يجرى هذا المجرى- للَّه، لأنه لا يملكه و لا يقدر عليه سواه.
و قوله «أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و مجاهد، و الحسن، و قتادة، و ابن زيد، و ابو عبيدة: معناه أ فلم يعلم، قال سحيم:
أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ألم ييأسوا انى ابن فارس زهدم «1»
معناه ألم يعلموا.
الثانى- قال الفراء: معناه «أَ فَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا» ان ينقطع طمعهم من خلاف هذا، علما بصحته، كما قال لبيد:
حتى إذا يئس الرماة فأرسلوا عصفاً دواجن قافلًا اعصامها «2»
معناه: حتى إذا يئسوا من كل شىء الا الذى ظهر اى يئسوا من خلاف ذلک لعلمهم بصحته، و العلم بالشىء يوجب اليأس من خلافه.
و قوله «لَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً» معناه الم يعلموا ان اللَّه لو أراد ان يهدى خلقه كلهم الى جنته لهداهم، لكنه كلفهم لينالوا الثواب بطاعاتهم على وجه الاستحقاق. و يحتمل ان يكون المعنى لو أراد ان يلجئهم إلى الاهتداء لقدر على على ذلک، لكنه ينافى التكليف و يبطل الغرض منه.

---

(1) الشاعر هو سحيم بن وثيل الرياحى. و البيت فى تفسير الطبرى 13: 90
(2) تفسير الطبرى 13: 91 و اللسان (دجن)، (عصم) و روايته (غضفاً) بدل (عصفاً)، يقصد أرسلوا الكلاب.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 255
و قوله «وَ لا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَةٌ» فالقارعة هى الداهية المهلكة، و هى النازلة التى تزعج بالنعمة، تقول: قرعتهم تقرعهم قرعاً و هى قارعة، و منه المقرعة.
و قوله «أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دارِهِمْ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس: او تحل، اى تنزل- يا محمد- قريباً من دارهم.
و الحلول حصول الشىء فى الشىء، و حملوا قوله «تصيبهم قارعة» على نزول السرايا بهم او يحل النبى صلّى اللَّه عليه و سلم قريباً منهم.

و قال الحسن: المعنى او تحل القارعة قريباً من دارهم.
و قوله «حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ» قال قتادة معناه حتى يأتى وعده بفتح مكة.
و قال الحسن: معناه حتى يأتى يوم القيامة.
و قوله «إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ» اخبار منه تعالى انه لا خلف لوعده بل لا بد ان يفعل ما وعد به او توعد عليه. و امر اللَّه ما يصح ان يأمر فيه و ينهى عنه و هو عام. و أصله الامر نقيض النهى، و الاصابة لحوق ما طلب بالارادة، أصاب الغرض يصيبه إِصابة و هو مصيب، و منه الصواب إدراک البغية المطلوبة بداعى الحكمة.
و
روى عن ابن عباس انه قرأ «أ فلم يتبين الذين آمنوا» من التبيين. و روى مثله عن على صلّى اللَّه عليه و سلم رواه الطبرى.
و قال الزجاج: معناه أ فلم يعلم الذين آمنوا ان هؤلاء لا يؤمنون مع قوله «لَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً».

وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِکَ فَأَمْلَیْتُ لِلَّذِینَ کَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَکَیْفَ کانَ عِقابِ (32)
آیة بلا خلاف.
اللام فی قوله «و لقد» لام القسم، و معنی الکلام انه اقسم تعالی انه لقد
التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 256
استهزئ برسل من قبلک یا محمد أرسلهم اللَّه. و الاستهزاء طلب الهزء و هو اظهار خلاف الإضمار للاستضعاف فیما یجری من عبث الخطاب. و الرسل جمع رسول، و هو المحمّل للرسالة. و الرسالة کلام یؤخذ لتأدیته الی صاحبه.
و قوله «فَأَمْلَیْتُ لِلَّذِینَ کَفَرُوا» ای أخرت عقابهم و إهلاکهم و أمهلتهم، یقال: أملی یملی إملاء و منه قوله «إِنَّما نُمْلِی لَهُمْ لِیَزْدادُوا إِثْماً» «1» و أصله طول المدة، و منه قلیل للیل و النهار: الملوان لطولهما، قال ابن مقبل:
الا یا دیار الحی بالسَّبُعان أملُّ علیها بالبلی الملوان «2»
و قوله «ثم اخذتهم» یعنی الذین استهزؤا برسل اللَّه و کفروا بآیات اللَّه، أهلکتهم و أنزلت علیهم عذابی «فَکَیْفَ کانَ عِقابِ» و هو العذاب علی وجه الجزاء.
و معنی الآیة تسلیة النبی صلّی اللَّه علیه و سلم عما یلقاه من سفهاء قومه من الکفر و الاستهزاء عند دعائه إیاهم إلی توحیده و الایمان به، بأنه قد نال مثل هذا الأنبیاء قبلک فصبروا، فاصبر أنت ایضاً مثل ذلک، کما قال «فَاصْبِرْ کَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» «3»

أَ فَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِما لا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَ صُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (33)

---

(1) سورة آل عمران آية 178
(2) الكتاب لسيبويه 2: 315 و تفسير الطبرى 14: 132 و سمط اللآلى 533 و اللسان (سبع) و مجاز القرآن 1: 109، 333. و قد روى (ألح) بدل (امل).
(3) سورة 46 الأحقاف آية 35
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 257
آية بلا خلاف.
قرأ اهل الكوفة «و صدوا» بضم الصاد. الباقون بفتحها، قال ابو على:
قال ابو عمرو، عن أبى الحسن: صد و صددته مثل رجع و رجعته، قال الشاعر:
صدت كما صد عما لا يحل له ساقى نصارى قبيل الفصح صوام «1»
فهذا صدت فى نفسها، و قال الآخر:
صددت الكأس عنا ام عمرو
و اما قوله «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» «2» فالمعنى يصدون المسلمين عن المسجد الحرام، فكان المفعول محذوفاً.
و قوله «رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً» «3» يكون على يصدون عنك اى لا يبايعونك، كما يبايعك المسلمون، و يجوز ان يكونوا يصدون غيرهم عن الايمان، كما صدوهم عنه، و يثبطون عنه. و حجة من أسند الفعل الى الفاعل، قوله «الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» «4» و قوله «هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» «5» فكما أسند الفعل الى الفاعل فى جميع هذه الآى كذلك أسند فى قوله «وَ صُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ» و قيل: إن قوماً جلسوا على الطريق، فصدوا الناس عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم ففيهم نزلت الآية.
و من بنى الفعل للمفعول به جعل فاعل الصدِّ غواتهم و العتاة منهم فى كفرهم، و قد يكون على نحو ما يقال: صد فلان عن الخير و صد عنه، يعنى انه لم يفعل خيراً، و لا يراد: ان مانعاً منعه. فأما قوله

---

(1) مجمع البيان 3: 294

(2) سورة 22 الحج آية 25 [.....]
(3) سورة 4 النساء آية 61
(4) سورة 4 النساء آية 166 و سورة النحل 16 آية 88 و سورة محمد 47 آية 1، 32، 34
(5) سورة 48 الفتح آية 25

«وَ كَذلِکَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَ صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ» «1» فالفتح الوجه، لأنه لم يصده عن الإيمان احد، و لم يمنعه منه، و الذى زين ذلک له الشيطان، كما قال «وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ» «2» معنى قوله «أَ فَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ» من هو قائم بتدبيرها و جزائها على ما كسبت من خير او شر، كمن ليس بهذه الصفة، و حذف الخبر لدلالة الكلام عليه.
و قوله «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ» فى العبادة، فعبدوا الأصنام، و الأوثان.
و قوله «قل سموهم» اى سموهم بما يستحقون من الأسماء التى هى صفات. ثم انظروا هل تدل صفاتهم على أنه يجوز أن يعبدوا ام لا؟
و قوله «أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِما لا يَعْلَمُ فِى الْأَرْضِ أَمْ بِظاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ» معناه إلا ان يصفوهم بما لا يصح ان يعلم صحته، فيخرجوا بذلک الى التجاهل او يقتصروا على ظاهر القول من غير رجوع الى حقيقة، و هو قول مجاهد و قتادة. و قال ابو على:
معنى «بِظاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ» الذى أنزله اللَّه على أنبيائه.
و قوله «بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ» اى زين ذلک لهم أنفسهم و غواتهم من شياطين الانس و الجن، و لا يجوز ان يكون المراد زين بالشهوة، لأن المكر ليس مما يشتهى «وَ صُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ» اى منعوا عن طريق الحق بالإغواء و المنع. و يجوز ان يكون المراد و اعرضوا عن طريق الجنة.
و قوله «وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- من حكم اللَّه عليه بأنه ضال على وجه الذم، فإنه لا ينفعه هداية احد.
و الآخر- ان من يضله اللَّه عن طريق الجنة الى النار، فلا هادٍ يهديه اليها، و لا يجوز ان يكون المراد من يضله عن الايمان، لان ذلک سفه لا يفعله اللَّه تعالى.

---

(1) سورة المؤمن: (غافر) 40 آية 37
(2) سورة النمل 27 آية 24

لَهُمْ عَذابٌ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَ ما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ (34)

آیة بلا خلاف.

فی هذه الآیة إخبار منه تعالی ان لهؤلاء الکفار الذین وصفهم «لَهُمْ عَذابٌ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا»

و هو ما یفعل بهم من القتل و الاسترقاق و سبی الذراری و الأموال.

و یجوز ان یرید ما یفعله اللَّه بکثیر منهم من الآلام العظیمة علی وجه العقوبة. ثم قال «وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ»

ای أشد مشقة، و المشقة: غلظ الامر علی النفس بما یکاد یصدع القلب.

و قوله «وَ ما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ»

ای لیس لهم من عذاب اللَّه من یمنعهم منه. و الواقی المانع، و هو الفاعل للوقایة، و الوقایة الحجر بما یدفع الاذیة، وقاه یقیه وقایة، فهو واق، و وقّاه توقیة.

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِی وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَ ظِلُّها تِلْکَ عُقْبَى الَّذِینَ اتَّقَوْا وَ عُقْبَى الْكافِرِینَ النَّارُ (35)
آیة بلا خلاف.
قیل فی معنی «مثل الجنة» اقوال:
قال سیبویه: فیما نقص علیکم مثل الجنة، فرفع (مثل) على الابتداء. و حذف الخبر.
و قال بعضهم معناه شبه الجنة، و الخبر محذوف، و تقدیره مثل الجنة التی هی الأنهار، کما قال اللّه تعالى «وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى» «1» معناه الصفة الأعلى.

---

(1) سورة 16 النحل آیة 60

و قال قوم: معناه صفة «الْجَنَّةِ الَّتِی وُعِدَ الْمُتَّقُونَ» صفة جنة تجری من تحتها الأنهار، و الجنة البستان الذی یجنه الشجر، و المراد- هاهنا- جنة الخلد التی أعدها اللّه للمتقین جزاء لهم على طاعاتهم و انتهائهم عن معاصیه، و المتقی هو الذی یتقی عقاب اللّه بفعل الواجبات و ترک المقبحات.
و قوله «أُكُلُها دائِمٌ» قیل فی معناه قولان:
أحدهما- ان ثمارها لا تنقطع، کما تنقطع ثمار الدنیا فی غیر أزمنتها- فی قول الحسن.
الثانی- النعیم به لا ینقطع بموت، و لا بغیره من الآفات.
و قوله «و ظلها» ای و ظل الجنة دائم ایضاً لیس لها حر الشمس. ثم اخبر ان ذلک عاقبة الذین اتقوا معاصی اللّه بفعل طاعاته. و أخبر أن عاقبة الکافرین- الجاحدین لتوحید اللّه المنکرین لنعمه- النار، و الکون فیها على وجه الدوام- نعوذ باللّه منها-

وَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَفْرَحُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مِنَ الْأَحْزابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَ لا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَ إِلَيْهِ مَآبِ (36)
آية بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان الذين آتيناهم الكتاب، و معناه أعطاهم، «يَفْرَحُونَ بِما أُنْزِلَ» على محمد صلّى اللَّه عليه و سلم و قال الحسن و قتادة و مجاهد: هم اصحاب النبى صلّى اللَّه عليه و سلم الذين آمنوا به و صدقوه. و الأحزاب هم اليهود و النصارى و المجوس.
و قال الجبائى: يجوز ان يعنى بالفرح به اليهود و النصارى، لأن ما أتى به مصدق لما معهم، و أما انكار بعضهم، فهو انكار بعض معانيه و ما يدل على صدقه أو يخالف أحكامهم. و (الأحزاب) جمع حزب، و هم الجماعة التى تقوم بالنائبة، يقال تحزب القوم تحزباً و حزبهم الأمر يحزبهم إذا نالهم بمكروهه.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 261
و قوله «قُلْ إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَ لا أُشْرِكَ بِهِ» فى عبادته احداً، أدعو الى اللَّه، و الإقرار بتوحيده و صفاته و توجيه العبادة اليه وحده، «وَ إِلَيْهِ مَآبِ» اى مرجعى و مصيرى، من قولهم: آب يؤب أوباً و مآباً، و المعنى يرجع الى حيث لا يملك الضرر و النفع إلا اللَّه تعالى.

وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ حُكْماً عَرَبِيًّا وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا واقٍ (37)

آية قيل فى وجه التشبيه فى قوله «و كذلک» قولان:

أحدهما- انه شبه انزاله حكماً عربياً بما أنزل إلى من تقدم من الأنبياء.

الثانى- انه شبه انزاله حكماً عربياً بإنزاله كتاباً، تبياناً فى انه منعم بجميع ذلک على العباد. و (الحكم) فصل الأمر على الحق، و إذا قيل: حكم بالباطل، فهو مثل قولهم: حجة داحضة. و (العربى) هو الجارى على مذاهب العرب فى كلامها فالقرآن عربى [على هذا المعنى، لان المعانى فيه على ما تدعو اليه الحكمة] «1» و الألفاظ على مذاهب العرب فى الكلام. [و قيل: انما سماه حكماً عربياً لأنه أتى به نبى عربى] «2».

و قوله «وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ» خطاب للنبى صلّى اللَّه عليه و سلم، و المراد به الأمة، يقول له لئن وافقت و طلبت أهواء الذين كفروا بعد ان جاء العلم، لان ما أتيناک من الدلالات و المعجزات للعلم. و الاتباع طلب اللحاق بالأول كيف تصرف. اتبعه اتباعاً و تبعه يتبعه، فهو تابع و ذلک متبوع. و الهوى- مقصور- هوى النفس.

و الهواء- ممدود- هواء الجوف، و الهوى ميل الطباع الى الشىء بالشهوة.

و (العلم) ما اقتضى سكون النفس.

---

(1) ما بين القوسين من المخطوطة و هو ساقط من المطبوعة.

(2) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة ايضاً.

و قوله «ما لَکَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا واقٍ» معناه متى ما ابتعت أهواء هؤلاء الكفار، لم يكن لک من اللَّه ولىّ و لا ناصر يعينک عليه، و يمنعک من عذابه «وَ لا واقٍ» و لا من يقيک منه، يقال: وقاه وقاية و اتقاه، و توقاه توقياً، و الواقى الفاعل للحجر عن الأذى.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَ ذُرِّيَّةً وَ ما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ (38)
آية بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى انه أرسل قبل إرسال نبيه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم رسلًا الى خلقه، و جعل لهم ازواجاً و ذرية، يعنى اولاداً، لأنهم كانوا أنكروا تزويج النبى بالنساء، فبين اللَّه تعالى ان الأنبياء قبله كان لهم أزواج و ذرية، و قد آمنوا بهم. ثم قال: و انه لم يكن لرسول يرسله اللَّه ان يجىء بآية و دلالة، إلا بعد ان يأذن اللَّه فى ذلك و يلطف له فيه.
و قوله «لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ» معناه لكل أجل قدره، كتاب أثبت فيه، فلا تكون آية الا بأجل قد قضاه اللَّه تعالى فى كتاب على ما توجبه صحة تدبير العباد.
و قيل: فيه تقديم و تأخير و تقديره لكل كتاب أجل، كما قال «وَ جاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» «1»، و المعنى و جاءت سكرة الحق بالموت، و هى قراءة أهل البيت، و به قرأ ابو بكر من الصحابة. و الذرية الجماعة المفترقة فى الولادة عن أب واحد فى الجملة، و يحتمل ان يكون من الذر. و أن يكون من ذرأ اللَّه الخلق اى أظهرهم.

---

(1) سورة 50 (ق) آية 19

يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ (39)
آية بلا خلاف.
وجه اتصال هذه الآية بما تقدم هو أنه لما قال «لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ» اقتضى ان يدخل فيه اعمال العباد، فبين ان اللّه يمحو ما يشاء، و يثبت، لئلا يتوهم ان المعصية مثبتة بعد التوبة، كما هى قبل التوبة. و قيل: ان مما يمحى و يثبت الناسخ و المنسوخ. و قيل يمحو ما يشاء، و يثبت، مما يثبته الملكان، لأنه لا يثبت الا الطاعات و المعاصى دون المباحات. و قيل معناه يمحو ما يشاء من معاصى من يريد التفضل عليه- بإسقاط عقابه، و يثبت معاصى من يزيد عقابه. و الحسنة يثبتها اللّه قبل فعلها، بمعنى أنهم سيعملونها، فإذا عملوها أثبتها بأنهم عملوها، فلذلك أثبت فى الحالين، و الوجه فى إثباته ما يكون فيه من المصلحة و الاعتبار لمن يفكر فيه بأن ما يحدث، على كثرته و عظمه، قد أحصاه اللّه و كتبه، و ذلك لا سبيل اليه الا من جهة علام الغيوب الذى يعلم ما يكون قبل أن يكون، و اعتبار المشاهدة له من الملائكة إذا قابل ما يكون بما هو مكتوب، مع أنه أهول فى الصدور، و أعظم فى النفوس مما يتصور معه، حتى كان المفكر فيه مشاهد له. و (المحو) إذهاب أثر الكتابة محاه يمحوه محواً و إمحاء أيضاً، و أمَّحا إمّحاء و امتحا امتحاء. و الإثبات الاخبار بوجود الشىء، و نقيضه النفى، و هو الاخبار بعدم الشىء.
و قال ابن عباس و مجاهد: إنه تعالى لا يمحو الشقاء و السعادة، و هذا مطابق لقول اصحاب الوعيد.
و قال عمر بن الخطاب، و ابن مسعود: هما يمحيان مثل سائر الأشياء، و هذا مطابق لقول المرجئة من وجه.
و قوله «وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ» معناه أصل الكتاب، لأنه يكتب أولًا: التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 264
سيكون كذا و كذا، لكل ما يكون، فإذا وقع كتب أنه قد كان ما قيل أنه سيكون. و قيل: أصل الكتاب، لان الكتب التى أنزلت على الانباء منه نسخت و قرأ ابن كثير و أبو عمرو، و عاصم و «يثبت» خفيفة. الباقون مشدَّدة.
قال أبو على: المعنى يمحو اللّه ما يشاء و يثبته، فاستغنى بتعدية الاول من الفعلين عن تعدية الثانى، كما قال «وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ» «1» و زعم سيبويه أن من العرب من يعمل الاول من الفعلين، و لا يعمل الثانى فى شىء، كقولهم متى رأيت أو قلت زيداً منطلقاً، قال الشاعر:
بأى كتاب ام بأية سنة ترى حبهم عاراً علىّ و تحسب «2»
فلم يعمل الثانى. و قالوا «أم الكتاب» هو الذكر المذكور فى قوله «وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ» «3» قال فحجة من شدّد قوله «وَ أَشَدَّ

تَثْبِيتاَ» «4» و قرأ «و يثبّت»، لان تثبيت مطاوع ثبت و حجة من قال بالتخفيف ما روى عن عائشة: أنه كان إذا صلى صلاة أثبتها، قال: و ثابت مطاوع ثبت، كما أن يثبت مطاوع ثبت.

وَ إِنْ ما نُرِيَنَّکَ بَعْضَ الَّذِی نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّکَ فَإِنَّما عَلَيْکَ الْبَلاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسابُ (40)
آية بلا خلاف.
هذا خطاب للنبى صلّى اللَّه عليه و سلم يقول اللَّه تعالى له إنا ان أريناک بعض الذى نعد الكفار من العقوبة على كفرهم، و نصر المؤمنين حتى يظفروا بهم، فيقتلوهم و يستذلّوا باقيهم إن لم يؤمنوا، فنبقيک الى أن ترى ذلک، أو نميتک قبل أن ترى ذلک.
و قيل: ان نفعله بهم، لأنه ليس ذلک مما لا بدّ ان تراه لا محالة، فلا تنتظر كونه على ذلک بأن يكون فى أيامک. و انما عليک أن تبلغهم ما أرسلناک به اليهم، و تقوم

---

(1) سورة 33 الأحزاب آية 35
(2) مر هذا البيت فى 3/ 75
(3) سورة 21 الأنبياء آية 105
(4) سورة 4 النساء آية 66

فى ذلک بما أمرک اللَّه به، و علينا نحن حسابهم، و مجازاتهم و الانتقام منهم، إما عاجلا أو آجلًا، و ذلک كائن لا محالة على ما قلناه.
و كسرت الالف من قوله «وَ إِمَّا نُرِيَنَّکَ» لأنه من التخيير، و التقدير، و إما نريَنَّک نقمتنا و أنت حى، و إما نَتوفَّيَنَّک.

أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها وَ اللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسابِ (41)
آية بلا خلاف.
يقول اللّه تعالى لهؤلاء الكفار على وجه التنبيه لهم على الاعتبار بأفعال اللّه، أو ما يرون أنّا ننقص الأرض من أطرافها؟ و قيل فى معناه أربعة أقوال:
قال ابن عباس و الحسن و الضحاك: ما فتح على المسلمين من أرض المشركين.
و قال مجاهد، و قتادة: و ننقصها بموت أهلها. و فى رواية أخرى عن ابن عباس و مجاهد: بموت العلماء. و فى رواية أخرى عنهما: بخرابها. ثمّ أخبر أن اللّه تعالى يحكم و يفصل الأمر و لا احد يعقّب حكمه، و لا يقدر على ذلك، و أنه سريع المجازاة على أفعال العباد، على الطاعات بالثواب، و على المعاصى بالعقاب.
و النقص أخذ الشىء من الجملة، و فى فلان نقص أى نقص منزلة عن منزلة عظيمة فى المقدور أو المعلوم، و الثانى للأمور. و الطرف منتهى الشىء، و هو موضع من الشىء ليس و راءه ما هو منه. و أطراف الأرض نواحيها. و التعقيب ردّ الشىء بعد فصله، و منه عقّب العقاب على صيده إذ أردّ الكرور عليه بعد فصله عنه قال لبيد:
حتى تهجّر فى الرواح و هاجه طلب المعقّب حقه المظلوم «1»

---

(1) اللسان (عقب) و مجمع البيان 3/ 279، و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 13/ 72 [.....]

و السرعة عمل الشىء فى قلة المدة، على ما تقتضيه الحكمة، و ضده الإبطاء، و السرعة محمودة و العجلة مذمومة.

وَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ ما تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَ سَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (42)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو و نافع «الكافر» على لفظ الواحد. الباقون «الكفار» على لفظ الجمع. قال ابو على الفارسى فى قوله «وَ سَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ» هو المتعدّى الى مفعولين، بدلالة تعليق وقوع الاستفهام بعده، تقول: علمت لمن الغلام، فتعلقه مع الجار كما تعلقه مع غير الجار فى قوله «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ» «1» و موضع الجار مع المجرور نصب من حيث سد الكلام- الذى هو الاستفهام- مسدّ المفعولين، لان من حيث حكمت فى نحو مررت بزيد، فان موضعه نصب، و لكن الباء الجارّة كانت متعلقة فى الأصل بفعل فصار مثل علمت بمن تمر فى أن الجارة تتعلق بالمرور، و الجملة التى هى منها فى موضع نصب، و قد علّق الفعل عنها.

و من قرأ على لفظ الفاعل، و أنه جعل الكافر اسماً شائعاً كإنسان فى قوله «إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِى خُسْرٍ» «2» و زعموا أنه لا ألف فيه و هذا الحذف إنما يقع فى (فاعل) نحو خالد، و صالح و لا يكاد يحذف فى (فعال) فهذا حجتهم.

و زعموا أن فى بعض الحروف «و سيعلم الذين كفروا»، و قرأ ابن مسعود «و سيعلم الكافرون» فهذا يقوى الجمع.

---

(1) سورة 6 الانعام آية 136

(2) سورة 103 العصر آية 2

و من قرأ على لفظ الجمع، فلأن التهديد متوجّه الى جميع الكفار، و لا إشكال فيه.

اخبر اللَّه تعالى أن الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء الكفار، مكروا بالمؤمنين و احتالوا فى كفرهم. و المكر هو الفتل عن البغية بطريق الحيلة، تقول مكر يمكر فهو ماكر مكراً، و قال أبو على: المكر ضرر ينزل بصاحبه من حيث لا يشعر به.

ثم اخبر تعالى ان له المكر جميعاً، و معناه للَّه جزاء مكرهم، لأنهم لما مكروا بالمؤمنين بين اللَّه أن و بال مكرهم عليهم بمجازاة اللَّه لهم.

و قوله تعالى: «يَعْلَمُ ما تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ» معناه أنه لا يخفى عليه ما يكسبه الإنسان من خير و شر و غير ذلك، لأنه عالم بجميع المعلومات «وَ سَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ» تهديد للكفار بأنهم سوف يعلمون لمن تكون عاقبة

الجنة للمطيعين أو العاصين، فإن اللّه تعالى وعد بذلک المؤمنين دون الكفار و الظالمين.

وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ (43)

آية بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى عن الكفار انهم يقولون لک يا محمد انک لست مرسلًا من جهته تعالى، فقل لهم انت حسبى اللَّه «شَهِيداً بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ، وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ». و قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

أحدها- روى عن ابن عباس انه قال: هم اهل الكتاب الذين آمنوا من اليهود و النصارى.

و قال قتادة و مجاهد: منهم عبد اللَّه بن سلام، و سلمان الفارسى، و تميم الدارى.

و قال الحسن: الذى عنده علم الكتاب هو اللَّه تعالى، و به قال الزجاج.

و

قال ابو جعفر و ابو عبد اللَّه (ع): هم ائمة آل محمد صلّى اللَّه عليه و سلم، لأنهم الذين عندهم علم الكتاب بجملته لا يشذ عنهم شىء من ذلک دون من ذكروه.

و الكفاية وجود الشىء على قدر الحاجة، فكأنه قيل: قد وجد من الشهادة مقدار ما ينا اليه الحاجة فى فصل ما بيننا و بين هؤلاء الكفار. و الباء فى قوله «باللَّه» زائدة و التقدير كفى اللَّه. و قال الرمانى: دخلت لتحقيق الاضافة من وجهين: جهة الفاعل، و جهة حرف الاضافة، لان الفعل لما جاز ان يضاف الى غير فاعله، بمعنى انه أمر به ازيل هذا الاحتمال بهذا التأكيد، و مثله قوله «لِما خَلَقْتُ بِيَدَىَّ» «1».

و الشهادة البينة على صحة المعنى من طريق المشاهدة. و الشهيد و الشاهد واحد، إلا ان فى شهيد مبالغة. و وجه الاحتجاج ب «كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً» لأن المعنى كفى اللَّه شهيداً بما اظهر من الآية، و أبان من الدلالة، لأنه تعالى لا يشهد بصحة النبوة إلا على هذه الصفة إذ قد لزمهم ان يعترفوا لها بالصحة.

و روى عن ابن عباس و مجاهد انهما قرءا «و من عنده علم» بكسر الميم، و علم الكتاب على ما لم يسم فاعله، و به قرأ سعيد بن جبير، و لما قيل له: هو عبد اللَّه بن سلامه، قال: كيف يجوز ذلک و السورة مكية و هو اسلم بعد الهجرة بمدة.

---

(1) سورة 38 ص آية 75
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 269

(14)سورة ابراهيم ..... ص : 269

اشارة

قال قتادة: هى مكية إلا آيتين: قوله «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ» الى قوله «وَ بِئْسَ الْقَرارُ». و قال مجاهد هى مكية و ليس فيها ناسخ و لا منسوخ.
و هى اثنان و خمسون آية فى الكوفى، و أربع فى المدنيين. و آية فى البصرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْکَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1) اللَّهِ الَّذِی لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ وَيْلٌ لِلْکافِرِينَ مِنْ عَذابٍ شَدِيدٍ (2)
ثلاث آيات فى المدنيين آخر الاولى. قوله «الى النور» و آيتان عند الباقين.
قرأ ابن عامر و نافع «اللّه الذى» بالرفع. الباقون بالخفض. قال ابو على:
من قرأ بالجر جعله بدلًا من الحميد، و لم يكن صفة، لان الاسم و ان كان فى الأصل مصدراً، و المصادر يوصف بها كما يوصف بأسماء الفاعلين، و كذلک كان هذا التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 270
الاسم فى الأصل (الألاه) و معناه ذو العبادة اى تجب العبادة له، قال ابو زيد: يقال تألّه الرجل إذا نسک و أنشد لرؤبة:
سبحن و استرجعن من تألّهى «1»
.فهذا فى أنه فى الأصل مصدر قد وصف به مثل السلام و العدل، الا ان هذا الاسم غلب حتى صار فى الغلبة و كثرة الاستعمال كالعلم، و قد يغلب ما فى أصله الصفة فيصير بمنزلة العلم «2» مثل قول الشاعر:
و التيم ألأم من يمشى و ألأمهم ذهل بن تيم بنو السود المدانيس «3»
يجوز أن يكون جعل التيم جمع تيمىّ كيهودى و يهود. و على هذا قال تعالى و قالت اليهود، ألا ترى أن (يهود) قد جرى فى كلامهم اسماً للقبيلة، كما أن (مجوس) كذلک، فلو لا أن المراد بهما الجمع، لم يدخلهما الألف و اللام، كما لا يدخل المعارف فى نحو زيد و عمرو، إلا انه جمع بحذف الياءين اللتين للنسب، كما جمع شعير و شعيرة بحذف التاء، و مثله (رومى) و روم و (زنجى) و زنج.
و من رفع قطع عن الاول، و رفعه بالابتداء، و جعل (الذى) الخبر، او جعله صفة و أضمر الخبر. و قد بيّنا معانى الحروف المقطعة فى أوائل السور فى أول

---

(1) مر هذا الرجز فى 1: 28
(2) كان فى المطبوعة على الهامش هذه الحاشية (نابغة الجعدى فى الرمل بيته عليه صفيح من تراب و جندل و الأصل النابغة و لما غلب نزع منه الالف و اللام كما ينزع من اسماء الاعلام نحو زيد و عمرو و ربما استعمل فى هذا النحو الوجهان و اما قول الشاعر) انتهى.
و هو كما ترى بعيد عن المتن من حيث اللهجة و التركيب و ظاهر انه ليس من كلام الشيخ الطوسى- رحمه اللّه- و لكن آخره يشبه المتصل بالمتن

لذلک نقلناه فلعل المطلع علیه یستفید منه.
(3) قائله جریر. دیوانه (دار بیروت) 252 و اللسان (تیم) و روایة الدیوان:
و التیم. أَلأم من یمشی و أَلأمهم أولاد ذهل بنو السود المدانیس
و روایة اللسان:
و التیم أَلأم من یمشی و أَلأمه تیم بن ذهل بنو السود المدانیس
التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 271
البقرة «1»، و ذکرنا اختلاف المفسرین فیه، فلا فائدة فی إعادته.
و قوله «کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ» رفع علی انه خبر الابتداء، و معناه هذا کتاب یعنی القرآن أنزله علی نبیه محمد صلّی اللَّه علیه و سلم «لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ» أی لیخرجهم من ظلمات الکفر و الضلالة الی نور الایمان و الهدایة.
و الظلمة فی الأصل سواد الجو المانع من الرؤیة تقول أظلم إظلاماً و ظلاماً و ظلمة. و الظلمة اذهاب الضیاء بما یستره، و النور بیاض شعاعیّ تصح معه الرؤیة، و یمنع معه الظلام، و منه النار لما فیها من النور. و النور و الضیاء واحد.
و قال قتادة «مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ» من الضلالة الی الهدی «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» ای بإطلاق اللَّه ذلک، و أمره به نبیه صلّی اللَّه علیه و سلم «إِلی صِراطِ الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ» أی یخرجهم من ظلمات الکفر إلی طریق اللَّه المؤدی إلی معرفة اللَّه «العزیز» یعنی القادر علی الأشیاء الممتنع بقدرته من أن یضام، المحمود فی أفعاله التی أنعم بها علی عباده، الذی له التصرف فی جمیع ما فی السماوات و الأرض، علی وجه لیس لأحد الاعتراض علیه.
ثم اخبر تعالی أن الویل للکافرین الذین یجحدون نعم اللَّه و لا یعترفون بوحدانیته.
و الإقرار بنبیه صلّی اللَّه علیه و سلم «مِنْ عَذابٍ شَدِیدٍ» و هو ما تتضاعف آلامه، و الشدة تجمع یصعب معه التفکک، شدّه یشدّه شدّاً و شدّة.
و فی الآیة دلالة علی ان اللَّه یرید الایمان من جمیع المکلفین، لأنه ذکر أنه أنزل کتابه لیخرج الناس من ظلمات الکفر الی نور الایمان، لأن اللام لام الغرض، و لا یجوز أن یکون لام العاقبة، لأنها لو کانت کذلک، لکان الناس کلهم مؤمنین و المعلوم خلافه.

---

(1) فی 1: 47- 51
التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 272

الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً أُولئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (3)
آية بلا خلاف.
«الذين» فى موضع جر، لأنه نعت للكافرين، و تقديره و ويل للكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة. و الاستحباب طلب محبة الشىء بالتعرض لها، و المحبة إرادة منافع المحبوب. و قد تكون المحبة ميل الطباع. و الحياة الدنيا هو المقام فى هذه الدنيا العاجلة على الكون فى الآخرة. ذمهم اللّه بذلك، لان الدنيا دار انتقال، و الآخرة دار مقام.
«وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» اى يعرضون بنفوسهم عن اتباع الطريق المؤدى الى معرفة اللّه، و يجوز ان يريد انهم يمنعون غيرهم من اتباع سبيل اللّه تعالى، يقال: صد عنه يصد صدّاً، غير متعد، و صده يصده صدّاً متعد. و السبيل الطريق و كلاهما يؤنث و يذكر، و هو على السبل اغلب و «يَبْغُونَها عِوَجاً» أى و يطلبون الطريق عوجاً اى عدولًا عن استقامته. و (العوج) خلاف الميل الى الاستقامة، و العوج- بكسر العين- فى الدين، و- بفتح العين- فى العود و البغية طلب المقاصد لموضع الحاجة، يقال: بغاه يبغيه بغية، و ابتغى ابتغاء، و دخلت (على) فى قوله «يَسْتَحِبُّونَ الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ» لان المعنى يؤثرونها عليها. و لو قيل من الاخرة، لجاز ان يكون بمعنى يستبدلونها من الاخرة.
و قيل: إنه يجرى مجرى قولهم: نزلت على بنى فلان، و نزلت فى بنى فلان، و ببنى فلان، كله بمعنى واحد.
و قوله «أُولئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ» إخبار منه تعالى ان هؤلاء الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الاخرة، و يصدون عن سبيل اللّه، فى عدول عن الحق، بعيدون عن الاستقامة.

وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (4)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى انه لم يرسل فيما مضى من الازمان رسولًا الى قوم إلا بلغة قومه حتى إذا بين لهم، فهموا عنه، و لا يحتاجون الى من يترجم عنه.

و قوله «فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ» يحتمل أمرين:

أحدهما- انه يحكم بضلال من يشاء إذا ضلوا هم عن طريق الحق.

الثانى- يضلهم عن طريق الجنة إذا كانوا مستحقين للعقاب و «يَهْدِي مَنْ يَشاءُ» الى طريق الجنة «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» يعنى القادر الذى لا يقدر أحد على منعه «الحكيم» فى جميع أفعاله، ليس فيها ما له صفة السفه. و يحتمل ان يريد انه محكم لأفعاله التى تدل على علمه.

و رفع قوله «فيضل الله» لان التقدير على الاستئناف، لا العطف على ما مضى، و مثله قوله «لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ» «1» و مثله «قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ» «2» ثم قال بعد ذلك «وَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ» «3» لأنه إذا لم يجز ان يكون عطفاً على ما مضى فينتصب لفساد المعنى فلا بد من استئنافه و رفعه.

و قال الحسن: امتن اللَّه على نبيه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم انه لم يبعث رسولًا إلا الى قومه، و بعثه خاصة الى جميع الخلق. و قال مجاهد: بعث اللَّه نبيه الى الأسود و الأحمر و لم يبعث نبياً قبله إلا الى قومه و اهل لغته.

---

(1) سورة الحج آية 5

(2، 3) سورة التوبة آية 15- 16

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5)
آية فى الكوفى و البصرى. و آيتان فى المدنيين.
آخر الاولى «الى النور».
أخبر اللّه تعالى انه أرسل موسى نبيه (ع) الى خلقه بآياته و دلالاته «أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ» اى أرسلناه بأن أخرج قومك من ظلمات الكفر و الضلالة الى نور الايمان و الهداية بالدعاء لهم الى فعل الايمان، و النهى عن الكفر و التنبيه على أدلته. «وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال الحسن و مجاهد و قتادة و سعيد بن جبير: ذكّرهم بنعم اللّه.
الثانى- ذكّرهم بنعم اللّه لعاد و ثمود و غيرهم من الأمم الضالة، قال عمر بن كلثوم:
و ايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا «1»
و قيل: النعم و النقم من أعدائنا. و قال قوم: أراد خوفهم بهذا، كما يقال: خذه بالشدة و اللين. ثم أخبر ان فى ذلك دلالات لكلّ من صبر على بلاء اللّه و شكره على نعمه. و التذكير التعريض للذكر الذى هو خلاف السهو، يقال: ذكّره تذكيراً، و ذكره يذكره ذكراً، و تذكر تذكراً، و ذاكره مذاكرة.
و الصبار الكثير الصبر، و الصبر حبس النفس عما تنازع اليه مما لا ينبغى.

---

(1) هذا البيت من معلقته الشهيرة. المعلقات السبع (دار بيروت) 123 و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 13: 107 و مجمع البيان 3: 304 و قد مر فى 1: 36 من هذا الكتاب.

و الشكور الكثير الشكر. و الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم، و ضدّه الكفر. (و ان) فى قوله «أن اخرج» يحتمل ان تكون بمعنى (أى) على وجه التفسير، و يجوز ان تكون التى تتعلق بالافعال و المعنى قلنا له:
اخرج قومك. و قال سيبويه يقول العرب: كتبت اليه أن قم، و أمرته أن قم، و ان شئت كانت (أن) التى وُصلت بالأمر. و التأويل على الخبر. و المعنى كتبت اليه ان يقوم و أمرته أن يقوم إلّا انها وُصلت بلفظ الامر المخاطب، و المعنى معنى الخبر، كما تقول أنت الذى فعلت. و المعنى انت الذى فعل.

وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ وَ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (6)

آية بلا خلاف.

التقدير و اذكر يا محمد «إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» فى الوقت الذى أنجاكم «مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ. يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ» جملة فى موضع الحال. و «يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» و قد فسرناه أجمع فى سورة البقرة «1» فلا نطول بإعادته. و دخلت الواو- هاهنا- فى قوله «وَ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ» و فى البقرة بلا واو. و قال الفراء: معنى الواو أنه كان يمسهم من العذاب غير التذبيح، كأنه قال يعذبونكم بغير الذبح. و الذبح إذا أطلق كان تفسيراً لصفات العذاب.

---

(1) انظر 1: 217- 224 فى تفسير آية 49 من سورة البقرة.

و قوله «وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» اى فى ذلكم نعم من ربكم عظيمة إذ أنجاكم منهم. و البلاء قد يكون نعماً، و عذاباً، يقال: فلان حسن البلاء عندک اى حسن الانعام عليک و يحتمل ان يكون بمعنى العذاب، و فى الصبر على ذلک العذاب امتحان من ربكم عظيم.

وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ (7) وَ قالَ مُوسى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (8)
آيتان بلا خلاف.
و هذه الآية عطف على الاولى، و التقدير و اذكروا «إذ تأذن ربكم» اى أعلمكم و قد يستعمل (تفعَّل) بمعنى (أفعل) كقولهم أوعدته و توعّدته، و هو قول الحسن و الفراء، قال الحرث بن حلزة:
آذنتنا ببينها أسماء رُبَّ ثاوٍ يملُّ منه الثواءُ «1»
و المعنى أعلم ربكم. و قوله «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» التقدير أعلمكم أنكم متى شكرتمونى على نعمى، و اعترفتم بها زدتكم نعمة الى نعمة «وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ» أى جحدتم نعمتى و كفرتموها «إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ» لمن كفر نعمتى.
ثم أخبر ان موسى قال لقومه «ان تكفروا» نعم اللَّه و تجحدونها «أنتم» و جميع «من فى الأرض» من الخلق فإنه لا يضر اللَّه. و إنما يضركم ذلك، بأن تستحقوا منه العذاب و العقاب «فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ» اى غنى عن شكركم حميد فى أفعاله.
و الغنى هو الحى الذى ليس بمحتاج، و الحميد الكبير لاستحقاق الحمد بعظم

---

(1) من معلقته الشهيرة. المعلقات السبع (دار بيروت) 155 و قد مر فى 1: 380 من هذا الكتاب.

إنعامه، و هى صفة مبالغة فى الحمد، و قد يكون كفر النعمة بأن يشبه الله بخلقه أو يجوّر فى حكمه، أو يردّ على نبى من أنبيائه، أو كان بمنزلة واحد منها فى عظم الفاحشة، لان الله تعالى منعم بجميع ذلك من حيث أقام الادلة الواضحة على صحة جميع ذلك و غرضه بالنظر فى جميعها الثواب الجزيل، فلذلك كان منعماً بها إن شاء.

أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْواهِهِمْ وَ قالُوا إِنَّا كَفَرْنا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَ إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (9) قالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِي اللَّهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرَكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى قالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتُونا بِسُلْطانٍ مُبِينٍ (10)

آيتان فى الكوفى و ثلاث آيات فى المدنيين و البصرى تمام الأولى قوله «و ثمود».

قيل فيمن يتوجه الخطاب اليه فى قوله «أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا» قولان:

أحدهما- قال الجبائى: إنه متوجه الى أمة النبى صلّى اللّه عليه و سلم ذكروا بأخبار من تقدم و ما جرى من قصصهم.

و الثانى- قال قوم: إنه من قول موسى (ع) لأنه متصل به فى الآية المتقدمة يقول اللّه لهم «الم يأتكم» اى اما جاءكم اخبار من تقدمكم. و النبأ الخبر عما يعظم التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 278

شأنه يقال: لهذا الامر نبؤ اى عظم شأن يقال انبأ ينبئ، و نبّأت أنبّئ، و نبأ اللّه محمداً اى جعله نبياً، و تنبأ مسيلمة اى ادعى النبوة، و ليس هو كذلك. و «قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ» كل ذلك مجرور بأنه بدل من الكاف و الميم فى قوله «قلبكم» و هو مجرور بالاضافة.

و قوله «لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ» اى لا يعلم تفاصيل أحوالهم و ما فعلوه، و فعل بهم من العقوبات، و لا عددهم «إلا اللّه» و لذلك

قال النبى صلّى اللّه عليه و سلم (كذب النسابون)

و قوله «جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ» اى أتتهم رسلهم بالدلالات الواضحات «فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْواهِهِمْ» و قيل فى معناه خمسة اقوال:

أحدها- قال عبد اللّه بن مسعود، و ابن زيد: انهم عضوا على أناملهم تغيظاً عليهم فى دعائهم الى اللّه، كما قال «عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ» «1»

و ثانيها- قال الحسن: جعلوا أيديهم فى أفواه الأنبياء تكذيباً لهم ورداً لما جاؤوا به.

الثالث- قال مجاهد ردوا نعمتهم بأفواههم.

الرابع- قال قوم: يحتمل ان يكونوا ردوا أيدى أنفسهم فى أفواه نفوسهم مومئن لهم اى اسكتوا عما تدعونا إليه، كما يفعل الواحد منا مع غيره إذا أراد تسكيته. روى ذلك عن ابن عباس ذكره و الفراء.

و خامسها- قال قوم: ردوا ما لو قبلوه، لكانت نعمة عليهم فى أفواههم اى بأفواههم و ألسنتهم، كما يقولون أدخلك اللّه بالجنة يريدون فى الجنة و هى

لغة طى، قال الفراء: انشدنى بعضهم:
و ارغب فيها عن لقيط و رهطه و لكننى عن سنبس لست ارغب «2»

---

(1) سورة آل عمران آية 119
(2) مجمع البيان 3: 306 و امالى الشريف المرتضى 1: 366 و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 13: 111 و لم يعرف قائله. [.....]

فقال (ارغب فيها) يريد بها يعنى بنتاً له، يريد: ارغب بها عن لقيط، و لا ارغب بها عن قبيلته. و قوله «إِنَّا كَفَرْنا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ» حكاية ايضاً عما قالوا للرسل فإنهم قالوا: إنا قد كفرنا بما أرسلتم به من الدعاء الى اللّه وحده و توجيه العبادة إليه، و العمل بشرائعه «وَ إِنَّا لَفِى شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنا إِلَيْهِ مُرِيبٍ» و الريب أخبث الشك المتهم، و هو الذى يأتى بما فيه التهمة، و لذلك وصفوا به الشك اى انه يوجب تهمة ما أتيتم به يقال: أراب يريب إرابة إذا أتى بما يوجب الريبة، فقالت لهم حينئذ رسلهم «أَ فِى اللَّهِ شَكٌّ» مع قيام الأدلة على وحدانيته و صفاته، لأنه الذى خلق السموات و الأرض يدعوكم الى عبادته ليغفر لكم من ذنوبكم إذا أطعتموه.
و دخلت (من) هاهنا- فى قول أبى عبيدة- زائدة، و أنكر سيبويه زيادتها فى الواجب، و قال أبو على: دخلت للتبعيض و وضع البعض موضع الجميع توسعاً.
و قال قوم: دخلت (من) لتكون المغفرة بدلا من الذنوب، فدخلت (من) لتضمن المغفرة معنى البدل من السيئة «وَ يُؤَخِّرَكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى» يعنى لا يؤاخذكم بعاجل العذاب، بل يؤخر الى الوقت الذى ضربه اللّه لكم ان يمسكم فيه، فقال لهم قومهم «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا» اى ليس أنتم الا خلق مثلنا تريدون ان تمنعونا عما كان يعبد اباؤنا من الأصنام و الأوثان، فأتونا بحجة واضحة على ما تدعونه و بطلان ما نحن عليه.
و فى الآية دلالة واضحة على انه تعالى أراد بخلقه الخير و الايمان، لا الشر و الكفر، و أنه إنما بعث الرسل الى الكفار رحمة و تفضلا، ليؤمنوا، لا ليكفروا، لان الرسل قالت: ندعوكم الى اللّه ليغفر لكم، فمن قال إن اللّه أرسل الرسل الى الكفار ليكفروا بهم و يكونوا سوءاً عليهم و وبالًا، و انما دعوهم ليزدادوا كفراً فقد ردّ ظاهر القرآن.

قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ ما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11) وَ ما لَنا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَ قَدْ هَدانا سُبُلَنا وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (12)

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 280

آيتان بلا خلاف.

حكى اللّه تعالى فى هذه الآية ما أجابت به الرسل الكفار، فإنهم قالوا لهم ما «نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» و لسنا ملائكة، كما زعمتم «و لكن الله» من علينا فاصطفانا و بعثنا أنبياء و هو «يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» و لم يكن لنا ان نجيئكم «بسلطان» اى بحجة على صحة دعوانا إلا بأمر اللّه و إطلاقه لنا فى ذلك «و على الله» يجب ان يتوكل «المتوكلون» المؤمنون المصدقون به و بأنبيائه.

ثم اخبر انهم قالوا ايضاً «وَ ما لَنا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ» اى و لم لا نتوكل على الله «وَ قَدْ هَدانا» الى سبل الإيمان و دلنا على معرفته و وفقنا لتوجيه العبادة اليه، و لا نشرك به شيئاً، و ضمن لنا على ذلك جزيل الثواب، «وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا» من تكذيبنا و شتمنا فى جنب طاعته و ابتغاء مرضاته و طلب ثوابه «و على الله» يجب ان يتوكل المتوكلون الواثقون بالله دون من كان كافراً، فان وليه الشيطان.

و «المنّ» أصله القطع يقال: حبل منين اى منقطع عن بلوغ المنية، و المنيّة لأنها تقطع عن امر الدنيا. «لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» «1» اى غير مقطوع، و الأذى ضرر يجده صاحبه فى حاله يقال: آذاه يؤذيه أذى و تأذى به تأذياً، و اكثر ما يقال فى الضرر القليل، و يقال ايضاً آذاه أذى عظيماً، و المثل ما سد مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته. و الهدى الدلالة على طريق الحق من الباطل، و الرشد من الغنى،

---

(1) سورة 41 حم السجد (فصلت) آية 8 و سورة 84 الانشقاق آية 25 و سورة 95 التين آية 6

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 281

هداه يهديه الى الدين هدى. و السلطان الحجة التى يتسلط بها على الطالب مذهب المخالف للحق. و قيل فى قوله «وَ ما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» قولان:

أحدهما- قال ابو على الجبائى: انهم سألوا آية مخصوصة غير ما أتتهم به الرسل، كما سأله قريش، فقالوا «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ

يَنْبُوعاَ ...» «1»
و الثانى- ان ما اتيناكم به بإذن الله، لأنه مما لا يقدر عليه البشر، و نحن بشر.

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنا فَأَوْحى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (13) وَ لَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذلِكَ لِمَنْ خافَ مَقامِى وَ خافَ وَعِيدِ (14)

آيتان بلا خلاف.

حكى اللّه تعالى عن الكفار انهم قالوا لرسلهم «انا لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنا» و بلادنا إلا ان تدخلوا فى أديانناً، و مذاهبنا، فحينئذ اوحى اللّه تعالى الى رسله إنا نهلك هؤلاء الظالمين الكافرين، و نسكنكم الأرض بعدهم ذلك جزاء «لِمَنْ خافَ مَقامِى» اى حيث يقيمه الله بين يديه، و أضافه الى نفسه، كما قال «وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» «2» اى رزقى إياكم قال الفراء: و العرب تضيف افعالها الى أنفسها و الى ما وقعت عليه، يقولون سررت برؤيتك، و سررت برؤيتى إياك،

---

(1) سورة الإسراء 71 آية 90

(2) سورة 56 الواقعة آية 82

و ندمت على ضربك و ضربى إياك، و خاف وعيدى و عقابى، و انما قالوا «أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنا» و هم لم يكونوا على ملتهم قط لامرين:

أحدهما- انهم توهموا- ذلك على غير حقيقة- انهم كانوا على ملتهم.

الثانى- انهم ظنوا بالنشوء انهم كانوا عليها دون الحقيقة.

و اللام فى قوله «و لنخرجنكم» لام القسم و التى فى قوله «او لتعودن» ايضاً مثل ذلك إلا ان فيه معنى الجزاء، لان التقدير لنخرجنكم من أرضنا إلا ان تعودوا أو حتى ان تعودوا، و هو مثل قول القائل: و الله لا أكلمك او تدعونى.

و المعنى إلا أن، او حتى تدعونى.

وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (15) مِنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ وَ يُسْقى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ (16)
آيتان بلا خلاف.
قوله «وَ اسْتَفْتَحُوا» معناه استنصروا و هو طلب الفتح بالنصر، و منه قوله «وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا» «1» اى يستنصرون و قال ابن عباس: هو استفتاح الرسل بالنصر على قومهم، و به قال مجاهد و قتادة. و قال الجبائى: هو سؤالهم ان يحكم الله بينهم و بين أممهم، لان الفتح الحكم، و منه قولهم: الفتاح الحاكم. و قال ابن زيد: هو استفتاح الكفار بالبلاء و الخيبة خلاف ما قدروه من المنفعة، يقال: خاب يخيب خيبة و خيب تخييباً، و ضده النجاح، و هو ادراك الطلبة. و الجبرية طلب علو المنزلة بما ليس وراءه غاية فى الوصف، فإذا وصف العبد بأنه جبّار كان ذمّاً، و إذا وصف الله به كان مدحاً، لان له علو المنزلة بما ليس وراءه غاية فى الصفة.
و العنيد: هو المعاند إلا ان فيه مبالغة، و العناد الامتناع من الحق مع العلم به، كبراً و بغياً، يقال: عند يعند

---

(1) سورة البقرة آية 89

عنوداً، و عانده معاندة و عناداً قال الشاعر:
إذا نزلت فاجعلانى وسطاً انى كبير لا أطيق العندا «1»
و الوراء و الخلف واحد، و هو جهة مقابلة لجهة القدام، و قد يكون وراء بمعنى أمام، و قيل: إنه يحتمل ذلک- هاهنا- و ذكروا أنه يجوز فى الزمان على تقدير انه كان خلفهم، لأنه يأتى فيلحقهم قال الشاعر:
ا توعدنى وراء بنى رياح كذبت لتقصرن يداک دونى «2»
و قال آخر:
عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب «3»
و قوله «وَ يُسْقى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ» يعنى يسقى الجبار العنيد صديداً، و هو قيح يسيل من الجرح أخذ من انه يصد عنه تكرهاً له. و القيح دم مختلط بمدة.
و قوله «صديد» بيان للماء الذى يسقونه، فلذلک أعرب بإعرابه، قال الزجاج: و الوراء ما توارى عنک، و ليس من الاضداد. قال الشاعر:
حلفت فلم أترک لنفسک ريبة و ليس وراء الله للمرء مذهب «4»
أى ليس بعد مذاهب اللّه للمرء مذهب.

يَتَجَرَّعُهُ وَ لا يَكادُ يُسِيغُهُ وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَ ما هُوَ بِمَيِّتٍ وَ مِنْ وَرائِهِ عَذابٌ غَلِيظٌ (17) مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلى شَيْءٍ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (18)

---

(1) قد مر تخريجه فى 6: 14 من هذا الكتاب.
(2) قائله جرير، ديوانه (دار بيروت) 475، و (نشر الصاوى) 577 و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 13: 76، 114 و مجاز القرآن 1: 326، 337 و قد مر فى 6: 233
(3) لم أجده
(4) قائله النابغة، ديوانه (دار بيروت) 17 من قصيدة يعتذر بها الى النعمان بن المنذر و يمدحه. و هو فى امالى الشريف المرتضى 2: 17

آيتان بلا خلاف.
قوله «يتجرعه» معناه يشرب ذلک الصديد جرعة جرعة، يقال: تجرّع تجرعاً، و جرعه يجرعه جرعاً، و التجرع تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار.
و قوله «وَ لا يَكادُ يُسِيغُهُ» أى لا يقاربه، و انما يضطر اليه. قال الفراء:
(لا يكاد) يستعمل فيما يقع و فيما لا يقع، فما يقع هو هذا، و ما لم يقع مثل قوله «لَمْ يَكَدْ يَراها» «1» لان المعنى لم يرها. و الإساغة إجراء الشراب فى الحلق على تقبل النفس، و هذا يضطر اليه، فلذلک قال «وَ لا يَكادُ يُسِيغُهُ» و المعنى فلا يقارب ان يشربه تكرهاً، و هو يشربه، تقول: ساغ يسوغ الشىء و أسغته أنا. و
روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم انه قال: (ما يتجرّعه يقرّب اليه فيتكرّهه، فإذا أدنى منه شوى وجهه و وقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره)
كما قال «وَ سُقُوا ماءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ» «2» و قال «وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ» «3».
و قوله «وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس و الجبائى: من كل جهة، من عن يمينه و شماله و من فوقه و تحته و من قدامه و خلفه. و قال ابراهيم التيمى و ابن جريج: معناه «مِنْ كُلِّ مَكانٍ» من جسده حتى من أطراف شعره «وَ ما هُوَ بِمَيِّتٍ» اى انه مع

(1) سورة النور آية 40
(2) سورة محمد: 47 آية 15
(3) سورة الكهف: 18 آية 29
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 285
إتيان اسباب الموت و الشدائد التى يكون معها الموت «من كل جهة» من شدة الأهوال، و أنواع العذاب، و ليس هو بميت «وَ مِنْ وَرائِهِ عَذابٌ غَلِيظٌ» و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- من أمامه.
و الثانى- و من بعد عذابه هذا «عذاب غليظ».
و قوله «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ» اى فيما يتلى عليكم «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ»، فيكون رفعاً بالابتداء و يجوز ان يكون (مثل) مقحماً و يبتدئ الذين كفروا.
و قوله «أعمالهم» رفع على البدل و هو بدل الاشتمال عليه فى المعنى، لان المثل للأعمال، و قد أضيف الى الذين كفروا، و مثله «وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ» «1» و المعنى ترى وجوههم مسودة. قال الفراء: لأنهم يجدون المعنى فى آخر الكلمة، فلا يبالون ما وقع على الاسم المبتدأ، و مثله قوله «لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ» «2» فأعيدت اللام فى البيوت، لأنها التى يراد بالسقف. و قال المبرد: (أعمالهم) رفع بالابتداء و خبره (كرماد)، و الرماد الجسم المنسحق بالإحراق سحق الغبار. و يمكن ان يجعل (مثل) صفة بغير نار فى مقدور اللّه.
و قوله «اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِى يَوْمٍ عاصِفٍ» فالاشتداد الاسراع بالحركة على عظم القوة، يقال: اشتد به الوجع من هذا، لأنه أسرع اليه على قوة ألم و العصف شدة الريح، «يوم عاصف» أى شديد الريح، و جعل العصف صفة اليوم، لأنه يقع فيه، كما يقال: ليل نائم، و يوم ماطر، أى يقع فيه النوم و المطر، و يجوز ان يكون المراد عاصف ريحه، و حذف الريح للدلالة عليه، و مثله حجر ضبّ خرب اى خرب حجره، و يقال: عصفت الرياح إذا اشتدت و عصفت تعصف عصوفاً.
شبه اللّه تعالى أعمال الكفار فى انه لا محصول لها، و لا انتفاع بها يوم القيامة، بالرماد الذى يشتد فيه الريح العاصف، فإنه لا بقاء لذلک الرماد، و لا لبث

(1) سورة الزمر: (39) آية 60
(2) سورة الزخرف: 43 آية 33
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 286
فكذلک أعمال الكافر لا يقدر منها على شىء، كما قال فى موضع آخر «وَ

قَدِمْنا إِلى ما عَمِلَوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً» «1» و قوله «ذلِکَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ» اى من وصفناه فهو الذى ضل عن الحق و الخير ضلالًا بعيداً.

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (19) وَ ما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (20)

آيتان فى الكوفى و المدنى تمام الأولى «خلق جديد» و آية عند الباقين.

قرأ حمزة و الكسائى «خالق السماوات» على اسم الفاعل. الباقون «خلق» على (فعل) ماض. قال ابو على: من قرأ «خلق» فلان ذلک ماض فأخبر عنه بلفظ الماضى، و من قرأ «خالق» جعله مثل «فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» «2» بمعنى خالق.

و مثله قوله «فالِقُ الْإِصْباحِ وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً» «3» لأنهما فُعلا.

يقول اللّه تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم و يعنى به الأمة بدلالة قوله «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ» ألم تعلم، لان الرؤية تكون بمعنى العلم، كما تكون بمعنى الإدراک بالبصر و هاهنا لا يمكن ان تكون بمعنى الرؤية بالبصر، لان ذلک لا يتعلق بأن اللّه خلق السموات و الأرض، و إنما يعلم ذلک بدليل. و قوله «بالحق» و الحق هو وضع الشىء فى موضعه على ما تقتضيه الحكمة و إذا جرى المعنى على ما هو له من الأشياء فهو حق، و إذا اجرى على ما ليس هو له من الشىء فذلک باطل. و الخلق فعل الشىء على تقدير و ترتيب، و الخلق الفاعل على مقدار ما تدعو الحكم اليه لا يجوز عليه غير ذلک.

---

(1) سورة الفرقان: 25 آية 23 [.....]

(2) سورة فاطر: 35 آية 1

(3) سورة الانعام: 6 آية 96

و قوله «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ» خطاب للخلق و اعلام لهم أنه قادر ان شاء ان يميت الخلق و يهلكهم و يجىء بدلهم خلقاً آخر جديداً. و الاذهاب ابعاد الشىء عن الجهة التى كان عليها، و لهذا قيل للاهلاک إذهاب، لأنه ابعاد له عن حال الإيجاد. و الجديد المقطوع عنه العمل فى ابتداء أمره قبل حال خلوّ فيه، و أصله القطع يقال: جدّه يجده جدّاً إذا قطعه، و الجدّ أب الأب، لانقطاعه عن الولادة بالأب، و الجد ضد الهزل، و الجد الحظ.

«وَ ما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ» اخبار منه تعالى ان إذهابكم و إهلاككم و الإتيان بخلق جديد ليس بممتنع على اللّه على وجه من الوجوه. و الممتنع بقدرته: عزيز، و الممتنع بسعة مقدوره عزيز، و الممتنع بكبر نفسه عزيز.

و فى الآية دلالة على ان قدر على الإنشاء قدر على الافناء إذ كان مما لا يتغير حكم القادر، و لا شىء مما يحتاج اليه فى الفعل، لان من قدر على

البناء، فهو على الهدم أقدر، فمن كان قادراً على اختراع السماء و الأرض و ما بينهما فهو قادر على إذهاب الخلق و إهلاكهم.

وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقالَ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قالُوا لَوْ هَدانَا اللَّهُ لَهَدَيْناكُمْ سَواءٌ عَلَيْنا أَ جَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ (21)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى ان الخلق يبرزون يوم القيامة للَّه اى يظهرون من قبورهم و البروز خروج الشىء عما كان ملتبساً به الى حيث يقع عليه الحشر فى نفسه، يقال: برز للقتال إذا ظهر له.

«فَقالَ الضُّعَفاءُ» اى يقول الناقص القوة، لان الضعفاء جمع ضعيف، التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 288

و الضعف نقصان القوة، يقال: ضعف يضعف ضعفاً، و أضعفه اللَّه إضعافاً، و الضعف ذهاب مضاعفة القوة «لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» اى للذين طلبوا التكبر.

و الاستكبار و التكبر و التجبر واحد، و هو رفع النفس فوق مقدارها فى الوصف.

و المعنى يقول التابعون للمتبوعين من ساداتهم و كبرائهم «إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً» اى طلبنا اللحاق بكم، و اعتمدنا عليكم، و هو جمع تابع، كقولهم: غائب و غيّب.

قال الزجاج: و يجوز ان يكون مصدراً وصف به «فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» اى هل تقدرون على ان تدفعوا عنا ما لا نقدر على دفعه عن أنفسنا، يقال: أغنى عنى إذا دفع عنى، و أغنانى بمعنى نفى الحاجة عنى بما فيه كفاية. فأجابهم المستكبرون بأنه «لَوْ هَدانَا اللَّهُ» الى طريق الخلاص من العقاب و الوصول الى النعيم و الجنة «لهديناكم» اليه «سَواءٌ عَلَيْنا أَ جَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا» أى الجزع و الصبر سيان مثلان، ليس لنا من محيص أى مهرب من عذاب اللَّه تعالى يقال: حاص يحيص حيصاً و حيوصاً و حيصاناً، و حاد يحيد حيداً و محيداً، و الحيد الزوال عن المكروه. و الجزع انزعاج النفس بورود ما يغم، و نقيضه الصبر قال الشاعر:

فان تصبرا فالصبر خير مغبة و ان تجزعا فالأمر ما تريان «1»

وَ قالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ ما كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ ما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (22)
آية بلا خلاف.

---

(1) مر هذا البيت فى 1: 202، 4، 546
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 289
قرأ حمزة وحده «بمصرخىّ» بكسر الياء. الباقون بفتحها.
قال ابو على: قال الفراء- فى كتابه فى التصريف: قرأ به الأعمش، و يحيى ابن وثاب، قال و زعم القاسم بن معن أنه صواب، و كان ثقة بصيراً، و زعم قطرب أنه لغة فى بنى يربوع، يزيدون على ياء الاضافة ياء و انشد:
ماض إذا ما همّ بالمضىّ قال لها هل لک يا مامىّ
و انشد ذلک الفراء، و قال الزجاج: هذا الشعر لا يلتفت اليه، و لا هو مما يعرف قائله، قال الرمانى: الكسر لا يجوز عند اكثر النحويين، و اجازه الفراء على ضعف، قال ابو على: وجه جوازه من القياس أن الياء ليست تخلو: أن تكون فى موضع نصب او جر، فالياء فى النصب و الجر كالهاء فى (هما) و كالكاف فى أكرمتک و هذا لک، فكما ان (الهاء) قد لحقتها الزيادة فى هداكه و ضربه، و لحق الكاف الزيادة فى قولهم أعطيتكه او اعطيتكاه فيما حكاه سيبويه، و هما أختا الياء كذلک ألحقوا الياء الزيادة، فقالوا: فىّ، ثم حذفت الياء الزيادة على الياء، كما حذفت الزيادة من (الهاء) فى قول من قال: له أرقان. قال ابو الحسن هى لغة، فكما حذفت الزيادة من الكاف، فقال فى (اعطيتكيه، أعطيتكه) كذلک حذفت الياء اللاحقة الياء، كما حذفت من أختيها، و أقرت الكسرة التى كانت تلى الياء المحذوفة فبقيت الياء على ما كانت عليه من الكسرة، و كما لحقت الكاف و الهاء الزيادة، كذلک لحقت الياء الزيادة، فلحاق الياء الزيادة نحو ما أنشد من قول الشاعر:
رميتيه فأصميت و ما أخطأت الرمية
فإذا كانت هذه الكسرة فى الياء على هذه اللغة. و إن كان غيرها أفشى منها.
و عضده من القياس ما ذكرنا لم يجز لقائل ان يقول: إن قراءة القراء بذلک لحن يجوز، لاستقامة ذلک سماعاً و قياساً.
اخبر اللّه تعالى فى هذه الآية ان الشيطان يوم القيامة يقول لأوليائه الذين اتبعوه: التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 290

«إِنَّ اللّٰهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ» من الثواب و العقاب «و وعدتكم» انا بالخلاص من العقاب بارتكاب المعاصى، و قد خالفت وعدى «وَ ما كانَ لِى عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ» اى لم يكن لى عليكم حجة، و لا برهان اكثر من ان دعوتكم الى الضلال و أغويتكم، فأجبتمونى و اتبعتمونى «فَلا تَلُومُونِى» فى ذلک «وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ» بارتكاب المعاصى و خلافكم اللّٰه و تركككم ما أمركم به «ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ ما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِىَّ» يقال: استصرخنى فأصرخته، اى استغاثنى فأغثته، فالاصراخ الاغاثة. و المعنى ما انا بمغيثكم و ما أنتم بمغيثىّ «إِنِّى كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ» حكاية عن قول الشيطان لأوليائه انه يقول لهم «انى كفرت» بشرككم باللّٰه و متابعتكم لى قبل هذا اليوم. ثم اخبر تعالى «إن الظالمين» الكافرين «لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» مؤلم شديد الألم، و يصح ان يلوم الإنسان نفسه على الاساءة، كما يصح حمدها على الإحسان قال الشاعر:

صحبتک إذ عينى عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسى ألومها «1»

قال الجبائى: و فى الآية دلالة على ان الشيطان لا يقدر على الإضرار بالإنسان اكثر من إغوائه و دعائه الى المعاصى، فأما بغير ذلک فلا يقدر عليه، لأنه اخبر بذلک، و يجب ان يكون صادقاً، لأن الآخرة لا يقع فيها من احد قبيح لكونهم ملجئين الى تركه.

وَ أُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ (23) أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25)

---

(1) قائله الحارث بن خالد المخزومى. اللسان (غشا)

ثلاث آيات فى الكوفى و البصرى تمام الثانية «فى السماء» و آيتان فى الباقى اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان الذين يؤمنون به، و يصدقون بوحدانيته، و يعترفون بنبوّة أنبيائه و يعملون بما دعاهم اليه من الطاعات و الاعمال الصالحات يدخلهم اللَّه يوم القيامة جنات من صفتها انه تجرى من تحتها الأنهار، لان الجنة البستان الذى يجنه الشجر، فالأنهار تجرى من تحت الأشجار، و قيل انهار الجنة فى أخاديد فى الأرض «خالدين فيها» اى مؤبدين فيها دائمين، و نصبه على الحال من حيث انها تدوم لهم «بإذن ربهم» أى بأمر ربهم و إطلاقه، يخلدون فيها، و يكون تحية بعضهم لبعض فى الجنة «سلام». و التحية التلقى بالكرامة فى المخاطبة، كقولك أحياك اللَّه حياة طيبة، سلام عليك، و ما أشبه ذلك تبشيراً لهم بدوام السلامة.

ثم قال لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ» انما ضرب المثل بالكلمة الطيبة للدعاء اليها فى كل باب يحتاج الى العمل عليه، و فى كل باب من أبواب العلم. و معنى «فَرْعُها فِي السَّماءِ» مبالغة له فى الرفعة، فالأصل سافل، و الفرع عال، إلا أنه من الأصل يوصل الى الفرع. و الأصل فى باب العلم مشبه بأصل الشجرة التى تؤدى الى الثمرة التى هى فرع ذلك الأصل، و يشبه بأصل الدرجة التى يترقى منها الى على مرتبة.

و

روى انس بن مالك عن النبى صلّى اللَّه عليه و سلم أن هذه الشجرة الطيبة هى النخلة.

و قال ابن عباس: هى شجرة فى الجنة.

و قوله «تُؤْتِي أُكُلَها» اى تخرج هذه الشجرة الطيبة- و هى النخلة- ما يؤكل منها فى كل حين. و قال ابن عباس- فى رواية-

يعنى ستة أشهر الى صرام النخل، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (ع)

، و به قال سعيد بن جبير، و الحسن.

و قال مجاهد و ابن زيد: كل سنة. و قال سعيد بن المسيب: الحين شهران. و فى رواية اخرى عن ابن عباس: غدوة و عشية، و قال قوم: من أكل النخلة: الطلع التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 292
و الرطب و البسر و التمر، فهو دائم لا ينقطع على هذه الصفة، و أهل اللغة يذهبون الى ان الحين هو الوقت، قال النابغة:
يبادرها الراقون من سوء سمها تطلقه حيناً و حيناً تراجع «1»
كذا رواه الاصمعى و (مثلا) منصوب ب (ضرب) و التقدير ضرب الله كلمة طيبة مثلًا «بإذن ربها» اى يخرج هذا الأكل فى كل حين بأمر الله و خلقه إياه «وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» اخبار منه تعالى انه يضرب المثل للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة فى البادية و العاقبة، لكى يتذكروا و يتفكروا فيه و يعتبروا به، فيؤديهم ذلک الى دخول الجنة و حصول الثواب.
و فائدة الآية ان الله ضرب للايمان مثلًا و للكفر مثلًا، فجعل مثل المؤمن الشجرة الطيبة التى لا ينقطع نفعها و ثمرها، و هى النخلة ينتفع بها فى كل وقت، لا ينقطع نفعها البتة، لأنه ينتفع بطلعها، و بسرها، و رطبها، و تمرها، و سعفها، و ليفها، و خوصها، و جذعها. و مثل الكافر بالشجرة الخبيثة و هى الحنظلة.
و قيل الأكشوث لا انتفاع به، و لا قرار له و لا أصل، فكذلک الكفر لا نفع فيه و لا ثبات.

وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ (26) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِى الْآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ (27)

آيتان بلا خلاف.

لما ضرب الله المثل للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة التى ذكرها و أكلها، ضرب

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 80 و روايته:

تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه طوراً و طوراً تراجع

المثل للكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة التى تجتث اى تقلع، يقال: اجتثه اجتثاثاً و جثه جثاً، و منه الجثة، و الاجتثاث الاستئصال للشىء و اقتلاعه من أصله، و قال انس بن مالک و مجاهد: الشجرة الممثل بها هى شجرة الحنظل، قال أنس:

و هى السرمان. و قال ابن عباس: هى شجرة لم تخلق بعد. و المثل قول سائر يشبه فيه حال الثانى بالأول، و التشبيه فى الأمثال، لما يحتاج اليه من البيان و هو على وجهين: أحدهما- ما يظهر فيه اداة التشبيه. و الآخر- ما لا يظهر فيه.

و الكلمة الواحدة من الكلام، و لذلک يقال للقصيدة كلمة، لأنها قصيدة واحدة من الكلام. و الكلمة إنما تكون خبيثة إذا خبث معناها. و هى كلمة الكفر، و الطيبة كلمة الايمان، و الخبث فساد يؤدى الى فساد.

و قوله «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا» يعنى كلمة الايمان «و فى الاخرة» قال ابن عباس و البراء بن عازب: هى المسألة فى القبر إذا أتاه الملک، فقال له من ربک و ما دينک و من نبيک؟ فيقول: ربى الله و دينى الإسلام و نبى محمد صلّى اللَّه عليه و سلم. و قال قوم: معنى «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا» يعنى الايمان يثبتهم الله بثوابه فى الجنة و يمدحهم فيها.

و قوله «وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ» يحتمل أمرين:

أحدهما- يحكم بضلال الظالمين.

الثانى- يضلهم عن طريق الجنة الى طريق النار «وَ يَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ» من ذلک لا اعتراض عليه فى ذلک و لا فى غيره مما يريد فعله.

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ (28) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَ بِئْسَ الْقَرارُ (29) وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (30)

ثلاث آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 294

قيل فى من نزل فيه قوله «الذين بدلوا نعمة الله كفرا» قولان:

أحدهما-

قال امير المؤمنين على بن أبى طالب (ع)، و ابن عباس، و سعيد ابن جبير، و مجاهد، و الضحاك: انهم كفار قريش، فقال (ع): (أما بنو المغيرة فأبادهم اللَّه يوم بدر، و أما بنو أمية فقد أمهلوا إلى يوم ما)

و قال قتادة: هم القادة من كفار قريش. و روى عن عمر أنه قال: هما الأفجران من قريش بنو المغيرة و بنو أمية. فأما بنو أمية فمتعوا إلى حين، و اما بنو المغيرة فقتلوهم يوم بدر.

أنعم اللَّه تعالى عليهم بالنبى صلّى اللَّه عليه و سلم، فكفروا به و دعوا قومهم الى الكفر به، فقال اللَّه تعالى لنبيه: أما تنظر الى هؤلاء الذين كفروا بنعم اللَّه و بدلوا مكان الشكر عليها كفراً «وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ» أى أنزلوا قومهم دار الهلاك بدعائهم إياهم الى الكفر بالنبى صلّى اللَّه عليه و سلم و إغوائهم إياهم و صدهم عن الايمان به.

و التبديل جعل الشىء مكان غيره، فهؤلاء القوم لما جعلوا الكفر بالنعمة مكان شكرها، كانوا قد بدلوا أقبح تبديل. و الإحلال وضع الشىء فى محل، اما مجاوره إن كان من قبيل الأجسام، او مداخله إن كان من قبيل الاعراض.

و البوار الهلاك، بار الشىء يبور بوراً إذا هلك و بطل. قال ابن الزبعرى.

يا رسول المليك ان لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور «1»

و قوله «جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها» فى موضع نصب بدلًا من قوله «دارَ الْبَوارِ» لأنه تفسير لهذه الدار «يصلونها» اى يصلون فيها و يشتوون فيها.

ثم أخبر انها بئس القرار اى بئس المستقر و المأوى.

ثم قال: ان هؤلاء الذين بدلوا نعمة اللَّه كفراً و أحلوا قومهم دار البوار «جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً» زيادة على كفرهم و جحدهم نعم اللَّه. و الأنداد جمع ند، و هم الأمثال المناءون، قال الشاعر:

---

(1) قائله عبد اللَّه بن الزبعرى السهمى. تفسير الطبرى 13: 130، و مجاز القرآن 1: 340 و اللسان (بور)، و روايته (يا رسول الإله)

نهدى رؤس المترفين الأنداد الى امير المؤمنين الممتاد «1»
«لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ» اى لتكون عاقبة أمرهم إلى الضلال الذى هو الهلاك، و اللام لام العاقبة، و ليست بلام الغرض، لأنهم ما عبدوا الأوثان من دون اللّه، و غرضهم ان يهلكوا، بل لما كان لأجل عبادتهم لها استحقوا الهلاك و العذاب عبر عن ذلک بهذه اللام، كما قال «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «2» و إنما التقطوه ليكون لهم قرة عين، و لكن لما كان عاقبة ذلک انه كان عدوهم فعبر عنه بهذه اللام.
و قرأ بضم الياء و كسر الضاد، و المعنى انهم فعلوا ذلک ليضلوا غيرهم عن سبيل الحق الذى هو الطريق الى ثواب اللّه و النعيم فى جنته، فقال اللّه تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم قل لهؤلاء الكفار الذين وصفناهم «تمتعوا» و انتفعوا بما تهوون من عاجل هذه الدنيا، فصورته صورة الأمر و المراد به التهديد بدلالة قوله «فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ» و المعنى مرجعكم و مآلكم الى النار و الكون فيها عما قليل.

قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خِلالٌ (31)
آية بلا خلاف.
أمر اللَّه تعالى نبيه ان يقول لعباده المؤمنين المعترفين بتوحيد اللَّه و عدله يداومون على فعل الصلاة و يقيمونها بشرائطها و ينفقون مما رزقهم اللَّه سرّاً و علانية أى ظاهراً و باطناً، و موضع «يقيموا» جزم من ثلاثة أوجه:

---

(1) قائله العجاج ديوانه 40 و مجاز القرآن 1: 300 و تفسير الطبرى 12: 79 و مجمع البيان 3: 200 و قد مر فى 4: 63، 6: 82
(2) سورة القصص آية 8.

أحدها- انه جواب الأمر و هو «قل».
الثانى- هو جواب أمر محذوف، و تقديره قل لهم أقيموا يقيموا.
الثالث- بحذف لام الأمر لأن فى «قل» دلالة عليه، و المعنى ليقيموا، و على هذا يجوز ان تقول: قل له يضرب، و لا يجوز يضرب زيداً، لأنه عوض من المحذوف ذكره الزجاج.
«مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خِلالٌ» المعنى بادروا بافعال الخير من اقامة الصلاة و إيتاء الزكاة و أفعال الخير «قبل ان» يأتيكم يوم القيامة الذى لا بيع فيه و لا شراء، و المراد- هاهنا- و لا فداء تفدون بها نفوسكم من عذاب اللَّه «و لا خلال» اى و لا مخالة، تقول: خاللت فلاناً مخالة و خلالا، قال امرؤ القيس:
صرفت الهوى عنهنّ من خيفة الردى و لست بمقلى الخلال و لا قالى «1»
و المخالة اصفاء المودة، و قد يكون الخلال جمع خلّة مثل قلّة، و قلال.
و ظلة و ظلال.

اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَکُمْ وَ سَخَّرَ لَکُمُ الْفُلْکَ لِتَجْرِیَ فِی الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَخَّرَ لَکُمُ الْأَنْهارَ (32) وَ سَخَّرَ لَکُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَیْنِ وَ سَخَّرَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ (33) وَ آتاکُمْ مِنْ کُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ کَفَّارٌ (34)

ثلاث آيات فى الكوفى و المدنيين و آيتان فيما عداها، آخر الاولى «الأنهار».

أخبر اللَّه تعالى انه (جل و عز) اخترع السموات و الأرض و انشأهما بلا معين

---

(1) ديوانه: 113 و تفسير الطبرى 13: 133

و لا مشير «وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنى غيثاً و مطراً فأخرج بذلك الماء الثمرات رزقاً لعباده، و سخر لهم المراكب فى البحر لتجرى بأمر اللَّه، لأنها تسير بالرياح و اللَّه تعالى المنشئ للرياح «وَ سَخَّرَ لَکُمُ الْأَنْهارَ» التى تجرى بالمياه التى ينزلها من السماء، و يجريها فى الأودية، و ينصبّ منها فى الأنهار «وَ سَخَّرَ لَکُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَیْنِ» معناه ذلل لكم الشمس و القمر و مهدهما لمنافعكم، و تدبير اللَّه لما سخره للعباد ظاهر لكل عاقل متأمل لا يمكنه الانصراف عنه إلا على وجه المعاندة و المكابرة، و الدؤوب مرور الشىء فى العمل على عادة جارية فيه دأب يدأب دأباً و دؤوباً فهو دائب، و المعنى دائبين، لا يفتران، فى صلاح الخلق و النبات، و منافعهم «وَ سَخَّرَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ» أى ذللهما لكم، و مهدهما لمنافعكم، لتسكنوا فى الليل، و تبتغوا فى النهار من فضله «وَ آتاکُمْ مِنْ کُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ» معناه ان الإنسان قد يسأل اللَّه العافية فيعطى، و يسأله النجاة فيعطى، و يسأله الغنى فيعطى، و يسأله الملک فيعطى، و يسأله الولد فيعطى، و يسأله العز و تيسير الأمور و شرح الصدر فيعطى، فهذا فى الجملة حاصل فى الدعاء للَّه تعالى ما لم يكن فيه مفسدة فى الدين عليه و على غيره، فأين يذهب به مع هذه النعم التى لا تحصى كثرة، عن اللَّه الذى هو فى كل حال يحتاج اليه، و هو مظاهر بالنعم عليه.

و دخلت (من) للتبعيض، لأنه لو كان و آتاكم كل ما سألتموه لاقتضى ان جميع ما يسأله العبد يعطيه اللَّه، و الامر بخلافه، لان (من) تنبئ عنه.

و قال قوم: ليس من شىء الا و قد سأله بعض الناس، و التقدير كل ما سألتموه قد أتى بعضكم.

و قوله «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها» معناه و ان تروموا عدها بقصدكم

اليه لا تحصونها لكثرتها، و يروى عن طلق بن حبيب، أنه قال: ان حق اللّه أثقل من ان تقوم به العباد، و ان نعم اللَّه اكثر من ان تحصيها العباد، و لكن، أصبحوا تائبين، و امسوا تائبين.
و قوله «إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» اخبار منه تعالى أن الإنسان يعنى من تقدم وصفه بالكفر كثير الظلم لنفسه و لغيره، و كفور لنعم اللَّه غير مؤد لشكرها. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 298
و قرئ «من كلّ ما سألتموه» بالتنوين، قال الفراء: كأنهم ذهبوا الى أنا لم نسأله تعالى شمساً و لا قمراً و لا كثيراً من نعمه فكأنه قال: و آتاكم من كل ما لم سألتموه، و الاول أعجب إلىّ، لان المعنى آتاكم من كل ما سألتموه لو سألتموه، كأنه قال و آتاكم من كل سؤلكم، كما تقول: و اللَّه لأعطينک سؤلک ما بلغته مسألتک و ان لم تسأل. قال المبرد: يريد ما يخطر ببالک، و من أضاف جعل (ما) فى موضع نصب، و هى بمعنى الذى. و من نون جعلها نافية.

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَ اجْنُبْنِی وَ بَنِیَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِی فَإِنَّهُ مِنِّی وَ مَنْ عَصانِی فَإِنَّکَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم اذكر «وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ» يا «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ» يعنى مكة و ما حولها من الحرم «آمنا» يعنى يأمن الناس فيه على نفوسهم و أموالهم. (و الامن) سكون النفس الى زوال الضرر، و هو نقيض الخوف، و مثله الطمأنينة الى الامر.

و قوله «و اجنبنى» اى اصرفنى عنه، جنبته او جنبه، جنباً و جنبته الشر تجنيباً، و اجنبته اجتناباً، قال الشاعر:

و تنقض عهده شفقاً عليه و تجنبه قلائصنا الصعابا»

«و اجنبنى» اى و اصرفنى «وَ بَنِیَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ» اى جنبنا عبادة الأصنام بلطف من الطافک الذى نختار عنده الامتناع من عبادتها. و دعاء الأنبياء

---

(1) تفسير الطبرى 13: 113 و مجاز القران 1: 342

لا يكون الا مستجاباً، فعلى هذا يكون سؤاله ان يجنب نبيه عبادة الأصنام مخصوصاً بمن علم اللَّه من حاله ان يكون مؤمناً، لا يعبد الا اللَّه، و يكون اللَّه تعالى اذن له فى الدعاء لهم، فيجيب اللَّه تعالى ذلک لهم.

و قوله «رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ» اخبار من ابراهيم ان هذه الأصنام ضل كثير من الناس بها حتى عبدوها فكأنها اضلتهم، كما يقول القائل:

فتنتنى فلانة اى فتنت بها، قال الشاعر:

هبونى امرءاً منكم أضل بغيره

يعنى ضل بعيره عنه، لان احداً لا يضل بغيره قاصداً الى إضلاله.

و قوله «فمن تبعنى» حكاية ما قال ابراهيم من ان من يتبعه فى عبادة اللَّه وحده و ترک عبادة الأصنام، فانه منه و على دينه. «وَ مَنْ عَصانِی» فى ذلک و عبد مع اللَّه غيره، و عصاه فى أوامره «فإنک» يا اللَّه «غفور رحيم» اى ستار على عبادک معاصيهم رحيم بهم اى منعم عليهم فى جميع الأحوال. و قيل المعنى «فَإِنَّکَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» بهم ان تابوا و اقلعوا عماهم عليه من الكفر.

رَبَّنا إِنِّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِی بِوادٍ غَیْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِکَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِیُقِیمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ یَشْکُرُونَ (37) رَبَّنا إِنَّکَ تَعْلَمُ ما نُخْفِی وَ ما نُعْلِنُ وَ ما یَخْفی عَلَی اللَّهِ مِنْ شَیْءٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی السَّماءِ (38)

آیتان بلا خلاف.

هذا حکایة ما دعا به ابراهیم (ع)، فإنه قال یا رب «إِنِّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِی» ای جعلت مأواهم و مقرهم الذی یقرون فیه و یسکنون الیه. و السکنی

اتخاذ التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 300

مأوی لصاحبه یسکن الیه فی لیله، و متی یشاء من أوقاته، اسکن البلدة و الدار إذا جعله مأوی له، (و الذریة) جماعة الولد علی تنسئته من حین یظهر الی ان یکبر، و المراد بالذریة هاهنا: إسماعیل و امه هاجر حین اسکنه وادی مکة، و هو الأبطح، و لم یذکر مفعول أسکنت، لان (من) تفید بعض القوم، کما یقال: قتلنا من بنی فلان، و أکلنا من الطعام، و شربنا من الماء، قال تعالی «أَفِیضُوا عَلَیْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَکُمُ اللَّهُ» «1» فموضع (من) نصب و الوادی سفح الجبل العظیم و من ذلک قیل للأنهار العظام اودیة، لان حافاتها کالجبال لها، و منه الدّیة، لأنها مال عظیم یتحمل فی امر عظیم من قتل النفس المحرمة.

«غَیْرِ ذِی زَرْعٍ» أی لا زرع فی هذا الوادی أی لا نبات فیه، و الزرع کل نبات ینغرس من غیر ساق، و جمعه زروع «عِنْدَ بَیْتِکَ الْمُحَرَّمِ» معناه حرم فیه ما أحل فی غیره من البیوت، من الجماع، و الملابسة بشیء من الدم، و النجاسة، و انما أضاف البیت الی اللّه، لأنه مالکه من غیر ان یملکه احد سواه، لأن ما عداه قد ملک غیره من العباد. و سماه بیتاً قبل ان یبنیه ابراهیم لأمرین:

أحدهما:- انه لما کان المعلوم انه یبنیه فسماه ما یکون بیتاً.

و الثانی- قیل أنه کان البیت قبل ذلک، و انما خربته طسم و اندوس. و قیل انه رفع عند الطوفان الی السماء.

و قوله «رَبَّنا لِیُقِیمُوا الصَّلاةَ» ای أسکنتهم هذا الوادی لیدوموا علی الصلاة و یقیموها بشرائطها.

«فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ» سؤال من ابراهیم (ع) ان یجعل اللّه تعالی قلوب الخلق تحن الی ذلک الموضع، لیکون فی ذلک انس ذریته بمن یرد من الوفود و یدرّ أرزاقهم علی مرور الأوقات. «وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ» مسألة منه ان یرزق ذریته من انواع الثمار لکی یشکروه علی نعمه و فنون إحسانه.

(1) سورة الاعراف- 7- آية 50
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 301
«رَبَّنا إِنَّکَ تَعْلَمُ ما نُخْفِی وَ ما نُعْلِنُ» اعتراف من ابراهيم للَّه تعالى بانه «عز و جل» يعلم ما يخفى الخلق و ما يظهرونه، و انه لا يخفى عليه شىء من ذلک مما يكون فى الأرض، و مما يكون فى السماء مع عظمها و بعد ما بينهما، لأنه عالم لنفسه بجميع المعلومات. و قال قوم: ان قوله «وَ ما يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَىْءٍ فِى الْأَرْضِ وَ لا فِى السَّماءِ» اخبار منه تعالى بذلک دون الحكاية.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی وَهَبَ لِی عَلَی الْکِبَرِ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ إِنَّ رَبِّی لَسَمِیعُ الدُّعاءِ (39) رَبِّ اجْعَلْنِی مُقِیمَ الصَّلاةِ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی رَبَّنا وَ تَقَبَّلْ دُعاءِ (40) رَبَّنَا اغْفِرْ لِی وَ لِوالِدَیَّ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ یَوْمَ یَقُومُ الْحِسابُ (41)
ثلاث آیات بلا خلاف.
هذا حکایة من اللَّه تعالی باعتراف ابراهیم (ع) بنعم اللَّه تعالی، و حمده إیاه علی إحسانه بما وهب له علی کبر سنه ولدین: إسماعیل و اسحق. و انه اخبر بأن ربه الذی خلقه یجیب الدعاء لمن یدعوه و ذلک یدل علی انه کان تقدم منه مسألة للَّه تعالی أن یهب له ولداً، فلذلک کان مجیباً له. و الحمد هو الوصف الجمیل علی وجه التعظیم لصاحبه و الإجلال له و فرق الرمانی بین الحمد و المدح بان المدح: هو الوصف للشیء بالخیر من جهته علی وجه التعظیم له، فعله او لم یفعله، و لکن کان سبباً یؤدی الیه، و لیس کذلک الحمد. و الذم: نقیض لهما، لأنه الوصف بالقبیح علی جهة التحقیر. و الهبة عطیة التملیک من غیر عقد مثامنة یقال: وهب له کذا یهبه هبة، فهو واهب. و الدعاء طلب الفعل بدلالة القول و ما دعا اللَّه (عز و جل) الیه فقد أمر به و رغب فیه، و ما دعا العبد به ربّه فالعبد راغب فیه، و لذلک لا یجوز ان یدعو الإنسان بلعنه و لا عقابه، و یجوز ان یدعو علی غیره به. و التقبل أخذ العمل علی طریقة إیجاب الحق به مقابلة علیه.
و قال سعید بن جبیر: بشر ابراهیم بالولد بعد مائة و سبعة عشرة سنة.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 302
و قوله «رَبِّ اجْعَلْنِی مُقِیمَ الصَّلاةِ» سؤال من ابراهیم (ع) للَّه تعالی ان یجعله ممن یقیم شرائط الصلاة و یدوم علیها بلطف یفعله به یختار ذلک عنده، و سأله ان یفعل مثل ذلک بذریته، و أن یجعل منهم جماعة یقیمون الصلاة، و هم الذین اعلمه اللَّه ان یقوموا بها دون الکفار الذین لا یقیمون الصلاة «رَبَّنا وَ تَقَبَّلْ دُعاءِ» رغبة منه الیه تعالی ان یجیب دعاءه فیما سأله.
و قوله «رَبَّنَا اغْفِرْ لِی وَ لِوالِدَیَّ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ یَوْمَ یَقُومُ الْحِسابُ» نداء من ابراهیم للَّه تعالی ان یغفر له و لوالدیه و لجمیع المؤمنین، و هو ان یستر علیهم ما وقع منهم من المعاصی عند من أجاز الصغائر علیهم، و من لم یجز ذلک حمل ذلک علی أنه انقطاع منه الیه تعالی فیما یتعلق به، و سؤال علی الحقیقة فی غیره. و قد بینا ان أبوی ابراهیم لم یکونا کافرین «1» و فی الآیة دلالة علی ذلک، لأنه سأل المغفرة لهما یوم القیامة، فلو کانا کافرین لما قال ذلک، لأنه قال تعالی «فَلَمَّا تَبَیَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ» «2» فدل ذلک علی ان أباه الذی کان کافراً جده لأمه او عمه علی الخلاف. قال البلخی: ان أمه کانت مؤمنة، لأنه سأل ان یغفر لأبیه و حکی أنه «کانَ مِنَ

الضَّالَينَ» «3» و قال «إِلّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَکَ» «4» و لم يقل لأبويه «يَوْمَ يَقُومُ الْحِسابُ» أى يقوم فيه الحساب. و العامل فى يوم قوله (اغفر).

وَ لا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ (42) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِی رُؤُسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ (43)
آيتان بلا خلاف.

---

(1) انظر 4: 189 من هذا الكتاب.
(2) سورة التوبة آية 115
(3) سورة الشعراء آية 86 [.....]
(4) سورة الممتحنة آية 4

قرأ الجماعة «انما يؤخرهم» بالياء. و روى عن أبى عمرو بالنون قال أبو على: وجه القراءة بالياء ان الغيبة للمفرد قد تقدم، فتكون بالياء على «فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ ... إنما يؤخرهم» و وجه القراءة بالنون أنه مثل الياء فى المعنى، و قد تقدم مثله كثيراً هذا خطاب للنبى صلّى اللّه عليه و سلم نهاه اللّه تعالى، و المراد به الامة ان يظن ان اللّه غافل عن أعمال الظالمين، و مهمل لأمورهم. و الغفلة و السهو واحد. ثم بين اللّه تعالى أنه إنما لم يعاجلهم بالعقوبة و يؤخر عقابهم ليعذبهم فى اليوم الذى تشخص فيه الأبصار، و هو يوم القيامة. و شخوص البصر ان تبقى العين مفتوحة لا تنطبق لعظم ذلک اليوم «مهطعين» قال سعيد بن جبير و الحسن و قتادة: مسرعين، يقال: أهطع اهطاعاً إذا أسرع قال الشاعر:
بمهطع سرح كان زمامه فى رأس جذع من أراک مشذّب «1»
و قال الآخر:
بمستهطع رسل كان جديله بقيدوم رعن من صوام ممنع «2»
و قال ابن عباس: المهطع الدائم النظر لا تطرف عينه، و قال ابن دريد: المهطع:
المطرق الذى لا يرفع رأسه. و قوله «مُقْنِعِی رُؤُسِهِمْ» قال ابن عباس و مجاهد و الضحاک و قتادة و ابن زيد: معناه رافعى رؤسهم و اقناع الرأس رفعه، قال الشماخ:
يباكرن العضاه بمقنعات نواجذهنّ كالحدإ الرقيع «3»
يعنى يباكرن العضاة بمقنعات اى برءوس مرفوعات اليها ليتناول منها، يصف

---

(1) مجاز القران 1: 342 و تفسير الطبرى 13: 141
(2) اللسان، و التاج (قدم) و الأساس (هطع) و مجاز القرآن 1: 343 و

تفسير الطبرى 13: 142،
(3) ديوانه 56 و مجاز القرآن 1: 343 و الطبرى 13: 142 و اللسان و التاج (حدأ) و مجمع البيان 3: 320.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 304
ابلًا له ترعى الشجر، و أن أسنانها مرتفعة كالفؤس، و قال الراجز:
انقض نحوى رأسه و اقنعا كأنما أبصر شيئاً اطمعا «1»
و قوله «لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ» اى لا ترجع اليهم أعينهم و لا يطبقونها.
و قوله «وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ» معناه منخرقة لا تعى شيئاً للخوف و الفزع الذى دخلها، فهى كهواء الجو، فى الانخراق و بطلان الإمساك.
و قوله «يوم يأتيهم» نصب على انه مفعول به و العامل فيه أنذرهم، كأنه قال خوفهم عقاب اللّه، و لا يكون على الظرف، لأنه لم يؤمر بالإنذار فى ذلک اليوم. و قيل فى قوله «وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ» ثلاثة اقوال.
أولها- قال ابن عباس و مرة و الحسن: منخرقة لا تعى شيئاً، و فارغة من كل شىء إلا من ذكر إجابة الداعى.
الثانى- قال سعيد بن جبير: يردد فى أجوافهم لا يستقر فى مكان.
الثالث- قال قتادة: خرجت الى الحناجر لا تنفصل، و لا تعود، و كل ذلک تشبيه بهواء الجو، و الاول أعرف فى كلام العرب. و قال حسان بن ثابت:
ألا أبلغ أبا سفيان عنى فأنت مجوف نخب هواء «2»
و قال زهير:
كأن الرحل منها فوق صعل من الظلمان جؤجؤه هواء «3»
و قيل ان الظليم لا فؤاد له و قال آخر:
و لأنک من أخدان كل يراعة هواء كسقب البان خوفا يكاسره «4»

---

(1) تفسير الشوكانى 3: 110 و تفسير الطبرى 13: 142 و مجاز القرآن 1: 344
(2) ديوانه 8، و اللسان و التاج (هوء، جوف) و الطبرى 13: 144 و مجمع البيان 3: 320 و قد مر فى 1: 41 من هذا الكتاب.
(3) ديوانه (دار بيروت) 9، و مجمع البيان 3: 320
(4) هذا البيت منسوب الى صخر الغى. و نسب ايضاً الى كعب. التاج (هوا) و الطبرى 13: 144 و مجاز القرآن 1: 344
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 305

وَ أَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنا أَخِّرْنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَ نَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ (44)

آية بلا خلاف.

امر اللَّه تعالى نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم ان يقول للناس على وجه التخويف لهم من عقابه، و يحذرهم يوم يجيئهم العذاب من اللَّه على معاصيهم فى دار الدنيا، و هو يوم القيامة، و يقول «الذين ظلموا» نفوسهم بارتكاب المعاصى و ترک الواجبات يا «رَبَّنا أَخِّرْنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ» أى ردنا الى الدنيا و اجعل ذلک مدة قريبة تجب دعوتک فيها و نتبع رسلک فيما يدعوننا اليه، فيقول اللَّه تعالى «أَ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ» و حلفتم فى دار الدنيا «ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ». قال مجاهد: معناه إنهم اقسموا فى الدنيا أنه ليس لهم انتقال من الدنيا الى الآخرة. و قال الحسن: معناه «من زوال» الى العذاب.

و الأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمد، و الأمد مدة من المدد، فإنما طلبوا أجلًا يستدركون فيه ما فات من الفساد بالصلاح، و فى المعلوم أنهم يبعدون من الفلاح.

و فى الآية دلالة على ان أهل الآخرة غير مكلفين بخلاف ما يقول النجار و جماعة من المجبرة، لأنهم لو كانوا مكلفين لما كان لقوله «أَخِّرْنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ» معنى، لأنهم مكلفون، و كانوا يؤمنون و يتخلصون من العقاب.

و قوله «فيقول» رفع عطفاً على قوله «يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذابُ» و ليس بجواب الامر لأنه لو كان جواباً له لجاز فيه النصب و الرفع، فالنصب مثل قول الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 306

يا ناق سيرى عنقاً فسيحا الى سليمان فنستريحا «1»

و الرفع على الاستئناف و ذكر الفراء ان العلاء بن سبابة كان لا ينصب فى جواب الأمر بالفاء قال: و العلاء هو الذى علم معاذاً و لهواً و أصحابه.

وَ سَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ وَ ضَرَبْنا لَكُمُ الْأَمْثالَ (45) وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَ عِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَ إِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ (46)

آيتان بلا خلاف.

قرأ الكسائى وحده

«لتزول» بفتح اللام الأولى، و ضمّ الثانية. و روى ذلک عن على (ع).

الباقون بكسر اللام الاولى و فتح الثانية.

قال أبو على: من كسر اللام الأولى و فتح الثانية جعل (إن) بمعنى (ما) و التقدير و ما كان مكرهم لنزول، و مثل ذلک قوله «إِنِ الْكافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ» «2». و معناه ما الكافرون، و معنى الآية «وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَ عِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ» اى جزاء مكرهم، فحذف المضاف كما حذف من قوله «تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا، وَ هُوَ واقِعٌ بِهِمْ» «3» اى جزاؤه، و المعنى قد عرف اللّه مكرهم، فهو يجازيهم عليه و ما كان مكرهم لتزول منه الجبال. و (الجبال) كأنه أراد بها القرآن و أمر النبى صلّى اللّه عليه و سلم و أعلامه و دلالاته أى ما كان ليزول منه ما هو مثل الجبال فى امتناعه ممّن أراد إزالته.

---

(1) تفسير الطبرى 13: 144 و مجمع البيان 3: 320. و اكثر كتب النحو يستشهدون به على إضمار (أن) بعد الفاء المسبوقة بطلب.

(2) سورة الملک (تبارک) 67 آية 20

(3) سورة الشورى 42 آية 22

و من قرأ بفتح اللام الأولى و ضمّ الثانية جعل (إن) هى المخففة من الثقيلة على تعظيم أمر مكرهم، و هو فى تعظيم مكرهم، كما قال فى موضع آخر «وَ مَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً» «1» أى قد كان مكرهم من الكبر و العظم بحيث يكاد يزيل ما هو مثل الجبال فى الامتناع، على من أراد إزالته و مثله فى تعظيم الأمر قول الشاعر:

ألم ترَ صدعاً فى السماء مبينا على ابن لبينى الحارث بن هشام «2»

و قال آخر:

بكى حارث الجولان من موت ربه و حوران منه خاشع متضائل «3»

و قال أوس:

ألم تكسف الشمس شمس النهار مع النجم و القمر الواجب «4»

فهذا كله على تعظيم الامر و تفخيمه و يدل على ان الجبال يعنى بها أمر

النبى صلّى اللّه عليه و سلم قوله بعد ذلک «فَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ» اى بعد وعدک الظهور عليهم و الغلبة لهم فى قوله «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» «5» و فى قوله «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ» «6» و قد استعمل لفظ الجبال فى غير هذا فى تعظيم الشىء و تفخيمه قال ابن مقبل:

إذا مت عن ذكر القوافى فلن ترى لها شاعراً مثلى أطب و اشعرا
و اكثر بيتاً شاعراً ضربت به بطون جبال الشعر حتى تيسرا «7»

---

(1) سورة نوح 71 آية 22
(2) مجمع البيان 3: 322
(3) قائلة النابغة الذبيانى. ديوانه (دار بيروت) 91 و اللسان (حرث) و روايته الديوان (موحش) بدل (خاشع) و روايتهما معاً (فقد) بدل (موت). [.....]
(4) ديوانه (دار بيروت) 10 و روايته:
ألم تكسف الشمس و البدر و ال - كواكب للجبل الواجب
(5) سورة التوبة آية 34 و سورة الفتح آية 28 و سورة الصف آية 9
(6) سورة آل عمران آية 12
(7) مجمع البيان 3: 322

يقول اللّه تعالى للكفار «أَ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ» مما أنتم عليه من النعيم و أنتم «سَكَنْتُمْ فِى مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بارتكاب المعاصى و كفران نعم اللّه، فأهلكهم اللّه «وَ ضَرَبْنا لَكُمُ الْأَمْثالَ» و المعنى ان مثلكم كمثلهم فى الإهلاک إذا أقمتم على ما أقاموا عليه، من الفساد و التتابع فى المعاصى «وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ» يعنى الكفار الذين ظلموا أنفسهم مكروا بالنبى صلّى اللّه عليه و سلم و احتالوا له، و مكروا بالمؤمنين و خدعوهم «و عند الله» جزاء مكرهم، و لم يكن مكرهم ليبطل حجج القرآن و ما معک من دلائل النبوّة، فلا يبطل شىء منه، لأنه ثابت بالدليل و البرهان.

و على القراءة الأولى و لو كان مكرهم يزيل الجبال من عظمه و شدته، لما أزال أمر النبى صلّى اللّه عليه و سلم لأنه أثبت من الجبال.

و

روى عن على (ع) و جماعة انهم قرؤوا «وَ إِنْ كانَ مَكْرُهُمْ» من المقاربة.

قال سعيد بن جبير و غيره: ان قوله «وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ» نزلت فى صاحب النسرين الذى أراد صعود السماء. و قال قوم: مكرهم كفرهم باللّه و شركهم فى عبادته.

فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقامٍ (47) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ وَ بَرَزُوا لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ (48)
آيتان بلا خلاف.
قرئ فى الشواذ «مخلف وعدَه رسلِه» و هى شاذة رديئة، لأنه لا يجوز ان يفصل بين المضاف و المضاف إليه، و انشد الفراء:
فزججتها بمزجة زج القلوص أبى مزاده «1»

---

(1) انظر 4: 309 من هذا الكتاب.

و المعنى زج أبى مزادة القلوص، و الصحيح ما عليه القراء، و تقديره مخلف وعده رسله، كما تقول هذا معطى زيد درهماً، و المعنى مخلف رسله وعده.
يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم «لا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ» اى لا تظنه مخلف ما وعدك به من الظفر بهم و الظهور عليهم، فانه لا يخلف ما وعد رسله به. ثم أخبر ان اللَّه تعالى قادر لا يغالب ينتقم ممن يكفر بنعمه و يكذب أنبيائه. و الانتقام هو العقاب.
«يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ» العامل فى «يوم» الانتقام، و تقديره ذو انتقام يوم تبدل. و التبديل التَغيير برفع الشىء الى بدل. و قيل ان تبديل الأرض بغيرها برفع الصورة التى كانت عليها الى صورة غيرها. و قال ابن عباس و مجاهد و أنس بن مالك و ابن مسعود: يبدل اللَّه هذه الأرض بأرض بيضاء كالفضة، لم يعمل عليها خطيئة. و الاول قول الحسن.
و قوله «و السموات» تقديره تبدل السموات غير السموات و حذف لدلالة الكلام عليه. و قيل تبديل الأرض بتسيير الجبال و تفجير بحارها و كونها مستوية «لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً» «1» و تبديل السموات انتشار كواكبها، و انفطارها، و تكوير شمسها و خسوف قمرها.
و قوله «وَ بَرَزُوا لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ» معناه يظهرون من قبورهم. و البروز الظهور و برز يبرز بروزاً، فهو بارز، و بارز قرنه مبارزة «لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ» و المعنى الواحد لا شبه له و لا نظير. و القهار المالك الذى لا يضام.

وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفادِ (49) سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ وَ تَغْشى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (50)
آيتان بلا خلاف.

---

(1) سورة طه آية 107

يقول اللّه لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم انک يا محمد ترى الذين أجرموا و فعلوا المعاصى، من الكفر و جحد النعم، يوم القيامة «مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفادِ» اى قرنت أيديهم بالغل الى أعناقهم. و قال الجبائى: قرن بعضهم الى بعض، و الصفد الغل الذى يقرن به اليد الى العنق، و يجوز ان يكون السلسلة التى يقع بها التقرين، و أصل الصفد القيد، و هو الصفاد، و جمعه صفد، قال عمرو بن كلثوم:
فآبوا بالنهاب و بالسبايا و أبناء الملوک مصفدينا «1»
اى مقيدين، و منه اصفدته اصفاداً، إذا أعطيته مالًا، قال الأعشى:
تضيفته يوماً فأكرم مجلسى و اصفدنى عند الزمانة قائدا «2»
و قال الذبيانى:
هذا الثناء فان تسمع لقائله فما عرّضت أبيت اللعن بالصفد «3»
اى ما تعطيه: و انما قيل لها: صفد، لأنها تقيد المودة و ترتبطها. و قال قتادة: الأصفاد القيود و الاغلال، و السرابيل القميص- فى قول ابن زيد- واحدها سربال، قال امرؤ القيس:
لعوب تنسينى إذا قمت سربالى «4»
و (القطران) هو الذى تهنأ به الإبل- فى قول الحسن- و فيه لغات، قطران بفتح القاف و كسر الطاء، و بتسكين الطاء و كسر القاف. و يجوز فتحها، قال ابو النجم:

---

(1) تفسير الشوكانى (الفتح القدير) 3: 113 و مجمع البيان 3: 223
(2) ديوانه (دار بيروت) 44 و روايته (فقرب مقعدى) بدل (فأكرم مجلسى). و هو فى مجمع البيان 3: 323 و مجاز القران 1: 345 و تفسير الطبرى 13: 152
(3) ديوانه (دار بيروت) 37 و روايته:
هذا الثناء فان تسمع به حسناً فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد
(4) ديوانه (الطبعة الرابعة سنة 1959) 160 و صدره:
و مثلک بيضاء العوارض طفلة

جون كأن العرق المنتوحا ألبسه القطران و المسوحا «1»
فكسر القاف و قال ايضاً:
كان قطراناً إذا تلاها ترمى به الريح الى مجراها «2»
و إنما جعلت سرابيلهم من قطران، لان النار تسرع اليها، و قرئ «قطران» و روى ذلک عن ابن عباس، و القطر النحاس و منه قوله «آتُونِی أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً» «3» و المعنى من قطر بالغ حره، و انتهى. و القراء على انه اسم واحد على وزن الظربان، و الظربان دابة منتنة فسّاءة، و هى من السباع «وَ تَغْشى وُجُوهَهُمُ» معناه تجللها.

لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (51) هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَ لِيُنْذَرُوا بِهِ وَ لِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَ لِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ (52)
آيتان بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى بأنه إنما فعل ما تقدم ذكره «لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ» الذى كسبت إن كسبت خيراً أتاها اللَّه بالنعيم الأبدى فى الجنة، و إن كفرت و جحدت و كسبت شراً عاقبها بنار جهنم مخلدة فيها «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ» اى سريع المجازاة.
و قيل معنى «سريع الحساب» لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة آخرين.
و الكسب فعل ما يجلب به النفع للنفس او يدفع به الضرر عنها. و الكسب ليس بجنس الفعل، و اللَّه تعالى يقدر على مثله فى الجنس.
و قوله «هذا بلاغ» قال ابن زيد و غيره من المفسرين: هو إشارة الى القرآن،

(1، 2) مجمع البيان 3: 323 و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 13: 153
(3) سورة الكهف آية 97

ففيه بلاغ للناس، لان فيه البيان عن الانذار و التخويف، و فيه البيان عما يوجب الإخلاص بما ذكر من الإنعام الذى لا يقدر عليه الا اللَّه.
و فى الآية حجة على ثلاث فرق:
على المجبرة فى الارادة، لأنها تدل على أنه تعالى أراد من جميع المكلفين ان يعلموا «أَنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ» و هم يزعمون أنه أراد من النصارى ان يثلثوا، و من الزنادقة ان يقولوا بالتثنية.
الثانى- حجة عليهم فى ان المعصية لم يردها، لأنه إذا أراد منهم ان يعلموا أنه إله واحد، لم يرد خلافه من التثليث و التثنية الذى هو الكفر.
الثالث- حجة على اصحاب المعارف، لأنه بين أنه أراد من الخلق ان يتذكروا و يفكروا فى دلائل القرآن التى تدلهم على أنه إله واحد. ثم أخبر تعالى انه انما يتذكر «أولو الألباب» اى ذوو العقول، لان من لا عقل له لا يمكنه الذكر و الاعتبار.

اشارة

مكية فى قول قتادة و مجاهد. و هى تسع و تسعون آية بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ وَ قُرْآنٍ مُبِينٍ (1) رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ (2)
آيتان بلا خلاف.
قرأ أهل المدينة و عاصم «ربما» بالتخفيف. الباقون بالتشديد. و روى عن أبى عمرو: الوجهان. قال أبو على أنشد أبو زيد:
ماويّ يا ربتما غارة شعواء كاللذعة بالميسمِ «1»
قال الازهرى: الماوى الرحمة، و أنشد ايضاً ابو زيد:
يا صاحبا ربه إنسان حسن يسأل عنک اليوم او تسأل عن «2»

---

(1) مجمع البيان 3: 326 و اللسان (ربب)، (ما).
(2) مجمع البيان 3: 227 [.....]

و قال قطرب، و السكرى: ربّما، و ربّما، و ربتما، و ربُّ، ربَّ: ست لغات.
قال سيبويه (رب) حرف و تلحقها (ما) على وجهين:
أحدهما- ان تكون نكرة بمعنى شىء كقوله:
ربما تجزع النفوس من الأم - ر له فرجة كحلّ العقال «1»
ف (ما) فى هذا البيت اسم، لما يقدر من عود الذكر اليه من الصفة. و المعنى:
رب شىء تكرهه النفوس، و إذا عاد اليه الهاء كان اسماً، و لم يجز أن يكون حرفاً. و الضرب الآخر ان تدخل (ما) كافة نحو الآية، و نحو قول الشاعر:
ربما أوفيت فى علم يرفعن ثوبى شمالات «2»
و النحويون يسمون (ما) هذه كافة يريدون: أنها بدخولها كفت الحرف عن العمل الذى كان هيأها لدخولها على ما لم تكن تدخل عليه، ألا ترى ان (رب) انما تدخل على الاسم المفرد، نحو رب رجل يقول ذلک، و ربه رجل يقول، و لا تدخل على الفعل، فلما دخلت (ما) عليها هيأتها للدخول على الفعل، كما قال «رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» فوقع الفعل بعدها- فى الآية- و هو على لفظ المضارع، و وقع فى قوله (ربما أوفيت فى علم) على لفظ الماضى، و هكذا ينبغى فى القياس لأنها تدل على أمر قد وقع و مضى، و إنما وقع- فى الآية- على لفظ المضارع، لأنه حكاية لحال آتية كما ان قوله «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ» «3» حكاية لحال آتية ايضاً، و من حكاية الحال قول القائل:
جارية فى رمضان الماضى تقطع الحديث بالايماض «4»
و من زعم ان الآية على إضمار (كان) و تقديره ربما كان يود، فقد خرج عن

قول سيبويه، لأنهم لا يضمرون على مذهبه (كان) فى قول القائل: عبد اللّه المقتول اى كن عبد اللّه المقتول. و اما إضمار (كان) بعد إن خيراً فخيراً، فإنما جاز ذلک،

---

(1) قائله أمية بن أبى الصلت. اللسان «فرج» و روايته «تكره» بدل «تجزع».
(2) قائلة جذيمة الأبرش. اللسان «شمل». و شمالات: جمع شمال، و يقصد هنا ريح الشمال
(3) سورة النحل 16 آية 124
(4) اللسان «رمض» «خصص» و مجمع البيان 3: 327

لإقتضاء الحرف له، فصار اقتضاء الحرف له كذكره، فاما ما أنشده ابن حبيب، فيهان ابن مسكين:

لقد رزيت كعب بن عوف و ربما فتى لم يكن يرضى بشىء يضيمها «1»

فان قوله (فتى) يحتمل ضروباً:

أحدها- ان يكون لما جرى ذكر (رزيت) استغنى بجرى ذكره عن إعادته، فكأنه قال: ربما رزيت فتى، فانتصب فتى برزيت المضمرة، كقوله «آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ» «2» فاستغنى بذكر آمنت المعلوم عن إظهاره بعد، و يجوز ان يكون انتصب ب (رزيت) هذه المذكورة، كأنه قال: لقد رزيت كعب بن عوف فتى و ربما لم يكن يرضى اى رزيت فتى لم يكن يضام، و يكون هذا الفصل و هو اجنبى بمنزله قوله:

ابو أمه حى أبوه يقاربه «3»

و يجوز ان يكون رفعا بفعل مضمر كأنه قال ربما لم يرضى فتى كقوله:

و قلما وصال على طول الصدود يدوم «4»

و يجوز ان تكون (ما) نكرة بمنزلة شىء و يكون فتى وصفاً لها، كأنه قال: رب شىء فتى لم يكن كذا، فهذه الأوجه فيها ممكنة، و يجوز فى الآية ان تكون (ما) بمنزلة شىء و (ودّ) صفة له، لان (ما) لعمومها تقع على كل شىء فيجوز ان يعنى بها الودّ كأنه رب ودّ يودّه الذين كفروا، و يكون يودّ فى هذا الوجه حكاية حال لأنه لم يكن كقوله «فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً» «5» و قوله «يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُكَذِّبَ» «6»

---

(1) مجمع البيان 3: 327
(2) سورة يونس آية 91
(3) البيت مشهور يستشهدون به على التعقيد المعنوى فى كتب المعانى و البيان و تمامه:

و ما مثله فى الناس إلا مملكاً ابو أُمه حى أَبوه يقاربه

(4) اللسان «طول» و تمام البيت:
صددت فأطولت الصدود و قلما و صال على طول الصدود يدوم
(5) الم السجدة 32 آية 12
(6) سورة الانعام 6 آية 27

و اما من خفف، فلانه حرف مضاعف و الحروف المضاعفة قد تحذف، و ان لم يحذف غير المضاعف، فمن المضاعف الذى حذف (ان، و ان، و لكن) قد حذف كل واحد من الحروف، و ليس كل المضاعف يحذف، لانى لا أعلم الحذف فى (ثم)، قال الهذلى:
أ زهير إن يشب القذال فاننى رب هيضل لجب لففت بهيضل «1»
و اما دخول التاء فى (ربتما) فان من الحروف ما يدخل عليه حرف التأنيث نحو (ثمَّ، و ثمّت، و لا، و لات) قال الشاعر:
ثمت لا يحزوننى غير ذالكم و لكن سيحزننى المليک فيعقبا «2»
فلذلک الحق التاء فى قوله «ربتما» و قال المبرد: قال الكسائى: العرب لا تكاد توقع (رب) على أمر مستقبل، و هذا قليل فى كلامهم، و إنما المعنى عندهم ان يوقعوها على الماضى، كقولهم: ربما فعلت ذلک، و ربما جاءنى فلان.
و إنما جاز هذا، فى القرآن، على ما جاء فى التفسير، ان ذلک يكون يوم القيامة.
و إنما جاز هذا، لأن كل شىء من أمر اللَّه خاصة فإنه و إن لم يكن وقع بعد، فهو كالماضى الذى قد كان، لأن وعده آت لا محالة، و على هذا عامة القرآن، نحو قوله «وَ نُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ» «3» و قوله «وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا» «4» «وَ جاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِيدٌ» «5» و مع هذا يحسن ان يقال- فى الكلام- إذا رأيت الرجل يفعل ما يشاء، تخاف عليه، ربما يندم، و ربما يتمنى ان لا تكون فعلت، قال: و هذا كلام عربى حسن، و مثله قال الفراء و المبرد و غيرهم.
فان قيل لم قال «رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» و رب للتقليل؟ قلنا عنه جوابان:
أحدهما- انه شغلهم العذاب عن تمنى ذلک الا فى القليل.

---

(1) مجمع البيان 3: 328 و اللسان (هضل) نسبه الى أبى كبير
(2) مجمع البيان 3: 328
(3) سورة الزمر- 39- آية 68
(4) سورة الزمر آية 73 [.....]
(5) سورة ق 50 آية 21

و الثانى- انهِ أبلغ ِفىِ التهديد كما تقول: ربما ندمت على هذا، و أنت تعلم

أنه يندم ندماً طويلًا، أى يكفيك قليل الندم، فكيف كثيره.
فان قيل: لم قال «تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ وَ قُرْآنٍ» و الكتاب هو القرآن؟
و لم أضاف الآيات الى الكتاب، و هى القرآن؟ و هل هذا إلا اضافة الشىء الى نفسه؟! قلنا: إنما وصفه بالكتاب و القرآن، لإختلاف اللفظين، و ما فيهما من الفائدتين و إن كانا لموصوف واحد، لأن وصفه بالكتاب يفيد انه مما يكتب و يدوّن، و القرآن يفيد أنه مما يؤلف و يجمع بعض حروفه الى بعض قال الشاعر:
الى الملک القرم و ابن الهمام و ليث الكتيبة فى المزدحم «1»
و قال مجاهد و قتادة: المراد بالكتاب: ما كان قبل القرآن من التوراة و الإنجيل، فعلى هذا سقط السؤال. فأما إضافة الشىء الى نفسه، فقد بينا الوجه فيما مضى فيه، و انه يجرى مجرى قولهم مسجد الجامع و صلاة الظهر و يوم الجمعة. و قوله تعالى «لحق اليقين» «2» و هو مستعمل مشهور و بينا الوجه فيه، و وصف القرآن بانه مبين لأنه يظهر المعنى للنفس، و البيان ظهور المعنى للنفس بما يميزه من غيره، لأن معنى إبانته منه فصله منه، فإذا ظهر النقيضان فى معنى الصفة فقد بانت و فهمت.
و (الود) التمنى يقال: وددته إذا تمنيته، و وددته إذا أحببته أود فيهما جميعاً ودّا. و قال الحسن: إذا رأى المشركون المؤمنين دخلوا الجنة تمنوا أنهم كانوا مسلمين، و قال مجاهد: إذا رأى المشركون المسلمين يغفر لهم و يخرجون من النار يودون لو كانوا مسلمين.

---

(1) مر هذا البيت فى 2: 98
(2) سورة الحاقة 69 آية 51

ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (3) وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَ لَها كِتابٌ مَعْلُومٌ (4) ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ (5) وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِی نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (6) لَوْ ما تَأْتِينا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (7)
ما نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَ ما كانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ (8) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (9)
سبع آيات.
يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم على وجه التهديد للكفار: اترک هؤلاء يأكلوا ما يشتهون، و يستمتعوا فى هذه الدنيا بما يريدون و يشغلهم الأمل «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» و بال ذلک فيما بعد يعنى يوم القيامة و وقت الجزاء على الاعمال.
ثم اخبر تعالى انه لم يهلک أهل قرية فيما مضى على وجه العقوبة الا و كان لها كتاب معلوم يعنى أجل مكتوب قد علمه اللَّه تعالى لا بدّ ان يبلغونه لما سبق فى علمه، و يجوز إلا و لها بالواو و بغير الواو، لأنه جاء بعد التمام، و لو جاء بعد النقصان لم يجز، نحو رجلًا هو قائم، و لا يجوز و هو قائم، و كذلک فى الظرف فى خبر كان، و قال لم تكن أمة فيما مضى تسبق أجلها فتهلک قبل ذلک و لا تتأخر عن أجلها الذى قدر لها بل إذا استوفت أجلها أهلكها اللَّه.
ثم قال له: ان هؤلاء الكفار يقولون لک «يا أَيُّهَا الَّذِی نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ» يعنون القرآن نزل عليک على قولک، لأنهم لم يكونوا من المعترفين بذلک «إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» فى ادعائک أنه أنزل عليک الذكر بوحى اللَّه اليک، و لم تكن ممن يقرأ. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 319
و قوله «لَوْ ما تَأْتِينا بِالْمَلائِكَةِ» معناه هلا تأتينا، و هو دعاء الى الفعل و تحضيض عليه، و مثله قوله «لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ» قال الشاعر:
تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بنى ضو طرى لو لا الكمى المقنعاً «1»
و قد جاء (لو ما) فى معنى (لو لا) التى لها جواب قال ابن مقيل:
لو ما الحياء و لو ما الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عورى «2»
اى لو لا الحياء. و المعنى فى الآية هلا تأتينا بالملائكة إن كنت صادقاً فى انک نبى، و قال ابو عبيد عن ابن جريج: فيه تقديم و تأخير يعنى قوله «وَ لَوْ فَتَحْنا» هو جواب «لَوْ ما تَأْتِينا» و المعنى: فلو فعلنا ذلک بهم ايضاً لما آمنوا، و ما بينهما كلام مقدم و المراد به التأخير، قال المبرد: هذا الذى ذكره جائز لكن فيه بعد لأنه يلبس بأن يكون فتح عليهم من أنفسهم فعرج بهم. و اللَّه اعلم. و كلا الأمرين غير ممتنع الا ان العرب تمنع مما فيه لبس.

و قوله «ما نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلّا بِالْحَقِّ» قرأ حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم بالنون و نصب الملائكة. الباقون بالتاء و رفع الملائكة إلا أبا بكر عن عاصم فانه ضم التاء على ما لم يسم فاعله. فحجة من قرأ بالنون قوله «وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ» «3» و حجة من قرأ «تنزل الملائكة» بفتح التاء قوله «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيها» «4». و حجة من قرأ على ما لم يسم فاعله قوله «ما تنزل الملائكة الا بالحق» و قوله تعالى «وَ نُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلًا» «5».
و معنى قوله «ما نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ» يعنى بالحق الذى لا يلبس معه الباطل طرفه عين. و قال الحسن و مجاهد: معناه إلا بعذاب الاستئصال اى لم

---

(1) مر تخريجه فى 1: 309، 435.
(2) شواهد الكشاف 126 و مجاز القرآن 1: 346 و تفسير القرطبى 10: 4 و مجمع البيان 3: 330
(3) سورة الانعام آية 111
(4) سورة القدر آية 4
(5) سورة الفرقان آية 25

يؤمنوا بالآيات، كما كانت حال من قبلهم حين جاءتهم الآيات التى طلبوا، فلم يؤمنوا. و معنى «وَ ما كانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ» أنه إن نزل عليهم الملائكة و لم يؤمنوا لم ينظرهم اللّه، بل كان يعاجلهم العقوبة. و قوله «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ» يعنى القرآن فى- قول الحسن و الضحاك، و غيرهم- «وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» قال قتادة:
لحافظون من الزيادة و النقصان. و مثله قوله «لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ» «1» و قال الحسن: لحافظون حتى نجزى به يوم القيامة اى لقيام الحجة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبى صلّى اللّه عليه و سلم.
و قال الفراء: الهاء فى قوله «وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» يجوز ان تكون كناية عن النبى، فكأنه قال: انا نحن نزلنا القرآن و انا لمحمد لحافظون. و قال الجبائى:
معناه و انا له لحافظون من ان تناله أيدى المشركين، فيسرعون الى إبطاله، و منع المؤمنين من الصلاة به.
و فى هذه الآية دلالة على حدوث القرآن، لان ما يكون منزلًا و محفوظاً لا يكون الا محدثاً، لان القديم لا يجوز عليه ذلک و لا يحتاج الى حفظه

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ فِی شِیَعِ الْأَوَّلِینَ (10) وَ ما یَأْتِیهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ (11) کَذلِکَ نَسْلُکُهُ فِی قُلُوبِ الْمُجْرِمِینَ (12) لا یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِینَ (13)

أربع آیات بلا خلاف.

یقول اللَّه (عز و جل) لنبیه محمد صلّی اللَّه علیه و سلم تسلیة له عن کفر قومه «لَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ فِی شِیَعِ الْأَوَّلِینَ» قال ابن عباس و قتادة: شیع الأمم واحدهم شیعة لمتابعة بعضهم بعضاً فی الأحوال التی یجتمعون علیها فی الزمن الواحد من مملکة

---

(1) سورة حم السجد 41 (فصلت) آیة 42

أو عمارة أو بادیة أو نحو ذلک من الأمور الجاریة فی العادة، و المرسل محذوف لدلالة (أرسلنا) علیه.

و قوله «وَ ما یَأْتِیهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ» اخبار منه تعالی أنه لم یبعث رسولًا فیما مضی الا و کانت أممهم تستهزئ بهم، و استهزاؤهم بهم حملهم علیهم و استبعادهم ما دعوا الیه و استیحاشهم منه، و استکبارهم له، حتی توهموا أنه مما لا یکون، و لا یصح مع مخالفته لما وجدوا علیه آباءهم و أجدادهم و أسلافهم، فکان عندهم کأنه دعا الی خلاف المشاهدة و الی ما فیه جحد الضرورة و المکابرة.

و الهزؤ إظهار ما یقصد به العیب علی إیهام المدح، و هو بمعنی اللعب و السخریة.

و قوله «کَذلِکَ نَسْلُکُهُ فِی قُلُوبِ الْمُجْرِمِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِینَ» قیل فی معناه قولان:

أحدهما- کذلک نسلک القرآن الذی هو الذکر باخطاره علی البال لیؤمنوا به، فهم لا یؤمنون به، ماضین علی سنة من تقدمهم، من تکذیب الرسل، کما سلکنا دعوة الرسل فی قلوب من سلف من الأمم. ذهب الیه البلخی و الجبائی.

و قال الحسن و قتادة: یسلک الاستهزاء بإخطاره علی البال لیجتنبوه، و لو کان المراد أنه یسلک الشرک فی قلوبهم، لکان یقول: انهم لا یؤمنون بالشرک و لو کانوا کذلک، کانوا محمودین غیر مذمومین، یقال: سلکه فیه یسلکه سلکاً و سلوکاً، و اسلکه اسلاکاً، قال عدی بن زید:

و کنت لزاز خصمک لم اعرّد و قد سلوک فی یوم عصیب «1»

و قال الآخر:

(1) انظر 6: 38 تعليقة 1
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 322
حتى إذا سلكوهم فى قتائدة شلا كما تطرد الجمَّالة الشردا «1»
و معنى قوله: «وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ» اى فى إهلاک من اقام على الكفر بالمعجزات بعد مجىء ما طلب من الآيات. و يحتمل ان يكون المراد و قد خلت سنة الأولين فى تكذيب رسلهم و الكفر بما جاؤوا به.

وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (14) لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (15)

آيتان.

قرأ ابن كثير وحده «سكرت» بالتخفيف. الباقون بالتشديد. قال أبو عبيدة: (سكرت) معناه غشيت. و المعنى فى الآية سكرت الأبصار، فلا ينفذ نورها، و لا تدرک الأشياء على حقيقتها، و كأن المعنى انقطاع الشىء عن سننه الجارى، فمن ذلک (سكره سكراً) إنما هو ردّه عن سننه، و قال: السكير فى الرأى قبل ان يعزم على شىء، فإذا عزم على امر ذهب السكير و هو ان ينقطع عما عليه من المضاء فى حال الصحو، فلا ينفذ رأيه على حدّ نفاذه فى صحوه، و وجه التثقيل ان الفعل مسند الى جماعة مثل قوله «مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ» «2» و وجه التخفيف ان هذا النحو من الفعل المسند الى الجماعة قد يخفف، قال الشاعر:

ما زلت اغلق ابواباً و أفتحها «3»

---

(1) قائله عبد مناف بن ربع الهذلى ديوانه 2/ 42 و تفسير الطبرى 14/ 7، 18 و تفسير القرطبى 12/ 119 و مجاز القران 1/ 37، 331 و مجمع البيان 3/ 330 و معجم البلدان (قتائدة) و اللسان و التاج (قتد) و قد مر فى 1/ 128، 149 من هذا الكتاب.

(2) سورة ص 38 آية 50

(3) اللسان (غلق) نسبه الى الفرزدق و لم أجده فى ديوانه و روايته

ما زلت افتح أبواباً و أغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

اخبر اللَّه تعالى نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم ان هؤلاء الكفار لشدة عنادهم و غلظة كفرهم و تمردهم و عتوهم «لَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ» فصاروا «فِيهِ يَعْرُجُونَ» و العروج الصعود فى الهواء تعلقاً به نحو السماء، عرج الملک يعرج عروجاً، فلو عرج هؤلاء عروج الملک، لقالوا هذا القول. و التسكير إدخال اللطيف فى المسام، و منه السكر بالشراب، و السكر السد بالتراب «لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا» بما ادخل فيها من اللطيف فى مسامها، حتى منعنا من رؤية الأشياء على حقيقتها. و أصل السكر السد بما ادخل فى المسام. و قال مجاهد و الضحاک و ابن كثير: معنى «سكرت» سدت قال المثنى بن جندل الطهورى:

جاء الشتاء و اجثألَّ القنبر و استخفت الأفعى و كانت تظهر

و طلعت شمس عليها مغفر و جعلت عين الحرور تسكر «1»

اى تسد بشدة البرد، و قنبر و قنبر- بضم الباء و فتحها- لغتان، مثل جندب و جندب قال رؤية:
قبل انصداع الفجر و التهجر و خوضهن الليل حتى تسكر «2»
اى يسد بظلمته، و حكى الفراء: ان من العرب من يقول: سكرت الريح إذا سكنت.
و قال ابن عباس و قتادة و الضحاك: المعنى «لَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ» فظلّت الملائكة تعرج الى السماء، و هم يرونها على ما اقترحوه، «لَقالُوا: إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا» و قال الحسن: يظل هؤلاء المشركون يعرجون فيه.

---

(1) مجاز القران 1/ 348 و تفسير الطبرى 14/ 9 و اللسان و التاج (سكر، قبر) و تفسير الطبرى 15/ 8 و مجمع البيان 3/ 330 و الشوكانى (الفتح القدير) 3/ 1108 (اجتأل) اجتمع، و تقبض، و انقبض. و (القنبر) و (القنبار) جمعه قنابر، و تقول: العامة:
قنبرة. و هم جماعة يجتمعون لجر ما فى الشباك من الصيد، و هى لغة عمانية. و معنى (استخفت الأفعى) اى تخبأت الحية الكبيرة. بعد ان كانت تظهر. و طلعت الشمس عليها غيوم. و (الحرور) الريح الحارة. [.....]
(2) تفسير الطبرى 14/ 9
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 324
«بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ» أى يقولون: سحرنا، فنحن مسحورون، و السّحر حيلة خفيّة، توهم معنى المعجزة من غير حقيقة، و لهذا من عمل بالسّحر كان كافراً، لأنه يدّعى المعجزة للكذّابين، فلا يعرف نبوّة الصادقين.
و قال أبو عبيْدة: سكّرت أبصار القوم إذا ادير بهم، و غشيهم كالساتر فلم يبصروا.
و روى ابن خالويه عن الزّهرى أنه قرأ «سَكِرت» بفتح السين و كسر الكاف، و التخفيف أى اختلطت و تغيّرت عقولهم.

وَ لَقَدْ جَعَلْنا فِی السَّماءِ بُرُوجاً وَ زَیَّنَّاها لِلنَّاظِرِینَ (16) وَ حَفِظْناها مِنْ کُلِّ شَیْطانٍ رَجِیمٍ (17) إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِینٌ (18)
ثلاث آیات بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى أنه جعَل فى السّماء بروجاً. و الجعل قد یکون تصییر الشىء عن صفة لم یکن علیها. و قد یکون بالإیجاد لهُ. و اللَّه تعالى قادرٌ ان یجعل فى السّماء بروجاً من الوجهین، و البرْج: ظهُور منزل ممتنع بارتفاعه، فمن ذلک برج الحصْن، و برج من بروج السَّماء الإثنى عشر، و هى منازل الشمس و القمر.
و أصله الظهور، یقال تبرّجت المرأة إذا أظهرت زینتها. و قال الحسن و مجاهد و قتادة: المراد بالبرُوج النجوم. و قوله «وَ حَفِظْناها مِنْ کُلِّ شَیْطانٍ رَجِیمٍ» یحتمل ان تکون الکنایة راجعة الى السّماء، و الى البرُوج. و حفظ الشىء جعله على ما ینفى عنه الضّیاع، فمن ذلک حفظ القرآن بدرسه و مراعاته، حتى لا ینسى، و منه حفظ المال بإحرازه بحیث لا یضیع بتخطّف الأیدى له، و حفظ السماء من کل شیطان بالمنع بما أعدّ له من الشّهاب. و الرَّجم بمعنى المرجوم، و الرجم الرمى بالشىء بالاعتماد من غیر آلة مهیأة للإصابة، فإن النفوس یرمى عنها و لا ترجم. التبیان فى تفسیر القرآن، ج6، ص: 325
و قوله «إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ» معنى (الا) (لکن) فکأنه قال: لکن من استرق السمع من الشیطان یتبعه شهاب مبین. قال الفرّاء: أى لا یخطئ، و قال المفسّرون: قوله «إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ» مثل قوله «إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ» «1» و معناه معناه، و الاسترق أخذ الشىء خفیّاً، و لیس طلبهم استراق السمع مع علمهم بالشهب خروج عن العادة فى صفة العقلاء، لأنهم قد یطمعون فى فى السلامة من بعض الجهات، و الشهاب عمود من نور یمدّ لشدة ضیائه کالنار و جمعه شهب. و قال ابن عباس: بالشهاب یخبل و یحرق، و لا یقتل. و قال الحسن:
یقتل قال ذو الرمّة:
کأنه کوکب فى إثر عفریةٍ مسوَّم فى سواد اللیل منقضبُ «2»
و الاتباع إلحاق الثانى بالأول، أتبعه اتباعاً، و تبعه یتبعه إذا طلب اللحاق به، و کذلک اتّبعه اتباعاً بالتشدید «مبین» اى ظاهر مبین.
و قال الفراء: قوله «إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ» استثناء صحیح، لان اللَّه تعالى لم یحفظ السماء ممن یصعد الیها لیسترق السمع، و لکن إذا سمعه و ألقاه الى الکهنة اتبعه شهاب مبین، فأما استراقهم السمع، فقال المفسرون: إن فیهم من کان یصعد السماء فیسمع الوحى من الملائکة، فإذا نزل الى

الأرض اغوى به شياطينه او ألقاه الى الكهان، فيغوون به الخلق، فلما بعث اللّه تعالى نبيه صلّى اللّه عليه و سلم منعهم من ذلک، و كان قبل البعثة لم يمنعهم من ذلک تغليظاً فى التكليف. قال الزّجاج:
و الدليل على انه لم يكن ذلک قبل النبى ان أحداً من الشعراء لم يذكره قبل بعثة النبى صلّى اللّه عليه و سلم مع كثرة ذكرهم الشهب بعد ذلک.

وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ وَ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19) وَ جَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ (20) وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21)

---

(1) سورة 37 الصافات آية 10
(2) مجمع البيان 3/ 330 و اللسان (قضب)
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 326
ثلاث آيات بلا خلاف.
قوله «وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها» عطفاً على قوله «وَ لَقَدْ جَعَلْنا فِى السَّماءِ بُرُوجاً ... وَ الْأَرْضَ» و يجوز ان يكون و مددنا الأرض مددناها، كما قال «وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ» «1» و معنى «مددناها» بسطناها، و جعلنا لها طولا و عرضا «وَ أَلْقَيْنا فِيها» يعنى طرحنا فيها «رواسى» يعنى جبالًا ثابتة. و أصله الثبوت، و يقال: رست السفينة إذا ثبتت، و المراسى ما تثبَّت به. و قيل جعلت الجبال أوتاداً للأرض.
و قيل جعلت أعلاماً يهتدى بها أهل الأرض.
و قوله «أَنْبَتْنا فِيها» يعنى أخرجنا النبات فى الأرض، و النبات ظهور النامى عن غيره، حالًا بعد حال، و الأغلب عليه ظهوره من الأرض، و قد يكون من غيره، كنبات الشعر على البدن و الرأس.
«مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و الجبائى: من كل شىء مقدر معلوم.
و الثانى- قال الحسن و ابن زيد: من الأشياء التى توزن من الذهب و الفضة و النحاس و الحديد و غير ذلك. و الوزن وضع احد الشيئين بإزاء الآخر على ما يظهر به مساواته فى المقدار و زيادته، يقال وزنه يزنه وزناً فهو موزون، «وَ جَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ» جمع معيشة، و هى طلب اسباب الرزق مدة الحياة، فقد يطلبها الإنسان لنفسه بالتصرف و التكسب، و قد يطلب له فإن أتاه اسباب الرزق من غير طلب فذلك العيش الهنى.
و قوله «وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ» (من) فى موضع نصب عطفا على (معايش)،

---

(1) سورة يس آية 39
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 327
و قال مجاهد: المراد به العبيد و الإماء و الدواب و الانعام، قال الفراء:

العرب لا تكاد تجعل (من) الا فى الناس خاصة، قال: فان كان من الدواب و المماليک حسن حينئذ، قال و قد يجوز ان يجعل (من) فى موضع خفض نسقاً على الكاف و الميم فى (لكم) قال المبرّد: الظاهر المخفوض لا يعطف على المضمر المخفوض نحو مررت بک و زيد إلا ان يضطر شاعر، على ما مضى ذكره فى سورة النساء، و انشد الفرّاء فى ذلک:

نعلق فى مثل السوارى سيوفنا و ما بينها و الكعب غوط نفانف «1»

فرد الكعب على (بينها) و قال آخر:

هلا سألت بذى الجماجم عنهم و أبا نعيم ذى اللواء المحرق «2»

فرد أبا نعيم على الهاء فى عنهم. قال و يجوز ان يكون فى موضع رفع، لان الكلام قد تم، و يكون التقدير على قوله «لكم فيها» ... «وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ».

و قوله «وَ إِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ» فخزائن اللَّه مقدوراته، لأنه تعالى يقدر ان يوجد ما شاء من جميع الأجناس، فكأنه قال: و ليس من شىء إلا و اللَّه تعالى قادر على ما كان من جنسه الى ما لا نهاية له.

و قوله «وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» اى لست انزل من ذلک الشىء «إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» اى ما يصلحهم و ينفعهم دون ما يفسدهم و يضرهم، حسب ما سبق فى علمى.

وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَ ما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ (22) وَ إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ نَحْنُ الْوارِثُونَ (23) وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (24) وَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (25)

---

(1) مر هذا البيت فى 3: 98
(2) تفسير الطبرى 14: 12 (الطبعة الاولى) و مجمع البيان 3: 333

أربع آيات.
قرأ حمزة وحده «الريح لواقح» الباقون «الرياح» على الجمع، قال ابو عبيدة لا اعرف لذلک وجهاً، إلا ان يريد أن الريح تأتى مختلفة من كل وجه، فكانت بمنزلة رياح و حكى الكسائى أرض اغفال، و أرض سباسب. قال المبرّد: يجوز ذلک على بعد، ان يجعل الريح جنساً، و ليس بجيد، لأن الرياح ينفصل بعضها عن بعض، بمعرفة كل واحدة، و ليست كذلک الأرض، لأنها بساط واحد.
و قال الفراء: هو مثل ثوب اخلاق و انشد:
جاء الشتاء و قميصى أخلاق شراذم يضحک منه التواق «1»
و من قراء «الرياح لواقح» احتمل ذلک شيئين.
أحدهما- ان يجعل الريح هى التى تلقح بمرورها على التراب و الماء، فيكون فيها اللقاح، فيقال فيها ريح لاقح، كما يقال: ناقة لاقح.
و الثانى- ان يصفها باللقح و ان كانت تلقح، كما قيل ليل نائم و سر كاتم.
يقول اللَّه تعالى انه بعث «الرياح لواقح» للسحاب و الأشجار تعداداً لنعمه على عباده و امتنانا عليهم، واحدها ريح، و تجمع ايضاً أرواحاً، لأنها من الواو، قال الشاعر:
مشين كما اهتزت رماح تسفهت أعاليها مر الرياح النواسم «2»
فاللواقح التى تلقح السحاب، حتى يحمل الماء أى تلقى اليه ما يحمل به الماء يقال: لقحت الناقة إذا حملت، و ألقحها الفحل إذا ألقى اليها الماء فحملته، فكذلک الرياح هى كالفحل للسحاب، (و لواقح) فى موضع ملاقح. و قيل فى

---

(1) تفسير الطبرى 14: 13 و اللسان «خلق»، «توق».
(2) مر هذا البيت فى 2: 372 من هذا الكتاب.

علّة ذلک قولان: أحدهما، لأنه فی معنی ذات لقاح کقولهم: هم ناصب أی ذو نصب قال النابغة:
کلینی لهم یا امیمة ناصب و لیل أقاسیه بطیء الکواکب «1»
ای منصب، و قال نهشل بن حری النهشلی:
لیبک یزید ضارع لخصومة و مختبط مما تطیح الطوائح «2»
ای المطاوح، و قال قتادة و ابراهیم و الضحاک: معنی هذا القول: ان الریاح تلقح السحاب الماء. و قال ابن مسعود: إنها لاقحة یحملها الماء، ملقّحة بإلقائها إیاه الی السحاب.
و قوله «فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً» یعنی غیثاً و مطراً «فاسقیناکموه» ای جعلته سقیاً، لأرضکم تشربه، یقال: سقیته، فیما یشربه، تسقیه و أسقیته فیما تشربه ارضه، و قد تجیء أسقیته بمعنی سقیته، کقوله تعالی «نُسْقِیکُمْ مِمَّا فِی بُطُونِهِ مِنْ بَیْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِینَ» «3»، و قال ذو الرمة:
وقفت علی ربع لمیة ناقتی فما زلت أبکی عنده و أخاطبه
و اسقیه حتی کاد مما أبثه تکلمنی احجاره و ملاعبه «4»
ای ادعو له بالسقیا. «وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِینَ» ای لستم تقدرون ان ترزقوا احداً ذلک الماء، لو لا تفضل اللَّه علیکم. ثم اخبر تعالی انه هو الذی یحیی الخلق إذا شاء و کان ذلک صلاحاً لهم، و یمیتهم إذا أراد و کان صلاحهم، و انه هو الذی یرث الخلق، لأنه إذا أفنی الخلق و لم یبق احد کانت الأشیاء کلها راجعة الیه ینفرد بالتصرف فیها و کان هو الوارث لجمیع الاملاک.

---

(1) دیوانه «دار بیروت» 9 و قد مر فی 5: 368، 6: 95.
(2) مر هذا البیت فی 4: 310
(3) سورة النحل آیة 66
(4) دیوانه 213 و تفسیر الشوکانی «الفتح القدیر» 3: 48 و تفسیر الطبری 14: 14 و المحاسن و الاضداد للجاحظ 335 و مجمع البیان 3: 333، 359 و اللسان و التاج (سقی) و قد مر الثانی فی 4: 129

و قوله «وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِینَ مِنْکُمْ وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِینَ» قیل فی معناه ثلاثة اقوال:
أحدهما- قال مجاهد و قتادة من مضی و من بقی.
و ثانیها- قال الشعبی: أول الخلق و آخره.
و ثالثها- قال الحسن: المتقدمین فی الخیر و المبطئین.
و
قال الفرا: لما قال النبی صلّی اللَّه علیه و سلم إن اللَّه یصلی علی الصف الاول، أراد بعض المسلمین ان یبیع داره النائیة لیدنو الی المسجد، فیدرک

الصف الاول. فأنزل اللّه الآية، و أنه يجازى فقراء الناس على نياتهم.
ثم اخبر تعالى ان الذى خلقک يا محمد هو الذى يحشرهم بعد اماتتهم، و يبعثهم يوم القيامة، لأنه حكيم فى أفعاله عالم بما يستحقونه من الثواب و العقاب.
(و الحشر) جمع الحيوان الى مكان، يقال: هؤلاء الحشّار، لأنهم يجمعون الناس الى ديوان الخراج. و (الحكيم) العالم بما لا يجوز فعله، لقبحه، او سقوط الحمد عليه، مع انه لا يفعله، فعلى هذا يوصف تعالى فيما لم يزل بانه حكيم.
و الحكيم المحكم لأفعاله بمنع الخلل ان يدخل فى شىء منها، فعلى هذا لا يوصف تعالى فيما لم يزل بانه حكيم.

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26) وَ الْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ (27)
آيتان بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى أنه خلق الإنسان، و المراد به آدم بلا خلاف.
و قيل فى معنى الصلصال قولان:
أحدهما- إنه الطين اليابس الذى يسمع له عند النقر صلصلة. ذهب اليه ابن عباس و الحسن و قتادة.
و الثانى- قال مجاهد: هو مثل الخزف الذى يصلصل. و قال مجاهد: التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 331
الصلصال المنتن- فى رواية عنه- مشتق من صل اللحم و أصلّ إذا أنتن، و الاول أقوى، لقوله تعالى «خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَّارِ» «1» و ما يبس كالفخار فليس بمنتن، و قال الفراء: الصلصال طين الحرار إذا خلط بالرمل إذا جفّ كان صلصالًا، و إذا طبخ كان فخاراً، و الصلصلة القعقعة، و هى صوت شديد متردد فى الهواء كصوت الرعد، يقال لصوت الرعد صلصلة، و للثوب الجديد قعقعة، و اصل الصلصلة الصوت يقال: صلّ يصلّ و هو صليل إذا صوّت، قال الشاعر:
رجعت الى صدر كجرَّة حنتم إذا فرغت صفراً من الماء صلّت «2»
و قيل: خلق آدم على صورة الإنسان من طين، ثم ترک حتى جف، فكانت الريح إذا مرت به سمع له صلصلة.
و قوله «مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» فالحمأ جمع حمأة، و هو الطين المتغير الى السواد، يقال: حمئت البئر و أحمأتها أنا إذا بلغت الحمأة. و قيل فى معنى (المسنون) قولان:
أحدهما- المصبوب من قولهم: سننت الماء على الوجه و غيره إذا صببته، و عن ابن عباس: انه الرطب، فعلى هذا يكون رطباً مصبوباً ثم يبس فيصير كالفخار.
الثانى- انه المتغير، من قولهم: سننت الحديدة على المسن إذا غيرتها بالتحديد، و الأصل الاستمرار فى جهة، من قولهم هو على سنن واحد.
و معنى قوله «وَ الْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ» المراد به إبليس، خلقه اللَّه قبل آدم- فى قول الحسن و قتادة- «مِنْ نارِ السَّمُومِ» اى من النار الحارة. و قال عبد اللَّه:
هذه السموم جزء من سبعين جزء من السموم التى خرج منها الجان، و هو مأخوذ من دخولها بلطفها فى مسام البدن و منه السم القاتل، يقال: سم يومنا يسم سموماً إذا هبت له ريح السموم.

(1) سورة الرحمن آية 14- 15
(2) قائله عمرو بن شأس. اللسان «حنتم» و مجمع البيان 3: 335 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 332

وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَةِ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلائِکَةُ کُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبی أَنْ يَکُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31)

أربع آيات بلا خلاف.

لفظة (إذ) تدل على ما مضى من الزمان، و لا بدَّ لها من فعل متعلق به، و التقدير و اذكر يا محمد «إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَةِ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً» اى أخلقه فيما بعد، قبل ان يخلقه، و المراد بالبشر آدم، و سمى بشراً لأنه ظاهر الجلد، لا يرى فيه شعر، و لا صوف كسائر الحيوان. ثم قال «مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» و قد فسرناه.

و قوله «فإذا سويته» معناه سويت صورته الانسانية، و التسوية جعل واحد من الشيئين على مقدار الآخر و قد يسوى بين الشيئين فى الحكم.

و قوله: «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِی» فالنفخ الاجراء للريح فى الشىء باعتماد، نفخ ينفخ نفخاً إذا اجرى الريح باعتماد، فلما أجرى اللَّه الروح على هذه الصفة فى البدن، كان قد نفخ الروح فيه، و أضاف روح آدم الى نفسه تكرمة له، و هى اضافة الملك، لما شرفه و كرمه، و الروح جسم رقيق روحانى فيها الحياة التى بها يجىء الحى، فإذا خرجت الروح من البدن، كان ميتاً فى الحكم، فإذا انتفت الحياة من الروح، فهو ميت فى الحقيقة.

و قوله «فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ» أمر من اللَّه تعالى، الى الملائكة الى يسجدوا لآدم. و قيل فى وجه سجودهم له قولان:

أحدهما- انه سجود تحية و تكرمة لآدم، عبادة للَّه تعالى. و قيل: أنه على معنى السجود الى القبلة. و الاول عليه اكثر المفسرين. ثم استثنى من جملتهم التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 333

إبليس انه لم يسجد، «أَبی أَنْ يَکُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ» لآدم. و إبليس مشتق من الإبلاس، و هو اليأس من روح اللَّه إلا انه شبه بالاعجمى من جهة انه لم يستعمل إلا على جهة العلَم، فلم يصرف. و قال قوم: إنه ليس بمشتق، لأنه أعجمى بدلالة انه لا ينصرف. و الاباء: الامتناع، و السجود خفض الجبهة بالوضع على بسط من الأرض او غيره، و أصله الانخفاض قال الشاعر:

ترى الا كم فيها سجّدا للحوافر «1»

و اختلفوا فى هذا الاستثناء، فقال قوم: ان إبليس كان من الملائكة، فلذلك استثناه، و قال آخرون: إنما كان من جملة المأمورين بالسجود لآدم، فلذلك استثناه من جملتهم، و قال آخرون: هو استثناء منقطع و معناه (لكن) و قد بينا الصحيح من ذلک فى سورة البقرة «2».

و من قال: لم يكن من الملائكة قال: الملائكة خلقوا من نور، و إبليس خلق

من نار، و الملائكة لا يعصون، و إبليس عصى بكفره باللّه. و الملائكة لا تأكل و لا تشرب و لا تنكح، و إبليس بخلاف ذلک، قال الحسن: إبليس أب الجن، كما ان آدم أب الإنس.

قالَ يا إِبْلِيسُ ما لَکَ أَلاَّ تَکُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قالَ لَمْ أَکُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (33)
آيتان بلا خلاف.
هذا خطاب من اللَّه تعالى لإبليس يقول له: لم لا تكون مع الساجدين، تسجد كما سجدوا. و اختلفوا فى كيفية هذا الخطاب، فقال الجبائى: قال اللّٰه له

---

(1) مر هذا الشعر فى: 148، 263، 311، 4: 233، 383، 6: ...
(2) انظر 1: 147 فى تفسير آية 34 من سورة البقرة.

ذلک على لسان بعض رسله و هو الأليق، لأنه لا يصح ان يكلمه اللَّه بلا واسطة فى زمان التكليف. و قال آخرون: كلمه، بالإنكار عليه و الاهانة له، كما قال «اخْسَؤُا فِيها وَ لا تُكَلِّمُونِ» «1». هذا ينبغى ان يكون حكاية عما يقوله له فى الآخرة، فقال إبليس مجيباً لهذا الكلام: ما كنت بالذى اسجد لبشر «خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» و قد فسرناه. و لم يعلم وجه الحكمة فى ذلک، لأن فى ذلک قلباً للشىء عن الحالة الحقيرة فى الضعة الى هذه الحالة الجليلة، و أى ذلک كان، فانه لا يقدر عليه غير اللَّه، و انه لا ينتفع للعظم فى الصفة مع إمكان قلبه الى النقص فى الصفة، و كذلک لا يضر النقص فى الصفة، مع إمكان قلبه الى الأعظم، فلو نظر فى ذلک لزالت شبهته فى خلقه من نار و خلق آدم من طين، قال المبرّد: قوله «مالک ألا تكون» (لا) زائدة مؤكدة، و التقدير ما منعک ان تسجد، ف (أن) فى قول الخليل و أصحابه فى موضع نصب، لأنه إذا حذف حرف الجر و نصب ما بعده، و قال غيره: فى موضع خفض، لأن المعنى ما منعک من ان تكون، فحذف (من)

قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّکَ رَجِيمٌ (34) وَ إِنَّ عَلَيْکَ اللَّعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ (35) قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) قالَ فَإِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (37) إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (38)
خمس آيات بلا خلاف.
هذا خطاب من اللّه تعالى لإبليس لما احتج لامتناعه من السجود لآدم بما ليس بحجة، بل هو حجة عليه، فاخرج منها.
قال الجبائى: أمره بالخروج من الجنة. و قال غيره أمره بالخروج من السماء.

---

(1) سورة المؤمنون آية 109

«فإنک رجيم» أى مرجوم بالذم و الشتم (فعيل) بمعنى مفعول. و قد يكون (فعيل) بمعنى فاعل مثل رحيم بمعنى راحم.
«وَ إِنَّ عَلَيْکَ اللَّعْنَةَ» اى عليک مع ذلک اللعنة، و هى الابعاد من رحمة اللّه، و لذلک لا يجوز ان تلعن بهيمة، فأما لعن إبليس الى يوم الدين، فإن اللّه قد لعنه، و المؤمنون لعنوه لعنة لازمة الى يوم الدين، و هو يوم القيامة. ثم يحصل بعد ذلک على الجزاء بعذاب النار. و قيل الدين- هاهنا- الجزاء، و مثله «مالِکِ يَوْمِ الدِّينِ» اى يوم الجزاء. و يقال لفلان دين اى طاعة يستحق بها الجزاء، و فلان يدين للملوک أى يدخل فى عادتهم فى الجزاء، فقال حينئذ إبليس: يا رب «فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» اى أخر فى وقتى الى يوم يحشرون، يعنى القيامة، يحشرهم اللّه للجزاء. و الانظار و الامهال واحد، فقال اللّه تعالى له: انى أنظرتک و أخرتک و جعلتک من جملة «الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» فقال قوم: هو يوم القيامة، أنظره اللّه فى رفع العذاب عنه الى يوم القيامة، و فى التبقية الى آخر أحوال التكليف «يَوْمِ يُبْعَثُونَ» يوم القيامة. و قد قيل: إن يوم الوقت المعلوم هو آخر أيام التكليف، و أنه سأل الانظار الى يوم القيامة، لأن لا يموت، إذ يوم القيامة لا يموت فيه احد، فلم يجبه اللّه الى ذلک. و قيل له «إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» الذى هو آخر ايام التكليف. و قال البلخى: أراد بذلک الى يوم الوقت المعلوم، الذى قدر اللّه أجله فيه، و هو معلوم، لأنه لا يجوز ان يقول تعالى لمكلف انى ابقيک الى يوم معين لان فى ذلک إغراء له بالقبيح.
و اختلفوا فى تجويز، إجابة دعاء الكافر، فقال الجبائى: لا يجوز، لان اجابة الدعاء ثواب، لما فيه من إجلال الداعى بإجابته الى ما سأل. و قال ابن الأخشاد:

يجوز ذلک، لأن الاجابة کالنعمة فی احتمالها ان تکون ثواباً و غیر ثواب، لأنه قد یحسن منا ان نجیب الکافر الی ما سأل استصلاحاً له و لغیره، فأما قولهم:
فلان مجاب الدعوة، فهذه صفة مبالغة لا تصح لمن کانت إجابته نادرة من الکفار.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 336

قالَ رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِی لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِی الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلاَّ عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40)

آيتان بلا خلاف.

لما أجاب اللَّه تعالى إبليس الى الانظار الى يوم الوقت المعلوم، قال عند ذلک يا رب «بما أغويتنى» اى فيما خيبتنى من رحمتک، لان الغى الخيبة قال الشاعر.

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغى لائما «1»

و قال قوم: معناه بما نسبتنى الى الغى ذمّاً لى، و حكمت على بالغى. و قال البلخى: معناه فيما كلفتنى السجود لآدم الذى غويت عنده، فسمى ذلک غواية، كما قال «فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ» «2» لما ازدادوا عندها، على ان هذا حكاية قول إبليس، و يجوز ان يكون اعتقد ان اللَّه خلق فيه الغواية، فكفر بذلک، كما كفر بالامتناع من السجود و الباء فى قوله «فبما أغويتنى» قيل فى معناها قولان:

أحدهما- ان معناها القسم، كقولک باللَّه لا فعلن.

و الآخر- بخيبتى «لأغوينهم» كأنها سبب لاغوائهم، كقولک بمعصيته ليدخلنَّ النار، و بطاعته ليدخلن الجنة.

و الإغواء الدعاء الى الغى، و الإغواء خلاف الإرشاد، فهذا أصله، و قد يكون الإغواء بمعنى الحكم بالغى، على وجه الذم و التزيين جعل الشىء منقبلا فى النفس من جهة الطبع و العقل، بحق ام بباطل. و إغواء الشيطان تزيينه الباطل حتى يدخل صاحبه فيه، و يرى ان الحظ بالدخول فيه. و «لأغوينهم» اى أدعوهم الى ضد الرشاد، ثم أستثنى من جملتهم عباد اللَّه المخلصين الذين أخلصوا عبادتهم للَّه و امتنعوا من اجابة الشيطان، فى ارتكاب المعاصى، لأنه ليس للشيطان عليهم

---

(1) مر هذا البيت فى 2: 312، 4: 391، 5: 548

(2) سورة التوبة آية 126

سبيل، كما قال تعالى «إِنَّ عِبادِی لَيْسَ لَکَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ» يعنى عباد اللَّه الذين فعلوا ما أمرهم به و انتهوا عما نهاهم عنه.

و من كسر اللام فلقوله «وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ» «1» و من فتحها أراد ان اللَّه أخلصهم بأن وفقهم لذلک، و لطف لهم فيه.

قالَ هذا صِراطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ (41) إِنَّ عِبادِى لَيْسَ لَکَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْغاوِينَ (42) وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (43) لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (44)
أربع آيات بلا خلاف.
قرأ يعقوب «صراط علىٌّ» بتنوين على، و رفعه على أنه صفة ل (صراط) بمعنى رفيع، و به قرأ ابن سير بن و قتادة. الباقون بفتح الياء على الاضافة الى الياء. و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- إن ذلک على وجه التهديد، كقولک لمن تتهدده و تتوعده: على طريقک، و الى مصيرک، كما قال «إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصادِ» «2» و هو قول مجاهد و قتادة.
الثانى- إنه يراد به الدين المستقيم، و أن اللَّه يبينه و ينفى الشبهة عنه بهداية المستدل على طريق الدليل.
و قوله «إِنَّ عِبادِى لَيْسَ لَکَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ» اخبار منه تعالى ان عباده الذين

---

(1) سورة النساء آية 146
(2) سورة الفجر آية 14

يطيعونه و ينتهون الى أمره و يجتنبون معاصيه ليس للشيطان عليهم سلطان و لا قدرة اكثر من ان يغويهم، فإذا لم يقبلوا منه و لا يتبعونه، فلا يقدر لهم على ضر و لا نفع. و قال الجبائى: ذلک يدل على ان الجن لا يقدرون على الإضرار ببنى آدم، لأنه على عمومه. و قال غيره: الآية تدل على نفى السلطان بالإغواء، لأنهم إذا لم يقبلوا منه و لا يتبعونه، فكأنه لا سلطان له عليهم، و لا يمتنع ان يقدروا على غير ذلک من الإضرار.
ثم استثنى تعالى من جملة العباد من يتبع إبليس على إغوائه و ينقاد له و يقبل منه، لأنه إذا قبل منه، صار له عليه سلطان، بعدوله عن الهدى الى ما يدعوه اليه من اتباع الهوى، فيظفر به إبليس.
ثم اخبر تعالى ان جهنم موعد. جميع العصاة و الخارجين عن طاعته، و من يتبع إبليس على إغوائه. و (جهنم) لا تنصرف لأنها معرفة مؤنثة، و قد يقال للنار إذا عظمت و اشتدت: هذه جهنم، تشبيهاً بجهنم المعروفة، و هذا لم ينكر.
ثم اخبر عن صفة جهنم بأن «لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ» و
قال على (ع) و الحسن و قتادة و ابن جريج: أبوابها أطباق بعضها فوق بعض

«لِكُلٍّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ» من المستحقين للعقوبة على قدر استحقاقهم من العقاب، فی القلة و الكثرة بحسب كثرة معاصيهم و قلتها.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِی جَنَّاتٍ وَ عُیُونٍ (45) ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِینَ (46) وَ نَزَعْنا ما فِی صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلی سُرُرٍ مُتَقابِلِینَ (47) لا یَمَسُّهُمْ فِیها نَصَبٌ وَ ما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِینَ (48)
أربع آيات بلا خلاف.
لما اخبر اللّه تعالى عن الكفار ان مستقرهم جهنم، و وصف جهنم، اخبر-
هاهنا- التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 339
ما للمتقين، فقال «ان للمتقين» الذين يتقون عقاب اللَّه باجتناب معاصيه و فعل طاعته «جنات» و هى البساتين التى تنبع فيها المياه، كما تفور من الفوارة، ثم يجرى فى مجاريه، و انما يشوقهم الى الثواب بالجنان، لأنها من اسباب لذات الدنيا المؤدية اليها، كما ان النار من اسباب الآلام لمن حصل فيها.
و الفرق بين الجنة و الروضة: ان الجنة لا بد ان يكون فيها شجر، لان أصلها من ان الشجر يجنها، و الروضة قد تكون بغير شجر، يقال: روضة خضرة و رياض مونقات.
و قوله «ادخلوها» اى يقال للمتقين «ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِینَ» بسلامة و هى البراءة من كل آفة و مضرة، كما قال «وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً» «1» اى براءة منكم، و معنى «آمنين» اى ساكنى النفس الى انتفاء الضرر. و الامانة الثقة بالسلامة من الخيانة.
و قوله «وَ نَزَعْنا ما فِی صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ» فالغل الحقد الذى ينعقد فى القلب، و منه الغل الذى يجعل فى العنق، و الغلول الخيانة التى تطوق عارها صاحبها، فبين تعالى ان الأحقاد التى فى صدور اهل الدنيا تزول بين اهل الجنة و يصبحون «إخوانا» متحابين «على سرر» و هى جمع سرير، و هو المجلس الرفيع موطأ للسرور، و يقال فى جمعه: اسرة ايضاً، و هو مأخوذ من السرور، لأنه مجلس سرور «متقابلين» اى كل واحد منهم مقابل لصاحبه و محاذ لأخيه، فانه بذلک يعظم سرورهم. و التقابل وضع كل واحد بإزاء الآخر على التشاكل و قال قوم:
ان نزع الغل يكون قبل دخول الجنة. و قال آخرون: يكون ذلک بعد دخولهم فيها.
و قوله «لا یَمَسُّهُمْ فِیها نَصَبٌ» اخبار منه تعالى: ان هؤلاء المؤمنين الذين حصلوا فى الجنة «إِخْواناً عَلی سُرُرٍ مُتَقابِلِینَ» لا يمسهم فى الجنة نصب و هو التعب و الوهن الذى من العمل، للوهن الذى يلحق. ثم اخبر انهم مع ذلک

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 63
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 340
لا يخرجون من الجنة بل يبقون فيها مؤبدين. و (اخواناً) نصب على الحال. و قال قوم هو نصب على التمييز.

نَبِّئْ عِبادِی أَنِّی أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِیمُ (49) وَ أَنَّ عَذابِی هُوَ الْعَذابُ الْأَلِیمُ (50)
آیتان بلا خلاف.
أمر اللَّه تعالى نبیه صلّى اللَّه علیه و سلم ان یخبر عباد اللَّه الذین خلقهم لعبادته على وجه الترغیب لهم فی طاعته و التخویف عن معصیته، بانی انا الذی أعفو و استر على عبادی معاصیهم، و لا افضحهم بها یوم القیامة إذا تابوا منها، لرحمتی و إنعامی علیهم، و ان مع ذلک عذابی و عقوبتی «هُوَ الْعَذابُ الْأَلِیمُ» المؤلم الموجع، فلا تعوّلوا على محض غفرانی، و خافوا عقابی، و کونوا على حذر باجتناب معاصی و العمل بطاعتی.

وَ نَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ (51) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (52) قالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (53) قالَ أَ بَشَّرْتُمُونِي عَلى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (54)

أربع آيات بلا خلاف.

قرأ نافع «تبشرون» بكسر النون مع التخفيف بمعنى تبشروننى و حذف النون استثقالًا، لاجتماع المثلين، و بقيت الكسرة الدالة على الياء المفعولة، و النون الثانية محذوفة، لان التكرير بها وقع، و لم تحذف الاولى لأنها علامة الرفع و مثله قول الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 341

تراه كالثغام يعلّ مسكاً بسوء الغاليات إذا قلينى «1»

أراد قلينني، فحذف إحدى النونين. و قال اهل الكوفة: ادغم ثم حذف، و حجتهم «وَ كادُوا يَقْتُلُونَنِي» «2» و قوله «أ تعداننى» «3» فأظهر النونات، و أما حرف المشدد نحو «تأمرونى» «4» و «أ تحاجونى» «5» و ما أشبه ذلک. و شدد النون و كسرها ابن كثير. الباقون بفتح النون.

قال أبو على: من شدد النون أدغم النون الاولى التى هى علامة الرفع فى الثانية المتصلة بالياء التى للمضمر المنصوب للمتكلم، و فتحها، لأنه لم يعدّ الفعل الى مفعول به، كما عداه غيره. و حذف المفعول كثير. و لو لم يدغم، و بيّن، كان حسناً فى القياس مثل (يقتلوننى) فى جواز البيان و الإدغام. و من فتح النون جعلها علامة الرفع، و لم يعد الفعل فيجتمع نونان.

أمر اللّه تعالى نبيه صلّى اللّه عليه و سلم ان يخبر من تقدم ذكره «عَنْ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ» و الضيف هو المنضوى الى غيره لطلب القرى، و جمعه ضيوف و أضياف و ضيفان «إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ» يتعلق ب (ضيف) و ضيف يقع على الواحد و الاثنين و الجمع، فلذلک قال «إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ» فكنى بكناية الجمع. و سماهم ضيفاً، و هم ملائكة، لأنهم دخلوا بصورة البشر «فَقالُوا سَلاماً» نصبه على المصدر، و المعنى سلمت سلاماً على وجه الدعاء، و التحية. و مثله قوله «وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً» «6» و المعنى سلمنا منكم سلاماً، و السلامة نقيض البلاء و الآفة المخوفة، و النجاة نقيض الهلاک.

و قوله «قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ» اخبار عما أجاب به ابراهيم ضيفانه بأنه خائف منهم، و الوجل الخوف، فأجابه الضيفان، و قالوا «لا توجل» أى لا تخف انا

---

(1) قائله عمر بن معد يكرب. الكتاب لسيبويه 2: 67 و شرح المفضليات 78 و الانصاف 377 و مجاز القرآن 1: 352 و مجمع البيان 3: 339.

(2) سورة 7 الاعراف آية 149
(3) سورة 46 الأحقاف آية 17
(4) سورة 39 الزمر آية 64
(5) سورة الانعام آية 80،
(6) سورة 25 الفرقان آية 63 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 342
جئناک «نُبَشِّرُکَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ». و التبشير الإخبار بما يسرّ، بما يظهر فى بشرة الوجه سروراً به يقال: بشرته أبشره بشارة و أبشر ابشاراً بمعنى استبشر، و بشرته تبشيراً، و انما وصفه بأنه «عليم» قبل كونه، لدلالة البشارة به على انه سيكون بهذه الصفة، لأنه إنما بشر بولد يرزقه اللَّه إياه و يكون عليماً، فقال لهم ابراهيم «أَ بَشَّرْتُمُونِی عَلى أَنْ مَسَّنِیَ الْكِبَرُ» اى كيف يكون لى ولد و قد صرت كبيراً، لان معنى «مَسَّنِیَ الْكِبَرُ» أى غيرنى الكبر عن حال الشباب التى يطمع معها فى الولد، الى حال الهرم. و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- انه عجب من ذلک لكبره، فقاله على هذا الوجه.
و الآخر- انه استفهم فقال: أ أمر اللَّه ان تبشروننى، فى قول الجبائى.
و معنى (على ان مسنى) أى بأن مسنى، كما قال «حَقِيقٌ عَلى أَنْ لا أَقُولَ» «1» بمعنى بأن لا أقول.

قالُوا بَشَّرْناكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقانِطِينَ (55) قالَ وَ مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ (56)
آيتان بلا خلاف.
قرأ أبو عمرو و الكسائى «يقنط» بكسر النون، حيث وقع. الباقون بفتحها، و كلهم قرأ «من بعد ما قنطوا» «2» بفتح النون، قال ابو على: قنط يقنط و يقنط لغتان بدلالة إجماعهم على قوله «مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا» بفتح النون و قد حكى: يقنط بضم النون، و هى شاذة، و هذا يدل على ان ماضيه على (فعَل) لأنه ليس فى الكلام (فعِل يفعُل). و قد حكى عن الأعمش أنه قرأ «من بعد ما قنطوا» بكسر النون، و هى شاذة لا يقرأ بها.
و فى هذه الآية حكاية ما قالت الملائكة لإبراهيم، حين عجب ان يكون له

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 104
(2) سورة 42 الشورى آية 28

ولد لكبر سنه و علو عمره، إنا بشرناك بذلك على وجه الحق و الصحيح، و أخبرناك به على وجه الصدق، فلا تكن بعد ذلك من جملة القانطين، يعنى الآيسين فأجابهم ابراهيم عند ذلك بأن قال: و «من» الذى «يقنط» أى ييأس «من رحمة» اللّه و حسن إنعامه، إلا من كان عادلًا عن الحق ضالًا عن سبيل الهدى، و هذا يقوى قول من قال: إنه راجعهم فى ذلك على وجه الاستفهام دون الشك فى أقوالهم.

قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (57) قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (58) إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (59) إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ (60)

أربع آيات بلا خلاف.

فقال ابراهيم (ع) بعد ذلک للملائكة «ما خطبكم» اى ما الأمر الجليل الذى بعثتم له، و الخطب الأمر الجليل، و مثله ما شأنک، و ما أمرک، و منه الخطبة، لأنها فى الأمر الجليل، فأجابته الملائكة بأنّا «أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ» و قوم الرجل: هم الذين يقيمون بنصرته، و النفر الذين ينفرون فى مهام الأمور. و قوم لوط هم الذين كان يجب عليهم القيام بنصرته و معونته على أمره. و قال قوم:

إنه يقع على الرجال دون النساء. و المجرم المنقطع عن الحق إلى الباطل، و هو القاطع لنفسه عن المحاسن الى المقابح، و المعنى «إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى» من وصفنا لنهلكهم، و ننزل بهم العقوبة. ثم استثنى من ذلک (آل لوط) و أخبر أنهم ينجونهم كلهم، يقال: نجيت فلاناً و أنجيته، فمن قرأ بالتشديد أراد التكثير.

ثم استثنى من جملة آل لوط امرأته، و بين انها هالكة مع الهالكين، (و قدرنا) اى كتبنا «إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ» و الغابر الباقى فى من يهلک. و الغابر الباقى فى مثل الغبرة، مما يوجب الهلكة. قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 344

فما ونى محمد مذ أن غفر له الإله ما مضى و ما غبر «1»

و آل الرجل أهله الذين يرجعون إلى ولايته، و لهذا يقال أهل البلد، و لا يقال آل البلد، و لكن آل الرجل اتباعه الذين يرجع أمرهم اليه بولايته و نصرته.

و قيل: إن امرأة لوط كانت فى جملة الباقين. ثم أهلكت فيما بعد «و قدرنا» بالتخفيف مثل (قدّرنا) بالتشديد، و كلهم قرأ- هاهنا- مشدداً إلا أبا بكر عن عاصم، فإنه خففها، و يكون ذلک من التقدير، كما قال «وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ» «2». و قال ابو عبيدة:

فى الآية معنى فقر، و كان ابو يوسف يتأوله فيها، لان اللَّه تعالى استثنى آل لوط من المجرمين، ثم استثنا استثناء رده على استثناء كان قبله، و كذلک كل استثناء فى الكلام إذا جاء بعد آخر عاد المعنى إلى أول الكلام، كقول الرجل: لفلان على عشرة إلا أربعة إلا درهم، فأنه يكون اقرار بسبعة، و كذلک لو قال: على خمسة إلا درهماً إلا ثلثاً، كان إقرار بأربعة و ثلث، و كذلک لو قال لأمرأته أنت طالق ثلاثاً إلا اثنتين إلا واحدة كانت طالقاً إثنتين، قال: و اكثر ما يستثنى ما هو أقل من النصف، و لم يسمع اكثر من النصف

الا بيت أنشده الكسائى:
أدوا التى نقصت سبعين من مائة ثم ابعثوا حكماً بالعدل حكّاما
فجعلها مائة إلا سبعين، و هو يريد ثلاثين، و ضعف المبرد الاحتجاج بهذا البيت، و لم يجز استثناء الأكثر من الجملة و لا نصفها، و إنما جاز استثناء ما دون النصف من الجملة حتى قال: لا يجوز ان يقال: له عندى عشرة إلا نصف و لا عشرة إلا واحد، قال: لان تسعة و نصف أولى بذلک، و كذلک لا يجوز: له الف إلا مائة، لأن تسعة مائة أولى بذلک، و إنما يجوز الف إلا خمسين و إلا سبعين و الا تسعين، قال: و على هذا النحو بنى هذا الباب. و الصحيح الأول، عند اكثر العلماء من المتكلمين و الفقهاء و اكثر النحويين.

---

(1) قائله العجاج ديوانه 15 و اللسان (ثبت)، و قد مر قسم من هذا الرجز فى 4: 588:
589 تعليقة 4
(2) سورة الطلاق آية 7

فَلَمَّا جاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (61) قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (62) قالُوا بَلْ جِئْناکَ بِما کانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (63) وَ أَتَيْناکَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّا لَصادِقُونَ (64)
أربع آيات بلا خلاف.
أخبر اللَّه تعالى ان الملائكة الذين بعثهم اللَّه لإهلاک قوم لوط، لما جاؤوا لوطاً و قومه، و كانوا فى صورة لا يعرفهم بها لوط، انكرهم، و قال لهم «إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ» اى لا تعرفون مع الاستيحاش منكم، لأنه لم يثبتهم فى ابتداء مجيئهم فلما اخبروه بأنهم رسل اللَّه جاؤوا بعذاب قومه و سؤاله الأمر، عرفهم حينئذ، و قالوا «بَلْ جِئْناکَ بِما كانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ» اى بالعذاب الذى كانوا يشكّون فيه و يكذبون به، و قد يوصف الجاهل بالشک من جهة ما يعرض له فيه من حيث لا يرجع الى ثقة فيما هو عليه. و قالوا له ايضاً انا جئناک بالحق فيما أخبرناک به من عذاب قومک، و نحن صادقون فيه.

فَأَسْرِ بِأَهْلِکَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ اتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (65) وَ قَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِکَ الْأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (66)

آيتان بلا خلاف.

هذا حكاية ما قالت الملائكة للوط و أمرهم إياه بأن يسرى بأهله. و الإسراء سير الليل: سرى يسرى سرى و اسرى إسراء لغتان قال الشاعر:

سريت بهم حتى تكل مطيهم و حتى الجياد ما يقدن بأرسان «1»

---

(1) مر هذا البيت فى 6: 43 من هذا الكتاب.

و قوله «بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ» معناه بقطعة تمضى منه، كأنه جمع قطعة. مثل تمرة و تمر و بسرة و بسر، و قيل: بقطع من الليل ببعض الليل. و قيل: بقية من الليل. و قيل: إذا بقى من الليل قطعة و مضى أكثره.

و قوله «وَ اتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ» اى اقتف آثارهم يعنى آثار الأهل. و الاتباع اقتفاء الأثر. و الاتباع فى المذهب، و الاقتداء مثله، و خلافه الابتداع. و الأدبار جمع دبر، و هو جهة الخلف. و القبل جهة القدّام، و يكنى بهما عن الفرج. و جمع القبل أقبال.

و معنى قوله «وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ» اى لا يلتفت الى ما خلف، كما يقول القائل: امض لشأنک، و لا تعرج على شىء. و قيل: لئلا يرى هو ما ينزل بهم مما لا تطيقه نفسه «وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ» اى حيث تؤمرون بالمصير اليه.

و قوله «وَ قَضَيْنا إِلَيْهِ» اى أخبرناه و أعلمناه «ذلِکَ الْأَمْرَ» اى ما ينزل بهم من العذاب.

و قوله «أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ» و الدابر الأصل. و قيل دابرهم آخرهم، و عقب الرجل دابره «مصبحين» نصب على الحال اى فى حال ما دخلوا فى وقت الصبح، و مثله قوله «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ» «1» نصب على الحال.

وَ جاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (67) قالَ إِنَّ هؤُلاءِ ضَيْفِى فَلا تَفْضَحُونِ (68) وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ لا تُخْزُونِ (69) قالُوا أَ وَ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعالَمِينَ (70) قالَ هؤُلاءِ بَناتِى إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ (71)

خمس آيات بلا خلاف.

هذا إخبار من اللَّه تعالى أنه حين بلغ أهل المدينة نزول من هو فى صورة

---

(1) سورة الحجر آية 73

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 347

الأضياف بلوط، جاؤوا إليه مستبشرين فرحين، يقال استبشر استبشاراً و أبشر إبشاراً، بمعنى واحد و ضده اكتأب اكتئاباً. و انما فرحوا طمعاً فى ان ينالوا الفجور منهم، فقال لهم لوط «إِنَّ هؤُلاءِ ضَيْفِى فَلا تَفْضَحُونِ» فيهم، و الفضيحة ظهور السيئة التى يلزم العار بها عند من عملها، يقال: فضحه يفضحه فضيحة، و أفتضح افتضاحاً و تفاضحوا تفاضحاً. ثم قال لهم «اتقوا الله» باجتناب معاصيه، و فعل طاعته، «و لا تخزون» و الخزى الانقماع بالعيب الذى يستحيا يقال منه: خزى خزياً، و أخزاه اللَّه إخزاء و الاخزاء و الاذلال و الإهانة نظائر. و للضيف ذمام كانت العرب تراعيه، و تحافظ عليه، و تعيب من عنده ضيف و لم يقم بحقه، فلذلک قال لهم «إِنَّ هؤُلاءِ ضَيْفِى»، فقالوا له فى الجواب عن ذلک أو ليس نهيناک أن تستضيف أحداً من جملة الخلائق أو تنزله عندک، فقال لهم عند ذلک «هؤلاء» و أشار الى بناته. و قيل أنهن كن بناته لصلبه، و قيل انهن كن بنات قومه عرضهن عليهم بالترويج و الاستغناء بهن عن الذكران. و قال الحسن، و قتادة: أراد «هؤلاء بناتى» فتزوجوهن «إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ» كناية عن طلب الجماع. و قال الجبائى: ذلک للرؤساء الذين يكفون الاتباع، و قد كان يجوز فى تلک الشريعة تزويج المؤمنة بالكافر، و قد كان فى صدر شريعتنا جائزاً ايضاً، ثم حرّم. و هو قول الحسن. و قال الزجاج: أراد نساء أمته، فهم بناته فى الحكم، قال الجبائى: و هذا القول كان من لوط لقومه قبل ان يعلم أنهم ملائكة لا يحتاج الى هذا القول لقومه.

لَعَمْرُکَ إِنَّهُمْ لَفِی سَکْرَتِهِمْ یَعْمَهُونَ (72) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّیْحَةُ مُشْرِقِینَ (73) فَجَعَلْنا عالِیَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَیْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّیلٍ (74) إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ (75) وَ إِنَّها لَبِسَبِیلٍ مُقِیمٍ (76)
إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لِلْمُؤْمِنِینَ (77) وَ إِنْ کانَ أَصْحابُ الْأَیْکَةِ لَظالِمِینَ (78)

سبع آیات بلا خلاف.
قال ابن عباس معنی (لعمرک) و حیاتک. و قال غیره: هو مدة حیاته و بقائه حیاً بمعنی لعمرک و مدة بقاءک حیّاً. و العَمر و العُمر واحد، غیر أنه لا یجوز فی القسم إلا بالفتح، قال ابو عبیدة: ارتفع لعمرک و هی یمین، و الأیمان تکون خفضاً إذا کانت الواو فی أوائلها، و لو کانت و عمرک لکانت خفضاً، و لذلک قولهم: لحق لقد فعلت ذلک، و إنما صارت هذه الأیمان رفعاً بدخول اللام فی أولها، لأنها أشبهت لام التأکید، فأما قولهم: عمرک اللَّه أفعل کذا، فإنهم ینصبون (عمرک) و کذلک ینصبون (اللَّه لا فعلن). قال المبرد: لا أفتحها یمیناً، بل هی دعاء و معناه اسأل اللَّه لعمرک. قال المبرد: و التقدیر: لعمرک ما اقسم به، و مثله: علیّ عهد اللَّه لأفعلن، فعهد اللَّه رفع بالابتداء، و فیه معنی القسم، و کذلک (لاها اللَّه ذا). قال الخلیل: (ذا) معناه ما أقسم علیه. و حکی عن الأخفش أنه قال: (ذا) ما اقسم به، لأنه قد ذکر اللَّه، و کلاهما حسن جمیل.
و قوله «إِنَّهُمْ لَفِی سَکْرَتِهِمْ یَعْمَهُونَ» فالسکرة غمور السهو للنفس و هؤلاء فی سکرة الجهل «یعمهون» ای یتحیرون، و لا یبصرون طریق الرشد.
و قوله «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّیْحَةُ مُشْرِقِینَ» فالأخذ فعل یصیر به الشیء فی جهة الفاعل، فالصیحة کأنها أخذتهم بما صاروا فی قبضتها حتی هلکوا عن آخرهم. و الصیحة صوت یخرج من الفم بشدة. و یقال: إن الملک صاح بهم صیحة أهلکتهم.
و یجوز ان یکون جاء صوت عظیم من فعل اللَّه کالصیحة. و الاشراق ضیاء الشمس بالنهار شرقت الشمس تشرق شروقاً إذا طلعت، و أشرقت إشراقاً إذا أضاءت وصفت. و معنی (مشرقین) داخلین فی الاشراق.
و قوله «فَجَعَلْنا عالِیَها سافِلَها» و الجعل حصول الشیء علی وجه لم یکن بقادر علیه لو لا الجعل، و مثله التصییر، و المعنی: انه قلب القریة فجعل أسفلها أعلاها بیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 349
و أعلاها أسفلها «وَ أَمْطَرْنا عَلَیْهِمْ حِجارَةً» ای أرسلنا الحجارة، کما یرسل المطر «من سجیل» و قیل فی معناه قولان:
أحدهما- انها من طین و هو معرّب. و قیل هو من السجل، لأنه کان علیها

أمثال الخواتيم بدلالة قوله «حِجارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّکَ» «1» و الثانى- انها حجارة معدة عند اللّه تعالى للمجرمين، و أصله (سجين) فأبدلت النون لاما.
فان قيل ما معنى امطار الحجارة عليهم مع انقلاب مدينتهم؟
قلنا فيه قولان:
أحدهما- أنه أمطرت الحجارة أولًا ثم انقلبت بهم المدينة.
الثانى- ان الحجارة أخذت قوما منهم خرجوا من المدينة بحوائجهم قبل الفجر- فى قول الحسن- ثم اخبر تعالى ان فيما حكاه آيات و دلالات للمتوسمين.
قال مجاهد يعنى المتفرسين. و قال قتادة: يعنى المعتبرين. و قال ابن زيد: المتفكرين. و قال الضحاک: الناظرين. و قال ابو عبيدة: المتبصرين. و المتوسم الناظر فى السمة الدالة.
و قوله «إِنَّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ» معناه إن الاعتبار بها ممكن لان الآيات التى يستدل بها مقيمة ثابتة بها و هى مدينة سدوم، و الهاء كناية عن المدينة التى أهلكها اللّه، و هى مؤنثة. ثم قال ان ان فيما قصّ من حكاية هذه المدينة «لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» و دلالة لهم. و قيل فى وجه إضافة الآية الى المؤمنين قولان:
أحدهما- انه يصلح ان يستدل بها.
و الآخر- انه يفعل الاستدلال بها. و تضاف الآية الى الكافر بشرط واحد، و هو أنه يمكنه الاستدلال بها.
و قوله «وَ إِنْ كانَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ لَظالِمِينَ» فالأيكة الشجرة فى قول الحسن و الجمع الأيک كشجرة و شجر. و قيل: الأيكة الشجر الملتف قال امية:

---

(1) سورة الذاريات آية 33- 34

كبكاء الحمام على فروع الاى - ک فى الطير الجرائح
و قيل الايكة الغيضة و اصحاب الايكة هم أهل الشجر الذين أرسل اليهم شعيب (ع) و أرسل الى اهل مدين، فأهلكوا بالصيحة، و اصحاب الايكة فأهلكوا بالظلة التى احترقوا بنارها. فى قول قتادة، فأخبر اللّه تعالى انه أهلک اصحاب الأيكة بظلمهم و عتوهم و كفرهم بآيات اللّه و جحدهم نبوة نبيه. و قال ابن خالويه: الأيكة أسم القرية، و الايكة أسم البلد، كما ان مكة اسم البلد، و مكة اسم البيت. و لم يصرفوا الأيكة للتعريف و التأنيث، و يجوز ان يكونوا تركوا صرفه، لأنه معدول عن الالف و اللام، كما ان شجر معدول عن الشجر، فلذلک لم يصرفوه.

فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ وَ إِنَّهُما لَبِإِمامٍ مُبِينٍ (79) وَ لَقَدْ كَذَّبَ أَصْحابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (80) وَ آتَيْناهُمْ آياتِنا فَكانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ (81) وَ كانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً آمِنِينَ (82) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (83)
فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ (84)
ست آيات بلا خلاف.
لما اخبر اللَّه تعالى عن اصحاب الايكة أنهم كذبوا رسل اللَّه، اخبر بأنه انتقم منهم بأن اهلكهم و دمر عليهم. و فرق الرمانى بين الانتقام و العقاب، فقال: الانتقام نقيض الانعام، و العقاب نقيض الثواب، فالعقاب مضمن بأنه على المعصية، و الانتقام مطلق، و هو- هاهنا- على المعاصى، لان الإطلاق يصلح فيه التقييد: بحذف الاضافة.
و قوله «وَ إِنَّهُما» يعنى قريتى قوم لوط، و اصحاب الايكة، لبطريق يؤم و يتبع و يهتدى به- فى قول ابن عباس و مجاهد و الضحاک و الحسن- و قال

الجبائى «لَبِإِمامٍ» و هو الكتاب السابق الذى هو اللوح المحفوظ، ثابت ذلک فيه ظاهر. و الامام- فى اللغة- هو المقدم الذى يتبعه من بعده و إنما كانا بإمام مبين، لأنهما على معنى يجب ان يتبع، فيما يقتضيه و يدل عليه، و المبين الظاهر.
و قوله «وَ لَقَدْ كَذَّبَ أَصْحابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ» اخبار منه تعالى ان اصحاب الحجر، و هى مدينة- فى قول ابن شهاب، و سموا أصحاب الحجر، لأنهم كانوا سكانه، كما تقول: اصحاب الصحراء. «كذبوا» ايضاً الرسل الذين بعثهم اللَّه اليهم، و جحدوا نبوتهم: و قال قتادة: هم اصحاب الوادى، و هو من الحجر الذى هو الحظر.
و اخبر تعالى انه أتاهم اللَّه الدلالات و المعجزات الدالة على توحيده و صدق أنبيائه، فكانوا يعرضون عنها و لا يستدلون بها، و كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ينقرون نقراً يأمنون فيها من الخراب. و قيل آمنين من سقوطها عليهم. و قيل كانوا آمنين من عذاب اللَّه. و قيل: من الموت. و نصبه على الحال.
فأخبر تعالى ان هؤلاء «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ» اى جاءتهم الصيحة وقت دخولهم فى الصباح، و لم يغنهم «ما كانُوا يَكْسِبُونَ» من الملاذ القبيحة.
و الغنى وجود ما ينتفى به الضرر عنهم.

وَ ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلاَّ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (85) إِنَّ رَبَّکَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ (86)
آيتان بلا خلاف.
وجه اتصال هذه بما تقدم ذكره هو ان الأمم لما خالفوا الحق أهلكوا، لان اللّه ما خلق «السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ» و على «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ» للجزاء التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 352
و أن جمع ما خلق يرجع الى عالم به و بتدبيره. و قيل: ما أهلكناهم إلا بالحق كما خلقنا السموات و الأرض بالحق، فأخبر تعالى انه لم يخلق السموات و الأرض إلا بالحق، و لوجه من وجوه الحكمة، و ان الساعة، و هى يوم القيامة لآتية جائية بلا شك. ثم امر نبيه صلّى اللّه عليه و سلم ان يصفح بمعنى يعفو عنهم عفواً جميلًا. و اختلفوا فى كونه منسوخاً:
فقال قتادة، و مجاهد، و الضحاک: إنه منسوخ بوجوب الجهاد و القتال، و كان الصفح قبل ذلک.
و قيل الحسن: هذا فيما بينه و بينهم، لا فى ما امر به من جنة جهادهم.
و قال الجبائى: أمره بأن يحلم عنهم فيما كانوا يسفهون عليه من شتمه، و سفاهتهم عليه، فلا يقابلهم بمثله ثم اخبر تعالى انه الخلاق لما ذكر من السموات و الأرض، عليم بما فيه من المصلحة لعباده و وجه الحكمة فيه.

وَ لَقَدْ آتَيْناکَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِی وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (87) لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْکَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88) وَ قُلْ إِنِّی أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (89) کَما أَنْزَلْنا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (90) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (91)

خمس آيات.

هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم أنه آتاه أی أعطاه سبعاً من المثانی، فقال ابن مسعود و ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد: هی السبع الطوال سبع سور من أول القرآن.

قال قوم: المثانی التی بعد المائتين قبل المفصل. التبيان فی تفسير القرآن، ج6، ص: 353

و فی رواية أخرى عن ابن عباس و ابن مسعود: أنها فاتحة الكتاب، و هو قول الحسن و عطاء.

و

روی عن النبی صلّى اللَّه عليه و سلم أنه قال: (السبع المثانی أم القرآن)

و هی سبع آيات بلا خلاف فی جملتها، و إنما سميت مثانی، فی قول الحسن، لأنها تثنى فی كل صلاة و قراءة.

و قيل: المثانی السبع الطوال لما يثنى فيها من الحكم المصرفة قال الراجز:

نشدتكم بمنزل الفرقان ام الكتاب السبع من مثانی

ثنتين من آی من القرآن و السبع سبع الطوّل الدوانی «1»

و قد وصف اللَّه تعالى القرآن كله بذلک فی قوله «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِیَ» «2» فعلى هذا تكون (من) للتبعيض. و من قال: انها الحمد قال:

(من) بمعنى تبيين الصفة، كقوله «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ» «3» و قوله «وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ» تقديره و آتيناک القرآن العظيم سوى الحمد و قوله «لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْکَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ» خطاب للنبی صلّى اللَّه عليه و سلم و المراد به الأمّة، نهاهم اللَّه تعالى ان يمدوا أعينهم الى ما متع هؤلاء الكفار به من نعيم الدنيا. و معنى أزواجاً منهم أمثالًا من النعم «وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» قال الجبائی:

معناه لا تحزن لما أنعمت عليهم دونک. و قال الحسن «لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» على ما يصيرون اليه من النار بكفرهم.

ثم أمر نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم ان يخفض جناحه للمؤمنين و هو ان يلين لهم جانبه و يتواضع لهم و يحسن خلقه معهم، و أن يقول لهم «إِنِّی أَنَا النَّذِيرُ

الْمُبِينُ» يعنى المخوف من عقاب اللّه من ارتكب ما يستحق به العقوبة، و مبين لهم ما يجب عليهم العمل به.

---

(1) مجاز القرآن 1: 7 و تفسير القرطبى 10: 54 و تفسير الطبرى 1: 36 و مجمع البيان 3: 345
(2) سورة الزمر آية 23
(3) سورة الحج آية 30

و قوله «كَما أَنْزَلْنا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ» قال ابن عباس و سعيد بن حبير، و الحسن:
هؤلاء هم أهل الكتاب اقتسموا القرآن، فآمنوا ببعضه و كفروا ببعضه، و قال قتادة: هم قوم من قريش عضوا كتاب اللّه. و قال ابن زيد: هم قوم صالح «تَقاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ» و قال الحسن: أنزلنا عليک الكتاب، كما أنزلنا على المقتسمين من قبل، قوم اقتسموا طرق مكة ينفرون عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم و يقولون:
إنه ساحر، و بعضهم يقول هو كاهن، و بعضهم يقول انه مجنون، فأنزل اللَّه بهم عذابا اهلكهم به. و تقديره أنذركم بما أنزل بالمقتسمين. ذكره الفراء.
و قوله «الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» أى جعلوه متفرقاً بالايمان ببعضه و الكفر ببعض، فعضوه على هذا السبيل الذى ذمهم اللّه بها. و قيل جعلوه عضين، بأن قالوا سحر و كهانة- فى قول قتادة- و اصل عضين عضه منقوصة الواو، مثل عزة و عزين، قال الشاعر:
ذاک ديار يأزم المآزما و عضوات تقطع اللهازما «1»
و قال آخر:
للماء من عضاتهن زمزمه
و قال رؤبة:
و ليس دين اللَّه بالمعضى «2»
فالمعنى انهم عضوه أى فرقوه، كما تعضا الشاة و الجزور، و اصل عضه عضوه فنقصت الواو، و لذلک جمعت عضين بلا واو كما قالوا عزين جمع عزة و الأصل عزوة و مثله ثبه و ثبون، و أصله ثبوة و العضيهة الكذب، فلما نسبوا القرآن الى الكذب و انه ليس من قبل اللَّه فقد عضهوا بذلک.

فَوَ رَبِّکَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ (93) فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94) إِنَّا كَفَيْناکَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (96)
وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّکَ يَضِيقُ صَدْرُکَ بِما يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَ اعْبُدْ رَبَّکَ حَتَّى يَأْتِيَکَ الْيَقِينُ (99)

---

(1) مجمع البيان 3: 344 و اللسان «عضه» و روايته:
هذا طريق يأزم المآزما و عضوات تقطع اللهازما
(2) اللسان «عضا»

ثمان آيات بلا خلاف.
أقسم اللّه تعالى بقوله «فو ربک» يا محمد، و في ذلک تشريف للنبى صلّى اللّه عليه و سلم و تنبيه على عظم منزلته عند اللّه «لنسألنهم» يعنى هؤلاء الكفار «أجمعين» و انما يسألهم سؤال توبيخ و تقريع، فيقول لهم لم عضيتم القرآن، و ما حجتكم فيه و ما دليلكم عليه، فيظهر عند ذلک خزيهم و فضيحتهم عند تعذر جواب يصح منهم.
و قوله «فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ» أمر من اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم ان يفرّق بما أمر به، و المعنى افرق بين الحق و الباطل بما تؤمر به، قال أبو ذؤيب:
و كأنّهنّ ربابة و كأنّه يسر يفيض على القداح و يصدع «1»
و قال مجاهد: معناه فاجهر بما تؤمر، و انما قال بما تؤمر، و لم يقل بما تؤمر به، لأمرين: أحدهما- انه حذف (به) كما يقال آمرک و آمر بک، و أكفرک و أكفر بک قال الشاعر:
إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام «2»
و كما قال الآخر:
أمرتک حازماً فعصيتنى و أصبحتَ مسلوب الإمارة نادما

---

(1) ديونه 81 و مجاز القران 1: 355 و تفسير الطبرى 14: 41 و اللسان «صدع» و مجمع البيان 3: 346
(2) قطر الندى (باب المعرب و المبنى) و اللسان (حذم) [.....]

و قوله «أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» أمر بأن يعرض عن المشركين، و لا يخاصمهم الى ان يأمره بقتالهم.

و قوله «إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» المعنى كفيناک شرهم و استهزاءهم بأن أهلكناهم و كانوا خمسة نفر من قريش: الوليد بن المغيرة، و العاص بن وائل، و ابو زمعة و الأسود بن عبد يغوث، و الحرث بن عيطلة- فى قول سعيد بن جبر- و قيل الأسود بن المطلب، أهلكهم اللّه.
و قوله «الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ» الذين فى موضع جر، لأنه بدل من المستهزئين، وصفهم بأنهم اتخذوا مع اللّه إلهاً آخر عبدوه، ثم قال «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» و بال ذلک يوم القيامة، و هذا غاية التهديد، ثم قال «وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّکَ» يا محمد «يَضِيقُ صَدْرُکَ» و يشق عليک ما يقولون من التكذيب و الاستهزاء. ثم أمره ان يحمد ربه على نعمه و ان يكون من الساجدين الذين يسجدون للّه، و يوجهون عبادتهم اليه، و ان يعبد ربه الى الوقت الذى يأتيه اليقين، و معناه حتى يأتيه الموت- فى قول الحسن و مجاهد و قتادة- و سمى يقيناً، لأنه موقن به توسعاً و تجوزاً، لأنه مما يوقن به جميع العقلاء. و يحتمل أن يكون أراد. حتى يأتيه العلم الضرورى بالموت و الخروج من الدنيا الذى يزول معه التكليف.

اشارة

هى مكية إلا آية هى قوله «وَ الَّذِينَ هاجَرُوا فِى اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا» الآية.
و قال الشعبى: نزلت النحل كلها بمكة إلا قوله «وَ إِنْ عاقَبْتُمْ» إلى آخرها. و قال قتادة: من أول السورة الى قوله «كن فيكون» مكى، و الباقى مدنى. و قال مجاهد: أولها مكى و آخرها مدنى، و هى مائة و ثمان و عشرون آية ليس فيها خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
أَتى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (1)
آية بلا خلاف.
قرأ نافع و عاصم و ابو عمرو «يشركون» بالياء. و قرأ ابن عامر و ابن كثير مثل ذلک. و قرأ حمزة و الكسائى بالتاء.
من قرأ بالتاء، فلقوله «فلا تستعجلوه» فرد الخطاب الثانى الى الأول.
و من قرأ بالياء قال لان اللّه أنزل القرآن على محمد صلّى اللّه عليه و سلم فقال محمد تنزيها للّه «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ» التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 358
و قرأ سعيد بن جبير «أتى أمر اللَّه، فلا تستعجله» و روى عن عباس انه قال:
المشركون قالوا للنبى صلّى اللَّه عليه و سلم ائتنا بعذاب اللَّه ان كنت من الصادقين، فقال اللّه تعالى «أَتى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ» و انما قال «أَتى أَمْرُ اللَّهِ» و لم يقل يأتى، لان اللّه تعالى قرّب الساعة، فجعلها كلمح البصر، فقال «وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» «1» و قال «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» «2» و كل ما هو آت قريب، فعبر بلفظ الماضى ليكون أبلغ فى الموعظة، و إن كان قوله «فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ» يدل على أنه فى معنى يأتى، و أمر اللّه يراد به العذاب- فى قول الحسن و ابن جريج و غيرهما- و قال الضحاک: معناه فرائضه و أحكامه. و قال الجبائى: أمره القيامة و الأول أصح، لأنهم استعجلوا عذابه دون غيره.
و التسبيح فى اللغة ينقسم أربعة أقسام:
أحدها- التنزيه مثل قوله «سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا» «3» و قال الشاعر:
أقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر «4»
و الثانى- معنى الاستثناء كقوله «لَوْ لا تُسَبِّحُونَ» «5» اى هلا تستثنون.
و الثالث- الصلاة كقوله «فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ» «6».
و الرابع- النور، جاء فى الحديث (فلو لا سبحان وجهه) أى نوره و معنى «تعالى»: تعاظم بأعلى صفات المدح عن ان يكون له شريک فى العبادة، و جميع صفات النقص منتفية عنه.

يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ (2)

---

(1) سورة النحل آية 77
(2) سورة القمر آية 1.
(3) سورة الإسراء آية 1
(4) مر هذا الشعر فى 1: 134، 3: 81، 5: 241، 395
(5) سورة القلم آية 28.
(6) سورة الصافات آية 143

آية بلا خلاف.
قرأ روح و الكسائى عن أبى بكر «تنزل الملائكة» بالتاء و فتحها، و فتح النون و الزاى و رفع الملائكة. الباقون بالياء و ضمها و فتح النون و تشديد الزاى و كسرها، و نصب الملائكة، إلا أن ابن كثير و أبا عمرو، و ورشاً يسكنون النون و يخففون الزاى.
من قرأ بالياء ففاعل (ينزّل) هو الضمير العائد الى اسم اللَّه فى قوله «أَتى أَمْرُ اللَّهِ» و إسكان النون و تخفيف الزاى و تشديدها، فكلاهما جائز، قال تعالى:
«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ» «1» و قال «وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ» «2» فأما ما روى عن عاصم من القراءة بالتاء، فلأنه أنث الفعل بإسناده الى الملائكة كقوله «إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ» «3» و بنى الفعل للمفعول به و أسنده اليهم و الأول أبين.
اخبر اللَّه تعالى أنه ينزل الملائكة بالروح من أمره، و اختلفوا فى معنى الروح- هاهنا- فقال ابن عباس: أراد به الوحى، و قال الربيع بن انس: أراد به كلام اللَّه، و قال قوم: أراد حياة النفوس، و الإرشاد لهم الى الدين، و قد فسر ذلك بقوله «ان أنذروا» و هو بدل من الروح، و موضعه الجر و تقديره ب (أن أنذروا) لأن الموعظة و الانذار للكافر حياة، لأنه تعالى شبه الكافر بالميت، فقال «أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ» «4» بالإسلام. و الروح تنقسم عشرة اقسام: فالروح الإرشاد و الحياة، و الروح الرحمة
قرأ رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه و سلم «فَرَوْحٌ وَ رَيْحانٌ»
«5» و الروح النبوة لقوله «يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» «6» و الروح عيسى روح اللَّه أى خلق من غير بشر، و قال آخرون: من غير فحل. و قيل انه سمى بذلك لكونه رحمة على عباد اللَّه بما يدعوهم الى

اللّه، و الروح جبرائيل. و الروح النفخ، يقال: أحييت النار بروحى أى بنفخى، قال ذو الرمة يصف الموقد و الزندة:

---

(1) سورة الحجر آية 9
(2) سورة النحل آية 44
(3) سورة ال عمران آية 42، 45
(4) سورة الانعام آية 122
(5) سورة الواقعة آية 89
(6) سورة المؤمن (غافر) آية 15

فلما بدت كفنتها و هى طفلة بطلساء لم تكمل ذراعاً و لا شبرا
فقلت له ارفعها اليک و أحيها بروحک و اقتته لها قيتة قدرا «1»

و الروح الوحى قال اللّه تعالى «وَ كَذلِکَ أَوْحَيْنا إِلَيْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا» «2» قيل انه جبرائيل، و قيل الوحى. و الروح ملک فى السماء من أعظم خلقه، فإذا كان يوم القيامة وقف صفاً، و الملک كلهم صفاً، و الروح روح الإنسان. و قال ابن عباس فى الإنسان روح و نفس، فالنفس هى التى تكون فيها التمييز و الكلام، و الروح هو الذى يكون به الغطيط و النفس، فإذا نام العبد خرجت نفسه و بقيت روحه، و إذا مات خرجت نفسه و روحه معاً. و قوله «عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» يعنى الأنبياء بأمرهم أن يخبروا عباده أنه لا إله يستحق العبادة غير اللّه تعالى، و يأمرهم بأن يتقوا معاصيه و يفعلوا طاعاته.

خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (3) خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4)
آيتان بلا خلاف.
قرأ حمزة و الكسائى «تشركون» بالتاء فى الموضعين لقوله «فلا تستعجلوه» فردّ الخطاب الى الاول. و من قرأ بالياء فلما تقدم ذكره. احتج اللّه تعالى بالآية و ما قبلها و ما بعدها على خلقه و أعلمهم عظيم نعمه، و دلهم على قدرته، إذ «خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» بما فيهما من العجائب و المنافع، و «خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ» مهينة ضعيفة سيالة فرباها و دبرها حتى صار إنساناً يخاصم و يبين. و لو وضعنا

---

(1) اللسان (حيا) ذكر البيت الثانى فقط (طلس) ذكر الشطر الثانى من البيت الاول.
(2) سورة الشورى آية 52 [.....]

النطفة بين أيدى الخلائق فاجتهدوا، و فكروا ما قدروا على قلبها، و لا عرفوا كيف يتمكن و يتأتّى أن تقلب حالًا بعد حال حتى تصير فيها روح، و عقل، و سمع، و بصر، و حتى تنطق و تعرب عن نفسها، و تحتج فتدفع عنها. و قيل فى معنى «خصيم مبين» قولان:
أحدهما- انه أخرج من النطفة ما هذه صفته، ففى ذلک أعظم العبرة.
و الثانى- لما خلقه و مكنه خاصم عن نفسه خصومة أبان فيها عن نفسه. و قيل انه يحتمل ثلاثة أوجه:
أحدها- تعريف قدرة اللّه فى إخراجه من النطفة ما هذه سبيله.
الثانى- تعريف نعم اللّه فى تبليغ هذه المنزلة من خلق من نطفة.
الثالث- تعريف فاحش ما ارتكب الإنسان من تضييع حق اللّه بالخصومة.

وَ الْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَ مَنافِعُ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ (5) وَ لَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَ تَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (7)

ثلاث آيات بلا خلاف.

الأنعام جمع نعم، و هى الإبل، و البقر، و الغنم، سميت بذلک لنعومة مشيها بخلاف ذات الحافر الذى يصلب مشيها. و نصب بفعل مقدر يفسره ما بعده، و التقدير و خلق الأنعام خلقها، و إنما نصب لمكان الواو العاطفة على منصوب قبله. و قوله «خلقها لكم» تمام، لأن المعنى خلق الأنعام لكم أى لمنافعكم. ثم أخبر، فقال «فيها دفء» و الدفء ما استدفأت به. و قال الحسن يريد ما استدفئ به من أوبارها، و أصوافها، و أشعارها. و قال ابن عباس: هو اللباس التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 362

من الأكيسة و غيرها، كأنه سمى بالمصدر و منه دفوء يومنا دفأ، و نظيره (الكنّ) قال الفراء: كتبت (دفء) بغير همز، لأن الهمزة إذا سكن ما قبلها حذفت من الكتاب، و لو كتبت فى الرفع بالواو، و فى النصب بالألف و فى الخفض بالياء كان صواباً. و قال قتادة «فِيها دِفْءٌ وَ مَنافِعُ» معناه منفعة هى بلغة، من الألبان و ركوب ظهرها «وَ مِنْها تَأْكُلُونَ وَ لَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ» و ذاک أعجب ما يكون إذا راحت عظاماً ضروعها طوالًا أسنمتها «وَ حِينَ تَسْرَحُونَ» إذا سرحت لرعيها. فالسروح خروج الماشية إلى المرعى بالغداة. و الاراحة رجوعها من المرعى عشياً: سرحت الماشية سرحاً و سروحاً و سرحها أهلها قال الشاعر:

كأن بقايا الأثر فوق متونة مدب الدبا فوق النقا و هو سارح «1»

و قوله «وَ تَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ» يعنى هذه الانعام تحمل أثقالكم، و هو جمع ثقل، و هو المتاع الذى يثقل حمله، و جمعه أثقال «لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ» و البلوغ المصير إلى حد من الحدود، بلغ يبلغ بلوغاً و أبلغه إبلاغاً، و بلّغه تبليغاً و تبلّغ تبلّغاً و تبالغ تبالغاً، و الشق المشقة، و فيه لغتان، فتح الشين و كسرها، فالكسر عليه القراء السبعة. و بالفتح قرأ أبو جعفر المدنى.

و الشق أيضاً أحد قسمى الشىء الذى فى احدى جهتيه، و قال قتادة: معناه بجهد الأنفس، و كسرت الشين من شق الأنفس مع أن المصدر بفتح الشين لأمرين:

أحدهما- قال قوم: هما لغتان فى المصدر، قال الشاعر:

رذى إبل يسعى و يحسبها له أخى نصب من شقها و دؤوب «2»

بالكسر و الفتح، و قال العجاج:

أصبح مسحول يوازى شقا «3»
لكسر و الفتح بمعنى يقاسى مشقة، و قال قوم: ان المعنى إلا بذهاب شق قوى النفس

_____

(1) تفسير الطبرى 14/ 51 (الطبعة الاولى) و روايته:
كأن بقايا الأتن فوق متونه مدب الذى فوق النقا و هو سارح
(2) قائله النمر بن تولب. اللسان (شقق)
(3) اللسان (شقق)

ذكره الفراء و الزجاج، و اختاره الطبرى. و قوله «إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ» أى رؤوف بكم رحيم، و من رحمته أنه خلق لكم الأنعام لتنتفعوا بها، على ما ذكره

وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَ زِينَةً وَ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ (8) وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَ مِنْها جائِرٌ وَ لَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ (9)
آيتان بلا خلاف.
هذه الآية عطف على التى قبلها، فلذلک نصب «و الخيل» و تقديرها، و خلق الخيل، و هى الدواب التى تركب «و البغال» واحدها بغل «و الحمير» واحدها حمار «لتركبوها» و تتزينوا بها، و نصب (و زينة) بتقدير، و جعلها زينة «وَ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ» من أنواع الحيوان و الجماد و النبات لمنافعكم، و يخلق من أنواع الثواب للمطيعين، و أنواع العقاب للعصاة ما لا تعلمون.
و حكى عن ابن عباس: أن الآية دالة على تحريم لحم الخيل، لأنها للركوب و الزينة و الانعام لما ذكر قبل، و هو قول الحكم و الأسود. و قالوا: لأنه تعالى ذكر فى آية الانعام «وَ مِنْها تَأْكُلُونَ» «1» و لم يذكر ذلک فى آية الخيل بل ذكرها للركوب و الزينة. و ابراهيم لم يربه بأساً، و هو قول جميع الفقهاء. و قال جابر: كنا نأكل لحم الخيل على عهد رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و سلم.
و قوله «وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ» قال ابن عباس: معناه بيان قصد السبيل أى بيان الهدى من الضلال «وَ مِنْها جائِرٌ» أى عادل عن الحق فمن الطريق ما يهدى إلى الحق، و منها ما يضل عن الحق، ثم قال «وَ لَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ» و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال الحسن و البلخى: لو شاء لهداكم بالإلجاء، لأنه قادر على ذلک.
الثانى- قال الجبائى: لو شاء لهداكم إلى الجنة.

---

(1) سورة المؤمن (غافر) آية 79

هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً لَکُمْ مِنْهُ شَرابٌ وَ مِنْهُ شَجَرٌ فِیهِ تُسِیمُونَ (10) یُنْبِتُ لَکُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّیْتُونَ وَ النَّخِیلَ وَ الْأَعْنابَ وَ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ (11)
أیتان بلا خلاف.
قرأ أبو بکر عن عاصم إلا الأعشی و البرجمی «ننبت» بالنون. الباقون. بالیاء من قرأ بالیاء فلما تقدم من قوله «هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً ... یُنْبِتُ لَکُمْ» و هو أشکل بما تقدم، و النون لا یمتنع ایضاً، یقال نبت البقل و أنبته اللّه، و قد روی أنبت البقل، و أنکر ذلک الأصمعی، و قال قصیدة زهیر التی فیها (حتی إذا أنبت البقل) مبهمة قال أبو علی فأمّا قوله «تنبت بالدهن» «1» فیجوز أن تکون الباء زائدة، کقوله «وَ لا تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ» «2» قال «وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ» «3» فعدی (ألقی) مرة بالباء و أخری بغیر باء، و إذا ثبت أن (أنبت) فی معنی (نبت) جاز ان تکون الباء للتعدی، کما لو کانت مع (نبت) کان کذلک، و یجوز ان تکون الهمزة فی (أنبت) للتعدی، کما لو کانت مع (نبت) کان کذلک، و یجوز ان تکون الهمزة فی (أنبت) للتعدی، و المفعول محذوف، و الباء للحال، کأنه قال تنبت ثمرة بالدهن، فحذف المفعول و (بالدهن) فی موضع حال، کأنه قال تنبت، و فیه دهن، و یجوز فی (تنبت بالدهن) ان تنبت ما فیه دهن.
اخبر اللّه تعالی انه الذی ینزل من السماء ماء یعنی غیثاً و مطراً لمنافع خلقه، من ذلک الماء شراب تشربونه، و من ذلک نبات الشجر، و الشجر ما ینبت من الأرض و قام علی ساق و له ورق و جمعه أشجار، و منه المشاجرة لتداخل بعض الکلام فی بعض کتداخل ورق الشجر و قال الازهری: ما نبت من الأرض شجر،

---

(1) سورة المؤمنون آیة 20
(2) سورة البقرة آیة 195
(3) سورة النحل آیة 15 و سورة لقمان آیة 10

قام علی ساق أو لم یقم ترعاه الإبل و الأنعام کلها.
و قوله «فیه تسیمون» ای ترعون، یقال: اسمت الإبل إذا رعیتها، و قد سامت تسوم، فهی سائمة إذا رعت. و اصل السوم الابعاد فی المرعی، و السوم فی البیع الارتفاع فی الثمن، و الانبات إخراج الزرع، و الإنسان یزرع، و اللّه تعالی ینبت.
و قوله «یُنْبِتُ لَکُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّیْتُونَ وَ النَّخِیلَ وَ الْأَعْنابَ وَ مِنْ کُلِّ

الثّمَراتِ» اى ينبت بذلک المطر هذه الأشياء التى عددها لينتفعوا بها. ثم اخبر ان فى ذلک لدلالة و حجة واضحة لمن يفكر فيه، فيعرف اللّه به، و إنما أضاف الدلالة اليهم، لأنهم الذين انتفعوا بها، و لأن من لم يفكر فيها فكأنها لم تنصب له.

وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) وَ ما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13)
آيتان بلا خلاف.
قرأ ابن عامر «و الشمس و القمر و النجوم مسخرات» بالرفع فيهن كلهن، وافقه حفص فى رفع «و النجوم مسخرات، الباقون بالنصب فيهن كلهن، امّا ابن عامر فإنما رفع ذلک، لأنه جعل الواو، واو حال، و ابتدأ، (و الشمس) رفع بالابتداء و (النجوم) نسق عليها، (و القمر) نسق عليها (و المسخرات) رفع خبرها، و من نصبها كلها جعلها منسوقة على قوله «وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ».
و اما حفص فإنما رفع (النجوم مسخرات) فقطعها مما قبلها، فعلى هذا حجة من نصب ان يقدر فعلا آخر ينصبه به، و تقديره و جعل النجوم مسخرات. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 366
و وجه تسخير الشمس و القمر و الليل و النهار، ان الليل و النهار إنما يكون بطلوع الشمس و غروبها، فما بين غروب الشمس الى طلوع الفجر، و هو غياب ضوء الشمس، فهو ليل. و ما بين طلوع الفجر الى غروب الشمس، فهو نهار، فاللّه تعالى سخر الشمس على هذا التقدير لا تختلف، لمنافع خلقه و مصالحهم و ليستدلوا بذلک على ان المسخر لذلک و المقدر له حكيم ثم بين ان فى ذلک التسخير لدلالات لقوم يعقلون عن اللّه و يتبينون مواضع الاستدلال بادلته.
و قوله «وَ ما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ» معنى (ما) الذى و موضعه النصب و التقدير و خلق لكم (ما).
أخبر اللّه تعالى ان الذى خلقه و أظهره من الأجسام المختلفة الألوان ان فى ذلک دلالة لقوم يذكرون و أصله يتذكرون، فأدغمت التاء فى الذال. و الذرء إظهار الشىء بإيجاده ذرأه يذرؤه ذرأه، و فطره، و إنشاءه نظائر. و ملح ذرءانى ظاهر البياض و الاختلاف هو الامتناع من ان يسد احد الشيئين مسد الآخر و نقيضه الاتفاق. قال قتادة: قوله «وَ ما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ» معناه خلق لكم «مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ» من الدواب و الشجر و الثمار، نعماً ظاهرة فاشكروها للّه، قال المؤرج: ذرأ بمعنى خلق بلغة قريش.

وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَ تَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14) وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ أَنْهاراً وَ سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (16)

ثلاث آيات بلا خلاف.

و هذا تعداد لنوع آخر من نعمه، فقال «وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ» أى ذلله لكم

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 367

و سهل لكم الطريق الى ركوبه و استخراج ما فيه من انواع المنافع فتصطادون منه أنواع السمك، فتأكلون لحمه طرياً، و لا يجوز ان تهمز طرياً، لأنه من الطراوة لا من الطراءة، و «تستخرجوا» من البحر حلية يعنى اللؤلؤ و المرجان الذى يخرج من البحار «تلبسونها» و تتزينون بها «و ترى الفلك» يعنى السفن «مواخر فيه» قال الحسن معناه مقبلة و مدبرة بريح واحدة، و قال قوم: معناه منقلة، و المواخر جمع ماخرة، و المخر شق الماء من عن يمين و شمال، يقال: مخرت السفينة الماء تمخره مخراً، فهى ماخرة، و المخر ايضاً صوت هبوب الريح إذا اشتد هبوبها.

و قوله «وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» اى و لتكتسبوا من فضل اللَّه و نعمه بركوب البحر، و لكى تشكروه على أياديه، و الواو دخلت ليعلم ان اللَّه خلق ذلك و أراد جميع ذلك و قصده. ثم أخبر انه القى فى الأرض رواسى، و هو جمع راسية و هى الجبل العالى الثابت «ان تميد بكم» اى لئلا تميد بكم الأرض. و قال الزجاج:

معناه كراهة ان تمتد، و لم يجز حذف (لا) و الميد الميل يميناً و شمالًا، و هو الاضطراب: ماد يميد ميداً، و هو مائد.

و قوله «وَ أَنْهاراً وَ سُبُلًا» تقديره و جعل لكم أنهاراً، لدلالة (القى) عليه، لأنه لا يجوز ان يكون عطفاً على (القى) و مثله قول الشاعر:

تسمع فى أجوافهن صرداً و فى اليدين جسأة و بددا «1»

اى و ترى فى اليدين يبساً و تفرقاً، و مثله قولهم: (علفتها تبناً و ماء بارداً) و المعنى و سقيتها ماء، و مثله كثير، و (سبلا) عطف على (أنهاراً) لكى تهتدوا بها فى سلوككم، و انتقالكم فى أغراضكم.

و قوله «وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» اى جعل لكم علامات. و قيل انها الجبال و نحوها. قال ابن عباس: يعنى الجبال يهتدى بها نهاراً، و النجم يهتدى به ليلًا، و هو اختيار الطبرى. و (العلامة) صورة يعلم بها المعنى، من خط او لفظ او إشارة او هيئة، و قد تكون وضعية، و قد تكون برهانية.

(1) مر هذا الشعر فی 5/ 107، و روایته هناک (لغطاً) بدل (صرداً).

و قوله و «بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ» فالنجم هو الکوکب، و یقال: نجم النبت إذا طلع تشبیهاً بطلوع النجم، و انما قال- هاهنا- و «بالنجم» فوحد، و قال فیما تقدم «و النجوم مسخرات» لان النجوم علی ثلاثة أضرب: ضرب یهتدی بها مثل الفرقدین، و الجدی، لأنها لا تزول. و ضرب هی الشهب، و ضرب هی زینة السماء، کما قال «زَیَّنَّا السَّماءَ الدُّنْیا بِزِینَةٍ الْکَواکِبِ» «1» فقوله «و بالنجم» یجوز ان یرید به النجوم، فأخبر بالواحد عن الجمیع، کما قال «أَوِ الطِّفْلِ الَّذِینَ لَمْ یَظْهَرُوا عَلی عَوْراتِ النِّساءِ» «2» و النجم فی قوله «النجم الثاقب» «3» یرید الثریا فقط «وَ النَّجْمِ إِذا هَوی» «4» یعنی نزول القرآن إذا نزل به جبرائیل (ع) و قوله «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ یَسْجُدانِ» «5» یرید کلما نجم من الأرض ای نبت، مما لا یقوم علی ساق کالبطیخ و القرع و الضغابیس و هو الفتاء الصغار، و یشبه الخسیس بالضغبوس أنشد ابن عرفة:
قد جربت عرکی فی کل معترک غلب الأسود فما بال الضغابیس «6»

أَ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (17) وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18)
آيتان بلا خلاف.
فى هذه الآية ردّ على عباد الأصنام و الأوثان بأن يقال: أ فمن يخلق ما تقدم ذكره من السموات و الأرض و الشمس و القمر و النجوم و غير ذلک من أنواع

---

(1) سورة الصفات آية 6
(2) سورة النور آية 31
(3) سورة الطارق آية 3
(4) سورة النجم 53 آية 1
(5) سورة الرحمن آية 6
(6) البيت لجرير ديوانه (دار بيروت) 251 و اللسان (ضغبس) و قد روى (الرجال) بدل (الأسود). [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 369
العجائب، كمن لا يخلق ذلک من الأصنام التى هى جمادات، فكيف توجه العبادة اليها، و يسوّى بينها، و بين خالق جميع ذلک «أفلا يتفكرون» فى ذلک و يعتبرون به، فان ذلک من الخطأ الفاحش. و جعل (من) فيما لا يعقل، لما اتصلت بذكر الخالق.
و يتعلق بهذه الآية المجبرة، فقالوا: أعلمنا اللَّه تعالى ان احداً لا يخلق، لأنه خلاف الخالق، و انه لو كان خالق غيره لوجب ان يكون مثله، و نظيره.
و هذا باطل، لان الخلق فى حقيقة اللغة هو التقدير و الإتقان فى الصنعة و فعل الشىء لا على وجه السهو و المجازفة بدلالة قوله «وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً» «1» و قوله «وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ» «2» و قوله «احسن الخالقين» «3» كما لا يجوز أنه أعظم الآلهة لما لم يستحق الإلهية غيره، و قال زهير:
و لأنت تفرى ما خلقت و بع - ض القوم يخلق ثم لا يفرى «4»
و قال الحجاج: لا أعد إلا وفيت و لا أخلق إلا فريت «5» و قال الشاعر:
و لا يئط بأيدى الخالقين و لا أيدى الخوالق الا جبد الأدم
فعلمنا بذلک جواز تسمية غيره بأنه خالق إلا انّا لا نطلق هذه الصفة إلا للَّه تعالى، لان ذلک توهم، فإذا ثبت ذلک فالوجه فى الآية ما قدمنا ذكره من الرد على عباد الأصنام و الجمادات التى لا تقدر على ضرر و لا نفع و لا خلق شىء و لا

(1) سورة العنكبوت آية 17
(2) سورة المائدة آية 113
(3) سورة المؤمنون آية 14 و سورة الصافات آية 125
(4) ديوانه 29 (دار بيروت) و اللسان (فرا)، (خلق).
(5) و قد رواها ابن منظور فى لسان العرب (خلق) قال: قال الحجاج: (ما خلقت إلا فريت و لا وعدت إلا وفيت)

استطاعة لها على فعل، و ان من سوّى بينها و بين من خلق ما تقدم ذكره من أنواع النعم و أشرک بينهما فى العبادة، كان جاهلًا بعيداً عن الصواب عادلًا عن طريق الهدى. و يقوى ذلک انه قال عقيب هذه الآية «وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ» فعلمنا انه أراد بذلک ما ما قدمنا من إسقاط رأيهم و تسويتهم بين الجماد و الحى و الفاعل و من ليس بفاعل، و هذا واضح.
و قوله «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها» قال الحسن: لا تحصوها بأداء حقها و تعظيمها. و قال الجبائى: لا تحصوها مفصلة لكثرتها و إن صح منكم احصاؤها على وجه الجملة.

وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَ ما تُعْلِنُونَ (19) وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ (20) أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ وَ ما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21)
ثلاث آيات بلا خلاف.
قرأ يعقوب و حفص و يحيى و العليمى «و الذين يدعون» بالياء. الباقون بالتاء، قال أبو على: هذا كله على الخطاب، لان ما بعده خطاب كقوله بعد «أفلا تذكرون» و قوله «وَ أَلْقى فِى الْأَرْضِ رَواسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ»، «وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ» فكل هذا خطاب.
فان قلت: ان فيه «وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» فانه لا يكون خطاباً للنبى صلّى اللّه عليه و سلم و لا للمسلمين، قيل: التقدير فى ذلک قل لهم: و الذين تدعون من دون اللّه، فلا يمتنع الخطاب على هذا الوجه، و لهذا قرأ عاصم بالياء لما كان عنده ذلک اخباراً عن المشركين، و لم يجز ان يكون فى الظاهر خطاباً للمسلمين.
يقول اللّه لعباده ان اللّه الذى يستحق العبادة هو الذى يعلم ما يظهرونه و

يستسرون به و يخفونه، و ان الذين يدعون من دون اللَّه من الأصنام لا يخلقون شيئاً، فضلًا عن ان يخلقوا ما يستحق به العبادة، و هم مع ذلک مخلوقون مربوبون، و هم مع ذلک أموات غير احياء، و انما قال أموات غير احياء، لأنها فى حكم الأموات فى انها لا تعقل شيئاً. و قيل غير أحياء على وجه التأكيد بما صارت به، كالأموات، لأنه قد يقال للحىّ هو كالميت إذا كان بعيداً من ان يعلم. و (أموات) رفع بأنه خبر ابتداء، و التقدير هن أموات غير احياء، و يجوز ان يكون خبراً عن (الذين) و التقدير و الذين يدعون أموات.
و قوله «وَ ما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ» اى هم لا يعلمون اى وقت يحشرهم اللّه للجزاء و الحساب، بل ذلک لا يعلمه الا اللّه تعالى، و معنى (أيان) متى و (متى) أوضح، لأنه اغلب فى الاستعمال فلذلک فسر به (أيان) و هو سؤال عن الزمان كما ان (اين) سؤال عن المكان و قال الفراء: معناه هى أموات فكيف يشعرون متى تبعث يعنى الأصنام. قال و يقال للكفار أيضاً و ما يشعرون أيان يبعثون، و (إيان) بكسر الهمزة لغة سليم قرأها أبو عبد الرحمن السلمى.

إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (22) لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (23)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى لعباده ان «إلهكم» الذى يستحق العبادة «إله واحد» لأنه لا يقدر على ما يستحق به العبادة من أصول النعم سواه. ثم قال ان الذين لا يصدقون بالآخرة و بالبعث و النشور و الثواب و العقاب، تجحد قلوبهم و تنكر ما ذكرناه، و هم مع ذلک «يستكبرون» اى يمتنعون من قبول الحق ألفة من أهله.

و (الاستكبار) طلب الترفع بترک الإذعان للحق ثم قال تعالى «لا جرم» اى

حق و وجب انه يعلم ما يبطنونه و يخفونه فى نفوسهم، و ما يظهرونه، لا يخفى عليه منه شىء، و «إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ» يعنى لا يريد ثوابهم و لا منافعهم، و لا يفعل ذلک بهم لكونهم مستحقين للعقاب.

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24) لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ (25)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى إذا قيل لهؤلاء الكفار على وجه الاستفهام: ما الذى أنزل ربكم على نبيه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم؟ أجابوا بأن «قالُوا: أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» يعنى أحاديث الأولين الكاذبة، فى قول ابن عباس و غيره، و أحدها أسطورة سمى بذلك، لأنهم كانوا يسطرونها فى الكتب.

و قوله «ليحملوا أوزارهم» أى أثقالهم من المعاصى، و الوزر الإثم، و الوزر الثقل، و منه الوزير، لأنه يحمل الأثقال عن الملك، يقال وازره على أمره أى عاونه بحمل الثقل معه، و اللام لام العاقبة، لأنهم لم يقصدوا بما فعلوه ليتحملوا أوزارهم.

و قوله «كاملة» معناه حمل المعاصى تامة على أقبح وجوهها من غير إخلال بشىء منها «وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ» معناه إنهم يتحملون مع أوزارهم من أوزار من أضلوه عن دين اللَّه و أغووه عن اتباع الحق، بغير علم منهم بذلك بل كانوا جاهلين. و المعنى إن هؤلاء كانوا يصدون من أراد الايمان بالنبى (صلّى اللَّه عليه و سلم) فعليهم آثامهم و آثام أبنائهم لاقتدائهم بهم.

و على هذا ما

روى عن النبى صلّى اللَّه عليه و سلم انه قال: (أيما داع دعا إلى الهدى فاتبع، التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 373

فله مثل أجورهم من غير ان ينقص من أجورهم شىء، و أيما داع دعا الى الضلالة فان عليه مثل أوزار من اتبعه من غير ان ينقص من أوزارهم شىء).

و الوجه فى تحملهم أوزار غيرهم أحد شيئين:

أحدهما- انه أراد بذلك إغواءهم و اضلالهم، و هى أوزارهم فأضاف الوزر إلى المفعول به، كما قال «إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِى وَ إِثْمِكَ» «1» و الثانى- ان يكون أراد اقتداء غيرهم بهم فيستحقون على معصيتهم زيادة عقاب، فجاز لذلك أن يضاف اليهم. ثم أخبر تعالى فقال «أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ» أى بئس الشىء الذى يتحملونه، لأنهم يحملون ما يؤدى الى العقاب، و معنى يزرون يحملون ثقل الآثام.

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ أَتاهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (26) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُخْزِيهِمْ وَ يَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَ السُّوءَ عَلَى الْكافِرِينَ (27)

آيتان بلا خلاف.

قرأ نافع وحده «تشاقون» بكسر النون أراد تشاقوننى، فحذف النون تخفيفاً و حذف الياء اجتزاء بالكسرة، و قد ذكر فيما مضى علة ذلک فى قوله «فَبِمَ تُبَشِّرُونَ» «2» و قرأ الباقون بفتح النون، لا يجعلونه مضافاً إلى الياء. و النون فى هذه القراءة علامة الرفع، و النون مع الياء المحذوفة فى موضع النصب.

---

(1) سورة المائدة آية 30

(2) سورة الحجر آية 54

و معنى «تشاقون» أى يعادون اللَّه فيهم فيجعلونها شركاء له، و الشقاق الخلاف فى المعنى، و معنى «تشاقون» تكونون فى جانب، و المسلمون فى جانب، لا يكونون معهم يداً واحدة، و من ثم قيل لمن خرج عن طاعة الامام و عن جماعة المسلمين: شق العصا أى صار فى جانب عنهم، فلم يكن مجتمعاً فى كلمتهم.

يقول اللَّه ان الذين من قبل هؤلاء الكفار «قد مكروا» و احتالوا على رسلهم و المكر الفتل و الحيلة الى جهة منكرة، يقال مكر به يمكر مكراً، فهو ماكر و مكار، ثم قال: فان اللَّه تعالى أتى أمره و عقابه «بنيانهم» التى بنوها فهدمها «فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ» و قيل فى معنى «من فوقهم» قولان:

أحدهما- انه قال ذلک تأكيداً، كقولک قلت انت.

الثانى- انهم كانوا تحته، و قد يقول القائل: تهدمت على المنازل، و ان لم يكن تحتها، و أيضاً فليعلم انهم لم يكونوا فوق السقوف.

و قال ابن عباس و زيد بن اسلم: الذين خر عليهم السقف من فوقهم نمرود ابن كنعان. و قال غيرهم: بخت نصر، و قال الزجاج و أبو بكر بن الانبارى: المعنى فأتى اللَّه مكرهم من أصله اى عاد ضرر المكر عليهم و بهم. و ذكر الأساس مثلا كما ذكر السقف، مع انه لا سقف ثم و لا أساس، و هذا الذى ذكره يليق بكلام العرب و يشبهه و المعنى إنّ اللَّه أتى بنيانهم من القواعد اى قلعه من أصله كقولهم:

أتى فلان من مأمنه اى أتاه الهلاک من جهة مأمنه و أتاهم العذاب من جهة اللَّه «وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» أى لا يعلمون انه من جهة اللَّه نزل بهم العذاب. ثم قال انه تعالى مع ذلک يخزيهم يوم القيامة أى يذلهم بأنواع العذاب و يقول لهم أين شركائى الذين اتخذتموهم آلهة، فعبدتموهم يعنى الذين كنتم تشاقون فيهم اللَّه تعالى و تخرجون عن طاعة اللَّه.
ثم أخبر ان الذين أعطوا العلم و المعرفة باللَّه تعالى و أوتوه يقولون لهم: ان الخزى يعنى الذل و الهوان «اليوم» و السوء الذى هو العذاب «على الكافرين» الجاحدين لنعمه المنكرين لتوحيده و صدق أنبيائه.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 375

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (29) وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَ لَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ (30)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة «الذين يتوفاهم» بالياء. الباقون بالتاء، من قرأ بالتاء فلتأنيث لفظة الملائكة، و من قرأ بالياء، فلأن التأنيث غير حقيقى و قد مضى نظيره كثيراً.

يقول اللَّه تعالى ان الخزى اليوم و السوء على الكافرين، الذين يتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم و «الذين» فى موضع الجر بأنه بدل من الكافرين و انما قال ذلک ليعلم به ان الوعيد يتناول من كان مات على كفره، لأنه ان تاب لم يتوجه الوعيد اليه، و معنى «تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ» أى تقبض أرواحهم بالموت ظالمى أنفسهم بما فعلوه من ارتكاب المعاصى التى استحقوا بها العقاب. و الظالم من فعل الظلم، و يصح ان يظلم الإنسان نفسه كما يظلم غيره.

و قوله «فَأَلْقَوُا السَّلَمَ» اى استسلموا للحق حين لا ينفعهم السلم، يعنى الانقياد و الإذعان.

و قوله «ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ» اى قالوا ما عملنا من سوء، فكذبهم اللَّه، و قال «بلى» قد فعلتم و اللَّه عالم بما كنتم تعملون فى الدنيا من المعاصى و غيرها.

و قيل فى معنى ذلک قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 376

أحدهما- ما كنا نعمل من سوء عند أنفسنا، لأنهم فى الآخرة ملجؤون الى ترک القبيح و الكذب، ذكره الجبائى. و قال الحسن و ابن الأخشاد: فى الآخرة مواطن يلجئون فى بعضها دون بعض، ثم بين انه تعالى يقول لهم «فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها» اى مؤبدين فيها «فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» قسم من اللَّه تعالى انها بئس المأوى لمن تكبر على اللَّه، و لم يعمل بطاعته، «وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ» اى اى شىء «أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً» على معنى ما ذا، و المعنى انزل اللَّه خيراً، و انما نصب (خيراً) هاهنا بعد قوله «قالوا» و رفع «أساطير» فيما تقدم لأمرين.

أحدهما- انهم جحدوا التنزيل، فقالوا إنما هى أساطير الأولين و أقر المؤمنون بالتنزيل، فقالوا أنزل ربنا خيراً.

و الثانى- قال سيبويه ان يكون الرفع على تقدير ما الذى انزل ربكم فيكون

ذا بمعنى الذى، و فى النصب يكون (ذا، و ما) بمنزلة اسم واحد.
و قوله «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى» يحتمل ان يكون من كلام من قال خيراً، و يحتمل ان يكون اخباراً من اللّه تعالى، و هو الأقوى، لأنه ابلغ فى باب الدعاء الى الإحسان، فأجاز الحسن و الزجاج كلا الوجهين، و المعنى ان للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة مكافأة لهم فى الدنيا قبل الآخرة خيراً «وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ» يعنى الجنة التى يدخلها الذين اتقوا معاصى اللّه و فعلوا طاعاته.

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ كَذلِكَ يَجْزِی اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)

آيتان بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 377

يحتمل رفع جنات وجهين:

أحدهما- ان تكون خبر ابتداء محذوف و تقديره هى جنات يدخلونها، كأن قائلا لما قال اللّه «وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ» قال: ما هذه الدار؟ فقيل: هى جنات عدن.

و الثانى- ان يكون رفعاً بالابتداء و خبره «لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ» و قد قدم الخبر و التقدير جنات عدن «لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ». ثم وصف هذه الجنات بما فيها، فقال «تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» لان الجنة هى البستان الذى فيه الأشجار، و الأنهار تجرى تحت الأشجار، و قيل لان انهار الجنة فى أخاديد. ثم اخبر ان لهؤلاء الذين دخلوا الجنة لهم فيها ما يشاءونه و يشتهونه. ثم قال مثل ذلك يجازى اللّه تعالى الذين يتقون معاصيه، و يعملون بطاعاته. ثم قال «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ» أى صالحين بأعمالهم الجميلة خلاف من تتوفاهم خبيثين بأعمالهم القبيحة. و أصل الطيبة حال المستلذ من الاطعمة، يقول الملائكة لهم سلام عليكم ادخلوا الجنة جزاء على أعمالكم فى الدنيا من الطاعات.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّکَ کَذلِکَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ ما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لکِنْ کانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (33) فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا وَ حاقَ بِهِمْ ما کانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (34)

آيتان بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «إلا أن يأتيهم» بالياء. الباقون بالتاء. و قد بينا وجهه، و معنى قوله «هل ينظرون» ينتظرون، يعنى هؤلاء الكفار إلا أن تأتيهم الملائكة، يعنى بالموت أو الهلاک، أو يأتى أمر ربک يعنى يوم القيامة، ذكره مجاهد و قتادة.

ثم أخبر تعالى ان الذين مضوا- فيما سلف من الكفار- فعلوا مثل فعل هؤلاء

تكذيب الرسل، و جحد توحيده، و انكار رسله، فأهلكهم اللَّه فما الذى يؤمّن هؤلاء أن يهلكهم.

ثم اخبر تعالى انه بإهلاكه إياهم لم يظلمهم، و لكن هم الذين ظلموا أنفسهم فيما مضى بالمعاصى التى استحقوا بها الهلاک.

ثم اخبر تعالى انه أصابهم يعنى الكفار جزاء سيئات أعمالهم، و هى القبائح، «و حاق بهم» اى حلّ بهم و بال «ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» أى يسخرون برسل اللَّه و بأنبيائه.

وَ قالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (35)

أية بلا خلاف.

حكى اللّه تعالى عن المشركين مع اللَّه إلهاً آخر و معبودا سواه أنهم قالوا «لَوْ شاءَ اللَّهُ» اى لو أراد اللّه لم نكن نعبد شيئاً من دونه، من الأصنام و الأوثان، لا «نَحْنُ وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا» من قبل نفوسنا شيئا، بل أراد اللَّه ذلک منا، فلذلک فعلنا، كما يقول المجبرة الضلال، فكذبهم اللّه و أنكر عليهم، و قال مثل ذلک فعل الذين من قبلهم، من الكفار الضلال كذبوا رسل اللّه، و جحدوا أنبياءه ثم عذر أنبيائه، فقال «فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ» الظاهر اى ليس عليهم إلا ذلک. و فى ذلک إبطال مذهب المجبرة، لأن اللّه أنكر عليهم قولهم إنه «لَوْ شاءَ اللّهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ» و مثل هذه الآية التى فى الانعام «1» و قد بيناها مستوفاة.

---

(1) آية 148 من سورة الانعام فى 4: 333- 335

وَ لَقَدْ بَعَثْنا فِی کُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَی اللَّهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَیْهِ الضَّلالَةُ فَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الْمُکَذِّبِینَ (36)

آیة بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالی نبیه صلّی اللَّه علیه و سلم بأنه قد أرسل فی کل امّة من الأمم السالفة رسولا بأن «اعبدوا الله» ای أمرهم أن یعبدوا الله وحده لا شریک له، و ان یجتنبوا عبادة الطاغوت، و هو کل ما یعبد من دون اللَّه. و قیل: الطاغوت اسم الشیطان و یکون المعنی «اجتنبوا» إغواء الشیطان، و کل داع یدعو الی الفساد. ثم اخبر عن المبعوث الیهم بأن منهم من لطف اللَّه لهم بما علم انه یؤمن عنده، فآمن عنده، فسمی ذلک اللطف هدایة، و لم یرد نصب الأدلة علی الحق لأنه تعالی سوی فی ذلک بین المؤمن و الکافر، کما قال «وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَیْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمی عَلَی الْهُدی» «1» و یحتمل أن یکون المراد فمنهم من هداه اللَّه الی الجنة بإیمانه.

و قوله «وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَیْهِ الضَّلالَةُ» قیل فیه قولان:

أحدهما- لأنهم ضلوا عن طریق الحق و کفروا بالله، و هو قول الحسن.

الثانی- حقت علیهم الضلالة عن طریق الجنة بما ارتکبوه من الکفر. و الضلالة- هاهنا- المراد به العدول عن الجنة، و قد سمی اللَّه العقاب ضلالا، فقال «إِنَّ الْمُجْرِمِینَ فِی ضَلالٍ» «2» ای عذاب. ثم قال قل لهم «فَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ» و تعرفوا اخبار من مضی و تبینوا کیف کان عاقبة الذین کذبوا بآیات اللَّه، و لم یصدقوا

---

(1) سورة حم السجدة آیة 17

(2) سورة القمر آیة 47

رسله، فان اللَّه اهلکهم و دمر علیهم، کقوم هود، و لوط، و ثمود، و غیرهم، فان دیارهم علیها آثار الهلاک و الدمار ظاهرة.

إِنْ تَحْرِصْ عَلى هُداهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى مَنْ يُضِلُّ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (37)
آية بلا خلاف.
قرأ اهل الكوفة «يهدى» بفتح الياء و كسر الدال. الباقون بضم الياء و فتح الدال، و لم يختلفوا فى ضم ياء يضل و كسر الضاد.
فمن فتح الياء و كسر الدال احتمل ذلک أمرين:
أحدهما- انه أراد ان اللَّه لا يهدى من يضله.
و الثانى- أن من أضله اللَّه لا يهتدى و من ضم الياء أراد من أضله اللَّه لا يقدر أحد ان يهديه، و قوّوا ذلک بقراءة أبى «لا هادى لمن أضل اللَّه» و اسم اللَّه تعالى اسم (إن) و (يضل) الخبر.
و معنى إضلال اللَّه- هاهنا- يحتمل أمرين:
أحدهما- ان من حكم اللَّه بضلاله و سماه ضالًا، لا يقدر أحد ان يجعله هاديا و يحكم بذلک.
و الثانى- إن من أضله اللَّه (عز و جل) عن طريق الجنة لا احد يقدر على هدايته اليها، و لا يقدر هو ايضا على أن يهتدى اليها.
يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم «ان تحرص» يا محمد على ان يؤمنوا و يهتدوا الى الجنة، فهم بسوء اختيارهم لا يرجعون عن كفرهم، و اللَّه تعالى قد حكم بكفرهم و ضلالهم و استحقاقهم للعقاب، فلا أحد يقدر على خلاف ذلک.
و (من) فى الوجهين فى موضع رفع، فمن ضم الياء رفعها لأنها لم يسّم فاعلها، التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 381
و من فتح الياء، فلأنها الفاعل. و المراد بالآية التسلية للنبى صلّى اللَّه عليه و سلم فى دعائه لمن لا يفلح بالاجابة، لانهماكه فى الكفر، و ان ذلک ليس تقصيراً من جهتک بل انه ليس الى فلاح مثل هذا سبيل.
و قوله «وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ» معناه ليس لهم ناصر ينصرهم و يخلصهم من العقاب، و ذلک يبين انه ليس المراد بالآية الضلال عن الدين، و انما المراد ما قلناه من عدولهم عن الثواب الى العقاب.
و الحرص طلب الشىء بجد و اجتهاد، تقول: حرص يحرص حرصاً، و حرص يحرص بكسر الراء فى الماضى، و فتحها فى المستقبل، و الاول لغة أهل الحجاز.

وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (38) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كانُوا كاذِبِينَ (39)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى ثم ان هؤلاء الكفار حلفوا باللّه على قدر طاقتهم و جهدهم انه لا يحشر اللّه أحداً يوم القيامة، و لا يحييه بعد موته. ثم كذبهم تعالى فى ذلک، فقال:

«بلى» يحشرهم اللّه و يبعثهم «وعدا» وعدهم به، و لا يخلف وعده.

و نصب «وعداً» على المصدر و التقدير وعد وعداً. و قال الفراء: تقديره بلى ليبعثهم وعداً حقّاً، و لو رفع على معنى ان ذلک وعد عليه حق كان صوابا و المعنى وعد وعداً عليه حقّاً ذلک الوعد ليس له خلف «وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» صحة ذلک لكفرهم باللّه و جحدهم أنبياءه.

و قوله «لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ» فى دار الدنيا، لأنه يخلق فيهم العلم التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 382

الضرورى يوم القيامة، الذى يزول معه التكليف و يزول خلافهم فيه، و يعلم ايضاً كل كافر انه كان كاذباً فى الدنيا فى قوله: إن اللّه لا يبعث أحدا بعد موته، هذا إن جعلنا قوله «ليبين» متعلقا ب(بلى) يبعثهم اللّه. و يحتمل ان يكون متعلقاً بقوله «وَ لَقَدْ بَعَثْنا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا .... لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ» و يهديهم الى طريق الحق و يثيبهم عليه

إِنَّما قَوْلُنا لِشَیْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَیَكُونُ (40)
آية بلا خلاف.
قرأ الكسائى و ابن عباس «فيكون» نصباً. الباقون رفعا. فمن نصب جعله عطفا على «أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَیَكُونُ» و لا يجوز ان يكون نصبا على جواب الأمر لأن ما ينتصب لأجل جواب الأمر هو ما يكون فعلان، و يجب الثانى من اجل الاول، كقولك ائتنى فأكرمک فالاكرام يجب من اجل الإتيان، و ليس كذلک فى الآية، لأنه انما هو فعل واحد أمر، و اخبر انه يكون، و لذلک اجمع القراء على رفع الذى فى آل عمران فى قوله «إِنَّ مَثَلَ عِیسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَیَكُونُ» «1» و قد أجار الزجاج النصب على ان يكون جواباً، و هو غلط. من رفع أراد أن يقول له كن، فانه يكون.
و قيل فى معنى الآية قولان:
أحدهما- انه بمنزلة قوله (كن) فى انه يكون منا من غير كلفة و لا معاناة.
و الثانى- ان قول «كن» علامة للملائكة تدلهم على انه سيحدث كذا و كذا عند سماعه.

---

(1) سورة ال عمران آية 59

وَ الَّذِينَ هاجَرُوا فِى اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى الدُّنْيا حَسَنَةً وَ لَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (41) الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (42)
آيتان بلا خلاف.
موضع «الذين» رفع بالابتداء، و الخبر «لنبوئنهم» يقول اللَّه تعالى ان الذين هاجروا من ديارهم فرارا بدينهم، و إتّباعا لنبيهم، من بعد ان ظلمهم قومهم و آذوهم و بخسوهم حقوقهم، فان اللَّه تعالى يبوئهم فى الدنيا حسنة.
و التبوء الإحلال بالمكان للمقام، يقال تبوأ منزلا يتبوأ إذا اتخذه، و بوأه غيره تبويئاً إذا أحله غيره، و منه «بَوَّأْنا بَنِى إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ» «1» و قال ابن عباس و قتادة و الشعبى: تبوّأهم اللَّه المدينة، و أحل لهم فيها غنيمة حسنة يأخذونها من اموال الكفار.
ثم اخبر ان ما اعدّه لهم من الأجر فى الآخرة و نعيم الجنة اكثر من ذلك بكثير لو كانوا يعلمون. ثم وصف الذين هاجروا، فقال الذين صبروا على جهاد أعدائه و احتملوا الأذى فى جنب اللَّه و اسندوا أمرهم اليه تعالى و توكلوا عليه، فمن كان بهذه الصفة يستحق ما ذكرناه، و من كان بخلافه لم يستحق منه شيئاً.
و قيل: إن الآية نزلت فى عمار و صهيب و أمثالهم الذين كانوا يعذبون بمكة.

وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِی إِلَیْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (43) بِالْبَیِّناتِ وَ الزُّبُرِ وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الذِّکْرَ لِتُبَیِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَیْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ (44)

---

(1) سورة 10 یونس آیة 93

هذا خطاب من اللّه تعالی لنبیه صلّی اللّه علیه و سلم یقول له إنا لم نرسل من قبلک إلا رجالا أمثالک من البشر «نوحی الیهم» أی یوحی اللّه الیهم. و من قرأ بالنون، و هو حفص، أراد نوحی نحن، إخبار منه تعالی. ثم قال اللّه لهم «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» صحة ما أخبرناکم به من أنّا أرسلنا رجالا قبلک و أوحینا الیهم. و قال ابن عباس و مجاهد: المعنی بأهل الذکر أهل الکتاب و منهم من قال: المراد من آمن من اهل الکتاب، و منهم من قال: امر مشرکی العرب ان یسألوا اهل الکتاب عن ذلک فإنهم لا یتهمونهم. و قال ابن زید: یرید اهل القرآن لان الذکر هو القرآن. و قال الرمانی و الازهری و الزجاج: المعنی بذلک اهل العلم بأخبار من مضی من الأمم، سواء کانوا مؤمنین او کفاراً، و ما آتاهم من الرسل قال: و فی ذلک دلالة علی انه یحسن ان یرد الخصم- إذا التبس علیه امر- الی أهل العلم بذلک الشیء ان کان من اهل العقول السلیمة من آفة الشبه.

و الذکر ضد السهو و سمی العلم بذلک، لأنه منعقد بالعلم، و هو بمنزلة السبب المؤدی الیه فی ذکر الدلیل، و إذا تعلق هذا التعلق حسن ان یقع موقعه و ینبئ عن معناه.

و

روی جابر عن أبی جعفر (ع) انه قال: (نحن اهل الذکر).

و قوله «بِالْبَیِّناتِ وَ الزُّبُرِ» العامل، لباء أحد أمرین:

أحدهما- قوله «أرسلنا» و التقدیر ما أرسلنا قبلک إلا رجالًا بالبینات نوحی الیهم.

الثانی- ان یکون علی حذف (أرسلنا بالبینات) کما قال الأعشی:

و لیس مجیراً إن أتی الحی خائف و لا قائل إلا هو المتعیَّبا «1»

---

(1) دیوان (دار بیروت) 8 و تفسیر الطبری 14: 69

أی أعنی المتعیبا، و مثل الأول، قول الشاعر:

نبّئتهم عذّبوا بالنار جارتهم و هل یعذّب إلّا اللّه بالنار «1»

و قوله «بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ» اى بالدلالات الواضحات و الكتب المنزلة. و الزّبر الكتب، واحدها زبور، يقال: زبرت الكتاب أزبره زبراً إذا كتبته. ثم قال «وَ أَنْزَلْنا إِلَيْکَ» يا محمد «الذكر» يعنى القرآن «لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» فيه من الأحكام و الدلالة على توحيد اللّه، لكى يتفكروا فى ذلک و يعتبروا، و انما قال «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ إِلَّا رِجالًا» مع انه أرسل قبله الملائكة، لأن المعنى و ما أرسلنا من قبلک الى الأمم الماضية إلا رجالًا بدلالة الآية، لأنها حجة عليهم فى انكار رسول اللّه إلى الناس من الرجال.

أَ فَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (45) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَما هُمْ بِمُعْجِزِينَ (46) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (47)
ثلاث آيات بلا خلاف.
يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم «أَ فَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا» بالنبىّ و المؤمنين، و فعلوا السيئات و احتالوا الفعل القبيح، على وجه الإنكار عليهم، فاللفظ لفظ الاستفهام، و المراد به الإنكار «أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ» من تحتهم عقوبة لهم على كفرهم او يجيئهم العذاب من جهة، لا يشعرون بها، على وجه الغفلة «أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ» و تصرفهم، بأن يهلكهم على سائر حالاتهم، حتى لا ينفلت منهم أحد،

---

(1) تفسير الطبرى 14: 69 و مجمع البيان 3: 362 [.....]

فما هم بفائتين. و المعنى إن ما يريد اللَّه بهم من الهلاك لا يمتنع عليه ما يريده منهم «أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ» و قيل فى معنى «تخوف» قولان:
أحدهما- قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك و ابن زيد: على تنقّص بمعنى انه يؤخذ الأول فالأول حتى لا يبقى منهم احد، لان تلك حال يخاف معها الفناء و يتخوف معها الهلاك، و قال الشاعر:
تخوَّف السيرُ منها تامِكاً قَرِداً كما تخوَّف عود النبعة السفَن «1»
اى ينقص السير سنامها بعد تموكه، كما ينحت العود فيدق بعد غلظه.
و قال الآخر:
تخوف عدوهم ما لى و أهلى سلاسل فى الحلوق لها صليل «2»
و الثانى- روى عن ابن عباس- فى رواية أخرى- ان معناه على تفزيع.
و قال الحسن: تهلك القرية فتخوف القرية الاخرى، و قال الفراء: تخوّفته، و تحوفته- بالخاء و الحاء- إذا انتقصته من حافّاته. و مثله «إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا» «3» بالخاء و الحاء، سمعت العرب تقول سبحى صوفك، و هو شبيه بالندف، و السبخ مثل ذلك، قال المبرد: لا يقال تحوّفته، و إنما هو تحيّفته.

أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ (48) وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ وَ الْمَلائِكَةُ وَ هُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (49) يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ (50)

---

(1) قائله ابن مقبل، اللسان (خوف) و تفسير الطبرى 14: 70 و مجمع البيان 3: 363
(2) تفسير الطبرى 14: 71 و مجمع البيان 3: 363
(3) سورة المزمل آية 7

ثلاث آيات بلا خلاف.
قرأ حمزة و الكسائى و خلف «او لم تروا» بالتاء، الباقون بالياء.
من قرأ بالتاء حمله على الجمع و من قرأ بالياء، فعلى ما قبله، من قوله «أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ... أَوْ يَأْخُذَهُمْ»، و كان النبى صلّى اللّه عليه و سلم و أصحابه رأوا ذلك و تيقنوه، فلذلك عدل عن الخطاب.
و قرأ ابو عمرو و يعقوب «تتفيؤا ظلاله» بالتاء. الباقون بالياء، فمن أنث فلتأنيث الظلال، لأنه جمع ظل، فكل جمع مخالف الآدميين، فهو مؤنث تقول: هذه الاقطار و هذه المساجد. و من ذكّر، فلأن الظلال و إن كان جمعاً، فهو على لفظ الواحد مثل (جدار)، لان جمع التكسير يوافق الواحد.
يقول اللّه تعالى لهؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانيته، و كذبوا نبيه، على وجه التنبيه لهم على توحيده «او لم يروا» هؤلاء الكفار «إِلى ما خَلَقَ اللَّهُ» من جسم قائم، شجر او جبل او غيره، فصير ظلاله فيئاً اى تدور عليه الشمس ثم يرجع الى ما كان قبل زوال الشمس عنه. و قال ابن عباس (يتفيئو) يرجع من موضع الى موضع و يتميل، يقال منه: فاء الظل يفىء فيئاً إذا رجع، و تفيّأ يتفيّؤ تفيؤاً بمعنى واحد.
و قوله «عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ» معناه فى أول النهار و آخره- فى قول قتادة و الضحاك و ابن جريج- يتقلص الفىء عن الجبل من جهة اليمين و ينقص بالعشى من جهة الشمال. و إنما قال عن اليمين- على التوحيد- و الشمائل- على الجمع- لأحد أمرين:
أحدهما- انه أراد باليمين الأيمان، فهو متقابل فى المعنى، و يتصرف فى اللفظ على الإيجاز، كما قال الشاعر:
بفىّ الشامتين الصخر ان كان هدّنى زرية شبلى مخدر فى الضراغم «1»

و المعنى بأفواه، و قال آخر:
الواردون و تيم فى ذرى سبإ قد عضّ أعناقهم جلد الجواميس «2»
و قوله «سُجَّداً لِلَّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ» معناه إنها خاضعة للّه ذليلة، بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى واضعها و مدبرها، بما لولاه لبطلت، و لم يكن لها قوام طرفة عين، فهى فى ذلک کالساجد، من العباد بفعله، الخاضع بذاته، کأنه من بسط الشمس عليه فى أول النهار. ثم قبضها عنه الى الجهة الأخرى. ثم قبضها ايضاً عنه، فتغيرت حاله. و التغيير يقتضى مغيراً غيَّره و مدبّراً دبّره. قال الحسن: اما ذلک فيسجد للّه، و اما انت فلا تسجد للّه؟! بئس و اللّه ما صنعت.
و (الداخر) الخاضع الصاغر، دخر يدخر دخراً و دخوراً، إذا ذل و خضع قال ذو الرمة:
فلم يبق إلا داخر فى مخيَّس و منجحر فى غير أرضک فى جحر «3»
ثم أخبر تعالى انه يسجد له جميع «ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ» و السجود هو الخضوع بالعبادة او الدعاء إلى العبادة، فکل شىء من مقدوراته تعالى يسجد بالدعاء إلى العبادة بما فيه من الآية، الذى يقتضى الحاجة اليه تعالى، و کل محقّ من العباد فهو يسجد بالعبادة.
و قوله «من دابة» معنى (من) هاهنا هى التى تبيّن، تبيين الصفة، کأنه قال و ما فى الأرض الذى هوَ دابّة تدبّ على الأرض. و قوله «و الملائکة» اى و تسجد له الملائکة، و تخضع له بالعبادة، و «هم» يعنى الملائکة، غير مستکبرين،

---

(1) مجمع البيان 3: 363 و تفسير الطبرى 14: 73. و روايته:
بفى الشامتين ان کان هدنى ودية شبلى محدد فى الضراغم
(2) قائله جرير: ديوانه (دار بيروت) 252، و تفسير الطبرى 14: 73 و مجمع البيان 3: 363 و روايته الديوان:
تدعوک تيم و تيم فى قرى سبإ قد عض أعناقهم جلد الجواميس
(3) اللسان (خيس) نسبه الى الفرزدق خطأ

و لا طالبين بذلک التکبر بل مذعنين بالحق متذللين، غير آنفين، من الإذعان به.
«يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- يخافون عقاب ربهم من فوقهم، لأنه يأتى من فوق.
الثانى- انه لمَّا وصف بأنه عالٍ و متعالٍ، على معنى قادر، لا قادر أقدر منه، فقيل صفته فى أعلى مراتب صفات القادرين، حسن ان يقال «من فوقهم» ليدل على ان هذا المعنى من الاقتدار الذى لا يساويه قادر، و قوله «وَ

يَفْعَلَونَ ما يُؤْمَرُونَ» يعنى الملائكة يفعلون ما يأمرهم اللّه به، و لا يعصونه، كما قال «لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» «1»

وَ قالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (51) وَ لَهُ ما فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَهُ الدِّينُ واصِباً أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (52)
آيتان بلا خلاف.
يقول اللَّه تعالى ناهياً لعباده «لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ» اى لا تعبدوا مع اللَّه غيره، فتشركوا بينهما فى العبادة.
ثم اخبر انه إله واحد لا اكثر منه، لان لفظة (إنما) تفيد ثبوت الإله الواحد، و نفى ما زاد عليه على ما بيَّناه فيما مضى.
و قوله «فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ» معناه ارهبوا عقابى و سخطى فلا تتخذوا معى إلهاً آخر و معبوداً سواى.
و فى قوله «اثنين» بعد قوله «إلهين» قولان:

---

(1) سورة التحريم آية 6

أحدهما- أنه قال ذلک تأكيداً، كما قال «إله واحد» تأكيداً.
و الثانى- ان يكون المعنى لا تتخذوا إثنين إلهين، فقدّم و أخَّر و كلاهما جائزان.
و قوله «وَ لَهُ ما فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» معناه انه يجب علينا ان نتقى عقاب من يملک جميع ما فى السموات و الأرض، لأنه مالک الضرَّ و النفع.
و معنى قوله «وَ لَهُ الدِّينُ واصِباً» قال ابن عباس: يعنى دائماً اى طاعته واجبة على الدّوام، و به قال الحسن و مجاهد و الضَّحاک و قتادة و ابن زيد، و منه قوله «وَ لَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ» «1» يقال منه: وصبَ الدين يصبُ وصُوباً، و وصباً، قال أبو الأسود الدؤلىّ:
لا أبتغى الحمدَ القليل بقاؤه يوماً بذم الدهر أجمع واصباً «2»
و قال حسَّان:
غيَّرته الريح تسفى به و هزيمٌ رعده واصب «3»
و الوصب الألم الذى يكون عن الاعياء بدوام العمل مدة، يقال: وصَب الرجل يوصَبُ وصباً، فهو وصب قال الشاعر:
لا يغمز الساق من اين و لا وَصب و لا يعضّ على شر سوفه الصفر «4»
و قيل: المعنى و له الطاعة، و ان كان فيها الوصب، و هو الشدة و التعب.

وَ ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ (53) ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (54) لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (55)

---

(1) سورة الصافات آية 9
(2) تفسير الطبرى 14: 74 و تفسير الشوكانى (الفتح القدير) 3: 160 و مجمع البيان 3: 365
(3) ديوانه (دار بيروت) 21 و تفسير الطبرى 14: 74
(4) تفسير الطبرى 14: 74
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 391
ثلاث آيات بلا خلاف.
يقول اللَّه تعالى لخلقه إن جميع النعم التى تكون بكم و لكم، من صحة فى جسم وسعة فى رزق او ولد، فكل ذلک من عند اللَّه، و من جهته و بخلقه لها و بتمكينكم من الانتفاع بها. و الفاء فى قوله «فمن الله» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ان تكون (ما) بمعنى الذى، و فيه شبه الجزاء، كما قال تعالى «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ» «1» و يقول القائل: مالک هو لى و لا يجوز ان يقول مالک فهو لَى، لأنه خبر ليس على طريق الجزاء.
و القول الثانى- على حذف الجزاء، و تقديره ما يكن بكم من نعمة فمن اللَّه.
و قوله «ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ» معناه متى ما لحقكم ضر و بلاء، و ألم، و سوء حال، تضرعون اليه تعالى بالدعاء، و هو قول مجاهد. و أصل ذلک من جؤار الثور، يقال: جأر الثور يجأر جؤاراً إذا رفع صوته، من جوع او غيره قال الأعشى:
و ما أيْبليُّ على هيكل بناه و صلَّب فيه و صارا
يراوح من صلوات الملى - ک طوراً سجوداً و طوراً جؤارا «2»
و قال عدى بن زيد:
اننى و اللَّه فاقبل حلفتى بأبيل كلما صلّى جأر «3»
و قوله «ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» اخبار منه تعالى انه إذا كشف ضرّ من يجأر اليه و يخضع له، و يرفع البلاء عنه، يصير- طائفة من الناس- يشركون بربهم فى العبادة جهلا منهم بربهم، و مقابلة للنعمة التى

---

(1) سورة الجمعة آية 8
(2) ديوانه (دار بيروت) 84 و اللسان (أبل) ذكر البيت الاول فقط
(3) اللسان (ابل) و روايته (فاسمع حلفى). [.....]

هى كشف الضر بمعصية الشرک. و هذا غاية الجهل. و قوله «لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ» اى ليكفروا بآيات أنعمنا عليهم، و رزقنا إياهم، فمعنى اللام فى «ليكفروا» هو البيان عما هو بمنزلة العلة التى يقع لأجلها الفعل، لأنهم بمنزلة من أشركوا فى العبادة ليكفروا بما أوتوا من النعمة، كأنه لا غرض لهم فى شركهم إلا هذا، مع ان شركهم فى العبادة يوجب كفر النعمة بتضييع حقها، فالواجب فى هذا ترک الكفر الى الشكر للّه تعالى.
و قوله «فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» تهديد منه تعالى، لان المعنى تمتعوا بما فيه معصية له تعالى، فسوف تعلمون عاقبة أمركم من العقاب الذى ينزل بكم، و حذف لدلالة الكلام عليه، و هو ابلغ.

وَ يَجْعَلُونَ لِما لا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْناهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (56) وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ سُبْحانَهُ وَ لَهُمْ ما يَشْتَهُونَ (57)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى إن هؤلاء الكفار «يَجْعَلُونَ لِما لا يَعْلَمُونَ نَصِيباً» معناه إنهم يجعلون لما لا يعلمون انه يضر، و لا ينفع «نَصِيباً مِمَّا رَزَقْناهُمْ» يتقربون اليه، كما يجب ان يتقربوا الى اللَّه تعالى، و هو ما حكى اللَّه عنهم فى سورة الانعام «مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعامِ» و غير ذلك «فَقالُوا هذا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هذا لِشُرَكائِنا» «1» فجعلوا نصيباً للَّه و نصيباً للأصنام، و هو قول مجاهد و قتادة و ابن زيد. ثم أقسم تعالى فقال «تَاللَّهِ لَتُسْئَلُنَّ» سؤال التوبيخ، لا سؤال الاستفهام «عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى دار الدنيا لتلزموا به الحجة و تعاقبوا بعد اعترافكم على أنفسكم. و انما كان سؤال التوبيخ، لأنه لا جواب لصاحبه الا ما يظهر به فضيحته.

---

(1) سورة الانعام آية 136

ثم اخبر تعالى عنهم بأنهم يجعلون للَّه البنات، لأنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله، كما قال تعالى «وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً» «1» فقال تعالى تنزيهاً لنفسه عما قالوه «سبحانه» اى تنزيهاً له عن اتخاذ البنات.

و قوله «وَ لَهُمْ ما يَشْتَهُونَ» (ما) فى قوله «و لهم ما» يحتمل وجهين من الاعراب:

أحدهما- أن يكون فى موضع نصب، و المعنى و يجعلون لهم البنين الذين يشتهون.

و الثانى- ان يكون فى موضع رفع و التقدير و لهم البنون، على الاستئناف.

وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ (59) لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (60)

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى مخبراً عن هؤلاء الكفار الذين جعلوا للّه البنات و لأنفسهم البنين. انهم متى بشر واحد منهم بأنه ولد له بنت «ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا» أى يتغير لذلک وجهه و (ظل) يقال لما يعمل صدر النهار، يقال: ظل يفعل كذا و مثله أضحى، غير انه كثر، فصار بمنزلة قولهم: أخذ يفعل، تقول: ظللت أظل ظلولا، ذكره الفراء.

و قوله «وَ هُوَ كَظِيمٌ» قال ابن عباس: معناه و هو حزين. و قال الضحاک:

---

(1) سورة الزخرف آية 19

كئيب، و هو المغموم الذى يطبق فاه، و لا يتكلم للغم الذى به، مأخوذ من الكظامة و هو سد فم القربة.

و قوله «يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ» أى يختبئ و يختفى من القوم «مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ» من الأنثى، تميل نفسه بين أن «يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ» أى على هو ان و مشقة، و منه قوله «عذاب الهون» «1» و هى لغة قريش، قال الشاعر:

فلست بوقّاف على هون «2»

.و قال الحطيئة:

فلما خشيت الهون و العير ممسک على رغمه ما أثبت الخيل حافره «3»

و بعض تميم يجعلون الهون من الشىء اللين، قال سمعت من بعضهم إن كان لقليل فهو هون المؤنة، فإذا قالوا أقبل يمشى على هون، لم يقولوا إلا بفتح الهاء، و منه قوله «وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً» «4» قال المبرد: الهون بضم الهاء لا أعرفه فى الرفق، و انما هو بفتح الهاء، كما يقال: سر عليه هونا أى رفقاً «أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ» أى هو يميل بين إمساكه على مذلة او دفنه حيّاً فى التراب.

ثم أخبر تعالى فقال «أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ» اى بئس الحكم الذى يحكمون، يجعلون لنفوسهم ما يشتهون، و يجعلون للّه ما يكرهونه!!.

ثم قال تعالى «لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ» اى لا يصدقون بالبعث و النشور و الدار الآخرة «مَثَلُ السَّوْءِ. وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلى» اى لهم بذلک وصف سوء، و للّه الوصف الأعلى، من اخلاص التوحيد، و لا ينافى هذا قوله «فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ

الْأَمْثالَ» «5» لأنه بمعنى الأمثال التى توجب الاشباه، فأما الأمثال التى يضربها اللَّه للناس لما فيها من الحكمة من غير تشبيه له تعالى بخلقه، فحق و صواب، كما قال تعالى «وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ» «6» قال الرمانى: و فى الآيات دلالة

---

(1) سورة الانعام آية 93 و سورة الأحقاف آية 20
(2) لم أجده فيما رجعت اليه
(3) مجمع البيان 3/ 366
(4) سورة الفرقان آية 63
(5) سورة النحل آية 74
(6) سورة العنكبوت آية 43

على انه لا يجوز ان يضاف اليه تعالى الأدون بدلا من الأصلح، لان اختيار الأدون على الأصلح صفة نقص، و قد عابهم اللَّه بإضافة ما لا يرضونه لنفوسهم الى ربهم، و هو قولهم: الملائكة بنات اللَّه، فكما لا يرضى الإنسان لنفسه النقص الذى فيه، فهو ينفيه عنه، و عظماء الناس و اجلاؤهم يرفعون نفوسهم عن صفات الأدنى، دون العليا، فينبغى ان ينزه تعالى عن مثل ذلک.

و قوله «وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» معناه عالم بوضع الأشياء فى مواضعها، حكيم فى انه لا يضعها الا فى ما هو حكمة و صواب.

وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ (61) وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ ما يَكْرَهُونَ وَ تَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنى لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَ أَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (62) تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (63)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ نافع «مفرطون» بكسر الراء و التخفيف، من الافراط فى الشىء اى الإسراف، بمعنى انهم مسرفون. و قرأ ابو جعفر مثل ذلک بالكسر غير انه شدد الراء من التفريط فى الواجب. و قرأ الباقون بفتح الراء و التخفيف، و معناه انهم متروكون فى النار منسيون فيها- فى قول قتادة و مجاهد و سعيد بن جبير و الضحاک- و قال الحسن و قتادة- فى رواية اخرى- ان المعنى انهم مقدمون بالاعجال الى النار، و هو من قول العرب: أفرطنا فلان فى طلب الماء، فهو التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 396

مفرط إذا قدم لطلبه، و فرط فهو فارط إذا تقدم لطلبه، و جمعه فرّاط، قال القطامى:

و استعجلونا و كانوا من صحابتنا كما تعجّل فرّاطٌ لورّاد «1»

و منه

قول النبى صلّى اللَّه عليه و سلم (انا فرطكم على الحوض) اى متقدمكم و سابقكم حتى تردوه.

و منه يقال فى الصلاة على الصبى الميت: اللهم اجعله لنا و لأبويه فرطا.

و

روى عن النبى صلّى اللَّه عليه و سلم انه قال: (انا و النبيون فرّاط العاصين) اى المذنبين،

و التأويل الاول من قول العرب: ما أفرطت ورائى احداً اى ما خلفت و لا تركت. و المعنى يرجع الى التقدم اى ما تقدمت احداً ورائى.

اخبر اللَّه تعالى انه لو كان ممن يؤاخذ الكفار و العصاة بذنوبهم، و يعاجلهم بعقوباتهم و استحقاق جناياتهم و ظلمهم «لما ترک» على وجه الأرض احداً ممن يستحق ذلک من الظالمين. و انما يؤخرهم تفضلًا منه ليراجعوا التوبة، او لما فى ذلک من المصلحة لباقى المكلفين و الاعتبار بهم، فلا تغتروا بالامهال، انكم مثلهم فى استحقاق العقاب على ظلمكم. و قيل فى وجه تعميمهم بالهلاک مع ان فيهم مؤمنين قولان:

أحدهما- ان الإهلاک و ان عمهم فهو عذاب الظالم دون المؤمن، لان المؤمن يعوض عليه.

الثانى- ان يكون ذلک خاصة. و التقدير ما ترک عليها من دابة من اهل الظلم. و قيل ان المعنى انه لو هلک الآباء بكفرهم لم يوجد الأبناء.
و قوله «وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى» يعنى الأجل الذى قدره لموتهم و هلاكهم، فإذا جاء ذلک الأجل، لا يتقدمون عليه لحظة و لا يتأخرون.
و قوله «عليها» يعنى على الأرض لدلالة قوله «ما تَرَکَ عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ» اى دابة عليها لأنها تدب على الأرض.
و قوله «يَجْعَلُونَ لِلَّهِ ما يَكْرَهُونَ» يعنى يضيفون الى اللَّه البنات مع كراهية

---

(1) تفسير الشوكانى (الفتح القدير) 3/ 165 و تفسير الطبرى 14/ 79 و اللسان (عجل)

ذلک لنفوسهم «وَ تَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنى» فقول (ان) بدل من الكذب، و موضعه النصب. و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال الحسن: فيما حكاه الزجاج: ان لهم الجزاء الحسنى.
الثانى- قال مجاهد: ان لهم البنين مع جعلهم للّه البنات اللاتى يكرهونهنّ.
ثم قال تعالى «لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ» و معناه حقّاً أن لهم النار، فى اقوال المفسرين. و قيل: معناه لا بد ان لهم النار، فجرم على هذا اسم، كأنه قال: قطع ان لهم النار و قال بعضهم «جرم» فعل ماض و (لا) ردّ لكلام متقدم، فكأنه قيل: قطع الحق أن لهم النار. و قيل: وجب قطعاً ان لهم النار. و قيل: كسب فعلهم أن لهم النار، و انهم مفرطون مقدمون و معجلون الى النار. و قال الخليل: «لا جرم» لا يكون الا جواباً، تقول: فعلوا كذا و كذا، فيقال: لا جرم انهم سيندمون قال الشاعر:
و لقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا «1»
اى بعثتهم على ذلک و مثله «لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِى» «2» اى لا يبعثكم عداوتى «على ان يصيبكم» و مثله «لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلَّا تَعْدِلُوا» «3» ثم اقسم تعالى، فقال «لقد أرسلنا» يعنى رسلا إلى امم من قبلک يا محمد «فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ» يعنى كفرهم و ضلالهم و تكذيب رسل اللَّه زينه الشيطان لهم.
و قوله «فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- انه ناصرهم فى الدنيا، لأنه يتولى إغواءهم و سبب هلاكهم «وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» يوم القيامة.
الثانى- انه يوم القيامة وليّهم، لأنه لا يمكنه ان يتولى صرف المكروه عن

---

(1) مر هذا البيت فى 3/ 423، 5/ 473، 534
(2) سورة هود آية 89
(3) سورة المائدة آية 9

نفسه، فكيف يتولى صرفه عنهم.
ثم اخبر تعالى ان لهم عنده عذاباً أليماً موجعاً مؤلماً جزاء على كفرهم و معاصيهم.

وَ ما أَنْزَلْنا عَلَيْکَ الْکِتابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِی اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ هُدیً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (64) وَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِی ذلِکَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (65)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم إنَّا «ما أَنْزَلْنا عَلَيْکَ الْکِتابَ» يعنى القرآن «إلا» و أردنا منک ان تبين «لهم» و تكشف لهم «الَّذِی اخْتَلَفُوا فِيهِ» من دلالة التوحيد و العدل و صدق الرسل و ما أوجبت فيه من الحلال و الحرام «وَ هُدیً وَ رَحْمَةً» اى أنزلته هدى و دلالة على الحق لقوم يؤمنون.

«وَ هُدیً وَ رَحْمَةً» نصب على انه مفعول له، و يجوز ان يكون رفعا على الابتداء، و انما اضافه الى المؤمنين خاصة لانتفاعهم بذلک، و ان كان دليلا و حجة للجميع، كما قال فى موضع آخر «هدى للمتقين» «1» و قال «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها» «2» و ان انذر من لم يخشاها.

ثم اخبر تعالى على وجه، مَنّ نعمه على خلقه، فقال «و اللَّه» المستحق للعبادة هو الذي «أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنى غيثاً و مطراً «فأحيا به» يعنى بذلک الماء «الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها» اى أحياها بالنبات بعد جدوبها و قحطها، ففى ذلک أعظم دلالة و اجل آية «لقوم يسمعون» ذلک و يكفرون فيه و يعتبرون به.

---

(1) سورة البقرة آية 2

(2) سورة النازعات آية 45 [.....]

وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِينَ (66) وَ مِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَ رِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67)
آيتان بلا خلاف.
قرأ نافع و ابن عامر و ابو بكر عن عاصم «نسقيكم» بفتح النون الباقون بضمها. و الفرق بين اسقينا و سقينا أنّ معنى أسقيناه جعلنا له شراباً دائماً من نهر أو لبن او غيرهما، و سقيناه شربة واحدة، ذكره الكسائى قال لبيد:
سقى قومى بنى مجد و أسقى نُميراً و القبائل من هلال «1»
فعلى هذا هما لغتان، و الأظهر ما قال الكسائى عند اهل اللغة. و قال قوم: سقيته ماء كقوله «وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً» «2» و أسقيته سألت اللّه ان يسقيه و انشد لذى الرّمة:
وقفت على ربع لمية ناقتى فما زلت أبكى عنده و أخاطبه
و أسقيه حتى كاد مما أبثّه تكلمنى أحجاره و ملاعبه «3»
و قيل ان ما كان من الأنهار و بطون الأودية، فبالضم. و قال ابو عبيدة: إذا سقاه مرة يقال سقيته، و إذا سقاه دائماً يقال أسقيته.
يقول اللّه تعالى لخلقه المكلفين «إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ» يعنى الإبل و البقر و الغنم «لعبرة» و دلالة لأنّا «نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ» و قيل فى تذكيره ثلاثة اقوال:

---

(1) ديوانه 1: 128 و نوادر أبى زيد 213 و مجاز القران 1: 350 و اللسان و التاج «سقى» و مجمع البيان 3: 370.
(2) سورة الدهر آية 21
(3) ديوانه 213 و نوادر أبى زيد 213 و المحاسن و الاضداد للجاحظ 335 و مجمع البيان 3: 333، 359 و تفسير الطبرى 14: 14 و التاج و اللسان «سقى».
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 400
أحدها- انه ردّ الى واحد. لان النعم و الانعام بمعنى، قال سيبويه: و الاسم الواحد يجىء على (أفعال) يقال هو الانعام. قال تعالى «فى بطونه» ذهب الى أنه اسم واحد بلفظ الجمع، كما أن الخيل اسم مؤنث، لا واحد له، و النعم اسم مذكر للجماعة، لا واحد له، و قال الراجز:
و طاب ألبان اللقاح فبرد «1»
رده الى اللبن.
الثانى- انه حمل على المعنى، و التقدير بطون ما ذكرنا، كما قال الصلتان

العبدى:
إن السماحة و المروءة ضمنا قبراً بمرو فى الطريق الواضح «2»
كأنه قال شيئان ضمنا.
الثالث- لأنه فى موضع (اى) كأنه قال «نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ» اى من اى الانعام و كان فى بطونه اللبن، لأنه ليس كلها مما فيه لبناً.
و قوله «مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خالِصاً» فالفرث الثفل الذى ينزل الى الكرش فبين انه تعالى يخرج ذلک اللبن الصافي، اللذيذ، المشهى من بين ذلک، و بين الدم الذى فى العرق النجس «سائِغاً لِلشَّارِبِينَ» أى مريئاً لهم لا ينفرون منه، و لا يشرقون بشربه، و ذلک من عجيب آيات اللّه و لطف تدبيره و بديع حكمته، الذى لا يقدر عليه غيره، و لا يتأتى من احد سواه.
ثم قال «و من ثمرات» و هو جمع ثمرة، و هو ما يطعمه الشجر، ما فيه اللذة و الثمرة خاصة طعم الشجر مما فيه اللذة يقال: أثمرت الشجرة إثماراً إذا حملت كالنخلة و الكرمة و غيرهما من اصناف الشجر.
و قوله «تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً» قيل فى معنى السكر قولان:

---

(1) تفسير الطبرى 14: 81 و اللسان (جبه)، (خرت) و قبله:
إذا رأيت انجماً من الأسد جبهته او الخرات و الكتد
بال سهيل فى الفضيخ ففسد و طاب ألبان اللقاح فبرد
(2) تفسير الطبرى 14: 81 و مجمع البيان 3: 370

أحدهما- تتخذون منه ما حل طعمه من شراب او غيره، ذكره الشعبى و غيره.
و روى عن ابن عباس و سعيد بن جبير و أبى رزين و الحسن و مجاهد و قتادة: ان السكر ما حرم من الشراب، و الرزق الحسن ما أحل منه. و السكر فى اللغة على اربعة اقسام: أحدها ما أسكر، و الثانى ما طعم من الطعام كما قال الشاعر:
جعلت عيب الأكرمين سكرا «1»
اى طعماً، الثالث السكون قال الشاعر:
و جعلت عين الحرور تسكر «2»
و الرابع، المصدر من قولک سكر سكراً، و أصله انسداد المجارى بما يلقى فيها، و منها السكر. و قوله «منه» الكناية راجعة الى محذوف، قال قوم:
تقديره و من ثمرات النخيل و الأعناب ما تتخذون منه، فالهاء كناية عن (ما) المحذوفة و قال آخرون: تقديره و من ثمرات النخيل و الأعناب شىء تتخذون منه.
و قد استدل قوم بهذه الآية على تحليل النبيذ بأن قالوا: امتن اللَّه علينا به وعدّه من جملة نعمه علينا أن خولنا الثمار نتخذ منها السكر، و الرزق

الحسن. و هو لا يمتنّ بما هو محرم. و هذا لا دلالة فيه لأمور:
أحدها- انه خلاف ما عليه المفسرون، لأن احداً منهم لم يقل ذلک، بل كلّ التابعين من المفسرين، قالوا: أراد ما حرم من الشراب، و قال الشعبى منهم: انه أراد ما حل طعمه من شراب و غيره.
و الثانى إنه لو أراد بذلک تحليل السكر، لما كان لقوله «وَ رِزْقاً حَسَناً» معنى، لأن ما أحله و اباحه، فهو ايضا رزق حسن، فلم فرق بينه و بين الرزق الحسن و الكل شىء واحد؟؟ و انما الوجه فيه انه خلق هذه الثمار لتنتفعوا بها

(1- 2) تفسير الشوكانى 3: 168 و تفسير الطبرى 14: 84 (و اللسان سكر)

فاتخذتم أنتم منها ما هو محرم عليكم، و تركتم ما هو رزق حسن. و اما وجه المنّة فبالامرين معاً ثابتة، لأن ما اباحه و أحله فالمنّة به ظاهرة لتعجل الانتفاع به و ما حرمه اللّه فوجه المنّة ايضا ظاهر به، لأنه إذا حرّم علينا، و أوجب الامتناع منه ضمن فى مقابلته الثواب الذى هو أعظم النعم، فهو نعمة على كل حال.
و الثالث- إذا كان مشتركاً بين المسكر و بين الطعم، وجب أن يتوقف فيه و لا يحمل على أحدهما إلا بدليل، و ما ذكرناه مجمع على أنه مراد، و ما ذكروه ليس عليه دليل، على انه كان يقتضى ان يكون ما أسكر منه يكون حلالًا، و ذلک خلاف الإجماع، لأنهم يقولون: القدر الذى لا يسكر هو المباح، و كان يلزم على ذلک أن يكون الخمر مباحاً، و ذلک لا يقوله احد، و كذلک كان يلزم ان يكون النقيع حلالًا، و ذلک خلاف الإجماع.
و قوله «إِنَّ فِى ذلِکَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» معناه إن فيما ذكره دلالة ظاهرة للذين يعقلون عن اللّه و يتفهمون و يفكرون فيه.

وَ أَوْحى رَبُّکَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِی مِنَ الْجِبالِ بُیُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا یَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ کُلِی مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُکِی سُبُلَ رَبِّکِ ذُلُلاً یَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِیهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ (69)

آیتان بلا خلاف.

قرئ «یعرشون» بضم الراء و کسرها، و هما لغتان و معناه: و ما یبنونه من السقوف. و قال ابن زید: یعنی الکروم، قال ابن عباس و مجاهد: یعنی «وَ أَوْحى رَبُّکَ إِلَى النَّحْلِ» ألهمها الهاماً، و قال الحسن: جعل ذلک فی غرائزها ای ما التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 403

یخفی مثله عن غیرها، و ذلک ایحاء فی اللغة. و قال ابو عبید: (الوحی) علی وجوه فی کلام العرب: منها وحی النبوة، و منها الإلهام، و منها الإشارة، و منها الکتاب، و منها الأسرار:

فالوحی فی النبوة ما یوحی اللّه إلی الأنبیاء، کقوله «إِلَّا وَحْیاً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ یُرْسِلَ رَسُولًا فَیُوحِیَ بِإِذْنِهِ» «1» و الوحی بمعنی الإلهام، قوله «وَ أَوْحى رَبُّکَ إِلَى النَّحْلِ» و قوله «وَ أَوْحَیْنا إِلى أُمِّ مُوسى» «2» و فی الأرض «بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحى لَها» «3» و وحی الاشارة کقوله «فَأَوْحى إِلَیْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا» «4» قال مجاهد: أشار الیهم، و قال الضحاک: کتب لهم.

و اصل الوحی عند العرب هو إلقاء الإنسان إلی صاحبه ثیابا للاستتار و الإخفاء.

و وحی الاسرار مثل قوله «یُوحِی بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً «5»» فاما ما روی عن ابن عباس انه قال: لا وحی إلّا القرآن أراد ان القرآن هو الوحی الذی نزل به جبرائیل علی محمد صلّی اللّه علیه و سلم، دون ان یکون أنکر ما قلناه.

و یقال: أوحی له و أوحی الیه قال العجاج:

أوحی لها القرار فاستقرت «6» قال المبرد: ما روی عن ابن عباس إنما قاله لما سئل عما کان وضعه المختار و سماه الوحی، فقال ابن عباس: لا وحی إلا القرآن جواباً عما أحدثه المختار و ادعی تنزیله الیه.

و واحد «النحل» نحلة، و المعنی ان اللّه تعالی ألهم النحل اتخاذ المنازل و الادکار، و البیوت فی الجبال، و فی الشجر و غیر ذلک «وَ مِمَّا یَعْرِشُونَ» یعنی

---

(1) سورة الشوری آیة 51

(2) سورة القصص آیة 7

(3) سورة الزلزال آية 5
(4) سورة مريم آية 11
(5) سورة الانعام آية 112
(6) مر هذا الرجز فى 2: 459، 3: 84، 4: 61
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 404
سقوف البيوت «ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا» معناه انه تعالى ألهمها ايضاً أن تأكل من الثمرات و سائر الأشجار التى تحويها، و الذلل جمع ذلول، و هى الطرق الموطأة للسلوك. و قيل: طرق لا يتوعّر عليها سلوكها عن مجاهد. و قال قتادة: معنى «ذللا» اى مطيعة، و يكون من صفة النحل.
و قال غيره: هو من صفات الطريق و معنى «ذللا» إنه قد ذللها لک و سهل عليک سلوكها و فى ذلک أعظم العبر و اظهر الدلالة على توحيده تعالى و أنه لا يقدر عليه سواه.
ثم قال «يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها» يعنى بطون النحل «شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ» من أصفر و أبيض و أحمر، مع أنها تأكل الحامض و المر فيحيله اللّه عسلًا حلواً لذيذاً «فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ» لما شفائها فيه، و اكثر المفسرين على ان (الهاء) راجعة إلى العسل، و هو الشراب الذى ذكره، و أن فيه شفاء من كثير من الأمراض، و فيه منافع جمة. و قال مجاهد (الهاء) راجعة إلى القرآن «فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ»، لما فيه من بيان الحلال، و الحرام، و الفتيا، و الأحكام، و الأول أوثق.
ثم اخبر تعالى ان فيما ذكره آيات واضحات، و دلالات بينات، لمن يتفكر فيه و يهتدى بهديه، و انما قال «من بطونها» و هو خارج من فيها، لان العسل يخلقه اللّه فى بطون النحل و يخرجه إلى فيه. ثم يخرجه من فيه، و لو قال: من فيها لظن أنها تلقيه من فيها، و ليس بخارج من البطن.

وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (70)
آية بلا خلاف.
هذه الآية فيها تعديد لنعم اللَّه تعالى على عباده، شيئاً بعد شىء، ليشكروه عليها، و بحسبها يقول اللَّه: إنى أنا الذى خلقتكم و أخرجتكم من العدم إلى الوجود التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 405
و أنعمت عليكم بضروب النعم، دينيّة و دنياوية، ثم الذى خلقكم يتوفاكم و يقبضكم أى يميتكم «وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ» و هو أراده و أوضعه، يقال منه:
رذل الشىء يرذل رذالة، و أرذلته انا ارذالًا يريد به حال الذم. و قيل
انه يصير كذلك فى خمس و سبعين سنة- فى قول على (ع).
و قوله «لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً» اخبار منه تعالى انه إنما يردّه إلى أرذل العمر، ليرجع إلى حال الطفولية بنسيان ما كان علم للكبر، فكأنه لا يعلم شيئاً، مما كان علم.
و فى ذلك أعظم دلالة و أبين اعتبار على قادر مصرف للخلق من حال إلى حال.
ثم أخبر «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» بمصالح عباده، قادر على ما يشاء من تدبيرهم و تغيير أحوالهم.

وَ اللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ فِى الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّى رِزْقِهِمْ عَلى ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَواءٌ أَ فَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (71)
آية بلا خلاف.
قرأ أبو بكر عن عاصم «تجحدون» بالتاء على معنى: قل لهم يا محمد أمن أجل ما أنعم اللّه عليكم، أشرتم و بطرتم و جحدتم. و قرأ الباقون بالياء.
وبخّهم اللّه تعالى على جحودهم نعمه، فيقول اللّه تعالى لخلقه، بأنه فضل بعضهم على بعض فى الرزق، لأنه خلق فيهم غنيّاً و فقيراً و قادراً و عاجزاً، و فضل بنى آدم على سائر الحيوان فى لذيذ المأكل، و المشرب، و جعل بعضهم مالكاً لبعض، و بعضهم رقّاً مملوكا.
و قوله «فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّى رِزْقِهِمْ عَلى ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- انهم لا يشركون عبيدهم فى أموالهم و أزواجهم حتى يكونوا فيه

سواء، لأنهم لا يرضون بذلك لأنفسهم، و هم يشركون عبيدى فى ملكى و سلطانى و يوجهون العبادة و القربات اليهم، مثل قربهم الى اللّه تعالى. ذكره ابن عباس و قتادة و مجاهد.
الثانى- انهم سواء فى أنى رزقت الجميع، و أنه لا يمكن احد أن يرزق عبيده إلا برزقى إياه، أ فبهذه النعم التى عددتها و ذكرتها «يجحدون» هؤلاء الكفار.

وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وَ حَفَدَةً وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (72)
آية بلا خلاف.
يقول اللّه تعالى: إنى أنا الذى جعلت لكم ازواجاً «من أنفسكم» يعنى من البشر، و الذين يلدونهم ليكون ذلک آنس لهم و أليق بقلبهم، و خلقت من هؤلاء الأزواج بنين تسرون بهم و تتزينون بهم و «حفدة» اى و خلق لكم حفدة.
و قيل فى معناه اقوال:
قال مجاهد و طاوس: هم الخدم، و قال ابن عباس: هم الخدم و الأعوان، و انشد قول جميل:
حفد الولائد حولها و استمسكت بأكفِّهنَّ أزّمة الأجمال «1»
و فى رواية اخرى عن ابن عباس: إنهم البنون و بنو البنين. و فى رواية اخرى أنهم بنو امرأة الرجل من غيره. و قال الحسن: من أعانک، فقد حفدک من

---

(1) تفسير الطبرى 14/ 88، 89 رواه مرتين مع اختلاف يسير، و مجمع البيان 3/ 383.
و لم أجده فى ديوان جميل بثينة، (دار بيروت) و هو فى اللسان (حفد) غير منسوب و روايته (حولهن و أسلمت) بدل (و حولها و استمسكت).

البنين و بنى البنات و الأعوان و الأهل. و قال ابن مسعود، و ابو الضحى، و ابراهيم و سعيد بن جبير: هم الأختان، و هم ازواج البنات.
و أصل الحفد الاسراع فى العمل، و منه يسعى و يحفد، و مر البعير يحفد حفداناً إذا مر يسرع فى سيره، و حفد يحفد حفداً و حفداناً، قال الراعى:
كلفت مجهولها نوقاً يمانية إذا الحداة على أكسائها حفدوا «1»
و الحفدة جمع حافد، مثل كامل و كملة. و قوله «وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ» اى جعل لكم أشياء تستطيبونها و أباحها لكم.
و انما دخلت (من) لأنه ليس كل ما يستطعمه الإنسان رزقاً له، و انما رزقه ما له التصرف فيه، و ليس لغيره منعه منه.
ثم قال «أفبالباطل» يعنى عبادة الأوثان و الأصنام، و ما حرم عليهم الشيطان من البحائر و السائبة و الوصيلة يصدقون، و بنعمة اللّه التى عددها لهم «يكفرون» اى يجحدون ما أحله اللّه، و ما حرم عليهم.

وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ شَيْئاً وَ لا يَسْتَطِيعُونَ (73) فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (74)

آيتان بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأنهم يجحدون نعم اللَّه، بأنهم يوجّهون عبادتهم من دون اللّه إلى «ما لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً» أى لا يقدر عليه، يعنى بها الأصنام التى لا تقدر لهم على نعمة، و لا على ما يستحق به العبادة، و لا على

---

(1) تفسير الطبرى 14/ 90 و مجمع البيان 3/ 373 و اللسان (كسأ) و روايته (الحداد) بدل (الحداة)، [.....]

رزق يرزقونهم من السموات و الأرض، و لا يستطيعون شيئاً مما ذكرنا. و يتركون عبادة من يقدر على جميع ذلک و يفعله بهم، و رزق السماء الغيث الذى يأتى من جهتها، و رزق الأرض النبات و الثمار التى تخرج منها و قوله «فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ» معناه لا تجعلوا للّه الأشباه و الأمثال فى العبادة فإنه لا شبه له و لا مثيل، و لا أحد يستحق معه العبادة، و ذلک فى اتخاذهم الأصنام آلهة، ذكره ابن عباس و قتادة.

و قوله «شيئا» نصب على أحد وجهين:

أحدهما- أن يكون بدلا من (رزقاً) و المعنى ما لا يملک لهم رزقاً قليلا، و لا كثيراً.

و الثانى- أن يكون منصوباً ب «رزقا» كما قال «أَوْ إِطْعامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيماً» «1» كأنه قال لا يملک لهم رزق شىء.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ» أى يعلم أنه لا تحق العبادة إلا له «وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» ذلک بل تجهلونه، و لكن يجب عليكم أن تنظروا لتعلموا صحة ما قلناه

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَ مَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَ جَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (75)

آية بلا خلاف.

قيل فى معنى هذه الآية قولان:

أحدهما- أنه مثل ضرب للكافر الذى لا خير عنده، و المؤمن الذى يكتسب الخير، للدعاء إلى حال المؤمن، و الصرف عن حال الكافر، و هو قول ابن عباس و قتادة.

---

(1) سورة البلد آية 14- 15

الثانى- قال مجاهد: إنه مثل ضربه لعبادتهم الأوثان التى لا تملك شيئاً، و العدول عن عبادة اللَّه الذى يملك كل شىء، و المعنى أن الإثنين المتساويين فى الخلق إذا كان أحدهما قادراً على الإنفاق مالكاً، و الآخر عاجزاً لا يقدر على الإنفاق لا يستويان، فكيف يسوّى بين الحجارة التى لا تتحرك، و لا تعقل، و بين اللَّه تعالى القادر على كل شىء، الرازق لجميع خلقه، فبين بذلک لهم أمر ضلالتهم و بعدهم عن الحق فى عبادة الأوثان. ثم قال «الحمد لله» أى الشكر له تعالى، على نعمه، لا يستحقه من لا نعمة له، «وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» ذلک.

و فى هذه الآية دلالة على أن المملوک لا يملک شيئاً، لأن قوله «مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ» ليس المراد به نفى القدرة، لأنه قادر على التصرف، و إنما المراد أنه لا يملک التصرف فى الأموال، و ذلک عام فى جميع ما يملک و يتصرف فيه.

وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ وَ هُوَ كَلٌّ عَلى مَوْلاهُ أَيْنَما يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (76)

آية بلا خلاف.

قيل فى معنى ضرب هذا المثل قولان:

أحدهما- انه مثل ضربه اللَّه فى من يؤملّ الخير من جهته، و فى من لا يؤملّ، فيؤمل الخير كله من اللَّه تعالى، لا من جهة الأوثان و العباد، فلا ينبغى أن يسوّى بينهما فى العبادة.

الثانى- انه مثل للكافر و المؤمن، و وجه التقابل فى ضرب المثل بهذين الرجلين أنه على تقدير: و من هو بخلاف صفته «يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» فى تدبير الأمور بالحق، و هذا زيادة فى ضرب المثل من اللَّه تعالى، فإنه يقول: ان الرجلين إذا كان أحدهما أبكم لا يقدر على شىء، و هو الذى لا يسمع التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 410

شيئاً و لا يبصر، و لا يعقل، و هو مع ذلك «كَلٌّ عَلى مَوْلاهُ» أى وليّه «أَيْنَما يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ، هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» مع كونه «عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» و المراد أنهما لا يستويان قط. و الأبكم الذى يولد أخرس لا يفهم و لا يفهم. و قيل: أنه ضرب المثل للوثن مع إنهما كهم على عبادته، و هو بهذه الصفة.

و قيل: الأبكم هو الذى لا يمكنه أن يتكلم. و الكَلّ الثقل: كلَّ عن الأمر يكل كلا إذا ثقل عليه، فلم ينبعث فيه، و كلت السكين كلولا إذا غلظت شفرتها، و كل لسانه إذا لم ينبعث فى القول لغلظه و ذهاب حده، فالأصل الغلظ الذى يمنع من النفوذ فى الأمر.

و قوله «وَ هُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى هو مع أمره بالعدل، على طريق من الحق فى دعائه إلى العدل فأمره به مستقيم لا يعوّج و لا يزول عنه.

وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (77) وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)

آيتان بلا خلاف.

أخبر اللّه تعالى أن له غيب السموات و الأرض و معناه أنه المختص بعلم ذلک، و هو ما غاب عن جميع العالمين، مما يصح أن يكون معلوماً، فإنه تعالى يختص بالعلم به و قال الجبائى: و يحتمل أن يكون المعنى، و للّه ملک ما غاب مما فى السموات و الأرض. ثم قال «وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ» أى مجيئها و هى يوم القيامة، فى السرعة و قرب المجىء «إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» من ذلک مبالغة فى ضرب المثل به فى السرعة، و أنه قادر عليه. و دخول «أو» فى قوله «أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» لأحد أمرين. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 411

أحدهما- الإبانة عن أنه، على إحدى منزلتين إما كلمح بالبصر أو اقرب من ذلک.

و الثانى- انه قال ذلک لشكّ المخاطب، و إنما قرب أمرها، لأنه بمنزلة «كن فيكون» فمن هاهنا صح انها كلمح البصر او اقرب، ثم ذكر نعمه التى أنعم بها على خلقه، فقال «هو» تعالى «وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ» و أنعم عليكم بذلک و أنتم فى تلک الحال «لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً» و لا تعرفونه، فتفضل عليكم بالحواس الصحيحة التى هى طريق العلم بالمدركات، و جعل لكم قلوباً تفقهون بها الأشياء، لأنها محل المعارف، لكى تشكروه على ذلک و تحمدوه على نعمه.

أَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ ما يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (79) وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَها يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقامَتِكُمْ وَ مِنْ أَصْوافِها وَ أَوْبارِها وَ أَشْعارِها أَثاثاً وَ مَتاعاً إِلى حِينٍ (80) وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبالِ أَكْناناً وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَ سَرابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (81)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ نافع و ابن كثير و ابو عمر «و يوم ظعنكم» بتحريک العين. الباقون بتسكينها و هما لغتان، مثل نهر و نهر، و سمع و سمع. و قرأ ابن عامر و حمزة و خلف و يعقوب «ألم تروا» بالتاء على الخطاب. الباقون بالياء على وجه التذكير لما تقدم ذكره، و التنبيه لهم. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 412

يقول اللَّه تعالى منبهاً لخلقه على وجه الاستدلال على وحدانيته «ألم يروا» يعنى هؤلاء الكفار الجاحدين لربوبيته «الى الطير» قد سخرها اللَّه «فِي جَوِّ السَّماءِ» وسط الهواء، حتى مكنها ان تتصرف فى جوّ السماء على حسب إرادتها، و يعلمون أن لها مسخّراً و مدبّراً، لا يشبه الأشياء، لان من المعلوم ان احداً من البشر لا يقدر على مثل ذلک، و لا يتأتى، منه ذلک، و أن من مكّن الطير من تلک الحال قد كان يجوز ان يمكنها منه ابتداء و اختراعاً، من غير اسباب ادّت الى أن صارت على تلک الأوصاف، لأنه قادر لا يعجزه شىء، و لا يتعذر عليه شىء، و أنه إنما خلق ذلک ليعتبروا به و ينظروا فيه، فيصلوا به الى الثواب الذى عرّضهم له، و لو كان فعل ذلک لمجرد الانعام به على العبد كان حسناً، لكن ضم الى ذلک التعريض للثواب على ما قلناه.

و انما قال «ما يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ» و هى تستمسک بالقدرة التى أعطاها اللَّه مبالغة فى الصفة بأن اللَّه يمكنّها بالهواء الذى تتصرف فيه، لأنه ظاهر انها بالهواء تستمسک عن السقوط، و أن الغرض من ذلک تسخير ما سخر لها.

ثم قال «ان فى» خلق «ذلک»، على ما وصفه، لدلالات لقوم يصدقون بتوحيد اللَّه، و يصدقون أنبياءه و خص المؤمنين بذلک لامرين:

أحدهما- من حيث هم المنتفعون بها دون غيرهم.

الثانى- لأنهم يدلّلون بها على مخالفى التوحيد، و هى دلالة من اللَّه للجميع، و الجو- بالفتح- ما بين السماء و الأرض، قال الانصارى:

ويل أمها فى هواء الجوّ طالبة و لا كهذا الذى فى الأرض مطلوب «1»

ثم عدد فى الآية الأخرى نعمه، فقال: «وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً» أى مواضع تسكنون فيها «وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَها» اى

يخف عليكم حملها «يوم ظعنكم» أى ارتحالكم من مكان

---

(1) مجاز القرآن 1/ 365 و خزانة الأدب 2/ 212 نسبة الى امرئ القيس بن حجر الكندى و هو موجود فى ديوانه 69 و روايته (لا كالتى) و الطبرى 14/ 93 نسبة الى ابراهيم بن عمران الانصارى.

الى مكان «وَ يَوْمَ إِقامَتِكُمْ» يعنى اليوم الذى تنزلون موضعاً تقيمون فيه، ثم قال «و جعل لكم من أصوافها» من أصواف الضأن و أوبار الإبل و اشعار المعز «أثاثا» يعنى متاع البيت الكثير، من قولهم شعر أثيث اى كثير، و أثَّ النبت يئث أثّاً إذ كثر و الْتفّ، و كذلک الشعر، و لا واحد للاثاث، كما لا واحد للمتاع، قال الشاعر:

اهاجتک الظعائن يوم بانوا بذى الرِّئْيِ الجميل من الأثاث «1»

و قوله «إلى حين» معناه. الى وقت يهلک فيه، ثم قال «وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالًا» يعنى من الشجر و غيره، ما تسكنون فيه من أذى الحر و البرد «وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ» يعنى قمصاً من القطن و الكنان- فى قول قتادة- واحدها سربال، و يقال للدروع سرابيل، و هى التى تقى البأس، و قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال.

و قوله «تقيكم الحر» اى تمنعكم من الحرّ، و خص الحر بذلک مع ان وقايتها للبرد اكثر لامرين:

أحدهما- إن الذين خوطبوا بذلک أهل حرّ فى بلادهم فحاجتهم الى ما يقى الحر أشدّ فى قول عطاء.

الثانى- انه ترک ذلک لأنه معلوم، كما قال الشاعر:

و ما ادرى إذا يممت وجهاً أريد الخير أيهما يلينى «2»

فكنى عن الشر، و لم يذكره، لأنه مدلول عليه ذكره الفراء.

و قوله «كَذلِکَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ» اى كما أنعم عليكم بهذه النعم ينعم عليكم بجميع ما تحتاجون اليه، و هو إتمام نعمه فى الدنيا، و بين انه فعل ذلک لتسلموا

---

(1) قائله محمد بن نمير الثقفى. تفسير القرطى 10/ 153 و مجاز القرآن 1/ 365 و الكامل للمبرد 376 و اللسان و التاج (رأى) و روايته (اشاقتک).

(2) قائلة المثقب العبدى. اللسان (أمم) و تفسير القرطبى 10/ 160 و قد مر فى 2/ 113، 5/ 529 من هذا الكتاب.

و تؤمنوا. و قرأ ابن عامر بفتح التاء، و المعنى لتسلموا بتلک الدروع من الجراحات.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْکَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (82) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها وَ أَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ (83)
آيتان بلا خلاف.
يقول اللَّه تعالى لنبيه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم على وجه التسلية له عما كان يلحقه عند تولى الكفار عن الحق الذى يلزمهم، و اعراضهم عن القبول منه «فأن تولى» هؤلاء الكفار، و أعرضوا عنک فانه لا يلزمک تقصير من اجل ذلک، لان الذى يلزمک «البلاغ المبين» يعنى الظاهر الذى يتمكنون معه من معرفته، و قد فعلته، و قد حذف جميع ذلک لدلالة الكلام عليه، ثم اخبر عنهم بأن قال هؤلاء الكفار «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ» عليهم، مما يجدون من خلق نفوسهم، و أقدارهم، و إكمال عقولهم و ما خلق اللَّه من انواع المنافع، التى ينتفعون بها، ثم انهم مع ذلک ينكرون تلک النعم ان تكون من جهة اللَّه و منسوبة اليه، و ينسبونها الى الأصنام ثم قال: «وَ أَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ» و انما قال أكثرهم مع ان جميعهم كفار لامرين:
أحدهما- لأن فيهم من لقّنوه الكفر، ممن لم يبلغ حدّ التكليف لصغره، و لم تقم الحجة عليه، أو هو من ناقص العقل مأووف «1» فلا يحكم عليهم بالكفر.
الثانى- إن منهم من ينكر النعمة، فى حال لم يقم عليه حجة للشواغل فى قلبه التى تلهيه عن تأمل أمره، و الفكر فى حاله، فيكون فى حال حكم الساهى و الصبى، و إن كان مكلفاً بغير ذلک من الأمور، فلا يكون كافراً بالإنكار فى

---

(1) معنى مأووف فيه آفة اى مرض فى عقله.

تلک الحال. و قال الجبائى: هو و إن كان لفظاً خاصاً، فهو عام فى المعنى. و قال الحسن: المعنى ان جميعهم الكافرون، و انما عزل البعض احتقاراً له أن يذكره.
و فى الآية الثانية- دلالة على فساد مذهب المجبرة: من أنه ليس للَّه على الكافر نعمة، و قولهم: إن جميع ما فعله بهم نقمة و خذلان، حتى ارتكبوا المعصية، لان اللَّه تعالى قد بين خلاف ذلک نصاً فى هذه الآية.

وَ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (84) وَ إِذا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ (85)
آيتان بلا خلاف.
يقول اللّه تعالى إن اليوم الذى يبعث فيه «مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً» يشهد عليهم بكفرهم و ضلالهم و جميع معاصيهم هو يوم القيامة، و الشهيد فى كل أمة رسوله، و يجوز أن يكون قوم من المؤمنين المرضيين عند اللّه، و انما يقيم الشهادة عليهم مع أنه عالم بأحوالهم من حيث ان ذلک اهول فى النفس و أعظم فى تصور الحال، و أشد فى الفضيحة إذا قامت به الشهادة بحضرة الملأ التى يكون من اللّه التصديق لها مع جلالة الشهود عند اللّه بالحق.
و قوله «ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا، وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- انه لا يؤذن لهم فى الاعتذار، على أن الآخرة مواطن: فيها ما يمنعون و فيها ما لا يمنعون.
الثانى- انهم لم يؤذن لهم فى الاعتذار بما ينتفعون، و لا يعرضون للعتبى الذى هو الرضا. و قال الجبانى: المعنى ان اللّه يخلق فيهم العلم الضرورى بأنهم ان التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 416
اعتذروا لم تقبل معذرتهم، و إن استعتبوا لم يعتبوا و لم يرد أنهم لا يؤمرون بالاعتذار، و لا يمكّنون منه، لأن الأمر و التكليف قد زالا عنهم.
ثم اخبر تعالى أن الظالمين إذا رأوا العذاب يوم القيامة و شاهدوه، فلا يخفف عنهم ذلک العذاب إذا حصلوا فيه «وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ» اى لا يؤخرون الى وقت آخر، بل عذابهم دائم فى جميع الأوقات، و وقت التوبة و الندم قد فات

وَ إِذا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكاءَهُمْ قالُوا رَبَّنا هؤُلاءِ شُرَكاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِکَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكاذِبُونَ (86) وَ أَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (87) الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ بِما كانُوا يُفْسِدُونَ (88)

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى مخبراً عن حال المشركين و الكفار فى الآخرة و أنهم إذا رأوا شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون اللّه. و قيل انما سموا «شركاءهم» لأمرين:

أحدهما- لأنهم جعلوا لهم نصيباً فى أموالهم.

الثانى- لأنهم جعلوهم شركاء فى العبادة.

و معنى قوله «هؤُلاءِ شُرَكاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِکَ» اعتراف منهم على أنفسهم بأنهم كانوا يشركون مع اللّه غيره فى العبادة.

و قوله «فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكاذِبُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ألقى المعبودون القول «انكم لكاذبون» فى أنا نستحق العبادة.

و الثانى- «انكم لكاذبون» فى قولكم إنا دعوناكم الى العبادة.

و قيل: انكم لكاذبون بقولكم إنا آلهة.

و إلقاء المعنى الى النفس إظهاره لها، حتى تدركه متميزاً من غيره، فهؤلاء ألقوا القول حتى فهموا عنهم انهم كاذبون.

و قوله «وَ أَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ» معناه استسلموا بالذل لحكم اللّه- فى قول قتادة- «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ» اى يضل ما كانوا يأملونه و يقدرون من ان آلهتهم تشفع لهم. ثم أخبر تعالى ان الذين يكفرون باللّه و يجحدون وحدانيته، و يكذبون رسله، و يصدون غيرهم عن اتباع الحق الذى هو سبيل اللّه «زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ». قال ابن مسعود: أفاعى و عقارب النار لها أنياب كالنخل الطوال جزاءً «بِما كانُوا يُفْسِدُونَ» فى الأرض.

وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِی کُلِّ أُمَّةٍ شَهِیداً عَلَیْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنا بِکَ شَهِیداً عَلی هؤُلاءِ وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَةً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِینَ (89)

آیة بلا خلاف.

یقول اللّه تعالی إن الیوم الذی «نَبْعَثُ فِی کُلِّ أُمَّةٍ شَهِیداً» ای من یشهد «عَلَیْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» ای من أمثالهم من البشر. و یجوز ان یکون ذلک نبیّهم الذی بعث الیهم، و یجوز ان یکونوا مؤمنین عارفین باللّه و نبیه، و یشهدون علیهم بما فعلوه من المعاصی.

و فی ذلک دلالة علی ان کل عصر لا یخلو ممن یکون قوله حجة علی اهل عصره، عدل عند اللّه، و هو قول الجبائی، و أکثر أهل العدل، و هو قولنا و إن خالفناهم فی من هو ذلک العدل و الحجة. التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 418

«و جئنا بک» یا محمد «شهیدا» علی هؤلاء یعنی کفار قریش و غیرهم، من الذین کفروا بنبوته. ثم قال «وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ» یعنی القرآن «تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ» ای بیاناً لکل أمر مشکل. و التبیان و البیان واحد. و معنی العموم فی قوله «لکل شیء» المراد به من أمور الدین: إمّا بالنص علیه او الاحالة علی ما یوجب العلم من بیان النبی صلّی اللّه علیه و سلم و الحجج القائمین مقامه، او اجماع الأمة او الاستدلال، لان هذه الوجوه أصول الدین و طریق موصلة الی معرفته.

و فی الآیة دلالة علی بطلان قول من قال: الکلام لا یدل علی شیء، لان کلام الحکیم یدل من وجهین:

أحدهما- أنه دلیل علی نفس المعنی الذی یحتاج الیه.

و الآخر- أنه دلیل علی صحة المعنی الذی یحتاج الی البرهان علیه. و لو لم یکن کذلک لخرج عن الحکمة و جری مجری اللغو الذی لا فائدة فیه.

و قوله «وَ هُدیً وَ رَحْمَةً وَ بُشْری» یعنی القرآن دلالة و رحمة و بشارة للمسلمین بالجنة.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90) وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَ لا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ (91)

آيتان يقول اللَّه تعالى مخبراً عن نفسه «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» يعنى الانصاف بين الخلق، و فعل ما يجب على المكلف و «الإحسان» الى الغير، و معناه يأمركم بالإحسان، فالأمر بالأول على وجه الإيجاب، و بالإحسان على وجه الندب. و فى التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 419

ذلک دلالة على ان الامر يكون أمراً بالندوب اليه دون الواجب، «وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى» اى و أمرک بإعطاء ذى القربى، و يحتمل أمرين:

أحدهما- صلة الأرحام، فيكون ذلک عاماً فى جميع الخلق.

و الثانى- إن يكون أمراً بصلة قرابة النبى صلّى اللَّه عليه و سلم و هم الذين أرادهم اللَّه بقوله «فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبى» «1» على ما بيناه فيما قبل و قوله «وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ» انما جمع بين الأوصاف الثلاثة فى النهى عنها مع ان الكل منكر فاحش، ليبين بذلک تفصيل ما نهى عنه، لان الفحشاء قد يكون ما يفعله الإنسان فى نفسه مما لا يظهر أمره و يعظم قبحه.

و المنكر ما يظهر للناس مما يجب عليهم إنكاره، و البغى ما يتطاول به من الظلم لغيره، و لا يكون البغى إلا من الفاعل لغيره، و الظلم قد يكون ظلم الفاعل لنفسه.

و روى عن أبى عيينة، أنه قال: العدل هو استواء السريرة و العلانية، و الإحسان ان تكون سريرته أحسن من علانيته، و الفحشاء و المنكر ان يكون علانيته أحسن من سريرته.

ثم بين تعالى أنه يعظ بما ذكره خلقه، لكى يذكروا و يتفكروا، و يرجعوا الى الحق.

ثم أمر تعالى خلقه بأن يفوا بعهده إذا عاهدوا عليه، و العهد الذى يجب الوفاء به: هو كل فعل حسن إذا عقد عليه، و عاهد اللَّه ليفعلنه بالعزم عليه، فانه يصير واجباً عليه، و لا يجوز له خلافه، ثم يكون عظم النقض بحسب الضرر به، فأما إذا رأى غيره خيراً منه فليأت الذى هو خير و ليكفّر، عند الفقهاء.

و قال أصحابنا: إذا وجد خيراً منه فعل الخير، و لا كفارة عليه، و هذا يجوز فيما كان ينبغى ان يشرط، فأما إذا أطلقه و هو لا يأمن ان يكون غيره خير منه فقد أساء بإطلاق العقد عليه.

(1) سورة الانفال آية 41 و قد بين معناها فى 5: 143
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 420
ثم قال «وَ لا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها» نهى منه تعالى عن حنث الأيمان بعد عقدها و تأكيدها، يقال أكدته تأكيداً و وكدته توكيداً، و الأصل الواو.
و انما أبدلت الهمزة منها كما قالوا: وقيت فى أوقيت.
و فى الآية دلالة على ان اليمين على المعصية غير منعقدة، لأنها لو كانت منعقدة لما جاز نقضها، و أجمعوا على أنه يجب نقضها، و لا يجوز الوفاء بها، فعلم بذلک ان اليمين على المعصية غير منعقدة.
و النقض فى المعانى يمكن فى ما لا يجوز ان يصح مع خلافه، بل إن كان حقّاً فخلافه باطل، و إن كان باطلًا فخلافه حق، نحو إرادة الشىء و كراهته، و الأمر بالشىء و النهى عنه و التوبة من الشىء و العود فيه و ما أشبه ذلک.
و قوله «وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا» اى حسيباً فيما عاهدتموه عليه «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ» من نقض العهد و الوفاء به، و ذلک تهديد و وعيد بأن يجازى على ما يكون منكم على الطاعة بالثواب و على المعصية بالعقاب.
و قيل: إن الآية نزلت فى الذين بايعوا النبى صلّى اللَّه عليه و سلم على الإسلام. و قال بعضهم نزلت فى الحلف الذى كان عليه أهل الشرک، فأمروا فى الإسلام بالوفاء به ذكره ابن زيد.

وَ لا تَكُونُوا كَالَّتِی نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِیَ أَرْبی مِنْ أُمَّةٍ إِنَّما يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَ لَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ ما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (92) وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِی مَنْ يَشاءُ وَ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (93)

آيتان بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 421

هذا نهى من اللّه تعالى للمكلفين ان يكونوا «كَالَّتِی نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً» فواحد الانكاث نكث، و كل شىء نقض بعد الفتل فهو أنكاث: حبلًا كان او غزلًا، يقال منه: نكث فلان الحبل ينكثه نكثاً، و الحبل منتكث إذا انتقضت قواه. و (الدخل) ما أدخل فى الشىء على فساد، و المعنى تدخلون الايمان على فساد للغرور، و فى نيتكم الغدر بمن حلفتم له، لأنكم أكثر عدداً منهم أو، لان غيركم اكثر عدداً منكم و قيل الدخل الدغل و الخديعة، و إنما قيل الدخل، لأنه داخل القلب على ترک الوفاء و الظاهر على الوفاء. و قيل (دخلًا) غلّا و غشّاً، و يقال: انا اعلم دخل فلان و دخله و دخلته و دخيلته، و المعنى لا تنقضوا الايمان لكثرتكم، و قلة من حلفتم له او لقلتكم و كثرتهم، فإذا وجدتم اكثر منهم نقضتم بل احفظوا عهدكم. و «دخلًا» منصوب بأنه مفعول له.

و قوله «أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِیَ أَرْبی مِنْ أُمَّةٍ» اى اكثر عدداً لطلب العز بهم مع الغدر بالأقل، و هو (أفعل) من الربا، قال الشاعر:

و اسمر خطىّ كأن كعوبه نوى العسيب قد اربا ذراعاً على عشر «1»

و منه أربا فلان للزيادة التى يزيدها على غريمه فى رأس ماله (و اربى) فى موضع رفع. و أجاز الفراء ان تكون فى موضع نصب، و تكون هى عماداً.

و قال الزجاج: لا يجوز ذلک، لان العماد لا يكون بين نكرتين، لأن «امَّة» نكرة، و يفارق قوله «تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً» «2» لأن الهاء فى تجدوه معرفة.

و قوله «إِنَّما يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ» معناه إنما يختبركم اللّه بالأمر بالوفاء، فالهاء فى (به) عائدة على الأمر، و تحقيقه يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزاء بالعمل «وَ لَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ» أى و يفصل لكم و يظهر لكم «ما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» فى صحته يوم القيامة.

و التى نقضت غزلها من بعد إبرام قيل: إنها ريطة بنت عمرو بن كعب ابن سعيد بن تميم بن مرة، و كانت حمقاء، فضربه اللّه مثلًا، فقال

---

(1) تفسير الطبرى 14: 102 و مجمع البيان 3: 381

(2) سورة المزمل آية 20.

«أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَ لا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها» فتكونوا إن فعلتم ذلک کامرأة غزلت غزلا، و قوت فوته و أبرمت، فلما استحکم نقضته، فجعلته أنکاثاً أی انقاضاً، و هو ما ینقض من اخلاق بیوت الشعر و الوبر لیعزل ثانیة، و یعاد مع الجدید، و منه قیل: لم بایع طائعاً ثم خرج علیک ناکثاً؟ لأنه نقض ما وکّده علی نفسه بالایمان و العهود کفعل الناکثة غزلها.
و معنی «أن تکون» لأن تکّون «أمة» أعزّ من أمّة، و قوم أعلی من قوم، یرید لا تقطعوا بأیمانکم حقوقاً لهؤلاء، فتجعلوها لهؤلاء. و قال مجاهد: کانوا یحالفون الحلفاء، فإذا وجدوا أکثر منهم نقضوا حلف هؤلاء، و حالفوا أولئک الذین هم أعزّ، فنهاهم اللّه عن ذلک.
و قوله «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَکُمْ أُمَّةً واحِدَةً» اخبار منه تعالی عن أن العباد إذا خالفوا أمره لم یعاجزوه، و لم یغالبوه تعالی عن ذلک، لأنه لو یشاء لأکرههم علی أن یکونوا أمة واحدة، لکنه یشاء أن یجتمعوا علی الایمان، علی وجه یستحقون به الثواب. و مثله قوله «وَ لَوْ یَشاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَ لکِنْ لِیَبْلُوَا بَعْضَکُمْ بِبَعْضٍ» «1» کذلک قال سبحانه- هاهنا- و لکن لیمتحنکم و یختبرکم لتستحقوا النعیم الذی أراده لکم، فیضل قوم، و یستحقوا الإضلال عن طریق الجنة، و الحکم علیهم بأنهم ضالون. و یهتدی آخرون، فیستحقوا الهدی یعنی الحکم لهم بالهدایة، و إرشادهم إلی طریق الجنة. ثم قال «و لتسألن» یا معشر المکلفین «عَمَّا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فی الدنیا من الطاعات و المعاصی، فتجازون علیه بقدره.

وَ لا تَتَّخِذُوا أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها وَ تَذُوقُوا السُّوءَ بِما صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَكُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (94) وَ لا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّما عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (95) ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ ما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (96)

---

(1) سورة 47 محمد آية 4

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير، و عاصم «و لنجزين الذين صبروا» بالنون. الباقون بالياء.

من قرأ بالنون فحجته إجماعهم على قوله «وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» أنه بالنون. و من قرأ بالياء، فلقوله «وَ ما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ» و ليجزين اللّه الذين صبروا.

نهي اللّه عباده المكلفين ان يتخذوا ايمانهم دخلًا بينهم، و قد فسرنا معنى دخلًا، و بيّن تعالى انه متى خالفوا ذلک زلت أقدامهم بعد ثبوتها، و هو مثل ضربه اللّه، و المعنى أنهم يضلّ بعد ان كان على الهدى. و قال قوم: الآية نزلت فى الذين بايعوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم على الإسلام و النصرة، نهوا عن نقض عهده، و ترک نصرته.

و قوله: «وَ تَذُوقُوا السُّوءَ» يعنى العذاب، جزاء على معاصيكم و ما صددتم عن اتباع سبيل اللّه، و لكم مع ذلک عذاب عظيم تعذبون به. ثم نهاهم، فقال:

«وَ لا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا» أى لا تخالفوا عهد اللّه بسبب شىء يسير تنالونه من حطام الدنيا، فيكون قد بعتم ما عند اللّه بالشىء الحقير، و بيّن ان الذى عند اللّه هو خير، و أشرف لكم إن كنتم تعلمون حقيقة ذلک و تحققونه، ثم قال: إن الذى عند اللّه لا ينفد، هو باق، و الذى عندكم من نعيم الدنيا ينفد و يفنى، ثم أخبر بأنه يجزي الصابرين على بلائه و جهاد أعدائه أجرهم و ثوابهم «بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» و إنما قال بأحسن ما كانوا، لأن احسن أعمالهم هو الطاعة للّه تعالى، و ما عداه من الحسن مباح ليس بطاعة، و لا يستحق عليه أجر التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 424

و لا حمد، و ذلک يدل على فساد قول من قال: لا يكون حسن احسن من حسن.

مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (97) فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (100)

أربع آيات.

هذا وعد من اللَّه تعالى بأن من عمل صالحاً من الطاعات سواء كان فاعله ذكراً او أنثى، و هو مع ذلک مؤمن بتوحيد اللَّه، مقرّ بصدق أنبيائه، فأن اللَّه يحييه حياة طيبة. و قال ابن عباس: الحياة الطيبة هو الرزق الحلال. و قال الحسن:

هى القناعة. و قال قتادة: حياة طيبة فى الجنة. و قال قوم: الأولى ان يكون المراد بها القناعة فى الدنيا، لأنه عقيب ما توعد غيرهم به من العقوبة فيها مع ان اكثر المؤمنين ليسوا بمتسعى الرزق فى الدنيا.

ثم أخبر انه يجزيهم زيادة على الحياة الطيبة «أجرهم» و ثوابهم «بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» و قد فسرّناه، و إنما قال: «و لنجزينهم» بلفظ الجمع، لان (مَنْ) يقع على الواحد و الجميع، فردّ الكناية على المعنى، ثم خاطب نبيه، فقال: يا محمد «فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ» و المراد به جميع المكلفين «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» و المعنى إذا أردت قراءة القرآن «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» كما قال: «إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا» «1» و المعنى إذا أردتم القيام

---

(1) سورة المائدة آية 6

اليها، لأن بعد القراءة لا يجب الاستعاذة إلا عند من لا يعتد بخلافه. و قال قوم:

هو على التقديم و التأخير، و هذا لا يجوز لأنه ضعيف، لأنه لا يجوز التقديم، و التأخير فى كل شىء، و لذلک حدود فى العربية لا تتجاوز. و إنما يجوز ذلک مع ارتفاع اللبس و الشبهة. و الاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة- بلا خلاف- «مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ» أى استعذ باللَّه من المبعّد من رحمة اللَّه المرجوم، من سخطه.

ثم أخبر أنه «ليس» للشيطان سلطان و لا حجة «عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا» باللَّه وحده و لم يشركوا به سواه. و فوضوا أمرهم اليه و توكلوا عليه. و إنما سلطانه و قدرته على الذين يتولونه و يقبلون منه، و على الذين يشركون فى عبادة اللَّه سواه.

و قال الجبائى: فى الآية دلالة على ان الصرع ليس من قبل الشيطان، قال: لأنه لو امكنه أن يصرعه، لكان له عليهم سلطان. و أجازه أبو الهذيل و ابن الأخشاد، و قالا: إنه يجرى مجرى قوله «كَما يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ» «1» و لأن اللّه تعالى قال: «إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ» و إنما أراد سلطان الإغواء و الإضلال عن الحق.
و معنى قوله «وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ» فيه قولان:
أحدهما- قال الربيع: من أن الذين يطيعونه فيما يدعو اليه من عبادة غير اللّه مشركون، فلما كان من أطاعه فيما يدعو اليه من عبادة غير الله مشركا، كان به مشركاً، و هو من الإيجاز الحسن.
و الثانى- قال الضحاک: الذين هم بالله مشركون.

وَ إِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (101) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ (102)

---

(1) سورة البقرة آية 275

آيتان بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى: مخبراً عن احوال الكفَّار بأنّا متى «بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ» بأن رفعنا آية و نسخناها، و أتينا بأخرى بدلها، نعلم فى ذلک من مصلحة الخلق، و قد يكون تبديلها برفع حكمها مع ثبوت تلاوتها [و قد يكون برفع تلاوتها دون حكمها] «1» و قد يكون برفعهما. و التبديل- فى اللغة- رفع الشيء مع وضع غيره مكانه، تقول: بدله تبديلًا و أبدله إبدالًا، و استبدل به استبدالًا. ثم قال: «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ» مما فيه صلاح الخلق من غيره. و قوله: «قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ» معناه يقول هؤلاء الذين جحدوا نبوتک و كفروا بآيات اللَّه: إنما أنت يا محمد مفتر كذاب فى ادعائک الرسالة من اللَّه. ثم أخبر عنهم، فقال: «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ» انک نبى، لتركهم النظر فى معجزاتک، و لشبه داخلة عليهم، و ان علمه بعضهم و كابر، و جحد ما يعلمه. ثم أمره بأن يقول لهم «نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ» يعنى القرآن نزله جبريل (ع) «لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا» و تثبيته لهم هو استدعاؤه لهم به و بالطافه و معونته الى الثبات على الإسلام و على تصديق محمد صلّى اللَّه عليه و سلم. ثم بيَّن أن القرآن هدى و دلالة و بشارة للمسلمين.

وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِی يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِیٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِیٌّ مُبِينٌ (103)
آية بلا خلاف.

---

(1) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

قرأ حمزة و الكسائى «يلحدون» بفتح الياء و الحاء. و الباقون بضم الياء و كسر الحاء، و هما لغتان، يقال: ألحد يلحد إلحاداً، فهو ملحد، و لحد يلحد فهو ملحود، و قيل لِحد فى القبر و ألحد فى الدين، و الإلحاد الميل عن الصواب و يقال للذى يميل عن الحق ملحد، و مند اللحد فى جانب القبر.
و يقول اللّه تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم إنا «نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ» يعنى الرسول «بشر» مثله. و قال ابن عباس الذى مالوا اليه بأنه يعلم محمداً صلّى اللّه عليه و سلم و كان اعجمياً هو (بلعام) و كان قيناً بمكة روميّاً نصرانياً. و قال الضحاک: أرادوا به (سلمان الفارسى). و قال قوم: أرادوا به إنساناً يقال له: عايش او يعيش، كان مولى لحويطب بن عبد العزى، أسلم و حسن إسلامه، فقال اللّه تعالى ردا عليهم «لِسانُ الَّذِی» يميلون اليه أعجمى «و هذا» القرآن «لِسانٌ عَرَبِیٌّ مُبِينٌ» كما تقول العرب للقصيدة هذا لسان فلان، قال الشاعر:
لسان السوء تهديها إلينا و جنت و ما حسبتک ان تحينا «1»
و الاعجمى الذى لا يفصح، و العجمى منسوب الى العجم، و الاعرابى البدوى و العربى منسوب إلى العرب «و مبين» معناه ظاهر بيِّن لا يشكل.

إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (104) إِنَّما يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْكاذِبُونَ (105)
آيتان بلا خلاف.
يقول اللَّه تعالى «إن الذين» لا يصدقون «بآيات الله» التى أظهرها، و المعجزات التى يصدق بها قولك يا محمد «لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ» إلى طريق الجنة «و لهم»

---

(1) تفسير الشوكانى 3: 188 و مجمع البيان 3: 385 و تفسير الطبرى 14: 111

مع ذلك «عذاب أليم» فى النار. و يحتمل ان يكون المراد: لا يحكم اللَّه تعالى بهدايتهم، لأنهم كفار.
ثم اخبر إن الذى يتخرص الكذب، و يفترى على اللَّه، هو الذى لا يؤمن بآيات اللَّه، و يجحدها، و هم الكاذبون، و انما خص الذين لا يؤمنون باللَّه بالافتراء لأنه لا يردعهم عن الكذب ايمان بالجزاء، «وَ أُولئِكَ هُمُ الْكاذِبُونَ» على رسوله فيما ادعوا عليه. و قيل: المعنى فى ذلك تعظيم كذبهم، كما يقول القائل: هؤلاء هم الرجال.

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (106)
آية بلا خلاف.
نزلت هذه الآية فى عمار بن ياسر (رحمه اللَّه) أكرهه المشركون بمكة بأنواع العذاب، و قيل: إنهم غطوه فى بئر ماء على ان يلفظ بالكفر، و كان قلبه مطمئنا بالايمان، فجاز من ذلک، و
جاء الى النبى صلّى اللَّه عليه و سلم جزعاً فقال له النبى صلّى اللَّه عليه و سلم كيف كان قلبک؟ قال كان مطمئناً بالإيمان، فأنزل اللّه فيه الآية.
و اخبر ان الذين يكفرون باللّه بعد ان كانوا مصدقين به بأن يرتدوا عن الإسلام «فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ» ثم استثنى من ذلک من كفر بلسانه، و كان مطمئن القلب بالايمان فى باطنه، فانه بخلافه. و «من كفر» رفع بما دل عليه خبر الثانى الذى هو قوله «وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً» كأنه قيل فعليه غضب من الله، كما تقول من يأتنا فمن يحسن نكرمه، فجواب الاول محذوف كفى فيه الثانى، و قال الزجاج «من كفر» رفع بأنه بدل من قوله «أُولئِکَ هُمُ الْكافِرُونَ» و قال ابو على: هذه معاريض يحسن من الله مثلها، و لا يحسن من الخلق إلا عند التقية، قال: إلا ان على أهل العقول أن يعلموا ان الله لم يفعل ذلک الّا على ما يصح و يجوز، و ليس التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 429
ذلک للإنسان الا فى حال التقية، لأنه لا دليل يؤمّن من الخطأ عليه، فعلى هذا يلزمه فى النبى ان يحسن منه من غير تقية، لكونه معصوماً لا يكذب فى اخباره و لا خلاف بين أهل العدل أنه لا يجوز اظهار كلمة الكفر إلا مع التعريض بأن ينوى بقلبه ما يخرجه عن كونه كاذباً، فأمّا على وجه الاخبار، فلا يجوز أصلا لأنه قادر على التعريض الذى يخرج به عن كونه كاذباً.

ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ وَ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (107) أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ سَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ وَ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ (108) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخاسِرُونَ (109)
ثلاث آيات بلا خلاف.
قوله «ذلک» اشارة إلى ما تقدم ذكره من العذاب العظيم. أخبر الله تعالى ان ذلک العذاب العظيم إنما أعدّه لهم، لأنهم آثروا الحياة الدنيا، و التلذذ فيها، و الركون اليها على الآخرة، و المعنى انهم فعلوا ما فعلوه للدنيا طلباً لها دون طلب الآخرة. و العمل يجب أن يكون طلباً للاخرة، أو للدنيا و الآخرة. فأما أن يكون لمجرد الدنيا دون الآخرة فلا يجوز، لأنه إذا طلب الدنيا ترک الواجب من الطاعات لا محالة، و كذلک لا ينبغى أن يختار المباح على النافلة لان النافلة طاعة للّه. و المباح ليس بطاعة له. ثم أخبر تعالى «وَ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ» و معناه أحد شيئين:
أحدهما- إنه لا يهديهم الى طريق الجنة و الثواب، لكفرهم.
الثانى- إنه لا يحكم بهدايتهم لكونهم كفاراً. و أما نصب الدلالة، فقد هدى اللّه جميع المكلفين، كما قال «وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى» «1» و قيل: إنهم لم يهتدوا بتلک الادلة، فكأنها لم تكن نصبت لهم، و نصبت

---

(1) سورة حم السجدة (فصلت) آية 17 [.....]

للمؤمنين الذين اهتدوا بها، فلذلک نفاها عنهم فكأنها لم تكن لهم، و يجوز ان يكون المراد انه لا يهديهم بهدى المؤمنين من فعل الألطاف و المدح بالاهتداء، لكونهم كفاراً. ثم اخبر ان أولئک الكفار هم «الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ سَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ وَ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ» و بينا معنى الطبع على القلوب و السمع و الأبصار فى سورة البقرة «1» و ان ذلک سمة من اللّه جعلها للملائكة ليفرقوا بين الكافر و المؤمن، جزاء و عقوبة على كفرهم، و ان ذلک غير محيل بينهم و بين اختيار الايمان لو أرادوه، و انما وصفهم بعوم الغفلة مع الخواطر التى تزعجهم لأمرين:
أحدهما- انهم بمنزلة الغافلين ذمّاً لهم.
الثانى- لجهلهم عما يؤدى اليه حالهم، و ان كانت الخواطر الى النظر تزعجهم.
و قوله «لا جرم انهم» معناه حقَّ لهم «أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخاسِرُونَ» الذين خسروا صفقتهم لفوات الثواب و حصول العقاب و موضع (انهم)

يحتمل أمرين من الاعراب:
أحدهما- النصب على معنى: لا بد انهم اى لا بد من ذا، و يجوز على جرم فعلهم أن لهم النار اى قطع بذا و تكون (لا) صلة.
و الثانى- الرفع و المعنى وجب قطعاً أن لهم النار و (لا) صلة أو ردٌّ لكلام من قال: ما ذا لهم؟ فقيل وجب لهم النار.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّکَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (110) يَوْمَ تَأْتِی كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها وَ تُوَفَّی كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (111)

---

(1) فی 1: 63- 67. و فی 1: 90 من هذا الكتاب.

آيتان بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحده «فَتنوا» جعل الفعل لهم. الباقون «فُتنوا» على ما لم يسم فاعله، يقال: فتنت زيداً، و هی اللغة الجيدة، و حكی افتتنت. و حجة من قرأ على ما لم يسم فاعله أن الآية نزلت فی المستضعفين المفتنين بمكة: عمار و بلال، و صهيب، فإنهم حملوا على الارتداد عن دينهم، فمنهم من اعطى ذلک تقية منهم: عمار، فانه اظهر ذلک تقية، ثم هاجر. و معنى قراءة بن عامر:

انه فتن نفسه، و المعنى من بعد ما فتن بعضهم نفسه بإظهار ما أظهره بالتقية قال الرمانی: فی الآية دلالة على انهم فتنوا فی دينهم بمعصية كانت منهم، لقوله «إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» لأن المغفرة الصفح عن الخطيئة، و لو كانوا أعطوا التقية على حقها لم تكن هناک خطيئة. و هذا الذی ذكره ليس بصحيح، و لا فی الكلام دلالة عليه، و ذلک ان اللّه تعالى إنما قال «إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها» يعنی بعد الفتنة التی فتنوا بها «لغفور رحيم» أی ساتر عليهم، لان ظاهر ما اظهروه يحتمل القبيح و الحسن، فلما كشف اللّه عن باطن أمورهم، و اخبر انهم كانوا مطمئنين بالايمان كان فی ذلک ستر عليهم، و ازالة الظاهر المحتمل إلى الآمر الجلى، و ذلک من نعم اللّه عليهم.

يقول اللّه تعالى: إن هؤلاء الذين هاجروا بعد ما فتنوا عن دينهم، و جاهدوا فی سبيله و صبروا على الأذى فی جنب اللّه، فان اللّه اقسم انه ضمن لهم أن يفعل بهم الثواب، و ساتر عليهم، و رحيم بهم منعم عليهم.

و قوله «يَوْمَ تَأْتِی كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها» (يوم) منصوب بأحد شيئين:

أحدهما- على معنى إن ربک من بعدها لغفور رحيم (يوم).

الثانی- على معنى و اذكر يوم، لان القرآن عظة و تذكير، و معنى تجادل عن نفسها تخاصم كلّ نفس عن نفسها، و تحتج بما ليس فيه حجة عند الحساب،

كما قال تعالى حكاية عنهم: «وَ اللّٰهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» «1» و قال الأتباع «رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ» «2» فهم يجادلون الملک

السائل لهم بين يدى اللّه، و قيل: تحتج عن نفسها بما تقدّر به ازالة العقاب عنها.
ثم اخبر الله ان كلّ نفس توّفى جزاء ما عملته على الطاعة الثواب و على المعصية العقاب، و لا يظلم احد فى ذلک اليوم أحداً.

وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ (112)

آية بلا خلاف.

التقدير ضرب اللَّه مثلًا مثل قرية، و قيل فى القرية التى ضرب الله بها هذا المثل قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: إنها مكة، لأنها كانت بهذه الصفات التى ذكرها اللَّه. و قال آخرون: اى قرية كانت على هذه الصفة، فهذه صورتها.

و قوله «كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً» أى يأمن الناس فيها على نفوسهم و أموالهم لا يخافون الغارة و النهب، كما يخاف سائر العرب، و يطمئنون فيها، لا يحتاجون فيها ان ينتجعوا الى غيرها، كما يحتاج غيرهم اليه: و كان مع ذلک يجيؤها رزقها، اى رزق أهلها من كل موضع، لأنه كان يجلب اليها تفضلا منه تعالى «فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ» و المراد كفر أهلها، «بأنعم الله». و انما أضاف الكفر الى القرية مجازا، و لذلک أنث الفعل. و قيل فى واحد أنعم اللَّه ثلاثة اقوال:

---

(1) سورة الانعام آية 23

(2) سورة الاعراف آية 37

أحدها- يقال نعمة و أنعم كشدة و أشدّ.

الثانى- فى جمع النعم كما قالوا أيام طعم و نعم و مثله ودّ و أودّ.

الثالث- نعماء كما جمعوا بأساء و ابؤس و ضراء و أضر، و قالوا أُشد جمع شُدّ قال الشاعر.

و عندى قروض الخير و الشر كله فبؤس لدى بؤسى و نعمى بأنعم

و قوله «فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ» انما سماه لباس الجوع، لأنه يظهر عليهم من الهزال و شحوب اللون و سوء الحال ما هو كاللباس. و قيل انهم شملهم الجوع و الخوف كما شمل اللباس البدن. و قيل ان القحط دام بهم سنين و بلغ بهم الى ان أكلوا القد و الطهن، و هو الوبر يخلط بالدم و القراد، ثم يؤكل، و انما يقال لصاحب الشدة: ذق، لأنه يجده وجدان الذائق فى تفقده له، و لأنه يتجدد عليه إدراكه كما يتجدد على الذائق، و هم مع ذلک خائفون وجلون من النبى صلّى اللَّه عليه و سلم و أصحابه يغيرون على قوافلهم و تجاراتهم «جزاء بِما كانُوا يَصْنَعُونَ» من الكفر و الشرک و تكذيب الرسل، و

اجرى الخطاب من أول الآية الى هاهنا على التأنيث إضافة إلى القرية، ثم قال- هاهنا- «بِما كانُوا يَصْنَعُونَ» على المعنى أى بما كان أهلها يصنعون. و روى عن أبى عمرو انه قرأ «لباس الجوع و الخوف» بالنصب، كأنه ضمن فعل إرزاقهم الله لباس الجوع، قاذفاً فى قلوبهم الخوف، لأن اللَّه تعالى لم يبعث النبى بالقحط و الجوع و الخوف، فقد قذف فى قلوبهم الرعب من النبى و سراياه.

وَ لَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ وَ هُمْ ظالِمُونَ (113) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَ اشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (114)

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 434

آيتان بلا خلاف.

قوله «وَ لَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ» يعنى اهل مكة بعث اللَّه منهم رسولًا من صميمهم، لا من غيرهم «فكذبوه» و جحدوا نبوته «فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ وَ هُمْ ظالِمُونَ» أى فى حال كفرهم ظالمين أخذهم العذاب، و عذابهم هو ما سلط اللَّه تعالى النبىّ و المؤمنين حتى قتلوهم يوم بدر و غيره من الأيام، و ما حل بهم من أنواع العذاب من جهته من الخوف و الجوع الذى تقدم ذكره.

و من قال: المراد بالقرية غير مكة قال: هو صفة تلك القرية التى بعث اللَّه رسولًا منهم، ثم خاطب المؤمنين، فقال «كلوا» فصيغته و إن كان صيغة الأمر، فالمراد به الإباحة، لأن الأكل غير واجب إلّا عند الخوف من تلف النفس، و لا مندوب اليه إلا فى بعض الأحوال «مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» أى ملككم التصرف فيه على وجه ليس لاحد منعكم منه «حلالًا» إى جعله لكم «حَلالًا طَيِّباً وَ اشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ» و اعترفوا بها «إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» اى ان كنتم تعبدون اللَّه دون غيره و ليس المعنى ان كنتم تعبدون غيره، فلا تشكروه، بل المعنى انه لا يصح لأحد أن يشكره إلّا بأن يوجه العبادة اليه تعالى وحده.

إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (115)
آية بلا خلاف.
قد بينا تفسير مثل هذه الآية فى سورة البقرة «1» و هو ان اللَّه حرم الميتة،

---

(1) انظر 2: 83- 86

و هو ما لم يذكّ ممّا فيه نفس سائلة. «وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ» و بينا أن الخنزير جميعه حرام، و انما خص اللحم تغليظاً، «وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ» و المعنى ما ذكر غير اللَّه على تذكيته، لأنهم كانوا يذبحونها للأصنام، ثم استثنى المضطر الى تناول ذلک خوف التلف، فأباح جميع ذلک له، و استثنى من المضطرين البغاة، فلم يبحها لهم، و قد بينا الخلاف فيه، و ان قول مجاهد و ما ذهب اليه أصحابنا هو من خرج على امام عادل. و قال قوم: معناه غير باغ بذلک الشبع و التقوى به على معصية «و لا عاد» اى يتعدى فيه ما يجوز له و فى تفسيرنا: أن معنى و لا عاد ما ذهب اليه الحسن، و غيره ان الذى يخرج للاعتداء على الناس من قطاع الطريق، فإنهم لا يرخّصون ان يأكلوا، ذلک على وجه. ثم اخبر «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» اى ستار على عباده معاصيهم «رحيم» بهم بأن يغفرها لهم، بالتوبة تارة و تفضلا منه ابتداء تارة أخرى، و المعنى إنه لا يعاقب من تناول ما حرّم عليه فى حال الضرورة.
و الإهلال رفع الصوت بالكلام، و منه الهلال لرفع الصوت بالتكبير عند رؤيته و شبه به صوت الصبى عند الولادة و كل ما ذكر عليه اسم معبود غير اللَّه لا يحل أكله.

وَ لا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هذا حَلالٌ وَ هذا حَرامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (116) مَتاعٌ قَلِيلٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (117) وَ عَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا ما قَصَصْنا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ ما ظَلَمْناهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (118)

ثلاث آيات.

(ما) فى قوله «لما تصف» مصدرية، و التقدير: و لا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 436

«هذا حَلالٌ وَ هذا حَرامٌ» و قال الزجاج: قرئ «الكُذُب» على أنه نعت الألسنة، يقال لسان كذوب و ألسنة كُذُب، و حكى أيضاً بكسر الباء ردّاً على (ما) و تقديره للذى تصفه ألسنتكم الكذب، و هذا إنما قيل لهم لما كانوا حرموه و أحلوه، فقالوا «ما فِى بُطُونِ هذِهِ الْأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا وَ مُحَرَّمٌ عَلى أَزْواجِنا» «1» و قد بيناه فيما تقدم. ثم أخبر عن هؤلاء الذين يقولون على اللّه الكذب بأنهم «لا يفلحون» أى لا ينجون و لا يفوزون بثواب اللّه.

و قوله تعالى «متاع قليل» معناه متاعهم هذا الذى فعلوه و تمتعوا به «متاع قليل» و يجوز فى العربية (متاعاً) أى يتمتعون بذلك متاعاً قليلًا «وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» أى فى مقابلة ذلك يوم القيامة. و قوله «وَ عَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا ما قَصَصْنا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ» يعنى ما ذكره فى سورة الانعام فى قوله «وَ عَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا ...» «2» الآية، فى قول قتادة و الحسن و عكرمة. ثم أخبر تعالى أنه لم يظلمهم بذلك و لا يبخسهم حظهم «وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بكفرهم بنعمة اللّه و جحودهم لأنبيائه، فاستحقوا بذلك تحريم هذه الأشياء عليهم لتغيير المصلحة عند كفرهم و عصيانهم.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّکَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِکَ وَ أَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (119)
آية بلا خلاف.
يقول اللّه تعالى إن الذى خلقک يا محمد «لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ» يعنى المعصية «بجهالة» أى بداعى الجهل، لأنه يدعو إلى القبيح، كما أن داعى العلم يدعو إلى.

---

(1) سورة الانعام آية 139، انظر 4: 312- 316
(2) سورة الانعام آية 146، انظر 4: 329- 332

الخير، فقد يكون ذلک للجاهل بالشىء و قد يكون للغافل الذى يعمل عمل الجاهل بتغليب هواه على عقله.
و قوله «ثم تابوا» يعنى رجعوا عن تلک المعصية، و ندموا عليها، و عزموا على أن لا يعودوا إلى مثلها فى القبح «و أصلحوا» نياتهم و أفعالهم، فإن الذى خلقک من بعد فعلهم ما ذكرناه من التوبة «غفور» لهم ستّار عليهم «رحيم» بهم، منعم عليهم. و إنما شرط مع التوبة فعل الصلاح استدعاء إلى فعل الصلاح و لئلا يغترّوا بما سلف من التوبة حتى يقع الإهمال لما يكون من الاستقبال.

إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَباهُ وَ هَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (121) وَ آتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (122) ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (123) إِنَّما جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (124)

خمس آيات بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى عن ابراهيم (ع) انه «كان أمة» و اختلفوا فى معناه، فقال ابن مسعود: معناه إنه معلم الخير قدوة «قانتا لله» مطيعاً. قال بعضهم: كان ذا أمّة «قانتاً للّه». و قال قتادة: معناه إنه امام هدى. و القانت الذى يدوم على العبادة لله، و قيل: جعل «أمة» لقيام الامة به. و الحنيف المستقيم على طريق الحق. و قوله «و لم يک» يعنى ابراهيم «من المشركين» الذين يعبدون مع اللّه غيره، بل كان موحداً «شاكِراً لِأَنْعُمِهِ» اى بل كان شاكراً لنعمه التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 438

معترفاً بها «اجتباه» يعنى اختاره اللّه و اصطفاه «وَ هَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» اى حكم بأنه على صراط مستقيم اى لطف له حتى اهتدى الى طريق الحق.

و قوله «وَ آتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً» اى أعطيناه جزاء على هدايته فى هذه الدنيا حسنة، و هى: تنويه اللّه بذكره فى الدنيا بطاعته لربه، و مسارعته الى مرضاته، و إخلاصه لعبادته، حتى صار إماماً يقتدى به، و علماً يهتدى بسنته.

قال قتادة: حتى ليس من اهل دين إلا و هو يتولاه و يرضاه: و قال الحسن: معنى «حسنة» يعنى نبوته. و قوله «وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» اخبار منه تعالى انه مع إيتائه الحسنة فى الدنيا هو فى الآخرة من جملة الصالحين. و انما لم يقل:

لفى على منازل الصالحين، مع اقتضاء حاله ذلک، لمدح من هو منهم، و الترغيب فى الصلاح ليكون صاحبه فى جنب ابراهيم، و ناهيک هذا الترغيب فى الصلاح، و هذا المدح لإبراهيم أن يشرف جملة هو منها، حتى يصير الاستدعاء اليها بأنه فيها.

و قوله «أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً» أى أمرناک ان اتّبع ملة ابراهيم حنيفا مستقيم الطريق، فى الدعاء الى توحيد اللّه، و خلع الأنداد، و العمل بسنته، «و ما كان» يعنى ابراهيم «من المشركين» بعبادة الله غيره.

و قوله «إِنَّما جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ» اختلفوا فى معناه، قال الحسن: معناه انه جعله عليهم بأن لعنهم بالمسخ لاعتدائهم فيه. و اختلافهم

فيه كان بأن قال بعضهم: هو أعظم الأيام حرمة، لأنه تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء كلها. و قال آخرون: بل الأحد أفضل، لأنه ابتدا أخلق الأشياء فيه. و قال مجاهد، و ابن زيد: عدلوا عمّا أمروا به من تعظيم الجمعة.
و وجه اتصال هذه الاية بما تقدم أنه لما أمر باتباع الحق، حذّر من الاختلاف فيه، بما ذكره من حال المختلفين فى السبت، بما ليس لهم ان يختلفوا فيه، فشدد عليهم فرضه، و ضيق عليهم أمره و قال قوم: معنى «اختلفوا فيه» اى خالفوا فيه، لأنهم نهوا عن الصيد فيه فنصبوا الشباک يوم الجمعة، و دخل فيها السمک يوم السبت، فأخذوه يوم الأحد. ثم قال «و ان ربک» يا محمد «ليحكم بينهم» أى يفصل بينهم يوم القيامة فى الذى كانوا مختلفين فيه، و يبين لهم الصحيح من الفاسد

ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ (125) وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَیْرٌ لِلصَّابِرِینَ (126) وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُکَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَ لا تَحْزَنْ عَلَیْهِمْ وَ لا تَکُ فِی ضَیْقٍ مِمَّا یَمْکُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِینَ اتَّقَوْا وَ الَّذِینَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)

أربع آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و إسماعيل عن نافع «ضيق» بكسر الضاد. الباقون بفتحها، فمن فتح أراد «ضيق» فخفف مثل سيد و سيد، و ميت و ميت و هين و هين.

و يجوز ان يكون أراد جمع ضيقة كما قال الشاعر:

كشف الضيقة عنا و فسح

و من كسر يجوز أن يجعله لغتين، و يجوز أن يكون الضَيق اسماً و الضِيق مصدراً و الاختيار ان يقال: الضِيق فى المكان و المنزل، و الضَيق فى غير ذلک، فان كان كذلک «فالاختيار وَ لا تَکُ فِی ضَیْقٍ» لأنه تعالى لم يرد ضيق المعيشة، و لا ضيق المنزل. و أصل «ولاتک» و لا تكن، فاستثقلوا الضمة على الواو فنقلوها إلى الكاف، فالتقى ساكنان: الواو، و النون، فحذفوا الواو، لالتقاء الساكنين، و من حذف النون أيضاً، فلان النون ضارعت حروف المدّ و اللين، و كثر استعمال (كان يكون) فحذفوها كذلک ألا ترى أنک تقول: لم يكونا. و الأصل يكونان فأسقطوا النون بالجزم و شبهوا لم يک فى حذف النون بلم يكونا.

أمر اللَّه تعالى نبيه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم أن يدعو عباده المكلفين بالحكمة، و هو أن التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 440

يدعوهم إلى أفعالهم الحسنة التى لها مدخل فى استحقاق المدح و الثواب عليها، لأن القبائح يزجر عنها، و لا يدعو اليها، و المباح لا يدعو إلى فعله، لأنه عبث، و إنما يدعو إلى ما هو واجب أو ندب، لأنه يستحق بفعله المدح و الثواب، و الحكمة هى المعرفة بمراتب الافعال فى الحسن و القبح و الصلاح و الفساد. و قيل لها: حكمة، لأنها بمنزلة المانع من الفساد، و ما لا ينبغى أن يختار، و الأصل المنع كما قال جرير:

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم إنى أخاف عليكم أن أغضبا «1»

أى امنعوهم من السفه، و الفرق بين الحكمة و العقل: أن العاقل هو العاقد على ما يمنع من الفساد، و الحكيم هو العارف بما يمنع من الفساد، و الحكمة مشتركة بين المعرفة و بين العقل المستقيم، لان كل واحد منهما ممتنع من الفساد عارٍ منه.

و القديم تعالى لم يزل حكيماً بمعنى لم يزل عالماً، و لا يجوز لم يزل حكيما فيما يستحق لأجل الفعل المستقيم، و كل حكمة يكون بتركها مضيعاً لحق النعمة يجب على المكلف طلبها. معرفة كانت أو فعلا. و الموعظة الحسنة. معناه الوعظ الحسن و هو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب فى تركه و التزهيد فى فعله. و فى ذلک تليين القلوب بما يوجب الخشوع. و قيل: ان الحكمة النبوة. و الموعظة القرآن «وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» فالجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج «بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» و فيه الرفق و الوقار و السكينة مع نصرة الحق بالحجة. ثم أخبر «ان ربک» يا محمد «أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» بأن عدل عنها و «أعلم» من غيره بمن اهتدى اليها و ليس عليک غير الدعاء.

و قوله «وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا» قيل: فى سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما- ان المشركين لما مثّلوا بقتلى أُحُد. قال المسلمون: متى أظهرنا اللّه عليهم لنمثلن بهم أعظم مما مثلوا بنا. ذكره الشعبى و قتادة و عطاء.

---

(1) مر هذا البيت فى 1: 142، 2: 188، 4: 496، 5: 512

الثانى- قال مجاهد و ابن سيرين و ابراهيم: انه فى كل ظالم بغصب او نحوه.

فإنما يجازى بمثل ما عمل.

و قيل: إن هذه الآية منسوخة بآية القتال، لان هذا قبل ان يؤمروا بالجهاد ثم قال «وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ» اى إن تركتم المجازاة و القصاص و تجرعتم مرارته «لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» فى العاقبة. ثم قال لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم و المراد به أمته معه «و اصبر» يا محمد و ليس صبرک «إلا باللّه» اى إلا بتوفيق اللّه و إقداره و ترغيبه فيه «وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» يعنى على المشركين، لإعراضهم عنک. و قيل المراد لا تحزن على قتلى أُحُد لما أعطاهم اللّه من الخير «وَ لا تَکُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ» اى لا يكن صدرک ضيقا مما يمكر به المشرک من الخديعة و غيرها، و ما فعلوا بقتلى أُحُد من المثلى «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا» معاصيه خوفاً من عقابه، بالنصر لهم و التأييد، و مع «الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ» فى أفعالهم، غير فاعلين للقبائح يقذف فى قلوب أعدائهم الرعب، خوفاً من رسول اللّه و سراياه

اشارة

هی مکیة فی قول مجاهد و قتادة، و هی مائة و احدی عشرة آیة فی الکوفی و مائة و عشر آیات فی البصری و المدنی.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1) وَ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ جَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِى وَكِيلاً (2) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً (3)
ثلاث آيات بلا خلاف.
قرأ ابو عمرو وحده «ألّا يتخذوا» بالياء. الباقون بالتاء، و المعنى فيهما قريب، و التقدير، «وَ جَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِى إِسْرائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا» و قلنا لهم: لا تتخذوا، كما تقول: قلت لزيد قم، و قلت له ان يقوم. و قال تعالى «قُلْ لِلَّذِينَ

كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ»
«1» بالتاء و الياء. و معنى «مِنْ دُونِى وَكِيلًا» أى كافياً و ربا، و نصب «ذرّيّة» على النداء، و هو خطاب لجميع الخلق، لأن الخلق كله من نسل نوح من بنيه الثلاثة: حام: و هو ابو السودان، و يافث: و هو أبو البيضان: الروم و الترک و الصقالبة و غيرهم، و سام: و هو ابو العرب و الفرس. و تقديره يا ذرّية من حملنا، و وزن «ذرية» فعلية، من الذر، و يجوز ان يكون (فعولة) من الذر و أصله (ذروية) فقلبت الواو ياء و أدغمت فى الياء، قال أبو على النحوى:
و يجوز ان يكون نصبا على انه مفعول الاتخاذ لأنه فعل يتعدى إلى مفعولين كقوله «وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلًا» «2» و قال «اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً» «3» و على هذا يكون مفعولا ثانياً على القراءتين، و متى نصبته على النداء، فإنما يتأتى ذلک فى قراءة من قرأ بالتاء، و الأسهل أن يكون على قراءة من قرأ بالياء، لأن الياء للغيبة، و النداء للخطاب، و (أن) فى قوله «ألا تتخذوا» يحتمل ثلاثة أوجه:
أحدها أن تكون (أن) الناصبة للفعل، و المعنى جعلناه هدى، كراهة أن تتخذوا، أو لان لا تتخذوا.
و الثانى- أن تكون (أن) بمعنى أى، لأنه بعد كلام تام و التقدير أى لا تتخذوا.
و الثالث- أن تكون (أن) زائدة، و يضمر القول.
و الوكيل لفظه واحد، و المراد به الجمع، لأن معناه حينئذ (فعيلا) فيكون مفرد اللفظ و المراد به الجمع، نحو قوله «وَ حَسُنَ أُولئِکَ رَفِيقاً» «4». قال أبو عبيد: أهل المدينة يقولون فى نصب (سبحان) أنه اسم فى موضع مصدر سبحت اللّه تسبيحاً، و التسبيح هو المصدر، و سبحان اسم منه، كقولک كفّرت اليمين تكفيراً، أو كفراناً، و التكفير المصدر، و الكفران الاسم، قال أمية ابن أبى الصلت:

(1) سورة آل عمران آية 12
(2) سورة 4 النساء آية 125
(3) سورة 58 المجادلة آية 16
(4) سورة النساء آية 69

سبحانه ثم سبحاناً يعود له و قبلنا سبح الجودى و الجمد «1»
و قال بعضهم انه يجوز أن يكون نصباً على النداء، يريد: يا سبحان و معناه: التنزيه للّه و التبعيد له من كل ما لا يليق به، و التسبيح يكون بمعنى الصلاة، كقوله «فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ» «2» أى من المصلين- ذكره اكثر المفسرين- و منه السبحة و هى النافلة. و روى أنه كان ابن عمر يصلى سبحته فى موضعه الذى يصلى فيه المكتوبة و يكون بمعنى الاستثناء، كقوله «فلو لا تسبحون» أى فلو لا تستثنون، و هى لغة لبعض أهل اليمن، و لا وجه للكلام غيره، لأنه قال «إِنَّا بَلَوْناهُمْ كَما بَلَوْنا أَصْحابَ الْجَنَّةِ» الى قوله «وَ لا يَسْتَثْنُونَ» ثم «قالَ: أَوْسَطُهُمْ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لا تُسَبِّحُونَ» «3» فذكّرهم تركهم الاستثناء. فأما سبحة النور التى دون اللّه، قال المبرد: لا يعرف إلا من الخبر الذى
روى (لو لا ذلک لا حرقت سبحات وجهه)
بمعنى نور وجهه أى الذى إذا رأى الرائى قال سبحان اللَّه.
و قال سيبويه (سبحان) براءة اللّه من السوء و هذا اسم لهذا المعنى معرفة و قال الأعشى:
أقول لما جاءنى فخزه سبحان من علقمة الفاخر «4»
اى براءة منه و لا ينزه بلفظ سبحان غير اللّه، و انما ذكره الشاعر نادراً على الأصل و أجراه كالمثل فى قوله «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» «5» معناه ليس شىء إلّا و فيه دلالة على تنزيه اللّه مما لا يليق به، و قولهم: سبح تسبيحاً أى قال سبحان اللَّه، و السبح فى التعظيم الجرى فيه. و الاسراء سير الليل، اسرى أسراء و سرى يسرى سرى لغتان، قال الشاعر:
و ليلة ذات دجى سريت و لم يلتنى عن سراها ليت «6»

---

(1) مر هذا البيت فى 3: 82، 5: 563
(2) سورة 37 الصافات آية 143
(3) سورة 27 القلم آية 17- 29 [.....]
(4) ديوانه (دار بيروت) 94 و قد مر فى 1: 124، 81، 5: 241، 395
(5) سورة 17 الإسراء آية 44
(6) تفسير القرطبى 10: 205 و رايته (ندى) بدل (دجى) و تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 15: 3، و اللسان (ليت) و لم يعرف قائله. و المعنى:

سرت فى ليلة ذات دجى، و لم يؤخرنى، و لا منعنى عن السير مانع.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 446
و قوله «ليلا» معناه بعض الليل، على تقليل وقت الاسراء، و يقوى ذلک قراءة حذيفة، و عبد اللّه «من الليل» و روت أم هانى بنت أبى طالب: أن النبى صلّى اللّه عليه و سلم كان فى منزلها ليلة أسرى به. و قال الحسن و قتادة: كان فى نفس المسجد الحرام. و روى عن أم هانى أن الحرم كله مسجد. و المسجد الأقصى هو بيت المقدس، و هو مسجد سليمان بن داود- فى قول الحسن و غيره من المفسرين- و انما قيل له: الأقصى، لبعد المسافة بينه و بين المسجد الحرام، و
قال الحسن: صلى النبى صلّى اللّه عليه و سلم المغرب فى المسجد الحرام. ثم أسرى به الى بيت المقدس فى ليلة ثم رجع، فصلى الصبح فى المسجد الحرام، فلما اخبر به المشركين كذبوا ذلک، و قالوا: يسير مسيرة شهر فى ليلة واحدة؟! و جعلوا يسألون عن بيت المقدس و ما رأى فى طريقه، فوصفه لهم شيئاً شيئاً بما يعرفونه ثم أخبرهم انه رأى فى طريقه قعباً مغطاً مملوءاً ماء فشرب الماء كله ثم غطاه كما كان، و وصف لهم صفة إبل كانت لهم فى طريق الشام تحمل المتاع، فقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق، فقعدوا فى ذلک اليوم يستقبلونها، فقال قائل منهم: هذه و اللّه الشمس قد أشرقت، و لم تأت و قال آخر هذا و اللّه العير يقدمها جمل أورق، كما ذكر محمد، فكان ذلک معجزة له باهرة، و دلالة واضحة لو لا العناد، و كان نفس الاسراء حجة له صلّى اللّه عليه و سلم لا انه يحتاج إلى دلالة كغيره، و لذلک قال تعالى «لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا»
فكان الاسراء من جملة الآيات التى تأكد بها يقينه و ازدادت به بصيرته، لأنه كان قد علم نبوته بما تقدم له من الآيات، فكان هذا على وجه التأكيد لذلک.
و عند أصحابنا و أكثر أصحاب التأويل، و ذكره الجبائى ايضاً: انه عرج به فى تلک الليلة الى السماء و أت حتى بلغ سدرة المنتهى فى السماء السابعة، و أراه اللّه من آيات السموات و الأرض ما ازداد به معرفة و يقيناً، و كان ذلک فى يقظته دون منامه، و الذى يشهد به القرآن الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، و الباقى يعلم بالخبر.
و قوله «الَّذِى بارَكْنا حَوْلَهُ» يعنى بالثمار و مجارى الأنهار، و قيل «باركنا»
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 447
حوله بمن جعلنا حوله من الأنبياء و الصالحين، و لذلک جعله مقدساً. «لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا» من العجائب التى فيها اعتبار.
و روى أنه كان رأى الأنبياء حتى وصفهم واحداً واحداً.
و قوله «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» اخبار منه تعالى أنه يجب أن يدرک المبصرات و المسموعات إذا وجدت، لأنه حى و لا يجوز عليه الآفات.
و قوله «وَ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ» يعنى التوراة «و جعلناه» يعنى التوراة التى

أنزلها «هدى» و دلالة لبنى إسرائيل، و قلنا لهم «أَلّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِی وَكِيلَا» أى ربّاً تتوكلون عليه و كافياً تسندون أموركم اليه. و قال مجاهد: معنى «وكيلا» شريكا، قال المبرد: هذا لا شاهد له فى اللغة. و قلنا يا «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ» فى سفينته وقت الطوفان «إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً» يعنى نوحاً كان عبداً كانَ للَّه شاكراً له على نعمه.

و

روى انه إذا كان أراد أكل طعام أو شراب قال: بسم اللَّه، و إذا شبع قال الحمد للَّه،

و من قال: هو نصب على أنه مفعول، فانه قال تقديره لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكيلًا من دونى.

وَ قَضَيْنا إِلى بَنِى إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً (4) فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولاً (5) ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (6)

ثلاث آيات بلا خلاف.

القضاء على أربعة أقسام: بمعنى الخلق و الأحداث، كما قال «فَقَضاهُنَّ سَبْعَ

سَماواتٍ»

«1» و بمعنى فصل الحكم كقوله «وَ اللَّهُ يَقْضِى بِالْحَقِّ» «2» و بمعنى الأمر كقوله «وَ قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» «3» و بمعنى الاخبار كقوله «وَ قَضَيْنا إِلى بَنِى إِسْرائِيلَ» اى أخبرناهم و أعلمناهم بما يكون من الامر المذكور، من انهم سيفسدون فى الأرض مرتين، و يعلون علواً كبيراً، اى عظيماً اى يتجبرون على عباد اللَّه.

قال ابن عباس و قتادة: المبعوث عليهم فى المرة الاولى جالوت الى ان قتله داود، و كان ملكهم طالوت.

و قال سعيد ابن المسيب: هو بخت نصر، و قال سعيد بن جبير: هو سنحاريب و قال الحسن: هم العمالقة، و كانوا كفاراً.

و الفساد الذى ذكره: هو قتلهم الناس ظلماً و تغلبهم على أموالهم قهراً و اخراب ديارهم بغيا.

و الآية تدل على ان قضاء اللَّه بالمعاصى هو اخباره انها تكون.

و قوله «فلما جاء وعد أولاهما» يعنى وقت فناء آجالهم و وقت عقوباتهم.

و الوعد هو الموعود به- هاهنا- و وضع المصدر موضع المفعول به.

و قوله «بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ» قيل فى معنى (بعثنا) قولان:

أحدهما- قال الحسن: انا خلّينا بينهم و بينكم، خاذلين لكم، جزاء على كفركم، و معاصيكم، كما قال: «أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا» «4» الثانى- قال ابو على: امرناهم بقتالكم. و قوله «فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ» اى تردّدوا و تخللوا بين الدور، يقال: جست أجوس جوساً و جوساناً، قال حسان:

---

(1) سورة 41 حم السجدة (فصلت) آية 12

(2) سورة 40 المؤمن (غافر) آية 20

(3) سورة 17 الإسراء آية 23

(4) سورة 19 مريم آية 84.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 449
و منا الذى لاقى بسيف محمد فجاس به الاعداء عرض العساكر «1»
معناه تخللهم قتلا بسيفه، و قيل: الجوس طلب الشىء باستقصاء. و قوله «وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا» أى كائناً لا محالة على ما أخبرنا به، ثم قال لهم «رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ» يعنى الرجعة و النصرة عليهم «وَ أَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ» أى أعناكم و كثرناكم «وَ جَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً» اى اكثر انصاراً، و نصبه على التمييز، قال الزجاج: يجوز أن يكون (نفيراً) جمع نفير كعبيد و ضنين و معين. قال الفراء:
زعموا أن رجلًا من همدان بعثه اللَّه على بخت نصر، فقتله و عاد الملک إلى بنى إسرائيل فعاشوا.

إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً (7)
آية بلا خلاف.
قرأ الكسائى «لنسو وجوهكم» بالنون و فتح الواو، كما يقال: لن ندعو، فعلامة النصب فتحة الواو. و قرأ ابن عامر، و حمزة، و أبو بكر عن عاصم بالياء على واحد «ليسوى» الباقون بالياء و المد، و علامة النصب- هاهنا- حذف النون، و إنما مدوا، لتمكين الهمزة، لأن كل واو سكنت و انضم ما قبلها و ثبتت بعدها همزة، فلا بد من مدّ، فى كلمة كانت أو كلمتين، نحو «قالوا آمنا» «2» و فى

---

(1) تفسير الطبرى (الطبعة الاولى) 15: 21 و تفسير الشوكانى 3: 202 و لم أجده فى ديوان حسان المطبوع فى بيروت (دار صادر، دار بيروت). و هو ايضاً فى تفسير القرطبى 10: 216.
(2) سورة 2 البقرة آية 14

كلمة واحدة نحو «تَبُوءَ بِإِثْمِى» «1» «و تبوء بحمله» و فى قراءة أبى «ليسوءن وجوهكم» بنون خفيفة للتأكيد، كقوله «لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ» «2».
قال أبو على الفارسى: لما قال «لتفسدن فى الأرض مرتين» و بيّن المرة الأولى قال «فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ» أى المرة الآخرة بعثناهم «لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ» فحذف (بعثناهم) لأنه تقدم ذكره، لأنه جواب (إذا)، و شرطها يقتضيه، فحذف للدلالة عليه فأما معنى «ليسئوا» فقال أبو زيد: يقال: سؤته سأة و ساءة و مساءة و مسائية و سوائية، و قال «وجوهكم» على أن الوجوه مفعولا ل «يسؤوا» و عدّى إلى الوجوه، لان الوجوه قد يراد بها ذوو الوجوه كقوله «هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» «3» و قال «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ» «4» و قال «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ» «5» و قال النابغة:
أقارع عوفاً لا أحاول غيرها وجوه قرود تبتغى من تجادع «6»
فكأن الوجوه إنما خصت بذلك، لأنها تدل على ما كان من تغير الوجوه من الناس، من حزن أو مسرة، و بشارة و كآبة.
و حجة من قرأ بالياء و الجمع انه أشبه بما قبله و ما بعده، لان الذى جاء قبله «بعثا عليكم رجالا» و بعده «وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ» و هو بيت المقدس، و المبعوثون فى الحقيقة هم الذين يسؤونهم لقتلهم إياهم و أسرهم لهم، فهو وفق المعنى.

و من قرأ بالياء و التوحيد، ففاعل «ليسوءوا» أحد شيئين.
أحدهما- أن يكون اسم اللّه، لأن الذى تقدم «بعثنا» «و رددنا لكم» و «أمددناكم».
و الآخر- إن يكون البعث و الوعد، و دل عليه «بعثنا» المتقدم كقوله «وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ» «7» اى البخل.

_____

(1) سورة 5 المائدة آية 30
(2) سورة 96 العلق آية 15
(3) سورة 28 القصص آية 88
(4) سورة 80 عبس آية 40
(5) سورة 75 القيامة آية 23 [.....]
(6) ديوانه (دار بيروت) 80 و اللسان (جدع)
(7) سورة 3 آل عمران آية 180

و من قرأ بالنون كان المعنى كقول من قدر أن الفعل ما تقدم من اسم اللّه و جاز ان تنسب المساءة الى اللّه، و إن كانت من الذين جاسوا خلال الديار فى الحقيقة، لأنهم فعلوها بقدرة اللّه و تمكينه، فجاز ان تنسب اليه، كما قال «وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى» «1» و يجوز ان يكون اللام فى قوله «ليسئوا» «و ليدخلوا» «و ليتبروا» لام العاقبة، لان اللّه لا يريد منهم ذلک من حيث كان ذلک ظلماً و فساداً.
يقول اللّه تعالى لخلقه من المكلفين «إِنْ أَحْسَنْتُمْ» اى فعلتم الافعال الحسنة من الإنعام الى الغير، و الافعال الجميلة التى هى طاعة «أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ»، لان ثواب ذلک، و اصل إليكم «وَ إِنْ أَسَأْتُمْ» إلى الغير و ظلمتموه «أسأتم» لأنفسكم لأن وبال ذلک و عقابه و اصل إليكم، و إنما قال «فلها» ليقابل قوله «أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ» و المعنى ان اسأتم فإليها، كما يقال: احسن إلى نفسه ليقابل أساء الى نفسه، على ان حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض إذا تقاربت معانيها، قال تعالى «بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحى لَها» «2» و المعنى اوحى اليها. و معنى انت فى منتهى الاساءة، و انت المختص بالاساءة، متقارب.
«فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ» يعنى وعد المرة الآخرة «لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ» يعنى المبعوثين عليكم «كَما دَخَلُوهُ» فى المرة الاولى يعنى غيرهم، لان هؤلاء بأعيانهم لم يدخلوها فى الدفعة الاولى «وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً» فالتبار و الهلاک، و الدمار واحد، و كل ما انكسر من الزجاج و الحديد و الذهب تبر. و معنى «ما عَلَوْا تَتْبِيراً» ما غلبوا عليه، و جواب (إذا) محذوف و تقديره: فإذا جاء وعد الآخرة ليسئوا وجوهكم. و قيل: بعثناهم ليسئوا.

عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنا وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً (8) إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (9) وَ أَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (10)

---

(1) سورة 8 الانفال آية 17
(2) سورة 99 الزلزال آية 5

ثلاث آيات بلا خلاف.
يقول اللَّه تعالى مخاطباً لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم: بأن قل لبنى إسرائيل «عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ» إن أقمتم على طاعته و ترک معاصيه (و عسى) من اللَّه واجبة، و يجوز ان يكون بمعنى الإبهام على المخاطب. و قوله «و إن عدتم» يعنى فى معاصى اللَّه، و الكفر به و جحد أنبيائه «عدنا» فى عذابكم، و التسليط عليكم، كما فعلناه أول مرة، و قال ابن عباس و قتادة: عادوا فبعث اللَّه عليهم المسلمين يذلونهم بالجزية و المحاربة إلى يوم القيامة. قوله «وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً» قال ابن عباس و مجاهد و ابن زيد و قتادة: محبساً، و الحصير الحبس، و يقال للملک حصير، لأنه محجوب، قال لبيد:
و قماقم غلب الرقاب كأنهم جنّ لدى باب الحصير قيام «1»
و قال الحسن: يعنى مهاداً، كما قال «لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ» «2» و الحصير البساط المرمول، يحصر بعضه على بعض بذلک الضرب من النسج، و يقال للجنبين:
الحصيران، لحصرهما ما أحاطا به من الجوف و ما فيه. و قيل لأن بعض أضلاعه حصر مع بعض، و يسمى البساط الصغير حصيراً، و حصير بمعنى محصور، كرضى بمعنى مرضى.
ثم أخبر تعالى أن هذا القرآن الذى أنزله على محمد صلّى اللَّه عليه و سلم «يهدى» اى يدل

---

(1) ديوانه 2/ 39 و تفسير القرطبى 10/ 224 و مجاز القرآن 1/ 371 و تفسير الطبرى 15/: 3 و سمط اللآلى 955 و روح المعانى 15/ 21 و الصحاح، و التاج، و اللسان (حصر)
(2) سورة 7 الاعراف آية 41

«لِلّتِی هِیَ أَقْوَمُ» قال الفراء: لشهادة أن لا إله إلا اللّه. و يحتمل أن يكون المراد يهدى لجميع سبل الدين، التى هى أصوب من غيرها: من توحيد اللّه، و عدله، و صدق أنبيائه، و العمل بشريعته، و فعل طاعاته، و تجنب معاصيه «وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ» يعنى القرآن يبشرهم «أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً» و ثواباً عظيماً، على طاعاتهم، و يبشرهم أيضاً ب «أَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» و يجحدون البعث و النشور أعد اللّه لهم «عذابا أليما» يعنى مؤلماً موجعاً، «و اعتدنا» أصله أعددنا فقلبت إحدى الدالين تاء، فراراً من التضعيف إلى حرف من مخرج الدال، و تكون البشارة قد أوقعت على أن لهم الجنة، و أن لعدوهم النار، فلذلک نصب (أن) فى الموضعين. و يحتمل أن يكون نصب (أن) الثانية على حذف اللام، و التقدير، لأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً، و لو كسرت على الاستئناف جاز غير أنه لا يقرأ به احد.

وَ يَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كانَ الْإِنْسانُ عَجُولاً (11) وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً (12)
آيتان بلا خلاف.
قيل فى معنى قوله «وَ يَدْعُ الْإِنْسانُ» قولان:
أحدهما- ما ذكره ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد انه يدعو على نفسه و ولده عند غضبه، فيقول: اللهم العنه و اغضب عليه و ما أشبهه، فيمنعه اللّه، و لو أعطاه لشقّ عليه.
و الثانى- قال قوم: انه يطلب ما هو شرّ له لتعجيل الانتفاع به مثل دعائه بما هو خير له، و يقوى ذلك قوله «وَ كانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا» و معنى قوله «وَ كانَ
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 454
الْإِنْسانُ عَجُولًا»
قال مجاهد: لأنه يعجل بالدعاء بما لا يجوز. و قال ابن عباس:
على طبع آدم لما نفخ فيه الروح فبلغت إلى رجليه، قبل ان تجرى فيهما، رام النهوض.
و العجلة طلب الشىء قبل وقته الذى لا يجوز تقديمه عليه او ليس بأولى فيه و السرعة عمل الشىء فى أول وقته الذى هو أولى به.
ثم أخبر أنه تعالى جعل «اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ» يريد الشمس و القمر فى هذا الموضع- عند قوم- و قال الجبائى: هما الليل و النهار، و هو الظاهر، و هما دليلان على توحيد اللّه، لأن احداً لا يقدر على الإتيان بالنهار، و لا على إذهابه و الإتيان بالليل، و انما يقدر عليه القادر لنفسه الذى لا يتعذر عليه شىء.
ثم اخبر انه جعل احدى الآيتين ممحوة و هى الليل اى لا تبصر فيها المرئيات كما لا يبصر ما يمحى من الكتاب، و هو من البلاغة العظيمة.
و قال ابن عباس: محو آية الليل السواد الذى فى القمر، و
روى عن على (ع) أنه اللطخة التى فى القمر.
و قوله «وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- مضيئة للابصار.
الثانى- جعلنا أهله بصراء فيه كما يقال: رجل مخبث أى أهله خبثاء و رجل مضعف أى أهله ضعفاء، فكذلك النهار مبصراً أى أصحابه بصراء. ثم بين الغرض بذلك، و انما جعله كذلك «لِتَبْتَغُوا فَضْلًا» أى تطلبوا فضلا من ربكم «وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ» فى مواقيتكم و معاملاتكم و معرفة

سنینکم و غیر ذلک، فیکثر بذلک انتفاعکم «وَ کُلَّ شَیْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِیلًا» أی میزنا کل شیء تمییزاً ظاهراً بیناً لا یلتبس، و بیناه بیاناً لا یخفی.

وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِی عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ یَوْمَ الْقِیامَةِ کِتاباً یَلْقاهُ مَنْشُوراً (13) اقْرَأْ کِتابَکَ کَفی بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِیباً (14) مَنِ اهْتَدی فَإِنَّما یَهْتَدِی لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما یَضِلُّ عَلَیْها وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْری وَ ما کُنَّا مُعَذِّبِینَ حَتَّی نَبْعَثَ رَسُولاً (15)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 455

ثلاث آیات بلا خلاف.

قرأ أبو جعفر «و یخرج» بضم الیاء، و فتح الراء، و قرأ یعقوب بالیاء و فتحها و ضم الراء. الباقون بالنون، و ضمها، و کسر الراء. و اتفقوا علی نصب «کتاباً» و قرأ ابن عامر و أبو جعفر «یلقاه» بضم الیاء، و فتح اللام و تشدید القاف.

الباقون بفتح الیاء و سکون اللام و فتح القاف و تخفیفها، و نصب کل انسان بفعل یفسره «ألزمناه» و تقدیره ألزمنا کل انسان ألزمناه، کما قال «وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ» «1» فیمن نصب. و معنی طائره قال ابن عباس، و مجاهد و قتادة: عمله من خیر أو شر کالطائر الذی یجیء من ذات الیمین، فیتبرک به، و الطائر الذی یجیء من ذات الشمال فیتشاءم به، و طائره عمله. و الزام اللّه طائره فی عنقه: الحکم علیه بما یستحقه من ثواب أو عقاب. و قیل: معناه ان یحکم بأن عمله کالطوق فی عنقه.

ثم اخبر تعالی أنه یخرج للإنسان المکلف یوم القیامة کتاباً فیه جمیع أفعاله مثبتة ما یستحق علیه ثواب او عقاب.

و قوله «یلقاه» قرأه ابن عامر یضم الیاء و فتح اللام، و تشدید القاف، بمعنی ان الملائکة یستقبلونهم. الباقون بفتح الیاء و القاف، بمعنی أنهم یلقونه و یرونه.

فمن قرأ بالتخفیف، فمن لقیت الکتاب، فإذ ضاعفت قلت لقّانیه، و قد یتعدی بتضعیف العین الی مفعولین بعد ان کان متعدیاً الی مفعول واحد، فإذا بنی للمفعول به نقص مفعول واحد من المفعولین، لأن أحدهما یقول مقام الفاعل،

---

(1) سورة یس آیة 39

التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 456

لاسناد الفعل الیه، فیبقی متعدیاً الی مفعول واحد، و علی هذا قوله «وَ یُلَقَّوْنَ فِیها تَحِیَّةً وَ سَلاماً» «1» و فی البناء للفاعل «وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً» «2» و حکی عن الحسن و مجاهد أنهما قرءا «و یخرج» بفتح الیاء و ضم الراء، و المعنی یخرج طائره له «کتاباً» نصب علی التمییز، و قیل فی

(طائره) أنه عمله. و قيل: أنه حظه، و ما قدّمه من خير او شرّ قال المؤرج: الطائر العمل، بلغة الأنصار، و يكون المعنى على هذا و يخرج عمله له كتاباً أى ذا كتاب، و معناه أنه مثبت فى الكتاب الذى قال فيه «لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها» «3» و قال «هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ» «4» و انما قيل لعمله طائره- و طيره فى بعض القراءات- على تعارف العرب، يقولون: جرى طائره بكذا، و مثله قوله «قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ» «5» و قوله «إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ» «6» و قال ابو زيد: ما مر من طائر أو ظبى أو غيره، كل ذلک عندهم طائر، قال ابو زيد: قولهم: سألت الطير، و قلت للطير، انما هو زجر، و قولهم زجرنى الظباء و الطير معناه وقع زجرى عليهما، على كذا و كذا، من خير أو شرّ، و منه قول الكميت:

و لا أنا ممن يزجر الطير همّه أصاح عزاب أو تعرّض ثعلب «7»

و قال حسان:

ذرينى و علمى بالأمور و شيمتى فما طائرى فيها عليک بأخيلا «8»

اى ليس رأيى بمشوم، و قال كثير:

أقول إذا ما الطير مرّت مخيلة لعلک يوماً فانتظر ان تنالها «9»

معنى مخيلة مكروهة من الأخيل، و معنى «فى عنقه» لزوم ذلک له و تعلقه

---

(1) سورة الفرقان آية 75
(2) سورة الدهر آية 11
(3) سورة الكهف آية 50
(4) سورة الحاقة آية 19
(5) سورة 36 يس آية 19
(6) سورة الاعراف 131
(7) امالى الشريف المرتضى 1: 67 و مجمع البيان 3: 403 [.....]
(8) ديوانه 206 و اللسان (خيل) و مجمع البيان 3: 403
(9) مجمع البيان 3: 403

به، و مثله قولهم: طوقتک كذا، و قلدتک كذا اى ألزمته إياک و مثله، قلده السلطان كذا، اى صارت الولاية فى لزومها له فى موضع القلادة، و إنما خصّ إلزام الطائر بالعنق، لأنه إضافة ما يزين من طوق، او ما يشين من عمل يضاف الى الاعناق، و لأن فى عرف الناس ان يقولوا: هذا فى رقبتک. و قد يضاف العمل الى اليد ايضاً كما قال «ذلِکَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ» «1» و إن كان كسبه بفرجه و لسانه، و غير ذلک، و إنما يذم بذلک على وجه التقريع و التبكيت بما فعله من المعاصى، و يكون فى العلم بذلک لطف فى دار الدنيا، و ان كان اللَّه عالماً بتفصيل ما فعلوه.

و قوله «كَفى بِنَفْسِکَ الْيَوْمَ عَلَيْکَ حَسِيباً» اى حسبک نفسک اليوم حاكماً

عليک فى عملکَ و ما تستحقه من ثواب على الطاعة و من عقاب على المعصية، لأنه أنصفک من جعلک حسيباً على نفسک بعملک. و قيل معنى «حسيباً» شاهداً و شهيدا.
و قوله «من اهتدى» يعنى فعل الخيرات و الطاعات و انتفع بهداية اللَّه إياه «فَإِنَّما يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ» و أن ثواب ذلک و اصل اليه «وَ مَنْ ضَلَّ» اى جار عن الحق و عدل عن الصواب و ارتكب المعاصى «فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها» اى يجوز عليها لأن عقاب ذلک و وباله و اصل اليه، لأن اللَّه تعالى قال «لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» اى لا يأخذ احداً بذنب غيره، و الوزر الإثم، و قيل معناه لا يجوز لأحد أن يعمل الإثم، لأن غيره عمله، و الأول أقوى.
و قوله «وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» اخبار من اللَّه أنه لا يعاقب احداً على معاصيه، حتى يستظهر عليه بالحجج و إنفاذ الرسل ينبهونه على الحق، و يهدونه اليه و يرشدونه الى سلوكه، استظهاراً فى الحجة، لأنه إذا اجتمع داعى العقل و داعى السمع الى الحق، تأكد الامر و زال الريب فيما يلزم العبد، و ليس فى ذلک دلالة على انه لو لم يبعث رسولا لم يحسن منه ان يعاقب إذا ارتكب العبد

---

(1) سورة آل عمران آية 182

القبائح العقلية، اللهم إلَّا أن يفرض أن فى بعثه الرسول لطفاً، فإنه لا يحسن من اللَّه تعالى مع ذلک أن يعاقب احداً إلَّا بعد أن يعرّفه ما هو لطف له و مصلحة لتزاح علته. و قيل: معناه «وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ» بعذاب الاستئصال و الإهلاک فى الدنيا «حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا».
و فى الآية دلالة على بطلان قول المجبرة: من ان اللَّه يعذب أطفال الكفار بكفر آبائهم، لأنه بين أنه لا يأخذ احداً بجرم غيره.

وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً (16)
آية بلا خلاف.
قرأ يعقوب «آمرنا» بمد الهمزة. و عن الحسن «أمّرنا» بالتشديد، و روى عنه «أمِرنا» بكسر الميم خفيفة و هى ردية.
ذكر فى هذه الآية وجوه أربعة:
أحدها- ان مجرد الإهلاک لا يدل على أنه حسن أو قبيح، بل يمكن وقوعه على كل واحد من الأمرين، فإذا كان واقعاً على وجه الظلم، كان قبيحاً، و إذا كان واقعاً على وجه الاستحقاق أو على وجه الامتحان، كان حسناً، فتعلق الارادة به لا يقتضى تعلقها على الوجه القبيح. و إذا علمنا أن القديم لا يفعل القبيح، علمنا أن إرادته الإهلاک على الوجه الحسن.
و قوله «أَمَرْنا مُتْرَفِيها»
المأمور به محذوف، و ليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق و ان وقع بعده الفسق، بل لا يمتنع أن يكون التقدير: و إذا أردنا أن نهلک قرية أمرناهم بالطاعة، ففسقوا فيها فحق عليها القول، و جرى ذلک مجرى قولهم: أمرته فعصى و دعوته فأبى، و المراد أمرته بالطاعة و دعوته إلى الاجابة و القبول، فعصى. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 459
فإن قيل: أىّ معنى لتقدم الارادة؟ فإن كانت متعلقة بإهلاک يستحق بغير الفسق المذكور فى الآية، فلا معنى لقوله «وَ إِذا أَرَدْنا ... أَمَرْنا»
، لأن أمره بما يأمر به لا يحسن إرادته للعقاب المستحق بما تقدم من الأفعال، و إن كانت الارادة متعلقة بالإهلاک المستحق بمخالفة الأمر المذكور فى الآية، فهو الذى تأبونه، لأنه يقتضى أنه تعالى مريد لإهلاک من لم يستحق العقاب!!.
قلنا: لم تتعلق الارادة إلا بالإهلاک المستحق بما تقدم من الذنوب، و إنما حسن قوله «إِذا أَرَدْنا ... أَمَرْنا»
أن فى تكرار الأمر بالطاعة بالايمان إعذاراً للعصاة و إنذاراً لهم و إيجاباً للحجة عليهم، و يقوى ذلک قوله قبل هذه الآية «وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» منبهاً بذلک أنه أراد إثبات الحجة و تكررها عليهم الثانى- أن يكون قوله «أَمَرْنا مُتْرَفِيها»
من صفة القرية وصلتها، و لا يكون جواباً لقوله «وَ إِذا أَرَدْنا»
و يكون تقدير الكلام: و إذا أردنا أن نهلک قرية من صفتها أنا «أَمَرْنا مُتْرَفِيها

فَفَسَقُوا فِيها»
و لا يكون ل (إذا) جواب ظاهر فى اللفظ، للاستغناء عنه بما فى الكلام من الدلالة عليه، و مثله قوله «حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ» إلى قوله «فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ» «1» و لم يأت ل (إذا) جواب فى طول الكلام للاستغناء عنه، و قال الهذلى:
حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة شلًا كما يطرد الجمالة الشردا «2»
فحذف جواب (إذا) و لم يأت به، لأن هذا البيت آخر القصيدة.
الثالث- أن يكون الكلام على التقديم و التأخير، و تقديره إذا أمرنا مترفى قرية بالطاعة، فعصوا، و استحقوا العقاب، أردنا إهلاكهم، و يشهد بهذا التأويل قوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ» «3» فالطهارة انما

---

(1) سورة 39 الزمر آية 73- 74
(2) تفسير روح المعانى 15: 3 و قد مر فى 1: 128، 149
(3) سورة 5 المائدة آية 6

تجب قبل القيام الى الصلاة. و مثله قوله «وَ إِذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ» «1» و قيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة لأن إقامتها هو الإتيان بجميعها على الكمال. و مثله قوله «ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِى الْقُوَّةِ» «2» و التقدير ما إنّ مفاتحه لتنوء بها العصبة أى يثقلون بها، و مثله قول الشاعر:
ذعرت القطا و نفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين «3»
أراد مقام الذئب اللعين، و قد فصلوا بين المضاف و المضاف اليه قال الشاعر:
بين ذراعى و جبهة الأسد «4»
أراد بين ذراعى الأسد و جبهته.
و الرابع- أن يكون ذكر الارادة فى الآية مجازاً و اتساعاً و تنبيهاً على المعلوم من حال القوم و عاقبة أمرهم، و أنهم متى أمروا فسقوا و خالفوا، و جرى ذلك مجرى قولهم: إذا أراد التاجر أن يفتقر أتته النوائب من كل وجه، و جاء الخسران من كل طريق، و إذا أراد العليل ان يموت خلط فى مأكله، و معلوم أن احداً ممن ذكرناه لم يرد ذلك، لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران، و من حال ذاك الهلاك، حسن هذا الكلام، و كان أفصح و أبلغ، لما فيه من الاستعارة و المجاز الذى لا يكون الكلام بليغاً من دونهما. و يكون تلخيص الكلام: إذا أردنا إهلاك قرية كقوله «جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ» «5» أمرناهم بالطاعة، ففسقوا فيها، فحق عليها القول.
و انما خصّ المترفون بذكر الأمر، لأنهم الرؤوساء الذين من عداهم تبع لهم،

كما أمر فرعون و من عداه تبع له من القبط. و من حمله على ان المراد به أكثرنا قال: لأن الأمر بالطاعة ليس بمقصور على المترفين، بل هو عام لجميعهم، فلذلک شدّد الميم أو مدّ الهمزة.

---

(1) سورة 4 النساء آية 102
(2) سورة 28 القصص آية 76
(3) مر هذا البيت فى 1: 343، 2: 47
(4) تفسير الطبرى 15: 34 (الطبعة الاولى)
(5) سورة 18 الكهف آية 77

و انما قال «فَفَسَقُوا فِيها»
و لم يقل: فكفروا، لأن المراد فتمردوا فى كفرهم لأن الفسوق فى الكفر الخروج إلى أفحشه، فكأنه قال ففسقوا بالخروج عن الأمر الى الكفر.
و قال ابن عباس و سعيد بن جبير: المعنى أمرناهم بالطاعة، ففسقوا، و مثله أمرتک فعصيتنى.
و من قرأ «أمّرنا مترفيها» بتشديد الميم من التأمير بمعنى التسليط، و قد يكون بمعنى أكثرنا. و يجوز ان يكون المعنى أكثرنا عددهم أو مالهم، و قرئ (آمرنا) ممدوداً، و المعنى أكثرنا مترفيها، و إنما قيل فى الكثرة آمر القوم، لأنهم يحتاجون إلى أمير يأمرهم و ينهاهم، فقد آمروا لذلک، قال لبيد:
ان يغبطوا يهبطوا و ان آمروا يوماً يصيروا للهلاک و الفند «1»
و روى و الكند و قال بعضهم أمرنا بمعنى أكثرنا، و قال ابو عمرو: و لا يكون من هذا المعنى (أمرنا) قال ابو عبيد: يدل على هذه اللغة قولهم: سكة مأبورة و مهرة مأمورة، أى كثيرة الولد. و من قال بالأول قال هذا لمكان الازدواج، كما قالوا الغدايا و العشايا، و الغداء لا يجمع على غدايا، و لكن قيل ذلک ليزدوج الكلام مع قولهم: العشايا، و قال قوم: يقال أمر الشىء و أمّرته اى كثر و كثرّته لغتان، مثل رجع و رجعته. و المشهور الاول. و إنما تعدى اما بالتضعيف او الهمزة، و إذا كان مخففاً فهو من الأمر الذى هو خلاف النهى، على ما بيناه. و قال المبرد «أمرنا» خفيفة بمعنى أكثرنا، و روى الجرمى:
فعلت و أفعلت «2»- عن أبى زيد- بمعنى واحد، قال و قرأته على الاصمعى.
«و دمرنا» معناه أهلكنا، و الدمار الهلاک.

---

(1) تفسير الطبرى 15: 61 و الشوكانى (الفتح القدير) 3: 207 و لكن الكذب و الفند الهلاک.

(2) هذا ما فى المخطوطة، و كان فى المطبوعة (ثقلت و أثقلت).
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 462

وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَ كَفى بِرَبِّکَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (17) مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً (18) وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَ سَعى لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِکَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (19)

ثلاث آيات بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى بأنه أهلک من القرون من بعد نوح، أُمَماً كثيرة، لإن «كم» يفيد التكثير ضد (ربّ) الذى يفيد التقليل، (و القرن) قيل: مائة و عشرون سنة- فى قول عبد اللّه ابن أبى أوفى- و قال محمد بن القاسم المازنى: هو مائة سنة، و قال قوم: هو أربعون سنة. و ادخلت الباء فى قوله «كفى بربک» للمدح: كما تقول: ناهيک به رجلًا، و جاد بثوبک ثوباً، و طاب بطعامک طعاماً و أكرم به رجلًا، و كل ذلک فى موضع رفع، كما قال الشاعر:

و يخبرنى عن غائب المرء هديه كفى الهدى عمّا غيّب المرؤ مخبرا «1»

فرفع لما اسقط الباء. و المعنى: كفى ربک عالماً و حسيباً بذنوب عباده بصيراً بها، ثمّ قال «مَنْ كانَ يُرِيدُ» المنافع «العاجلة» فى الدنيا «عَجَّلْنا لَهُ فِيها» يعنى فى الدنيا القدر الذى نريده لمن نريد، لا على قدر ما يريدون، لأن ما يريدونه ربما كانت فيه مفسدة، لا يجوز إعطاؤهم إياه، ثم بين انه إذا أعطاهم ما طلبوه عاجلًا جعل لهم جهنم جزاء، على معاصيهم و كفرهم يصلونها مذمومين مدحورين، اى فى حال ذمنا إياهم، يقال: أمته، و ذمته، و ذممته بمعنى واحد

---

(1) مجمع البيان 3: 407 و تفسير الطبرى 15: 42 [.....]

فهو مذؤم و مذيم و مذموم، و يكون ذأمته اى طردته، فهو مذؤم. و «مدحورا» اى متباعداً من رحمة اللّه دحرته أدحره دحراً اى باعدته.

ثم قال «وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ» اى خير الآخرة، ثواب الجنة «وَ سَعى لَها سَعْيَها» بأن فعل الطاعات و تجنب المعاصى، و هو مع ذلک مؤمن مصدق بتوحيد اللّه و مقر بأنبيائه، فإن أُولئک يكون «سعيهم مشكورا» اى تكون طاعاتهم مقبولة. و قال قتادة: شكر اللّه حسناتهم، و تجاوز عن سيّئاتهم. و المعنى أحلهم محلا يشكر عليه فى حسن الجزاء كما قال: «مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً» «1».

كُلاًّ نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّکَ وَ ما كانَ عَطاءُ رَبِّکَ مَحْظُوراً (20) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلاً (21) لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً (22)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قوله «كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ» نصب (كلًا) ب «نمد» (و هؤلاء) بدل منه و المعنى إنا نعطى البرَّ و الفاجر، و المؤمن و الكافر فى الدنيا. و اما الآخرة فللمتقين خاصة «وَ ما كانَ عَطاءُ رَبِّکَ مَحْظُوراً» اى لم يكن عطاء الله ممنوعاً، ثم قال لنبيه و المراد به أمّته معه «انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ» بأن جعلنا بعضهم أغنياء، و بعضهم فقراء، و بعضهم موالى، و بعضهم عبيداً، و بعضهم أصحاء و بعضهم مرضى، بحسب ما علمنا من مصالحهم. ثم قال «وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا» لأنهم معطون على مقدار طاعتهم، فمن كان كثير الطاعة

---

(1) سورة البقرة آية 245

حصلت له الدرجات العالية من الثواب. و إنما أراد يبين أن التفاضل فى الدنيا إذا كان يتنافس عليه، فالتفاضل فى الجنة اولى بأن يرغب فيه.

ثم قال لنبيه و المراد به امّته «لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ» توجه إليه عبادتک و تستدعى الحوائج من قبله فإنک إن فعلت ذلک قعدت مذموماً مخذولًا، و إذا كان الخطاب عامّاً كان التقدير، فلا تجعل ايها الإنسان مع الله إلهاً آخر. و نصب «فتقعد» لأنه جواب النهى.

وَ قَضى رَبُّکَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَکَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَ لا تَنْهَرْهُما وَ قُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً (23) وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِی صَغِيراً (24)

آيتان بلا خلاف.

قرا حمزة و الكسائی و خلف «يبلغان» بألف و كسر النون على التثنية.

الباقون يبلغن على الوحدة. و قرأ ابن كثير، و ابن عباس، و يعقوب «افَّ» بفتح الفاء من غير تنوين. و قرأ اهل المدينة و حفص بكسر الفاء مع التنوين.

الباقون بكسر الفاء من غير تنوين. و مثله فی الأحقاف.

قال ابو على الفارسی قوله «أحدهما» مرتفع بالفعل، و قوله «او كلاهما» معطوف عليه، و الذِّكر الذی عاد من قوله «أحدهما» يغنی عن إثبات علامة الضمير فی (يبلغنّ)، فلا وجه لمن قال: إن الوجه إثبات الالف، لتقدم ذكر الوالدين.

و يجوز ان يكون رفع (أحدهما) على البدل من الضمير فی (يبلغان) و يجوز ان يرفعه بفعل مجدد على تقدير إما يبلغان عندک الكبر. يبلغ أحدهما او كلاهما، التبيان فی تفسير القرآن، ج6، ص: 465

و يكون رفعاً على السؤال و التفسير كقوله «وَ أَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» «1» و من اثبت الألف، فعلى وجه التأكيد، و لو لم يذكر لم يخلّ بالكلام نحو قوله «أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ» «2» فقوله «غير أحياء» توكيد، لأن قوله «أموات» دل عليه قال: و قول ابن كثير (أفَّ) يبنی الفاء على الفتح، لأنه و ان كان فی الأصل مصدراً من قولهم (أفه و تفه) يراد به نتناً و ذفراً، لقد سمی الفعل به فبنی، و هذا فی البناء على الفتح كقولهم (سرعان ذا إهالة) لما سار اسماً ل (سرع)، فكذلک (أفَّ) لما كان اسماً ل (كره)، و مثله ريداً، فی أنه سمی به الفعل، فبنی و لم يلحق التنوين إلا ان هذا للأمر و النهی، و أف فی الخبر. و قول نافع فی البناء على الكسر مع التنوين، مثل (أف) فی البناء على الفتح: إلا أنه بدخول التنوين دل على التنكير مثل إيه و مه و صه، و مثله قولهم صه، فبنوه على الكسر، و إن كان فی الأصل مصدراً، كما كان (أف) فی الأصل كذلک، و من كسر و لم ينون جعله معرفة، فلم ينون، كما أن من قال: صه و ضاف، فلم ينون أراد به المعرفة.

و موضع (أف) على اختلاف القراءات موضع الجمل، مثل (رويد) فی أن موضعه موضع الجمل و كذلک لو قلت: هذا فدا «3» قال أبو الحسن. و قول من قال (أف) اكثر و أجود و لو جاء (أفّاً لک) أحتمل أمرين: أحدهما- أن يكون الذی صار اسماً للفعل لحقه التنوين لعلامة التنكير. و الآخر أن

يكون نصباً معرباً، و كذلک الضمير، فإن لم يكن معه لک كان ضعيفاً، كما انک لا تقول ويل حتى تقرن به لک، فيكون فى موضع الخبر و (أف) كلمة يكنى بها عن الكلام القبيح و ما يتأفف به، لأن التف وسخ الظفر و (الاف) وسخ الاذن. و قيل التف كل ما رفعت بيدک من حقير من الأرض، و قيل معنى الأف الثوم، و قيل

---

(1) سورة 21 الأنبياء آية 3
(2) سورة 16 النحل آية 21
(3) فى المخطوطة (هذا قفا) و نسخة اخرى (هذا فداء لک) و قد تركنا ما فى المطبوع على حاله فلم نغير فيه شىء،

الشرّ، و قد جرى مجرى الأصوات، فزال عنه الاعراب مثل (صه) و معناه اسكت، و مه و معناه كفَّ و هيهات هيهات اى بعيد بعيد، فإذا نوّنت أردت النكرة أى سكوتا و قبحاً، و إذا لم تنون أردت المعرفة. و إنما جاز تحريک الفاء بالضم و الفتح و الكسر، لان حركتها ليست حركة إعراب، و انما هى حركة التقاء الساكنين فتفتح لخفة الفتحة، و تضم اتباعاً للضم قبله، و قيل تضم تشبيهاً بقبل و بعد و تكسر على أصل حركة التقاء الساكنين.

و فى (أف) سبع لغات: أفٍ و افٍّ و افَّا و أفى مماله، و زاد ابن الانبارى بسكون الفاء. و روى عن الرضا عن أبية عن جعفر بن محمد (ع) انه قال (لو علم اللّه لفظ أوجز فى ترک عقوق الوالدين من (أف) لاتى به). فان قيل هل أباح اللّه أن يقال لهما أف قبل أن يبلغا الكبر؟ قلنا: لا، لأن اللّه أوجب على الولد إطاعة الوالدين على كل حال، و حظر عليه أذاهما و إنما خصّ الكبر، لأن وقت كبر الوالدين مما يضطر فيه الوالدان إلى الخدمة إذا كانا محتاجين عند الكبر، و فى المثل يقال فلان أبر من النسر، لان النسر إذا كبر و لم ينهض للطيران جاء الفرخ فزقه، كما كان أبواه يزقانه، و مثله قوله «وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَ كَهْلًا» «1» و الوجه فى قوله «و كهلا» مع ان الناس يكلمون كلهم حال الكهولة ان اللّه اخبر أن عيسى يكلم فى المهد أعجوبة و أخبر أنه يعيش حتى يكتهل و يتكلم بعد الكهولة، و نحوه قوله «وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ» «2» و انما خصّ ذلک اليوم بأن الأمر للّه، لأن فى الدنيا مع أنه يملک، قد ملک اقواماً جعلهم ملوكاً و خلفاء، و ذلک اليوم لا يملک سواه.

معنى قوله «وَ قَضى رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» أمر، فى قول ابن عباس و الحسن و قتادة و ابن زيد. فإن قيل: الامر لا يكون أمراً بألّا يكون الشىء، لأنه يقتضى إرادة المأمور به، و الإرادة لا تتعلق بألّا يكون الشىء، و إنما تتعلق بحدوث الشىء.

قلنا: المعنى انه كره ربكم عبادة غيره و أراد منكم عبادته على وجه الإخلاص

(1) سورة 3 ال عمران آية 46
(2) سورة 82 الانفطار آية 19

و سمى ذلک أمراً ب «أن لا تعبدوا إلا إياه» لأن معناهما واحد. و قوله «وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» العامل فى الباء يحتمل شيئين: أحدهما- و قضى بالوالدين إحساناً. و الثانى- و أوصى، و حذف لدلالة الكلام عليه، و المعنى متقارب، و العرب تقول: أمر به خيراً و أوصى به خيراً، و قال الشاعر:
عجبت من دهماء إذ تشكونا و من أبى دهماء إذ يوصينا
خيراً بها كأننا جافونا «1»
فأعمل «يوصينا» فى الخير، كما أعمل فى الإحسان. و قوله «إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَکَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما» معناه متى بلغ واحد منهما أو هما الكبر «فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ» أى لا تؤذهما بقليل و لا كثير «وَ لا تَنْهَرْهُما» أى لا تزجرهما بإغلاظ و صياح يقال: نهره ينهره نهراً، و انتهره انتهاراً إذا أغلظ له «وَ قُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً» أى شريفاً تكرمهما به. و توقّرهما «وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ» أى تواضع لهما و اخضع لهما.
و قرأ سعيد بن جبير «الذل» بكسر الذال. و الذل و الذلة مصدر الذليل، و الذل مصدر الذلول، مثل الدابة و الأرض تقول: جمل ذلول، و دابة ذلول «وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِى صَغِيراً» أى ادع لهما بالمغفرة و الرحمة كما ربّياک فى حال صغرک. و قال قوم الاستغفار لهما منسوخ إذا كانا مشركين بقوله «ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ» «2». و قال البلخى: الآية تختص بالمسلمين.

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما فِی نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صالِحِينَ فَإِنَّهُ كانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً (25) وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (26) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ وَ كانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً (27)

---

(1) تفسير الطبرى 15: 44 (الطبعة الاولى)
(2) سورة 9 التوبة آية 114

ثلاث آيات.
يقول اللَّه تعالى مخاطباً للمكلفين من عباده إنه أعلم بهم، و معناه إن معلوماته أكثر من معلوماتكم، و قد يقال: أعلم بمعنى أثبت فيما به يعلم، فيجىء من هذا إن اللَّه تعالى أعلم بأن الجسم حادث من الإنسان العالم به. و كذلك كل شىء يمكن ان يعلم على وجوه متغايرة، فاللَّه تعالى عالم به على تلك الوجوه و إن خفى على الواحد منا بعضها.
و معنى «بِما فِی نُفُوسِكُمْ» اى بما تضمرونه و تخفونه عن غيركم، فاللَّه أعلم به منكم، و فى ذلک غاية التهديد. ثم قال «إِنْ تَكُونُوا صالِحِينَ» اى تفعلون الأفعال الصالحة الحسنة الجميلة، فان اللَّه «كانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً» معنى «الأوابين» التوابين و هم الذين يتوبون مرة بعد مرة- فى قول سعيد بن المسيب- كلما أذنب ذنباً بادر بالتوبة. و قال سعيد بن جبير، و مجاهد: الأواب هو الراجع عن ذنبه بالتوبة. و أصله الرجوع يقال: آب يؤوب أوباً إذا رجع من سفره، قال عبيد بن الأبرص.
و كل ذى غيبة يؤب و غائب الموت لا يؤب «1»
ثم قال «وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ» و هو أمر من اللَّه لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم ان يعطى ذوى القربى حقوقهم التى جعلها اللَّه لهم، فروى عن ابن عباس و الحسن: انهم قرابة الإنسان. و
قال على بن الحسين (ع): هم قرابة الرسول،
و هو الذى رواه ايضاً أصحابنا. و
روى انه لما نزلت هذه الآية استدعى النبى صلّى اللَّه عليه و سلم فاطمة (ع) و أعطاها فدكاً و سلمه اليها، و كان و كلاؤها فيها طول حياة النبى صلّى اللَّه عليه و سلم، فلما مضى النبى صلّى اللَّه عليه و سلم

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 26 و تفسير الطبرى 15: 48

أخذها ابو بكر، و دفعها عن النحلة. و القصة فى ذلک مشهورة، فلما لم يقبل

بيّنتها، و لا قبل دعواها طالبت بالميراث، لأن من له الحق إذا منع منه من وجه جاز له ان يتوصل اليه بوجه آخر، فقال لها: سمعت رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و سلم يقول (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) فمنعها الميراث أيضاً
و كلامهما في ذلک مشهور، لا نطول بذكره الكتاب.
و قوله «وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ» أى و اعطوا هؤلاء أيضاً حقوقهم التى جعلها اللَّه لهم من الزكوات و غير ذلک. ثم نهاهم عن التبذير بقوله «وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً» و التبذير التفريق بالإسراف. و قال عبد اللَّه: التبذير إنفاق المال فى غير حقه، و هو قول ابن عباس و قتادة. و قال مجاهد لو أنفق مدّاً فى باطل كان تبذيرا.
ثم قال «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ» و قيل فى معناه قولان.
أحدهما- إن الشيطان أخوهم باتباعهم آثاره و جريهم على سنته.
و الثانى- انهم يقرنون بالشيطان فى النار. ثم أخبر عن حال الشيطان بأنه كفور لنعم اللَّه تعالى و جاحد لآلائه.

وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّکَ تَرْجُوها فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً (28) وَ لا تَجْعَلْ يَدَکَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِکَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً (29) إِنَّ رَبَّکَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (30)

ثلاث آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 470

يقول اللّه تعالى «وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ» و تقديره، و إن تعرض و (ما) زايدة.

و المعنى: و متى ما صرفت وجهک عنهم، يعنى عن الذين أمروا بإعطائهم حقوقهم ممن تقدم ذكره، لأنه قد يعرض عند عوز ما طلبوه، ليبتغى الفضل من اللّه، و السعة التى يمكنه معها البذل، و التقدير و إذا أتتک قرابتک أو سواهم من المحتاجين يسألونک فأعرضت عنهم، لأنه لا شىء عندک، فقل لهم قولا حسناً، اى عدهم عدة جميلة. و الاعراض صرف الوجه عن الشىء، و قد يكون عن قلى، و قد يكون للاشتغال بما هو الاولى، و قد يكون لاذلال الجاهل مع صرف الوجه عنه، كما قال «وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ» «1» و قوله «ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّکَ تَرْجُوها» و الابتغاء الطلب. و قوله «ترجوها» معناه تأملها، و الرجاء تعلق النفس بطلب الخير ممن يجوز منه، و من يقدر على كل خير و صرف كل شر، فهو أحق بأن يرجا، و لذلک قال أمير المؤمنين (ع) (ألا لا يرجون أحدكم إلا ربه، و لا يخافن إلا ذنبه).

و قوله: «فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُوراً» المعنى إذا أعرضت ابتغاء رزق من ربک، فقل لهم قولا ليناً سهلا، مثل: رزقنا اللّه تعالى، و هو قول الحسن و مجاهد و ابراهيم و غيرهم. و قال ابن زيد: تعرض عنهم إذا خشيت أن ينفقوا بالعطية على معاصى اللّه، فيكون تبتغى رحمة من اللّه لهم بالتوبة، و أصل التيسير التسهيل، و اليسر خلاف العسر، و قد يكون التيسير بالتقليل، فيسهل عليه لقلته، و يكون بمنزلة المعونة على عمله.

ثم قال تعالى «وَ لا تَجْعَلْ يَدَکَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِکَ» أى لا تكن ممن لا يعطى شيئاً و لا يهب، فتكون بمنزلة من يده مغلولة إلى عنقه، لا يقدر على الإعطاء و ذلک مبالغة فى النهى عن الشحّ و الإمساک «وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ» أى و لا تعط ايضاً جميع ما عندک، فتكون بمنزلة من بسط يده حتى لا يستقر فيها شىء و ذلک كناية عن الإسراف. و قوله «فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً» معناه إن أمسكت

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 199

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 471

قعدت ملوماً عند العقلاء مذموماً، و إن اسرقت بقيت محسوراً، أى مغموماً

متحسراَ، و أصل الحسر الكشف من قولهم، حسر عن ذراعيه يحسر حسراَ، إذا كشف عنهما. و الحسرة الغم لانحسار ما فات، و دابة حسير إذا كلت لشدة السير، لانحسار قوتها بالكلال. و كذلک قوله «يَنْقَلِبْ إِلَيْکَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ» «1» و المحسور المنقطع به لذهاب ما فى يده، و انحساره انقطاعه عنه، قال الهذلى:

إن العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور «2»

ثم قال «إن ربک» يا محمد «يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ» فيوسعه عليه على حسب ما يعلم له من المصلحة فيه «و يقدر» أى يضيق عليه لعلمه بما فيه من الصلاح، كما قال «وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِى الْأَرْضِ» «3» و قوله «إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً» أى و هو عالم بأحوالهم، لا يخفى عليه ما يصلحهم، و ما يفسدهم، فيفعل معهم بحسب ذلک.

وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً (31) وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِيلاً (32) وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً (33)
ثلاث آيات.

---

(1) سورة 67 الملک (تبارک) آية 4
(2) الشاعر هو قيس بن خويلد الهذلى، الكامل 109، 410 و اللسان و التاج (حسن) (شطر) و مجاز القران 1: 375
(3) سورة 42 الشورى آية 27

قرأ ابن كثير «خطاء» بكسر الخاء و بألف بعد الطاء ممدوداً. و قرأ ابو جعفر و ابن ذكوان- بفتح الخاء و الطاء- من غير ألف بعدها و بغير مد.
الباقون بكسر الخاء من غير مد، إلا ان الداجونى عن هشام روى وجهين:
أحدهما- مثل أبى عمرو، و الآخر- مثل أبى جعفر. و قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً «فلا تسرف» بالتاء. الباقون بالياء. قال ابو على الفارسى: قول ابن كثير (خِطاء) يجوز ان يكون مصدر خاطأ، و ان لم يسمع (خاطأ) و لكن قد جاء ما يدل عليه، لأن أبا عبيدة انشد:
تخاطأت النبل أحشاه «1»
و أنشدنا محمد بن السدى فى وصف كمأة:
و أشعث قد ناولته أحرس القرى أدرَّت عليه المدجنات الهواضب
تخاطأه القُنَّاص حتى وجدته و خرطومه من منقع الماء راسب «2»
فتخاطأت مما يدل على خاطأ، لأن (تفاعل) مطاوع (فاعل) كما ان (تفعّل) مطاوع فعّل، و قول ابن عامر (خطأ)، فان الخطأ ما لم يتعمد، و ما كان المأثم فيه موضوعاً عن فاعله، و قد قالوا: اخطأ فى معنى خطئ، كما ان خطئ فى معنى اخطأ، قال الشاعر:
عبادک يخطئون و أنت ربٌّ كريم لا تليق بک الذُّموم «3»
ففحوى الكلام أنهم خاطئون، و فى التنزيل «لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا» فالمؤاخذة من المخطئ موضوعة، فهذا يدل على ان اخطأ فى قوله:
يا لهف هند إذ خطئن كاهلا «4»

---

(1) تفسير القرطبى 10: 253 و اللسان «خطئ» و عجزه:
و اخر يوم فلم اعجل

[.....]
(2) تفسير القرطبى 10: 253 و تفسير روح المعانى 15: 67
(3) اللسان «خطا»
(4) قائله امرؤ القيس: ديوانه «الطبعة الرابعة» 175 و اللسان «خطأ». و هو مطلع رجز قاله عند ما أغار على بنى اسد لما نزلوا على بنى كنانة و بعده:
تاللّه لا يذهب شيخى باطلا حتى أبير مالكا و كاهلا
القاتلين الملك الحلاحلا
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 473
و فى قول آخر:
و الناس يلحون الأمير إذا هم خطئوا الصواب و لا يلام المرشد «1»
اى أخطئوه، و كذلک قول ابن عامر (خطأ) فى معنى أخطأ، و جاء الخطأ فى معنى الخطاء، كما جاء خطئ فى معنى اخطأ. و قال ابو الحسن: هذا خطاء من رأيک، فيمكن أن يكون خطأ لغة فيه أيضاً. و من قرأ «خطأ» فلانه يقال خطئ يخطأ خطأ إذا تعمد الشىء حكاه الاصمعى، و الفاعل منه خاطئ، و قد جاء الوعيد فيه فى قوله «لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخاطِؤُنَ» «2» و يجوز أن يكون الخِطأ لغة فى الخطأ مثل المثل و المثل، و الشبه و الشبهةَ، و البدل و البدل، قال الفراء: لغتان مثل قتب و قتب، و بدل و بدل، و حكى ابن دريد عن أبى حاتم، قال تقول:
مكان مخطؤ فيه من خطئت و مكان مخطأ فيه من اخطأ يخطئ، و مكان مخطوّ بغير همزة من تخطى الناس فيخطى، و من همزه تخطّيت الناس، فقد غلط و قال المبرد: خطّأه و خطاه بمعنى، عند أبى عبيدة و الفراء و الكسائى، إلّا ان (الخطأ) بكسر الخاء أكثر فى القرآن (و الخطأ) بالفتح أفشى فى كلام الناس و لم يسمع الكثير فى شىء من أشعارهم الا فى بيت قاله الشاعر:
الخِطأ فاحشة و البرّ فاضلة كعجوة غرست فى الأرض تؤتبر «3»
قال ابو عبيد: و فيه لغتان، خطئت و أخطأت، فمن قال: خطئت قال خطأ الرجل يخطأ خطأ، و خطاء، يكون الخطأ بفتح الخاء هو المصدر، و بكسرها الاسم. و من قال اخطأت كان الخطأ بالفتح و الكسر، جميعاً اسمين و المصدر الإخطاء.
و قال أبو على: قوله «فَلا يُسْرِفْ فِى الْقَتْلِ» فاعل يسرف يجوز أن يكون أحد شيئين:
أحدهما- أن يكون القاتل الأول، فيكون التقدير فلا يسرف القاتل فى القتل

---

(1) قائله عبيد ابن الأبرص. ديوانه «دار بيروت» 58 و روايته (إذا غوى خطب) و قد مر فى 2: 387

(2) سورة 69 الحاقة آية 37
(3) تفسير الطبرى 15: 54
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 474
و جاز أن يضمر، و إن لم يجر له ذكر، لأن الحال تدل عليه، و يكون تقديره بالإسراف جارياً مجرى قوله فى أكل مال اليتيم «وَ لا تَأْكُلُوها إِسْرافاً وَ بِداراً أَنْ يَكْبَرُوا» «1» و إن لم يجز أن تأكل منه لا على الاقتصاد و لا على غيره، لقوله «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ ناراً» «2» فحظر أكل مال اليتيم حظراً عامّاً و على كل حال، فكذلك لا يمتنع أن يقال للقاتل الأول لا تسرف فى القتل، لأنه يكون بقتله مسرفاً، و يؤكد ذلك قوله «يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» «3» فالقاتل داخل فى هذا الخطاب- بلا خلاف- مع جميع مرتكبى الكبائر، و يكون الضمير على هذا فى قوله «إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً» على قوله «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً» [و تقديره، فلا يسرف القاتل الأول بقتله فى القتل، لأن من قتل مظلوماً كان منصوراً] «4» بأن يقتص له وليّه أو السلطان إن لم يكن له ولىّ غيره، فيكون هذا ردعاً للقاتل عن القتل، كما أن قوله «وَ لَكُمْ فِى الْقِصاصِ حَياةٌ» «5» كذلك، فالولى إذا اقتص، فإنما يقتص للمقتول، و منه انتقل إلى الولى بدلالة أن المقتول يبرئ من السبب المؤدى إلى القتل، و لم يكن للولى أن يقتص، و لو صالح الولى من العمد- على مال كان- للمقتول أن يؤديه منه ديناً عليه أن يقتص منه دون المقتول، و لا يمتنع أن يقال فى المقتول منصور، لأنه قد جاء قوله «وَ نَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا».
و الآخر- أن يكون فى يسرف ضمير الولى، و تقديره فلا يسرف الولى فى القتل، و إسرافه فيه أن يقتل غير من قتل او يقتل اكثر من قاتل وليه، لان مشركى العرب كانوا يفعلون ذلك، و التقدير فلا يسرف فى القتل ان الولى كان منصوراً بقتل قاتل وليّه. و الاقتصاص منه.
و من قرا بالتاء احتمل ايضاً وجهين:

---

(1) سورة 4 النساء آية 5
(2) سورة النساء آية 9
(3) سورة 39 الزمر آية 53
(4) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة
(5) سورة البقرة آية 179
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 475
أحدهما- ان يكون المستثنى القاتل ظلماً، فقيل له لا تسرف ايها الإنسان فقتل ظلماً من ليس لک قتله، إذ من قتل مظلوماً كان منصوراً بأخذ القصاص له.
و الآخر- ان يكون الخطاب للولى، و التقدير لا تسرف فِى القتل ايها الولى

فتتعدى قاتل وليّک الى من لم يقتله، لان المقتول ظلماً كان منصوراً، و كل واحد من المقتول ظلماً و من وليّ المقتول قد تقدم فى قوله «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً» الآية.
و قوله «و لا تقتلوا» يحتمل موضعه شيئين من الاعراب:
أحدهما- ان يكون نصباً ب «قَضى رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ... وَ لا تَقْتُلُوا» و يحتمل ان يكون جزماً على النهى، فيكون اللّه تعالى نهى الخلق عن قتل أولادهم خشية الاملاق.
و (الاملاق) الفقر، و هو قول ابن عباس، و قتادة، و مجاهد، و انما نهاهم عن ذلک لأنهم كانوا يئدون البنات بدفنهم احياء فنهاهم اللّه عن ذلک.
و قوله «نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ» إخبار منه تعالى انه الذى يرزق الأولاد و الآباء فلا ينبغى قتلهم خوف الفقر، و اخبر ان قتلهم فى الجاهلية «كانَ خِطْأً كَبِيراً» و هو الآن خطأ و إثم كبير، ثم قال «وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى» و معناه لا تزنوا، و الزنا هو وطؤ المراة حراماً بلا عقد و لا شبهة عقد مختاراً، ثم اخبر ان الزنا فاحشة اى معصية كبيرة «و ساء سبيلا» اى بئس الطريق ذلک. و فى الناس من قال:
الزنا قبيح بالعقل لما فى ذلک من إبطال حق الولد على الوالد، و فساد الأنساب.
و قوله «وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ» نهى من اللّه تعالى عن قتل النفوس المحرم قتلها، و استثنى من ذلک من يجب عليه القتل إمّا لكفره، أو ردّته، او قتله قصاصاً، فان قتله كذلک حق، و ليس بظلم، و قد فسرنا تمام الآية.
و السلطان الذى جعله اللّه للولى، قال ابن عباس، و الضحاک: هو القَود أو الدّية او العفو. و قال قتادة الهاء فى قوله «إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً» عائدة على الولى. و قال مجاهد عائدة على المقتول. و نصرة اللّه له بذلک حكمه له بذلک. و قيل نصرة النبى و المؤمنين، ان يعينوه. و قيل الولى هم الوارث من الرجال من الأولاد الذكور و من الأقارب من كان من قبل الأب.

وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً (34) وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً (35) وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً (36)

ثلاث آيات.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر عن عاصم «بالقسطاس» بكسر القاف. الباقون بالضم، و هما لغتان. و قال الزجاج: القسطاس هو الميزان صغر او كبر. و قال الحسن: هو القبان. و قال مجاهد: هو العدل بالرومية و هو القرصطون. و قال قوم: هو الشاهين. و قرأ ابو بكر عن عاصم «بالقصطاس» بالصاد قلبت السين صاداً مثل (صراط، و سراط) لقرب مخرجهما.

فى الآية الاولى نهى من اللّه تعالى لجميع المكلفين ان يقربوا مال اليتيم إلَّا بالتى هى احسن، و هو ان يحفظوا عليه و يثمروه او ينفقوا عليه بالمعروف على ما لا يشك انه أصلح له، فأمّا لغير ذلک، فلا يجوز لاحد التصرف فيه. و انما خصّ اليتيم بذلک و ان كان التصرف فى مال البالغ بغير اذنه لا يجوز ايضاً، لان اليتيم الى ذلک أحوج و الطمع فى مثله اكثر.

و قوله «حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ» قال قوم: حتى يبلغ ثمانية عشرة سنة. و قال آخرون:

حتى يبلغ الحلم. و قال آخرون- و هو الصحيح- حتى يبلغ كمال العقل و يؤنس منه الرشد.

و قوله «وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ» امر من اللّه تعالى بالوفاء بالعهود، و هو العقد الذى يقدم للتوثق من الامر، و متى عقد عاقد على ما لا يجوز، فعليه نقض ذلک العقد التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 477

الفاسد و التبرُّؤ منه. و انما يجب الوفاء بالعقد الذى يحسن. و قيل المعنى فى الآية أوفوا بالعهد فى الوصية بمال اليتيم و غيرها. و قيل كل ما امر اللّه به و نهى عنه، فهو من العهد، و قد يجب الشىء للنذر، و للعهد، و الوعد به، و ان لم يجب ابتداء، و انما يجب عند العقد.

و قوله «إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلًا» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه كان مسؤولًا عنه للجزاء عليه، فحذف (عنه) لأنه مفهوم.

و الثانى- كأن العهد يسأل فيقال له: لم نقضت؟ كما تسأل الموؤدة بأى ذنب قتلت. ثم أمرهم ان يوفوهم الكيل إذا كالوهم، و لا يبخسوهم و لا ينقصوهم، و ان يوفوا، بالميزان المستقيم الذى لا غبن فيه، فإن ذلک خير و احسن تأويلا، اى احسن عاقبة، و هو ما يرجع اليه أمره. ثم نهى نبيه صلّى اللّه عليه و سلم ان يقفو ما ليس له به علم، و هو متوجه الى جميع

المكلفين، و معناه لا تقل: سمعت، و لم تسمع، و لا رأيت و لا علمت، و لم تر، و لم تعلم- فى قول قتادة- و اصل القفو اتباع الأثر، و منه القيافة، و كأنه يتبع قفا الأثر المتقدم قال الشاعر:

و مثل الدّمى سم العرانين ساكن بهنّ الحيا لا يشعن التقافيا «1»

أى التقاذف. و قال أبو عبيد و المبرد: القفو العضيهة، «و لا تقف»- بضم القاف و سكون الفاء- من قاف يقوف، و يكون من المقلوب مثل جذب و جبذ.

«و مسؤولًا» نصب على أنه خبر كان.

و استدل بهذه الآية، على أنه لا يجوز العمل بالقياس و لا بخبر الواحد، لأنهما لا يوجبان العلم، و قد نهى اللَّه تعالى أن يتبع الإنسان ما لا يعلمه. و قوله «إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِکَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا» أى يسأل عما يفعل بهذه الجوارح من الاستماع لما لا يحل، و الإبصار لما لا يجوز. و الارادة لما يقبح. و إنما قال «كل أولئک» و لم يقل كل ذلک، لأن أولئک و هؤلاء للجمع القليل من المذكر و المؤنث فإذا أراد الكثير جاء بالتأنيث. فقال: هذه و تلک، قال الشاعر:

---

(1) قائله النابغة الجعدى. شواهد الكشاف 327 و تفسير الطبرى 15/ 58 و مجاز القرآن 1/ 379

ذم المنازل بعد منزلة اللّوى و العيش بعد أولئک الأيام «1»

وَ لا تَمْشِ فِی الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّکَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً (37) کُلُّ ذلِکَ کانَ سَیِّئُهُ عِنْدَ رَبِّکَ مَکْرُوهاً (38) ذلِکَ مِمَّا أَوْحی إِلَیْکَ رَبُّکَ مِنَ الْحِکْمَةِ وَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقی فِی جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً (39) ثلاث آيات.

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و نافع «سيىء» منوناً غير مضاف. الباقون على الاضافة فمن قرأ على الاضافة قال: لأنه قد تقدم ذكر حسن و سىء فى قوله «وَ قَضی رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِیَّاهُ وَ بِالْوالِدَیْنِ إِحْساناً» فخصّ من ذلک السىء بأنه مكروه عند اللّه، لأنه تعالى لا يكره الحسن، و قوّوا ذلک بقراءة أبى «كان سيئاته» بالجمع مضافاً. و قال آخرون إنما أراد بذلک المنهى عنه فقط، و قالوا: ليس فيما نهى اللّه تعالى عنه حسن بل جميعه مكروه، «و كل» و إن كان لفظه لفظ الواحد فمعناه معنى الجميع، فلذلک قال كان بلفظ الواحد. و مثله قوله «وَ کُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِینَ» «2» و قال «إِنْ کُلُّ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتِی الرَّحْمنِ عَبْداً» «3» و (مكروها) على هذه القراءة نصب على الحال من الضمير فى «عند ربک» أو يكون بدلًا من قوله «سيئه».

و فى ذلک دلالة على بطلان مذهب المجبرة من أنّ اللّه تعالى يريد المعاصى، لان هذه الآية صريحة بأن السىء من الافعال مكروه عند اللّه.

---

(1) تفسير القرطبى 10/ 260 و تفسير الشوكانى (الفتح القدير) 3/ 219 و روح المعانى 15: 74

(2) سورة 27 النمل آية 87 [.....]

(3) سورة 19 مريم آية 94

و قوله «وَ لا تَمْشِ فِی الْأَرْضِ مَرَحاً» نهى للنبى صلّى اللّه عليه و سلم و المراد به الأمّة أن يمشوا فى الأرض مرحين.

و قيل فى معنى المرح أربعة أقوال: أولها- انه البطر و الأشر. و الثانى- التبختر فى المشى و التكبر. الثالث- تجاوز الإنسان قدره مستخفاً بالواجب عليه و الرابع- شدة الفرح بالباطل.

و قوله «إِنَّکَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ» مثل ضربه اللّه بأنک يا إنسان لن تخرق الأرض من تحت قدمک بكبرک «وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ» بتطاولک. و المعنى انک لن تبلغ بما تريد كثير مبلغ، كما لا يمكنک ان تبلغ هذا، فما وجه المكابرة على ما هذه سبيله مع زجر الحكمة عنه. و أصل الخرق القطع، خرّق الثوب تخريقا أى قطعة و رجل خرق أى يقطع الأمور التى لا ينبغى ان يقطعها. و

الخرق الفلاة، لانقطاع أطرافها بتباعدها قال رؤبة:
و قائم الاعماق خاو المخترق مشتبه الاعلام لماع الخفق «1»
أى خاو المنقطع، و المرح شدة الفرح، مرح يمرح مرحاً، فهو مرح. و قال قتادة: مرحاً خيلاء و كبراً. و قوله «ذلِكَ مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ» أى ذلک الذى ذكرناه و قصصناه من جملة ما اوحى اليک يا محمد ربک من الحكمة أى الدلائل التى تؤدى إلى المعرفة بالحسن و القبيح، و الفرق بينهما، و الواجب مما لا يجب، و ذلک كله مبين فى القرآن، فهو الحكمة البالغة. ثم نهاه ان يتخذ مع اللَّه معبوداً آخر يشركه فى العبادة مع اللّه، فإنک متى فعلت ذلک ألقيت فى «جهنم ملوما» أى مذموماً «مدحورا» مطروداً- فى قول ابن عباس.

أَ فَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً (40) وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَ ما يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً (41) قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إِذاً لابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً (42)

---

(1) ديوانه 108 و قد مر قسم من هذا الرجز فى 1: 296 و فى 4: 297

ثلاث آيات بلا خلاف.

الألف فى «أ فأصفاكم» ألف استفهام، و المراد بها الإنكار لأنه لا جواب لمن سئل إلا بما فيه أعظم الفضيحة، و فى ذلک تعليم سؤال المخالفين للحق، و هذا خطاب لمن جعل للّه بنات، و قال الملائكة بنات اللّه، فقال اللّه تعالى لهم:

أ أخلص لكم البنين و اختار لكم صفوة الشىء دونه؟ و جعل البنات مشتركة بينكم و بينه، فاختصكم بالأرفع و جعل لنفسه الا دون؟!! ثم أخبر أنهم يقولون فى ذلک «قولا عظيما» أى عظيم الوبال و الوزر.

و قوله «لَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا» و قرأ حمزة و الكسائى فى جميع القرآن خفيفاً، من ذكر يذكر. و الباقون بالتشديد فى جميع القرآن بمعنى ليتذكروا، فأدغموا التاء فى الذال. و فى ذلک دلالة على بطلان مذهب المجبرة لأنه أراد التصريف فى القرآن، ليذكر المشركون ما يردهم إلى الحق، و هذا مما علقت الارادة الفعل فيه بالمعنى من التذكر. و لولاها لم يتعلق. ثم اخبر انه و ان أراد منهم الإيمان و الهداية بتصريف القرآن لا يزدادون هم إلا نفورا عنه.

فان قيل كيف يجوز أن يفعل تعالى ما يزدادون عنده الكفر؟ و هل ذلک الا استفساد و منع اللطف؟! قلنا: ليس فى ذلک منع اللطف، بل فيه إظهار الدلائل، مما لا يصح التكليف إلّا معه و لو لم تظهر الدلائل، لازدادوا فسادا بأعظم من هذا الفساد، و فى إظهار الدلائل صلاح حاصل لمن نظر فيها و أحسن التدبر لها. و إنما جاز أن يزدادوا بما يؤنس من الدلائل نفوراً، باعتقادهم أنها حيل و شبه، فنفروا منها أشد النفور لهذا الاعتقاد الفاسد، و منعهم ذلک من التدبر لها و ادراک منزلتها فى عظم الفائدة، و جلالة المنزلة. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 481

ثم قال لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم «قل» يا محمد لهؤلاء المشركين «لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ» أخرى كما يزعمون «لابتغوا» ما يقربهم اليه لعلوّه عليهم و عظمته عندهم- فى قول قتادة و الزجاج- و قال الحسن و الجبائى: لا تبغوا

سبیلا إلی مغالبته و مضادّته، کما قال «لَوْ کانَ فِیهِما آلِهَةٌ إِلّا اللّهُ لَفَسَدَتا» «1».

سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً (43) تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً (44) وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً (45)
ثلاث آيات بلا خلاف.
قرأ أهل العراق إلا أبا بكر «تسبح» بالتاء. و قرأ ابن كثير و حفص «عمّا يقولون» بالياء. و قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر «عما تقولون» بالتاء.
قال ابو على: فمن قرأ «عما يقولون» بالياء فالمعنى على ما يقول المشركون. و من قرأ بالتاء يحتمل شيئين:
أحدهما- أن يعطف على قوله «كما تقولون» كما عطف قوله «يحشرون» على «ستغلبون».
و الثانى- ان يكون نزه نفسه عن دعواهم، فقال «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يَقُولُونَ». و قرأ عاصم و نافع و ابن عامر و ابن عباس: بالياء عطف على ما تقدم. و قوله «عما يقولون»

---

(1) سورة 21 الأنبياء آية 22

على أنه نزه نفسه عن قولهم أو على معنى قل لهم سبحانه عما يقولون فأمّا قوله «يسبح» بالياء و التاء، فحسنان. و قد بينا فى غير موضع معناه، و يقوّى التأنيث قراءة عبد اللّه فسبحت له السموات.
لما اخبر اللّه تعالى أنه «لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ» سواه على ما يدعيه المشركون «لَابْتَغَوْا إِلى ذِى الْعَرْشِ سَبِيلًا» و نزه نفسه عن ذلک، فقال «سبحانه» و يحتمل أن يكون أمر نبيه أن يقول «سبحانه» أى تنزيهاً له تعالى «عَمَّا يَقُولُونَ» أى عن قولهم، و يجوز ان يكون المراد عن الذى يقولونه من الأقوال الشنيعة فيه بأن معه آلهة «عُلُوًّا كَبِيراً» و إنما لم يقل تعالياً، لأنه وضع مصدراً مكان مصدر نحو «وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا» «1» و معنى «تعالى» اى صفاته فى أعلى المراتب، فانه لا مساوى له فيها، لأنه قادر، و لا أحد أقدر منه، و عالم لا أحد أعلم منه، و لا مساوى له فى ذلک.
ثم أخبر أنه «تُسَبِّحُ لَهُ» اى ينزهه عن ذلک «السَّماواتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ» يعنى فى السموات و الأرض من العقلاء، و تنزيه السموات و الأرض هو ما فيهما من الدلالة على توحيده و عدله، و أنه لا يشركه فى الإلهية سواه. و جرى ذلک مجرى التسبيح باللفظ، و تسبيح العقلاء يحتمل ذلک: تسبيحهم باللفظ، غير أن ذلک يختص بالموحدين منهم دون المشركين.

و قوله «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» اى ليس شىء من الموجودات إلا يسبح بحمد اللّه، يعنى كل شىء يسبح بحمده، من جهة خلقته، او معنى صفته إذ كل موجود سوى القديم تعالى حادث، يدعو إلى تعظيمه لحاجته إلى صانع غير مصنوع، صنعه أو صنع من صنعه، فهو يدعو إلى تثبيت قديم غنى بنفسه عن كل شىء سواه، لا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات، و ما عداه الحادث يدل على تعظيمه بمعنى حدثه من معدوم لا يصح الا به، لدخوله فى مقدوره او مقدور

---

(1) سورة 73 المزمل آية 8

مقدوره و مما سبحه من يسبح بحمده من جهته، معنى صفة فى قوله، فهو على العموم فى كل شىء.

و قال بعضهم: سل الأرض من شقّ أنهارک؟ و غرس أشجارک؟ و جنى ثمارک؟ فان لم تجبک حواراً أجابتک اعتباراً.

و قال الحسن: المعنى و إن من شىء من الأحياء إلا يسبح بحمده. و قال على ابن ابراهيم و غيره من اهل العلم: كل شىء على العموم يسبح بحمده حتى صرير الباب.

و قوله «وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» اى لستم تفقهون تسبيح هذه الأشياء، من حيث لم تنظروا فيها، فتعلموا كيفية دلالتها على توحيده.

و قوله «إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً» اى كان حليماً حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على كفركم، و أمهلكم إلى يوم القيامة، و ستره عليكم، لأنه ستّار على عباده، غفور لهم إذ تابوا و أنابوا اليه و قوله «وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ» خطاب لنبيه محمد صلّى اللّه عليه و سلم انه متى قرأ القرآن «جَعَلْنا بَيْنَکَ» يا محمد «و بين» المشركين «حِجاباً مَسْتُوراً» اى كأن بينک و بينهم حجاباً من أن يدركوا ما فيه من الحكمة و ينتفعوا به. و قيل: «مستوراً» عن أبصار الناس. و قيل «مستوراً»- هاهنا- بمعنى ساتراً عن إدراكه، كما يقال: مشؤوم عليهم أو ميمون فى موضع شائم و يأمن، لأنه من شؤمهم و يمنهم.

و الأول أظهر و قيل قوله «جعلنا بينک» و بينهم «حِجاباً مَسْتُوراً» نزل فى قوم كانوا يأذونه باللسان إذا تلا القرآن، فحال اللّه بينهم و بينه حتى لا يؤذوه.

و الأول- قول قتادة: و الثانى- قول ابو على، و الزجاج. و قال الحسن: معناه إن منزلتهم فيما أعرضوا عنه منزلة من بينک و بينه حجاب.

وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً (46) نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوى إِذْ يَقُولُ الظّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً (47) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (48)

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 484

ثلاث آيات.

معنى قوله «وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً» أى حكمنا بأنهم بهذه المنزلة ذمّاً لهم على الامتناع من تفهم الحق، و الاستماع اليه، لتأمل معانيه، مع الإعراض عنه عداوة له و نفوراً منه. و قال الجبائى: إنه تعالى منعهم من ذلک و حال بينهم و بينه فى وقت مخصوص، لئلا يؤذوا النبى صلّى اللّه عليه و سلم و إنما قال «و جعلنا» و لم يقل و جعلناهم «عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً» لأنه ابلغ فى الذّم مع قيام الدليل من جهة التكليف أنه ليس على جهة المنع، و انما لم يجز المنع و الحيلولة بينهم و بين ان يفقهوه، لأن ذلک تكليف ما لا يطاق، و ذلک قبيح لا يجوز ان يفعله اللّه تعالى، على انه لا يصح ان يريد تعالى ما يستحيل حدوثه، و إنما يصح ان يراد ما يصح ان يحدث او يتوهم ذلک منه، لأن استحالته صارفة عن ان يراد، و لا داع يصح أن يدعو إلى ارادته، و تجرى استحالة ذلک مجرى استحالة ان يريد كون الشىء موجوداً معدوماً فى حال واحده.

(و الأكنة) جمع كنان، و هو ما ستر. و قوله «وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً» أى و جعلنا فى آذانهم و قراً. (و الوقر)- بفتح الواو- الثقل فى الأذن، و بالكسر الحمل. و الأصل فيه الثقل إلا انه خولف بين البنائين للفرق.

و قوله «وَ إِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ» يعنى إذا ذكرته بالتوحيد و انه لا شريک له فى الإلهية «و لوا» عنک و لم يسمعوه «عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً» نافرين عنک. و قال بعضهم: إذا سمعوا بسم اللّه الرحمن الرحيم ولّوا.

ثم اخبر تعالى عن نفسه انه «اعلم» من غيره «بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ» فى حال ما «يستمعون اليک» اى يصغون إلى سماع قراءتک و يعلم أى شىء غرضهم فيه التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 485

و قوله: «وَ إِذْ هُمْ نَجْوى» معناه إذ يتناجون بأن يرفع كل واحد سره الى الآخر، و وصفوا بالمصدر، لأن نجوى مصدر، و نجواهم زعمهم انه مجنون، و انه ساحر و انه اتى بأساطير الأولين- فى قوله قتادة- و كان من جملتهم الوليد بن المغيرة.

و قوله «إِذْ يَقُولُ الظّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلّا رَجُلًا مَسْحُوراً» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- إنكم ليس تتبعون إلا رجلًا قد سحر، فاختلط عليه أمره، يقولون ذلک للتنفير عنه، كما يقال: سحر فلان، فهو مسحور إذ اختلط عقله. و قيل «مسحوراً» أى مصروفاً عن الحق، يقال: ما سحرک عن كذا؟ أى ما صرفک.
الثانى- ان له سحراً أى رئة، لا يستغنى عن الطعام و الشراب، فهو مثلكم.
و العرب تقول للجبان: انتفخ سحره قال لبيد:
فان تسلينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر «1»
و قال آخر:
و نسحر بالطعام و بالشراب «2»
و قيل: إن «نفوراً» جمع نافر، كقاعد و قعود، و شاهد و شهود، و جالس و جلوس. و قيل: مسحور معناه مخدوع. و معنى الآية البيان عما يوجبه حال الجاحد للحق المعادى لأهله و ذمه بأن قلبه كأنه فى أكنَّة عن تفهمه، و كأن فى أذنيه و قراً عن استماعه فهو مول على دبره، نافر عنه بجهله يناجى بالانحراف عنه جهالًا مثله، قد تعبوا بالحجة حتى نسبوا صاحبها إلى أنه مسحور، لما لم يكن إلى مقاومة ما أتى به سبيل، و لا على كسره دليل.

_____
(1) ديوانه 1/ 80 و تفسير القرطبى 10/ 272 و مجاز القرآن 1/ 381 و تفسير الطبرى 15/ 63 و اللسان (سحر) و روح المعانى 15: 90 و قد مر فى 1: 372
(2) قائله امرؤ القيس. ديوانه (الطبعة الرابعة) 63 القصيدة 3 و هو مطلعها. و تفسير القرطبى 10: 273 و مجاز القرآن 1: 382 و اللسان (سحر) و تفسير الشوكانى 3: 223 و تفسير روح المعانى 15: 90 و غيرها، و قد مر فى 1: 372، 5: 268 من هذا الكتاب، و صده:
أرانا موضعين لأمر غيب

و قوله «انظر» أمر للنبى صلّى اللّه عليه و سلم بأن ينظر «كَيْفَ ضَرَبُوا لَکَ الْأَمْثالَ» أى كيف ضرب هؤلاء المشركون له المثل بالمسحور و غير ذلک، فجاروا بذلک عن طريق الحق، فلا يسهل عليهم و لا يخف الرجوع اليه و لا اتباع سبيل الدين، و يحتمل أن يكون المعنى إنهم لا يقدرون على تكذيبک، و إن ما ذكروه فيک من قولهم مسحور و كذاب صرفهم و لا يستطيعون على ذلک.

وَ قالُوا أَ إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (49) قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً (50) أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتى هُوَ قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً (51)

ثلاث آيات بلا خلاف.

حكى اللّه تعالى عن هؤلاء الكفار الذين أنكروا البعث، و النشور، و الثواب و العقاب: أنهم يقولون «أَ إِذا كُنَّا عِظاماً» أى إذا متنا و انتثرت لحومنا و بقينا «عِظاماً وَ رُفاتاً» قال مجاهد: الرفات التراب. و به قال الفراء و قال: لا واحد له من لفظه، و هو بمنزلة الدقاق، و الحطام، قال المبرد: كل شىء مدقوق مبالغ فى دقه حتى انسحق، فهو رفات، يقال: رفت رفتاً، فهو مرفوت إذا صيّر كالحطام.

و (إذا) فى موضع نصب بفعل يدل عليه «لمبعوثون» و تقديره أ نبعث «إِذا كُنَّا عِظاماً. وَ رُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً» و صورته صورة الاستفهام و إنما هم منكرون لذلك متعجبون منه و كل ما تحطم و ترضض يجىء أكثره على (فعال) مثل (حطام، و رضاض و دقاق و غبار و تراب) و الخلق الجديد: هو المجدد أى يبعثهم اللّه أحياء بعد أن كانوا أمواتاً، أنكروا ذلك و تعجبوا منه، فقال اللّه لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم «قل» لهم «كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً» أى لو كنتم حجارة أو حديداً التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 487

بعد موتكم لأحياكم و حشركم و لم تفوتوا اللّه، إلّا أنه خرج مخرج الأمر، لأنه أبلغ فى الإلزام، كأن أكثر ما يكون منهم مطلوب حتى يروا أنه هين حقير «أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ» فقيل فى معناه ثلاثة أقوال:

قال مجاهد: السموات و الأرض و الجبال. و قال قتادة: أىُّ شىء استعظموه من الخلق. و قال ابن عباس. و سعيد بن جبير و الفراء: انه الموت. قال الفراء قالوا للنبى صلّى اللّه عليه و سلم أ رأيت لو كنا الموت من كان يميتنا؟ فأنزل اللّه «أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ» يعنى الموت نفسه اى ليبعث اللّه عليكم من يميتكم ثم يحييكم.

«فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا» اخبار منه حكاية عن هؤلاء الكفار انهم يقولون من يعيدنا احياء؟ فقال اللّه لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم «قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» اى الذى خلقكم ابتداء يقدر على إعادتكم، لأن ابتداء الشىء أصعب من إعادته، كما قال «وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» «1» و قال لما قالوا «مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» «2» و إنما قال لهم ذلك، لأنهم كانوا يقرون

بالنشأة الأولى.
و قوله «فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْکَ رُؤُسَهُمْ» معناه انهم إذا سمعوا لهذا حركوا رؤوسهم مستبعدين لذلک. و قال ابن عباس يحركون رؤوسهم مستهزئين، يقال:
انغضت رأسى انغضه انغاضاً، و نغض برأسه ينغض نغضاً إذا حركه و النغض تحريک الراس بارتفاع و انخفاض. و منه قيل للظليم نغض، لأنه يحرک رأسه فى مشيه بارتفاع و انخفاض قال العجاج:
أصک نغضاً لا ينى مستهدجا «3»
و نغضت سنه إذا تحركت من أصلها قال الراجز:
و نغضت من هرم أسنانها «4»

---

(1) سورة 30 الروم آية 27
(2) سورة 36 يس آية 79
(3) تفسير الطبرى 15: 65 و تفسير الشوكانى 3: 226
(4) تفسير الطبرى 15/ 65 و تفسير الشوكانى 3: 226 و تفسير القرطبى 10: 274 و مجاز القرآن 1: 382

و قال آخر:
لما رأتنى أنغضت لى الرأسا «1»
«و يقولون» هؤلاء الكفار «متى هو» يعنون بعثهم و إعادتهم أحياء فقال اللَّه تعالى «قل» لهم يا محمد «عَسى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً» و عسى من اللَّه واجبة، و كل ما هو آت قريب، و من كلام الحسن انه قال: كأنک بالدنيا لم تكن و كأنک بالآخرة لم تزل.

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً (52) وَ قُلْ لِعِبادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِيناً (53) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَ ما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً (54)

ثلاث آيات بلا خلاف.

«يوم» يتعلق بقوله «قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ» بعثكم ايها المشركون «قَرِيباً يَوْمَ يَدْعُوكُمْ» و قيل فى معنى قوله «يوم يدعوكم» قولان:

أحدهما- انهم ينادون بالخروج إلى ارض المحشر بكلام تسمعه جميع العباد، و ذلک يكون بعد ان يحييهم اللّه، لأنه لا يحسن ان ينادى المعدوم و لا الجماد.

الثانى- انهم يسمعون صيحة عظيمة، فتكون تلک داعية لهم إلى الاجتماع إلى ارض القيامة، و يجوز أن يكون ذلک عبارة عن البعث و يكون اجرى صرخة ثانية

---

(1) مجاز القرآن 1: 382 و تفسير الطبرى 1: 655 و الشوكانى 3: 226

بسرعة فأجرى مجرى، دعى فأجاب فى الحال «فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- تستجيبون حامدين، كما يقول القائل: جاء فلان بغضبه اى جاء غضبان.

الثانى- تستجيبون على ما يقتضيه الحمد للّه (عز و جل)، و قيل: معناه يستجيبون معترفين بأن الحمد للّه على نعمه، لا ينكرونه، لأن معارفهم هناک ضرورة قال الشاعر:

فإنى بحمد اللّه لا ثوب فاجر لبست و لا من غدرة أتقنع «1»

و الاستجابة موافقة الداعى فيما دعا اليه بفعله من اجل دعائه، و هى و الإجابة واحدة إلا ان الاستجابة تقتضى طلب الموافقة بالإرادة بأوكد من الإجابة.

و قوله «وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انهم لما يرون من سرعة الرجوع يظنون قلة اللبث.

الثانى- انه يراد بذلک تقريب الوقت، كما حكى عن الحسن انه قال: كأنک بالدنيا لم تكن، و بالآخرة لم تزل. و قال قتادة: المعنى احتقاراً من الدنيا حين عاينوا يوم القيامة. و قال الحسن ان «لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا» فى الدنيا لطول لبثكم فى الآخرة.

و قوله «وَ قُلْ لِعِبادِی یَقُولَوا الَّتِی هِیَ أَحْسَنُ» قال الحسن: معناه «قل» یا محمد «لعبادی» یأمروا بما امر اللّه به، و ینهوا عما نهی عنه. و قال الحسن: معناه قل لعبادی یقل بعضهم لبعض أحسن ما یقال، مثل رحمک اللّه و یغفر اللّه لک. ثم أخبر تعالی فقال «إِنَّ الشَّیْطانَ یَنْزَغُ بَیْنَهُمْ» ای یفسد بینهم و یلقی بینهم العداوة و البغضاء و قال «إِنَّ الشَّیْطانَ کانَ» فی جمیع الأوقات عدواً مبیناً «للإنسان» آدم و ذریته.
و قوله «رَبُّکُمْ أَعْلَمُ بِکُمْ» معناه التحذیر لعباده من إضمار القبیح، و الترغیب

---

(1) تفسیر القرطبی 10: 266 و تفسیر الشوکانی 3: 226 و تفسیر روح المعانی 15: 93

فی الجمیل، لأنه عالم به یقدر أن یجازی علی کل واحد منه بما هو حقه «إِنْ یَشَأْ یَرْحَمْکُمْ» بالتوبة «أَوْ إِنْ یَشَأْ یُعَذِّبْکُمْ» بالاقامة علی المعصیة.
و قوله «وَ ما أَرْسَلْناکَ عَلَیْهِمْ وَکِیلًا» معناه إنا ما وکّلناک بمنعهم من الکفر بل أرسلناک داعیاً لهم إلی الایمان و زاجراً عن الکفر، فإن أجابوک، و إلّا، فلا شیء علیک و اللائمة و العقوبة یحلان بهم.

وَ رَبُّکَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِیِّینَ عَلی بَعْضٍ وَ آتَیْنا داوُدَ زَبُوراً (55) قُلِ ادْعُوا الَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا یَمْلِکُونَ کَشْفَ الضُّرِّ عَنْکُمْ وَ لا تَحْوِیلاً (56) أُولئِکَ الَّذِینَ یَدْعُونَ یَبْتَغُونَ إِلی رَبِّهِمُ الْوَسِیلَةَ أَیُّهُمْ أَقْرَبُ وَ یَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ یَخافُونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّکَ کانَ مَحْذُوراً (57)

ثلاث آیات بلا خلاف.

یقول اللّه تعالی لنبیه «إن ربک» یا محمد «أَعْلَمُ بِمَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِیِّینَ عَلی بَعْضٍ» و انما قال ذلک لیدل علی أن تفضیلَ الأنبیاء بعضهم علی بعض وقع موقع الحکمة، لأنه من عالم بباطن الأمور، و إذا ذکر ما هو معلوم فإنما یذکره لیدل به علی غیره و الأنبیاء و ان کانوا فی أعلی مراتب الفضل، لهم طبقات بعضهم أعلی من بعض، و إن کانت المرتبة الوسطی لا تلحق العلیا و لا یلحق مرتبة النبی من لیس بنبیّ أبداً. و قوله «وَ آتَیْنا داوُدَ زَبُوراً» ای خصصناه بالذکر، و فیه لغتان فتح الزای، و ضمها. و الفتح أفصح. ثم قال لنبیه «قل» لهم «ادْعُوا الَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ» یعنی الذین زعمتم انهم أرباب و آلهة من دون اللّه ادعوهم إذا نزل بکم ضرر، فانظروا هل یقدرون علی دفع ذلک ام لا. التبیان فی تفسیر القرآن، ج6، ص: 491

و قال ابن عباس و الحسن «الذین من دونه» الملائکة و المسیح و عزیر. و قال ابن مسعود: أراد به ما کانوا یعبدون من الجن: و قد أسلم أولئک النفر من الجن لان جماعة من العرب کانوا یعبدون الجن، فأسلم الجن و بقی الکفار علی عبادتهم.

و قال أبو علی: رجع الی ذکر الأنبیاء فی الآیة الاولی. و التقدیر إن الأنبیاء یدعون الی اللّه یطلبون بذلک الزلفة لدیه و یتوسلون به الیه و الی رضوانه و ثوابه، أیُّهم کان أفضل عند اللّه، و أشد تقرباً الیه بالأعمال. ثم قال «فلا یملکون» یعنی الذین تدعون من دون اللّه «کشف الضر» و البلاء «عنکم» و لا تحویله إلی سواکم.

ثم قال «أُولئِکَ الَّذِینَ یَدْعُونَ یَبْتَغُونَ إِلی رَبِّهِمُ الْوَسِیلَةَ أَیُّهُمْ أَقْرَبُ ...» الایة قوله «أولئک» رفع بالابتداء و «الذین» صفة لهم و «یَبْتَغُونَ إِلی رَبِّهِمُ» خبر الابتداء. و المعنی الجماعة الذین یدعون یبتغون الی ربهم «أیهم» رفع بالابتداء و «اقرب» خبره. و المعنی یطلبون الوسیلة ینظرون أیهم اقرب فیتوسلون به، ذکره الزجاج. و قال قوم: الوسیلة هی القربة و الزلفة. و قال الزجاج: الوسیلة و السؤال و السؤل و الطلبة واحد، و المعنی إن هؤلاء المشرکین یدعون هؤلاء الذین اعتقدوا فیهم انهم ارباب و یبتغی المدعوون

أرباباً الى ربِّهم القربة و الزلفة لأنهم اهل إيمان به. و المشركون باللّه يعبدونهم من دون اللّه، أيهم اقرب عند اللّه بصالح اعماله و اجتهاده فى عبادته، فهم يرجون بأفعالهم رحمته و يخافون عذابه بخلافهم إياه «إِنَّ عَذابَ رَبِّکَ کانَ مَحْذُوراً» اى متقى.

وَ إِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً كانَ ذلِكَ فِى الْكِتابِ مَسْطُوراً (58) وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً (59) وَ إِذْ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْناكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْياناً كَبِيراً (60)

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 492

ثلاث آيات.

اخبر اللَّه تعالى انه ليس «مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا» و اللَّه تعالى مهلكها «قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ».

بكفر من فيها من معاصيهم جزاء على أفعالهم القبيحة «أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً» و المعنى ان يكون إما الإهلاک و الاستئصال أو العذاب، و المراد بذلک قرى الكفر و الضلال دون قرى الإيمان. و قيل إن ذلک يكون فى آخر الزمان، فيهلک اللَّه كل قرية بعقوبة بعض من فيها، و يكون امتحاناً للمؤمنين الذين فيها.

و قيل: ان المعنى ما من قرية إلا و اللَّه مهلكها إما بالموت لأهلها او عذاب يستأصلهم ثم اخبر أن ذلک كائن لا محالة، و لا يكون خلافه، لان ذلک مسطور فى الكتاب يعنى فى اللوح المحفوظ، و المسطور هو المكتوب يقال: سطر سطراً، قال العجاج:

و اعلم بأن ذا الجلال قد قدر فى الصحف الاولى التى كان سطر «1»

ثم قال «وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ» يعنى الآيات التى اقترحتها قريش من قولهم: حول لنا الصفا ذهباً و فجر لنا من الأرض ينبوعا، و غير ذلک، فأنزل اللَّه الآية إنى إن حولته، فلم يؤمنوا لم امهلهم كسنتى فيمن قبلهم، و هو قول قتادة و ابن جريج. و المنع وجود ما لا يصح معه وقوع الفعل من القادر عليه فكأنه قد منع منه، و لا يجوز إطلاق هذه الصفة فى صفات اللَّه و الحقيقة إنا لم نرسل بالآيات لئلا يكذب بها هؤلاء كما كذَّب من قبلهم، فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة.

و قال قوم: يجوز أن يكون قوله تعالى «إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ» تكون (إلا) زايدة، و تقديره ما منعنا ان نرسل بالآيات «أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ» أى لم يمنعنا ذلک من إرسالها بل أرسلناها مع تكذيب الأولين. و معنى «ان كذب»

---

(1) ديوان 19 و مجاز القرآن 1: 383 و تفسير الطبرى 15: 99 و اللسان و التاج (نتر)

هو التكذيب، كما تقول: أريد ان تقوم بمعنى أريد قيامک. و يحتمل ان يكون «إِلا» بمعنى (الواو) كما قال «لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا» «1» معناه و الذين ظلموا منهم، فلا حجة لهم عليهم. و يكون المعنى و ما منعنا أن نرسل بالآيات و إن كذب بها الأولون أى لسنا نمتنع من إرسالها، و إن كذبوا بها و (أن) الاولى فى موضع نصب بوقوع «منعنا» عليها. و (أن) الثانية رفع و المعنى، و ما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين من الأمم، و الفعل ل (أن) الثانية.
و قوله «وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً» معناه مبصرة تبصر الناس بما فيها من العبر، و الهدى من الضلالة و الشقاء من السعادة، و يجوز أن يكون المراد انها ذات إبصار، حكى الزجاج: مبصرة بمعنى مبينة، و بالكسر معناه تبين لهم، قال الفراء: مَبصرة مثل مَجبنة و مَنحلة، و كل (مَفعلة) وضعته موضع (فاعل) أغنت عن الجمع و التأنيث، تقول العرب: هذا عشب ملبنة، مسمنة. و الولد مجبنة منحلة. و ان كان من الياء و الواو، فاظهرهما، تقول سراب مبولة، و كلام مهينة للرجال قال عنترة:
و الكفر مخبثة لنفس المنعم «2»
و معنى مبصرة مضيئة، قال اللّه تعالى «وَ النَّهارَ مُبْصِراً» «3» اى مضيئاً.
و قوله «فظلموا بها» يعنى بالناقة [لأنهم نحروها و عصوا اللّه فى ذلک، لأنه نهاهم عن ذلک، فخالفوا و نحروها. و قيل: ظلموا بها] «4» معناه ظلموا بتكذيبهم إياها بأنها معجزة باهرة.
و قوله «وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلَّا تَخْوِيفاً» اى لم نبعث الآيات و نظهرها إلا

---

(1) سورة البقرة آية 150 [.....]
(2) من معلقته المشهورة ديوانه (دار بيروت) 28 و صدره:
نبئت عمراً غير شاكر نعمتى
(3) سورة 10 يونس آية 67 و سورة 27 النمل آية 86 و سورة 40 المؤمن (غافر) آية 61
(4) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

لتخويف العباد من عقوبة اللّه و معاصيه.
و قوله «وَ إِذْ قُلْنا لَکَ» اى اذكر الوقت الذى قلنا لک يا محمد «إِنَّ رَبَّکَ أَحاطَ بِالنَّاسِ» اى أحاط علماً بأحوالهم، و ما يفعلونه من طاعة او معصية، و ما يستحقونه على ذلک من الثواب و العقاب، و قادر على فعل ذلک بهم، فهم فى قبضته، لا يقدرون على الخروج من مشيئته.
و قوله «وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْناکَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ» قيل فى معنى ذلک قولان:

أحدهما- انه أراد رؤية عين، ليلة الاسراء الى البيت المقدس، فلما اخبر المشركين بما رأى كذبوا به، ذكره ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و قتادة، و ابراهيم، و ابن جريج، و ابن زيد، و الضحاک، و مجاهد.
الثانى- فى رواية اخرى عن ابن عباس: انه رؤيا نوم، و هى رؤيا انه سيدخل مكة، فلما صده المشركون فى الحديبية شک قوم و دخلت عليهم الشبهة، فقالوا يا رسول اللّه: أو ليس قد أخبرتنا انا ندخل المسجد؟ فقال: قلت لكم انكم تدخلونها السنة؟!. فقالوا: لا، فقال سندخلنها إن شاء اللّه، فكان ذلک فتنة و امتحاناً و
روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع) ان ذلک رؤيا رآها فى منامه أن قروداً تصعد منبره و تنزل، فساءه ذلک و روى مثل ذلک سهل بن سعد الساعدى عن أبيه ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم رأى ذلک. و مثله عن سعد بن بشار، «1» فأنزل اللّه عليه جبرائيل و أخبره ما يكون من تغلب أمر بنى أمية على مقامه و صعودهم منبره.
و قوله «وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ» قال ابن عباس و الحسن و أبو مالک و سعيد بن جبير و ابراهيم و مجاهد و قتادة و الضحاک و ابن زيد: إنها شجرة الزقوم التى ذكرها اللّه فى قوله «إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ» «2» و المعنى ملعون آكلها، و كانت فتنتهم بها قول أبى جهل و ذويه النار تأكل الشجرة و تحرقها، فكيف ينبت فيها الشجر. و عن أبى جعفر ان الشجرة الملعونة هم بنو امية،

---

(1) فى المخطوطة (سعيد بن يسار)
(2) سورة 44 الدخان آية 43

و قال البلخى: يجوز ان يكون المراد به الكفار. و قوله «و نخوفهم» أى نرهبهم بما نقصّ عليهم من هلاک من مضى بها، فما يزدادون عند ذلک «إِلَّا طُغْياناً كَبِيراً» أى عتوّاً عظيماً و تمادياً و غيّاً.

وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً (61) قالَ أَ رَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (62) قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً (63)

ثلاث آيات.

يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم و اذكر «إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» و قد بينا أنّ امر اللَّه تعالى بأن اسجدوا لآدم تعظيم لآدم و تفضيله عليهم و إن كانت القربى «1» بذلك السجود الى اللَّه تعالى، و فى الناس من قال: انه كان بمنزلة القبلة لهم و إن كان فيه تشريف له.

ثم اخبر تعالى ان الملائكة امتثلت امر اللَّه فسجدت له «إلا إبليس» فقد قلنا ان اخبارنا تدل على ان إبليس كان من جملة الملائكة، و انما كفر بامتناعه من السجود، و من قال ان الملائكة معصومون فان إبليس لم يكن من جملة الملائكة و الاستثناء فى الآية استثناء منقطع و (إلا) بمعنى (لكن) و انما ضمه الى الملائكة من حيث جمعهم فى الأمر، و التكليف بالسجود، فلذلك استثناه من جملتهم.

ثم اخبر تعالى عن إبليس أنه قال «أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً» على وجه الإنكار

---

(1) فى المخطوطة (و ان كان الغرض)

لذلك، و أن من خلق من نار أشرف و أعظم، من الذى خلق من طين، و آدم إذا كان مخلوقاً من طين كيف يسجد له من هو مخلوق من نار، و هو إبليس، و ذلك يدل على ان إبليس فهم من ذلك الأمر تفضيله عليه، و لو كان بمنزلة القبلة لما كان لامتناعه عليه وجه، و لا لدخول الشبهة بذلك مجال.

و «طيناً» نصب على التمييز، و يجوز ان يكون نصباً على الحال. و المعنى إنك انشأته فى حال كونه من طين.

و وجه الشبهة الداخلة على إبليس ان الفروع ترجع الى الأصول فتكون على قدرها فى التكبر أو التصغر، فلما اعتقد أن النار أكرم أصلا من الطين جاء منه انه أكرم ممن خلق من طين، و ذهب عليه بجهله أن الجواهر كلها متماثلة، و ان اللَّه تعالى يصرفها بالاعراض كيف شاء مع كرم جوهر الطين و كثرة ما فيه من المنافع التى تقارب منافع النار او توفى عليها.

و انما جاز ان يأمره بالسجود له، و لم يجز ان يأمره بالعبادة له، لأن السجود

يترتب فى التعظيم بحسب ما يراد به، و ليس كذلک العبادة التى هى خضوع بالقلب ليس فوقه خضوع، لأنه يترتب فى التعظيم بحسب نيته، يبين ذلک أنه لو سجد ساهياً لم يكن له منزلة فى التعظيم على قياس غيره من أفعال الجوارح.
قال الرمانى: الفرق بين السجود لآدم و السجود الى الكعبة، ان السجود لآدم تعظيم له بإحسانه، و هذا يقارب قولنا فى أنه قصد بذلک تفضيله بأن أمره بالسجود له.
و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن المعنى ما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً محققين ظن إبليس فيهم مخالفين موجب نعمة ربهم على أمتهم و عليهم.
ثم حكى تعالى عن إبليس أنه قال «أَ رَأَيْتَکَ هذَا الَّذِی کَرَّمْتَ عَلَیَّ» و معناه اخبرنى عن هذا الذى كرّمته علىّ لم كرّمته على؟ و قد خلقتنى من نار و خلقته من طين! فحذف لدلالة الكلام عليه.
و إنما قال «أ أسجد» بلا حرف عطف، لأنه على قوله «أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً» و الكاف فى قوله «أ رأيتک» لا موضع لها من الاعراب، لأنها ذكرت فى التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 497
المخاطبة توكيداً، و (هذا) نصب ب (أ رأيتک)، و الجواب محذوف. و المعنى ما قدمناه.
و قوله «لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لَأَحْتَنِکَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا»، و معنى لأحتنكن لاقطعنهم الى المعاصى، يقال منه: احتنک فلان ما عند فلان من مال أو علم او غير ذلک، قال الشاعر:
أشكو اليک سنة قد أجحفت جهداً إلى جهد بنا و أضعفت
و احتنكت أموالنا و جلفت «1»
و قال ابن عباس: معنى «لأحتنكنّ» لأستولينّ، و قال مجاهد: لأحتوين، و قال ابن زيد: لأضلنهم، و قال قوم: لاستأصلن ذريته بالإغواء، و قال آخرون: لأقودنهم إلى المعاصى، كما تقاد. الدابّة بحنكها إذا شدّ فيها حبل تجرُّ به.
و قوله «الا قليلًا» استثناء من إبليس القليل من ذرّية آدم الذين لا يتبعونه و لا يقبلون منه. فقال اللّه تعالى عند ذلک «اذهب» يا إبليس «فَمَنْ تَبِعَکَ» من ذرية آدم و اقتفى أثرک و قبل منک «فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُکُمْ جَزاءً مَوْفُوراً» أى كاملًا، يقال منه: و فرته أفره و فراً، فهو موفور، و قال زهير:
و من يجعل المعروف من دون عرضه يفره و من لا يتق الشتم يشتم «2»
و و فرّته توفيراً، و يقال: موفوراً بمعنى وافر، فى قول مجاهد، كأنه ذو وفر، كقولهم: لابن أى ذو لبن، و قد دل على انهم لا ينقصون من عقابهم الذين يستحقونه شيئاً، و فى ذلک استخفاف به و هو ان له. و انما ظن إبليس هذا الظن الصادق، بأنه يغوى اكثر الخلق، لان اللّه تعالى كان قد أخبر الملائكة أنه سيجعل فيها من يفسد فيها و يسفک الدماء، فكان قد علم بذلک. و قيل:

(1) تفسير الطبرى 15: 75
(2) ديوانه (دار بيروت) 87 و تفسير الشوكانى (الفتح القدير) 3/ 233 و تفسير روح المعانى 15/ 110
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 498
انما قال ذلک، لأنه وسوس الى آدم فلم يجد له عزماً، فقال: بنو هذا مثله فى ضعف العزيمة، ذكره الحسن. و هذا الوجه لا يصح على أصلنا، لان عندنا ان آدم لم يفعل قبيحاً، و لا ترک واجباً، فلو ظن إبليس ان أولاده مثله لانتقض غرضه، و لم يخبر بما قال.
و (لئن) حرف شرط، و لا يليه الا الماضى، و الشرط لا يكون الا بالمستقبل و العلة فى ذلک ان اللام فى (لئن) تأكيد يرتفع الفعل بعده و (ان) حرف شرط ينجزم الفعل بعده، فلما جمعوا بينهما، لم يجز ان يجزم فعل واحد و يرفع، فغير المستقبل الى الماضى، لان الماضى لا يبين فيه الاعراب، ذكر هذه العلة ابن خالويه.

وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِکَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِکَ وَ رَجِلِکَ وَ شارِکْهُمْ فِی الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ وَ عِدْهُمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُوراً (64) إِنَّ عِبادِی لَيْسَ لَکَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ وَ کَفی بِرَبِّکَ وَکِيلاً (65) رَبُّکُمُ الَّذِی يُزْجِی لَکُمُ الْفُلْکَ فِی الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ کانَ بِکُمْ رَحِيماً (66)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ حفص وحده «و رجلک» بكسر الجيم. الباقون بتسكينها من سكّن أراد جمع (راجل) مثل صاحب و صحب، و راكب و ركب. و من كسر أراد قولهم: رجل يرجل، فهو راجل.

قوله: «وَ اسْتَفْزِزْ ... وَ أَجْلِبْ» صورته صورة الأمر و المراد به التهديد، و

مجرى قوله «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ» «1» و كما يقال للإنسان: اجهد جهدک، فسترى ما ينزل بک، و انما جاء التهديد بصيغة الامر، لأنه بمنزلة من امر باهانة نفسه، لان هذا الذى يعمله هو ان له و هو مأمور به. و معنى (استفزز) استزل، يقال:

استفزه و استزله بمعنى واحد، و تفزز الثوب إذ تمزق، و فززه تفززاً، و أصله القطع، فمعنى استفزه استزله بقطعه عن الصواب «مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ» فالاستطاعة قوة تنطاع بها الجوارح للفعل، و منه الطوع و الطاعة، و هو الانقياد للفعل.

و قيل فى الصوت الذى يستفزهم به قولان:

أحدهما- قال مجاهد: صوت الغناء و اللهو.

الثانى- قال ابن عباس: هو كل صوت يدعا به الى معصية اللَّه. و قيل: كل صوت دعى به الى الفساد، فهو من صوت الشيطان.

و قال: «وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِکَ» فالاجتلاب السوق بجلبة من السائق. و فى المثل (إذا لم تغلب فاجلب) يقال: جلب يجلب جلباً و اجلب إجلاباً، و اجتلب اجتلاباً، و استجلب استجلاباً، و جلّب تجليباً مثل صوّت، و اصل الجلبة شدة الصوت، و به يقع السّوق.

و قوله: «بِخَيْلِکَ وَ رَجِلِکَ» قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: كل راكب او ماش فى معصية اللَّه من الانس و الجن، فهو من خيل إبليس و رجله، و الرجل جمع راجل مثل تجر و تاجر، و ركب و راكب.

و قوله: «وَ شارِکْهُمْ فِی الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ» فمشاركته إياهم فى الأموال كسبها من وجوه محظورة او إنفاقها فى وجوه محظورة، كما فعلوا فى السائبة و البحيرة و الحام، و الإهلال به لغير اللَّه، و غير ذلک. و مشاركته فى الأولاد، قال مجاهد و الضحاک: فهم أولاد الزنا. و قال ابن عباس:

الموؤدة. و قيل: من هوّدوا و نصّروا، فى قول الحسن و قتادة. و قال ابن عباس فى رواية: هو تسميتهم عبد

---

(1) سورة 1: حم السجدة (فصلت) آية 40

الحارث، و عبد شمس، و ما أشبه ذلک. و قيل: ذلک واحد من هذه الوجوه، و هو أعم.
و قوله: «وعِدهم» اى منّهم البقاء و طول الأمل. ثم قال تعالى «وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ» أى ليس يعدهم الشيطان «الا غرورا» و نصب على انه مفعول له [اى ليس يعدهم الشيطان الا لأجل الغرور] «1». ثم قال تعالى «ان عبادى» يعنى الذين يطيعونى و يقرّون بتوحيدى و يصدقون أنبيائى، و يعملون بما أوجبه عليهم، و ينتهون عن معاصىّ «ليس لک» يا إبليس «عليهم» حجة و لا سلطان. قال الجبائى: معناه ان عبادى ليس لک عليهم قدرة، على ضرّ و نفع اكثر من الوسوسة، و الدعاء الى الفساد، فأمَّا على كفر أو ضرر، فلا، لأنه خلق ضعيف متخلخل، لا يقدر على الإضرار بغيره.
ثم قال «وَ كَفى بِرَبِّکَ» اى حسب ربک «وكيلا» اى حافظاً، و من يسند الامر اليه و يستعان به فى الأمور.
ثم خاطب تعالى خلقه فقال: «رَبُّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ» هو الذى «يُزْجِى لَكُمُ الْفُلْکَ فِى الْبَحْرِ» قال ابن عباس: معناه يجريها، و به قال قتادة، و ابن زيد يقال: أزجى يزجى ازجاء إذا ساق الشىء حالًا بعد حال «لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» اى لتطلبوا فضل اللّه فى ركوب البحر من الأرياح و غيرها «إِنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً» اى منعماً عليكم راحم لكم، يسهل لكم طرق ما تنتفعون بسلوكه ديناً و دنيا.

وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِى الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ كانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً (67) أَ فَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً (68) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أُخْرى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً (69)

---

(1) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

ثلاث آيات.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو «أن نخسف ... او نرسل ... أن نعيدكم ... فنرسل» بالنون فيهن. الباقون بالياء. الا أبا جعفر، و ورش، فإنهما قرأ ا «فتغرقكم» بالتاء يردَّ انه الى الريح. و من قرأ بالنون أراد الاخبار من اللّه عن نفسه. و من قرأ بالياء أراد أن محمداً اخبر عن اللّه، و المعنيان متقاربان. و قال ابو على: من قرأ بالياء فلانه تقدم «ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ ... أَ فَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ» و من قرأ بالنون، فلان مثله قد ينقطع بعضه عن بعض. و المعنى واحد، يقول اللّه تعالى لخلقه: انه إذا نالكم الضر، و أنتم ركاب البحر بان أشرفتم على الهلاك و خبّ بكم البحر و ماجت الأمواج «ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ» اى يكون بمنزلة من يضل عنكم، و لا ينجيكم من أهواله الا اللّه تعالى. و انما خص البحر بذكر النجاة، لان له اهوالًا هيجانية و خبة، لا يطمع عاقل فى ان ينجيه احد منه الا الذى خلق النفس و أنعم بما وهب من العقل و السمع و البصر. و قال: إذا دعوتموه فى تلك الحال، و نجاكم، و خلصكم، و أخرجكم منه الى البر أعرضتم عن ذكر اللّه، و الاعتراف بنعمه.

ثم قال تعالى: «وَ كانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً» لنعم اللّه تعالى، ثم قال مهدداً لهم: «أَ فأمنتم» اى هل أمنتم إذا ضربتم فى البرّ «أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ» جانبه و يقلب أسفله أعلاه فتهلكون عند ذلك، كما خسفنا بمن كان قبلكم من الكفار نحو قوم لوط و قوم فرعون «أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً» بمعنى حجارة تحصبون بها او ترمون بها.

و الحصباء الحصى الصغار، و يقال: حصب الحصى يحصبه حصباً إذ رماه رمياً متتابعاً، و الحاصب ذو الحصب. و الحاصب فاعل الحصب «ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا» أى من يدفع ذلك عنكم.

ثم قال: «أم» اى هل «أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ» فى البحر دفعة اخرى بان يجعل لكم الى ركوبه حاجة «فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ» فالقاصف الكاسر

بشدة قصفه يقصفه قصفاً، فهو قاصف، و تقصف شعره تقصفاً، و انقصف الرجل انقصافاً. و قصّف الشىء تقصيفاً، «فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً» اى من يتبع إهلاككم للمطالبة بدمائكم او يأخذ بثاركم، و قيل ان القاصف الريح الشديدة تقصف الشجر بشدّتها. و انما قيل: حاصب على وزن فاعل لامرين:

أحدهما- ريح حاصب أى تحصب الحجارة من السماء، قال الشاعر:

مستقبلين شمال الشام يضربنا بحاصب كنديف القطن منثور «1»

و قال الآخر:

و لقد علمت إذا العشار تروحت حتى تبيت على العصاة حفالا «2»

الثانى- حاصب ذو حصب.

وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِی آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِیلاً (70) یَوْمَ نَدْعُوا کُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِیَ کِتابَهُ بِیَمِینِهِ فَأُولئِکَ یَقْرَؤُنَ کِتابَهُمْ وَ لا یُظْلَمُونَ فَتِیلاً (71) وَ مَنْ کانَ فِی هذِهِ أَعْمی فَهُوَ فِی الْآخِرَةِ أَعْمی وَ أَضَلُّ سَبِیلاً (72)
ثلاث آیات بلا خلاف.

---

(1) قائله الفرزدق دیوانه (دار بیروت) 1: 213 و تفسیر الطبری 15/ 79 و تفسیر القرطبی 10/ 292 و الشوکانی 3/ 235 و روح المعانی 15/ 116
(2) تفسیر الطبری 15/ 97

اخبر اللَّه تعالی: انه کرّم «بنی آدم» و انما عنی بنی آدم بالتکرمة مع ان فیهم کفاراً، لان المعنی کرمناهم بالنعمة علی وجه المبالغة فی الصفة. و قال قوم: جری ذلک مجری قوله «کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» «1» فأجری الصفة علی جماعتهم من اجل من فیهم علی هذه الصفة. ثم بین تعالی الوجوه التی کرّم بها بنی آدم بأنه حملهم فی البرّ و البحر علی ما یحملهم من الإبل و غیرها، کما قال: «وَ الْخَیْلَ وَ الْبِغالَ وَ الْحَمِیرَ لِتَرْکَبُوها وَ زِینَةً» «2» و البحر، و السفن التی خلقها لهم و أجراها بالریاح فوق الماء لیبلغوا بذلک حوائجهم «وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ» یعنی من الثمار و الفواکه و طیبات الأشیاء، و ملاذها التی خص بها بنی آدم و لم یشرک شیئاً من الحیوان فیها من فنون الملاذ. و قیل: من تفضیل بنی آدم ان یتناول الطعام بیدیه دون غیره، لان غیره یتناوله بفیه، و انه ینتصب، و ما عداه علی اربع او علی وجهه.

و قوله: «وَ فَضَّلْناهُمْ عَلی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِیلًا» و لیس المراد بذلک تفضیلهم بالثواب، لان الثواب لا یتفضل به ابتداء، و انما فضلهم ابتداء بان خلق لهم من فنون النعم و ضروب الملاذ ما لم یجعله لشیء من الحیوان، و انما فعل ذلک تفضلًا منه تعالی، و لما فی ذلک من اللطف للعاقل، و الصلاح الذی ینتظم و یتم بهذا التأویل، و استدل جماعته بقوله «وَ فَضَّلْناهُمْ عَلی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا» علی تفضیل الملائکة علی الأنبیاء، قال لان قوله «عَلی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا» یدل علی ان هاهنا من لم یفضلهم علیهم، و لیس الا الملائکة، لان ابن آدم أفضل من کل حیوان سوی الملائکة بلا خلاف. و هذا باطل بما قلناه من ان المراد بذلک تفضیلهم بالنعم الدنیاویة، و الالطاف، و لیس المراد بذلک الثواب بدلالة ابتدائهم بهذا التفضیل.

و الثواب لا یجوز الابتداء به.

و قوله «يَوْمَ نَدْعُوا كُلّ أناسٍ بِإِمامِهِمْ» قال الزجاج: يتعلق بقوله «يُعِيدَكُمْ ...
يَوْمَ نَدْعُوا» و قيل: تقديره اذكر يوم. و قيل انه يتعلق بقوله

---

(1) سورة آل عمران آية 110
(2) سورة 16 النحل آية 8 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 504
«وَ فَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا ... يَوْمَ نَدْعُوا»، لان ما فعله بهم من الالطاف فى الدنيا، لان يطيعوا و يفعلوا من الافعال ما يدعون به يوم القيامة.
و اختلفوا فى الإمام الذى يدعون به يوم القيامة، فقال مجاهد و قتادة: إمامه نبيه. و قال ابن عباس: إمامه كتاب علمه. و روى عنه ايضاً أن إمامهم كتابهم الذى انزل اللّه اليهم فيه الحلال و الحرام و الفرائض و الأحكام. و قال البلخى:
بما كانوا يعبدونه، و يجعلونه إماماً لهم. و قال ابو عبيد:
بما كانوا يأتمون به فى الدنيا. و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع).
و قوله «فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ ...» الاية، جعل اللَّه تعالى إعطاء الكتاب باليمين من علامة الرضا و الخلاص، و أن من أعطى كتابه باليمين تمكن من قراءته و سهل له ذلك، و كان فحواه أن من أعطى كتابه بشماله أو وراء ظهره، فإنه لا يقدر على قراءة كتابه، و لا يتأتى له، بل يتلجلج فيه، لما يراه من المعاصى الموبقات.
و قوله «وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا» معناه لا يبخس أحد حقه، و لا يظلم شيئاً، سواء كان مستحقاً للثواب أو العقاب، فإن المستحق للثواب لا يبخس منه شيئاً و المستحق للعقاب لا يفعل به أكثر من استحقاقه، فيكون ظلماً له. (و الفتيل) هو المفتول الذى فى شق النواة- فى قول قتادة- و قيل الفتيل فى بطن النواة، و النقير فى ظهرها، و القطمير قشر النواة، ذكره الحسن.
و قوله «وَ مَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِى الْآخِرَةِ أَعْمى وَ أَضَلُّ سَبِيلًا» قرأ أهل العراق إلا حفصاً و الأعشى «وَ مَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى» بالإمالة. الباقون بالتفخيم و قرأ حمزة و الكسائى إلا نصيراً، و خلفاً، و أبا بكر إلا الأعشى و البرجمى «فَهُوَ فِى الْآخِرَةِ أَعْمى» بالإمالة: الباقون بالتفخيم.
و قيل فى معنى الآية قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و مجاهد و قتادة، و ابن زيد: من كان فى أمر هذه
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 505
الدنيا، و هى شاهدة له من تدبيرها و توثقها و تقلب النعم فيها أعمى عن اعتماد «1» الصواب الذى هو مقتضاها، فهو فى الآخرة التى هى غائبة «2» عنه «أَعْمى وَ أَضَلُّ سَبِيلًا» و قال قوم: من كان فى هذه الدنيا أعمى عن

طريق الحق، فهو فى الَاخرة أعمى عن الرشد المؤدى إلى طريق الجنة. و قال أبو على: فهو فى الآخرة أعمى عن طريق الجنة. و من فخم فى الموضعين، فلأن الياء فيهما قد صارت ألفاً لانفتاح ما قبلها. و الأصل فمن كان في هذه أعمى، فهو فى الآخرة أعمى، و من كان فيما وضعناه من نعيم الدنيا أعمى، فهو فى نعيم الآخرة أعمى. و اما تفريق أبى عمرو بين اللفظين فلاختلاف المعنى، فقال و من كان فى هذه أعمى ممالًا، فهو فى الاخرة أعمى بالفتح اى أشدّ عماً، فجعل الأول صفة بمنزلة أحمر و أصفر، و الثانى بمنزلة أفعل منك، كقوله «وَ أَضَلُّ سَبِيلًا» اى أعمى قلباً. و العمى فى العين لا يتعجب منه بلفظة (أفعل)، و لا يقال ما أعماه، بل يقال ما أشدّ عماه، و فى القلب ما أعماه بغير أشدّ، لأن عما القلب حمق، كما قال الشاعر لمرور ما أحمره و أبيضه، فقال:

أمّا الملوک فأنت اليوم ألأمهم لؤماً و أبيضهم سر بال طباخ «3»

و قال بعضهم: لا وجه لتفريق أبى عمرو، لأن الثانى، و إن كان بمعنى (أفعل منک) فلا يمنع من الامالة، كما لم يمنع بالذى هو ادنى، قال ابن خالويه ابو عبد اللّه إنما أراد ابو عمرو ان يفرق بينهما لما اختلف معناهما، و اجتمعا فى آية واحده، كما قرأ «وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ» يعنى الكفار، ثم قال فى آخرها «عما تعلمون» «4» اى أنتم و هم، و لو وقع مفرداً، لأجاز الامالة و التفخيم فيهما، قال ابو على: و من أمال الجميع كان حسناً، لأنه ينحو نحو الياء بالألف ليعلم انها منقلبة الى الياء و ان كانت فاصلة او مشبهة للفاصلة، فالامالة حسنة فيها، لأن الفاصلة موضع

---

(1) فى المخطوطة (اعتقاد)

(2) أثبتنا ما فى المخطوطة، و كان فى المطبوعة (غايته)

(3) تفسير القرطبى 10/ 299 و تفسير الشوكانى 3/ 238

(4) سورة البقرة آية 85

وقف، و الالف تخفى فى الوقف، فأمّا إذا أمالها، نحا بها نحو الكسرة و ليكون أظهر لها و أبين.

وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَکَ عَنِ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ لِتَفْتَرِیَ عَلَیْنا غَیْرَهُ وَ إِذاً لاتَّخَذُوکَ خَلِیلاً (73) وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیْهِمْ شَیْئاً قَلِیلاً (74) إِذاً لَأَذَقْناکَ ضِعْفَ الْحَیاةِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَکَ عَلَیْنا نَصِیراً (75)
ثلاث آيات.
قال الزجاج: معنى الكلام كادوا يفتنونک، و دخلت (ان و اللام) للتوكيد و معنى (كاد) المقاربة. و قوله «و إن كادوا» قال الحسن: معناه قارب بأن همَّ من غير عزم. و
روى عن النبى صلّى اللَّه عليه و سلم (ان اللَّه وضع عن أمّتى ما حدثت به نفسها إلا من عمل شيئاً او تكلم به)
و قيل انهم قالوا: لا ندعک تستلم الحجر حتى تسلم بآلهتنا. و قال مجاهد، و قتادة: الفتنة التى كاد المشركون ان يفتنوا النبى صلّى اللَّه عليه و سلم بها الإلمام بآلهتهم ان يمسها فى طوافه، لما سألوه فى ذلک، و لاطفوه.
و قال ابن عباس: همَّ بإنظار ثقيف بالإسلام حتى يقبضوا ما يهدى لآلهتهم ثم يسلموا فيها.
امتن اللَّه تعالى على نبيه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم بأنه لو لا انه ثبته بلطفه، و كثرة زواجره و تواتر نهيه، لقد كاد يركن اى يسكن، و يميل إلى المشركين قليلًا، على ما يريدون يقال: ركُن يركن، و ركَن يركن، ثم قال «إِذاً لَأَذَقْناکَ ضِعْفَ الْحَیاةِ، وَ ضِعْفَ الْمَماتِ» اى لو فعلت ذلک، لأذقناک ضعف عذاب الحياة، و ضعف عذاب الممات لعظم ذلک منه لو فعله، و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاک. و إنما كان يعظم عذابه بالركون اليهم لكثرة زواجره و فساد العباد به. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 507

و
قيل لما نزلت هذه الآية قال النبى صلّى اللَّه عليه و سلم (اللهم لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين) روى ذلک قتادة.
و معنى الفتنة- هاهنا- الضلال، و التقدير و إن كادوا ليفتنونک ليضلوک عن الذى أوحينا اليک، فى قول الحسن و أصل الفتنة المحنة التى يطلب بها خلاص الشىء مما لابسه، فطلبوا إخراجه إلى الضلالة.
و قوله «لِتَفْتَرِیَ عَلَیْنا غَیْرَهُ» اى لتكذب علينا غير ما أوحينا اليک و إن فعلت ذلک لاتخذوک خليلا و ديداً.
و قوله «ثُمَّ لا تَجِدُ لَکَ عَلَیْنا نَصِیراً» اى لو فعلت الركون اليهم لأذقناک ما قلناه من العذاب، ثم لا تجد لک علينا ناصراً يدفع عنک ما نريد فعله بک.

وَ إِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَکَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوکَ مِنْها وَ إِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَکَ إِلاَّ قَلِيلاً (76) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَکَ مِنْ رُسُلِنا وَ لا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً (77) أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً (78)

ثلاث آيات.

قرأ ابن عامر و اهل الكوفة الا أبا بكر «خلافک». الباقون «خلفک» فمن قرأ «خلفک» فلقوله «فَجَعَلْناها نَكالًا لِما بَيْنَ يَدَيْها وَ ما خَلْفَها» «1». و قوله «بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ» «2» اى لمخالفتهم إياه، و من قرا «خلافک» قال بعدک و خلفک و خلافک بمعنى واحد، يقول اللَّه تعالى «وَ إِنْ كادُوا» يعنى المشركين «لَيَسْتَفِزُّونَکَ مِنَ الْأَرْضِ» قال الحسن: معناه ليقتلونک، و قال غيره: الاستخفاف بالانزعاج.

---

(1) سورة البقرة آية 66

(2) سورة 9 التوبة آية 82

و قال ابو على: همُّوا بأن يخرجوه من ارض العرب لا من مكة فقط، إذ قد أخرجوه من مكة، و قال المعتمر ابن أبى سليمان عن أبيه: الأرض التى أرادوا استزلاله منها: هى ارض المدينة، لان اليهود قالت له: هذه الأرض ليست ارض الأنبياء، و انما أرض الأنبياء الشام. و قال قتادة و مجاهد: هى مكة، لان قريشاً همّت بإخراجه منها. ثم قال تعالى: انهم لو أخرجوک من هذه الأرض لما لبثوا، لما أقاموا بعدک فيها إلا قليلا. و قال ابن عباس و الضحاک: المدة التى لبثوا بعده هو ما بين خروج النبى من مكة، و قتلهم يوم بدر. و من قرأ خلافک أراد بعدک، كما قال الشاعر:

عقب الرذاذ خلافها فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا «1»

الرذاذ المطر الخفيف، يصف روضة و أرضاً غبّ مطرها، و كانت خضراء و قال الحسن الاستفزاز- هاهنا- الفتل.

و قوله «وَ إِذاً لا يَلْبَثُونَ» بالرفع، لان (إذاً) وقعت بعد الواو، فجاز فيها الإلغاء، لأنها متوسطة فى الكلام، كما انه لا بد من ان تلغى فى آخر الكلام.

و قوله «سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا» انتصب (سنة) بمعنى لا يلبثون. و تقديره: لا يلبثون لعذابنا إياهم كسنة من قبلک، إذ فعلت أممهم مثل ذلک. ثم قال «لا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلًا» اى تغييراً و انتقالًا من حالة إلى حالة اخرى. بل هى على وتيرة واحدة. ثم امر نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم فقال «أَقِمِ الصَّلاةَ» و المراد به أمّته معه «لِدُلُوکِ الشَّمْسِ» اختلفوا فى الدلوک، فقال ابن

عباس، و ابن مسعود، و ابن زيد: هو الغروب و الصلاة المأمور بها- هاهنا- هى المغرب، و قال ابن عباس فى رواية اخرى و الحسن، و مجاهد، و قتادة:
دلوكها زوالها، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع).
و ذلک ان الناظر اليها يدلک عينيه، لشدة شعاعها. و اما عند غروبها فيدلک عينيه لقلة تبينها، و الصلاة المأمور بها عند هؤلاء الظهر، و قال الراجز:

---

(1) مجاز القرآن 1/ 387 و تفسير الطبرى 10/ 127، 15/ 84 و اللسان و التاج (خلف) و تفسير الشوكانى 3: 239 و قد روى (عقب الربيع) و فى راوية اخرى (عفت الديار).

هذا مقام قدمى رباح للشمس حتى دلكت براح «1»
و رباح اسم ساقى الإبل. من روى بكسر الباء أراد براحته، قال الفراء: يقال: بالراحة على العين، فينظر هل غابت الشمس بعد، قال الفراء هكذا فسروه لنا، و من رواه بفتح الباء جعله اسماً للشمس مبنياً على (فعال) مثل قطام و حذام و قال العجاج:
و الشمس قد كادت تكون دنفا ادفعها بالراح كى تزحلفا «2»
و غسق الليل ظهور ظلامه، و يقال غسقت القرحة إذا انفجرت، فظهر ما فيها. و قال ابن عباس و قتادة: هو بدؤ الليل، قال الشاعر:
إن هذا الليل إذ غسقا «3»
و قال الجبائى غسق الليل ظلمته، و هو وقت عشاء الآخرة. و قوله «وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ» قال قوم يعنى قرآن الفجر فى الصلاة، و ذلک يدل على أن الصلاة، لا تتم إلا بالقراءة، لأنه أمر بالقراءة و أراد بها الصلاة، لأنها لا تتم إلا بها.
و قوله: «إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً» معناه يشهده ملائكة الليل، و ملائكة النهار، ذهب اليه ابن عباس، و قتادة و مجاهد و ابراهيم. و
روى عن امير المؤمنين (ع) و أُبى بن كعب أنها الصلاة الوسطى
، و قال الحسن: «لِدُلُوكِ الشَّمْسِ» لزوالها: صلاة الظهر، و صلاة العصر الى «غَسَقِ اللَّيْلِ» صلاة المغرب و العشاء

---

(1) البيت من نوادر أبى زيد. تفسير القرطبى 10: 303 و مجاز القرآن 1: 387 و تهذيب الألفاظ 393 و المجالس للثعالبى 373 و تفسير الشوكانى 3: 241 و تفسير الطبرى 15: 85 و غيرها. و قد روى (عدوة) بدل للشمس و روى ايضاً (ذبيب) فى رواية اخرى.
(2) ديوانه 82 و تفسير القرطبى 10: 303 و تفسير الطبرى 15: 86 و تفسير القرطين 1: 261

(3) قائله عبد اللّه بن قيس الرقيات. ديوانه (دار بيروت) 188 و تفسير روح المعانى 15: 132 و تفسير القرطبى 10: 304 و تفسير الطبرى 15: 87 و مجاز القران 1: 388 و اللسان و التاج (غسق) و تفسير الشوكانى 3: 241 و عجزه:
و استكن الهم و الارقا
التبيان في تفسير القرآن، ج6، ص: 510
الآخرة، كأنه يقول من ذلک الوقت الى هذا الوقت على ما يبين لک من حال الصلوات الأربع، ثم صلاة الفجر، فأفردت بالذكر. و قال الزجاج: سمى صلاة الفجر «قُرْآنَ الْفَجْرِ»، لتأكد أمر القراءة فى الصلاة، و معنى «لِدُلُوكِ الشَّمْسِ» أى عند دلوكها. و استدل قوم بهذه الآية على أن وقت الاولى موسع الى آخر النهار، لأنه أوجب إقامة الصلاة من وقت دلوک الشمس الى وقت غسق الليل، و ذلک يقتضى ان ما بينهما وقت. و هذا ليس بشىء، لأن من قال: إن الدلوک هو الغروب لا دلالة فيها عليه عنده، لان من قال ذلک يقول: انه يجب إقامة المغرب من عند المغرب الى وقت اختلاط الظلام الذى هو غروب الشفق، و ما بين ذلک وقت المغرب.
و من قال: الدلوک هو الزوال يمكنه أن يقول: المراد بالآية البيان لوجوب الصلوات الخمس على ما ذكره الحسن، لا بيان وقت صلاة واحدة، فلا دلالة له فى الآية.
و (مشهوداً) قيل فى معناه قولان:
أحدهما- تشهده ملائكة الليل، و النهار.
و الثانى- قال الجبائى: فيه حث للمسلمين على ان يحضروا هذه الصلاة و يشهدوها للجماعة.

وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَکَ عَسى أَنْ يَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً (79) وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْکَ سُلْطاناً نَصِيراً (80) وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ کانَ زَهُوقاً (81)

ثلاث آيات.

هذا خطاب للنبى صلّى اللَّه عليه و سلم يقول اللَّه تعالى له: «وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ» و التهجّد التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 511

التيقظ بما ينفى النوم، و الهجود النوم، و هو الأصل، هجد يهجد هجوداً، فهو هاجد إذا نام، قال لبيد:

قلت هجدنا فقد طال السرى «1»

و قال الشاعر:

ألا طرقتنا و الرفاق هجود فباتت بعلَّات النوال تجود «2»

و قال الحطيئة:

ألا طرقت هند الهنود و صحبتى بحوران حوران الجنود هجود «3»

و قال علقمة، و الأسود: التهجد يكون بعد نومة. و قال المبرّد:- التهجد عند أهل اللغة- السهر للصلاة، أو لذكر اللَّه، فإذا سهر للصلاة قيل تهجد، و إذا أراد النوم قال هجدت. و النافلة فعل ما فيه الفضيلة مما رغّب اللَّه فيه، و لم يوجبه. و النافلة. الغنيمة، قال الشاعر:

إن تقوى ربنا خير نَفل و بإذن اللَّه ريثى و العجل «4»

اى خير غنيمة. و الحسن من أفعال العباد على ثلاثة أقسام: واجب، و ندب، و مباح. و قال الرمانى: يجوز ان يكون نافلة اكثر ثواباً من فريضة إذا كان ترک الفريضة صغير، لأن نافلة النبى صلّى اللَّه عليه و سلم أعظم من هذه الفريضة، من فرائض غيره.

و قد تكون نعمة واجبة أعظم من نعمة واجبة، كنعم اللَّه تعالى، لأنه يستحق بها العباد من نعمة الإنسان التى يستحق بها الشكر فقط.

و قوله: «نافِلَةً لَکَ» وجه هذا الاختصاص هو أنه أتمّ، للترغيب لما فى ذلک من صلاح أمته فى الابتداء به و الدعاء الى الاستنان بسنته. و روى أنها فرضت عليه، و لم تفرض على غيره، فكانت فضيلة له، ذكره ابن عباس، فيجوز ذلک

---

(1) ديوانه 2/ 13 و مجاز القرآن 1/ 389 و الاقتضاب 408 و روح المعانى 15/ 138 و اللسان (هجد)

(2) تفسير القرطبى 10: 308 و تفسير الشوكانى (الفتح القدير) 3: 242

و تفسير الطبرى 15: 89
(3) تفسير الطبرى 15: 89
(4) قائله لبيد بن ربيعة و قد مر هذا الرجز فى 5: 86 من هذا الكتاب [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 512
بترغيب يخصّه فى شدته. و قال مجاهد: لأنها فضيلة له و لغيره كفَّارة، لان اللَّه تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، و هذا ايضاً من اختصاصه بما ليس لغيره.
و قوله: «عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً» معناه متى فعلت ما ندبناک اليه من التهجد يبعثک اللَّه مقاماً محموداً، و هى الشفاعة، فى قول ابن عباس، و الحسن، و مجاهد، و قتادة. و قال قوم: المقام المحمود إعطاؤه لواء الحمد.
و (عسى) من اللَّه واجبه. و قد أنشد لابن مقبل فى وجوبها:
ظنى بهم كعسى و هم يتنوفة يتنازعون جوائز الأمثال «1»
يريد كيقين، ثم أمر اللَّه نبيه صلّى اللَّه عليه و سلم أن يقول: «أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ» قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة: إدخاله المدينة حين أخرج من مكة. و قيل ادخلنى فيما أمرتنى و اخرجنى عما نهيتنى بلطف من ألطافک. و قال الفراء: قال ذلک حين رجع من معسكره الذى أراد أن يخرج الى الشام، حين قالوا له: ليست المدينة أرض الأنبياء، و «أَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ» يعنى الى مكة.
و قال أيضاً: يا محمد قل «وَ اجْعَلْ لِى مِنْ لَدُنْکَ سُلْطاناً نَصِيراً» قال الحسن و قتادة: معناه اجعل لى عزّاً امتنع به ممن يحاول صدى عن إقامة فرائض اللَّه فى نفسه و غيره. و قال مجاهد: حجة بينة. ثم قال: «وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ» يعنى التوحيد و خلع الأنداد و العبادة للَّه وحده لا شريک له «وَ زَهَقَ الْباطِلُ» قال ابن عباس: معناه ذهب الباطل، و زهقت نفسه زهوقاً إذا خرجت، فكأنه خرج الى الهلاک. و قيل امر بهذا الدعاء إذا دخل فى أمر او خرج من امر. ثم قال تعالى و أخبر «إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً» باطلًا هالكًا لا ثبات له، و انه يضمحل و يتلاشى. و
روى عن ابن مسعود أنه قال: دخل النبى صلّى اللَّه عليه و سلم يوم الفتح مكة، و حول الكعبة ثلاثمائة و ستون صنماً، فجعل يطعنها بعود، و يقول:

---

(1) اللسان (ظنن)
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 513
«جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً» و جاء الحق و ما يبدى الباطل و ما يعيد.

وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَساراً (82) وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَ نَأى بِجانِبِهِ وَ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُساً (83) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلاً (84)

ثلاث آيات بلا خلاف.

أخبر اللّه تعالى: أنه أنزل القرآن و فيه شفاء، و وجه الشفاء فيه من وجوه:

أحدها- ما فيه من البيان الذى يزيل عمى الجهل و حيرة الشك.

و ثانيها- أنه من جهة نظمه و تأليفه يدل على انه معجز دال على صدق من ظهره على يده.

و ثالثها- انه يتبرک به فيدفع به كثيراً من المكاره و المضار، على ما يصح و يجوز فى مقتضى الحكمة.

و رابعها- ما فى العبادة بتلاوته من الصلاح الذى يدعو الى أمثاله بالمشاكلة التى بينه و بينه الى غير ذلک. ثم قال: «وَ لا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ» يعنى القرآن لا يزيد الظالمين بمعنى انهم لا يزدادون عنده «الا خسارا» يعنى يخسرون ثوابهم و يستحقون العقاب لكفرهم به و حرمان أنفسهم تلک المنافع التى فيه، صار كأنه يزيد هؤلاء خسراناً بدل زيادة المؤمنين تقى و ايماناً. ثم قال: «وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ» التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 514

أى ولىّ عرضه، كأنه لم يقبل علينا بالدعاء و الابتهال، و باعد عن أنعامنا عليه بضروب النعم، فلا يشكرها، كما اعرض عن النعمة بالقرآن.

و قوله: «وَ نَأى بِجانِبِهِ» أى بعد بنفسه عن القيام بحقوق نعم اللّه. و قال مجاهد: معناه تباعد منا «وَ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُساً» يعنى إذا لحق الإنسان شر و بلاء «كانَ يَؤُساً» اى قنوطاً من رحمة اللّه، فقال اللّه لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم قل لهم: «كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ» أى على طريقته التى تشاكل أخلاقه. و قال مجاهد: على طبيعته.

و قيل على عادته التى ألفها. و المعنى انه ينبغى للإنسان ان يحذر إلف الفساد فلا يستمر عليه، بل يرجع عنه. ثم قال: «فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلًا» يعنى انه عالم بمن يهتدى الى الحق ممن يسلک طريق الضلال، لا يخفى عليه شىء من أحوالهم.

و أمال حمزة و الكسائى «و نأى بجانبه» بكسر النون و الهمزة، و أمالوا الياء، و أمالوا النون لمجاورة الهمزة، لأنها من حروف الحلق، كما يقولون: رغيف و شعير و بعير بكسر أولهن. و قرأ ابن عامر «و ناءِ بجانبه» من ناء ينوء، فانقلبت الواو الفاً لانفتاح ما قبلها، و مدّت الالف تمكيناً للهمزة.

و قرأ ابو عامر عن عاصم و ابو عمرو- فى رواية عياش- «و نئى» بفتح النون و كسر الهمزة ممالًا و مثل ذلک رأى و رئى، و راء و رأه فى القلب، فإذا قالوا فعلت، قالوا رأيت بلا خلاف. و انشد المبرد حاكياً عن أبى عبيد:
أ غلام معلل راء رؤياً فهو يهذى بما رأى فى المنام «1»

وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (85) وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِی أَوْحَيْنا إِلَيْکَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَکَ بِهِ عَلَيْنا وَکِيلاً (86) إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ إِنَّ فَضْلَهُ کانَ عَلَيْکَ کَبِيراً (87)

---

(1) تفسير الطبرى 15: 96

ثلاث آيات.

يقول اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم «يَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ» يا محمد. و اختلفوا فى الروح الذى سألوا عنه. فقال ابن عباس: هو جبرائيل.

و

روى عن على (ع) أن الروح ملک من الملائكة له سبعون الف وجه فى كل وجه سبعون الف لسان يسبح اللَّه بجميع ذلک.

و قيل: هو روح الحيوان، و هو الأظهر فى الكلام.

و قال قتادة: الذى سأله عن ذلک قوم من اليهود. و قيل: الروح هو القرآن، ذكره الحسن، لقوله: «وَ کَذلِکَ أَوْحَيْنا إِلَيْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا» «1» و اختاره البلخى، و قوى ذلک بقوله بعدها: «وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِی أَوْحَيْنا إِلَيْکَ» يعنى القرآن، فقال اللَّه تعالى لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم قل لهم «اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی» فعلى قول من قال: انهم سألوا عن القرآن أو عن جبرائيل او الملک أو روح الحيوان، فقد أجاب عنه لأنه قال: «مِنْ أَمْرِ رَبِّی» أى من خلق ربى و فعله. و على قول:

من قال انهم سألوه عن ماهية روح الإنسان، لم يجب، و انما عدل عن جوابهم، لأنهم وجدوا فى كتابهم انه إن أجاب عن الروح، فليس بنبىّ، فأراد صلّى اللَّه عليه و سلم ان يصدق نبوته بموافقة امتناعه من الجواب، لما فى كتابهم. و يقوى ذلک قوله:

«وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» اى لم أعط من العلم الا شيئاً يسيراً، و الأكثر لا اعلمه، لان معلومات اللَّه تعالى لا نهاية لها. و الروح من الأمور المتروكة التى لا يصلح النص عليها، لأنه ينافى الحكمة، لما فيه من الاستفساد. و انما اعلم ما نص لى عليه مما يقتضى المصلحة، و هو قليل من كثير.

و قيل ايضاً انهم لم يجابوا عن الروح، لان المصلحة اقتضت ان يحالوا على ما فى عقولهم من الدلالة عليه، لما فى ذلک من الرياضة على استخراج الفائدة، و ان ما طريقه السمع، فقد اتى به، و ما طريقه العقل، فإنما يأتى به مؤكداً لما فى العقل لضرب من التأكيد، و لما فيه من المصلحة. و الروح

جسم رقيق هوائى على بنية حيوانية فى كل جزء منه حياة، ذكره الرمانى. و قال: كل حيوان،

---

(1) سورة الشورى آية 52

فهو روح و بدن الا أن فيهم من الأغلب عليه الروح، و فيهم من الأغلب عليه البدن. ثم قال: «وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ» و معناه انى اقدر ان آخذ ما أعطيک، كما منعته من غيرک، لكنى دبرتک بالرحمة لک، فأعطيتک ما تحتاج اليه و منعتک ما لا تحتاج اليه و الى النص عليه. و ان توهّم قوم أنه مما يحتاج اليه، فتدبر أنت بتدبير ربک و ارض بما اختاره لک، و لو فعلنا ذلک لم تجد لک علينا وكيلًا يستوفى ذلک منا. و قال قوم: معنى «وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ» اى لنمحونّ- هنا- القرآن من صدرک و صدر أمّتک. و قوله: «إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ» أعطاک ما أعطاک من العلوم و منعک ما منعک منها «إِنَّ فَضْلَهُ کانَ» فيما مضى و فيما يستقبل «عَلَیْکَ کَبِیراً» عظيماً، فقابله بالشكر.

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (88) وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً (89) وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً (90)

ثلاث آيات.

قرأ اهل الكوفة «تفجر» بالتخفيف. الباقون بالتشديد، يقال: فجر يفجر بالتخفيف إذا شق الأنهار، و من شدد، فلقوله «وَ فَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً» «1» اى مرة بعد مرة، و لقوله «فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً» فالتفجير لا يكون إلا من فجر.

فى الآية الاولى، تحدى للخلق ان يأتوا بمثل هذا القرآن و أنهم يعجزون عن

---

(1) سورة 18 الكهف آية 34

ذلک و لا يقدرون على معارضته، لأنه تعالى قال «قل» يا محمد لهؤلاء الكفار «لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ» متعاونين متعاضدين «عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ» فى فصاحته و بلاغته و نظمه، على الوجه الذى هو عليه، من كونه فى الطبقة العليا من البلاغة و على حد يشكل على السامعين ما بينهما من التفاوت، لما أتوا بمثله، و لعجزوا عنه «وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» اى معيناً، و المثلية التى تحدوا بالمعارضة بها معتادة بينهم، كمعارضة علقمه لامرئ القيس، و معارضة الحرث ابن حلزة عمرو بن كلثوم، و معارضة جرير الفرزدق. و ما كان ذلک خافياً عليهم.

ثم قال «وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» و تصريفه إياه هو توجيهه إياه فى معانٍ مختلفة. و قال الرمانى: هو تصيير المعنى دائراً فيما كان من المعانى المختلفة. و ذلک أنه لو أدير فى المعانى المتفقة لم يعد ذلک تصريفاً، فالتصريف تصيير المعنى دائرا فى الجهات المختلفة.

و قوله «لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ» انما رفعه لأنه غلب جواب القسم على جواب (إن) لوقوعه فى صدر الكلام، و قد يجوز أن يجزم على جواب (إن) إلا أن الرفع الوجه، و قال الأعشى:

لئن منيت بنا عن غب معركة لا تلقنا من دماء القوم ننتقل «1»

و قوله «فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً» معناه إنما «صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» ليستدلوا به على كونه من قبل اللّه تعالى و مع ذلک يأبى أكثر الناس إلّا الجحد به، و إنكاره، فالكفور- هاهنا- هو الجحود للحق بالاستكبار.

و يقولون مع ذلک «لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ» يا محمد «حَتَّی تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» و معناه حتی تشقق من الأرض عيناً ينبع بالماء أی يفور، فهو علی وزن

_____

(1) ديوانه (دار بيروت) 149 و روايته (تلفنا) بدل (تلفنا) و المعنی واحد. و هو فی تفسير روح المعانی 15: 136 و تفسير الطبری 15: 100

التبيان فی تفسير القرآن، ج6، ص: 518

(مفعول) من (نبع)، يقال نبع الماء ينبع، فهو نابع، و جمعه ينابيع، و انما طلبوا عيوناً ببلدهم- فی قول قتادة- و التفجير التشقيق عما يجری من ماء او ضياء، و منه سمی الفجر، لأنه ينشق عن عمود الصبح، و منه الفجور، لأنه خروج الی الفساد لشق عمود الحق.

أَوْ تَكُونَ لَکَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (92) أَوْ يَكُونَ لَکَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّکَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً (93)
ثلاث آيات بلا خلاف.
قرأ ابن عامر «قال سبحان ربى». الباقون «قُلْ سُبْحانَ رَبِّی» و قرأ اهل المدينة و ابن عامر و عاصم «كسفاً» بفتح السين. الباقون بإسكانها من قرأ «قال سبحان» معناه إن الرسول قال ذلک عند اقتراحهم ما تقدم ذكره، مما لا يدخل تحت مقدور البشر. و من قرأ «قل» فعلى أنه أمر بأن يقول لهم ذلک و يقويه قوله «قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» «1» قال ابو زيد: يقال: كسفت الثوب أكسفه كسفاً إذا قطعة قطعاً، و الكسف القطع واحده كسفة مثل قطعة. قال ابو عبيد: كسفاً قطعاً. و من فتح السين جعله جمع كسفة، قال كسَفاً مثل قطعة و قطع. و من سكنه جاز ان يريد

---

(1) سورة 18 الكهف آية 110

الجمع، مثل و سدرة. و يجوز ان يريد به المصدر. و المعنى أطبق علينا السماء كسفاً اى طبقاً.
نزلت هذه الآية فى أقوام اقترحوا على النبى صلّى اللَّه عليه و سلم هذه الآيات، قالوا «لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ» اى لن نصدقک فى أنک رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و سلم حتى تأتى بها، و هم كانوا جماعة من قريش، منهم عتبة بن ربيعة، و شيبة بن ربيعة، و ابو سفيان، و الأسود ابن المطلب بن أسد، و زمعة بن الأسود، و الوليد بن المغيرة، و ابو جهل ابن هشام، و عبد اللَّه بن أبى أميَّة، و أميَّة بن خلف، و العاص بن وابل، و نبيه و منبه ابنا الحجاج السهميان. على ما ذكر ابن عباس.
فمن الآيات التى اقترحوها ما ذكره فى الآية المتقدمة بأن قالوا «لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» اى تشقق لنا من الأرض عيون ماء فى بلادنا «أَوْ تَكُونَ لَکَ جَنَّةٌ» يعنى بستاناً من نخيل و عنب، و تشقق الأنهار خلالها اى فى خلالها، و وسطها تشقيقاً «أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً» و قرئ بسكون السين، و فتحها، و الكسف القطع، فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة. و يحتمل وجهين:
أحدهما- ان يكون جمع كسفة و كسف بسكون السين كسدرة و سدر بسكون الدال، و هو للجنس يصلح، للكثير و القليل، و يقول العرب: اعطنى

كسفة من هذا الثوب أى قطعة منه، حكى ذلک الفراء، انه سمعه من بعض العرب، و من ذلک الكسوف، لانقطاع نوره.
و الثانى- يجوز ان يكون الكَسف مصدراً من كسفت الشىء إذا غطيته بالغطاء عمّن يراه، فكأنهم قالوا: تسقطها طبقاً علينا.
و قوله «أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا» فيه دلالة على أنهم كانوا مشبهة، لأن العارف باللّه على الحقيقة لا يقول هذا، لأنه لا يجوز عليه تعالى المقابلة، و لا لهم استعمال هذا على معنى دلائل و آيات اللّه إذ لا دلائل تدل على ذلک، فلا يشرط فى الظاهر ما ليس فيه، لأنه لم يثبت معرفتهم و حكمتهم، فيصرف ذلک عن التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 520
ظاهره. و معنى «قبيلًا» قال الفراء: معناه كفيلًا بذلک، يقال قبلت و كفلت، و زعمت و حملت قبِلَه. و قال غيره: يعنى مقابلة. و قال قتادة و ابن جريج و الزجاج:
معناه نعاينهم معاينة، قال الشاعر:
نصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبلى بشّرتها قبيلها «1»
اى قابلتها، و هى مقابلة لها، و العرب تجريه فى هذا المعنى مجرى المصدر فلا يثنى و لا يجمع و لا يؤنث.
و قوله «أَوْ يَكُونَ لَکَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ» قال ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الفراء: يعنى بيتاً من ذهب «أَوْ تَرْقى فِى السَّماءِ» اى تصعد إليها أمامنا بحذائنا بسلم، قال الفراء إنما قال فى السماء، و لم يقل الى، لأن المراد او ترقى فى سلم الى السماء، فأتى ب (فى) ليدل على ما قلناه يقال: رقيت فى السلم أرقى رقياً، و رقيت من الرقيا أرقوه رقياً و رقية «وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّکَ» اى لصعودک حتى تنزل علينا كتاباً مكتوباً نقرأه كما أنزل على موسى الألواح، فقال اللّه تعالى له «قل» يا محمد «سُبْحانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا» و إنما أجابهم بذلک، لان المعنى انكم تقترحون على الآيات و ليس أمرها إلىّ و إنما أمرها الى الذى أرسلنى و الذى هو أعلم بالتدبير منى و ما ينص عليه من الدليل، فلا وجه لطلبكم هذا منى مع ان هذه صفتى، لانى رسول أؤدى إليكم ما أوحى إلىّ و أمرت بان أؤديه إليكم. و من قرأ «قال سبحان» حمله على أن النبى صلّى اللّه عليه و سلم قال ذلک ابتداء من قبل نفسه، قبل ان يؤمر به، لعلمه بأن الآيات لا تتبع الشهوات، و الاقتراحات،

---

(1) قائله الأعشى ديوانه (دار بيروت) 135 و قد مر تخريجه فى 1: 350 و رواية الديوان
أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبلى يسرتها قبولها
و كان على هامش المطبوعة حاشية هى (كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها، و يروى قبولها اى يئست منها و القبيل و القبول كلاهما بمعنى القابلة- هنا-

سميت بذلک لقبولها الولد، و تلقيها إياه عند الولادة) انتهى. و على هذه الحاشية المذكورة علامة تدل على انها وجدت فى بعض المخطوطات.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 521
و انما تتبع المصالح، و لو تبعت الشهوات لكان كل واحد يقترح غير ما يقترحه الآخر فيؤدى الى الفساد.

وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلاَّ أَنْ قالُوا أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً (94) قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولاً (95) قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (96)

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى و ما صرف الناس، يعنى المشركين الذين لم يؤمنوا، و انما أخبر عنه بالمنع مبالغة له فى الصرف، لان المنع يستحيل معه الفعل، و الصرف يمكن معه الفعل، لكنه لشدّة صرفه شبّه بالمنع. و قوله «أن يؤمنوا» اى ما صرفهم عن التصديق باللّه و رسوله حين جاءهم الهدى، يعنى الحجج و البينات، و طريق الحق إلا قولهم «أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا» فدخلت عليهم الشبهة فى أنه لا يجوز من اللّه أن يبعث رسولًا إلا من الملائكة، كما دخلت عليهم الشبهة فى أن عبادتهم لا تصلح للّه، فوجّهوها إلى الأصنام، فعظموا اللّه تعالى بجهلهم، بما ليس فيه تعظيم.

و هذا فاسد، لأن تعظيم اللّه إنما يكون بأن يشكر على نعمته بغاية الشكر و يحمد غاية الحمد، و يضاف اليه الحق دون الباطل، و هم عكسوا فأضافوا الباطل اليه و ما يتعالى عن فعله أو إرادته. و إنما عدلوا عن الهدى إلى الضلال تقليداً لرؤسائهم. و اعتقاداً للجهل بالشبهة.

فان قيل لم جاز ان يرسل اللّه إلى النبى- و هو من البشر- ملكاً ليس من جنسه؟ و لم يجز أن يرسل إلى غير النبى مثل ذلک؟ التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 522

قلنا: لأنه صاحب معجزة، و قد اختير للهداية و المصلحة، فصارت حاله بذلک مقاربةً لحال الملک، و ليس كذلک غيره من الأمة، مع ان الجماعة الكثيرة ينبغى ان يتخير لها ما تجتمع عليه هممها بما لا يحتاج اليه فى الواحد منا إذا أريد صلاح الجميع. و قيل: لأنهم لا يجوز ان يروا الملک، و هم على هذه الهيئة التى هم بها، على أنه يلزمهم على الامتناع من اتباع النبىّ- لأنه بشر مثلهم- الامتناع من اتباع الملک، لأنه عبد و محدث مثلهم فى العبودية و الحدوث، فان جاز ذلک، لان اللّه تعالى عظمه و شرّفه و اختاره، جاز ايضاً فى البشر لمثل هذه العلة.

ثم قال لنبيه صلّى اللّه عليه و سلم «قل» لهم «لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ» قال الحسن معنى «مطمئنين» قاطنين فيها. و قال الجبائى: «مطمئنين» عن امر اللّه الذى يلزم بالاعراض عنه الذم، كما قال تعالى «وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَواهُ» «1». ثم قال له «قل» لهم كفى باللّه، أى حسبى اللّه شهيداً و عالماً بينى و بينكم «إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً

بَصِيراَ» أى عالماَ بكم و بى، مدرک لنا. و نصب «شهيدا» على التمييز، و تقديره حسبى اللَّه من الشهداء، و يجوز ان يكون نصبا على الحال، و تقديره كفى اللَّه فى حال شهادته. و إنما قال هذا جوابا لهم حين قالوا: من يشهد لک بأنک رسول اللَّه؟ فقال اللَّه له «قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً».

وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِهِ وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَ بُكْماً وَ صُمًّا مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً (97) ذلِكَ جَزاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآياتِنا وَ قالُوا أَ إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (98) أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ قادِرٌ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُوراً (99)

---

(1) سورة الاعراف آية 175

ثلاث آيات.

قيل فى معنى قوله «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ» قولان:

أحدهما- من يحكم اللَّه بهدايته و تسميته بها بإخلاصه الطاعة، فهو المهتدى فى الحقيقة، و فيه دعاء الى الاهتداء، و ترغيب فيه و حث عليه. و فيه معنى الامر به.

الثانى- من يهديه اللَّه الى طريق الجنة، فهو المهتدى اليها.

و قوله «وَ مَنْ يُضْلِلْ» يحتمل ايضاً أمرين:

أحدهما- من يحكم اللَّه بضلاله و تسميته ضالًا بسوء اختياره للضلالة فإنه لا ينفعه ولاية وليّ له، فلو تولّاه لم يعتد بتوليه، لأنه من اللغو الذى لا منزلة له، و لذلك حسن أن ينفى بمنزلة ما لم يكن.

و الثانى- من يضله اللَّه عن طريق الجنة، و أراد عقابه على معاصيه لم يوجد له ناصر يمنعه من عقابه.

ثم أخبر عن صفة حشرهم الى أرض القيامة، يعنى الكفار، إنه يحشرهم «يوم القيامة» مجرورين «عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً» كما عموا عن الحق فى الدنيا «بكما» جزاء على سكوتهم عن كلمة الإخلاص «و صما» لتركهم سماع الحق و اصغائهم إلى الباطل «كُلَّما خَبَتْ» النار، و الخبوة هدوء النار عن الالتهاب خبت النار تخبو خبواً إذا سكنت، و المعنى: كلما سكنت التهبت و استعرت، و ذلك من غير نقصان آلام أهلها، قال عدى بن زيد:

وسطه كالسراج أو سرح المجدل حيناً يخبو و حيناً يغير «1»

فان قيل: كيف يحشرهم اللَّه يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكماً و صماً، مع قوله «وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ، فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها» «2» و قوله

---

(1) تفسير الطبرى 15: 105

(2) سورة 15 الكهف آية 54

«سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَ زَفِيراً «1»» و قوله «دَعَوْا هُنالِکَ ثُبُوراً» «2» قلنا عنه جوابان:
أحدهما- انهم يحشرون كذلک، ثم يجعلون يبصرون و يشهدون و ينطقون.
الثانى- قال ابن عباس و الحسن: إنهم عمى عمَّا يسرهم، بكم عن التكلم بما ينفعهم صم عما يمتعهم «مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ» أى مستقرهم.
فإن قيل: لم جاز أن يكونوا عمياً عن العذاب يوم القيامة، و لم يجز أن يكونوا جهالًا به؟.
قلنا: لان الجاهل به لا يجد من ألمه ما يجده العالم، و لأن الحكمة تقتضى إعلامه أن عقابه من أجل جرمه، لأنه واقع موقع التوبيخ له، و موقع الزجر فى الخبر به.
و قوله «ذلک» يعنى ما قدم ذكره من العقاب «جزاؤهم» استحقوه بكفرهم بآيات اللَّه.
و قوله «إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً» مثل التراب متحطمين متّرضضين «أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً» و إنما قالوا ذلک، لانكارهم الحشر و البعث يوم القيامة و الثواب و العقاب. ثم قال «أَ وَ لَمْ يَرَوْا» يعنى هؤلاء الكفار «أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» لأنهم كانوا مقرين بأن اللَّه خالقهما، «قادِرٌ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ» لأن القادر على الشىء قادر على أمثاله إذا كان له مثل و أمثال فى الجنس «وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا» يعيشون اليه و يحشرون عنده، لا شک فيه. و قال الجبائى: جعل اللَّه لهم أجلًا لمعادهم و حشرهم لا شک فيه.
ثم أخبر تعالى فقال «فَأَبَى الظَّالِمُونَ» لنفوسهم الباخسون حقها بفعل المعاصى «إِلَّا كُفُوراً» أى كفروا و جحدوا بآيات اللَّه و نعمه.
و فى الآية دلالة على ان القادر على الشىء قادر على جنس مثله إذا كان له مثل.
و فيه دلالة على أنه يجب أن يكون قادراً على ضده، لأن منزلته فى المقدور منزلة

(1، 2) سورة 25 الفرقان آية 12- 13

مثله. و فيه دلالة على انه يقدر على إعادته إذا كان مما يبقى و تصح عليه الاعادة.

قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّی إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ وَ كانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً (100)
آية بلا خلاف.
يقول اللَّه لنبيه صلى اللَّه عليه و سلم «قل» لهؤلاء الكفار: لو انكم ملكتم «خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّی» أى ما يقدر عليه من النعم قدرتم على مثله لما أنفقتموه فى طاعة اللَّه، و امسكتموه خوفا من الفقر. ثم اخبر بأن الإنسان كان قتورا، يعنى مضيقاً سىء الظن باللَّه و بالخلف عن الإنفاق، و هو جواب لقولهم «لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» «1» فأعلمهم اللَّه أنهم لو ملكوا خزائن اللَّه، لأمسكوا بخلا بها و شحّاً خشية نفادها، يقال: نفقت نفقات القوم إذا نفدت، و أنفقها صاحبها أى أنفدها حتى افتقر، و قال قتادة: خشية الإنفاق أى خشية الفقر. و المراد بالإنسان فى الآية.- قول ابن عباس و الحسن: هو الكافر. و القتور المضيق للنفقة، يقال قتر يقتر و أقتر إذا قدَّر النفقة. و (أنتم) مرفوع بفعل مضمر، و المعنى قل لو تملكون أنتم، لأن (لو) يقع بعدها الشىء، لوقوع غيره، فلا يليها إلا الفعل، و إذا وليها اسم يعمل فيه الفعل المضمر قال الشاعر:
لو غيركم علق الزبير بحبله أدى الجوار الى بنى العوّام «2»
و القتور البخيل- فى قول ابن عباس- قال أبو داود:
لا أعدّ الإقتار عدماً و لكن فقد من قد رزئته الأعدام «3»
و ظاهر قوله «وَ كانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً» العموم، و قد علمنا أن فى الناس الجواد، و الوجه فيه أحد أمرين:

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 91
(2) مر هذا البيت فى 4: 351
(3) تفسير الطبرى 15: 16 [.....]

أحدهما- ان الأغلب عليهم من ليس بجواد، و من مقتصد أو بخيل، فجاز تغليب الأكثر.
و الثانى- أنه لا أحد إلا و هو يجر إلى نفسه نفعاً بما فيه ضرر على الغير، فهو بخيل بالإضافة إلى جود اللَّه تعالى.

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ فَسْئَلْ بَنِى إِسْرائِيلَ إِذْ جاءَهُمْ فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُوراً (101) قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ بَصائِرَ وَ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (102)
أيتان بلا خلاف.
قرأ الكسائى وحده «لقد علمتُ» بضم التاء. الباقون بفتحها.
حجة من فتح أنه قال: إن فرعون و ملأه ممن تبعه قد علموا صحة أمر موسى و أن ما أتى به ليس بسحر بدلالة قوله «لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ» «1» و قوله «فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ. وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا» «2» و قولهم «يا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنا رَبَّكَ» «3» و من قرأ بضم التاء فمن علم موسى.
فان قيل له كيف يصح الاحتجاج عليهم بعلمه، و علمه لا يكون حجة على فرعون و ملائه، و انما يكون علم فرعون ما علمه من صحة أمر موسى حجة عليه؟.
نقول: إنه لما قيل له «إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ» «4» كان ذلك قدحاً فى علمه، لأن المجنون لا يعلم، فكأنه نفى ذلك، فقال لقد علمت صحة

---

(1) سورة الاعراف آية 133
(2) سورة 27 النمل آية 13- 14
(3) سورة 43 الزخرف آية 49
(4) سورة 26 الشعراء آية 27

ما أتيت به، و أنه ليس بسحر، علماً صحيحاً كعلم العقلاء، فصارت الحجة عليه من هذا الوجه. و رويت هذه القراءة عن أمير المؤمنين (ع) يقول اللّه تعالى مخبراً عمّا أعطى موسى من الآيات و ذكر أنها تسع آيات معجزات بينات ظاهرات دالات على صحة نبوته. و اختلفوا فى هذه التسع:
فقال ابن عباس و الضحاك: هى يد موسى، و عصاه، و لسانه، و البحر، و الطوفان، و الجراد، و القمل، و الضفادع، و الدم «آياتٍ مُفَصَّلاتٍ». و قال محمد ابن كعب القرطى: الجراد، و القمل، و الضفادع، و الدم، و البحر، و عصاه و الطمسة، و الحجر. و الطمسة دعاء موسى و تأمين هرون، فقال اللّه تعالى «قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما» «1» و فى رواية عكرمة عن ابن عباس، و مطر الوراق: الطوفان و الجراد، و القمل، و الضفادع، و الدم، و العصا، و اليد، و السنون، و نقص من الثمرات. و به قال الشعبى و مجاهد. و قال

الحسن مثل ذلک، غير أنه جعل الأخذ بالسنين و نقص الثمرات آية واحدة. و جعل التاسعة تلقف العصا ما يأفكون.
و
قال صفوان ابن عسال: سأل يهودى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و سلم عن التسع آيات، فقال:
(هن لا تشركوا باللَّه شيئاً و لا تسرقوا، و لا تزنوا، و لا تقلوا النفس التى حرمها اللَّه الا بالحق، و لا تمشوا ببرىء إلى السلطان يقتله، و لا تسحروا، و لا تأكلوا الربو، و لا تقذفوا المحصنة، و لا تولوا الفرار يوم الزحف، و عليكم خاصة يا يهود أن لا تعتدوا فى السبت) «2» فقبل يده، و قال أشهد أنک نبىُّ اللَّه.
و قوله «فَسْئَلْ بَنِى إِسْرائِيلَ» أمر النبى أن يسأل بنى إسرائيل «إذ جاءهم موسى». و قال الحسن عن ابن عباس، قال: معناه سؤالک إياهم، نظرک فى القرآن. و روى عن ابن

---

(1) سورة 10 يونس آية 89
(2) فى بعض المخطوطات (لا تسخروا فى السبت) و فى بعضها (لا تصيدوا فى السبت) و قد أثبتنا ما فى المطبوعة لموافقته لقوله تعالى «لا تَعْدُوا فِى السَّبْتِ» فى سورة النساء آية 154، و فى سورة البقرة آية 65 «وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِى السَّبْتِ» و فى سورة الاعراف آية 162 «إِذْ يَعْدُونَ فِى السَّبْتِ»

عباس أنه كان يقرأ «فَسْئَلْ بَنِى إِسْرائِيلَ» يعنى فسأل موسى فرعون بنى إسرائيل أن يرسلهم معه.
و قوله «فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ» حكاية عما قال فرعون لموسى «إِنِّى لَأَظُنُّکَ يا مُوسى مَسْحُوراً» أى معطاً علم السحر بهذه العجائب التى تفعلها من سحرک، و قد يجوز أن يكون المراد «إِنِّى لَأَظُنُّکَ يا مُوسى» ساحراً، فوضع (مفعول) موضع (فاعل)، مثل مشؤوم و ميمون موضع شائم و يأمن. و قيل معناه: إنک سحرت، فأنت تحمل نفسک على ما يقوله السحر الذى بک و قيل مسحور بمعنى مخدوع.
و قوله «قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ» حكاية عما أجاب به موسى فرعون فإنه قال «لَقَدْ عَلِمْتَ» يا فرعون أنّ ما جئت به ليس بسحر و إنى صادق. و من قرأ بضم التاء معناه إنه لما قال له فرعون «إِنِّى لَأَظُنُّکَ يا مُوسى مَسْحُوراً» قال له موسى «لَقَدْ عَلِمْتَ» انى لست كذلک و أنه ما أنزل هذه الآيات «إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» الذى خلقهن و جعلهن «بصائر» أى حججاً واضحة واحدها بصيرة «وَ إِنِّى لَأَظُنُّکَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً» اى ملعوناً ممنوعاً من الخير، تقول العرب ما ثبرک عن هذا الأمر أى ما منعک منه، و ما صرفک

عنه، و ثبره اللّه، فهو يثبِره و يثبُره لغتان. و رجل مثبور محبوس عن الخيرات. قال الشاعر:
إذا جارى الشيطان فى سنن الغى فمن مال ميله مثبور»
و هو قول ابن عباس و سعيد بن جبير، و قال قوم: معناه مغلوباً، روى ذلک عن ابن عباس فى رواية أخرى، و به قال الضحاک. و قال مجاهد: هالکاً، و به قال قتادة. و قال عطية العوفى: مغيراً مبدلًا. و قال ابن زيد: معناه مخبولًا لا عقل له.

فَأَرادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِيعاً (103) وَ قُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِى إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً (104)

---

(1) تفسير الطبرى 15: 109

التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 529

آيتان بلا خلاف.

قوله «فأراد» يعنى فرعون «أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ» يعنى موسى و بنى إسرائيل «من الأرض» أى يخرجهم منها بالنفى و القتل و الإزعاج كرهاً، من أرض مصر. و أصله القطع بشدة، فزّز الثوب إذا قطعه بشدة تخريق.

فأخبر اللّه تعالى إنا أغرقناه عند ذلک فى البحر، «وَ مَنْ مَعَهُ» من جنده و أتباعه و نجينا بنى إسرائيل مع موسى (ع) و قلنا لهم من بعد هلاک فرعون «اسْكُنُوا الْأَرْضَ» يعنى أرض الشام، «فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ» يعنى يوم القيامة و هى الكرة الآخرة «جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً» أى حشرناكم إلى أرض القيامة، مختلطين من كل قوم و من كل قبيلة، قد التف بعضكم على بعض لا تتعارفون، و لا ينحاز منكم أحد إلى قبيلة، و من ذلک قولهم: لففت الجيوش إذا ضربت بعضها ببعض فاختلط الجميع، و كل شىء اختلط بشىء فقد لف به، و قال مجاهد: معناه جئنا بكم من كل قوم. و قال قتادة:

جئنا بكم أجمع أولكم و آخركم، و هو قول ابن عباس و مجاهد- فى رواية- و الضحاک. و (لفيف) مصدر تقول لففته لفاً و لفيفاً، فلذلک أخبر به عن الجميع و لفيفاً نصب على الحال.

وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (105) وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً (106)
آيتان بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 530
قوله «وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ» يعنى القرآن أنزله اللّه يأمر فيه بالعدل و بالانصاف، و الأخلاق الجميلة و الأمور الحسنة الحميدة، و ينهى فيه عن الظلم و أنواع القبائح و الأخلاق الذميمة. «وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ» معناه بما ذكرناه من فنون الحق نزل القرآن من عند اللّه على نبيه صلّى اللّه عليه و سلم. قال البلخى: يجوز أن يكون أراد موسى، و يكون ذلك كقوله «وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» «1» و يجوز أن يكون أراد الآيات فكنى عنها بالهاء وحدها، دون الهاء و الألف، و يريد أنزلنا ذلك، كما قال أبو عبيدة قال أنشدنى رؤبة:
فيه خطوط من سواد و بلق كأنه فى العين توليع البهق «2»
فقلت له: إن أردت الخطوط فقل كأنها، و إن أردت السواد و البياض فقل كأنهما، قال: فقال لى: كأن ذلك و تلك.
ثم قال «وَ ما أَرْسَلْناكَ» يا محمد «إِلَّا مُبَشِّراً» للمطيعين بالجنة «و نذيرا» أى مخوفاً للعصاة من النار.
و قوله «وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ» قرأه أهل الأمصار بالتخفيف. و حكى عن ابن عباس بتشديد الراء، بمعنى نزلناه شيئاً بعد شىء، آية بعد آية، و قصة بعد قصة. و معنى «فرقناه» فصلنا فيه الحلال و الحرام، و ميزنا بينهما، و هو قول ابن عباس. و قال أبى بن كعب معناه بيناه. و قال الحسن و قتادة: فرق اللّه فيه بين الحق و الباطل.
و من قرأ بالتشديد، قال ابن عباس و قتادة و ابن زيد: إن معناه أنزل متفرقاً لم ينزل جميعاً، و كان بين أوله و آخره نحو من عشرين سنة. و نصب «قرآنا» على معنى و أحكمنا قرآناً «فرقناه» أو آتيناك قرآناً. و قال بعضهم: نصب بمعنى و رحمة كأنه قال «وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِيراً» و رحمة، قال لأن القرآن رحمة.
و قوله «لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ» معناه على تؤدة، فترتله و تبينه و لا تعجل

---

(1) سورة 57 الحديد آية 25
(2) مر هذا الرجز فى 1/ 296
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 531
فى تلاوته، فلا يفهم عنك، و هو قول ابن عباس و مجاهد و ابن زيد، و يقال فى المكث لغات: مكث بضم الميم و عليه القراء، و بفتح الميم و سكون

الكاف، و بفتح الميم و كسر الكاف، و حكي مكثى مقصور و مكاثاء ممدود.
و قوله «وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا» أي أنزلناه شيئاً بعد شيء، و هو قول الحسن و قتادة و قوله «وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا» يدل على أن القرآن محدث، لأن القديم لا يجوز وصفه بالمنزل و التنزيل، لأن ذلک من صفات المحدثين.
و قيل فى معنى «على مكث» أنه كان ينزل منه شيء ثم يمكثون ما شاء اللَّه و ينزل شيء آخر.

قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً (107) وَ يَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً (108) وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعاً (109)

ثلاث آيات فى الكوفى خاصة، تمام الأولى سجداً، و آيتان فيما سوى ذلک.

يقول اللّه تعالى لنبيه «قل» لهؤلاء الذين اقترحوا عليک الآيات، و قالوا «لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» «1» على وجه التبكيت لهم فى عدولهم عن نبيه و كفرهم به، و أنه لا يستضر بترک إيمانهم، لأن عيبه راجع عليهم «آمنوا» بهذا القرآن الذى لو اجتمعت الانس و الجن على أن يأتوا بمثله، و تعاونوا عليه لما

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 90

قدروا عليه «أَوْ لا تُؤْمِنُوا» و تجحدوه، فإن إيمانكم لن يزيد فى خزائن اللّه شيئاً، و لا تركككم الايمان به ينقص ذلک، و إن تكفروا به، فإن الذين أوتوا العلم باللّه و آياته من قبل نزوله من مؤمنى أهل الكتاب، و هم الذين أسلموا «إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ» من القرآن «يخرون» تعظيماً له و تكريماً، لعلمهم بأنه من عند اللّه، لأذقانهم سجداً بالأرض و اختلفوا فى المعنى بقوله «يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ» فقال بعضهم: أراد به الوجوه روى ذلک عن ابن عباس و قتادة. و قال قوم يعنى بذلک اللحى، حكى ذلک عن الحسن و قوله «وَ يَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولًا» حكاية من اللّه عن هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن خروا للأذقان سجوداً عند استماعهم القرآن يتلى عليهم تنزيها للّه تعالى و تبرئة له مما يضيف اليه المشركون، و يقولون لم يكن وعد ربنا من ثواب و عقاب إلا مفعولا حقّاً يقيناً إيماناً بالقرآن و تصديقاً له. و الأذقان جمع ذقن، و هو مجمع اللحيين. و قال مجاهد و ابن زيد:

«الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ» إلى قوله «خشوعاً» ناس من أهل الكتاب حيث سمعوا ما أنزل اللّه على محمد «يَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولًا» و قال ابن جريج: إذا يتلى عليهم كتابهم. و قال قوم «الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» يعنى به محمداً صلّى اللّه عليه و سلم و المؤمنين. و يراد بقوله «إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ» يعنى القرآن، لأنه من سياق ذكر القرآن، و لم يكن يجرى لغيره من الكتب ذكر، و هو الأقوى، لأن الآية فيها مدح لمن وصف بما فيها، و ذلک لا يليق بالكفار إلا أن يراد بذلک من آمن منهم و كان عالماً قبل ذلک بصحة القرآن إذ علموا بما أنزل اللّه على محمد صلّى اللّه عليه و سلم من

التوراة و الإنجيل و يحتمل ذلک اذاً على ما بيناه.
و قوله «وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعاً» يقول اللَّه يخرّ هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمنى أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان إذا يتلى عليهم القرآن «لاذقانهم يبكون و يزيدهم» ما فى القرآن من المواعظ و العبر «خشوعا» يعنى خضوعاً لأمر اللَّه و طاعته و استكانة له.
التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 533

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً (110) وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيراً (111)

آيتان بلا خلاف.

هذا أمر من اللَّه تعالى لنبيه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم أن «قل» يا محمد لمشركى قومك المنكرين لنبوّتك الجاحدين لدعائك و تسميتك اللَّه تعالى بالرحمن «ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ» أيها القوم «أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى» معناه بأى أسمائه تعالى تدعون ربكم به، و انما تدعون واحد، فله الأسماء الحسنى، و انما أمره بذلك، لان مشركى قومه لما سمعوا النبى صلّى اللَّه عليه و سلم يدعو اللَّه تارة بأنه اللَّه و تارة بأنه الرحمن، فظنوا أنه يدعو إلهين حتى قال بعضهم: الرحمن رجل باليمامة، فأنزل اللَّه هذه الآية احتجاجاً لنبيه صلّى اللَّه عليه و سلم بذلك، و انه شىء واحد، و إن اختلفت أسماؤه و صفاته، و به قال ابن عباس و مكحول و مجاهد و غيرهم.

(و ما) فى قوله «أيّاً ما» يحتمل أن يكون صلة، كقوله «عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ» «1»، و يحتمل أن يكون بمعنى أى كررت لاختلاف لفظها، كما قالوا:

ما رأينا كالليلة ليلة.

و قوله «وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا» نهى من اللَّه تعالى عن الجهر العظيم فى حال الصلاة، و عن المخافتة الشديدة و أمر بأن يتخذ بين

---

(1) سورة 23 المؤمنون آية 40

ذلك سبيلًا.و حدّ أصحابه الجهر فيما يجب الجهر فيه بأن يسمع غيره، و المخافتة بأن يسمع نفسه.

و اختلفوا فى الصلاة التى عنى بها بالآية فى قوله «وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ» فقال الحسن لا تجهر بإشاعتها عند من يؤذيك، و لا تخافت بها عند من يلتمسها منك.

و قال قوم:لا تجهر بدعائك و لا تخافت، و لكن بين ذلك، قالوا: و المراد بالصلاة الدعاء، ذهبت اليه عائشة، و ابن عباس، و أبو عياض، و عطاء، و مجاهد، و سعيد بن جبير، و عبد اللَّه بن شداد، و الزبير، و مكحول. و

روى عن ابن عباس- فى رواية أخرى- أن النبىّ كان إذا صلى يجهر فى صلاته، فسمعه المشركون فشتموه و آذوه و آذوا أصحابه، فأمر اللَّه بترک الجهر، و كان ذلک بمكة فى أول الامر
، و به قال سعيد بن جبير. و قال قوم:أراد لا تجهر بتشهدک فى الصلاة و لا تخافت به، روى ذلک عن عائشة- فى رواية أخرى- و به قال ابن سيرين.
و
قال قوم: كان النبى صلّى اللَّه عليه و سلم يصلى بمكة جهراً فأمر بإخفاتها
، ذهب اليه عكرمة و الحسن البصرى، و قال قوم: معناه لا تجهر بصلاتک تحسنها مراءاة، فى العلانية، و لا تخافت بها، تثنى فى القيام بها فى السريرة، روى ذلک عن الحسن و قتادة و ابن عباس فى رواية. و به قال ابن زيد و ابن وهب. و قال الطبرى:
يحتمل أن يكون المراد لا تجهر بصلاتک صلاة النهار العجماء، و لا تخافت بها، يعنى صلاة الليل التى تجهر فيها بالقراءة، قال: و هذا محتمل غير انه لم يقل به أحد من أهل التأويل.
ثم قال لنبيه محمد صلّى اللَّه عليه و سلم قل يا محمد «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً» فيكون مربوباً لا ربّاً، لأن ربّ الأرباب لا يجوز أن يكون له ولد «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيکٌ» فى ملكه فيكون عاجزاً محتاجاً الى غيره ليعينه فيكون ضعيفاً، و لا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِىٌّ مِنَ الذُّلِّ» معناه لم يكن له حليف حالفه لينصره على من يناوئه، لان ذلک صفة ضعيف عاجز، و لا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة، ثم أمره بأن يعظمه تعظيماً لا يساويه تعظيم، و لا يقاربه لعلوّ منزلته. التبيان فى تفسير القرآن، ج6، ص: 535
و
روى عن النبى صلّى اللَّه عليه و سلم أنه كان يعلم أهله هذه الآية.
و ما قلناه هو قول مجاهد و سعيد بن جبير و ابن عباس. و قال محمد بن كعب القرطى: فى هذه الآية ردّ على اليهود و النصارى حين قالوا اتخذ اللَّه الولد- و على مشركى العرب حيث قالوا: لبيک اللهم لبيک لبيک لا شريک لک إلا شريک هو لک.و على الصابئين و المجوس حين قالوا: لو لا اولياء اللَّه لذل اللَّه. فأنزل اللَّه رداً لقولهم أجمعين.
و ليس لأحد أن يقول: كيف يحمد اللَّه على ان لم يتخذ ولداً، و لم يكن له شريک فى الملک، و الحمد إنما يستحق على فعل ماله صفة التفضل، و ذلک أن الحمد فى الآية ليس هو على أن لم يفعل ذلک. و إنما هو حمد على أفعاله المحمودة، و وجه الى من هذه صفته، لا من أجل أن ذلک صفته، كما تقول: أنا أشكر فلاناً الطويل الجميل، ليس انک تشكره على جماله و طوله، بل على غير ذلک من فعله.

و معنى «وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيراً» صفه بصفاته التى لا يشركه فيها أحد.
و قيل: كبره عن كل ما لا يليق وصفه به.

المجلد السابع

18-سورة الكهف ..... ص : 3

اشارة

قال مجاهد و قتادة: هى مكية، و هى مائة و عشرون آية فى الكوفى و أحدى عشرة فى البصرى و خمس فى المدنيين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (1) قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَ يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً (2) ماكِثِينَ فِيهِ أَبَداً (3)
ثلاث آيات بلا خلاف.
قرأ ابو بكر (لدنه)بإسكان الدال و إشمام الضمة، و كسر النون و الهاء و إيصالها بياء. الباقون بضم الدال و سكون النون و ضم الهاء من غير واو، إلا ابن كثير، فانه كان يصل الهاء بالواو.
و اعلم أن (لدن)اسم غير متمكن، و معناه (عند)، قال اللَّه تعالى «مِنْ
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 4
لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ»
«1» فالنون ساكنة فى كل أحوالها، و الهاء إذا أتت بعد حرف ساكن لم يجز فيها إلا الضم نحو (منه) فالأصل (منهو) و (لهو) فهو كقول ابن كثير، غير أنهم حذفوا الواو اختصاراً، و إنما أسكن ابو بكر الدال استثقالا للضم كما قالوا «فى كرم زيد»: قد كرم زيد، فلما سكن الدال التقى ساكنان، النون و الدال، فكسر النون لالتقاء الساكنين، و كسر الهاء لمجاورة حرف مكسور، و وصلها بهاء كما تقول: مررت به، و لو فتح النون لالتقاء الساكنين لجاز، بعد أن أسكن الثانى كقول الشاعر:
عجبت لمولود و ليس له أب و من ولد لم يلده أبوان «2»
يعنى آدم و عيسى. فلا يتوهم أن عاصماً كسر النون علامة للجزم، لان (لدن) لا تعرب. و حكى ابو زيد: جئت فلاناً لدن غدوة- بفتح الدال-.
يقول اللَّه تعالى لخلقه قولوا (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى) خص برسالته محمداً (ص) و انتجبه لابلاغها عنه، و بعثه الى خلقه نبياً رسولا، و انزل عليه كتاباً قيما، و لم يجعل له عوجاً. و قيل فى معنى قوله (قيماً) قولان: أحدهما- معتدلا مستقيما الثانى- أنه قيم على سائر الكتب يصدقها و يحفظها. و الأول قول ابن عباس. فعلى هذا «قيما» مؤخر، و المراد به التقدم، و تقديره أنزل الكتاب قيماً، و لم يجعل له عوجاً أى اختلافاً. و قال الضحاك: معناه مستقيماً. و قال ابن إسحاق: معناه معتدلا لا اختلاف فيه. و قال قتادة: أنزل اللَّه الكتاب قيماً، و لم يجعل عوجاً. و فى بعض القراءات «و لكن جعله قيما» و كسرت العين من قوله «عوجاً» لأن العرب تقول: عوجاً

---

(1) سورة 11 هود آية 1
(2) تفسير الطبرى 15/ 119 و هو فى مجمع البيان 3: 446

- بكسر العين- فى كل اعوجاج كان فى دين أو فيما لا يرى شخصه قائماً و لا يدرک عياناً منتصباً كالعوج فى الدين، و لذلک كسرت العين فى هذا الموضع. و كذلک العوج فى الطريق، لأنه ليس بالشخص المنتصب. فأما ما كان فى الاشخاص المنتصبة فان عينها تفتح كالعوج فى القناة و الخشبة و نحوها.
و قال ابن عباس: معنى قوله «وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً» أى لم يجعله ملتبساً. و لا خلاف بين أهل العربية ان قوله (قيماً) و إن كان مؤخراً فتقديره الى جنب الكتاب.
و إنما افتتح اللَّه تعالى هذه السورة بذكر نفسه بما هو أهله، و بالخبر عن انزال كتابه على رسوله، ليخبر المشركين من أهل مكة بأن محمداً (ص) رسوله،
لأن المشركين كانوا سألوا رسول اللَّه (ص) عن أشياء لقنوها إياهم اليهود، من قريظة و النضير، و أمروهم أن يسألوه عنها، و قالوا: إن أخبركم بها فهو نبى، و إن لم يخبركم فهو مقتول، فوعدهم رسول اللَّه (ص) الجواب عنها، موعداً فأبطأ- على قول بعضهم- الوحى عنه بعض الإبطاء و تأخر مجيئ جبرائيل (ع) عنه، عن ميعاده القوم فتحدث المشركون بأنه اخلفهم موعده، و أنه مقتول، فأنزل اللَّه هذه السورة جواباً عن مسائلهم، و افتتح أولها بذكره تكذيباً للمشركين فيما تحدثوا بينهم من احدوثتهم- ذكر ذلک محمد بن إسحاق بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس- و كان الذين ذهبوا الى اليهود و سألوهم عن أمر النبى (ص) النضر بن الحارث بن كلدة، و عقبة بن أبى معيط، و كانت المسائل التى لقنوهم إياها: أن قالوا: سلوه عن ثلاثة أشياء، فان أخبركم بهن، فهو نبى مرسل، و إن لم يفعل فانه مقتول، سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول، ما كان أمرهم؟ فانه كان لهم حديث عجيب. و سلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض و مغاربها، ما كان نبؤه؟ و سلوه عن الروح ما هو؟ فان أخبركم بذلک فانه نبى مبعوث، فاتبعوه، و إن لم يخبركم فانه مقتول. فرجعا الى مكة التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 6
و اجتمعا مع قريش فجاءوا الى رسول اللَّه (ص) فسألوه عنها، فقال النبى (ص) أخبركم بذلک. و قال بعضهم: انه قال: أخبركم غداً بما سألتم، و لم يستثن، و انصرفوا عن النبى (ص) فمكث رسول اللَّه خمس عشرة ليلة لا ينزل اللَّه اليه فى ذلک وحياً، و لا يأتيه جبرائيل (ع) حتى اوجف أهل مكة، و تكلموا فى ذلک، فشق ذلک على رسول اللَّه (ص) فأنزل اللَّه عليه جبرائيل و معه (سورة الكهف) يخبره فيها عما سألوه عنه من أمر الفتية، و الرجل الطواف، و انزل عليه «وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ ...» «1» الآية.
فروى ابن إسحاق أن رسول اللَّه (ص) أفتتح السورة، فقال «الْحَمْدُ لِلَّهِ

الّذِی أَنْزَلَ عَلی عَبْدِهِ الْکِتابَ وَ لَمْ یَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَیِّماً» أی معتدلا، لا اختلاف فیه.
و قوله «لِیُنْذِرَ بَأْساً شَدِیداً مِنْ لَدُنْهُ، وَ یُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِینَ الَّذِینَ یَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ماکِثِینَ فِیهِ أَبَداً» معناه أنزل علی عبده القرآن معتدلا مستقیماً لا عوج فیه، لینذرکم أیها الناس بأساً شدیداً من أمر اللّه. و معنی البأس العذاب العاجل و النکال الحاضر، و السطوة. و معنی «مِنْ لَدُنْهُ» من عند اللّه، و هو قول ابن إسحاق، و قتادة. و مفعول «لینذر» محذوف، لدلالة الکلام علیه، و تقدیره:
لینذر کم بأساً کلما قال «یُخَوِّفُ أَوْلِیاءَهُ» «2» و تقدیره یخوفکم أولیاءه، و معنی «وَ یُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِینَ» یعنی المصدقین باللّه و رسوله «الَّذِینَ یَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ» یعنی ما أمرهم اللّه به من الطاعات، و هی الاعمال الصالحات، و الانتهاء عما نهاهم عنه «أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً» یعنی ثواباً جزیلا من اللّه علی ایمانهم باللّه و رسوله، و عملهم فی الدنیا بالطاعات و اجتناب المعاصی، و ذلک الثواب هو الجنة.
و قوله «ماکِثِینَ فِیهِ أَبَداً» أی لابثین فیه ابداً خالدین مؤبدین لا ینتقلون

---

(1) سورة 17 الإسراء آیة 85 [.....]
(2) سورة 3 آل عمران آیة 175

عنه و لا ینقلبون، و نصب (ماکثین) علی الحال من قوله «أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً» فی هذه الحال، فی حال مکثهم فی ذلک الأجر.

وَ يُنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً (4) ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَ لا لِآبائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً (5)
آيتان.
يقول اللَّه تعالى أنه يحذر ايضاً محمد (ص) القوم «الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً» من مشركى قومه و غيرهم- عقاب اللَّه، و عاجل نقمته و أليم عذابه على قولهم ذلک.
و قوله «ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ» [معناه ما لقائلى القول هذا يعنى قولهم «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً» به من علم] «1» يعنى ليس لهم باللَّه من علم. و معنى الكلام ما لهؤلاء القائلين هذا القول باللَّه من علم بأنه لا يجوز أن يكون له ولد. فلجهلهم باللَّه و عظمته قالوا ذلک.
و قوله «وَ لا لِآبائِهِمْ» معناه و لا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل الذى هم عليه اليوم، ما كان لهم باللَّه و عظمته علم.
و قوله «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ» نصب (كلمة) على التمييز، و تقديره كبرت كلمتهم التى قالوها كلمة، كما تقول: نعم رجلا عمرو، و نعم الرجل رجلا قام.
و قال بعضهم: نصب (كلمة) لأنها فى معنى: اكبر بها كلمة، كقوله

---

(1) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

«وَ ساءَتْ مُرْتَفَقاً» «1» و هى فى النصب كقول الشاعر:
و لقد علمت إذا الرياح تروحت هدج الرئال تكبهن شمالًا «2»
أى تكبهن الرياح شمالا، فكأنه قال كبرت تلک الكلمة. و روى عن بعض المكيين انه قرأ ذلک بالرفع، كقولهم: كبر قولک، و كبر شأنک، فعلى هذا لا يكون فى قوله (كبرت) مضمر، بل يكون صفة الكلمة، و الأول أقوى، لإجماع القراء على النصب، و هذا شاذ، و تأويل الكلام: عظمت الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء القوم «الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً» او الملائكة بنات اللَّه.
و قوله «إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً» معناه ليس يقول هؤلاء القائلون «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً» إلا كذباً، و فرية افتروها على اللَّه- عز و جل-.

فَلَعَلَّکَ باخِعٌ نَفْسَکَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً (6) إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (7) وَ إِنَّا لَجاعِلُونَ ما عَلَيْها صَعِيداً جُرُزاً (8)
ثلاث آيات بلا خلاف.
يقول اللَّه تعالى لنبيه محمد (ص) «فلعلک» يا محمد قاتل نفسک و مهلکها على آثار قومک الذين قالوا: «لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً ...» «3»
تمرداً منهم على ربهم بأنهم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذى أنزلته عليک، فيصدقوا بأنه

---

(1) سورة 18، الكهف آية 29
(2) تفسير الطبرى 15/ 119 و هو فى مجمع البيان 3/ 449
(3) سورة 17، الإسراء آية 90

من عند اللَّه- حزناً و تلهفاً و وجداً- بادبارهم عنک و اعراضهم عن قبول ما أتيتهم به. و (أسفاً) نصب على المصدر. يقال بخع نفسه يبخعها بخعاً و بخوعاً، قال ذو الرمة:
ألا ايهذا الباخع الوجد نفسه لشىء نحته عن يديه المقادر «1»
يريد (نحته) فخفف. و ما ذكرناه قول قتادة و غيره. و قوله «اسفاً» قال قتادة: معناه غضباً و تقديره: فلعلک باخع نفسک إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً يعنى غضباً. و قال مجاهد: معناه جزعاً. و فى رواية أخرى عن قتادة: حزناً عليهم.
و فى رواية ثالثة عن قتادة حذراً. و كسرت (إن) لأنها فى معنى الجزاء و لو فتحت لجاز قال الشاعر:
أ تجزع أن بان الخليط المودع و حبل الصفا من عزة المتقطع «2»
و هذا معاتبة من اللَّه لرسوله على وجده بمباعدة قومه إياه فيما دعاهم اليه من الايمان به و البراءة من الآلهة و الأنداد، و كان بهم رحيماً، و هو قول ابن إسحاق.
و قوله «إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها» معناه انا جعلنا الذى على الأرض من انواع المخلوقات جمادها وَ حيوانها و نباتها «زِينَةً لَها» يعنى للأرض «لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ» أى لنختبر عبادنا «أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» يعنى من اتبع أمرنا و نهينا و عمل فيها بطاعتنا، و هو قول مجاهد.
قوله تعالى «وَ إِنَّا لَجاعِلُونَ ما عَلَيْها صَعِيداً جُرُزاً» فيه اخبار من اللَّه تعالى

انا مخربوها بعد عمارتنا إياها بما جعلنا عليها من الزينة فنصيرها صعيداً جرزاً، و الصعيد

---

(1) مجاز القرآن 1/ 393 و تفسير الطبرى 15/ 120 و هو فى مجمع البيان 3/ 448
(2) مر هذا البيت فى 1/ 349 من هذا الكتاب.

ظهر الأرض، و الجرز الذى لا نبات عليه و لا زرع و لا غرس. و قيل انه أراد بالصعيد- هاهنا- المستوى من وجه الأرض. و قال ابن عباس: معناه نهلک كل شىء عليها زينة.
و قال مجاهد: «جرزاً» أى بلقعاً. و قال قتادة: هو مالا شجر فيه و لا نبات. و قال ابن زيد: الجرز الأرض التى ليس فيها شىء، بدلالة قوله «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً» «1» يعنى الأرض التى ليس فيها شىء من النبات.
و الصعيد المستوى قال: و هو كقوله تعالى «لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً» «2» قال سيبويه: يقال جرزت الأرض فهى مجروزة و جرزها الجراد و النعم، و أرضون اجراز إذا كان لا شىء فيها، و يقال للسنة المجدبة جرز، و سنون أجراز لجدوبها و يبسها و قلة أمطارها. قال الراجز:
قد جرفتهن السنون الأجراز «3»
و يقال: أجرز القوم إذا صارت أرضهم جرزاً، و جرزوا هم أرضهم أكلوا نباتها كله.

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً (9) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقالُوا رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَ هَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً (10)

آيتان بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى لنبيه (ص) «أَمْ حَسِبْتَ» يا محمد، و المراد به أمته أى

---

(1) سورة 32، الم السجدة آية 27

(2) سورة 20، طه آية 107

(3) تفسير الطبرى 15/ 121 و روايته (حرقتهن) بدل (جرفتهن)

أحسبت «أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً» بل ما خلقت من السموات و الأرض و ما بينهن من العجائب اعجب من اصحاب اهل الكهف، و حجتى بذلک ثابتة «1» على هؤلاء المشركين من قومک و غيرهم من جميع عبادى، و هو قول مجاهد و قتادة و ابن إسحاق. و قال قوم: معناه «أَمْ حَسِبْتَ» يا محمد «أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً» فان الذى آتيتک من العلم و الحكمة أفضل منه، و هو قول ابن عباس، و قال الجبائى: المعنى أ حسبت «أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً» و لو لم نعلمک ذلک لما علمته. و الأول أشبه، لأن اللَّه تعالى جعل انزال سورة الكهف احتجاجاً على الكفار بما واطأهم عليه اليهود.

و المراد بالكهف فى الآية كهف الجبل الذى أوى اليه القوم الذين قص اللَّه شأنهم و ذكر اخبارهم فى هذه السورة.

و اختلفوا فى معنى «الرقيم» فقال قوم: هو اسم قرية- ذهب اليه ابن عباس- و فى رواية أخرى عنه: أنه واد بين غضبان، و ايلة، دون فلسطين، و هو قريب من ايلة. و قال عطية: «الرقيم» واد. و قال قتادة: «الرقيم» اسم الوادى الذى فيه اصحاب الكهف. و قال مجاهد: «الرقيم» كتاب تبيانهم. و فى رواية ايضاً عن ابن عباس أن «الرقيم» هو الكتاب. و قال سعيد بن جبير: هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصص اصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف، و هو اختيار البلخى و الجبائى و جماعة. و قيل: جعل ذلک اللوح فى خزائن الملوک، لأنه من عجائب الأمور. و قيل بل جعل على باب كهفهم. و قال ابن زيد: الرقيم كتاب، و لذلک الكتاب خبر، فلم يخبر اللَّه عن ذلک الكتاب و ما فيه، و قرأ قوله «وَ ما أَدْراکَ ما عِلِّيُّونَ كِتابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ» «2» و قال: هو اسم جبل اصحاب الكهف،

---

(1) فى المخطوطة (قائمة) بدل (ثابتة)
(2) سورة 83، المطففين آية 19- 21
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 12
روى ذلک عن ابن عباس. و قيل: إن اسم ذلک الجبل (تيحلوس) «1» و قيل تياحلوس «2».
و قد روى عن ابن عباس أنه قال: كل القرآن أعلمه إلا (حنان) و (الأواه) و «الرقيم». و اختار الطبرى أن يكون ذلک اسماً لكتاب أو لوح أو حجر كتب فيه.
و الرقيم (فعيل). أصله مرقوم، صرف الى فعيل مثل جريح بمعنى مجروح و قتيل بمعنى مقتول يقال: رقمت الكتاب أرقمه إذا كتبته و منه الرقيم فى الثوب لأنه خط يعرف به ثمنه. و قيل للحية أرقم لما فيها من الآثار، و تقول العرب عليک بالرقمة [بمعنى عليک برقمة الوادى حيث الماء] «3» و دع الضفة أى الجانب و الضفتان جانبا الوادى، و لعل من ذهب الى أن الرقيم الوادى: ذهب الى رقمة الوادى.
و قوله «إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ» معناه «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً» حين «أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ» أى حين جاء أصحاب الكهف الى الكهف، كهف الجبل هرباً بدينهم الى الله، قالوا إذ أووه «رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَةً» رغبة منهم الى ربهم فى أن يرزقهم من عنده رحمة.
و قوله «وَ هَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً» معناه انهم قالوا يسر لنا ما نبتغى و نلتمس من رضاک أى دلنا على ما فيه نجاتنا و الهرب من الكفر بک و من عبادة الأوثان التى يدعونا اليها قومنا «رشداً» أى رشداً الى العمل الذى تحب.
و قيل إن هؤلاء الفتية كانوا مسلمين على دين عيسى (ع) و كان ملكهم يعبد الأصنام، فهربوا بدينهم منه. و قال آخرون: هربوا من الملک بجناية اتهموا بها

---

(1) فى المخطوطة (بجلوس)
(2) فى المخطوطة (بنا جلوس) [.....]
(3) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 13
فدخلوا الكهف.
و يجوز «رشداً»- بضم الراء و تسكين الشين- غير أنه لم يقرأ به- هاهنا- أحد، لأن أواخر الآيات كلها على وزن (فَعَل) فلم يخالفوا بينها.

فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً (11) ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً (12)
آيتان.
يقول الله تعالى «فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ»، يعنى بالنوم، كما يقول القائل لآخر: ضربك الله بالفالج بمعنى أبلاك الله به. و قيل معناه منعناهم أن يسمعوا، و المعنى أنمناهم. و قوله «سِنِينَ عَدَداً» معناه سنين معدودة. و نصب (سنين) على الظرف بقوله «فضربنا» و «عدداً» بمعنى معدود، و العدّ المصدر و مثله نقضت الشىء نقضاً، و المنقوض نقض، و كذلك قبضته قبضاً، و المقبوض قبض.
و قوله تعالى «ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً» معناه بعثنا هؤلاء الفتية الذين أووا الى الكهف بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عدداً، من رقدتهم لينظر عبادى فيعلموا بالبعث أى الطائفتين اللتين اختلفتا فى قدر مبلغ مكث الفتية فى كهفهم رقوداً «أَحْصى لِما لَبِثُوا» بمعنى أصوب لقدر لبثهم فيه أمداً.
و الأمد الغاية قال النابغة:
ألا لمثلك او من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد «1»
و قال قوم: الحزبان جميعاً كانا كافرين. و قال آخرون: كان أحدهما مسلماً

---

(1) تفسير الطبرى 15/ 127 و مجمع البيان 3/ 451

و الآخر كافراً، فالأول قول مجاهد. و قال: الحزبان من قوم الفتية. و قال قتادة:
أحدهما كان كافراً، و الآخر كان مؤمناً، و لم يكن لواحد منهما علم بمقدار زمان لبثهم. و قال قوم: الحزبان هم اصحاب الكهف اختلفوا فى مدة لبثهم. و قال قوم: احد الحزبين اصحاب الكهف، و الآخر أصحابهم و قومهم.
و معنى «أمداً» قال ابن عباس يعنى بعيداً. و قال مجاهد: يعنى عدداً.
و يحتمل نصب «أمدا» وجهين:
أحدهما- التمييز فى قوله (أحصى) كأنه قال أى الحزبين أصوب عدداً.
و الثانى- أن يكون نصباً بوقوع قوله «لبثوا» عليه، كأنه قال: أى الحزبين أحصى للبثهم غاية أى فى الأمد.
و الفتية جمع فتى مثل صبى و صبية و غلام و غلمة.

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْکَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْناهُمْ هُدىً (13) وَ رَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ إِذْ قامُوا فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً (14) هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً (15)

ثلاث آيات فى عدد الكل- إلا الشامى- آخر الأولى «هدى» و عند الشامى شططاً.

يقول اللَّه تعالى إنا نخبرک يا محمد و نقص عليک نبأ هؤلاء الفتية الذين آووا

الكهف على وجه الصحة. و القصص الخبر بمعانى يتلو بعضها بعضاً و أصله الاتباع من قولهم: قص أثره يقصه قصصاً إذا اتبعه، و منه قوله تعالى «وَ قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ» أى اتبعى أثره. و النبأ الخبر. و فتية جمع فتى، و هو جمع لا يقاس عليه لأنه غير مطرد، و قد جاء غلام و غلمة و صبى و صبية، و لا يجوز غراب و غربة.

ثم أخبر عنهم بأنهم فتية آمنوا بربهم، و اعترفوا بتوحيده «وَ زِدْناهُمْ هُدىً» و المعنى و زدناهم المعارف بما فعلنا لهم من الالطاف لما فيها من الآيات التى رأوها، و من الربط على قلوبهم حتى تمسكوا بها.

و قوله «إِذْ قامُوا فَقالُوا» معناه حين قاموا بحضرة الملک الجبار، فقالوا هذا القول الذى أفصحوا فيه عن الحق فى الديانة و لم يستعملوا التقية، فقالوا: ربنا الذى نعبده هو الذى خلق السموات و الأرض لن ندعوا من دونه إلهاً آخر، فنوجه العبادة اليه، و متى قلنا غير ذلک و دعونا معه إلهاً آخر «لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً». و الشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه، فقلنا شططاً أى غلواً فى الكذب و البطلان. قال الشاعر:

ألا يا لقوم قد شطت عواذلى و يزعمن أن أودى بحقى باطلى
و يلحيننى فى اللهو ألا أحبه و للهو داع دائب غير غافل «1»

و منه أشط فلان فى السوم إذا تجاوز القدر بالغلو فيه يشط إشطاطاً و شططاً و شط منزل فلان يشط شطوطاً إذا جاوز القدر فى البعد، و شطت الجارية تشط شطاطاً و شطاطة إذا جاوزه القدر فى الطول.

و قوله «هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً» إخبار من الفتية بخضرة الملک على وجه الإنكار على قومه «إن هؤلاء» قومک اتخذوا من دون اللَّه آلهة يعبدونها

---

(1) قائله الأحوص. مجاز القرآن 1/ 394 و الكامل للمبرد 49 و تفسير الطبرى 15/ 128 و اللسان و التاج (شطط).

«لَوْ لا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً».
معناه هلا يأتون على عبادتهم إياها بحجة واضحة و دلالة بينة. و حذف لدلالة الكلام عليه ثم قالوا: فمن اظلم لنفسه ممن يتخرص على اللّه كذباً، و يضيف اليه مالا اصل له. و فى ذلک دلالة على أن التقليد فى الدين لا يجوز و انه لا يجوز أن يقبل دين إلا بحجة واضحة. و فى قصة اصحاب الكهف دلالة على أنه لا يجوز المقام فى دار الكفر إذا كان لا يمكن المقام فيه إلا بإظهار كلمة الكفر و انه يجب الهجرة الى دار الإسلام أو بحيث لا يحتاجون الى التلفظ بكلمة الكفر.

وَ إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَ ما يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً (16) وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَتَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَ إِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ وَ هُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً (17) وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ وَ نُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَ ذاتَ الشِّمالِ وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً (18)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و اهل الكوفة، و ابو بكر و الأعشى إلا يحيى و العليمى «مرفقاً» بفتح التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 17

الميم و كسر الفاء. الباقون- بكسر الميم و فتح الفاء- و قرأ ابن عامر و يعقوب (تزور)- بتخفيف الزاى و تسكينها و تشديد الراء من غير ألف- و قرأ أهل الكوفة بتخفيف الزاى و الف بعدها و تخفيف الراء. الباقون كذلك إلا أنهم شددوا الزاى. و قرأ أهل الحجاز «لمليت» بتشديد اللام. الباقون بتخفيفها و بالهمز.

قال ابو عبيدة: المرفق ما ارتفقت به و بعضهم يقول: المرفق. فأما فى اليدين فهو (مرفِق) بكسر الميم و فتح الفاء، و هو قول الكسائى، و أجاز الفراء الفتح أيضاً.

و قال ابو زيد يقال: رفق اللَّه عليك أهون المرفِق و الرفق. قال ابو على: ما حكاه أبو زيد فى (المرفق) فانه جعله مصدراً، لأنه جعله كالرفق، و كان القياس الفتح لأنه من (يرفق) لكنه كقوله «مرجعكم» «1» «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ» «2» و قال ابو الحسن: (مرفقاً) أى شيئاً يرتفقون به مثل المقطع. و (مرفقاً) جعله اسماً مثل المسجد أو يكون لغة يعنى فى اسم المصدر مثل المطلع و نحوه. و لو كان على القياس لفتحت اللام. و قال الحسن ايضاً: مرفق- بكسر الميم و فتحها- لغتان لا فرق بينهما انما هما اسمان مثل المسجد و المطبخ.

و من قرأ «تزورّ» فانه مثل تحمر و تصفر، و معناه تعدل و تميل قال عنترة:

فازور من وقع القنا بلبانه و شكا الى بعبرة و تحمحم «3»

و قرأ عاصم و الجحدرى «تزوار» مثل تحمار و تصفار.

---

(1) سورة 3، آل عمران آية 55 و سورة 5، المائدة آية 51، 108 و سورة 6، الانعام آية 60، 164 و سورة 10 يونس آية 23 و سورة 11، هود آية 4 و سورة 29، العنكبوت آية 8 و سورة 31، لقمان آية 15.

(2) سورة 2 البقرة آية 222
(3) ديوانه 30 من معلقته المشهورة (ج 7 م 3 من التبيان)
. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 18
و من قرأ «تزاور» أراد تتزاور فأدغم التاء فى الراء.
و من خفف أراد ذلک، و حَذَفَ إحدى التائين و هى الثانية مثل تساقط، و تساقط، و تظاهرون، و تظاهرون. قال أبو الزحف:
و دون ليلى بلد سمهدر جدب المندى عن هوانا ازور «1»
يقال: هو أزور عن كذا أى مائل. و فى فلان زور أى عوج، و الزور- بسكون الواو- هو المصدر، و مثله الجوشن، و الكلكل، و الكلكال، كل ذلک يراد به المصدر و قال ابو الحسن: قراءة ابن عامر «تزور» لا توضع فى ذا المعنى، انما يقال:
هو مزور عنى أَى منقبض. و قال ابو على: يدل على أن (ازور) بمعنى انقبض- كما قال ابو الحسن- قول الشاعر:
و أزور من وقع القنا بلبانه «2»
و الذى حسَن القراءة به قول جرير:
عسفن على الاداعس من مهيل و فى الاظغان عن طلح ازورار «3»
فظاهر استعمال هذا (الاظغان) مثل استعماله فى (الشمس). و يقال: ملىء فلان وعياً و فزعاً، فهو مملؤ، و ملى، فهو مملى- بالتشديد، للتكثير من ملأت الإناء فهو ملآن، و امتلأ الحوض يمتلئ امتلاءً، و قولهم: تمليت طويلا، و عانقت حبيباً، و مت شهيداً، و أبليت جديداً، فهو غير مهموز. قال ابو الحسن: الخفيفة أجود فى كلام العرب، لأنهم يقولون ملأته رعباً، فلا يكادون يعرفون (ملأتنى).

_____

(1) ابو الزحف الكلبى مترجم فى الشعراء 462، و البيت فى مجاز القرآن 1/ 395 و تفسير القرطبى 10/ 250 و جمهرة اشعار العرب 1/ 443، 3/ 370 و اللسان و التاج (زور، سمهد، عشنزر).
(2) قد مر فى الصفحة التى قبلها
(3) ديوانه (دار بيروت) 182 و روايته (على إلا ما عز من حبى).
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 19
قال ابو على: يدل على قول أبى الحسن قولهم (فيملأ بيتنا اقطاً و سمنا) و قال الأعشى:
و قد ملأت بكر و من لف لفها
و قال الآخر:
لا تملأ الدلو و عرق فيها
و قولهم: (امتلأت) يدل على (ملىء) لأن مطاوع (فعلت) (افتعلت) و قد انشدوا فى التثقيل قول المخبل السعدى:

فملأ من كعب سلاسله
و قوله «وَ إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ» خطاب من اهل الكهف بعضهم لبعض، و دعاء بعضهم بعضاً الى أن يأووا الى الكهف، رجاء من اللَّه أن ينشر لهم من رحمته و يبسطها عليهم، و يهيئ لهم من أمرهم مرفقاً اى شيئاً يرتفق به و يستعان به كالمقطع و المجزر.
و قوله «وَ ما يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ» (ما) فى موضع نصب و معناه و إذ اعتزلتموهم و ما يعبدون من دون اللَّه من الأصنام و الأوثان، و يحتمل الاستثناء أمرين:
أحدهما- أن يكون متصلا، فيجوز على ذلک أن يكون فيهم من يعبد اللَّه مع عبادة الوثن، فيكون اعتزالهم للأوثان دون اللَّه.
و الثانى- يجوز أن يكون جميعهم كان يعبد الأوثان دون اللَّه فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً.
و قوله «فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ» أى اجعلوه مأواكم و مقركم «ينشر» اللَّه «لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ» ما ترتفقون به. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 20
و قوله «فأووا» جواب (إذ) كما تقول: إذ فعلت قبيحاً، فتب.
و قوله «وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَتَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ» أى تعدل عنهم و تميل، يقال: ازور ازوراراً، و فيه زور أى ميل.
و قوله «وَ إِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- تقطعهم فى ذات الشمال أى انها تجوزهم منحرفة عنهم، من قولک قرضته بالمقراض أى قطعته.
الثانى- تعطيهم اليسير من شعاعها ثم تأخذه بانصرافها، من قرض الدراهم التى تسترد.
و قال مجاهد: تقرضهم تتركهم. و قال ابو عبيدة كذلک هو فى كلامهم يقال: قرضت الموضع إذا قطعته و جاوزته. و قال الكسائى و الفراء: هو المجاوزة يقال: قرضنى فلان يقرضنى و جازنى يجوزنى بمعنى واحد، قال ذو الرمة:
الى قرض يقرض أجواز مشرف شمالا و عن ايمانهن الفوارس «1»
و القرض يستعمل فى أشياء غير هذا، فمنه القطع للثوب و غيره، و منه سمى المقراض، و منه قرض الفار. و قال ابو الدرداء: (إن قارضتهم قارضوک و إن تركتهم لم يتركوک) و معناه إن طعنت فيهم و عبتهم فعلوا بک مثله و إن تركتهم منه لم يتركوک.
و القرض، من يتقارض الناس بينهم الأموال، و قد يكون ذلک فى الثناء تثنى عليه كما يثنى عليک. و القرض بلغة أهل الحجاز المضاربة، و القرض قول الشعر القصيد منه خاصة دون الرجز، و قيل للشعر قريض. و من ذلک قول الأغلب العجلى:

---

(1) ديوانه 313 و تفسير الطبرى 15/ 130 و تفسير القرطبى 10/ 469 و الصحاح و التاج، و اللسان (قرض) و مجمع البلدان 4/ 463 و مجاز القرآن 1/ 400 و غيرها.

أ رجزاً يريد أو قريضاً
و المعنى فى الآية ان الشمس لا تصيبهم البتة أو فى اكثر الأمر، فتكون صورهم محفوظة. و قيل ان الكهف الذى كانوا فيه كان محاذياً لبنات النعش إذا جازت خط نصف النهار.
و الفجوة: المتسع من الأرض. و قال قتادة: فى قضاء منه، و تجمع فجوات و فجاء ممدود، و قيل الفجوة متسع داخل الكهف بحيث لا يراه من كان ببابه، و كان الكلب بباب الفجوة.
و قوله «ذلِكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ» أى أدلته و براهينه «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ» معناه من يسمه اللّه هادياً و يحكم بهدايته «فَهُوَ الْمُهْتَدِ». و يحتمل أن يكون أراد:
من يهده اللَّه الى الجنة، فهو المهتدى فى الحقيقة. و يحتمل أن يكون: من يلطف اللّه له بما يهتدى عنده، فهو المهتدى «و من يضلل» اى يحكم بضلاله أو يسميه ضالا أو من يضله عن طريق الجنة، و يعاقبه «فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً» اى معيناً و ناصراً يرشده إلى الجنة و الثواب.
ثم قال تعالى «وَ تَحْسَبُهُمْ» يعنى و تحسب يا محمد أهل الكهف إذا رأيتهم «ايقاظاً» أى منتبهين «و هم رقود» أى نيام. و قيل انهم كانوا فى مكان موحش منه، أعينهم مفتوحة يتنفسون و لا يتكلمون. و واحد (رقود) راقد أى نائم.
و قوله «وَ نُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَ ذاتَ الشِّمالِ» اخبار منه تعالى عما يفعل بهم و كيفية حفظ أجسادهم بأن يقلبهم من جنب الى جنب الى اليمين تارة و الى الشمال أخرى.
و قوله «وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ» قال ابن عباس: الوصيد الفناء، و به قال مجاهد و قتادة و الضحاك. و فى رواية أخرى عن ابن عباس: انه هو الباب إذا التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 22
أغلقته، و منه «نارٌ مُؤْصَدَةٌ»».
.و يجمع (وصيد) و صائد و وصد، و فى واحده لغتان: وصيد، و أصيد.
و أوصدت و آصدت. و ليس أحدهما مؤخوذاً من الآخر، بل هما لغتان مثل ورخت الكتاب و أرخته، و وكدت الأمر و أكدته.
و قوله «لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً» نصب على المصدر، و معناه لو أشرفت عليهم لاعرضت عنهم هرباً استيحاشاً للموضع «وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً» نصب على الحال. و المعنى لما ألبسهم اللّه تعالى من الهيبة لئلا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم، فينتبهون من رقدتهم بإذن اللّه

عند ذلک من أمرهم. و قيل انه: كانت اضفارهم قد طالت، و كذلک شعورهم، فلذلک يأخذه الرعب منهم. و قال الجبائى: نومهم ثلاثمائة سنة و تسع سنين- لا تتغير أحوالهم و لا يطعمون و لا يشربون- معجزة لا تكون إلا لنبى. و قيل النبى كان أحدهم، و هو الرئيس الذى اتبعوه و آمنوا به.

وَ كَذلِكَ بَعَثْناهُمْ لِيَتَساءَلُوا بَيْنَهُمْ قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكى طَعاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لْيَتَلَطَّفْ وَ لا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً (19) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَ لَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً (20) وَ كَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ أَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً (21) سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِراءً ظاهِراً وَ لا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً (22)

---

(1) سورة 90 البلد آية 20.

قرأ «بورقكم»- بسكون الراء- أبو عمرو وحده و أبو بكر عن عاصم الباقون بكسر الراء. و روى عن أبى عمرو «بورقكم» بإدغام القاف فى الكاف. و فى (ورقكم) اربع لغات- فتح الواو و كسر الراء- و هو الأصل. و فتح الواو و سكون الراء. و كسر الواو و سكون الراء. و الإدغام. فالورق الدراهم، و يقال ايضاً بفتح الراء، و يجمع أوراق. و رحل وراق كثير الدراهم. فأما ما يكتب فيه فهو (الورق) بفتح الراء لا غير. و الورق الغلمان الملاح. و قيل الورق- بفتح الراء- المال كله المواشى و غيرها قال العجاج:

اغفر خطاياى و طوح ورقى

فى قصة أهل الكهف اعتبار و دلالة على أن من قدر على نقض العادة- بتلك المعجزة- قادر لا يعجزه شىء، و إن التدبير يجرى بحسب الاختيار، لا بإيجاب الطبائع، كما يتوهمه بعض الجهال، لأنه على تدبير مختار، كما يدل على تدبير عالم.

و وجه التشبيه فى قوله «وَ كَذلِكَ بَعَثْناهُمْ» أى كما حفظنا أحوالهم تلك المدة «بعثناهم» من تلك الرقدة، لان أحد الامرين كالآخر فى أنه لا يقدر عليه إلا اللّه تعالى.

بين اللّه تعالى أنه بعث أهل الكهف بعد نومهم الطويل و رقدتهم البعيدة ليسأل بعضهم بعضاً عن مدة مقامهم، فيتنبهوا بذلك على معرفة صانعهم إن كانوا كفاراً.

و إن كانوا مؤمنين تثبتوا زيادة على ما معهم، و يزدادوا يقيناً الى يقينهم. و قال البلخى:

اللام فى قوله «ليتساءلوا» لام العاقبة، لأن التساؤل بينهم قد وقع. ثم اخبر تعالى أن قائلا منهم قال: للباقين «كم لبثتم» مستفهماً لهم، فقالوا فى جوابه: «لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» و انما أخبروا بذلک من غير أن يعلموا صحته، لأن الاخبار فى مثل هذا عن غالب الظن و على ذلک وقع السؤال، لان النائم لا يدرى، و لا يتحقق مقدار نومه إلا على غالب الظن. و قيل أنهم لما ناموا كان عند طلوع الشمس فلما انتبهوا كانت الشمس دنت للغروب بقليل. فلذلک قالوا: يوماً أو بعض يوم- ذكره الحسن-.
و قيل ايضاً إن الخبر بأنهم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ليس ينافى انهم لبثوا مدة طويلة، لان المدة الطويلة تأتى على قصيرة و تزيد عليها لا محالة. ثم قالوا «ربكم اعلم بما لبثتم» و معناه ان الذى خلقكم اعرف بمدة لبثكم على التحقيق. و الأعلم هو من كانت علومه اكثر أو صفاته فى كونه عالماً أزيد. و قيل: إن الأعلم هو من كانت معلوماته اكثر، و هذا ليس بصحيح، لأنه يلزم انه عالم من اجل العلوم.
ثم قال بعضهم لبعض «فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكى طَعاماً» و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال قتادة: «ازكى» أجل و خير.
و الثانى- ايها أنمى طعاماً بأنه طاهر حلال، لأنهم كانوا يذبحون للأوثان، و هم كفار أرجاس. و قيل معناه ايها اكثر فان الزكاة و النماء الزيادة. «فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لْيَتَلَطَّفْ» فى شرائه و إخفاء أمره «وَ لا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً» أى لا يعلمن بمكانكم أحداً. و قيل: المعنى و إن ظهر عليه فلا يوقعن إخوانه فيما وقع فيه لأنهم «إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ» و يعلموا بمكانكم «يرجموكم». قال الحسن: معناه يرجموكم بالحجارة.
و قال ابن جريج: يشتموكم و يؤذوكم بالقول القبيح «أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ» اى التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 25
يردوكم فى عبادة الأصنام. و متى فعلتم ذلک «لن تفلحوا» بعد ذلک «أبداً» و لا تفوزوا بشىء من الخير.
ثم قال: «وَ كَذلِکَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» و معناه انا كما فعلنا بهم ما مضى ذكره، مثل ذلک أظهرنا عليهم و اطلعنا عليهم، ليعلم الذين يكذبون بالبعث «أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» و يزداد المؤمنون ايماناً، و التقدير، ليستدلوا بما يؤديهم الى العلم بأن الوعد فى قيام الساعة حق كما قبضت أرواح هؤلاء الفتية تلک المدة. ثم بعثوا كأنهم لم يزالوا أحياء على تلک الصفة.
و قوله «إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ» يجوز أن تكون (إذ) نصباً ب «يعلموا» فى وقت منازعتهم. و يجوز أن يكون بقوله «أعثرنا» و التقدير: و كذلک اطلعنا إذ وقعت المنازعة فى أمرهم. و المعنى انهم لما ظهروا عليهم و عرفوا خبرهم أماتهم اللّه فى الكهف، فاختلف الذين ظهروا على أمرهم من

اهل مدينتهم من المؤمنين و هم الذين غلبوا على أمرهم. و قيل رؤساؤهم الذين استولوا على أمرهم. فقال بعضهم: ابنوا عليهم مسجداً ليصلى فيه المؤمنون تبركاً بهم «1». و قيل إن النزاع كان فى ان بعضهم قال: قد ماتوا فى الكهف. و بعضهم قال: لا بل هم نيام كما كانوا، فقال عند ذلک بعضهم: إن الذى خلقهم و أنامهم و بعثهم اعلم بحالهم و كيفية أمرهم، فقال عند ذلک الذين غلبوا على أمرهم من رؤسائهم لنتخذن عليهم مسجداً. و روى انهم لما جاءوا الى فم الغار دخل صاحبهم اليهم و أخبرهم بما كانوا عنه غافلين مدة مقامهم، فسألوا اللّه

_____

(1) و فى المخطوطة زيادة و قال بعضهم: «ابنوا عليهم مسجدا» ليصلوا فيه إذا انتبهوا). (ج 7 م 4 من التبيان)

تعالى ان يعيدهم الى حالتهم الاولى فأعادهم اليها، و حال بين من قصدهم و بين الوصول اليهم بأن أضلهم عن الطريق الى الكهف الذى كانوا فيه، فلم يهتدوا اليهم. و قيل انهم لما دخلوا الغار سدوا على نفوسهم بالحجارة فلم يهتد احد اليهم لذلک

وَ لا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً (23) إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ وَ قُلْ عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَداً (24)

يقول اللّه لنبيه (ص) انه سيقول قوم من المختلفين فى عدد اصحاب الكهف فى هذا الوقت: انهم ثلاثة رابعهم كلبهم، و طائفة أخرى يقولون: خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب، و تقول طائفة ثالثة: انهم سبعة و ثامنهم كلبهم. و ذهب بعضهم الى انهم سبعة لدخول و او العطف بعده فى قوله «وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» و لم يقل ذلک فى الاول. و هذا ليس بشىء، لأنه انما لم يدخل الواو فى الاول، لأنه جاء على الصفة بالجملة، و الثانى على العطف على الجملة. قال الرمانى: و فرق بينهما، لأن السبعة أصل للمبالغة فى العدة، كما قال (عز و جل): «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 27
يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ»

«1» و حكى البلخى عن بعض أهل العلم أنه قال: الواجب أن يعد فى الحساب: واحد اثنان ثلاثة اربعة، فإذا بلغت الى السبعة قلت: و ثمانية- بالواو- اتباعاً للآية.

و قوله «رَجْماً بِالْغَيْبِ» قال قتادة: معناه قذفاً بالظن. و قال المؤرج: ظناً بالغيب بلغة هذيل. و قال قوم: ما لم تستيقنه فهو الرجم بالغيب قال الشاعر:

و أجعل منى الحق غيباً مرجماً «2» و قال زهير:

و ما الحرب إلا ما علمتم و ذقتم و ما هو عنها بالحديث المرجم «3»

ثم قال تعالى لنبيه (ص): قل لهم يا محمد: ربى اعلم بعدتهم، من الخائضين فى ذلک و القائلين فى عددهم بغير علم. ثم قال تعالى: ليس يعلم عددهم إلا قليل من الناس، و هم النبى و من أعلمه اللّه من نبيه. و قال ابن عباس: أنا من القليل الذين يعلمون ذلک: كانوا سبعة و ثامنهم كلبهم.

ثم قال تعالى، ناهياً لنبيه- و المراد به أمته- «فَلا تُمارِ فِيهِمْ إِلَّا مِراءً ظاهِراً».

قال ابن عباس و قتادة و مجاهد و الضحاک: معناه إلا بما أظهرنا لک من أمرهم، و المعنى انه لا يجوز أن تمارى و تجادل إلا بحجة و دلالة، و اخبار من اللّه، و هو المراء الظاهر.

و قال الضحاک: معناه حسبک ما قصصنا عليک. و قال البلخى: و فى ذلک دلالة على أن المراء قد يحسن إذا كان بالحق و بالصحيح من القول. و إنما المذموم منه ما كان باطلا و الغرض المبالغة لا بيان الحق. و المراء الخصومة و الجدل.

---

(1) سورة 9 التوبة آية 8
(2) قد مر هذا البيت كاملا فى 1/ 205 من هذا الكتاب و قد نسبه هناک الى عمير بن طارق. و روايته (الظن) بدل (الحق) [.....]
(3) ديوانه (دار بيروت) 81 و هو فى تفسير القرطبى 10/ 383
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 28
و قوله «وَ لا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ» يعنى فى أهل الكهف. و فى مقدار عددهم «منهم» يعنى من اهل الكتاب «أحداً» و لا تستفهم من جهتهم. و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة.
و قوله «وَ لا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّى فاعِلٌ ذلِکَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» نهى من اللَّه تعالى لنبيه ان يقول: انى افعل شيئاً فى الغد إلا أن يقيد قوله بمشيئة اللَّه، فيقول:
ان شاء اللَّه، لأنه لا يأمن اختراعه، فيكون خبره كذباً. و إذا قيده بقوله إن شاء اللَّه، ثم لم يفعل، لم يكن كاذباً. و المراد بالخطاب جميع المكلفين، و متى اخبر المخبر عن ظنه و عزمه بأنه يفعل شيئاً فيما بعد ثم لم يفعل لا يكون كاذباً، لأنه اخبر عن ظنه و هو صادق فيه. و قال قوم «إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ». معناه إلا أن يشاء اللَّه أن يلجئنى الى تركه. و قال الفراء: قوله «إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» بمعنى المصدر، فكأنه قال إلا مشيئة اللَّه و المعنى إلا ما يريده اللَّه. و إذا كان اللَّه تعالى لا يشاء إلا الطاعات فكأنه قال: لا تقل انى افعل إلا الطاعات و ما يقرب الى اللَّه. و هذا وجه حسن. و لا يطعن فى ذلک جواز الاخبار عما يريد فعله من المباحات التى لا يشاؤها اللَّه، لأن هذا النهى ليس نهى تحريم، و انما هو نهى تنزيه، لأنه لو لم يقل ذلک لما أثم بلا خلاف و انما هو نهى تحريم فيما يتعلق بالقبيح فانه لا يجوز أن يقول انى افعل ذلک بحال. و الآية تضمنت أن لا يقول الإنسان انى افعل غداً شيئاً إلا أن يشاء اللَّه. فأما أن يعزم عليه من ذكر ذلک، فلا يلزم المشيئة فيه إلا ندباً، بغير الآية.
و قوله «وَ اذْكُرْ رَبَّکَ إِذا نَسِيتَ» قال الحسن: معناه انه إذا نسى أن يقول: إن شاء اللَّه، ثم ذكر فليقل ان شاء اللَّه. و قال ابن عباس: له ان يستثنى و لو الى سنة. و قال بعضهم: و له أن يستثنى بعد الحنث إلا انه لا تسقط عنه الكفارة فى اليمين، إلا إن يكون الاستثناء موصولا بالإجماع. و قال الحسن له أن يستثنى ما لم يقم من التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 29
مجلسه الذي هو فيه، فان قام بطل استثناؤه. و قال قوم «وَ اذْكُرْ رَبَّکَ إِذا نَسِيتَ» أمراً ثم تذكرته، فان لم تذكره فقل «عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَداً».
و قال بعضهم: عسى أن يعطينى ربى من ارشد ما هو أولى من قصة اصحاب الكهف.
و الذى نقوله: ان الاستثناء متى لم يكن متصلا بالكلام أو فى حكم المتصل،

لم يكن له تعلق بالأول و لا حكم له، و انه يجوز دخول الاستثناء بمشيئة اللّه فى جميع انواع الكلام: من الامر، و النهى، و الخبر، و الأيمان، و غير ذلک. و متى استثنى ثم خالف لم يكن حانثاً فى يمينه و لا كاذباً فى خبره. و متى هو استثناه بعد مدة بعد انفصال الكلام لم يبطل ذلک حنثه و لزمته الكفارة. و لو لم نقل ذلک أدى الى ان لا يصح يمين و لا خبر و لا عقد، فان الإنسان متى شاء استثنى فى كلامه و يبطل حكم كلامه.

و

قد روى عن النبى (ص) انه قال: (من حلف على أمر يفعله ثم رأى ما هو خير له فليحنث و ليكفر عن يمينه)

و لو كان الاستثناء جائزاً بعد مدة، لكان يقول فليستثنى و لا يحتاج الى الكفارة و لا يلزمه الحنث.

و قد روى فى اخبارنا مثل ما حكيناه عن ابن عباس. و يشبه أن يكون المراد به أنه إذا استثنى و كان قد نسى من غير تعمد فانه يحصل له ثواب المستثنى دون أن يؤثر فى كلامه، و هو الأشبه بابن عباس و أليق بعمله و فعله، فان ما حكى عنه بعيد جداً و قال المبرد، و جماعة: إن قوله «وَ لا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّى فاعِلٌ ذلِکَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» ضم الاستثناء إلى الكلام الذى قبله. ثم قال «وَ اذْكُرْ رَبَّکَ إِذا نَسِيتَ وَ قُلْ عَسى» استأنف كلاماً آخر و قصة أخرى. و قال الجبائى هذا استئناف كلام من اللّه، و أمر منه لنبيه (ص) أنه إذا أراد فعلا من الافعال فنسيه فليذكر اللّه و ليقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب مما نسيته رشداً. و قال عكرمة: «اذْكُرْ رَبَّکَ إِذا نَسِيتَ» معناه إذا نسيت امراً فاذكر ربک تتذكره، و هذا يدل على أنه لم يرد اليمين

فى الاستثناء.

و

قيل سبب نزول ذلک أن قريشاً لما جاءت و سألت النبى (ص) عن قصة اصحاب الكهف و قصة ذى القرنين، فقال لهم: غداً أخبركم، فأبطأ عنه جبرائيل.

و قيل تأخر عنه اياماً ثم أتاه بخبرهم.

و هذا ليس بصحيح، لأنه لو كان كذلک بأن وعدهم بأن يخبرهم غداً ثم لم يخبرهم لكان كذباً، و هو منه محال. و قال ابراهيم: إذا حلف الحالف و الكلام متصل فله استثناؤه إذا قال ان شاء اللّه. و قال الكسائى و الفراء: التقدير: و لا تقولن لشىء انى فاعل ذلک غداً إلا أن تقول ان شاء اللّه فأضمر القول. و انما كان الاستثناء مؤثراً إذا كان الكلام متصلا لأنه يدل على انه يؤل كلامه، و إذا لم يكن متصلًا فقد استقرت نيته و ثبتت فلا يؤثر الاستثناء فيها. «1»

و روى عن ابن عباس انه قال: «رِابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ» يعنى راعياً يتبعهم، حكاه

قطرب. و قال اخبر عن الكلب و أرَاد صاحبه، كقوله «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ». و انما أراد أهلها. [و هذا لا يصح مع ظاهر قوله «وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ»] و قال الجبائى: لما اجتازوا على الراعى، فقال لهم اين تريدون قالوا: نفر بديننا، فقال الراعى: انا أولى بذلک، فتبعهم و تبعه الكلب. و فى اصحاب الحديث من يقول:
ان الكلب خاطبهم بالتوحيد و الاعتراف بما اعترفوا به، و لذلک تبعهم. و هذا خرق عادة يجوز أن يكون اللَّه فعله لطفاً لهم، و معجزة لبعضهم على ما حكى ان بعضهم كان نبياً، و هو رئيسهم، فيكون ذلک معجزة له، غير انه ليس بمقطوع به.
و قوله «عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَداً» معناه قل يا محمد عسى ان يعطينى ربى من الآيات على النبوة ما يكون اقرب و أدل من قصة اصحاب الكهف.

---

(1) كان فى هذه الفقرات المتقدمة و ما بعدها، اخطاء كثيرة و نقص واضح فى المطبوعة فصحح على المخطوطة و لكثرة الاخطاء نبهنا عليها جملة.

وَ لَبِثُوا فِی کَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِینَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً (25) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا لَهُ غَیْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَ أَسْمِعْ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا یُشْرِکُ فِی حُکْمِهِ أَحَداً (26) وَ اتْلُ ما أُوحِیَ إِلَیْکَ مِنْ کِتابِ رَبِّکَ لا مُبَدِّلَ لِکَلِماتِهِ وَ لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (27)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى «ثلاثمائة سنين» مضافاً. الباقون بالتنوين، قال الفراء: من العرب من يضع (سنين) فى موضع (سنة) فهى فى موضع خفض على قراءة من أضاف قال عنترة:

فيها اثنتان و أربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم «1»

فمن نون نصب سنين ب «لبثوا» و تقديره سنين ثلاثمائة، ف (سنين) مفعول (لبثوا) و (ثلاثمائة) بدل، كما تقول خرجت أياماً خمسة و صمت سنين عشرة. و ان شئت نصبت «ثلاثمائة» ب (لبثوا) و جعلت (سنين) بدلا و مفسرة لها. و من أضاف قال ابن خالويه: هى قراءة غير مختارة، لأنهم لا يضيفون مثل هذا العدد إلا الى الافراد فيقولون ثلاثمائة درهم و لا يقولون ثلاثمائة دراهم قال ابو على الفارسى قد جاء مثل ذلک مضافاً الى الجمع، قال الشاعر:

فما زودونى غير سحق عمامة و خمس مىء منها قسى و زائف «2»

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 71 من معلقته الشهيرة

(2) لسان العرب قسا نسبه الى مزرد

جمع على فعل. و قد كسر القاف كما كسر فى (حلى) و قرأ ابن عامر، «و لا تشرک» بالتاء على الخطاب. الباقون بالياء على الخبر، فمن قرأ على النهى قال تقديره «لا تشرک» ايها الإنسان. و من قرأ على الخبر، فلتقدم الغيبة. و هو قوله «ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِیٍّ»، و الهاء للغيبة. و قرأ الحسن «تسع و تسعون» «1» بفتح التاء- يقال تسع بكسر التاء و فتحها، و هما لغتان. و الكسر اكثر و افصح.

قوله «وَ لَبِثُوا فِی کَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِینَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً» الآية معناه إخبار من اللّه تعالى و بيان عن مقدار مدة لبثهم يعنى أصحاب الكهف الى وقت انتباههم. ثم قال لنبيه، فان حاجک المشركون فيهم من أهل الكتاب، فقل «اللَّهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا» و هو قول مجاهد، و الضحاک، و عبيد بن عمير، كما قال «عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلى غَیْبِهِ أَحَداً» «2» و من قرأ بالتاء، قال معناه لا تنسبن احداً الى عالم الغيب. و يحتمل أن يكون المعنى لا يجوز

لحاكم أن يحكم إلا بما حكم اللّه به أو بما دل على حكم اللّه، و ليس لأخذ أن يحكم من قبل نفسه، فيكون شريكاً للّه فى أمره و حكمه.
و قيل إن معناه «قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا» الى أن ماتوا. و حكى عن قتادة أن ذلک حكاية عن قول اليهود فإنهم الذين قالوا لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين و ازدادوا تسعاً. و قوى ذلک بقوله «قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا» فذكر تعالى أنه العالم بذلک دون غيره. و قد ضعف جماعة هذا الوجه قالوا: لان الوجه الأول أحسن، لأنه ليس لنا أن نصرف اخبار اللّه الى أنه حكاية إلا بدليل قاطع، و لأنه معتمد الاعتبار الذى بينه اللّه (عز و جل) للعباد.
و قوله «لَهُ غَيْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» فالغيب يكون للشىء بحيث لا يقع

---

(1) سورة 38 (ص) آية 23
(2) سورة 72- الجن- آية 26

عليه الإدراک، و لا يغيب عن اللّه تعالى شىء، لأنه لا يكون بحيث لا يدركه. و قيل «عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» «1» معناه ما يغيب عن احساس العباد و ما يشاهدونه. و قيل ما يصح ان يشاهد و ما لا يصح أن يشاهد. و قوله «أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ» «2» معناه ما أسمعه و ما أبصره بأنه لا يخفى عليه شىء فخرج التعجب على وجه التعظيم له تعالى.
و قوله «ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ» اى ليس للخلق و قيل إنه راجع الى اهل الكهف أى ليس لهم من دون اللّه ولى و لا ناصر «و لا يشرک» يعنى اللّه «فى حكمه» بما يخبر به من الغيب «احداً».
ثم قال لنبيه (ص) «اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْکَ» أى اقرأ عليهم ما أوحى اللّه اليک من اخبار اصحاب الكهف و غيرهم.
و قوله «لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ» أى لا مغير لما أخبر اللّه تعالى به، لأنه صدق و لا يجوز أن يكون بخلافه «وَ لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً» و معناه ملتجأ تهرب اليه و قال مجاهد: ملجأ، و قال قتادة: موئلا. و قيل: معدلا. و هذه الأقوال متقاربة المعنى و هو من قولهم لحدت الى كذا أى ملت اليه، و منه اللحد، لأنه فى ناحية القبر و ليس بالشق الذى فى وسطه، و منه الإلحاد فى الدين، و هو العدول عن الحق فيه.
(و سنين) فيه لغتان تجمع جمع السلامة و جمع التكسير فالسلامة هذه سنون و رأيت سنين و جمع التكسير بتنوين النون تقول هذه سنون و صمت سنيناً و عجبت من سنين. و قوله «وَ ازْدَادُوا تِسْعاً» يعنى تسع سنين، فاستغنى بالتفسير فى الاول عن إعادته هاهنا.

---

(1) سورة 6 الانعام آية 73 و سورة 13- الرعد- آية 10 و غيرهما كثيراً فى القرآن

(2) سورة 19 مريم آية 38 (ج 7 م 5 من التبيان)
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 34

وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لا تَعْدُ عَيْناکَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً (28) وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَ ساءَتْ مُرْتَفَقاً (29) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (30)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحده «بالغدوة و العشى» بضم الغين و الواو، و إسكان الدال. الباقون بفتح الغين و الدال، و مع الالف، و لا يجوز عند أهل العربية إدخال الالف و اللام على غدوة، لأنها معرفة، و لو كانت نكرة لجاز فيها الاضافة و لا يجوز غدوة يوم الجمعة كما يجوز غداة يوم الجمعة.

و قال ابو على النحوى من أدخل الالف و اللام، فانه يجوز- و إن كان معرفة- أن تنكر، كما حكى أبو زيد لقيته فينة. و الفينة بعد الفينة، ففينة مثل غدوة فى التعريف، و مثل قولهم: اما النضرة، فلا نضرة، فأجرى مجرى ما يكون سائغاً فى الجنس.

و من قرأ بالغداة، فقوله أبين. و قال ابن خالويه: العرب تدخل الالف و اللام

المعرفة إذا جاءوا بما فيه الالف و اللام ليزدوج الكلام، قال الشاعر:

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا شديداً بأعباء الخلافة كاهله «1»

فادخل الالف و اللام على اليزيد لما جاور الوليد، فلذلک أدخل ابن عامر الالف و اللام فى (الغدوة) لما جاور العشى. و العرب تجعل (بكرة و غدوة و سحر) معارف إذا أرادوا اليوم بعينه. أمر اللّه تعالى نبيه (ص) بالصبر على جملة المؤمنين الذين يدعون اللّه بالغداة و العشى، و الصبر على ثلاثة اقسام: صبر واجب مفروض و هو ما كان على أداء الواجبات التى تشق على النفس و تحتاج الى التكلف. و الثانى- ما هو مندوب فان الصبر عليه مندوب اليه. و الثالث مباح جائز، و هو الصبر على المباحات التى ليست بطاعة للّه.

و قوله «يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» معناه يريدون تعظيمه و القربة اليه دون الرياء و السمعة، فذكر الوجه بمعنى لأجل التعظيم، كما يقال أكرمته لوجهک أى لتعظيمک لان من عادتهم أن يذكروا وجه الشىء و يريدون به الشىء المعظم. كقولهم هذا وجه الرأى أى هذا الرأى الحق المعظم.

و قوله «وَ لا تَعْدُ عَيْناکَ عَنْهُمْ» معناه لا تتجاوز عيناک الى غيرهم و لا تنصرف و قيل انها نزلت فى سلمان و أصحابه الى سواهم من أرباب الدنيا

الممرحين فيها «تريد» بذلک «زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا. وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا» نزلت فى عيينة بن حصين. و قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- لا تطع من صادفناه غافلا عن ذكرنا كقولهم احمدت فلانا أى صادفته محموداً فهو من باب صادفناه على صفة.
الثانى- لا تطع من سميناه غافلا، و نسبناه الى الغفلة كقولهم أكفرناه أى

---

(1) مر تخريجه فى 4/ 208 من هذا الكتاب

نسبناه الى الكفر.
و الثالث- لا تطع من أغفلنا قلبه أى جعلناه غافلا بتعرضه للغفلة. و قيل لم يسمه اللَّه بما يسم به قلوب المؤمنين مما ينبئ عن فلاحهم، كما قال «كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ» «1».
«وَ اتَّبَعَ هَواهُ» يعنى الذى أغفلناه عن ذكرنا «اتَّبَعَ هَواهُ، وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً» معناه تجاوزاً للحق و خروجاً عنه، من قولهم أفرط إفراطاً إذا أسرف، فاما فرّط فمعناه قصر عن التقدم الى الحق الذى يلزمه. و قيل معناه و كان أمره سرفا. ثم أمر اللَّه نبيه (ص) أن يقول لهم الذى أتيتكم به هو الحق من ربكم الذى خلقكم «فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ» صورته صورة الأمر و المراد به التهديد و هو آكد فى التهدد من جهة أنه كأنه مأمور بما يوجب اهانته. ثم أخبر أنه أعد للظالمين العصاة ناراً أحاط بهم سرادقها فالسرادق المحيط بما فيه مما ينقل معه و الأصل سرادق الفسطاط قال رؤية:
يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد إليک ممدود «2»
و قال ابن عباس سرادقها حائط من نار يطيف بهم، و قيل سرادقها دخانها قبل وصولهم اليها. و قيل السرادق ثوب يدار حول الفسطاط.
و قوله «وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا» معناه إن طلبوا الغوث و النجاة، و طلبوا ماء لشدة ما هم فيه من العذاب «يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ» و المهل كل شىء أذيب حتى ماع، كالصفر و الرصاص و الذهب و الحديد، و غير ذلک- فى قول ابن مسعود- و قال مجاهد: هو القيح و الدم. و قال ابن عباس هو دردى الزيت.

---

(1) سورة 58، المجادلة، آية 22
(2) تفسير القرطبى 10/ 393 و مجاز القرآن 1/ 399 و اللسان (سردق) و سيبويه 1/ 272

و قال سعيد بن جبير هو الشىء الذى قد انتهى حره «يَشْوِى الْوُجُوهَ» أى يحرقها من شدة حرّه إذا قربت منه. ثم قال تعالى مخبراً عن ذلک بأنه «بِئْسَ الشَّرابُ» يعنى ذلک المهل «وَ ساءَتْ مُرْتَفَقاً» و قيل معناه المتكأ

منَ المرفق، كما قال أبو ذؤيب:
بات الخلى و بت الليل مرتفقاً كان عينىّ فيها الصاب مذبوح «1»
و قيل هو من الرفق. و قال مجاهد معناه مجتمعاً كأنه ذهب به الى معنى مرافقة.
ثم أخبر تعالى عن المؤمنين الذين يعملون الصالحات من الطاعات و يجتنبون المعاصى بأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا و لا يبطل ثوابه. و قيل فى خبر «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» ثلاثة أقوال:
أحدها- ان خبره قوله «أُولئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ» و يكون قوله «إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا» اعتراضاً بين الاسم و الخبر.
الثانى- ان يكون الخبر إنا لا نضيع أجره، إلا انه وقع المظهر موقع المضمر.
و الثالث- أن يكون على البدل، فلا يحتاج الأول الى خبر، كقول الشاعر:
إن الخليفة ان اللّه سربله سربال ملک به ترجى الخواتيم
فأخبر عن الثانى و أضرب عن الأول.

أُولئِکَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ یُحَلَّوْنَ فِیها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ یَلْبَسُونَ ثِیاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ مُتَّکِئِینَ فِیها عَلَی الْأَرائِکِ نِعْمَ الثَّوابُ وَ حَسُنَتْ مُرْتَفَقاً (31) وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَیْنِ جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَیْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَ حَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنا بَیْنَهُما زَرْعاً (32) کِلْتَا الْجَنَّتَیْنِ آتَتْ أُکُلَها وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَیْئاً وَ فَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً (33) وَ کانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقالَ لِصاحِبِهِ وَ هُوَ یُحاوِرُهُ أَنَا أَکْثَرُ مِنْکَ مالاً وَ أَعَزُّ نَفَراً (34)

---

(1) دیوان الهذلیین 1/ 104 و تفسیر الطبری 15/ 148 و مجاز القرآن 1/ 400 و تفسیر القرطبی 10/ 395 و التاج و اللسان و الصحاح (صوب) و غیرها

التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 38

أربع آیات فی الکوفی و البصری و ثلاث فی المدنی تمام الثانیة (زرعاً).

قرأ عاصم و أبو جعفر و روح «و کان له ثمر». «و احیط بثمره» بفتح الثاء و المیم فیهما، وافقهم رویس فی الاولی. و قرأ أبو عمرو- بضم الثاء و سکون المیم- فیهما. الباقون بضمهما فیهما.

قال أبو علی: الثمر ما یجتنی من ذی الثمر و جمعه ثمرات مثل رحبة و رحبات، و رقبة و رقبات، و یجوز فی جمع (ثمرة) ضربان: أحدهما- علی ثمر، کبقرة و بقر و الاخر- علی التکسیر، فتقول ثمار کرقبة و رقاب، فیشبه المخلوقات بالمصنوعات و شبه کل واحد منهما بالآخر. و یجوز فی القیاس أن یکسر (ثمار) الذی هو جمع ثمرة علی ثمر، ککتاب و کتب، و یجوز أن یکون ثمر جمع ثمرة کبدنة و بدن و خشبة و خشب، و یجوز أن یکون ثمر واحداً کعنق و طنب، فعلی جمیع هذه الوجوه یجوز التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 39

اسکان العین منه. و مثله فی قوله «وَ أُحِیطَ بِثَمَرِهِ». و قال بعض أهل اللغة:

الثمر المال، و الثمر المأکول. و جاء فی التفسیر (إن الثمر النخل و الشجر) و لم یرد به الثمر. فالثمر- علی ما روی عن جماعة من السلف- الأصول التی تحمل الثمرة لا نفس الثمرة بدلالة قوله «فَأَصْبَحَ یُقَلِّبُ کَفَّیْهِ عَلی ما أَنْفَقَ فِیها» أی فی الجنة و النفقة انما تکون علی ذوات الثمر فی الأکثر، فکأن الآیة التی أرسلت علیها اصطلمت الأصول و اجتاحتها، کما قال تعالی فی صفة الجنة الاخری «فَأَصْبَحَتْ کَالصَّرِیمِ» «1» أی کاللیل فی سواده لاحتراقها بعد أن کانت کالنهار فی بیاضها. و حکی عن أبی عمرو، إن الثمرة و الثمر أنواع المال من الذهب و الفضة و غیرهما یقال: فلان مثمر أی کثیر

المال، ذهب اليه مجاهد و غيره.
اخبر اللّه تعالى فى الآية الاولى عما للمؤمنين الذين آمنوا و عملوا الصالحات الذين أخبر عنهم بأنه لا يضيع عملهم الحسن، و ما قد أعدّ لهم، فقال «لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ» و الجنات جمع جنة، و هى البستان الذى فيها الشجر. و معنى (عدن) أى موضع اقامة، و انما سمى بذلک. لأنهم يبقون فيها ببقاء اللّه دائماً و أبداً، و العدن الاقامة.
و قيل: هو اسم من اسماء الجنة- فى قول الحسن- و يقال عدن بالمكان يعدن عدناً إذا أقام فيه، فسمى الجنة عدناً من اقامة الخلق فيها. ثم وصف هذه الجنة، فقال «تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ» و قيل فى معنا ذلک قولان:
أحدهما- إن انهار الجنة فى أخاديد من الأرض، فلذلک قال من تحتهم.
الثاني- انهم على غرف فيها فالأنهار تجرى من تحتهم، كما قال تعالى «وَ هُمْ فِى الْغُرُفاتِ آمِنُونَ» «2».

---

(1) سورة 68- القلم- آية 20
(2) سورة 34 سبأ آية 37 [.....]

و قوله «يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ» أى يجعل لهم فيها حلياً من زينة من أساور، و هو جمع أسوار على حذف الزيادة، لأن مع الزيادة أساوير، فى قول قطرب.
و قيل هو جمع اسورة، و اسورة جمع سوار، يقال بكسر السين و ضمها- فى قول الزجاج- و السوار زينة تلبس فى الزند من اليد. و قيل هو من زينة الملوک يسور فى اليد و يتوج على الرأس.
«وَ يَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ» فالسندس ما رقّ من الديباج واحده سندسة و هى الرقيقة من الديباج، على أحسن ما يكون و أفخره، فلذلک شوّق اللّه اليه. و الإستبرق الغليظ من الديباج. و قيل هو الحرير قال المرقش:
تراهن يلبسن المشاعر مرّة و إستبرق الديباج طوراً لباسها «1»
و قوله تعالى «متكئين» نصب على الحال «فيها» يعنى فى الجنة «عَلَى الْأَرائِكِ» جمع أريكة، و هى السرير قال الشاعر:
خدوداً جفت فى السير حتى كأنما يباشرن بالمعزاء مس الأرائک «2»
و قال الأعشى:
بين الرواق و جانب من سيرها منها و بين أريكة الانضاد «3»
أى السرير فى الحجلة. و قال الزجاج: الأرائک الفرش فى الحجال. ثم قال تعالى إن ذلک «نِعْمَ الثَّوابُ» و الجزاء على الطاعات «وَ حَسُنَتْ مُرْتَفَقاً» يعنى

---

(1) تفسير القرطبى 10/ 397 و تفسير الطبرى 15/ 148 و هو فى مجمع البيان 3/ 466
(2) قائله ذو الرمة ديوانه 442 و مجاز القرآن 1/ 401 و تفسير الطبرى 15/ 148
(3) ديوان الاعشيين (طبع بيانة) 344 و تفسير الطبرى 15/ 148 و مجاز القرآن 1/ 401.
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 41
حسنت الجنة مرتفقاً، فلذلک أنث الفعل، و معنى «مرتفقاً» اى مجلساً. و هو نصب على التمييز. ثم قال «وَ اِضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ» أى اضرب رجلين لهم مثلا «جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَ حَفَفْناهُما بِنَخْلٍ» أى جعلنا النخل مطيفاً بهما يقال حفه القوم يريد إذا طافوا به «وَ جَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً» اعلام بأن عمارتهما كاملة متصلة لا يفصل بينهما إلا عمارة. و أعلمنا أنهما كاملتان فى تأدية كل حملها من غلتها، فقال «كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها» أى طعمها و ما يؤكل منها «وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً» أى لم تنقص بل أخرجت ثمرها على الكمال و التمام، قال الشاعر:
يظلمنى مالى كذا و لوى يدى لوى يده اللَّه الذى هو غالبه «1»
أى ينقصنى مالى. و قال الحسن: معناه لم ينقص «وَ فَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً» أى شققنا نهراً بينهما، و فائدتهما أنهما يشربان من نهر واحد. «وَ كانَ لَهُ ثَمَرٌ» و قرئ (ثمر) قال مجاهد هو ذهب، و فضة. و قال ابن عباس و قتادة: هو صنوف الأموال، يقال: ثمار و ثمر مثل حمار و حمر، و يجوز أن يكون جمع ثمر، مثل خشب و خشب، و انما قال «كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ» على لفظ كلتا، لأنه بمنزلة (كل) فى مخرج التوحيد. و لو قال آتتا، على الجنتين كان جائزاً قال الشاعر فى التوحيد:
و كلتاهما قد خط لى فى صحيفتى فلا العيش أهواه و لا الموت أروح «2»
و يجوز كلاهما فى الحديث قال الشاعر:
كلا عقبيه قد تشعث رأسها من الضرب فى جنبى ثقال مباشر
و الالف و اللام فى كلتا ليست ألف التثنية، و لذلک يجوز أن تقول الاثنتان

---

(1) مر تخريجه فى 2/ 508
(2) البيت فى مجمع البيان غير منسوب (ج 7 م 6 من التبيان)
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 42
قام، و يجوز ان يقال كل الجنة آتت. و لا يجوز كل المرأة قامت، لان بعض الامرأة ليس بامراة و بعض الجنة جنة، فكأنه قال كل جنة من جملة ما آتت. و قوله «فَقالَ لِصاحِبِهِ وَ هُوَ يُحاوِرُهُ» أى يقول احد الرجلين لصاحبه يعنى صاحبى الجنتين اللتين ضرب بهما المثل، يقول لصاحبه الآخر «وَ هُوَ يُحاوِرُهُ» أى يراجعه الكلام «أَنَا أَكْثَرُ مِنْکَ مالًا وَ أَعَزُّ نَفَراً» أى أجمع مالا و أعز

عشيرة و اكثر انصاراً، و قد فسرناه فيما مضى و إنما قال «وَ فَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً» و النهر يتفجر من موضع واحد لان النهر يمتد حتى يصير التفجر كأنه فيه كله، فالتخفيف و التثقيل فيه جائزان و منه «حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» «1» يخفف و يثقل على ما مضى القول فيه.

وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً (35) وَ ما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّی لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً (36) قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَ هُوَ يُحاوِرُهُ أَ كَفَرْتَ بِالَّذِی خَلَقَکَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاکَ رَجُلاً (37)

آيتان فی عدد إسماعيل و شامی و ثلاثة فی ما عداه لأنهم عدوا ابداً ايةً و لم يعدّها إسماعيل و لا الشامی و ثلاثة آيات فی الكوفی و المدنی الاول و اثنتان فی المدنی الأخير.

قرأ اهل الحجاز و ابن عامر «خيراً منهما» بزيادة ميم على التثنية.

---

(1) سورة 17- الإسراء آية 90

الباقون بلا ميم.

اخبر اللَّه تعالى عن أحد الرجلين اللذين ضرب بهما المثل، و هو صاحب الجنتين انه دخل جنته و هی البستان الذی يجنه الشجر و يحفه الزهر، «وَ هُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ» أی باخس لها حقها بارتكاب القبيح و الإخلال بالواجب اللذين يستحق بهما العقاب و يفوته بهما الثواب، فلما رأى هذا الجاهل ما راقه و شاهد ما أعجبه، و كبر فی نفسه توهم أنه يدوم، و أن مثله لا يفنى، فقال «ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً» أی تهلک هذه الجنة أبداً «وَ ما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً» يعنی يوم القيامة أی تقوم، كما يدعيه الموحدون. ثم قال «وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّی» وجدت «خَيْراً مِنْها» يعنی من الجنة، و من قرأ «منهما» أراد الجنتين «منقلباً» أی فی المرجع اليه. و انما قال هذا مع كفره باللَّه تعالى، لأن المعنى ان رددت الى ربی، كما يدعی من رجوعی، فلی خير من هذه، تحكما سولته له نفسه، لا مطمع فيه. و قال ابن زيد: شک، ثم قال على شكه فی الرجوع الى ربه ما أعطانی هذه الأولى عنده خير منها «قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَ هُوَ يُحاوِرُهُ» أی يراجعه الكلام «أَ كَفَرْتَ بِالَّذِی خَلَقَکَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاکَ رَجُلًا» و معنى خلقک من تراب أن أصلک من تراب إذ خلق أباک آدم (ع) من تراب، فهو من تراب و يصير الى التراب، و قيل لما كانت النطفة يخلقها اللَّه بمجرى العادة من الغذاء، و الغذاء نبت من التراب، جاز أن يقال: خلقک من تراب، لان أصله تراب كما قال من نطفة، و هو فی هذه الحال خلق سوى حی، لكن لما كان أصله كذلک جاز أن يقال ذلک.

و فی الآية دلالة على ان الشک فی البعث و النشور كفر، و الوجه فی خلق البشر و غيره من الحيوان و تنقله من تراب الى نطفة، ثم الى علقة، ثم الى

صورة، ثم الى طفولية، ثم الى حال الرجولية، ما فى ذلک من الاعتبار الذى هو دال على تدبير مدبر التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 44
مختار يصرف الأشياء من حال الى حال، لان ما يكون فى الطبع يكون دفعة واحدة كالكتابة التى يوجدها بالطبائع من لا يحسن الكتابة، فلما انشأ الخلق حالا بعد حال دل على أنه عالم مختار.
و (المحاورة) مراجعة الكلام و (المنقلب) المعاد، و (التسوية) جعل الشىء على مقدار سواه، فقوله «سواک رجلا» أى كملک رجلا.

لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّی وَ لا أُشْرِکُ بِرَبِّی أَحَداً (38) وَ لَوْ لا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَکَ قُلْتَ ما شاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْکَ مالاً وَ وَلَداً (39) فَعَسی رَبِّی أَنْ یُؤْتِیَنِ خَیْراً مِنْ جَنَّتِکَ وَ یُرْسِلَ عَلَیْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعِیداً زَلَقاً (40) أَوْ یُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِیعَ لَهُ طَلَباً (41)

أربع آيات بلا خلاف.

قرأ نافع- فى رواية المسيبى- و ابن عامر، و ابو جعفر، و رويس، و البرجمى، و العبسى «لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّی» بإثبات الالف فى الوصل، و هى قراءة ورش عن نافع.

و الباقون بغير الف فى الوصل. و لم يختلفوا فى الوقف أنه بألف. و قد جاء الإثبات فى الوصل، قال الأعشى:

فكيف أنا و انتحالى القوافى بعد المشيب كفى ذاک عارا «1»

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 84 و طبع (بيانه) 41 و القرطبى 10/ 405 و روايته (فما انا أم ما انتحالى القوافى)

غير ان ذلک من ضروة الشعر، و يجوز فى «لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّی» خمسة أوجه فى العربية.

أحدها- لكن هو اللَّه- بالتشديد- من غير الف فى الوصل و الوقف.

الثانى- بالف فى الوصل و الوقف.

الثالث- لكننا بإظهار النونين و طرح الهمزة.

الرابع- لكن هو اللّه ربى بالتخفيف.

الخامس- لكن انا على الأصل. و قال الكسائى: العرب تقول: أن قائم بمعنى أنا قائم، فهذا نظير «لكِنَّا هُوَ اللَّهُ» و من قرأ لكنا فى الوصل احتمل أمرين:

أحدهما- أن يجعل الضمير المتصل مثل المنفصل الذى هو نحن، فيدغم النون من «لكن»- لسكونها- فى النون من علامة الضمير، فيكون على هذا بإثبات الالف وصلا و وقفاً، لان أحداً لا يحذف الالف من (انا فعلنا).

و قوله «هو اللّه» فهو ضمير علامة الحديث و القصة. كقوله «فَإِذا هِیَ شاخِصَةٌ» «1» و قوله «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» و التقدير: الامر: اللّه احد، لأن هذا الضمير يدخل على المبتدإ و الخبر، فيصير المبتدأ و الخبر فى موضع خبر و عاد على الضمير الذى دخلت عليه (لكن) على المعنى، و لو عاد على اللفظ لقال: لكنا هو اللّه ربنا.

و دخلت (لكن) مخففة على الضمير، كما دخلت فى قوله «إِنَّا مَعَكُمْ» «2»

و الوجه الاخر- أن يكون على ما حكاه سيبويه أنه سمع من يقول أعطنى بيضة فشدد و ألحق الهاء بالتشديد للوقف، و الهاء مثل الالف فى سبساء، و الياء فى (عيهل) و اجرى الهاء مجراهما فى الإطلاق، كما كانت مثلهما فى نحو قوله:

---

(1) سورة 21 الأنبياء آية 97
(2) سورة 2 البقرة آية 14

صفية قومى و لا تجزعى و بكى النساء على حمزة «1»
و هذا الذى حكاه سيبويه ليس فى شعر، فكذلك الآية يكون الالف فيها كالهاء، و لا تكون الهاء للوقف لأن هاء الوقف لا يبين بها المعرب، و لا ما ضارع المعرب فعلى احد هذين الوجهين يكون قول من إثبت الالف فى الوصل أو عليهما جميعاً، و لو كانت فاصلة، لكان مثل «فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا» «2» و فى (أنا) فى الوصل ثلاث لغات أجودها (أنا قمت) كقوله «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى» بغير ألف فى اللفظ، و يجوز (أنا قمت) بإثبات الالف، و هو ضعيف جداً و حكوا أن قمت بإسكان النون، و هو ضعيف أيضاً و أما «لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّى» بإثبات الالف فهو الجيد، لان الهمزة قد حذفت من انا فصار اثبات الالف عوضاً عن الهمزة، و حكى أن أبياً قرأ «لكن انا هو الله» قال الزجاج و هو الجيد البالغ، و ما قرأه القراء ايضاً جيد.
و قوله «قُلْتَ ما شاءَ اللَّهُ» تحتمل (ما) أن تكون رفعاً، و تقديره قلت الأمر ما شاء اللَّه، و يجوز ان تكون نصباً على معنى الشرط و الجزاء. و الجواب مضمر و تقديره أى شىء شاء اللَّه كان، و تضمر الجواب، كما تضمر جواب (لو) فى قوله «وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ» «3» و المعنى لكان هذا القرآن. و معنى «لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» لا يقدر أحد إلا باللَّه، لان اللَّه هو الذى يفعل القدرة للفعل.
و قوله «إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ» منصوب بأنه مفعول ثان ل (ترنى) و «أنا» تصلح لشيئين: أحدهما- ان تكون توكيداً للنون و الياء. و الثانى- ان تكون فصلا كما تقول: كنت انت القائم يا هذا، و يجوز رفع (اقل) و به قرأ عيسى بن عمر على

---

(1) البيت فى مجمع البيان 3/ 470
(2) و سورة 33- الأحزاب آية 67
(3) سورة 13- الرعد- آية 33

ان يكون (أنا) مبتدأ و (اقل) خبره. و الجملة فى موضع المفعول الثانى- ل (ترنى) و قوله «غوراً» قراه البرجمى بضم الغين- هاهنا- و فى الملک، و

انما جاز ان يقع المصدر فى موضع الصفة فى ماء غور، للمبالغة، كما تقول فى الحسن وجهه: نور ساطع، و قال الشاعر:
تظل جياده نوحاً عليه مقلدة أعنتها صفونا «1»
حكى اللّه تعالى عن الذى قال لصاحبه «أَ كَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ» أنه قال «لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّى» و معناه لكن أنا هو اللّه ربى إلا أنه حذف الهمزة، و القى حركتها على الساكن الذى قبلها، فالتقت النونان، و أدغمت إحداهما فى الاخرى، كما قال الشاعر:
و يرمينني بالطرف أى انت مذنب و يقلينني لكن إياك لا أقلى «2»
أى لكن أنا. و قوله «وَ لا أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَداً» أى لا أشرك بعبادتى أحداً مع اللّه بل أوجهها إليه خالصة له وحده. و إنما استحال الشرك فى العبادة، لأنها لا تستحق إلا بأصول النعم التى لا توازيها نعمة منعم، و ذلك لا يقدر عليه أحد إلا اللّه. ثم قال له «وَ لَوْ لا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ» و المعنى هلا حين دخلت جنتك «قُلْتَ ما شاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» لاحد من الخلق «إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالًا وَ وَلَداً فَعَسى رَبِّى أَنْ يُؤْتِيَنِ» بمعنى ان يعطينى خيراً من جنتك جنة فى الدار الآخرة «وَ يُرْسِلَ عَلَيْها» أى على جنتك حسباناً من السماء. قال ابن عباس، و قتادة: عذاباً. و قيل ناراً من السماء تحرقها.
و قيل أصل الحسبان السهام التى ترمى لتجرى فى طلق واحد، و كان ذلك من رمى الأساورة. و الحسبان المرامى الكثيرة مثل كثرة الحساب واحده حسبانة.

_____

(1) قيل ان البيت لعمر بن كلثوم من معلقته و هو فى أمالى السيد المرتضى 1/ 105، 201
(2) تفسير القرطبى 10/ 405، و مجمع البيان 3/ 470 [.....]

و قوله «فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً» أى تراباً محترقاً. و الزلق الذى لا نبات فيها.
و قال الزجاج: الصعيد الطريق الذى لا نبات فيه أى ملساء ما أنبتت من شىء قد ذهب.
و قال الزجاج: المعنى و يرسل عليها عذاب حساب بما كسبت يداك، لان الحسبان هو الحساب.
و قوله «أَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً» أى ذاهباً فى باطن غامض. و المعنى غائراً، فوضع المصدر موضع الصفة و نصب على الحال و لذلك لا يثنى و لا يجمع.
و قوله «فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً» أى لا تقدر على طلب الماء إذا غار، و الطلب تقليب الأمر لوجدان ما يهلك. قال الرمانى هذا أصله، ثم قيل للمريد من غيره فعلا: طالب لذلك الفعل بإرادته او أمره و المفكر فى المعنى (طالب) لادراك ما فيه و كذلك السائل.

وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَ يَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً (42) وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ ما كانَ مُنْتَصِراً (43) هُنالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وَ خَيْرٌ عُقْباً (44)
ثلاث آيات بلا خلاف.
قرأ ابن كثير، و ابن عامر، و نافع و عاصم «الولاية» بفتح الواو «للَّه الحق» بكسر القاف، و قرأ حمزة بكسرهما. و قرأ ابو عمرو: بفتح الواو، و ضم القاف. و قرأ الكسائى بكسر الواو و ضم القاف. و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «و لم يكن» بالياء التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 49
الباقون بالتاء.
من قرأ بالتاء فلتأنيث الفئة، و الفئة الجماعة، و قد يسمى الرجل الواحد فئة، كما ان الطائفة تكون جماعة و واحداً. قال ابن عباس فى قوله «وَ لْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ» فالطائفة قد تكون الرجل الواحد.
و من قرأ بالياء فلقوله «ينصرونه» و لأن التأنيث غير حقيقى. و اما (الولاية) بفتح الواو، و كسرها فلغتان مثل الوكالة و الوكالة و الدلالة و الدلالة. و قال قوم:
هما مصدران فالمكسور مصدر الوالى من الامارة و السلطان. و المفتوح مصدر الولىّ ضد العدو، تقول: هذا ولى بين الولاية.
و اما قوله «الحق» فمن خفض قال الحق هو اللَّه فخفضه نعتاً للَّه، و احتج بقراءة ابن مسعود «هنالک الولاية للَّه و هو الحق» و فى قراءة أبى «هنالک الولاية الحق للَّه» و من رفع جعله نعتاً للولاية، و أجاز الكوفيون و البصريون النصب بمعنى أحق ذلک حقاً، و الحق اليقين بعد الشک.
قوله «وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ» معناه هلكت ثمرهم عن آخرها، و لم يسلم منها شىء كما يقال أحاط بهم العدو إذا هلكوا عن آخرهم و الاحاطة ادارة الحائط على الشىء.
و منه قوله «وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ»»
أى لا يعلمون معلوماته، و الحد محيط بجميع الحدود.
و قوله «فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها» أى يتحسر على ما أنفق فى عمارتها «وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها» معناه حيطانها قائمة لا سقوف عليها، لأنها انهارت

---

(1) سورة 2- البقرة- آية 256 (ج 7 م 7 من التبيان)

فصارت فى قرارها، و خوت فصارت خاوية من الأساس. و مثله قولهم وقعت:
الدار على سقوفها أى أعلاها على أسفلها. و قيل خاوية على بيوتها، و العروش الابنية أى قد ذهب شجرها و بقيت جدرانها، لا خير فيها. و قيل العروش السقوف، فصارت الحيطان على السقوف.
و قوله «وَ يَقُولُ يا لَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّى أَحَداً» اخبار منه تعالى عما يقول صاحب الجنة الهالكة، و انه يندم على ما كان منه من الشرك باللَّه. ثم قال تعالى «وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ» اى جماعة «يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» قال العجاج:
كما يجوز الفئة الكمى
و قوله تعالى «وَ ما كانَ مُنْتَصِراً» قال قتادة: معنا ما كان ممتنعاً. و قيل معناه ما كان منتصراً بان يسترد بدل ما كان ذهب منه.
و قوله (هُنالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ) اخبار منه تعالى ان فى ذلک الموضع الولاية بالنصرة و الاعزاز للّه (عز و جل) لا يملكها احد من العباد يعمل بالفساد فيها، كما قد مكن في الدنيا على طريق الاختبار، فيصح الجزاء فى غيرها.
و قوله (هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وَ خَيْرٌ عُقْباً) انما قال هو خير ثواباً مع أنه لا يثيب أحد إلا اللّه لامرين:
أحدهما- انه على ردّ ادعاء الجهال انه قد يثيب غير اللَّه، فتقديره لو كان غيره يثيب، لكان هو خير ثواباً.
و الثانى انه خير جزاء على العمل. و عاقبة ما يدعو اليه خير من عاقبة ما لا يدعو اليه. و الولاية بفتح الواو ضد العداوة، و بكسرها الامارة و السلطان. و قرأ عاصم و حمزة «عقباً» بسكون القاف. الباقون بضمتين و هما لغتان بمعنى العاقبة، و هو نصب على التمييز (و هنالک) اشارة الى يوم القيامة. و المعنى ان يوم القيامة تتبين نصرة اللّه، التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 51
لأوليائه. و (عقباً) أى عاقبة يقال عقبى الدار، و عقب الدار، و عقب الدار، و عاقبة الدار بمعنى واحد.

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً (45) الْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَ خَيْرٌ أَمَلاً (46)

آيتان بلا خلاف.

أمر اللّه تعالى نبيه (ص) أن يضرب المثل للدنيا تزهيداً فيها، و ترغيباً فى الآخرة بأن قال: إن مثلها كمثل ماء أنزله اللّه من السماء «فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ» أى نبت بذلك الماء المنزل من السماء نبات، فالتفت بعضه ببعض يروق حسناً و غضاضة.

ثم عاد (هشيماً) أى مكسوراً مفتتاً «تَذْرُوهُ الرِّياحُ» فتنقله من موضع الى موضع فانقلاب الدنيا بأهلها كانقلاب هذا النبات. ثم قال «وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ» اراده «مقتدراً» أى قادراً، لا يجوز عليه المنع منه. و التذرية تطيير الريح الأشياء الخفيفة على كل جهة، يقال: ذرته الريح تذروه ذرواً، و ذرته تذريه و أذرته إذراء قال الشاعر:

فقلت له صوب و لا تجهدنه فيذرک من أخرى القطاة فتزلق «1»

---

(1) تفسير القرطبى 10/ 413 و هو فى مجمع البيان 3/ 470

و أذريت الرجل عن الدابة إذا ألقيته عنها، و الهشيم النبات اليابس المتفتت.

و قال الحسن: معنى «وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً» أى كان قادراً ان يكوّنه قبل أن يكون، و قبل أن يكون. و هو اخبار عن الماضى و دلالة على المستقبل، و هذا المثل للمتكبرين الذين اغتروا بأموالهم، و استنكفوا من مجالسة فقراء المؤمنين، فأخبرهم اللّه أن ما كان من الدنيا لا يراد به اللّه، فهو كالنبت الحسن على المطر لا مادة له فهو يروق ما خالطه ذلک الماء، فإذا انقطع عنه عاد هشيماً تذروه الرياح لا ينتفع به.

و قوله «الْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا» اخبار منه تعالى أن كثرة الأموال التى يتمولها الإنسان و يملكها فى الدنيا. و البنين الذين يرزقهم اللّه زينة الحياة الدنيا، أى جمال الدنيا و فخرها «وَ الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ» يعنى الطاعات للّه تعالى، لأنه يبقى ثوابها أبداً، فهى خير من نفع منقطع لا عاقبة له، و الباقيات يفرح بها و يدوم خيرها، و هى صالحات بدعاء الحكيم اليها و أمره بها. و قال ابن عباس «الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ» الطاعات للّه. و

روى فى أخبارنا أن من الباقيات الصالحات، و الأمور الثابتات: القيام بالليل لصلاة الليل.

و الأمل الرجاء، و معنى «خير أملا» أن الرجاء للعمل الصالح و الأمل له خير من الأمل للعمل الطالح.

وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً (47) وَ عُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً (48) وَ وُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً (49)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 53

ثلاث آيات قرأ ابن كثير و ابن عامر و أبو عمر و «تسير» لتأنيث الجبال و رفع الجبال، لأنه اسم ما لم يسم فاعله، و لأنه قال «وَ سُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً» «1»، و لأن ابياً قرأ «و يوم سيرت الجبال»، فإذا كان الماضى (سيرت) كان المضارع تسير. الباقون «نسير» بالنون، اخبار من اللّه تعالى عن نفسه. و نصب الجبال و هو مفعول به ل (نسير) و حجتهم قوله «وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً» و نصب «وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ» بإضمار فعل، و تقديره و اذكر يا محمد (ص) يوم نسير الجبال. و قوله «وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً» أى ظاهرة فلا يتستر منها شىء، لان الجبال إذا سيرت عنها و صارت دكا ملساء ظهرت و برزت. و قيل «وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً» أى يبرز ما فيها من الكنوز و الأموات، فهو مثل

قول النبى (ص) (ترمى الأرض بافلاذ كبدها)

و أجاز بعض البصريين ان ينصب «و يوم» بقوله «وَ الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً» فى يوم تسير الجبال ف «الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ» قيل الطاعات. و قيل الصلوات الخمس و قيل سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلا اللّه و الله أكبر.

و

روى عن أبى جعفر (ع) أنه قال (القيام بالليل لصلاة الليل).

و سمع بعضهم عزّى صديقاً له، فقال: ابنك كان زينة الدنيا، و لو بقى كان سيداً مثلك، و إذ استأثر الله به، فجعله من الباقيات الصالحات، و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً و خير أملا، فتسلى بذلك.

يقول الله تعالى لنبيه (ص) اذكر يوم نسير الجبال، و التسيير تطويل السير

---

(1) سورة 78- النبأ- آية 20

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 54

و قد يكون بمعنى ان يجعله يسير، و هذا هو معنى تسيير الجبال، و انما يسيرها [الله تعالى، و يخبر به، لما فى ذلك من الاعتبار فى الدنيا. و قيل يسيرها] «1» بأن يجعلها هباء منبثاً، و معنى «وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً» أى لا

شىء يسترها، يحشر الخلائق حتى يكونوا كلهم على صعيد واحد، و يرى بعضهم بعضاً، و كل ذلک من هول يوم القيامة، أخبر الله به للاعتبار به و الاستعداد بما يخلص من أهواله.
و قوله «وَ حَشَرْناهُمْ» أى بعثناهم و أحييناهم بعد أن كانوا أمواتاً «فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً» أى لم نترک واحداً منهم لا نحشره. و المغادرة الترک، و منه الغدر ترک الوفاء، و منه الغدير لترک الماء فيه. و قيل: نغادر نخلف. و قيل: أغدرت و غادرت واحد.
و قولهَ عُرِضُوا عَلى رَبِّکَ صَفًّا»
قيل معناه انهم يعرضون صفاً بعد صف كالصفوف فى الصلاة. و قيل المعنى انهم يعرضون على ربهم لا يخفى منهم أحد فكأنهم صف واحد. و قيل: انهم يعرضون، و هم صف، و يقال لهمَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ»
يعنى جئتم الى الموضع الذى لا يملک الأمر فيه أحد إلا الله، كما خلقناكم أول مرة لا تملكون شيئاً. و
روى عن النبى (ص) أنه قال (يحشرون حفاة عراة عزّلا) فقالت عائشة: أ فما يحتشمون يومئذ، فقال النبى (ص) (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)
و يقال لهم أيضاً «بل زعمتم» فى دار الدنيا«أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً»
يعنى يوم القيامة، و انكم أنكرتم البعث و النشور.
ثم قال تعالى «وَ وُضِعَ الْكِتابُ» يعنى الكتب التى فيها أعمالهم مثبتة «فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ» اى يخافون من وقوع المكروه بهم و الإشفاق الخوف من وقع المكروه مع تجويز ألا يقع، و أصله الرقة، و منه الشفق: الحمرة الرقيقة التى

---

(1) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

تكون فى السماء، و شفقة الإنسان على ولده رقته عليه. و قوله «وَ يَقُولُونَ» الواو واو الحال و تقديره قائلين «يا وَيْلَتَنا» و هذه لفظة، من وقع فى شدة دعا بها و «ما لِهذَا الْكِتابِ» اى شىء لهذا الكتاب «لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً» أى لا يترک صغيرة و لا كبيرة من المعاصى «إلا أحصاها» بالعدد و حواها. و (لا يغادر) فى موضع نصب على لحال «وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً» اخبار منه تعالى أنهم يجدون جزاء ما عملوا فى ذلک الموضع، و لا يبخس الله أحداً حقه فى ذلک اليوم و لا ينقصه ثوابه الذى استحقه. و قيل معناه و وجدوا أعمالهم مثبتة كلها و يعاقب كل واحد على قدر معصيته.

وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (50) ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً (51) وَ يَوْمَ يَقُولُ نادُوا شُرَكائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً (52)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة وحده «و يوم نقول» بالنون، على أن الله تعالى هو المخبر عن نفسه بذلک، لأنه قال قبل ذلک «وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً، وَ يَوْمَ يَقُولُ» حمله على ما تقدم، و الجمع و الافراد بذلک المعنى. الباقون بالياء، بمعنى قل يا محمد التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 56

يوم يقول الله أين شركائى الذين زعمتم، و لو كان بالنون لكان الأشبه بما بعده ان يكون جمعاً، فيقول شركاؤنا، فأما قوله «الَّذِينَ زَعَمْتُمْ» فالراجع الى الموصول محذوف، و المعنى الذين زعمتموهم إياهم أى زعمتموهم شركاء، فحذف الراجع من الصلة، و لا بد من تقديره كقوله «أَ هذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» «1» يقول الله تعالى لنبيه و اذكر الوقت الذى قال الله فيه «لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» و انهم «فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» و قد فسرناه فيما تقدم. «2» و قيل: إنما كرر هذا القول فى القرآن لأجل ما بعده مما يحتاج الى اتصاله به، فهو كالمعنى الذى يفيد أمراً فى مواضع كثيرة، و الاخبار عنه باخبار مختلفة، كقولهم برهان كذا كذا و برهان كذا كذا، للمعنى الذى يحتاج الى أحكامه فى أمور كثيرة.

و قوله «كانَ مِنَ الْجِنِّ» قيل معناه صار من الجن المخالفين لأمر الله.

و قال قوم: ذلک يدل على أنه لم يكن من الملائكة، لأن الجن جنس غير الملائكة، كما ان الانس غير جنس الملائكة و الجن، و من زعم انه كان من الملائكة يقول:

معنى كان من الجن يعنى من الذين يستترون عن الأبصار «3» لأنه مأخوذ من الجن و هو الستر، و منه الجن لأنه يستر الإنسان. و قال ابن عباس: نسب الى الجنان التى كان فيها، كقولک كوفى و بصرى، و قال قوم: بل كانت قبيلته التى كان فيها يقال لهم الجن، و هم سبط من الملائكة. فنسب اليهم. و قال ابن عباس: لو لم يكن إبليس فى الملائكة ما أمر بالسجود. و قال و هم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم. و روى عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى «كانَ مِنَ الْجِنِّ»

---

(1) سورة 25- الفرقان- آية 41

(2) سورة البقرة آية 34 المجلد الاول صفحة 147 و قد مر أيضاً فى 4/ 383 فى تفسير آية 10 من سورة الاعراف
(3) فى المخطوطة (الإنسان) بدل (الأبصار)
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 57
قال: كان إبليس من الملائكة فلما عصى لعن فصار شيطاناً. و من قال إن إبليس له ذرية و الملائكة لا ذرية لهم و لا يتناكحون و لا يتناسلون عول على خبر غير معلوم.
فأما الاكل و الشرب ففى الملائكة و لو علم انه مفقود، فانا لا نعلم أن إبليس كان يأكل و يشرب، فأما من قال إن الملائكة رسل اللّه، و لا يجوز عليهم أن يرتدوا. فلا نسلم لهم أن جميع الملائكة رسل اللّه، و كيف نسلم ذلک، و قد قال اللّه تعالى «اللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا» «1» فأدخل (من) للتبعيض، فدل على أن جميعهم لم يكونوا رسلا أنبياء، كما انه تعالى قال «وَ مِنَ النَّاسِ» «2» فدل على أن جميع الناس لم يكونوا أنبياء. و قوله «فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» معناه خرج عن أمر ربه الى معصيته بترک السجود لآدم. و أصل الفسق الخروج الى حال تضر، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها و فسقت الفارة إذا خرجت من حجرها قال رؤية:
يهوين فى نجد و غوراً غائراً فواسقاً عن قصدها جوائرا «3»
و قال ابو عبيدة: هذه التسمية لم أسمعها فى شىء من أشعار الجاهلية، و لا أحاديثها، و انما تكلمت بها العرب بعد نزول القرآن، قال المبرد: و الأمر على ما ذكر أبو عبيدة، و هى كلمة فصيحة على ألسنة العرب، و أوكد الأمور ما جاء فى القرآن.
و قال قطرب: معنا «فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» عن رده أمر ربه، كقولهم كسوته عن عرى و أطعمته عن جوع، ثم خاطب تعالى الخلق الذين أشركوا باللّه غيره، فقال «أَ فَتَتَّخِذُونَهُ يعنى إبليس وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ» أى أنصاراً توالونهم من دون اللّه «و هم»

(1، 2) سورة 22- الحج- آية 75
(3) ملحق ديوانه 190 و مجاز القرآن 1/ 406 و تفسير الطبرى 51/ 158 و الكشاف 3/ 110 و اللسان و التاج (فسق) و غيرها.
(ج 7 م 8 من التبيان)
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 58
يعنى إبليس «و ذريته عدو لكم» يريدون بكم الهلاک و الدمار «بئس» البدل «لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا» و نصب (بدلا) على التمييز.
ثم قال «ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ» و قيل معناه ما أشهدتهم ذلک مستعيناً بهم، و قيل معناه ما أشهدت بعضهم خلق بعض. و وجه اتصال ذلک بما قبله اتصال الحجة التى تكشف حيرة الشبهة، لأنه بمنزلة ما قيل إنكم

قد أقبلتم على اتباع إبليس و ذريته حتى كأن عندهم ما تحتاجون اليه، فلو أشهدتهم خلق السموات و الأرض و خلق أنفسهم، فلم يخف عليهم باطن الأمور و ظاهرها لم تزيدوا على ما أنتم عليه فى أمركم.
ثم قال تعالى «وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً» يعنى اعواناً، و هو قول قتادة و هو من اعتضد به إذا استعان به. و فى عضد خمس لغات، و هى عَضَد و عُضُد و عَضِد و عُضْد و عَضُد.
ثم اخبر تعالى عن حالهم يوم القيامة فقال و اذكر يوم يقول اللَّه تعالى للمشركين نادوا شركائى الذين زعمتم- على وجه التقريع و التوبيخ- و استغيثوا بهم، فدعوهم يعنى المشركين يدعون أولئک الشركاء الذين عبدوهم مع اللَّه، فلا يستجيبون لهم ثم قال تعالى «وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً» قال ابن عباس أى مهلكاً، و به قال قتادة و الضحاک و ابن زيد، و هو من أوبقته ذنوبه أى أهلكته. و قال الحسن معنا «موبقاً» أى عداوة، كأنه قال عداوة مهلكة. و قال أنس بن مالک: هو واد فى جهنم من قيح و دم. و حكى الكسائى وبق يبق و بوقاً، فهو وابق إذا هلک، و حكى الزجاج: و بق الرجل يوبق وبقاً. و الوبق مصدر وبق.

وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها وَ لَمْ يَجِدُوا عَنْها مَصْرِفاً (53) وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِى هذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ كانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً (54) وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى وَ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ قُبُلاً (55)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 59

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة «قبلا» بضم القاف و الباء. الباقون بكسر القاف و فتح الباء. فمن قرأ بضم القاف و الباء أراد جمع قبيل نحو قميص و قمص. و قال قوم: القبيلة بنو أب. و القبيل يعبر بها عن الجماعة و إن اختلفت أنسابهم و احتجوا بقول النابغة:

جوانح قد أيقنّ ان قبيله إذا ما التقى الجمعان أول غالب «1»

و جمع القبيلة قبائل. و القبائل أيضاً قبائل الرأس، و هى عروق مجرى الدمع من الرأس، و سمى أيضاً شئوناً، واحدها شأن. و من قرأ بكسر القاف و فتح الباء أراد مقابلة، أى معاينة. و يحتمل أيضاً الضم، ذلک، ذكره الفراء و الزجاج، و هما لغتان.

اخبر اللّه تعالى عن المجرمين و العصاة أنهم إذا شاهدوا نار جهنم و رأوها «فظنوا» اى علموا «أَنَّهُمْ مُواقِعُوها» و لم يجدوا عن دخولها معدلا و لا مصرفاً، لأن معارفهم ضرورية، فالظن هاهنا بمعنى العلم. و قد يكون الظن غير العلم، و هو ما قوى عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون على خلافه.

و الاجرام قطع العمل الى الفساد. و أصله القطع، يقال: هذا زمن الجرام أى زمن الصرام يعنى زمان قطع الثمرة عن النخل. و المواقعة ملابسة الشىء بشدة، و منه وقائع الحروب و أوقع به ايقاعاً. و تواقعوا تواقعاً. و التوقع الترقب لوقوع الشىء، و المصرف

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 10

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 60

المعدول. و هو الموضع الذى يعدل اليه، صرفه عن كذا يصرفه صرفاً. و الموضع مصرف قال ابو كثير:

أ زهير هل عن شيبة من مصرف أم لا خلود لباذل متكلف «1»

و قوله «وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِى هذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» اخبار من اللّه تعالى انه نقل المعانى فى الجهات المختلفة فى هذا القرآن، فتصريف المثل فيه تنقيله فى وجوه البيان على تمكين الأفهام. و المعنى بيّنا للناس

من كل مثل يحتاجون اليه. ثم اخبر تعالى عن حال الإنسان فقال «وَ كانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْ‌ءٍ جَدَلًا» أى خصومة.
و الجدل شدة الفتل عن المذهب بطريق الحجاج. و أصله الشدة، و منه الأجدل الصقر لشدته، و سير مجدول شديد الفتل.
و قوله «وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى وَ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ» معناه ما منعهم من الايمان بعد مجىء الدلالة و ان يستغفروا ربهم على ما سبق من معاصيهم إلا طلب ان يأتيهم سنة الأولين، من مجىء العذاب من حيث لا يشعرون، او مقابلة من حيث يرون. و إنما هم بامتناعهم من الايمان بمنزلة من يطلب هذا حتى يؤمن كرها، لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم، كما يقول القائل لغيره ما منعک ان تقبل قولى إلا ان تضرب، إلا انک لم تضرب، لأن مشركى العرب طلبوا مثل ذلک، فقالوا «اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِکَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ» «2».

---

(1) ديوان الهذليين 2/ 104 و تفسير الطبرى 15/ 160 و اللسان (صرف) و شواهد الكشاف 192 و مجاز القرآن 1/ 407
(2) سورة 8 الانفال آية 32

وَ ما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ يُجادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَ اتَّخَذُوا آياتِي وَ ما أُنْذِرُوا هُزُواً (56) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها وَ نَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً (57) وَ رَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً (58)

ثلاث آيات بلا خلاف أخبر اللّه تعالى أنه لم يرسل رسله الى الخلق، إلا مبشرين لهم بالجنة إذا أطاعوا، و مخوفين لهم من النار إذا عصوا، فالبشارة الاخبار بما يظهر سروره فى بشرة الوجه يقال بشره تبشيراً و بشارة، و أبشره إبشاراً إذا استبشر بالأمر.

و منه البشر لظهور بشرته. ثم قال «وَ يُجادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ» أى يناظر الكفار دفعاً عن مذاهبهم بالباطل. و ذلک انهم ألزموه أن يأتيهم أو يريهم العذاب على ما توعدهم ما هو لاحق بهم إن أقاموا على كفرهم. و الباطل المعنى الذى معتقده على خلاف ما هو به، كالمعنى فى انه ينبغى أن تكون آيات الأنبياء على ما تقتضى الأهواء، كالمعنى فى أنه: يجب عبادة الأوثان على ما كان عليه الكبراء «لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ» و الإدحاض الاذهاب بالشىء الى الهلاک: و دحض هو دحضاً. و مكان دحض أى مزلق مزل، لا يثبت فيه خف و لا حافر، و لا قدم، قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 62

وردت و نحن اليشكرى حذاره و حاد كما حاد البعير عن الدحض «1»

ثم اخبر تعالى عنهم أنهم «اتخذوا آيات الله» و دلالته و ما خوفوا به من معاصيه «هزواً» أى سخرية يسخرون منه. ثم قال تعالى «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ» اى من أظلم لنفسه ممن نبه على أدلته و عرفه الرسل إياها «فَأَعْرَضَ عَنْها» جانباً، و لم ينظر فيها «وَ نَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ» أى نسى ما فعله من المعاصى التى يستحق بها العقاب. و قال البلخى: معناه تذكر و اشتغل عنه استخفافاً به، و قلة معرفة بعاقبته، لا انه نسيه.

ثم قال تعالى «إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً» و هى جمع كنان كراهية أن يفقهوه، و قيل لئلا يفقهوه «وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً» أى ثقلا. و قد بينا معنى ذلک فيما مضى و جملته أنه على التشبيه فى جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه كقوله «وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً» «2» و المعنى كأن قلوبهم فى أكنة عن أن تفقه، و فى آذانهم وقراً أن تسمع، و كأنه مستحيل أن يجيبوا الداعى الى الهدى. و يقوى ذلک قوله «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها» فدل انه كان يسمعها حتى

صح إعراضه عنها. و قال البلخى: يجوز ان يكون المراد انا إذا فعلنا ذلک ليفقهوا فلن يفقهوا، لأنه شبههم بذلک و يجوز ان يكون المراد بذلک الحكاية عنهم انهم قالوا ذلک، كما حكى تعالى «وَ قالُوا قُلُوبُنا فِی أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَ فِی آذانِنا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِکَ حِجابٌ» «3» ثم قال إن كان الأمر على ذلک فلن يهتدوا إذاً أبداً.

---

(1) تفسير الطبرى 15/ 61
(2) سورة 31- لقمان آية 7 [.....]
(3) سورة 41، حم السجدة (فصلت) آية 5
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 63
و قوله «وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدى» مع ما جعلنا فيهم «فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً» و لا يرجعون اليها، بسوء اختيارهم، و سوء توفيقهم، من اللّه جزاء على معاصيهم، و ذلک يختص بمن علم اللّه أنه لا يؤمن منهم، و يجوز أن يكون الجعل فى الآية بمعنى الحكم و التسمية، ثم قال «و ربک» يا محمد «الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ» يعنى الساتر على عباده إذا تابوا، ذو الرحمة بهم «لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِما كَسَبُوا» عاجلا «لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ» لكن لا يؤاخذهم، لأن لهم موعداً و عدهم اللّه ان يعاقبهم فيه و هو يوم القيامة «لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا» اى ملجأ- فى قول ابن عباس و قتادة و ابن زيد- و قال مجاهد:
يعنى محرزاً. و قال ابو عبيدة: يعنى منجاً ينجيهم، و يقال: لا و ألت نفسه بمعنى لا نجت قال الأعشى:
و قد اخالس رب البيت غفلته و قد يحاذر منى ثم ما يئل «1»
و قال الآخر:
لا وألت نفسک خليتها للعامريين و لم تكلم «2»
أى لا نجت نفسک:

وَ تِلْکَ الْقُری أَهْلَکْناهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَعَلْنا لِمَهْلِکِهِمْ مَوْعِداً (59) وَ إِذْ قالَ مُوسی لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّی أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَیْنِ أَوْ أَمْضِیَ حُقُباً (60) فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَیْنِهِما نَسِیا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِیلَهُ فِی الْبَحْرِ سَرَباً (61)

---

(1) دیوانه 147 و تفسیر الطبری 15/ 163 و تفسیر القرطبی 11/ 8 و مجاز القرآن 1/ 408

(2) تفسیر الطبری 15/ 162 و تفسیر القرطبی 11/ 8 و مجمع البیان 3/ 475

التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 64

ثلاث آیات بلا خلاف.

قرأ عاصم «لمهلکهم» بفتح المیم و اللام، فی روایة أبی بکر عنه. و فی روایة حفص- بفتح المیم و کسر اللام- الباقون بضم المیم و فتح اللام، من فتح المیم و اللام جعله مصدراً، لهلک یهلک مهلکا، مثل طلع مطلعاً، و من کسر اللام جعله وقت هلاکهم أو موضع هلاکهم مثل مغرب الشمس. و حکی سیبویه عن العرب: أتت الناقة علی مضربها و منتجها- بالکسر- أی وقت ضرابها و نتاجها. و إنّ فی الف (لمضربا) بفتح الراء أی ضرباً جعلها مصدراً و من ضم المیم و فتح اللام- و هو الاختیار- فلان المصدر من (أفعل) و المکان یجیء علی (مفعل) کقوله «أَدْخِلْنِی مُدْخَلَ صِدْقٍ» «1» کذلک: أهلکه اللّه مهلکاً، و کل فعل کان علی (فعل یفعل) مثل ضرب یضرب فالمصدر مضرب بالفتح، و الزمان و المکان (مفعل) بکسر العین، و کل فعل کان مضارعه (یفعل) بالفتح نحو یشرب و یذهب، فهو مفتوح أیضاً نحو المشرب و المذهب.

و کل فعل کان علی (فعل یفعل) بضم العین فی المضارع نحو یدخل و یخرج، فالمصدر و المکان منه بالفتح نحو المدخل و المخرج إلا ما شذ منه نحو المسجد، فانه من سجد یسجد، و ربما جاء فی (فعل یفعل) المصدر بالکسر کقوله «إِلَی اللَّهِ مَرْجِعُکُمْ» «2» أی رجوعکم، و نحو قوله «وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِیضِ» «3» و نحو قوله «وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً» «4» فهذا مصدر و ربما جاء علی المعیش مثل المحیض کما قال الشاعر:

---

(1) و سورة 17- الإسراء- آیة 80

(2) سورة- 5- المائدة آیة 51، 108

(3) سورة 2- البقرة آیة 222

(4) سورة 78 (عم)- النبأ- آیة 11

اليک
أشكوا شدة المعيش و مرّ ايام نتفن ريشى
اخبر اللَّه تعالى أن تلک القرى أهلكناهم يعنى أهل القرية، و لذلک قال: (هم): و لم يقل (ها) لأن القرية هى المسكن مثل المدينة و البلدة. و البلدة لا تستحق الهلاک، و انما يستحق العذاب أهلها، و لذلک قال «لما ظلموا» يعنى أهل القرية الذين أهلكناهم. و الإهلاک اذهاب الشىء بحيث لا يوجد، فقيل هؤلاء أهلكوا بالعذاب. و الإهلاک و الإتلاف واحد، و قولهم الضائع هالک من ذلک لأنه بحيث لا يوجد. و قوله «وَ جَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ» أى لوقت إهلاكهم- في من ضم الميم- أو لوقت هلاكهم- فى من فتحها- «موعداً» أى ميقاتاً و أجلًا فلما بلغوه جاءهم العذاب. و الموعد الوقت الذى وعدوا فيه بالإهلاک.
و قوله «وَ إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ» معناه و اذكر إذ قال موسى لفتاه لما فى قصته من العبرة بأنه قصد السفر فوفق اللَّه (عز و جل) فى رجوعه أكثر مما قصد له ممن أحب موسى أن يتعلم منه و يستفيد من حكمته التى وهبها اللَّه له. و قيل إن فتى موسى (ع) كان يوشع بن نون. و قيل ابن يوشع، و سمى فتاه لملازمته إياه «لا أبرح» أى لا أزال كما قال الشاعر:
و أبرح ما أدام اللَّه قومى بحمد اللَّه منتطقاً مجيداً «1»
أى لا أزال، و لا يجوز أن يكون بمعنى لا أزول، لان التقدير، لا أزال أمشى حتى أبلغ. و معنى (لا يزال يفعل كذا) أى هو دائب فيه. و قيل انه كان وعد بلقاء الخضر عند مجمع البحرين.
و قوله «أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً» معناه لا أبرح حتى ابلغ مجمع البحرين الى أن

---

(1) قائله خداش بن زهير. تفسير القرطبى 11/ 9 و مجمع البيان 3/ 479 و اللسان (نطق). (ج 7 م 9 من التبيان)

امضى حقباً. قال ابن عباس: و الحقب الدهر، و قيل هو سنة بلغة قيس. و قيل سبعون سنة- ذكره مجاهد- و قال عبد اللَّه بن عمر: هو ثمانون سنة. و قال قتادة:
الحقب الزمان. و قال قتادة: مجمع البحرين: بحر فارس و الروم.
و قوله «فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما» يعنى بين البحرين «نَسِيا حُوتَهُما» و انما نسيه يوشع بن نون و أضافه اليهما، كما يقال نسى القوم زادهم، و انما نسيه بعضهم. و قيل نسى يوشع أن يحمل الحوت، و نسى موسى أن يأمره فيه بشىء.
و قوله «فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ» يعنى الحوت «فِي الْبَحْرِ سَرَباً» قال ابن عباس و ابن زيد و مجاهد: أحيا اللَّه الحوت، فاتخذ طريقه فى البحر مسلكاً. و قيل ان الحوت كانت سمكة مملحة فطفرت من موضعها الى البحر ذاهبة. و قال

الفراء: كان مالحاً، فلما حيى بالماء الذى أصابه من العين، وقع فى البحر. و وجد مذهبه، فكان كالسرب.
و روى عن أبى بن كعب أن مجمع بينهما إفريقية، و أراد اللَّه أن يعلم موسى أنه و إن آتاه التوراة، فانه قد آتى غيره من العلم ما ليس عنده، فوعده بلقاء الخضر. و قوله «مَجْمَعَ بَيْنِهِما» يعنى موسى و فتاه بلغا مجمع البحرين. و قال قتادة قيل لموسى آية لقياك إياه أن تنسى بعض متاعك، و كان موسى و فتاه تزودا حوتاً مملوحاً حتى إذا كانا حيث شاء اللَّه، رد اللَّه الى الحوت روحه فسرب فى البحر، فذلك قوله «فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ سَرَباً» أى مذهباً يقال سرب يسرب سرباً إذا مضى لوجهه فى سفر غير بعيد و لا شاق و هى السربة فإذا كانت شاقة، فهى (السبأ) ة بالهمزة. و
روى ان اللَّه تعالى بعث ماء من عين الجنة، فأصاب ذلك الماء تلك السمكة فحييت و طفرت الى البحر و مضت.
و روى عن ابن عباس أنه قال: لما وفد موسى الى طور سيناء، قال رب أى عبادك أعلم؟ قال الذى يبغى علم الناس الى علمه، لعله يجد كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى. قال رب من هو؟ قال الخضر تلقاه عند الصخرة

عندها العين التى تنبع من الجنة. و قال الحسن: كان موسى سأل ربه هل أحد أعلم منى من الآدميين فأوحى اللَّه اليه: نعم عبدى الخضر (ع)، فقال موسى (ع): كيف لى بلقائه؟ فأوحى اللَّه اليه أن يحمل حوتاً فى متاعه و يمضى على وجهه حتى يبلغ مجمع البحرين، بحر فارس و الروم، و هما المحيطان بهذا الخلق. و جعل العلم على لقائه أن يفقد حوته، فإذا فقدت الحوت فاطلب حاجتك عند ذلك فإنك تلقى الخضر عند ذلك.
و قال الحسن كان الحوت طرياً. و قال ابن عباس: كان مملوحاً. قال الحسن:
فمضى على وجهه هو و فتاه حتى «بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ سَرَباً» يعنى الحوت. ثم «قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا» ففتش متاعه ففقد الحوت، قال «أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ» و كانت الصخرة عند مجمع البحرين «فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ وَ ما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ» يعنى الحوت و انقطع الكلام. فقال موسى (ع) عند ذلك «عجباً» كيف كان ذلك. و قال لفتاه «ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً» و قال الزجاج: يحتمل أن يكون ذلك من قول صاحبه فانه أخبر بأن اتخاذ الحوت طريقاً فى البحر كان عجباً.

فَلَمَّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً (62) قالَ أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَ ما أَنْسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً (63) قالَ ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً (64)

ثلاث آيات التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 68

اخبر اللّه تعالى ان موسى و فتاه لما جاوزا أى خرجا من ذلك الموضع.

و المجاوزة الخروج عن حدّ الشىء، يقال: تجاوز اللّه عن فلان أى تجاوز عن عقابه بمعنى أزل اللّه العقاب عنه.

و الفتى الرجل الشاب و جمعه فتية و فتيان مثل صبية و صبيان. و انما أضيف الى موسى، لأنه كان يلزمه ليتعلم منه العلم و صحبه فى سفره. و قيل انه كان يخدمه، و العرب تسمى الخادم للرجل فتى، و إن كان شيخاً، و الأمة فتاة و إن كانت عجوزاً، و يسمى التلميذ فتى، و إن كان شيخاً، و الفتى عند العرب السخى على الطعام و على المال و الشجاع. و (الغداء) طعام الغداة و (العشاء) طعام العشى. و التغدى أكل طعام الغداة و التعشى أكل طعام العشى، و (النصب) التعب و الوهن الذى يكون عند الكد، و مثله الوصب. فقال له فتاه فى الجواب «أ رأيت» الوقت الذى «أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ» أى أقمنا عندها «فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ» ثم قال «وَ ما أَنْسانِيهُ» يعنى الحوت «إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ» أى وسوسنى و شغلنى بغيره حتى نسيت، فلذلك اضافة الى الشيطان، لما كان عند فعله. و معنى «وَ ما أَنْسانِيهُ» أى الحوت، يعنى نسيت أن اذكر كيف اتخذ سبيله فى البحر. و جاز نسيان مثل ذلك مع كمال العقل لأنه كان معجزاً. و ضم الهاء من (أنسانيه) حفص عن عاصم، لان الأصل فى حركة الهاء الضم. و من كسرها فلأن ما قبلها (ياء) فحركها بما هو من جنسها.

و قوله «وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً» يعنى أن موسى (ع) لما رأى الحوت قد حيى و هو يسلك الطريق الى البحر، عجب منه و من عظم شأنه، و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابن زيد.

و قوله «ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ» حكاية عما قال موسى عند ذلك من أن ذلك الذى كنا نطلب من العلامة، يعنى نسيانك الحوت، لأنه قيل له: صاحبك الذى تطلبه التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 69

- و هو الخضر- حيث ينسى الحوت. ذكره مجاهد. فارتدا يقصان أى يتبعان آثارهما حتى انتهيا الى مدخل الحوت. ذكره ابن عباس. و قيل نسى ذكر الحوت لموسى (ع) فرجعا الى الموضع الذى حييت فيه السمكة و هو الذى

كان يطلب منه العلامة فيه.
و قيل الصخرة موضع الوعد.

فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً (65) آية.

قوله «فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا» أى صادفاه و ادركاه، و هو الوجود، و منه وجدان الضالة أى مصادفتها و إدراكها. و العبد المملوک من الناس، فكل انسان عبد للّه، لأنه مالک له، و قادر عليه و على أن يصرّفه أتم التصريف، و هو يملک الإنسان و ما يملک و قوله «آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا» أى أعطيناه رحمة أى نعمة من عندنا «وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً» و التعلم تعريض الحى لأن يعلم، إما بخلق فى قلبه، و إما بالبيان الذى يرد عليه كما أن من أرى الإنسان شيئاً فقد عرضه، لان يراه، إما بوضع الرؤية فى بصره عند من قال الإدراک معنى، أو بالكشف له عن المرئى.

قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُکَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً (66) قالَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (67)
آيتان.
قال ابو على يحتمل أنّ (رشداً) منصوباً على انه مفعول له و يكون متعلقاً
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 70
ب (اتبع) كأنه قال اتبعک للرشد، أو طلب الرشد على أن تعلمنى، فيكون على هذا حالا من قوله (اتبعک) و يجوز أن يكون مفعولا به، و تقديره اتبعک على أن تعلمنى رشداً مما علمته، و يكون العلم الذى يتعدى الى مفعول واحد يتعدى بالتضعيف الى مفعولين. و المعنى على ان تعلمنى امراً ذا رشد أو علماً ذا رشد.
«قال له» يعنى لذلک العبد الذى علمه اللَّه العلم «هَلْ أَتَّبِعُکَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً». و الاتباع و الانقياد واحد، اتبعه فى مسيره، و اتبعه فى مذهبه، و اتبعه فى أمره و نهيه، و اتبعه فيما دعاه اليه، و الرشد- بفتح الراء و الشين- قراءة أبى عمرو. الباقون- بضم الراء و سكون الشين- إلا ابن عامر- فى رواية ابن ذكوان- فانه ضمهما، و هما لغتان، مثل أسد و أسد، و وثن و وثن. و اختلفوا فى الذى كان يتعلم موسى منه، هل كان نبياً؟ أم لا؟ فقال الجبائى: كان نبياً، لأنه لا يجوز ان يتبع النبى من ليس بنبى، ليتعلم منه العلم، لما فى ذلک من الغضاضة على النبى. و قال ابن الأخشاد: و يجوز أن لا يكون نبياً على أن لا يكون فيه وضع من موسى. و قال قوم: كان ملكا. و قال الرمانى: لا يجوز أن يكون إلا نبياً، لان تعظيم العالم المعلم فوق تعظيم المتعلم منه. و قيل إنه سمى (خضراً) لأنه كان إذا صار فى مكان لا نبات فيه اخضر ما حوله، و كان اللَّه تعالى قد اطلعه من علم بواطن الأمور على ما لم يطلع عليه غيره.
فان قيل: كيف يجوز أن يكون نبى اعلم من نبى؟ فى وقته.
قيل عن ذلک ثلاثة اجوبة:
أحدها- انه يجوز أن يكون نبى اعلم من نبى فى وقته عند من قال: ان الخضر كان نبياً.
و الثانى- أن يكون موسى اعلم من الخضر بجميع ما يؤدى عن اللَّه على عباده، التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 71
و فى كل ما هو حجة فيه، و انما خص الخضر بعلم ما لا يتعلق بالأداء.
الثالث- إن موسى استعلم من جهة ذلک العلم فقط، و إن كان عنده علم ما سوى ذلک.
فقال الخضر لموسى (ع) «إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً» و معناه يثقل عليک

الصبر و لا يخف عليک، و لم يرد أنه لا يقدر عليه، لأن موسى (ع) كان قادراً متصرفاً، و انما قال له ذلک لأن موسى كان يأخذ الأمور على ظواهرها، و الخضر كان يحكم بما أعلمه اللّه من بواطن الأمور، فلا يسهل على موسى مشاهدة ذلک، و لو أراد نفى الاستطاعة التى هى القدرة لما قال: «وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً» لأنه دل على انه لهذا لا يصبر و لو كان على نفى القدرة، سواء علم أو لم يعلم لم يستطع.

وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً (68) قالَ سَتَجِدُنِى إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً وَ لا أَعْصِي لَكَ أَمْراً (69) قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلا تَسْئَلْنِى عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً (70)
ثلاث آيات بلا خلاف.
هذا حكاية ما قال الخضر لموسى (ع) حين قال «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً» اى كيف تصبر على ما لم تعلم من بواطن الأمور، و لا تخبرها، فقال له موسى (ع) عند ذلك «ستجدنى» اى ستصادفنى إن شاء اللّه صابراً، و لم يقل ذلك على وجه التكذيب، لكن لما اخبر به على ظاهر الحال فقيده بالمشيئة للّه، لأنه جوز التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 72
أن لا يصبر فيما بعد بأن يعجز عنه ليخرج بذلك من كونه كاذباً «وَ لا أَعْصِي لَكَ أَمْراً» اى لا أخالف او أمرك، و لا اتركها. فقال الخضر: «فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى» و اقتفيت اثرى «فَلا تَسْئَلْنِى عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً» معناه لا تسألنى عن باطن امر حتى أكون انا المبتدئ لك بذلك.
و الصبر تجرع مرارة تمنع النفس عما تنازع اليه. و أصله حبس النفس عن امر من الأمور. و (الذكر) العلم، و الذكر ادراك النفس للمعنى بحضوره كحضور نقيضه، و يمكن ان يجامعه علم يصحبه او جهل او شك. و «خبراً» نصب على المصدر. و التقدير لم تخبره خبراً. و قرأ نافع «تسألن» بتشديد النون. الباقون بتخفيفها و إثبات الياء إلا ابن عامر، فانه حذف الياء. قال أبو على قول ابن كثير و من اتبعه: انهم عدوا (تسأل) الى المفعول الذى هو المتكلم مثل (لا تضربنى) و (لا تظلمنى) و نافع إنما فتح اللام، لأنه لما ألحق الفعل النون الثقيلة بنى الفعل معها على الفتح و حذف الياء، و كسرت النون ليدل على الياء المحذوفة.

فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها قالَ أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً (71) قالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (72) قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَ لا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً (73) فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً (74)

أربع آيات التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 73

قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «ليغرق أهلها» بالياء، و رفع أهلها. الباقون بالتاء و نصب الأهل. فمن قرأ بالتاء و نصب الأهل، فلقوله «أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ» بذلك «أهلها» أى فعلت ذلك و غرضك إهلاك أهلها على وجه الإنكار. و من قرأ بالياء أسند الغرق الى الأهل، فكأنه قال: فعلت ذلك ليغرقوهم. و قرأ اهل الكوفة و ابن عامر «زكية» بلا الف. و قرأ الباقون زاكية بألف. و قرأ ابن عامر و نافع- فى رواية الاصمعى عنه و ابو بكر عن عاصم- «نكراً» بضم النون و الكاف.

الباقون بتخفيف الكاف.

قال الكسائى (زاكية، و زكية) لغتان مثل قاسية و قسية. قال أبو عمرو: الزاكية التى لم تذنب قط، و الزكية التى إذا أذنبت تابت، و (النكر) بالتثقيل و التخفيف لغتان مثل الرعب و الرعب.

اخبر اللّه تعالى عن موسى (ع) و صاحبه الذى تبعه ليتعلم منه أنهما ذهبا حتى إذا بلغا البحر، فركبا فى السفينة فخرق صاحبه السفينة أى شق فيها شقاً، لما أعلمه اللّه من المصلحة فى ذلك، فقال له موسى منكراً لذلك على ظاهر الحال: «أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها» أى غرضك بذلك أن تغرق أهلها الذين ركبوها. و يحتمل أن يكون قال ذلك مستفهما أى فعلت ذلك لتغرق أهلها أم لغير ذلك. و الاول أقوى لقوله بعد ذلك «لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً» فالأمر المنكر- فى قول مجاهد و قتادة- و قال ابو عبيدة: داهية عظيمة و انشد:

لقد لقى الأقران منه نكراً داهية دهياء إداً إمراً «1»

---

(1) تفسير القرطبى 11/ 19 و مجاز القرآن 1/ 409 و تفسير الطبرى 15/ 169 و اللسان و الصحاح و التاج (أمر) و شواهد الكشاف 30 (ج 7 م 10 من التبيان)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 74

و من سكن (النكر) فعلى لغة من سكن (رسل). و (الإمر) مأخوذ من الأمر، لأنه الفاسد الذى يحتاج أن يؤمر بتركه الى الصلاح، و منه رجل إمر إذا كان ضعيف الرأى، لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوى رأيه. و منه آمر القوم إذا كثروا

حتى احتاجوا الى من يأمرهم و ينهاهم، و منه الأمر من الأمور أى الشىء الذى من شأنه ان يؤمر فيه، و لهذا لم يكن كل شىء أمراً.
فقال له الخضر «أَ لَمْ أَقُلْ» لک فيما قبل «إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً» أى لا يخفّ عليک ما تشاهده من أفعالى و يثقل عليک، لأنک لا تعرف المصلحة فيه، و لم يرد بالاستطاعة المقدرة، لأن موسى كان قادراً فى حال ما خاطبه بذلک، و لم يكن عاجزاً، و هذا كما يقول الواحد منا لغيره أنا لا أستطيع النظر اليک، و انما يريد أنه يثقل علىّ، دون نفى القدرة فى ذلک. فقال له موسى فى الجواب عن ذلک «لا تُؤاخِذْنِى بِما نَسِيتُ» و روى أنه قال ذلک لما رأى الماء لا يدخل السفينة مع خرقها، فعلم أن ذلک لمصلحة يريدها اللّه، فقال «لا تُؤاخِذْنِى بِما نَسِيتُ» و قيل فى معنى نسيت ثلاثة أقوال:
أحدها- ما حكى عن أبى بن كعب، أنه قال: معناه بما غفلت من النسيان الذى هو ضد الذكر.
و الثانى- ما روى عن ابن عباس أنه قال معناه: بما تركت من عهدک.
الثالث- لا تؤاخذنى بما كأنى نسيته، و لم ينسه فى الحقيقة- فى رواية أخرى- عن أبى بن كعب الانصارى.
و قوله «وَ لا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْراً» قيل معناه لا تغشنى، من قولهم رهقه الفارس إذا غشيه و أدركه، و غلام مراهق إذا قارب أن يغشاه حال البلوغ.
و الارهاق ادراک الشىء بما يغشاه. و قيل معنى أرهقه الأمر إذا ألحقه إياه.

ثم أخبر تعالى انهما مضيا «حَتَّى إِذا لَقِيا غُلاماً» أى رأيا غلاماً «فَقَتَلَهُ» قال له موسى «أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً» و معناه طاهرة من الذنوب. و من قرأ «زكية» فمعناه بريئة من الذنوب. و ذلک انها كانت صغيرة لم تبلغ حد التكليف على ما روى فى الاخبار. و قوله «بِغَيْرِ نَفْسٍ» أى بغير قود، ثم قال له «لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً» أى منكراً. و قيل معناه جئت بما ينبغى أن ينكر، و قال قتادة النكر أشد من الامر، و انما قيل لما لا يجوز فعله منكراً، لأنه مما تنكر صحته العقول و لا تعرفه.

قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِیَ صَبْراً (75) قالَ إِنْ سَأَلْتُکَ عَنْ شَیْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِی قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّی عُذْراً (76) فَانْطَلَقا حَتَّی إِذا أَتَیا أَهْلَ قَرْیَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ یُضَیِّفُوهُما فَوَجَدا فِیها جِداراً یُرِیدُ أَنْ یَنْقَضَّ فَأَقامَهُ قالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَیْهِ أَجْراً (77)

ثلاث آيات بلا خلاف.

معنى قوله «أَ لَمْ أَقُلْ لَکَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِیَ صَبْراً» تحقيق ما قال له أولا مع نهيه عن العود لمثل سؤاله، لأنه لا يجوز أن يكون توبيخاً، لأنه جار مجرى الذم فى أنه لا يجوز على الأنبياء (ع) فقال له موسى فى الجواب عن ذلک «إِنْ سَأَلْتُکَ» أى ان استخبرتک عن شىء تعمله بعد هذا «فَلا تُصاحِبْنِی قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّی عُذْراً» و معناه إقرار من موسى بأن صاحبه قد قدم اليه ما يوجب العذر عنده، فلا يلزمه ما أنكره. و

روى عن النبى (ص) أنه تلا هذه الآية، فقال: (استحيى نبى اللَّه التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 76

موسى).

و العذر وجود ما يسقط اللوم من غير جهة التكفير بتوبة و اجتناب كبير لوقوع سهو لم يتعرض له.

و فى (لدن) خمس قراءات، فقرأ ابن كثير و أبو عمرو و ابن عامر و حمزة و الكسائى بالتثقيل.

الثانى- بضم الدال و تخفيف النون قرأ به نافع.

الثالث- قرأ ابو بكر بضم اللام و سكون الدال و اشمام من غير إشباع.

الرابع- قرأ الكسائى عن أبى بكر بضم اللام و سكون الدال.

الخامس- فى رواية عن أبى بكر بفتح اللام و سكون الدال: و هذه كلها لغات معروفة.

ثم أخبر اللَّه تعالى عنهما ايضاً أنهما مضيا حتى «أَتَیا أَهْلَ قَرْیَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها» أى طلبا منهم ما ياكلانه فامتنعوا من تضييفهما «فَوَجَدا فِیها» يعنى القرية «جِداراً یُرِیدُ أَنْ یَنْقَضَّ. فَأَقامَهُ» و معناه وجدا حائطاً قارب أن ينقض فشبهه بحال من يريد أن يفعل فى التبانى، كما قال الشاعر:

يريد الرمح صدر أبى براء و يرغب عن دماء بنى عقيل «1»

و مثله ترانى آثارهما، و دار فلان ينظر الى دار فلان. و قال سعيد بن جبير: معنى قوله «فأقامه» انه رفع الجدار بيده فاستقام. و الانقضاض السقوط بسرعة، يقال انقضت الدار إذا سقطت و تهدمت قال ذو الرمة:

فانقض كالكوكب الدرى منصلتا

فقال له موسى «لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَیْهِ أَجْراً» و قد قرأ ابن كثير و أبو

عمرو

---

(1) تفسير الطبرى 15/ 171 و القرطبى 11/ 26 و مجاز القرآن 1/ 410 و الكشاف 1/ 577 و اللسان (رود) و غيرها و قد مر فى 6/ 121 من هذا الكتاب

«لتخذت» الباقون «لاتخذت» يقال: تخذ يتخذ بالتخفيف قال الشاعر:

و قد تخذت رجلى لدى جنب غرزها نسيفاً كافحوص القطاة المطرق «1»

المطرق التى تريد أن تبيض، و قد تعسر عليها، و الأفحوص و المفحص عش الطائر، و ابن كثير يظهر الذال، و ابو عمرو يدغم. و الباقون على وزن (افتعلت) مثل اتقى يتقى. و قد حكى تقى يتقى خفيفاً، قال الشاعر:

جلاها الصيقلون فاخلصوها خفافاً كلها يتقى بأثر

و من ادغم فلقرب مخرجيهما و من اظهر فلتغاير مخرجيهما و قال الفراء فى قوله «لَوْ شِئْتَ» قال موسى لو شئت لم تقمه حتى يقرونا، فهو الأجر و انشدوا فى «يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ» قول الشاعر:

إن دهراً يلف شملى بجمل لزمان يهم بالإحسان «2»

أى كأنه يهم، و انما هو سبب الإحسان المؤدى اليه و قال آخر:

يشكو الى جملى طول السرى صبراً جميلا فكلانا مبتلى «3»

و الجمل لم يشك شيئاً. و قال عنترة:

و شكا الى بعبرة و تحتحم «4»

و كل ذلك يراد به ما ظهر من الامارة الدالة على المعانى.

قالَ هذا فِراقُ بَيْنِی وَ بَيْنِکَ سَأُنَبِّئُکَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (78) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِی الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِکٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً (79) وَ أَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَ كُفْراً (80) فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَ أَقْرَبَ رُحْماً (81) وَ أَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِی الْمَدِينَةِ وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّکَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِی ذلِکَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (82)

---

(1) مجاز القرآن 1/ 411 و تفسير الطبرى 15/ 172 و الاصمعيات 47 و اللسان و التاج (فحص، طرق، نسف).
(2) تفسير الطبرى: 1/ 171 و القرطبى 11/ 26 و مجمع البيان 3/ 487
(3) مر هذا البيت فى 6/ 112 من هذا الكتاب
(4) ديوانه 30 من معلقته، و تفسير الطبرى 15/ 172 [.....]

خمس آيات بلا خلاف قرأ اهل المدينة و ابو عمرو «أَنْ يُبْدِلَهُما»- بفتح الياء و تشديد الدال- هنا- و فى التحريم «أن يبدله» و فى نون «أن يبدلنا» بالتشديد فيهن. الباقون بالتخفيف. فاما التى فى سورة النور «وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ» فخففها ابن كثير و ابو بكر و يعقوب. و شدده الباقون. و قرأ ابن عامر و ابو جعفر و يعقوب «رحماً» بضم الحاء. الباقون بإسكانها.
و روى العبسى (ما لم تسطع) بتشديد الطاء. الباقون بتخفيفها.
قال ابو على (بدل، و أبدل) متقاربان مثل (نزل، و انزل) إلا ان (بدل) ينبغى ان يكون أرجح، لقوله تعالى تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ» «1» و لم يجىء.
الابدال كما جاء التبديل، و لم يجىء الابدال فى موضع من القرآن، و قد جاء

---

(1) سورة 10- يونس- آية 64

«وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ» «1» فهذا قد يكون بمعنى الابدال كما ان قوله الشاعر:
فلم يستجبه عنک ذاک مجيب «2»
بمعنى فلم يجبه. و قال قوم. أبدلت الشىء من الشىء إذا أزلت الأول و جعلت الثانى مكانه. كقول أبى النجم:

عزل الأمير للأمير المبدل «3»
و بدلت الشىء من الشىء إذا غيرت حاله و عينه. و الأصل باق، كقولهم بدلت قميصى جبة، و استدلوا بقوله «كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها» «4» فالجلد الثانى هو الاول، و لو كان غيره لم يجز عقابه. و اما (رحم و رحم) فلغتان مثل العمر و العمر، و الرعب و الرعب. و حكى لغة ثالثة- بفتح الراء و اسكان الحاء- كما يقال:
أطال اللَّه عمرک و عمرک. و المعنى و اقرب رحمة و عطفاً، و قربى و قرابة قال الشاعر:
و لم تعوج رحم من تعوجاً «5»
و قال آخر:
يا منزل الرحم على إدريس «6»
حكى اللَّه تعالى عن صاحب موسى انه قال له «هذا فِراقُ بَيْنِي وَ بَيْنِکَ» و معناه هذا وقت فراق اتصال ما بينى و بينک، فكرر (بين) تأكيداً، كما يقال:
أخزى اللَّه

---

(1) سورة 4- النساء- آية 19
(2) مر هذا البيت كاملا فى 1/ 36، 86 و 2/ 131 و 3/ 88 و 4/ 182 و/ 119 و 6/ 233
(3) تفسير الطبرى 18/ 110
(4) سورة 4- النساء- آية 55
(5) تفسير الطبرى 16/ 4
(6) مجمع البيان 3/ 485 و بعده (و منزل اللعن على إبليس). و هو فى القرطبى/ 37 إديسا، ابليسا

الكاذب منى و منک أى أخزى اللَّه الكاذب منا. و قيل فى «هذا» انها اشارة الى احد شيئين:
أحدهما- هذا الذى قلته فراق بينى و بينک.
و الثانى- هذا الوقت فراق بينى و بينک. ثم قال له «سأنبئک» أى سأخبرک «بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً» و لم يخفّ عليک رؤيته، ثم بين واحداً واحداً، فقال «اما» السبب فى خرقى «السفينة» انها «فَكانَتْ لِمَساكِينَ» أى للفقراء الذين لا شىء لهم يكفيهم، قد أسلمتهم قلة ذات أيديهم «يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ» أى يعملون بها فى البحر و يتعيشون بها «فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها» و السبب فى ذلک انه «كانَ وَراءَهُمْ مَلِکٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً» فقيل إن الملک كان يأخذ السفينة الصحيحة، و لا يأخذها إذا كانت معيبة. و قد قرئ فى الشواذ «يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا» روى ذلک عن أبى، و ابن مسعود.

و الوراء و الخلف واحد، و هو نقيض جهة القدام على مقابلتها و قال قتادة: وراءهم- هاهنا- بمعنى أمامهم. و منه قوله «مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ» «1» و «مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ» «2» و ذلک جائز على الاتساع، لأنها جهة مقابلة لجهة، فكأن كل واحد من الجهتين وراء الآخر قال لبيد:

أليس ورائى ان تراخت منيتى لزوم العصا تحنو عليها الأصابع «3»

و قال آخر:

ا يرجوا بنو مروان سمعى و طاعتى و قومى تميم و الفلاة ورائيا «4»

و قال الفراء: يجوز ذلک فى الزمان دون الأجسام، تقول: البرد و الحر وراءنا

---

(1) سورة 45 الجاثية آية 9

(2) سورة 23 المؤمنون آية 101

(3) البيت فى مجمع البيان 3/ 467

(4) قائله سوار بن المضرب تفسير الطبرى 16 2 و تفسير القرطبى/ 35، و اكثر كتب النحو

و لا تقول: زيد وراءک. و قال الرمانى و غيره: يجوز فى الأجسام التى لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر. و قرأ ابن عباس «و كان أمامهم ملک» و قال الزجاج (وراءهم) خلفهم، لأنه كان رجوعهم عليه. و لم يعلموا به.

ثم قال «وَ أَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَ كُفْراً» و قيل: إن قوله «فَخَشِينا» من قول الخضر. و قيل: انه من قول اللّه تعالى، و معناه علمنا. و قيل: معنى خشينا كرهنا، فبين أن الوجه فى قتله ما لأبويه من المصلحة فى ثبات الدين، لأنه لو بقى حياً لأرهقهما طغياناً و كفراً أى أوقعهما فيه، فيكون ذلک مفسدة، فأمر اللّه بقتله لذلک، كما لو أماته. و فى قراءة أبى «و اما الغلام فكان كافراً و كان أبواه مؤمنين». ثم قال «فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما» يعنى أن يبدل اللّه لأبويه خيراً من هذا الغلام (زكاة) يعنى صلاحاً و طهارة (و أقرب رحماً) أى أبرّ بوالديه من المقتول- فى قول قتادة- يقال: رحمه رحمة و رحماً. و قيل: الرحم و الرحم القرابة قال الشاعر:

و لم يعوج رحم من تعوجا «1»

و قال آخر:

و كيف بظلم جارية و منها اللين و الرحم «2»

و قيل معناه و أقرب أن يرحما به. ثم أخبر الخضر عن حال الجدار الذى اقامه و أعلم انه (فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما) فقال ابن عباس وِ سعيد بن جبير و مجاهد: كانت صحف من علم. و قال

الحسن: كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه الحكم. و قال قتادة و عكرمة: كان كنز مال. و الكنز فى اللغة هو

---

(1) تفسير الطبرى 6/ 4
(2) تفسير القرطبى 11/ 37 (ج 7 م 11 من التبيان)

كل مال مذخور من ذهب و فضة و غير ذلک.
و قوله «وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً» يعنى أبا اليتيمين فأراد اللَّه «أن يبلغا أشدهما» يعنى كمالهما من الاحتلام و قوة العقل «وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ» أى نعمة من ربک. ثم قال صاحب موسى: و ما فعلت ذلک من قبل نفسى و أمرى بل بأمر اللَّه فعلت. ثم قال «ذلک» الذى قلته لک «تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً» و ثقل عليک مشاهدته و استبشعته.
و فى الآية دلالة على وجوب اللطف، لان مفهومه أنه تدبير من اللَّه فى عباده لم يكن يجوز خلافه، و قد عظم اللَّه شأنه بما يفهم منه هذا المعنى.
و قال الجبائى: لا يجوز أن يكون صاحب موسى الخضر، لأن خضراً كان من الأنبياء الذين بعثهم اللَّه من بنى إسرائيل بعد موسى. قال: و لا يجوز ايضاً أن يبقى الخضر الى وقتنا هذا، كما يقوله من لا يدرى، لأنه لا نبى بعد نبينا، و لأنه لو كان لعرفه الناس، و لم يخف مكانه.
و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لأنا لا نعلم أولا أن خضراً كان نبياً، و لو ثبت ذلک لم يمتنع أن يبقى الى وقتنا هذا، لأن تبقيته فى مقدور اللَّه تعالى، و لا يؤدى الى انه نبى بعد نبينا، لأن نبوته كانت ثابتة قبل نبينا. و شرعه- إن كان شرعاً خاصاً- انه منسوخ بشرع نبينا. و إن كان يدعو الى شرع موسى أو من تقدم من الأنبياء، فان جميعه منسوخ بشرع نبينا (ص) فلا يؤدى ذلک الى ما قال. و قوله:
لو كان باقياً لرئى و لعرف غير صحيح، لأنه لا يمتنع أن يكون بحيث لا يتعرف الى احد، فهم و إن شاهدوه لا يعرفونه.
و فى الناس من قال: إن موسى الذى صحب الخضر ليس هو موسى بن عمران

و انما هو موسى بن ميشا، رجل من بنى إسرائيل. و اللَّه اعلم بذلک.
و
روى عن جعفر بن محمد (ع) فى قوله تعالى «وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما» قال: سطران و نصف و لم يتم الثالث، و هى (عجباً للموقن بالرزق كيف يتعب و عجباً للموقن بالحساب كيف يغفل و عجباً للموقن بالموت كيف يفرح) و فى بعض الروايات زيادة على ذلک (أشهد أن لا إله إلا اللَّه و أن محمداً رسول اللَّه)
و ذكر أنهما حفظا، لصلاح أبيهما، و لم يذكر مِنهما صلاح. و كان بينهما و بين

الأب الذى حفظا به سبعة أباء، و كان سياحاَ. و استشهد على أن الخشية بمعنى العلم بقوله تعالى «إِلَّا أَنْ يَخافا أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ» «1» و قوله «وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً» «2» أى علمت. و استشهد على أنه بمعنى الكراهية بقول الشاعر:

يا فقعسى لم أكلته لمه لو خافک اللَّه عليه حرمه «3»

قال قطرب يريد لو كره أن تأكله لحرمه عليک.

وَ يَسْئَلُونَکَ عَنْ ذِی الْقَرْنَیْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَیْکُمْ مِنْهُ ذِکْراً (83) إِنَّا مَکَّنَّا لَهُ فِی الْأَرْضِ وَ آتَیْناهُ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ سَبَباً (84) فَأَتْبَعَ سَبَباً (85) حَتَّی إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ فِی عَیْنٍ حَمِئَةٍ وَ وَجَدَ عِنْدَها قَوْماً قُلْنا یا ذَا الْقَرْنَیْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِیهِمْ حُسْناً (86) قالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ یُرَدُّ إِلی رَبِّهِ فَیُعَذِّبُهُ عَذاباً نُکْراً (87)

---

(1) سورة 2 البقرة آية 229 [.....]
(2) سورة 4 النساء آية 124
(3) مر هذا الرجز فی 2/ 245 من هذا الکتاب.

خمس آیات کوفی و حجازی و ست بصری و شامی. عدّ إسماعیل و الکوفیون و البصری و الشامی «من کل شیءٍ سبباً آیة و عدّ المدنی الأخر و المکی و البصری و الشامی، عندها قوماً، آیة جعلوا (فاتبع سبباً) بعض الآیة الأولی و لم یعد أهل الکوفة «قوماً» آخر آیة بان جعلوا آخر الآیة حسناً».

قرأ ابن عامر و أهل الکوفة «فأتبع» بقطع الهمزة، و فتحها، و تخفیف التاء و سکونها، فیهن الباقون «فاتبع» جعلوها ألف وصل و شددوا التاء، و فتحوها. و قرأ ابن عامر و أهل الکوفة إلا حفصاً و ابو جعفر «حامیة» بالف و تخفیف الهمزة. الباقون «حمئة» بلا الف، مهموز. قال أبو علی النحوی (تبع) فعل یتعدی الی مفعول واحد، فإذا نقلته بالهمزة یتعدی الی مفعولین. قال اللّه تعالی «وَ أَتْبَعْناهُمْ فِی هذِهِ الدُّنْیا لَعْنَةً» «1» و قال «وَ أُتْبِعُوا فِی هذِهِ الدُّنْیا لَعْنَةً» «2» لما بنی الفعل للمفعولین قام أحد المفعولین مقام الفاعل و اما (اتبعوا) فافتعلوا، فتعدی الی مفعول واحد، کما تعدی افعلوا الیه، مثل شویته و اشتویته، و حفرته و احتفرته. و قوله «فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِینَ» «3» تقدیره فاتبعوهم جنودهم فحذف أحد المفعولین، کما حذف من قوله «لِیُنْذِرَ بَأْساً شَدِیداً مِنْ لَدُنْهُ» «4» و من قوله

---

(1) سورة 28 (القصص) آیة 42
(2) سورة 11 (هود) آیة 60
(3) سورة 26 (الشعراء) آیة 61
(4) سورة 8 (الکهف) آیة 2

«لا یَکادُونَ یَفْقَهُونَ قَوْلًا» «1» و المعنی لا یکادون یفقهون أحداً، و لینذر الناس بأساً شدیداً، فمن قطع الهمزة فتقدیره فاتبع أمره سبباً او اتبع ما هو

علیه سبباً [و السبب هاهنا الطریق مثل السبیل. و السبب الحبل. و السبب القرابة]. «2»
و قال ابو عبیدة «فی عین حمئة» بالألف ذات حمأة. و قال ابو علی من قرأ حمئه بغیر الف فهی فعله. و من قرأ [حامیه] «3» فهی فاعلة من حمیت فهی حامیة، قال الحسن: یعنی حارة. و یجوز فیمن قرأ (حامیة) أن تکون فاعلة من الحمأة، فخفف الهمزة و قلبها یاء علی قیاس قول أبی الحسن. و إن خفف الهمزة علی قول الخلیل کانت بین بین. و قرأ ابن عباس «فی عین حمئة» و قال هی ماء و طین.
و تقول العرب: حمأت البئر إذا أخرجت منها الحمأة، و احمأتها إذا طرحت فیها الحمأة.
و حمئت تحمأ و معنی حمئة صار فیها الحمأة. فاما قولهم هذا حم لفلان، ففیه أربع لغات حمو و حمو و حماء و حم. و ذکر اللحیانی لغة خامسة و سادسة: الحمو مثل العفو، و الحمأ مثل الخطأ. و کل قرابة من قبل الزوج، فهم الاحماء و کل قرابة من قبل النساء فهم الأختان و الصهر یجمعهما، و أم الرجل ختنه و أبوه ختنه و ام الزوج حماة و أبوها حمو. و قال ابو الأسود الدؤلی شاهد لابی عمرو فی عین حمئة:
تجیء بملئها طوراً و طوراً تجیء بحمأة و قلیل ماء
یقول اللّه تعالی لنبیه محمد (ص) یسألونک یا محمد عن ذی القرنین و اخباره و سیرته، و کان السائل عن ذلک قوماً من الیهود. و قیل کانوا قوماً من مشرکی العرب، فقل لهم یا محمد «سَأَتْلُوا عَلَیْکُمْ» یعنی سأقرأ علیکم من خبره ذکراً.

---

(1) سورة 18 (الکهف) آیة 94
(2) هذه الجملة التی بین القوسین کانت متأخرة فی المطبوعة عن هذا الموضع اسطر
(3) ما بین القوسین ساقط من المطبوعة

ثم قال تعالی مخبراً له «إِنَّا مَکَّنَّا لَهُ فِی الْأَرْضِ» أی بسطنا یده فیها و قویناه «وَ آتَیْناهُ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ سَبَباً» و معناه علماً یتسبب به الی ما یریده- فی قول ابن عباس و قتادة و ابن زید و الضحاک و ابن جریج- «و قیل آتَیْناهُ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ سَبَباً» یعنی ما یتوصل به الی مراده. و یقال للطریق الی الشیء سبب و للحبل سبب و للباب سبب «فَأَتْبَعَ سَبَباً» أی سبباً من الأسباب التی أوتی. و من قرأ بقطع الهمزة أراد فلحق سبباً، یقال ما زلت أتبعه حتی اتبعته أی لحقته.
و قوله «فاتبع سبباً» قال مجاهد و قتادة و الضحاک و ابن زید: معناه طرقاً من المشرق و المغرب. و قیل معنی «وَ آتَیْناهُ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ سَبَباً» لیستعین

به على الملوک و فتح الفتوح، و قتل الاعداء فى الحروب «فاتبع سبباً» أى طريقاً الى ما أريد منه.
و قيل سمى (ذى القرنين) لأنه كان فى رأسه شبه القرنين. و قيل سمى بذلک لأنه ضرب على جانبى رأسه. و قيل: لأنه كانت له ضفيرتان. و قيل لأنه بلغ قرنى الشمس مطلعها و مغربها. و قيل: لأنه بلغ قطرى الأرض من المشرق و المغرب.
و قوله «حَتَّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ» أى فى عين ماء ذات حمأة- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و سعيد بن جبير- و من قرأ «حامية» أراد حارة، فى قول الحسن. و قرئ به فى احدى الروايتين عن ابن عباس كقول أبى الأسود الدؤلى.
تجىء بملئها طوراً و طوراً تجىء بحمأة و قليل ماء
و قال ابو على الجبائى، و البلخى: المعنى وجدها كأنها تغرب فى عين حمئة، و إن كانت تغيب وراءها. قال البلخى لان الشمس اكبر من الأرض بكثير، و أنكر ذلک ابن الأخشاد. و قال: بل هى فى الحقيقة تغيب فى عين حمئة على ظاهر القرآن.
و قوله «وَ وَجَدَ عِنْدَها قَوْماً قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ

فِيهِمْ حُسْناً»
معناه إما أن تعذبهم بالقتل لاقامتهم على الشرک باللَّه «وَ إِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً» بان تأسرهم فتعلمهم الهدى و تستنقذهم من العمى، فقال ذو القرنين- لما خيره اللَّه فى ذلک «أَمَّا مَنْ ظَلَمَ» نفسه بأن عصى اللَّه و أشرک به «فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ» يعنى بالقتل و يرد فيما بعد «إِلى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ» يوم القيامة «عَذاباً نُكْراً» أى عظيماً منكراً تنكره النفس من جهة الطبع، و هو عذاب النار، و هو أشد من القتل فى الدنيا.

وَ أَمَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنى وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنا يُسْراً (88) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (89) حَتَّى إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَطْلُعُ عَلى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً (90) كَذلِكَ وَ قَدْ أَحَطْنا بِما لَدَيْهِ خُبْراً (91)
خمس آيات فى الكوفى و البصرى و أربع فى المدنيين عدا «ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً» آية.
قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنى» بالنصب و التنوين و الباقون بالرفع، و الاضافة. فمن أضاف احتمل أن يكون أراد فله جزاء الطاعة، و هى الحسنى.
و يحتمل أن يكون أراد فله الجنة و أضافه الى الحسنى و هى الجنة، كما قال «وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ» «1» و من نون أراد فله الحسنى أى الجنة، لأن الحسنى هى الجنة لا محاله.
و نصبه يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يكون نصباً على المصدر فى موضع الحال أى فلهم الجنة يجزون

---

(1) سورة 69 الحاقة، آية 51

بها جزاء.
و الثانى- قال قوم: هو نصب على التمييز و هو ضعيف، لان التمييز يقبح تقديمه كقولك تفقأ زيد شحماً، و تصبب عرقاً. و له دن خلًا، و لا يجوز له خلًا دن، و أما عرقاً فما أحد اجازه إلا المازنى. و شاهد الاضافة قوله «لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ» «1» و الحسنى هاهنا الجزاء. لما حكى اللّه تعالى ما قال ذو القرنين إن من ظلم نعذبه، و إن له عند اللّه عذاباً نكراً، أخبر ان من صدق باللّه و وّحده و عمل الصالحات التى أمر اللّه بها «فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنى وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنا يُسْراً» اى قولا جميلا ثم قال «ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً حَتَّى إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ» أى الموضع الذى تطلع منه مما ليس وراءه أحد من الناس فوجد الشمس «تَطْلُعُ عَلى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً» اى انه لم يكن بتلك الأرض جبل و لا شجر، و لا بناء، لأن أرضهم لم يكن يبنى عليها بناء، فكانوا إذا طلعت الشمس عليهم يغورون فى المياه و الاسراب، و إذا غربت تصرفوا فى أمورهم- فى قول الحسن و قتادة و ابن جريج- و قال قتادة هى الزنج.
و قوله «كذلك» معناه كذلك هم. ثم قال «وَ قَدْ أَحَطْنا بِما لَدَيْهِ خُبْراً» أى كذلك علمناهم و علمناه. و يحتمل أن يكون المراد كذلك. اتبع سبباً الى

مطلع الشمس، كما اتبعه الى مغربها.
و قوله «ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً» يعنى طريقاً و مسلكا لجهاد الكفار. و قال الحسن ان ذا القرنين كان نبياً ملک مشارق الأرض و مغاربها. و قال عبد اللَّه بن عمر كان ذو القرنين و الخضر نبيين و كذلک لقمان كان نبياً.

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (92) حَتَّى إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (93) قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَ بَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قالَ ما مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْماً (95)

---

(1) سورة 34 (سبأ) آية 27

أربع آيات.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو و عاصم فى رواية حفص «السدين»- بالفتح- الباقون بالضم. و قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً وحده «يفقهون» بضم الياء و كسر القاف.

الباقون بفتح الياء و القاف. و قرأ عاصم وحده «يأجوج و مأجوج» بالهمز. الباقون بلا همز. و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «خراجاً» بالف. الباقون «خرجاً» بغير الف.

اخبر اللّه تعالى عن حال ذى القرنين أنه اتبع طريقاً الى جهاد الكفار الى ان بلغ بين السدين و وصل الى ما بينهما، و هما الجبلان اللذان جعل الردم بينهما- فى قول ابن عباس و قتادة و الضحاك. و السد وضع ما ينتفى به الخرق، يقال: سده يسده سداً فهو ساد، و الشىء مسدود، و انسد انسداداً، و منه سدد السهم، لأنه سد عليه طرق الاضطراب. و منه السداد الصواب، و السد الحاجز بينك و بين الشىء. قال الكسائى:

الضم و الفتح فى السد بمعنى واحد. و قال أبو عبيدة و عكرمة: (السد)- بالضم- من فعل اللّه، و بالفتح من فعل الآدميين.

و قوله «وَجَدَ مِنْ دُونِهِما» يعنى دون السدين «قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا» اى لا يفهمونه. و من ضم الياء أراد لا يفهمون غيرهم، لاختلاف (ج 7 م 12 من التبيان) التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 90

لغتهم عن سائر اللغات، و انما قال «لا يكادون» لأنهم فقهوا بعض الشىء عنهم، و إن كان بعد بشدة، و لذلك حكى عنهم أنهم قالوا «إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ» و الفقه فهم متضمن المعنى، و الفهم للقول هو الذى يعلم به متضمن معناه يقال: فقه يفقه و فقه يفقه.

و قوله «قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ» حكاية عما قال القوم الذين وجدهم ذو القرنين من دون السدين، فقالوا إن هؤلاء مفسدون فى الأرض أى فى تخريب الديار، و قطع الطرق، و غير ذلك.

«فهل نجعل لك خراجا» فمن قرأ بالألف، فانه أراد الغلة. و من قرأ بلا ألف

أراد الأجر «عَلى أنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَ بَيْنَهُمْ» يعنى بيننا و بين يأجوج و مأجوج «سداً» قال لهم ذو القرنين «ما مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ» من الأجر الذى تعرضون علىّ «فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْماً» فالردم أشد الحجاب- فى قول ابن عباس-، يقال: ردم فلان موضع كذا يردمه ردماً، و ردم ثوبه ترديماً إذا اكثر الرقاع فيه، و منه قول عنترة:
هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم «1»
اى هل تركوا من قول يؤلف تأليف الثوب المرقع. و قيل الردم السد المتراكب و قرأ ابن كثير «مكننى» بنونين. الباقون بنون واحدة مشددة. من شدد أدغم كراهية المثلين. و من لم يدغم قال: لأنها من كلمتين، لان النون الثانية للفاعل، و الياء للمتكلم، و هو مفعول به.
و قوله «فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ» أى برجال يبنون، و (الخرج) المصدر لما يخرج من

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 15 و هو مطلع معلقته، و تفسير الطبرى 16/ 17 و القرطبى 11/ 59

المال، و الخراج الاسم لما يخرج عن الأرض و نحوها. و ترک الهمزة فى (يأجوج و مأجوج) هو الاختيار، لان الأسماء الاعجمية لا تهمز مثل (طالوت، و جالوت، و هاروت، و ماروت). و من همز قال: لأنه مأخوذ من أجج الثار و من الملح الأجاج، فيكون (مفعولا) منه فى قول من جعله عربياً، و ترک صرفه للتعريف و التأنيث، لأنه اسم قبيلة و لو قال: لو كان عربياً لكان هذا اشتقاقه و لكنه أعجمى فلا يشتق لكان أصوب قال رؤبه:
لو ان يأجوج و مأجوج معاً و عاد عاد و استجاشوا تبعا «1»
فترک الصرف فى الشعر، كما هو فى التنزيل، و جمع يأجوج يآجيج، مثل يعقوب و يعاقيب لذكر الحجل، و ولد القبج السلک و الأنثى سلكة و من جعل (يأجوج و مأجوج) فاعولا جمعه يواجيج بالواو، مثل طاغوت و طواغيت. و هاروت و هواريت. و اما مأجوج فى قول من همز، ف (مفعول) من أج، كما أن يأجوج (يفعول) منه. فالكلمتان على هذا من أصل واحد فى الاشتقاق، و من لم يهمز يأجوج، كان عنده (فاعول) من (يج) كما ان مأجوج (فاعول) من (مج) فالكلمتان على هذا من أصلين، و ليسا فى أصل واحد، كما كانا كذلک فيمن همزهما، و إن كانا من العجمى فهذه التقديرات لا تصح فيهما. و انما مثل بها على وجه التقدير على ما مضى. و قال الجبائى و البلخى و غيرهما: إن يأجوج و مأجوج قبيلان من ولد آدم.
و قال الجبائى: قيل: انهما من ولد يافث بن نوح، و من نسلهم الأتراک. و قال سعيد ابن جبير: قوله «مُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ» معناه يأكلون الناس. و قال قوم: معناه انهم سيفسدون، ذهب اليه قتادة.

---

(1) ديوانه 92 و مجاز القرآن 1/ 414 تفسير الطبرى 16/ 12 و القرطبى 11/ 55 و اللسان و التاج (أجج)

آتُونِی زُبَرَ الْحَدِیدِ حَتَّی إِذا ساوی بَیْنَ الصَّدَفَیْنِ قالَ انْفُخُوا حَتَّی إِذا جَعَلَهُ ناراً قالَ آتُونِی أُفْرِغْ عَلَیْهِ قِطْراً (96) فَمَا اسْطاعُوا أَنْ یَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً (97) قالَ هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّی فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّی جَعَلَهُ دَکَّاءَ وَ کانَ وَعْدُ رَبِّی حَقًّا (98)

ثلاث آیات بلا خلاف.

قرأ «الصدفین»- بضم الصاد و الدال- ابن کثیر، و ابو عمرو، و ابن عامر، الباقون- بفتح الصاد و الدال- إلا أبا بکر عن عاصم، فانه ضم الصاد و سکن الدال. و قرأ أهل الکوفة إلا حفصاً «قال آتونی» قصراً. الباقون ممدوداً. و قرأ حمزة وحده «فما اسّطاعوا» مشددة الطاء بالإدغام، و هو ضعیف- عند جمیع النحویین- لان فیه جمعاً بین ساکنین.

حکی اللّه تعالی عن ذی القرنین أنه قال للقوم الذین شکوا الیه افساد یأجوج و مأجوج فی الأرض و بذلوا له المال، فلم یقبله، و قال لهم اعینونی برجال و اعطونی و جیئوا بزبر الحدید، لا عمل منه- فی وجوه یأجوج و مأجوج- الردم.

و الزبرة الجملة المجتمعة من الحدید و الصفر و نحوهما، و أصله الاجتماع، و منه (الزبور) و زبرت الکتاب إذا کتبته، لأنک جمعت حروفه. و الحدید معروف حددته تحدیداً إذا أرهفته، و منه حد الشیء، نهایته. و قال ابن عباس و مجاهد: زبر الحدید قطع الحدید. و قال قتادة: فلق الحدید. بیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 93

و قوله «حَتَّی إِذا ساوی بَیْنَ الصَّدَفَیْنِ» تقدیره انهم جاءوا بزبر الحدید و طرحوه حتی إذا ساوی بین الصدفین مما جعل بینهما أی وازی رءوسهما. و الصدفان جبلان- فی قول ابن عباس، و مجاهد، و الضحاک، و ابراهیم- و قیل: هما جبلان کل واحد منهما منعزل عن الآخر کأنه قد صدف عنه، و فیه ثلاث لغات- ضم الصاد و الدال و فتحهما و تسکین الدال و ضم الصاد- قال الراجز:

قد أخذت ما بین عرض الصدفین ناحیتیها و أعالی الرکنین «1»

و قال ابو عبیدة: الصدفان جانبا الجبل. و قوله «قالَ انْفُخُوا» یعنی قال ذو القرنین انفخوا النار علی الحدید، و الزبر فنفخوا «حَتَّی إِذا جَعَلَهُ ناراً» أی مائعاً مثل النار، قال لهم «آتونی» ای اعطونی. و قرئ بقطع الهمزة و وصلها، فمن قطع، فعلی ما قلناه، و من وصل خفض و قصر، و قیل معناه جیئونی «أُفْرِغْ عَلَیْهِ قِطْراً» نصب (قطراً) ب (أفرغ) و لو نصبه ب (آتونی) لقال أفرغه. و القطر النحاس فی قول ابن عباس و مجاهد و الضحاک و قتادة- و أراد بذلک أن یلزمه. و قال ابو عبیدة:

القطر الحديد المذاب و انشد:
حساماً كلون الملح صاف حديده جرازاً من أقطار الحديد المنعت «2»
و قال قوم: هو الرصاص النقر، و أصله القطر، و كل ذلک إذا أذيب قطر كما يقطر الماء.
و قوله فما اسطاعوا أن يظهروه أى لم يقدروا أن يعلوه «وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً» من أسفله- فى قول قتادة.
و فى (استطاع) ثلاث لغات، استطاع يستطيع، و اسطاع يسطيع، بحذف

---

(1) تفسير الطبرى 16/ 8 [.....]
(2) مجاز القرآن 1/ 415 و تفسير الطبرى 16/ 19

التاء، و استاع يستيع بحذف الطاء، استثقلوا اجتماعهما من مخرج واحد. فأما اسطاع يسطيع، فهى من أطاع يطيع، جعلوا السين عوضاً من ذهاب حركة العين.
ثم «قال» ذو القرنين «هذا» الذى يسهل فعله من الردم بين الجبلين نعمة «من ربى» عليكم «فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّى» لإهلاكه عند أشراط الساعة «جَعَلَهُ دَكَّاءَ» أى مدكوكاً مستوياً بالأرض، من قولهم: ناقة دكا، لاسنام لها، بل هى مستوية السنام. و من قرأ «دكاً» منوناً أراد دكه دكاً، و هو مصدر. و من قرأ بالمد أراد جعل الجبل أرضاً دكاء منبسطة و جمعها دكاءات. و قال ابن مسعود: فى حديث مرفوع إن ذلک يكون بعد قتل عيسى الدجال. و قيل إن هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناک يلى مؤخرهما البحر المحيط. و قيل: إنه وراء دربند، و بحر خزران من ناحية (أرمينية و آذربيجان) يمضى اليه. و قيل: ان مقدار ارتفاع السد مئتى ذرع و إنه من حديد يشبه الصمت و عرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً.
و قوله «وَ كانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا» معناه ما وعد اللَّه بأنه يفعله، لا بد من كونه، فانه حق لا يجوز ان يخلف وعده و
روى ان رجلا جاء الى رسول اللَّه (ص) فقال: انى رأيت سد يأجوج و مأجوج، فقال (ص) فكيف رأيته قال رأيته كأنه رداء محبر، فقال له رسول اللَّه (ص) قد رأيته.

وَ تَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَ نُفِخَ فِى الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً (99) وَ عَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً (100) الَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِى وَ كانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً (101)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 95

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى مخبراً عن حال تلك الأمم انهم تركوا أى بقوا و لم يخترموا، بل أديموا على الصفات التى يبقون بها «يومئذ يموج» بعضهم «فى بعض» فلو اقتطعوا عنها لكان قد أخذوا عن تلك الأحوال، و بعض الشىء ما قطع منه، يقال:

بعضته أى فرقته بأن قطعته ابعاضاً، و البعض جزء من كل، فان شئت قلت البعض مقدار من الكل و إن شئت قلت: هو مقدار ينقص بأخذه من الجميع، و (الموج) اضطراب الماء بتراكب بعضه على بعض، و المعنى انهم يموجون فى بناء السد، و يخوضون فيه متعجبين من السد. و معنى «يومئذ» يوم انقضاء السد، فكانت حال هؤلاء كحال الماء الذى يتموج باضطراب أمواجه.

و الترك فى الحقيقة لا يجوز على اللَّه إلا أنه يتوسع فيه فيعبر به عن الإخلال بالشىء بالترك.

و قوله «وَ نُفِخَ فِى الصُّورِ» فالنفخ إخراج الريح من الجوف باعتماد، يقال نفخ ينفخ نفخا و منه انتفخ إذا امتلأ ريحاً و منه النفاخة التى ترتفع فوق الماء بالريح. و الصور قال عبد اللَّه بن عمر فى حديث يرفعه: انه قرن ينفخ فيه، و مثله روى عن ابن عباس و أبى سعيد الخدرى. و قيل انه ينفخ فيه ثلاث نفخات: الاولى- نفخة الفزع التى يفزع من فى السماوات و الأرض. و الثانية- نفخة الصعق. و الثالثة- نفخة القيام لرب العالمين، و قال الحسن: الصور جمع صورة فيحيون بأن ينفخ فى الصور الأرواح، و هو قول أبى عبيدة.

و قوله «فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً» يعنى يوم القيامة يحشرهم اللَّه أجمع «وَ عَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً» أى أبرزناها و أظهرناها حتى يروها فإذا استبانت و ظهرت التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 96

قيل أعرضت، و منه قول عمرو:

و أعرضت اليمامة و اشمخرت كأسياف بايدى مصلتينا «1»

و قوله «الَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِى» شبه اللَّه أعين الكفار الذين لم ينظروا فى أدلة اللَّه و توحيده و لم يعرفوا اللَّه، بأنها كانت فى غطاء. و معناه كأنها فى غطاء، «وَ كانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً» معناه إنه كان يثقل عليهم الاستماع. و قال البلخى: يجوز أن يكون المراد إنهم لا يسمعون،

كما قال تعالى «هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّکَ أنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً» «2» و انما أراد بذلک هل يفعل أم لا؟ لأنهم كانوا مقرين بأن اللّه قادر، لأنهم كانوا مقرين بعيسى (ع)

أَ فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبادِي مِنْ دُونِي أَوْلِياءَ إِنَّا أَعْتَدْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ نُزُلاً (102) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (104)
و آيتان فى المدنيين.
قرأ الأعشى و يحيى بن يعمر إلا النقار
«أ فحسب» بتسكين السين و ضم الباء، و هى قراءة على (ع)
الباقون بكسر السين و فتح الباء.
يقول اللَّه تعالى لنبيه (ص) «أَ فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بتوحيد اللَّه و جحدوا

---

(1) تفسير الطبرى 16/ 22
(2) سورة 5 (المائدة) آية 115
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 97
ربوبيته «أَنْ يَتَّخِذُوا عِبادِي مِنْ دُونِي أَوْلِياءَ» أى انصاراً يمنعونهم من عقابى لهم على كفرهم، و قد أعددت «جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ نُزُلًا» أى مأوى و منزلا- فى قول الزجاج و غيره- و قال قوم: النزل الطعام جعل اللَّه لهم طعاماً و النزل الربع. و من ضم الباء من «أحسب» معناه حسبهم على اتخاذهم عباد اللَّه من دونه أولياء أن جعل لهم جهنم نزلا و مأوى. و قيل بل هم لهم اعداء يعنى، الذين عبدوا المسيح و الملائكة ثم أمر نبيه (ع) أن يقول «لهم هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ» أى نخبركم بالأخسرين «أعمالا» و هم «الذين يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً» و إن أفعالهم طاعة و قربة و قيل انهم اليهود و النصارى، و قيل الرهبان منهم.
و
روى عن أمير المؤمنين (ع) انه قال: هم أهل حروراء من الخوارج و سأله ابن الكوّا عن ذلك، فقال (ع): انت و أصحابك منهم و هم «الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» أى جاز عنهم و هلك
، و هم مع ذلك «يحسبون» أى يظنون أنهم يفعلون الافعال الجميلة و الحسبان هو الظن و هو ضد العلم.
و فى الآية دلالة على أن المعارف ليست ضرورية، لأنهم لو عرفوا اللَّه تعالى ضرورة لما حسبوا غير ذلك، لأن الضروريات لا يشك فيها.
و قوله «بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا» نصب على التمييز. و من قرأ «أ فحسب» بضم الباء و سكون السين كان عنده «أن يتخذوا» فى موضع رفع، و من جعلها فعلا ماضياً جعل (أن) فى موضع نصب بوقوع حسب عليه.

أُولئِکَ الَّذِينَ کَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَ لِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً (105) ذلِکَ جَزاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِما کَفَرُوا وَ اتَّخَذُوا آياتِی وَ رُسُلِی هُزُواً (106) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ کانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (107)

(ج 7 م 13 من التبيان) التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 98

ثلاث آيات بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى عن الكفار الذين تقدم وصفهم بأنهم الذين جحدوا أدلة ربهم و أنكروا «لقاءه» أى لقاء ثوابه و عقابه فى الآخرة من حيث أنكروا البعث و النشور بأنهم «قد حبطت أعمالهم» لأنهم أوقعوها على غير الوجه الذى أمرهم اللّه به «فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً» وصفهم اللّه بأنهم لا وزن لهم، كما يقال فى التحقير للشىء: هذا لا شىء من حيث أنه لا يعتد به و يقال للجاهل لا وزن له لخفته و سرعة طيشه و قلة تثبته فيما ينبغى أن يتثبت فيه. و قال قوم: معناه لا نقيم لهم وزناً لطاعتهم، لأنهم أحبطوها. و قال البلخى: معناه إن أعمالهم لا يستقيم وزنها لفسادها. ثم قال: و انما كان «ذلک» كذلک، لان جهنم «جزاؤهم بما كفروا» أى جحدوا اللّه و اتخذوا آياته و رسله هزواً أى سخرية، يقال هزئ يهزأ هزواً، فهو هازئ.

ثم أخبر عن حال الذين صدقوا النبى و آمنوا باللّه و عملوا الصالحات إن «لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا» أى مأوى. و الفردوس البستان الذى يجمع الزهر و الثمر و سائر ما يمتع و يلذ، و قال كعب: هو البستان الذى فيه الأعناب. و قال مجاهد:

الفردوس البستان بالرومية. و قال قتادة: هو أطيب موضع فى الجنة.

و

روى انه أعلى الجنة و أحسنها فى خبر مرفوع.

و قال الزجاج: الفردوس البستان الذى يجمع محاسن كل بستان. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 99

و قوله «نزلا» أى مأوى و قيل نزلا أى ذات نزول. و حكى الزجاج أن الفردوس الأودية التى تنبت ضروباً من النبت. و النزل- بضم النون و الزاى- من النزول و النزل بفتحهما الربع.

خالِدِينَ فِيها لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً (108) قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً (109) قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (110)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «قبل أن ينفد» بالياء. الباقون بالتاء. فمن قرأ بالتاء، فلتأنيث الكلمات، و من قرأ بالياء، فلان التأنيث ليس بحقيقى. و قد مضى نظائر ذلک.

اخبر اللّه تعالى عن أحوال المؤمنين الذين وصفهم بالأعمال الصالحة و أن لهم جنات الفردوس جزاء على أعمالهم بأنهم خالدون فى تلک الجنات. و نصب «خالدين» على الحال.

و قوله «لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلًا» أى لا يطلبون عنها التحول و الانتقال الى مكان غيرها. و قال مجاهد: الحول التحول أى لا يبغون متحولا. و قد يكون معناه التحول من حال الى حال، و يقال حال عن مكانه حولا مثل صغر صغر او كبر كبراً.

ثم أمر نبيه (ص) أن يقول لجميع المكلفين: قل لو كان ماء البحر مداداً فى

الكثرة لكتابة كلمات اللّه لنفد ماء البحر و لم تنفد كلمات اللّه بالحكم، و البحر مستقر الماء الكثير الواسع الذى لا يرى جانباه من وسطه و جمعه أبحر و بحار و بحور، و المداد هو الجائى شيئاً بعد شىء على اتصال. و المداد الذى يكتب به. و المداد المصدر، و هو مجىء شىء بعد شىء. و قال مجاهد: هو مداد العلم.

و الكلمة الواحدة من الكلام، و لذلک يقال للقصيدة: كلمة، لأنها قطعة واحدة من الكلام، و الصفة المفردة: كلمة. و (مدداً) نصب على التمييز، و هذا مبالغة لوصف ما يقدر اللّه تعالى عليه من الكلام و الحكم. ثم قال قل لهم «إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» لست بملک.

آكل و اشرب «يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ» أى يوحى الى أن معبودكم الذى يحق له العبادة واحد «فَمَنْ كانَ» منكم «يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ» لقاء ثوابه أو عقابه و يرجو معناه يأمل. و قيل معناه يخالف «فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً» أى طاعة يتقرب بها اليه «وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ» اللّه أحداً غيره: من ملک و لا بشر و لا حجر، و لا مدر و لا شجر، فتعالى اللّه عن ذلک علواً كبيراً. و قال سعيد بن جبير معنى «لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً» أى لا يرائى بعبادة اللّه غيره. و قال الحسن: لا يعبد معه غيره. و قيل إن هذه الآية آخر ما نزل من القرآن.

و قال ابن جريج قال حى بن اخطب: تزعم يا محمد إنا لم نؤت من العلم إلا قليلا، و تقول و من يؤتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً، فكيف يجتمعان، فنزل قوله تعالى «قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى» و نزل «وَ لَوْ أَنَّ ما فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ ...» «1» الآية.

---

(1) سورة 31 (لقمان) آية 27

اشارة

هى مكية فى قول قتادة و مجاهد و هى ثمان و تسعون آية فى المدنى الأول و الكوفى و البصرى و الشامى. و تسع و تسعون فى المكى و المدنى الأخير و فى عدد إسماعيل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّکَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا (3)
ثلاث آيات فى الكوفى خاصة عدوا «كهيعص» آية. و آيتان فى الباقى.
قرأ ابو عمرو «كهيعص» بامالة الهاء و فتح الياء، و قرأ ابن عامر إلا الداجونى عن هشام و حمزة إلا العبسى و خلف فى اختياره بفتح الهاء، و امالة الياء. و قرأ الكسائى و يحيى و العليمى و العبسى بامالة الهاء و الياء. الباقون بفتحهما، و هم أهل الحجاز و الداجونى عن هشام و عاصم إلا يحيى و العليمى و يعقوب و ابو جعفر بقطع الحروف على أصله و يظهر الدال من هجاء (صاد) عند ذلک. و كذلک أهل الحجاز و عاصم التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 102
و يعقوب. قال أبو على امالة هذه الحروف سائغه، لأنها ليست بحروف معنى و انما هى اسماء لهذه الأصوات. و قال سيبويه: قالوا (با، يا) لأنها اسماء ما يتهجأ به، فلما كانت اسماء غير حروف جازت فيها الامالة كما جازت فى الأسماء، و يدلک على انها اسماء انک إذا أخبرت عنها أعربتها [و إن كنت لا تعربها اسماء قبل ذلک] «1» فكما أن اسماء العدد قبل أن تعربها اسماء كذلک هذه الحروف. و إذا كانت اسماء ساغت فيها الامالة. فاما من لم يمل فعلى مذهب أهل الحجاز، و كلهم أخفى (نون، عين) إلا حفصاً عن عاصم فانه بينها. و قال ابو عثمان بيان النون مع حروف الفم لحن إلا أن هذه الحروف تجرى على الوقف عليها، و القطع لها مما بعدها، فحكمها البيان، و إن لا تخفى، فقول عاصم هو القياس فيها، و كذلک اسماء العدد حكمها على الوقف، و على انها منفصلة عما بعدها. و قال ابو الحسن تبيين النون أجود فى العربية، لأن حروف العدد و الهجاء منفصل بعضها عن بعض. و روى عن أبى عمرو و اليزيدى- فى رواية أبى عمرو- عنه كسر الهاء و الياء. و قال قلت له لم كسرت الهاء؟ قال: لئلا تلتبس بهاء التنبيه، فقلت لم كسرت الياء؟. قال: لئلا تلتبس ب (يا) التى للنداء إذا قلت: ها زيد و يا رجل. و من أدغم الدال فى الذال، فلقرب مخرجهما، و من اظهر، فلأنهما ليسا من جنس واحد، و ليسا أختين.
و قرأ الحسن بضم الهاء، حكى سيبويه أن فى العرب من يقول فى الصلاة بما ينحو نحو الصلوة الضم، و حكى (هايا) بإشمام الضم. قال الزجاج من حكى ضم الياء، فهو شاذ لأنه اجتمعت الرواة على ان الحسن ضم الهاء لا غير و قد بينا فى أول سورة البقرة أخلاف العلماء فى أوائل أمثال هذه السور و شرحنا أقوالهم، و بينا أن أقوى ما قيل فيه انها اسماء السور، و هو قول الحسن و جماعة، و قيل

ان كل حرف منها حرف من اسم من

---

(1) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

اسماء اللّه تعالى، فالكاف من كبير، و الهاء من هاد، و العين من عالم، و الصاد من صادق، و الياء من حكيم. و روى ذلک عن على (ع) و ابن عباس و غيرهما. و روى عن على (ع) انه دعا فقال اللهم سألتک يا كهيعص.

و قوله «ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّکَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا» رفع (ذكر) على أنه خبر للابتداء و تقديره هذا او فيما يتلى عليكم «ذكر رحمة» أى نعمة ربک «عبده» منصوب ب (رحمة). و قال الفراء الذكر مرفوع ب (كهيعص) و المعنى ذكر ربک عبده برحمته، فهو تقديم و تأخير، و نصب «زكريا» لأنه بدل من (عبده).

«إِذْ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا» أى حين دعا ربه دعاء خفياً أى سراً غير جهر، لا يريد به رياء، ذكره ابن جريج. و اصل النداء مقصور من ندى الصوت بندى الحلق

قالَ رَبِّ إِنِّی وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّی وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَیْباً وَ لَمْ أَکُنْ بِدُعائِکَ رَبِّ شَقِیًّا (4) وَ إِنِّی خِفْتُ الْمَوالِیَ مِنْ وَرائِی وَ کانَتِ امْرَأَتِی عاقِراً فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا (5) یَرِثُنِی وَ یَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِیًّا (6)
ثلاث آیات بلا خلاف قرأ ابو عمرو و الکسائی «یرثنی» جزماً علی أنه جواب الأمر. الباقون بالرفع علی أنه صفة ل (ولیاً). فمن رفع قال «ولیاً» نکرة فجعل «یرثنی» صلة له، کما تقول أعرنی دلیة ارکبها، و لو کان الاسم معرفة، لکان الاختیار الجزم، کقوله «فَذَرُوها تَأْکُلْ فِی أَرْضِ اللَّهِ» «1» و النکرة کقوله

---

(1) سورة 7 (الاعراف) آیة 72 و سورة 1 (هود) آیة 64

«خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ» «1» و قال مجاهد: من جزم جاز أن یقف علی «ولیاً». و من رفع لم یجز لأنه صلة، و لان المفسرین قالوا: تقدیره «هب لی» الذی «یرثنی» أی وارثاً فکل ذلک یقویّ الرفع.
حکی اللَّه تعالی ما نادی به زکریا و دعی ربه به، و هو أن قال «رب» أی یا رب و أصله ربی، و انما حذف الیاء تخفیفاً و بقیت الکسرة تدل علیها «إِنِّی وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّی» أی ضعف، و الوهن الضعف، و هو نقصان القوة، و یقال: وهن الرجل یهن وهناً إذا ضعف، و منه قوله (لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ) «2» و إنما أضاف الوهن الی العظم، لأن العظم مع صلابته إذا کبر ضعف، و تناقص، فکیف باللحم و العصب. و قیل شکا البطش و هو قلة العطس و هو لا یکون إلا بالعظم. و قوله (وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَیْباً) معناه انتشر الشیب فی الرأس، کما ینتشر شعاع النار، و هو من أحسن الاستعارات. و الاشتعال انتشار شعاع النار، و الشیب مخالطة الشعر الأبیض للأسود فی الرأس و غیره من البدن، و هو مثل الشائب الذی یخالط الشیء من غیره (وَ لَمْ أَکُنْ بِدُعائِکَ رَبِّ شَقِیًّا) تمام حکایة ما دعا به زکریا، و انه قال لم أکن یا رب بدعائی إیاک شقیاً أی کنت أدعوک وحدک و اعترف بتوحیدک. و قیل معناه انی إذا دعوتک اجبتنی، و الدعاء طلب الفعل من المدعو، و فی مقابلته الاجابة، کما أن فی مقابلة الأمر الطاعة. و یحتمل نصب «شیباً» أمرین:
أحدهما- ان یکون نصباً علی الصدر کأنه قال شاب شیباً.
و الثانی- التمییز کقولهم تصببت عرقاً و امتلأت ماء و قوله «وَ إِنِّی خِفْتُ الْمَوالِیَ مِنْ وَرائِی» قال مجاهد و أبو صالح، و السدی: الموالی هاهنا العصبة. و قیل خفت الموالی بنی عمی علی الدین، لأنهم کانوا شرار بنی

إسرائيل، و انما قيل لبنى العم

---

(1) سورة 9 (التوبة) آية 104
(2) سورة 3 (آل عمران) آية 39
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 105
موالى لأنهم الذين يلونه فى النسب بعد الصلب. و قيل معنى الموالى الأولياء ان يرثوا علمى دون من كان من نسلى و انشدوا فى أن الموالى بنو العم قول الشاعر:
مهلا بنى عمنا مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا «1»
و المولى المِعتق، و المَعتق، و المولى الناصر، و المولى الولى و المولى الاولى.
و روى عن عثمان أنه قرأ «وَ إِنِّى خِفْتُ الْمَوالِىَ» بفتح الخاء و تشديد الفاء.
و قوله «وَ كانَتِ امْرَأَتِى عاقِراً» يعنى لا تلد، و يقال للمرأة التى لا تلد: عاقر و الرجل الذى لا يولد له: عاقر قال الشاعر:
لبئس الفتى إن كنت اسود عاقراً جباناً فما عذرى لدى كل محضر «2»
و العقر فى البدن الجرح و منه أخذ العاقر، لأنه نقص أصل الخلقة إما بالجراحة، و إما بامتناع الولادة، و منه العقار، لان فساده نقص لأصل المال.
و قوله «يَرِثُنِى وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» و الميراث تركة الميت ما كان يملكه لمن بعده من مستحقيه بحكم اللّه فيه، يقال: ورث يرث ارثاً و ميراثاً و توارثوا توارثاً و ورثه توريثاً، و أورثه علماً و مالا. و (الآل) خاصة الرجل الذين يؤل أمرهم اليه.
و قد يرجع اليه أمرهم بالقرابة تارة و بالصحبة أخرى، و بالدين و الموافقة، و منه قيل (آل النبى) (ص).
و قوله «يَرِثُنِى وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» قال أبو صالح: معناه يرثنى مالى، و يرث من آل يعقوب النبوة. و قال الحسن يرثنى العلم و النبوة، و قال مجاهد يرث علمه. و قال

---

(1) قد مر تخريجه انظر 3/ 187 من هذا الكتاب. و البيت فى تفسير الشوكانى 3/ 311
(2) قائله عامر بن الطفيل ديوانه 64 و تفسير الشوكانى 3/ 311 و القرطبى 11/ 78 و تفسير الطبرى 16/ 32 و غيرها.
(ج 7 م 14 من التبيان)
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 106
السدى: يرث نبوته و نبوة آل يعقوب، و كان آل يعقوب أخواله، و هو يعقوب ابن ماتان، و كان قيم الملك منهم، و كان زكريا من ولد هارون بن عمران أخى موسى ابن عمران. قال مقاتل: يعقوب بن ماثان أخو عمران أبى

مريم، و هما ابنا ماثان.
و قوله «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» و الجعل على اربعة اقسام:
أحدها- بمعنى الأحداث كقولهم جعل البناء أى أحدثه.
و الثانى- احداث ما يتغير به كقولهم: جعل الطين خزفاً أى أحدث ما به يتغير
الثالث- ان يحدث فيه حكما كقولهم: جعل فلان فلاناً فاسقاً أى بما أحدث فيه من حكمه و تسميته.
الرابع- أن يحدث ما يدعوه الى ان يفعل كقولهم: جعله يقتل زيداً اى بما أمره به و دعاه الى قتله.
و معنى «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» أى اجعل ذلک الولى الذى يرثنى مرضياً عندک ممتثلا لأمرک عاملا بطاعتک.
و فى الآية دلالة على ان الأنبياء يورثون المال بخلاف ما يقول من خالفنا انهم لا يورثون، لأن زكريا صرح بدعائه و طلب من يرثه و يحجب بنى عمه و عصبته من الولد.
و حقيقة الميراث انتقال ملک المورث الى ورثته بعد موته بحكم اللَّه. و حمل ذلک على العلم و النبوة على خلاف الظاهر، لان النبوة و العلم لا يورثان، لأن النبوة تابعة للمصلحة لا مدخل للنسب فيها، و العلم موقوف على من يتعرض له و يتعلمه، على أن زكريا إنما سأل ولياً من ولده يحجب مواليه من بنى عمه و عصبته من الميراث و ذلک لا يليق إلا بالمال، لان النبوة و العلم لا يحجب الولد عنهما بحال، على أن اشتراطه ان يجعله (رضيا) لا يليق بالنبوة، لان النبى لا يكون إلا رضياً معصوما، فلا معنى لمسألته ذلک، و ليس كذلک المال، لأنه يرثه الرضى و غير الرضى. و استدل المخالف بهذه التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 107
الآية على أن البنت لا تحوز المال دون بنى العم و العصبة، لان زكريا طلب ولياً يمنع مواليه، و لم يطلب ولية. و هذا ليس بشىء، لان زكريا إنما طلب ولياً، لان من طباع البشر الرغبة فى الذكور دون الإناث من الأولاد، فلذلک طلب الذكر، على أنه قيل ان لفظ الولى يقع على الذكر و الأنثى، فلا نسلم أنه طلب الذكر بل يقتضى الظاهر أنه طلب ولداً سواء كان ذكراً او أنثى.
و الوراء الخلف و الوراء القدام ممدود و كذلک الوراء ولد الولد ممدود.
و الورى مقصوراً: داء فى الجوف. و الورى ايضاً الخلق مقصور، و كلهم قرأ «ورائى» ممدوداً ساكن الياء إلا ما رواه ابن مجاهد عن قنبل بفتح الياء مع المدّ. و روى عن شبل عن ابن كثير (ورای) مقصوراً مثل هداى بغير همز، و فتح الياء.
قال أبو على لا أعلم أحداً من اهل اللغة حكى القصر فى هذه اللفظة، و لعلها لغة جاءت، و قد جاء فى الشعر قصر الممدود، و قياسه رد الشىء الى أصله، و اللام فى هذه الكلمة همزة، و ليس من باب الورى. و قال ابو عبيدة و غيره «مِنْ وَرائِى» يعنى من قدامى، و مثله «وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ»

«1» أی بین أیدیهم. و حکی عن الثوری وراء الرجل خلفه و قدامه. و قوله «وَ مِنْ وَرائِهِ عَذابٌ» «2» ای قدامه.
و قوله «وَ إِنِّی خِفْتُ الْمَوالِیَ» فإن الخوف لا یکون من الأعیان و إنما یکون من معان فیها، فقولهم خفت اللّه ای خفت عقابه، و خفت الموالی خفت تضییعهم مالی و إنفاقه فی معصیة اللّه.

يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُکَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7) قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلامٌ وَ كانَتِ امْرَأَتِى عاقِراً وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) قالَ كَذلِکَ قالَ رَبُّکَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَ قَدْ خَلَقْتُکَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَکُ شَيْئاً (9) قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِى آيَةً قالَ آيَتُکَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا (10)

---

(1) سورة 18 (الكهف) آية 80
(2) سورة 14 (ابراهيم) آية 17

أربع آيات بلا خلاف.
قرأ حمزة «نبشرک» و فى آخرها «1» (لتبشر به) بالتخفيف فيهما الباقون بالتثقيل. و قرأ حمزة و الكسائى (عتيا، و صليا، و بكيا، و جثيا) بكسر أوائلهن وافقهما حفص إلا فى بكيا الباقون بضم اوائلهن. من كسر أوائل هذه الحروف فلمجاورة الياء. و الأصل الضم، لأنه جمع فاعل مثل جالس و جلوس، و كذلک صال و صلى، و الأصل صلوى و يكون على وزن فعول، فانقلبت الواو ياء و أدغمت الياء فى الياء. و الأصل فى «عتيا» عتوا، لأنه من عتا يعتو «و بكيا» من بكى يبكى، كما قال تعالى «وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً» «2» و انما قيل «عتيا» هاهنا بالياء، لأنه جمع عات، و أصله عاتو فانقلبت الواو ياء، لانكسار ما قبلها فبنوا الجمع على الواحد فى قلب الواو (ياء) لان الجمع أثقل من الواحد. و قوله «وَ عَتَوْا عُتُوًّا» مصدر، و المصدر يجرى مجرى الواحد حكماً: و إن كان فى اللفظ مشاركاً للجمع، لأنک تقول: قعد يقعد قعوداً، و قوم قعود. و فى حرف أبى «و قد بلغت من الكبر عسيا» يقال للشيخ إذا كبر عسى يعسو، و عتا يعتو إذا يبس.
و قرأ حمزة و الكسائى «و قد خلقناک» على الجمع. الباقون- بالتاء- على التوحيد

---

(1) آخر هذه السورة آية 98
(2) سورة 25 (الفرقان) آية 21 [.....]

فمن قرأ بالنون فلقوله «وَ حَناناً مِنْ لَدُنَّا» و من قرأ بالتاء فلقوله «هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ» و لم يقل علينا، و هما سواء فى المعنى.
هذا حكاية ما قال اللّه تعالى لزكريا حين دعاه، فقال له «يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُکَ» و البشارة الاخبار بما يظهر سروره فى بشرة الوجه، يقال: بشره بشارة، و تبشيراً و أبشر بالأمر ابشاراً إذا استبشر به.

و قوله «بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى» فالغلام اسم للذكر أول ما يبلغ، و قيل: إنه منه اشتق اغتلم الرجل إذا اشتدت شهوته للجماع. و قيل انما سمى يحيى، لان اللَّه تعالى أحياه بالايمان- فى قول قتادة- و قوله (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) قال ابن عباس: معناه لم تلد مثله العواقر ولداً. و قال مجاهد: لم نجعل له من قبل مثلا. و قال ابن جريج و قتادة و عبد الرحمن بن زيد بن اسلم، و السدى: معناه لم يسم أحداً باسمه. و قيل انه لم يسم احداً من الأنبياء باسمه قبله، فقال زكريا عند ذلک (أَنَّى يَكُونُ لِى غُلامٌ) أى كيف يكون لى غلام (وَ امْرَأَتِى عاقِرٌ) لا يلد مثلها «وَ قَدْ بَلَغْتُ» أنا ايضاً «من» السن و «الْكِبَرِ عِتِيًّا» فالعتى و العسى واحد، يقال عتا عتوا و عتياً، و عسى يعسو عسياً و عسواً فهو عات و عاس بمعنى واحد، و العاسى هو الذى غَيره طول الزمان إلى حال اليبس و الجفاف. و قال قتادة: كان له بضع و سبعون سنة، فقال اللَّه تعالى له «كذلک» هو ان الامر على ما أخبرتک «قالَ رَبُّکَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ» أى ليس يشق على خلق الولد من بين شيخ و عاقر لانى قادر على كل شىء و كيف يعسر على ذلک «وَ قَدْ خَلَقْتُکَ» يا زكريا «من قبل» ذلک «وَ لَمْ تَکُ شَيْئاً» اى لم تكن موجوداً و من نفى ان يكون المعدوم شيئاً استدل بذلک، فقال لو كان المعدوم شيئاً لما نفى ان يكون شيئاً قبل ذلک و حمل قوله «إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ» «1» على المجاز، و المعنى انها إذا وجدت كانت

---

(1) سورة 22 (الحج) آية 1

شيئاً عظيما، و من قال: المعدوم شىء قال: أراد و لم يكن شيئاً موجوداً. و لم يكن قول زكريا «أَنَّى يَكُونُ لِى وَلَدٌ» على وجه الإنكار بل كان ذلک على وجه التعجب من عظم قدرة اللَّه. و قيل: انه قال ذلک مستخبراً، و تقديره أ بتلک الحال أو بقلبه الى حال الشباب، ذكره الحسن، فقال زكريا عند ذلک يا «رَبِّ اجْعَلْ لِى آيَةً» أى دلالة و علامة استدل بها على وقت كونه، فقال اللَّه تعالى له «آيَتُکَ» أى علامتک على ذلک «أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا» فقال ابن عباس اعتقل لسانه من غير مرض ثلاثة ايام. و قال قتادة و السدى و ابن زيد اعتقل لسانه من غير خرس. و فى زكريا ثلاث لغات (زكرياء) ممدود (و زكريا) مقصور و (زكرى) مشدد. [و قرئ بالمقصور و المدور دون اللغة الثالثة] «1».

فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا (11) يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) وَ حَناناً مِنْ لَدُنَّا وَ زَكاةً وَ كانَ تَقِيًّا (13) وَ بَرًّا بِوالِدَيْهِ وَ لَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيًّا (14) وَ سَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (15)

خمس آيات بلا خلاف.

حكى اللّه تعالى ان زكريا «فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ» و هو الموضع الذى يتوجه اليه للصلاة. و قال ابن زيد محرابه مصلاه. و الأصل فيه مجلس الاشراف الذى

---

(1) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

يحارب دونه ذباً عن أهله «فَأَوْحى إِلَيْهِمْ» قيل: معناه أشار اليهم و أومأ بيده يقال:

أوحى يوحى ايحاء و وحى يحى وحيا مثل أومى يومى إيماء، و ومى يمى ومياً. و الإيحاء إلقاء المعنى الى النفس فى خفى بسرعة من الأمر. و أصله السرعة من قولهم: الوحى الوحا أى الإسراع. و قيل: كتب لهم على الأرض، و الوحى الكتابة.

و قوله «أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا» أى اوحى اليهم بأن سبحوا، و معناه صلوا بكرة و عشيا- فى قول الحسن و قتادة- و قيل للصلاة تسبيح، لما فيها من الدعاء و التسبيح، و يقال: فرغت من سبحتى أى صلاتى.

و قوله «يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ» يعنى التوراة التى أنزلتها على موسى «بِقُوَّةٍ» أى بجدّ «وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» معناه أعطيناه الفهم لكتاب اللّه حتى حصل له عظيم الفائدة. و روى عن معمر: أن الصبيان، قالوا ليحيى أذهب بنا نلعب، فقال ما للعب خلقت، فانزل اللّه «وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا».

و قوله «وَ حَناناً مِنْ لَدُنَّا» معناه و آتيناه رحمة من عندنا- فى قول ابن عباس و قتادة و الحسن- و قال الفراء: فعلنا ذلك رحمة لأبويه «وَ زَكاةً» أى و صلاحاً.

و قال الضحاك رحمة منا لا يملك إعطاءها احد غيرنا. و قال مجاهد: معناه تعطفاً.

و قال عكرمة: معناه محبة. و اصل الحنان الرحمة، يقال: حنانك و حنانيك قال امرؤ القيس:

و يمنعها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان «1»

و قال الآخر:

فقالت حنان ما أتى بک هاهنا أ ذو نسب ام انت بالحی عارف «2»
أی أمرنا حنان، و تحنن علینا تحنناً أی تعطف قال الشاعر:

---

(1) دیوانه 216
(2) تفسیر القرطبی 11/ 87 و الطبری 16/ 32

تحنن علیّ هداک المليک فان لکل مقام مقالا «1»
و حننت علیه أحن حنینا، و حناناً، و حنت علی الرجل امرأته. و قال ابو عبیدة معمر ابن المثنی أکثر ما یستعمل بلفظة التثنیة، قال طرفة:
أبا منذر أفنیت فاستبق بعضنا حنانیک بعض الشر أهون من بعض «2»
و قوله «و زکاة» أی و عملا صالحاً زکیاً- فی قول قتادة و الضحاک و ابن جریج- و قال الحسن معناه: و زکاة لمن قبل عنه حتی یکونوا أزکیاء. و قال الجبائی:
معناه آتیناه تحننا علی العباد و رقة قلب علیهم لیحرص علی دعائهم الی طاعة ربهم «و زکاة» ای إنا زکیناه بحسن الثناء علیه، کما یزکی الشهود الإنسان (وَ کانَ تَقِیًّا) أی یتقی معاصی اللَّه و ترک طاعته (وَ بَرًّا بِوالِدَیْهِ) ای کان باراً محسناً الی والدیه، (وَ لَمْ یَکُنْ جَبَّاراً)
متکبراً (عصیاً) فعیل بمعنی فاعل، ثم قال تعالی «وَ سَلامٌ عَلَیْهِ یَوْمَ وُلِدَ وَ یَوْمَ یَمُوتُ وَ یَوْمَ یُبْعَثُ حَیًّا)
فی یوم القیامة، و معناه ان رحمة اللَّه و سلامه اللذین هما تفضل من اللَّه، هما علی یحیی یوم ولد، و إن رحمة اللَّه و سلامه اللذین هما جزاء لأعماله الصالحة، هما علیه یوم یموت و یوم یبعث حیا، فی الآخرة. قال قوم معناه: أمان اللَّه له و سلامه یوم ولد من عبث الشیطان له و اغوائه إیاه، و یوم یموت من عذاب القبر و هول المطلع، و یوم یبعث حیا من عذاب النار و اهوال المحشر

وَ اذْكُرْ فِی الْكِتابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا (17) قالَتْ إِنِّی أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا (19) قالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِی غُلامٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِی بَشَرٌ وَ لَمْ أَكُ بَغِيًّا (20)

---

(1) قائله الحطيئة تفسير الشوكانى 3/ 311 و تفسير الطبرى 16/ 38 و القرطبى 11/ 87

(2) ديوانه (دار بيروت) 66 و تفسير الطبرى 16/ 38 و القرطبى 11/ 87.

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 113

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو و نافع فى رواية ورش و قالون عنه (ليهب لک) بالياء (ربک غلاماً) الباقون (لأهب) بالهمزة على الحكاية، و تقديره قال ربک لأهب لک.

و قال الحسن: معناه لأهب لک بإذن اللّه (غُلاماً زَكِيًّا)

اى صار بالبشارة كأنه وهب لها. و ضعف ابو عبيدة قراءة أبى عمرو، لأنها خلاف المصحف. قال ابن خالويه:

حجة أبى عمرو أن حروف المد و اللين و ذوات الهمز يحول بعضها الى بعض، كما قرئ (ليلا) بالياء- و الأصل الهمزة: (لئلا) قال ابو علىّ النحوى: من قرأ- بالياء- يجوز أن يكون أراد الهمزة، و انما قلبها ياء على مذهب أبى الحسن أو جعلها بين بين فى قول الخليل. و فى قراءة أبى و ابن مسعود (ليهب) بالياء، و هو الأجود، و معنى «زَكِيًّا»

ناميا على الخير و البركة يقول اللّه تعالى لنبيه محمد (ص) «اذْكُرْ فِی الْكِتابِ مَرْيَمَ»

و الذكر إدراک النفس المعنى بحضوره فى القلب، و الاذكار إحضار النفس للمعنى، و قد يكون الذكر قولا يحضر المعنى للنفس، و المراد بالكتاب- هاهنا- القرآن و إنما سمى كتابا، لأنه مما يكتب.

(ج 7 م 15 من التبيان) التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 114

و قوله «إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها»

فالانتباذ اتخاذ الشىء بإلقاء غيره عنه، و الأصل الإلقاء من قولهم: نبذه وراء ظهره أى ألقاه، و فى هذا الطعام نبذ من شعير اى مقدار كف منه، و النبذ الطرح. و قال قتادة: معنى انتبذت انفردت. و قيل: معناه اتخذت مكانا تنفرد فيه بالعبادة. و قيل معناه تباعدت. و قوله «مَكاناً شَرْقِيًّا»

يعنى الموضع الذى فى جهة الشرق، قال جرير:

هبت جنوبا فذكرى ما ذكرت لكم عند الصفاة التى شرقىّ حورانا «1»

و قال السدى: معنى «فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً»
أى حجاباً من الجدران.
قال ابن عباس: انما جعلت النصارى قبلتهم الى المشرق، لان مريم اتخذت من جهة المشرق موضع صلاتها. و قال ابن عباس: معنى «مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً»
أى من الشمس جعله اللَّه لها ساتراً.
و قوله «فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا»
قال الحسن و قتادة و الضحاك و السدى، و ابن جريج، و وهب بن منية: يعنى جبرائيل (ع) و سماه اللَّه (روحاً) لأنه روحانى لا يشبه شيئاً من غير الروح. و خص بهذه الصفة تشريفاً له. و قيل لأنه تحيا به الأرواح بما يؤديه اليهم من أمر الأديان و الشرائع.
و قوله «فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا»
أى تمثل لها جبرائيل فى صورة البشر «سوياً» أى معتدلا، فلما رأته مريم «قالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْکَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا»
تخاف عقوبة اللَّه.
فان قيل كيف تعوذت منه إن كان تقياً؟ و التقى لا يحتاج أن تتعوذ منه، و انما يتعوذ من غير التقى!! قيل المعنى فى ذلک إن التقى للرحمن إذا تعوذ بالرحمن منه ارتدع عما يسخط

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 493 و روايته (ذكرتكم) بدل (ذكرت لكم)

اللَّه، ففى ذلک تخويف و ترهيب، كما يقول القائل: إن كنت مؤمناً، فلا تظلمنى، و تكون هى غير عالمة بأنه تقى أم لا، فلما سمع جبرائيل منها هذا القول، قال لها:
«إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّکِ»
ارسلنى اللَّه لا بشرک بأنه يهب «لَکِ غُلاماً»
ذكراً «زَكِيًّا»
طاهراً من الذنوب. و قيل: نامياً فى أفعال الخير. فقالت مريم عند ذلک متعجبة من هذا القول: «أَنَّى يَكُونُ لِى غُلامٌ» أى كيف يكون ذلک «وَ لَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ» بالجماع على وجه الزوجية «وَ لَمْ أَكُ بَغِيًّا» أى لم أكن زانية- فى قول السدى و غيره-، و (البغى) التى تطلب الزنا، لأن معنى تبغيه تطلبه، و «لم أک» أصلها لم أكن لأنه من (كان، يكون) و إنما حذفت النون، لاستخفافها على ألسنتهم، و لكثرة استعمالهم لها، كما حذفوا الالف فى (لم أبل) و أصله (لم أبالى) لأنه من المبالاة و كقولهم: (لا أدر) و قولهم: (أيش) و أصله أى شىء، و مثله: لا أب لشانئک و أصله لا أبا لشانئک، و مثله كثير.

قالَ كَذلِكِ قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَ رَحْمَةً مِنَّا وَ كانَ أَمْراً مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيًّا (22) فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ قالَتْ يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا (23) فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا (25)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و حفص عن عاصم «نسياً» بفتح النون. الباقون بكسرها، و هما

لغتان. و قرأ نافع و حمزة و الكسائى و حفص «من تحتها» على أن (من) حرف جر.

الباقون «من تحتها» يعنى الذى تحتها قال ابو علىّ النحوى: ليس المراد بقوله «من تحتها» الجهة السفلى، و انما المراد من دونها، بدلالة قوله «قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا» و لم يكن النهر محاذياً لهذه الجهة. و إنما المعنى جعل دونك.

و قرأ «تساقط»- بالتاء و ضمها، و كسر القاف مخففة السين- حفص عن عاصم.

و قرأ حمزة «تساقط» بفتح التاء و تخفيف السين. الباقون، و هم ابن كثير و نافع و ابو عمرو، و ابن عامر و الكسائى و ابو بكر عن عاصم، بفتح التاء و تشديد السين و فتح القاف. و قرأ يعقوب و العليمى و نصير- بياء مفتوحة، و تشديد السين و فتح القاف- و كلهم جزم الطاء.

حكى اللّه تعالى ما قال لها جبرائيل حين سمع تعجبها من هذه البشارة «قالَ كَذلِكِ» يعنى اللّه تعالى قال ذلك «قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ» أى سهل متأت لا يشق على ذلك «وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ» أى نجعل خلقه من غير ذكر آية باهرة، و علامة ظاهرة للناس «وَ رَحْمَةً مِنَّا» أى و نجعله نعمة من عندنا «وَ كانَ أَمْراً مَقْضِيًّا» أى و كان خلق عيسى من غير ذكر أمراً قضاه اللّه و قدره و حتم كونه أى هو المحكوم بأنه يكون، و ما قضاه اللّه بأنه كائن، فلا بد من كونه.

و قوله (فحملته) يعنى حملت عيسى فى بطنها، و الحمل رفع الشىء من مكانه، و قد يكون رفع الإنسان فى مجلسه، فيخرج عن حد الحمل. و يقال له (حمل) بكسر الحاء لما يكون على الظهر، و بالفتح لما يكون فى البطن (فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيًّا) أى انفردت به مكاناً بعيداً، و معناه قاصياً، و هو خلاف الدانى. قال الراجز:

لتقعدن مقعد القصى منى كذى القاذورة المقلى «1»

(1) تفسير الطبرى 16/ 42
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 117
يقال قصا المكان يقصوه قصواً إذا تباعد، و اقصيت الشىء إذا أبعدته، و أخرته إقصاء. و قوله «فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ» أى جاء بها المخاض و هو مما يعدى تارة بالباء و أخرى بالألف. مثل ذهبت به و أذهبته و آتيتک بعمرو و آتيتک عمراً. و خرجت به و أخرجته قال زهير:
و جار سار معتمداً إليكم أجاءته المخافة و الرجاء «1»
أى جاءت به. قال الكسائى تميم تقول: ما أجاءک الى هذا و ما أشاء بک اليه.
أى صيرک تشاء. و من أمثالهم (شر أجاءک الى مخة عرقوب) و تميم تقول: شر أشاءک الى مخة عرقوب. و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و السدى: معنى «فَأَجاءَهَا» الجأها. و قال السدى: إنها قالت فى حال الطلق «يا لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هذا» استحياء من الناس «وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا» فالنسى الشىء المتروک حتى ينسى- بالفتح و الكسر- مثل الوتر و الوتر. و قيل النسى- بالفتح- المصدر، يقال: نسيت الشىء نسياً و نسياناً- و بالكسر- الاسم إذا كان لقى لا يؤبه به، و قيل النسى خرقة الحيض التى تلقيها المرأة، قال الشاعر:
كأن لها فى الأرض نسياً تقصه إذا ما غدت و إن تكالمک تبلت «2»
أى نسياً تركته، و معنى (تبلت) أى تقطع كلامها رويداً رويداً و تقف و تصدق.
و قوله «فَناداها مِنْ تَحْتِها» قال ابن عباس و السدى و الضحاک و قتادة: المنادى كان جبرائيل (ع). و قال مجاهد و الحسن و وهب بن منية، و سعيد بن جبير و ابن زيد و الجبائى: كان المنادى لها عيسى (ع).

(1) ديوانه (دار بيروت) 13 و تفسير الشوكانى 3/ 317 و الطبرى 16/ 42 و القرطبى 11/ 72
(2) الطبرى 16/ 44 و مجمع البيان 3/ 509
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 118
و قوله «أَلَّا تَحْزَنِى» أى لا تغتمى «قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا» قال ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبير: السرى هو النهر الصغير. و قال قوم: هو النهر بالسريانية. و قال آخرون: هو بالنبطية. و قال ابراهيم و الضحاک و قتادة: هو النهر الصغير بالعربية، مثل قول ابن عباس، و قال البراء بن عازب: هو الجدول. و قال الحسن و ابن زيد: السرى عيسى (ع). و قيل للنهر (سرى) لأنه يسرى بجريانه كما قيل جدول لشدة جريه. قال لبيد:
فتوسطا عرض السرىّ فصدعا مسجورة متجاوز أقدامها «1»

و قال آخر:
سلم ترى الدالى منه ازورا إذا يعج فى السرىّ هرهرا «2»
و قوله «وَ هُزِّی إِلَیْکِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ» معناه هزى النخلة اليک، و دخلت الباء تأكيداً، كما قال تعالى «تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ» «3». قال الشاعر:
نضرب بالبيض و نرجو بالفرج «4»
أى نرجو الفرج، و قال آخر:
بواديمان ينبت السدر صدره و أسفله بالمرخ و الشبهان «5»
و فى رواية ينبت الشث حوله. و قوله (تساقط عليک) من شدد، أراد تتساقط فأدغم احد التاءين فى السين، و من خفف حذف احد التاءين. و من قرأ- بالياء-

_____
(1) تفسير الطبرى 16/ 47 و القرطبى 11/ 94
(2) تفسير القرطبى 11/ 94 و روايته (يعب) بدل (يعج)
(3) سورة 23 المؤمنون آية 20
(4) قائله النابغة الجعدى تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: 193 [.....]
(5) تفسير الطبرى 16/ 48

أسند الفعل الى الجذع. و من قرأ- بالتاء- أسنده الى النخلة. و من قرأ تساقط أراد من المساقطة. و قرأ ابو حيويه (تسقط عليک). و روى عنه (يسقط) و هو شاذ و المعانى متقاربة. و قال ابو على: من قرأ (تساقط) عدى (فاعل) كما عدى (يتفاعل) و هو مطاوع (فاعل) قال الشاعر:
تطالعنا خيالات لسلمى كما يتطالع الدين الغريم «1»
و انشد ابو عبيدة:
تخاطأت النبل أحشاءه و أخر يومى فلم أعجل «2»
قال فى موضع (اخطأت) كقوله (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَیْءٍ مِنْهُ نَفْساً) «3» و معنى الآية يتواقع عليک رطباً جنياً. و الجنى المجنى (فعيل) بمعنى (مفعول) و هو المأخوذ من الثمرة الطرية، اجتناه اجتناء، إذا اقتطعه، قال ابن اخت جذيمة:
هذا جناى و خياره فيه إذ كل جان يده الى فيه «4»
و فى نصب (رطباً) قولان:
أحدهما- قال المبرد: هو مفعول به، و تقديره هزى بجذع النخلة رطباً تساقط عليک.
و قال غيره: هو نصب على التمييز و العامل فيه تساقط.
و قال ابو على: يجوز أن يكون نصباً على الحال، و تقديره تساقط عليک ثمر النخلة رطبا، فحذف المضاف الذى هو الثمرة، و نصب رطباً على الحال.
و قيل: لم يكن للنخلة رأس و كان فى الشتاء، فجعله اللّه تعالى آية، و انما

تمنت الموت قبل تلک الحال التی قد علمت انها من قضاء اللّه لکراهتها أن یعصی اللّه بسببها

---

(1) البیت فی مجمع البیان 3/ 507
(2) مر تخریجه فی 6/ 472 من هذا الکتاب
(3) سورة 4 النساء آیة 3
(4) تفسیر الطبری 16/ 49
التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 120
إذا کان الناس یتسرعون الی القول فیها بما یسخط اللَّه. و قال قوم: انها قالت ذلک بطبع البشریة خوف الفضیحة. و قال قوم: المعنی فی ذلک انی لو خیرت قبل ذلک بین الفضیحة بالحمل و الموت لاخترت الموت.
و اختلفوا فی مدة حمل عیسی، فقال قوم: کان حمله ساعة و وضعت فی الحال.
و قال آخرون: حملت به ثمانیة أشهر و لم یعش مولود لثمانیة أشهر غیره (ع)، فکان ذلک آیة له. و فی بعض الروایات أنه ولد لستة أشهر. و قوله «فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ» یدل علی طول مکث الحمل، فاما مقداره فلا دلیل یقطع به.

فَكُلِی وَ اشْرَبِی وَ قَرِّی عَیْناً فَإِمَّا تَرَیِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِی إِنِّی نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُکَلِّمَ الْیَوْمَ إِنْسِیًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا یا مَرْیَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَیْئاً فَرِیًّا (27) یا أُخْتَ هارُونَ ما کانَ أَبُوکِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما کانَتْ أُمُّکِ بَغِیًّا (28) فَأَشارَتْ إِلَیْهِ قالُوا کَیْفَ نُکَلِّمُ مَنْ کانَ فِی الْمَهْدِ صَبِیًّا (29) قالَ إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتانِیَ الْکِتابَ وَ جَعَلَنِی نَبِیًّا (30)

خمس آیات بلا خلاف.

لما قال جبرائیل لمریم «هُزِّی إِلَیْکِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَیْکِ رُطَباً جَنِیًّا» قال لها بعد ذلک «فَکُلِی» من ذلک الرطب «وَ اشْرَبِی» من السری «وَ قَرِّی

عَیْناً»

و نصبه علی التمییز کقوله «فَإِنْ طِبْنَ لَکُمْ عَنْ شَیْءٍ مِنْهُ نَفْساً» «1» و قیل فی معنا «قَرِّی عَیْناً» قولان: أحدهما- لتبرد عینک برد سرور بما تری.

الثانی- لتسکن سکون سرور برؤیتها ما تحب، یقال قررت به عیناً أقر قروراً و هی لغة قریش. و أهل نجد یقولون: قررت به عیناً- بفتح العین- أقر قراراً، کما یقولون قررت بالمکان- بالفتح.

و قوله (فَإِمَّا تَرَیِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِی إِنِّی نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً) قال الجبائی: کان اللّه تعالی أمرها بأن تنذر للّه تعالی الصمت، فإذا کلمها احد تومی بأنها نذرت صوماً صمتاً، لأنه لا یجوز ان یأمرها بان تخبر بأنها نذرت و لم تنذر، لأن ذلک کذب. و قال انس بن مالک و ابن عباس و الضحاک: تربد بالصوم الصمت.

و قال قتادة: یعنی صمتاً عن الطعام و الشراب و الکلام أی إمساکاً. و انما أمرها بالصمت لیکفیها الکلام ولدها بما یبرئ ساحتها- فی قول ابن مسعود و ابن زید و وهب ابن منیة و قیل: من کان صام فی ذلک الوقت لا یکلم الناس، فاذن لها فی هذا المقدار من الکلام، فی قول السدی.

فان قیل کیف تکون نذرت الصمت و ألا تکلم أحداً مع قولها و اخبارها عن نفسها بأنها نذرت و هل ذلک إلا تناقض؟

قیل من قال: انه أذن لها فی هذا القدر فحسب، یقول: انها نذرت لا تکلم بما زاد علیه. و من قال: انها نذرت نذراً عاماً، قال: أو مت بذلک و لم تتلفظ به. و قیل:

أمرها اللّه أن تشیر الیهم بهذا المعنی، و انها ولدته بناحیة بیت المقدس، و فی موضع یعرف ب (بیت لحم).

---

(1) سورة 4 النساء آیة 3 (ج 7 م 16 من التبیان)

ثم اخبر اللّه تعالى عن حال مريم أنها أتت بعيسى الى قومها تحمله، فلما رأوها قالوا لها «لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا» أى عملا عجيباً قال الراجز:
قد اطعمتنى دقلا حوليا مسوساً مدوداً حجريا
قد كنت تفرين به الفريا «1»
قال قتادة و مجاهد و السدى: معنى الفرى العظيم من الأمر. و قيل الفرى القبيح من الافتراء، فقال لها قومها «يا أُخْتَ هارُونَ» و قيل فى هارون الذى نسبت اليه بالاخوة أربعة أقوال:
فقال قتادة: و كعب و ابن زيد و المغيرة بن شعبة يرفعه الى النبى (ص): انه كان رجلا صالحاً فى بنى إسرائيل ينسب اليه من عرف بالصلاح.
و قال السدى: نسبت الى هارون أخى موسى (ع) لأنها كانت من ولده كما يقال يا أخا بنى فلان.
و قال قوم: كان رجلا فاسقاً معلناً بالفسق، فنسبت اليه.
و قال الضحاك: كان أخاها لأبيها و أمها، و كان بنو إسرائيل يسمون أولادهم بأسماء الأنبياء كثيراً. و قوله «ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا» اى لم يكن أبواك إلا صالحين، و لم يكونا فاجرين، فكيف خالفتيهما «فَأَشارَتْ إِلَيْهِ» اى أومأت عند ذلك مريم الى عيسى (ع) أن كلموه، و استشهدوه على براءة ساحتى «فقالوا» فى جوابها «كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِى الْمَهْدِ صَبِيًّا» قال قوم: دخلت (كان) هاهنا زائدة و نصب (صبياً) على الحال.
و انشد أبو عبيدة فى زيادة (كان):
الى كناس كان مستعدة
و قال آخر:

---

(1) تفسير الطبرى 16/ 51 و القرطبى 11/ 100.

فكيف إذا رأيت ديار قومى و جيران لنا كانوا كرام «1»
و المعنى و ديار جيران كرام و (كانوا) فضلة، فلذلك لم تعمل. و قيل معنى (كان) صار و انشد لزهير:
أجزت اليه حرة أرجية و قد كان كون الليل مثل الارندج
اى قد صار. و قال المبرد: معنى (كان) حدث. و قال الزجاج: معناه على الشرط، و تقديره من كان فى المهد صبياً كيف نكلمه على التقديم و التأخير. و قال قتادة: المهد حجر أمه، و أصله ما وطئ للصبى. و قيل: انهم غضبوا عند اشارتها الى ذلك، و قالوا: لسخريتها بنا أشد علينا من زناها، فلما تكلم عيسى، قالوا: إن هذا الامر عظيم- ذكره السدى- فقال عيسى (ع) عند ذلك «إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ آتانِىَ الْكِتابَ» قال عكرمة: معناه فيما مضى «وَ جَعَلَنِى نَبِيًّا» لان اللّه أكمل عقله و أرسله الى عباده و لذلك كانت له تلك المعجزة-

فَى قول الحسن و أبى على الجبائى- و قال قوم:
معناه «إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ» سيؤتينى الكتاب و يجعلنى نبياً فيما بعد، و كان ذلک معجزة لمريم على براءة ساحتها على قول من أجاز اظهار المعجزات على يد غير الأنبياء من الصالحين. و قال ابن الاخشاذ: كان ذلک إنذاراً لنبوته. و قال الجبائى معنى «وَ جَعَلَنِى نَبِيًّا» أى و جعلنى رفيعاً لان النبى هو الرفيع.

وَ جَعَلَنِی مُبارَکاً أَیْنَ ما کُنْتُ وَ أَوْصانِی بِالصَّلاةِ وَ الزَّکاةِ ما دُمْتُ حَیًّا (31) وَ بَرًّا بِوالِدَتِی وَ لَمْ یَجْعَلْنِی جَبَّاراً شَقِیًّا (32) وَ السَّلامُ عَلَیَّ یَوْمَ وُلِدْتُ وَ یَوْمَ أَمُوتُ وَ یَوْمَ أُبْعَثُ حَیًّا (33) ذلِکَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِی فِیهِ یَمْتَرُونَ (34) ما کانَ لِلَّهِ أَنْ یَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحانَهُ إِذا قَضی أَمْراً فَإِنَّما یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (35)

---

(1) قائله الفرزدق. دیوانه (دار بیروت) 2/ 290 و قد مر فی 3/ 155 من هذا الکتاب.

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ الکسائی «آتانی، و اوصانی» بالامالة. الباقون بالتفخیم، فمن أمال، فلان هذه الألف تنقلب یاء فی (أوصیت) فأمال لمکان الیاء. و من لم یمل، فلمکان الألف.

و الإمالة فی (آتانی) احسن من الامالة فی (أوصانی) لأن فی (أوصانی) حرفاً مستعلیاً یمنع من الامالة، و مع ذلک، فهو جائز کصفی و طغی. و قرأ عاصم و ابن عامر و یعقوب «قول الحق» بالنصب علی المصدر. الباقون بالرفع علی أنه خبر الابتداء. و تقدیره ذلک الذی تلوناه من صفته «قول الحق» و قیل هو تابع ل (عیسی) کأنه قیل کلمة الحق و روی عن عبد اللّه انه قرأ «قول الحاقّ» بمعنی قول الحق و معناه یحق نحو العاب و العیب و الذام و الذیم.

لما حکی اللّه تعالی عن عیسی أنه قال لقومه «إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتانِیَ الْکِتابَ وَ جَعَلَنِی نَبِیًّا» أخبر أنه قال «وَ جَعَلَنِی مُبارَکاً» قال مجاهد: معناه معلماً للخیر أینما کنت.

و قیل نفاعاً، و البرکة نماء الخیر، و المبارک الذی ینمی الخیر به. و التبرک طلب البرکة بالشیء و أصله التبرک من البرک و هو ثبوت الطیر علی الماء.

و قوله «وَ أَوْصانِی بِالصَّلاةِ وَ الزَّکاةِ» معناه أمرنی بهما. و الوصیة التقدم فی الأمر الذی یکون بعد ما وقت له، کتقدم الإنسان فی التدبیر بعد خروجه، و کتقدمه فی أموره بعد موته. و الصلاة فی أصل اللغة: الدعاء، و فی الشرع عبارة عن هذه العبادة التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 125 التی فیها الرکوع و السجود. و قیل عبارة عن عبادة افتتاحها التکبیر و خاتمتها التسلیم.

و قیل فی معنی الزکاة- هاهنا- قولان: أحدهما- زکاة المال. و الثانی- التطهیر من الذنوب.

«ما دُمْتُ حَيًّا» أى أوصانى بذلک مدة حياتى «وَ بَرًّا بِوالِدَتِي» أى و أوصانى بأن أكون باراً بوالدتى أى محسناً إليها «وَ لَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّاراً» أى متجبراً، لم يحكم على بالتجبر، و الشقاء، و لم يسمنى بذلک «وَ السَّلامُ عَلَىَّ» أى و الرحمة من اللّه بالسلامة و النعمة بها على «يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا».

و قوله «ذلِکَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ» أى الذى تلوناه من صفة عيسى «قَوْلَ الْحَقِّ» أى كلمة الحق «الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ» اى يشكون فيه «ما كانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ» اخبار منه تعالى بأنه لم يكن للّه أن يتخذ من ولد على ما يقوله النصارى.

ثم قال منزها لنفسه عن ذلک «سُبْحانَهُ إذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» اى يفعله لا يشق عليه بمنزلة ما يقال كن فيكون، و قد بينا فيما مضى و حكينا ما قال بعضهم إنّ قول (كن) عند خلق ما يريد خلقه ليعلم الملائكة أنه لا يتعذر عليه شىء يريد فعله.

و السلام مصدر سلمت سلاماً، و معناه عموم العافية و السلامة. و السلام جمع سلامة.

و السلام اسم من اسماء اللّه و سلام يبتدأ به فى النكرة، لأنه يكثر استعماله، تقول: سلام عليكم و السلام عليكم، و أسماء الأجناس يحسن الابتداء بها، لأن فائدتها واحدة، و لما جرى ذكر (سلام) أعيد- هاهنا- بالألف و اللام ليرد على الاول.

وَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِیمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَیْنِهِمْ فَوَیْلٌ لِلَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ یَوْمٍ عَظِیمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ یَوْمَ یَأْتُونَنا لکِنِ الظَّالِمُونَ الْیَوْمَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ (38) وَ أَنْذِرْهُمْ یَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِیَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِی غَفْلَةٍ وَ هُمْ لا یُؤْمِنُونَ (39) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَیْها وَ إِلَیْنا یُرْجَعُونَ (40)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 126

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ ابن کثیر و ابو عمرو و نافع و یعقوب إلا روحاً «و أن اللَّه» بفتح الهمزة الباقون بکسرها. من نصب الهمزة احتمل أربعة أوجه:

أحدها- إن المعنی و قضی اللّٰه «إِنَّ اللَّهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ» فی قول ابی عمرو بن العلا و الثانی- أنه معطوف علی کلام عیسی، أی و أوصانی «إِنَّ اللَّهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ» و الثالث- قال الفراء: إنه معطوف علی «ذلِکَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ» و ذلک «أن الله». و یکون موضعه الرفع بأنه خبر المبتدأ.

الرابع- و لان اللّٰه ربی و ربکم فاعبدوه. و العامل فیه (فاعبدوه).

و من کسر (إن) استأنف الکلام. و یقوی الکسر انه روی ان أبیاً قرأ «ان اللَّه» بلا واو و یجوز ان یکون عطفاً علی قوله «قالَ إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ» و قوله «هذا صِراطٌ مُسْتَقِیمٌ» معناه عبادتکم للّٰه وحده لا شریک له هو الصراط المستقیم الذی لا اعوجاج فیه.

و قوله «فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَیْنِهِمْ» فالاختلاف فی المذهب هو ان یعتقد کل قوم خلاف ما یعتقده الآخرون. و الأحزاب جمع حزب. و الحزب الجمع المنقطع فی رأیه عن غیره، یقال تحزب القوم إذا صاروا أحزاباً. و حزب علیهم التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 127

الأحزاب أی جمع. و المعنی فی الآیة اختلف الأحزاب من أهل الکتاب فی عیسی (ع)، فقال قتادة و مجاهد قال قوم: هو اللّٰه و هم الیعقوبیة. و قال آخرون:

هو ابن اللَّه و هم النسطوریة. و قال قوم: و هو ثالث ثلاثة و هم الاسرائیلیة. و قال قوم:

هو عبد اللّٰه و هم المسلمون.

ثم قال تعالی «فَوَیْلٌ لِلَّذِینَ کَفَرُوا» بآیات اللَّه، و جحدوا وحدانیته من حضور یوم عظیم یعنی یوم القیامة.

و قوله «أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ یَوْمَ یَأْتُونَنا» معناه ما أسمعهم و ابصرهم علی وجه التعجب، و المعنی انهم حلوا فی ذلک محل من یتعجب منه، و فیه تهدد و وعید أن سیسمعون ما یصدع قلوبهم و یردون ما یهیلهم. و قال الحسن و

قتادة: المعنى لأن كانوا فى الدنيا صماَ عمياَ عن الحق، فما أسمعهم به، و ما أبصرهم به يوم القيامة «يَوْمَ يَأْتُونَنا» أى يوم يأتون المقام الذى لا يملک أحد فيه الامر و النهى غير اللّه.
ثم قال تعالى «لكِنِ الظَّالِمُونَ» أنفسهم بارتكاب معاصيه و جحد آياته و الكفر بأنبيائه «اليوم» يعنى فى دار الدنيا «فِى ضَلالٍ» عن الحق و عدول عنه «بعيد» من الصواب. ثم قال لنبيه (ص) «وَ أَنْذِرْهُمْ» يا محمد أى خوفهم هول «يَوْمَ الْحَسْرَةِ» اى اليوم الذى يتحسر فيه الناس على ما فرطوا فيه من طاعة اللّه، و على ما ارتكبوا من معاصيه فى الوقت الذى «قُضِىَ الْأَمْرُ» و حكم بين الخلائق بالعدل «وَ هُمْ فِى غَفْلَةٍ» اليوم عما يفعل بهم من العقاب على معاصيهم، و هم لا يصدقون بما يقال لهم و يخبرون به.
ثم اخبر تعالى عن نفسه، فقال «إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْها» اى يعود إلينا التصرف فى الأرض و فيمن عليها من العقلاء، و غيرهم، لا يبقى لاحد ملک «وَ إِلَيْنا يُرْجَعُونَ» أى يردون يوم القيامة الى الموضع الذى لا يملک الامر و النهى غيرنا.

وَ اذْكُرْ فِى الْكِتابِ إِبْراهِيمَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا (41) إِذْ قالَ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ وَ لا يُبْصِرُ وَ لا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئاً (42) يا أَبَتِ إِنِّى قَدْ جاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا (43) يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ عَصِيًّا (44) يا أَبَتِ إِنِّى أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا (45)

خمس آيات فى الكوفى و البصرى، و ست آيات فى المدنيين عدّوا «فِى الْكِتابِ إِبْراهِيمَ» آية.

امر اللَّه تعالى نبيه (ص) أن يذكر ابراهيم فى الكتاب الذى هو القرآن، و سماه كتاباً، لأنه مما يكتب. و المعنى اقصص عليهم أو اتل عليهم. و كذلك فيما بعد. ثم قال «انه» يعنى ابراهيم «كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا» و الصديق هو الكثير التصديق بالحق حتى صار علماً فيه. و كل نبى صديق لكثرة الحق الذى يصدق فيه مما هو علم فيه و امام يقتدى به، من توحيد اللَّه و عدله، حين «قالَ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ»

و الأصل يا ابتى، فحذف ياء الاضافة و بقيت كسرة التاء تدل عليها. و قيل ان التاء دخلت للمبالغة فى تحقيق الاضافة، كما دخلت فى (علامة، و نسابة) للمبالغة فى الصفة. و مثله يا أمت. و الوقف بالتاء لهذه العلة. و أجاز الزجاج الوقف بالهاء. و قيل ان التاء عوض من ياء الإضافة.

و قوله «لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ وَ لا يُبْصِرُ وَ لا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئاً»

و إنما هو حجر منقور، او صنم معمول «يا أَبَتِ إِنِّى قَدْ جاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ» بمعرفة اللَّه و توحيده و وجوب اخلاص العبادة له، و قبح الاشراک «ما لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِى» على ذلک و اقتد بى «أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا» معتدلا غير جائر بک عن الحق الى الضلال «يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ عَصِيًّا» اى عاصياً (فعل) بمعنى فاعل.

«يا أَبَتِ إِنِّى أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ» قال الفراء: أخاف بمعنى أعلم- هاهنا- و مثله «فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما» «1» أى علمنا «أَنْ يَمَسَّكَ» أى يلحقک عذاب من اللَّه على إشراکک معه فى العبادة غيره. و متى فعلت ذلک كنت ولياً للشيطان و ناصراً و مساعداً، و نصب «فتكون» عطفاً على (ان يمسک). و قيل: إن معناه أنه يلزمک ولاية الشيطان لعبادتک له ذمّاً لک و تقريعاً، إذا ظهر عقاب اللَّه لک، و سخطه عليک. و قيل: فتكون موكولا الى الشيطان، و هو لا يغنى عنک شيئاً. و قال قوم: هذه المخاطبة من ابراهيم كان لأبيه الذى هو والده. و الذى يقوله أصحابنا انه كان جده لأمه، لأن آباء النبى (ص) كلهم كانوا مسلمين الى آدم، و لم يكن فيهم من يعبد غير اللَّه

تعالى،
لقوله (ص) (لم يزل الله ينقلنى من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات)
و الكافر لا يوصف بالطهارة، لقوله تعالى «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ» «2»
قالوا و أبوه الذى ولده كان اسمه تارخ، و هذا الخطاب منه كان لآزر

قالَ أَ راغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِی یا إِبْراهِیمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّکَ وَ اهْجُرْنِی مَلِیًّا (46) قالَ سَلامٌ عَلَیْکَ سَأَسْتَغْفِرُ لَکَ رَبِّی إِنَّهُ کانَ بِی حَفِیًّا (47) وَ أَعْتَزِلُکُمْ وَ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ أَدْعُوا رَبِّی عَسی أَلاَّ أَکُونَ بِدُعاءِ رَبِّی شَقِیًّا (48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَ ما یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ کُلاًّ جَعَلْنا نَبِیًّا (49) وَ وَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا وَ جَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِیًّا (50)

---

(1) سورة 18 الکهف آیة 81
(2) سورة 9 التوبة آیة 29 (ج 7 م 17 من التبیان)

خمس آیات بلا خلاف.
لما حکی اللَّه تعالی ما قال ابراهیم لأبیه، و توبیخه له علی عبادة الأصنام، و تقریعه إیاه علی ذلک، حکی فی هذه الآیات ما أجاب به أبوه، فانه قال له یا ابراهیم «أ راغب أنت عن آلهتی» و معناه أ زاهد فی عبادة آلهتی، و الرغبة اجتلاب الشیء لما فیه من المنفعة و الرغبة فیه نقیض الرغبة عنه. و الترغیب الدعاء الی الرغبة فی الشیء. ثم قال له مهدداً «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ» أی لم تمتنع من ذلک، یقال نهاه فانتهی. و أصله النهایة، فالنهی زجر عن الخروج عن النهایة المذکورة. و التناهی بلوغ نهایة الحد. و قوله «لأرجمنک» قال الحسن: معناه لأرمیّنک بالحجارة حتی تباعد عنی. و قال السدی و ابن جریج و الضحاک: معناه لأرمینک بالذم و العیب. و قوله «وَ اهْجُرْنِی مَلِیًّا» قیل فی معناه قولان:
قال الحسن و مجاهد «ملیاً» دهراً [قال الفراء: و یقال: کنت عنده ملوة و ملوة و ملوة- بتثلیث المیم- و ملاوة بالفتح و ملاوة بالضم أی] «1» دهراً ملاوة، و کله من طول المقام

---

(1) ما بین القوسین ساقط من المطبوعة

و به قال سعید بن جبیر و السدی، و هو بمعنی الملاوة من الزمان و هو الطویل منه.
و الثانی- قال ابن عباس و قتادة و عطیة و الضحاک: معنی «ملیا» سویاً سلیماً من عقوبتی، و هو من قولهم: فلان ملیّ بهذا الأمر إذا کان کامل الأمر فیه مضطلعاً به، فقال له ابراهیم «سَلامٌ عَلَیْکَ» أی سلامة علیک، أی إکرام و بر بحق الأبوة و شکر التربیة. و قال ذلک علی وضع التواضع له و لین الجانب لموضعه «سَأَسْتَغْفِرُ لَکَ رَبِّی» قال قوم: انما وعده بالاستغفار

على مقتضى العقل، و لم يكن قد استقر بعد قبح الاستغفار للمشركين. و قال قوم: معناه سأستغفر لک إذا تركت عبادة الأوثان و أخلصت العبادة للّه تعالى. و معنى قوله «إِنَّهُ كانَ بِی حَفِیًّا» إن اللّه كان عالماً بی لطيفاً، و الخفى اللطيف بعموم النعمة، يقال: تحفنى فلان إذا اكرمنى و ألطفنى، و حفى فلان بفلان حفاوة إذا ابره و ألطفه. و الحفى أذى يلحق باطن القدم للطفه عن المشى بغير نعل ثم قال «وَ أَعْتَزِلُكُمْ» أى أتنحى عنكم جانباً، و اعتزل عبادة «ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. وَ أَدْعُوا رَبِّی» وحده (عَسى أَلَّا أَكُونَ بِدُعاءِ رَبِّی شَقِیًّا).
و قوله (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَ ما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) قيل انه اعتزلهم بأن خرج الى ناحية الشام (وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ كُلًّا جَعَلْنا نَبِیًّا) أى لما اعتزلهم آنسنا وحشته بأولاد كرام على اللّه رسل للّه، و جعلناهم كلهم أنبياء معظمين (وَ وَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا) أى من نعمتنا (وَ جَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِیًّا) قال ابن عباس و الحسن:
معناه الثناء الجميل الحسن من جميع أهل الملل، لان أهل الملل على اختلافهم يحسنون الثناء عليهم، و تقول العرب: جاءنى لسان من فلان تعنى مدحه أو ذمه قال عامر ابن الحارث:
انى اتتنى لسان لا أسر بها من علو لا عجب منها و لا سخر

جاءت مرجّمة قد كنت احذرها لو كان ينفعنى الإشفاق و الحذر «1»
و قيل: معناه انا جعلناهم رسل الله يصدقون عليه أعالى الصفات.

وَ اذْكُرْ فِی الْكِتابِ مُوسی إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً وَ كانَ رَسُولاً نَبِيًّا (51) وَ نادَيْناهُ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَ قَرَّبْناهُ نَجِيًّا (52) وَ وَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا (53) وَ اذْكُرْ فِی الْكِتابِ إِسْماعِيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ وَ كانَ رَسُولاً نَبِيًّا (54) وَ كانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ وَ كانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (55)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر (مخلصاً)- بفتح اللام- بمعنى أخلصه اللَّه للنبوة.

الباقون- بالكسر- بمعنى أخلص هو العبادة للَّه.

يقول اللَّه تعالى لنبيه محمد (ص) (و اذكر) موسى (فى الكتاب) الذى هو القرآن. و سماه كتاباً لما ذكرناه: أنه يكتب. و اخبر أن موسى كان مخلصاً بطاعاته وجه اللَّه تعالى دون رياء الناس، و انه لم يشرك فى عبادته سواه. و من فتح اللام أراد ان اللَّه أخلصه لطاعته بمعنى أنه لطف له ما اختار عنده اخلاص الطاعة. و انه لم يشب ذلک بمعصيته له، و أنه مع ذلک كان رسولا للَّه تعالى الى خلقه، قد حمله رسالة يؤديها اليهم (وَ كانَ رَسُولًا نَبِيًّا) و هو العلى برسالة اللَّه الى خلقه، و بما نصب له من المعجزة الدالة

---

(1) تفسير الطبرى 16/ 62 و هو فى مجمع البيان 3/ 516

على تعظيمه و تبجيله، و عظم منزلته. و هو مأخوذ من النبأ، و هو الخبر بالأمر العظيم.

ثم اخبر اللَّه تعالى انه ناداه (مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ) فانه قال له (إِنِّی أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ) و الطور جبل بالشام ناداه من ناحيته اليمنى، و هو يمين موسى (ع).

و قوله (وَ قَرَّبْناهُ نَجِيًّا) معناه قربناه من الموضع الذى شرفناه و عظمناه بالحصول فيه ليسمع كلامه تعالى. و قال ابن عباس و مجاهد. قرب من اهل الحجب حتى سمع صريف القلم. و قيل معناه إن محله منا محل من قربه مولاه من مجلس كرامته. و قيل قربه حتى سمع صرير القلم الذى كتب به التوراة. و قوله (نجيا) معناه انه اختصه بكلامه بحيث لم يسمع غيره، يقال: ناجاه يناجيه مناجاة إذا اختصه بإلقاء كلامه اليه. و اصل النجوة الارتفاع عن الهلكة، و منه النجاة ايضاً، و النجاء السرعة، لأنه ارتفاع فى السير، و منه المناجاة. و قال الحسن: لم يبلغ موسى (ع) من الكلام الذى ناجاه شيئاً قط.

ثم اخبر تعالى انه وهب له من رحمته و نعمته عليه أخاه هارون نبياً، شد أزره كما سأله.

ثم قال لنبيه محمد (ص) (وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ) الذى هو القرآن أيضاً (إسماعيل) ابن ابراهيم و أخبر (إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ) بمعنى إذا وعد بشىء و فى به، و لم يخلف (و كان) مع ذلک (رسولاً) من قبل اللّه الى خلقه (نبياً) معظماً بالاعلام المعجزة. و أنه «كانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ» قال الحسن: أراد بأهله أمته، و المفهوم من الأهل فى الظاهر اقرب أقاربه. و «كان» مع هذه الأوصاف «عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا» قد رضى اعماله لأنها كلها طاعات لم يكن فيها قبائح.
و انما أراد بذلک أفعاله الواجبات و المندوبات دون المباحات، لان المباحات لا يرضاها الله و لا يسخطها. و اصل (مرضى) مرضو فقلبت الضمة كسرة و الواو ياء و أدغمت فى الياء.

وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا (56) وَ رَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيًّا (57) أُولئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْراهِيمَ وَ إِسْرائِيلَ وَ مِمَّنْ هَدَيْنا وَ اجْتَبَيْنا إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَ بُكِيًّا (58) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59) إِلاَّ مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لا يُظْلَمُونَ شَيْئاً (60)

خمس آيات.

يقول اللَّه تعالى لنبيه محمد (ص) «اذْكُرْ فِي الْكِتابِ» الذى هو القرآن «إدريس» و اخبر انه كان كثير التصديق بالحق، و كان «نبياً» معظماً مبجلا مؤيداً بالمعجزات الباهرة. ثم أخبر تعالى أنه رفعه مكاناً علياً. قال انس بن مالک:

رفعه اللَّه الى السماء الرابعة. و روى ذلک عن النبى (ص)

و به قال كعب و مجاهد، و ابو سعيد الخدرى. و قال ابن عباس و الضحاک: رفعه اللَّه الى السماء السادسة.

و اصل الرفع جعل الشىء فى جهة العلو، و هى نفيض السفل، يقال: رفعه يرفعه رفعاً، فهو رافع و ذاک مرفوع. و العلى العظيم العلوّ و العالى العظيم فيما يقدر به على الأمور، فلذلک وصف تعالى بأنه على. و الفرق بين العلىّ و الرفيع أن العلى قد يكون بمعنى الاقتدار و علو المكان. و (الرفيع) من رفع المكان لا غير. و لذلک التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 135

لا يوصف تعالى بأنه رفيع. و قوله «رَفِيعُ الدَّرَجاتِ» «1» انما وصف الدرجات بأنها رفيعة. و انما أخذ من علو معنى الصفة بالاقتدار، لأنها بمنزلة العالى المكان.

ثم اخبر تعالى عن الأنبياء الذين تقدم وصفهم فقال «أُولئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ» فان حملنا (من) على التبعيض لم تدل على أن من عداهم لم ينعم عليهم، بل لا يمتنع أن يكون انما افردهم بأنه أنعم عليهم نعمة مخصوصة عظيمة رفيعة، و إن كان غيرهم ايضاً قد أنعم عليهم بنعمة دونها. و إن حملنا (من) على انها لتبيين الصفة لم يكن فيه شبهة، لأن معنى الآية يكون أولئک الذين أنعم اللَّه عليهم من جملة النبيين.

و قوله «مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ» [لان اللَّه تعالى بعث رسلا ليسوا من ذرية آدم بل هم من الملائكة كما قال «يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ» «2» و قوله «وَ مِمَّنْ حَمَلْنا» فى السفينة «مَعَ نُوحٍ» أى أبوهم نوح و هو من ذرية آدم كما قال] «3» «وَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْراهِيمَ وَ إِسْرائِيلَ» يعنى يعقوب «وَ مِمَّنْ هَدَيْنا» هم الى الطاعات فاهتدوا اليها و اجتبيناهم اى اخترناهم و

اصطفيناهم «إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ» اى أعلامه و أدلته «خَرُّوا سُجَّداً وَ بُكِيًّا» أى سجدوا له تعالى و بكوا، و بكى جمع باك و نصبهما على الحال، و تقديره: خروا ساجدين باكين. و بكى (فعول) و يجوز ان يكون جمع باك على (فعول). و يجوز ان يكون مصدراً بمعنى البكاء. قال الزجاج: لا يجوز النصب على المصدر، لأنه عطف على قوله «سجداً». و إنما فرق ذكر نسبهم، و كلهم لآدم، ليبين مراتبهم فى شرف النسب، فكان لإدريس شرف القرب من آدم، لأنه جدّ نوح.
و كان ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح، لأنه من ولد سام بن نوح. و كان إسماعيل

---

(1) سورة 40 المؤمن آية 15
(2) سورة 22 الحج آية 75 [.....]
(3) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

و إسحاق و يعقوب من ذرية ابراهيم، لما تباعدوا من آدم حصل لهم شرف ابراهيم، و كان موسى و هارون و زكريا و يحيى و عيسى من ذرية إسرائيل، لأن مريم من ذريته و قيل انما وصف اللّه صفة هؤلاء الأنبياء ليقتد بهم و يتبع اثارهم فى اعمال الخير ثم اخبر تعالى انه خلف من بعد المذكورين خلف، و الخلف- بفتح اللام- يستعمل فى الصالحين، و بتسكين اللام فى الطالح قال لبيد:
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم و بقيت فى خلف كجلد الأجرب «1»
و قال الفراء و الزجاج: يستعمل كل واحد منهما فى الآخر.
و فى الآية دلالة على أن المراد بالخلف من لم يكن صالحاً، لأنه قال «أَضاعُوا الصَّلاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَواتِ» و قال القرطى تركوها. و قال ابن مسعود و عمر بن عبد العزيز: أخروها عن مواقيتها. و هو الذى رواه أصحابنا. و قال قوم خلف- بفتح اللام- إذا خلف من كان من أهله- و بسكون اللام- إذا كان من غير أهله.
ثم قال تعالى «فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا» و الغى الشر و الخيبة- فى قول ابن عباس و ابن زيد- قال الشاعر:
فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغى لائما «2»
اى من يخب. و قال عبد اللّه بن مسعود: الغى واد فى جهنم. و قيل معناه يلقون مجازاة غيهم. ثم استثنى من جملتهم من يتوب فيما بعد و يرجع الى اللّه و يؤمن به و يصدق أنبياءه، و يعمل الاعمال الصالحة من الواجبات و المندوبات، و يترك القبائح فان «فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» من ضم الياء أراد أن الله يدخلهم الجنة بأن يأمرهم بدخولها، فضم لقوله «وَ لا يُظْلَمُونَ» ليتطابق اللفظان. و من فتح الياء أراد أنهم

(1) مر تخريجه فى 5/ 25 من هذا الكتاب
(2) مر هذا البيت فى 2/ 312، 4/ 391، 5/ 548 6/ 336

يدخلون بأمر الله. و المعنيان واحد. و قوله «وَ لا يُظْلَمُونَ شَيْئاً» معناه لا يبخسون شيئاً من ثوابهم بل يوفر عليهم على التمام و الوفاء.

جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِی وَعَدَ الرَّحْمنُ عِبادَهُ بِالْغَیْبِ إِنَّهُ کانَ وَعْدُهُ مَأْتِیًّا (61) لا یَسْمَعُونَ فِیها لَغْواً إِلاَّ سَلاماً وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِیها بُکْرَةً وَ عَشِیًّا (62) تِلْکَ الْجَنَّةُ الَّتِی نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ کانَ تَقِیًّا (63) وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّکَ لَهُ ما بَیْنَ أَیْدِینا وَ ما خَلْفَنا وَ ما بَیْنَ ذلِکَ وَ ما کانَ رَبُّکَ نَسِیًّا (64) رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُما فَاعْبُدْهُ وَ اصْطَبِرْ لِعِبادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِیًّا (65)

خمس آیات بلا خلاف.

«جنات» فی موضع نصب بدلا من قوله «الجنة» فی قوله «یَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» و کان یجوز الرفع بتقدیر هی جنات. و الجنة البستان الذی یجنه الشجر، فإذا لم یکن فی البستان شجر، و یکون من خضرة، فهو روضة، و لا یسمی جنة. و انما قیل «جنات» علی لفظ الجمع، لان کل واحد من المؤمنین له جنة تجمعها الجنة العظمی.

و العدن الاقامة یقال: عدن بالمکان یعدن عدناً إذا أقام به. و الاقامة کون بالمکان علی مرور الازمان. و الوعد الاخبار بما یتضمن فعل الخیر، و نقیضه الوعید، و هو الاخبار عن فعل الشر. و قد یقال: وعدته بالشر، و وعدته بالخیر، و أوعدته بالشر. و أوعدته (ج 7 م 18 من التبیان) التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 138

لا یکون إلا فی الشر، و المراد بالوعد- هاهنا- الموعود. و معنی مأتیا مفعولا. و یجوز فی مثل هذا (آتیاً) و (مأتیاً) لأن ما أتیته، فقد أتاک و ما أتاک فقد أتیته، کما یقال أتیت علی خمسین سنة و أتت علیّ خمسون سنة. و قیل معناه إنه کقولک أتیت خیر فلان و أتانی خیر فلان.

و قوله «بِالْغَیْبِ» معناه أن الجنة التی وعدهم بها لیست حاضرة عندهم بل هی غائبة. و قوله «لا یَسْمَعُونَ فِیها لَغْواً» معناه لا یسمعون فی تلک الجنة القول الذی لا معنی له یستفاد، و هو اللغو. و قد یکون اللغو الهذر من الکلام. و اللغو، و اللغا بمعنی واحد قال الشاعر:

عن اللغا و رفث التکلم «1»

و قوله «إِلَّا سَلاماً» یعنی لکن سلاماً و تحیة من بعضهم لبعض، قال ابو عبیدة:

تقدیره لا یسمعون فیها لغواً إلا انهم یسمعون سلاماً. و قال الزجاج: المعنی لا یسمعون کلاماً یؤثمهم إلا کلاماً یسلمهم، فیکون استثناء منقطعاً.

و قوله «وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِیها بُکْرَةً وَ عَشِیًّا» قیل معناه فی مقدار الیوم من أیام الدنیا، فذکر (الغداة و العشی) لیدل علی المقدار، لأنه لیس فی الجنة لیل، و لا نهار.

و قیل: انما ذکر ذلک، لأن اسلم الأکلات اکلة الغداة و العشی، فهو اسلم

من الأكل دائماً أىّ وقت وجده، أو تكون أكلته واحدة.
و قوله «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا» معناه انما نملک تلک الجنة من كان تقياً فى دار الدنيا بترک المعاصى، و فعل الطاعات. و انما قال «نورث» مع انه ليس بتمليک نقل من غيرهم اليهم، لأنه مشبه بالميراث من جهة أنه تمليک بحال استؤنفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا. كما ينقضى حال الميت من أمر الدنيا.

---

(1) مر تخريجه فى 2/ 132، 164، 230

و قيل: انه أورثهم من الجنة المساكن التى كانت لأهل النار لو أطاعوا.
و قوله «وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّکَ» قيل فى معناه
أن النبى (ص) استبطأ جبرائيل (ع) فقال (ما يمنعک أن تزورنا أكثر مما تزورنا) فأتاه بهذا الجواب وحياً من اللَّه بأنا لا نتنزل إلا بأمر اللَّه،
و هو قول ابن عباس و الربيع و قتادة و الضحاک و مجاهد و ابراهيم.
و قوله «لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَ ما خَلْفَنا وَ ما بَيْنَ ذلِکَ» قال ابن عباس و الربيع و قتادة و الضحاک و أبو العالية: له ما بين أيدينا: الدنيا، و ما خلفنا: الآخرة، و ما بين ذلک: ما بين النفختين.
و قوله «وَ ما كانَ رَبُّکَ نَسِيًّا» أى ليس اللَّه تعالى ممن ينسى و يخرج عن كونه عالماً، لأنه عالم لنفسه، و تقديره- هاهنا- و ما نسيک و إن أخر الوحى عنک.
و قوله «رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» معناه إن الله تعالى هو المالک المتصرف فى السموات و الأرض، ليس لأحَد منعه منه «وَ ما بَيْنَهُما» يعنى و له ما بين السموات و الأرض.
ثم قال لنبيه (ص) «فَاعْبُدْهُ» وحده لا شريک له «وَ اصْطَبِرْ لِعِبادَتِهِ» أى اصبر على تحمل مشقة عبادته، و قال لنبيه (ص) «هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا» أى مثلا و شبهاً. و هو قول ابن عباس و مجاهد و ابن جريج. و قيل المعنى انه لا يستحق احد ان يسمى إلهاً إلا هو. و من أدغم اللام فى التاء، فلان مخرج اللام قريب من مخرج التاء. و قال ابو على: ادغام اللام فى الطاء و الدال و التاء و الصاد و الزاى و السين جائز لقرب مخرج بعضها من بعض.

وَ يَقُولُ الْإِنْسانُ أَ إِذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66) أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً (67) فَوَ رَبِّکَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّياطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (68) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمنِ عِتِيًّا (69) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلى بِها صِلِيًّا (70)
خمس آيات بلا خلاف.
قرأ نافع و ابن عامر و عاصم «أولا يذكر» خفيفاً. الباقون بالتشديد. من شدد:
أراد أولا يتذكر، فأدغم التاء فى الذال لقرب مخرجيهما. و من خفف، فلقوله «فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ» «1» و الخفيفة دون ذلک فى الكثرة فى هذا المعنى. هذا حكاية من اللّه تعالى عن قول من ينكر البعث و النشور من الكفار، و هم المعنيون بقوله «أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ» بأنهم يقولون على وجه الإنكار و الاستبعاد: أ إذا متنا يخرجنا اللّه احياء و يعيدنا كما كنا؟! فقال اللّه تعالى منبها على دليل ذلک «أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ».
من شدد أراد أ و لا يتفكر، و من خفف أراد او لا يعلم «أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ» هذا «وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً» موجوداً، فمن قدر على أن يخلق و يوجد ما ليس بشىء، فيجعله شيئاً موجوداً، فهو على إعادته بعد عدمه الى الحالة الاولى أقدر.
ثم اقسم تعالى فقال «فَوَ رَبِّکَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ» أى لنبعثنهم من قبورهم مقرنين

---

(1) سورة 74 المدثر آية 55 و سورة 80 عبس آية 12

بأوليائهم من الشياطين. و يحتمل (الشياطين) أن يكون نصباً من وجهين:
أحدهما- ان يكون مفعولا به بمعنى و نحشر الشياطين.
الثانى- ان يكون مفعولا معه بمعنى لنحشرنهم مع الشياطين «ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا» جمع جاث و هو الذى برک على ركبتيه. و قوله «ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمنِ عِتِيًّا» يعنى تمرداً أى نبدأ بالأكبر جرماً فالأكبر، فى قول أبى الأحوص، و مجاهد. و الشيعة هم الجماعة المتعاونون على أمر واحد من الأمور، و منه تشايع القوم إذا تعاونوا، و يقال للشجاع: شيع أى معان، و فى رفع (أيهم) ثلاثة أقوال:
أولها الحكاية على تقدير، فيقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا؟ فليخرج.
الثانى- انه مبنى على الضم، و معناه الذى هو أشد على الرحمن عتيا، إلا أنه مبنى لما حذف منه (هو). و اطرد الحذف به فصار كبعض الاسم. فالأول قول الخليل.

و الثانى مذهب سيبويه.
و الثالث- أن يكون (لننزعن) معلقة كتعليق علمت أيهم فى الدار، و هو قول يونس. و أجاز سيبويه النصب على أن يكون (أى) بمعنى الذى. و ذكر انها قراءة هارون الأعرج.
و قوله «وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً» أى لم يكن شيئاً موجوداً كائناً. ثم أخبر تعالى أنه اعلم بالذين عملوا المعاصى و ارتكبوا الكفر و الكبائر، و الذين هم اولى بالنار صلياً، لا يخفى عليه خافية.

وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا (72) وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا (73) وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثاً وَ رِءْياً (74) قُلْ مَنْ كانَ فِى الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا حَتَّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذابَ وَ إِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضْعَفُ جُنْداً (75)

خمس آيات.

قرأ نافع و ابن عامر «و ريا» بغير همز. الباقون بهمز، من همز فمعناه المنظر الحسن (فعيل) من الرؤية، و من لم يهمز احتمل أن يكون خفف الهمزة كما قالوا فى البريئة برية و يحتمل أن يكون مأخوذاً من الرى، و هو امتلاء الشباب و النظارة، أى ترى الرى فى وجوههم. و قرأ سعيد بن جبير «و ريا» جعله من الري و قرئ بالزاى، و معناه ما يتزيا به.

و قرأ ابن كثير «مقاماً»- بضم الميم- الباقون بفتحها. فالمقام- بضم الميم- مصدر الاقامة. و بفتحها المكان، كقوله «مَقامُ إِبْراهِيمَ» «1» و قرأ يعقوب الحضرمى و عاصم و الجحدرى و ابن أبى ليلى و ابن عباس «ثم ننجى» بفتح الثاء بمعنى هناك ننجى المتقين. و الباقون (ثم) بضم التاء حرف عطف.

يقول اللَّه تعالى للمكلفين انه ليس منكم أحد إلا و هو يرد جهنم، فان الكناية فى قوله «إِلَّا وارِدُها» راجعة الى جهنم بلا خلاف، إلا قول مجاهد، فانه قال: هى كناية عن الحمى و الأمراض. و روى فى ذلك خبراً عن النبى (ص) عن أبى هريرة. و قال قوم: هو كناية عن القيامة. و أقوى الأقوال الأول، لقوله تعالى «ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا» يعنى فى جهنم.

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 97

و اختلفوا فى كيفية ورودهم اليها، فقال قوم- و هو الصحيح-: إن ورودهم هو وصولهم اليها و اشرافهم عليها من غير دخول منهم فيها، لأن الورود فى اللغة هو الوصول الى المكان. و أصله ورود الماء، و هو خلاف الصدور عنه. و يقال: ورد الخبر بكذا، تشبيها بذلك. و يدل على أن الورود هو الوصول الى الشىء من غير دخول فيه قوله تعالى «وَ لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ» و أراد وصل اليه. و قال زهير:

فلما وردن الماء زرقاً جمامه وضعن عصىّ الحاضر المتخيم «1»

و قال قتادة و عبد اللّه بن مسعود: ورودهم اليها، هو ممرهم عليها. و قال عكرمة يردها الكافر دون المؤمن، فخص الآية بالكافرين. و قال قوم شذاذ: ورودهم إليها: دخولهم فيها و لو تحلة القسم. روى ذلک عن ابن عباس و كان من دعائه: اللهم أزحنى من النار سالماً و ادخلنى الجنة غانماً. و هذا الوجه بعيد، لان اللّه قال «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِکَ عَنْها مُبْعَدُونَ» «2» فبين تعالى أن من سبقت له الحسنى من اللّه يكون بعيداً من النار، فكيف يكون مبعداً منها مع أنه يدخلها. و ذلک متناقض، فإذاً المعنى بورودهم أشرافهم عليها، و وصولهم اليها.
و قوله «كانَ عَلى رَبِّکَ حَتْماً مَقْضِيًّا» معناه إن ورودهم الى جهنم على ما فسرناه حتم من اللّه و قضاء قضاه لا بد من كونه. و الحتم القطع بالأمر، و ذلک حتم من الله قاطع. و الحتم و الجزم و القطع بالأمر معناه واحد. و المقضى الذى قضى بأنه يكون.
ثم قال تعالى «ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا» معاصى الله و فعلوا طاعاته من دخول النار «وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ» أى ندعهم فيها و نقرهم على حالهم «جثياً» باركين على ركبهم «فى جهنم». ثم قال «وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ» اى إذا قرئت على المشركين

---

(1) هو زهير ابن أبى سلمى. ديوانه (دار بيروت): 78
(2) سورة 21 الأنبياء آية 101.

أدلة الله الظاهرة و حججه الواضحة «قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بوحدانيته و جحدوا أنبياءه للذين صدقوا بذلک مستفهمين لهم و غرضهم الإنكار عليهم «أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً» أى منزل اقامة فى الجنة او فى النار «وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا» اى مجلساً و قيل معناه أوسع مجلسا و احسن نديا، فالندى المجلس الذى قد اجتمع فيه أهله، يقال: ندوت القوم اندوهم ندواً إذا جمعتهم فى مجلس. و فلان فى ندى قومه و ناديهم بمعنى واحد و أصله مجلس الندى و هو الكرم، و قال حاتم:
و دعوت فى اولى الندىّ و لم ينظر إلىّ بأعين خزر «1»
و المراد بالفريقين فريق المشركين و فريق المؤمنين، فيفتخرون على المؤمنين بكثرة نعمهم و حسن أحوالهم و حال مجلسهم، فقال الله تعالى «وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثاً وَ رِءْياً» و الأثاث المتاع و الرئى المنظر، و هو قول ابن عباس.
و قال ابن الأحمر: واحد الأثاث اثاثة كحمام و حمامة. و قال الفراء: لا واحد له، و يجمع آثة و أثث. و يجوز فى «رئيا» ثلاثة أوجه فى العربية: رئيا بالهمز قبل الياء، و ريئا بياء قبل الهمزة و هو على قولهم راءنى على وزن راعنى، و ريا بترک الهمزة- فى قول الزجاج- و يجوز أن يكون من الزاى انشد لابن

درید:
اهاجتک الضغائن یوم بانوا بذی الزی الجمیل من الأثاث «2»
ثم قال تعالی لنبیه (ص) «قُلْ» یا محمد «مَنْ کانَ فِی الضَّلالَةِ» عن الحق و العدول عن اتباعه «فَلْیَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا» أی یمدهم و یحلم عنهم فلا یعاجلهم بالعقوبة، کما قال «وَ یَمُدُّهُمْ فِی طُغْیانِهِمْ یَعْمَهُونَ» «3» و انما ذکر بلفظ الامر لیکون

_____

(1) تفسیر الطبری 16/ 77 و اللسان (خزر)
(2) القرطبی 11/ 143 و الشوکانی 3/ 336 و قد نسبوه الی (محمد بن نمیر الثقفی) و روایته (اشاقتک) و یمکن أن یکون هذا غیر ذاک
. (3) سورة 2 البقرة آیة 15.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 145
آکد کأنه ألزم نفسه إلزاماً کما یقول القائل: آمر نفسی، و یقول من زارنی فلأکرمه، فیکون الزم من قوله أکرمه. و یجوز أن یکون أراد «فَلْیَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا» فی عذابهم فی النار، کما قال «وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدًّا» «1» و قوله «حَتَّی إِذا رَأَوْا ما یُوعَدُونَ» أی شاهدوا ما وعدهم اللّه به «إما العذاب» و العقوبة علی المعاصی «و إما» القیامة و المجازاة لکل أحد علی ما یستحقه «فسیعلمون» حینئذ و یتحققون «مَنْ هُوَ شَرٌّ مَکاناً وَ أَضْعَفُ جُنْداً» آلکفار أم المؤمنین. و فی ذلک غایة التهدید فی کونهم علی ما هم علیه. و قیل العذاب- هاهنا- المراد به ما وعد المؤمنون به من نصرهم علی الکفار فیعذبونهم قتلا و اسراً، فسیعلمون بالنصر و القتل انهم أضعف جنداً من جند النبی و المسلمین، و یعلمون بمکانهم من جهنم و مکان المؤمنین من الجنة، من هو شر مکاناً.

وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً وَ الْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَ خَيْرٌ مَرَدًّا (76) أَ فَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآياتِنا وَ قالَ لَأُوتَيَنَّ مالاً وَ وَلَداً (77) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً (78) كَلاَّ سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدًّا (79) وَ نَرِثُهُ ما يَقُولُ وَ يَأْتِينا فَرْداً (80)
خمس آيات بلا خلاف.
يقول اللَّه تعالى انه «يزيد الذين اهتدوا» الى طاعة اللَّه و اجتناب معاصيه

---

(1) سورة 19 مريم آية 80 (ج 7 م 19 من التبيان)
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 146
«هدى» و وجه الزيادة لهم فيه ان يفعل بهم الألطاف التى يستكثرون عندها الطاعات بما يبينه لهم من وجه الدلالات و الأمور التى تدعو الى أفعال الخيرات.
و قيل: زيادة الهدى هو بايمانهم بالناسخ و المنسوخ. و اخبر تعالى أن «الباقيات الصالحات» و هى فعل جميع الطاعات و اجتناب جميع المعاصى.
و قيل: هو قول: سبحان اللَّه و الحمد للَّه و لا إله إلا اللَّه و اللَّه اكبر و للَّه الحمد، و
روى عن أبى عبد اللَّه (ع) أن الباقيات الصالحات القيام آخر الليل لصلاة الليل و الدعاء فى الاسحار.
و سميت باقيات بمعنى أن منافعها تبقى و تنفع أهلها فى الدنيا و الاخرة، بخلاف ما نفعه مقصور على الدنيا فقط. و قوله «خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً» أى أكثر ثواباً من غيرها. و قيل معناه خير ثواباً من مقامات الكفار التى لها عندهم الافتخار. و قيل: خير من اعمال الكفار على تقدير: إن كان فيها خير.
و قوله «وَ خَيْرٌ مَرَدًّا» أى خير نعيماً ترده الباقيات الصالحات على صاحبه، كأنه ذاهب عنه لفقده له، فترده عليه حتى يجده فى نفسه.
و قوله «أَ فَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآياتِنا، وَ قالَ لَأُوتَيَنَّ مالاً وَ وَلَداً» قيل: نزلت فى العاص بن وائل السهمى- فى قول ابن عباس، و خباب ابن الأرت، و مجاهد- و قال الحسن: نزلت فى الوليد بن المغيرة، فانه قال- استهزاء- لأوتين مالا و ولداً فى الجنة، ذكره الكلبى. و قيل أراد فى الدنيا، يعنى إن أقمت على دين آبائى و عبادة آلهتى «لَأُوتَيَنَّ مالًا وَ وَلَداً».
و قرأ حمزة و الكسائى «و ولداً» بضم الواو. الباقون بفتحها. و قيل فى ذلك قولان:
أحدهما- انهما لغتان كالعدم و العدم، و الحزن و الحزن، قال الشاعر:
فليت فلاناً كان فى بطن أمّه و ليت فلاناً كان ولد حمار «1»

(1) تفسير الطبرى 16/ 81 و القرطبى 11/ 146، 155 و تفسير الشوكانى 3/ 337

و قال الحارث بن حلزة:
و لقد رأيت معاشراً قد ثمروا مالا و ولدا «1»
و قال رؤبة:
الحمد للّه العزيز فردا لم يتخذ من ولد شىء ولدا «2»
و الثانى- إن (قيساً) تجعل (الولد) بالضم جمعاً، و بالفتح واحداً، كقولهم: اسد و اسد، و وثن و وثن.
فقال اللّه تعالى «أَطَّلَعَ الْغَيْبَ» أى اشرف على علم الغيب و عرفه حتى قال ما قال؟! و هذه الف الاستفهام دخلت على الف الوصل المكسورة فسقطت المكسورة مثل «أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ» «3» و قوله «أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً» قال قتادة:
معناه آتخذ عهداً للرحمن بعد صالح قدمه؟. و قال غيره: معناه «أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً» أى قولا قدمه اليه بما ذكره.
ثم قال تعالى «كلا» أى حقاً و هو قسم «سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ» أى نثبته ليواقف عليه يوم القيامة «وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدًّا» أى نؤخر عنه عذابه، و لا نعاجله.
و يجوز أن يكون المراد إنا نطيل عذابه.
و قوله «وَ نَرِثُهُ ما يَقُولُ» قال ابن عباس و قتادة و ابن زيد: نرثه نحن المال و الولد بعد إهلاكنا إياه و إبطالنا ما ملكناه «وَ يَأْتِينا فَرْداً» أى يجيئنا يوم القيامة فرداً لا أحد معه، و لا شىء يصحبه.

وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81) كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (82) أَ لَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (83) فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّما نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (84) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً (85)

---

(1) نفس المصادر المتقدمة فى الصفحة قبلها [.....]
. (2) تفسير الطبرى 16/ 81
(3) سورة 37 (الصافات) آية 153
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 148
خمس آيات بلا خلاف.
قرأ ابن نهيک «كلا سيكفرون»- بضم الكاف- بمعنى جميعاً سيكفرون. الباقون بفتح الكاف.
اخبر اللّه تعالى أن هؤلاء الكفار الذين ذكرهم و وصفهم بأنهم «اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً» عبدوها و وجهوا عبادتهم نحوها «لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا» و الاتخاذ أعداد الشىء ليأتيه فى العاقبة، فهؤلاء اتخذوا الآلهة ليصيروا الى العز فصاروا بذلک الى الذل، فسخط اللّه عليهم و أذلهم. و العز الامتناع من الضيم عزّ يعزّ عزاً، فهو عزيز أى منيع من أن ينال بسوء. فقال اللّه تعالى «كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ» أى حقاً ليس الأمر على ما قالوه بل سيكفرون بعبادتهم. و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- إن معناه سيجحدون أن يكونوا عبدوها، لما يرون من سوء عاقبتها. و هذا جواب من أجاز وقوع القبائح و الكذب من أهل الآخرة.
الثانى- سيكفرون ما اتخذوه آلهة بعبادة المشركين لها، كما قال اللّه تعالى «تَبَرَّأْنا إِلَيْکَ ما كانُوا إِيَّانا يَعْبُدُونَ» «1» أى بأمرنا و إرادتنا «وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا» و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال مجاهد: يكونون عوناً فى خصومتهم و تكذيبهم.

---

(1) سورة 28 القصص آية 63.
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 149
الثانى- قال قتادة يكونون قرناءهم فى النار يلعنونهم و يتبرءون منهم.
ثم قال تعالى لنبيه (ص) (ألم تر) يا محمد (أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ) أى لما سلط الكفار الشياطين على نفوسهم و قبلوا منهم و اتبعوهم خلينا بينهم و بينهم حتى أغووهم، و لم نحل بينهم بالإلجاء، و لا بالمنع، و عبر عن ذلک بالإرسال على ضرب من المجاز. و مثله قوله

(فَيُمْسِكُ الَّتِی قَضی عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرى إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى) «1» و يحتمل ان يكون أراد به يرسل الشياطين عليهم فی النار بعد موتهم يعذبوهم و يلعنونهم، كما قال (فَوَ رَبِّکَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّياطِينَ) «2» و يقال أرسلت الباز و الكلب على الصيد إذا خليت بينه و بينه. و قوله «تَؤُزُّهُمْ أَزًّا» أی تزعجهم ازعاجاً. و الاز الإزعاج الى الامر، أزه أزاً و أزيزاً إذا هزه بالازعاج الى أمر من الأمور.
ثم قال تعالى «فَلا تَعْجَلْ» على هؤلاء الكفار «إِنَّما نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا» الأيام و السنين. و قيل الأنفاس.
و قوله (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً) أی اذكر يوم نحشر الذين اتقوا معاصی اللّه و فعلوا طاعاته الى الرحمن وفداً ای ركباناً فی قدومهم، و وحد لأنه مصدر وفد، و يجمع وفوداً، تقول: وفدت أفد وفداً فأنا وافد. و قيل: انهم يؤتون بنوق لم ير مثلها، عليها رحال الذهب و أزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يصيروا الى أبواب الجنة- فی قول ابن عباس- و قيل: معناه يحشرهم اللّه جماعة جماعة.

وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً (86) لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً (87) وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا (89) تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً (91) وَ ما يَنْبَغِي لِلرَّحْمنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً (92)

---

(1) سورة 39 الزمر آية 42
(2) سورة 19 مريم آية 68

سبع آيات بلا خلاف.
قرأ الكسائى و نافع (يكاد) بالياء. الباقون بالتاء. و قرأ ابن كثير و نافع و الكسائى و حفص (يتفطرن) بياء و تاء من: تفطر يتفطر تفطراً. الباقون (ينفطرن) من انفطر كقوله (إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ). و تفطر مطاوع فطر. و التشديد يفيد التكثير اخبر اللّه تعالى أنه يسوق المجرمين إلى جهنم ورداً يوم القيامة. و السوق الحث على السير، ساقه يسوقه سوقاً، فهو سائق و منه الساق، لاستمرار السير بها، و منه السوق لأنه يساق به البيع و الشراء شيئاً بعد شىء. و قال الفراء: يسوقهم مشاة. و قال الأخفش: عطاشاً. و قيل افراداً. و معنى (ورداً) أى عطاشاً، كالإبل التى ترد عطاشاً الماء، إلا أن هؤلاء يمنعون منه، لأنه لا يشرب من الحوض الا مؤمن. و هو قول ابن عباس و الحسن و قتادة.
و قوله (لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ) أى لا يقدرون عليها، و الملك القدرة على ماله التصرف فيه أن يصرفه أتم التصريف فى الحقيقة أو الحكم.
و قوله (إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً) أى عملا صالحاً- فى قول ابن جريج- فموضع (من) نصب على أنه استثناء منقطع، لأن المؤمن ليس من المجرمين. و قد قيل: انه نصب على حذف اللام بمعنى لا يملك المتقون الشفاعة إلا لمن اتخذ عند الرحمن التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 151 عهداً. و العهد المراد به الايمان. و الإقرار بوحدانيته و تصديق أنبيائه، فان الكفار لا يشفع لهم. و قال الزجاج (من) فى موضع رفع بدلا من الواو و النون فى قوله (لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ). و المعنى لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً و هو الايمان.
ثم اخبر تعالى عن الكفار بأنهم (قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً) كما قال النصارى: إن المسيح ابن اللّه، و اليهود قالت عزير ابن اللّه. فقال اللّه لهم على وجه القسم (لَقَدْ جِئْتُمْ) بهذا القول (شَيْئاً إِدًّا) أى منكراً عظيماً- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابن زيد، قال الراجز:

لقد لقى الاعداء منى نكراَ داهية دهياء إدّاَ إمراَ «1»
و قال الآخر:
فى لهب منه و حبل إد «2»
ثم قال تعالى تعظيما لهذا القول «تَكادُ السَّماواتُ» و قرئ بالتاء و الياء. فمن قرأ بالتاء فلتأنيث السموات و من ذكر، فلأن التأنيث غير حقيقى. و قال ابو الحسن:
معنى تكاد السموات تريد كقوله «كِدْنا لِيُوسُفَ» أى أردنا، و انشد:
كادت و كدت و تلك خير إرادة لو عاد من لهو الصبابة ما مضى «3»
و مثله قوله تعالى (أَكادُ أُخْفِيها) أى أريد و معنى (تكاد) فى الآية تقرب لان السموات لا يجوز ان يتفطرن و لا يردن لذلك، و لكن هممن بذلك، و قربن منه اعظاماً لقول المشركين. و قال قوم: معناه على وجه المثل، لان العرب تقول إذا أرادت امراً عظيماً منكراً: كادت السماء تنشق و الأرض تنخسف، و أن يقع السقف.

_____

(1) مر تخريجه فى 7/ 73 من هذا الكتاب
(2) تفسير الطبرى 16/ 86
(3) تفسير القرطبى 11/ 184 و هو فى مجمع البيان 3/ 530

فلما افتروا على اللَّه الكذب، ضرب اللَّه المثل لكذبهم بأهول الأشياء، و قريب من هذا قول الشاعر:
أ لم تر صدعاً فى السماء مبيناً على ابن لبينى الحارث بن هشام «1»
و قريب منه ايضاً قول الشاعر:
و أصبح بطن مكة مقشعراً كان الأرض ليس بها هشام «2»
و قال آخر:
بكا حارث الجولان من فقد ربه و حوران منه خاشع متضائل «3»
و قال آخر:
لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة و الجبال الخشع «4»
و قال قوم: المعنى لو كان شىء يتفطر استعظاماً لما يجرى من الباطل لتفطرت السموات و الأرض استعظاماً، و استنكاراً لما يضيفونه الى اللَّه تعالى من اتخاذ الولد، و مثله قوله «وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ» «5» و معنى يتفطرن يتشققن و الانفطار الانشقاق فى قول ابن جريج، يقال: فطر ناب البعير إذا انشق، و قرئ ينفطرن بمعنى يتشققن منه، يعنى من قولهم اتخذ الرحمن ولداً، و المراد بذلك تعظيماً و استنكاراً لهذا القول، و انه لو كانت السموات يتفطرن تعظيماً لقول باطل لانشقت لهذا القول، و لو كانت الجبال تخر لأمر، لخرّت لهذا القول. و (الهدّ) تهدم بشدة صوت.
و قوله «أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمن وَلَداً» أى لأن دعوا، أو من ان دعوا، او المعنى ان

السموات تكاد ينفطرن وَ الجبال تنهد و الأرض تنشق لدعواهم للّه ولداَ، أى

---

(1) مر هذا البيت فى 6/ 307
(2) مجمع البيان 3/ 530
(3) مر تخريجه فى 6/ 307
(4) مر تخريجه فى 1/ 204، 312
(5) سورة 13 الرعد آية 33

لتسميتهم له ولداً، فهؤلاء سموا للَّه ولداً كما جعلوا المسيح ابن اللَّه. و المشركون جعلوا الملائكة بنات اللَّه. و قيل: معناه ان جعلوا للرحمن ولداً، لان الولد يستحيل عليه تعالى.

ثم اخبر تعالى انه لا ينبغى له ان يتخذ ولداً، و لا يصلح له، كما قال ابن احمر:

فى رأس حلقاء من عنقاء مشرفة ما ينبغى دونها سهل و لا جبل «1»

و قال الآخر فى الدعاء بمعنى التسمية:

ألا ربّ من تدعو نصيحاً و إن تغب تجده بغيب غير منتصح الصدر «2»

و قال ابن احمر ايضاً:

هوى لها مشقصاً حشراً فشبرقها و كنت أدعو قذاها الإثمد الفرد «3»

إِنْ كُلُّ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلاَّ آتِی الرَّحْمنِ عَبْداً (93) لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَ كُلُّهُمْ آتِیهِ یَوْمَ الْقِیامَةِ فَرْداً (95) إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَیَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا (96) فَإِنَّما یَسَّرْناهُ بِلِسانِکَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِینَ وَ تُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا (97)
وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً (98)
ست آیات بلا خلاف.

_____

(1) تفسیر الطبری 16/ 56، 87 [.....]
(2) تفسیر الطبری 16/ 87
(3) تفسیر الطبری 16/ 87 (ج 7 م 20 من التبیان)
التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 154
یقول اللّه تعالی لیس كل من فی السموات و الأرض من العقلاء إلا و هو یأتی الرحمن عبداً مملوكاً لا یمكنهم جحده، و لا الامتناع منه، لأنه یملك التصرف فیهم كیف شاء. ثم قال تعالی إنه «لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا» أی علم تفاصیلهم و أعدادهم فكأنه عدهم، لا یخفی علیه شیء من أحوالهم. ثم قال: و جمیعهم یأتی اللّه یوم القیامة فرداً مفرداً، لا أحد معه و لا ناصر له و لا أعوان، لان كل احد مشغول بنفسه لا یهمه هم غیره. ثم قال تعالی «إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» أی آمنوا باللّه و وحدانیته و صدقوا أنبیاءه، و عملوا بالطاعات سیجعل اللّه لهم ودّاً أی سیجعل بعضهم یحب بعضاً، و فی ذلک أعظم السرور و أتم النعمة، لأنها كمحبة الوالد لولده البار به. و قال ابن عباس و مجاهد: «سَیَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا» فی الدنیا. و قال الربیع بن أنس إذا أحب اللّه عبداً طرح محبته فی قلوب أهل السماء، و فی قلوب أهل الأرض. ثم قال لنبیه (ص) «فَإِنَّما یَسَّرْناهُ بِلِسانِکَ» یعنی القرآن «لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِینَ» لمعاصی اللّه بالجنة «وَ تُنْذِرَ بِهِ» أی تخوف به (قَوْماً لُدًّا) أی قوماً ذوی جدل مخاصمین- فی قول قتادة- و هو من اللدد، و هو شدة الخصومة، و منه قوله تعالی «وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ» «1» أی أشد الخصام خصومة و هو جمع ألد، ك (أصم، و صم) قال الشاعر:
إن تحت الأحجار حزماً و عزماً و خصیماً ألدّ ذا معلاق «2»
ثم اخبر اللّه تعالی فقال «وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ» أی هل تدرك احداً منهم «أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً» قال ابن عباس و قتادة و الضحاك: الركز الصوت. و قال ابن زید: هو الحسّ، و المراد- هاهنا- الصوت، و منه الركاز، لأنه یحسّ به حال من تقدم بالكشف عنه، قال

الشاعر:

---

(1) سورة 2 البقرة آية 204
(2) قائله المهلهل. اللسان (علق) و رايته (وجوداً) بدل (و عزماً)

فتوجست ركز الأنيس فراعها عن ظهر غيب و الأنيس سقامها «1»
و المعنى: إنا قد أهلكنا اماماً كثيرة أعظم منهم كثرة، و اكثر أموالا و أشد خصاماً فلم يغنهم ذلک لما أردنا إهلاكهم، فكيف ينفع هؤلاء ذلک، و هم أضعف منهم فى جميع الوجوه، و بين ان حكم هؤلاء حكم أولئک فى ان لا يبقى لهم عين و لا أثر

---

(1) تفسير الطبرى 16/ 89

اشارة

و هى مكية فى قول قتادة و مجاهد. و هى مائة و خمس و ثلاثون آية فى الكوفى و اربع فى المدنيين و اثنان فى البصرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
طه (1) ما أَنْزَلْنا عَلَيْکَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى (2) إِلاَّ تَذْکِرَةً لِمَنْ يَخْشى (3) تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّماواتِ الْعُلى (4)
الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى (5)
خمس آيات فى الكوفى، لأنهم عدوا (طه) آية و أربع فى الباقين.
قرأ ابو عمرو (طه) بفتح الطاء و امالة الهاء. و قرأ حمزة و الكسائى و خلف و ابو بكر إلا الأعشى و البرجمى بامالتهما. الباقون بفتحهما. و قرأ عيسى بن عمر ضد قراءة أبى عمرو- بكسر الطاء و فتح الهاء- و قرأ الحسن بإسكان الهاء، و فسره يا رجل.
و قرأ ابو جعفر بتقطيع الحروف، و رواه الأصمعى عن نافع، و روى عن نافع

الكسر و الفتح فى الحرفين، و روى الفتح فيهما، و هو الأظهر.
فمن فخم فلأنها لغة النبى (ص) و هى لغة اهل الحجاز، و من أمال، فهو حسن. قال ابو عمرو: أملت الهاء لئلّا تلتبس بهاء الكناية. و قد بينا فى أول سورة البقرة معنى أوائل السور و اختلاف الناس فيه، و أن أقوى ما قيل فيه: إنها اسماء للسور و مفتاح لها. و قال قوم: هو اختصار من كلام خص بعلمه النبى صلى اللّه عليه و آله.
و قال ابن عباس و سعيد بن جبير و الحسن و مجاهد: معنى (طه) بالسريانية يا رجل.
و منهم من قال هو بالنبطية. و قال الحسن: هو جواب المشركين لما قالوا: انه شقى فقال اللّه تعالى يا رجل ما أنزلنا عليک القرآن لتشقى، و قيل: إن طه بمعنى يا رجل فى لغة عكّ و انشد لمتمم بن نويرة:
هتفت بطه فى القتال فلم يجب فخفت عليه ان يكون موائلا «1»
و قال آخر:
إن السفاهة طه من خلائقكم لا بارک اللّه فى القوم الملاعين «2»
و من قرأ (طه) بتسكين الهاء تحتمل قراءته أمرين:
أحدهما- ان تكون الهاء بدلا من همزة طاء، كقولهم فى أرقب هرقب، و الآخر ان يكون على ترک الهمز (ط) يا رجل، و تدخل الهاء الوقف. و الشقاء استمرار ما يشق على النفس، يقال: شقى يشقى شقاً، و هو شقى و نقيض الشقاء السعادة.
و قيل فى قوله «ما أَنْزَلْنا عَلَيْکَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى» قولان:
أحدهما- قال مجاهد و قتادة: إنه نزل بسبب ما كان يلقى من التعب و السهر فى قيام الليل.

(1) تفسير الطبرى 16/ 90 و القرطبى 11/ 165 و الشوكانى 3/ 343
(2) تفسير الطبرى 16/ 90 و القرطبى 11/ 166 و الكشاف 3/ 39

و الثانى- قال الحسن: انه جواب للمشركين لما قالوا: انه شقى.
و قوله «إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشى» معناه لكن أنزلناه تذكرة أى ليتذكر به من يخشى اللَّه و يخاف عقابه، يقال: ذكره تذكيراً و تذكرة، و مثله «وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزى إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلى» «1» اى لكن ابتغاء وجه ربه، و ما فعله إلا ابتغاء وجه ربه، و مثله قول القائل: ما جئت لأسوءك إلا إكراماً لزيد، يريد ما جئت إلا اكراماً لزيد، و كذلك المصادر التى تكون عللا لوقوع الشىء نحو جئتك ابتغاء الخير اى لابتغاء الخير. و قوله «تَنْزِيلًا مِمَّنْ» معناه نزل تنزيلا. و قيل تقديره «إِلَّا تَذْكِرَةً ... تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّماواتِ الْعُلى» أى أبدعهن و أحدثهن و «العلى» جمع عليا، مثل ظلمة و ظلم، و ركبة و ركب، و مثل الدنيا و الدنى.
و القصوى و القصى.
و قوله «الرحمن» رفع بأنه خبر مبتدأ، لأنه لما قال «تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ» بينه فكأنه قال: هو الرحمن، كقوله «بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ النَّارُ» «2» و قال ابو عبيدة: تقديره «ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ... إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشى» لا لتشقى. [و يحتمل أن يكون المراد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى] «3» و ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى.
«الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- انه استولى عليه، و قد ذكرنا فيما مضى شواهد ذلك.
الثانى- قال الحسن «استوى» لطفه و تدبيره، و قد ذكرنا ذلك أيضاً فيما مضى، و أوردنا شواهده فى سورة البقرة «4» فأما الاستواء بمعنى الجلوس على الشىء

(1) سورة 92 الليل آية 19- 20
(2) سورة 22 الحج آية 72
(3) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة
(4) فى تفسير آية 29 من سورة البقرة، المجلد الاول صفحة 124

فلا يجوز عليه تعالى، لأنه من صفة الأجسام، و الأجسام كلها محدثة. و يقال: استوى فلان على مال فلان و على جميع ملكه أى احتوى عليه. و قال الفراء: يقال: كان الأمر فى بنى فلان ثم استوى فى بنى فلان أى قصد اليهم و ينشد:

أقول و قد قطعن بنا شرورى ثوانى و استوين من النجوع «1»
أى خرجن و اقبلن

لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ ما تَحْتَ الثَّرى (6) وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى (7) اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى (8) وَ هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى (9) إِذْ رَأى نَاراً فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً (10)
خمس آيات بلا خلاف.
يقول اللَّه تعالى إن «لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ ما تَحْتَ الثَّرى» المعنى انه مالك لجميع الأشياء و اجتزى بذكر بعض الأشياء عن ذكر البعض لدلالته عليه، كما قال «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ» «2» و لم يقل و على ظهورهم، لان المفهوم انهم يذكرون اللَّه على كل حال. و مثله قوله «وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ» «3»

---

(1) لم أجده فى مظانه، و هذه رواية المخطوطة أما المطبوعة فإنها اشارت الى خلاف فى روايته كما يلى: (ظعن) بدل (قطعن) و (سروراً) بدل (شرورى) و (سوامد) بدل (ثوانى) و (الضجوع) بدل (النجوع)
(2) سورة 3 آل عمران آية 191
(3) سورة 9 التوبة آية 63 [.....]

لما كان رضا أحدهما رضا الآخر، و مثله قوله «وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ» «1» و لم يقل ينفقونهما لدلالته على ذلك و «الثَّرى» التراب الندى، فله تعالى «ما تَحْتَ الثَّرى» الى حيث انتهى، لأنه مالكه و خالقه و مدبره، و كل شىء ملكه يصح، و اللَّه تعالى مالكه بمعنى أن له التصرف فيه كيف شاء.
و قوله «وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى» معناه و إن تجهر بالقول لحاجتك لسمعه أى تجهر به، فانه تعالى يعلم السر و أخفى من السر. و لم يقل و أخفى منه، لأنه دال عليه، كما يقول القائل: فلان كالفيل أو أعظم، و هذا كالحبة أو أصغر.
و الجهر رفع الصوت يقال: جهر يجهر جهراً، فهو جاهر و الصوت مجهور، و ضده الهمس. و (السر) ما حدث به الإنسان غيره فى خفية، و أخفى منه ما أضمره فى نفسه و لم يحدث به غيره- هذا قول ابن عباس- و قال قتادة و ابن زيد و سعيد بن جبير: السر ما أضمره العبد فى نفسه. و أخفى منه ما لم يكن و لا أضمره أحد. و قال قوم: معناه يعلم السر و الخفى. و ضعف هذا لأنه ترك الظاهر و عدول بلفظة (أفعل) الى غير معناها من غير ضرورة، و لان حمله على معنى أخفى أبلغ إذا كان بمعنى أخفى من السر،

فاما قول الشاعر:
تمنى رجال ان أموت و إن امت فتلک سبيل لست فيها بأوحد «2»
انما حمل على ان المراد (بأوحد) احد، لان الوحدة لا يقع فيها تعاظم، فأخرجه الشاعر مخرج ما فيه تعاظم ورد المعنى الى الواحد. ثم اخبر تعالى بانه «اللَّه» الذى تحق له العبادة «لا إله» يحق له العبادة «إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى» و انما ذكر الحسنى بلفظ التوحيد و لم يقل الاحاسن، لان الأسماء مؤنثة يقع عليها (هذه) كما

---

(1) سورة 9 التوبة آية 35
(2) تفسير الطبرى 16/ 93 (ج 7 من 21 من التبيان)

يقع على الجماعة (هذه) كأنه اسم واحد للجميع قال الشاعر:
و سوف يعتبنيه إن ظفرت به رب كريم و بيض ذات اطهار «1»
و فى التنزيل «حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ» «2» «و مَآرِبُ أُخْرى» «3» فقد جاز صفة جمع المؤنث بصفة الواحد.
و قوله و هل «أَتاکَ حَدِيثُ مُوسى» خطاب للنبى (ص) و تسلية له مما ناله من أذى قومه. و التثبيت له بالصبر على امر ربه، كما صبر اخوه موسى (ع) حتى نال الفوز فى الدنيا و الآخرة.
و قوله «إِذْ رَأى ناراً» اى حديث موسى حين رأى ناراً «فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا» اى البثوا مكانكم «إِنِّى آنَسْتُ ناراً» اى رأيت ناراً. و الإيناس وجدان الشىء الذى يؤنس به، لأنه من الانس و يقال: آنس البازى إذا رأى صيداً قال العجاج:
آنس خربان فضاء فانكدر
و كان فى شتاء، و قد امتنع عليه القدح و ضل عن الطريق، فلذلک قال «أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً» و قوله «لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ» فالقبس الشعلة، و هو نار فى طرف عود أو قصبة، يقول القائل لصاحبه: اقبسنى ناراً فيعطيه إياها فى طرف عود او قصبة أى لعلى آتيكم بنار تصطلون به أو أجد من يدلنى على الطريق الذى أضللناه او ما استدل به عليه و يقال اقبسته ناراً إذا أعطيته قبساً منها، و قبسته للعلم، فرق بين النوعين، و الأصل واحد و كلاهما يستضاء به.

---

(1) تفسير الطبرى 16/ 93 و مجمع البيان 4/ 3
(2) سورة 27 النمل آية 60
(3) سورة 20 طه آية 18

فَلَمَّا أَتاها نُودِیَ یا مُوسی (11) إِنِّی أَنَا رَبُّکَ فَاخْلَعْ نَعْلَیْکَ إِنَّکَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً (12) وَ أَنَا اخْتَرْتُکَ فَاسْتَمِعْ لِما یُوحی (13) إِنَّنِی أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِی وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِکْرِی (14) إِنَّ السَّاعَةَ آتِیَةٌ أَکادُ أُخْفِیها لِتُجْزی کُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعی (15)

خمس آیات.

قرأ ابن کثیر و ابو عمرو «إنی أنا ربک» بفتح الهمزة و الیاء. الباقون بکسرها و سکون الیاء إلا نافعاً فانه فتح الیاء. و قرأ ابن کثیر و ابو عمرو و نافع و عاصم و حمزة و الکسائی «طوی» بضم الطاء مصروفاً. و روی بکسر الطاء غیر مصروف ابو زید عن أبی عمرو. و قال: هی أرض. و قرأ «و انا اخترناک» بالتشدید بالف حمزة، و أصله و اننا اخترناک و النون و الالف نصب ب (إن) و (ان) مع ما بعدها فی موضع نصب بتقدیر، نودی «إنا اخترناک». و قرأ الباقون «و أنا اخترتک» علی التوحید ف (أنا) رفع بأنه ابتداء و «اخْتَرْتُکَ» خبره. و فی قراءة أبی «و إننی اخترتک» فهذه تقوی قراءة حمزة و الکسائی.

من لم یصرف «طوی» یجوز أن یکون اعتقد انه معدول عن (طاو) و هو معرفة، و یجوز أن یکون نکرة، لأنه اسم البقعة.

یقول اللّه تعالی لنبیه (ص) إن موسی (ع) لما أتی النار التی آنسها نودی، فقیل له یا موسی. و النداء الدعاء علی طریقة یا فلان، و هو مد الصوت بنداء علی هذه الطریقة التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 164

یقال: صوت نداء، و ذلک أنه بندائه یمتد «إنی انا ربک» فیمن فتح الهمزة. فالمعنی نودی بأنی أنا، و لما حذف الباء فتح. و من کسرها فعلی الاستئناف أو علی تقدیر قیل له إنی أنا ربک الذی خلقک و دبرک «فَاخْلَعْ نَعْلَیْکَ» و انما علم موسی (ع) أن هذا النداء من قبل اللّه تعالی بمعجزة أظهرها اللّه، کما قال فی موضع آخر «نُودِیَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَیْمَنِ فِی الْبُقْعَةِ الْمُبارَکَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ یا مُوسی إِنِّی أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ وَ أَنْ أَلْقِ عَصاکَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ کَأَنَّها جَانٌّ وَلَّی مُدْبِراً وَ لَمْ یُعَقِّبْ» حتی قیل له «یا مُوسی أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّکَ مِنَ الْآمِنِینَ» «1» و قیل السبب الذی لأجله أمر بخلع النعلین فیه قولان:

أحدهما-

لیباشر بقدمیه برکة الوادی المقدس فی قول علی (ع)

و الحسن و ابن جریج.

و قال کعب و عکرمة: لأنها کانت من جلد حمار میت. و حکی البلخی أنه امر بذلک علی وجه الخضوع و التواضع، لان التحفی فی مثل ذلک أعظم

تواضعاً و خضوعاً.
و الخلع نزع الملبوس يقال: خلع ثوبه عن بدنه و خلع نعله عن رجله. و قد ينزع المسمار، فلا يكون خلعاً، لأنه غير ملبوس و يقال: خلع عليه رداءه كأنه نزعه عن نفسه و ألبسه إياه. و الوادى سفح الجبل. و يقال للمجرى العظيم من مجارى الماء واد و أصله عظم الامر. و وديته إذا أعطيته ديته، لأنها عطية عن الأمر العظيم من القتل.
و المقدس المبارک- فى قول ابن عباس و مجاهد- و قيل هو المطهر، قال امرؤ القيس:
كما شبرق الولدان ثوب المقدس «2»
يريد بالمقدس: العابد من النصارى، كالقسيس و نحوه و (شبرق) أى شق.

---

(1) سورة 28 القصص آية 30- 31
(2) شرح ديوانه: 120 و صدره:
فأدركنه يأخذن بالساق و النسا

و قيل فى معنى (طوى) قولان:
أحدهما- قال ابن عباس و مجاهد و ابن زيد: هو اسم الوادى.
و قال الحسن: لأنه طوى بالبركة مرتين، فعلى هذا يكون مصدر طويته طوى، و قال عدى بن زيد:
أعاذل ان اللوم فى غير كنهه علىّ طوى من غيک المتردد «1»
و قوله «وَ أَنَا اخْتَرْتُکَ» اى اصطفيتک «فَاسْتَمِعْ لِما يُوحى» اليک من كلامى و اصغ اليه و تثبت «إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا» أى لا إله يستحق العبادة غيرى «فاعبدنى» خالصاً، و لا تشرک فى عبادتى احداً «وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى» أى لتذكرنى فيها بالتسبيح و التعظيم- فى قول الحسن و مجاهد- و قيل: معناه لأن أذكرک بالمدح و الثناء. و قيل المعنى متى ذكرت ان عليک صلاة كنت فى وقتها أو فات وقتها، فأقمها. و قرئ- بفتح الراء- قال أبو على: يحتمل أن يكون قلب الكسرة فتحة مع ياء الاضافة.
ثم اخبر اللّه تعالى بأن الساعة يعنى القيامة «آتِيَةٌ» أى جائية «أَكادُ أُخْفِيها» معناه أكاد لا أظهرها لاحد- فى قول ابن عباس و الحسن و قتادة- أى لا أذكرها بأنها آتية، كما قال تعالى «لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً» «2» و قيل «أخفيها» بضم الألف بمعنى أظهرها، و انشد بيتاً لأمرىء القيس بن عابس الكندى:
فان تدفنوا الداء لا نخفه و إن تبعثوا الحرب لا نقعد «3»
فضم النون من نخفه- ذكره ابو عبيدة- قال أنشدنيه ابو الخطاب هكذا، و أنشده

---

(1) تفسير الطبرى 16/ 96 و مجمع البيان 4/ 4

(2) سورة 7 الاعراف آية 186
(3) شرح ديوان امرئ القيس: 77 و الطبرى 16/ 100 و القرطبى 11/ 182 و الشوكانى 3/ 347 و غيرها
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 166
الفراء بفتح النون. و قال أبى بن كعب: المعنى «أَكادُ أُخْفِيها» من نفسى. قال ابن الانبارى تأويله من نفسى «أَكادُ أُخْفِيها» أى من قبلى، كما قال «تَعْلَمُ ما فِى نَفْسِى وَ لا أَعْلَمُ ما فِى نَفْسِكَ» «1». و قوله «لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعى» اى تجازى كل نفس بحسب عملها، فمن عمل الطاعات أثيب عليها، و من عمل المعاصى عوقب بحسبها

فَلا يَصُدَّنَّکَ عَنْها مَنْ لا يُؤْمِنُ بِها وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَتَرْدى (16) وَ ما تِلْکَ بِيَمِينِکَ يا مُوسى (17) قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَکَّؤُا عَلَيْها وَ أَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي وَ لِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى (18) قالَ أَلْقِها يا مُوسى (19) فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى (20)

خمس آيات بلا خلاف.

قوله «فَلا يَصُدَّنَّکَ عَنْها» نهى متوجه الى موسى من اللَّه تعالى و المراد به جميع المكلفين، نهاهم اللَّه ان يصدهم عن ذكر الساعة، و المجازاة فيها من لا يصدق بها من الكفار. و (الصدّ) الصرف عن الخير يقال: صده عن الايمان و صده عن الحق، و لا يقال: صده عن الشر، و لكن يقال: صرفه عن الشر، و منعه منه.

و قوله «وَ اتَّبَعَ هَواهُ» يعنى من لا يؤمن بالقيامة و (الهوى) ميل النفس الى الشىء بأريحية تلحق فيه. و هواء الجو ممدود، و هوى النفس مقصور.

و قوله «فتردى» معناه فتهلک، يقال: ردى يردى ردى، فهو رد. إذا هلک، أى ان صددت عن الساعة بترک التأهب لها هلكت، و تردّى هلک بالسقوط.

و قوله «وَ ما تِلْکَ بِيَمِينِکَ يا مُوسى» قال الفراء: (تلک) تجرى مجرى (هذه) و هى بمعنى الذى و (بيمينک) صلته و تقديره، و ما الذى بيمينک يا موسى و أنشد:

---

(1) سورة 5 المائدة آية 119

عدس ما لعباد عليک امارة أمنت و هذا تحملين طليق «1»

يعنى الذى تحملين. و هو فى صورة السؤال لموسى عما فى يده اليمنى. و الغرض بذلک تنبيهه له عليها ليقع المعجز بها بعد التثبت فيها، و التأمل لها.

و قوله «قالَ هِيَ عَصايَ» جواب من موسى ان الذى فى يدى «عَصايَ أَتَوَکَّؤُا عَلَيْها» فى مشيى «وَ أَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي» اى اخبط بها ورق الشجر اليابس لترعاه غنمى يقال: هش يهش هشاً: قال الراجز:

أهش بالعصا على اغنامى من ناعم الأراک و البشام «2»

(وَ لِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى) اى حوائج أخر من قولهم: لا أرب لى فى هذا أى لا حاجة. و للعرب فى واحدها ثلاث لغات: مأربة بضم الراء و فتحها و كسرها.

و قوله «قالَ أَلْقِها يا مُوسى فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى» حكاية عما امر اللَّه تعالى موسى بأن يلقى العصا من يده و أن موسى ألقاها، فلما ألقاها صارت فى الحال حية تسعى، خرق اللَّه العادة فيها و جعلها معجزة ظاهرة باهرة.

قالَ خُذْها وَ لا تَخَفْ سَنُعِيدُها سِيرَتَهَا الْأُولى (21) وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلى جَناحِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرى (22) لِنُرِيَكَ مِنْ آياتِنَا الْكُبْرى (23) اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى (24) قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25)
خمس آيات بلا خلاف.

---

(1) تفسير الطبرى 16/ 102 و اكثر كتب النحو يأتون به شاهداً على أن (هذا) أسم موصول بمعنى الذى.
(2) تفسير الشوكانى 3/ 349 و القرطبى 11/ 187 و الطبرى 16/ 102

اخبر اللّه تعالى أن العصا حين صارت حية تسعى خاف موسى منها فقال اللّه له «خذها» يا موسى فانا «سنعيدها» الى ما كانت أول شىء فى يدك عصى. و معنى «خذها» تناولها بيدك. و (الخوف) انزعاج النفس يتوقع الضرر، خافه خوفاً، فهو خائف و ذاك مخوف. و ضد الخوف الأمن و مثل الخوف الفزع و الذعر، و الاعادة ردّ الشىء ثانية الى ما كان عليه أول مرة. و مثل الاعادة التكرير و الترديد. و المعنى سنعيدها خلقتها الاولى، و قد يقال: الى سيرتها. و السيرة مرور الشىء فى جهة، من سار يسير سيرة حسنة أو قبيحة. و كان مستمر على حال العصا فأعيدت الى تلك الحال. و نظير السيرة الطريقة. و قيل المعنى: سنعيدها الى سيرتها، فانتصب بإسقاط الخافض.
و قوله «وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلى جَناحِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» قيل فى معناه قولان: أحدهما- الى جنبك، قال الراجز:
اضمه للصدر و الجناح «1»
الثانى- الى عضدك و اصل الجنوح الميل، و منه جناح الطائر، لأنه يميل به فى طيرانه حيث شاء. و الجنب فيه جنوح الأضلاع. و اصل العضد من جهته تميل اليد حيث شاء صاحبها. و قال ابو عبيدة: الجناحان الناحيتان.
و قوله «تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» اى من غير برص- فى قول ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتادة و السدى و الضحاك- و قوله «آيَةً أُخْرى» قيل فى نصبها قولان: أحدهما- على الحال. و الاخر على المفعولية، اى نعطيك آية أخرى، فحذف لدلالة الكلام عليه، فالآية الاولى قلب العصا حية و الاخرى اليد البيضاء من غير سوء. و قيل انه أمره ان يدخل يده فى فمها فيقبض عليها، فادخل يده فى فمها

---

(1) تفسير القرطبى 11/ 191 [.....]

فصارت يده بين الشعبتين اللتين كانتا فى العصا، و صارت الحية فى يده عصاً كما كانت.
و قوله (لِنُرِيَکَ مِنْ آياتِنَا الْكُبْرى) معناه قلب العصاحية لنريک من آياتنا و حججنا الكبرى منها، و لو قال الكبر على الجمع كان وصفاً لجميع الآيات، و كان جائزاً.
ثم قال تعالى له (اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ) اى امض اليه و ادعه الى اللَّه، و خوفه من عقابه، فانه طغى، أى تجاوز قدره فى عصيان اللَّه، و تجاوز به قدر معاصى الناس، يقال: طغى يطغى طغياناً، فهو طاغ، و نظيره البغى على الناس، و هم الطغاة و البغاة.
فقال عند ذلک موسى يا (رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى) اى وسع لى صدرى، و منه شرح المعنى اى بسط القول فيه.

وَ يَسِّرْ لِی أَمْرِی (26) وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِی (27) يَفْقَهُوا قَوْلِی (28) وَ اجْعَلْ لِی وَزِيراً مِنْ أَهْلِی (29) هارُونَ أَخِی (30)
خمس آيات.
و هذا ايضاً اخبار عما سأل اللَّه تعالى موسى، فانه سأله ان ييسر له أمره، أى يسهله عليه و يرفع المشقة عنه و يضع المحنة، يقال: يسره تيسيراً، فهو ميسر و نقيضه التعسير، و منه اليسر و اليسير. و الحل نفى العقد بالفرق، حله يحله حلا، فهو حال و الشىء محلول. و ضد الحل العقد، و نظيره الفصل و القطع. و العقدة جملة مجتمعة يصعب حلها متفلكة، عقد يعقد عقداً و عقدة، فهو عاقد و الشىء معقود، (ج 7 م 22 من التبيان) التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 170
و يقال: انه كان فى لسان موسى (ع) رثة و هى التى لا يفصح معها بالحروف شبه التمتمة و غيرها. و قيل: إن سبب العقدة فى لسانه أنه طرح جمرة فى فيه لما أراد فرعون قتله، لأنه أخذ لحيته و هو طفل فنتفها، فقالت له آسية: لا تفعل، فانه صبى لا يعقل، و علامته انه أخذ جمرة من طست فجعلها فى فيه. ذكره سعيد بن جبير و مجاهد و السدى.
و قوله «يَفْقَهُوا قَوْلِی» أى يفقهوه إذا حللت العقدة من لسانى أفصحت بما أريد. و سأله ايضاً أن يجعل له وزيراً يؤازره على المضى الى فرعون و يعاضده عليه، و الوزير حامل الثقل عن الرئيس، مشتق من الوزر الذى هو الثقل، و اشتقاقه ايضاً من الوزر، و هو الذى يلجأ اليه من الجبال و المواضع المنيعة. و قوله «هارُونَ أَخِی» قيل فى نصب (هارون) وجهان:
أحدهما- على انه مفعول (اجعل) الاول و (وزيراً) المفعول الثانى على جهة الخبر.
و الوجه الثانى- ان يكون بدلا من (وزيراً) و بياناً عنه. فقيل: انّ اللَّه حل اكثر ما كان بلسانه إلا بقية منه بدلالة قوله «وَ لا يَكادُ يُبِينُ» «1» فى قول أبى على.
و قال الحسن: ان اللَّه استجاب دعاءه، فحل العقدة من لسانه. و هو الصحيح، لقوله تعالى «قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى» و يكون قول فرعون «وَ لا يَكادُ يُبِينُ» «2» انه لا يأتى ببيان يفهم كذباً عليه ليغوى بذلک الناس و يصرف به وجوههم عنه.

اشْدُدْ بِهِ أَزْرِی (31) وَ أَشْرِکْهُ فِی أَمْرِی (32) کَیْ نُسَبِّحَکَ کَثِیراً (33) وَ نَذْکُرَکَ کَثِیراً (34) إِنَّکَ کُنْتَ بِنا بَصِیراً (35)
قالَ قَدْ أُوتِیتَ سُؤْلَکَ یا مُوسی (36)

(1، 2) سورة 43 الزخرف آية 52
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 171
ست آيات.
قرأ ابن عامر وحده «اشدد به ازرى» بقطع الهمزة «و اشركه» بضم الألف. الباقون بوصل الهمزة الأولى، و فتح الثانية. فوجه قراءة ابن عامر: أنه جعله جزاء. الباقون جعلوه: دعاء. و ضم الف (اشركه) فى قراءة ابن عامر ضعيف، لأنه ليس اليه اشركه فى النبوة بل ذلک الى اللَّه تعالى. و الوجه فتح الهمزة على الدعاء إلا ان يحمل على أنه أراد اشراكه فى أمره فى غير النبوة و ذلک بعيد، لأنه جاء بعده ما يعلم به مراد موسى، لأنه قال «وَ أَخِی هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً یُصَدِّقُنِی» «1» فقال اللَّه تعالى «سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِیکَ» «2».
قوله «اشْدُدْ بِهِ أَزْرِی» فالشد جمع يستمسک به المجموع يقال: شده يشده شداً، فهو شاد و ذاک مشدود، و مثله الربط و العقد. و الأزر الظهر يقال: آزرنى فلان على أمرى أى كان لى ظهراً، و منه المئزر، لأنه يشد على الظهر، و الإزار لأنه يشد على الظهر، و التأزير لأنه تقوية من جهة الظهر. و يجوز ان يكون أزر لغة فى وزر، مثل أرخت و ورخت، و أكدت و وكدت. و قوله «وَ أَشْرِکْهُ فِی أَمْرِی» فالاشراک الجمع بين الشيئين فى معنى على انه لهما، يجعل جاعل. و قد أشرک اللَّه بين موسى و هارون فى النبوة. و قوّى اللَّه به أزره، كما دعاه.
و قوله «کَیْ نُسَبِّحَکَ کَثِیراً» فالتسبيح التنزيه للَّه عما لا يجوز عليه من وصفه بما لا يليق به، فكل شىء عظم به اللَّه بنفى ما لا يجوز عليه، فهو تسبيح، مثل:
سبحان اللَّه و الحمد للَّه و لا إله إلا اللَّه و اللَّه اكبر. و قوله «وَ نَذْکُرَکَ کَثِیراً» معناه

(1، 2) سورة 28 القصص آية 35- 36
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 172
نذكرک بحمدک و الثناء عليک بما أوليتنا من نعمک، و مننت به علينا من تحميل رسالتک «إِنَّکَ کُنْتَ بِنا بَصِیراً» أى عالماً بأحوالنا و أمورنا. فقال اللَّه

تعالى إجابة له «قَدْ أوتِيتَ سُؤْلَکَ یا مُوسی» أی أعطیت مناک فیما سألته. و السؤال المنی فیما یسأله الإنسان، مشتق من السؤال. و یجوز بالهمز و ترک الهمز.

وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْکَ مَرَّةً أُخْرى (37) إِذْ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّکَ ما يُوحى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَ عَدُوٌّ لَهُ وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْکَ مَحَبَّةً مِنِّي وَ لِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُکَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلى مَنْ يَکْفُلُهُ فَرَجَعْناکَ إِلى أُمِّکَ کَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ وَ قَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْناکَ مِنَ الْغَمِّ وَ فَتَنَّاکَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلى قَدَرٍ يا مُوسى (40) وَ اصْطَنَعْتُکَ لِنَفْسِي (41)
اذْهَبْ أَنْتَ وَ أَخُوکَ بِآياتِي وَ لا تَنِيا فِي ذِکْرِي (42) اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى (43) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَکَّرُ أَوْ يَخْشى (44)
ثمان آيات بلا خلاف. إلا أن فى تفصيلها خلافاً لا نطول بذكره.
لما أخبر اللّه تعالى موسى بأنه قد آتاه ما طلبه و أعطاه سؤله، عدد ما
تقدم التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 173
ذلک من نعمه عليه و مننه لديه. فقال «وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْکَ مَرَّةً أُخْرى» و المنّ نعمة يقطع صاحبها بها عن غيره باختصاصها به. يقال: منّ عليه يمن مناً إذا أنعم عليه نعمة يقطعه إياها. و أصله القطع، و منه قوله «لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» «1» اى غير مقطوع.
و حبل منين: أى منقطع. و المرة الكرة الواحدة من المر، و ذلک ان نعمة اللّه (عز و جل) عليه مستمرة، فذكره الاجابة مرة و قبلها مرة أخرى. و قوله (إِذْ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّکَ ما يُوحى) أى كانت هذه النعمة عليک حين أوحينا الى أمک ما يوحى، قال قوم: أراد انه ألهمها ذلک. و قال الجبائى: رأت فى المنام أن اقذفيه فى التابوت، ثم اقذفيه فى اليم، و القذف هو الطرح، و اليم البحر قال الراجز:
كنازح اليم سقاه اليم «2»
و قيل: المراد به هاهنا النيل. و قوله «فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ» جزاء و خبر أخرج مخرج الامر و مثله «اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياکُمْ» و التقدير فاطرحيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل. و قوله «يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَ عَدُوٌّ لَهُ» يعنى فرعون. و كان عدوّاً للّه بكفره وحدانيته و ادعائه الربوبية، و كان عدو موسى، لتصوره أن ملكه ينقرض على يده.
و قوله «وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْکَ مَحَبَّةً مِنِّي» معناه إنى جعلت من رآک أحبک حتى أحبک فرعون، فسلمت من شره، و احبتک امرأته آسية بنت مزاحم فتبنتک.
و قوله (و لتصنع على عينى) قال قتادة: معناه لتغذى على محبتى و ارادتى، و تقديره و أنا أراک، يجرى أمرک على ما أريد بک من الرفاهة فى غذائک، كما يقول القائل لغيره: أنت منى بمرءاً و مستمع أى انا مراع لاحوالک. و قوله «إِذْ تَمْشِي أُخْتُکَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلى مَنْ يَکْفُلُهُ» قيل ان موسى

امتنع أن يقبل ثدى مرضعة

---

(1) سورة 41 حم السجدة (فصلت) آية 8 و سورة 84 الانشقاق آية 25 و سورة 95 التين آية 6
(2) مر تخريجه فى 4/ 557 من هذا الكتاب

الا ثدى امه لما دلتهم عليها أخته، فلذلک قال (فَرَجَعْناکَ إِلى أُمِّکَ کَیْ تَقَرَّ عَیْنُها وَ لا تَحْزَنَ).
و قوله «وَ قَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّیْناکَ مِنَ الْغَمِّ» و
روى عن النبى (ص) أن قتله النفس كان خطأ.
و قال جماعة من المعتزلة: انه كان صغيرة. و قال أصحابنا: انه كان ترک مندوب اليه، لان اللَّه تعالى قد كان حكم بقتله لكن ندبه الى تأخير قتله الى مدة غير ذلک، و انما نجاه من الفكر فى قتله، كيف لم يؤخره الى الوقت الذى ندبه اليه.
و قال قوم: أراد نجيناک من القتل لأنهم طلبوه ليقتلوه بالقبطى.
و قوله (وَ فَتَنَّاکَ فُتُوناً) أى اختبرناک اختباراً. و المعنى انا عاملناک معاملة المختبر حتى خلصت للاصطفاء بالرسالة، فكل هذا من اكبر نعمه. و قيل: الفتون وقوعه فى محنة بعد محنة حتى خلصه اللَّه منها: أولها- أن امه حملته فى السنة التى كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم القاؤه فى اليم، ثم منعه من الرضاع إلا من ثدى أمه، ثم جره لحية فرعون حتى هم بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الدرة، فدرأ اللَّه بذلک. عنه قتل فرعون، ثم مجىء رجل من شيعته يسعى ليخبره بما عزموا عليه من قتلة. و ذلک عن ابن عباس فالمعنى على هذا و خلصناک من المحن تخليصاً. و قيل معناه اخلصناک إخلاصاً. ذكره مجاهد.
و قوله «فَلَبِثْتَ سِنِینَ فِی أَهْلِ مَدْیَنَ» يعنى أقمت سنين عند شعيب، يعنى أحوالا اجيراً له ترعى غنمه، فمننا عليک و جعلناک نبياً حتى «جِئْتَ عَلى قَدَرٍ» أى فى الوقت الذى قدر لإرسالک، قال الشاعر:
نال الخلافة إذ كانت له قدراً كما اتى ربه موسى على قدر «1»
و قال الجبائى معنى «وَ فَتَنَّاکَ فُتُوناً» أى شددنا عليک التعب فى أمر المعاش

---

(1) مر تخريجه فى 1/ 307 من هذا الكتاب

حتى رعيت لشعيب عشر سنين، و يؤكده قوله «فَلَبِثْتَ سِنِینَ فِی أَهْلِ مَدْیَنَ» و هى مدينة شعيب «ثُمَّ جِئْتَ عَلى قَدَرٍ يا مُوسى» و قوله «وَ اصْطَنَعْتُکَ» أى اصطفيتک أخلصتک بالالطاف التى فعلتها بک، اخترت عندها

الإخلاص لعبادتى. و قوله «لنفسى» ى لتنصرف على ارادتى و محبتى يقال: اصطنعه يصطنعه اصطناعاً، و هو (افتعال) من لصنع، و الصنع اتخاذ الخير لصاحبه. و وجه قوله «لنفسى» يعنى محبتى، لان المحبة لما كانت أخص شىء بالنفس حسن أن يجعل ما اختص بها مختصاً بالنفس على هذا الوجه.
و قوله «اذْهَبْ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بِآياتِي» أى بعلاماتى و حججى «وَ لا تَنِيا» أى لا تفترا، يقال: ونى فى الامر ينى ونياً إذا فتر فيه، فهو و ان و متوان. و قيل: معناه لا تضعفا قال العجاج:
فما ونى محمد مذ أن غفر له الإله ما مضى و ما غبر «1»
و قوله «فِي ذِكْرِي. اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى» أى عتا و خرج عن الحد فى المعاصى «فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى» معناه ادعواه الى اللّه و الى الايمان به و بما جئتما به، على الرجاء و الطمع، لا على اليأس من فلاحه. فوقع التعبد لهما على هذا الوجه، لأنه أبلغ فى دعائه الى الحق، بالحرص الذى يكون من الراجى للأمر. و قال السدى: معنى قوله «فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً» أى كنياه. و قيل: انه كانت كنية فرعون أبا الوليد. و قيل: أبا مرة. و قيل: معناه وّ قراه و قارباه. و قوله «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ» معناه ليتذكر «أو يخشى» معناه أو يخاف. و المعنى انه يكون أحدهما إما ذكر أو الخشية. و قيل المعنى على رجائكما او طمعكما. لأنهما لا يعلمان هل يتذكر لا. و (لعل) للترجى إلا انه يكون لترجى المخاطب تارة و لترجى المخاطب أخرى

---

(1) مر تخريجه فى 6/ 344 من هذا الكتاب

قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغى (45) قالَ لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَ أَرى (46) فَأْتِياهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ وَ لا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَ السَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا أَنَّ الْعَذابَ عَلى مَنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (48) قالَ فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى (49)
قالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى (50)
ست آيات بلا خلاف.
لما امر اللَّه موسى و هارون (ع) أن يمضيا الى فرعون و يدعواه الى اللَّه «قالا اننا نخاف أن يفرط علينا» و معناه ان يتقدم فينا بعذاب، و يعجل علينا، و منه الفارط المتقدم امام القوم الى الماء، قال الشاعر:
قد فرط العجل علينا و عجل «1»
و منه الافراط الإسراف، لأنه تقدم بين يدى الحق. و التفريط التقصير فى الأمر، لأنه تأخير عما يجب فيه التقدم. فالأصل فيه التقدم «أَوْ أَنْ يَطْغى» أو يعتو علينا و يتجبر، فقال اللَّه تعالى لهما «لا تَخافا» و لا تخشيا «إِنَّنِي مَعَكُما» أى عالم بأحوالكما، لا يخفى على شىء من ذلك، و إنى ناصر لكما، و حافظ لكما «اسمع» ما

---

(1) تفسير الشوكانى 3/ 355 و القرطبى 11/ 198

يقول لكما «وارى» ما يفعل بكما. و قال ابن جريج «إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ» ما يحاوركما به «و أرى» ما تجيئان به. فالسامع هو المدرك للصوت. و الرائى المدرك للمرئيات. ثم أمرهما بأن ياتياه، و يقولا له «إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ» بعثنا اللَّه اليك و الى قومك لندعوكم الى توحيد اللَّه و اخلاص عبادته، و يأمرك أن ترسل «مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ» اى تخليهم و تفرج عنهم، و تطلقهم من اعتقالك «وَ لا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ» اى بمعجزة ظاهرة، و دلالة واضحة من عند ربك «و السلام» يعنى السلامة و الرحمة «عَلى مَنِ اتَّبَعَ» طريق الحق و (الهدى)، و (على) بمعنى اللام و تقديره السلامة لمن اتبع. و المعنى ان من اتبع طريق الهدى سلم من عذاب اللَّه.
و قوله (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا) معناه قولا: (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا أَنَّ الْعَذابَ عَلى مَنْ كَذَّبَ) بآيات اللَّه و اعرض عن اتباعها. و فى الكلام محذوف، و تقديره فأتياه فقولا له ذلك. قال «فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى» و قيل: انه: قال فمن ربكما؟ على تغليب الخطاب، و المعنى فمن ربك و ربه يا موسى، فقال موسى مجيباً له «رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى» و معناه أعطى

كل شىء حى صورته التى قدر له ثم هداه الى مطعمه و مشربه و مسكنه و منكحه، الى غير ذلک من ضروب هدايته- فى قول مجاهد- و قيل: معناه أعطى كل شىء مثل خلقه من زوجة، ثم هداه لمنكحه من غير أن رأى ذكراً اتى أنثى قبل ذلک. و حذف المضاف و اقام المضاف اليه مقامه و غير ذلک من هدايته. و قرأ نصير عن الكسائى «خلقه» بفتح اللام و الخاء، على انه فعل ماض. الباقون بسكونها على انه مفعول به. و المعنى إنه خلق كل شىء على الهيئة التى بها ينتفع و التى هى أصلح الخلق له، ثم هداه لمعيشته و منافعه لدينه و دنياه.
(ج 7 م 23 من التبيان)
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 178

قالَ فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى (51) قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّی فِی کِتابٍ لا یَضِلُّ رَبِّی وَ لا یَنْسی (52) الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ سَلَکَ لَکُمْ فِیها سُبُلاً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتَّی (53) کُلُوا وَ ارْعَوْا أَنْعامَکُمْ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِأُولِی النُّهی (54) مِنْها خَلَقْناکُمْ وَ فِیها نُعِیدُکُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُکُمْ تارَةً أُخْری (55)

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ اهل الکوفة (مهداً) علی التوحید. الباقون «مهاداً» علی الجمع، و هو مثل فرش و فراش. و من قرأ «مهداً» قال لیوافق رؤس الآی. و المعنی «لا یَضِلُّ رَبِّی وَ لا یَنْسی الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ» مستقراً یمکنکم من التصرف علیها. و قال الزجاج: القرن اهل کل عصر فیهم نبی أو إمام او عالم یقتدی به، و إن لم یکن واحد منهم لم یسم قرناً.

حکی اللّه تعالی ما قال فرعون لموسی «فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولی» و هی الأمم الماضیة، و کان هذا السؤال منه معایاة لموسی، فأجابه موسی بأن قال «عِلْمُها عِنْدَ رَبِّی» لأنه لا یخفی علیه شیء من المعلومات. و قوله «فی کتاب» ای اثبت ذلک فی الکتاب المحفوظ لتعرفه الملائکة. و (الأولی) تأنیث (الأوّل) و هو الکائن علی صفة قبل غیره. فإذا لم یکن قبله شیء، فهو قبل کل شیء، و أراد ذاک علی ما فی معلوم اللّه من أمرها. و قیل انه أراد من یؤدبهم و یجازیهم. و قیل: ان معنی «لا یَضِلُّ رَبِّی وَ لا یَنْسی» ای لا

علیه شیء، و العرب تقول لکل ما ذهب علی الإنسان مما لیس بحیوان: ضله، کقولهم:

ضل منزله إذا اخطأه یضله بغیر الف، فإذا ضل منه حیوان فیقولون: أضل- بألف بعیره أو ناقته أو شاته بالألف. و الأصل فی الاول ضل عنه. و قرأ الحسن «یضل» بضم الیاء و کسر الضاد.

و قوله «الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ مَهْداً» موضع (الذی) رفع بدل عن قوله «رَبِّی. وَ لا یَنْسی الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ مَهْداً» أی جعله لکم مستقراً تستقرون علیه «وَ سَلَکَ لَکُمْ فِیها سُبُلًا» معناه انه جعل لکم فی الأرض سبلا تسلکوا فیها فی حوائجکم من موضع الی موضع، و انهج لکم الطرق «وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتَّی» کل ذلک من صفات قوله «لا یَضِلُّ رَبِّی وَ لا یَنْسی الَّذِی جَعَلَ» جمیع ما ذکر صفاته. و قوله «کُلُوا وَ ارْعَوْا أَنْعامَکُمْ» لفظه لفظ الامر و المراد الاباحة.

و قوله (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِأُولِی النُّهی) أی أن فی جمیع ما عددناه دلالات لأولی العقول، و النهی جمع نهیة نحو کسیة و کسی، و هو شحم فی جوف

الضب، و انما خص أولى النهى، لأنهم أهل الفكر و الاعتبار و أهل التدبير و الاتعاظ. و قيل لهم: اهل النهى، لأنهم ينهون النفوس عن القبائح و قيل لأنه ينتهى الى رأيهم.
و قوله (مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ) يعنى من الأرض خلقناكم و فى الأرض نعيدكم إذا امتناكم (وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى) دفعة اخرى إذا حشرناكم.

وَ لَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها فَكَذَّبَ وَ أَبى (56) قالَ أَ جِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِكَ يا مُوسى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنا وَ بَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لا أَنْتَ مَكاناً سُوىً (58) قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتى (60)

خمس آيات بلا خلاف.

قوله (وَ لَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها) تقديره أريناه آياتنا التى أعطيناها موسى و أظهرناها عليه (كلها) لما يقتضيه حال موسى (ع) معه، و لم يرد جميع آيات اللَّه التى يقدر عليها، و لا كل آية خلقها اللَّه، لان المعلوم أنه لم يرد به جميعها. و قوله (فَكَذَّبَ وَ أَبى) معناه نسب الخبر الذى أتاه الى الكذب (وَ أَبى) امتنع مما دعى اليه من توحيد اللَّه و اخلاص عبادته و الطاعة لما أمر به. و قال فرعون لموسى (أَ جِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِكَ يا مُوسى) و السحر حيلة يخفى سببها و يظن بها المعجزة، و لذلك يكفر المصدق بالسحر، لأنه لا يمكنه العلم بصحة النبوة مع تصديقه بأن الساحر يأتى بسحره بتغيير الثابت. ثم قال فرعون لموسى (فلنأتينك) يا موسى (بسحر) مثل سحرك (فَاجْعَلْ بَيْنَنا وَ بَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لا أَنْتَ مَكاناً سُوىً) اى عدنا مكاناً نجتمع فيه و وقتا نأتى فيه (مَكاناً سُوىً) أى مكاناً عدلا بيننا و بينك- فى قول قتادة و السدى- و قيل معناه مستوياً يتبين الناس ما بيننا فيه- ذكره ابن زيد- و قيل:

معناه يستوى حالنا فى الرضا به. و فيه إذا قصر لغتان- كسر السين، و ضمها- و إذا فتحت السين مددته نحو قوله (إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ) «1» و مثله عدى و عدى. و طوى و طوى، و ثنى و ثنى. و قال أبو عبيدة: (سوى) النصف و الوسط قال الشاعر:

و إن أبانا كان حل ببلدة سوى بين قيس قيس غيلان و الفزر «2»

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 64

(2) تفسير القرطبى 11/ 198 و الطبرى 16/ 119

قيس و فزر قبيلتان هنا. و الفزر القطيع من الشاء. و القيس القردة. و القيس مصدر قاس خطاه قيساً إذا سوى بينها و يقال جارية تميس ميساً و تقيس قيساً، فمعنى تميس تتبختر. و سأل رجل اعرابياً: ما اسمك قال محمد، قال: و الكنية، قال: ابو قيس. قال قبحك اللَّه أ تجمع بين اسم النبى و القرد.

و قرأ ابن عامر و عاصم و حمزة (سوى) بضم السين، الباقون بالكسر.
فقال له موسى «مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ» و هو يوم عيد كان لهم- فى قول قتادة و ابن جريج و السدى و ابن زيد و ابن إسحاق- و قال الفراء «يَوْمُ الزِّينَةِ» يوم شرف كانوا يتزينون بها. و قوله «وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى» يحتمل أن يكون فى موضع رفع، و تقديره موعدكم حشر الناس. و يحتمل ان يكون فى موضع جر و تقديره يوم يحشر الناس.
و قوله «فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ» أى اعرض عن موسى على هذا الوعد «فَجَمَعَ كَيْدَهُ» من السحر و «اتى» يوم الموعد. و قرأ هبيرة عن حفص عن عاصم «يوم» بفتح الميم على الظرف. الباقون بضمها على أنه خبر (موعدكم) فجعلوا الموعد هو اليوم بعينه.

قالَ لَهُمْ مُوسى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى (61) فَتَنازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَ أَسَرُّوا النَّجْوى (62) قالُوا إِنْ هذانِ لَساحِرانِ يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَ يَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى (63) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَ قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلى (64) قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى (65)
قالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذا حِبالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى (66)

ست آيات بلا خلاف.

قرأ «فيسحتكم»- بضم الياء و كسر الحاء- أهل الكوفة إلا أبا بكر. الباقون بفتح الياء و الحاء. و هما لغتان. يقال: سحت و أسحت إذا استأصل. و قرأ ابو عمرو «إن هذين» بتشديد (إن) و نصب (هذين). و قرأ نافع و حمزة و الكسائى و ابو بكر عن عاصم- بتشديد (ان) و الالف فى (هذان). و قرأ نافع و حمزة و الكسائى و أبو بكر عن عاصم- بتشديد (ان) و الالف فى (هذان). و قرأ ابن كثير (ان) مخففة (هذان) مشددة النون. و قرأ ابن عامر بتخفيف نون (إن) و تخفيف نون (هذان). و قرأ ابو عمرو وحده «فاجمعوا» بهمزة الوصل. الباقون بقطع الهمزة من أجمعت الأمر إذا عزمت عليه، قال الشاعر:

يا ليت شعرى و المنى لا تنفع هل اغدون يوما و أمرى مجمع «1»

و قيل: إن جمعت و أجمعت لغتان فى العزم على الأمر يقال: جمعت الأمر، و أجمعت عليه، بمعنى أزمعت عليه و فى الكلام حذف، لان تقديره انهم حضروا و اجتمعوا يوم الزينة، فقال لهم حينئذ موسى يعنى للسحرة الذين جاءوا بسحرهم «لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ» اى لا تكذبوا عليه كذباً بتكذيبى، و تقولوا إن ما جئت به السحر. و الافتراء اقتطاع الخبر الباطل بإدخاله فى جملة الحق و أصله القطع من فراه يفريه فرياً. و افترى افتراء، و الافتراء و الافتعال و الاختلاق واحد و قوله «فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ» قال قتادة و ابن زيد و السدى معناه فيستأصلكم بعذاب. و السحت استقصاء الشعر فى الحلق: سحته سحتاً و اسحته

---

(1) مر تخريجه فى 5/ 468 من هذا الكتاب

اسحاتاً لغتان، قال الفرزدق:

و عض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلف «1»

و ينشد (مسحت) بالرفع على معنى لم يدع أى لم يبق. و من نصب قال أو

مجلف، كذلک روى مسحتاً و مجلف. و سئل الفرزدق على ما رفعت إلا مسحتاً أو مجلف. فقال للسائل على ما يسوؤک و ينوؤک. و يقال: سحت شعره إذا استقصى حلقه. و المعنى إن العذاب إذا أتى من قبل اللّه أخذهم و اهلكهم عن آخرهم.
و قوله «وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى» أى انقطع رجاء من افترى الكذب. و الخيبة الامتناع على الطالب ما أمّل، و الخيبة انقطاع الرجاء يقال: رجع بخيبة، و هو إذا رجع بغير قضاء حاجته. و أشد ما يكون إذا أمل خيراً من جهة، فانقلب شراً منها.
و قوله «فَتَنازَعُوا أَمْرَهُمْ» معناه اختلفوا فيما بينهم. و التنازع محاولة كل واحد من المختلفين نزع المعنى عن صاحبه، تنازعا فى الامر تنازعاً، و نازعه منازعة.
و قوله «وَ أَسَرُّوا النَّجْوى» أى اخفوها فيما بينهم. قال قتادة: انهم قالوا: إن كان هذا ساحراً فسنغلبه، و إن كان من السماء، فله أمره. و قال: وهب بن منية: لما قال لهم «وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى» قالوا: ما هذا بقول ساحر. و قيل: أسرارهم كان أنهم قالوا: ان غلبنا موسى اتبعناه. و قيل أسروا النجوى دون موسى و هارون بقوله «إِنْ هذانِ لَساحِرانِ ...» الآية. و هو قول السدى. و قوله «إِنْ هذانِ لَساحِرانِ» قيل فيه أوجه:
أولها- إنه ضعف عمل (إن) لأنها تعمل و ليست فعلا لشبهها بالفعل، و ليست

---

(1) مر تخريجه فى 3/ 523 و فى ديوان الفرزدق طبع (دار صادر، دار بيروت) 2/ 26 (مجرف) بدل (مجلف) و هو خطأ

بأصل فى العمل، كما انها لما خففت لم تعمل أصلا.
و الثانى- «إن هذان» أشبه (الذين) فى البناء، لأن أصله الذى فزادوا نوناً للجمع، و تركوه على حالة واحدة فى النصب و الجر و الرفع. فكذلک كان أصله (هذا) فيه ألف مجهولة فزادوا نوناً للتثنية و تركوها على حالة واحدة فى الأحوال الثلاثة.
و الثالث- إن (ان) بمعنى (إنه) إلا انها حذفت الهاء.
و الرابع- انه لما حذفت الألف من (هذا) صارت ألف التثنية عوضاً منها، فلم تزل على حالها. و هى لغة بنى الحارث بن كعب، و خثعم، و زبيد، و جماعة من قبائل اليمن. و قال بعض بنى الحارث بن كعب:
و اطرق اطراق الشجاع و لو يرى مساغاً لناباه الشجاع لصمما «1»
و قال آخر:
إن أباها و أبا أباها قد بلغا فى المجد غايتاها «2»
و قال آخر:

تزود منا بين أذناه ضربة دعته الى هابى التراب عقيم «3»
الخامس- و قال المبرد و إسماعيل بن إسحاق القاضى: أحسن ما قيل فى ذلک ان (ان) تكون بمعنى نعم و يكون تقديره نعم هذان لساحران، فيكون ابتداء و خبراً قال الشاعر:
ظل العواذل بالضحى يلحيننى و ألومهنه

---

(1) تفسير القرطبى 11/ 215 و تفسير الطبرى 16/ 119
(2) تفسير القرطبى 11/ 217 و الشوكانى 3/ 361
(3) تفسير القرطبى 11/ 217 و مجمع البيان 4/ 16 [.....]

و يقلن شيب قد علاک و قد كبرت فقلت انه «1»
و وجه قراءة حفص انه جعل (إن) بمعنى (ما) و تقديره: ما هذان ساحران.
و روى ان ابن مسعود قرأ (ان هذان ساحران) بغير لام. و قرأ أبى (إن هذان إلا ساحران). و من جعل (ان) بمعنى (نعم) جعل حجته فى دخول اللام فى الخبر قول الشاعر:
خالى لانت و من جرير خاله ينل العلا و تكرم الأخوال «2»
و قال آخر:
ام الحليس لعجوز شهربة ترضى من اللحم بعظم الرقبة «3»
هذه الآية حكاية عن قول فرعون أنه قال لهم «إن هذين» يعنى موسى و هارون «لَساحِرانِ يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَ يَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى» قال مجاهد: معناه يذهبا بطريقة اولى العقل و الاشراف و الأنساب. و قال ابو صالح:
و يذهبا بسراة الناس. و قال قتادة: و يذهبا ببنى إسرائيل، و كانوا عدداً يسيراً. و قال ابن زيد: معناه و يذهبا بالطريقة التى أنتم عليها فى السيرة [و قيل: المعنى يذهبان بأهل طريقتكم المثلى. و الأمثل الأشبه بالحق الثابت، و الصواب الظاهر. و هو الاولى به] «4».
و قال لهم فرعون ايضاً «فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ» فمن قطع الهمزة أراد فاعزموا على أمركم و كيدكم و سحركم. و قيل: جمع و أجمع لغتان فى العزم على الشىء يقال: جمعت

---

(1) تفسير القرطبى 11/ 218 و مجمع البيان 4/ 15
(2) تفسير الشوكانى 3/ 433 و تفسير القرطبى 11/ 219
(3) تفسير القرطبى 11/ 219
(4) ما بين القوسين كان فى المطبوعة متأخراً عن موضعه مع اخطاء كثيرة فيه (ج 7 م 24 من التبيان)

الأمر و أجمعت عليه.
«ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا» و معناه مصطفين. و قال الزجاج: هو كقولهم: أتيت الصف أى الجماعة. و لم يجمع (صفاً) لأنه مصدر. و قال قوم: إن هذا من قول فرعون للسحرة. و قال آخرون: بل هو من قول بعض السحرة لبعض.
و قوله «وَ قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلى» معناه قد فاز اليوم من علا على صاحبه بالغلبة. و «قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى» حكاية عما قالت السحرة لموسى فإنهم خيرّوه فى الإلقاء بين أن يلقوا أولا ما معهم أو يلقى موسى عصاه، ثم يلقون ما معهم، فقال لهم موسى «بل القوا» أنتم ما معكم «فَإِذا حِبالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ» أى القوا ما معهم، فإذا حبالهم و عصيّهم. و حبال جمع حبل، و عصى جمع عصا، و يجع الحبل حبلًا و العصى أعصيا و يثنى عصوان. و انما أمرهم بالإلقاء، و هو كفر منهم، لأنه ليس بأمر، و انما هو تهديد. و معناه الخبر، بان من كان إلقاؤه منكم حجة عنده ابتدأ بالإلقاء، ذكره الجبائى. و قال قوم: يجوز أن يكون ذلک أمراً على الحقيقة أمرهم بالإلقاء على وجه الاعتبار، لا على وجه الكفر.
و قيل كان عدّة السحرة سبعين ألفاً- فى قول القاسم بن أبى برّة و قال ابن جريج:
كانوا تسعمائة.
و قوله «فَإِذا حِبالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى» و انما قال يخيل، لأنها لم تكن تسعى حقيقة، و انما تحركت، لأنه قيل إنه كان جعل داخلها زئبق، فلما حميت بالشمس طلب الزئبق الصعود، فتحركت العصى و الحبال، فظن موسى أنها تسعى. و قوله «يُخَيَّلُ إِلَيْهِ» قيل الى فرعون. و قيل الى موسى. و هو الأظهر.
لقوله «فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى» و انما خاف دخول الشبهة على قومه. و قيل خاف بطبع البشرية.

فَأَوْجَسَ فِی نَفْسِهِ خِیفَةً مُوسی (67) قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّکَ أَنْتَ الْأَعْلی (68) وَ أَلْقِ ما فِی یَمِینِکَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا کَیْدُ ساحِرٍ وَ لا یُفْلِحُ السَّاحِرُ حَیْثُ أَتی (69) فَأُلْقِیَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسی (70)
اربع آیات.
قرأ ابن عامر «تلقف» بتشدید القاف و رفع الفاء. و قرأ حفص عن عاصم ساکنة الفاء مجزومة خفیفة القاف. الباقون مشددة القاف مجزومة الفاء. و قرأ حمزة و الکسائی «کید سحر» علی (فعل) الباقون «ساحر» علی (فاعل) قال ابو علی: حجة من قال (ساحر) أن الکید للساحر، لا للسحر إلا أن یرید کید ذی سحر، فیکون المعنیان واحداً، و لا یمتنع ان یضاف الکید الی السحر مجازاً. قوله «فَأَوْجَسَ فِی نَفْسِهِ خِیفَةً مُوسی» قیل فی وجه خیفته قولان:
أحدهما- قال الجبائی و البلخی خاف أن یلتبس علی الناس أمرهم، فیتوهموا أنه کان بمنزلة ما کان من أمر عصاه.
الثانی- انه خاف بطبع البشریة لما رأی من کثرة ما تخیل من الحیات العظام، فقال اللّه تعالی له «لا تَخَفْ إِنَّکَ أَنْتَ الْأَعْلی» أی انک انت الغالب لهم و القاهر لامرهم، ثم أمره تعالی فقال له «أَلْقِ ما فِی یَمِینِکَ» یعنی العصا «تَلْقَفْ ما صَنَعُوا» أی تأخذها بفیها ابتلاعاً و (ما) هاهنا بمعنی الذی، و تقدیره تلقف الذی صنعوا فیه، لان فعلهم لا یمکن ابتلاعه، لأنها اعراض. و یقال: لقف یلقف و تلقف یتلقف.
و من قرأ (تلقف) مضمومة الفاء مشددة القاف، أراد تتلقف فاسقط احد التائین، و کذلک التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 188
روی ابن فلیح عن البزی عن ابن کثیر بتشدید التاء، لأنه ادغم إحداهما فی الاخری.
و من سکن الفاء جعلها جواب الأمر. و من رفع، فعلی تقدیر، فهی تلقف. و قیل: إنها ابتلعت حمل ثلاث مائة بعیر من الحبال و العصی. ثم أخذها موسی فرجعت الی حالها عصاً، کما کانت. ثم اخبر تعالی، بأن الذی صنعوه کید سحر، او کید ساحر، علی اختلاف القراءتین. و انما رفع «کید ساحر» لأنه خبر (ان). و المعنی إن الذی صنعوه کید ساحر، و یجوز فیه النصب علی أن تکون (ما) کافة لعمل (إن) کقولک إنما ضربت زیداً، و مثله «إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً» «1» ثم اخبر تعالی أن الساحر لا یفلح أی لا یفوز بفلاح أی بنجاة «حَیْثُ أَتی» أی حیث وجد. و قال بعضهم، لأنه یجب قتله علی کل حال، فلما رأت السحرة ما فعله اللّه من قلب العصا ثعباناً و إبطال سحرهم علموا انه من قبل اللّه، و انه لیس بسحر، فالقوا نفوسهم

ساجدين للّه، مقرين بنبوة موسى (ع) مصدقين له. و «قالَوا آمَنَّا» أى صدقنا «بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسى» و قيل معناه صدقنا بالرب الذى يدعو اليه هارون و موسى، لأنه رب الخلائق أجمعين.

قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقى (71) قالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلى ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الَّذِى فَطَرَنا فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ إِنَّما تَقْضِى هذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا وَ ما أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَ اللَّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقى (73) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى (74) وَ مَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ فَأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلى (75)

---

(1) سورة 29 العنكبوت آية 17

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و حفص و ورش «آمنتم» على لفظ الخبر. و قرأ اهل الكوفة إلا حفصاً بهمزتين. الباقون بهمزة واحدة بعدها مدة. قال ابو على: من قرأ على الخبر، فوجهه أنه قرّعهم على تقدمهم بين يديه، و على استبدارهم بما كان منهم من الايمان بغير اذنه و أمره، و الاستفهام يؤل الى هذا المعنى. و وجه قراءة أبى عمرو انه أتى بهمزة الاستفهام و همزة الوصل، و قلب الثانية مدة، كراهية اجتماع الهمزتين.

و قد مضى شرح ذلک فيما مضى.

حكى اللّه تعالى ما قال فرعون للسحرة حين آمنوا بموسى و هارون «آمَنْتُمْ لَهُ» أى صدقتموه و اتبعتموه «قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ» و قال فى موضع آخر «آمَنْتُمْ بِهِ» «1» و قيل فى الفرق بينهما «ان آمَنْتُمْ لَهُ» يفيد الاتباع، و ليس كذلک «آمَنْتُمْ بِهِ» لأنه قد يوقن بالخير من غير اتباع له فيما دعا اليه إلا أنه إذا قبل قول الداعى الى أمر أخذ به. و من قرأ «آمنتم على الخبر» كأن فرعون أخبر بذلک. و من قرأ على لفظ الاستفهام كأنه استفهم عن ايمانهم على وجه التقريع لهم.

و الفرق بين الاذن و الأمر، أن فى الامر دلالة على إرادة الفعل المأمور به، و ليس

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 122

فى الاذن دلالة على إرادة المأذون فيه، كقوله «وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا» «1» فهذا إذن، ثم قال فرعون «انه» يعنى موسى «لَكَبِيرُكُمُ» اى رئيسكم و متقدمكم «الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ» ثم هددهم فقال «فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ

أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ» يعنى قطع اليد اليمنى و الرجل اليسرى او اليد اليسرى و الرجل اليمنى. و قيل أول من فعل ذلک فرعون، و أول من صلب فى جذوع النخل هو، و (فى) بمعنى (على) قال الشاعر:
و هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا «2»
و قوله «وَ لَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقى» قال ابن إسحاق و محمد بن كعب القرطى معناه: أبقى عقاباً ان عصى و ثواباً ان أطيع، و رفع «أيّنا» لأنه وقع موقع الاستفهام، و لم يعمل فيه ما قبله من العلم. و قيل انما نسبهم الى اتباع رئيسهم فى السحر ليصرف بذلک الناس عن اتباع موسى (ع) فأجابته السحرة فقالوا «لَنْ نُؤْثِرَکَ» أى لا نختارک يا فرعون «عَلى ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ» يعنى الادلة الدالة على صدق موسى و صحة نبوته. و قوله «وَ الَّذِى فَطَرَنا» يعنى و على الذى خلقنا فيكون عطفاً على «ما جاءَنا مِنَ الْبَيِّناتِ» فيكون جراً، و يحتمل أن يكون جراً بأنه قسم. و قوله «فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ» معناه فاصنع ما انت صانع على تمام من قولهم: قضى فلان حاجتى إذا صنع ما أريد على إتمام، قال ابو ذؤيب:
و عليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع «3»
و قوله «إِنَّما تَقْضِى هذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا» يعنى انما تصنع بسلطانک و عذابک فى هذه الحياة الدنيا دون الاخرة. و قيل: معناه ان الذى يفنى و ينقضى هذه الحياة

---

(1) سورة، 5، المائدة آية 3
(2) تفسير الشوكانى 3/ 363 و القرطبى 11/ 224 و الطبرى 16/ 126
(3) مر هذا البيت فى 1/ 429 و 4/ 88 و 165 و 5/ 398

الدنيا دون حياة الآخرة. و قوله «إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا» اى صدقنا به، نطلب بذلک أن يغفر لنا خطايانا و يغفر لنا ما أكرهتنا عليه من السحر. قال ابن زيد و ابن عباس:
إن فرعون رفع غلماناً الى السحرة يعلمونهم السحر بالغرائم قالوا «وَ اللَّهُ خَيْرٌ» لنا منكم «وَ أَبْقى» لنا ثواباً من ثوابک. ثم حكى قول السحرة انهم قالوا «إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً» و قيل انه خبر من اللّه تعالى بذلک دون الحكاية عن السحرة «فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ» جزاء على جرمه و عصيانه «لا يَمُوتُ فِيها» يعنى جهنم «وَ لا يَحْيى» اى لا يموت فيها فيستريح من العذاب، و لا يحيى حياة فيها راحة، بل هو معاقب بأنواع العقاب.
ثم اخبر تعالى فقال «وَ مَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً» أى مصدقا بتوحيده و صدق أنبيائه و «قَدْ عَمِلَ» الطاعات التى أمره بها (فَأُولئِکَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلى) أى العاليه و العلى جمع عليا مثل ظلمة و ظلم و الكبرى و الكبر.

جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ ذلِکَ جَزاءُ مَنْ تَزَکَّی (76) وَ لَقَدْ أَوْحَیْنا إِلی مُوسی أَنْ أَسْرِ بِعِبادِی فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِیقاً فِی الْبَحْرِ یَبَساً لا تَخافُ دَرَکاً وَ لا تَخْشی (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِیَهُمْ مِنَ الْیَمِّ ما غَشِیَهُمْ (78) وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ ما هَدی (79) یا بَنِی إِسْرائِیلَ قَدْ أَنْجَیْناکُمْ مِنْ عَدُوِّکُمْ وَ واعَدْناکُمْ جانِبَ الطُّورِ الْأَیْمَنَ وَ نَزَّلْنا عَلَیْکُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوی (80)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 192

خمس آیات.

قرأ حمزة وحده (لا تخف درکاً) علی النهی، أو علی الجزاء لقوله «فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِیقاً» الباقون «لا تخاف» بالرفع «و لا تخشی» بألف بلا خلاف علی الاستئناف. و مثله قوله «یُوَلُّوکُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا یُنْصَرُونَ» «1». و قیل انه یحتمل ان یکون «لا تخش» مجزوماً، و زید الالف لیوافق رؤس الآی کما، قال الشاعر:

الم یأتیک و الأنباء تنمی بما لاقت لبون بنی زیاد «2»

و من قرأ «لا تخاف» بالرفع، و «لا تخشی» مثله، فهو علی الخبر. و قال ابو علی: هو فی موضع نصب علی الحال، و تقدیره طریقاً فی البحر یبساً غیر خائف درکاً. و قرأ حمزة و الکسائی «انجیتکم، و وعدتکم» بالتاء فیهما بغیر الف. الباقون بالألف و النون. و قرأ ابو عمرو وحده «و وعدناکم» بغیر الف. الباقون «و واعدناکم» بالف. و لم یختلفوا فی «نزلنا» انه بالنون. و معنی التاء و النون قریب بعضه من بعض، لکن النون لعظم حال المتکلم.

لما اخبر اللّه تعالی ان لمن آمن باللّه الدرجات العلی، قال و لهم «جَنَّاتُ عَدْنٍ» ای بساتین إقامة «تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها» و قد فسرناه فی غیر موضع.

ثم قال «و ذلک» الذی وصفه «جَزاءُ مَنْ تَزَکَّی» فالتزکی طلب الزکا بارادة الطاعة، و العمل بها. و الزکا النماء فی الخیر، و منه الزکاة، لان المال ینمو بها فی العاجل و الأجل، لما لصاحبها علیها من ثواب اللّه تعالی. و قیل: معنی «تزکی» تطهر من الذنوب بالطاعة بدلا من تدنیسها بالمعصیة. و الخلود المکث فی الشیء الی غیر غایة.

---

(1) سورة 3 آیة آل عمران آیة 111

(2) مر هذا البیت 6/ 190 و هو فی تفسیر القرطبی 11/ 224 و تفسیر الشوکانی 3/ 433

التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 193

ثم أخبر تعالى فقال (وَ لَقَدْ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي) أى سر بهم ليلا لأن الاسراء السير بالليل (فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً) و المعنى: اضرب بعصاک البحر تجعل طريقاً، فكأنه قيل: اجعل طريقاً بالضرب بالعصا، فعداه الى الطريق لما دخله هذا المعنى فكأنه قد ضرب الطريق، كضربه الدينار.
و اليبس اليابس و جمعه ايباس، و جمع اليبس- بسكون الباء- يبوس. و قال ابو عبيدة: اليبس- بفتح الباء- المكان الجاف. و إذا كان اليبس فى نبات الأرض فهو اليبس- بسكون الباء- قال علقمة بن عبده:
تخشخش أبدان الحديد عليهم كما خشخشت يبس الحصاد جنوب
و قوله (لا تَخافُ دَرَكاً وَ لا تَخْشى) معناه لا تخف أن يدركک فرعون، و لا تخش الغرق من البحر- فى قول ابن عباس و قتادة- و قيل: معناه لا تخف لحوقاً من عدوک، و لا تخش الغرق من البحر الذى انفرج عنک. و المعنيان متقاربان. و كان سبب ذلک أن اصحاب موسى قالوا له: هذا فرعون قد لحقنا، و هذا البحر قد غشينا يعنون اليم، فقال اللّه تعالى «لا تَخافُ دَرَكاً وَ لا تَخْشى».
ثم اخبر تعالى فقال (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ) أى دخل خلف موسى و بنى إسرائيل، و فى الكلام حذف لأن تقديره: فدخل موسى و قومه البحر ثم أتبعهم فرعون بجنوده و من اتبعهم. فمن قطع الهمزة جعل الباء زائدة. و من وصلها أراد: تبعهم و سار فى أثرهم، و الباء للتعدية.
و قوله (فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ) يعنى الذى غشيهم. و قيل: معناه تعظيم للأمر لأن (غشيهم) قد دل على (ما غشيهم) و إنما ذكره تعظيماً. و قيل: ذكره تأكيداً. و قال قوم: معناه فغشيهم الذى عرفتموه. كما قال ابو النجم:

أنا ابو النجم و شعرى شعرى «1»
و قال الزجاج: فغشيهم من اليم ما غرقهم. و قال الفراء: معناه «فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ» لأنه ليس الماء كله غشيهم، و انما غشيهم بعضه. و قال قوم: معناه «فَغَشِيَهُمْ» يعنى أصحاب فرعون «مِنَ الْيَمِّ» ما غشى قوم موسى إلا أن اللّه غرق هؤلاء، و نجا أولئک. و يجوز أن يكون المراد: فغشيهم من قبل اليم الذى غشيهم من الموت و الهلاک، فكأنه قال: الذى غشيهم من الموت و الهلاک كان من قبل البحر إذ غشيهم، فيكون (غشيهم) الاول للبحر، و (غشيهم) الثانى للهلاک و الموت.
و قوله «وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ ما هَدى» معناه أنه دعاهم الى الضلال و أغواهم، فضلوا عنده، فنسب اليه الضلال. و قيل: إن معناه أستمر بهم على الضلالة فلذلک قيل «وَ ما هَدى». ثم عدد اللّه على بنى إسرائيل نعمه، بأن قال «يا بَنِي إِسْرائِيلَ قَدْ أَنْجَيْناكُمْ» أى خلصناكم «مِنْ عَدُوِّكُمْ» فرعون «وَ

واعَدْناكُمْ جانِبَ الطّورِ الْأَيْمَنَ» معناه إن اللّه واعدكم جانب الجبل الذى هو الطور، لتسمعوا كلام اللّه لموسى بحضرتكم هناک «وَ نَزَّلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى» يعنى فى زمان التيه أنزل عليهم المن، و هو الذى يقع على بعض الأشجار، و السلوى طائر أكبر من السمان.

كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ لا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِی وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِی فَقَدْ هَوی (81) وَ إِنِّی لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی (82) وَ ما أَعْجَلَکَ عَنْ قَوْمِکَ يا مُوسی (83) قالَ هُمْ أُولاءِ عَلی أَثَرِی وَ عَجِلْتُ إِلَيْکَ رَبِّ لِتَرْضی (84) قالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَکَ مِنْ بَعْدِکَ وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِیُّ (85)

---

(1) آمالی السيد المرتضی 1/ 350. و بعد: (لله درى ما يجن صدرى)

خمس آيات.

قرأ الكسائی وحده «فيحل عليكم» بضم الحاء، و كذلک «من يحلل» بضم اللام. الباقون- بكسرها- و لم يختلفوا فی الكسر من قوله «أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ» «1» يقال حل بالمكان يحل إذا نزل به، و حل يحل- بالكسر- بمعنی وجب.

قوله «كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ» صورته صورة الأمر و المراد به الاباحة، لان اللّه تعالی لا يريد المباحات من الأكل و الشرب فی دار التكليف.

و الطيبات معناه الحلال. و قيل معناه المستلذات.

و قوله «وَ لا تَطْغَوْا فِيهِ» معناه لا تتعدوا فيه فتأكلوه علی وجه حرمه اللّه عليكم، فتتعدون فيه بمعصية اللّه، و يمكن ترک الأكل علی وجه حرمه اللّه الی وجه أباحه اللّه علی الوجه الذی أذن فيه، و علی وجه الطاعة أيضاً، للاستعانة به علی غيره من طاعة اللّه.

و قوله «فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِی» معناه متی طغيتم فيه و اكلتموه علی وجه الحرام، نزل عليكم غضبی، علی قراءة من ضم الحاء. و من كسره، معناه يجب عليكم غضبی الذی هو عقاب اللّه.

ثم اخبر تعالی أن من حل غضب اللّه عليه «فَقَدْ هَوی» يعنی هلک، لأن من هوی من علو الی سفل، فقد هلک. و قيل: هو بمعنی تردی و قيل: معناه هوی الی النار.

---

(1) سورة 20 طه آية 86

ثم أخبر تعالی عن نفسه أنه «لغفار» أی ستار «لمن تاب من المعاصی» فاسقط عقابه و ستر معاصيه إذا أضاف الی إيمانه الأعمال الصالحات «ثُمَّ اهْتَدی» قال قتادة: معناه ثم لزم الايمان إلی أن يموت، كأنه قال: ثم استمر علی الاستقامة.

و انما قال ذلک، لئلا یتکل الإنسان علی انه قد کان أخلص الطاعة. و فی تفسیر أهل البیت (ع) ان معناه «ثم اهتدی» الی ولایة أولیائه الذین أوجب اللّه طاعتهم و الانقیاد لامرهم. و قال ثابت البنائی: ثم اهتدی الی ولایة أهل بیت النبی (ص).

ثم خاطب موسی (ع)، فقال «وَ ما أَعْجَلَکَ عَنْ قَوْمِکَ یا مُوسی» قال ابن إسحاق: کانت المواعدة أن یوافی هو و قومه، فسبق موسی الی میقات ربه، فقرره اللّه علی ذلک لم فعله؟ و قال موسی فی جوابه «هُمْ أُولاءِ عَلی أَثَرِی وَ عَجِلْتُ إِلَیْکَ رَبِّ لِتَرْضی» فقال اللّه تعالی «فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَکَ مِنْ بَعْدِکَ» أی عاملناهم معاملة المختبر بان شددنا علیهم فی التعبد بأن ألزمناهم عند إخراج العجل أن یستدلوا علی أنه لا یجوز أن یکون إلهاً، و لا أن یحل الاله فیه، فحقیقة الفتنة تشدید العبادة.

و قوله «وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِیُّ» معناه أنه دعاهم الی عبادة العجل، فضلوا عند ذلک، فنسب اللّه الإضلال الیه لما ضلوا بدعائه.

فَرَجَعَ مُوسى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قالَ يا قَوْمِ أَ لَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَ فَطالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86) قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا وَ لكِنَّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْناها فَكَذلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقالُوا هذا إِلهُكُمْ وَ إِلهُ مُوسى فَنَسِيَ (88) أَ فَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَ لا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً (89) وَ لَقَدْ قالَ لَهُمْ هارُونُ مِنْ قَبْلُ يا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ وَ إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمنُ فَاتَّبِعُونِي وَ أَطِيعُوا أَمْرِي (90)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 197

خمس آيات.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو و ابن عامر «بملكنا» بكسر الميم- و قرأ نافع و عاصم- بفتح الميم- و قرأ حمزة و الكسائى- بضم الميم- من ضم الميم فمعناه بسلطاننا و قيل إن فى ذلك ثلاث لغات: فتح الميم و ضمها و كسرها. و قرأ ابو عمرو، و حمزة و أبو بكر «حملنا»- بفتح الحاء و الميم- مخففاً. الباقون- بضم الحاء و كسر الميم- مشدداً.

اخبر اللّه تعالى أن موسى رجع من ميقات ربه «إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً» و الغضب ضد الرضا، و هو ما يدعو الى فعل العقاب، و الأسف أشد الغضب. و قال ابن عباس: معنى «أسفاً» اى حزيناً. و به قال قتادة و السدى. و الأسف أشد الغضب. و قال بعضهم: قد يكون بمعنى الغضب، و يكون بمعنى الحزن. قال اللّه تعالى «فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ» «1» أى أغضبونا، فقال موسى لقومه «يا قَوْمِ أَ لَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً» لأن اللّه تعالى كان وعد موسى بالنجاة من عدوهم، و مجيئهم الى جانب الطور الأيمن، و وعده بأنه تعالى «غفار لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى»

---

(1) سورة 43 الزخرف آية 55 [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 198

ثم قال «أَ فَطالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ» أى عهدى و لقائى فنسيتموه «أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ» اى يجب عليكم «غضب» اى عقاب «مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي» أى ما وعدتمونى من المقام على الطاعات. و قال الحسن: معنى «أَ لَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً» فى الآخرة على التمسك بدينه فى الدنيا. و قيل الذى وعدهم اللّه به التوراة، و فيها النور و الهدى ليعملوا بما فيها، و يستحقوا عليه الثواب. و كانوا وعدوه أن يقيموا على أمرهم، فأخلفوا، و قالوا جواباً لموسى «ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا» أى قال المؤمنون: لم نملك أن نرد عن ذلك السفهاء. قال قتادة و السدى: معنى «بملكنا» بطاقتنا. و

قال ابن زيد: معناه لم نملک أنفسنا للبلية التى وقعت بنا.
فمن فتح الميم: أراد المصدر. و من كسرها أراد: ما يتملک. و من ضم أراد: السلطان و القوة به.
و قوله «وَ لكِنَّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ» معناه إنا حملنا أثقالا من حلى آل فرعون، و ذلک أن موسى أمرهم ان يستعيروا من حليهم- فى قول ابن عباس و مجاهد و السدى و ابن زيد- و قيل: جعلت حلالا لهم. و من قرأ بالتشديد أراد ان غيرنا حملنا ذلک بأن أمرنا بحمله.
و قوله «فَقَذَفْناها» أى طرحنا تلک الحلى، و مثل ذلک «أَلْقَى السَّامِرِيُّ» ما كان معه من الحلى. و قيل «أَوْزاراً» أى أثقالا من حلى آل فرعون، لما قذفهم البحر أخذوها منهم. ثم اخبر تعالى فقال: إن السامرى أخرج لقوم موسى عجلا جسداً له خوار، فقيل ان ذلک العجل كان فى صورة ثور صاغها من الحلى التى كانت معهم، ثم ألقى عليها من أثر جبرائيل شيئاً، فانقلب حيواناً يخور- ذكره الحسن و قتادة و السدى- و (الخور) الصوت الشديد كصوت البقرة. و قال مجاهد: كان خواره بالريح إذا دخلت فى جوفه. و أجاز قوم الأول، و قالوا: إن ذلک معجزة تجوز التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 199
فى زمن الأنبياء. و قول مجاهد أقوى، لأن إظهار المعجزات لا يجوز على أيدى المبطلين، و إن كان فى زمن الأنبياء. و قال الجبائى: انما صوره على صورة العجل و جعل فيه خروقاً إذا دخله الريح أوهم انه يخور. و قيل: انه خار دفعة واحدة «فَقالُوا هذا إِلهُكُمْ وَ إِلهُ مُوسى» يعنى قال ذلک السامرى و من تابعه ان هذا العجل معبودكم و معبود موسى، «فنسى» أى نسى موسى أنه إلهه، و هو قول السامرى- فى قول ابن عباس و قتادة و مجاهد و السدى و ابن زيد و الضحاک- و قال ابن عباس فى رواية أخرى: معناه، فنسى السامرى ما كان عليه من الايمان، لأنه نافق لما عبر البحر. و معناه ترک ما كان عليه. و قال قوم: معناه «فنسى» موسى أنه أراد هذا العجل، فنسى و ترک الطريق الذى يصل منه اليه، و يكون حكاية قول السامرى.
ثم قال تعالى تنبيهاً لهم على خطئهم «أفلا يرون» أى أفلا يعلمون أنه «أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا» أى لا يجيبهم إذا خاطبوه، و لا يقدر لهم على ضر و لا نفع.
ثم اخبر ان هارون قال لهم قبل ذلک «يا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ» أى ابتليتم و اختبرتم به «وَ إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمنُ» اى الذى يستحق العبادة عليكم هو الرحمن الذى أنعم عليكم بضروب النعم «فاتبعونى» فيما أقول لكم «وَ أَطِيعُوا أَمْرِى» فيما آمركم به.

قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسى (91) قالَ يا هارُونُ ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَ فَعَصَيْتَ أَمْرِى (93) قالَ يَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَ لا بِرَأْسِى إِنِّى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرائِيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى (94) قالَ فَما خَطْبُكَ يا سامِرِىُّ (95)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 200

خمس آيات.

قرأ «يا ابن أم»- بفتح الميم- ابن كثير و أبو عمرو، و عاصم فى رواية حفص. الباقون- بكسر الميم- من فتح الميم جعل «ابن أم» اسماً واحداً و بناهما على الفتح مثل (خمسة عشر) إلا ان (خمسة عشر) تضمن معنى الواو، و تقديره خمسة و عشرة، و «ابن أم» بمعنى اللام و تقديره: لأمى، و كلاهما على تقدير الاتصال بالحرف على جهة الحذف، و يجوز «يا ابن أم» على الاضافة، و لم يجئ هذا البناء إلا فى يا أبن ام، و يا ابن عم، لأنه كثر حتى صار يقال للأجنبى، فلما عدل بمعناه عدل بلفظه، قال الشاعر:

رجال و نسوان يودون أننى و إياک نخزى يا ابن عم و نفضح

و يحتمل ان يكون (أراد يا بن أماه) فرخم. و يحتمل ان يكون أراد (يا بن اما) [فخفف. و من كسر أراد يا بن أمى] «1» لأن العرب تقول: يا ابن اما بمعنى يا ابن أمى و يا ربا بمعنى يا ربى. فمن كسر أراد: يا ابن أمى، فحذف الياء و أبقى الكسرة تدل عليها.

حكى اللّه تعالى ما أجاب به قوم موسى لهارون حين نهاهم عن عبادة العجل و أمرهم باتباعه، فإنهم «قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسى» أى لن نزال لازمين لهذا العجل الى أن يعود إلينا موسى، فننظر ما يقول قال الشاعر:

فما برحت خيل تثوب و تدعى و يلحق منها لاحق و تقطع «2»

---

(1) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

(2) مر تخريجه فى 6/ 182 و روايته هناک- (فتئت) بدل (برحت)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 201

و العكوف لزوم الشىء مع القصد اليه على مرور الوقت، و منه الاعتكاف فى المسجد. ثم اخبر تعالى أن موسى لما رجع الى قومه، قال لهارون «يا هارون ما منعک ألا تتبعنى» قال ابن عباس: معناه بمن أقام على إيمانه. و قال ابن جريج: معناه ألا تتبعنى فى شدة الزجر لهم عن الكفر. و معنى (ألا تتبعنى) ما منعک أن تتبعنى و (لا) زائدة. كما «قالَ ما مَنَعَکَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ» «1» و قد بينا القول فى ذلک. و إنما جاز ذلک لأنه المفهوم أن

المراد ما منعک بدعائه لک الى أن لا تتبعنى فدخلت (لا) لتنبئ عن هذا المعنى، و هو منع الداعى دون منع الحائل.
و قوله «أَ فَعَصَيْتَ أَمْرِى» صورته صورة الاستفهام، و المراد به التقرير، لأن موسى كان يعلم أن هارون لا يعصيه فى أمره، فقال له هارون فى الجواب تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَ لا بِرَأْسِى»
حين أخذ موسى بلحيته و رأسه. و قيل فى وجه ذلک قولان:
أحدهما- ان عادة ذلک الوقت أن الواحد إذا خاطب غيره قبض على لحيته، كما يقبض على يده فى عادتنا، و العادات تختلف و لم يكن ذلک على وجه الاستخفاف.
و الثانى- انه أجراه مجرى نفسه إذا غضب، فى القبض على لحيته، لأنه لم يكن يتهم عليه، كما لا يتهم على نفسه.
و قولهِ إِنِّى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرائِيلَ»
معناه إنى خفت أنى إن فعلت ذلک على وجه العنف و الإكراه أن يتفرقوا و تختلف كلمتهم و يصيروا أحزاباً، حزباً يلحقون بموسى و حزباً يقيمون مع السامرى على اتباعه، و حزباً يقيمون على الشک فى أمره. ثم لا يؤمن إذا تركتهم كذلک أن يصيروا بالخلاف الى سفک الدماء، و شدة التصميم على أمر السامرى، فاعتذر بما مثله يقبل، لأنه وجه

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 11 (ج 7 م 26 من التبيان)

من وجوه الرأى.
قولهَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى»
أى لم تحفظ قولى- فى قول ابن عباس- فعدل عن ذلک موسى الى خطاب السامرى، فقال له «فَما خَطْبُکَ يا سامِرِىُّ» أى ما شأنک و ما دعاک الى ما صنعت؟! و أصل الخطب: الجليل من الأمر، فكأنه قيل: ما هذا العظيم الذى دعاک الى ما صنعت.

قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَ كَذلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) قالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَياةِ أَنْ تَقُولَ لا مِساسَ وَ إِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَ انْظُرْ إِلى إِلهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً (97) إِنَّما إِلهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً (98) كَذلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ ما قَدْ سَبَقَ وَ قَدْ آتَيْناكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً (99) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وِزْراً (100)

خمس آيات.

قرأ حمزة و الكسائى «ما لم تبصروا» بالتاء. الباقون بالياء المعجمة من أسفل. من قرأ بالتاء حمله على خطابه لجميعهم. و من قرأ بالياء أراد: بصرت بما لم يبصروا بنو إسرائيل. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو «لن تخلفه» بكسر اللام. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 203

الباقون بفتح اللام. و المعنى: لأن اللّه يكافيك على ما فعلت يوم القيامة، لأنه بذلك وعد. يقال: أخلفت موعد فلان إذا لم تف بما وعدته. و من قرأ- على ما لم يسم فاعله- جعل الخلف من غير المخاطب، و الهاء كناية عن الموعد، و هو المفعول به، و الفاعل لم يذكر.

حكى اللّه تعالى قول موسى للسامرى و سؤاله إياه بقوله «فَما خَطْبُكَ يا سامِرِيُّ» و حكى ما أجاب به السامرى، فانه قال «بَصُرْتُ بِما لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ» و المعنى رأيت ما لم يروه. فمن قرأ بالياء أراد ما لم يبصروا هؤلاء. و من قرأ بالتاء حمله على الخطاب و بصر لا يتعدى، و إن كانت الرؤية متعدية، لأن ما كان على وزن (فعل) بضم العين لا يتعدى، غير انه و ان كان غير متعد، فانه يتعدى بحرف الجر، كما عداه- هاهنا- بالباء. و قيل بصرت- هاهنا- بمعنى علمت من البصيرة. يقال: بصر يبصر إذا علم. و ابصر ابصاراً إذا رأى.

و قوله «فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها» قرأ الحسن بالصاد غير المعجمة.

و القراء على القراءة بالضاد المنقطة، و الفرق بينهما ان (القبضة) بالضاد بملىء الكف، و بالصاد غير المعجمة بأطراف الأصابع. و قيل: انه قبض قبضة من اثر جبرائيل (ع) «فنبذتها» فى الحلى على ما اطمعتنى نفسى من انقلابه حيواناً. و قال ابن زيد:

معنى «سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي» حدثتنى. و قيل: معناه زينت لى نفسى.

فان قيل: لم جاز انقلابه حيواناً- مع انه معجز- لغير نبى؟! قلنا: فى ذلك خلاف، فمنهم من قال: انه كان معلوماً معتاداً فى ذلك الوقت انه من قبض من اثر الرسول قبضة فألقاها على جماد صار حيواناً- ذكره ابو بكر ابن

الاخشاذ- فعلى هذا لا يكون خرق عادة بل كان معتاداً. و قال الحسن: صار لحماً و دماً. و قال الجبائى: المعنى سوّلت له نفسه ما لا حقيقة له و انما خار بحيلة: جعلت التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 204
فيه خروق إذا دخلتها الريح سمع له خوار منه. فقال له موسى عند ذلک «فاذهب» يا سامرى «فَإِنَّ لَکَ فِی الْحَياةِ أَنْ تَقُولَ لا مِساسَ» و اختلفوا فى معناه، فقال قوم:
معناه تقول لا أمس و لا أمس، و كان موسى امر بنى إسرائيل ألّا يؤاكلوه و لا يخالطوه و لا يبايعوه، فيما ذكر. و قال الجبائى: معناه انه لا مساس لأحد من الناس، لأنه جعل يهيم فى البرية مع الوحش و السباع. و قوله «لا مساس» بالكسر و الفتح، فان كسرت فمثل لا رجال، و إذا فتحت الميم بنيت على الكسر مثل نزال، قال رؤبة:
حتى تقول الأرد لا مساسا «1»
و قال الشاعر:
تميم كرهط السامرى و قوله ألا لا يريد السامرى مساسا «2»
و كله بمعنى المماسة و المخالطة. ثم قال «وَ إِنَّ لَکَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ» من جهتنا فيمن قرأ بالفتح، و من قرأ بالكسر معناه لا تخلفه انت، و هما متقاربان، و يريد بالموعد البعث و النشور و الجزاء، اما جنة و اما ناراً. ثم قال «انْظُرْ إِلى إِلهِکَ» يعنى معبودک عند نفسک أبصره «الَّذِی ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً» قال ابن عباس: معناه أقمت عليه عاكفاً، و أصله ظللت، فحذف اللام المكسورة للتخفيف و كراهية التضعيف، و للعرب فيها مذهبان، فتح الظاء، و كسرها، فمن فتح تركها على حالها، و من كسر نقل حركة اللام اليها للاشعار بأصلها. و مثله مست و مست فى مسست. و همت و همت، فى هممت، و هل احست فى أحسست، قال الشاعر:

---

(1) تفسير القرطبى 11/ 241/ و الشوكانى 3/ 371
(2) تفسير القرطبى 11/ 240
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 205
خلا ان العتاق من المطايا أحس به فهن اليه شوس «1»
و قوله «لنحرقنه» يعنى بالنار يقال: انه حرقه ثم ذراه فى البحر- فى قول ابن عباس- يقال حرقته بتشديد الراء إذا حرقته بالنار و حرقته بتخفيف الراء بمعنى بردته بالمبرد، و ذلک لأنه يقطع به كما يقطع المحرق بالنار يقال حرقته و أحرقته حرقاً، كما قال الشاعر:
بذى فرفير يوم بنو حبيب بيوتهم علينا يحرقونا «2»
و قال زهير:
ابى الضيم و النعمان يحرق نابه عليه فأفضى و السيوف معاقله «3»
و قرأ ابو جعفر المدنى

«لنحرقنه» بفتح النون و سكون الحاء و ضم الراء بمعنى لنبردنه. و روى ذلک عن على (ع)
، و يقال نسف فلان الطعام بالمنسف إذا ذراه لتطير عنه قشوره. و قال سعيد بن جبير: كان السامرى رجلا من اهل كرمان. و قال قوم: كان من بنى إسرائيل، و اليه تنسب (السامرة) من اليهود.
و حكى قوم: ان قبيلته الى اليوم يقولون فى كلامهم: لا مساس.
ثم اقبل على قومه فقال «إِنَّما إِلهُكُمُ اللَّهُ الَّذِى لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» اى ليس لكم معبود الا اللّه الذى «وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً» اى يعلم كل شىء، لا يخفى عليه شىء منها، و هى لفظة عجيبة فى الفصاحة.
ثم قال تعالى لنبيه محمد (ص) مثل ذلک «نَقُصُّ عَلَيْکَ مِنْ أَنْباءِ» يعنى اخبار «ما قَدْ سَبَقَ» و تقدم «وَ قَدْ آتَيْناکَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً» اى أعطيناک من عندنا

---

(1) تفسير الطبرى 16/ 137 و القرطبى 11/ 242
(2) تفسير الطبرى 16/ 138
(3) ديوان (دار بيروت) 69 و هذا البيت برمته ساقط من المطبوعة

علماً بأخبار الماضين. و قال الجبائى: أراد آتيناک من عندنا القرآن لأنه سماه ذكراً.
ثم قال «مَنْ أَعْرَضَ» عن التصديق بما أخبرناک به و عن توحيد اللَّه، و اخلاص عبادته «فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وِزْراً» اى اثماً، و اصل الوزر الثقل، فى قول مجاهد.

خالِدِينَ فِيهِ وَ ساءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ حِمْلاً (101) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً (102) يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً (103) نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً (104) وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّي نَسْفاً (105)
فَيَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً (106) لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً (107)
سبع آيات.
قرأ ابو عمرو وحده «يوم ننفخ» بفتح النون مع قوله «و نحشر». الباقون «ينفخ» بالياء على ما لم يسم فاعله. قوله «خالدين» نصب على الحال، و العامل فيه (العذاب) الذى تقدم ذكره من الوزر، و المعنى فى عذاب الإثم (وَ ساءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ حِمْلًا) نصب (حملا) على التمييز، و فاعل (ساء) مضمر، و تقديره:
ساء الحمل حملا، الا انه استغنى بالمفسر عن اظهار المضمر، كقولهم بئس رجلا صاحبك. و انما أضمر، ثم فسره، لأنه افخم و اهول، و المعنى و ساء ذلك الحمل الوزر لهم يوم القيامة حملا، فيما ينزل بهم.
و قوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) فالنفخ إخراج الريح من الجوف بالدفع من

الفم، فهذا أصله، ثم قد يسمى احداث الريح من الزقّ او البوق نفخاً، لأنه كالنفخ المعروف. و (الصور) قيل فى معناه قولان:
أحدهما- انه جمع صورة، كل حيوان تنفخ فيه الروح، فتجرى فى جسمه، و يقوم حيّا بإذن اللّه.
و الثانى- انه قرن ينفخ فيه النفخة الثانية ليقوم الناس من قبورهم عند تلك النفخة تصويراً لتلك الحال فى النفوس بما هو معلوم، مما عهدوه من بوق الرحيل و بوق النزول.
و قوله (وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً) قيل: معناه إنه أزرقت عيونهم من شدة العطش. و قيل: معناه عمياً، كما قال (وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً) «1» كأنها ترى زرقاً و هى عمى. و قيل: المعنى فى (زرقاً) تشويه الخلق:
وجوههم سود و أعينهم زرق.
و قوله (يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ) معناه يتشاورون بينهم- فى قول ابن عباس- و منه قوله (وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها) و معناه لا تعلن صوتك بالقراءة فى الصلاة كل الإعلان و لا تخفها كل الإخفاء (وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلًا) «2» و قوله (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً) يعنى ما أقمتم فى قبوركم إلا عشراً. و انما يقولون ذلك القول لأنهم لشدة ما يرونه من هول القيامة ينسون ما لبثوا فى الدنيا،

فيقولون هذا القول.
و قيل: معناه و تأويله انه يذهب عنهم طول لبثهم فى قبورهم لما يرون من أحوالهم التى رجعت اليهم، كأنهم كانوا نياماً، فانتبهوا، و قال الحسن: إن لبثتم إلا عشراً يقللون لبثهم فى الدنيا لطول ما هم لابثون فى النار.
ثم قال تعالى (نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً) أى أصلحهم

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 97
(2) سورة 17 الإسراء آية 110

طريقة و أوفرهم عقلا. و قيل: أكثرهم سداداً، يعنى عند نفسه (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً) قال ابو على الجبائى: معناه (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً) بعد انقطاع عذاب القبر عنهم، و ذلک ان اللّه يعذبهم ثم يعيدهم.
ثم قال لنبيه محمد (ص) (وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّى نَسْفاً) قيل:
انه يجعلها بمنزلة الرمل، ثم يرسل. عليها الرياح فتذريها كتذرية الطعام من القشور و التراب. و قيل: ان الجبال تصير كالهباء (فَيَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً) قال ابن عباس:
الصفصف الموضع المستوى الذى لا نبات فيه، و هو قول مجاهد و ابن زيد.
و قيل هو المكان المستوى كأنه على صف واحد فى استوائه، و القاع قيل: هو الأرض الملساء.
و قيل مستنقع الماء و جمعه اقواع قال الشاعر:
كان أيديهن بالقاع القرق أيدى جوار يتعاطين الورق «1»
و قال الكلبى: الصفصف ما لا تراب فيه. (لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً) يعنى وادياً و لا رابية- فى قول ابن عباس- و قيل (عوجاً) معناه صدعاً (و لا أمتاً) يعنى اكمة.
و قيل: معنى (عوجاً) ميلًا و (أمتاً) اثراً. و قال ابو عبيدة: (صفصفاً) اى مستوياً املساً. و (العوج) مصدر ما اعوج من المجارى، و المسايل و الأودية و الارتفاع يميناً و شمالا و «لا أمتاً» اى لا رباً و لا وهاد، أى لا ارتفاع فيه و لا هبوط، يقال: مد حبله حتى ما ترک فيه امتاً، و ملأ سقاه حتى ما ترک فيه أمتاً أى انثناء، قال الشاعر:
ما فى انحداب سيره من أمت «2»

---

(1) أمالى الشريف المرتضى 1/ 561 و اللسان (قرق)
(2) تفسير الطبرى 6/ 141 و الشوكانى 3/ 372

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً (108) يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلاً (109) يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً (110)

ثلاث آيات.

يقول اللَّه تعالى إن اليوم الذى ينسف اللَّه فيه الجبال نسفاً، و يذرها قاعاً صفصفاً، حتى لا يبقى فيه عوج و لا امت، تتبع الخلائق يومئذ الداعى لهم الى المحشر (لا عِوَجَ لَهُ) اى لا يميلون عنه، و لا يعدلون عن ندائه، و لا يعصونه كما يعصون فى دار الدنيا (وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ) اى تخضع له بمعنى انها تسكن، و لا ترتفع- فى قول ابن عباس- و الخشوع الخضوع قال الشاعر:

لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة و الجبال الخشع «1»

و قوله تعالى «فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً» فالهمس صوت الأقدام- فى قول ابن عباس و ابن زيد- و قال مجاهد: الهمس إخفاء الكلام، قال الراجز فى الهمس:

و هن يمشين بنا هميساً «2»

يعنى صوت أخفاف الإبل فى سيرها. و قوله (يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا) اخبر اللَّه تعالى أن ذلك اليوم لا تنفع شفاعة احد فى

---

(1) قائله جرير ديوانه (دار بيروت) 270 و قد مر فى 1/ 204، 312 من هذا الكتاب

(2) تفسير القرطبى 11/ 249 و الشوكانى 3/ 372 و الطبرى 16/ 141 (ج 7 م 27 من التبيان) [.....]

غيره، إلا شفاعة من أذن اللَّه له أن يشفع، و رضى قوله فيها: من الأنبياء و الأولياء و الصديقين و المؤمنين. ثم قال (يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ) أى يعلم ما بين أيدى الخلائق من أمور القيامة و أحوالهم، و يعلم ما سبقهم فيما تقدمهم (و لا يحيطون) هم (به) باللَّه (علماً). و المعنى انهم لا يعلمون كل ما هو تعالى عالم به لنفسه، فلا يعلمه أحد علم إحاطة، و هو تعالى يعلم جميع ذلك، و جميع الأشياء علم إحاطة، بمعنى انه يعلمها على كل وجه يصح أن تعلم عليه مفصلا. و قال الجبائى: معناه و لا يحيطون بما خلفهم علماً، و لا بما بين أيديهم.

وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَ قَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً (111) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخافُ ظُلْماً وَ لا هَضْماً (112) وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا وَ صَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً (113) فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً (114) وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (115)

خمس آيات.

قرأ ابن كثير وحده (فلا يخف ظلماً) على النهى. الباقون على الخبر. قال ابو على النحوى: قوله (و هو مؤمن) جملة فى موضع الحال و العامل فيها (يعمل) و ذو الحال الذكر الذى فى يعمل من (من)، و موضع الفاء، و ما بعدها من قوله التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 211

(فلا يخاف) الجزم، لكونه فى موضع جواب الشرط. و المبتدأ محذوف مراد بعد الفاء، و تقديره: فهو لا يخاف، و الأمر فى ذلك حسن، لأن تقديره من عمل صالحاً فليأمن، و لا يخف. و المراد الخبر بأن المؤمن الصالح لا خوف عليه و قوله (وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ) أى خضعت و ذلت خضوع الأسير فى يد القاهر له، و العانى الأسير، و يقال: عنا وجهى لربه يعنو عنواً اى ذل و خضع و منه: أخذت الشىء عنوة أى غلبة بذل المأخوذ منه، و قد يكون العنوة عن تسليم و طاعة، لأنه على طاعة الذليل للعزيز قال الشاعر:

هل انت مطيعى ايها القلب عنوة و لم تلح نفس لم تلم فى اختيالها «1»

و قال آخر:

فما أخذوها عنوة عن مودة و لكن بضرب المشرفىّ استقالها «2»

و (عنت) ذلت- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة. و (القيوم) قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه العالم فيما يستقيم به تدبير جميع الخلق، فعلى هذا لم يزل اللّه قيوماً و الثانى- انه القائم بتدبير الخلق، و هى مثل صفة حكيم على وجهين. و قال الجبائى: القيوم القائم بأنه دائم لا يبيد و لا يزول. و قال الحسن: هو القائم على كل نفس بما كست حتى يجزيها. و وجه (عنت الوجوه للحى القيوم) انها تدل عليه، لأن الفعل منه تعالى يدل على انه قادر و كونه قادراً يدل على انه عالم. و قيل: معنى (وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ) هو وضع الجبهة و الانف على الأرض فى السجود- فى قول طلق ابن حبيب

---

(1) تفسير الطبرى 16/ 142

. (2) تفسير الطبرى 16/ 142 و القرطبى 11/ 219 و اللسان (عنو)

و قوله (وَ قَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً) أى خسر الثواب من جاء يوم القيامة كافراً ظالماً مستحقاً للعقاب. و (من) فى قوله (من الصالحات) زائدة عند قوم و المراد من يعمل الصالحات. و يحتمل ان تكون للتبعيض، لان جميع الصالحات لا يمكن احد فعلها، فأخبر اللّه تعالى ان من يعمل الاعمال الصالحات، و هو مؤمن عارف باللّه تعالى مصدق بأنبيائه (فَلا يَخافُ ظُلْماً وَ لا هَضْماً) اى لا يخاف ظلماً بالزيادة فى سيئاته، و لا زيادة فى عقابه الذى يستحقه على معاصيه (وَ لا هَضْماً) أى و لا نقصاناً من حسناته و لا من ثوابه- فى قول ابن عباس و الحسن و قتادة- و قيل (فَلا يَخافُ ظُلْماً) بأن لا يجزى بعلمه (و لا هضماً) بالانتقاص من حقه- فى قول ابن زيد.
فمن قرأ «فلا يخاف» أراد الاخبار بذلك. و من قرأ «فلا يخف» معناه معنى النهى للمؤمن الذى وصفه عن أن يخاف ظلماً او هضماً. و أصل الهضم النقص، يقال:
هضمنى فلان حقى اى نقصنى. و امرأة هضيم الحشا أى ضامرة الكشحين بنقصانه عن حد غيره. و منه هضمت المعدة الطعام اى نقصت مع تغييرها له.
و قوله «وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا» أى كما أخبرناك باخبار القيامة أنزلنا عليك يا محمد القرآن «وَ صَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ» اى ذكرناه على وجوه مختلفة، و بيناه بألفاظ مختلفة، لكى يتقوا معاصيه و يحذروا عقابه «او يحدث» القرآن «لهم ذكراً» و معناه ذكراً يعتبرون به. و قيل «ذكراً» اى شرفاً بايمانهم به.
ثم قال تعالى «فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ» اى ذو الحق، و معناه ارتفع- معنى صفته- فوق كل شىء سواه، لأنه اقدر من كل قادر، و اعلم من كل عالم سواه لأن كل قادر عالم سواه يحتاج اليه، و هو غنى عنه.
و قوله «وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ» اى لا تسأل انزاله قبل ان يأتيك وحيه. و قيل: معناه لا تلقه الى الناس قبل ان يأتيك

تأويله. و قيل: لا تعجل بتلاوته قبل ان يفرغ جبرائيل من ادائه اليك.
و قوله «وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً» اى استزد من اللّه علماً الى علمك. و قال الحسن: كان النبى (ص) إذا نزل عليه الوحى عجل بقراءته مخافة نسيانه.
و قوله «وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِىَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً» قال ابن عباس و مجاهد: معناه عهد اللّه اليه، بأن أمره به و وصاه به «فنسى» اى ترك. و قيل إنما أخذ الإنسان من انه عهد اليه فنسى- فى قول ابن عباس- و قوله «وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً» اى عقداً ثابتاً. و قال قتادة: يعنى صبراً. و قال عطية: اى لم نجد له حفظاً.

و العزم الارادة المتقدمة لتوطين النفس على الفعل.
و قرأ يعقوب «من قبل ان نقضى» بالنون و كسر الضاد و فتح الياء بعدها «وحيه» بنصب الياء. الباقون «يقضى» بناه لما لم يسم فاعله و رفع الياء فى قوله «وحيه»

وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبى (116) فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقى (117) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيها وَ لا تَعْرى (118) وَ أَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَ لا تَضْحى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لا يَبْلى (120)

خمس آيات قرأ نافع و أبو بكر عن عاصم «و إنک لا تظمؤ» بكسر الهمزة على الاستئناف التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 214

و قطعه عن الأول. الباقون بالنصب عطفاً على اسم (أن).

يقول اللَّه تعالى لنبيه (ص) يا محمد و اذكر حين قال اللَّه تعالى «لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» أى أمرهم بالسجود له، و انهم سجدوا له بأجمعهم إلا إبليس و قد بينا- فيما تقدم- أن أمر اللَّه تعالى للملائكة بالسجود لآدم يدل على تفضيله عليهم، و إن كان السجود لله تعالى لا لآدم. لأن السجود عبادة، لا يجوز أن يفعل إلا للَّه، فأما المخلوقات فلا تستحق شيئاً من العبادة بحال، لأن العبادة تستحق بأصول النعم و بقدر من النعم لا يوازيها نعمة منعم.

و قال قوم: ان سجود الملائكة لآدم كان كما يسجد الى جهة الكعبة- و هو قول الجبائى- و الصحيح الأول، لأن التعظيم الذى هو فى أعلى المراتب حاصل للَّه لا لآدم بإسجاد الملائكة له. و لو لم يكن الأمر على ما قلناه من أن فى ذلک تفضيلا لآدم عليهم، لما كان لامتناع إبليس من السجود له وجه، و لما كان لقوله «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» «1» وجه. فلما احتج إبليس بأنه أفضل من آدم- و إن أخطا فى الاحتجاج- علمنا أن موضوع الأمر بالسجود لآدم على جهة التفضيل، و إلا كان يقول اللَّه لإبليس: إنى ما فضلته على من أمرته بالسجود لآدم و إنما السجود لى، و هو بمنزلة القبلة، فلا ينبغى أن تانف من ذلک. و قد بينا أن الظاهر- فى روايات أصحابنا- أن إبليس كان من جملة الملائكة،

و هو المشهور- فى قول ابن عباس- و ذكره البلخى- فعلى هذا يكون استثناء إبليس من جملة الملائكة استثناء متصلا. و من قال: إن إبليس لم يكن من جملة الملائكة قال: هو استثناء منقطع، و انما جاز ذلک، لأنه كان مأموراً ايضاً بالسجود له، فاستثنى على المعنى دون اللفظ، كما يقال: خرج أصحاب الأمير إلا الأمير، و كما قال عنتر

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 11

ابن دجاجة:

من كان أشرک فی تفرق مالح فلبونه جربت معاً و اغذت
الا کنا شرة الذی ضیعتم کالغصن فی غلوائه المتثبت
و المعنی لکن هذا کناشرة. و تقول: قام الأشراف للرئیس، إلا العامی الذی لا یلتفت الیه. قال الرمانی: و إذا أمر الملائکة بالسجود اقتضی أن من دونهم داخل معهم، کما أنه إذا أمر الکبراء بالقیام للأمیر اقتضی أن الصغار القدر، قد دخلوا معهم.
و قوله «أبی» معناه امتنع «فَقُلْنا یا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَکَ وَ لِزَوْجِکَ» حکایة عما قال اللّه لآدم: إن إبلیس عدوک و عدو زوجتک یرید إخراجکما من الجنة، و نسب الإخراج الی إبلیس إذ کان بدعائه و اغوائه.
و قوله «فتشقی» قیل: معناه تتعب بأن تأکل من کدّ یدک و ما تکتسبه لنفسک. و قیل: فتشقی علی خطاب الواحد، و المعنی فتشقی أنت و زوجک، لأن أمرهما فی السبب واحد، فاستوی حکمهما لاستوائهما فی العلة. و قیل: خص بالشقاء لأن الرجل یکد علی زوجته.
و قوله «إِنَّ لَکَ أَلَّا تَجُوعَ فِیها وَ لا تَعْری» یعنی فی الجنة ما دمت علی طاعتک لی و الامتثال لأمری و انک «لا تَعْری» فیها من الکسوة «وَ أَنَّکَ لا تَظْمَؤُا فِیها» ای لا تعطش فیها «وَ لا تَضْحی» أی لا یصیبک حر الشمس- و هو قول ابن عباس و سعید بن جبیر و قتادة- و قال عمر بن أبی ربیعة:
رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فیضحی و أما بالعشی فیخضر «1»
أی یخضر من البرد. و قیل: لیس فی الجنة شمس انما فیها نور و ضیاء. و انما

---

(1) دیوانه (دار بیروت) 121 و روایته (یخصر) بدل (یخضر) و معناها واحد

الشمس فی سماء الدنیا خاصة. و ضحی الرجل یضحی إذا برز للشمس.
قال أبو علی:
إنما لم یجز أن یقول انک لا تجوع و إنک لا تظمأ. بغیر فصل کراهة اجتماع حرفین متقاربین فی المعنی، فإذا فصل بینهما لم یکره ذلک، کما کرهوا: إن لزیداً قائم، و لم یکرهوا «إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ» مع الفصل. و قال الرمانی إنما جاز أن تعمل (انّ) فی (أن) بفصل و لم یجز من غیر فصل کراهیة التعقید بمداخلة المعانی المتقاربة، فاما المتباعدة فلا یقع بالاتصال فیها تعقید، لأنها متباینة مع الاتصال لالفاظها، فلذلک جاز «إن لک ان لا تظمؤا فیها» و لم یجز ان انک لا تظمؤ، لأنه بغیر فصل.
ثم اخبر تعالی أن إبلیس وسوس لآدم، فقال له «هَلْ أَدُلُّکَ عَلی شَجَرَةِ الْخُلْدِ ...» أی علی شجرة إن تناولت منها بقیت فی الجنة مخلداً لا تخرج منها، و حصل لک ملک و سلطان لا یبلی علی الأبد، و لا یهلک. و هی

الشجرة التى نهاه اللّه تعالى عن تناولها. و قد قدمناه اختلاف المفسرين فى ماهية تلک الشجرة فيما مضى فلا وجه لإعادته.

فَأَكَلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَ طَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى (121) ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى (122) قالَ اهْبِطا مِنْها جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَ لا يَشْقى (123) وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى (124) قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً (125)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 217

خمس آيات.

اخبر اللّه تعالى عن آدم و حواء أنهما أكلا من الشجرة التى نهى اللّه عن أكلها، و عندنا أن النهى كان على وجه التنزيه. و الأولى أن يكون على وجه الندب دون نهى الحظر و التحريم، لأن الحرام لا يكون إلا قبيحاً، و الأنبياء لا يجوز عليهم شىء من القبائح لا كبيرها و لا صغيرها. و قال الجبائى: لا تقع معاصى الأنبياء إلا سهواً، فأما مع العلم بأنها معاصى فلا تقع. و قال قوم آخرون: إنه وقع من آدم أكل الشجرة خطأ، لأنه كان نهى عن جنس الشجرة فظن انه نهى عن شجرة بعينها، فأخطأ فى ذلک. و هذا خطأ لأنه تنزيه له من وجه المعصية، و نسبة المعصية اليه من وجهين:

أحدهما- أنه فعل القبيح. و الثانى- أنه أخطأ فى الاستدلال. و قال قوم: انها وقعت منه عمداً، و كانت صغيرة. وقعت محبطة. و قد بينا أن ذلک لا يجوز عليهم (ع) عندنا بحال. و قال الرمانى: لما حلف إبليس لهما لم يقبلا منه، و لم يصدقاه، و لكن فعلا ذلک لغلبة شهوتهما، كما يقول الغاوى للإنسان ازن بهذه المرأة، فإنک ان أخذت لم تحد، فلا يصدقه، و يزنى بها لشهوته. و قال الحسن: أكلت حواء أولا و ابت عليه ان يجامعها حتى يأكل منها، فأكل حينئذ.

و قوله «فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما» أى ظهرت لهما عوراتهما، لان ما كان عليهما من اللباس نزع عنهما، و لم يكن ذلک على وجه العقوبة بل لتغيير المصلحة فى نزعهما و إخراجهما من الجنة و اهباطهما الأرض و تكليفهما فيها. و انما جمع سوآتهما، و هو لأثنين، لأن كل شيئين من شيئين، فهو من موضع التثنية جمع، لأن الاضافة تثنية التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 218

مع أنه لا إخلال فيه لمناسبة الجمع للتثنية. و قال السدى: كان لباس سوآتهما الظفر.

و قوله «طفقا» يعنى ظلا، و جعلا يفعلان.

و قوله «يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ» فالخصف خيط الشىء بقطعة من غيره، يقال: خصفه يخصفه خصفاً، فهو خاصف و خصاف. و قيل: انهما كانا يطبقان ورق الجنة بعضه على بعض و يخيطان بعضه الى بعض ليسترا به

سوآتهما.
و قوله «وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى» معناه خالف ما أمره اللَّه به فخاب ثوابه.
و المعصية مخالفة الأمر سواء كان واجباً او ندباً قال الشاعر:
أمرتک امراً جازماً فعصيتنى «1»
و يقال ايضاً: أشرت عليک بكذا، فعصيتنى، و يقال غوى يغوى غواية و غياً إذا خاب، قال الشاعر:
فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغى لائما «2»
أى من يخب، و فى الكلام حذف، لان تقديره ان آدم تاب الى اللَّه و ندم على ما فعل، فاجتباه اللَّه و اصطفاه «فَتابَ عَلَيْهِ» أى قبل توبته. و هداه الى معرفته و الى الثواب الذى عرضه له.
و قوله «قالَ اهْبِطا مِنْها جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» يعنى آدم و حواء و إبليس و ذريته. و قد بينا معنى الهبوط فيما تقدم «3» و اختلاف الناس فيه.
و المعنى أنه أخرج هؤلاء من الجنة بأن أمرهم بالخروج منها على وجه تغيير المصلحة فى أمره، و لإبليس على وجه العقوبة. و قد بينا فيما تقدم ان إخراج إبليس من الجنة، كان قبل ذلک حين أمره اللَّه بالسجود لآدم فامتنع فلعنه و أخرجه، و انما أغوى آدم من

---

(1) مر هذا البيت كاملا فى 6/ 355
. (2) مر هذا البيت فى 2/ 312 و 4/ 391 و 5/ 548 و 6/ 336
. (3) انظر 1/ 162 و 4/ 298

خارج الجنة، لأنه قيل: ان آدم كان يخرج الى باب الجنة. و ذكرنا أقوال المفسرين فى ذلک فيما مضى «1».
و قوله «فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُداىَ فَلا يَضِلُّ وَ لا يَشْقى» معناه ان أتاكم هدى بمنى بأن أكلفكم، و انصب لكم الادلة على ما آمركم به من معرفتى و توحيدى و العمل بطاعتى، فمن اتبع أدلتى و عمل بما آمره به، فانه «لا يضل» فى الدنيا «و لا يشقى» فى الآخرة. و قال ابن عباس: ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن و عمل بما فيه ألّا يضل فى الدنيا و لا يشقى فى الآخرة.
و قوله «وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى» [أى من لم ينظر فى ذكرى الذى هو القرآن و الادلة المنصوبة على الحق و صدق عنها] «2» «فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى» فالضنک الضيق الصعب، منزل ضنک أى ضيق، و عيش ضنک، لا يثنى و لا يجمع و لا يؤنث، لأن أصله المصدر. ثم وصف به، قال عنترة:
إن يلحقوا أكرر و ان يستلحموا أشدد و ان يلفوا بضنک أنزل
و قال ايضاً:

ان المنية لو تمثل مثلى إذا نزلوا بضنک المنزل «3»
و الضنک: الضيق، فى قول مجاهد و قتادة. و قال الحسن و ابن زيد: المعيشة الضنک هو الضريع، و الزقوم فى النار. و قيل: الضريع شوک من نار. و قال عكرمة و الضحاک: هو الحرام فى الدنيا الذى يؤدى الى النار. و قال ابن عباس: لأنه غير موقن بالخلف، فعيشه منغص. و قال ابو سعيد الخدرى و عبد اللَّه بن مسعود و أبو

---

(1) انظر 1/ 162 و 4/ 298
(2) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة
(3) البيت الأول فى ديوان (دار بيروت): 57 و الثانى فى 58

صالح، و السدى، و
رواه ابو هريرة عن النبى (ص) أنه عذاب القبر
، و لقوله تعالى «وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَ أَبْقى» يقتضى انه عذاب القبر.
و قوله «وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى» قيل معناه نحشره يوم القيامة أعمى البصر. و قيل أعمى الحجة. و قيل أعمى عن جهات الخير لا يهتدى اليها. و الأول هو الظاهر إذا اطلق. فمن قال: أعمى البصر قال: معناه لا يبصر فى حال و يبصر العذاب فى حال. و من قال: بالآخرة قال: هو أعمى عن جهات الخير لا يهتدى لشىء منها.
و قوله «قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً» حكاية عما يقول الذى يحشره أعمى «لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمى» ذاهب البصر «وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً» أبصر بها. و هذا يقوى أنه أراد عمى البصر دون عمى البصيرة، لان الكافر لم يكن بصيراً فى الدنيا الا على وجه صحة الحاسة. و قيل معناه كنت بصيراً بحجتى عند نفسى.

قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى (126) وَ كَذلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِآياتِ رَبِّهِ وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَ أَبْقى (127) أَ فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى (128) وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى (129) فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِها وَ مِنْ آناءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَ أَطْرافَ النَّهارِ لَعَلَّكَ تَرْضى (130)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 221

خمس آيات.

قرأ الكسائى و ابو عمرو عن عاصم «ترضى» بضم التاء. الباقون بفتحها.

هذا جواب من اللَّه تعالى لمن يقول «لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى، وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً» فيقول اللَّه له فى جواب ذلک كما حشرتک أعمى مثل ذلک «أَتَتْكَ آياتُنا» يعنى أدلتنا و حججنا «فَنَسِيتَها» أى تركتها و لم تعتبر بها، و فعلت معها ما يفعله الناسى الذى لم يذكرها أصلا، و مثل ذلک اليوم تترک من ثواب اللَّه و رحمته و تحرم من نعمه، و تصير بمنزلة من قد ترک فى المنسى بعذاب لا يفنى.

ثم قال و مثل ذلک «نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ» على نفسه بارتكاب المعاصى، و ترک الواجبات و لم يصدق بآيات ربه و حججه.

ثم قال «وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ» بالنار «أَشَدُّ وَ أَبْقى» لأنه دائم، و عذاب القبر و عذاب الدنيا يزول. و هذا يقوى قول من قال: إن قوله «مَعِيشَةً ضَنْكاً» أراد به عذاب القبر. و لا يجوز أن يكون المراد بقوله «فنسيتها» النسيان الذى ينافى العلم لأن ذلک من فعل اللَّه لا يعاقب العبد عليه، اللهم إلا ان يراد ان الوعيد على التعرض لنسيان آيات اللَّه فأجرى فى الذكر على نسيان الآيات للتحذير من الوقوع فيه.

ثم قال تعالى «أَ فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ» قيل: ان قريشاً كانت تتجر الى الشام فتمر بمساكن عاد و ثمود، فترى آثار إهلاک اللَّه إياهم، فنبههم الله بذلک على معرفته و توحيده. و فاعل «يهد» مضمر يفسره «كم أهلكنا» و المعنى او لم يهد لهم إهلاكنا من قبلهم من القرون. و يجوز أن يكون المضمر المصدر يفسره (كم أهلكنا) و موضع (كم) نصب ب (أهلكنا) فى قول الفراء التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 222

و الزجاج. و قال بعضهم: انه رفع ب (يهد) و هذا خطأ، لأنه خرج مخرج الاستفهام، كما يقول القائل: قد تبين لى أقام زيد أم عمرو؟. و قوله «ان

فى ذلک» يعنى فى إهلاكنا القرون الماضية «لآيات» و حججاً لأولى العقول. و النهى العقول، على ما بيناه فى غير موضع «1».
و قوله «وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَكانَ لِزاماً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى» فيه تقديم و تأخير و تقديره: و لو لا كلمة سبقت من ربک و اجل مسمى لكان لزاماً و معناه:
لو لا ما سبق من وعد الله بأن الساعة تقوم فى وقت بعينه و ان المكلف له اجل مقدر معين. لكان هلاكهم «لزاماً» أى لازماً ابداً. و قيل: معناه فيصلا يلزم كل انسان طائره، ان خيراً فخيراً و ان شراً. فشراً، فالأول قول الزجاج، و الثانى قول أبى عبيدة. و قال قوم: عذاب اللزام كان يوم بدر، قتل اللّه فيه الكفار، و لو لا ما قدر اللّه من آجال الباقين و وعدهم من عذاب الآخرة، لكان لازماً لهم ابداً فى سائر الازمان. و قال قتادة: الأجل الاول يعنى فى قيام الساعة و الثانى الذى كتبه اللّه للإنسان انه يبقيه اليه.
ثم قال لنبيه محمد (ص) «فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ» من كفرهم بتوحيد اللّه و جحدهم لنبوتک و أذاهم إياک بكلام يسمعونک يثقل عليک «وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ» يعنى صلاة الفجر «وَ قَبْلَ غُرُوبِها» يعنى صلاة العصر «وَ مِنْ آناءِ اللَّيْلِ» يعنى صلاة المغرب و العشاء «وَ أَطْرافَ النَّهارِ» صلاة الظهر فى قول قتادة- «و آناءِ اللَّيْلِ» ساعات الليل. و أحدها إنى، قال السعدى:
حلو و مر كعصف القدح مرته بكل إنى حذاه الليل ينتعل «2»
و قيل فى قوله «وَ أَطْرافَ النَّهارِ» لم جمع؟ ثلاثة اقوال:

---

(1) انظر 7/ 179
. (2) انظر 2/ 564
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 223
أولها- انه أراد أطراف كل نهار فالنهار فى معنى الجمع.
الثانى- انه بمنزلة قوله «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما» «1» الثالث- انه أراد طرف أول النصف الاول، و آخر النصف الاول، و أول النصف الأخير، و آخر النصف الأخير، و لذلک جمع.
و قوله «لَعَلَّکَ تَرْضى» معناه افعل ما أمرتک به لكى ترضى بما يعطيک اللَّه من الثواب على ذلک. و من ضم التاء أراد: لكى نفعل معک من الثواب ما ترضى معه. و قيل: لكى ترضى بالشفاعة. و المعانى متقاربة، لأنه إذا أرضى اللّه النبى (ص) فانه يرضى.

وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْکَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّکَ خَيْرٌ وَ أَبْقى (131) وَ أْمُرْ أَهْلَکَ بِالصَّلاةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْها لا نَسْئَلُکَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُکَ وَ الْعاقِبَةُ لِلتَّقْوى (132) وَ قالُوا لَوْ لا يَأْتِينا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَ وَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ ما فِي الصُّحُفِ الْأُولى (133) وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَکْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِکَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزى (134) قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَ مَنِ اهْتَدى (135)
خمس آيات.

---

(1) سورة 66 التحريم آية 4

قرأ «زهرة»- بفتح الهاء- يعقوب. و قرأ الباقون بسكونها، و هما لغتان.
و قرأ نافع و ابو جعفر- من طريق ابن العلاف- و أهل البصرة و حفص «أو لم تأتهم» بالتاء. الباقون بالياء. و قد مضى نظائره.
نهى اللّه تعالى نبيه محمداً (ص) و المراد به جميع المكلفين عن ان يمدوا أعينهم، و ينظروا إلى ما متع اللّه الكفار به، من نعيم الدنيا و لذاتها، و الامتاع الالذاذ بما يدرک، و ذلک بما يرى من المناظر الحسنة و يسمع من الأصوات المطربة، و يشم من الروائح الطيبة، يقال: أمتعه إمتاعاً، و متعة تمتيعاً، إلا ان فى متعه تكثر الامتاع.
و قوله «أَزْواجاً مِنْهُمْ» معناه أشكالا منهم، من المزاوجة بين الأشياء، و هى المشاكلة، و ذلک أنهم اشكال فى الذهاب عن الصواب.
و قوله «زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا» فالزهرة الأنوار التى تروث عند الرؤية، و من ذلک قيل للكوكب يزهر، لنوره الذى يظهر. و المعانى الحسنة زهرة النفوس.
و قوله «لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ» معناه لنعاملهم معاملة المختبر، بشدة التعبد فى العمل بالحق فى هذه الأمور التى خلقناها لهم.
و قوله «وَ رِزْقُ رَبِّکَ» يعنى الذى وعدک به فى الآخرة من الثواب «خَيْرٌ وَ أَبْقى» مما متعنا به هؤلاء فى الدنيا.
و
قيل إن هذه الآية نزلت على سبب، و ذلک أن النبى (ص) استسلف من يهودى طعاماً فأبى أن يسلفه إلا برهن، فحزن رسول اللّه (ص)، فأنزل اللّه هذه الآية تسلية له. و روى ذلک أبو رافع مولاه.
و قيل «زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا» زينة الحياة الدنيا- فى قول قتادة-.

ثم قال لنبيه (ص) «وَ أْمُرْ» يا محمد «أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ» و قيل: المراد به أهل بيتک، و اهل دينک، فدخلوا كلهم فى الجملة «وَ اصْطَبِرْ عَلَيْها» بالاستعانة بها على التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 225
الصبر عن محارم اللّه. ثم قال له «لا نَسْئَلُکَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُکَ» الخطاب للنبى (ص) و المراد به جميع الخلق، فان اللّه تعالى يرزق خلقه، و لا يسترزقهم، فيكون أبلغ فى المنة «وَ الْعاقِبَةُ لِلتَّقْوى» يعنى العاقبة المحمودة لمن اتقى معاصى اللّه و اجتنب محارمه.
و فى الآية دلالة على وجوب اللطف، لما فى ذلک من الحجة، لمن فى المعلوم انه يصلح به، و لو لم يكن فيه حجة لجرى مجرى ان تقول: لولا فعلت بنا ما لا يحتاج اليه فى الدين، و لا الدنيا، من جهة أنه لا حجة فيه، كما لا حجة فى هذا.
و قوله «وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ» اخبار منه تعالى أنه لو أهلكهم بعذاب أنزله عليهم جزاء على كفرهم «لقالوا» يوم القيامة «لَوْ لا أَرْسَلْتَ» اى هلا أرسلت «إِلَيْنا رَسُولًا» يدعونا الى اللّه و يأمرنا بتوحيده (فنتبع) أدلتک و (آياتِکَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزى) اى قبل أن نهون، يقال: خزى يخزى إذا هان و افتضح.
و قوله (وَ قالُوا لَوْ لا يَأْتِينا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ) حكاية عما قال الكفار للنبى (ص) هلا يأتينا بآية من ربه يريدون الآية التى يقترحونها، لأنه اتى بالآيات. و من قرا- بالتاء- وجه الخطاب اليه. و من قرأ- بالياء- حكى بأنهم قالوا فيما بينهم هلا يأتينا بالمعجز. او دلالة تدل على صدق قوله، فقال اللّه لهم (أَ وَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ ما فِى الصُّحُفِ الْأُولى) يعنى ألسنا بينا ذلک فى الكتب التى أنزلناها على موسى و عيسى، فلم لم يؤمنوا بها و لم يصدقوا بها؟ و من قرأ- بالتاء- وجه الخطاب اليه، فقال اللّه تعالى لنبيه (قل) لهم يا محمد (كل متربص) اى كل واحد منا و منكم متربص، فنحن نتربص بكم وعد الله لنا فيكم و أنتم تتربصون بنا ان تموت، فتستريحوا (فستعلمون) اى سوف تعلمون فيما بعد (مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ) يعنى الصراط المستقيم و (من) الذى (اهتدى) الى طريق الحق. و (من) يحتمل ان تكون نصباً إن كانت بمعنى الذى و ان تكون رفعاً على طريقة الاستفهام
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 227

21-سورة الأنبياء ..... ص : 227

اشارة

هى مكية فى قول قتادة و مجاهد و هى مائة و اثنتا عشرة آية فى الكوفى و احدى عشرة فى البصرى و المدنيين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَ هُمْ فِى غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (1) ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ (2) لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَ أَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هذا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَ فَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (3) قالَ رَبِّى يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِى السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (4)
بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (5)
خمس آيات.
قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر و خلفاً «قال ربى» على وجه الخبر. الباقون

«قل ربى» على وجه الامر.
هذا اخبار من اللَّه تعالى بأنه «اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ» يعنى دنا وقت «حسابهم» و معناه دنا وقت اظهار ما للعبد و ما عليه ليجازى به و عليه. و الحساب إخراج مقدار العدد بعقد يحصل. و يقال: هو إخراج الكمية من مبلغ العدة. و قيل انه دنا لأنه بالاضافة الى ما مضى يسير.
و قيل: نزلت الآية فى أهل مكة استبطئوا عذاب اللَّه تكذيباً بالوعيد، فقتلوا يوم بدر. و الاقتراب قصر مدة الشىء بالاضافة الى ما مضى من زمانه. و حقيقة القرب قلة ما بين الشيئين، يقال: قرب ما بينهما تقريباً إذا قلل ما بينهما من مدة او مساقة او اى فاصلة، و القرب قد يكون فى الزمان، و فى المكان، و فى الحال. و قد قيل: كل آت قريب، فلذلك وصف اللَّه تعالى القيامة بالاقتراب، لأنها جائية بلا خلاف.
و قوله «وَ هُمْ فِى غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ» فالغفلة السهو، و هو ذهاب المعنى عن النفس و نقيضها اليقظة، و نقيض السهو الذكر، و هو حضور المعنى للنفس، و النسيان، هو عزوب المعنى عن النفس بعد حضوره. و قوله «معرضون» يعنى عن الفكر فى ذلك، و العمل بموجبه. و قيل: هم فى غفلة بالاشتغال بالدنيا، معرضون عن الآخرة.
و قيل: هم فى غفلة بالضلال، معرضون عن الهدى. و هو مثل ما قلناه.
و قوله «ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ» معناه اى شىء من القرآن محدث بتنزيله سورة بعد سورة و آية بعد آية «إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ» اى كل ما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل- فى قول الحسن و قتادة- و فى هذه الآية دلالة على ان القرآن محدث، لأنه تعالى اخبر انه ليس يأتيهم ذكر محدث من ربهم إلا استمعوه و هم لاعبون. و الذكر: هو القرآن قال اللَّه تعالى «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 229

وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ»
«1» و قال «وَ أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الذِّکْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» «2» يعنى القرآن، و يقويه فى هذه الآية قوله «إِلَّا اسْتَمَعُوهُ» و الاستماع لا يكون إلا فى الكلام، و قد وصفه بأنه محدث، فيجب القول بحدوثه.
و يجوز فى (محدث) الجر على انه صفة. و يجوز الرفع و النصب. فالنصب على الحال و الرفع على تقدير هو محدث. و لم يقرأ بهما، و قوله «لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ» نصب (لاهية) على الحال. و قال قتادة: معناه غافلة. و قال غيره: معناه طالبة للهو، هازلة. و اللهو الهزل الممتع. و قوله (وَ أَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) فموضع (الَّذِينَ ظَلَمُوا) من الاعراب يحتمل أن يكون رفعاً على البدل من الضمير فى قوله «و أسروا» ما قال تعالى «ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ» «3» و يجوز ان يكون رفعاً على الاستئناف، و تقديره و هم الذين ظلموا. و يحتمل وجهاً ثالثاً- أن يكون خفضاً بدلا من الناس.
و المعنى ان الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم باللّه و جحدهم أنبيائه، و أخفوا القول فيما بينهم.
و قالوا «هل هذا» يعنون رسول اللَّه «إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ». و قال قوم: معناه انهم أظهروا هذا القول. لأن لفظة أسروا مشتركة بين الإخفاء و الاظهار، و الأول أصح.
و قوله «أَ فَتَأْتُونَ السِّحْرَ» معناه أ فتقبلون السحر «وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» أى و أنتم تعلمون انه سحر. و قيل: معناه أ فتعدلون الى الباطل و أنتم تعلمون الحق و تنكرون ثبوته.
ثم أمر نبيه (ص) فقال «قل» يا محمد «ربى» الذى خلقتنى و اصطفانى «يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِى السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» لا يخفى عليه شىء من ذلک بل يعلمه جميعه «وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» أى هو من يجب أن يسمع المسموعات إذا وجدت عالم بجميع المعلومات

---

(1) سورة 15/ الحجر آية 9 [.....]
. (2) سورة 16 النحل آية 44
(3) سورة 5 المائدة آية 74
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 230
و قوله (بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ) فالمعنى فى (بل) الاضراب بها عما حكى انهم قالوه أولا، و الإخبار عما قالوه ثانياً، لأنهم أولا قالوا: هذا الذى أتانا به من القرآن (أَضْغاثُ أَحْلامٍ) اى تخاليط رؤيا، رآها فى المنام- فى قول قتادة- قال الشاعر:
كضغث حلم عزمته حالمة «1»
ثم قالوا: لا (بَلِ افْتَراهُ) اى تخرصه و افتعله. ثم قالوا: (بَلْ هُوَ شاعِرٌ) و انما قالوا: هو شاعر، قول متحير، قد بهره ما سمع، فمرة يقول ساحر، و مرة

يقول شاعر. و لا يجزم على أمر واحد. قال المبرد: فى (أسروا) إضمار هؤلاء اللاهية قلوبهم، و الذين ظلموا بدلا منه. و قال قوم: قدم علامة الجمع، لان الواو علامة الجمع، و ليست بضمير، كقولهم: انطلقوا إخوتک، و انطلقا صاحباک، تشبيها بعلامة التأنيث، نحو: ذهبت جاريتک، و هذا يجوز، لكن لا يختار فى القرآن مثله.

ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَ فَهُمْ يُؤْمِنُونَ (6) وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (7) وَ ما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَ ما كانُوا خالِدِينَ (8) ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْناهُمْ وَ مَنْ نَشاءُ وَ أَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (9) لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ كِتاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (10)

---

(1) تفسير القرطبى 11/ 270

خمس آيات.

قرأ عاصم «نوحى» بالنون. الباقون- بالياء- على ما لم يسم فاعله. من قرأ بالنون أراد الاخبار من اللّه تعالى عن نفسه، بدلالة قوله «وَ ما أَرْسَلْنا» لأن النون و الالف اسم اللّه.

لما حكى اللّه تعالى ما قال الكفار فى القرآن، الذى أنزله الله على نبيه محمد (ص) من أنهم قالوا تارة: هو أضغاث أحلام، يريدون أقاويله. و تارة قالوا:

بل اختلقه و افتعله. و تارة قالوا: هو شاعر، لتحيرهم فى أمره. ثم قالوا (فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ) غير هذا على ما يقترحونها (كَما أُرْسِلَ) الأنبياء (الأولون) بمثلها، فقال الله تعالى (ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَ فَهُمْ يُؤْمِنُونَ) اى انا أظهرنا الآيات التى اقترحوها على الأمم الماضية، فلم يؤمنوا عندها، فأهلكناهم، فهؤلاء ايضاً لا يؤمنون لو أنزلنا ما أرادوه. و أراد الله بهذا الاحتجاج عليهم ان يبين ان سبب مجىء الآيات ليس لأنه سبب يؤدى الى ايمان هؤلاء، و انما مجيئها لما فيها من اللطف و المصلحة، بدلالة انها لو كانت سبباً لايمان هؤلاء لكانت سببا لايمان أولئک، فلما بطل ان تكون سبباً لايمان أولئک، بطل ان تكون سبباً لايمان هؤلاء على هذا الوجه. و قيل: ان معناه إنا لما أظهرنا الآيات التى اقترحوها على الأمم الماضية، فلم يؤمنوا أهلكناهم، فلو أظهرنا على هؤلاء مثلها لم يؤمنوا و كانت تقتضى المصلحة ان نهلكهم. و مثله قوله (وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) «1» و قال الفراء: المعنى ما آمنت قبلهم أمة جاءتهم آية، فكيف يؤمن هؤلاء!.

ثم اخبر تعالى انه لم يرسل قبل نبيه محمد (ص) الى الأمم الماضية

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 59

(إِلّا رِجالًا نُوحِی إِلَیْهِمْ) و وجه الاحتجاج بذلک انه لو کان یجب ان یکون الرسول الی هؤلاء الناس من غیر البشر، کما طلبوه، لوجب ان یکون الرسول الی من تقدمهم من غیر البشر، فلما صح إرسال رجال الی من تقدم، صح الی من تأخر. و قال الحسن:
ما أرسل الله امرأة: و لا رسولا من الجن، و لا من اهل البادیة. و وجه اللطف فی إرسال البشر ان الشکل الی شکله آنس، و عنه افهم و من الأنفة منه ابعد، لأنه یجری مجری النفس، و الإنسان لا یأنف من نفسه.
ثم قال لهم «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ» عن صحة ما أخبرتکم به من انه لم یرسل الی من تقدم إلا الرجال من البشر و فی الآیة دلالة علی بطلان قول ابن حائط: من أن اللّه تعالی بعث الی البهائم و الحیوانات کلها رسلا.
و اختلفوا فی المعنی بأهل الذکر،
فروی عن أمیر المؤمنین (ع) انه قال: (نحن اهل الذکر)
و یشهد لذلک أن اللّه تعالی سمی نبیه ذکراً بقوله «ذِکْراً رَسُولًا» «1» و قال الحسن: و قتادة: هم أهل التوراة و الإنجیل. و قال ابن زید:
أراد اهل القرآن، لان اللّه تعالی سمی القرآن ذکراً فی قوله «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» «2» و قال قوم: معناه و اسألوا اهل العلم باخبار من مضی من الأمم هل کانت رسل اللّه رجالا من البشر أم لا؟.
و قیل فی وجه الأمر بسؤال الکفار عن ذلک قولان:
أحدهما- انه یقع العلم الضروری بخبرهم إذا کانوا متواترین، و أخبروا عن مشاهدة، هذا قول الجبائی.
و الثانی- ان الجماعة الکثیرة إذا أخبرت عن مشاهدة حصل العلم بخبرها إذا

---

(1) سورة 65 الطلاق آیة 10- 11
. (2) سورة 15 الحجر آیة 9
التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 233
کانوا بشروط المتواترین و إن لم یوجب خبرهم العلم الضروری.
و قال البلخی: المعنی انک لو سألتهم عن ذلک لأخبروک أنا لم نرسل قبلک إلا رجالا. و قال قوم: أراد من آمن منهم. و لم یرد الأمر بسوء ال غیر المؤمن.
ثم اخبر تعالی انه لم یبعث رسولا ممن أرسله إلا و کان مثل سائر البشر یأکل اطعام، و انه لم یجعلهم مثل الملائکة لا یأکلون الطعام، و أنهم مع ذلک لم یکونوا خالدین مؤبدین، بل کان یصیبهم الموت و الفناء کسائر الخلق. و انما وحد «جسداً» لأنه مصدر یقع علی القلیل و الکثیر، کما لو قال: و ما جعلناهم خلقاً.
ثم قال تعالی «ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الْوَعْدَ» یعنی الأنبیاء الماضین ما وعدناهم به من النصر و النجاة، و الظهور علی الاعداء، و ما وعدناهم به من الثواب.

فأنجيناهم من أعدائهم، و معهم من نشاء من عبادنا، و أهلكنا المسرفين على أنفسهم، بتكذيبهم للأنبياء. و قال قتادة: المسرفون هم المشركون. و المسرف الخارج عن الحق الى ما تباعد عنه. يقال: أسرف إسرافاً إذا جاوز حد الحق و تباعد عنه.
ثم اقسم تعالى بقوله «لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ»، لان هذه اللام يتلقى بها القسم، بأنا أنزلنا عليكم «كتاباً» يعنى القرآن (فيه ذكركم) قال الحسن: معناه فيه ما تحتاجون اليه من أمر دينكم. و قيل: فيه شرفكم إن تمسكتم به، و عملتم بما فيه.
و قيل: ذكر، لما فيه من مكارم الأخلاق، و محاسن الافعال (أفلا تعقلون) يعنى أفلا تتدبرون، فتعلموا أن الأمر على ما قلناه.

وَ كَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ كانَتْ ظالِمَةً وَ أَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِينَ (11) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنا إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ (12) لا تَرْكُضُوا وَ ارْجِعُوا إِلى ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَ مَساكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ (13) قالُوا يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ (14) فَما زالَتْ تِلْكَ دَعْواهُمْ حَتَّى جَعَلْناهُمْ حَصِيداً خامِدِينَ (15)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 234

خمس آيات.

يقول اللَّه تعالى مخبراً انه قصم قرى كثيرة، و يريد أهلها. و قوله «كانَتْ ظالِمَةً» لما أضاف الهلاک الى القرية أضاف الظلم اليها. و التقدير قصمنا اهل قرية كانوا ظالمين لنفوسهم، بمعاصى اللَّه، و ارتكاب ما حرمه. و (كم) للكثرة و هى ضد (رب) لان (رب) للتقليل. و (كم) فى موضع نصب ب (قصمنا). و القصم كسر الصلب قهراً. قصمه يقصمه قصماً، فهو قاصم الجبابرة، و انقصم انقصاماً مثل انقصف انقصافاً.

و قوله «وَ أَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِينَ» يعنى أوجدنا بعد هلاک أولئک قوماً آخرين. و الإنشاء إيجاد الشىء من غير سبب يولده، يقال انشأه إنشاء. و النشأة الاولى الدنيا، و النشاة الثانية الآخرة. و مثل الإنشاء الاختراع و الابتداع- هذا فى اللغة- فأما فى عرف المتكلمين، فالاختراع هو ابتداع الفعل فى غير محل القدرة عليه.

و قوله «فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنا» معناه لما أدركوا بحواسهم عذابنا، و الاحساس الإدراک بحاسة من الحواس الخمس: السمع: و البصر، و الانف، و الفم، و البشرة.

يقال: أحسه إحساساً و أحس به. و قال قوم: أراد عذاب الدنيا. و قال آخرون:

أراد عذاب الآخرة.

و قوله «إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ» فالركض العدو بشدة الوطء، ركض فرسه

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 235

إذا حثه على المر السريع، فمعنى «يَرْكُضُونَ» يهربون من العذاب سراعاً، كالمنهزم من عدو. فيقول اللَّه تعالى لهم «لا تَرْكُضُوا» أى لا تهربوا من الهلاک «وَ ارْجِعُوا إِلى ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ» أى ارجعوا إلى ما كنتم تنعمون فيه، توبيخاً لهم و تقريعاً على ما فرط منهم. و معنى «ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ» نعمتم، فالمترف المنعم و التترف التنعم، و هى طلب النعمة. «وَ مَساكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ» أى ارجعوا إلى مساكنكم لكى تفيقوا بالمسألة- فى قول مجاهد- و قال قتادة: إنما هو توبيخ لهم فى الحقيقة. و المعنى تسألون من انبيائكم؟ على طريق الهمزء بهم، فقالوا عند ذلک معترفين على نفوسهم بالخطإ «يا

وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ» لنفوسنا بترک معرفة اللّه و تصديق أنبيائه، و ركوب معاصيه. و الويل الوقوع في الهلكة. و نصب على معنى ألزمنا ويلنا.
ثم اخبر اللّه تعالى عنهم بأن ما حكاه عنهم من الويل «دعواهم» و نداؤهم أبداً «حَتَّى جَعَلْناهُمْ حَصِيداً خامِدِينَ» بالعذاب- فى قول الحسن- و قال مجاهد:
يعنى بالسيف، و هو قتل (بخت نصر) لهم. و الحصيد قتل الاستئصال، كما يحصد الزرع بالمنجل، و الخمود كخمود النار إذا طفيت.

وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما لاعِبِينَ (16) لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فاعِلِينَ (17) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ وَ لَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (18) وَ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ لا يَسْتَحْسِرُونَ (19) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ (20)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 236

خمس آيات بلا خلاف.

بقول اللّه تعالى مخبراً على وجه التمدح: إنا «ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما» أى ما أنشأناها «لاعبين» و نصبه على الحال. و اللعب الفعل الذى يدعو اليه الجهل بما فيه من النقص، لان العلم يدعو الى أمر، و الجهل يدعو الى خلافه.

و العلم يدعو الى الإحسان. و الجهل يدعو الى الاساءة لتعجيل الانتفاع. و اللعب يستحيل فى صفة القديم تعالى، لأنه عالم لنفسه. بجميع المعلومات غنى عن جميع الأشياء، و لا يمتنع وصفه بالقدرة عليه كما نقول فى سائر القبائح، و إن كان المعلوم أنه لا يفعله، لما قدمناه.

ثم قال تعالى «لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا» قال الحسن و مجاهد: اللهو المرأة. و قال قتادة: اللهو المرأة- بلغة أهل اليمن- و هو من اللهو المعروف، لأنه يطلب بها صرف الهمّ. و هذا إنكار لقولهم: الملائكة بنات اللّه، و المسيح ابن اللّه تعالى اللّه عن ذلک، و روى عن الحسن البصرى أيضاً انه قال:

اللهو الولد.

و وجه اتصال الآية بما قبلها أن هؤلاء الذين وصفوهم أنهم بنات اللّه، و أبناء الله هم عبيد اللّه، على أتم وجه العبودية، و ذلک يحيل معنى الولادة لأنها لا تكون إلا مع المجانة. و معنى «لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنَّا» الإنكار على من أضاف ذلک الى الله، و محاجته بأنه لو كان جائزاً فى صفته لم يتخذه بحيث يظهر لكم أو لغيركم من العباد، لما فى ذلک من خلاف صفة الحكيم الذى يقدر أن يستر النقص، فيظهره. و انما استحال اللهو على الله تعالى، لأنه غنى بنفسه عن كل شىء سواه، يستحيل عليه المرح. و اللاعى المارح و الملتذ بالمناظر الحسنة و الأصوات المؤنقة. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 237

و قوله «إِنْ كُنَّا فاعِلِينَ» قيل فى معنى (ان) قولان:

أحدهما- أنها بمعنى (ما) التى للنفى، و المعنى لم نكن فاعلين.

و الآخر- انها بمعنى التى للشرط، و المعنى إن كنا نفعل ذلک، فعلناه من

لدنا، على ما أردناه إلا انا لا نفعل ذلک.
و قوله «من لدنا» قيل: معناه مما فى السماء من الملائكة. و قال الزجاج: معناه مما نخلقه. ثم قال تعالى «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ» معناه إنا نلقى الحق على الباطل فيهلكه، و المراد به إن حجج الله تعالى الدالة على الحق تبطل شبهات الباطل. و يقال: دمغ الرجل إذا شج شجة تبلغ أم الدماغ، فلا يحيا صاحبها بعدها.
و قوله «فَإِذا هُوَ زاهِقٌ» أى هالک مضمحل، و هو قول قتادة. يقال: زهق زهوقاً إذا هلک. ثم قال لهم، يعنى الكفار «وَ لَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ» يعنى الوقوع فى العقاب، جزاء على ما تصفون الله به من اتخاذ الأولاد.
ثم اخبر الله تعالى بأن «لَهُ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ» يعنى الملائكة أى يملكهم بالتصرف فيهم (لا يستكبرون) هؤلاء عن عبادة الله (و لا يستحسرون) قال قتادة: معناه لا يعيون. و قال ابن زيد: لا يملون، من قولهم:
بعير حسير إذا أعيا و نام. و منه قول علقمة بن عبدة:
بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض و اما جلدها فصليب «1»
و قيل: معناه يسهل عليهم التسبيح، كسهولة فتح الطرف و النفس- فى قول كعب- و الاستحسار الانقطاع من الاعياء مأخوذ من قولهم حسر عن ذراعه إذا كشف عنه.
ثم وصف تعالى الذين ذكرهم بأنهم (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ) اى ينزهونه عما أضافه هؤلاء الكفار اليه من اتخاذ الصاحبة و الولد. و غير ذلک من

---

(1) تفسير الطبرى 17/ 9

القبائح (لا يفترون) أى يملونه فيتركونه بل هم دائمون عليه.

أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (21) لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ (23) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَ ذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (24) وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)

خمس آيات يقول اللّه تعالى إن هؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع اللّه شركاء عبدوهم و جعلوها آلهة «هُمْ يُنْشِرُونَ» أى هم يحيون؟ تقريعاً لهم و تعنيفاً لهم على خطئهم- فى قول مجاهد- يقال: أنشر اللّه الموتى فنشروا أى أحياهم فحيوا و هو النشر بعد الطى، لان المحيا كأنه كان مطوياً بالقبض عن الإدراك، فأنشر بالحياة. و المعنى فى ذلك أن هؤلاء إذا كانوا لا يقدرون على الأحياء الذى من قدر عليه قدر على أن ينعم بالنعم التى يستحق بها العبادة فكيف يستحقون العبادة؟! و حكى الزجاج: انه قرئ- بفتح الشين- و المعنى هل اتخذوا آلهة لا يموتون أبداً، و يبقون أحياء ابداً؟! أى لا يكون ذلك.

ثم قال تعالى «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ» يعنى فى السماء و الأرض آلهة أى من يحق له العبادة «غير الله لفسدتا» لأنه لو صح إلهان او آلهة لصح بينهما التمانع. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 239

فكان يؤدى ذلك الى ان أحدهما إذا أراد فعلا، و أراد الآخر ضده، إما ان يقع مرادهما. فيؤدى الى اجتماع الضدين أولا يقع مرادهما، فينتقض كونهما قادرين، او يقع مراد أحدهما. فيؤدى الى نقض كون الآخر قادراً. و كل ذلك فاسد، فإذاً لا يجوز أن يكون الآله إلا واحداً. و هذا مشروح فى كتب الأصول.

ثم نزه تعالى نفسه عن ان يكون معه إله يحق له العبادة، بأن قال «فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» و انما أضافه الى العرش، لأنه أعظم المخلوقات. و من قدر على أعظم المخلوقات كان قادراً على ما دونه.

ثم قال تعالى «لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ» لأنه لا يفعل إلا ما هو حكمة و صواب، و لا يقال للحكيم لو فعلت الصواب «وَ هُمْ يُسْئَلُونَ» لأنه يجوز عليهم الخطأ.

ثم قال «أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً» معنى (ام) بل. ثم قال: قل لهم يا محمد «هاتُوا بُرْهانَكُمْ» على ذلك و حججكم على صحة ما فعلتموه. فالبرهان هو الدليل المؤدى الى العلم، لأنهم لا يقدرون على ذلك ابداً.

و فى ذلك دلالة على فساد التقليد، لأنه طالبهم بالحجة على صحة قولهم.

قال الرمانى (إلا) فى قوله «إلا الله» صفة، و ليست باستثناء، لأنك لا تقول لو كان معناء إلا زيد لهلكنا، على الاستثناء. لان ذلك محال، من حيث انك لم

تذكر ما تستثنى منه كما لم تذكره فى قولک كان معنا إلا زيد، فهلكنا قال الشاعر:
و كل أخ مفارقه اخوه لعمر أبيک الا الفرقدان «1»
أراد و كل أخ يفارقه اخوه غير الفرقدين. ثم قال لنبيه (ص) و قل لهم:
«هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِیَ» بما يلزمهم من الحلال و الحرام و الخطأ و الصواب، (و ذكر من قبلى) من الأمم، ممن نجا بالايمان او هلک بالشرک- فى قول قتادة- و قيل:

---

(1) انظر 6/ 69

معناه ذكر من معى بالحق فى اخلاص الالهية و التوحيد فى القرآن، و على هذا (ذكر من قبلى) فى التوراة و الإنجيل.
ثم اخبر ان (أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ) و لا يعرفونه، فهم يعرضون عنه الى الباطل. ثم قال لنبيه (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ) يا محمد (من رسول) اى رسولا، و (من) زائدة (إِلَّا نُوحِی إِلَيْهِ) نحن، فيمن قرأ بالنون. و من قرأ- بالياء- معناه الا يوحى اللّه اليه، بأنه لا معبود على الحقيقة سواه (فاعبدون) اى وجهوا العبادة اليه دون غيره.

وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ (26) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27) يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (28) وَ مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (29) أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلا يُؤْمِنُونَ (30)

خمس آيات.

حكى اللّه تعالى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم أنهم «قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً» أى تبنا الملائكة بناتا، فنزه اللّه تعالى نفسه عن ذلك بأن قال «سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ» أى هؤلاء الذين جعلوهم أولاد اللّه هم عبيد للّه مكرمون لديه، و (عباد) التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 241

رفع بأنه خبر ابتداء و تقديره هم عباد، و لا يجوز عليه تعالى التبنى، لأن التبنى إقامة المتخذ لولد غيره مقام ولده لو كان له، فإذا استحال أن يكون له تعالى ولد على الحقيقة استحال أن يقوم ولد غيره مقام ولده، و لذلك لا يجوز أن يشبه بخلقه على وجه المجاز، لما لم يكن مشبهاً به على الحقيقة.

و الفرق بين الخلة و النبوة أن الخلة إخلاص المودة بما يوجب الإخلاص و الاختصاص بتخلل الاسرار، فلما جاز أن يطلع اللّه ابراهيم على أسرار لا يطلع عليها غيره تشريفاً له اتخذه خليلا على هذا الوجه، و البنوة ولادة ابن أو إقامته مقام ابن لو كان للمتخذ له. و هذا المعنى لا يجوز عليه تعالى كما يستحيل أن يتخذ إلهاً تعالى اللّه عن ذلك.

ثم وصف تعالى الملائكة بأنهم «لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ» و معناه لا يخرجون بقولهم عن حد ما أمرهم به، طاعة لربهم، و ناهيك بهذا إجلالا لهم و تعظيماً لشأنهم «وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» أى لا يعملون القبائح و إنما يعملون الطاعات التى أمرهم بها.

و قوله «يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ» قال ابن عباس: معناه يعلم ما قدموا و ما أخروا من أعمالهم. و قال الكلبى «ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» يعنى القيامة و أحوالها «وَ ما خَلْفَهُمْ» من أمر الدنيا «وَ لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى» قال أهل الوعيد:

معناه لا يشفع هؤلاء الملائكة الا لمن ارتضى الله جميع عمله، قالوا: و ذلك يدل على أن اهل الكبائر لا يشفع فيهم، لان أعمالهم ليست رضاً لله. و قال مجاهد: معناه الا لمن رضى عنه.

و هذا الذى ذكروه ليس فى الظاهر، بل لا يمتنع ان يكون المراد لا يشفعون الا التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 242

لمن رضى اللّه ان يشفع فيه، كما قال تعالى «مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلّا بِإِذْنِهِ» «1» و المراد أنهم لا يشفعون الا من بعد اذن اللَّه لهم، فيمن يشفعون فيه، و لو سلمنا أن المراد الا لمن رضى عمله، لجاز لنا أن نحمل على أنه رضى إيمانه. و كثيراً من طاعاته.
فمن أين أنه أراد: الا لمن رضى جميع اعماله؟! و معنى- رضا اللَّه- عن العبد إرادته لفعله الذى عرض به للثواب.
و قوله «وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ» يخافون من عقاب اللَّه من مواقعة المعاصى.
ثم هدد الملائكة بقوله «وَ مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلهٌ» تحق لى العبادة من دون اللَّه «فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ» معناه إن ادعى منهم مدع ذلک فانا نجزيه بعذاب جهنم، كما نجازى الظالمين بها. و قال ابن جريج، و قتادة: عنى بالآية إبليس، لأنه الذى ادعى الالهية من الملائكة دون غيره، و ذلک يدل على ان الملائكة ليسوا مطبوعين على الطاعات، كما يقول الجهال. و قوله «كَذلِكَ نَجْزِى الظّالِمِينَ» معناه مثل ما جازينا هؤلاء نجزى الظالمين أنفسهم بفعل المعاصى.
ثم قال «أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى او لم يعلموا «أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما» و قيل فى معناه اقوال:
قال الحسن و قتادة «كانَتا رَتْقاً» اى ملتصقتين ففصل اللَّه بينهما بهذا الهواء.
و قيل
«كانَتا رَتْقاً» السماء لا تمطروا الأرض لا تنبت، ففتق اللَّه السماء بالمطر و الأرض بالنبات، ذكره ابن زيد و عكرمة. و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع).
و قيل معناه: كانتا منسدتين لا فرج فيهما فصدعهما عما يخرج منهما. و انما قال:
السموات، و المطر و الغيث ينزل من سماء الدنيا، لأن كل قطعة منها سماء، كما يقال:

---

(1) سورة 2 البقرة آية 256

ثوب أخلاق، و قميص اسمال. و قيل الرتق الظلمة ففتقهما بالضياء. و انما قال «كانتا» و السموات جمع، لأنهما صنفان، كما قال الأسود بن يعفر النهشلى:
إن المنية و الحتوف كلاهما يوقى المحارم يرقبان سوادى «1»
لأنه على النوعين، و قال القطامى:
أ لم يحزنک أن جبال قيس و تغلب قد تباينتا انقطاعا «2»

فثنى الجمع لما قسمه صنفين صنف لقيس و صنف لتغلب، و (الرتق) السد رتق فلا الفتق رتقاً إذا سده، و منه الرتقاء: المرأة التى فرجها ملتحم. و وحد لأنه مصدر وصف به.
و قوله «وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ» و المعنى إن كل شىء صار حياً: فهو مجعول من الماء. و يدخل فيه الشجر و النبات على التبع. و قال بعضهم: أراد بالماء النطف التى خلق اللّه منها الحيوان. و الاول أصح.
و قوله «أَ فَلا يُؤْمِنُونَ» معناه أفلا يصدقون بما أخبرتهم. و قيل: معناه أفلا يصدقون بما يشاهدونه، من أفعال اللّه الدالة على أنه المستحق للعبادة لا غير و المختص بها، و انه لا يجوز عليه اتخاذ الصاحبة و الولد.
و قرأ ابن كثير وحده «ألم ير الذين كفروا» بغير واو. الباقون «أو لم» بالواو. و الألف التى قبل الواو، الف توبيخ و تقرير.

وَ جَعَلْنا فِى الْأَرْضِ رَواسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَ جَعَلْنا فِيها فِجاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (31) وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ (32) وَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (33) وَ ما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخالِدُونَ (34) كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ (35)

(1، 2) تفسير الطبرى 17/ 14

خمس آيات.

قال المبرد: معنى «أَنْ تَمِيدَ» أى منع الأرض «أَنْ تَمِيدَ» أى لهذا خلقت الجبال. و مثله قوله «أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما» «1» و المعنى عدة أن تضل أحداهما، كقول القائل: أعددت الخشبة أن يميل الحائل فأدعمه. و هو لم يعدها ليميل الحائط، و انما جعلها عدة، لأن يميل، فيدعم بها.

يقول اللّه تعالى انا «جَعَلْنا فِى الْأَرْضِ رَواسِىَ» و هى الجبال، و أحدها راسية يقال: رست ترسو رسوّاً إذا ثبتت بثقلها، و هى راسية، كما ترسو السفينة إذا وقفت متمكنة فى وقوفها «أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» معناه ألا تميد بكم، كما قال «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» «2» و المعنى ألا تضلوا. و قال الزجاج: معناه كراهة أن تميد بكم. و الميد الاضطراب، بالذهاب فى الجهات، يقال: ماد يميد ميداً، فهو مائد. و قيل: إن الأرض كانت تميد و ترجف، رجوف السفينة بالوطء، فثقلها الله تعالى بالجبال الرواسى- لتمتنع من رجوفها. و الوجه فى تثقيل الله تعالى الأرض بالرواسى مع قدرته على إمساك الأرض أن تميد، ما فيه من المصلحة و الاعتبار، و كان ابن الاخشاذ

---

(1) سورة 2 البقرة آية 282

. (2) سورة 4 النساء آية 175

يقول: لو لم يثقل الله الأرض بالرواسى لأمكن العباد أن يحركوها بما معهم من القدر، فجعلت على صفة ما لا يمكنهم تحريكها. و قال قتادة: تميد بهم معناه تمور، و لا تستقرّ بهم.

و قوله «وَ جَعَلْنا فِيها فِجاجاً» يعنى فى الأرض طرقاً، و الفج الطريق الواسع بين الجبلين.

و قوله «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» أى لكى تهتدوا فيها الى حوائجكم و مواطنكم، و بلوغ أغراضكم. و يحتمل أن يكون المراد لتهتدوا، فتستدلوا بذلك على

توحيد الله و حكمته.
و قال ابن زيد: معناه ليظهر شكركم، فيما تحبون، و صبركم فيما تكرهون.
و قوله «وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً» و انما ذكرها، لأنه أراد السقف، و لو أنث كان جائزاً. و قيل: حفظها الله من أن تسقط على الأرض. و قيل: حفظها من أن يطمع احد ان يتعرض لها بنقض، و من ان يلحقها ما يلحق غيرها من الهدم او الشعث، على طول الدهر. و قيل: هى محفوظة من الشياطين بالشهب التى يرجمون بها.
و قوله «وَ هُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ» اى هم عن الاستدلال بحججها و أدلتها، على توحيد الله معرضون.
ثم قال تعالى مخبراً، بأنه «هُوَ الَّذِى خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» و اخبر ان جميع ذلک «فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» فالفلک هو المجرى الذى تجرى فيه الشمس و القمر، بدورانها عليه- فى قول الضحاک- و قال قوم: هو برج مكفوف تجريان فيه. و قال الحسن: الفلک طاحونة كهيئة فلک المغزل. و الفلک فى اللغة كل شىء دائر، و جمعه أفلاک قال الراجز: التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 246
باتت تناصى الفلک الدوارا حتى الصباح تعمل الاقتارا «1»
و معنى «يسبحون» يجرون- فى قول ابن جريج- و قال ابن عباس «يسبحون» بالخير و الشر، و الشدة و الرخاء. و انما قال «يسبحون» على فعل ما يعقل، لأنه أضاف اليها الفعل الذى يقع من العقلاء، كما قال «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ» «2» و قال «لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ»، «3» و قال النابغة الجعدى:
تمززتها و الديک يدعوا صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا «4»
و قوله «كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» أراد الشمس و القمر و النجوم، لأن قوله «الليل» دل على النجوم.
ثم قال لنبيه (ص) و «ما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِکَ الْخُلْدَ» أى البقاء دائماً فى الدنيا «أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخالِدُونَ» اى لم يجعل لهم الخلود، حتى لو مت أنت لبقوا أولئک مخلدين، بل ما أولئک مخلدين. ثم أكد ذلک، و بين بأن قال «كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ» و المعنى لا بد لكل نفس حية بحياة أن يدخل عليها الموت، و تخرج عن كونها حية. و انما قال (ذائقة) لان العرب تصف كل أمر شاق على النفس بالذوق كما قال «ذُقْ إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» «5». و قال الفراء: إذا كان اسم الفاعل لما مضى جازت الاضافة، و إذا كان للمستقبل، فالاختيار التنوين، و نصب ما بعده.
ثم قال تعالى «وَ نَبْلُوكُمْ» اى نختبركم معاشر العقلاء بالشر و الخير، يعنى بالمرض و الصحة. و الرخص و الغلاء، و غير ذلک من انواع الخير و الشر «فتنة»

---

(1) تفسير الطبرى 17/ 16
. (2) سورة 12 يوسف آية 4 [.....]
(3) سورة 21 الأنبياء آية 65
. (4) هو فى مجمع البيان 4/ 46
(5) سورة 44 الدخان آية 49
التبيان في تفسير القرآن، ج7، ص: 247
أى اختباراً منى لكم، و تكليفاً لكم. ثم قال «وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ» يوم القيامة. فيجازى كل انسان على قدر عمله. و دخلت الفاء فى قوله «أ فإن» و هى جزاء، و فى جوابه، لان الجزاء متصل بكلام قبله. و دخلت فى (فهم) لأنه جواب الجزاء، و لو لم يكن فى (فهم) الفاء، كان جائزاً على وجهين:
أحدهما- ان تكون مرادة، و قد حذفت.
و الأخرى- أن تكون قد قدمت على الجزاء، و تقديره (أفهم الخالدون) إن مت.

وَ إِذا رَآکَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ یَتَّخِذُونَکَ إِلاَّ هُزُواً أَ هذَا الَّذِی یَذْکُرُ آلِهَتَکُمْ وَ هُمْ بِذِکْرِ الرَّحْمنِ هُمْ کافِرُونَ (36) خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِیکُمْ آیاتِی فَلا تَسْتَعْجِلُونِ (37) وَ یَقُولُونَ مَتی هذَا الْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (38) لَوْ یَعْلَمُ الَّذِینَ کَفَرُوا حِینَ لا یَکُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَ لا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ (39) بَلْ تَأْتِیهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا یَسْتَطِیعُونَ رَدَّها وَ لا هُمْ یُنْظَرُونَ (40)

خمس آیات.

یقول اللَّه تعالی لنبیه محمد (ص) إنه «إِذا رَآکَ الَّذِینَ کَفَرُوا» و جحدوا وحدانیة اللَّه، و لم یقروا بنبوتک «إِنْ یَتَّخِذُونَکَ» ای لیس یتخذونک «إلا هزواً» یعنی سخریة، جهلا منهم و سخفاً و فی ذلک تسلیة لکل محق یلحقه

من جاهل مبطل. و الهزؤ إظهار خلاف الإبطان، لإیهام النقص عن فهم القصد.

یقال: هزئ منه یهزأ هزؤاً، فهو هازئ، و مثله السخریة «أَ هذَا الَّذِی یَذْکُرُ آلِهَتَکُمْ» حکایة، أی یقولون ذلک، و معناه إنهم یعیبون من جحد إلهیة من لا نعمة له، و هم یجحدون إلهیة من کل نعمة، فهی منه، و هذا نهایة الجهل. و المعنی أ هذا الذی یعیب آلهتکم، تقول العرب، فلان یذکر فلاناً أی یعیبه، قال عنترة:

لا تذکری مهری و ما أطعمته فیکون جلدک مثل جلد الاجراب «1»

و قوله «وَ هُمْ بِذِکْرِ الرَّحْمنِ» معناه و هم بذکر توحید الرحمن «هُمْ کافِرُونَ».

و قوله «خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ» قال قتادة: معناه خلق الإنسان عجولا. و المراد به جنس الإنسان. و قال السدی: المعنی به آدم (ع). و قال مجاهد: خلق الإنسان علی تعجیل، قبل غروب الشمس یوم الجمعة. و قال ابو عبیدة: معناه خلقت العجلة من الإنسان، علی القلب. و هو ضعیف، لأنه لا وجه لحمله علی القلب. و قال قوم:

معناه علی حب العجلة، لأنه لم یخلقه من نطفة و من علقة بل خلقه دفعة واحدة.

و الذی قاله قتادة، أقوی الوجوه. و قیل خلق الإنسان من عجل مبالغة، کأنه قیل هو عجلة، کما یقال: انما هو إقبال و ادبار. و قال المبرد: خلق علی صفة من شأنه ان یعجل فی الأمور. و قال الحسن: معناه خلق الإنسان من ضعف، و هو النطفة. و قال قوم: العجل هو الطین الذی خلق آدم منه، قال الشاعر:

و النبع ينبت بين الصخر ضاحيه و النخل ينبت بين الماء و العجل «2» يعنى الطين. و الاستعجال طلب الشىء قبل وقته الذى حقه أن يكون فيه دون غيره. و العجول الكثير الطلب للشىء قبل وقته. و العجلة تقديم الشىء قبل

---

(1) ديوانه: 33
(2) تفسير القرطبى 11/ 289 و الشوكانى 3/ 394 و روايته: (و النبع فى الصخرة الصماء منبتة ...

وقته، و هو مذموم. و السرعة تقديم الشىء فى أقرب أوقاته، و هو محمود. و قوله «سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ» أى سأظهر بيناتى و علاماتى، فلا تطلبوه قبل وقته. ثم أخبر تعالى عن الكفار أنهم «يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ» يريدون ما توّعد اللَّه به من الجزاء و العقاب على المعاصى بالنيران و انواع العذاب «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» يعنى يقولون «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» و محقين فيما تقولون متى يكون ما وعدتموه، فقال اللَّه تعالى «لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا» الوقت الذى «لا يكفون فيه» أى لا يمنعون فيه «عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَ لا عَنْ ظُهُورِهِمْ» يعنى إن النار تحيط بهم من جميع وجوههم «وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ» إى لا يدفع عنهم العذاب بوجه من الوجوه.
و جواب (لو) محذوف، و تقديره: لعلموا صدق ما وعدوا به من الساعة.
ثم قال «بَلْ تَأْتِيهِمْ» يعنى الساعة، و القيامة «بغتة» إى فجأة «فَتَبْهَتُهُمْ» أى تحيرهم و المبهوت المتحير «فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّها» و معناه: لا يقدرون على دفعها «وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ» أى لا يؤخرون الى وقت آخر. و قال البلخى: و يجوز أن تكون العجلة من فعل اللَّه و هو ما طبع الله عليه الخلق من طلب سرعة الأشياء، و هو كما خلقهم يشتهون أشياء و يميلون اليها، و يحسن أمرهم بالتأنى عنها، و التوقف عند ذلک، فلأجل ذلک قال «فَلا تَسْتَعْجِلُونِ» كما حسن نهيهم عن ارتكاب الزنا الذى تدعوهم اليه الشهوة

وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (41) قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ مِنَ الرَّحْمنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (42) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَ لا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (43) بَلْ مَتَّعْنا هؤُلاءِ وَ آباءَهُمْ حَتَّى طالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَ فَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها أَ فَهُمُ الْغالِبُونَ (44) قُلْ إِنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَ لا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إِذا ما يُنْذَرُونَ (45)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 250

خمس آيات.

قرأ ابن عامر «و لا تسمع» بالتاء و ضمها و كسر الميم «الصم» بالنصب.

الباقون- بالياء- مفتوحة، و بفتح الميم، و ضم «الصم».

فوجه قراءة ابن عامر، أنه وّجه الخطاب الى النبى (ص) فكأنه قال «و لا تسمع» أنت يا محمد «الصم» كما قال «وَ ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ» «1» لأن اللّه تعالى، لما خاطبهم، فلم يلتفتوا إلى ما دعاهم اليه، صاروا بمنزلة الميت الذى لا يسمع و لا يعقل.

و وجه قراءة الباقين أنهم جعلوا الفعل لهم، و يقويه قوله (إِذا ما يُنْذَرُونَ) قال أبو على: و لو كان على قراءة ابن عامر، لقال: إذا ينذرون.

و (الصم) وزنه (فعل) جمع أصم. و أصله (أصمم) فادغموا الميم فى الميم و تصغير (أصم) (أصيمم). و (الصمم) ثقل فى الأذن، فإذا كان لا يسمع شيئاً قيل أصلج. و قال ابن زيد: (أصم) أصلج بالجيم. و الوقر المثقل فى الأذن.

---

(1) سورة 35 فاطر آية 22

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 251

لما قال اللّه تعالى لنبيه محمد: إن الكفار إذا ما رأوك اتخذوك هزواً و سخرية علم ان ذلك يغمه فسلاه عن ذلك بأن اقسم بأن الكفار فيما سلف استهزؤا بالرسل الذين بعث اللّه فيهم. و سخروا منهم (فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ) أى حل بهم عقوبة ما كانوا يسخرون منهم، و حاق معناه حل، حاق يحق حيقاً.

و منه قوله «وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» «1» أى يحل و بال القبيح بأهله الذين يفعلونه، فكان كما أرادوه بالداعى لهم الى اللّه حل بهم.

و الفرق بين الهزء و السخرية، أن فى السخرية معنى الذلة، لأن التسخير التذليل و الهزء يقتضى طلب صغر القدر مما يظهر فى القول.

ثم أمر نبيه (ص) بأن يقول لهؤلاء الكفار «مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ» أى من يحفظكم من بأس الرحمن و عذابه. و قيل: من عوارض الآفات، يقال:

كلأه يكلؤه، فهو كالئ قال ابن هرمة:
إن سليمى و اللّه يكلؤها ضنت بشىء ما كان يرزؤها «2»
و معنى (يَكْلَؤُكُمْ ... مِنَ الرَّحْمنِ) اى من يحفظكم من أن يحل بكم عذابه و قوله (بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ) معناه كأنه قال: ما يلتفتون الى شىء من الحجج و المواعظ، بل هم عن ذكر ربهم معرضون. و قيل: من يحفظكم مما يريد اللّه إحلاله بكم من عقوبات الدنيا و الآخرة. ثم قال على وجه التوبيخ لهم و التقريع (أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا) أى من عذابنا و عقوباتنا. ثم أخبر أنهم (لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ). و قيل: ان المعنى إن آلهتهم لا يقدرون على نصر أنفسهم، فكيف يقدرون على نصر غيرهم؟! و قيل ان الكفار

---

(1) سورة 35 فاطر 43.
(2) تفسير القرطبى 11/ 291 و الطبرى 17/ 20 و الشوكانى 3/ 395
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 252
(لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ) و هو الأشبه اى لا يقدرون على دفع ما ينزل بهم عن نفوسهم «وَ لا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ» معناه لا يصحبهم صاحب يمنعهم منا. و قيل و لا هم منا يصحبون بأن يجيرهم مجير علينا. و قال ابن عباس: معناه و لا الكفار منا يجارون، كما يقولون: ان لک من فلان صاحباً، أى من يجيرک و يمنعک. و قال قتادة: معناه (وَ لا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ) بخير ثم قال تعالى (بَلْ مَتَّعْنا هؤُلاءِ وَ آباءَهُمْ) فلم نعاجلهم بالعقوبة حتى طالت أعمارهم. ثم قال موّبخاً لهم (أفلا يرون) اى ألا يعلمون (أَنَّا نَأْتِى الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها) قيل: بخرابها. و قيل: بموت أهلها. و قيل: بموت العلماء.
و قوله (أَ فَهُمُ الْغالِبُونَ) قال قتادة: افهم الغالبون رسول اللّه مع ما يشاهدونه من نصر اللّه له فى مقام بعد مقام، توبيخاً لهم، فكأنه قال: ما حملهم على الاعراض الا الاغترار بطول الامهال حيث لم يعاجلوا بالعقوبة.
ثم قال لنبيه محمد (ص) (قل) لهم (إِنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ) اى أعلمكم و أخوفكم بما اوحى اللّه الى. ثم شبههم بالصم الذين لا يسمعون النداء إذا نودوا، فقال (وَ لا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إِذا ما يُنْذَرُونَ) اى يخوفون، من حيث لم ينتفعوا بدعاء من دعاهم، و لم يلتفتوا اليه، فسماهم صماً مجازاً و توسعاً.

وَ لَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذابِ رَبِّکَ لَيَقُولُنَّ يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ (46) وَ نَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ إِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَ كَفى بِنا حاسِبِينَ (47) وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى وَ هارُونَ الْفُرْقانَ وَ ضِياءً وَ ذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ (48) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (49) وَ هذا ذِكْرٌ مُبارَکٌ أَنْزَلْناهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (50)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 253

خمس آيات.

قرأ اهل المدينة (مثقال حبة) برفع اللام- هاهنا- و فى القمر.

الباقون بنصبها.

من رفع اللام جعل (كان) تامة بمعنى حدث، كما قال (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً) «1» و لا خبر لها. و من نصبه جعل فى (كان) ضميراً و نصب (مثقال) بأنه خبر (كان) و تقديره فلا تظلم نفس شيئاً و ان كان الشىء (مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) و انما قال (بها) بلفظ التأنيث و المثقال مذكر، لان مثقال الحبة وزنها، و مثله قراءة الحسن (تلتقطه بعض السيارة) «2» لان بعض السيارة سيارة. و روى ان مجاهد قرأ (آتينا) ممدوداً بمعنى جازينا بها.

اخبر اللَّه تعالى انه لو مس هؤلاء الكفار (نَفْحَةٌ مِنْ عَذابِ الله) و معناه لو لحقهم و أصابهم دفعة يسيرة، فالنفحة الدفعة اليسيرة، يقال: نفخ ينفخ نفحاً، فهو نافح، لأيقنوا بالهلاک، و لقالوا (يا ويلنا) اى الهلاک علينا (إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ) لنفوسنا بارتكاب المعاصى اعترافاً منهم بذلک. و معنى (يا ويلنا) يا بلاءنا الذى نزل بنا. و انما يقال استغاثه مما يكون منه، كما يستغيث الإنسان بنداء من يرفع به.

ثم قال تعالى (وَ نَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ) قال قتادة: معناه نضع

---

(1) سورة 2 البقرة آية 282

(2) سورة 12 يوسف آية 10

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 254

العدل فى المجازاة بالحق لكل احد على قدر استحقاقه، فلا يبخس المثاب بعض ما يستحقه، و لا يفعل بالمعاقب فوق ما يستحقه. و قال الحسن: هو ميزان له كفتان و لسان، يذهب الى انه علامة جعلها الله للعباد يعرفون بها مقادير الاستحقاق. و قال قوم: ميزان ذو كفتين توزن بها صحف الاعمال. و قال بعضهم: يكون فى احدى الكفتين نور، و فى الأخرى ظلمة، فأيهما رجح، علم به مقدار ما يستحقه، و تكون المعرفة فى ذلک ما فيه من اللطف و المصلحة فى دار الدنيا.

و قوله «لِيَوْمِ الْقِيامَةِ» معناه لأهل يوم القيامة. و قيل فى يوم القيامة.
و قوله «وَ إِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها» معناه أنه لا يضيع لديه قليل الاعمال و المجازاة عليه، طاعة كانت أو معصية «وَ كَفى بِنا حاسِبِينَ» أى و كفى المطيع أو العاصى بمجازاة اللّه و حسبه ذلک. و فى ذلک غاية التهديد، لأنه إذا كان الذى يتولى الحساب لا يخفى عليه قليل و لا كثير، كان أعظم. و الباء فى قوله «كفى بنا» زائدة. و «حاسبين» يحتمل أن يكون نصباً على الحال أو المصدر- فى قول الزجاج.
ثم اخبر اللّه تعالى فقال: «وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى وَ هارُونَ الْفُرْقانَ» قال مجاهد و قتادة: هو التوراة التى تفرق بين الحق و الباطل. و قال ابن زيد: هو البرهان الذى فرق بين حقه و باطل فرعون، كما قال تعالى «وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ» «1». و قوله «و ضياء» أى و آتيناه ضياء يعنى أدلة يهتدون بها، كما يهتدون بالضياء. و آتيناه «ذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ» أى مذكراً لهم، يذكرون اللّه به.
و من جعل الضياء و الذكر حالا للفرقان قال: دخلته واو العطف، لاختلاف الأحوال، كقولک جاءنى زيد الجواد و الحليم و العالم. و أضافه الى المتقين، لأنهم المنتفعون به دون غيرهم.
ثم وصف المتقين بأن قال «الَّذِينَ يَخْشَوْنَ» عذاب اللّه فيجتنبون معاصيه فى

---

(1) سورة 8 الانفال آية 41

حال السر و الغيب. و قال الجبائى: معناه يؤمنون بالغيب الذى أخبرهم به، و هم من مجازاة يوم القيامة «مُشْفِقُونَ» أى خائفون.
ثم اخبر عن القرآن، فقال «وَ هذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ» يعنى القرآن «أنزلناه» عليک يا محمد. و خاطب الكفار فقال «أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ» أى تجحدونه، على وجه التوبيخ لهم، و التقرير، و فى ذلک دلالة على حدوثه، لأن ما يوصف بالانزال و بأنه مبارک يتنزل به، لا يكون قديماً، لان ذلک من صفات المحدثات.

وَ لَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا بِهِ عالِمِينَ (51) إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ (52) قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ (53) قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (54) قالُوا أَ جِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55)

خمس آيات.

لما اخبر الله تعالى أنه آتى موسى و هارون الفرقان، و الضياء، و الذكر.

و بين أن القرآن ذكر مبارک أنزله على محمد (ص)، أخبر انه آتى إبراهيم أيضاً قبل ذلک (رشده) يعنى آتيناه من الحجج و البينات ما يوصله الى رشده، من معرفة اللّه و توحيده. و الرشد هو الحق الذى يؤدى الى نفع يدعو اليه. و نقيضه الغى، رشد يرشد رشداً و رشداً، فهو رشيد. و فى نقيضه: غوى يغوى غياً، فهو غاو. و قال قتادة و مجاهد: معنى (آتيناه رشده) هديناه صغيراً. و قال قوم: معنى (رشده) التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 256

النبوة. و قوله (من قبل) يعنى من قبل موسى و هارون. و قوله (وَ كُنَّا بِهِ عالِمِينَ) أى كنا عالمين بأنه موضع لإيتاء الرشد، كما قال تعالى (وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ) «1» و قيل: كما نعلم أنه يصلح للنبوة (إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ). (إذ) فى موضع نصب، و العامل فيه (آتيناه رشده ...

إذ قال) أى فى ذلک الوقت، و فيه إخبار ما أنكر ابراهيم على قومه و أبيه حين رآهم يعبدون الأصنام و الأوثان، فانه قال لهم: أى شىء هذه الأصنام؟! يعنى الصور التى صرتم لازمين لها بالعبادة، و العكوف اللزوم لأمر من الأمور: عكف عليه عكوفاً، فهو عاكف. و قيل فى معنى (لَها عاكِفُونَ) لأجلها. قال مجاهد (هذه التماثيل) الأصنام. ثم حكى ما أجابه به قومه، فإنهم قالوا «وَجَدْنا آباءَنا لَها» لهذه الأصنام «عابدين» فأحالوا على مجرد التقليد. فقال لهم ابراهيم «لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ» فذمهم على تقليد الآباء، و نسب الجميع الى الضلالة و العدول عن الحق. فقالوا له عند ذلک «أَ جِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ» و معناه أجاد أنت فيما تقول محق عند نفسک أم أنت لاعب مازح؟ و ذلک أنهم كانوا يستبعدون إنكار عبادتها عليهم.

قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَ أَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ (60)

---

(1) سورة 44 الدخان آية 32

خمس آيات.

قرأ الكسائي «جذاذاً» بكسر الجيم. الباقون بضمها. فمن ضم الجيم أراد جعلهم قطعاً، و هو (فعال) على وزن الرفات و الفتات و الرقاق، و جذذته أجذه جذاً أى قطعته. و قال ابن عباس: الجذاذ الحطام. و من كسر الجيم فانه أراد جمع جذيذ (فعيل) بمعنى مجذوذ. و مثله كريم و كرام، و خفيف و خفاف، و بالضم مصدر لا يثنى و لا يجمع. قال جرير:

آل المهلب جذ اللّه دابرهم أمسوا رماداً فلا أصل و لا طرف «1»

حكى اللّه تعالى ما رد به إبراهيم على كفار قومه حين قالوا له «أَ جِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ» فانه قال لهم «بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِي» خلقكم و دبركم و الذى خلق السموات و الأرض و «فَطَرَهُنَّ» معناه ابتدأهن و الفطر شق الشىء من امر ظهر منه يقال: فطره يفطره فطراً و انفطر انفطاراً، و منه تفطر الشجر بالورق، فكأن السماء تشق عن شىء فظهرت بخلقها. ثم قال ابراهيم «وَ أَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» يعنى أنا على ما قلت لكم: من انه تعالى خالقكم و خالق السموات شاهد بالحق لأنه دال، و الشاهد الدال على الشىء عن مشاهدة، فإبراهيم (ع) شاهد بالحق دال عليه بما يرجع الى ثقة المشاهدة. ثم أقسم إبراهيم فقال «وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ» و ذلک قسم، و التاء فى القسم لا تدخل إلا فى اسم اللّه تعالى، لأنها بدل من الواو و الواو بدل من الباء، فهى بدل من بدل، فلذلک اختصت باسم اللّه. و قال قتادة:

معناه لأكيدن أصنامكم فى سر من قومه. و الكيد ضر النبىء بتدبير عليه، يقال:

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 308

كاده يكيده كيداً. فهو كائد.

و قوله «بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ» يقال: انه انتظرهم حتى خرجوا الى عيد لهم

فحينئذ كسر أصنامهم. ثم أخبر تعالى انه «فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً» أى قطعاً «إِلّا كَبِيراً لَهُمْ» تركه على حاله. و يجوز أن يكون كبيرهم فى الخلقة. و يجوز أن يكون أكبرهم عندهم فى التعظيم «لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ» أى لكى يرجعوا اليه فينتهبوا على ما يلزمهم فيه من جهل من اتخذوه إلها، إذا وجدوه على تلك الصفة. و كان ذلک كيداً لهم.
و فى الكلام حذف، لان تقديره إن قومه رجعوا من عيدهم، فوجدوا أصنامهم مكسرة «قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمِينَ» ف (من) بمعنى الذى، و تقديره الذى فعل هذا بمعبوداً، فانه ظلم نفسه.
و قوله «قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ» قيل تخلف بعضهم فسمع إبراهيم يذكرها بالعيب، فذكر ذلک، و رفع (ابراهيم) بتقدير، يقال له هذا إبراهيم، او ينادى يا إبراهيم، ذكره الزجاج.

قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ (62) قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ (65)

خمس آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 259

لما قال بعضهم انه سمع ابراهيم يعيب آلهتهم و حكاه لقومه قالوا: جيئوا «بِهِ عَلى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن و قتادة و السدى: كرهوا أن يأخذوه بغير بينة، فقالوا جيئوا به بحيث يراه الناس، و يكون بمرءاً منهم «لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ» بما قاله إنى أكيد أصنامهم شهادة تكون حجة عليه.

الثانى- قال ابن إسحاق «لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ» عقابه. و قيل «لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ» حجته و ما يقال له من الجواب، فلما جاءوا به قالوا له (أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ) مقررين له على ذلك، فأجابهم إبراهيم بأن قال (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ) و إنما جاز أن يقول (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا) و ما فعل شيئاً لأحد أمرين:

أحدهما- انه قيده بقوله (إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ) فقد فعله كبيرهم. و قوله (فاسألوهم) اعتراض بين الكلامين، كما يقول القائل: عليه الدارهم فاسأله إن أقر.

و الثانى- انه خرج مخرج الخبر و ليس بخبر، و انما هو إلزام دل على تلك الحال، كأنه قال بل ما تنكرون فعله كبيرهم هذا، فالالزام تارة يأتى بلفظ السؤال و تارة بلفظ الامر، كقوله (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) «1» و تارة بلفظ الخبر. و المعنى فيه أنه من اعتقد كذا لزمه كذا و قد قرئ فى الشواذ (فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ)- بتشديد اللام- بمعنى فلعل كبيرهم، فعلى هذا لا يكون خبراً، فلا يلزم ان يكون كذباً، و الكذب قبيح لكونه كذباً، فلا يحسن على وجه، سواء كان فيه نفع او دفع ضرر، و على كل حال، فلا يجوز على الأنبياء القبائح، و لا يجوز ايضاً عليهم التعمية فى الاخبار، و لا التقية

---

(1) سورة 10 يونس آية 38 [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 260

فى اخبارهم، لأنه يؤدى الى التشكيك فى اخبارهم، فلا يجوز ذلك عليهم على وجه.

فأما ما

روى عن النبى (ص) بأن قال (لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات كلها فى

الله)
فانه خبر لا أصل له، و لو حسن الكذب على وجه. كما يتوهم بعض الجهال، لجاز من القديم تعالى ذلک. و زعموا ان الثلاث كذبات هى قوله «فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا» و ما كان فعله. و قوله «إِنِّى سَقِيمٌ « «1» و لم يكن كذلک. و قوله فى سارة لما أراد الجبار أخذها: إنها اختى، و كانت زوجته حتى قال بعضهم: كان اللَّه أذن له فى ذلک. و هذا باطل، لأنه لو اذن اللَّه له فيه، لكان الكذب حسناً. و قد بينا أنه قبيح على كل حال. و قيل: معنى قوله «إِنِّى سَقِيمٌ «اى سأسقم، لأنه لما نظر الى بعض الكواكب علم انه وقت نوبة حمى كانت تجيئه، فقال: إنى سقيم. و قيل معناه: انى سقيم، اى غماً بضلالكم. و قيل: معناه سقيم عندكم، فيما أدعوكم اليه من الدين.
و قيل: ان من كانت عاقبته الموت جاز ان يقال فيه سقيم، مثل المريض المشفى على الموت. و أما قوله فى سارة إنها أختى فانه أراد فى الدين. و اما قول يوسف لأخوته «إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ» «2» فقد قال قوم: هو من قول مؤذن يوسف على ظنه فيما يقتضيه الحال من الظن الذى يعمل عليه. و قيل معناه: (إنكم لسارقون) يوسف (ع) و قوله تعالى (فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ) اى عادوا إلى نفوسهم يعنى بعضهم الى بعض و قال بعضهم لبعض: (إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ) فى سؤاله، لأنها لو كانت آلهة لم يصل ابراهيم الى كسرها.
و قوله (ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ) فالنكس هو جعل الشىء أسفله أعلاه، و منه النكس فى العلة إذا رجع لى أول حاله. و المعنى أدركتهم حيرة سوء، فنكسوا لأجلها رؤسهم. ثم أقروا بما هو حجة عليهم، فقالوا لإبراهيم

---

(1) سورة 37 الصافات آية 89
(2) سورة 12 يوسف آية 70

(لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ) فأقروا بهذا للحيرة التى لحقتهم، فكان ذلک دلالة على خطئهم، لكنهم أصروا على العناد

قالَ أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (67) قالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ (68) قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ (69) وَ أَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70)

خمس آيات.

يقول اللّه تعالى لما قال كفار قوم إبراهيم (ع) (لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ) فقال لهم إبراهيم منبهاً لهم على خطئهم و ضلالهم (أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى توجهون عبادتكم الى الأصنام التى لا تنفعكم شيئاً و لا تدفع عنكم ضراً، لأنها لو قدرت على نفعكم و ضركم. لدفعت عن نفسها، حتى لم تكسر، و لأجابت حين سئلت (مِنْ دُونِ اللَّهِ) الذى يقدر على ضركم و نفعكم من ثوابكم و عقابكم، و إنه يفعل معكم مالا يقدر عليه سواه. و ليس كل من قدر على الضر و النفع يستحق العبادة، و انما يستحقها من قدر على اصول النعم التى هى خلق الحياة، و الشهوة، و القدرة، و كمال العقل، و يقدر على الثواب و العقاب لو لمنافع تقع على وجه لا يقدر على إيقاعها على ذلك الوجه سواه. قال الرمانى: لأنه تعالى لو فعل حركة فيها لطف فى إيمان زيد كزلزلة الأرض في بعض الأحوال. ثم ان عندها ايماناً يتخلص به من

العقاب. و يستحق الثواب الذى ضمنه بالايمان، لا يستحق- بفعل الحركة على هذا الوجه- العبادة.

ثم قال مهجناً لأفعالهم مستقذراً لها (أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) فمعنى (أف) الضجر بما كان من الامر و هى كلمة، مبنية، لأنها وضعت وضع الصوت الخارج عن دلالة الاشارة و الافادة، فصارت كدلالة الحرف، لأنه يفهم المعنى بالحال المقارنة لها، و بنيت على الحركة لالتقاء الساكنين إذ لا اصل لها فى التمكن مستعمل، فتستحق به البناء على الحركة. و كسرت على اصل الحركة لالتقاء الساكنين. و قال الزجاج: معنى (أف لكم) نتناً لأفعالكم، و يجوز- ضم الفاء- للاتباع لضمة الهمزة و يجوز- الفتح- لثقل التضعيف. و يجوز- التنوين- على التنكير.

و قوله «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» معناه أ فلا تتفكرون بعقولكم فى أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة، و لا تقدر على الضر و النفع، فلما سمعوا منه هذا القول قال بعضهم لبعض «حرقوه» يعنى بالنار «وَ انْصُرُوا آلِهَتَكُمْ» أى عظموها و ادفعوا عنها و عن عبادتها «إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ» معناه إن كنتم ناصريها، و لم تريدوا ترك عبادتها. و التحريق هو التقطيع بالنار، يقال: حرقه تحريقاً و أحرقه إحراقاً، و ثوب حرق أى متقطع كالتقطع بالنار. و احترق الشىء

احتراقاَ، و تحرق على الامر تحرقاَ.
و قال ابن عمر: الذى أشار بتحريق إبراهيم رجل من أكراد فارس. و فى الكلام حذف لأن تقديره أوثقوا إبراهيم و طرحوه فى النار، فقال اللّه تعالى عند ذلک للنار «كُونِى بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ» و قيل فى وجه كون النار برداً و سلاماً قولان:
أحدهما- انه تعالى أحدث فيها برداً بدلا من شدة الحرارة التى فيها، التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 263
فلم تؤذه.
و الثانى- انه تعالى حال بينها و بين جسمه، فلم تصل اليه، و لو لم يقل سلاماً لأهلكه بردها، و لم يكن هناک أمر على الحقيقة. و المعنى أنه فعل ذلک، كما قال «كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ» «1» أى صيرهم كذلک من غير ان أمرهم بذلک. و قال قتادة: ما أحرقت النار منه إلا وثاقه. و قال قوم: ان إبراهيم لما أوثقوه ليلقوه فى النار قال (لا إله إلا أنت سبحانک رب العالمين. لک الحمد و لک الملک لا شريک لک). ثم اخبر تعالى ان الكفار أرادوا بإبراهيم كيداً و بلاء، فجعلهم اللّه «الأخسرين» يعنى بتأييد ابراهيم و توفيقه، و منع النار من إحراقه حتى خسروا و تبين كفرهم و ضلالهم.

وَ نَجَّيْناهُ وَ لُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها لِلْعالَمِينَ (71) وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ نافِلَةً وَ كُلًّا جَعَلْنا صالِحِينَ (72) وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاةِ وَ إِيتاءَ الزَّكاةِ وَ كانُوا لَنا عابِدِينَ (73) وَ لُوطاً آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ نَجَّيْناهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ تَعْمَلُ الْخَبائِثَ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فاسِقِينَ (74) وَ أَدْخَلْناهُ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (75)
خمس آيات.

---

(1) سورة 2 البقرة آية 65
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 264
يقول اللّه تعالى إنا نجينا ابراهيم و لوطاً من الكفار الذين كانوا يخافوهم، و حملناهما «إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها لِلْعالَمِينَ» قال قتادة: نجيا من ارض كوثاريا الى الشام. و قال ابو العالية: ليس ماء عذب الا من الصخرة التى فى بيت المقدس.
و قال ابن عباس: نجاهما الى مكة، كما قال «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً» «1» و قيل: الى أرض بيت المقدس. و قال الزجاج: من العراق الى ارض الشام. و قال الجبائى: أراد ارض الشام. و انما قال «للعالمين» لما فيها من كثرة الأشجار و الخيرات التى ينتفع جميع الخلق بها إذا حلوا بها. و انما جعلها مباركة، لان اكثر الأنبياء بعثوا منها، فلذلك كانت مباركة. و قيل: لما فيها من كثرة الأشجار و الثمار، و النجاة هو الدفع عن الهلاك، فدفع اللّه ابراهيم و لوطاً عن الهلكة الى الأرض المباركة. و البركة ثبوت الخير النامى و نقيضها الشؤم و هو إمحاق الخير و ذهابه. و قيل فى هذه الآية دلالة على نجاة محمد (ص) كما نجا ابراهيم من عبدة الأصنام، الى الأرض التى اختارها له.
ثم قال «وَ وَهَبْنا لَهُ» يعنى ابراهيم اى أعطيناه اجتلاباً لمحبته، فاللّه تعالى يحب أنبياءه و يحبونه، و يحب أن يزدادوا فى محبته بما يهب لهم من نعمه «إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ» اى أعطيناه إسحاق و معه يعقوب «نافلة» اى زيادة على ما دعا اللّه اليه. و قوله «نافِلَةً» اى فضلا- فى قول ابن عباس و قتادة و ابن زيد- لأنه كان سأل اللّه ان يرزقه ولداً من سارة، فوهب له إسحاق، و زاده يعقوب ولد ولده.
و قيل جميعاً نافلة، لأنهما عطية زائدة على ما تقدم من النعمة- فى قول مجاهد و عطاء- و النفل النفع الذى يوجب الحمد به لأنه مما زاد على حد الواجب، و منه صلاة النافلة اى فضلا على الفرائض. و قيل: نافلة اى غنيمة

قال الشاعر:

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 96

للَّه نافلة الأعز الأفضل

و قوله (وَ كُلًّا جَعَلْنا صالِحِينَ) يحتمل أمرين:

أحدهما- انه جعلهم بالتسمية على وجه المدح بالصلاة أى سميناهم صالحين.

و الثانى- انا فعلنا بهم من اللطف الذى صلحوا به. ثم وصفهم بأن قال (وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً) يقتدى بهم فى أفعالهم (يهدون) الخلق الى طريق الحق (بِأَمْرِنا وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ) اى أوحينا اليهم بأن يفعلوا الخيرات «و اقام الصلاة» اى و بأن يقيموا الصلاة بحدودها و انما قال «وَ إِقامَ الصَّلاةِ» بلا (هاء) لأن الاضافة عوض الهاء «وَ إِيتاءَ الزَّكاةِ» أى بأن يؤتوا الزكاة، التى فرضها اللَّه عليهم.

ثم اخبر: أنهم كانوا عابدين للَّه وحده لا شريک له، لا يشركون بعبادته سواه.

و قوله «وَ لُوطاً آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً» نصب (لوطاً) ب (آتينا) و تقديره: و آتينا لوطاً آتيناه، كقوله «وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ» «1». و يجوز ان يكون نصباً بتقدير اذكر «لُوطاً» إذ «آتَيْناهُ حُكْماً» اى أعطيناه الفصل بين الخصوم بالحق أى جعلناه حاكماً، و علمناه ما يحتاج الى العلم به.

و قوله «وَ نَجَّيْناهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِى كانَتْ تَعْمَلُ الْخَبائِثَ» يعنى انهم كانوا يأتون الذكران، فى أدبارهم و يتضارطون فى أنديتهم، و هى قرية (سدوم) على ما روى.

ثم اخبر «إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فاسِقِينَ» اى خارجين عن طاعة اللَّه الى معاصيه. ثم عاد الى ذكر لوط فقال «وَ أَدْخَلْناهُ فِى رَحْمَتِنا» أى نعمتنا «إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» الذين أصلحوا أفعالهم. فعملوا بما هو حسن منها، دون ما هو قبيح.

---

(1) سورة 36 يس آية 39

وَ نُوحاً إِذْ نادى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) وَ نَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ (77) وَ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وَ كُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْماً وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنَّا فاعِلِينَ (79) وَ عَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ (80)

خمس آيات.

قرأ «لنحصنكم» بالنون ابو بكر عن عاصم. و قرأ ابن عامر و حفص عن عاصم بالتاء. الباقون بالياء. فمن قرأ بالتاء فلأن الدروع مؤنثة، فأسند الفعل اليها. و من قرأ بالياء اضافه الى (لبوس)، و هو مذكر و يجوز ان يكون أسند الفعل الى اللّه. و يجوز ان يضيفه الى التعليم- ذكره ابو على- و من قرأ بالنون أسند الفعل الى اللّه ليطابق قوله «و علمناه».

يقول اللّه تعالى لنبيه محمد (ص) و اذكر يا محمد «نوحاً» حين «نادى مِنْ قَبْلُ» ابراهيم. و النداء الدعاء على طريقة (يا فلان) فأما على طريقة (افعل) و (لا تفعل) فلا يسمى نداء، و إن كان دعاء. و المعنى إذ دعا ربه، فقال: رب، أى التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 267

يا رب نجنى و اهلى من الكرب العظيم فقال اللّه تعالى «فَاسْتَجَبْنا لَهُ» اى اجبناه الى ما التمسه «فَنَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ». و الكرب الغم الذى يحمى به القلب، و يحتمل ان يكون غمه كان لقومه. و يجوز ان يكون من العذاب الذى نزل بهم.

و قوله «وَ نَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا» اى منعناه منهم ان يصلوا اليه بسوء. و معنى نصرته عليه أعنته على غلبه. ثم اخبر تعالى «إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ» فأغرقهم اللّه أجمعين بالطوفان.

ثم قال و اذكر يا محمد «داوُدَ وَ سُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ» فى الوقت الذى «نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ» و النفش لا يكون الا ليلا على ما قاله شريح. و قال الزهرى:

الهمل و النشر بالنهار، و النفش بالليل، و الحرث الذى حكاه فيه: قال قتادة: هو زرع وقعت فيه الغنم ليلا، فأكلته. و قيل: كرم قد نبتت عنا قيده- فى قول ابن مسعود- و شريح. و قيل:

ان داود كان يحكم بالغنم لصاحب الكرم. فقال سليمان:

غير هذا يا نبى اللّه. قال: و ما ذاک؟ قال: يدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، و تدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا عاد الكرم كما كان دفع كل واحد الى صاحبه- ذكره ابن

مسعود- و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع)
و قال ابو على الجبائى: أوحى اللّه الى سليمان مما نسخ به حكم داود الذى كان يحكم به قبل. و لم يكن ذلک عن اجتهاد، لان الاجتهاد لا يجوز ان يحكم به الأنبياء. و هذا هو الصحيح عندنا. و قال ابن الاخشاذ، و البلخى و الرمانى: يجوز أن يكون ذلک عن اجتهاد، لأن رأى النبى أفضل من رأى غيره، فكيف يجوز التعبد بالتزام حكم غيره من طريق الاجتهاد، و يمتنع من حكمه من هذا الوجه. و الدليل على صحة الاول ان الأنبياء (ع) يوحى اليهم، و لهم طريق الى العلم بالحكم، فكيف التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 268
يجوز أن يعملوا بالظن؟! و الامة لا طريق لها الى العلم بالاحكام فجاز ان يكلفوا ما طريقه الظن؟! على ان عندنا لا يجوز فى الأمة ايضاً العمل على الاجتهاد. و قد بينا ذلک فى غير موضع. و من قال: انهما اجتهدا، قال أخطأ داود و أصاب سليمان.
و ذكروا فى قوله «إِذْ يَحْكُمانِ» ثلاثة أوجه:
أحدها- إذ شرعا فى الحكم فيه من غير قطع به فى ابتداء الشرع.
و ثانيها- ان يكون حكمه حكما معلقاً بشرط لم يفعله بعد.
و ثالثها- أن يكون معناه طلبا بحكم فى الحرث، و لم يبتديا به بعد. و يقوى ما قلناه قوله تعالى «فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ» يعنى علمنا الحكومة فى ذلک سليمان. و قيل:
ان اللّه تعالى «فهم سليمان» قيمة ما أفسدت الغنم.
ثم أخبر تعالى بأنه آتى كلا حكما و علماً، فدل على ان ما حكم به داود كان بوحى اللّه، و تعليمه. و قيل: معنى قوله «فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ» أى فتحنا له طريق الحكومة، لما اجتهد فى طلب الحق فيها، من غير عيب على داود فيما كان منه فى ذلک، لأنه اجتهد: فحكم بما أدى اجتهاده اليه.
و قوله «وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ» معناه سير الله تعالى الجبال مع داود حيث سار، فعبر عن ذلک بالتسبيح، لما فيها من الآية العظيمة التى تدعو له بتعظيم الله و تنزيهه عن كل ما لا يليق به، و لا يجوز وصفه به. و كذلک سخر له الطير، و عبر عن ذلک التسخير بأنه تسبيح من الطير، لدلالته على أن من سخرها قادر لا يجوز عليه العجز، كما يجوز على العباد.
و قوله «وَ كُنَّا فاعِلِينَ» أى و كنا قادرين على ما نريده. و قال الجبائى: أكمل الله تعالى عقول الطير حتى فهمت ما كان سليمان يأمرها به و ينهاها عنه، و ما يتوعدها به متى خالفت. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 269
و قوله «وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ» انما جمعه فى موضع التثنية، لأن داود و سليمان كان معهما المحكوم عليه، و من حكم له. فلا يمكن الاستدلال به على أن اقل الجمع اثنان.
و من قال: إنه كناية عن الاثنين، قال: هو يجرى مجرى قوله «فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ» «1» فى موضع فان كان له أخوان. و هذا ليس بشىء، لان ذلک

عَلمناه بدليل الإجماع، و لذلک خالف فيه ابن عباس، فلم يحجب ما قل عن الثلاثة.
و قوله «وَ عَلَّمْناهُ» يعنى داود «صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ» اى علمناه كيف يصنع الدرع. و قيل: ان اللبوس- عند العرب- هو السلاح كله، درعاً كان، أو جوشناً، او سيفاً، او رمحاً، قال الهذلى.
و معى لبوس للبنين كأنه روق بجبهة ذى نعاء مجفل «2»
يصف رمحاً. و قال قتادة، و المفسرون: المراد به فى الآية الدروع. و الإحصان الاحراز، و الباس شدة القتال. و قوله «فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ» تقرير للخق على شكره تعالى على نعمة التى أنعم بها عليهم بأشياء مختلفة.

وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ (81) وَ مِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ وَ كُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ (82) وَ أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَ آتَيْناهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ ذِكْرى لِلْعابِدِينَ (84) وَ إِسْماعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (85)

---

(1) سورة 4 النساء آية 10
(2) تفسير القرطبى 11/ 320 و الطبرى 17/ 37
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 270
خمس آيات بلا خلاف.
يقول الله تعالى و سخرنا «لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً» من رفع (الريح) و هو عبد الرحمن الأعرج: أضاف الريح الى سليمان إضافه الملك، كأنه قال له الريح.
و «عاصفة» نصب على الحال فى القراءتين، و الريح هو الجو، يشتد تارة و يضعف أخرى. و حد الرمانى الريح بأن قال: هو جسم منتشر لطيف، يمتنع بلطفه من القبض عليه و يظهر للحس بحركته. و قولهم: سكنت الريح مثل قولهم: هبت الريح، و إلا فإنها لا تكون ريحاً إلا بالحركة. و يقولون: أسرع فلان فى الحاجة كالريح، و راح فلان الى منزله.
و (العصوف) شدة حركة الريح، و عصفت تعصف عصفاً و عصفة، و عصف عصفاً و عصوفاً إذا اشتد، و العصف التبن، لان الريح تعصفه بتطيرها. و قيل: عصوف الريح شدة هبوبها. و ذكر ان الريح كانت تجرى لسليمان إلى حيث شاء، فذلك هو التسخير «تَجْرِي بِأَمْرِهِ» يعنى بأمر سليمان «إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها» يعنى الشام، لأنها كانت مأواه، فأى مكان شاء مضى اليه. و عاد اليها بالعشي.
و قوله «وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ» معناه علمنا معه على ما يعلمه من صحة التدبير، فان ما أعطيناه من التسخير يدعوه الى الخضوع له. و يدعو طالب الحق الى الاستبصار فى ذلك، فكان لطفاً يجب فعله.
و قوله «وَ مِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ» أى و سخرنا لسليمان قوماً من الشياطين يغوصون له فى البحر «وَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذلِكَ» قال الزجاج: معناه سوى ذلك «وَ كُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ» أى يحفظهم اللّه من الإفساد لما عملوه. و قيل:
كان حفظهم لئلا يهربوا من العمل. و قال الجبائى: كشف اللّه تعالى أجسام

تهيأ لهم تلك الاعمال، معجزة لسليمان (ع) قال: انهم كانوا يبنون له البنيان، و الغوص فى البحار، و إخراج ما فيه من اللؤلؤ و غيره، و ذلک لا يتأتى مع رقة أجسامهم. قال: و سخر له الطير بأن قوّى أفهامها، حتى صارت كصبياننا الذين يفهمون التخويف و الترغيب.
ثم قال و اذكر يا محمد «أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ» أى حين دعاه، فقال يا رب «أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ» أى نالنى الضر يعنى ما كان ناله من المرض و الضعف. قال الجبائي: كان به السلعة «وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» فارحمنى. و قيل انما فعل ذلک بأيوب، ليبلغ بصبره على ذلک المنزلة الجليلة التى أعدها اللّه- عز و جل- له و لكل مؤمن فيما يلحقه من مصيبة اسوة بأيوب، قال الجبائى: لم يكن ما نزل به من المرض فعلا للشيطان، لأنه لا يقدر على ذلک، و إنما آذاه بالوسوسة و ما جرى مجراها. قال الحسن: و كان اللّه تعالى أعطاه مالا و ولداً، فهلک ما له و مات ولده، فصبر، فأثنى اللّه عليه. ثم قال تعالى «فَاسْتَجَبْنا لَهُ» يعنى أجبنا دعاءه و نداءه «فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ» أى أزلنا عنه ذلک المرض «وَ آتَيْناهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ» قيل: رد الله اليه أهله الذين هلكوا بأعيانهم، و أعطاه مثلهم معهم- فى قول ابن مسعود و ابن عباس- و قال الحسن و قتادة: إن اللّه أحيا له أهله بأعيانهم. و زاده اليهم مثلهم. و قال عكرمة و مجاهد- فى رواية- أنه خير فاختار إحياء أهله فى الآخرة، و مثلهم فى الدنيا، فأوتى على ما اختار. و قال ابن عباس: أبدله اللّه تعالى بكل شىء ذهب له ضعفين «رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا» أى نعمة منا عليه «وَ ذِكْرى لِلْعابِدِينَ» اى عظة يتذكر به العابدون للّه تعالى مخلصين.
و قوله «وَ إِسْماعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكِفْلِ «أى اذكر هؤلاء الذين عددتهم لک من الأنبياء، و ما أنعمت عليهم من فنون النعمة. ثم أخبر أنهم كانوا كلهم

«مِنَ الصَّابِرِينَ» يصبرون على بلاء اللّه، و العمل بطاعته. دون معاصيه.
و اختلفوا فى ذى الكفل، فقال ابو موسى الاشعرى، و قتادة، و مجاهد: كان رجلا صالحاً، كفل لنبى بصوم النهار، و قيام الليل، و ألا يغضب، و يقتضى بالحق، فوفى للّه بذلک، فأثنى الله عليه. و قال قوم: كان نبياً، كفل بأمر و فى به. و قال الحسن: هو نبى اسمه ذو الكفل. و قال الجبائى: هو نبى، و معنى وصفه بالكفل أنه ذو الضعف أى ضعف ثواب غيره، ممن فى زمانه لشرف عمله.

وَ أَدْخَلْناهُمْ فِی رَحْمَتِنا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِینَ (86) وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَیْهِ فَنادی فِی الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحانَکَ إِنِّی کُنْتُ مِنَ الظَّالِمِینَ (87) فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَ نَجَّیْناهُ مِنَ الْغَمِّ وَ کَذلِکَ نُنْجِی الْمُؤْمِنِینَ (88) وَ زَکَرِیَّا إِذْ نادی رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِی فَرْداً وَ أَنْتَ خَیْرُ الْوارِثِینَ (89) فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَ وَهَبْنا لَهُ یَحْیی وَ أَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ کانُوا یُسارِعُونَ فِی الْخَیْراتِ وَ یَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً وَ کانُوا لَنا خاشِعِینَ (90)

خمس آیات.

قرأ یعقوب «فظن ان لن یقدر علیه» بالیاء مضمومة. و فتح الدال.

الباقون بالنون، و کسر الدال، و المعنیان متقاربان. التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 273

یقول الله تعالی إنا أدخلنا هؤلاء الذین ذکرناهم من الأنبیاء «فی رحمتنا» أی فی نعمتنا، و معنی (أَدْخَلْناهُمْ فِی رَحْمَتِنا) غمرناهم بالرحمة. و لو قال رحمناهم لما أفاد الاغمار. بل أفاد انه فعل بهم الرحمة، التی هی النعمة.

و قوله (إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِینَ) معناه إنما أدخلناهم فی رحمتنا، لأنهم کانوا ممن صلحت أعمالهم، و فعلوا الطاعات، و تجنبوا المعاصی. و (صالح) صفة مدح فی الشرع.

ثم قال لنبیه محمد (ص) و اذکر (ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَیْهِ) و النون الحوت، و صاحبها یونس بن متی، غضب علی قومه- فی قول ابن عباس و الضحاک- فذهب مغاضباً لهم، فظن ان اللّه لا یضیق علیه، لأنه کان ندبه الی الصبر علیهم و المقام فیهم من قوله «وَ مَنْ قُدِرَ عَلَیْهِ رِزْقُهُ» «1» أی ضیق، و قوله «اللَّهُ یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشاءُ وَ یَقْدِرُ» «2» أی یضیق، و هو قول ابن عباس و مجاهد و الضحاک، و اکثر المفسرین. و قال الزجاج و الفراء: معناه «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَیْهِ» ما قدرناه. و قال الجبائی: ضیق اللّه علیه الطریق حتی ألجأه الی رکوب البحر حتی قذف فیه، و ابتلعته السمکة. و من قال: ان یونس (ع) ظن أن اللّه لا یقدر علیه من القدرة، فقد کفر. و قیل إنما عوتب علی ذلک، لأنه خرج مغاضباً لهم قبل أن یؤذن له، فقال قوم: کانت خطیئة، من جهة تأویله أنه یجوز له ذلک. و قد قلنا:

انه کان مندوباً الی المقام فلم یکن ذلک محظوراً، و انما کان ترک الأولی. فأما ما روی عن الشعبی و سعید بن جبیر من انه خرج مغاضباً لربه فلا یجوز ذلک علی نبی من الأنبیاء، و کذلک لا یجوز أن یغضب لم عفی اللّه عنهم إذ آمنوا، لان هذا اعتراض

---

(1) سورة 65 الطلاق آية 7
(2) سورة 13 الرعد آية 28

على اللَّه بما لا يجوز فى حكمته.
و قوله «فَنادى فِى الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَکَ إِنِّى کُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» فالظلمات قيل: إنها ظلمة الليل، و ظلمة البحر، و ظلمة بطن الحوت، على ما قاله ابن عباس و قتادة. و قيل: حوت فى بطن حوت، فى قول سالم بن أبى حفصة.
و قيل: ان أكثر دعائه كان فى جوف الليل فى الظلمات. و الأول أظهر فى اقوال المفسرين. و قال الجبائى: الغضب عداوة لمن غضب عليه، و بقاؤه فى بطن الحوت حياً معجز له. و لم يكن يونس فى بطن الحوت على جهة العقوبة، لان العقوبة عداوة للمعاقب، لكن كان ذلک على وجه التأديب، و التأديب يجوز على المكلف و غير المكلف، كتأديب الصبى و غيره. و قال قوم: معنى قوله «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ» الاستفهام، و تقديره أ فظن. و هذا ضعيف، لأنهم لا يحذفون حرف الاستفهام إلا و فى الكلام عوض عنه من (أم) أو غيرها.
و قوله «إِنِّى کُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» أى كنت من الباخسين نفسى ثوابها، لو أقمت، لأنه كان مندوباً اليه، و من قال يجوز الصغائر على الأنبياء، قال: كان ذلک صغيرة نقصت ثوابه. فأما الظلم الذى هو كبيرة، فلا يجوزها عليهم إلا الحشوية الجهال، الذين لا يعرفون مقادير الأنبياء، الذين وصفهم اللَّه بأنه اصطفاهم و اختارهم.
ثم اخبر تعالى انه استجاب دعاءه و نجاه من الغم الذى كان فيه. و وعد مثل ذلک أن ينجى المؤمنين.
و قد قرأ ابو بكر عن عاصم «نجى المؤمنين» بنون واحدة مشددة الجيم.
الباقون بنونين. و هى فى المصحف بنون واحدة حذف الثانية كراهة الجمع بين المثلين فى الخط، و لأن النون الثانية تخفى مع الجيم، و مع حروف الفم، و لا تظهر، و لذلک ظن قوم أنها أدغمت فى الجيم، فقرءوها مدغماً، و ليس بمدغم. و لا وجه لقراءة عاصم هذه التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 275
و لا لقول أبى عبيدة حاكياً عن أبى عمرو: ان النون مدغمة، لأنها لا تدغم فى الجيم.
و قال الزجاج: هذا لحن، و لا وجه لمن تأوله: نجى النجا المؤمنين، كما لا يجوز ضرب زيداً بمعنى ضرب الضرب زيداً. و قال الفراء: هو لحن. و قال قوم- محتجين لأبى بكر- انه أراد فعلا ماضياً، على ما لم يسم فاعله، فاسكن الياء، كما قرأ الحسن «و ذروا ما بقى من الربا» «1» أقام المصدر مقام المفعول الذى لا يذكر فاعله، فكذلک نجى النجا المؤمنين، و احتجوا بأن أبا

جعفر قرأ «لنجزى قوماَ» «2» فى الجاثية على تقدير لنجزى الجزاء قوماَ قال الشاعر.
و لو ولدت قفيرة جر و كلب لسب بذلک الجر و الكلابا «3»
ثم قال تعالى لنبيه (ص) و اذكر «زَكَرِيَّا إِذْ نادى رَبَّهُ» أى دعاه، فقال يا «رَبِّ لا تَذَرْنِى فَرْداً» أى وحيداً، بل ارزقنى ولداً. ثم قال «وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ» و معناه أنت خير من يرث العباد من الأهل و الولد، فقال اللّه تعالى إنا استجبنا دعاءه «وَهَبْنا لَهُ يَحْيى وَ أَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ» قال قتادة: إنها كانت عقيماً فجعلها اللّه ولوداً. و قيل: كانت سيئة الخلق، فرزقها اللّه حسن الخلق. ثم اخبر «إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِى الْخَيْراتِ» أى يبادرون فى فعل الطاعات «و يدعون» اللّه «رغبة» فى ثوابه «و رهبة» من عقابه «و كانوا» للّه «خاشعين» متواضعين.
و قال الجبائى: إجابة الدعاء لا تكون إلا ثواباً. و قال ابن الاخشاذ: يجوز أن تكون استصلاحاً لا ثواباً، و لذلک لا يمتنع أن يجب اللّه دعاء الكافر و الفاسق.
فأما قولهم:
فلان مجاب الدعوة، فلا يجوز إطلاقه على الكفار و الفساق، لأن فيه تعظيماً و أن له منزلة جليلة عند اللّه. و الامر بخلاف ذلک.

---

(1) سورة 2 البقرة آية 278
(2) سورة 45 الجاثية آية 13
(3) تفسير القرطبى 11/ 335

وَ الَّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِیها مِنْ رُوحِنا وَ جَعَلْناها وَ ابْنَها آیَةً لِلْعالَمِینَ (91) إِنَّ هذِهِ أُمَّتُکُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّکُمْ فَاعْبُدُونِ (92) وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَیْنَهُمْ کُلٌّ إِلَیْنا راجِعُونَ (93) فَمَنْ یَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا کُفْرانَ لِسَعْیِهِ وَ إِنَّا لَهُ کاتِبُونَ (94) وَ حَرامٌ عَلی قَرْیَةٍ أَهْلَکْناها أَنَّهُمْ لا یَرْجِعُونَ (95)

خمس آیات.

قرأ اهل الکوفة إلا حفصاً عن عاصم «و حرم» بکسر الحاء بلا الف. الباقون بفتح الحاء. و إثبات الالف، و هما بمعنی واحد.

یقول اللّه تعالی لنبیه (ص) و اذکر ایضاً «الَّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَها» یعنی مریم بنت عمران. و الإحصان إحراز الشیء من الفساد، فمریم أحصنت فرجها بمنعه من الفساد فأثنی اللّه علیها. و رزقها ولداً عظیم الشأن، لا کالأولاد المخلوقین من النطفة. و جعله نبیاً. و قوله «فَنَفَخْنا فِیها مِنْ رُوحِنا» معناه أجرینا فیها روح المسیح، کما یجری الهواء بالنفخ، و أضاف الروح الی نفسه، علی وجه الملک تشریفاً له فی الاختصاص بالذکر. و قیل: إن اللّه تعالی أمر جبرائیل بنفخ الروح فی فرجها، و خلق المسیح فی رحمها. و قوله «وَ جَعَلْناها وَ ابْنَها آیَةً لِلْعالَمِینَ» معناه إنا جعلنا مریم و ابنها عیسی آیة للعالمین. و انما قال «آیة» و لم یثن، لأنه فی موضع دلالة لهما، فلا یحتاج أن یثنی. و الآیة فیهما أنها جاءت به من غیر فحل، فتکلم فی المهد بما یوجب التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 277

براءة ساحتها من العیب، و فی ذلک دلیل واضح علی سعة مقدوراته تعالی، و أنه یتصرف کیف یشاء.

و قوله «وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُکُمْ أُمَّةً واحِدَةً» قال ابن عباس و مجاهد و الحسن: معناه دینکم دین واحد. و اصل الأمة الجماعة التی علی مقصد واحد، فجعلت الشریعة أمة، لاجتماعهم بها علی مقصد واحد. و قیل: معناه جماعة واحدة فی أنها مخلوقة مملوکة للّه. و نصب «أمة» علی الحال، و یسمیه الکوفیون قطعاً. ثم قال «وَ أَنَا رَبُّکُمْ» الذی خلقکم «فاعبدونی» و لا تشرکوا بی احداً.

و قوله «وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَیْنَهُمْ» معناه إختلفوا فی الدین بما لا یسوغ، و لا یجوز- فی قول ابن زید- ثم قال مهدداً لهم «کُلٌّ إِلَیْنا راجِعُونَ» أی الی حکمنا، فی الوقت الذی لا یقدر علی الحکم فیه سوانا، کما یقال: رجع أمرهم الی القاضی أی الی حکمه.

و قوله «فَمَنْ یَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ» قیل: الصالحات- هاهنا- صلة الرحم، و معونة الضعیف، و نصرة المظلوم، و إغاثة الملهوف، و الکف

عن الظلم، و نحو ذلک من اعمال الخير، و انما شرط الايمان، لأن هذه الأشياء لو فعلها الكافر لم ينتفع بها عند الله. و قوله «فَلا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ» معناه لا جحود لإحسانه فى عمله، و هو مصدر كفر كفراً و كفراناً، قال الشاعر:

من الناس ناس لا تنام خدودهم و خدى و لا كفران لله نائم «1»

و قوله «وَ إِنَّا لَهُ كاتِبُونَ» أى ملائكتنا يثبتون ذلک و يكتبونه، فلا يضيع له لديه شىء.

و قوله «وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ» قيل: (لا) صلة،

---

(1) تفسير الطبرى 17/ 61

و المعنى: حرام رجوعهم. و قيل «أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ» أى حال قبول التوبة. و قال قوم: حرام على قرية أهلكناها، لأنهم لا يرجعون. و قال الزجاج: المعنى و حرام على قرية أهلكناها أن نتقبل منهم عملا لأنهم لا يرجعون، أى لا يتوبون أبداً. و حرم و حرام لغتان مثل حل و حلال. و قيل: فى معنى «وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ» معناه واجب عليهم ألا يرجعون الى تلک القرية أبداً. و قال الجبائى: معناه و حرام على قرية أهلكناها عقوبة لهم ان يرجعوا الى دار الدنيا.

حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (96) وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يا وَيْلَنا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا بَلْ كُنَّا ظالِمِينَ (97) إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ (98) لَوْ كانَ هؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها وَ كُلٌّ فِيها خالِدُونَ (99) لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ هُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ (100)

خمس آيات.

قرأ ابن عامر «فتحت» مشددة، على التكثير. الباقون بالتخفيف.

يقول الله تعالى: إنه حرام على أهل قرية أهلكناها رجوعهم، «حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ» أى ينفرج السدان (يأجوج و مأجوج) و يظهروا، و

التقدير فتحت التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 279

جهة يأجوج و مأجوج، و الفتح انفراج الشىء عن غيره.

و قوله «وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ» قال مجاهد: ان قوله «و هم» كناية عن الناس، يحشرون الى أرض الموقف يوم القيامة. و قال عبد الله بن مسعود: هو كناية عن يأجوج و مأجوج. و يأجوج و مأجوج اسمان أعجميان، و هما قبيلان. و لو كانا عربيين لكانا من أج النار، أو الماء الأجاج. و قال قتادة: الحدب الاكم. و قيل:

هو الارتفاع من الأرض بين الانخفاض، و معناهما واحد. و الحدبة خروج الظهر، يقال: رجل أحدب إذا احدودب كبراً. و قوله «ينسلون» فالنسول الخروج عن الشىء الملابس، يقال: نسل ينسل و ينسل نسولا، قال امرؤ القيس:

و ان كنت قد ساءتک منى خليقة فسلى ثيابى من ثيابک تنسل «1»

و نسل ريش الطائر إذا سقط و قيل: النسول الخروج باسراع مثل نسلان الذئب، قال الشاعر:

عسلان الذئب أمسى قاربا برد الليل عليه فنسل «2»

و قوله تعالى «وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ» قال قوم: الواو مقحمة و التقدير اقترب الوعد الحق، يعنى القيامة. و قال آخرون: ليست مقحمة، بل الجواب محذوف، و هو الأجود. و التقدير على قول الأولين «حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ... وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ» ذكره الفراء قال: و هو مثل قوله «وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَ نادَيْناهُ» «3» و كقوله (حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ) «4» و المعنى فتحت. و على قول البصريين الواو مرادة و التقدير حتى إذا فتحت، و اقترب الوعد الحق، قالوا يا ويلنا قد كنا فى غفلة. و قيل: خروج يأجوج و مأجوج من أشراط الساعة.

---

(1) شرح ديوانه 147 [.....]
(2) تفسير الطبرى 17/ 66
(3) سورة 37 الصافات آية 103
(4) سورة 39 الزمر آية 73

و قوله (فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ) قيل ان الضمير فى قوله (فإذا هى) عائد الى معلوم ينبه عليه ابصار الذين كفروا، كما قال الشاعر:
لعمر أبيها لا تقول ظعينتى إلا فرّ عنى مالک ابن أبى كعب «1»
فكنى فى أبيها ثم بين ذكرها. و قال قوم: إضمار العماد على شروط التفسير، كقوله تعالى (فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ) «2» و قوله (يا ويلنا) أى يقول الكفار الذين شخصت أبصارهم: الويل لنا انا قد كنا فى غفلة من هذا اليوم، و هذا المقام، بل كنا ظالمين لنفوسنا بارتكاب معاصى اللّه، فيقول الله تعالى لهم (إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ) و المعنى انكم ايها الكافرون و الذى عبدتموه من الأصنام و الأوثان حصب جهنم. و قال ابن عباس: وقودها. و قال مجاهد: حطبها. و قيل: انهم يرمون فيها، كما يرمى بالحصباء- فى قول مجاهد، و قال إنما يحصب بهم أى يرمى بهم.
و قرأ (على) (ع)، و عائشة (حطب). و قرأ الحسن (حضب) بالضاد.
و معناه ما تهيج به النار و تذكا به. و الحضب الحية.
و قوله (أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ) خطاب لجميع الكفار انهم يردون جهنم و يدخلونها لا محالة، فالورود قد يكون الدخول، كقولهم وردت الدار، أى دخلتها، و يكون بالإشراف، كقوله (وَ لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ) «3» و معناه أشرف عليه. و المراد فى الآية الدخول، لأن الكفار يدخلون النار لا محالة.
ثم قال تعالى: لو كان هذه الأصنام و الأوثان آلهة لم يردوا جهنم. و يحتمل:

---

(1) تفسير الطبرى 17/ 66 و القرطبى 11/ 342
(2) سورة 22 الحج آية 46
(3) سورة 28 القصص آية 12

أن يكون أراد ما وردت الأصنام جهنم، لأنه كان يكون عبادتهم واقعة موقعها، و لكانوا يقدرون على الدفاع عنهم و النصرة لهم.
ثم اخبر تعالى ان كل فى جهنم خالدون، مؤبدون فيها. و أن لهم فى جهنم زفيراً، و هو شدة التنفس. و قيل: هو الشهيق لهول ما يرد عليهم من النار (و هم فيها) يعنى فى جهنم (لا يسمعون) قال الجبائى: لا يسمعون ما ينتفعون به، و إن سمعوا ما يسؤهم. و قال ابن مسعود: يجعلون فى توابيت من نار، فلا يسمعون شيئا. و قال قوم: المراد بقوله (وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُون

اللّهِ) الشياطين الذين دعوهم الى عبادة غير الله. فأطاعوهم، فكأنهمَ عبدوهم، كما قال (يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ) «1» أى لا تطعه.

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ (101) لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها وَ هُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ (102) لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (103) يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ (104) وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ (105)

---

(1) سورة 19 مريم آية 44

خمس آيات.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر (للكتب) على الجمع. الباقون (للكتاب) على التوحيد. و قرأ حمزة وحده (الزبور) بضم الزاى. من ضم الزاى أراد الجمع. و من فتحها أراد الواحد. يقال: زبرت الكتاب أزبره زبراً إذا كتبته.

لما اخبر الله تعالى: ان الكفار حصب جهنم و انهم واردون النار، و داخلون فيها مؤبدين، اخبر (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى) يعنى الوعد بالجنة. و قيل:

الحسنى الطاعة لله تعالى يجازون عليها فى الآخرة بما وعدهم الله به. و اخبر تعالى ان من هذه صفته مبتعد عن النار ناء عنها، و يكونون بحيث (لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها) يعنى صوتها، الذى يحس، و إنهم فى ما تشتهيه أنفسهم من الثواب و النعيم خالدون و الشهوة طلب النفس للذة يقال: اشتهى شهوة، و تشهى تشهياً، و نقيض الشهوة تكره النفس، فالغذاء يشتهى و الدواء يتكره. و قيل: الحسنى الجنة التى وعد الله بها المؤمنين. و قال ابن زيد: الحسنى السعادة لأهلها من الله، و سبق الشقاء لأهله، كأنه يذهب الى ان معنى الكلمة انه: سيسعد أو أنه سيشقى. و قال الحسن و مجاهد: الذين سبقت لهم منا الحسنى عيسى، و عزير، و الملائكة الذين عبدوا من دون اللّه، و هم كارهون، استثناهم من جملة من اخبر انهم مع الكفار فى جهنم.

و قوله «لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ» معناه لا يغم الذين سبقت لهم من اللَّه الحسنى الفزع الأكبر. و من ضم الياء أراد لا يفزعهم الفزع الأكبر. قال ابن جبير، و ابن جريج: هو عذاب النار، على أهلها. و قال ابن عباس: هى النفخة الأخيرة. و قال الحسن: هو حين يؤمر بالعبد الى النار «وَ تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ» قيل تتلقاهم الملائكة بالتهنئة و يقولون لهم «هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» به أى تخوفون بما فيه من التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص:

العقاب، و ترغبون فيما فيه من الثواب.
و قوله «يَوْمَ نَطْوِى السَّماءَ» يحتمل نصب (يوم) وجهين:
أحدهما- أن يكون بدلا من (توعدون) لان تقديره توعدونه.
الثانى- انه نعدكم يوم نطوى السماء. و قوله «كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ» فالسجل الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة، فشبه اللّه تعالى طى السماء يوم القيامة بطى الكتاب- فى قول ابن عباس و مجاهد- و قال ابن عمر، و السدى: السجل ملک يکتب اعمال العباد. و قال ابن عباس- فى رواية أخرى- السجل كاتب كان لرسول اللّه (ص) و التقدير كطى الكتاب السجل، و اللام مؤكدة. و يحتمل أن يكون المعنى كطى السجل، و قدتم الكلام. ثم قال للكتب أى لما كتبناه و علمناه، فعلنا ذلک، كما قال «وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ» «1» و قوله «كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ» المعنى نعيد الخلق كما بدأناه. قال ابن عباس: معناه انه يهلک كل شىء، كما كان أول مرة. ثم قال: إن الذى ذكرناه وعيد منا لازم نفعله لا محالة.
ثم قال تعالى «وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ» قيل الزبور كتب الأنبياء «مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ» من بعد كتبه فى أم الكتاب- فى قول سعيد بن جبير و مجاهد و ابن زيد.
و قيل: الزبور، زبور داود، من بعد الذكر فى توراة موسى- فى قول الشعبى- و قال قوم «مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ» معناه قبل الذكر الذى هو القرآن، حكاه ابن خالويه.
و قوله «أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِىَ الصَّالِحُونَ» قال ابن عباس و سعيد بن جبير و ابن زيد: يعنى أرض الجنة يرثها الصالحون من عباد اللّه، كما قال

---

(1) سورة 10 يونس آية 19، و سورة 11 هود آية 111، و سورة 20 طه آية 129، و سورة 41 حم السجدة (فصلت) آية 45، و سورة، 24 الشورى آية 14

«وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ» «1» و قيل: هى الأرض فى الدنيا التى تصير للمؤمنين فى أمة محمد (ص) من بعد اجلاء الكفار عنها- فى رواية اخرى- عن ابن عباس.
و قيل: يعنى أرض الشام، يرثها الصالحون من بنى إسرائيل ذكره الكلبى.
و عن أبى جعفر (ع) إن ذلک وعد للمؤمنين بأنهم يرثون جميع الأرض.

إِنَّ فِی هذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِینَ (106) وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِینَ (107) قُلْ إِنَّما یُوحی إِلَیَّ أَنَّما إِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُکُمْ عَلی سَواءٍ وَ إِنْ أَدْرِی أَ قَرِیبٌ أَمْ بَعِیدٌ ما تُوعَدُونَ (109) إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَ یَعْلَمُ ما تَکْتُمُونَ (110)
وَ إِنْ أَدْرِی لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَکُمْ وَ مَتاعٌ إِلی حِینٍ (111) قالَ رَبِّ احْکُمْ بِالْحَقِّ وَ رَبُّنَا الرَّحْمنُ الْمُسْتَعانُ عَلی ما تَصِفُونَ (112)
سبع آیات بلا خلاف.
یقول اللَّه تعالی «إِنَّ فِی هذا» المعنی الذی أخبرتکم به، مما توعدنا به الکفار، من النار و الخلود فیها، و ما وعدنا به المؤمنین من الجنة و الکون فیها «لبلاغاً» و قیل:
«ان فی هذا» یعنی القرآن «لبلاغا» أی لما یبلغ الی البغیة من أخذ به، و عمل علیه. و البلوغ الوصول. و البلاغ سبب الوصول الی الحق، ففی البرهان بلاغ، و القرآن

---

(1) سورة 39 الزخرف آیة 74

دلیل و برهان. و قیل: معناه إنه یبلغ رضوان اللَّه و محبته و جزیل ثوابه «لِقَوْمٍ عابِدِینَ» للَّه مخلصین له.
ثم قال لنبیه محمد (ص) (وَ ما أَرْسَلْناکَ) یا محمد (إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِینَ) أی نعمة علیهم، و لأن ترحمهم.
و فی الآیة دلالة علی بطلان قول المجبرة فی أنه: لیس للَّه علی الکافرین نعمة.
لأنه تعالی بین ان إرسال اللَّه رسوله نعمة علی العالمین. و علی کل من أرسل الیهم.
و وجه النعمة علی الکافر انه عرضه للایمان و لطف له فی ترک معاصیه. و قیل: هی نعمة علی الکافر بأن عوفی مما أصاب الأمم قبلهم من الخسف و القذف- فی قول ابن عباس- ثم قال له (ص) قل لهم (إِنَّما یُوحی إِلَیَّ أَنَّما إِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) ای مسلمون لهذا الوحی الذی أوحی الی، من اخلاص الالهیة و العبادة للَّه تعالی. ثم قال (فان تولوا) یعنی إن اعرضوا عن هذا الذی تدعوهم الیه من إخلاص التوحید، فقل لهم (آذَنْتُکُمْ عَلی سَواءٍ) أی أعلمتکم علی سواء فی الإیذان تتساوون فی العلم به لم اظهر بعضکم علی شیء کتمته عن غیره، و هو دلیل علی بطلان قول أصحاب الرموز، و أن للقرآن بواطن خص بالعلم بها أقوام. و قیل علی

سواء [فى العلم انى صرت مثلكم، و مثله قوله «فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ] «1» أى ليستوى علمك و علمهم. و قيل معناه: لتستووا فى الايمان به.
و قوله (وَ إِنْ أَدْرِى أَ قَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ ما تُوعَدُونَ) معناه لست اعلم ان ما وعدكم اللّه به من العقاب أ قريب مجيؤه ام بعيد. و قوله (وَ إِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ) اى لست ادرى لعل التأخير شدة فى عبادتكم يظهر بها ما هو كالسر فيكم من خير أو شر، فيخلص الجزاء بحسب العمل. و اصل الفتنة التخليص

---

(1) سورة 8 الأنفال آية 51. و ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

بالشدة، كتخليص الذهب بشدة النار من كل شائب من غيره. و قيل (فتنة لكم) اى اختبار لكم (وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ) أى تتمتعون الى الوقت الذى قدره اللّه لاهلاككم.
ثم قال لنبيه (ص) (قل) يا محمد (رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ) انما أمره أن يدعو بما يعلم انه لا بد أن يفعله تعبداً، لأنه إذا دعا بهذا ظهرت رغبته فى الحق الذى دعا به. و قال قتادة: كان النبى (ص) إذا شهد قتالا قال (رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ) بينى و بين المشركين بما يظهر به الحق للجميع. و قرأ حفص وحده (قالَ رَبِّ احْكُمْ) على الخبر. الباقون على الامر، و ضم الباء ابو جعفر اتباعاً لضم الكاف. الباقون بكسرها على أصل حركة التقاء الساكنين.
و قوله (وَ رَبُّنَا الرَّحْمنُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ) أى على ما تذكرون، مما ينافى التوحيد. و حكى عن الضحاك انه قرأ (قال ربى أحكم) بإثبات الياء، و هو خلاف ما فى المصاحف، و يكون على هذا (ربى) مبتدأ و (أحكم) خبره، كقوله (اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ) «1». و قرا ابن ذكران عن ابن عامر (عما يصفون) بالياء يعنى على ما يكذب هؤلاء الكفار من انكار البعث. الباقون بالتاء على الخطاب لهم بذلك.

---

(1) سورة 23 المؤمنين آية 14

اشارة

قال قتادة هى مدنية إلا اربع آيات فإنها مكيات من قوله «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ» الى قوله (عذاب مقيم) و قال مجاهد و عياش بن أبى ربيعة: هى مدنية كلها. و هى ثمان و سبعون آية فى الكوفى و ست فى المدنيين و خمس فى المكى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى وَ لكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ (3) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ (4)
أربع آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 288
قرا اهل الكوفة إلا عاصماً «سكرى» بلا الف بسكون الكاف فى الموضعين. الباقون «سكارى».
هذا خطاب من اللَّه تعالى لجميع المكلفين من البشر يأمرهم بأن يتقوا معاصى اللَّه لأنه يستحق بفعل المعاصى و الإخلال بالواجبات العقوبات يوم القيامة.
ثم اخبر «إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ» يعنى القيامة «شَىْءٌ عَظِيمٌ» و الزلزلة شدة الحركة على حالة هائلة، و منه زلزلة الأرض لما يلحق من الهول، و كان أصله زلت قدمه إذا زالت عن الجهة بسرعة. ثم ضوعف فقيل: زلزل اللَّه أقدامهم، كما قيل: دكة و دكدكة، و الزلزلة و الزلزال- بكسر الزاى- مصدر. و الزلزال- بالفتح- الاسم قال الشاعر:
يعرف الجاهل المضلل ان الدهر فيه النكراء و الزلزال «1»
و قال علقمه و الشعبى: الزلزلة من أشراط القيامة. و روى الحسن فى حديث رفعه عن النبى (ص) انها يوم القيامة. و العظيم المختص بمقدار يقصر عنه غيره، و ضده الحقير. و الكبير نقيض الصغير.
و فى الآية دلالة على أن المعدوم يسمى شيئاً، لان اللَّه تعالى سمى الزلزلة يوم القيامة شيئاً، و هى معدومة اليوم.
و قوله «يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ»
قال الفراء و الكوفيون:
يجوز ان يقال: مرضع بلا هاء، لأن ذلک لا يكون فى الرجال، فهو مثل حائض و طامث. و قال الزجاج و غيره من البصريين: إذا أجريته على الفعل قلت أرضعت فهى مرضعة، فإذا قالوا مرضع، فالمعنى انها ذات رضاع. و قيل فى قولهم: حائض و طامث معناه انها ذات حيض و طمث. و قال قوم: إذا قلت: مرضعة، فانه يراد

---

(1) تفسير الطبرى 17/ 80

بها ام الصبى المرضع. و إذا أسقطت الهاء، فانه يراد بها المرأة التى معها صبى مرضعة لغيرها.
و المعنى إن الزلزلة هى شىء عظيم، فى يوم ترون فيها الزلزلة، على وجه «تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ»
اى يشغلها عن ولدها اشتغالها بنفسها، و ما يلحقها من الخوف.
و قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، و تضع الحامل لغير تمام.
و الذهول الذهاب عن الشىء دهشاً و حيرة، تقول: ذهلت عنه ذهولا، و ذهلت- بالكسر- ايضاً، و هو قليل، و الذهل السلوّ، قال الشاعر:
صحا قلبه يا عز أو كاد يذهل «1» و هذا تحويل ليوم القيامة، و تعظيم لما يكون فيه من الشدة على وجه لو كان هناک مرضعة لشغلت عن الذى ترضعه، و لو كان هناک حامل لأسقطت من هول ذلک اليوم، و إن لم يكن هناک حامل و لا مرضعة.
و قوله (وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى)
معناه تراهم سكارى من الفزع، و ما هم بسكارى من شرب الخمور. و انما جاز «وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى، وَ ما هُمْ بِسُكارى»
، لأنها رواية تخيل. و قيل: معناه كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما يمر بهم، فيضطربون كاضطراب السكران من الشراب. و قرأ ابو هريرة (وَ تَرَى النَّاسَ)
بضم التاء، و الناس منصوب على أنه مفعول ثان. و تقديره و ترى أن الناس.
و تكون «سكارى» نصباً على الحال. و من قرأ «سكرى» جعله مثل جرحى و قتلى. و قيل: هما جمعان كسكران و سكرانة، قال ابو زيد: يقولون: مريض و مراضى، و مرضى. فمن قرأ «سكرى» فلأن السكر كالمرض و الهلاک، فقالوا:

---

(1) تفسير الطبرى 17/ 80

(سكرى) مثل هلكى و مثل عكلى. و من
قرأ «سكارى» فلأنه روى أن النبى (ص) قرأ كذلک.
ثم علل تعالى ذلک، فقال ليس هم بسكارى «وَ لكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ»
فمن شدته يصيبهم ما يصيبهم من الاضطراب.
ثم اخبر تعالى ان «مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ» أى يخاصم «فِى اللَّهِ» فيما يدعوهم اليه من توحيد اللَّه و نفى الشرک عنه «بِغَيْرِ عِلْمٍ» منه بل للجهل المحض «و يتبع» فى ذلک «كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ» يغويه عن الهدى و يدعوه الى الضلال. و ذلک يدل على أن المجادل فى نصرة الباطل مذموم، و أن من جادل بعلم و وضع الحجة موضعها بخلافه.

و (المريد) المتجرد للفساد. و قيل أصله الملاسة، فكأنه متملس من الخير، و منه صخرة مرداء أى ملساء، و منه الأمرد. و المريد الداهية المنكرة. و يقال: تمرد فلان.
و الممرد من البناء المتطاول المتجاوز.
و قوله «كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ» يقول اللَّه تعالى انه كتب فى اللوح المحفوظ ان من تولى الشيطان و اتبعه و أطاعه فيما يدعوه اليه، فانه يضله. و قال الزجاج: معناه كتب عليه أنه من تولاه يضله، فعطف (أن) الثانية على الأولى تأكيداً، فلذلک نصبت (أن) الثانية. و الأكثر فى التأكيد أن لا يكون معه حرف عطف غير انه جائز. كما يجوز: زيد- فافهم- فى الدار. و قال قوم: نصبت (أن) الثانية، لان المعنى فلأنه يضله عن طريق الحق «وَ يَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ» أى عذاب النار الذى يستعر و يلتهب. و الهاء فى «كُتِبَ عَلَيْهِ» راجعة الى الشيطان، و تقديره كتب على الشيطان أنه من تولى الشيطان و اتبعه، فان الشيطان يضله، فالهاء فى يضله عائدة الى (من) فى قوله «مَنْ تَوَلَّاهُ».

يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِی رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِی الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّی وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلی أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَ تَرَی الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5)

آية واحدة بلا خلاف.

قرأ ابو جعفر «و ربأت». الباقون (ربت).

خاطب اللّه تعالى بهذه الآية جميع المكلفين من البشر. فقال لهم «إِنْ كُنْتُمْ فِی رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ» و النشور. و الريب أقبح الشک «فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ» قال الحسن: المعنی خلقنا آدم من تراب الذی هو أصلكم و أنتم نسله. و قال قوم: أراد به جميع الخلق، لأنه إذا أراد انه خلقهم من نطفة، و النطفة يجعلها اللّه من الغذاء، و الغذاء ينبت من التراب و الماء، فكان أصلهم كلهم التراب، ثم أحالهم بالتدريج: الی النطفة، ثم أحال النطفة علقه، و هی القطعة من الدم جامدة. ثم أحال العلقة مضغة، و هی شبه قطعة من اللحم مضوغة. و المضغة مقدار ما يمضغ من اللحم.

و قوله «مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ» قال قتادة: تامة الخلق، و غير تامة. و قيل: مصورة و غير مصورة. و هی السقط- فی قول مجاهد-. التبيان فی تفسير القرآن، ج7، ص: 292

و قوله «لِنُبَيِّنَ لَكُمْ» معناه لندلكم علی مقدورنا، بتصريفه فی ضروب الخلق و قوله «وَ نُقِرُّ فِی الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی» مستأنف، فلذلک رفع. و قال مجاهد: معناه نقره الی وقت تمامه.

و قوله «ثم نخرجكم طفلا يعنی نخرجكم» من بطون أمهاتكم، و أنتم أطفال.

و الطفل الصغير من الناس، و نصب طفلا علی المصدر، و هو فی موضع جمع. و قيل:

هو نصب علی التمييز، و هو جائز، و تقديره نخرجكم أطفالا، و قيل الطفل الی قبل مقاربة البلوغ.

و قوله «ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ» يعنی وقت كمال عقولكم و تمام خلقكم. و قيل:

وقت الاحتلام و البلوغ، و هو جمع (شد). و الأشد فی غير هذا الموضع قد بينا اختلاف المفسرين فيه «1». و قوله «وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّی» يعنی قبل بلوغ الأشد.

و قيل: قبل أن يبلغ أرذل العمر «وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ» و قيل معناه.
أهونه و اخسه عند أهله. و قيل: أحقره. و قيل هى حال الخرف. و انما قيل: أرذل العمر، لان الإنسان لا يرجو بعده صحة و قوة، و انما يترقب الموت و الفناء، بخلاف حال الطفولية، و الضعف الذى يرجو معها الكمال و التمام و القوة، فلذلک كان أرذل العمر.
و قوله «لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً» معناه إنا رددناه الى أرذل العمر لكى لا يعلم، لأنه يزول عقله من بعد أن كان عاقلا عالماً بكثرة من الأشياء و ينسى جميع ذلک.
و قوله «وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً» اى دارسة داثرة يابسة، يقال: همد يهمد هموداً إذا درسته و دثرته. قال الأعشى:

---

(1) انظر 4/ 343 و 6/ 117، 476 [.....]

قالت فتيلة ما لجسمک شاحباً و أرى ثيابک باليات همدا «1»
و قوله تعالى «فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ» يعنى الغيث و المطر «اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ» فالاهتزاز شدة الحركة فى الجهات. و الربو الزيارة فيها اى تزيد بما يخرج منها من النبات، و تهتز بما يذهب فى الجهات «وَ أَنْبَتَتْ» يعنى الأرض «مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ» فالبهيج الحسن الصورة، الذى يمتع فى الرؤية. و قال الزجاج (ربتً) و (رَبأت) لغتان. و قال الفراء: ان ذهب ابو جعفر فى قراءته (ربأت) الى انه من الربئة التى تجربين الناس، فهو مذهب. و إلا فهو غلط، و يغلط العرب كقولهم:
حلأت السويق، و لبأت بالحج، و رثأت الميت. و قد قرأ الحسن البصرى فى يونس «وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ» و هو مما يرخص فى القراءة.

ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتى وَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) وَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (7) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدىً وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ (8) ثانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَ نُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَذابَ الْحَرِيقِ (9) ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (10)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى ان الذى ذكرناه انما دللنا به لتعلم ان «اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» و انه

---

(1) ديوانه 54 و روايته (سايئا) بدل (شاحباً)

الواحد الذى لا يستحق العبادة سواه، و من اعتقده كذلك، فمعتقده على ما هو به، و هو محق، و الحق هو ما كان معتقده على ما أعتقده «وَ أَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتى» لأن من قدر على إنشاء الخلق ابتداء و نقله من حال الى حال على ما وصف، فانه يقدر على إعادته حياً بعد كونه ميتاً، و يعلم ايضاً انه قادر على كل ما يصح أن يكون مقدوراً له، و اصل الوصف بالحق من قولهم: حقه يحقه حقاً، و هو نقيض الباطل. و الفرق بين الحق و العدل أن العدل جعل الشىء على قدر ما تدعو اليه الحكمة، و الحق فى الأصل جعل الشىء لما هو له فى ما تدعو اليه الحكمة غير انه نقل الى معنى مستحق لصفات التعظيم، فاللّه تعالى لم يزل حقاً أى انه لم يزل مستحقاً لمعنى صفة التعظيم بأنه الا له الواحد الذى هو على كل شىء قدير.

ثم اخبر تعالى ان فى جملة الناس من يخاصم و «يُجادِلُ فِي اللَّهِ» و صفاته «بِغَيْرِ عِلْمٍ» بل للجهل المحض «وَ لا هُدىً» أى و لا حجة «وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ» أى و لا حجّة كتاب ظاهر، و هذا يدل ايضاً على ان الجدال بالعلم صواب، و بغير العلم خطأ، لأن الجدال بالعلم يدعو الى اعتقاد الحق، و بغير العلم يدعو الى الاعتقاد بالباطل، و لذلك قال تعالى «وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» «1» و قوله «ثانى عطفه» نصب على الحال يعنى الذى يجادل بغير علم يثنئ عطفه.

قال مجاهد و قتادة: يلوى عنقه كبراً. و قيل انها: نزلت فى النضر بن الحارث ابن كلدة- ذكره ابن عباس-.

و قوله «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» من فتح الياء، معناه يفعل هذا ليضل عن طريق الحق المؤدى الى توحيد اللّه. و من ضم الياء أراد انه يفعل ذلك ليضل غيره.

ثم اخبر تعالى ان من هذه صفته «لَهُ فِى الدُّنْيا خِزْىٌ» و أنه يذيقه

---

(1) سورة 16 النحل آية 125

«عَذابَ الْحَرِيقِ» يوم القيامة أي العذاب الذى يحرق بالنار. ثم قال «ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ» أي يقول اللّه تعالى عند نزول العذاب به «ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» و معناه إن ما يفعل بالظالم نفسه من عذاب الحريق جزاء على ما كسبت يداه، فذكر اليدين مبالغة فى إضافة الجرم اليه، و هذا يدل على أن ذكر اليدين قد يكون لتحقيق الاضافة.

و قوله «و إن الله» اى و لان اللّه «لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» و إنما ذكره بلفظ المبالغة، و إن كان لا يفعل القليل من الظلم لامرين:

أحدهما- انه خرج مخرج الجواب للمجبرة، ورداً عليهم، لأنهم ينسبون كل ظلم فى العالم اليه تعالى، فبين أنه لو كان، كما قالوا لكان ظلاماً و ليس بظالم.

و الثانى- أنه لو فعل أقل قليل الظلم لكان عظيماً منه، لأنه يفعله من غير حاجة اليه، فهو أعظم من كل ظلم فعله فاعله لحاجته اليه.

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ (11) يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُ وَ ما لا يَنْفَعُهُ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (12) يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلى وَ لَبِئْسَ الْعَشِيرُ (13) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ (14) مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ (15) وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ آياتٍ بَيِّناتٍ وَ أَنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يُرِيدُ (16)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 296

ست آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و أبو عمرو، و رويس، و ورش «ثم ليقطع» ثم «ليقضوا» «1»- بسكون اللام- فيهما، و وافقهم قنبل فى «ثم ليقضوا». الباقون بسكون اللام.

معنى قوله «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ» أى فى الناس من يوجه عبادته إلى اللّه على ضعف فى العبادة، كضعف القيام على حرف جرف، و ذلك من اضطرابه فى استيفاء النظر المؤدى الى المعرفة. فأدنى شبهة تعرض له ينقاد لها، و لا يعمل فى حلها. و الحرف و الطرف و الجانب نظائر. و الحرف منتهى الجسم، و منه الانحراف الانعدال الى الجانب. و قلم محرف قد عدل بقطعته عن الاستواء إلى جانب، و تحريف القول هو العدول به عن جهة الاستواء، فالحرف معتدل الى الجانب عن الوسط. و قال مجاهد: معنى على حرف على شك. و قال الحسن: يعبد اللّه على حرف يعنى المنافق يعبده بلسانه دون قلبه. و قيل على حرف الطريقة لا يدخل فيها على تمكين.

و قوله «فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ» قال ابن عباس: كان بعضهم إذا قدم المدينة فان صح جسمه و نتجت فرسه مهراً حسناً و ولدت امرأته غلاماً رضى به و اطمأن اليه، و إن اصابه وجع المدينة، و ولدت امرأته جارية، و تأخرت عنه الصدقة، قال ما أصبت منذ كنت على دينى هذا إلا شراً. و كل ذلك من عدم البصيرة. و قيل: انها نزلت فى بنى أسد كانوا نزلوا حول المدينة. و (الفتنة)- هاهنا- معناه المحنة بضيق المعيشة، و تعذر المراد من

---

(1) سورة 22 الحج آية 29

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 297

أمور الدنيا.
ثم اخبر الله تعالى أن من هذه صفته على خسران ظاهر، لأنه يخسر الجنة، و تحصل له النار. ثم اخبر عن من ذكره انه «يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُ وَ ما لا يَنْفَعُهُ» يعنى الأصنام و الأوثان، لأنها جماد لا تضر و لا تنفع، فانه يعبدها دون الله. ثم قال تعالى «ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ» يعنى عبادة ما لا يضر و لا ينفع من العدول عن الصواب، و الانحراف عن الطريقة المستقيمة الى البعيد عن الاستقامة.
و «ذلک» فى موضع نصب ب (يدعو) و معناه (الذى) كأنه قال: الذى هو الضلال البعيد يدعوه. و قوله «يدعو لمن» مستأنف على ما ذكره الزجاج. و قوله «يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ» يعنى يدعو هذه الأصنام التى ضررها أقرب من نفعها، لان الضرر بعبادتها عذاب النار، و النفع ليس فيها. و إنما جاز دخول اللام فى «لَمَنْ ضَرُّهُ» لأن (يدعو) معلقة، و إنما هى تكرير للأولى، كأنه قال: يدعو- للتأكيد- للذى ضره أقرب من نفعه يدعو. ثم حذفت (يدعو) الأخيرة اجتزاء بالأولى. و لا يجوز قياساً على ذلک ضربت لزيد، و لو قلت بدلا من ذلک يضرب لمن خيره اكثر من شره يضرب، ثم حذفت الخبر جاز. و العرب تقول عندى لما غيره هو خير منه، كأنه قال للذى غيره خير منه عندى، ثم حذف الخبر من الثانى، و الابتداء من الاول، كأنه قال عندى شىء غيره خير منه و على هذا يقال:
أعطيک لما غيره خير منه، على حذف الخبر. و قيل: فى خبر (لمن ضرره) أنه (لبئس المولى). و قيل: يدعو بمعنى يقول. و الخبر محذوف. و تقديره يقول لمن ضره أقرب من نفعه: هو آلهة، قال عنترة: التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 298
يدعون عنتر و الرماح كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم «1»
اى يقولون يا عنتر، و قيل تقدير اللام التأخر، و إن كانت متقدمة. و المعنى يدعو من لضره أقرب من نفعه.
و قوله «لَبِئْسَ الْمَوْلى وَ لَبِئْسَ الْعَشِيرُ» فالمولى هو الولى، و هو الناصر الذى بولى غيره نصرته إلا أنها نصرة سوء، و العشير الصاحب المعاشر أى المخالط- فى قول ابن زيد- و قال الحسن: المولى- هاهنا- الولى. و قيل: ابن العم اى بئس القوم لبنى عمهم بما يدعونهم اليه من الضلال. و قيل: اللام لام اليمين، و التقدير يدعو و عزتى لمن ضره أقرب من نفعه.
ثم اخبر تعالى انه «يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا» باللَّه و أقروا بوحدانيته و صدقوا رسله «و عملوا» الإعمال «الصالحات» التى أمرهم بها «جنات» أى بساتين «تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ» من ذلک لا اعتراض عليه فى ذلک.
ثم قال «مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ» فالهاء فى قوله

«يَنْصُرَهُ اللّهُ» قال ابن عباس و قتادة: عائدة الى النبى (ص)، و المعنى من كان يظن أن الله لا ينصر نبيه و لا يعينه على عدوه، و يظهر دينه فليمت غيظاً. و النصرة المعونة- فى قوله قتادة- و قال مجاهد و الضحاك: أن الكناية عائدة الى (من) و المعنى إن من ظن أن لا ينصره اللَّه. و قال ابن عباس: النصرة- هاهنا- الرزق. و المعنى من ظن ان اللَّه تعالى لا يرزقه، و العرب تقول: من ينصرنى نصره اللَّه أى من يعطينى أعطاه اللَّه. و قال الفقعسى:

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 29 من معلقته

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 299

و إنک لا تعط امرءاً فوق حظه و لا تملک الشق الذى الغيث ناصره «1»

اى معطيه و جائده، و يقال نصر اللَّه أرض فلان أى جاد عليها بالمطر و قوله «فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ» قيل فى معنى (السماء) قولان:

أحدهما- قال ابن عباس: أراد سقف البيت. و السبب الحبل. و قال ابن زيد: الى السماء سماء الدنيا و السبب المراد به الوحى الى النبى (ص) «ثُمَّ لْيَقْطَعْ» الوحى عن النبى (ص) و المعنى من ظن أنه لا يرزقه اللَّه على وجه السخط لما اعطى «فَلْيَمْدُدْ» بحبل الى سماء بيته واضعاً له فى حلقه، على طريق كيد نفسه ليذهب غيظه به. و هذا مثل ضربه الله لهذا الجاهل. و المعنى مثله مثل من فعل بنفسه هذا، فما كان إلا زائدا فى بلائه. و قيل: هذا مثل رجل وعدته وعداً، و وكدت على نفسک الوعد، و هو يراجعک. لا يثق بقولک له. فتقول له: فاهب فاختنق، يعنى اجهد جهدک فلا ينفعک، و هذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين نفروا من اتباع النبى (ص) خيفة من المشركين يخشون أن لا يتم له أمره.

و قرأ ابن مسعود «يدعو من ضره أقرب من نفعه» بلا لام. الباقون بإثبات اللام. و وجهه أن (من) كلمة لا يبين فيها الاعراب فاستجازوا الاعتراض باللام دون الاسم الذى يبين فيه الاعراب، و لذلک قالت العرب: عندى لما غيره خير منه. و قد يجوز أن يكون (يدعو) الثانية من صلة الضلال البعيد، و يضمر فى يدعو الهاء. ثم يستأنف الكلام باللام. و لو قرئ بكسر اللام كان قوياً. قال الفراء:

كأن يكون المعنى يدعو الى ما ضره أقرب من نفعه، كما قال تعالى «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدانا لِهذا» «2» أى الى هذا إلا انه لم يقرأ به احد.

---

(1) تفسير القرطبى 12/ 22 و الطبرى 17/ 87

(2) سورة 7 الاعراف آية 42

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 300

و قوله «وَ كَذلِکَ أَنْزَلْناهُ» اى مثل ما ذكرنا من الادلة الواضحة أنزلناه

«آیات» واضحات، لان «اللّهَ یَهْدِی مَنْ یُرِیدُ» منه فعل الطاعات و یدله علیها.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصَّابِئِينَ وَ النَّصارى وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ وَ مَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ (18) هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ (19) يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ (20) وَ لَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (21)
كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ (22)
ست آيات.
اقسم الله تعالى لأن (إن) يتلقى بها القسم، فأقسم تعالى «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» بالله و صدقوا بوحدانيته و صدقوا أنبياءه «وَ الَّذِينَ هادُوا» يعنى اليهود «وَ الصَّابِئِينَ وَ النَّصارى وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» مع الله غيره «إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 301
فخبر «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» قوله «إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ» فدخل (إن) على الخبر تأكيداً، كما يقول القائل: إن زيداً إن الخير عنده لكثير. و قال جرير:
إنّ الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم «1»
و قال الفرا لا يجوز أن تقول: إن زيداً انه صائم لاتفاق الا سمين. قال الزجاج: يجوز ذلک، و هو جيد بالغ. و معنى قوله «يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ» يعنى إن اللّه يفصل بين الخصوم فى الدين يوم القيامة بما يضطر الى العلم بصحة الصحيح و يبيض وجه المحق، و يسود وجه المبطل. و الفصل هو التمييز بين الحق و الباطل، و إظهار أحدهما من الآخر.
و قوله «إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» أى عالم بما من شأنه أن يشاهد، فاللّه تعالى يعلمه قبل أن يكون، لأنه علام الغيوب. ثم خاطب نبيه (ص) و المراد به جميع المكلفين فقال «أَ لَمْ تَرَ» و معناه ألم تعلم «أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ» من العقلاء. و يسجد له «الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ» فسجود الجماد هو ما فيه من ذلة الخضوع التى تدعو العارفين الى السجود، سجود العبادة للّه المالک للأمور، و سجود العقلاء هو الخضوع له تعالى و العبادة له. و قوله «مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ» و إن كان ظاهره العموم، فالمراد به الخصوص إذا حملنا السجود على العبادة و الخضوع، لأنا علمنا أن كثيراً من الخلق كافرون بالله تعالى، فلذلک قال (وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ) ارتفع (كثير) بفعل

مقدر، كأنه قال (و كثير) أبى السجود، ف (حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ) دل عليه، لأنهم يستحقون العقاب بجحدهم وحدانية الله، و إشراكهم معه غيره. و قيل: سجود كل شىء- سوى

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 431 و روايته: (يكفى الخليفة)

المؤمنين- سجود ظله حين تطلع الشمس و حين تغيب- فى قول مجاهد- كأنه يجعل ذلک لما فيه من العبرة بتصريف الشمس فى دورها عليه سجوداً.

و قوله (وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ) يعنى لآبائه السجود. و قيل: بل هو يسجد بما يقتضيه عقله من الخضوع، و إن كفر بغير ذلک من الأمور، و أنشدنا فى السجود بمعنى الخضوع قول الشاعر:

بجمع تضل البلق فى حجراته ترى الا كم فيها سجداً للحوافر «1»

و قوله (وَ مَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ) معناه من يهنه الله بالشقوة بإدخاله جهنم (فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ) بالسعادة بإدخاله الجنة، لأنه الذى يملک العقوبة و المثوبة (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ) يعنى يكرم من يشاء، و يهين من يشاء إذا استحق ذلک.

و قوله (هذانِ خَصْمانِ) يعنى الفريقين من المؤمنين و الكفار يوم بدر، و هم حمزة بن عبد المطلب قتل عتبة بن أبى ربيعة، و على بن أبى طالب (ع) قتل الوليد بن عتبة، و عبيدة بن الحارث قتل شيبة بن ربيعة- فى قول أبى ذر- و قال ابن عباس:

هم اهل الكتاب، و أهل القرآن. و قال الحسن و مجاهد و عطاء: هم المؤمنون و الكافرون «اخْتَصَمُوا فِى رَبِّهِمْ» لان المؤمنين قالوا بتوحيد اللّه و أنه لا يستحق العبادة سواه.

و الكفار أشركوا معه غيره، و انما جمع قوله «اختصموا» لأنه أراد ما يختصمون فيه او أراد بالخصمين القبيلتين و خصومهم. ثم قال تعالى «فَالَّذِينَ كَفَرُوا» باللّه و جحدوا وحدانيته «قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ» و معناه إن النار تحيط بهم كاحاطة الثياب التى يلبسونها. و «يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ»

روى فى خبر مرفوع: انه يصب على رؤسهم الحميم، فينفذ الى أجوافهم فيسلب ما فيها.

و الحميم الماء المغلى.

و قيل: ثياب نحاس من نار تقطع لهم، و هى أشد ما يكون حمى. و قوله

---

(1) انظر 1/ 311 تعليقة 5

«يُصْهَرُ بِهِ ما فِی بُطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ» فالصهر الاذابة. و المعنى يذاب بالحميم الذى يصب من فوق رؤسهم ما فى بطونهم من الشحوم و تساقط من حره الجلود. تقول: صهرت الالية بالنار إذا أذبتها، أصهرها صهراً قال الشاعر:
تروى لقى ألقى فى صفصف تصهره الشمس فما ينصهر «1»
يعنى ولدها، و تروى معناه أن تحمل له الماء فى حوصلتها، فتصير له راوية كالبعير الذى يحمل عليه الماء، يقال: رويت للقوم إذا حملت لهم الماء. و اللقى كل شىء ملقى من حيوان او غيره، و قال الآخر:
شک السفافيد الشواء المصطهر
و قوله تعالى «وَ لَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ» فالمقامع جمع مقمعة، و هى مدقة الرأس.
و مثله المنقفة، قمعه قمعاً إذا ردعه عن الأمر. فالزبانية بأيديهم عمد من حديد يضربون بها رؤسهم إذا أرادوا الخروج من النار من الغم الذى يلحقهم، و العذاب الذى ينالهم ردوا بتلک المقاطع فيها و أعيدوا الى حالتهم التى كانوا فيها من العقاب. و قيل: يرفعهم زفيرها حتى إذا كادوا أن يخرجوا منها ضربوا بالمقامع، حتى يهووا فيها. و قيل: لهم ذوقوا عذاب الحريق، فالذوق طلب ادراک الطعم، فهو أشد لاحساسه عند تفقده و طلب ادراک طعمه. فأهل النار يجدون ألمها وجدان الطالب لادراک الشىء، و الحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاک. و قيل: هو بمعنى محرق كأليم بمعنى مؤلم، فهؤلاء أحد الخمصين. و الآخرون هم المؤمنون الذين وصفهم فى الآية بعدها.

---

(1) تفسير القرطبى 12/ 27 و الطبرى 17/ 92 و للسان (صهر) نسبه لابن أحمر

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ (23) وَ هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَ هُدُوا إِلى صِراطِ الْحَمِيدِ (24) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ الَّذِى جَعَلْناهُ لِلنَّاسِ سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَ الْبادِ وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ (25)

ثلاث آيات.

قرأ نافع و أبو بكر «و لؤلؤاً» بالنصب. الباقون بالجر.

لما حكى اللّه تعالى أمر الخصمين اللذين يختصمان، من الكفار، و المؤمنين. ثم بين ما للكفار من عذاب النار، و إصهار ما فى بطونهم، و المقامع من الحديد، و غير ذلک، بين ما للمؤمنين، و هم الفريق الآخر فى هذه الآية، فقال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا» باللّه و أقروا بوحدانيته، و صدقوا رسله «و عملوا» الاعمال «الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها» أى يلبسون الحلى «مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ» و الأساور جمع أسوار، و فيه ثلاث لغات أسوار- بالألف- و سوار و سوار. فمن جعله أسوار، جمعه على أساورة. و من جعله سوراً، و جمعه أسورة. و فى قراءة عبد اللّه «أساوير» واحدها إسوار أيضاً، و سوار و أساور، مثل كراع و أكارع، و جمع الاسورة سوراً «و لؤلؤاً» فمن جره عطفه على «من ذهب» و تقديره:

يحلون أساور من ذهب و لؤلؤ، و من نصبه عطفه على الموضع، لأن (من) و

فى موضع نصب، فعطف «و لؤلؤاً» على الموضع، و تقديره: و يحلون لؤلواً. و قد روى عن عاصم هم الاولى و تليين الثانية. و روى ضده، و هو تليين الأولى و همز الثانية. الباقون يهمزونهما. و كل ذلک جائز فى العربية. و اللؤلؤ الكبار، و المرجان الصغار. و يجوز أن يكون اللؤلؤ مرصعاً فى الذهب، فلذلک قال: يحلون لؤلؤاً و قوى القراءة بالنصب أنه فى المصاحف مكتوباً بالألف، قال ابو عمرو: كتب كذلک، كما كتبوا كفروا بالألف.

ثم اخبر ان لباسهم فى الجنة حرير، فحرم اللّه على الرجال لبس الحرير فى الدنيا و شوقهم اليه فى الآخرة. ثم قال «و هدوا» يعنى أهل الجنة الى الصواب من القول.

قال الجبائى: هدوا الى البشارات من عند اللّه بالنعيم الدائم. و قيل: معناه الى القرآن.

و قيل: الى الايمان. و قال الكلبى: الى قول: لا إله إلا اللّه. و قال قوم: هو القول الذى لا فحش فيه، و لا صخب «وَ هُدُوا إِلى صِراطِ الْحَمِيدِ» قيل: الى الإسلام.

و قيل: الى الجنة. فالحميد هو الله المستحق الحمد. و قيل: المستحمد الى عباده بنعمه- فى قول الحسن- أى الطالب منهم أن يحمدوه. و
روى عن النبى (ص) أنه قال ما احد أحب اليه الحمد من الله- عز و جل-.
ثم قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بوحدانيته و اختصاصه بالعبادة.
(و يصدون) أى و يمنعون غيرهم (عن) اتباع (سبيل الله) بالقهر و الإغواء (وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ) أى و يمنعونهم عن المسجد الحرام أن يجيئوا اليه حجاجاً و عماراً (الذى) جعله الله تعالى (للناس) كافة قبلة لصلاتهم و منسكاً لحجهم، و المراد بالمسجد الحرام المسجد بقبة. و قيل الحرم كله «سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَ الْبادِ» قال ابن عباس و قتادة: العاكف المقيم فيه، و الباد الطارئ. و
نصب (سواء) حفص عن التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 306
عاصم على انه مفعول ثان من قوله (جَعَلْناهُ لِلنَّاسِ سَواءً) أى مساوياً، كما قال (إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا). «1» و يرتفع (العاكف) فى هذه القراءة بفعله أى يستوى العاكف و البادى. و من رفع (سواء) جعله ابتداءً و خبراً، كما تقول: مررت برجل سواء عنده الخير و الشر، و تقديره العاكف و البادى سواء فيه بالنزول فيه. و قال مجاهد:
معناه إنهم سواء فى حرمته و حق اللّه عليهما فيه. و استدل بذلک قوم على أن أجرة المنازل فى أيام الموسم محرمة، و قال غيرهم: هذا ليس بصحيح، لان المراد به سواء العاكف فيه و الباد، فى ما يلزمه من فرائض اللّه تعالى فيه، فليس لهم أن يمنعوه من الدور، و المنازل، فهى لملاكها. و هو قول الحسن. و انما عطف بالمستقبل على الماضى من قوله (كَفَرُوا، وَ يَصُدُّونَ) لان المعنى و من شأنهم الصد، و نظيره (الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) «2» و يجوز فى (سواء) الرفع و النصب و الجر، فالنصب على أن يكون المفعول الثانى ل (جعلناه) على ما بيناه، و الرفع على تقدير: هم سواء فيه. و الجر على البدل من قوله (للناس سواء).
و قوله (وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ) معناه من أرادته فيه بإلحاد كما قال الشاعر:
أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل «3»
ذكره الزجاج. و الباء فى قوله (بإلحاد) مؤكدة. و الباء فى قوله (بظلم) للتعدية، و مثله قول الشاعر:
بواد يمان ينبت الشث صدره و أسفله بالمرخ و الشبهان «4»

---

(1) سورة 43 الزخرف آية 3
(2) سورة 13 الرعد آية 30
(3) مر هذا البيت فى 3/ 174 و 4/ 184
(4) تفسير القرطبى 12/ 36 و الطبرى 17/ 94 و اللسان (شث) و روايته (فرعه) بدل (صدره)

و المعنى ينبت المرخ. و مثله قوله (تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ) «1».
أى تنبت الدهن. و قال الأعشى:
ضمنت يرزق عيالنا أرماحنا نيل المراجل و الصريح الأجردا «2»
و قال امرؤ القيس:
ألا هل أتاها و الحوادث جمة بأن امرأ القيس بن تملک بيقرا «3»
و قال الآخر:
فلما جزت بالشرب هزّ لها العصا شجيح له عند الازاء نهيم «4»
و قال الآخر:
ألم يأتيک و الأبناء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد «5»
و يجوز ان يكون المعنى، و من يرد فيه منعاً (بإلحادٍ) أى يميل بظلم، فتكون حينئذ معدّية للارادة، و ذلک انه يمكن أن يريد منعاً لا بإلحاد، كما يمكن أن يميل لا بظلم، و كما يمكن أن يمر لا بشىء. و قال ابن عباس: المعنى فيه من يرد استحلال ما حرم اللَّه. و (الإلحاد) هو الميل عن الحق.
و قوله «نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ» يعنى مؤلم. و حكى الفراء: انه قرئ «و من يرد» بفتح الياء- من الورود، و معناه من ورده ظلماً على غير ما أمر اللَّه به، إلا انه شاذ. و قال مجاهد: معناه من ظلم فيه و عمل شيناً و أشرک باللَّه غيره. و قال ابن

---

(1) سورة 23 المؤمنون آية 20 [.....]
(2) ديوانه 57 و روايته:
ضمنت لنا أعجازهن قدورنا و ضروعهن لنا الصريح الأجردا
(3) شرح ديوانه (للسندوبى) 86
(4) تفسير الطبرى 17/ 95
(5) مر تخريجه فى 6/ 190

مسعود: من استحل ما حرمه اللَّه. و قال ابن عباس: هو استحلال الحرم متعمداً.
و قال حسان بن ثابت: هو احتكار الطعام بمكة.
و قيل نزلت فى أبى سفيان و أصحابه، حين صدوا رسول اللَّه (ص) عن عمرة الحديبية.

وَ إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْقائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَ أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَ عَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَ لْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29) ذلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ أُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعامُ إِلاَّ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (30)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى لنبيه (ص) و اذكر يا محمد «إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ» و معناه جعلنا له علامة يرجع اليها. و قال قوم: معنى بوأنا وطّأنا له. و قال السدى: كانت العلامة ريحاً هبت، فكشف حول البيت، يقال لها الحجوج. و قال قوم: كانت: التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 309

سحابة تطوقت حيال الكعبة، فبنى على ظلها. و اصل بوأنا من قوله «باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» أى رجعوا بغضب منه. و منه قول الحارث بن عباد (بؤ بشسع كليب) أى ارجع، قال الشاعر:

فان تكن القتلى بواء فإنكم فتى ما قتلتم آل عوف ابن عامر «1»

اى قد رجع بعضها ببعض فى تكافئ. و تقول: بوأته منزلا أى جعلت له منزلا يرجع اليه، و المكان و الموضع و المستقر نظائر. و البيت مكان مهيأ بالبناء للبيتوتة، فهذا أصله. و جعل البيت الحرام على هذه الصورة. و قوله «أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً» معناه و أمرناه ألا تشرك بى شيئاً فى العبادة (و طهر بيتى) قال قتادة:

يعنى من عبادة الأوثان. و قيل: من الأدناس. و قيل من الدماء، و الفرث، و الاقذار التى كانت ترمى حول البيت. و يلطخون به البيت إذا ذبحوا.

و قوله (للطائفين) يعنى حول البيت (وَ الْقائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ) يعنى طهر حول البيت للذين يقومون هناك للصلاة و الركوع و السجود. و قال عطاء:

و القائمين فى الصلاة. و إذا قال: طاف، فهو من الطائفين، و إذا قعد، فهو من العكف، و إذا صلى، فهو من الركع السجود.

و فى الآية دلالة على جواز الصلاة فى الكعبة.

و قوله (وَ أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) قال الحسن: و الجبائى: هو أمر للنبى (ص) أن يؤذن للناس بالحج و يأمرهم به، و انه فعل ذلك فى حجة الوداع. و قال ابن عباس: ان إبراهيم قام فى المقام، فنادى (يا أيها الناس إن الله قد

دعاكم الى الحج) فأجابوا (بلبيک اللهم لبيک).
و قوله (يَأْتُوکَ رِجالًا) أى مشاة على أرجلهم، فرجال جمع راجل مثل

---

(1) انظر 6/ 158
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 310
صاحب و صحاب، و قائم و قيام (و على كل ضامر) أى على كل جمل ضامر. و هو المهزول، أضمره السير (مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) أى طريق بعيد، قال الراجز:
يقطعن بعد النازح العميق
و إنما قال (يأتين) لأنه فى معنى الجمع. و قيل: لأن المعنى و على كل ناقة ضامر. و قوله (لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ) قيل الأجر و الثواب فى الآخرة، و التجارة فى الدنيا. و
قال أبو جعفر (ع): المغفرة.
و قوله (وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ) قال الحسن و قتادة: الأيام المعلومات عشر من ذى الحجة، و الأيام المعدودات أيام التشريق. و
قال ابو جعفر (ع) الأيام المعلومات أيام التشريق، و المعدودات العشر، لأن الذكر الذى هو التكبير فى أيام التشريق.
و انما قيل لهذه الأيام:
معدودات، لقلتها. و قيل لتلک: معلومات، للحرص على علمها بحسابها، من أجل وقت الحج فى آخرها.
و قوله (عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ) يعنى مما يذبح من الهدى. و قال ابن عمر: الأيام المعلومات أيام التشريق. لأن الذبح فيها الذى قال الله تعالى (وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ). و قوله (فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِيرَ) قال مجاهد و عطاء: أمرنا بأن نأكل من الهدى و ليس بواجب. و هو الصحيح، غير انه مندوب اليه. و البائس الذى به ضر الجوع، و الفقير الذى لا شىء له، يقال: بؤس فهو بائس إذا صار ذا بؤس، و هو الشدة. أمر اللَّه تعالى أن يعطى هؤلاء من الهدى.
و قوله «ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» فالتفث مناسک الحج، من الوقوف، و الطواف، و السعى، و رمى الجمار، و الحلق بعد الإحرام من الميقات. و قال ابن عباس
و ابن التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 311
عمر: التفث جمع المناسک. و قيل التفث قشف «1» الإحرام، و قضاؤه بحلق الرأس و الاغتسال، و نحوه. قال الازهرى: لا يعرف التفث فى لغة العرب إلا من قول ابن عباس.
و قوله «وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ» أى يوفوا بما نذروا، من نحر البدن- فى قول ابن عباس- و قال مجاهد: كل ما نذر فى الحج. و قرأ ابو بكر عن عاصم «وَ

لْيُوفُوا» مشدة الفاء، ذهب إلى انه التكبير. و قوله «وَ لْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» أمر من اللَّه تعالى بالطواف بالبيت. قال ابن زيد: سمى البيت عتيقاً، لأنه أعتق من ان تملكه الجبابرة عن آدم. و قيل: لأنه أول بيت بنى، كقوله تعالى «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبارَكاً» «2» ثم حدده إبراهيم (ع). و قيل:
لأنه أعتق من الغرق أيام الطوفان، فغرقت الأرض كلها إلا موضع البيت، روى عن أبى جعفر (ع).
و الطواف المأمور به من اللَّه فى هذه الآية، قال قوم: هو طواف الافاضة بعد التعريف إما يوم النحر، و إما بعده، و هو طواف الزيارة. و هو ركن بلا خلاف. و روى أصحابنا ان المراد- هاهنا- طواف النساء الذى يستباح به وطؤ النساء، و هو زيادة على طواف الزيارة.
و قوله «ذلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللَّهِ» بأن يترك ما حرمه اللَّه. و قوله «وَ أُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعامُ إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» يعنى إلا ما يتلى عليكم فى كتاب اللَّه: من الميتة، و الدم، و لحم الخنزير، و الموقوذة، و المتردية، و النطيحة، و ما أكل السبع، و ما ذبح على النصب. و قيل: و أحلت لكم الانعام، من الإبل، و البقر، و الغنم، فى حال إحرامكم «إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ» من الصيد، فانه يحرم على المحرم.
و قوله «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ» معنى (من) لتبيين الصفة، و التقدير

---

(1) و فى المخطوطة فشق
(2) سورة 3 آل عمران آية 96

فاجتنبوا الرجس الذى هو الأوثان. و روى أصحابنا أن المراد به اللعب بالشطرنج، و النرد، و سائر انواع القمار «وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ» يعنى الكذب. و روى أصحابنا أنه يدخل فيه الغناء و سائر الأقوال الملهية بغير حق.

حُنَفاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ (31) ذلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (32) لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّها إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (33) وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَ بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ الصَّابِرِينَ عَلى ما أَصابَهُمْ وَ الْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (35)

خمس آيات بلا خلاف.

قوله «حنفاء» نصب على الحال من الضمير فى قوله «وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ» و معنى «حنفاء» مستقيمى الطريقة، على أمر اللَّه. و أصل الحنف الاستقامة. و قيل للمائل القدم: أحنف تفاؤلا بالاستقامة. و قيل: أصله الميل. و الحنيف المائل الى العمل بما أمر اللَّه، و الأول أقوى، لأنه أشرف فى معنى الصفة. و قوله «غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ» أى غير مشركين بعبادة اللَّه غيره. و الاشراك تضييع حق عبادة اللَّه بعبادة غيره. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 313

أو ما يعظم عظم عبادة غيره، و كل مشرك كافر، و كل كافر مشرك. ثم قال تعالى «وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ» أى من أشرك بعبادة اللَّه غير اللَّه، كان بمنزلة من وقع من السماء، «فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ» أى تتناوله بسرعة و تستلبه. و الاختطاف و الاستلاب واحد. يقال: خطفه يخطفه خطفاً، و تخطفه تخطفاً إذا أخذه من كل جهة بسرعة. و قرا ابن عامر «فتخطفه» بتشديد الطاء، بمعنى فتختطفه، فنقل فتحة الطاء الى الخاء، و أدغم التاء فى الطاء. الباقون بالتخفيف، و هو الأقوى لقوله «إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ»».

و قوله (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ) و السحيق البعيد. و المعنى أن من أشرك باللَّه غيره كان هالكاً بمنزلة من زل من السماء، و استلبه الطير و رمى به الريح فى مكان بعيد، فانه لا يكون إلا هالكاً. و قيل: شبه المشرك بحال الهاوى فى أنه لا يملك لنفسه نفعاً و لا ضراً يوم القيامة. و قيل: شبه أعمال الكفار أنها تذهب فلا يقدر على شىء منها- فى قول الحسن- و قوله «ذلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» قال سيبويه: تقديره ذلك الأمر. من يعظم، فالشعائر علامات مناسك الحج كلها، منها رمى الجمار، و السعى بين الصفا و المروة و غير ذلك- فى قول ابن زيد- و قال مجاهد: هى البدن، و تعظيمها استسمانها و استحسانها. و الشعيرة العلامة التى تشعر بها، لما جعلت له، و أشعرت البدن إذا علمتها بما يشعر أنها هدى.

و قوله «فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» فالكناية فى قوله «فإنها» تعود الى التعظيم.
و يجوز أن تعود الى الخصلة من التعظيم. و قيل: شعائر اللَّه دين اللَّه. و قوله «فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» معناه إن تعظيم الشعائر من تقوى القلوب أى من خشيتها.

---

(1) سورة 37 الصافات آية 10
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 314
ثم قال «لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى» قال ابن عباس، و مجاهد: ذلک ما لم يسم هدياً او بدناً. و قال عطاء: ما لم يقلد، و قيل:
منافعها ركوب ظهرها و شرب ألبانها إذا احتاج اليها. و هو المروى عن أبى جعفر (ع).
و قوله «إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى» قال عطاء بن أبى رياح: الى أن تنحر. و قيل: المنافع التجارة. و قيل:
الأجر، و قيل: جميع ذلک. و هو أعم فائدة.
و قوله (ثُمَّ مَحِلُّها إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) معناه إن محل الهدى و البدن الى الكعبة.
و عند أصحابنا: إن كان الهدى فى الحج، فمحله منى، و إن كان فى العمرة المفردة، فمحله مكة قبالة الكعبة بالخرورة. و قيل: الحرم كله محل لها، و الظاهر يقتضى أن المحل البيت العتيق، و هو الكعبة. و قال قوم «إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى» يعنى يوم القيامة.
ثم اخبر تعالى انه جعل لكل أمة من الأمم السالفة منسكاً. و قرأ حمزة و الكسائى «منسكا» بكسر السين. الباقون بالفتح، و هما لغتان، و هو المكان للعبادة المألوفة الذى يقصده الناس. و قال الحسن: المنسک المنهاج و هو الشريعة جعل اللَّه لكل أمة من الأمم السالفة منسكا أى شريعة، كقوله «لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ» «1» و قال مجاهد «منسكا» يعنى عبادة فى الذبح، و النسكة الذبيحة. يقال: نسكت الشاة أى ذبحتها فكأنه المذبح، و هو الموضع الذى يذبح فيه. و قال محمد بن أبى موسى:
محل المناسک الطواف بالبيت.
و قوله «لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ» أى جعلنا ذلک للأمم و تعبدناهم به «لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ» يعنى من الإبل و البقر و الغنم إذا أرادوا تذكيتها. و فى ذلک دلالة على وجوب التسمية عند الذبيحة.

---

(1) سورة 22 الحج آية 67
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 315

ثم اخبر تعالى فقال «فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ» أى معبودكم الذى ينبغى أن توجهوا العبادة اليه واحد لا شريک له «فَلَهُ أَسْلِمُوا» أى استسلموا «وَ بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ» قال قتادة: يعنى المتواضعين. و قال مجاهد: يعنى المطمئنين الى ذكر ربهم.
و اشتقاق المخبت من الخبت، و هو المكان المطمئن. و قيل: المنخفض، و معناهما واحد. ثم وصف تعالى المخبتين، فقال «الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» و المعنى إذا ذكر ثواب الله، على طاعاته، و عقابه على معاصيه، خافوا عقابه و خشوا من ترک طاعاته «وَ الصَّابِرِينَ عَلى ما أَصابَهُمْ» يعنى يصبرون على ما يبتليهم الله، من بلائه فى دار الدنيا من أنواع المصائب و الأمراض و الأوجاع «وَ الْمُقِيمِى الصَّلاةِ» يعنى الذين يقيمون الصلاة، فيؤدونها بحقوقها، و يداومون عليها. «وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ» أى مما ملكهم الله و جعل لهم التصرف فيه ينفقون فى مرضاته.
و فى ذلک دلالة على أن الحرام ليس برزق الله، لان الله مدح من ينفق فى سبيل الله مما رزقه، و الحرام ممنوع من التصرف فيه، و الإنفاق منه فكيف يكون رزقاً.

وَ الْبُدْنَ جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيها خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْها صَوافَّ فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْقانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ كَذلِكَ سَخَّرْناها لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (36) لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها وَ لكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ كَذلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ وَ بَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (37) إِنَّ اللَّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَواتٌ وَ مَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 316

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ يعقوب «لن تنال الله لحومها و لكن تناله» بالتاء فيهما. الباقون بالياء فيهما. و قد مضى ذكر نظائره. و قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى «أذن» بفتح الالف «يقاتلون» بكسر التاء. و قرأ نافع و حفص «أذن» بضم الألف «يقاتلون» بفتح التاء. و قرأ ابو عمرو، و ابو بكر عن عاصم «أذن» بضم الالف «يقاتلون» بكسر التاء. و قرأ ابن عامر «أذن» بفتح الألف «يقاتلون» بفتح التاء. و قرأ ابن كثير و أبو عمرو «إن الله يدفع، و لولا دفع الله» بغير ألف فى الموضعين الباقون «يدافع»، «و لولا دفاع الله» بإثبات الألف فى الموضعين. و قرأ أهل الكوفة و ابن كثير و ابو جعفر «لهدمت» بتخفيف الدال. الباقون بتشديدها، و هما لغتان. و التشديد للتكثير.

قال الحسن: هدمها تعطيلها، فإذا هدمت مواضع الصلاة فكأنهم هدموا الصلاة. و قيل: إن الصلوات بيوت النصارى، يسمونها صلوتاً، و قال أبو العالية التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 317

الصلوات بيوت الصابئين و انشد:

اتق الله و الصلوات فدعها إن فى الصوم و الصلوات فساداً «1»

يريد بيت النصارى و معنى الصوم- فى البيت- ذرق النعام.

«و دفع الله، و دفاع الله» [لغتان و الأغلب أن يكون (فعال) بين اثنين.

و قد يكون للواحد مثل عافاه الله و طارقت النعل] «2» و قال ابن عمر: دفاع الله، و يدافع: لحن. و من فتح الالف فى (اذن) و كسر التاء فى (يقاتلون) فالمعنى أذن الله للذين يقاتلون أن يقاتلوا من ظلمهم، و كذلك المعنى فى قراءة الباقين.

و معنى (بأنهم ظلموا) أى من أجل انهم ظلموا.

يقول الله تعالى (وَ الْبُدْنَ جَعَلْناها) فنصب البدن بفعل مضمر يدل عليه

(جعلناها) و مثله «وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ» «3» فيمن نصب القمر و البدن جمع بدنة، و هى الإبل المبدنة بالسمن. قال الزجاج: يقولون: بدنت الناقة إذا سمنتها. و يقال لها بدنة من هذه الجهة. و قيل: أصل البدن الضخم، و كل ضخم بدن. و بدن بدناً إذا ضخم، و بدن تبديناً، فهو بدن، ثقل لحمه للاسترخاء كما يثقل الضخم. و البدنة الناقة، و تجمع على بدن و بدن. و تقع على الواحد و الجمع قال الراجز:

على حين تملك الأمورا صوم شهور وجبت نذورا
و حلق رأسى وافياً مغضورا و بدناً مدرعاً موفورا «4»

قال عطاء: البدن البقرة و البعير. و قيل: البدنة إذ انحرت علقت يد واحدة، فكانت على ثلاث، و كذلك تنحر، و عند أصحابنا تشد يداها الى إبطيها، و تطلق رجلاها. و البقر تشد يداها و رجلاها و يطلق ذنبها، و الغنم تشد يداها و رجل واحدة

---

(1) لم أجد فى مظانه
(2) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة
(3) سورة 36 يس آية 39
(4) تفسير الطبرى 17/ 107

و تطلق الرجل الأخرى.
و قوله «جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ» معناه جعلناها لكم فيها عبادة للَّه بما فى سوقها الى البيت و تقليدها بما ينبئ أنها هدى. ثم نحرها للأكل منها و اطعام القانع و المعتر.
و قيل «مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ» معناه من معالم اللَّه «لَكُمْ فِيها خَيْرٌ» أى منافع فى دينكم و دنياكم، مثل ما فسرناه.
و قوله «فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْها صَوافَّ» أمر من الله أن يذكر اسم الله عليها إذا أقيمت للنحر، صافة. و صواف جمع صافة، و هى المستمرة فى وقوفها على منهاج واحد، فالصف استمرار جسم يلى جسماً على منهاج واحد. و التسمية إنما تجب عند نحرها دون حال قيامها.
و قوله «فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها» معناه وقعت لنحرها، و الوجوب الوقوع، و منه يقال: وجبت الشمس إذا وقعت فى المغيب للغروب. و وجب الحائط إذا وقع، و وجب القلب إذا وقع فيه ما يضطرب به. و وجب الفعل إذا وقع ما يلزم به فعله.
و وجبت المطالبة إذا وقع ما يدعو الى قبولها. و وجب البيع إذا وقع. و قال أوس ابن حجر:

ألم تكسف الشمس و البدر و الكواكب للجبل الواجب «1»

أى الواقع، و قرئ «صواف» على ثلاثة أوجه: صواف بمعنى مصطفة، و

عليه القراء «و صوافى» بمعنى خالصة لله و هى قراءة الحسن «و صوافن» بمعنى معلقة فى قيامها، بأزمتها. و هى قراءة ابن مسعود، و هو مشتق من صفن الحصان إذا ثنى احدى يديه حتى قام على ثلاثة، و منه قوله «الصَّافِناتُ الْجِيادُ» «2»

---

(1) ديوانه (دار بيروت): 10 و تفسير القرطبى 12/ 62 [.....]
(2) سورة 38 ص آية 31

قال الشاعر:
الف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا «1»
و الصافن من الخيل الذى يقوم على ثلاث، و يثنى سنبك الرابعة.
و قوله «فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْقانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ» فقال قوم: الاكل و الإطعام واجبان. و قال آخرون: الاكل مندوب و الإطعام واجب. و قال قوم: لو أكل جميعه جاز، و عندنا يطعم ثلثه، و يعطى ثلثه القانع و المعتر، و يهدى الثلث الباقى. و القانع الذى يقنع بما أعطى أو بما عنده و لا يسأل، و المعتر الذى يتعرض لک ان تطعمه من اللحم.
و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: المعتر الذى يسأل، و القانع الذى لا يسأل، و قال الحسن و سعيد بن جبير: القانع الذى يسأل قال الشماخ:
لمال المرء يصلحه فيغنى مفاقره أعف من القنوع «2»
أى من السؤال. و قال الحسن: المعتر يتعرض، و لا يسأل. و قال مجاهد: القانع جارک الغنى، و المعتر الذى يعتريک من الناس. و يقال: قنع الرجل الى فلان قنوعاً إذا سأل قال لبيد:
و أعطانى المولى على حين فقره إذا قال الصبر حلتى و قنوعى «3»
و قنعت بكسر النون اقنع قناعة و قناعاً إذا اكتفيت.
و قوله «كَذلِکَ سَخَّرْناها لَكُمْ» أى مثل ذلک ذللنا هذه الأنعام لكم تصرفونها على حسب اختياركم، بخلاف السباع الممتنعة بفضل قوتها، لكى تشكروه على نعمه

---

(1) تفسير القرطبى 12/ 62
(2) تفسير الطبرى 17/ 110 و اللسان (فقر) و تفسير القرطبى 12/ 64
(3) تفسير الطبرى 17/ 10 و روايته (اصبر) بدل (الصبر) و شرح ديوانه (طبع الكويت: 71) روايته (إذا أبصر خلتى و خشوعى)

التى أنعم بها عليكم.
ثم قال تعالى «لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها ...» و المعنى لن يتقبل اللَّه اللحوم، و لا الدماء، و لكن يتقبل التقوى فيها و فى غيرها، بأن يوجب فى مقابلتها

الثواب. و قيل:
لن يبلغ رضا اللّه لحومها، و لا دماؤها، و لكن ينالها التقوى منكم.
ثم قال «كَذلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ» يعنى الأنعام «لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ» أى لتعظموه ثم تشكروه على هدايته إياكم الى معرفته و طريق ثوابه. و قيل: معناه لتسموا اللّه تعالى على الذباحة. و قيل: لتكبروا اللّه فى حال الإحلال بما يليق به فى حال الإحرام.
ثم قال تعالى «وَ بَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ» يا محمد، الذين يفعلون الأفعال الحسنة و ينعمون على غيرهم.
ثم قال «إِنَّ اللَّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا» أى ينصرهم و يدفع عنهم عدوهم، تارة بالقهر. و أخرى بالحجة «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ» إخبار منه تعالى أنه لا يحب الخوان، و هو الذى يظهر النصيحة، و يضمر الغش للنفاق، أو لاقتطاع المال. و قيل: إن من ذكر اسم غير اللّه على الذبيحة، فهو الخوان، و الكفور هو الجحود لنعم اللّه و غمط أياديه.
ثم اخبر انه «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا» قيل: إن هذه الآية نزلت فى المهاجرين الذين أخرجهم أهل مكة من أوطانهم، فلما قووا، أمرهم اللّه بالجهاد، و بين أنه أذن لهم فى قتال من ظلمهم و أخرجهم من أوطانهم. و معنى «بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا» أى من أجل أنهم ظلموا.
ثم أخبر أنه «عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» و معناه انه سينصرهم. قال الجبائى: لا فائدة له الا هذا المعنى. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 321
و هذه الآية أول آية نزلت فى الأمر بالقتال.
ثم بين حالهم فقال «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ» بل ظلماً محضاً «إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ» و المعنى الا أن يقولوا الحق، فكأنه قال الذين أخرجوا بغير حق، الا الحق الذى هو قولهم ربنا اللّه. و قال سيبويه (إلا) بمعنى (لكن) و تقديره لكنهم يقولون: ربنا اللّه، فهو استثناء منقطع، و هو كقولك ما غضبت علىّ إلا أنى منصف، و ما تبغض فلاناً إلا أنه يقول الحق، أى جعلت ذلك ذنبه.
و قال الفراء: تقديره إلا بأن يقولوا، فتكون (أن) فى موضع الجر.
ثم قال «وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ» فى أيام شريعة موسى «و بيع» فى ايام شريعة عيسى «و مساجد» فى ايام شريعة محمد (ص)- فى قول الزجاج- و قال مجاهد: صوامع الرهبان، و بيع النصارى، و هو قول قتادة.
و عن مجاهد ايضاً ان البيع كنائس اليهود. و قال الضحاك: الصلوات كنائس اليهود يسمونها صلوتا. و قيل مواضع صلوات المسلمين مما فى منازلهم. و قيل: الصلوات أراد بها المصليات، كما قال «لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى» «1» و أراد المساجد، و الظاهر أنه أراد نفس الصلاة لا يقربها سكران. و قيلِ تقديره: و تركت صلوات- ذكره الأخفش- و قوله «يُذْكَرُ فِيهَا

اسْمُ اللّهِ كَثِيراً» يعنى فى المساجد و المواضع التى ذكرها.
ثم قال «وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ» أى من نصر أولياء اللَّه، و دفع عنهم فان اللّه ينصره، و يدفع عنه. و يجوز أن يكون المراد: من ينصر دين اللَّه و يذب عنه فان اللَّه ينصره «إِنَّ اللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ» أى قادر قاهر، لا ينال أحد منه ما لا يريده،

---

(1) سورة 4 النساء آية 42
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 322
و لا يتعذر عليه من يريد ضره. و قال الحسن: إن اللَّه يدفع عن هدم مصليات أهل الذمة بالمؤمنين. و قرأ عاصم الجحدرى «و صلوات» بالتاء- فى رواية هارون- و قال غيره: صلوات بالتاء و الصاد و اللام مضمومتان، و قال: هى مساجد للنصارى.
و قرأ الضحاک (صلوث) بثلاث نقط، و قال: هى مساجد اليهود. و هذه شواذ لا يقرأ بها، و لا يعرف لها فى اللغة اصل.

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِی الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ (41) وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عادٌ وَ ثَمُودُ (42) وَ قَوْمُ إِبْراهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ (43) وَ أَصْحابُ مَدْيَنَ وَ كُذِّبَ مُوسی فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (44) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَ هِیَ ظالِمَةٌ فَهِیَ خاوِيَةٌ عَلی عُرُوشِها وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ (45)

خمس آيات فی الكوفی و المدنيين. و فی الباقی أربع آيات.

قرأ ابو عمرو وحده «أهلكتها» بالتاء. لقوله فی الآية التی فيما بعد (فأمليت).

الباقون (أهلكناها) بالنون.

يقول اللّه تعالى (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِی الْأَرْضِ) ف (الذين) صفة من تقدم ذكره من المهاجرين فی سبيل اللّه، و موضعه النصب، و تقديره (لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ... الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ) و معناه أعطيناهم كل ما لا يصح الفعل إلا معه، لان التبيان فی تفسير القرآن، ج7، ص: 323

التمكين إعطاء ما يصح معه الفعل، فان كان هذا الفعل لا يصح إلا بآلة، فالتمكين بإعطاء تلك الآية لمن فيه القدرة، و كذلك ان كان لا يصح الفعل إلا بعلم، و نصب دلالة، و صحة سلامة، و لطف و غير ذلک، فإعطاء جميع ذلک واجب. و إن كان الفعل يكفی- فی صحة وجوده- مجرد القدرة، فخلق القدرة هو التمكين. ثم وصفهم.

فقال: هؤلاء الذين هاجروا فی سبيل اللّه، (إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِی الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ) يعنی أدوها بحقوقها، و قيل: معناه داموا عليها (وَ آتَوُا الزَّكاةَ) أی و اعطوا ما افترض اللّه عليهم فی أموالهم من الزكوات و غيرها (وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ). و فی ذلک دلالة علی أن الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر واجب، لأن ما رغب اللّه فيه، فقد اراده، و كل ما أراده من العبد، فهو واجب إلا أن يقوم دليل علی ذلک انه نفل، لان الاحتياط يقتضی ذلک. و (المعروف) هو الحق، و سمی معروفاً لأنه تعرف صحته. و سمی المنكر منكراً، لأنه لا يمكن معرفة صحته.

و قوله «وَ لِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ» معناه تصير جميع الأملاک للّه تعالى، لبطلان كل ملک سوی ملكه. ثم قال لنبيه (ص) مسلياً له عن تكذيب قومه له و قلة قبولهم منه: «وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ» يا محمد فی ما تدعيه من النبوة «فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ» نوحا، و كذبت قوم «عاد» هوداً و قوم «ثمود» صالحاً «وَ قَوْمُ إِبْراهِيمَ» ابراهيم «وَ قَوْمُ لُوطٍ» لوطاً «وَ أَصْحابُ مَدْيَنَ» شعيباً «و كذب» اصحاب موسی «موسی» و انما قال «وَ كُذِّبَ مُوسی» و لم يقل و

قوم موسى، لأن قومه بنى إسرائيل، و كانوا آمنوا به و إنما كذبه قوم فرعون «فَأَمْلَيْتُ لِلْكافِرِينَ» اى أخرت عقابهم و حلمت عنهم «ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ» فاستاصلتهم بأنواع الهلاك «فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ» أى عذابى لهم. و انما اقتصر على ذكر أقوام بعض الأنبياء، و لم يسم أنبياءهم، لدلالة الكلام عليه.
ثم قال تعالى «فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ» معناه و كم من أهل قرية «أهلكناها» لما

استحقوا الإهلاك فى حال كونها «ظالمة» لنفسها «فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها» أى أهلكناها فى حال كونها ظالمة لنفسها حتى تهدمت الحيطان على السقوف. و قال الضحاك على عروشها سقوفها.
و قوله «وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ» معناه و كم من بئر معطلة أى لا أهل لها.
و التعطيل إبطال العمل بالشىء، و لذلك قيل الدهرى: معطل، لأنه أبطل العمل بالعلم على مقتضى الحكمة. و يقال: خوت الدار خواء، ممدود. و هى خاوية، و خوى جوف الإنسان من الطعام خوى، مقصور، و هو خاو. و قيل فى خفض «وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ» قولان:
أحدهما- بالعطف على قرية، فيكون المعنى إهلاكاً كالقرية.
و الثانى- بالعطف على العروض، فيكون المعنى ان بها البئر المعطلة و القصر المشيد. و معنى و قصر مشيد أى مجصص، و الشيد الجص- فى قول عكرمة و مجاهد- و قال قتادة: معناه رفيع، و هو المرفوع بالشيد. و قال عدى بن زيد:
شاده مرمراً و جلله كا ساً فللطير فى ذراه و كور «1»
و قال امرؤ القيس:
و تيماء لم يترک بها جذع نخلة و لا أجماً إلا مشيداً بجندل «2»
و قال آخر:
كحية الماء بين الطين و الشيد «3»

---

(1) شرح ديوان امرئ القيس (اخبار المراقبة) 360 و تفسير القرطبى 12/ 74 و الطبرى 17/ 116 و اللسان (شيد)
(2) شرح ديوانه: 157 و روايته (أطماً) بدل (أجماً)
(3) تفسير الطبرى 17/ 116 و القرطبى 12/ 74 و تمامه:
لا تحسبين و ان كنت امرءاً غمراً كحية الماء بين الطين و الشيد

و يقال شدته أشيده إذا زينته. و قال الكلبى قصر مشيد: معناه حصين.
و قيل: ان البئر و القصر معروفان باليمين. و فى تفسير أهل البيت إن معنى «وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ» أى و كم من عالم لا يرجع اليه، و لا ينتفع بعلمه، و لا يلتفت اليه. و معنى الآية:

أ فلم يسيروا فى الأرض فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم اللّه بكفرهم و أبادهم بمعصيتهم، ليروا من تلک الآثار بيوتاً خاوية، قد سقطت على عروشها، و بئر الشرب قد باد أهلها و عطل رساوها و غار معينها و قصراً مشيداً مزيناً بالجص، قد خلا من السكن، و تداعى بالخراب، فيتعظوا بذلک، و يخافوا من عقوبة اللَّه، و بأسه الذى نزل بهم.

أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47) وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَها وَ هِيَ ظالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها وَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (48) قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (49) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (50)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى «مما يعدّون» بالياء، على الخبر عن التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 326

الكفار. الباقون بالتاء، على الخطاب.

لما اخبر اللّه تعالى عن إهلاک الأمم الماضية جزاء على كفرهم و معاصيهم، نبه الذين يرتابون بذلک. فقال «أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها» إذا شاهدوا آثار ما أخبرنا به، و سمعوا صحة ما ذكرناه عمن أخبرهم بصحته من الذين عرفوا أخبار الماضين. و فيها دلالة على أن العقل هو العلم، لان معنى (يَعْقِلُونَ بِها) يعلمون بها مدلول ما يرون من العبرة. و فيها دلالة على أن القلب محل العقل و العلوم، لأنه تعالى وصفها بأنها هى التى تذهب عن إدراک الحق، فلولا أن التبين يصح أن يحصل فيها، لما وصفها بأنها تعمى، كما لا يصح أن يصف اليد و الرجل بذلک. و الهاء فى (فَإِنَّها لا تَعْمَى) هاء عماد، و هو الإضمار على شروط التفسير، و انما جاز أن يقول: و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور، للتأكيد لئلا يتوهم بالذهاب الى غير معنى القلب، لأنه قد يذهب الى ان فيه اشتراكا كقلب النخلة، فإذا قيل هكذا كان أنفى للبس بتجويز الاشتراک و اما قوله (يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) «1» فلان القول قد يكون بغير الفم. و المعنى فى الآية ان الأبصار و إن كانت عمياء، فلا تكون فى الحقيقة كذلک، إذا كان عارفاً بالحق. و انما يكون العمى عمى القلب الذى يجحد معه معرفة الله و وحدانيته.

ثم قال (و يستعجلونک) يا محمد (بالعذاب) أن ينزل عليهم، و يستبطئونه، و ان الله لا يخلف ما يوعد به (وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال ابن عباس و مجاهد و عكرمة: يوم من أيام الآخرة، يكون كألف سنة من ايام الدنيا.

و قال ابن زيد، و فى رواية اخرى عن ابن عباس: انه أراد يوماً من الأيام التى خلق الله فيها السموات و الأرض. و المعنى (وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ) من ايام العذاب، فى

(1) سورة 3 آل عمران آية 167
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 327
الثقل و الاستطالة (كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) فى الدنيا، فكيف يستعجلونک بالعذاب لولا جهلهم، و هو كقولهم: ايام الهموم طوال، و ايام السرور قصار.
قال الشاعر:
يطول اليوم لا ألقاک فيه و يوم نلتقى فيه قصير «1»
و أنشد ابو زيد:
تطاولن أيام معن بنا فيوم كشهرين إذ يستهل «2»
و قال جرير:
و يوم كابهام الحبارى لهوته «3»
و قيل «وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّکَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» فى طول الامهال للعباد لصلاح من يصلح منهم، أو من نسلهم، فكأنه ألف سنة لطوال الأناة. و قيل (وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّکَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) فى مقدار العذاب فى ذلک اليوم، أى انه لشدته و عظمه كمقدار عذاب ألف سنة من ايام الدنيا على الحقيقة. و كذلک نعيم الجنة، لأنه يكون فى مقدار يوم السرور و النعيم مثل ما يكون فى الف سنة من أيام الدنيا لو بقى ينعم و يلتذ فيها.
ثم قال تعالى (وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَها) فالاملاء و الإملال و التأخير نظائر (و هى ظالمة) اى مستحقة لتعجيل العقاب، لكن أخذتها و أهلكتها و الى المصير،

---

(1) هذا البيت ساقط من المطبوعة
. (2) هو فى مجمع البيان 4/ 90
(3) و فى المخطوطة (و يوم كابهام الحبارى لطوله) و لم أجده فى ديوان جرير و انما يوحد أبيات تشبه هذا و هى:
و يوم كابهام القطاة مزين الى صباه غالب لى باطله
لهوت بجنىّ عليه سموطه و إنس مجاليه و انس شمائله
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 328
لكل أحد، بأن يزول ملک كل مالک ملک شيئاً فى دار الدنيا.
ثم قال لنبيه (قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) اى مخوف من معاصى الله بعقابه، مبين لكم ما يجب عليكم فعله، و ما يجب عليكم تجنبه (فَالَّذِينَ آمَنُوا) اى صدقوا بالله و أقروا برسله (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) من الله تعالى لمعاصيهم و لهم (رِزْقٌ كَرِيمٌ) اى مع إكرامهم بالثواب الذى لا يقاربه تعظيم و تبجيل.

وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِی آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (51) وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِی أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِی الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (52) لِيَجْعَلَ ما يُلْقِی الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِی شِقاقٍ بَعِيدٍ (53) وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (54) وَ لا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِی مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (55)

خمس آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 329

قرأ ابن كثير و ابو عمرو (معجزين) بالتشديد، بمعنى مثبطين و مبطئن، و هو قول مجاهد. الباقون (معاجزين) بالألف. قال قتادة: معناه مشاقين معاندين.

يقول الله تعالى ان (الذين سعوا فى آيات الله معجزين) و معناه إن الذين يعجزون المؤمنين فى قبول هذه الآيات اى يعجزونهم عن إقامتها بجحدهم تدبير الله (عز و جل) لها. و يحتمل ان يكون معناه يعجزونهم عن تصحيحها. و السعى الاسراع فى المشى، و منه قوله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِیَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ) «1» و سعى يسعى سعياً، فهو ساع، و جمعه سعاة، و استسعاه فى الامر استسعاء. و قال قتادة: ظنوا انهم يعجزون الله أى يفوتونه و أن يعجزوه. و قال مجاهد: معناه مبطئين عن اتباع آيات الله. و من قرأ (معاجزين) أراد انهم يجادلون عجز الغالب. و من قرأ (معجزين) بالتشديد أراد طلب اظهار العجز. و قال ابن عباس: معنى (معاجزين) مشاقين. و قيل معنى (معجزين) مسابقين، يقال: اعجزنى الشىء بمعنى سبقنى و فاتنى. و قال ابو على: معاجزين ظانين و معتقدين انهم يفوتونا، لانكارهم البعث. و معجزين أى ينسبون من اتبع النبى (ص) الى العجز. و قال مجاهد: معناه مثبطين للناس عن النبى (ص) و اتباعه.

و قوله «أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ» معناه الذين يسعون فى آيات اللَّه طالبين إظهار عجزه إن لهم عذاب الجحيم، و هم ملازمون لها.

و قوله «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِی أُمْنِيَّتِهِ» روى عن ابن عباس و سعيد بن جبير و الضحاک و محمد بن كعب و محمد ابن قيس: انهم قالوا: كان سبب نزول الآية انه لما تلى النبى (ص)

---

(1) سورة الجمعة آية 9
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 330
«أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى» «1» القى الشيطان فى تلاوته (تلك الغرانيق العلى و إن شفاعتهن لترتجى) و معنى الآية التسلية للنبى (ص) و انه لم يبعث اللّه نبياً، و لا رسولا إلا إذا تمنى- يعنى تلا- القى الشيطان فى تلاوته بما يحاول تعطيله، فيرفع اللّه ما ألقاه بمحكم آياته. و قال المؤرج: الامنية الفكرة، بلغة قريش. و قال مجاهد: كان النبى (ص) إذا تأخر عنه الوحى تمنى أن ينزل عليه فيلقى الشيطان فى أمنيته، فينسخ اللّه ما يلقى الشيطان و يحكم آياته. و قال ابو على الجبائى: انما كان يغلط فى القراءة سهواً فيها، و ذلک جائز على النبى، لأنه سهو لا يعرى منه بشر، و لا يلبث ان ينبهه اللّه تعالى عليه. و قال غيره: إنما قال ذلک فى تلاوته بعض المنافقين عن إغواء الشياطين، و أوهم أنه من القرآن. و قال الحسن: انما قال: هى عند اللّه كالغرانيق العلى، يعنى الملائكة فى قولكم، و إن شفاعتهن لترتجى فى اعتقادكم. و التمنى فى الآية معناه التلاوة، قال الشاعر:
تمنى كتاب اللّه أول ليلة و آخره لاقى حمام المقادر «2»
و قال الجبائى: انما سها النبى (ص) فى القراءة نفسها. فأما الرواية بأنه قرأ تلک الغرانيق العلى، و إن شفاعتهن لترتجى، فلا أصل لها، لأن مثله لا يغلط على طريق السهو، و انما يغلط فى المتشابه.
و قوله «فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِى الشَّيْطانُ» أى يزيل اللّه ما يلقيه الشيطان من الشبهة «ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ» حتى لا يتطرق عليها ما يشعثها. و قال البلخى: و يجوز أن يكون النبى (ص) سمع هاتين الكلمتين من قومه و حفظهما فلما قرأ النبى (ص) وسوس بهما اليه الشيطان، و ألقاهما فى فكره، فكاد أن يجريهما على لسانه، فعصمه الله، و نبهه، و نسخ وسواس الشيطان، و أحكم آياته، بأن قرأها النبى (ص) محكمة

---

(1) سورة 53 النجم آية 19- 20 [.....]
(2) مر هذا البيت فى 1/ 319
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 331
سليمة مما أراد الشيطان. و يجوز أن يكون النبى (ص) حين اجتمع اليه القوم و اقترحوا عليه أن يترک ذكر آلهتهم بالسوء، أقبل عليهم يعظهم و يدعوهم الى الله، فلما انتهى رسول الله الى ذكر اللات و العزى. قال الشيطان هاتين الكلمتين رافعاً بها صوته، فألقاهما فى تلاوته فى غمار من القوم و كثرة لغطهم، فظن الكفار ان ذلک من قول النبى، فسجدوا عند ذلک.
و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» معناه إنه عالم بجميع المعلومات، واضح الأشياء

مواضعها. و الآية تدل على أن كل رسول نبى، لأنه تعالى ذكر انه أرسلهم، و انما قال من رسول و لا نبى، لاختلاف المعنيين، لأن الرسول يفيد أن الله أرسله، و النبى يفيد أنه عظيم المنزلة يخبر عن اللّه. و قد قال بعض المفسرين: إن المراد بالتمنى فى الآية تمنى القلب، و المعنى انه ما من نبى و لا رسول إلا و هو يتمنى بقلبه ما يقربه الى اللّه من طاعاته، و إن الشيطان يلقى فى أمنيته بوسوسته و اغوائه ما ينافى ذلک، فينسخ اللّه ذلک عن قلبه بأن يلطف له ما يختار عنده ترک ما أغواه به.
و قوله «لِيَجْعَلَ ما يُلْقِى الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» بيان من اللّه تعالى أنه يجعل ما يلقيه الشيطان من الأمنية فتنة، فمعنى (ليجعل) يحتمل أمرين:
أحدهما- الحكم و التسمية، كما تقول جعلت حسنى قبيحاً، و يكون المراد انه ينسخ ما يلقى الشيطان طلباً للفتنة و الإغواء.
و الثانى- انه أراد ليجعل نسخ ما يلقى الشيطان فتنة، لأن نفس فعل الشيطان لا يجعله الله فتنة، لأن ذلک قبيح، و الله تعالى منزه عن القبائح اجمع، فمعنى الفتنة فى الآية المحنة، و تغليظ التكليف «لِلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شک و نفاق و قلة معرفة «وَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ» يعنى من قسى قلبه من اتباع الحق. و قيل: هم الظالمون.
ثم اخبر تعالى «إِنَّ الظَّالِمِينَ» لنفوسهم «لَفِى شِقاقٍ بَعِيدٍ» أى مشاقة التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 332
بعيدة من الله تعالى، و بين انه يفعل ذلک «لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» بالله و صفته و أن أفعاله صواب «أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ» فيصدقوا به «فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ» أى تطمئن اليه و تسكن. و بين ان الله تعالى يهدى من يؤمن الى صراط مستقيم، بأن يلطف له ما يعلم انه يهتدى عنده «إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ».
ثم قال «وَ لا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى مِرْيَةٍ مِنْهُ» يعنى من القرآن. و معناه الاخبار عمن علم الله تعالى من الكفار انهم لا يؤمنون بالآية خاصة. و هو قول ابن جريج إلا أن (تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ) يعنى القيامة (بغتة) أى فجأة، و على غفلة (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ) قال الضحاک: هو عذاب يوم القيامة. و قال مجاهد و قتادة:
هو عذاب يوم بدر. و قيل معنى (عقيم) أى لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة قال الشاعر:
عقم النساء بأن يلدن شبيهه إن النساء بمثله لعقيم «1»

الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِی جَنَّاتِ النَّعِيمِ (56) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَأُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ (57) وَ الَّذِينَ هاجَرُوا فِی سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (58) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (59) ذلِکَ وَ مَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِیَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (60)

---

(1) البيت فی مجمع البيان 4/ 92

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر «ثم قتلوا» بالتشديد. الباقون بالتخفيف. من شدد أراد التكثير. و من خفف، فلأنه يحتمل القليل و الكثير.

يقول الله تعالى إن الملک فی اليوم الذی وصفه بأنه «عقيم» و انه لا مثل له فی عظم الأهوال، فيه الملک لله تعالى وحده. لا ملک لاحد معه. و انما خص ذلک به، لأن فی الدنيا قد ملک الله تعالى أقواماً أشياء كثيرة. و الملک اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور، فالله تعالى يملک الأمور لنفسه، و كل مالک سواه، فإنما هو ملک له بحكمه، اما بدليل السمع او بدليل العقل.

و قوله (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) أی يفصل فی ذلک اليوم بين الخلائق، و ينصف بينهم فی الحكم، و الحكم الخبر بالمعنى الذی تدعوا اليه الحكمة، و لهذا قيل: الحكم له، لأن كل حاكم غيره، فإنما يحكم باذنه و اعلام من جهته إما من جهة العقل او جهة السمع.

ثم اخبر تعالى ان (فَالَّذِينَ آمَنُوا) اى صدقوا بوحدانيته، و صدقوا أنبياءه (وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) التى أمر الله بها انهم (فِی جَنَّاتِ النَّعِيمِ) منعمين فيها.

(و إن الذين كفروا) اى جحدوا ذلک (و كذبوا) بآيات الله، فان لهم عذاباً مهيناً، يهينهم و يذلهم. و الهوان الاذلال بتصغير القدر، و مثله الاستخفاف و الاحتقار، أهانه يهينه إهانة فهو مهان مذلل.

و قيل نزلت الآية فی قوم من المشركين أتوا جماعة من المسلمين، فقاتلوهم فی الأشهر الحرم بعد ان نهاهم المسلمون عن ذلک، فأبوا، فنصروا عليهم. و قيل إن النبی (ص) عاقب بعض المشركين لما مثلوا بقوم من أصحابه يوم أحد. التبيان فی تفسير القرآن، ج7، ص: 334

و قوله (وَ الَّذِينَ هاجَرُوا فِی سَبِيلِ اللَّهِ) يعنى الذين خرجوا من ديارهم و أوطانهم بغضاً للمشركين الذين كانوا يؤذونهم بمكة (ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً) يعنى الجنة (وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) ثم

اقسم تعالى انه ليدخلن هؤلاء المهاجرين فى سبيل الله الذين قتلوا (لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ) و يؤثرونه يعنى الجنة، و ما فيها من انواع النعيم.
و قرأ نافع «مدخلا» بفتح الميم، يريد المصدر او اسم المكان، و تقديره: ليدخلنهم فيدخلون مدخلا يرضونه أو مكاناً يرضونه.
و الباقون بضم الميم و هو الأجود، لأنه من ادخل يدخل مدخلا لقوله «أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ» «1» و إن اللّه لعليم بأحوالهم، حليم عن معاجلة الكفار بالعقوبة.
و قوله «ذلِكَ وَ مَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ» قيل نزلت فى قوم من المشركين لقوا جماعة من المسلمين. فقاتلوهم فى الأشهر الحرم بعد أن نهاهم المسلمون عن ذلک، فأبوا. فنصروا عليهم. و قيل: إن النبى (ص) عاقب بعض المشركين لما مثلوا بقوم من أصحابه يوم أحد
، و الأول لم يكن عقوبة، و انما هو كقولهم الجزاء بالجزاء. و الاول ليس بجزاء، و انما هو لازدواج الكلام.

ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (61) ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (62) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (63) لَهُ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (64) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِى الْأَرْضِ وَ الْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ يُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (65)

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 80

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل العراق إلا أبا بكر «و إن ما يدعون» بالياء. الباقون بالتاء. معنى ذلک ان «ذلک» الأمر «بأن اللّه يولج الليل فى النهار» أي يدخل الليل على النهار، و الإيلاج الإدخال بإكراه، ولج يلج ولوجاً و أولج إيلاجاً و اتلج اتلاجاً.

و انما قال يولج الليل فى النهار- هاهنا- لأن ذلک يقتضى أن ذلک صادر من مقتدر لولاه لم يكن كذلک. و قيل: معنى «يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ» أن يدخل ما انتقص من ساعات الليل فى النهار، و ما انتقص من ساعات النهار فى الليل. و معنى «وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ»- هاهنا- أنه يسمع ما يقول عباده فى هذا بصير به، لا يخفى عليه شىء منه حتى يجازى به.

و قوله «بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» وصفه بأنه الحق يحتمل أمرين:

أحدهما- انه ذو الحق فى قوله و فعله.

الثانى- انه الواجد فى صفات التعظيم التى من اعتقدها، فهو محق.

و قوله «وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ» من قرأ بالتاء خاطب بذلک الكفار. و من قرأ بالياء أخبر عنهم بأن ما يدعونه من دون اللّه من الأصنام و الأوثان هو الباطل، على الحقيقة «وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» فالعلى القادر الذى كل شىء سواه تحت معنى صفته، بأنه قادر عليه، و لا يجوز وصفه ب

لان صفة على منقولة اليه، و لم تنقل صفة (رفيع) و وصفه بأنه الكبير، يفيد أن كل شىء سواه يصغر مقداره عن معنى صفته، لأنه القادر الذى لا يعجزه شىء، العالم الذى لا يخفى عليه شىء.

و قوله «أَ لَمْ تَرَ» خطاب للنبى (ص) و المراد به جميع المكلفين يقول الله لهم ألم تعلموا «أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنى غيثاً و مطراً «فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ» بذلک «مخضرة» بالنبات «إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» فاللطيف معناه أنه

المختص بدقيق التدبير الذى لا يخفى عنه شىء و لا يتعذر عليه، فهو لطيف باستخراج النبات من الأرض بالماء، و ابتداع ما يشاء «خبير» بما يحدث عنه و ما يصلح له. و قوله «فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ» انما رفع (فتصبح) لأنه لم يجعله جواباً للاستفهام، لان الظاهر و إن كان الاستفهام فالمراد به الخبر، كأنه قال: قد رأيت أن اللّه ينزل من السماء ماء، فتصبح الأرض مخضرة، إلا انه نبه على ما كان رآه ليتأمل ما فيه قال الشاعر:

ألم تسأل الربع القواء فينطق و هل يخبرنک اليوم بيداً سملق «1»

لان المعنى قد سألته فنطق. ثم أخبر تعالى أن «له» ملک «ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ» لا ملک لاحد فيه. و معناه إن له التصرف فى جميع ذلک لا اعتراض عليه. و أخبر «إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ» فالغنى هو الحى الذى ليس بمحتاج، فهو تعالى المختص بأنه لو بطل كل شىء سواه لم تبطل نفسه القادرة العالمة. الذى لا يجوز عليه الحاجة بوجه من الوجوه، و كل شىء سواه يحتاج اليه، لأنه لولاه لبطل، لأنه لا يخلو من مقدوره أو مقدور مقدوره. و (الحميد) معناه الذى يستحق الحمد على أفعاله، و هو بمعنى انه محمود.

---

(1) تفسير الطبرى 17/ 134

ثم قال «أَ لَمْ تَرَ» يا محمد و المراد جميع المكلفين «أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِى الْأَرْضِ» من الجماد و الحيوان اى قد ذلله لكم، تتصرفون فيه كيف شئتم، و ينَقاد لكم، على ما تؤثرونه. و ان الفلک تجرى فى البحر بأمر اللّه اى بفعل اللّه، لأنها تسير بالريح، و هو تعالى المجرى لها و (يُمْسِکُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ) أى يمنعها من الوقوع على الأرض، و لا يقدر على إمساكها أحد سواه مع عظمها و ثقلها «إِلَّا بِإِذْنِهِ» اى لا تقع السماء على الأرض إلا إذا أذن اللّه فى ذلک بأن يريد ابطالها و إعدامها.

و معنى (أن تقع) ألا تقع. و قيل معناه كراهية أن تقع. ثم أخبر انه تعالى (بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ) أى متعطف منعم عليهم.

وَ هُوَ الَّذِی أَحْیاکُمْ ثُمَّ یُمِیتُکُمْ ثُمَّ یُحْیِیکُمْ إِنَّ الْإِنْسانَ لَکَفُورٌ (66) لِکُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَکاً هُمْ ناسِکُوهُ فَلا یُنازِعُنَّکَ فِی الْأَمْرِ وَ ادْعُ إِلی رَبِّکَ إِنَّکَ لَعَلی هُدیً مُسْتَقِیمٍ (67) وَ إِنْ جادَلُوکَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ (68) اللَّهُ یَحْکُمُ بَیْنَکُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ فِیما کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ (69) أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ یَعْلَمُ ما فِی السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ ذلِکَ فِی کِتابٍ إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیرٌ (70)

خمس آیات بلا خلاف.

لما ذکر اللّه تعالی انه الذی سخر للخلق ما فی الأرض من الحیوان و ذللها لهم و اجری التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 338

الفلک فی البحر، کنا عنه بأن قال «وَ هُوَ الَّذِی أَحْیاکُمْ» ایضاً بعد ان لم تکونوا کذلک، یقال أحیاه اللّه، فهو محی له «ثُمَّ یُمِیتُکُمْ» بعد هذا الأحیاء «ثُمَّ یُحْیِیکُمْ» یوم القیامة للحساب إما الی الجنة، و إما الی النار ثم اخبر عن الإنسان بانه (کفور) أی جحود لنعم اللّه بما فعل به من انواع النعم، و جحوده ما ظهر من الآیات الدالة علی الحق فی کونه قادراً علی الأحیاء و الاماتة. و الأحیاء بعدها، لا یعجزه شیء من ذلک.

ثم اخبر تعالی أن «لکل أمة منسکا» أی مذهباً «هُمْ ناسِکُوهُ» أی یلزمهم العمل به. و قیل: المنسک جمیع العبادات التی أمر اللّه بها. و قیل: المنسک الموضع المعتاد لعمل خیر او شر، و هو المألف لذلک. و مناسک الحج من هذا، لأنها مواضع العبادات فیه، فهی متعبدات الحج. و فیه لغتان فتح السین، و کسرها. و قال ابن عباس «منسکاً» ای عیداً. و قال مجاهد و قتادة: متعبداً فی إراقة الدم بمنی، و غیرها.

و قوله «فَلا یُنازِعُنَّکَ فِی الْأَمْرِ» لأنهم کانوا یقولون: أ تأکلون ما قتلتم، و لا تأکلون المیتة التی قتلها اللّه. و قیل «فَلا یُنازِعُنَّکَ فِی الْأَمْرِ» نهی لهم عن منازعة النبی (ص) و قیل: نهی له لان المنازعة تکون من اثنین. فإذا وجه النهی الی من ینازعه، فقد وجه الیه. و قرئ «فلا ینزعنک» و المعنی لا یغلبنک علی الامر.

ثم قال لنبیه (ص) «وَ ادْعُ إِلی رَبِّکَ» یا محمد «إِنَّکَ لَعَلی هُدیً مُسْتَقِیمٍ» أی علی طریق واضح. ثم قال «وَ إِنْ جادَلُوکَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ» معناه إن جادلوک علی وجه المراء و التعنت الذی یعمله السفهاء، فلا تجادلهم علی هذا الوجه، و ادفعهم بهذا القول. و قل «اللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ» و هذا أدب من الله حسن، ینبغی أن یأخذ به کل احد «اللَّهُ یَحْکُمُ بَیْنَکُمْ» أی یفصل بینکم «یَوْمَ الْقِیامَةِ فِیما کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ» من توحید الله و صفاته و اخلاص عبادته، و ألا نشرک به غیره. التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 339

ثم قال لنبيه (ص) «أَ لَمْ تَعْلَمْ» و المراد به جميع المكلفين «أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» من قليل و كثير، لا يخفى عليه شىء من ذلک «إِنَّ ذٰلِکَ فِي كِتابٍ» يعنى مثبتاً فى اللوح المحفوظ الذى أطلع عليه ملائكته «إِنَّ ذٰلِکَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ» أى سهل غير متعذر.

وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَ ما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (71) وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا قُلْ أَ فَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (72) يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ (73) ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (74) اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (75)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى مخبراً عن حال الكفار الذين يعبدون مع اللّه الأصنام، و الأوثان: التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 340

انهم «يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً» أى لا حجة و لا برهاناً، و إنما قيل للبرهان سلطان، لأنه يتسلط على انكار المنكر، فكل محق فى مذهبه، فله برهان يتسلط به على الإنكار لمذهب خصمه.

و قوله «وَ ما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ» معناه و لا هو معلوم لهم ايضاً من جهة الدلالة، لان الإنسان قد يعلم صحة أشياء يعمل بها من غير برهان أدى اليها كعلمه بوجوب شكر المنعم، و وجوب رد الوديعة، و مدح المحسن و ذم المسىء، و غير ذلک، مما يعلمه بكمال عقله، و إن لم يكن معلوماً بحجة، فلذلک قال «وَ ما لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ».

ثم اخبر انه ليس «للظالمين» أنفسهم بارتكاب المعاصى و ترک المعرفة باللّه من ينصرهم و يدفع عنهم عذاب اللّه إذا نزول بهم.

ثم اخبر تعالى عن حال الكفار و شدة عنادهم، فقال «وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا» يعنى من القرآن و غيره من حجج اللّه تعالى الظاهرات البينات «تعرف» يا محمد «فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا» بنعم اللّه، و جحدوا ربوبيته «المنكر» من القول «يَكادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا» فالسطوة اظهار الحال الهائلة للاخافة، يقال: سطا عليه سطوة و سطواً وسطا به ايضاً فهو ساط. و الإنسان مسطو به.

و الإنسان يخاف سطوات الله و نقماته. و السطوة و الاستطالة و البطشة نظائر فى اللغة.

و المعنى إن هؤلاء الكفار إذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم، قاربوا أن يوقعوا بمن يتلوها المكروه.

ثم قال لنبيه (ص) «قل» يا محمد «أَ فَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ» أى بشر من اعتدائكم على التالى لآيات الله. و قيل: بشر عليكم مما يلحق التالى منهم.

ثم ابتدأ فقال «النَّارُ وَعَدَهَا اللّهُ الّذِينَ كَفَرُوا وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ» و قيل التقدير كان قائلا قال ما ذلک الشر؟ فقيل «النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ» اى بئس التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 341
الموضع، و كان يجوز فى (النار) الجر على البدل من (ذلكم) لأنه فى موضع جر ب (من) و كان يجوز النصب بمعنى أعرفكم شراً من ذلک النار، و الذى عليه القراء الرفع. ثم اخبر تعالى عن النار بأن الله وعدها الذين كفروا و بئس المرجع.
ثم خاطب جميع المكلفين من الناس، فقال «يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ» يعنى ضرب مثل، جعل، كقولهم ضرب على أهلَ الذمة الجزية، لأنه كالتثبيت شبهه بالضرب المعروف، و كذلک الضربة. و المثل: شبه حال الثانى بالأولى فى الذكر الذى صار كالعلم. و من حكم المثل أن لا يتغير، لأنه صار كالعلم. كقولهم «أطرى انک فاعلة».
ثم قال «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» قرأ يعقوب بالياء على الخبر الباقون بالتاء على الخطاب، كقوله «يا أَيُّهَا النَّاسُ». و الذى عبدوه من دون الله الأصنام و الأوثان «لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ» على ذلک و عاون بعضهم بعضاً مع صغر الذباب، فكيف بالعظيم من الأشياء. ثم زاد فى ضرب المثل، فقال «وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً ...» يعنى هؤلاء الكفار، و من جرى مجراهم لو سلبهم الذباب شيئاً و طار، لما قدروا على استنقاذه منه و تخليصه من يديه. ثم اخبر تعالى بانه «ضَعُفَ الطَّالِبُ» يعنى من الأوثان «وَ الْمَطْلُوبُ» من الذباب- و هو قول ابن عباس- و لم يأت بالمثل، لأن فى الكلام دلالة عليه، كأنه قال يا أيها الناس مثلكم مثل من عبد آلهة اجتمعت لأن تخلق ذباباً، فلم يقدروا عليه، و إن يسلبها الذباب شيئاً، فلم تستنقذه منه. و مثل ذلک فى الحذف قول امرئ القيس:
وجدک لو شىء أتانا رسوله سواک و لكن لم نجد عنک مدفعاً «1»
و تقديره لو أتانا رسول غيرک لرددناه و فعلنا به، و لكن لم نجد عنک مدفعاً،

---

(1) شرح ديوانه 131 و قد مر فى 5/ 529 و 6/ 253 مع اختلاف يسير
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 342
فاختصر لدلالة الكلام عليه. و قال قوم: أراد أن الكافرين جعلوا لى الأمثال من الأصنام التى عبدوها فاستمعوا لما ضرب لى من الأمثال. ثم أخبر عنها كيف هى، و كيف بعدها مما جعلوه مثلا، و يدل عليه قوله «ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» و اختلفوا فى معنى «ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» فقال الحسن: معناه ما عظموه حق عظمته، إذ جعلوا له شريكاً فى عبادته. و هو قول المبرد و الفراء. و قال قوم: معناه ما عرفوه حق معرفته. و قال آخرون: ما وصفوه حق صفته. و هو مثل قول أبى عبيدة. قال:
يقول القائل: ما عرفت فلاناً على معرفته، اى ما عظمته حق تعظيمه.

و فی ذلک دلالة علی أن من جوز عبادة غیر الله فهو کافر، و کذلک من جوز ان یکون المنعم- بخلق النفس، و البصر، و السمع، و العقل- غیر الله، فهو کافر بالله.
ثم اخبر تعالی عن نفسه، فقال «إِنَّ اللَّهَ لَقَوِیٌّ» أی قادر علی ما یصح ان یکون مقدوراً «عزیز» لا یقدر احد علی منعه.
ثم قال تعالی «اللَّهُ یَصْطَفِی مِنَ الْمَلائِکَةِ رُسُلًا» أی یختار منهم من یصلح للرسالة «وَ مِنَ النَّاسِ» أی و یختار من الناس ایضاً مثل ذلک. و فی ذلک دلالة علی انه لیس جمیع الملائکة رسلا، لأن (من) للتبعیض عند اهل اللغة، و کما ان الناس لیس جمیعهم أنبیاء فکذلک الملائکة.
و قوله «إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ» أی یسمع جمیع ما یدرک بالسمع من الأصوات و دعاء من یدعوه خالصاً، و دعاء من یدعو علی وجه الاشراک به بصیر بأحوالهم.

يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (76) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77) وَ جاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ اعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ (78)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 343

ثلاث آيات بلا خلاف لما اخبر الله تعالى عن نفسه بأنه «سَمِيعٌ بَصِيرٌ» وصف أيضاً نفسه بأنه «يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» يعنى ما بين أيدى الخلائق من القيامة و أحوالها، و ما يكون فى مستقبل أحوالهم، «وَ ما خَلْفَهُمْ» أى و ما يخلفونه من دنياهم. و قال الحسن: يعلم ما بين أيديهم: أول أعمالهم، و ما خلفهم آخر أعمالهم «و اليه ترجع الأمور» يعنى يوم القيامة ترجع جميع الأمور الى الله تعالى بعد ان كان ملكهم فى دار الدنيا منهما شيئا كثيراً.

ثم خاطب تعالى المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا» أى صلوا، على ما أمرتكم به، من الركوع و السجود فيها (وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ) الذى خلقكم و لا تشركوا به شيئاً (وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ) و الخير النفع الذى يجلّ موقعه، و تعم السلامة به، و نقيضه الشر، و قد أمر الله بفعل الخير، ففعله طاعة له.

و قوله (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) أى افعلوا الخير لكى تفوزوا بثواب الجنة و تتخلصوا من عذاب النار. و قيل معناه افعلوه على رجاء الصلاح منكم بالدوام على أفعال الخير و اجتناب المعاصى و الفوز بالثواب.

ثم أمرهم بالجهاد فقال (وَ جاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ) قال ابن عباس:

معناه التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 344

جاهدوا المشركين، و لا تخافوا فى الله لومة لائم، و قال الضحاك: معناه اعملوا بالحق لله حق العمل.

و قوله (هُوَ اجْتَباكُمْ) فالاجتبا هو اختيار الشىء لما فيه من الصلاح. و قيل: معناه اختاركم لدينه، و جهاد أعدائه. و الحق يجتبى، و الباطل يتقى، و لا بد أن يكون ذلك خطاباً متوجهاً الى من اختاره الله بفعل الطاعات، دون أن يكون ارتكب الكبائر الموبقات. و إن كان سبق منه جهاد فى سبيل الله.

و قوله (وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) معناه لم يجعل عليكم ضيقاً فى دينكم، و لا ما لا مخرج منه. و ذلك أن منه ما يتخلص منه بالتوبة، و منه ما يتخلص منه برد المظلمة، و ليس فى دين الإسلام ما لا سبيل الى الخلاص من عقابه. و فيه من الدليل- كالذى فى قوله (وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ

لَأَعْنَتَكُمْ) «1»- على فساد مذهب المجبرة فى العدل. و مثله قوله (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها) «2» و قوله (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ) يحتمل نصب (ملة) وجهين:
أحدهما- اتبعوا (مِلَّةَ أَبِيكُمْ) و الزموا، لان قبله (جاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ) و الاخر- كملة أبيكم إلا انه لما حذف حرف الجر اتصل الاسم بالفعل فنصب.
و قال الفراء: نصبه بتقدير: وسع ملتكم، كما وسع ملة أبيكم. و قوله (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ) معناه انه يرجع جميعهم الى ولادة ابراهيم، و أفاد هذا ان حرمة ابراهيم على المسلمين كحرمة الوالد على الولد، كما قال (وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ) «3»- فى قول الحسن.
و قوله «هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ» قال ابن عباس و مجاهد: اللَّه سماكم المسلمين، فهو كناية عن اللَّه. و قال ابن زيد: هو كناية عن ابراهيم و تقديره ابراهيم سماكم المسلمين

---

(1) سورة 2 البقرة آية 220
(2) سورة 2 البقرة آية 286
(3) سورة 33 الأحزاب آية 6

بدليل قوله «وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ» «1».
و قوله «مِنْ قَبْلُ» اى من قبل القرآن.- فى قول مجاهد- و قيل: ملة ابراهيم داخلة فى ملة محمد (ص)، فلذلك قال «مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ. وَ فِى هذا» يعنى القرآن. و قال السدى: معناه: و فى هذا الأوان ليكون الرسول شهيدا عليكم بطاعة من أطاع فى تبليغه، و عصيان من عصى «وَ تَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ» بأعمالهم فى ما بلغتوهم من كتاب ربهم و سنة نبيهم. ثم أمرهم باقامة الصلاة، فقال «فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ اعْتَصِمُوا بِاللَّهِ» أى بدين اللَّه الذى لطف به لعباده- فى قول الحسن- و قيل: معناه امتنعوا باللَّه من أعدائكم «هُوَ مَوْلاكُمْ» أى أولى بكم، و بتدبيركم، و تصريفكم «فنعم» مالككم «المولى» يعنى اللَّه «وَ نِعْمَ النَّصِيرُ» أى الناصر، و الدافع عن الخلق اللَّه تعالى. و قيل: «فَنِعْمَ الْمَوْلى» من لم يمنعكم الرزق لما عصيتموه «وَ نِعْمَ النَّصِيرُ» حين أعانكم لما أطعتموه.
و روى أن اللَّه أعطى هذه الأمة ثلاث أشياء لم يعطها أحداً من الأمم: جعلها اللَّه شهيداً على الأمم الماضية، و قال لهم «ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» «2» و قال (ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ) «3».

---

(1) سورة 2 البقرة آية 128
(2) سورة 22 الحج آية 78

(3) سورة 40 المؤمن آية 60
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 347

اشارة

مكية بلا خلاف، و هو قول قتادة و مجاهد: و هى مائة و ثمان عشرة آية فى الكوفى، و تسع عشرة فى البصرى، و المدنيين، و ليس فيها ناسخ و لا منسوخ، إلا ما روى أنهم كانوا يجيزون الالتفات يميناً و شمالا و إلى ما وراء نسخ ذلک بقوله «فِى صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ» فلم يجيزوا أن ينظر المصلى إلا الى موضع سجوده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ (2) وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ (4)
وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ (5) إِلاَّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ (7)
سبع آيات.
يقول اللَّه تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) أى فازوا بثواب اللَّه، الذين صدّقوا

باللَّه و أقروا بوحدانيته و صدقوا رسله. و قيل: معناه، قد سعدوا، قال لبيد:
فاعقلى ان كنت لما تعقلى و لقد أفلح من كان عقل «1»
و قيل معنى (أفلح) بقى أى بقيت أعمالهم الصالحة، و منه قولهم (حى على الفلاح) أى على بقاء أعمال الخير، و معنى (قد) تقريب الماضى من الحال، فدل على أن فلاحهم قد حصل بما هم عليه فى الحال، و هذا أبلغ فى الصفة من تجريد ذكر الفعل. ثم وصف هؤلاء المؤمنين بأوصاف، فقال (الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ) أى خاضعون متذللون للَّه فيها. و قيل: معناه يسعون، مقبلون على الصلاة بالخضوع و التذلل لربهم. و قيل: معناه خائفون. و قال مجاهد: هو غض الطرف و خفض الجناح. و قيل: أن ينظر المصلى الى موضع سجوده. و
كان النبى (ص) يرفع بصره الى السماء. فلما نزلت هذه الآية طأطأ رأسه، و نظر الى مصلاه.
و الخشوع فى الصلاة هو الخضوع بجمع الهمة لها، و الاعراض عما سواها، لتدبر ما يجرى فيها: من التكبير، و التسبيح، و التحميد للَّه، و تلاوة القرآن. و هو موقف الخاضع لربه الطالب لمرضاته بطاعاته.
ثم زاد فى صفاتهم فقال (وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) و اللغو هو القول و الفعل الذى لا فائدة فيه يعتد بها، و هو قبيح على هذا الوجه. و قال ابن عباس:
اللغو- هاهنا- الباطل. و قال السدى: هو الكذب. و قال الكلبى هو الحلف.
و حكى النقاش: انهم نهوا عن سباب الكفار إذا سبوهم، و عن محادثتهم.
ثم قال (وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ) أى يؤدون ما يجب عليهم فى أموالهم من الصدقات، و سميت زكاة، لأنه يزكو بها المال عاجلا و آجلا. ثم قال (وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ) قيل عنى بالفروج- هاهنا- فرج الرجل خاصة بدلالة قوله

---

(1) مر هذا البيت فى 1/ 59 من هذا الكتاب
بيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 349
(إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ) ثم استثنى من الحافظين لفروجهم من لا يحفظ فرجه عن زوجته، أو ما تملک يمينه من الإماء على ما أباحه اللّه له، لأن التزويج ينبغى أن يكون، على وجه اباحة الله تعالى. و (ملک اليمين) فى الآية المراد به الإماء لأن الذكور من المماليک لا خلاف فى وجوب حفظ الفرج منهم. و من ملک الأيمان، لا يجمع بين الأختين فى الوطء، و لا بين الأم و البنت. و كل ما لم يجز الجمع بينهم فى العقد، فلا يجوز الجمع بينهم فى الوطء بملک اليمين. و لا يخرج من الآية وطؤ المتمتع بها، لأنها زوجة عندنا، و إن خالف حكمها حكم الزوجات فى احكام كثيرة، كما أن حكم الزوجات مختلف فى نفسه. و ذكره تعالى هذه الأوصاف و مدحه عليها يكفى و يغنى عن الأمر بها، لما فيها من الترغيب كالترغيب فى الأمر، و أنها مرادة، كما أن المأمور به مراد، و كلها واجب.
و انما قيل للجارية (ملک يمين) و لم يقل فى الدار (ملک يمين) لأن ملک الجارية أخص من ملک الدار إذ له نقض بنية الدار، و ليس له نقض بنية الجارية، و له عارية الدار، و ليس له عارية الجارية، حتى توطأ بالعارية، فلذلک خص الملک فى الأمة، و انما قال «إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ» مع تحريم وطئها على وجوه: كتحريم وطئ الزوجة، و الأمة فى حال الحيض، و وطئ الجارية إذا كان لها زوج، أو كانت فى عدة من زوج، و تحريم وطئ المظاهرة قبل الكفارة، لأن المراد بذلک على ما يصح و يجوز، مما بينه اللّه، و بينه رسوله فى غير هذا الموضع، و حذف لأنه معلوم، و هى من الأمور العارضة فى هذه الوجوه ايضاً، فان من وطأ الزوجة أو الأمة فى الأحوال التى حرم عليه وطؤها، فانه لا يلزمه اللوم من حيث كانت زوجة أو ملک يمين و إنما يستحق اللوم من وجه آخر. و اللوم و الذم واحد، و ضدهما الحمد و المدح. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 350
ثم قال تعالى «فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِکَ» و معناه من طلب سوى ذلک يعنى الزوجية، و ملک اليمين، فهو عاد. و الابتغاء و البغية الطلب. و البغاء طلب الزنا، و الباغى طالب الاعتداء. و (العادون) هم الذين يتعدون الحلال الى الحرام. و قوله «وراء»- هاهنا- قيل: معناه غير. و قال الفراء معناه «إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ» إلا من أزواجهم «أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ» فى موضع خفض.

وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ (8) وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ (9) أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ (11)
أربع آيات بلا خلاف.
قرأ ابن كثير وحده «لأمانتهم» على التوحيد. الباقون «لأماناتهم» على الجمع، لقوله «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها» «1» و قرأ ابن كثير ذلك اختياراً ليطابق قوله (و عهدهم). و قرأ حمزة و الكسائى (على صلاتهم) على التوحيد، لان الصلاة اسم جنس يقع على القليل و الكثير، فكذلك قوله (أمانتهم) و الأصل فيه المصدر كالعمل. الباقون (صلواتهم) على الجمع، و من جمع جعله بمنزلة الاسم، لاختلاف أنواعها. لقوله (حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ) «2» قال ابو على النحوى: الجمع أقوى، لأنه صار اسماً شائعاً شرعياً، و قد بينا الوجه فيه.
ثم زاد الله تعالى فى صفات المؤمنين الذين وصفهم بالفلاح فقال و الذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون و معناه الذين يراعون الأمانات التى يؤتمنون عليها و لا

---

(1) سورة 4 النساء آية 57
(2) سورة 2 البقرة آية 238 [.....]

يحزنون فيها، و يحفظون ما يعاهدون عليه من الأيمان و النذور، فلا يحنثون و لا ينكثون. و المراعات قيام الراعى بإصلاح ما يتولاه. ثم قال «وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ» أى لا يضيعونها. و يواظبون على أدائها. و فى تفسير أهل البيت إن معناه: الذين يحافظون على مواقيت الصلوات فيؤدونها فى أوقاتها، و لا يؤخرونها حتى يخرج الوقت. و به قال مسروق و جماعة من المفسرين. و انما أعيد ذكر الصلاة- هاهنا- لأنه أمر- هاهنا- بالمحافظة عليها، كما امر بالخشوع فيها، فى ما تقدم، كما أعيد ذكر الفلاح، لأنه يجب بالخصال المذكورة بعده كما وجب فى- سورة البقرة- «1» بالخصال المذكورة قبله.
ثم اخبر تعالى عمن اجتمعت فيه هذه الخصال، فقال «أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ» و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- انه يؤل أمره الى النعيم فى الجنة، و يملك ما يعطيه الله، كما يؤل أمر الوارث الثانى-
روى أبو هريرة عن النبى (ص) أنه قال (ما منكم أحد إلا و له منزلان منزل

فى الجنة و منزل فى النار، فان مات على الضلال ورث منزله أهل الجنة، و إن مات على الايمان، ورث هو منزل اهل النار).
و قال مجاهد: يهدم منزله فى النار، ثم وصف الله تعالى الوارثين، فقال (الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ) و حقيقة الإرث ملک ما يتركه الميت ان بلده، ممن هو أولى به فى حكم اللَّه، فهذا أصله، ثم يشبه به، فيقال: ورث فلان علم فلان أى صار اليه، و معنى (يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ) اى يصيرون اليها بعد الأحوال المتقدمة. و الفردوس البستان الذى يجمع محاسن النبات. و قيل أصله رومى. و قيل: بل هو عربى و وزنه (فعول) و قيل الفردوس البستان. الذى فيه كرم قال جرير:

---

(1) انظر 1/ 48 فى تفسير آية 5 من سورة البقرة

ما بعد يبرين من باب الفراديس «1»
و قال الجبائى (يرثون الفردوس) على التشبيه بالميراث المعروف من جهة الملک الذى ينتهى اليه أمره.

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ (14) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُبْعَثُونَ (16)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و ابو بكر عن عاصم «عظماً» فى الموضعين على التوحيد. الباقون على الجمع. فمن وحد، فلأنه اسم جنس يقع على القليل و الكثير. و من جمع، فلقوله «أَ إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً» «2» و قوله «أَ إِذا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً» «3» و قوله «مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ» «4» و ما أشبه ذلک.

---

(1) ديوانه 250 و صدره: (فقلت للرجل إذ جد الرحيل بنا) و يبرين اسم بلد من بلاد بنى سعد. و باب الفراديس بدمشق.

(2) سورة 17 الإسراء آية 49، 98

(3) سورة 79 النازعات آية 11

(4) سورة 36 يس آية 78

يقول اللَّه تعالى على وجه القسم، انه: خلق «الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ» فقال ابن عباس و مجاهد: المراد بالإنسان كل انسان، لأنه يرجع إلى آدم الذى خلق من سلالة. و قال قتادة: المراد بالإنسان آدم، لأنه استل من أديم الأرض. و قيل:

استل من طين. و الصلالة صفوة الشىء التى تخرج منه، كأنها تستل منه. و السلالة صفوة الشىء التى تجرى قبل ثفله، و كدره، لأنها متقدمة على ثفله، كتقديم السلف و الأجر على الآخرة. و قد تسمى النطفة سلالة و الولد أيضاً سلالة و سليلة. و الجمع سلالات، و سلائل، قال الشاعر:

و هل كنت إلا مهرة عربية سليلة أفراس تجللها بغل «1»

و قال آخر:

فجاءت به عضب الأديم غضنفرا سلالة فرج كان غير حصين «2»

و قال آخر:

يقذفن فى أسلابها بالسلائل «3»

و قال آخر:

إذا نتجت منها المهارى تشابهت على القود لا بالأنوف سلائله «4»

و فى الآية دلالة على أن الإنسان هو هذا الجسم المشاهد، لأنه المخلوق من

نطفة، و المستخرج من سلالة، دون ما يذهب اليه قوم: من انه الجوهر البسيط، أو شىء لا يصح عليه التركيب و الانقسام، على ما يذهب اليه معمر و غيره.

---

(1) تفسير القرطبى 12/ 109 و الطبرى 18/ 6
(2) تفسير الطبرى 18/ 6 و تفسير القرطبى 12/ 109 و قد نسبه لحسان، و روايته (حملت) بدل (فجاءت)
(3، 4) تفسير الطبرى 18/ 6

و قوله «ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِى قَرارٍ مَكِينٍ» المعنى جعلنا الإنسان، و هو من ولد من نسل آدم «نطفة» و هى القطرة من ماء المنى التى يخلق اللّه منها الحيوان، على مجرى العادة فى التناسل، فيخلق اللّه من نطفة الإنسان إنساناً و من نطفة كل حيوان ما هو من جنسه. و معنى «مكين» أى مكين لذاك، بأن هيئ لاستقراره فيه الى بلوغ أمده الذى جعل له.

و قوله «ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً» فالعلقة القطعة من الدم إذا كانت جامدة، فبين اللّه تعالى أنه يصير تلك النطفة علقة، ثم يجعل العلقة مضغة، و هى القطعة من اللحم.

ثم اخبر انه يجعل المضغة «عظاماً»، و قرئ «عظماً» و هى قراءة ابن عامر و أبى بكر عن عاصم. فمن قرأ «عظاماً» أراد ما فى الإنسان من أقطاع العظم. و من قرأ «عظماً» فلأنه اسم جنس يدل على ذلك.

ثم بين تعالى انه يكسو تلك «الْعِظامَ لَحْماً» ينشئه فوقها، كما تكسى الكسوة.

و قوله ثم «أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ» يعنى ينفخ الروح فيه- فى قول ابن عباس و مجاهد- و قيل: نبات الأسنان و الشعر، و إعطاء العقل و الفهم. و قيل «خلقاً آخر» معناه ذكر او أنثى. ثم قال «فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ» و معنى (تبارك) استحق التعظيم بأنه قديم لم يزل، و لا يزال، و هو مأخوذ من البروك، و هو الثبوت.

و قوله «أَحْسَنُ الْخالِقِينَ» فيه دلالة على ان الإنسان قد يخلق على الحقيقة، لأنه لو لم يوصف بخالق إلا اللّه، لما كان لقوله «أحسن الخالقين» معنى. و أصل الخلق التقدير، كما قال الشاعر:

و لأنت تفرى ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لا يفرى «1»

ثم خاطب الخلق، فقال (ثم إنكم) معاشر الخلق بعد هذا الخلق و الأحياء

---

(1) مر تخريجه فى 6/ 369

(لميتون) أى تموتون عند انقضاء آجالكم. يقولون لمن لم يمت و يصح عليه

الموت:
ميت و مائت. و لا يقولون لمن مات: مائت. و كذلک فى نظائره سيد و سائد.
و قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُبْعَثُونَ) أى تحشرون إلى الموقف و الحساب و الجزاء بعد أن كنتم أمواتاً، و لا يدل ذلک على أنه لا يحييهم فى القبور للمساءلة، لان قوله: انه يميتهم عند فناء آجالهم و يبعثهم يوم القيامة، لا يمنع من أن يحييهم فيما بين ذلک، ألا ترى أن القائل لو قال: دخلت بغداد فى سنة مائة، و خرجت منها فى سنة عشر و مائة، لم يدل على أنه لم يخرج فيما بينهما و عاد، فكذلک الآية. على ان اللّه تعالى اخبر انه أحيا قوماً. فقال لهم اللّه موتوا، ثم أحياهم، فلا بد من تقدير ما قلناه للجميع. و فيه دلالة على بطلان قول معمر، و النظام فى الإنسان.

وَ لَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ وَ ما كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غافِلِينَ (17) وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ (18) فَأَنْشَأْنا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ لَكُمْ فِيها فَواكِهُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ (19) وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَ صِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (20)

أربع آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و نافع و ابو عمرو «سيناء» بكسر السين، و لم يصرف، لأنه اسم البقعة. الباقون بفتح السين. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو «تنبت» بضم

التاء التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 356

و كسر الباء. الباقون بفتح التاء و ضم الباء. من كسر السين من «سيناء»، فلقوله «طُورِ سِينِينَ» «1» و السيناء الحسن، و كل جبل ينبت الثمار فهو سينين. و من فتح السين، فلأنه لغتان. و أصله سريانى، و من فتح السين لا يصرفه فى المعرفة و لا النكرة، لأن الهمزة فى هذا البناء لا تكون إلا للتأنيث، و لا تكون للإلحاق لأن (فعلال) لا يكون إلا فى المضاعف مثل (الزلزال و القلقال) و من كسر السين، فالهمزة عنده منقلبة عن الياء ك (علياء، و حوباء) و هى التى تظهر فى قولك (سيناية) لما بنيت للتأنيث. و انما لم يصرف على هذا القول، و إن كان غير مؤنث، لأنه جعل اسم بقعة أو ارض، فصار بمنزلة امرأة سميت ب (جعفر). و من ضم التاء من «تنبت» لم يعده بالباء، و أراد تنبت الدهن. قال ابو على الفارسى: و يحتمل أن يكون الباء متعلقا بغير هذا الفعل الظاهر، و تقدر مفعولا محذوفا، و تقديره: تنبت ثمرها و فيها دهن و صبغ. و من فتح التاء عدى الفعل بالباء. كقولهم: ذهبت بزيد و أذهبت زيدا، و يجوز أن يكون الباء فى موضع الحال، و لا يكون للتعدى. مثل ما قلناه فى الوجه الأول و تقديره تنبت و فيها دهن.

يقول اللَّه تعالى «وَ لَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ» يعنى سبع سماوات، خلقها اللَّه فوق الخلائق، و سماها طرائق، لأن كل طبقة طريقة. و قال الجبائى: لأنها طرائق للملائكة، و قال ابن زيد: الطرائق السماوات الطباق. و قال الحسن: ما بين كل سماء و سماء مسيرة خمسمائة عام و كذلك ما بين السماء و الأرض.

و قوله «وَ ما كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غافِلِينَ» معناه ما كنا غافلين ان ينزل عليهم ما يحييهم من المطر. و يحتمل أن يكون أراد ما كنا غافلين عن أفعالهم، و ما يستحقون بها من الثواب و العقاب، بل نحن عالمون بجميع ذلك. و قيل

---

(1) سورة 95 التين آية 2

«وَ ما كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غافِلِينَ» بل كنا حافظين للسماء من أن تسقط عليهم، فتهلكهم. و الغفلة ذهاب المعنى عن النفس. و مثله السهو، فالعالم لنفسه لا يجوز عليه الغفلة، لأنه لا شىء إلا و هو عالم به. و إنما ذكر الغفلة بعد الطرائق، لأن من جاز عليه الغفلة عن العباد جاز عليه الغفلة عن الطرائق التى فوقهم، فتسقط عليهم، فأمسک اللّه تعالى طرائق السموات أن تقع على الأرض إلا باذنه. و لولا إمساكه لها لم تقف طرفة عين.
و قوله «وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ» أى أنزلنا المطر و الغيث بقدر الحاجة، لا يزيد على قدر الحاجة، فيفسد، و لا ينقص عنها فيهلک، بل وفق الحاجة.
و قوله «فَأَسْكَنَّاهُ فِى الْأَرْضِ» يعنى انه تعالى أسكن الماء المنزل من السماء فى الأرض و أثبته فى العيون و الأودية. و
روى عن النبى (ص) أنه قال: (أربعة أنهار من الجنة: النيل، و الفرات، و سيحان، و جيحان).
ثم قال تعالى «وَ إِنَّا عَلى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ» لا يعجزنا عن ذلک شىء، و لو فعلناه لهلک جميع الحيوان، فنبههم بذلک على عظم نعمة اللّه على خلقه، بانزال الماء من السماء.
ثم اخبر تعالى انه ينشئ للخلق بذلک الماء (جنات) و هى البساتين (مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ) لتنتفعوا بها معاشر الخلق (لَكُمْ فِيها فَواكِهُ كَثِيرَةٌ) تتفكهون بها (وَ مِنْها تَأْكُلُونَ) و انما خص النخيل و الأعناب، لأنها ثمار الحجاز، من المدنية و الطائف. فذكرهم اللّه تعالى بالنعم التى يعرفونها.
و قوله (وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ) انما خص الشجرة التى تخرج من طور سينا، لما فى ذلک من العبرة، بأنه لا يتعاهدها إنسان بالسقى، و لا يراعيها احد من العباد، تخرج الثمرة التى يكون فيها الدهن الذى تعظم الفائدة و تكثر المنفعة به.
و سيناء البركة، كأنه قال جبل البركة- و هو قول ابن عباس و مجاهد- و قال قتادة التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 358
و الضحاک: معناه الحسن. و قال ابن عباس: طور سيناء اسم الجبل الذى نودى منه موسى (ع) و هو كثير الشجر قال العجاج:
دانى جناحيه من الطور فمر «1»
و قيل يحتمل ان يكون (سيناء: فيعالا) من السنة، و هو الارتفاع. و الشجرة قيل انها شجرة الزيتون. و قوله (تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ) أى تنبت ثمرها بالدهن. و من فتح التاء فمعناه تنبت بثمر الدهن. و قيل نبت و أنبت لغتان قال زهير:
رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم قطيناً بها حتى إذا أنبت البقل «2»
و قيل الباء زائدة، و المعنى تنبت ثمر الدهن، كما قال الراجز:
نحن بنو جعدة أرباب الفلج نضرب بالبيض و نرجو بالفرج «3»
أى نرجو الفرج. و قوله (وَ صِبْغٍ لِلْآكِلِينَ) أى و جعلناه مما يتأدم به الإنسان و

يصطبغون به من الزيت و الزَّيتون. و الاصطباغ ان يغمز فيه ثم يخرجه و يأكله.

وَ إِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِها وَ لَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ (21) وَ عَلَيْها وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (22) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ (23) فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً ما سَمِعْنا بِهذا فِى آبائِنَا الْأَوَّلِينَ (24) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (25)

---

(1) مر هذا الرجز فى 1/ 286
(2) ديوانه (دار بيروت) 62
(3) تفسير الطبرى 18/ 10 و القرطبى 12/ 115
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 359
خمس آيات بلا خلاف.
قرأ ابن عامر و نافع و ابو بكر عن عاصم «نسقيكم» بفتح النون. الباقون بضمها. قال بعضهم: هما لغتان سقيت و أسقيت، قال الشاعر:
سقى قومى بنى مجد و اسقى نميراً و القبائل من هلال «1»
و لا يجوز ان يكون المراد فى البيت (و أسقى) مثل قوله «وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً» «2» لأنه لا يكون قد دعا لقومه و خاصته بدون ما دعا للاجنبى البعيد عنه.
و الصحيح ان سقيت للشفة و أسقيت للأنهار و الانعام تقول: دعوت اللَّه ان يسقيه.
و من قرأ بضم النون أراد: انا جعلنا ما فى ضروعها من الألبان سقياً لكم، كما يقال:
أسقيناهم نهراً إذا جعلته سقياً لهم، و هذا كأنه أعم، لان ما هو سقياً لا يمتنع أن يكون للشفة، و ما يكون للشفة- فقط- يمتنع أن يكون سقياً. و ما أسقانا اللَّه من البان الانعام أكثر مما يكون للشفة و من فتح النون جعل ذلك مختصاً به الشفاه دون المزارع و المراعى، فلم يكن مثل الماء فى قوله «فَأَسْقَيْناكُمُوهُ» «3» و قوله «وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً» لأن ذلك يصلح للأمرين، و من ثم قال «وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً» «4» و انما قال هاهنا «مِمَّا فِى بُطُونِها» و فى النحل «بطونه» «5» لأنه إذا أنث، فلا كلام لرجوع ذلك الى الانعام. و إذا ذكر فلأن النعم و الانعام بمعنى واحد، و لئن التقدير:

---

(1) مر تخريجه فى 6/ 399 [.....]

(2) سورة 77 المرسلات آية 27
(3) سورة 15 الحجر آية 22
(4) سورة 76 الدهر آية 21
(5) سورة 16 النحل آية 66
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 360
و نسقيكم من بعض ما فى بطونه.
يقول اللَّه تعالى «وَ إِنَّ لَكُمْ» معاشر العقلاء «فِى الْأَنْعامِ» و هى الماشية التى تمشى على نعمة فى مشيها، خلاف الحافر فى وطئها، و هى الإبل و البقر و الغنم (لعبرة) يعنى دلالة تستدلون بها على توحيد اللَّه، و صفاته التى يختص بها دون سواه.
و قوله (نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِها) فالسقى إعطاء ما يصلح للشرب، فلما كان اللَّه تعالى قد أعطى العباد ألبان الأنعام، باجرائه فى ضروعها، و تمكينهم منها، من غير حظر لها، كان قد سقاهم إياها.
ثم قال (و لكم فيها) يعنى فى الانعام «مَنافِعُ كَثِيرَةٌ» و لذات عظيمة، ببيعها و التصرف فيها و أكل لحومها، و شرب ألبانها، و غير ذلک من الانتفاع باصوافها و أوبارها، و اشعارها، و غير ذلک (وَ مِنْها تَأْكُلُونَ) يعنى اللحم، و غيره من الألبان و ما يعمل منها. ثم قال: و من منافعها انكم تحملون عليها الأثقال فى اسفاركم بأن تركبوها و تحملوا عليها أثقالكم. و مثل ذلک على الفلک، و هى السفن.
ثم اقسم تعالى انه أرسل نوحاً الى قومه، يدعوهم إلى اللَّه، و يقول لهم (اعْبُدُوا اللَّهَ) وحده لا شريک له، فإنه لا معبود لكم غيره. و يحذرهم من عقابه، و يقول (أفلا تتقون) نقمة اللَّه بالاشراک معه فى العبادة. ثم حكى أن الملأ و هم- جماعة اشراف قومه- الكفار، قال بعضهم لبعض: ليس نوح هذا إلا مخلوقاً مثلكم، و بشر مثلكم، و ليس بملک (يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ) فيسودكم و يترأسكم و ان يكون أفضل منكم «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ» ما قاله من توحيده و اختصاصه بالعبادة (لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً) عليكم يدعونكم الى ذلک. ثم قالوا «ما سَمِعْنا بِهذا» يعنى بما قال نوح، و بمثل دعوته. و قيل بمثله بشراً أتى برسالة من ربه فى أسلافنا الماضين و ابائنا و أجدادنا الذين تقدمونا. ثم قالوا، (إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) اى ليس التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 361
هذا- يعنون نوحاً- إلا رجلا به جنة أى تعتاده غمرة تنفى عقله حتى يتخيل اليه ما يقوله و يخرجه عن حال الصحة و كمال العقل، فكان اشراف قومه يصدون الناس عن اتباعه، بما حكى اللَّه عنهم، و قالوا: انه لمجنون يأتى بجنونه بمثل هذا. و يحتمل أن يكونوا أرادوا كأنه فى طعمه فيما يدعو اليه مجنون. ثم قال بعضهم لبعض: (فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ) اى الى وقت ما، كأنهم قالوا لهم تربصوا به الهلاک و توقعوه.

قالَ رَبِّ انْصُرْنِی بِما كَذَّبُونِ (26) فَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا فَإِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَ لا تُخاطِبْنِی فِی الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (27) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی نَجَّانا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (28) وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِی مُنْزَلاً مُبارَكاً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (29) إِنَّ فِی ذلِكَ لَآياتٍ وَ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو بكر عن عاصم (منزلا) بفتح الميم. الباقون بضمها. من فتح الميم جعله اسم المكان أو مصدراً ثلاثياً. و من ضم الميم، فلانه مصدر (أنزل إنزالا) التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 362

لقوله (انزلنى) و مثله (أَدْخِلْنِی مُدْخَلَ صِدْقٍ) «1» و لو قرئ (وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) لكان صواباً بتقدير أنت خير المنزلين به، كما تقول: أنزلت حوائجى بك.

و قرا حفص عن عاصم (من كلّ زوجين) منوناً على تقدير اسلك فيها زوجين اثنين من كل، اى من كل جنس، و من كل الحيوان. كما قال تعالىَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ)

اى لكل انسان قبلةٌ وَ مُوَلِّيها

«2») لان (كلا، و بعضاً) يقتضيان مضافاً إليهما. الباقون بالاضافة إلى (زوجين) و نصب (اثنين) على انه مفعول به يقول اللّه تعالى ان نوحاً (ع) لما نسبه قومه الى الجنة، و ذهاب العقل، و لم يقبلوا منه، دعا الله تعالى، فقال «رَبِّ انْصُرْنِی بِما كَذَّبُونِ» أى اعنى عليهم، فالنصرة المعونة على العدو. فأجاب اللّه تعالى دعاءه و أهلك عدوه، فأغرقهم و نجاه من بينهم بمن معه من المؤمنين. و قوله «بما كذبون» يقتضى أن يكون دعا عليهم بالاهلاك جزاء على تكذيبهم إياه. فقال اللّه تعالى انا «فَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ» و هو السفينة «بِأَعْيُنِنا» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- بحيث نراها، كما يراها الرائى من عبادنا بعينه، ليتذكر انه يصنعها، و اللّه (عز و جل) يراه.

الثانى- بأعين أوليائنا من الملائكة و المؤمنين، فإنهم يحرسونک من منع مانع لک.

و قوله «وَ وَحْيِنا» أى باعلامنا إياک كيفية فعلها. و قوله «فَإِذا جاءَ أَمْرُنا» يعنى إذا جاء وقت إهلاكنا لهم «وَ فارَ التَّنُّورُ» روى انه كان جعل اللّه تعالى علامة

---

(1) سورة 17 الاسراء آية 80
(2) سورة 2 البقرة آية 148
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 363
وقت الإهلاک فوران التنور بالماء. فقال له: إذا جاء ذلک الوقت «فَاسْلُکْ فِيها» يعنى فى السفينة، و كان فوران الماء من التنور المسجور بالنار، معجزة لنوح (ع) و دلالة على صدقه، و أكثر المفسرين على أنها التنور التى يخبر فيها. و
روى عن على (ع) انه أراد طلوع الفجر.
و يقال: سلكته و أسلكته، فيه لغتان، كما قال الشاعر:
و كنت لزاز خصمک لم أعرّد و قد سلكوک فى يوم عصيب «1»
و قال الهذلى:
حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا «2»
و قيل: سلكته فيه حذف، لان تقديره سلكت به فيه. و معنى «فَاسْلُکْ فِيها» احمل فيها و ادخل الى السفينة «مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ» أى من كل زوجين، من الحيوان. اثنين: ذكراً و أنثى. و الزوج واحد له قرين من جنسه و قوله «و أهلک» أى أجمل أهلک معهم، يعنى الذين آمنوا معک (إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) بالإهلاک منهم (وَ لا تُخاطِبْنِى فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا) اى لا تسلنى فى الظالمين أنفسهم بالاشراک معى ف (إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) هالكون. ثم قال له (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ) يا نوح (وَ مَنْ مَعَکَ عَلَى الْفُلْکِ) و استقررتم فيه و علوتم عليه، و تمكنتم منه فقل شكراً للّه (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى نَجَّانا) و خلصنا (مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) لنفوسهم بجحدهم توحيد الله.
و قل داعياً (رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلًا مُبارَكاً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) و قال الجبائى: المنزل المبارک هو السفينة. و قال مجاهد: قال ذلک حين خرج من السفينة.
و قال الحسن:
كان فى السفينة. سبعة انفس من المؤمنين، و نوح ثامنهم. و قيل: ستة. و قيل:

---

(1) انظر 6/ 38، 321
(2) مر تخريجه فى 1/ 128، 149 و 6/ 322، 459
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 364
ثمانين. و قيل: انه هلک كل ما كان على وجه الأرض إلا من نجا مع نوح فى السفينة.
و قال الحسن: كان طول السفينة الفاً و مئتى ذراع، و عرضها ستمائة ذراع. و كانت مطبقة تسير بين ماء السماء و بين ماء الأرض.
ثم قال تعالى (ان فى ذلک) يعنى فيما أخبرناک به و قصصنا عليک (لآيات) و دلالات للعقلاء، يستدلون بها على توحيد الله و صفاته (وَ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ) أى

و إن كنا مختبرين عبادنا بالاستدلال على خالقهم بهذه الآيات، و معرفته و شكره على نعمه عليهم، و بعبادته و طاعته و تصديق رسله.

ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ (31) فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ (32) وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَةِ وَ أَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ما هذا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (33) وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ (34) أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (35)

هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ (36)

ست آيات بلا خلاف.

قرأ ابو جعفر (هيهات هيهات) بكسر التاء. الباقون بفتحها. و لا خلاف التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 365

الى ترک التنوين فيهما.

يقول الله تعالى (انا أنشأنا) و اخترعنا، من بعد إهلاک قوم نوح بالطوفان (قَوْماً آخَرِينَ) و الإنشاء و الاختراع واحد، و كلما يفعل الله تعالى، فهو إنشاء و اختراع. و قد يفعل الله تعالى الفعل عن سبب بحسب ما تقتضيه المصلحة. و القرن أهل العصر لمقارنة بعضهم لبعض، و منه قرن الكبش لمقارنته القرن الآخر، و منه القرينة، و هى الدلالة التى تقارن الكلام. و قوله «فَأَرْسَلْنا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ» اخبار منه تعالى انه أرسل رسولا فى القرن الذى أنشأهم من بعد قوم نوح، و قال قوم: هو صالح و قيل: هود، لأنه المرسل بعد نوح «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» أى أرسلناه بأن يقول لهم: اعبدوا اللّه وحده لا شريک له، و يقول لهم: ما لكم معبود سواه، و أن يخوفهم إذا خالفوه. و يقول لهم «أَ فَلا تَتَّقُونَ» عذاب اللّه، و إهلاكه بارتكاب معاصيه، فموضع (أن) من الاعراب نصب. و تقديره بأن اعبدوا اللّه، فلما حذفت الباء نصب ب (أرسلنا).

و قوله «وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ» يعنى- الاشراف، و وجوههم- قالوا لغيرهم «الَّذِينَ كَفَرُوا» باللّه و كذبوا بآياته و حججه و بيناته، و جحدوا «وَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَةِ» و البعث و النشور يوم القيامة. و قوله «وَ أَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» و الإتراف التنعم بضروب الملاذ، و ذلک أن التنعيم قد يكون بنعيم العيش، و قد يكون بنعيم الملبس، فالاتراف بنعيم العيش قال الراجز:

و قد أرانى بالديار مترفا

و قوله «ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» أى ليس هذا الذى يدعى النبوة من قبل اللّه إلا بشراً مثلكم «يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ» من الاطعمة «وَ يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ» من الاشربة. ثم قالوا لهم «لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ» و على هيئتكم و أحوالكم «إِنَّكُمْ التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 366

إِذاً لَخاسِرُونَ»
فجعلوا اتباع الرسول خسرانا، لأنه بشر مثلهم، و لم يجعلوا عبادة الصنم خسراناً، لأنه جسم مثلهم، و هذا مناقضة ظاهرة.
ثم حكى انهم قالوا لغيرهم «أَ يَعِدُكُمْ» هذا الذى يدعى النبوة من قبل اللَّه «أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً» و رفاتاً «أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ» و قيل فى خبر (ان) الاول قولان:
أحدهما- انه قوله (مخرجون) و تكون الثانية للتأكيد.
و الثانى- ان يكون الخبر الجملة، و تقديره: أ يعدكم انكم إذا متم و كنتم ترابا و عظاما إخراجكم. و نظير تكرير (ان) قوله «أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ» «1» يعنى فله نار جهنم- ذكره الزجاج- إلا ان هذه الثانية عملت فى غير ما عملت فيه الأولى. و إنما هى بمنزلة المكرر فى المعنى. و موضع «انكم» الأولى نصب، و تقديره: أ يعدكم بأنكم. و موضع (ان) الثانية كموضع الأولى، و انما ذكرت تأكيداً، و المعنى: أ يعدكم أنكم تخرجون إذا متم، فلما بعد ما بين (ان) الأولى، و الثانية بقوله «إذا كنتم ترابا و عظاما» أعيد ذكر (أن).
ثم قالوا لهم «هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ» من البعث، و النشور، و الجزاء بالثواب و العقاب. و معنى «هيهات» بعد الأمر جداً حتى امتنع، و هو بمنزلة (صه، و مه) إلا ان هذه الأصوات الأغلب عليها الأمر و النهى و هذا فى الخبر و نظيره (شتان) أى بعد ما بينهما جداً، و انما لم تتمكن هذه الأصوات فى الأسماء بخروجها إلى شبه الافعال التى هى معانيها، و ليست مع ذلک افعالا، لأنه لا يضمر فيها، و لا لها تصرف الأفعال فى أصلها، و انما جعلت هكذا، و للافهام بما تفهم به البهيمة من الزجر بالأصوات، على هذه الجملة. و قال ابن عباس: معنى (هيهات)

---

(1) سورة 9 التوبة آية 64

بعيد بعيد. و العرب تقول: (هيهات) لما تبغى، و هيهات ما تبغى، قال جرير:
فهيهات هيهات العقيق و من به و هيهات وصل بالعقيق نواصله «1»
و يروى أيهات. و كان الكسائى: يقف بالهاء، فيقول: هيهاة، على قياس هاء التأنيث فى الواحد زائدة نحو (علقاة) و اختار الفراء الوقف بالتاء، لأن قبلها ساكناً، فصارت كما تقول: بنت و أخت. قال: و لأن من العرب من يخفض التاء، فدل ذلک على انها ليست بهاء التأنيث، و انما هى بمنزلة دراک، و نظار ماله. و من وقف بالهاء جعلها كالادارة و قال الزجاج: يجوز هيهات و هيهتاً و هيهاتاً بالتنوين، و ترک التنوين. قال الأخفش: يجوز فتح التاء و كسرها و منهم من يجعل بدل الهاء همزة، فيقول: أيهات، و هى لغة تميم، غير انهم يكسرون التاء. و من العرب من إذا جعلها فى موضع اسم. قال: لم

أره مذ أيهات من النهار- بضم التاء- و تنوينها.
و منهم من يجعل مكان التاء نوناً، فيقول: ايهان واحدها أيها، قال الشاعر:
و من دونى الاعيار و القيع كله و كتمان أيهاناً أشت و أبعدا «2»

إِنْ هِيَ إِلاَّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (37) إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَ ما نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (38) قالَ رَبِّ انْصُرْنِى بِما كَذَّبُونِ (39) قالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ (40)

أربع آيات بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى عن الملأ الذين قالوا «هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ» لقومهم

---

(1) ديوانه 385 «دار بيروت»

(2) تفسير القرطبى 12/ 123

الذين أغووهم، و قالوا أيضاً ليست الحياة «إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ» أى لسنا نبعث يوم القيامة على ما يقول هذا المدعى للنبوة من قبل اللَّه.

و معنى «نَمُوتُ وَ نَحْيا» أى يموت منا قوم و يحيا قوم، لأنهم لم يكونوا يقرون بالنشأة الثانية، فلذلك قالوه على هذا الوجه، و شبههم فى انكار البعث طول المدة فى القرون الخالية، فظنوا أنه ابداً على تلك الصفة، و هذا أبلغ، لأنه إذا اقتضت الحكمة طول المدة لما فى ذلك من المصلحة للمكلفين، فلا بد منه، لأن الحكيم لا يخالف مقتضى الحكمة، فقال النبى المرسل عند ذلك يا «رَبِّ انْصُرْنِى بِما كَذَّبُونِ» أى أهلك هؤلاء جزاء على تكذيبى و نصرة لى، و معونة على صحة قولى. فقال اللَّه تعالى له «عَمَّا قَلِيلٍ» أى عن قليل و (ما) زائدة «لَيُصْبِحُنَّ» هؤلاء القوم «نادِمِينَ» على ما فعلوه من تكذيب الرسل، و جحد وحدانية اللَّه، و الاشراك مع اللَّه فى عبادته غيره و اللام فى قوله «ليصبحن» لام القسم يجوز أن يقدم ما بعدها عليها و تقدير الكلام: ليصبحن هؤلاء نادمين عن قليل.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (41) ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ (42) ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ (43) ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَ جَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ (44) ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى وَ أَخاهُ هارُونَ بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ (45)
إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً عالِينَ (46)
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 369
ست آيات فى الكوفى و البصرى، و سبع فى المدنيين، عدوا قوله «ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى وَ أَخاهُ هارُونَ» آية.
لما قال اللّه تعالى لصالح (ع) انه عما قليل يصبح هؤلاء الكفار نادمين، على ما فعلوا. حكى اللّه أنهم «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ» و الصيحة الصوت الشديد الذى يفزع منها، فأهلك اللّه تعالى (ثمود) بالصيحة و هى صيحة تصدعت منها القلوب.
و قوله «بالحق» معناه على وجه الحق، و هو أخذهم بالعذاب من أجل ظلمهم، بإذن ربهم و هو وجه الحق. و لو أخذوا بغير هذا، لكان أخذاً بالباطل، و هو كأخذ كل واحد بذنب غيره.
و قوله «فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً» فالغثاء القش الذى يجىء به السيل على رأس الماء:
قصب و حشيش و عيدان شجر و غير ذلک. و قيل: الغثاء البالى من ورق الشجر، إذا جرى السيل رأيته مخالطاً زبده. و قوله «فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ» معناه بعداً لهم من الرحمة، و هى كاللعنة التى هى ابعاد من رحمة اللّه، و قالوا فى الدعاء على الشىء: بعداً له، و لم يقولوا فى الدعاء له قرباً له أى من الرحمة لأنهم طلبوا الانغماس فى الرحمة، فتركوا التقابل لهذه العلة. و قال ابن عباس و مجاهد. و قتادة: الغثاء المتفتت البالى من الشجر يحمله السيل. و قيل: ان اللّه بعث ملكاً صاح بهم صيحة ماتوا عندها عن آخرهم.
ثم اخبر تعالى فقال «وَ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ» يعنى بعد هؤلاء الذين أهلكهم بالصيحة «قرونا» أى أمماً «آخرين» و اخبر انه «ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَها وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ» و هذا وعيد لهؤلاء المشركين، و معناه إن كل أمة لها أجل و وقت التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 370
مقدر قدره اللّه لها إذا بلغته لا تؤخر عنه و لا تقدم عليه، بل تهلک عنده. و الأجل:
هو الوقت المضروب لحدوث أمر من الأمور، و ليس الأجل الوقت المعلوم أنه يحدث فيه أمر من الأمور، لان التأجيل فعل يكون به الوقت أجلا لأمر، و

ما فى المعلوم ليس بفعل. و الأجل المحتوم لا يتأخر و لا يتقدم. و الأجل المشروط بحسب الشرط.
و المعنى فى الأجل المذكور- فى الآية- الأجل المحتوم.
ثم اخبر تعالى انه أرسل بعد ان أهلک من ذكره (رسلا تترا) و قرأ ابن كثير و أبو عمرو بالتنوين. الباقون بغير تنوين، و لا خلاف فى الوقف انه بألف.
فمن نون لم يمل فى الوقف، و من لم ينون فمنهم من يميل، و منهم من لا يميل. و المواترة المتابعة. و قيل: هى المواصلة يقال: واترت بين الخبرين أى تابعت بينهما. و قال ابن عباس و مجاهد، و ابن زيد: معنى «تترا» أى متواترين يتبع بعضهم بعضاً، و هى (فعلى) من المواترة فمن صرفها جعل الألف للإلحاق، و من لم يصرفها جعلها للتأنيث، و يقال: جاءت كتبه تترى. و أصل (تترى، و ترى) من و ترت، فقلبت الواو تاء لكراهتهم الواو أولا، حتى لم يزيدوها هناک البتة مع شبهها بالتاء فى اتساع المخرج، و القرب فى الموضع. و أصله فى المعنى الاتصال، فمنه الوتر الفرد عن الجمع المتصل، و منه الوتر لاتصاله بمكانه من القوس. و منه و ترت الرجل أى قطعته بعد اتصال.
ثم اخبر تعالى انه «كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها» الذى بعثه اللَّه اليهم «كذبوه» و لم يقروا بنبوته.
و قوله «فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً» يعنى فى الإهلاک أى إهلاكنا قوماً بعد قوم «وَ جَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ» يتحدثون بهم على وجه المثل فى الشر، و هو جمع احدوثة.
و لا يقال فى الخير لأن الناس يفسرون فى الحديث بأسباب الشر أكثر و أغلب.
ثم قال تعالى «فبعدا» من رحمة اللَّه و رسوله «لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ» أى التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 371
لا يصدقون بوحدانيته فيقرون بالبعث و النشور و الجزاء.
ثم اخبر تعالى انه أرسل- بعد إهلاک من ذكره- «مُوسى وَ هارُونَ» نبيين «بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ» بأدلة من اللَّه و حجج ظاهرة «إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ» يعنى قومه «فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً عالِينَ» و الملأ الجماعة التى تملأ الصدر هيبتهم، و هم أشراف القوم و رؤساؤهم، و خصوا بالذكر، لأن من دونهم أتباع لهم. فلما استكبروا و ردوا دعوة الحق تبعهم غيرهم ممن هو دونهم. و قوله «فَاسْتَكْبَرُوا» اى تكبروا و تجبروا عن الاجابة لهما، و طلبوا بذلک الكبر، فكل مستكبر من العباد جاهل، لأنه يطلب أن يعظم بما فوق العبد، و هو عبد اللَّه مملوک يلزمه التذلل له و الخضوع، فهى صفة ذمّ للعبد، و كذلک جبار و متجبر، و هو مدح فى صفات اللَّه تعالى، لان صفته تجل عن صفات المخلوقين، و تعلو فوق كل صفة.
و قوله «وَ كانُوا قَوْماً عالِينَ» أى كانوا قاهرين للناس بالبغى و التطاول

عليهم و لهذا كانت صفة ذم. و العالى القاهر القادر الذى مقدوره فوق مقدور غيره لعظمه يقال: علا فلان إذا ترفع و طغا و تجاوز، و منه قوله «أَلَّا تَعْلُوا عَلَىَّ» «1» و قوله «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِى الْأَرْضِ» «2» و قوله «قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلى» «3» أى من علا على صاحبه و قهره بالحجة.

فَقالُوا أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا وَ قَوْمُهُما لَنا عابِدُونَ (47) فَكَذَّبُوهُما فَكانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (48) وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (49) وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً وَ آوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَ مَعِينٍ (50)

---

(1) سورة 27 النمل آية 31
(2) سورة 28 القصص آية 4
(3) سورة 20 طه آية 64 [.....]

أربع آيات بلا خلاف.
يقول اللّه تعالى حكاية عن فرعون و قومه بعد ما أخبر عنهم بالاستكبار، و العلو على موسى و هارون، و ترک اجابتهما انهم «فَقالُوا أَ نُؤْمِنُ» أى نصدق «لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا» أى إنسانين خلقهم مثل خلقنا، و سمى الإنسان بشراً، لانكشاف بشرته، و هى جلدته الظاهرة، حتى احتاج الى لباس يكنه، لأن غيره من الحيوان مغطى البشرة بريش أو صوف أو شعر أو وبر أو صدف، لطفاً من اللّه تعالى لهم إذا لم يكن هناک عقل يدبر أمره مع حاجته الى ما يكنه. و هدى الإنسان الى ما يستغنى به فى هذا الباب. و قوله «وَ قَوْمُهُما لَنا عابِدُونَ» معناه انهم لنا مطيعون طاعة العبد لمولاه. و قال قوم: معناه إنهم يذلون لنا و يخضعون. و قال ابو عبيدة: كل من دان لملک، فهو عابد له، و منه سمى أهل الحيرة العباد، لأنهم كانوا يطيعون ملوک العجم. قال الحسن: كان بنوا إسرائيل يعبدون فرعون و فرعون يعبد الأوثان.
ثم اخبر عنهم انهم كذبوا موسى و هارون، فكان عاقبة تكذيبهما أن اهلكهم اللّه و غرقهم. و الإهلاک إلقاء الشىء بحيث لا يحس به، فهؤلاء هلكوا بالعذاب و يقال للميت: هالک من هذا المعنى.
ثم اقسم تعالى انه آتى موسى الكتاب يعنى التوراة التى فيها ما يحتاجون اليه لكى يهتدوا إلى طريق الحق، من معرفة اللّه و خلع الأنداد.
و قوله «وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً» معناه جعلناهما حجة، على أنه تعالى قادر على اختراع الأجسام من غير شىء، كما اخترع عيسى من غير أب. و الاية- هاهنا- فى عيسى (ع) أنه ولد من غير فحل، و نطق فى المهد. و فى أمه أنها حملته التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 373
من غير ذكر و برأها كلامه فى المهد من الفاحشة.
و قوله «وَ آوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَ مَعِينٍ» يقال: آوى اليه يأوى، و آواه غيره يؤويه إيواء أى جعله مأوى له. (و الربوة) المكان المرتفع على ما حوله، و يجوز ضم الراء و فتحها و كسرها، و بالفتح قرأ عاصم و ابن عامر.

الباقون بالضم أيضاً.
و لم يقرأ احد بالجر. و يقال: رباوة بفتح الراء و كسرها و الف بعد الباء. فصار خمس لغات. و الربوة التى أويا اليها فى الرملة- فى قول أبى هريرة- و قال سعيد بن المسيب:
هى دمشق، و قال ابن زيد: هى مصر. و قال قتادة هى بيت المقدس. و قال ابو عبيدة:
يقال: فلان فى ربوة من قومه أى فى عز و شرف، و عدد. و قوله «ذات قرار» أى تلك الربوة لها ساحة و سعة أسفل منها. و «ذات معين» أى ماء جار، ظاهر بينهم. و قيل: معنى «ذات قرار» ذات استواء يستقر عليه. و معين ماء جار ظاهر للعيون- فى قول سعيد و الضحاک- و قال قتادة «ذات قرار» ذات ثمار، ذهب إلى انه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها. و معين (مفعول) من عنته أعينه، و يجوز أن يكون (فعيلا) من معن يمعن، و هو الماعون، و هو الشىء القليل- فى قول الزجاج- قال الراعى:
قوم على الإسلام لما يمنعوا ما عونهم و يبدلوا التنزيلا
قيل معناه وفدهم. و قيل: زكاتهم. و أمعن فى كذا إذا لم يترک منه إلا القليل. و قال الفراء: المعن الاستقامة. قال عبيد بن الأبرص:
واهية او معين ممعن أو هضبة دونها لهوب «1»
واحدها لهب، و هو شق فى الجبل، واهية أى وهت. و مطر ممعن أى مار.

---

(1) ديوانه «دار بيروت» 25

يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَ اعْمَلُوا صالِحاً إِنِّی بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53) فَذَرْهُمْ فِی غَمْرَتِهِمْ حَتَّی حِينٍ (54) أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ (55)
نُسارِعُ لَهُمْ فِی الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ (56)
ست آيات.
قرأ اهل الكوفة و ابن عامر (و إن) بكسر الهمزة، و خفف ابن عامر النون و سكنها. و قرأ الباقون بفتح الهمزة مشددة النون.
قال قوم: هذا خطاب لعيسی (ع) حكاه اللّه تعالی، قالوا: و ذلک لما جری ذكره كأنه قال: يا عيسی «كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ» و قال: آخرون: هو خطاب للنبی (ص) خاصة خاطبه بلفظ الجمع، كما يقال للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عنا.
و قال قوم: لما ذكر بعض الأنبياء، كأنه قال: و قلنا لهم «يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ» و الأكل تناول الطعام بالفم، و مضغه و ابتلاعه. و صورة «كلوا» صورة الأمر، و المراد به الاباحة. و أصل «كلوا» اؤكلوا، فحذفت الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال. و المعنی مفهوم، لأنه من الاكل. و (الطيبات) الحلال، و قيل: هو المستلذ. فعلی الوجه الأول يكون أمراً بنفل، لأن تقديره كلوا من الحلال علی الوجه الذی يستحق به الحمد. و علی الثانی يكون علی الاباحة، كما قال التبيان فی تفسير القرآن، ج7، ص: 375
تعالی «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ» «1».
و قوله «وَ اعْمَلُوا صالِحاً» أمر من اللّه لهم بأن يعملوا الطاعات، واجباتها و نوافلها. و الصلاح الاستقامة، علی ما تدعو اليه الحكمة. و قال قوم: انما هذا حكاية لما قيل لجميع الرسل. و هو الوجه. و قال آخرون: المعنی و قلنا لعيسی «يا أَيُّهَا الرُّسُلُ» علی الجمع علی ما ذكرناه من المثال.
و قوله «وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ» موضع (ان) نصب، لان تقديره، و لان (هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) أی لهذه فاتقون. و قيل: موضعه الجر بالعطف علی (بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ). و من كسر الهمزة استأنف الكلام. و معنی الأمة- هاهنا- الملة سماها بذلک للإجماع عليها بأمر اللّه. و قال الحسن و ابن جريج: معنی (وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً) أی دينكم دين واحد. و قيل: جماعتكم جماعة واحدة فی الشريعة التی نصبها اللّه لكم. و نصب (أُمَّةً واحِدَةً) علی الحال. و قال الجبائی:
معناه (وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً) فی أنهم عبيد اللّه، و خلقه و تدبيره.

و قوله (فَتَقَطّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراَ) فالزبر الكتب- فى قول الحسن و قتادة و مجاهد و ابن زيد- و هو جمع زبور، كرسول و رسل. و المعنى تفرقوا كتباً دانوا بها، و كفروا بما سواها، كاليهود دانوا بالتوراة و كفروا بالإنجيل، و القرآن.
و كالنصارى دانوا بالإنجيل و كفروا بالقرآن. و من قرأ (زبراً) بفتح الباء، و هو ابن عامر فمعناها جماعات، لأنه جمع زبرة، و زبر، كبرمة و برم.
و قوله (كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) أى كل طائفة بما عندها تفرح لاعتقادها بأن الحق معها. فقال اللَّه تعالى لنبيه (فذرهم) يا محمد (فى غمرتهم) أى جهلهم و ضلالتهم. و قيل: فى حيرتهم. و قيل: فى غفلتهم. و المعانى متقاربة (حتى حين)

_____

(1) سورة 7 الاعراف آية 31

أى حين وقت الموت. و قيل: حين العذاب.
ثم قال تعالى منكراً عليهم (أ يحسبون) أى يظنون هؤلاء الكفار (أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ) تمام الكلام أحد شيئين:
أحدهما- أ يحسبون ان الذى نمدهم به من اجل ما لهم و بنيهم، بل إنما نفعل ذلک لما فيه من المصلحة.
و الثانى- أن يكون فيه حذف، و تقديره أ يحسبون أن الذى نمدهم به من المال و البنين حق لهم أو لكرامتهم عندنا، لا، بل نفعل ذلک لما فيه من المصلحة التى ذكرناها، و يكون قوله (نُسارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْراتِ) ابتداء كلام، و لا يجوز أن يكون الإنكار وقع لظنهم ان ذلک مسارعة لهم فى الخيرات، لأنه تعالى قد سارع لهم فى الخيرات، بما فعل بهم من الأموال و البنين، لما لهم فى ذلک من اللطف و المصلحة. و الغرض فى ذلک ان يعرفوا اللَّه و يؤدوا حقوقه (بل لا يشعرون) أى و هم لا يشعرون بذلک، و لا يفهمونه لتفريطهم فى ذلک.
و المسارعة تقديم العمل فى أوقاته التى تدعو الحكمة الى وقوعه فيه، و هى سرعة العمل. و مثله المبادرة. و انما بنى على (مفاعلة) لان الفعل كأنه يسابق فعلا آخر.
و الخيرات المنافع التى يعظم شأنها، و نقيضها الشرور. و هى المضار التى يشتد أمرها.
و الشعور العلم الذى يدق معلومه، و فهمه على صاحبه دقة الشعر. و قيل: هو العلم من جهة المشاعر، و هى الحواس، و لهذا لا يوصف اللَّه تعالى به.
و قيل: نسارع لهم فى الخيرات أى نقدم لهم ثواب أعمالهم لرضانا عنهم، و محبتنا إياهم، كلا، ليس الأمر كذلک، بل نفعله ابتلاء فى التعبد لهم.

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَ الَّذِينَ هُمْ بِآياتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (59) وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ (60) أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ هُمْ لَها سابِقُونَ (61)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ) اى خوفاً من عقابه (مشفقون) و الخشية ظن لحوق المضرة. و مثلها المخافة، و نقيضها الأمنة، فالخشية انزعاج النفس بتوهم المضرة، و الظن كذلك يزعج النفس، فيسمى باسمه على طريق البلاغة، و الخشية من اللّه خشية من عقابه و سخطه على معاصيه، (وَ الَّذِينَ هُمْ بِآياتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ) و بحججه من القرآن و غيره يصدقون (وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ) أى لا يشركون بعبادة اللّه غيره، من الأصنام و الأوثان، لان خصال الايمان لا تتم إلا بترك الاشراك دون ما يقول أهل الجاهلية إنا نؤمن باللّه.

و قوله (وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا) اى يعطون ما اعطوا، من الزكاة و الصدقة، و ينفقونه فى طاعة اللّه (وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) أى خائفة من عقاب اللّه لتفريط يقع منهم.

قال الحسن: المؤمن جمع إحساناً و شفقة. و قال ابن عمر: ما آتوا من الزكاة (وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) أى خائفة (أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ) اى يخافون من رجوعهم الى اللّه التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 378

يوم القيامة، و الى مجازاته اى يخافون ذلک، لأنهم لا يأمنون التفريط. ثم أخبر عمن جمع هذه الصفات و كملت فيه، فقال (أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ) أى يبادرون الى الطاعات، و يسارعون اليها: من الايمان باللّه و يجتهدون فى السبق اليها رغبة فيها و لعلهم بما لهم بها من حسن الجزاء. و قوله (وَ هُمْ لَها سابِقُونَ) قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

أحدها- قال ابن عباس انهم: سبقت لهم السعاة.

الثانى- و هم من اجل تلک الخيرات سابقون الى الجنة.

الثالث- و هم الى الخيرات سابقون.

وَ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها وَ لَدَيْنا كِتابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (62) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هذا وَ لَهُمْ أَعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلِكَ هُمْ لَها عامِلُونَ (63) حَتَّى إِذا أَخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذابِ إِذا هُمْ يَجْأَرُونَ (64) لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ (65) قَدْ كانَتْ آياتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ (66)
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سامِراً تَهْجُرُونَ (67)
ست آيات بلا خلاف.
يقول اللَّه تعالى مخبراً عن نفسه «لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» يعنى إلا على قدر طاقتها و قوتها، و مثله قوله تعالى «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» «1» و الوسع

---

(1) سورة 2 البقرة آية 286

الحال التى يتسع بها السبيل الى الفعل. و قيل: إن الوسع دون الطاقة. و التكليف تحميل ما فيه المشقة بالأمر و النهى و الاعلام، و هو مأخوذ من الكلفة فى الفعل، و اللَّه تعالى مكلف عباده تعريضاً لهم للنفع الذى لا يحسن الابتداء بمثله، و هو الثواب.
و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة: فى تكليف ما لا يطاق، لأنه لو كلف ما لا يطيقه العبد لكان قد كلفه ما ليس فى وسعه. و الآية تمنع من ذلك.
و قوله «وَ لَدَيْنا كِتابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ» يريد الكتاب الذى فيه اعمال العباد مكتوبة من الطاعة و المعصية تكتبه عليه الملائكة الموكلون به كما قال «ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» «1» ثم أخبر تعالى «انهم لا يظلمون» أى لا يؤاخذون بما لا يفعلونه و لا ينقصون عما استحقوه.
ثم اخبر تعالى فقال «بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هذا» اى فى غفلة من هذا اليوم، و هذه المجازاة. و قال الحسن: معناه فى حيرة. و هذا اخبار منه تعالى بما يكون منهم فى المستقبل من الاعمال القبيحة، زائدة على ما ذكره و حكاه أنه فعلهم «وَ لَهُمْ أَعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلِكَ هُمْ لَها عامِلُونَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال قتادة و ابو العالية- و فى رواية عن مجاهد- ان لهم خطايا من دون الحق.
و الثانى- قال الحسن و ابن زيد- و فى رواية عن مجاهد- ايضاً: أعمالا من دون ما هم عليه لا بد من ان يعملوها. و قوله «حَتَّى إِذا أَخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ

بِالْعَذابِ إِذا هُمْ يَجْأَرُونَ» فالمترف المتقلب فى لين العيش و نعومته. و منه قوله «وَ أَتْرَفْناهُمْ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا» «2» و (يجأرون) معناه يضجون، لشدة العذاب. و قال ابن عباس:

---

(1) سورة 50 ق آية 18
(2) سورة 23 المؤمنون آية 33

يستغيثون. و قال مجاهد: كان ذلک بالسيوف يوم بدر، و الجؤار: رفع الصوت، كما يجأر الثور. قال الأعشى:

يراوح من صلوات المليک طوراً سجوداً و طوراً جؤارا «1»

و قيل معنى «يجأرون» يصرخون بالتوبة، فيقول اللَّه لهم «لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ» أى لا تصرخوا فى هذا اليوم «إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ» بقبول التوبة، و لا لكم من يدفع عنكم ما أفعله من العذاب. ثم يقول اللَّه تعالى لهم «قَدْ كانَتْ آياتِى» أى حججى و براهينى «تُتْلى عَلَيْكُمْ» من القرآن و غيره «فَكُنْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ» فالنكص الرجوع القهقرى و هو المشى على الأعقاب الى خلف، و هو أقبح مشية.

مثل شبه اللَّه به أقبح حال فى الاعراض عن الداعى الى الحق. و قال سيبويه: لأنه يمشى و لا يرى ما وراءه، فهو النكوص. و قال مجاهد: ينكصون معناه يستأخرون.

و قيل: يدبرون. و قوله «مستكبرين» نصب على الحال، و معناه «تنكصون» فى حال تكبركم عن الانقياد لحجج اللَّه، و الاجابة لأنبيائه. و قال ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتادة و الضحاک: «مستكبرين به» أى بحرم اللَّه أنه لا يظهر عليكم فيه أحد.

و قوله «سامِراً تَهْجُرُونَ» فالسامر الذى يحدث بالسمر ليلا، و منه السمرة و السمار، لان جميع ذلک من اللون الذى بين السواد و البياض. و قيل: السمر ظل القمر، و يقال له الفخت، و معنى «سامِراً» أى سماراً، فوضع الواحد موضع الجمع لأنه فى موضع المصدر، كما يقال قوموا قائماً أى قياماً قال الشاعر:

من دونهم إن جئتهم سمراً عزف القيان و مجلس غمر «2»

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 84 و قد مر فى 1/ 263
(2) اللسان (سمر). و تفسير الطبرى 18/ 26 و القرطبى 12/ 137

و كانوا يسمرون حول الكعبة بالليل. و قيل: انما وحد، لأنه فى موضع الوقت و تقديره لئلا تهجرون، و الهجر الكلام المرفوض، و هو المهجور منه، لأنه لا خير فيه. و النائم يهجر فى نومه أى يأتى بكلام مختلط لا فائدة فيه. و فى

معنى تهجرون قولان:
أحدهما- تهجرون الحق بالاعراض عنه، فى قول ابن عباس.
الثانى- تقولون الهجر، و هو السىء من القول، فى قول سعيد بن جبير و مجاهد و ابن زيد.
و قرأ نافع وحده «تهجرون» بضم التاء أراد من الهجر، و هو الكلام السىء. الباقون بفتح التاء و ضم الجيم، على ما فسرناه، يقال: هجر يهجر هجراً إذا هذى.

أَ فَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جاءَهُمْ ما لَمْ يَأْتِ آباءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (68) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (69) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ (70)

ثلاث آيات بلا خلاف يقول اللّه تعالى منكراً على هؤلاء الكفار «أَ فَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ» الذى أتاهم به من القرآن و يتفكروا فيه، فيعلموا انه من قبل اللّه، لعجز الجميع عن الإتيان بمثله.

و قوله «أَمْ جاءَهُمْ ما لَمْ يَأْتِ آباءَهُمُ الْأَوَّلِينَ» توبيخ لهم على انكار الدعوة من هذه الجهة، و مع ذلک، فقد جاءت الرسل الأمم قبلهم، متواترة، فهو عيب و خطأ من كل جهة «أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ» لكونه غريباً فيهم، فلا يعرفون صدقه، و لا أمانته التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 382

«فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ» لذلک؟! ثم اخبر تعالى أن النبى (ص) «جاءَهُمْ بِالْحَقِّ» من عند اللّه «و أكثرهم» يعنى اكثر الناس «لِلْحَقِّ كارِهُونَ» أى يكرهونه بمجيئه بما ينافى عادتهم.

وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْناهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (71) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَراجُ رَبِّکَ خَيْرٌ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (72) وَ إِنَّکَ لَتَدْعُوهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (73) وَ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّراطِ لَناكِبُونَ (74) وَ لَوْ رَحِمْناهُمْ وَ كَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ (75)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو، و نافع، و عاصم «خرجاً» بلا ألف «فخراج» بألف. و قرأ حمرة و الكسائى «خراجاً فخراج» بالألف فيهما. و قرأ ابن عامر «خرجاً فخرج» بلا ألف فيهما.

معنى قوله «وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ» ان الحق لما كان يدعو الى الافعال الحسنة. و الاهواء تدعوا إلى الافعال القبيحة، فلو اتبع الحق داعى الهوى لدعاه الى قبيح الاعمال و الى ما فيه الفساد و الاختلاط، و لو جرى الامر على ذلک «لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ» و وجه فساد العالم بذلک: انه يوجب بطلان الادلة و امتناع الثقة بالمدلول عليه، و انه لا يؤمن وقوع الظلم، الذى لا ينصف منه، و تختلط التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 383

الأمور أقبح الاختلاط و لا يوثق بوعد، و لا وعيد، و لا يؤمن انقلاب عدل الحكيم. و هذا معنى عجيب. و قال قوم من المفسرين: إن الحق- فى الآية- هو اللّه و التقدير: و لو اتبع الحق أعنى الله أهواء هؤلاء الكفار، و فعل ما يريدونه لفسدت السموات و الأرض. و قال الجبائي: المعنى لو اتبع الحق- الذى هو التوحيد- أهواءهم فى الاشراک معه معبوداً سواه، لوجب ان يكون ذلک المعبود مثلا له و لصح بينهما الممانعة، فيؤدى ذلک الى الفساد، كما قال تعالى «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا» «1».

و الهوى ميل النفس الى المشتهى من غير داعى الحق، كما قال تعالى «وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى» «2»، فلا يجوز لاحد أن يفعل شيئاً لأنه يهواه. و لكن يفعله لأنه صواب، على انه يهواه أو لأنه يهواه مع أنه صواب حسن جائز. و قال ابو صالح و ابن جريج: الحق هو اللّه، و قال الجبائى معنى «وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ» فيما يعتقدون من الآلهة «لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ» كقوله «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا».

و قوله «بَلْ أَتَيْناهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ»، قال ابن عباس: معنى الذكر البيان للحق. و قال غيره: الذكر الشرف. كقوله «وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ» «3» و كل ذلک يراد به القرآن.

ثم قال «أَمْ تَسْأَلَهُمْ» يا محمد «خرجا» أى اجراً على العمل- فى قول الحسن- و أصل الخرج و الخراج واحد، و هو الغلة التى تخرج على سبيل الوظيفة منه.
و منه خراج الأرض، و هما مصدران لا يجمعان. ثم قال «فَخَراجُ رَبِّکَ» أى أجر ربک «خَيْرٌ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» يعنى اللّه خير من يرزق. و فى ذلک دلالة على أن

---

(1) سورة 21 الأنبياء آية 22
(2) سورة 79 النازعات آية 41
(3) سورة 43 الزخرف آية 44

غير اللّه قد يرزق باذنه، و لولا ذلک لم يجز (خَيْرُ الرَّازِقِينَ).
ثم قال لنبيه محمد (ص) (و انک) يا محمد (لتدعوهم) أى هؤلاء الكفار (إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) من التوحيد، و اخلاص العبادة، و العمل بالشريعة (وَ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) يعنى من لا يصدقون بالبعث يوم القيامة (عن الصراط) صراط الحق (لناكبون) أى عادلون عن دين الحق. و قال الجبائى: معناه لناكبون فى الآخرة عن طريق الجنة، بأخذهم يمنة و يسرة إلى النار.
ثم قال تعالى (وَ لَوْ رَحِمْناهُمْ) فى الاخرة و رددناهم الى دار الدنيا، و كلفناهم فيها (لَلَجُّوا فِى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ) كما قال (وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ) «1» و قال ابن جريج يريد فى الدنيا أى (لَوْ رَحِمْناهُمْ وَ كَشَفْنا ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ) و جوع و نحوه (لَلَجُّوا فِى طُغْيانِهِمْ) أى فى غوايتهم (يعمهون) أى يترددون.

وَ لَقَدْ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبِّهِمْ وَ ما يَتَضَرَّعُونَ (76) حَتَّى إِذا فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً ذا عَذابٍ شَدِيدٍ إِذا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (77) وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ (78) وَ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (79) وَ هُوَ الَّذِى يُحْيِى وَ يُمِيتُ وَ لَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (80)

خمس آيات.

يقول اللّه تعالى انا أخذنا هؤلاء الكفار الذين ذكرناهم بالعذاب. و قيل:

---

(1) سورة 6 الانعام آية 28

هو الجدب و ضيق الرزق، و القتل بالسيف (فَمَا اسْتَكانُوا لِرَبِّهِمْ) أى لم يذلوا عند هذه الشدائد، و لم يتضرعوا اليه، فيطلبوا كشف البلاء منه تعالى عنهم بالاستكانة له، و الاستكانة طلب السكون خوفاً من السطوة. يقال: استكان الرجل استكانة إذا ذل عند الشدة.

و قوله (حَتَّى إِذا فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً ذا عَذابٍ شَدِيدٍ إِذا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) فالفتح فرج الباب بطريق يمكن السلوك فيه، فكأنه فتح عليهم باباً أتاهم منه العذاب.

و قيل: ان ذلک حين

دعا النبى (ص) فقال: (اللهم سنين كسنى يوسف)

فجاعوا حتى أكلوا العلهز و هو الوبر بالدم فى قول مجاهد.

و قال ابن عباس: هو القتل يوم بدر. و قال الجبائى فتحنا عليهم باباً من عذاب جهنم فى الآخرة.

و الإبلاس الحيرة لليأس من الرحمة، يقال: أبلس فلان إبلاساً إذا بهت عند انقطاع الحجة.

و قوله (وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ) أى أوجدكم، و اخترعكم من غير سبب «وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ» أى و خلق لكم السمع تسمعون به الأصوات و الأبصار تبصرون بها المرئيات و خلق لكم (الافئدة) و هو جمع فؤاد، و هو القلب (قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ) نصب (قليلا) على المصدر و (ما) صلة، و تقديره تشكرون قليلا لهذه النعم التى أنعم بها عليكم.

ثم قال (وَ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ) اى خلقكم و أوجدكم (فِى الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم إما الثواب أو العقاب. و المراد إلى الموضع الذى يختص تعالى بالتصرف فيه، و لا يبقى لاحد هناک ملک. و قال الفراء:

و هو الذى خلق السماوات و الأرض أى اخترعهما، و انشأهما، و قدرهما على ما فيهما التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 386
من انواع المخلوقات، ليدل بها على توحيده و ألا إله سواه «وَ لَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ» اى له مرورهما يوماً بعد ليلة. و ليلة بعد يوم، كما يقال إذا اتى الرجل الدار مرة بعد مرة: هو يختلف الى هذه الدار. و قيل: معناه و له تدبيرهما بالزيادة و النقصان.
ثم قال (أ فلا تعقلون) فتفكرون فى جميع ذلک، فتعلمون انه لا يستحق الالهية سواه، و لا تحسن العبادة إلا له.

بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ الْأَوَّلُونَ (81) قالُوا أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (82) لَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وَ آباؤُنا هذا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلاَّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (83) قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيها إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (85)
قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ (87) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (89) بَلْ أَتَيْناهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (90)
عشر آيات بلا خلاف.
قرأ ابو عمرو «سيقولون اللَّه» فى الأخيرتين. الباقون «للّه» بغير الف،

و لا خلاف فى الاولى أنها بغير الف.
اخبر اللَّه تعالى حاكياً عن الكفار ممن عاصر النبى (ص) أنهم لم يؤمنوا باللَّه و لم يصدقوا رسوله فى اخلاص العبادة له تعالى «بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ الْأَوَّلُونَ» أى مثل الذى قاله الكفار الأولون: من انكار البعث و النشور و الحساب و الجنة و النار، فأقوال هؤلاء مثل أقوال أولئك. و انما دخلت عليهم الشبهة فى انكار البعث، لأنهم لم يشاهدوا ميتاً عاش، و لا جرت به العادة. و شاهدوا النشأة الاولى من ميلاد من لم يكن موجوداً. و لو فكروا فى أن النشأة الأولى أعظم منه لعلموا أن من أنكره فقد جهل جهلا عظيماً، و ذهب عن الصواب ذهاباً بعيداً، لان من قدر على اختراع الأجسام لا من شىء، قدر على إعادتها إلى الصفة التى كانت عليها، مع وجودها.
ثم حكى ما قال كل منهم، فإنهم قالوا منكرين «أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ» أى كيف نصير أحياء بعد أن صرنا تراباً و رمماً و عظاماً نخرة؟! ثم قالوا «لَقَدْ وُعِدْنا» بهذا الوعد «نَحْنُ وَ آباؤُنا» من قبل هذا الوعد، فلم نر لذلك صحة، و لا لهذا الوعد صدقاً، و ليس «هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى ما سطره الأولون مما لا حقيقة له، و انما يجرى مجرى حديث السمر الذى يكتب للاطراف به. و الأساطير هى الأحاديث المسطرة فى الكتب، واحدها أسطورة.
فقال اللَّه تعالى لنبيه (ص) «قل» يا محمد لهؤلاء المنكرين للبعث و النشور «لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيها» أى من يملك الأرض و يملك من فيها من العقلاء [و قوله «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» موافقة لهم فى دعواهم. ثم قال فى الجواب «سَيَقُولُونَ لِلَّهِ» أى سيقولون إن السموات و الأرض و من فيهما للَّه، لأنهم لم يكونوا يجحدون اللَّه.

و انما كذبوا الرسول. و قوله «قُلْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ» أى أ فلا تتفكرون فى مالكها.
و تتذكرون قدرته و انه لا يعجزه شىء عن إعادتكم بعد الموت، مرة ثانية كما انشأكم التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 388
أول مرة] «1» ثم قال له «قل» يا محمد لهم ايضاً «مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ» أى من مالكها و المتصرف فيها؟ و لولاه لبطل كل شىء سواه، لأنه لا يصح إلا مقدوره او مقدور مقدوره، فقوام كل ذلک به، و لا تستغنى عنه طرفة عين لأنها ترجع الى تدبيره على ما يشاء (عز و جل) و كذلک هو تعالى «رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» و انما وجب أن يكون رب السماوات و العرش، من حيث كانت هذه الأشياء جميعها محدثة، لا بد لها من محدث اختراعها و انشأها، و لا بد لها من مدبر يدبرها و يمسكها، و يصرفها على ما تتصرف عليه، و لا بد أن يختص بصفات: من كونه قادراً عالماً لنفسه ليتأتى منه جميع ذلک، على ما دبره. و لولا كونه على هذه الصفات، لما صح ذلک.
ثم إخبر أنهم يقولون فى الجواب عن ذلک رب السماوات و رب العرش هو «اللَّه» و من قرأ بلا ألف فمعناه انهم يقولون إنها «للَّه» فعند ذلک «قل» لهم «أَ فَلا تَتَّقُونَ» اللَّه، و لا تخافون عقابه على جحد توحيده و الاشراک فى عبادته؟! ثم أمره بان يقول لهم أيضاً «مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ» و الملكوت عظم الملک و وزنه (فعلوت) و هو من صفات المبالغة نحو (جبروت) و من كلامهم (رهبوت خير من رحموت) أى ترهب خير من ان ترحم. و قال مجاهد: ملكوت كل شىء خزائن كل شىء، و المعنى أنه قادر على كل شىء إذا صح أن يكون مقدوراً له.
و قوله «وَ هُوَ يُجِيرُ» معناه أنه يعيذ بالمنع من السوء، لما يشاء «وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ» أى لا يمكن منع من أراده بسوء منه. و قيل «هُوَ يُجِيرُ» من العذاب «وَ لا يُجارُ عَلَيْهِ» منه. و الاجارة الاعاذة، و الجار المجير المعيذ: و هو الذى يمنعک و يؤمنک و من استجار باللَّه أعاذه، و من أعاذه اللَّه لم يصل اليه احد. فإنهم «سَيَقُولُونَ لِلَّهِ» الذى له

---

(1) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 389
ملكوت كل شىء و هو يجير و لا يجار عليه. فقل لهم عند ذلک «فَأَنَّى تُسْحَرُونَ» و معناه كيف يخيل إليكم الحق باطلاً و الصحيح فاسداً، مع وضوح الحق و تمييزه عن الباطل. و من قرأ (اللَّه) بإثبات الالف، فلانه يطابق السؤال فى قوله (من رب السموات السبع و رب الأرض ... و من بيده ملكوت كل شىء) لان جواب ذلک على اللفظ أن يقولوا (اللَّه). و من قرأ «للَّه» بإسقاط الالف، حمله على المعنى دون اللفظ، كقول القائل لمملوک: من مولاک؟ فيقول انا لفلان، و انشد الفراء لبعض بنى عامر:

و اعلم اننى سأكون رمساً إذا سار النواعج لا يسير
فقال السائلون لمن حفرتم فقال المخبرون لهم وزير «1»
لأنه بمنزلة من قال: من الميت؟ فقالوا له: وزير، و ذكر أنها فى مصاحف أهل الأمصار بغير الف، و مصحف أهل البصرة فإنها بالف. «2» فأما الاولى فلا خلاف أنها بلا ألف لمطابقة السؤال فى قوله (قل لمن الأرض) و الجواب يقتضى أن يقولوا: لله. و إنما أخبر الله تعالى عنهم، بأنهم يقولون فى جواب السؤال: للّه، لأنهم لو أحالوا على غير اللّه فى انه مالک السموات و الأرض، و أن غيره بيده ملكوت كل شىء و أن غيره رب السموات السبع، و رب العرش العظيم، لظهر كذبهم. و لعلم كل احد بطلان قولهم، لظهور الأمر فى ذلک. و قربه من دلائل العقول.
و قوله (فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) أى كيف تعمهون عن هذا، و تصدون عنه، من قولهم: سحرت أعيننا عن ذلک، فلم نبصره. و قيل معنى ذلک: فأنى تخدعون، كقول امرئ القيس:

---

(1) تفسير الطبرى 18/ 32
(2) و فى المخطوطة (فى مصاحف اهل الشام بغير الف و فى مصاحف أهل الأمصار بالألف) [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 390
و نسحر بالطعام و بالشراب «1»
أى نخدع. و قيل معناه أنى تصرفون، يقال: ما سحرک عن هذا الامر أى ما صرفک عنه. ثم أخبر تعالى أنه أتى هؤلاء الكفار بالحق الواضح: من توحيد الله و صفاته و خلع الأنداد دونه و أنه يبعث الخلق بعد موتهم، و يجازيهم على طاعاتهم بالثواب، و على معاصيهم بالعقاب، و ان الكفار كاذبون فيما يخبرون بخلافه. قال المبرد: معنى (أنى) كيف، و من أين.

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (91) عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (92) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي ما يُوعَدُونَ (93) رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (94) وَ إِنَّا عَلى أَنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرُونَ (95)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ (عالم الغيب) بالجر ابن كثير و أبو عمرو، و ابن عامر و حفص عن عاصم. الباقون بالرفع. من جر رده على قوله (سبحان الله ... عالم الغيب) فجعله صفة لله.

و من رفعه، فعلى تقدير هو (عالم الغيب).

يقول الله تعالى مخبراً أنه لم يتخذ ولداً اى لم يجعل ولد غيره ولد نفسه، لاستحالة ذلک عليه، لأنه محال أن يكون له ولد، فلا يجوز التشبيه بما هو مستحيل ممتنع

---

(1) مر تخريجه فى 1/ 372 و 5/ 268 و 6/ 485

إلا على النفى و التبعيد. و اتخاذ الولد: أن يجعل الجاعل ولد غيره يقوم مقام ولده لو كان له. و كذلک التبنى إنما هو جعل الجاعل ابن غيره يقوم مقام ابنه الذى يصح أن يكون ولداً له. و لذلک لا يقال: تبنى شاب شيخاً، و لا تبنى الإنسان بهيمة، لما استحال ان يكون ذلک ولداً له. و لا يجوز أن يقال: اتخذه ولداً، إذا اختصه بضرب من المحبة، لأن فى ذلک إخراج الشىء عن حقيقته كما أن تسمية ما ليس بطويل عريض عميق جسماً إخراج له من حقيقته.

ثم اخبر انه كما لم يتخذ ولداً، لم يكن معه إله. و هذا جواب لمحذوف، و تقديره: لو كان معه إله آخر «إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ» و فيه إلزام لمن يعبد الأصنام. و قوله «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا» «1» دليل عام فى نفى مساو للقديم فيما يقدر عليه من جميع الأجناس و المعانى. و معنى «إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ» أى لا نفرد به و لحوله من خلق غيره، لأنه لا يرضى أن يضاف خلقه و انعامه الى غيره.

فان قيل: لم لا يكون كل واحد منهم حكيماً، فلا يستعلى على حكيم غيره؟

قلنا: لأنه إذا كان جسماً و كل جسم محتاج، جاز منه أن يستعلى لحاجته، بل لا بد من أن يقع ذلک منه، لأنه ليس له مدبر يلطف له حتى يمتنع من القبيح الذى يحتاج اليه، كما يلطف الله لملائكته و أنبيائه بما فى معلومه انهم يصلحون به.

ثم نزه نفسه تعالى عن اتخاذ الولد و أن يكون معه إله غيره، فقال «سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ» من الاشراک معه، و اتخاذ الولد له.
و قوله «عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» فلذلک يأتى بالحق، و هم يأتون بالجهل. و يحتمل ان يكون معناه إن عالم الغيب و الشهادة لا يكون له شريک، لأنه أعلى من كل شىء

---

(1) سورة 21 أنبياء آية 22
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 392
فى صفته. قال الحسن: هو ردّ لقول المشركين: الملائكة بنات الله. و قال الجبائى:
فى الآية دلالة على انه يجوز ان يدعو الإنسان بما يعلم انه يكون لا محالة و أن الله لا بد أن يفعله.
ثم قال تعالى (فَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ) أى تعاظم الله عن ان يشرک هؤلاء الكفار معه من الأصنام و الأوثان. ثم قال لنبيه (ص) (قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى ما يُوعَدُونَ) و معناه إن أريتنى ما وعد هؤلاء الكفار به من العذاب و الإهلاک. فقل يا (رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِى فِى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أى لا تجعلنى فى جملة من يشملهم العذاب بظلمهم، و تقديره: إن أنزلت بهم النقمة، فاجعلنى خارجاً منهم. فقال الله تعالى (وَ إِنَّا عَلى أَنْ نُرِيَکَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرُونَ) معناه إن ما وعدتهم به من العذاب و الإهلاک على كفرهم قادر عليه، لكنى لا أفعله و أؤخره الى يوم القيامة لما فى تأخيره من المصلحة.

ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ السَّیِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما یَصِفُونَ (96) وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِکَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّیاطِینِ (97) وَ أَعُوذُ بِکَ رَبِّ أَنْ یَحْضُرُونِ (98) حَتَّی إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِیما تَرَکْتُ کَلاَّ إِنَّها کَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ (100)

خمس آیات بلا خلاف.

امر الله تعالی نبیه (ص) أن یدفع السیئة من إساءة الکفار الیه بالتی هی أحسن التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 393

منها. و معنی ذلک انهم إذا ذکروا المنکر من القول- الشرک- ذکرت الحجة فی مقابلته و ذکرت الموعظة التی تصرف عنه الی ضده من الحق، علی وجه التلطف فی الدعاء الیه، و الحث علیه، کقول القائل: هذا لا یجوز، و هذا خطأ، و عدول عن الحسن.

و أحسن منه أن یوصل بذکر الحجة و الموعظة کما بینا. و قال الحسن: «بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ» الاغضاء و الصفح. و قیل: هو خطاب للنبی (ص) و المراد به الأمة، و المعنی ادفع الأفعال السیئة بالافعال الحسنة التی ذکرها.

و قوله «نَحْنُ أَعْلَمُ بِما یَصِفُونَ» معناه نحن اعلم منهم بما یستحقون به من الجزاء فی الوقت الذی یصلح الأخذ بالعقوبة إذا انقضی الأجل المضروب بالامهال. ثم قال له «قل» یا محمد، و ادع فقل یا «رَبِّ أَعُوذُ بِکَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّیاطِینِ» أی نزغاتهم و وساوسهم، فمعنی (أعوذ) اعتصم باللّه من شر الشیاطین، فی کل ما یخاف من شره. و المعاذة هی التی یستدفع بها الشر، و الهمزات دفعهم بالإغواء الی المعاصی، و الهمز شدة الدفع. و منه الهمزة: الحرف الذی یخرج من أقصی الحلق باعتماد شدید.

و العیاذ طلب الاعتصام من الشر «وَ أَعُوذُ بِکَ رَبِّ أَنْ یَحْضُرُونِ» هؤلاء الشیاطین فیوسوسون لی و یغوونی عن الحق.

و قوله «حَتَّی إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ» اخبار من اللّه تعالی عن أحوال هؤلاء الکفار، و انه إذا حضر أحدهم الموت، و اشرف علیه سأل اللّه عند ذلک و «قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ» أی ردنی الی دار التکلیف «لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً» من الطاعات و أتلافی ما ترکته. و انما قال «رَبِّ ارْجِعُونِ» علی لفظ الجمع لأحد أمرین:

أحدهما- انهم استعانوا أولا باللّه، ثم رجعوا الی مسألة الملائکة بالرجوع الی

التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 394

اللّه- فی روایة ابن جریج.

و الثانی- انه جری علی تعظیم الذکر فی خطاب الواحد بلفظ الجمع لعظم القدر کما یقول ذلک المتکلم، قال اللّه تعالی «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنَّا لَهُ

لَحافِظَونَ» «1» و قال «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ» «2» و ما جرى مجراه. و روى النضر بن سمأل قال: سئل الخليل عن قوله «رَبِّ ارْجِعُونِ» ففكر ثم قال: سألتمونى عن شىء لا أحسنه و لا أعرف معناه، و اللّه أعلم، لأنه جمع، فاستحسن الناس منه ذلک.
فقال اللّه تعالى فى الجواب عن سؤالهم «كلا» و هى كلمة ردع و زجر أى حقاً «إِنَّها كَلِمَةٌ» فالكناية عن الكلمة و التقدير: ان الكلمة التى قالوها «كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها» بلسانه. و ليس لها حقيقة، كما قال «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» «3» و قوله «وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» فالبرزخ الحاجز- و هاهنا- هو الحاجز بين الموت و البعث- فى قول ابن زيد- و قال مجاهد: هو الحاجز بين الموت و الرجوع الى الدنيا.
و قال الضحاک: هو الحاجز بين الدنيا و الاخرة. و قيل البرزخ الامهال. و قيل: كل فصل بين شيئين برزخ.
و فى الآية دلالة على أن احداً لا يموت حتى يعرف اضطراراً منزلته عند اللّه و انه من أهل الثواب أو العقاب- فى قول الجبائى و غيره- و فيها دلالة أيضاً على انهم فى حال التكليف يقدرون على الطاعة بخلاف ما تقول المجبرة.
و معنى «وَ مِنْ وَرائِهِمْ» أى أمامهم و قدامهم، قال الشاعر:
أ يرجو بنو مروان سمعى و طاعتى و قومى تميم و الفلاة ورائيا
و معنى «يبعثون» يوم يحشرون للحساب و المجازاة، و أضيف الى الفعل لان ظرف الزمان يضاف الى الافعال.

(1، 2) سورة 15 الحجر آية 9، 26
(3) سورة 6 الانعام آية 28

فَإِذا نُفِخَ فِی الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَیْنَهُمْ یَوْمَئِذٍ وَ لا یَتَساءَلُونَ (101) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِینُهُ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102) وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِینُهُ فَأُولئِکَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِی جَهَنَّمَ خالِدُونَ (103) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَ هُمْ فِیها کالِحُونَ (104) أَ لَمْ تَکُنْ آیاتِی تُتْلی عَلَیْکُمْ فَکُنْتُمْ بِها تُکَذِّبُونَ (105)
خمس آیات بلا خلاف.
قوله تعالی «فَإِذا نُفِخَ فِی الصُّورِ» لیوم الحشر و الجزاء و معنی نفخ الصور: هو علامة لوقت اعادة الخلق. و فی تصورهم الاخبار عن تلک الحال صلاح لهم فی الدنیا، لأنهم علی ما اعتادوه فی الدنیا من بوق الرحیل و القدوم. و قال الحسن:
الصور جمع صورة أی إذا نفخ فیها الأرواح و أعیدت احیاء. و قال قوم: هو قرن ینفخ فیه إسرافیل بالصوت العظیم الهائل، علی ما وصفه الله. و قوله «فَلا أَنْسابَ بَیْنَهُمْ یَوْمَئِذٍ وَ لا یَتَساءَلُونَ» اخبار منه تعالی عن هول ذلک الیوم، فإنهم لا یتواصلون هناک بالأنساب، و لا یحنون الیها، لشغل کل انسان بنفسه. و قیل معناه: انهم لا یتناسبون فی ذلک الیوم، لیعرف بعضهم بعضاً من أجل شغله بنفسه عن غیره.
و قال الحسن: معناه لا أنساب بینهم یتعاطفون بها، و إن کانت المعرفة بأنسابهم حاصلة بدلالة قوله «یَوْمَ یَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِیهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِیهِ وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنِیهِ» «1» فاثبت انهم یعرفون أقاربهم و إن هربهم منهم لاشتغالهم بنفوسهم، و النسب هو إضافة الی

---

(1) سورة 80 عبس آیة 34- 36

قرابة فی الولادة.
و قوله «وَ لا یَتَساءَلُونَ» معناه لا یسأل بعضهم بعضاً عن خبره و حاله، کما کانوا فی الدنیا، لشغل کل واحد منهم بنفسه. و قیل: لا یسأل بعضهم بعضاً أن یحمل عنه من ذنوبه شیئاً. و لا یناقض ذلک قوله «وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلی بَعْضٍ یَتَساءَلُونَ» «1» لان هناک مواطن، فمنها ما یشغلهم من عظیم الأمر الذی ورد علیهم عن المساءلة، و منها حال یفیقون فیها فیتساءلون. و قال ابن عباس: قوله «فَإِذا نُفِخَ فِی الصُّورِ» یعنی النفخة الاولی التی یهلک عندها الخلق، فلا احد یبقی، و لا نسب هناک و لا تساؤل.
و قوله (وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلی بَعْضٍ یَتَساءَلُونَ) فذلک عند دخولهم الجنة، فانه یسأل بعضهم بعضاً، و هو قول السدی.
و قوله «فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِینُهُ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» اخبار منه تعالی أن من

عظمت طاعاته و سلمت من الإحباط- فى قول من يقول بذلک- و من لا يقول بالإحباط فمعناه عندهم: إن من كثرت طاعاته، و هو غير مستحق للعقاب، فان أولئک هم المفلحون الفائزون.
«وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ» بأن يكون أحبطت طاعاته، لكثرة معاصيه. و من لا يقول بالإحباط، قال: معناه من لم يكن معه شىء من الطاعات و إنما معهم المعاصى، لان الميزان إذا لم يكن فيه شىء يوصف بالخفة، كما يوصف بالخفة إذا كان فيه شىء يسير فى مقابلته ما هو أضعافه، فان من هذه صورته (فَأُولئِکَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) لأنهم أهلكوا بالمعاصى التى استحقوا بها العقاب الدائم، و هم (فى جهنم) مؤبدون (خالدون).
و قال الحسن و الجبائى و غيرهما: هناک ميزان له كفتان و لسان. و اختلفوا:

---

(1) سورة 37 الصافات آية 27

فمنهم من قال: يوزن بها صحف الأعمال. و قال بعضهم: يظهر فى احدى الكفتين النور، و فى الأخرى الظلمة، فأيهما رجح تبينت الملائكة المستحق للثواب من المستحق للعقاب. و قال قتادة و البلخى: الميزان عبارة عن معادلة الاعمال بالحق. و بيان أنه ليس هناک مجازفة و لا تفريط.
ثم اخبر تعالى بأن النار التى يجعلون فيها (تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ) و انهم فيها (كالحون) يقال: لفح و نفح بمعنى واحد، غير أن اللفح أعظم من النفح. و أشد تأثيراً، و هو ضرب من السموم للوجه، و النفخ ضرب الريح للوجه، و الكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تبدو الأسنان، قال الأعشى:
و له المقدم لا مثل له ساعة الشدق عن الناب كلح «1»

قالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَ كُنَّا قَوْماً ضالِّينَ (106) رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ (107) قالَ اخْسَؤُا فِيها وَ لا تُكَلِّمُونِ (108) إِنَّهُ كانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبادِي يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَ كُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110)
خمس آيات بلا خلاف.
قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً (شقاوتنا) بإثبات الألف. الباقون (شقوتنا).

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 40 و روايته «فى الحرب» بدل «لا مثل له»

و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً و نافع (سخرياً) بضم السين. الباقون بكسرها.
حكى اللّه تعالى عن هؤلاء الكفار انهم يعترفون على نفوسهم بالخطإ، و يقولون (رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا) و الشقوة المضرة اللاحقة فى العاقبة. و السعادة المنفعة اللاحقة فى العاقبة، و قد يقال لمن جعل فى الدنيا على مضرة فادحة: شقى، من حيث أنه يؤدى الى أمر شديدة، فالمعاصى شقوة، تؤدى الى العقاب الدائم. و يجوز أن يكون المراد بالشقوة العذاب الذى يفعل اللّه بهم و يغلب عليهم.
و قوله «وَ كُنَّا قَوْماً ضالِّينَ» اعتراف منهم على نفوسهم أنهم ضلوا عن الحق فى الدنيا و زمان التكليف، و يسألون اللّه تعالى فيقولون «رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها» أى من هذه النار «فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ» و لا يجوز أن يكونوا لو أخرجوا الى دار التكليف لما عادوا، لان الشهوة العاجلة و الاغترار بالامهال بعود اليهم فلا يكونون ملجئين.
و قد قال اللّه تعالى «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ» «1». و قال الحسن: هو آخر كلام يتكلمون به أهل النار، فيقول اللّه تعالى لهم فى جوابهم «اخْسَؤُا فِيها» يعنى فى النار «وَ لا تُكَلِّمُونِ» أى ابعدوا، بعد الكلب. و إذا قيل للكلب اخسأ، فهو زجر بمعنى ابعد بعد غيرك من الكلاب، و إذا خوطب به انسان، فهو إهانة له، و لا يكون ذلك إلا عقوبة، و خسأت فلاناً أخسأه خسأ، فهو خاسئ إذا أبعدته بمكروه، و منه قوله «كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ» «2» و قوله «وَ لا تُكَلِّمُونِ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ان ذلك على وجه الغضب اللازم لهم، فذكر ذلك ليدل على هذا المعنى، لان من لا يكلم اهانة له و غضباً، فقد بلغ به الغاية فى الاذلال.
و الثانى- و لا تكلمون فى رفع العذاب عنكم، فانى لا أرفعه عنكم، و لا افتره

---

(1) سورة 6 الانعام آية 28

و هو على صيغة النهى، و ليس بنهى.
ثم يقول الله تعالى لهؤلاء الكفار على وجه التهجين لهم و التوبيخ (انه كان فريق من عبادى) يعنى المؤمنين فى دار الدنيا (يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) أى يدعون بهذه الدعوات، عبادة لله، و طلباً لما عنده من الثواب (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ) أنتم يا معشر الكفار (سخريا) اى كنتم تستهزؤن بهم و تسخرون منهم. و قيل (السخرى) بضم السين من التسخير و (السخرى) بكسر السين من الهمزء. و قيل: هما لغتان. و قوله (حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِى) معناه لتشاغلكم بالسخرية نسيتم ذكرى (وَ كُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ) فلذلک نسب اليهم انهم انسوهم ذكر الله، لما كان بسببهم، و الاشغال باغوائهم نسوا ذكر الله.

إِنِّی جَزَیْتُهُمُ الْیَوْمَ بِما صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفائِزُونَ (111) قالَ کَمْ لَبِثْتُمْ فِی الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِینَ (112) قالُوا لَبِثْنا یَوْماً أَوْ بَعْضَ یَوْمٍ فَسْئَلِ الْعادِّینَ (113) قالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِیلاً لَوْ أَنَّکُمْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (114) أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناکُمْ عَبَثاً وَ أَنَّکُمْ إِلَیْنا لا تُرْجَعُونَ (115)
فَتَعالَی اللَّهُ الْمَلِکُ الْحَقُّ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْکَرِیمِ (116) وَ مَنْ یَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا یُفْلِحُ الْکافِرُونَ (117) وَ قُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَ ارْحَمْ وَ أَنْتَ خَیْرُ الرَّاحِمِینَ (118)
التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 400
ثمان آیات بلا خلاف.
قرأ حمزة و الکسائی و خارجة عن نافع «انهم هم الفائزون» بکسر الهمزة. الباقون بفتحها. و قرأ ابن کثیر «قل کم لبثتم» علی الامر. الباقون «قال کم لبثتم» علی الخبر. و قرأ حمزة و الکسائی «قل» فیهما علی الأمر. الباقون «قال» فیهما علی الخبر. و قرأ «ترجعون» بفتح التاء و کسر الجیم حمزة و الکسائی. الباقون بضم التاء و فتح الجیم.
اخبر اللّه تعالی «إِنِّی جَزَیْتُهُمُ الْیَوْمَ» یعنی المؤمنین الذین سخر منهم الکفار فی دار التکلیف، و أکافیهم علی صبرهم و مضضهم فی جنب اللّه، علی أقوال الکفار و هزؤهم بهم ب «أَنَّهُمْ هُمُ الْفائِزُونَ» و حذف الباء، و نصب الهمزة، و قیل: إنها فی موضع جر، و تقدیره جزیتهم بفوزهم بالجنة. و قیل تقدیره: لأنهم هم الفائزون.
و من خفض الهمزة فاستأنف، فالجزاء مقابلة العمل بما یستحق علیه من ثواب أو عقاب کما یقال: الناس مجزّیون بأعمالهم إن خیراً فخیراً، و إن شراً فشراً. و الصبر حبس النفس عما تنازع الیه مما لا یحسن، أو لیس بأولی، لان الصبر طاعة اللّه لما وعد علیه من الجزاء، و الطاعة قد تکون فرضاً و قد تکون نفلا.
و قوله «الیوم» یرید به أیام الجزاء لا یوماً بعینه، لأن الیوم هو ما بین طلوع الفجر الثانی الی غروب الشمس، و لیس المراد فی الآیة ذلک.
قوله «قالَ کَمْ لَبِثْتُمْ فِی الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِینَ»، فمن قرأ «قال» فمعناه قال اللّه لهم کم لبثتم. و من قرأ «قل» معناه قل لهم یا محمد، و اللبث هو المکث و هو حصول الشیء علی الحال اکثر من وقت واحد، و اللابث هو الکائن علی الصفة، علی مرور الأوقات. و العدد عقد یظهر به مقدار المعدود، یقال: عده یعده عداً و عدداً، التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 401
فهو عاد. و الحساب هو إخراج المقدار فی الکمیة و هی العدة، و هذا

السؤال لهم على وجه التوبيخ لانكارهم البعث و النشور، فيقول اللّه لهم إذا بعثهم (كَمْ لَبِثْتُمْ فِى الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ) اى اين ما كنتم تنكرون من أجابت الرسل و ما جاءت به و تكذبون به.
و قوله (قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) فسأل العادين قال مجاهد: معناه فسأل العادين من الملائكة لأنهم يحصون أعمال العباد. و قال قتادة: العادين هم الحساب الذين يعدون الشهور و السنين، و لا يدل ذلک على بطلان عذاب القبر، لأنهم لم يكون و يعذبون كاملى العقول، و قد صح عذاب القبر بتضافر الاخبار عن النبى (ص) و اجماع الامة عليه- ذكره الرمانى- و لا يحتاج الى هذا، لأنه لا يجوز أن يعاقب اللّه العصاة إلا و هم كاملوا العقول ليعلموا أن ذلک و اصل إليهم على وجه الاستحقاق.
و وجه اخبارهم بيوم او بعض يوم، هو الاخبار عن قصر المدة و قلته، لما مضى لسرعة حصولهم فى ما توعدهم اللّه تعالى، فيقول اللّه تعالى فى الجواب (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا) اى لم تلبثوا إلا قليلا، و المراد ما قلناه من قصر المدة كما قال (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ) «1» و كما قال (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) «2» و كما قال (وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) «3» و قال الحسن: معناه (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا) فى طول لبثكم فى النار، و القلة و الكثرة يتغيران بالإضافة، فقد يكون الشىء قليلا بالاضافة الى ما هو أكثر منه، و يكون كثيراً بالاضافة الى ما هو أقل منه (لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) صحة ما أخبرناكم به.
ثم قال لهم (أ فحسبتم) معاشر الجاحدين للبعث و النشور (أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً) لا لغرض؟!! أى ظننتم، و الحسبان و الظن واحد، أى ظننتم انا خلقناكم لا لغرض،

---

(1) سورة 21 الأنبياء آية 1
(2) سورة 54 القمر آية 1
(3) سورة 16 النحل آية 77

و حسبتم (أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ) أى الى الحال التى لا يملک نفعكم و ضركم فيها إلا اللّه، كما كنتم فى ابتداء خلقكم قبل أن يملک أحداً شيئاً من أمركم.
ثم نزه تعالى نفسه عن كل دنس، و أخبر أنه (فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِکُ الْحَقُّ) و معناه: علا معنى صفته، فوق كل صفة لغيره، فهو تعظيم للّه تعالى بأن كل شىء سواه يصغر مقداره عن معنى صفته. (و الملک الحق) هو الذى يحق له الملک، بأنه ملک غير مملک، و كل ملک غيره، فملكه مستعار له، و انما يملک ما ملكه اللّه، فكأنه لا يعتد بملكه فى ملک ربه، و الحق هو الشىء الذى من اعتقده كان على ما اعتقده، فاللّه الحق، لأنه من اعتقد انه لا إله إلا هو، فقد اعتقد الشىءِ على ما هو به. و قوله (رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) أى

خالقه، و وصفه العرش بأنه كريم تعظيم له بإتيان الخير من جهَته، بَماَ دبره اللَّه لعباده، و الكريم فى أصل اللغة القادر على التكرم من غير مانع.
ثم قال «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ» و معناه إن من دعا مع اللَّه إلهاً سواه لا يكون له على ذلک برهان و لا حجة، لأنه باطل، و لو دعا اللَّه ببرهان لكان محقاً، و اجرى على ذلک قوله «وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ» «1» و قول الشاعر:
على لا حب لا يهتدى بمناره «2»
و قوله «فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ» يعنى اللَّه الذى يبين له مقدار ما يستحقه من ثواب أو عقاب. ثم اخبر تعالى بأنه «لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ» يعنى الجاحدين لنعم اللَّه، و المنكرين لتوحيده، و الدافعين للبعث و النشور. ثم امر نبيه (ص) فقال له «قل» يا محمد «رَبِّ اغْفِرْ وَ ارْحَمْ» أى اغفر الذنوب، و أنعم على خلقک.
«وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ» معناه أفضل من رحم و أنعم على غيره، و أكثرهم نعمة و أوسعهم فضلا.

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 21
(2) انظر 2/ 356، 423 و 6/ 213 [.....]

اشارة

مدنية بلا خلاف، و هى أربع و ستون آية فى البصرى و الكوفى و اثنتان فى المدنيين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
سُورَةٌ أَنْزَلْناها وَ فَرَضْناها وَ أَنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (1)
آية واحد بلا خلاف.
قرأ ابن كثير و ابو عمرو (و فرضناها) بتشديد الراء. الباقون بتخفيفها.
و فسر ابو عمرو قراءته بمعنى فصلناها «1» و بيناها بفرائض مختلفة، و التقدير هذه (سورة) لان النكرة لا يبتدأ بها. و قال غيره: معنى التشديد حددنا فيها الحلال و الحرام. و قال قتادة: معنى التشديد: قد بيناها. و قيل: معنى التشديد: جعلناها عليكم و على من بعدكم الى قيام الساعة.
و من خفف أراد من الفريضة أى فرض فيها الحلال و الحرام، و الفرض مأخوذ من فرض القوس و هو الحز الذى فيه الوتر، و الفرض ايضاً نزول القرآن قال

---

(1) و فى بعض النسخ الخطية (فمعنى قراءة أبى عمرو: و فصلناها)

اللّه تعالى (إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) «1» أى انزل. و ارتفع (سورة) على تقدير هذه (سورة) إلا انه حذف على تقدير التوقع لما ينزل من القرآن. و السورة المنزلة الشريفة قال الشاعر:
ألم تر أن اللّه أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب «2»
فسميت السورة من القرآن بذلك لهذه العلة. و الفرض هو التقدير- فى اللغة- و فصل بينه و بين الواجب، بأن الفرض واجب بجعل جاعل، فرضه على صاحبه، كما انه أوجبه عليه، و الواجب قد يكون واجباً من غير جعل جاعل، كوجوب شكر المنعم، فجرى مجرى دلالة الفعل على الفاعل فى انه يدل من غير جعل جاعل كما تجعل العلامة الوضعية، إلا أن اللّه تعالى لا يوجب على العبد الا ما له صفة الوجوب فى نفسه، كما لا يرغب الا فى ما هو مرغوب فى نفسه.
و قوله (أَنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) فمعنى (الآيات) الدلالات على ما يحتاج إلى علمه مما قد بينه اللّه فى هذه السورة، و نبه على ذلك من شأنها لينظر فيه طالب العلم و يفوز ببغيته منه، و التقدير، و فرضنا فرائضها. و أضاف الفرائض الى السورة، و هى بعضها، لدلالة الكلام عليه، لأنها مفهومة منها و (بينات) معناه ظاهرات واضحات. و قوله (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) معناه لكى تذكروا الدلائل التى فيها، فتكون حاضرة لكم لتعملوا بموجبه و تلتزموا معانيه.

الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِی فَاجْلِدُوا کُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ وَ لا تَأْخُذْکُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِی دِینِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ وَ لْیَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ (2) الزَّانِی لا یَنْکِحُ إِلاَّ زانِیَةً أَوْ مُشْرِکَةً وَ الزَّانِیَةُ لا یَنْکِحُها إِلاَّ زانٍ أَوْ مُشْرِکٌ وَ حُرِّمَ ذلِکَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ (3)

---

(1) سورة 28 القصص آية 85

(2) قائله النابغة الذبيانى ديوانه «دار بيروت» 18 و قد مر فى 1/ 19، 3/ 366 من هذا الكتاب

آيتان بلا خلاف.

قرأ ابن كثير الا ابن فليح (رآفة) بفتح الهمزة على وزن (فعالة).

الباقون بسكونها، و هما لغتان فى المصدر، يقال: رأف رأفة مثل كرم كرماً. و قيل:

رآفة مثل سقم سقامة. و الرأفة رقة الرحمة.

أمر الله تعالى فى هذه الآية: أن يجلد الزانى، و الزانية إذا لم يكونا محصنين (کُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ) و إذا كانا محصنين أو أحدهما، كان على المحصن الرجم بلا خلاف. و عندنا انه يجلد أولا مائة جلدة ثم يرجم، و فى أصحابنا من خص ذلک بالشيخ و الشيخة إذا زنيا و كانا محصنين، فأما إذا كانا شابين محصنين لم يكن عليهما غير الرجم، و هو قول مسروق. و فى ذلک خلاف ذكرناه فى خلاف الفقهاء.

و الإحصان الذى يوجب الرجم هو أن يكون له زوج يغدو اليه و يروح على وجه الدوام، و كان حراً. فأما العبد، فلا يكون محصناً، و كذلک الأمة لا تكون محصنة، و انما عليهما نصف الحد: خمسون جلدة، و الحر متى كان عنده زوجة يتمكن من وطئها مخلى بينه و بينها سواء كانت حرة او أمة، او كان عنده أمة يطؤها بملک اليمين، فانه متى زنا وجب عليه الرجم، و من كان غائباً عن زوجته شهراً فصاعداً أو كان محبوساً او هى محبوسة هذه المدة. فلا إحصان. و من كان محصناً على ما قدمناه ثم ماتت زوجته أو طلقها بطل احصانه. و فى جميع ذلک خلاف بين الفقهاء ذكرناه التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 406

فى الخلاف.

و الخطاب بهذه الآية و ان كان متوجهاً الى الجماعة، فالمراد به الأمة بلا خلاف، لأنه لا خلاف أنه ليس لاحد اقامة الحدود إلا للإمام أو من يوليه الامام. و من خالف فيه لا يعتد بخلافه.

و الزنا هو وطؤ المرأة فى الفرج من غير عقد شرعى و لا شبهة عقد شرعى مع العلم بذلک أو غلبة الظن. و ليس كل وطئ حرام زناً، لأنه قد يطأ امرأته فى الحيض و النفاس، و هو حرام، و لا يكون زناً، و كذلک لو وجد امرأة على فراشه، فظنها زوجته او أمته فوطأها لم يكن ذلک زناً، لأنه شبهة.
و قوله «وَ لا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِى دِينِ اللَّهِ» قال مجاهد و عطاء ابن أبى رياح و سعيد بن جبير و ابراهيم: معناه لا تمنعنكم الرأفة و الرحمة من اقامة الحد. و قال الحسن و سعيد بن المسيب و عامر الشعبى و حماد: لا يمنعكم ذلک من الجلد الشديد. و (الرأفة) بسكون الهمزة. و الرآفة- بفتح الهمزة- مثل الكأبة و الكآبة، و السأمة و السآمة، و هما لغتان، و بفتح الهمزة قرأ ابن كثير على ما قدمناه.
و قوله «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» أى إن كنتم تصدقون بما وعد اللّه و توعد عليه، و تقرون بالبعث و النشور، فلا تأخذكم فى من ذكرناه الرأفة، و لا تمنعكم من اقامة الحد على ما ذكرناه، و قوله «وَ لْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» قال مجاهد و ابراهيم:
الطائفة رجل واحد. و
عن أبى جعفر (ع) ان اقله رجل واحد.
و قال عكرمة:
الطائفة رجلان فصاعداً. و قال قتادة و الزهرى: هم ثلاثة فصاعداً. و قال ابن زيد:
اقله اربعة. و قال الجبائى: من زعم ان الطائفة اقل من ثلاثة فقد غلط من جهة اللغة، و من جهة المراد بالآية، من احتياطه بالشهادة، و قال: ليس لأحد ان يقيم الحد التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 407
إلا الأئمة و ولاتهم، و من خالف فيه فقد غلط، كما انه ليس للشاهد ان يقيم الحد.
و قد دخل المحصن فى حكم الآية بلا خلاف.
و كان سيبويه يذهب الى ان التأويل: فى ما فرض عليكم، الزانية و الزانى، و لولا ذلک لنصب بالأمر. و قال المبرد: إذا رفعته ففيه معنى الجزاء، و لذلک دخل الفاء فى الخبر، و التقدير التى تزنى، و الذى يزنى، و معناه من زنى فاجلدوه، فيكون على ذلک عاماً فى الجنس.
و قال الحسن: رجم النبى (ص) الثيب «1» و أراد عمر ان يكتبه فى آخر المصحف ثم تركه، لئلا يتوهم انه من القرآن. و قال قوم: إن ذلک منسوخ التلاوة دون الحكم. و
روى عن على (ع) ان المحصن يجلد مائة بالقرآن، ثم يرجم بالسنة.
و انه امر بذلک.
و قوله «الزَّانِى لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، وَ الزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلَّا زانٍ أَوْ

مُشْرِكٌ ...» الآية. قيل: اَنها نزلت على سَبب، و ذلک انه استأذنَ رجلً من المسلمين النبى (ص) ان يتزوج امرأة من اصحاب الرايات، كانت تسافح، فأنزل اللّه تعالى الآية. و روى ذلک عن عبد اللّه بن عمر، و ابن عباس: و قال حرم اللّه نكاحهن على المؤمنين، فلا يتزوج بهن الا زان او مشرک. و قال مجاهد و الزهرى و الشعبى: ان النبى استؤذن فيها ام مهزول. و قيل النكاح- هاهنا- المراد به الجماع، و المعنى الاشتراک فى الزنا، يعنى انهما جميعاً يكونان زانيين، ذكر ذلک ابن عباس.
و قد ضعف الطبرى ذلک، و قال: لا فائدة فى ذلک. و من قال بالأول، قال: الآية و ان كان ظاهرها الخبر، فالمراد به النهى. و قال سعيد بن جبير: معناه انها زانية مثله، و هو قول الضحاک و ابن زيد. و قال سعيد بن المسيب: كان ذلک حكم كل

---

(1) فى المخطوط (البنت)

زان و زانية، ثم نسخ بقوله (وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ) «1»، و به قال اكثر الفقهاء. و قال الرمانى: وجه التأويل انهما مشتركان فى الزنا، لأنه لا خلاف انه ليس لاحد من اهل الصلاة ان ينكح زانية و ان الزانية من المسلمات حرام على كل مسلم من اهل الصلاة، فعلى هذا له ان يتزوج بمن كان زنى بها.
و
عن أبى جعفر (ع) (ان الآية نزلت فى اصحاب الرايات، فأما غيرهن فانه يجوز ان يتزوجها، و ان كان الأفضل غيرها، و يمنعها من الفجور).
و فى ذلک خلاف بين الفقهاء.

وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً وَ لا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً وَ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (4) إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)

آيتان بلا خلاف.

قال سعيد بن جبير: هذه الآية نزلت فى عائشة. و قال الضحاک فى نساء المؤمنين: و هو الأولى، لأنه أعم فائدة، و إن كان يجوز أن يكون سبب نزولها فى عائشة، فلا تقصر الآية على سببها.

يقول اللّه تعالى ان «الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ» أى يقذفون العفائف من النساء بالزنا، و الفجور، و حذف قوله بالزنا لدلالة الكلام عليه، و لم يقيموا على ذلک أربعة من الشهود، فانه يجب على كل واحد منهم ثمانون جلدة. و قال الحسن:

يجلد

---

(1) سورة 24 النور آية 32

و عليه ثيابه. و هو قول أبى جعفر (ع).

و يجلد الرجل قائماً، و المراة قاعدة. و قال ابراهيم ترمى عنه ثيابه فى حد الزنا.

و قوله «وَ لا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً» نهى من اللّه تعالى عن قبول شهادة القاذف على التأبيد، و حكم عليهم بأنهم فساق. ثم استثنى من ذلک الذين تابوا من بعد ذلک.

و اختلفوا فى الاستثناء الى من يرجع، فقال قوم: انه من الفساق، فإذا تاب قبلت شهادته حد او لم يجد. و هو قول سعيد بن المسيب. و قال عمر لأبى بكرة:

إن تبت قبلت شهادتک. فأبى ابو بكرة أن يكذب نفسه. و هو قول مسروق و الزهرى و الشعبى و عطاء و طاوس و مجاهد و سعيد بن جبير و عمر بن عبد العزيز و الضحاک، و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع).

و به قال الشافعى من الفقهاء و أصحابه، و هو مذهبنا. و قال الزجاج: يكون تقديره، و لا تقبلوا لهم شهادة أبداً إلا الذين تابوا.

ثم وصفهم بقوله «وَ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ» و قال شريح و سعيد بن المسيب، و الحسن و ابراهيم: الاستثناء من الفاسقين دون قوله «وَ لا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً» و به قال أهل العراق، قالوا: فلا يجوز قبول شهادة القاذف ابداً. و لا خلاف فى انه إذا لم يحد- بأن تموت المقذوفة و لم يكن هناک

مطالب، ثم تاب- أنه يجوز قبول شهادته. و هذا يقتضى الاستثناء من المعنيين على تقدير: و أولئک هم الفاسقون فى قذفهم، مع امتناع قبول شهادتهم إلا التائبين منهم.
و الحد حق المقذوفة لا يزول بالتوبة. و قال قوم:
توبته متعلقة باكذابه نفسه.
و هو المروى فى أخبارنا
، و به قال الشافعى. و قال مالک بن أنس: لا يحتاج الى ذلک فيه. قال أبو حنيفة: و متى كان القاذف عبداً او أمة فعليه أربعون جلدة. و قد التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 410
روى أصحابنا: أن الحد ثمانون فى الحرّ و العبد
، و ظاهر العموم يقتضى ذلک، و به قال عمر بن عبد العزيز، و القاسم بن عبد الرحمن.

وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ فَشَهادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهاداتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6) وَ الْخامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كانَ مِنَ الْكاذِبِينَ (7) وَ يَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهاداتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكاذِبِينَ (8) وَ الْخامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْها إِنْ كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (9) وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (10)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة الا أبا بكر «فشهادة أحدهم اربع شهادات» برفع العين.

الباقون بفتحها. و قرأ نافع و يعقوب «ان لعنة اللّه ... و ان غضب اللّه عليها» بتخفيف النون فيهما، و سكونها، و رفع «لعنة اللّه» و قرأ نافع «غضب اللّه»- بكسر الضاد و فتح الباء، و رفع الهاء- من إسم اللّه. و قرأ يعقوب- بفتح الضاد و رفع الباء و خفض الهاء- من اسم اللّه. الباقون بفتح الضاد و نصب الباء و خفض الهاء. و قرأ حفص «الخامسة ان غضب اللّه» بالنصب. الباقون بالرفع.

من رفع قوله «اربع» جعله خبر الابتداء، و الابتداء «فشهادة أحدهم» قال أبو حاتم: من رفع فقد لحن، لان الشهادة واحدة، و قد أخبر عنها بجمع، فلا يجوز ذلک، كما لا يجوز (زيد إخوتک) و هذا خطأ، لان الشهادة، و إن كانت بلفظ الوحدة فمعناها التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 411

الجمع، كقولک صلاتى خمس، و صومى شهر. و قال الزجاج: تقديره «فشهادة أحدهم» التى تدرؤ العذاب «أربع شهادات» و من قرأ بالنصب جعله مفعولا به أى يشهد أربع شهادات. و قال ابو على الفارسى: ينبغى أن يكون قوله «فشهادة أحدهم» مبنياً على ما يكون مبتدأ، و تقديره: فالحكم أو فالفرض ان يشهد أحدهم أربع شهادات، أو فعليهم أن يشهدوا، و يكون قوله «إِنَّهُ لَمِنَ الْكاذِبِينَ» على هذا من صلة (شهادة أحدهم)، و تكون الجملة التى هى قوله «إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» فى موضع نصب، لان الشهادة كالعلم، و الجملة فى موضع نصب، بأنه مفعول به «و اربع شهادات» تنتصب انتصاب المصادر. و من رفع «أربع شهادات» لم يكن قوله «انه لمن الصادقين» إلا من صلة «شهادات» دون «شهادة» كما أن قوله «باللّه» من صلة (شهادات) دون صلة (شهادة) لأنک لو جعلته من صلة (شهادة) فصلت بين الصلة و الموصول. و من نصب «أربع شهادات» فقياسه ان ينصب «و الخامسة» لأنها شهادة، و إذا رفع «أربع شهادات» و نصب «الخامسة» قدر له فعلا ينصبها به، و تقديره و يشهد الخامسة. و من رفع «أربع شهادات» و رفع «الخامسة» جعلها معطوفة عليه، و إذا نصب الخامسة، لم يجعلها معطوفة عليه و جعلها مفعولا، و قدر فعلا ينصبها به. و قال: ابو على: قراءة

نافع في تخفيف (ان) الوجه فيها أنها المخففة من الثقيلة، و لا تخفف فى الكلام أبداً و بعدها اسم إلا و يراد إضمار القصة، و مثله قوله «وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» «1». و انما خففت الثقيلة المفتوحة على إضمار القصة و الحديث، و لم تكن المكسورة كذلک، لأن الثقيلة المفتوحة موصولة. و يستقبح النحويون قراءة نافع فى قوله «أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ» لان من شأن المخففة من الثقيلة ألا تلى فعلا إلا و فى الكلام عوض، كقوله «أَلَّا يَرْجِعُ» «2» و قوله

---

(1) سورة 10 يونس آية 10
(2) سورة 20 طه آية 89

«عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ» «1» فان (لا) و (السين) عوض من الثقيلة. و وجه قراءة نافع انه قد جاء فى الدعاء و لفظه لفظ الخبر، و قد يجىء فى الشعر و إن لم يفصل بين (ان) و بين ما يدخل عليها من الفعل، فعلى قول نافع (لعنة اللّه) رفع بالابتداء و (غضب) فعل ماض، و اسم اللّه رفع بفعله.

و معنى الآية ان من قذف محصنة حرة مسلمة بفاحشة من الزنا، و لم يأت بأربعة شهداء جلد ثمانين. و من رمى زوجته بالزنا تلاعنا. و الملاعنة أن يبدأ الرجل فيحلف اربع مرات بالله الذى لا إله إلا هو انه صادق فيما رماها به، و يحتاج ان يقول أشهد بالله أنى صادق، لان شهادته أربع مرات تقوم مقام أربعة شهود فى دفع الحد عنه، ثم يشهد الخامسة ان لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به. [و إذا جحدت المرأة ذلک شهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماها به و] «2» تشهد الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين. ثم يفرق بينهما، و لا يجتمعان أبداً، كما فرق رسول الله (ص) بين هلال بن أمية و زوجته.

و قضى أن الولد لها، و لا يدعى لأب، و لا ترمى هى، و لا يرمى ولدها. و قال ابن عباس:

متى لم تحلف رجمت، و إن لم يكن دخل بها جلدت الحد، و لم ترجم إذا لم تلتعن، و عند أصحابنا: انه لا لعان بينهما ما لم يدخل بها، فمتى رماها قبل الدخول وجب عليه حد القاذف، و لا لعان بينهما. و فرقة اللعان تحصل عندنا بتمام اللعان من غير حكم الحاكم، و تمام اللعان إنما يكون إذا تلاعن الرجل و المرأة معاً. و قال قوم: تحصل بلعان الزوج الفرقة. و قال أهل العراق: لا تقع الفرقة إلا بتفريق الحاكم بينهما.

و متى رجمت عند النكول ورثها الزوج، لأن زناها لا يوجب التفرقة بينهما.

و لو جلدت- إذا لم يكن دخل بها- فهما على الزوجية. و ذلک يدل على ان الفرقة انما تقع

---

(1) سورة 73 المزمل آية 20
(2) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 413
بلعان الرجل و المرأة معاً. قال الحسن: إذا تمت الملاعنة بينهما و لم يكن دخل بها، فلها نصف الصداق، لان الفرقة جاءت من قبله. و إذا تم اللعان اعتدت عدة المطلقة عند جميع الفقهاء، و لا يتزوجها أبداً بلا خلاف.
و آية اللعان نزلت فى عاصم بن عدى. و قيل: نزلت فى هلال ابن امية- فى قول ابن عباس- و متى فرق بينهما ثم أكذب نفسه جلد الحد و لا ترجع اليه امرأته.
و قال ابو حنيفة ترجع اليه. و إذا أقر بالولد بعد اللعان ألحق به يرثه الابن و لا يرثه الأب. و قال الشافعى: يتوارثان. و (الدرؤ) الدفع و (العذاب) الذى يدرؤ عنهما بشهادتهما (الحد)، لأنه بمنزلة من يشهد عليها أربعة شهود بالزنا. و قال قوم: هو الحبس لأنه لم تتم البينة بأربعة شهود، و انما التعان الرجل درأ عنه الحد فى رميه.
قال الجبائى: فى الآية دلالة على ان الزنا ليس بكفر، لأنه ليس لصاحبه حكم المرتد. و فيها دلالة على انه يستحق اللعن من الله بالزنا.
و قوله (وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ) نصب قوله (و ان الله) لأنه عطف على موضع (أن) الاولى و جواب (لو لا) محذوف، و تقديره: لو لا فضل الله عليكم و رحمته لفضحكم بما ترتكبون من الفاحشة، و لعاجلكم بالعقوبة او لهلكتم و ما يجرى مجراه، و مثله قولهم: لو رأيت فلاناً و فى يده السيف اى لرأيت شجاعاً و لرأيت هائلا، قال جرير:
كذب العواذل لو رأيت مناخنا بحزيز رامة و المطى سوام «1»
و فى المثل (لو ذات سوار لطمتنى).

---

(1) ديوانه «دار بيروت» 452
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 414

إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ (11) لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَ قالُوا هذا إِفْكٌ مُبِينٌ (12) لَوْ لا جاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكاذِبُونَ (13) وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيما أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذابٌ عَظِيمٌ (14) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى مخاطباً لأمة محمد (ص) «إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ» يعنى الذين أتوا بالإفك، و هو الكذب الذى قلب فيه الأمر عن وجهه، و أصله الانقلاب، و منه (المؤتفكات) و أفك يأفك افكاً إذا كذب. لأنه قلب المعنى عن حقه الى باطله.

فهو آفك، مثل كاذب.

و قوله «عُصْبَةٌ مِنْكُمْ» يعنى جماعة منكم، و منه قوله «لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنَّا وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ» «1» و يقال: تعصب القوم إذا اجتمعوا على هيئة، فشد

---

(1) سورة 12 يوسف آية 8

بعضهم بعضاً. و العصبة فى النسب العشيرة المقتدرة، لأنه يجمعها التعصب.

و قال ابن عباس: منهم (عبد اللّه بن أبى سلول) و هو الذى تولى كبره، و هو من رؤساء المنافقين. و (مسطح بن اثاثة، و حسان بن ثابت، و حمنة بنت جحش) و هو قول عائشة، و كان سبب الافك ان عائشة ضاع عقدها فى غزوة بنى المصطلق، و كانت تباعدت لقضاء الحاجة، فرجعت تطلبه، و حمل هودجها على بعيرها ظناً منهم بها أنها فيه فلما صارت الى الموضع وجدتهم قد رحلوا عنه، و كان صفوان ابن معطل السلمى الذكوانى من وراء الجيش فمر بها، فلما عرفها أناخ بعيره حتى ركبته، و هو يسوقه حتى أتى الجيش بعد ما نزلوا فى قائم الظهيرة. هكذا رواه الزهرى عن عائشة.

و قوله «لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» خطاب لمن قرب بالإفك من عائشة، و من اغتم لها، فقال اللّه تعالى لا تحسبوا غم الافك شراً لكم بل هو خير لكم، لان اللّه (عز و جل) يبرئ ساحته ببراءتها، و ينفعها بصبرها و احتسابها، و ما ينل منها من الأذى و المكروه الذى نزل بها، و يلزم أصحاب

الافک ما استحقوه بالإثم الذی ارتکبوه فی أمرها.
ثم اخبر تعالی فقال «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ» أی له جزاء ما اکتسب من الإثم من العقاب.
ثم قال «وَ الَّذِی تَوَلّی كِبْرَهُ مِنْهُمْ» یعنی (ابن أبی بن سلول) تحمل معظمه و (کبره) مصدر من معنی الکبیر من الأمور. قال ابو عبیدة: فرقوا بینه و بین مصدر الکبر فی السنّ، یقال: فلان ذو کبر أی ذو کبریاء. و قرأ ابو جعفر المدنی بضم الکاف.
الباقون بکسرها، فالکبر بضم الکاف من کبر السن و هو کبیر قومه أی معظمهم، و الکبر و العظم واحد. و قیل: دخل حسان علی عائشة فأنشدها قوله فی بیته: التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 416
حصان رزان ما تزن بریبة و تصبح غرثی من لحوم القوافل «1»
فقالت له: لکنک لست کذلک. و قوله «لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ» یعنی جزاء علی ما اکتسبه من الإثم. و قوله «لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً» معناه هلا حین سمعتم هذا الافک من القائلین ظن المؤمنون بالمؤمنین الذین هم کانفسهم خیراً، لان المؤمنین کلهم کالنفس الواحدة فیما یجری علیها من الأمور، فإذا جری علی أحدهم محنة، فکأنه جری علی جماعتهم، و هو کقوله «فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ» «2» و هو قول مجاهد، قال الشاعر فی (لولا) بمعنی (هلا):
تعدون عقر النیب أفضل مجدکم بنی ضوطری لولا الکمی المقنعا «3»
ای فهلا تعدون قتل الکمی. و قوله تعالی «وَ قالُوا هذا إِفْكٌ مُبِينٌ» معناه و هلا قالوا هذا القول کذب ظاهر. ثم قال تعالی «لَوْ لا جاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ» ای هلا جاءوا علی ما قالوه ببینة أربعة من الشهداء «فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَداءِ فَأُولئِكَ» الذین قالوا هذا الافک «هُمُ الْكاذِبُونَ» عند اللّه، و المعنی أنهم کاذبون فی عیبهم، فمن جوز صدقهم، فهو رادّ لخبر اللّه تعالی، فالآیة دالة علی کذب من قذف عائشة، و افک علیها. فأما فی غیرها إذا رماها الإنسان، فانا لا نقطع علی کذبه عند اللّه، و إن أقمنا علیه الحد، و قلنا هو کاذب فی الظاهر، لأنه یجوز أن یکون صادقاً عند اللّه، و هو قول الجبائی.
ثم قال تعالی علی وجه الامتنان علی المؤمنین

---

(1) تفسیر القرطبی 12/ 200
(2) سورة 24 النور آیة 61
(3) قائلة جریر دیوانه (دار بیروت) 265، و قد مر فی 1/ 319، 435 و 6/ 319 و روایة الدیوان:
تعدون عقر النیب أفضل سعیکم بنی ضوطری هلا الکمی المقنعا
[.....]

«وَ لَوْ لا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيما أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذابٌ عَظِيمٌ» جزاء على خوضكم فى قصة الافک و افاضتكم فيه. و قيل فى الآية تقديم و تأخير، و تقديره: و لو لا فضل الله عليكم و رحمته لمسكم فى ما أفضتم فيه عذاب عظيم فى الدنيا و الاخرة.
و قوله «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ» تقديره: لمسكم عذاب عظيم حين تلقونه بألسنتكم، و معناه برواية بعضكم عن بعض لتشييعه- فى قول مجاهد- و روى عن عائشة أنها قرأت «تلقونه» من ولق الكذب، و هو الاستمرار على الكذب، و منه:
ولق فلان فى السير إذا استمر به، و يقال: فى الولق من الكذب: الإلق و الألق، تقول: ألقت و أنتم تألقونه. أنشد الفراء:
من لى بالمرر و اليلامق صاحب أدهان و ألق آلق «1»
فتح الالف من ادهان، و قال الراجز:
إن الحصين زلق و زملق جاءت به عيس من الشام تلق
و ينشد ايضاً:
ان الحصين زلق و زملق جاءت به عنس من الشام تلق
مجوع البطن كلاليم الحلق
و قوله «تَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ» من وجه الافک «وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ» اى تظنونه حقيراً و هو عند اللّه عظيم لأنه كذب و افتراء.

---

(1) تفسير الطبرى 18/ 70

وَ لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا سُبْحانَكَ هذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ (16) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (17) وَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (18) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (19) وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (20)
خمس آيات بلا خلاف.
يقول اللّه تعالى للمؤمنين: و هلا حين سمعتم من هؤلاء العصبة ما قالوا من الافک «قلتم» فى جوابهم «ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا» أى ليس لنا ذلک بل هو محرم علينا، و قلتم «سبحانک» يا ربنا «هذا» الذى قالوه «بُهْتانٌ عَظِيمٌ» أى كذب و زور عظيم عقابه فى الظاهر. فالبهتان الكذب الذى فيه مكابرة تحير، يقال: بهته يبهته بهتاً و بهتاناً إذا حيره بالكذب عليه.
ثم قال تعالى «يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا» أى كراهة أن تعودوا «لمثله» أو لئلا تعودوا إلى مثله من الافک «أبداً» أى طول أعماركم، لا ترجعوا الى مثل هذا القول «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» مصدقين باللّه و نبيه، قابلين وعظ اللّه. و قال ابن زيد:
الوعظ يمنع ان يقول القائل أنا سمعته، و لم أختلقه. «وَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ» يعنى الدلالات و الحجج «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» أى عالم بما يكون منكم، حكيم فيما يفعله، التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 419
و لا يضع الشىء إلا فى موضعه.
ثم اخبر تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ» و يؤثرون «أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ» أى تظهر الافعال القبيحة «فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» أى موجع جزاء على ذلک «فى الدنيا» باقامة الحد عليهم، و فى «الاخرة» بعذاب النار «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» ذلک و غيره «وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» ان الله تعالى يعلم ذلک.
ثم قال «وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» لأهلككم و عاجلكم بالعقوبة، و حذف الجواب لدلالة الكلام عليه.
و فى الآية دلالة على أن العزم على الفسق فسق، لأنه إذا الزمه الوعيد على محبة شياع الفاحشة من غيره، فإذا أحبها من نفسه و أرادها كان أعظم.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ وَ مَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَ لكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21) وَ لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبى وَ الْمَساكِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ الْغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (23) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (24) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (25)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 420

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو جعفر المدنى «و لا يتأل» على وزن (يتفعل) الهمزة مفتوحة بعد التاء، و اللام مشددة مفتوحة. الباقون «يأتل» على وزن (يفتعل). الهمزة ساكنة. و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «يوم يشهد» بالياء، لان تأنيث الألسنة ليس بحقيقى، و لأنه حصل فصل بين الفعل و الفاعل. الباقون بالتاء، لان الألسنة مؤنثة.

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين المعترفين بتوحيد الله المصدقين لرسله، ينهاهم فيه عن اتباع خطوات الشيطان، و خطوات الشيطان تخطية الحلال الى الحرام. و المعنى لا تسلكوا مسالك الشيطان، و لا تذهبوا مذهبه، و الاتباع الذهاب فيما كان من الجهات التى يدعو الداعى اليها بذهابه فيها، فمن وافق الشيطان فيما يدعو اليه من الضلال، فقد اتبعه. و الاتباع اقتفاء أثر الداعى الى الجهة بذهابه فيها، و هو بالتثقيل و التخفيف بمعنى الاقتداء به. و المعنى لا تتبعوا الشيطان بموافقته فيما يدعو اليه. ثم قال «وَ مَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ» فيما يدعوه اليه «فانه» يعنى الشيطان «يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ» يعنى القبائح «وَ الْمُنْكَرِ» من الأفعال. و الفحشاء كل قبيح عظيم. و المنكر الفساد الذى ينكره العقل و يزجر عنه.

ثم قال تعالى «وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ» بان يلطف لكم، و يزجركم عن ارتكاب المعاصى «ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً» ف (من) زائدة، و المعنى ما فعل احد منكم الأفعال الجميلة إلا بلطف من جهته أو وعيد من قبله. و قال ابن زيد: معناه لولا فضل الله ما أسلم احد منكم. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 421

و فى ذلک دلالة على أن احداً لا يصلح فى دينه إلا بلطف الله (عز و جل) له، لأن ذلک عام لجميع المكلفين الذين يزكون بهذا الفضل من الله.

و قوله «وَ لكِنَّ اللّهَ يُزَكّى مَنْ يَشاءُ» معناه من يعلم أن له لطفاً يفعله به ليزكو عنده. و قيل: يزكى من يشاء بالثناء عليه. و الأول أجود (وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) معناه إنه يفعل المصالح و الالطاف على ما يعلمه من المصلحة للمكلفين. لأنه يسمع أصواتهم و يعلم أحوالهم.
و فى الآية دلالة على أنه تعالى يريد لخلقه خلاف ما يريده الشيطان، لأنه ذكره عقيب قوله (يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ).
و قوله (وَ لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ) فلابتلاء القسم، يقال آلى يؤلى إيلاء إذا حلف على أمر من الأمور، و يأتل (يفتعل) من الالية على وزن (يقتضى) من القضية، و من قرا (يتألّ) فعلى وزن (يتفعل)، و المعنى لا يحلف أن لا يؤتى.
و قال ابن عباس و عائشة و ابن زيد: إن الآية نزلت فى أبى بكر، و مسطح بن أثاثة، و كان يجرى عليه، و يقوم بنفقته، فقطعها و حلف ان لا ينفعه أبداً، لما كان منه من الدخول مع أصحاب الافك فى عائشة، فلما نزلت هذه الآية عاد أبو بكر له الى ما كان، و قال: و اللّه انى لأحب ان يغفر اللّه لى، و اللّه لا أنزعها عنه ابداً. و كان مسطح ابن خالة أبى بكر، و كان مسكيناً و مهاجراً من مكة الى المدينة، و من جملة البدريين. و قال الحسن و مجاهد: الآية نزلت فى يتيم كان فى حجر أبى بكر، حلف الا ينفق عليه. و روى عن ابن عباس و غيره: أن الآية نزلت فى جماعة من اصحاب- رسول اللّه حلفوا أن لا يواسوا أصحاب الأفك. و قال قوم: هذا نهى عام لجميع أولى الفضل و السعة أن يحلفوا ألا يؤتوا أولى القربى و المساكين و الفقراء، و هو أولى

و أعم فائدة، و يدخل فيه ما قالوه. و كان مسطح احد من حده النبى (ص) فى قذف الافك.
و قال ابو على الجبائي: قصة مسطح دالة على انه قد يجوز أن تقع المعاصى ممن شهد بدراً بخلاف قول النوابت.
و قوله تعالى (وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا) أمر من اللَّه تعالى للمرادين بالآية بالعفو عمن أساء اليهم، و الصفح عنهم. و اصل العافى التارک للعقوبة على من أذنب اليه، و الصفح عن الشىء ان يجعله بمنزلة ما مر صفحاً. ثم قال لهم (أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) معاصيكم جزاء على عفوكم و صفحكم عمن أساء إليكم (وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) اى ساتر عليكم منعم.
ثم اخبر تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ) و معناه الذين يقذفون العفائف من النساء (الغافلات) عن الفواحش (لُعِنُوا فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ) اى أبعدوا من رحمة اللّه (فى الدنيا) باقامة الحد عليهم و رد شهادتهم (و فى الآخرة) بأليم العقاب، و الأبعد من الجنة (و لهم) مع ذلک (عَذابٌ عَظِيمٌ) عقوبة لهم على قذفهم المحصنات.
و هذا وعيد عام لجميع المكلفين، فى قول ابن عباس و ابن زيد و اكثر اهل

العلم. و قال قوم: فى عائشة، لما رأوها نزلت فيها هذه الآية توهموا ان الوعيد خاص فيمن قذفها، و هذا ليس بصحيح، لأن عند اكثر العلماء المحصلين: ان الآية إذا نزلت على سبب لم يجب قصرها عليه، كآية اللعان، و آية القذف، و آية الظهار، و غير ذلک. و متى حملت على العموم دخل من قذف عائشة فى جملتها.
و قوله (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ) تقديره: و لهم عذاب عظيم فى هذا اليوم. و هو يوم القيامة. و شهادة الايدى و الأرجل باعمال الفجار.
قيل فى كيفيتها ثلاثة اقوال: التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 423
أحدها- ان الله تعالى يبنيها بنية يمكنهم النطق بها و الكلام من جهتها.
الثانى- ان يفعل الله تعالى فى هذه البنية كلاماً يتضمن الشهادة، فكأنها هى الناطقة.
و الثالث- ان يجعل فيها علامة تقوم مقام النطق بالشهادة، و ذلک إذا جحدوا معاصيهم. و اما شهادة الألسن فيجوز ان يكونوا يشهدون بألسنتهم إذا رأوا ان لا ينفعهم الجحد. و اما قوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم) فقالوا: إنه يجوز ان يخرج الألسنة و يختم على الأفواه، و يجوز ان يكون الختم على الأفواه إنما هو فى حال شهادة الأيدى و الأرجل. و قال الجبائى: و يجوز ان يبنيها بنية مخصوصة، و يحدث فيها شهادة تشهد بها.
و قوله (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ) يعنى جزاءهم الحق، و الدين- هاهنا- الجزاء، و يجوز ان يكون المراد جزاء دينهم الحق، و حذف المضاف و اقام المضاف اليه مقامه (وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) اى يعلمون الله ضرورة فى ذلک اليوم، و يقرون انه الحق، الذى ابان الحجج و الآيات فى دار التكليف، و هو قول مجاهد، و قرئ (الحق) بالرفع، و النصب، فمن رفعه جعله من صفة الله، و من نصبه جعله صفة للدين.

الْخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَ الْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ وَ الطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبِينَ وَ الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ أُولئِكَ مُبَرَّؤُنَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (26)
آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 424
قيل فى معنى الآية أربعة اقوال:
أحدها- قال ابن عباس و مجاهد و الحسن و الضحاک: معناه (الخبيثات) من الكلم (للخبيثين) من الرجال أى صادرة منهم.
الثانى- فى رواية أخرى عن ابن عباس: أن (الخبيثات) من السيئات (للخبيثين) من الرجال، و الطيبات من الحسنات للطيبين من الرجال.
الثالث- قال ابن زيد: (الخبيثات) من النساء (للخبيثين) من الرجال، كأنه ذهب الى اجتماعها للمشاكلة بينهما.
و الرابع- قال الجبائى: (الخبيثات) من النساء الزوانى (للخبيثين) من الرجال الزناة، على التعبد الأول ثم نسخ، و قيل الخبيثات من الكلم إنما تلزم الخبيثين من الرجال و تليق بهم. و الطيبات للطيبين و الطيبون للطيبات عكس ذلک على السواء فى الأقوال الأربعة.
و الخبيث الفاسد الذى يتزايد فى الفساد تزايد النامى فى النبات، و نقيضه الطيب.
و الحرام كله خبيث. و الحلال كله طيب.
و قوله «أُولئِكَ مُبَرَّؤُنَ مِمَّا يَقُولُونَ» قال مجاهد معناه: الطيبون من الرجال مبرؤن من خبيثات القول، يغفرها اللّه لهم. و من كان طيباً، فهو مبرأ من كل قبيح.
و من كان خبيثاً، فهو مبرأ من كل طيب بأن اللّه يرده عليه، و لا يقبله منه. و قال الفراء و غيره: يرجع ذلک الى عائشة، و صفوان بن معطل، كما قال «فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ» «1» و الام تحجب بالأخوين، فجاء على تغليب لفظ الجمع الذى يجرى مجرى الواحد فى الاعراب، و انما قال «مبرؤن ...» الآية، لأنه ذكر صفة الجمع، و المبرأ المنزه عن صفة الذم، المنفى عنه صفة العيب، يقال: برّأه اللّه من كذا، إذا

---

(1) سورة 4 النساء آية 10
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 425
نفاه عنه. و اللّه تعالى يبرئ المؤمنين من العيوب التى يضيفها اليهم أعداؤهم، و يفضح من يكذب عليهم.
و قوله «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ» أى لهؤلاء الطيبين من الرجال و النساء. مغفرة من اللّه لذنوبهم، و عطية من اللّه كريمة، فالرزق الكريم هو الذى

يعطى الخير على الإدرار المهنأ، من غير تنغيص الامتنان، و هو رزق اللّه تعالى الذى يعم جميع العباد، و يخص من يشاء بالزيادة فى الافعال. و قال قتادة «لهم مغفرة من الله و رزق كريم» فى الجنة.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (27) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً فَلا تَدْخُلُوها حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَ إِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكى لَكُمْ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (28) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَكْتُمُونَ (29) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ (30)

أربع آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 426

هذا خطاب من اللّه تعالى للمؤمنين ينهاهم أن يدخلوا بيوتاً لا يملكونها، و هى ملك غيرهم إلا بعد أن يستأنسوا، و معناه يستأذنوا، و الاستئناس الاستئذان- فى قول ابن عباس و ابن مسعود و ابراهيم و قتادة- و كأن المعنى يستأنسوا بالاذن.

و روى عن ابن عباس أنه قال: القراءة «حتى تستأذنوا» و انما و هم الكتاب. و هو قول سعيد ابن جبير، و به قرأ أبى بن كعب. و قال مجاهد: حتى تستأنسوا بالتنحنح و الكلام الذى يقوم مقام الاستئذان. و قد بين اللّه تعالى ذلک فى قوله «وَ إِذا بَلَغَ الْأَطْفالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا» «1» قال عطاء: و هو واجب فى أمه و سائر أهله و الاستئناس طلب الانس بالعلم أو غيره، كقول العرب: اذهب فاستأنس هل ترى احداً، و منه قوله «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً» «2» اى علمتم.

و قوله «وَ تُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها» معناه على أهل البيوت ينبغى أن تسلموا عليهم و إذا أذنوا لكم فى الدخول فادخلوها. و

روى ابو موسى عن النبى (ص) أنه قال: (الاستئذان ثلاث، فان أذنوا، و إلا فارجع)

فدعاه عمر، فقال لتأتينى بالبينة و إلا عاقبتک، فمضى أبو موسى، فأتى بمن سمع الحديث معه.

و الفرق بين الاذن فى الدخول، و بين الدعاء اليه، أن الدعاء اليه، يدل على ارادة الداعى، و ليس كذلک الاذن. و فى الدعاء رغبة الداعى او المدعو، و ليس كذلک الاذن و قوله «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» يعنى الاستئذان خير لكم من تركه، لتتذكروا فى ذلک، فلا تهجموا على العورات.

و قوله «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً» يعنى ان لم تعلموا فى البيوت احداً يأذن لكم فى الدخول «فَلا تَدْخُلُوها» لأنه ربما كان فيها ما لا يجوز أن تطلعوا عليه إلا بعد أن يأذن أربابها فى ذلک، يقال: وجد إذا علم.

---

(1) سورة 24 النور آية 59

(2) سورة 4 النساء آية 5
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 427
و قوله (وَ إِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا) أى لا تدخلوا إذا قيل لكم: لا تدخلوا، فان ذلک (أزكى لكم) اى اطهر (وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) أى عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شىء منها.
ثم قال (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ) أى حرج و إثم (أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ) أى منافع. و قيل: فى معنى هذه البيوت أربعة اقوال:
أحدها- قال قتادة: هى الخانات، فان فيها استمتاعاً لكم من جهة نزولها، لا من جهة الإناث الذى لكم فيها.
و الثانى- قال محمد بن الحنفية: هى الخانات التى تكون فى الطرق مسبلة. و معنى (غير مسكونة) اى لا ساكن لها معروف.
و الثالث- قال عطاء: هى الخرابات للغائط و البول.
و الرابع- قال ابن زيد: هى بيوت التجار التى فيها امتعة الناس.
و قال قوم: هى بيوت مكة. و قال مجاهد: هى مناخات الناس فى أسفارهم يرتفقون بها. و قال قوم: هى جميع ذلک حملوه على عمومه لأن الاستئذان إنما جاء لئلا يهجم على ما لا يجوز من العورة. و هو الأقوى، لأنه أعم فائدة.
و قوله (وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَكْتُمُونَ) اى لا يخفى عليه ما تظهرونه، و لا ما تكتمونه، لأنه عالم بجميع ذلک.
ثم خاطب النبى (ص) فقال (قل) يا محمد (لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ) عن عورات النساء و ما يحرم النظر اليه. و قيل: العورة من النساء ما عدا الوجه و الكفين و القدمين، فأمروا بغض البصر عن عوراتهن، و دخلت (من) لابتداء الغاية. و يجوز ان تكون للتبعيض، و المعنى أن يطرق و إن لم يغمض. و قيل: العورة من الرجل العانة الى مستغلظ الفخذ من أعلى الركبة، و هو العورة من الإماء، قالوا: التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 428
و يدل على ان الوجه و الكفين و القدمين ليس من العورة من الحرة، ان لها كشف ذلک فى الصلاة، و إذا كانت محرمة مثل ذلک، بالإجماع، و القدمان فيهما خلاف.
و قوله (وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) أمر من اللَّه تعالى أن يحفظ الرجال فروجهم عن الحرام، و عن إبدائها حيث ترى فإنهم متى فعلوا ذلک كان ازكى لاعمالهم عند اللَّه و إن اللَّه خبير بما يعملون و يصنعون اى عالم بما يعملونه اى على اى وجه يعملونه.
و قال مجاهد: قوله (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً) معناه فان لم يكن لكم فيها متاع، فلا تدخلوها إلا بإذن، فان قيل لكم ارجعوا فارجعوا، و هذا بعيد، لان لفظة (احد) لا يعبر بها إلا عن الناس، و لا يعبر بها عن المتاع.

وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنائِهِنَّ أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَواتِهِنَّ أَوْ نِسائِهِنَّ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ وَ لا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31)

قرأ ابن عامر و ابو بكر عن عاصم و ابو جعفر (غير اولى الاربة) نصباً.

الباقون بالجر. و قرأ ابن عامر (أية المؤمنون) بضم الهاء، و مثله (يا أيه الساحر) «1» و (أيه الثقلان) «2». الباقون (ايها) بفتح الهاء مع الالف فيها.

و كلهم وقف بلا الف إلا الكسائى، و اهل البصرة و الزبيبى من طريق العطار، و المالكى، فإنهم وقفوا بالف.

قال ابو على: الوقف بالألف أجود، لأنها سقطت فى الوصل لاجتماع الساكنين.

لما امر اللَّه تعالى الرجال المؤمنين فى الآية الأولى بغض أبصارهم عن عورات النساء، و أمرهم بحفظ فروجهم عن ارتكاب الحرام، أمر المؤمنات فى هذه الآية ايضاً من النساء بغض أبصارهن عن عورات الرجال، و ما لا يحل النظر اليه.

و أمرهن ان يحفظن فروجهن إلا عن أزواجهن على ما اباحه اللَّه لهم، و يحفظن ايضاً إظهارها بحيث ينظر اليها، و نهاهن عن إبداء زينتهن إلا ما ظهر منها. قال ابن عباس: يعنى القرطين و القلادة و السوار و الخلخال و المعضد و المنحر، فانه يجوز لها إظهار ذلک لغير الزوج، فاما الشعر فلا يجوز ان تبديه إلا لزوجها.

و الزينة المنهى عن إبدائها زينتان، فالظاهرة الثياب، و الخفية الخلخال، و القرطان و السوار- فى قول ابن مسعود- و قال ابراهيم: الظاهر الذى أبيح الثياب فقط. و عن ابن عباس- فى رواية أخرى- أن الذى أبيح الكحل و الخاتم و الحذاء و الخضاب فى الكف. و قال قتادة: الحذاء و السوار و الخاتم. و قال عطاء:

الكفان و الوجه. و قال الحسن: الوجه و الثياب. و قال قوم: كلما ليس بعورة يجوز إظهاره. و اجمعوا أن الوجه و الكفين ليسا بعورة، لجواز إظهارها فى الصلاة، و الأحوط قول ابن مسعود، و الحسن بعده.

---

(1) سورة 43 الزخرف آية 49
(2) سورة 55 الرحمن آية 31
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 430
و قوله «وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ» فالخمار غطاء رأس المرأة المنسبل على جبينها و جمعه خمر، و قال الجبائى: هى المقانع.
ثم كرر النهى عن اظهار الزينة تأكيداً و تغليظاً و استثنى من ذلک: الأزواج و آباء النساء. و إن علوا، و آباء الازواج و أبنائهم، أو اخوانهن و بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن، أو نسائهن يعنى نساء المؤمنين دون نساء المشركين إلا إذا كانت أمة و هو معنى قوله «أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ» أى من الإماء- فى قول ابن جريج- فانه لا باس بإظهار الزينة لهؤلاء المذكورين، لأنهم محارم.
و قوله «أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ» قال ابن عباس: هو الذى يتبعک ليصيب من طعامک و لا حاجة له فى النساء، و هو الأبله. و به قال قتادة و سعيد بن جبير و عطاء. و قال مجاهد: هو الطفل الذى لا أرب له فى النساء لصغره.
و قيل: هو العنين، ذكره عكرمة، و الشعبى. و قيل: هو المجبوب. و قيل: هو الشيخ الهم.
و الاربة الحاجة، و هى فعلة من الارب، كالمشية من المشى، و الجلسة من الجلوس. و قد أربت لكذا آرب له أرباً إذا احتجت اليه، و منه الأربة- بضم الالف- العقدة، لان ما يحتاج اليه من الأمور يقتضى العقدة عليه، و لان الحاجة كالعقدة حتى تنحل بسد الخلة، و لان العقدة التى تمنع من المنفعة يحتاج الى حلها، و لان العقدة عمدة الحاجة.
و قوله «أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ» يعنى الصغار الذين لم يراهقوا. فانه يجوز إبداء الزينة لهم.
و قوله «وَ لا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ» معناه لا تضرب امرأة برجلها، ليعلم صوت الخلخال فى رجلها، كما كان يفعله نساء أهل الجاهلية. و ذلک التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 431
يدل على ان إظهار الخلخال لا يجوز.
ثم أمر اللّه تعالى المكلفين، فقال «وَ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» أى لتفوزوا بثواب الجنة.
و من نصب (غير) يجوز أن يكون على الاستثناء، و يجوز أن يكون على الحال. و من كسر جعله نعتاً ل «التَّابِعِينَ، غَيْرِ» و إن لم يوصف به المعارف، فإنما المراد ب (التابعين) ليس بمعين. و ابن عامر انما ضم الهاء و وقف بلا ألف فى (أيه) اتباعاً للمصحف. قال ابو على: و قراءته ضعيفة. لان آخر الاسم هو الياء الثانية فى أى، فينبغى أن يكون المضمون آخر الاسم و لا يجوز ضم الهاء، كما لا يجوز ضم الميم فى قوله «اللهم» و لأنه آخر الكلام، و ها للتنبيه، فلا يجوز حذف الالف بحال.

وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَ إِمائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (32) وَ لْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَ آتُوهُمْ مِنْ مالِ اللَّهِ الَّذِي آتاكُمْ وَ لا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ مَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (33)

آيتان بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 432

هذا خطاب من اللّه للمكلفين من الرجال يأمرهم اللّه تعالى أن يزوجوا الأيامى اللواتى لهم عليهن ولاية، و أن يزوجوا الصالحين المستورين الذين يفعلون الطاعات من المماليک و الإماء إذا كانوا ملكاً لهم، و الأيامى جمع (أيم) و هى المرأة التى لا زوج لها سواء كانت بكراً أو ثيباً. و يقال للرجل الذى لا زوجة له: أيم ايضاً و وزن أيم (فيعل) بمعنى (فعيل) فجمعت كجمع يتيم و يتيمة و يتامى، و قال جميل:

أحب الأيامى إذ بثينة ايم و أحببت لما أن غنيت الغوانيا «1»

و يجوز جمعه أيايم، و يقال: امرأة أيم و ايمة إذا لم يكن لها زوج، قال الشاعر:

فان تنكحى أنكح و إن تتأيمى يدا الدهر ما لم تنكحى أتأيم «2»

و قال قوم: الأيم التى مات زوجها، و منه قوله (عليه السلام): (و الأيم أحق بنفسها) يعنى الثيب. و معنى أنكحوا زوجوا، يقال: نكح إذا تزوج، و أنكح غيره إذا زوجه. و قيل: ان الأمر بتزويج الأيامى إذا أردن ذلک أمر فرض، و الامر بتزويج الأمة إذا أرادت ندب، و كذلک العبد.

و قوله «إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ» معناه لا تمتنعوا من إنكاح المرأة أو الرجل إذا كانوا صالحين، لأجل فقرهما، و قلة ذات أيديهما، فإنهم و إن كانوا كذلک، فان اللّه تعالى يغنيهم من فضله، فانه تعالى واسع المقدور، كثير الفضل، عليهم بأحوالهم و بما يصلحهم، فهو يعطيهم على قدر ذلک. و قال قوم:

معناه إن يكونوا فقراء الى النكاح يغنهم اللّه بذلک عن الحرام. فعلى الأول تكون الآية خاصة فى الأحرار. و على الثانى عامة فى الأحرار، و المماليک.

و قوله «وَ لْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» أمر

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 48

(2) لسان العرب (أيم) و تفسير الطبرى 18/ 88 و القرطبى 12/ 240

من اللّه تعالى لمن لا يجد السبيل الى أن يتزوج، بأن لا يجد طولا من المهر، و لا يقدر على القيام بما يلزمها من النفقة و الكسوة، أن يتعفف، و لا يدخل فى الفاحشة، و يصبر حتى يغنيه اللّه من فضله.
و قوله «وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ» معناه إن الإنسان إذا كانت له أمة أو عبد يطلب المكاتبة. و هى أن يقوّم على نفسه و ينجم عليه ليؤدى قيمة نفسه الى سيده، فانه يستحب للسيد أن يجيبه الى ذلك و يساعده عليه لدلالة قوله تعالى «فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً» و هذا أمر ترغيب بلا خلاف عند الفقهاء.
و قال عمرو بن دينار، و عطاء، و الطبرى: هو واجب عليه إذا طلب. و صورة المكاتبة أن يقول الإنسان لعبده، أو أمته: قد كاتبتك على ان تعطينى كذا و كذا ديناراً أو درهما فى نجوم معلومة على أنك إذا أديت ذلك فأنت حر، فيرضى العبد بذلك، و يكاتبه عليه و يشهد بذلك على نفسه، فمتى أدى ذلك، و هو مال الكتابة فى النجوم التى سماها صار حراً، و ان عجز عن أداء ذلك كان لمولاه أن يرده فى الرق. و عندنا ينعتق منه بحساب ما أدى و يبقى مملوكاً بحساب ما بقى عليه إذا كانت الكتابة مطلقة، فان كانت مشروطة بأنه متى عجز رده فى الرق، فمتى عجز جاز له رده فى الرق. و (الخير) الذى يعلم منه هو القوة على التكسب. و تحصيل ما يؤدى به مال الكتابة. و قال الحسن: معناه ان علمتم منهم صدقاً. و قال ابن عباس و عطاء: ان علمتم لهم مالا. و قال ابن عمر: ان علمتم فيهم قدرة على التكسب، قال: لأنه إذا لم يقدر على ذلك قال اطعمنى «1» أوساخ أيدى الناس، و به قال سلمان.

_____
(1) فى المخطوطة (استطعتم) بدل (قال اطعمنى)

و اختلفوا فى الامر بالكتابة مع طلب المملوك لذلك و علم مولاه أن فيه خيراً. فقال عطاء:
هو الفرض. و قال مالك، و الثورى، و ابن زيد: هو على الندب. و هو مذهبنا.
و قوله «وَ آتُوهُمْ مِنْ مالِ اللَّهِ الَّذِى آتاكُمْ» أمر من اللّه تعالى أن يعطى السيد مكاتبه من ماله الذى أنعم اللّه عليه، بأن يحط شيئاً منه. و
روى عبد الرحمن السلمى عن على (ع) أنه قال: يحط عنه ربع مال الكتابة.
و قال سفيان أحب ان يعطيه الربع، او أقل، و ليس بواجب و قال ابن عباس و عطاء و قتادة: أمره بأن يضع عنه من مال الكتابة شيئاً. و قال الحسن و ابراهيم: حثه اللّه تعالى على معونته. و قال قوم: المعنى آتوهم سهمهم من الصدقة الذى ذكره فى قوله «وَ فِى الرِّقابِ» «1» ذكره ابن زيد عن أبيه، و هو مذهبنا.
و اختلفوا فى الحط عنه، فقال قوم: هو واجب، و قال آخرون- و هو

الصحيح- انه مرغب فيه.
و قوله «وَ لا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً» نهى عن إكراه الأمة على الزنا. قال جابر بن عبد اللّه: نزلت فى عبد الله بن أبى بن سلول، حين اكره أمته مسيكة على الزنا. و هذا نهى عام لكل مكلف عن أن يكره أمته على الزنا طلباً لمهرها و كسبها. و قوله «إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً» صورته صورة الشرط و ليس بشرط و انما ذكر لعظم الافحاش فى الإكراه على ذلک. و قيل: انها نزلت على سبب فوقع النهى عن المعنى على تلک الصفة.
و قوله «وَ مَنْ يُكْرِهْهُنَّ» يعنى على الفاحشة «فَإِنَّ اللّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ» اى لهن «غَفُورٌ رَحِيمٌ» ان وقع منها صغير فى ذلک، و الوزر على المكره.

---

(1) سورة 9 التوبة آية 61

وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَ مَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (34) اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35)

آيتان بلا خلاف.

قرأ «درّى» مشددة، بضم الدال من غير همز، ابن كثير و نافع و ابن عامر و حفص عن عاصم. و قرأ- بكسر الدال و الهمز- ابو عمرو، و الكسائى. و قرأ- بضم الدال و الهمز- حمزة و عاصم، فى رواية أبى بكر، و قرأ ابن كثير و ابو عمرو «توقد» بفتح التاء و الدال. و قرأ- بالياء مخففة مرفوع مضموم الياء- نافع و ابن عامر و حفص عن عاصم و الكسائى. و قرأ- بضم التاء و الدال مخففة مرفوعة- حمزة و ابو بكر عن عاصم.

فمن قرأ «درى» بكسر الدال، فهو من (درأت) اى رفعت. و الكوكب (درى) لسرعة رفعه فى الانقضاض، و الجمع الدرارى، و هى النجوم التى تجىء و تذهب. و قال قوم: هى احد الخمسة المضيئة: زحل، و المشترى، و المريخ، و الزهرة، و عطارد. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 436

و من قرأ- بضم الدال- نسبه الى الدّر فى صفائه و حسنه. و من ضم الدال و همز، فهو غير معروف عند أهل اللغة، لأنه ليس فى الكلام (فُعيل)- ذكره الفراء- و قال ابو عبيدة: وجهه ان يكون- بفتح الدال- كأنه (فعيل). قال سيبويه: ليس فى الكلام (فعيل) و انما تكسر الفاء مثل (سكيت). و روى المفضل عن عاصم انه قرأ- بكسر الدال- من غير همز، و لا مدّ، و معناه: انه جار كالنجوم الدرارى الجارية مأخوذ من در الوادى إذا جرى.

و وجه قراءة ابن كثير فى «توقد» أنه على (فعل) ماض، و ضم الدال ابن محيصن أراد (تتوقد). و من ضم الياء مثل نافع و ابن عامر، رده على الكوكب.

و قال الفراء: رده على المصباح. و من ضم التاء و الدال رده على الزجاجة.

اقسم اللّه تعالى انه انزل «آيات» يعنى دلالات «مبينات» يعنى مفصلات، بينهن الله و فصلهن، فيمن قرأ- بفتح الياء- و من كسر الياء: معناه ان هذه الآيات و الحجج تبين المعانى و تظهر ما بطن فيها.

و قوله «وَ مَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ» معناه انه انزل إليكم اخبار من كان قبلكم من امم الرسل، و جعل ذلك عبراً لنا. و قيل لتعتبروا بذلك و تستدلوا به على ما يرضاه اللّه منكم فتفعلوه و على ما

يسخطه فتتجنبوه.
و قوله «اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ان اللَّه هادى اهل السموات و الأرض- ذكره ابن عباس- فى رواية و أنس.
و الثانى- انه منور السموات و الأرض بنجومها و شمسها و قمرها- فى رواية اخرى- عن ابن عباس، و قال ابو العالية و الحسن مثل ذلک.
ثم قال تعالى «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ» الهاء فى قوله «نوره» قيل
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 437
إنها تعود على المؤمن، و تقديره مثل النور الذى فى قلبه بهداية اللَّه، و هو قول أبى ابن كعب و الضحاک. و قال ابن عباس: هى عائدة على اسم اللَّه، و معناه مثل نور الله الذى يهدى به المؤمن. و قال الحسن: مثل هذا القرآن فى القلب كمشكاة.
و قيل: مثل نوره و هو طاعته- فى قول ابن عباس- فى رواية. و قيل: مثل نور محمد (ص). و قال سعيد بن جبير: النور محمد، كأنه قال مثل محمد رسول اللَّه (ص) فالهاء كناية عن الله. و المشكاة الكوة التى لا منفذ لها- فى قول ابن عباس و ابن جريج- و قيل: هو مثل ضرب لقلب المؤمن، و المشكاة صدره، و المصباح القرآن، و الزجاجة قلبه- فى قول أبى ابن كعب، و قال: فهو بين اربع خلال إن أعطى شكر، و إن ابتلى صبر، و إن حكم عدل، و إن قال صدق. و قيل: المشكاة عمود القنديل الذى فيه الفتيلة، و هو مثل الكوة. و قال كعب الأحبار: المشكاة محمد (ص) و المصباح قلبه، شبه صدر النبى بالكوكب الدرى.
ثم رجع الى المصباح أى قلبه شبهه بالمصباح كأنه فى زجاجة و «الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ» اى يتبين للناس و لو لم يتكلم انه نبى. و من قال «اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ» يعنى منورها بالشمس و القمر و النجوم، ينبغى ان يوجه ضرب المثل بالمشكاة على ان ذلک مثل ما فى مقدوره، ثم تنبث الأنوار الكثيرة عنه.
ضرب الله تعالى المثل لنوره الذى هو هدايته فى قلوب المؤمنين بالمشكاة، و هى الكوة التى لا منفذ لها إذا كان فيها مصباح، و هو السراج، و يكون المصباح فى زجاجة، و تكون الزجاجة مثل الكوكب الدرى- فمن ضم الدال- منسوب الى الدر فى صفائه و نوره. و من كسر الدال شبهها بالكوكب فى سرعة تدفعه بالانقضاض.
ثم عاد الى وصف المصباح، فقال «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ» اى
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 438
يشتعل من دهن شجرة مباركة، و هى الزيتونة الشامية، قيل لأن زيتون

الشام ابرک.
و قیل: وصفه بالبرکة لان الزیتون یورق من اوله الی آخره.
و قوله «لا شَرْقِیَّةٍ وَ لا غَرْبِیَّةٍ» قال ابن عباس- فی روایة- معناه لا شرقیة بشروق الشمس علیها فقط و لا غربیة بغروبها علیها فقط، بل هی شرقیة غربیة تأخذ حظها من الامرین، فهو أجود لزیتها. و قیل: معناه انها وسط البحر، روی ذلک عن ابن عباس أیضاً. و قال قتادة: هی ضاحیة للشمس، و قال الحسن: لیست من شجر الدنیا «یَکادُ زَیْتُها یُضِیءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ» ای زیتها من صفائه و حسنه یکاد یضیء من غیر ان تمسه نار و تشتعل فیه.
و قال ابن عمر الشجرة ابراهیم (ع) و الزجاجة التی کأنها کوکب دری محمد (ص).
و قوله «نُورٌ عَلی نُورٍ» قیل: معناه نور الهدی الی توحیده، علی نور الهدی بالبیان الذی اتی به من عنده. و قال زید بن اسلم «نور علی نور» معناه یضیء بعضه بعضاً. و قیل «نور علی نور» معناه انه یتقلب فی خمسة أنوار، فکلامه نور، و علمه نور، و مدخله نور، و مخرجه نور، و مسیره نور الی النور یوم القیامة الی الجنة. و قال مجاهد: ضوء النار علی ضوء النور علی ضوء الزیت علی ضوء المصباح علی ضوء الزجاجة.
و قوله «یَهْدِی اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ یَشاءُ» أی یهدی الله لدینه و إیمانه من یشاء بأن یفعل له لطفاً یختار عنده الایمان إذا علم ان له لطفاً. و قیل: معناه یهدی الله لنبوته من یشاء، ممن یعلم انه یصلح لها. و قیل: معناه «یَهْدِی اللَّهُ لِنُورِهِ» ای یحکم بإیمانه لمن یشاء، ممن آمن به.
و قوله «وَ یَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ» معناه یضرب اللَّه الأمثال للذین یفکرون فیها و یعتبرون بها «وَ اللَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ» لا یخفی علیه خافیة.

فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ یُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ یُسَبِّحُ لَهُ فِیها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ (36) رِجالٌ لا تُلْهِیهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللَّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِیتاءِ الزَّکاةِ یَخافُونَ یَوْماً تَتَقَلَّبُ فِیهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ (37) لِیَجْزِیَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَ یَزِیدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللَّهُ یَرْزُقُ مَنْ یَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ (38)

ثلاث آیات فی الکوفی و البصری تمام الآیة الأولی «الآصال» و فی الباقی آیتان آخرهما «الأبصار» و «حساب».

قرأ ابن عامر و ابو بکر و ابن شاهی عن حفص «یسبح» بفتح الباء. الباقون بکسرها، فمن فتح الباء، و قرأ علی ما لم یسم فاعله احتملت قراءته فی رفع (رجال) وجهین:

أحدهما- أن یکون الکلام قد تم عند قوله «و الآصال» ثم قال «رِجالٌ لا تُلْهِیهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللَّهِ» فالتجارة الجلب، و البیع ما یبیع الإنسان علی یده.

و الوجه الثانی- أن یرفع (رجال) بإضمار فعل یفسره الأول، فیکون الکلام تاماً عند قوله «و الآصال» ثم یبتدئ «رجال» بتقدیر یسبحه رجال. و قال ابو علی:

یکون أقام الجار و المجرور مقام الفاعل، ثم فسر من یسبحه، فقال «رجال» أی یسبحه رجال، و منه قول الشاعر: التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 440

لیبک یزید ضارع لخصومة «1»

کأنه قال لیبک یزید. قیل من یبکیه؟ فقال: یبکیه ضارع. و قال المبرد:

یجوز ان یکون یسبح نعتاً للبیوت، و تقدیره فی بیوت اذن اللّه برفها و ذکر اسمه و یسبح له فیها رجال لا تلهیهم تجارة. و من قرأ بکسر الباء- و رفع رجالا بفعلهم، فعلی هذه القراءة لا یجوز الوقف إلا علی «رجال» و علی الاول علی قوله «و الآصال».

و الآصال جمع أصیل. و قرأ أبو محلم «الآصال» بکسر الالف جعله مصدراً.

و قوله «فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ» قیل فی العامل فی (فی) قولان:

أحدهما- (المصابیح) فی بیوت، و العامل استقرار المصابیح، و هو قول ابن زید.

و الثانی- توقد فی بیوت، و هذه البیوت هی المساجد- فی قول ابن عباس و الحسن و مجاهد- و قال عکرمة: هی سائر البیوت و قال الزجاج: یجوز ان تکون (فی) متصلة بیسبح و یکون فیها کقولک فی الدار قام زید فیها.

و قوله «أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ» قال مجاهد: معناه أذن اللّه أن تبنی، و ترفع بالبناء، کما قال «وَ إِذْ یَرْفَعُ إِبْراهِیمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَیْتِ وَ إِسْماعِیلُ» «2» و

قال الحسن:
معناه أن تعظم، لأنها مواضع الصلوات.
و قوله «وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ» أى يذكر اسم اللَّه فى هذه البيوت. و قيل تنزه من النجاسات و المعاصى.
و قوله «يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ» قال ابن عباس: معناه يصلى له فيها بالغداة و العشى، و هو قول الحسن و الضحاك. و قال ابن عباس: كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة.

---

(1) انظر 4/ 310 تعليقه 2 و 6/ 329
(2) سورة 2 البقرة آية 127

و قوله «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» أى لا تشغلهم و لا تصرفهم التجارة و البيع عن ذكر اللَّه و تعظيمه.
و
روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع) انه تعالى مدح قوماً إذا دخل وقت الصلاة تركوا تجارتهم و بيعهم، و اشتغلوا بالصلاة.
و قوله «وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ» أى لا تصرفهم تجارتهم عن ذكر الله، و عن اقامة الصلاة، و حذف التاء لان الاضافة عوض عنها، لأنه لا يجوز أن تقول: أقمته إقاماً، و انما يجوز إقامة، و الهاء عوض عن محذوف، لان أصله أقوام، فلما اضافه قامت الاضافة مقام الهاء «وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ» أى و لا يصرفهم ذلک عن إعطاء الزكاة التى افترضها الله عليهم. و قال ابن عباس: الزكاة الطاعة لله و قال الحسن: هى الزكاة الواجبة فى المال قال الشاعر [فى حذف الهاء و العوض عنها بالاضافة]:
إن الخليط اجدّوا البين فانجردوا و أخلفوک عدى الأمر الذى وعدوا «1»
يريد عدة الأمر فحذف الهاء لما أضاف.
و قوله تعالى «يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ» أى يخافون عذاب يوم أو اهوال يوم تتقلب فيه القلوب من عظم أهواله، و الأبصار من شدة ما يعاينوه. و قيل تتقلب فيه القلوب ببلوغها الحناجر، و تقلب الأبصار بالعمى بعد النظر و قال البلخى: معناه إن القلوب تنتقل من الشک الذى كانت عليه، الى اليقين و الايمان. و إن الأبصار تتقلب عما كانت عليه، لأنها تشاهد من أهوال ذلک اليوم ما لم تعرفه، و مثله قوله «لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هذا» «2» الآية. و قال الجبائى:

---

(1) تفسير الطبرى 18/ 102 و اللسان (وعد)
(2) سورة 50 ق آية 22 [.....]

تتقلب القلوب و الأبصار عن هيئاتها بأنواع العقاب كتقلبها على الجمر.
و قوله «لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا» أى يفعلون ذلک طلبا لمجازات الله إياهم بأحسن ما عملوا من ثواب الجنة، و يزيدهم على ذلک من فضله و كرمه. ثم اخبر تعالى انه «يرزق» على العمل بطاعته تفضلا منه تعالى «مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ» و الثواب لا يكون إلا بحساب و التفضل يكون بغير حساب.

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ (39) أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ (40)

آيتان بلا خلاف.

ثم اخبر اللَّه تعالى عن احوال الكفار، فقال و الذين كفروا بتوحيد اللَّه و اخلاص العبادة و جحدوا أنبياءه «أعمالهم» التى عملوا يعنى التى يعتقدون أنها طاعات و قربات «كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ» فالسراب شعاع يتخيل كالماء يجرى على الأرض نصف النهار حين يشتد الحر و الآل شعاع يرتفع بين السماء و الأرض- كالماء- ضحوة النهار، و الال يرفع الشخص فيه. و انما قيل سراب، لأنه يتسرب أى يجرى كالماء و (قيعة) جمع قاع، و هو المنبسط من الأرض الواسع. و فيه يكون السراب التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 443

و مثله جار و جيرة، و يجمع ايضاً على (اقواع، و قيعان)، و الشعاع بالقاع يتكثف فيرى كالماء، فإذا قرب منه صاحبه انفش كالضباب، فلم يره شيئاً، كما كان. و قال ابن عباس: القيعة الأرض المستوية. و المعنى: إن الكافر لم يجد شيئاً على ما قدر.

و قوله «وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ» و المعنى ان الذى قدره من جزاء أعماله لا يجده، و يعلمه اللَّه عند عمله فيوفيه جزاءه على سوء أفعاله.

و قوله «وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ» أى سريع المجازاة، لان كل ما هو آت سريع قريب. و قال الجبائى:، لأنه تعالى يحاسب الجميع فى وقت واحد، و ذلک يدل على انه لا يتكلم بآلة. و انه ليس بجسم، لأنه لو كان متكلماً بآلة لما تأتى ذلک إلا فى أزمان كثيرة.

ثم شبه اللَّه تعالى أفعال الكافر بمثال آخر، فقال «أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ» أى أفعاله مثل ظلمات، يعنى ظلمة البحر و ظلمة السحاب، و ظلمة الليل، لان الكافر حاله ظلمة، و اعتقاده ظلمة، و مصيره الى ظلمة، و هو فى النار يوم القيامة نعوذ بالله منها. و تلخيص الكلام أن اعمال هؤلاء الكفار كالسراب يحسبه الظمآن- من بعد- ماء يرويه حتى إذا دنى منه لم يجده شيئاً أى حتى إذا مات لم يجد عمله شيئاً لأنه بطل بكفره، و وجد الله عند عمله يجازيه عليه. ثم ضرب مثلا آخر فقال او كظلمات يعنى انه فى حيرة من كفره مثل هذه الظلمات «وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً» فى قلبه و يهديه به «فَما لَهُ مِنْ نُورٍ» يهتدى به.

و قوله «فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ، ظُلُماتٌ

بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ» مبالغة فى تشبيه هذه الافعال بالظلمات المتكاثفة على ما وصفه الله تعالى، و لجة البحر معظمه، الذى تتراكب فيه أمواجه لا يرى ساحله. و الظلمات مثل التحير، و التحير الجهل الذى يغشى القلب. و قوله «إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها» انما قال لم يكد يراها مع أنه
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 444
بدون هذه الظلمات لا يراها، لان (كاد يراها) معناه قارب ان يراها، و لم يكد يراها لم يقارب أن يراها، فهى نفى مقاربة الرؤية على الحقيقة. و قيل دخل (كاد) بمعنى النفى كما يدخل الظن بمعنى اليقين، كأنه قال: يكفيه ان يكون على هذه المنزلة فكيف أقصى المنازل. و قيل يراها بعد جهد و شدة، رؤية تخيل لصورتها. و قال الحسن لم يكد يراها لم يقارب الرؤية قال الشاعر:
ما كدت أعرفه إلا بعد انكار
و قالوا كاد العروس يكون أميراً. و كاد النعام يطير. و قوله «وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً، فَما لَهُ مِنْ نُورٍ» معناه من لم يجعل الله له هداية الى الرشد، فما له من نور، أى فما له ما يفلح به على وجه من الوجوه. و قيل: من لم يجعل الله له نوراً يوم القيامة يهديه الى الجنة، فما له من نور يهديه اليها.
و فى الآية دلالة على فساد قول من يقول: إن المعارف ضرورة، لأنه لا يصح مع المعرفة الضرورية الحسبان.

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ (41) وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (42) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِى سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ (43) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ إِنَّ فِى ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِى الْأَبْصارِ (44)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 445

أربع آيات فى البصرى و الكوفى و ثلاث فى غيرها. لأنهم لم يعدوا «بالأبصار» آخر آية.

قرأ ابو جعفر المدنى «يذهب بالأبصار» بضم الياء. الباقون بفتحها. و قد مضى ذكر مثله.

يقول اللّه تعالى لنبيه محمد (ص) «ألم تر» يا محمد و المراد به جميع المكلفين أى ألم تعلم ان الذى ذكره فى الآية لا يرى بالأبصار و انما يعلم بالادلة، «أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» فالتسبيح التنزيه لله تعالى عن جميع ما لا يجوز عليه، و لا يليق به، فمن نفى عنه الصاحبة و الولد، فقد سبحه، لأنه برأه مما لا يجوز عليه، و من نفى عنه أن يكون له شريك فى ملكه او عبادته، فقد سبحه، لأنه برأه مما لا يجوز عليه، و كذلك من نفى عنه فعل القبيح، فقد سبحه، لأنه برأه مما لا يجوز عليه. و من نفى عنه أن يكون له شريك فى ملكه او عبادته، فقد سبحه، لأنه برأه مما لا يجوز عليه، و كذلك من نفى عنه فعل القبيح، فقد سبحه، لأنه برأه مما لا يجوز عليه. و تسبيح من فى السموات و الأرض إنما هو بما فيها من الدلالات على توحيده، و نفى الصاحبة عنه، و نفى تشبيهه بخلقه و تنزيهه عما لا يليق به، مما يدل على ذلك و يدعو اليه، كأنه المسبح له.

و قوله «وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ» معناه و تسبحه الطير صافات فى حال اصطفافها فى الهواء، لأنها إذا صفت أجنحتها فى الهواء و تمكنت من ذلك كان فى ذلك دلالة و عبرة على أن ممكنها من ذلك لا يشبه شيئاً من المخلوقات.

و قوله «كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ» معناه: إن جميع ذلك قد علم الله

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 446

صلاته، يعنى دعاءه الى توحيده، و تسبيحه، و تنزيهه عما لا يليق به. و قال مجاهد:

الصلاة للإنسان، و التسبيح لكل شىء. و قيل: كل قد علم صلاته أى صلاة نفسه، و تسبيح نفسه، فيكون الضمير فى علم ل (كل)، و على الأول يعود

على اسم الله، و الأول أجود، لان هذه الأشياء كلها لا يعلم كيفية دلالتها غير الله. و انما الله تعالى عالم بذلک، و يقويه قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ» أى عالم بأفعالهم، لا يخفى عليه شىء منها. فيجازيهم بحسبها.
ثم اخبر تعالى فقال «وَ لِلَّهِ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ»، و الملک المقدور الواسع لمن يملک السياسة و التدبير، فملک السموات و الأرض لا يصح إلا لله وحده لا شريک له، لأنه لا يقدر على خلق الأجسام غيره، و ليس مما يصح أن يملكه العبد، لأنه لا يمكنه أن يصرفه أتم التصريف، فالملک التام، لا يصح الا لله تعالى.
و قوله «وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» اى اليه المرجع يوم القيامة، الى ثوابه او عقابه.
ثم قال «أَ لَمْ تَرَ» اى ا لم تعلم (أَنَّ اللَّهَ يُزْجِى سَحاباً) اى يسوق سحاباً الى حيث يريده، و منه زجا الخراج إذا انساق الى أهله و أزجاه فلان أى ساقه «ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ» أى بين بعضه و بعض، لان لفظ سحاب جمع، واحده سحابة، و هو كقولهم: جلس بين النخل، لان لفظ بين لا تستعمل إلا فى شيئين فصاعداً.
و قوله «ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً» و هو المتراكب بعضه فوق بعض «فَتَرَى الْوَدْقَ» يعنى المطر، يقال: و دقت السحابة، تدق و دقاً إذا أمطرت قال الشاعر:
فلا مزنة و دقت و دقها و لا ارض ابقل إبقالها «1»
«يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ» فالخلال جمع خلل. و قوله «وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ» معنى (من) الاولى، لابتداء الغاية، لان (من السماء) ابتداء

---

(1) مر تخريجه فى 1/ 216 و 5/ 361

الانزال بالمطر، و الثانية للتبعيض، لأن البرد بعض الجبال التى فى السماء، و الثالثة لتبيين الجنس، لان جنس الجبال جنس البرد. و قيل فى السماء جبال برد مخلوقة فى السماء. و قال البلخى: يجوز أن يكون البرد يجتمع فى السحاب كالجبال ثم ينزل منها.
و قيل السماء هو السحاب، لان كل ما علا مطبقاً فهو سماء. و قال الفراء: يجوز أن يكون المراد و ينزل من السماء قدر جبال من برد، كما تقول: عندى بيتان من تبن أى قدر بيتين. و قال الحسن: فى السماء جبال برد، و قيل المعنى: قدر جبال يجعل منها برداً على ما حكيناه عن الفراء.
و قوله «فَيُصِيبُ بِهِ» يعنى بذلک البرد «فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ» ان يهلک أو يهلک ماله «وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ» على حسب اقتضاء المصلحة.
و قوله «يَكادُ سَنا بَرْقِهِ» أى ضياء البرق، فسنا البرق مقصور، و سناء المجد ممدود. و قال ابن عباس و ابن زيد: يعنى ضوء برقه يكاد يختطف الأبصار. و قال قتادة: لمعان برقه.

و قوله «يُقَلِّبُ اللّٰهُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ» يعنى يجىء بالنهار عقيب الليل، و بالليل عقيب النهار. و قيل: يزيد من هذا فى ذاک و ينقص من ذاک فى هذا «إِنَّ فِى ذلِکَ لَعِبْرَةً» اى دلالة (لأولى الأبصار) يعنى ذوى العقول الذين يبصرون بقلوبهم.
و فى الآية دلالة على وجوب النظر، و فساد التقليد، لأنه تعالى مدح المعتبرين بعقولهم بما نبه من الدلالات و الآيات الدالة على توحيده و عدله و غير ذلک.

وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 448

آية بلا خلاف.

قرا حمزة و الكسائى و خلف (و الله خالق) على وزن (فاعل). الباقون (خلق) على فعل ماض. و من قرأ (خالق) فلقوله (خالق كل شىء) «1» و من قرأ خلق، فلانه فعل ذلك فيما مضى، و لقوله (ألم تر ان الله خلق السموات) «2» و قوله (خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) «3».

اخبر الله تعالى انه خالق كل شىء يدب من الحيوان من ماء. ثم فصله فقال منهم من يمشى على بطنه كالحياة و السمک و الدود، و غير ذلک. و منهم من يمشى على رجلين كالطير و ابن آدم، و غير ذلک، و منهم من يمشى على أربع كالبهائم و السباع و غير ذلک. و لم يذكر ما يمشى على أكثر من أربع، لأنه كالذى يمشى على أربع فى مرأى العين، فترک ذكره، لان العبرة تكفى بذكر الأربع. و قال البلخى:

لان عند الفلاسفة أن ما زاد على الأربع لا يعتمد عليها. و اعتماده على الأربع فقط، و انما قال (من ماء) لان أصل الخلق من ماء، ثم قلب الى النار، فخلق الجن منه، و الى الريح فخلق الملائكة منه، ثم الى الطين فخلق آدم (ع). و دليل أن اصل الحيوان كله الماء قوله تعالى (وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) «4» و انما قال منهم تغليباً لما يعقل على ما لا يعقل إذا اختلط فى خلق كل دابة. و قيل (من ماء) اى من نطفة، و ذكره الحسن، و جعل قوله (كل دابة) خاصاً، فيمن خلق من نطفة.

و قوله (يَخْلُقُ اللَّهُ ما يَشاءُ) اى يخترع ما يشاء، و ينشئه من الحيوان،

---

(1) سورة 40 المؤمن آية 62 و سورة 6 الانعام آية 102 و سورة 13 الرعد آية 18

(2) سورة 14 إبراهيم آية 19

(3) سورة 25 الفرقان آية 2

(4) سورة 21 الأنبياء آية 30

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 449

و غيره (إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) لا يتعذر عليه شىء يريده.

لَقَدْ أَنْزَلْنا آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (46) وَ يَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ ما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَ إِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48) وَ إِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتابُوا أَمْ يَخافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ بَلْ أُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50)

خمس آيات بلا خلاف.

اقسم الله تعالى فى هذه الآية انه انزل (آياتٍ مُبَيِّناتٍ) أى دلالات واضحات تظهر بها المعانى، و تتميز، مما خالفها حتى تعلم مفصلة. و من كسر الياء، جعلها من المبينة المظهرة مجازاً، من حيث يتبين بها، فكأنها المبينة.

و قوله (وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) معناه و الله يلطف لمن يشاء بما يعلم انه يهتدى عنده (إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) واضح: من توحيده و عدله و صدق أنبيائه. و الهداية الدلالة التى يهتدى بها صاحبها الى الرشد، و قد تطلق على ما يصح أن يهتدى بها، كما قال تعالى (وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 450

الْهُدى)

«1» لأن المراد فى الآية اللطف على ما قلناه. و قال الجبائى: قوله (يَهْدِي مَنْ يَشاءُ) يعنى المكلفين دون من ليس بمكلف، و يجوز أن يكون المراد هدايتهم فى الآخرة الى طريق الجنة، و الصراط المستقيم الايمان لأنه يؤدى الى الجنة.

و قوله (وَ يَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ ما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) قيل انها نزلت فى صفة المنافقين، لأنهم يقولون بألسنتهم:

آمنا باللّه و صدقنا رسوله، فإذا انصرفوا إلى أصحابهم قالوا خلاف ذلك، فأخبر اللّه تعالى أن هؤلاء ليسوا بمؤمنين على الحقيقة. ثم اخبر عن حال هؤلاء فقال: «وَ إِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ» فى شىء يختلفون فيه «إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ» يعنى المنافقين «معرضون» عن ذلك. و لا يختارونه، لأنه يكون الحق عليهم. ثم قال «وَ إِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ» و تتوجه لهم الحكومة «يَأْتُوا إِلَيْهِ» يعنى الى النبى (ص) منقادين «مُذْعِنِينَ» و الإذعان هو الانقياد من غير إكراه، فهؤلاء المنافقون إذا دعوا الى رسول الله (ص) ليحكم بينهم فى شىء اختلفوا فيه، امتنعوا ظلماً، لأنفسهم.

و كفروا بنبيهم، ففضحهم اللّه بما أظهر من جهلهم و نفاقهم.

و قيل انها نزلت فى رجل من المنافقين كان بينه و بين رجل من اليهود

حكومة، فدعاه اليهودى الى رسول اللّه، و دعاه المنافق الى كعب بن الأشرف. و قيل انها نزلت فى على (ع) و رجل من بنى أمية دعاه على الى رسول اللَّه، و دعاه الاموى الى اليهود، و كان بينهما منازعة فى ماء و أرض. و حكى البلخى انه كانت بين على (ع) و عثمان منازعة فى أرض اشتراها من على، فخرجت فيها أحجار، و أراد ردها بالعيب، فلم يأخذها، فقال بينى و بينك رسول اللَّه، فقال الحكم ابن أبى العاص ان حاكمته الى ابن عمه حكم له، فلا تحاكمه اليه، فانزل الله الآية.

---

(1) سورة 41 حم السجدة (فصلت) آية 17

ثم قال تعالى منكراً عليهم «أَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شک فى قلوبهم، و سمى الشک مرضاً، لأنه آفة تصد القلب عن ادراک الحق، كالآفة فى البصر تصد عن ادراک الشخص، و انما جاء على لفظ الاستفهام، و المراد به الإنكار، لأنه أشد فى الذم و التوبيخ أى ان هذا كفر، قد ظهر حتى لا يحتاج فيه الى البينة، كما جاز فى نقيضه على طريق الاستفهام، لأنه أشد مبالغة فى المدح، كما قال جرير:

ألستم خير من ركب المطايا و اندى العالمين بطون راح «1»

فقال اللّه تعالى «أَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شک فى النبى «أَمِ ارْتابُوا» بقوله و بحكمه (أَمْ يَخافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ و رسوله عليهم) أى يجور عليهم، و الحيف الجور بنقض الحق، و يحيف عليهم: يظلمهم، لأنه لا وجه للامتناع عن المجىء إلا أحد هذه الثلاثة.

ثم اخبر تعالى فقال: ليس لشىء من ذلک، بل لأنهم الظالمون نفوسهم و غيرهم، و المانعون لهم حقوقهم، و إنما أفرد قوله (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) بعد قوله (إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ)، لأنه حكم واحد يوقعه النبى (ص) بأمر الله.

إِنَّما كانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51) وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ اللَّهَ وَ يَتَّقْهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ (52) وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لا تُقْسِمُوا طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (53) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْهِ ما حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ وَ إِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (54)

---

(1) قائله جرير، ديوانه (دار بيروت) 77

أربع آيات بلا خلاف.

قرأ ابو بكر و أبو عمرو (و يتقه) ساكنة القاف، لان الهاء لما اختلطت بالفعل و صارت مزدوجة ثقلت الكلمة، فخففت بالإسكان. و قيل: انهم توهموا أن الجزم واقع عليها. و قرأ ابن كثير، و ابن عامر، و حمزة، و الكسائى، و ورش (و يتقهى) بكسر الهاء المجاورة القاف المكسورة، و بعد الهاء ياء. و روى قالون باختلاس الحركة، و هو الأجود عند النحويين، لان الأصل يتقيه باختلاس الحركة، فلما سقطت الياء للجزم بقيت الحركة مختلسة، كما كانت. و روى حفص بإسكان القاف و كسر الهاء، لأنه كره الكسرة فى القاف و أسكنها تخفيفاً، كما قال الشاعر:

عجبت لمولود و ليس له أب و من والد لم يلده أبوان «1»

و يجوز ان يكون أسكن القاف و الهاء ساكنة، فكسر الهاء لالتقاء الساكنين، و لأن من العرب من يقول لم يتق مجزوم القاف بعد حذف الياء.

لما اخبر اللّه تعالى عن المنافقين أنهم إذا دعوا الى اللّه و رسوله فى الحكم بينهم فيما يتنازعون فيه، فإنهم عند ذلک يعرضون عن ذلک، و لا يجيبون اليه، أخبر أن المؤمنين بخلافهم و انهم إذا قيل لهم تعالوا (إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) ينبغى (ان يقولوا) فى الجواب عن ذلک (سَمِعْنا وَ أَطَعْنا) أى قبلنا هذا القول و انقدنا اليه و أجبنا الى حكم الله و رسوله.

ثم اخبر تعالى عن هؤلاء المؤمنين بأنهم (هُمُ الْفائِزُونَ) الذين فازوا بثواب الله و كريم نعمه. و

عن أبى جعفر (ع) أن المعنى بالآية أمير المؤمنين (ع) وصفه

---

(1) مر تخريجه فى 7/ 4

بخلاف ما وصف خصمه الذي ذكره فى الآية الاولى.
ثم قال تعالى (وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ) بان يفعل ما أمره به و يبادر اليه (وَ يَخْشَ اللَّهَ وَ يَتَّقْهِ) بأن يخاف عقابه، فيجتنب معاصيه، فان من هذه صفته من الفائزين. و (الفوز) أخذ الحظ الجزيل من الخير، تقول: فاز يفوز فوزاً، فهو فائز. و سميت المهلكة مفازة تفاؤلا، فكأنه قيل: منجاة.
ثم أخبر تعالى عن جماعة من المنافقين بأنهم «أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ» أى حلفوا به أغلظ أيمانهم، و قدر طاقتهم «لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ»
يا محمد بالخروج «لَيَخْرُجُنَّ»
يعنى الى الغزو، فقال اللَّه تعالى لهم «لا تُقْسِمُوا»
أى لا تحلفوا «طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ»
و قيل: فى معناه قولان:
أحدهما- هذه طاعة معروفة منكم يعنى بالقول دون الاعتقاد. أى إنكم تكذبون ذكره مجاهد.
و الثانى- طاعة و قول معروف أمثل من هذا القسم، و القول المعروف هو المعروف صحته. فان ذلک خير لكم من هذا الحلف.
ثم اخبر تعالى بأنه «خبير» أى عالم «بِما تَعْمَلُونَ»
لا يخفى عليه شىء على أى وجه توقعون أفعالكم، فيجازيكم بحسبها. و فى ذلک تهديد. ثم قال «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْهِ ما حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ» أى تتولوا، فحذفت التاء، و ليس كقوله «وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِى شِقاقٍ»»
لان الأول مجزوم، و هو للمخاطبين، لأنه قال «وَ عَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ» و لو كان لغير المخاطبين، لقال و عليهم، كما قال «وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِى شِقاقٍ» و كان يكون فى موضع نصب لأنه بمنزلة قولک: فان قاموا، و الجزاء يصلح فيه لفظ المستقبل و الماضى من (فعل يفعل) كما قال (فَإِنْ فاؤُ فَإِنَّ اللَّهَ «2». و قوله

---

(1) سورة 2 البقرة آية 137
(2) سورة 2 البقرة آية 226

(وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِى شِقاقٍ) فى موضع نصب ذكره الفراء، و قوله (فإنما عليه) يعنى على المتولى جزاء ما حمل أى كلف، فانه يجازى على قدر ذلک، و عليكم جزاء ما كلفتم إذا خالفتم (وَ إِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا) يعنى ان أطعتم رسوله تهتدوا.
ثم اخبر انه ليس (عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ) الظاهر و القبول يتعلق بكم، و لا يلزمه عهدته، و لا يقبل منكم اعتذار تركه بامتناع غيره.

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (55)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابو بكر عن عاصم (و ليبدلنهم) بالتخفيف. الباقون بالتشديد.

و قرأ ابو بكر عن عاصم (كما استخلف) بضم التاء على ما لم يسم فاعله.

الباقون بفتحها. قال ابو على: الوجه فتح التاء، لأن اسم اللَّه قد تقدم ذكره، و الضمير فى (يستخلفنهم) يعود الى الاسم، فكذلك قوله (كما استخلف) لان المعنى ليستخلفنهم استخلافاً كاستخلافه الذين من قبلهم. و من ضم التاء ذهب الى ان المراد به مثل المراد بالفتح.

فى هذه الآية وعد من اللَّه تعالى للذين آمنوا من اصحاب النبى (ص) و عملوا التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 455

الصالحات، بأن يستخلفهم فى الأرض، و معناه يورثهم أرض المشركين من العرب و العجم (كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يعنى بنى إسرائيل بأرض الشام بعد إهلاك الجبابرة بأن أورثهم ديارهم و جعلهم سكانها. و قال الجبائى: (اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يعنى فى زمن داود و سليمان. و قال النقاش: يريد بالأرض أرض مكة، لان المهاجرين سألوا ذلك، و الاول قول المقداد بن الأسود، و

روى عن رسول اللَّه (ص) أنه قال: (لا يبقى على الأرض بيت مدر، و لا وبر إلا و يدخله الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل).

و فى ذلك دلالة على صحة نبوة النبى (ص) لأنه أخبر عن غيب وقع مخبره على ما أخبر، و ذلك لا يعلمه إلا اللَّه تعالى (وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ) يعنى يمكنهم من إظهار الإسلام الذى ارتضاه ديناً لهم (وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً) أى نصرهم بعد أن كانوا خائفين بمكة وقت غلبة المشركين آمنين بقوة الإسلام و انبساطه.

ثم اخبر عن المؤمنين الذين وصفهم بأنهم يعبدون اللَّه تعالى وحده لا يشركون بعبادته سواه من الأصنام و الأوثان و غيرهما. و يجوز ان يكون موضعه الحال.

و يجوز أن يكون مستأنفاً.

ثم قال (وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ) يعنى بعد الذى قصصنا عليك و وعدناهم به (فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ) و إنما ذكر الفسق بعد الكفر مع أن الكفر أعظم من الفسق، لأحد أمرين:

أحدهما- انه أراد الخارجين فى كفرهم الى أفحشه، لان الفسق فى كل شىء هو الخروج الى أكبره.
الثانى- أراد ان من كفر تلك النعمة بالفساد بعدها، فسق و ليس يعنى الكفر باللّه، ذكره ابو العالية. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 456
و التبديل- تغيير حال الى حال أخرى، تقول: بدل صورته تبديلا، و تبدل تبدلا، و الابدال رفع الشىء بأن يجعل غيره مكانه، قال ابو النجم:
عزل الأمير بالأمير المبدل «1»
و التبديل رفع الحال الى حال أخرى. و الابدال رفع النفس الى نفس أخرى. و الأصل واحد. و هو البدل.
و استدل الجبائى، و من تابعه على إمامة الخلفاء الأربعة بأن قال: استخلاف المذكور فى الآية لم يكن إلا لهؤلاء، لأن التمكين المذكور فى الآية إنما حصل فى أيام أبى بكر و عمر، لان الفتوح كانت فى أيامهم، فأبو بكر فتح بلاد العرب و طرفاً من بلاد العجم، و عمر فتح مداين كسرى الى حد خراسان و سجستان و غيرهما، فإذا كان التمكين و الاستخلاف هاهنا ليس هو إلا لهؤلاء الائمة الأربعة. و أصحابهم علمنا أنهم محقون.
و الكلام على ذلک من الوجوه.
أحدها- ان الاستخلاف- هاهنا- ليس هو الامارة و الخلافة. بل المعنى هو ابقاؤهم فى أثر من مضى من القرون، و جعلهم عوضاً منهم و خلفاً، كما قال «هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِى الْأَرْضِ» «2» و قال «عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْأَرْضِ» «3» و قال «وَ رَبُّکَ الْغَنِىُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ» «4» و كقوله «وَ هُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً» «5» أى جعل كل واحد منهما خلف صاحبه، و إذا ثبت ذلک، فالاستخلاف و التمكين الذى ذكره اللّه

---

(1) قد مر تخريجه فى 7/ 79
(2) سورة 35 فاطر آية 39
(3) سورة 7 الاعراف آية 128
(4) سورة 6 الانعام آية 133 [.....]
(5) سورة 25 الفرقان آية 62
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 457
فى آية، كانا فى أيام النبى (ص) حين قمع اللَّه أعداءه و أعلا كلمته و نشر ولايته، و اظهر دعوته، و أكمل دينه، و نعوذ باللّه أن نقول: لم يمكّن اللّه دينه لنبيه فى حياته حتى تلافى ذلک متلاف بعده، و ليس ذلک التمكين كثرة الفتوح و الغلبة على البلدان لأن ذلک يوجب أن دين اللّه لم يتمكن بعد الى يومنا هذا لعلمنا ببقاء ممالک للكفر كثيرة لم يفتحها المسلمون، و يلزم على ذلک إمامة مِعاوية و بنى أمية، لأنهم تمكنوا اكثر من تمكن أبى بكر و عمر،

و فتحوا بلاداً لم يفتحوها.
و لو سلمنا أن المراد بالاستخلاف الامامة للزم أن يكون منصوصاً عليهم، و ذلک ليس بمذهب اكثر مخالفينا، و إن استدلوا بذلک على صحة إمامتهم احتاجوا أن يدلوا على ثبوت إمامتهم بغير الآية، و انهم خلفاء الرسول حتى تتناولهم الآية.
فان قالوا: المفسرون ذكروا ذلک.
قلنا: لم يذكر جميع المفسرين ذلک، فان مجاهداً قال: هم أمة محمد (ص).
و عن ابن عباس و غيره: قريب من ذلک.
و
قال أهل البيت (ع) إن المراد بذلک المهدى (ع) لأنه يظهر بعد الخوف، و يتمكن بعد ان كان مغلوباً
، فليس فى ذلک اجماع المفسرين. و هذا أول ما فيه. و قد استوفينا ما يتعلق بالآية فى كتاب الامامة، فلا نطول بذكره- هاهنا- و قد تكلمنا على نظير هذه الآية، و ان ذلک ليس بطعن على واحد منهم، و انما المراد الممانعة من أن يكون فيها دلالة على الامامة، و كيف يكون ذلک. و لو صح ما قالوه لما احتيج الى اختياره، و لكان منصوصاً عليه، و ليس ذلک مذهباً لأكثر العلماء، فصح ما قلناه.
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 458

وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (56) لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ وَ مَأْواهُمُ النَّارُ وَ لَبِئْسَ الْمَصِيرُ (57)

آيتان بلا خلاف.

قرأ حفص و ابن عامر و حمزة «لا يحسبن» بالياء. الباقون بالتاء. فمن قرأ- بالياء- فموضع (الذين) رفع. و من قرأ- بالتاء- فموضعه نصب، و (معجزين) المفعول الثانى، و المفعول الثانى لمن قرأ- بالياء- قوله «فى الأرض». و قال ابو على:

المفعول الثانى على هذه القراءة محذوف، و تقديره: و لا يحسبن الذين كفروا إياهم معجزين. و قال الأخفش: من قرأ- بالياء- يجوز أن يكون (الذين) فى موضع نصب، على تقدير لا يحسبن محمد الذين، فيكون محمد الفاعل.

امر اللّه تعالى فى الآية الأولى جميع المكلفين باقامة الصلاة و إيتاء الزكاة اللذين أوجبهما عليهم و ان يطيعوا الرسول فيما يأمرهم به و يدعوهم اليه، ليرجموا جزاء على ذلک، و يثابوا بالنعم الجزيلة.

ثم قال «لا تحسبن» يا محمد اى لا تظنن «الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ» اى لا يفوتونى. و من قرأ- بالياء- قال تقديره: لا يظنن من كفر أنه يفوتنى، و يعجزنى أىّ مكان ذهب فى الأرض.

ثم اخبر تعالى: ان مأوى الكافرين و مستقرهم النار، عقوبة لهم على كفرهم و انها بئس المرجع و بئس المستقر و المأوى. و انما وصفها بذلک لما ينال الصائر اليها من العذاب و الآلام و الشدائد، و إن كانت من فعل اللّه و حكمته صواباً.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ وَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَ مِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ ثَلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَ لا عَلَيْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلى بَعْضٍ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (58) وَ إِذا بَلَغَ الْأَطْفالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (59) وَ الْقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ وَ أَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (60)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا حفصاً «ثلاث عورات» بفتح الثاء. الباقون بالرفع.

قال ابو على النحوى: من رفع، فعلى أنه خبر ابتداء محذوف، و تقديره هذه ثلاث عورات، لأنه لما قال «الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ، وَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ» و فصل الثلاث بقوله «مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ، وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ، وَ مِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ» صار كأنه قال: هذه ثلاث عورات، فأجمل بعد التفصيل. و من التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 460

نصب جعله بدلا من قوله «ثلاث مرات» و انما أبدل «ثلاث عورات» و ليس بزمان من (ثلاث مرات) و هى زمان، لأنه مشتمل على زمان من حيث ان التقدير:

أوقات ثلاث عورات، فلما حذف المضاف أقام المضاف اليه مقامه.

و (العورات) جمع عورة، و حكم ما كان على وزن (فعلة) من الأسماء أن تحرك العين منه، نحو صفحة و صفحات، و جفنة و جفنات إلا ان عامة العرب يكرهون تحريك العين فيما كان عينه واواً أو ياء، لأنه كان يلزمه الانقلاب الى الألف، فاسكنوا لذلك، فقالوا عورات و جوزات و بيضات. و قرأ الأعمش- بفتح الواو- من (عورات) و وجهه ما حكاه المبرد أن هذيلا يقولون فى جمع جوزة و عورة و لوزة:

جوزات، و عورات، و لوزات، فيحركون العين فيها، و أنشد بعضهم:

ابو بيضات رائح متأوب رفيق بمسح المنكبين سبوح «1»

فحرك الياء من بيضات، و الأجود عند النحويين ما ذكرناه.

هذه الآية متوجهة الى المؤمنين باللَّه المقرين برسوله، يقول اللَّه لهم: مروا عبيدكم و اماءكم أن يستأذنوا عليكم إذا أرادوا الدخول الى مواضع خلواتكم. و قال ابن عباس و ابو عبد الرحمن: الآية فى النساء و الرجال من العبيد. و قال ابن عمر: هى فى الرجال خاصة. و قال الجبائى: الاستئذان واجب على

كل بالغ فى كل حال، و يجب على الأطفال فى هذه الأوقات الثلاثة بظاهر هذه الآية. و قال قوم: فى ذلک دلالة على انه يجوز أن يؤمر الصبى الذى يعقل، لأنه أمره بالاستئذان. و قال آخرون: ذلک أمر للآباء أن يأخذوا الأولاد بذلک، فظاهر الآية يدل على وجوب الاستئذان ثلاث مرات فى ثلاث أوقات من ساعات الليل و النهار. ثم فسر الأوقات فقال «من قبل صلاة الفجر و حين تضعون ثيابكم من الظهيرة و من بعد صلاة العشاء» الاخرة

_____

(1) تفسير القرطبى 12/ 305 و اللسان (بيض)

لأن الغالب على الناس أن يتعروا فى خلواتهم فى هذه الأوقات ذكره مجاهد. ثم بين أنه ليس عليكم و لا عليهم جناح فيما بعد ذلک من الأوقات أن يدخلوا عليكم من غير اذن، يعنى فى الذين لم يبلغوا الحلم، و هو المراد بقوله «طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلى بَعْضٍ» ثم قال: مثل ما بين لكم هذه العورات بين الله لكم الدلالات على الأحكام «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ» بما يصلحكم «حكيم» فيما ذكره و غيره من أفعاله. ثم قال «وَ إِذا بَلَغَ الْأَطْفالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» يعنى يرتفع من دخوله بغير اذن إذا بلغ، و صار حكمه حكم الرجال فى وجوب الاستئذان على كل حال. ثم قال مثل ما بين لكم هذا بين لكم أدلته «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» ثم قال «وَ الْقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ اللَّاتِى لا يَرْجُونَ نِكاحاً» يعنى المسنات من النساء اللاتى قعدن عن التزويج، لأنه لا يرغب فى تزويجهن. و قيل: هن اللاتى ارتفع حيضهن، و قعدن على ذلک، اللاتى لا يطمعن فى النكاح أى لا يطمع فى جماعهن لكبرهن «فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ» قيل هو القناع الذى فوق الخمار و هو الجلباب، و الرداء الذى يكون فوق الشعار. و

فى قراءة أهل البيت (ع) «ان يضعن من ثيابهن»

و به قرأ أبى.

و قوله «غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ» أى لا تقصد بوضع الجلباب اظهار محاسنها، و ما ينبغى لها أن تستره. و التبرج إظهار المرأة من محاسنها ما يجب عليها ستره.

ثم اخبر تعالى أن الاستعفاف عن طرح الجلباب خير لهن فى دينهن «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ» لأقوالكم «عليم» بما تضمرونه «حليم» عليكم لا يعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم، و انما ذكر القواعد من النساء، لان الشابة يلزمها من التستر اكثر مما يلزم العجوز، و مع ذلک فلا يجوز للعجوز أن تبدى عورة لغير محرم، كالساق و الشعر و الذراع.

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ وَ لا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَ لا عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَواتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوالِكُمْ أَوْ بُيُوتٍ خالاتِكُمْ أَوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتاتاً فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (61)

آية بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى انه «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ» و هو الذى كف بصره «وَ لا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ» و هو الذى يعرج من رجليه او أحدهما «وَ لا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ» و هو الذى يكون عليلا، و الحرج الضيق فى الدين، مشتق من الحرجة، و هى الشجر الملتف بعضه ببعض لضيق المسالك فيه، و حرج فلان إذا أثم. و تحرّج من كذا إذا تأثم من فعله.

نفى اللّه الحرج عن هؤلاء لما يقتضيه حالهم من الآفات التى بهم مما تضيق على غيرهم. و اختلفوا فى تأويل ذلك، فقال الحسن و ابن زيد و الجبائى: ليس عليهم حرج فى التخلف عن الجهاد، و يكون قوله «وَ لا عَلى أَنْفُسِكُمْ» كلاما مستأنفا. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 463

ابن عباس: ليس من مؤاكلتهم حرج، لأنهم كانوا يتحرجون من ذلك. قال الفراء: كانت الأنصار تتحرج من ذلك، لأنهم كانوا يقولون: الأعمى لا يبصر فتأكل جيد الطعام دونه و يأكل رديئة. و الأعرج لا يتمكن من الجلوس. و المريض يضعف عن المأكل. و قال مجاهد: ليس عليكم فى الأكل من بيوت من سمى على جهة حمل قراباتهم إليهم يستتبعونهم فى ذلك حرج. و قال الزهرى: ليس عليهم حرج فى أكلهم من بيوت الغزاة إذا خلفوهم فيه بإذنهم. و قيل: كان المخلف فى المنزل المأذون له فى الأكل يتحرج، لئلا يزيد على مقدار المأذون له فيه. و قال الجبائى: الآية منسوخة بقوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ» «1» و

يقول النبى (ص) (لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه)

و الذى

روى عن أهل البيت (ع): انه لا بأس بالأكل لهؤلاء من بيوت من ذكرهم اللّه بغير إذنهم، قدر حاجتهم من غير إسراف.

و قوله «وَ لا عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ» قال الفراء: لما نزل قوله «لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً» «2» ترك الناس مؤاكلة الصغير و الكبير ممن أذن اللّه تعالى فى الأكل معه، فقال تعالى و

ليس عليكم فى أنفسكم، و فى عيالكم حرج أن تأكلوا منهم و معهم الى قوله «أو صديقكم» أى بيوت صديقكم «أَوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ» أى بيوت عبيدكم و أموالهم. و قال ابن عباس: معنى ما ملكتم مفاتحه هو الوكيل و ما جرى مجراه. و قال مجاهد و الضحاک:
هو ما ملكه الرجل نفسه فى بيته. و واحد المفتاح مفتاح- بكسر الميم- و فى المصدر (مفتح) بفتح الميم. و قال قتادة: معنى قوله «أَوْ صَدِيقِكُمْ» لأنه لا بأس فى الاكل من بيت صديقه بغير اذنه.

---

(1) سورة 33 الأحزاب آية 53
(2) سورة 4 النساء آية 28

و قوله «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتاتاً» قيل: يدخل فيه أصحاب الآفات على التغليب للمخاطب كقولهم: انت و زيد قمتما، و لا يقولون قاما.
و قال ابن عباس: معناه لا بأس ان يأكل الغنى مع الفقير فى بيته. و قال ابن عباس و الضحاک: هى فى قوم من العرب كان الرجل منهم يتحرج أن يأكل وحده. و قال ابن جريج: كانوا من كنانة. و قال ابو صالح: كانوا إذا نزل بهم ضيف تحرجوا أن يأكلوا معه، فأباح اللّه الاكل منفرداً و مجتمعاً. و الاولى حمل ذلک على عمومه، و انه يجوز الاكل وحداناً و جماعاً.
و قوله «فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ» قال الحسن: معناه ليسلم بعضكم على بعض. و قال ابراهيم: إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل: السلام علينا و على عباد اللّه الصالحين. و قال قوم: أراد بالبيوت المساجد. و الأولى حمله على عمومه.
فاما رد السلام، فهو واجب على المسلمين. و قال الحسن: يجب الرد على المعاهد، و لا يقول الراد و رحمة اللّه.
و قوله تعالى «تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً» يعنى هذا السلام تحيون به تحية من عند اللّه مباركة طيبة، لما فيها من الأجر الجزيل و الثواب العظيم.
ثم قال كما يبين اللّه لكم هذه الأحكام و الآداب «كَذلِکَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» أى يبين اللّه لكم الأدلة على جميع الأحكام، و جميع ما يتعبدكم به لتعقلوا ذلک، و تعملوا بموجبه.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذا كانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (62) لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (63) أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (64)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 465

ثلاث آيات بلا خلاف يقول الله تعالى ليس المؤمنون على الحقيقة إلا «الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ» أى صدقوا بتوحيده و عدله، و أقروا بصدق رسوله و إذا كانوا مع رسوله «عَلى أَمْرٍ جامِعٍ» و هو الذى يقتضى الاجتماع عليه و التعاون فيه: من حضور حرب أو مشورة فى أمر، أو فى صلاة جمعة، و ما أشبه ذلک، لم ينصرفوا عن رسوله او عن ذلک الأمر، إلا بعد أن يأذن لهم الرسول فى الانصراف متى طلبوا الاذن من قبله. و الإستئذان طلب الاذن من الغير.

ثم قال تعالى لنبيه (ص) «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ» يا محمد، فهم الذين يصدقون باللّه و رسوله على الحقيقة، دون الذين ينصرفون بلا استئذان.

ثم قال لنبيه (ص) أيضاً متى ما استأذنوک هؤلاء المؤمنون أن يذهبوا لبعض مهماتهم و حاجاتهم «فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ» فخيره بين ان يأذن و ألا يأذن، و هكذا التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 466

حكم الامام.

و قوله «وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ» أى اطلب لهم المغفرة من اللّه. و إستغفار النبى (ص) هو دعاؤه لهم باللطف الذى تقع معه المغفرة «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى ساتر لذنوبهم منعم عليهم.

ثم أمر المكلفين فقال تعالى «لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- احذروا دعاءه عليكم إذا أسخطتموه، فان دعاءه موجب، ليس كدعاء غيره، ذكره ابن عباس.

و الثانى- قال مجاهد و قتادة: ادعوه بالخضوع و التعظيم، و قولوا له: يا رسول اللّه، و يا نبى الله، و لا تقولوا: يا محمد، كما يقول بعضكم لبعض.

و قوله «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً» معناه إذا تسلل واحد منكم من عند النبى (ص) فان الله عالم به. و قال الحسن: معنى «لواذاً» فراراً من الجهاد. قال الفراء: كان المنافقون يحضرون مع النبى الجمعة،

فإذا نزلت آية فيها ذم للمنافقين ضجروا، و طلبوا غره «1» و استتر بعضهم ببعض، يقال: لاوذت بفلان ملاوذة، و لواذاً. قال الزجاج: الملاوذة المخالفة، و لذت به ألوذ لياذاً.
ثم حذرهم من مخالفة رسوله بقوله «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ» و انما دخلت (عن) فى قوله «عن أمره» لأن المعنى يعرضون عن أمره. و فى ذلک دلالة على أن أوامر النبى (ص) على الإيجاب، لأنها لو لم تكن كذلک لما حذر من مخالفته، و ليس المخالف هو ان يفعل خلاف ما أمره فقط، لان ذلک ضرب من المخالفة. و قد يكون مخالفاً بألا يفعل ما أمره به. و لو كان الأمر على الندب لجاز

---

(1) معناه طلبوا اختصار الحديث أى طيه على غره

تركه، و فعل خلافه.
و قوله «أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ» أى فليحذروا من أن تصيبهم فتنة: أى بلية تظهر ما فى قلوبهم من النفاق. و الفتنة شدة فى الدين تخرج ما فى الضمير «أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» فى الآخرة جزاء على خلافهم الرسول. و يجوز أن يكون المراد: ان تصيبهم عقوبة فى الدنيا، أو يصيبهم عذاب مؤلم فى الآخرة. و قيل: معناه «أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ» أى قبل أن يصيبهم عذاب فى الآخرة. و قوله «أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» المعنى ان له ملک ما فى السموات و الأرض، و التصرف فى جميع ذلک، و لا يجوز لاحد الاعتراض عليه، و لا يجوز مخالفة أمر رسوله، و لا يخالف أمره، لأن الهاء فى قوله «عن أمره» يحتمل أن تكون راجعة الى الرسول و يحتمل أن تكون راجعة الى الله، و قد مضى ذكرهما قبلها. ثم بين انه «يَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ» من الايمان و النفاق، لا يخفى عليه شىء من أحوالكم لا سراً و لا علانية.
و قوله «وَ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ» أى يوم يردون اليه يعنى يوم القيامة، الذى لا يملک فيه احد شيئاً سواه، و من ضم الياء: أراد يردون. و من فتحها نسب الرجوع اليهم. و قوله «فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا» أى يعلمهم جميع ما عملوه من الطاعات و المعاصى و يوافيهم عليها. «وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ» لا يخفى عليه شىء من ذلک الذى عملوه سراً و جهراً.

اشارة

قال مجاهد و قتادة: هی مکیة. و قال ابن عباس: نزلت ثلاث آیات منها بالمدینة من قوله «وَ الَّذِینَ لا یَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ» الی قوله «رحیماً» عدد آیاتها سبع و سبعون آیة لیس فیها خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
تَبارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً (1) الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ خَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً (2) وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ وَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً وَ لا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَ لا حَياةً وَ لا نُشُوراً (3) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً (4)
وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً (5) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (6)
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 470
ست آيات.
معنى تبارك: تقدس و جل: بما لم يزل عليه من الصفات، و لا يزال كذلك، و لا يشاركه فيها غيره. و أصله من بروك الطير على الماء، فكأنه قال: ثبت فيما لم يزل و لا يزال الذى نزل الفرقان على عبده. و قال ابن عباس: تبارك (تفاعل) من البركة. فكأنه قال ثبت بكل بركة او حل بكل بركة. و قال الحسن: معناه الذى تجىء البركة من قبله، و البركة الخير الكثير. و الفرقان هو القرآن، سمى فرقاناً لأنه يفرق به بين الصواب و الخطأ، و الحق و الباطل فى امور الدين، بما فيه من الوعظ و الزجر عن القبائح و الحث على أفعال الخير.
ثم بين تعالى انه انما نزل هذا القرآن، و غرضه أن يكون نذيراً للعالمين، أى مخوفاً و داعياً لهم الى رشدهم، و صارفاً لهم عن غيهم و ضلالتهم، يقال: أنذره إنذاراً إذا دعاه الى الخير، بأن يخوفه من تركه: إذا كان غافلا عنه، و قال ابن زيد: النذير هو النبى (ص). و قال آخرون: هو القرآن.
ثم وصف تعالى (الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقانَ) بأنه (الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) و التصرف فيهما، بسعة مقدوره بسياستها. و انه (لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً) كما يدعيه النصارى فى أن المسيح ابن اللَّه، و يزعم جماعة من العرب أن الملائكة بنات اللَّه. و أنه ليس له شريك فى الملك، بل هو المالك لجميع ذلك وحده، و انه (خَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ) و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ان كل شىء يطلق عليه اسم مخلوق، فانه خلقه، لأن أفعالنا لا يطلق عليها اسم الخلق حقيقة، لان الخلق يفيد الاختراع، و انما يسمونها بذلك مجازاً. التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 471
و الثانى- انه لا يعتد بما يخلقه العبد فى جنب ما خلقه اللَّه، لكثرة ذلك و قلة ما يخلقه العبد.

و يحتمل ان يكون المراد قدّر كل شىء، لان أفعال العباد مقدرة للّه، من حيث بين ما يستحق عليها فاعلها من الثواب و العقاب أو لا يستحق شيئاً من ذلک. و يقوى ذلک قوله (فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) لان المعنى فيه، و كل شىء على مقدار حاجتهم اليه و صلاحه لهم.
ثم اخبر تعالى عن الكفار، فقال (وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً) من الأصنام و الأوثان، و وجهوا عبادتهم اليها من دون اللّه. ثم وصف آلهتهم بما ينبئ أنها لا تستحق العبادة، بأن قال (لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً) و لا يقدرون عليه، و هم مع ذلک مخلوقون، و مصرفون، و انهم (لا يملكون) أى لا يقدرون (لأنفسهم) على ضرّ و لا على نفع (و لا يملكون) أى لا يقدرون على موت، و لا على حياة، و لا على بعث بعد الموت. و النشور هو البعث بعد الموت، يقال: نشر الميت، فهو ناشر نشوراً، و انشره اللّه انشاراً، و منه قوله (ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ) «1» و جميع ذلک يختص اللّه بالقدرة عليه، و العبادة تستحق بذلک، لأنها أصول النعم، ثم أخبر عن الكفار بأنهم يقولون: ليس هذا القرآن الذى أنزلناه (إلا إفک) يعنى كذب افتعله النبى (ص) (وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) قال الحسن: قالوا أعانه عليه عبد حبشى يعنى الحضرمى، و قال مجاهد: قالوا أعانه عليه اليهود.
ثم حكى تعالى عنهم بأنهم قالوا ذلک و (جاءوا) فى هذا القول (ظُلْماً وَ زُوراً) أى جاءوا بظلم، فلما حذف الباء نصبه أى انهم أضافوه الى غيره من صدر عنه، و كذبوا فيه.

---

(1) سورة 80 عبس آية 22

و حكى عنهم انهم قالوا أيضاً: هذا القرآن (أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ) و رفع (أساطير) بأنه خبر ابتداء محذوف، و تقديره هذا أساطير الأولين. قال ابن عباس: الذى قال ذلک النضر بن الحارث بن كلدة، يعنى اخبار قد سطرها الأولون من الأمم اكتتبها هو، و انتسخها (فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ) حتى ينسخها (بُكْرَةً وَ أَصِيلًا) يعنى غداة و عشياً. و الأصيل العشى، لأنه أصل الليل و أوله. و معناه: إنه يقرأ عليه على هوى النفس، فأمر اللّه تعالى نبيه (ص) أن يقول لهم، تكذيباً لقولهم (قُلْ أَنْزَلَهُ) يعنى القرآن (الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ) يعنى الخفايا (فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) و المعنى انه أنزله على ما يعلم من المصلحة و بواطن الأمور و خفاياها، لا على ما تقتضيه أهواء النفوس و شهواتها. و قال الجبائى: السر- هاهنا- الغيب. و السر إخفاء المعنى فى القلب أسر اليه إسراراً أى ألقى اليه ما يخفيه فى قلبه، و ساره مسارة و سراراً: إذا أخفى ما يلقيه اليه من السر عن غيره.
و قوله (إِنَّهُ كانَ غَفُوراً) معناه الذى يعلم السر فى السموات و الأرض لا

يعاجلهم بالعقوبة، بل يستر عليهم، و هكذا كان على من تقدم من الكفار و العصاة (رحيما) أى منعماً عليهم.

وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ لَوْ لا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً (7) أَوْ يُلْقى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْها وَ قالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً (8) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (9) تَبارَكَ الَّذِي إِنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ يَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً (10)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 473

أربع آيات.

قرأ حمزة و الكسائى (نأكل) بالنون. الباقون بالياء. و قرأ ابن كثير و ابن عامر و ابو بكر عن عاصم (و يجعل لک قصوراً) بالرفع. الباقون بالجزم. من قرأ (يأكل) بالياء أراد النبى (ص) فإنهم كرهوا أن يكون نبى من قبل الله يأكل الطعام و يمشى فى الأسواق، و قالوا: هلا كان معه ملک؟ فيكون معه معيناً مخوفاً لعباده (و داعياً) لهم. و من قرأ بالنون أراد: نأكل نحن، فيكون له بذلک مزية علينا فى الفضل بأكلنا من جنته. و من جزم (و يجعل) عطفه على موضع (جعل) لأن موضع (جعل) جزم، لأنه جزاء الشرط، فعطف (و يجعل) على الموضع كما قرأ من قرأ قوله (مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ وَ يَذَرُهُمْ) «1» بالجزم و من رفع استأنفه و قطعه عن الأول، كمن قرأ (و يذرهم) بالرفع.

حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم أنهم قالوا أى شىء «لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ» كما نأكل «وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ» فى طلب المعاش، كما نمشى «لَوْ لا أُنْزِلَ إِلَيْهِ» و معناه هلا أنزل الله عليه ملكاً ان كان صادقاً، فيكون معيناً له على الانذار و التخويف. و إن لم ينزل اليه ملک، هلا «يُلْقى إِلَيْهِ كَنْزٌ» يستغنى به و يكون عوناً له على دنياه و ما يريده «أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ» اى بستان «يأكل منها» هو نفسه. و من قرأ- بالنون- أراد نأكل نحن معه. و نتبعه.

ثم حكى: ان الظالمين نفوسهم بارتكاب المعاصى و الكفر، قالوا لأتباعهم و من سمع منهم (إن تتبعون) اى ليس تتبعون إن تبعتموه (إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً) و قيل

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 185

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 474

إنما يخاطبون بذلک المؤمنين المقرين بنبوته، ليصرفوهم عنه. و معنى (مسحوراً) انه قد سحر. و السحر ما خفى سببه حتى يظن انه معجز. فقال الله لنبيه (ص) (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ) يعنى الاشباه، لأنهم قالوا

تارة: هو مسحور. و تارة مثلوه بالمحتاج المتروک، حتی تمنوا له الکنز. و تارة بأنه ناقص عن القیام بالأمور، و کل ذلک جهل منهم و ذهاب عن وجه الصواب. فقال اللّه تعالی (فضلوا) بضرب هذه الأمثال عن طریق الحق (فَلا یَسْتَطِیعُونَ سَبِیلًا) معناه لا یستطیعون طریقاً الی الحق، مع تمسکهم بطریق الجهل، و عدولهم عن الداعی الی الرشد. و قیل معناه (فَلا یَسْتَطِیعُونَ سَبِیلًا) الی إبطال أمرک.
ثم قال تعالی (تَبارَکَ الَّذِی) أی تقدس و تعاظم اللّه الذی (إِنْ شاءَ جَعَلَ لَکَ خَیْراً مِنْ ذلِکَ) یعنی مما قالوه- فی قول مجاهد- ثم فسر (ذلک) فقال الذی هو خیر مما قالوه (جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ یَجْعَلْ لَکَ قُصُوراً) و هو جمع قصر، و هو البیت المشید المبنی- فی قول مجاهد- و سمی القصر قصراً، لأنه یقصر من فیه عن أن یوصل الیه. و من جزم «یجعل» عطفاً علی موضع (جعل)، لأنه جواب الشرط. و من رفع استأنف. و کان یجوز النصب علی الظرف «1».

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَ أَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً (11) إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَ زَفِيراً (12) وَ إِذا أُلْقُوا مِنْها مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً (13) لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً واحِداً وَ ادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً (14) قُلْ أَ ذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كانَتْ لَهُمْ جَزاءً وَ مَصِيراً (15)
لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ خالِدِينَ كانَ عَلى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُلاً (16)

---

(1) يقصد بالظرف (واو المعية)

ست آيات.
يقول اللَّه تعالى مخبراً عن حال هؤلاء الكفار الذين وصفهم و ذكرهم بأنهم كفروا باللَّه و جحدوا البعث و النشور، أنهم لم يكفروا لأنك تأكل الطعام و تمشى فى الأسواق، بل لأنهم لم يقروا بالبعث و النشور، و الثواب و العقاب، و هو معنى قوله «بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ» يعنى بالقيامة، و ما فيها من الثواب و العقاب.
ثم اخبر تعالى انه أعد «لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً» و (أعتدنا) أصله أعددنا فقلبت احدى الدالين تاء، لقرب مخرجهما. و (السعير) النار الملتهبة، يقال: اسعرتها اسعاراً، و استعرت استعاراً، و تسعرت تسعراً، و سعرها اللَّه تسعيراً. و الاسعار تهيج النار بشدة الإيقاد.
ثم وصف تلك النار المستعمرة، فقال «إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ» و نسب الرؤية الى النار- و انما هم يرونها- لان ذلك أبلغ، كأنها تراهم رؤية الغضبان الذى يزفر غيظاً، فهم يرونها على تلك الصفة، و يسمعون منها تلك الحال الهائلة. و (التغيظ) انتفاض الطبع لشدة نفور النفس، و المعنى صوت التغيظ من التلهب و التوقد. و قال الجبائى: معناه «إِذا رَأَتْهُمْ» الملائكة الموكلون بالنار «سَمِعُوا لَها» للملائكة «تَغَيُّظاً وَ زَفِيراً» للحرص على عذابهم. و هذا عدول عن ظاهر الكلام مع حسن ظاهره و بلاغته من غير حاجة داعية و لا دلالة صارفة. و انما شبهت النار بمن له تلك الحال، و ذلك فى نهاية البلاغة.
و قوله «وَ إِذا أُلْقُوا» يعنى الكفار «منها» يعنى من النار «مَكاناً ضَيِّقاً» أى

فى مكان ضيق «مقرنين» قيل: معناه مغللين، قد قرنت أعناقهم الى أيديهم فى الاغلال، كما قال «مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفادِ» «1» و قيل: مقرنين مع الشياطين فى السلاسل و الاغلال. و قيل يقرن الإنسان و الشيطان الذى

كان يدعوه الى الضلال «دَعَوْا هُنالِکَ» يعنى فى ذلک الموضع، يدعون «ثبورا» قال ابن عباس: الثبور الويل، و قال الضحاک: هو الهلاک. و قيل: أصله الهلاک من قولهم ثبر الرجل إذا هلک.
قال ابن الزبعرى.
إذا جارى الشيطان فى سنن الغى فمن مال ميله مثبور «2»
و يقال: ما ثبرک عن هذا الأمر أى ما صرفک عنه صرف المهلک عنه، فيقولوا: وا انصرفاه عن طاعة اللَّه. و قيل: وا هلاکاه. فقال اللَّه تعالى انه يقال لهم عند ذلک «لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً واحِداً وَ ادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً» أى لا تدعوا ويلا واحداً، بل أدعوا ويلا كثيراً. و المعنى إن ذلک لا ينفعکم سواء دعوتم بالويل قليلا أو كثيراً.
ثم قال تعالى لنبيه (ص) «قل» لهم يا محمد «أَ ذلِکَ خَيْرٌ» يعنى ما ذكره من السعير و أوصافه خير «أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ» و انما قال ذلک على وجه التنبيه لهم على تفاوت ما بين الحالين. و انما قال «أَ ذلِکَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ» و ليس فى النار خير، لأن المراد بذلک أى المنزلين خير؟! تبكتاً لهم و تقريعاً. و قوله «الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ» أى وعد اللَّه بهذه الجنة من يتقى معاصيه و يخاف عقابه «كانَتْ لَهُمْ جَزاءً وَ مَصِيراً» يعنى الجنة مكافأة و ثواباً على طاعاتهم، و مرجعهم اليها و مستقرهم فيها، و «لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ» و يشتهون من اللذات و المنافع «خالدين» أى مؤبدين لا يفنون فيها «كانَ عَلى رَبِّکَ وَعْداً مَسْؤُلًا» و قيل فى معناه قولان:

---

(1) سورة 14 ابراهيم آية 49 و سورة 38 ص آية 38
(2) مر تخريجه فى 6/ 528
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 477
أحدهما- ان المؤمنين يسألون اللَّه عز و جل الرحمة فى قولهم «رَبَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا» «1» و قولهم: (وَ آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِکَ) «2».
و الثانى- انه بمنزلة قولک: لک ما تمنيت منى أى متى تمنيت شيئاً فهو لک، فكذلک متى سألوا شيئاً فهو لهم بوعد اللَّه (عز و جل) إياهم.
و قرأ ابن كثير (ضيقاً) بتخفيف الياء. الباقون بالتشديد، و هما لغتان بالتشديد و التخفيف، مثل سيد و سيد، و ميت و ميت. و قيل: ذلک هو الوعد المسئول فى دار الدنيا.

وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَ ما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَ أَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِی هؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (17) قالُوا سُبْحانَکَ ما کانَ يَنْبَغِی لَنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِکَ مِنْ أَوْلِياءَ وَ لکِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آباءَهُمْ حَتَّی نَسُوا الذِّکْرَ وَ کانُوا قَوْماً بُوراً (18) فَقَدْ کَذَّبُوکُمْ بِما تَقُولُونَ فَما تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَ لا نَصْراً وَ مَنْ يَظْلِمْ مِنْکُمْ نُذِقْهُ عَذاباً کَبِيراً (19) وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَکَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْکُلُونَ الطَّعامَ وَ يَمْشُونَ فِی الْأَسْواقِ وَ جَعَلْنا بَعْضَکُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَ تَصْبِرُونَ وَ کانَ رَبُّکَ بَصِيراً (20)

اربع آيات.

---

(1) سورة 23 المؤمنون آية 110

(2) سورة 3 آل عمران آية 194

قرأ ابن كثير و ابو جعفر و حفص و يعقوب (و يوم يحشرهم) بالياء. الباقون بالنون. و قرأ ابن عامر (فنقول) بالنون. الباقون بالياء. و قرأ ابو جعفر (ان نتخذ) بضم النون و فتح الخاء. الباقون بفتح النون و كسر الخاء. و قرأ حفص (فما تستطيعون) بالياء. الباقون بالتاء.

من قرأ (يحشرهم) بالياء فتقديره: قل يا محمد يوم يحشرهم اللَّه و يحشر الأصنام التى يعبدونها من دون اللَّه. قال قوم: حشر الأصنام افناؤها. و قال آخرون يحشرها كما يحشر سائر الحيوان ليبكت من جعلها آلهة.

و من قرأ بالنون أراد: ان اللَّه المخبر بذلک عن نفسه. و ابن عامر جعل المعطوف مثل المعطوف عليه فى أنه حمله على انه إخبار من اللَّه. و من قرأ الأولى بالنون و الثانية بالياء عدل من الاخبار عن اللَّه الى الاخبار عن الغائب.

يقول الله تعالى (وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ) يعنى هؤلاء الكفار الجاحدين للبعث و النشور و يحشر (ما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) قال مجاهد: يعنى عيسى و عزير. و قال قوم: هو كل ما عبدوه من دون الله ليبكتوا بذلک (فيقول) اى فيقول الله لهم (أَ أَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِی هؤُلاءِ) يعنى الكفار أى يقول الله للذين عبدوهم أ أنتم الذين دعوتم الكفار الى عبادتكم، فأجابوكم (أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) من قبل نفوسهم عن طريق الحق و أخطئوا طريق الصواب؟ فيجيب المعبودون بما حكاه الله فيقولون:

(سُبْحانَکَ ما کانَ يَنْبَغِی لَنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِکَ مِنْ أَوْلِياءَ) ندعوهم الى عبادتنا.

و من ضم النون أراد: لم يكن لنا ان نتخذ اولياء من دونک، و ضعف هذه

القراءة النحويون. فقالوا: لان (من) هذه تدخل فى الاسم دون الخبر، نحو ما علمت من رجل راكباً، و لا تقول: ما علمت رجلا من راكب. و قال الزجاج: لا يجوز ذلک التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 479
كما لا يجوز فى قوله (فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ) «1» ما احد عنه منكم من حاجزين.
و قال الفراء يجوز ذلک على ضعف، و وجهه أن يجعل الاسم فى (من أولياء)، و إن كانت وقعت موقع الفعل [و قوله (ما كانَ يَنْبَغِى لَنا)، (كان) زائدة، و التقدير:
ما ينبغى لنا- ذكره ابو عبيدة- و هذا لا يحتاج اليه، لان هذا إخبار عنهم يوم القيامة:
انهم يقولون: «ما كانَ يَنْبَغِى لَنا» فى دار الدنيا ان نتخذ اولياء من دونک] «2» و قوله «وَ لكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آباءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَ كانُوا قَوْماً بُوراً» تمام الحكاية عما يقول المعبودون من دون الله، فإنهم يقولون يا ربنا انک متعت هؤلاء الكفار و متعت آباءهم فى نعيم الدنيا «حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ» أى ذكرک «وَ كانُوا قَوْماً بُوراً» أى هلكى فاسدين. و البور الفاسد، و يقال: بارت السلعة تبور بوراً إذا بقيت لا تشترى بقاء الفاسد الذى لا يراد. و البائر الباقى على هذه الصفة. و البور مصدر كالزور، لا يثنى و لا يجمع و لا يؤنث.
و قيل هو جمع (بائر) قال ابن الزبعرى:
يا رسول المليک إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور «3»
و نعوذ باللّه من بوار الإثم. و قوله «فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِما تَقُولُونَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- كذبكم الملائكة و الرسل، فى قول مجاهد.
و الثانى- قال ابن زيد: أيها المؤمنون كذبكم المشركون بما تقولون: عن نبوة محمد (ص) و غيره من أنبياء اللّه.
قال الفراء: من قرأ بالياء معناه كذبوكم بقولهم. و قوله

---

(1) سورة 69 الحاقة آية 47
(2) ما بين القوسين كان فى المطبوعة مؤخرا عن موضعه. [.....]
(3) انظر 6/ 294 من هذا الكتاب.
التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 480
«فَما تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَ لا نَصْراً» قال مجاهد: يعنى بذلک، فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف العذاب عن أنفسهم، و لا نصر أنفسهم من عذاب اللّه تعالى. و قيل: معناه فما يستطيعون لک يا محمد صرفاً عن الحق، و لا نصر أنفسهم من البلاء الذى هم فيه، من التكذيب لک.
و قيل: ما يستطيعون نصراً من بعض لبعض. و من قرأ- بالتاء- خاطبهم بذلک بتقدير قل لهم.

ثم قال تعالى «وَ مَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ» نفسه بارتكاب المعاصى و جحد آيات اللّه «نذقه» فى مقابلة ذلک جزاء عليه «عَذاباً كَبِيراً» أى عظيماً.
ثم خاطب نبيه محمداً (ص) فقال «وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَکَ» يا محمد «مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ» مثلک «وَ يَمْشُونَ فِى الْأَسْواقِ» طلبا للمعايش، كما تطلبها أنت، و هو جواب لقولهم «ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِى الْأَسْواقِ» «1» و كسرت (إن) فى قول «الا انهم» لأنه موضع ابتداء، كأنه قال: إلا هم يأكلون الطعام، كما تقول: ما قدم علينا أمير الا إنه مكرم لى، و لا يجوز أن تكون مكسورة لأحل اللام، لأن دخولها و خروجها واحد فى هذا الموضع. و قال قوم (من) محذوفة و التقدير إلا من انهم ليأكلون الطعام نحو «وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ» «2» اى الا من له مقام معلوم، ذكره الفراء. و قال الزجاج: هذا لا يجوز، لان قوله «إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ» صلة (من) و لا يجوز حذف الموصول و بقاء الصلة، و مثل الآية قول الشاعر:
ما أعطياني و لا سألتهما إلا و أنى لحاجز كرمى «3»
و قوله «وَ جَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً» قال الحسن: معناه يقول هذا الأعمى: لو شاء لجعلنى بصيراً مثل فلان، و يقول هذا الفقير: لو شاء لجعلنى غنياً مثل فلان

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 7
(2) سورة 37 الصافات آية 164
(3) البيت فى مجمع البيان 4/ 163

و يقول هذا السقيم: لو شاء لأصحنى مثل فلان.
و قوله «وَ كانَ رَبُّکَ بَصِيراً» أى بصيراً بمن يصبر ممن يجزع، فى قول ابن جريج. و قال الفراء: كان الشريف إذا أراد أن يسلم، و قد سبق المشروف الى الإسلام، فيقول: أسلم بعد هذا؟. فكان ذلک فتنة. و قيل «وَ جَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً» للعداوات التى كانت بينهم فى الدين. و الفتنة شدة فى التعبد تظهر ما فى نفس العبد من خير و شر، و هى الاختبار. و أصله اخلاص الشىء بإحراق ما فيه من الفساد من قولهم: فتنت الذهب بالنار إذا أخلصته من الغش باحراقه، و منه قوله «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» «1» أى يحرقون إحراق ما يطلب إخلاصه من الفساد.
و قوله «أَ تَصْبِرُونَ وَ كانَ رَبُّکَ بَصِيراً» معناه اصبروا فقد عرفتم ما وعد الصابرون به من الثواب، و اللّه بصير بمن يصبر و من يجزع.

وَ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً (21) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَ يَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً (22) وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً (23) أَصْحابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلاً (24) وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ وَ نُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلاً (25)

خمس آيات.

حكى اللَّه تعالى عن الكفار الذين لا يرجون لقاء ثواب اللَّه، و لا يخافون عقابه

---

(1) سورة 51 الذاريات آية 13

أنهم قالوا ما ذكره. و الرجاء ترقب الخير الذى يقوى فى النفس وقوعه، تقول: رجا يرجو رجاء و ارتجى ارتجاء، و ترجى ترجياً، و مثل الرجاء الطمع و الأمل. و المعنى لا يرجون لقاء جزائنا، و إذا استعملوا الرجاء مع النفى أرادوا به الخوف، كقوله «لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً» «1» و هى لغة تهامة و هذيل. و اللقاء المصير الى الشىء من غير حائل و لهذا صح لقاء الجزاء من الثواب و العقاب، لان العباد يصيرون اليه فى الآخرة و على هذا يصلح أن يقال: لا بد من لقاء اللَّه تعالى.

و قوله «لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا» معناه هلا أنزل الملائكة لتخبرنا بأن محمداً نبى «أَوْ نَرى رَبَّنا» فيخبرنا بذلك. قال الجبائى: و ذلك يدل على انهم كانوا مجسمة، فلذلك جوزوا الرؤية على اللَّه التى تقتضى التشبيه.

ثم اقسم تعالى فقال «لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا» بهذا القول «فِي أَنْفُسِهِمْ» أى طلبوا الكبر و التجبر بغير حق، تقول: استكبر استكباراً «وَ عَتَوْا» بذلك أى طغوا به «عُتُوًّا كَبِيراً» و العتو الخروج الى أفحش الظلم.

و قوله «يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ» يجوز أن يكون المراد به اليوم الذى تقبض فيه أرواحهم، و يعلمون أين مستقرهم. و يجوز أن يكون يوم القيامة «لا بُشْرى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ» أى لا بشرى لهم فى ذلك اليوم. قال الفراء: ليس (اليوم) من صلة (بشرى) و لا منصوباً به، بل أضمرت (الفاء) كقولك: أما اليوم، فلا مال لك.

و قال الزجاج: يجوز على تقدير لا بشرى تكون للمجرمين يوم يرون الملائكة، و يكون (يومئذ) مؤكداً ل (يوم)، و لا يكون منصوباً ب (لا بشرى) لأن ما يتصل ب (لا) لا يعمل فيما قبلها، لكن لما قيل: «لا بشرى للمجرمين»

بين فى أى يوم ذلک فكأنه قال يمنعون البشرى يوم يرون الملائكة، و هو يوم القيامة و (المجرمين) معناه

---

(1) سورة 71 نوح آية 13

الذين أجرموا و ارتكبوا المعاصى «وَ يَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً» حراماً محرّماً.
و قال قتادة، و الضحاک: هو من قول الملائكة يقولون لهم: حراماً محرماً عليكم البشرى.
و قال مجاهد و ابن جريج: هو من قول المجرمين، كما كانوا يقولون فى الدنيا إذا لقوا من يخافون منه القتل، قالوا «حِجْراً مَحْجُوراً» أى حراماً محرماً دماؤنا. و اصل الحجر الضيق، يقال: حجر عليه يحجر حجراً إذا ضيق. و الحجر الحرام لضيقه بالنهى عنه، قال المتلمس:
حنت الى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام ألا تلک الدهاريس «1»
و قال آخر:
فهممت ان ألقى اليها محجراً و لمثلها يلقى اليه المحجر «2»
أى حراماً. و منه حجر القاضى عليه يحجر. و حجر فلان على أهله. و منه حجر الكعبة، لأنه لا يدخل اليه فى الطواف، و انما يطاف من ورائه، لتضيقه بالنهى عنه و قوله «لِذِى حِجْرٍ» «3» أى لذى عقل، لما فيه من التضييق فى القبيح، و الحجر الأنثى من الخيل، و منه الحجرة، و حجر الإنسان.
و قوله «وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً» قال البلخى: معناه قدم أحكامنا بذلک. و قال مجاهد: معنى «قدمنا» عمدنا قال الراجز:
و قدم الخوارج الضلال الى عباد ربهم فقالوا
إن دماءكم لنا حلال «4»
و فى الكلام بلاغة حسنة، لان التقدير: كان قصدنا اليه قصد القادم على ما يكرهه، ما لم يكن رآه قبل فيغيره. و الهباء غبار كالشعاع، لا يمكن القبض عليه

---

(1) أنظر 4/ 313 تعليقه 1 من هذا الكتاب
. (2) تفسير الطبرى 19/ 2
(3) سورة 89 الفجر آية 5
(4) تفسير القرطبى 13/ 21 و الطبرى 19/ 3

و قال الحسن و مجاهد و عكرمة: هو غبار يدخل الكوة فى شعاع الشمس.
و قال عكرمة:
هو رهج الخيل. و قال ابن عباس و غيره: هو الماء المهراق.
ثم قال تعالى «أَصْحابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا» و معناه: إن الذين

يحصلون فى الجنة- مثابين منعمين فى ذلک اليوم- مستقرهم خير من مستقر الكفار فى الدنيا و الآخرة. و انما قال ذلک على وجه المظاهرة، بمعنى أنه لو كان لهم مستقر خير و منفعة، لكان هذا خيراً منه، «وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا» معناه أحسن موضع قائلة، و إن لم يكن فى الجنة نوم، إلا أنه من تمهيده يصلح للنوم، لأنهم خوطبوا بما يعرفون، كما قال «وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَ عَشِيًّا» «1» على ما اعتادوه. و قال البلخى: معنى «مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا» انه خير فى نفسه، و حسن فى نفسه، لا انه أفضل من غيره، كما قال «وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» «2» أى هو هين. و قال قوم: معنى «خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ» أى انفع من مستقرهم. و قال ابن عباس و ابراهيم و ابن جريج:
لأنه يفرغ من حسابهم الى وقت القائلة.
و قوله «يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ» أى عن الغمام، و هو كقولهم: رميت بالقوس، و عن القوس بمعنى واحد.
و قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر «تشقق» مشددة و معناه تتشقق، فأدغم احدى التائين فى الشين لقرب مخرجيهما. و من قرأ بالتخفيف أراد ايضاً ذلک. و لكنه حذف أحدى التائين، و هى تاء (تفعّل) لان الأخرى علامة الاستقبال، لا يجوز حذفها. و قال أبو على الفارسى: المعنى «تشقق السماء» و عليها الغمام. و فى التفسير:
انه يتشقق سماء سماء. و قال الفراء تتشقق السماء عن الغمام الأبيض. و قرأ الباقون بالتخفيف. و قرأ ابن كثير «و ننزل الملائكة» بنونين. و قرأ الباقون بنون

---

(1) سورة 19 مريم آية 62
(2) سورة 30 الروم آية 27

واحدة مشددة.
و المعنى بذلک الاخبار عن هول ذلک اليوم و عظم شدائده، و ان الملائكة تنزل للمؤمنين بالإكرام و الإعظام، و للكافرين بالاستخفاف و الاهانة.
و من قرأ بالنونين أراد ان اللّه المخبر بذلک عن نفسه. و من قرأ بنون واحدة فعلى ما لم يسم فاعله. و المعنيان واحد. و التشديد أجود لقوله «تنزيلا» و الآخر يجوز، كما قال (وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا)»
و قوله (وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً) «2» فجاء المصدر على غير الفعل و ذلک سائغ جيد.

الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمنِ وَ كانَ يَوْماً عَلَى الْكافِرِينَ عَسِيراً (26) وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (27) يا وَيْلَتى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً (28) لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِى وَ كانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولاً (29) وَ قالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً (30)

خمس آيات.

يقول اللّه تعالى إن (الملک) الذى هو السلطان بسعة المقدور و تدبير العباد فى ذلک اليوم و وصفه بأنه الحق «للرحمن» الذى أنعم على جميع خلقه، و أن ذلک

---

(1) سورة 73 المزمل آية 8

(2) سورة 71 نوح آية 17 [.....]

اليوم كان على الكافرين عسيراً، يعنى صعباً شديداً، و العسير هو الذى يتعذر طلبه، و نقيضه اليسير. و الحق هو ما كان معتقده على ما هو به، معظم فى نفسه، و لذلک وصفه تعالى بأنه الحق و وصف ملكه ايضاً بأنه الحق لما ذكرناه. و قيل «الملک» على ثلاثة أضرب: ملک عظمة، و هو للّه تعالى وحده. و ملک ديانة بتمليک اللّه تعالى.

و ملک جبرية بالغلبة.

ثم قال تعالى أن فى ذلک اليوم «يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ» تلهفاً على ما فرط فى جنب اللّه، فى ارتكاب معصيته. و قيل: إن الآية نزلت فى أبى بن خلف، و عقبة ابن أبى معيط، و كانا خليلين ارتدّ أبى، لما صرفه عن الإسلام عقبة. و قتل عقبة ابن أبى معيط يوم بدر صبراً. و قتل أبى بن خلف يوم احد، قتله النبى (ص) بيده، ذكره قتادة. و قال مجاهد: الخليل- هاهنا- الشيطان، و فلان كناية عن واحد بعينه من الناس، لأنه معرفة. و قال ابن دريد، عن أبى حاتم عن العرب: أنهم يكنوا عن كل مذكر بفلان، و عن كل مؤنث بفلانة. و إذا كنوا عن البهائم أدخلوا الألف و اللام، فقالوا الفلان و الفلانة.

ثم بين أنه يتبرأ منه بأن يقول: و اللّه «لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِى» يعنى أغوانى عن اتباع الذكر الذى هو النبى (ص) و يحتمل أن يكون أراد القرآن.

ثم بين فقال «وَ كانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا» يخذله فى وقت حاجته و معاونته، لأنه على باطل «وَ قالَ الرَّسُولُ» أى و يقول الرسول «إِنَّ قَوْمِى

اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً» و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال محمد، و ابراهيم: انهم قالوا فيه هجراً أى شيئاً من القول القبيح لزعمهم انه سحر، و انه أساطير الأولين.
و الثانى- قال ابن زيد: هجروا القرآن باعراضهم عنه، و ترک ما يلزمهم فيه التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 487
و يشهد لهذا قوله «لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ» «1» و مثل (قال) بمعنى (يقول) قول الشاعر:
مثل العصافير أحلاماً و مقدرة لو يوزنون بزف الريش ما وزنوا «2»
اى ما يوزنون، و اما قول الشاعر:
إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً منى و ما سمعوا من صالح دفنوا «3»
فهذا فى الجزاء.

وَ كَذلِکَ جَعَلْنا لِکُلِّ نَبِیٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِینَ وَ کَفی بِرَبِّکَ هادِیاً وَ نَصِیراً (31) وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلاً (32) وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْناکَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً (33) الَّذِینَ یُحْشَرُونَ عَلی وُجُوهِهِمْ إِلی جَهَنَّمَ أُوْلئِکَ شَرٌّ مَکاناً وَ أَضَلُّ سَبِیلاً (34)

أربع آیات.

معنی قوله «وَ کَذلِکَ جَعَلْنا لِکُلِّ نَبِیٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِینَ» قیل فیه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس: جعل لمحمد (ص) عدواً من المجرمین، کما جعل لمن قبله.

---

(1) سورة 41 حم السجدة (فصلت) آیة 26

(2) مجمع البیان 4/ 168

(3) مجاز القرآن 1/ 177 انظر 5/ 44 تعلیقة 2 من هذا الکتاب

و الثانی- کما جعلنا النبی یعادی المجرم مدحاً له و تعظیما، کذلک جعلنا المجرم یعادی النبی ذماً له و تحقیراً. و المعنی إن اللّه تعالی حکم بأنه علی هذه الصفة. و قیل «جَعَلْنا لِکُلِّ نَبِیٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِینَ» ببیاننا أنهم أعداؤهم، کما یقال جعله لصاً أو خائناً. و قیل: معناه أمرنا بأن یسموهم أعداء. و الجعل وجود ما به یصیر الشیء علی ما لم یکن، و مثله التصییر، و العدو المتباعد من النصرة للبغضة، و نقیضه الولی، و أصله البعد. و منه عدوتا الوادی أی جانباه، لأنهما بعداه و نهایتاه، و عدا علیه یعدو عدواً إذا باعد خطوة للإیقاع به، و تعدی فی فعله إذا أبعد فی الخروج عن الحق. ثم قال تعالی «وَ کَفی بِرَبِّکَ» یا محمد «هادِیاً وَ نَصِیراً» ای حسبک اللّه الهادی الی الحق، و الناصر علی العدو، و (هادیاً) منصوب علی الحال أو التمییز، فالحال کفی به فی حال الهدایة و النصرة، و التمییز من الهادین و الناصرین- ذکره الزجاج- و لا یقدر أحد أن یهدی کهدایة اللّه، و لا أن ینصر کنصرته، فلذلک قال «وَ کَفی بِرَبِّکَ هادِیاً وَ نَصِیراً» ثم حکی أنّ الکفار، قالوا «لولا» ای هلا «نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ» علی النبی «جُمْلَةً واحِدَةً» فقیل لهم إن التوراة أنزلت جملة، لأنها أنزلت مکتوبة علی نبی یکتب و یقرأ و هو موسی، و اما القرآن، فإنما انزل متفرقاً، لأنه أنزل غیر مکتوب علی نبی أمی، و هو محمد (ص) و قیل: انما لم ینزل جملة واحدة، لان فیه الناسخ و المنسوخ، و فیه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، و فیه ما هو إنکار لما کان. و فی الجملة المصلحة معتبرة فی إنزال القرآن، فإذا کانت المصلحة تقتضی

انزاله متفرقاً كيف ينزل جملة واحدة!؟ فقال اللّه تعالى لنبيه (ص) إنا أنزلناه متفرقاً (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ) و قال أبو عبيدة: معناه لنطيب به نفسک و نشجعک.
و قوله (وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا) فالترتيل التبين فى تثبت و ترسل. و قوله (وَ لا يَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِّ) أى لم ننزل القرآن جملة واحدة لأنهم لا يأتونک بشىء التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 489
يريدون به إبطال أمرک (إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِّ) الذى يبطله (وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً) أى نجيؤک بأحسن تفسيراً مما يأتونک به و أجود معانى.
ثم قال (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلى وُجُوهِهِمْ) يوم القيامة (الى جهنم) يعنى الكفار يسحبون على وجوههم. و فى الحديث أن الذى أمشاهم على أقدامهم، قادر على أن يمشيهم على وجوههم.
ثم أخبر تعالى عن هؤلاء الذين يحشرون على وجوههم بأنهم (شَرٌّ مَكاناً وَ أَضَلُّ سَبِيلًا) عن الحق و عن الثواب و الجنة.

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ جَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً (35) فَقُلْنَا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً (36) وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَ جَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَ أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ عَذاباً أَلِيماً (37) وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ أَصْحابَ الرَّسِّ وَ قُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً (38) وَ كُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَ كُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِيراً (39)
وَ لَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَ فَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً (40)
ست آيات.
أقسم اللَّه تعالى بأنه آتى موسى الكتاب يعنى التوراة، و أنه جعل معه أخاه هارون وزيراً، يحمل عنه أثقاله، و أنه قال لهما و أوحى اليهما و أمرهما بأن يذهبا الى القوم التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 490
الذين كذبوا بآيات اللَّه و جحدوا أدلته، يعنى فرعون و قومه، و أخبر أنهم لم يقبلوا منهما و جحدوا نبوتهما، فأهلكهم الله و دمرهم تدميراً. و التدمير الإهلاك بأمر عجيب و مثله التنكيل، يقال: دمر على فلان إذا هجم عليه بالمكروه.
ثم قال «وَ قَوْمَ نُوحٍ» أى أغرقنا قوم نوح لما كذبوا الرسل «أَغْرَقْناهُمْ وَ جَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً» و علامة. و التغريق الإهلاك بالماء الغامر، و قد غرق الله تعالى قوم نوح بالطوفان، و هو مجىء ماء السماء المنهمر، و ماء الأرض الذى فجر الله تعالى عيونها حتى التقى الماء، أى أتى على أمر قد قدره الله، فطبق الأرض و لم ينج إلا نوحاً و من كان معه راكباً فى السفينة، و يقال: فلان غريق فى النعمة تشبيهاً بذلك.
و قوله «لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ» يعنى نوحاً و من تقدم من الأنبياء. و قيل: المعنى نوحاً و الرسل من الملائكة. و قيل: نوحاً و من بعده من الرسل، لأن الأنبياء يصدق بعضهم بعضاً فى توحيد الله و خلع الأنداد، فمن كذب بواحد منهم فقد كذب بهم جميعهم، و قال الحسن: تكذيبهم بنوح تكذيب لسائر الرسل.
ثم قال تعالى: إنا مع إهلاكهم العاجل (أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ) نفوسهم (عَذاباً أَلِيماً) أى مؤلماً موجعاً.
و قوله (وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ أَصْحابَ الرَّسِّ وَ قُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً) معناه و أهلكنا هؤلاء ايضاً، يقال: (عاد) هم القوم الذين بعث الله إليهم هوداً، و (ثمود) هم الذين بعث الله اليهم صالحاً، و اصحاب الرس قال عكرمة: الرس بئر رسوا فيها نبيهم أى ألقوه فيها. و قال قتادة: هى قرية باليمامة، يقال لها: (فلج) و قال أبو عبيدة: الرس كل محفور- فى كلام العرب- و هو

المعدن، قال الشاعر:
سبقت الى فرط ناهل تنابلة يحفرون الرساسا «1»

---

(1) نائلة النابغة الجعدى. تفسير القرطبى 13/ 32 و الطبرى 19/ 9 و اللسان (رسس)

اى المعادن. و قيل: الرس البئر التى لم تطو بحجارة، و لا غيرهاً، يقال: رسه يرسه رساً إذا دسه. و قيل: اصحاب الرس هم اصحاب (ياسين) بانطاكية الشام، ذكره النقاش. و قال الكلبى: هم قوم بعث الله تعالى اليهم نبياً فأكلوه، و هم أول من عمل نساؤهم السحر. و عن اهل البيت (ع) انهم قوم كانت نساؤهم سحاقات.

و قوله (وَ قُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً) اى أهلكنا قروناً بين هؤلاء الذين ذكرناهم كثيراً. و قيل: القرن سبعون سنة. و قال ابراهيم: أربعون سنة.

و قوله (وَ كُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ) تقديره و دللنا كلا ضربنا له الأمثال، فلما كفروا بها دمرناهم تدميراً (وَ كُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِيراً) اى أهلكنا كلّا منهم إهلاكاً. و التتبير تكبير الإهلاك، و التبر مكسر الزجاج، و مكسر الذهب.

و قوله (وَ لَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ) يعنى ان هؤلاء الكفار قد جاءوا الى القرية التى أهلكها الله بالمطر السوء (أَ فَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها) فيعتبروا بها. و القرية هى قرية (سدوم) قرية قوم لوط، و المطر السوء الحجارة التى رموا بها- فى قول ابن عباس- ثم قال (بل) رأوها، و انما لم يعتبروا بها، لأنهم (كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً) اى لا يخافون البعث لاعتقادهم جحده، قال الهذلى:

إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها و خالفها فى بيت نوب عوامل «1»

فالدبر النحل اى لم يخف. و قيل: ركبوا المعاصى، لأنهم لا يرجون ثواب من عمل خيراً بعد البعث.

---

(1) مر تخريجه فى 2/ 210 و 3/ 315

وَ إِذا رَأَوْکَ إِنْ يَتَّخِذُونَکَ إِلاَّ هُزُواً أَ هذَا الَّذِی بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (41) إِنْ کادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْ لا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها وَ سَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (42) أَ رَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَ فَأَنْتَ تَکُونُ عَلَيْهِ وَکِيلاً (43) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَکْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ کَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (44)

أربع آيات.

يقول اللَّه تعالى حاكياً عن الكفار الذين وصفهم بأنه «إِذا رَأَوْکَ» يا محمد و شاهدوک لا يتخذونک «إِلَّا هُزُواً» أى سخرياً، و الهزو إظهار خلاف الإبطان لاستصغار القدر على وجه اللهو. و انهم ليقولون «أَ هذَا الَّذِی بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» متعجبين من ذلک، و منكرين له، لأنهم يعتقدون فى الباطن انه ما بعثه اللَّه.

و قوله «إِنْ کادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا» أى قد قارب أن يأخذ بنا فى غير جهة عبادة آلهتنا، على وجه يؤدى الى هلاكنا. و الإضلال الأخذ بالشىء الى طريق الهلاک.

و قوله «لَوْ لا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها» أى على عبادتها لأزلنا عن ذلک، و حذف الجواب لدلالة الكلام عليه. فقال اللَّه تعالى متوعداً لهم «وَ سَوْفَ يَعْلَمُونَ» فيما بعد إذا رأوا العذاب الذى ينزل بهم «مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا» عن طريق الحق: هم أم غيرهم؟

ثم قال لنبيه يا محمد «أَ رَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ» لأنه ينقاد له و يتبعه فى جميع ما يدعوه اليه. و قيل: المعنى من جعل إلهه ما يهوى، و ذلک نهاية الجهل، التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 493

لان ما يدعو اليه الهوى باطل، و الا له حق يعظم بما لا شىء أعظم منه، فليس يجوز أن يكون الا له ما يدعو اليه الهوى، و انما الاله ما يدعو الى عبادته العقل.

و معنى «أَ فَأَنْتَ تَکُونُ عَلَيْهِ وَکِيلًا» أى لا تكون له انت حافظاً من الخروج الى هذا الفساد. قال المبرد: الوكيل أصله واحد، و يشتمل على فروع ترجع اليه، فالوكيل من تتكل عليه و تعتمد فى أمورک عليه. ثم قال لنبيه (ص) «أَمْ تَحْسَبُ» يا محمد و تظن «الْإِنْسانُ أَکْثَرَ» هؤلاء الكفار «يسمعون» ما تقول سماع طالب للافهام «أَوْ يَعْقِلُونَ» ما تقوله لهم؟ بل سماعهم كسماع الانعام، و هم أضل سبيلا من الانعام، لأنهم مكنوا من طريق الفهم، و لم تمكن النعم من ذلک، و هم مع ذلک لا يعقلون ما تقول، إذ لو عقلوا عقل الفهم به لدعاهم عقلهم اليه، لأنه نور فى قلب المدرک له. و قيل «بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا» لأنها لا تعتقد بطلان الصواب و إن كانت لا تعرفه، و هم قد

اعتقدوا ضد الصواب الذى هو الجهل. و قيل: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن صورة منه ترک الأول و عبد الثانى. و قيل: لان الأنعام تهتدى الى منافعها و مضارها. و هؤلاء لا يهتدون الى ما يدعون اليه من طريق الحق، فهم أضل.

أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّکَ کَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساکِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (45) ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً (46)

آيتان.

يقول اللَّه تعالى لنبيه محمد (ص) و هو متوجه الى جميع المكلفين «أَ لَمْ تَرَ» يا محمد «إِلى رَبِّکَ» و معناه ألم تعلم ربک «کَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ» قال ابن عباس و الضحاک و سعيد التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 494

ابن جبير: الظل حده من طلوع الفجر الى طلوع الشمس. و قال ابو عبيدة: الظل بالغداة، و الفيء بالعشى، لأنه يرجع بعد زوال الشمس.

و قوله «وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساکِناً» أى دائماً لا يزول، فى قول ابن عباس و مجاهد.

و قوله «ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا» قال ابن زيد: يعنى باذهابها له عند مجيئها. و قيل: لان الظل يتبع الشمس فى طوله و قصره، فإذا ارتفعت فى أعلا ارتفاعها قصر، و إن انحطت طال بحسب ذلک الانحطاط و لو شاء لجعله ساكناً بوقوف الشمس. و الظل يتبع الدليل الذى هو الشمس، كما يتبع السائر فى المفازة الدليل.

و قوله «ثُمَّ قَبَضْناهُ» يعنى الظل يقبضه اللَّه، من طلوع الشمس. و قيل: بغروبها، فالقبض جمع الاجزاء المنبسطة قبضه يقبضه قبضاً، فهو قابض و الشىء مقبوض، و تقابضا تقابضاً، و قبضه تقبضاً، و تقبض تقبضاً، و انقبض انقباضاً.

و اليسير السهل القريب و اليسير نقيض العسير، يسر ييسر يسراً، و تيسر تيسراً، و يسره تيسراً، و أيسر ايساراً أى ملک من المال ما تتيسر به الأمور عليه. و اليد اليسرى لأنها يتيسر بها العمل مع اليمنى، و تياسر أخذ فى جهة اليد اليسرى.

و قيل: معناه قبضاً خفيفاً، لان ظلمة الليل تجىء شيئاً بعد شىء، فلا تهجم دفعة واحده عقيب غروب الشمس. و قيل: معناه قبضاً سريعاً.

وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَ النَّوْمَ سُباتاً وَ جَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً (47) وَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً (48) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَ نُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَ أَناسِيَّ كَثِيراً (49) وَ لَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً (50)

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 495

اربع آيات.

قرأ ابن كثير و نافع و ابو عمرو «نشراً» بضم النون و الشين. و قرأ ابن عامر- بضم النون و سكون الشين- و روى ذلک هارون عن أبى عمرو. و قرأ حمزة و الكسائى- بفتح النون و سكون الشين- و قرأ عاصم «بشراً» بالباء و سكون الشين.

قال ابو على النحوى: من ثقل أراد جمع (نشور) مثل رسول و رسل، و من سكن الشين، فعلى قول من سكن (كتب) فى (كتب) و (رسل) فى (رسل). و من فتح النون جعله مصدراً واقعاً موقع الحال، و تقديره يرسل الرياح حياة أى يحيى بها البلاد الميتة.

و من قرأ بالباء أراد جمع (بشور) أى تبشر بالغيث من قوله «الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ» «1» يعنى بالغيث المحيى للبلاد. و قرأ حمزة و الكسائى «ليذكروا» خفيفة الذال. الباقون بتشديدها. من شدد الذال أراد (ليتذكروا) فأدغم التاء فى الذال، و هو الأجود لأن التذكير و التذكر و الاذكار فى معنى واحد و هو فى معنى الاتعاظ، و ليس الذكر كذلک. و قد حكى أبو على ان الذكر يكون بمعنى التذكر، كقوله تعالى «إِنَّها تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ» «2» و قوله «خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ» «3»، و الاول أكثر. و المعنى ليتفكروا فى قدرة اللّه، و موضع نعمته بما أحيا بلادهم به من الغيث.

يقول اللّه تعالى معدداً لنعمه على خلقه منها أنه «جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً» و معناه أن ظلمته تلبس كل شخص، و تغشيه حتى تمنع من إدراكه. و انما جعله كذلک للهدو فيه و الراحة من كد الاعمال، مع النوم الذى فيه صلاح البدن. و قوله «وَ النَّوْمَ سُباتاً»

---

(1) سورة 30 الروم آية 46

(2) سورة 80 عبس آية 11- 12

(3) سورة 2 البقرة آية 63 و سورة 7 الاعراف آية 170

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 496

أى جعل نومكم ممتداً طويلا تكثر به راحتكم و هدوؤكم. و قيل: انه أراد

جعله قاطعاَ للأعمال التى يتصرف فيها. و السبات قطع العمل، و منه سبت رأسه يسبته سبتاً إذا حلقه، و منه يوم السبت، و هو يوم ينقطع فيه العمل. قال المبرد: يعنى سباتاً سكوتاً يقال: أسبت الرجل إذا أخذته سكتة.
و قوله «وَ جَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً» أى للانبساط و التصرف فى الحوائج. و النشور الانبساط فى تصرف الحى، يقال: نشر الميت إذا حيى و انشره اللَّه فنشر، قال الأعشى:
حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للميت الناشر «1»
ثم قال «وَ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ» و فى الرحمة تجمع الرياح، لأنه جمع الجنوب و الشمال و الصبا. و فى العذاب (ريح) لأنها هى الدبور وحدها و هى عقيم، لا تلقح، فكل الرياح لواقح غيرها. و الرحمة التى ينزلها من السماء هى الغيث، و ذكر انه قد يرسل الرياح لينشئ السحاب. ثم ينزل «مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً» أى طاهراً مطهراً مزيلا للاحداث و النجاسات مع طهارته فى نفسه.
و انما نزل هذا الماء «لِنُحْيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً» قد مات بالجدب. قال ابو عبيدة: زعم بعضهم انه أراد إذا لم يكن فيها نبات، فهو بغير (هاء) و إذا كانت حية روحانية فماتت، فهى ميتة. و قال غيره: أراد بالبلدة المكان، فلذلك قال ميتاً بالتذكير، و معنى نسقيه نجعله سقياً للانعام التى خلقها اللَّه تعالى.
و قوله «وَ أَناسِىَّ كَثِيراً» جمع إنسان جعلت الياء عوضاً من النون، و قد قالوا: (أناسين) نحو بستان و بساتين. و يجوز أن يكون جمع (أنسى) نحو كرسى و كراسى. و قد قالوا: أناسية كثيرة.

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 93 و قد مر فى 4/ 460

ثم قال تعالى «وَ لَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ» قيل: معناه قسمناه بينهم يعنى المطر قال ابن عباس: ليس من غمام إلا يمطر، و إنما يصرف من موضع الى موضع.
و التصريف تصيير الشىء دائراً فى الجهات. فالمطر يصرف بدوره فى جهات الأرض.
ثم بين انه صرفه كذلك «ليتذكروا» و يتفكروا، فيستدلوا على سعة مقدور اللَّه و انه لا يستحق العبادة سواه.
ثم اخبر عن حال الكفار، فقال «فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً» أى جحوداً لهذه النعم التى عددناها و إنكارها. و يقولون: مطرنا بنوء كذا و كذا.

وَ لَوْ شِئْنا لَبَعَثْنا فِی کُلِّ قَرْیَةٍ نَذِیراً (51) فَلا تُطِعِ الْکافِرِینَ وَ جاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً کَبِیراً (52) وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً (53) وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً (54) وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا یَنْفَعُهُمْ وَ لا یَضُرُّهُمْ وَ کانَ الْکافِرُ عَلی رَبِّهِ ظَهِیراً (55)

خمس آیات.

یقول اللَّه تعالی «لَوْ شِئْنا لَبَعَثْنا فِی کُلِّ قَرْیَةٍ نَذِیراً» یخوفهم باللَّه و یحذرهم من معاصیه. و المعنی: لو شئنا لقسمنا النذر بینهم، کما قسمنا الأمطار بینهم، ففی ذلک اخبار عن قدرته علی ذلک، لکن دبرنا علی ما اقتضته مصلحتهم، و ما هو أعود التبیان فی تفسیر القرآن، ج7، ص: 498

علیهم فی دینهم و دنیاهم. و فیه امتنان علی النبی (ص) بأنا «لَوْ شِئْنا لَبَعَثْنا فِی کُلِّ قَرْیَةٍ نَذِیراً» فیخف عنک کثیر من عبء ما حملته، لکنا حملناک ثقل أوزار جمیع القری لتستوجب بصبرک علیه إذا صبرت عظیم المنزلة و جزیل الکرامة.

و النذیر هو الداعی الی ما یؤمن معه الخوف من العقاب، و الانذار الاعلام بموضع المخافة. و النذر عقد البر علی انتفاء الخوف، یقال تناذر القوم تناذراً إذا انذر بعضهم بعضاً. ثم قال لنبیه (ص) «فَلا تُطِعِ الْکافِرِینَ» یا محمد بالاجابة الی ما یریدون «وَ جاهِدْهُمْ» فی اللَّه «جِهاداً کَبِیراً» شدیداً، و الهاء فی قوله «به» عائدة الی القرآن- فی قول ابن عباس و الحسن- و قال الحسن: معنی «فَلا تُطِعِ الْکافِرِینَ» لا تطعهم فیما یصرفک عن طاعة اللَّه. و قیل: فلا تطعهم بمعاونتهم فیما یریدونه مما یبعد عن دین اللَّه، و جاهدهم بترک طاعتهم.

ثم عاد تعالی الی تعدید نعمه علیهم فقال (وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ) و معناه أرسلهما فی مجاریهما، کما ترسل الخیل فی المرج، فهما یلتقیان، فلا یبغی الملح علی العذب و لا العذب علی الملح، بقدرة اللَّه. و العذب الفرات: و هو الشدید العذوبة، و الملح الأجاج یعنی المر.

ثم قال (وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً) أی حاجزاً یمنع کل واحد منهما من تغییر الآخر (وَ حِجْراً مَحْجُوراً) معناه یمنع أن یفسد أحدهما الآخر. و قال المبرد: شبه الخلط بحجر البیت الحرام. و أصل المرج الخلط و منه قوله «فِی أَمْرٍ مَرِیجٍ» «1» أی مختلط.

و فی الحدیث: مرجت عهودهم أی اختلطت، و سمی المرج بذلک، لأنه یکون فیه اخلاط من الدواب. و مرجت دابتک إذا ذهبت بتخلیتک حیث شاءت قال الراجز:

رعى بها مرج ربيع ممرجاً «2»

---

(1) سورة 50 ق آية 5
(2) اللسان (مرج)
التبيان في تفسير القرآن، ج7، ص: 499
و (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) معناه خلا بينهما، تقول: مرجت الدابة و أمرجتها إذا خليتها ترعى. ثم قال تعالى (وَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً) يعنى من النطفة.
و قيل الماء الذى خلق اللّه منه آدم بشراً أى إنساناً، فجعل ذلک الإنسان (نَسَباً وَ صِهْراً) فالنسب ما رجع الى ولادة قريبة، و الصهر خلطة تشبه القرابة. و قيل الصهر المتزوج بنت الرجل او أخته. و قال الفراء: النسب الذى لا يحل نكاحه، و الصهر النسب الذى يحل نكاحه، كبنات العم، و بنات الخال و نحوهما. و قيل: النسب سبعة أصناف ذكرهم الله فى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ ...) الى قوله (وَ بَناتُ الْأُخْتِ).
و الصهر خمسة أصناف ذكرهم فى (أُمَّهاتُكُمُ اللَّاتِى أَرْضَعْنَكُمْ ...) الى قوله (وَ حَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ) «1» ذكره الضحاک.
و قوله (وَ كانَ رَبُّکَ قَدِيراً) أى قادراً على جميع ما أنعم به عليكم.
ثم اخبر عن الكفار فقال (وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) الأصنام و الأوثان التى لا تنفعهم و لا تضرهم، لان العبادة ينبغى أن توجه الى من يملک النفع و الضر مطلقاً.
ثم قال (وَ كانَ الْكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيراً) قال الحسن و مجاهد و ابن زيد: يظاهر الشيطان على معصية الله. و قيل: (ظهيراً) معناه هيناً كالمطرح. و الاول هو الوجه.
و قيل: معنى (ظهيراً) معيناً.
و وصف الأصنام بأنها لا تضرّ و لا تنفع، يدل على بطلان فعل الطباع، لأنها موات مثلها. و الفعل لا يصح إلا من حى قادر.

وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (56) قُلْ ما أَسْئَلُکُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً (57) وَ تَوَکَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لا يَمُوتُ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَ کَفى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً (58) الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً (59) وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَ مَا الرَّحْمنُ أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا وَ زادَهُمْ نُفُوراً (60)

---

(1) سورة 6 النساء آية 22

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 500

خمس آيات.

قرأ حمزة و الكسائى لما «يأمرنا» بالياء. الباقون بالتاء.

من قرأ- بالتاء- جعل الخطاب للنبى (ص) و قيل: معناه أ نسجد لأمرک فجعلوا (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر.

و من قرأ- بالياء- جعل الياء لمسيلمة الكذاب، لأنه كان يسمى نفسه الرحمن فقالوا للنبي (ص) إنا لا نعرف الرحمن إلا نبي اليمامة. فقال اللّه تعالى «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى» «1».

و قال ابو على: من قرأ- بالتاء- أراد أ نسجد لما تأمرنا يا محمد على وجه الإنكار، لأنهم أنكروا أن يعرف الرحمن، فلا يحمل على رحمان اليمامة.

يقول اللّه تعالى لنبيه (ص) «ما أَرْسَلْناکَ» يا محمد «إِلَّا مُبَشِّراً» بالجنة و ثواب الله لمن أطاعه و مخوفاً لمن عصاه بعقاب الله. و قال الحسن: ما بعث الله نبياً قط إلا و هو يبشر الناس إن أطاعوا الله بالمتعة فى الدنيا و الآخرة، و ينذر الناس إن

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 110

التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 501

عصوا عذاب الله فى الآخرة. و البشارة الاخبار بما يظهر سروره فى بشرة الوجه، تقول: بشره تبشيراً و بشارة. و بشارة الأنبياء مضمنة بإخلاص العبادة لله تعالى.

و النذارة هو الاخبار بما فيه المخافة، ليحذر منه. أنذره إنذاراً و نذارة، و تناذر القوم إذا أنذر بعضهم بعضاً. ثم أمره، فقال: يا محمد «قل» لهؤلاء الكفار: إنى لست اسألكم على ما أبشركم به و أحذركم منه «اجراً» تعطونى «إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا» استثناء من غير الجنس، و

معناه انه جعل أجره على دعائه اتخاذ المدعو سبيلا الى ربه و طاعته إياه كقول الشاعر.
و بلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير و إلا العيس «1»
جعلها أنيس ذلک المكان. و قيل «إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا» بإنفاقه ما له فى طاعة الله، و ابتغاء مرضاته.
ثم أمره ان يتوكل على ربه «الْحَيِّ الَّذِى لا يَمُوتُ» و المراد به جميع المكلفين لأنه يجب على كل أحد ان يتوكل على الله، و يسلم لأمره، و معنى «وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ» أنى احمده منزهاً له مما لا يجوز عليه فى صفاته، بان تقول: الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على نعمه و إحسانه الذى لا يقدر عليه غيره، الحمد لله حمداً يكافئ نعمه فى عظم المنزلة و علوّ المرتبة، و ما أشبه ذلک.
و قوله «وَ كَفى بِهِ» اى كفى الله «بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً» أى عالماً «الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما» يعنى بين هذين الصنفين، كما قال القطامى:
ألم يحزنک أن جبال قيس و تغلب قد تباينتا انقطاعا «2»
و قال الآخر:

---

(1) قد مر فى 1/ 151 و 3/ 327 و 5/ 498 [.....]
(2) تفسير القرطبى 13/ 63 و الطبرى 19/ 17

إن المنية و الحتوف كلاهما توقى المحارم يرقبان سوادى
و قوله فى ستة أيام قيل: كان ابتداء الخلق يوم الأحد، و انتهاؤه يوم الجمعة «ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ» و قيل «ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ» تمام الحكاية.
ثم ابتدأ فقال «الرَّحْمنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً» و معنى «فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً» أى فاسأل سؤالک إياه خبيراً، قال ابن جريج: الخبير- هاهنا- هو اللَّه. و قيل معناه فاسأل به ايها الإنسان عارفاً يخبرک بالحق فى صفته.
ثم حكى انه إذا قيل لهؤلاء الكفار «اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ» الذى أنعم عليكم «قالُوا وَ مَا الرَّحْمنُ» أى أىّ شىء الرحمن؟ أى لا نعرفه «أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا» و قد فسرناه «وَ زادَهُمْ نُفُوراً» أى ازدادوا عند ذلک نفوراً عن قبول قول النبى (ص) و الرجوع الى طاعة اللَّه.

تَبارَكَ الَّذِی جَعَلَ فِی السَّماءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِیها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِیراً (61) وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ یَذَّکَّرَ أَوْ أَرادَ شُکُوراً (62) وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِینَ یَمْشُونَ عَلَی الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً (63) وَ الَّذِینَ یَبِیتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِیاماً (64) وَ الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها کانَ غَراماً (65)

خمس آیات.

قرأ حمزة و الکسائی «سرجاً» علی الجمع. الباقون «سراجاً» علی التوحید.

و قرأ حمزة وحده «أن یذکر» خفیفة. الباقون بالتشدید.

من قرأ علی التوحید فلقوله «وَ جَعَلَ فِیها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِیراً». و من قرأ علی الجمع، فلقوله «زَیَّنَّا السَّماءَ الدُّنْیا بِمَصابِیحَ» «1» تشبیهاً بالکواکب أعنی المصابیح کما شبهت المصابیح بالکواکب، فی قوله «الزُّجاجَةُ کَأَنَّها کَوْکَبٌ دُرِّیٌّ» «2» و قیل:

من وحد أراد الشمس وحدها. و من جمع أراد الکواکب المضیئة کلها. و اتفقوا علی «و قمراً» إلا الحسن، فانه قرأ- بضم القاف و المیم- و یجوز أن یکون فیه لغتان مثل (ولد، و ولد) و یجوز أن یکون أراد الجمع غیر ان العرب لا تعرف جمع القمر قمراً، و انما یجمعونه أقماراً.

قوله تعالی «تبارک» قیل فی معناه قولان:

أحدهما- تقدس اللّه، و جل بما هو ثابت لم یزل و لا یزال. لان أصل الصفة الثبوت.

و الثانی- انه من البرکة، و التقدیر جل تعالی، و تقدس بما به یقدر علی جمیع البرکات «الَّذِی جَعَلَ فِی السَّماءِ بُرُوجاً» و البروج منازل النجوم الظاهرة، و هی اثنتا عشرة برجاً معروفة أولها الحمل و آخرها الحوت. و قیل: البروج منازل الشمس و القمر، و قال ابراهیم: البروج القصور العالیة، واحدها برج، و منه قوله (وَ لَوْ کُنْتُمْ فِی بُرُوجٍ مُشَیَّدَةٍ) «3» قال الأخطل:

کأنها برج رومی یشیده لزّ بجص و آجرّ و أحجار «4»

و قال قتادة: البروج النجوم. و قال أبو صالح: هی کبار النجوم، و البرج تباعد ما بین الحاجبین قال: الزجاج: کل ظاهر مرتفع یقال له: برج، و سمیت

---

(1) سورة 67 تبارک (الملک) آیة 5

(2) سورة 24 النور آیة 35

(3) سورة 4 النساء آیة 77

(4) تفسیر الطبری 19/ 18

الكواكب بروجاً لظهورها.
و قوله (وَ جَعَلَ فِيها سِراجاً) يعنى الشمس التى يستضىء بها جميع الخلق.
و قوله (وَ قَمَراً مُنِيراً) أى مضيئاً بالليل، إذا لم يكن شمس.
فمن قرأ (سراجاً) أراد الشمس وحدها. و من قرأ (سرجاً) أراد جميع النجوم، لأنه يهتدى بها، كما يهتدى بضوء السراج.
و قوله (وَ هُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً) أى يخلف كل واحد منهما صاحبه، فيما يحتاج أن يعمل فيه، فمن فاته عمل الليل استدركه بالنهار، و من فاته عمل النهار استدركه بالليل. قال عمر بن الخطاب، و ابن عباس، و الحسن: يخلف أحدهما الآخر فى العمل. و قال مجاهد: معناه أحدهما اسود و الآخر ابيض، فهما مختلفتان. و قال ابو زيد: معناه أحدهما يذهب و يجىء الآخر قال زهير:
بها العين و الأرآم يمشين خلفة و اطلاؤها ينهضن من كل مجثم «1»
و قوله (لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ) اى خلقناه كذلک لمن أراد ان يتفكر و يستدل بها على ان لها مدبراً و مصرّفاً، لا يشبهها و لا تشبهه فيوجه العبادة اليه.
و قوله (أَوْ أَرادَ شُكُوراً) أى يشكر الله، على ما أنعم به عليه فيتمكن من ذلک، لان بهذه الأدلة و أمثالها يتوصل الى ما قلناه.
و قوله (وَ عِبادُ الرَّحْمنِ) يعنى عباده المخلصين، الذين يعبدونه، المعظمون ربهم (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً) يعنى بالسكينة و الوقار- فى قول مجاهد- و قال الحسن: معناه حلماً و علماً، لا يجهلون و إن جهل عليهم. و قال ابن عباس:
بالتواضع لا يتكبرون على أحد (وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ) بما يكرهونه أو يثقل عليهم، قالوا فى جوابه (سلاماً) أى سداداً من القول- ذكره مجاهد- و قيل:

---

(1) ديوانه «دار بيروت» 75

معناه إنهم قالوا قولا يسلمون به من المعصية لله. و قال قوم: هذا منسوخ بآية القتال.
و ليس الأمر على ذلک، لان الأمر بالقتال لا ينافى حسن المحاورة فى الخطاب و حسن العشرة.
و قوله (وَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً) يعنى يعبدون الله فى لياليهم و يقومون بالصلاة، و يسجدون فيها «وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً» أى يدعون بهذا القول، و معنى «غَراماً» لازماً ملحاً دائماً و منه الغريم، لملازمته و إلحاحه، و فلان مغرم بالنساء أى ملازم لهن، لا يصبر عنهن قال الشاعر:
إن يعاقب يكن غراماً و إن يعط جزيلا فانه لا يبالى «1»

و قال بشر بن أبى حازم:
فيوم النسار و يوم الجفار كانا عذاباً و كانا غراماً «2»
و قال الحسن: ليس غريم إلا مفارق غريمه غير جهنم، فإنها لا تفارق غريمها.

إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً (66) وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً (67) وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَ لا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً (68) يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً (69) إِلاَّ مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلاً صالِحاً فَأُولئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (70)

---

(1) قائله الأعشى ديوانه: 167
(2) اللسان (جفر) و تفسير الطبرى 19/ 21 و روايته (النشار) بدل (النسار)

خمس آيات.
قرأ أهل المدينة و ابن عامر و الكسائى عن أبى بكر «يقتروا» بضم الياء و كسر التاء، و قرأ اهل البصرة و ابن كثير بفتح الياء و كسر التاء. الباقون بفتح الياء و ضم التاء، و هم أهل الكوفة إلا الكسائى عن أبى بكر. و قرأ ابن عامر، و أبو بكر «يضاعف ... و يخلد» بالرفع فيهما. و قرأ ابن كثير و ابن عامر و ابو جعفر و يعقوب «يضعف» بتشديد العين و إسقاط الالف. الباقون «يضاعف» بإثبات الألف و تخفيف العين. تقول: قتر يقتر و يقتر- بكسر التاء، و ضمها- لغتان.
و اقتر إقتاراً لغة.
و اختلفوا فى (السرف) فى النفقة، فقال قوم: كلما أنفق فى غير طاعة اللَّه، فهو سرف، لقوله تعالى «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ» «1».
و
قال على (ع): ليس فى المأكول و المشروب سرف و إن كثر.
و قال قوم: الإسراف فى الحلال فقط، لأن الحرام لا يجوز الإنفاق فيه و لو ذرة.

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 27

و من قرأ «يضاعف» فمن المضاعفة. و من شدد، فمن التضعيف ذهب الى التكثير، و المعنيان متقاربان. و من- جزم- جعله بدلا من جواب الشرط، لان الشرط قوله «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ» و جزاءه «يَلْقَ أَثاماً» و علامة الجزم سقوط الالف من آخره. و (يضاعف) بدل منه و (يخلد) عطف عليه. و من-

رفع- استأنف لان الشرط و الجزاء قد تم. و كان يجوز النصب على الظرف- فى مذهب الكوفيين.
و بإضمار (إن) على مذهب البصريين- و لم يقرأ به احد.
لما اخبر اللَّه تعالى أن عذاب جهنم كان غراماً، بين بأنها «ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً» أى موضع قرار و اقامة لما فيها من أنواع العذاب، و نصبها على التمييز.
ثم عاد الى وصف المؤمنين فقال «وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا» أى لم يخرجوا عن العدل فى الإنفاق يقال: فلان مسرف على نفسه إذا أكثر من الحمل على نفسه فى المعصية، فشبه بالمسرف فى النفقة «وَ لَمْ يَقْتُرُوا» أى لم يقصروا عن العدل فى الإنفاق، و هو مأخوذ من القترة، و هى الدخان. و الإقتار مشبه به فى الامحاق و الإضرار. و فيه ثلاث لغات: قتر يقتر، و يقتر، و أقتر إقتاراً. و قال ابو على الفارسى: من قرأ «يقتروا» بضم التاء أراد لم يقتروا فى إنفاقهم، لان المسرف مشرف على الافتقار، لسرفه. و من فتح التاء أراد لم يضيقوا فى الإنفاق، فيقصروا عن المتوسطين، فمن كان فى هذا الطرف، فهو مذموم، كما أن من جاوز الاقتصاد كان كذلك مذموم. و بين ذلک بقوله «و كان بين ذلک قواماً» أى كان إنفاقهم بين ذلک، لا إسرافاً يدخل فى حد التبذير، و لا تضييقاً يصير به فى حد المانع لما يجب.
و قال ابن عباس: الإسراف الإنفاق فى معصية اللَّه، قل او كثر، و الإقتار منع حق اللَّه من المال. و قال ابراهيم: السرف مجاوزة الحد فى النفقة، و الإقتار التقصير فيما لا بد منه. و القوام- بفتح القاف- العدل، و بكسرها- السداد، يقال: التبيان فى تفسير القرآن، ج7، ص: 508
هو قوام الأمر و ملاكه، و يقال: هى حسنة القوام فى اعتدالها، قال الحطيئة:
طافت امامة بالركبان آونة يا حسنها من قوام زان منتقباً «1»
ثم زاد فى وصفهم بأن قال «وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ» يوجهون عبادتهم اليه «وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» و النفس المحرمة هى نفس المسلم و المعاهد و المستثنى نفس الحربى، و من يجب عليه القتل على وجه القود، و الارتداد، و الزنا مع الإحصان (و لا يزنون) فالزنا هو الفجور بالمرأة فى الفرج.
ثم قال (و من يفعل ذلک يلق أثاماً) قال قوم: يلقى جزاء الاثام. و قال آخرون: الاثام العقاب، قال بلعا بن قيس الكنانى.
جزى اللَّه ابن عروة حيث أمسى عقوقا و العقوق له أثام «2»
أى عقاب. و قال ابن عمر، و قتادة: هو اسم واد فى جهنم، و هو قول مجاهد و عكرمة. و قال اهل الوعيد: ان قوله (وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِکَ) راجع الى كل واحد من المعاصى المذكورة. و قال اهل الارجاء انما يرجع الى جميعه، و يجوز- أن يكون راجعاً- الى الكفر وحده، لان الفسوق لا يستحق به العقاب

الدائم و الا لأدى الى اجتماع الاستحقاقين على وجه الدوام. و ذلک خلاف الإجماع، لان الإحباط عندهم باطل، و الكلام على ذلک استوفيناه فى كتاب الأصول.
ثم زاد فى الوعيد، فقال (وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِکَ يَلْقَ) جزاء اثامه و يضاعف له العذاب فى كثرة الاجزاء لا انه يضاعف استحقاقه، لان اللّه تعالى لا يعاقب بأكثر من المستحق، لأن ذلک ظلم يتعالى اللّه عن ذلک. و قيل يضاعف عذابه على عذاب الدنيا، و بين تعالى أنه (يخلد) مع ذلک فى النار (مهاناً) مستخفاً به.

---

(1) تفسير الطبرى 19/ 23
(2) تفسير القرطبى 13/ 76 و الطبرى 19/ 24

ثم استثنى من جملتهم من تاب و ندم على معاصيه، و عمل عملا صالحاً، فان اللّه تعالى (يبدل سيئاته حسنات) أى يجعل مكان عقاب سيئاته ثواب حسناته قال الشاعر فى التبديل:
بدلن بعد خرّه صريعاً و بعد طول النفس الوجيعاً «1»
و قوله تعالى (وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) أى ساتراً لمعاصى عباده إذا تابوا منها، منعماً عليهم بالثواب و التفضل.

وَ مَنْ تابَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتاباً (71) وَ الَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً (72) وَ الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَ عُمْياناً (73) وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً (74) أُولئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا وَ يُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَ سَلاماً (75)
خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً (76) قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً (77)
سبع آيات.
قرأ ابو عمرو و حمزة و الكسائى و خلف و ابو بكر إلا حفصاً «و ذريتنا» على

---

(1) تفسير الطبرى 19/ 28

التوحيد، الباقون على الجمع. و قرأ اهل الكوفة إلا حفصاً «و يلقون» بفتح الياء و سكون اللام و تخفيف القاف. الباقون بضم الياء و فتح اللام و تشديد القاف.
من وحد «الذرية» فلانه فى معنى الجمع لقوله «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ» «1» و من جمع فكما تجمع الأسماء الدالة على الجمع، نحو (قوم، و أقوام) و قد يعبر بذلک عن الواحد، كقوله «هَبْ لِي مِنْ لَدُنْکَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً» «2» و يعبر به عن الجمع كقوله «وَ لْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ» «3» و من جمع فللازدواج.
و من شدد «يلقون» فعلى أن المعنى يلقون التحية و السلام مرة بعد مرة لان التشديد للتكثير، و شاهده قوله «وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً» «4». و من خفف أراد يلقون هم تحية، كما قال «فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا»»
و قال بعضهم: لو كان بالتشديد لقال (و يتلقون) لأنهم يقولون تلقيته بالتحية، و (لقى) فعل متعد الى مفعول واحد فإذا ضعفت العين تعدى الى مفعولين، و قوله «تحية» المفعول الثانى.
يقول اللّه تعالى «وَ مَنْ تابَ» من معاصيه و اقلع عنها، و ندم عليها و أضاف الى ذلک الاعمال الصالحات «فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتاباً» أى يرجع اليه مرجعاً عظيماً جميلا، و فرق الرمانى بين التوبة الى اللّه، و التوبة من القبيح لقبحه، بان التوبة الى اللّه تقتضى طلب الثواب، و ليس كذلک التوبة من القبيح لقبحه.
ثم عاد تعالى الى وصف المؤمنين فقال «وَ الَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ» أى لا يحضرونه، و لا يكون بحيث يذكرونه بشىء من حواسهم الخمس: البصر، و

السمع،

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 3
(2) سورة 3 آل عمران آية 38 [.....]
(3) سورة 4 النساء آية 8
(4) سورة 76 الدهر (الإنسان) آية 11
(5) سورة 19 مريم آية 59

و الانف، و الفم، و البشرة. و من لا يشهد الزور، فهو الذى لا يشهد به و لا يحضره لأنه لو شهده لكان قد حضره، فهو أعم فى الفائدة من أن لا يشهد به. و (الزور) تمويه الباطل بما يوهم أنه حق. و قال مجاهد: الزور- هاهنا- الكذب. و قال الضحاک:

هو الشرک. و قال ابن سيرين: هو أعياد أهل الذمة كالشعانين و غيرها. و قيل:

هو الغناء، ذكره مجاهد، و اهل البيت (ع).

و قوله «وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً» معناه: مروا من جملة الكرماء الذين لا يرضون باللغو، لأنهم يجلون عن الاختلاط بأهله، و الدخول فيه، فهذه صفة الكرام. و قيل: مرورهم كراماً كمرورهم بمن يسبهم فيصفحون عنه، و كمرورهم بمن يستعين بهم على حق فيعينونه. و قيل:

هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنّوا عنه.

ذكره محمد بن على (ع)

و مجاهد. و اللغو الفعل الذى لا فائدة فيه. و ليس معناه أنه قبيح، لان فعل الساهى لغو، و هو ليس بحسن و لا قبيح- عند قوم- و لهذا يقال:

الكلمة التى لا تفيد لغو.

و قوله «وَ الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَ عُمْياناً» معناه انهم إذا ذكروا بأدلة اللّه تعالى التى نصبها لهم نظروا فيها، و فكروا فى مقتضاها. و لم يكونوا كالمشركين فى ترک التدبر لها حتى كأنهم صم و عميان عنها، ذكره الحسن.

و قيل معناه يخرون سجداً و بكياً سامعين للَّه مطيعين. قال الشاعر:

بايدى رجال لم يشيموا سيوفهم و لم تكثروا القتلى بها حين سلت «1»

أى بايدى رجال شاموا سيوفهم، و قد كثرت القتلى، و معنى شاموا أغمدوا ذكره الزجاج.

---

(1) اللسان (شيم) نسبه الى الفرزدق، و لم أجده فى ديوانه (طبع- دار صادر- دار بيروت)

ثم وصف المؤمنين بأنهم يدعون «يَقُولَونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ» و معناه بأن نراهم مطبعين للّه، فى قول الحسن. و «قُرَّةَ أَعْيُنٍ» يكون من القر، و هو بردها عند السرور، و يكون من استقرارها عنده.
و قوله «وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً» أى يسألون اللّه تعالى أن يجعلهم ممن يقتدى بأفعالهم الطاعات.
و فى قراءة اهل البيت (ع) و «اجعل لنا من المتقين إماما»
و إنما وحد (إماماً) لأنه مصدر، من قولهم: أم فلان فلاناً إماماً، كقولهم: قام قياماً و صام صياماً. و من جمعه فقال: (أئمة) فلانه قد كثر فى معنى الصفة. و قيل:
إنه يجوز أن يكون على الجواب، كقول القائل: من أميركم؟ فيقول: هؤلاء أميرنا قال الشاعر:
يا عاذلاتى لا تردن ملامتى إن العواذل ليس لى بأمير «1»
ثم اخبر تعالى عمن جمع هذه الأوصاف من المؤمنين بأن قال «أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا» على طاعاتهم التى ذكرها. و (الغرفة) فى الجنة المنازل العالية ثواباً على ما صبروا فى جنب اللّه، و على مشاق الدنيا و صعوبة التكليف، و غير ذلک و انهم «يُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَ سَلاماً» من الملائكة، بشارة لهم بعظيم الثواب.
و قوله «خالِدِينَ فِيها» نصب على الحال أى هم فى الجنة مؤبدين، لا يخرجون منها و لا يفنون. و أخبر أن الجنة مستقرهم. و انها «حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا» من مواضع القرار، و موضع الاقامة و نصب على التمييز.
ثم قال لنبيه (ص) «قل» يا محمد لهؤلاء «ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى» و معناه ما يصنع بكم ربى- فى قول مجاهد و ابن زيد- و أصله تهيئة الشىء، و منه عبأت الطيب أعبؤه عباء، إذا هيأته، قال الشاعر:

---

(1) تفسير الطبرى 19/ 32 و القرطبى 13/ 83

كأن بنحره و بمنكبيه عبيراً بات يعبؤه عروس «1»
أى تهيئه، و عبأت الجيش- بالتشديد، و التخفيف- إذا هيأته. و العبء الثقل. و ما أعبأ به أى لا أهىّء به امراً. و قال قوم: ما لا يعبأ به، فوجوده و عدمه سواء.
و قوله «لَوْ لا دُعاؤُكُمْ» قال مجاهد: معناه لولا دعاؤه إياكم الى طاعته، لم يكن فى فعلكم ما تطالبون به، و هو مصدر أضيف الى المفعول، كقولهم: اعجبنى بناء هذه الدار، و خياطة هذا الثوب. و قال الزجاج: معناه لولا توحيدكم و ايمانكم، و قال البلخى: معناه لولا كفركم و شرككم ما يعبأ بعذابكم، و حذفِ العذاب و أقام المضاف اليه مقامه.

ثم قال «فَقَدْ كَذَّبْتُمْ» يا معاشر الكفار بآيات اللّه، و جحدتم رسوله «فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً» عليكم، و يكون تأويله، فسوف يكون تكذيبكم (لزاماً) فلا تعطون الثواب عليه، و تكون العقوبة لزاماً تلزمكم على ذلک. و قال مجاهد: معناه القتل يوم بدر و يكون الخطاب متوجهاً الى الذين قتلوا يوم بدر. و قيل (اللزام) عذاب الآخرة، و قال ابو ذؤيب- فى اللزام:
ففاجأه بعادية لزاماً كما يتفجر الحوض اللقيف «2»
لزام: كثيرة يلزم بعضها بعضاً، و لقيف متساقط متهدم، و قال صخر الغى- فى اللزام:

---

(1) تفسير الطبرى 19/ 32 و القرطبى 13/ 84 و اللسان (عبأ)
(2) اللسان (لزم)

فاما ينجوا من حتف ارض فقد لقينا حتوفهما لزاماً «1»
أى انه واقع لا محالة. و قال الضحاک: هو لزوم الحجة لهم فى الآخرة. و قال ابو عبيدة: معناه فيصلا.
و قوله «أُوْلئِکَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ» قال الزجاج: الأحسن أن يكون خبراً ل (عباد الرحمن) «2» فيكون قوله «الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً» و ما بعده صفة له و يجوز أن يكون «الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً» خبر، و ما بعده عطف عليه «3» تم المجلد السابع من التبيان و يليه المجلد الثامن و أوله أول سورة الشعراء ربيع الاول سنة 1382 ه آب سنة 1962 م

---

(1) اللسان (لزم)
(2) آية 63 من هذه السورة
(3) هذه الثلاثة أسطر ملفقة من المخطوطة و المطبوعة

المجلد الثامن

سورة الشعراء ..... ص : 3

اشارة

قال قتادة هى مكية.و قيل أربع آيات منها مدنية من قوله «و الشعراء الى آخرها» و هى مائتان و سبع و عشرون آية فى الكوفى و المدنى الاول و ست فى البصرى و المدنى الآخر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
طسم (1) تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ (2) لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3)
ثلاث آيات فى الكوفى خاصة. و اثنتان فى الباقى. و لم يعد «طسم» آية إلا أهل الكوفة.
قرأ حمزة و الكسائى و خلف و يحيى و العليمى «طسم، و طس» بامالة الطاء فيهما. الباقون بالتفخيم، و أظهر- النون من هجاء سين عند الميم- حمزة و أبو جعفر إلا أن أبا جعفر يقطع الحروف. الباقون يخفونها قال أبوا على الفارسى:
تبيين النون من (طسم) على قراءة حمزة هو الوجه، لأن حروف الهجاء فى تقدير الانفصال و الانقطاع مما بعدها، و إذا ثبت ذلك وجب أن تبين النون

لأنها تخفى إذا اتصلت بحرف من حروف الفم، فإذا لم يتصل بها، لم يكن هناك ما يوجب إخفاؤها. و وجه إخفائها مع هذه الحروف أن همزة الوصل قد وصلت و لم تقطع، و همزة الوصل إنما تذهب فى الدرج فكما سقطت همزة الوصل، و هى لا تسقط إلا فى الدرج مع هذه الحروف فى (الف لام ميم) اللّه، كذلك لا تبين النون، و يقدر فيها الاتصال بما قبلها، و لا يقدر الانفصال.
قيل إنما عد (طسم) آية، و لم يعد (طس) لأن (طس) تشبه الاسم المنفرد، نحو (قابيل، و هابيل) و ليس كذلك (طسم). و وجه الشبه بالزنة أن أوله لا يشبه حروف الزيادة التى هى حروف المد و اللين، نحو (يس).
و ليس شىء على وزن المفرد يعد إلا (ياسين) لان الياء تشبه حروف الزيادة فقد رجع الى انه ليس على زنة المفرد. و قد بينا فيما مضى معانى هذه الحروف المقطعة فى أول سورة البقرة، فلا نطول باعادته. و قد بينا قول من قال. إنها اسماء السور. و قال قتادة و الضحاك: ان (طسم، و طس) اسم من اسماء القرآن.
و قوله «تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ» انما أشار ب (تلك) الى ما ليس بحاضر لأنه متوقع، فهو كالحاضر بحضور المعنى للنفس، و تقديره: تلك الآيات آيات الكتاب. و قيل: تلك الآيات التى وعدتم بها هى القرآن. و قيل: ان «تلك» بمعنى (هذا) و معنى (الكتاب) القرآن، و وصفه بأنه (المبين) لأن به تتبين الأحكام، لأن البيان اظهار المعنى للنفس بما يتميز به عن غيره، و هو مأخوذ من البينونة، و هى التفرقة بين الشىء و غيره. فالمبين الذى يبين الحق من الباطل.

و سمى أيضاَ فرقاناَ، لأنه يفرق بين الحق و الباطل.
و قوله «لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» قيل فيه قولا: الأول- قال ابن عباس و قتادة: معناه لعلک قاتل نفسک. و الثانى قال ابن زيد: مخرج التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 5
نفسک من جسدک. و البخع القتل، قال ذو الرمة:
الا أيهذا الباخع الوجد نفسه لشىء نحته عن يديه المقادر «1»
و قال ابن عباس معنى «أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» فيه أى فى القرآن و قال الفراء موضع (أن) نصب ب (باخع)، لان (أن) جزاء، كأنه قال: ان لم يكونوا مؤمنين فأنت قاتل نفسک، فلما كان ماضياً نصب (ان) كما تقول:
اتيک (أن) تأتينى، و لو لم يكن ماضياً لقلت: آتيک ان تأتنى، و لو كانت مجزومة مع كسر (ان) كان جائزاً، و مثله (لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ) «2» بالفتح و الكسر.

إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ (4) وَ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (5)
آيتان بلا خلاف.
لما بين اللّه تعالى حرص النبى (ص) على إيمان قومه، و اجتهاده بهم حتى كاد أن يقتل نفسه تأسفاً على تركهم الايمان، أخبره بأنه قادر على أن ينزل عليهم آية و دلالة من السماء تظل أعناقهم لها خاضعة بأن تلجئهم الى الايمان، لكن ذلک نقيض الغرض بالتكليف، لأنه تعالى لو فعل ذلک، لما استحقوا ثواباً و لا مدحاً، لأن الملجأ لا يستحق الثواب و المدح على فعله، لأنه بحكم المفعول فيه. و قيل: المراد بالأعناق الرؤساء. و قال قتادة: المعنى لا يلوى أحد منهم

---

(1) شرح ألفية بن مالک (المنادى) 224
(2) سورة 5 المائدة آية 3.

عنقه الى معصية. و قيل فى وجه جمع «خاضعين» بالياء و النون و هو صفة (الاعناق) و الاعناق لا تعقل، و هذا الجمع يختص بمن يعقل قيل فيه أربعة اقوال:
أحدها- فظل اصحاب الاعناق لها خاضعين، و حذف المضاف، و اقام المضاف اليه مقامه لدلالة الكلام عليه.
الثانى- أنه أراد بالأعناق الرؤساء و الجماعات، كما يقال جاءه عنق من الناس أى جماعة.
الثالث- ان يكون على الاقحام. قال ابو عبيدة، و المبرد «خاضعين» من صفة الهاء و الميم، فى قوله «أعناقهم» كما قال جرير:
أرى مرّ السنين أخذن منى كما أخذ السرار من الهلال «1»
فعلى هذا يكون ترک الاعناق و أخبر عن الهاء و الميم، و تقديره فظلوا خاضعين لها و الاعناق مقحمة.
الرابع- أنها ذكرت بصفة من يعقل لما نسب اليها ما يكون من العقلاء كما قال الشاعر:
تمززتها و الديک يدعو صياحه إذا ما بنوا نعش دنوا فتصوّبوا «2»
و يروى نادى صباحه. ثم اخبر تعالى عن هؤلاء الكفار الذين تأسف النبى (ص) على عدولهم عن ايمانهم انه ليس يأتيهم ذكر من الرحمن يعنى القرآن، كما قال تعالى «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» «3» و قال

---

(1) ديوانه «دار بيروت» 341
(2) قائله النابغة الجعدى. اللسان (نعش) [.....]
(3) سورة 15 الحجر آية 9.

«إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ» «1» و وصفه بأنه محدث، و لذلک جره، لأنه صفة ل (ذكر). و قوله «إِلَّا كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ» أى يتولون عنه و لا ينظرون فيه.
قال الفراء: انما قال «فظلت» و لم يقل «فتظل» لأنه يجوز أن يعطف على مجزوم الجزاء ب (فعل) لان الجزاء يصلح فى موضع (فعل، يفعل) و فى موضع (يفعل، فعل) لأنک تقول: إن زرتنى زرتک و إن تزرنى أزرک، و المعنى واحد

فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبؤُا ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (6) أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (7) إِنَّ فِى ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)
أربع آيات بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأنهم كذبوا بآيات اللَّه و جحدوا رسوله و أنه سيأتيهم فيما بعد، يعنى يوم القيامة «أَنْبؤُا ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» و إنما خص المكذب بإتيان الأنباء، مع أنها تأتى المصدق و المكذب، من حيث أن المكذب يعلم بها بعد أن كان جاهلا، و المصدق كان عالماً بها، فلذلک حسن وعيد المكذب بها، لان حاله يتغير الى الحسرة و الندم. و الاستهزاء السخرية، و هو طلب اللهو بما عند الطالب صغير القدر.
ثم قال «أَ وَ لَمْ يَرَوْا» هؤلاء الكفار «إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ» من أنواع النبات، فيستدلوا على توحيده، بأن يعلموا أن ذلک

---

(1) سورة 36 يس آية 69.

لا يقدر عليه غيره، و لا يتأتى من سواه، ممن هو قادر بقدرة. لأنه لو تأتى من غيره لتأتى منا لأنا قادرون أيضاً بقدرة، فلما استحال منا علمنا استحالة ذلک ممن يجرى مجرانا، فإذاً الفاعل لذلک مخالف لنا، و انه قادر لنفسه.
ثم اخبر تعالى ان فيما ذكره من إنبات النبات من كل زوج كريم، لدلالة لمن يستدل بها، و من يتمكن من ذلک، و إن اكثر الكفار لا يصدقون بذلک، و لا يعترفون به عناداً و تقليداً لاسلافهم، و حباً للراحة، و هرباً من مشقة التكليف و معنى «كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ» يعنى مما يأكل الناس و الانعام، فى قول مجاهد. و قيل:
من الشىء و مشاكله فى الانتفاع به. و قيل: من كل زوج كريم من انواع تكرم عند أهلها. و قيل: من كل نوع معه قرينه من أبيض و أحمر و أصفر. و حلو و حامض، و روائح و غير ذلک مختلفة. ثم قال «وَ إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «لَهُوَ الْعَزِيزُ» الغنى القادر الذى لا يعجز و لا يغلب «الرَّحِيمُ» أى المنعم على عباده بأنواع النعم التى ذكرها.

وَ إِذْ نادى رَبُّکَ مُوسى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لا يَتَّقُونَ (11) قالَ رَبِّ إِنِّی أَخافُ أَنْ يُکَذِّبُونِ (12) وَ يَضِيقُ صَدْرِی وَ لا يَنْطَلِقُ لِسانِی فَأَرْسِلْ إِلى هارُونَ (13) وَ لَهُمْ عَلَیَّ ذَنْبٌ فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (14)
خمس آيات بلا خلاف.
قرأ «وَ يَضِيقُ صَدْرِی، وَ لا يَنْطَلِقُ لِسانِی» بالنصب يعقوب، عطفاً على «أَنْ يُکَذِّبُونِ» الباقون- بالرفع- عطفاً على (أخاف) و يجوز أن يكون على التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 9
الاستئناف. و المعنى: و انى يضيق صدرى.
يقول اللّه تعالى لنبيه محمد (ص) و اذكر يا محمد الوقت الذى نادى فيه ربک- الذى خلقک- موسى، و معناه قال له: يا موسى، بأن ائت القوم الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصى. ثم بين: من القوم الموصوفون بهذه الصفة؟
بان قال (قَوْمَ فِرْعَوْنَ) و هو عطف بيان (ألا يتقون) و إنما قال بالياء، لأنه على الحكاية. و تقديره: فقل لهم: ألا تتقون، و مثله (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ) «1» بالياء و التاء. و لو قرى بالتاء كان جائزاً، و التقوى مجانبة القبائح بفعل المحاسن: اتقى اللّه يتقيه اتقاء أى اتقى عقابه بطاعته بدلا من معصيته، و أصله صرف الأمر بحاجز بين الصارف و بينه.
ثم حكى ما قال موسى و جوابه، فانه قال يا (رَبِّ إِنِّی أَخافُ أَنْ يُکَذِّبُونِ) و لا يقبلون منى. و الخوف انزعاج النفس بتوقع الضرر، و نقيضه الامن و هو سكون النفس الى خلوص النفع، و نظير الخوف الفزع و الذعر و الجزع.
و التكذيب تصيير المخبر كاذباً باضافة الكذب اليه، كذبه تكذيباً و أكذبه إكذاباً و الكذب نقيض الصدق، و الكذب كله قبيح، و التكذيب على وجهين: فتكذيب الصادق قبيح، و تكذيب الكاذب حسن.
و قوله «وَ يَضِيقُ صَدْرِی وَ لا يَنْطَلِقُ لِسانِی» حكاية أيضاً عما قال موسى، و ضيق الصدر غم يمنع من سلوک المعانى فى النفس، لأنه يمنع منه كما يمنع ضيق الطريق من السلوک فيه. و قوله «وَ لا يَنْطَلِقُ لِسانِی» أى لا ينبعث بالكلام

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 12.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 10
و قد يتعذر ذلک لآفة فى اللسان، و قد يتعذر لضيق الصدر، و غروب المعانى التى تطلب الكلام. و قوله «فَأَرْسِلْ إِلى هارُونَ» يعنى لمعاونتى، كما يقال: إذا نزلت بنا نازلة أرسلنا اليک أى لتعيننا. و قيل: انما طلب

المعاونة حرصاً على القيام بالطاعة. «وَ لا يَنْطَلِقُ لِسانِی» للعقدة التی كانت فيه. قال الجبائی: لم يسأل موسى ذلک إلا بعد أن أذن اللّه تعالى له فی ذلک، لان الأنبياء لا يسألون اللّه إلا ما يؤذن لهم فی مسألته.
و قوله «وَ لَهُمْ عَلَیَّ ذَنْبٌ» يعنى قتل القبطى الذى قتله موسى حين استصرخ به واحد من أصحابه من بنى إسرائيل- ذكره مجاهد و قتادة- و قوله «فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» بدل ذلک المقتول.

قالَ كَلاَّ فَاذْهَبا بِآياتِنا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15) فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ (17) قالَ أَ لَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً وَ لَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ (19)
قالَ فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20)
ست آيات.
هذا خطاب من اللَّه تعالى جواباً لموسى عما حكاه عنه (قال كلّا) لا يقتلونک (فاذهبا) و معنى (كلا) زجر أى لا يكون ذلک، و لا يقتلونک (فاذهبا) أمر لموسى و هارون على ما اقترحه موسى فأجيب اليه (فَاذْهَبا بِآياتِنا) أى
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 11
بأدلتنا و معجزاتنا التى خصكما اللّه بها، و (إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ) أى نحن نحفظكم و نحن سامعون ما يجرى بينكم، فهو (مستمع) فى موضع (سامع) لأن الاستماع طلب السمع بالاصغاء اليه، و ذلک لا يجوز عليه تعالى، و انما قال بهذا اللفظ، لأنه أبلغ فى الصفة، و أشد فى التعظيم- و اللّه تعالى سامع بما يغنى عن مذكر مستمع- لينبئ عن هذا المعنى، و وصفه بسامع يغنى عن سماع الجماعة التى يقع سماعهم معاونة و إنما قال (مستمعون) بلفظ الجمع بناء على قوله (إنا) و أمرهما بأن يأتيا فرعون و أن يقولا لهِ نَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ)
أرسلنا اللّه اليک لندعوک الى عبادته، و ترک الاشراک به، و انما قال (رسول) على التوحيد، و هو للاثنين، لأن المعنى ان كل واحد منا رسول رب العالمين، و قد يكون الرسول فى معنى الجمع قال الهذلى:
الكنى اليها و خير الرسو ل أعلمهم بنواحى الخبر «1»
أى و خير الرسل. و قيل: إنه فى موضع رسالة، فكما يقع المصدر موقع الصفة كذلک تقع الصفة موقع المصدر. و الإرسال جعل الشىء ماضياً فى الامر، و مثله الإطلاق و البعث، و انشد فى ذلک:
لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر و لا أرسلتهم برسول «2»
أى برسالة، و قال الآخر:
ألا من مبلغ عنى خفافا رسولا بيت أهلک منتهاها «3»
فانثه تأنيث الرسالة. و قوله «أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ» أى أمرک اللَّه بأن تطلق صراح بنى إسرائيل ليجيئوا معنا، و فى الكلام حذف و تقديره: إنهما مضيا الى فرعون، و قالا له ما أمرهم اللَّه به

---

(1) تفسير القرطبى 13/ 93

(2) مر هذا البيت فى 1/ 368
(3) قائله عباس بن مرداس تفسير الطبرى 19/ 38 و القرطبى 13/ 94.

فقال فرعون لموسى «أَ لَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً» فالتربية تنشئة الشىء حالا بعد حال: رباه يربيه، و مثله نماه ينميه نماه. و قوله «وليداً» أى حين كنت طفلا صغيراً «وَ لَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ» أى أقمت سنين كثيرة عندنا، و مكثت.
و فى (عمر) ثلاث لغات- ضم الميم و إسكانها مع ضم العين، و فتح العين و سكون الميم. و منه قوله «لعمرک» «1»، و عمر الإنسان بالفتح لا غير، و فى القسم أيضاً بالفتح لا غير.
و قوله «وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَکَ الَّتِى فَعَلْتَ» يعنى قتلک القبطى. و قرأ الشعبى «فعلتک» بكسر الفاء مثل الجلسة و الركبة، و هو شاذ لا يقرأ به. و قوله «وَ أَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال بن زيد أنت من الجاحدين لنعمتنا.
الثانى- قال السدى أراد كنت على ديننا هذا الذى تعيبه كافراً باللَّه.
و قال الحسن: و أنت من الكافرين أى فى أنى إلهک. و قيل: من الكافرين لحق تربيتى، فقال له موسى (ع) فى الجواب عن ذلک «فعلتها» يعنى قتل القبطى «وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ» قال قوم: يعنى من الضالين أى من الجاهلين بأنها تبلغ القتل. و قال الجبائى «وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ» عن العلم بان ذلک يؤدى الى قتله.
و قال قوم: معناه «وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ» عن طريق الصواب، لأنى ما تعمدته. و انما وقع منى خطأ، كما يرمى انسان طائراً فيصيب إنساناً.

فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِی رَبِّی حُکْماً وَ جَعَلَنِی مِنَ الْمُرْسَلِینَ (21) وَ تِلْکَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَیَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِی إِسْرائِیلَ (22) قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ الْعالَمِینَ (23) قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُمَا إِنْ کُنْتُمْ مُوقِنِینَ (24) قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَ لا تَسْتَمِعُونَ (25)

---

(1) سورة 15 الحجر آية 72.

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى حاكياً عن موسى أنه قال لفرعون: إنى فررت منكم لما خفتكم، فالفرار الذهاب على وجه التحرز من الإدراک، و مثله الهرب: فرَ يفر فراراً، و منه يفتر أى يضحک، لأنه يباعد بين شفتيه مباعدة الفرار.

و قوله «فَوَهَبَ لِی رَبِّی حُکْماً» فالهبة الصلة بالنائل. وهب له يهب هبة فهو واهب، و استوهبه كذا إذا سأله هبته، و تواهبوا ما بينهم إذا أسقطوها عنهم على جهة الهبة. و الحكم العلم بما تدعو اليه الحكمة، و هو الذى وهبه اللّه تعالى لموسى من التوراة. و العلم بالحلال و الحرام و سائر الأحكام. و الخبر عما يدعو اليه الحكم ايضاً يسمى حكما. و الحكم- هاهنا- أراد به النبوة- فى قول جماعة من المفسرين- و قوله «وَ جَعَلَنِی مِنَ الْمُرْسَلِینَ» أى جعلنى اللّه نبياً من جملة الأنبياء.

و قوله «وَ تِلْکَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَیَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِی إِسْرائِیلَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان اتخاذک بنى إسرائيل عبيداً قد أحبط ذلک، و إن كانت نعمة علىّ.

الثانى- إنک لما ظلمت بنى إسرائيل. و لم تظلمنى عددتها نعمة علىّ؟!

و قيل قول ثالث- انه لا يوثق بأنها نعمة منک مع ظلمک بنى إسرائيل فى تعبيدهم، و فى كل ذلک دلالة و حجة عليه، و تقريع له.

و يجوز فى (أن) النصب بمعنى لتعبيدک بنى إسرائيل، و الرفع بالرد على النعمة أى على تعبيدک بنى إسرائيل. و التعبيد اتخاذ الإنسان أو غيره عبداً تقول عبدته و أعبدته بمعنى واحد، قال الشاعر:

علام يعبد فى قومى و قد كثرت فيهم أباعر ما شاءوا و عبدان «1»

و قال الجبائى بين أنه ليس لفرعون عليه نعمة، لان الذى تولى تربيته أمه و غيرها من بنى إسرائيل بأمر فرعون لما استعبدهم. و قال الحسن: أراد أخذت أموال بنى إسرائيل، و اتخذتهم عبيداً فأنفقت علىّ من أموالهم.

فأراد أن لا يسوّغه ما امتن به عليه. و قال قوم: أراد أو تلک نعمة؟! مستفهماً و اسقط حرف الاستفهام.
و قوله تعالى (قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ) حكاية من اللَّه أن فرعون قال لموسى أى شىء رب العالمين الذى تدعونى الى عبادته، لان هذا القول من فرعون يدل على ان موسى كان دعاه الى طاعة اللَّه و عبادته. و قيل: ان فرعون عجب من حوله من جواب موسى، لأنه طلب منه أى أجناس الأجسام هو؟ جهلا منه بما ينبغى أن يسأل عنه، فقال موسى فى جوابه «رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا» أى رب العالمين هو الذى اخترع السموات و الأرض و خلقهما، و خلق ما بينهما من الحيوان و الجماد و النبات «إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ» بذلک مصدقين به فقال فرعون- عند ذلک- لمن حوله من أصحابه «أَ لا تَسْتَمِعُونَ» أى ألا تصغون اليه، و تفهمون ما يقول معجباً لهم من قوله، حين عجز عن محاورته و مجاوبته

---

(1) تفسير القرطبى 13/ 96 و الطبرى 19/ 43.

قالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28) قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهاً غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُبِينٍ (30)

خمس آيات بلا خلاف.

قال لما قال فرعون لمن حوله «أَ لا تَسْتَمِعُونَ» الى قول موسى فانه يقول ربه رب العالمين الذى خلق السموات و الأرض و ما بينهما! معجباً لهم من قوله، قال موسى «ربكم» الذى خلقكم و يملك تدبيركم و خلق آباءكم الأولين، و ملك تدبيرهم، و تدبير جميع الخلق. و الاول الكائن قبل غيره و الآخر الكائن بعد غيره، و الكائن على صفة أول فى كونه على تلك الصفة، نحو الاول فى دخول الدار، فقال فرعون- عند ذلك حين لم يجد جواباً لكلام موسى- لقومه «إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ» يموه عليهم، انى اسأله عن ماهية رب العالمين فيجيبنى عن غير ذلك، كما يفعل المجنون. و الجنون داء يعترى النفس يغطى على العقل، و أصله الستر من قولهم: جنه الليل و أجنه إذا ستره بظلمته و الجنة البستان الذى يجنه الشجر، فقال موسى عند ذلك ان الذى ذكرته انه «رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» ... «هو رب المشرق و المغرب» فالمشرق الموضع الذى تطلع منه الشمس، و المغرب الموضع الذى تغرب فيه الشمس يقال: التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 16

شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت، و أشرقت إشراقاً إذا أضاءت وصفت.

«وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» ذلك و تتدبرونه، فلما طال على فرعون الاحتجاج من موسى تهدده «قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهاً غَيْرِى» يعنى معبوداً سواى «لَأَجْعَلَنَّكَ» من المسجونين أى محبوساً من جملة المحبسين، فقال له موسى «أَ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُبِينٍ» يعنى بمعجزة تدل على صحة ما ادعيته تبيننى من غيرى و المعنى ان جئتك بشىء يدل على صدقى تحبسنى؟!

قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31) فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ (32) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33) قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَما ذا تَأْمُرُونَ (35)
قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38) وَ قِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (39) لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كانُوا هُمُ الْغالِبِينَ (40)
عشر آيات بلا خلاف.
لما قال موسى لفرعون «أَ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ قالَ» فرعون «فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» أى هات ما أدعيته من المعجزة إن كنت صادقاً
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 17
«فَأَلْقى عَصاهُ» حينئذ موسى «فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ» و هى الحية العظيمة، و منه المثعب و هو المجرى الواسع، و انثعب الماء انثعاباً إذا جرى باتساع، و منه الثعبان لأنه يجرى باتساع لعظمه. و فى قلب العصاحية دلالتان:
إحداهما- دلالة على اللّه تعالى، لأنه مما لا يقدر عليه إلا هو، و ليس مما يلتبس بإيجاب الطبائع، لأنه اختراع، للانقلاب فى الحال.
و الثانى- دلالة على النبوة بموافقته الدعوة مع رجوعها الى حالتها الاولى لما قبض عليها. و قيل: الثعبان الحية الذكر، و وصفه تعالى العصا- هاهنا- بأنها صارت مثل الثعبان، لا ينافى قوله «كَأَنَّها جَانٌّ» من وجوه:
أحدها- انه تعالى لم يقل، فإذا هى جان، كما وصفها بأنها ثعبان، و انما شبهها بالجان، و لا يجوز أن تكون مثله على كل حال.
و الثانى- انه وصفها بالثعبان فى عظمها، و بالجان فى سرعة حركتها، فكأنها مع كبرها فى صفة الجان لسرعة الحركة، و ذلك أبلغ فى الاعجاز.
و ثالثها- انه أراد أنها صارت مثل الجان فى أول حالها، ثم تدرجت الى ان صارت مثل الثعبان، و ذلك أيضاً أبلغ فى باب الاعجاز.
و رابعها- ان الحالين مختلفان، لأن إحداهما كانت حين ألقى موسى فصارت العصا كالثعبان، و الحالة الأخرى حين أوحى اللّه اليه و ناداه من الشجرة.
و معنى (مبين) قال ابن عباس: انه ثعبان لا شبهة فيه. و قيل: معناه مبين وجه الحجة به. و
روى أنها غرزت ذنبها فى الأرض و رفعت رأسها نحو الميل الى السماء، ثم انحطت فجعلت رأس فرعون بين نابيها، و جعلت تقول: مرنى بما شئت،
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 18
فناداه فرعون أسألك بالذى أرسلك لما أخذتها، فأخذها، فعادت عصاً

، كما كانت- ذكره ابن عباس، و المنهال-.
و قوله «وَ نَزَعَ يَدَهُ» أى أخرجها من جيبه أو من كمه على ما روى.
و يجوز أن يكون المراد حسر عن ذراعه. و المعنى أنه نزعها عن اللباس التى كان عليها. و النزع إخراج الشىء مما كان متصلا به، و ملابساً له.
و قوله «فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ» يعنى بياضاً نورياً كالشمس فى إشراقها (للناظرين) اليها من غير برص، فقال فرعون عند ذلک لأشراف قومه الذين حوله (إن هذا) يعنى موسى (لَساحِرٌ عَلِيمٌ) أى عالم بالسحر و الحيل (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ) قيل معناه يريد أن يخرج عبيدكم بنى إسرائيل قهراً. و يحتمل أن يكون أراد يخرجكم من دياركم و يتغلب عليكم (فَما ذا تَأْمُرُونَ) فى تأديبه، و انما شاور قومه فى ذلک مع أنه كان يقول لهم: انه إله، لأنه يجوز أن يكون ذهب عليه و على قومه أن الاله لا يجوز أن يشاور غيره، كما ذهب عليهم أن الاله لا يكون جسماً محتاجاً، فاعتقدوا إلهيته لما دعاهم اليها مع ظهور حاجته التى لا اشكال فيها، فقال لفرعون اشراف قومه الذين استشارهم «أَرْجِهْ وَ أَخاهُ» أى أخرّهما، فالارجاء التأخير، تقول: ارجأت الأمر ارجئه إرجاء، و هم المرجئة، لأنهم قالوا بتأخير حكم الفساق فى لزوم العقاب. و قيل:
انما أشاروا بتأخيره و لم يشيروا بقتله، لأنهم رأوا أن الناس يفتتنون به ان قتل، و إن السحرة إذا قاومته زال ذلک الافتتان، و كان له حينئذ عذر فى قتله أو حبسه بحسب ما يراه.
و قوله (وَ ابْعَثْ فِى الْمَدائِنِ حاشِرِينَ) أى أرسل حاشرين يحشرون الناس من جميع البلدان. فالحشر السوق من جهات مختلفه الى مكان واحد،

حشره يحشره حشراً، فهو حاشر و الشىء محشور، و انحشر الناس إلى مكان إذا اجتمعوا اليه. و السحر لطف الحيلة حتى يتوهم المموه عليه أنه حقيقة. و قوله (يَأْتُوكَ) أى يجيئوک (بكل سحار) مبالغة فيمن يعمل بالسحر (عليم) أى عالم بالسحر، و فى الكلام حذف، لان تقديره إنه انفذ الحاشرين فى المدائن و انهم حشروهم (فَجُمِعَ السَّحَرَةُ) على ما قالوه (لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) لوقت يوم بعينه اختاروه و عينوه (وَ قِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ) ان غلبوا موسى، فالغلبة الاستعلاء بالقوة: غلبه يغلبه غلبة إذا قهره، و تغلب تغلباً و غالبه مغالبة و تغالباً تغالباً، و قد يوصف المستعلى على غيره بالحجة بأنه غلبه.

فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَ إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ (41) قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42) قالَ لَهُمْ مُوسى أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ (43) فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَ عِصِيَّهُمْ وَ قالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ (44) فَأَلْقى مُوسى عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ (45)
آيات بلا خلاف.
قرأ حفص «تلقف» بتخفيف القاف، الباقون- بتشديدها- إلا أن البزى و ابن فليح و قنبل شددوا التاء. قال ابو على: من خفف القاف، فهو الوجه، لأن من شددها يريد تتلقف، فأدغم، و انما أدغم، لأنه يلزمه إذا ابتدأ التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 20
على هذه القراءة أن يجتلب همزة الوصل، و همزة الوصل لا تدخل على الافعال المضارعة، كما لا تدخل على اسماء الفاعلين.
حكى اللَّه تعالى أن السحرة لما حشروهم الى فرعون و حضروا بين يديه قالوا له «أَ إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ» اى هل لنا أجر جزاء على غلبنا إياه ان غلبناه. و من قرأ على الخبر «إن لنا» أراد انهم لتيقنهم بالأجر أخبروا بذلك. و الاول أقوى لقوله «قال نعم» و ذلك جواب الاستفهام. و الأجر الجزاء على العمل بالخير. و الجزاء على الشر يسمى عقاباً، و لذلك إذا دعى لإنسان قيل: آجرك اللَّه. و المعنى أئن لنا لأجراً عند الملك؟ و الغالب الذى يعلو على غيره الذى يمنع فى نفسه بما يصير اليه فى قبضة، فاللَّه غالب كل شىء بمعنى أنه عال عليه لدخوله فى مقدوره، لا يمكنه الخروج منه، فقال لهم فرعون فى جواب ذلك: «نعم» لكم على ذلك الأجر الجزيل «و انكم» مع ما تعطون من الجزاء «إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ». و المقرب المدنى من مجلس الكرامة، و اختصاصه بها.
ثم حكى ما قال موسى للسحرة، فانه قال لهم «أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ» و هذا بصورة الأمر و المراد به التحدى، و المعنى اطرحوا ما أنتم ملقوه «فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَ عِصِيَّهُمْ» أى طرحت السحرة ما كان معهم من السحر من الحبال و العصى التى سحروها و موهوا بأنها تسعى و تتحرك. و قيل: انهم جعلوا فيها زيبقاً، و طرحوها فى الشمس، فلما حميت بالشمس تحرك الزيبق، لأنه إذا حمى من شأنه أن يصعد فتحركت لذلك الحبال و العصى، فظن الناظرون أنها تتحرك. و قالوا حين طرحوا ما معهم «بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ» و العزة القوة التى يمتنع بها من لحاق الضيم بعلو منزلتها، و هذا القول قسم منهم و إن كان غير مبرور «إِنَّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ» لموسى فيما أتى به «فالقى» عند ذلك «مُوسى عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ» التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 21

أی تناولت العصا ما موّهوا به فی ادنی مدة من الزمان، و التلقف تناول الشیء بالفم بسرعة، تقول: تلقف تلقفاً و التقف التقافاً و استلقف استلقافاً. و معنی (ما یأفکون) ما یوهمون الانقلاب زوراً و بهتاناً. و قیل کان عدد السحرة اثنی عشر ألفاً و کلهم أقرّ بالحق عند آیة موسی.

فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ (46) قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ (48) قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49) قالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ (50)
إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51)
ست آيات.
قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً و روح «أ أمنتم» بهمزتين مخففتين على الاستفهام. و روى حفص و ورش و رويس بهمزة واحدة على الخبر. الباقون بهمزتين الأولى مخففة و الثانية ملينة. و لم يفصل أحد بين الهمزتين بألف. و قد بينا نظائره فيما تقدم فى الاعراف.
حكى اللّه تعالى أن السحرة لما بهرهم ما أظهره موسى (ع) من قلب العصاحية و تلقفها جميع ما اتعبوا نفوسهم فيه علموا أن ذلک من فعل اللّه، و أن احداً من البشر لا يقدر عليه فآمنوا عند ذلک، و أذعنوا للحق و خروا ساجدين للّه شكراً على ما أنعم به عليهم و وفقهم للايمان، و أنهم قالوا عند ذلک «آمنا» و صدقنا «بِرَبِّ الْعالَمِينَ» الذى خلق الخلق كلهم، الذى هو «رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ» و إنما التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 22
خص رب موسى و هارون بالذكر دون غيرهما، و ان كان رب كل شىء، للبيان عن المعنى الذى دعا الى ربوبيته موسى و هارون، لأن الجهال كانوا يعتقدون ربوبية فرعون، فكان إخلاصهم على خلاف ما يقوله الأغبياء، و المعنى الذى ألقاهم ساجدين قيل فيه قولان:
أحدهما- إن الحق الذى عرفوه ألقاهم ساجدين.
الثانى- انهم ألقوا نفوسهم ساجدين لما عرفوا من صحة الدعاء الى الدين.
فقال عند ذلک فرعون مهدداً لهم «أ أمنتم له» أى صدقتم له فيما يدعو اليه منكراً عليهم «قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ» فى تصديقكم. ثم قال «إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ» أى أستاذكم و عالمكم «الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» فيما بعد ما افعله بكم جزاء على تصديقكم إياه، و دخلت اللام فى الكلام تأكيداً، ثم فسر ذلک، فقال «لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ» يعنى قطع اليد من جانب، و الرجل من الجانب الآخر كقطع الرجل اليسرى و اليد اليمنى «و لأصلبنكم» مع ذلک «أجمعين» على الجذوع، و لا أترک واحداً منكم، لا تتناله عقوبتى، فقالوا له فى الجواب عن ذلک «لا ضير» أى لا ضرر علينا بما تفعله يقال: ضره يضره ضراراً، و ضاره يضير ضيراً، و ضاره يضوره ضوراً لغة قليلة. و قوله «إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ» أى مصيرنا إلى ثواب اللّه لا يضرنا ما تفعله بنا. و قال الجبائى: فى الآية دلالة على ان للإنسان أن يظهر الحق و

إن خاف القتل. و قال الحسن: لم يصل فرعون إلى قتل أحد منهم و لا قطعه. و قال قوم: أول من قطع الايدى و الأرجل فرعون.

وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (52) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (53) إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَ إِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ (55) وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ (56)
فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (57) وَ كُنُوزٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ (58) كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ (59) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (60)
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 23
عشر آيات بلا خلاف.
قرأ اهل الكوفة و ابن عامر إلا الحلوانى «حاذرون» بألف، الباقون بغير ألف. من قرأ بالألف قال: هو مثل شرب، فهو شارب، و حذر فهو حاذر. و قيل: رجل حاذر فيما يستقبل، و ليس حاذراً فى الوقت، فإذا كان الحذر له لازماً قيل رجل حذر مثل سؤل و سائل، و طمع و طامع، و كان يجوز ضم الذال لأنهم يقولون: حذر و حذر- بكسر الذال و ضمها- مثل يقظ و يقظ و فطن و فطن.
و قرأ عبد اللّه بن السائب «حادرون» بالدال- المهملة- بمعنى نحن أقوياء غلاظ الأجسام، يقولون: رجل حادر أى سمين، و عين حدرة بدرة إذا كانت واسعة عظيمة المقلة، قال امرؤ القيس:
و عين لها حدرة بدرة شقت مآقيهما من أخر «1»
و قيل الفرق بين الحاذر و الحذر أن الحاذر الفاعل للحذر، أن يناله مكروه و الحذر

---

(1) ديوانه 99 و تفسير القرطبى 13/ 104.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 24
المطبوع على الحذر و قيل. «حاذِرُونَ» مؤدون فى السلاح أى ذووا أداة من السلاح المستعدون للحروب من عدو، و الحذر اجتناب الشىء خوفاً منه، حذر حذراً، فهو حاذر و حذره تحذيراً، و تحذر تحذراً و حاذره محاذرة و حذاراً.
اخبر اللّه تعالى عن السحرة انهم حين آمنوا و قالوا لفرعون: لا ضرر علينا بما تفعل بنا، لأنا منقلبنا الى اللّه و ثوابه، قالوا «إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا» أى ما فعلنا من السحر و غيره، لأنا كنا أول من صدق بموسى و أقر بنبوته، و بما دعا اليه من توحيد اللّه و نفى التشبيه عنه ممن كان يعمل بالسحر.
و قيل: انهم أول من آمن عند تلك الآية. و من قال: هم أول من آمن من قومه فقد غلط، لأن بنى إسرائيل كانوا آمنوا به. و لو كسرت الهمزة من

(إن) على الشرط كان جائزاً. و الطمع طلب النفس للخير الذى يقدر فيها انه يكون.
و مثله الأمل و الرجاء و الخطايا جمع خطيئة، و هى الزوال عن الاستقامة المؤدية الى الثواب.
ثم حكى تعالى انه أوحى الى موسى، و أمره بأن يسرى بعباد اللَّه الذين آمنوا به، و يخرجوا من بلد فرعون، و هم بنو إسرائيل المقرون بنبوته، يقال سرى و أسرى لغتان، فمن قطع الهمزة قال: هو من اسرى يسرى، و من وصلها فمن سرى يسرى، و أعلمهم أن فرعون و جنوده يتبعونهم، و يخرجون فى طلبهم و تبع و اتبع لغتان.
ثم حكى ايضاً ان فرعون أرسل برسله فى المدائن حاشرين يحشرون الناس اليه الذين هم جنوده، و قيل: انه حشر جنده من المدائن التى حوله ليقبضوا على موسى و قومه، لما ساروا بأمر اللَّه (عز و جل) فلما حضروا عنده، قال لهم «إِنَّ هؤُلاءِ» يعنى أصحاب موسى «لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ» و
الشرذمة العصبة التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 25
الباقية من عصب كثيرة، و شرذمة كل شىء بقيته القليلة، و منه قول الراجز:
جاء الشتاء و قميصى اخلاق شراذم يضحک منه التواق «1»
و قال عبد اللَّه بن مسعود: الشرذمة الذين قللهم فرعون من بنى إسرائيل كانوا ستمائة ألف و سبعين ألفاً، و انما استقلهم، لأنه كان على مقدمته سبعة آلاف الف على ما قال بعض المفسرين. ثم قال «و انهم» مع قلتهم «لَنا لَغائِظُونَ» أى يغيظوننا بمخالفتهم إيانا، و يقال: جمع قليل و قليلون، كما يقال حى واحد، و واحدون.
ثم اخبر تعالى عن فرعون أنه قال لجنده «إِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ» منهم قد استعددنا لقتالهم.
ثم اخبر تعالى عن كيفية إهلاكهم بأن قال «فَأَخْرَجْناهُمْ» يعنى فرعون و قومه «مِنْ جَنَّاتٍ» و هى البساتين التى تجنها الأشجار «وَ عُيُونٍ» جارية فيها «وَ كُنُوزٍ» يعنى اموال لهم مخبئة بعضها على بعض فى مواضع غامضة من الأرض و منه كناز التمر و غيره مما يعبأ بعضه على بعض «وَ مَقامٍ كَرِيمٍ» فالمقام الموضع الذى يقيمون فيه. و يجوز أن يكون مصدراً و «الكريم» هو الحقيق بإعطاء الخير الجزيل، لأنه اهل للكرم، و هى صفة تعظيم فى المدح: كرم كرماً و أكرمه إكراماً، و تكرّم تكرماً. و قيل: المقام الكريم المنابر. و قيل مجالس الامراء و الرؤساء: التى كان يحف بها الاتباع.
ثم قال تعالى «كَذلِکَ» أى مثل ذلک أى كما وصفنا لک اخبارهم «وَ أَوْرَثْناها بَنِى إِسْرائِيلَ» أى نعم آل فرعون بأن أهلكنا آل فرعون و ملكنا ديارهم و املاكهم

(1) مر تخريجه فى 6/ 328.

لبنى إسرائيل. و الإرث تركة الماضى ممن هلک لمن بقى. و قيل صار ذلک فى ايدى بنى إسرائيل فى ايام داود و غيره. و قال الحسن: رجع بنو إسرائيل الى مصر بعد إهلاک فرعون و قومه.
و قوله «فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ» معناه تبعوا أثرهم وقت اشراق الشمس و ظهور ضوئها و صفائه. و قيل معناه مصبحين، و يقال: اتبع فلان فلاناً و تبعه إذا اقتفى اثره- لغتان-

فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِى رَبِّى سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَ أَزْلَفْنا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64) وَ أَنْجَيْنا مُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65)
ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) إِنَّ فِى ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (68) وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ (69) إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ (70)
عشر آيات بلا خلاف.
قرأ حفص «معى ربى» بفتح الياء، و كذلک فى جميع القرآن. الباقون بسكونها، فمن سكن ذهب الى التخفيف، و من فتح فعلى أصل الكلمة لان الاسم على حرف واحد، فقراءته- بالفتح- ان كان متصلا بكلمة على حرفين.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 27
و كان اصحاب موسى فزعوا من فرعون أن يلحقهم و حذروا موسى، فقالوا «إِنَّا لَمُدْرَكُونَ» فقال لهم موسى (ع)- ثقة باللّه- «كلا» ليس كما تقولون «إِنَّ مَعِى رَبِّى سَيَهْدِينِ» و قرأ الأعرج «لمدركون» مفتعلون، من الإدراک و ادغم التاء فى الدال. قال الفراء: دركت ادراكاً و أدركت ادراكاً بمعنى واحد، مثل حفرت و أخفرت، بمعنى واحد، و قرأ حمزة وحده «تراء الجمعان» بالامالة. الباقون بالتفخيم على وزن (تراعى) لأنه تفاعل من الرؤية، و هو فعل ماض موحد، و ليس مثنى، لأنه فعل متقدم على الاسم، و لو كان مثنى لقال تراءا و وقف حمزة «ترای» بكسر الراء ممدود قليلا، لأن من شرطه ترک الهمزة فى الوقف، فترک الهمزة التى آخر الألف، كأنه يريدها، فلذلک مد قليلا. و وقف الكسائى «تراءى» اى بالامالة على وزن تراعى، و تنادى. الباقون وقفوا بألفين على الأصل.
و كذلک جميع ما فى القرآن مثل «أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً» «1» و (أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً) «2» كل ذلک يقفون بالمد بألفين. و حمزة يقف على الف واحدة. و إذا كانت الهمزة للتأنيث أسقطت الهمزة فى الوقف عند الجميع نحو (بيضاء) «3»

---

(1) سورة 56 الواقعة آية 35.
(2) سورة 2 البقرة آية 22 و سورة 13 الرعد آية 19 و سورة 14 ابراهيم آية 32 و سورة 16 النحل آية 65 و سورة 20 طه آية 53 و سورة 22 الحج آية 63 و سورة 35 فاطر آية 27 و سورة 39 الزمر آية 21.
(3) سورة 7 الاعراف آية 107 و سورة 20 طه آية 22 و سورة 26

الشعراء آية 33 و سورة 27 النمل آية 12 و سورة 28 القصص آية 32 و سورة 37 الصافات آية 46.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 28
و (إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ) «1» و (الأخلاء) «2» فيشم الضمة فى موضع الرفع و لا يشم الفتحة فى موضع النصب.
اخبر اللّه تعالى انه (فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ) جمع فرعون و جمع موسى أى تقابلا بحيث يرى كل واحد منهما صاحبه. و يقال: تراءى نارهما أى تقابلا، و انما جاز تثنية الجمع، لأنه يقع عليه صفة التوحيد، فتقول: هذا جمع واحد، و لا يجوز تثنية مسلمين، لأنه لا يقع عليه صفة التوحيد، لأنه على خلاف صفة التوحيد.
(قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) أى لملحقون. فالادراک الإلحاق، و أدركته ببصرى إذا رأيته، و أدرک قتادة الحسن اى لحقه، و أدرک الزرع إذا لحق ببلوغه، و أدرک الغلام إذا بلغ، و أدركت القدر إذا نضجت، فقال لهم: موسى «كلا» ليس الامر على ذلک «إِنَّ مَعِى رَبِّى» بنصره إياى «سَيَهْدِينِ» أى سيدلنى على طريق النجاة من فرعون و قومه كما وعدنى، لأن الأنبياء لا يخبرون بما لا دليل عليه من جهة العقل او السمع.
و قوله «فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاکَ الْبَحْرَ» اى أمرناه بضرب البحر بعصاه، و قيل: هو بحر فلزم الذى يسلک الناس فيه من اليمن و مكة الى مصر، و فيه حذف، لان تقديره فضرب البحر «فانفلق» و قيل: انه صار فيه إثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق «فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ» فالطود الجبل، قال الأسود بن يعفر النهشلى:
حلوا بانقرة يحيش عليهم ماء الفرات يجىء من أطواد «3»

---

(1) سورة 2 البقرة آية 69 [.....]
(2) سورة 43 الزخرف آية 67.
(3) تفسير القرطبى 13/ 107 و الطبرى 19/ 46 و اللسان (نقر) و روايته نزلوا بأنقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجىء من أطواد.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 29
و قوله «وَ أَزْلَفْنا ثَمَّ الْآخَرِينَ» قال ابن عباس و قتادة: معناه قربنا الى البحر فرعون، و منه قوله «وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ» «1» أى قربت و أدنيت قال العجاج:
ناج طواه الأين مما وجفا طى الليالى زلفاً فزلفاً
سمارة الهلال حتى احقوقفا «2»
أى منزله يقرب من منزله، و منه قيل ليلة المزدلفة. و قال ابو عبيدة: معنى أزلفنا جمعنا، و ليلة مزدلفة ليلة جمع، و المعنى قربنا قوم فرعون الى البحر كما يسرنا لبنى إسرائيل سلوک البحر و كان ذلک سبب قربهم

منهم حتى اقتحموه و قيل: معناه قربناهم الى المنية لمجىء وقت هلاكهم قال الشاعر:
و كل يوم مضى او ليلة سلفت فيها النفوس الى الآجال تزدلف «3»
و أنجينا موسى و من معه يعنى بنى إسرائيل أنجيناهم جميعهم من الهلاک و الغرق «ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ» من فرعون و أصحابه. و قال تعالى «إِنَّ فِى ذلِکَ» يعنى فى فلق البحر فرقاً، و إنجاء موسى من البحر، و إغراق قوم فرعون، لدلالة واضحة على توحيد اللَّه و صفاته التى لا يشاركه فيها أحد.
ثم اخبر تعالى ان «أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» و لا يستدلون به بسوء اختيارهم كما يسبق فى علمه. فالآخر- بفتح الخاء- الثانى من اثنين قسيم (احد) كقولک نجا اللَّه أحدهما، و غرق الآخر، و الآخر- بكسر الخاء- هو الثانى قسيم الأول كقولک نجا الأول و هلک الآخر. و قيل: معنى «وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» ان الناس مع هذا البرهان الظاهر، و السلطان القاهر، بالأمر المعجز

---

(1) سورة 26 الشعراء آية 90.
(2) مر تخريجه فى 6/ 79.
(3) تفسير القرطبى 13/ 107.

الذى لا يقدر عليه أحد غير اللَّه، ما آمن أكثرهم، فلا تستنكر أيها المحق استنكار استيحاش من قعودهم عن الحق الذى تأتيهم به، و تدلهم عليه، فقد جروا على عادة أسلافهم، فى انكار الحق و قبول الباطل.
و قوله «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» أى هو القادر الذى لا يمكن معارضته فى أمره، و هو مع ذلک رحيم بخلقه. و فى ذلک غاية الحث على طلب الخير من جهة الموصوف بهما. ثم قال لنبيه (ص) «وَ اتْلُ» يا محمد على قومک «نَبَأَ إِبْراهِيمَ» أى خبره، حين «قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما» الذى «تَعْبُدُونَ» من دون اللَّه؟! يعنى أى شىء معبودكم على وجه الإنكار عليهم، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام.

قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ (71) قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73) قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ (74) قالَ أَ فَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75)
أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعالَمِينَ (77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَ الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِ (79) وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80)
تسع آيات بلا خلاف.
حكى اللّه تعالى ما أجاب به قوم ابراهيم حين قال لهم ابراهيم «ما تَعْبُدُونَ»؟
فإنهم «قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ» أى مقيمين مداومين على عبادتنا التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 31
يقال: عكف عكوفاً، فهو عاكف، و اعتكف اعتكافاً. قال ابن عباس: معناه فنظل لها مصلين. و قيل: فى وجه دخول الشبهة عليهم فى عبادة الأصنام أشياء:
أحدها- انهم اعتقدوا أنها تقربهم الى اللّه زلفى كما يتقرب بتقبيل بساط الملك اليه.
و منها- أنهم اتخذوا هياكل النجوم ليحظوا بتوجه العبادة الى هياكلها، كما يفعل بالهند.
و منها- ارتباط عبادة اللّه بصورة يرى منها.
و منها- انهم توهموا خاصية فى عبادة الصنم يحظى بها، كالخاصية فى حجر المغناطيس.
و الشبهة الكبرى العامة فى ذلك تقليد الذين دخلت عليهم الشبهة، و لذلك «قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ» و لم يحتجوا بشىء سوى التقليد، الذى هو قبيح فى العقول. و العبادة خضوع بالقلب فى أعلى مراتب الخضوع، فلا تستحق إلا بأصول النعم و بما كان فى أعلى المراتب من الإنسان، فكل من عبد غير اللّه، فهو جاهل بموجب العبادة، كافر لنعم اللّه، لان من حقه إخلاص العبادة له.
فقال لهم ابراهيم (ع) «هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ» هذه الأصنام التى تعبدونها إذا دعوتموها! أى هل يسمعون أصواتكم، لان أجسامهم لا تسمع «أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ» بشىء من المنافع «أَوْ يَضُرُّونَ» بشىء من المضار!. و انما قال ذلك، لان من لا يملك النفع و الضر، لا تحسن عبادته، لأنها ضرب من الشكر، و لا يستحق الشكر إلا بالنعم، فمن لا يصح منه الانعام يقبح شكره، و من قبح شكره قبحت عبادته. فقالوا عند ذلك «وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ» أحالوا

التقليد. فقال لهم ابراهيم منكراً عليهم التقليد «أَ فَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ» من الأصنام «أَنْتُمْ» الآن «وَ آباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ» المتقدمون، فالأقدم الموجود قبل غيره، و مثله الأول و الأسبق. و القدم وجود الشىء لا الى أول ثم قال ابراهيم «فإنهم» عدوّ لى يعنى الأصنام جمعها جمع العقلاء، لما وصفها بالعداوة التى تكون من العقلاء، لان الأصنام كالعدوّ فى الصورة بعبادتها، و يجوز أن يكون، لأنه كان منهم من لا يعبد إلا اللّه مع عبادة الأصنام فغلب ما يعقل و لذلک استثناه، فقال «إِلَّا رَبَّ الْعالَمِينَ» لأنه استثناء من جميع المعبودين، و على الوجه الأول يكون الاستثناء منقطعاً و تكون (إلا) بمعنى لكن ثم وصف رب العالمين فقال: هو «الَّذِى خَلَقَنِى» و اخرجنى من العدم الى الوجود «فَهُوَ يَهْدِينِ» لان هداية الخلق الى الرشاد أمر يجل، فلا يكون إلا ممن خلق الخلق كأنه قيل من يهديک؟ و من يسد خلتک بما يطعمک و يسقيک؟ و من إذا مرضت يشفيک؟ فقال- دالا بالمعلوم على المجهول «الَّذِى خَلَقَنِى، فَهُوَ يَهْدِينِ وَ الَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَ يَسْقِينِ» بمعنى أنه يرزقنى ما يوصلنى الى ما فيه صلاحى «وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ» بان يفعل ما يحفظ بدنى و يصح جسمى و يرزقنى ما يوصلنى اليه.

وَ الَّذِی یُمِیتُنِی ثُمَّ یُحْیِینِ (81) وَ الَّذِی أَطْمَعُ أَنْ یَغْفِرَ لِی خَطِیئَتِی یَوْمَ الدِّینِ (82) رَبِّ هَبْ لِی حُکْماً وَ أَلْحِقْنِی بِالصَّالِحِینَ (83) وَ اجْعَلْ لِی لِسانَ صِدْقٍ فِی الْآخِرِینَ (84) وَ اجْعَلْنِی مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِیمِ (85)
وَ اغْفِرْ لِأَبِی إِنَّهُ کانَ مِنَ الضَّالِّینَ (86) وَ لا تُخْزِنِی یَوْمَ یُبْعَثُونَ (87) یَوْمَ لا یَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ (88) إِلاَّ مَنْ أَتَی اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ (89)
التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 33
تسع آیات بلا خلاف.
حکی اللَّه تعالی عن ابراهیم (ع) أنه قال بعد قوله: إن اللَّه الذی یشفیه إذا مرض «وَ الَّذِی یُمِیتُنِی» بعد أن کنت حیاً «ثُمَّ یُحْیِینِ» أی یحیینی بعد أن أکون میتاً یوم القیامة (وَ الَّذِی أَطْمَعُ أَنْ یَغْفِرَ لِی خَطِیئَتِی یَوْمَ الدِّینِ) أی یوم الجزاء و هذا انقطاع منه (ع) الی اللَّه دون أن یکون له خطیئة یحتاج ان تغفر له یوم القیامة، لان عندنا أن القبائح کلها لا تقع منهم (ع)، و عند المعتزلة الصغائر التی تقع منهم محبطة، فلیس شیء منها بمغفور یحتاج ان یغفر لهم یوم القیامة. و قیل: إن الطمع- هاهنا- بمعنی العلم دون الرجاء و کذلک فی قوله (إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ یَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطایانا) «1» کما ان الظن یکون بمعنی العلم.
و قیل: ان ذلک خرج مخرج التلطف فی الدعاء بذکر ما یتیقن انه کائن. کما انه إذا جاء العلم علی المظاهرة فی الحجاج و ذکر بالظن.
ثم حکی انه سأل اللَّه تعالی فقال (رَبِّ هَبْ لِی حُکْماً) و الحکم بیان الشیء علی ما تقتضیه الحکمة، فسأل ذلک ابراهیم، من حیث کان طریقاً للعلم بالأمور.
و قوله (وَ أَلْحِقْنِی بِالصَّالِحِینَ) معناه افعل بی من اللطف ما یؤدینی الی الصلاح. و الاجتماع مع النبیین فی الثواب. و فی ذلک دلالة علی عظم شأن الصلاح و صلاح العبد هو الاستقامة علی ما أمر اللَّه به و دعا الیه.
و قوله (وَ اجْعَلْ لِی لِسانَ صِدْقٍ فِی الْآخِرِینَ) ای ثناء حسناً فی آخر الأمم، فأجاب

---

(1) سورة 26 الشعراء آیة 52.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 34
اللَّه تعالی دعاءه، لان الیهود یقرون بنبوته، و کذلک النصاری، و اکثر الأمم.
و قیل: معنی «وَ اجْعَلْ لِی لِسانَ صِدْقٍ فِی الْآخِرِینَ» أی اجعل من ولدی من یقوم بالحق، و یدعو الی اللَّه، و هو محمد (ص) ثم سأله أن یجعله «مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِیمِ» بأن یفعل معه من الالطاف ما یختار عنده الطاعات، لأن

الجنة لا يثاب فيها إلا بالاستحقاق. ثم قال «وَ لا تُخْزِنِی يَوْمَ يُبْعَثُونَ» أی لا تفضحنی بذنب، و لا تعيرنی يوم يحشر الخلائق. و (الخزی) الفضيحة و التعبير بالذنب بما يردع النفس، يقال: خزی خزياً. و أخزاه اللَّه إخزاء، و هذا موقف خزی.
و هذا الدعاء منه (ع) انقطاع منه الی اللَّه تعالی، لأنا قد بينا أن القبائح لا تقع من الأنبياء علی حال.
ثم وصف اليوم الذی يبعث فيه الخلائق بأنه «يَوْمَ لا يَنْفَعُ» فيه «مالٌ» فيفادی به الإنسان نفسه من العقاب «وَ لا» ينفع «بَنُونَ» ينصرونه «إِلَّا مَنْ أَتَی» أی و إنما ينفع من يأتی «اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» أی سليم من الفساد و المعاصی، إنما خص القلب بالسلامة، لأنه إذاً سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد، من حيث أن الفساد بالجارحة لا يكون إلا عن قصد بالقلب الفاسد فان اجتمع مع ذلک جهل، فقد عدم السلامة من جهتين، و قيل: سلامة القلب سلامة الجوارح، لأنه يكون خالياً من الإصرار علی الذنب.
و حكی انه سأل اللَّه تعالی أن يغفر لأبيه، و ذكر انه من الضالين، قالوا:
إنما سأل اللَّه أن يغفر له يوم القيامة بشرط تقتضيه الحكمة. و هو أن يتوب قبل موته، فلما تبين انه عدو للَّه تبرأ منه، و وصفه بأنه ضال يدل علی أنه كافر، كفر جهل لا كفر عناد. و قيل: انه إنما دعا لأبيه لموعدة وعده بها، لأنه كان يطمعه سراً فی الايمان فوعده بالاستغفار، فلما تبين انه كان عن نفاق تبرأ منه. و قال الحسن: عاب اللَّه التبيان فی تفسير القرآن، ج8، ص: 35
تعالی من فعل ابراهيم فی قوله «إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَکَ» بعد قوله «قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِی إِبْراهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ»»
و ليس الأمر علی ما قاله. و نحن نبين الوجه فی هذه الآية إذا انتهينا اليها إن شاء اللَّه. و عند أصحابنا ان أباه الذی استغفر له، كان جده لأمه، لان آباء النبی (ص) الی آدم كلهم مؤمنون موحدون- بأدلة ليس هذا موضع ذكرها، و الدلالة عليها.

وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ (91) وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (93) فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ (94)
وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95)
ست آيات.
معنى «وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ» قربت لهم ليدخلوها «وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ» أى أظهرت الجحيم للعاملين بالغواية و تركهم الرشاد، يقال: برز يبرز بروزاً، و أبرزه إبرازاً، و برزه تبريزاً، و بارزه مبارزة، و تبارزا تبارزاً. و فى رؤية الإنسان آلات العذاب التى أعدت لهم عذاب عظيم، و ألم جسيم للقلب فبروز الجحيم للغاوين بهذه الصفة، و (الغاوى) العامل بما يوجب الخيبة من الثواب: غوى الرجل يغوى غياً و غواية و أغواه غيره إغواء، و استغواه استغواه و أصله الخيبة قال الشاعر:

---

(1) سورة 60 الممتحنة آية 4.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 36
فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغىّ لائماً «1»
ثم اخبر أنه يقال لهم، يعنى للغاوين على وجه التوبيخ لهم و التقريع «أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و إنما وبخوا بلفظ الاستفهام، لأنه لا جواب لهم عن ذلك إلا بما فيه فضيحتهم، كقولك أينما كنت تعبد من دون اللّه؟! لا يخلصك من عقابه «هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ» و يدفعون عنكم العقاب فى هذا اليوم «أَوْ يَنْتَصِرُونَ» لكم إذا عوقبتم!، فمن عبدها، فهو الغاوى فى عبادته، لا يملك رفع الضرر عن نفسه، و لا عن عابده مع أنه لاحق به. ثم قال «فَكُبْكِبُوا فِيها» و معناه كبوا إلا انه ضوعف، كما قال «بِرِيحٍ صَرْصَرٍ» «2» أى صر. و قيل: جمعوا بطرح بعضهم على بعض- عن ابن عباس- و قال مجاهد: هووا «هُمْ وَ الْغاوُونَ» أى و كب الغاوون معهم، و كب معهم «جُنُودُ إِبْلِيسَ» أى من اتبعه من ولده، و ولد آدم.
و قال ابو عبيدة (كبكبوا) معناه طرحوا فيها بعضهم على بعض جماعة جماعة.
و قال المبرد: نكسوا فيها من قولهم: كبه اللّه لوجهه.

قالُوا وَ هُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ (96) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ (98) وَ ما أَضَلَّنا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ (99) فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ (100)
وَ لا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101) فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (102) إِنَّ فِى ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (103) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (104)

---

(1) مر تخريجه فى 2/ 312 و 4/ 391 و 5/ 548 و 6/ 336.
(2) سورة 69 الحاقة آية 6.

تسع آيات بلا خلاف.
يقول اللّه تعالى مخبراً عن هؤلاء الكفار أنهم إذا حصلوا فى الجحيم «يَخْتَصِمُونَ» و الاختصام منازعة كل واحد منهم صاحبه بما فيه إنكار عليه و إغلاظ له: يقال: اختصما فى الامر اختصاماً، و تخاصما تخاصماً، و خاصمه مخاصمة، و يقول بعضهم لبعض «تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ» قال الزجاج: معناه ما كنا الا فى ضلال مبين. و قال غيره: اللام لام الابتداء التى تدخل فى خبر (ان) و (ان) هذه هى الخفيفة من الثقيلة، و يلزمها اللام فى خبرها، فرقاً بينها، و بين (ان) التى للجحد، و تقديره تاللّه ان كنا لفى ضلال مبين فى الحال التى سويناكم- يخاطبون كل معبود من دون اللّه- «بِرَبِّ الْعالَمِينَ» الذى خلق الخلق، فى توجيه العبادة إليكم. و التسوية إعطاء أحد الشيئين مثل ما يعطى الآخر، و مثله المعادلة و الموازنة. و المراد- هاهنا- الشركة فى العبادة.
ثم قال (وَ ما أَضَلَّنا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ) بأن دعونا الى الضلال فتبعناهم، و قبلنا منهم. ثم يقولون (فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَ لا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) أى لو كان لنا شفيع لسأل فى أمرنا أو صديق لدفع عنا، فقد آيس الكفار من شافع، و انما يقولون ذلك إذا رأوا جماعة من فساق أهل الملة يشفع فيهم، و يسقط عنهم العقاب و يخرجون من النار، يتلهفون على مثل ذلك، و يتحسرون عليه. و الصديق هو الصاحب الذى بصدق المودة و صدق المودة إخلاصها من شائب الفساد.
و (الحميم) القريب الذى يحمى بغضب صاحبه، و الحميم هو الحامى، و منه الحمى.
و أحم اللّه ذلك من لقائه: أى أدناه، بمعنى جعله كالذى بلغ بنصحه إياه، و حم التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 38

كذا أى قدر.
ثم اخبر تعالى أنهم يتمنون فيقولون «فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً» أى رجعة الى دار التكليف «فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و انما جاز التمنى ب (لو)، لأنه للتقدير، كما أن التمنى ب (ليت) مثل ذلک لتقدير المعنى، إلا أن التقدير ب (لو) لموجب غيره و التقدير ب (ليت) للامتناع بالمقدر، و انما جاز جواب التمنى، لان المعنى متصور بالتمنى غير انه إذا كان بالفاء، فهو نصب، فلذلک نصب (فنكون) لأن الفاء إذا صرفت عن العطف أضمر معها (ان) للاشعار بالصرف.
ثم قال تعالى «إِنَّ فِى ذلِکَ لَآيَةً» أى ان فيما قصصناه، و ذكرناه لدلالة لمن نظر فيها و اعتبر بها، لكن أكثرهم لا يعتبرون بها، و لا يؤمنون بها، و أخبر «إِنَّ رَبَّکَ» يا محمد «لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» و إنما جمع بين الصفتين: العزيز و الرحيم، ليرغب فى طلب ما عند اللّه أتم الترغيب من حيث هو عظيم الرحمة واسع المقدور، منيع من معاجزة غيره. و قيل فى وجه اخبارهم بأنهم يكونون مؤمنين لو ردوا إلى دار التكليف قولان:
أحدهما- انهم يخبرون عن عزمهم، لان اللّه تعالى قد أخبر عنهم أنهم «لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» «1» و لا يجوز- ان يكونوا مع رفع التكليف و كمال عقولهم و حصول المعارف الضرورية- ان يكذبوا، لأنهم ملجؤون الى ترک القبيح بأن يخلق اللّه فيهم العلم الضرورى، انهم لو راموا القبيح لمنعوا من ذلک، و لو لا ذلک لكانوا مغزين بالقبيح و ذلک لا يجوز.
و الثانى- ان يكون ذلک القول منهم قبل دخولهم النار، و قبل ان يصيروا ملجئين. و الاول أقوى،

---

(1) سورة 6 الانعام آية 28.

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحِ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَ لا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (108) وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (109)
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (110)
ست آيات بلا خلاف.
يقول اللَّه تعالى مخبراً عن قوم نوح أنهم كذبوا الذين أرسلهم الله بالنبوة.
و انما كذّبوهم جميعهم، لأنهم كذبوا كل من دعا الى توحيد الله، و خلع عبادة الأصنام ممن مضى من الرسل، و غيرهم ممن يأتى. و قال الحسن: لأنهم بتكذيبهم نوحاً مكذبون من جاء بعده من المرسلين. و لو لم يكن قبله نبى مرسل. و قال الجبائى: كذبوا من أرسل قبله. و انما قال «كذبت» بالتأنيث، و القوم مذكر لأنه بمعنى جماعة قوم نوح.
ثم بين انهم انما كذبوه حين «قالَ لَهُمْ ... إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ» من قبل الله تعالى «أمين» على رسالته، و الأمين الذى يؤدى الأمانة و ضده الخائن، و قد أدى نوح الأمانة فى أداء الرسالة، و النصحية لهم، فلذلك وصفه الله بأنه (أمين).
و إنما سماه بأنه (أخوهم) لأنه كان منهم فى النسب، و ذكر ذلك، لأنهم به آنس و الى إجابته أقرب فيما ينبغى أن يكونوا عليه، و هم قد صدفوا عنه «ألا تتقون» الله باجتناب معاصيه منكراً بهذا القول عليهم، و انما جاء الإنكار بحرف الاستفهام لأنهم لا جواب لهم عن ذلك إلا بما فيه فضيحتهم، لأنهم: ان قالوا لا نتقى ما يؤدينا الى الهلاك هتكوا نفوسهم و خرجوا عن عداد العقلاء.
و ان قالوا: بل نتقيه التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 40
لزمهم ترك عبادة الأصنام.
ثم قال لهم «فَاتَّقُوا اللَّهَ» و اجتنبوا معاصيه و افعلوا طاعاته «وَ أَطِيعُونِ» فيما أمركم به، و أدعوكم اليه. ثم قال لهم (وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ) على ما أدعوكم اليه. (من أجر) فيصرفكم ذلك عن الايمان، لأنه ليس أجرى، و ثوابى (إِلَّا عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ) الذى خلق جميع الخلائق، ثم كرر عليهم قوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ) لاختلاف المعنى فيه، لان التقدير، فاتقوا الله و اطيعونى لانى رسول أمين، و اتقوا الله و أطيعونى لانى لا أسألكم أجراً عليه فتخافون ثلم أموالكم.
و الطاعة اجابة الداعى بموافقة ارادته مع كون الداعى فوقه، فالرتبة معتبرة.

قالُوا أَ نُؤْمِنُ لَکَ وَ اتَّبَعَکَ الْأَرْذَلُونَ (111) قالَ وَ ما عِلْمِی بِما کانُوا یَعْمَلُونَ (112) إِنْ حِسابُهُمْ إِلاَّ عَلی رَبِّی لَوْ تَشْعُرُونَ (113) وَ ما أَنَا بِطارِدِ الْمُؤْمِنِینَ (114) إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِیرٌ مُبِینٌ (115)
قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ یا نُوحُ لَتَکُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِینَ (116) قالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِی کَذَّبُونِ (117) فَافْتَحْ بَیْنِی وَ بَیْنَهُمْ فَتْحاً وَ نَجِّنِی وَ مَنْ مَعِیَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ (118) فَأَنْجَیْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِی الْفُلْکِ الْمَشْحُونِ (119) ثُمَّ أَغْرَقْنا بَعْدُ الْباقِینَ (120)
إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً وَ ما کانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ (121) وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ (122)
اثنتا عشرة آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 41
قرأ يعقوب (و اتباعک) على الجمع. الباقون (و اتبعک) على الفعل الماضى
قال الزجاج: من قرأ على الجمع فقراءته جيدة، لان الواو (واو) الحال، و اكثر ما يدخل على الأسماء. تقول جئتک و أصحابک بنو فلان، و قد يقولون: و صحبک بنو فلان، و اكثر ما يستعملونه مع (قد) فى الفعل.
حكى الله تعالى عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح حين دعاهم الى الله و خوفهم من معصيته: انصدقک فيما تدعونا اليه و قد اتبعک الأرذلون؟! يعنى السفلة و أوضاع الناس. و الرذل الوضيع، و نقيض الرذيلة الفضيلة و جمعه الرذائل.
و قيل: انهم نسبوهم الى صناعات دنيئة، كالحياكة و الحجامة. و انهم مع ذلک اهل نفاق و رذالة، فأنفوا من اتباعه لما اتبعوه هؤلاء، و لم يجز من نوح أن يقبل قول هؤلاء فيهم، لأنهم كفار يعادونهم، فلا تقبل شهادتهم. و يجوز أيضاً ان يكونوا لما آمنوا تابوا من قبيح ما عملوا، لأن الايمان يجبّ الخطايا، و يوجب الاقلاع عنها. و لم يجز استصلاح هؤلاء باقصاء من آمن، كما لا يجوز استصلاحهم بفعل الظلم، لان فى ذلک إذلالا للمؤمنين، و ذلک ظلم لهم، لا يجوز أن يفعل بأهل الايمان، لأنه قبيح.
و من قرأ- على الجمع- أراد ان الذين اتبعوک هم الأرذلون.
و من قرأ على الفعل أراد: تبعک من هذه صفته.
فقال لهم نوح (ع): لم أطردهم «وَ ما عِلْمِی بِما کانُوا یَعْمَلُونَ» فيما مضى، لأنى ما كلفت ذلک، و انما أمرت بأن ادعوهم الى اللّه، و قد اجابونى اليه، و ليس حسابهم الا على ربى الذى خلقنى و خلقهم لو علمتم ذلک و شعرتموه، و ليس أنا بطارد المؤمنين، لأنى لست الا نذيراً مخوفاً من معصية اللّه مبين لطاعته، التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 42
داع اليه.
و (الطرد) ابعاد الشىء على وجه التنفير، طرده يطرده، و اطرده جعله

طريداً، و اطراد فى الباب استمر فى الذهاب كالطريد، و طارده مطاردة و طراداً.
فقال له قومه عند ذلک (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ) و ترجع عما تقوله، و تدعو اليه (يا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) بالحجارة، و قيل: من المرجومين بالشتم، فالرجم الرمى بالحجارة، و لا يقال للرمى بالقوس رجم، و يسمى المشتوم مرجوماً لأنه يرمى بما يذم به، و الانتهاء بلوغ الحد من غير مجاوزة إلى ما وقع عنه النهى.
و أصل النهاية بلوغ الحد، و النهى الغدير، لانتهاء الماء اليه.
فقال نوح عند ذلک يا رب (إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ) و انما قال ذلک مع أن اللَّه تعالى عالم بأنهم كذبوه، لأنه كالعلة فيما جاء بعده، فكأنه قال (فَافْتَحْ بَيْنِى وَ بَيْنَهُمْ فَتْحاً) لأنهم كذبونى، إلا انه جاء بصيغة الخبر دون صيغة العلة. و إذا كان على معنى العلة حسن أن يأتى بما يعلمه المتكلم و المخاطب. و معنى (فَافْتَحْ بَيْنِى وَ بَيْنَهُمْ فَتْحاً) احكم بيناً بالفعل الذى فيه نجاتنا، و هلاک عدوّنا و عامل كل واحد منا بما يستحقه، يقال للحاكم: الفتاح، لأنه يفتح وجه الأمر بالحكم الفصل، و يتقرر به الأمر على أداء الحق، فقال اللَّه تعالى له مجيباً لدعائه «فَأَنْجَيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ» من المؤمنين (فى الفلک) يعنى السفن، يقال شحنه يشحنه شحناً فهو شاحن إذا ملأه بما يسد خلاءه، و شحن الثغر بالرجال. و منه الشحنة، قال الشاعر، فى الفتح بمعنى الحكم:
ألا ابلغ بنى عصم رسولا فانى عن فتاحكم غنى «1»
و الفلک السفن يقع على الواحد و الجمع. ثم اخبر تعالى انه لما أنجى نوحاً

---

(1) مر تخريجه فى 1/ 315، 345 و 4/ 500.

و أصحابه أغرق الباقين من الكفار بعد ذلک، و اهلكهم.
ثم قال تعالى: إن فيما أخبرنا به من قصة نوح و إهلاک قومه لآية واضحة على توحيد اللَّه، و إن كان أكثرهم لا يؤمنون، و لا يعتبرون به. و قيل: إن قوله (إِنَّ فِى ذلِکَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) فى عدة مواضع ليس بتكرير و انما هو ذكر آية فى قصة نوح، و ما كان من شأنه مع قومه بعد ذكر آية فيما كان من قصة ابراهيم و قومه، و ذكر قصة موسى و فرعون فيما مضى، فبين أنه إنما ذكر ذلک لما فيه من الآية الباهرة، و كرر (وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) لان المعنى انه (العزيز) فى الانتقام من فرعون و قومه (الرحيم) فى نجاة موسى و من معه من بنى إسرائيل، و ذكر- هاهنا- (العزيز) فى إهلاک قوم نوح بالغرق الذى طبق الأرض (الرحيم) فى إنجائه نوحاً و من معه فى الفلک.
و العزيز القادر الذى تتعذر مما نعته لعظم مقدوراته، فصفة (عزيز) و إن رجعت الى معنى قادر، فمن هذا الوجه ترجع، و لا يوصف بالعزيز مطلقاً الا

اللّه، لأنها تفيد معنى قادر، و لا يقدر أحد على ممانعته. و اللّه تعالى قادر أن يمنع كل قادر سواه. و معنى وصفه بانه عزيز مبالغة من ثلاثة أوجه: أحدها- لأنه بزنة (فعيل). و الثانى- انه لا يوصف به مطلقاً سواه. و الثالث- لما فيه من التعريف بالألف و الام.

كَذَّبَتْ عادُ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَ لا تَتَّقُونَ (124) إِنِّی لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (126) وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاَّ عَلی رَبِّ الْعالَمِينَ (127)
أَ تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَ تَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَ إِذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (131)
التبيان فی تفسير القرآن، ج8، ص: 44
تسع آيات بلا خلاف.
اخبر اللَّه تعالی عن عاد- و قيل: هم قبيلة- انهم كذبوا من أرسلهم اللَّه حين قال لهم أخوهم هود. قال الحسن: كان أخاهم من النسب دون الدين (ألا تتقون) اللَّه باجتناب معاصيه الی قوله (رَبِّ الْعالَمِينَ) و قد فسرنا نظائره.
و قوله «تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً» فالبناء وضع ساف علی ساف الی حيث ينتهی.
و الريع الارتفاع من الأرض، و جمعه أرياع و ريعة قال ذو الرمة:
طراق الخوافی مشرق فوق ريعة ندی ليلة فی ريشه يترقرق «1»
و منه الريع فی الطعام، و هی الزيادة و النماء قال الأعشی:
و بهما قفر تجاوزتها إذا خبّ فی ريعها أألها
و فيه لغتان- فتح الراء، و كسرها- بمعنی المكان المرتفع، قال الفراء فيه لغتان (ريع، و راع) مثل زير، و زار قال أبو عبيدة هو الطريق بين الجبلين فی ارتفاع. و قيل: هو الفج الواسع، و قال قتادة: معناه بكل آية طريق أی علامة «تَعْبَثُونَ» تلعبون، فی قول ابن عباس. و قوله «وَ تَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ» قال المؤرج: لعلكم تخلدون: كأنكم تخلدون- بلغة قريش- و قال

---

(1) تفسير القرطبی 13/ 123 و الطبری 19/ 53.
التبيان فی تفسير القرآن، ج8، ص: 45
الفراء: معناه كيما تخلدون. قال مجاهد: المصانع أراد بها حصوناً مشيدة. و قال قتادة: مآخذ للماء، و هو جمع مصنع، و يقال مصنعة لكل بناء. و قيل: إنهم كانوا يبنون بالمكان المرتفع البناء العالی، ليدلوا بذلک علی أنفسهم، و زيادة قوتهم و ليفاخروا بذلک غيرهم من الناس، و كانوا جاوزوا فی إيجاد المصانع إلی الأسواق فنهوا عن ذلک. و قال الزجاج: المصانع المبانی «لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ» معناه تفعلون ذلک لكی تبقوا فيها مؤبدين «وَ إِذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ» فالبطش العسف قتلا بالسيف و ضرباً بالسوط- فی قول ابن عباس- و الجبار العالی علی غيره بعظم سلطانه، و هو فی صفة اللَّه تعالی مدح، و فی صفة غيره ذم، فإذا قيل للعبد جبار فمعناه انه يتكلف

الجبرية. و الجبار فى النحل ما فات اليد، و قال الحسن: بطش الجبرية هو المبارزة من غير ثبت و لا توقف، فذمهم اللّه بذلک، و نهاهم هود فقال «فَاتَّقُوا اللَّهَ» باجتناب معاصيه و «أَطِيعُونِ» فيما أدعوكم اليه، و لم يكن هذا القول تكراراً من هود لأنه متعلق بغير ما تعلق به الأول، لان الأول معناه، فاتقوا اللّه فى تكذيب الرسل، و اطيعونى فيما أدعوكم اليه من اخلاص عبادته، و الثانى فاتقوا اللّه فى ترک معاصيه فى بطش الجبارين و عمل اللاهين و اطيعونى فى ذلک الأمر الذى دعوتكم اليه.

وَ اتَّقُوا الَّذِی أَمَدَّکُمْ بِما تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّکُمْ بِأَنْعامٍ وَ بَنِینَ (133) وَ جَنَّاتٍ وَ عُیُونٍ (134) إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ (135) قالُوا سَواءٌ عَلَیْنا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَکُنْ مِنَ الْواعِظِینَ (136)
إِنْ هذا إِلاَّ خُلُقُ الْأَوَّلِینَ (137) وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِینَ (138) فَکَذَّبُوهُ فَأَهْلَکْناهُمْ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً وَ ما کانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ (139) وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ (140)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 46

تسع آیات بلا خلاف.

قرأ «خلق الأولین»- بفتح الخاء- ابن کثیر و ابو عمرو و الکسائی و أبو جعفر. الباقون- بضم الخاء، و اللام- فمن قرأ- بفتح الخاء- أراد: لیس هذا إلا اختلاق الأولین- فی قول ابن مسعود- و من ضم الخاء و اللام: أراد لیس هذا الاعادة الأولین، فی أنهم کانوا یحیون و یموتون. و قال بعضهم: المعنی فی «خُلُقُ الْأَوَّلِینَ» خلق أجسامهم، و أنکروا أن یکون المعنی إلا کذب الأولین لأنهم یقولون «ما سَمِعْنا بِهذا فِی آبائِنَا الْأَوَّلِینَ» «1». و لیس الامر علی ما ظنه لأنهم قد سمعوا بالدعاء الی الدین، و کانوا عندهم کذّابین، فلذلک قال «کَذَّبَتْ عادٌ الْمُرْسَلِینَ» «2» و قال «إِنْ هذا إِلَّا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ» «3» و انما قالوا «ما سَمِعْنا بِهذا فِی آبائِنَا الْأَوَّلِینَ» أی ما سمعنا أنهم صدقوا بشیء منه، أو ذکروا آیة حق و صواب، بل قالوا باطل، و خطأ.

حکی اللّه تعالی عن هود أنه قال لقومه و اتقوا معاصی اللّه الذی أمدکم بالذی

---

(1) سورة 23 المؤمنون آیة 24 و سورة 28 القصص آیة 36.
(2) آیة 123 من هذه السورة. [.....]
(3) سورة 6 الانعام آیة 25 و سورة 8 الانفال آیة 31 و سورة 23 المؤمنون آیة 84 و سورة 27 النمل آیة 68.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 47

تعلمون من انواع نعمه، فالامداد اتباع الثانی ما قبله شیئاً بعد شیء، علی انتظام فهؤلاء أمدهم اللّه بالمال و بالبنین، یعنی الذکور من الأولاد، و بالانعام من الإبل و البقر و الغنم، و البساتین التی فیها شجر تحتها عیون جاریة فیها، فآتاهم رزقهم علی إدرار. فالعیون ینابیع ماء تخرج من باطن الأرض، ثم تجری علی ظاهرها و عین الماء مشبه بعین الحیوان فی استدارته و تردد الماء إلا انه جامد فی عیون الحیوان یتردد بالشعاع.

ثم قال لهم «إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ» یعنی یوم القیامة، و

العظيم هو الموصوف بالعظم، و فيه مبالغة مثل ما أعظمه لعظم ما فيه من الأهوال.
ثم حكى ما أجابه به قومه، فإنهم قالوا له «سَواءٌ عَلَيْنا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِينَ» و إنما لم يقل سواء علينا أ وعظت أم لم تعظ، ليتشاكل رؤس الآى، و معناه إنا لسنا نقبل منک ما تقوله: سواء علينا وعظک و ارتفاعه و الوعظ حث بما فيه تليين القلب، للانقياد الى الحق، و الوعظ زجر عما لا يجوز فعله. و معنى «سواء» أى كل واحد من الأمرين مثل الآخر، حصول الوعظ و ارتفاعه.
ثم قالوا: ليس هذا الذى تدعوه «إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ» أى كذبهم، فيمن فتح الخاء. و الإعادة الأولين و خلقهم، و الخلق المصدر من قولک: خلق اللّه العباد خلقاً. و الخلق المخلوق من قولهم: يعلم هذا من خلق الناس. قال الفراء: يقولون هذه الأحاديث: خلق يعنون المختلقة. قال و القراءة بضم الخاء أحب إلىّ، لأنها تتضمن المعنيين. و الخلق الاختلاق، و هو افتعال الكذب على التقدير الذى يوهم الحق.
ثم أخبروا: إنا لسنا بمعذبين على خلاف ما تدعونا اليه، على ما تدعيه التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 48
«فَكَذَّبُوهُ» يعنى هوداً «فَأَهْلَكْناهُمْ إِنَّ فِى ذلِکَ لَآيَةً» الى آخر القصة.
و قد فسرناه.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صالِحٌ أَ لا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (144) وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (145)
أَ تُتْرَكُونَ فِي ما هاهُنا آمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (147) وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ (148) وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً فارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (150)
عشر آيات بلا خلاف.
قرأ ابن كثير و ابو عمرو «فرهين» بغير الف. الباقون «فارهين» بألف.
حكى اللّه تعالى عن قوم صالح، و هم (ثمود) أنهم كذبوا المرسلين، و لم يصدقوهم فيما دعوهم اليه من توحيد اللّه و خلع الأنداد و ترک عبادة الأصنام، حتى قال لهم أخوهم فى النسب صالح، و هو النبى المبعوث اليهم «أَ لا تَتَّقُونَ» اللّه باجتناب معصيته و ترک عبادة من سواه «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» فالأمين هو الذى استودع الشىء على من أمن منه الخيانة، فالرسول بهذه الصفة، لأنه يؤدى الرسالة، كما حملها من غير تغيير لها، و لا زيادة، و لا نقصان. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 49
ثم أمرهم فقال «فَاتَّقُوا» عقاب «اللَّهَ» باجتناب معاصيه «وَ أَطِيعُونِ» فيما أدعوكم اليه، و لست اسألكم على ما أدعوكم اليه اجراً فيصرفكم عن القبول لأنه ليس أجرى و ثوابى فى ذلک إلا على رب العالمين الذى خلق الخلق. ثم قال لهم يا قوم «أَ تُتْرَكُونَ فِي ما هاهُنا آمِنِينَ» منكراً عليهم، فان ما هم فيه من النعم لا تبقى عليهم، و انها تزول عنهم و أن أمنهم سيئول الى الخوف. و الامن سكون النفس الى السلامة، و هو نقيض الخوف. و قد يكون أمناً مع العلم بالسلامة، و مع الظن القوى.
ثم عدد نعمهم التى كانوا فيها، فقال أنتم «فِي جَنَّاتٍ» و هى البساتين التى يسترها الشجر «وَ عُيُونٍ» جارية «وَ زُرُوعٍ» و هو جمع زرع و هو نبات من الحب الذى يبذر فى الأرض: زرعه أى بذره فى الأرض كما يزرع البذر فالبذر المبدد فى الأرض على وجه مخصوص يسمى زرعاً «وَ نَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ» فالهضيم اللطيف فى جسمه، و منه هضيم الحشا أى لطيف الحشا، و منه هضمه حقه: إذا ما نقصه، لأنه لطف جسمه ينقصه، و منه هضم الطعام إذا لطف و استحال الى مشاكلة البدن. و قال ابن عباس: معنى «هضيم» أى قد بلغ و اينع. و قال الضحاک: ضمر يزكون بعضه بعضاً. و قال عكرمة: هو الرطب اللين، و قال مجاهد: هو الذى إذا مس تفتت. و قال أبو عبيدة و الزجاج، و الفراء: هو المتداخل بعضه فى بعض.
و قوله «وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً فارِهِينَ» قال ابن عباس: معناه حاذقين و

قال ابن عباس ايضاَ (فرهين) أشرين بطرين. و قال الضحاک: معناه عليين.
و قال ابن زيد: الفره القوى. و قيل: هو الفرح المرح، كما قال الشاعر:

لا
أستكين إذا ما ازمة أزمت و لن ترانى بخير فاره اللبب «1»
أى مرح اللبب. و قيل: فاره و فره مثل حاذق و حذق، و الفاره النافذ فى الصنعة بين الفراهة كحاذق بين الحذق، و عبد فاره نافذ فى الأمور.
ثم قال لهم «فَاتَّقُوا اللَّهَ» فى ترک عبادته و الاشراک به و اجتنبوا معاصيه «وَ أَطِيعُونِ» فيما أدعوكم اليه

وَ لا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ وَ لا يُصْلِحُونَ (152) قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) ما أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154) قالَ هذِهِ ناقَةٌ لَها شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155)
وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (156) فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ (157) فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ إِنَّ فِى ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (159)
تسع آيات بلا خلاف.
حكى اللّه تعالى أن صالحاً قال لقومه «لا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ» و هم الذين تجاوزوا الحد بالبعد من الحق. و قيل عنى بالمسرفين: تسعة رهط من ثمود، كانوا

---

(1) اللسان (فره) و روايته (الطلب) بدل (اللبب).

يفسدون فى الأرض و لا يصلحون، فنهاهم الله على لسان صالح عن اتباعهم.
و قال «الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ» بان يفعلوا فيها المعاصى، و يرتكبوا القبائح «وَ لا يُصْلِحُونَ» أى لا يفعلون شيئاً من الافعال الحسنة.
فقالوا له فى الجواب عن ذلك «إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» و المسحر: هو الذى قد سحر مرة بعد مرة، حتى يختل عقله و يضطرب رأيه. و السحر حيلة توهم قلب الحقيقة، و قال مجاهد: معناه من المسحورين. و قال ابن عباس: من المخلوقين، لأنه يذهب الى انه يخترع على أمر يخفى كخفاء السحر. و قيل:
معناه انك ممن له سحر أى رئة، و منه قولهم انتفخ سحره قال لبيد:
فان تسلينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الأنام المسحر «1»
أى المعلل بالطعام و الشراب، على أمر يخفى كخفاء السحر.
ثم قالوا له «ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا» أى ليس أنت إلا مخلوقاً مثلنا، فلن نتبعك و نقبل منك، و قالوا له «فَأْتِ بِآيَةٍ» أى معجزة تدل على صدقك «إِنْ كُنْتَ مِنَ» جملة «الصَّادِقِينَ» فى دعواك، فقال لهم «هذِهِ ناقَةٌ» و هى التى أخرجها الله من الصخرة عشراء ترعو على ما اقترحوا «لَها شِرْبٌ» أى حظ من الماء، قال الشاعر:
لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة فى غصون ذات او قال «2»
أى لم يمنع حظها من الماء و (الشرب)- بفتح الشين و ضمها و كسرها-

تكون مصادراً، على ما قاله الفراء و الزجاج، و كانوا سألوا أن يخرج لهم من

---

(1) مر تخريجه فى 1/ 372 و 6/ 485.
(2) السان (و قل) و روايته:
لم يمنع الشرب منها غير أن هتفت حمامة فى سحوق ذات أو قال.

الجبل ناقة عشراء فأخرجها الله حاملا كما سألوا، و وضعت بعد فصيلا، و كانت عظيمة الخلق جداً. ثم قال لهم صالح «وَ لا تَمَسُّوها» يعنى الناقة «بِسُوءٍ» أى بضر تشعر به، فالسوء هو الضرر الذى يشعر به صاحبه، لأنه يسوء وقوعه، فإذا ضره من حيث لا يشعر به لم يكن قد ساءه، لكنه عرضه لما يسوؤه.
و قوله «فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ» معناه إنكم إن مسستم هذه بسوء أخذكم عذاب يوم عظيم، أى الصيحة التى أخذتهم.
ثم اخبر فقال «فَعَقَرُوها» أى انهم خالفوه و عقروا الناقة. فالعقر قطع الشىء من بدن الحى، فإذا كثر انتفت معه الحياة، و إن قل لم تنتف.
و المراد- هاهنا- انهم نحروها. و قيل: انهم عقروها، لأنها كانت تضيق المرعى على مواشيهم. و قيل: كانت تضيق الماء عليهم، و لما عقروها رأوا آثار العذاب فيه جداً، و لم يتوبوا من كفرهم، و طلبوا صالحاً ليقتلوه، فنجاه الله و من معه من المؤمنين. ثم جاءتهم الصيحة بالعذاب، فوقع لجميعهم الإهلاك، و لو كانوا ندموا على الحقيقة، و اقلعوا عن الكفر، لما أهلكهم الله.
ثم قال تعالى إن فيما أخبرنا به و فعلناه بقوم صالح من إهلاكهم، لدلالة واضحة لمن اعتبر بها، لكن أكثرهم لا يؤمنون «وَ إِنَّ رَبَّکَ» يا محمد «لَهُوَ الْعَزِيزُ» أى العزيز فى انتقامه «الرَّحِيمُ» بمن آمن من خلقه به.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوط�ِ الْمُرْسَلِينَ (160) إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَ لا تَتَّقُونَ (161) إِنِّی لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (162) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (163) وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (164)
أَ تَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ (165) وَ تَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ (166) قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (167) قالَ إِنِّی لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ (168) رَبِّ نَجِّنِی وَ أَهْلِی مِمَّا يَعْمَلُونَ (169)
فَنَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (170) إِلاَّ عَجُوزاً فِی الْغابِرِينَ (171) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (172) وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (173) إِنَّ فِی ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (174)
وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (175)
التبيان فی تفسير القرآن، ج8، ص: 53
ست عشرة آية بلا خلاف.
حكى اللَّه تعالى عن قوم لوط أنهم كذبوا الرسل الذين بعثهم اللَّه، بترك الاشراک به و إخلاص العبادة له، حين «قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَ لا تَتَّقُونَ» اللَّه فتجتنبوا معاصيه و الاشراک به، و انه قال لهم «إِنِّی لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» و قد فسرناه. و اخباره عن نفسه بأنه رسول أمين مدح له، و ذلک جائز فی الرسول كما يجوز أن يخبر عن نفسه بأنه رسول اللَّه، و انما جاز أن يخبر بذلک لقيام الدلالة على عصمته من القبائح. و غيره لا يجوز أن يخبر بذلک عن نفسه لجواز التبيان فی تفسير القرآن، ج8، ص: 54
الخطأ عليه.
و اخبر ايضاً انه قال لهم «فَاتَّقُوا اللَّهَ» و اجتنبوا معاصيه «وَ أَطِيعُونِ» فيما أمركم به و أدعوكم اليه و لست اسألكم على ما اؤديه إليكم و أدعوكم اليه، أجراً، و لا ثواباً، لأنه ليس أجرى إلا على اللَّه الذى خلق العالمين، و انما حكى اللَّه تعالى دعوة الأنبياء بصيغة واحدة، و لفظ واحد إشعاراً بأن الحق الذى يأتى به الرسل، و يدعون اليه واحد من اتقاء اللَّه تعالى و اجتناب معاصيه و اخلاص عبادته، و طاعة رسله، و أن أنبياء اللَّه لا يكونون إلا أمناء للَّه، و انه لا يجوز على واحد منهم أن يأخذ الأجر على رسالته، لما فى ذلک من التنفير عن قبول قولهم، و المصير اليه الى تصديقهم. ثم قال لهم منكراً عليهم «أَ تَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ»؟! يعنى من جملة الخلائق «وَ تَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ» أى و تتركون ما خلقه لكم من الازواج و النساء، و تذرون استغنى فى ماضيه ب (ترک) و لا يستعمل إلا فى ضرورة الشعر. و الزوجة المرأة التى وقع عليها العقد بالنكاح الصحيح، يقال: زوجة

و زوج، قال اللّه تعالى «اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ» «1».
ثم قال لهم منكراً عليهم «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ» أى خارجون عن الحق بعيدون عنه. و العادى و الظالم و الجائر نظائر، و العادى من العدوان.
و قد يكون من العدو، و هو الاسراع فى السعى، فقال له قومه فى جوابه «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ» و ترجع عما تقوله «يا لُوطُ» و تدعونا اليه و تنهانا عنه «لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ» أى نخرجك من بيننا و عن بلدنا. فقال لهم لوط عند ذلك «إِنِّى لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ» يعنى من المبغضين: قلاه يقليه إذا أبغضه.

---

(1) سورة 2 البقرة آية 35.

ثم دعا لوط ربه فقال «رَبِّ نَجِّنِى وَ أَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ» أى من عاقبة ما يعملونه، و هو العذاب النازل لهم فأجاب اللّه دعاءه و قال «فَنَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ» يعنى من العذاب الذى وقع بهم. و قد يجوز أن يكون أراد النجاة من نفس عملهم، بأن يفعل لهم من اللطف ما يجتنبون مثل أفعالهم، و تكون النجاة من العذاب النازل بهم تبعاً لذلك. و استثنى من جملة أهله الذين نجاهم «عجوزاً» فانه أهلكها. و قيل: انها كانت امرأة لوط تدل قومه على أضيافه «فِى الْغابِرِينَ» يعنى الباقين. فيمن هلك من قوم لوط، لأنه قيل: هلكت هى فيما بعد مع من خرج عن القرية بما أمطر اللّه عليهم من الحجارة. و قيل أهلكوا بالخسف، و قيل بالائتفاك و هو الانقلاب. ثم أمطر على من كان غائباً منهم عن القرية من السماء حجارة قال الشاعر فى الغابر:
فما ونى محمد مذ أن غفر له الاله ما مضى و ما غبر «1»
و قال الشاعر:
لا تكسع الشول باغبارها انک لا تدرى من الناتج «2»
فأغبارها بقية لبنها فى اخلافها، و الغابر الباقى فى قلة، كالتراب الذى يذهب بالكنس، و يبقى غباره: غبر يغبر، فهو غابر، و غبر الجص بقيته. و غبر من الغبار تغبيراً، و تغبر تغبراً. و العجوز المرأة التى قد أعجزها الكبر عن أمور كثيرة، و مثله الكبيرة و المسنة.
و قوله «ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ» فالتدمير هو الإهلاک بأهوال الأمور، دمره تدميراً، و مثله تبره تتبيراً، و دمر عليه يدمر دمراً إذا هجم عليه بالمكروه

---

(1) مر تخريجه فى 6/ 344 و 7/ 175
(2) تفسير القرطبى 13/ 133.

و الدامر الهالک.

و قوله «وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً» فالامطار الإتيان بالقطر العام من السماء، و شبه به امطار الحجارة، و الإهلاک بالامطار عقاب اتى الذكران من العالمين «فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ» سماه (سوء) و إن كان حسناً، لأنه كان فيه هلاک القوم ثم قال «إِنَّ فِى ذلِکَ لَآيَةً» أى دلالة «وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» و قد فسرناه.

كَذَّبَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (176) إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَ لا تَتَّقُونَ (177) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (178) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (179) وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (180)
أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (181) وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ (182) وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (183) وَ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (184) قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (185)
وَ ما أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَ إِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكاذِبِينَ (186) فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (187) قالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ (188) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كانَ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (189) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (190)
وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (191)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 57

ست عشرة آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر «أَصْحابُ الْأَيْكَةِ» على انه اسم المدينة معرفة لا ينصرف. قال ابو على الفارسى: الأجود أن يكون ذلك على تخفيف الهمزة، مثل لحمر و نصبه يضعف، لأنه يكون نصب حرف الاعراب فى موضع الجر، مع لام التعريف، و ذلك لا يجوز. و حجة من قرأ بذلك أنه فى المصحف بلا ألف. و قالوا هو اسم المدينة بعينها. الباقون «أَصْحابُ الْأَيْكَةِ» بالألف و اللام مطلقاً مضافاً. و مثله الخلاف فى ص. و قرأ أبوا حفص «كسفاً» بفتح السين- هاهنا- و فى (سبأ). الباقون بإسكانها.

حكى اللّه تعالى أن قوم شعيب، و هم أصحاب الأيكة كذبوا المرسلين فى دعائهم الى خلع الأنداد و إخلاص العبادة للّه. و الايكة الغيضة ذات الشجر الملتف. و جمعه الأيك، قال النابغة الذبيانى:

تجلو بقادمتى حمامة أيكة برداً أسف لشاته بالإثمد «1»

و قال ابن عباس و ابن زيد: اصحاب الأيك هم أهل مدين. و انما قال «إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ» و لم يقل أخوهم كما قال فى سائر من تقدم من الأنبياء لأنه لم يكن منهم فى النسب، و سائر من تقدم كانوا منهم فى النسب، إلا موسى

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 40.

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 58

فانه كان من بنى إسرائيل، و كانوا هم قبطاً و لم يسمه اللّه بأنه أخوهم. ثم

حكى عن شعيب انه قال لقومه مثل ما قاله سائر الأنبياء و قد فسرناه.
ثم قال لهم «أَوْفُوا الْكَيْلَ» أى اعطوا الواجب وافياً غير ناقص و يدخل الوفاء فى الكيل و الذرع و العدد، يقال: أوفى يوفى إيفاء و وفاء. و نهاهم أن يكونوا من المخسرين، فالمخسر المعرض للخسران فى رأس المال بالنقصان أخسر يخسر إخساراً إذا جعله يخسر فى ماله، و خسر هو يخسر خسراناً و اخسره نقيض أربحه. و أمرهم أن يزنوا بالقسطاس المستقيم، فالوزن وضع شى بإزاء المعيار، لما يظهر منزلته منه فى ثقل المقدار إما بالزيادة أو النقصان او التساوى. و القسطاس العدل فى التقويم على المقدار، و هو على وزن (قرطاط) و جمعه قساطيس. و قال الحسن: القسطاس القبان. و قال غيره هو الميزان. و قال قوم هو العدل و السواء. ذكره ابو عبيدة.
ثم قال لهم «وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ» أى لا تنقصوها، «وَ لا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» قال قوم: لا تعثوا فيها بالمعاصى. و قال سعيد ابن المسيب: معناه لا تفسدوا فيها بعد إصلاحها. و قال ابو عبيدة: عثا يعثا عثواً و هو أشد الفساد بالخراب. و قال غيره: عثا يعثو عثواً، و عاث يعيث عيثاً.
ثم قال لهم «وَ اتَّقُوا الَّذِى خَلَقَكُمْ» و أوجدكم بعد العدم «وَ الْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ» فالجبلة الخليقة التى طبع عليها الشىء- بكسر الجيم- و قيل ايضاً بضمها و يسقطون الهاء أيضاً فيخففون. و منه قوله «وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً» «1» و قال ابو ذؤيب:

---

(1) سورة 36 يس آية 62.

منايا يقربن الحتوف لأهلها جهاراً و يستمتعن بالانس الجبل «1»
و معناه اتقوا خليقة الأولين فى عبادة غير اللّه و الاشراك معه، فهو عطف على (الذى) فيها، و لا يجوز أن يكون منصوباً ب «خلقكم» لأن اللّه تعالى لم يخلق كفرهم، و لا ضلالهم، و إن جعلته منصوباً ب «خلقكم» على أن يكون المعنى إتقوا اللّه الذى خلقكم و خلق الخلق الأولين، كان جائزاً، و أخلصوا العبادة للّه. فقالوا فى الجواب له «إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» و قد فسرناه.
«وَ ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا» أى مخلوقاً من الناس مثلنا، و لست بملك حتى يكون لک فضل علينا. و البشر هو الإنسان، و الإنسان مشتق من الانس و وزنه (فعليان) و الأصل إنسيان غير أنه حذف منه الياء، فلما صغر رد الى أصله، فقيل: إنسيان. و البشر من البشرة الظاهرة. و المثل و الشبه واحد.
«وَ إِنْ نَظُنُّکَ لَمِنَ الْكاذِبِينَ» معناه إنا نحسبک كاذباً من جملة الكاذبين.
و (إن) هى المخففة من الثقيلة. و لذلک دخلت اللام فى الخبر. ثم قالوا له: إن كنت صادقاً و محقاً فى دعواک «فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ» أى قطعاً- فى قول ابن عباس- و هِو جمع كسفة، و مثله نمرة و تمر، فقال لهم

فى الجواب عن ذلک «رَبِّی أَعْلَمُ بِما تَعْمَلَونَ» و معناه إنه إن کان فى معلومه أنه: متى بقاکم انکم تتوبون أو یتوب تائب منکم، لم یقتطعکم بالعذاب، و إن کان فى معلومه انه لا یفلح واحد منکم، فسیأتیکم عذاب الاستئصال.
ثم قال تعالى «فکذبوه» یعنى قوم شعیب کذبوا شعیباً، فعاقبهم اللَّه بعذاب یوم الظلة، و هى سحابة رفعت لهم، فلما خرجوا الیها طلبا لبردها من شدة ما أصابهم من الحر مطرت علیهم ناراً فأحرقتهم، فهؤلاء أصحاب الظلة، و هم

---

(1) تفسیر الطبرى 19/ 60.
التبیان فى تفسیر القرآن، ج8، ص: 60
غیر أهل مدین- فى قول قتادة- قال: أرسل شعیب الى أمّتین.
«إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً وَ ما کانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ» و قد فسرناه و إنما کرر، «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ» للبیان عن انه رحیم بخلقه عزیز فى انتقامه من الکفار.

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196)
أَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إِسْرائِيلَ (197) وَ لَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199) كَذلِكَ سَلَكْناهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (200) لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ (201)
فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (202) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (203) أَ فَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ (204) أَ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ (206)
ما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ (207)
عشرة آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 61
قرأ ابن عامر و اهل الكوفة الا حفصاً و يعقوب «نزل» به بتشديد الزاى و فتحها (الروح الأمين) بالنصب فيهما، الباقون بالتخفيف و الرفع فيهما.
و قرأ ابن عامر (أ و لم تكن) بالتاء (آية) بالرفع. الباقون بالياء و نصب (آية) من شدد الزاى، فلقوله «فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ» «1» (وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ) و من خفف، فلان التنزيل فعل اللّه، و هذا فعل جبرائيل، يقال: نزل اللّه جبرائيل، و نزل جبرائيل. فاما قوله (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً) بالتشديد، فلأجل حذف الباء، لأنک تقول نزلت به و أنزلته. و من شدد فانه أضاف الفعل الى اللّه.
و من خفف أضاف الفعل الى جبرائيل (ع) و من قرأ (أو لم تكن) بالتاء و رفع (آية) جعلها اسم (كان) و خبره (أن يعلمه) لأن (ان) مع الفعل بمنزلة المصدر، و تقديره: أو لم تكن لهم آية معجزة و دلالة ظاهرة علم بنى إسرائيل بمحمد فى الكتب. يعنى كتب الأنبياء (ع) قبله أنه نبى، و أن هذا القرآن من عند اللّه، لكنه لما جاءهم ما عرفوه على بصيرة كفروا به. و من قرأ بالياء و نصب (آية) جعلها خبر (كان) و اسمه (أن يعلمه) و هو الأقوى فى العربية، لان (آية) نكرة، و (أن يعلمه) معرفة، و إذا اجتمعت معرفة و نكرة اختير أن يكون المعرفة اسم (كان) و النكرة خبرها، و سيبويه لا يجيز غير ذلک إلا فى ضرورة الشعر كقول حسان:
كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل و ماء «2»
من بيت رأس معناه من بيت رئيس، فسمى السيد رأساً، قال عمرو ابن كلثوم.

---

(1) سورة 2 البقرة آية 97.
(2) اللسان (رأس).

برأس من بنى جشم بن عمرو «1»
و بيت رأس بيت بالشام، تتخذ فيه الخمور. و الهاء فى قوله «نزله ... و انه لتنزيل» كناية عن القرآن فى قول قتادة. وصفه اللّه تعالى أنه تنزيل من رب العالمين الذى خلق الخلائق. و وصفه بأنه تنزيل من رب العالمين، تشريف له و تعظيم لشأنه. ثم قال «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ» من خفف أسند الفعل الى جبرائيل، و لذلک رفعه. و من ثقل أسنده الى اللّه تعالى، و نصب (الرُّوحُ الْأَمِينُ) على انه مفعول به. و الروح الأمين جبرائيل (ع). و انما قال (عَلى قَلْبِکَ) لأنه بقلبه يحفظه فكأنه المنزل عليه. و (الرُّوحُ الْأَمِينُ) جبرائيل (ع) فى قول ابن عباس و الحسن و قتادة و الضحاک و ابن جريج.
و وصف بأنه (روح) من ثلاثة وجوه:
أحدها- انه تحيا به الأرواح بما ينزل من البركات.
الثانى- لان جسمه روحانى.
الثالث- ان الحياة عليه أغلب، فكأنه روح كله.
و قوله (عَلى قَلْبِکَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ) أى انزل هذا القرآن على قلبک لتخوف به الناس و تنذرهم. ثم عاد الى وصفه فقال (وَ إِنَّهُ لَفِى زُبُرِ الْأَوَّلِينَ) و معناه إن ذكر القرآن فى كتب الأولين على وجه البشارة به، لا لأن اللّه أنزله على غير محمد (ص). و واحد (الزبر) زبور، و هى الكتب، تقول: زبرت الكتاب أزبره زبراً إذا كتبته. و أصله الجمع، و منه الزبرة الكتبة، لأنها مجتمعة.
ثم قال تعالى (أَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً) اى دلالة فى علم بنى إسرائيل واضحة

---

(1) ملحق ديوان امرئ القيس اخبار عمرو بن كلثوم: 226 و روايته:
برأس من بنى جشم بن بكر ندق به السهولة و الحزونا.

على صحة أمره. و من حيث أن مجيئه على ما تقدمت البشارة به بجميع أوصافه لا يكون إلا من جهة علام الغيوب. و قيل: من علماء بنى إسرائيل عبد اللّه ابن سلام- فى قول ابن مسعود و ابن عباس و مجاهد- ثم قال «وَ لَوْ نَزَّلْناهُ» يعنى القرآن «عَلى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ» قيل: معناه على أعجم من البهائم أو غيره ما آمنوا به- ذكره عبد اللّه بن مطيع- و قيل: معناه «لَوْ نَزَّلْناهُ عَلى» رجل أعجم اللسان ما آمنوا به و لتكبروا عليه، لأنه من غيرهم، و أن المعجزة تفارقه، و فى ذلک تسلية للنبى (ص) حين لم يؤمنوا به، و لم يقبلوا منه. و نقيض الأعجم الفصيح، و الأعجم الذى يمتنع لسانه من العربية. و العجمى نقيض العربى، و هو نسبة الولادة، قال الشاعر:

من وائل لا حى يعدلهم من سوقة عرب و لا عجم «1»
و إذا قيل أعجمى، فهو منسوب الى أنه من الأعجمين الذين لا يفصحون كما قال العجاج:
و الدهر بالإنسان دوارى «2»
فنسبه الى أنه من الدوارين بالإنسان.
و قوله «كَذلِكَ سَلَكْناهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ» فالهاء كناية عن القرآن.
و معناه أقررناه فى قلوبهم باخطاره ببالهم لتقوم به الحجة عليهم، و للَّه لطف يوصل به المعنى فى الدليل الى القلب، فمن فكر فيه أدرک الحق به.
و من أعرض عنه كان كمن عرف الحق و ترک العمل به فى لزوم الحجة عليه.
و الفرق بين من أدرک الحق لسلوكه فى القلب، و بين من أدرک الحق بالاضطرار اليه فى القلب، أن الاضطرار اليه يوجد الثقة به، فيكون صاحبه عالماً به. و اما

---

(1) تفسير الطبرى 19/ 64 [.....]
(2) مر تخريجه فى 4/ 377، 505.

بسلوكه، فيكون مع الشک فيه.
و قال الحسن و ابن جريج، و ابن زيد: كذلک «سلكناه» أى الكفر.
و لا وجه لذلک، لأنه لم يجر ذكره، و لا حجة فيه و انما الحجة فى القرآن و اخطاره بالبال، فهو أحسن فى التأويل.
و قوله «لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ» اخبار منه تعالى عن قوم من الكفار أنهم يموتون على كفرهم بأنهم لا يؤمنون حتى يشاهدوا العذاب المؤلم، فيصيرون عند ذلک ملجئين الى الايمان، و معنى «حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ» أى حتى يشاهدوا أسبابه من نيران مؤججة لهم يساقون اليها، لا يردّهم عنها شىء. و يحتمل حتى يعلموه فى حال حلوله بهم علم ملابسته لهم.
ثم قال تعالى «فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» و معناه: إن العذاب الذى يتوقعونه و يستعجلونه يجيئهم فجأة. و البغتة حصول الأمر العظيم الشأن من غير توقع بتقديم الأسباب، و قيل البتة الفجأة. و البادرة، بغتة الأمر يبغته بغتاً و بغتة قال الشاعر:
و افضع شىء حين يفجؤک البغت «1»
و أتاه الامر بغتة نقيض أتاه عن تقدمة «وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» أى لا يعلمون و الشعور هو العلم بما يلطف، لطف الشعر.
ثم اخبر تعالى انه إذا جاءهم العذاب بغتة قالوا «هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ» أى مؤخرون، فقال اللَّه تعالى «أَ فَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ» على وجه التوبيخ لهم و

الإنكار عليهم. ثم قال لنبيه (ص) «أَ فَرَأَيْتَ» يَا محمد «إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ» به من العذاب «ما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ» معناه

---

(1) مر تخريجه فى 4/ 122، 507 و 6/ 204.

انه لم يغن عنهم ما كانوا يمتعون، لازديادهم من الآثام، و اكتسابهم من الاجرام، أى أىّ شىء يغنى عنهم ما يمتعون به من النعم، لأنه فان كله، و الإغناء عن الشىء صرف المكروه عنه بما يكفى عن غيره. و الغنى به نقيض الغنى عنه، فالاغناء عنه الصرف عنه، و الإغناء به الصرف به، و الامتاع إحضار النفس ما فيه اللذة بإدراك الحاسة، يقال: أمتعه بالرياحين و الطيب، و أمتعة بالنزه و البساتين، و أمتعة بالمال و البنين، و أمتعة بالحديث الطريف الظريف.

وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَها مُنْذِرُونَ (208) ذِكْرى وَ ما كُنَّا ظالِمِينَ (209) وَ ما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ (210) وَ ما يَنْبَغِي لَهُمْ وَ ما يَسْتَطِيعُونَ (211) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (212)
فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216) وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217)
الَّذِي يَراكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَ تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (220)
اثنتا عشرة آية فى المكى و المدنى الآخر، و ثلاث عشرة آية فيما عداه.
عدوا التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 66
«الشَّياطِينُ» و لم يعدها الأول.
يقول اللَّه تعالى «وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ» أهل «قَرْيَةٍ» بالعذاب الذى أنزلناه عليهم فيما مضى من الأمم السالفة (الا) و كان (لَها مُنْذِرُونَ) يخوفونهم باللَّه و يحذرونهم معاصيه. و قوله «ذِكْرى وَ ما كُنَّا ظالِمِينَ» معناه ذاك الذى قصصناه من إنزال العذاب بالأمم الخالية «ذكرى» لكم تتعظون بها. ثم بين أن ذلك كان عدلا، ليكون أشد فى الزجر، و إن اللَّه تعالى لم يكن ظالماً لاحد.
و موضع «ذكرى» يجوز أن يكون نصباً بالإنذار، و يجوز أن يكون رفعاً بالاستئناف على ذلك (ذكرى). و الذكرى: هو إظهار المعنى للنفس تقول: ذكرته ذكرى.
و بين ان ذلك ليس مما ينزل به الشياطين و يغوون به الخلق، بل هو وحى من اللَّه تعالى. ثم بين انه ليس ينبغى للشياطين إنزال ذلك. و انهم لا يستطيعون على ذلك. و معنى ينبغى لك كذا يطلب منك فعله فى مقتضى العقل، فتقول:
ينبغى لك أن تختار الحسن على القبيح، و لا ينبغى لك أن تختار القبيح على الحسن. و أصله من البغية التى هى الطلب، و قرا الحسن و «ما تنزلت به الشياطون» بالواو، ظناً منه أنه مثل (المسلمين). و هذا لحن بلا خلاف، لأنه جمع تكسير شيطان و شياطين. و الاستطاعة هى القدرة التى ينطاع بها الفعل للجارحة. ثم قال: «إِنَّهُمْ» يعنى الشياطين «عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ» و قيل: معناه إنهم عن عن استراق السمع من السماء لمعزولون. و قيل: عن سمع القرآن- فى قول قتادة- لمعزولون معناه منحون. فالعزل تنحية الشىء عن الموضع الى خلافه، و هو ان يزيله عن أمر الى نقيضه، كما قال

عزل الأمير بالأمير المبدل «1»
و انما لم ينبغ لهم ذاک لحراسة المعجزة عن أن تتموّه بالباطل، لأن اللَّه إذا أراد أن يدل بها على صدق الصادق أخلصها بمثل هذه الحراسة، حتى تصح الدلالة.
ثم نهى نبيه (ص) و المراد به المكلفين، فقال «فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ» و تقديره انک إن دعوت معه إلهاً آخر كنت من المعذبين.
ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين قيل: انما خص فى الذكر إنذار عشيرته الأقربين، لأنه يبدأ بهم، ثم الذين يلونهم، كما قال تعالى «قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ» «2» لان ذلک هو الذى يقتضيه حسن التدبير: الترتيب. و يحتمل أن يكون أنذرهم بالافصاح عن قبيح ما هم عليه و عظم ما يؤدى اليه من غير تليين بالقول يقتضى تسهيل الأمر لما يدعو اليه مقاربة العشيرة، بأن من نزل بهم الاغلاظ فى هذا الباب أذلهم. و قيل: ذكر عشيرتک الأقربين أى عرفهم إنک لا تغنى عنهم من اللَّه شيئاً إن عصوه. و قيل: انما خص عشيرته الأقربين لأنه يمكنه أن يجمعهم ثم ينذرهم، و قد فعل (ص) ذلک. و القصة بذلک مشهورة فانه
روى أنه أمر (ص) علياً بأن يصنع طعاماً ثم دعا عليه بنى عبد مناف و أطعمهم الطعام. ثم قال لهم: أيكم يؤازرنى على هذا الأمر يكن وزيرى و أخى و وصيى، فلم يجبه أحد إلا على (ع)
و القصة فى ذلک معروفة.
ثم أمره (ص) بأن يخفض جناحه للمؤمنين الذين اتبعوه، و معناه ألن جانبک و تواضع لهم، و حسن أخلاقک معهم- ذكره ابن زيد- ثم قال «فَإِنْ عَصَوْکَ» يعنى أقاربک بعد إنذارک إياهم و خالفوک فيما تدعوهم اليه الى

---

(1) مر فى 7/ 97، 456
(2) سورة 9 التوبة آية 124.

ما يكرهه اللَّه، فقل لهم «إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ» أى من أعمالكم القبيحة و عبادتكم للأصنام. و البراءة المباعدة من النصرة عند الحاجة، فإذا برىء من عملهم فقد تباعد من النصرة لهم او الموالاة. ثم أمره أن يتوكل على العزيز الرحيم و معناه أن يفوض أمره الى من يدبره. و التوكل على اللَّه من الايمان، لأنه أمر به، و حث عليه «عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ» يعنى القادر الذى لا يغالب، و لا يعاز الكبير الرحمة الواسع النعمة على خلقه «الَّذِى يَرَاکَ» يا محمد «حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبَکَ فِى السَّاجِدِينَ»
أى تصرفک فى المصلين بالركوع و السجود و القيام و القعود- فى قول ابن

عباس و قتادة- و فى رواية أخرى عن ابن عباس:
إن معناه إنه أخرجک من نبى الى نبى حين أخرجک نبياً. و قيل: معناه يراک حين تصلى وحدک، و حين تصلى فى جماعة. و قال قوم من أصحابنا: إنه أراد تقلبه من آدم الى أبيه عبد اللَّه فى ظهور الموحدين، لم يكن فيهم من يسجد لغير اللَّه.
و الرؤية- هاهنا- هى ادراک البصر، دون رؤية القلب، لان (رأيت) بمعنى علمت، لا يتعدى الى مفعول واحد، فهى من رؤية البصر، ثم قال «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» أى يسمع ما تتلو فى صلاتک، العليم بما تضمر فيها فى قلبک.
و قيل معنى «وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ» ليظهرک على كيد أعدائک الذين عصوک فيما أمرتهم به. و قرأ ابن عامر و نافع «فتوكل» بالفاء، لأنها فى مصاحف أهل المدينة و الشام كذلک. الباقون بالواو، و كذلک هو فى مصاحفهم.
و التوكل على اللَّه: هو أن يقطع العبد جميع أماله من المخلوقين إلا منه تعالى، و يقطع رغبته من كل احد إلا اليه، فإذا كان كذلک رزقه اللَّه من حيث لا يحتسب.

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ (223) وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ (224) أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ (225)
وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ (226) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227)
سبع آيات بلا خلاف.
لما اخبر اللّه تعالى أن القرآن ليس مما تنزل به الشياطين، و أنه وحى من اللّه تعالى على نبيه، نبه خلقه على من تنزل الشياطين عليه بقوله «هَلْ أُنَبِّئُكُمْ» أى هل أخبركم «عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ» أى كذاب أثيم، و قال مجاهد: الأفاك الكذاب. و معناه الكثير الكذب، و القلب للخبر من جهة الصدق الى الكذب، و أصله الانقلاب من المؤتفكات و هى المنقلبات.
و الانباء الاخبار بما فيه من الغيوب و عظم الشأن، و منه قولهم: لهذا الامر نبأ و منه اشتق وصف الرسول بأنه نبى بعظم شأن ما اتى به من الوحى من اللّه.
و الآثم الفاعل للقبيح: أثم يأثم إثماً إذا ارتكب القبيح، و تأثم إذا ترك الإثم مثل تحوب إذا ترك الحوب، و أثمه تأثيماً إذا نسبه الى الإثم، ثم قال «يُلْقُونَ

السَّمْعَ»
، أى يلقون ما يسمعون باسترق السمع الى كل أفاك أثيم- فى قول مجاهد- ثم اخبر تعالى أن أكثرهم كاذبون فيما يلقونه اليهم.
و قوله «وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ» قال الحسن: هم الذين يسترقون السمع و يلقونه الى الكهنة، و قال إنما يأخذون أخباراً عن الوحى «إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ» أى عن سمع الوحى. و قيل: ان الشعراء المراد به القصاص الذين يكذبون فى قصصهم و يقولون ما يخطر ببالهم.
و قوله «أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ» أى هم لما يغلب عليهم من الهوى كالهائم على وجهه فى كل واد يعن له، و ليس هذا من صفة من عليه السكينة و الوقار و من هو موصوف بالحلم و العقل. و المعنى أنهم يخوضون فى كل فن من الكلام و المعانى التى يعن لهم و يريدونه. و قال ابن عباس و قتادة:
معناه فى كل لغو يخوضون: يمدحون و يذمون، يعنون الباطل. و قال الجبائى:

معناه يصغون الى ما يلقيه الشيطان اليهم على جهة الوسوسة لما يدعوهم اليه من الكفر و الضلال. و قيل: انما صار الأغلب على الشعراء الغى باتباع الهوى، لان الذى يتلو الشعر- فى الأكثر- العشاق و لذلک يقبح التشبيب، مع أن الشاعر يمدح للصلة و يهجو على جهة الحمية فيدعوه ذلک الى الكذب، و وصف الإنسان بما ليس فيه من الفضائل و الرذائل.
و قرأ نافع «يتبعهم» بتخفيف التاء من تبعه إذا اقتفى أثره، يقال تبع فلاناً إذا سار فى أثره و اتبعه لحقه. الباقون: بالتشديد من الاتباع، و معناهما واحد.
و الآية قيل نزلت فى الشعراء الذين هجوا رسول اللّه (ص) و المؤمنين، و هى تتناول كل شاعر بكذب فى شعره- ذكره الفراء- و قيل: انها نزلت فى ابن الزبعرى و أمثاله. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 71
ثم اخبر ان هؤلاء الشعراء يقولون و يحثون على أشياء لا يفعلونها هم، و ينهون عن أشياء يرتكبونها، ثم استثنى من جملتهم الذين آمنوا منهم و عملوا الصالحات و ذكروا اللّه كثيراً، فاجتنبوا معاصيه، و انتصروا- لنفوسهم فى الدين- من الذين ظلموهم. و قيل: أراد الشعراء الذين ردوا على المشركين هجاءهم للمؤمنين، فانتصروا بذلک للنبى و المؤمنين، ثم هدد الظالمين، فقال «وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا» نفوسهم «أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» أى أى منصرف ينصرفون اليه لأن منصرفهم الى النار، نعوذ باللّه منها. و قيل أراد الذين ظلموا نفوسهم بقول الشعر الباطل من هجو النبى و المؤمنين، و من يكذب فى شعره.
و قوله «أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» نصب (أى) ب (ينقلبون) و لا يجوز أن ان يكون منصوباً ب (سيعلم)، لأن أباً لا يعمل فيها ما قبلها، لأن الاستفهام له صدر الكلام حتى ينفصل من الخبر بذلک.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 73

27-سورة النمل ..... ص : 73

اشارة

مكية بلا خلاف و هى خمس و تسعون آية حجازى و اربع و تسعون آية بصرى و شامى و ثلاث و تسعون آية فى عدد الكوفيين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
طس تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ وَ كِتابٍ مُبِينٍ (1) هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (3) إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (4)
أُوْلئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذابِ وَ هُمْ فِى الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (5)
خمس آيات بلا خلاف.
قد بينا معنا الحروف التى فى أوائل السور فيما تقدم بما لا نحتاج معه إلى إعادته، و قد بينا قول من قال إنها أسماء للسور. و قال قوم «طس» اسم من اسماء القرآن.
و قوله «تلك» إشارة الى ما وعدوا بمجيئه من القرآن. و قيل ان «تلك»
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 74
بمعنى (هذا) و آيات القرآن هى القرآن، و انما أضافها اليه، كما قال «إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ» «1». و القرآن و الكتاب معناهما واحد، و وصفه بالوصفين ليفيد أنه مما يظهر بالقراءة، و يظهر بالكتابة، و هو بمنزلة الناطق بما فيه من الامرين جميعاً و ذلك يبطل قول من قال: ان كلام اللّه شىء واحد لا يتصرف بالقراءة و الكتابة.
و وصفه بأنه مبين تشبيه له بالناطق بكذا، و إذا وصفه بأنه بيان جرى مجرى وصفه له بالنطق بكذا فى ظهور المعنى به للنفس. و البيان هو الدلالة التى تبين بها الأشياء. و المبين المظهر، و حكم القرآن الموعظة بما فيها من الترغيب و الترهيب و الحجة الداعية الى الحق الصارفة عن الباطل، و أحكام الشريعة التى فيها مكارم الأخلاق و محاسن الافعال، و المصلحة فيما يجب من حق النعمة للّه تعالى ما يؤدى الى الثواب و يؤمن من العقاب، ثم وصفه بأنه «هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ» و موضع «هدى» نصب على الحال، و تقديره هادياً و مبشراً، و يجوز أن يكون رفعاً على تقدير هو «هدى و بشرى للمؤمنين» و المعنى ان ما فيه من البيان و البرهان يهديهم الى الحق، و ما لهم فى وجه كونه معجزاً الذى فيه من اللطف ما يؤديهم الى الثواب و يبشرهم بالجنة.
ثم وصف المؤمنين الذين بشرهم القرآن بأنهم «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ» بحدودها و يداومون على أوقاتها و يخرجون ما يجب عليهم من الزكاة فى أموالهم الى مستحقها، و هم مع ذلك يوقنون بالآخرة، و يصدقون بها. ثم وصف تعالى من خالف ذلك و لم يصدق بالآخرة، فقال «إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال الحسن و الجبائى: زينا لهم أعمالهم التى أمرناهم بها، فهم

(1) سورة 69 الحاقة آية 51.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 75
يتحيرون بالذهاب عنها.
الثانى- زينا لهم أعمالهم بخلقنا فيهم شهوة القبيح الداعية لهم الى فعل المعاصى ليجتنبوا المشتهى «فَهُمْ يَعْمَهُونَ» عن هذا المعنى أى يتحيرون بالذهاب عنها.
ثم اخبر تعالى ان من وصفه بذلک لهم «سُوءُ الْعَذابِ» و وصفه بأنه سوء لما فيه من الألم و «هُمْ فِى الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ» لأنهم يخسرون الثواب و يحصل لهم بدلا منه العقاب فهو أخسر صفقة تكون.

وَ إِنَّکَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِيمٍ عَلِيمٍ (6) إِذْ قالَ مُوسى لِأَهْلِهِ إِنِّى آنَسْتُ ناراً سَآتِيکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِيکُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ (7) فَلَمَّا جاءَها نُودِىَ أَنْ بُورِکَ مَنْ فِى النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَها وَ سُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (8) يا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَکِيمُ (9) وَ أَلْقِ عَصاکَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ کَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسى لا تَخَفْ إِنِّى لا يَخافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ (10)
إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ (11)
ست آيات بلا خلاف.
قرأ اهل الكوفة «بشهاب قبس» منون غير مضاف جعلوا (قبساً) صفة للشهاب على تقدير منور. الباقون بالاضافة على تقدير (نار) التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 76
يقول اللَّه تعالى مخاطباً لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله «إِنَّکَ» يا محمد «لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِيمٍ عَلِيمٍ» أى انک لتعطى لأن الملک يلقيه اليه من قبل اللَّه تعالى، من عند حكيم بصير بالصواب من الخطاء فى تدبير الأمور بما يستحق به التعظيم. و قد يفيد (الحكيم) العامل بالصواب المحكم للأمور المتقن لها.
و عليم بمعنى عالم إلا أن فيه مبالغة. و قال الرمانى هو مثل سامع و سميع، فوصفنا له بأنه عالم يفيد أن له معلوماً، كما أن وصفه بأنه سامع يفيد بأن له مسموعاً، و وصفه بأنه عليم يفيد أنه متى صح معلومه، فهو عليم به، كما أن (سميعاً) يفيد أنه متى وجد مسموع لا بد أن يكون سامعاً.
و قوله «إِذْ قالَ مُوسى لِأَهْلِهِ» قال الزجاج: العامل فى إذ (اذكر) و هو منصوب به. و قال غيره: هو منصوب ب (عليم) إذ قال انى آنست ناراً.
فالايناس الاحساس بالشىء من جهة ما يؤنس آنست كذا، أؤنسه ايناساً و ما آنست به، فقد أحسست به، مع سكون نفسک اليه «سَآتِيکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ» يعنى بمن يدل على الطريق و يهدينا اليه، لأنه كان قد ضل «أَوْ آتِيکُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ» قيل:
لأنهم كانوا قد أصابهم البرد، و كان شتاء فلذلک طلب ناراً. و الشهاب نور كالعمود من النار، و جمعه شهب. و قيل للكوكب الذى يمتد و ينقض شهاب، و جمعه شهب، و كل نور يمتد مثل العمود يسمى شهاباً، و القبس القطعة من النار قال الشاعر:
فى كفه صعدة مثقفة فيها سنان كشعلة القبس «1»
و منه قيل اقتبس النار اقتباساً أى أخذ منها شعلة، و اقتبس منه علماً أى أخذ منه نوراً يستضىء به كما يستضىء بالنار «لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ» معناه،

لکی

---

(1) تفسير القرطبى 13/ 157.

تصطلوا. و معناه لتدفئوا، و الاصطلاء التدفى بالنار، و صلى النار يصلى صلا إذا لزمها، فاصله اللزوم. و قيل الصلاة منه للزوم الدعاء فيها و المصلى الثانى بعد السابق للزومه صلو السابق. و إنما قال لامراته «لَعَلِّى آتِيكُمْ» لأنه أقامها مقام الجماعة فى الانس بها و السكون اليها فى الامكنة الموحشة، و يجوز أن يكون على طريق الكناية على هذا التأويل.

و قوله «فَلَمَّا جاءَها» معناه جاء النار «نُودِىَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَها» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- بورک نور اللَّه الذى فى النار، و حسن ذلک، لأنه ظهر لموسى بآياته و كلامه من النار. فى قول ابن عباس و سعيد بن جبير و قتادة و الحسن.

الثانى- الملائكة الذين وكلهم اللَّه بها على ما يقتضيه. «وَ مَنْ حَوْلَها»- فى قول أبى على الجبائى- و لا خلاف أن الذين حولها هم الملائكة الذين وكلوا بها. و «سُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ».

و قوله «ان بورک» يحتمل أن يكون نصباً على نودى موسى بأن بورک.

و يحتمل الرفع على نودى البركة، و البركة ثبوت الخير النامى بالشىء. قال الفراء العرب تقول: بارک اللَّه، و بورک فيک.

و قوله «إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» معناه ان اللَّه قال لموسى ان الذى يكلمک هو اللَّه العزيز القادر الذى لا يغالب، الحكيم فى أفعاله، المنزه من القبائح. قال الفراء: الهاء فى قوله «انه» عماد، و يسميها البصريون إضمار الشأن و القصة. ثم أراد أن يبين له دلالة يعلم بها صحة النداء، فقال «وَ أَلْقِ عَصاکَ» من يدک، و فى الكلام حذف، و هو أنه القى عصاه و صارت حية «فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ» و هى الحية الصغيرة مشتق من الاجتنان، و هو الاستتار، و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 78

الفراء: هى حية بين الصغيرة و الكبيرة، قال الراجز:

يرفعهن بالليل إذا ما أسدفا أعناق جانٍ و هاماً رجفاً «1»

و وصف العصا فى هذا الموضع «كَأَنَّها جَانٌّ» و فى الشعراء بأنها ثعبان، و هى الحية الكبيرة، لأنها جمعت صفة الجان فى اهتزازه و سرعة حركته مع انه ثعبان فى عظمه، و لذلک هاله ف «وَلَّى مُدْبِراً». و قيل انها أول شىء صارت جاناً ثم تدرجت الى ان صارت ثعباناً، و هم يشاهدونها، و ذلک أعظم فى الاعجاز.

و قيل: ان الحالين مختلفان، لان الحال التى صارت فيها جاناً هى الحال التى خاطبه اللَّه فى أول ما بعثه نبياً، و الحال التى صارت ثعباناً هى الحال التى لقى فرعون فيها. فلا تنافى بينهما على حال.

و قوله «وَ لَمْ يُعَقِّبْ» معناه و لم يرجع- فى قول قتادة- و قال الجبائى معناه لم يرجع على عقبيه. و المعاقبة ذهاب واحد و مجىء آخر على وجه المناوبة. و انما وّلى منها موسى بالبشرية، لا انه شک فى كونها معجزة له و لا يضره ذلک.
و قوله «يا مُوسى لا تَخَفْ» نداء من اللَّه تعالى لموسى و تسكين منه، و نهى له عن الخوف. و قال له انک مرسل و «لا يَخافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ» لأنهم لا يفعلون قبيحاً، و لا يخلون بواجب، فيخافون عقابه عليه، بل هم منزهون عن جميع ذلک.
و قوله «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ» صورته صورة الاستثناء، و هو منقطع عن الاول و تقديره لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح، ثم بدل حسناً بعد سوء، بأن تاب من القبيح، و فعل الحسن، فانه يغفر له. و قال قوم:

---

(1) تفسير الطبرى 19/ 76 و روايته:
يرقلن بالليل إذا ما رجفا أعناق جان و هاماً رجفاً.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 79
هو استثناء متصل و أراد من فعل صغيرة من الأنبياء. فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا- ذكره الحسن- و هذا تأويل بعيد، لان صاحب الصغيرة لا خوف عليه أيضاً لوقوعها مكفرة. و الاستثناء وقع من المرسلين الذين لا يخافون، فالأول هو الصحيح.
و قوله «ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ» معناه ندم على ما فعله من القبيح، و تاب منه و عزم على أن لا يعود الى مثله فى القبح، فان من تلک صورته، فان اللَّه يغفر له و يستر عليه لأنه رحيم. و قيل: المعنى «لا يَخافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ» إنما الخوف على من سواهم «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ» قال الجبائى:
فى الآية دلالة على انه يسمى الحسن حسناً قبل وجوده و بعد تقضيه، و كذلک القبيح، و هذا إنما يجوز على ضرب من المجاز، دون الحقيقة، لان كون الشىء حسناً او قبيحاً بقيد حدوثه على وجه لا يصح فى حال عدمه، و انما سمى بذلک بتقدير أنه متى وجد كان ذلک، و قال قوم «إلا» بمعنى الواو، فكأنه قال انى لا يخاف لدى المرسلون، و لا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء، فانى أغفر له.

وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فِی جَيْبِکَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِی تِسْعِ آياتٍ إِلى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ (12) فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ (13) وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14) وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَ سُلَيْمانَ عِلْماً وَ قالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 80

أربع آيات بلا خلاف.

امر اللَّه تعالى موسى (ع) أن يدخل يده فى جيبه. و قيل: أراد كمه.

و قيل: ثيابه «تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» يعنى من غير برص. و قال المبرد: السوء إذا اطلق يراد به البرص، و إذا وصل بشىء، فهو كلما يسوء، قال:

و تقديره كأن هاتين مع بقية الآيات تسع آيات. و التقدير ادخل يدک فى جيبک فان ذلک مع إلقائک العصا، و ما بعد ذلک من الآيات تسع آيات، كما يقال جاء فلان فى جمع كثير، و هو احد ذلک الجمع. و قيل: إن معنى (فى) من.

و قال ابن مسعود: اتى موسى فرعون و عليه جبة صوف. و قال مجاهد كان كمها الى بعض يده.

و قوله «الى فرعون» تقديره مرسلا الى فرعون و قومه فى تسع آيات.

و حذف كما قال الشاعر:

رأتنى بخيليها فصدت مخافة و فى الخيل دوعاء الفؤاد فروق «1»

أى رأتنى مقبلا بخيليها، ثم اخبر تعالى عن فرعون و قومه بأنهم «كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ» و الآيات التسع التى كانت لموسى (ع): قلب العصا حية. و اليد البيضاء. و الجراد. و القمل. و الضفادع، و الدم. و البحر و انفلاقه. و رفع الطور فوق رؤسهم. و انفجار الحجر اثنتا عشرة عيناً. و قيل: بدل البحر

---

(1) تفسير الطبرى 19/ 78.

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 81

و الجبل الطوفان و الطمس. ذكره ابن زيد.

ثم اخبر تعالى عن فرعون و قومه أنه لما جاءتهم آيات اللَّه و دلائله مبصرة.

و قيل فى معنى مبصرة قولان:

أحدهما- انها تبصر الصواب من الخطأ، يقال أبصرته و بصرته بمعنى واحد، كقولک أكفرته و كفرته، و اكذبته و كذبته.

الثانى- مبصرة للحق من الباطل، فهى تهدى اليه كأنها تراه. قالوا عند ذلک إن هذه الآيات «سِحْرٌ مُبِينٌ» أى ظاهر.

ثم قال «وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا» و المعنى انهم عرفوها و علموها بقلوبهم، لكنهم جحدوا بها بألسنتهم طلباً للعلو و التكبر، ففى ذلک دلالة على أنهم كانوا معاندين إذ جحدوا ما عرفوا. و قال الرمانى: لا تدل على ذلک، لان معرفتهم كانت بوقوعها على الحقيقة. فأما الاستدلال على أنها من فعل اللّه و من قبله ليدل بها على صدق من أعطاها إياه فبعد العلم بوقوعها.

و قال ابو عبيدة: الباء زائدة، و المعنى و جحدوها، كما قال العجاج:

نضرب بالسيف و نرجو بالفرح «1»

و قيل انهم جحدوا ما دلت عليه من تصديق الرسول، كما تقول كذبت به أى بما جاء به.

ثم قال تعالى لنبيه محمد (ص) «فانظر» يا محمد (كيف كان عاقبة المفسدين) لان اللّه أهلكهم و غرقهم و دمر عليهم.

ثم اخبر تعالى بأنه اعطى داود و سليمان علماً من عنده، و انهما قالا الحمد للّه

---

(1) قد مر فى 7/ 118 من هذا الكتاب.

الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين، بأن جعلنا أنبياء و اختارنا من بين الخلائق. و العلم الذى اوتياه قيل: هو علم الأحكام. و قيل: هو العلم بمنطق الطير، و كلام البهائم.

وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَ قالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها وَ قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلى والِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ (19)

أربع آيات بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى أن سليمان ورث داود. و اختلفوا فيما ورث منه، فقال أصحابنا إنه ورث المال و العلم. و قال مخالفونا: انه ورث العلم، لقوله (ص) نحن معاشر الأنبياء لا نورث. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 83

و حقيقة الميراث هو انتقال تركة الماضى بموته الى الثانى من ذوى قرابته. و حقيقة ذلک فى الأعيان، فإذا قيل ذلک فى العلم كان مجازاً. و قولهم: العلماء ورثة الأنبياء

، لما قلنا. و الخبر المروى عن النبى (ص) خبر واحد، لا يجوز أن يخص به عموم القرآن و لا نسخه به.

و قال بعضهم: إن داود كان له تسعة عشر ولداً ذكوراً و ورثه سليمان خاصة، فدل على أنه إنما ورّثه العلم و النبوة، فخبر واحد لا يلتفت اليه.

و قوله (يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) أى فهمنا معانى منطقها و ما نفهم به بعضها عن بعض، قال المبرد: و العرب تسمى كل مبين عن نفسه ناطقاً و متكلماً قال رؤبة:

لو اننى أوتيت علم الحكل علم سليمان كلام النمل «1»

و قال الرمانى (مَنْطِقَ الطَّيْرِ) صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة، بخلاف منطق الناس إذ هو صوت يتفاهمون به معانيهم على صيغ مختلفة، لذلک لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها، و لم تفهم هى عنا، لأن أفهامها مقصورة على تلک الأمور المخصوصة، و لما جعل سليمان يفهم عنها، كان قد علم منطقها.

و قوله (وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) لفظه لفظ العموم، و المراد به الخصوص لأنه لم يؤت أشياء كثيرة. و قيل: المعنى (وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يطلبه طالب لحاجته اليه و انتفاعه به، و يحتمل أن يكون المراد (وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) علماً و تسخيراً فى كل ما يصلح أن يكون معلوماً لنا و مسخراً، غير ان مخرجه مخرج العموم أبلغ و أحسن.

ثم اخبر ان سليمان كان قد قال هذا القول: إن هذا لهو الفضل الظاهر.

اعترافاً

---

(1) مقاييس اللغة (حكل) 2/ 91.

بنعم اللَّه عليه. و يحتمل أن يكون ذلک اخباراً من اللَّه بأن ما ذكره هو الفضل الظاهر. و قيل: معناه و أعطينا من كل شىء من الخيرات.

و قوله «وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ» أى جمع له من كل جهة جنوده «مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ» قال محمد بن كعب القرطى: كان عسكره مائة فرسخ، خمسة و عشرون من الانس، و خمسة و عشرون من الجن، و خمسة و عشرون من الطير، و خمسة و عشرون من الوحش، و قوله «فَهُمْ يُوزَعُونَ» معناه قال ابن عباس: يمنع أولهم على آخرهم و قال ابن زيد: يساقون. و قال الحسن: معناه يتقدمون. و قول ابن عباس أقوى، لأنه من قولهم: وزعه من الظلم إذا منعه من ذلک و كفه، قال النابغة:

على حين عاتبت المشيب على الصبى و قلت أ لما أصح و الشيب وازع «1»

و يقولون لا بد للسلطان من وازعة أى يمنع الناس عنه، و قال الشاعر:

لم يزع الهوى إذ لم تؤات بلى و سلوت عن طلب العتاة «2»

و قيل: معنى يوزعون يمنعون ان نزلوا عن مراتبهم بالجمع مرة، و بالتفريق أخرى، حتى يتقدموا فى مسيرهم. و الايزاع المنع من الذهاب، فإنما منع أول الجنود على آخرهم ليتلاحقوا، و لا يتفرقوا، كما تقدم الجيوش إذا كثرت بمثل ذلک. و قوله «حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ» معناه سار سليمان و جنوده حتى بلغوا واديا فيه النمل و «قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» قيل: كانت معرفة النمل بسليمان على طريق المعجزة الخارقة للعادة له (ع) على غيره. و هذا غير لازم لأنه لا يمتنع ان تعرف البهيمة هذا الضرب كما تعرف كثيراً مما فيه نفعها و ضرها فمن معرفة النملة انها تكسر الحبة بقطعتين لئلا تنبت، الا الكربزة فإنها تكسرها بأربع قطع، لأنها تنبت إذا

---

(1) الطبرى 19/ 80 و القرطبى 13/ 168

(2) تفسير الطبرى 19/ 80.

كسرت بقطعتين، فمن هداها الى هذا هو الذى يهديها الى ما يحطمها مما لا يحطمها.

و قيل: جعل لها منطق تفهم به المعانى، لأنه يفهم به المعانى كما تفهم به، كالفهم و بكما الفرح قال الشاعر:

عجبت لها أنى تكون غناؤها فصيحاً و لم تفغر بمنطقها فما «1»

و قيل: انه ظهر من النملة أمارات من الرجوع الى بيتها خوفاً من حطم جنود سليمان إياها، فاعلم به سليمان انها تحرزت، فعبر عن ذلک بالقول مجازاً كما قال الشاعر:
امتلأ الحوض و قال قطنى مهلا رويداً قد ملأت بطنى «2»
و لم يكن هناک قول من الحوض. و يقولون: عيناک تشهد بسهرک، و يريدون بذلک أمارات السهر التى تظهر فى العين، و قوله «لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ» أى يكسرنكم بأن يطأكم عسكره «وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» أى لا يعلمون بوطئكم، فلما فهم سليمان هذا «فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها. وَ قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى» أى الهمنى ما يمنع من ذهاب الشكر عنى بما أنعمت به على و على والدى، و وفقنى «أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِکَ فِى عِبادِکَ الصَّالِحِينَ» كالأنبياء و من يجرى مجراهم ممن يعمل الاعمال الصالحة و لا يرتكب شيئاً من القبائح. و قال ابن زيد: معنى فى عبادک مع عبادک.

وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَها عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُها وَ قَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (24)
أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَ ما تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26)

---

(1) اللسان (غنا)
(2) قد مر فى 1/ 431. [.....]

سبع آيات بلا خلاف.
قرأ ابن كثير «أو ليأتينى بسلطان مبين» بنونين الأولى مشددة مفتوحة و الثانية مكسورة. الباقون بنون واحدة مشددة مكسورة. و قرأ «مكث» عاصم و روح- بفتح الكاف- الباقون بضمها، و هما لغتان. و قرأ ابن كثير و أبو عمرو «من سبأ بنبإ» غير مصروف. الباقون مصروفاً، منوناً.
من لم يصرفه فلأنه معرفة و مؤنث، لأنه قيل: ان (سبأ) حى من احياء اليمن. و قيل:
هو اسم أمهم. و قد قال الزجاج: (سبأ) مدينة تعرف بمأرب من اليمن، و بينها و بين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، فإذا صرفته فعلى البلد، و إذا لم تصرفه، فعلى المدينة. و قيل: من صرفه جعله اسماً للمكان، و من لم يصرفه جعله اسماً للبقعة. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 87
قال جرير:
الواردون و تيم فى ذوى سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس «1»
و قال آخر فى ترک صرفه:
من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما «2»
و قرأ الكسائى و ابو جعفر و رويس «ألا يا اسجدوا» بتخفيف (ألا).
الباقون «أَلَّا يَسْجُدُوا» مشددة. وجه قراءة الكسائى أنه جعل (ألا) للتنبيه (يا) هؤلاء على حذف المنادى «اسجدوا» على الامر، قال الأخطل:
ألا يا اسلمى يا هند هند بنى بدر و إن كان حيانا عدى آخر الدهر «3»
أى ألا يا هند. و قرأ ابن مسعود «هلا» و ذلک يقوى قراءة من قرأ بالتخفيف.
و من قرأ بالتشديد فمعناه و زين لهم الشيطان ضلالتهم لئلا يسجدوا للّه، و

شاهد الأول قول الشاعر:
ألا اسلمى يا دارمى على البلى و لا زال منهلا بجرعائک القطر «4»
و قال العجاج:
يا دار سلمى يا اسلمى ثم أسلمى عن سمسم أو عن يمين سمسم
اخبر اللّه سبحانه عن سليمان أنه «تَفَقَّدَ الطَّيْرَ، فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ» قيل كان سبب تفقده الهدهد أنه احتاج اليه فى سيره ليدله على الماء، لأنه يقال:
انه يرى الماء فى بطن الأرض. كما نراه فى القارورة- و ذكره ابن عباس- و قال وهب بن منية: كان تفقده إياه لا خلاله بنوبته، و قيل: كان سبب تفقده أن الطير كانت تظله من الشمس، فلما أخل الهدهد بمكانه بان بطلوع الشمس عليه

---

(1) مر تخريجه انظر 6/ 388
(2) تفسير القرطبى 13/ 181.
(3) تفسير الطبرى 19/ 84
(4) تفسير القرطبى 13/ 187.

و قوله «أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ» معنى (أم) بل. و قيل: معناه أ تأخر عصياناً «أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ» لعذر و حاجة. ثم قال «لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطانٍ مُبِينٍ» و هذا وعيد منه للهدهد أنه متى لم يأت سليمان بحجة ظاهرة فى تأخره يفعل به أحد ما قاله، عقوبة له على عصيانه. قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاک: تعذيب الهدهد نتف ريشه و طرحه فى الشمس.
قوله «فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ» أى لبث غير بعيد، و فى ماضيه لغتان- فتح الكاف و ضمها- ثم جاء سليمان، فقال معتذراً عن تأخره، و إخلاله بموضعه «أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ» أى علمت ما لم تعلم، و علم الاحاطة هو أن يعلمه من جميع جهاته التى يمكن أن يعلم عليها تشبيهاً بالسور المحيط بما فيه. ثم قال له «وَ جِئْتُکَ مِنْ سَبَإٍ» يا سليمان يا نبى اللّه «بنبإ» و (سبأ) مدينة أو قبيلة على ما بيناه.
و
روى عن النبى (ص) ان (سبأ) رجل واحد له عشرة من العرب فتيا من ستة و تشاءم أربعة، فالذين تشاءموا: لخم، و جذام، و غسان، و عاملة.
و الذين تيامنوا: كندة، و الأشعرون، و الأزد، و مذحج، و حمير، و أنمار، و من الانمار خثعم و بجيلة.
و قوله «بِنَبَإٍ يَقِينٍ» أى بخبر لا شک فيه، و انه يحتاج الى معرفته، لما فيه من الإصلاح لقوم قد تلاعب بهم الشيطان فى ذلک، فعذره عند ذلک سليمان

[. و قيل: عذر الهدهد بما أخبره بما يحبه لما فيه من الأجر و إصلاح الملک الذى وهبه اللَّه] «1» ثم شرح الخبر فقال «إِنِّی وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِکُهُمْ» و تتصرف فيهم بحيث لا يعترض عليها أحد و مع ذلک «أُوتِيَتْ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ» أى

---

(1) ما بين القوسين كان فى المطبوعة متأخراً عن مكانه اسطراً.

أعطيت كل شىء، لفظه لفظ العموم و المراد به المبالغة فى كثرة ما أوتيت من نعم الدنيا و سعة الملک. و قيل: انها أوتيت كل شىء يؤتى الملوک، و العرش العظيم سرير كريم معمول من ذهب و قوائمه من لؤلؤ و جوهر- فى قول ابن عباس- ثم اخبر انه وجدها «وَ قَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و أن الشيطان زين ذلک لهم فهم لا يهتدون الى سبيل الحق و التوحيد و اخلاص العبادة للَّه تعالى.

ثم قال الهدهد على وجه التوبيخ و التهجين لفعلهم «أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِی يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَ ما تُعْلِنُونَ» و الخبء هو المخبوء، و هو ما أحاط به غيره حتى منع من إدراكه. وضع المصدر موضع الصفة خبأته أخبأته خبأ. و ما يوجده اللَّه و يخرجه من العدم الى الوجود فهو بهذه المنزلة فخبء السماء الأمطار و الرياح، و خبء الأرض الأشجار و النبات «وَ يَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَ ما تُعْلِنُونَ» فمن قرأ بالتاء جعله للمخاطبين. و من قرأ بالياء فللغائبين. و الخبء و الخفاء نظائر، و قيل الخبء الغيب، و هو كل ما غاب عن الإدراک.

و قوله «فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ» دليل على أن المعارف ليست ضرورة، لأنه أراد لا يهتدون الى دين اللَّه. و قال الجبائى: لم يكن الهدهد عارفاً باللَّه و إنما أخبر بذلک، كما يخبر مراهقوا صبياننا، لأنه لا تكليف عليهم و لا تكيف إلا على الملائكة و الجن و الانس، و هذا الذى ذكره خلاف الظاهر، لأن الاحتجاج الذى حكاه اللَّه عن الهدهد احتجاج عارف باللَّه و بما يجوز عليه و ما لا يجوز، لأنه قال «وَجَدْتُها وَ قَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و لا يجوز أن يفرق بين الحق فى السجود للَّه و بين الباطل الذى هو السجود للشمس، و ان أحدهما حسن التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 90

و الآخر قبيح إلا من كان عارفاً باللَّه و بما يجوز عليه و ما لا يجوز، و ذلک ينافى حال الصبيان، ثم نسب تزيين عملهم الى الشيطان، و هذا قول من عرفه و عرف ما يجوز عليه فى عدله، و أن القبيح لا يجوز عليه، ثم حكى أنه قال إن الشيطان صدهم عن السبيل: الحق بإغوائهم، و انهم مع هذا الصد لا يهتدون الى الحق من توحيد اللَّه و عدله.

و قال ابو عبد اللَّه البصرى فى بعض المواضع: إن الهدهد كان رجلا من البشر اسمه هدهد، و لم يكن من الطير و هذا غلط لأن اللَّه تعالى قال «و

تفقد» يعنى سليمان تفقد «الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ» فكيف يحمل ذلک على انه اسم رجل؟! إن هذا من بعيد الأقوال. و قال الفراء: من قرأ «ألا» بالتخفيف، فهو موضع سجدوا، و من ثقل، فلا ينبغى أن يكون موضع سجدوا و قد يجوز السجود على مخالفة تزيين الشيطان. و معنى «و يعلم ما يخفون و ما يعلنون» أى ما يسرون فى نفوسهم، و ما يظهرونه. و قرأ الكسائى و حفص «ما تُخْفُونَ وَ ما تُعْلِنُونَ» بالتاء فيهما على الخطاب. الباقون بالياء على الخبر.
ثم اخبر فقال «اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» الى هاهنا تمام حكاية ما قاله الهدهد. و (العرش) سرير الملک الذى عظمه الله و رفعه فوق السموات السبع و جعل الملائكة تحف به و ترفع أعمال العباد اليه، و تنشأ البركات من جهته فهو عظيم الشأن، كما وصفه تعالى.

قالَ سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتابِي هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ (28) قالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (30) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِي مُسْلِمِينَ (31)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 91

خمس آيات بلا خلاف.

لما سمع سليمان ما اعتذر به الهدهد فى تأخره بما قصه اللَّه تعالى و ذكرناه قال عند ذلک «سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ» فى قولک الذى أخبرتنا به فأجازيک بحسب ذلک. و إنما لم يقل: أصدقت أم كذبت، و قال: أم كنت من الكاذبين، لأنه أليق فى الخطاب، لأنه قد يكون من الكاذبين بالميل اليهم و قد يكون منهم بالقرابة التى بينه و بينهم. و قد يكون منهم بأن يكذب كما كذبوا و مثل ذلک فى الخطاب و لينه قولهم: ليس الأمر على ما تقول، فهو ألين من كذبت، لأنه قد يكون ليس كما تقول من جهة الغلط الذى لا يوصف بالصدق و لا بالكذب.

ثم أمر سليمان الهدهد بأن يذهب بكتابه الذى كتبه له و أشار اليه بقوله «هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ» و قيل: فى الكلام تقديم و تأخير، و تقديره فالقه اليهم فانظر ما ذا يرجعون، ثم تولى عنهم، و هذا لا يحتاج اليه، لأن الكلام صحيح على ما هو عليه من الترتيب. و المعنى فألقه اليهم ثم تول عنهم قريباً منهم، فانظر ما ذا يرجعون- على ما قال وهب بن منية و غيره- فإنهم قالوا معنى «تَوَلَّ عَنْهُمْ» استتر عنهم، و فى الكلام حذف، لان تقديره فمضى الهدهد بالكتاب. و ألقاه اليهم، فلما رأته قالت لقومها «يا أَيُّهَا الْمَلَأُ» و هم أشراف أصحابها «إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ» و معنى كريم أنه حقيق بأن التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 92

يوصل الخير العظيم من جهته، فلما رأت آثار ذلک فى كتاب سليمان وصفته بأنه كريم. و قيل: أرادت ب (كريم) انه من كريم يطيعه الانس و الجن و الطير.

و الهاء فى قوله «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ» كناية عن الكتاب، و الهاء فى قوله «وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» كناية عما فى الكتاب. و قيل: إنه كان مختوماً، فلذلک وصفته بأنه كريم.

و قوله «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» حكاية ما قالته على المعنى باللغة العربية، و إن كانت لم تقل هى بهذا اللفظ. و الحكاية على ثلاثة أوجه: حكاية على المعنى فقط، و حكاية على اللفظ فقط من غير أن يعلم معناه. و حكاية على اللفظ و المعنى و هو الأصل فى الحكاية التى لا يجوز العدول

عنها إلا بقرينة. و موضع «أنْ لا تَعْلَوا» يجوز أن يكون رفعاَ بالبدل من (كتاب) و يحتمل النصب على معنى بأن لا تعلوا، و العلو على الشىء طلب القهر له بما يكون به بحسب سلطانه «أَلَّا تَعْلُوا عَلَىَّ» أى لا تطلبوا تلك الحال، فإنكم لا تنالونها منى، (وَ أْتُونِى مُسْلِمِينَ) يحتمل وجهين:
أحدهما- و اتونى مؤمنين باللّه و رسوله.
الثانى- مستسلمين لأمرى فيما أدعوكم اليه فانى لا أدعو إلا الى الحق.

قالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ما كُنْتُ قاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَ أُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَ الْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي ما ذا تَأْمُرِينَ (33) قالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً وَ كَذلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35)

بيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 93

خمس آيات حجازى و أربع فيما عداه. عد الحجازيون شديد رأس آية و لم يعده الباقون.

حكى اللّه تعالى ان المرأة لما وقفت على كتاب سليمان، و وصفته بأنه كتاب كر، و عرفتهم ما فيه قالت لأشراف قومها (أَفْتُونِي فِي أَمْرِي) اى أشيروا على و الفتيا هو الحكم بما هو صواب بدلا من الخطأ، و هو الحكم بما يعمل عليه كما يسأل العامى العالم ليعمل على ما يجيبه به، ثم قالت لهم لم أكن أقطع أمراً و لا أفصل حكما دونكم و لا أعمل به (حَتَّى تَشْهَدُونِ) و تعاينوه. و هذا ملاطفة منها لقومها فى الاستشارة منهم فيما يعمل عليه، فقالوا لها فى الجواب عن ذلك انا (نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَ أُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ) أى أصحاب قدرة و أصحاب بأس أى شجاعة شديدة (وَ الْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي ما ذا تَأْمُرِينَ) ما الذى تأمرينا به لنمتثله، و هذا القول منهم فيه عرض القتال عليها إن أرادت، فقالت لهم فى الجواب (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها) فكونوا على حذر من ذلك (وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً) قيل بأن يستعبدوهم، فقال اللّه تعالى تصديقاً لهذا القول (وَ كَذلِكَ يَفْعَلُونَ) قال ابن عباس: إنما يفعلون ذلك إذا دخلوها عنوة.

ثم حكى انها قالت (إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) فأذنوا للأمر فى ذلك لا نظر ما عند القوم فيما يلتمسون من خير أو شر. و قيل إنها أرسلت بجوار و غلمان على زى واحد. فقالت ان ميز بينهم ورد الهدية و أبا إلا المتابعة، فهو نبى و إن قبل الهدية فإنما هو من الملوك. و عندنا ما يرضيه- ذكره ابن عباس- التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 94

و قيل: انها أرسلت اليه بلبنة من ذهب فأمر سليمان أن تطرح بين أرجل الدواب و سراقينها استهانة بذلك.

فَلَمَّا جاءَ سُلَيْمانَ قالَ أَ تُمِدُّونَنِ بِمالٍ فَما آتانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّةً وَ هُمْ صاغِرُونَ (37) قالَ يا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ وَ إِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و يعقوب «أ تمدونى» بنون واحدة مشددة على الإدغام و ياء ثابتة فى الوصل و الوقف. الباقون بنونين.

اخبر اللّه تعالى إن الهدية التى أنفذت بها المرأة، لما وصلت اليه، قال لموصلها التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 95

«أ تمدوننى بمال» و الامداد الحاق الثانى بالأول، و الثالث بالثانى الى حيث ينتهى. و المعنى لست أرغب فى المال الذى تمدوننى به، و إنما أرغب فى الايمان الذى دعوتكم اليه و الإذعان بالطاعة للّه و رسوله، ثم قال «فَما آتانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتاكُمْ» بالتمكين من المال الذى لى أضعافه و أضعاف أضعافه الى ما شئت منه. ثم قال لهم «بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ» أى ما يهدى إليكم، لأنكم أهل مفاخرة فى الدنيا و مكاثرة. و قيل بهديتكم التى اهديتموها إلىّ تفرحون.

و الهدية العطية على جهة الملاطفة من غير مثابة، تهدى هدية، لأنها تساق الى صاحبها على هداية، فالأصل الهداية و هى الدلالة على طريق الرشد. ثم حكى ما قال سليمان لرسولها الذى حمل الهدية «ارْجِعْ إِلَيْهِمْ» و قل لهم «فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها» أى لا طاقة لهم بهم و لا يقدرون على مقاومتهم «وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّةً وَ هُمْ صاغِرُونَ» فالذليل هو الناقص القوة فى نفسه بما لا يمكنه أن يدفع غيره عن نفسه. و الصاغر هو الذليل الصغير القدر المهين، يدل على معنى التحقير بشيئين، و نقيض الذليل العزيز و جمعه أعزة، و جمع الذليل أذلة.

ثم حكى تعالى أن سليمان قال لاشراف عسكره و أماثلة جنده «أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ» فاختلفوا فى الوقت الذى قال سليمان «أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها» فقال قوم قال ذاك حين جاءه الهدهد بالخبر، و هو الوقت الأول لأنه يبين به صدق الهدهد من كذبه، ثم كتب الكتاب بعد- فى قول ابن عباس- و قال وهب بن منية: انما قال ذلك بعد مجىء الرسل

بالهدية.
و اختلفوا فى السبب الذى لأجله خص بالطلب فقيل لأنه أعجبته صفته فأحب أن يراه، و كان من ذهب و قوائمه مكلل من جوهر، على ما ذكره قتادة. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 96
ابن زيد: لأنه أحب أن يعاينها و يختبر عقلها إذا رأته أ تثبته أم تنكره. و قيل: ليريها قدرة اللّه فى معجزة، يأتى بها فى عرشها.
و اختلفوا فى معنى «مسلمين» فقال ابن عباس: معناه طائعين مستسلمين و قال ابن جريج: هو من الإسلام الذى هو دين اللّه الذى أمر به عباده.
ثم حكى تعالى انه أجاب سليمان عفريت من الجن. و معنى عفريت ما رد قوى داهية، يقال: عفريت و عفرية، و يجمع عفاريت و عفارى. قال سيبويه: هو مأخوذ من العفر. و المعنى كل سديد فى مذهبه من الدهاء و النكارة و النجابة يقال: رجل عفرية نفرية على وزن (زبينة) لواحد الزبانية.
و قوله «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ» أى من مجلسك الذى تقضى فيه- فى قول قتادة- «وَ إِنِّى عَلَيْهِ» يعنى على الإتيان به فى هذه المدة «لَقَوِىٌّ أَمِينٌ» و فى ذلك دلالة على بطلان قول من يقول: القدرة تتبع الفعل لأنه أخبر انه قوى عليه، و لم يجىء بعد بالعرش. و قال ابن عباس: «أمين» على فرج المرأة. فقل عند ذلك «الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ» قال ابن عباس و قتادة: هو رجل من الانس، كان عنده علم اسم اللّه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب. و قيل: يا إلهنا و إله كل شىء يا ذا الجلال و الإكرام، و قال الجبائى:
الذى عنده علم من الكتاب سليمان (ع). و قال ذلك للعفريت ليريه نعمة اللّه عليه. و المشهور عند المفسرين هو الأول. و قد ذكر أن اسمه اصف بن برخيا.
و قيل: هو الخضر. و قال مجاهد: اسمه أسطوع. و قال قتادة: اسمه مليخا.
و قوله «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال مجاهد: إن ذلك على وجه المبالغة فى السرعة.
الثانى- قال قتادة: معناه قبل أن يرجع اليك ما يراه طرفك. و قيل: التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 97
قبل ان يرجع طرفك خاسئاً إذا فتحها و ادمت فتحها. و قيل: قبل أن تفتحها و تطبقها. و قيل: حمل العرش من مأرب الى الشام فى مقدار رجع البصر.
و قيل: شقت عنه الأرض فظهر. و قيل يجوز أن يكون اللّه أعدمه ثم أوجده فى الثانى بلا فصل بدعاء الذى عنده علم من الكتاب، و كان مستجاب الدعوة إذا دعا باسم اللّه الأعظم. و يكون ذلك معجزة له. و قال قوم: كان ذلك معجزة لسلمان، و فى الكلام حذف، لان تقديره «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» فأتاه به «فَلَمَّا رَآهُ» سليمان «مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ» معترفاً بنعم اللّه عليه «هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ» أى أ

أشكر على نعمه أم أجحدها.
ثم قال سليمان «وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ» لأن ثواب ذلک يعود عليه و من جحد نعم اللّه فإنما يضر نفسه، لان عقاب ذلک يحل به «فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ» عن شكره و عن كل شىء. «كَرِيمٌ» فى انعامه على خلقه، و قرأ ابو عمرو و نافع و عاصم- فى رواية حفص- (فما أتانى اللّه)- بفتح الياء- فى الوصل. الباقون «فما آتان» بغير ياء فى الوصل.

قالَ نَكِّرُوا لَها عَرْشَها نَنْظُرْ أَ تَهْتَدِی أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا جاءَتْ قِيلَ أَ هكَذا عَرْشُكِ قالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَ أُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها وَ كُنَّا مُسْلِمِينَ (42) وَ صَدَّها ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّها كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِی الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَ كَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها قالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِيرَ قالَتْ رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (44) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلی ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ (45)

التبيان فی تفسير القرآن، ج8، ص: 98

خمس آيات عند الكل ما عدا الكوفی، فإنها فی عدده ست آيات عد (قوارير) آية. و لم يعده الباقون.

حكی اللَّه تعالی ان سليمان أمر ان ينكروا لها عرشها، و هو أن يغيره الی حال تنكره إذا رأته أراد بذلک اعتبار عقلها علی ما قيل. و الجحد الإنكار: جحد العلم بصحة الشیء، و نقيضه الإقرار، و التنكير تغيير حال الشیء الی حال ينكرها صاحبها إذا رآها.

و قوله «نَنْظُرْ أَ تَهْتَدِی أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ» بيان من سليمان ان الغرض بتنكير عرشها ننظر ا تهتدی بذلک أم تكون من الذين لا يهتدون الی طريق الرشد، فلما جاءت المرأة، قال لها سليمان «أَ هكَذا عَرْشُكِ» فقالت فی الجواب كأنه هو، و لم تقطع عليه، لما رأت من تغير أحواله. فقال سليمان «وَ أُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها» قال مجاهد: هو من قول سليمان «وَ كُنَّا مُسْلِمِينَ» ای مؤمنين باللَّه مستسلمين له. و قال الجبائی: هو من كلام قوم سليمان (ع).

ثم اخبر تعالی فقال «وَ صَدَّها ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و منعها التبيان فی تفسير القرآن، ج8، ص: 99

منه و تقديره و صدها سليمان عما كانت تعبد من دون اللَّه، و منعها منه «إِنَّها كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ» بنعم اللَّه عليهم عابدين مع اللَّه غيره. و قال الفراء:

يجوز ان يكون المراد صدها عن عبادة ما كانت تعبد من دون الله من الشمس انها كانت من قوم كافرين يعبدون الشمس، فنشأت علی ذلک. و كسر (انها) علی الاستئناف، و لو نصب علی معنی، لأنها جاز.

ثم حكی بأنه قيل لها«ادْخُلِی الصَّرْحَ»

فالصرح هو الموضع المنبسط المنكشف من غير سقف، و منه قولهم: صرح بالأمر إذا افصح به، و لم يكن عنه.

و التصريح خلاف التعريض، و فلان يكذب صراحاً من هذا.«لَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ

لَجَّةً»
يعنى ان المرأة لما رأت الصرح ظنته لجة، و اللجة معظم الماء.
و منه لجج البحر خلاف الساحل. و منه لجّ فى الأمر إذا بالغ بالدخول فيهَ
كَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها»
ظناً منها انها تريد ان تخوض الماء. و قيل: ان سليمان اجرى الماء تحت الصرح الذى هو كهيئة السطح. و قيل: الصرح صحن الدار يقال صرحة الدار، و راحة الدار، و قاعة الدار، و قارعة الدار كله بمعنى صحن الدار. و قيل صرح القصر، قال الشاعر:
بهن نعام بناء الرجال تشبه اعلامهن الصروحا «1»
و قال ابو عبيدة: كل بناء من زجاج او صخر او غير ذلک موثق، فهو صرح، و منه «يا هامانُ ابْنِ لِى صَرْحاً» «2» و قيل: انه أراد ان يختبر عقلها.
و قيل: لأنهم كانوا قالوا: إن ساقيها مثل ساق الحمار برجل حمار، لأنها من ولد بين الانس و الجن، لأنه قيل: ان الجن خافت ان يتزوج بها سليمان،

---

(1) تفسير القرطبى 13/ 209 و الطبرى 20/ 41
(2) سورة 40 المؤمن آية 36.

فقالوا ذلک لينفروا عنها، فلما امتحن ذلک وجده على خلاف ما قيل فيه.
و قيل: انه كان قيل: ان على ساقيها شعراً، فلما كشفته بان الشعر فساءه ذلک و استشار الجن فى ذلک، فعملوا له النورة و الزرنيخ. و قيل: انه أول من اتخذ له ذلک. و قيل: انما فعل ذلک ليريها عظيم آيات الله لتسلم و تهتدى الى دين الله.
ثم قال لهاِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِيرَ»
فالممرد المملس، و منه الأمرد.
و شجرة مرداء ملساء لا ورق عليها، و المارد الخارج عن الحق المملس منه.
فقالت عند ذلک يا ربِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى»
بما ارتكب من المعاصى بعبادة غيرکَ أَسْلَمْتُ»
الآنَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ»
الذى خلق الخلق.
و قيل: انها لما أسلمت تزوجها سليمان (ع).
ثم اخبر تعالى انه أرسل «إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً» يعنى فى النسب، لأنه كان منهم «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ» موضع (ان) نصب، و تقديره أرسلناه بأن اعبدوا الله، وحده لا شريک له «فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ» يعنى منهم مؤمن بصالح و منهم كافر به، فى قول مجاهد.

قالَ يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْ لا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (46) قالُوا اطَّيَّرْنا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ قالَ طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (47) وَ كانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لا يُصْلِحُونَ (48) قالُوا تَقاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَ إِنَّا لَصادِقُونَ (49) وَ مَكَرُوا مَكْراً وَ مَكَرْنا مَكْراً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (50)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى و خلف (لتبيتنه و أهله ثم لتقولن) بالتاء فيهما جميعاً. الباقون بالنون، و قرأ مجاهد بالياء. و قرأ ابو بكر عن عاصم (مهلك) بفتح الميم و اللام، و فى رواية حفص- بفتح الميم و كسر اللام- الباقون- بضم الميم و فتح اللام- قال ابو على: من قرأ بضم الميم احتمل أمرين:

أحدهما- أراد المصدر من إهلاك اهله أى لم نشهد إهلاكهم.

الثانى- ان يكون المراد لم نشهد موضع إهلاكهم.

و قراءة حفص ايضاً تحتمل أمرين:

أحدهما- ما شهدنا موضع هلاكهم.

و الثانى- المصدر اى ما شهدنا هلاكهم. و قراءة ابى بكر معناها المصدر.

لما اخبر الله تعالى انه أرسل صالحاً الى قومه، و انهم كانوا فريقين، مسلم و كافر، يخاصم بعضهم بعضاً، قال لهم صالح (يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) فالاستعجال طلب التعجيل، و هو الإتيان به قبل وقته. و كان هؤلاء الجهال إذا خوفوا بالعقاب قالوا، على جهة الإنكار لصحته متى هو؟ و هلا يأتينا به؟، فقال لهم صالح (لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ) ذلک: قال مجاهد. يعنى العذاب قبل الرحمة، و السيئة- هاهنا- المراد بها العقاب سماها سيئة لما فيها من الآلام و لأنها جزاء على الافعال السيئة، لان السيئة هى الخصلة التى

يجدها. و السيئة ايضاً هى الفعل القبيح الذى، لا يجوز لفاعلها فعلها، و نقيضها الحسنة. فقال لهم (لَوْ لا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ) و معناه هلا تسألون الله الغفران به بدلا من استعجال العقاب (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) و إنما خرجت (لو لا) الى معنى (هلا) لأنها كانت لامتناع الشىء لكون غيره، كقولک: لو لا زيد لأتيتک، فخرجت الى الإنكار، لامتناع الشىء لفساد سببه فقال (لَوْ لا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ) منه. ثم اخبر بما أجابوه، لأنهم قالوا (اطَّيَّرْنا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ) أى و بمن هو على دينک، فالتطير التشاؤم، و هو نسبة الشؤم الى الشىء على ما يأتى به الطير من ناحية اليد اليسرى و هو البارح، و السانح

هو إتيانها من جهة اليد اليمنى. و اصل: (اطيرنا) تطيرنا، دخلت فيه ألف الوصل، لما سكنت الطاء للادغام، فقال لهم صالح (طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) أى الشىء الذى تحذرونه بالتطير (عند الله) لأنه القادر على عقابكم بما أنتم عليه من الكفر. و المعنى- فى قول ابن عباس- معاقبتكم عند الله. ثم قال لهم: ليس ذلک للتشاؤم و التطير (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) فالفتنة- هاهنا- قولهم ما زين لهم من الباطل.
ثم اخبر تعالى أنه «كانَ فِي الْمَدِينَةِ» التى بعث اللَّه منها صالحاً «تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» أى يفعلون فيها المعاصى «وَ لا يُصْلِحُونَ» أى لا يفعلون الطاعات.
و قوله «قالُوا تَقاسَمُوا بِاللَّهِ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قالوا متقاسمين إلا انه يحذف منه قد.
و الآخر- انه أمر، و ليس بفعل ماض. «لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ» حكاية أنهم قالوا: (لنبيتنه) فمن قرأ بالنون أراد إنا نفعل بهم ذلک ليلا. و من قرأ بالتاء، فعلى انه خاطب بعضهم بعضاً بذلک. و لمعنى انهم تحالفوا: لنطرقنهم ليلا، التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 103
يقال لكل عمل بالليل تبييت، و منه قوله (إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ) «1» و انشد ابو عبيدة:
اتونى فلم ارض ما بيتوا و كانوا اتونى بأمر نكر
لا نكح أمهم منذراً و هل ينكح العبد حر لحر «2»
و قال ابن إسحاق انهم لما أتوا صالحاً لتبييته، دفعتهم الملائكة بالحجارة، (ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ) معناه إنهم قالوا إذا قال لنا وليه و ناصره: من فعل هذا قلنا له (ما شَهِدْنا مَهْلِکَ أَهْلِهِ) فمن ضم الميم أراد ما رأينا إهلاكه. و من فتح الميم أراد مكان هلاكهم او إهلاكهم يريد المصدر (وَ إِنَّا لَصادِقُونَ) فى هذا القول.
ثم اخبر تعالى انهم «مَكَرُوا» بهذا القول «وَ مَكَرْنا» نحن ايضاً مكراً بأن جازيناهم على مكرهم و جعلنا و باله عليهم فانا أهلكناهم عن آخرهم. و قيل:
ان اللَّه أرسل عليهم صخرة أهلكتهم. و يحتمل أن يكون المعنى فى «مَكَرْنا» انا أنجينا المؤمنين بالمكر بالكفار بكل ما يقدرون عليه من الإضرار بهم، و إلجائهم الى الايمان. و انما نسبه الى نفسه لما كان بأمره.

فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52) وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ (53) وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (54) أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (55)

---

(1) سورة 4 النساء آية 107

(2) مر تخريجه فى 3/ 269، 319.

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة و يعقوب «أنا دمرناهم» بفتح الالف. الباقون بكسرها و من فتح احتمل وجهين:

أحدهما- النصب على البدل من (كيف) و (كيف) نصب ب (انظر).

و الثانى- ان يكون (كيف) فى موضع الحال و (دمرنا) خبر (كان) و تلخيصه، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أى عاقبة أمرهم التدمير. و قيل: هو نصب بتقدير بأنا، فلما حذف الباء نصب، و قال الكسائى: هو فى موضع الجر.

و يحتمل الرفع أيضاً على البدل من (عاقبة). و يحتمل أيضاً على الجواب، كأنه قيل:

ما كان عاقبة أمرهم؟ فقيل: تدميرنا لهم.

يقول اللّه تعالى لنبيه (ص) «انظر» يا محمد و فكر «كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ» أى هؤلاء الكفار الذين كفروا و دمرناهم. و العاقبة الحال التى يؤدى اليها البادئ تقول: اعقبنى هذا الدواء صحة. و أعقب هذا الطعام الردىء مرضاً، و كذلك المعاصى تعقب النار. و قيل: ان بيوتهم هذه المذكورة بوادى القرى موضع بين الشام و المدينة. و المكر الأخذ بالحيلة للإيقاع فى بلية، فلما مكر أولئك الكفار بصالح (ع) ليقتلوه، و من آمن و لم يتم مكرهم، و أدى مكرهم الى هلاكهم و تدميرهم و التدمير التقطيع بالعذاب، فدمر اللّه قوم صالح بأن قطعهم بعذاب الاستئصال فى الدنيا قبل الآخرة، فلم يبق لهم باقية. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 105

ثم اخبر تعالى ان بيوت أولئك الكفار «خاوِيَةً» أى خالية فارغة و كان رسمهم أن يكونوا فيها و يأوون اليها، فلما أهلكهم اللّه، صاروا عبرة لمن نظر اليها و إعتبر بها، و قيل هذه البيوت المذكورة بوادى القرى.

و قوله «وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ» اخبار منه تعالى انه أنجى و خلص المؤمنين من قوم صالح لأنهم كانوا يتقون معاصى اللّه، خوفاً من

عقابه، فالاتقاء الامتناع من البلاء بما يرد عن صاحبه ان ينزل به. و التقى هو العامل بما يتقى عنه العقاب. و قيل: ان اللّه تعالى دمر التسعة الرهط الذين يفسدون فى الأرض و قومهم.
و قوله «وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ» يحتمل أمرين:
أحدهما- نصب (لوطاً) بتقدير و أرسلنا لوطاً. الثانى- و اذكر لوطاً حين قال لقومه منكراً عليهم أفعالهم «أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ» يعنى الخصلة القبيحة الشنيعة، الظاهرة القبح، و هى إتيانهم الذكران فى أدبارهم «وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» أى تعلمون أنها فاحشة. و قيل معناه: «وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» أى يرى بعضكم من بعض ان ذلک عتواً و تمرداً. ثم بين الفاحشة التى كانوا يفعلونها بقوله «أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ» التى خلقهن اللّه لكم. ثم اخبر تعالى عن لوط انه قال لهم «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» اى تفعلون أفعال الجهال لجهلكم بمواقع نعم اللّه سبحانه و تعالى عليكم.

فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (56) فَأَنْجَيْناهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ (57) وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (58) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59) أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 106

خمس آيات بلا خلاف.

نصب (جَوابَ قَوْمِهِ) بأنه خبر (كان) و اسمها (أن قالوا) و لا يجوز وقع جواب- هاهنا- لان ما بعد الإيجاب و ما قبلها نفى، و النفى أحق بالخبر من الإيجاب، و مثله «ما كانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا» «1».

اخبر اللّه تعالى عن قوم لوط حين قال لهم لوط ما تقدم ذكره، منكراً عليهم انه لم يكن لهم جواب عن ذلک، بل عدلوا إلى أن قالوا، بعضهم لبعض خرجوا لوطاً و من تبعه «مِنْ قَرْيَتِكُمْ» فإنهم «أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ» أى يتطهرون عن عملكم فى إتيان الذكران من العالمين إذ تأمرونهم، و يتنزهون عن ذلک، فلا تجاوروهم و هذه صفتهم- و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة- فأخبر اللّه تعالى أنه أهلک هؤلاء القوم بأجمعهم و أنجى لوطاً و أهله الذين آمنوا به من

---

(1) سورة 45 الجاثية آية 24.

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 107

ذلک الهلاک و استثنى من جملة أهله امرأته، و اخبر انه «قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ» أى جعلها من الغابرين لأن جرمها على مقدار جرمهم، فلما كان تقديرها كتقديرهم فى الاشراک باللّه جرت مجراهم فى انزال العذاب بهم.

و قيل:

«قَدَّرْناها» أى بما كتبنا إنها من الغابرين، و اخبر تعالى انه أمطر عليهم مطراً. قال الحسن: أمطرت الحجارة على من خرج من المدينة، و خسف المدينة باهلها، فهم يهوون الى يوم القيامة «فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ» و هم الذين أبلغهم لوط النذارة، و أعلمهم بموضع المخافة ليتقوها، فخالفوا ذلک.

و نقيض النذارة البشارة، و هى الاعلام بموضع الأمن ليجتبى، و النذير البشير ينذر بالنار و يبشر بالجنة.

ثم قال لنبيه محمد (ص) قل يا محمد «الْحَمْدُ لِلَّهِ» شكراً على نعمه بأن وفقنا للايمان «وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى» يعنى اجتباهم، اللّه و

اختارهم يقال:
صفا يصفو صفاء، و أصفاه بكذا إصفاء، و اصطفاه اصطفاء، و يصفى تصفياً و صفاء و تصفية، و صافاه مصافاة.
و قوله «أَمَّا يُشْرِكُونَ» من قرأ- بالتاء- وجهه الى انه خطاب لهم. و من قرأ- بالياء- فعلى الخبر. و قوله «آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا» معناه خير لنا منا لأنفسا، و لفظ أفعل لا يدخل إلا بين شيئين يشتركان فى حكم و يفضل أحدهما على صاحبه، و ما يعبدون من دون الله لا خير فيه. قال ابو على: يجوز أن يقع ذلک فى الخير الذى لا شر فيه، و الشر الذى لا خير فيه. و إن كان يتوهم بعض الجهال الأمر على خلاف ما هو به، فتقول: هذا الخير خير من الشر. و أنكر على من خالف هذا. و أجاز قوم من اهل اللغة ذلک على ما مضى القول فيه فى غير موضع.
ثم قال لهم: أمن الذى «خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» بأن انشأها و اخترعها

«وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنى غيثاً و مطراً (فَأَنْبَتْنا بِهِ) بذلک الماء (حدائق) و هى جمع حديقة، و هى البستان إذا كان عليه حائط يحوطه (ذاتَ بَهْجَةٍ) انما وصف (الحدائق) بلفظ الواحد فى قوله (ذات) لان معناه جماعة ذات بهجة. و قيل: الحديقة البستان الذى فيه النخل، و (البهجة) منظر حسن ابتهج به إذا سر.
ثم قال (ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها) أى لم تكونوا تقدرون على إنبات شجر الحديقة، لان الله تعالى هو القادر عليه لا غيره. ثم قال منكراً عليهم (أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ) يقدر على ذلک. ثم قال (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) بالله غيره لجهلهم، و قيل: يعدلون عن الحق. و معنى الآية التنبيه على أن من قدر على إنبات الحدائق ذات الشجر و إخراج الشجر بأكرم الثمار، يجب اخلاص العبادة له، و إن من عدل الى الاشراک به كافر بهذه النعمة الخفية.

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِيَ وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (61) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ (62) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (64) قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَ ما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (65)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل البصرة و عاصم «عما يشركون» بالياء. الباقون بالتاء. و قرأ ابو عمرو و هشام و روح «قليلا ما يذكرون» بالياء. الباقون بالتاء. من قرأ بالياء فى الموضعين جعله للمخاطبين و من قرأ بالتاء فالى الغائبين.

يقول اللّه تعالى منبهاً على مواقع نعمه على خلقه، ممتناً بها عليهم بأن قال «أَمَّنْ» الذى «جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً» بأن أسكنها للاستقرار عليها، و إمكان التصرف عليها، فمن جعلها كذلك لمصالح عباده بها على ما يحتاجون اليه منها عالم حكيم، و هو أولى بالعبادة من الأصنام «وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً» يعنى خلال الأرض و هى المسالك فى نواحيها «أنهاراً» جمع نهر و هى المجرى الواسع من مجارى الماء، و أصله الاتساع، فمنه النهار لاتساع ضيائه، و منه انهار الدم إذا جرى، كالنهر «وَ جَعَلَ لَها رَواسِيَ» يعنى الجبال الثابتة، رست ترسو رسواً إذا ثبتت فلم تبرح من مكانها كالسفينة و غيرها، و منه المراسى.

و قوله «وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً» فالحاجز هو المانع بين الشيئين، أن يختلط أحدهما بالآخر، و قد يكون ذلك بكف كل واحد منهما عن صاحبه. و فى ذلك دلالة على إمكان كف النار عن الحطب، حتى لا تحرقه و لا تسخنه كما كف الماء المالح عن الاختلاط بالعذب. ثم قال «أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ» يقدر على ذلك، التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 110

تبكيتاً لهم على الاشراك به. ثم قال «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ» حقيقة ما ذكرناه لعدولهم عن النظر فى الدلالة المؤدية اليه. و قيل «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ» ما لهم و عليهم فى العبادة إن أخلصوها، او أشركوا فيها.

ثم قال «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ» فاجابة دعاء المضطر هو فعل ما دعا به، لأجل طلبه، و ذلك لا يكون إلا من قادر عليه مختار له، لأنه يقع على ما دعا به الداعى «وَ يَكْشِفُ السُّوءَ» يعنى الآلام يصرفها عنكم «وَ يَجْعَلُكُمْ

خُلَفاءَ الْأَرْضِ» أى يجعل أهل كل عصر يخلفون العصر الاول «أَ إِلهٌ مَعَ اللّهِ» يقدر على ذلک ثم قال «قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ» أى تفكرون قليلا بما قلناه و نبهنا عليه. ثم قال «أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» بما نصب لكم من الدلالات التى تستدلون بها، من الكواكب و غيرها (و من) الذى (يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ) يعنى بين يدى المطر و الغيث.
و من قرأ بالنون أراد ملقحات. و قيل: معناه منتشرة. و من قرأ بالباء أراد مبشرات بالمطر.
ثم نزه نفسه عن الاشراک به و اتخاذ إله معه فقال (تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ثم قال (أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) يبدؤهم بأن يخترعهم ابتداء، ثم يعيدهم بعد أن يميتهم، و يعيدهم الى ما كانوا عليه (وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ) من السماء بالغيث و المطر، و من الأرض بالنبات و انواع الثمار (أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ) يقدر على ذلک (قل) لهم يا محمد (هاتُوا بُرْهانَكُمْ) و حجتكم (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) فى قولكم محقين فى الاشراک معه، فإذا لم تقدروا علَى اقامة البرهان على ذلک، فاعلموا انه لا إله معه، و لا يستحق العبادة سواه، لان كل ما يكون حقاً من أمر الدين لا بد أن يكون عليه دلالة و برهان. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 111
ثم قال لنبيه (ص) (قل) يا محمد (لا يَعْلَمُ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) يعنى الغائب عن الخلق لا يعلم به إلا اللّه تعالى أو من أعلمه اللّه، ثم اخبر انهم لا يشعرون متى يبعثون و يحشرون يوم القيامة.

بَلِ ادَّارَکَ عِلْمُهُمْ فِی الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِی شَکٍّ مِنْها بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ (66) وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَ إِذا کُنَّا تُراباً وَ آباؤُنا أَ إِنَّا لَمُخْرَجُونَ (67) لَقَدْ وُعِدْنا هذا نَحْنُ وَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلاَّ أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ (68) قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِینَ (69) وَ لا تَحْزَنْ عَلَیْهِمْ وَ لا تَکُنْ فِی ضَیْقٍ مِمَّا یَمْکُرُونَ (70)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير، و أهل البصرة بل «أدراک» بقطع الهمزة، يقال: تدارک زيد أمره و أدارک بمعنى واحد. و مثله «إنا لمدركون» «1» و قد شدد الأعرج و روى السمونى- بكسر اللام- و وصل الهمزة و تشديد الدال من غير ألف.

الباقون «بل ادارک» بمعنى تتابع علمهم و تلاحق حتى كمل. و المعنى بل ادارک فى الآخرة أى حين لم ينفعهم اليقين مع شكهم فى الدنيا- على ما ذكره ابن عباس- و قيل: انه قرأ «بلى ادارک» و ادارک العلم لحاق الحال التى يظهر فيها

---

(1) سورة 26 الشعراء آية 62.

معلومه، ففى الآخرة يظهر الحق بما يرى من الأمور التى من شأنها أن يقع عندها علم بمقتضى ما يحدث من عظم الأمور و قيل: معنى «بَلِ» هاهنا (هل) فكأنه قال: هل ادارک علمهم، و معناه انهم لا يعلمون الآخرة «بَلْ هُمْ فِی شَکٍّ مِنْها» و من شدد الدال قال أصله تدارک فأدغموا التاء فى الدال و قلبوا ألف الوصل.

و قرأ أهل المدينة «إذا» على الخبر. الباقون بهمزتين على الاستفهام، و يحقق الهمزتين ابن عامر و أهل الكوفة و روح، إلا أن هشاماً يفصل بينهما بالف، و ابن كثير و ابو عمرو و رويس يخففون الأولى و يلينون الثانية. و يفصل بينهما بالف أبو عمرو، و اما «ائنا» فقراءته على الخبر، و زاد فيه نوناً ابن عامر و الكسائى.

الباقون بهمزتين و خففهما عاصم و حمزة و خلف و روح. الباقون يخففون الأولى و يلينون الثانية، و يفصل بينهما بالف أهل المدينة إلا ورشاً، و ابو عمرو. و قد مضى تعليل هذه القراءات فيما مضى.

لما اخبر اللّه تعالى عن الكفار أنهم لا يشعرون متى يحشرون يوم القيامة و انهم ساخرون فى ذلک، أخبر انهم يعلمون حقيقة ذلک يوم القيامة حين يبعثهم اللّه، و انه لا ينفعهم علمهم فى ذلک الوقت مع شكهم فى دار الدنيا. و أخبر انهم فى شک من البعث فى دار الدنيا، و أنهم عمون عن معرفة

حقيقته. و هو جمع (عمى) و شبه جهلهم بذلک بالعمى، لان کل واحد منها يمنع بوجوده من ادراک الشىء على ما هو به، لأن الجهل مضاد العلم، و العمى مناف الرؤية.
ثم حکى عن الکفار انهم قالوا متعجبين من البعث و النشور «أَ إِذا کُنَّا تُراباً» و يکون «آباؤُنا» تراباً ايضاً «أَ إِنَّا لَمُخْرَجُونَ» من قبورنا و مبعوثون، يقولون ذلک مستهزئين منکرين. ثم اخبر انهم يحلفون و يقولون «لَقَدْ وُعِدْنا هذا» البعث «نَحْنُ» فيما مضى و کذلک وعد به «آباؤُنا» و لم نعرف حقيقة التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 113
ذلک، ثم حکى انهم يقولون ليس «هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» و انما اشتبه عليهم النشأة الثانية لطول المدة فى النشأة الاولى على مجرى العادة، و لو نظروا فى أن من اجرى هذه العادة حکيم، و انه قادر على نقض العادة، کما قدر على إجرائها لزالت شبهتهم.
ثم امر نبيه (ص) ان يقول لهم «سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَيْفَ کانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ» لأنهم يرون آثار آبائهم و کيف أهلکهم اللَّه و خرب ديارهم کعاد و ثمود و غيرهم، فيعلمون عند ذلک صحة ما قلناه، و لا يأمنوا أن يحل بهم مثل ما حل بهم.
ثم نهى نبيه (ص) ان يحزن عليهم و يتأسف علىترکهم الايمان و أن لا يکون فى ضيق نفسه «مِمَّا يَمْکُرُونَ»، فان وبال مکرهم عائد عليهم.

وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (71) قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (72) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ (73) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما يُعْلِنُونَ (74) وَ ما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (75)

خمس آيات بلا خلاف.

حكى اللّه تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم «يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ» الذى توعدنا به «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» فى اخباركم بذلك فى البعث و النشور، و الوعد من الحكيم على ضربين:

أحدهما- ان يكون مقيداً بوقت، فإذا جاء ذلك الوقت فلا بد أن يفعل فيه ما وعد به.

و الثانى- ان يكون مطلقاً غير موقت إلا انه لا بد أن يكون معلوماً لعلام الغيوب الوقت الذى يفعل فيه الموعود به، فإذا كان ذلك الوقت معلقاً بزمان تعين عليه الفعل فى ذلك الوقت، فلا بد للموعود به من وقت، و إن لم يذكر مع الوعد.

ثم امر نبيه (ص) ان يقول لهم «عَسى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ» فعسى من اللّه واجبة، و المعنى ان الذى وعدكم اللّه به لا بد أن يردفكم، و الردف الكائن بعد الأول قريباً منه. و الفرق بينه و بين التابع أن فى التابع معنى الطلب لموافقة الأول، و ترادف إذا تلاحق، تلاحقا ترادفا، و اردفه ارداف‌اً. و معنى «رَدِفَ لَكُمْ» قرب منكم ودنا- فى قول ابن عباس- و قيل:

تبع لكم. و الاستعجال طلب الأمر قبل وقته، فهؤلاء الجهال طلبوا العذاب قبل وقته تكذيباً به. و قد أقام اللّه عليهم الحجة فيه. و (ردف) من الافعال التى تتعدى بحرف و بغير حرف، كما قال الشاعر:

فقلت لها الحاجات تطرحن بالفتى و هم تعانى معناً ركائبه «1»

و قيل: ان الباء انما دخلت للتعدية. و قيل: انما دخلت لما كان معنى تطرحن ترمين، و كذلك لما كان معنى «رَدِفَ لَكُمْ» دنا، قال «لكم» قال المبرد: معناه

---

(1) البيت فى مجمع البيان 4/ 231.

ردفكم و اللام زائدة. و قيل «بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ» يوم بدر. و قيل: عذاب القبر.

ثم قال «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» و الفضل الزيادة على ما للعبد بما يوجبه الشكر، فالعدل حق العبد. و الفضل فيه واقع من اللَّه لا محالة إلا انه على ما يصح و تقتضيه الحكمة.
ثم اخبر ان «أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ» اللَّه على نعمه بل يكفرونه.
ثم قال لنبيه (ص) «وَ إِنَّ رَبَّکَ» يا محمد «لَيَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ» أى ما تخفيه صدورهم، يقال: كننت الشىء فى نفسى، و أكننته إذا سترته فى نفسک، فهو مكن و مكنون لغتان. قال الرمانى: الأكنان جعل الشىء بحيث لا يلحقه أذى لمانع يصد عنه «وَ ما يُعْلِنُونَ» أى يعلم ما يظهرونه ايضاً.
ثم قال «وَ ما مِنْ غائِبَةٍ فِى السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» أى ليس شىء يغيب علمه عن أهل السماء و الأرض «إِلَّا» و يبينها اللَّه «فِى كِتابٍ مُبِينٍ» و هو الكتاب المحفوظ. و قال الحسن: الغائبة القيامة. و قال النقاش: ما غاب عنهم من عذاب السماء و الأرض. و قيل: هو ما أخفاه الإنسان عن قلبه و عينه. و قال البلخى: معنى «فِى كِتابٍ مُبِينٍ» أى هو محفوظ لا ينساه كما يقول القائل: أفعالک عندى مكنونة أى محفوظة.

إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلى بَنِى إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (76) وَ إِنَّهُ لَهُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (77) إِنَّ رَبَّکَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (78) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّکَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79) إِنَّکَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (80)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 116

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير «و لا يسمع» بياء مفتوحة و فتح الميم «الصم» بالرفع.

و مثله فى الروم. الباقون «تسمع» بالتاء و كسر الميم «الصم» بالنصب، فوجه قراءة ابن كثير انه أضاف الفعل الى الصم، فلذلک رفعه. و وجه قراءة الباقين أنهم أضافوا الفعل الى النبى (ص) و جعلوا الصم مفعولا ثانياً.

اخبر اللّه تعالى أن هذا القرآن الذى أنزله على نبيه محمد (ص) «يَقُصُّ عَلى بَنِى إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ» الأشياء التى اختلفوا فيها الكفار. و القصص كلام يتلو بعضه بعضاً فيما ينبئ عن المعنى، و من أجاب غيره عما سأل لم يقل له انه يقص لأنه اقتصر على مقدار ما يقتضيه السؤال. و الاختلاف ذهاب كل واحد الى خلاف ما ذهب اليه صاحبه. و الاختلاف ايضاً امتناع احد الشيئين أن يسد مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته. و اختلاف بنى إسرائيل نحو اختلافهم فى المسيح حتى قالت اليهود فيه ما قالت، و كذبت بنبوته. و قالت النصارى ما قالته من نبوته، و وجوب إلهيته، و كاختلاف اليهود فى نسخ الشريعة، فأجازه قوم فى غير التوراة و أباه آخرون، فلم يجيزوا النسخ أصلا، و اعتقدوا أنه بدأ.

و كاختلافهم فى المعجز، فقال بعضهم: لا يكون إلا بما لا يدخل تحت مقدور العباد. و قال آخرون: قد يكون إلا أنه ما يعلم أنه لا يمكن العباد الإتيان به،

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 117

و كاختلافهم فى صفة المبشر به فى التوراة، فقال بعضهم: هو يوشع بن نون.

و قال آخرون: بل هو منتظر لم يأت بعد. و كل ذلک قد دل القرآن على الحق فيه. و قيل: قد بين القرآن اختلافهم فى من سلف من الأنبياء. و قيل: ان بنى إسرائيل اختلفوا حتى لعن بعضهم بعضاً كالإسماعيلية و العنانية و السامرة.

ثم وصف تعالى القرآن ب «إِنَّهُ لَهُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» معناه انه بيان للحق فيما وقع الاختلاف فيه من بنى إسرائيل و غيرهم إذا رجعوا اليه علموا مفهومه، و انه من عند حكيم، لا يقول إلا بالحق، فالهدى الدلالة على طريق الحق الذى من سلكه اداه الى الفوز بالنعيم فى جنة الخلد، فالقرآن هدى

من هذا الوجه، و رحمة للمؤمنين فى تأديته الى ما فيه من مرضات اللّه تعالى.
ثم خاطب نبيه (ص) فقال (ان ربک) يا محمد (يَقْضِى بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) أى العزيز فى انتقامه من المبطلين العليم بالمحق المبين منهم من المبطل. و قيل: العليم بصحة ما يقضى به العزيز بما لا يمكن رد قضائه، فهو يقضى بين المختلفين بما لا يمكن أن يرد و لا يلتبس بغير الحق.
و فى الآية تسلية للمحقين الذين خولفوا فى أمر الدين، لان أمرهم يؤول الى ان يحكم بينهم رب العالمين بما لا يمكن دفعه و لا تلبيسه.
ثم خاطب بينه (ص) فقال (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) يا محمد (إِنَّکَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ) الظاهر البين فى ما تدعو اليه. ثم شبه الكفار بالموتى الذين لا يسمعون ما يقال لهم، و بالصم الذين لا يدركون دعاء من يدعوهم، من حيث انهم لم ينتفعوا بدعائه و لم يصيروا الى ما دعاهم اليه، فقال (انک) يا محمد (لا تُسْمِعُ الْمَوْتى) لأن ذلک محال (وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) أى اعرضوا عن دعائک و لم يلتفتوا اليه و لم يفكروا فى ما تدعوهم اليه، فهؤلاء الكفار بترک الفكر فى ما يدعوهم التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 118
اليه النبى (ص) بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون، و بمنزلة الصم الذين لا يدركون الأصوات.

وَ ما أَنْتَ بِهادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (81) وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ (82) وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ (83) حَتَّى إِذا جاؤُ قالَ أَ كَذَّبْتُمْ بِآياتِي وَ لَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْماً أَمَّا ذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (84) وَ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِما ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ (85)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة «تهدى» بالتاء مفتوحة و بسكون الهاء «العمى» بنصب الياء.

و يقف على «تهدى» بالياء. الباقون «بهاد» بباء مكسورة و بألف بعد الهاء، و خفض الياء من «العمى» على الاضافة فى الموضعين. فقراءة حمزة تفيد الفعل المضارع.

و قراءة الباقين اسم الفاعل.

يقول اللَّه تعالى لنبيه لست يا محمد تهدى العمى عن ضلالتهم. و الهادى هو الذى يدعو غيره الى الحق و يرشد اليه. و قد يدعو بالنطق بأن يقول: هو صواب و قد يدعو اليه بأن يبين أنه صواب، فانه ينبغى أن يعمل عليه و يعتقد صحته. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 119

و الضلالة الذهاب عن طريق الصواب و هو الهلاك بالذهاب عنه. و إنما شبه اللَّه تعالى الكفار بأنهم عمى، لأنهم من حيث لم يهتدوا الى الحق، و لم يصيروا اليه فكأنهم عمى، و انما نفى أن يهديهم الى الحق بأن يحملهم عليه او يجبرهم عليه، و لم ينتف أن يكون هادياً لهم بالدعاء اليه، و يبين لهم الحق فيه.

و قوله «إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا» معناه لا تسمع إلا من يطلب الحق بالنظر فى آياتنا و لا يلبث أن يسلم، لان الدلائل تظهر له، و عقله يخاصمه حتى يقول بالحق و يعتقده. و انما قال انه يسمع المؤمنين، من حيث أنهم الذين ينتفعون به و يسلمون له.

و قوله «وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ» قال قتادة: معناه وجب الغضب عليهم، و قال مجاهد: حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون. و قيل: معناه إذا وقع القول عليهم بأنهم قد صاروا الى منزلة من لا يفلح أحد منهم و لا أحد بسببهم، أخذوا حينئذ بمنادى العقاب بإظهار البراءة منهم. و قال ابن عمر، و عطية: إذا لم يأمر الناس بالمعروف و ينهوا عن المنكر تخرج الدابة. و قيل: انها تخرج من بين الصفا و المروة. و

روى محمد بن كعب القرظى عن على (عليه السلام) انه سئل عن الدابة، فقال: (اما و اللَّه ما لها ذنب و إن لها لحية)

و فى هذا القول منه (ع) إشارة الى انه من ابن آدم. و قال ابن عباس: دابة من دواب اللّه لها زغب و ريش لها أربعة قوائم. و قال ابن عمر: انها تخرج حتى يبلغ رأسها الغيم، فيراها جميع الخلق. و معنى «تكلمهم» قيل فيه قولان:
أحدهما- تكلمهم بما يسوؤهم من انهم صائرون الى النار، من الكلام بلسان الآدميين الذى يفهمونه و يعرفون معناه، فتخاطب واحداً واحداً، فتقول له: يا مؤمن يا كافر. و قيل «تكلمهم بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون» التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 120
أى بهذا القول. ذكره ابن مسعود.
الثانى- تكلمهم من الكلام. و قيل
إنها تكتب على جبين الكافر أنه كافر و على جبين المؤمن أنه مؤمن. و روى ذلک عن النبى (ص).
ثم قال «وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ» و استدل به قوم على صحة الرجعة فى الدنيا، لأنه قال: من كل أمة، و هى للتبعيض فدل على ان هناک يوماً يحشر فيه قوم دون قوم، لأن يوم القيامة يحشر فيه الناس عامة، كما قال «وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً» «1».
و من حمل الآية على أن المراد باليوم يوم القيامة قال: إن (من) زائدة، و التقدير و يوم نحشر كل أمة فوجاً أى فوجاً فوجاً من الذين كذبوا بآيات اللّه و لقاء الآخرة «فَهُمْ يُوزَعُونَ» أى يجمعون. و قال ابن عباس: معناه يدفعون. و قيل:
يساقون. و قيل: يوقف أولهم على آخرهم.
و قوله «وَ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِما ظَلَمُوا» أى صاروا الى منزلة من لا يفلح احد منهم، و لا احد بسببهم، «فَهُمْ» فى ذلک الوقت «لا يَنْطِقُونَ» بكلام ينتفعون به. و يجوز أن يكون المراد «لا ينطقون» أصلا لعظم ما يرونه و يشاهدونه من أهوال القيامة.
و قرأ اهل الكوفة «تكلمهم أن الناس» بفتح الالف، لان ابن مسعود قرأ «بأن الناس» فلما سقطت الباء نصبوا (أن). الباقون بالكسر على الاستئناف. و روى عن ابن عباس «تكلمهم» مخففاً اى تسمهم و تجرحهم تقول العرب كلمت زيداً إذا جرحته. و قد يقال ايضاً بالتشديد من الجراح، و لا يقال فى الكلام إلا بالتشديد.

---

(1) سورة 18 الكهف آية 48.

أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (86) وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ وَ كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ (87) وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ (88) مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (89) وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (90)

إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَها وَ لَهُ كُلُّ شَىْءٍ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91) وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (92) وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (93)

ثمان آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 122

قرأ حمزة و الكسائى و خلف و حفص عن عاصم «و كل أتوه» مقصورة على وزن (فلوه) الباقون «آتوه» ممدودة و مضمومة التاء على وزن (فالوه) و قرأ اهل الكوفة (من فزع) منوناً (يومئذ) بفتح الميم. الباقون بغير تنوين على الاضافة إلا ورشاً فانه نصب الميم من (يومئذ) مع الاضافة. و وجه هذه القراءة انه جعل (يوم) مع (إذ) كالاسم الواحد، لان إضافة (يوم) الى (إذ) ليست محضة، لان الحروف لا يضاف اليها، و لا الى الافعال، و انما أجازوا فى اسماء الزمان الاضافة الى الحروف و الى الافعال نحو: هذا يوم ينفع، لما خص و كثر، و قرأ اهل البصرة و ابن كثير و ابو بكر إلا يحيى و الداجونى عن ابن ذكوان (يفعلون) بالياء، الباقون بالتاء. و قرأ اهل المدينة و ابن عامر و يعقوب (عما تعملون) بالتاء. الباقون بالياء.

يقول اللّه تعالى منبها لخلقه على وجه الاعتبار و التنبيه على النظر بالفكر بجعله تعالى الليل ليسكن فيه خلقه، من الحيوان من الحركات، لأن من جعل الشىء لما يصلح له من الانتفاع، فإنما ذلک باختياره دون الطبع، و ما يجرى مجراه مما ليس مختار، ففى ذلک بطلان قول كل مخالف فيه. و قوله (وَ النَّهارَ مُبْصِراً) يحتمل أمرين:

أحدهما- انه جعل النهار ذا إبصار، كما قال (عِيشَةٍ راضِيَةٍ) «1» أى ذات رضا، و كما قال النابغة:

كلينى لهم يا أمية ناصب «2»

أى لهم ذى نصب.

---

(1) سورة 69 الحاقة آية 21 و سورة 101 الزلزال آية 7 [.....]

(2) مر تخريجه فى 5/ 95، 329.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 123
الثانى- لأنه يريک الأشياء كما يراها من يبصرها بالنور الذى تجلى عنها فقيل هو كقول جرير:
لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى و نمت و ما ليل المطى بنائم «1»
اى بالذى ينام فيه. ثم قال (إِنَّ فِى ذلِکَ لَآياتٍ) يعنى دلالات واضحات لقوم يصدقون باللّه و بتوحيده. و قوله (وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ) منصوب بتقدير: و اذكر (يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ) أى و ذلک يوم ينفخ فى الصور، يعنى قوله (وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِما ظَلَمُوا ... يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ) و يجوز أن يكون على حذف الجواب، و تقديره و تكون البشارة الثانية يوم ينفخ فى الصور. و قيل: تقديره و يوم ينفخ فى الصور يفزع، لان المعنى إذا نفخ فى الصور فزع إلا أنه لما جاء الثانى بالفاء اغنى عن (يفعل) لأنها ترتب.
و قال الحسن و قتادة: الصور صور الخلق. و قال مجاهد: هو قرن كالبوق ينفخ فيه. و قيل: النفخة الأولى نفخة الفزع. و الثانية نفخة الصعق، و الثالثة نفخة القيام لرب العالمين.
و قيل: معنى (فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ) من شدة الاسراع و الاجابة، يقال: فزعت اليک فى كذا إذا أسرعت الى نَدائه فى معونتک و قيل: هو ضد الأمن، و هو الأولى. و قيل: وجه النفخ فى الصور أنه على تصور ضرب البوق للاجتماع على المسير الى أرض الجزاء بالحال التى تعرف فى دار الدنيا. و من ذهب الى أنه جمع صورة قال: المعنى نفخ الأرواح فى الأجساد بردها الى حال الحياة التى كانت عليها. و قوله (إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ)
روى فى الخبر أن الشهداء من جملة الخلق لا يفزعون ذلک اليوم.
و قيل:

---

(1) مر تخريجه فى 5/ 465.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 124
(إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ) يعنى من الملائكة الذين يثبت اللَّه قلوبهم. و قيل: إسرافيل هو النافخ فى الصور بأمر اللّه تعالى. ثم قال (وَ كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ) معناه إن جميع الخلق جاءوا للّه داخرين أى صاغرين. فمن قصر، حمله على انهم أتوه أى جاءوه. و من مدّ، حمله على أنهم جايئوه على وزن (فاعلوه).
و لفظة (كل) هاهنا معرفة، لأنها قطعت عن الإضافة، كما قطع قوله (من قبل و من بعد) «1» إلا أنه لم يبن، لأنه قطع عن متمكن التمكن التام. و ليس كذلک (من قبل و من بعد) لأنه كان ظرفاً لا يدخله الرفع.
و قوله (وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ) قال ابن عباس: تحسبها قائمة و هى تسير سيراً حثيثاً سريعاً قال النابغة الجعدى:

نازعن مثل الطود يحسب أنهم وقوف لحاح و الركاب تهملج «2»
أى من أجل كثرتهم و التفافهم يحسب انهم وقوف، فكذلك الجبال.
و قوله (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ) نصب (صُنْعَ اللَّهِ) بما دل عليه ما تقدم من الكلام من قوله (تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ) فكأنه قال: صنع اللَّه صنع الذى أتقن كل شىء إلا انه اظهر اسم اللَّه فى الثانى، لأنه لم يذكر فى الأول و انما دل عليه. و الإتقان حسن إيناق. و قوله (إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ) أى عليم بأفعالهم فيجازيهم بحسبها على الطاعة بالثواب و على المعصية بالعقاب.
ثم بين كيفية الجزاء، فقال (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ) يعنى بالخصلة الحسنة (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) أى خير يصيبه منها. و قيل: فله أفضل منها فى عظم النفع لأن له بقيمتها و بالوعد الذى وعده اللَّه بها كأنه قال: من أتى بالحسنة التى هى الايمان و التوحيد و الطاعة للَّه يوم القيامة يكون آمناً لا يفزع كما يفزع الكفار

---

(1) سورة 30 الروم آية 4
(2) تفسير الطبرى 20/ 14.

و الفساق. و قيل: هم من فزع الموت فى الدنيا آمنون فى الآخرة. و قيل: من فزع يوم القيامة فى الجنة آمنون. ثم قال (وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ) يعنى بالمعصية الكبيرة التى هى مثل الكفر و الشرك، و ما جرى مجراهما. و قال جميع المفسرين:
إن السيئة- هاهنا- الشرك، فان اللَّه تعالى يكبه على وجهه فى النار. و يقال: كبه و أكبه إذا نكسه، و يقال لهم (هَلْ تُجْزَوْنَ) بهذا العقاب (إلا) مكافأة لما كنتم تفعلون و تعملون فى دار التكليف من المعاصى.
ثم قال لنبيه (قل) لهم (إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ) يعنى مكة- فى قول ابن عباس- و قال غيره: منى، أى أمرت بعبادة رب هذه البلدة لم أؤمر بعبادة سواه (الَّذِى حَرَّمَها) و قيل: معنى (حرمها) عظم حرمتها من أن يسفك دم حرام فيها أو يظلم أحد فيها أو يصطاد صيدها أو يخلى خلاؤها و قيل: حرمها حتى أمن الوحش فيها، فلا يعدو الكلب على الغزال، و لا على الطير و لو خرج من الحرم لنفر أشد النفور، فذكر لهذه الآية فى الحرم (وَ لَهُ كُلُّ شَىْءٍ) أى يملك كل شىء بالتصرف فيه على وجه يريده و يختاره، و ليس لأحد منعه منه (وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) الذين يسلمون بتوحيده و اخلاص العبادة له مستسلمين له (وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ) عليكم و أدعوكم الى ما فيه (فَمَنِ اهْتَدى) الى الحق و العمل بما فيه (فَإِنَّما يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ) لأن جزاء ذلک و ثوابه يصل اليه دون غيره (و من ضل) عنه و جار و لم يعمل بما فيه و لم يهتد الى الحق (و قل) له يا محمد (إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ) الذين يخوفون بعقاب اللَّه من معاصيه، و يدعون الى طاعته. و

فى ذلَک دلالة على فساد قول المجبرة الذين يقولون: ان اللّه يخلق الايمان و الهداية و الكفر و الضلالة.
ثم امر نبيه (ص) بان يقول (الحمد للَّه) اعترافا بنعمه (سَيُرِيكُمْ التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 126
آياتِهِ)
يعنى دلالاته التى ليس يمكنكم جحدها. و قال الحسن: معناه يريكم آياته فى الآخرة فتعرفون انها على ما قال فى الدنيا، و قيل: يركم فى الدنيا ما ترون من الآيات فى السماء و الأرض، فتعرفونها أنها حق. ذكره مجاهد. ثم قال و ليس ربک يا محمد (بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) من قرأ بالياء يعنى عما يفعله المشركون. و من قرأ بالتاء، فعلى تقدير: قل لهم: ليس ربكم بغافل عما تعملونه بل هو عالم بجميع ذلک فيجازيكم عليه، و فى ذلک غاية التهديد.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 127

28-سورة القصص ..... ص : 127

اشارة

مكية فى قول قتادة و الحسن و عطاء و عكرمة و مجاهد ليس فيها ناسخ و لا منسوخ و قال ابن عباس آية منها نزلت بالمدينة و قيل بالجحفة و هى قوله «إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْکَ الْقُرْآنَ لَرادُّکَ إِلى مَعادٍ» و هى ثمانون و ثمان آيات بلا خلاف فى جملتها و اختلفوا فى رأس آيتين سأذكرها عند كتابتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
طسم (1) تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ (2) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِى الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِى نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4)
وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ (5)
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 128
خمس آيات كوفى و أربع فيما عداه. عد الكوفى «طسم» آية و لم يعدها الباقون.
قد بينا معنى هذه الحروف فى أوائل السور فى عدة مواضع، فلا فائدة فى إعادته، و قوينا قول من قال: إنها اسماء للسور.
و قوله «تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ» أى تلك آيات الكتاب التى وعدتم بانزالها. و قيل معناه هذا القرآن هو الكتاب المبين- ذكره الحسن- و قيل: فى معنى «المبين» قولان: أحدهما- قال قوم: المبين أنه من عند اللَّه. و قال قتادة: المبين الرشد من الغى. و المبين هو البين أيضاً. و أضاف الآيات الى الكتاب، و هى الكتاب كما قال «إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ» «1».
ثم خاطب نبيه (ص) فقال «نَتْلُوا عَلَيْكَ» يا محمد طرفاً من اخبار «مُوسى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ» على حقيقة البيان و هو اظهار المعنى للنفس بما تميزه من غيره مشتق من أبنت كذا من كذا إذا فصلته منه. و البرهان إظهار المعنى للنفس بما يدعو الى انه حق مما هو حق فى نفسه. و التلاوة الإتيان بالثانى بعد الأول فى القراءة بما يتلوه تلاوة، فهو تال لمقدم، و المقدم و التالى مثل الأول و الثانى.
و النبأ الخبر عما هو أعظم شأناً من غيره. و الحق هو ما يدعو اليه العقل، و نقيضه الباطل، و هو ما صرف عنه العقل.
و قوله «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» معناه إنا نتلو عليك هذه الأخبار لقوم يصدقون باللَّه، و بما أنزل عليك، لأنهم المنتفعون به، و الايمان الصديق بفعل ما يؤمن من العقاب.
ثم اخبر تعالى فقال «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِى الْأَرْضِ» أى تجبر و بغى- فى

---

(1) سورة 96 الحاقة آية 51.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 129
قول قتادة و غيره- ببغيه و استعباده بنى إسرائيل، و قتل أولادهم. و قيل:

بقهره و ادعائه الربوبية. و قيل: بشدة سلطانه «وَ جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً» أى قوماً «يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ» فيستعبدهم و «يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ» أى يستبقى بناتهم فلا يقتلهن، و قيل: إنه كان يأمر بإخراج أحيائهن الذى فيه الولد و الأول هو الصحيح.
ثم اخبر تعالى و حكم بأن فرعون «كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» فى الأرض و العاملين بمعاصى اللّه. ثم وعد تعالى فقال «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ» و هو عطف على قوله «يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ» و نحن نريد أن نمن.
و قال قتادة: يعنى من بنى إسرائيل «وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً» يقتدى بهم «وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ» لمن تقدمهم من قوم فرعون.
و
روى قوم من أصحابنا أن الآية نزلت فى شأن المهدى (ع) و أن اللّه تعالى يمن عليه بعد أن استضعف. و يجعله إماماً ممكناً، و يورثه ما كان فى ايدى الظلمة.
قال السدى: إن فرعون رأى فى منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط و تركت بنى إسرائيل فسأل علماء قومه، فقالوا: يخرج من هذا البلد رجل يكون هلاک مصر على يده، فأمر بذبح أبنائهم و استحياء نسائهم، و أسرع الموت فى شيوخ بنى إسرائيل، فقالت القبط لفرعون: ان شيوخ بنى إسرائيل قد فنوا، و صغارهم قد قتلتهم، فاستبقهم لعملنا و خدمتنا، فأمرهم أن يستحيوا فى عام، و يقتلوا فى عام، فولد فى عام الاستحياء هارون، و ولد فى عام القتل موسى، قال الضحاک: عاش فرعون التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 130
أربع مائة سنة، و كان قصيراً و سيماً، و هو أول من خضب بالسواد. و عاش موسى مائة و عشرين سنة. و قيل: ان فرعون كان من أهل الإصطخر.

وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ (6) وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ (8) وَ قالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (9) وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10)
خمس آيات بلا خلاف.
قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «و حزناً» بضم الحاء، و اسكان الزاى.
الباقون بفتحهما، و هما لغتان. يقال: حزن و حزن مثل نجل و نجل. و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «و يرى فرعون و هامان» بالياء و رفع (فرعون، و هامان) بإسناد الرؤية اليهما. الباقون بالنون، و نصب (فرعون و هامان) بإسناد الفعل الى اللّه، و كونهما مفعولين. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 131
لما اخبر اللّه تعالى أنه يريد ان يمن على الذين استضعفوا فى الأرض و يجعلهم ائمة، أخبر فى هذه الآية أنه يريد أن يمكنهم فى الأرض، و التمكين هو فعل جميع ما لا يصح الفعل و لا يحصل إلا معه: من القدرة و الآلة و اللطف و غير ذلک.
و قال الرمانى: اللطف لا يدخل فى التمكين، لأنه لو دخل فيه لكان من لا لطف له لم يكن ممكناً، و لكن يقال: انه من باب ازاحة العلة. ثم بين انه تعالى «نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ» يعنى من بنى إسرائيل «ما كانُوا يَحْذَرُونَ» من زوال ملكهم على يد رجل من بنى إسرائيل، و لذلک ذبح فرعون أبناءهم.
و من قال: ان الآية فى شأن المهدى (ع) حمل فرعون و هامان على فرعون هذه الأمة و هامانها، و الكناية فى «مِنْهُمْ» عائدة على أنصار المهدى (ع) قالوا: و هذه أولى، لأنه بلفظ الاستقبال، لأن فى أوله النون او الياء على اختلاف القراءتين و هما للمضارعة.
و الحذر توقى ما فيه المضرة، فهؤلاء الذين طلبوا الحذر فى غير وجهه، إذ قتلوا الأطفال ظلماً لأجله، و لو طلبوه بالرجوع الى اللّه، و دعائه ليكشف عنهم لكانوا طالبين له من وجهه.
و قوله «وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى» أى ألهمناها، و قذفنا فى قلبها، و ليس بوحى نوم، و لا نبوة- فى قول قتادة و غيره- و قال الجبائى: كان الوحى رؤيا منام عبر عنه مؤمن به من علماء بنى إسرائيل. و قوله «أَنْ أَرْضِعِيهِ» أى

ألهمناها إرضاع موسى «فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ» فالخوف توقع ضرر لا يؤمن به.
و قال الزجاج: معنى «أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى» اعلمناها، و قوله «فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ» أمر من اللّه تعالى لأم موسى انها إذا خافت على موسى من فرعون أن ترضعه و تطرحه فى اليم. و اليم البحر، و يعنى به النيل «وَ لا تَخافِى وَ لا تَحْزَنِى» نهى من اللّه تعالى التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 132
لها من الخوف و الحزن، فانه تعالى أراد أن يزيل خوف أم موسى بما وعدها اللّه من سلامته على أعظم الأمور فى القائه فى البحر الذى هو سبب الهلاک فى ظاهر التقدير، لو لا لطف اللّه تعالى بحفظه حتى يرده الى أمه. و وعدها بأنه يرده عليها بقوله «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ» و وعدها أيضاً بان يجعله من جملة الأنبياء المرسلين بقوله «وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ».
ثم اخبر ان آل فرعون التقطوه، و فى الكلام حذف، لان تقديره ان أم موسى طرحته فى البحر و مضى فى البحر الى أن بلغ قصر فرعون فالتقطه آل فرعون. و الالتقاط هو اصابة الشىء من غير طلب، و من اللقطة قال الراجز:
و منهل وردته التقاطا لم ألق إذ وردته فراطا «1»
و قوله «لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» اللام لام العاقبة، لأنهم لم يلتقطوه لأن يصير لهم عدواً و حزناً، بل التقطوه ليكون قرة عين لهم، و مثله قول الشاعر:
لدوا للموت و ابنوا للخراب «2»
و منه قوله «وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً» «3». ثم اخبر تعالى «إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ» عاصين للّه فى أفعالهم، ثم حكى تعالى أن امرأة فرعون لما جىء بموسى اليها و رأته و عطف اللّه بقلبها عليه جاءت به الى فرعون، و قالت «قُرَّتُ عَيْنٍ لِى وَ لَكَ» أى قرة عين هذا الولد لى و لک «لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً» إذا ربيناه و كبر «وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» بأن هلاكهم على يديه، فى قول قتادة.
ثم قال «وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً» قال ابن عباس و قتادة و الضحاک:

---

(1) تفسير الطبرى 20/ 19 و القرطبى 13/ 252
(2) مر فى 3/ و 6 و 5/ 43
(3) سورة 7 الاعراف آية 178.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 133
معناه فارغاً من كل شىء إلا من ذكر موسى. و قال الحسن و ابن زيد و ابن إسحاق: فارغاً من وحينا بنسيانه، فإنها نسيت ما وعدها اللّه به. و قيل: فارغاً من الحزن لعلمها بأن ابنها ناج سكوناً الى ما وعد اللّه و قبلت به. و قوله «إِنْ كادَتْ لَتُبْدِى بِهِ» قال ابن عباس و قتادة و السدى: معناه كادت

لتبدی بِذَکر موسی. و تقَول: یا ابناه. و قیل: ان کادت لتبدی بالوحی. و قوله «لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلی قَلْبِها» فالربط علی القلب تقویته علی الأمر حتی لا یخرج منه الی ما لا یجوز، و جواب (لو لا) محذوف، و تقدیره لو لا أن ربطنا علی قلبها لأظهرته. و قوله «لِتَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ» معناه فعلنا ذلک بها لتکون من جملة المؤمنین المصدقین بتوحید اللّه و عدله.

وَ قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (11) وَ حَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ ناصِحُونَ (12) فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (13) وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوى آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14) وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (15)

خمس آيات بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن أم موسى أنها قالت لأخت موسى: قصيه أى اتبعى اثره، يقال قصه يقصه قصاً إذ اتبع اثره، و منه القصص، لأنه حديث يتبع بعضه بعضاً يتبع الثانى للأول، و الاقتصاص اتباع الجانى فى الأخذ بمثل جنايته فى النفس.

«فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ» معنى (فَبَصُرَتْ بِهِ) رأته، و هو لا يتعدى إلا بحرف الجر. و الرؤية تتعدى بنفسها، و قال مجاهد: معناه عن بعد، و مثله أبصرته عن جنابة قال الأعشى:

أتيت حريثاً زائراً عن جنابة فكان حريث عن عطائى جامداً «1»

أى عن بعد، و قيل: معنى «عن جنب» عن مكان جنب، و هو الجانب لأن الجنب صفة وقعت موقع الموصوف لظهور معناه، و كان ذلك احسن و أوجز «وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» قال قتادة: معناه و آل فرعون لا يشعرون انها أخته.

و قوله «وَ حَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ» و هى جمع مرضعة و معناه منعناه منهن و بغضناهن اليه، فكان ذلك كالمنع و النهى، لا أن هناك نهياً عن الفعل، قال الشاعر:

جاءت لتصرعنى فقلت لها اقصرى انى امرؤ صرعى عليك حرام «2»

اى ممتنع فانى فارس أمنعك من ذلك، و مثله قولهم: فلان حرم على

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 43

(2) مر هذا البيت فى 3/ 489.

نفسه كذا بالامتناع منه، كالامتناع بالنهى. و قوله «من قبل» أى من قبل ردّه على أمه «فَقالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ ناصِحُونَ» معناه يضمنونه برضاعه و القيام عليه، و ينصحونه فى ذلك، فقيل لأخته من

أين قلت: انهم ناصحون له أ عرفت أهله، فقالت: إنما عنيت ناصحون للملک. و النصح اخلاص العمل من شائب الفساد، و هو نقيض الغش: نصح ينصح نصحاً، فهو ناصح فى عمله، و ناصح فى نفسه فى توبته إذا أخلصها. و قوله «فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ» قيل: إن فرعون سأل أمه كيف يرتضع منک، و لم يرتضع من غيرک؟! قالت: لأنى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أؤتى بصبى إلا ارتضع منى. و بين تعالى انه إنما فعل ذلک «كَىْ تَقَرَّ عَيْنُها» يعنى عين أمه، فرده عليها «وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» لا بد من كونه. ثم قال «وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ» اى الخلق «لا يَعْلَمُونَ» حقيقة ما يراد بهم. و قيل: من قوم فرعون ما علمته أم موسى، و من لطيف تدبير الله تسخير فرعون لعدوه حتى تولى تربيته.
و قوله «وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوى» قال قتادة: أشده ثلاث و ثلاثون سنة، و استوائه أربعون سنة. و قيل استواء قوته (آتيناه) يعنى أعطيناه (حُكْماً وَ عِلْماً) قال السدى: يعنى النبوة. و قال عكرمة: يعنى العقل.
و قال مجاهد: الفرقان. و الحكم الخبر بما تدعو اليه الحكمة. و المعنى علمناه من الحكمة ما تقتضى المصلحة، و أوحينا اليه بذلک. ثم قال: و مثل ما فعلنا به نجزى أيضاً من فعل الإحسان. و فعل الطاعات و الافعال الحسنة.
ثم اخبر تعالى إن موسى (دَخَلَ الْمَدِينَةَ) يعنى مصر، و قيل: غيرها (عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها) قيل: إنه كان وقت القائلة. و قيل: لأنهم التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 136
غفلوا عن ذكره لبعد عهدهم به. و قيل: انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم و لعبهم. و قوله (فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ) قال مجاهد: يعنى من شيعته إنه كان اسرائيلياً، و الآخر إنه كان قبطياً. و قال ابن إسحاق: كان أحدهما مسلماً، و الآخر كافراً (فَاسْتَغاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ) أى استنصره لينصره (فَوَكَزَهُ مُوسى) اى دفع فى صدره، و جميع كفه (و لكزه) مثل وكزه و لهزه (فقضى عليه) اى مات، فقال عند ذلک موسى (هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ) اى من اغوائه حتى زدت من الإيقاع به، و إن لم اقصد قتله. و قيل: ان الكناية عن المقتول، فكأنه قال: ان المقتول من عمل الشيطان اى عمله عمل الشيطان. ثم وصف الشيطان بأنه (عدّو) للبشر ظاهر العداوة. و قوله (هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ) إشارة الى الرجلين اللذين أحدهما من شيعة موسى، و الآخر من عدوه إنما هو على وجه الحكاية للحاضر إذا نظر اليهما الناظر قال هذا من شيعته و هذا من عدوه.

قالَ رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی فَاغْفِرْ لِی فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ (16) قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَیَّ فَلَنْ أَکُونَ ظَهِیراً لِلْمُجْرِمِینَ (17) فَأَصْبَحَ فِی الْمَدِینَةِ خائِفاً یَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِی اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ یَسْتَصْرِخُهُ قالَ لَهُ مُوسی إِنَّکَ لَغَوِیٌّ مُبِینٌ (18) فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ یَبْطِشَ بِالَّذِی هُوَ عَدُوٌّ لَهُما قالَ یا مُوسی أَ تُرِیدُ أَنْ تَقْتُلَنِی کَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِیدُ إِلاَّ أَنْ تَکُونَ جَبَّاراً فِی الْأَرْضِ وَ ما تُرِیدُ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْمُصْلِحِینَ (19) وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَی الْمَدِینَةِ یَسْعی قالَ یا مُوسی إِنَّ الْمَلَأَ یَأْتَمِرُونَ بِکَ لِیَقْتُلُوکَ فَاخْرُجْ إِنِّی لَکَ مِنَ النَّاصِحِینَ (20)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 137

خمس آیات بلا خلاف.

حکی اللّٰه تعالی عن موسی انه حین قتل القبطی ندم علی ذلک و قال یا «رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی» بقتله و سأله ان یغفر له، فحکی اللّٰه تعالی انه «غفر له» لان «اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ» لعباده «الرَّحِیمُ» بهم المنعم علیهم. و عند أصحابنا أن قتله القبطی لم یکن قبیحاً، و کان اللّٰه أمره بقتله، لکن کان الأولی تأخیره الی وقت آخر لضرب من المصلحة، فلما قدم قتله کان ترک الأولی و الأفضل، فاستغفر من ذلک لا أنه فعل قبیحاً. و قال جماعة: ان ذلک کان منه صغیرة غیر انها وقعت مکفرة لم یثبت علیها عقاب، و یکون قوله «رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی» علی الوجه الأول أی بخست نفسی حقها بأن لم أفعل ما کنت أستحق به ثواباً زائداً. و علی المذهب الثانی مذهب من یقول بالموازنة یقول: لأنه نقص من ثوابه، و کان بذلک ظالماً لنفسه، فأما من قال: إن ذلک کان کبیرة منه و ظلماً فخارج عما نحن فیه، لأن ادلة العقل دلت علی أن الأنبیاء لا یجوز علیهم شیء من القبائح، لا کبیرها و لا صغیرها.

و من قال: إنه کان ذلک صغیرة، قال:

کان دفعه له المؤدی الی القتل صغیرة، لا أنه قصد القتل و کان صغیرة.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 138

و قوله «قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَیَّ فَلَنْ أَکُونَ ظَهِیراً لِلْمُجْرِمِینَ» معناه إن أنعمت علی فلن أکون، فهو مشبه بجواب الجزاء، و لذلک دخلت الفاء فی الجواب، و إذا وقع الانعام قیل لما أنعمت، فلن أکون، لأنها فی کلا الموضعین تدل علی أن الثانی وقع من أجل الاول. و یحتمل أن یکون ذلک قسماً من موسی بنعم اللّٰه علیه، بمغفرته، و فنون نعمه بأن لا یکون معیناً علی خطیئة، و لا یکون ظهیراً. و الظهیر المعین لغیره بما به یصیر کالظهر له الذی یحمیه من عدوه.

و قوله «فَأَصْبَحَ فِی الْمَدِینَةِ خائِفاً یَتَرَقَّبُ» معناه إن موسی أصبح خائفاً من

قتل القبطى، يترقب الأخبار- فى قول ابن عباس- و الترقب التوقع.
و قوله «فَإِذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ» يعنى رأى من كان استنصره بالأمس، بأن طلب نصرته على عدوه «يستصرخه» أى يطلب نصرته أيضاً.
و قيل: يطلب الصراخ على العدو بما يردعه عن الإيقاع بمن قد تعرض له «قالَ لَهُ مُوسى إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ» أى عادل عن الرشد، ظاهر الغواية، و معناه انك لغوى فى قتالك من لا تطيق دفع شره عنك، من أصحاب فرعون، خائب فيما تقدر أن تفعله.
و قوله «فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَهُما» قيل: إن موسى هم أن يدفع العدو عن نفسه و عن صاحبه، و يبطش به «قالَ يا مُوسى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ» قال الحسن: هو من قول الفرعونى، لأنه كان قد اشتهر أمر القتل بالأمس أنه قتله بعض بنى إسرائيل. و قال ابن عباس و اكثر اهل العلم انه من قول الإسرائيلى، لأنه قال له موسى انك لغوى مبين، خاف على نفسه فظن أنه يريد الإيقاع به، فقال ما قال. و قوله «إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِى الْأَرْضِ» اى لست تريد بقتل من قتلته التبيان فى تفسير القرآن، ج‌8، ص: 139
بالأمس إلا أن تكون جباراً متكبراً فى الأرض «وَ ما تُرِيدُ» اى و لست تريد «أَنْ تَكُونَ مِنَ» جملة «الْمُصْلِحِينَ».
و قوله «وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى» قيل هو مؤمن آل فرعون «قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ» أى يأمر بعضهم بعضاً بقتلك.
و قيل: يأتمرون معناه يرتاءون، قال نمر بن تولب:
أرى الناس قد أحدثوا شيمة و فى كل حادثه يؤتمر «1»
أى يرتاء، و قال آخر:
ما تأتمر فينا فأم رك فى يمينك أو شمالك
فقوله «فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ» حكاية ما قال الرجل لموسى، و انه ناصح له بقوله، يحذره من أعدائه. و قال الزجاج: و قوله «انى لك» ليست من صلة «الناصحين» لان الصلة لا تقدم على الموصول، لكن تقديره: إنى من الناصحين الذين ينصحون لك، يقال: نصحت لك و نصحتك، و الاول اكثر.

فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21) وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَواءَ السَّبِيلِ (22) وَ لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودانِ قالَ ما خَطْبُكُما قالَتا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وَ أَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقى لَهُما ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّى لِما أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِى عَلَى اسْتِحْياءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا فَلَمَّا جاءَهُ وَ قَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25)

---

(1) تفسير الطبرى 20/ 31 و القرطبى 13/ 266.

خمس آيات كوفى، و ست فيما عداه، عد الكل «يسقون» آية إلا الكوفيين فإنهم عدوها و ما بعدها الى «كبير» آية. قرأ ابو عمرو، و ابن عامر، و ابو جعفر «حتى يصدر» بفتح الياء و ضم الدال. الباقون- بضم الياء و كسر الدال- و الصدر الانصراف عن الماء: صدر يصدر صدراً و أصدره غيره إصداراً، و منه و الصدر، لان التدبير يصدر عنه، و المصدر لان الافعال تصدر عنه. فمن فتح الياء أسند الفعل الى الرعاء، و من ضمه أراد اصدارهم عنه و مواشيهم.

حكى اللّه تعالى ان موسى لما أنذره مؤمن آل فرعون، و أن اشراف قومه و رؤساءهم قد ائتمروا على قتله، و أمره بالخروج من المدينة خرج (ع) «خائِفاً يَتَرَقَّبُ» أى يطلب ما يكون و يتوقعه، و الترقب طلب ما يكون من المعنى على حفظه للعمل عليه، و مثله التوقع و هو طلب ما يقع من الأمر متى يكون. و قال قتادة:

و خرج منها خائفاً من قتله النفس يترقب الطلب. و قيل خرج بغير زاد و كان لا يأكل إلا حشاش الصحراء الى أن بلغ ماء مدين.

و قوله «قالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» حكاية ما دعا به موسى ربه، و انه سأله أن يخلصه من القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر باللّه، و ذلک يدل على أن خوفه كان من القتل. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 141

و قوله «وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ» فالتوجه صرف الوجه الى جهة من الجهات، و يقال: هذا المعنى يتوجه الى كذا أى هو كالطالب له بصرف وجهه اليه، و تلقاء الشىء حذاه، و يقال: فعل ذلک من تلقاء نفسه أى من حذا داعى نفسه، و (مدين) لا ينصرف، لأنه اسم بلدة معرفة، قال الشاعر:

رهبان مدين لو رأوک تنزلوا و العصم من شعف العقول الغادر «1»
الشعف أعلى الجبل، و الغادر الكبير. و قال ابن عباس: بين مصر و مدين ثمان ليال، نحو ما بين الكوفة و البصرة.
و قوله «عَسى رَبِّی أَنْ يَهْدِيَنِی سَواءَ السَّبِيلِ» حكاية ما قال موسى فی توجهه، فانه قال: عسى أن يدلنی ربی علی سواء السبيل، و هو وسط الطريق المؤدی الى النجاة، لأن الأخذ يميناً و شمالا بباعد عن طريق الصواب، و يقرب منه لزوم الوسط على السنن، فهذا هو المسعى فی الهداية، و قال الشاعر:
حتى اغيب فی سواء الملحد
ای فی وسطه، و قال عطاء: عرضت له أربع طرق لم يدر أيها يسلک، فقال ما قال. ثم أخذ طريق مدين حتى ورد على شعيب، و هو قول عكرمة. ثم حكى تعالى أن موسى «لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً» يعنى جماعة «مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ» بهائمهم و يستسقون الماء من البئر «وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ» يعنى دون الناس «امْرَأَتَيْنِ تَذُودانِ» أى يحبسان غنمهما و يمنعانها من الورود الى الماء يقال: ذاد شاته و إبله عن الشیء يذودها ذوداً إذا احبسها عنه بمنعها منه، قال سويد بن كراع:

---

(1) مر تخريجه فی 3/ 601.

أبيت على باب القوا فی كأنما أذود بها سرباً من الوحش شرعاً «1»
و قال الآخر:
و قد سلبت عصاک بنو تميم فما تدرى بأی عصاً تذود «2»
و قال الفراء: لا يقال: ذدت الناس، و إنما قالوا ذلک فی الغنم و الإبل، و قال قتادة: كانتا تذودان الناس عن شائهما. و قال السدی: تحبسان غنمهما فقال لهما موسى «ما خَطْبُكُما» أی ما شأنكما؟ فی قول ابن إسحاق، قال الراجز:
يا عجبا ما خطبه و خطبی «3»
و الخطب الأمر الذی فيه تفخيم، و منه الخطبة، لأنها فی الأمر المعظم، و من ذلک خطبة النكاح و الخطاب، كل ذلک فيه معنى العظم. فأجابتاه بأننا لا نسقی غنمنا حتى يصدر الرعاء و واحد الرعاء راع، و يجمع ايضاً رعاة و رعياناً، و المعنى انا لا نسقی حتى ينصرف الرعاء- فيمن فتح الياء- أو يصرفون غنمهم- فيمن ضم الياء- لأنا لا قوة بنا على الاسقاء، و إنما ننتظر فضول الماء فی الحوض- فی قول ابن عباس و قتادة و ابن إسحاق- «وَ أَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ» لا يقدر على أن يتولى ذلک بنفسه. و قوله «فَسَقى لَهُما» قال شريح: رفع لهما حجراً عن بئر لا يقدر على رفعه إلا عشرة رجال ثم استقى لهما. و قال ابن إسحاق: إنه زحم الناس عن الماء حتى آخرهم عنه

حتى سقى لهما. و قوله «ثُمَّ تَوَلّى إِلَى الظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّى لِما أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» معناه إنى الى ما أنزلت فاللام بمعنى الى، و (لَهُما) بمعنى الذى و ما بعده من صلته و (لما) متعلق بقوله (فقير) و تقديره أى فقير

---

(1) تفسير الطبرى 20/ 33 و القرطبى 13/ 266.
(2) تفسير الطبرى 20/ 33 و القرطبى 13/ 268. [.....]
(3) قاله رؤبة. تفسير القرطبى 13/ 268 و الطبرى 20/ 33.

الى ما أنزلت إلي من خير. قال ابن عباس: أدرک موسى جزع شديد، فقال «رَبِّ إِنِّى لِما أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» و فى الكلام حذف، لان التقدير إن المرأتين عادتا الى أبيهما و شكرتا فعله، فقال أبوهما لإحداهما ادعية لى لأجزيه على فعله «فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِى عَلَى اسْتِحْياءٍ» قيل: معناه متسترة بكم درعها أو قميصها، فقالت له «إِنَّ أَبِى يَدْعُوکَ» ليكافيک على ما سقيت لنا و إن موسى مشى معها حتى وصل اليه «وَ قَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ» من اخباره و ما مر عليه، فقال له الشيخ «لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ» قال ابن عباس معناه ليس لفرعون سلطان بأرضنا. و قيل: كان الشيخ أبوهما شعيباً (ع) و قال الحسن: بل كان رجلا مسلماً على دين شعيب أخذ الدين عنه، و شعيب مات قبل ذلک، و قال قوم: انه كان ابن اخى شعيب (ع).

قالَتْ إِحْداهُما يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26) قالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَ ما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) قالَ ذلِكَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَيَّ وَ اللَّهُ عَلى ما نَقُولُ وَكِيلٌ (28) فَلَمَّا قَضى مُوسَى الْأَجَلَ وَ سارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29) فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ (30)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ عاصم (جذوة) بفتح الجيم، و قرأ حمزة و خلف بضمها، الباقون- بكسر الجيم- و فيه ثلاث لغات- فتح الجيم و ضمها و كسرها. و الكسر أكثر و افصح. و الجذوة القطعة الغليظة من الحطب فيها النار، و هى مثل الحزمة من أصل الشجر، و جمعها جذى قال الشاعر:

كانت حواطب ليلى يلتمس لها جزل الجذى غير خوار و لا ذعر «1»

و قال قتادة: الجذوة الشعلة من النار. حكى اللّه تعالى أن احدى المرأتين قالت لأبيها «يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ» و الاستئجار طلب الاجارة، و هى العقد على أمر بالمعاوضة، يقال: أجره أجراً، و آجره إجارة و إيجاراً، و استأجره استئجاراً و منه الأجير، و الماجور. و الأجر الثواب، و هو الجزاء على الخير. ثم حكى أنها قالت لأبيها «إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ» قال قتادة: عرفت قوته بأنه سقى الماشية بدلو واحد، و عرفت أمانته بغض طرفه، و أمره إياها بأن تمشى خلفه. و القوى القادر العظيم المقدور، و منه وصف اللّه تعالى بأنه القوى العزيز، و أصل القوة شدة الفتل من قوى الحبل، و هى طاقاته التى يفتل عليها، ثم نقل الى معنى القدرة على الفعل. و الأمانة خاصة للتأدية على ما يلزم فيها،

---

(1) تفسير القرطبى 13/ 281 و الطبرى 20/ 41.

و هى ضد الخيانة، و الثقة مثل الأمانة.

ثم حكى ما قال ابو المرأتين لموسى (ع)، فانه قال له «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ» أى أزوجك إحداهما، فالانكاح عقد ولى المرأة على غيره الزوجية، و هو تزويجه إياها، و النكاح تزوج الرجل المرأة، يقال نكحها نكاحاً

إذا تزوجها. و قوله «عَلى أَنْ تَأْجُرَنِى ثَمانِىَ حِجَجٍ» معناه على أن تجعل أجرى على تزويجى إياک ابنتى رعى ماشيتى ثمانى سنين، لأنه جعل صداق ابنته هذا الذى عقد عليه، و جعل الزيادة على المدة اليه الخيار فيها، فلذلک قال «فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِکَ» أى هبة منک غير واجب عليک.
ثم اخبر انه قال «وَ ما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْکَ» بأن ألزمک عشر سنين «ستجدنى» فيما بعد (إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ) جملة (الصالحين) الذين يفعلون الخيرات، و تعليق الصلاح بمشيئة اللَّه فى الآية يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يريد بها الصلاح فى الدنيا من صحة الجسم و تمام القوة، فان اللَّه تعالى يجوز ان يفعل بأنبيائه أمراضاً امتحاناً لهم و لطفاً، فلذلک قال إن شاء اللَّه.
و الثانى- ان يكون أراد ان شاء اللَّه تبقيتى، لأنه يجوز أن يخترمه اللَّه فلا يفعل الصلاح الدينى، فلذلک علقه بمشيئة اللَّه. و يحتمل أن يكون ذلک لاتفاق الكلام، و لا يكون خبراً قاطعاً، فلا يكون بمشيئة اللَّه شرط فى فعل الصلاح و قال ابن عباس: ان موسى قضى أتما الأجلين و أوفاهما، و قيل: انه كان جعل لموسى كل سخلة تولد على خلاف شبه أمها فأوحى اللَّه (عز و جل) الى موسى ان الق عصاک فى الماء فولدت كلهن خلاف شبههن. و قيل: جعل له كل التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 146
بلقاء فولدن كلهن بلقاً.
ثم حكى تعالى ان موسى قال له (ذلِکَ بَيْنِى وَ بَيْنَکَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَىَّ) أى لا تعدى على لانى مخير فى ذلک (وَ اللَّهُ عَلَى ما نَقُولُ وَكِيلٌ) أى كاف و حسيب، و قيل: انه من قول الشيخ، ثم حكى تعالى ان موسى لما قضى الأجل تسلم زوجته و سار بها الى أن (آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً) اى ابصر امراً يؤنس بمثله، و الطور الجبل قال العجاج:
آنس جربان فضاء فانكدر دانى جناحيه من الطور فمر «1»
فلما رأى ذلک قال لأهله: البثوا مكانكم، فانى أبصرت ناراً، فامضى نحوها (لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ) يعرف منه الطريق، فانه
روى انه كان قد ضل عن الطريق
(أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) اى قطعة من الحطب غليظة فيها النار، و قيل الجذوة الشعلة من النار، لكى تصطلوا بها. و قيل: انهما كانا وجدا البرد، فلذلک قال ما قال.
ثم حكى تعالى ان موسى لما اتى النار بان قرب منها (نُودِىَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ) اى من جانبه و هو الشط، و يجمع شواطئ و شطآناً (فِى الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ) يقال: بقعة و بقعة بالضم و الفتح، و جمعه بقاع، و وصفها بأنها مباركة لأنه كلم اللَّه فيها موسى (من الشجرة) قيل ان الكلام و النداء سمعه موسى من ناحية الشجرة، لأن اللَّه تعالى فعل الكلام فيها لا أن اللَّه تعالى كان فِى الشجرة، لأنه لا يحويه مكان، و لا يحل فى جسم، فتعالى اللَّه

عن ذلک «أنْ یا مُوسی» أی ناداه بان قال له یا موسی (إِنِّی أَنَا اللّٰهُ رَبُّ الْعالَمِینَ)

---

(1) تفسیر الطبری 20/ 40 و روایته «آنس جریان قض»، و قد مر قسم من هذا الرجز فی 1/ 286 و 7/ 358.

الذی خلقت جمیع الخلائق و أخرجتهم من العدم الی الوجود.

وَ أَنْ أَلْقِ عَصاکَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ کَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسى أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّکَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) اسْلُکْ يَدَکَ فِی جَيْبِکَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَ اضْمُمْ إِلَيْکَ جَناحَکَ مِنَ الرَّهْبِ فَذانِکَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّکَ إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِ إِنَّهُمْ کانُوا قَوْماً فاسِقِينَ (32) قالَ رَبِّ إِنِّی قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33) وَ أَخِی هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً يُصَدِّقُنِی إِنِّی أَخافُ أَنْ يُکَذِّبُونِ (34) قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِيکَ وَ نَجْعَلُ لَکُما سُلْطاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْکُما بِآياتِنا أَنْتُما وَ مَنِ اتَّبَعَکُمَا الْغالِبُونَ (35)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ (من الرهب) بفتح الراء و الهاء- ابن كثير و نافع و ابو جعفر و ابو عمرو. الباقون- بضم الراء و سكون الهاء- إلا حفصاً، فانه قرأ- بفتح الراء و سكون الهاء- و قرأ ابن كثير و ابو عمرو (فذانک) مشددة النون.

الباقون بالتخفيف. و قرأ نافع (رداً) بفتح الدال من غير همز منوناً. و قرأه ابو جعفر بالف بعد الدال من غير همز و غير تنوين. الباقون بسكون الدال و بعدها همزة مفتوحة منونة. و قرأ عاصم و حمزة (يصدقنى) بضم القاف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 148

الباقون بالجزم.

الرهب و الرهب لغتان مثل النهر و النهر، و السمع و السمع. و قيل فى تشديد (ذانک) ثلاثة اقوال: أحدها- للتوكيد، الثانى- للفرق بين النون التى تسقط للاضافة. و بين هذه النون. الثالث- للفرق بين بنية الاسم المتمكن و غير المتمكن. و روى عن ابن كثير انه قرأ (فذانيک) قال ابو على: وجه ذلک انه أبدل من احدى النونين ياء، كما قالوا: تظنيت و تظننت. و من جزم (يصدقنى) جعله جواباً للأمر و فيه معنى الشرط. و تقديره: إن أرسلته صدقنى و من رفع جعله صفة للنكرة. و تقديره ردءاً مصدقاً لى. و قال مقاتل: الرهب الكم، و يقال وضعت الشىء فى رهبى اى فى كمى، ذكر الشعبى انه سمع ذلک من العرب. و من شدد (ذانک) جعله تثنية (ذلک) و من خفف جعله تثنية (ذاک).

اخبر اللَّه تعالى انه لما قال لموسى (إِنِّی أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ) أمره ايضاً ان يلقى عصاه، و انه ألقاها أى طرحها و أخرجها من يده الى الأرض فانقلبت بإذن اللَّه ثعباناً عظيماً (تهتز) بإذن اللَّه (كأنها جان) فى سرعة حركته، و شدة اهتزازه، فعلم موسى عند ذلک ان الذى سمعه من الكلام صادر من اللَّه، و ان اللَّه هو المكلم له دون غيره، لأن ذلک إنما يعلمه بضرب من الاستدلال.

و قوله (وَلّى مُدْبِراً، وَ لَمْ يُعَقِّبْ) اى لم يرجع، اى خاف بطبع البشرية و تأخر عنها و لم يقف، فقال اللّه تعالى له (يا مُوسى أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ) من ضررها. و العصا عود من خشب كالعمود، و فى انقلابه حية دليل على ان الجواهر من جنس واحد، لأنه لا حال ابعد الى الحيوان من حال الخشب. و ما جرى مجراه من الجماد، و ذلک يقتضى صحة قلب الأبيض الى

حال الأسود، و الاهتزاز شدة الاضطراب فى الحركة، و الحيوان له حركة تدل عليه إذا رئى عليها لا يشک فى انه حيوان بها. و هى التصرف بالنفس من غير ريح، و لا سبب يولد التصرف مع كونه على البنية الحيوانية. و قيل: ان اللّه أمره ان يدخل يده فى فيها، ففعل فعادت عصاً كما كانت. ثم أمره الله ان يسلک يده فى جيبه، أى بأن يدخلها فيه، و كانت سمرة شديدة السمرة فلما أخرجها خرجت بيضاء نقية (مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) اى من غير برص.

و قوله (وَ اضْمُمْ إِلَيْکَ جَناحَکَ) قال ابن عباس و مجاهد: يعنى يدک (من الرهب) يعنى من الرعب، و الفرق الذى لحقه لأجل الحية- فى قول مجاهد، و قتادة- و قال قوم: ان معناه امر له بالعزم على ما أريد له مما امر به، و حثه على الجد فيه، و يمنعه ذلک من الخوف الذى لحقه، و لا يستعظم ذلک، فيكون ذلک مانعاً مما امر به، كما قال (سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِيکَ) و لم يرد خلاف الحل فكذلک الضم ليس يراد به الضم المزيل للفرجة. و مثله قول الشاعر:

اشدد حيازيمک للموت فان الموت لاقيک و لا تجزع من الموت إذا حل بواديک «1»

و انما يريد تأهب له. ثم قال «فَذانِکَ» يعنى قلب العصا حية و إخراج اليد البيضاء «بُرْهانانِ» أى دليلان، واضحان من اللّه فى ارسالک الى فرعون و اشراف قومه.

ثم اخبر تعالى أن فرعون و قومه «كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ» خارجين من طاعة اللّه الى معاصيه. ثم حكى تعالى ما قال موسى، فانه قال يا رب «إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً» يعنى القبطى الذى وكزه فقضى عليه «فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» بدله.

---

(1) اللسان (حزم) نسبه الى على (ع).

و قال ايضاً «وَ أَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً» لان موسى كان فى لسانه عقدة و لم يكن كذلک هارون، و سأل اللّه تعالى أن يرسل هارون معه «ردءاً» أى عوناً، و الردء العون الذى يدفع السوء عن صاحبه، و منه ردء الشىء يردأه رداءً فهو ردىء، فالرد المعين فى دفع الردا عن صاحبه. و يقال: ردأته أردؤه ردءاً إذا أعنته. و اردأته ايضاً لغتان. و قوله «يصدقنى»

من جزمه جعله جواباً للأمر، و من رفعه جعله صفة للنكرة، و تقديره ردءاً مصدقاً «إِنِّی أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ» فی ادعاء النبوة و الرسالة، و قيل: ان موسی ما سأل ذلک إلا بإذن اللّه، لأنه لا يجوز ان يسأل نبی أن يرسل معه إنساناً آخر نبياً، و هو لا يعلم أنه يصلح لذلک، فلا يجاب اليه، فان ذلک ينفر عنه. فقال اللّه تعالی «سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِيکَ» أی سنقويک به بأن نقرنه اليک فی الرسالة لنقوی بعضكما ببعض.

«وَ نَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً» يعنی حجة و قوة، و هی التی كانت لهما بالعصا. و السلطان القوة التی يدفع بها علی الأمر. و السلطان الحجة الظاهرة، و تقديره و نجعل لكما سلطاناً ثابتاً «فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما» فيه تقديم و تأخير.

ثم قال تعالی «فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما» يعنی فرعون، و قومه لا يتمكنون من قتلكما، و لا أذاكما، ثم قال «بِآياتِنا» أی بحجبنا و براهيننا «أَنْتُما وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا» من بنی إسرائيل و غيرهم «الغالبون» لفرعون، فعلی هذا يكون «أنتما» مبتدءاً، «و من اتبعكما» عطفاً عليه «و الغالبون» خبره «و بآياتنا» متعلق بقوله «الغالبون». و علی الوجه الآخر يكون «بآياتنا» متعلقاً بقوله «وَ نَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً ... بِآياتِنا» قال الزجاج: يجوز أن يكون «بآياتنا» متعلقاً بقوله «فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما» بآياتنا و حججنا، و كل ذلک محتمل.

فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسى بِآياتِنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرىً وَ ما سَمِعْنا بِهذا فِى آبائِنَا الْأَوَّلِينَ (36) وَ قالَ مُوسى رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدى مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (37) وَ قالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِى صَرْحاً لَعَلِّى أَطَّلِعُ إِلى إِلهِ مُوسى وَ إِنِّى لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكاذِبِينَ (38) وَ اسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنا لا يُرْجَعُونَ (39) فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِى الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (40)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير «قال موسى» بلا واو، و كذلک هو فى مصاحف أهل مكة. الباقون- بالواو- و كذلک هو فى المصاحف.

و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «من يكون» بالياء. الباقون بالتاء.

من قرأ بالياء فلأن تأنيث العاقبة ليس بحقيقى. و من قرأ بالتاء، فلأن لفظه مؤنث. و تقدير الكلام إن موسى مضى الى فرعون «فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسى بِآياتِنا» أى حججنا «بَيِّناتٍ» أى ظاهرات «قالُوا» يعنى فرعون و قومه ليس «هذا» الذى يدعيه «إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرىً» أى مختلق مفتعل. و الفرق التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 152

بين (لو) و (لما) أن (لو) لتقدير وقوع الثانى بالأول، و (لما) للإيجاب فى وقوع الثانى بالأول. و قولک: و لو جاءهم موسى بآياتنا قالوا، ليس فيه دليل انهم قالوا و فى (لما) دليل على انهم قالوا عقيب مجىء الآيات. و قوله (سِحْرٌ مُفْتَرىً) اى سحر مختلق لم يبن على اصل صحيح، لأنه حيلة موهم خلاف الحقيقة، فوصفوا الآيات بالسحر و الاختلاق، على هذا المعنى جهلا منهم و ذهاباً عن الصواب.

و قوله (ما سَمِعْنا بِهذا فِى آبائِنَا الْأَوَّلِينَ) أى لم نسمع ما يدعيه و يدعو اليه فى آبائنا الذين كانوا قبلنا، و انما قالوا (ما سَمِعْنا بِهذا فِى آبائِنَا الْأَوَّلِينَ) مع شهرة قصة قوم نوح و صالح و غيرهم من النبيين الذين دعوا الى توحيد اللّه و اخلاص عبادته لأحد أمرين:

أحدهما- للفترة التى دخلت بين الوقتين و طول الزمان جحدوا أن تقوم به حجته.

و الآخر- إن آباءهم ما صدقوا بشىء من ذلک، و لا دانوا به، و وجه الشبهة فى أنهم ما سمعوا بهذا فى آبائهم الأولين أنهم الكثير الذين لو كان حقاً لأدركوه، لأنه لا يجوز أن يدرک الحق إلا نقص فى العقل و الرأى، و لا يدركه الأفضل منهما، و هذا غلط، لأن ما طريقه الاستدلال قد يصيبه من سلک طريقه و لا يصيبه من لم يسلک طريقه.

ثم حكى ما قال موسى بأنه قال (رَبِّی أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدی) أی بالدين الواضح و الحق المبين من عنده، و وجه الاحتجاج بقوله (رَبِّی أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدی مِنْ عِنْدِهِ) أنه عالم بما يدعو الى الهدى مما يدعو الى الضلال، فلا يمكن من مثل ما أتيت به من يدعوا الى الضلال، لأنه عالم بما فی ذلک من فساد العباد التبيان فی تفسير القرآن، ج8، ص: 153

ثم بين هذا بقوله (إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) و ان عاقبة الصلاح لأهل الحق و الانصاف، و هو كما تقول علی طريق المظاهرة بحمل الخطاب: اللَّه أعلم بالمحق منا من المبطل و حجتی ظاهرة، فاكسرها ان قدرت علی ذلک (وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ) يعنی الجنة و الثواب فی الآخرة (إِنَّهُ لا يُفْلِحُ) أی لا يفوز بالخير من ظلم نفسه و عصی ربه و كفر نعمه.

ثم حكی تعالی ما قال فرعون عند سماع كلام موسی لقومه فانه قال لهم (يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِی) فلا تصغوا الى قوله، حين أعياه الجواب و عجز عن محاجته. ثم قال لهامان (فَأَوْقِدْ لِی يا هامانُ عَلَی الطِّينِ فَاجْعَلْ لِی صَرْحاً) قال فالصرح البناء العالی كالقصر، و منه التصريح شدة ظهور المعنی قال الشاعر:

بهن نعام بناها الرجا ل تحسب اعلامهن الصروحا «1»

جمع صرح و هی القصور، و قال قتادة: أول من طبخ الآجر و بنی به فرعون و يقال: الآجر بالتخفيف، و التثقيل. و الآجور ثلاث لغات.

و قوله (لَعَلِّی أَطَّلِعُ إِلی إِلهِ مُوسی) فالاطلاع الظهور علی الشیء من عل، و هو الاشراف عليه. و قوله (وَ إِنِّی لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكاذِبِينَ) حكاية ما قال فرعون فانه قال: أظن موسی من جملة الذين يكذبون، ثم اخبر تعالی ان فرعون استكبر، و كذلک جنوده، و استكبروا (فِی الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنا لا يُرْجَعُونَ) الی اللَّه و الی ثوابه و عقابه. و قوله (فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِی الْيَمِّ) اخبار منه تعالی انه أخذ فرعون و جنوده أی جمعهم و طرحهم فی البحر، و غرقهم. و النبذ الإلقاء، قال ابو الأسود الدؤلی:

---

(1) تفسير القرطبی 13/ 209 و الطبری 20/ 41.

نظرت الی عنوانه فنبذته كنبذک نعلا أخلقت من نعالكا «1»

و قال قتادة: البحر الذی غرق فيه فرعون يقال له: اسناد، علی مسيرة يوم من مصر.

وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ (41) وَ أَتْبَعْناهُمْ فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (42) وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولى بَصائِرَ لِلنَّاسِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (43) وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَ ما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (44) وَ لكِنَّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ ما كُنْتَ ثاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا وَ لكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (45)

خمس آيات بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى انه جعل فرعون و قومه (أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انا عرفنا الناس انهم كانوا كذلك، كما يقال: جعله رجل شرّ بتعريفه حاله. و الثانى- انا حكمنا عليهم بذلك، كما قال

---

(1) مر تخريجه فى 1/ 367.

(ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ) «1» و كما قال (وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ) «2» و انما قال ذلك، و أراد انهم حكموا بذلك، و سموه. و الجعل على اربعة اقسام:

أحدها- بمعنى الأحداث، كقوله (وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ) «3» و قوله (وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً) «4».

الثانى- بمعنى قلبه من حال الى حال كجعل النطفة علقة الى ان تصير إنساناً الثالث- بمعنى الحكم انه على صفة، كما قال انه جعل رؤساء الضلالة يدعون الى النار اى حكم بذلك.

الرابع- بمعنى اعتقد انه على حال كقولهم جعل فلان فلاناً راكباً إذا اعتقد فيه ذلك. و الامام هو المقدم للاتباع يقتدون به، فرؤساء الضلالة قدموا فى المنزلة لاتباعهم فيما يدعون اليه من المغالبة. و انما دعوهم الى فعل ما يؤدى بهم الى النار، فكان ذلك كالدعاء الى النار. و الداعى هو الطالب من غيره ان يفعل إما بالقول او ما يقوم مقامه، فداعى العقل بالإظهار الذى يقوم مقام القول. و كذلك ظهور الارادة يدعو الى المراد.

و قوله (وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ) معناه: إنهم كانوا يتناصرون فى الدنيا، و هم لا ينصرون فى الآخرة بنصر بعضهم لبعض، و لا غيره و لا احد ينصرهم.

و قوله (وَ أَتْبَعْناهُمْ فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً) معناه الحقنا بهم فى هذه الدنيا لعنة بأن لعناهم و ابعدناهم من رحمتنا. و قال ابو عبيدة معناه ألزمناهم بأن أمرنا بلعنهم، قوماً بعد قوم (وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) مع اللعنة.

(1) سورة 5 المائدة آية 106.
(2) سورة 6 الانعام آية 100.
(3) سورة 17 الإسراء آية 12.
(4) سورة 21 الأنبياء آية 32.

و الاتباع إلحاق الثانى بالأول، فهؤلاء الدعاة الى الضلالة ألحقوا اللعنة تدور معهم حيث ما كانوا، و فى ذلک أعظم الزجر عن القبيح. و قيل: المقبوح المشوه بخلقته لقبيح عمله، و يقال: قبحه اللّه يقبحه قبحاً، فهو مقبوح إذا جعله قبيحاً و قال ابو عبيدة: معنى (المقبوحين) المهلكين.
ثم اخبر تعالى انه أعطى موسى الكتاب يعنى التوراة من بعد ان أهلک القرون الاولى من قوم فرعون و غيرهم، و انه فعل ذلک «بَصائِرَ لِلنَّاسِ» و هى جمع بصيرة يتبصرون بها و يعتبرون بها و جعل ذلک هدى يعنى ادلة و بياناً و رحمة اى و نعمة عليهم لكى يتذكروا و يتفكروا فيعتبروا به. و قوله «وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَ ما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ» معناه ما كنت بجانب الغربى أى الجبل- فى قول قتادة- حين قضينا اليه الأمر اى فصلنا له الأمر بما ألزمناه و قومه و عهدنا اليه فيهم، فلم تشهد انت ذلک «وَ لكِنَّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ ما كُنْتَ ثاوِياً فِى أَهْلِ مَدْيَنَ» أى مقيماً فالثاوى المقيم قال الأعشى:
أثوى و قصر ليلة ليزّودا و مضى و أخلف من قتيلة موعدا «1»
«تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا وَ لكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» و المعنى انک لم تشهد إحساننا الى عبادنا بإرسال الرسل و نصب الآيات و انزال الكتب بالبيان و الهدى و ما فيه الشفاء للعمى كأنه يقول لم تر أى شىء كان هناک، تفخيماً لشأنه مع إنک انما تخبر به عنا، و لو لا ما أعلمناک منه لم تهتد له.

وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا وَ لكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (46) وَ لَوْ لا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (47) فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا لَوْ لا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ قالُوا سِحْرانِ تَظاهَرا وَ قالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ (48) قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (49) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 54.

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة «سحران» بغير الف. الباقون «ساحران» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال مجاهد أراد موسى و هارون.

و الثانى- قال ابن عباس: أراد موسى و محمداً «تَظاهَرا»: اى تعاونا.

و من قرأ «سحران» قال ابن عباس: أراد التوراة و القرآن. و قال الضحاك: أراد الإنجيل و القرآن. و قال عكرمة: أراد التوراة و الإنجيل. و من اختار «ساحران» فلأنه قال تظاهرا و ذلک إنما يكون بين الساحرين دون التبيان

السحرين. و من قرأ «سحران» قال: فى ذلک ضرب من المجاز، كما قال «بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى» «1» و الكتاب يهتدى به، و لا يهدى.

و انما يقال ذلک مجازاً.

يقول اللّه تعالى لنبيه (ص) «ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ» الذى كلم اللَّهِ عليه موسى حين ناداه و كلمه. و قال له «إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ» «2» «يا مُوسى أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ» «3» «فَخُذْها بِقُوَّةٍ» «4» و قيل: إن هذه المرة الثانية التى كلم اللّه فيها موسى «وَ لكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» و معناه لكن آتيناک علم ذلک رحمة من ربک، و نعمة عليک، لما فيه من العبرة و الموعظة، و إن سبيلک لسبيل غيرک من النبيين فى التأييد و المعجزة الدالة على النبوة.

و قوله «لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ» فالانذار الاعلام بموضع المخافة ليتقى، فالنبى (ص) نذير لأنه معلم بالمعاصى، و ما يستحق عليها

من العقاب، لتتقى بالطاعات، و النذر العقد على ضرب من البر بالسلامة من الخوف و المعنى إنا أعلمناک لتخوف قوماً لم يأتهم مخوف قبلک ليتذكروا و يعتبروا، و ينزعوا عن المعاصى. و (التذكر) طلب الذكر بالفكر و النظر.
و قوله «وَ لَوْ لا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ» أى لو لا أن تلحقهم مصيبة جزاء على ما كسبت أيديهم فيقولوا حينئذ «لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا» اى هلا أرسلت إلينا من ينهانا عن المعاصى و يدعونا الى الطاعات (فَنَتَّبِعَ آياتِکَ) أى أدلتک و بيناتک (وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بوحدانيتک لما أهلكناهم عاجلا بكفرهم، فجواب (لو لا) محذوف لدلالة الكلام عليه، لأن

---

(1) آية 49 من هذه السورة
(2) سورة 20 طه آية 14.
(3) آية 31 من هذه السورة. [.....]
(4) سورة 7 الاعراف آية 144.

معنى الكلام الامتنان عليهم بالامهال حتى يتذكروا ما أتى به الرسول (ص).
و قال قوم جواب (لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا).
و فى الآية دلالة على وجوب فعل اللطف، لأنه لو لم يكن فعله واجباً لم يكن للآية معنى صحيح. ثم اخبر تعالى انه (فَلَمَّا جاءَهُمُ) يعنى الكفار (الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا) من عند اللّه من القرآن و الادلة الدالة على توحيده (قالوا) عند ذلک: هلا أوتى محمد من المعجزات (مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى) من قبل: من فلق البحر و قلب العصا حية و غير ذلک. فقال اللّه تعالى (أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ) قال الجبائى معنى (او لم يكفروا) اى او لم يكفر من كان فى عصر موسى و هارون، و نسبوهما الى السحر ف (قالُوا سِحْرانِ تَظاهَرا) اى موسى و محمد- فى قول ابن عباس، و فى قول مجاهد: موسى و هارون. و من قرأ (سحران) أراد التوراة و القرآن او التوراة و الإنجيل او الإنجيل و القرآن. على ما حكيناه بخلاف فيه و أنهم قالوا مع ذلک (إِنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) اى بكل ما امر به، و ذكر انه من عند اللّه. و يحتمل ان يكون المراد بموسى و هارون. و قال الحسن: المعنى بقوله (إِنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) مشركوا العرب الذين كفروا بالتوراة و الإنجيل و القرآن.
ثم امر تعالى نبيه (ص) أن يقول لكفار قومه (فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما) يعنى من كتاب موسى و كتاب محمد- فى قول ابن زيد- «أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» فيما تدعونه، ثم قال لنبيه (ص) «فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَکَ» مع ظهور الحق «فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ» أى ما تميل طباعهم اليه، لأن الهوى ميل الطبع الى المشتهى. و ما عمل على انه حسن للهوى فلا يجوز أن يكون طاعة لكنه أبيح أن يفعله على هذا الوجه، كما أبيح أن

يفعله للذة و الشهوة، و الاستمتاع به. و انما يكون طاعة للَّه ما عمل على أنه حسن لان الحكم دعا اليه او لان الحكمة دعت اليه إذ كلما دعت اليه الحكمة بالترغيب فيه فالحكم داع اليه.
ثم اخبر تعالى فقال «وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» أى لا يهديهم الى طريق الجنة. و يجوز ان يكون المراد لا يحكم بهدايتهم، لأنهم عادلون عن طريق الحق.

وَ لَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (51) الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (54) وَ إِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قالُوا لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجاهِلِينَ (55)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى إنا «وصلنا» لهؤلاء الكفار «القول» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن زيد «وَصَّلْنا لَهُمُ الْقَوْلَ» فى الخبر عن أمر الدنيا و الآخرة

الثانى- قال الحسن البصرى «وَصَّلْنا لَهُمُ الْقَوْلَ» بما أهلكنا من القرون

قرناً بعد قرن فأخبرناهم أنا أهلكنا قوم نوح بكذا، و قوم هود بكذا، و قوم صالح بكذا «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» فيخافوا أن ينزل بهم ما نزل بمن كان قبلهم.

و اصل التوصيل من وصل الحبال بعضها ببعض. و منه قول الشاعر:

فقل لبنى مروان ما بال ذمة و حبل ضعيف ما يزال يوصّل «1»

و المعنى انا اتبعنا القرآن بعضه بعضاً. و قيل: معناه فصلنا لهم القول.

و قوله «الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ» يعنى التوراة (من قبله) يعنى من قبل القرآن و قد تقدم ذكره فى قوله «فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا لَوْ لا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ».

و قوله «هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ» أى هم بالقرآن يصدقون من قبل نزوله و بعد نزوله. و يحتمل أن تكون الكناية عن النبى صلى اللّه عليه و آله، و تقديره الذين آتيناهم الكتاب من قبل محمد هم بمحمد يؤمنون، لأنهم كانوا يجدون صفته فى التوراة ثم قال (وَ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ) يعنى القرآن «قالُوا آمَنَّا بِهِ» أى صدقنا به «إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا» من قبل نزوله «مسلمين» به مستمسكين بما فيه.

ثم اخبر تعالى ان هؤلاء الذين وصفهم يعطيهم الله أجرهم اى ثوابهم على ما صبروا فى جنب الله «مرتين» إحداهما- لفعلهم الطاعة، و الثانية للصبر عليها لما يوجبه العقل من التمسك بها، و الصبر حبس النفس عما تنازع اليه فيما لا يجوز أن يتخطأ اليه، و لذلك مدح الله الصابرين. و الصبر على الحق مر إلا أنه يؤدى الى الثواب الذى هو أحلى من الشهد، فهؤلاء صبروا على الامتناع من المعاصى، و على فعل الطاعات. و قيل: صبروا على الأذى فى جنب الله.

---

(1) تفسير القرطبى 13/ 295 و الطبرى 20/ 51 مع اختلاف قليل فى

الرواية.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 162
ثم وصف الصابرين الذين ذكرهم فقال «وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ» يعنى يدفعون بالتوبة المعاصى، لان الله تعالى يسقط العقاب عندها. و قيل: معناه يدفعون بالكلام الجميل اللغو من كلام الكفار. و قيل: ان ذلک قبل الأمر بقتالهم، و لا يمتنع أن يؤمروا، بالاعراض عن مكالمتهم مع الأمر بقتالهم، و لا تنافى بينهما على حال.
ثم قال «وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ» أى جعلنا لهم التصرف فيها، و ملكناهم إياها ينفقون فى طاعة الله، و فى سبيل الخير، و إذا سمعوا لغواً من الكلام، و رأوا لغواً من الفعل أعرضوا عنه، و لم يخاصموا فيه فقالوا لفاعل اللغو «لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ» أى لنا جزاء أعمالنا و لكم جزاء أعمالكم «سَلامٌ عَلَيْكُمْ» أى و يقولون لهم قولا يسلمون منه. و يقولون «لا نَبْتَغِى الْجاهِلِينَ» أى لا نطلبهم و لا نجازيهم على لغوهم. و اللغو الفعل الذى لا فائدة فيه، و انما يفعله فاعله على توهم فاسد، و اللغو و اللغا بمعنى واحد. قال الشاعر:
عن اللغا و رفث التكلم «1»
و من احسن الأدب الاعراض عن لغو الكلام. و قيل: ان هذه الآيات نزلت فى عبد الله بن سلام، و تميم الدارى، و الجارود العبدى، و سلمان الفارسى لما اسلموا نزلت فيهم هذه الآيات- على ما ذكره قتادة- و قال غيره: انها نزلت فى أربعين رجلا من أهل الإنجيل كانوا مسلمين بالنبى صلى الله عليه و آله قبل مبعثه:
اثنان و ثلاثون رجلا من الحبشة أقبلوا مع جعفر بن أبى طالب وقت قدومه، و ثمانية قدموا من الشام: منهم بحيرا، و أبرهة، و الأشرف، و عامر، و ايمن و إدريس، و نافع. قال قتادة: آتاهم الله أجرهم مرتين، لايمانهم بالكتاب

---

(1) مر تخريجه فى 2/ 132، 164، 230 من هذا الكتاب.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 163
الأول و إيمانهم بالكتاب الثانى.

إِنَّکَ لا تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لکِنَّ اللَّهَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ (56) وَ قالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدی مَعَکَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا أَ وَ لَمْ نُمَکِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً یُجْبی إِلَیْهِ ثَمَراتُ کُلِّ شَیْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ (57) وَ کَمْ أَهْلَکْنا مِنْ قَرْیَةٍ بَطِرَتْ مَعِیشَتَها فَتِلْکَ مَساکِنُهُمْ لَمْ تُسْکَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِیلاً وَ کُنَّا نَحْنُ الْوارِثِینَ (58) وَ ما کانَ رَبُّکَ مُهْلِکَ الْقُری حَتَّی یَبْعَثَ فِی أُمِّها رَسُولاً یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِنا وَ ما کُنَّا مُهْلِکِی الْقُری إِلاَّ وَ أَهْلُها ظالِمُونَ (59) وَ ما أُوتِیتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَمَتاعُ الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ زِینَتُها وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَیْرٌ وَ أَبْقی أَ فَلا تَعْقِلُونَ (60)

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ اهل المدینة و رویس «یجبی» بالیاء. الباقون بالتاء. و قرأ ابو عمرو إلا السوسی «یعقلون» بالیاء.

یقول اللّه تعالی لنبیه محمد صلی اللّه علیه و آله «إِنَّکَ» یا محمد «لا تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ» هدایته. و قیل: معناه من أحببته لقرابته. و المراد بالهدایة-

الذی یحتاج الیه لیختار عنده الایمان، و ذلک لا یقدر علیه غیر اللّه لأنه إما أن یکون من فعله خاصة أو بإعلامه، لأنه لا یعلم ما یصلح العبد فی دینه إلا اللّه تعالی، فإذا دبر الأمور علی ما فیه صلاحه کان لاطفاً له، و هذا التدبیر لا یتأتی من أحد سوی اللّه تعالی، فلذلک نفی اللّه ذلک عن نبیه، و یؤید ما قلناه قوله «وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ» و معناه هو أعلم بمن یهتدی باللطف ممن لا یهتدی، فهو تعالی یدبر الأمور علی ما یعلم من صلاح العباد، علی التفصیل من غیر تعلیم.

و هذه الآیة نزلت لأن النبی صلی اللّه علیه و آله کان یحرص علی إیمان قومه و یؤثر أن یؤمنوا کلهم، و یحب أن ینقادوا له و یقروا بنبوته، و خاصة أقاربه. فقال اللّه تعالی له: إنک لا تقدر علی ذلک، و لیس فی مقدورک ما تلطف بهم فی الایمان ذلک بل فی مقدور اللّه یفعله بمن یشاء إذا علم أنهم یهتدون عند شیء فعله بهم فلا ینفع حرصک علی ذلک. و روی عن ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتادة و غیرهم أنها نزلت فی أبی طالب. و

عن أبی عبد الله و أبی جعفر إن أبا طالب کان مسلماً

و علیه اجماع الامامیة، لا یختلفون فیه، و لهم علی ذلک أدلة قاطعة موجبة للعلم لیس هذا موضع ذکرها.

ثم قال تعالی حاکیاً عن الکفار انهم قالوا: إن نتبع محمداً و ما یدعونا الیه و نقول انه هدی و موصل الی الحق «نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا» و قیل: انها نزلت فی الحارث بن نوفل بن عبد مناف، فانه قال للنبی صلّی اللّه علیه و آله انا

لنعلم أن قولک حق و لکن یمنعنا أن نتبع الذی معک، و نؤمن بک مخافة أن یتخطفنا العرب من أرضنا یعنی مکة، و لا طاقة لنا بالعرب فقال الله تعالی (أَ وَ لَمْ نُمَکِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً) فالتخطف أخذ الشیء علی الاستلاب من کل وجه: تخطف تخطفاً و اختطف اختطافاً و خطفه یخطفه خطفاً قال امرؤ القیس: التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 165
تخطف خزان الشرّبة بالضحی و قد حجرت منها ثعالب أورال «1»
فقال الله تعالی لهم «أَ وَ لَمْ نُمَکِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً» و قیل فی وجه جعله الحرم آمناً وجهان:
أحدهما- بما طبع النفوس علیه من السکون إلیه بترک النفور مما ینفر عنه فی غیره کالغزال مع الکلب، و الحمام مع الناس و غیرهم.
و الوجه الآخر- بما حکم به علی العباد و أمرهم أن یؤمّنوا من یدخله و یلوذ به، و لا یتعرض له، و فائدة الآیة إنا جعلنا الحرم آمنا لحرمة البیت مع أنهم کفار یعبدون الأصنام حتی أمنوا علی نفوسهم و أموالهم، فلو آمنوا لکان أحری بأن یؤمنهم الله، و أولی بأن یمکنهم من مراداتهم.
و قوله «یُجْبی إِلَیْهِ ثَمَراتُ کُلِّ شَیْءٍ» أی یجلب الی هذا الذی جعلناه حرماً ثمرات کل شیء.
فمن قرأ بالتاء فلتأنیث الثمرات. و من قرأ بالیاء، فلأن التأنیث غیر حقیقی.
و قوله «رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا» نصب علی المصدر، و تقدیره رزقاً رزقناه من عندنا «وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ» ما أنعمنا به علیهم. ثم قال «وَ کَمْ أَهْلَکْنا مِنْ قَرْیَةٍ» ای من أهل قریة استحقوا العقاب «بَطِرَتْ مَعِیشَتَها» قال الفراء:
معناه أبطرتها معیشتها، کقولهم ابطرک مالک، فذکرت المعیشة، لان الفعل کان لها فی الأصل فحول الی ما أضیفت الیه فنصبت کما قال «فَإِنْ طِبْنَ لَکُمْ عَنْ شَیْءٍ مِنْهُ نَفْساً» «2» فالبطر و الأشر واحد، و هو شق العصا بتضییع حق نعم

---

(1) شرح دیوانه 166 (حسن السندوبی)
(2) سورة 4 النساء آیة 3.

الله، و الطغیان فیها بجحدها، و الکفر بها.
ثم اخبر تعالی فقال «فَتِلْکَ مَساکِنُهُمْ» یعنی مساکن الذین أهلکهم الله «لَمْ تُسْکَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِیلًا» من الزمان. ثم هلکوا و ورث الله تعالی مساکنهم لأنه لم یبق منهم احد. ثم خاطب نبیه صلی الله علیه و آله فقال «وَ ما کانَ رَبُّکَ» یا محمد «مُهْلِکَ الْقُری، حَتَّی یَبْعَثَ فِی أُمِّها رَسُولًا» و قیل فی معنی «أمها» قولان:
أحدهما- فی أم القری، و هی مکة.
و الآخر فی معظم القری فی سائر الدنیا «یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِنا» ای یقرأ علیهم

حجج الله و بيناته «وَ ما كُنَّا مُهْلِكِی الْقُری إِلّا وَ أَهْلَها ظالِمُونَ» لنفوسهم بارتكاب المعاصی، و كفران نعمه.
ثم خاطب خلقه فقال «وَ ما أُوتِيتُمْ مِنْ شَیْءٍ» أی ما أعطيتم من شیء «فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا» ای هو شیء تنتفعون به فی الحياة الدنيا، و تتزينون فيها (وَ ما عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب و نعيم الجنة (خَيْرٌ وَ أَبْقی) من هذه النعم، لأنها باقية، و هذه فانية (أ فلا تعقلون) ذلک و تتفكرون فيه.
و قوله (ثَمَراتُ كُلِّ شَیْءٍ) قيل: ان (كل) هنا البعض، لأنا نعلم انه ليس يجبی الی مكة كثير من الثمرات. و قال قوم: ظاهر ذلک يقتضی انه يجبی اليه جميع الثمرات إما رطباً او يابساً، و لا مانع يمنع منه.
و من قرأ (تعقلون) بالتاء فلقوله (وَ ما أُوتِيتُمْ) و من قرأ بالياء فتقديره (أ فلا يعقلون) يا محمد.

أَ فَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61) وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (62) قالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنا هؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنا أَغْوَيْناهُمْ كَما غَوَيْنا تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ ما كانُوا إِيَّانا يَعْبُدُونَ (63) وَ قِيلَ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ رَأَوُا الْعَذابَ لَوْ أَنَّهُمْ كانُوا يَهْتَدُونَ (64) وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (65)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 167

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى منبهاً لخلقه على عظيم ما أنعم به عليهم و رغبهم فيه من ثواب الجنة «أَ فَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً» يعنى من ثواب الجنة جزاء على طاعاته يكون بمنزلة من متعناه متاع الحيا الدنيا؟! و قال السدى المعنى بقوله «أَ فَمَنْ وَعَدْناهُ» حمزة بن عبد المطلب، و على بن أبى طالب عليه السلام وعدهما اللّه الجنة.

و قيل: النصر فى الدنيا و الجنة فى الآخرة- ذكره الضحاك و مجاهد- «كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا» يعنى به أبا جهل «ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ» فى النار. و قيل للجزاء. و قيل: نزلت فى النبى صلى اللّه عليه و آله و أبى جهل و المتعة هى المنفعة. و قد فرق بينهما بأن المتعة منفعة توجب الالتذاذ فى الحال، و النفع قد يكون بألم يؤدى الى لذة فى العاقبة، فكل متعة منفعة، و ليس كل منفعة متعة. و المتاع على وجهين:

أحدهما- كالادوات التى يتمتع بها من نحو الفرس، و الأثاث و الثياب و غيرها

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 168

و الثانى- يكون بمعنى المتعة. و المراد- هاهنا- متعة الحياة الدنيا.

و قوله- «ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ» يعنى من المحضرين للجزاء بالعقاب، لأنه تعالى ذكر من وعد وعداً حسناً، فدل ذلك على أهل الثواب ثم ذكر انه لا يستوى أهل الثواب و غيرهم، فدل على اهل العقاب، لبعد حال كل فريق من الفريقين عن الآخر. و الإحضار إيجاد ما به يكون الشىء بحيث يشاهد، فلما كان هؤلاء القوم يوجدون يوم القيامة ما به يكرهون بحيث يشاهدهم الخلائق، كانوا محضرين. ثم قال «وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ» و تقديره: و اذكر يوم ينادى اللّه الكفار، و هو يوم القيامة «فيقول» لهم على وجه التوبيخ لهم و التقريع «اين الذين» اتخذتموهم شركائى فعبدتموهم معى على قولكم و زعمكم و الزعم القول فى الأمر عن ظن أو علم، و لذلك دخل فى باب العلم، و أخواته قال الشاعر:

فان تزعمينى كنت أجهل فيكم فأنى شريت الحلم بعدک بالجهل «1»

ثم حكى ان «الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ» بالعقاب: من الشياطين و الانس و الذين أغووا الخلق من الانس يقولون فى ذلك اليوم «ربنا هؤلاء» يعنى من ضل بهم من الناس و اتخذوا شركاء من دون اللَّه هم «الَّذِينَ أَغْوَيْنا أَغْوَيْناهُمْ كَما غَوَيْنا تَبَرَّأنا إِلَيْكَ ما كانُوا إِيَّانا يَعْبُدُونَ» اى تبرأ بعضهم من بعض، و صاروا أعداء. و يقولون لم يكن الانس يعبدوننا. ثم حكى اللَّه فقال «و قيل» لهم «ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ» الذين عبدتموهم من دون اللَّه. ثم حكى انهم يدعونهم «فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ رَأَوُا الْعَذابَ لَوْ أَنَّهُمْ كانُوا يَهْتَدُونَ» و قيل فى معناه قولان:

---

(1) الكتاب لسيبويه 1/ 61.

أحدهما- لو أنهم كانوا يهتدون ما رأوا العذاب.

و الثانى- لو كانوا يهتدون لرأوا العذاب.

ثم قال «وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ» فيما دعوكم اليه من توحيد اللَّه و عدله و اخلاص العبادة له.

فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْباءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ (66) فَأَمَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَعَسى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (67) وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللَّهِ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (68) وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما يُعْلِنُونَ (69) وَ هُوَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِى الْأُولى وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (70)

خمس آيات بلا خلاف.

لما حكى اللَّه تعالى أنه ينادى الكفار يوم القيامة و يقررهم عما أجابوا به المرسلين، أخبر انهم تعمى عليهم الحجج، فهم لا يسأل بعضهم بعضاً. و العمى آفة تنافى صحة البصر «فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْباءُ» فيه تشبيه بالعمى عن الأبصار لانسداد طريق الاخبار عليهم، كما تنسد طرق الأرض على الأعمى، و معنى «فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ» أى هم لانسداد طرق الاخبار عليهم لم يجيبوا عما سئلوا التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 170

عنه، و لا يسأل بعضهم بعضاً عنه، لانقطاعهم عن الحجة، و لا ينافى قوله «فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ» قوله فى موضع آخر «وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ» «1» لان يوم القيامة مواطن يختلف فيها حالهم، فمرة تطبق عليهم الحيرة، فلا يتساءلون، و مرة يفيقون فيتساءلون. و قال الحسن: لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه شيئاً كما كانوا فى الدنيا.

ثم اخبر تعالى «فَأَمَّا مَنْ تابَ» من المعاصى و رجع عنها الى الطاعات، و أضاف الى ذلك الاعمال الصالحات «فَعَسى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ» و انما أدخل (عسى) فى اللفظ مع انه مقطوع بفلاحه، لأنه على رجاء أن يدوم على ذلك، فيفلح، و قد يجوز أن يزول فيما بعد، فيهلك، فلهذا قال «فعسى» على انه قيل: إن عسى من اللَّه فى جميع القرآن واجبة.

ثم اخبر تعالى فقال «وَ رَبُّكَ» يا محمد «يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- يختار الذى كان لهم فيه الخيرة، فدل بذلك على شرف اختياره لهم.

الثانى- أن تكون (ما) نفياً أى لم يكن لهم الخيرة على اللَّه بل للَّه الخيرة عليهم، لأنه مالك حكيم فى تدبيرهم، فيكون على هذا الوجه الوقف على قوله «و يختار» و هو الذى اختاره الزجاج. و قال الحسن: معناه «ما كان لهم الخيرة» اى أن يختاروا الأنبياء، فيبعثوهم. و قال مجاهد «لا يتساءلون» بالأنساب و القرابات. و قيل «لا يتساءلون» بما فيه حجج لهم، و قوله «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ» معناه ما عظم اللَّه حق عظمته من أشرك فى عبادته، لأن من تعظيمه اخلاص الالهية له، و انه الواحد فيما تفرد به

على

---

(1) سورة 37 الصافات آية 27 و سورة 52 الطور آية 25.

استحقاق العبادة، و انه لا يجوز أن يستغنى عنه بغيره، فمن أشرک فى عبادته فما عظمه حق تعظيمه، فهذا قد قبح فيما أتى وضيع حق نعمه.

ثم قال تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه و آله «وَ رَبُّکَ يا محمد يَعْلَمُ ما تُکِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما يُعْلِنُونَ» أى عالم بما يخفونه و ما يظهرونه، يقال: أكننت الشىء فى صدرى أى أخفيته و (كننته) بغير ألف صنته. و قيل: كننت الشىء و أكننته لغتان.

ثم اخبر تعالى انه الإله الذى لا إله سواه، و لا يستحق العبادة غيره فى جميع السموات و الأرض، و انه يستحق الثناء و الحمد و المدح و التعظيم، على ما أنعم به على خلقه فى الدنيا و الاخرة «وَ لَهُ الْحُكْمُ» بينهم بالفصل بين المختلفين بما يميز به الحق من الباطل. و ان جميع الخلق يرجعون اليه يوم القيامة الذى لا يملک احد الحكم غيره. و قيل قوله «وَ رَبُّکَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ» ذلک فى الوليد بن المغيرة حين قال «لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» «1» فبين اللَّه تعالى أن له أن يختار ما يشاء لنبوته و رسالته بحسب ما يعلم من يصلح لها.

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَ فَلا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَ فَلا تُبْصِرُونَ (72) وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (73) وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (74) وَ نَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (75)

---

(1) سورة 43 الزخرف آية 31.

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه لنبيه صلى اللَّه عليه و آله «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار الذين عبدوا معى آلهة تنبيهاً لهم على خطئهم (أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً) أى دائماً (إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ) بلا نهار و لا ضياء (مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ) كضياء النهار تبصرون فيه، فإنهم لا يقدرون على الجواب عن ذلك إلا بأنه لا يقدر على ذلك سوى اللَّه تعالى، فحينئذ يلزمهم الحجة بأنه لا يستحق العبادة غير اللَّه و هذا تنبيه منه لنبيه صلى اللَّه عليه و آله و لخلقه على وجه الاستدلال على توحيده و يبطل ذلك قول من قال: المعارف ضرورية. لأنه لو كان تعالى معلوماً ضرورة لما احتاج الأمر الى ذلك، لان كونه معلوماً ضرورة يغنى عن الاستدلال عليه، و ما لا يعلم ضرورة من أمر الدين، فلا يصح معرفته إلا ببرهان يدل عليه.

و قوله (ا فلا تسمعون) معناه أ فلا تقبلونه و تتفكرون فيه؟ و فى ذلك تبكيت لهم على ترك الفكر فيه، لأنهم إذا لم يفكروا فيما يسمعونه من حجج اللَّه فكأنهم ما سمعوه. و قيل فى قوله (أ فلا تسمعون) قولان:

أحدهما- ا فلا تسمعون هذه الحجة فتتدبرونها و تعملون بموجبها إذ كانت بمنزلة الناطقة بأن ما أنتم عليه خطأ و ضلال يؤدى الى الهلاك. التبيان فى

و الثانى- ان معناه أ فلا تقبلون. ثم نبههم ايضاً فقال (أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً) أى دائماً (الى يوم القيامة) بلا ليل تسكنون فيه، فإنهم لا يقدرون على الجواب عن ذلك إلا بما يدل على فساد معتقدهم، و هو انه لا يقدر على ذلك غير اللَّه، فحينئذ تلزمهم الحجة بأنه لا يستحق العبادة سواه.

و قوله (ا فلا تبصرون) معناه أ فلا تتفكرون فيما ترونه، لأن من لا يتدبر بما

يراه من الحجج و البراهين فكأنه لم يرها. و قيل معناه أ فلا تعلمون ثم قال (و من رحمته) أى من نعمه عليكم أن (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا) فى الليل (وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) بالنهار بالسعى فيه، و لكى تشكروا هذه النعم التى أنعم بها عليكم، و الهاء فى قوله (لتسكنوا فيه) يحتمل وجهين:
أحدهما- ان يعود الى الليل خاصة، و يضمر مع الابتغاء هاء أخرى.
الثانى- ان يعود الضمير اليهما إلا انه وحد، لأنه يجرى مجرى المصدر فى قولهم: إقبالک و ادبارک يؤذينى، و الاول أصح، لان الليل للسكون فيه، و النهار للتصرف و الحركة، و لكنه يحتمل ليكونوا فى هذا على التصرف و فى ذاک على الهدوء و قطع التصرف، و انما كان الفساد فى ادامة النهار فى دار التكليف، و لم يكن فى دار النعيم، لأن دار التكليف لا بد فيها من التعب و النصب الذى يحتاج معه الى الاستحمام و الراحة، و ليس كذلک دار النعيم، لأنه انما يتصرف فيها بالملاذ. و قوله «أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» قد مضى تفسيره. و انما كرر النداء ب «أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» لان النداء الأول للتقرير بالإقرار على اليقين بالغى الذى كانوا عليه و دعوا اليه.
و الثانى- للتعجيز عن اقامة البرهان لما طولبوا به بحضرة الاشهاد مع التبيان

تقريع حاصل به بالاشراک بعد تقريع.
ثم اخبر تعالى انه نزع «من كل أمة» من الأمم «شهيداً» يشهد على تلک الامة بما كان فيها، و معنى (نزعنا) أخرجنا و أحضرنا يقال:
فلان ينزع الى وطنه بأن يحن اليه حنيناً يطالبه بالخروج اليه. قال قتادة و مجاهد:
شهيدها نبيها الذى يشهد عليها بما فعلوه، و قيل هؤلاء الشهود: هم عدول الآخرة الذين لا يخلو زمان منهم يشهدون على الناس بما عملوا من عصيانهم.
و قوله (هاتُوا بُرْهانَكُمْ) حكاية عما يقول اللَّه تعالى للكفار فى الآخرة فانه يقول لهم هاتوا حجتكم على ما ذهبتم اليه (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) ثم اخبر تعالى انهم عند ذلک يعلمون (أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ) أى ان التوحيد للّه و الإخلاص فى العبادة له دون غيره لان معارفهم ضرورة (وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) أى بطل ما عبدوه من دون اللّه، و افتراءهم هو ادعاءهم الالهية مع اللّه تعالى

إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى فَبَغى عَلَيْهِمْ وَ آتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَ ابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَ أَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَ لا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78) فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ لا يُلَقَّاها إِلاَّ الصَّابِرُونَ (80)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 175

خمس آيات بلا خلاف.

هذا اخبار من اللّه تعالى (إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى) قال ابن إسحاق: كان موسى ابن أخيه، و قارون عمه. و قال ابن جريج: كان ابن عمه لأبيه و أمه (فَبَغى عَلَيْهِمْ) قال قتادة: إنما بغى عليهم بكثرة ماله. و البغى طلب العلو بغير حق. و منه قيل لولاة الجور: بغاة، يقال: بغى يبغى بغياً، فهو باغ و ابتغى كذا ابتغاء إذا طلبه، و يبتغى فعل الحسن أى يطلب فعله بدعائه الى نفسه. و (قارون) إسم أعجمى لا ينصرف، و

روى أنه كان عالماً بالتوراة فبغى على موسى و قصد الى تكذيبه، و الإفساد عليه.

و قوله (وَ آتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ) أى أعطيناه كنوز الأموال و الكنز جمع المال بعضه على بعض، و بالعرف عبارة عما يخبأ تحت الأرض، و لا يطلق اسم الكنوز فى الشرع الا على مال لا يخرج زكاته، لقوله تعالى (وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ) «1» فوجه الوعيد عليه منه تعالى

---

(1) سورة 9 التوبة آية 35.

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 176

على فعلهم يدلك على صحة ما قلناه.

و قوله (ما ان مفاتحه) المفتاح عبارة عما يفتح به الاغلاق، و جمعه مفاتيح و مفاتيح جمع مفتح، و معناهما واحد، و قال قوم: كانت مفاتيحه من جلود و قال آخرون: مفاتحه خزائنه. قال الزجاج: و هو الأشبه.

و قوله (لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ) أى ليثقل فى حمله، يقال: ناء بحمله ينوء نوءاً إذا

نهض به مع ثقله عليه، و منه أخذت الانواء، لأنها تنهض من المشرق على ثقل نهوضها. و قال ابو زيد: ناءنى الحمل إذا اثقلنى. و العصبة الجماعة الملتفة بعضها ببعض. و قال قتادة: العصبة ما بين العشرة الى الأربعين. و قال ابن عباس: قد يكون العصبة ثلاث. و انما قال لتنوء بالعصبة و المعنى العصبة تنوء بها، لان المعنى تميل بها مثقلة. و قيل: هو يجرى مجرى التقديم و التأخير كما قال الشاعر:

و نركب خيلا لا هوادة بينها و تشقى الرماح بالضياطرة الحمر «1»

و انما تشقى الضياطرة بالرماح، و قال آخر:

فديت بنفسه نفسى و مالى و ما آلوه إلا ما يطيق «2»

و المعنى بنفسى و مالى نفسه، و قال الفراء: كان الأصل ان يقول لتنوء العصبة أي يثقلهم، بحذف الياء و مثله قوله، و هو مقلوب:

إن سراجاً لكريم مفخرة تحلى به العين إذا ما تجهره «3»

فالوجه ان الرجل يعجب العين و كان ينبغى ان يقول يحلى بالعين، كقوله:

---

(1) قائله خداش بن زهير امالى الشريف المرتضى 1/ 466 و اللسان (ضطر)

(2) قائله عباس بن مرداس أمالى الشريف المرتضى 1/ 217.

(3) مر تخريجه فى 2/ 79، 196.

حليت بعينک ريطة مطوية قال الرمانى- التأويل الأول هو الصحيح، لأنه ليس من باب التقديم و التأخير لما فى ذلک من قلب المعنى و ليس كالذى تبنيه الاعراب. و قوله (إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) حكاية عما قال قوم قارون لقارون حين خوفوه باللَّه و نهوه عن الفرح بما آتاه اللَّه من المال، و أمروه بالشكر عليه. و الفرح المرح الذى يخرج الى الانس، و هو البطر. و لذلک قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) لأنه إذا أطلقت صفة فرح فهو الخارج بالمرح الى البطر، فأما قوله «فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» «1» فحسن جميل بهذا التقييد، و قال مجاهد: الفرحين هو فرح البطر. و قال الشاعر:

و لست بمفراح إذا الدهر سرنى و لا جازع من صرفه المتقلب «2»

و قال آخر:

و لا ينسينى الحدثان عرضى و لا أرخى من الفرح الازارا «3»

و قوله «وَ ابْتَغِ فِيما آتاکَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ» حكاية عما قال لقارون قومه المؤمنون بموسى و بتوحيد اللَّه. و قال قوم: إن المخاطب له كان موسى و إن ذكر بلفظ الجمع و معناه اطلب فيما أعطاک اللَّه من الأموال «الدَّارَ الْآخِرَةَ» بأن ينفقها فى وجوه البر و سبيل الخير «وَ لا تَنْسَ نَصِيبَکَ مِنَ الدُّنْيا» قال ابن عباس: منعاه أن يعمل فيها بطاعة اللَّه، و قال الحسن

معناه: أن يطلب الحلال

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 170.
(2) تفسير القرطبى 13/ 313 و يروى (المتحول) بدل (المتقلب) و مجاز القرآن 2/ 178. [.....]
(3) قائله ابن احمر، مجاز القرآن 2/ 111.

«وَ أَحْسِنْ» اى افعل الجميل الى الخلق. و تفضل عليهم، كما تفضل اللَّه عليک «وَ لا تَبْغِ الْفَسادَ فِى الْأَرْضِ» أى لا تطلب الفساد بمنع ما يجب عليک من الحقوق، و انفاق الأموال فى المعاصى «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» أى لا يريد منافع من يفسد فى الأرض، و لا يريد أن يفعل بهم ثواب الجنة.

و قوله «قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِى» حكاية عما قال قارون فى جواب قومه، فانه قال لهم: أوتيت هذه الأموال على علم بأنى مستحق لذلک، لعلمى بالتوراة، و قال قوم: لانى أعمل الكيمياء، و قال قوم لعلمى بوجوه المكاسب، و بما لا يتهيأ لأحد أن يسلبنى إياه، فقال اللَّه تعالى موبخا على هذا القول «أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ» قارون «أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَکَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً» كقوم عاد، و ثمود، و قوم لوط و غيرهم، فما اغنى عنهم جمعهم و لا قوتهم حين أراد اللَّه إهلاكهم، فكيف ينفع قارون ماله و جمعه.

و قوله «وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» قال الفراء تقديره: لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم، فالهاء و الميم للمجرمين، كما قال تعالى «فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ» «1» و قال الحسن لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون لنعلم ذلک من قبلهم، و إن سئلوا سؤال تقريع و توبيخ.

ثم حكى تعالى أن قارون «فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ» التى كان يتزين بها. و قيل: إنه كان خرج مع قومه عليهم فى الديباج الأحمر على الخيل، فلما رآه الذين يريدون الحياة الدنيا من الكفار و المنافقين و الضعيفى الايمان بما للمؤمنين عند اللَّه من ثواب الجنة قالوا «يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِىَ قارُونُ» تمنوا

---

(1) سورة 55 الرحمان آية 39.

مثل منزلته، و مثل ماله و إنهم قالوا ان قارون «لَذُو حَظٍّ» من الدنيا و نعيمها «عَظِيمٍ». ثم حكى ما قال المؤمنون بثواب اللَّه المصدقون بوعده فى جوابهم «وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً» مما أوتى قارون، و حذف لدلالة الكلام عليه. و قوله «وَ لا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ» أى ما يلقى مثل هذه الكلمة إلا الصابرون على أمر الله. و قيل: و ما يلقى نعمة

الله من الثواب إلا الصابرون.
فان قيل: أ ليس عندكم أن الله لا يؤتى الحرام أحداً؟ و قد قال- هاهنا- «وَ ابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ» فأخبر انه آتاه.
قيلَ: لا يعلم أن ذلک المال كان حراماً، و يجوز أن يكون حلالا ورثه أو كسبه بالمكاسب و المتاجر، ثم لم يخرج حق الله منه و طغى فسخط الله عليه و عاقبه لطغيانه و عصيانه لا على كسب المال.

فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ ما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81) وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ (82) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83) مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إِلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (84) إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدى وَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (85)
وَ ما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ (86) وَ لا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آياتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَ ادْعُ إِلى رَبِّكَ وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (87) وَ لا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (88)
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 180
ثمان آيات بلا خلاف.
روى عن الكسائى الوقف على «وى» من قوله تعالى «وى كأن الله» و من قوله «وى كأنه» و روى عن ابن عمر الوقف على الكاف منهما قال ابو طاهر: الاختيار اتباع المصحف، و هما فيه كلمة واحدة، و قرأ حفص و يعقوب «لخسف بنا» بفتح الخاء و السين. الباقون بضم الخاء و كسر السين على ما لم يسم فاعله.
حكى اللّه تعالى أنه خسف بقارون و بداره الأرض، فمن يهوى فيها حتى زهقت نفسه على أسوء حالها، و الخسف ذهاب فى الأرض فى جهة السفل.
ثم اخبر تعالى انه لم يكن لقارون (فئة) أى جماعة منقطعة اليه. و الفئة
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 181
مشتق من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعته، و تصغيرها فئية (يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى يمنعونه من عذاب الله الذى نزل به، و انما ذكر امتناع النصرة من الله مع أنه معلوم أنه كذلك، لان المراد أنه لم يكن الأمر على ما قدره من امتناعه بحاشيته و جنده، لان الذى غره قوته و تمكنه حتى تمرد فى طغيانه. ثم اخبر انه كما لم يكن له من ينصره لم يكن هو ايضاً ممن ينتصر بنفسه لضعفه عن ذلك و قصوره عنه. ثم حكى أن (الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ) حين خرج عليهم على زينته لما رأوه خسف الله به، أصبحوا يقولون (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ) أى يوسع رزقه على من يشاء و يضيق على من يشاء، اعترفوا بذلك. و معنى (وى) التنبيه على أمر من الأمور، و هى حرف مفصول من (كأن)- فى قول الخليل و سيبويه-

و اختاره الكسائى. و ذلک انهم لما رأوا الخسف تنبهوا فتكلموا على قدر علمهم عند التنبيه لهم، كما يقول القائل إذا تبين له الخطأ: وى كنت على خطأ، و قال زيد بن عمرو بن نفيل:
سألتانى، الطلاق إذ رأتانى قل مالى قد جئتمانى بنكر
وى كأن من يكن له نشب يح بب و من يفتقر يعيش عيش ضر «1»
و قيل (وى كأنه) بمنزلة (ألا كأنه، و أما كأنه) و قيل هى: ويک إن الله، كأنه قال ينبهک بهذا إلا انه حذف، قال عنترة:
و لقد شفى نفسى و أذهب سقمها قيل الفوارس و يک عنتر أقدم «2»
و قال قوم: هى بمنزلة (ويلک) إلا انه حذف اللام تخفيفاً، و نصب انه بتقدير اعلم انه لا يفلح، و هذا ضعيف، لان العلم لا يضمر و يعمل. و قال

---

(1) تفسير القرطبى 13/ 318.
(2) ديوانه 30 من معلقته.

الفراء: سألت امرأة زوجها عن أبيه فقال ويک إنه وراء الحائط، و معناه ألا ترينه وراء الحائط. و قيل المعنى إن (اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ (مِنْ عِبادِهِ) وَ يَقْدِرُ) لا لكرامة عليه، كما بسط لقارون (و يقدر) أى يضيق لا لهوانة عليه، كما ضيق على أنبيائه.
ثم قالوا (لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا) و عفى عنا لخسف بنا، كما خسف بقارون (وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ) أى لا يفوز بثوابه و ينجو من عقابه من يجحد نعم اللّه و يعبد معه سواه. و قيل: إن قارون جعل لبغىّ جعلا على أن ترمى موسى بالفاحشة، فلما حضرت فى الملأ كذبت قارون و أخبرت بالحق فخر موسى ساجداً يبكى، فأوحى اللّه اليه ما يبكيک قد سلطتک على الأرض فمرها بما شئت، فقال موسى يا أرض خذيهم، فأخذتهم الى ركبهم. ثم قال يا أرض خذيهم، فأخذتهم الى حقويهم ثم قال يا ارض خذيهم، فاخذتهم الى أعناقهم و هم فى كل ذلک ينادون يا موسى يا موسى ارحمنا- ذكره ابن عباس- و
روى أن اللَّه تعالى قال: لو قالوا مرة واحدة يا اللَّه ارحمنا لرحمتهم.
ثم قال تعالى (تِلْکَ الدَّارُ الْآخِرَةُ) يعنى الجنة (نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الْأَرْضِ) و انما قبح طلب العلو فى الأرض، لأنه ركون اليها، و ترک لطلب العلو فى الآخرة، و معاملة لها بخلاف ما أراده اللّه بها من أن تكون دار ارتحال لا دار مقام فيها (و لا فسادا) أى و لا يريدون فساداً فى الأرض بفعل المعاصى (وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) اخبار منه تعالى بأن العاقبة الجميلة من الثواب للذين يتقون معاصى اللّه و يفعلون طاعاته. و قيل: علوّاً فى الأرض معناه تكبراً عن الحق.
ثم اخبر تعالى ان من جاء بطاعة من الطاعات و حسنة من الحسنات التبيان

فى تفسير القرآن، ج8، ص: 183
(فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) ثواباً عليها و جزاء عليها، لان له بالواحدة عشراً (وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ) يعنى بالمعصية (فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ) يعنى الذين عملوا المعاصى إلا على قدر استحقاقهم على ما فعلوه من غير زيادة، كما قال (وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها) «1».
و قوله (إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) خطاب للنبى صلى اللَّه عليه و آله يقول اللَّه له إن الذى أوجب عليك الامتثال بما يضمنه القرآن و أنزله عليك (لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ) قال الحسن: معناه الى المرجع يوم القيامة. و قال مجاهد: إلى الجنة.
و قال ابن عباس: الى الموت. و فى رواية أخرى عن ابن عباس: الى مكة.
و الأظهر من الأقوال: لرادك الى معاد فى النشأة الثانية الى الجنة. و اكثر أقوال المفسرين انه أراد الى مكة قاهراً لأهلها.
ثم قال له (قل) يا محمد (رَبِّى أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدى) الذى يستحق به الثواب ممن لم يجىء به، و ضل عنه، لا يخفى عليه المؤمن من الكافر، و لا من هو على الهدى، و لا من هو ضال عنه.
ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله (و ما كنت) يا محمد (تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ) قال الفراء: تقديره إلا أن ربك رحمك، فأنزله عليك، فهو استثناء منقطع. و معناه و ما كنت ترجو أن تعلم كتب الأولين و قصصهم تتلوها على أهل مكة، و لم تشهدها و لم تحضرها بدلالة قوله (وَ ما كُنْتَ ثاوِياً فِى أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا) «2» أى انك تتلو على أهل مكة قصص مدين و موسى و لم تكن هناك ثاوياً مقيماً فتراه فتسمعه و كذلك

---

(1) سورة 6 الانعام آية 160
(2) سورة 28 القصص آية 45.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 184
قوله (وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِىِّ) «1» فها أنت تتلو قصصهم و أمرهم، فهذه رحمة من ربك. و معنى (فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً) اى لا تكونن معيناً لهم (و لا يصدنك) يعنى هؤلاء الكفار أى لا يمنعك «عن» اتباع (آيات اللَّه) و حججه (بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ) على ما بينها فى القرآن (وَ ادْعُ إِلى رَبِّكَ) الذى خلقك و أنعم علَيك (وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) الذين يتخذون مع اللَّه معبوداً سواه (وَ لا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ) فتستدعى حوائجك من جهته (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) اخبار منه تعالى أنه لا معبود إلا الله وحده لا شريك له.
ثم اخبر أن كل من سوى الله هالك، فان (كُلُّ شَىْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) و معناه إلا ذاته. و قيل: معناه كل شىء هالك إلا ما أريد به وجهه.
قال الشاعر:

استغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد اليه الوجه و العمل «2»
ثم قال (له الحكم) لأنه ليس لأحد أن يحكم بشىء إلا بأمر الله تعالى.
و يجعل الحكم له عقلياً كان او شرعياً و «اليه» الى الله (ترجعون) يوم القيامة ى الى الموضع الذى لا يملک أحد التصرف فيه سواه، لان الله تعالى قد ملک فى الدنيا لكثير من البشر التصرف فيها.

---

(1) سورة 6 القصص آية 44.
(2) تفسير القرطبى 13/ 328.

29-سورة العنكبوت ..... ص : 185

اشارة

قال قوم: هى مكية، و قال قتادة: العشر الأول مدنى، و الباقى مكى. و قال مجاهد: هى مكية، و هى تسع و ستون آية بلا خلاف فى جملتها، و فى تفصيلها خلاف

[سورة العنكبوت (29): الآيات 1 الى 5] ..... ص : 185

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الم (1) أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ (2) وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ (3) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا ساءَ ما يَحْكُمُونَ (4)
مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (5)
خمس آيات كوفى و أربع فيما عداه عدوا «الم» آية. و لم يعده الباقون.
قال قتادة: نزلت فى أناس من أهل مكة خرجوا للهجرة فعرض لهم التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 186
المشركون، فرجعوا، فنزلت الآية فيهم، فلما سمعوها خرجوا، فقتل منهم من قتل و خلص من خلص، فنزلت فيهم (وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا) الآية «1» و قيل: نزلت فى عمار، و من كان بقرب مكة- ذكره ابن عمر- و قيل:
نزلت فى قوم أسملوا قبل فرض الجهاد و الزكاة، فلما فرضا منعا، فنزلت الآية فيهم.
قد بينا فى غير موضع اختلاف الناس فى ابتداء السور بحروف الهجاء و ذكرنا أن أقوى الأقوال قول من قال: إنها اسماء للسور. و قال قوم:
إنها اسماء للقرآن.
و قوله (الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا) اختلف الناس فى (الم) و قد ذكرناه فيما مضى «2». و قوله (أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا) خطاب من الله لخلقه على وجه التوبيخ لهم بأن قال أ يظن الناس أن يتركهم اللّه إذا قالوا آمنا أى صدقنا و نقتصر منهم على هذا القدر، و الحسبان و الظن واحد. و قوله (أ حسب) معناه التوهم و التخيل. و قيل: الحسبان مشتق من الحساب، لأنه فى حساب ما يعمل عليه. و منه الحسيب، لأنه فى حساب ما يختبى، و «هم لا يفتنون» أى أ يظنون أنهم لا يختبرون إذا قالوا آمنا؟!. و المعنى انهم يعاملون معاملة المختبر لتظهر الافعال التى يستحق عليها الجزاء. و قيل: فى معنى «أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا» قولان: أحدهما- يتركوا لأن يقولوا. الثانى- أ حسبوا أن يقولوا على البدل و قال مجاهد: معنى «يُفْتَنُونَ» يبتلون فى أنفسهم و أموالهم.
و قيل: معنى يفتنون يصابون بشدائد الدنيا أى ان ذلک لا يجب أن يرفع فى الدنيا لقولهم آمنا. و قال ابن عمر: أ ظنوا ان لا يؤمروا و لا ينهوا.

---

(1) آية 69 من هذه السورة.
(2) انظر 1/ 47- 51.

و قال الربيع: ألا يؤذوا و لا يقتلوا؟! ثم اقسم تعالى انه فتن الذين من قبلهم «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» فى إيمانهم «وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ» فيه. و انما قال «فليعلمن» مع أنه للاستقبال و اللّه تعالى عليم فيما لم يزل، لحدوث المعلوم فلا تصح الصفة إلا على معنى المستقبل إذ لا يصلح و لا يصح لم يزل عالماً بأنه حادث، لانعقاد معنى الصفة بالحادث، و هو إذا حدث علمه تعالى حادثاً بنفسه. و قيل: معنى «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» ليجازيهم بما يعلم منهم. و قيل: معناه يعلم اللّه الذين صدقوا فى أفعالهم، كما قال الشاعر:

[ليث بعثر يصطاد الرجال] إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا «1»

و قال ابن شجرة «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ» معناه فليظهرن اللّه لرسوله صدق الصادق.

و قال النقاش: معناه فليميزن اللّه الصادقين من الكاذبين. و هو قول الجبائى.

ثم قال تعالى ممدداً لخلقه «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا» اى أ يظن الذين يفعلون القبائح و المعاصى ان يفوتونا؟! كما يفوت السابق لغيره.

ثم قال «ساءَ ما يَحْكُمُونَ» اى بئس الشىء الذى يحكمون بظنهم. انهم يفوتونا.

ثم قال «مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللَّهِ» أى من كان يأمل لقاء ثواب الله.

و قال سعيد بن جبير و السدى: معناه من كان يخاف عقاب الله، كما قال الشاعر:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها «2»

أى لم يخف ف (من) رفع بالابتداء، و خبرها (كان) و جواب الجزاء، كقولك زيد إن كان فى الدار فقد صدق الوعد. و قوله

---

(1) قائله زهير بن ابى سلمى ديوانه: 43.

(2) قد مر تخريجه فى 2/ 210 و 3/ 315 و 7/ 491.

«فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ» أى الوقت الذى وقته الله للثواب و العقاب آت لا محالة و الله «هُوَ السَّمِيعُ» لأقوالكم «الْعَلِيمُ» بما تضمرونه فى نفوسكم، فيجازيكم بحسب ذلك.

وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ (6) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ (7) وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً وَ إِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (9) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللَّهِ وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَ وَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ (10)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى «وَ مَنْ جاهَدَ» أى من جاهد نفسه بأن يصبر على ما أمره اللَّه به، و يعمل بسنته، و منه الجهاد، و هو الصبر فى الحرب على ما جاء به الشرع «فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ» لان ثواب صبره عائد عليه و واصل اليه دون الله تعالى، لأنه تعالى غنى عن جميع الخلائق غير محتاج الى طاعاتهم، و لا غير ذلک.

ثم قال تعالى «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بوحدانيته و أقروا بنبوة التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 189

نبيه، و اعترفوا بما جاء به من عند اللَّه «لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ» التى اقترفوها قبل ذلک. و من قال بالإحباط قال: تبطل السيئة الحسنة التى هى أكبر منها حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل، كما قال «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ» «1» و الإحباط هو إبطال الحسنة بالسيئة التى هى اكبر منها. و السيئة الخصلة التى يسوء صاحبها عاقبتها. و الحسنة الخصلة التى يسر صاحبها عاقبتها. و كل حسنة طاعة للَّه، و كل سيئة هى معصية له تعالى.

و قوله «لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ» قال الجبائى: معناه أحسن ما كانوا يعملون: طاعاتهم للَّه، لأنه لا شىء فى ما يعمله العباد أحسن من طاعاتهم للَّه. و قال قوم: معناه و لنجزينهم بأحسن أعمالهم، و هو الذى أمرناهم به، دون المباح الذى لم نأمرهم به و لا نهيناهم عنه.

و قوله «وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً» معناه أمرناه أن يفعل حسناً و ألزمناه ذلک. ثم خاطب كل واحد من الناس، فقال «وَ إِنْ جاهَداكَ» يعنى الوالدين أيها الإنسان «لِتُشْرِكَ بِي» فى العبادة «ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، فَلا تُطِعْهُما» فى ذلک. و قيل: نزلت فى سعد بن أبى وقاص، لأنه لما هاجر حلفت أمّه انها لا يظلها سقف بيت حتى يعود. فنزلت الآية.

ثم قال مهدداً للجميع «إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ» أى إلىّ مآلكم «فَأُنَبِّئُكُمْ» أى أخبركم «بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى دار التكليف، ثم اجازيكم بحسبه. ثم قال تعالى «وَ

الّذِينَ آمَنُوا» بتوحيد اللّه و اخلاص العبادة له و صدق أنبيائه و أضافوا الى ذلک الأعمال الصالحات «لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى» جملة «الصَّالِحِينَ» الذين فعلوا الطاعات و يجازيهم اللّه ثواب الجنة.

---

(1) سورة 11 هود آية 115.

ثم اخبر ان «مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ» بلسانه «آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذا أُوذِىَ فِى اللَّهِ» أى إذا لحقه شدة فى جنب الله «جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ» أى عذاب الناس إياهم «كَعَذابِ اللَّهِ» اى خافوا عذاب الخلق، كما يخاف عذاب الله، فيرتدون.

«وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّکَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» و هذا الذى ذكره صفة المنافقين الذين إذا جاهدوا الكفار و كانت الدائرة على المسلمين جعلوا ذلک مثل ما يعذبهم الله، و متى ظفروا بأعدائهم قالوا للمؤمنين «إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» فى الجهاد فلنا مثل ما لكم من الغنيمة، فقال تعالى «أَ وَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِى صُدُورِ الْعالَمِينَ» أى الله يعلم بواطن أحوالهم و سرائر ما فى نفوسهم، فيجازيهم على حسب ذلک.

وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ (11) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ وَ ما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (12) وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ وَ لَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَمَّا كانُوا يَفْتَرُونَ (13) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ (14) فَأَنْجَيْناهُ وَ أَصْحابَ السَّفِينَةِ وَ جَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمِينَ (15)

خمس آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 191

اقسم الله تعالى بأنه يعلم الذين يؤمنون بالله على الحقيقة ظاهراً و باطناً فيجازيهم على ذلک بثواب الجنة، و ذلک ترغيب لهم «وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ» فيه تهديد للمنافقين مما هو معلوم من حالهم التى يستترون بها و يتوهمون انهم نجوا من ضررها، باخفائها، و هى ظاهرة عند من يملک الجزاء عليها، و تلک الفضيحة العظمى بها.

ثم حكى تعالى أن الذين كفروا نعم الله و جحدوها يقولون للذين آمنوا بتوحيده و صدق أنبيائه «اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ» نحن «خَطاياكُمْ» أى نحمل ما تستحقون عليها من العقاب يوم القيامة عنكم هزؤاً بهم و اشعاراً بأن هذا لا حقيقة له، فالمأمور بهذا الكلام هو المتكلم به أمر نفسه فى مخرج اللفظ و معناه يضمن إلزام النفس هذا المعنى، كما يلزم بالأمر، قال الشاعر:

فقلت ادعى وادع فان اندى لصوت أن ينادى داعيان «1»

معناه و لادع. و فيه معنى الجزاء و تقديره ان تتبعوا ديننا حملنا خطاياكم.

ثم نفى تعالى أن يكونوا هم الحاملين لخطاياهم من شىء، و انهم يكذبون فى هذا القول، لأن الله تعالى لا يؤاخذ أحداً بذنب غيره، فلا يصح إذاً أن يتحمل احد ذنب غيره، كما قال تعالى «أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى. وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى» «2» و ليس ذلک بمنزلة تحمل الدية عن غيره، و لان الفرض فى الدية أداء المال عن نفس المقتول، فلا فضل بين ان يؤديه زيد عن نفسه، و بين ان يؤديه عمرو عنه، لأنه بمنزلة قضاء الدين.

---

(1) شرح الفية بن مالک 267 و تفسير القرطبى 13/ 334. [.....]

(2) سورة 6 الانعام آية 164 و سورة 17 الإسراء آية 15 و سورة 35 فاطر آية 18 و سورة 39 الزمر آية 7 و سورة 53 النجم آية 39.

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 192

و قوله «وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ» معناه انهم يحملون خطاياهم فى أنفسهم التى لا يعملونها بغيرهم، و يحلون الخطايا التى ظلموا بها غيرهم، فحسن لذلک فيه التفصيل الذى ذكره الله.

و قوله «وَ لَيُسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَمَّا كانُوا يَفْتَرُونَ» أى يعملون. و معناه إنهم يسألون سؤال تعنيف و توبيخ و تبكيت و تقريع، لا سؤال استعلام كسؤال التعجيز فى الجدل، كقولك للوثنى ما الدليل على جواز عبادة الأوثان، و كما قال تعالى «هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» «1».
ثم اخبر تعالى انه أرسل نوحاً الى قومه يدعوهم الى توحيد الله و إخلاص العبادة له، و انه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فلم يجيبوه، و كفروا به «فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ» جزاء على كفرهم، فأهلكهم الله تعالى «وَ هُمْ ظالِمُونَ» لنفوسهم بما فعلوه من عصيان اللّه تعالى و الاشراك به، و الطوفان الماء الكثير الغامر، لأنه يطوف بكثرته فى نواحى الأرض قال الراجز:
أفناهم طوفان موت جارف «2»
شبه الموت فى كثرته بالطوفان. ثم اخبر تعالى انه أنجى نوحاً و الذين ركبوا معه السفينة من المؤمنين به، و جعل السفينة آية أى علامة للخلائق يعتبرون بها إلى يوم القيامة، لأنها فرقت بين المؤمنين و الكفار و العاصين و الأخيار، فهى دلالة للخلق على صدق نوح و كفر قومه.

وَ إِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (16) إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (17) وَ إِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (18) أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (19) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)

---

(1) سورة 2 البقرة آية 111 و سورة 27 النمل آية 64
(2) تفسير القرطبى 13/ 534.

خمس آيات بلا خلاف قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً «أو لم تروا» بالتاء. الباقون بالياء. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو «النشاءة» بفتح الشين ممدودة- هنا- و فى النجم، و الواقعة. الباقون- بسكون الشين مقصوراً- و من قرأ بالتاء، فعلى الخطاب تقديره: قل لهم يا محمد «أو لم تروا» حين أنكروا البعث و النشور «أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ» أى إذا أنكرتم الاعادة كان الابتداء أولى بالنكرة. و حيث أقروا بان اللّه خالقهم ابتداء فيلزمهم أن يقروا بالاعادة ثانياً. و من قرأ بالياء، فعلى الاخبار عنهم «و يبدئ» فيه لغتان اتى بهما القرآن بدأ اللّه الخلق، و أبدأهم، قال اللّه تعالى «وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» فمصدر أبدأ يبدؤ إبداءاً، فهو مبدئ. و من قرأ (بدأ) يبدؤ

بدءاً، فهو بادىء، و ذاك مبدوء، و يقال: رجع عوده على بدئه بالهمز، و بدا يبدو، بغير همز: ظهر. و قال ابو عمرو (غلام ثعلب): يجوز رجع عوده على يده- بغير همز- بمعنى الظهور كقولهم: ما عدا مما بدا. و النشاءة و النشأة بالمد و القصر، لغتان. كقولهم: رأفة و رآفة، و كأبة و كآبة و هما مصدران.
فالنشأة المرة الواحدة، يقال: نشأ الغلام، فهو ناشئ، و امرأة ناشئة، و الجمع نواشئ، و يقال للجوارى الصغار نشأ قال نصيب:
و لو لا ان يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشأ الصغار «1»
و انشأهم اللّه إنشاء، فهو منشئ، و نشت- بغير همز- ريحاً طيبة، و رجل نشوان من الشراب. و رجل نشيان للخير إذا كان يتخير الخير، حكاه ثعلب.
قوله «وَ إِبْراهِيمَ إِذْ قالَ» يحتمل نصبه أمرين:
أحدهما- أن يكون عطفاً على قوله «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ» و تقديره و أرسلنا إبراهيم أيضاً.

الثانى- بتقدير و اذكر «ابراهيم» حين «قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللّهَ» وحده لا شريک له، و اتقوا عقابه باتقاء معاصيه «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» ما هو خير لكم مما هو شر لكم.
و قوله «إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً» حكاية عما قال ابراهيم لقومه كأنه قال لهم ليس تعبدون من دون اللّه إلا اوثاناً، و هو جمع وثن، و هو ما يعبد من دون اللّه. و قيل: ما يعمل من حجر و طين يسمى وثناً. و (ما) فى قوله «إنما» كافة، و ليست بمعنى الذى، لأنها لو كانت بمعنى الذى، لكان (أوثان) رفعاً.

---

(1) مر تخريجه فى 4/ 304.

و قوله «وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً» أى تعملون أصناماً، و سماها إفكاً لادعائهم أنها آلهة- و هو قول قتادة، و الجبائى- و قال ابن عباس: و تصنعون كذباً، و تحقيقه يصنعون على ما يقدرون، ثم قال لهم ابراهيم أيضاً (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يعنى الأصنام (لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً) أى لا يقدرون على أن يرزقوكم، و إنما يبتغى الرزق من القادر على المنع، و هو اللّه الرازق. و الملک قدرة القادر على ماله أن يتصرف فيه أتمّ التصرف، و ليس ذلک إلا للّه- عز و جل- على الحقيقة لأن له التصرف و القدرة على جميع الأشياء بلا مانع، و الإنسان إنما يملک ما يملكه الله، و يأذن له فى التصرف فيه. فأصل الملک لجميع الأشياء لله. و من لا يملک أن يرزق غيره لا يستحق العبادة، لأن العبادة تجب بأعلى مراتب النعمة. و الأصنام لا تقدر على ذلک، فإذاً لا يحسن عبادتها.
ثم قال لهم (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ) أى اطلبوا الرزق من عند اللّه دون من سواه (و اعبدوه) على ما أنعم به عليكم من أصول النعم، و أعلى مراتب الفضل (وَ اشْكُرُوا لَهُ) ايضاً، لأنكم اليه ترجعون يوم القيامة فيجازيكم على قدر أعمالكم. فمن عبده و شكره جازاه بالثواب. و من عبد غيره و كفر نعمه جازاه بالعقاب. و يقال: شكرته و شكرت له يؤكد باللام. فمعنى الشكر له اختصاصه بنفسه من غير احتمال لغيره. ثم قال (و إن تكذبوا) بما أخبركم به من عند الله، و ما أدعوكم اليه من اخلاص عبادته (فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) أنبياءهم الذين بعثوا فيهم و ليس (عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) يعنى الا أن يوصل اليهم و يؤدى اليهم ما أمر به لكونه بياناً ظاهراً يمكنهم معرفته و فهمه، و ليس عليه حملهم على الايمان.
ثم قال (أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ) اى أ لم يفكروا فيعلموا كيف

اخترع الله الخلق من العدم (ثم يعيده) ثانياً إذا اعدمهم بعد وجودهم. قال قتادة: معنى (/ ثم يعيده) بالبعث بعد الموت. و قيل ينشئه بالاحياء (ثم

يعيده) بالرد الى حال الموت. و الأول أصح (إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ) غير متعذر، لأن من قدر على الاختراع و الإنشاء أولاً كان على الاعادة أقدر.
و معنى (يسير) لا تعب عليه فيه و لا نصب، و كل فعل كان كذلک، فهو سهل يسير. و الاحتجاج فى ذلک أن من قدر على ذلک قادر على إرسال الرسول الى العباد.
ثم قال لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله (قُلْ) لهؤلاء الكفار (سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الله الْخَلْقَ) و فكروا فى آثار من كان قبلكم، و الى اى شىء صار أمرهم لتعتبروا بذلک فيما يؤديكم الى العلم بربكم.
و قوله (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) فالنشأة الآخرة اعادة الخلق كرة ثانية من غير سبب كما كان أول مرة، لان معنى الإنشاء الإيجاد من غير سبب (إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) اخبار منه تعالى انه قادر على كل شىء يصح أن يكون مقدوراً له.

يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ وَ إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (21) وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (22) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ وَ لِقائِهِ أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (23) فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (24) وَ قالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَ مَأْواكُمُ النَّارُ وَ ما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ (25)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 197

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو، و الكسائى «مودة بينكم» بالرفع و الاضافة، و قرأ نافع و ابو بكر عن عاصم و ابن عامر «مودة بينكم» منوناً منصوباً، و روى الأعشى عن أبى بكر برفع «مودة» و «بينكم» نصب، و قرأ حفص عن عاصم و حمزة «مودة بينكم» نصباً غير منون مضاف.

من رفع يحتمل وجهين أحدهما- ان يجعل «انما» كلمتين يجعل (ما) بمعنى الذى، و هو اسم (ان) و (مودة) خبره، و مفعول اتخذتم (هاء) محذوفة، و تقديره: إن الذى اتخذتموه مودة بينكم، كما قال الشاعر:

ذرينى إنما خطائى وصوا بى على و انما أهلكت مالى

يريد ان الذى أهلكته مالى. الثانى- ان يرفعها بالابتداء، و «فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» خبرها.

و من نصب جعل (المودة) مفعول (اتخذتم).

و من أضاف جعل البين الوصل. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 198

و من لم ينون و لم يضف جعل (البين) ظرفاً. و هو الفراق ايضاً. يقال: بينهما بين بعيد، و بون بعيد، و جلس زيد بيننا، و بينا بالإدغام، ذكره ابن زيد عن ابن حاتم عن الاصمعى، يقال: بان زيد عمراً: إذا فارقه يبونه بوناً قال الشاعر:

كأن عينى و قد بانونى غرباً نصوح غير محنونى

و قرأ أبى «اثماً مودة بينكم».

اخبر اللّه تعالى انه «يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ» من عباده إذا استحقوا العقاب (وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ) منهم فيعفو عنهم بالتوبة و غير التوبة (وَ إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) معاشر الخلق أى اليه تحشرون و ترجعون يوم القيامة. و القلب الرجوع و الرد، فتقلبون أى تردون الى حال الحياة فى الآخرة بحيث لا يملك الضر و النفع فيه إلا اللّه. و القلب نفى حال بحال يخالفها. ثم قال: و لستم بمعجزين فى الأرض أى بفائتين، فالمعجز الفائت بما يعجز القادر عن

لحاقه، و لهذا فسروا (وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) أى بفائتين، و المعنى لا تغتروا بطول الامهال (فِى الْأَرْضِ وَ لا فِى السَّماءِ) اى لستم تفوتونه فى الأرض، و لا فى السماء لو كنتم فيها، فإنه قادر عليكم حيث كنتم. و قيل فى ذلک قولان: أحدهما- لا يفوتونه هرباً فى الأرض، و لا فى السماء. الثانى- و لا من فى السماء بمعجزين، كما قال حسان:
أ من يهجو رسول اللّه منكم و يمدحه و ينصره سواء «1»
و تقديره و من يمدحه و ينصره سواء أم لا يتساوون؟! و قوله (وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ) أى و ليس لكم ولى و لا ناصر من دون الله يدفع عنكم عقاب الله إذا أراد بكم، فالولى هو الذى

---

(1) مر تخريجه فى 1/ 410.

يتولى المعونة بنفسه، و النصير قد يدفع المكروه عن غيره تارة بنفسه و تارة بان يأمر بذلک. ثم قال تعالى (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ) اى جحدوا أدلة الله و لقاء ثوابه و عقابه يوم القيامة (أُولئِکَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِى) اخبار عن اياسهم من رحمة الله، لعلمهم انها لا تقع بهم ذلک اليوم (وَ أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) اى مؤلم. و فى ذلک دلالة على ان المؤمن بالله و اليوم الآخر لا يجوز ان ييأس من رحمة الله.
ثم قال (فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ) و فى ذلک دلالة على ان جميع ما تقدم حكاية ما قال ابراهيم لقومه، و انهم لما عجزوا عن جوابه بحجة عدلوا الى ان قالوا اقتلوه او حرقوه و فى الكلام حذف، و تقديره:
إنهم أوقدوا ناراً و طرحوه فيها (فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِى ذلِکَ لَآياتٍ) واضحة و حجة بينة (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بصحة ما أخبرناک به من توحيد الله و اخلاص عبادته.
ثم عاد الى حكاية قول ابراهيم و انه قال لهم (إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً) قال قتادة: كل خلة تنقلب يوم القيامة عداوة إلا خلة المتقين كما قال (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) «1» و معنى الآية ان ابراهيم قال لقومه: انما اتخذتم هذه الأوثان آلهة من دون الله لتتوادوا بها فى الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة يتبرؤ بعضكم من بعض و يلعن بعضكم بعضاً، و مستقركم النار، و ما لكم من ينصركم بدفع عذاب اللّه عنكم.
ثم قال لهم «وَ مَأْواكُمُ النَّارُ» أى مستقركم و «ما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ»

---

(1) سورة 43 الزخرف آية 67.

يدفعون بالقهر و الغلبة. و روى عبد اللّه بن احمد بن حنبل عن أبيه فى كتاب التفسير أن جميع الدواب و الهوام كانت تطفي عن ابراهيم النار إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ النار، فأمر بقتلها. و روى أيضاً انه لم ينتفع احد يوم طرح ابراهيم فى النار بالنار فى جميع الدنيا.

فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قالَ إِنِّی مُهاجِرٌ إِلی رَبِّی إِنَّهُ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ (26) وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ جَعَلْنا فِی ذُرِّیَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْکِتابَ وَ آتَیْناهُ أَجْرَهُ فِی الدُّنْیا وَ إِنَّهُ فِی الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِینَ (27) وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّکُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَکُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِینَ (28) أَ إِنَّکُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِیلَ وَ تَأْتُونَ فِی نادِیکُمُ الْمُنْکَرَ فَما کانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ کُنْتَ مِنَ الصَّادِقِینَ (29) قالَ رَبِّ انْصُرْنِی عَلَی الْقَوْمِ الْمُفْسِدِینَ (30)

خمس آیات بلا خلاف.

ست آیات حجازی و خمس فی ما عداه عدوا «السبیل» آیة و لم یعدها الباقون.

قرأ اهل الحجاز و ابن عامر و حفص و یعقوب «إنکم لتأتون الفاحشة» بهمزة واحدة علی الخبر. و قرأه اهل الکوفة. إلا حفصاً بهمزتین مخففتین علی الاستفهام. و قرأ ابو عمرو کذلک إلا انه بلین الثانیة، و یفصل بینهما التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 201

بألف، و أما «أَ إِنَّکُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ» فإنهم علی أصولهم. حکی اللّه سبحانه ان ابراهیم لما دعا قومه الی اخلاص عبادة اللّه و ترک عبادة الأوثان، و قبح فعلهم فی ذلک أنه صدق به لوط علیه السلام و آمن به. و کان ابن أخته، فإبراهیم خاله و هو قول ابن عباس و ابن زید و الضحاک و جمیع المفسرین.

و قال لوط «إِنِّی مُهاجِرٌ إِلی رَبِّی» معناه ای خارج من جملة الظالمین علی جهة الهجر لهم لقبح أفعالهم الی حیث أمرنی ربی، و من هذا هجرة المسلمین من مکة الی المدینة و الی أرض الحبشة، لأنهم هجروا دیارهم و أوطانهم لأذی المشرکین لهم فأمروا بأن یخرجوا عنها. و قیل: هاجر ابراهیم و لوط من کوثی، و هی من سواد الکوفة الی أرض الشام فی قول قتادة. و قال «إِنَّهُ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ» الذی لا تضیع الطاعة عنده، العزیز الذی لا یذل من نصره. ثم قال «وَ وَهَبْنا لَهُ» یعنی لإبراهیم «إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ، وَ جَعَلْنا فِی ذُرِّیَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْکِتابَ» قیل: إنما لم یذکر إسماعیل مع انه نبی معظم، لأنه قد دل علیه بقوله «وَ جَعَلْنا فِی ذُرِّیَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْکِتابَ» فترک ذکر اسمه. لأنه یکفی فیه الدلالة علیه لشهرته و عظم شأنه، و ذکر ولد ولده فی سیاقه ذکر ولده، لأنه یحسن اضافته الیه، لأنه الأب الأکبر له.

و قوله «وَ آتَیْناهُ أَجْرَهُ فِی الدُّنْیا» قال ابن عباس: الأجر فی الدنیا الثناء الحسن، و الولد الصالح، و قال الجبائی: هو ما أمر اللّه به المکلفین من تعظیم الأنبیاء. قال البلخی: و ذلک یدل علی انه یجوز أن یثیب اللّه فی دار التکلیف ببعض الثواب. و (الکتاب) أرید به الکتب، من التوراة و الإنجیل و

الزبور و القرآن، غير انه خرج مخرج الجنس. «وَ إِنَّهُ فِی الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِینَ» التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 202
اخبار منه تعالى أن ابراهيم مع انه آتاه أجره و ثوابه فى الدنيا إنه فى الآخرة يحشره اللَّه من جملة الصالحين العظيمى الاقدار، لما قاموا به من النبوة على ما أمر اللَّه به. و قوله «وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ» يحتمل نصبه أيضاً بشيئين:
أحدهما- و (أرسلنا لوطا) عطفاً على (نُوحاً وَ إِبْراهِیمَ).
و الثانى- بتقدير و اذكر لوطاً حين قال لقومه «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ» من قرأ بلفظ الاستفهام أراد به الإنكار دون الاستعلام. و من قرأ على الخبر أراد إن لوطاً أخبرهم بذلک منكراً لفعلهم لا مفيداً لهم، لأنهم كانوا يعلمون ما فعلوه. و الفاحشة- هاهنا- ما كانوا يفعلونه من إتيان الذكران فى أدبارهم «ما سَبَقَكُمْ بِها» بهذه الفاحشة أحد من الخلائق. ثم فسر ما أراد بالفاحشة فقال «أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ» يعنى فى أدبارهم، و الفاحش الشنيع فى القبح، فحش فلان يفحش فحشاً و تفاحش تفاحشاً إذا شنع فى قبحه، و هو ظهوره بما تقتضى العقول بالبديهة ردّه و إنكاره.
و قوله «وَ تَقْطَعُونَ السَّبِیلَ» قيل: انهم كانوا يقطعون الطريق لأخذ الأموال، و قيل: يقطعون سبيل الولد بإتيان الذكران فى الأدبار، و قيل:
بالعمل الخبيث، لأنهم كانوا يطلبون الغرباء «وَ تَأْتُونَ فِی نادِیكُمُ الْمُنْكَرَ» قال ابن عباس: كانوا يضرطون فى مجالسهم، و قال السدى: كانوا يحذفون من مرّ بهم. و قال مجاهد: كانوا يأتون الرجال فى مجالسهم. و قال الكلبى: منها الحذف، و الصفير، و مضغ العلک، و الرمى بالبندق، و حل أزرار القبا و القميص. و هى ثمانى عشرة خصلة. و قال غيره: هى عشر خصال.
و قوله «فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 203
مِنَ الصَّادِقِینَ»
حكاية عما قال قوم لوط فى جوابه حين عجزوا عن مقاومته بالحجة و انهم قالوا له «ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِینَ» فى دعواک النبوة و أن اللَّه أرسلک و أمرک بما تدعو اليه، فقال عند ذلک لوط «رَبِّ انْصُرْنِی عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِینَ» الذين فعلوا المعاصى و ارتكبوا القبائح و أفسدوا فى الأرض و المعنى اكفنى شرّهم و أذاهم، و يجوز أن يريد اهلكهم، و انزل عذابک عليهم.

وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (31) قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (32) وَ لَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قالُوا لا تَخَفْ وَ لا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (33) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (34) وَ لَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (35)

خمس آيات قرأ حمزة و الكسائى و خلف و يعقوب «لننجينه» بالتخفيف. الباقون بالتثقيل، و قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى و خلف و ابو بكر و يعقوب «منجوك» غير متحرك بالتخفيف. الباقون بالتشديد و قرأ ابن عامر و الكسائى التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 204

عن أبى بكر (منزلون) بالتشديد. الباقون بالتخفيف. من قرأ «لننجينه» بالتشديد و بتحريک النون، فلقوله (وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ) «1» و لقوله (إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ) «2» و من خفف فلقوله (فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ) «3» يقال: نجا زيد و أنجيته و نجيته، مثل فرح و فرحته و أفرحته.

و من قرأ (منزلون) بالتشديد، فلان أصله نزل، كما قال (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) «4». فإذا عديته ثقلته إما بالهمزة او بالتضعيف و التضعيف يدل على التكرار.

و قوله (إِنَّا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ) نصب (أهلک) على انه مفعول به عطفاً على موضع الكاف، و قوله (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ) «5» انما كسر اللام و موضعها النصب، لان العرب تقول: رأيت أهلک يريدون جميع القرابات.

و منهم من يقول: أهليک، و يجمع اهل على أهلين، فإذا أضافه ذهبت النون للاضافة، فالياء علامة الجمع و النصب. و كسرت اللام لمجاورتها الياء. و فى الحديث (ان للّه أهلين) قيل: من هم يا رسول اللّه؟ قال (اهل القرآن هم اهل اللّه و خاصته)

و من العرب من يجمع (أهلا) أهلات انشد ابن مجاهد:

فهم اهلات حول قيس بن عاصم إذا ادلجوا بالليل يدعون كوثرا

قال ابن خالويه: الصواب أن يجعل اهلات جمع اهلة. قال: فان قيل: هل يجوز أن تقول أهلون؟- بفتح الهاء- كما يقولون: أرضون إذ كان الأصل ارضات، قال: إن (أهلا) مذكر تصغيره أهيل، و ارضاً مؤنثة تصغيرها

---

(1) سورة 41 حم السجدة (فصلت) آية 18.

(2) سورة 54 القمر آية 34.

(3) سورة 29 العنكبوت آية 24.

(4) سورة 26 الشعراء آية 193.
(5) سورة 66 التحريم آية 6.

أريضة، و التاء سابقة فى المؤنث ممتنعة فى المذكر، فهذا يفصل ما بينهما، قال و ما علمت احداً تكلم فيه.
اخبر اللَّه تعالى انه لما جاء ابراهيم رسل اللَّه، و هم من الملائكة بالبشرى يبشرونه بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب، و البشرى البيان، و هو الخبر بما يظهر سروره فى بشرة الوجه. و قيل: للاخبار بما يظهر سروره او غمه فى البشرة: بشرى، و يقوى ذلک قوله (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ) «1» غير انه غلب عليه البشارة بما يسر به.
و قوله (قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ) حكاية ما قالت الملائكة لإبراهيم فإنهم قالوا له: بعثنا اللَّه و أرسلنا لإهلاک هذه القرية التى فيها قوم لوط. و الإهلاک الاذهاب بالشىء الى ما لا يقع به احساس، فلما كانوا بالعذاب قد اذهبوا هذا الاذهاب كانوا قد اهلكوا، و القرية البلدة التى يجتمع اليها للايواء من جهات مختلفة، و هى من قريت الماء فى الحوض أقريه قرياً. إذا جمعته. و منه قرى الضيف لأنک تجمعه اليک بما تعده له من طعام. و (الظالم) من فعل الظلم و هو صفة ذم.
فقال لهم ابراهيم عند ذلک (إِنَّ فِيها لُوطاً) كيف تهلكونها، فقالوا فى جوابه (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها) و الأعلم الأكثر معلوماً، فإذا كان الشىء معلوماً لعالم من جهات مختلفة و لعالم آخر من بعض تلک الوجوه دون بعض كان ذلک اعلم. ثم قالوا (لننجينه) أى لنخلصنه من العذاب (و أهله) أى و نخلص أيضاً اهله المؤمنين منهم (إِلَّا امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ) أى من الباقين

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 21 و سورة 9 التوبة آية 35 و سورة 84 الانشقاق آية 24.

فى العذاب، قال المبرد: و (أهلک) عطف على المعنى، لأن موضع الكاف الخفض، و لا يجوز العطف على المضمر المخفوض على اللفظ، و مثل ذلک قول لبيد:
فان لم تجد من دون عدنان والداً و دون معد فلترعک العواذل «1»
فنصب (و دون) على الموضع. ثم حكى تعالى أن رسل اللَّه لما جاءت (لُوطاً سِيءَ بِهِمْ) و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- سىء بالملائكة أى ساء مجيؤهم لما طلبوا منه الضيافة لما يعلم من خبث فعل قومه- فى قول قتادة-.
الثانى- سىء بقومه ذرعاً أى ضاق بهم ذرعاً، لما علم من عظم البلاء النازل بهم، فلما رأته الملائكة على تلک الصفة (قالوا) له (لا تَخَفْ وَ لا تَحْزَنْ إِنَّا

مُنَجُّوكَ) ای مخلصوک و مخلصوا (أَهْلَکَ إِلّا امْرَأَتَکَ کانَتْ مِنَ الْغابِرِینَ) اَی من الباقین فی العذاب. و انما قال (من الغابرین) علی جمع المذکر تغلیباً للمذکر علی المؤنث إذا اجتمعا. و قیل: کانت من الباقین لأنه طال عمرها، ذکره ابو عبیدة، و قالوا له (إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلی أَهْلِ هذِهِ الْقَرْیَةِ رِجْزاً) ای عذاباً رجزاً (بِما کانُوا یَفْسُقُونَ) و یخرجون من طاعة اللّه الی معصیته.
ثم اخبر تعالی فقال (وَ لَقَدْ تَرَکْنا مِنْها) یعنی من القریة انه بینه، قال قتادة الآیة البینة الحجارة التی أمطرت علیهم. و قال غیره عفو آثارهم مع ظهور هلاکهم (لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ) ذلک و یبصرونه و یتفکرون فیه و یتعظون به، فیزجرهم ذلک عن الکفر باللّه و اتخاذ شریک معه فی العبادة.

---

(1) الکتاب لسیبویه 1/ 34.

وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (36) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ (37) وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَساكِنِهِمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (38) وَ قارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ما كانُوا سابِقِينَ (39) فَكُلاًّ أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَ ما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40)

خمس آيات بلا خلاف.

قوله «وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً» عطف على قوله «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ» و تقديره و أرسلنا الى مدين، و قد فسرنا معنى (مدين) فيما تقدم «1» «أَخاهُمْ شُعَيْباً» و انه قال لهم «يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ» وحده لا شريك له و لا تشركوا معه فى العبادة غيره «وَ ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ» يحتمل أن

---

(1) انظر 6/ 47. [.....]

يكون أراد و خافوا عقاب اليوم الآخرة بمعاصى اللَّه، و يحتمل ان يكون أراد و اطلبوا ثواب يوم القيامة بفعل الطاعات «وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» معناه لا تضطربوا بحال الجهالة يقال: عثى يعثى عثى، كقولهم عاث يعيث عيثاً و فيه معنى الأمر بالاستقامة، لأنه إنما يخرج عن اضطراب الجهال إلى الاستقامة فى الأفعال. و الفساد كل فعل ينافى العقل أو الشرع، فهو عبارة عن معاصى اللَّه.

ثم اخبر أن قومه كذبوه فى ادعائه النبوة و لم يقبلوا منه فعاقبهم اللَّه بعذاب الرجفة، و هى زعزعة الأرض تحت القدم، يقال: رجف السطح من تحت أهله يرجف رجفاً، و رجفة شديدة، و الإرجاف هو الأخبار بما يضطرب الناس لأجله من غير أن يحققونه «فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ» قال قتادة: ميتين بعضهم على بعض. و قيل: باركين على ركبهم، و الجاثم البارك على ركبتيه مستقبلا بوجهه الأرض.

و قوله «وَ عاداً وَ ثَمُودَ» أى و أهلكنا أيضاً عاداً و ثمود جزاء على كفرهم «وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ» معاشر الناس كثير «مِنْ مَساكِنِهِمْ».

ثم اخبر أنه «زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ» التى كفروا بها و عصوا اللَّه فيها، و ذلک يدل على بطلان قول المجبرة الذين ينسبون ذلک الى اللَّه.

ثم اخبر أن الشيطان صدهم و منعهم عن طريق الحق «فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ» اليه

لاتباعهم دعاء الشيطان. و عدولهم عن الطريق الواضح «وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» أى و كانوا عقلاء يمكنهم تمييز الحق من الباطل بأبصارهم له و فكرهم فيه. و قال مجاهد و قتادة «وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» فى ضلالتهم لعجبهم به، فتصوروه بخلاف صورته. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 209

ثم اخبر انه تعالى أهلک قارون، و فرعون، و هامان. و يجوز أن يكون عطفاً على (الهاء و الميم) فى قوله «فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ» و كأنه قال فصد عاداً و ثمود، و صد قارون و فرعون و هامان. و أنهم «جاءَهُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ» يعنى بالحجج الواضحات: من فلق البحر و قلب العصا و غير ذلک «فَاسْتَكْبَرُوا فِى الْأَرْضِ» أى طلبوا التجبر فيها، و لم ينقادوا للحق و أنفوا من اتباع موسى «وَ ما كانُوا سابِقِينَ» أى فائتين للّه، كما يفوت السابق.

ثم اخبر تعالى فقال «فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ» أى أخذنا كلًا بذنبه «فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً» و هو الريح العاصفة التى فيها حصباء و هى الحصى الصغار، و شبه به البرد و الجليد، قال الأخطل:

و لقد علمت إذا العشار تروحت هدج الرئال تكبهن شمالا

ترمى الرياح بحاصب من ثلجها حتى تبيت على العضاة جفالا «1»

و قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام يضربنا بحاصب كنديف القطن منثور «2»

و الذين أرسل عليهم الحاصب قوم لوط- فى قول ابن عباس، و قتادة- و الذين أخذتهم الصيحة ثمود و قوم شعيب- فى قولهما- «وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ» يعنى قارون، «وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا» يعنى قوم نوم و فرعون.

ثم اخبر تعالى أنه لم يظلمهم بما فعل معهم «وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بجحدهم نعم اللّه و اتخاذهم مع اللّه آلهة عبدوها، و طغيانهم و فسادهم فى الأرض.

و ذلک يدل على فساد قول المجبرة الذين قالوا: إن الظلم من فعل اللّه، لأنه

---

(1) مر تخريجه فى 7/ 8.

(2) مر تخريجه فى 6/ 502.

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 210

لو كان من فعله لما كانوا هم الظالمين لنفوسهم، بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (41) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (42) وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ (43) خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (44) اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَ أَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ (45)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو و يعقوب و عاصم- فى رواية حفص- و العليمى، و العبسى «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» بالياء على الخبر عن الغائب. الباقون بالتاء على الخطاب. قال ابو علي: (ما) استفهام و موضعها النصب ب (يدعون) و لا يجوز أن يكون نصباً ب (يعلم) و لكن صارت الجملة التى هى منها فى موضع نصب، و تقديره إن اللّه يعلم أوثاناً يدعون من دونه، لا يخفى عليه ذلك.

و مثله «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ» «1» و المعنى سيعلمون آلمسلم

---

(1) سورة 6 الانعام آية 135.

يكون له عاقبة الدار أم الكافر؟. و كل ما كان من هذا فهكذا القول فيه، و هو قياس قول الخليل.

شبه اللّه سبحانه حال من اتخذ من دونه أولياء ينصرونه عند الحاجة فى الوهن و الضعف بحال العنكبوت الذى يتخذ بيتاً ليأوى اليه، فكما أن بيت العنكبوت فى غاية الوهن و الضعف، فكذلك حال من اتخذ من دون اللّه أولياء مثله فى الضعف و الوهن. و المثل قول سائر يشبه به حال الثانى بالأول. و (الاتخاذ) أخذ الشىء على اعداده لنائبة، و هو (افتعال) من (الأخذ) فلما أخذوا عبادة غير اللّه إعداداً لنائبة كانوا اتخذوا الأولياء من دون اللّه، و ذلك فاسد لأن عبادة اللّه هى العاصمة من المكاره دون عبادة الأوثان. و المولى هو المتولى للنصرة، و هو أبلغ من الناصر، لان الناصر قد يكون ناصراً بأن يأمر غيره بالنصرة، و الولى هو الذى يتولى فعلها بنفسه. و العنكبوت هو دابة لطيفة تنسج بيتاً تأويه، فى غاية الوهن و الضعف، و يجمع عناكب، و يصغر عنيكب و وزنه (فعللوت) و هو يذكر و يؤنث، قال الشاعر:

على هطالهم منهم بيوت كأن العنكبوت هو ابتناها «1»

و يقال: هو العنكباء. ثم اخبر تعالى «إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ» الذى

شبه اللّه حال من اتخذ من دونه أولياء به، فإذا حاله أضعف الأحوال.
و قوله «لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ» صحة ما أخبرناهم به و يتحققونه، لكنهم كفار بذلک، فلا يعلمونه ف (لو) متعلقة بقوله «اتخذوا» أى لو علموا أن اتخاذهم الأولياء كاتخاذ العنكبوت بيتاً سخيفاً لم يتخذوهم أولياء، و لا يجوز أن تكون متعلقة بقوله «وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ» لأنهم كانوا عالمين بأن

---

(1) تفسير القرطبى 13/ 345.

بيت العنكبوت واه ضعيف.
ثم قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ» سواء كان صنماً أو وثناً أو ما كان مثل ذلک «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» فى انتقامه الذى لا يغالب فى ما يريده «الْحَكِيمُ» فى جميع أحواله و أفعاله، واضع لها فى مواضعها. ثم قال «وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ» و هى الاشباه و النظائر، قال الشاعر:
هل يذكر العهد فى تنمص إذ يضرب لى قاعدة بها مثلا «1»
«نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ» أى ما يدركها إلا من كان عالماً بمواقعها. ثم اخبر تعالى انه «خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» و أخرجهما من العدم الى الوجود «بِالْحَقِّ» أى على وجه الحكمة دون العبث الذى لا فائدة فيه و انه قصد بها الدلالة على توحيده «إِنَّ فِى ذلِکَ» يعنى فى خلق الله ذلک على ما ذكره «لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» المصدقين بتوحيد الله، لأنهم المنتفعون بها دون الكفار الذين لم ينتفعوا بها لتفريطهم، فلذلک أسندها الى المؤمنين.
ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله «اتْلُ ما أُوحِىَ إِلَيْکَ مِنَ الْكِتابِ» يا محمد يعنى القرآن- على المكلفين، و اعمل بما تضمنه «وَ أَقِمِ الصَّلاةَ» بحدودها «إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ» يعنى فعلها فيه لطف للمكلف فى فعل الواجب و الامتناع عن القبيح، فهى بمنزلة الناهى بالقول إذا قال: لا تفعل الفحشاء و لا المنكر، و ذلک لأن فيها: التكبير، و التسبيح، و القراءة، و صنوف العبادة، و كل ذلک يدعو إلى شكله و يصرف عن ضده، كالأمر و النهى بالقول، و كل دليل مؤد الى المعرفة بالحق، فهو داع اليه و صارف عن ضده من الباطل. و قال ابن مسعود: الصلاة تنهى عن المنكر و تأمر بالمعروف. و به

---

(1) مجاز القرآن 2/ 116.

قال ابن عباس. و قال ابن مسعود: الصلاة لا تنفع إلا من أطاع.
و قوله «وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» معناه و لذكر الله إياكم برحمته اكبر من ذكركم إياه بطاعته- ذكره ابن عباس، و سلمان، و ابن مسعود، و مجاهد- و قيل:
معناه ذكر العبد لربه أفضل من جميع عمله- فى رواية أخرى- عن سلمان، و

هو قول قتادة و ابن زيد و أبى الدرداء. و قال ابو مالک: معناه إن ذكر العبد لله تعالى فى الصلاة أكبر من الصلاة. و قيل: ذكر الله بتعظيمه اكبر من سائر طاعاته. و قيل: و لذكر الله اكبر من النهى عن الفحشاء.
و قوله «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ» من خير و شر، فيجازيكم بحسبه. و فى الآية دلالة على بطلان قول من قال: ان المعرفة ضرورة، و دلالة على بطلان قول المجبرة فى أن الله خلق الكافر للضلال.

وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَ قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلهُنا وَ إِلهُكُمْ واحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (46) وَ كَذلِكَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مِنْ هؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ الْكافِرُونَ (47) وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتابَ الْمُبْطِلُونَ (48) بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ الظَّالِمُونَ (49) وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (50)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 214

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو، و ابن كثير، و نافع، و ابن عامر، و حفص عن عاصم و قتيبة عن الكسائى «لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ» على الجمع لقوله «قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ». و قرأ الباقون «آية» على التوحيد. و معناهما واحد، لأنه لفظ جنس يدل على القليل و الكثير. قال قتادة: الآية الأولى منسوخة بالجهاد و القتال. و قال غيره: هى ثابتة، و هو الأولى، لأنه لا دليل على ما قاله، فكيف و قد أمر بالجدال بالذى هو أحسن، و هو الواجب الذى لا يجوز غيره كما قال «وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِى هِيَ أَحْسَنُ» «1» فالآية خطاب من اللّه تعالى لنبيه و جميع المؤمنين ينهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب: من اليهود و النصارى «إِلَّا بِالَّتِى هِيَ أَحْسَنُ» و قيل: معناه إلا بالجميل من القول فى التنبيه على آيات اللّه و حججه و الأحسن الأعلى فى الحسن من جهة تقبل العقل له. و قد يكون الأعلى فى الحسن من جهة تقبل الطبع له، و قد يكون فى الامرين، و (الجدال) فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه. و فى ذلك دلالة على حسن المجادلة، لأنها لو كانت قبيحة على كل حال، لما قال «إِلَّا بِالَّتِى هِيَ أَحْسَنُ».

و أصل الجدال شدة القتل، يقال: جدلته أجدله جدلا إذا فتله فتلا شديداً، و منه الأجدل: للصقر لشدة فتل بدنه. و قيل: انه يجوز أن يغلظ

---

(1) سورة 19 النحل آية 125.

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 215

المحق فى الجدل على الظالم فيه، بتأديب اللّه تعالى فى الآية فى قوله «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» فاستثنى الظالم عن المجادلة بالتى هى أحسن.

فان قيل: لم استثنى الذين ظلموا؟ و كلهم ظالم لنفسه بكفره! قيل: لان المراد «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا» فى جدالهم أو فى غيره مما يقتضى الاغلاظ لهم،

و لهذا يسع الإنسان ان يغلظ على غيره، و الا فالداعى الى الحق يجب أن يستعمل الرفق فى أمره. قال مجاهد: «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» بمنع الجزية. و قال ابن زيد: الذين ظلموا بالاقامة على كفرهم بعد إقامة الحجة عليهم.
ثم قال تعالى للمؤمنين «وَ قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنا» من القرآن «وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ» من التوراة و الإنجيل، و قولوا «وَ إِلهُنا وَ إِلهُكُمْ واحِدٌ» لا شريک له «وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» طائعون.
ثم قال لنبيه صلى اللّه عليه و آله و مثل ما أنزلنا الكتاب على موسى و عيسى من التوراة و الإنجيل «أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الْكِتابَ» القرآن «فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ» يعنى الذين آتيناهم علم الكتاب يصدقون بالقرآن لدلالته عليه «وَ مِنْ هؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ» أى من غير جهة علم الكتاب. و قيل «فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ» يعنى به عبد اللّه بن سلام و أمثاله. و «مِنْ هؤُلاءِ» يعنى أهل مكة «مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ». و يحتمل ان يكون أراد ب (فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ) الذين آتاهم القرآن: المؤمنين منهم و (و من هؤلاء) يعنى من اليهود و النصارى «من يؤمن به» أيضاً، و الهاء فى قوله (به) يجوز أن تكون راجعة الى النبى، و يجوز أن تكون راجعة الى القرآن «وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الْكافِرُونَ» لان كل من جحد بآيات اللّه من المكلفين، فهو كافر: معانداً كان أو غير معاند.
ثم خاطب نبيه صلى اللّه عليه و آله فقال «وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ» يعنى التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 216
لم تكن تحسن القراءة قبل أن يوحى اليک بالقرآن «وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِکَ» معناه و ما كنت أيضاً تخط بيمينک. و فيه إختصار، و تقديره و لو كنت تتلو الكتاب و تخطه بيمينک «إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ» و قال المفسرون: إنه لم يكن النبى صلى الله عليه و آله يحسن الكتابة. و الآية لا تدل على ذلک بل فيها إنه لم يكن يكتب الكتاب و قد لا يكتب الكتاب من يحسنه، كما لا يكتب من لا يحسنه، و ليس ذلک بنهى، لأنه لو كان نهياً لكان الأجود أن يكون مفتوحاً، و إن جاز الضم على وجه الاتباع لضمة الخاء، كما يقال: (ردّه) بالضم و الفتح و الكسر، و لكان أيضاً غير مطابق للأول. و لو أفاد أنه لم يكن يحسن الكتابة قبل الإيحاء، لكان دليله يدل على انه كان يحسنها بعد الإيحاء اليه، ليكون فرقاً بين الحالتين.
ثم بين تعالى أنه لم يكتب، لأنه لو كتب لشک المبطلون فى القرآن و قالوا هو قرأ الكتب أو هو يصنفه، و يضم شيئاً الى شىء فى حال بعد حال فإذا لم يحسن الكتابة لم تسبق اليه الظنة.
ثم قال «بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» و قيل: معناه بل هى آيات واضحات فى صدور العلماء، بأنه أمى لا يقرأ و لا يكتب، على صفته فى التوراة و الإنجيل- فى قول ابن عباس- و قال الحسن: بل القرآن آيات بينات فى صدور العلماء. ثم قال (وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا) أى لا ينكر حججنا

و يجحدها إلا الذين ظلموا نفوسهم بترک النظر فيهاَ، أو العناد لها بعد طول المدة و حصول العلم بها. ثم حکی عن الکفار انهم قالوا: هلا انزل علی محمد آية من ربه؟ يريدون آية يقترحونها، و آية کآية موسی: من فلق البحر و قلب العصا حية، فقال اللّه تعالی لهم (قل) لهم يا محمد (إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ) ينزلها و يظهرها بحسب ما يعلم من مصالح خلقه (وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ) أی
التبيان فی تفسير القرآن، ج8، ص: 217
منذر مخوف من معصية اللّه (مبين) طريق الحق من طريق الباطل.

أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وَ ذِكْرى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (51) قُلْ كَفى بِاللَّهِ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (52) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ لَوْ لا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجاءَهُمُ الْعَذابُ وَ لَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (53) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ (54) يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (55)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة و نافع «يقول» بالياء على معنى: و يقول لهم الموكلون بعذابهم. الباقون- بالنون- على وجه الاخبار من اللّه تعالى عن نفسه. و فى قراءة عبد اللّه و يقال لهم: على ما لم يسم فاعله.

لما حكى اللّه تعالى عن الكفار أنهم قالوا: هلا أنزل على محمد آيات التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 218

اقترحوها او آيات كما أنزل على موسى و عيسى، قال اللّه لهم «أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ» يا محمد «الْكِتابَ» يعنى القرآن «يُتْلى عَلَيْهِمْ» فبين أن فى القرآن دلالة واضحة و حجة بالغة ينزاح معه العلة و تقوم به الحجة لا يحتاج معه الى غيره فى الوصول الى العلم بصحة نبوته و أنه مبعوث من عند اللّه، مع أن اظهار المعجزات مع كونها لازاحة العلة يراعى فيها المصلحة. فإذا كانت المصلحة فى اظهار نوع منها لم يجز إظهار غيرها، و لو اظهر اللّه الاعلام التى اقترحوها ثم لم يؤمنوا، لاقتضت المصلحة استئصالهم كما اقتضت فى الأمم الماضية، و قد وعد اللّه أن هذه الأمة لا تعذب بعذاب الاستئصال، كما قال «وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ» «1». و الكفاية بلوغ حد ينافى الحاجة، يقال: كفى يكفى كفاية، فهو كاف. و قيل: إن الآية نزلت فى قوم كتبوا شيئاً من كتب أهل الكتاب شبه الخرافات. فقال اللّه تعالى (أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ) القرآن تهديداً لهم و منعاً من التعرض لغيره. و قولهم: كفى الله معناه أنه فعل ما ينافى الحاجة بالنصرة. و التلاوة هى القراءة و سميت تلاوة لأنه يتلو حرف حرفاً فى التلاوة. و القرآن مشتق من جمع الحروف بعضها الى بعض.

ثم بين الله تعالى (إن فى ذلك) أى القرآن (لرحمة) أى نعمة (و ذكرى) اى ما يتذكر به و معتبر (لقوم يؤمنون) يصدقون به و يعتبرون و انما أضافه اليهم، لأنهم الذين ينتفعون به. ثم أمر نبيه صلى الله عليه و آله أن يقول (كفى بالله) أى كفى الله. و الباء زائدة (بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً) يشهد بالحق. و الشاهد و الشهيد واحد، و فيه مبالغة، و الشهادة هى الخبر بالشىء عن

مشاهدة تقوم به الحجة فى حكم من أحكام الشرع، و لذلک لم يكن خبر من لا تقوم به

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 59.

الحجة- فى الزنا- شهادة و كان قذفاً، ثم بين أن الشهيد الذى هو الله (يَعْلَمُ ما فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) و يعلم الذين صدقوا بالباطل و جحدوا وحدانيته. ثم اخبر عنهم انهم الخاسرون الذين خسروا ثواب الجنة بارتكابهم المعاصى و جحدهم بالله، فكان ذلک الخسران الذى لا يوازيه خسران مال. و قوله (وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ) انما وصفهم بالايمان مقيداً بالباطل، كما يقال: فلان كافر بالطاغوت مقيداً، و انما الإطلاق لا يجوز فيهما.

ثم خاطب نبيه صلى اللّه عليه و آله فقال (وَ يَسْتَعْجِلُونَکَ بِالْعَذابِ) يعنى هؤلاء الكفار (يَسْتَعْجِلُونَکَ بِالْعَذابِ) أن ينزل عليهم بجحودهم صحة ما تدعوهم به، كما قالوا (فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ) «1» و (لَوْ لا أَجَلٌ مُسَمًّى) يعنى وقتاً قدره الله أن يعاقبهم فيه و هو يوم القيامة و أجل قدره الله أن يبقيهم اليه لضرب من المصلحة، و قال الجبائى: ذلک يدل على أن التبقية لا تجب لكونه أصلح، لأنه علله بأنه قدر له أجلا (لَجاءَهُمُ الْعَذابُ) الذى استحقوه (و ليأتينهم) العذاب الذى يوعونه (بغتة) أى فجأة (وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ) بوقت مجيئه.

ثم قال (يستعجلونک) يا محمد (بالعذاب) أى يطلبون العذاب عاجلا قلة يقين منهم بصحته (وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ) أى كأنها محيطة بهم لما قد لزمهم بكفرهم من كونهم فيها. و قيل: معناه انه إذا كان يوم القيامة أحاطت بهم. و وجه ثالث- أنها تحيط بهم (يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أى تكسبون أى ذوقوا جزاء أعمالكم المعاصى التى اكتسبتموها.

---

(1) سورة 8 الانفال آية 32.

يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (56) كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ (57) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ (58) الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (59) وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُها وَ إِيَّاكُمْ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (60)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ يحيى و العليمى «ثم إلينا يرجعون» بالياء على الخبر عن الغائب.

الباقون بالتاء على الخطاب. و قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً «لنثوينهم» بالثاء من أثويته منزلا أى جعلت له منزل مقام، و الثواء المقام، الباقون بالباء من قولهم: بوأته منزلا، كما قال تعالى «مبوأ صدق» فى قوله «وَ لَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ» «1» و «إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ» «2» و يحتمل أن تكون اللام زائدة، كقوله (رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ) «3» و يحتمل ان يكون المراد (بوأنا) لدعاء إبراهيم (مكان البيت) و يقول القائل: اللهم بوّئنا مبوأ صدق أى أنزلنا منزل صدق و التبوء اتخاذ منزل يرجع اليه من يأوى اليه، و أصله

---

(1) سورة 10 يونس آية 93.

(2) سورة 22 الحج آية 26.

(3) سورة 27 النمل آية 72.

الرجوع من قوله (باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ) «1» أى رجعوا، و منه قول الحارث ابن عباد: (بوئوا بشسع كليب) و قيل: معناه لننزلنهم من الجنة علالى.

يقول اللّه تعالى لخلقه الذين صدقوا بوحدانيته و أقروا بنبوة نبيه (يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ)

لبعد أقطارها، فاهربوا من أرض من منعكم فيها من الايمان و اخلاص عبادتى فيها. و قيل: نزلت فى مؤمنى مكة أمروا بالهجرة عنها، و هو قول سعيد بن جبير و مجاهد و عطاء و ابن زيد. و قيل (أَرْضِي واسِعَةٌ)

بما أخرج فيها من الرزق لكم- ذكره مطرف بن عبد اللّه بن السخير العامرى. و قال الجبائى: معناه إن ارض الجنة واسعة، و اكثر اهل التأويل على ان المراد به ارض الدنيا.

و قوله (فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)

أى اعبدونى خالصاً، و لا تطيعوا احداً من خلقى فى معصيتى. و قيل: دخول الفاء فى الكلام للجزاء و تقديره إن ضاق موضع بكم فايای فاعبدون لأن

أرضى واسعة. و (إياى) منصوب بمضمر يفسره ما بعده.
ثم اخبر تعالى ان (كل نفس) أحياها اللّه بحياة خلقها فيها (ذائِقَةُ الْمَوْتِ) و الذائق الواجد للجسم بحاسة إدراک الطعم (ثُمَّ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ) أى تردون إلينا فنجازيكم على قدر استحقاقكم من الثواب و العقاب. و فى ذلک غاية التهديد و الزجر. ثم قال (وَ الَّذِينَ آمَنُوا) أى صدقوا بوحدانية اللّه، و أقروا بنبوة نبيه صلى اللّه عليه و آله (و عملوا) مع ذلک الاعمال (الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) أى لننزلنهم (من الجنة) التى وعدها اللّه المتقين (غرفاً) أى مواضع عاليات (تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) لان الغرف تعلو عليها. و قيل: تجرى من تحت

---

(1) سورة 2 البقرة آية 61 و سورة 3 آل عمران آية 112.

أشجارها المياه. و قيل: انهار الجنة فى أخاديد تحت الأرض (خالِدِينَ فِيها) أى يبقون فيها ببقاء اللّه.
ثم اخبر تعالى ان ذلک (نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ) أى نعم الثواب و الأجر للعالمين بطاعة اللّه (الذين صبروا) على الأذى فى اللّه، و صبروا على مشاق الطاعات، و وكلوا أمورهم الى اللّه و توكلوا عليه فى أرزاقهم و جهاد أعدائهم و مهمات أمورهم.
ثم قال تعالى «وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ» معنى كاين (كم) و قد فسرناه فى ما مضى «1» «لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا» أى لا تدخره لغد- فى قول على بن الأقمر- و قال الحسن «لا تحمل رزقها» للادخار. و قيل: ان الحيوان أجمع من البهائم و الطير و نحوهما لا تدخر القوت لغدها- إلا ابن آدم و النملة و الفارة- بل تأكل منه كفايتها فقط. و قال مجاهد: معناه «لا تحمل رزقها» لا تطيق حمل رزقها لضعفها «اللّه يرزقها» يعنى تلک الدابة الضعيفة التى لا تقدر على حمل رزقها «و إياكم» أى و يرزقكم أيضاً «وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» يعنى «السميع» لما يقول القائل فى فراق وطنه «العليم» بما فى نفسه، لأنه عالم بجميع الأشياء و قيل: الآية نزلت فى أهل مكة: المؤمنين منهم، فإنهم قالوا لرسول اللّه:
ليس لنا بالمدينة اموال، و لا منازل، فمن أين المعاش، فأنزل اللّه الآية.

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (61) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (62) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (63) وَ ما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (64) فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ (65)
لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (66)

---

(1) انظر 3/ 10 و 6/ 202.

سبع آيات بصرى و شامى، و ست فى ما عداه عدوا «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» و لم يعده الباقون.

قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى و خلف، و المسيبى، و الأعشى، و البرجمى و الكسائى عن أبى بكر (ليكفروا، و ليتمتعوا) ساكنة اللام. الباقون بالكسر إلا نافعاً، لأنه اختلف عنه فيه. قال ابو على: من كسرها و جعلها الجارة جعلها متعلقة بالاشراك، و كأن المعنى: يشركون ليكفروا، أى لا فائدة لهم فى الاشراك إلا الكفر و التمتع بما يتمتعون به عاجلا من غير نصيب آجلا. و من سكن جعل (ليكفروا) بمنزلة الأمر، و عطف عليه، و كان التبيان فى

على وجه التهديد. و قال غيره: تحتمل هذه اللام أن تكون (لام كى) أى كأنهم أشركوا ليكفروا إذ لا يدفع الشرك فى العبادة من كفر النعمة. و يجوز أن يكون لام الأمر على وجه التهديد بدلالة قوله (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).

يقول اللّه تعالى لنبيه محمد صلى اللّه عليه و آله و لئن سألت هؤلاء الكفار الذين جحدوا توحيدى و كفروا بنبوتك (مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ) و المنشئ لها و المخرج لها من العدم الى الوجود (وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ) فى دورانها على طريقه واحدة لا تختلف؟؟ (ليقولن) فى جواب ذلك (اللّه) الفاعل لذلك لأنهم كانوا يقولون بحدوث العالم، و النشأة الأولى، و يعترفون بأن الأصنام لا تقدر على ذلك. ثم قال (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) هؤلاء أى كيف يصرفون عن صانع ذلك و الإخلاص لعبادته- فى قول قتادة-.

ثم قال (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ) أى يوسعه لمن يشاء من عباده بحسب ما تقتضيه المصلحة (و يقدر) أى يضيق مثل ذلك على حسب المصلحة و منه قوله (وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) «1» بمعنى ضيق على قدر ما

فيه مصلحته. و قيل:
معنى و يقدر- هاهنا- و يقبض رزق العبد بحسب ما تقتضيه مصلحته. و خص بذكر الرزق على الهجرة لئلا يخلفهم عنها خوف العيلة.
و قوله «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» أى عالم بما يصلح العبد و بما يفسده فهو يوسع الرزق و يبسط بحسب ذلک. ثم قال «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ» يعنى هؤلاء الذين ذكرناهم «مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً»؟ يعنى مطراً «فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ» فى الجواب عن ذلک «اللَّه» ف «قل» يا محمد عند ذلک «الحمد للَّه» على فنون نعمه على ما وفقنا للاعتراف بتوحيده و اخلاص

---

(1) سورة 65 الطلاق آية 7. [.....]

عبادته. ثم قال «بل أكثرهم» يعنى هؤلاء الخلق «لا يعقلون» ما قلناه لعدولهم عن طريق المفضى اليه. ثم قال تعالى و ليس «هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ» لأنها تزول كما يزول اللهو و اللعب، لا بقاء لها، و لا دوام، كما يزول اللهو و اللعب «وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ» أى الحياة على الحقيقة لكونها دائمة باقية «لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ» صحة ما أخبرناک به. و قال ابو عبيدة: الحيوان و الحياة واحد.
ثم قال تعالى مخبراً عن حال هؤلاء الكفار انهم «فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ» و هى السفن و هاجت به الرياح و خافوا الهلاک «دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» لا يوجهون دعاءهم إلى الأصنام و الأوثان «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ» أى خلصهم إلى البر «إذا هم يشركون» أى يعودون الى ما كانوا عليه من الاشراک معه فى العبادة «لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ» أى يفعلون ما ذكرناه من الاشراک مع اللَّه ليجحدوا نعم اللَّه التى أعطاهم إياها «و ليتمتعوا» أى و ليتلذذوا فى العاجل من دنياهم، فالتمتع يكون بالمناظر الحسنة، و الأصوات المطربة، و المشام الطيبة و المآكل الملذة، ثم قال مهدداً لهم «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» أى لا بد أن يعلموا جزاء ما يفعلونه من الأفعال من طاعة او معصية، فان اللَّه يجازيهم بحسبها و ذلک غاية التهديد.

أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (67) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُ أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ (68) وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى لهؤلاء الكفار «أَ وَ لَمْ يَرَوْا» و معناه او لم يعلموا «أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ» أى يتناول الناس من حوالى مكة بسرعة، و تؤخذ أموالهم. و منه خطف البصر لسرعته. و منه اختطاف الطير لصيده. و منه الخطاف الذى يخرج الدلو. و المعنى بذلك تنبيههم على جميل صنع اللَّه بهم، و سبوغ نعمه عليهم، بأن جعلهم فى أمن مع ان الناس يؤخذون من حولهم. و ذلك لا يقدر عليه غير الله. ثم قال مهدداً لهم «أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ»! أى يصدقون بعبادة الأصنام و هى باطلة مضمحلة «وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ» التى أنعم بها عليهم «يكفرون»؟! ثم قال «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً» أى من اظلم لنفسه ممن جحد آيات الله و أضاف اليه ما لم يقله و لم يأمر به من عبادة الأصنام و غيرها «أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُ» من نبوة محمد صلى اللَّه عليه و آله من القرآن الذى أنزل عليه. ثم قال «أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ» أى موضع مقام الذين يجحدون نعم الله، و يكفرون بآياته.

ثم قال «وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا» يعنى جاهدوا للكفار بأنفسهم، و جاهدوا نفوسهم بمنعها عن المعاصى و إلزامها فعل الطاعة لوجه الله «لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا» أى نرشدهم السبيل الموصل إلى الثواب. و قيل: معناه لنوفقنهم لازدياد الطاعات فيزدادوا ثوابهم. و قيل: معناه لنرشدنهم إلى الجنة «وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» أى ناصر الذين فعلوا الأفعال الحسنة، و يدفع عنهم أعداءهم.

30- سورة الروم ..... ص : 227

اشارة

و هى مكية فى قول مجاهد و قتادة ليس فيها ناسخ و لا منسوخ. و قال الحسن: كلها مكية إلا قوله (فَسُبْحانَ اللَّهِ) إلى قوله (وَ حِينَ تُظْهِرُونَ) و هى ستون آية كوفى و بصرى و مدنى الأول و شامى. و تسع و خمسون فى المدنى الأخير و المكى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِى أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)
خمس آيات كوفى و بصرى و شامى، و أربع فى ما عداه، عد الكوفيون (ألم) و عدوا (غُلِبَتِ الرُّومُ) و عد البصرى و الشامى (غُلِبَتِ الرُّومُ) التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 228
و عدوا (فِى بِضْعِ سِنِينَ) وعد المدنى (غُلِبَتِ الرُّومُ) و عد إسماعيل و المكى (غُلِبَتِ الرُّومُ، فِى بِضْعِ سِنِينَ).
قرأ ابن عمر، و ابو سعيد الخدرى (غلبت الروم) بفتح الغين، فقيل لابن عمر: على أى شىء غلبوا قال على ريف الشام، و هذا غلط، فان عند جميع المفسرين القراءة بالضم. و السبب فى ذلك معروف، و هو ان الروم لما غلبهم فارس فرح مشركوا قريش بذلك من حيث ان اهل فارس لم يكونوا اهل كتاب، و ساء ذلك المسلمين، فأخبر اللَّه تعالى ان الروم و إن غلبهم فارس، فان الروم ستغلب فى ما بعد فارس (فِى بِضْعِ سِنِينَ) أى فى ما بين ثلاث سنين إلى عشر، فكان كما اخبر، و كان ذلك معجزة ظاهرة باهرة للنبى صلى الله عليه و آله و
روى أن جماعة من الصحابة راهنوا أبى بن خلف و قيل: أبا سفيان، إن لم يصح الخبر و وافقوهم على اربع سنين، فلما أخبروا النبى صلى الله عليه و آله قال: (زيدوهم فى الخطر و استزيدوا فى الأجل) ففعلوا، فغلبت الروم لفارس قبل المدة.
اخبر اللَّه تعالى ان الروم غلبت عليها فارس فى أدنى الأرض من أرض الشام الى ارض فارس، و انهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبون فى ما بعد فى بضع سنين. و
روى عن النبى صلى الله عليه و آله ان البضع- هاهنا- ما بين الثلاث الى العشر.
و
روى ان سبب ذلك ان الروم لما غلبتها فارس فرح المشركون بذلك و قالوا:
أهل فارس لا كتاب لهم غلبوا اهل الروم، و هم اهل كتاب، فنحن لا كتاب لنا نغلب محمداً الذى معه كتاب، فانزل اللَّه تعالى هذه الآيات تسلية للنبى و المؤمنين.
و إن الروم و إن غلبها فارس، فإنها ستغلب فارس فى ما بعد فى بضع

سنين. قال ابو سعيد الخدرى: كان النصر يوم بدر للفريقين للنبى صلى اللّه عليه و آله التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 229
و الروم على فارس، ففرح المؤمنون بالنصرين. و قيل: كان يوم الحديبية.
و قال الفراء: قوله «مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ» تقديره غلبتهم، فحذف الهاء للاضافة. كما قال «وَ إِقامِ الصَّلاةِ» «1».
قال الزجاج: الغَلب و الغلبة مصدران، مثل الحلب و الحلبة، و الغلبة الاستيلاء على القرن بالقهر، غلب يغلب فهو غالب و ذلک مغلوب، و تغلب تغلباً إذا تعرض للغلبة، غالبه مغالبة و (الأدنى) الأقرب، و نقيض الأدنى الأقصى، و نقيض الأقرب الأبعد. و المراد أدنى الأرض إلى جهة عدوهم.
و البضع القطعة من العدد ما بين الثلاث إلى العشر، اشتقاقه من بضعته إذا قطعته تبضيعاً، و منه البضاعة القطعة من المال فى التجارة، و منه البضعة القطعة من البدن، و المبضع، لأنه يقطع به العرق. و المباضعة الجماع. و قال المبرد البضع ما بين العقدين فى جميع الاعداد.
ثم اخبر تعالى بأن «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ» تقديره من بعد غلبهم و من قبل غلبهم، فقطع عن الاضافة و بنى لأنه على الغاية و تفسيرها انه ظرف قطع عن الاضافة التى هى غاية، فصار كبعض الاسم، فاستحق البناء و بنى على الحركة، لان له أصلا فى التمكن يستعمل. و بنى على الضمة لأنها حركة لا تكون له فى حال الاعراب. فهى ادل على البناء.
ثم قال «وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ» أى يوم يغلب الروم لفارس يسر المؤمنون تفاؤلا بأن يغلبوا هم المشركين. ثم بين بما ذا يفرحون، فقال «بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ من عباده وَ هُوَ الْعَزِيزُ» فى انتقامه من أعدائه «الرحيم» إلى من أناب اليه من خلقه.

---

(1) سورة 24 النور آية 37.

وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (6) يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ (7) أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلاَّ بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّى وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَكافِرُونَ (8) أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثارُوا الْأَرْضَ وَ عَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (9) ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَ كانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ (10)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الحجاز و البصرة و البرجمى، و السمونى، و الكسائى عن أبى بكر «عاقبة الذين» بالرفع. الباقون بالنصب. من نصب جعلها خبر (كان) و قدمها على الاسم، و اسمها يحتمل ان يكون السوء و تقديره: ثم كان السوء عاقبة الذين. و يحتمل ان يكون ما بعد (أن) فى قوله «ان كذبوا». و من رفع [عاقبة] جعلها اسم (كان) و الخبر السوء. و يحتمل ان يكون الخبر التبيان

(ان كذبوا) و تقديره ثم كان عاقبة المسىء التكذيب بآيات اللَّه، أى لم يظفر فى شركه و كفره إلا بالتكذيب، و يكون السوء على هذا نصباً على المصدر فى قوله «وعد الله» نصب على المصدر، و تقديره: إن ما ذكره الله تعالى من ان الروم ستغلب فارس فى ما بعد، وعد وعداً لله لا يخلف وعده، و تقديره وعداً لله وعده كما قال الشاعر:

يسعى الوشاة جنابيها و قيلهم إنک يا ابن أبى سلمى لمقتول «1»

أى و يقولون: قيلهم، و الأخلاف فعل خلاف ما تقدم الوعد به، و سبيل الوعد بالخبر و الوعيد بالشر واحد فى انه إذا وقع فيه خلاف ما تضمنه كان خلفاً، ثم قال «وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» صحة ما أخبرناک به لجهلهم بالله و تفريطهم فى النظر المؤدى إلى معرفة الله، و لا يناقض قوله «لا يعلمون» لقوله «يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا» لأن ذلک ورد مورد المبالغة لهم بالذم لتضييعهم على ما يلزمهم من أمر الله، كأنهم لا يعلمون شيئاً. ثم بين حالهم فى ما عقلوا عنه، و ما عملوه. و معنى «يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا» أى عمران الدنيا متى يزرعون و متى يحصدون، و كيف يبنون و من أين يعيشون و هم جهال بأمر الآخرة، و له مضيعون- ذكره ابن عباس- أى عمروا الدنيا و اخربوا الآخرة. و الظاهر هو الذى يصح ان يدرک من غير كشف عنه. فالله تعالى ظاهر بالأدلة، باطن عن حواس خلقه. و الأمور كلها ظاهرة له، لأنه يعلمها من غير كشف عنها و لا دلالة تؤديه اليها. و كلما يعلم

بأوائل العقول ظاهر و كلما يعلم بدليل العقل باطن، لأن دليل العقل يجرى مجرى الكشف عن صحة المعنى- فى صفته- و الغفلة ذهاب المعنى عن النفس كحال النائم، و نقيضه

---

(1) مر هذا البيت فى 1/ 300 و 5/ 388.

اليقظة. و هى حضور المعنى للنفس كحال المنتبه. و نقيضه السهو.

ثم قال تعالى منبها لخلقه على وجه الدلالة على توحيده «أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ» فيعلموا ان الله لم يخلق «السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ» بمعنى الاستدلال بهما على توحيده «وَ أَجَلٍ مُسَمًّى» للأشياء التى للعباد فيها مصلحة بالاعتبار به إذا تصوروا ذلک فى الاخبار عنه انه مع كثرته و عظمه محصل بتسمية تنبئ عنه، لا يتأخر و لا يتقدم، بالأوصاف التى ذكرها الله تعالى عالم بجميع ذلک لا يخفى عليه شىء منه.

ثم قال «وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَكافِرُونَ» أى بلقاء ثواب الله و عقابه كافرون يجحدون صحة ذلک و لا يعترفون به.

ثم قال منبها لهم دفعة أخرى «أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الأمم «كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثارُوا الْأَرْضَ» أى حرثوها لعمارتها- فى قول مجاهد و السدى- و «عَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها» هؤلاء يعنى أهل مكة «وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ» يعنى أتتهم الرسل بالدلالات من عند الله. و فى الكلام حذف، لان تقديره، فكذبوا بتلک الرسل، و جحدوا الآيات فأهلكهم الله بأنواع العذاب. ثم قال «فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ» بأن يهلكهم من غير استحقاق ابتداء، و فى ذلک بطلان قول المجبرة: ان الله يبتدئ خلقه بالهلاک.

ثم قال «وَ لكِنْ كانُوا» هم «أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بأن جحدوا نعم الله و أشركوا فى العبادة معه غيره، و كذبوا رسله و عصوه بأنواع العصيان، حتى استحقوا العقاب عاجلا و آجلا.

ثم قال «ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى» اخبار منه تعالى بأن عاقبة

الذين أساؤا الى نفوسهم بالكفر باللّه تعالى، و تكذيب رسله و ارتكاب معاصيه «السوء» و هى الخصلة التى تسوء صاحبها إذا أدركها، و هى عذاب النار- فى قول ابن عباس و قتادة و غيرهما- «أَنْ كَذَّبُوا» و معناه لأن كذبوا «بِآياتِ اللَّهِ» أى جحدوا أدلته و لم يؤمنوا بها «وَ كانُوا بِها» بتلک الادلة «يَسْتَهْزِؤُنَ» أى يسخرون منها و يتهزءون بها. و قيل: معنى الآية أنهم حفروا الأنهار و غرسوا الأشجار و شيدوا البنيان و صاروا الى الهلاک على أسوء حال بالعصيان و لم يفكروا فى الموت، و انهم يخرجون من الدنيا و يصيرون الى الحساب و الجزاء.

اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (11) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (12) وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكائِهِمْ شُفَعاءُ وَ كانُوا بِشُرَكائِهِمْ كافِرِينَ (13) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (14) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (15)
وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ لِقاءِ الْآخِرَةِ فَأُولئِكَ فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ (16) فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ (17) وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا وَ حِينَ تُظْهِرُونَ (18) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ كَذلِكَ تُخْرَجُونَ (19) وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20)

عشر آيات بلا خلاف.
قرأ ابو عمرو، و روح و يحيى و العليمى «ثم اليه يرجعون» بالياء على وجه الخبر. الباقون- بالتاء- على الخطاب.
يقول الله تعالى مخبراً عن نفسه أنه هو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده يبدؤهم ابتداء فيوجدهم بعد أن كانوا معدومين على وجه الاختراع ثم يعيدهم أى يميتهم و يفنيهم بعد وجودهم، ثم يعيدهم ثانياً كما بدأهم أولا، ثم يرجعون اليه يوم القيامة ليجازيهم على أفعالهم، على الطاعات بالثواب و على المعاصى بالعقاب.
و استدل قوم بهذه الآية على صحة الرجعة بأن قالوا «اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ» معناه ابتداء خلقهم «ثُمَّ يُعِيدُهُ» إذا أماته فى زمان الرجعة «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» يوم القيامة، و هذا ليس بمعتمد، لان لقائل أن يقول: قوله «ثُمَّ يُعِيدُهُ» يجوز أن يكون المراد به احياءهم فى القبر للمساءلة التى لا خلاف فيها «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» يوم القيامة، فلا يمكن الاعتماد عليه. و (البدء) أول الفعل و هو على وجهين:
أحدهما- انه أول الفعل و هو جزء منه مقدم على غيره.
و الثانى- انه موجود قبل غيره من غير طريق الفعلية، يقال: بدأ يبدؤ بدءاً و ابتدأ يبتدئ ابتداء. و الابتداء نقيض الانتهاء، و البدؤ نقيض العود. و الخلق-

- بمعنى المخلوق. و مثله قوله «هذا خَلْقُ اللَّهِ» و تقول هذا الخلق من الناس، و قد يكون الخلق مصدراً من خلق الله العباد، و الخلق كالاحداث و المخلوق كالمحدث.
و الاعادة فعل الشىء ثانية. و قولهم: أعاد الكلام فهو على تقدير ذلك، كأنه قد اتى به ثانية إذا اتى بمثله، و إن كان الكلام لا يبقى و لا يصح إعادته. و

قد يكون الاعادة فعل ما به يكون الشىء الى ما كان من غير إيجاد عينه كاعادة الكتاب الى مكانه. و مثل الاعادة الرجعة و النشأة الثانية.
و قوله «وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ» قيل: معناه ييئسون، و قيل: يتحيرون، و قيل: تنقطع حججهم، فالابلاس التحير عند لزوم الحجة، فالمجرم يبلس يوم القيامة، لأنه تظهر جلائل آيات الآخرة التى تقع عندها على الضرورة فيتحير أعظم الحيرة، قال العجاج:
يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً قال نعم أعرفه و أبلسا «1»
و قوله «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكائِهِمْ شُفَعاءُ» أى لم يكن فى أوثانهم التى كانوا يعبدونها من دون الله، و يزعمون أنها تشفع لهم عند الله من يشفع لهم. و قيل: شركاؤهم لأنهم كانوا يجعلون لها نصيباً فى أموالهم.
و قيل: شركاؤهم الذين جعلوهم شركاء فى العبادة «وَ كانُوا بِشُرَكائِهِمْ كافِرِينَ» أى يجحدون شركاءهم ذلک اليوم، لأنه يحصل لهم المعرفة باللّه ضرورة. و أصل الشرک إضافة الملک الى اثنين فصاعداً على طريق القسمة التى تمنع من اضافته الى الواحد، فالإنسان على هذا يكون شريكاً لإنسان آخر فى الشىء إذا ملكاه جميعاً، و الله تعالى مالک له، ملكه هذا الإنسان

---

(1) قد مر فى 1/ 153 و 2/ 309 و 3/ 578 و 4/ 504.

او لم يملكه.
و قوله «وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ» يعنى القيامة «يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ» قيل: يتميز المؤمنون من الكافرين. و قيل: معناه لا يلوى واحد منهم على حاجة غيره، و لا يلتفت اليه، و فى ذلک نهاية الحث على الاستعداد و التأهب لذلک المقام.
ثم قال «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» يعنى صدقوا بتوحيد الله و صدق رسله، و عملوا الصالحات، و تركوا القبائح «فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ» أى يسرون سروراً تبين أثره عليهم، و منه الحبرة و هى المسرة، و منه الحبر العالم، و التحبير التحسين الذى يسر به. و انما خص ذكر الروضة- هاهنا- لأنه لم يكن عند العرب شىء أحسن منظراً و لا أطيب ريحاً من الرياض، كما قال الشاعر:
ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحک الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوماً بأطيب منها نشر رائحة و لا بأحسن منها إذ دنا الأصل «1»
و الحبرة هى السرور و الغبطة، قال العجاج:
فالحمد لله الذى أعطى الحبر موالى الحق إن المولى شكر «2»
ثم بين تعالى أن الكفار فى ضد ما فيه اهل الجنة، فقال «وَ أَمَّا الَّذِينَ

كَفَرُوا» بنعم الله و جحدوا آياته ثم أنكروا لقاء ثوابه و عقابه يوم القيامة «فهم فِى الْعَذابِ مُحْضَرُونَ» أى محضرون فيها، و لفظة الإحضار لا تستعمل إلا

---

(1) قائله الأعشى ديوانه (دار بيروت) 145
(2) اللسان (حبر).

فيما يكرهه الإنسان، و منه حضور الوفاة، و يقال: احضر فلان مجلس السلطان إذا جىء به بما لا يؤثره، و الإحضار إيجاد ما به يكون الشىء حاضراً إما بإيجاد عينه كاحضار المعنى فى النفس او بإيجاد غيره، كايجاد ما به يكون الإنسان حاضراً.

ثم قال تعالى «فَسُبْحانَ اللَّهِ» أى تنزيها لله تعالى مما لا يليق به و لا يجوز عليه من صفات نقص او ينافى عظمه، و ما اختص به من الصفات، و قوله «حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ» فالامساء الدخول فى المساء، و المساء مجىء الظلام بالليل، و الإصباح نقيضه، و هو الدخول فى الصباح، و هو مجىء ضوء النهار.

ثم قال «وَ لَهُ الْحَمْدُ فِى السَّماواتِ» يعنى الثناء و المدح فى السموات «وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا» أى و فى العشى «وَ حِينَ تُظْهِرُونَ» أى حين تدخلون فى الظهيرة و هى نصف النهار. و إنما خص تعالى العشى و الاظهار فى الذكر بالحمد و إن كان الحمد واجباً فى جميع الأوقات، لأنها أحوال تذكر بإحسان الله، و ذلک أن انقضاء، احسان أول الى احسان يقتضى الحمد عند تمام الإحسان و الأخذ فى الآخر، كما قال تعالى «وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» «1».

و قيل: إن هذه الآية تدل على الصلوات الخمس فى اليوم و الليلة، لأن قوله «حِينَ تُمْسُونَ» يقتضى المغرب و العشاء الآخرة «وَ حِينَ تُصْبِحُونَ» يقتضى صلاة الفجر (و عشياً) يقتضى صلاة العصر (وَ حِينَ تُظْهِرُونَ) يقتضى صلاة الظهر- ذكره ابن عباس، و مجاهد-.

ثم اخبر تعالى انه الذى (يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ)

---

(1) سورة 10 يونس آية 10.

قال ابن عباس و ابن مسعود: معناه يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى فانه يخرج الإنسان و هو الحى من النطفة، و هى الميتة، و يخرج الميتة و هى النطفة من الإنسان و هو حى. و قال قتادة: يخرج المؤمن من الكافر، و الكافر من المؤمن.

و قوله (وَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها) اى يحييها بالنبات بعد جدوبها، و لا يجوز أن

يكون المراد إَحياء الأرض حقيقة، كما لا يكون الإنسان أسداَ حقيقة إذا قيل فلان اسد، لأنه يراد بذلک التشبيه و الاستعارة، فكذلک احياء الأرض بعد موتها، كأنها تحيا بالنبات الذى فيها. و قوله (وَ كَذٰلِکَ تُخْرَجُونَ) قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً و الأعشى من طريق الطبرى- بفتح التاء- أضاف الفعل الذى هو الخروج اليهم. الباقون- بالضم- بمعنى يخرجهم الله، و المعنيان قريبان، لأنهم إذا أخرجوا، فقد خرجوا، و المعنى مثل ما يخرج النبات من الأرض كذلک يخرجكم الله بعد ان لم يكن كذلک، تخرجون الى دار الدنيا بعد ان لم تكونوا، و يعيدكم يوم القيامة بعد ان كنتم قد اعدمكم الله أى لا يشق عليه ذلک، كما لا يشق عليه هذا.
ثم قال تعالى (و من آياته) أى أدلته الواضحة (أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ) يعنى انه خلق آدم الذى هو أبوكم و أصلكم- فى قول قتادة و غيره- (ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) من نسله و ذريته، و (تتفرقون) فى أطراف الأرض فهلا دلكم ذلک على انه لا يقدر على ذلک غيره تعالى؟ و انه الذى يستحق العبادة دون غيره من جميع خلقه.
و فى هذه الآيات- دلالة واضحة على صحة القياس العقلى، و حسن النظر بلا شک، بخلاف ما يقول قوم: ان النظر باطل. فأما دلالته على القياس

الشرعى فبعيد لا يعوّل على مثله.

وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ (22) وَ مِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (23) وَ مِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (24) وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (25)

خمس آيات بلا خلاف.

روى حفص عن عاصم «العالمين» بكسر اللام الأخيرة. الباقون بفتحها فمن كسرها أسند (الآيات) الى العلماء، لأنهم الذين ينظرون فيها، و يعتبرون بها، كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» «1» و من فتح اللام أسند (الآيات) الى جميع

---

(1) سورة 2 البقرة 2.

المكلفين الذين يتمكنون من الاستدلال بها و الاعتبار بها، سواء كانوا عالمين بها او جاهلين، لأن الإمكان حاصل لجميعهم و هو أعظم فائدة.

يقول اللّه سبحانه مخاطباً لخلقه منبهاً لهم على توحيده و إخلاص العبادة له ب «أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها» و النفس هى الذات فى الأصل ثم يستعمل على وجه التأكيد لقولهم: رأيت زيداً نفسه، و يعبر بها عن الروح و غير ذلک. و قد بيناه «1» و قال قتادة المعنى- هاهنا- أنه خلقت حواء من ضلع آدم. و قال غيره: المعنى خلق لكم من شكل أنفسكم أزواجاً، و قال الجبائى: المعنى خلق أزواجكم من نطفكم. قال البلخى: و ذلک يدل على قوله «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها، فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً» «2» انه يريد بعض الخلق دون بعض. و الزوجة المرأة التى وقع عليها عقد النكاح. و الزوج الرجل الذى وقع عليه عقد النكاح.

و قد يقال: للمرأة زوج إذا لم يلبس للاشعار بأنهما نظيران فى عقد النكاح عليهما قال اللّه تعالى «اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّةَ» «3» و قوله (لِتَسْكُنُوا إِلَيْها) يعنى سكون إنس و طمأنينة، بأن الزوجة من النفس إذ هى من جنسها و من شكلها فهو أقرب الى الالفة و الميل بالمودة منها لو كانت من غير شكلها.

و قوله (وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً) أى جعل بينكم رقة التعطف إذ كل

واحد من الزوجين يرق على الآخر رأفة العطف عليه، بما جعله اللّه فى قلب كل واحد لصاحبه ليتم سروره.

---

(1) انظر 5/ 63- 64.
(2) سورة 7 الاعراف آية 188.
(3) سورة 2 البقرة آية 35 و سورة 7 الاعراف آية 18.

ثم قال (إن فى ذلک) يعنى فى خلق الازواج مشاكلة للرجال (لآيات) أى لدلالات واضحات (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فى ذلک و يعتبرون به، و الفكر و الاعتبار و النظر واحد، فالفكر فى أن الازواج لأى شىء خلقت؟ و من خلقها؟ و من أنعم بها؟ و من جعلها على الأحوال التى يعظم السرور بها؟ و كيف لا يقدر احد من العباد على ذلک؟ و ذلک من أعظم الدلالة على أن لها خالقاً مخالفاً لها و منشئاً حكيماً يستحق العبادة، و لا يستحقها غيره.
ثم نبه على آية أخرى فقال (و من آياته) الدالة على توحيده و وجوب اخلاص العبادة له «خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و ما فيهما من عجائب خلقه من النجوم و الشمس و القمر و جريانها عَلى غاية الحكمة و النظام الذى يعجز كل أحد عنها و بما فى الأرض من أنواع الأشجار و النبات و أصناف الجمادات التى ينتفع بها و فنون النعم التى يكثر الانتفاع بها «وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ» فالالسنة جمع لسان، و اختلافها ما بناها اللَّه تعالى، و هيأتها مختلفة فى الشكل و الهيئة و تأتى الحروف بها «وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ» أى اختلاف مخارجها التى لا يمكن الكلام إلا بكونها كذلک. و قال قوم المراد بالالسنة اختلاف اللغات، و هو جواب من يقول: إن اللغات أصلها من فعل اللَّه دون المواضعة. فأما من يقول: اللغات مواضعة فان تلک المواضعة من فعلهم دون فعل اللَّه، غير أنه لما كانت الآلات التى تتأتى بها هذه الضروب لا يقدر على تهيئها كذلک غير اللَّه جاز أن تضاف اللغات اليه تعالى على ضرب من المجاز «وَ أَلْوانِكُمْ» أى و اختلاف ألوانكم من البياض و الحمرة و الشقرة و الصفرة، و غير ذلک «إِنَّ فِى ذلِکَ لَآياتٍ» أى إن فى خلق جميع ذلک لدلالات واضحات لجميع خلقه الذين خلقهم، و أكمل عقولهم التبيان فى

و من كسر اللام أضاف الاعتبار بها الى العلماء، لأنهم المنتفعون بها دون غيرهم فكأنها خلقت لهم دون غيرهم، كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» «1» و إن كانت لجميع المكلفين.
ثم قال «و من آياته» الدالة على توحيده و اخلاص العبادة له (مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ) فالمنام و النوم واحد، لان فى النوم راحة للأجساد من الكد الذى يلحقها، و التعب الذى يصيبها (و ابتغاؤكم) أى طلبكم المعاش و ما ينفعكم (من فضله) أى مما يتفضل اللَّه به عليكم. قال البلخى: و يجوز ان يكون

المراد بالابتغاء المبتغى، فلذلک کان دلالة علیه دون فعل العباد، و انما یکون فعل اللّه دلالة علیه لما کان باقداره و إهدائه الی مراشده و ترغیبه فیه و تسهیله له (إن فی) خلق اللّه تعالی (ذلک لآیات) واضحات علی توحیده (لِقَوْمٍ یَسْمَعُونَ) ذلک و یقبلونه و یفکرون فیه، لأن من لا یفکر فیه و لا ینتفع به کأنه لم یسمعه.
ثم قال (وَ مِنْ آیاتِهِ یُرِیکُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً) و البرق نار تحدث فی السحاب، بین تعالی أنه إنما یخلقه لیخافوا من عذابه بالنار علی معصیته و الکفر به، و یطمعوا فی ان یتعقب ذلک مطر فینتفعون به (وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً) یعنی غیثاً و مطراً (فَیُحْیِی بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها) أی بعد انقطاع الماء عنها و جدوبها. و قیل: (خوفاً) من المطر فی السفر (و طمعاً) فیه فی الحضر.
و قیل: (خوفاً) من الصاعقة (و طمعاً) فی الغیث (إن فی) خلق اللّه (ذلک لآیات) أی دلالات واضحة (لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ) أی یفکرون فیه، لان من لا یفکر فیه و لا ینتفع به و إن کان عاقلاً، فکأنه لا عقل له. و قیل:

---

(1) سورة 2 البقرة آیة 2.

فی قوله (وَ مِنْ آیاتِهِ یُرِیکُمُ الْبَرْقَ) ثلاثة أقوال:
أحدهما- ان تقدیره و من آیاته أن یریکم. فحذف (أن) کما قال طرفة:
ألا ایهذا اللائمی احضر الوغی و أن اشهد اللذات هل انت مخلدی «1»
الثانی- انه حذف (أنه) لدلالة (من) علیها، کما قال الشاعر:
و ما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت و اخری ابتغی العیش اکدح «2»
أی فتارة أموت. و فی الآیة حذف تقدیره: و من آیاته آیة یریکم البرق.
الثالث- و یریکم البرق من آیاته علی التقدیم و التأخیر من غیر حذف.
ثم قال (و من آیاته) الدالة علی ما ذکرناه (أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) بلا دعامة تدعمها و لا علاقة تعلق بها، بل لان اللّه تعالی یمسکها حالا بعد حال لأعظم دلالة علی أنه لا یقدر علیه سواه (ثُمَّ إِذا دَعاکُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ) أی أخرجکم من الأرض من قبورکم بعد أن کنتم أمواتاً یبعثکم لیوم الحساب فعبر عن ذلک بما هو بمنزلة الدعاء، و بمنزلة (کُنْ فَیَکُونُ) فی سرعة تأتی ذلک، و امتناع التعذر علیه، و إنما ذکر هذه المقدورات علی اختلافها و عظم شأنها لیدل علی انه القادر الذی لا یعجزه شیء. و فی الآیات دلالة واضحة علی فساد مذهب القائلین بان المعارف ضروریة لأنها لو کانت ضرورة لم یکن للتنبیه علی هذه الأدلة وجه و لا فائدة فیه لان ما یعلم ضرورة لا یمکن الاستدلال علیه.

---

(1) دیوانه (دار بیروت) 32 و قد مر فی 1/ 327 من هذا الکتاب.

(2) قائله ابن مقبل، الكتاب لسيبويه و قد مر فى 3/ 212 و 4/ 77 من هذا الكتاب.

وَ لَهُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ کُلٌّ لَهُ قانِتُونَ (26) وَ هُوَ الَّذِی یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَیْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلی فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ (27) ضَرَبَ لَکُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِکُمْ هَلْ لَکُمْ مِنْ ما مَلَکَتْ أَیْمانُکُمْ مِنْ شُرَکاءَ فِی ما رَزَقْناکُمْ فَأَنْتُمْ فِیهِ سَواءٌ تَخافُونَهُمْ کَخِیفَتِکُمْ أَنْفُسَکُمْ کَذلِکَ نُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (28) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَهْواءَهُمْ بِغَیْرِ عِلْمٍ فَمَنْ یَهْدِی مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِینَ (29) فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ حَنِیفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْها لا تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ (30)

خمس آیات بلا خلاف.

یقول اللّه تعالی بعد أن ذکر ما یدل علی توحیده، و إخلاص العبادة له أن (لَهُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) من العقلاء فانه یملکهم و یملک التصرف فیهم، و لیس لاحد منعه منه و الاعتراض علیه، و خص العقلاء بذلک لأن ما عداهم فی حکم التبع.

ثم اخبر عن جمیع من فی السموات و الأرض بأنهم قانتون له. قال مجاهد:

التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 245

معناه مطیعون و قال ابن عباس: معناه مصلون. و قال عکرمة: مقرون له بالعبودیة. و قال الحسن: کل له قائم بالشهادة فالقانت الدائم علی أمر واحد فالملائکة و غیرهم من المؤمنین دائمون علی أمر واحد فی الذلة للّه فی لزوم الطاعة للّه تعالی، و الکافرون و غیرهم من الفساق دائمون علی أمر واحد فی الذلة لله- عز و جل- إلا أن منهم من هو بخلقته و فعله، و منهم من هو بخلقته.

ثم قال تعالی (وَ هُوَ الَّذِی یَبْدَؤُا الْخَلْقَ) ای یخترعهم ابتداء و ینشئهم «ثُمَّ یُعِیدُهُ» إذا أعدمه (وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَیْهِ) قال ابن عباس و قتادة و مجاهد:

ای هو أیسر، و کل هین. و روی عن ابن عباس ایضاً: ان معناه و هو هین علیه، ف (افعل) بمعنی (فاعل) و قال بعضهم (وَ هُوَ أَهْوَنُ) علی الخلق، لأن الإنشاء أولا من نطفة الی علقة و من علقة الی مضغة علی التدریج، و فی الاعادة یعادون دفعة واحدة. و حکی عن ابن عباس: انه قال المعنی و هو أهون علیه عندکم، لأنکم أقررتم بأنه یبدؤ الخلق، فاعادة الشیء عند المخلوقین أهون من ابتدائه، قال الشاعر- فی أهون بمعنی هین:

تمنی رجال أن أموت و ان أمت فتلک سبیل لست فیها بأوحد «1»

أی بواحد. و قال الراجز:

قبحتموا یا آل زید نفرا الام قوم أصغراً و اکبرا

أی صغیراً و کبیراً، و قال معن بن أوس:

لعمرک ما ادری و انی لاوجل على أينا تعدو المنية أول «2»
أى لواجل. و اللّه أكبر بمعنى كبير. و يقال للسلطان: الأعظم

---

(1) قد مر فى 7/ 161. [.....]
(2) قد مر فى 5/ 91.

بمعنى عظيم.
و قوله (وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) قال قتادة و هو قول: لا إله إلا اللّه وحده لا شريک له، لأنه دائم فى السموات و الأرض، يقول الثانى فيه كما قال الأول. و قيل: المعنى و له الصفة العليا، لأنها دائرة يصفه بها الثانى كما يصفه بها الأول. و قيل: النشأة الثانية يا أهل الكفر ينبغى أن تكون أهون عليه. ثم قال (وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى) فذلک دليل على انه مثل ضربه اللّه.
ذكره الفراء.
و قوله (وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يعنى فى انتقامه من أعدائه، الحكيم فى تدبيره لخلقه. ثم قال (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِى ما رَزَقْناكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ) المعنى إنكم إذا لم ترضوا فى عبيدكم أن يكونوا شركاء لكم فى أموالكم و أملاككم، فكيف ترضون لربكم ان يكون له شركاء فى العبادة !!. و قال قتادة: كما لا ترضون أن يكون عبيدكم شركاءكم فى فراشكم و أزواجكم كذلک لا ترضوا فى ربكم الذى خلقكم أن يعدل به أحد من خلقه فيشرک بينهما فى العبادة.
و قوله (تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) قال ابو مخلد: معناه تخافون عبيدكم أن يشاركوكم فى أموالكم كما تخافون الشريک من نظرائكم. و قيل: تخافون ان يرثوكم كما يرث بعضكم من بعض- ذكره ابن عباس- و قيل: معناه تخافونهم كخيفتكم أنفسكم فى إتلاف المال بإنفاقه.
ثم قال (كَذلِکَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) أى كما ميزنا لكم هذه الأدلة نفصل الأدلة لقوم يعقلون، فيتدبرون ذلک و يفكرون فيها. و قال سعيد ابن جبير: كان اهل الجاهلية إذا لبوا قالوا: لبيک اللهم لبيک لا شريک التبيان فى

لک إلا شريک هو لک تملكه و ما ملک. فأنزل اللّه الآية رداً. عليهم و إنكار لقولهم ثم قال تعالى (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْواءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) معناه إن هؤلاء الكفار لم يتفكروا فى أدلة اللّه، و لا انتفعوا بها بل اتبعوا أهواءهم و شهواتهم بغير علم منهم بصحة ما اتبعوه.
ثم قال (فَمَنْ يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) و قيل: المعنى من يهدى الى الثواب من أضله اللّه عنه. و قيل: المعنى من يحكم بهداية من حكم اللّه بضلالته. ثم قال (وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ) أى ليس لهم من ينصرهم و يدفع عذاب اللّه إذا

حل بهم.
ثم قال تعالى مخاطباً لنبيه صلى اللَّه عليه و آله و المراد به جميع المكلفين (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً) أمرهم اللَّه بأن يوجهوا عبادتهم الى اللَّه على الاستقامة دون الاشراک فى العبادة. ثم قال (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها) قال مجاهد:
فطرة اللَّه الإسلام. و قيل: فطر الناس عليها و لها و بها بمعنى واحد، كما يقول القائل لرسوله: بعثتک على هذا و لهذا و بهذا بمعنى واحد. و نصب (فِطْرَتَ اللَّهِ) على المصدر، و قيل تقديره: اتبع فطرة اللَّه التى فطر الناس عليها، لأن اللَّه تعالى خلق الخلق للايمان، و منه
قوله صلى اللَّه عليه و آله (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه)
و معنى الفطر الشق ابتداء يقولون: أنا فطرت هذا الشىء اى أنا ابتدأته، و المعنى خلق اللَّه الخلق للتوحيد و الإسلام.
و قوله (لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) قال مجاهد و قتادة و سعيد بن جبير و الضحاک و ابن زيد و ابراهيم: لا تبديل لدين الله الذى أمركم به من توحيده و عدله و إخلاص العبادة له، و هو قول ابن عباس و عكرمة. و قيل: المراد نفى التبيان

الخطأ. ثم قال (ذلِکَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) أى ما بيناه من التوحيد و العدل و اخلاص العبادة لله هو الدين القيم أى المستقيم الذى يجب اتباعه (وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) صحة ذلک لعدولهم عن النظر فيه.

مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ لا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32) وَ إِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (33) لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (34) أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِما كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (35)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى و ابن عامر (فارقوا) بألف و تخفيف الراء. الباقون بغير الف و تشديد الراء. من قرأ بألف أراد: فارقوا دينهم الذى أمروا باتباعه. و من شدد أراد: انهم اختلفوا فى دينهم.

قوله (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) نصب على الحال و تقديره فأقم وجهك للدين يا محمد أنت و المؤمنون منيبين الى اللَّه، و لا يجوز أن يكون حالا من (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها) لأنه ما فطرهم منيبين، و الانابة الانقطاع الى اللَّه تعالى التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 249

بالطاعة و أصله على هذا القطع. و منه الناب، لأنه قاطع، و أناب فى الأمر إذا نشب فيه، كما ينشب الناب المقاطع، و يجوز أن يكون من ناب ينوب إذا رجع مرة بعد مرة، فيكون على هذا الانابة التوبة التى يجددها مرة بعد مرة.

ثم قال (و اتقوه) أى اجتنبوا معاصيه، و اتقوا عقابه (وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ) التى أمركم اللَّه تعالى بها أى دوموا عليها، و قوموا بأدائها، فالصلاة و إن كانت فى حكم المجمل، و لم يبين شروطها- فى الآية- فقد أحال على بيان النبى صلى اللَّه عليه و آله هذا إذا أراد بالصلاة تعريف الجنس، و إن أراد العهد الذى استقر فى الشرع، فهو على ما قد استقر فى الشرع (وَ لا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) نهى لهم عن أن يكونوا من جملة من أشرك بعبادة اللَّه سواه، ثم قال (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً) قال الفراء: يجوز ان يكون التقدير: و لا تكونوا من المشركين من جملة الذين فرقوا دينهم، و يجوز أن يكون من الذين فرقوا ابتداء، و تقديره الذين تفرقوا و كانوا شيعا (كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) فالتفريق جعل أحد الشيئين مفارقاً لصاحبه و ضده الجمع، و هو جمع أحد الشيئين الى صاحبه، فتفريق الدين جعل أحدهما ليس مع الآخر فى معنى ما يدعو اليه العقل، و هو منكر لمخالفته داعى العقل، و الدين العمل الذى يستحق به الجزاء، و دين الإسلام العمل الذى عليه الثواب. و لو جمعوا دينهم فى أمر اللَّه و نهيه لكانوا مصيبين، و لكنهم فرقوا بإخراجه عن حد الأمر و النهى من اللَّه و كانوا بذلك مبطلين خارجين عن الحق الذى أمر اللَّه به. و من قرأ (فارقوا) بألف أراد: فارقوا دينهم الذى أمرهم اللَّه باتباعه. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 250

و قوله (وَ كانُوا شِيَعاً) أى فرقاً، و الشيع الفرق التى يجتمع كل فريق منها على مذهب، خلاف مذهب الفريق الآخر، و شيعة الحق هم الذين اجتمعوا على الحق. و كذلک شيعة أمير المؤمنين عليه السلام هم الذين اجتمعوا معه على الحق و قال قتادة: المعنى بقوله (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ) اليهود و النصارى، و قال غيره: كل من خالف دين الحق الذى أمر اللّه به داخل فيه و هو أعم فائدة.
ثم اخبر تعالى ان (كل حزب) أى كل فريق (بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) من الاعتقاد الذى يعتقدونه يسرون به لاعتقادهم أنه الحق دون غيره.
و قوله «وَ إِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ» قال الحسن: إذا أصابهم مرض او فقر دعوا اللّه تعالى راجعين اليه مخلصين فى الدعاء له «ثُمَّ إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً» بأن يعافيهم من المرض أو يغنيهم من الفقر نعمة منه تعالى عليهم «إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» أى يعودون الى عبادة غير اللّه بخلاف ما يقتضى العقل فى مقابلة النعمة بالشكر. ثم بين أنهم يفعلون ذلک «لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ» أى بما آتاهم اللّه من نعمه. ثم قال تعالى مهدداً لهم «فَتَمَتَّعُوا» أى انتفعوا بهذه النعم الدنيوية كيف شئتم «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» ما فيه من كفركم و معصيتكم أى تصيرون فى العاقبة الى عذاب اللّه و أليم عقابه.
و قوله «أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً» اى هل أنزلنا عليهم برهاناً و حجة يتسلطون به على ما ذهبوا اليه، و يحتمل أن يكون المراد هل أرسلنا اليهم رسولا فإذا حمل على البرهان، فهو بمنزلة الناطق بالأمر لإظهاره إياه. و قوله «فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِما كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ» اى هل أنزلنا عليهم سلطاناً اى رسولا يتكلم بأنا أرسلناه بما يدعونه من الاشراک مع الله فى العبادة، فإنهم لا يقدرون على ذلک و لا يمكنهم ادعاء حجة عليه و لا برهان، و الكلام و إن خرج مخرج التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 251
الاستفهام فالمراد به التبكيت.

وَ إِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِها وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ (36) أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (37) فَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ ذلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (38) وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (39) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (40)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ نافع و ابو جعفر «لتربوا» بالتاء و سكون الواو، الباقون بالياء و فتح الواو، و قرأ ابن كثير «و ما أتيتم من ربا» بالقصر. الباقون بالمد. و اتفقوا على المد فى قوله «وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ» و قرأ حمزة و الكسائى و خلف «عَمَّا يُشْرِكُونَ» بالياء. الباقون بالتاء. قال ابو على: المعنى و ما آتيتم من

أهديتموها لتعوضوا اكثر منها، فلا يربو عند اللّه، لأنكم قصدتم زيادة العوض دون وجه اللّه، و هو كقوله «وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ» «1» فمن مدّ أراد أعطيتم من قوله «فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوابَ الدُّنْيا» «2» و من قصره فالمعنى يؤل الى قول من مد إلا انه على لفظ (فعلتم) و مدهم لقوله «وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ» فلقوله «وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ» «3» و لو قال أتيت الزكاة لجاز أن يعنى به: فعلتها و لكن لفظ القرآن على الإيتاء. و من ضم «لتربوا» فالمعنى لتصيروا ذوى زيادة فى ما آتيتم من أموال الناس أى يستدعونها من أربى إذا صار ذا زيادة مثل أقطف و اضرب. و من فتح أسند الفعل الى الربوا المذكور و قدر المضاف، فحذفه كما قيل: اجتذاب أموال الناس و اجتلابه. و يجوز ذلك. و سمى هذا المدفوع على هذا الوجه ربا لما كان فيه من الاستزادة.

يقول اللّه تعالى مخبراً عن خلقه بأنه إذا أذاقهم رحمة من عنده بأن ينعم عليهم بضروب النعم و يصح أجسامهم و يدرّ أرزاقهم و يكثر مواشيهم و غير ذلك من النعم، إنهم يفرحون بذلك و يسرون به ف (إذا) شرط و جوابه «فَرِحُوا بِها» و إنما جاء الجزاء ب (إذا) و لم يجىء ب (حين)، لأن (إذا) أشبه بالفاء من جهة البناء، و الزم للفعل من جهة أنه لا يضاف الى مفرد، فصار بمنزلة الفاء فى ترتيب الفعل، و ليس كذلك (حين). و شبه إدراك الرحمة بإدراك الطعم، فسماه ذوقاً. «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ» هو اخبار منه تعالى أنه إن أصابهم عذاب من اللّه تعالى جزاء على ما كسبته أيديهم «إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ»

(1) سورة 74 المدثر آية 6.
(2) سورة 3 آل عمران آية 148.
(3) سورة 24 النور آية 37 و سورة 21 الأنبياء آية 73.

أى ييأسون من رحمة اللّه، و القنوط اليأس من الفرج، قال جهد الأرقط:
قد وجدوا الحجاج غير قانط «1»
و إنما قال «بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ» و لم يقل بما قدموا على التغليب للاكثر الأظهر، لان اكثر العمل و أظهره لليدين، و العمل بالقلب و إن كان كثيراً فهو أخفى، و انما يغلب الأظهر. و يجوز أن يكون ما يصيبهم- من مصائب الدنيا و الآلام بها- بعض العقاب، فلذلک قال «بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ» و يجوز ان يكون لما فعلوا المعاصى اقتضت المصلحة أن يفعل بهم ذلک، و إن لم يكن عذاباً.
ثم قال تعالى منبهاً لهم على توحيده «أَ وَ لَمْ يَرَوْا» أى او لم يفكروا فيعلموا «أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ» اى يوسعه «لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ» اى و يضيق على من يشاء على حسب ما تقتضيه مصالحهم، و بسط الرزق الزيادة على مقدار القوت منه بما يظهر حاله، و اصل البسط نشر الشىء بما يظهر به طوله و عرضه، و بسط الرزق مشبه به. ثم قال «إِنَّ فِى ذلِکَ» يعنى فى البسط للرزق لقوم و تضييقه لقوم آخرين «لَآياتٍ» اى لدلالات «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» باللّه، لأنهم يعلمون ان ذلک من فضل اللّه الذى لا يعجزه شىء.
ثم خاطب نبيه صلى اللّه عليه و آله فقال «فَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ» اى أعط ذوى قرباک يا محمد حقوقهم التى جعلها اللّه لهم فى الأخماس- و هو قول مجاهد- و
قيل: إنه لما نزلت هذه الآية على النبى صلى اللّه عليه و آله اعطى فاطمة فدكاً، و سلمه اليها- روى ذلک ابو سعيد الخدرى و غيره- و هو المشهور عن أبى جعفر، و أبى عبد اللّه عليهما السلام.
و قال السدى: الآية نزلت فى قرابة النبى صلى اللّه عليه و آله. و قال قوم:

(1) مجاز القرآن 2/ 122.

المراد به قرابة كل انسان. و الأول اظهر، لأنه خطاب للنبى صلى اللّه عليه و آله «وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ» تقديره و أعط- ايضاً- المسكين، و هو الفقير، و ابن السبيل و هو المنقطع به، حقوقهم التى جعلها اللّه لهم فى الصدقات و غيرها، و الخطاب و إن كان متوجهاً الى النبى صلى اللّه عليه و آله فهو متوجه الى جميع المكلفين.
ثم قال «ذلِکَ خَيْرٌ» يعنى إعطاء الحقوق المستحقةِ خير «لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ

وَجْهَ اللّهِ» بالإعطاء دون الرياء و السمعة «وَ أولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» الفائزون بثواب اللّه. ثم قال «وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِی أَمْوالِ النَّاسِ» قال ابن عباس:
هو إعطاء الرجل العطية ليعطى اكثر منها لأنه لم يرد بها طاعة اللّه. و قال ابن عباس: و ابو جعفر الربوا رباءان أحدهما- حلال، و الآخر حرام، فالأول هو ان يعطى الإنسان غيره شيئاً لا يطلب اكثر منه فهو مباح، و لا يربوا عند اللّه. و الآخر- الربوا الحرام. و قال ابن طاوس عن أبيه: إذا أهدى الرجل الهدية ليهدى له أفضل منها فليس فيه أجر و لا وزر، و كلما فعله الفاعل على أنه حسن للشهوة فليس فيه حد و لا أجر، و شهوته و شهوة غيره فى هذا سواء، و قيل: المعنى فى الآية التزهيد فى الربو، و الترغيب فى إعطاء الزكاة. و قال الحسن:
هو كقوله «يَمْحَقُ اللّهُ الرِّبا وَ يُرْبِی الصَّدَقاتِ» «1» و لا خير فى العطية إذا لم يرد بها وجه اللّه. و قال الجبائى: و ما أتيتم من ربا لتربوا بذلک أموالكم «فَلا يَرْبُوا» لأنه لا يملكه المرابى بل هو لصاحبه، و لا يربو «عِنْدَ اللّهِ» لأنه يستحق به العقاب، و إعطاء المال قد يقع على وجوه كثيرة فمنه إعطاؤه على وجه الصدقة.
و منه إعطاؤه على وجه الهدية. و منه الصلة. و منه الودائع. و من ذلک قضاء

---

(1) سورة 2 البقرة آية 276.

الدين، و منه البر و منه الزكاة. و منه القرض و منه النذر و غير ذلک.
ثم قال «وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللّهِ» أى ما أخرجتموه على وجه الزكاة و أعطيتموه أهله تريدون بذلک وجه الله دون الربو «فَأُولئِکَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ» أى يضاعف لهم الحسنات كقوله «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» «1» و قال الكلبى: تضاعف أمواله فى الدنيا، فالمضعف ذو الاضعاف كما أن الميسر ذو اليسار.
ثم خاطب تعالى خلقه فقال «اللّهُ الَّذِی خَلَقَكُمْ» بعد ان لم تكونوا موجودين «ثُمَّ رَزَقَكُمْ» من أنواع الملاذ و ملككم التصرف فيها و أباحها لكم «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ» بعد ذلک إذا شاء ليصح ايصالكم الى ما عوضكم له من الثواب «ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» ليجازيكم على أفعالكم على الطاعات بالثواب و على المعاصى بالعقاب «هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ» الذين عبدتموهم من دون الله «مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ» أو يقدر عليه فيجوز لذلک توجه العبادة اليه فإنهم لا يقدرون على أن يقولوا:
نعم يقدرون عليه و انما يعترفون بعجزها عن ذلک، فيعلموا عند ذلک انها لا تستحق العبادة فلذِلک نزه نفسه عقيب ذلک عن أن يشرک معه فى العبادة

و يتخذ معه معبوداً سواه فقال «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ» فمن قرأ بالياء وجه الخطاب الى الغائب. و من قرأ بالتاء وجهه الى المخاطبين، و فى ذلک تنبيههم على وجوب ضرب الأمثال لله تعالى دون غيره من المخلوقات.

ظَهَرَ الْفَسادُ فِى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41) قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (42) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِىَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (43) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (44) لِيَجْزِىَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ (45)

---

(1) سورة 6 الانعام آية 160.

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير- فى رواية ابن مجاهد- عن قنبل و روح «لنذيقهم» بالنون. الباقون بالياء. فمن قرأ بالنون فعلى وجه اخبار الله عن نفسه أنه الذى يذيقهم. و من قرأ بالياء فالمعنى ليذيقهم الله بعض الذى عملوا.

يقول الله تعالى «ظَهَرَ الْفَسادُ فِى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» قيل: فساد البر هو ما يحصل فيها من المخاوف المانعة من سلوكه، و يكون بخذلان الله عز و جل لأهل العقاب به، و فساد البحر اضطراب أمره حتى لا يكون متصرفاً فيه، و كل ذلک ليرتدعوا عن معاصيه. و قال قتادة: المعنى ظهر الفساد فى أهل البر و البحر فأهل البر أهل البادية و أهل البحر أهل القرى الذين على الأنهار العظيمة و يكون قوله «بِما كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ» معناه يخلى الله بينهم و بين المعاصى جزاء على ما سبق منهم من المعاصى. و قال مجاهد: البر ظهر الأرض و البحر هو

البحر المعروف، لأنه يؤخذ فيه كل سفينة غصباً. و قيل: البر الأرض القفر و البحر المجرى الواسع للماء عذباً كان أو ملحاً، و سمى البر براً، لأنه يبر بصلاح المقام فيه خلاف البحر، و منه البر لأنه يبرّ بصلاحه فى الغذاء أتم الصلاح.

و قيل: الفساد المعاصى و دليله قوله تعالى «وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ» «1» و التقدير.

ظهر عقاب الفساد فى البر و البحر، و الظهور خروج الشىء الى حيث يقع عليه الاحساس و العلم به بمنزلة الإدراک له. و قد يظهر الشىء بخروجه عن وعاء أو وجوده عن عدم أو ظهوره بدليل. و قيل: بالعدل ينبت الله الزرع و يدر الضرع، و بالظلم يكون القحط و ضيق الرزق، و قوله «بِما كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ» أى جزاء على ما فعله الناس. و الكسب فعل الشىء لاجتلاب نفع الى نفس الفاعل أو دفع ضرر عنه، فالقادر لنفسه يقدر على

مثله فى الحالتين لاجتلاب نفع الى غيره أو دفع ضرر عنه، غير انه لا يوصف بهذه الصفة و إن قدر على مثله. و قوله «لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا» معناه ليصيبهم الله بعقوبة بعض أعمالهم التى عملوها من المعاصى «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أى ليرجعوا عنها فى المستقبل، و تقديره فعل الله تعالى القحط و الشدائد و الجدب و قلة الثمار و هلاک النفوس عقوبة على معاصيهم ليذيقهم بذلک عقاب بعض ما عملوا من المعاصى ليرجعوا عنها فى المستقبل، ليذيقهم عقابه غير انه اجرى على بعض العمل لأنهم بذواقهم جزاءه كأنهم ذاقوه، و هذا من الحذف الحسن، لأنه حذف المسبب و إقامة السبب الذى أدى اليه مقامه.
ثم بين تعالى انه فعل بهم هذا ليرجعوا عن معاصيه الى طاعته.

---

(1) سورة 2 البقرة آية 205

ثم خاطب تعالى نبيه صلى اللَّه عليه و آله فقال له «قُلْ» لهم يا محمد «سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ» أى فكروا فيمن تقدم من الأمم التى أشركت باللَّه أكثرهم، و المؤمنون كانوا قليلين فيهم كيف أهلكهم اللَّه و دمر عليهم.
ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله «فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ» و معناه استقم للدين المستقيم بصاحبه الى الجنة أى لا يعدل عنه يميناً و لا شمالا، فإنک متى فعلت ذلک أداک الى الجنة، و هو مثل قوله «ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» «1» مجانس فيه للبلاغة و منه قوله «يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ» و منه «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَ يُرْبِى الصَّدَقاتِ». «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِىَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ» أى استقيموا على الطريق المستقيم قبل يوم القيامة الذى تتفرقون فيه فرقتين، فريق فى الجنة و فريق فى السعير- ذكره قتادة- و قال الحسن:
الدين القيم الطاعة لله.
ثم قال «مَنْ كَفَرَ» بالله و جحد نعمه «فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» أى فعليه جزاء كفره لا يعاقب أحد بذنب غيره، كما قال «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» «2» «وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً» يعنى الايمان بالله و أفعال الطاعات «فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ» و التمهيد و التمكين و التوطيد نظائر أى ثواب ذلک واصل اليهم و تتمهد أحوالهم الحسنة عند الله. و قوله «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ» اخبار منه تعالى أنه الذى يجزى الذين يطيعون الله تعالى و يجتنبون معاصيه ثواب الجنة

---

(1) سورة 9 التوبة آية 128.
(2) سورة 6 الانعام آية 164 و سورة 17 الإسراء آية 15 و سورة 35 فاطر

آية 18 و سورة 39 الزمر آية 7.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 259
من فضله على خلقه «إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ» أى لا يريد منافعهم و لا ثوابهم، و انما يريد عقابهم جزاء على كفرهم.

وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (46) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَ كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَ يَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (48) وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (49) فَانْظُرْ إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ ذلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتى وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (50)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو جعفر و ابن ذكوان «كسفاً» بسكون السين. الباقون بتحريكها.

و قرأ اهل الكوفة و ابن عامر «الى آثار» على الجمع و آماله الكسائى إلا أبا

الحارث. الباقون على التوحيد. من سكن السين من كسف أراد جمع كسفة و هى القطعة الواحدة من السحاب، مثل سدرة و سدر. و يحتمل ان يكون الضمير فى (خلاله) راجعاً اليه. و يحتمل ان يكون راجعاً الى الخلال. و من فتح السين أعاد الضمير الى السحاب لا غير. و من أفرد «اثر» فلأنه مضاف الى مفرد و جاز الجمع لان (رحمة الله) يجوز ان يراد بها الكثرة.

يقول الله تعالى إن من الأدلة الدالة على توحيدى و وجوب اخلاص العبادة لى إرسال الرياح مبشرات بالغيث و المطر. و إرسال الرياح تحريكها و اجراؤها فى الجهات المختلفة تارة شمالا و تارة جنوباً وصبا، و أخرى دبوراً على حسب ما يريده الله و يعلم فيه من المصلحة، و ذلک لا يقدر عليه غيره تعالى، لأن العباد و إن قدروا على جنس الحركة فلو اجتمع جميع الخلائق من الجن و الانس على أن يردوا الريح إذا هبت شمالاً الى كونها جنوباً و إذا هبت جنوباً الى كونها شمالا او صبا او دبوراً لما قدروا عليه، فمن قدر على ذلک يعلم أنه قادر لنفسه لا يعجزه شىء مستحق للعبادة خالصة له، و انما سماها مبشرات، لأنها بمنزلة الناطقة إذا بشرت بأنه يجىء مطر و غيث يحيى به الأرض لما فيها من إظهار هذا المعنى و دلالتها على ذلک بجعل جاعل، لأنه من طريق العادة التى أجراها الله تعالى.

و قوله «وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ» معطوف على المعنى، و تقديره أن يرسل الرياح للبشارة و الاذاقة من الرحمة «وَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ» بها «بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» أى تطلبوه، فارسال الرياح لهذه الأمور، و معنى «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» لتشكروا اللّه على نعمه، و إنما اتى بلفظ (لعلكم) تلطف فى الدعاء الى الشكر كالتلطف فى الدعاء الى البر، فى قوله «مَنْ ذَا الَّذِي

حَسَناً»
«1» ثم خاطب نبيه صلى اللَّه عليه و آله على وجه التسلية عن قومه فى تكذيبهم إياه فقالَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ»
يا محمدُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ»
يعنى بالمعجزات، و فى الكلام حذف، لأن تقديره فكذبوهم و جحدوا بهم فاستحقوا العذابَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَ كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ»
أى أوجبناه على نفوسنا أن ننصر المؤمنين من عبادنا.
ثم قال تعالى «اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً» أى تنشئ سحاباً فانشاء السحاب و إن كان من فعل اللَّه لكن لما كان السحاب سبباً منه جاز أن يسند اليها «فَيَبْسُطُهُ فِى السَّماءِ» أى يبسط ذلك السحاب كيف شاء فى السماء من كثافة ورقة و غير ذلك «وَ يَجْعَلُهُ كِسَفاً» أى قطعاً- فى قول قتادة- «فَتَرَى الْوَدْقَ» يعنى المطر، قال الشاعر:
فلا مزنة ودقت ودقها و لا أرض ابقل ابقالها «2»
«يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ» يعنى من خلال السحاب «فَإِذا أَصابَ بِهِ» يعنى بذلك المطر «مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» أى يفرحون و يبشر بعضهم بعضاً به «وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ» المطر «مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ» اى قانطين يائسين- فى قول قتادة- و قوله «من قبله» فى الموضعين فيه قولان: أحدهما- انه للتوكيد. و الآخر من قبل الإرسال، و الأول من قبل الانزال. ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله و المراد به جميع المكلفين «فَانْظُرْ» يا محمد «إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها» يحييها بالنبات بعد جدوبها

---

(1) سورة 2 البقرة آية 245 و سورة 57 الحديد آية 11.
(2) مر هذا البيت فى 1/ 126 و 5/ 361 و 7/ 446.

«إِنَّ ذلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتى» أى مثل ذلك يحيى اللَّه الموتى بعد ان كانوا جماداً «وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» أى قادر و فيه مبالغة.

وَ لَئِنْ أَرْسَلْنا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (51) فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (52) وَ ما أَنْتَ بِهادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (53) اَللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَيْبَةً يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ كَذلِكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ (55)

ست آيات مدنى و خمس فى ما عداه عد المدنى «يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ» و لم يعده الباقون.

قرأ ابن كثير (و لا تسمع) بفتح التاء (الصم) رفعاً الباقون- بضم التاء- (الصم) نصباً. و هذا مثل ضربه اللَّه للكفار، و المعنى كما إنک يا محمد لا تسمع الميت لتعذر استماعه فكذلک لا تسمع الكفار، و المعنى انه لا ينتفع بسماعه، لأنه لا يعمل به، فإذا كان كذلک فالمعنيان متقاربان، لان المعنى

لا تسمع الكافر ما فى القرآن من حكمة و موعظة، كما لا تسمع الأصم المدبر عنک.

و ضم التاء و نصب الميم أحسن لتشاكل ما قبله من اسناد الفعل اليک أيها المخاطب و حكم المعطوف يجب ان يكون مشاكلًا حكم المعطوف عليه. و قرأ عاصم و حمزة (من ضعف) بفتح الضاد فى الثلاثة. الباقون بالضم فيهن، و هما لغتان.

يقول اللَّه سبحانه (وَ لَئِنْ أَرْسَلْنا رِيحاً) مؤذنة بالهلاک (فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا) فالهاء يجوز أن يكون كناية عن السحاب، و تقديره فرأوا السحاب مصفراً لأنه إذا كان كذلک كان غير ممطر، و يحتمل أن يكون راجعاً الى الزرع، و تقديره، فرأوا الزرع مصفراً- و الثانى قول الحسن- و جواب لئن فى الشرط أغنى عنه جواب القسم، لأن المعنى ليظلن كما أن (أرسلنا) بمعنى أن يرسل فجواب القسم قد ناب عن الأمرين. و كان أحق بالحكم لتقدمه على الشرط و لو تقدم الشرط لكان الجواب له، كقولک: ان أرسلنا ريحاً ظلوا و اللَّه يكفرون. و (الاصفرار) لون بين الحمرة و البياض، و هو من النبات الذى يصفر بالريح للجفاف و يحول عن حال الاخضرار، فيصير الى الهلاک و يقنط صاحبه الجاهل بتدبير ربه فى ما يأخذ به من الشدة بأمره تارة و الرخاء أخرى ليصح التكليف بطريق الترغيب و الترهيب، و معنى (ظل يفعل) أى جعل يفعل فى صدر النهار، و هو الوقت الذى فيه الى ظل الشمس. و (أضحى يفعل) نظير ظل يفعل إلا أنه كثر حتى صار بمنزلة (جعل يفعل).

ثم قال لنبيه «فَإِنَّکَ» يا محمد «لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا

وَلّوْا مُدْبِرِينَ» شبه الكفار فى ترک تدبرهم لما يدعوهم اليه النبى صلى اللّه عليه و آله تارة بالأموات و تارة بالصم، لأنهم لا ينتفعون بدعاء داع، لأنهم لا يسمعونه، التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 264
و كذلک من يسمع و لا يصغى و لا يفكر فيه، و لا يتدبره فكأنه لم يسمعه.
و قوله «إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» معناه إذا أعرضوا عن أدلتنا و عن الحق ذاهبين الى الضلال غير طالبين لسبيل الرشاد. و لذلک لزمهم الذم و صفة النقص.
و قوله «وَ ما أَنْتَ بِهادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ» معناه ليس فى هؤلاء حيلة أن يقبلوا الهداية فصار العمى بالضلال صنفين أحدهما- يطلب الهداية فهو يجدها عندک. و الآخر لا يطلب الهداية، فليس فيه حيلة. ثم قال (إن) يعنى ليس (تسمع إلا من يصدق بآياتنا و أدلتنا) لأنهم المنتفعون بدعائک و اسماعک (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) لک ما تدعوهم اليه.
ثم قال (اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) و فيه لغتان- الضم، و الفتح- مثل الفقر و الفقر، و الكره و الكره، و الجهد و الجهد، و المعنى انه خلقهم ضعفاء لأنهم كانوا نطفا، فحولهم الى أن صاروا أحياء أطفالا لا قدرة لهم (ثم جعل) لهم (مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ) أى من بعد هذا الضعف (قوة) إذا شبوا و ترعرعوا و كملوا (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَيْبَةً) فى حال الشيخوخة و الشيب (يَخْلُقُ ما يَشاءُ) كيف يشاء (وَ هُوَ الْعَلِيمُ) بما فيه مصالح خلقه قادر على فعله فهو يفعل بحسب ما يعلمه من مصالحهم.
ثم اخبر تعالى عن حال الكفار أنهم (يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ) انهم (ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ) و قيل: فى قسمهم بذلک مع أن معارفهم ضرورية قولان:
أحدهما- قال ابو بكر بن الأخشاد: ذلک يقع منهم قبل إكمال عقولهم. و يجوز قبل الإلجاء ان يقع منهم قبيح.
و الثانى- قال الجبائى: ان المراد أنه منذ ما انقطع عنا عذاب القبر التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 265
(كَذلِکَ كانُوا يُؤْفَكُونَ) أى يكذبون لأنه اخبار عن غالب الظن بما لا يعلمون قال: و لا يجوز أن يقع منهم القبيح فى الآخرة، لان معارفهم ضرورة. و قيل: (كَذلِکَ كانُوا يُؤْفَكُونَ) فى دار الدنيا و يجحدون البعث و النشور مثل ما حلفوا أنهم لم يلبثوا إلا ساعة، قال الفراء: و تقديره كما كذبوا فى الدنيا بالبعث كذلک يكذبون بقولهم ما لبثنا غير ساعة. و من استدل بذلک على نفى عذاب القبر فقد أبطل، لأن المراد أنهم ما لبثوا بعد انقطاع عذاب القبر إلا ساعة.

وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ اللَّهِ إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهذا يَوْمُ الْبَعْثِ وَ لكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (56) فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (57) وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ (58) كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (59) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ (60)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة «لا ينفع» بالياء، لان تأنيث المعذرة غير حقيقى. الباقون

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 266

بالتاء، لان اللفظ لفظ التأنيث.

يقول اللَّه تعالى مخبراً عن الذين قد أعطاهم اللَّه العلم و آتاهم إياه بما نصب لهم من الأدلة الموجبة له، و نظروا فيها فحصل لهم العلم، فلذلك أضافه الى نفسه لما كان هو الناصب للادلة الدالة على العلوم، و التصديق باللَّه و رسوله (لَقَدْ لَبِثْتُمْ) أى مكثتم (فِي كِتابِ اللَّهِ) و معناه إن لبثكم مذكور ثابت فى كتاب اللَّه بينه اللَّه فيه، فصار من أجل ان بيانه فى كتابه كأنه فى الكتاب، كما تقول كلما يكون فهو فى اللوح المحفوظ أى هو مبين فيه، و قيل (فِي كِتابِ اللَّهِ) أى فى كتابه الذى أخبرنا به، و اللبث لا يكون إلا فى المكان، كما لا يكون السكون إلا فيه، و البقاء قد يكون لا فى مكان، و لذلك يوصف تعالى بالباقى، و لا يوصف ب (لابث) و (إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ) يعنى يوم يبعث اللَّه فيه خلقه و يحشرهم. و اصل البعث جعل الشىء جاريا فى أمر، و منه انبعث الماء إذا جرى و انبعث من بين الأموات إذا خرج خروج الماء، و يوم البعث يوم إخراج الناس من قبورهم الى أرض المحشر.

ثم يقول المؤمنون للكفار «فَهذا يَوْمُ الْبَعْثِ وَ لكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» صحة ذلك و كنتم شاكين فيه. و قال الحسن: لقد قدرنا آجالكم الى يوم البعث و لكنكم لا تعلمون ان البعث حق.

ثم اخبر تعالى ان ذلك اليوم لا تقبل معذرتهم، و المعذرة إظهار ما يسقط اللائمة، و انما لا تقبل معذرتهم لأنهم ملجئون فى تلك الحال، و لا يصح اعتذارهم و قوله «وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» أى لا يقبل عتبهم، و لا يطلب منهم الاعتاب.

و الاستعتاب طلب صلاح المعاتب بالعتاب و ذلك بذكر الحقوق التى تقتضى خلاف ما عمله العامل بما لا ينبغى أن يكون عليه مع الحق اللازم له و ليس

فى قولهم التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 267

ما علمنا أنه يكون و لا أننا نبعث عذر، لأنه قد نصب لهم الدلالة عليه و دعوا

اليه.
ثم اخبر تعالى انه ضرب للناس المكلفين فى القرآن الذى أنزله على نبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله من كل مثل، يحثهم به على الحق و اتباع الهدى. ثم قال لنبيه «وَ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ» يا محمد أى معجزة باهرة «لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ» فى دعواكم البعث و النشور، عناداً و جحداً للأمور الظاهرة. ثم قال مثل ما طبع اللَّه على قلوب هؤلاء بأن حكم عليهم بأنهم لا يؤمنون كذلک حكم فى كل من لا يؤمن. و قيل: الطبع علامة يجعلها اللَّه فى قلوب الكافرين يفصل بها الملائكة بينه و بين المؤمن. ثم قال لنبيه «فاصبر» يا محمد على أذى هؤلاء الكفار و مقامهم على كفرهم «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» فى ما وعدک به من النصر و إعزاز دينک «وَ لا يَسْتَخِفَّنَّکَ» أى و لا يستفزنک «الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ» فالاستخفاف طلب الخفة.

اشارة

هى مكية- فى قول مجاهد و قتادة- ليس فيها ناسخ و لا منسوخ و قال الحسن: هى مكية إلا آية واحدة و هى قوله (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ) لان الصلاة و الزكاة مدنيتان و هى ثلاث و ثلاثون آية حجازى و أربع و ثلاثون آية فى ما عدا الحجازى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الم (1) تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ (2) هُدىً وَ رَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (3) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4)
أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)
خمس آيات كوفى و أربع بلا خلاف فيما عدا الكوفى.
قرأ حمزة «هدى و رحمة» رفعاً. الباقون نصباً. من رفع جعله خبر ابتداء محذوف، و تقديره هو هدى و رحمة، و يجوز أن يكون بدلا من «تلك آيات» أى تلك هدى و رحمة، و من نصب فعلى المصدر و تقديره يهدى به هدى و يرحم به رحمة، و يجوز أن يكون على الحال، و تقديره هادياً أى فى حال الهداية و الرحمة- ذكره الزجاج- «للمحسنين» الذين يفعلون الافعال الحسنة من الطاعات و يتفضلون على غيرهم. و قد بينا أن أقوى الأقوال فى معنى «الم» قول من التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 269
قال هو اسم للسورة، و ذكرنا ما فى الأقوال فى ما تقدم. قال الرمانى: انما جعل اسم السورة على الاشتراك للمناسبة بينها و بين ما يتصل بها مع الفصل بالصفات و ذلک انها استحقت بذكر الكتاب و المؤمنين به غير العادلين عنه، كما هو فى البقرة.
و قوله «تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ» اشارة الى آيات الكتاب التى وعدهم اللَّه بانزالها عليهم فى الكتب الماضية، قال ابو عبيدة «تلک» بمعنى هذه «آيات الكتاب» و إن كانت هى الكتاب فهو جائز، كما قال «حق اليقين» «1» و كما قالوا: مسجد الجامع، و غير ذلک. و قد بيناه فى ما مضى «الحكيم» من صفة الكتاب، فلذلک جره و إنما وصف الكتاب بأنه (حكيم) مع انه محكم لأنه يظهر الحق و الباطل بنفسه، كما يظهره الحكيم بقوله، و لذلک يقال: الحكمة تدعو الى الإحسان و تصرف عن الاساءة. و قال ابوصالح: أحكمت آياته بالحلال و الحرام. و قال غيره: أحكمت بأن أتقنت «لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ» «2».
ثم قال هذا الكتاب «هُدىً وَ رَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ» أى دلالة موصلة لهم الى الصواب و ما يستحق به الثواب، و رحمة رحمهم اللَّه بها و أضافه الى المحسنين و إن كان هدى لغيرهم لما كانوا هم المنتفعين به دون غيرهم كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» «3» و الإحسان النفع الذى يستحق به الحمد فكل محسن يستحق الحمد و كل مسيئ يستحق الذم، و ما يفعله الفاعل على انه لا ظلم فيه لاحد لينقطع به عن قبيح فى انه احسان فهو احسان يستحق عليه الحمد، لان الحكمة تدعو الى

(1) سورة 56 الواقعة آية 95.
(2) سورة 41 حم السجدة (فصلت) آية 42 [.....]
(3) سورة البقرة آية 2.

فعله على هذا الوجه، و لا يدعو الى ان يفعله للشهوة، و لا للهوى.
ثم وصف المحسنين فقال «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ» أى يديمون فعلها و يقومون بشرائطها و أحكامها و يخرجون الزكاة الواجبة عليهم فى أموالهم.
و هم بالآخرة مع ذلک يوقنون، و لا يرتابون بها. ثم اخبر أن هؤلاء الذين وصفهم بهذه الصفات «عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ» أى على حجة من ربهم «وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» الفائزون بثواب اللّه و رحمته.

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَها هُزُواً أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ (6) وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ (7) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (8) خالِدِينَ فِيها وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وَ أَلْقى فِى الْأَرْضِ رَواسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (10)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «و يتخذها» نصباً، الباقون رفعاً من قرأ بالنصب عطفه على «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَها» أى يشترى لهو الحديث التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 271

للأمرين. و من رفع عطف على قوله «يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... وَ يَتَّخِذَها هُزُواً» و من قرأ «ليضل»- بضم الياء و كسر الضاد- أراد يفعل ذلك ليضل غيره. و من- فتح الياء- أراد ليضل هو نفسه بذلك.

اخبر اللّه تعالى ان «من» جملة «النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ» أى يستبدل لهو الحديث. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه يشترى كتاباً فيه لهو الحديث.

الثانى- انه يشترى لهو الحديث عن الحديث. و اللهو الأخذ فى ما يصرف الهم من غير الحق، تقول: لهى فلان يلهو لهواً، فهو لاه، و تلهى تلهياً و ألهاه إلهاء، و اللهو و اللعب و الهزل نظائر. و الحديث الخبر عن حوادث الزمان. و قال ابن عباس و ابن مسعود و مجاهد:

لهو الحديث الغناء، و هو المروى عن أبى جعفر عليه السلام.

و قال قوم: هو

شراء المغنيات. و روى ابو أمامة عن النبى صلى اللّه عليه و آله تحريم ذلك.

و قال قتادة: هو استبدال حديث الباطل على حديث الحق. و قيل: كلما كان من الحديث ملهياً عن سبيل اللّه الذى أمر باتباعه الى ما نهى عنه، فهو لهو الحديث. و قيل: الآية نزلت فى النضر ابن الحارث بن كلدة كان اشترى كتباً فيها أحاديث الفرس: من حديث رستم و إسفنديار، فكان يلهيهم بذلك و يطرف به، ليصد عن سماع القرآن و تدبر ما فيه.

و قوله «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى ليتشاغل بما يلهيه عن سبيل اللّه. و قال ابن عباس: سبيل اللّه قراءة القرآن، و ذكر اللّه، لان حجة اللّه قائمة عليه بالدواعى التى تزعجه الى النظر فيما يؤديه الى العلم بالواجب ليعمل،

فيتشاغل ليخفّ ذلک الإزعاج. و من قرأ بالضم أراد ليضل غيره بذلک. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 272
و قوله «وَ يَتَّخِذَها هُزُواً» أى يتخذ سبيل اللَّه سخرية، فلا يتبعها و يشغل غيره عن اتباعها. و الضمير فى قوله «و يتخذها» يجوز أن يكون راجعاً الى الحديث، لأنه بمعنى الأحاديث. و يجوز أن يكون راجعاً الى (سبيل اللَّه) و السبيل يؤنث و يذكر. و يجوز أن يكون راجعاً الى (آيات اللَّه) فى قوله «تِلْکَ آياتُ الْكِتابِ».
ثم اخبر تعالى أن من هذه صفته «لَهُ عَذابٌ مُهِينٌ» أى عذاب بذله.
و الاذلال بالعداوة هو الهوان. فأما إذلال الفقر و المرض، فليس بهوان، و لا إذلال على الحقيقة. و إذلال العقاب لا يكون إلا هواناً، و إن كان العذاب على وجه الامتحان، فلا يكون هواناً أيضاً.
ثم اخبر تعالى عن صفة هذا الذى يتخذ آيات اللَّه هزواً و يشترى لهو الحديث أنه «إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا» التى هى القرآن «وَلَّى مُسْتَكْبِراً» أى اعرض عنها تكبراً عن استماعها. و الفكر فيها، كأنه «لَمْ يَسْمَعْها» من حيث لم يفكر فيها، و لم يعتبر بها و «كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْراً» أى ثقلا يمنع من سماعه. ثم امر نبيه صلى اللَّه عليه و آله أن يبشر من هذه صفة «بِعَذابٍ أَلِيمٍ» أى مؤلم موجع.
ثم اخبر تعالى عن صفة المؤمنين المصدقين بتوحيد اللَّه و صدق أنبيائه فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» أى صدقوا باللَّه و نبيه و فعلوا الطاعات «لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ» يوم القيامة يتنعمون فيها (خالِدِينَ فِيها) أى مؤبدين فى تلک البساتين (وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) أى وعده اللَّه حقاً، لا خلف لوعده (وَ هُوَ الْعَزِيزُ) فى انتقامه (الحكيم) فى أفعاله، إذ لا يفعل إلا ما فيه المصلحة و وجه من وجوه الحكمة.
ثم اخبر تعالى عن نفسه بأنه (خَلَقَ السَّماواتِ) فأنشاها و اخترعها التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 273
(بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها) أى ليس لها عمد يسندها، لأنه لو كان لها عمد لرأيتموها فلما لم تروها دل على أنه ليس لها عمد، لأنه لو كان لها عمد لكانت اجساماً عظيمة حتى يصح منها إقلال السموات، و لو كانت كذلک لاحتاجت الى عمد آخر، فكان يتسلسل. فإذاً لا عمد لها، بل اللَّه تعالى سكنها حالا بعد حال بقدرته التى لا توازيها قدرة قادر. و قال مجاهد: لها عمد لا ترونها، و هذا فاسد لأنه لو كان لها عمد لكانت أجساماً عظيمة، لأنه لا يقل مثل السموات و الأرض إلا ما فيه الاعتمادات العظيمة. و لو كانت كذلک لرأيت، و كان يؤدى الى ما ذكرناه من التسلسل.
ثم قال (وَ أَلْقى فِى الْأَرْضِ رَواسِىَ) يعنى الجبال الثابتة (أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) و قيل معناه لئلا تميد بكم، كما قال الراجز:
و المهر يأبى أن يزال ملهيا

بمعنى لا يزال. و قال قوم: معناه كراهة أن تميد بكم (وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ) أى فرق فيها من كل دابة أي من كل ما يدب على الأرض «وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنى غيثاً و مطراً «فَأَنْبَتْنا فِيها» بذلک الماء (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) أى من كل نوع حسن النبت طيب الريح و الطعم.

هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِی ما ذا خَلَقَ الَّذِینَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ (11) وَ لَقَدْ آتَیْنا لُقْمانَ الْحِکْمَةَ أَنِ اشْکُرْ لِلَّهِ وَ مَنْ یَشْکُرْ فَإِنَّما یَشْکُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ کَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِیٌّ حَمِیدٌ (12) وَ إِذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وَ هُوَ یَعِظُهُ یا بُنَیَّ لا تُشْرِکْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِیمٌ (13) وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِی عامَیْنِ أَنِ اشْکُرْ لِی وَ لِوالِدَیْکَ إِلَیَّ الْمَصِیرُ (14) وَ إِنْ جاهَداکَ عَلی أَنْ تُشْرِکَ بِی ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِی الدُّنْیا مَعْرُوفاً وَ اتَّبِعْ سَبِیلَ مَنْ أَنابَ إِلَیَّ ثُمَّ إِلَیَّ مَرْجِعُکُمْ فَأُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15)

خمس آیات بلا خلاف.

هذا اشارة الی ما تقدم ذکره من خلق السموات و الأرض علی ما هی به من عظمها و کبر شأنها من غیر عمد یمنع من انحدارها، و ألقی الرواسی فی الأرض لئلا تمید بأهلها «وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دابَّةٍ» للاعتبار و الانتفاع بها، و أنزل من السماء ماء لإخراج کل نوع کریم علی ما فیه من بهجة و لذة یستمتع بها. فهذا کله خلق اللّه فأین خلق من اشرکتموه فی عبادته حتی جاز لکم أن تعبدوه من دونه و هذا لا یمکن معه معارضة. و فیه دلیل علی توحیده تعالی.

ثم اخبر تعالی فقال «بَلِ الظَّالِمُونَ» لأنفسهم بترک الاعتبار بآیات اللّه «فِی ضَلالٍ مُبِینٍ» أی عدول عن الحق بین ظاهر و ما دعاهم الی عبادتها انها تخلق شیئاً و لکن ضلالهم بالجهل الذی اعتقدوه من التقرب بذلک الی اللّه و انها التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 275

تقربهم الی اللّه زلفی.

ثم اخبر تعالی انه اعطی لقمان الحکمة، فقال ابن عباس و مجاهد و قتادة: لم یکن لقمان نبیاً. و قال عکرمة: کان نبیاً. و قیل: انه کان عبداً أسوداً حبشیاً ذا سفة. فقال له بعض الناس: أ لست الذی کنت ترعی معنا؟ فقال: نعم.

فقال له: من این أوتیت ما أری؟ فقال: بصدق الحدیث و الصمت عما لا یعنینی.

و الحکمة التی آتی اللّه لقمان هو معرفته بتوحیده، و نفی الشرک عنه. و ما فسرناه فی ما بعد و هو ان أمره بأن یشکر للّه علی نعمه التی أنعم بها علیه.

ثم اخبر تعالی فقال «وَ مَنْ یَشْکُرْ فَإِنَّما یَشْکُرُ لِنَفْسِهِ» أی من یشکر نعمة اللّه و نعمة من أنعم علیه، فانه یشکر لنفسه، لأن ثواب شکره عائد علیه

«وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِیٌّ حَمِیدٌ» أی من جحد نعمة اللّه، فانه تعالی غنی عن شکره حمید علی أفعاله، و عقاب ذلک عائد علی الکفار دون غیرهم، و الشکر لا یکون إلا علی نعمة سبقت، فهو یقتضی منعماً، فلا یصح علی ذلک أن یشکر الإنسان نفسه، لأنه لا یجوز أن یکون منعماً علیها، و هو جری مجری الدین فی أنه حق لغیره علیه یلزمه أداؤه، فکما لا یصح أن یقرض نفسه فیجب أن یقضی ذلک الدین لنفسه، فکذلک لا یصح أن ینعم علی نفسه فیلزمه شکر تلک النعمة ثم قال تعالی و أذکر یا محمد «إِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ یَعِظُهُ یا بُنَیَّ لا تُشْرِکْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِیمٌ» إذ قال له لا تعبد مع اللّه غیره فان من فعل ذلک فقد ظلم نفسه ظلماً عظیماً.
و یجوز أن یتعلق قوله «وَ إِذْ قالَ لُقْمانُ» بقوله «وَ لَقَدْ آتَیْنا لُقْمانَ الْحِکْمَةَ ... إِذْ قالَ (لُقْمانُ) لِابْنِهِ ... لا تُشْرِکْ بِاللَّهِ» ثم قال تعالی «وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ» أی وصیناه و أمرناه بالإحسان الی والدیه.
و الرفق بهما «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنٍ» قال الضحاک: معناه ضعفاً علی ضعف التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 276
أی ضعف نطفة الوالد الی ضعف نطفة الأم. و قیل: هو ما یلحقها بحملها إیاه مرة بعد مرة من الضعف. و قیل: بل المعنی شدة الجهد، قال زهیر:
فان یقولوا بجعل واهن خلق لو کان قومک فی أسبابه هلکوا «1»
و قال ابن عباس «وهن علی وهن» أی شدة علی شدة. و قیل: ضعف الولد حالا بعد حال، لأنه کان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم مولوداً.
و قوله «وَ فِصالُهُ فِی عامَیْنِ» یعنی قطامه فی انقضاء عامین. و قیل: نزلت فی سعد بن أبی وقاص حلفت أمّه لا تأکل طعاماً حتی تموت أو یرجع سعد ابنها فلما رأته بعد ثلاث لا یرجع عن الإسلام أکلت. ثم قال «أَنِ اشْکُرْ لِی وَ لِوالِدَیْکَ» أی وصیناه بأن اشکر لی علی نعمی، و اشکر والدیک أیضاً علی ما أنعما علیک. ثم قال «إلی المصیر» فیه تهدید أی إلیّ مرجعکم، فاجازیکم أیها الناس علی حسب عملکم.
ثم قال «إِنْ جاهَداکَ» یعنی الوالدین أیها الإنسان «عَلی أَنْ تُشْرِکَ بِی» معبوداً آخر «فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِی الدُّنْیا مَعْرُوفاً» أی احسن الیهما فی الدنیا و ارفق بهما. ثم قال «وَ اتَّبِعْ سَبِیلَ مَنْ أَنابَ إِلَیَّ» أی رجع الی طاعتی من النبی و المؤمنین «ثُمَّ إِلَیَّ مَرْجِعُکُمْ» أی منقلبکم «فَأُنَبِّئُکُمْ» أی أخبرکم «بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فی دار الدنیا من الاعمال. و اجازیکم علیها بحسبه، و قرأ ابن کثیر، إلا ابن فلیح «یا بُنَیَّ لا تُشْرِکْ بِاللَّهِ» بسکون الیاء الباقون بتشدیدها و کسرها، إلا حفصاً فانه فتحها علی أصله

---

(1) هو زهیر بن أبی سلمی. دیوانه (دار بیروت) 51 و روایته (فلن) بدل (فان).

«يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ» بفتح الياء، و ابن كثير إلا قنبلًا و حفص، الباقون بكسر الياء فوجه الكسون أنه أجرى الوصل كالوقف، و وجه الفتح على الاضافة و حذف ما قبلها لاجتماع ثلاث يا آت .. و الكسر على الاجتزاء بها من ياء الاضافة، و عندنا أن الرضاع بعد الحولين يحرم لقوله «وَ فِصالُهُ فِی عامَیْنِ» و لقوله عليه السلام لا رضاع بعد الحولين.

يا بُنَىَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّماواتِ أَوْ فِى الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) يا بُنَىَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) وَ لا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ (18) وَ اقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19) أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدىً وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ (20)

خمس آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 278

قرأ ابن كثير و عاصم و ابن عامر «و لا تصعر» بغير ألف فى التصعير.

الباقون «تصاعر» بألف. و قرأ اهل المدينة «مثقال حبة» رفعاً. الباقون نصباً من رفعه جعل (كان) بمعنى حدث، و وقع، و لم يجعل لها خبراً. و من نصب فعلى أنه خبر (كان) و الاسم مضمر فيها أى إن تك الحبة مثقال. و قرأ نافع و أبو جعفر و ابن كثير و ابو عمرو و حفص عن عاصم «نعمه» على لفظ الجمع.

الباقون «نعمة» على التوحيد.

يقول اللّه تعالى مخبراً عن لقمان و وصيته لابنه، و أنه قال «يا بُنَىَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ» من خير أو شر (فتكن) عطف على الشرط فلذلك جزمه. و تقديره: إن تلك الحبة لو كانت فى جوف صخرة، و هى الحجر العظيم او تكون فى السموات او الأرض «يَأْتِ بِهَا اللَّهُ» و يحاسب عليها و يجازى لأنه لا يخفى عليه شىء منها، و لا يتعذر عليه الإتيان بها أى موضع كانت، لأنه قادر لنفسه لا يعجزه شىء عالم لنفسه لا تخفى عليه خافية.

و قوله «يَأْتِ بِهَا اللَّهُ» معناه إنه يجازى بها و يواقف عليها فكأنه أتى بها و إن كانت أفعال العباد لا يصح إعادتها، و لو صح إعادتها لما كانت مقدورة للّه.

و إنما أراد ما قلناه، و فى ذلك غاية التهديد و الحث على الأخذ بالحزم. و الهاء فى قوله «انها» قيل: انها عماد و هو الضمير على شريطة التفسير. و قيل:

(إِنَّها) كناية عن الخطيئة او الفعلة التى تقتضى الجزاء، و هى المضمرة فى تلَك و انما أنث مثقال، لأنه مضاف الى مؤنث و هى الحبة، كما قيل: ذهبت بعض أصابعه. و كما قيل:

[و تشرق بالقول الذى قد أذعته] كما شرقت صدر القناة من الدم «1»

(1) قائله الأعشى، ديوانه 183، و اللسان (شرق).

و الصخرة و إن كانت فى الأرض أو فى السماء، فذكر السموات و الأرض بعدها مبالغة كقوله «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ» «1» و قد قال بعض المفسرين: ان الصخرة خارجة عن السموات و الأرض، و هو ايضاً جائز. و قرأ قتادة «فتكن فى صخرة» بكسر الكاف مخففاً من (و كن يكن) أى جعل الصخرة كالوكنة. و هو عش الطائر. ذكره ابن خالويه. و حكاه عن ابن مجاهد سماعاً، و استحسنه.
و قوله «إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» قال قتادة: معناه- هاهنا- لطيف باستخراجها، خبير بمستقرها. و اللطيف القادر الذى لا يحفو عن عمل شىء، لأن من القادرين من يحفو عن عمل أشياء كثيرة كإخراج الجزء الذى لا يتجزأ و تأليفه الى مثله، فهو فان كان قادراً عليه، فهو ممتنع منه، لأنه يحفو عن عمل مثله. و الخبير العالم و فيه مبالغة فى الصفة، مشتق من الخبر. و لم يزل اللّه خبيراً عالماً بوجوه ما يصح أن يخبر به، و المثقال مقدار يساوى غيره فى الوزن، فمقدار الحبة مقدار حبة فى الوزن. و قد صار بالعرف عبارة عن وزن الدينار، فإذا قيل:
مثقال كافور او عنبر، فمعناه مقدار الدينار بالوزن.
ثم حكى ما قاله لقمان لابنه ايضاً قال له «يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ» أى دم عليها و أقم حدودها و شرائطها «وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ» و المعروف هو الطاعات «وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ» و هى القبائح سواء كانت قبائح عقلية او شرعية «وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَکَ» من الناس فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من المشقة و الأذى و فى ذلک دلالة على وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و إن كان فيه

(1) سورة 96 العلق آية 2.

بعض المشقة. ثم قال «إِنَّ ذلِکَ» أى ما ذكره من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر «مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» من العقد الصحيح على فعل الحسن بدلا من القبيح، و العزم العقد على الأمر لتوطين النفس على فعله، و هى الارادة المتقدمة للفعل بأكثر من وقت، لان التلون فى الرأى يناقض العزم. قال اللّه تعالى «فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» «1».
ثم حكى ما قال لقمان لابنه، فانه قال له ايضاً، «وَ لا تُصَعِّرْ خَدَّکَ لِلنَّاسِ» و معناه لا تعرض بوجهک عن الناس تكبراً- ذكره ابن عباس- و اصل الصعر داء يأخذ الإبل فى أعناقها أو رءوسها حتى يلفت أعناقها فتشبه به الرجل المتكبر على الناس. و قال عمر بن جنى الثعلبى و اضافه المبرد الى

الفرزدق:
و كنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من مثله فتقوما «2»
قال ابو على الفارسى: يجوز أن يكون تصعر و تصاعر بمعنى، كقولهم ضعف و ضاعف، قال ابو الحسن (لا تصاعر) لغة اهل الحجاز و (لا تصعر) لغة بنى تميم. و المعنى و لا تتكبر، و لا تعرض عنهم تكبراً «وَ لا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحاً» أى مشى مختال متكبر «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ» فالاختيال مشية البطر، قال مجاهد: المختال المتكبر، و الفخر ذكر المناقب للتطاول بها على السامع، يقال: فخر يفخر فخراً و فاخره مفاخرة و فخاراً، و تفاخرا تفاخراً و افتخر افتخاراً.
ثم قال له «وَ اقْصِدْ فِى مَشْيِكَ» أى اجعل مشيك مشى قصد، لا تمشى مشى مختال و لا متكبر «وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ» أى لا ترفع صوتك متطاولًا لأنه مذموم «إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» قال الفراء: معناه إن أشد

---

(1) سورة 46 الأحقاف آية 35.
(2) مجاز القرآن 2/ 172.

الأصوات. و قال غيره: معناه أقبح الأصوات- فى قول مجاهد- كما يقال: هذا وجه منكر. ثم نبههم على وجوه نعم اللَّه على خلقه. فقال «أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ» أى ذلله لكم تتصرفون فيه بحسب ما تريدون من أنواع الحالات من الثمار و البهائم، و غير ذلك «وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ» ظاهرة أى وسع عليكم نعمه، و السابغ الواسع الذى يفضل عن مقدار القوت. و قوله «ظاهِرَةً وَ باطِنَةً» أى من نعمه ما هو ظاهر لكم لا يمكنكم جحده: من خلقكم، و احيائكم و أقداركم، و خلق الشهوة فيكم و ضروب نعمه، و منها ما هو باطن مستور لا يعرفها إلا من أمعن النظر فيها و قيل: النعم الباطنة مصالح الدين و الدنيا، مما لا يشعرون به. و قيل: سخر لكم ما فى السموات من شمس و قمر و نجم و سحاب، و ما فى الأرض من دابة و شجر و ثمار، و غير ذلك مما تنتفعون به فى اقواتكم و مصالحكم.
ثم قال تعالى (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) اى يخاصم و لا علم له بما يقوله، و يجادل فيه (و لا هدى) أى و لا حجة على صحة ما يقوله (وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ) أى، و لا كتاب من عند اللَّه منير أى ظاهر عليه نور و هدى.

وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ (21) وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى وَ إِلَى اللَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ (22) وَ مَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (23) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلى عَذابٍ غَلِيظٍ (24) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (25)

خمس آيات بلا خلاف.

حكى اللّه سبحانه عن الكفار و سوء اختيارهم أنه (إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ) من القرآن و الأحكام و اعملوا بموجبه و اقتدوا به (قالوا) فى الجواب عن ذلک (بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا) من عبادة الأصنام، و لا نتبع ذلک، فقال اللّه تعالى منكراً عليهم (أَ وَ لَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ) و معناه إنكم تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم، و لو كان ذلک يدعوكم الى عذاب جهنم!. و ادخل على واو العطف ألف الاستفهام على وجه الإنكار.

ثم قال (وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ) أى يوجه طاعته الى الله و يقصد وجهه بها دون الرياء و السمعة (وَ هُوَ مُحْسِنٌ) اى لا يخلط طاعاته بالمعاصى (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى) أى من فعل ما وصفه فقد تعلق بالعروة الوثيقة التى لا يخشى انتقاضها، و التوثق امتناع سبب الانتقاض، لأن البناء الموثق قد جعل على امتناع سبب الانتقاض، و ما ليس بموثق على سبب الانتقاض.

ثم قال (وَ إِلَى اللَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ) أى اليه ترجع أواخر الأمور على وجه

لا يكون لأحد التصرف فيها، و لا الأمر و النهى.

ثم قال لنبيه (وَ مَنْ كَفَرَ) يا محمد من هؤلاء الناس (فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ) اى لا يغمک ذلک (إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا) اى نعلمهم بأعمالهم و نجازيهم على معاصيهم بالعقاب، (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ) أى بما تضمره الصدور، لا يخفى عليه شىء منها. ثم قال (نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا) اى نتركهم يتمتعون فى هذه الدنيا مدة قليلة (ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ) أى نصيرهم مكرهين (إِلى عَذابٍ غَلِيظٍ) يغلظ عليهم و يصعب و هو عذاب النار. ثم قال (وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ) يعنى هؤلاء الذين كفروا بآيات الله (مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ)؟ ليقولن فى جواب ذلک: الله خلق ذلک، لأنهم لا يمكنهم أن يقولوا خلق ذلک الأصنام و الأوثان، لأنهم يقرون بالنشأة الأولى، و لأنهم لو قالوا ذلک لعلم

ضرورة بطلان قولهم، فقل عند ذلک یا محمد (اَلْحَمْدُ لِلّهِ) علی هدایته و توفیقه لنا بالمعرفة له (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) انکم وفقکم الله لمعرفته.

لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِیُّ الْحَمِیدُ (26) وَ لَوْ أَنَّ ما فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ کَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (27) ما خَلْقُکُمْ وَ لا بَعْثُکُمْ إِلاَّ کَنَفْسٍ واحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ (28) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ یُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهارِ وَ یُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّیْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی وَ أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ (29) ذلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ ما یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِیُّ الْکَبِیرُ (30)

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو و یعقوب و ابن شاهی (و البحر یمده) نصباً. الباقون رفعاً. من نصبه عطفه علی (ما) فی قوله (أن ما) لأن موضعها نصب ب (أن) لأن الکلام لم یتم عند قوله (أقلام) فأشبه المعطوف قبل الخبر. قال ابن خالویه:

و هذا من حذق أبی عمرو، وجودة تمییزه. و إنما لم یتم الکلام مع الإتیان بالخبر لأن (لو) یحتاج الی جواب. و من رفع استأنف الکلام.

اخبر اللّه تعالی أن له جمیع ما فی السموات و الأرض ملک له یتصرف فیه بحسب إرادته لا یجوز لأحد الاعتراض علیه. ثم اخبر انه تعالی (هُوَ الْغَنِیُّ) الذی لا یحتاج الی شیء من جمیع المخلوقات کما یحتاج غیره من الأحیاء المخلوقین و أنه (الحمید) مع ذلک، یعنی المستحق للحمد العظیم، و نقیضه الدمیم و یقال (محمود) بمعنی حمید. و معناه أنه اهل الحمد.

ثم قال تعالی (وَ لَوْ أَنَّ ما فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) و فیه حذف، لأن المعنی یکتب به کلام الله (ما نَفِدَتْ کَلِماتُ اللَّهِ) و الآیة تقتضی انه لیس لکلمات الله نهایة بالحکم، لأنه یقدر منها علی ما لا نهایة له. و قال قوم: المعنی ان وجه الحکمة و عجیب الصنعة و إتقانها لا ینفد، و لیس المراد به الکلام. و قال ابو عبیدة: المراد بالبحر- هاهنا- العذب، لأن المالح لا ینبت الاقلام. و قال ابن عباس: نزلت الآیة جواباً

للیهود، لما قالوا قد أوتینا التوراة، و فیها کل الحکمة، فبین الله تعالی أن ما یقدر علیه من الکلمات لا حصر له و لا نهایة. و الشجر جمع شجرة مثل تمرة و تمر، و هو کل نبات یقوم علی ساق و یورق الاغصان. و منه اشتقت المشاجرة بین الناس فی الأمر. و منه قوله (فِیما شَجَرَ بَیْنَهُمْ) و شجر تشجیراً و تشاجروا تشاجراً، و مد البحر إذا جری غیره الیه حالا بعد حال. و منه المد و الجزر.

و مد النهر و مده نهر آخر يمده مداَ. و قال الفراء: يقولون: أمددتک الفاَ فمددت.
(إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) معناه عزيز فى انتقامه من أعدائه (حكيم) فى أفعاله. ثم قال (ما خلقكم) معشر الخلق (وَ لا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ) أى إلا كبعث نفس واحدة أى لا يشق عليه ابتداء جميع الخلق و لا إعادتهم بعد إفنائهم، و أن جميع ذلک من سعة قدرة اللّه كالنفس الواحدة، إذ المراد أن خلقها لا يشق عليه.
و قوله (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) أى يسمع ما يقول القائلون فى ذلک (بصير) بما يضمرونه فى قوله «ما خَلْقُكُمْ وَ لا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ» و فى ذلک تهديد على المخالفة فيه. ثم قال «أ لم تر» يا محمد، و المراد به جميع المكلفين «أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ» قال قتادة: معناه ينقص من الليل فى النهار، و من النهار فى الليل. و قال غيره: معناه إن كل واحد منهما يتعقب الآخر (وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى) لأنهما يجريان على وتيرة واحدة لا يختلفان بحسب ما سخرهما له، كل ذلک يجرى (إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى) قدره اللّه ان يفنيه فيه. و قال الحسن: الأجل المسمى القيامة (وَ أَنَّ اللَّهَ) عطف على (أ لم تر) فلذلک نصبه، و تقديره: و تعلم (أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) من التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 286
قرأ بالياء- و هو عياش عن أبى عمرو- أراد الاخبار. و من قرأ بالتاء حمله على الخطاب. و هو الأظهر. و المعنى (أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ) معشر المكلفين (خبير) أى عالم، فيجازيكم بحسب ذلک ليطابق قوله (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ) ثم قال (ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) الذى يجب توجيه العبادة اليه (وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ). و من قرأ بالياء فعلى الاخبار عنهم.
و من قرأ بالتاء على وجه الخطاب.
يقول الله تعالى: أ لم تعلم ان ما يدعون هؤلاء الكفار من الأصنام هو الباطل. و من قرأ بالياء فعلى: قل لهم يا محمد (وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِىُّ الْكَبِيرُ) فالعلى هو الذى علا على الأشياء و اقتدر عليها، و الكبير معناه العظيم فى صفاته لا يستحق صفاته غيره تعالى. و ذكر ابو عبيدة- فى كتاب المجاز- ان البحر المذكور فى الآية البحر العذب، لأن المالح لا ينبت الأقلام.

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِیُرِیَکُمْ مِنْ آیاتِهِ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِکُلِّ صَبَّارٍ شَکُورٍ (31) وَ إِذا غَشِیَهُمْ مَوْجٌ کَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَی الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ ما یَجْحَدُ بِآیاتِنا إِلاَّ کُلُّ خَتَّارٍ کَفُورٍ (32) یا أَیُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّکُمْ وَ اخْشَوْا یَوْماً لا یَجْزِی والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَیْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّکُمُ الْحَیاةُ الدُّنْیا وَ لا یَغُرَّنَّکُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (33) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ یُنَزِّلُ الْغَیْثَ وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ ما ذا تَکْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِیمٌ خَبِیرٌ (34)

خمس آیات بصری و شامی و اربع فیما عداهما عدوا (مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ) و لم یعده الباقون.

یقول الله تعالی مخاطباً لنبیه صلی اللَّه علیه و آله و المراد به جمیع المکلفین منبهاً لهم علی جهات نعمه التی أنعم بها علیهم و ما یدلهم علی انه یستحق العبادة خالصاً، فقال (ا لم تر) و معناه ا لم تعلم (ان الفلک) و هی السفن تجری فی البحر بنعمة الله علیکم (لِیُرِیَکُمْ مِنْ آیاتِهِ) ای لیریکم بعض أدلته الدالة علی وحدانیته، و وجه الدلالة فی ذلک ان الله تعالی یجری الفلک بالریاح التی یرسلها فی الوجوه التی تریدون المسیر فیها، و لو اجتمع جمیع الخلق لیجروا الفلک فی بعض الجهات مخالفاً لجهة الریاح لما قدروا علی ذلک. و فی ذلک أعظم دلالة علی ان المجری لها بالریاح هو القادر الذی لا یعجزه شیء، و ذلک بعض الأدلة التی تدل علی وحدانیته، فلذلک قال (من آیاته) ثم قال (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ) یعنی فی تسخیر الفلک و إجرائها فی البحر علی ما بیناه لدلالات (لکل صبار) یعنی الصبار علی مشاق التکلیف. و علی الم المصائب، و أذی الکفار (شکور) لنعم الله علیهم و أضاف الآیات الیهم لما کانوا هم المنتفعین بها، و انما ذکر (لِکُلِّ صَبَّارٍ شَکُورٍ) لأن الصبر علیه بأمر الله، و الشکر لنعم الله من أفضل التبیان فی

ما فی المؤمن. و قال الشعبی: الصبر نصف الایمان، و الشکر نصف الایمان فکأنه قال: لکل مؤمن.

ثم قال تعالی (وَ إِذا غَشِیَهُمْ مَوْجٌ) یعنی إذا غشی اصحاب السفن الراکبی البحر موج، و هو هیجان البحر (کالظلل) ای الماء فی ارتفاعه و تغطیته ما تحته کالظلل، قال النابغة الجعدی: یصف البحر:

یغاشیهن اخضر ذو ظلال علی حافاته فلق الدنان «1»

شبه الموج لأنه یجیء منه شیء بعد شیء بالسحاب الذی یرکب بعضه فوق

بعض، و يكون اسوداً بما فيه من الماء «دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» أى طاعة العبادة، فالاخلاص إفراد المعنى من كل شائب كان من غيره، أى يخلصون الدعاء فى هذه الحال للّه تعالى دون الأصنام و جميع ما يعبدونه من دون اللّه «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ» أى خلصهم الى البر و سلمهم من هول البحر «فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ» قال قتادة: يعنى منهم مقتصد فى قوله مضمر لكفره. و قال الحسن: المقتصد المؤمن.
و قيل: مقتصد على طريقة مستقيمة «وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ» فالختار الغدار بعهده أقبح الغدر، و هو صاحب ختل و ختر أى غدر قال عمرو ابن معدى كرب:
فإنک لو رأيت أبا عمير ملأت يديک من غدر و ختر «2»
و قال الحسن و مجاهد و قتادة و الضحاک و ابن زيد: الختار الغدار، ثم خاطب تعالى جميع المكلفين من الناس فقال «يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ» أمرهم باجتناب معاصيه خوفاً من عقابه «وَ اخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِى والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ...»

(1، 2) مجاز القرآن 2/ 129.

يعنى يوم القيامة الذى لا يغنى فيه أحد من احد، لا والد عن ولده و لا ولد عن والده، يقال: جزيت عنک أجزى إذا أغنيت عنک. و فيه لغة أخرى: أجزأ يجزئ من أجزأت بالهمزة. ثم قال «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» اى الذى وعدته من الثواب و العقاب حق لا خلف فيه «فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ» قال مجاهد و قتادة و الضحاک: الغرور الشيطان. و قال سعيد بن جبير: هو يمنيک المغفرة فى عمل المعصية. قال ابو عبيدة: الغرور كل شىء غرک حتى تعصى اللّه، و تترک ما أمرک به اللّه، شيطاناً كان أو غيره، فهو غرور. و هو أحسن، لأنه أعم. ثم قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» يعنى وقت قيام القيامة يعلمه تعالى لا يعلمه سواه «وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ» أى و هو الذى يعلم وقت نزول الغيث بعينه و هو الذى «يَعْلَمُ ما فِى الْأَرْحامِ» من ذكر او أنثى «وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» يقال: بأى ارض و بأية ارض. من قال: بأى، فلأن تأنيث الأرض بالصيغة لا باللفظ. و من قال: بأية ارض فلان الأرض مؤنثة. و المعنى انه لا يعلم موت الإنسان فى أى موضع من البلاد يكون سواه. و
قد روى عن النبى صلى اللّه عليه و آله إن هذه الخمسة أشياء مما لا يعلمها غيره تعالى على التفصيل و التحقيق «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» بتفصيل ذلک «خَبِيرٌ» به لا يخفى عليه شىء من ذلک.
و سأل البلخى نفسه، فقال: إذا قلتم: إن من اعتقد الشىء على ما هو به تقليداً أو تخميناً أو تنجيماً يكون عالماً، فلو أن إنساناً أعتقد ان امرأة تلد

ذكراً أو رجلا يموت فى بلد بعينه او يكسب فى الغد كذا، فوافق ذلک اعتقداده، فيجب التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 290
ان يكون عالماً، و يبطل الاختصاص فى الآية؟! و أجاب: إن ذلک و إن كان جائزاً، فانه لا يقع لظاهر الآية. و هذا غير صحيح، لان من المعلوم ضرورة أن الإنسان يخبر شيئاً فيعتقده، فيكون على ما اعتقده من هذه الأشياء الخمسة، و انما لا يكون علماً، لأنه لا تسكن نفسه الى ذلک، فأما المنع من وقوعه فمعلوم خلافه.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 291

32-سورة السجدة ..... ص : 291

اشارة

مكية فى قول قتادة و مجاهد و غيرهما. و قال الكلبى و مقاتل: ثلاث آيات منها مدنية قوله «أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً» الى تمام ثلاث آيات. و هى ثلاثون آية كوفى و حجازى و شامى. و تسع و عشرون آية بصرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الم (1) تَنْزِيلُ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (2) أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (3) اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا شَفِيعٍ أَ فَلا تَتَذَكَّرُونَ (4)
يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (5)
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 292
خمس آيات كوفى و أربع فيما عداه عدوا «ألم» آية و لم يعدها الباقون.
روى عن النبى صلى اللّه عليه و آله أنه كان يقرأ فى كل ليلة سورة السجدة «الم تَنْزِيلُ» و «تَبارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ».
و «تنزيل» رفع على انه خبر ابتداء محذوف، و تقديره «الم» هو تنزيل.
و يجوز أن يكون (تنزيل) رفعاً بالابتداء، و خبره «لا رَيْبَ فِيهِ» ذكره الزجاج.
و قد تكرر القول بأن أوائل أمثال هذه السور أقوى الأقوال فيها انها أسماء للسورة، و رجحناه على غيره من الأقوال. و التلفظ بحروف الهجاء ينبغى ان يكون على الوقف، لأنها مبنية على السكون من حيث كانت حكاية للأصوات.
و قوله «تَنْزِيلُ الْكِتابِ» أى هذه الآيات هى تنزيل الكتاب الذى وعدتم به «لا رَيْبَ فِيهِ» أى لا شك فيه أنه وحى من اللّه. و المعنى أنه لا ريب فيه عند المهتدين، و إن كان ارتاب به خلق من المبطلين. و هو مثل قول القائل: لا ريب فى هذا انه ذهب أى عند من رآه و اعتبره. و قيل: معنى «لا رَيْبَ فِيهِ» خبر و المراد به النهى، و المعنى لا ترتابوا به، و الريب الشك.
و قيل: هو أقبح الشك. و وجوه الحكم فى الكتاب البيان عن كل ما تدعو الحكمة الى تميز الحق فيه من الباطل بالبرهان عليه مما يحتاج اليه فى الدين الذى يرضى به رب العالمين، و هو على وجهين: حجة، و موعظة، و اعتماد الحجة على تبين ما يؤدى الى العلم بصحة الأمر، و اعتماد الموعظة على الترغيب و الترهيب، و فى الموعظة من جهة التحذير بما تضمنه أى يقرب ما فى السورة المسمى به من الحكم، و فيه حجة على العبد من جهة انه قد دل به على ما يجب أن يعتقد تعظيمه و يعمل به.
و قوله «مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ» أى هو تنزيل من عند اللّه الذى خلق الخلائق.
و قوله «أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ» فهذه (أم) منقطعة، و معناها (بل) و تقديره:
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 293
بل يقولون افتراه، ففيها معنى (بل) و الألف إذا كانت معادلة فمعناها (او) مع الاستفهام، و (افتراه) معناه افتعله، بل قال تعالى ليس الأمر على ما

قالوه «بَلْ هُوَ الْحَقُّ» من عند اللّه و الحق هو كل شىء كان معتقده على ما هو به مما يدعو العقل اليه و استحقاق المدح عليه. و تعظيمه الكتاب حق، لأن من اعتقد أنه من عند اللّه كان معتقده على ما هو به. و الباطل نقيض الحق، و هو ما كان معتقده لا على ما هو به.
و قوله «بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» فيه دلالة على بطلان مذهب المجبرة لان اللّه تعالى أنزله ليهتدى به الخلق لا ليضلوا به عن الدين، و المجبرة تزعم انه أراد ضلال الكفار عن الدين فيجب كونه منزلا ليضل الكفار عن الدين.
و قوله «لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ» لا ينافى قوله «وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ» «1» لان الحسن، قال: المعنى و إن من أمة أهلكت بالعذاب إلا من بعد أن جاءهم نذير ينذرهم بما حل بهم. و هذا خطاب للنبى صلى اللّه عليه و آله يقول اللّه تعالى له «لتنذر» أى لتخوف يا محمد «قوماً» لم يأتهم مخوف قبلك، يعنى أهل الفترة من العرب، فكانوا كأنهم فى غفلة عما لزمهم من حق نعم اللّه و ما خلقهم له من العبادة. و قد كان إسماعيل عليه السلام نذيراً لمن أرسل اليه.
ثم قال «اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» أى اخترعهما و انشأهما و خلق «ما بَيْنَهُما فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ» أى فى ما قدره ستة أيام، لأنه قبل خلق الشمس لم يكن ليل و لا نهار. و قوله «ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ» أى استوى عليه بالقهر و الاستعلاء، و قد فسرناه فى ما مضى «2» و دخلت «ثم» على (اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ)

---

(1) سورة 35 فاطر آية 24.
(2) انظر 4/ 452.

و إن كان مستعلياً على الأشياء قبلها، كما دخلت حتى فى قوله «وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ» «1» و تقديره ثم صح معنى استوى على العرش باحداثه، و كذلك حتى يصح معنى «نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ» أى معنى وصفهم بهذا و ذلك لا يكون إلا بعد وجود الجهاد من جهتهم.
و قوله «ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا شَفِيعٍ» نفى منه تعالى أن يكون للخلق ناصر ينصرهم من دون اللّه أو شفيع يشفع لهم، كما كانوا يقولون: نعبدهم ليقربونا الى اللّه زلفى.
ثم قال «أَ فَلا تَتَذَكَّرُونَ» فى ما قلناه و تعتبرون به، فتعلموا صحة ما بيناه لكم. و قوله «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ» معناه ان الذى خلق السموات و الأرض و ما بينهما فى هذه المدة يدبّر الأمور كلها، و يقدرها على حسب إرادته فى ما بين السماء و الأرض، و ينزله مع الملك الى الأرض «ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ» يعنى الملك يصعد الى المكان الذى أمره اللّه تعالى أن يعرج اليه، كما قال ابراهيم:

«إِنِّی ذاهِبٌ إِلی رَبِّی» «2» أی ارض الشام التی أمرنی ربی. و لم یکن اللّه بأرض الشام، و مثله قوله تعالی «وَ مَنْ یَخْرُجْ مِنْ بَیْتِهِ مُهاجِراً إِلَی اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» «3» یرید الی المدینة. و لم یکن اللّه فی المدینة. و قوله «فِی یَوْمٍ کانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» قال ابن عباس، و الضحاک: معناه یوم کان مقداره لو ساره غیر الملک ألف سنة مما یعده البشر. و قیل: معناه خمس مائة عام نزول و خمس مائة عام صعود، فذلک ألف سنة. و قال قوم: یجوز ان یکون یوم القیامة یوماً له أول و لیس له آخر. وقته اوقاتاً یسمی بعضها الف سنة و بعضها خمسین الف

---

(1) سورة 47 محمد آیة 31.
(2) سورة 37 الصافات آیة 99.
(3) سورة 4 النساء آیة 99.

سنة. و قیل: ان معنی «وَ إِنَّ یَوْماً عِنْدَ رَبِّکَ کَأَلْفِ سَنَةٍ» انه فعل فی یوم واحد من الأیام الستة التی خلق فیها السموات و الأرض ما لو کان یجوز أن یفعله غیره لما فعله إلا فی الف سنة. و قیل: ان معناه إن کل یوم من الأیام الستة التی خلق فیها السموات کألف سنة من أیام الدنیا.

ذلِكَ عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (6) الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ (9) وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِى الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ (10)

خمس آيات عراقى لم يعدوا «جديد» آية. و ست فى ما عداه، لأنهم عدوا «جديد» آية.

قرأ ابن كثير، و ابو عمرو، و ابن عامر «احسن كل شىء خلقه» بإسكان اللام. الباقون بفتحها. من سكن اللام فعلى تقدير: الذى أحسن خلق كل شىء اى جعلهم يحسنونه و المعنى انه ألهمهم جميع ما يحتاجون اليه. قال الزجاج: و يجوز ان يكون على البدل، و المعنى: احسن كل شىء. و يجوز أن يكون على المصدر و تقديره الذى خلق كل شىء خلقه. و من فتح اللام جعله فعلا ماضياً، و معناه التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 296

احسن اللَّه كل شىء خلقه على إرادته و مشيئته، و أحسن الإنسان و خلقه فى احسن صورة. و قيل: معناه إن وجه الحكمة قائم فى جميع أفعاله، و وجوه القبح منتفية منها، و وجه الدلالة قائم فيها على صانعها، و كونه عالماً. و الضمير فى قوله «خلقه» كناية عن اسم اللَّه.

لما اخبر اللَّه تعالى انه الذى خلق السموات و الأرض و ما بينهما فى ستة أيام و استولى على العرش، و انه الذى يدبر الأمور ما بين السموات و الأرض بين- هاهنا- ان الذى يفعل ذلک و يقدر عليه هو «عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» أى يعلم السر و العلانية «العزيز» فى انتقامه من أعدائه «الرحيم» بعباده، المنعم عليهم، و (الغيب) خفاء الشىء عن الإدراک. و الشهادة ظهوره للإدراک فكأنه قال: يعلم ما يصح أن يشاهد، و ما لا يصح أن يشاهد فيدخل فى ذلک المعدوم و الحياة و الموت و القدرة و جميع ما لا يصح عليه الرؤية. و العزيز: هو القادر على منع غيره و لا يقدر الغير على منعه، و أصله المنع من قولهم: من عز بزّ، من غلب سلب، لأن من غلب أسيره فمنعه أخذ سلبه.

ثم قال الذى أحسن كل شىء خلقه، و معنى ذلک فى جميع ما خلقه اللَّه تعالى و أوجده فيه وجه من وجوه الحكمة، و ليس فيه وجه من وجوه القبح. و ذلک يدل على ان الكفر و الضلال و سائر القبائح ليست من خلقه. و لفظة (كل) و إن كانت شاملة للأشياء كلها، فالمراد به الخصوص- هاهنا- لأنه أراد ما خلقه اللَّه تعالى من مقدوراته دون مقدور غيره، و نصب قوله «خلقه» بالبدل من قوله «كل شىء» كما قال الشاعر:

و ظعنى اليک الليل حضنيه اننى لتلک إذا هاب الهداى فعول «1»

---

(1) مجاز القرآن 2/ 130.

و تقديره و ظعنى حضنى الليل اليک. و قال الآخر:

كأن هنداً ثناياها و بهجتها يوم التقينا على أدحال دباب «1»

و المعنى كأن ثنايا هند و بهجة هند. و قوله «وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ» أى ابتدأ خلق الإنسان من طين، يريد انه خلق آدم الذى هو أول الخلق من طين، لأن اللّه تعالى خلق آدم من تراب، فقلبه طيناً، ثم قلب الطين حيواناً، و كذلک قال «إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» «2» و قال- هاهنا- و «وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ» و كل ذلک لما فى التصريفين دليل و قوله «ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ» يعنى نسل الإنسان الذى هو آدم و ولده من سلالة، و هى الصفوة التى تنسل من غيرها خارجة، قال الشاعر:

فجاءت به عضب الأديم غضنفراً سلالة فرج كان غير حصين «3»

«مِنْ ماءٍ مَهِينٍ» قال قتادة: المهين الضعيف. و هو (فعيل) من المهنة.

و قوله «ثُمَّ سَوَّاهُ» أى عدله و رتب جوارحه «وَ نَفَخَ فِيهِ» يعنى فى ذلک المخلوق (من روحه) فأضافه الى نفسه اضافة اختصاص و إضافة ملک على وجه التشريف. ثم قال «وَ جَعَلَ لَكُمُ» معاشر الخلق «السمع» لتسمعوا به الأصوات «و الأبصار» لتبصروا بها المرئيات «و الافئدة» أى و خلق لكم القلوب لتعقلوا بها (قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ) أى تشكرون نعم اللّه قليلا من كثير و (ما) زائدة، و يجوز ان تكون مصدرية، و التقدير قليلا شكركم، لأن نعم

---

(1) مجاز القرآن 2/ 130. [.....]

(2) سورة 3 آل عمران آية 59.

(3) مر تخريجه فى 7/ 353.

اللّه لا تحصى. ثم حكى عن الكفار فقال (وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِى الْأَرْضِ) و فيه لغتان فتح اللام و كسرها، و كل شىء غلب عليه غيره حتى يغيب فيه، فقد ضل فيه، قال الأخطل:

كنت القذى فى موج اكدر مزيد قذف الأتى به فضل ضلالا «1»

و قال مجاهد و قتادة: معنى (ضللنا) هلكنا. و قال ابو عبيدة: همدنا فلم يوجد لهم دم و لا لحم (أَ إِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) حكاية عن تعجبهم و قولهم كيف تخلق خلقاً جديداً، و قد هلكنا و تمزقت أجسامنا. ثم قال (بل) هؤلاء الكفار (بِلِقاءِ رَبِّهِمْ) بالعذاب و العقاب (كافرون) أى جاحدون، فلذلک قالوا: أ إذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد، جعل (إذا) منصوبة ب (ضللنا) و

تكون فى معنى الشرط، و لا توصل إلا بذكر الفاء بعدها، لأن (إذا) قد وليها الفعل الماضى و لا يجوز أن تنصب (إذا) بما بعدها إذ لا خلاف بين النحويين فيه. و قرأ الحسن (صللنا) بالصاد غير منقوطة. و معناه احد شيئين: أحدهما- انتنا و تغيرنا و تغيرت صورنا، يقال صل اللحم، و أصل إذا أنتن، و الثانى- صللنا صرنا من جنس الصلة و هى الأرض اليابسة.

قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11) وَ لَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ (12) وَ لَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها وَ لكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (13) فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا إِنَّا نَسِيناكُمْ وَ ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (14) إِنَّما يُؤْمِنُ بِآياتِنَا الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِها خَرُّوا سُجَّداً وَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ هُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (15)

---

(1) مر فى 1/ 404.

خمس آيات بلا خلاف أمر اللَّه نبيه صلى اللَّه عليه و آله أن يخاطب المكلفين بأن يقول لهم «يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ» أى يقبض أرواحكم، قال قتادة يتوفاكم و معه أعوان من الملائكة، و التوفى أخذ الشىء على تمام، قال الراجز:

ان بنى أدرد ليسوا من أحد و لا توفاهم قريش فى العدد «1»

و منه قوله «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها» «2» و يقال: استوفى الدين إذا قبضه على كماله، فملك الموت يتوفى الإنسان بأخذ روحه على تمام فيعرج بها الى حيث أمره اللَّه تعالى. و قوله «يتوفاكم» يقتضى أن روح الإنسان هى الإنسان فالاضافة فيها وقعت كما وقعت فى نفس الإنسان، و الملك مشتق من الألوكة و هى الرسالة كما قال الهذلى.

الكنى اليها و خير الرسو ل أعلمهم بنواحى الخبر «3»

و قوله «الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ» صفة للملك الذى يتوفى الأنفس، و أن اللَّه

---

(1) مر فى 3/ 304 و 4/ 169.

(2) سورة 39 الزمر آية 42.

(3) مر فى 8/ 11.

قد وكله بمعنى فوض اليه قبض الأرواح. و التوكيل تفويض الأمر الى غيره للقيام به، و كله توكيلًا، و توكل عليه توكلًا، و وكله يوكله وكالة.

و قوله «ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» معناه إنكم الى جزاء اللَّه من الثواب و العقاب تردون، و انما جعل الرجوع الى الجزاء رجوعاً اليه تفخيماً للأمر.

و قيل: معناه تردون الى ان لا يملك لكم أحد ضراً و لا نفعاً إلا اللَّه تعالى. و فيه تعظيم لهذه الحال. و اقتضى الوعيد. ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله

«وَ لَوْ تَرى» يا محمد «إِذِ الْمُجْرِمُونَ» فجواب (لو) محذوف و تقديره: و لو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم إذا بعثوا، من الندم على تفريطهم فى الايمان لرأيتم ما تعتبرون به. و الخطاب للنبى صلى اللّه عليه و آله و المراد به الأمة «ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ» من الغم. و قيل:
من الحياء و الخزى مما ارتكبوه من المعاصى «عند ربهم» يعنى يوم القيامة الذى يتولى اللّه تعالى حساب خلقه. و فى الكلام حذف لان تقديره قائلين «رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا» و معناه أبصرنا الرشد و سمعنا الحق، و قيل: معناه أبصرنا صدق وعدك و سمعنا تصديق رسلك. و قيل معناه: إنا كنا بمنزلة العمى، فقد أبصرنا، و بمنزلة الصم، فسمعنا «فارجعنا» أى ردنا الى دار التكليف «نَعْمَلْ صالِحاً» من الطاعات غير الذى كنا نعمل من المعاصى «إِنَّا مُوقِنُونَ» اليوم لا نرتاب بشىء من الحق و الرسالة.
ثم قال تعالى مخبراً عن نفسه «وَ لَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها» و معناه الاخبار عن قدرته انه يقدر على إلجائهم الى الايمان بان يفعل أمراً من الأمور يلجئهم الى الإقرار بتوحيد اللّه، لكن ذلک يبطل الغرض بالتكليف، لان المقصود استحقاق الثواب، و الإلجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب و قال الجبائى يجوز أن يكون المراد و لو شئنا لأجبناهم الى ما سألوا و لرددتهم الى دار التكليف التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 301
ليعملوا بالطاعات «وَ لكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى» أن أجازيهم بالعقاب، و لا أردهم و قيل: و لو شئنا لهديناهم الى الجنة «وَ لكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى» أى أخبرت و أوعدت أنى «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ» بكفرهم باللّه و جحدهم وحدانيته و كفرانهم نعمه. ثم حكى تعالى ما يقال لمن تقدم ذكره الذين طلبوا الرجوع الى دار التكليف، فانه يقال لهم يوم القيامة، إذا حصلوا فى العذاب «فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا» أى انما فعلتم فعل من نسى لقاء جزاء هذا اليوم، فتركتم ما أمركم اللّه به و عصيتموه «إِنَّا نَسِيناكُمْ» أى فعلنا معكم جزاء على ذلک فعل من نسيكم يعنى من ثوابه، و تركككم من نعيمه. و النسيان الترک. و منه قوله «وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِىَ» «1» و قال النابغة:
سفود شرب نسوه عند مفتأد «2»
أى تركوه فلم يستعملوه، قال المبرد، لأنه لو كان المراد النسيان الذى هو ضد الذكر لجاز أن يكونوا استعملوه «وَ ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ» الذى لا فناء له جزاء «بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» من المعاصى.
ثم اخبر تعالى عن حال المؤمنين و وصفهم بأن المؤمن على الحقيقة الكامل الايمان بآيات اللّه و بحججه هم الذين إذا ذكروا بحجج اللّه و تليت عليهم آياته خروا سجداً شكراً على ما هداهم لمعرفته و أنعم عليهم من فنون نعمه و نزهوا اللّه تعالى عما لا يليق به من الصفات و عن الشرک به حامدين لربهم غير مستكبرين و لا مستنكفين من الطاعة.

(1) سورة 20 طه آية 115.
(2) مر هذا البيت كاملا فى 6/ 87.

تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (16) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (17) أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ (18) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوى نُزُلاً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (19) وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْواهُمُ النَّارُ كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها وَ قِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (20)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ «اخفى» بإسكان الياء حمزة و يعقوب. الباقون- بفتح الياء- من سكن الياء جعله فعلا مستقبلا و حجته قراءة عبد اللّه «ما تخفى لهم» و من فتح جعله فعلا ماضياً على ما لم يسم فاعله، فعلى قراءة حمزة (ما) نصب مفعول به، و على ما فى القرآن إن موضع (ما) رفع بما لم يسم فاعله. و اللّه فاعله و (قُرَّةِ أَعْيُنٍ) شىء أعده اللّه لعباده لم يطلعهم عليه فى دنياهم، كما

قال النبى صلى اللَّه عليه و آله (هو ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر)

وصف اللّه تعالى المؤمنين الذين ذكرهم فى الآية الأولى فى هذه الآية بأن قال: و هم الذين لا يستنكفون عن عبادته «تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ» أى يرتفعون عن التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 303

مواضعهم التى ينامون عليها فالتجافى تعاطى الارتفاع عن الشىء، و مثله النبو يقال جفا عنه يجفو جفاء إذا نبا عنه. و تجافى عنه يتجافى تجافياً، و استجفاه استجفاء و المضجع موضع الإضجاع، و الاضطجاع هو إلقاء النفس «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» أى داعين ربهم الذى خلقهم و أوجدهم (خوفاً) من عذابه يسألونه المغفرة (و طمعاً) فى ثوابه. و انتصب (خَوْفاً، وَ طَمَعاً) على انه مفعول له أى للخوف و للطمع (وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) فى طاعة اللّه و سبيل ثوابه. و وجه المدح بذلك أن هؤلاء المؤمنين يقطعهم اشتغالهم بالدعاء للّه عن طيب المضطجع لما يأملون به من الخير و البركة من اللّه تعالى، لأن آمالهم مصروفة اليه، و اتكالهم فى أمورهم عليه، و قال الشاعر فى التجافى:

و صاحبى ذات هباب دمشق و ابن ملاط متجاف ادفق «1»

أى متنح عن كركرتها، و قال أنس و قتادة: انه مدح قوماً كانوا يتنفلون بين المغرب و العشاء. و قال الضحاك: انهم كانوا يذكرون اللّه بالدعاء و التعظيم و قال قتادة: (خوفاً) من عذاب اللّه (و طمعاً) فى رحمة اللّه (وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) فى طاعة اللّه. و

قال ابو جعفر، و ابو عبد اللّه عليهما السلام الآية متناولة لمن يقوم الى صلاة الليل عن لذيذ مضجعه وقت السحر
، و به قال معاذ و الحسن و مجاهد، و قال عبد اللَّه بن رواحة فى صفة النبى صلى اللّه عليه و آله:
يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع
ثم قال تعالى (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) تحتمل (ما) فى قوله (ما أخفى) أن تكون بمعنى الذى و يكون موضعها النصب، و يحتمل أن تكون بمعنى (أن) و يكون موضعها الرفع، و تكون الجملة فى موضع نصب، و المعنى

---

(1) مجاز القرآن 2/ 132.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 304
ليس يعلم أحد كنه ما أعد الله لهؤلاء المؤمنين الذين تقدم وصفهم من انواع اللذات و الأشياء التى تقرّ أعينهم بها على كنه معرفتها. و قولهم قرت عيناه أى فرحها الله، لأن المستبشر الضاحک يخرج من عينه ماء بارد من شئونه. و الباكى جزعاً يخرج من عينيه ماء سخن من الكبد، و منه قولهم: سخنت عينه- بكسر الخاء- (جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ) من الطاعات فى دار التكليف، و انما نفى العلم عنهم مع أن المؤمن يعلم أنه مستحق للثواب، لان العلم بالشىء يكون من وجهين:
أحدهما- ان يعلم الشىء على طريق الجملة، و هو الذى يحصل للمؤمن فى دار التكليف.
و الآخر- ان يحصل على طريق التفصيل، و ذلک موقوف على مشاهدتهم للثواب الذى يرونه عند زوال التكليف و حضور الثواب.
ثم قال تعالى (أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً) مصدقا بالله عارفاً به و بأنبيائه عاملا بما أوجبه اللّه عليه و ندبه اليه (كَمَنْ كانَ فاسِقاً) خارجاً عن طاعة الله بارتكاب معاصيه على وجه الإنكار لذلک، فلذلک جاء به على لفظ الاستفهام، ثم اخبر تعالى بأنهم (لا يستوون) قط، لان منزلة المؤمن الثواب و انواع اللذات، و منزلة الفاسق العذاب و فنون العقاب. ثم فسر ذلک بما قال بعده فقال (أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا) بالله و صدقوه و صدقوا أنبياءه (وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) و هى الطاعات مع ذلک (فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوى) فالمأوى المقام اى لهم هذه البساتين التى وعدهم الله بها يأوون اليها (نُزُلًا بِما كانُوا يَعْمَلُونَ) أى فى مواضع لهم ينزلون فيها مكافأة لهم على طاعاتهم التى عملوها. و قال الحسن: (نزلا) أى عطاء نزلوه (وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) بخروجهم عن طاعة الله الى معاصيه (فَمَأْواهُمُ النَّارُ) يأوون اليها نعوذ بالله منها (كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها) أى كلما كادوا و هموا التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 305

بالخروج منها لما يلحقهم من العذاب (أَعِيدُوا فِيها) أى ردوا فيها و قال الحسن:
كلما كادوا الخروج منها لأنها ترميهم بلهبها ضربوا بمقامع حتى يعودوا فيها، و قيل:
لهم مع ذلک على وجه التقريع و التبكيت (ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) اى العذاب الذى كنتم به تجحدون فى دار الدنيا و لا تصدقون به.
و قال ابن أبى ليلى: نزلت الآية فى رجل من قريش و على عليه السلام و قال غيره:
إن هذه الآيات نزلت فى على ابن أبى طالب عليه السلام و الوليد بن عقبة بن أبى معيط، فالمؤمن المراد به على عليه السلام و الفاسق هو الوليد بن عقبة،
روى انه لقيه يوماً فقال لعلى: انا أبسط منک لساناً واحد منک سناناً، فقال على: عليه السلام ليس كما قلت يا فاسق. فنزل قوله (أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً ...)
فقال قتادة: و الله ما استووا، لا فى الدنيا و لا فى الآخرة و لا عند الموت.

وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22) وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ وَ جَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ (23) وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ (24) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (25)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 306

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى و رويس (لما صبروا) بكسر اللام و التخفيف أى لصبرهم. الباقون بالتشديد و فتح اللام بمعنى حين صبروا.

اقسم الله تعالى فى هذه الآية، لان اللام فى قوله (و لنذيقنهم) هى التى يتلقى بها القسم، و كذلك النون الثقيلة، بأنه يذيق هؤلاء الفساق الذين تقدم وصفهم العذاب الأدنى بعض ما يستحقونه. و قيل: العذاب الأدنى هو العذاب الأصغر و هو عذاب الدنيا بالقتل و السبى و القحط و الفقر و المرض و السقم و ما جرى هذا المجرى. و قيل: هو الحدود. و قيل: عذاب القبر. و عن جعفر بن محمد عليهما السلام: ان العذاب الأدنى هو القحط، و الأكبر خروج المهدى بالسيف.

و العذاب الأكبر عند المفسرين هو عذاب الآخرة بالنار التى يستفزع الإنسان بالآلام و فى الأدنى معنى الأقرب. و قد يكون الأدنى من الأشياء فى الحسن، و هو أن يفعل على انه ليس فيه ظلم لاحد إذا فعل للشهوة، و الأدنى فى القبح ما يفعل و فيه ظلم يسير اتباعاً للشهوة، و الأعلى فى الحسن هو ما ليس فوقه ما هو على منه يستحق به العبادة. و الأدنى فى العذاب اكبر فى الآلام، لان العذاب استمرار الألم، و ليس فوق عذاب الكفر عذاب، لأن عذاب الفسق دونه.

و قال ابن عباس: و أبى بن كعب و الحسن: العذاب الأدنى مصائب الدنيا.

و قال ابن مسعود: هو القتل يوم بدر. و العذاب الأكبر عذاب الآخرة. و هو قول الحسن و مجاهد و ابن زيد و ابن مسعود.

و قوله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) إخبار منه تعالى أنه يفعل بهم ما ذكره من العذاب الأدنى، ليرجعوا عن معاصى اللّه الى طاعته و يتوبوا منها. و هو قول التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 307

عبد اللّه و أبى العالية و قتادة.

ثم قال اللّه تعالى على وجه التقريع لهم و التبكيت «وَ مَنْ أَظْلَمُ» لنفسه بارتكاب المعاصى و إدخالها فى استحقاق العقاب «مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ» أى

ينبه على حججه تعالى التى توصله الى معرفته و معرفة ثوابه، «ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها» جانباً، و لم ينظر فيها. ثم قال «إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ» الذين يفعلون المعاصى بقطع الطاعات و تركها «منتقمون» بأن نعذبهم بعذاب النار.
ثم اخبر تعالى فقال «وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ» يعنى التوراة «فَلا تَكُنْ فِى مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ» أى فى شک من لقائه يعنى لقاء موسى ليلة الاسراء بک الى السماء- على ما ذكره ابن عباس- و قيل: فلا تكن فى مرية من لقاء موسى فى الآخرة، و قال الزجاج: فلا تكن يا محمد فى مرية من لقاء موسى الكتاب.
و المرية الشک. و قال الحسن: فلا تكن فى شک من لقاء الأذى، كما لقى موسى كأنه قال: فلا تكن فى شک من أن تلقى كما لقى موسى «وَ جَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِى إِسْرائِيلَ» قال قتادة: و جعلنا موسى هادياً لبنى إسرائيل، وضع المصدر فى موضع الحال. و قال الحسن: معناه جعلنا الكتاب هادياً لهم «وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا» قال قتادة: معناه جعلنا منهم رؤساء فى الخير يقتدى بهم يهدون الى فعل الخير بأمر اللّه «لَمَّا صَبَرُوا» قيل: فيه حكاية الجزاء، و تقديره قيل لهم: إن صبرتم جعلناكم أئمة، فلما صبروا جعلوا أئمة- ذكره الزجاج- و «كانُوا بِآياتِنا» أى بحججنا «يُوقِنُونَ» أى لا يشكون فيه. و اليقين وجدان النفس بالثقة على خلاف ما كانت عليه من الاضطراب و الحيرة.
ثم قال لنبيه «إِنَّ رَبَّکَ» يا محمد «هُوَ» الذى «يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» أى يحكم بينهم، يعنى بين المؤمن و الكافر و الفاسق «فِى ما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 308
فى دار الدنيا من التصديق باللّه و برسوله و الايمان بالبعث و النشور و غير ذلک.

أَ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ أَ فَلا يَسْمَعُونَ (26) أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ أَ فَلا يُبْصِرُونَ (27) وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (28) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ (29) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ انْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (30)

خمس آيات بلا خلاف.

القراء كلهم على الياء فى قوله «أَ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ» بمعنى ا و لم يهد إهلاكنا لهم لمن مضى من القرون. و قرئ بالنون بمعنى الاخبار عن اللّه تعالى أنه الذى بين لهم هلاك الماضين و أرشدهم بذلک الى الحق و أتباعه، فاضافه الى نفسه.

يقول اللّه تعالى منبهاً لخلقه على وجه الاعتبار بحججه «أَ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ» و معناه او لم يبصرهم و يرشدهم من غوايتهم، يقال: هداه يهديه فى الدين هدى، و هدى الى الطريق هداية، و اهتدى إذا قبل الهداية. و الواجب من الهدى: هو ما يؤدى إلى ما ليس للعبد عنه غنى فى دينه، فاللطف على هذا هدى، و النظر المؤدى الى معرفة اللّه هدى. و فاعل «يهد» مضمر فيه،

و تقديره أو لم يهد لهم إهلاكنا من أهلكناهم من القرون الماضية جزاء على كفرهم باللّه و ارتكابهم لمعاصيه، و لا يجوز أن يكون فاعل «يهد» «كم» فى قوله «كم أهلكنا» لان «كم» لا يعمل فيها ما قبلها إلا حروف الاضافة، لأنها على تقدير الاستفهام الذى له صدر الكلام، و أجاز الفراء أن يكون فاعل «يهد» «كم» و لم يجزه البصريون.

و قوله «يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ» اى أهلكناهم بغتة و هم متشاغلين بنفوسهم و يمشون فى منازلهم. ثم قال «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ» أى لحججاً واضحات «أَ فَلا يَسْمَعُونَ» و معناه أ فلا يتدبرون ما يسمعونه من هذه الآيات، لان من لا يتدبر ما يسمعه، و لا يفكر فيه. فكأنه لم يسمعه. ثم نبههم على وجه آخر فقال «أَ وَ لَمْ يَرَوْا» و معناه ا و لم يعلموا «أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ» فالسوق الحث على السير، ساقه يسوقه سوقاً، فهو سائق، يقول اللّه تعالى نسوق ماء المطر الى هذه الأرض الجرز، فننبت به ضروباً من النبات الذى يتغذى به الإنسان و الانعام و غيرهم و الأرض الجرز هى الأرض اليابسة التى ليس فيها نبات، انقطع ذلک لانقطاع الأمطار، و هو مشتق من قولهم: سيف جراز أى قطاع، لا يلقى على شىء إلا قطعه و ناقة جراز، إذا كانت تأكل كل شىء لأنها لا

تبقي شيئاَ إلا قطعته بفيها و أرض جروز، و هى التى لا تبقى على ظهرها شيئاً إلا أهلكته، كالناقة الجراز و رجل جروز أكول، قال الراجز:
خب جروز إذا جاع بكا [يأكل التمر و لا يلقى النوى] «1»
و فيه أربع لغات أرض جرز- بضم الجيم و الراء، و بضم الجيم و اسكان

---

(1) تفسير القرطبى 14/ 110.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 310
الراء و بفتح الجيم و الراء، و بفتح الجيم و اسكان الراء.
و قال ابن عباس (نَسُوقُ الْماءَ) بالسيول، لأنها مواضع عالية، قال و هى: قرى بين اليمن و الشام. ثم قال (أَ فَلا يُبْصِرُونَ) بأن يفكروا فى ذلک فيدلهم على انه لا يقدر على ذلک أحد غير اللَّه الذى لا شريک له. ثم حكى عنهم أنهم (يَقُولُونَ مَتى هذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) مستعجلين لما وعد اللَّه تعالى من الفصل بينهم فى قوله (إِنَّ رَبَّکَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ) يعنون متى يجىء فتح الحكم بيننا و بينكم فى الثواب و العقاب، و الفتح القضاء و الحكم، و قيل: انه أراد به فتح مكة، فعلى هذا قوله (يَوْمَ الْفَتْحِ) يوم فتح مكة (لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ) لا يليق به. و قيل: لا ينفع الذين قبلهم خلد- من بنى كنانة- ايمانهم و التأويل هو الأول، فقال اللَّه تعالى لنبيه محمد (قُلْ) لهم يا محمد (يَوْمَ الْفَتْحِ) أى يوم القضاء و الفصل. و قال مجاهد: يوم القيامة (لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بآيات اللَّه (إيمانهم) لان التكليف قد زال عنهم، و معارفهم تحصل ضرورة (وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ) أى و لا يؤخرون ايضاً، فلا ينبغى أن يستعجلوا مجيئه. ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) يا محمد، فانه لا ينفع فيهم الدعاء و الوعظ. و قيل: كان ذلک قبل أن يؤمر بالجهاد. و قيل: أعرض عن أذاهم (و انتظر) حكم اللَّه تعالى فيهم و إهلاكه لهم (إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ) أيضاً الموت الذى يؤديهم الى ذلک. و قيل: انه سيأتيهم ذلک، فكأنهم كانوا ينتظرونه.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 311

اشارة

مدنية فى قول مجاهد و الحسن و هى ثلاث و سبعون آية بلا خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يا أَيُّهَا النَّبِىُّ اتَّقِ اللَّهَ وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (1) وَ اتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (2) وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً (3) ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ وَ ما جَعَلَ أَزْواجَكُمُ اللاَّئِى تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ ذلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْواهِكُمْ وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ (4)
ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فَإِخْوانُكُمْ فِى الدِّينِ وَ مَوالِيكُمْ وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (5)
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 312
خمس آيات.
قرأ ابن كثير و ابو عمرو، و نافع و أبو جعفر (اللاء) بهمزة ليس بعدها ياء، إلا أن أبا عمرو لين الهمزة. و قرأ ابن عامر و اهل الكوفة بهمزة بعدها ياء، و قرأ (تظهرون) بفتح التاء مشددة الظاء بغير ألف- ابن كثير و نافع و ابو عمرو- و قرأ عاصم إلا الكسائى عنه (تظاهرون) بضم التاء خفيفة الظاء و الف بعدها. و قرأ ابن عامر بتشديد الظاء و الألف و فتح التاء. فمن قرأ (تظاهرون) بتشديد الظاء أراد تتظاهرون، فأدغم احدى التاءين فى الظاء. و من قرأ بغير الف مشدداً أراد تتظهرون، و ادغم احدى التاءين فى الظاء. و عاصم جعل الفعل بين اثنين. فقال (تظاهرون) بضم التاء و تخفيف الظاء مع الالف. و قرأ ابو عمرو (بما يعملون خبيراً) و (بما يعملون بصيراً) بالياء فيهما. الباقون بالتاء. وجه قراءة أبى عمرو قوله «وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ» بأن اللّه يعلم ما يفعلونه، فيجازيهم بحسبه. و وجه التاء الخطاب لهم.
هذا خطاب من اللَّه تعالى للنبى صلى اللَّه عليه و آله و المراد به جميع الأمة كما قال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ» «1» فخصه بالخطاب، و أراد به جميع المكلفين، يأمرهم اللّه بتقواه، و تجنب معاصيه، و فعل طاعاته، فنهاهم عن طاعة الكافرين الذين يجحدون نعم اللّه و يتخذون معه إلهاً سواه، و مثل ذلک نهاه عن طاعة المنافقين و متابعتهم لما يريدونه.
و سبب نزول الآية أن أبا سفيان و جماعة من الكفار قدموا على النبى صلى اللَّه عليه و آله

---

(1) سورة 65 الطلاق آية 1.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 313

المدينة، و دعوه الى أشياء عرضوها عليه، فأراد المسلمون قتلهم. فأنزل اللّه سبحانه «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ» فى نقض العهد، و قتل هؤلاء الكفار «وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ» فى ما يدعونک اليه و لا «الْمُنافِقِينَ» فى قتلهم و نقض العهد.
و المنافق هو الذى يظهر الايمان و يبطن الكفر، و الكافر هو الذى يظهر الكفر و يبطنه.
ثم قال «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً» فى ما يوحيه اليک من أمرهم و يأمرک بالطاعة و ترک المعصية فى متابعتهم فى ما يريدونه و لما نهاهم عن متابعة الكفار و المنافقين قال «وَ اتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ» أمره ان يتبع الذى يوحى اللّه اليه من أمره و نهيه، فعلى موجب هذه الآية لا يجوز لأحد أن يطيع الكفار و المنافقين، و إن دعوهم الى الحق، و لكن يفعل الحق، لأنه حق لا لأجل دعائهم اليه «إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً» تهديداً لهم، لأن المراد أنه لا يخفى عليه شىء من أعمالكم فيجازيكم بحسبها إن كان سوءاً عاقبكم، و إن كان طاعة أثابكم عليها. و من قرأ- بالياء- أراد الاخبار عن الكفار و الخطاب متوجه الى النبى صلى اللّه عليه و آله. و من قرأ- بالتاء- خاطب الجميع. ثم أمر النبى صلى اللّه عليه و آله و المراد به جميع المكلفين فقال «وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا» أمرهم ان يتوكلوا على اللّه و يفوضوا أمورهم اليه، فان اللّه تعالى كاف فى ما يوكل اليه. و (الوكيل) القائم بالتدبير لغيره بدعاء من له ذلک اليه، فالحكمة تدعو الى أن اللّه تعالى القائم بتدبير عباده، فهو وكيل عليهم من أوكد الوجوه.
ثم قال تعالى «ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ» قال ابن عباس: كان المنافقون يقولون: لمحمد قلبان، فاكذبهم اللّه. و قال مجاهد و قتادة،

فى رواية عن ابن عباس: أنه كان رجل من قريش يدعى ذا القلبين من دهائه و هو أبو معمر جميل بن اسد، فنزلت هذه الآية فيه و قال الحسن: كان رجل يقول: لى نفس تأمرنى و نفس تنهانى، فأنزل اللّه فيه هذه الآية.
و قال الزهرى:
هو مثل فى ان هذا ممتنع كامتناع أن يكون ابن غيرک ابنک. و
روى عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: ما جعل اللّه لرجل من قبلين فى جوفه يحب بهذا قوماً و يحب بهذا أعداءهم.
و لا يمكن أن يكون لإنسان واحد قلبان فى جوفه، لأنه كان يمكن أن يوصل إنسانان فيجعلان إنساناً واحداً، و قد يمكن أن يوصلا بما لا يخرجهما عن أن يكونا إنسانين، و ليس ذلک إلا من جهة القلب الواحد أو القلبين، لأنه إذا جعل لهما قلبان يريد أحدهما بقلبه ما لا يريده الآخر و يشتهى ما لا يشتهى الآخر، و يعلم ما لا يعلم الآخر فهما حيان لا محالة، و ليسا حياً واحداً.
و قال الرمانى: لا يجوز أن توجد الارادة و المعرفة فى جزئين من القلب او

أجزاء و انما يصح أن توجد فى جزء واحد، قال: لان ما يوجد فى جزئين بمنزلة ما يوجد فى قلبين، و قد بطل أن يكون لإنسان واحد قلبان. و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لأنه لا يمتنع أن يوجد معنيان مختلفان فى جزئين من القلب، لأنهما و إن وجدا فى جزئين فالحالان الصادران عنهما يرجعان الى الجملة و هى جملة واحدة و ليسا يوجبان الصفة للمحل الواحد فيتنافى، فعلى هذا لا يجوز أن يوجد فى جزئين من القلب معنيان ضدان، لاستحالة اجتماع معناهما فى الحى الواحد، و يجوز أن يوجد معنيان مختلفان او مثلان فى جزئين من القلب و يوجبان الصفتين للحى الواحد، و على هذا القياس ليس يمتنع ان يوجد قلبان فى جوف واحد إذا كان ما يوجد فيهما يرجع الى حى واحد، و انما المتنافى أن يرجع ما يوجد منهما الى حيين، و ذلک محال.

و قوله «وَ ما جَعَلَ أَزْواجَكُمُ اللَّائِی تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ» أى ليس نساؤكم و أزواجكم إذا قلتم لهن أنتن على كظهر أمى يصرن أمهاتكم على الحقيقة لان أمهاتكم على الحقيقة هن اللائى ولدنكم و أرضعنكم. و قال قتادة: إذا قال لزوجته أنت على كظهر أمى، فهو مظاهر، و عليه الكفارة. و عندنا إن الظهار لا يقع إلا ان تكون المرأة طاهراً، و لم يقربها فى ذلک الطهر بجماع، و يحضر شاهدان رجلان مسلمان، ثم يقول لها أنت على كظهر أمى، و يقصد التحريم.

فإذا قال ذلک حرم عليها و حرمت عليه أن يطأها حتى يكفر. و إن اختل شىء من شرائطه، فلا يقع ظهار أصلًا.

و قوله «وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ» قال قتادة و مجاهد و ابن زيد: نزلت فى زيد بن حارثة، فانه كان يدعى ابن رسول اللَّه، و الأدعياء جمع دعى، و هو الذى تبناه الإنسان. و بين اللَّه تعالى أن ذلک ليس بابن على الحقيقة، و لذلک قال فى آية أخرى «ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ» «1» و قوله «ذلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْواهِكُمْ» يعنى أن قولكم فى الدعى أنه ابن الرجل قول تقولونه بألسنتكم لا حقيقة له عند اللَّه. ثم قال «وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ» فى ما يبينه «وَ هُوَ يَهْدِی السَّبِيلَ» يعنى طريق الحق الذى يفضى بكم الى الثواب، ثم أمر المكلفين بأن يدعوا الأدعياء «لآبائهم» الذين ولدوهم و ينسبونهم اليهم أو الى من ولدوا على فراشهم «اقسط» أى، فان ذلک اعدل عند اللَّه، و اقسط بمعنى أعدل «فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ» و لا تعرفوهم بأعيانهم فهم (فَإِخْوانُكُمْ فِی الدِّينِ) أى فى الملة فادعوهم بذلک (و مواليكم) أى بنو عمكم أو لكم ولاءهم إذا كنتم اعتقمتموهم من رق. ثم قال «وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ» اى حرج «فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ» فنسبتموه

---

(1) سورة 33 الأحزاب آية 40.

الى من انتمى اليه و إن اللّه لا يؤاخذكم به «وَ لكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ» فقصدتموه من ذلک و أردتموه هو الذى تؤاخذون به، و موضع (ما) جر، تقديره و لكن فى ما تعمدت قلوبكم «وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» يغفر لكم ما لم تتعمدوا من ذلک، و يستره عليكم و يرحمكم بترک مؤاخذتكم به.

النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً (6) وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً (7) لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً (8) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً (9) إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10)

قرأ بن كثير و الكسائى و حفص عن عاصم «الظنونا» بألف فى الوقف دون الوصل. و قرأ نافع و ابو جعفر و ابو بكر عن عاصم و ابن عامر- بالألف- فيهما و قرأ ابو عمرو و يعقوب و حمزة.- بغير الف- فيهما و فى المصحف بألف. من أثبت الالف أثبته لأجل الفواصل التى يطلب بها تشاكل المقاطع، و لأن الألف ثابتة فى المصاحف، فاتبعوا المصحف، و من حذف قال: لأن هذا الألف يكون بدلا من التنوين فى حال الوقف، فإذا دخلت الألف و اللام أسقطت التنوين، فسقط ايضا ما هو بدل منه، و لأن مثل ذلک إنما يجوز فى القوافى و ذلک لا يليق بالقرآن، قال الشاعر:

اقلى اللوم عاذل و العتابا [و قولى ان أصبت لقد أصابا] «1»

إخبر الله تعالى ان «النبى» صلى اللّه عليه و آله «أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» بمعنى أحق بتدبيرهم، و بأن يختاروا ما دعاهم اليه. و أحق بأن يحكم فيهم بما لا يحكم به الواحد فى نفسه لوجوب طاعته التى هى مقرونة بطاعة الله، و هو اولى فى ذلک و أحق من نفس الإنسان، لأنها ربما دعته الى اتباع الهوى، و لأن النبى صلى اللّه عليه و آله لا يدعو إلا الى طاعة الله، و طاعة الله اولى ان تختار على طاعة غيره.

و واحد الأنفس نفس، و هى خاصة الحيوان الحساسة المدركة التى هى انفس ما فيه. و يحتمل ان يكون اشتقاقه من التنفس، و هو التروح، لان من شأنها التنفس به، و يحتمل ان يكون مأخوذا من النفاسة، لأنها اجل ما فيه و أكرمه.

ثم قال «وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ» و المعنى أنهن كالأمهات فى الحرمة، و تحريم العقد عليهن. ثم قال «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ» أولوا الأرحام هم أولوا الأنساب لما ذكر اللّه أن ازواج النبى أمهاتهم

(1) قائله جرير ديوانه 58 و سيبويه 2/ 28، 299.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 318
فى الحكم من جهة عظم الحرمة، قال «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ» أى إلا ما بين اللَّه فى كتابه مما لا يجوز لازواج النبى صلى اللَّه عليه و آله أن يدعين أمهات المؤمنين. و قال قتادة: كان الناس يتوارثون بالهجرة فلا يرث الاعرابى المسلم المهاجر حتى نزلت الآية. و قيل: إنهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الاولى. ثم نسخ ذلک، فبين اللَّه تعالى أن «أولى الأرحام بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ»، أى من كان قرباه أقرب فهو أحق بالميراث من الأبعد، و ظاهر ذلک يمنع أن يرث مع البنت و الام احد من الأخوة و الأخوات، لأن البنت و الأم اقرب من الأخوة و الأخوات، و كذلک يمنع أن يرث مع الاخت أحد من العمومة و العمات و أولادهم، لأنها اقرب، و
الخبر المروى فى هذا الباب أن (ما أبقت الفرائض فلأولى عصبة ذكر)
خبر واحد مطعون على سنده، لا يترک لأجله ظاهر القرآن الذى بين فيه ان أولى الأرحام الأقرب منهم اولى من الأبعد «فِى كِتابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» المؤاخين و المهاجرين.
و قوله «إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً» استثناء منقطع، و معناه لكن إن فعلتم الى أوليائكم معروفاً من المؤمنين و حلفائكم ما يعرف حسنه و صوابه فهو حسن، و لا يكون على وجه نهى اللَّه تعالى عنه، و لا أذن فيه. و قال مجاهد معروفاً من الوصية لهم بشىء، و العقل عنهم و النصرة لهم، و لا يجوز أن يكونوا القرابة المشركين على ما قال بعضهم، لقوله «لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ» «1» و قد أجاز كثير من الفقهاء الوصية للقرابات الكفار. و عندنا ان ذلک جائز للوالدين و الولد.
و قوله «كانَ ذلِکَ فِى الْكِتابِ مَسْطُوراً» يعنى أن ما ذكره اللَّه كان مكتوباً

(1) سورة 60 الممتحنة آية 1. [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 319
فى الكتاب المحفوظ أثبته اللَّه و أطلع عليه ملائكته لما لهم فى ذلک من اللطف فلا يجوز خلاف ذلک، و قيل: مسطوراً فى القرآن. و (من) يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون دخلت ل (أولى) أى بعضكم اولى ببعض من المؤمنين و الثانى- أن يكون التقدير، و أولوا الأرحام من المؤمنين و المهاجرين أولى بالميراث.
و قوله «وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ» تقديره و اذكر يا محمد حين أخذ اللَّه من النبيين ميثاقهم، قال ابن عباس: الميثاق العهد و الميثاق الغليظ اليمين باللَّه تعالى على الوفاء بما حملوا. و قوله «وَ مِنْکَ وَ مِنْ نُوح وَ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى

وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً» يعنى ماً عهَد اللّه تعالى الى الأنبياء المذكورين و أمرهم به من اخلاص العبادة له، و خلع الأنداد من دونه. و العمل بما أوجبه عليهم و ندبهم اليه، و نهاهم عن معاصيه، و الإخلال بواجباته. و قال البلخى:
معناه ما أمرهم اللّه به من أداء الرسالة و القيام بها.
و قوله «لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ» قال مجاهد: معناه فعل ذلک ليسأل الأنبياء المرسلين ما الذى أجاب به أممكم، و يجوز ان يحمل على عمومه فى كل صادق، و يكون فيه تهديد للكاذب، فان الصادق إذا سئل عن صدقه على اى وجهٍ قال فيجازى بحسبه، فكيف يكون صورة الكاذب.
ثم قال «وَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً» أى أعد لهم عذاباً مؤلماً، و هو عذاب النار- نعوذ باللّه منها.
ثم خاطب المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ» أى فى حال ما جاءتكم جنود يعنى يوم الأحزاب، و هو يوم الخندق حيث اجتمعت العرب على قتال النبى صلى اللّه عليه و آله قريش و غطفان و بنو قريظة التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 320
و تضافروا على ذلک «فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ» اى فأرسل اللّه تعالى عليهم نصرة لنبيه و نعمة على المؤمنين «ريحاً» استقبلتهم و رمت فى أعينهم الحصباء و اكفئت قدورهم و أطفئت نيرانهم، و قلعت بيوتهم و اطنابهم و أرسل اللّه عليهم «جنوداً» من الملائكة نصرة للمؤمنين، روى ذلک يزيد بن رومان «لم تروها» اى لم تروا الملائكة أنتم بأعينكم، لأنها أجسام شفافة لا يصح إدراكها «وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً» من قرء بالياء أراد ان اللّه عالم بما يعمله الكفار. و من قرأ بالتاء وجه الخطاب الى المؤمنين.
ثم قال و اذكر «إِذْ جاؤُكُمْ» يعنى جنود المشركين (مِنْ فَوْقِكُمْ) و هم عيينة بن حصين بن بدر فى اهل نجد (وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) و هم ابو سفيان فى قريش و واجهتهم قريظة، و هو قول مجاهد: (وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ) أى اذكر إذ عدلت الأبصار عن مقرها. قال قتادة معناه: شخصت من الخوف (وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ) أى نأت عن أماكنها من الخوف. و
قيل: قال المسلمون:
يا رسول اللّه بلغت القلوب الحناجر فهل من شىء نقوله قال: نعم قولوا (اللهم استر عورتنا و أمن روعتنا) فضرب اللّه وجوه أعدائه بريح الصبا، فهزمهم اللّه بها، و الحناجر جمع حنجرة، و هى الحلق
، قيل: لأن الرئة عند الخوف تصعد حتى تلحق بالحلق (وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) قال الحسن: كانت الظنون مختلفة، فظن المنافقون انه يستأصل، و ظن المؤمنون انه سينصر. و قيل: كانت الريح شديدة البرد تمنع المشركين من الحرب و كانت الملائكة تفقد بعضهم عن بعض.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 321

هُنالِکَ ابْتُلِیَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِیداً (11) وَ إِذْ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً (12) وَ إِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ یا أَهْلَ یَثْرِبَ لا مُقامَ لَکُمْ فَارْجِعُوا وَ یَسْتَأْذِنُ فَرِیقٌ مِنْهُمُ النَّبِیَّ یَقُولُونَ إِنَّ بُیُوتَنا عَوْرَةٌ وَ ما هِیَ بِعَوْرَةٍ إِنْ یُرِیدُونَ إِلاَّ فِراراً (13) وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَیْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها وَ ما تَلَبَّثُوا بِها إِلاَّ یَسِیراً (14) وَ لَقَدْ کانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا یُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَ کانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلاً (15)
خمس آیات.
قرأ حفص عن عاصم (لا مقام) بضم الميم اى لا إقامة لكم. الباقون- بفتح الميم- يعنى لا موضع لكم تقومون فيه. و قرأ ابن كثير و نافع و ابو جعفر و ابن عامر (لأتوها) قصراً بمعنى لجاؤها. الباقون بالمد، يعنى لأعطوها.
و قالوا: هو أليق بقوله «ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ» لان العطاء يطابق سؤال السائل.
لما وصف اللّه تعالى شدة الأمر يوم الخندق، و خوف الناس و أن القلوب بلغت الحناجر من الرعب. قال (هُنالِکَ ابْتُلِیَ الْمُؤْمِنُونَ) أى اختبروا ليظهر بذلک حسن نياتهم و صبرهم على ما أمرهم اللّه به من جهاد أعدائه و (هنا) للقريب. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 322
من المكان و (هنالک) للبعيد منه، و (هناک) للمتوسط بين القريب و البعيد و سبيله سبيل (ذا، و ذاک و ذلک).
و الابتلاء إظهار ما فى النفس من خير او شر، و مثله الاختبار و الامتحان و البلاء النعمة، لإظهار الخير على صاحبه، و البلاء النقمة لإظهار الشر عليه.
و قوله (وَ زُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِیداً) معناه و حركوا بهذا الامتحان تحريكا عظيماً، فالزلزال الاضطراب العظيم و منه قوله «إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها» و الزلزلة اضطراب الأرض، و قيل: انه مضاعف زل، و زلزله غيره. و الشدة قوة تدرک بالحاسة، لأن القوة التى هى القدرة لا تدرک بالحاسة، و انما تعلم بالدلالة، فلذلک يوصف تعالى بأنه قوى، و لا يوصف بأنه شديد.
ثم قال و اذكر يا محمد (إِذْ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ) الذين باطنهم الكفر و ظاهرهم الايمان (وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أى شک من الايمان باللّه و رسوله (ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ) اى لم يعدنا اللّه و رسوله من الظفر و الظهور على الدين (إلا غروراً) و
قيل: ان النبى صلى الله عليه و آله بشرهم بأنه يفتح عليهم مدائن كسرى و بلاد قيصر و غير ذلک من الفتوح
، فقالوا: يعدنا بهذا، و الواحد منا لا يقدر على أن يخرج ليقضى حاجة (ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً) غرانا به، فالغرور إيهام المحبوب بالمكر، يقال: غره يغره غروراً، فهو غار، و الغرور الشيطان قال الحارث بن حلزة:

لم يغروكم غروراً و لكن يرفع الآل جمعهم و الضحاء
و قال يزيد بن رومان: الذى قال هذا القول معتب بن قشيرة: و قال العتابى:
ليس عاقل يقول: إن اللَّه وعده غروراً، لكنهم لما كذبوا رسوله و شكوا فى خبره، فكأنهم كذبوا اللَّه، و إذا نسبوا الرسول بأنه غرهم، فقد نسبوا الله إلى التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 323
ذلک فى المعنى، و إن لم يصرحوا به.
ثم قال و اذكر يا محمد (إِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ) يعنى من المنافقين (يا أَهْلَ يَثْرِبَ) أى يا أهل المدينة. قيل: ان يثرب اسم ارض المدينة. و قال ابو عبيدة:
إن مدينة الرسول فى ناحية من يثرب. و قيل: يثرب هى المدينة نفسها (لا مُقامَ لَكُمْ) أى ليس لكم مكان تقومون فيه للقتال. و من ضم أراد: لا إقامة لكم- ذكره الأخفش- و قال يزيد بن رومان: القائل لذلک أوس بن قبطى. و من وافقه على رأيه (فارجعوا) اى أمرهم بالرجوع الى منازلهم. و حكى ان جماعة منهم جاؤوا الى النبى صلى اللَّه عليه و آله فاستأذنوه للرجوع. و قالوا (إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ) أى هى مكشوفة نخشى عليها السرق- ذكره ابن عباس و مجاهد- فكذبهم الله تعالى فى قوله (وَ ما هِيَ بِعَوْرَةٍ ...) و ليس يريدون بهذا القول إلا الفرار، و الهرب من القتال.
ثم قال (وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها) اى من نواحيها يعنى المدينة او البيوت، فهو جمع قطر، و هو الناحية (ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ) يعنى الكفر و الضلال و قيل: انهم لو دعوا إلى القتال على وجه الحمية و العصبية لجاؤا إليها- على قراءة من قصر- و من مد أراد لأعطوا ما سئلوا إعطاءه من ذلک (وَ ما تَلَبَّثُوا بِها إِلَّا يَسِيراً) قال الفراء: و ما تلبثوا بالمدينة إلا قليلا حتى يهلكوا. و قال قتادة:
معناه و ما احتبسوا عن الاجابة الى الكفر إلا قليلا.
ثم قال (وَ لَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ) يعنى عند ما بايعوا النبى صلى اللَّه عليه و آله و حلفوا له انهم ينصرونه و يدفعونه عنه، كما يدفعون عن نفوسهم، و انهم (لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ) اى لا يفرون من الزحف (وَ كانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا) يعنى العهد الذى عاهدوا الله عليه، و حلفوا له به يسألهم عن الوفاء به يوم القيامة.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 324

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (16) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (17) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً (18) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (19) يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ وَ لَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً (20)

خمس آيات.

لما اخبر اللَّه تعالى عن المنافقين الذين استأذنوا النبى صلى اللَّه عليه و آله فى الرجوع و اعتلوا بأن بيوتهم يخاف عليها، و كذبهم اللَّه فى ذلک، و بين أنهم يريدون التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 325

الهرب، قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله (قل) لهم (لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ) يعنى الهرب إن هربتم (مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ) فانه لا بد من واحد منهما، و إن هربتم و بقيتم بعده فلا تبقون (و لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) من الزمان. ثم لا بد من الموت. و الفرار الذهاب عن الشىء خوفاً منه، و مثله الهرب، فرّ يفر فراراً و أفتر إذا باعد بين شفتيه كتباعد الفار، و انما فرق اللَّه بين الموت و القتل لأن القتل غير الموت، فالقتل نقض بينة الحى، و الموت ضد الحياة عند من أثبته معنى. و القتل يقدر عليه غير اللَّه، و انما رفع بعد (اذن) لوقوع (اذن) بين الواو و الفعل، فصارت بمنزلة ما لم يقع بعده الفعل، كقولک أنا آتيک اذن لأنه مما يجوز فيه الإلغاء بأنه يصح الاستدراک، كالاستدراک بالظن، و قد أعملت بعد (ان) فى قوله:

لا تتركنى فيهم شطيراً إنى اذن أهلک او اطيرا «1»

ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله قل لهم يا محمد من الذى يمنعكم من اللَّه ان أراد أن يفعل بكم سوءاً يعنى عذاباً أو أراد بكم رحمة، فان احداً لا يقدر على منعه مما يريد اللَّه فعله به (و لا يجدون) هؤلاء (لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا) ينصرهم (و لا نصيراً) يدفع عنهم، ثم قال تعالى (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ) يعنى الذين يعوقون غيرهم عن القتال و يثبطونهم عنه، فالتعويق التثبيط و الشغل للقعود عن أمر من الأمور، فكأن هؤلاء يدعون إخوانهم من المنافقين الى القعود عن الجهاد و يشغلونهم لينصرفوا عنه (وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا) أى يعلم القائلين لهم تعالوا (وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ) يعنى الحرب (إلا قليلًا) أى ان يكلفوا الحضور الى القتال فلا يحضرون إلا قدر ما

يوهمون أنهم معكم، و لا يقاتلون

---

(1) قائله نهشل بن حرى، اللسان (شطر).
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 326
معكم، فهو تعالى عالم بأحوال هؤلاء، لا يخفى عليه شىء منها.
ثم قال (اشحة عليكم) بالغنيمة و النفقة فى سبيل الله- فى قول قتادة: و مجاهد- و نصبه على تقدير يأتونه أشحة و إن شئت على الذم. و قال ابن إسحاق (اشحة عليكم) بالضغن الذى فى أنفسهم، فهو نصب على الحال- فى قول الزجاج- و فى قول غيره على المصدر، و تقديره يشحون عليكم اشحة (فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ) يعنى الفزع (رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) يعنى من شدة ما يخافون يلحقهم مثل ما يلحق من شارف الموت و أحواله، و يغشى عليه (فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ) و الفزع (سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ) أى خصموكم طلباً للغنيمة أشد مخاصمة. و قال الحسن: سلقوكم حاوروكم يقال: خطيب مصقع و مسلق أى بليغ فى الخطابة فصيح فيها (أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) يعنى الغنيمة. ثم قال (أولئک) يعنى من تقدم وصفه (لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ) يعنى نفع أعمالهم على وجوه لا يستحق عليها الثواب. لأنهم لا يقصدون بها وجه الله. ثم قال (و كان ذلک) يعنى إحباط أعمالهم. و قيل:
و كان نفاقهم (عَلَى اللَّهِ يَسِيراً) قليلا. ثم وصف هؤلاء المنافقين الذين تقدم ذكرهم بالجبن، فقال (يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ) الذين انهزموا و رجعوا من شدة فزعهم انهم(لم يذهبوا) بعد. و قيل: لفرط جهلهم يعتقدون انهم لم يذهبوا بعد (وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِى الْأَعْرابِ) أى و إن جاءوا الأحزاب تمنوا أن يكونوا فى البوادى مع الاعراب (يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ) أى أخباركم و لا يكونون معكم فيتربصون بكم الدوائر و يتوقعون الهلاک ثم قال لنبيه (و لو كانوا) يعنى هؤلاء المنافقون معكم «و فِيكُمْ ما قاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا» أى قدراً يسيراً ليوهموا أنهم فى جملتكم، لا لينصروكم و يجاهدوا معكم. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 327
عاصم الجحدرى: يساءلون عن انبائكم بتشديد السين بمعنى يتساءلون، فيسأل بعضهم بعضاً، و هو شاذ لا يقرأ به. و قرأ طلحة بن مصرف «يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِى الْأَعْرابِ» جمع باد، مثل غاز و غزى، و هى أيضاً شاذة لا يقرأ بها.
و (هلم) بمعنى أقبل و اهل الحجاز يقولون للواحد و الاثنين و الجمع و الأنثى (هلم) بلفظ واحد، و انما هى (لم) ضمت اليها (ها) التى للتنبيه، ثم حذفت الألف من (ها) إذ صارا شيئاً واحداً، كقولهم (و يلمه) و أصله (ويل أمه) فلما جعلوهما شيئاً واحداً حذفوا، و غيروا. و أما بنوا تميم فيصرفونه تصريف الفعل، فيقولون: هلم يا رجل و هلما يا رجلان، و هلموا يا رجال و هلمى يا

امرأة و هلميا يا امرأتان، و هلممن يا نساء، إلا انهم يفتحون آخر الواحد البتة، فيقولون: هلم يا رجل و هلم يا مرأة.

لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21) وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ما زادَهُمْ إِلاَّ إِيماناً وَ تَسْلِيماً (22) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (23) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (24) وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَ كانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً (25)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 328

خمس آيات.

قرأ عاصم «أسوة»- بضم الهمزة- الباقون بكسرها، و هما لغتان. و الكسر اكثر. و مثله (كسوة، و كسوة، و رشوة و رشوة).

هذا خطاب من اللّه تعالى للمكلفين، يقول لهم: ان لكم معاشر المكلفين «فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» أى اقتداء حسن، فى جميع ما يقوله و يفعله متى فعلتم مثله كان ذلك حسناً، و المراد بذلك الحث على الجهاد و الصبر عليه فى حروبه، و التسلية لهم فى ما ينالهم من المصائب،

فان النبى صلى اللّه عليه و آله شج رأسه و كسرت رباعيته فى يوم احد و قتل عمه حمزة.

فالتأسى به فى الصبر على جميع ذلك من الاسوة الحسنة. و ذلك يدل على ان الاقتداء بجميع أفعال النبى صلى اللّه عليه و آله حسن جائز إلا ما قام الدليل على خلافه، و لا يدل على وجوب الاقتداء به فى أفعاله.

و إنما يعلم ذلك بدليل آخر. فالاسوة حال لصاحبها يقتدى بها غيره فى ما يقول به، فالاسوة تكون فى إنسان و هى اسوة لغيره، فمن تأسى بالحسن ففعله حسن «لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ» فالرجاء توقع الخير، فرجاء اللّه توقع الخير من قبله و مثل الرجاء الطمع و الأمل، و متى طمع الإنسان فى الخير من قبل الله، فيكون راجياً له.

و قوله «وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً» معناه يذكره تعالى بجميع صفاته، و يدعوه بها فيستحق بذلك الثواب من جهته.

ثم قال و قد عاد تعالى الى ذكر المؤمنين و انهم حين عاينوا الأحزاب التى اجتمعت على قتال النبى صلى اللّه عليه و آله و تظافروا عليه، و هم ابو سفيان و من معه من التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 329

المشركين «قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» من الجهاد فى سبيله «وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» فى ما أخبرا به، لأن النبى صلى اللّه عليه و آله كان

أخبرهم انه يتظاهر عليكم الأحزاب، و يقاتلونكم فلما رآهم المؤمنون تبينوا صدق قوله و كان ذلک معجزاً له «وَ ما زادَهُمْ» مشاهدة عدوّهم «إِلَّا إِيماناً» و تصديقاً بالله و رسوله «وَ تَسْلِيماً» لأمره. ثم بين ان «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» من مجاهدة عدوّه، و ألا يولوا الأدبار. و قيل: ذلک يوم تأخروا عن بدر، ثم عاهدوا ألا يفارقوا النبى صلى اللَّه عليه و آله فى غزواته. و قوله «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ» أى منهم من صبر حتى قتل فى سبيل الله، و خرج الى ثواب ربه «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» ذلک «وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» أى لم يبدلوا الايمان بالنفاق و لا العهد بالحنث. و
روى أن الآية نزلت فى حمزة بن عبد المطلب، و جعفر بن أبى طالب، و على بن أبى طالب عليه السلام فالذى قضى نحبه حمزة، و جعفر و الذى ينتظر على عليه السلام
ثم بين تعالى انه يجزى الصادقين على صدقهم فى تنزيله فوعدهم بالثواب الدائم و النعيم المقيم. و قوله (وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ) لا يدل على أن ما يجب غفرانه من الكبائر عند التوبة يجوز تعليقه بالمشيئة، لأن على مذهبنا إنما جاز ذلک، لأنه لا يجب إسقاط العقاب بالتوبة عقلا، و إنما جاز ذلک و علمناه بالسمع و إن اللَّه يتفضل بذلک. و قوله «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» معناه إن شاء قبل توبتهم و أسقط عقابهم إذا تابوا، و إن شاء لم يقبل ذلک. و ذلک اخبار عن مقتضى العقل. و أما مع ورود السمع و هو قوله «وَ هُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ» «1» فنقطع على انه تعالى يغفر مع حصول التوبة.

---

(1) سورة 42 الشورى آية 25.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً» يؤكد ذلک لأنه انما يكون فيه مدح إذا غفر ما له المؤاخذة به، و يرحم من يستحق العقاب. و أما من يجب غفران ذنبه و يجب رحمته، فلا مدح فى ذلک. و قال قوم: معناه «وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ» بعذاب عاجل فى الدنيا أو يتوبوا، قالوا: و إنما علق بالشرط فى قوله «إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» لأنه علم أن من المنافقين من يتوب، فقيد الكلام ليصح المعنى- ذكره الجبائى- و قيل: إن الذى وعد اللَّه المؤمنين فى الأحزاب هو أنه وعدهم إذا لقوا المشركين ظفروا بهم و استعلوا عليهم فى نحو قوله «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» «1» مع فرض الجهاد. و قيل: إن الذى وعدهم اللَّه به فى قوله «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» «2»- ذكره قتادة- و (النحب) النذر أى قضى نذره الذى كان نذره فى ما عاهد اللَّه عليه. و قال مجاهد: قضى نحبه أى عهده. و

قيل: ان المؤمنين كانوا نذروا إذا لقوا حزباَ مع رسول اللّه أن يثبتوا و لا ينهزموا، و قال الحسن: قضى نحبه أى مات على ما عاهد عليه، و النحب الموت كقول ذى الرمة:
قضى نحبه فى ملتقى الخيل هو بر «3»
أى منيته. و هو بر اسم رجل و النحب الخطر العظيم قال جرير:
بطخفة جالدنا الملوک و خيلنا عشية بسطام جرين على نحب «4»

---

(1) سورة 9 التوبة آية 34 و سورة 61 الصف آية 9.
(2) سورة 2 البقرة آية 214.
(3) مجاز القرآن 2/ 136 الشاهد (718)
(4) ديوانه 54 و مجاز القرآن 2/ 135.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 331
أى على خطر و النحب المد فى السير يوماً و ليلة، قال الفرزدق.
و إذ نحبت كلب على الناس أنهم أحق نتاج الماجد المتكرم «1»
ثم اخبر تعالى أنه ردّ المشركين من الأحزاب عن قتال النبى صلى اللَّه عليه و آله بغيظهم الذى جاءوا به و خيبهم لم ينالوا خيراً أملوه من الظفر بالنبى صلى اللَّه عليه و آله و بالمؤمنين «و كفى الله المؤمنين القتال» عند رجوعهم، و قيل و كفى الله المؤمنين القتال بالريح و الملائكة. و قيل: و كفى الله المؤمنين القتال بعلى عليه السلام و هى قراءة ابن مسعود، و كذلک هو فى مصحفه، فى قتله عمرو بن عبدودّ، و كان ذلک سبب هزيمة القوم. «وَ كانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً» أى قادراً لا يغالب، و عزيزاً لا يقهر، لأنه قوى فى سعة مقدوره، عزيز فى انتقامه.

وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقاً (26) وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً (27) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلاً (28) وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً (29) يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (30)

---

(1) ديوانه 2/ 759 و تفسير القرطبى 14/ 158 و مجاز القرآن 2/ 136

خمس آيات.

قرأ ابن كثير، و ابن عامر «نضعف» بالنون و تشديد العين «العذاب» نصباً، أسند الفعل الى الله تعالى، و قرأ ابو عمرو «يضعف» بالياء و تشديد العين بلا ألف على ما لم يسم فاعله. الباقون (يضاعف) بالياء و الألف.

و الذى عليه أكثر المفسرين إن المعنى بقوله «وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ» هم بنو قريظة من اليهود، و كانوا نقضوا العهد بينهم و بين النبى صلى اللَّه عليه و آله و عاونوا أبا سفيان،

فلما هزم الأحزاب امر النبى صلى اللَّه عليه و آله مناديه بأن ينادى لا يصلين أحد العصر إلا ببنى قريظة، لأن جبرائيل عليه السلام نزل عليه و قال إن الملائكة لم تضع أسلحتها بعد، ففيهم من لحق ذلك بعد و صلى العصر فى الوقت، و فيهم من صلاها قبل ذلك. و كل صوبه رسول اللَّه. ثم حكم سعد ابن معاذ فيهم رضوا بحكمه، فحكم سعد أن تقتل الرجال، و تسبى الذرارى و النساء و نقسم الأموال و تكون الأرض للمهاجرين دون الأنصار، فقيل له فى ذلك فقال لكم دار، و ليس للمهاجرين دار، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله حكم فيهم بحكم اللَّه تعالى.

و فى بعض الأخبار لقد حكمت بحكم اللَّه من فوق سبعة أرقعة، و هو جمع رقيع اسم من اسماء سماء الدنيا. و قال الحسن: الآية نزلت فى بنى النضير و الاول أصح و أليق بسياق الآيات، لان بنى النضير لم يكن لهم فى قتال الأحزاب شىء، و كانوا قد انجلوا قبل ذلك. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 333

و المظاهرة المعاونة، و هى زيادة القوة بأن يكون المعاون ظهراً لصاحبه فى الدفع عنه، و الظهر المعين. و فى قراءة ابن مسعود آزروهم، و معناه عاونوهم.

و الصياصى الحصون التى يمتنع بها واحدها صيصية. و يقال جذ اللّه صيصية فلان أى حصنه الذى يمتنع به. و الصيصية قرن البقرة و شوكة الديک أيضاً، و هى شوكة الحائک أيضاً، قال الشاعر:
[ما راعنى إلا الرماح تنوشه] كوقع الصياصى فى النسيج الممدد «1»
و قوله «وَ قَذَفَ فِی قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ» أى ألقى فى قلوبهم يعنى اليهود و المشركين خوفاً من النبى صلى اللّه عليه و آله «فَرِيقاً تَقْتُلُونَ» منهم يعنى الرجال «وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقاً» يعنى النساء و الذرارى ثم قال «وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ» يعنى ديار بنى قريظة و أرضهم و أموالهم. جعلها اللّه للمسلمين مع ذلک و نقلها اليهم «وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها» معناه و أورثكم أرضاً لم تطؤها، قال الحسن: هى أرض فارس و الروم. و قال قتادة: هى مكة. و قال يزيد بن رومان و ابن زيد: هى خيبر «وَ كانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَیْءٍ قَدِيراً» أى قادراً على توريثكم أرض هؤلاء و أموالهم و نصركم و غير ذلک. الى هاهنا انتهت قصة الأحزاب.
ثم انتقل الى خطاب النبى صلى اللّه عليه و آله فقال له «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِکَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلًا» قال الحسن لم يكن ذلک تخيير طلاق، انما هو تخيير بين الدنيا و الآخرة. و كان لنزول الآية سبب معروف من بعض أزواج النبى صلى اللّه عليه و آله فعاتبهن اللّه تعالى و خيرهن بين المقام مع النبى صلى اللّه عليه و آله و اختيار ما عند اللّه من الثواب و نعيم الأبد

---

(1) تفسير القرطبى 14/ 161 و مجاز القرآن 2/ 161 و يروى (فجئت اليه و الرماح تنوشه).

و من مفارقته بالطلاق و تعجيل المنافع يأخذونها، و بين ذلک بقوله «وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ، فَإِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً» و قيد ذلک بالمحسنات لعلمه أن فيهن من ربما ارتكبت ما يستحق به الخروج عن ولاية الله تعويلا على ما وعد الله تعالى به من النعيم، فزجرهن بالتهديد المذكور فى الآية.
و
روى أن سبب نزول هذه الآية أن كل واحدة من نسائه طلبت شيئاً فسألت أم سلمة ستراً معلقاً و سألت ميمونة حلة و سألت زينب بنت جحش برداً يمانياً و سألت أم حبيبة ثوباً سحوانياً و سألت حفصة ثوباً من ثياب مصر و سألت جويرية معجراً و سألت سودة قطيفة خيبرية، فلم يقدر على ذلک، لان الله تعالى كان خيره بين ملک الدنيا و نعيم الآخرة فاختار الآخرة. و قال: (اللهم أحينى مسكينا و امتنى مسكينا و احشرنى مسكينا فى جملة المساكن) فحينئذ أمره الله تعالى بتخيير النساء، فاخترن الله و رسوله

فعوضهن الله عن ذلک أن جعلهن أمهات المؤمنين.
و قيل: و أمر الله أن لا يطلقهن و لا يتزوج عليهن بقوله «لا يَحِلُّ لَکَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ» «1» ذكره ابن زيد.
ثم خاطب نساء النبى صلى اللَّه عليه و آله فقال «يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْکُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ» من شدد أراد التكثير، و من أثبت الألف أراد من المضاعفة، و من قرأ بالنون أضاف الفعل الى الله، لأن الفاعل لذلک هو الله و إنما جاز ان يضعف عقابهن بالمعصية لعظم قدرهن، و أن معصيتهن تقع على وجه يستحق بها ضعف ما يستحق غيرهن، كما أن طاعاتهن يستحق بها ضعف

---

(1) آية 52 من هذه السورة.

ما يستحق به غيرهن، من حيث كن قدوة فى الاعمال و أسوة فى ذلک.
ثم اخبر تعالى أن تضعيف ذلک عليه يسير سهل. و الضعف مثل الشىء الذى يضم اليه، ضاعفته ازددت عليه مثله، و منه الضعف، و هو نقصان القوة بأن يذهب احد ضعفيها، فهو ذهاب ضعف القوة. قال أبو عبيدة: يضاعف لها ضعفين أى يجعل لها العذاب ثلاثة أعذبة لان ضعف الشىء مثله، و ضعفى الشىء مثلاه و مجاز يضاعف أن يجعل الى الشىء شيئان حتى يكون ثلاثة، فأما من قرأ (يضعف) أراد أن يجعل الشىء شيئين، و ذكر بعضهم أن ذلک غلط على أبى عمرو فى تشديد يضعف، لأن ذلک نقل عنه على حكاية الفرق بين يضاعف و يضعف بالتشديد، و ليس بينهما فرق، لان المضاعفة و التضعيف شىء واحد و إنما قرأ ابو عمرو (يضعف) بضم الياء و تسكين الضاد و تخفيف العين و فتحها و الفرق يقع بين هذه و بين يضاعف لأنک تقول لمن أعطاک درهماً فأعطيته مكانه درهمين:
أضعفت لک العطية، فان أعطيته مكان درهم خمسة او ستة قلت ضاعفت له العطية و ضعفت بالتشديد أيضاً، فلما رأى ابو عمرو أن من احسن من أزواج النبى أعطى أجرين علم أن من أذنب منهن عوقب عقوبتين، فقرأ يضعف لها العذاب ضعفين.
و كان الحسن لا يرى التخيير شيئاً. و قال: إنما خيرن بين الدنيا و الآخرة لا فى الطلاق، و كذلک عندنا ان الخيار ليس بشىء غير أن أصحابنا قالوا إنما كان ذلک لنبى اللَّه خاصة، و لما خيرهن لو اخترن انفسهن لبن، فلما غيره فلا يجوز له ذلک. و قال قتادة: خيرهن اللَّه تعالى بين الدنيا و الآخرة فى شىء كن أردن من الدنيا. و قال عكرمة: فى غيرة كانت غارتها عائشة، و كان تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش: عائشة، و حفصة، و أم حبيبة بنت أبى سفيان التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 336
و أم سلمة بن أبى أميه، و سودة بنت زمعة، و كان تحته صفيه بنت حى ابن

خطب و ميمونة بنت الحارث الهلالية، و زينب بنت جحش الاسدية، و جويرية بنت الحارث من بني المصطلق، فلما اخترن اللّه و رسوله و الدار الآخرة، فرح بذلک رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله،

وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً (31) يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً (32) وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِينَ الزَّكاةَ وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (33) وَ اذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً (34) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِراتِ وَ الْخاشِعِينَ وَ الْخاشِعاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقاتِ وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِماتِ وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِراتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً (35)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 337

خمس آيات.

قرأ حمزة و الكسائى «و من يقنت منكن للَّه و رسوله و يعمل صالحاً» بالياء فيهما على اللفظ، لأن لفظة (من) مذكر. الباقون «و من يقنت»- بالياء- حملا على اللفظ «و تعمل» بالتاء حملا على المعنى، لأن المعنى من النساء، فكنى بلفظ التأنيث، و لأنه قط ظهر علامة التأنيث فى قوله «منكن» فكأن الرد عليه أولى من ردّه على اللفظ. و روى فى الشواذ «و من تقنت» بالتاء حملا على المعنى و ذلک جائز فى العربية غير انه ليس بمعروف، و لا يقرأ به. و قرأ عاصم و نافع «و قرن» بفتح القاف بمعنى أقررن «فى بيوتكن» من قررت فى المكان أقر قراراً إلا انه نقل حركة العين الى القاف، فانفتحت و سقطت الراء الأولى لالتقاء الساكنين كقولهم: فى ظللت ظلت. و فى أحست احست، و قالوا فى يحططن من الجبل يحطن. و قال الزجاج: فيه لغتان (قررت فى المكان و أقررت). الباقون بكسر القاف بمعنى كن أهل و قر، أى هدوء و سكينة من وقر فلان فى منزله يقر وقوراً إذا هدأ فيه و اطمأن. و يجوز أن يكون المراد الاستقرار، على لغة حكاها الزجاج و الكسائى.

لما تهدد اللَّه تعالى نساء النبى صلى اللَّه عليه و آله بأن من يأت منهن بفاحشة ظاهرة من ارتكاب محظور، و ما نهى اللَّه تعالى عنه انه يضاعف لها العذاب ضعفين لوقوع أفعالهن على وجه يستحق به ذلک من حيث كن سواء اسوة يتأسى بهن غيرهن و رغبهن فى هذه الآية بأن قال «وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ» أى من داوم منكن على

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 338

الطاعة للَّه و رسوله «وَ تَعْمَلْ» مع ذلک الافعال «صالِحاً نُؤْتِها» اى يعطيها

اللّه «أَجْرَها مَرَّتَيْنِ» كما لو عصت عاقبها ضعفين. و القنوت المداومة على العمل فمن داوم على العمل للّه فهو مطيع. و منه القنوت فى صلاة الوتر، و هو المداومة على الدعاء المعروف. و العمل الصالح هو المستقيم الذى يحسن أن يحمد عليه و يستحق به الثواب. و الأجر الجزاء على العمل، و هو الثواب، آجره يآجره اجراً و الأجر مرتين ليس يجب بالوعد بل إنما هو مستحق، لأن أفعالهن تقع على وجه يستحق مثلى ما لو استحق الغير، لأنه فى مقابلة العذاب ضعفين، و لا يجوز أن يضاعف ضعفين إلا مستحقاً، و كذلک الثواب المقابل له.
و قوله «وَ أَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً» معنى اعتدنا أعددنا، و أبدل من احدى الدالين تاء. و الرزق الكريم هو الثواب الذى لا يحسن الابتداء بمثله.
ثم قال «يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ» انما قال كأحد، و لم يقل كواحدة لان احداً نفى عام للمذكر و المؤنث و الواحد و الجماعة أى لا يشبهكن إحد من النساء فى جلالة القدر و عظم المنزلة و لمكانكن من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بشرط أن تتقين عقاب اللّه باجتناب معاصيه، و امتثال أوامره. و انما شرط ذلک بالاتقاء لئلا يعولن على ذلک، فيرتكبن المعاصى، و لو لا الشرط كان يكون إغراء لهن بالمعاصى، و ذلک لا يجوز على اللّه تعالى.
ثم قال لهن «فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ» أى لا تلين كلامكن للرجال، بل يكون جزلا قوياً لئلا يطمع من فى قلبه مرض. قال قتادة: و معناه من فى قلبه نفاق.
و قال عكرمة: من فى قلبه شهوة للزنا.
ثم قال لهن «وَ قُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفاً» مستقيماً جميلا بريئاً من التهمة بعيداً من الريبة موافقاً للدين و الإسلام. ثم أمرهن بالاستقرار فى بيوتهن و ألا يتبرجن

تبرج الجاهلية- على قراءة من فتح القاف. و من كسر أرادكن وقورات عليكن سكينة و وقار «وَ لا تَبَرَّجْنَ» قال قتادة: التبرج التبختر و التكبر، و قال غيره:
هو اظهار المحاسن للرجال.
و قوله «تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى» نصب تبرج على المصدر و المعنى مثل تبرج الجاهلية الأولى، و هو ما كان قبل الإسلام. و قيل ما كان بين آدم و نوح.
و قيل ما كان بين موسى و عيسى، و قيل ما كان بين عيسى و محمد. و قيل ما كان يفعله اهل الجاهلية، لأنهم كانوا يجوزون لامرأة واحدة رجلا و خلا فللزوج النصف السفلانى و للخل الفوقانى من التقبيل و المعانقة، فنهى اللّه تعالى عن ذلک ازواج النبى صلى اللّه عليه و آله و اشتقاق التبرج من البرج و هو السعة فى العين و طعنة برجاء اى واسعة و فى أسنانه برج إذا تفرق ما بينها، و اما الجاهلية الأخرى، فهو ما يعمل بعد الإسلام بعمل أولئک.
ثم أمرهن باقامة الصلاة و الدوام عليها بشروطها و إيتاء الزكاة لمن وجبت

علیه، و أمرهن بطاعة اللّه و طاعة رسوله، فی ما یأمرانهن به. ثم قال «إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً» روی أبو سعید الخدری و انس بن مالک و عائشة و أم سلمة و واثلة بن الأسقع أن الآیة نزلت فی النبی صلی اللّه علیه و آله و علی و فاطمة و الحسن و الحسین علیهم السلام و اهل البیت نصب علی النداء او علی المدح،
فروی عن أم سلمة انها قالت إن النبی صلی اللّه علیه و آله کان فی بیتی فاستدعا علیاً و فاطمة و الحسن و الحسین، و جللهم بعباء خیبریة، ثم قال: اللهم هؤلاء اهل بیتی فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهیراً، فأنزل اللّه تعالی قوله «إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً» فقالت أم مسلمة قلت: یا رسول اللّه هل انا من اهل بیتک؟ فقال:
لا، و لکنک التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 340
الی خیر.
و استدل أصحابنا بهذه الآیة علی ان فی جملة اهل البیت معصوماً لا یجوز علیه الغلط و ان إجماعهم لا یکون إلا صواباً بأن قالوا لیس یخلو إرادة اللّه لاذهاب الرجس عن اهل البیت من ان یکون هو ما أراد منهم من فعل الطاعات و اجتناب المعاصی، او یکون عبارة عن انه اذهب عنهم الرجس بأن فعل لهم لطفاً اختاروا عنده الامتناع من القبائح. و الأول لا یجوز ان یکون مراداً، لأن هذه الارادة حاصلة مع جمیع المکلفین، فلا اختصاص لأهل البیت فی ذلک و لا خلاف أن اللّه تعالی خص بهذه الآیة اهل البیت بأمر لم یشرکهم فیه غیرهم فکیف یحمل علی ما یبطل هذا التخصیص و یخرج الآیة من أن یکون لهم فیها فضیلة و مزیة علی غیرهم؟! علی ان لفظة (إنما) تجری مجری لیس، و قد دللنا علی ذلک فی ما تقدم و حکیناه عن جماعة من اهل اللغة، کالزجاج و غیره، فیکون تلخیص الکلام: لیس یرید اللّه إلا إذهاب الرجس علی هذا الحد عن أهل البیت، فدل ذلک علی ان إذهاب الرجس قد حصل فیهم. و ذلک یدل علی عصمتهم، و إذا ثبت عصمتهم ثبت ما أردناه.
و قال عکرمة فی فی ازواج النبی خاصة. و هذا غلط، لأنه لو کانت الآیة فیهن خاصة لکنی عنهم بکنایة المؤنث، کما فعل فی جمیع ما تقدم من الآیات نحو قوله «وَ قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِیَّةِ الْأُولی وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِینَ الزَّکاةَ» فذکر جمیع ذلک بکنایة المؤنث، فکان یجب أن یقول إنما یرید اللّه لیذهب عنکن الرجس اهل البیت و یطهرکن، فلما کنا بکنایة المذکر دل علی ان النساء لا مدخل لهن فیها.
و فی الناس من حمل الآیة علی النساء و من ذکرناه من اهل البیت هرباً
التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 341
مما قلناه. و قال: إذا اجتمع المذکر و المؤنث غلب المذکر، فکنی عنهم بکنایة المذکر. و هذا یبطل بِما بیناه من الروایة عن أم سلمة و ما یقتضیه

من كون من تناولته معصوماً. و النساء خارجات عن ذلک. و قد استوفينا الكلام فى ذلک- فى هذه الآيات- فى كتاب الامامة من أراده وقف عليه هناک.
ثم عاد تعالى الى ذكر النساء فأمرهن بأن يذكرن اللَّه تعالى بصفاته، و بالدعاء و التضرع اليه، و ان يفكرن فى آيات الله التى تتلى فى بيوتهن من القرآن المنزل، و يعملن بها و بما فيها من الحكمة «إِنَّ اللَّهَ كانَ لَطِيفاً» فى تدبير خلقه، و فى إيصال المنافع الدينية و الدنيوية اليهم «خَبِيراً» اى عالماً بما يكون منهم، و بما يصلحهم و بما يفسدهم، و أمرهم بأن يفعلوا ما فيه صلاحهم و اجتناب ما فيه فسادهم.
ثم اخبر تعالى ب «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ» و هم الذين استسلموا لاوامر الله و انقادوا له، و أظهروا الشهادتين، و عملوا بموجبه «وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ» فالإسلام و الايمان واحد، عند اكثر المفسرين، و إنما كرر لاختلاف اللفظين.
و فى الناس من قال: المؤمن هو الذى فعل جميع الواجبات، و انتهى عن جميع المقبحات، و المسلم هو الملتزم لشرائط الإسلام المستسلم لها و «الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ» يعنى الدائمين على الاعمال الصالحات «وَ الصَّادِقِينَ» فى أقوالهم «وَ الصَّادِقاتِ» مثل ذلک «وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِراتِ» على طاعة اللَّه و على ما يبتليهم لله من المصائب و ما يأمرهم به من الجهاد فى سبيله «وَ الْخاشِعِينَ» يعنى المتواضعين غير المتكبرين «وَ الْخاشِعاتِ» مثل ذلک «وَ الْمُتَصَدِّقِينَ» يعنى الذين يخرجون الصدقات و الزكوات «وَ الْمُتَصَدِّقاتِ» مثل ذلک «وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِماتِ وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ» من الزنا و ارتكاب انواع الفجور «وَ الْحافِظاتِ» فروجهن التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 342
و حذف من الثانى لدلالة الكلام عليه «وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِراتِ» الله كثيراً، و حذف مثل ما قلناه. ثم قال «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ» يعنى من قدم ذكرهم و وصفهم «مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً» يعنى ثواباً جزيلا. لا يوازيه شىء.
و قيل: إن سبب نزول هذه الآية ان أم سلمة قالت: يا رسول الله ما للرجال يذكرون فى القرآن و لا يذكر النساء؟ فنزلت الآية. فلذلک قال «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ» و إن كن المسلمات داخلات فى قوله «المسلمين» تغليباً للمذكر فذكرهن بلفظ يخصهن إزالة للشبهة.

وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً (36) وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (37) ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً (38) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً (39) ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (40)

خمس آيات.

قرأ أهل الكوفة «ان يكون لهم الخيرة» بالياء، لان التأنيث غير حقيقى.

الباقون بالتاء لتأنيث الخيرة. و الخيرة جمع خير و حكى خيرة بفتح الياء و سكونها و قرأ عاصم «و خاتم» بفتح التاء، الباقون بكسرها. و هو الأقوى، لأنه مشتق من ختم، فهو خاتم. و قال الحسن: خاتم و هو الذى ختم به الأنبياء. و قيل: هما لغتان- فتح التاء و كسرها- و فيه لغة ثالثة (خاتام) و قرئ به فى الشواذ.

و حكى ايضاً (ختام).

و روى عن ابن عباس، و ذهب اليه مجاهد، و قتادة أنه نزل قوله «وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ ...» الآية، فى زينب بنت جحش، لما خطبها رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لزيد بن حارثة فامتنعت لنسبها من قريش و إن زيداً كان عبداً، فأنزل اللّه الآية فرضيت به. و قال ابن زيد: نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة ابن أبى معيط، و كانت وهبت نفسها لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فزوجها زيد بن حارثة.

بين اللّه تعالى فى هذه الآية انه لم يكن «لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً» بمعنى إلزاماً و حكما «أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» اى ليس لهم أن يتخيروا مع امر اللّه بشىء يترک به ما امر به الى ما لم يأذن فيه. و الخيرة إرادة اختيار الشىء على غيره. و فى ذلک دلالة على فساد مذهب المجبرة فى القضاء و القدر، لأنه لو كان اللّه تعالى قضى المعاصى لم يكن لأحد

عليه الوفاء به. و من خالف فى ذلک كان عاصياً، و ذلک خلاف الإجماع.

ثم قال «وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» فى ما قضيا به و امرا به و خالفهما

«فَقَدْ ضَلّ» عن الحق و خاب عنه «ضَلالًا مُبِيناً» أى ظاهراً.
ثم خاطب النبى صلى اللَّه عليه و آله فقال و اذكر يا محمد حين «تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» يعنى بالهداية الى الايمان «وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ» بالعتق «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» أى احبسها، و لا تطلقها،
لأن زيداً جاء الى النبى صلى اللَّه عليه و آله مخاصما زوجته زينب بنت جحش على ان يطلقها، فوعظه النبى صلى اللَّه عليه و آله، و قال له: لا تطلقها و أمسكها
«وَ اتَّقِ اللَّهَ» فى مفارقتها «وَ تُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» فالذى أخفى فى نفسه انه إن طلقها زيد تزوجها و خشى من إظهار هذا للناس، و كان الله تعالى أمره بتزوجها إذا طلقها زيد، فقال الله تعالى له ان تركت إظهار هذا خشية الناس فترک إضماره خشية الله أحق و أولى. و قال الحسن: معناه و تخشى عيب الناس. و روى عن عائشة انها قالت لو كنتم رسول الله صلى اللَّه عليه و آله شيئاً من الوحى لكتم «وَ تُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ» و
قيل: إن زيداً لما جاء مخاصما زوجته، فرآها النبى صلى اللَّه عليه و آله استحسنها و تمنى ان يفارقها زيد حتى يتزوجها، فكتم.
قال البلخى: و هذا جائز، لأن هذا التمنى هو ما طبع الله عليه البشر، فلا شىء على احد إذا تمنى شيئاً استحسنه.
ثم قال تعالى (فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها) فالوطر الارب و الحاجة و قضاء الشهوة يقال: لى فى هذا وطر، أى حاجة و شهوة، قال الشاعر:
و دعنى قبل ان أودعه لما قضى من شبابنا وطرا «1»
و قال آخر:

---

(1) مجاز القرآن 2/ 160.

و كيف ثواى بالمدينة بعد ما قضى وطراً منها جميل بن معمر
و قوله (زوجناكها) يعنى لما طلق زيد امرأته زينب بنت جحش اذن الله تعالى لنبيه فى تزويجها، و أراد بذلک نسخ ما كان عليه اهل الجاهلية من تحريم زوجة الدعى على ما بيناه، و هو قوله (لِكَىْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ) اى اثم فى أزواج ادعيائهم أن يتزوجوهن (إذا قضوا) الأدعياء (منهن وطراً) و فارقوهن، فبين الله تعالى ان الغرض بهذا ان لا يكون المتبنى به إذا طلق المرأة يجرى مجرى تحريم امرأة الابن إذا طلقت او مات عنها الابن.
و قوله (وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) معناه و
كان تزويج النبى صلى اللَّه عليه و آله زينب بنت جحش كائناً لا محالة.
و استدل بقوله (وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) على حدوث كلام اللَّه، لأن اللَّه

تعالى قص كلامه. و قد بين أنه مفعول، و المفعول و المحدث واحد. ثم قال تعالى (ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ) أى لم يكن عليه إثم فى ما قدره اللّه أن يتزوج زينب بنت جحش التى كانت زوجة زيد، و إن كان دعياً له، و فى جمعه بين التسع. و قال (سُنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) أى ما أمرنا به محمداً من هذه السنن و العادات مثل سنة من تقدم من الأنبياء، و ما أمرهم اللّه تعالى به، لأنه تعالى أباح لكل نبى شيئاً خصه به و رفع به شأنه من بين سائر الأمم (وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً) فالقدر المقدور هو ما كان على مقدار ما تقدم من غير زيادة و لا نقصان، قال الشاعر:

و اعلم بان ذا الجلال قد قدر فى الصحف الاولى التى كان سطر «1»

---

(1) مر تخريجه فى 6/ 492.

و قوله (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ) و لا يكتمونها بل يؤدونها الى من بعثوا اليهم (وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ) أى لا يخافون سوى اللّه احداً و قوله (وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً) أى كافياً و مجازياً. ثم قال (ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ) نزلت فى زيد بن حارثة لأنهم كانوا يسمونه: زيد بن محمد، فبين اللّه تعالى ان النبى ليس ب (أب احد) منهم من الرجال و إنما هو ابو القاسم و الطيب و المطهر و إبراهيم، و كلهم درجوا فى الصغر. ذكره قتادة. ثم قال (و لكن) كان (رسول اللّه) و نصب بإضمار (كان) و تقديره و لكن كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و روى عبد الوارث عن أبى عمرو (و لكن) بالتشديد (رسول اللّه) نصب ب (لكن) (وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ) أى آخرهم، لأنه لا نبى بعده الى يوم القيامة (وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) أى عالماً لا يخفى عليه شىء مما يصلح العباد. و قيل إنما ذكر (وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ) هاهنا، لان المعنى أن من لا يصلح بهذا النبى الذى هو آخر الأنبياء، فهو مأيوس من صلاحه من حيث انه ليس بعده نبى يصلح به الخلق. و من استدل بهذه الآية، و هى قوله (ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ) على انه لم يكن الحسن و الحسين عليهما السلام ابنيه، فقد أبعد، لان الحسن و الحسين كانا طفلين، كما انه كان أبا إبراهيم و إنما بقى أن لا يكون أباً للرجال البالغين.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (41) وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً (42) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ كانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً (43) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً (44) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (45)
وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً (46) وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً (47) وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعْ أَذاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً (48)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 347

ثمان آيات.

هذا خطاب من اللَّه تعالى للمؤمنين المصدقين بوحدانيته المقرين بصدق أنبيائه، يأمرهم بأن يذكروا اللَّه ذكراً كثيراً، و الذكر الكثير أن نذكره بصفاته التى يختص بها، و لا يشاركه فيها غيره، و ننزهه عما لا يليق به. و

روى فى اخبارنا أن من قال: سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله اكبر ثلاثين مرة، فقد ذكر الله كثيراً

، و كل صفة لله تعالى فهى صفة تعظيم، و إذا ذكر بأنه شىء وجب أن يقال: إنه شىء لا كالأشياء، و كذلك احد ليس كمثله شىء و كذلك القديم هو الأول قبل كل شىء، و الباقى بعد فناء كل شىء. و لا يجوز أن يذكر بفعل ليس فيه تعظيم، لان جميع ما يفعله يستحق به الحمد و الوصف بالجميل على جهة التعظيم، مثل الذكر بالغنى و الكرم بما يوجب اتساع النعم، و الذكر إحضار معنى الصفة للنفس إما بإيجاد المعنى فى النفس ابتداء من غير طلب. و الآخر بالطلب من جهة الفكر. و الذكر قد يجامع العلم، و قد يجامع الشك. و العلم لا يجامع الشك فى الشىء على وجه واحد. و الذكر أيضاً يضاد السهو، و لا يضاد الشك، كما يضاده العلم. و قوله (وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا) أمر لهم بأن ينزهوا الله تعالى عن كل قبيح و جميع ما لا يليق به، بالغداة التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 348

و العشى: قال قتادة: يعنى صلاة الغداة و صلاة العصر، و الأصيل العشى و جمعه أصائل، و يقال اصل و آصال، و هو اصل الليل أى اوله و مبدؤه، و قوله (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ) يترحم عليكم بإيجاب الرحمة، و يصلى عليكم الملائكة بالدعاء و الاستغفار، فالأول كالدعاء، و الثانى دعاء، و قيل: معناه يثنى عليكم بطريقة الدعاء، كقوله عليك رحمتى و مغفرتى. و قيل: معناه هو الذى يوجب عليكم الصلاة، و هى الدعاء بالخير، و يوجبه الملائكة بفعل الدعاء، و هذا مما يختلف فيه معنى صفة الله تعالى و صفة العباد، كتواب بمعنى كثير القبول للتوبة و تواب بمعنى كثير فعل التوبة، و

قال الأعشى:
عليک مثل الذى صليت فاعتصمى يوماً فان لجنب المرء مضطجعا «1»
فمن رفع (مثل) فإنما دعا لها مثل ما دعت له. و من نصب أمرها بأن تزداد من الدعاء أى عليک بمثل ما قلت. و قوله (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ) معناه ليخرجكم من الجهل بالله الى معرفته، فشبه الجهل بالظلمات، و المعرفة بالنور. و انما شبه العلم بالنور، لأنه يقود الى الجنة، فهو كالنور. و الكفر يقود الى النار- نعوذ بالله منها- و قال ابن زيد: معناه ليخرجكم من الضلالة الى الهدى.
ثم اخبر تعالى انه (كانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً) حين قبل توبتهم و خلصهم من العقاب الى الثواب بما لطف لهم فى فعله. و قوله (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ) أى يحيى بعضهم بعضاً يوم يلقون ثواب اللّه بأن يقولوا السلامة لكم من جميع الآفات و الفوز بنعيم ثواب اللّه. و لقاء اللّه لقاء ثوابه لا رؤيته، لأنه بمنزلة قوله

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 106 و قد مر فى 5/ 331 من هذا الكتاب.

(فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ) «1» و بمنزلة قول النبى صلى اللّه عليه و آله (من حلف على يمين كاذبة يقتطع بها مال امرئ مسلم لقى اللّه و هو عليه غضبان)
و لا خلاف أن هؤلاء لا يرون اللّه. و قوله (وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً) أى ثواباً جزيلا.
ثم خاطب النبى صلى اللّه عليه و آله فقال (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناکَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً) أى شاهداً على أمتک فى ما يفعلونه من طاعة الله او معصيته او إيمان به او كفر، لتشهد لهم يوم القيامة او عليهم، فأجازيهم بحسبه، و مبشراً لهم بالجنة و ثواب الأبد إن أطاعونى و اجتنبوا معصيتى. (و نذيراً) أى مخوفاً من النار و عقاب الأبد بارتكاب المعاصى و ترک الواجبات (و داعياً) اى و بعثناک داعياً لهم تدعوهم (إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ) و الإقرار بوحدانيته و امتثال ما أمرهم به، و الانتهاء عما نهاهم عنه (وَ سِراجاً مُنِيراً) أى انت بمنزلة السراج الذى يهتدى به الخلق. و المنير هو الذى يصدر النور من جهته إما بفعله، و إما لأنه سبب له، فالقمر منير، و السراج منير بهذا المعنى، و الله منير السموات و الأرض.
و قال الزجاج (وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً) و بعثناک ذا سراج، و حذف المضاف و أقام المضاف اليه مقامه و أراد بالسراج القرآن الذى يحتاجون الى العمل به.
ثم امر نبيه صلى اللّه عليه و آله بأن (بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيراً) أى زيادة على ما يستحقونه من الثواب كثيراً. ثم نهاه عن طاعة

الَكفار الجاحدين لله و المنكرين لنبوته فقال (وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ) الذين يتظاهرون بالكفر، و لا «المنافقين» الذين يظهرون الإسلام، و يبطنون الكفر، و لا تساعدهم على ما يريدونه (وَ دَعْ أَذاهُمْ) أى اعرض عن أذاهم فانا أكفيک أمرهم إذا توكلت علىّ، و عملت بطاعتى فان جميعهم فى سلطانى

---

(1) سورة 9 التوبة آية 78.

بمنزلة ما هو فى قبضة غيرى. ثم قال (وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) أى أسند أمرک اليه و اكتف به (وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا) اى كافياً و متكفلا ما يسنده اليه. و قوله (شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً، و داعيا، و سراجا) كل ذلک نصب على الحال.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها فَمَتِّعُوهُنَّ وَ سَرِّحُوهُنَّ سَراحاً جَمِيلاً (49) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ بَناتِ عَمِّكَ وَ بَناتِ عَمَّاتِكَ وَ بَناتِ خالِكَ وَ بَناتِ خالاتِكَ اللاَّتِي هاجَرْنَ مَعَكَ وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أَزْواجِهِمْ وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (50)

آيتان.

قرأ حمزة و الكسائى (تماسوهن) بألف. الباقون بلا الف. و قد مضى تفسيره فى البقرة «1».

---

(1) انظر 2/ 268- 272. [.....]

خاطب الله نبيه بأنه إذا نكح واحد من المؤمنين المصدقين بواحدانيته المقرين بنبوة نبيه مؤمنة نكاحاً صحيحاً، ثم طلقها قبل ان يمسها بمعنى قبل ان يدخل بها بأنه لا عدة عليها منه، و يجوز لها أن تتزوج بغيره فى الحال. و أمرهم أن يمتعوها و يسرحوها سراحاً جميلا، الى بيت أهلها. و هذه المتعة واجبة إن كان لم يسم لها مهراً و إن كان سمى لها مهراً لزمه نصف المهر، و يستحب المتعة مع ذلک، و فيه خلاف. و قال ابن عباس: إن كان سمى لها صداقاً فليس لها إلا نصف المهر، و إن لم يكن سمى لها صداقاً متعها على قدر عسره او يسره و هو السراح الجميل. و هذا مثل قولنا سواء. و حكى عن ابن عباس أن هذه الآية نسخت بإيجاب المهر المذكور فى البقرة «1» و مثله روى عن سعيد بن المسيب و الصحيح الأول. ثم خاطب النبى صلى اللَّه عليه و آله فقال (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) يعنى مهورهن، لأن النكاح لا ينفک من المهر و أحللنا لک ما ملكت من الإماء أن تجمع منهن ما شئت (مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ) من الغنائم و الانفال (وَ بَناتِ عَمِّكَ) أى و أحللنا لک بنات عمک (وَ بَناتِ عَمَّاتِكَ وَ بَناتِ خالِكَ وَ بَناتِ خالاتِكَ اللاَّتِي هاجَرْنَ مَعَكَ) أن تعقد عليهن و تعطيهن مهورهن.

ثم قال (وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ) فالقراء كلهم على كسر (ان) على انه شرط، و قرأ الحسن بفتحها على انه بمعنى أحللنا لک لان وهبت، و المعنى واحد، لأنه بمنزلة قولک سرنى إن ملكت و سرنى أن ملكت أى سرنى ما ملكت (إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ) و أحللنا لک المرأة إذا وهبت

نفسها لک إن أردتها و رغبت فيها. فروى عن ابن عباس انه لا تحل امرأة بغير مهر و إن وهبت نفسها إلا للنبى

---

(1) انظر 2/ 272.

صلى اللّه عليه و آله خاصة. و قال ابن عباس: لم يكن عند النبى امرأة وهبت نفسها له، و فى رواية أخرى عن ابن عباس انه كانت عنده ميمونة بنت الحارث بلا مهر و كانت وهبت نفسها للنبى. و

روى عن على بن الحسين عليه السلام أنها امرأة من بنى اسد يقال لها أم شريک.

و قال الشعبى: هى امرأة من الأنصار. و قيل زينب بنت خزيمة من الأنصار.

و عندنا أن النكاح بلفظ الهبة لا يصح و إنما كان ذلک للنبى صلى اللّه عليه و آله خاصة. و قال قوم: يصح غير انه يلزم المهر إذا دخل بها، و إنما جاز بلا مهر للنبى صلى اللّه عليه و آله خاصة غير انه يبين حجة ما قلناه. قوله (إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها خالِصَةً لَکَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) فبين أن هذا الضرب من النكاح خاص له دون غيره من المؤمنين.

و قوله (قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ) يعنى على المؤمنين (فى أزواجهم) قال قتادة: معناه أى لا نكاح الا بولى و شاهدين و صداق و ألا يتجاوز الأربع.

و قال مجاهد: ما فرضنا عليهم ألا يتزوجوا اكثر من أربع. و قال قوم (ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِى أَزْواجِهِمْ) من النفقة و القسمة و غير ذلک.

و عندنا أن الشاهدين ليسا من شرط صحة انعقاد العقد، و لا الولى إذا كانت المرأة بالغة رشيدة، لأنها ولية نفسها. و المعنى على مذهبنا إنا قد علمنا ما فرضنا على الأزواج من مهرهن و نفقتهن و غير ذلک و من الحقوق مع (ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ) (ما) فى موضع جر لأنها عطف على (فى) و تقديره: فى أزواجهم و فى ما ملكت أيمانهم (لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْکَ حَرَجٌ) إذا تزوجت المرأة بغير مهر إذا وهبت لک نفسها و أردتها. ثم قال (وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) أى ساتراً للذنب على المسيئين رحيماً بهم و منعما عليهم.

تُرْجِی مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوِی إِلَیْکَ مَنْ تَشاءُ وَ مَنِ ابْتَغَیْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَیْکَ ذلِکَ أَدْنی أَنْ تَقَرَّ أَعْیُنُهُنَّ وَ لا یَحْزَنَّ وَ یَرْضَیْنَ بِما آتَیْتَهُنَّ کُلُّهُنَّ وَ اللَّهُ یَعْلَمُ ما فِی قُلُوبِکُمْ وَ کانَ اللَّهُ عَلِیماً حَلِیماً (51) لا یَحِلُّ لَکَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَ لا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ وَ لَوْ أَعْجَبَکَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ ما مَلَکَتْ یَمِینُکَ وَ کانَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ رَقِیباً (52) یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُیُوتَ النَّبِیِّ إِلاَّ أَنْ یُؤْذَنَ لَکُمْ إِلی طَعامٍ غَیْرَ ناظِرِینَ إِناهُ وَ لکِنْ إِذا دُعِیتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لا مُسْتَأْنِسِینَ لِحَدِیثٍ إِنَّ ذلِکُمْ کانَ یُؤْذِی النَّبِیَّ فَیَسْتَحْیِی مِنْکُمْ وَ اللَّهُ لا یَسْتَحْیِی مِنَ الْحَقِّ وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذلِکُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِکُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ وَ ما کانَ لَکُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لا أَنْ تَنْکِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِکُمْ کانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِیماً (53) إِنْ تُبْدُوا شَیْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ کانَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیماً (54) لا جُناحَ عَلَیْهِنَّ فِی آبائِهِنَّ وَ لا أَبْنائِهِنَّ وَ لا إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ أَخَواتِهِنَّ وَ لا نِسائِهِنَّ وَ لا ما مَلَکَتْ أَیْمانُهُنَّ وَ اتَّقِینَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ کانَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیداً (55)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 354

خمس آیات.

قرأ ابن کثیر و ابو عمرو و ابن عامر و ابو بکر عن عاصم (ترجئ) مهموزة. الباقون بغیر همز. من همز خففها و من ترک الهمز لین، و هما لغتان یقال: أرجئت و أرجیت. و قرأ ابو عمرو وحده (لا تحل) بالتاء. الباقون بالیاء. فمن قرأ بالتاء، فلان النساء مؤنثة. و من قرأ بالیاء حمله علی اللفظ لأن المعنی: لا یحل لک شیء من النساء.

هذا خطاب من اللّه تعالی لنبیه محمد صلی اللَّه علیه و آله یخیره فی نسائه بین أن یرجئ منهن من شاء أی تؤخر و تبعد. قال ابن عباس: خیره اللَّه بین طلاقهن و إمساکهن. و قال قوم: معناه تترک نکاح من شئت و تنکح من شئت من نساء أمتک. و قال مجاهد: معناه تعزل من شئت من نسائک فلا تأتیها و تأتی من شئت من نسائک فلا تقسم لها، فعلی هذا یکون القسم ساقطاً عنه فکان ممن أرجی میمونة و أم حبیبة و صفیة و سودة، فکان یقسم لهن من نفسه و ماله ما شاء، و کان ممن یأوی عائشة و حفصة و أم سلمة و زینب، فکان یقسم نفسه و ماله بینهن بالسویة. و قال زید بن اسلم: نزلت فی اللاتی وهبن انفسهن فقال الله له تزوج من شئت منهن و اترک من شئت، و هو اختیار الطبری و هو ألیق بما تقدم. فالارجاء هو التأخیر و هو من تبعید وقت الشیء عن التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 355

وقت غیره و منه الارجاء فی فساق أهل الصلاة، و هو تأخیر حکمهم بالعقاب

الى الله (وَ تُؤْوِی إِلَیْکَ مَنْ تَشاءُ) فالایواء: ضم القادر غیره من الأحیاء الذین من جنس ما یعقل الى غیره أو ناحیته، تقول آویت الإنسان آویه إیواء و أوی هو یأوی أویاً إذا انضم الى مأواه.
و قوله (وَ مَنِ ابْتَغَیْتَ) یعنی من طلبت (ممن عزلت) قال قتادة: کان نبی اللَّه یقسم بین أزواجه فأحل اللَّه تعالى له ترک ذلک. و قیل (وَ مَنِ ابْتَغَیْتَ) اصابته ممن کنت عزلت عن ذلک من نسائک. و قال الحسن (تُرْجِی مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ) تذکر المرأة للتزویج ثم ترجیها فلا تتزوجها (فَلا جُناحَ عَلَیْکَ) أی لا جناح علیک فی ابتغاء من شئت و إرجاء من عزلت و إیواء من شئت (ذلِکَ أَدْنی أَنْ تَقَرَّ أَعْیُنُهُنَّ وَ لا یَحْزَنَّ) أی اقرب إذا علمن أن الرخصة من قبل اللَّه کان ذلک أقر لعینهن، و إنهن لا یطلقن و أشدّ لسرورهن. و هو قول قتادة، و قیل (ذلِکَ أَدْنی أَنْ تَقَرَّ أَعْیُنُهُنَّ) إذا طمعت فی ردّها الى فراشها بعد عزلها (وَ یَرْضَیْنَ بِما آتَیْتَهُنَّ کُلُّهُنَّ) رفع (کلهنّ) على تأکید الضمیر و هو النون فی (یرضین) لا یجوز غیر ذلک، لان المعنى علیه. ثم قال (وَ اللَّهُ یَعْلَمُ ما فِی قُلُوبِکُمْ) من الرضا و السخط و المیل الى بعض النساء دون بعض (وَ کانَ اللَّهُ عَلِیماً) بذلک (حلیماً) عن ان یعاجل أحداً بالعقوبة.
و قوله (لا یَحِلُّ لَکَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَ لا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ) قال ابن عباس و الحسن: بعد التسع اللاتی کن عنده و اخترنه مکافأة لهن على اختیارهن اللَّه و رسوله. و قال أبی بن کعب لا یحل لک من بعد أی حرم علیک ما عدا اللواتی ذکرن بالتحلیل فی «إِنَّا أَحْلَلْنا لَکَ ...» الآیة. و هن ست أجناس النساء اللاتی هاجرن معک و إعطائهن مهورهن و بنات عمه و بنات عماته و بنات خاله التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 356
و بنات خالاته اللاتی هاجرن معه، و من وهبت نفسها له بجمیع ما شاء من العدد، و لا یحل له غیرهن من النساء. و قال مجاهد: «لا یَحِلُّ لَکَ النِّساءُ» من أهل الکتاب و یحل لک المسلمات.
و روی أن حکم هذه الآیة نسخ، و أبیح له ما شاء من النساء أی أی جنس أراد، و کم أراد،
فروی عن عائشة انها قالت: لم یخرج النبی صلى اللَّه علیه و آله من دار الدنیا حتى حلل اللَّه له ما أراد من النساء، و هو مذهب اکثر الفقهاء. و هو المروی عن أصحابنا فی أخبارنا.
«وَ لا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ» قال ابن زید: معناه أن تعطی زوجتک لغیرک و تأخذ زوجته. لان أهل الجاهلیة کانوا یتبادلون الزوجات. و قیل:
معناه تطلق واحدة و تتزوج أخرى بعدها «وَ لَوْ أَعْجَبَکَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا ما مَلَکَتْ یَمِینُکَ» استثناء الإماء أی اللاتی تملکهن من جملة ما حرم علیه من النساء «وَ کانَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ رَقِیباً» أی عالماً حافظاً، فالرقیب الحفیظ- فی قول الحسن و قتادة- قال الشاعر:
لواحد الرقباء للضرباء أیدیهم نواهِد «1»

ثم خاطب المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلَوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» نهاهم عن دخول دور النبى بغير اذن «إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ» أى بلوغه، و كان يداريهم، و هو نصب على الحال، يقال فى الطعام: أناى يأنى إذا بلغ حال النضج، قال الشاعر [الشيبانى].
تمخضت المنون له بيوم انى و لكل حادثة تمام «2»
و قال الحطيئة:

---

(1) مجاز القرآن 2/ 140.
(2) تفسير القرطبى 14/ 226.

و أخرت
العشاء الى سبيل او الشعرى فطال بى الإناء «1»
و قال البصريون: لا يجوز (غير ناظرين) بالجر على صفة (طعام) لان الصفة إذا جرت على غير من هى له لم يضمر الضمير، و أجاز ذلک الفراء و انشد الأعشى:
فقلت له هذه هاتها إلينا بأدماء مقتادها «2»
.و المعنى على يدى من اقتادها، و قال الكسائى: سمعت العرب تقول: يدک باسطها، أى انت. و قال الزجاج: لو جر (غير) لقال: الى طعام غير ناظرين إناه أنتم، لا يجوز إلا ذلک. و المعنى غير منتظرين بلوغ الطعام.
ثم قال «وَ لكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا» و المعنى إذا دعيتم الى طعام فادخلوا «فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ» أى تفرقوا و لا تقيموا و لا تستأنسوا بطول الحديث، و إنما منعوا من الاستئناس من اجل طول الحديث لان الجلوس يقتضى ذلک، و الاستئناس هو ضد الاستيحاش، و الانس ضد الوحشة، و بين تعالى فقال «لان ذلک» الاستئناس بطول الجلوس «كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ» أى من الحاضرين، فيسكت على مضض و مشقة «وَ اللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ» ثم قال «وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً» يعنى إذا سألتم أزواج النبى شيئاً تحتاجون اليه «فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ» و ستر «ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ» من الميل الى الفجور.
ثم قال «وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ» قال ابو عبيدة (كان) زائدة و المعنى ليس «لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ» بطول الجلوس عنده، و مكالمة نسائه

---

(1) تفسير القرطبى 14/ 226.
(2) ديوانه (دار بيروت) روايته:
فقلنا له هذه هاتها بأدماء فى حبل مقتادها.

«و لا» يحل لكم ايضاَ «أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداَ» لأنهن صرن بمنزلة أمهاتكم فى التحريم. و قال السدى: لما نزل الحجاب قال رجل من بنى تيم أ نحجب من بناتِ عِمنا إن مات عرسنا بهن، فنزل قوله «وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ» إن فعلتموه «كانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً».
ثم قال لهم «إِنْ تُبْدُواَ شَيْئاً» أى إن اظهرتموه من مواقعة النساء «أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيماً» لا يخفى عليه شىء من أعمالكم لا ظاهرة و لا باطنة. ثم استثنى لازواج النبى صلى اللَّه عليه و آله من يجوز لها محادثتهم و مكالمتهم، فقال «لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ فِى آبائِهِنَّ وَ لا أَبْنائِهِنَّ وَ لا إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ أَخَواتِهِنَّ وَ لا نِسائِهِنَّ وَ لا ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ» و لم يذكر العم و الخال لأنه مفهوم من الكلام، لأن قرباتهم واحدة، لأنهن لا يحللن لواحد من المذكورين بعقد نكاح على وجه، فهن محرم لهن «وَ لا نِسائِهِنَّ وَ لا ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ» قال قوم: من النساء و الرجال. و قال آخرون من النساء خاصة. و هو الأصح. و قال مجاهد: رفع الجناح- هاهنا- فى وضع الجلباب للمذكورين.
و قال قتادة: فى ترك الاحتجاب، ثم أمرهن بأن يتقين اللَّه و يتركن معاصيه فقال «وَ اتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيداً» أى عالماً لا يخفى عليه شىء من ذلك. و قال الشعبى و عكرمة: و إنما لم يذكر العم و الخال، لئلا ينعتاهن لابنائهما. و كان سبب نزول الآية لما نزل الحجاب، قوله «فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ» قال آباء النساء و ابناؤهن: و نحن ايضاً مثل ذلك، فانزل الله الآية و بين أن حكم هؤلاء بخلاف حكم الأجانب.

إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً (56) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً (57) وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً (58) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَ بَناتِكَ وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (59) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ فِيها إِلاَّ قَلِيلاً (60)

خمس آيات يقول الله تعالى مخبراً انه يصلى و ملائكته على النبى صلى اللّه عليه و آله و صلاة الله تعالى هو ما فعله به من كراماته و تفضيله و إعلاء درجاته و رفع منازله و ثنائه عليه و غير ذلک من انواع إكرامه. و صلاة الملائكة عليه مسألتهم الله تعالى أن يفعل به مثل ذلک، و زعم بعضهم أن «يصلون» فيه ضمير الملائكة دون اسم الله مع إقراره بأن الله سبحانه يصلى على النبى لكنه يذهب فى ذلک الى انه فى افراده بالذكر تعظيماً، ذكره الجبائى. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 360

ثم امر تعالى المؤمنين المصدقين بواحدانيته المقرين بنبوة نبيه أن يصلوا ايضاً عليه، و هو أن يقولوا: اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على ابراهيم و آل إبراهيم- فى قول ابن عباس.

ثم أمر المؤمنين أيضاً، ان يسلموا لأمره تعالى و أمر رسوله تسليماً، فى جميع ما يأمرهم به. و التسليم هو الدعاء بالسلامة كقولهم سلمک الله. و السلام عليک و رحمة الله و بركاته. و كقولک: السلام عليک يا رسول الله.

ثم اخبر تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» و أذى الله يقال هو أذى أوليائه، و انما أضافه الى نفسه تعظيماً لأوليائه و مبالغة فى عظم المعصية به «لَعَنَهُمُ اللَّهُ» أى يستحقون اللعنة من الله، لان معنى «لعنهم الله» أى حل بهم و بال اللعن بالابعاد من رحمة الله. و قول القائل: لعن الله فلاناً معناه الدعاء عليه بالابعاد من رحمته. و قوله «فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ» أى هم مبعدون من رحمته تعالى فى الدنيا و الآخرة، و مع ذلک «أَعَدَّ لَهُمْ» فى الآخرة «عَذاباً مُهِيناً» أى مذلا لهم، و الهوان الاحتقار، يقال: اهانه اهانة، و إنما وصف العذاب بأنه مهين، لأنه تعالى يهين الكافرين و الفاسقين به، حتى يظهر الذلة فيه عند العقاب.

ثم قال «وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا» يعنى يؤذونهم من غير استحقاق على شىء فعلوه يستوجبون به ذلک «فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً ...».

و كان سبب نزول الآية ان قوماً من الزناة كانوا يمشون فى الطرقات فإذا رأوا امرأة غمزوها. و قال النقاش: نزلت فى قوم كانوا يؤذون علياً عليه السلام و قيل: نزلت فى من تكلم فى عائشة فى قصة الافک. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 361
و قوله «فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً» اى كذباً «وَ إِثْماً مُبِيناً» اى ظاهراً. ثم خاطب النبى صلى اللَّه عليه و آله بقوله «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ» و أمره بأن يقول لأزواجه و بناته و نساء المؤمنين، و يأمرهم بأن يدنين عليهم من جلابيبهن، فالجلابيب جمع جلباب و هو خمار المرأة و هى المقنعة تغطى جبيتها و رأسها إذا خرجت لحاجة بخلاف خروج الإماء اللاتى يخرجن مكشفات الرؤوس و الجباه- فى قول ابن عباس و مجاهد- و قال الحسن: الجلابيب الملاحف تدينها المرأة على وجهها «ذلِکَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ» ثم قال «وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» اى ستار الذنوب على عباده «رحيماً» بهم.
ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ» أى لئن لم يرجعوا «وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» اى شک و نفاق. و قيل: شهوة الزنا «وَ الْمُرْجِفُونَ فِى الْمَدِينَةِ» فالارجاف اشاعة الباطل للاغتمام به و المرجفون هم الذين كانوا يطرحون الأخبار الكاذبة بما يشغلون به قلوب المؤمنين «لَنُغْرِيَنَّکَ بِهِمْ» يا محمد، و الإغراء الدعاء الى تناول الشىء بالتحريض عليه اغراه يغريه إغراء و غرى به يغرى مثل اولع به كأنه أخذ بلزومه. و قيل: معناه لنسلطنک عليهم- فى قول ابن عباس-.
و قوله «ثُمَّ لا يُجاوِرُونَکَ فِيها إِلَّا قَلِيلًا» يعنى ينفون عن المدينة و لا يجاورنک يا محمد فيها.

مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلاً (61) سُنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً (62) يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً (63) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً (64) خالِدِينَ فِيها أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (65)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 362

خمس آيات

لما أخبر اللَّه تعالى، و توعد «الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شک «وَ الْمُرْجِفُونَ فِى الْمَدِينَةِ» بما يشغل قلوب المؤمنين و أنهم إن لم يتوبوا عن ذلک نفوا عنها، وصفهم بأنهم «ملعونين» أى مبعدون «أَيْنَما ثُقِفُوا» و نصب (ملعونين) على الحال من الضمير فى قوله «يجاورونک» و قيل: انه نصب على الذم، و الصفة ل (قليلا)، كأنه قال: إلا أذلاء ملعونين، (و أينما) منصوب ب (ثقفوا)، و انجزم به (ثقفوا) على طريق الجزاء. و إنما جاز ذلک، لأن الجازم فى الأصل (إن) المحذوفة، و صار (أينما) تقوم مقامها، و تغنى عنها و لا يجوز ان يعمل فيه (أخذوا) لأنه جواب الجزاء، و لا يعمل الجواب فيما قبل الشرط، لئلا يختلط احد الأمرين بالآخر.

و فى الآية دلالة على انهم انتهوا، و إلا كان يوقع الإغراء بهم و يجعلهم بالصفة التى ذكرها.

و قوله «سُنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ» فالسنة الطريقة فى تدبير الحكيم و منه سنة رسول اللَّه، و هى الطريقة التى أجراها بأمر اللَّه تعالى، فأضيفت اليه التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 363

لأنه فعلها بأمر اللَّه. و اصل السنة الطريقة. و من عمل الشىء مرة أو مرتين لا يقال: إن ذلک سنة، لأن السنة الطريقة الجارية، و لا تكون جارية بما لا يعتد به من العمل القليل، و سنة اللَّه فى المتمردين فى الكفر- الذين لا يقلع احد منهم و لا من نسلهم- الإهلاک فى العذاب فى الدنيا و الآخرة.

و قوله «وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» معناه إن السنة التى أراد اللَّه أن يسنها فى عباده لا يتهيأ لأحد تغييرها، و لا قلبها عن وجهها لأنه تعالى القادر الذى لا يتهيأ لاحد منعه مما أراد فعله.

ثم قال «يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ» يعنى عن يوم القيامة «قل» لهم «إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ» لا يعلمها أحد غيره «وَ ما يُدْرِيكَ» يا محمد «لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً» مجيئها.

ثم قال تعالى مخبراً «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ» يعنى أبعدهم من رحمته «وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً» يعنى النار التى تستعر و تلتهب «خالِدِينَ فِيها أَبَداً» أى

مؤبدين فيها لا يخرجون منها و «لا يَجِدُونَ وَلِيًّا» ينصرهم من دون اللّه «وَ لا نَصِيراً» يدفع عنهم.
و استدل قوم بذلک على النار أنها مخلوقة الآن، لان ما لا يكون مخلوقاً لا يكون معدّاً. و هذا ضعيف، لأنه يجوز أن يكون المراد إن الجنة و النار معدّتان فى الحكم كائنتان لا محالة، فلا يمكن الاعتماد على ذلک.

يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ يَقُولُونَ يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولا (66) وَ قالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (67) رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً (68) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً (69)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 364

آيات أربع.

قرأ ابن عامر و يعقوب «ساداتنا» بألف بعد الدال. الباقون بغير الف على جمع التكسير، و الأول على جمع الجمع، و قرأ عاصم و ابن عامر- فى رواية الداحونى عن هشام «لعناً كبيراً» بالباء. بالباقون بالثاء.

العامل فى قوله «يوم تقلب» قوله «وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً ... يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ» فالتقليب تصريف الشىء فى الجهات، و مثله التنقيل من جهة الى جهة فهؤلاء تقلب وجوههم فى النار، لأنه ابلغ فى ما يصل اليهم من العذاب.

و قوله «يَقُولُونَ يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَا» حكاية ما يقول هؤلاء الكفار الذين تقلب وجوههم فى النار، فإنهم يقولون متمنين: يا ليتنا كنا اطعنا اللّه فى ما أمرنا به و نهانا عنه، و يا ليتنا أطعنا الرسول فى ما دعانا اليه. و حكى ايضاً انهم يقولون يا «رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا» فى ما فعلنا «سادَتَنا وَ كُبَراءَنا» و السادة جمع سيد، و هو الملك المعظم الذى يملك تدبير السواد الأعظم، و يقال للجمع الأكثر السواد الأعظم يراد به السواد المنافى لشدة البياض و الضياء الأعظم «فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا» يعنى هؤلاء الرؤساء أضلونا عن سبيل الحق.

و قيل الآية نزلت فى الاثنى عشر الذين أطعموا الكفار يوم بدر من قريش. ثم حكى انهم يقولون «رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ» لضلالهم فى التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 365

نفوسهم و إضلالهم إيانا. و قيل معناه عذاب الدنيا و الآخرة «وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً» أى مرة بعد اخرى. و من قرأ بالباء أراد اللعن الذى هو اكبر من لعن الفاسق، لان لعنة الكافر أعظم.

ثم خاطب تعالى المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى» أى لا تؤذوا نبيكم مثل ما اوذى موسى يعنى آذاه قومه بعيب أضافوه اليه لم يقم حجة بتعييبه. و قيل: إن الآية نزلت فى المنافقين عابوا النبى صلى اللّه عليه و آله باصطفائه صفيه بنت حى، فنهاهم اللّه عن ذلك.

و اختلف المفسرون فى العيب الذى اضافه قوم موسى اليه. فقال قوم: انهم آذوا موسى بأن أشاعوا أن هارون قتله موسى فأحياه اللّه- عز و جل- حتى أخبرهم ان موسى لم يقتله و أن اللّه تعالى هو الذى أماته عند انقضاء

أجله، و هو معنى قوله «فَبَرَّأهُ اللّهُ مِمَّا قالَوا» و قيل: انهم قالوا: إنه أبرص. و قيل: انهم أضافوه الى انه أدر الخصيتين، فبرأه اللّه من ذلک، و أجاز البلخي حديث الصخرة التى ترک موسى ثيابه عليها على ان يكون ذلک معجزاً له. و قال قوم: ذلک لا يجوز لأن فيه اشتهار النبى و إبداء سوأته على رؤس الأشهاد. و ذلک ينفر عنه، فبرأه اللّه من ذلک.
و قوله «وَ كانَ عِنْدَ اللّهِ وَجِيهاً» أى عظيم القدر، رفيع المنزلة إذا سأل اللّه تعالى شيئاً أعطاه. و أثبت الألف فى قوله «الرسولا ... و السبيلا» لأجل الفواصل فى رؤس الآى تشبيهاً بالقوافى.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً (71) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً (72) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (73)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 366

أربع آيات.

امر اللّه تعالى المصدقين بوحدانيته المقرين بنبوة نبيه بأن يتقوا عقابه باجتناب معاصيه و فعل واجباته و أن يقولوا «قولا سديداً» أى صواباً بريئاً من الفساد خالصاً من شائب الكذب و التمويه و اللغو. و قوله «يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ» جزم بأنه جواب للأمر، و فيه معنى الجزاء. و تقديره: إن فعلتم ما أمرتكم به يصلح لكم أعمالكم. و إصلاحه أعمال العباد أن يلطف لهم فيها حتى تستقيم على الطريقة السليمة من الفساد، و ذلک مما لا يصح إلا فى صفات اللّه تعالى، لأنه القادر الذى لا يعجزه شىء العالم الذى لا يخفى عليه شىء «وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» قيل: إنما وعد اللّه بغفران الذنوب عند القول السديد، و لم يذكر التوبة، لأن التوبة داخلة فى الأقوال السديدة، كما يدخل فيه تجنب الكذب فى كل الأمور فيدخل فيه الدعاء الى الحق و ترک الكفر و الهزل و اجتناب الكلام القبيح.

ثم قال «وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» فى ما أمراه به و نهياه عنه و دعواه اليه

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 367

«فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً» أى أفلح فلاحاً عظيماً، لأنه يفوز بالجنة، و الثواب الدائم. و قيل: معناه فقد ظفر بالكرامة من اللّه و الرضوان، و هو الفوز العظيم.

ثم اخبر تعالى بأنه عرض الأمانة على السموات و الأرض، فالامانة هى العقد الذى يلزم الوفاء به مما من شأنه أن يؤتمن على صاحبه، و قد عظم اللّه شأن الأمانة فى هذه الآية و أمر بالوفاء بها، و هو الذى امر به فى أول سورة المائدة و عناه بقوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ»، و قيل فى قوله «عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ» مع أن هذه الأشياء جمادات لا يصح تكليفها أقوال:

أحدها- ان المراد عرضنا على اهل السموات و اهل الأرض و اهل الجبال و

ثانيها- ان المعنى فى ذلک تفخيم شأن الأمانة و تعظيم حقها، و أن من عظم منزلتها انها لو عرضت على الجبال و السموات و الأرض مع عظمها، و كانت

تعلم بأمرها لأشفقت منها، غير انه خرج مخرج الواقع لأنه ابلغ من المقدر، و قوله «فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها» أى منعن ان يحملن الأمانة «وَ أَشْفَقْنَ مِنْها» أى خفن من حملها «وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا» أى ظلوماً لنفسه بارتكاب المعاصى، جهولا بموضع الأمانة و استحقاق العقاب على ارتكاب المعاصى و قال ابن عباس: معنى الأمانة الطاعة للّه، و قيل لها أمانة لأن العبد اؤتمن عليها بالتمكين منها و من تركها. و قال تعالى «لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» «1» فرغب فى الأحسن، و زهد فى تركه. و قيل: من الأمانة ان المرأة اؤتمنت على فرجها و الرجل على فرجه ان يحفظاهما من الفاحشة. و قيل: الامانة ما خلق اللّه تعالى فى هذه الأشياء من الدلائل على ربوبيته و ظهور ذلک منها، كأنهم أظهروها

---

(1) سورة 11 هود آية 7.

و الإنسان جحد ذلک و كفر به. و فائدة هذا العرض إظهار ما يجب من حفظها و عظم المعصية فى تضييعها.

و قيل معنى «حَمَلَهَا الْإِنْسانُ» أى خانها، لأن من خان الأمانة فقد حملها و كذلک كل من اثم فقد حمل الإثم، كما قال تعالى «وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ» «1» و قال البلخى: يجوز ان يكون معنى العرض و الاباء ليس هو ما يفهم بظاهر الكلام، بل انما أراد تعالى أن يخبر بعظم شأن الامانة و جلالة قدرها، و فظاعة خيانتها و ترک أدائها، و انه أوجد السموات مع عظمها لا تحملها و إن الإنسان حملها، و ليس الإنسان- هاهنا- واحداً بعينه، و لا هو المطيع المؤمن، بل هو كل من خان الأمانة و لم يرد الحق فيها، و حمل الإنسان الأمانة هو ضمانة القيام بها و أداء الحق فيها، لان ذلک طاعة منه للّه، و اتباع لأمره و اللّه لا يعتب على طاعته و ما امر به و دعا اليه لكن معنى «حملها» انه احتملها ثم خانها و لم يؤد الحق فيها، كأنه حملها فذهب بها و احتمل وزرها، كما يقولون فلان أكل أمانته أى خان فيها، و العرب تقول: سألت الربع، و خاطبت الدار فأجابنى بكذا، و قالت كذا، و ربما قالوا: فلم يجب، و امتنعت من الجواب، و ليس هناک سؤال و لا جواب، و إنما هو اخبار عن الحال التى تدل عليه، و عبر عنه بذكر السؤال و الجواب، كما قال تعالى «ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً» للسموات و الأرض «قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ» «2» و هو تعالى لا يخاطب من لا يفهم و لا يعقل، و قال تعالى (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا) «3» و نحن نعلم ان السموات لم تشعر بما كان من

---

(1) سورة 29 العنكبوت آية 13.

(2) سورة 41 حم السجدة (فصلت) آية 12.

(3) سورة 19 مريم آية 91- 92.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 369
الكفار و انه لا سبيل لها الى الانفطار فى ذات نفسها، و يقول القائل أتيت بكذب لا تحتمله الجبال الراسيات، قال الشاعر:
فقال لى البحر إذ جئته كيف يجيز ضرير ضريرا
و قال جرير:
لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة و الجبال الخشع «1»
و قال آخر:
فاجهشت للتوباد حين رأيته و كبر للرحمن حين رآنى
فقلت له أين الذين عهدتهم بجنبيک فى حضن و طيب زمان
فقال مضوا فاستودعونى بلادهم و من ذا الذى يبقى على الحدثان
و التوباد جبل، و قال آخر:
امتلأ الحوض و قال قطنى مهلا رويداً قد ملأت بطنى «2»
و قال بعض المحدثين:
يا قصر ويحک هل أوعيت من خبر فقال هل خبر أنبأ من العبر
قد كان يسكننى قوم ذو خطر بادوا على الدهر و الأيام و الغير
و قد أتانى و قرب العهد يذكرنى منصور أمتكم فى الشوک و الشجر
حتى أناخ على بابى فقلت له أما كفاک الذى نبئت من خبرى
إن لا أكن قلته نطقاً فقد كتبت به الحوادث فى صخرى و فى حجرى
خطاً قديماً جليلًا غير ذى عوج يقرأ بكل لسان ظاهر الأثر

---

(1) ديوانه 270 و قد مر فى 1/ 312، 204 و 7/ 152، 209
(2) مر فى 1/ 431.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 370
فحلنى ثم أفناه الزمان و لم يطق دفاعاً لما قد حم من قدر
و كلهم قائل لى أنت لى و لمن خلفت من ولدى حظراً على البشر
فما تملى بنو الآباء بعدهم و لا هم سكنوا إلا على غرر
و قد قال بعض الحكماء: سل الأرض من شق أنهارک و غرس أشجارک و جنى ثمارک؟ فان لم تجبک حواراً أجابتک اعتباراً، و العرض على وجوه يقال: عرضت المال و العمل على فلان، فهذا بالقول و الخطاب، و عرضت هذا الأمر على فكرى البارحة، و هذا أمر إن عرض على العقول لم تقبله، و منه قولهم: عرضت الناقة على الحوض، يريدون عرضت الحوض على الناقة و (الاباء) على وجوه: فمنه الامتناع و إن لم يكن قصد لذلک، و منه ألا يصلح لما يريده، تقول: أردت سل سيفى فأبى على. و تقول: هذه الأرض تأبى الزرع و الغرس أى لا تصلح لهما، فعلى هذا يكون معنى قوله «فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها» أى لا تصلح لحملها، و ليس فِى طباعِها حمِل ذلک، لأنه لا يصلح

لحمل الأمانة إلا من كان حياً عالماً قادراً سميعاً بصيراً. بل لا يلزم أن يكون سميعاً بصيراً، و إنما يكفى ان يكون حياً عالماً قادراً. و قال قوم: معناه إنا عرضنا الأمانة على أهل السموات و أهل الأرض و اهل الجبال، كما قال «فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ» «1» يعنى اهل السماء و اهل الأرض، فأبوا حملها على أن يؤدوا حق اللّه فيها إشفاقاً من التقصير فى ذلک (وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ) يعنى الكافر جهلا بحق اللّه و استخفافاً بعرضه (إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً) لنفسه (جهولا) بما يلزمه القيام بحق اللّه، و إنما قال (فأبين) و لم يقل: فأبوا حملا على اللفظ، و لم يرده الى معنى الآدميين، كما قال (وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ) «2» و قوله

---

(1) سورة 44 الدخان آية 29.
(2) سورة 12 يوسف آية 4.

(فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ) «1» حملا على المعنى دون اللفظ، و كل ذلک واضح بحمد اللّه.
ثم قال (لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ) يعنى بتضييع الأمانة، و قال الحسن و قتادة: كلاهما خانا الأمانة (وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ) بحفظهما الأمانة لأنهما كليهما أديا الأمانة (وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) أى ستاراً لعيوب خلقه رحيماً بهم فى إسقاط عقابهم إذا تابوا و رجعوا الى الطاعة.

---

(1) سورة 26 الشعراء آية 4. [.....]

34- سورة سبأ ..... ص : 372

اشارة

مكية فى قول مجاهد و قتادة: و الحسن و غيرهم ليس فيها ناسخ و لا منسوخ.
و قيل إن آية واحدة منها مدنية، و هى قوله «وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا ....»
و هى أربع و خمسون آية عند الكل إلا الشامى فإنها عنده خمس و خمسون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (1) يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ ما يَخْرُجُ مِنْها وَ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما يَعْرُجُ فِيها وَ هُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (2) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلى وَ رَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (3) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (4)
وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (5)
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 373
خمس آيات.
قرأ حمزة و الكسائى «علام الغيب» بتشديد اللام و ألف بعدها و خفض الميم. و قرأه اهل المدينة و ابن عامر و رويس بألف قبل اللام و تخفيف اللام و كسرها و رفع الميم. الباقون كذلك إلا أنهم خفضوا الميم، و هم ابن كثير و أبو عمرو و عاصم و خلف و روح. و قرأ ابن كثير و حفص و يعقوب (من رجز اليم) برفع الميم- هاهنا- و فى الجاثية، و (معجزين) قد مضى ذكره، «1» و قرأ الكسائى وحده (يعزب) بكسر الزاى. الباقون بضمها. و (الحمد) رفع بالابتداء و (للّه) خبره.
و الحمد هو الشكر، و الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم.
و الحمد هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم، و نقيضه الذم، و هو الوصف بالقبيح على جهة التحقير، و لا يستحق الحمد إلا على الإحسان، فلما كان احسان اللّه لا يوازيه احسان احد من المخلوقين، فكذلك لا يستحق الحمد احد من المخلوقين مثل ما يستحقه، و كذلك يبلغ شكره الى حد العبادة و لا يستحق العبادة سوى اللّه تعالى، و إن استحق بعضنا على بعض الشكر و الحمد.
و معنى قوله (الحمد للّه) أى قولوا (اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ) معناه الذى يملك التصرف فى جميع ما فى السموات، و جميع ما فى الأرض، و ليس لاحد منعه منه و لا الاعتراض عليه (وَ لَهُ الْحَمْدُ) فى الأولى يعنى بما أنعم عليه من فنون الإحسان و (فى الآخرة) بما يفعل بهم من الثواب

---

(1) انظر 7/ 329.

و العوض و ضروب التفضل فى الآخرة. و الآخرة و إن كانت ليست دار تكليف فلا يسقط فيها الحمد و الاعتراف بنعم اللّه تعالى، بل العباد ملجأون الى فعل ذلک لمعرفتهم الضرورية بنعم اللّه تعالى عليهم و ما يفعل من العقاب بالمستحقين فيه أيضاً إحسان لما للمكلفين به فى دار الدنيا من الالطاف و الزجر عن المعاصى و يفعل اللّه العقاب بهم لكونهم مستحقاً على معاصيه فى دار الدنيا، و من حمد أهل الجنة قولهم: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنا وَعْدَهُ. و قولهم: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدانا لِهذا.
و قيل: إنما يحمده أهل الآخرة من غير تكليف على وجه السرور به (و هو الحكيم) فى جميع أفعاله، لأنها كلها واقعة موقع الحكمة (الخبير) العالم بجميع المعلومات. ثم وصف نفسه بأنه (يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِى الْأَرْضِ) من سائر انواع الأشياء (وَ ما يَخْرُجُ مِنْها) كذلک. و قال الحسن: معناه يعلمَ ما يلج فى الأرض من المطر، و ما يخرج منها من النبات، و الولوج الدخول، ولج يلج ولوجاً، قال الشاعر:
رأيت القوافى يلجن موالجا تضايق عنه ان تولجه الابر «1»
و معنى (ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ) قال الحسن: يعنى من الماء (وَ ما يَعْرُجُ فِيها) من ملک فهو يجرى جميع ذلک على تدبير عالم به و توجبه المصلحة فيه.
ثم حكى عن الكفار أنهم يقولون (لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ) يعنى القيامة تكذيباً للنبى صلى اللّه عليه و آله فى ذلک ف (قل) لهم يا محمد (بلى) تأتيكم (و) حق اللّه (ربى) الذى خلقنى و أخرجنى من العدم الى الوجود (لتأتينكم) الساعة (عالم الغيب) من جر (عالم) جعله صفة لقوله (و ربى) و هو فى موضع جرّ بواو القسم. و من رفعه، فعلى انه خبر ابتداء محذوف، و تقديره هو عالم

---

(1) تفسير الطبرى 22/ 37.

الغيب. و من قرأ (علام) أراد المبالغة فى وصفه بأنه عالم الغيب، و الغيب كل شىء غاب عن العباد علمه (لا يَعْزُبُ عَنْهُ) أى لا يفوته (مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِى السَّماواتِ وَ لا فِى الْأَرْضِ) بل هو عالم بجميع ذلک، يقال: عزب عنه الشىء يعزب و يعزب لغتان، فى المضارع (وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَكْبَرُ) أى و لا يعزب عنه علم ما هو أصغر من مثقال ذرة، و لا علم ما هو اكبر منه (إِلَّا فِى كِتابٍ مُبِينٍ) يعنى اللوح المحفوظ الذى أثبت اللّه تعالى فيه جميع ما هو كائن الى يوم القيامة ليطلع عليه ملائكته، فيكون لطفاً لهم، و يكون للمكلفين أيضاً فى الاخبار عنه لطف لهم.
ثم بين أنه إنما أثبت ذلک فى الكتاب المبين (ليجزى) على ذلک (الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) بنعيم الجنة و هو قوله (أُولئِکَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) لذنوبهم و ستر لها، و لهم مع ذلک (رزق كريم) قال قتادة: الرزق الكريم الجنة. و قال غيره: هو الهنىء الذى ليس فيه تنغيص، و لا تكدير. ثم بين أن الذين يسعون

فی آیات اللّه و حججه (معاجزین) له أی متعاونین مجاهدین فی إبطال آیاته (أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ) علی ذلک (مِنْ رِجْزٍ أَلِیمٌ) فمن جر (ألیم) جعله صفة (رجز) و الرجز هو الرجس، و قال قوم: هو سیّء العذاب و قال آخرون: هو العذاب. و الرجز بضم الراء الصنم و منه قوله (وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ) «1» و قال ابو عبیدة (معاجزین) بمعنی سابقین و (معجزین) معناه مثبطین- فی قول الزجاج.

وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ هُوَ الْحَقَّ وَ يَهْدِى إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (6) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ (7) أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِى الْعَذابِ وَ الضَّلالِ الْبَعِيدِ (8) أَ فَلَمْ يَرَوْا إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنَّ فِى ذلِکَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (9) وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلاً يا جِبالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَ الطَّيْرَ وَ أَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10)
أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ وَ قَدِّرْ فِى السَّرْدِ وَ اعْمَلُوا صالِحاً إِنِّى بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11)

---

(1) سورة 74 المدثر آية 5.

ست آيات.
قرأ حمزة و الكسائى (إن يشأ يخسف بهم) بالياء كناية عن اللَّه تعالى أنه إن شاء خسف. الباقون بالنون كناية على انه إخبار منه تعالى عن نفسه.
يقول اللَّه تعالى مخبراً أن الذين أوتوا العلم و المعرفة بوحدانية اللَّه تعالى.
قال قتادة: هم أصحاب محمد صلى اللَّه عليه و آله و قال غيره: يجوز أن يكون المراد كل من أوتى العلم بالدين، و هو الاولى، لأنه أعم (الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ) يعنى القرآن (هو الحق) ف (الذى) فى موضع نصب بأنه المفعول ب (يرى) و قوله (هو) فصل، و يسميه الكوفيون عماداً، قال الشاعر:

ليت الشباب هو الرجيع الى الفتى و الشيب كان هو البدء الاول

أنشده الكسائى على أن (هو) الاول عماد و الثانى اسم. و (الحق) هو المفعول الثانى، و (يرى) فى الآية بمعنى (يعلم) و موضعه يحتمل أن يكون نصباً عطفاً على (ليجزى) و يحتمل ان يكون رفعاً بالاستئناف، و إيتاء العلم إعطاؤه إما يخلق العلم او بنصب الادلة المسببة له، فهو لطف اللَّه تعالى لهم بما أدّاهم الى العلم، فكان كأنه قد أتاهم (الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْکَ) يعنى القرآن و ما أنزله اللَّه عليه من الأحكام يعلمونه حقاً صحيحاً لمعرفتهم باللَّه و آياته الدالة على صدق نبيه (و يهدى) يعنى القرآن و يرشد إلى (صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) يعنى إلى دين اللَّه القادر الذى لا يغالب، و الحميد يعنى المحمود على جميع أفعاله، و هو اللَّه تعالى.
ثم حكى ان الكفار يقول بعضهم لبعض (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى) و نرشدكم الى

(رجل ينبئكم) أى يخبركم (إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) أى مزقت أعضاؤكم بعد الموت، و صرتم تراباً و رميماً (إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) ابتداء بأن لم يعمل فيها (ينبئكم) لأنه لو أعمل فيها لنصبها، يعيدكم و يحييكم، و يقولون: هذا على وجه الاستبعاد له و التعجب من هذا القول. و معنى (مزقتم) بليتم و تقطعت أجسامكم. و العامل فى (إذ) يقول- فى قول الزجاج- و تقديره هل ندلكم على رجل يقول لكم إنكم إذا مزقتم تبعثون، و يكون (إذا) بمعنى الجزاء تعمل فيها التى تليها، قال قيس:

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا الى أعدائنا فنضارب

و المعنى يكن وصلها، فلذلك جزم فنضارب. و قيل العامل فيه معنى الجملة كأنه قيل: يجدد خلقكم، و لا يجوز أن يعمل فيه ما بعد لام الابتداء، و لا ما

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 378

بعد ان لأنها حروف لا تتصرف فى نفسها و لا فى معمولها. و قوله «أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً» قال قوم: اسقط ألف الاستفهام من (أفترى) لدلالة (أم) عليه.

و قال الرمانى: هذا غلط، لأن الف الاستفهام لا تحذف إلا فى ضرورة و إنما القراءة بقطع الألف، فألف الاستفهام ثابتة و ألف (افتعل) سقطت، لأنها زائدة، و مثله قوله (بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ) «1» و قوله (أَصْطَفَى الْبَناتِ) «2» و قوله «سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ»

و نظائره كثيرة. و لم يفصل بينها بمدة لان الثانية مكسورة ففارق همزة «آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ» «4» و لو لم تقطع لكان خبراً بعده استفهام، و المعنى إن هؤلاء الكفار الذين يتعجبون من

قول النبى صلى اللَّه عليه و آله إن اللَّه يعيد الخلق بعد اماتتهم خلقاً جديداً ، هل كذب على اللَّه متعمداً «أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» يعنون جنوناً فيتكلم بما لا يعلم فقال اللَّه تعالى ليس كما يقولون: «بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ» أى لا يصدقون بالآخرة و بما فيها من الثواب و العقاب «فِى الْعَذابِ وَ الضَّلالِ الْبَعِيدِ» يعنى العدول البعيد عن الحق، فلذلك يقولون ما يقولون، بل نبههم على صحة ما يقول النبى صلى اللَّه عليه و آله من الاعادة فقال «أَ فَلَمْ يَرَوْا إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» فيفكروا فيه و يعتبروا به و إن اللَّه تعالى خلقه و اخترعه و أنه «إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ» من تحت أرجلهم «أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً» يعنى قطعة من السماء ثم قال «إِنَّ فِى ذلِكَ لَآيَةً» و دلالة «لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» أى راجع الى اللَّه تعالى. و وجه التنبيه بالآية أن ينظروا فيعلموا أن السماء تحيط بهم، و الأرض حاملة لهم، فهم فى قبضتنا «إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً» أ فما يحذرون

---

(1) سورة 38 ص آية 75.

(2) سورة 37 الصافات آية 153.

(3) سورة 63 المنافقون آية 6.
(4) سورة 27 النمل آية 59.

هذا فيرتدعون عن التكذيب بآيات اللّه. و (المنيب) المقبل التائب- فى قول قتادة-.
ثم اخبر تعالى فقال «وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ» يعنى أعطاه «مِنَّا فَضْلًا» من عند الله. و قيل: معناه النبوة. و قيل: الزبور. و قيل: حسن الصوت. و قيل: هو ما فسره أى قلنا «يا جِبالُ أَوِّبِى مَعَهُ» و معناه أنه نادى الجبال و أمرها بأن أوبى معه أى ارجعى بالتسبيح معه، قال الشاعر:
يومان يوم مقامات و اندية و يوم سير الى الاعداء تأويب «1»
أى رجوع بعد رجوع. و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاک: أمر اللّه الجبال أن تسبح معه إذا سبح «وَ الطَّيْرَ» فى نصبه وجهان: أحدهما و سخرنا الطير، و الثانى- بالعطف على موضع المنادى الاول كما قال الشاعر:
ألا يا زيد و الضحاک سيراً [فقد جاوزتما حد الطريق] «2»
و الاول أقوى عندهم لان الحمل على لفظة المنادى أشكل. و يكون كقولهم (أطعمتها تبنا و ماء باردا) أى و سقيتها.
و قيل معنى «أَوِّبِى» سيرى معه حيث شاء، و ليس المعنى إن الله خاطب الجبال، و هى جماد بذلک، بل المراد أنه فعل فى الجبال ما لو كانت حية قادرة لكان يتأتى منها ذلک.
و قوله «وَ أَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ» قال قتادة: كان الحديد فى يده مثل الشمع يصرفه كيف يشاء من غير نار و لا تطريق. ثم قال و قلنا له «أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ» و هى الدروع التامة و السابغ التام من اللباس، و منه إسباغ النعمة إتمامها، و ثوب سابغ تام «وَ قَدِّرْ فِى السَّرْدِ» معناه لا تجعل الحلقة واسعة لا تقى صاحبها

(1- 2) تفسير الطبرى 22/ 41.

و سرد الحديد نظمه. و قيل: السرد حلق الدرع- فى قول ابن عباس و ابن زيد- قال الشاعر:
أجاد السدى سردها و أدالها «1»
و قال قتادة: السرد المسامير التى فى حلق الدرع، و هو مأخوذ من سرد الكلام سرده يسرده سرداً إذا تابع بين بعض حروفه و بعض كالتابعة فى الحلق و المسامير، و منه السرد للطعام و غيره للاستتباع فى خروج ما ليس منه، قال الشاعر:
و عليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع «2»
و يقولون: درع مسرودة أى مسمورة الحلق. و قيل: معنى «وَ قَدِّرْ فِى

السَّرْدِ» عدل المسمار فى الحلقة لا يدق فينكسر أو يغلظ فيفصم، ذكره مجاهد و الحكم. «وَ اعْمَلُوا صالِحاً» أمر لهم بأن يعملوا الاعمال الحسنة التى ليست قبيحة و ما يكون بفعله مطيعاً لله «إِنِّى بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى عالم بما تفعلونه، لا يخفى عليه شىء من أعمالكم، فالبصير العليم بالأمور بما يتبين فى تميزه بعضه من بعض و كان الكسائى يدغم الفاء فى الباء فى قوله «إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ» و هذا لا يجوز عند البصريين، لان الفاء من باطن الشفة العليا، و اطرف الثنايا العليا، و الباء يخرج من بين الشفتين، و لان الفاء فيه نفس، فإذا أدغم فى الباء بطل، و أيضا فهو من مخرج التاء، فكما لا يجوز ادغامه فى التاء، فكذلک لا يجوز ادغامه فى الباء، و أجاز ذلک الفراء. و أما إدغام التاء فى الفاء، فلا خلاف فيه.

---

(1) تفسير الطبرى 22/ 41.
(2) مر فى 7/ 190.

وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ وَ تَماثِيلَ وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ وَ قُدُورٍ راسِياتٍ اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ (13) فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ (14) لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ (15)

خمس آيات شامى، لأنهم عدوا «عَنْ يَمِينٍ وَ شِمالٍ» و أربع فى ما عداه، لأنهم لم يعدوا ذلک.

قرأ نافع «من ساته» بغير همز. الباقون «من سأته» بالهمزة. و قرأ الكسائى وحده «مسكنهم» بكسر الكاف. و قرأ حمزة بفتحها. الباقون (مساكنهم) على الجمع. و نصب الريح فى قوله «وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ» على تقدير: التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 382

و سخرنا لسليمان الريح. و قرأ ابو بكر عن عاصم بضم الحاء، و المعنى فى ذلک أنه أضاف الريح اليه إضافة الملک يصرفه كيف شاء. و قوله «غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ» قال قتادة: كان مسيرها به الى انتصاف النهار مقدار مسير شهر «وَ رَواحُها شَهْرٌ» من انتصاف النهار الى الليل- فى مقدار مسير شهر- و قال الحس كان يغدو من الشام الى بيت المقدس، فيقيل بإصطخر من ارض أصبهان و يروح منها، فيكون بكابل.

و قوله «وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ» قال ابن عباس و قتادة: أذبنا له النحاس و القطر النحاس. ثم قال «وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ» أى بأمر اللّه «وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ» معناه من يعدل من هؤلاء الجن الذين سخرناهم لسليمان حتى يعملوا بين يديه عما أمرهم اللّه به من طاعته «نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ» يعنى عذاب النار تقول: زاغ يزيغ زيغاً و أزاغه إزاغة.

ثم اخبر تعالى ان الجن الذين سخرهم اللّه لسليمان «يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ» قيل: معناه شريف البيوت. و قال قتادة: قصور و مساجد، قال المبر:

لا يسمى محراباً إلا ما يرتقى اليه بدرج، لقوله «إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ» «1»

قال عدى بن زيد:

كدمى العاج فى المحاريب أو كال بيض فى الروض زهره مستنير «2»

و قال وضاح اليمن:

ربة محراب إذا جئتها لم ألقها أو ارتقى سلما «3»

---

(1) سورة 38 ص آية 21.
(2) تفسير الطبرى 22/ 43 و القرطبى 14/ 271.
(3) مجاز القرآن 2/ 144.

و «تَماثِيلَ» جمع تمثال و هو صورة. فبين أنهم كانوا يعملون أى صورة أرادها سليمان. و قال قوم: كانوا يعملون له صورة الملائكة. و قال آخرون: كانوا يعملون له صورة السباع و البهائم على كرسيه ليكون أهيب له، فذكر أنهم صوروا أسدين و فوق عمودى الكرسى نسرين، فكان إدا أراد صعود الكرسى بسط له الأسد ذراعه، فإذا علا فوق الكرسى نشر النسران جناحيهما، فظللا عليه لئلا يسقط عليه شىء من الشمس، و يقال: إن ذلک مما لا يعرفه أحد من الناس، فلما حاول بخت‌نصر صعود الكرسى بعد سليمان حين غلب على بنى إسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان، فرفع الأسد ذراعه فضرب ساقه فقدها فوقع مغشياً عليه، فما جسر أحد بعده أن يصعد على ذلک الكرسى.

«وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ» واحدها جفنة و هى القصعة الكبيرة، و الجوابى جمع جابية، و هى الحوض الذى يجبئ الماء فيه، قال ابو على النحوى: إثبات الياء مع الألف و اللام أجود، و حذفها يجوز، و قال الأعشى فى جفنة:

تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق «1»

و قال آخر:

فصبحت جابية صهاوجا كأنه جلد السماء خارجا «2»

و قال ابن عباس: الجوابى الحياض «وَ قُدُورٍ راسِياتٍ» يعنى عاليات ثابتات لا تنزل، ثم نادى آل داود و أمرهم بالشكر على ما أنعم عليهم من هذه النعمة العجيبة التى أنعم بها عليهم، لأن نعمته على داود نعمة عليهم، فقال «اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً» ثم قال تعالى «وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ» أى من يشكر نعمى قليل، و الأكثر يجحدون نعم اللّه لجهلهم به، و تركهم معرفته.

---

(1) تفسير القرطبى 14/ 275. [.....]
(2) تفسير الطبرى 22/ 43.

ثم أخبر تعالى أنه لما قضى على سليمان الموت و قدره عليه و قبضه اليه لم يعلموا بذلک من حاله حتى دلهم على موته دابة الأرض و هى الأرضة، فأكلت عصاه فانكسرت، فوقع لأنه

روى أنه قبض و هو فى الصلاة،

و كان قائل للجن اعملوا ما دمتم ترونى قائماً، و اتكأ على عصاه مِن قيام، و

قبضه اللّه اليه و بقى مدة فيجىء الجن فيطالعونه فيرونه قائماً فيعودون فيعملون الى أن دبت الأرضة فأكلت عصاه فوقع و خر، فعلموا حينئذ موته و تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون ما غاب عنهم من موت سليمان لم يلبثوا فى العذاب الذى أهانهم و أذلهم و المنسأة العصا الكبيرة التى يسوق بها الراعى غنمه قال أبو عبيدة: معنى «تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ» أى أبانت الجن للناس «أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِى الْعَذابِ الْمُهِينِ» و المنسأة أصلها الهمزة من نسأت الى سقت، و قد يترک الهمز، قال الشاعر:
إذا دببت على المنسأة من هرم فقد تباعد عنک اللهو و الغزل «1»
إلا أنه يترک همزها، كما يترک فى (البرية) و هى من برأت، و قيل: إنه كان متوكئاً على عصاه سنة لا يدرک أنه مات. و قيل: المعنى «فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ» جماعة من عوام «الجن» أغواهم مردتهم أن المتمردين «لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ» لأنهم كانوا يقولون لهم نحن نعلم الغيب، و فى قراءة أهل البيت «فلما خر تبينت الانس أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين» قالوا: لان الجن كانت تعلم أنها لا تعلم الغيب قبل ذلک. و إنما تبينت الانس ذلک من حال الجن.
ثم اخبر تعالى فقال «لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ» أى دلالة و علامة

---

(1) تفسير الطبرى 22/ 44 و القرطبى 14/ 279.

ف (سبأ) قيل: إنه ابو عرب اليمن كلها، فقد تسمى به القبيلة نحو هذه تميم.
فمن قرأ على التوحيد، فلأنه يدل على القليل و الكثير. و من جمع أراد المساكن المختلفة. و الفرق بين فتح الكاف و بين كسرها فى (مسكنهم) أن الفتح تفيد المصدر، و الكسر تفيد الموضع، و قيل: إنهما لغتان فى الموضع.
و الآيتان قيل: إنهم لم يكن بينهم شىء من هوام الأرض، نحو البق و البرغوث و العقرب و غير ذلک. و كان الغريب إذا دخل بلدهم و فى ثيابه قمل متن فهذه آية. و الثانية أن المرأة كانت تأخذ على رأسها مكتلا فيمتلئ بالفواكه من غير أن تمس بيدها شيئاً، ثم فسر الآيتين فقال «جنتان» أى هى جنتان.
«عَنْ يَمِينٍ وَ شِمالٍ» قيل: عن يمين الوادى و شماله. «كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ» أى كلوا من رزق اللّه الذى رزقكم فى هاتين الجنتين، فلفظه لفظ الأمر و المراد به الاباحة «وَ اشْكُرُوا لَهُ» هذه النعمة التى أنعم بها عليكم. ثم بين أن تلک الجنتين «بلدة طيبة» التربة. و قيل البلدة الطيبة صنعاء أرضها طيبة ليس فيها سبخة و «رب غفور».

فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَ هَلْ نُجازِى إِلاَّ الْكَفُورَ (17) وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِى بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيالِىَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ (18) فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ وَ مَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19) وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (20)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 386

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو «ذواتى أكل خمط» مضافاً. الباقون «أكل خمط» منوناً.

و الاختيار عندهم التنوين، لأن الأكل نفس الخمط و الشىء لا يضاف إلى نفسه، و من أضاف قال (الخمط) هو جنس مخصوص من المأكولات، و الأكل أشياء مختلفة فأضيفت الى الخمط، كما تضاف الأنواع الى الأجناس. و الخمط ثمر الأراک و هو البربر أيضاً. واحدها بربرة و سميت به جارية عائشة. و البربر شجر السواک و (الأثل) شجر، واحدها أثلة.

و قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «و هل نجازى» بالنون «إلا الكفور» نصباً أضافوا الفعل الى اللّه تعالى. الباقون- بالياء- على ما لم يسم فاعله «الكفور» بالرفع، و قرأ ابو عمرو و ابن كثير «بعد بين أسفارنا» بالتشديد من التبعيد. الباقون «باعد» من المباعدة على لفظ الأمر، إلا يعقوب، فانه قرأ «باعد» على لفظ الخبر، لأنهم لما سألوا أن يبعد اللّه بينهم، ففعل ذلک بينهم جاز حينئذ الاخبار بأنه تعالى فعل ذلک. و قرأ اهل الكوفة (و لقد صدق) بتشديد الدال. الباقون بتخفيفها.

لما اخبر اللّه سبحانه عن «سبأ» و هى القبيلة من اليمن انه أنعم عليهم

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 387

بالجنتين و بالبلدة الطيبة، و أمرهم بشكر نعمه «فَأَعْرَضُوا» عن ذلک، فلم يشكروه و كفروه و جحدوا نعمه، و لم يقبلوا ممن دعاهم إلى اللّه من أنبيائه و رسله جازاهم اللّه على ذلک بأن أرسل عليهم سيل العرم، و سلبهم تلک النعمة و انزل بهم البلية، فالسيل الماء الكثير الذى لا يمكن ضبطه و لا دفعه، و قيل: انه كانت تجتمع مياه و سيول فى هذا الوادى فسدوه بين جبلين بالحجارة و القار و جعلوا له ابواباً يأخذون منه ما شاءوا، فلما تركوا أمر اللّه بعث عليهم جرذاً فنقبه فأغرق اللّه عليهم جنتهم و أفسد أرضهم. و قيل: العرم: ماء كثير أرسله اللّه فى السد فشقه و هدمه. قال الراجز:

اقبل سيل جاء من أمر اللّه يحرد حرد الجنة المغله «1»

و قيل: ان العرم المسناة التى تحبس الماء، واحدها عرمة و هو مأخوذ من عرامة الماء و هو ذهابه كل مذهب، قال الأعشى:
ففى ذاک للمؤتسى اسوة و مأرب قفى عليه العرم
رجام بنته لهم حمية إذا جاء ماؤهم لم ترم «2»
و قيل: كان سببه زيادة الماء حتى غرقوا. و قيل: كان سببه نقب جرذ نقب عليهم السكر. و قيل العرم السكر. و قيل المطر الشديد. و قيل هو اسم وادى و قيل: هو الجرذ الذى نقب السكر، قال كثير:
ايادى سبا يا عزّ ما كنت بعدكم فلم يحل للعينين بعدک منظر «3»
و قال آخر:
من صادر او وارد ايدى سبا «4»

---

(1) اللسان (غلل).
(2) تفسير الطبرى 22/ 47.
(3) اللسان (صبأ) و روايته (منزل) بدل (منظر).
(4) اللسان (سبأ).

و قال جرير:
الواردون و تتم فى ذرى سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس «1»
ثم قال «وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ» التى فيها أنواع الفواكه و الخيرات «جَنَّتَيْنِ» أخراوين و سماها جنتين لازدواج الكلام، كما قال «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ» «2» و «يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ»
«3» «ذَواتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ» أى صاحبتى خمط فالأكل جنى الثمار الذى يؤكل، و الخمط نبت قد أخذ طعماً من المرارة حتى لا يمكن أكله- فى قول الزجاج- و قال ابو عبيدة هو كل شجر ذى شوک.
و قال ابن عباس و الحسن: هو شجر الأراک، و هو معروف، و الأثل الطرفا قال قتادة: بدلوا بخير الشجر شر الشجر، فالخمط شجر له ثمر مر. و الأثل ضرب من الخشب كالطرفا، إلا انه أكبر، و قيل: الأثل التمر «وَ شَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ» أى فيهما مع الخمط، و الأثل قليل من السدرة.
ثم قال «ذلِکَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا» فى نعم اللّه «وَ هَلْ نُجازِى» بهذا الجزاء «إِلَّا الْكَفُورَ» من كفر نعم اللّه، فمن قرأ بالنون فلقوله «جَزَيْناهُمْ». و لا يمكن الاستدلال بذلک على أن مرتكب الكبيرة كافر من حيث هو معذب، لأن اللّه تعالى بين أنه لا يجازى بهذا النوع من العذاب الذى هو الاستئصال إلا من هو كافر، و إن جاز أن يعذب الفاسق بغير ذلک من العذاب. و قال الفراء: المجازاة المكافأة، و من الثواب الجزاء، تقول: جازاه على معصيته، و جزاه على طاعته.
و قال غيره: لا فرق بينهما.

ثم بين تعالى انه جعل بين سبأ، و بين القرى التى بارک فيها. قال قتادة

---

(1) مر تخريجه فى 6/ 388.
(2) سورة 3 آل عمران آية 54.
(3) سورة 4 النساء آية 141.

و مجاهد: هى قرى الشام، و قال ابن عباس: هى بيت المقدس «قُرىً ظاهِرَةً» قال قتادة: معناه متواصلة، لأنه يظهر الثانية من الأولى لقربها منها «وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ» معناه جعل بين القرية الأولى و الثانية مسيرة يوم لراحة المسافر و نزوله فيها «سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ» لا تخافون جوعاً و لا عطشاً و لا ظلماً من أحد، كأنه قيل لهم سيروا كذا، فقالوا «رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا» معناه إنهم نظروا و ملوا النعمة، فقالوا لو كان جنى ثمارنا أبعد مما هى كان أجدر أن نشتهيه، كما قالت بنو إسرائيل «فَادْعُ لَنا رَبَّکَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِها» «1» بدلا من المن و السلوى «وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بارتكاب المعاصى «فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ» فضرب بهم المثل فيقال (تفرقوا أيادى سبأ) أى تشتتوا أعظم التشتت قال الشعبى: أما غسان فلحقوا بالشام، و أما الأنصار فلحقوا بيثرب، و أما خزاعة فلحقوا بتهامة، و أما الأزد فلحقوا بعمان. و قيل: معنى «فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ» أى أهلكناهم و ألهمنا الناس حديثهم ليعتبروا «وَ مَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ» قال ابن عباس: مزقوا بين الشام و سبأ، كل ممزق.

ثم قال تعالى «إن» فى ما ذكر «لآيات» و دلالات «لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» أى صبار على الشدائد شكور على النعماء.

ثم قال تعالى «وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ» صدق «ظَنَّهُ» فيهم بإجابتهم إلى معصية اللّه و قبولهم منه «فَاتَّبَعُوهُ» بأجمعهم «إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» العارفين باللّه و بوحدانيته، فخالفوه فلم يتبعوه. فمن شدد (صدق) أسند الفعل إلى إبليس و جعل الظن المفعول به، لأن إبليس لما قال تظننا

---

(1) سورة 2 البقرة آية 61.

(وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الْأَنْعامِ) «1» فلما تبعه قوم على ذلک صدق ظنه. و من خفف فالمعنى مثله، لأنهما لغتان يقال: صدقت زيداً و صدقته، و كذبته و كذبته و ينشد:

و صدقتنى و كذبتنى و المرء ينفعه كذابه «2»

و قرأ ابو الهجهاج (إبليس) بالنصب (ظنه) بالرفع جعل الظن الفاعل و إبليس المفعول به، و ذلک جائز عند النحويين، لأنهم يقولون: صدقنى ظنى و كذبنى إلا انه شاذ لا يقرأ به، و قيل: ان إبليس لما اغوى آدم قال ذريته أولى

بأن أغويهم، و قال (لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلّا قَلِيلًا) «3» فصدق ذلک ظنه حتي تابعوه. و قال (فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) «4» و كانت أجابتهم له تصديقاً لظنه.

وَ ما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِی شَکٍّ وَ رَبُّکَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ حَفِیظٌ (21) قُلِ ادْعُوا الَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا یَمْلِکُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْضِ وَ ما لَهُمْ فِیهِما مِنْ شِرْکٍ وَ ما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِیرٍ (22) وَ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّی إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّکُمْ قالُوا الْحَقَّ وَ هُوَ الْعَلِیُّ الْکَبِیرُ (23) قُلْ مَنْ یَرْزُقُکُمْ مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَ إِنَّا أَوْ إِیَّاکُمْ لَعَلی هُدیً أَوْ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ (24) قُلْ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنا وَ لا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (25)

---

(1) سورة 4 النساء آية 118.
(2) اللسان (صدق).
(3) سورة 17 الإسراء آية 62.
(4) سورة 38 ص آية 82. [.....]

خمس آيات بلا خلاف.
قرأ ابو عمر و حمزة و الكسائی و خلف، و الأعشی و البرجی عن أبی بكر (أذن له) بضم الهمزة. الباقون بفتحها. و قرأ ابن عامر و يعقوب (فزع) بفتح الفاء و الزای. الباقون (فزع) بضم الفاء و كسر الزای. فمن فتح الهمزة من (أذن) فمعناه أذن اللّه له، و من ضمها جعله لما لم يسم فاعله، يقال:
أذنت للرجل فی ما يفعله ای أعلمته و أذنته أيضاً، و أذن زيد الی عمرو، إذا استمع اليه.
روی فی الحديث ما أذن اللّه لشیء قط كإذنه لنبی حسن الصوت يتغنی بالقرآن.
و مثل ذلک القول فی فزع عن قلوبهم، و معنی فزع. قال ابو عبيدة: فزع عن قلوبهم نفس عنها. و قال ابو الحسن: المعنی حكی عنها. و قال ابو عبيدة: معناه أذهب، و قال قوم: الذين فزع عن قلوبهم الملائكة، و يقال:
فزع و فزع إذا أزيل الفزع عنها، و مثله جاء فی (افعل) يقولون: أشكاه إذا أزال عنه ما يشكو منه انشد ابو زيد:
تمد بالأعناق او تلويها و تشتكی لو أننا نشكيها «1»
و المعنی فلما ان اشكيت أزالت الشكوی، كذلک فزع و فزّع أزال الفزع و قال قتادة: معنی فزع عن قلوبهم خلا من قلوبهم، قال يوحی اللّه تعالی الی

---

(1) اللسان (شكا) و روايته (تثنيها) بدل (تلويها).

جبرائيل فيعرف الملائكة، و يفزع عن أن يكون شىء من امر الساعة، فإذا (فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) و علموا أن ذلک ليس من امر الساعة (قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ) و تقديره قالوا قال الحق. فمن قرأ بفتح الفاء أسند الفعل إلى اللَّه، و من ضمها بنى الفعل للمفعول به، و كان الجار و المجرور فى موضع رفع. و قال الحسن: فزع بمعنى كشف الفزع عن قلوبهم، و فزعت منه، و المفزع على ضربين: أحدهما- من ينزل به الافزاع. الثانى- من يكشف عنه الفزع.
و قوله (و فزع) له معنيان أحدهما بمعنى ذعر، و الثانى- أزال الفزع و قال اليربوعى:
حللنا الكثيب من زرود لنفزعا
أى لنغيث. لما اخبر اللَّه تعالى ان إبليس صدق ظنه فى الكفار بإجابتهم له إلى ما دعاهم اليه من المعاصى بين انه لم يكن لإبليس عليهم سلطان. و (من) زائدة تدخل مع النفى نحو قولهم ما جاءنى من احد. و السلطان الحجة، فبين بهذا ان الشيطان لم يقدر على اكثر من أن يغويهم و يوسوس اليهم و يزين لهم المعاصى، و يحرضهم عليها. و قوله (إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِى شَكٍّ) تقديره إنا لم نمكنه من اغوائهم و وسوستهم إلا لنميز من يقبل منهم و من يمتنع و يأبى متابعته، فنعذب من تابعه و نثيب من خالفه، فعبر عن تمييزه بين الفريقين بالعلم، و هو التمييز مجرداً، لأنه لا يكون العذاب و الثواب إلا بعد وقوع ما يستحقون به ذلک، فأما العلم، فاللَّه تعالى عالم بأحوالهم، و ما يكون منها فى ما لم يزل، و قيل: إن معناه إلا لنعلم طاعاتهم موجودة أو عصيانهم إن عصوا فنجازيهم بحسبها، لأنه تعالى لا يجازى احداً على ما يعلم من حاله إلا بعد ان يقع منهم ما يستحق به من ثواب او عقاب، و قيل: معناه إلا لنعامل معاملة التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 393
من كأنه لا يعلم، و انما نعمل لنعلم (مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ) أى من يصدق بها و يعترف ممن يشک فيها و يرتاب.
ثم قال (و ربک) يا محمد (عَلى كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ) أى رقيب عالم لا يفوته علم شىء من أحوالهم من ايمانهم و كفرهم او شكهم. ثم أمر نبيه صلى اللَّه عليه و آله بأن يقول لهؤلاء الكفار (ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أنهم آلهة و معبود، هل يستجيبون لكم؟ إلى ما تسألونهم، لأنه لا يستحق العبادة إلا من كان قادراً على إجابة من يدعوه. ثم اخبر تعالى عنها فقال (لا يَمْلِكُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ فِى السَّماواتِ وَ لا فِى الْأَرْضِ وَ ما لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ) يعنى و ما للَّه فى السموات و الأرض شريک (وَ ما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) أى معاون، و الملک هو القدرة على ما للقادر عليه التصرف فيه، و ليس لاحد منعه منه، و ذلک- فى الحقيقة- لا يستحق الوصف به مطلقاً إلا اللَّه، لان كل

من عداه يجوز أن يمنع على وجه.
ثم اخبر تعالى فقال (وَ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ) أى عند اللَّه (إلا لمن اذن) اللَّه (له) فى الشفاعة من الملائكة و النبيين و الأئمة و المؤمنين، لأنهم كانوا يقولون: نعبدهم ليقربونا إلى اللَّه زلفى، فحكم اللَّه تعالى ببطلان ذلک. و قوله (حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال ابن عباس و قتادة: حتى إذا خلى عن قلوبهم الفزع، كقولک رغب عنه أى رفعت الرغبة عنه فلا يرغب، بخلاف رغب فيه، ففى أحد الأمرين وضع و فى الآخر رفع. و قيل: هم الملائكة يلحقهم غشى عن سماع الوحى من اللَّه بالآية العظيمة، فإذا (فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) اى خلى عنها (قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ)- ذكره ابن مسعود و مسروق و ابن عباس فى رواية- و قال الحسن: حتى إذا كنف عن قلوب المشركين الفزع، قالت التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 394
الملائكة (ما ذا قالَ رَبُّكُمْ) فى الدنيا (قالوا) قال (الْحَقَّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) اى اللَّه تعالى المستعلى على الأشياء بقدرته، لا من علو المكان (الكبير) فى أوصافه دون ذاته، لأن كبر الذات من صفات الأجسام. ثم قال له (قل) لهم (مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) فإنهم لا يمكنهم ان يقولوا يرزقنا آلهتنا التى نعبدها فِ «قل» لهم عند ذلکَ الذى يرزقكم (اللَّه) و قل (وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ) و قيل: إنما قال (و إنا او إياكم) على وجه الانصاف فى الحجاج دون الشک، كما يقول القائل لغيره: أحدنا كاذب، و إن كان هو عالماً بالكاذب، و على هذا قال ابو الأسود الدؤلى يمدح اهل البيت:
يقول الأرذلون بنو قشير طوال الدهر ما تنسى علياً
أحب محمداً حبا شديداً و عباساً و حمزة و الوصيا
بنو عم النبى و أقربوه أحب الناس كلهم اليا
فان يک حبهم رشدا أصبه و لست بمخطئ ان كان غياً «1»
و لم يقل هذا مع أنه كان شاكاً فى محبتهم، و انه هدى و طاعة، و قال اكثر المفسرين: إن معناه إنا لعلى هدى و إياكم لعلى ضلال و قال ابو عبيدة (او) بمعنى الواو، كما قال الأعشى:
ا تغلبة الفوارس او رياحا عدلت بهم طهية و الحشايا «2»
بمعنى أ تغلبة و رياحا.
ثم قال (قل) لهم يا محمد (لا تسألون) معاشر الكفار (عَمَّا أَجْرَمْنا) اى عما اقترفناه من المعاصى (و لا نسأل) نحن ايضاً (عما تعملون) أنتم بل كل إنسان يسأل عما يعمله، و هو يجازى على أى فعل فعله دون غيره.

---

(1) تفسير الطبرى 22/ 57.
(2) مجاز القرآن 2/ 148.

و تقدير قوله «وَ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» ان يشفع له، فزع بسماعه أذنه حتى إذا فزع عن قلوبهم و خلى عنها و كشف الفزع عنهم قالوا ما ذا قال ربكم قالت الملائكة قال الحق و هو العلى الكبير.

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَ هُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (26) قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكاءَ كَلاَّ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27) وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (28) وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (29) قُلْ لَكُمْ مِيعادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ ساعَةً وَ لا تَسْتَقْدِمُونَ (30)

خمس آيات بلا خلاف.

لما امر اللّه تعالى نبيه ان يخاطب الكفار و يقول لهم ان كل إنسان يسئل عما عمله دون ما عمل غيره، قال له ايضا (قل) لهم (يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا) يوم القيامة (ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا) أى يحكم و الفتح الحكم، و الفتاح الحاكم بالحق، لا بالظلم (وَ هُوَ الْفَتَّاحُ) أى الحاكم (العليم) بما يحكم به لا يخفى عليه شىء منه.

ثم قال (قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكاءَ) تعبدونهم معه و تشركون بينهم فى العبادة على وجه التوبيخ لهم فى ما اعتقدوه من الاشراك مع اللّه. كما يقول القائل لمن أفسد عملا: ارنى ما عملته توبيخا له بما أفسده، فإنهم سيفتضحون بذلك إذا أشاروا إلى الأصنام و الأوثان و يضمونها إلى اللّه و يشركون بينهما فى التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 396

العبادة فقال تعالى (كلا) و معناه الردع و التنبيه أى ارتدعوا عن هذا القول و تنبهوا عن ضلالكم (بَلْ هُوَ اللَّهُ) الذى يستحق العبادة وحده لا شريک له (العزيز) يعنى القادر الذى لا يغالب (الحكيم) فى جميع أفعاله. و قيل (العزيز) فى انتقامه ممن كفر به (الحكيم) فى تدبيره لخلقه، فكيف يكون له شريک فى ملكه.

ثم قال لنبيه صلى اللّه عليه و آله (و ما أرسلناک) يا محمد بالرسالة التى حملناكها (إلا كافة) و معناه أرسلناک إلى الخلق كافة بأجمعهم. و قيل: معناه إلا مانعا لهم و كافا لهم من الشرک و دخلت الهاء للمبالغة (للناس بشيرا) لهم بالجنة اى مبشرا بها (و نذيرا) أى مخوفا بالنار (وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) صدق قولک و إنک رسول اليهم، لتفريطهم فى النظر فى معجزک.

ثم حكى عن الكفار انهم يستبطئون العذاب الذى يخوفهم به النبى صلى اللّه عليه و آله و المؤمنون، فإنهم كانوا يحذرونهم نزول العذاب عليهم (وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ) الذى تعدونا به (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) فى ما تقولونه معاشر المؤمنين ثم أمره ان يقول لهم فى الجواب عن ذلک (قُلْ لَكُمْ مِيعادُ يَوْمٍ) ينزل عليكم ما وعدتم به من الثواب و العقاب (لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ

ساعَةً) أى لا تؤخرون من ذلک اليوم لحظة (و لا تستقدمون) عليه، و هو يوم القيامة.

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهذَا الْقُرْآنِ وَ لا بِالَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31) قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَ نَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (32) وَ قالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ إِذْ تَأْمُرُونَنا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْداداً وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ وَ جَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِى أَعْناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (33) وَ ما أَرْسَلْنا فِى قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (34) وَ قالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالاً وَ أَوْلاداً وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (35)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 397

خمس آيات بلا خلاف.

حكى اللّه تعالى عن الكفار أنهم يقولون لن نصدق بهذا القرآن الذى أنزل عليك و تدعيه انه من عند اللّه و لا بالذى بين يدى القرآن من أمر الآخرة و النشأة الثانية، فجحدوا أن يكون القرآن من اللّه او أن يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة. و قيل: معناه الكتب التى قبله من التوراة و الإنجيل و غيرهما.

ثم قال «وَ لَوْ تَرى» يا محمد «إِذِ» أى حين «الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ الْقَوْلَ» أى يرد بعضهم على بعض «يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» قيل: كانوا رؤساء الضلالة يأمرون الاتباع بعبادة الأوثان لضعفهم عن استخراج صواب الرأى عند أنفسهم، التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 398

فالاستضعاف طلب الضعف فكل من يجاهر غيره بما يقتضى ضعفه يقال قد استضعفه، و الاستكبار طلب الكبر بغير حق، و كانوا يتعظمون هؤلاء الكفار بالجهل الذى صمموا عليه و صاروا رؤساء فيه ليحققهم به «لَوْ لا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ» لكن بسببكم يمنع، فهؤلاء إذا أخبروا عن ظنهم، فقد صدقوا كأنهم قالوا فى ما نظن، لأنه هكذا يقتضى ظاهر خبرهم، كما إذا أخبروا عما يفعلونه فى المستقبل، فهو اخبار عن عزمهم، و لو كان كذباً لأنكر اللّه ذلك و اتبعه بما يدل على إنكاره، كما قال «انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» «1» ثم حكى ما أجابهم به المستكبرون فإنهم يقولون فى جوابهم «أَ نَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ»؟! منكرين عليهم قولهم انهم منعوهم من الايمان بعد تبين الحق فيه، و ليس الأمر على ما تقولونه «بَلْ كُنْتُمْ» أنتم «مُجْرِمِينَ» ثم حكى تعالى ما يقول الذين استضعفوا فإنهم يقولون «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ» معناه مكركم فى الليل و النهار- فى قول الحسن- كما

قال الشاعر:
لقد لمتنا يا ام غيلان فى السرى و نمت و ما ليل المطى بنائم «2»
أى بنائم فيه. و قيل: كأن الليل و النهار يمكران بطول السلامة فيهما.
و (المترف) المنعم البطر بالنعمة «إِذْ تَأْمُرُونَنا» أى حين تأمروننا «أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ» أى ان نجحد باللّه «وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْداداً» أى أمثالا فى العبادة «وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ» أى اخفوا الندامة بينهم «لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ» نزل بهم، و لام بعضهم بعضاً. و قال الجبائى: معناه أظهروا الندامة، قال: و هذا مشترک. و هذا غلط، لان لفظة الإخفاء هى المشتركة دون لفظ الاسرار، فحمل أحدهما على الآخر قياس فى اللغة «وَ جَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِى أَعْناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا» الاغلال جمع غل و اللّه

_____

(1) سورة 6 الانعام آية 24.
(2) مر تخريجه فى 5/ 645.

تعالى يجعل الغل فى رقاب الكفار عقوبة لهم.
ثم قال موبخاً لهم «هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ» أى يجزون على قدر استحقاقهم لا يجازفون، فلفظه لفظ الاستفهام و المراد به النفى، فكأنه قال:
لا يجزون إلا على قدر أعمالهم التى عملوها.
ثم اخبر تعالى انه ما يرسل فى قرية نذيراً أى مخوفاً باللّه فى ما مضى إلا إذا سمع أهلها المترفون منهم المنعمون «قالوا إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ» أى جاحدون، ثم حكى بأنهم «قالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وَ أَوْلاداً» منكم «وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ» على ما تقولونه، لأنه لو أراد عقابنا لما أنعم علينا فى الدنيا و جعلنا أغنياء و جعلهم فقراء، فقال اللّه تعالى رداً عليهم «قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ»

قُلْ إِنَّ رَبِّی یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشاءُ وَ یَقْدِرُ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ (36) وَ ما أَمْوالُکُمْ وَ لا أَوْلادُکُمْ بِالَّتِی تُقَرِّبُکُمْ عِنْدَنا زُلْفی إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِکَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَ هُمْ فِی الْغُرُفاتِ آمِنُونَ (37) وَ الَّذِینَ یَسْعَوْنَ فِی آیاتِنا مُعاجِزِینَ أُولئِکَ فِی الْعَذابِ مُحْضَرُونَ (38) قُلْ إِنَّ رَبِّی یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ یَقْدِرُ لَهُ وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَهُوَ یُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَیْرُ الرَّازِقِینَ (39) وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ جَمِیعاً ثُمَّ یَقُولُ لِلْمَلائِکَةِ أَ هؤُلاءِ إِیَّاکُمْ کانُوا یَعْبُدُونَ (40)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 400

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ حمزة وحده «و هم فی الغرفة آمنون» لقوله تعالی «أُوْلئِکَ یُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا» «1» و فی الجنة غرفات و غرف، غیر أن العرب تجتزئ بالواحد عن الجماعة إذا کان اسم جنس کما قالوا: أهلک الناس الدینار و الدرهم. الباقون علی الجمع «غرفات» علی وزن (ظلمة، و ظلمات) و حجتهم «لکِنِ الَّذِینَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ» «2».

لما حکی اللّه تعالی عن الکفار أنهم قالوا: إن اللّه لا یعذبنا علی ما تقولونه لأنه أغنانا فی دار الدنیا، و لم یجعلنا فقراء، فکذلک لا یعذبنا فی الآخرة، قال اللّه رداً علیهم «قُلْ» لهم یا محمد «إِنَّ رَبِّی» الذی خلقنی «یَبْسُطُ الرِّزْقَ» أی یوسع الرزق لمن یشاء علی حسب ما یعلم من مصلحته و مصلحة غیره «وَ یَقْدِرُ» أی یضیق. و هو مثل قوله «اللَّهُ یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ یَقْدِرُ» «3» أی یوسع و یضیق، و منه قوله «وَ مَنْ قُدِرَ عَلَیْهِ رِزْقُهُ» «4» أی ضیق، و علی هذا: یحتمل قوله «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَیْهِ»»

أی لن نضیق علیه، فبسط الرزق هو الزیادة فیه علی قدر الکفایة، و القدر تضییقه علی قدر الکفایة.

ثم قال «وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ» ما قلناه لجهلهم باللّه و بحکمته.

---

(1) سورة 25 الفرقان آیة 75.

(2) سورة 39 الزمر آیة 20.

(3) سورة 29 العنکبوت آیة 62.

(4) سورة 65 الطلاق آیة 7.

(5) سورة 21 الأنبیاء آیة 87.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 401

ثم قال تعالی «وَ ما أَمْوالُکُمْ» أی لیس أموالکم التی خولتموها «وَ لا أَوْلادُکُمْ» التی رزقتموها «بِالَّتِی تُقَرِّبُکُمْ عِنْدَنا زُلْفی» قال الفراء: (التی)

يجوز أن يقع على الأموال و الأولاد، لان الأولاد يعبر عنها ب (التى)، و قال غيره: جاء الخبر بلفظ أحدهما- و إن دخل فيه الآخر، و لو قال بالذى يقربكم لكان جائزاً و (زلفى) قربى، و إنما يقربكم اليه تعالى أفعالكم الجميلة و طاعاته الحسنة. ثم قال «إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً» معناه، لكن من آمن باللَّه و عرفه و صدق نبيه و عمل الصالحات التى أمره بها، و انتهى عن القبائح التى نهاه عنها، فان لهؤلاء «جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا» و معناه انه تعالى يجازيهم أضعاف ما عملوا، فانه يعطى بالواحد عشرة، و الضعف من الاضعاف، لأنه اسم جنس يدل على القليل و الكثير.
و يجوز فى اعراب (جزاء) أربعة أوجه: الرفع و النصب بالتنوين و تركه.
و فى (الضعف) ثلاثة أوجه: الجر و النصب و الرفع، إلا أن القراءة بوجه واحد و هو رفع (جزاء) على الاضافة بلا تنوين، و جر «الضعف» بالاضافة اليه.
ثم قال إن هؤلاء مع أن لهم جزاء الضعف على ما عملوه «هُمْ فِى الْغُرُفاتِ» جمع غرفة و هى العلية «آمنون» فيها لا يخافون شيئاً مما يخاف مثله فى دار الدنيا.
ثم قال «وَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِى آياتِنا مُعاجِزِينَ» أى مسابقين: فى من قرأه بألف. و مثبطين غيرهم عن أفعال الخير عند من قرأه بغير ألف «أُولئِكَ فِى الْعَذابِ مُحْضَرُونَ» أى يحصلون فى عذاب النار.
ثم قال «قل» يا محمد «إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ» أى يوسعه «و يقدر» أى يضيقه لمن يشاء. و إنما كرر قوله «قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ»

لاختلاف الفائدة، لأن الاول على معنى إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر من غير أن يعلم اكثر الناس لم فعل ذلك، و الثانى- بمعنى أن ربى يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر له على أن ما أنفقه فى أبواب البر فاللَّه يخلفه عليه و هو قوله «وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ» أى يعطيكم عوضه، و ليس المراد ان يخلف فى دار الدنيا على كل حال، لان اللَّه يفعل ذلك بحسب المصلحة، و إنما أراد انه يعوض عليه إما فى الدنيا بأن يخلف بدله او يثيب عليه «وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» أى اللَّه تعالى خير من يرزق غيره، لأنه يقال:
رزق السلطان الجند، ثم قال (وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً) يعنى يوم القيامة الذى يبعث اللَّه فيه الخلائق (ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ) الذين عبدهم جماعة من الكفار (ا هؤلاء) يعنى الكفار الذين عبدوهم (إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ) على وجه التقرير لهم و إن كان بلفظ الاستفهام، كما قال لعيسى (أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّيَ إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) «1» و قرأ حفص (و يوم يحشرهم ثم يقول) بالياء ردّاً على قوله (قل ان ربى) الباقون بالنون على الجمع.

قالُوا سُبْحانَکَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (41) فَالْيَوْمَ لا يَمْلِکُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَ لا ضَرًّا وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ (42) وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هذا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ وَ قالُوا ما هذا إِلاَّ إِفْکٌ مُفْتَرىً وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ (43) وَ ما آتَيْناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها وَ ما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَکَ مِنْ نَذِيرٍ (44) وَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ ما بَلَغُوا مِعْشارَ ما آتَيْناهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (45)

---

(1) سورة 5 المائدة آية 119.

خمس آيات بلا خلاف.

لما حكى اللَّه تعالى انه يقول للملائكة إن هؤلاء الكفار إياكم كانوا يوجهون عبادتهم، حكى ما يجيب به الملائكة، فإنهم يقولون (سُبْحانَکَ أَنْتَ وَلِيُّنا) تنزيهاً لک أن نعبد سواک، و نتخذ معک معبوداً غيرک، و يقولون: أنت يا ربنا ولينا أي ناصرنا و أولى بنا (من دونهم) يعنى دون هؤلاء الكفار و دون كل احد و أنت الذى تقدر على ذلک من دونهم، فما كنا نرضى بعبادتهم مع علمنا بأنک ربنا و ربهم، ما أمرناهم بهذا و لا رضينا به لهم «بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ» بطاعتهم إياهم فى ما يدعونهم اليه من عبادة الملائكة. و قيل: انهم صوّروا لهم صورة قوم من الجن، و قالوا هذه صورة الملائكة فاعبدوها، و هم و إن عبدوا الملائكة، فان الملائكة لم يرضوا بعبادتهم إياهم و لا دعوهم اليها، و الجن دعوهم إلى عبادتهم و رضوا به منهم فتوجه الذم إلى العابد و المعبود، و فى الملائكة لا يستحق الذم غير العابد، فلذلک أضرب عن ذكر الملائكة. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 404

ثم حكى تعالى ما يقول للكفار يوم القيامة، فانه يقول لهم «فَالْيَوْمَ لا يَمْلِکُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَ لا ضَرًّا» و لا يقدر على ذلک «وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» نفوسهم بارتكاب المعاصى «ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ» أى تجحدونه، و لا تعترفون به. ثم عاد تعالى إلى الحكاية عن حال الكفار فى الدنيا فقال «وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ» أى تقرأ عليهم حججنا واضحات من القرآن الذى أنزله على نبيه «قالُوا» عند ذلک «ما هذا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ» أي يمنعكم عن عبادة ما كان يعبده آباؤكم «وَ قالُوا» أيضاً «ما هذا» القرآن «إِلَّا إِفْکٌ مُفْتَرىً» يعنى كذب تخرصه و افتراه «وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ» يعنى القرآن «لَمَّا جاءَهُمْ إِنْ هذا» أى ليس هذا

«إِلّا سِحْرٌ مُبِينٌ» أى ظاهر، و السحر حيلة خفية توهم المعجزة.
ثم قال تعالى «وَ ما آتَيْناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها» قال الحسن: معناه ما آتيناهم من كتب قبل هذا الكتاب، فصدقوا به و بما فيه ان هذا كما زعموا «وَ ما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ» و يجوز ان يكون المراد و ما أرسلنا اليهم قبلك يا محمد من نذير إلا و فعلوا به و قالوا له مثل ما قالوا لک، و حذف لدلالة الكلام عليه، و ذلک عليه بقوله «وَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» بما أتاهم اللّه من الكتب، و بما بعث اليهم من الرسل «وَ ما بَلَغُوا» أى و ما بلغ هؤلاء (مِعْشارَ ما آتَيْناهُمْ) أولئک الكفار، قال الحسن: معنى معشار أى عشر. و المعنى ما بلغ الذين أرسل اليهم محمد صلى اللّه عليه و آله من اهل مكة عشر ما اوتى الأمم قبلهم من القوة و العدة- فى قول ابن عباس و قتادة- (فَكَذَّبُوا رُسُلِى) أى كذبوا بآيات اللّه و جحدوا رسله (فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ) أى عقوبتى و تغييرى لان اللّه أهلكهم و استأصلهم و هو نكير اللّه تعالى فى الدنيا.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 405

قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَ فُرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ (46) قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (47) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (48) قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ ما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَ ما يُعِيدُ (49) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى نَفْسِي وَ إِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (50)

خمس آيات بلا خلاف.

هذا امر من اللَّه تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه و آله أن يقول للكفار (إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ ...)

و المعنى يكفينى منكم أن يقوم الرجل وحده أو هو و غيره ثم تتساءلون هل جربنا على محمد كذباً او هل رأينا به جنة؟! ففى ذلک دلالة على بطلان ما أنتم عليه و ما ذكرتم فيه، فالوعظ الدعاء إلى ما ينبغى أن يرغب فى ما ينبغى أن يجوز منه مما يلين القلب إلى الاستجابة للحق بالنبى صلى اللَّه عليه و آله و النبى اجل و أعظم و اكبر داع بما أعطاه اللَّه من الحكمة.

و قوله (مَثْنى وَ فُرادى) معناه ان تقوموا اثنين اثنين، و واحداً واحداً ليذاكر أحدهما صاحبه، فيستعين برأيه على هذا الأمر. ثم يجول بفكرته حتى يكرره حتى يتبين له الحق من الباطل و بنى (مثنى) و إن لم يكن صفة لأنه مما

يصلح ان يوحد، كما قال تعالى (أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ) «1» و هو- هاهنا- فى موضع حال، و قال مجاهد فى قوله (أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ) أى بطاعة اللَّه تعالى و قال غيره (بواحدة) بتوحيد اللَّه خصلة واحدة، فقولوا: لا إله إلا اللَّه.

و قوله (ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ) فى موضع نصب عطفاً على (أن تقوموا للَّه) و تتفكروا أى و تنظروا و تعتبروا، ليس بصاحبكم يعنى محمداً صلى اللَّه عليه و آله (من جنة) أى جنون، لأنهم كانوا ينسبونه إلى الجنون و حاشاه من ذلک.

ثم بين انه ليس (إلا نذير) أى مخوف من معاصى اللَّه و ترک طاعاته (بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ) يعنى عذاب القيامة. ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله يا محمد (قل) لهم (ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ) و ليس (أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) و المعنى أنى أبلغكم الرسالة، و لا أجرّ إلى نفسى عرضاً من أعراض الدنيا بل ثمرة ذلک لكم، و ليس أجرى إلا على اللَّه.

و قال ابن عباس (من أجر) اى من مودة، لان النبى صلى اللَّه عليه و آله سأل قريشاً أن يكفوا عن أذاه حتى يبلغ رسالات ربه (وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدٌ) أى عالم به. ثم قال أيضاً (قل) لهم يا محمد (إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) أى يلقيه على الباطل، كما قال تعالى (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ) «2» (علام الغيوب) إنما رفع بتقدير هو علام الغيوب، و لو نصب على انه نعت ل (ربى) لكان جائزاً، لكن هذا أجود، لأنه جاء بعد تمام الكلام كقوله (إِنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) «3» و المعنى انه عالم بجميع ما غاب عن جميع الخلائق علمه.

---

(1) سورة 35 فاطر آية 1.
(2) سورة 21 الأنبياء آية 18.
(3) سورة 38 ص آية 64. [.....]

ثم أمره صلى اللَّه عليه و آله أن يقول لهم قد (جاء الحق) يعنى أمر اللَّه بالإسلام و التوحيد (وَ ما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَ ما يُعِيدُ) لأن الحق إذا جاء اذهب الباطل فلم يبق له بقية يبدئ بها و لا يعيد. و قال قتادة: الباطل إبليس لا يبدؤ الخلق و لا يعيدهم. و قيل: إن المراد به كل معبود من دون اللَّه بهذه الصفة. و قال الحسن: و ما يبدئ الباطل لأهله خيراً و لا يعيد بخير فى الآخرة.
ثم قال (قل) لهم (إن ضللت) أى ان عدلت عن الحق (فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى نَفْسِى) لأن ضرره يعود علىّ، لأنى أو آخذ به دون غيرى (و إن اهتديت) إلى الحق (فَبِما يُوحِى إِلَىَّ رَبِّى إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) أى يسمع دعاء من يدعوه قريب الى إجابته.
و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة، لأنه قال (إن ضللت) فأضاف الضلال إلى نفسه، و لم يقل فبقضاء ربى و إرادته.
قال الزجاج: و ما يبدئ الباطل أى أى شىء يبدئ الباطل؟ و أىّ شىء يعيد؟ و يجوز ان تكون (ما) نافية، و المعنى و ليس يبدئ إبليس و لا يعيد.

وَ لَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ (51) وَ قالُوا آمَنَّا بِهِ وَ أَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (52) وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (53) وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ كَما فُعِلَ بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (54)

أربع آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 408

قرأ حمزة و الكسائى و ابو عمرو (التناؤش) بالهمز. الباقون بغير همز.

يقول اللّه تعالى لنبيه صلى اللّه عليه و آله (و لو ترى) يا محمد (إذ فزعوا) من العذاب يوم القيامة (فلا فوت) أى لا مهرب و لا يفوتونه. فالفوت خروج وقت الشىء كفوت الصلاة، و فوت وقت التوبة و فوت عمل اليوم بانقضائه. و الفزع و الجزع و الخوف و الرعب واحد. و الفزع يتعاظم فى الشدة بحسب أسبابه و قوله (وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ) قال ابن عباس و الضحاك: أخذوا من عذاب الدنيا. و قال الحسن: حين يخرجون من قبورهم. و قيل: من بطن الأرض الى ظهرها. و المعنى انهم إذا بعثوا من قبورهم، و لو ترى فزعهم يا محمد حين لا فوت و لا ملجأ. و جواب (لو) محذوف، و التقدير لرأيت ما تعتبر به عبرة عظيمة. و قوله (وَ قالُوا آمَنَّا بِهِ) أى يقولون ذلك الوقت آمنا به و صدقنا به. فقال تعالى (وَ أَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ) قيل: معناه بفوتهم تناول التوبة فى الآخرة الى الدنيا، و التناوش التناول من قولهم نشته أنوشه إذا تناولته من قريب، قال الشاعر:

فهى تنوش الحوض نوشاً من علا نوشا به تقطع أجواز الفلا «1»

و تناوش القوم إذا دنا بعضهم الى بعض، و لم يلتحم ببنهم قتال، و قد همز بعضهم، فيجوز أن يكون من هذا، لأن الواو إذا انضمت همزت كقوله (أقتت) «2» و يجوز أن يكون من النش و هو الإبطاء، و انتاشه أخذ به من مكان بعيد، و مثله نأشه قال الشاعر:

تمنى نئيشاً أن يكون اطاعنى و قد حدثت بعد الأمور امور «3»

---

(1) تفسير الطبرى 22/ 65.

(2) سورة 77 المرسلات آية 11.

(3) تفسير القرطبى 14/ 317.

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 409

و قال رؤبة:

اقحمنى جار أبى الجاموش اليک نأش القدر المنؤش «1»

(وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ) معناه كيف تقبل توبتهم أو يردون الى الدنيا، و قد كفروا باللّه و رسله من قبل ذلک، و هو

قوله (بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ) يعنى قولهم هو ساحر و هو شاعر و هو مجنون.
و قيل: هو قولهم لا بعث و لا جنة و لا نار- ذكره قتادة- و قال البلخى: يجوز ان يكون أراد انهم يفعلون ذلک بحجة داحضة و أمر بعيد. و قال قوم:
يقذفون بالظن ان التوبة تنفعهم يوم القيامة عن مكان بعيد الا ان فى العقل انها لا تقبل. ثم قال (وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ) أى فرق بينهم و بين شهواتهم، من قبول توبتهم و إيصالهم الى ثواب الجنة أو ردهم الى دار الدنيا (كما فعل) مثل ذلک (بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ) و هو جمع الجمع تقول شيعة و شيع و أشياع، و لان أشياعهم تمنوا أيضا مثل ذلک فحيل بينهم و بين تمنيهم، ثم اخبر (إِنَّهُمْ كانُوا فِى شَکٍّ مُرِيبٍ) فى الدنيا (مريب) و الريب أقبح الشک الذى يرتاب به الناس.
و قال سعيد بن المسيب و سعيد بن جبير
قوله «وَ لَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ» نزلت فى الجيش الذى يخسف بهم بالبيداء فيبقى رجل يخبر الناس بما رآه، و رواه حذيفة عن النبى صلى اللّه عليه و آله

---

(1) مجاز القرآن 2/ 151.

35-سورة فاطر ..... ص : 410

اشارة

مكية فى قول مجاهد و قتادة: لا ناسخ فيها و لا منسوخ، و به قال الحسن إلا آيتين قوله «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ» إلى قوله «الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» و هى خمس و أربعون آية عراقى و حجازى إلا إسماعيل. و ست و أربعون فى عدد إسماعيل و الشاميين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها وَ ما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2) يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (3) وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (4)
يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5)
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 411
خمس آيات بلا خلاف.
قرأ حمزة و الكسائى «هل من خالق غير اللَّه» جراً على أنه صفة ل (خالق) الباقون- بالرفع- على تقدير هل من خالق هو غير اللَّه، و يجوز ان يكون التقدير: هل غير اللَّه من خالق، و يجوز أن يكون رفعاً على موضع (من) و تقديره هل خالق غير اللَّه.
يقول اللَّه تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه و آله قل يا محمد «الْحَمْدُ لِلَّهِ» أى الشكر له على جميع نعمه «فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» أى خالقهما و مخترعهما. و الفطر الشق عن الشىء بإظهاره للحس، و معنى فطر السموات و الأرض أى خلقهما و أظهرهما للحس بعد ان لم تكونا ظاهرتين، و روى عن ابن عباس أنه قال: ما كنت أدرى ما معنى فطر السموات حتى احتكم إلى أعرابيان فى بئر، فقال أحدهما أنا فطرتها، أى اخترعتها و ابتدأتها. و من كان خالق السموات و الأرض لا يفعل إلا ما يستحق به الشكر و الحمد، لأنه غنى حكيم، فلا يعدل عما يستحق به الحمد إلى ما لا يستحق به ذلک.
و قوله «جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا» أى جعل الملائكة رسلا بعضهم إلى بعض و بعضهم إلى البشر. ثم ذكر اوصافهم و هو أنهم «أُولِي أَجْنِحَةٍ» أى اصحاب أجنحة «مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ ...» أى اثنين اثنين و ثلاثة ثلاثة و اربعة اربعة، فهذه الألفاظ معدولة عن الاثنين و الثلاث و الأربع، مع انها التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 412
صفات فلذلک ترک صرفها قال الشاعر:
و لكنما اهلى بواد أنيسه ذئاب تبغى الناس مثنى و موحدى «1»
و إنما جعلهم أولى أجنحة، ليتمكنوا بها من العروج إلى السماء و من النزول الى الأرض، قال قتادة: منهم من له جناحان، و منهم من له ثلاثة و منهم من

له أربعة، ثم قال «يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ ما يَشاءُ» قيل حسن الصوت و قيل من الأجنحة من حيث خلق للملائكة زيادة عما خلق لسائر الخلق من البشر و الأمم. فان قيل: الطائر لا يحتاج إلى اكثر من جناحين فما معنى خلق الملائكة أولى ثلاث و اربع؟ قيل: يجوز أن يكون كل جناح بعلوه باثنين، و يجوز أن يكون للزينة الزائدة، و قد يكون للسمكة أجنحة فى ظهرها. ثم بين «إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» أى لا شىء إلا و هو تعالى قادر عليه بعينه او قادر على مثله.
ثم قال تعالى «ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ» معنى (ما) الذى و تقديره الذى يفتح اللّه للناس من نعمة و رحمة «فَلا مُمْسِكَ لَها وَ ما يُمْسِكْ» من نعمة على خلقه «فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ» أى من بعد اللّه «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» يعنى القادر الذى لا يقهر «الحكيم» فى جميع أفعاله، إن أنعم و إن امسك، لأنه عالم بمصالح خلقه لا يفعل إلا ما لهم فيه مصلحة فى دينهم او دنياهم.
ثم خاطب المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» بأن خلقكم و أوجدكم و أحياكم و أقدركم و شهاكم، و خلق لكم المنافع التى تنتفعون بها «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ» تقريراً لهم على انه لا خالق غير الله فى السموات و الأرض «يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ» بالمطر و من «وَ الْأَرْضِ» بالنبات «لا إِلهَ إِلَّا هُوَ،» أى لا معبود يستحق العبادة سواه تعالى «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» أى كيف تقلبون

---

(1) الكتاب لسيبويه 2/ 15.

عن طريق الحق إلى الضلال. و انما قال «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ» و إن كان أحدنا يخلق الشىء لأن هذه الصفة لا تطلق إلا عليه تعالى، فاما غيره فإنها تقيد له. و ايضاً فقد فسر ما أراد و هو أنه هل من خالق رازق للخلق من السموات و الأرض غير الله أى لا خالق على هذه الصفة إلا هو. هذا صحيح لأنه لا احد يقدر على ان يرزق غيره من السماء و الأرض بالمطر و النبات و أنواع الثمار.
ثم قال تعالى تعزية للنبى صلى اللّه عليه و آله و تسلية له عن تكذيب قومه إياه «وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ»، يا محمد هؤلاء الكفار «فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ» أرسلهم الله فكذبوهم و لم يقبلوا منهم فلك اسوة بمن كان قبلك «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» يعنى ترد الأمور الى حيث لا يملك التصرف فيها مطلقاً غير الله يوم القيامة.
ثم خاطب الخلق فقال «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» يعنى ما وعدهم به من البعث و النشور و الجنة و النار صحيح كائن لا محالة «فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا» فتغترون بملاذها و زينتها و تتركون ما أمركم الله به و ترتكبون ما نهاكم عنه (وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) فالغرور هو الذى عادته ان يغر غيره، و

الدنيا و زينتها بهذه الصَفة، لأن الخلق يغترون بها، و قال الحسن الغرور الشيطان الذى هو إبليس، و هو قول مجاهد. و الرزق يطلق على وجهين: أحدهما- ان الله جعله يصلح للغذاء يتغذى به الحيوان و للملبس يلبسونه فالعباد من هذا الوجه لا يأكلون و لا ينتفعون إلا بما جعله الله رزقاً لهم.
و الثانى- انه ملكه الله و حكم انه له فهم يتظالمون من هذا الوجه.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 414

إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ (6) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7) أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ (8) وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُورُ (9) مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ (10)

خمس آيات حجازى و كوفى، و ست بصرى و شامى، عدّ البصريون و الشاميون (شديد) و لم يعده الباقون.

قرأ ابو جعفر (فلا تذهب) بضم التاء و كسر الهاء (نفسك) بنصب السين.

الباقون- بفتح التاء و الهاء، و رفع السين.

يقول اللَّه تعالى مخبراً لخلقه من البشر (إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ) فيعدل

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 415

بكم عن أفعال الخير و يدعوكم إلى ما فيه الهلكة، فالعداوة ضد الولاية، و لا يجوز ان يكون احد عدواً من وجه ولياً من وجه، كما لا يجوز أن يكون موجوداً من وجه معدوماً من وجه، لان الصفتين متنافيتان. ثم أمرهم بأن يتخذوا الشيطان عدّواً كما هو عدّو لهم، و بين تعالى أن الشيطان ليس يدعو إلا حزبه أى أصحابه و جنده، و هم الذين يقبلون منه و يتبعونه. و بين انه إنما يدعوهم ليكونوا من اصحاب السعير بارتكاب المعاصى و الكفر باللَّه تعالى، و السعير النار المستعرة.

ثم اخبر تعالى (إن الَّذِينَ كَفَرُوا) بآيات اللَّه و يكذبون رسله (لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ) جزاء على كفرهم و تكذيبهم، و إن (الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا) الأفعال (الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) من اللَّه لذنوبهم و لهم (أجر) أى ثواب (كبير) ثم قال مقرراً لهم (أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً) يعنى الكفار زينت نفوسهم لهم أعمالهم السيئة فتصوروها حسنة او الشيطان يزنيها لهم فيميلهم الى الشبهة و ترك النظر فى الأدلة الدالة على الحق باغوائه حتى يتشاغلوا بما فيه اللذة و طرح الكلفة.

و خبر (من) فى قوله (أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) محذوف و تقديره يتحسر عليه، و قيل: إن الخبر قوله (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ) إلا أنه وقع (من يشاء) موقعه. و قيل: جواب (أ فمن زين) محذوف بتقدير: كمن علم الحسن من القبيح، و عمل بما علم. و قيل: كمن هداه اللَّه.

و فى ذلك دلالة على بطلان قول من يقول: إن المعارف ضرورة، لأنه دل

على انهم رأوا أعمالهم السيئة حسنة. و هذا رأى فاسد، ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله ناهياً له (فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ) يا محمد (حسرات). و من فتح التاء جعل التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 416
الفعل للنفس، و الحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ) من المعاصى و الطاعات فيجازيهم بحسبها.
ثم قال (وَ اللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً) أى تنشئه و تجمعه و تجىء به و تحركه (فسقناه) إى فساقه الله (إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ) لم يمطر أى قحط و جدب فيمطر على تلك الأرض فيحيى بذلك الماء و المطر الأرض بعد موتها بالزرع بعد أن لم يكن فيها زرع. ثم قال: كما فعل هذا بهذه الأرض الجدبة القحطة من إحيائها بالزرع بعد أن لم يكن فيها زرع مثل ذلك ينشر الخلائق بعد موتهم و يحشرهم الى الموقف للجزاء من ثواب و عقاب. و قيل: إن اللَّه تعالى إذا أراد احياء الخلق أمطر السماء أربعين يوماً فينبت بذلك الخلق نباتاً.
ثم قال تعالى (مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ) يعنى القدرة على القهر و الغلبة (فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً) أى له القهر على جميع الأشياء لا يقدر احد ان يمنعه مما يريد فعله به. و قيل: معناه من كان يريد علم العزة لمن هى، فهى للَّه. و قيل: معناه من أراد العزة فليطع اللَّه حتى يعزه.
و قوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) قيل: معناه انه تعالى يقبله و يثيب عليه.
و قيل: اليه يصعد اى الى حيث لا يملك الحكم فيه إلا اللَّه، كما يقال: ارتفع أمرهم الى القاضى، و قوله (وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) اى يقبله. و قيل: فى الضمير الذى فى (يرفعه) ثلاثة أوجه: أحدها- يرفع الكلم الطيب من الفعل. الثانى- يرفعه الكلم الطيب. الثالث- يرفعه اللَّه.
ثم قال (وَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ) اى يحتالون لفعل السيئات من الشرک و الكبائر. و قيل: هم اصحاب الرياء (لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ) قال قتادة: معناه مكرهم يفسد. و قيل: معنى يبور يكسد، فلا ينفذ فى ما يريدون التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 417
و قال مجاهد: هو ما عمل للرياء فانه يفسد، قال ابن الزبعرى:
يا رسول المليک ان لسانى راتق ما فتقت إذ انا بور «1»

وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَ لا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَ ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11) وَ ما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ مِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَ تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَواخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13) إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14) يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15)
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) وَ ما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (17)

---

(1) مر تخريجه فى 6/ 294 و 7/ 479.

ست آيات بصرى و سبع فى ما عداه عدوا (بخلق جديد) و لم يعده البصريون.
قرأ يعقوب و لا (ينقص من عمره) بفتح الياء و ضم القاف. الباقون على ما لم يسم فاعله. و قرأ قتيبة (و الذين تدعون) بالتاء على الخطاب. الباقون بالياء على الخبر.
هذا خطاب من اللَّه سبحانه لجميع خلقه من البشر انه خلقهم من تراب، و يريد ان آدم الذى هو أبوهم و منه انتسلوا خلقه من تراب و منه توالدوا.
و قيل: إن المراد به جميع الخلق، لأنهم إذا خلقهم من نطفة و النطفة تستحيل من الغذاء، و الغذاء يستحيل من التراب، فكأنه خلقهم من تراب، ثم جعل التراب نطفة بتدريج. و على الأول يكون قوله «ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» معناه ثم خلق أولاد آدم من نطفة ثم استثنا منه عيسى فى قوله «إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ» «1» فقوله «ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً» أى اشكالا لان الزوج هو الذى معه آخر من شكله، و الاثنان زوجان «وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَ لا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ» معناه ليس تحمل الأنثى من حمل يولد و لا تضعه لتمام و لغير تمام إلا و اللَّه تعالى عالم به، لا أن علمه آلة فى ذلك، و لا يدل ذلك على أن له علماً يعلم به، لأن المراد ما ذكرناه من انه لا يحصل شىء من ذلك إلا و هو عالم به.
و قوله «وَ ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ» و العمر مدة الأجل للحياة و هو تفضل من

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 59.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 419
اللّه سبحانه و تعالى يختلف مقداره بحسب ما يعلم من مصالح خلقه، كما يختلف الغنى و الفقر، و القوة و الضعف، و المعنى: و ليس يطول عمر احد و لا ينقص من عمره بأن يذهب بعضه بمضى الليل و النهار إلا و ذلک فى الكتاب المحفوظ أثبته اللّه تعالى قبل كونه. و قال الحسن و الضحاک و ابن زيد: معنى «وَ لا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ» أى من عمر معمر آخر، و قال ابو مالک: معناه و لا ينقص من عمره ينقضى ما ينقضى منه. و قال الفراء: هو كقولک: عندى درهم و نصفه أى و مثل نصف الدرهم من غيره.
ثم قال (إِنَّ ذلِکَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) يعنى تعمير من يعمره و نقصان من ينقصه و إثبات ذلک فى الكتاب سهل على اللّه غير متعذر.
ثم قال تعالى (وَ ما يَسْتَوِى الْبَحْرانِ) أى لا يستويان لان (هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ) اى مرىء شهى (و هذا) الآخر (ملح أجاج) فالفرات أعذب العذب و الأجاج أشد المر. و الأجاج مشتق من أججت النار كأنه يحرق من مرارته. و (اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ) «1» يخرج من الملح دون العذب. و قيل: فى الملح عيون عذبة، و فى ما بينهما يخرج اللؤلؤ.
ثم قال (و من كل) يعنى من البحرين العذب و الأجاج (تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا) يعنى سمكا (وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها) من اللؤلؤ و المرجان (وَ تَرَى الْفُلْکَ) يعنى السفن (فِيهِ مَواخِرَ) اى تشق الماء فى جريانها شقا. و قيل: معناه إنها تذهب و تجىء، بلغة قريش و هذيل. و قال الحسن: يعنى مواقير كقوله (الْفُلْکِ الْمَشْحُونِ) «2» (لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) معناه إنه تعالى خلق ذلک لخلقه

_____
(1) سورة 55 الرحمان آية 22.
(2) سورة 26 الشعراء آية 119.
و سورة 36 يس آية 41 و سورة 37 الصافات آية 140.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 420
ليلتمسوا من فضل اللّه بركوب البحر للتجارة و المسير فيها طلباً للمنافع و ما يخرجون منها من انواع الأشياء لكى يشكروا اللّه على نعمه و يحمدوه على فضله ثم قال (يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ) معناه انه ينقص من الليل فى النهار عند منقلب الصيف، و من النهار فى الليل عند منقلب الشتاء.
و قيل: معناه انه يدخل كل واحد منهما على صاحبه و يتعقبه (وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى) قدره اللّه لهما بحسب ما علم من مصالح خلقه إلى الوقت الذى يفنيهما الله فيه. فتسخير الشمس نزولها فى بروج مخصوصة فى أوقات مخصوصة كل فصل منها لنوع آخر من

المنافع لا يختلف الحال فيه، و تسخير القمر جريانه على وتيرة واحدة، فيستدل به على السنين و الشهور، و ذلک يدل على أن مدبره عالم حكيم.
ثم قال (ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ) الذى يقدر على تسخير الشمس و القمر، و إيلاج الليل فى النهار و النهار فى الليل و خلق البحرين العذب و المالح، و منع أحدهما أن يختلط بالآخر لا يقدر عليه غيره (وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) و توجهون عبادتكم اليهم من الأصنام و الأوثان (ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) و هو قشر النواة- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و عطية- فدل على أن من لا يملک هذا القدر لا يستحق العبادة و لا يكون إلهاً.
ثم قال (إِنْ تدعوهم) يعنى الأصنام (لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ) لأنها جمادات يستحيل ذلک عليها، و لا يقدرون على ضرر و لا نفع (وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ) قيل: إن الله تعالى يحيى الأصنام يوم القيامة لينكروا على المشركين، و يوبخوهم على عبادتهم إياهم. و قال البلخى: يجوز ان يكون المراد به الملائكة و عيسى. و قوله (لا يَسْمَعُوا

دُعاءَكُمْ)
أى هم بحيث لا يسمعونه او هم مشتغلون عنهم لا يلتفتون اليهم و لا يصغون و يجوز ان يكون المراد بها الأصنام و يكون ما يظهرونه من بطلان ما ظنوه كفراً بشركهم و جحداً له كما حصل ما فى الجماد من الدلالة على الله مسبحاً له و هو كقولهم: سل الأرض من شق أنهارک و غرس أشجارک و جنى ثمارک، فان لم تجبک حواراً اجابتک اعتباراً (و لا ينبئک) يا محمد بالشىء على حقيقته (مثل خبير) عالم بما اخبر، و الله تعالى هو العالم بالأشياء على حقائقها.
ثم قال تعالى (يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ) اى محتاجون اليه (وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) عن جميع المخلوقات لا تجوز عليه الحاجة، لأنه ليس بجسم فالحاجة من صفة الأجسام (الحميد) يعنى المحمود المستحق للحمد على جميع أفعاله، و الله تعالى لا يفعل إلا ما يستحق به حمداً.
ثم اخبر تعالى عن قدرته فقال (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) معاشر الخلق و يفنيكم (وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ) آخر (جديد) و هو ما كان قريب عهد بانقطاع العمل عنه، و أصله القطع من جده يجده إذا قطعه. و الجد ابو الأب لانقطاعه عن الولادة بالأب و الجد المضى فيه بقطعه أولا أولا من غير تفتير (وَ ما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) أى بممتنع فالعزيز المنيع بوجه من الوجوه الذى يتعذر معها الفعل.

وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى إِنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ مَنْ تَزَكَّى فَإِنَّما يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (18) وَ ما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ (19) وَ لا الظُّلُماتُ وَ لَا النُّورُ (20) وَ لا الظِّلُّ وَ لا الْحَرُورُ (21) وَ ما يَسْتَوِي الْأَحْياءُ وَ لا الْأَمْواتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَ ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22)
إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (23)
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 422
ست آيات حجازى و كوفى و خمس آيات شامى و اربع آيات بصرى عد الحجازيون و الكوفى و الشامى «البصير» و «النور» و لم يعده البصرى و عد الحجازيون و العراقيون «القبور» و لم يعده الشامى.
يقول اللّه تعالى مخبراً حسب ما تقتضيه حكمته و عدله أنه «لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» معناه أنه لا تحمل حاملة حمل أخرى من الذنب، و الوزر الثقل، و منه الوزير لتحمله ثقل الملك بما يتحمله من تدبير المملكة، و تقديره أنه لا يؤاخذ احد بذنب غيره، و إنما يؤاخذ كل مكلف بما يقترفه من الإثم.
و قوله «وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى» معناه و إن تدع مثقلة بالآثام غيرها لتحمل عنها بعض الإثم لا يحمل عنها شيئاً من آثامها، و إن كان أقرب الناس اليها، لما فى ذلک من مشقة حمل الآثام و لو تحملته لم يقبل تحملها، لما فيه من مجانبة العدل و منافاته له، فكل نفس بما كسبت رهينة، لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، و لا يؤخذ إلا بجنايته.
و قوله «إِنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ» معناه ليس ينتفع بتخويفک يا محمد إلا الذين يخافون ربهم فى غيبتهم و خلواتهم فيجتنبون معاصيه فى سرهم و يصدقون بالآخرة. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 423
و قوله «وَ أَقامُوا الصَّلاةَ» قال ابو عبيدة فى مجازه: اى و يقيمون، فوقع الماضى مقام المستقبل، و المعنى يديمون فعلها و يقومون بشرائطها. و إنما عطف الماضى على المستقبل إشعاراً باختلاف المعنى، لان الحسنة لازمة فى كل وقت و الصلاة لها اوقات مخصوصة، و أضاف الانذار إلى الذين يخشون ربهم من حيث كانوا هم المنتفعون بها، و إن كان النبى صلى اللّه عليه و آله ينذر كل مكلف.
ثم قال «وَ مَنْ تَزَكَّى» أى فعل الطاعات و قام بما يجب عليه من الزكاة و غيرها من الواجبات فإنما يتزكى لنفسه، لان ثواب ذلک و نفعه عائد عليه.
و قوله «وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» معناه يرجع الخلق كلهم الى حيث لا يملک الأمر و النهى إلا اللّه، فيجازى كل مكلف على قدر عمله. و قوله «وَ ما

يَسْتَوِی الْأَعْمی وَ الْبَصِيرُ» معناه لا يتساوى الأعمى عن طريق الحق و العادل عنها، و البصير الذي يهتدي إليها قط، لأن الأول يستحق العقاب، و الثانى يستحق الثواب «وَ لَا الظُّلُماتُ وَ لَا النُّورُ» يعنى و كذلک لا يستوى المؤمن و الكافر و المطيع و العاصى فشبه الايمان بالنور و الكفر بالظلمات، و كذلک لا يستوى «الظِّلُّ وَ لَا الْحَرُورُ» فالظل هو الستر عن موقع الشمس و منه الظلة، و هى السترة عن موقع الشمس، و منه قولهم: ظل يفعل كذا إذا فعل نهاراً فى الوقت الذى يكون للشمس ظل، و الحرور السموم و هو الريح الحارة فى الشمس، و قال الفراء:
الحرور يكون بالليل و النهار و السموم لا يكون إلا بالنهار. و قيل: الظل الجنة و الحرور النار «وَ ما يَسْتَوِی الْأَحْياءُ وَ لَا الْأَمْواتُ» أى هما ايضاً لا يتساويان و لا يتماثلان، فالاسواء حصول أحد الشيئين على مقدار الآخر، و منه الاستواء فى العود و الطريق خلاف الاعوجاج، لممره على مقدار أوله من غير انعدال.
و هذه الأمثال أمثال ضربها اللَّه لعبادة اللَّه و عبادة الأوثان، و بين أنه كما
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 424
لا تتماثل هذه الأشياء، و لا تتشاكل و لا تتساوى، فكذلک عبادة اللَّه لا تشبه عبادة الأصنام.
ثم قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ» و معناه أن اللَّه ينفع باسماع ذلک من يشاء ممن يعلم أن له لطفاً يفعله به دون غيره «وَ ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِی الْقُبُورِ» أى لأنک لا تقدر على نفع الكفار باسماعک إياهم إذا لم يقبلوا، كما لا تسمع من فى القبور من الأموات «إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ» أى لست إلا نذيراً مخوفاً باللَّه.
شبه الكفار فى تركهم قبول ما يسمعون و ذهابهم عن تفهمه و تدبره بالموتى، كما شبههم بالصم و العمى، يقال: أصمهم و أعمى أبصارهم ليس أنهم كانوا لا يسمعون و لا يفهمون أو كان النبى صلى اللَّه عليه و آله لا ينذرهم لكن على ما بيناه من التشبيه.
و قيل فى (لا) قولان: أحدهما- أنها زائدة مؤكدة للنفى. الثانى- انها باقية لاستواء كل واحد منهما لصاحبه على التفصيل. فمن قال: إنها زائدة قال فى مثل قولهم لا يستوى زيد و لا عمرو فى هذا المعنى، فلا تكون هنا إلا زائدة، و من قال: ليست زائدة، قال تقديره لا يستوى الأعمى و البصير و لا يساوى البصير الأعمى.

إِنَّا أَرْسَلْناکَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيها نَذِيرٌ (24) وَ إِنْ يُكَذِّبُوکَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتابِ الْمُنِيرِ (25) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (26)

ثلاث آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 425

لما قال اللَّه تعالى لنبيه إن أنت إلا نذير، و معناه لست إلا مخوفاً من عقاب اللَّه و معاصيه قال له «إِنَّا أَرْسَلْناکَ» يا محمد «بِالْحَقِّ» أي بالدين الصحيح «بَشِيراً» أى مبشراً بالجنة و ثواب اللَّه لمن أطاعه «وَ نَذِيراً» أى مخوفاً من عقابه لمن عصاه «وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ» أى ليس من أمة فى ما مضى إلا مضى فيها مخوف من معاصى اللَّه. و قال قوم: المعنى «إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ» منهم و قال آخرون: نذير من غيرهم، و هو رسول اليهم، كما أرسل نبينا صلى اللَّه عليه و آله الى العرب و العجم. و قال الجبائى: فى ذلک دلالة على أنه لا أحد من المكلفين إلا و قد بعث اللَّه اليهم رسولا، و أنه أقام الحجة على جميع الأمم.

ثم قال على وجه التسلية له و التعزية عن تكذيب قومه إياه «وَ إِنْ يُكَذِّبُوکَ» يا محمد و لم يصدقوک فى انک نبى من قبل الله «فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الكفار أنبياء أرسلوا اليهم «جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ» من الله «بِالْبَيِّناتِ» أى الحجج الواضحات «وَ بِالزُّبُرِ» يعنى بالكتب «وَ بِالْكِتابِ الْمُنِيرِ» الموضح بمنزلة ما فيه من نور يستضاء به. و الزبر هى الكتب، و انما كرر ذكر الكتاب، و عطف عليه، لاختلاف الصنفين، لان الزبر الكتابة الثابتة كالنقر فى الحجر، ثم بين تعالى ان الكفار لما كذبوا رسل الله الذين جاءوهم بالبينات و لم يعترفوا بنبوتهم انه أخذهم بالعذاب و بالعقوبة العاجلة و اهلكهم و دمر عليهم.

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ (27) وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 426

أربع آيات بلا خلاف.

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه و المراد به جميع المكلفين منبهاً لهم على طريق الاستدلال على وحدانيته و اختصاصه من الصفات بما لا يختص به سواه بأن قال «أَ لَمْ تَرَ» يا محمد و معناه أ لم تعلم «أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنى غيثاً و مطراً «فَأَخْرَجْنا بِهِ» اخبار منه تعالى عن نفسه انه أخرج بذلك الماء «ثَمَراتٍ» جمع ثمرة، و هى ما يجتنى من الشجر «مُخْتَلِفاً أَلْوانُها» لان فيها الأحمر و الأبيض و الأصفر و الأخضر و غير ذلك. و لم يذكر اختلاف طعومها و روائحها لدلالة الكلام عليه. و الاختلاف هو امتناع الشىء من ان يسد مسد صاحبه فى ما يرجع إلى ذاته ألا ترى أن السواد لا يسد مسد البياض، و ذلك لا يقدر عليه سواه تعالى من جميع المخلوقين «وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ» واحده جده نحو مدة و مدد و اما جمع جديد فجدد- بضم الدال- مثل سرير و سرر. و الجدد الطرائق (بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ) واحد الغرابيب غربيب و هو الذى لونه كلون الغراب من شدة سواده، و لذلك قال (سود) لأنه دل عليه من هذا التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 427

الوجه، ثم بين بالافصاح أنها سود، قال امرؤ القيس:

كأن سراته و جدّة متنه كنائن يحرى فوقهن دليص «1»

يعنى بالجدة الخطة السوداء تكون فى متن الحمار، و الكنائن جمع كنانه، و الدليص الذى يبرق من الذهب و الفضة و ما أشبهها، فالجدد هى الوان الطرق.

ثم قال (وَ مِنَ النَّاسِ) أيضاً (و من الدَّوَابِّ) التى تدب على وجه الأرض (و الانعام) كالإبل و البقر و الغنم (مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ) ايضاً مثل ذلك مما فى الجبال و الثمار (كذلك) أى مثل ما قدمنا ذكره.

ثم قال (إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ) و معناه ليس يخاف اللَّه حق خوفه و لا يحذر معاصيه خوفاً من عقابه إلا العلماء الذين يعرفون حقيقة ذلك فأما الجهال و من لا يعرف اللَّه فلا يخافونه مثل ذلك، و كذلك ينظر

العلماء فى حجج اللّه و بيناته و يفكرون فى ما يفضى بهم إلى معرفته من جميع ما تقدم ذكره ثم اخبر تعالى فقال (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) فى انتقامه من أعدائه (غفور) لأوليائه و التائبين من خلقه الراجعين إلى طاعته.
ثم قال (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ) يعنى يقرءون القرآن و يعملون بما فيه (وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَنْفَقُوا) فى طاعة اللّه (مِمَّا رَزَقْناهُمْ) أى مما رزقهم اللّه و ملكهم التصرف فيه (سِرًّا وَ عَلانِيَةً) أى فى حال سرهم، و فى حال علانيتهم (يرجون) فى موضع الحال أى راجيين بذلک (تِجارَةً لَنْ تَبُورَ) أى لا تكسد. و قيل: لا تفسد، يقال بارت السوق إذا كسدت و بار الطعام، و بار الشىء إذا فسد، قال الشاعر:

---

(1) ديوانه (شرح السندوسى) 124 و روايته (ظهره) بدل (متنه).

يا رسول المليک إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور «1»
ثم بين انهم يقصدون بذلک أن يوفيهم الله أجور ما عملوا من الطاعات بالثواب و يزيدهم من فضله زيادة على قدر استحقاقهم، لأنه وعد بأن يعطى الواحد عشرة (إنه غفور) لعباده ساتر لذنوبهم (شكور) معناه إنه يعامل بالإحسان معاملة الشاكر. و قال الجبائى: وصفه بأنه شكور مجاز، لان معناه انه يجازى على الطاعات.

وَ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ مِنَ الْکِتابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِیرٌ بَصِیرٌ (31) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَیْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ (32) جَنَّاتُ عَدْنٍ یَدْخُلُونَها یُحَلَّوْنَ فِیها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِباسُهُمْ فِیها حَرِیرٌ (33) وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَکُورٌ (34) الَّذِی أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا یَمَسُّنا فِیها نَصَبٌ وَ لا یَمَسُّنا فِیها لُغُوبٌ (35)
خمس آیات بلا خلاف.

---

(1) قد مر فی 6/ 294 و 7/ 479.

قرأ ابو عمرو (یدخلونها) بضم الیاء علی ما لم یسم فاعله لیشاکل قوله تعالی (یحلون). الباقون بفتح الیاء، لأنهم إذا أدخلوها فقد دخلوها، و المعنیان متقاربان.

یقول اللّه تعالی لنبیه محمد صلی اللّه علیه و آله (وَ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ) یا محمد و أنزلناه علیک (من الکتاب) یعنی القرآن (هو الحق) معناه هو الصحیح الذی معتقده علی ما هو به. و ضده الباطل، و هو ما کان معتقده لا علی ما هو به.

و العقل یدعو إلی الحق و یصرف عن الباطل، و قوله (مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ) معناه مصدقاً لما قبله من الکتب بأنه جاء موافقاً لما بشرت به تلک الکتب من حاله و حال من أتی به. ثم قال (إن اللّه) تعالی بعباده (لخبیر) أی عالم بهم (بصیر) بأحوالهم لا یخفی علیه شیء منها فیجازیهم علی استعمال الحق بالثواب و علی استعمال الباطل بالنار. ثم قال (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ) یعنی القرآن أورثناه من اصطفیناه من عبادنا. و معنی الإرث انتهاء الحکم الیه و مصیره لهم، کما قال تعالی (وَ تِلْکَ الْجَنَّةُ الَّتِی أُورِثْتُمُوها بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) «1» و قیل المراد أورثناهم الایمان بالکتب السالفة و کان المیراث انتقال الشیء من قوم إلی قوم.

و الأول أصح. و الاصطفاء الاختیار بإخراج الصفوة من العباد، فاصطفی اللّه المؤمن یحمل علی ثلاث طبقات مؤمن ظالم لنفسه بفعل الصغیرة، و مقتصد بالطاعات فی المرتبة الوسطی، و سابق بالخیرات فی الدرجة العلیا، و هم الذین لم یرتکبوا شیئاً من المعاصی، و کل وعد اللّه الحسنی، و الذین اصطفاهم اللّه و أورثهم الکتاب قیل: هم الأنبیاء فمنهم ظالم لنفسه یعنی أصحاب الصغائر. و قیل: هم اصحاب النار، هذا من قول من أجاز علی

الأنبياء الصغائر دون الكبائر، فأما

---

(1) سورة 43 الزخرف آية 72.

من لا يجوز عليهم شيئاً من المعاصى أصلًا لا صغيرة و لا كبيرة يقول: معنى الآية إن اللّه تعالى أورث علم الكتاب الذى هو القرآن الذين اصطفاهم و اجتباهم و اختارهم على جميع الخلق من الأنبياء المعصومين، و الأئمة المنتجبين الذين لا يجوز عليهم الخطأ و لا فعل القبيح لا صغيراً و لا كبيراً، و يكون قوله (فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ) راجعاً إلى (عباده) و تقديره فمن عبادنا ظالم لنفسه، و من عبادنا مقتصد، و من عبادنا سابق بالخيرات، لأن من اصطفاه اللّه لا يكون ظالماً لنفسه، فلا يجوز أن ترجع الكناية إلى الذين اصطفينا و قوله «بالخيرات» يعنى يعلم من اقتصد او ظلم نفسه أو سبق بالخيرات.

ثم قال (ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) يعنى السبق بالخيرات هو الفضل العظيم الذى لا شىء فوقه. و قال ابن عباس: الذين أورثهم اللّه الكتاب هم أمة محمد، ورثهم اللّه كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، و مقتصدهم يحاسبهم حساباً يسيراً و سابقهم يدخلون الجنة بغير حساب. و قال ابن مسعود- بذلك- و كعب الأحبار. و قال الثلاث فرق- المذكورة فى هذه الآية- كلهم فى الجنة. و قال عكرمة عن ابن عباس: إن المصطفين من هذه الأمة الأنبياء، و الظالم لنفسه هو المنافق و المقتصد و السابق بالخيرات فى الجنة، و المنافق فى النار. و قال الحسن و مجاهد: السابق بالخيرات من جميع الناس، و الظالم لنفسه أصحاب المشئمة، و المقتصد اصحاب الميمنة من الناس كلهم. و هذا مثل ما قلناه من ان الكناية راجعة إلى العباد دون المصطفين، و قال البلخى: الاصطفاء- هاهنا- التكليف دون الثواب، فعلى هذا يجوز أن ترجع الكناية الى المصطفين.

ثم قال «جَنَّاتُ عَدْنٍ» فرفع جنات على تفسير الفوز، كأنه قيل: ما ذلك الفوز؟ فقال هى جنات أى جزاء جنات أو دخول جنات، و يجوز أن يكون

بدلا من الفوز، كأنه قال ذلك جنات أى دخول جنات، و الجنات هى البساتين التى يجنها الشجر، و العدن الاقامة «يَدْخُلُونَها» يعنى من تقدم ذكره من الذين سبقوا بالخيرات و المقتصدين «يُحَلَّوْنَ فِيها» بمعنى يلبسون فيها الحلى «مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ» و أساور جمع أسوار، و من قال سوار جمعه على أسورة «مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً» فيمن جر، و من نصب «لؤلؤاً» و هو نافع و عاصم فعلى تقدير و يحلون فيها لؤلؤاً «وَ لِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ» معناه إن ما يلبسه أهل الجنة من اللباس إبريسم محض.

ثم اخبر تعالى عن حال من يدخل الجنة أنهم إذا دخلوها «قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ»

أى اعترافاَ بنعمة اللّه و شكراَ له على نعمه، و هو الاعتراف منهم على وجه الإلجاء، لهم فى ذلک سرور لا على وجه التكليف «الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ» و معناه أذهب الغم عنا بخلاف ما كنا عليه فى دار الدنيا، و قيل: الحزن الذى أصابهم قبل دخول الجنة، فإنهم يخافون من دخول النار إذا كانوا مستحقين لها، فإذا تفضل اللّه عليهم بأن يسقط عقابهم و يدخلهم الجنة حمدوا اللّه على ذلک.
و قيل: ما كان ينالهم فى دار الدنيا من أنواع الأحزان و الاهتمام بأمر المعاش و الخوف من الموت و غير ذلک «إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ» لذنوب عباده إذا تابوا مجاز لهم على شكرهم لنعمه. و قيل: إن مكافاته لهم على الشكر لنعمه و القيام بطاعاته جرى مجرى أن يشكره لهم و إن كان حقيقة لا يجوز عليه تعالى من حيث كان اعترافاَ بالنعمة، و لا يصح عليه تعالى أن يكون منعماَ عليه، ثم وصفوا اللّه تعالى بأن قالوا «الَّذِى أَحَلَّنا» أى أنزلنا دار المقامة يعنى دار الاقامة و إذا فتحت الميم كان المراد موضع القيام قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 432
يومان يوم مقامات و اندية و يوم سير إلى الاعداء تأويب «1»
و «مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ» يعنى تعب. و قال قتادة: معناه وجع «وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ» يعنى اعياء. و قيل: اللغوب العناء. و منه قوله تعالى «وَ ما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ» «2».

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها كَذلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36) وَ هُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37) إِنَّ اللَّهَ عالِمُ غَيْبِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (38) هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَساراً (39) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً فَهُمْ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً (40)

---

(1) اللسان (أوب).
(2) سورة 50 ق آية 38. [.....]

خمس آيات بلا خلاف.
قرأ ابو عمرو وحده «يجزى» بضم الياء على ما لم يسم فاعله. الباقون بالنون على وجه الاخبار من اللَّه عن نفسه. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو و حفص «على بينة» بالتوحيد لقوله «فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» «1» الباقون «بينات» على الجمع، لأنها مكتوبة فى المصاحف بالألف و التاء، و البينة و البينات القرآن، و فى قوله «حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ» «2» و هو محمد صلى اللَّه عليه و آله. و يقال:
بان الشىء و أبان إذا تبين، فهو باين و مبين، و أبنته أنا و بينته لا غير. و البينة وزنها (فيعلة) فاجتمع ياءان فأدغم إحداهما فى الأخرى.
لما اخبر اللَّه تعالى عن أحوال اهل الآخرة و ما أعده لأهل الجنة من أنواع الثواب أخبر- هاهنا- عن حال الكفار و ما أعده لهم من أليم العقاب فقال «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بوحدانية اللَّه و جحدوا نبوة نبيه «لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ» عقوبة لهم على كفرهم يعذبون فيها «لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا» أى لا يحكم عليهم بالموت فيموتوا فيستريحوا، يقال قضى فلان إذا مات «وَ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها» معناه و لا ييسر عليهم عذاب النار و لا يسهل عليهم و مثل هذا العذاب و نظيره «كَذلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ» جاحد لوحدانيته تعالى و مكذب لأنبيائه.
ثم اخبر تعالى عن حال من هو فى النار فقال «وَ هُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها» أى

---

(1) سورة 6 الانعام آية 157.
(2) سورة 98 البينة آية 2.

يتصايحون بالاستغاثة، فالاصطراخ الصياح و النداء بالاستغاثة، و هو افتعال من الصراخ قلبت التاء طاء لأجل الصاد الساكنة قبلها، و إنما فعل ذلک لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد بالاستعلاء و الاطباق و يوافق التاء بالمخرج. و يقولون «رَبَّنا أَخْرِجْنا» من عذاب النار «نَعْمَلْ صالِحاً» يعنى نعمل بالطاعات و الاعمال الصالحات التى أمرنا بها «غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» من المعاصى، فيقول اللَّه لهم- فى جوابه تبكيتا لهم و إنكاراً عليهم «أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ» فى دار الدنيا. و قال ابن عباس، و مسروق: العمر الذى ذكره اللَّه أربعون سنة، و فى رواية أخرى ستون سنة، و هو
قول على عليه السلام «ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ» أى عمرناكم مقدار ما يمكن أن يتذكر و يعتبر و ينظر و يفكر من يريد أن يتفكر و يتذكر «وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ» يعنى المخوف من معاصى اللَّه
، قال ابن زيد: يعنى به محمداً صلى اللَّه عليه و آله و قال غيره: أراد الشيب. و قيل: الحمى «فَذُوقُوا» معاشر الكفار عقاب كفركم و معاصيكم «فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» اى ليس لمن ظلم- و بخس نفسه حقها بارتكاب المعاصى- ناصر يدفع عنه العذاب.
ثم اخبر تعالى بأنه «عالِمُ غَيْبِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ»
لا يخفى عليه شىء مما غاب عن جميع الخلائق علمه «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ»
و معناه اتقوا و احذروا أن تضمروا فى أنفسكم ما يكرهه اللَّه تعالى، فانه عليم بما فى الصدور لا يخفى عليه شىء منها.
و قوله «هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ» معناه جعلكم معاشر الكفار أمة بعد أمة و قرناً بعد قرن. و هو قول قتادة «فَمَنْ كَفَرَ» أى جحد وحدانيته و أنكر نبوة نبيه صلى اللَّه عليه و آله «فَعَلَيْهِ» عقاب «كُفْرُهُ» دون غيره «وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً» أى لا يزيدهم كفرهم باللَّه عند اللَّه

إلا أشد البغض لان المقت أشد البغض «وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ» أيضاً «كُفْرُهُمْ إِلَّا خَساراً» لأنهم يخسرون الجنة و يحصل لهم النار بدلا منها «و ذلِکَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ» ثم قال موبخاً لهم «قُلْ أَ رَأَيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» قيل: معناه ادعوا شركاءكم فى الأموال التى جعلتم لها قسطاً من السائبة و الوصيلة و الانعام و الحرث، و هى الأوثان. و قيل: شركاءكم الذين اشركتموهم فى العبادة مع الله «أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ» معناه أى شىء اخترعوه و أنشئوه فيدخل عليكم بذلک شبهة «أَمْ لَهُمْ شِرْکٌ فِي السَّماواتِ؟» أى لهم شركة فى خلق السموات؟ على وجه

المعاونة لله؟ (أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً) ؟ أى أعطيناهم كتاباً أمرناهم فيه بما يفعلونه (فَهُمْ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْهُ) اى من ذلک الكتاب، فان جميع ذلک محال لا يمكنهم ادعاء شىء من ذلک، و لا إقامة حجة و لا شبهة عليه (بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً) و معناه ليس شىء من ذلک لكم، ليس يعد الظالمون أنفسهم بعضهم بعضاً إلا غروراً يغترون به و زوراً يتعدون به، يقال: غره يغره غروراً إذا أطعمه فى ما لا يطمع فيه.
فان قيل: الآية تدل أن الله سبحانه ينفرد بالخلق دون العباد، لأنه بين أن من تهيأ له الخلق فهو إله.
قلنا: هذا كقوله (أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها؟ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها) «1» فكما لا يدل على ان من كان له يد أو رجل يكون إلهاً، فكذلک لا يجب ان يكون من يخلق يكون إلها على انه بين المراد بالخلق، فقال (ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) لا يقدر على خلق الأرض و لا على شىء منه إلا الله تعالى على أنا

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 194.

لانطلق اسم خالق إلا على الله، و نقيده فى الواحد منا.

إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَ لَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً (41) وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ ما زادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً (42) اسْتِكْباراً فِي الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً (43) أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَلِيماً قَدِيراً (44) وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً (45)

خمس آيات كوفى و مكى و مدنى الأول. و ست شامى، و فى عدد إسماعيل. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 437

و سبع بصرى. عد البصرى و الشامى و إسماعيل (تبديلا) و عد البصرى قبله (تزولا) و لم يعد ذلك الباقون.

لما بين الله تعالى أن الأصنام لا تقدر على شىء و أن ليس لها شرك فى السموات و الأرض، أخبر عن عظيم قدرته و سعة سلطانه فقال (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ) بأن يسكنها حالا بعد حال، و لا يقدر على تسكينها غيره تعالى حال بعد حال، لأنه يسكنها بغير عمد، فالارضون ساكنة بلا عمد و السموات ساكنة باسكانه. و هى غير الأفلاك التى تجرى فيها النجوم، قال عبد الله بن مسعود ان السموات لا تدور، و لو كانت تدور لكانت قد زالت. و منعهما بهذا التسكين من أن تزولا عن مواضعها او تهوى او تسقط، و معنى (أن تزولا) كراهة أن تزولا. و قال الكوفيون: معناه ألا تزولا عن مراكزهما، فحذف (لا).

ثم قال (و لئن زالتا) معنى (لئن) (لو) و يوضع كل واحد منهما مكان الآخر، لأنهما يجابان بجواب واحد. و مثله (وَ لَئِنْ أَرْسَلْنا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا) «1» و معناه و (لو) و معنى (وَ لَئِنْ زالَتا) يعنى عن مقرهما (إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) أى ليس يسكنها احد و لا يقدر عليه احد بعد الله تعالى (إِنَّهُ كانَ حَلِيماً) يعنى القادر الذى لا يعاجل واحداً بالعقوبة، و لا يحلم إلا قادر، لأن من ليس بقادر، لا يصح ان يعاقب، فلا يحلم و إنما حلمه أناة بمن استحق العقوبة (غفوراً) أى ستاراً لذنوبهم إذا تابوا لا يفضحهم بها على رؤس الأشهاد، و (الغفور) الكثير الغفران لذنوب عباده بالتوبة و بالتفضل لمن يشاء منهم.

ثم حكى عن الكفار أنهم (أَقْسَمُوا بِاللَّهِ) يعنى حلفوا به (جَهْدَ أَيْمانِهِمْ)

(1) سورة 30 الروم آية 51.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 438
أى غاية وسعهم و طاقتهم (لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ) أى مخوف من جهة الله يخوفهم من معاصيه (لَيَكُونُنَّ أَهْدى) إلى اتباعه و القبول منه (مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ) الماضية و أسبق إلى اتباعه (فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ) أى محمد صلى اللّه عليه و آله جاءهم يخوفهم باللّه «ما زادهم» مجيئه «إلا نفوراً» أى ازدادوا عند مجيئه نفوراً عن الحق و هرباً منه لا أن مجيئه زادهم ذلک. ثم بين تعالى انهم ينفرون عند مجىء النبى «استكباراً» أى طلباً للكبر و التجبر على غيرهم «فى الأرض» من أن يقروا بالحق «و مكر السىء» أى و حيلة الأفعال القبيحة و المعاصى لأنهم قصدوا بذلک الفرار من اتباع محمد و الايمان به، و السىء الشرک- فى قول قتادة- و أضيف اليه كما قال «لحق اليقين» «1» و فى قراءة عبد اللّه بن مسعود «و مكراً سيئاً» و قد سكن حمزة وحده الهمزة. الباقون جروها بالاضافة. و التسكين لحن عندهم اعنى البصريين، لا يجوز ان يقرأ به. و قيل الوجه فى تسكين حمزة كثرة الحركات فى الكلام، كما قال الشاعر:
إذا اعوججن قلت صاحب قوم
فسكن الباء لكثرة الحركات، و الصحيح الأول، لأن مثل هذا إنما يجوز فى ضرورة الشعر، قال ابو على النحوى: يجوز أن يكون أجراه فى الوصل مجرى الوقف، و تقدير و مكرراً المكر السىء، فأضيف المصدر إلى صفة المصدر، و تقديره و مكروا المكر السىء بدلالة قوله «وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» و معناه لا ينزل بأحد جزاء المكر السىء إلا بمن فعله «فهل ينظرون» أى فهل ينتظرون «إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ» من نزول العقاب بهم و حلول النقمة عليهم جزاء على كفرهم، فان كانوا ينتظرون ذلک «فلن تجد» يا محمد و المراد به

(1) سورة 69 الحاقة 51.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 439
الكفار «لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» أى لا يغير اللّه عادته من عقوبة من جحد ربوبيته «وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا» و لا يبدلها بغيرها، فالتبديل تصير الشىء مكان غيره، و التحويل تصير الشىء فى غير المكان الذى كان فيه، و التغيير تصيير الشىء على خلاف ما كان.
ثم قال «أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ» يعنى هؤلاء الكفار الذين أنكروا إهلاک اللّه الأمم الماضية، أما ساروا فى الأرض «فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كانُوا» أولئک «أشد منهم» من هؤلاء «قُوَّةً وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَىْءٍ» إذ لم يكن يفوته شىء «فِى السَّماواتِ وَ لا فِى الْأَرْض

إِنَّهُ كانَ عَلِيماً» عالماً بجميع الأشياء (قديراً) قادراً على ما لا نهاية له، وَ يقدر على أجناس لا يقدرون عليها.
ثم اخبر تعالى ممننا على الناس بتأخير عقابهم بان قال (وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا) أى جزاء على معاصيهم عاجلا (ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها) ظهر الأرض (من دابة) تدبّ على رجليها (وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ) يعنى إلى الوقت المعلوم الذى قدره لتعذيبهم (فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ) يعنى الوقت المقدر المعلوم (فان اللّه) تعالى (كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً) أى عالماً بأحوالهم لا يخفى عليه شىء منها فيجازى كل انسان على قدر فعله من طاعة او معصية، و الضمير فى قوله (على ظهرها) عائد إلى الأرض و إن لم يجر لها ذكر لدلالة الكلام عليه، لأنه معلوم أنهم على ظهر الأرض دون غيرها، على أنه قد تقدم قوله (أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ) و فى قوله (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ) فيجوز أن يرد الكناية اليها.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 440

اشارة

فى قول مجاهد و قتادة و الحسن: ليس فيها ناسخ و لا منسوخ. و قال ابن عباس: آية منها مدنية و هى قوله (وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) و هى ثلاث و ثمانون آية كوفى. و اثنان و ثمانون آية فى ما عداه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يس (1) وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (4)
تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5) لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُونَ (6) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (7) إِنَّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8) وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ (9)
وَ سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (10)
عشر آيات كوفى و تسع فى ما عداه عدّ الكوفى (يس) و لم يعده الباقون.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 441
قرأ الكسائى بامالة الألف من (ياسين) و كذلک حمزة إلا انه أقل إمالة الباقون بغير امالة. و قرأ ابن كثير و نافع و ابو عمرو و ابو بكر عن عاصم (تنزيل العزيز الرحيم) بالرفع الباقون بالنصب. فمن رفع، فعلى تقدير (ذلک) تنزيل العزيز، و من نصب، فعلى تقدير (نزل) تنزيل العزيز الرحيم.
و قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر (سداً) بفتح السين فى الموضعين. الباقون بضمها، و هما لغتان. و قال ابو عمرو: و ما كان من فعل اللّه، فهو بالفتح.
و عد أهل الكوفة (يس) آية و لم يعدوا (طس) لأن (طاسين) أشبه قابيل و هابيل فى الوزن، و الحروف الصحاح، و لم يشبهها (ياسين) لأن أوله حرف من حروف العلة و ليس مثل ذلک فى الأسماء المفردة، فأشبه الجملة و الكلام التام و شاكل ما بعده من رؤس الآى. و قد مضى فى ما تقدم أن افتتاح أوائل السور بأمثال هذه الحروف الأقوى فيها أنها اسماء للسور. و قيل: إنها اسماء القرآن، و قيل إنها حروف إذا جمعت انبأت عن اسم اللّه الأعظم، و غير ذلک من الأقاويل لا نطول بذكره. و قال الحسن: معناه يا رجل. و قال محمد بن الحنفية (يس) معناه يا إنسان يا محمد، و
روى عن على عليه السلام أنه قال سمى اللّه تعالى النبى صلى اللّه عليه و آله فى القرآن بسبعة اسماء: محمد، و أحمد، و طه، و يس، و المزمل، و المدثر، و عبد اللّه،
و قيل: معناه بالسريانية يا إنسان. و قيل: معناه يا سيد الأولين و الآخرين. و أخفى النون من (ياسين) الكسائى و ابو بكر عن عاصم. الباقون ببيان النون، و هو الأجود لأن حروف الهجاء ينوى بها السكت و الانقطاع عما بعدها. و من قال بالأول قال لان النون و التنوين إنما يظهران عند حروف الحلق التبيان
فى تفسير القرآن، ج8، ص: 442
و ليس هاهنا شىء منها.

و قوله (وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) قسم من اللّه تعالى بهذا القرآن وصفه بأنه حكيم من حيث أن فيه الحكمة، فصار ذلک بمنزلة الناطق به للبيان عن الحق الذى يعمل به. و الحكمة قد تكون المعرفة، و قد تكون ما يدعو إلى المعرفة، و أصله المنع من الخلل و الفساد، فالمعرفة تدعو إلى ما أدى إلى الحق من برهان أو بيان قال الشاعر:

أبنى حنفية احكموا سفهاءكم إنى أخاف عليكم أن اغضبا «1»

أى امنعوهم. و قال قوم: إنما أقسم اللّه بالقرآن الحكيم لعظم شأنه و موضع العبرة به و الفائدة فيه، و المقسم عليه قوله (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) أقسم تعالى أن النبى صلى اللّه عليه و آله ممن أرسله اللّه بالنبوة و الرسالة، و أنه (عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) و هو طريق الحق المستقيم الذى يؤدى إلى الجنة (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) من رفع فعلى تقدير ذلک تنزيل، و من نصب فعلى تقدير نزل تنزيل. و موضع (عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) يجوز ان يكون رفعاً على انه خبر، كأنه قال إنک على صراط مستقيم، و يجوز أن يكون نصباً على الحال للارسال، كأنه قال: أرسلوا مستقيماً طريقتهم.

و قوله (لِتُنْذِرَ قَوْماً) معناه إنه أنزل القرآن لتخوف به من معاصى اللّه قوماً (ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ) من قبل أراد به قريشاً أنذروا بنبوة محمد، و قيل: فى معناه قولان:

أحدهما- قال عكرمة: معناه لتنذر قوماً مثل الذى أنذر آباؤهم.

الثانى- قال قتادة: معناه لتنذر قوماً لم ينذر آباؤهم قبلهم- يعنى فى

_____

(1) مر فى 1/ 142 و 2/ 188 و 4/ 496 و 5/ 512 و 6/ 440.

زمان الفترة بين عيسى و محمد عليهما السلام (فَهُمْ غافِلُونَ) عما تضمنه القرآن و عما أنذر اللّه من نزول العذاب. و مثل الغفلة السهو، و هو ذهاب المعنى عن النفس و مثله النسيان و هو ذهاب الشىء عن النفس بعد حضوره فيها.

ثم اخبر تعالى مقسما انه (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلى أَكْثَرِهِمْ) اى وجب باستحقاق العقاب بإدخالهم النار (فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) لذلک، و قد سبق فى علم اللّه. ثم اخبر تعالى فقال (إِنَّا جَعَلْنا فِى أَعْناقِهِمْ أَغْلالًا) أى جعل الغل فى أعناقهم و هو جمع عنق (فَهِيَ إِلَى الْأَذْقانِ) و الأذقان جمع ذقن و هو مجمع اللحيين. و قيل بأيمانهم إلى أذقانهم، فكنى عنها، لأنها معلومة. و قيل:

التقدير بالاغلال بالايمان إلى الأذقان فهو محذوف، قال الشاعر:

و ما أدرى إذا يممت أرضاً أريد الخير أيهما يلينى

أ الخير الذى أنا أبتغيه أم الشر الذى لا يأتلينى «1»

(فَهُمْ مُقْمَحُونَ) فالمقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه، و قيل هو المقنع و هو الذى يجذب ذقنه حتى تصير فى صدره ثم يرفع. و القمح من هذا و هو

رفع الشىء إلى الفم، و البعير القامح الذى إذا أورده الماء فى الشتاء رفع رأسه و شال به نصباً لشدة البرد، قال الشاعر:
و نحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالإبل القماح «2»
و قيل: قد رفعوا رؤسهم و شخصوا بأبصارهم- ذكره مجاهد- ثم قال (وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) و معناه سداً عن الحق- فى قول مجاهد و قتادة- اى على جهة الذم لهم، وصفهم بذلك لا أنهم منعوا منه و كذلك ذكر الاغلال كما قال الأفوه الازدى:

---

(1) مر فى 2/ 113 و 5/ 529 و 6/ 391.
(2) اللسان (قمح).

كيف الرشاد إذا ما كنت فى نفر لهم عن الرشد أغلال و اقياد
و فى تأويل الآيات قولان:
أحدهما- انه جعل جهلهم و ذهابهم عن معرفة الحق غلا و سداً إذا كان المغلول الممنوع من التصرف امامه و وراءه ذاهب عما قد منع منه و حيل بينه و بين الدليل عليه إن اللّه تعالى لم يجعل الكافر مغلولا فى الحقيقة و لا مسدوداً بين يديه و من خلفه و لا فى عينه غشاوة، كقوله تعالى (وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْراً) «1» شبهه بمن فى أذنيه وقر، فعلمنا بهذا التشبيه أنه إنما يريد بوصف الكفار بالوقر و الكن و الغل و السد التشبيه الذى عناه- هاهنا- و لو كان فى إذن الكافر وقر على الحقيقة لم يجز تشبيهه بمن فى أذنيه وقر، و هو كقولهم للجاهل: حمار و ثور، و إنما يريدون المبالغة فى وصفه بالجهل. و معنى (جعلنا) يحتمل وجهين أحدهما- انه كما شبههم بمن جعله مغلولا مقيداً أجرى عليه صفة الجعل بأنه مشبه للمجعول مغلولا مقيداً. و الثانى- انه أراد البيان عن الحالة التى شبه بها المغلول المقيد، كما يقول القائل: جعلنى فلان حماراً و جعلنى ميتاً إذا وصفه بالحمارية و الموت و شبهه بالحمار و الميت و هذا واضح.
و الوجه الثانى- فى تأويل الآيات انه أراد وصف حالهم فى الآخرة، لأنه تعالى يوثقهم فى الاغلال و السلاسل، كما قال تعالى (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ) «2» و قال (إِذِ الْأَغْلالُ فِى أَعْناقِهِمْ وَ السَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ فِى الْحَمِيمِ ثُمَّ فِى النَّارِ يُسْجَرُونَ) «3» و قال فى السد الذى جعله لهم: فلا يبصرون كما قال

---

(1) سورة 31 لقمان آية 7.
(2) سورة 69 الحاقة آية 30- 31.
(3) سورة 40 المؤمن آية 71- 72.

(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ: ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ) «1» و قال (وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَ بُكْماً وَ صُمًّا مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ) «2» فلما كانت هذه حال الكفار فى الآخرة، وصف حالهم فى الدنيا.
و قوله (فَهُمْ مُقْمَحُونَ) فقد فسرناه فى آية اخرى و هى قوله (مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُؤُسِهِمْ) «3» و الاقناع هو رفع الرأس و اشخاصه فقد صح بما بيناه كلا الوجهين فى الآية و زالت الشبهة بحمد اللّه. و قال السدى: إن ناساً من قريش ائتمروا على قتل النبى صلى اللّه عليه و آله فلما جاءوه جعلت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا ان يبسطوا اليه يداً. و قال قوم: حال الله بينهم و بين ما أرادوا فعبر عن ذلک بأنه غلت أيديهم. و قال البلخى: يجوز ان يكون المراد (جَعَلْنا فِى أَعْناقِهِمْ أَغْلالًا) من الآيات و البينات (وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) منها (فأغشيناهم) بها (فهم) مع ذلک (لا يبصرون) بدليل قوله (أَ فَلَمْ يَرَوْا إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ) «4» و قرأ ابن مسعود و ابن عباس (انا جعلنا فى ايمانهم أغلالا) لأن الغل لا يكون فى العنق دون اليد، و لا فى اليد دون العنق، و المعنى إنا جعلنا فى أعناقهم و فى أيمانهم أغلالا و قوله (فهى) كناية عن الايدى لا عن الاعناق، لأن الغل يجعل اليد تلى الذقن، و العنق و العنق هو مقارب الذقن، لان الغل يجعل العنق إلى الذقن.

---

(1) سورة 57 الحديد آية 13.
(2) سورة 17 الإسراء آية 97.
(3) سورة 14 ابراهيم آية 43. [.....]
(4) سورة 34 سبأ آية 9.

و قرأ الحسن (فأغشيناهم) بالعين المهملة، و هو ما يلحق من ضعف البصر و قيل: الآية نزلت فى أبى جهل، لأنه همّ بقتل النبى صلى اللّه عليه و آله فكان إذا خرج بالليل لا يراه، و يحول اللّه بينه و بينه. و قيل: السد فعل الإنسان، و السد بالضم خلقه تعالى (فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ) أى حكمنا عليهم بأنهم كمن غشى بصره فهم لا يبصرون لذلک. و قيل: أغشيناهم بظلمة الكفر فهم لا يبصرون الهدى. و قيل: بظلمة الليل فهم لا يبصرون النبى صلى اللّه عليه و آله. ثم قال (سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ) يا محمد و خوفتهم (أم لم تنذرهم) و تخوفهم بالعقاب (فهم لا يؤمنون) للعناد و ترک الالتفات و الفكر فى ما يخوفهم منه، فاستوى علمه تعالى فى تركهم الايمان و عدولهم عنه إلى الكفر بسوء اختيارهم.

إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ (11) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ (12) وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13) إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ فَقالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14) قالُوا ما أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَ ما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ (15)

خمس آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 447

قرأ أبو بكر عن عاصم (فعززنا) مخففاً بمعنى فقهرنا من قولهم: من عزيز الباقون بالتشديد يعنى قوينا الاثنين بثالث معيناً، لما قال اللّه تعالى لنبيه صلى اللّه عليه و آله إن هؤلاء الكفار لا يؤمنون أبداً و أخبره بأنه سواء عليهم الانذار و ترک الانذار بين هاهنا حال من ينتفع بالإنذار فقال (إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) و معناه إنما ينتفع بانذارک و تخويفک من اتبع الذكر، لان نفس الانذار قد حصل للجميع و أضافه- هاهنا- إلى من اتبع الذكر لما كانوا المنتفعين به، كما قال (هدى للمتقين). و الذكر المذكور- هاهنا- القرآن- فى قول قتادة- (وَ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ) قيل فى معناه قولان:

أحدهما- و خشى الرحمن و خاف ارتكاب معاصيه فى غيبه عن الناس.

و الثانى- و خشى الرحمن فى ما غاب عنه من الآخرة و أمرها.

ثم قال لنبيه من هذه صفته (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ) من اللّه لذنوبه (و اجر) أى ثواب (كَرِيمٍ) و هو ما يفعله اللّه على وجه الإجلال و الإكرام. و قيل: الأجر الكريم الجنة.

ثم اخبر تعالى عن نفسه فقال (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى) بعد أن افنيناهم (وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا) من طاعاتهم و معاصيهم فى دار الدنيا، و هو قول مجاهد و قتادة (و آثارهم) قال مجاهد: يعنى خطاهم إلى المساجد، لان بنى سلمة من الأنصار شكوا إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بعد منازلهم من المسجد و الصلاة مع رسول اللّه، فنزلت فيهم الآية. و قيل: معناه و آثارهم التى تبقى بعدهم و يقتدى بهم فيها.

ثم قال (وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ) و معناه أحصيناه فى كتاب ظاهر، و هو اللوح المحفوظ. و الوجه فى احصاء ذلک فى إمام مبين اعتبار

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 448

الملائكة به إذا قابلوا به ما يحدث من الأمور، و كان فيه دليل على معلومات اللّه على التفصيل.

ثم قال لنبيه صلى اللّه عليه و آله (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا) معنان اذكر لهم مثلا. و قيل:

معناه مثل لهم مثلا، من قولهم: هؤلاء اضراب أى أمثال. و قوله (اصحاب القرية) قال عكرمة و الفراء: هى انطاكية (إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ) اى حيث بعث اللّه اليهم بالرسل (إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ) يعنى رسولين، و قال قوم: كانا رسولى عيسى من حواريه. و قال آخرون: كانا رسولين من رسل اللّه و هو الظاهر (فكذبوهما) أى جحدوا نبوتهما (فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ) أى فعززهما اللّه بثالث فيمن قرأ بالتشديد و شد ظهرهما به- فى قول مجاهد و ابن زيد- و من خفف أراد فغلب اللّه بثالث أرسله اليهم (فقالوا) لهم يا اهل القرية (إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ) أرسلنا اللّه إليكم (قالوا) لهم (ما أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا) أى ليس أنتم إلا بشر أمثالنا، فدخلت عليهم الشبهة فاعتقدوا أنه من حيث انهم أمثالهم فى البشرية لا يصلح ان يكونوا رسلا كما لا يصلحون هم لذلك (وَ ما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَىْءٍ) مما تذكرونه و تدعونا اليه (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ) أى ليس أنتم إلا كاذبون على الله و متخرصون عليه فى ادعائكم الرسالة، و ذهب عنهم معنى (اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ) «1» و أنه تعالى علم من حال هؤلاء صلاحهم للرسالة و تحمّلهم لاعبائها و لم يعلم ذلک من حالهم بل على خلاف ذلک.

---

(1) سورة 44 الدخان آية 32.

قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَ ما عَلَيْنا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (17) قالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ (18) قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَ إِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (19) وَ جاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20)

خمس آيات لما حكى اللّه تعالى عن اهل القرية انهم قالوا للرسل (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ) فى ادعائكم الرسالة على اللّه حكى ما أجابهم به الرسل فإنهم (قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) و وجه الاحتجاج بذلک انه يلزمهم بقولهم الحذر من مخالفتهم و النظر فى معجزاتهم ليعلموا انهم صادقون على اللّه، ففى ذلک تحذير شديد. ثم قال الرسل لهم أيضاً (وَ ما عَلَيْنا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) أى ليس يلزمنا اكثر من البلاغ المبين، و المعنى انه لو جاءكم رسول غيرنا هل كان عليه إلا البلاغ؟ على حد ما بلغنا. و البلاغ مجىء الشىء إلى حدّ يقف عنده، بلغ الشىء يبلغ بلوغاً و بلاغاً، فهو بالغ. و منه البلاغة، و مثل الإبلاغ الافهام و الإيصال. و المبين صفة للبلاغ، و هو الظاهر الذى لا شبهة فيه، فقالوا لهم فى الجواب عن ذلک حين عجزوا عن إيراد شبهتم، و عدلوا عن النظر فى معجزهم (إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ) أى تشاءمنا بكم، و التطير التشاؤم. ثم هددوهم فقالوا (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا) عن التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 450

ما تدّعونه من النبوة و الرسالة (لنرجمنكم) بالحجارة- فى قول قتادة- و قال مجاهد: معناه لنشتمنكم: فالرجم الرمى بالحجارة، يقال: رجم يرجم رجماً، و رجم بالغيب ترجيماً (وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ) عند ذلک، فقال لهم الرسل (طائركم معكم) أى الشؤم كله معكم بإقامتكم على الكفر باللّه. و قال الفراء:

معنى (طائركم معكم) أى أعمالكم فى رقابكم تجازون عليها. و قال المبرد: معنى (طائركم) حظكم و نصيبكم من الخير و الشر. و هو قول أبى عبيدة. و الطيرة الشؤم. و منه

قوله صلى اللّه عليه و آله (لا عدوى و لا هامة و لا صقر و لا غول).

و فلان لا يطير غرابه، و هو ساكن الطائر، إذا كان ساكناً وقوراً، و فلان لا يطور بنا أى لا يقربنا، و ما فى الدار طورى و لا طورانى أى لا أحد. و عدا فلان طوره إذا جاوز قدره.

و قوله (ائن ذكرتم) قرأه ابن كثير و نافع و ابو عمرو و المفضل عن عاصم- بهمزة بعدها ياء- و هى همزة بين بين. و الباقون بهمزتين مخففتين: إحداهما همزة الاستفهام، و الاخرى- همزة (إن) و جواب (ائن ذكرتم) محذوف و تقديره أئن ذكرتم هذا القول. و قال قوم: معناه أئن ذكرتم طائركم معكم و

قال قوم: جعله جزاء قدم خبره عليه لما كان غير مجزوم اللفظ. و قيل: أئن ذكرتم تطيركم قلتم ما قلتم، (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) على نفوسكم، لأنكم تجاوزتم حد العصيان حين كفرتم باللّه و بوحدانيته. و قيل: كان اسم صاحب (يس) الذى قتله قومه حبيب بن مرى.
حكى اللّه تعالى انه (جاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى) أى رجل من أبعد المدينة جاء يعدوا و يشتد (ف قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) الذين أرسلهم اللّه إليكم و أقروا بنبوتهم و برسالتهم. و قرأ ابو جعفر (أئن) بفتح الهمزة الثانية. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 451
و به قال زوين بن حبيش. و معناه لان ذكرتم. الباقون بكسرها. و قرأ ابو جعفر (ذكرتم) بالتخفيف. الباقون بتشديدها.

اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَ هُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَ ما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَ أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً وَ لا يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (24) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25)
قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِما غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27) وَ ما أَنْزَلْنا عَلى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ وَ ما كُنَّا مُنْزِلِينَ (28) إِنْ كانَتْ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً فَإِذا هُمْ خامِدُونَ (29) يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (30)
عشر آيات.
قرأ ابو جعفر (ان كانت إلا صيحة) بالرفع فى الموضعين جعلها اسم (كان). الباقون بالنصب على انها خبر كان.
لما حكى اللّه تعالى ما قال لهؤلاء الكفار الرجل الذى جاءهم من أقصى المدينة و أمرهم بأن يتبعوا الرسل قال لهم ايضاً (اتبعوا) معاشر الكفار (مَنْ

لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً)
أى لا يطلب الأجر و الجزاء و المكافأة على ما يدعوكم اليه و يحثكم عليه، و إنما يدعوكم نصيحة لكم (و هم) مع ذلک (مهتدون) إلى طريق الحق سالكون سبيله. ثم قال لهم الذى وعظهم و حثهم على طاعة اللّه و اتباع رسله (وَ ما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) و معناه و لم لا أعبد اللّه و اتبع رسله، و ما لى لا أعبد الذى فطرنى، و معناه و لم لا أعبد اللّه الذى خلقنى و ابتدانى و هدانى (وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) أى الذى تردون اليه يوم القيامة حيث لا يملک الأمر و النهى غيره. ثم قال لهم منكراً على قومه عبادتهم غير اللّه (أ أتخذ) أنا على قولكم (مِنْ دُونِ اللَّهِ) الذى فطرنى و أنعم على (آلهة) أعبدهم؟! فهذه همزة الاستفهام و المراد بها الإنكار، لأنه لا جواب لها على أصلهم إلا ما هو منكر فى العقول ثم قال (إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ) معناه ان أراد اللّه إهلاكى و الإضرار بى لا ينفعنى شفاعة هذه الآلهة شيئاً، و لا يقدرون على انقاذى من ذلک الضرر.
و لا يغنون عنى شيئاً فى هذا الباب. و إذا كانوا بهذه الصفة كيف يستحقون العبادة؟! ثم قال (إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) أى إذاً لو فعلت ما تفعلونه و تدعون اليه من عبادة غير اللّه أكن فى عدول عن الحق. و الوجه فى هذا الاحتجاج أن العبادة لا يستحقها إلا من أنعم بأصول النعم و يفعل من التفضل ما لا يوازيه نعم منعم، فإذا كانت هذه الأصنام لا يصح فيها ذلک كيف تستحق العبادة؟! ثم قال مخبراً عن نفسه مخاطباً لقومه (إنى آمنت) أى صدقت

(بربكم) الذى خلقكم و أخرجكم من العدم إلى الوجود (فاسمعون) منى هذا القول.
و قيل: انه خاطب الرسل بهذا القول ليشهدوا له بذلک عند اللَّه. و قال ابن مسعود: إن قومه لما سمعوا منه هذا القول وطؤه بأرجلهم حتى مات. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 453
قتادة: رجموه حتى قتلوه. و قال الحسن: لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه اللَّه اليه فهو فى الجنة، و لا يموت إلا بفناء السماء و هلاک الجنة. قال مجاهد: مثل ذلک. و قالا الجنة التى دخلها يجوز هلاکها. و قال قوم: إنهم قتلوه إلا أن اللَّه أحياه و ادخله الجنة و قال الحسن (من بعده) يعنى من بعد رفعه. و قال غيره:
من بعد قتله.
ثم حكى اللَّه تعالى ما يقول الملائكة لهذا الداعى من البشارة له بعد موته فإنهم يقولون له (ادْخُلِ الْجَنَّةَ) مثاباً مستحقاً للثواب الجزيل على إيمانک باللَّه فيقول حينئذ (يا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِما غَفَرَ لِى رَبِّى) من الذنوب (وَ جَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ) عنده. فهذا المؤمن تمنى أن يعلم قومه بما أعطاه اللَّه تعالى فيرغبوا فيه و يؤمنوا به لينالوا مثله. و الإكرام هو إعطاء المنزلة الرفيعة على وجه التعظيم و التبجيل. و قد فاز من أكرمه اللَّه بالرضوان، كما قال تعالى (وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ) «1» لأنه سبب يؤدى إلى الجنة.
ثم حكى ما قال و انزل بهؤلاء الكفار من العذاب و الاستئصال، فقال (وَ ما أَنْزَلْنا عَلى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ) أى كان إهلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر: صيحة واحدة حتى صاروا خامدين ذكره ابن مسعود و معنى «خامدين» هالكين بتلف أنفسهم، و المعنى إنا لم نستعن على إهلاكهم بانزال الجند من السماء «وَ ما كُنَّا مُنْزِلِينَ» لهم ليهلكوهم، و ما كان إهلاكهم «إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً» عظيمة فحين سمعوها هلكوا من عظمها، و ماتوا من فزعها.
و قوله «يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ» قيل: هو قول الذى جاء من أقصى المدينة

---

(1) سورة 9 التوبة آية 73.

- ذكره البلخى- و قال غيره: معناه يحتمل شيئين:
أحدهما- يا حسرة من العباد على أنفسهم- ذكره قتادة و مجاهد-.
الثانى- انهم قد حلوا محل من يتحسر عليه، و قال ابن عباس: معناه يا ويلا للعباد «ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ» أى ليس يأتيهم من رسول من عند اللَّه «إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» أى يسخرون منه و يهزءون به، و الذى حكى اللَّه تعالى عنه مخاطباً قومه هو ما قدمناه ذكره: حبيب بن مرى- فى اقوال المفسرين.

أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ (31) وَ إِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ (32) وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْناها وَ أَخْرَجْنا مِنْها حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33) وَ جَعَلْنا فِيها جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ وَ فَجَّرْنا فِيها مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَ ما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَ فَلا يَشْكُرُونَ (35)
خمس آيات بلا خلاف.
قرأ ابن عامر و عاصم و حمزة «لما» بتشديد الميم، الباقون بتخفيفها.
و قرأ اهل المدينة «الميتة» بالتشديد، لأنه يقال: لما كان حياً و مات ميت بالتشديد، و لما لم يكن حياً بالتخفيف- ذكره الفراء- و قرأ اهل الكوفة إلا حفصاً «و ما عملت» بغير هاء. الباقون بالهاء. من قرأ (لما) بالتخفيف فانه يكون (ما) فى قوله (لما) صلة مؤكدة، و تكون (ان) هى المخففة من الثقيلة التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 455
و تقديره، و إن كل لجميع لدينا محضرون، و من قرأ بالتشديد يحتمل شيئين:
أحدهما- ان يكون بمعنى (إلا) و تقديره و ان كل إلا لجميع لدينا محضرون و تكون (إن) بمعنى الجحد، و كأنه جحد دخل على جحد، فخرج الى معنى الإثبات. و مثله فى الاستعمال سألتک لما فعلت، بمعنى الا فعلت.
و الوجه الثانى- أن يكون معنى (لما) بمعنى (لمن ما) فحذفت احدى الميمات، لأجل التضعيف كما قال الشاعر:
غداة طفت علماء بكر بن وائل و عجنا صدور الخيل نحو تميم
أراد على الماء، فحذف لالتقاء المضاعف، و أما (ما) فى قوله «وَ ما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ» يحتمل ثلاثة أوجه:
أحدها- أن يكون بمعنى الجحد، و تقديره ليأكلوا من ثمره، و لم تعمله أيديهم، و يقوى ذلک قوله «أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» «1».
و الثانى- ان يكون بمعنى الذى.
و الثالث- أن يكون مع ما بعده بمعنى المصدر، فعلى هذا يكون فى موضع جر، و تقديره ليأكلوا من ثمره و من الذى عملته او من عمل أيديهم من انواع الطعوم الذى أنبتوه، و الذى غرسوه، و من الذى يطحنونه و يخبزونه، فمن أثبت الهاء او حذفها تبع المصاحف، لان المصاحف مختلفة. و الهاء عائدة على (ما) و (عملت) صلتها. و من حذف اختصر، لأنها للمفعول به، و كل مفعول يجوز حذفه، كقوله «ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلى» «2» يريد و ما قلاک

---

(1) سورة 56 المواقعة آية 63- 64.
(2) سورة 93 الضحى آية 3.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 456
و مثله «مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ» «1» يريد كلمه اللَّه، و كقوله «أَ هذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» «2» يريد بعثه الله.
يقول اللَّه تعالى منبهاً للكفار على وجه الاستدلال على وحدانيته بأن يقول «أَ لَمْ يَرَوْا» و معناه أ لم يعلم هؤلاء الكفار «كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ» فمعنى (كم) هاهنا للتكثير، و يفسرها (من القرون) و تقديره أ لم يروا كم قرناً أهلكنا قبلهم من القرون، و موضع (كم) نصب ب (يروا)- فى قول الكوفيين، و عند البصريين ب (أهلكنا) على تقدير القرون أهلكنا او اكثر «أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ» و نصب (انهم) لأنه مفعول (ا لم يروا) و كسره الحسن على وجه الاستئناف، و وجه الاحتجاج بذلك هو انه قيل لهم: انظروا لم لا يرجعون فإنكم تجدون ذلك فى قبضة مالكهم يردهم فى الآخرة إذا شاء ردهم، لأنه لا يخلو إهلاكهم اما بالاتفاق من غير اضافة او بالطبيعة او بحى قادر، و لو كان بالاتفاق او بالطبيعة لم يمتنع ان يرجعوا الى الدنيا، فإذا بطل ذلك، ثبت أن إهلاكهم بحى قادر إذا شاء ردهم و إذا شاء لم يردهم. و وجه التذكر بكثرة المهلكين أى انكم ستصيرون الى مثل حالهم، فانظروا لأنفسكم و احذروا أن يأتيكم الإهلاك، و أنتم فى غفلة عما يراد بكم.
و القرون جمع (قرن) و أهل كل عصر يسمى قرناً، لاقترانهم فى الوجود و القرن- بكسر القاف- هو المقاوم فى الحرب، و منه قرن الشاة لمقارنته القرن الآخر، و كذلك كل ذى قرنين. و قال قتادة «أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ» عاد و ثمود، و قرون بين ذلك كثيرة. ثم قال و هؤلاء الذين لا يرجعون كلهم «لَدَيْنا مُحْضَرُونَ» يوم القيامة يحضرهم الله و يبعثهم ليجازيهم على أعمالهم.

---

(1) سورة 2 البقرة آية 253.
(2) سورة 2 الفرقان آية 41.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 457
و قوله (وَ آيَةٌ لَهُمُ) على ذلك أى دلالة و حجة قاطعة (الأرض) يعنى هى الأرض (الميتة) القحطة المجدبة و هى التى لا تنبت (أحييناها) بالنبات (وَ أَخْرَجْنا مِنْها حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ) من انواع ما يأكلون (و جعلنا فيها) أى و خلقنا فى الأرض (جنات) يعنى بساتين (من نخيل) جمع نخل (و أعناب) جمع عنب (وَ فَجَّرْنا فِيها) فى تلك الجنات (من العيون) و هى عيون الماء تنبع فيها و تجرى ثم بين انه إنما خلق ذلك (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ) أى غرضنا نفعهم بذلك و انتفاعهم بأكل ثمار تلك الجنات (وَ ما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) أى و لم تعمل تلك الثمار أيديهم إذا (ما) كانت بمعنى النفى، و إذا كانت معناها معنى الذى

يكون تقديره، و الذى عملته أيديهم من انواع الأشياء المتخذة من النخل و العنب و كثرة منافعه. و قوله (من ثمره) رد الكناية إلى أحدهما كما قال (وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِى سَبِيلِ اللَّهِ) «1» كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا و أنت بما عندک راض و الرأى مختلف «2»

و قوله (ا فلا تشكرون) معناه هلا تشكرونه على هذه النعم التى عددتها.

سُبْحانَ الَّذِی خَلَقَ الْأَزْواجَ کُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمَّا لا یَعْلَمُونَ (36) وَ آیَةٌ لَهُمُ اللَّیْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ (37) وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ (38) وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّی عادَ کَالْعُرْجُونِ الْقَدِیمِ (39) لَا الشَّمْسُ یَنْبَغِی لَها أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ وَ لا اللَّیْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ (40)

---

(1) سورة 9 التوبة آیة 35.

(2) مر فی 1/ 117، 230، 263 و 5/ 246، 289.

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ ابن کثیر و نافع و ابو عمرو و روح «و القمر قدرناه» رفعاً علی الاستئناف لأن الفعل مشغول بالضمیر العائد إلی القمر. و قال ابو علی: الأجود أن یکون رفعاً علی تقدیر و آیة لهم القمر قدرناه، لأنه أشبه بالجمل قبلها. و من رفعه بالابتداء جعل (لهم) صفة للنکرة و الخبر مضمر، و تقدیره «و آیة لهم» فی المشاهدة او الوجود، و یکون قوله «اللَّیْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ» تفسیر للآیة. الباقون بالنصب بتقدیر فعل مضمر، ما بعده تفسیره، و تقدیره: و قدرنا القمر قدرناه.

یقول اللَّه تعالی منزهاً نفسه و معظماً لها و دالا بأنه هو الذی یستحق الحمد بما نبه بقوله «سُبْحانَ الَّذِی» أی تنزیهاً للذی «خَلَقَ الْأَزْواجَ کُلَّها» أی تعظیماً و تبجیلا له بجمیع ما خلق من الازواج، و هی الاشکال، و الحیوان علی مشاکلة الذکر للأنثی، و کذلک النخل و الحبوب اشکال، و التین و الکرم و نحوه اشکال، فلذلک قال «مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ» یعنی من سائر النبات «وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» من الذکر و الأنثی «وَ مِمَّا لا یَعْلَمُونَ» مما لم یشاهدوه و لم یصل خبره الیهم.

ثم قال «و آیة لهم» یعنی دلالة و حجة علی صحة ذلک «اللَّیْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ» أی نخرج منه النهار «فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ» أی داخلون فی الظلمة لا

لهم فیه بالشمس، فالسلخ إخراج الشیء من لباسه، و منه إخراج الحیوان من جلده، یقال سلخ یسلخ سلخاً فهو سالخ، و منه قوله (فَانْسَلَخَ مِنْها) «1» أی فخرج منها خروج الشیء مما لابسه، ثم قال (وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها) آیة اخری. و قیل فی معنی المستقر ثلاثة اقوال:

أحدها- لانتهاء أمرها عند انتقضاء الدنیا.

الثانی- قال قتادة: لوقت واحد لها لا تعدوه و لا تختلف.

الثالث- إلى ابعد منازلها فى الغروب. و قال المبرد معنى (لمستقر لها) أى إلى. و من قال الشمس لا تستقر بل تتحرک أبداً قال معنى (لمستقر لها) أنها كلما انتهت إلى منقلب الصيف عادت فى الرجوع و إذا بلغت منقلب الشتاء عادت إلى الصعود. ثم قال (ذلِکَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) أى من قدر الشمس على ذلک إلا القادر الذى لا يضام، العالم بما يفعله؟، ثم قال (وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ) فمن رفع عطف على قوله (وَ الشَّمْسُ تَجْرِى) و من نصب قدر له فعلا يفسره و قوله (قَدَّرْناهُ مَنازِلَ) كل يوم ينزل منزلا غير المنزل الأول لا يختلف حاله إلى ان يقطع الفلک (حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) فالعرجون العذق الذى فيه الشماريخ، فإذا تقادم عهده يبس و تقوس، فشبه به. و قال الفراء: العرجون ما بين الشماريخ إلى المنابت فى النخلة من العذق، و القديم الذى اشرف على حول، و قوله (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَها أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ) حتى يكون نقصان ضوئها كنقصان القمر، و قال ابو صالح: معناه لا يدرک أحدهما ضوء الآخر، و قيل معناه: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَها أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ) فى سرعة سيره (وَ لَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ) أى و لا يسبق الليل النهار. و قيل: إن أحدهما لا يذهب إلى معنى

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 174.

الآخر و كل له مقادير قدرها اللّه عليه. ثم قال (وَ كُلٌّ فِى فَلَکٍ يَسْبَحُونَ) يعنى الشمس و القمر و الكواكب يسبحون فى الفلک. و إنما جمعها بالواو و النون لما أضاف اليها أفعال الآدميين. و قيل: الفلک مواضع النجوم من الهواء الذى يجرى فيه. و معنى يسبحون يسيرون فيه بانبساط، و كل ما انبسط فى شىء فقد سبح فيه، و منه السباحة فى الماء.

وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (41) وَ خَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ (42) وَ إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَ لا هُمْ يُنْقَذُونَ (43) إِلاَّ رَحْمَةً مِنَّا وَ مَتاعاً إِلى حِينٍ (44) وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَ ما خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (45)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل المدينة و ابن عامر و يعقوب (ذرياتهم) على الجمع. الباقون (ذريتهم) على التوحيد.

يقول اللّه تعالى ممتناً على خلقه بضروب نعمه، و دالا لهم على وحدانيته بأن حمل ذريتهم فى الفلك المشحون. و قيل: معنى (حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ) أى قويناهم و هديناهم، كما يقول القائل: حملنى فلان إذا أعطاه ما يحمل عليه او هداه إلى ما يحمل عليه. و من جمع (ذرياتهم) فلأن كل واحد له ذرية. و من وحد فلأنه لفظ جنس يدل على القليل و الكثير، فالحمل منع الشىء أن

جهة السفل، يقال: حمله حملا، فهو حامل و الشىء محمول. و (الذرية) فعلية من الذر. و قيل: هو مشتق من (الذرء) الذى هو الخلق. و قد بيناه فى ما مضى «1» و الفلك السفن، لأنها تدور فى الماء، و منه الفلكة لأنها تدور بالمغزل و الفلك لأنه يدور بالنجوم، و فلك ثدى المرأة إذا استدار و (المشحون) المملو يقال: شحنت الثغر بالرجال أشحنه شحناً إذا ملأته، و منه الشحنة، لأنه يملأ بهم البلد، و إنما خص الذرية- و هم الصبيان و النساء- باللفظ، لأنهم لا قوة لهم على السفر كما يقوى الرجال، فسخر اللّه لهم السفن بما جعلها على الماء و عدل الريح ليمكن الحمل فى البحر، و جعل الإبل فى البر. و قال قتادة و الضحاك: المعنى بقوله «حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ» سفينة نوح.

و «خَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ» قال ابن عباس، و هو قول مجاهد: ان المراد به الإبل و هى سفن البر.

و قوله «وَ إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ» معناه إنا لو شئنا إذا حملناهم فى السفن أن نغرقهم فعلنا «فَلا صَرِيخَ لَهُمْ» أى لا مغيث لهم و لا صارخ بالاستغاثة قال الشاعر:

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الطنابيب

أى لا شىء اعانته إلا الجد فى نصرته، و الطنبوب عظم الساق. و قيل: معنى الصريخ المعين عند الصراخ بالاستغاثة، و كأنه قال: لا معين لهم يعينهم عند ذلک «وَ لا هُمْ يُنْقَذُونَ» أى و لا يخلصون ايضاً من الغرق إذا أردناه.

و قوله «إِلّا رَحْمَةً مِنَّا» معناه إلا أن نرحمهم رحمة منا و نمتعهم «مَتاعاً» و يحتمل إلاّ لرحمة منا، فيكون مفعولا له، و «إِلى حِينٍ» أى إلى وقت ما قدرناه

_____

(1) انظر 2/ 441 و 3 124 و 4/ 303 و 5/ 32، 48.

لاهلاكهم و تقضى آجالهم، و نخلصهم فى الحال من اهوال البحر.

و قوله «وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ» قال قتادة: معناه ما بين أيديكم من عذاب اللّه لمن خلا قبلكم اتقوا مثله باجتناب معاصيه «وَ ما خَلْفَكُمْ» من أمر الساعة «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» لكى ترحموا عند ذلک و حذف الجواب، كأنه إذا قيل: لهم هذا اعرضوا. و قال مجاهد: معنى «ما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ» هو ما يأتى من الذنوب اجتنبوه فى المستقبل «وَ ما خَلْفَكُمْ» يعنى ما مضى من ذنوبكم تلافوه بالتوبة لترحموا.

وَ ما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ (46) وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (47) وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (48) ما يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ (49) فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَ لا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (50)

خمس آيات بلا خلاف قرأ ابن كثير و أبو عمرو «يخصمون» بفتح الخاء و تشديد الصاد إلا أن أبا عمرو يختلس حركة الخاء. و قرأ نافع- بفتح الياء و تسكين الخاء مشدد الصاد- يجمع بين ساكنين. و قرأ ابن عامر و عاصم و الكسائى- بفتح الياء و كسر الخاء و تشديد الصاد- و قرأ حمزة- بفتح الياء و تسكين الخاء و تخفيف الصاد- التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 463

فمعنى هذه القراءة: و هم يخصمون عند أنفسهم فى دفع النشأة الثانية و القراءتان الأوليتان بمعنى يختصمون، فأدغمت الياء فى الصاد بعد أن أسكنت. فمن أسكن الخاء، فلأنها فى الأصل ساكنة، و من فتحها نقل حركة الياء اليها.

و من كسر الخاء اتبع كسرتها كسرة الصاد. و فى القراء من كسر الياء اتباعاً لكسرة الخاء، كما قالوا يهدى، و هو يجىء عن أبى بكر.

يقول: اللّه تعالى مخبراً عن عناد هؤلاء الكفار و شدة جهلهم بأنه (ما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ) أى دلالة و حجة من حجج اللّه و (من) تزاد فى النفى إذا أريد بها الاستغراق، كقولهم: ما جاءنى من احد و معناه ما جاءنى احد. و (من) الثانية للتبعيض، لأنه ليس كل آيات اللّه جاءتهم، غير انه تعالى قال ليس تأتيهم من آية أى أىّ آية كانت (مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كانُوا) هؤلاء الكفار (عنها معرضين) أى ذاهبين عنها و تاركين لها و معرضين عن النظر فيها، و كل من اعرض عن الداعى الى كتاب اللّه و آياته التى نصبها لعباده ليعرفوه بها فقد ضل عن الهدى و خسر الدنيا و الآخرة.

ثم اخبر تعالى انه إذا قيل لهم: ايضاً (أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) فى طاعته و اخرجوا ما أوجب اللّه عليكم فى أموالكم- من الزكوات و غيرها وضعوها فى مواضعها (قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بوحدانية اللّه و جحدوا ربوبيته و كذبوا بنبوة نبيه (أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ) احتجاجاً منهم فى منع الحقوق، بأن يقولوا كيف نطعم من اللّه قادر على إطعامه؟! و لو شاء إطعامه أطعمه، فإذا لم يطعمه دل على انه لم يشأ إطعامه فنحن إذاً أحق بذلك. و ذهب عليهم أن اللّه تعبدهم بذلك، لما فيه من المصلحة و اللطف فى فعل الواجبات و ترك المقبحات، فلذلك كلفهم إطعام غيرهم. و (الرزق) هو ما خلق اللّه لخلقه لينتفعوا به على وجه التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص:

لا يكون لاحد منعه منه فعلى هذا الوجه لا يكون الحرام رزقاً، فان اللَّه تعالى قد منع منه بالنهى و قد سمى رزقاً ما يصلح للانتفاع به مجازاً، فعلى هذا ليس كل ما رزقه اللَّه العبد جعل له الإنفاق منه و التصرف فيه، و على الأول- و هو الأصح- جعل له ذلک. ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله قل لهم يا محمد (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِى ضَلالٍ مُبِينٍ) أى ليس لكم هداية و ما أنتم إلا فى ذهاب عن الحق و عدول عنه بين، فعلى هذا قول من قال: هو من قول اللَّه تعالى صحيح، و قال قوم:
هو من قول المشركين كأنهم لما قالوا: أ نطعم من لو يشاء اللَّه أطعمه؟ قالوا لرسله ليس أنتم إلا فى ضلال مبين فى ما تدعونا اليه.
ثم اخبر تعالى عن الكفار انهم (يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ) الذى تعدنا به من نزول العذاب بنا استهزاء بخبره صلى اللَّه عليه و آله و خبر المؤمنين و تجرّيا على اللَّه (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) فى ما تدعونا اليه و تخوفونا منه. فقال اللَّه تعالى فى جوابهم (ما ينظرون) أى لا ينتظرون (إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ) فى هل ينزل العذاب بهم أم لا؟ و إنما جعلهم منتظرين لما قالوا: متى هذا الوعد، لأن من يلتمس الوعد يكون منتظراً لما وعد به (تأخذهم) فى حال خصامهم (فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) أى لا يقدر بعضهم على ان يوصى إلى بعض (وَ لا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) أى لا يردون الى أهلهم فيوصون اليهم.
و الصيحة التى تأخذهم هى الصيحة الأولى فى الدنيا عند قيام الساعة (تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً) و الرجل يسقى أبله و آخر يبيع سلعته على عادتهم فى تصرفاتهم، فإذا اخذتهم و نزلت بهم لم يستطيعوا توصية و لم يرجعوا الى أهلهم للمعاجلة، و
روى عن النبى صلى اللَّه عليه و آله انه قال (هى ثلاث نفخات: نفخة الفزع، و نفخة الصعق، و نفخة القيام لرب العالمين)

وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلی رَبِّهِمْ یَنْسِلُونَ (51) قالُوا یا وَیْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52) إِنْ کانَتْ إِلاَّ صَیْحَةً واحِدَةً فَإِذا هُمْ جَمِیعٌ لَدَیْنا مُحْضَرُونَ (53) فَالْیَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَیْئاً وَ لا تُجْزَوْنَ إِلاَّ ما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (54) إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْیَوْمَ فِی شُغُلٍ فاکِهُونَ (55)
هُمْ وَ أَزْواجُهُمْ فِی ظِلالٍ عَلَی الْأَرائِکِ مُتَّکِؤُنَ (56) لَهُمْ فِیها فاکِهَةٌ وَ لَهُمْ ما یَدَّعُونَ (57) سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِیمٍ (58) وَ امْتازُوا الْیَوْمَ أَیُّهَا الْمُجْرِمُونَ (59) أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَیْکُمْ یا بَنِی آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّیْطانَ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِینٌ (60)
عشر آیات بلا خلاف قرأ ابن کثیر و نافع و أبو عمرو «فی شغل» خفیفة. الباقون بضم الغین مثقلة، و هما لغتان. و قرأ ابو جعفر «فکهون» بغیر ألف حیث وقع، وافقه حفص و الداحونی عن ابن ذکوان فی (المطففین). و قرأ اهل الکوفة إلا عاصما «فی ظلل» علی انه جمع ظلة مثل ظلمة و ظلم و تحفة و تحف، الباقون «فی ظلال» مثل برمة و برام، و قلة و قلال. و قیل: هو جمع ظل و ظلال، و هو الکن، کما التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 466
قال (یتفیؤ ظله) «1» و قال ابو عبیدة: هو جمع الظل أظلال.
یقول اللّه تعالی مخبراً (وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ) و قیل: إن الصور قرن ینفخ فیه إسرافیل فیخرج من جوفه صوت عظیم یمیل العباد الیه، لأنه کالداعی لهم إلی نفسه. و قال أبو عبیدة: الصور جمع صورة مثل بسرة و بسر، و لو جعلوه مثل (ظلمة، و ظلم) لقالوا: صور بفتح الواو، و هو مشتق من المیل، صاره یصوره صوراً إذا أماله و منه قوله (فَصُرْهُنَّ إِلَیْکَ) «2» أی أملهن الیک و منه الصورة، لأنها تمیل إلی مثلها بالمشاکلة. و قوله (فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ) و هو جمع جدث، و هو القبر، فلغة اهل العالیة بالثاء، و لغة أهل السافلة بالفاء یقولون: جدف إلی ربهم ینسلون أی یسرعون و النسول الاسراع فی الخروج کما قال الشاعر:
عسلان الذئب أمسی قارباً برد اللیل علیه فنسل «3»
یقال: نسل ینسل و ینسل نسولا، قال امرؤ القیس:
و إن تک قد ساءتک منی خلیقة فسلی ثیابی من ثیابک تنسل «4»
و قال قتادة: الموتة بین النفختین. ثم حکی ما یقول الخلائق إذا حشروا، فإنهم (قالُوا یا وَیْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا) أی من حشرنا من منامنا الذی کنا فیه نیاماً، ثم یقولون (هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) فی ما أخبرونا عن هذا المقام و عن هذا البعث. فان قیل: هذا ینافی قول

المسلمين الذين يقولون: الكافر يعذب فى قبره، لأنه لو كان معذباً لما كان فى المنام!.
قيل: يحتمل ان يكون العذاب فى القبر و لا يتصل إلى يوم البعث، فتكون النومة

---

(1) سورة 16 النحل آية 48.
(2) سورة 2 البقرة آية 260.
(3، 4) مر فى 7/ 279. [.....]

بين الحالين. و يحتمل لو كان متصلا أن يكون ذلک عبارة عن عظم ما يشاهدونه و يحضرون فيه يوم القيامة، فكأنهم كانوا قبل ذلک فى مرقد، و إن كانوا فى عذاب لما كان قليلا بالاضافة الى الحاضر. و قال قتادة: قوله (هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ) حكاية قول المؤمن. و قال ابن زيد و الجبائى: هو قول الكفار، و هو أشبه بالظاهر، لأنه تعالى حكى عنهم انهم يقولون: يا ويلنا، و المؤمن لا يدعو بالويل لعلمه بما له من نعيم الجنة. و قال الفراء: هو من قول الملائكة.
و قال تعالى مخبراً عن سرعة بعثهم و سرعة اجتماعهم (إِنْ كانَتْ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً) و المعنى ليست المدة إلا مدة صيحة واحدة (فَإِذا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ) ثم حكى تعالى ما يقوله- عز و جل- يومئذ للخلائق فانه يقول لهم (فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً) أى لا ينقص من له حق من حقه شيئاً من ثواب او عوض او غير ذلک، و لا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب بل الأمور جارية على العدل (وَ لا تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) و معناه لا يجازى الإنسان إلا على قدر عمله، إن كان عاملا بالطاعة جوزى بالثواب، و إن كان عاصياً جوزى بالعقاب على قدر عمله من غير زيادة عليه و لا نقصان، إلا أن يتفضل اللّه بإسقاط عقابه.
ثم قال تعالى (إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فاكِهُونَ) يعنى يشغلهم النعيم الذى يغمرهم بسرورهم به عن غيره. و قال ابن مسعود و ابن عباس:
الشغل كناية عن افتضاض الأبكار. و قيل استماع الألحان (فاكهون) قال ابن عباس: معناه فرحون. و قال مجاهد: عجبون، و قيل: ذو فاكهة، كما يقال لاحم شاحم أى ذو لحم و شحم، و عاسل ذو عسل، قال الحطيئة:
و عززتنى و زعمت انک لابن فى الصيف تامر «1»
أى ذو لبن و تمر. و قيل: فاكه و فكه مثل حاذر و حذر. و الفكه الذى يتمرى بالشىء.
ثم اخبر عن حال أهل الجنة فقال (هُمْ وَ أَزْواجُهُمْ فِى ظِلالٍ عَلَى الْأَرائِكِ)

فالازواج جمع زوجة و هى حرة الرجل الذى يحل له وطؤها. و يقال للمرأة زوج ايضاً بغير هاء فى الموضع الذى لا يلتبس بالذكر، و الظلال الستار عن وهج الشمس و سمومها، فأهل الجنة فى مثل ذلک الحال فى الطيبة من الظلال الذى لا حر فيه و لا برد. و قيل: الظل الكن و جمعه ظلال. و قيل هو جمع ظلة و ظلال، مثل قلة و قلال، و من قرأ ظلل، فعلى وزن ظلمة و ظلم، و قلة و قلل. و الأرائک جمع أريكة و هى الوسادة، و جمعها وسائد، و يجمع أيضاً أرک كقولهم سفينة و سفن و سفائن، و هذه جلسة الملوک العظماء من الناس. و قيل الأرائک الفرش، قال ذو الرمة:
خدوداً جفت فى السير حتى كأنما يباشرن بالمعزاء مس الأرائک «2»
و قال عكرمة و قتادة: الأرائک الحجال على السرر (متكئون) فمتكئ مفتعل من توكأت، إلا أن الواو أبدلت تاء. ثم قال (لهم فيها) فى الجنة (فاكِهَةٌ، وَ لَهُمْ ما يَدَّعُونَ) أى ما يتمنون، و قال ابو عبيدة: يقول العرب:
ادع على ما شئت أى تمن ما شئت، و قيل: معناه إن من ادعى شيئاً فهو له بحكم اللّه تعالى، لأنه قد هذبت طباعهم، فلا يدعون إلا ما يحسن منهم.
و قوله (سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) معناه و لهم سلام قولا من رب رحيم

---

(1) مجاز القرآن 2/ 164.
(2) مجاز القرآن 1/ 401 و 2/ 164.

يسمعونه من اللّه تعالى و يؤذنهم بدوام الأمن و السلامة و دوامهما مع سبوغ النعمة و الكرامة. ثم يقول للعصاة (امْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ) و معناه انفصلوا معاشر العصاة و امتازوا، الذين اجترموا و ارتكبوا من المعاصى من جملة المؤمنين، و قال قتادة: معناه اعتزلوا معاشر العصاة عن كل خير، يقال تميز الشىء تميزاً و ميزته تمييزاً، و انماز انميازاً.
ثم حكى ما يقول تعالى لهم فانه يقول لهم (أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِى آدَمَ) يعنى على لسان أنبيائه (أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ) فجعل عبادتهم للأوثان بأمر الشيطان عبادة له (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) أى، و قلت لكم أن الشيطان لكم عدو مبين أى ظاهرة عداوته لكم.

وَ أَنِ اعْبُدُونِی هذا صِراطٌ مُسْتَقِیمٌ (61) وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْکُمْ جِبِلاًّ کَثِیراً أَ فَلَمْ تَکُونُوا تَعْقِلُونَ (62) هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ (63) اصْلَوْهَا الْیَوْمَ بِما کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ (64) الْیَوْمَ نَخْتِمُ عَلی أَفْواهِهِمْ وَ تُکَلِّمُنا أَیْدِیهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما کانُوا یَکْسِبُونَ (65)

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ ابن کثیر و حمزة و الکسائی و خلف و رویس (جبلا) بضم الجیم و الباء خفیفة اللام. و قرأ نافع و ابو جعفر و عاصم بکسر الجیم و الباء مشددة.

و قرأ ابو عمرو و ابن عامر بضم الجیم ساکنة الباء خفیفة. هذه کلها لغات التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 470

و المعنی واحد. قال النوری یقال: جُبلًا و جِبلًا و جبلًا و جُبلا. و حکی غیره التشدید.

لما حکی اللَّه تعالی ما یقوله الکفار یوم القیامة و یواقفهم علیه من انه عهد الیهم أن لا تعبدوا الشیطان و انه عدوهم، حکی انه کان أمرهم أیضاً بأن یعبدوا اللَّه و أن عبادته صراط مستقیم، فوصف عبادته تعالی بأنه طریق مستقیم من حیث کان طریقاً مستقیماً إلی الجنة، و انه لا تخلیط فیه و لا تعریج. ثم قال (وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْکُمْ) یعنی أضل عن الدین الشیطان منکم (جِبِلًّا کَثِیراً) أی خلقاً کثیراً و إضلاله إیاهم هو إغواؤه لهم، کما أضل السامری قوم موسی لما دعاهم إلی عبادة العجل، فکان الإضلال علی هذا الوجه قبیحاً، فأما إضلال اللَّه تعالی للکفار عن طریق الجنة إلی طریق النار او إضلالهم بمعنی الحکم علیهم بالضلال، فهو حسن. و أمر الشیطان بالضلال الذی یقع معه القبول إضلال کما یسمی الأمر بالاهتداء الذی یقع عنده القبول هدی.

و فی الآیة دلالة علی بطلان مذهب المجبرة فی إرادة اللَّه اضلالهم، لان ذلک أضر علیهم من إرادة الشیطان و أشد علیهم فی إیجاد العداوة قبل أن یکفروا. و (الجبل) الجمع الذین جبلوا علی خلیقة، و جبلوا أی طبعوا.

و أصل الجبل الطبع و منه جبلت التراب بالماء إذا صیرته طیناً یصلح أن یطبع فیه، و منه الجبل لأنه مطبوع علی الثبات (أَ فَلَمْ تَکُونُوا تَعْقِلُونَ) أنه یغویکم و یصدکم عن دین الحق فتنتبهون علیه، فهو بصورة الاستفهام و معناه الإنکار علیهم و التبکیت لهم.

ثم یقول اللَّه لهم (هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ) بها فی دار التکلیف حاضرة تشاهدونها (اصْلَوْهَا الْیَوْمَ بِما کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ) معناه الزموا العذاب التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 471

بها، و أصل الصلو اللزوم فمنه المصلی الذی یجیء فی أثر السابق للزومه

أثره و الصلوان مكتنفا ذنب الفرس للزومها و موضعها. و قولهم: صلى على عادتها للزومه الدعاء، و سميت الصلاة صلاة للزوم الدعاء فيها. و قوله (بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) أى جزاء على كفركم باللّه و جحدكم لوحدانيته و تكذيبكم أنبياءه.
ثم اخبر تعالى بأنه يختم على أفواه الكفار يوم القيامة فلا يقدرون على الكلام و النطق «وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ» قيل: فى معنى شهادة الأيدى قولان:
أحدهما- إن اللّه تعالى يخلقها خلقة يمكنها أن تتكلم و تنطق و تعترف بذنوبها و الثانى- انه يجعل اللّه فيها كلاماً و نسبه اليها لما ظهر من جهتها، و قال قوم: انه يظهر فيها من الامارات ما تدل على ان أصحابها عصوا و جنوا بها أقبح الجنايات فسمى ذلک شهادة، كما يقال: عيناک تشهد لسهرک، و قال الشاعر:
امتلأ الحوض و قال قطنى مهلا رويداً قد ملأت بطنى «1»
و غير ذلک مما قد بيناه فى ما تقدم، و كل ذلک جائز، و قال آخر:
و قالت له العينان سمعاً و طاعة و حدّرتا كالدر لما يثقب «2»

وَ لَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّراطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (66) وَ لَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيًّا وَ لا يَرْجِعُونَ (67) وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَ فَلا يَعْقِلُونَ (68) وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ (69) لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكافِرِينَ (70)

---

(1) مر فى 1/ 431.
(2) مر فى 1/ 431 و 6/ 45.

خمس آيات بلا خلاف.
قرأ ابو بكر عن عاصم (مكاناتهم) على الجمع. الباقون على التوحيد، لأنه يدل على القليل و الكثير. و قرأ عاصم و حمزة (ننكسه) بضم النون الأولى و فتح الثانية و تشديد الكاف. الباقون بفتح النون الأولى و تخفيف الثانية و تخفيف الكاف، و هما لغتان تقول: نكست و نكست مثل رددت و رددت غير ان التشديد للتكثير، و التخفيف يحتمل القليل و الكثير، و قال ابو عمرو بالتشديد إن ترك الرجل من دأبه، و بالتخفيف ان يرده إلى أرذل العمر، ففرق بينهما. و قرأ نافع و أبوا جعفر و الداحونى عن هشام و النقار و يعقوب (أ فلا تعقلون) بالتاء. الباقون بالياء، و الأول على الخطاب، و الثانى على الخبر عن الغائب. و قرأ اهل المدينة و ابن عامر «لتنذر» بالتاء. الباقون بالياء.
يقول اللّه تعالى مخبراً عن قدرته على إهلاك هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانيته و عبدوا سواه و جحدوا رسله إنا (لَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أَعْيُنِهِمْ) قال ابن عباس: معناه إنا لو شئنا أعميناهم عن الهدى. و قال الحسن و قتادة:
معناه لتركناهم عمياً يترددون و الطمس محو الشىء حتى يذهب أثره، فالطمس على العين كالطمس على الكتاب، و مثله الطمس على المال: إذهابه حتى لا يقع على إدراكه (فَاسْتَبَقُوا الصِّراطَ) و معناه طلبوا النجاة. و السبق اليها و لا بصر التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 473
لهم (فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) و قيل: معناه فاستبقوا الطريق إلى منازلهم فلم يهتدوا اليها. و قال ابن عباس: معناه طلبوا طريق الحق و قد عموا عنها.
و الطمس على العين إذهاب الشق الذى بين الجفنتين، كما تطمس الريح الأثر يقال أعمى مطموس، و طمس أى عمى (فاستبقوا) معناه فابتدروا، و هذا بيان من اللّه أنهم فى قبضته، و هو قادر على ما يريد بهم، فليحذروا

تنكيله بهم. ثم قال زيادة فى التحذير و الإرهاب (وَ لَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكانَتِهِمْ) و المسخ قلب الصورة إلى خلقة مشوهة كما مسخ قوماً قردة و خنازير، و المسخ نهاية التنكيل. و قال الحسن و قتادة: معناه لمسخناهم على مقعدهم على أرجلهم و المكانة و المكان واحد، و لو فعلنا بهم ذلک (فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيًّا) أى لما قدروا أن يذهبوا أصلا و لا أن يجيئوا ثم قال (وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى الْخَلْقِ) معناه إن من طولنا عمره نصيره بعد القوة إلى الضعف و بعد زيادة الجسم إلى النقصان و بعد الجدة و الطراوة إلى البلى و الخلاقة. و قيل معناه: نصيره و نرده إلى حال الهرم التى تشبه حال الصبى و غروب العلم و ضعف القوى ذكره قتادة.
و قوله (ا فلا تعقلون) يعنى ما ذكرناه بأن تفكروا فيه فتعرفوا صحة ما قلناه.
ثم اخبر تعالى عن نبيه صلى اللَّه عليه و آله فقال (وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِى لَهُ) و معناه ما علمناه الشعر لأنا لو علمناه ذلک لدخلت به الشبهة على قوم فى ما اتى به من القرآن و أنه قدر على ذلک لما فى طبعه من الفطنة للشعر و قيل:
لما لم يعط اللَّه نبيه العلم بالشعر و إنشائه لم يكن قد علمه الشعر، لأنه الذى التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 474
يعطى فطنة ذلک من يشاء من عباده. ثم قال (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ) يعنى ليس الذى أنزلناه عليه شعراً بل ليس إلا ذكر من اللَّه (وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنْذِرَ مَنْ) يعنى واضح، و فعلنا ذلک و غرضنا أن تنذر به أى تخوف به من معاصى اللَّه (مَنْ كانَ حَيًّا) قيل: معناه من كان مؤمناً، لأن الكافر شبهه و مثله بالأموات فى قوله (أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ) «1» و يقويه قوله (وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكافِرِينَ) و يجوز أن يكون أراد من كان حياً عاقلا دون من كان جماداً لا يعقل، و يحق القول على الكافرين إذا لم يقبلوه و خالفوا فيه. و من قرأ بالتاء وجه الخطاب إلى النبى صلى اللَّه عليه و آله لأنه الذى يخوف.
و من قرأ بالياء معناه إن اللَّه الذى يخوفهم و يرهبهم بالقرآن، لأنه الذى أنشأه، و يجوز أن يكون القرآن هو الذى ينذر من حيث تضمن الانذار.

أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ (71) وَ ذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَ مِنْها يَأْكُلُونَ (72) وَ لَهُمْ فِيها مَنافِعُ وَ مَشارِبُ أَ فَلا يَشْكُرُونَ (73) وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (74) لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَ هُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (75)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى منبهاً لخلقه على الاستدلال على معرفته (او لم يروا)

---

(1) سورة 16 النحل آية 21.

و معناه او لم يعلموا (أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً) و معناه إنا عملناه من غير أن نكله إلى غيرنا، فهو بمنزلة ما يعمله العباد بأيديهم فى انهم تولوا فعله و لم يكلوه إلى غيرهم، و تقديره انا تولينا خلق الانعام لهم بأنفسنا، و الأنعام جمع النعم، و هى الإبل و البقر و الغنم (فَهُمْ لَها مالِكُونَ) معناه لو لم يخلق ذلک لما صح ملكهم لها، و كذلک سائر أملاک العباد بهذه الصفة فهو المنعم على عباده بكل ما ملكوه، و بحسب ما ينتفعون به يكون حاله حال المنعم. و اليد فى اللغة على أربعة أقسام: أحدهما- الجارحة. و الثانى- النعمة، و الثالث- القوة. و الرابع- بمعنى تحقيق الاضافة. تقول: له عندى يد بيضاء أى نعمة، و تلقى قولى باليدين أى بالقوة و التقبل، و قول الشاعر:

دعوت لما نابنى مسوراً فلبى فلبى يدى مسور

فهذا بمعنى تحقيق الاضافة. و تقول هذا ما جنت يدک، و ما كسبت يدک أى ما كسبت أنت.

و قوله (وَ ذَلَّلْناها لَهُمْ) فتذليل الانعام تسخيرها بالانقياد و رفع النفور لان الوحشى من الحيوان نفور، و الانسى مذلل بما جعله اللّه فيه من الانس و السكون، و رفع عنه من الاستيحاش و النفور. و قوله (فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَ مِنْها يَأْكُلُونَ) قسمة الانعام، فان اللّه تعالى جعل منها ما يركب و منها ما يذبح و ينتفع بلحمه و يؤكل، فالركوب- بفتح الراء- صفة، يقال: دابة ركوب أى تصلح للركوب، و الركوب- بضم الراء- مصدر ركبت. و قرأت عائشة (فمنها ركوبتهم) مثل الحلوبة. و قوله (وَ لَهُمْ فِيها مَنافِعُ وَ مَشارِبُ) فمن منافعها لبس أصوافها و شرب ألبانها و أكل لحومها و ركوب ظهورها إلى غير ذلک من انواع المنافع الكثيرة فيها. ثم قال (أَ فلا تشكرون) اللّه على هذه التبيان

النعم المختلفة المتقنة.

ثم اخبر عن حال الكفار فقال (وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ) يعبدونها لكى ينصروهم. ثم قال تعالى (لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ) يعنى هذه الآلهة التى اتخذوها و عبدوها لا تقدر على نصرهم و الدفع عنهم ما ينزل بهم من عذاب اللّه (وَ هُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ) و معناه إن هذه الآلهة معهم فى النار محضرون، لأن كل حزب مع ما عبد من الأوثان فى النار، كما قال (إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) إلا من استثناه بقوله (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِکَ عَنْها مُبْعَدُونَ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها وَ هُمْ فِى مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ) «1» فاما الأصنام فان اللّه تعالى يجعلها مع من عبدها فى النار، فلا الجند يدفعون عنها الإحراق بالنار و لا هم يدفع عنهم العذاب. و قال قتادة: يعنى و هم لهم جند محضرون أى و هم يغضبون للأوثان فى الدنيا.

فَلا يَحْزُنْکَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ (76) أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77) وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80)
أَ وَ لَيْسَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلی أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلی وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ کُنْ فَيَکُونُ (82) فَسُبْحانَ الَّذِی بِيَدِهِ مَلَکُوتُ کُلِّ شَیْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83)

---

(1) سورة 21 الأنبياء آية 98- 101- 102.

ثمان آيات بلا خلاف.

قرأ رويس (يقدر) بالياء و جعله فعلا مستقبلا. و قرأ الكسائی و ابن عباس (فيكون) نصباً عطفاً على (أن نقول ... فيكون) الباقون بالرفع بتقدير، فهو يكون.

هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه و آله على وجه التسلية له عن تكذيب قومه إياه، فقال (فَلا يَحْزُنْکَ قَوْلُهُمْ) و ضم الياء نافع، و حزن و أحزن لغتان. و الحزن ألم القلب بما يرد عليه مما ينافی الطبع، و مثله الغم، و ضده السرور و الفرح و المعنى فی صرف الحزن عن النبی صلى اللَّه عليه و آله فی كفر قومه هو أن ضرر كفرهم عائد عليهم، لأنهم يعاقبون به دون غيرهم. ثم قال (إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ) أی ما يظهرونه و ما يبطنونه فنجازی كلًا منهم على قدره لا يخفى علينا شیء منها. ثم قال منبهاً لخلقه على الاستدلال على صحة الاعادة و النشأة الثانية، فقال (أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسانُ) و معناه أو لم يعلم (أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) و معناه إنا نقلناه من النطفة إلى العلقة و من العلقة إلى المضغة و من المضغة إلى العظم و من العظم إلى أن جعلناه خلقاً سوياً و جعلنا فيه الروح و أخرجناه من بطن أمه و لابيناه و نقلناه من حال إلى حال إلى أن كمل عقله و صار متكلماً خصيماً عليماً، التبيان فی تفسير القرآن، ج8، ص: 478

فمن قدر على جميع ذلک كيف لا يقدر على الاعادة، و هی أسهل من جميع ذلک؟! و لا يجوز أن يكون خلق الإنسان و لا خالق له، و لا أن يكون واقعاً بالطبيعة، لأنها فی حكم الموات فی أنها ليست حية قادرة، و من كان كذلک لا يصح منه الفعل و لا أن يكون كذلک بالاتفاق لان المحدث لا بد له من

محدث قادر و إذا كان محكما فلا بد من كونه عالماً.
و فى الآية دلالة على صحة استعمال النظر، لان اللَّه تعالى أقام الحجة على المشركين بقياس النشأة الثانية على النشأة الأولى، و أنه يلزم من أقر بالأولى أن يقر بالثانية.
ثم حكى تعالى عن بعض الكفار انه (ضرب لنا) أى ضرب للَّه (مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ) كيف كان فى الابتداء (قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ) فقال قتادة، و مجاهد: كان القائل أبى بن خلف. و قال سعيد بن جبير:
هو العاص بن وابل السهمى. و قال ابن عباس: هو عبد اللَّه بن أبى ابن سلول. و
قال الحسن: جاء أمية إلى النبى صلى اللَّه عليه و آله بعظم بال قد بلى، فقال يا محمد أ تزعم ان اللَّه يبعث هذا بعد ما بلى!. قال: نعم، فنزلت الآية.
و الرميم هو البالى، فقال اللَّه تعالى فى الرد عليه (قل) يا محمد لهذا المتعجب من الاعادة (يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ) لأن من قدر على الاختراع لما يبقى من غير تغيير عن صفة القادر، فهو على إعادته قادر لا محالة (وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) أى عالم بكل جنس من أجناس الخلق. ثم وصف نفسه فقال (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) فبين أن من قدر على ان يجعل فى الشجر الأخضر الذى هو فى غاية الرطوبة ناراً حامية مع تضاد النار للرطوبة حتى إذا احتاج الإنسان حك بعضه ببعض و هو التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 479
المزح و العفار و غير ذلک من انواع الشجر فيخرج منه النار و ينقدح، فمن قدر على ذلک لا يقدر الإعادة؟! ثم نبههم على دليل آخر فقال (أَ وَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) و معناه من قدر على اختراع السموات و الأرض كيف لا يقدر على أمثاله؟! و قد ثبت أن من شأن القادر على الشىء أن يكون قادراً على جنس مثله و جنس ضده. و دخول الباء فى خبر (ليس) لتأكيد النفى.
ثم قال تعالى مجيباً عن هذا النفى فقال (بَلى وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) أى هو خالق لذلک عالم بكيفية الاعادة.
ثم قال تعالى (إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) و المعنى بذلک الاخبار عن سهولة الفعل عليه و انه إذا أراد فعل شىء فعله بمنزلة ما يقول للشىء كن فيكون فى الحال، و هو مثل قول الشاعر:
و قالت له العينان سمعا و طاعة و حدرتا كالدر لما يثقب «1»
و إنما اخبر عن سرعة دمعه دون ان يكون قبولا على الحقيقة. (فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) و معناه تنزيهاً له عن نفى القدرة على الاعادة و غير ذلک مما لا يليق به الذى يقدر على الملک، و فيه مبالغة (وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يوم القيامة الذى لا يملک فيه الأمر و النهى سواه، فيجازيكم على

قدر أعمالكم من الطاعات و المعاصى بالثواب و العقاب.

---

(1) مر فى 1/ 431 و 6/ 45 و 8/ 471.

37-سورة الصافات ..... ص : 480

اشارة

مكية فى قول مجاهد و قتادة و الحسن و هى مائة و اثنان و ثمانون آية فى المدنيين و إحدى و ثمانون فى البصرى و ليس فيها ناسخ و منسوخ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا (1) فَالزَّاجِراتِ زَجْراً (2) فَالتَّالِياتِ ذِكْراً (3) إِنَّ إِلهَكُمْ لَواحِدٌ (4)
رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ رَبُّ الْمَشارِقِ (5) إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ (6) وَ حِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ (7) لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلى وَ يُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ (8) دُحُوراً وَ لَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ (9) إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ (10)
عشر آيات بلا خلاف.
ادغم ابو عمرو- إذا أدرج- التاء فى الصاد، و التاء فى الزاى، و التاء فى الذال فى قوله (وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِراتِ زَجْراً فَالتَّالِياتِ ذِكْراً) لقرب
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 481
مخرجهما إذا كانا من كلمتين، وافقه حمزة فى جميع ذلک. الباقون بالإظهار لأن قبل التاء حرفاً ساكناً، و هو الالف، لأن مخارجها متغايرة. و قرأ ابن كثير و نافع و ابو عمرو و ابن عامر (بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ) و لذلک كان يجوز أن يقرأ برفع الكواكب غير أنه لم يقرأ به أحد، و لو قرئ به لجاز. و قرأ ابو بكر عن عاصم (بزينة) منوناً (الكواكبِ) نصباً على معنى تزييننا الكواكب. الباقون (بزينة) منوناً (الكواكب) خفضاً على البدل، و هو بدل الشىء من غيره، و هو بعينه، لأن الزينة هى الكواكب، و هو بدل المعرفة من النكرة، و مثله قوله (لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ ناصِيَةٍ) «1» فأبدل النكرة من المعرفة. و قرأ الكسائى و حمزة و خلف و حفص عن عاصم (لا يسمعون) بالتشديد، و أصله لا يتسمعون، فأدغم التاء فى السين. الباقون بالتخفيف لان معنى سمعت إلى فلان و تسمعت إلى فلان واحد. و إنما يقولون تسمعت فلاناً بمعنى أدركت كلامه بغير (إلى). و من شدّد كرّر، لئلا يشتبه. قال ابن عباس: كانوا لا يتسمعون و لا يسمعون.
هذه اقسام من اللّه تعالى بالأشياء التى ذكرها، و قد بينا أن له تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، و ليس لخلقه أن يحلفوا إلا باللّه. و قيل إنما جاز أن يقسم تعالى بهذه الأشياء، لأنها تنبئ عن تعظيمه بما فيها من القدرة الدالة على ربها. و قال قوم: التقدير: و رب الصافات، و حذف لما ثبت من أن التعظيم بالقسم للّه. و جواب القسم قوله (إِنَّ إِلهَكُمْ لَواحِدٌ) و قال مسروق و قتادة و السدى: إن الصافات هم الملائكة مصطفون فى السماء

---

(1) سورة 96 العلق آية 15.

يسبحون اللّه. و قيل: صفوف الملائكة فى صلاتهم عند ربهم- ذكره الحسن- و قيل: هم الملائكة تصف أجنحتها فى الهواء واقفة حتى يأمرها اللّه بما يريد، كما قال (وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) «1» و قال ابو عبيدة: كل شىء من السماء و الأرض لم يضم قطريه فهو صاف، و منه قوله (وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ) «2» إذا نشرت أجنحتها، و الصافات جمع الجمع، لأنه جمع صافة.
و قوله (فَالزَّاجِراتِ زَجْراً) قال السدى و مجاهد: هم الملائكة يزجرون الخلق عن المعاصى زجراً يوصل اللّه مفهومه إلى قلوب العباد، كما يوصل مفهوم إغواء الشيطان إلى قلوبهم ليصح التكليف، و قيل: إنها تزجر السحاب فى سوقها. و قال قتادة: (فَالزَّاجِراتِ زَجْراً) آيات القرآن تزجر عن معاصى اللّه تعالى، و الزجر الصرف عن الشىء لخوف الذم و العقاب، و قد يكون الصرف عن الشىء بالذم فقط على معنى انه من فعله استحق الذم.
و قوله (فَالتَّالِياتِ ذِكْراً) قيل فيه ثلاثة اقوال:
أحدها- قال مجاهد و السدى: هم الملائكة تقرأ كتب اللّه.
و قال قتادة: هو ما يتلى فى القرآن. و قال قوم: يجوز أن يكون جماعة الذين يتلون القرآن. و إنما قال (فَالتَّالِياتِ ذِكْراً) و لم يقل تلوا، كما قال (فَالزَّاجِراتِ زَجْراً) لأن التالى قد يكون بمعنى التابع تقول:
تلوت فلاناً إذا تبعته بمعنى جئت بعده، و منه قوله (وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها) «3» فلما كان مشتركاً، بينه بما يزيل الإبهام، و كل هذه اقسام على أن الآله الذى يستحق العبادة واحد لا شريک له. و قوله

---

(1) آية 165 من هذا السورة.
(2) سورة 24 النور آية 41.
(3) سورة 91 الشمس آية 2.

(رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ رَبُّ الْمَشارِقِ) معناه إن إلهكم الذى يستحق العبادة واحد و هو الذى خلق السموات و الأرض و ما بينهما من سائر الأجناس من الحيوان و النبات و الجماد (وَ رَبُّ الْمَشارِقِ) و معناه و يملک التصرف فيها، و المشارق هى مشارق الشمس، و هى مطالعها بعدد ايام السنة ثلاثمائة و ستون مشرقاً و ثلاثمائة و ستون مغرباً، ذكره السدى.
ثم اخبر تعالى عن نفسه، فقال (إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا) و التزيين التحسين للشىء و جعله صورة تميل اليها النفس، فاللّه تعالى زين السماء الدنيا على وجه يمتع الرائى لها، و فى ذلک النعمة على العباد مع ما لهم فيها من المنفعة بالفكر فيها و الاستدلال على صانعها. و الكواكب هى النجوم كالبدر و السماء بها زينة قال النابغة:
بأنک شمس و الملوک كواكب إذا طلعت لم يبق منهن كوكب
و قوله (وَ حِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ) معناه و حفظناها حفظاً.

و الحفظ المنع من ذهاب الشَّىء، وَ منه حفظ القرآن بالدرس المانع من ذهابه.
و المارد الخارج إلى الفساد العظيم، و هو وصف للشياطين و هم المردة، و أصله الاتجراد، و منه الأمرد، و المارد المتجرد من الخير، و قوله (لا يسمعون) من شدّد أراد لا يتسمعون و أدغم التاء فى السين، و من خفف أراد ايضاً لا يتسمعون فى المعنى (إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلى) يعنى الملائكة الذين هم فى السماء و قوله (وَ يُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ) معناه يرمون بالشهب من كل جانب إذا أرادوا الصعود إلى السماء للاستماع (دحوراً) أى دفعاً لهم بعنف، يقال:
دحرته دحراً و دحوراً، و انما جاز أن يريدوا استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون، و انهم يحرقون بالشهب، لأنهم تارة يسلمون إذا لم يكن من
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 484
الملائكة هناک شىء لا يجوز أن يقفوا عليه، و تارة يهلكون كراكب البحر فى وقت يطمع فى السلامة.
و قوله (وَ لَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ) قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابن زيد: معناه إن لهم مع ذلک ايضاً عذاباً دائماً يوم القيامة، و منه قوله تعالى (وَ لَهُ الدِّينُ واصِباً) «1» أى دائماً قال ابو الأسود:
لا ابتغى الحمد القليل بقاؤه يوماً بذم الدهر اجمع واصبا «2»
اى دائماً. و قوله (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) لما اخبر اللّه تعالى أن الشياطين لا يستمعون الى الملأ الأعلى و لا يصغون اليهم أخبر انهم متى راموا رموا من كل جانب دفعاً لهم على أشد الوجوه. ثم قال (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) أى استلب السماع استلاباً، و الخطفة الاستلاب بسرعة، فمتى فعل أحدهم ذلک (فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ) قال قتادة: و الشهاب كالعمود من نار، و ثاقب مضى كأنه يثقب بضوئه يقال أثقب ناركَ و استثقبت النار إذا استوقدت و أضاءت، و منه قولهم: حسب ثاقب أى مضى شريف، قال ابو الأسود:
أذاع به فى الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب «3»
أى بحيث يضىء و يعلو.

فَاسْتَفْتِهِمْ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ (11) بَلْ عَجِبْتَ وَ يَسْخَرُونَ (12) وَ إِذا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ (13) وَ إِذا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (14) وَ قالُوا إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ (15)
أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (16) أَ وَ آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ (17) قُلْ نَعَمْ وَ أَنْتُمْ داخِرُونَ (18) فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ فَإِذا هُمْ يَنْظُرُونَ (19) وَ قالُوا يا وَيْلَنا هذا يَوْمُ الدِّينِ (20)

---

(1) سورة 16 النحل آية 52.
(2) مر فى 6/ 390.
(3) مجاز القرآن 1/ 133 و 2/ 167. [.....]

عشر آيات بلا خلاف.
قرأ اهل الكوفة إلا عاصما (بل عجبت) بضم التاء. الباقون بفتحها.
قال ابو على: من فتح التاء أراد: بل عجبت يا محمد من إنكارهم البعث او من نزول الوحى على قلبك و هم يسخرون، و من ضم قال: معناه إن إنكار البعث مع بيان القدرة على الابتداء و ظهور ذلك من غير استدلال عجيب عندك. و قال قوم: إن ذلك اخبار من اللَّه عن نفسه بأنه عجيب، و ذلك كما قال (وَ إِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) «1». و هذا غير صحيح، لان اللَّه تعالى عالم بالأشياء كلها على تفاصيلها، و إنما يعجب من خفى عليه اسباب الأشياء، و قوله (فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) معناه عندكم. و قرأ ابن عامر (إذا) على الخبر. الباقون على الاستفهام على أصولهم فى التحقيق و التخفيف و الفصل و قرأ (إنا) على الخبر اهل المدينة و الكسائى و يعقوب. و قرأ الباقون بهمزتين على أصولهم فى التحقيق و التليين و الفصل. و قرأ اهل المدينة و ابن

---

(1) سورة 13 الرعد آية 5.

عامر (او آباؤنا) بسكون الواو- هنا و فى الواقعة- إلا أن ورشاً على أصله فى إلقاء حركة الهمزة على الواو. الباقون بفتح الواو.
و هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه يأمره بأن يستفتى هؤلاء الكفار و هو أن يسألهم أن يحكموا بما تقتضيه عقولهم، و يعدلوا عن الهوى و اتباعه، فالاستفتاء طلب الحكم (أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا) يعنى من قبلهم من الأمم الماضية و القرون الخالية، فانه تعالى قد أهلك الأمم الماضية الذين

هم أشد خلقاً منهم لكفرهم، و لهم مثل ذلک إن أقاموا على الكفر. و قيل: المعنى أهم أشد خلقاً منهم بكفرهم، و هم مثل ذلک أم من خلقنا من الملائكة و السموات و الأرضين، فقال: أم من خلقنا، لأن الملائكة تعقل، فغلب ذلک على ما لا يعقل من السموات، و الشدة قوة الفتل و هو بخلاف القدرة و القوة. و كل شدة قوة، و ليس كل قوة شدة، و أشد خلقاً ما كان فيه قوة يمنع بها فتله إلى المراد به.
ثم اخبر تعالى انه خلقهم من طين لازب. و المراد انه خلق آدم من طين، و إن هؤلاء نسله و ذريته، فكأنهم خلقوا من طين، و معنى (لازب) لازم فأبدلت الميم باء، لأنه من مخرجها، يقولون: طين لازب و طين لازم قال النابغة:
و لا يحسبون الخير لا شر بعده و لا يحسبون الشر ضربة لازب «1»
و بعض بنى عقيل يبدلون من الزاى تاء، فيقولون: لاتب، و يقولون: لزب، و لتب، و يقال: لزب يلزب لزوباً. و قال ابن عباس: اللازب الملتصق من الطين الحر الجيد. و قال قتادة: هو الذى يلزق باليد. و قال مجاهد: معناه لازق. و قيل:

---

(1) مجاز القرآن 2/ 167 القرطبى 15/ 69.

معناه من طين علک خلق آدم منه و نسب ولده اليه. و قوله (بَلْ عَجِبْتَ وَ يَسْخَرُونَ) فمن ضم التاء أراد أن النبى صلى اللّه عليه و آله أمره اللّه أن يخبر عن نفسه انه عجب من هذا القرآن حين أعطيه، و سخر منه أهل الضلالة. قال المبرد:
و تقديره قل بل عجبت. و من فتح التاء أراد ان اللّه تعالى خاطبه بذلک.
و العجب تغير النفس بما خفى فيه السبب فى ما لم تجر به العادة، يقال: عجب يعجب عجباً و تعجب تعجباً. و المعنى فى الضم على ما
روى عن على عليه السلام و ابن مسعود ليس على انه بعجيب كما يعجب، لأن اللّه تعالى عالم بالأشياء على حقائقها، و إنما المعنى انه يجازى على العجب كما قال (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّٰهُ مِنْهُمْ)
«1» (وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللّٰهُ) «2» و يجوز أن يكون المعنى قد حلوا محل من يعجب منهم. و الفتح على عجب النبى صلى اللّه عليه و آله (و يسخرون) معناه يهزءون بدعائک إياهم إلى اللّه. و النظر فى دلائله و آياته. (وَ إِذا ذُكِّرُوا) بآيات اللّه و حججه و خوفوا بها (لا يَذْكُرُونَ) أى لا يتفكرون، و لا ينتفعون بها (وَ إِذا رَأَوْا آيَةً) من آيات اللّه تعالى (يستسخرون) أى يسخرون و هما لغتان. و قيل: معناه يطلب بعضهم من بعض أن يسخروا و يهزءوا بآيات اللّه، فيقولون ليس هذا الذى تدعونا اليه من القرآن و تدعيه أنه من عند اللّه (إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) أى ظاهر بين.

و حكى انهَم يقولونَ ايضاَ (أ إِذا مِتْناَ وَ كُنَّا تُراباَ وَ عِظاماَ أ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) بعد ذلک و محشورون و مجازون؟! (أَ وَ آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ) الذين تقدمونا بهذه الصفة، و اللفظ لفظ الاستفهام و المراد بذلک التهزّی و الاستبعاد لأن يكون

---

(1) سورة 9 التوبة آية 80.
(2) سورة 3 آل عمران آية 54.

هذا حقيقة و صحيحاً. فمن فتح الواو فلأنها و او العطف دخل عليها ألف الاستفهام، فقال اللّه تعالى لنبيه صلى اللّه عليه و آله (قل) لهم (نعم) الامر على ذلک، فإنكم تحشرون و تسألون و تجازون على أعمالكم من الطاعات بالجنة و الثواب، و على المعاصى بالنار و العقاب فيها (وَ أَنْتُمْ داخِرُونَ) أى صاغرون أذلاء- و هو قول الحسن و قتادة و السدى- و قيل: الداخر الصاغر الذليل أشد الصغر و الصاغر الذليل لصغر قدره.
ثم قال ايضاً و قل لهم (فَإِنَّما هِىَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ) فقال الحسن: يعنى النفخة الثانية. و الزجرة الصرفة عن الشىء بالمخافة، فكأنهم زجروا عن الحال التى هم عليها إلى المصير إلى الموقف للجزاء و الحساب (فَإِذا هُمْ يَنْظُرُونَ) أى يشاهدون ذلک و يرونه. و قيل: معناه فإذا هم أحياء ينتظرون ما ينزل بهم من عذاب اللّه و عقابه، و يقولون معترفين على نفوسهم بالعصيان (يا وَيْلَنا هذا يَوْمُ الدِّينِ) اى يوم الجزاء و الحساب. و (الويل) كلمة يقولها القائل إذا وقع فى الهلكة، و مثله يا ويلتى، و يا حسرتى، و يا عجبا.
و قال الزجاج: و المعنى فى جميع ذلک ان هذه الأشياء حسن نداؤها على وجه التنبيه و التعظيم على عظم الحال، و المعنى يا عجب اقبل و يا حسرة اقبلى فانه من أوانک و أوقاتک، و مثله قوله (يا وَيْلَتى أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ) «1» و قوله (يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللَّهِ) «2».

هذا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِی کُنْتُمْ بِهِ تُکَذِّبُونَ (21) احْشُرُوا الَّذِینَ ظَلَمُوا وَ أَزْواجَهُمْ وَ ما کانُوا یَعْبُدُونَ (22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلی صِراطِ الْجَحِیمِ (23) وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ (24) ما لَکُمْ لا تَناصَرُونَ (25)
بَلْ هُمُ الْیَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (26) وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلی بَعْضٍ یَتَساءَلُونَ (27) قالُوا إِنَّکُمْ کُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْیَمِینِ (28) قالُوا بَلْ لَمْ تَکُونُوا مُؤْمِنِینَ (29) وَ ما کانَ لَنا عَلَیْکُمْ مِنْ سُلْطانٍ بَلْ کُنْتُمْ قَوْماً طاغِینَ (30)

---

(1) سورة 11 هود آیة 72.
(2) سورة 39 الزمر آیة 56.

عشر آیات فی الکوفی و المدنیین عدوا قوله (وَ ما کانُوا یَعْبُدُونَ) رأس آیة. و البصریون لم یعدوها، فهی عندهم تسع آیات.
لما اخبر اللّه تعالی عن الکفار انهم إذا حشروا و شاهدوا القیامة و قالوا (یا وَیْلَنا هذا یَوْمُ الدِّینِ) یعنی الجزاء حکی ما یقول الله لهم فانه تعالی یقول لهم (هذا یَوْمُ الْفَصْلِ) بین الخلائق و الحکم و تمیز الحق من الباطل علی وجه یظهر لجمیعهم الحال فیه، و انه تعالی یدخل المطیعین الجنة علی وجه الإکرام و الإعظام، و یدخل العصاة النار علی وجه الاهانة و الاذلال (هذا یَوْمُ الْفَصْلِ) و هو الیوم (الذی کنتم) معاشر الکفار (به تکذبون) تجحدونه و تقابلون من اخبر عنه بالتکذیب و تنسبونه إلی ضد الصدق.
ثم حکی ما یقول اللّه للملائکة المتولین لسوق الکفار إلی النار، فانه التبیان

یقول لهم «احْشُرُوا الَّذِینَ ظَلَمُوا» أنفسهم بارتکاب المعاصی بمعنی اجمعوهم من کل جهة، فالکفار یحشرون من قبورهم إلی أرض الموقف للجزاء و الحساب، ثم یساق الظالمون مع ما کانوا یعبدون من الأوثان و الطواغیت إلی النار و کذلک أزواجهم الذین کانوا علی مثل حالهم من الکفر و الضلال و قال ابن عباس و مجاهد و ابن زید: معنی «و أزواجهم» أشباههم، و هو من قوله «وَ کُنْتُمْ أَزْواجاً ثَلاثَةً» «1» أی اشکالا و أشباها. و قال قتادة:
معناه و أشیاعهم من الکفار. و قیل: من الاتباع. و قال الحسن: یعنی «و أزواجهم» المشرکات. و قیل: اتباعهم علی الکفر من نسائهم.
و قوله «فَاهْدُوهُمْ إِلی صِراطِ الْجَحِیمِ» إنما عبر عن ذلک بالهدایة من حیث کان بدلا من الهدایة إلی الجنة، کما قال «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ» «2» لهذه العلة من حیث ان البشارة بالعذاب الألیم وقعت لهم بدلا من البشارة

بالنعيم، يقال: هديته الطريق أى دللته عليها و أهديت الهدية.
ثم حكى اللّه تعالى ما يقوله للملائكة الموكلين بهم فانه يقول لهم «وقفوهم» أى قفوا هؤلاء الكفار أى احبسوهم «إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ» عما كلفهم اللّه فى الدنيا من عمل الطاعات و اجتناب المعاصى هل فعلوا ما أمروا به أم لا؟ على وجه التقرير لهم و التبكيت دون الاستعلام، يقال: وقفت انا و وقفت الدابة بغير الف. و بعض بنى تميم يقولون: أوقفت الدابة و الدار. و زعم الكسائى انه سمع ما أوقفك هاهنا، و انشد الفراء:
ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا و إن نحن اومأنا إلى الناس أوقفوا
بالف. و يقال لهم ايضاً على وجه التبكيت «ما لَكُمْ» معاشر الكفار

---

(1) سورة 56 الواقعة آية 7.
(2) سورة 3 آل عمران آية 21.

«لا تَناصَرُونَ» بمعنى لا تتناصرون، و لذلک شدد بعضهم التاء، و من لم يشدد حذف إحداهما، و المعنى لم لا يدفع بعضكم عن بعض ان قدرتم عليه.
ثم قال تعالى انهم لا يقدرون على التناصر و التدافع لكن «هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ» و معنا مسترسلون مستحدثون يقال: استسلم استسلاماً إذا القى بيده غير منازع فى ما يراد منه. و قيل: معناه مسترسلون لما لا يستطيعون له دفعاً و لا منه امتناعاً.
و قوله «وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ» اخبار منه تعالى إن كل واحد من الكفار يقبل على صاحبه الذى أغواه على وجه التأنيب و التضعيف له يسأله لم غررتنى؟ و يقول ذاک لم قبلت منى.
و قوله «قالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْيَمِينِ» حكاية ما يقول الكفار لمن قبلوا منهم إنكم: كنتم تأتوننا من جهة النصيحة و اليمن و البركة، فلذلک اغتررنا بكم و العرب تتيمن بما جاء من جهة اليمين. و قال الفراء: معناه إنكم كنتم تأتوننا من قبل اليمين، فتخدعوننا من أقوى الوجوه. و اليمين القوة و منه قوله «فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ» «1» أى بالقوة ثم حكى ما يقول أولئک لهم فى جواب ذلک: ليس الأمر على ما قلتم بل لم تكونوا مصدقين باللّه و لم يكن لنا عليكم فى ترک الحق من سلطان و لا قدرة فلا تسقطوا اللوم عن أنفسكم فانه لازم لكم و لاحق بكم. و قال قتادة: أقبل الأنس على الجن يتساءلون بأن كنتم أنتم معاشر الكفار قوماً طاغين أى باغين، تجاوزتم الحد إلى افحش الظلم، و أصله تجاوز الحد فى العظم و منه قوله «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِى الْجارِيَةِ» «2» و طغيانهم كفرهم باللّه، لأنهم تجاوزوا فى ذلک الحد

---

(1) آية 93 من هذه السورة.

(2) سورة 69 الحاقة آية 11.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 492
إلى أعظم المعاصى، و قال الزجاج: معنى لا تناصرون ما لكم غير متناصرين فهو نصب بأنه حال.

فَحَقَّ عَلَيْنا قَوْلُ رَبِّنا إِنَّا لَذائِقُونَ (31) فَأَغْوَيْناكُمْ إِنَّا كُنَّا غاوِينَ (32) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ (33) إِنَّا كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (34) إِنَّهُمْ كانُوا إِذا قِيلَ لَهُمْ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35)
وَ يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ (36) بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (37) إِنَّكُمْ لَذائِقُوا الْعَذابِ الْأَلِيمِ (38) وَ ما تُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (39) إِلاَّ عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (40)
عشر آيات.
هذا تمام ما حكى اللَّه عن المغاوين للكفار يوم القيامة بأنهم إذا قالوا لهم لم يكن لنا عليكم من سلطان، و إنما أنتم كنتم قوماً طاغين، أخبروا أيضاً و قالوا «فَحَقَّ عَلَيْنا» أى وجب علينا «قَوْلُ رَبِّنا» بأنا لا نؤمن، و نموت على الكفر او وجب علينا قول ربنا بالعذاب الذى يستحق على الكفر و الإغواء «إِنَّا لَذائِقُونَ» العذاب يعنى إنا ندركه كما ندرک المطعوم بالذوق، ثم يعترفون على أنفسهم بأنهم كانوا غاوين، أى دعوناكم إلى الغى و قيل: معناه خيبناكم طرق الرشاد فغوينا نحن ايضاً و خيبنا، فالاغواء الدعاء التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 493
إلى الغى، و الغى نقيض الرشد، و أصله الخيبة من قول الشاعر:
فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغى لائما «1»
و يكون (أغوى) بمعنى خيب، و منه قوله «رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي» «2» أى خيبتنى.
ثم اخبر تعالى انهم فى ذلک اليوم مشتركون فى العذاب، و معنى اشتراكهم اجتماعهم فى العذاب الذى هو يجمعهم.
ثم اخبر تعالى فقال إن مثل فعلنا بهؤلاء نفعل بجميع المجرمين، و بين أنه إنما فعل بهم ذلک، لأنهم «كانُوا إِذا قِيلَ (لَهُمْ) لا إِلهَ» معبود يستحق العبادة «إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ» عن قبول ذلک، و طلبوا التكبر، و هذه لفظة ذم من حيث استكبروا عن قول الحق. و حكى ما كانوا يقولون إذا دعوا إلى عبادة اللَّه وحده فإنهم كانوا «يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا» و معنى ذلک إنا نترک عبادة آلهتنا «لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ» يدعونا إلى خلافه، يعنون بذلک النبى صلى اللَّه عليه و آله يرمونه بالجنون تارة و بالشعر أخرى- و هو قول الحسن و قتادة- لفرط جهلهم حتى قالوا هذا القول الفاحش الذى يفضح قائله، لأن المعلوم انه صلى اللَّه عليه و آله كان بخلاف هذا الوصف، و الجنون آفة تغطى على العقل حتى يظهر التخليط فى فعله، و أصله تغطية الشىء: جن عليه الليل إذا غطاه، و منه المجن لأنه يستر صاحبه، و منه الجنان الروح، لأنها مستورة بالبدن، و منه الجنة لأنها تحت الشجر.

ثم اخبر تعالى تكذيباً لهم بأن قال ليس الأمر على ما قالوه «بل»

---

(1) مر فى 2/ 312 و 4/ 391 و 5/ 548 و 6/ 336 و 7/ 136، 218 و 8/ 36.
(2) سورة 15 الحجر آية 39.

النبى صلى اللَّه عليه و آله «جاءَ بِالْحَقِّ» من عند اللَّه و هو ما يجب العمل به «وَ صَدَّقَ» مع ذلك «الْمُرْسَلِينَ» جميع من أرسله اللَّه قبله. ثم خاطب الكفار، فقال «إِنَّكُمْ لَذائِقُوا الْعَذابِ الْأَلِيمِ» يعنى المؤلم الموجع جزاء على تكذيبكم بآياتنا و ليس «تُجْزَوْنَ إِلَّا» على قدر «ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» من المعاصى ثم استثنى من جملة المخاطبين «عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» و هم الذين أخلصوا العبادة للَّه و أطاعوه فى كل ما أمرهم به، فإنهم لا يذوقون العذاب و إنما ينالون الثواب الجزيل.

أُولئِکَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (41) فَواکِهُ وَ هُمْ مُکْرَمُونَ (42) فِی جَنَّاتِ النَّعِیمِ (43) عَلی سُرُرٍ مُتَقابِلِینَ (44) یُطافُ عَلَیْهِمْ بِکَأْسٍ مِنْ مَعِینٍ (45) بَیْضاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِینَ (46) لا فِیها غَوْلٌ وَ لا هُمْ عَنْها یُنْزَفُونَ (47) وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِینٌ (48) کَأَنَّهُنَّ بَیْضٌ مَکْنُونٌ (49) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلی بَعْضٍ یَتَساءَلُونَ (50)

عشر آیات.

قرأ حمزة و الکسائی و خلف «ینزفون» بکسر الزای علی اسناد الفعل الیهم.

الباقون بفتح الزای- علی ما لم یسم فاعله- و من فتح فانه مأخوذ من نزف الرجل، فهو منزوف و نزیف، إذا ذهب عقله بالسکر، و انزف فهو منزف به إذا فنیت خمره. و یقال أنزف أیضاً إذا سکر.

لما استثنی اللّه تعالی من جملة من یعاقبهم من الکفار المخلصین الذین

أخلصوا عبادتهم للّه وحده، بین ما اعدّ لهم من انواع الثواب، فقال «أُولئِکَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ» یعنی عطاء جعل لهم التصرف فیه و حکم لهم به فی الأوقات المستأنفة فی کل وقت شیئاً معلوماً مقدراً. ثم فسر ذلک الرزق، فقال ذلک الرزق «فواکه» و هی جمع فاکهة و هی تکون رطباً و یابساً یتفکهون بها و ینتفعون بالتصرف فیها «وَ هُمْ» مع ذلک «مُکْرَمُونَ» أی معظمون مبجلون، و ضد الإکرام الاهانة و هی الانتقام و هم مع ذلک «فِی جَنَّاتِ النَّعِیمِ» أی بساتین فیها انواع النعیم التی یتنعمون بها «عَلی سُرُرٍ» و هو جمع سریر «مُتَقابِلِینَ» یستمتع بعضهم بالنظر إلی وجوه بعض «یُطافُ عَلَیْهِمْ بِکَأْسٍ مِنْ مَعِینٍ» أی بکأس من خمر جاریة فی أنهار ظاهرة للعیون- فی قول الحسن و قتادة و الضحاک و السدی- و الکأس إناء فیه شراب.

و قیل: لا یسمی کأساً إلا إذا کان فیه شراب و إلا فهو إناء، و قوله «معین» یحتمل ان یکون (فعیلا) من العین، و هو الماء الشدید الجری من أمعن فی الأمر إذا اشتد دخوله فیه. و یحتمل ان یکون وزنه (مفعولا) من عین الماء لأنه یجری ظاهراً للعین.

ثم وصف الخمر الذی فی الکأس، فقال «بیضاء» و وصفها بالبیاض لأنها تجری فی انهار کاشرف الشراب، و هی خمر فیها اللذة و الامتاع فتری بیضاء صافیة فی نهایة الرقة و اللطافة مع النوریة التی لها و الشفافة، لأنها علی احسن منظر و مخبر. و قال قوم: بیضاء صفة للکأس، و هی مؤنثة. و اللذة نیل المشتهی بوجود ما یکون به صاحبه ملتذاً. و الشراب مأخوذ من الشرب.

و قوله «لا فِيها غَوْلٌ» معناه لا يكون فى ذلک الشراب غول أى فساد يلحق العقل خفياً، يقال: اغتاله اغتيالا إذا أفسد عليه أمره، و منه الغيلة التبيان فى تفسير القرآن، ج‌8، ص: 496
و هى القتل سرّاً. و قال ابن عباس «لا فِيها غَوْلٌ» معناه لا يكون فيها صداع و لا أذى، كما يكون فى خمر الدنيا، و قال الشاعر:
و ما زالت الكأس تغتالنا و نذهب بالأول الاول «1»
هذا من الغيلة أى نصرع واحد بعد واحد «وَ لا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ» أى لا يسكرون و النزيف السكران، لأنه ينزف عقله، قال الأبرد الرياحى:
لعمرى لئن انزفتم أو ضحوتم لبئس التدانى كنتم آل ابحرا «2»
فالبيت يدل على ان أنزف لغة فى نزف إذا سكر، لأنه جعله فى مقابلة الصحو. و من قرأ بالسكر فعلى معنى: إنهم لا ينزفون خمرهم أى لا يفنى عندهم.
و قوله «وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِينٌ» معنى قاصرات الطرف تقصر طرفهن على أزواجهن- فى قول الحسن و غيره- و قال بعضهم: معنى قاصرات راضيات من قولهم: اقتصرت على كذا، و معنى «عين» الشديدة كبياض العين الشديدة سوادها- فى قول الحسن- و العين النجل و هى الواسعة العين.
و قوله «كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ» شبههن ببيض النعام يكن بالريش من الريح و الغبار- فى قول الحسن و ابن زيد- و قال سعيد بن جبير و السدى:
شبههن ببطن البيض قبل ان يقشر و قبل أن تمسه الأيدى، و المكنون المصون يقال: كننت الشىء إذا صنته، و أكننته إذا سترته من كل شىء قال الشاعر:
و هى زهراء مثل لؤلؤة الغ واص ميزت من جوهر مكنون «3»

---

(1) مجاز القرآن 2/ 169.
(2) اللسان (نزف) و تفسير القرطبى 15/ 79 و الطبرى 23/ 31 و مجاز القرآن 2/ 169. [.....]
(3) مجاز القرآن 2/ 170 و تفسير القرطبى 15/ 81 و الطبرى 23/ 34.
التبيان فى تفسير القرآن، ج‌8، ص: 497
ثم قال «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ» يعنى ان اهل الجنة يقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أحوالهم و ما تفضل اللّه عليهم من انواع الكرامات

قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّی کانَ لِی قَرِینٌ (51) یَقُولُ أَ إِنَّکَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِینَ (52) أَ إِذا مِتْنا وَ کُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَدِینُونَ (53) قالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (54) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِی سَواءِ الْجَحِیمِ (55)
قالَ تَاللَّهِ إِنْ کِدْتَ لَتُرْدِینِ (56) وَ لَوْ لا نِعْمَةُ رَبِّی لَکُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِینَ (57) أَ فَما نَحْنُ بِمَیِّتِینَ (58) إِلاَّ مَوْتَتَنَا الْأُولی وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِینَ (59) إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ (60)
عشر آیات لما حکی اللّه تعالی أن اهل الجنة یقبل بعضهم علی بعض یتساءلون عن اخبارهم و أحوالهم، ذکر أن قائلا منهم یقول «إِنِّی کانَ لِی قَرِینٌ» فی دار الدنیا أی صاحب یختص بی إما من الانس- علی ما قال ابن عباس- او من الجن- علی ما قال مجاهد- «یقول» لی علی وجه الإنکار علی و التهجین لفعلی «أَ إِنَّکَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِینَ» بیوم الدین بان اللّه یبعث الخلق بعد أن یصیروا تراباً و عظاماً و انهم یحشرون بعد ذلک و یحاسبون و یجازون إن هذا لبعید، فألف الاستفهام دخلت- هاهنا- علی وجه الإنکار، و إنما دخلت ألف الاستفهام للإنکار من حیث أنه لا جواب لقائله إلا ما یفتضح به، و هؤلاء التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 498
الکفار غلطوا فی هذه الإنکار و توهموا أن من یقول فی جواب ذلک نعم یأتی بقبیح من القول، و قوله «أَ إِنَّا لَمَدِینُونَ» معناه لمجزیّون مشتق من قولهم: کما تدین تدان.
أی کما تجزی تجزی، و الدین الجزاء، و الدین الحساب، و منه الدین، لأن جزاءه القضاء، و قال ابن عباس: القرین الذی کان له شریکاً من الناس.
و قال مجاهد: کان شیطاناً.
ثم حکی انه یقال لهذا القائل علی وجه العرض علیه «هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ» أی یؤمرون أن یروا مکان هذا القرین فی النار، فیقول: نعم، فیقال له: اطلع فی النار، فیطلع فی الجحیم فیراه فی سوائه أی وسطه- فی قول ابن عباس و الحسن و قتادة- و إنما قیل للوسط: سواء لاستوائه فی مکانه بأن صار بدلا منه، و قد کثر حتی صار بمعنی غیر، و روی حسین عن أبی عمرو «مطلعونی فاطلع» بکسر النون و قطع الألف، و هو شاذ، لان الاسم إذا أضیف حذفت منه النون، کقولک: مطلعی، و إنما یجوز فی الفعل علی حذف احدی النونین، و قد انشد الفراء علی شذوذه قول الشاعر:
و ما أدری و ظنی کل ظن أسلمنی إلی قوم شراح «1»
یرید شراحل، و أنشده المبرد (أ أسلمنی) و انشد الزجاج:
هم القائلون الخیر و الأمر دونه إذا ما خشوا من محدث الأمر معظما «2»
و قیل: ان لأهل الجنة فی توبیخ أهل النار لذة و سروراً. و قال الحسن:

الجنة فى السماء و النار فى الأرض، فلذلک صح منهم، الاطلاع.
ثم حکى تعالى ما يقوله المؤمن إذا اطلع عليه و رآه فى وسط الجحيم

---

(1) تفسير الطبرى 23/ 36.
(2) تفسير القرطبى 15/ 83.

فانه يقول «تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ» و معنى (تاللَّه) القسم على وجه التعجب و إنما كان كذلک، لان التاء بدل من الواو فى القسم على وجه النادر، و لذلک اختصت باسم اللَّه ليدل على المعنى النادر.
و قوله «إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ» و هى التى فى قوله «إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ» «1» إلا أنها دخلت فى هذا على (فعل) و معنى «لترديني» لتهلكنى كهلاک المتردى من شاهق، و منه قوله «وَ ما يُغْنِى عَنْهُ مالُهُ إِذا تَرَدَّى» «2» فى النار، و تقول ردى يردى إذا هلک و أرداه غيره إرداء إذا أهلكه ثم يقول «وَ لَوْ لا نِعْمَةُ رَبِّى» على و رحمته لى بأن لطف لى فى ترک متابعتک و القبول منک «لَكُنْتُ» أنا ايضاً «مِنَ الْمُحْضَرِينَ» معک فى النار فالاحضار الإتيان بالشىء إلى حضرة غيره، و قال الشاعر:
أ فى الطوف خفت على الردى و كم من رد أهله و لم يرم «3»
أى من هالک، و قوله «أَ فَما نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولى وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ» هذا تقريع لهم و توبيخ، لأن هذا الكافر كان يقول كثيراً ذلک فى دار الدنيا، و مثله قول الشاعر:
قالت له و يضيق ضنک لا تكثرى لومى اخلى عنک
و معناه إنها كانت تلومه على الإنفاق، فكان يقول لا تكثرى لومى فأطلقک فلما أنفق عيرته بذلک و وبخته و حكت ما كان يقول عند توبيخها و عذلها.
و قال الجبائى: هذا يقوله المؤمن على وجه الاخبار بأنه لا يموت بعد هذا النعيم لكن الموتة الأولى قد مضت، فتلخيص معنى الآية قولان:

---

(1) سورة 86 الطارق آية 4.
(2) سورة 92 الليل آية 11.
(3) الطبرى 23/ 36.

أحدهما- انه يقوله المؤمن على وجه السرور بنعم اللَّه فى أنه لا يموت و لا يعذب.
الثانى- أن المؤمن يقوله على وجه التوبيخ لقرينة بما كان ينكره.
و قوله «إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» إخبار منه تعالى بأن هذا الثواب الذى حصل له لهو الفلاح العظيم.

لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ (61) أَ ذلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (62) إِنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (63) إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ (65)
فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْها فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ (66) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ (67) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (68) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آباءَهُمْ ضالِّينَ (69) فَهُمْ عَلى آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ (70)
عشر آيات.
يقول اللّه تعالى فى تمام الحكاية عن قول المؤمن للكافر «لِمِثْلِ هذا» يعنى لمثل ثواب الجنة و نعيمها «فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ» فى دار التكليف، و يحسن من العامل أن يعمل العمل للثواب إذا أوقعه على الوجه الذى تدعو اليه الحكمة من وجوب او ندب، قال الرمانى: ألا ترى أنه لو عمل القبيح ليثاب على ما تدعو اليه الحكمة لاستحق الثواب إذا خلص من الإحباط. و
هذا الذى التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 501
ذكره غير صحيح، لأن القبيح لا يجوز أن يستحق عليه الثواب على وجه و إن عرض فى القبيح وجوه كثيرة من وجوه الحسن، فانه لا يعتدّ بها، فان علمنا فى ما ظاهره القبيح أنه وقع على وجه يستحق فيه الثواب، علمنا أنه خرج من كونه قبيحاً. و مثال ذلک إظهار كلمة الكفر عند الإكراه عليها او الإنكار لكون نبى بحضرته لمن يطلبه ليقتله فان هذا و إن كان كذباً فى الظاهر فلا بد أن يورى المظهر بما يخرجه عن كونه كاذباً، و متى لم يحسن التورية منع اللّه من إكراهه عليه. و فى الناس من يقول: يجب عليه الصبر على القتل، و لا يحسن منه الكذب، و متى كان من يحسن التورية، و لم يور كان القول منه كذباً و قبيحاً و لا يستحق به الثواب، فاما الإكراه على أخذ مال الغير و إدخال ضرر عليه دون القتل، متى كان قد علمنا بالشرع وجوب فعل ذلک عند الإكراه أو حسنه علمنا انه خرج بذلک عن كونه قبيحاً و إن اللّه تعالى ضمن من العوض عليه ما يخرجه عن كونه قبيحاً، كما تقول:
فى ذبح البهائم، و متى لم يعلم بالشرع ذلک، فانه يقبح إدخال الضرر على الغير و أخذ ماله، فأما إدخال الضرر على الغير و نفسه ببذل مال او تحمل خراج ليدفع بذلک عن نفسه ضرراً أعظم منه، فانه يحسن، لأنه وجه يقع على الإثم فيصير حسناً، و هذا باب أحكمناه فى كتاب الأصول. لا يحتمل هذا الموضع أكثر من هذا.
و قوله «أَ ذلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ» إنما جاز ذلک مع انه لا خير فى شجرة الزقوم لامرين:
أحدهما- على الحذف بتقدير أ سبب هذا الذى أدى اليه خير أم سبب أدى

إلى النار، كأنهم قالوا هو فيه خير، لما عملوا ما أدى اليه. و النزل التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 502
الفضل طعام له نزل، و نزل أى فضل و ريع. و قيل: معناه خير نزلا من الانزال التى تقيم الأبدان و تبقى عليها الأرواح و (الزقوم) قيل: هو ثمر شجرة منكرة جداً من قولهم يزقم هذا الطعام إذا تناوله على تكره و مشقة شديدة. و قيل: شجرة الزقوم ثمرة مرة خشنة منتنة الرائحة.
و قوله «إِنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ» معناه إنا جعلنا شجرة الزقوم محنة لشدة التعبد، و قال قتادة: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: النار تحرق الشجرة، و كيف تنبت هذه فى النار، فكان ذلک تغليظاً للمحنة، لأنه يحتاج إلى الاستدلال على انه قادر لا يمتنع عليه أن يمنع النار من إحراقها حتى تنبت الشجرة فيها. و قيل: معناه إنها عذاب للظالمين من قوله «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» «1» أى يعذبون، و قيل: هو قول أبى جهل فى التمر و الزبد انه يتزقمه. روى أنه لما سمع هذه الآية دعا الكفار و احضر التمر و الزبد و قال تعالوا نتزقم هذا بخلاف ما يهددنا به محمد. ثم قال تعالى «إِنَّها شَجَرَةٌ» يعنى الزقوم «تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ» أى تنبت فى قعر جهنم «طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ» قيل: فى تشبيه ذلک برءوس الشياطين مع أن رؤس الشياطين لم تر قط ثلاثة أقوال:
أحدها- ان قبح صورة الشياطين متصور فى النفس و لذلک يقولون لشىء يستقبحونه جداً كأنه شيطان. و قال امرؤ القيس:
أ يقتلنى و المشرفى مضاجعى و مسنونة زرق كأنياب اغوال «2»
فشبه النصول بأنياب الأغوال، و هى لم تر، و يقولون: كأنه رأس شيطان و انقلب علىّ كأنه شيطان.

---

(1) سورة 51 الذاريات آية 13.
(2) ديوانه 162 و تفسير القرطبى 15/ 86.

الثانى- أنه شبه برأس حية يسميها العرب شيطاناً، قال الراجز:
منجرد يحلف حين أحلف كمثل شيطان الحماط أعرف «1»
الثالث- انه شبه بنبت معروف برءوس الشياطين. و قيل: قد دل اللَّه أنه يشوه خلق الشياطين فى النار حتى لو رآهم راء من العباد لاستوحش منهم غاية الاستيحاش، فلذلک يشبه برءوسهم.
ثم أخبر تعالى أن اهل النار ليأكلون من تلک الشجرة و يملئون بطونهم منها لشدة ما يلحقهم من ألم الجوع، و الملأ الطرح فى الوعاء ما لا يحتمل الزيادة عليه، فهؤلاء حشيت بطونهم من الزقوم بما لا يحتمل زيادة عليه.
ثم قال «إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها» يعنى الزيادة على شجرة الزقوم «لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ» فالشوب خلط الشىء بما ليس منه مما هو شر منه، و يقال هذا الطعام

مشوب، و قد شابه شىء من الفساد، و الحميم إذا شاب الزقوم اجتمعت المكاره فيه من المرارة و الخشونة و نتن الرائحة، و الحرارة المحرقة- نعوذ باللَّه منها- و الحميم الحار الذى له من الإحراق المهلک أدناه قال الشاعر:
أحم اللَّه ذلک من لقاء أحاد أحاد فى الشهر الحلال «2»
أى أدناه و حمم ريش الفرخ إذا نبت، حتى يدنو من الطيران و المحموم المقترب من حال الإحراق. و قال ابن عباس: يشربون الحميم المشروب من الزقوم أى قد شيب مع حرارته بما يشتد تكرهه. و الحميم الصديق القريب أى الدانى من القلب.
و قوله «ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ» معناه أنهم يردون بعد ذلک إلى النار الموقدة. و فى ذلک دلالة على أنهم فى وقت ما يطعمون الزقوم

---

(1) تفسير القرطبى 15/ 87.
(2) اللسان (حمم).

بمعزل عنها، كما قال «يَطُوفُونَ بَيْنَها وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ» «1» ثم حكى تعالى ان هؤلاء الكفار «أَلْفَوْا» يعنى صادفوا «آباءَهُمْ ضالِّينَ» عن الطريق المستقيم الذى هو طريق الحق «فَهُمْ عَلى آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ» فى الضلال أى يقلدونهم و يتبعونهم، قال ابو عبيدة: معنى يهرعون يستحثون من خلفهم. و قيل: معناه يزعجون إلى الاسراع، هرع و أهرع لغتان

وَ لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (71) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (72) فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73) إِلاَّ عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (74) وَ لَقَدْ نادانا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75)
وَ نَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) وَ جَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ (77) وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ (78) سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِى الْعالَمِينَ (79) إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ (80)
عشر آيات.
اقسم اللَّه تعالى انه «لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ» قبل هؤلاء الكفار الذين هم فى عصر النبى صلى اللَّه عليه و آله عن طريق الحق و اتباع الهدى «أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ» من كان قبلهم لان اللام فى (لقد) هى لام القسم و تدخل على الجواب لقولك:
و اللَّه لقد كان كذا، و قد تدخل للتأكيد. و الضلال الذهاب عن الحق إلى طريق الباطل، تقول: ضل عن الحق يضل ضلالا. و الإضلال قد يكون

---

(1) سورة 55 الرحمن آية 44.

بمعنى الذم بالضلال و الحكم عليه به، و قد يكون بمعنى الأمر به و الإغراء كقوله «وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِىُّ» «1». و الأكثر هو الأعظم فى العدد، و الأول الكائن قبل غيره. و أول كل شىء هو اللَّه تعالى، لأن كل ما سواه فهو موجود بعده.
ثم أقسم انه أرسل فيهم منذرين من الأنبياء و الرسل يخوفونهم باللَّه و يحذرونهم معاصيه. ثم قال «فَانْظُرْ» يا محمد «كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ» و التقدير ان الأنبياء المرسلين لما خوفوا قومهم فعصوهم و لم يقبلوا منهم أهلكهم و أنزل عليهم العذاب، فانظر كيف كان عاقبتهم.
ثم استثنى من المنذرين فى الإهلاك عباده المخلصين الذين قبلوا من الأنبياء، و أخلصوا عبادتهم للَّه تعالى، فان اللَّه تعالى خلصهم من ذلك العذاب و وعدهم بالثواب.
ثم أخبر ان نوحاً نادى اللَّه و دعاه و استنصره على قومه، و أنه تعالى أجابه، و انه- جل و عز- نعم المجيب لمن دعاه و تقديره فلنعم المجيبون نحن له و لما أجابه نجاه و خلصه و أهله من الكرب العظيم، فالنجاة هى الرفع من الهلاك و أصله الرفع، فمنه النجوة المرتفع من المكان و منه النجا النجا كقولهم الوحا الوحا.
و الاستنجاء رفع الحدث. و الكرب الحزن الثقيل على القلب، قال الشاعر:

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب «2»
و الكرب تحرير الأرض بإصلاحها للزراعة. و الكرب هو الذى يحمى قلب النخلة باحاطته بها و صيانته لها. و العظيم الذى يصغر مقدار غيره عنه. و قد

---

(1) سورة 20 طه آية 85.
(2) مر فى 6/ 283.

يكون التعظيم فى الخير و العظم فى الشر و العظم فى النفس. و قال السدى: معناه نجيناه و أهله من الغرق. و قال غيره: بل نجاهم من الأذى و المكروه الذى كان ينزل بهم من قومه، لأنه بذلک دعا ربه فأجابه. و قيل: الذين نجوا مع نوح شيعته.
و قوله (وَ جَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ) قال ابن عباس و قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح بعد نوح. و قال قوم: العجم و العرب أولاد سام بن نوح و الترک و الصقالبة و الخزر أولاد يافث بن نوح، و السودان أولاد حام ابن نوح.
و قوله (وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ) قيل فى معناه قولان:
قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: (وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ) يعنى ذكراً جميلا، و أثنينا عليه فى أمة محمد. و معنى (تركنا) أبقينا، فحذف، فيكون (سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِى الْعالَمِينَ) من قول اللّه على غير جهة الحكاية.
الثانى- قال الفَراء: تركنا عليه قولا هو أن يقال فى آخر الأمم: سلام على نوح فى العالمين.
ثم قال (إِنَّا كَذلِکَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ) كما فعلنا بنوح من الثناء الجميل، مثل ذلک نجزى من احسن أفعاله و تجنب المعاصى.

إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (82) وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْراهِيمَ (83) إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84) إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما ذا تَعْبُدُونَ (85)
أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86) فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ (87) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (90)
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 507
عشر آيات.
هذا رجوع من اللَّه تعالى إلى ذكر وصف نوح بأنه كان (مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) الذين يصدقون بتوحيد اللَّه و وعده و وعيده و جميع أخباره. و العباد جمع عبد، و هو الذليل لملكه بالعبودية. و الخلق كلهم عباد اللَّه فمنهم عابد له و منهم عابد لغيره تضييعاً منهم لحق نعمه و جهلا بما يجب له عليهم. و المؤمن هو المصدق بجميع ما أوجب اللَّه عليه او ندبه اليه. و قال قوم: هو العامل بجميع ما أوجب اللَّه عليه العامل بما يؤمنه من العقاب.
ثم اخبر تعالى انه أغرق الباقين من قوم نوح بعد إخلاصه نوحاً و أهله المؤمنين. ثم قال (وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْراهِيمَ) فالشيعة الجماعة التابعة لرئيس لهم، و صاروا بالعرف عبارة عن شيعة على عليه السلام الذين معه على أعدائه.
و قيل من شيعة نوح إبراهيم يعنى إنه على منهاجه و سنته فى التوحيد و العدل و اتباع الحق. و قال الفراء: معناه و إن من شيعة محمد صلى اللَّه عليه و آله لإبراهيم، كما قال (أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ) «1» أى ذرية من هو أب لهم، فجعلهم ذرية لهم و قد سبقوهم، و قال الحسن: معناه على دينه و شريعته و منهاجه، قال الرمانى:
هذا لا يجوز، لأنه لم يجر لمحمد ذكر، فهو ترک الظاهر. و
قد روى عن اهل

---

(1) سورة 36 يس آية 41. [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 508
البيت عليهم السلام إن من شيعته على لإبراهيم.
و هذا جائز إن صح الخبر المروى فى هذا الباب، لأن الكناية عمن لم يجر له ذكر جائزة إذا اقترن بذلک دليل، كما قال (حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ) «1» و لم يجر للشمس ذكر و يكون المعنى انه على منهاجه و طريقته فى اتباع الحق و العدول عن الباطل، و كان ابراهيم و على عليهما السلام بهذه المنزلة.
و قوله (إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) معناه حين جاء إلى الموضع الذى أمره اللَّه

بالرجوع اليه بقلب سليم عن الشرک برىء من المعاصى فى الوقت الذى قال لأبيه و قومه حين رآهم يعبدون الأصنام من دون اللَّه على وجه التهجين لفعلهم و التقريع لهم (ما ذا تعبدون) أى ايّ شىء تعبدون من هذه الأصنام التى لا تنفع و لا تضر، و قال لهم (أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) فالافک هو اشنع الكذب و أفظعه، و الافک قلب الشىء عن جهته التى هى له، فلذلک كان الافک كذباً. و إنما جمع الآلهة مع أنه لا إله إلا إله واحد. على اعتقادهم فى الالهية. و إن كان توهمهم فاسداً، لما اعتقدوا أنها تستحق العبادة، و كان المشركون قد او غروا باتخاذ الآلهة إلى ان جاء دين الإسلام و بين الحق فيه و عظم الزجر.
و قوله (دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) معناه إنكم أ تريدون عبادة آلهة دون عبادة اللَّه، فحذف المضاف و أقام المضاف اليه مقامه، كما قال (وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ) «2» أى أهلها، لان الارادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه. و هذه الأجسام ليست مما يحدث، فلا يصح إرادتها.
و قوله (فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ) قيل: معناه أى شىء ظنكم به أسوء

---

(1) سورة 38 ص آية 32.
(2) سورة 12 يوسف آية 82.

ظن؟! و قيل معنى (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ) أى انه استدل بها على وقت حمى كانت تعتاده (فَقالَ إِنِّى سَقِيمٌ) و من أشرف على شىء جاز أن يقال انه فيه، كما قال تعالى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) «1» و لم يكن نظره فى النجوم على حسب المنجمين طلباً للاحكام، لان ذلک فاسد، و مثله قول الشاعر:

اسهرى ما سهرت أم حكيم و اقعدى مرة لذلک و قومى
و افتحى الباب فانظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم

و قال الزجاج نظره فى النجوم كنظرهم، لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم فتوهموا هم أنه يقول مثل قولهم، فقال عند ذلک (إنى سقيم) فتركوه ظناً منهم أن نجمه يدل على سقمه. و قال ابو مسلم: معناه إنه نظر فيها نظر مفكر فاستدل بها على أنها ليست آلهة له، كما قال تعالى فى سورة الأنعام (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّى ...) تمام الآيات «2» و كان هذا منه فى زمان مهلة النظر. و هذا الذى ذكره يمنع منه سياق الآية، لان اللَّه تعالى حكى عن ابراهيم أنه (جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) يعنى سليم من الشرک، و ذلک لا يليق بزمان مهلة النظر. ثم أنه قال لقومه على وجه التقبيح لفعلهم (ما ذا تَعْبُدُونَ أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ. فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ) و هذا كلام عارف باللَّه مستبصر، و كيف يحمل على زمان مهلة النظر. و قيل: فى معنى قوله (إنى سقيم) إنى سقيم القلب مما أرى من

أحوالكم القبيحة من عبادة غير اللّه و عدولكم عن عبادته مع وضوح الأدلة الدالة على توحيده و استحقاقه للعبادة منفرداً بها. و قيل: إنه كان عرضت له

---

(1) سورة 39 المزمل آية 30.
(2) سورة 6 الانعام آية 76.

علة فى الحال، و كان صادقاً فى ذلک. و قيل: معناه إن عاقبتى الموت، و من كان عاقبته الموت جاز أن يعبر عن حال حياته بأنه مريض. و قيل: معناه إنى سأسقم فى المستقبل، و قيل: إنه أراد بقوله: سقيم مطعون، فلذلک تركوه خوفاً من أن يتعدى اليهم الطاعون.
فأما من قال: إنه لم يكن سقيماً و إنما كذب فيه ليتأخر عن الخروج معهم إلى عيدهم لتكسير أصنامهم و انه يجوز الكذب فى المكيدة و التقية، فقوله باطل، لان الكذب قبيح لا يحسن على وجه.
فأما ما يرونه من
أن النبى صلى اللَّه عليه و آله قال (ما كذب أبى إبراهيم الا ثلاث كذبات يحاجز بها عن ربه: قوله إنى سقيم و لم يكن كذلک، و قوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا) و قوله فى سارة انها أختى و كانت زوجته).
فأول ما فيه أنه خبروا احد لا يعول عليه. و النبى صلى اللَّه عليه و آله أعرف بما يجوز على الأنبياء و ما لا يجوز من كل واحد، و قد دلت الأدلة العقلية على أن الأنبياء لا يجوز أن يكذبوا فى ما يؤدونه عن اللَّه من حيث أنه كان يؤدى إلى ان لا يوثق بشىء من اخبارهم و إلى أن لا ينزاح علة المكلفين، و لا فى غير ما يؤدونه عن اللَّه من حيث أن تجويز ذلک ينفر عن قبول قولهم، فإذاً يجب ان يقطع على ان الخبر لا أصل له. و لو سلم لجاز أن يكون المعنى مع ظاهره مظاهر للكذب، و إن لم يكن فى الحقيقة كذلک، لان قوله (إنى سقيم) قد بينا الوجه فيه. و قوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ) بيناه فى موضعه. و قوله فى سارة إنها اختى معناه إنها اختى فى الدين، و قد قال اللَّه تعالى إنما المؤمنون أخوة، و إن لم يكونوا بنى أب واحد.
و قوله (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) اخبار منه تعالى أنه حين قال لهم إنى التبيان

سقيم أعرضوا عنه و تركوه و خرجوا إلى عيدهم و هو متخلف عنهم.

فَراغَ إِلى آلِهَتِهِمْ فَقالَ أَ لا تَأْكُلُونَ (91) ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ (92) فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ (93) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (94) قالَ أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ (95) وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ (96) قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) فَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98) وَ قالَ إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100)
فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (101)
احدى عشر آية.
قرأ حمزة و المفضل عن عاصم (يزفون) بضم الياء. الباقون بفتحها، و هما لغتان. و زففت اكثر. و يجوز أن يكون المراد زفّ الرجل فى نفسه و أزف غيره، و التقدير فأقبلوا اليه يزفون أنفسهم.
قوله (فَراغَ إِلى آلِهَتِهِمْ) معناه مال إليها بحدة، تقول: راغ يروغ روغاً و روغاناً مثل حاد يحيد حيداً و حيداناً، و الرّواغ الحياد، قال عدى ابن زيد:
حين لا ينفع الرواغ و لا ينفع إلا الصادق النحرير «1»
.
_____
(1) تفسير الطبرى 23/ 41.

و إنما مال اليها بحدة غضباً على عابديها، و قوله (إلى آلهتهم) معناه إلى ما يدعون أنها آلهتهم أى إلى ما اتخذوها آلهة لهم، كما تقول. للمبطل: هات حجتك مع علمك انه لا حجة له.
و قوله (فَقالَ أَ لا تَأْكُلُونَ) إنما جاز ان يخاطب الجماد بذلك تهجينا لعابديها و تنبيها على أن من لا يتكلم و لا يقدر على الجواب كيف تصح عبادتها، فاجراها مجرى من يفهم الكلام و يحسن ذكر الجواب استظهاراً فى الحجة و إيضاحاً للبرهان، لكل من سمع ذلك و يبلغه. و قوله (ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ) معناه تهجينا لعابديها كأنهم حاضرون بها. و قوله (فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ) قيل فى معناه قولان:
أحدهما- انه مال عليهم بيده اليمنى، لأنها أقوى على العمل من الشمال.
الثانى- بالقسم ليكسرنها، لأنه كان قال (وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ) «1» و قال الفراء: اليمين القوة، و منه قول الشاعر:
[إذ ما راية رفعت لمجد] تلقاها عرابة باليمين «2»
أى بالقوة. و قوله (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ) قال ابن زيد: معناه يسرعون.
و قال السدى: يمشون. و قيل: يتسللون بحال بين المشىء و العدو، و منه زفت النعامة، و ذلك أول عدوها، و هو بين العدو و المشى، و قال الفرزدق:
و جاء فزيع الشول قبل أوانها تزف و جاءت خلفه و هى زفف «3»

و منه زففت العروس إلى زوجها، و معنى يزفون يمشون على مهل، قال الفراء: لم أسمع إلا زففت، قال و لعل من قرأ بالضم أراد من قولهم طردت الرجل إذا أخسأته

---

(1) سورة 21 الأنبياء آية 57.
(2) تفسير القرطبى 15/ 75.
(3) تفسير الطبرى 23/ 42 و القرطبى 15/ 95.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 513
و اطردته جعلته طريداً. و قرأ بعضهم (يزفون) يفتح الياء و تخفيف الفاء من (وزف، يزف) قال الكسائى و الفراء: لا اعرف هذه إلا أن يكون أحدهم سمعها. فلما رآهم ابراهيم صلى اللّه عليه و آله اقبلوا عليه قال لهم على وجه الإنكار عليهم و التبكيت لهم بفعلهم (أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ) فالالف ألف الاستفهام و معناها الإنكار و وجه التوبيخ انه كيف يصح أن يعبد الإنسان ما يعمله بيده!، فإنهم كانوا ينحتون الأصنام بأيديهم، فكيف تصح عبادة من هذه حاله مضافاً إلى كونها جماداً!. ثم نبههم فقال (وَ اللَّهُ) تعالى هو الذى (خلقكم) و خلق الذى (تعملون) فيه من الأصنام، لأنها أجسام و اللّه تعالى هو المحدث لها، و ليس للمجبرة أن تتعلق بقوله (وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ) فتقول: ذلک يدل على ان اللّه خالق لأفعالنا، لأمور:
أحدها- ان موضوع كلام ابراهيم لهم بنى على التقريع لهم لعبادتهم الأصنام، و لو كان ذلک من فعله تعالى لما توجه عليهم العيب، بل كان لهم ان يقولوا: لم توّبخنا على عبادتنا للأصنام و اللّه الفاعل لذلک، فكانت تكون الحجة لهم لا عليهم.
الثانى- انه قال لهم (أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ) و نحن نعلم أنهم لم يكونوا يعبدون نحتهم الذى هو فعلهم، و إنما كانوا يعبدون الأصنام التى هى الأجسام و هى فعل اللّه بلا شک. فقال لهم (وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ) و خلق هذه الأجسام.
و مثله قوله (فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ) «1» و مثله قوله (وَ أَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا) «2» و عصا موسى لم تكن تلقف إفكهم، و إنما

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 116.
(2) سورة 20 طه آية 69.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 514
كانت تتلقف الأجسام التى هى العصا و الحبال.
و منها ان (ما) فى قوله (و ما تعملون) لا يخلو من ان تكون بمعنى (الذى) او تقع مع بعدها بمنزلة المصدر، فان كانت بمعنى (الذى) ف (تعملون) صلتها، و لا بد لها من عائد يعود اليها، فليس لهم أن يقدروا فيها ضميراً لها

ليصح ما قالوه، لان لنا أن نقدر ضميراً فيه فيصح ما نقوله، و يكون التقدير: و ما يعملون فيه، و الذى يعملون فيه هى الأجسام و إن كانت مصدرية فانه يكون تقديره: و اللّه خلقكم و عملكم، و نفس العمل يعبر به عن المعمول فيه بل لا يفهم فى العرف إلا ذلک، يقال فلان يعمل الخوص، و فلان يعمل السروج، و هذا الباب من عمل النجار، و الخاتم من عمل الصانع، و يريدون بذلک كله ما يعملون فيه، فعلى هذا تكون الأوثان عملا لهم بما يحدثون فيها من النحت و النجر، على أنه تعالى أضاف العمل اليهم بقوله (وَ ما تَعْمَلُونَ) فكيف يكون ما هو مضاف اليهم مضافا إلى اللّه تعالى و هل يكون ذلک إلا متناقضاً.

و منها أن الخلق فى أصل اللغة هو التقدير للشىء و ترتيبه، فعلى هذا لا يمتنع أن نقول: إن اللّه خالق أفعالنا بمعنى أنه قدرها للثواب و العقاب، فلا تعلق للقوم على حال.

ثم حكى تعالى ما قال قوم إبراهيم بعضهم لبعض فإنهم (قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً) قيل: انهم بنوا له شبه الحظيرة. و قيل مثل التنور و أججوا ناراً ليلقوه فيها. و البناء وضع الشىء على غيره على وجه مخصوص، و يقال لمن رد الفرع إلى الأصل بناه عليه (فَأَلْقُوهُ فِى الْجَحِيمِ) بمعنى اطرحوه فى النار التى اججوها له. و الجحيم عند العرب النار التى تجتمع بعضها على بعض. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 515

ثم اخبر تعالى ان كفار قوم ابراهيم انهم (فَأَرادُوا بِهِ كَيْداً) و حيلة و هو ما أرادوا من إحراقه بالنار (فَجَعَلْناهُمُ الْأَسْفَلِينَ) بأن اهلكهم اللّه و نجا ابراهيم و قيل منع اللّه- عز و جل- النار منه بل صرفها فى خلاف جهته، فلما أشرفوا على ذلک علموا انهم لا طاقة لهم به.

ثم حكى ما قال ابراهيم حين أرادوا كيده، فانه قال (إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّى) و معناه إلى مرضات اللّه ربى بالمصير إلى المكان الذى أمرنى ربى بالذهاب اليه. و قيل: إلى الأرض المقدسة و قيل إلى ارض الشام. و قال قتادة: معناه (إِنِّى ذاهِبٌ إِلى رَبِّى) أى بعملى و نيتى، و معنى (سيهدين) يعنى يهدينى فى ما بعد الى الطريق الذى أمرنى بالمصير اليه أو الى الجنة بطاعتى إياه.

ثم دعا ابراهيم ربه فقال (رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّالِحِينَ) يعنى ولداً صالحاً من الصالحين، كما تقول: أكلت من الطعام، و حذف لدلالة الكلام عليه، فأجابه اللّه تعالى إلى ذلک و بشره بغلام حليم اى حليماً لا يعجل فى الأمور قبل وقتها، و فى ذلک بشارة له على بقاء الغلام حتى يصير حليماً.

و قال قوم: المبشر به إسحاق و قال آخرون إسماعيل، و نذكر خلافهم فى ذلک فى ما بعد.

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّی أَری فِی الْمَنامِ أَنِّی أَذْبَحُکَ فَانْظُرْ ما ذا تَری قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِی إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَما وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (106) وَ فَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِی الْآخِرِينَ (108) سَلامٌ عَلی إِبْراهِيمَ (109) كَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111)

التبيان فی تفسير القرآن، ج8، ص: 516

عشر آيات.

قرأ اهل الكوفة إلا عاصما (ما ذا ترى) بضم التاء و كسر الراء.

الباقون بفتح التاء. من ضم التاء أراد ما ذا تشير، و قال الفراء: يجوز ان يكون المراد ما ذا ترى من صبرک و جلدک، لأنه لا يستشيره فی أمر اللّه.

و أصله ترئی فنقلوا كسرة الهمزة إلى الراء، و حذفت الهمزة لسكونها و سكون الياء و من فتح جعله من الرأی و الرؤية، لا من المشورة.

لما اخبر اللّه تعالى انه أجاب دعوة إبراهيم فی طلب الولد و بشره بولد حليم اخبر ان من وعده به ولد له و كبر و ترعرع، فلما بلغ مع أبيه السعی يعنی فی طاعة اللّه، قال الحسن سعی للعمل الذی تقوم به الحجة. و قال مجاهد:

بلغ معه السعی. معناه أطاق ان يسعی معه و يعينه على أموره، و هو قول الفراء قال: و كان له ثلاث عشرة سنة، و قال ابن زيد: السعی فی العبادة (قال يا بنی انی أری فی المنام إنی أذبحک فانظر ما ذا ترى) و كان اللّه تعالى أوحى إلى ابراهيم فی حال اليقظة، و تعبده أن يمضی ما يأمره فی حال نومه من حيث ان منامات الأنبياء لا تكون إلا صحيحة، و لو لم يأمره

التبيان فی تفسير القرآن، ج8، ص: 517

به فی اليقظة لما جاز أن يعمل على المنامات، أحب ان يعلم حال ابنه فی صبره على أمر اللّه و عزيمته على طاعته. فلذلک قال له ما ذا ترى، و إلا فلا يجوز أن يؤامر فی المضی فی امر اللّه إبنه، لأنه واجب على كل حال.

و لا يمتنع ايضاً أن يكون فعل ذلک بأمر اللّه أيضاً، فوجده عند ذلک صابراً مسلماً لأمر اللّه. (و قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ) ای ما أمرت به (سَتَجِدُنِی إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) ممن يصبر على الشدائد فی حب اللّه و يسلم أمره اليه (فلما أسلما) يعنی ابراهيم و ابنه ای استسلما لأمر اللّه و رضيا به أخذ ابنه (و تله للجبين) معنى تله صرعه. و الجبين ما عن يمين الجبهة او شمالها و للوجه جبينان الجبهة بينهما. و قال الحسن: معنى و تله أضجعه

للجبين. و منه التل من التراب و جمعه تلول. و التليل العنق، لأنه يتل له، (وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ) و (ناديناه) هو جواب (فلما) قال الفراء: العرب تدخل الواو فى جواب (فلما) و (حتى) و (إذا) كما قال (حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها) «1» و فى موضع آخر (و فتحت) «2» و فى قراءة عبد اللّه (فلما جهزهم بجهازهم و جعل السقاية) «3» و فى المصاحف (جعل) بلا واو و موضع ان نصب بوقوع النداء عليه و تقديره و ناديناه بأن يا ابراهيم أى هذا الضرب من القول فلما حذف الباء نصب. و عند الخليل انه فى موضع الجر (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا) و معناه فعلت ما أمرت به فى الرؤيا و اختلفوا فى الذبيح. فقال ابن عباس و عبد اللّه بن عمر و محمد بن كعب القرطى و سعيد ابن المسيّب و الحسن فى احدى الروايتين عنه و الشعبى:
انه كان إسماعيل و هو الظاهر فى روايات أصحابنا.
و يقويه قوله بعد هذه القصة و تمامها

(1، 2) سورة 39 الزمر آية 71، 73.
(3) سورة 12 يوسف آية 70.

(وَ بَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) فدل على ان الذبيح كان إسماعيل.
و من قال: إنه بشر بنبوة إسحاق دون مولده، فقد ترك الظاهر لان الظاهر يقتضى البشارة بإسحاق دون نبوته، و يدل ايضاً عليه قوله (فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ) و لم يذكر إسماعيل، فدل على انه كان مولوداً قبله و ايضاً فانه بشره بإسحاق و انه سيولد له يعقوب، فكيف يأمره بذبحه مع ذلك. و أجابوا عن ذلك بأن الله لم يقل إن يعقوب يكون من ولد إسحاق. و قالوا ايضاً يجوز أن يكون أمره بذبحه بعد ولادة يعقوب، و الاول هو الأقوى على ما بيناه. و
قد روى عن النبى صلى اللّه عليه و آله انه قال: انا ابن الذبيحين
، و لا خلاف انه كان من ولد إسماعيل و الذبيح الآخر عبد الله أبوه. و روى عن ابن عباس و على و ابن مسعود و كعب الأحبار
انه كان إسحاق. و روى ذلك ايضاً فى اخبارنا.
و فى الناس من استدل بهذه الآية على جواز النسخ قبل وقت فعله من حيث ان الله تعالى كان قد أمره بذبح ولده ثم نسخ عنه قبل ان يفعله، و لا يمكننا ان نقول ان الوقت كان قد مضى، لأنه لو أخره عن الوقت الذى أمره به فيه لكان عاصياً، و لا خلاف أن ابراهيم لم يعص بذلك، فدل على انه نسخ عنه قبل وقت فعله.
و من لم يجز النسخ قبل وقت فعله أجاب عن ذلك بثلاثة أجوبة:
أحدها- ان اللّه تعالى أمر ابراهيم ان يقعد منه مقعد الذابح و يشدّ يديه و رجليه و يأخذ المدية و يتركها على حلقه و ينتظر الأمر بإمضاء الذبح على ما

رأى فى منامه و كل ذلک فعله، و لم يكن أمره بالذبح، و إنما سمى مقدمات الذبح بالذبح لقربه منه و غلبة الظن انه سيؤمر بذلک على ضرب من المجاز. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 519
الثانى- أنه إنما أمره بالذبح و ذبح، و كل ما فرى جزء من حلقه وصله الله بلا فصل حتى انتهى إلى آخره فاتصل به، وصله الله تعالى، فقد فعل ما أمر به و لم يبن الرأس و لا انتفى الروح.
الثالث- انه امر بالذبح بشرط التخلية و التمكين، فكان كما
روى انه كلما أعمد بالشفرة انقلبت و جعل على حلقه صفحة من نحاس
، و هذا الوجه ضعيف، لان الله تعالى لا يجوز ان يأمر بشرط، لأنه عالم بالعواقب، و إنما يأمر الواحد منا بشرط ذلک لأنه لا يعلم العواقب، و لان فيه انه أمر بما منع منه و هذا عيب فاما قول من قال: إنه فداه بذبح، فدل ذلک على انه كان مأموراً بالذبح على الحقيقة، اعتراضاً على الوجه الأول، لان من شأن الفداء أن يكون من جنس المفدى، فليس بشىء، لأنه لا يلزم ذلک الا ترى ان من حلق رأسه و هو محرم يلزمه ذلک، و كذلک إذا لبس ثوباً مخيطاً او شم طيباً او جامع. و إن لم يكن جميع ذلک من جنس المفدى.
و قوله (إِنَّا كَذٰلِکَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ) معناه إنا جازينا ابراهيم على فعله بأحسن الجزاء. و مثل ذلک نجزى كل من فعل طاعة، فانا نجازيه على فعله بأحسن الجزاء.
ثم اخبر تعالى بأن هذا الذى تعبد به إبراهيم هو البلاء المبين أى الاختبار الظاهر و قيل: هو النعمة البينة الظاهرة، و تسمى النعمة بلاء و النقمة ايضاً بلاء من حيث انها سميت بسببها المؤدى اليها، كما يقال لأسباب الموت هو الموت بعينه (و المبين) هو البين فى نفسه الظاهر، و يكون بمعنى الظاهر، و يكون بمعنى المظهر ما فى الأمر من خير او شر.
ثم قال تعالى (و فديناه) يعنى ولد إبراهيم (بذبح عظيم) فالفداء جعل التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 520
الشىء مكان غيره لدفع الضرر عنه، و منه فداء المسلمين بالمشركين لدفع ضرر الأشد عنهم، فكذلک فداء اللّه ولد إبراهيم بالكبش لدفع ضرر الذبح عنه.
و العظيم هو الكبير. و قيل: لان الكبش الذى فدى به يصغر مقدار غيره من الكباش عنه بالاضافة اليه. و قال ابن عباس: فدى بكبش من الغنم. و هو قول مجاهد و الضحاک و سعيد بن جبير. و قال الحسن: فدى بوعل أهبط به عليه جبرائيل. و قيل: إنه لا خلاف انه لم يكن من الماشية التى كانت لإبراهيم او غيره فى الدنيا. و قيل: إنه رعى فى الجنة أربعين خريفاً. و قال مجاهد:
وصفه بأنه عظيم، لأنه متقبل. و الذبح بكسر الذال المهيأ، لان يذبح. و بفتح الذال المصدر.

و قوله (وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ) يعنى على إبراهيم فى الآخرين يعنى أثبتنا عليه الثناء الحسن فى أمة محمد لأنهم آخر الأمم بأن قلنا (سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ) و قد بينا ما فى ذلک ثم قال مثل ذلک نجزى كل محسن، فاعل لما أمر اللّه به كما جازينا ابراهيم صلى اللّه عليه و آله.
ثم أخبر تعالى ان إبراهيم كان من جملة عباده الذين يصدقون بتوحيد الله و بجميع ما أوجبه عليهم، و من جملة المصدقين بوعد الله و وعيده و البعث و النشور و الجنة و النار. و انما قال (إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) مع انه أفضل المؤمنين ترغيباً فى الايمان بأن مدح مثله فى جلالته بأنه من المؤمنين، كما يقال هو من الكرماء و كذلک قوله (وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) «1» و إذا مدح بأنه يصلح وحده فلأنه لا يقوم غيره مقامه و يستغنى به عنه.

_____

(1) سورة 3 آل عمران آية 39.

وَ بَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112) وَ بارَكْنا عَلَيْهِ وَ عَلى إِسْحاقَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِما مُحْسِنٌ وَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (113) وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلى مُوسى وَ هارُونَ (114) وَ نَجَّيْناهُما وَ قَوْمَهُما مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (115) وَ نَصَرْناهُمْ فَكانُوا هُمُ الْغالِبِينَ (116)
وَ آتَيْناهُمَا الْكِتابَ الْمُسْتَبِينَ (117) وَ هَدَيْناهُمَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (118) وَ تَرَكْنا عَلَيْهِما فِي الْآخِرِينَ (119) سَلامٌ عَلى مُوسى وَ هارُونَ (120) إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (121)
إِنَّهُما مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (122)
احدى عشرة آية.
يقول اللَّه تعالى بعد ان ذكر قصة ابراهيم و ولده الذى اخبر اللَّه بذبحه على ما فسرناه، بشره بإسحاق ولداً له آخر، نعمة عليه مجددة لما فعل من المسارعة إلى ما أمره اللَّه به و صبره على احتمال المشقة فيه، و بين انه نبياً من الصالحين، و أنه بارك عليه يعنى على يعقوب و على إسحاق و خلق من ذريتهما الخلق الكثير، فمنهم محسن بفعل الطاعات و منهم ظالم لنفسه بارتكاب المعاصى بسوء اختياره، مبين أى بين ظاهر.
ثم اقسم تعالى بأنه منّ على موسى و هارون أى أنعم عليهما نعمة قطعت عنهما التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 522
كل أذية، فأصل المّن القطع من قوله (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) «1» أى غير مقطوع، و حبل منين متقطع و المنية الموت، لأنها قاطعة عن تصرف الحى و البركة ثبوت الخير النامى على مرور الأوقات فبركته على إبراهيم و إسحاق باللطف فى دعائهما إلى الحق، و بالخبر عن أحوال جليلة فى التمسك بطاعة اللَّه (وَ نَجَّيْناهُما وَ قَوْمَهُما) و معناه إنا خلصنا موسى و هارون، و من كان آمن بهما (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أى الأذى الذى كان يؤذونهم بأن أهلك اللَّه فرعون و قومه و غرقهم (وَ نَصَرْناهُمْ) يعنى موسى و هارون و قومهما، (فَكانُوا هُمُ الْغالِبِينَ) لاعدائهم بالحجج الظاهرة و بالقهر، من حيث أن اللَّه غرق أعداءهم (و آتيناهما) يعنى موسى و هارون (الْكِتابَ الْمُسْتَبِينَ) يعنى التوراة الداعى إلى ما فيه من البيان بالمحاسن التى تظهر منه فى الاستماع، فكل كتاب لله بهذه الصفة من ظهور الحكمة فيه (وَ هَدَيْناهُمَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ) يعنى أرسلنا موسى و هارون و دللناهما على الطريق المؤدى إلى الحق الموصل إلى الجنة بإخلاص الطاعة لله تعالى. و قال قتادة: الطريق المستقيم الإسلام (وَ تَرَكْنا عَلَيْهِما فِي الْآخِرِينَ) أى الثناء الجميل. بأن قلنا (سَلامٌ عَلى مُوسى وَ هارُونَ) كما قلنا (سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ) «2».

ثم اخبر تعالى ان مثل ما فعل لهما يفعل بالمحسنين المطيعين و يجزيهم بمثل ذلک على طاعاتهم، و دل ذلک على ان ما ذكره الله كان على وجه الثواب على الطاعات لموسى و هارون و من تقدم ذكره، لأن لفظ الجزاء يفيد ذلک. ثم اخبر ان موسى من جملة عباده المصدقين بجميع ما أوجبه الله عليهم العالمين بذلک.

---

(1) سورة 95 التين آية 6. [.....]
(2) آية 79 من هذه السورة.

وَ إِنَّ إِلْياسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ لا تَتَّقُونَ (124) أَ تَدْعُونَ بَعْلاً وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخالِقِينَ (125) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَ رَبَّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (126) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (127)
إِلاَّ عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (128) وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (129) سَلامٌ عَلى إِلْياسِينَ (130) إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (131) إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (132)
عشر آيات.
قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر (اللَّه ربكم و رب آبائكم) نصباً. الباقون بالرفع. من نصب جعله بدلا من قوله (أَحْسَنَ الْخالِقِينَ) و من رفع استأنف الكلام، و قرأ نافع و ابن عامر و يعقوب (سلام على آل ياسين) على إضافة (آل) إلى (ياسين). الباقون (على إلياسين) موصولة. من أضاف أراد به على آل محمد صلى اللَّه عليه و آله لأن (يس) اسم من اسماء محمد على ما حكيناه. و قال بعضهم: أراد آل الياس عليه السلام. و قال الجبائى أراد أهل القرآن، و من لم يضف أراد الياس. و قال: الياسين، لان العرب تغير الأسماء العجمية بالزيادة كما يقولون: ميكائيل و ميكائين، و ميكال و ميكائل، و فى أسماعيل اسماعين قال الشاعر:
يقول اهل السوق لما جينا هذا و رب البيت اسرائينا «1»

---

(1) تفسير الطبرى 23/ 55.

و فى قراءة عبد اللَّه (و إن إدريس لمن المرسلين سلام على إدراسين) و قيل أيضاً إنه جمع، لأنه أراد الياس و من آمن معه من قومه، و قال الشاعر:
قدنى من نصر الخبيبين قدى «1»
فجعل ابن الزبير أبا خبيباً و من كان على رأيه عدداً و لم يضفهم بالياء فيقول: خبيبين، فخفف فى الشعر مثل الأشعرين، و كما قالوا: سيرة العمرين و خير الزهدمين، و إنما أحدهما زهدم و الآخر كردم. و قال قوم: تقديره على (آل ياسين) فخفف، لأنه أراد الياساً و قومه، كما قالوا: الأشعرون و المهليون. قال الشاعر:
انا ابن سعد أكرم السعدينا
و كلهم قرأ (و إن الياس) بقطع الهمزة إلا ان أبا عامر، فانه فصل الهمزة و أسقطها فى الدرج، فإذا ابتدأ فتحها، قال ابو على النحوى: يجوز أن يكون حذف الهمزة حذفاً، كما حذفها ابو جعفر فى قوله (إِنَّها لَإِحْدَى الْكُبَرِ) «2» و يحتمل أن تكون الهمزة التى تصحب لام التعريف، و هى تسقط فى الدرج،

و أصله (ياس).
اخبر اللَّه تعالى أن الياس من جملة من أرسله اللَّه إلى خلقه نبياً داعياً إلى توحيده و طاعته حين (قالَ لِقَوْمِهِ أَ لا تَتَّقُونَ) اللَّه بترک معاصيه و فعل طاعاته، فاللفظ لفظ الاستفهام و المراد به الإنكار، كما يقول القائل ألا تتقى الله يا فلان في أن تظلم أو تزنى، و ما أشبه ذلک، و إنما يريد بذلک الإنكار. ثم قال لهم (أَ تَدْعُونَ بَعْلًا) قال الحسن و الضحاک و ابن زيد: المراد بالبعل- هاهنا- صنم كانوا يعبدونه، و البعل فى لغة اهل اليمن هو

---

(1) تفسير القرطبى 15/ 118.
(2) سورة 74 المدثر آية 35.

الرب، يقولون من بعل هذا الثوب أى من ربه- و هو قول عكرمة و مجاهد و قتادة و السدى- و يقولون: هو بعل هذه الدابة أى ربها، كما يقولون: رب الدار و رب الفرس، و زوج المرأة بعلها، و النخل و الزرع إذا استقى بماء السماء فهو بعل، و هو العذى، خلاف السقى. و الأصل فى الرب المالک فالزوج رب البضع، لأنه مالكه.
و معنى الآية أ تدعون بالالهية صنماً عادلين عن أحسن الخالقين، و هذا إنكار عليهم أن يعتقدوا أن غير الله إله او يقولون لغيره يا إلهى. و قال قتادة: الياس و هو إدريس، و قال ابن إسحاق: هو من ولد هارون، و هو اسم نبى و هو أعجمى، فلذلک لم ينصرف، و لو جعل (افعالا) من الاليس و هو الشجاع الجرىء لجاز.
ثم بين لهم الذى هو أحسن الخالقين، فقال (اللَّهَ رَبَّكُمْ الذى خلقكم وَ رَبَّ آبائِكُمُ) أى الذى دبركم و خلقكم، و خلق آباءكم (الأولين) يعنى من مضى من آبائكم و أجدادكم.
ثم حكى ان قومه كذبوه و لم يصدّقوه، و أن الله أهلكهم و أنهم لمحضرون عذاب النار. ثم استثنى من جملتهم عباده الذين أخلصوا عبادتهم لله و بين انه أثنى عليهم فى آخر الأمم بأن قال (سلام على آل ياسين) و آل محمد صلى اللَّه عليه و آله هم كل من آل اليه بحسب او بقرابة، و قال قوم: آل محمد كل من كان على دينه، و لا خلاف بين النحويين أن اصل (آل) اهل فغلبوا الهاء همزة و جعلوها مدة لئلا يجتمع ساكنان، ألا ترى أنک إذا صغرت قلت أهيل و لا يجوز أويل، لأنه رد الى الأصل لا إلى اللفظ.
و قوله (ا فلا تعقلون) معناه تتدبرون و تتفكرون فى ما نزل بهؤلاء التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 526
القوم و تعتبرون به لتجتنبوا ما كانوا يفعلونه من الكفر و الضلال. و فى قوله (لمحضرون) حذف، لان تقديره فإنهم لمحضرون العقاب و اليم العذاب لتكذيبهم و الجزاء بما تقتضيه الحكمة فيهم. و هذا الإبهام تغليظ فى الوعيد

بالعذاب، لأنه لعظمه معلوم لا يخفى أمره، و وجه الحجة عليهم فى قوله (وَ رَبَّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) انه إذا كان الرب واحداً وجب اخلاص العبادة لواحد، لأنه الذى يملک الضرر و النفع فى جميع الأمور، و ذلک يبطل عبادة الأوثان.
ثم قال كما جازينا هؤلاء بهذا الجزاء و هو ان أثنينا عليهم فى آخر الأمم مثل ذلک نجزى من فعل الطاعات و اجتنب المعاصى.
ثم اخبر ان الياس كان من جملة عباده المصدقين بجميع ما اخبر الله به من وعد و وعيد و غير ذلک، العاملين بما أوجب الله عليهم.

وَ إِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (133) إِذْ نَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (134) إِلاَّ عَجُوزاً فِي الْغابِرِينَ (135) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (136) وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (137)
وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (138) وَ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140) فَساهَمَ فَكانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (141) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ (142)
فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) فَنَبَذْناهُ بِالْعَراءِ وَ هُوَ سَقِيمٌ (145) وَ أَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (146) وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147)
فَآمَنُوا فَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ (148)
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 527
ست عشرة آية.
أخبر اللَّه تعالى أن لوطاً كان من جملة من أرسله اللَّه نبياً إلى خلقه داعياً لهم إلى طاعة اللَّه و منبهاً لهم على وجه وحدانيته، و إن قومه كذبوه و جحدوا نبوته فأهلكهم اللَّه و نجا لوطاً و أهله أجمعين، و استثنى من جملة اهله الناجين (عجوزاً) أهلكها اللَّه، لكونها على مثل ما كان قومه عليه (فى الغابرين) أى فى الباقين الذين اهلكوا، فالغابر الباقى قليلا بعد ما مضى، و منه الغبار، لأنه يبقى بعد ذهاب التراب قليلا. و التغيير التلحين لأنه يبقى الصوت فيه بالترديد قليلا، و منه قول الشاعر:
به غبر من دأبه و هو صالح
ثم انه لما نجى لوطاً و أهله و خلصهم، دمر الآخرين من قومه.
و التدمير الإهلاک على وجه التنكيل دمر عليهم إذا غير حالهم إلى حال التشويه، فالله تعالى أهلک قوم لوط بما أرسل عليهم من الحجارة، و بما فعل بهم من انقلاب قراهم.
و قوله (وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ)
توبيخ من الله للكفار الذين عاصروا النبى صلى اللَّه عليه و آله و تعنيف لهم على ترک اعتبارهم و إيقاظهم بمواضع هؤلاء الذين أهلكهم الله و دمر عليهم مع كثرة مرورهم التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 528
عليها صباحاً و مساء و ليلا و نهاراً. و فى كل وقت. و من كثر مرورهم بمواضع العبرة فلم يعتبر كان ألوم ممن قل ذلک منه.
و قوله (أ فلا تعقلون) معناه أ فلا تتدبرون فتتفكرون فى ما نزل بهؤلاء القوم من الكفر و الضلال. و قيل: وجه القصص و تكريرها، كتشويق إلى مثل ما كانوا عليه من مكارم الأخلاق و محاسن الأفعال و صرف الناس عن

مساوى الأخلاق و قبائح الأفعال قال الشاعر:
تلک المكارم لا قعبانٍ من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
ثم قال تعالى مخبراً عن يونس عليه السلام انه كان من جملة من أرسله الله الى خلقه و جعله نبياً يدعو الى توحيده و خلع الأنداد دونه.
و قوله (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ)
معناه حين هرب إلى السفن المملوءة، فالإباق الفرار، فالآبق الفار إلى حيث لا يهتدى اليه طالبه يقال:
أبق العبد يأبق أباقاً فهو آبق إذا فرّ من مولاه. و الآبق و الهارب و الفار واحد. قال الحسن: فر من قومه (إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ)
أى المحمل الموقر. و قوله (فساهم) قال ابن عباس معناه قارع. و هو قول السدى (فَكانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ)
قال مجاهد: يعنى من المسهومين، و المساهمة المقارعة، فلما ساهم يونس قومه وقع السهم عليه، فالقى فى البحر، فالتقمه الحوت، فكان من المدحضين، قال الحسن كان من المقروعين. و قيل:
معناه فكان من الملقين فى البحر، و الدحض الزلق لأنه يسقط عنه المار فيه.
و منه قوله (حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ) «1» أى ساقطة، و دحض يدحض دحضاً فهو داحض، و أدحضته ادحاضاً، و قيل: كان يونس عليه السلام قد توعدهم بالعذاب

---

(1) سورة 42 الشورى آية 16.

ان أقاموا على ما هم عليه، فلما رأوا مخايل العذاب و أماراته دعوا اللَّه أن يكشف عنهم و تابوا اليه، فكشفه. و كان يونس قد خرج قبل ان يأمره اللَّه- عز و جل- بالخروج من بين قومه استظهاراً، فلما كشف اللَّه عنهم لام نفسه على الخروج و مضى على وجهه إلى ان ركب البحر. و قيل: إنما تساهموا لأنهم أشرفوا على الغرق فرأوا ان طرح واحد أيسر من غرق الجميع. و قيل:
لا بل لما رأوا الحوت قد تعرضت لهم، قالوا فينا مذنب مطلوب فتقارعوا فلما خرج على يونس رموا به فى البحر فالتقمه الحوت. و معناه ابتلعه يقال التقمه التقاماً و لقم يلقم لقماً و تلقم تلقماً.
و قوله (وَ هُوَ مُلِيمٌ) معناه أتى بما يلام عليه، و إن وقع مكفراً عند من قال بتجويز الصغائر على الأنبياء، و عندنا قد يلام على ترک الندب، يقال ألام الرجل إلامة فهو مليم، و قال مجاهد و ابن زيد: المليم المذنب قال لبيد:
سفها عذلت و لمت غير مليم و هداک قبل اليوم غير حكيم «1»
ثم قال (فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال قتادة: كان من المصلين فى

حال الرخاء فنجاه اللّه من البلاء. و قال سعيد بن جبير: كان يقول لا إله إلا انت سبحانک إنى كنت من الظالمين، و التسبيح التنزيه عما لا يليق و لا يجوز فى صفته، و يقال: سبح اللّه يسبح تسبيحاً إذا قال: سبحان اللّه معظماً له بما هو عليه من صفات التعظيم نافياً عنه ما لا يليق به و لا يجوز عليه من صفات المخلوقين و المحتاجين.

_____

(1) مجاز القرآن 2/ 174 و اللسان (لوم).

و قوله (لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) إخبار منه تعالى انه لو لا تسبيح يونس لتركه اليه أى كان يبقى فى بطنه إلى يوم القيامة الذى يحشر اللّه فيه الخلائق، و قوله (فَنَبَذْناهُ بِالْعَراءِ وَ هُوَ سَقِيمٌ) إخبار منه تعالى انه لما أراد تخليصه طرحه بالعراء و هو الفضاء الذى لا يواريه شجر و لا غيره. قال الشاعر:

فرفعت رجلا لا أخاف عثارها و نبذت بالبلد العراء ثيابى «1»

و قال السدى: لبث فى بطن الحوت أربعين يوماً (وَ هُوَ سَقِيمٌ) أى هو مريض حين ألقاه الحوت.

ثم اخبر تعالى انه أنبت عليه شجرة من يقطين تكنه من حر الشمس.

و اليقطين كل شجرة ليس لها ساق يبقى من الشتاء إلى الصيف، فهى يقطين و قال ابن عباس و قتادة: هو القرع. و قال مجاهد و سعيد بن جبير كل شجر لا يقوم على ساق كالبطيخ و الدبا و القرع فهو يقطين. و هو تفعيل من قطن بالمكان إذا اقام إقامة زائل لا إقامة راسخ كالنخل و الزيتون و نحوه و القطانى من الحبوب التى تقيم فى البيت، قال أمية بن أبى الصلت.

فانبت يقطيناً عليه برحمة من اللّه لو لا الله القى ضاحياً «2»

و روى عن ابن عباس ان اليقطين كل شجرة لها ورق عريض. و قوله (وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) قيل: أرسل اللّه يونس الى أهل نينوى من أرض الموصل- فى قول قتادة- و قال ابن عباس: كانت رسالته بعد ما نبذه الحوت، فيجوز على هذا انه أرسل إلى قوم بعد قوم و يجوز أن يكون أرسل إلى الأولين بشريعة فآمنوا بها. و قيل: إن قوم يونس لما رأوا أمارات العذاب و لم يكونوا قد بلغوا حد الإجبار و اليأس من البقاء

_____

(1) مجاز القرآن 2/ 175 و اللسان (عمرا).

(2) تفسير الطبرى 23/ 59.

آمنوا، و قبل اللّه إيمانهم، لأنهم لو كانوا حصلوا فى العذاب لكانوا ملجئين و لما صح إيمانهم على وجه يستحق به الثواب.

و قوله (او يزيدون) قيل فى معنى (او) ثلاثة اقوال:

أحدها- ان تكون بمعنى الواو، و تقديره الى مائة الف و زيادة عليهم.
الثانى- ان تكون بمعنى (بل) على ما قال ابن عباس.
الثالث- ان تكون بمعنى الإبهام على المخاطبين، كأنه قال أرسلناه الى احدى العدتين. ثم حكى تعالى عنهم أنهم آمنوا باللّه و أقروا له بالوحدانية و راجعوا التوبة، و كشف اللّه عنهم العذاب و متعهم إلى وقت فناء آجالهم، فالتمتيع و الامتاع هو التعريض للمنافع الحاصلة كالامتاع بالبساتين و الرياض و شهى الطعام و الشراب.

فَاسْتَفْتِهِمْ أَ لِرَبِّکَ الْبَناتُ وَ لَهُمُ الْبَنُونَ (149) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِکَةَ إِناثاً وَ هُمْ شاهِدُونَ (150) أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْکِهِمْ لَيَقُولُونَ (151) وَلَدَ اللَّهُ وَ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ (152) أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ (153)
ما لَکُمْ کَيْفَ تَحْکُمُونَ (154) أَ فَلا تَذَکَّرُونَ (155) أَمْ لَکُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ (156) فَأْتُوا بِکِتابِکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِينَ (157) وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَ لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (158)
سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (159) إِلاَّ عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (160)
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 532
اثنتا عشرة آية.
کلهم قرأ (أصطفى) بفتح الهمزة إلا ورشاً و إسماعيل عن نافع، فإنهما وصلاه على الخبر، و به قرأ ابو جعفر قال ابو على الفارسى: يجوز أن يكون على تقدير لكاذبون فى قولهم قالوا: اصطفى، و يجوز ان يكون اصطفى البنات على ما يقولونه، و الوجه قطع الهمزة، لأنه على وجه التقريع، و يقويه قوله (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَناتٍ) قال قتادة و السدى: ان قريشاً كانت تقول: الملائكة بنات اللّه تعالى، فأمر اللّه نبيه صلى اللّه عليه و آله أن يستفتهم بمعنى ان يطلب الحكم منهم فى هذه القضية على وجه التقريع لهم و التوبيخ على قولهم بأن يقول لهم أ لرّبكم البنات؟! يعنى كيف يقولوا لربك البنات يا محمد و لهم البنون؟ و من أين علموا ان الملائكة إناثاً ا شاهدوا خلق الله لهم؟! فرأوهم اناثاً؟ فإنهم لا يمكنهم ادعاء ذلک.
ثم اخبر تعالى فقال (أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْکِهِمْ) أى من كذبهم- فى قول قتادة و السدى- هذا القول، و هو ان يقولوا (وَلَدَ اللَّهُ. وَ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ) فى هذا القول. ثم قال (أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ) من قطع الهمزة أراد الإنكار بلفظ الاستفهام، و المعنى كيف يكون هذا، و كيف يختار البنات على البنين. و من وصل الهمزة أراد الاخبار بذلک، فالاصطفاء إخراج الصفوة من الشىء، و هى خالصه. و إنما يصطفى الله تعالى أفضل الأشياء، و من اصطفى الأدون على الأفضل مع القدرة على الأعلى كان ناقصاً. و الله تعالى لا يليق بصفات النقص فى اصطفاء البنات على البنين مع استحالة اتخاذ الولد عليه، لما فى ذلک من معنى التشبيه، لأنه إنما يتخذ التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 533
الولد من يجوز أن يكون مثل ذلک ولداً له، و لذلک لا يجوز أن يتخذ الشاب شيخاً ولداً، و لا أن يتخذ الإنسان بعض البهائم ولداً، لما لم يكن ذلک ممكناً، فإذا استحال الولد عليه تعالى، فما هو مشبه به أولى بأن يستحيل عليه.
و أصل (اصطفى) (اصتفى) فقلبت التاء طاء لتعدل الحروف فى الاطباق و

الاستعلاء بما هو من مخرج التاء، فالطاء وسط بين الحرفين لمناسبتها التاء بالمخرج، و الصاد بالاستعلاء و الاطباق.
قوله (ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) تهجين لهم بوضعهم الشىء فى غير موضعه لأنهم وضعوه موضع الحكمة، و ليس الأمر كذلک إذ أنتم على فاحش الخطأ الذى يدعو اليه الجهل. و قوله (أَمْ لَكُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ) معناه هل لكم حجة ظاهرة و برهان بين فى ما تدعونه و تحكمون به. و سمى البرهان سلطاناً، لأنه يتسلط به على الإنكار لمخالفة الحق و الصواب. و البيان إظهار المعنى للنفس.
ثم قال على وجه الإنكار عليهم (فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ)
إن كان معكم حجة من كتاب أنزله اللّه إليكم فهاتوه (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) فى هذا القول، فإنهم لا يقدرون على ذلک ابداً.
ثم اخبر تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم (جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً) قال الحسن: أشركوا الشيطان فى عبادة اللّه، فهو النسب الذى جعلوه.
و قال قوم: بل لأنهم قالوا: إنه تعالى تزوج من الجن- تعالى اللّه عن ذلک علواً كبيراً- و قيل: سميت الملائكة جنة لاستتارهم عن العيون. و معنى الآية أن هؤلاء الكفار بجعلهم الملائكة بنات اللّه جعلوا بينه و بينهم نسباً، و هو قول مجاهد و قتادة.
ثم قال تعالى على وجه الرد عليهم (وَ لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ)
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 534
و قال مجاهد و قتادة: قال ذلک لأنهم علموا أنهم يحضرون الحساب. و قال السدى: علموا أن قائل هذا القول يحضر الحساب و العذاب. ثم نزه تعالى نفسه عن قولهم وصفتهم، فقال (سُبْحانَ اللّهِ عَمَّا يَصِفُونَ إِلَّا عِبادَ اللّهِ الْمُخْلَصِينَ) استثنى عباده الذين أخلصوا نفوسهم فوجهوا العبادة اليه تعالى و وصفوه بما يليق به من جملة الكفار القائلين بما لا يليق به.

فَإِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ (161) ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ (162) إِلاَّ مَنْ هُوَ صالِ الْجَحِيمِ (163) وَ ما مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ (164) وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (165)
وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (166) وَ إِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ (167) لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الْأَوَّلِينَ (168) لَكُنَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (169) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (170)
عشر آيات.
قرأ الحسن (صائل الجحيم) بالرفع و هى تحتمل شيئين: أحدهما.
الجمع. و الثانى- القلب، كقولهم: شاک، و شائک فى السلاح، و هار و هائر.
الباقون (صال) بكسر اللام على وزن (فاعل).
هذا خطاب من اللّه تعالى للكفار الذين كانوا يعبدون الأصنام بأن قال لهم (فَإِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ) فموضع (ما) نصب عطفاً على الكاف و الميم، و هو فى موضع نصب ب (أن) و التقدير إنكم يا معشر الكفار و الذين تعبدونه
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 535
(ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ) و قال الفراء: تقديره، و إنكم و آلهتكم ما أنتم عليه بفاتنين أى بمفتنين و (ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ) أى و ما أنتم على ذلک الدين بمصلين عليه و به و له سواء فى المعنى. و أهل نجد يقولون: أفتنت، و أهل الحجاز فتنت أى لستم عليه بفاتنين، و الفاتن الداعى إلى الضلالة بتزيينه له، فكل من دعا إلى عبادة غير الله بالإغواء و التزيين فاتن، لأنه يخرجه إلى الهلاک، و أصل الفتنة من قولهم: فتنت الذهب بالنار إذا أخرجته إلى حال الخلاص (وَ فَتَنَّاکَ فُتُوناً) «1» أى أخرجناک بالأمر الحق إلى حال الخلاص.
و قوله (إِلَّا مَنْ هُوَ صالِ الْجَحِيمِ) أى لستم تفتنون إلا من يصلى الجحيم، و معناه إلا من يلزم النار و يحترق بها، و منه المصطلى، و هو المستدفئ بالنار، و منه الصلاة للزوم الدعاء فيها، و المصلى الذى يجىء بعد السابق للزومه أثره. و المعنى ان من يقبل من هذا الفاتن و ينقاد له، فهو يصلى الجحيم و قوله (وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ) معناه ما منا ملک إلا له مقام، فحذف و معناه لا يتجاوز ما أمر به و رتب له، كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذى حدّ له، فكيف يجوز ان يعبد من هو بهذه الصفة، و هو عبد مربوب و وصف المقام بأنه معلوم، لأنه معلوم لله على ما تقتضيه الحكمة، و هو محدود لا يتجاوز ما علم منه و لا يخرج منه.
و قوله (وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) قيل: صافون حول العرش ينتظرون الأمر و النهى من الله تعالى، و قيل: الصافون فى الصلاة: و قوله (وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) معناه المصلون من قولهم: فرغت من سبحتى أى من

(1) سورة 20 طه آية 40.

صلاتى، و سميت الصلاة تسبيحاً لما فيها من تسبيح الله و تعظيم عبادته.
و (المسبحون) القائلون سبحان الله على وجه التعظيم له تعظيم العبادة، و قوله (وَ إِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ) ف (إن) هذه المخففة من الثقيلة بدلالة دخول اللام فى خبرها، كما قال (وَ إِنَّ رَبَّکَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) «1» و يلزمها هذه اللام ليفرق بين (إن) الثقيلة و الخفيفة التى للجحد فى مثل قوله (إِنِ الْكافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ) «2» و المعنى إن هؤلاء الكفار كانوا يقولون (لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً) أى كتاباً فيه ذكر من كتب الأولين الذى أنزله على أنبيائه. و قيل: يعنى علماً يسمى العلم ذكراً، لان الذكر من أسبابه، فسمى باسمه (من الأولين) الذين تقدمونا و ما فعل الله بهم (لكنا) نحن ايضاً من (عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) الذين أخلصوا العبادة له، فجعلوا العذر فى امتناعهم من الايمان أنهم لا يعرفون اخبار من تقدمهم، و هل حصلوا فى جنة او نار، فقال الله تعالى (فكفروا به) يعنى بالذكر، لأنهم طلبوا كتاباً كما للأولين التوراة دالا على توحيد الله، فلما جاءهم القرآن كفروا به، و بمن جاء بالقرآن- فى قول ابن عباس و السدى- فهددهم الله على هذا، الكفر فقال (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) فى ما بعد إذا عاقبناهم بعقاب النيران.

وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ (173) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (174) وَ أَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (175)
أَ فَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ (176) فَإِذا نَزَلَ بِساحَتِهِمْ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ (177) وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (178) وَ أَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (179) سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180)
وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181) وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (182)

---

(1) سورة 16 النحل آية 124.
(2) سورة 67 الملک آية 20.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 537
اثنتا عشرة آية بلا خلاف.
اقسم الله تعالى، لأن هذه اللام لام القسم بأنه (سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ) الذين بعثهم الله إلى خلقه (إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) سينصرون بنصرهم على أقوامهم بالحجج و إنما قدم الله تعالى الكلمة للمرسلين بأنهم سينصرون، لما فى ذلک من اللطائف للملائكة و السامعين لها، و سميت جملة من الكلام بأنها كلمة لانعقاد بعض معانيه ببعض حتى صار يلحقه صفة التوحيد كخبر واحد و قضية واحدة. و قال السدى: النصر للمرسلين بالحجة لأن منهم من قتل. و قال الحسن: ما غلب نبى فى حرب، و لا قتل قط.
ثم اخبر تعالى أن جنود الله للكفار لغالبون أى يقهرونهم تارة بالحجة و اخرى بالقتل. ثم قال لنبيه صلى اللّه عليه و آله (فتول عنهم) يعنى أعرض عن هؤلاء الكفار (حتى حين) إلى أن آمرک بقتالهم، يعنى يوم بدر- فى قول السدى- و قال قتادة: الى الموت. و قال قوم: الى يوم القيامة. و قال قوم: الى انقضاء مدة الامهال. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 538
و قوله (وَ أَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) معناه انظرهم فسوف يرون العذاب- فى قول ابن زيد- و قال غيره أبصر حالهم بقليل. و قيل: ابصرهم فى وقت البصر، و فى الآية دلالة على المعجز، لأنه تعالى وعد نبيه بالنصر، فكان الأمر على ما قال.
و قوله (أَ فَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ) معناه الإنكار عليهم بأنهم يطلبون العذاب عاجلا قبل وقته. ثم قال (فإذا نزل) يعنى العذاب (بساحتهم) أى بفنائهم فساء صباح المنذرين أى بئس الصباح صباح من خوف و حذر، فلم يحذر، و لم يخف، فالساحة ناحية الدار، و هو فناؤها، و هو الفناء الواسع فلذلک وصف بأنه نازل به العذاب لعظمه و لا يسعه إلا الساحة ذات الفناء الواسع.

و قال السدى: نزل بساحتهم أى بدارهم و ساء إذا كانت بمعنى بئس لا تتصرف مثل هذه. و مثل قوله (ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا) «1» و لو كان بمعنى الاخبار المحض لجاز أن يقال: ساءه يسوءه سوءاً أى أوقع به ما يسوءه.
ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله (وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ) أى اعرض عنهم الى حين و قد فسرناه. و (أَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) و قد مضى معناه، و إنما كرر لأنهما عذابان عذاب الدنيا و عذاب الآخرة، فكأنه قال و ابصرهم فى عذاب الآخرة و ابصرهم فى عذاب الدنيا.
ثم قال «سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ» أى التنزيه لربك عما لا يليق به من الصفات، ربك الذى خلقك و يملك التصرف فيك رب العزة يعنى العزة التى يعز اللَّه بها الأنبياء و المرسلين، و هى صفة القادر الذى

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 176.

لا يضام و لا يرام، فالعزة للَّه- جل عز- و هو ربها، لأنه القادر الذى لا يعجزه شىء منها، و لا من غيرها جل و علا «عَمَّا يَصِفُونَ» يعنى ما يصفه به الكفار من اتخاذ الأولاد و اتخاذ الشريك «وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ» الذين أرسلهم الله إلى عباده «وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» أى و الشكر و الحمد لله الذى خلق جميع العالم و ملك التصرف فيهم.

38-سورة ص ..... ص : 540

اشارة

هی مکیة فی قول مجاهد و قتادة و الحسن لیس فیها ناسخ و لا منسوخ و هی ثمان و ثمانون آیة فی الکوفی و خمس و ثمانون فی البصری و ست فی المدنی.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
ص وَ الْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ (1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَ شِقاقٍ (2) كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنادَوْا وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ (3) وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ (4)
أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ (5)
خمس آيات.
قرأ الحسن (صاد) بكسر الدال. و قال عيسى بن عمر بفتحها. الباقون بالوقف، و هو الصحيح، لأن حروف الهجاء يوقف عليها. و من كسر التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 541
فلاجتماع الساكنين. و قيل: إنه جعل من المصاداة و هى المعارضة. و من فتح فلأن الفتحة أخف من الكسرة، و لم يعدوا (صاد) آية، لأنه يشبه الاسم المفرد فى انه على ثلاثة أحرف فى هجاء حروف المعجم، نحو (باب، و ذات، و ناب) و إنما يعد آية ما يشبه الجملة و شاكل آخره رؤس الآى التى بعده بالردف و مخرج الحروف. و ليس- هاهنا- شىء من ذلک.
و اختلفوا فى معنى (صاد) فقال قوم: هو اسم السورة على ما أخبرناه فى ما مضى. و قال ابن عباس: هو اسم من اسماء اللّه أقسم به. و قال السدى: هو من حروف المعجم. و قال الضحاک: معناه صدق، و قال قتادة: هو اسم من اسماء القرآن اقسم اللّه تعالى به، و قال الحسن: هو من المصاداة و هو (صاد) بالكسر أمر للنبى صلى اللّه عليه و آله أى عارض القرآن بعملک (و القرآن) قسم، فلذلک جر «ذِى الذِّكْرِ» قال ابن عباس: ذى الشرف، و قال الضحاک و قتادة: ذى التذكر. و قيل: معناه ذى الذكر للبيان و البرهان، المؤدى إلى الحق الهادى إلى الرشد الرادع عن الغى، و فيه ذكر الأدلة التى من تمسک بها سعد. و من عدل عنها شقى. و من عمل بها نجا. و من ترک العمل بها هلک.
و اختلفوا فى جواب القسم، فقال قوم: هو محذوف و تقديره لجاء الحق و ظهر، لان حذف الجواب فى مثل هذا أبلغ، لان الذكر يقصر المعنى على وجه. و الحذف يصرف إلى كل وجه فيعم. و قال قوم: جوابه ما دل عليه قوله «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا» كأنه قال: و القرآن ذى الذكر ما الأمر على ما قالوا- ذكر ذلک قتادة- و قال الفراء و الزجاج: الجواب (كم) و تقديره لكم أهلكنا، فلما طال الكلام حذفت اللام و صارت (كم) جواباً للقسم التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 542
و اليمين. و مثله قوله «وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها فَأَلْهَمَها» «1» فصارت «قد أفلح» تابعة لقوله «فألهمها» و كفى عن جواب القسم، و كأنه قال: و

الشمس و ضحاها. لقد أفلح، و قال قوم: الجواب قوله «إِنَّ ذلِکَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ» إلا انه قد بعد عن أول الكلام.
و قوله «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِی عِزَّةٍ وَ شِقاقٍ» اخبار منه تعالى أن هؤلاء الكفار قد مكنهم و أعطاهم القوة ليقووا بها على الطاعات، فتقووا- بسوء اختيارهم- بها على المعاصى و على دفع الحق الذى أتاهم و صاروا فى شق غير شق رسولهم الذى من قبل ربهم. ثم اخبر تعالى انه أهلک أمما كثيرة قبل هؤلاء الكفار حين عصاه الذين كفروا، فلما نزل بهم العذاب نادوا و استغاثوا «وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ» معناه لات حين فرار من العذاب. و قيل: المناص المنجاة يقال: ناص ينوص نوصاً إذا تأخر و باص يبوص بوصاً إذا تقدم قال امرؤ القيس:
أمن ذكر ليلى إن نأتک تنوص فتقصر عنها خطوة و تبوص «2»
و نصب (لات حين) لأنها مشبه ب (ليس) من جهة أنها نفى و لا تعمل إلا فى (الحين) خاصة لضعف الشبه عن منزلة (ما) إذ كانت (ما) تشبه (ليس) من جهة النفى و الحال قال الشاعر:
تذكر حب ليلى لات حينا و اضحى الشيب قد قطع القرينا «3»
و الوقف على (لات) بالتاء على قياس نظيرها من (ثمت، و ربت) لان ما قبلها ساكن- و هو قول الفراء- و الكسائى يقف بالهاء (لاه) يجعل الالف

---

(1) سورة 91 الشمس آية 7.
(2) تفسير القرطبى 15/ 146. [.....]
(3) تفسير القرطبى 15/ 147.

فى نية الحركة. و من زعم انه (لا ت حين) موصولة، فقد غلط، لأنها فى المصحف و تأويل العلماء مفصولة. و قيل: ان (مناص) جر ب (لات) و انشدوا لأبى زيد.
طلبوا صلحنا و لات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء «1»
و قال الزجاج: أنشده ابو العباس بالرفع، و قد روى بالكسر. و قال الزجاج: من كسر رأى ان يجعله مبنياً بمنزلة نداء ذلک الأقوام و بناه، فحذف المضاف اليه و كسر دون ان يضم، لأنه نوّنه، فأجراه على نظائره من المنون المبنى و أراد و لات أواناً.
ثم اخبر تعالى ان الكفار «وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ» أى مخوف من جهة اللَّه يحذرهم معاصيه و يدعوهم إلى طاعته، و قالوا: هذا شىء عجاب، و عجيب و عجاب و عجاب بمعنى واحد، مثل كريم و كرام، فعجب هؤلاء الكفار من أن اللَّه بعث نبيهم و هو منهم، و قالوا: كيف خص بذلک، و ليس بأشرفنا و لا أغنانا. و
قيل: إن أبا جهل و جماعة من أشراف قريش مشوا إلى أبى طالب و شكوا

اليه النبى صلى اللّه عليه و آله و قالوا له: قد سفه أحلامنا و شتم الآلهة، فدعاه ابو طالب و قال له: ما لأهلک يشکونک، فقال النبى صلى اللّه عليه و آله أدعوهم إلى كلمتين حقيقتين يسودون على العرب بها، و يؤدى الخراج اليهم بها العجم، فقال ابو جهل و غيره: ما هما فقال صلى اللّه عليه و آله: تشهدون أن لا إله إلا اللّه و أنى رسول اللّه. فقال ابو جهل: أ تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟! فانزل اللّه الآية.

---

(1) تفسير القرطبى 15/ 147.

وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ (6) ما سَمِعْنا بِهذا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ (7) أَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذابِ (8) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (9) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبابِ (10)

خمس آيات فى الكوفى و اربع فى الباقى.

اخبر اللّه تعالى عن هؤلاء الكفار الذين ذكرهم انهم انطلقوا اى ذهبوا فالانطلاق ذهاب بسهولة، و منه طلاقة الوجه و هى سهولة و بشر خلاف العبوس و قوله «أن امشوا» قال الزجاج: أى بهذا القول، و تقديره بأن امشوا و قال قوم: معنى (أن) أى التى للتفسير لأنه صار انطلاقهم لدلالته على هذا المعنى بمنزلة الناطق به، كما يقولون: قام يصلى أى أنا رجل صالح.

و قال بعضهم: معناه الدعاء لهم بأن يكثر ماشيتكم، و هذا باطل لفظاً و معنى فاللفظ لأنه لو كان كما قالوه لكانت الهمزة من (أَنِ امْشُوا) إذا أمر منها مفتوحة، لأنه من امشى يمشى إذا كثرت ماشيته و الامر منه امشوا بقطع الهمزة، و القراءة بكسرها، قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 545

و كل فتى و إن أثرى و امشى ستسلخه من الدنيا المنون «1»

و اما المعنى، فلانه لا يشاكل ما قبله و لا ما بعده.

و قوله «وَ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ» أمر منهم بعضهم لبعض أن يصبروا على عبادة آلهتهم و تحمل المشاق لأجلها. و قال مجاهد: القائل لذلك عقبة بن أبى معيط فالصبر محمود إذا كان فى حبس النفس عن المحارم، فهؤلاء الجهال اعتقدوا أن الحق فى الصبر على آلهتهم، و لم يعلموا ان ذلك كفر. و فى ذلك دلالة على فساد قول من يقول: إن المعارف ضرورة، قال الحسن: إن هذا يكون فى آخر الزمان.

و قوله «إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ» معناه هذا الذى يدعيه محمد و يدعوهم اليه لشىء يراد به أمر ما من الاستعلاء علينا و الرياسة فينا و القهر لنا.

ثم حكى ما قالوه فإنهم قالوا «ما سَمِعْنا بِهذا» يعنون ما يدعوهم اليه النبى صلى اللّه عليه و آله من التوحيد و خلع الأنداد من دون اللّه «فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ» قال ابن عباس يعنون فى النصرانية، لأنها آخر الملل. و قال مجاهد: يعنون فى مكة و قريش. ثم قالوا «إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ» قال ابن عباس و مجاهد:

معناه ليس هذا إلا تخرص و كذب. ثم تعجبوا فقالوا «أَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ

بَيْنِنا» يعنون كيف خص محمد بانزال القرآن دوننا؟! فقال اللّه تعالى «بَلْ هُمْ فِی شَکٍّ مِنْ ذِکْرِی» معناه ليس يحملهم على هذا القول إلا الشک فی الذكر الذی أنزلت علی رسولی «بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذابِ» ثم قال «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّکَ»؟ قال الفراء: الاستفهام إذا توسط الكلام

---

(1) قائله النابغة الذبيانى. اللسان (مشى).

ابتدئ بألف و ب (أم)، و إذا لم يسبق كلام لم يكن إلا بألف او ب (هل).

و وجه اتصال هذا القول بما تقدم هو اتصال الإنكار لما قالوا فيه، أی ذلک ليس اليهم، و إنما هو إلى من يملک هذه الأمور. و (خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّکَ) معناه مقدوراته التی يقدر بها على أن ينعم بها عليهم. و قوله «الْعَزِيزِ» يعنى القادر الذی لا يغالب و لا يقهر «الْوَهَّابِ» لضروب النعم «أَمْ لَهُمْ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما» فان كان لهم ذلک «فَلْيَرْتَقُوا فِی الْأَسْبابِ» و هی جمع سبب و كل ما يتوصل به إلى المطلوب- من حبل أو سلم أو وسيلة او رحم او قرابة او طريق او جهة- فهو سبب، و منه قيل: تسببت بكذا إلى كذا أی توصلت به اليه.

جُنْدٌ ما هُنالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزابِ (11) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عادٌ وَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتادِ (12) وَ ثَمُودُ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ أُولئِكَ الْأَحْزابُ (13) إِنْ كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقابِ (14) وَ ما يَنْظُرُ هؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً ما لَها مِنْ فَواقٍ (15)
خمس آيات.
قرأ حمزة و الكسائى «فواق» بضم الفاء. الباقون بفتحها. فالفواق بفتح الفاء معناه ما لها من راحة، و إذا ضممت الفاء، فالمعنى ما لها من فواق ناقة و هو قدر ما بين الحلبتين. و قيل: هو ما بين الرضعتين. و قيل: هما لغتان التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 547
مثل قصاص الشعر و قصاصه، و حمام الماء و حمامه، و هو الآفة، و هو الابانة بعد الفترة و (ما) فى قوله «جند ما» صلة، و تقديره: جند هنالک، و (هنالک) للمكان البعيد و (هناک) للمتوسط بين القرب و البعد و (هنا) للقريب و نظيره (ذا) و (ذاک) و (ذلک) و مثل (ما) فى كونها صلة قولهم: لأمر ما جدع قصير أنفه. و عندى طعام ما، قال الأعشى:
فاذهبى ما اليک أدركنى الح لم عدانى عن ذكركم اشغالى «1»
و قيل: إنها تقوية للنكرة المبتدأة فى (ما) و الجند جمع معد للحرب جمعه أجناد و جنود، و جند الأجناد أى جيش الجيوش. و منه
قوله صلى اللّه عليه و آله (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف)
، و قوله «مهزوم» يعنى مغلوب عن أن يصعدوا إلى السماء، و المهزوم من وقعت بهم الهزيمة، و هى الفرار من الحرب، و لو فرّ انسان من ضرب لم يكن ذلک هزيمة، و كذلک من فرّ من الحبس. و قوله «من الأحزاب» معناه من حزب إبليس و أتباعه.
ثم اخبر تعالى انه كذب مثل هؤلاء الكفار، فأنث لأنه أراد العشيرة «قوم نوح» فأغرقهم اللّه، و قوم «عاد» فاهلكهم اللّه «و فرعون» و قوم فرعون «ذو الأوتاد» و قيل: فى معناه أقوال:
منها- انه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها، و هو قول ابن عباس و قتادة. و قال السدى و الربيع بن أنس: انه كانت له أوتاد يعذب الناس بها. و قال الضحاک: معناه ذو البنيان، و البنيان أوتاد.
ثم قال «وَ ثَمُودُ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ» أيضاً هم الأحزاب يعنى

---

(1) ديوانه 164.

احزاب إبليس: و (الايكة) الغيضة. و قال ابو عمرو بن العلا: هى الملتفت من النبع و السدر. و قال السدى: هى الحرجة، قال الشاعر:

ا فمن بكاء حمامة فى أيكة يرفض دمعك فوق ظهر المحمل

يعنى محمل السيف. و قوله «إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ» معناه ليس كلهم إلا كذبوا أنبياء اللّه و جحدوا نبوّتهم فاستحقوا عقابى، ثم قال «وَ ما يَنْظُرُ هؤُلاءِ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً» أى ليس ينظر هؤلاء إلا صيحة عذاب لا يكون لتلك الصيحة «مِنْ فَواقٍ» أى ما لها من افاقة بالرجوع إلى الدنيا و هو قول قتادة، و السدى و قال ابن زيد «ما لَها مِنْ فَواقٍ» أى من فتور كما يفيق المريض.

وَ قالُوا رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ (16) اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ اذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْراقِ (18) وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19) وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ (20)

خمس آيات.

يقول اللَّه مخبراً عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأنهم يقولون على وجه الاستهزاء بعذاب اللَّه يا «رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا» أى قدم لنا نصيبنا من العذاب، قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: طلبوا حظهم من العذاب تهزءاً التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 549

بخبر اللَّه و شكا فيه. و قال السدى: إنما سألوا أن يريهم حظهم من النعيم فى الجنة حتى يؤمنوا. و قيل: إنما سألوا أن يعجل كتبهم التى يقرءونها فى الآخرة استهزاء منهم بهذا الوعيد. و القط الكتاب قال الأعشى:

و لا الملک النعمان يوم لقيته بأمته يعطى القطوط و يأفق «1»

أى كتب الجوائز، لأنها قطع نصيب لكل واحد بما كتب. و التعجيل فعل الشىء قبل وقته الذى ينبغى أن يفعل فيه. و القط النصيب و أصله القطع من قولک قطه يقطه قطاً مثل قده يقده قداً، و منه قولهم: ما رأيته قط أى قطع الدهر الذى مضى «قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ» أى قبل اليوم الذى يحاسب فيه الخلق و يجازون فيه على أعمالهم على ما يقولونه فقال اللَّه تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه و آله «اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ» أى احبس نفسک على اذاهم و صبرها على أقوالهم «وَ اذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ» ترغيباً له فى الصبر المأمور به و إن لک يا محمد فيه من إحسان اللَّه اليک على نحو إحسانه إلى داود قبلک، و أنه لو شاء لأعطاک فى الدنيا مثل ما أعطى داود و لكنه دبر لک ما هو أعود لک.

و قوله «ذا الأيد» قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: معناه ذا القوة، و منه قوله «وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ» «2» أى بقوة، و قوله «إِنَّهُ أَوَّابٌ» قال ابن زيد: معناه تواب و به قال مجاهد، و هو من آب يؤب أى رجع إلى اللَّه فلذلک مدحه.

ثم اخبر تعالى عن نعمه التى أنعم بها على داود، فقال «إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْراقِ» و معناه إنها كانت تسير بأمر اللَّه معه حيث سار بالغداة و العشى فسمى اللَّه ذلک تسبيحاً لما فى ذلک من

---

(1) ديوانه: 117 (دار بيروت).

(2) سورة 51 الذاريات آية 47.

دلالته على قدرته و غناء من خلقه و صفاته التى لا يشاركه فيها غيره، و الاشراق وقت طلوع الشمس يقال: شرقت الشمس إذا طلعت و أشرقت إذا أضاءت «وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً» و تقديره و سخرنا الطير محشورة أى مجموعة من كل ناحية اليه يعنى الطير و الجبال «لَهُ أَوَّابٌ» أى رجاع إلى ما يريد. و قيل: مسخرة- ذكره قتادة- و قال الجبائى لا يمتنع أن يكون اللّه خلق فى الطيور من المعارف ما تفهم به مراده و أمره من نهيه فتطيعه فى ما يريده منها. و إن لم تكن كاملة العقل، و لا مكلفة.
ثم قال «وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ» يعنى قوينا ملكه بالجنود و الهيبة «وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ» أى علمناه الحكمة «وَ فَصْلَ الْخِطابِ» و مثله قول البينة على المدعى و اليمين على المدعى عليه أى إصابة الحكم بالحق. و قال البلخى: يجوز أن يكون المراد بتسبيح الجبال معه هو ما أعطى اللّه تعالى داود من حسن الصوت بقراءة الزبور، فكان إذا قرأ الزبور أو ذكر ما هو تسبيح للّه و رفع صوته بين الجبال ردّ الجبال عليه مثله كما يرد الصدى، فسمى اللّه ذلك تسبيحاً لما تضمنه من الدلالة و الأول أحسن.

وَ هَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَ لا تُشْطِطْ وَ اهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ (22) إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَ عَزَّنِي فِي الْخِطابِ (23) قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ قَلِيلٌ ما هُمْ وَ ظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ راكِعاً وَ أَنابَ (24) فَغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَ حُسْنَ مَآبٍ (25)

التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 551

خمس آيات.

هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه و صورته صورة الاستفهام و المراد اخباره بما كان من قصة داود من الحكم بين الخصمين و تنبيهه على موضع إخلاله ببعض ما كان ينبغى أن يفعله فقال «وَ هَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ» يعنى خبره فالنبأ الخبر بما يعظم حاله «إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ» يعنى حين صعدوا اليه.

و الخصم هو المدعى على غيره حقاً من الحقوق المنازع له فيه، و يعبر به عن الواحد و الاثنين و الجماعة بلفظ واحد، لان أصله المصدر، فتقول: رجل خصم، و رجلان خصم، و رجال خصم، و لذلك قال «إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ» لأنه أراد المدعى و المدعى عليه و من أتبعهما، فلا يمكن أن يتعلق به فى أن أقل الجمع اثنان، لما قال «خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ» لأنه أراد بذلك الفريقين، و الخصم من خصمته اخصمه خصماً. و التسور الإتيان من جهة السور، يقال تسور فلان الدار إذا أتاها من قبل سورها، و كانوا أتوه من على المحراب، فلذلك فزع منهم. و المحراب مجلس الاشراف الذى يحارب دونه لشرف صاحبه، و منه سمى المصلى محراباً و موضع القبلة ايضاً محراب و قوله «إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ» معناه إن هؤلاء حين دخلوا على داود من غير الجهة التى اعتاد التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 552

الدخول عليه منها فزع منهم، لأنه ظنهم أعداء يريدون به سوء فقالوا له (خصمان) و لم يقولا: نحن خصمان يعنى فريقان لأنهما كانا ملكين و لم يكونا خصمين و لا بغى أحدهما على الآخر، و إنما هو على المثل «فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَ لا تُشْطِطْ» معناه و لا تجاوز الحق و لا تجر و لا تسرف فى حكمك بالميل مع أحدهما- على الآخر، يقال أشط فى حكمه إذا جار يشط فهو مشط و شططت على فى السوم تشط شططاً قال الشاعر:

ألا يا لقومى قد اشطت عواذلى و يزعمن أن اودى بحقى باطلى «1»

و قال آخر:
يشط غداً دار جيراننا و للدار بعد غد بعد
و قوله «وَ اهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ» معناه أرشدنا إلى قصد الطريق الذى هو طريق الحق و وسطه، كما قال «فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِى سَواءِ الْجَحِيمِ» «2» ثم حكى تعالى ما مكان أحد الخصمين لصاحبه، فقال «إِنَّ هذا أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِىَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ» قال وهب بن منية: يعنى أخى فى دينى و قال اكثر المفسرين انه كنى بالنعاج عن تسع و تسعين امرأة كانت له و إن الآخر له نعجة واحدة يعنى امرأة واحدة، و قال الحسن: لم يكن له تسع و تسعون امرأة و إنما هو على وجه المثل. و قال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهانى:
أراد النعاج بأعيانها، و هو الظاهر غير انه خالف أقوال المفسرين. و قال هما من ولد آدم، و لم يكونا ملكين و إنما فزع منهما لأنهما دخلا عليه فى غير الوقت المعتاد، و هو الظاهر غير انه خلاف أقوال المفسرين على ما قلناه.
و قوله «فَقالَ أَكْفِلْنِيها» معناه اجعلنى كفيلا بها أى ضامناً لأمرها.

---

(1) مر فى 7/ 15.
(2) سورة 37 الصافات آية 55.

و منه قوله «وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا» «1» و قال ابو عبيدة معناه ضمها اليها، و قال ابن عباس و ابن مسعود معنى أكفلنيها انزل لى عنها «وَ عَزَّنِى فِى الْخِطابِ» أى غلبنى فى المخاطبة من قولهم: من عز بزّ أى من غلب سلب. و قال ابن زيد: معناه قهرنى. و قال ابو عبيدة: معناه صار أعزمنى، فقال له داود «لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه. و إن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض» و معناه إن كان الامر على ما تدعيه لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فأضاف السؤال إلى المفعول به و هى النعجة و إن أضيف اليها.
ثم اخبر ان كثيراً من الشركاء و الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض فيظلمه.
و قال أصحابنا: كان موضع الخطيئة أنه قال للخصم لقد ظلمك من غير ان يسأل خصمه عن دعواه و فى آداب القضاء ألا يحكم بشىء و لا يقول حتى يسأل خصمه عن دعوى خصمه، فما أجاب به حكم به. و هذا ترك الندب فى ذلك، و فى ذلك قول آخر، و هو إن فى الناس من قال: إن ذلك كان صغيرة منه وقعت مكفرة، و الشرط الذى ذكرناه لا بد فيه، لأنه لا يجوز ان يخبر النبى ان الخصم ظلم صاحبه قبل العلم بذلك على وجه القطع، و إنما يجوز مع تقرير الشرط الذى ذكرناه، ثم استثنى من جملة الخلطاء الذين بعضهم يبغى على بعض الذين آمنوا باللّه و عملوا بما يوجب عليهم، فإنهم لا يفعلون ذلك. ثم قال و قليل الذين كذلك،

فروى أن الملكين غابا من بين يديه فظن عند ذلک أن اللّه اختبره بهذه الحكومة و ابتلاه.
و قرئ (فتناه) بالتخفيف بمعنى أن الملكين فتناه بها. و قال قوم الظن العلم كأنه قال: و علم داود ذلک

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 37.

و قال آخرون: إنما ظن ظناً قوياً و هو الظاهر. و قوله «فاستغفر ربه» معناه سأل اللّه المغفرة و الستر عليه «وَ خَرَّ راكِعاً وَ أَنابَ» أى رجع اليه بالتوبة.
ثم اخبر تعالى أنه أجاب دعوته و غفر له ذلک، و أخبر ان له مع المغفرة عند اللّه لزلفى، و الزلفى القربة من رحمة اللّه، و ثوابه فى جنته «وَ حُسْنَ مَآبٍ» فالمآب و المرجع و المصير و المآل واحد. و من قال ان ذلک كان صغيرة وقعت مكفرة يقول: معنى قوله «فَغَفَرْنا لَهُ» بعد الانابة، و إن كانت الخطيئة غفرت فى الدنيا. و قيل: انه خطب امرأة كان أوريا ابن حيان قد خطبها فدخل فى سومه، فاختاروه عليه فعاتبه اللّه على ذلک، لان الأنبياء يتنزهون عن ذلک، و إن كان مباحاً لأنه مما ينفر على بعض الوجوه. و قيل: بل انفذ به إلى غزوة، و كان يحب ان يستشهد ليتزوج امرأته لأنهما كانا تحاكما اليه فوقعت امرأته فى قلبه و اشتهاها شهوة الطباع من غير أن يحدث أمراً قبيحاً. و أولى الوجوه ما قدمناه انه ترک الندب فى ما يتعلق بأدب القضاء، لأن باقى الوجوه ينبغى ان ينزه الأنبياء عنها لأنها تنفر فى العادة عن قبول أقوالهم، فأما ما يقول بعض الجهال من القصاص أن داود عشق امرأة أوريا، و أنه أمره بأن يخرج إلى الغزو، و أن يتقدم امام التابوت و كان من يتقدم التابوت من شرطه ألا يرجع إلى أن يغلب او يقتل، فخبر باطل موضوع، و هو مع ذلک خبر واحد لا أصل له و لا يجوز أن تقبل اخبار الآحاد فى ما يتضمن فى الأنبياء ما لا يجوز على أدون الناس، فان اللّه نزههم عن هذه المنزلة و على قدرهم عنها. و قد قال اللّه تعالى «اللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ

الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ»
«1» و قال «وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ» «2» فكيف يختار تعالى من يتعشق نساء أصحابه و يعرضهم للقتل من غير استحقاق و لا يجوّز مثل هذا على الأنبياء إلا من لا يعرف مقدارهم و لا يعتقد منزلتهم التى خصهم اللّه فيها نعوذ باللّه من سوء التوفيق.
و
قد روى عن على عليه السلام انه قال: لا أوتى برجل يقول إن داود ارتكب فاحشة إلا ضربته حدين أحدهما للقذف و الآخر لأجل النبوة.

و قرأ ابن مسعود «تسع و تسعون نعجة» أنثى، قال النحويون: هذا تأكيد، كما
قال النبى: ابن لبون ذكر.
و كما قال «طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ» و قال ابن جرير:
معناه تسع و تسعون نعجة أنثى أى حسناء، قال ابن خالويه هذا حسن جداً.

يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناکَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّکَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ (26) وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما باطِلاً ذلِکَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (27) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28) كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْکَ مُبارَکٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ (29)

---

(1) سورة 22 الحج آية 75.
(2) سورة 44 الدخان آية 32.

أربع آيات.
قرأ يحيى عن أبى بكر «لتدبروا» بالتاء و تقديره لتتدبروا من التدبر فحذف تاء الفعل و بقى تاء المضارعة، و تقديره: لتتدبر انت يا محمد و المسلمون و من قرأ بالياء، فعلى ليتدبر المسلمون فيتقرر عندهم صحتها و تسكن أنفسهم إلى العلم بها.
لما اخبر اللّه تعالى عن داود انه رجع اليه و تاب و استغفر ربه عن التقصير الذى وقع منه فى الحكم، و انه تعالى غفر له ذلک و أجاب دعوته، و وعده بالزلفى عنده و القربة من ثوابه ناداه ايضاً فقال له «يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناکَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ» و الخليفة هو المدبر للأمور من قبل غيره بدلا من تدبيره، فداود لما جعل اللّه اليه تدبير الخلق فكان بذلک خليفة، و لذلک يقال: فلان خليفة اللّه فى أرضه إذا جعل اليه تدبير عباده بأمره. و قيل:
معناه جعلناک خليفة لمن كان قبلک من رسلنا. ثم أمره فقال «فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ» و معناه افصل بين المختلفين من الناس و المتنازعين «بِالْحَقِّ» بوضع الأشياء مواضعها على ما أمرک اللّه «وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى» أى ما يميل طبعک اليه و يدعوک هواک اليه إذا كان مخالفاً للحق، فلا تمل اليه «فَيُضِلَّکَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» و معناه انک متى اتبعت الهوى فى ذلک عدل بک الهوى عن سبيل اللّه الذى هو سبيل الحق.
ثم اخبر تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى يعدلون عن العمل بما أمرهم اللّه به «لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ» يعنى شديد ألمه «بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ»
و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- لهم عذاب شديد يوم الحساب بما تركوا طاعاته فى الدنيا، فعلى هذا يكون يوم الحساب متعلقاً ب (عذاب شديد) و هو قول عكرمة و

السدى:
الثانى- قال الحسن «لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ» أى بما اعرضوا عنه، صاروا بمنزلة الناسى، فيكون على هذا العامل فى (يوم) قوله «نسوا».
ثم اخبر تعالى انه لم يخلق السماء و الأرض و ما بينهما باطلا، بل خلقهما و ما بينهما بالحق لغرض حكمى، و هو ما فى ذلک من إظهار الحكمة و تعريض انواع الحيوان للمنافع الجليلة و تعريض العقلاء لمنافع الثواب، و ذلک يفسد قول المجبرة الذين قالوا: إن كل باطل و ضلال من فعل اللَّه. و قوله «ذلِکَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» معناه إن خلق السماء و الأرض و ما بينهما باطلا ظن من يكفر باللَّه و يجحد وحدانيته و حكمته. ثم توعد من هذه صفته فقال «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» ثم قال على وجه التوبيخ و التقريع للكفار بلفظ الاستفهام «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا ...» معناه هل نجعل الذين صدقوا باللَّه و أقروا برسله و عملوا الصالحات مثل الذين أفسدوا فى الأرض و عملوا بالمعاصى؟! ام هل نجعل الذين اتقوا معاصى اللَّه خوفاً من عقابه كالفجار الذين عملوا بمعاصيه و تركوا طاعته؟! فهذا لا يكون ابداً. و كيف يكون كذلک و هؤلاء يستحقون الثواب بطاعتهم و أولئک يستحقون العقاب بمعاصيهم. و قال ابو عبيدة: ليس لها جواب استفهام فخرجت مخرج الوعيد. و قال الزجاج:
تقديره، أ نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار، فهو استفهام بمعنى التقرير. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 558
ثم خاطب نبيه صلى اللَّه عليه و آله فقال «كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْکَ مُبارَکٌ» أى هذا كتاب أنزلناه، يعنى القرآن الذى أنزله اللَّه عليه، و وصفه بأنه مبارک، لان به يستديم الناس ما أنعم اللَّه عليهم به، و بين أن غرضه تعالى بانزال هذا القرآن «لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ» بأن يتفكروا فى أدلته «وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ» يعنى أولو العقول.
و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة فى خلق القبائح من حيث بين اللَّه انه يعاقبهم جزاء بما نسوا طاعاته فى الدنيا.
و قوله «ذلِکَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» يدل على فساد قول من يقول:
ان المعارف ضرورة، لأنهم لو كانوا عارفين ضرورة لما كانوا ظانين.

وَ وَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِناتُ الْجِيادُ (31) فَقالَ إِنِّی أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّی حَتَّی تَوارَتْ بِالْحِجابِ (32) رُدُّوها عَلَیَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ (33) وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ وَ أَلْقَيْنا عَلی كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنابَ (34)
قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ هَبْ لِی مُلْكاً لا يَنْبَغِی لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِی إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35) فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِی بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ (36) وَ الشَّياطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَ غَوَّاصٍ (37) وَ آخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِی الْأَصْفادِ (38) هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ (39)
وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفی وَ حُسْنَ مَآبٍ (40)
التبيان فی تفسير القرآن، ج8، ص: 559
احدی عشرة آية.
قرأ ابن كثير وحده «بالسؤق» مهموزة. و قال ابن مجاهد: الرواية الصحيحة عنه «بالسوق» علی فعول، و لما ضمنت الواو همزها. مثل وفيت و أفيت، فهذه رواية قنبل. و قرأ البزی «بالسوق» مثل أبی عمرو، جمع ساق مثل باح و بوح. و الباحة و الصرح و العرصة و الفناء واحد. و مثله قارة و قور للخيل الصغير. و من همز سوق فعلی لغة من قال: (أحب المؤقدين إلی موسی)، فهمز أنشده ابو الحسن لابی حبة النميری، و لأنه لما لم يكن بينها و بين الضمة حاجز صار كأن الضمة عليه فهمز.
اخبر اللّه تعالی انه وهب لداود سليمان. فقال «نِعْمَ الْعَبْدُ» كان سليمان «إِنَّهُ أَوَّابٌ» أی رجاع الی طاعة اللّه و طلب ثوابه. و قوله «إذ عرض» يجوز أن يتعلق بقوله «نعم العبد» أی نعم العبد حين عرض عليه، و يجوز ان يكون العامل فيه و اذكر يا محمد إذ عرض علی سليمان «بِالْعَشِيِّ» يعنی آخر النهار (الصَّافِناتُ الْجِيادُ) و الصافنات جمع صافنة، قال ابن زيد: صفن الخيل قيامها علی ثلاث مع رفع رجل واحدة. يكون طرف الحافر علی الأرض و قال مجاهد: صفون الفرس رفع احدی يديه حتی يكون علی طرف الحافر صفنت الخيل تصفن صفوناً إذا وقفت كذلک قال الشاعر:
الف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم علی الثلاث كسيرا «1»

---

(1) مر فی 7/ 319.
التبيان فی تفسير القرآن، ج8، ص: 560
و قال الزجاج و الفراء و غيرهما: كل قائم علی ثلاث صافن. و الجياد السراع من الخيل فرس جواد كأنه يجود بالركض، كأنه جمع جود، كما يقال: مطر جود إذا كان مدراراً و نظيره سوط و سياط. و العرض إظهار الشیء

بحيث يرى ليميز من غيره، و منه قولهَ عُرِضُوا عَلى رَبِّکَ صَفًّا)
و أصله الاظهار قال عمرو بن كلثوم:
و أعرضت اليمامة و اشمخرت كأسياف بأيدى مصلتينا «1»
أى ظهرت و أعرض عنى معناه أظهر جفوة بتوليه عنى، و عرض الشىء إذا صار عريضاً.
و قوله تعالى (إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ) قال قتادة و السدى المراد بالخير- هاهنا- الخيل و العرب تسمى الخيل الخير، و بذلک سمى (زيد الخيل) أى زيد الخير. و قيل فى ذلک وجهان:
أحدهما- انه أراد أحببت الخير، ثم أضاف الحب إلى الخير.
و الثانى- انه أراد أحببت اتخاذ الخير، لأن ذوات الخير لا تراد و لا تحب فلا بدّ من شىء يتعلق بها، و المعنى آثرت حب الخيل على ذكر ربى و يوضع الاستحباب موضع الإيثار. كما قال تعالى (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ) «2» أى يؤثرون، و قوله (عَنْ ذِكْرِ رَبِّى) معناه إن هذا الخيل شغلنى عن صلاة العصر حتى فات وقتها، و هو
قول على عليه السلام و قتادة و السدى، و روى أصحابنا انه فاته الوقت الأول،
و قال الجبائى:
انه لم يفته الفرض، و إنما فاته نفل كان يفعله آخر النهار ففاته لاشتغاله بالخيل.
و قوله (حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ) معناه توارت الشمس بالحجاب يعنى بالغيبوبة

---

(1) مر فى 7/ 96.
(2) سورة 14 ابراهيم آية 3. [.....]

و جاز الإضمار قبل الذكر، لأنه معلوم قال لبيد:
حتى إذا القت يداً فى كافر و أجن عورات الثغور ظلامها «1»
و قال ابو مسلم محمد بن بحر و غيره: و ذكر الرمانى أن الكناية عن الخيل و تقديره حتى توارت الخيل بالحجاب بمعنى أنها شغلت فكره إلى تلک الحال.
ثم قال لأصحابه (رُدُّوها عَلَىَّ) يعنى الخيل فلما ردت عليه (فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ) و قيل: ان الخيل هذه حربها من غنيمة جيش فتشاغل باعتراضها حتى غابت الشمس و فاتته العصر، قال الحسن: كشف عراقيبها و ضرب أعناقها، و قال لا تشغلنى عن عبادة ربى مرة اخرى. و قيل:
انه إنما فعل ذلک على وجه القربة إلى اللّه تعالى بأن ذبحها ليتصدق بلحومها لا لعقوبتها بذلک. و إنما فعل ذلک لأنها كانت أعز ماله فأراد بذلک

ما قال اللّه تعالى (لَنْ تَنالَوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) «2» و قال ابو عبيدة:
يقولون: مسح علاوته أى ضربها. و قال ابن عباس: جعل يمسح أعراف الخيل و عراقيبها حباً لها. و قال ابو مسلم محمد بن بحر: غسل أعرافها و عراقيبها إكراماً لها، قال: لان المسح يعبر به عن الغسل من قولهم: تمسحت للصلاة، ثم قال تعالى على وجه القسم (وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ) و معناه اختبرناه و ابتليناه و شددنا المحنة عليه (وَ أَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً) قال ابن عباس:
القى شيطاناً اسمه صخر على كرسيه. و قال مجاهد: كان اسمه أصف. و قال السدى: كان اسمه خنفيق و كان ملكه فى خاتمه يخدمه الجن و الشياطين ما دام فى يده، فلما أذنب سليمان نزع اللَّه منه الخاتم، و جعل مع الجنى فاجتمعت

---

(1) اللسان (كفر).
(2) سورة 3 آل عمران آية 92.

عليه الجن و الشياطين. و قيل: انه كان ذنبه انه وطئ فى ليلة عدة كثيرة من جواريه حرصاً على كثرة الولد. و قيل: كان ذنبه انه وطئ امرأته فى الحيض.
و قوله (ثم أناب) يعنى تاب إلى اللَّه من خطيئته، فرد اللَّه عليه الملك لان الجنى لما أخذ خاتمه رمى به فى البحر فرده عليه من بطن سمكة- ذكر ما قلناه المفسرون- و الذى قاله المفسرون من أهل الحق و من نزه الأنبياء عن القبائح و نزه اللَّه تعالى عن مثل ذلک هو انه لا يجوز أن يمكن اللَّه تعالى جنياً ليتمثل فى صورة نبى لما فى ذلک من الاستبعاد. و إن النبوة لا تكون فى الخاتم و انه تعالى لا يسلب النبى نبوته، و ليس فى الآية شىء من ذلک، و إنما قال فيها انه ألقى على كرسيه جسداً. و قيل فى معنى ذلک الجسد اقوال:
منها- إن سليمان قال يوماً فى مجلسه و فيه جمع كثير لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف فى سبيل اللَّه، و كان له فى ما يروى عدد كثير من السرارى، فاخرج الكلام على سبيل المحبة لهذا الحال، فنزهه اللَّه عما ظاهره الحرص على الدنيا، لئلا يقتدى به فى ذلک، فلم يحمل من نسائه إلا امرأة واحدة ولداً ميتاً، فحمل حتى وضع على كرسيه جسداً بلا روح، تنبيها له على انه ما كان يجب ان يظهر منه ما ظهر، فاستغفر اللَّه و فزع إلى الصلاة و الدعاء على وجه الانقطاع، لا على أن ذلک كان صغيرة، و من قال من حيث انه لم يستثن مشيئة اللَّه فى ذلک، فقوله فاسد، لِأنه و إن لم يذكر مشيئةِ اللَّه لفظاً فلا بد من تقديرها فى المعنى و

إلا لم يأمن أن يكون خبره كذباَ، و ذلک لا يجوز على الأنبياء عند من جوز الصغائر عليهم. قال الحسن و غيره لا يجوز على الأنبياء. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 563
و منها- انه
روى ان الجن لما ولد لسليمان ولد قالوا: لنلقين منه ما لقينا من سليمان، فلما ولد له ولد اشفق منهم، فاسترضعه فى المزن، فلم يشعر إلا و قد وضع على كرسيه ميتاً تنبيهاً على ان الحذر لا ينفع مع القدر.
و منها- انه ذكر انه ولد لسليمان ولد ابتلاه بصبره فى إماتة ولده على كرسيه. و قيل: انه أماته فى حجره، و هو على كرسيه، فوضعه من حجره.
و منها- ما ذكره ابو مسلم فأنه قال: يجوز ان يكون الجسد جسد سليمان و أن يكون ذلک لمرض امتحنه الله به، و تقديره و ألقينا منه على كرسيه جسداً لشدة المرض، كما يقولون: فلان لحم على و ضم إذا كان ضعيفاً، و جسد بلا روح تغليظاً للعلة، و قوة الضعف.
ثم حكى ما قاله سليمان حين أناب إلى الله، فانه سأل الله تعالى و قال (رَبِّ اغْفِرْ لِى وَ هَبْ لِى مُلْكاً لا يَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى) أى لا تسلبنه كما سلبته فى الدفعة الاولى، و قال ابو عبيدة معنى (لا ينبغى) لا يكون، و انشد لابن احمر:
ما ام غفر على دعجاء ذى علق تنفى القراميد عنها الأعصم الوقل
فى رأس خلقاء من عنقاء مشرفة لا ينبغى دونها سهل و لا جبل «1»
و قال ابو عبيدة: أى لا يكون فوقها سهل و لا جبل أحصن منها.
فان قيل: أ ليس ظاهر هذه الآية يقتضى الشح و الضن لأنه لم يرض بأن سأل الملک، حتى أضاف إلى ذلک ألا يكون لأحد بعده مثله؟! قلنا قد ثبت أن الأنبياء لا يجوز أن يسألوا بحضرة قومهم ما لم يأذن اللّه لهم فى ذلک، فعلى هذا لم لا يجوز ان يكون اللّه تعالى أعلم سليمان أنه إن سأل ملكاً لا يكون

---

(1) مر فى 7/ 153.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 564
لغيره كان لطفاً له فى الدين، و أعلمه أن غيره لو سأل ذلک لم يجب اليه، لأنه يكون مفسدة لغيره و لا صلاح له فيه، و لو أن أحدنا صرح بمسألة بهذا الشرط بأن يقول: اللهم اجعلنى أيسر اهل زمانى و ارزقنى ما لا يساوينى فيه احد إذا كانت المصلحة لى فى ذلک لكان هذا جائزاً حسناً، و لم يكن منسوباً إلى بخل، فلا يمتنع أن يسأل النبى ايضاً مثل ذلک.
و قيل: انه لا يمتنع أن يسأل النبى مثل هذه المسألة من غير إذن إذا لم يكن بمحضر من قومه بعد ان يكون الشرط فيه مقدراً.
و قيل فيه وجه آخر، و هو

انه عليه السلام إنما سأل ان يكون ملكه معجزة لنبوته يبين بها من غيره ممن ليس بنبى.
و قوله (لا يَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى) معناه لا ينبغى لاحد غيرى ممن أنا مبعوث اليه، و لم يرد من بعدى إلى يوم القيامة من النبيين.
و قيل: انه لا يمتنع ان يكون المراد انه سأل ملك الآخرة و ثواب الجنة الذى لا يناله المستحق إلا بعد انقطاع التكليف. و معنى (لا يَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى) لا يستحقه بعد وصولى اليه أحد من حيث لا يصح أن يعمل ما يستحق به الثواب لانقطاع التكليف.
ثم بين بعد ذلک انه أعطاه ما سأله فقال (فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ) أى ذللناها له، و التسخير التذليل (تجرى بأمره) يعنى الريح تتوجه إلى حيث شاء (رخاء) قال قتادة معناه طيبة سريعة، و قال ابن زيد: لينة. و قال ابن عباس: مطيعة، و به قال الضحاک و السدى و الرخاء الريح: اللينة و هو رخاوة المرور سهولته و وصفت باللين، لأنها إذا عصفت لم يتمكن منها، و إذا لانت أمكنت. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 565
و قوله (حيث أصاب) قال ابن عباس و مجاهد و الضحاک و السدى:
معناه حيث أراد، يقول القائل: أصاب اللّه بک الرشاد أى أراد الله، و المعنى انها تنطاع له كيف أراد، و قال الحسن: كان يغدو من أبله، و يقيل بقزوين و يبيت بكابل. و الاصابة لحاق البغية، يقال أصاب الهدف بالسهم يصيبه إصابة، و منه الصواب إدراک الحق بالميل اليه، و قوله (و الشياطين) نصبه بالعطف على مفعول (فسخرنا) و تقديره و سخرنا له الشياطين كل بناء و غواص و نصب (كل) على البدل من الشياطين و هو بعضه فالغواص هو الذى يغوص فى الماء أى ينزل فيه تقول: غاص يغوص غوصاً فهو غائص و غوصه تغويصاً و كل الشياطين يغوصون له فى البحار و غيرها من الأنهار بحسب ما يريد منهم و يبنون له الأبنية العجيبة التى يعجز الناس عن مثلها. و قال قتادة: كانوا يغوصون فى البحار يستخرجون له الحلى منها، و غير ذلک (وَ آخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفادِ) الأصفاد واحدها صفاد، و هو الغل و جمعه أغلال. و قال السدى: السلاسل تجمع اليدين إلى العنق و الصفد الغل. و الصفد العطاء، و بعضهم يقول: اصفدنى قال الأعشى:
[تضيفته يوماً فقرب مقعدى] و اصفدنى على الزمانة قائداً «1»
و ذلک انه ارتبط من شكره بمثل الغل، و (مقرنين) هم الذين قرن بعضهم إلى بعض بالسلاسل.
ثم قال تعالى (هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ) قال الحسن:
معناه هذا الملک الذى أعطيناک، فأعط ما شئت و امنع ما شئت. و قال قتادة و الضحاک: معناه لا تحاسب على ما تعطى و تمنع منه يوم القيامة ليكون أهنأ لک

---

(1) ديوانه 44 و قد مر فى 6/ 310.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 566
و معناه ليس عليک تبعة. و قيل: معناه بغير مقدار يجب عليک إخراجه من يدک، و يکون بغير حساب، فامنن او أمسک و قال الزجاج: المعنى سخرنا لک الشياطين عطاء لک منا فأطلق منهم من شئت و احبس من شئت فلا حساب عليک منه.
ثم قال تعالى (و إن له) يعنى سليمان (عِنْدَنا لَزُلْفى) أى لقربى زيادة على ما أعطيناه فى الدنيا (و حسن مآب) أى و حسن مآل فى العاقبة.

وَ اذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَ عَذابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَ شَرابٌ (42) وَ وَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَ ذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ (43) وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَ لا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)

أربع آيات.

قرأ ابو جعفر (بنصب) بضم النون و الصاد. و قراءة يعقوب بفتحهما.

الباقون بضم النون و إسكان الصاد، و هى لغات أربع. و قراءة هبيرة بفتح النون و إسكان الصاد.

يقول اللَّه تعالى لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله (و اذكر) يا محمد (عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ) فقال يا رب، لان النداء هو الدعاء بطريقة يا فلان و متى قال اللهم افعل بى و ارزقنى و عافنى كان داعياً و لا يكون منادياً (أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ)

(انى) فى موضع نصب لان تقديره انه نادى بهذا القول، و تقديره بأنى مسنى فلما حذف الياء نصب (أنى) و (مسنى الشيطان) أى وسوسنى و ذكرنى ما كنت فيه من نعم اللَّه فى الأهل و الولد و المال، و كيف زال ذلك كله و ما حصل فيه من البلية طمعاً فيه ليزله بذلك و يجد طريقاً إلى إضلاله و تضجره و تبرمه، فوجده صابراً عند ذلك مسلماً لأمر اللَّه تعالى. و قيل:

انه كان وسوس إلى قومه أن يستقذروه و يخرجوه من بيتهم و لا يتركوا امرأته التى تخدمه أن تدخل عليهم، لان فيه برصاً و جذاماً ربما عدا اليهم و كان أيوب ينادى بذلك و يألم به. و النصب و الوصب و التعب نظائر، و فيه لغات اربع على ما حكيناه نصب و نصب مثل حزن و حزن و رشد و رشد و رشد، و عدم و عدم، ثم تسكن الصاد مع فتح النون تخفيفاً و تضم النون و الصاد اتباعاً لما قبله. و نقيض النصب الراحة و أصله الإنصاب يقال انصبنى أى عذبنى، و برح بى، و منهم من يقول: نصبنى قال بشر بن أبى حازم:

تعناک نصب من أميمة منصب

و قال النابغة:

كلينى لهم يا أميمة ناصب و ليل أقاسيه بطىء الكواكب «1»

و (عذاب) أراد به ما كا يدخل عليه من ألم الوسوسة، فأجاب اللَّه تعالى دعاه و قال (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) أى ادفع برجلک الأرض، فالركض الدفع بالرجل على جهة الاسراع، و منه ركض الفرس لاسراعه إذا دفعه برجله.

يقال: ركضت الدابة و ركضتها أنا مثل جبر العظم و جبرته أنا، و حزن و حزنته انا، و فى الكلام حذف و تقديره فركض برجله و ظهر عين ماء، فقال

اللّه

---

(1) مر فى 5/ 368 و 6/ 95، 329.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 568
له (هذا مغتسل) أى ماء مغتسل (بارِدٌ وَ شَرابٌ) و قال الحسن و قتادة: نبعت له عينان، فاغتسل من إحداهما و شرب من الأخرى، فالمغتسل موضع الاغتسال. و قيل: كل ماء يغتسل فيه فهو مغتسل و غسول- ذكره ابو عبيدة- و فى الكلام حذف، و تقديره إن أيوب اغتسل من تلك العين، فأزال اللّه تعالى عنه جميع ما كان فيه من الأمراض.
ثم اخبر بما من عليه زيادة على صلاح جسمه، و زوال ألمه فقال (وَ وَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ) لأنه لما رد عليه أهله كان ذلک هبة منه مجددة (وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) و تقديره و وهبنا له مثل أهله دفعة اخرى. و قد ذكرنا اختلاف المفسرين فى ذلک- فى سورة الأنبياء- و أن فيهم من قال أعطاه بكل امرأة امرأتين و بكل ولد ولدين فى دار الدنيا. و منهم من قال ذلک اخبار عما يهبه اللّه له فى الآخرة. و قيل: إن اللّه تعالى أمطر عليه جراداً من ذهب و قوله (رحمة منا) معناه فعلنا ذلک لرحمتنا إياه، فهو نصب على انه مفعول له، و يجوز ان يكون نصباً على المصدر (وَ ذِكْرى لِأُولِى الْأَلْبابِ) أى و ليتذكر به و يعتبر ذووا العقول فيصبروا كما صبر.
ثم حكى ما قال له فانه قال له (خُذْ بِيَدِکَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَ لا تَحْنَثْ) فالضغث ملء الكف من الحشيش او الشماريخ و ما أشبه ذلک قال عوف بن الجزع:
و أسفل منى فهدة قد ربطنها و ألقيت ضغثاً من حلا متطيب
أى تطيبت لها. و قيل إنه كان حلف على امرأته لأمر أنكره من قولها لئن عوفى ليضربنها مائة، فقيل له (خُذْ بِيَدِکَ ضِغْثاً) بعدد ما حلفت، فاضرب به دفعة واحدة، فإنک إذا فعلت ذلک، فقد بررت قسمک، و لم تحنث، و هو قول قتادة و الضحاک. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 569
و قوله (و لا تحنث) نهى له عن الحنث.
ثم اخبر تعالى عن حال أيوب و عظم منزلته، فقال (إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً) لبلائنا مسلماً لأمرنا. ثم أثنى عليه فقال (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) أى رجاع إلى اللّه منقطع اليه، و عندنا ان من حلف ان يضرب غيره مائة فضربه بشمراخ فيه مائة طاقة، فقد بر فى يمينه، و فيه خلاف بين الفقهاء.

وَ اذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَ الْأَبْصارِ (45) إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (46) وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ (47) وَ اذْكُرْ إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ ذَا الْكِفْلِ وَ كُلٌّ مِنَ الْأَخْيارِ (48) هذا ذِكْرٌ وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (49)
جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ (50) مُتَّكِئِينَ فِيها يَدْعُونَ فِيها بِفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَ شَرابٍ (51) وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ أَتْرابٌ (52) هذا ما تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسابِ (53) إِنَّ هذا لَرِزْقُنا ما لَهُ مِنْ نَفادٍ (54)
عشر آيات.
قرأ ابن كثير (و اذكر عبدنا ابراهيم) على التوحيد. و الباقون على الجمع. و قرأ نافع (بخالصة ذكرى الدار) مضافاً. الباقون بالتنوين. من التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 570
نون جعل (ذكرى) بدلا من (خالصة) و موضعه جر، و يجوز أن يكون نصباً بإضمار (اعنى) او يكون معمول خالصة- فى قول أبى عبيدة- و يجوز أن يكون رفعاً بإضمار هى ذكرى، كما قال (قُلْ أَ فَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ النَّارُ) «1» اى هى النار، قال ابو على: (الدار) يحتمل ان يكون الدنيا و يحتمل أن يكون الآخرة اى باخلاصهم ذكرى فى الدنيا، فإذا حملت على دار الاخرة، فعلى تقدير إخلاصهم ذكرى الدار. و يكون ذكرهم لها وجل قلوبهم منها و من حسابها، كما قال (وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ) «2» فالدار عندهم على هذا مفعول به، و ليست كالوجه المتقدم. فأما من أضاف فانه يكون قد أضاف إلى المفعول، كأنهم باخلاصهم ذكرى الدار و الخوف منها أخلصوا ذكرها و الخوف منها للّه تعالى، و يكون على اضافة المصدر إلى الفاعل و تقديره بأن خلصت لهم ذكرى الدار.
و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً (و الليسع) بلامين. الباقون بلام واحدة من قرأ بلامين ادخل على اللام الالف و اللام، ثم ادغم إحداهما فى الأخرى كما قال الشاعر:
وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا شديداً بأعباء الخلافة كاهله «3»
لأنه قدره تقدير النكرة، و قرأ (هذا ما يوعدون) بالياء ابن كثير و ابو عمرو، و فى سورة ق ابن كثير وحده. الباقون بالتاء. من قرأ بالياء فللغيبة، و من قرأ بالتاء فعلى الخطاب، و من قرأ (عبدنا) على التوحيد يجوز ان يكون خص به ابراهيم بكونه عبداً له كما خصه بالخلة، و يجوز أن يكون

---

(1) سورة 22 الحج آية 72.
(2) سورة 21 الأنبياء آية 49.

(3) مر فى 4/ 208 و 7/ 35.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 571
لان لفظه يدل على القليل و الكثير. و من جمع فلانه ذكر جماعة.
يقول اللّه تعالى مخاطباً لنبيه (و اذكر) يا محمد (عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ) فمن قرأ بالجمع فلأنه ذكر جماعة. و من قرأ بالتوحيد فلان لفظة (عبد) لفظ جنس يقع على القليل و الكثير، ثم وصفهم فقال (اولى الايدى) يعنى اولى القوة على العبادة (و الأبصار) الفقه فى الدين- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة- و قيل: (اولى الايدى) معناه اولى الاعمال الصالحة، و قيل معناه اولى النعم فى الدين، قال الشاعر:
فاعمل لما يعلو فما لک بال ذى لا تستطيع من الأمور تدانِ
ثم اخبر تعالى عن حال هؤلاء الذين وصفهم، فقال (إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ) فالاخلاص إخراج كل شائب من الشىء ليس من شكله، فهؤلاء الأبرار قد أخلصهم اللّه لنعيم الجنان بلطفه فى ما لازموه من الإحسان، و قوله (بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) معناه إنا أخلصنا ابراهيم و إسحاق و يعقوب بخلة خلصت لهم. ثم قال (ذكرى الدار) بدلا من (خالصة) اى يذكرون بدار الآخرة و يزهدون فى الدنيا، و يجوز ان يكون المعنى إنهم يكثرون ذكر الآخرة و الرجوع إلى اللّه، و معنى (أخلصناهم) اصفيناهم، قال الطبرى: معناه أخلصناهم بأفضل ما فى الآخرة، هذا على قول من أضاف، و هو قول ابن زيد. و من نون فالمعنى الخالصة التى أخلصناهم بها هى ذكرى الدار للعمل لها فناهيک بها من خالصة أدت اليها و هى الجنة.
ثم قال (وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ) و الاصطفاء إخراج الصفوة من كل شىء فهم صفوة و غيرهم كدر، فاللّه تعالى اصطفى هؤلاء الأنبياء بأن اختارهم لنبوته بحسب ما سبق فى علمه انه يكون منهم من القيام
بأعباء التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 572
النبوة و المسارعة إلى الخير و التبرز فى الفضل. و الذكر الذى يحتاج اليه على وجهين: ذكر ما يحب بالرغبة فيه و الدعاء اليه و ذكر ما يتقى بالرهبة منه و التحذير منه. و فى ذلک تمام الداعى و الصارف اللذين تقتضيهما الحكمة.
و (الأخيار) جمع خير على وزن (أموات) جمع (ميت) و هو من يفعل الأفعال الكثيرة الحسنة. و قيل هو جمع (خير) و مثله (الأبرار) جمع (بر) وصفوا بالمصدر، و قال مجاهد و قتادة: (ذكرى الدار) دار الآخرة و قال ابن زيد: هى دار الجنة. كما قال تعالى (وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ) «1» قيل: إنهم كانوا يذكرونها للعمل لها و دعاء الناس اليها. و قيل: ذكرى الدار بالثناء الذى ليس لغيرهم من اجل قيامهم بالنبوة. و قيل: الاصطفاء الاختصاص بمدحهم بأنهم هم الصفوة. و قيل: إنما خاطب اللّه النبى صلى اللّه عليه و آله أن يذكرهم بِصبرِهم و فضلهم ليسلک طريقهم ثم قال له صلى اللّه عليه و آلهِ (و اذكر)

أيضاَ (إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ ذَا الْكِفْلِ) بمثل ذلک. ثم اخبر عنهم بأنهم کلهم من الأخيار. و قيل ذو الکفل ذو الضعف من الثواب. و قيل کان اسمه ذلک. و قيل: سمى بذلک لأنه تکفل بأمر أنبياء خلصهم اللّه من القتل به. و قيل تکفل بعمل صالح فسمى به.
ثم قال تعالى (هذا ذِکْرٌ) و معناه إن ما أخبرنا عنهم ذکر أى شرف لهم و ذکر جميل و ثناء حسن يذکرون به فى الدنيا (وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ) يعنى حسن المرجع فى الآخرة، لأنهم يرجعون إلى الجنة. ثم بين ذلک المآب، فقال (جنات عدن) و هو فى موضع جر على البدل من (مآب) و الجنات جمع جنة و هى البستان التى يجنها الشجر (عدن) يعنى موضع إقامة و خلود (مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ) قيل تنفتح من غير کلفة، قال الحسن تکلم: انفتحى

---

(1) سورة 16 النحل آية 30.

انغلقى، و رفعت (الأبواب) لان تقديره مفتحة لهم أبوابها، فدخلت الألف و اللام بدلا من الاضافة، کما يقولون: مررت برجل حسنة عينه قبيح أنفه يريدون قبيح الانف- ذکره الفراء- و قال الزجاج: تقديره مفتحة لهم الأبواب منها، و لو نصب (الأبواب) لجاز، کقول الشاعر:
فما قومى بتغلبة بن سعد و لا بفزارة الشعث الرقابا
هذا على شبه المفعول. ثم وصف تعالى الذين يحصلون فى الجنة فقال (مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِکِ) فالاتکاء الاستناد الى المساند، و منه الوکاء لأنه يستمسک به ما فى الوعاء (يَدْعُونَ فِيها بِفاکِهَةٍ کَثِيرَةٍ وَ شَرابٍ) أى يستدعون الفواکه للأکل و الشراب للشرب (وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ أَتْرابٌ) يعنى قصرن على أزواجهن فما لهن فى غيرهم بغية، فالقاصر نقيض المادّ، يقال هو قاصر طرفه عن فلان و ماد عينه إلى فلان قال امرؤ القيس:
من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لأثرا «1»
و الاتراب الأقران على سن واحد ليس فيهن هرمة و لا عجوز. قال الفراء: لا يقال الاتراب إلا فى الإناث، و لا يقال فى الذکران قال ابن أبى ربيعة:
ابرزوها مثل المهاة تهادى بين عشر کواعب أتراب «2»
و الترب اللذة و هو مأخوذ من اللعب بالتراب. و قيل: أتراب على مقدار سن الازواج من غير زيادة و لا نقصان. ثم قال تعالى (هذا ما تُوعَدُونَ) فمن قرأ بالتاء فعلى انه يقال لهم و يخاطبون بهذا القول. و من قرأ بالياء فعلى الخبر عن حالهم (ليوم الحساب) يعنى يوم الجزاء. ثم قال تعالى (إن

---

(1) ديوانه 91 (شرح السندوسى)
(2) ديوانه 59 (دار بيروت).

هذا) يعنى الذى وصفته من الجنة و ما فيها من انواع اللذات (لَرِزْقُنا ما لَهُ مِنْ نَفادٍ) يعنى من انقطاع لأنه على سبيل الدوام، و هو قول قتادة.

هذا وَ إِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (55) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمِهادُ (56) هذا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَ غَسَّاقٌ (57) وَ آخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْواجٌ (58) هذا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صالُوا النَّارِ (59)
قالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنا فَبِئْسَ الْقَرارُ (60)
ست آيات بلا خلاف.
لما وصف اللّه تعالى اهل الجنة و ما أعدّه لهم من انواع النعيم فيها وصف ما أعده لأهل النار و العصاة من انواع العقاب، فقال (هذا) يعنى هذا ما ذكرنا لأهل الجنة. ثم ابتدأ فقال (وَ إِنَّ لِلطَّاغِينَ) و هم الذين طغوا فى معاصى اللّه (لشر مآب) يعنى شر مرجع. ثم بين ذلک المرجع فقال (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمِهادُ) و إنما وصف جهنم بأنها مهاد لما كانت عوضاً لهم عن المهاد، فسميت باسمه، كما قال (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ) «1» و قال قوم: هو على تقدير بئس موضع المهاد، و المهاد الفراش الموطأة تقول:
مهدت له تمهيداً كقولک وطأت له توطئة، و منه مهد الصبى، لأنه يوطأ له.
ثم قال (هذا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَ غَسَّاقٌ) و تقديره هذا عذاب جهنم

---

(1) سورة آل عمران آية 21.

فليذوقوه حميم و غسان. و يجوز أن تجعله مستأنفاً كأنک قلت هذا فليذوقوه.
ثم قلت منه حميم و غساق.
أمرهم اللّه بذواق الحميم، لان الذواق ابتداء إدراک الطعم على طلبه بالفم، و لذلک يقال: ذقته فلم أجد له طعماً لما فيه من طلب ادراک الطعم بالفم.
و من طلب إدراک الشىء كان أشد احساساً به. و الحميم الحار الشديد الحرارة، و منه الحمى لشدة حرارتها و حم الشىء إذا دنا و أحمه لهذا أى أدناه قال الشاعر:
أحم اللّه ذلک من لقاء أحاد أحاد فى الشهر الحلال «1»
و الغساق ما يسيل من صديد أهل النار. و قال ابن عمر: هو القيح الذى يسيل منهم يجمع فيسقونه، و قال كعب الأحبار: الغساق عين فى جهنم يسيل اليها سم كل ذات حمة من عقرب و حية. و قيل: هو قيح شديد النتن، يقال: غسقت القرحة تغسق غسوقاً. و التشديد و التخفيف لغتان. و قيل: الغساق الزمهرير- فى قول ابن مسعود- فلبرده يحرق كما تحرق النار.
ثم قال (وَ آخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْواجٌ) معناه أنواع أخر من شكل العذاب أزواج اى أمثال. و قال الحسن: ذكر السلاسل و الاغلال و نحوه، ثم قال (وَ آخَرُ

مِنْ شَكْلِهِ) مما لم ير فى الدنيا. و الشكل- بفتح الشين- الضرب المشابه. و الشكل- بكسر الشين- النظير فى الحسن، و من قرأ (و آخر) أراد الواحد. و من قرأ (و أخر) أراد الجمع (ازواج) معناه اشكال. ثم قال (هذا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ) قال الحسن يعنى به بنى إبليس، و الآخر بنو آدم يقتحمون معكم النار و عذابها (لا مَرْحَباً بِهِمْ) أى لا اتسعت لهم أماكنهم (إِنَّهُمْ صالُوا النَّارِ) أى لازموها. قال الفراء:

---

(1) اللسان (حمم).

هى الأمة بعد الأمة تدخل النار. و قوله (لا مَرْحَباً بِهِمْ) من قول أهل النار، كما قال (كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها) «1» و قيل هم اتباع الرؤساء فى الضلالة قيل لهم لا مرحباً بهم، و هو نصب على المصدر (قالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنا فَبِئْسَ الْقَرارُ) حكاية ما يردون عليهم من الجواب فإنهم يقولون: بل أنتم لا اتسعت عليكم أماكنكم قدمتموه لنا فبئس القرار الذى استقررنا عليه، و هو مثل قوله «رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً» «2» و قرأ حمزة و الكسائى و خلف (غَساق)- بالتشديد- الباقون بالتخفيف و هما لغتان. و قرأ ابو عمرو و ابن كثير (و اخر) مضمومة الالف على الجمع.

الباقون (و آخر) بفتح الالف ممدودة على التوحيد. و من قرأ على الجمع، فلقوله (ازواج) و هما لا ينصرفان، لان (آخر) وزنه افعل و اما أخر فلأنه معدول عن الألف و اللام، لأنه لا يستعمل فى الجارية الكبرى و المرأة الأخرى إلا بالألف و اللام، فلما عدلوه و عرفوه تركوا صرفه مثل (سحر) إذا أردت سحر يوم بعينه تركت صرفه لأنه معدول عن الألف و اللام فى السحر.

قالُوا رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هذا فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ (61) وَ قالُوا ما لَنا لا نَرى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ (62) أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ (63) إِنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (64) قُلْ إِنَّما أَنَا مُنْذِرٌ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (65)

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 37. [.....]
(2) سورة 33 الأحزاب آية 68.

خمس آيات.
قرأ ابو عمرو و حمزة و الكسائى اتخذناهم موصولة على وجه الاخبار. الباقون بقطع الهمزة على الاستفهام. و قرأ نافع و حمزة و الكسائى (سخرياً) بضم السين.
الباقون بكسرها.
حكى اللَّه تعالى عن الكفار الذين اتبعوا غيرهم فى الضلال و انقادوا لرؤسائهم فيه انهم يقولون يوم القيامة إذا حصلوا فى عذاب جهنم يا (رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هذا) أى من سبب لنا هذا العذاب و دعانا إلى ما قد استوجبنا به ذلك «فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً» أى مثلا مضاعفاً إلى مثل ما يستحقه «فى النار» احد الضعفين لكفرهم باللَّه تعالى و الضعف الآخر لدعائهم إيانا إلى الكفر.
ثم حكى عنهم ايضاً انهم يقولون «ما لَنا لا نَرى رِجالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ» قال مجاهد نزلت فى أبى جهل و الوليد بن المغيرة و ذويهما انهم يقولون مع قرنائهم: ما لنا لا نرى عماراً و خباباً و صهيباً و بلالا الذين كنا نعدهم فى الدنيا من جملة الأشرار الذين يفعلون الشر و القبيح و لا يفعلون الخير. و فى تفسير اهل البيت إن هذا حكاية عما يقوله اعداء أهل الحق، فإنهم لا يرون أهل الحق يوم القيامة لكونهم فى الجنة و كون أعدائهم فى النار و كانوا يعدونهم فى الدنيا من الأشرار.
ثم حكى انهم يقولون ايضاً «أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا» فمن قطع الهمزة أراد التبيان

الاستفهام الذى معناه التعجب و التوبيخ، و من وصل أراد الاخبار، يعنون الذين كنا نعدهم من الأشرار «أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا» فمن كسر السين جعله من الهزء أى كنا نسخر منهم فى الدنيا، و من ضم السين جعله من السخرة أى كنا نسخرهم و نستذلهم «أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ» و من قطع الهمزة جعل (أم) معادلة و من وصلها جعل (أم) بمعنى بل، قال مجاهد و الضحاك «أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ» أى أبصارنا، فلا ندرى اين هم. و قال الحسن:

كل ذلک قد مثلوا بهم اتخذوها سخرياً و زاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم.
ثم اقسم تعالى ان الذى حكاه من تخاصم اهل النار و مجادلة بعضهم لبعض «لحق» أى كائن لا محالة.
ثم أمر نبيه صلى اللَّه عليه و آله فقال «قُلْ» يا محمد «إِنَّما أَنَا مُنْذِرٌ» أى مخوف من معاصى اللَّه و محذر من عقابه «وَ ما مِنْ إِلهٍ» أى و ليس من يحق له العبادة «إِلَّا اللَّهُ الْواحِدُ» الفرد «الْقَهَّارُ» لجميع خلقه المستعلى عليهم بسعة مقدوره لا يقدر احد على الخلاص من عقوبته إذا أراد عقابه، و من اختار وصل الهمزة فى قوله «أَتَّخَذْناهُمْ» قال لأنهم علموا انهم اتخذوهم سخرياً فى دار الدنيا و إنما اعترفوا بذلک يوم القيامة، يقولون اتخذناهم سخرياً بل زاغت عنهم أبصارنا محقرة لهم. و من قطع الهمزة قال: هذا على وجه التوبيخ لنفوسهم و التبكيت لها. ثم قال ذلک أى ثم يقولون بل زاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم.

رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (66) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (67) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (68) ما كانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69) إِنْ يُوحى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (70)

أربع آيات.

قرأ ابو جعفر «إنما انا نذير مبين» بكسر الهمزة. الباقون بفتحها.

لما وصف اللَّه تعالى نفسه بأنه الواحد القهار وصفها ايضاً بأنه «رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» أى مالكهما و مدبرهما و مدبر ما بينهما «العزيز» الذى لا يغالب لسعة مقدوراته «الغفار» لذنوب عباده إذا تابوا.

ثم قال قل لهم يا محمد «هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ» قال مجاهد و السدى يعنى القرآن «هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ» أى الخبر العظيم و قال الحسن: هو يوم القيامة.

ثم خاطب الكفار فقال «أَنْتُمْ» معاشر الكفار «عَنْهُ مُعْرِضُونَ» عن هذا النبأ العظيم لا تعلمون بما يوجب مثله من اجتناب المعاصى و فعل الطاعات.

ثم أمر نبيه صلى اللَّه عليه و آله ان يقول أيضاً «ما كانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلى إِذْ يَخْتَصِمُونَ» يعنى بالملإ الأعلى الملائكة اختصموا فى آدم حين قيل: لهم «إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» فى قول ابن عباس و قتادة و السدى، فما علمت ما كانوا فيه إلا بوحى من اللَّه تعالى. و قيل: كان اختصام الملائكة فى ما كان طريقه الاجتهاد. و قيل: بل طريقه استخراج الفائدة، و لا يجوز ان يختصموا فى دفع الحق.

و قوله «إِنْ يُوحى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ليس يوحى إلَى إلا لأنى انا نذير مبين أى مخوف من المعاصى مظهر للحق.

الثانى- ليس يوحى إلىّ إلا الانذار البين الواضح.

إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَةِ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ (71) فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ (72) فَسَجَدَ الْمَلائِکَةُ کُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلاَّ إِبْلِیسَ اسْتَکْبَرَ وَ کانَ مِنَ الْکافِرِینَ (74) قالَ یا إِبْلِیسُ ما مَنَعَکَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِیَدَیَّ أَسْتَکْبَرْتَ أَمْ کُنْتَ مِنَ الْعالِینَ (75)

خمس آیات.

یقول اللَّه تعالی لنبیه محمد صلی اللَّه علیه و آله قل یا محمد «ما کانَ لِی مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلی» من الملائکة «إِذْ یَخْتَصِمُونَ ... إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَةِ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ» یعنی آدم علیه السلام، لأن اللَّه تعالی خلقه من طین، فالخلق فعل الشیء علی تقدیر و ترتیب و کان جعل آدم علی مقدار ما تقتضیه الحکمة و اصل الخلق التقدیر. و البشر مأخوذ من البشرة، و هی الجلدة الظاهرة، و الإنسان مأخوذ من الانس، لأنه یأنس بمثله فی ما یؤنس به، فجری علیه الاسم، لأن هذا من شأنه «فَإِذا سَوَّیْتُهُ» أی سویت خلق هذا البشر و تممت أعضاه و صورته «فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ» أی اسجدوا له. و قد بینا فی ما مضی أن السجود کان للَّه تعالی و عبادة له و فیه تفضیلا لآدم علی الملائکة و قوله «وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی» فالروح جسم رقیق هوائی بها یتم کون الحی حیاً لتخرقه فی مخارق الإنسان و هو مشتق من الریح، و منه الراحة و الاستراحة من الکد للخفة علی النفس کالریح، و منه الأریحة،

و الراحة کف التبیان فی تفسیر القرآن، ج8، ص: 581

الإنسان لما یتراوح الناس الیها فی العمل، و منه الرواح إلی المنزل للاستراحة و معنی «وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی» أی تولیت خلقها من غیر سبب کالولادة التی تؤدی الیها، لان اللَّه تعالی شرف آدم بهذه الحال و کرمه. و فی الکلام حذف و تقدیره إن اللَّه خلق آدم الذی وعدهم بخلقه ثم إن الملائکة سجدت بأجمعها له إلا إبلیس الذی أمتنع، و قد بینا اختلاف الناس فی أن إبلیس هل کان من جملة الملائکة، و من قبلهم او کان فی جملتهم یتناول الأمر له بالسجود فلا نطوّل باعادته فمن قال لم یکن منهم، قال (إلا) بمعنی (لکن) و تقدیره:

لکن إبلیس استکبر و تجبر و امتنع من السجود له، و کان بذلک الاباء و المخالفة من جملة الکافرین.

ثم حکی ما خاطب اللَّه تعالی إبلیس به حین امتنع من السجود لآدم «ما مَنَعَکَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِیَدَیَّ» علی وجه التقریع له و التهجین لفعله، و إنما قال «بیدی» علی وجه تحقیق الاضافة لخلقة اللَّه تعالی، لا انه أمر به او کان علی سبب أدی الیه تعالی، و التثنیة أشد مبالغة، کما قال الشاعر:

دعوت لما نابنی مسوراً فلبی فلبی یدی مسور «1»

لتحقيق اضافة المبالغة الى مسور، و مثله قولهم: هذا ما كسبت يداک أى ما كسبته أنت قال الشاعر:
ايها المبتغى فناء قريش بيد اللَّه عمرها و الفناء
فوحد لتحقيق الاضافة. ثم قال له بلفظ الاستفهام و المراد به الإنكار «أَسْتَكْبَرْتَ» يا إبليس أى طلبت التكبر بامتناعک من السجود له «أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ» الذين يعلون على الخلق تجبراً و تكبراً. و قرئ فى الشواذ «بيدى أستكبرت»

---

(1) اللسان (سور، لبب).

على وصل الهمزة. و روى ذلک عن مجاهد عن شبل ابن كثير اجتزاء ب (أم) عن الف الاستفهام. و يحتمل أن يكون على اليمين، كأنه اقسم فقال بنعمتى الدينية و الدنياوية تكبرت بل كنت من العالين بهذا الفعل فتكون على هذا (أم) منقطعة و على الأول و هو المعروف تكون معادلة لهمزة الاستفهام.

قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّکَ رَجِيمٌ (77) وَ إِنَّ عَلَيْکَ لَعْنَتِی إِلی يَوْمِ الدِّينِ (78) قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِی إِلی يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قالَ فَإِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80)
إِلی يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قالَ فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلاَّ عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83) قالَ فَالْحَقُّ وَ الْحَقَّ أَقُولُ (84) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکَ وَ مِمَّنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85)
قُلْ ما أَسْئَلُکُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَکَلِّفِينَ (86) إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِکْرٌ لِلْعالَمِينَ (87) وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (88)
ثلاث عشرة آية فى الكوفى و اثنتا عشرة آية فى ما عداه عد الكوفى «فالحق أقول» و لم يعده الباقون. التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 583
قرأ عاصم إلا هيبرة و خلف و حمزة «قال فالحق» بالرفع «و الحق» بالنصب.
الباقون بالنصب فيهما، من رفع تقديره فأنا الحق، و يجوز على تقدير فالحق لأملأن كما تقول: عزيمة صادقة لآتينک، و يجوز على تقدير حذف الخبر، و تقديره:
فالحق منى لأملأن. و من نصب فعلى فالحق لأملأن على القسم، كما تقول: و اللّه لأفعلن، و يجوز فى مثله حقاً لأملأن، و يكون (وَ الْحَقَّ أَقُولُ) اعتراضاً بين الكلامين، و يجوز أن يكون النصب على تقدير اتبعوا الحق، او أقول الحق. و قال ابو على: من نصب (الحق) الأول فعلى إضمار (فعل) نحو ما ظهر فى قوله «لِيُحِقَّ الْحَقَّ» «1» و فى قوله «وَ يُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ» «2».
لما حكى تعالى ما قال لإبليس على وجه الإنكار عليه «أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ» حكى ما أجاب به إبليس، فانه قال «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» و قيل إن اللّه تعالى خلق الملائكة من الريح فسموا بذلک روحانيين، و خلق آدم من الطين و خلق إبليس من النار، فظن إبليس إن النار أشرف من الطين لما فيها من النور، و لما يكون بها من الانضاح لأكثر ما يحتاج اليه و من الإحراق الذى يقع به الزجر من العقاب فدخلت عليه الشبهة بهذا، و ظن أنه أفضل منه من حيث كان أصله أفضل من اصل آدم، و كيف يجوز أن يفضل آدم عليه السلام عليه. و هذا يدل على ان السجود لآدم كان على وجه التفضيل له على جميع من أمر بالسجود له، و إلا لم يكن يمتنع من ذلک، و لم يعلم إبليس أن اللّه تعالى إنما أمرهم بالسجود لآدم عبادة له. و إن كان تفضيلا لآدم و إن لهم فى ذلک لطفاً فى تكليفهم فلذلک أمرهم اللّه بالسجود له، و لو أنعم النظر فى ذلک لزالت شبهته.

فقال

---

(1) سورة 8 الانفال آية 8.
(2) سورة 10 يونس آية 82.
التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 584
اللّه تعالى له «فَاخْرُجْ مِنْها» قال الحسن: يعنى من السماء. و قال غيره: من الجنة «فَإِنَّکَ رَجِيمٌ» أى مرجوم إن رجعت اليها بمثل الشهب التى ترجم به الشياطين. و أصل الرجيم المرجوم، و هو المرمى بالحجر «وَ إِنَّ عَلَيْکَ لَعْنَتِى» يا إبليس ابعادى لک من رحمتى «إِلى يَوْمِ الدِّينِ» يعنى يوم القيامة الذى هو يوم الجزاء. فقال إبليس عند ذلک يا «رَبِّ فَأَنْظِرْنِى» أى اخرنى «إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» أى يوم يحشرون للحساب، و هو يوم القيامة فقال اللّه تعالى له «فَإِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ» أى من المؤخرين «إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» أى اليوم الذى قدر اللّه فيه اماتتک، فعلى هذا لا يلزم أن يكون إبليس مغرى بالقبائح لعلمه بأنه يبقى، لأنه لا وقت إلا و هو يجوز أن يخترم فيه، و لا يقدر على التوبة فالزجر حاصل له. و من قال إنه اجابه إلى يوم القيامة يقول: كما أعلمه انه يبقيه إلى يوم يبعثون، اعلمه ايضاً انه من أهل النار لا محالة، و انه لا يتوب و صح مع ذلک تكليفه، لأنه يلزمه بحكم العقل أن لا يفعل القبيح من حيث انه متى فعله زاد عقابه، و يضاعف على ما يستحق له. و تخفيف العقاب عن النفس واجب بحكم العقل، كما يجب إسقاط العقاب جملة.
ثم حكى تعالى ما قال إبليس فانه اقسم و قال «فَبِعِزَّتِکَ» يا الهى «لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» فالعزة القدرة التى يقهر بها غيره من القادرين، و (الإغواء) التخيب، و إبليس يغوى الخلق بأن يزين لهم القبيح و يرغبهم فيه. و الغى خلاف الرشد، و هو الخيبة، يقال: أغواه يغويه إغواء، فهو مغوى إذا دعاه إلى ما فيه الخيبة.
ثم استثنى من جملة من يغويهم «إِلَّا عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» مع حرصه على إغواء الجميع من حيث أنه يئس منهم من حيث علم انهم لا يقبلون منه و لا التبيان فى تفسير القرآن، ج8، ص: 585
ينقادون لاغوائه، و انه ليس له عليهم سلطان إلا بالإغواء، فإذا علم أن منهم من لا يقبل منه عرف ذلک عنه ليأسه منه. و من فتح اللام من «المخلصين» أراد إن اللّه تعالى أخلصهم بما فعل لهم من اللطف الذى امتنعوا عنده من القبائح، و من كسر اللام أراد انهم أخلصوا عبادتهم للّه، لم يشركوا معه غيره.
ثم حكى تعالى ما أجاب به- عز و جل- لإبليس، فانه قال له «فَالْحَقُّ وَ الْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ» فمن رفع الأول أراد، فأنا الحق او فالحق لأملأن و أقول الحق. و من نصب فعلى تقدير. فالحق لأملأن، كما تقول حقاً لأملأن، و يكون

«وَ الْحَقَّ أَقُولُ» اعتراض بين الكلامين و يكون العامل فى (الحق) الثانى قوله «أَقُولُ» «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکَ» يا إبليس «وَ مِمَّنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ» أى من تابعک على دعائک إلى المعاصى.
ثم خاطب النبى صلى اللّه عليه و آله فقال «قُلْ» يا محمد «ما أَسْئَلُکُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ» أى ليس اسألكم أجراً على دعائكم إلى اللّه «وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ» أى و لست ممن يتعسف فى طلب الأمر الذى لا يقتضيه العقل، و صفة (متكلف) صفة تجرى مجرى الذم، فلذلک قال «وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ»، لأنه لا يدعو إلا الى الأمر الجميل الذى يقتضيه الحق.
ثم قال «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ» أى ليس هذا القرآن إلا شرف للعالمين «وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ» قال الفراء: معناه و لتعلمن خبر القرآن و انه حق او خبر محمد أنه صادق بعد حين، قال الحسن: عند الموت يأتيک الخبر

القين. و قال ابن زيد: يوم القيامة، و الحين الوقت، و قال عكرمة: هو كقوله «تُؤْتِى أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها» «1» و ذلک حين تصرم النخلة إلى حين تطلع ستة أشهر و هو مثل ما رواه أصحابنا سواء.

---

(1) سورة 14 ابراهيم 25 آية.
تم المجلد الثامن من التبيان و يليه المجلد التاسع و أوله أول سورة الزمر
طبع فى مطابع النعمان فى النجف الأشرف فى شعبان سنة 1382 ه و فى كانون الثانى سنة 1963 م

المجلد التاسع

اشارة

و تسمی أیضاً (سورة الغرف) و هی مکیة- فی قول مجاهد و قتادة و الحسن- لیس فیها ناسخ و لا منسوخ عدد آیاتها خمس و سبعون آیة- فی الکوفی- و ثلاث و سبعون- شامی- و سبعون حجازی و بصری.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1)إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ (2) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي ما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ (3) لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ سُبْحانَهُ هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (4)
خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 4

خمس آيات كوفى و ست فى ما عداه، عد الكوفى (يختلفون) رأس آية، و لم يعده الباقون.

قوله (تَنْزِيلُ الْكِتابِ) رفع بالابتداء، و خبره (من اللَّه). و يجوز ان يكون رفعاً على انه خبر الابتداء. و الابتداء محذوف، و تقديره: هذا تنزيل، و المراد بالكتاب القرآن- فى قول قتادة- و سمى كتاباً لأنه مما يكتب.

و (العزيز) هو القادر الذى لا يقهر و لا يمنع، و (الحكيم) هو العليم بما تدعو اليه الحكمة و ما تصرف عنه. و على هذا يكون من صفات ذاته تعالى. و قد يكون بمعنى أن أفعاله كلها حكمة ليس فيها وجه من وجوه القبيح. فيكون من صفات الأفعال، و على الأول يكون تعالى موصوفاً فى ما لم يزل بأنه حكيم، و على الثانى لا يوصف إلا بعد الفعل. و قيل (العزيز) فى انتقامه من أعدائه (الحكيم) فى ما يفعله بهم من انواع العقاب. و الذى اقتضى ذكر (الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) فى إنزال الكتاب انه تعالى يحفظ هذا الكتاب حتى يصل اليك على وجهه من غير تغيير و لا تبديل لموضع جهته و لا لشىء منه، و فى قوله (الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) تحذير عن مخالفته.

ثم اخبر تعالى عن نفسه انه أنزل الكتاب الذى هو القرآن (اليك) يا محمد (بالحق) أى بالدين الصحيح.

ثم أمره فقال (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) و معناه توجه عبادتك اليه تعالى وحده مخلصاً من شرك الأوثان و الأصنام. و قوله (مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) نصب

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 5

(مخلصاً) على الحال. و نصب (الدين) بأنه مفعول ل (مخلصاً). و قال الفراء:

يجوز أن يرفع (الدين)، و لم يجزه الزجاج، قال: لأنه يصير ما بعده تكريراً.

ثم قال تعالى (أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ) و الإخلاص للّه أن يقصد العبد بطاعته

و عمله وجه اللّه، لا يقصد الرياء و السمعة، و لا وجهاً من وجوه الدنيا، و الخالص- فى اللغة- ما لا يشوبه شىء غيره، و منه خلاصة السمن لأنه تخلصه.
و قال الحسن: معناه الإسلام. و قال غيره: معناه ان له التوحيد فى طاعة العباد التى يستحق بها الجزاء، فهذا للّه وحده لا يجوز أن يكون لغيره، لاستحالة أن يملك هذا الأمر سواه.
و قوله (وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى) معناه الحكاية عما يقول الكافرون الذين يعبدون الأصنام فإنهم يقولون:
ليس نعبد هذه الأصنام إلا ليقربونا إلى اللَّه زلفى أى قربى- فى قول ابن زيد- و قال السدى: الزلفى المنزلة. و (الأولياء) جمع ولى، و هو من يقوم بأمر غيره فى نصرته، و حذف (يقولون) لدلالة الكلام عليه، و هو أفصح، و أوجز.
ثم اخبر تعالى فقال (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يوم القيامة فِي ما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من إخلاص العبادة للّه و الاشراک به، ثم قال (إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ) معناه إن اللَّه تعالى لا يهديه إلى طريق الجنة او لا يحكم بهدايته إلى الحق، (من هو كاذب) على اللّه فى أنه أمره باتخاذ الأصنام، كافر بما أنعم اللّه عليه، جاحد لاخلاص العبادة، و لم يرد الهداية إلى الايمان، لأنه قال (وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ) «1».
ثم قال تعالى (لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً) على ما يقول هؤلاء: من أن

---

(1) سورة 41 حم السجدة (فصلت) آية 7

الملائكة بنات اللّه، أو على ما يقوله النصارى: من ان عيسى ابن اللَّه، أو ما يقوله اليهود: من أن عزيراً ابن اللَّه، (لاصطفى) أى لاختار مما يخلق ما يشاء. ثم نزه نفسه عن ذلک فقال (سُبْحانَهُ هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ) الذى لا نظير له، القهار لجميع خلقه. و من هذه صفته كيف يجوز أن يتخذ الأولاد؟؟!.
ثم بين عن قدرته فقال (خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أى لغرض حكمى دون العبث و ما لا فائدة فيه. (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ) أى يدخل كل واحد منهما على صاحبه، و منه كور العمامة. و قال قتادة: معناه يغشى. (وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ) بأن أجراهما على وتيرة واحدة و تقدير واحد، و كل ذلک يجرى (لأجل مسمى) يعنى إلى مدة قدرها اللّه لهما ان يجريا اليها. و قيل: إلى قيام الساعة.
ثم قال (أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ) يعنى اللّه الذى لا يقهر و لا يغالب، الغفار لمعاصى عباده إذا تابوا و اقلعوا عن ذنوبهم. و فائدة الآية أن من قدر على خلق السموات و الأرض و تسخير الشمس و القمر، و إدخال الليل فى

النهار ينبغى ان ينزه عن اتخاذ الولد، و اضافة شريک اليه لأن جميع ذلک لا يليق به، لأنه من صفات المحتاجين.

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (6) إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَ لا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (7)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 7

آيتان بلا خلاف.

قرأ السوسى، و ابن فرج، و هبة عن الأخفش و الترمذى إلا ابن فرج، و مدين من طريق عبد اللّه بن سلام، و البرجمى و خلف- بضم الهاء و وصلها بواو فى اللفظ. الباقون- بضم الهاء من غير إشباع- و هذا خطاب من اللّه تعالى لجميع خلقه من البشر، يقول لهم على وجه تعداد نعمه عليهم و امتنانه لديهم (هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ) يعنى آدم لأن جميع البشر من نسل آدم.

و قوله (ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها) قيل: أنه خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم. و قال قوم: خلقها من فضل طينته. و فى قوله (ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها) و (ثُمَّ) تقتضى التراخى و المهملة، و خلق الوالدين قبل الولد، و ذلک يقتضى أن اللّه تعالى خلق الخلق من آدم ثم بعد ذلک خلق حواء، و ذلک بخلاف المعلوم، لأن خلق حواء كان قبل خلق ولد آدم، فيه ثلاثة اقوال:

أحدها-

ان اللّه تعالى أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر. ثم خلق بعد ذلک حواء من ضلع من أضلاع آدم- على ما روى فى الاخبار

- و هذا ضعيف لما بيناه فى غير موضع «1» فى ما مضى.

و الثانى- ان ذلک و إن كان مؤخراً فى اللفظ فهو مقدم فى المعنى، و يجرى

---

(1)انظر المجلد الخامس ص 34- 35

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 8

مجرى قول القائل: قد رأيت ما كان منک اليوم ثم ما كان منک أمس، و إن كان ما كان أمس قبل ما يكون اليوم.

و الثالث- انه معطوف على معنى واحدة كأنه قال من نفس واحدة بمعنى أوجدها.

و قيل: إنه لا يمتنع أن يكون المراد بقوله (زوجها) غير حواء، بل يريد

المزدوج من نسل آدم من الذكور و الإناث، فكأنه قال تعالى (هُوَ الّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ) و هى آدم عليه السلام ثم جعل المزدوج من نسل هذه النفس، و هذا لا محالة متأخر عن خلق النفس الواحدة التى هى آدم. و قيل ايضاً: إن سبب دخول (ثم) أن الاعتداد بهذه النعمة، و الذكر لها على الامتنان، انما كان بعد ذكر خلقنا من نفس واحدة، فكأنه قال: هو الذى ذكر لكم و اعتد عليكم بأنه خلقكم من نفس واحدة، ثم عطف على هذا الاعتداد و الامتنان ذكر نعمة اخرى، و هى ان زوج هذه النفس المخلوقة مخلوقة منها، فزمان الخلق للزوج و إن كان متقدماً، فزمان ذكره و الاعتداد به متزاوج، و زمان الذكر للنعم و الاعتداد بها غير الترتيب فى زمان الإيجاد و التكوين، كما يقول أحدنا لغيره: لى عليک من النعم كذا اليوم، ثم كذا أمس، و إن كان المعطوف متقدماً على المعطوف عليه إذا كان زمان الامتنان بذلک على خلاف ترتيب زمان إيصال النعم. و قيل:
إن المراد ب (ثم) الواو، فانه قد يستعمل الواو بمعنى (ثم) و (ثم) بمعنى الواو، لأن معنى الجمع الانضمام و إن أراد بعضه على بعض. قال اللّه تعالى (فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ) «1» و معناه و اللّه شهيد.
و قوله (وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ) قال الحسن: معناه و جعل لكم منها. و قال: أنزلها بعد ان خلقها فى الجنة و يعنى بها: الإبل، و البقر،

---

(1)سورة 10 يونس آية 46

و الضان، و المعز من كل صنف اثنين. و هما زوجان. و هو قول قتادة و مجاهد و الضحاک.
و قوله (يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال قتادة و مجاهد و الضحاک و السدى: معناه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم يكسى العظام لحماً ثم ينشئ خلقاً آخر. و قال ابن زيد: معناه الخلق فى بطون الأمهات بعد الخلق فى ظهر آدم.
و قوله (فى ظلمات ثلاث) قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاک و السدى و ابن زيد: يعنى ظلمة البطن، و ظلمة الرحم، و ظلمة المشيمة. و قيل: صلب الرجل و ظلمة الرحم.
ثم خاطب خلقه فقال (ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ) يعنى الذى خلق ما ذكره هو الذى أنشاكم و هداكم و يملک التصرف فيكم (له الملک) على جميع المخلوقات (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) مستحق للعبادة (فأنى تصرفون) المعنى تؤفكون أى كيف تنقلبون عن ذلک إلى اتخاذ الآلهة سواه.
ثم قال تعالى مخاطباً لهم (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ عَنْكُمْ) و معناه إن تجحدوا نعم اللّه فلا تشكروه، فان اللّه غنى عن شكركم (وَ لا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ) و فى ذلک دلالة علي ان الكفر ليس من فعل اللّه، و لا بإرادته، لأنه

لو كان مريداً له لكان راضياً به، لأن الرضا هو الارادة إذا وقعت على وجهه. ثم قال (وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) أى ان تشكروا نعمه و تعترفوا بها يرضه لكم و يريده منكم و يثيبكم عليه. و إشباع الهاء أجود، لان الهاء أولها متحرک مثل التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 10
(شَرًّا يَرَهُ و... خَيْراً يَرَهُ) «1»، و الهاء إذا انفتح ما قبلها فى نحو الفعل لم يجز الا الاشباع كقولهم كهلهو و الهاء (فى يرضه) كناية عن المصدر الذى دل عليه (و ان تشكروا) كقولهم: من كذب كان شراً له أى كان الكذب شراً له. و شكر الله لعبده هو اثابته على الشكر و الطاعات، و الشكر من العبد الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم. و من أسكن الهاء قال ابو الحسن: هى لغة كقول الشاعر:
و نضواى مشتاقان له أرقان
فعلى هذه اللغة يحمل دون أن يجرى الوصل مجرى الوقف.
و قوله (وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى) معناه لا يؤاخذ بالذنب الا من يفعله و يرتكبه، و لا يؤاخذ به غيره، و ذلک نهاية العدل. و فى ذلک دلالة على بطلان قول المجبرة فى ان الله تعالى يعذب أطفال الكفار بكفر آبائهم.
و قوله (ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ) و معناه إن مصيركم يوم القيامة إلى حيث لا يملک الامر و النهى سواه (فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أى يخبركم بما عملتموه و يواقفكم عليه و يجازيكم بحسب ذلک، انه عليم بذات الصدور لا يخفى عليه شىء لا سرّ و لا علانية.

وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ ما كانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْداداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ (8) أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَ قائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ (9) قُلْ يا عِبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةٌ إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ (10)

---

(1) سورة 99 الزلزال آية 7- 8

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و نافع و حمزة (أمن هو قانت) بتخفيف الميم. الباقون بتشديدها، من خفف أراد النداء و تقديره يا من هو قانت. قال ابن خالويه: سمعت ابن الانبارى يقول: ينادى العرب بسبعة ألفاظ: زيد اقبل، و أزيد اقبل و يا زيد اقبل، و ها زيد أقبل، و أيا زيد اقبل، و أى زيد اقبل، و هيا زيد اقبل. و انشد:

هيا ظبية الوعشاء بين جلايد و بين النقاء أنت أم أم سالم

و يجرى ذلک مجرى قول القائل: فلان لا يصوم و لا يصلى، فيا من يصوم و يصلى ابشر. و قال ابو على: النداء- هنا- لا وجه له. و المعنى أمن هو قانت كمن هو بخلاف ذلک؟! لأنه موضع معادلة، و إنما يقع فى مثل هذا الموضع الجمل التى تكون اخبار و ليس كذلک النداء. و يدل على الحذف قوله (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) لان التسوية لا تكون إلا بين شيئين و فى جملتين من الخبر. و المعنى أمن هو قانت كمن جعل للّه أنداداً ليضل عن سبيله، و قال ابو الحسن: القراءة بالتخفيف ضعيفة، لأن الاستفهام إنما يبنى على ما بعده، و لا

يحمل على ما قبله، و هذا الكلام ليس قبله ما يبنى عليه إلا فى المعنى و من شدّد احتمل أمرين:

أحدهما-ان يريد أ هذا خير أم من هو قانت.

و الثانى-ان يكون جعل (أم) بمنزلة (بل) و الف الاستفهام، و على هذا يكون الخبر محذوفاً لدلالة الكلام عليه، كما قال الشاعر:

فأقسم لو شيء أتانا رسوله سواک و لكن لم نجد لک مدفعاً «1»

و المعنى لو أتانا غيرک ما صدقناه، و لا اهتدينا فحذف. و قال تعالى (أَ فَمَنْ

هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ) و «أَ فَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذابِ» كل ذلک محذوف الجواب. و القانت الداعی، و القانت الساکت، و القانت المصلی قائماً و انشد:
قانتاً للّه یتلو کتبه و علی عمد من الناس اعتزل
و قیل القانت الدائم علی الطاعة للّه- فی قول ابن عباس و السدی-.
یقول اللّه عز و جل مخبراً عن حال الإنسان و ضعف یقینه و شدة تحوله من حال إلی حال إنه إذا مسه ضر من شدة فقر و مرض و قحط (دعا) عند ذلک (رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ) أی راجعاً الیه راغباً فیه (ثُمَّ إِذا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ) فانه إذا أعطاه نعمة عظیمة، فالتخویل العطیة العظیمة علی جهة الهبة، و هی المنحة قال ابو النجم:
اعطی فلم ینجل و لم یبخل کوم الذری من خول المخول «2»
(نَسِيَ ما كانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ) یعنی ترک دعاء اللّه، کما کان یدعو فی حال ضره، قال الفراء: و یجوز أن تکون (ما) بمعنی (من) کما قال (فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ) «3».

---

(1)مر تخریجه فی 5/ 529 و 6/ 253 و 7/ 341
(2)مر فی 4/ 124
(3)سورة 4 النساء آیة 3
التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 13
«وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْداداً» أی و سمی له تعالی أمثالا فی توجیه عبادته الیها من الأصنام و الأوثان «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» فمن ضم الیاء أراد لیضل بذلک غیره عن سبیل الحق. و من فتح الیاء أراد لیضل هو عن ذلک، و اللام لام العاقبة، لأنهم لم یفعلوا ما فعلوه و غرضهم أن یضلوا عن سبیل اللّه، لکن عاقبتهم کان الیه.
فقال اللّه تعالی لنبیه (قل) له یا محمد علی سبیل التهدید (تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا) یعنی مدة حیاتک (إِنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ) فی العاقبة، و هم الذین یلزمون عذاب جهنم. ثم قال (أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَ قائِماً) فآناء اللیل ساعات اللیل واحدها آن، و إنی بالیاء (ساجِداً وَ قائِماً) أی فی هاتین الحالتین (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) أی یخاف عذاب الاخرة (وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ) کمن خالف ذلک، فإنهما لا یتساویان ابداً، ثم قال (قل) لهم علی وجه الإنکار علیهم (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ) الحق و یعملون به (وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) و لا یعملون به، فإنهما لا یتساویان أبداً (إِنَّما يَتَذَكَّرُ) فی ذلک (أُولُوا الْأَلْبابِ) أی ذوو العقول و
روی جابر عن أبی جعفر علیه السلام فی تفسیر هذه الآیة انه قال: نحن الذین یعلمون وعدونا الذین لا یعلمون.
ثم قال لنبیه صلی اللّه علیه و آله (قل) لهم یا محمد (يا عِبادِ الَّذِينَ آمَنُوا)

باللّه و صدقوا بوحدانيته و أقروا برسله (اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أى عقاب ربكم باجتناب معاصيه. ثم قال (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا) يعنى فعلوا الأفعال الحسنة و أحسنوا إلى غيرهم جزاء لهم على ذلک (فِى هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ) يعنى ثناء حسن و ذكر جميل و مدح و شكر، و قيل: صحة و سلامة و عافية، ذكره السدى (وَ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةٌ) فتهاجروا فيها عن دار الشرک- فى قول مجاهد- و قيل: أرض اللّه يعنى أرض الجنة واسعة (إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ) و ثوابهم على طاعتهم و صبرهم على شدائد الدنيا التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 14
(بِغَيْرِ حِسابٍ)أى لكثرته لا يمكن عده و حسابه. و قيل: إن معناه إنهم يعطون من المنافع زيادة على ما يستحقونه على وجه التفضل، فكان ذلک بغير حساب أى بغير مجازاة بل تفضل من اللّه تعالى.

قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّینَ (11) وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَکُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِینَ (12) قُلْ إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ (13) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِینِی (14) فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخاسِرِینَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِیهِمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ أَلا ذلِکَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِینُ (15)
لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذلِکَ یُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبادَهُ یا عِبادِ فَاتَّقُونِ (16)
ست آیات بلا خلاف.
ست آیات فی الکوفی و خمس بصری و اربع فی ما عداه عد الکوفیون و البصریون (له الدین) و عد الکوفیون (له دینی) و لم یعد الباقون شیئاً من ذلک.
هذا امر من اللَّه تعالی لنبیه صلی الله علیه و آله أن یقول لهؤلاء الکفار الذین تقدم ذکرهم (إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّینَ) أی أخلص طاعتی له و أوجه عبادتی نحوه، دون الأصنام و الأوثان. و الآیة و إن توجهت إلی النبی صلی الله علیه و آله فالمراد بها جمیع المکلفین (و أمرت) أیضاً (لِأَنْ أَکُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِینَ) أی المستسلمین التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 15
لما أمر اللَّه به و نهی عنه، و إنما أمر بأن یکون أول المسلمین و إن کان قبله مسلمون کثیرون لأن المراد به أول المسلمین من هذه الأمة، ففی ذلک أنه دعاهم إلی ما رضیه اللَّه له و رضیه لنفسه. و أن یقول لهم ایضاً (إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ) یعنی عذاب یوم القیامة. ثم قال (قل) لهم (اللَّهَ أَعْبُدُ) أی اعبد اللَّه (مخلصاً) بعبادتی (له) تعالی (دینی) و طاعتی (فاعبدوا) أنتم معاشر الکفار (ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ) من الأصنام و الأوثان علی وجه التهدید بذلک ثم قال (قل) لهم (إن الخاسرین) فی الحقیقة هم «الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِیهِمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ» بأن فعلوا المعاصی، فخسروا بذلک أهالیهم الذین کانوا معدین لهم من الحور العین لو أطاعوه- فی قول الحسن- و خسروا أنفسهم أی أهلکوها بالعذاب المهین الظاهر، لمن أدرکه، و لا یخفی علی احد الحال فیه.
ثم قال تعالی «أَلا ذلِکَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِینُ» یعنی الظاهر الذی لا یخفی، ثم بین ذلک الخسران بأن قال «لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ» فالظلة السترة القائمة، و جمعها ظلل، و لذلک قیل من فوقهم ظلل و من تحتهم ظلل إذ النار أدراک فهم بین أطباقها- نعوذ باللَّه منها- فما هو تحت هؤلاء ظلل لمن دونهم و یجوز أن یکون المراد من تحتهم مثل تلک

الظلل لأن الظلة لا تسمى كذلک إلا إذا كانت عالية فوق من هى ظلة له ثم قال «ذلِکَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبادَهُ» أى ما أخبركم به من الوعيد و ما أعده للكفار يحذر اللَّه به عباده من ارتكاب معاصيه، ثم ناداهم فقال «يا عباد فاتقون» أى اتقوا معاصى و افعلوا طاعاتى و التخويف الاعلام بموضع المخافة لتتقى و مثله التحذير و الترهيب.
و قرأ رويس «يا عبادى» بإثبات الياء- فى الحالين- الباقون بحذفها، لان الكسرة تدل على الياء.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 16

وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها وَ أَنابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرى فَبَشِّرْ عِبادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ وَ أُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ (18) أَ فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ أَ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19) لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعادَ (20)

اربع آيات بلا خلاف، فى جملتها، و قد اختلفوا فى تفصيلها فعد العراقيون و الشامى و إسماعيل «فبشر عبادى» و لم يعدها المكى، و لا المدنى الأول، و عد المكى و المدنى الأول «من تحتها الأنهار».

لما اخبر اللّه تعالى عن هؤلاء الكفار و ما أعده لهم من انواع العقاب، اخبر- هاهنا- عن حال المؤمنين و ما أعده لهم من الثواب فقال «وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها» يعنى الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت و التقرب اليها بأنواع القرب. و الطاغوت جماعة الشياطين فى قول مجاهد و السدى و ابن زيد. و إنما أنث تأنيث الجماعة، و لفظه لفظ المذكر. و قيل إن كل ما عبد من دون اللّه، فهو طاغوت «وَ أَنابُوا إِلَى اللَّهِ» أى تابوا اليه، و اقلعوا عما كانوا عليه «لَهُمُ الْبُشْرى فَبَشِّرْ عِبادِ» جزاء على ذلك و البشرى و البشارة واحد و هو الاعلام بما يظهر السرور به فى بشرة الوجه، و ضده السوءى و هو الاعلام بما يظهر الغم به فى التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 17

الوجه بما يسوء صاحبه.

ثم امر نبيه صلى الله عليه و آله فقال «فبشر عبادى» فمن اثبت الياء و فتحها، فلأنه الأصل و من حذف الياء اجتزأ بالكسرة الدالة عليها، ثم وصف عباده الذين أضافهم إلى نفسه على وجه الاختصاص فقال «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ» يعنى يصغون إلى تلاوة القرآن و الأقوال الدالة على توحيده «فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» إنما قال «أحسنه» و لم يقل حسنه لأنه أراد ما يستحق به المدح و الثواب، و ليس كل حسن يستحق به ذلك، لان المباح حسن و لا يستحق به مدح و لا ثواب. و الأحسن الأولى بالفعل فى العقل و الشرع.

ثم اخبر تعالى فقال «أُولئِكَ» يعنى هؤلاء الذين وصفهم من المؤمنين هم «الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ» يعنى إلى الجنة و ثوابها، و حكم بأنهم مهتدون إلى الحق «وَ أُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ» يعنى أولوا العقول على الحقيقة، لأنهم الذين انتفعوا بعقولهم من حيث اتبعوا ما يجب اتباعه، و الكفار و إن كان لهم عقول فكأنهم لا عقول لهم من حيث أنهم لم ينتفعوا بما دعوا اليه.

ثم قال تعالى على وجه التنبيه «أَ فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ» أى وجب عليه الوعيد بالعقاب جزاء على كفره كمن وجب له الوعد بالثواب جزاء على إيمانه و حذف لدلالة الكلام عليه تنبيهاً على أنهما لا يستويان.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه و آله «أَ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِی النَّارِ» و تقديره أ فأنت تنقذه، لا يمكنک ذلک، لان العقاب وجب له بكفره. و اخبر تعالى انه لا يغفر له و إنما اتى بالاستفهام مرتين تأكيداً، للتنبيه على المعنى، قال الزجاج: معناه معنى الشرط و الجزاء، و الف الاستفهام- هاهنا- معناها التوقيف، و الثانية فى قوله «أَ فَأَنْتَ التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 18 تُنْقِذُ»

جاءت مؤكدة لما طال الكلام، لأنه لا يصلح أن يأتى بالف الاستفهام تارة فى الاسم و الأخرى فى الخبر، و المعنى أ فمن حق عليه كلمة العذاب أنت تنقذه او فى سياق الكلام حذف. و فيه دليل على المحذوف. و المعنى أ فمن حق عليه كلمة العذاب، فيتخلص منه او ينجو منه أ فأنت تنقذه أى لا تقدر عليه ان تنقذه، و قال الفراء: هما استفهام واحد و تقديره: أ فأنت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب من النار. و مثله «أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ..... أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ» «1» و تقديره أ يعدكم إنكم تخرجون إذا متم. ثم فسرّ و بين ما أعده المؤمن كما فسر ما أعده للكافرين فقال «لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ» يعنى اتقوا معاصيه «لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ» فى مقابلة ما قال للكافرين لهم من فوقهم ظلل من النار، و من تحتهم ظلل لأنها تنقلب عليهم. و قيل: المعنى لهم منازل رفيعة فى الجنة و فوقها منازل ارفع منها، فللمؤمنين الغرف «تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» و تقديره تجرى من تحت أشجارها الأنهار، ثم بين تعالى أن الذى ذكره من ثواب المؤمن «وعد» من «اللَّه» وعد به المؤمن «لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعادَ» أى لا يخلف اللَّه وعده و لا يكون بخلاف ما اخبر به، و نصب «وعد اللَّه» على المصدر.

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِی الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِأُولِی الْأَلْبابِ (21) أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلی نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِکْرِ اللَّهِ أُولئِکَ فِی ضَلالٍ مُبِينٍ (22) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ کِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِیَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلی ذِکْرِ اللَّهِ ذلِکَ هُدَی اللَّهِ يَهْدِی بِهِ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (23) أَ فَمَنْ يَتَّقِی بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ قِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا ما کُنْتُمْ تَکْسِبُونَ (24) کَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتاهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (25)

---

(1)سورة 23 المؤمنون آية 35

التبيان فی تفسير القرآن، ج9، ص: 19

خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالی مخاطباً لنبيه صلی اللَّهُ عَليه و آله و المراد به جميع المكلفين على وجه التنبيه لهم على الأدلة الدالة على توحيده و اختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره «أَ لَمْ تَرَ» يا محمد و معناه أ لم تعلم «أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنی مطراً «فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِی الْأَرْضِ» يعنی أدخله فی عيون الأرض و منابعها. و قيل: السلوک دخول فی الشیء، و لهذا حسن فی صفة الماء الجاری، فقيل فسلكه ينابيع فی الأرض، و يقولون: دخل فی الإسلام، و لا يقال سلک فی الإسلام، و الينابيع جمع ينبوع، و هو خروج الماء من العيون. و قيل: الينبوع المكان الذی ينبع منه الماء تقول: نبع الماء من موضع كذا إذا فار منه، و عيون الماء مستودع الماء، و نبع الماء إذا انفجرت به العيون.

و قوله «ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ» يعنی بذلک الماء «زرعاً» و هو كل ما ثبت على

التبيان فی تفسير القرآن، ج9، ص: 20

غير ساق، و الشجر ما له ساق و أغصان. و النبات يعم الجميع، يقال: تنبت النخلة و الشجرة و الحبّة تنبت نباتاً. و قوله «مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ» يعنی صنوفه و قيل:

مختلف الألوان من اخضر و اصفر و احمر و أبيض من البر و الشعير و السمسم و الارز و الذرة و الدخن و غير ذلک.

و قوله «ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا» معناه يجف و يضطرب، فالهيج شدة الاضطراب بالانقلاب عن حال الاستقامة و الصلاح، هاج يهيج هيجاً و هياجاً و هاج البعير هيجاً، و قيل: معنی «يهيج» أی يحمی و يجف، فكأنه عما يلحق

الجميع يخرج إلى تلك الحال فيتغير عن لون الخضرة إلى لون الصفرة. و قوله «ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً» فالحطام فتات البن و الحشيش. ثم قال «إِنَّ فِی ذلِکَ» يعنى فى ما ذكره من انزال الماء من السماء و إنبات الزرع به و نقله من حال إلى حال «لذكرى» أى ما يتذكر به و يفكر فيه لاولى الألباب يعنى ذوى العقول السليمة.
ثم قال تعالى على وجه التنبيه للحق «أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ» أى من لطف الله له حتى آمن و عرف الله و وحده و صدق نبيه «فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ» يعنى فهو على هداية من الله و دين صحيح، كمن كان بخلاف ذلک، و حذف لدلالة الكلام عليه. ثم قال «فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ» يعنى الويل و العقاب للذين قست قلوبهم (مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) حتى لم يعرفوه و لا وحدوه يقال قسى الشىء إذا صلب، كما قال «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ» «1» و يقال: غسا و عثا و قسا بمعنى واحد، و يقال ما أقسى قلبه إذا كان لا يلين لشىء. و المعنى كلما تلى عليه ذكر الله قسى قلبه. و قوله «مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» معناه غلظ قلبه عن ذكر الله.
و القاسية قلوبهم هم الذين الفوا الكفر و تعصبوا له فلذلک قست قلوبهم. ثم قال

---

(1)سورة 2 البقرة آية 74 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 21
تعالى «أُولئِکَ» يعنى القاسية قلوبهم عن ذكر الله «فِی ضَلالٍ» أى عدول عن الحق «مُبِينٍ» أى واضح ظاهر.
ثم قال «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ» يعنى القرآن «كِتاباً مُتَشابِهاً» نصب (كتاباً) على البدل من قوله (احسن) و معناه «متشابهاً» فى الحكم التى فيه من الحجج و المواعظ و الأحكام التى يعمل عليها فى الدين و صلاح التدبير يشبه بعضه بعضاً لا تناقض فيه «مثانى» أى يثنى فيه الحكم و الوعد و الوعيد بتصريفها فى ضروب البيان، و يثنى ايضاً فى التلاوة فلا يمل لحسن مسموعه فى القرآن «تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ» أى تقشعر جلود المؤمنين الذين يخافون عذاب الله لما يسمعونه فيه من الوعيد «ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ» و ما ضمنه الله على ذلک من الثواب.
ثم قال «ذلِکَ» يعنى ما وصف به المؤمن من اقشعرار قلوب المؤمنين تارة و لينها أخرى «هُدَى اللَّهِ يَهْدِی بِهِ مَنْ يَشاءُ» أى لطف الله الذى يلطف به لمن يشاء من عباده الذين يعلم انه لطف لهم. و قال الجبائى: انه خص به أمة محمد صَلَى اللّهُ عليه و آله. ثم قال «وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ» و معناه من أضله الله عن طريق الجنة لا يقدر احد على هدايته اليها. و يحتمل ان يكون المراد من حكم الله بأنه ضال لا يقدر احد ان يحكم بأنه هاد. ثم قال منبهاً لخلقه «أَ فَمَنْ يَتَّقِی بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ» و

تقديره كمن يدخل الجنة؟! و جاء فى اَلتفسَير أن الكافرَ يلقى فى النار مغلولا، لا يمكنه ان يتقى النار إلا بوجهه.
و معنى يتقى يتوّقاها كما قال الشاعر:
إذ يتقون بى الأسنة لم اخم عنها و لكنى تضايق مقدمى
أى يقدموننى الى القتال فيتوقون بى حرها. و حذف كمن كان بخلاف ذلک لدلالة الكلام عليه، فان هذا لا يكون ابداً. ثم حكى الله تعالى ما يقال التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 22
للكافرين الظالمين نفوسهم بالكفر بالله يوم القيامة إذا دخلوا النار (ذُوقُوا ما كُنْتُمْ) أى جزاء ما كنتم (تَكْسِبُونَ) من المعاصى. ثم اخبر تعالى عن الأمم الماضية من أمثالهم من الكفار بأن قال (كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) بآيات اللَّه و جحدوا توحيده و كذبوا رسله (فَأَتاهُمُ الْعَذابُ) جزاء لهم على فعلهم و عقوبة عاجلة «مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ» أى حيث لا يعلمون به و لا يحتسبون.

فَأَذاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِی الْحَياةِ الدُّنْيا وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (26) وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِی هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27) قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِی عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (28) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ وَ رَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (29) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30)
ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (31)
ست آيات بلا خلاف.
قال المبرد العرب تقول لكل شیء يصل اليک بجارحة من الجوارح: ذق أی يصل معرفته اليک، كما يصل اليک معرفة ما تذوقه بلسانک من حلو و مرّ و منه قوله (فَذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ) «1» و قوله (ذُقْ إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) «2» و الخزی هو المكروه و الهوان، و خزی فلان إذا وقع فی المكروه، فالخزی افراط

---

(1)سورة 64 التغابن آية 5
(2)سورة 44 الدخان 49

الاستحياء، يقال ما استحيا و ما تخزی، و رأيته خزيان نادماً، قال الشاعر:
و لا أنت ديانی فتخزونی
قرأ ابن كثير، و ابو عمرو، و يعقوب (و رجلا سالماً) على وزن (فاعل) معناه خالصاً لا يشركه فيه غيره لان اللّه تعالى ضرب مثلا للمؤمن و الكافر، فشبه الكافر بشركاء متنازعين مختلفين، و المؤمن مَن عبد إلهاً واحداً. الباقون «سَلَماً لِرَجُلٍ» على المصدر من قولهم: سلم فلان للّه سلماً بمعنى خلص له خلوصاً، كما يقولون:
ربح الرجل فی تجارته ربحاً و ربحاً: و سلم سلماً و سلماً و سلامة، و تقديره ذا سلم، فمعنى «فَأَذاقَهُمُ اللَّهُ» أی جعلهم يدركون الألم، كما يدرک الذائق الطعام، و الخزی الذل الذی يستحيا من مثله بما فيه من الفضيحة، و خزيهم فی الحياة الدنيا هو ما فعله بهم من العذاب العاجل من إهلاكهم و إستئصالهم الذی يبقى ذكره على الأبد. ثم قال تعالى «وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ» مما فعل بهم فی دار الدنيا «لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ» صدق ما أخبرنا به.
ثم اقسم تعالى بأن قال «وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِی هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» فالتذكر طلب الذكر بالفكر، و هذا حث على طلب الذكر المؤدی إلى العلم، و المعنى لكی يتذكروا، و يتعظوا فيجتنبوا ما فعل من تقدم من الكفر و المعاصی، لئلا يحلّ بهم كما حل بأولئک. و قوله «قُرْآناً

عَرَبِيًّا» أى أنزلناه قرآناَ عربياَ غير ذى عوج أى غير ذى ميل عن الحق بل هو مستقيم موصل إلى الحق، و يقال فى الكلامِ عوج- بكسر العين- إذا عدل به عن جهة الصواب.
و المثل علم شبه به حال الثانى بالأول. و المثال مقياس يحتذى عليه، و إنما قال:
ضربنا مثلا واحداً، و لم يقل مثلين، لأنهما جميعاً ضربا مثلا واحداً، و مثله قوله التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 24
تعالى «وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً» «1» و لو ثنى لكان حسناً- فى قول الفراء- و قوله «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» معناه لكى يتقوا معاصى اللَّه خوفاً من عقابه.
ثم قال تعالى «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ» فالتشاكس التمانع و التنازع، تشاكسوا فى الأمر تشاكساً، و فى الشركاء تشاكس فى البيع، و تدبير المملوك و نحو ذلك «وَ رَجُلًا سَلَماً لِرَجُلٍ» فضرب المثل للموحد بعبادته اللَّه تعالى وحده- عز و جل- و المشرك بعبادته غير اللَّه- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابن زيد- (هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا) فى حسن الحال، لا يستويان لان الخالص لمالك واحد يستحق من معونته و حياطته ما لا يستحقه صاحب الشركاء المختلفين فى أمره.
ثم قال (الحمد للَّه) يعنى المستحق للشكر و الثناء على الحقيقية هو اللَّه تعالى (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) حقيقة، لجهلهم باللَّه و مواضع نعمه. ثم قال لنبيه (إنك) يا محمد (ميت) أى عاقبتك الموت، و كذلك هؤلاء لأن (كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ) «2» (ثم إنكم) يبعثكم اللَّه (يوم القيامة) و يحشركم يوم القيامة فتختصمون عند اللَّه. و معناه كل طائفة منكم ترد على صاحبتها يوم القيامة و تخاصمها، فالاختصام رد كل واحد من الاثنين ما اتى به الآخر على وجه الإنكار عليه. و قد يكون أحدهما- محقاً و الآخر مبطلا كالموحد و الملحد. و قد يكونان جميعاً مبطلين كاختصام اليهودى و النصرانى، و قد يكونان جميعاً محقين إذا قطع كل واحد منهما على صواب اعتقاده دون غيره، و يكون اختصامهم فى الآخرة بذم رؤساء الضلالة فى ما دعوهم اليه و دفع أولئک عن أنفسهم، فيقول الأولون: لولا أنتم لكنا مؤمنين

---

(1)سورة 23 المؤمنون آية 51
(2)سورة 3 آل عمران آية 185 و سورة 21 الأنبياء آية 35 و سورة 29 العنكبوت آية 57

و يقول الرؤساء ما كان لنا عليكم من سلطان إلا أن دعوناكم فاستجبتم لنا. و اقبل بعضهم على بعض يتلاومون. و قال ابن زيد: الاختصام يكون بين المؤمنين و الكافرين. و قال ابن عباس: يكون بين المهتدين و الضالين، و

الصادقين و الكاذبين و قال ابو العالية: يكون بين أهل القبلة. و رجل مشكس إذا كان شىء الخلق. و قال السدى: هذا مثل ضربه اللّه لأوثانهم. و قال قتادة: هذا للمشرک تنازعه الشياطين مغريين بعضهم ببعض (و رجلا سالماً) و هو المؤمن أخلص الدعوة للّه و العبادة، و قال ابو عبيدة: متشاكسون الرجل الشكس و رجلا سالماً الرجل الصالح. و قال ابو عمرو: معناه خالصاً للّه. و قال ابو على: رجلا فيه شركاء يعنى فى إتباعه أو فى شيعته.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَ كَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جاءَهُ أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ (32) وَ الَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (33) لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ (34) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ (35)

أربع آيات بلا خلاف.

قوله (فمن اظلم) صورته صورة الاستفهام و المراد به التقريع و التوبيخ، و المعنى فمن أظلم ممن افترى على اللّه كذباً فادعى أن له ولداً و صاحبة، او أنه حرم ما لم يحرمه، او أحل ما لم يحله، و إنما كان من كذب على اللّه و كذب بالحق أظلم الخلق، لأنه ظلم نفسه بأفحش الظلم من جهة كفره بربه و جحوده لحق نعمه حين أشرک به التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 26

تعالى من لا نعمة له يستحق بها عبادته. و قال قتادة: (وَ كَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جاءَهُ) يعنى بالقرآن.

ثم قال تعالى مهدداً لمن هذه صفته (أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ) و المثوى المقام يقال أثوى يثوى اثواء و ثوى يثوى ثواء قال الشاعر:

طال الثواء على ربع بيسؤدى أردى و كل جديد مرت مود

و قوله (وَ الَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ) قال قتادة و ابن زيد: المؤمنون جاءوا بالصدق الذى هو القرآن و صدقوا به، و هو حجتهم فى الدنيا و الآخرة. و قيل الذى جاء بالصدق جبرائيل و صدق به محمد صلى الله عليه و آله. و فى قراءة ابن مسعود (و الذى جاءوا بالصدق) قال الزجاج: الذى- هاهنا- و الذى بمعنى واحد يراد به الجمع. و قال: لأنه غير موقت. و قيل: الذى جاء بالصدق النبى صلى الله عليه و آله من قول لا إله إلا اللّه، و صدق به ايضاً هو صلى الله عليه و آله و الصحيح أن قوله (و صدق به) من صفة الذين جاءوا بالصدق، لأنه لو كان غيرهم لقال و الذى جاء بالصدق و الذى صدق به.

و قوله (أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) يعنى من جاء بالصدق و صدق به هم المتقون معاصى اللّه خوف عقابه، و إنما جاء بلفظ الجمع (هم المتقون) مع أن لفظ (الذى) واحد، لأنه أراد به الجنس. و معناه الجمع كقوله (وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) «1» و قال الأشهب بن رميلة:

إن الذى حلت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أمّ خالد

ثم بين ما أعد لهم من النعيم فقال (لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) جزاء على تقواهم، و بين أن لهم (ذلک) و انه (جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ) الذين يفعلون

الطاعات.

---

(1) سورة 103 العصر آية 1- 2

و قوله (لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُوا) أى يسقط عنهم عقاب الشرک و المعاصى التى فعلوها قبل ذلک بتوبتهم و رجوعهم إلى اللَّه (وَ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِى كانُوا يَعْمَلُونَ) يعنى يثيبهم على طاعاتهم من الفرض و النفل، و هى أحسن أفعالهم لان المباح و إن كان حسناً لا يستحق به ثواب و لا مدح لان الثواب و المدح إنما يستحق على الطاعات.

أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ وَ يُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (36) وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَ لَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقامٍ (37) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (38) قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (39) مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ (40)

خمس آيات كوفى و ثلاث فى ما عداه عد الكوفيون (من هاد) و عدوا (فسوف تعلمون) و لم يعده الباقون. قرأ حمزة و الكسائى و خلف (بكاف عباده) على الجمع. الباقون بكاف عبده على التوحيد. من قرأ على التوحيد أراد النبى صلى اللَّهُ عَليه و آله لقوله (و يخوفونک) و من جمع أراد النبى و سائر الأنبياء، لأن أمة التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 28

كل نبى خاطبوا نبيهم بمثل ذلک، كما قال تعالى مخبراً عن قوم هود (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَراکَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ) «1» و قرأ ابو عمرو و الكسائى عن أبى بكر (كاشفات ضره... ممسكات رحمته) منون فيهما. الباقون بالاضافة. فمن أضاف فللتخفيف.

و من نون، فلأنه غير واقع، و اسم الفاعل إنما يعمل إذا كان لما يستقبل قوله (وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) «2» على الحكاية.

و قوله (أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ) لفظه لفظ الاستفهام و المراد به التقرير يقرر عباده، فيقول: ا ليس اللّه الذى يكفى عبده كيد أعدائه و يصرف عنه شرهم، فمن وحد- أراد محمد صلى اللَّهُ عَليه و آله و هو قول السدى و ابن زيد. و من جمع- أراد أنبيائه ک (إبراهيم و لوط و شعيب)، و قوله (وَ يُخَوِّفُونَکَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) خطاب للنبى صلى اللَّهُ عَليه و آله بأن الكفار يخوفونه بالأوثان التى كانوا يعبدونها- فى قول قتادة و السدى و ابن زيد- لأنهم قالوا له: أما تخاف ان تهلكک آلهتنا. و قيل: إنه لما قصد خالد لكسر العزى بأمر النبى صَلى اللّه عليه و آله قالوا له ساداتها: إياک يا خالد إن بأسها شديد.

ثم قال (وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ) يحتمل معناه شيئين:

أحدهما- من أضله عن طريق الجنة بكفره و معاصيه فليس له هاد يهديه اليها.

و الثانى- ان من حكم اللَّه بضلالته و سماه ضالا إذا ضل هو عن الحق فليس له من يحكم بهدايته و تسميته هادياً. ثم عكس ذلک فقال (وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ) و هو يحتمل أمرين:

أحدهما- من يهديه اللّه إلى طريق الجنة فلا احد يضله عنها.

---

(1)سورة 11 هود آية 54
(2)سورة 18 الكهف آية 18

و الثانى- من يحكم بهدايته و يسميه هادياً فلا احد يمكنه ان يحكم بضلالته على الحقيقة.
ثم قرر خلقه فقال (أَ لَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ) اى قادر قاهر لا يقدر أحد على مغالبته (ذى انتقام) من أعدائه و الجاحدين لنعمته.
ثم قال لنبيه صَلى الله عليه و آله (و لئن سألتهم) يا محمد يعنى هؤلاء الكفار (مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ) و انشأها و اخترعها و أوجدها بعد أن كانت معدومة (ليقولن اللَّه) الفاعل لذلک، لأنهم لو أحالوا على غيره لبان كذبهم و افتراؤهم، لأنه لا يقدر على ذلک إلا القادر لنفسه الذى لا يعجزه شىء ثم قال (قل) لهم (أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ) فمن أضاف لم يعمل اسم الفاعل. و من نون أعمله، و هما جميعاً جيدان. و المعنى إن من يعجز عن النفع و الضر و كشف الكرب عمن يتقرب اليه و لا يتأتى منه ذلک كيف يحسن عبادته؟! و إنما تحسن العبادة لمن يقدر على جميع ذلک و لا يلحقه عجز و لا منع، و هو اللّه تعالى.
و الوجه فى الزام من خلق السموات و الأرض إخلاص العبادة له أن من خلق السموات و الأرض هو القادر على النفع و الضر بما لا يمكن أحد منعه و يمكنه منع كل أحد من خير او شر، و العبادة أعلى منزلة الشكر، لأجل النعم التى لا يقدر عليها غير اللّه، فمن أقر بخلق السموات و الأرض لزمه إخلاص العبادة لمن خلقهما و من لم يقر دل عليه بما يلزمه الإقرار به.
ثم قال (قل) لهم يا محمد (حسبى اللّه) أى يكفنى اللّه (عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) فالتوكل رد التدبير إلى من يقدر على الإحسان فيه، فلما كان لا يقدر على الإحسان فى جميع التدبير الذى يصلح الإنسان إلا اللّه تعالى وجب على التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 30
كل عاقل التوكل عليه بما هو حسبه منه.
ثم قال (قل)لهم يا محمد (يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ) قال مجاهد: على ناحيتكم.و قيل على مكانكم من العمل. و قيل: على مكانتكم أى ديانتكم على وجه التهدد لهم. و قيل: على مكانتكم أى جهتكم التى اخترتموها و تمكنتم فى العمل بها.
ثم قال (إنى عامل) بما أدعوكم اليه (فسوف تعلمون) عاقبة أعمالكم و آخر كفركم و تعرفون (مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ) فى الدنيا و يهينه فى الآخرة (و

يحل عليه) أى ينزل عليه (عَذابٌ مُقِيمٌ) أى دائم لا يزول، و ذلک غاية الوعيد و التهديد.

إِنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْکَ الْکِتابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَکِيلٍ (41) اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها فَيُمْسِکُ الَّتِي قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرى إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذلِکَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَکَّرُونَ (42) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعاءَ قُلْ أَ وَ لَوْ کانُوا لا يَمْلِکُونَ شَيْئاً وَ لا يَعْقِلُونَ (43) قُلْ لِلَّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (44) وَ إِذا ذُکِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ إِذا ذُکِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (45)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى إلا قتيبة و خلف (فيمسک التى قضى عليها) على ما لم يسم فاعله. الباقون (قضى) بفتح القاف، و هو الأجود لان اسم اللّه تعالى قد تقدم فى قوله (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها) و قيل: إن الموت- هاهنا- المراد به النوم. و التوفى- هاهنا- توفى النفس لا الروح، لأن ابن عباس قال فى ابن آدم نفس و روح، فإذا نام قبضت نفسه و بقيت روحه. و الروح هو الذى يكون بها الغطيط. و النفس هى التى يكون بها التميز، فإذا مات قبضت نفسه و روحه.

فان قيل:كيف قال هاهنا (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ) و قال فى موضع آخر (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا) «1» (و قُلْ يَتَوَفَّاکُمْ مَلَکُ الْمَوْتِ) «2».

قيل:ان الذى يتولى قبض الأرواح ملک الموت بأمر اللّه، و معه رسل و أعوان، فلذلک قال (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا).

و حجة من بنى الفعل للفاعل قوله (وَ يُرْسِلُ الْأُخْرى) و من بنى للمفعول به، فلان المعنى يؤل اليه. و قال الفراء تقديره اللّه يتوفى الأنفس حين موتها و يتوفى التى لم تمت فى منامها عند انقضاء أجلها. و قيل: توفاها نومها لقوله (وَ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاکُمْ بِاللَّيْلِ وَ يَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ) «3».

يقول الله تعالى مخبراً عن نفسه (إِنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْکَ) يا محمد (الكتاب) يعنى القرآن (لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ). و معناه أنزلناه على انه حق، فهذه فائدة الباء. و فى ذلک حجة على

---

(1)سورة 6 الانعام آية 61

(2)سورة 32 الم السجدة آية 11

(3)سورة 6 الانعام آية 60

من زعم ان الله سبحانه يريد بانزاله إضلال الكافرين عن الايمان، لأنه لو كان كذلک لم يكن منزلا على انه حق وجب النظر فى موجبه و مقتضاه، فما رغب فيه وجب العمل به و ما حذر منه وجب اجتنابه، و ما صححه وجب تصحيحه و ما أفسده وجب إفساده، و ما دعا اليه فهو الرشد، و ما صرف عنه فهو الضلال.
ثم قال (فمن اهتدى) يعنى بما فيه من الأدلة (فلنفسه) لان منفعة عاقبته من الثواب تعود عليه (و من ضل) عنه و حاد (فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها) يعنى على نفسه، لان وخيم عاقبته من العقاب تعود عليه. ثم قال (وَ ما أَنْتَ) يا محمد (عليهم بوكيل) أى بحفيظ و لا رقيب و إنما عليک البلاغ و الوكيل القائم بالتدبير. و قيل (ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) معناه و ما انت عليهم برقيب فى إيصال الحق إلى قلوبهم و حفظه عليهم حتى لا يتركوه و لا ينصرفوا عنه، و لا تقدر على إكراههم على الإسلام، و إنما الله تعالى القادر عليه.
قوله (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها) معناه انه يقبضها اليه إذا أراد إماتتها بأن يقبض روحها بأن يفعل فيها الموت «وَ الَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنامِها فَيُمْسِکُ الَّتِى قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ» فلا يردها اليه «وَ يُرْسِلُ الْأُخْرى...» التى يريد ابقائها إلى أن تستوفى أجلها الذى قدره لها. و قد ذكرنا ما روى عن ابن عباس من أن قبض الروح يكون منه ميتاً. و قبض النفس يكون به فاقداً للتمييز و العقل، و إن لم يفقد حياته.
و الفرق بين قبض النوم و الموت ان قبض النوم يضاد اليقظة، و قبض الموت يضاد الحياة و قبض النوم تكون الروح معه فى البدن، و قبض الموت يخرج الروح منه عن البدن، و قال سعيد بن جبير و السدى: ان أرواح الأحياء إذا ناموا تجتمع مع أرواح الأموات، فإذا أرادت الرجوع إلى الأجساد أمسک

الأموات و أرسل أرواح الأحياء.
ثم قال (إن فى ذلک) يعنى فى قبض الأرواح تارة بالموت، و قبض الأنفس بالنوم أخرى (لآيات) أى دلالات واضحات على توحيد اللّه، فانه لا يقدر عليه سواه (لقوم يتفكرون) أى يستعملون عقولهم بالفكر فى ذلک فيعرفون اللّه تعالى بذلک.
ثم اخبر عن هؤلاء الكفار فقال (أم اتخذوا) معناه بل اتخذ هؤلاء الكفار (مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعاءَ) بزعمهم، من الأصنام و الأوثان فقال (قل) لهم يا محمد (أَ وَ لَوْ كانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَ لا يَعْقِلُونَ) تنبيها لهم على انهم يتخذونهم شفعاء و إن كانوا لا يقدرون على شىء من الشفاعة و لا غيرها و لا يعقلون شيئاً. و الالف فى (او لو) الف الاستفهام يراد به التنبيه. ثم قال (قل) لهم يا محمد (لِلَّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) أى الشفاعة لمن له التدبير و التصرف فى السموات و الأرض ليس لاحدَ الاعتراض عليه فى ذلک (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) معاشر الخلق أى إلى حيث لا يملک احد التصرف و الامر

و النَهى سواه، و هو يوم القيامة فيجازى كل إنسان على عمله على الطاعات بالثواب و على المعاصى بالعقاب.
ثم اخبر عن حالهم و شدة عنادهم، فقال (وَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) يعنى نفرت نفوسهم عن التوحيد و انقبضت عنه يقال: فلان مشمئز عن كذا إذا انقبض عنه. و فى قوله: اشمأزت قلوبهم دليل على فساد قول من يقول المعارف ضرورة (وَ إِذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) قال السدى: يعنى أوثانهم (إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) أى يفرحون و يسرون حتى يظهر السرور فى وجوههم.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 34

قُلِ اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ عالِمَ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فِي ما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (46) وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ بَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (47) وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (48) فَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعانا ثُمَّ إِذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنَّا قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (49) قَدْ قالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ (50)

خمس آيات.

هذا أمر من اللَّه تعالى لنبيه محمد صَلَى اللّٰهُ عَليه و آله و المراد به جميع المكلفين ان يدعوه بهذا الدعاء فيقولوا (اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) أى خالقهما و منشئهما و مبتدئهما (عالِمَ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ) أى عالم ما غاب علمه عن جميع الخلائق و عالم ما شهدوه و عملوه، لا يخفى عليك شىء من الأشياء (أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ) يوم القيامة (فِي ما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) فى دار الدنيا من أمر دينهم و دنياهم و تفصل بينهم بالحق. و (فاطِرَ السَّماواتِ) عند سيبويه لا يجوز أن يكون صفة (اللَّهُمَّ) قال لأنه غير الاسم فى النداء، و لأنه لا يذكر بهذا الذكر إلا بعد ما عرف التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 35

كما لا يضمر الاسم إلا بعد ما عرف، فكما لا توصف المضمرات، فكذلك هذا الاسم، و ليس يجب مثل ذلك فى قولنا: (اللّٰه) لأنه قد يذكره العارف لمن لا يعرفه فيعرفه إياه بصفته، فيقول: اللّٰه فاطر السموات و الأرض و خالق الخلق و رب العالمين و مالك يوم الدين. و قال ابو العباس: يجوز أن يكون صفة (اللهم) حملا له على (يا اللّٰه فاطر السموات و الأرض).

ثم اخبر تعالى على وجه المبالغة فى وقوع عقاب الكفار و عظمه بأنه لو كان لهم ملك جميع ما فى الأرض، و مثله معه، زيادة عليه و أراد الظالم لنفسه بارتكاب المعاصى أن يفتدى نفسه من شدة ذلك العذاب يوم القيامة لما قبل منه، و لما فودى به، و حذف الجواب لدلالة الكلام عليه.

ثم قال (وَ بَدا لَهُمْ) يعنى الكفار ما لم يكونوا يحتسبونه و لا يظنونه واصلا اليهم، و الاحتساب الاعتداد بالشىء من جهة دخوله فى ما يحسبه، فلما كان أهل النار لم يكونوا يدرون ما ينزل بهم من العذاب صح ان يقال (بَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) و لا قدروا أنهم يصيرون اليه.

ثم قال (وَ بَدا لَهُمْ) أى ظهر لهم ايضاً (سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا) أى جزاء سيئات ما كسبوا من أعمالهم (وَ حاقَ بِهِمْ) أى نزل بهم «ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» فى الدنيا من قول اللّٰه و وعده و وعيده.

ثم اخبر تعالى عن شدة تقلب الإنسان و تحوله من حال إلى حال بأنه إذا مسه ضر من مرض و مصيبة و بلاء «دعانا» و فزع إلينا «ثم» بعد ذلک «إذا خولناه» أى أعطيناه «نعمة منا» و التخويل العطاء بلا مكافات و لا مجازات بل تفضلا محضاً «قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ» قال الحسن معناه أنى أوتيته بحيلتى و عملى و قال غيره: معناه على علم برضاه عنى فلذلک اعطانى ما أولانى من النعمة. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 36
آخرون: معناه على علم بأن تسببت به للعافية و كشف البلية و انه لم ينلها من قبل ربه. ثم قال ليس الامر على ما يقوله «بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ» أى بلية و اختبار يبتليه اللَّه به فيظهر كيف شكره فى مقابلتها، فيجازيه بحسبها، لأنه و إن كان عالماً بحاله لم يجز ان يجازيه على علمه، و إنما يجازيه على فعله «وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» صحة ما قلناه من ان ذلک محنة و اختبار لقلة معرفتهم باللَّه و بصفاته. ثم قال «قَدْ قالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» يعنى قد قال كلمة مثل ما قال هؤلاء «فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ» من الأموال و يجمعونه بل صارت و بالًا عليهم.

فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ ما هُمْ بِمُعْجِزِينَ (51) أَ وَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52) قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) وَ أَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ (54) وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ بَغْتَةً وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (55)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى مخبراً عن حال هؤلاء الكفار فى الآخرة و ما يصيرون اليه

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 37

فقال «فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- فأصابهم عقاب سيئات ما كسبوا و حذف المضاف و اقام المضاف اليه مقامه لدلالة الكلام عليه.

الثانى- انه أراد فأصابهم عقاب ما كسبوا من المعاصى و سماه سيئات لازدواج الكلام، كما قال «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» «1».

ثم قال «وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ» يعنى من كفار قوم النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله «سَيُصِيبُهُمْ» أيضاً «سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ ما هُمْ بِمُعْجِزِينَ» أى ليس يفوتون اللَّه، ثم قال على وجه التنبيه لهم على معرفته «أَ وَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ» أى يوسعه على من يشاء من عباده بحسب ما يعلم من مصلحته «وَ يَقْدِرُ» أى و يضيق على من يشاء منهم بمثل ذلك «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ» أى دلالات واضحات «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» أى يصدقون بتوحيد اللَّه و يقرون بأنبيائه. و أضاف الآيات إلى المؤمنين لأنهم الذين انتفعوا بها، ثم قال «قُلْ» لهم يا محمد «يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» بارتكاب المعاصى «لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ» أى لا تيأسوا من رحمة اللَّه يقال: قنط يقنط قنوطاً إذا يئس «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» و فى ذلک دلالة واضحة على انه يجوز ان يغفر اللَّه بلا توبة تفضلا منه و بشفاعة النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله لأنه لم يشرط التوبة بل أطلقها. و

روى عن فاطمة عَليها السلام أنها قالت: إن اللَّه يغفر الذنوب جميعاً و لا يبالى.

و

روى عن على عليه السلام و ابن عباس:أنهما قالا: إن لأرجى آية فى كتاب اللَّه قوله «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ» «2» فقال عبد اللَّه بن عمرو بن العاص بل أرجى آية فى كتاب اللَّه قوله «قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ

أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» و هو المروى عن على ايضاَ.

---

(1) سورة 42 الشورى آية 40
(2) سورة 13 الرعد آية 7

و قوله «وَ أَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ» امر مستأنف من اللَّه لخلقه بالرجوع إلى اللَّه و التوبة من معاصيهم. و الانابة هى الرجوع «وَ أَسْلِمُوا لَهُ» معناه آمنوا به و سلموا لأوامره «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ» عند نزول العذاب بكم «وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» إنما قال «أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ» لأنه أراد بذلك الواجبات و النفل التى هى الطاعات دون المباحات و المقبحات التى لا يأمر بها. و قال السدى (أحسن) أى ما أمر اللَّه تعالى به فى الكتاب، و قال قوم (أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) يريد به الناسخ دون المنسوخ، و هذا خطأ، لان المنسوخ لا يجوز العمل به بعد النسخ و هو قبيح، و لا يكون الحسن أحسن من قبيح، و قال الحسن أحسنه ان يأخذوا بما أمرهم اللَّه به و أن ينتهوا عما نهاهم عنه «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ بَغْتَةً» أى فجأة فى وقت لا تتوقعونه «وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ» أى لا تعرفون وقت نزوله بكم.

أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللَّهِ وَ إِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدانِى لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (58) بَلى قَدْ جاءَتْكَ آياتِى فَكَذَّبْتَ بِها وَ اسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ (59) وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَ لَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ (60)

خمس آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 39

قرأ أبو جعفر من طريق ابن العلاف «يا حسرتاى» بياء ساكنة بعد الألف.

و فتح الياء النهروانى عن أبى جعفر. الباقون بلا ياء.

لما امر اللَّه تعالى باتباع طاعاته و الانتهاء عن معاصيه تحذيراً من نزول العذاب بهم بغتة و هم لا يعلمون، بين الغرض بذلک و هو لئلا تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب اللَّه، و حذف (لا) كما حذف من قوله (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا) «1» و قال الزجاج: معناه كراهية أن تقول نفس، و مثله قوله (وَ أَلْقى فِى الْأَرْضِ رَواسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) «2» فى قول الفراء.

و على قول الزجاج:

كراهية ان تميد بكم، و النفس نفس الإنسان. و الفرق بين النفس و الروح أن النفس من النفاسة، و الروح من الريح. و أنفس ما فى الحيوان نفسه، و هى جسم رقيق روحانى من الريح، و نفس الشىء هو الشىء بعينه. و التفريط إهمال ما يجب ان يتقدم فيه حتى يفوت وقته، و مثله التقصير، و ضده الأخذ بالحزم، يقال:

فلان حازم و فلان مفرط.

و قوله (فِى جَنْبِ اللَّهِ) معناه فرطت فى طاعة الله او فى أمر الله إلا أنه ذكر الجنب كما يقال: هذا صغير فى جنب ذلک الماضى فى أمره، و فى جهته، فإذا ذكر هذا دلّ على الاختصاص به من وجه قريب من معنى جنبه. و قال مجاهد و السدى: معنى (فِى جَنْبِ اللَّهِ) أى فى أمر الله. و الألف فى قوله (يا حسرتى) منقلبة عن (ياء) الاضافة. و يفعل ذلک فى الاستفهام و الاستغاثة بمدّ الصوت.

و التحسر الاغتمام على ما فات وقته لانحساره عنه بما لا يمكنه استدراكه، و مثله التأسف.

---

(1) سورة 4 النساء آية 175

(2) سورة 16 النحل آية 15 و سورة 31 لقمان آية 10 [.....]

و قوله (وَ إِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) قال قتادة و السدى: معناه المستهزئين بالنبى و الكتاب الذى معه. و قيل: معناه كنت ممن يسخر بمن يدعونى إلى الايمان، و معناه و ما كنت إلا من جملة الساخرين اعترافاً منهم على نفوسهم.
و قوله تعالى (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدانِى لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) معناه فعلنا ذلک لئلا يقول: لو أراد الله هدايتى لكنت من المتقين لمعاصيه خوفاً من عقابه (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) و معناه إنا فعلنا ذلک لئلا يتمنوا إذا نزل بهم البلاء و العذاب يوم القيامة لو أن لى رجعة إلى دار الدنيا لكنت ممن يفعل الطاعات.
و نصب (فأكون) على انه جواب (لو) و يجوز أن يكون نصباً بإضمار (ان) بمعنى لو أن لى كرة فان أكون.
و فى ذلک دليل على بطلان مذهب المجبرة فى أن الكافر لا يقدر على الايمان لأنه لو كان إذا رد لا يقدر إلا على الكفر لم يكن لتمنيه معنى.
ثم قال تعالى منكراً عليهم «بَلى قَدْ جاءَتْکَ آياتِى» أى حججى و دلالاتى «فَكَذَّبْتَ بِها وَ اسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ» الجاحدين لنعمى عليک. و إنما خاطب بالتذكير و النفس مؤنثة لأنه أراد يا إنسان.
ثم اخبر تعالى عن حال الكفار فى الآخرة، فقال «وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ» جزاء على كفرهم. ثم قال «أَ لَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوىً» أى موضع إقامة «لِلْمُتَكَبِّرِينَ» الذين تكبروا عن طاعة الله و عصوا أوامره.

وَ يُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (61) اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62) لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (63) قُلْ أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجاهِلُونَ (64) وَ لَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ (65)
بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (66)
ست آيات بلا خلاف.
قرأ روح «و ينجى الله» بالتخفيف. الباقون بالتشديد. و قرأ ابن كثير «تأمرونى اعبد» مشددة النون مفتوح الياء. و قرأ نافع و ابن عامر فى رواية الداجونى خفيفة النون. و فتح الياء نافع، و لم يفتحها ابن عامر. و قرأ ابن عامر فى غير رواية الداجونى «تأمروننى» بنونين. الباقون مشددة النون ساكنة الياء.
و قرأ اهل الكوفة إلا حفصاً «بمفازاتهم» جماعة. الباقون «بمفازتهم» على واحدة. فمن وحده قال: هو بمنزلة السعادة و النجاة، كما قال اللّه تعالى «بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ» «1» و قال قوم المفازة الصحراء، فهى مهلكة و تسمى مفازة تفاؤلا، كما قالوا- لمعوج الرجلين- أحنف، و للحبشى ابو البيضاء. و قال ابن الاعرابى:

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 188
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 42
ليست مقلوبة بل المفازة المهلكة، يقولون: فوز الرجل إذا هلك و مات. و من قرأ «تأمروننى» فلانه الأصل. و من شدد أدغم احدى النونين فى الأخرى. و من خفف حذف احدى النونين، كما قال الشاعر:
تراه كالثغام يعل مسكا بسوء الغاليات إذا قلينى «1»
أراد قلينننى فحذف. لما اخبر الله تعالى عن حال الكفار و أن الله يحشرهم يوم القيامة مسودة وجوههم، و أن مقامهم فى جهنم، اخبر انه ينجى الذين اتقوا معاصى الله خوفاً من عقابه، و يخلصهم. و قوله «بِمَفازَتِهِمْ» بمنجاتهم من النار بطاعاتهم التى أطاعوا الله بها. و اصل المفازة المنجاة، و به سميت الفلاة مفازة على وجه التفاؤل بالنجاة منها، كما سموا اللديغ سليما. و من وحد فلأنه اسم جنس او مصدر يقع على القليل و الكثير. و من جمع أراد تخلصهم من مواضع كثيرة فيها هلاك الكفار و انواع عذابهم.
و قوله «لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» معناه إن هؤلاء المؤمنين الذين يخلصهم اللّه من عقاب الآخرة و أهوالها لا يمسهم عذاب أصلا، و لا هم

يغتمون على وجه. و قوله «لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ» معناه نفياً عاماً لسائر انواع العذاب، و العموم فى قوله «وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» فيه تأكيد له، و قيل: لئلا يظن ظان انه لما لم يمسهم العذاب جاز أن يمسهم بعض الغم، ففى ذلک تفصيل واضح يزيل الشبهة.
ثم اخبر تعالى انه خلق كل شىء، و معناه انه يقدر على كل شىء «وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» أى له التصرف فى ما يريد حافظ له، و إن حملنا معنى الخلق على الأحداث، فالمراد به «خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» من مقدوراته من الأجسام و الاعراض. و قوله «لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و المقاليد المفاتيح واحده

---

(1) قد مر فى 6/ 341

(مقليد) كقولک: منديل و مناديل، و يقال فى واحده ايضاً (إقليد) و جمعه (أقاليد) و هو من التقليد، و المعنى له مفاتيح خزائن السموات و الأرض يفتح الرزق على من يشاء و يغلقه عمن يشاء. و قوله «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ» يعنى كفروا بآياته من مقاليد السموات و الأرض و غيرها و قوله «أُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ» يعنى هؤلاء الذين كفروا بأدلة اللَّه و حججه «هُمُ الْخاسِرُونَ»، لأنهم يخسرون الجنة و نعيمها و يحصلون فى النار و سعيرها.
و قوله «قُلْ أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجاهِلُونَ» أمر للنبى صلى الله عليه و آله ان يقول لهؤلاء الكفار تأمرونى أيها الكفار ان اعبد الأصنام من دون اللَّه ايها الجاهلون باللَّه و بآياته؟! و العامل فى قوله «أ فغير» على احد وجهين:
أحدهما- ان يكون «تأمرونى» اعتراضاً، فيكون التقدير: أ فغير اللَّه اعبد ايها الجاهلون فى ما تأمرونى.
الثانى- ان لا يكون اعتراضاً و يكون تقديره: أ تأمرونى اعبد غير اللَّه ايها الجاهلون فى ما تأمرونى فإذا جعلت «تأمرونى» اعتراضاً، فلا موضع لقوله «اعبد» من الاعراب، لأنه على تقدير اعبد ايها الجاهلون، و إذا لم تجعله اعتراضاً يكون موضعه نصباً على الحال، و تقديره أ تأمرونى عابداً غير اللَّه، فمخرجه مخرج الحال و معناه ان اعبد، كما قال طرفة:
ألا ايهذا الزاجرى احضر الوغا و أن اشهد اللذات هل انت مخلد «1»
أى الزاجر أن احضر، و حذف (أن) ثم جعل الفعل على طريقة الحال.
ثم قال لنبيه صلى اللَّهُ عليه و آله «وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْکَ» يا محمد «وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِکَ» من الأنبياء و الرسل «لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ»

---

(1) مر فى 1/ 327 و 8/ 243

لثواب اللّه. و قال قوم: فيه تقديم و تأخير و تقديره: و لقد أوحى اليک لئن أشركت ليحبطن عملک، و إلى الذين من قبلک مثل ذلک. و قال آخرون: هذا مما اجتزى، بأحد الخبرين عن الآخر، كما يقول القائل: لقد قيل لزيد و عمرو ليذهبن، و معناه لقد قيل لزيد: ليذهبن و عمرو ليذهبن فاستغنى بقوله و عمرو عن ان يقال ليذهبن بما صار لزيد.
و ليس فى ذلک ما يدل على صحة الإحباط على ما يقوله اصحاب الوعيد، لان المعنى فى ذلک لئن أشركت بعبادة اللّه غيره من الأصنام لوقعت عبادتک على وجه لا يستحق عليها الثواب، و لو كانت العبادة خالصة لوجهه لاستحق عليها الثواب، فلذلک وصفها بأنها محبطة، و بين ذلک بقوله «بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ» أى وجه عبادتک اليه تعالى وحده دون الأصنام و دون كل وثن «تكن من الشاكرين» الذين يشكرون اللّه على نعمه و يخلصون العبادة له.
و نصب قوله «بل اللّه» بفعل فسره قوله «فاعبد» و تقديره اعبد اللّه فاعبد و قال الزجاج: هو نصب بقوله (فاعبد) و تقديره قد بلغت فاعبد اللّه و قال المبرد: و معنى (ليحبطن) ليفسدن يقولون: حبط بطنه إذا فسد من داء معروف.

وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67) وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ (68) وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَ وُضِعَ الْكِتابُ وَ جِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَداءِ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (69) وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِما يَفْعَلُونَ (70)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 45

أربع آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى مخبراً عن حال الكفار أنهم ما عظموه حق عظمته إذ دعوك إلى عبادة غيره. و قال الحسن: معناه إذ عبدوا الأوثان من دونه.

و الأول أقوى- و هو قول السدى- قال محمد بن كعب القرطى «ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» معناه ما علموا كيف حق الله. قال المبرد اشتقاقه من قولك: فلان عظيم القدر يريد بذلك جلالته. و القدر اختصاص الشىء بعظم حجم او صغر أو مساواة.

و قوله «وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ». قال الفراء: كان يجوز فى (قبضته) النصب. و قال الزجاج لا يجوز ان يقال: زيد دارك أى فى دارك على حذف (فى) كقولهم شهر رمضان انسلاخ شعبان أى فى انسلاخه. قال المبرد: الناصب ل (جميعاً) محذوفة تقديره و الأرض إذا كانت جميعاً قبضته، و خبر الابتداء (قبضته) كأنه قال: و الأرض قبضته إذا كانت جميعاً. و مثله: هذا بسر الطيب منه تمراً أى إذا كان. و مذهب سيبويه أى ثبتت جميعاً فى قبضته كقولك هنيئاً مريئاً أى ثبت ذلك، لأنه دعاء فى موضع المصدر، كما قلت سقياً و مثل الآية قول الشاعر:

إذا المرؤ أعيته المروءة ناشئاً فمطلبها كهلا عليه شديد

أى إذا كان كهلا. و قال الزجاج: هو نصب على الحال. و المعنى «وَ الْأَرْضُ» فى حال اجتماعها (قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ. وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) على الابتداء و الخبر. و معنى الآية أن الأرض بأجمعها فى مقدوره كما يقبض عليه التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 46

القابض، فيكون فى قبضته و كذلك قوله (وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) معناه أى فى مقدوره طيها، و ذكرت اليمين مبالغة فى الاقتدار و التحقيق للملك. و قيل اليمين القوة قال الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين «1»

ثم نزه نفسه تعالى عن أن يكون له شريك فى العبادة او معين فى خلق شىء من الأشياء. و قال سبحانه و تعالى عما يشركون يعنى ما يضيفه اليه

الكفار من الأصنام و الأوثان.
و قوله (وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ) قال قتادة هو جمع صورة، فكأنه ينفخ فى صور الخلق و
روى فى الخبر ان الصور قرن ينفخ فيه الصور.
و وجه الحكمة فى ذلک انه علامة جعلها الله تعالى ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم فى دار التكليف. ثم تجديد الخلق، فشبه بما يتعارفونه من بوق الرحيل و النزول، و لا يتصور ذلک للنفس بأحسن من هذه الطريقة.
و قوله (فَصَعِقَ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ) قيل: معناه يموت من شدة تلک الصيحة التى تخرج من الصور جميع من فى السموات و الأرض، و منه الصواعق التى تأتى عند شدة الرعد، و صعق فلان إذا مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة الشديدة. و قوله (إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ) استثنى من جملة الذين يهلكون قوماً من الملائكة، لأن الملک الذى ينفخ فيه يبقى بعده، و يجوز ان يبقى غيره من الملائكة. و قال السدى: المستثنى جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل و ملک الموت- و هو المروى نفى حديث مرفوع- و قال سعيد بن جبير: هم الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله. و قوله (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ) فهذه النفخة

---

(1) مر تخريجه فى 8/ 512 و هو فى تفسير الشوكانى 4/ 462

الثانية للحشر. و قال قتادة: و
روى أيضاً ان صاحب الصور إسرافيل عليه السلام
و قيل:
يُفنى اللَّه تعالى بعد الصعق و موت الخلق الأجسام كلها ثم يعيدها و معنى فإذا هم قيام ينظرون إخبار عن سرعة إيجادهم، لأنه إذا نفخ النفخة الثانية أعادهم عقيب ذلک فيقومون من قبورهم احياء ينظرون ما يراد و يفعل بهم.
و قوله (وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها) قيل: معناه أضاءت بعدل ربها و الحكم بالحق فيها و قال الحسن: معناه بعدل ربها (وَ وُضِعَ الْكِتابُ) يعنى الكتب التى أعمالهم فيها مكتوبة (وَ جِیءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَداءِ) لأنهم يؤتى بهم. و الشهداء هم الذين يشهدون على الأمم للأنبياء بأنهم قد بلغوا، و انهم كذبتهم أممهم، و هو قول ابن عباس و سعيد بن جبير (وَ قُضِیَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ) أى يفصل بينهم بالحق و لا ينقص احد منهم شيئاً مما يستحقه من الثواب و لا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب. و قوله (وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِما يَفْعَلُونَ) معناه انه يعطى كل نفس عاملة بالطاعات جزاء ما عملته على الكمال دون النقصان و اللّه تعالى أعلم من كل احد بما يفعلون من طاعة او معصية لا يخفى عليه شىء منها.

وَ سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا قالُوا بَلى وَ لكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ (71) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (72) وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ (73) وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ (74) وَ تَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (75)

خمس آيات بلا خلاف قرأ اهل الكوفة إلا الكسائى عن أبى بكر (فتحت... و فتحت) بالتخفيف فيهما. الباقون بالتشديد. من خفف قال: لأنها تفتح دفعة واحدة، و من شدد قال:

لأنها تفتح مرة بعد اخرى، و لقوله (مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ) «1».

لما اخبر اللّه تعالى عن حال الكافرين و المؤمنين و انه يحشر الخلق فى ارض الموقف، و انه يعاقب كل احد على قدر استحقاقه، اخبر- هاهنا- عن قسمة أحوالهم فقال (وَ سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً) فالسوق الحث على السير يقال:

ساقه يسوقه سوقاً، فهو سائق و ذاک مسوق، و منه قولهم: الكلام يجرى على سياقة واحدة، و منه السوق لأن المعاملة فيها تساق بالبيع و الشراء، و منه الساق لأنه ينساق به البدن، و (الزمر) جمع زمرة و هى الجماعة لها صوت المزمار، و منه مزامير داود عليه السلام يعنى أصوات له كانت مستحسنة، و قال الشاعر:

له زجل كأنه صوت حاد إذا طلب الوسيقة أو زمير «2»

---

(1)سورة 38 (ص) آية 50

(2)قائله الشماخ اللسان (زجل) و سيبويه 1/ 11

قال ابو عبيدة: معناه جماعات فى تفرقة بعضهم فى أثر بعض (حَتَّى إِذا جاؤُها) يعنى جاءوا جهنم (فُتِحَتْ أَبْوابُها) أى أبواب جهنم (وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها) الموكلون بها على وجه الإنكار عليهم و التهجين لفعلهم (أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) يعنى من أمثالكم من البشر (يتلون) أى يقرؤن (عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ) أى حجج ربكم، و ما يدلكم على معرفته و وجوب عبادته (وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ

يَوْمِكُمْ هذا) أى و يخوفونكم من مشاهدة هذا اليوم و عذابه، فيقول الكفار لهم (بلى) قد جاءتنا رسل ربنا، و خوفونا لأنه لا يمكنهم جحد ذلک لحصول معارفهم الضرورية (وَ لكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ) و معناه أنه وجب العقاب على من كفر باللّه، لأنه تعالى اخبر بذلک و علم من يكفر و يوافى بكفره، فقطع على عقابه، فلم يكن يقع خلاف ما علمه و اخبر به، فصار كوننا فى جهنم موافقاً لما أخبر به تعالى و علمه، فيقول لهم عند ذلک الملائكة الموكلون بجهنم (ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها) أى مؤبدين لا آخر لعقابكم ثم قال تعالى (فَبِئْسَ مَثْوَى) أى بئس مقام (المتكبرين) جهنم.
ثم اخبر تعالى عن حال أهل الجنة بعد حال اهل جهنم فقال «وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ» باجتناب معاصيه و فعل طاعاته «إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها» و إنما جاء فى الجنة، و فتحت أبوابها بالواو، و فى النار فتحت بغير واو، لأنه قيل: أبواب النار سبعة، و أبواب الجنة ثمانية، ففرق بينهما للإيذان بهذا المعنى، قالوا: لان العرب تعد من واحد إلى سبعة و تسميه عشراً و يزيدون واواً تسمى واو العشر، كقوله «التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» ثم قال (وَ النَّاهُونَ عَنِ

الْمُنْكَرِ)
«1» فاتى بالواو بعد السبعة، و قال (مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَيِّباتٍ وَ أَبْكاراً) «2» فاتى بالواو فى الثامنة. و قيل: ان المعنى واحد، و إنما حذفت تارة وجىء بها اخرى تصرفاً فى الكلام. قال الفراء:
الواو لا تقحم إلا مع (لما) و (حتى) و (إذا) و انشد.
فلما أجزنا ساحة الحى و انتحى «3»
أراد انتحى و قيل: دخلت الواو لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم و إذا كان بغير واو أفاد انها فتحت فى ذلک الوقت و جواب (حتى إذا) فى صفة اهل الجنة محذوف و تقديره حتى إذا جاؤها قالوا المنى أو دخلوها او تمت سعادتهم او ما أشبه ذلک و حذف الجواب ابلغ لاحتماله جميع ذلک و مثله قول عبد مناف بن ربيع.
حتى إذا سلكوهم فى قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا «4»
و هو آخر القصيدة، فحذف الجواب. و قوله (وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ) أى طابت أفعالكم من الطاعات و زكت (فادخلوها) أى الجنة جزاء على ذلک (خالدين) مؤبدين لا غاية له و لا انقطاع، و قيل: معناه طابت أنفسكم بدخول الجنة.
ثم حكى تعالى ما يقول أهل الجنة إذا دخلوها، فإنهم يقولون اعترافاً بنعم اللّه عليهم (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنا وَعْدَهُ وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ) يعنون ارض الجنة. و قيل: ورثوها عن أهل النار، و قيل: لما صارت الجنة عاقبة أمرهم كما

يصير الميراث، عبر عن ذلک بأنه أورثهم و قوله (نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ) معناه

---

(1)سورة 9 التوبة آية 113
(2)سورة 66 التحريم آية 5
(3)مر تخريجه فى 6/ 109
(4)مر فى 1/ 128، 149 و 6/ 322، 459 و 7/ 363

نتخذ متبوءاً أى مأوى حيث نشاء، و أصله الرجوع من قولهم: باء بكذا أى رجع به. ثم قال (فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ) يعنى المقام فى الجنة و التنعم فيها.
ثم قال تعالى (وَ تَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) أى محدقين به- فى قول قتادة و السدى- (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أى ينزهون اللّه تعالى عما لا يليق به و يذكرونه بصفاته التى هو عليها. و قيل: تسبيحهم ذلک الوقت على سبيل التنعم و التلذذ ثواباً على أعمالهم لا على وجه التعبد، لأنه ليس هناک دار تكليف. و قيل: الوجه فى ذلک تشبيه حال الآخرة بحال الدنيا، فان السلطان الأعظم إذا أراد الجلوس للمظالم و القضاء بين الخلق قعد على سريره و اقام حشمه و جنده قدامه و حوله تعظيماً لأمره فلذلک عظم اللّه أمر القضاء فى الآخرة بنصب العرش و قيام الملائكة حوله معظمين له تعالى مسبحين و إن لم يكن تعالى على العرش لأن ذلک يستحيل عليه لكونه غير جسم، و الجلوس على العرش من صفات الأجسام.
ثم قال تعالى (وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ) أى فصل بين الخلائق بالحق لا ظلم فيه على أحد، و قيل (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ) اخبار منه تعالى أن جميع المؤمنين يقولون عند ذلک معترفين بأن المستحق للحمد و الشكر الذى لا يساويه حمد و لا شكر (اللّه) الذى خلق العالمين و دبرها. و قيل: لأن اللّه خلق الأشياء الحمد للّه الذى خلق السموات و الأرض، فلما أفنى الخلق ثم بعثهم و استقر اهل الجنة فى الجنة ختم بقوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ).

اشارة

مكية- فى قول مجاهد و قتادة- ليس فيها ناسخ و لا منسوخ. و قال الحسن هى مكية إلا آية واحدة و هى قوله (وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ بِالْعَشِیِّ وَ الْإِبْکارِ) يعنى بذلک صلاة الفجر و المغرب و قد ثبت أن فرض الصلاة كان بالمدينة. و هى خمس و ثمانون آية فى الكوفى و أربع فى المدنيين و اثنتان فى البصرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ ذِى الطَّوْلِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3) ما يُجادِلُ فِى آياتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى الْبِلادِ (4)
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَ جادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ (5)
خمس آيات فى الكوفى و أربع فى ما عداه عدّ الكوفيون (حم) آية و لم يعدها الباقون. التبيان في تفسير القرآن، ج9، ص: 53
قرأ اهل الكوفة إلا حفصاً و ابن ذكوان (حاميم) بامالة الألف. الباقون بالفتح من غير امالة و هما لغتان فصيحتان. و قال قوم (حم) موضعه نصب، و تقديره اتل (حم) اقرأ (حم) و قال آخرون: موضعه جرّ بالقسم. و من جزم قال: لأنها حروف التهجى و هى لا يدخلها الاعراب، و قد فتح الميم عيسى ابن عمر، و جعله اسم السورة، فنصبه و لم ينون، لأنه على وزن (هابيل) و يجوز ان يكون فتح لالتقاء الساكنين. و القراء على تسكين الميم و هو الأجود لما بيناه.
و قد بينا اختلاف المفسرين و اهل العربية فى مبادئ السور بحروف التهجى و معناها، و أن أقوى ما قيل فى ذلک انها اسماء للسور، و ذكرناها فى الأقوال، فلا نطول باعادته.
و قال قتادة و الحسن: (حم) اسم السورة. و قال شريح بن أوفى العبسى:
يذكرنى (حم)و الرمح شاهر فهلا تلا (حم) قبل التقدم
و قال الكميت:
وجدنا لكم فى آل حم آية تأولها منا تقى و معرب
و قوله (تَنْزِيلُ الْكِتابِ) أى هو تنزيل (مِنَ اللَّهِ) أنزله على نبيه (العزيز) معناه القادر الذى لا يغالب و لا يقهر المنيع بقدرته على غيره و لا يقدر عليه غيره. و هذه الصفة لا تصح إلا للّه تعالى و اصل الصفة المنع من قولهم: عزّ كذا و كذا أى امتنع، و فلان عزيز أى منيع بسلطانه او عشيرته او قومه «و العليم» الكثير العلوم و العالم الذى له معلوم.
و قوله (غافِرِ الذَّنْبِ) جرّ بأنه صفة بعد صفة، و معناه من شأنه غفران الذنب فى ما مضى و فى ما يستقبل، فلذلک كان من صفة المعرفة (وَ قابِلِ التَّوْبِ) التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 54
قال الفراء: إنما جعلها نعتاً للمعرفة و هى نكرة، لأن المعنى ذى الغفران، و ذى قبول التوبة كقوله «ذى الطول» و هو معرفة و إن جعلته بدلا كانت النكرة و المعرفة سواء، و معنى «قابِلِ التَّوْبِ» إنه يقبل توبة من تاب اليه

من المعاصى بأن يثيب عليها و يسقط عقاب معاصى ما تقدمها تفضلا منه، و لذلک كان صفة مدح، و لو كان سقوط العقاب عندها واجباً لما كان فيه مدح و (التوب) يحتمل وجهين:
أحدهما- ان يكون جمع توبة كدوم و دومة و عوم و عومة.
و الثانى- ان يكون مصدر (تاب يتوب توباً).
و قوله «شَدِيدِ الْعِقابِ» معناه شديد عقابه و ذكر ذلک عقيب قوله «غافِرِ الذَّنْبِ» لأنه أراد لئلا يعول المكلف على العفو بل يخاف عقابه أيضاً لأنه كما انه يغفر لكونه غافراً فقد يعاقب لكونه شديد العقاب. و فرق بين شدة العقاب و تضاعف الآلام بان الخصلة الواحدة من الألم يكون أعظم من خصال كثيرة من ألم آخر كالالم فى أجزاء كثيرة من قرض برغوث.
و قوله «ذِى الطَّوْلِ» قال ابن عباس و قتادة: معناه ذى النعم. و قال ابن زيد: معناه ذى القدرة. و قال الحسن: ذى التفضل على المؤمنين. و قيل (الطول) الانعام الذى تطول مدته على صاحبه كما أن التفضل النفع الذى فيه إفضال على صاحبه. و لو وقع النفع على خلاف هذا الوجه لم يكن تفضلا. و يقال:
لفلان على فلان طول أى فضل.
و قوله «لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» نفى منه تعالى أن يكون معبود على الحقيقة يستحق العبادة غيره تعالى. ثم قال «إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» و معناه تؤل الأمور إلى حيث لا يملک أحد الامر و النهى و الضر و النفع غيره تعالى، و هو يوم القيامة، لأن

قد ملک اللَّه كثيراً من خلقه الأمر و النهى و الضر و النفع. ثم قال «ما يُجادِلُ فِى آياتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا» معناه لا يخاصم فى دفع حجج اللَّه و إنكارها و جحدها إلا الذين يجحدون نعم اللَّه و يكفرون بآياته و أدلته. ثم قال لنبيه «فَلا يَغْرُرْکَ» يا محمد «تَقَلُّبُهُمْ فِى الْبِلادِ» أى تصرفهم لقولهم: لفلان مال يتقلب فيه أى يتصرف فيه. و المعنى لا يغررک سلامتهم و إمهالهم، فان عاقبتهم تصير إلىّ و لا يفوتوننى.
و فى ذلک غاية التهديد.
ثم بين ذلک بأن قال «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ» أى قبل هؤلاء الكفار «قَوْمُ نُوحٍ» بان جحدوا نبوته «وَ الْأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ» أيضاً كذبوا رسلهم «وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ» و إنما قال برسولهم لأنه أراد الرجال. و فى قراءة عبد اللَّه «برسولها ليأخذوه» قال قتادة هموا به ليقتلوه «وَ جادَلُوا بِالْباطِلِ» أى و خاصموا فى دفع الحق بباطل من القول. و فى ذلک دليل على ان الجدال إذا كان بحق كان جائزاً «لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ» أى ليبطلوا الحق الذى بينه اللَّه و أظهره و يزيلوه، يقال: أدحض اللَّه حجته. و قال تعالى «حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ» «1» أى زائلة. ثم قال «فَأَخَذْتُهُمْ» أى فأهلكتهم و دمرت عليهم «فَكَيْفَ كانَ عِقابِ» فما الذى يؤمن هؤلاء من مثل ذلک؟!

وَ كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ (6) الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَ قِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ (7) رَبَّنا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (8) وَ قِهِمُ السَّيِّئاتِ وَ مَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ (10)

---

(1)سورة 42 الشورى آية 16

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 56

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ نافع و ابن عامر «حقت كلمات» على الجمع. الباقون على التوحيد.

من وجد فلأن الكلمة تقع على القليل و الكثير مفردة. و من جمع فلأن ذلك قد يجمع إذا اختلف أجناسها، كما قال «وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها» «1» يعنى شرائعه لأن كتبه قد ذكرت. و المعنى و حقت كلمات ربك، كقولهم: الحق لازم.

و وجه التشبيه فى قوله «وَ كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا» أن الكفار يعاقبون فى الآخرة بالنار، كما عوقبوا فى الدنيا بعذاب الاستئصال إلا انهم فى الآخرة على ملازمة النار و الحصول فيها، و قد حقت الكلمة عليهم فى الأمرين جميعاً، فحقت الكلمة على هؤلاء كما حقت الكلمة على أولئك، و موضع «أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ» يحتمل أن يكون نصباً على تقدير بأنهم أو لأنهم. و يحتمل أن يكون رفعاً على البدل من (كلمة). و قال الحسن: حقت كلمة ربك على مشركى

---

(1)سورة 66 التحريم آية 12

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 57

العرب كما حقت على من قبلهم.

ثم اخبر تعالى عن حال الملائكة و عظم منزلتهم بخلاف ما عليه الكفار من البشر، فقال «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ» عبادة للّه تعالى و امتثالا لأمره «وَ مَنْ حَوْلَهُ» يعنى الملائكة الذين حول العرش يطوفون به و يلجئون اليه «يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» أى ينزهونه عما لا يليق به و يحمدونه على نعمه «وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ» أى و يصدقون به و يعترفون بوحدانيته «وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ

آمَنُوا» أى يسألون اللّه المغفرة للذين آمنوا- من البشر- أى صدقوا بوحدانيته و اعترفوا بالالهية.
و يقولون: ايضاً مع ذلک «رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً» و نصبهما على التميز و معناه وسعت رحمتک أى نعمتک و معلومک كل شيء، فنقل الفعل إلى الموصوف على وجه المبالغة، كما قالوا: طبت به نفساً، و جعل العلم فى موضع المعلوم، كما قال «وَ لا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ» «1» أى بشىء من معلومه على التفصيل، و تقديره:
وسعت رحمتک و علمک كل شىء، و يقولون أيضاً ربنا «فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا» من معاصيک و رجعوا إلى طاعتک «وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَکَ» الذى دعوت خلقک اليه من التوحيد و إخلاص العبادة «وَ قِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ» أمنع منهم عذاب جهنم لا يصل اليهم، و حذف يقولون قبل قوله «ربنا» لأنه مفهوم من الكلام.
و استغفارهم للذين تابوا يدل على ان إسقاط العقاب غير واجب لأنه لو كان واجباً لما كان يحتاج إلى مسألتهم بل اللّه تعالى كان يفعله لا محالة.
ثم حكى تمام ما يدعوا به حملة العرش و الملائكة للمؤمنين، فإنهم يقولون ايضاً «رَبَّنا وَ أَدْخِلْهُمْ» مع قبول توبتک منهم و وقاية النار

---

(1)سورة 2 البقرة آية 256

(جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدْتَهُمْ) أى الجنة التى وعدت المؤمنين بها و هى جنة عدن أى إقامة و خلود و دوام (وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ) كل ذلک فى موضع نصب. و يحتمل أن يكون عطفاً على الهاء و الميم فى (و أدخلهم) و تقديره و ادخل من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرياتهم الجنة ايضاً. و يحتمل ان يكون عطفاً على الهاء و الميم فى (وعدتهم) و تقديره أدخلهم جنات عدن التى وعدت المؤمنين و وعدت من صلح من آبائهم (إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ) فى انتقامک من أعدائک (الحكيم) فى ما تفعل بهم و بأولئک، و فى جميع أفعالک. و قولهم (وَ قِهِمُ السَّيِّئاتِ) معناه و قهم عذاب السيئات و يجوز أن يكون العذاب هو السيئات و سماه سيئات، كما قال (وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ) «1» للاتساع و قوله (وَ مَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ) أى تصرف عنه شر عاقبة سيئاته من صغير اقترفه او كبير تاب منه فتفضلت عليه (يومئذ) يعنى يوم القيامة (فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) أى صرف العذاب عنهم هو الفلاح العظيم، و الفوز الظاهر.
ثم اخبر تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ) قال مجاهد و قتادة و السدى و ابن زيد: مقتوا أنفسهم حين عاينوا العقاب، فقيل لهم: مقت اللّه إياكم اكبر من ذلک.
و قال الحسن: لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت اللّه اكبر من مقتكم أنفسكم. و قال البلخى: لما تركوا الايمان و صاروا إلى

الكفر فقد مقتوا أنفسهم أعظم المقت، كما يقول أحدنا لصاحبه: إذا كنت لا تبالى بنفسک فلما أبالى بک؟! و ليس يريد انه لا يبالى بنفسه لكنه يفعل فعل من هو كذلک. و قال قوم: لمقت اللّه اكبر من مقت بعضكم لبعض. و المقت أشد العداوة و البغض

---

(1) سورة 42 الشورى آية 40 [.....]

ثم بين أن مقت اللّه إياهم حين دعاهم إلى الأيمان على لسان رسله فكفروا به و برسلهم فمقتهم اللّه عند ذلک، و تقدير (يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ) ينادون إن مقت اللّه إياكم، و نابت اللام مناب (إن) كما تقولون ناديت إن زيداً لقائم و ناديت لزيد قائم. و قال البصريون هذه لام الابتداء، كما يقول القائل: لزيد أفضل من عمرو أى يقال لهم و النداء قول.

قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (11) ذلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَ إِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (12) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آياتِهِ وَ يُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً وَ ما يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ (13) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ (14) رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ (15)
يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ (16) الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (17)
سبع آيات عند الكل إلا ان الشامى قد خالفهم فى التفصيل، و هى عندهم سبع عدوا (يوم التلاق) و لم يعده الشامى، و عد الشامى (يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ) و لم التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 60
يعده الباقون.
حكى اللّه تعالى عن الكفار الذين تقدم وصفهم انهم يقولون بعد حصولهم فى النار و العذاب يا (رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال السدى الاماتة الأولى فى الدنيا و الثانية فى البرزخ إذا أحيى للمسألة قبل البعث يوم القيامة، و هو اختيار الجبائى و البلخى. و قال قتادة: الاماتة الأولى حال كونهم نطفاً فأحياهم اللّه، ثم يميتهم، ثم يحييهم يوم القيامة. و فى الناس من استدل بهذه الآية على صحة الرجعة، بأن قال: الاماتة الأولى فى دار الدنيا و الأحياء الأول حين إحيائهم للرجعة، و الاماتة الثانية بعدها. و الأحياء الثانى يوم القيامة، فكأنهم اعتمدوا قول السدى، ان حال كونهم نطفاً لا يقال له إماتة، لان هذا القول يفيد اماتة عن حياة و الأحياء يفيد عن إماتة منافية للحياة و إن سموا فى حال كونهم نطفاً مواتا. و هذا ليس بقوى لأنه لو سلم ذلک لكان لا بد من أربع إحياءات و ثلاث إماتات أول إحياء حين أحياهم بعد كونهم نطفاً، لان ذلک يسمى احياء بلا شک. ثم اماتة بعد ذلک فى حال الدنيا. ثم أحياء فى القبر ثم إماتة بعده ثم إحياء فى الرجعة ثم إماتة بعدها. ثم إحياء يوم القيامة لكن يمكن أن يقال: إن إخبار اللّه عن الأحياء مرتين و الاماتة مرتين لا يمنع من احياء آخر و إماتة أخرى. و ليس فى الآية انه أحياهم مرتين و أماتهم مرتين بلا زيادة، فالآية محتملة لما قالوه و محتملة لما قاله السدى، و ليس للقطع على أحدهما سبيل. قال ابن عباس و عبد اللّه و الضحاک:
هو كقوله (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) «1».

و قوله (فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا) إخبار منه تعالى أن الكفار يعترفون بذنوبهم

---

(1)سورة 2 البقرة آية 28

التى اقترفوها فى الدنيا لا يمكنهم جحدها، و إنما تمنوا الخروج مما هم فيه من العذاب، فقالوا (فَهَلْ إِلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ) و المعنى فهل إلى خروج لنا من سبيل فنسلكه فى طاعتك و إتباع مرضاتك. و لو علم اللَّه تعالى انهم يفلحون لردهم إلى حال التكليف، لأنه لا يمنع احساناً بفعل ما ليس بإحسان، و لا يؤتى احد من عقابه إلا من قبل نفسه، و كذلك قال فى موضع آخر (وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ) «1» تنبيهاً أنهم لو صدقوا فى ذلك لأجابهم إلى ما تمنوه، و إنما يقولون هذا القول على سبيل التمنى بكل ما يجدون اليه سبيلا فى التلطف للخروج عن تلك الحال، و إنه لا يمكن احداً أن يتجلد على عذاب اللَّه، كما يمكن ان يتجلد على عذاب الدنيا. و وجه اتصال قوله (فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا) بما قبله هو الإقرار بالذنب بعد الإقرار بصفة الرب، كأنه قيل: فاعترفنا بأنك ربنا الذى أمتنا و أحييتنا و طال إمهالك لنا فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج لنا من سبيل فنسلكه فى طاعتك و إتباع مرضاتك. و فى الكلام حذف و تقديره: فأجيبوا ليس من سبيل لكم إلى الخروج (ذلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ) أى إذا دعى اللَّه وحده دون آلهتكم جحدتم ذلك (وَ إِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا) أى إن يشرك به معبوداً آخر من الأصنام و الأوثان تصدقوا. ثم قال (فالحكم للَّه) فى ذلك و الفاصل بين الحق و الباطل (العلى الكبير) فالعلى القادر على كل شىء يجب ان يكون قادراً عليه، و يصح ذلك منه و صفة القادرين تتفاضل، فالعلى القادر الذى ليس فوقه من هو أقدر منه و لا من هو مساو له فى مقدوره، و جاز وصفه تعالى بالعلى، لان الصفة بذلك قد تقلب من علو المكان الى علو الشأن يقال: استعلى عليه بالقوة، و استعلى عليه بالحجة و ليس كذلك الرفعة فلذلك لا يسمى بأنه رفيع، و الكبير العظيم فى صفاته

---

(1)سورة 6 الانعام آية 28

التى لا يشاركه فيها غيره. و قال الجبائى: معناه السيد الجليل. ثم قال تعالى (هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ آياتِهِ) يعنى حججه و دلائله (وَ يُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً) من الغيث و المطر الذى ينبت ما هو رزق الخلق (وَ ما يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) أى ليس يتفكر فى حقيقة ذلك إلا من يرجع اليه. و قال السدى: معناه إلا من يقبل إلى طاعة اللَّه.

ثم امر اللَّه تعالى المكلفين، فقال (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) أى وجهوا عبادتكم اليه تعالى وحده (و لو كره) ذلك (الكافرون) فلا تبالوا بهم.

ثم رجع إلى وصف نفسه فقال (رفيع الدرجات) و قيل معناه رفيع طبقات الثواب التي يعطيها الأنبياء و المؤمنين فى الجنة (و رفيع) نكرة أجراها على الاستئناف أو على تفسير المسألة الأولى، و تقديره: و هو رفيع (ذو العرش) بانه مالكه و خالقه و معناه عظيم الثواب لهم و المجازاة على طاعتهم (يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) قيل: الروح القرآن و كل كتاب أنزله اللّه على نبى من أنبيائه و قيل: معنى الروح- هاهنا- الوحى، لأنه يحيا به القلب بالخروج من الجهالة إلى المعرفة و منه قوله (وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا) «1» ذكره قتادة و الضحاك و ابن زيد. و قيل: الروح- هاهنا- النبوة، و تقديره لينذر من يلقى عليه الروح يوم التلاق: من يختاره لنبوته و يصطفيه لرسالته. و قوله (لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ) أى ليخوف يوم يلتقى فيه اهل السماء و اهل الأرض- فى قول قتادة و السدى و ابن زيد- و قيل يوم يلقى فيه المرؤ عمله، و هو يوم القيامة حذر منه. و قيل يوم يلتقى فيه الأولون و الآخرون. و الضمير فى قوله (لينذر) كناية عن النبى صلى اللّه عليه و آله. و يحتمل ان يكون فيه ضمير اللّه، و الأول أجود، لأنه قد قرئ

---

(1)سورة 42 الشورة آية 52

بالتاء، و هو حسن. و من أثبت الياء فلأنها الأصل، و من حذف اجتزأ بالكسرة الدالة عليها.

و قوله (يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ)أى يظهرون من قبورهم و يهرعون إلى ارض المحشر و هو يوم التلاق و يوم الجمع و يوم الحشر. و نصب (يوم) على الظرف. و قوله (لا يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ) إنما خصهم بأنه لا يخفى عليه منهم شىء و إن كان لا يخفى عليه لا منهم و لا (من) غيرهم شىء لاحد أمرين:

أحدهما-أن تكون (من)لتبيين الصفة لا للتخصيص و التبعيض.

و الآخر-ان يكون بمعنى يجازيهم من لا يخفى عليه شىء منهم، فذكر بالتخصيص لتخصيص الجزاء بمن يستحقه دون ما لا يستحقه و لا يصح له من المعلوم.

و قيل: لا يخفى على اللَّه منهم شىء فلذلك صح أنه أنذرهم جميعاً.

و قوله (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) قيل فى معناه قولان:

أحدهما-انه تعالى يقرر عباده، فيقول لمن الملك؟ فيقر المؤمنون و الكافرون بأنه للّه الواحد القهار.

و الثانى-انه القائل لذلك و هو المجيب لنفسه، و يكون فى الاخبار بذلك مصلحة للعباد فى دار التكليف. و الاول أقوى لأنه عقيب قوله (يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ) و إنما قال (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) مع أنه يملك الأنبياء و المؤمنين فى الآخرة الملك العظيم لاحد وجهين:

أحدهما-لأنه على تخصيص يوم القيامة قبل تمليک اهل الجنة ما يملكهم.
و الثانى-لا يستحق إطلاق الصفة بالملک إلا اللّه تعالى، لأنه يملک جميع الأمور من غير تمليک مملک، فهو أحق بإطلاق الصفة. و قوله (الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ) اخبار منه تعالى أن يوم القيامة تجزى كل نفس على قدر التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 64
عملها لا يؤاخذ أحد بجرم غيره، لا يظلم ذلک اليوم أحد و لا يبخس حقه (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ) لا يشغله محاسبة واحد عن محاسبة غيره، فحساب جميعهم على حد واحد.

وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَناجِرِ كاظِمِينَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَ لا شَفِيعٍ يُطاعُ (18) يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِي الصُّدُورُ (19) وَ اللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (20)

ثلاث آيات فى الكوفى و أربع فى ما سواه عدوا (كاظمين) رأس آية و لم يعده الكوفيون.

قرأ نافع و هشام عن ابن عامر (و الذين تدعون) بالتاء. الباقون بالياء.

من قرأ بالتاء فعلى الخطاب، و تقديره: قل لهم يا محمد. و من قرأ بالياء جعل الإخبار عن الغائب.

امر اللّه تعالى نبيه محمداً أن يخوف المكلفين عقاب يوم الآزفة، و يخبرهم بما فيه من الثواب و العقاب. و الازقة الدانية من قولهم: أزف الامر إذا دنا، و أزف الوقت إذا دنا يأزف أزفاً، و منه (ازفة الآزفة) «1» أى دنت القيامة. و المعنى دنوا للمجازاة، و هو يوم القيامة.

و قوله (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَناجِرِ) أى فى الوقت الذى تنتزع فيه القلوب من أمكنتها، و هى الصدور، فكظمت به الحناجر، فلم تستطيع ان تلفظها

---

(1)سورة 53 النجم آية 57

و لم تعد الى أماكنها و قيل: الكاظم الساكت على امتلائه غيظاً او غماً. و نصب (كاظمين) على الحال- فى قول الزجاج- و تقديره قلوب الظالمين لدى الحناجر (كاظمين) أى فى حال كظمهم، و الحناجر جمع حنجرة و هى الحلقوم. و قيل:

انما خصت الحناجر بذلک لان الفزع ينتفخ منه سحره أى رئته فيرتفع القلب من مكانه لشدة انتفاخه حتى يبلغ الحنجرة. و الكاظم للشىء الممسک على ما فيه، و منه قوله (وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ) «1» و منه قولهم: كظم قربته إذا شد رأسها، لأن ذلک الشد يمسكها على ما فيها، فهؤلاء قد اطبقوا أفواههم على ما فى قلوبهم لشدة الخوف.

و قوله (ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَ لا شَفِيعٍ يُطاعُ) نفى من اللّه أن يكون للظالمين شفيع يطاع، و يحتمل ان يكون المراد بالظالمين الكفار، فهؤلاء لا يلحقهم شفاعة شافع أصلا. و ان حملنا على عموم كل ظالم من كافر و غيره جاز أن يكون انما أراد نفى شفيع يطاع، و ليس فى ذلک نفى شفيع يجاب، و يكون المعنى ان الذين يشفعون يوم القيامة من الأنبياء و الملائكة و المؤمنين إنما يشفعون على وجه المسألة اليه و الاستكانة اليه لا أنه يجب

على اللّه ان يطيعهم فيه. و قد يطاع الشافع بأن يكون الشافع فوق المشفوع اليه. و لذلک
قال النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله لبريرة (انما أنا شافع)
لكونه فوقها فى الرتبة و لم يمنع من إطلاق اسم الشفاعة على سؤاله، و ليس لأحد أن يقول الكلام تام عند قوله (و لا شفيع) و يكون قوله (يطاع) ابتداء بكلام آخر لان هذا خلاف لجميع القراء لأنهم لا يختلفون ان الوقف عند قوله (يطاع) و هو رأس آية و هو يسقط السؤال و أيضاً فلو وقفت عند قوله (و لا شفيع) لما كان لقوله «يطاع»

---

(1)سورة 3 آل عمران آية 134

تعلق به و لا معنى، لأن الفعل لا يلى فعلا، فان قدر يطاع الذى يعلم كان ذلک شرطا ليس هو فى الظاهر، فحمل الآية على ما لا يحتاج إلى زيادة أولى.
و قوله تعالى (يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ) أى يعلم ما تختان به الأعين من النظر إلى غير ما يجوز النظر اليه على وجه السرقة «وَ ما تُخْفِى الصُّدُورُ» أى تضمره لا يخفى عليه شىء من جميعه. و قيل: النظرة الأولى مباحة و الثانية محرمة.
فقوله «خائِنَةَ الْأَعْيُنِ» فى النظرة الثانية «وَ ما تُخْفِى الصُّدُورُ» فى النظرة الأولى فان كانت الأولى تعمداً كان فيها الإثم ايضاً، و إن لم تكن تعمداً، فهى مغفورة ثم قال «وَ اللّهُ يَقْضِى بِالْحَقِّ» أى يفصل بين الخلائق بمر الحق فيوصل كل واحد إلى حقه «وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» من الأصنام لا يقضون بشىء من الحق. و من قرأ بالياء فعلى الاخبار عنهم. و من قرأ بالتاء فعلى الخطاب للكفار.
ثم اخبر تعالى «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ» أى من يجب ان يسمع المسموعات إذا وجدت المسموعات «البصير» أى يجب ان يبصر المبصرات إذا وجدت المبصرات، و حقيقتهما يرجع الى كونه حياً لا آفة به. و قال قوم: معناه العالم بالمسموعات العالم بالمبصرات.

أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ ما كانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ (21) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ (22) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ (23) إِلى فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ قارُونَ فَقالُوا ساحِرٌ كَذَّابٌ (24) فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ وَ ما كَيْدُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلالٍ (25)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 67

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عباس «أشد منكم» بالكاف. الباقون بالهاء. قال ابو على: من قرأ بالهاء فلأن ما قبله «أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا» على ان لفظه لفظ الغيبة، فحمله على ذلك فقرأ «أَشَدَّ مِنْهُمْ» و من قرأ بالكاف انصرف من الغيبة الى الخطاب، كقوله «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» بعد قوله «الْحَمْدُ لِلَّهِ» و حسن- هنا- لأنه خطاب لأهل مكة.

يقول اللَّه تعالى منبهاً لهؤلاء الكفار على النظر فى ما نزل بالماضين جزاء على كفرهم فيتعظوا بذلك و ينتهوا عن مثل حالهم، فقال «أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ» و السير و المسير واحد، و هو الجواز فى المواضع، يقال: سار يسير سيراً و سايره مسايرة و سيره تسييراً، و منه قوله «السَّيَّارَةِ» «1» و الثياب المسيرة: التى فيها خطوط و قوله «فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ» أى يتفكروا فى عواقب الكفار من قوم عاد و قوم لوط، فيرون بلادهم هالكه و آثارهم دارسة و منازلهم خالية بما حل بهم من عذاب اللَّه و نكاله جزاء على جحودهم نعم اللَّه و اتخاذهم معه إلهاً غيره، و كان الأمم الماضية أشد قوة من هؤلاء. و القوة هى القدرة، و منه قوله «الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ» «2» و قد يعبر بالقوة عن الصلابة، فيقال:

---

(1)سورة 12 يوسف آية 10

(2)سورة 11 هود آية 66 و سورة 42 الشورى آية 19

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 68

خشبة قوية و حبل قوى أى صلب، و أصله من قوى الحبل، و هو شدة الفتل ثم نقل إلى معنى القدرة، كما نقل (كبر) عن كبر الجثة إلى كبر الشأن، و الأثر حدث يظهر به أمر، و منه الآثار التى هى الأحاديث عمن تقدم بما تقدم بها من أحوالهم و طرائقهم فى أمر الدنيا و الدين. و قوله «فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ» و معناه فأهلكهم اللَّه جزاء على معاصيهم «وَ ما كانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ

مِنْ واقٍ» فى دفع العذاب عنهم و منعهم من نزوله بهم- و هو قول قتادة-.
ثم بين تعالى انه إنما فعل بهم ذلک لأنهم «تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ» يعنى بالمعجزات الظاهرات و الدلالات الواضحات فكذبوهم و جحدوا رسالتهم فاستحقوا العذاب «فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ» أى اهلكهم اللّه جزاء على معاصيهم «إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ» أى قادر شديد عقابه.
ثم ذكر قصة موسى عليه السلام فقال «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا» أى بعثناه بحججنا و أدلتنا «وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ» أى حجة ظاهرة نحو قلب العصى حية و فلق البحر و غير ذلک «إِلى فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ قارُونَ فَقالُوا ساحِرٌ كَذَّابٌ» يعنى موسى. ثم قال تعالى «فَلَمَّا جاءَهُمْ» يعنى موسى عليه السلام «بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا» يعنى فرعون و هامان و قارون «اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا» بموسى و من معه «وَ اسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ» أى استبقوهم، قال قتادة: كان هذا الامر بقتل الأبناء و الاستحياء للنساء امراً من فرعون بعد الامر الاول. و قيل استحياء نسائهم للمهنة. و قيل:
معناه استحيوا نساءهم و قتلوا الأبناء ليصدوهم بذلک عن اتباعه و يقطعوا عنه من يعاونه، و إنما ذكر قصة موسى ليصبر محمد صلى الله عليه و آله على قومه كما صبر موسى قبله.
ثم اخبر تعالى ان ما فعله من قتل الرجال و استحياء النساء لم ينفعه و ان كيده، و كيد الكافرين لا يكون الا فى ضلال عن الحق و اسم (كان) الاولى
قوله التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 69
«عاقبة» و خبرها (كيف) و انما قدم لان الاستفهام له صدر الكلام، و اسم (كان) الثانية الضمير الذى دل عليه الواو، و خبره (من قبلهم)، و اسم (كان) الثالثة الضمير، و (هم) فصل عند البصريين، و عماد عند الكوفيين «و أشد» خبر (كان) الثالثة. فان قيل: الفصل لا يكون الا بين معرفتين (و أشد) نكرة كيف صار (هم) فصلا؟ قيل: ان (افعل) الذى معه (من) بمنزلة المضاف الى المعرفة.
قال اللّه تعالى «وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً» كان خيرا خير فى الأصل فحذفت الهمزة تخفيفاً.

وَ قالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِی أَقْتُلْ مُوسی وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّی أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِی الْأَرْضِ الْفَسادَ (26) وَ قالَ مُوسی إِنِّی عُذْتُ بِرَبِّی وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ (27) وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّیَ اللَّهُ وَ قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِی يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِی مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ فِی الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جاءَنا قالَ فِرْعَوْنُ ما أُرِيكُمْ إِلاَّ ما أَری وَ ما أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشادِ (29) وَ قالَ الَّذِی آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّی أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزابِ (30)

التبيان فی تفسير القرآن، ج9، ص: 70

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ عاصم و حمزة و الكسائی و يعقوب «او ان» بالف قبل الواو. الباقون «و أن» بغير الف. و قرأ نافع و يعقوب و ابو جعفر و ابو عمرو و حفص عن عاصم «يظهر» بضم الياء «الفساد» نصباً. الباقون «يظهر» بفتح الياء «الفساد» رفعاً. من نصب (الفساد) أشركه مع التبديل، و تقديره إنی أخاف ان يبدل دينكم و أخاف ان يظهر الفساد، و من رفع لم يشركه، و قال تقديره إنی أخاف ان يبدل دينكم، فإذا بدل ظهر فی الأرض الفساد. و كلتا القراءتين حسنة فأما (او) فقد تستعمل بمعنی الواو، كما قلناه فی «وَ أَرْسَلْناهُ إِلی مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» «1» أی و يزيدون أو بل يزيدون. و لا تكون الواو بمعنی (او) فی قول أبی عبيدة.

و قال ابن خالويه إذا كانت (او) اباحة كانت الواو بمعناها، لأن قولك: جالس الحسن او ابن سيرين بمنزلة الاباحة، و كذلك قوله «وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً» «2» لان معناه و لا كفوراً. و قال ابو علی: من قرأ (و أن) فالمعنی إنی أخاف هذا الضرب منه كما تقول كل خبزاً او تمراً أی هذا الضرب. و من قرأ (و أن) المعنی إنی أخاف هذين الأمرين و علی الاول يجوز ان يكون الأمر ان يخافا، و يجوز أن يكون أحدهما، و علی الثانی هما معاً يخافان، و من ضم الياء فی قوله «و يظهر» فلأنه أشبه بما قبله، لان قبله يبدل فأسند الفعل إلی موسی و هم كانوا فی ذكره، و من فتح الياء أراد انه إذا بدل الدين ظهر الفساد بالتبديل او أراد يظهر الفساد بمكانه، و قال قوم: أراد ب (او) الشك لان فرعون قال إنی

---

(1)سورة 37 الصافات آية 147

(2)سورة 76 الدهر (الإنسان) آية 24

أخاف ان يبدل موسى عليكم دينكم، فان لم يفعله فيوقع الفساد بينكم، و لم يكن قاطعاً على أحدهما به. و روى رواية شاذة عن أبى عمرو: انه قرأ «و قال رجل» بإسكان الجيم. الباقون بضمها و ذلک لغة قال الشاعر:
رجلان من ضبة اخبرانا إنا رأينا رجلا عريانا
أراد رجلين فأسكن و هو مثل قولهم: كرم فلان بمعنى كرم.
حكى اللّه تعالى عن فرعون انه قال لقومه «ذرونى» و معناه اتركونى اقتل موسى، و ذلک يدل على أن فى خاصة فرعون كان قوم يمنعونه من قتل موسى، و من معه و يخوفونه ان يدعو ربه فيهلک، فلذلک قال ذرونى اقتله و ليدع ربه، كما تقولون. و قال قوم: ذلک حين قالوا له هو ساحر فان قتلته قويت الشبهة بمكانه بل «أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ ابْعَثْ فِى الْمَدائِنِ حاشِرِينَ» «1» «وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ» فى دفع القتل عنه، فانه لا يخشى من دعائه شىء، و هذا عنف من فرعون و تمرد و جرأة على اللّه و إيهام لقومه بأن ما يدعو به موسى لا حقيقة له.
ثم قال فرعون «إِنِّى أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ» يعنى موسى «دِينَكُمْ» و هو ما تعتقدونه من إلهيتى «أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِى الْأَرْضِ الْفَسادَ» بأن يتبعه قوم نحتاج ان نقاتله فيخرب فى ما بين ذلک البلاد، و يظهر الفساد. و قال قتادة: الفساد عند فرعون ان يعمل بطاعة اللّه. فمن قرأ «او ان» فانه جعل المخوف احد الامرين و إن جعل (او) بمعنى الواو جعل الأمرين مخوفين معاً، و من قرأ بالواو جعل المخوف الأمرين معاً: تبديل الدين و ظهور الفساد. و التبديل رفع الشىء إلى غيره فى ما يقع موقعه إلا انه بالعرف لا يستعمل إلا فى رفع الجيد بالردى، و الفساد انتقاض الأمر بما ينافى العقل او الشرع او الطبع، و نقيضه الصلاح. و الاظهار

---

(1)سورة 26 الشعراء آية 36

جعل الشىء بحيث يقع عليه الإدراک.
ثم حكى تعالى ما قال موسى عند ذلک فانه قال «إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ» و العياذ هو الاعتصام بالشىء من عارض الشر، عذت باللّه من شر الشيطان و اعتصمت منه بمعنى واحد. و من أظهر و لم يدغم، قال: لان مخرج الذال غير مخرج التاء. و من ادغم فلقرب مخرجهما، و المعنى إنى اعتصمت بربى و ربكم الذى خلقنى و خلقكم من كل متكبر على اللّه متجبر عن الانقياد له لا يصدق بالثواب و العقاب فلا يخاف.
و قوله «وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ اللّهُ وَ قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ» يعنى الحجج الواضحة «من ربكم» قال

السدى كان القائل ابن عمَ فرعون، فعلى هذا يكون قوله «أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ» «1» مخصصاً، و قال غيره كان المؤمن إسرائيلياً يكتم إيمانه عن آل فرعون، فعلى هذا يكون الوقف عند قوله (وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ) و يكون قوله (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) متعلقاً بقوله (يكتم) أى يكتم إيمانه من آل فرعون.
و الأول اظهر فى اقوال المفسرين. و قال الحسن: كان المؤمن قبطياً. و قوله (وَ إِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ) معناه إن المؤمن قال لفرعون إن يک موسى كاذباً فى ما يدعوكم اليه فوبال ذلک عليه و ان يک صادقاً فى ما يدعيه يصيبكم بعض الذى يعدكم، قيل: انه كان يتوعدهم بأمور مختلفة، قال ذلک مظاهرة فى الحجاج و المعنى انه يلقى بعضه. و المراد يصيبكم بعضه فى الدنيا. و قيل: هو من لطيف الكلام، كما قال الشاعر:
قد يدرک المتأنى بعض حاجته و قد يكون مع المستعجل الزلل «2»

---

(1)آية 46 من هذه السورة
(2)قائله عمر القطامى تفسير القرطبى 15/ 307

ثم قال (إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) أى لا يحكم بهداية من كان مسرفاً على نفسه و متجاوز الحد فى معصية اللَّه كذاباً على اللَّه. و يحتمل ان يكون المراد ان اللَّه لا يهدى الى طريق الثواب و الجنة من هو مسرف كذاب و يجوز ان يكون ذلک حكاية عما قال المؤمن من آل فرعون. و يجوز ان يكون ذلک ابتداء خبر من اللَّه تعالى بذلک، ثم قال يعنى مؤمن آل فرعون (يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ فِى الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جاءَنا) أى لكم الملک و السلطان على اهل الأرض و ذلک لا يمنع من بأس اللَّه (قالَ فِرْعَوْنُ ما أُرِيكُمْ إِلَّا ما أَرى وَ ما أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشادِ) فى ما أدعوكم من الهيتى و تكذيب موسى. ثم حكى ما قال المؤمن فقال (وَ قالَ الَّذِى آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ) عذاباً (مثل) عذاب «يوم الأحزاب» قال قوم: القائل لذلک موسى نفسه، لان مؤمن آل فرعون كان يكتم إيمانه، و هذا ضعيف لأن قوله هذا كقوله (أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ اللَّهُ) «1» و كما اظهر هذا جاز ان يظهر ذلک.

مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ (31) وَ يا قَوْمِ إِنِّی أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (33) وَ لَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِی شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّی إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ (34) الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِی آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلی كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (35)

---

(1)آية 28 من هذه السورة

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو، و الأخفش و الداجونی عن هشام و قتيبة (علی كل قلب متكبر) منون. الباقون علی الاضافة. من نون جعله نعتاً للقلب، لان القلب إذا تكبر تكبر صاحبه، كما قال (فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ) «1» لان الاعناق إذا خضعت خضع أربابها، و تكبر القلب قسوته و إذا قسا القلب كان معه ترک الطاعة. و من أضاف قال: لان فی قراءة ابن مسعود علی (قلب كل متكبر جبار) قال الفراء: و سمعت أحدهم يقول: إن فلاناً مرجل شعره يوم كل جمعة يقوم. و الجبار: هو الذی يقتل علی الغضب، و يقال: أجبره فهو جبار مثل أدرک فهو دراک. قال الفراء: و لا ثالث لهما، قال ابن خالويه: وجدت لهما ثالثاً اسأر فهو سئّار.

لما حكی اللّه تعالی عن مؤمن آل فرعون انه حذر قومه بالعذاب مثل عذاب يوم الأحزاب، فسر ذلک فقال (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ) يعنی كعادته مع قوم نوح.

---

(1)سورة 26 الشعراء آية 4 [.....]

و الدأب العادة يقال: دأب يدأب دأباً فهو دائب فی عمله إذا استمر فيه. و العادة تكرر الشیء مرة بعد مرة. و انما فعل بهم ذلک حين كفروا به، فأغرقهم اللّه و كقوم هود و هم عاد. و كقوم صالح: و هم ثمود و الذين من بعدهم من الأنبياء و أممهم الذين كذبوهم، فأهلكهم اللّه بأن استأصلهم جزاء علی كفرهم.

ثم اخبر انه تعالی لا يريد ظلماً للعباد، و لا يؤثره لهم. و ذلک دال علی فساد قول المجبرة الذين يقولون إن كل ظلم فی العالم بارادة اللّه.

ثم حكى ايضاً ما قال لهم المؤمن المقدم ذكره، فانه قال «يا قَوْمِ إِنِّی أَخافُ عَلَيْكُمْ» عقاب «يَوْمَ التَّنادِ» و قيل: هو اليوم الذى ينادى بعض الظالمين بعضاً بالويل و الثبور، لما يرى من سوء عقاب الكفر و المعصية. و قيل: انه اليوم الذى ينادى أصحاب الجنة اصحاب النار «أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا» «1» و ينادى اصحاب النار اصحاب الجنة «أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» «2» فى قول الحسن و قتادة و ابن زيد، و قيل: «يَوْمَ التَّنادِ» هو اليوم الذى يدعى فيه «كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» «3» و من أثبت الياء فى (التنادى) فلأنها الأصل، و من حذفها فلاجتزائه بالكسرة الدالة عليها، و لأنها آخر الآية، فهى فصل شبهت بالقوافى. و قرئ «يوم التناد» بالتشديد من قولهم ند البعير إذا هرب- روى ذلك عن ابن عباس-.
و قوله «يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ» قال الحسن و قتادة: معناه منصرفين إلى النار و قال مجاهد: مارين غير معوجين و لا معجزين. و قيل: يولون مدبرين و المقامع تردهم إلى ما يكرهونه من العقاب.

---

(1)سورة 7 الاعراف آية 43
(2)سورة 7 الاعراف آية 49
(3)سورة 17 الإسراء آية 71

و قوله «ما لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ» أى مانع من عذاب ينزل بكم، و أصله المنع، و شبه بذلک من فعل به ذلک اللطف الذى يمتنع عنده، يقال عصمه فهو عاصم و ذاک معصوم إذا فعل به ذلک اللطف. و منه قوله (لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) «1» أى لا مانع. ثم قال (وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ) أى من يحكم اللّه بضلاله فليس له من يحكم بهدايته على الحقيقة. و يحتمل ان يكون المراد و من يضله اللّه عن طريق الجنة فما له من يهديه اليها.
ثم قال تعالى حاكياً ما قال لهم موسى فانه قال لهم: (وَ لَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ) قيل: هو يوسف ابن يعقوب كان قبل موسى جاءهم (بالبينات) يعنى الحجج الواضحات (فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ) من موته حتى إذا هلک و مات (قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا) آخر. ثم قال (كَذلِکَ يُضِلُّ اللَّهُ) أى مثل ما حكم اللّه بضلال أولئک يحكم بضلال (كل مسرف) على نفسه بارتكاب معاصيه (مرتاب) أى شاک فى أدلة اللّه، ثم بينهم فقال (الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ) أى يسعون بغير سلطان أى بغير حجة آتاهم اللّه، و موضع الذين نصب لأنه بدل من (من) و يجوز ان يكون رفعاً بتقدير (هم) ثم قال (كَبُرَ مَقْتاً) أى كبر ذلک الجدال منهم مقتاً (عند اللّه) أى عداوة من اللّه. و نصبه على التمييز (وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا) باللّه مثل ذلک. ثم قال

(كذلک) أی مثل ما طبع علی قلوب أولئک بان ختم علیها علامة لکفرهم یفعل مثله (و یطبع عَلی کُلِّ قَلْبِ مُتَکَبِّرٍ جَبَّارٍ) من نون (قلب) جعل (متکبر جبار) من صفة القلب و من اضافه جعل (القلب) للمتکبر الجبار. قال ابو علی: من أضاف لا یخلو ان یترک الکلام علی ظاهره او یقدر فیه حذفاً، فان ترکه علی ظاهره کان تقدیره:

---

(1) سورة 11 هود آیة 43

یطبع اللّه علی کل قلب متکبر أی علی جملة القلب من المتکبر، و لیس ذلک المراد و إنما المراد یطبع علی قلب کل متکبر، و المعنی انه یطبع علی القلوب إذا کانت قلباً قلباً من کل متکبر بمعنی انه یختم علیها.

وَ قالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ (36) أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً وَ كَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَ صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَ ما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبابٍ (37) وَ قالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ (38) يا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ وَ إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دارُ الْقَرارِ (39) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزى إِلاَّ مِثْلَها وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ (40)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حفص و عاصم (فاطلع) نصباً على جواب (لعلى) الباقون رفعاً عطفاً على قوله تعالى (لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ.... فَأَطَّلِعَ) و قيل: إن هامان أول من طبخ الآجر لبناء الصرح، و قرأ اهل الكوفة (و صدّ) بضم الصاد على ما لم يسم فاعله. الباقون بفتحها. فمن ضم أراد صده الشيطان عن سبيل الحق و طابق قوله تعالى (زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ) و من فتح الصاد أراد به صدّ

عن سبيل الحق. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو و ابو بكر عن عاصم (يدخلون) بالضم كقوله (يرزقون). الباقون بفتح الياء، لأنهم إذا ادخلوا، فقد دخلوا، حكى اللّه تعالى ان فرعون قال لهامان (يا هامان) و قيل: إنه كان وزيره (ابْنِ لِي صَرْحاً) أى بناء ظاهراً عالياً لا يخفى على الناظر و ان بعد، و هو من التصريح بالأمر، و هو إظهاره بأتم الاظهار (لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ) ثم فسر تلك الأسباب فقال (اسباب السموات) و قال ابن عامر أراد به منزل السماء.

و قال قتادة: معناه أبواب طرق السموات. و قال السدى طرق السموات و قيل:

هى الأمور التى يستمسك بها. فهى أسباب لكونها على ما هى به و لا تضطرب و لا تسقط إلى الأرض بثقلها، و لا تزول إلى خلاف جهتها، و قوله «فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى» معناه فأشرف عليه لا راه. و قيل: إن فرعون كان مشبهاً فطلب رؤية الاله فى السماء كما ترى الاشخاص إذا أشرف عليها. و قيل: يجوز ان يكون أراد، فاطلع إلى بعض الآيات التى يدعيها موسى الدالة على إله موسى، لأنه كان يعلم أن الصرح لا يبلغ السماء، فكيف يرى من الصرح ما هو فى السماء، و لو كان فيها على قول المجسمة، و يجوز ان يكون قال ذاك تمويهاً لما علم من جهل قومه.

و قوله «وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً» حكاية ما قال فرعون و إنه يظن أن ما يقوله موسى أن له إله خلق السماء و الأرض كاذب فى قوله. و قال الحسن: إنما قال فرعون هذا على التمويه و تعمد الكذب، و هو يعلم ان له إلهاً. و قوله

«وَ كَذلِکَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ» أى مثل ما زين لهؤلاء الكفار أعمالهم كذلک زين لفرعون سوء عمله، و قال المزين له سوء عمله جهله باللّه تعالى و الشيطان الذى أغواه و دعاه اليه لأن الجهل بالقبح فى العمل يدعو إلى انه حسن و صواب، فلما جهل فرعون ان له إلهاً يجب عليه عبادته و توهم كذب ما دعاه اليه نبيه موسى، التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 79
سولت له نفسه ذلک من أمره. و قد بين اللّه تعالى ذلک فى موضع آخر فقال «زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ» «1».
و قوله «وَ صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ» من ضم أراد انه صده غيره. و من فتح أراد انه صد نفسه و غيره. ثم قال تعالى «وَ ما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبابٍ» يعنى فى هلاک. و التباب الهلاک بالانقطاع، و منه قوله «تَبَّتْ يَدا أَبِى لَهَبٍ» «2» أى خسرت بانقطاع الرجاء، و منه تباً له. و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: معنى «تباب» خسران.
ثم حكى تعالى ما قال مؤمن آل فرعون فى قوله «وَ قالَ الَّذِى آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ» و هو الايمان باللّه و توحيده و إخلاص العبادة له و الإقرار بموسى عليه السلام و قال لهم ايضاً على وجه الوعظ لهم و الزجر عن المعاصى «يا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ» يعنى انتفاع قليل، ثم يزول بأجمعه و يبقى وزره و آثامه «وَ إِنَّ الْآخِرَةَ هِىَ دارُ الْقَرارِ» أى دار مقام، و سميت دار قرار لاستقرار الجنة بأهلها و استقرار النار بأهلها. و القرار المكان الذى يستقر فيه.
ثم قال (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها) و معناه أى من عمل معصية فليس يجازى إلا مقدار ما يستحقه عليها من العقاب لا اكثر من ذلک (وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِکَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) جزاء على إيمانهم (يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ) أى زيادة على ما يستحقونه تفضلا منه تعالى، و لو كان على مقدار العمل فقط لكان بحسابه. قال الحسن: هذا كلام مؤمن آل فرعون. و يحتمل أن يكون ذلک اخباراً منه تعالى عن نفسه.

---

(1)سورة 8 الانفال آية 49
(2)سورة 111 اللهب آية 1

وَ يا قَوْمِ ما لِی أَدْعُوکُمْ إِلَی النَّجاةِ وَ تَدْعُونَنِی إِلَی النَّارِ (41) تَدْعُونَنِی لِأَکْفُرَ بِاللَّهِ وَ أُشْرِکَ بِهِ ما لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوکُمْ إِلَی الْعَزِیزِ الْغَفَّارِ (42) لا جَرَمَ أَنَّما تَدْعُونَنِی إِلَیْهِ لَیْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِی الدُّنْیا وَ لا فِی الْآخِرَةِ وَ أَنَّ مَرَدَّنا إِلَی اللَّهِ وَ أَنَّ الْمُسْرِفِینَ هُمْ أَصْحابُ النَّارِ (43) فَسَتَذْکُرُونَ ما أَقُولُ لَکُمْ وَ أُفَوِّضُ أَمْرِی إِلَی اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِیرٌ بِالْعِبادِ (44) فَوَقاهُ اللَّهُ سَیِّئاتِ ما مَکَرُوا وَ حاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ (45)
النَّارُ یُعْرَضُونَ عَلَیْها غُدُوًّا وَ عَشِیًّا وَ یَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ (46)
ست آیات بلا خلاف.
قرأ اهل الکوفة إلا أبا بکر (أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ) بقطع الهمزة على انه یؤمر الملائکة بإدخالهم النار. الباقون بوصلها بمعنى انهم یؤمرون بدخولها، و على الأول یکون (آل فرعون) نصباً على انه مفعول به (و أشد) المفعول الثانی. و على الثانی یکون نصباً على النداء.
حکى اللّه تعالى ان مؤمن آل فرعون قال لهم (ما لِی أَدْعُوکُمْ إِلَی النَّجاةِ) یعنی إلى ما فیه خلاصکم: من توحید اللّه و إخلاص العبادة له و الإقرار بموسى علیه السّلام- و هو قول الحسن و ابن زید- و (تدعوننی) أنتم (إلى النار) لأنهم إذا دعوا إلى عبادة غیر اللّه التی یستحق بها النار، فکأنهم دعوا إلى النار، لأن من التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 81
دعا الى سبب الشىء فقد دعا الیه، و من صرف عن سبب الشىء فقد صرف عنه، فمن صرف عن معصیة اللّه فقد صرف عن النار، و من دعا الیها فقد دعا إلى النار. و الدعاء طلب الطالب الفعل من غیره، فالمحق یدعو إلى عبادة اللّه و طاعته و کل ما أمر للّه به او نهى عنه و المبطل یدعو إلى الشر و العصیان، فمنهم من یدرى انه عصیان و منهم من لا یدرى ثم بین ذلک فقال (تَدْعُونَنِی لِأَکْفُرَ بِاللَّهِ) و اجحد نعمه (و أشرک به) فى العبادة (ما لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ) مع حصول العلم ببطلانه، لأنه لا یصح ان یعلم شریک له و ما لا یصح أن یعلم باطل، فدل على فساد اعتقادهم للشرک من هذه الجهة ثم قال (وَ أَنَا أَدْعُوکُمْ) معاشر الکفار (إلى) عبادة (العزیز) یعنى القادر الذى لا یقهر، و لا یمنع لاستحالة ذلک علیه (الغفار) لمن عصاه إذا تاب الیه تفضلا منه على خلقه. و قوله (لا جَرَمَ أَنَّما تَدْعُونَنِی إِلَیْهِ) قال الزجاج: هو رد الکلام کأنه قال لا محالة إن لهم النار. و قال الخلیل: لا جرم لا یکون إلا جواباً تقول: فعل فلان کذا فیقول المجیب: لا جرم إنه عوین و الفعل منه جرم یجرم.
و قال المبرد معناه حق و استحق (لَیْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِی الدُّنْیا وَ لا فِی الْآخِرَةِ)

و المعنى ليس له دعوة ينتفع بها فى أمر الدنيا و لا فى الآخرة فأطلق ليس له دعوة، لأنه ابلغ و إن توهم جاهل ان له دعوة ينتفع بها، فانه لا يعتد بذلک لفساده و تناقضه.
و قال السدى و قتادة و الضحاک: معناه ليس لهذه الأصنام استجابة دعاء احد فى الدنيا و لا فى الآخرة. و قيل: معناه ليس لها دعوة تجاب بالآلهية فى الدنيا، و لا فى الآخرة (وَ أَنَّ مَرَدَّنا إِلَى اللَّهِ) أى وجب ان مردنا إلى اللَّه، و وجب (أن المسرفين) بارتكاب المعاصى. و قال مجاهد: يعنى بقتل النفس من غير حلها.
و قال قتادة بالاشراک باللَّه (هُمْ أَصْحابُ النَّارِ) يعنى الملازمون لها. قال الحسن: التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 82
هذا كله من قول مؤمن آل فرعون.
ثم قال لهم على وجه التخويف و الوعظ (فستذكرون) صحة (ما أَقُولُ لَكُمْ) إذا حصلتم فى العقاب يوم القيامة. تم اخبر عن نفسه فقال (وَ أُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ) أى أسلمه اليه (إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ) أى عالم بأحوالهم، و ما يفعلونه من طاعة و معصية. و قال السدى: معنى أفوض اسلم اليه. ثم اخبر تعالى فقال (فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا) و قال قتادة: صرف اللَّه عنه سوء مكرهم، و كان قبطياً من قوم فرعون فنجى مع موسى. و قوله (وَ حاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ) أى حل بهم و وقع بهم (سوء العذاب) لان اللَّه تعالى غرقهم مع فرعون، و بين انهم مع ذلک فى (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَ عَشِيًّا) يعنى صباحاً و مساء، و رفع النار بدلا من قوله (سوء العذاب) (وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يعنى إذا كان يوم القيامة يقال للملائكة (أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ) فيمن قطع الهمزة.
و من وصلها أراد ان اللَّه يأمرهم بذلک. و العرض إظهار الشىء ليراه الذى يظهر له. و منه قولهَ عُرِضُوا عَلى رَبِّکَ)
«1» أى أظهروا (صفاً) كما يظهرون المرائى لهم. و منه قولهم: عرضت الكتاب على الأمير، فهؤلاء يعرضون على النار لينالهم من ألمها و الغم بالمصير اليها. و الغدوّ المصير إلى الشىء بالغداة غدا يغدو غدواً. و قولهم: تغدى أى أكل بالغداة، و غدا أى سابق إلى الأمر بالغداة.
و (قيام الساعة) و جودها، و دخولها على استقامة بما يقوم من صفتها، و قامت السوق إذا حضر أهلها على ما جرت به العادة و (أشد العذاب) اغلظه.
و فى الآية دلالة على صحة عذاب القبر لأنه تعالى اخبر انهم يعرضون على النار غدواً و عشياً. و قال الحسن: آل فرعون أراد به من كان على دينه.

---

(1)سورة 18 الكهف 49

و كان السدى يقول: أرواحهم في أجواف طير سود يعرضون على النار غدواً و عشياً، و يجوز ان يحييهم اللّه بالغداة و العشى و يعرضهم على النار، و وجه الاحتجاج على رؤساء الضلال بالاتباع انهم كانوا يدعونهم إلى اتباعهم بما يدعون من صواب مذاهبهم. و هذا يلزمهم الرفع بها عنهم و أن يسعوا فى تخفيف عذابهم، فإذا هى سبب عذابهم. و قال الفراء، و قوم من المفسرين- ذكره البلخى- فى الكلام تقديماً و تأخيراً، و تقديره و حاق بآل فرعون سوء العذاب، و يوم تقوم الساعة يقال: لهم ادخلوا آل فرعون أشد العذاب النار يعرضون عليها غدوا و عشياً، و يكون معنى غدواً و عشياً مع انهم فيها أبداً أنه تتجدد جلودهم بعد الاحتراق غدواً و عشياً. و قال قوم: يجوز ان يكون المراد انهم بعرضها، كما يقال: فلان يعرضه شر شديد أى يقرب من ذلک. و قال قوم: يجوز ان يكون المراد إن أعمالهم اعمال من يستحق النار، فكأنهم يغدون و يروحون اليها بأعمالهم. و قال قوم:
المعنى يعرضون عليها و هم أحياء بالزجر و التحذير و الوعد و الوعيد، فإذا كان يوم القيامة- و ماتوا على كفرهم- ادخلوا أشد العذاب.

وَ إِذْ يَتَحاجُّونَ فِى النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ (47) قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيها إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبادِ (48) وَ قالَ الَّذِينَ فِى النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ (49) قالُوا أَ وَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا بَلى قالُوا فَادْعُوا وَ ما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلالٍ (50)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 84

أربع آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى لنبيه و اذكر يا محمد (إذ) أى الوقت الذى (يَتَحاجُّونَ فِى النَّارِ) و يخاصم بعضهم بعضاً يعنى الرؤساء و الاتباع (فَيَقُولُ الضُّعَفاءُ) و هم الاتباع (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) و هم الرؤساء (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ) معاشر الرؤساء (تبعاً) و يحتمل ان يكون ذلک جمع تابع كغائب و غيب و حايل و حول، و يجوز أن يكون مصدراً أى تبعناكم تبعاً (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ) لأنه يلزم الرئيس الدفع عن اتباعه و المنقادين لأمره، فيسألونهم هؤلاء أن يغنوا عنهم قسطاً من النار أى طائفة منها، فيقول الرؤساء الذين استكبروا (إِنَّا كُلٌّ فِيها) أى نحن و أنتم فى النار، فكيف ندفع عنكم. و رفع «كل فيها» علَى انه خبر (إنا) كقوله (إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) «1» و يجوز أن يكون رفعاً بالابتداء، و خبره (فيها) (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ) بذلک (بين العباد) و انه يعاقب من أشرک به و عبد معه غيره ثم حكى ما يقوله (الذين) حصلوا (فى النار) من الاتباع و المتبوعين (لخزنة جهنم) و هم الدين يتلون عذاب اهل النار (ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ) و يقولون ذلک، لأنه لا صبر لهم على شدة العذاب لا انهم يطمعون فى التخفيف، لان معارفهم ضرورية يعلمون ان عقابهم لا ينقطع و لا يخفف عنهم.

ثم حكى ما يجيب به الخزنة لهم فإنهم يقولون لهم «أَ وَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّناتِ» يعنى بالحجج و الدلالات على صحة توحيده و وجوب إخلاص العبادة له؟ فيقولون فى جوابهم «بلى» قد جاءتنا الرسل بالبينات فكذبناهم و جحدنا نبوتهم و أنكرنا

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 154

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 85

بيناتهم فيقول لهم الخزنة اذاً «فادعوا» بما لا ينفعكم و يقولون ايضاً «وَ ما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلالٍ» لأنه فى وقت لا ينفع.

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِی الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ (51) يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (52) وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْهُدى وَ أَوْرَثْنا بَنِی إِسْرائِيلَ الْكِتابَ (53) هُدىً وَ ذِكْرى لِأُولِی الْأَلْبابِ (54) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِیِّ وَ الْإِبْكارِ (55)

اربع آيات فی الشامی و فی عدد إسماعيل و خمس فی ما عداهما عدوا «بَنِی إِسْرائِيلَ الْكِتابَ» و لم يعده الأولان.

قرأ نافع و اهل الكوفة (يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ) بالياء، لأن المعذرة ليس تأنيثها حقيقياً و لأنهم أرادوا عذرهم. الباقون بالتاء لتأنيث المعذرة.

اخبر اللّه تعالى عن نفسه بأنه ينصر رسله الذين بعثهم بالحق إلى خلقه و ينصر الذين آمنوا به و صدقوا رسله فی دار الدنيا، و ينصرهم ايضاً يوم يقوم الاشهاد. و النصر المعونة على العدوّ، و هو على ضربين: نصر بالحجة و نصر بالغلبة فی المحاربة بحسب ما يعلم اللّه تعالى من المصلحة و تقتضيه الحكمة، هذا إذا كان فی دار التكليف. فأما نصره إياهم يوم القيامة فهو إعلاء كلمتهم و ظهور حقهم و علو منزلتهم و إعزازهم بجزيل الثواب و إذلال عدوّهم بعظيم العقاب. و الاشهاد جمع شاهد مثل صاحب و اصحاب التبيان فی تفسير القرآن، ج9، ص: 86

و هم الذين يشهدون بالحق للمؤمنين و أهل الحق و على المبطلين و الكافرين بما قامت به الحجة يوم القيامة و فی ذلک سرور المحق و فضيحة المبطل فی ذلک المجمع العظيم و المحفل الكبير. و قال قتادة الأشهاد الملائكة و الأنبياء و المؤمنون و قال مجاهد: هم الملائكة. ثم بين سبحانه و تعالى اليوم الذى يقوم فيه الاشهاد، فقال «يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ» فالمعذرة و الاعتذار واحد. و إنما نفى ان تنفعهم المعذرة فی الآخرة مع كونها نافعة فی دار التكليف لأن الآخرة دار الإلجاء إلى العمل، و الملجأ غير محمود على العمل الذى ألجئ اليه، لأنه لا يعمله لداعى الحكمة إلى ما يمكنه أن يعمله و لا يعمله فيضمن الحمد على فعله. و قيل: إنما لم يقبل معذرتهم، لأنهم يعتذرون بالباطل- فی قولهم و اللّه ربنا ما كنا مشركين.

ثم بين تعالى إن لهم مع بطلان معذرتهم اللعنة، و هی الابعاد من رحمة اللّه و الحكم عليهم بدوام العقاب و لهم سوء الدار و هو عذاب النار نعوذ باللّه منها. و الظالمين الذين لا تنفعهم المعذرة هم الذين ظلموا أنفسهم او غيرهم بارتكاب المعاصى التى يستحق بها دوام العقاب.

ثم اخبر تعالى على وجه القسم فقال «وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْهُدى» أى أعطيناه التوراة فيها أدلة واضحة على معرفة اللّه و توحيده و أنزلنا عليه

الكتاب و أورثناه بنى إسرائيل يعنى التوراة، و هدى يعنى أدلة واضحة على معرفة اللَّه و توحيده و «ذكرى» أى ما يتذكر به أولو الألباب، و إنما خص العقلاء بذلك، لأنهم الذين يتمكنون من الانتفاع به دون من لا يعقل.
ثم أمر اللَّه نبيه صلى اللَّه عليه و آله فقال «فاصبر» يا محمد على أذى قومك و تحمل المشقة فى تكذيبهم إياك «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» الذى وعدك به من الثواب و الجنة لمن أطاعك و النار و العقاب لمن عصاك حق لا خلف له. و اطلب ايضاً المغفرة لذنبك. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 87
و يجوز ان يكون الخطاب له و المراد به أمته «وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» أى نزه اللَّه تعالى و اعترف بشكره بما أنعم اللَّه عليك (بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكارِ) أى صباحاً و مساء.
و قيل (وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) معناه صل بحمد ربك و (بالعشى) معناه من زوال الشمس إلى الليل. و (الأبكار) من طلوع الفجر الثانى الى طلوع الشمس.

إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ ما هُمْ بِبالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (56) لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (57) وَ ما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ لا الْمُسِيءُ قَلِيلاً ما تَتَذَكَّرُونَ (58) إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (59) وَ قالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ (60)

خمس آيات. و ست فى المدنى الأخير.

قرأ اهل الكوفة «تتذكرون» بالتاء على الخطاب. الباقون بالياء على الاخبار عنهم. و قرأ ابو جعفر و ابن كثير و رويس و يحيى و البرجمى و ابن غالب «سيدخلون» بضم الياء. على ما لم يسم فاعله. الباقون بفتح الياء على اسناد الفعل اليهم. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 88

يقول اللّه تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ» أى يخاصمون «فى» رفع «آياتِ اللَّهِ» و ابطالها «بِغَيْرِ سُلْطانٍ» أى بغير حجة «أتاهم» أعطاهم اللّه إياها يتسلط بها على إنكار مذهب يخالف مذهبهم «إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ ما هُمْ بِبالِغِيهِ» أى ليس فى صدورهم إلا كبر. قال مجاهد: معناه الاعظمة و جبرية ما هم ببالغى تلك العظمة، لأن اللّه تعالى مذلهم. و قيل: معناه إلا كبر بحسدك على النبوة التى أكرمك الله بها (ما هُمْ بِبالِغِيهِ) لأن الله يرفع بها من يشاء. و قيل: منعا إلا كبر ما هم ببالغى مقتضاه و لا نالوه لان الكبر إنما يعمله صاحبه لمقتضى ان يعظم حاله، و هؤلاء يصير حالهم الى الاذلال و التحقير بكفرهم فلا يبلغون ما فى صدورهم من مقتضى كبرهم. و قيل:

الآية نزلت فى اليهود و ان الكبر الذى ليس هم ببالغيه توقعهم امر الدجال، فاعلم اللّه تعالى ان هذه الفرقة التى تجادل ألا تبلغ خروج الدجال، فلذلك قال تعالى «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» ثم امر نبيه بأن يستعيذ باللّه من شر هؤلاء المخاصمين «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» و معناه انه يسمع ما يقول هؤلاء الذين يخاصمون فى دفع آيات الله بصير بما يضمرونه و فى ذلك تهديد لهم فى ما يقدمون عليه. و قيل: فيه و عدله بكفاية شرهم.

ثم قال تعالى «لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ» معناه إن خلق السموات و الأرض على ما هما عليه من العظم و الثقل مع وقوفهما من غير عمد و جريان الفلك و الكواكب من غير سبب أعظم فى النفس و أهول فى الصدر من خلق الناس، و إن كان عظيماً لما فيه من الحياة و الحواس المهيأة لانواع مختلفة من الإدراكات إلا ان امر السموات و الأرض خارج عن مقتضى الطبيعة، او ان يكون فاعلهما و خالقهما يجرى مجرى

العباد فى الجسمية، فهو اكبر شأناً من هذه الجهة «وَ لكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» لعدو لهم عن الفكر فيه و الاستدلال على التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 89
صحته و إدخال الشبهة على نفوسهم فيه، و ذكر كبر خلق السموات و الأرض و ما هو خارج عن الطبيعة حجة على المشركين فى انكار النشأة الثانية بما هو خارج عن عادة الولادة.
ثم قال «وَ ما يَسْتَوِى الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ» أى لا يتساوى من عمى عن طريق الرشد و الصواب فلم يهتد اليها، و البصير الذى أبصرها و اهتدى اليها «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ. وَ لَا الْمُسِيءُ» أى و لا يتساوى ايضاً الذين آمنوا باللّه تعالى و عملوا الصالحات من الأعمال و الذين أساءوا و ظلموا نفوسهم بارتكاب المعاصى.
ثم قال «قَلِيلًا ما تَتَذَكَّرُونَ» أى ما أقل ما تتفكرون فى ذلك.
و الوقف على قوله «قليلا».
و قوله «ما تَتَذَكَّرُونَ» يجوز أن تكون (ما) صلة و يجوز أن تكون بمعنى المصدر و تقديره قليلا ما تذكركم. و من قرأ بالتاء أراد قل لهم و خاطبهم به.
و من قرأ بالياء فعلى وجه الاخبار عنهم بذلك.
ثم اخبر «إِنَّ السَّاعَةَ» يعنى القيامة (لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها) أى جائية واقعة لا شك فى مجيئها (وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ) أى لا يصدقون بذلك لجهلهم باللّه و شكهم فى اخباره.
ثم قال «وَ قالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ» يعنى استجب لكم إذا اقتضت المصلحة اجابتكم. و من يدعو اللّه و يسأله فلا بد أن يشترط المصلحة إما لفظاً او اضماراً، و إلا كان قبيحاً، لأنه إذا دعا بما يكون فيه مفسدة و لا يشترط انتفاؤها التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 90
كان قبيحاً.
ثم قال تعالى مخبراً (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى) أى من يتكبر، و يتعظم عن إخلاص العبادة للّه تعالى (سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ) من ضم الياء ذهب الى انهم تدّخلهم الملائكة كرهاً و من فتح الياء قال: لأنهم إذا دخلوا فقد دخلوا، فأضاف الفعل اليهم. و معنى (يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى) أى عن دعائى بالخضوع لى. و قال السدى (داخرين) معناه صاغرين.

اللَّهُ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اللَّیْلَ لِتَسْکُنُوا فِیهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَی النَّاسِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَشْکُرُونَ (61) ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ خالِقُ کُلِّ شَیْءٍ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ (62) کَذلِکَ یُؤْفَکُ الَّذِینَ کانُوا بِآیاتِ اللَّهِ یَجْحَدُونَ (63) اللَّهُ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَ السَّماءَ بِناءً وَ صَوَّرَکُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَکُمْ وَ رَزَقَکُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ فَتَبارَکَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ (64) هُوَ الْحَیُّ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ (65)

خمس آیات بلا خلاف.

یقول اللَّه تعالی مخبراً عن نفسه بأنه «اللَّهُ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ» معاشر الخلق (اللیل) و هو ما بین غروب الشمس إلی طلوع الفجر الثانی (لتسکنوا فیه)

و غرضه منه سکونکم و استراحتکم فیه من کد النهار و تعبه (و جعل لکم النهار) أیضاً و هو ما بین طلوع الفجر الثانی إلی غروب الشمس (مبصراً) تبصرون فیه مواضع حاجاتکم فجعله (مبصراً) لما کان یبصرون فیه المبصرون. ثم اخبر تعالی (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ) أی لذو زیادة کثیرة من نعمه (عَلَی النَّاسِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَشْکُرُونَ) نعمه أی لا یعترفون بها بل یجحدونها و یکفرون بها. ثم قال مخاطباً لخلقه (ذلکم اللَّه) یعنی الذی قدم وصفه لکم هو الذی خلقکم (رَبُّکُمْ خالِقُ کُلِّ شَیْءٍ) من مقدوراته من السموات و الأرض و ما بینهما مما لا یقدر علیه سواه (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) أی لا یستحق العبادة سواه تعالی (فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ) أی فکیف تصرفون عن عبادته إلی عبادة غیره مع وضوح الدلالة علی توحیده، ثم قال مثل ما انقلب و انصرف هؤلاء (کذلک یؤفک) أی یصرف (الَّذِینَ کانُوا بِآیاتِ اللَّهِ یَجْحَدُونَ) و معناه کما خدع هؤلاء بما کذب لهم کذب من کان قبلهم من الکفار (الَّذِینَ کانُوا بِآیاتِ اللَّهِ یَجْحَدُونَ) أی بدلالات اللَّه و بیّناته، و لا یفکرون فیها.

ثم عاد إلی ذکر صفاته تعالی فقال (اللَّهُ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ قَراراً) أی هیأها لکم بحیث تستقرون علیها (وَ السَّماءَ بِناءً) أی و جعل السماء بناء مرتفعاً فوقنا و لو جعلهما رتقاً لما أمکن الخلق الانتفاع فی ما بینهما. ثم قال (وَ صَوَّرَکُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَکُمْ) لان صور ابن آدم أحسن من صور الحیوان. و الصور جمع صورة مثل سورة و سور (وَ رَزَقَکُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ) لأنه لیس لشیء من الحیوان من الطیبات المآکل و المشارب مثل ما خلق اللَّه لابن آدم، فان انواع الطیبات و اللذات التی خلقها اللَّه لهم لا تحصی لکثرتها من الثمار و فنون النبات و اللحوم و غیر ذلک. ثم قال (ذلکم) یعنی الذی تقدم وصفه هو الذی یحق له العبادة علی الحقیقة و هو (اللَّهُ رَبُّکُمْ فَتَبارَکَ اللَّهُ

رَبُّ الْعالَمِينَ) أی جل بأنه الثابت التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 92
الدائم الذی لم یزل و لا یزال.
ثم قال (هو الحی)و معناه الحی علی الإطلاق هو الذی یستحق الوصف بأنه حی لا إلی اجل (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ) قال ابن عباس و سعید بن جبیر: إذا قال أحدکم (لا إله إلا اللّه وحده) فلیقل فی آخرها (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ).

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جاءَنِيَ الْبَيِّناتُ مِنْ رَبِّي وَ أُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ (66) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَ لِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (67) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ فَإِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (68) أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (69) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتابِ وَ بِما أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (70)

خمس آيات بلا خلاف.

هذا امر من اللَّه تعالى لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله ان يقول لكفار قومه (إنى نهيت) أى نهانى اللَّه (ان اعبد) أى أوجه العبادة إلى (الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) التى تجعلونها آلهة (لَمَّا جاءَنِيَ الْبَيِّناتُ مِنْ رَبِّي) أى حين أتانى الحجج و البراهين بيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 93

من جهة اللَّه دلّتنى على ذلک (و أمرت) مع ذلک (أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ) أى استسلم لأمر رب العالمين الذى خلقكم و أوجدكم و يملک تدبير الخلائق أجمعين.

ثم وصفه فقال (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ) معاشر البشر (من تراب) و معناه خلق أباكم آدم من تراب و أنتم نسله و اليه ترجعون و اليه تنتمون (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ...)

اى ثم انشأ من ذلک الأصل الذى خلقه من تراب النطفة ثم قلبها الى علقة و هى القطعة من الدم لأنها تعلق بما يمر به لظهور أثرها فيه و خلقكم منها (ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) أى أطفالا واحداً واحداً، فلهذا ذكره بالتوحيد، كما قال «بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا» «1» لان لكل واحد منهم أعمالا قد خسر بها «ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ» و هو حال استكمال القوة و هو جمع شدة و أشد كنعمة و أنعم. و اصل الشدة اللف الذى يصعب منه الانحلال، ثم «لِتَكُونُوا شُيُوخاً» بعد ذلک «وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ» ان يصير شيخاً و من قبل ان يبلغ أشده «وَ لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى» أى يبلغ كل واحد منكم ما سمى له من الأجل. و قال الحسن: هو النسل الذى يقوم عليه القيامة و الأجل المسمى القيامة (وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) أى خلقكم لهذه الأغراض التى ذكرها و لكى تفكروا فى ذلک فتعقلوا ما أنعم اللَّه عليكم من انواع النعم و اراده منكم من اخلاص العبادة. ثم قال (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ) يعنى من خلقكم على هذه الأوصاف التى ذكرها هو الذى يحييكم و هو الذى يميتكم فأولكم من تراب و آخركم إلى تراب تعودون (فَإِذا قَضى أَمْراً) اى أراد امراً من الأمور (فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) و معناه أنه يفعل ذلک من غير ان يتعذر عليه و

لا يمتنع منه فهو بمنزلة ما يقال له كن فيكون، لا انه خاطب المعدوم بالتكوين، لأن ذلک محال.

---

(1)سورة 18 الكهف 104

و اللّه لا يأمر بالمحال.

ثم قال (الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِى آياتِ اللَّهِ) يعنى المشركين الذين يخاصمون فى دفع آيات اللّه و ابطالها (أنى يصرفون) أى كيف و من أين ينقلبون عن الطريق المستقيم إلى الضلال و لو كانوا يخاصمون فى آيات اللّه بالنظر فى صحتها و الفكر فيها لما ذمهم اللّه. قال ابن زيد أراد بذلک المشركين.

ثم وصفهم فقال (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتابِ) يعنى بالقرآن جحدوه و كذبوا بما أرسلنا به من الكتب فى الشرائع رسلنا قبلک (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة أمرهم إذا حل بهم و بال ما جحدوه و نزل بهم عقاب ما ارتكبوه و يعرفون ان ما دعوتهم اليه حق و ما ارتكبوه ضلال و فساد.

إِذِ الْأَغْلالُ فِی أَعْناقِهِمْ وَ السَّلاسِلُ یُسْحَبُونَ (71) فِی الْحَمِیمِ ثُمَّ فِی النَّارِ یُسْجَرُونَ (72) ثُمَّ قِیلَ لَهُمْ أَیْنَ ما کُنْتُمْ تُشْرِکُونَ (73) مِنْ دُونِ اللَّهِ قالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَکُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَیْئاً کَذلِکَ یُضِلُّ اللَّهُ الْکافِرِینَ (74) ذلِکُمْ بِما کُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ وَ بِما کُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (75)

خمس آیات کوفی و شامی و أربع فی ما عداهما سوی البصری عد إسماعیل و الکوفی و الشامی «یسبحون» و عد المدنی الاول و المکی «فی الحمیم» و عد الکوفی و الشامی «تشرکون» و هی ثلاث آیات بصری لأنه عندهم آخر الاولی «یسبحون» و الثانیة «الکافرون» و الثالثة «تمرحون». التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 95

قوله «إذ الاغلال» متعلق بقوله «فَسَوْفَ یَعْلَمُونَ... إِذِ الْأَغْلالُ» أی یعلمون فی حال ما تجعل الأغلال و هی جمع غل، و هو طوق یدخل فی العنق للألم و الذل. و أصله الدخول من قولهم: انغل فی الشیء إذا دخل فیه. و الغلول الخیانة التی تصیر کالغل فی عنق صاحبها، و الاعناق جمع عنق و هو مرکب الرأس بین البدن و بینه، و قوله «فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ» «1» أی اصل الرأس و ما والاه، و قوله «و السلاسل» أی و تجعل السلاسل أیضاً فی أعناقهم. و قرأ ابن عباس «و السلاسل» بالنصب «یسحبون» بفتح الیاء بمعنی یسحبون السلاسل.

و حکی عنه الجر أیضاً بتقدیر، و هم فی السلاسل یسبحون. و الجر ضعیف عند النحویین، لان حرف الجر لا یجوز إضماره و أجاز بعضهم ذلک علی ضعفه بأن یتوهم أن التقدیر إذ الاغلال فی الاعناق. و السلاسل جمع سلسلة و هی حلق منتظمة فی جهة الطول مستمرة. و یقال: تسلسلت المعانی إذا استمرت شیئاً قبل شیء کالسلسلة الممدودة، و قوله «یُسْحَبُونَ» أی یجرون علی الأرض. و موضع «یسحبون» النصب علی الحال، و تقدیره إذ الأغلال و السلاسل فی أعناقهم مسحوبین علی النار و السحب جر الشیء علی الأرض، هذا أصله یقال: سحب علیه ما یلزمه من الأصل الفاسد، و یسحب الکافر علی وجهه فی النار سحباً «فی الحمیم» و هو الماء الذی یبلغ الغایة فی الحرارة «ثُمَّ فِی النَّارِ یُسْجَرُونَ» فالسجر إلقاء الحطب فی معظم النار کالتنور الذی یسجر بالوقود، فهؤلاء الکفار لجهنم کالسجار للتنور «ثُمَّ قِیلَ لَهُمْ» علی وجه التوبیخ لا یلام قلوبهم کایلام أبدانهم بالتعذیب «أَیْنَ ما کُنْتُمْ تُشْرِکُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» فتوجهون العبادة الیه من الأصنام و الأوثان فیخلصوکم و ینصروکم من عذاب اللّه «قالُوا» فی الجواب «ضَلُّوا عَنَّا» ثم یستدرکون

---

(1)سورة 8 الانفال آية 12
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 96
فيقولون «بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً» و معناه لم نكن ندعو من قبل شيئاً يستحق العبادة و ما ينتفع بعبادته، فلذلک أطلق القول فقال اللّه تعالى «كَذلِکَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكافِرِينَ» قال الحسن: معناه كذلک يضل أعمالهم بأن يبطلها. و قيل:
معناه كذلک يضل اللَّه الكافرين عن نيل الثواب. و قيل: كذلک يضل اللَّه الكافرين عما اتخذوه إلهاً بأن يصرفهم عن الطمع فى نيل منفعته من جهتها. ثم يقول موبخاً لهم «ذلِكُمْ» أى ما فعل بكم جزاء «بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِى الْأَرْضِ» و الفرح و المرح و البطر و الأشر نظائر «بِغَيْرِ الْحَقِّ» أى كنتم تفرحوَن بالباطل و الفرح بالحق لا يوبخ عليه «وَ بِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ» أى و جزاء بما كنتم تبطرون فى معاصى اللّه. و المرح الاختيال فى السرور و الشاط قال الشاعر:
و لا ينسنى الحدثان عرضى و لا ارخى من الفرح الازارا «1»

ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (76) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ (77) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَ ما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذا جاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ (78) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعامَ لِتَرْكَبُوا مِنْها وَ مِنْها تَأْكُلُونَ (79) وَ لَكُمْ فِيها مَنافِعُ وَ لِتَبْلُغُوا عَلَيْها حاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَ عَلَيْها وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (80)

---

(1)مر فى 8/ 107

خمس آيات بلا خلاف.

لما حكى اللَّه تعالى ما يقال للكفار من قوله «ذلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ» حكى ايضاً انه يقال لهم «ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها» أى مؤبدين فيها لا انقطاع لكونكم فيها و لا نهاية لعقابكم.

و قيل: إنما جعل لجهنم أبواب كما جعل فيها الإدراک تشبيهاً بما يتصور الإنسان فى الدنيا من المطابق و السجون و المطامير، فان ذلک أهول و أعظم فى الزجر.

و قيل: لجهنم أبواب، كما قال تعالى «لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ» «1» و قوله «فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» أى بئس مقام الذين تكبروا عن عبادة اللَّه و تجبروا عن الانقياد له، و إنما اطلق عليه اسم بئس مع كونه حسناً لان الطبع ينفر عنه كما ينفر العقل عن القبيح بالذم عليه، فحسن لهذه العلة اطلاق اسم بئس عليه، و وصف الواحد منا بانه متكبر اسم ذم، ثم قال لنبيه صلى الله عليه و آله «فَاصْبِرْ» يا محمد على أذى قومک و تكذيبهم إياک و معناه اثبت على الحق، فسماه صبراً للمشقة التى تلحق فيه كما تلحق بتجرع المر، و لذلک لا يوصف اهل الجنة بالصبر. و إن وصفوا بالثبات على الحق. و كان فى الوصف به فى الدنيا فضل، و لكن يوصفون بالحلم، لأنه مدح ليس فيه صفة نقص. و قوله (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) معناه إن ما وعد اللَّه به المؤمنين على الصبر من الثواب فى

---

(1)سورة 15 الحجر آية 44

الجنة و توعد الكفار من العقاب (حق) لا شک فيه بل هو كائن لا محالة ثم

قال (فَإِمَّا نُرِيَنَّکَ بَعْضَ الَّذِی نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّکَ فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ) معناه إنا إن أريناک يا محمد بعض ما نعدهم من العقاب عاجلا و إهلاكهم فى دار الدنيا، و إن لم نفعل ذلک بهم و قبضناک إلينا، فالينا يرجعون يوم القيامة، فنفعل بهم ما وعدناهم من العقاب و أليم العذاب. و قال الحسن: تقديره إما نرينک بعض الذى نعدهم فنرينک ذلک فى حياتک او نتوفينک، فيكون ذلک بعد موتک فأى ذلک كان (فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ).
ثم قال تعالى (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا) يا محمد (رُسُلًا مِنْ قَبْلِکَ مِنْهُمْ) أى من جملتهم (مَنْ قَصَصْنا عَلَيْکَ) قصتهم (وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْکَ) و
روى عن على عليه السلام انه قال (من بعث اللَّه نبياً اسود لم يذكره اللَّه)
و قيل: بعث اللَّه ثمانية آلاف نبى اربعة آلاف من بنى إسرائيل و أربعة آلاف من غيرهم. و لم يذكر إلا نفراً يسيراً. ثم قال (وَ ما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ) أى بمعجزة و لا دلالة (إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) و أمره (فَإِذا جاءَ أَمْرُ اللَّهِ) يعنى قيام الساعة (قُضِيَ بِالْحَقِّ) أى فصل بين الخلائق (وَ خَسِرَ هُنالِکَ الْمُبْطِلُونَ) لأنهم يخسرون الجنة و يحصلون فى النار بدلا منها (ذلِکَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ) ثم قال تعالى على وجه تعداد نعمه على الخلق (اللَّهُ الَّذِی جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعامَ) من الإبل و البقر و الغنم (لِتَرْكَبُوا مِنْها وَ مِنْها تَأْكُلُونَ) اى خلقها لتنتفعوا بركوبها و تأكلوا منها، فانه جعلها للأمرين. و قال قوم: المراد بالانعام- هاهنا- الإبل خاصة، لأنها التى تركب و يحمل عليها فى اكثر العادات. و اللام فى قوله (لتركبوا) لام الغرض، فإذا كان اللَّه تعالى خلق هذه الانعام و أراد ان ينتفع خلقه بها، و كان تعالى لا يريد القبيح و لا المباح، فلا بد ان يكون أراد انتفاعهم بها على وجه الطاعة و القربة اليه التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 99
(وَ لَكُمْ فِيها مَنافِعُ)أخرى من ألبانها و أصوافها و أشعارها (وَ لِتَبْلُغُوا عَلَيْها حاجَةً فِی صُدُورِكُمْ) ان تركبوها و تبلغوا المواضع التى تقصدونها لحوائجكم (و عليها) يعنى على الانعام (و على الفلک) و هى السفن (تحملون) ايضاً لأنه تعالى هو الذى يسيرها فى البحر بالريح إلى حيث تقصدون و تبلغون أغراضكم منها. و قال ابو عبيدة معنى (و على الفلک) فى الفلک كما قال (وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِی جُذُوعِ النَّخْلِ) «1» و أراد عليها، فحروف الجر يقوم بعضها مقام بعض.

وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ فَأَيَّ آياتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (81) أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ آثاراً فِي الْأَرْضِ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ (82) فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (83) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (84) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ وَ خَسِرَ هُنالِكَ الْكافِرُونَ (85)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى مخاطباً للكفار الذين جحدوا آياته و أنكروا أدلته الدالة على

---

(1)سورة 20 طه آية 71

توحيده و إخلاص العبادة لهَ يُرِيكُمْ آياتِهِ)

أى يعلمكم حججه و يعرفكم إياها، منها إهلاک الأمم الماضية على ما اخبر عنهم و وجه الآية فيه انهم بعد النعمة العظيمة صاروا إلى النقم لأنهم عصوا فاقتضى ذلک العصيان أولا النقمان ثانياً. و كان فيه أوضح الدليل على تثبيت القديم تعالى الذى لولاه لم يصح فعل و لا تدبير. و منها الآية فى خلق الانعام التى قدم ذكرها، و وجه الآية فيه تسخيرها لمنافع العباد بالتصرف فى الوجوه التى قد جعل كل شىء منها لما يصلح له و ذلک يقتضى ان الجاعل لذلک قادر على تصريفه عالم بتدبيره، و انما يرى الآيات بالبيان عنها الذى يحضر للناس معناها و يخطرها ببالهم، و ينبه عليها، فانه يحتاج أولا فى الآية إحضارها للنفس ثم الاستدلال عليها و التمييز بين الحق و الباطل منها، فأول الفائدة إخطارها بالبال و التنبيه عليها و الثانى الاستدلال عليها إلى الحق.

ثم قالَ أَيَّ آياتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ)

توبيخاً لهم على جحدها، و قد يكون الإنكار للآية تارة بجحدها أصلا. و قد يكون تارة بجحد كونها دالة على صحة ما هى دالة عليه، و الخلاف فى الدلالة يكون من ثلاثة أوجه: اما فى صحتها فى نفسها، او فى كونها دلالة، او فيهما. و إنما يجوز من الجهال دفع الآية بالشبهة مع قوة الآية و ضعف الشبهة لأمور:

منها اتباع الهوى و دخول الشبهة التى تغطى الحجة حتى لا يكون لها فى النفس منزلة.

و منها التقليد لمن ترک النظر فى الأمور.

و منها السبق إلى اعتقاد فاسد لشبهة فيمتنع ذلک من توليد النظر للعلم.

ثم نبههم فقال (أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ) بأن يمروا في جنباتها (فَيَنْظَرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ) عدداً (و أشد قوة) أى
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 101
و أعظم آثاراً فى الأرض بالأبنية العظيمة التى بنوها و القصور المشيدة التى شيدوها.
و قال مجاهد: بمشيهم على أرجلهم على عظم خلقهم، فلما عصوا و كفروا باللَّه اهلكهم الله و استأصلهم «فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ» معناه لم يغن عنهم ما كسبوه من الأموال و البنيان. و قيل ان (ما) بمعنى أى، و تقديره فأى شىء اغنى عنهم كسبهم؟! على وجه التهجين لفعلهم و التقريع لهم، فتكون (ما) الأولى نصباً و موضع الثانية رفعاً.
ثم قال تعالى «فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ» يعنى لما أتى هؤلاء الكفار رسلهم الذين دعوهم إلى توحيده و إخلاص العبادة له «فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» و فى الكلام حذف، و تقديره لما جاءتهم رسلهم بالبينات فجحدوها و أنكروا دلالتها وعد الله تعالى الرسل باهلاك أممهم و نجاة الرسل فرح الرسل بما عندهم من العلم بذلك. و قيل: إن المعنى فرحوا بما عندهم من العلم يعنى الكفار بما اعتقدوا انه علم إذ قالوا: نحن اعلم منهم لن نعذب و لن نبعث، فكان ذلك جهلا و اعتقدوا انه علم، فأطلق الاسم عليه بالعلم على اعتقادهم، كما قال «حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ» «1» و قال «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» «2» يعنى عند نفسك و عند قومك، فالأول قال به الجبائى، و الثانى قول الحسن و مجاهد. و قيل: المعنى إن الكفار فرحوا بما عند الرسل فرح استهزاء و سخرية لا فرح سرور و غبطة و قوله «وَ حاقَ بِهِمْ» أى حل بهم «ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» أى جزاء ما كانوا به يسخرون برسلهم من الهلاك و العذاب.
ثم اخبر تعالى عنهم انهم «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا» بأس الله و نزول عذابه

---

(1)سورة 42 الشورى آية 16 [.....]
(2)سورة 44 الدخان آية 49
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 102
«قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ» و خلعنا الأنداد من دونه «وَ كَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ» فى عبادة الله من الأصنام و الأوثان فقال الله سبحانه «فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ» عند رؤيتهم بأس الله و عذابه، لأنهم يصيرون عند ذلك ملجئين و فعل الملجأ لا يستحق به الثواب. ثم قال «سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبادِهِ» نصب «سُنَّتَ اللَّهِ» على المصدر، و المعنى طريقة الله المستمرة من فعله بأعدائه و الجاحدين لنعمه و اتخاذ الولايج من دونه فى ما مضى مع عباده الذين كفروا به «وَ خَسِرَ هُنالِكَ الْكافِرُونَ» لنعمه لفوتهم

الثواب و الجنة و استحقاقهم العذاب و الكون فى النار.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 103

اشارة

هی مکیة فی قول قتادة و مجاهد لیس فیها ناسخ و لا منسوخ و هی اربع و خمسون آیة کوفی و ثلاث فی المدنیین و اثنتان و خمسون فی البصری و الشامی.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
حم (1)تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (2)كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيراً وَ نَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (4)
وَ قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَ فِي آذانِنا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ (5)
خمس آيات فى الكوفى و أربع فى الباقى عد الكوفيون «حم» و لم يعده الباقون قرأ بعض الكوفيين (حم) رفع ب (تنزيل) و (تنزيل) رفع ب (حم) و قال الفراء: ارتفع (تنزيل) بإضمار (ذلک) او هذا تنزيل. و قال البصريون (تنزيل) رفع بالابتداء، و خبره «كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ» و «قرآناً» نصب على المصدر أو التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 104
الحال ذهب اليه قوم.
قد بينا اختلاف المفسرين فى معنى قوله (حم) فلا وجه لإعادته. و قيل:
فى وجه الاشتراک فى اسماء هذه السور السبع ب (حم) انه للمشاكلة التى بينها بما يختص به بما ليس لغيرها، لأنه اسم علم أجرى على الصفة الغالبة بما يصح فيه الاشتراک، و التشاكل الذى اختصت به هو ان كل واحدة منها استفتحت بصفة الكتاب مع تقاربها فى الطول و القصر و مع شدة تشاكل الكلام فى النظام، و حكم الكتاب البيان عن طريق النجاة الذى يصغر كل شىء فى جنب الفائدة به من طريق الهلاک الذى لا صبر للنفس عليه، و هو على وجوه: منها تبيين الواجب مما ليس بواجب، و تبيين الأولى فى الحكمة مما ليس بأولى، و تبيين الجائز مما ليس بجائز، و تبيين الحق فى الدين من الباطل، و تبيين الدليل على الحق مما ليس بدليل، و تبيين ما يرغب فيه مما لا يرغب فيه، و ما يحذر منه مما لا يحذر مثله. و غير ذلک من وجوه أحكامه و هى اكثر من ان تحصى.
و قوله «تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» وصف الكتاب بأنه تنزيل لأن جبرائيل عليه السلام نزل به على محمد صَلَّى اللَّهُ عليه و آله و فى ذلک دلالة على حدوثه، لأن التنزيل لا يكون إلا محدثاً.
و قوله «كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ» اى هذا كتاب، و إنما وصف القرآن بأنه كتاب و إن كان المرجع فيه إلى كلام مسموع، لأنه مما ينبغى أن يكتب و يدوّن لأن الحافظ ربما نسيه او نسى بعضه، فيتذكر، و غير الحافظ فيتعلم منه. و قوله «فُصِّلَتْ آياتُهُ» معناه ميزت دلائله. و إنما وصفه بالتفصيل دون الإجمال، لان التفصيل يأتى على وجوه البيان، لأنه تفصيل جملة عن جملة او مفرد عن مفرد، و مدار أمر البيان على التفصيل و التمييز فى ما يحتاج اليه من أمور الدين إذ العلم التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 105

علمان: علم دين و علم دنيا و علم الدين أجلهما و أشرفهما لشرف النفع به. و قيل:
«فُصِّلَتْ آياتُهُ» بالأمر و النهى و الوعد و الوعيد و الترغيب و الترهيب.
و نصب قوله «قرآناً عربياً» على الحال- فى قول الزجاج- و تقديره فصلت آياته فى حال جمعه. و وصف بأنه قرآن، لأنه جمع بعضه إلى بعض، و بأنه عربى لأنه يخالف جميع اللغات التى هى ليست عربية «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» أى لمن يعلم العربية.
و قوله «بشيراً» أى مبشراً بالجنة و ثوابها «و نذيراً» أى مخوفاً من النار و عقابها.
و قوله «فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ» اخبار منه تعالى عن الكفار أن أكثرهم يعدل عن التفكر فيه و عن سماعه «فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ» لعدولهم عنه. و يجوز أن يكون مع كونهم سامعين إذا لم يفكروا فيه و لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه. و قال البلخى:
معناه إنهم يفعلون فعل من لا يسمعه، لأنهم مع سماعه يستثقلونه و يعرضون عن الفكر فيه.
ثم حكى ما قاله الكفار من قولهم «قُلُوبُنا فِى أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ» قال مجاهد و السدى: معناه فى أغطية و إنما قالوا ذلك ليؤيسوا النبى صلى اللّه عليه و آله من قبولهم دينه، فهو على التمثيل، فكأنهم شبهوا قلوبهم بما يكون فى غطاء فلا يصل اليه شىء مما وراءه، و فيه تحذير من مثل حالهم فى كل من دعى إلى امر أن لا يمتنع ان يكون هو الحق، فلا يجوز ان يدفعه بمثل ذلك الدفع «وَ فِى آذانِنا وَقْرٌ» أى ثقل عن استماع هذا القرآن «وَ مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ حِجابٌ» قيل الحجاب الخلاف الذى يقتضى أن يكون بمعزل عنك، قال الزجاج: معناه حاجز فى النحلة و الدين أى لا نوافقك فى مذهب «فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ» معناه فاعمل بما يقتضيه دينك، فانا عاملون بما يقتضيه ديننا، و قال الفراء: معناه فاعمل فى هلاكنا، فاننا عاملون التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 106
فى هلاكك، تهديداً منهم.

قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَ اسْتَغْفِرُوهُ وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (6) الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ (7) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (8) قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ (9) وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَكَ فِيها وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ (10)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو جعفر «سواء» رفعاً. و قرأه يعقوب خفضاً. و قرأه الباقون نصباً.

فمن رفعه فعل الاستئناف. و من خفضه جعله نعتاً للأيام. و من نصبه فعلى المصدر.

امر اللّه تعالى نبيه صَلى اللّهُ عَليه و آله أن يقول لهؤلاء الكفار «إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» لحم و دم، و من ولد آدم، و إنما خصنى اللّه بنبوته و أمرنى برسالته و ميزنى منكم بأنى «يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ» الذى يستحق العبادة «إِلهٌ واحِدٌ» لا شريک له فى العبادة (فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) أى استمروا على وجه واحد فى الطاعة له و إخلاص العبادة له على ما تقتضيه الحكمة «وَ اسْتَغْفِرُوهُ» أى و اطلبوا المغفرة من جهته لذنوبكم.

ثم اخبر فقال «وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ» الذين أشركوا بعبادة اللّه غيره من

الأصنام و الأوثان و وصفهم بأنهم «الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ» و قال الحسن: معناه لا يؤتون ما يكونون به أزكياء أتقياء من الدخول فى دين اللّه. و قال الفراء: الزكاة فى هذا الموضع ان قريشاً كانت تطعم الحاج و تسقيهم فحرموا ذلک على من آمن بمحمد صَلى اللّهُ عليه و آله. و قال قوم: إنما توعدهم على ترک الزكاة الواجبة عليهم لأنهم متعبدون بجميع العبادات و يعاقبون على تركها و هو الظاهر. و قال الزجاج: معناه و ويل للمشركين الذين لا يؤمنون بأن الزكاة واجبة. و إنما خص الزكاة بالذكر تقريعاً لهم على شحهم الذى يأنف منه أهل الفضل و يتركون ما يقتضى انهم ان يعملوه عملوه لأجله. و فى ذلک دعاء لهم إلى الايمان و صرف لهم عن الشرک. و كان يقال: الزكاة قنطرة الايمان فمن عبرها نجا. و قال الطبرى: معناه الذين لا يعطون اللّه الطاعة التى يطهرهم بها و يزكى أبدانهم، و لا يوحدونه. و قال عكرمة: هم الذين لا يقولون: لا إله إلا اللّه. و قد بينا أن الأقوى قول من قال إن الذين لا يؤدون زكاة أموالهم، لان هذا هو حقيقة هذه اللفظة «وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ» معناه و هم مع ذلک يجحدون ما أخبر اللّه به من الثواب و العقاب فى الآخرة.

ثم اخبر اللّه تعالى عن المؤمنين فقال «ان الذين يؤمنون بالآخرة» أى يصدقون بأمر الآخرة من الثواب و العقاب «وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» أى الطاعات «لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» أى لهم جزاء على ذلک غير مقطوع، بل هو متصل دائم، و يجوز ان يكون معناه انه لا أذى فيه من المنّ الذى يكدر الصنيعة.
ثم امر النبى صَلى اللّهُ عليه و آله ان يقول لهم على وجه الإنكار عليهم بلفظ الاستفهام «أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ» أى تجحدون نعمة من خلق الأرض فى يومين «وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً» أى تجعلون له أشباها و أمثالا فى استحقاق العبادة. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 108
ثم قال الذى يستحق العبادة «ذلِکَ رَبُّ الْعالَمِينَ» الذى خلق الخلائق و ملک التصرف فيهم.
و قوله «وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها» أى و خلق فى الأرض جبالا راسيات ثابتات فوق الأرض «وَ بارَکَ فِيها» بما خلق فيها من المنافع «وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ»
روى عن النبى صَلى اللّهُ عليه و آله انه قال (إن اللّه خلق الأرض يوم الأحد و الاثنين و خلق الجبال يوم الثلاثاء و خلق الشجر و الماء و العمران و الخراب يوم الأربعاء فتلک اربعة ايام و خلق يوم الخميس السماء و خلق يوم الجمعة الشمس و القمر و النجوم و الملائكة و آدم).
و قال الحسن و السدى: و ابن زيد «قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها» أى أرزاقها. و قال قتادة: معناه قدر فيها ما فيه صلاحها. قال ابو عبيدة: الأقوات جمع قوت و هى أرزاق الخلق و ما يحتاجون اليه. و قيل: إنما خلق ذلک شيئاً بعد شىء فى هذه الأربعة ايام لتعتبر به الملائكة و قيل: لاعتبار العباد فى الاخبار عن ذلک إذا تصوروه على تلک الحال. و قال الزجاج: الوجه فيه تعليم الخلق التأنى فى الأمور و ألا يستعجلوا فيها بأن اللّه تعالى كان قادراً على ان يخلق ذلک فى لحظة، لكن خلقها فى هذه المدة لما قلنا. و قال قوم إنما خلق ذلک فى هذه المدة ليعتبروا بذلک على انها صادرة من قادر مختار عالم بالمصالح و بوجوه الأحكام إذ لو كان صادراً عن مطبوع او موجب لحصلت فى حالة واحدة. و قال الزجاج:
«فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ» معناه فى تتمة اربعة أيام.
و قوله «سَواءً لِلسَّائِلِينَ» قال قتادة و السدى: معناه سواء للسائلين عن ذلک لأن كلا يطلب القوت و يسأله. و فى قراءة عبد اللّه «و قسم فيها أقواتها» و معناه خلق فى هذه البلدة ما ليس فى هذه ليتعايشوا و يتجروا. و من نصب (سواء) فعلى تقدير استوت سواء و استواء لمن سأل فى كم خلقت السموات التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 109
و الأرض؟ فقيل فى اربعة أيام سواء لا زيادة و لا نقصان.

ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ (11) فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وَ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ حِفْظاً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (12) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ (13) إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ قالُوا لَوْ شاءَ رَبُّنا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (14) فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ قالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ (15)

اربع آيات فى البصرى و الشامى و خمس فى ما عداه. اختلفوا فى قوله «و ثمود» فلم يعدها البصريون و الشاميون و عدها الباقون.

أخبر اللَّه تعالى انه بعد خلق الأرض و الجبال و تقدير الأقوات فيها «اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ» قال الحسن: معناه استوى أمره و لطفه إلى السماء.

و قال غيره: معنى الاستواء إلى السماء العمد و القصد اليها، كأنه قال: ثم قصد اليها. و اصل الاستواء الاستقامة و القصد للتدبير المستقيم تسوية له.

و قوله التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 110

«ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ» «1» معناه ثم استوى تدبيره بتقدير القادر عليه.

و قيل إن الاستواء بمعنى الاستيلاء، كما قال الشاعر:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق «2»

فاما الاستواء عن اعوجاج فمن صفات الأجسام لا يجوز ذلك على اللَّه تعالى.

و قوله «ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ» يفيد انه خلق السماء بعد خلق الأرض و خلق الأقوات فيها، و لا ينافى ذلك قوله «أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها» إلى قوله (وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها) «3» لان ذلك يفيد أن الأرض كانت مخلوقة غير مدحوة، فلما خلق اللَّه السماء دحا بعد ذلك الأرض فبسطها، و إنما جعل اللَّه السموات أولا دخاناً ثم سبع سموات طباقاً ثم زينها بالمصابيح، لما فى ذلك من الدلالة على أن صانعها و خالقها و مدبرها ليس كمثله شىء من الموجودات غنى عن كل شىء سواه، و إن كل ما سواه يحتاج اليه من حيث انه قادر لنفسه لا يعجزه شىء، عالم لنفسه لا يخفى عليه شىء. و (الدخان) جسم لطيف مظلم، فاللَّه تعالى خلق السموات أولا دخاناً ثم نقلها إلى حال السماء من الكثافة و الالتئام لما فى ذلك من الاعتبار و اللطف لخلقه.

و قوله (فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ) قال ابن عباس أتت السماء بما فيها من الشمس و القمر و النجوم و أتت الأرض بما

فيها من الأنهار و الأشجار و الثمار، و ليس هناک أمر بالقول على الحقيقة و لا إطاعة، و لا

---

(1)سورة 7 الاعراف آية 53 و سورة 10 يونس آية 3 و سورة 13 الرعد آية 2 و سورة 25 الفرقان آية 59 و سورة 32 الم السجدة آية 4 و سورة 57 الحديد آية 4
(2)مر فى 1/ 125 و 2/ 396 و 4/ 452 و 5/ 386
(3)سورة 79 النازعات آية 30

جواب لذلک القول بل أخبر تعالى عن اختراعه السموات و الأرض و إنشائه لهما من غير تعذر و لا مشقة و لا كلفة و من غير ملابسة و لا معاناة بمنزلة ما قيل:
للمأمور افعل ففعل من غير تلبث و لا توقف، فعبر عن ذلک بالأمر و الطاعة و هو كقوله (كُنْ فَيَكُونُ) «1» و قد بينا الوجه فى ذلک و يكون التقدير كأنه قيل:
أتينا بمن فينا طائعين أى سبحانه فعل الطبائع فى ما أمر به و إنما قلنا ذلک لأنه تعالى لا يأمر المعدوم و لا الجماد، لان ذلک قبيح يتعالى اللَّه عن ذلک و مثل ذلک قول الشاعر:
امتلأ الحوض و قال قطنى مهلا رويداً قد ملأت بطنى «2»
و نظائر ذلک كثيرة بيناها فى ما مضى و إنما قال (طائعين) و لم يقل طائعتين، لأنه لما أسند الفعل اليهما و هو ما لا يكون إلا من العقلاء اخبر عنهما بالياء و النون، و قال قطرب: لان المعنى أتينا بمن فينا من العقلاء فغلب حكم العقلاء.
و قال الشاعر:
فاجهشت للتوباد حين رأيته و كبر للرحمن حين رآنى
فقلت له اين الذين عهدتهم بجنبيک فى حفض و طيب زمان
فقال مضوا و استودعونى بلادهم و من ذا الذى يبقى على الحدثان «3»
و قوله (فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِى يَوْمَيْنِ) معناه جعلهن سبع سموات على إتمام خلقهن لأن القضاء جعل الشىء عَلى إتمام و إحكام و لذلک قيل: انقضى أى قدتم و مضى، و قضى فلان إذا مات، لان عمره تم و مضى. و قيل:
إن السماء موج مكفوف، روى ذلک فى الخبر عن النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله.
و قال الحسن: هى سبع ارضين

---

(1)سورة 36 يس آية 82 و غيرها

(2)مر فى 1/ 431 و 8/ 85، 369
(3)قد مر فى 8/ 369

بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام. و قوله (فى يومين) قال السدى: خلق اللّه السموات و سواها يوم الخميس و الجمعة و سمى جمعة لأنه جمع فيه خلق السموات و الأرض، و إنما خلقها فى يومين نظير خلق الأرض فى يومين، فان قيل: قوله (خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ) و خلق الجبال و الأقوات فى اربعة أيام و خلق السموات فى يومين يكون ثمانية ايام، و ذلک مناف لقوله (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ) «1» قلنا: لا تنافى بين ذلک، لأنه خلق السموات و الأرض و خلق الجبال و الأشجار و الأقوات فى اربعة أيام منها اليومان المتقدمان، كما يقول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد فى عشرة ايام ثم الى الكوفة فى خمسة عشر يوماً أى فى تمام هذه العدة، و يكون قوله (فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِى يَوْمَيْنِ) تمام ستة أيام. و هو الذى ذكره فى قوله فى ستة أيام. و زال الاشكال.
و قوله (وَ أَوْحى فِى كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها) قال السدى معناه جعل فيها ما اراده من ملک و غيره. و قيل معناه أوحى فى كل سماء بما يصلحها «وَ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ»
روى ان الكواكب فى السماء الدنيا، و هى الأقرب إلى الأرض دون ما فوقها من السموات.
و قوله (و حفظاً) منصوب على المعنى و تقديره جعلناها زينة و حفظاً أى و جعلناها حفظاً من استراق الشياطين السمع بالكواكب التى جعلت فيها. و قيل:
حفظاً من ان تسقط على الأرض (ذلِکَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) يعنى القادر الذى لا يغالب العليم بجميع الأشياء لا يخفى عليه شىء منها.
ثم قال لنبيه صَلى اللّهُ عَليه و آله (فَإِنْ أَعْرَضُوا) يعنى ان عدل الكفار عن الفكر فى ما ذكرنا و التدبر لما بينا و أبوا إلا الشرک و الجحود (فقل) لهم مخوفا لهم

---

(1)سورة 7 الاعراف آية 53 و سورة 10 يونس آية 3

(أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً)أى خوفتكم إياها ان ينزل بكم كما نزل بمن قبلكم و نصب (صاعقة) على انه مفعول ثان (مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ) التى أرسلها اللّه عليهم و املكهم بها، فقال السدى: الصاعقة أراد بها العذاب، و قال قتادة: معناه وقيعة. و قيل:
إن عاداً أهلكت بالريح و الصاعقة جميعاً. و قوله (إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْن

أيْدِيهِمْ) ف (إذ) متعلقة بقوله (صاعقة) أى نزلت بَهم إذ جاءتهم الرسل منَ بين أيديهم و من خلفهم، منهم من تقدم زمانه و منهم من تأخر عنه، و قال الفراء:
أتت الرسل إياهم و من كان قبلهم و من خلفهم أى و جاءتهم أنفسهم رسل من بعد أولئک الرسل فيكون الهاء و الميم فى خلفهم للرسل، و يكون لهم بجعل ما خلفهم ما معهم. و قال قوم: معناه قبلهم و بعد أن بلغوا و تعبدوا بأمر الرسل الذين تقدموهم، قال البلخى: و يجوز أن يكون المراد أتتهم اخبار الرسل من هاهنا و هاهنا مع ما جاءهم منهم (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) أى أرسلناهم بأن لا يعبدوا إلا اللَّه وحده لا شريک له و ألا يشركوا بعبادته غيره، فقال المشركون عند ذلک (لَوْ شاءَ رَبُّنا) أن نؤمن و نخلع الأنداد «لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً» يدعوننا إلى ذلک و لم يبعث بشراً مثلنا، فكأنهم انفوا من الانقياد لبشر مثلهم و جهلوا أن اللَّه يبعث الأنبياء على ما يعلم من مصالح عباده و يعلم من يصلح للقيام بها و قالوا لهم ايضاً (إنا) معاشر قومنا (بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ) من إخلاص العبادة و التوحيد (كافِرون) جاحدون، ثم فصل تعالى اخبارهم فقال (فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) أى تجبروا و عتوا و تكبروا على اللَّه بغير حق جعله اللَّه لهم بل للكفر المحض و الظلم الصراح (وَ قالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) لما كان اللَّه تعالى أعطاهم من فضله قوة تقوّا بها على اهل زمانهم، فقال اللَّه تعالى (او لم يروا) التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 114
و معناه او لم يعلموا (أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ) و اخترعهم و خلق فيهم هذه القوة (أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) و أعظم اقتداراً (و كانوا) مع ذلک (بآيات اللَّه) و أدلته (يجحدون) أى ينكرونها، و لا يعترفون بها.

فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَخْزى وَ هُمْ لا يُنْصَرُونَ (16) وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (17) وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ (18) وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) حَتَّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (20)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو و نافع (نحسات) ساكنة الحاء، الباقون بكسرها، لان (نحسات) صفة، تقول العرب، يوم نحس مثل رجل هرم. و قيل: هما لغتان، و قرأ نافع و يعقوب (و يوم نحشر) بالنون كقوله (وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى) «1» و قوله (وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) بالنون. الباقون بضم الياء على ما لم يسم فاعله، لأنه عطف عليه. قوله (فهم يوزعون) فطابق بينهما.

لما حكى اللّه عن عاد و ثمود انه أرسل اليهم رسلا و أمرهم بعبادة اللّه وحده

---

(1)سورة 20 طه آية 124

و أن لا يشركوا به شيئاً و انهم كفروا بذلك و جحدوه. و أخبر أنه أهلكهم بأن أرسل عليهم ريحاً صرصراً أى شديداً صوته و اشتقاقه من الصرير و لذلك ضوعف اللفظ اشعاراً بمضاعفة المعنى، يقال صرصر صريراً، و صرصر يصرصر صرصرة و ريح صرصر شديد هبوبها. و قال قتادة: يعنى باردة و قال السدى: باردة ذات صوت. و قال مجاهد: شديدة السموم. و قيل: أصله صرر قلبت الراء صاداً، كما قيل: رده، و ردّده، و نهه و نهنهه. و قال رؤبة:

فاليوم قد نهنهنى تنهنهى و أول حلم ليس بالمسفّه «1»

و كما قيل: كففه و كفكفه، قال النابغة:

أ كفكف عبرة غلبت عبراتى إذا نهنتها عادت ذباحا «2»

و منه سمى نهر صرصر لصوت الماء الجارى فيه، و قوله (فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ) قال مجاهد و قتادة و السدى: يعنى مشومات، و النحس سبب الشر، و السعد سبب الخير، و بذلك سميت سعود الأيام و نحوسها و سعود النجوم و نحوستها، و من سكن الحاء خففه، و من جرها فعلى الأصل.

و قال ابو عبيدة: معناه ايام ذات نحوس أى مشائيم العذاب.

و قوله (لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا) إخبار منه تعالى انه انما يفعل بهم ذلك ليذيقهم حال الهوان فى الدنيا، و الخزى الهوان الذى يستحيا

منه خوفاَ من الفضيحة، يقال: خزى يخزى خزياَ و أخزاه اللّه إخزاء فهو مخزى.
ثم بين تعالى ان عذاب الآخرة اخزى و افضح من ذلک فقال (وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَخْزى وَ هُمْ لا يُنْصَرُونَ) أى لا يدفع عنهم العذاب الذى ينزل بهم.
ثم قال تعالى (وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ) فالذى عليه القراء رفع الدال، و قرأ

(1، 2)تفسير الطبرى 24/ 59، 60

الحسن بالنصب على تقدير هدينا ثمود هديناهم، و الرفع أجود، لأن (اما) لا يقع بعدها إلا الأسماء، فالنصب ضعيف. و المعنى و اما ثمود دللناهم على طريق الرشاد فعدلوا عنها إلى طريق الغى و الفساد، و الهدى يتصرف على وجوه بيناها فى ما مضى. و قال ابن عباس و قتادة و السدى و ابن زيد: معناه بينا لهم، و إنما لم يصرف ثمود لأنه اسم القبيلة او الأمة، و هو معرفة. و إنما رفع لأن (أما) رفع الاسم بعدها اولى.
و قوله (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى) معناه اختاروا العمى على طريق الحق و الاهتداء اليها و بئس الاختيار ذلک- و هو قول الحسن.
و فى الآية دلالة على بطلان قول المجبرة فى ان اللّه يضل الكفار عن الدين و لا يهديهم اليه لأنه صرح بأنه هدى ثمود إلى الدين و انهم اختاروا العمى على الهدى، و ذلک واضح لا اشكال فيه. و قوله (فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ) أى أرسل عليهم الصاعقة التى بعثها للعذاب دون غيره، و الهون و الهوان واحد- فى قول أبى عبيدة- و قال السدى: معناه الهوان (بِما كانُوا يَكْسِبُونَ) أى جزاء على ما كسبوه من الشرک و الكفر.
و قوله (وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ) اخبار من اللّه تعالى انه خلص من جملتهم من آمن باللّه و اتقى معاصيه خوفاَ من عقابه نجاهم اللّه من ذلک العذاب.
ثم قال تعالى (وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللَّهِ) يبعثون و هو يوم القيامة. فمن قرأ بالنون فعلى الاخبار من اللّه عن نفسه بذلک. و من قرأ بالياء المضمومة فعلى انهم يبعثون و يجمعون إلى النار (فهم يوزعون) أى يمنعون من التفرق و يحبسون و يكفون، يقال: وزعت الرجل إذا منعته، و منه قول الحسن لا بد للناس من وزعة و قوله (اوزعنى) أى الهمنى. و قول الشاعر:

و إنى بها بإذا المعارج موزع
و يروى موزع (حَتَّى إِذا ما جاؤُها) معناه حتى إذا أتى هؤلاء الكفار النار، و أراد اللّه إلقاءهم فيها (شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ) و قيل: فى شهادة هذه الجوارح قولان:
أحدهما- انها تبنى بنية حى و تلجأ إلى الشهادة و الاعتراف بما فعله

أصحابها.
و الآخر- ان يفعل فيها الشهادة و يضاف اليها مجازاً.
و وجه ثالث- قال قوم: إنه يظهر فيها أمارات تدل على كون أصحابها مستحقين للنار، فسمى ذلک شهادة مجازاً، كما يقال: عيناک تشهد بسهرک أى فيها ما يدل على سهرک. و قيل: المراد بالجلود الفروج، على طريق الكناية. و قيل:
لا: بل الجلود المعروفة و هو الظاهر.

وَ قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لا أَبْصارُكُمْ وَ لا جُلُودُكُمْ وَ لكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ (22) وَ ذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ (23) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ وَ إِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (24) وَ قَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ (25)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 118

خمس آيات بلا خلاف هذا حكاية من اللّه عن الكفار فى الآخرة بعد ما شهدت عليهم أبصارهم و جلودهم بما كانوا يعملون من المعاصى فى دار الدنيا أنهم يقولون (لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا) منكرين عليهم إقامة تلك الشهادة. و قيل: اشتقاق الجلد من التقوية من قولهم: فلان يتجلد على كذا، و هو جلد أى قوى، فتقول جلودهم فى الجواب عن ذلك (أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ) فالانطاق جعل القادر على الكلام ينطق إما بالإلجاء إلى النطق أو الدعاء اليه. فهؤلاء يلجئهم اللّه إلى ان ينطقوا بالشهادة. و النطق إدارة اللسان فى الفم بالكلام، و لذلك لا يوصف تعالى بأنه ناطق، و إن وصف بأنه متكلم. و معنى (أَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ) أى كل شىء لا يمتنع منه النطق كالاعراض و الموات، و الفائدة فى الاخبار عنهم بذلك التحذير من مثل حالهم فى ما ينزل بهم من الفضيحة بشهادة جوارحهم عليهم بما كانوا يعملون من الفواحش. فلم يكن عندهم فى ذلك اكثر من هذا القول الذى لا ينفعهم و قال قوم: إن الجوارح تشهد عليهم حين يجحدون ما كان منهم.

و قوله (وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) اخبار منه تعالى و خطاب لخلقه بأنه الذى خلقهم فى الابتداء (وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فى الآخرة إلى حيث لا يملك احد النهى و الامر سواه.

و قوله (وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لا أَبْصارُكُمْ وَ لا جُلُودُكُمْ) قال مجاهد (وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ) أى تتقون. و قال السدى: معناه لم تكونوا فى دار الدنيا تستخفون عن معاصى اللّه بتركها و قيل: إن الآية نزلت فى ثلاثة التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 119

نفر تساروا، فقال بعضهم لبعض: أ ترى اللّه يسمع إسرارنا؟ و قال الفراء: معناه لم تكونوا تخافون ان تشهد عليكم جوارحكم فتستتروا منها و لم تكونوا تقدروا على الاستتار منها، و يكون على وجه التعيير أى و لم تكونوا تستترون منها.

و قوله (وَ لكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ) وصف لهؤلاء الكفار بأنهم ظنوا انه تعالى يخفى عليه أسرارهم و لا يعلمها، فبين اللّه بذلک جهلهم به تعالى، و انهم و إن علموه من جهة انه قادر غير عاجز و عالم بما فعلوا فإذا ظنوا انه يخفى عليه شىء منها فهو جاهل على الحقيقة تعالى اللّه عن ذلک علواً كبيراً.
و فى قراءة عبد اللّه (و لكن زعمتم) قال الفراء: الزعم و الظن يكونان بمعنى واحد و قد يختلفان.
ثم حكى ما يخاطبهم به فانه يقال لهم (وَ ذلِكُمْ ظَنُّكُمُ) معاشر الكفار (الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ) أى أهلككم يقال: ردى فلان يردى إذا هلک قال الأعشى:
أفى الطوف خفت علىّ الردى و كم من رد أهله لم يرم «1»
و قوله (فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ) معناه فظللتم من جملة من خسر فى تجارته لأنكم خسرتم الجنة و حصل لكم النار. ثم قال (فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ) قال البلخى: معناه فان يتخيروا المعاصى فالنار مصير لهم، و قال قوم: معناه و إن يصبروا فى الدنيا على المعاصى فالنار مثواهم (و إن يستعتبوا)- بضم الياء- قرأ به عمرو و معناه إن طلب منهم العتبى لم يعتبوا أى لم يرجعوا و لم ينزعوا.
و قال قوم: المعنى فان يصبروا أو يجزعوا فالنار مثوى لهم، (و إن يستعتبوا) معناه فان يجزعوا فيستعتبوا (فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) لأنه ليس يستعتب إلا من قد جزع مما قد اصابه، فطلب العتبى حينئذ، كما قال

---

(1)ديوانه (دار بيروت) 200 و قد مر فى 8/ 499
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 120
(اصْلَوْها فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَواءٌ عَلَيْكُمْ) «1» و معنى الآية (فان يصبروا) على ما هم فيه فمقامهم فى النار (و إن يستعتبوا) أى و إن يطلبوا العتبى و هى الرضا (فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) أى ليس بمرضى عنهم، لان السخط من اللّه تعالى بكفرهم قد لزمهم و زال التكليف عنهم، فليس لهم طريق إلى الاعتاب، و المعتب الذى قبل عتابه و أجيب إلى ما سأل.
و قوله (وَ قَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ) قال الحسن:
معناه خلينا بينهم و بين الشياطين الذين أغووهم و دعوهم إلى ما استوجبوا العقاب به، و لم نمنعهم منهم، جزاء على ما استحقوه من الخذلان، فمعنى (قيضنا) خلينا و مكنا. قال الجبائى: (التقييض) إحواج بعض العباد إلى بعض كحاجة الرجل إلى المرأة، و المرأة إلى الرجل، و كحاجة الغنى إلى الفقير يستعمله و حاجة الفقير إلى ان يستعمله الغنى و غير ذلک من احواج بعضهم إلى بعض. و قال قوم: التقييض المماثلة، و المقايضة المقايسة، قال

الشماخ:
تذكرت لما أثقل الدين كاهلى و غاب يزيد ما أردت تعذرا
رجالا مضوا عنى فلست مقايضاً بهم أبداً من سائر الناس معشرا
فالمعنى على هذا إنا نضم إلى كل كافر قريناً له من الجن مثله في الكفر فى نار جهنم كما قال (وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) «2» و معنى (فزينوا لهم) يعنى فعل اهل الفساد الذين فى زمانهم، و فعل من كان قبلهم، و قيل (ما بين أيديهم) من أمر الدنيا (و ما خلفهم) من أمر الآخرة- فى قول الحسن و السدى- و ذلک بدعائهم إلى انه لا بعث و لا جزاء. و قال الفراء (فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمر الآخرة، فقالوا: لا جنة و لا نار

_____

(1)سورة 52 الطور آية 16
(2)سورة 43 الزخرف آية 36
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 121
و لا بعث و لا حساب (و ما خلفهم) من امر الدنيا فزينوا لهم اللذات و جمع الأموال و ترک إنفاقها فى سبيل اللّه. و قيل: زينوا لهم أعمالهم التى يعملونها، و هى (ما بين أيديهم) و زينوا لهم ما عزموا عليه أن يعملوه و هو (ما خَلْفَهُمْ).
و قوله (وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) يعنى وجب عليهم القول بتصييرهم إلى العذاب الذى كان اخبر انه يعذب به من عصاه (فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ) أى حق على هؤلاء الكفار و على امم من الجن و الانس انهم متى عصوا اللّه حق القول بأنهم يعاقبون. ثم قال تعالى (إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ) خسروا الجنة و حصلت لهم النار.

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (26) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيداً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى كانُوا يَعْمَلُونَ (27) ذلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ (28) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (29) إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)

خمس آيات بلا خلاف التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 122

حكى اللّه تعالى عن الكفار انهم يقول بعضهم لبعض (لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ) الذى يقرؤه محمد صَلى اللّهُ عَليه و آله و لا تصغوا إليه (و الغوا فيه) لَكى تغلبوه، و يجوز ان تغلبوه، فاللغو هو الكلام الذى لا معنى له يستفاد، و إلغاء الكلمة إسقاط عملها، و يقال: لغا يلغو لغواً، و لغاً، قال الراجز:

عن اللغا و رفث التكلم «1» و إذا كانت جملة الكلام لغواً لا فائدة فيه لم يحسن و إذا كان تأكيداً لمعنى تقدم- و إن لم يكن له معنى فى نفسه مفرد- حسن لأنه يجرى مجرى المتمم للكلمة التى تدل معها على المعنى، و إن لم يكن له معنى فى نفسه. و قال مجاهد: قالوا خلطوا عليهم القول بالمكاء و الصفير، و قال غيره: هو الضجيج و الصياح، و أقسم تعالى فقال (فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) باللّه و جحدوا آياته (عَذاباً شَدِيداً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى كانُوا يَعْمَلُونَ) قيل: معناه أسوأ الذى كانوا يعملون من المعاصى من جملة ما كانوا يعملون دون غيرها مما لا يستحق به العقاب. و قال قوم: خص بذلك الكبائر- زجراً و تغليظاً- بعينها. و اقتصر فى الصغير على الجملة فى الوعيد. ثم قال (ذلك) يعنى ما تقدم الوعيد به (جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ) الذين عادوه بالعصيان و كفروا به، و عادوا أولياءه: من الأنبياء و المؤمنين و هى (النار) و الكون فيها. ف (النار) رفع بأنه بدل من قوله (ذلك) جزاؤهم و هو دخولهم فيها (لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ) أى منزل دوام و تأبيد (جزاء) لهم و عقوبة على كفرهم به تعالى فى الدنيا و جحدهم لآياته. قال الفراء: هو كقولهم: لأهل الكوفة فيها دار صالحة، و الدار هى الكوفة، و حسن ذلك لما اختلف لفظاهما، فكذلك قوله (ذلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ النَّارُ) ثم قال (لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ) و هى النار بعينها.

---

(1)مر فى 2/ 132، 164، 230 و 7/ 138 و 8/ 163 [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 123

و فى قراءة عبد اللّه (ذلک جزاء أعداء اللّه النار دار الخلد)، فهذا بين لا شىء فيه لأن الدار هى النار، فأعداء اللّه العصاة الذين يعاديهم اللّه- عز و جل- و ليس هو من عداوة الإنسان لغيره إلا أن يراد به أنه يعمل عمل المعادى، كما قال (يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا...) «1».
ثم حكى ما يقول الكفار ايضاً، فإنهم يقولون
(رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ)قيل:أراد به إبليس الأبالسة و هو رأس الشياطين، و ابن آدم الذى قتل أخاه، و هو قابيل. روى ذلک عن على عليه السلام
، لأن قابيل أسس الفساد فى ولد آدم.و قيل:هم الدعاة إلى الضلال من الجن و الانس.
و قوله (نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا) انهم لشدة عداوتهم و بغضهم لهم بما أضلوهم و أغووهم يتمنون ان يجعلوهما تحت أقدامهم و يطؤهم (لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) و قيل: المعنى فيكونا فى الدرک الأسفل من النار.
و قوله (إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا) اخبار منه تعالى أن الذين يقرون بلسانهم بتوحيد اللّه و يصدقون أنبياءه و يعترفون باللّه (يقولون ربنا اللّه ثم استقاموا) أى استمروا على ما توجبه الربوبية. و قال الحسن و قتادة و ابن زيد: معناه ثم استقاموا على طاعة اللّه (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ) قال مجاهد و السدى: يعنى عند الموت. و قال الحسن: تتنزل عليهم الملائكة تستقبلهم إذا خرجوا من قبورهم فى الموقف بالبشارة. و يقولون لهم (لا تخافوا) عقاب اللّه «وَ لا تَحْزَنُوا» لفوات الثواب (وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) بها فى دار الدنيا جزاء على الطاعات. و موضع (أن لا تخافوا) النصب و تقديره تتنزل عليهم و الملائكة بأن لا تخافوا، فلما حذف الباء نصب، و فى قراءة عبد اللّه (لا تخافوا) بلا (أن)

---

(1)سورة 2 البقرة آية 9

قبلها، و تقديره يقولون لهم: لا تخافوا، و قال مجاهد: معنى لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، و لا تحزنوا على ما تخلفونه فى دار الدنيا.
و قيل البشرى فى ثلاثة مواضع: عند الموت، و فى القبر، و فى البعث.

نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِى الْآخِرَةِ وَ لَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِى أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ (31) نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (32) وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ قالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33) وَ لا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَ لا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَ ما يُلَقَّاها إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَ ما يُلَقَّاها إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (35)

خمس آيات بلا خلاف.

لما حكى اللَّه تعالى أن الملائكة تتنزل على المؤمنين المستقيمين على طاعة اللَّه التاركين لمعصيته و تبشرهم بالجنة و تؤمنهم من عقاب اللَّه. ذكر ايضاً انهم يقولون لهم مع ذلک (نحن أولياؤكم) و هو جمع ولى أى انصاركم و احباؤكم فى الحياة الدنيا و أولياؤكم أيضاً فى الآخرة، ففى ذلک البشارة للمؤمنين بمودة الملائكة لهم و فى الآية بشارة لهم بنيل مشتهاهم فى الجنة. و تفيد الآية وجوب اعتقاد تودد الملائكة إلى من كان مستقيماً على طاعاته. و فيها حجة على شرف الاستقامة بالطاعة على كل ما عداه من أعمال العباد يتولى الملائكة لصاحبه من اجله. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 125

و قوله (وَ لَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِى أَنْفُسُكُمْ)

يعنى ما تشتهونه و تتمنونه من المنافع و الملاذ حاصلة لكم (وَ لَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ)

أى ما تستدعونه.و قيل:

معناه ما تدعى انه لک فهو لک بحكم اللَّه لک بذلک. و قوله (نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) تقديره أنزلكم ربكم فى ما تشتهون من النعمة نزلا. فيكون نصباً على المصدر. و يجوز ان يكون نصباً على الحال، و تقديره: لكم فيها ما تشتهى أنفسكم منزلا كما تقول: جاء زيد مشياً تريد ماشياً. و قال الحسن (نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) ليس مناً. و قيل: معناه إن هذا الموعود به مع جلالته فى نفسه له جلالة لمعطيه بعد ان غفر الذنب حتى صار بمنزلة ما لم يكن رحمة منه لعباده فهو أهنأ لک و أكمل للسرور به.

و قوله «وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ قالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ» صورته صورة الاستفهام، و نصب «قولا» على التفسير، و معناه النفى و تقديره و ليس أحد أحسن قولا ممن دعا إلى طاعة اللَّه و أضاف إلى ذلک أن يعمل الأعمال الصالحات، و يقول مع ذلک إننى من المسلمين الذين استسلموا لأمر اللَّه و انقادوا إلى طاعته. و قيل: المعنى بالآية النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله لأنه الداعى إلى الله.

و
روى أنها نزلت فى المؤذنين.
و فى الآية دلالة على من يقول: أنا مسلم إن شاء اللَّه من أصحاب عبد اللَّه بن مسعود، لأنه لا أحد احسن قولا منه، فيجب عليه أن يقول: إنى مسلم و يقطع فى الحكم إذا لم يكن فاسقا.
ثم قال «وَ لا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَ لَا السَّيِّئَةُ» أى لا يتماثلان، و دخلت (لا) فى «وَ لَا السَّيِّئَةُ» تأكيدا. و قيل: دخلت لتحقيق انه لا يساوى ذا ذاک، و لا ذاک ذا، فهو تبعيد المساواة.
و قوله «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» أمر للنبى صَلى اللّه عليه و آله ان يدفع بالتى هى احسن التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 126
و قيل: معنى الحسنة- هاهنا- المداراة. و السيئة المراد بها الغلظة. فأدب اللَّه تعالى عباده بهذا الأدب. ثم قال «فَإِذَا الَّذِي بَيْنَکَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ» معناه دار القوم و لا تغلظ عليهم حتى كأن عدوک الذى يعاديک فى الدين بصورة وليک من حسن عشرتک له و بشرک له. و يدعو ذلک ايضا عدوک إلى أن يصير لک كالولى الحميم. و قيل: المراد ان من أساء اليک فأحسن اليه ليعود عدوک وليک. و كأنه حميمک. و الحميم القريب الذى يحم لغضب صاحبه.
و قوله «وَ ما يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا» معناه ما يعطى هذه الخصلة فى رفع السيئة بالحسنة إلا ذو نصيب فى الخير عظيم. و قيل: معناه و ما يلقاها يعنى البشرى بالجنة و الامان من العذاب إلا الذين صبروا على طاعة اللَّه و الجهاد فى دينه «وَ ما يُلَقَّاها» ايضا «إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» من الثواب و الخير و قد لقى اللَّه تعالى جميع الخلق مثل ما لقى من صبر، غير ان فيهم من لم يتلقه كما يتلقاه من صبروا و قبلوا ما أمرهم اللَّه به.

وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّکَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (36) وَ مِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِی خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّکَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ (38) وَ مِنْ آياتِهِ أَنَّکَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ إِنَّ الَّذِی أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَیْءٍ قَدِيرٌ (39) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِی آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا أَ فَمَنْ يُلْقى فِی النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِی آمِناً يَوْمَ الْقِيامَةِ اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40)

خمس آيات بلا خلاف.

قوله «وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّکَ» أصله (إن) التی للشرط و زيد عليها (ما) تأكيداً فأشبه ذلک القسم، فلذلک دخلت نون التأكيد فی قوله «ينزغنک» كما تقول:

و اللَّه ليخرجن. و النزغ النخس بما يدعوا إلى الفساد و منه قوله «مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِی وَ بَيْنَ إِخْوَتِی» «1» فنزغ الشيطان وسوسته و دعاؤه إلى معصية اللَّه بإيقاع العداوة بين من يجب موالاته، يقال نزغ ينزغ نزغاً فهو نازغ بين رجلين.

و فلان ينزغ فلاناً كأنه ينخسه بما يدعوه إلى خلاف الصواب. و المعنى و إن ما يدعوک إلى المعاصی نزغ من الشيطان بالإغواء و الوسوسة «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» و معناه اطلب الاعتصام من شره من جهة اللَّه و احذر منه و امتنع من جهته بقوة اللَّه، فنحن نستعيذ باللَّه من شر كل شيطان و شر كل ذی شر من انس و جان.

و قوله «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» يعنى انه سميع لأقوالكم من الاستعاذة و غيرها عليم بضمائركم قادر على إجابة دعائكم و قوله «وَ مِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ» معناه و من أدلته و حججه الباهرة الدالة على توحيده و صفاته التی باين بها خلقه الليل بذهاب الشمس عن بسيط الأرض و النهار بطلوعها على وجهها بالمقادير التی أجريا عليه و رتبا فيه بما يقتضی تدبير عالم بهما قادر على تصريفهما،

---

(1)سورة 12 يوسف آية 100

لأن ذلک لا يقدر عليه غير اللَّه. و الشمس و القمر وجه الدلالة فيهما أن الأجرام الثقيلة لا تقف بغير عمد و لا تتصرف على غير قرار و لا عماد إلا أن يصرفهما قادر ليس كالقادرين من الأجسام التی تحتاج فی نقلها و تمسكها

إلى غيرها، و كل جسم ثقيل يصرف من غير عماد فمصرفه هو الله تعالى. و الأفعال الدالة على الله تعالى على وجهين:
أحدهما- ما لا يقدر عليه إلا هو كخلق الحياة و القدرة و الأجسام و غير ذلک و الآخر- أنه إذا وقع على وجه مخصوص لا يتأتى من القادر بقدرة و إن كان جنسه مقدوراً للعباد كتسكين الأرض من غير عمد و تصرف الشمس و القمر بكونها مرة صاعدة و مرة هابطة و مرة طالعة و مرة غاربة مع ثقل أجرامهما و بعدهما من عماد لها أعظم دلالة على ان لهما مصرفاً و مدبراً لا يشبههما و لا يشبهه شىء. قال تعالى «لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ» كما يفعل قوم من المجوس بل «اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ» و انشاهن. و إنما قال «خلقهن» لأنه أجرى مجرى جمع التكسير، و لم يغلب المذكر على المؤنث، لأنه فى ما لا يعقل. و قال الزجاج: تقديره الذى خلق هذه الآيات «إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» أى ان كنتم تقصدون بعبادتكم اللّه فوجهوا العبادة اليه دون الشمس و القمر. ثم قال «فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا» يعنى هؤلاء الكفار أى تكبروا عن توجيه العبادة إلى اللّه و أبوا إلا عبادة الأصنام «فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّکَ» يعنى من الملائكة «يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ» أى لا يفترون من عبادته و لا يملونه. و السجود عند أصحابنا عند قوله «إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» و هو مذهب أبى عمرو بن العلا. و عند الباقين عند قوله «وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ».
ثم قال تعالى «وَ مِنْ آياتِهِ» أى من أدلته الدالة على توحيده و إخلاص العبادة له «أَنَّکَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً» يعنى دارسة مهشمة- فى قول قتادة
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 129
و السدى- و الخاشع الخاضع فكان حالها حال الخاضع المتواضع «فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ» أى تحركت بالنبات «و ربت» قال السدى: معناه انفتحت و ارتفعت قبل ان تنبت. و قرئ «ربأت» بمعنى عظمت، و معنى ربأت ارتفعت- ذكره الزجاج- ثم قال «إِنَّ الَّذِى أَحْياها» يعنى من أحيا الأرض بما أنزله من الماء حتى تنبت «لَمُحْيِ الْمَوْتى» مثل ذلک بعد ان كانوا أمواتاً و يرد فيها الأرواح، لأنه قادر على ذلک. و من قدر على ذلک قدر على هذا، لأنه ليس أحدهما بأعجب من الآخر «إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» يصح أن يكون مقدوراً له، و هو قادر لا تتناهى مقدوراته.
ثم قال «إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى آياتِنا» معناه الذين يميلون عن الحق فى أدلتنا يقال: الحد يلحد إلحاداً. و قيل: لحد يلحد أيضاً. و قال مجاهد: معناه ما يفعلونه من المكاء و الصفير. و قال ابو روق: يعنى الذين يقعون فيه «لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا» بل نعلمهم على التفصيل، لا يخفى علينا شىء من أحوالهم.
ثم قال على وجه الإنكار عليهم و التهجين لفعلهم و التهديد لهم «أَ فَمَنْ يُلْقى فِى النَّارِ» جزاء على كفره و معاصيه «خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِى آمِناً» من عذاب الله جزاء على معرفته بالله و عمله بالطاعات. ثم قال «اعْمَلُوا ما

شِئْتُمْ» و معناه التهديد و إن كان بصورة الأمر، لأنه تعالى لم يخيرنا، و يحببنا أن نفعل ما شئنا، بل نهانا عن القبائح كلها. ثم قال «إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى عالم بأفعالكم لا يخفى عليه شىء منها فيجازيكم بحسبها.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ (41) لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42) ما يُقالُ لَكَ إِلاَّ ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَ ذُو عِقابٍ أَلِيمٍ (43) وَ لَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْ لا فُصِّلَتْ آياتُهُ ءَ أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَ شِفاءٌ وَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (44) وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (45)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 130

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ «أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ» على الخبر حفص و الحلوانى عن هشام و ابن مجاهد عن قنبل فى غير رواية ابن الحمامى عن بكار. الباقون بهمزتين. و حققهما اهل الكوفة إلا حفصاً و روح. و الباقون بتخفيف الأولى و تليين الثانية. و فصل بينهما بألف اهل المدينة إلا ورشاً و ابو عمر. و من قرأ بلفظ الاستفهام أراد الإنكار، فادخل حرف الاستفهام على الف «أعجمى» و هى الف قطع. و من حققها، فلأنها الأصل. و من خففهما او فصل بينهما فلكراهة اجتماع الهمزتين. و من قرأ على الخبر، فالمعنى هلا كان النبى عربياً و القرآن اعجمياً. و النبى اعجمياً و القرآن عربياً، فكان يكون ابهر فى باب الاعجاز.

يقول الله تعالى مخبراً «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ» الذى هو القرآن و جحدوه و سمى القرآن ذكراً، لأنه تذكر به وجوه الدلائل المؤدية إلى الحق، و المعانى التى

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 131

يعمل عليها فيه. و اصل الذكر ضد السهو و هو حضور المعنى للنفس «لَمَّا جاءَهُمْ» أى حين جاءهم، و خبر (ان) محذوف، و تقديره: إن الذين كفروا بالذكر هلكوا به و شقوا به و نحوه. و قيل تقديره: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به، فحذف لدلالة الكلام عليه. و قيل خبره «أُولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ» و قيل قوله «وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ» فى موضع الخبر، و تقديره الكتاب الذى جاءهم عزيز، و قوله «و إنه» الهاء كناية عن القرآن، و المعنى و إن القرآن لكتاب عزيز بأنه لا يقدر احد من العباد على ان يأتى بمثله، و لا يقاومه فى حججه على كل مخالف فيه. و قيل: معناه إنه عزيز بإعزاز الله- عز و جل- إياه إذ حفظه من التغيير و التبديل. و قيل: هو عزيز حيث جعله على أتم صفة الأحكام. و قيل:

معناه انه منيع من الباطل بما فيه من حسن البيان و وضوح البرهان، و لأن أحكامه حق يقضى بصحتها العقل.

و قوله «لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ» قيل فى معناه اقوال خمسة:
أحدها-انه لا تعلق به الشبهة من طريق المشاكلة، و لا الحقيقة من جهة المناقضة و هو الحق المخلص و الذى لا يليق به الدنس.
و الثانى-قال قتادة و السدى: معناه لا يقدر الشيطان أن ينقص منه حقاً و لا يزيد فيه باطلا.
الثالث-ان معناه لا يأتى بشىء يوجب بطلانه مما وجد قبله و لا معه و لا مما يوجد بعده. و قال الضحاک: لا يأتيه كتاب من بين يديه يبطله و لا من خلفه أى و لا حديث من بعده يكذبه.
الرابع-قال ابن عباس: معناه لا يأتيه الباطل من أول تنزيله و لا من آخره.
و الخامس-ان معناه لا يأتيه الباطل فى اخباره عما تقدم و لا من خلفه

و لا عما تأخر.
ثم وصف تعالى القرآن بأنه «تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» فالحكيم هو الذى أفعاله كلها حكمة فيكون من صفات الفعل، و يكون بمعنى العالم بجميع الأشياء و أحكامها فيكون من صفات الذات. و (الحميد) هو المحمود الذى يستحق الحمد و الشكر على جميع أفعاله لان أفعاله كلها نعمة يجب بها الشكر.
و قوله «ما يُقالُ لَکَ إِلَّا ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِکَ» قيل فى معناه اقوال:
أحدها-من الدعاء الى الحق فى عبادة اللّه تعالى و لزوم طاعته.
و الثانى-ما حكاه تعالى بعده من «إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَ ذُو عِقابٍ أَلِيمٍ» فيكون على جهة الوعد و الوعيد.
و الثالث-قال قتادة و السدى:و هو تعزية للنبى صلى الله عليه و آله بأن ما يقول لک المشركون مثل ما قال من قبلهم من الكفار لأنبيائهم من التكذيب و الجحد لنبوتهم.
و قوله «إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَ ذُو عِقابٍ أَلِيمٍ» أى و قد يفعل العقاب بالعصاة من الكفار قطعاً و من الفساق على تجويز عقابهم، فلا ينبغى ان يغتروا و يجب عليهم أن يتحرزوا بترک المعاصى و فعل الطاعات.
ثم قال تعالى «وَ لَوْ جَعَلْناهُ» يعنى الذكر الذى قدم ذكره «قُرْآناً أَعْجَمِيًّا» أى مجموعاً بلغة العجم، يقال: رجل أعجمى إذا كان لا يفصح و إن كان عربى النسب، و عجمى إذا كان من ولد العجم و إن كان فصيحاً بالعربية. قال ابو على:
يجوز ان يقال: رجل أعجمى يراد به أعجم بغير ياء كما يقال: أحمرى و احمر، و دوارى و دوار «لَقالُوا لَوْ لا فُصِّلَتْ آياتُهُ» و معناه هلا فصلت آياته و ميزت. و قالوا «أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ» أى، قالوا القرآن أعجمى و محمد عربى- ذكره سعيد بن جبير- و قال السدى: قالوا اعجمى و قوم عرب. و من قرأ

على الخبر حمله على أنهم يقولون ذلک التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 133
مخبرين. و من قرأ على الاستفهام أراد انهم يقولون ذلک على وجه الإنكار، و إنما قوبل الأعجمى فى الآية بالعربى، و خلاف العربى العجمى لان الأعجمى فى انه لا يبين مثل العجمى عندهم من حيث اجتمعا فى انهما لا يبينان، قوبل به العربى فى قوله «أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ» و حكى ان الحسن قرأ «اعجمى» بفتح العين قابل بينه و بين قوله «و عربى» فقال اللَّه تعالى لنبيه «قل» لهم يا محمد «هو» يعنى القرآن «لِلَّذِينَ آمَنُوا» باللَّه و صدقوا بتوحيده و أقروا بنبوة نبيه «هدى» يهتدون به «و شفاء» من سقم الجهل «وَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ» باللَّه و لا يصدقون بتوحيده «فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ» يعنى ثقل إذ هم بمنزلة ذلک من حيث لم ينتفعوا بالقرآن فكأنهم صم او فى آذانهم ثقل «وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى» حيث ضلوا عنه و جاروا عن تدبيره فكأنه عمى لهم. و قوله «أُولئِکَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ» على وجه المثل، فكأنهم الذين ينادون من مكان بعيد و يسمعوا الصوت و لا يفهموا المعنى من حيث لم ينتفعوا به، و قال مجاهد: لبعده عن قلوبهم. و قال الضحاک: ينادون الرجل فى الآخرة كبأشنع أسمائه، و قيل: معناه أولئک لا يفهمون ذلک كما يقال لمن لا يفهم شيئاً:
كبأنک تنادى من مكان بعيد.
ثم اقسم تعالى بأنه آتى «مُوسَى الْكِتابَ» يعنى التوراة «فَاخْتُلِفَ فِيهِ» لأنه آمن به قوم و جحدوه آخرون، تسلية للنبى صَلى الله عليه و آله عن جحود قومه و إنكارهم نبوته. ثم قال «وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ» فى انه لا يعاجلهم بالعقوبة و انه يؤخرهم إلى يوم القيامة «لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» أى لفصل بينهم بما يجب من الحكم.
ثم اخبر عنهم فقال «وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَکٍّ مِنْهُ» يعنى مما ذكرناه «مريب» يعنى أقبح الشک لأن الريب أفظع الشک، و فى ذلک دلالة على جواز الخطأ على اصحاب المعارف لأنه تعالى بين انهم فى شک و انهم يؤاخذون مع ذلک.

مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها وَ ما رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ (46) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ ما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ أَكْمامِها وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَ لا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائِي قالُوا آذَنَّاكَ ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (47) وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَ ظَنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (48) لا يَسْأَمُ الْإِنْسانُ مِنْ دُعاءِ الْخَيْرِ وَ إِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ (49) وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هذا لِي وَ ما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ (50)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل المدينة و ابن عامر و حفص «ثمرات» على الجمع. الباقون «ثمرة» على التوحيد من قرأ على الجمع فلاختلاف أجناس الثمار، و لأنه فى المصاحف مكتوباً بتاء ممدودة. و من وحده قال: الثمرة تفيد الجمع و التوحيد فلا يحتاج إلى الجمع، لأنه فى مصحف عبد اللّه مكتوب بالهاء، و «الأكمام» جمع (كم) فى قول الفراء، و (كمة) فى قول أبى عبيدة. و هى الكفرى، قال ابن خالويه: يجوز أن يكون (الأكمام) جمع (كم) و (كم) جمع كمة، فيكون جمع الجمع. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 135

يقول اللّه تعالى «مَنْ عَمِلَ صالِحاً» أى فعل افعلا هى طاعة «فَلِنَفْسِهِ» لان ثوابه واصل اليه، و هو المنتفع به دون غيره «وَ مَنْ أَساءَ» يعنى فعالا فعلا قبيحاً، من الاساءة إلى غيره او غيرها «فعليها» أى فعلى نفسه لأن و بال ذلك و عقابه يلحقه دون غيره.

ثم قال تعالى على وجه النفى عن نفسه ما لا يليق به من فعل القبيح و التمدح به «و ما ربك» أى و ليس ربك «بظلام للعبيد» و إنما قال (بظلام) على وجه المبالغة فى نفى الظلم عن نفسه مع انه لا يفعل مثقال ذرة لأمرين:

أحدهما-انه لو فعل فاعل الظلم، و هو غير محتاج اليه مع علمه بقبحه و بأنه غنى لكان ظلاماً، و ما هو تعالى بهذه الصفة لأنه غنى عالم.

الثانى-إنه على طريق الجواب لمن زعم انه يفعل ظلم العباد. فقال: ما هو بهذه الصفة التى يتوهمها الجهال، فيأخذ احداً بذنب غيره، و الظلام هو الفاعل لما هو من افحش الظلم. و الظالم من فعل الظلم، و ظالم صفة ذم، و كذلك قولنا فاعل الظلم هما سواء، و كذلك آثم فاعل الإثم، و سىء فاعل الاساءة.

و قوله «إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ» معناه اليه يرد علم الساعة التى يقع فيها الجزاء للمطيع و العاصى فاحذروها قبل ان تأتى، كما يرد اليه علم إخراج

الثمار و ما يكون من الأولاد و النتاج، فذاک غائب عنكم و هذا مشاهد لكم، و قد دل عليه و لزم، و كل من سئل متى قيام الساعة؟ وجب أن يقول: اللَّه تعالى العالم به حتى يكون قد ردّه إلى اللَّه «و ما يخرج من ثمرة من أكمامها» معناه و عنده علم ذلک. و أكمام الثمرة وعاؤها الذى تكون فيه. و قيل: الأكمام جمع كمة، و هو الطرف المحيط بالشىء. و قال الحسن: الأكمام- هاهنا- ليف النخيل. و قيل: مِنْ أَكْمامِها معناه خروج الطلع من قشره «وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَ لا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ» أى و عنده التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 136
تعالى علم ما تحمله كل أنثى من حمل ذكراً كان او أنثى و لا تضع الأنثى إلا بعلمه أى إلا فى الوقت الذى علمه انه تضع فيه.
و قوله (وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائِى) أى و يوم يناديهم مناد اين شركاء اللَّه الذين كنتم تعبدونهم من دون اللَّه (قالُوا آذَنَّاکَ ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ) معناه إنهم يقولون أعلمناک ما منا من شهيد لمكانهم. ثم بين ذلک فقال (وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَ ظَنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) قال السدى: معناه أيقنوا و قال ابن عباس أذناک معناه أعلمناک. و قيل المنادى هو اللَّه تعالى، و قال السدى:
ما منا من شهيد ان لک شريكاً.و قيل:معناه أذناک أقررنا لک ما منا من شهيد بشريک له معک. و قيل قوله أذناک من قول المعبودين ما منا من شهيد لهم بما قالوا:
و قيل هذا: من قول العابدين ما منا من شهيد بأنهم آلهة. و قال آخرون: يجوز ان يكون العابدون و المعبودون يقولون ذلک.
و قوله (وَ ظَنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) أى أيقنوا ليس لهم من مخلص.
و دخل الظن على (ما) التى للنفى كما تدخل (علمته) على لام الابتداء، و كلاهما له صدر الكلام.
و قوله (لا يَسْأَمُ الْإِنْسانُ مِنْ دُعاءِ الْخَيْرِ) أى لا يمل الإنسان من طلب المال و صحة الجسم- و هو قول ابن زيد- و قال بعضهم: معناه لا يمل الإنسان من الخير الذى يصيبه (و إن مسه الشر) أى إن ناله بذهاب مال او سقم فى جسمه (فيؤس قوط) أى يقنط من رحمة اللَّه و ييأس من روحه، ففى ذلک إخبار عن سرعة تحول الإنسان و تنقله من حال الى حال. ثم قال تعالى (وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنَّا) يعنى لئن أذقنا الإنسان نعمة و أنلناه إياها (مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ) أى من بعد شدة لحقته (لَيَقُولَنَّ هذا لِى) قال مجاهد: يقول أنا حقيق بهذا الفعل (وَ ما التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 137
أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلى رَبِّى إِنَّ لِى عِنْدَهُ لَلْحُسْنى)
أى لو قامت لكان لى الحسنى يعنى الجنة. فقال اللَّه تعالى على وجه التهديد لمن هذه صفته (فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ

عَذابٍ غَلِيظٍ) أى فلنجزين الكفار بعد ان نعلمهم ما عملوه من كفرهم و معاصيهم ثم نجازيهم عليها بأن نذيقهم من عذاب غليظ قدر ما يستحقونه.

وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَ نَأى بِجانِبِهِ وَ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ (51) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقاقٍ بَعِيدٍ (52) سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53) أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (54)

أربع آيات بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى عن جهل الإنسان الذى تقدم وصفه بمواضع نعم اللَّه و ما يجب عليه من الاعتراف بشكره، بتركه النظر المؤدى إلى معرفته، فقال (وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ) بنعمة من إعطاء مال او ولد أو صحة جسم (اعرض) عن القيام بشكر اللَّه على ذلک حسب ما يلزمه (وَ نَأى بِجانِبِهِ) أى بعد بجانبه كبراً و تجبراً عن الاعتراف بنعم اللَّه. و قيل: معناه و بعد عن الواجب (و إذا مسه الشر) يعنى إذا ناله مرض او مصيبة فى مال او نفس (فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ) قال السدى يدعو التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 138

اللَّه كثيراً عند ذلک. و إنما قال (فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ) و لم يقل: طويل، لأنه ابلغ، لان العرض يدل على الطول، و لا يدل الطول على العرض إذ قد يصح طويل و لا عرض له. و لا يصح عريض و لا طول له، لان العرض الانبساط فى خلاف جهة الطول، و الطول الامتداد فى أى جهة كان.

و فى الآية دلالة على بطلان قول المجبرة: انه ليس للَّه على الكافر نعمة، لأنه اخبر تعالى بأنه ينعم عليه و انه يعرض عن موجبها من الشكر و فى دعائه عند الشدة حجة عليه، لأنه يجب من اجل قلة صبره على الشدة ان يشكر برفعها عنه إلى النعمة، فقال اللَّه تعالى لهم على وجه الإنكار عليهم (قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كانَ) هذه النعمة (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ) أى و جحدتموه (مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقاقٍ بَعِيدٍ) أى فى مشاقة اللَّه بخلافه له بعيد عن طاعته. و الشقاق الميل إلى شق العداوة لا لأجل الحق كأنه قال لا احد أضل ممن هو فى شقاق بكفره، و به يذم من كان عليه، كما

قال على عليه السلام (يا اهل العراق يا اهل الشقاق و النفاق و مساوئ الأخلاق)

و قيل: الشقاق فراق الحق إلى العداوة و أهله.

و قوله (سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ) معناه إن الدلائل فى آفاق السماء بسير النجوم و جريان الشمس و القمر فيها بأتم التدبير، و فى أنفسهم جعل كل شىء لما يصلح له من آلات الغذاء و مخارج الأنفاس، و مجارى الدم، و موضع العقل و الفكر، و سبب الافهام، و آلات الكلام. و قال

السدى: آياتنا فى الآفاق بصدق ما يخبر به النبى صلى الله عليه و آله من الحوادث عنها. و فى ما يحدث من أنفسهم، و إذا رأوا ذلک تبينوا و علموا أن خبره حق، و انه من قبل اللّه تعالى.
و قوله (أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ) أى هو عالم لجميع ذلک و الباء زائدة، و التقدير او لم يكف ربک انه عالم بجميع الأشياء. و المعنى أ
ليس فى التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 139
اللّه كفاية فى معاقبة هؤلاء الكفار على كفرهم إذ كان عالماً بكل شىء مشاهداً لجميع ما يفعلونه قادراً على مجازاتهم عليه، و كما انه شهيد على ذلک هو شهيد على جميع الحوادث و مشاهد لجميعها و عالم بها لا يخفى عليه شىء من موضعها.
و قوله (إنه) يحتمل ان يكون موضعه رفعاً ب (يكف) و يحتمل ان يكون جراً بالباء. و تقديره بأنه على كل شىء شهيد.
ثم قال (أَلا إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ) أى هم فى شک من لقاء ثواب ربهم و عقابه، لأنهم فى شک من البعث و النشور (أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُحِيطٌ) أى هو عالم بكل شىء قادر عليه.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 140

اشارة

مكية فى قول قتادة و مجاهد، و ليس فيها ناسخ و لا منسوخ، و هى ثلاث و خمسون آية فى الكوفى، و خمسون فى البصرى و المدنيين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
حم (1)عسق (2)كَذلِكَ يُوحِى إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) لَهُ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ (4) تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَ الْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِى الْأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (5)
خمس آيات فى الكوفى و ثلاث فى ما عداه عد الكوفيون (حم) و عدوا (عسق) و لم يعده الباقون.
قال ابو عبد اللَّه بن خالويه سألت ابن مجاهد، فقلت: إن القاف أبعد من الميم، فلم اظهر حمزة النون عند الميم فى (طسم) و لم يظهرها عند القاف فى (عسق) فقال و اللَّه ما فكرت فى هذا قط، قال ابو عبد اللَّه الحجة فى ذلک ان (طسم) أول سورة النمل ثم جاءت سورتان فيهما الميم، فبين ليعلم ان الميم زائدة على هجاء التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 141
السين و اتفق اهل الكوفة على ان لم يفردوا السين بين حرفين فى الكلام هذا على الأصل. و اما الحجة من جهة التخفى، فان النون تدغم فى الميم و تخفى عند القاف و المخفى بمنزلة المظهر، فلما كره التشديد فى (طسم) أظهروا لما كان المخفى بمنزلة الظاهر و لم يحتج إلى اظهار القاف، قال الفراء: ذكر عن ابن عباس انه قال (حمسق) بلا عين. و قال السين كل فرقة تكون. و القاف كل جماعة كانت، قال الفراء و كانت فى بعض مصاحف عبد اللَّه مثل ذلک. و قرأ ابن كثير وحده (يوحى اليک) بفتح الحاء على ما لم يسم فاعله، فعلى هذا يكون اسم اللَّه مرتفعاً بمحذوف يدل عليه المذكور قال الشاعر:
ليبک يزيد ضارع لخصومة و مختبط مما تطيح الطوائح «1»
أى يبكيه ضارع، فيكون التقدير يوحى اليک يوحى اللَّه. قال ابو على: ذكر أن مثل هذه السورة أوحى إلى من تقدم من الأنبياء، فعلى هذا يكون التقدير يوحى اليک هذه السورة كما اوحى إلى الذين، و قال الزجاج، و الفراء: يقال إن (حمعسق) او حيت إلى كل نبى كما أوحيت إلى محمد صلى اللَّهُ عليه و آله قال ابن عباس: و بها كان على عليه السلام يعلم الفتن. و قرأ الباقون يوحى- بكسر الحاء- فيكون على هذا اسم اللَّه مرتفعاً بأنه فاعل (يوحى) و قد قرئ شاذاً (نوحى) بالنون مع كسر الحاء فعلى هذا يحتمل رفع اسم الله لوجهين:
أحدهما- ان يكون رفعاً بالابتداء.
و الثانى- ان يكون مرتفعاً بفعل مقدر يدل عليه (يوحى) الأول، كما قلناه

فى من فتح الحاء. و يجوز أن يكون بدلا من الضمير. و يجوز أن يجعل اسم الله خبر ابتداء محذوف، و تقديره هو الله العزيز الحكيم. و قرا ابو عمرو و عاصم فى

_____

(1) مر هذا البيت فى 4/ 310 و 6/ 329 و 7/ 440

رواية أبى بكر (يكاد) بالياء (ينفطرن) بالياء و النون، لأن تأنيث السموات غير حقيقى، و قد تقدم الفعل و لذلک أتت (يتفطرن) لما تأخر الفعل عن السموات و قرأ ابن كثير و ابن عامر و حمزة فى رواية حفص (تكاد) بالتاء لتأنيث السموات (و ينفطرن) بالياء و النون لما قدمناه. و قرأ نافع و الكسائى (يكاد) بالياء لما قلناه من ان التأنيث غير حقيقى (يتفطرن) بياء، و تاء و (يتفطرن) فى معنى تنفطر و هو مضارع فطرته فتفطر و فطرته بالتخفيف فانفطر، و معنى يتفطرن يتشققن.

قيل إنما عدوا (حم)و (عسق) آية و لم يعد (طس) لأن (طس) لما انفرد عن نظيره من (طسم) فأشبه الاسم حمل عليه، و لما لم ينفرد (حم) عن نظيره جرى عليه حكم الجملة التامة التى تعد آية من اجل انها آية. فلما اجتمع فى (طس) الانفراد عن النظير و أشبه (قابيل) و كل واحد من هذين الوجهين يقتضى مخالفة حكم (طسم) وجب الخلاف. و أما انفراد (حاميم) بالزنة فقط، لم يجب الخلاف كما وجب فى ما اجتمع فيه سببان. و فى (حم) من الفائدة تعظيم الله- عز و جل- السورة و تسميتها و تشريفاً لها و تنويهاً باسمها و إجراؤها فى التفصيل مجرى ما يعقل فى فضله على ما لا يعقل من الأجسام و الاعراض. و قيل ان (حم عسق) انفردت بأن معاينها أوحيت إلى سائر الأنبياء، فلذلک خصت بهذه التسمية. و قيل إنما فصل (حم عسق) من سائر الحواميم ب (عسق) لان جميعها استفتح بذكر الكتاب على التصريح به إلا هذه السورة فانه دل عليه دلالة التضمين بذكر الوحى الذى يرجع إلى الكتاب، و الوحى أعم من الكتاب فى معناه إلا انه دال فى هذا الموضع على الكتاب بهذه الصفة.

و قوله (كَذلِکَ يُوحِى إِلَيْکَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِکَ) قيل فى المشبه به فى قوله (كذلک) وجهان:

أحدهما- كالوحى الذى تقدم يوحى اليک.

و الثانى- هذا الوحى الذى يأتى فى هذه السورة يوحى اليک، لان ما لم يكن حاضراً يراه صلح فيه (هذا) لقرب وقته و (ذلک) لبعده فى نفسه، و معنى التشبيه فى (كذلک) أن بعضه كبعض فى انه حكمة و صواب بما تضمنه من الحجج و المواعظ و الفوائد التى يعمل عليها فى الدين (وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِکَ) معناه مثل ذلک اوحى إلى الذين من قبلک من الأنبياء و تعبدهم بشريعة كما تعبدک بمثل ذلک.

و قوله (العزيز الحكيم) معناه القادر الذى لا يغالب الحكيم فى جميع أفعاله.
و من كان بهاتين الصفتين خلصت له الحكمة فى كل ما يأتى به، لأنه العزيز الذى لا يغالب و الغنى الذى لا يحتاج إلى شىء، و لا يجوز أن يمنعه مانع مما يريده، و هو الحكيم العليم بالأمور لا يخفى عليه شىء منها لا يجوز أن يأتى إلا بالحكمة. فاما الحكيم غيره يحتاج فلا يوثق بكل ما يأتى به إلا أن يدل على ذلک الحكمة دليل.
قوله (لَهُ ما فِى السَّماواتِ وَ (ما فِى) الْأَرْضِ) معناه أنه مالكهما و مدبرهما و له التصرف فيهما و لا احد له منعه من ذلک و يكون (العلى) مع ذلک بمعنى المستعلى على كل قادر العظيم فى صفاته التى لا يشاركه فيها احد.
و قوله (تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس و قتادة و الضحاک: يتفطرن من فوقهن من عظمة اللَّه و جلاله.
و الثانى- ان السموات تكاد تتفطرن من فوقهن استعظاماً للكفر باللَّه و العصيان له مع حقوقه الواجبة على خلقه، و ذلک على وجه التمثيل ليس لأن السموات تفعل شيئاً او تنكر شيئاً، و إنما المراد ان السموات لو انشقت لمعصيته استعظاماً لها أو لشىء من الأشياء لتفطرت استعظاماً لكفر من كفر باللَّه و عبد التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 144
معه غيره.
و قوله (الْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) معناه ينزهونه عما لا يجوز عليه من صفات، و ما لا يليق به من أفعال (وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِى الْأَرْضِ) من المؤمنين. و فى ذلک صرف الإهلاک لهم و لغيرهم من اهل الأرض يصرفه عنهم.
ثم قال (أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) لعباده عصيانهم تارة بالتوبة و تارة ابتداء منه كل ذلک تفضلا منه و رأفة بهم و رحمة لهم.

وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (6) وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَ مَنْ حَوْلَها وَ تُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (7) وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمُونَ ما لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (8) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَ هُوَ يُحْيِ الْمَوْتى وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (9) وَ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ (10)

خمس آيات بلا خلاف.

هذا اخبار من اللّه تعالى (وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ) يعنى الكفار الذين اتخذوا الأصنام آلهة و وجهوا عبادتهم اليها. و جعلوهم أولياء لهم و انصاراً

من دونه. و إنما قال (من دونه) لان من اتخذ ولياً بأمر اللّه لم يتخذه من دون اللّه.

و قوله (اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ) أى حافظ عليهم أعمالهم و حفيظ عليها بأنه لا يعزب عنه شىء منها، و انه قد كتبها فى اللوح المحفوظ مظاهرة فى الحجة عليهم و ما هو اقرب إلى افهامهم إذا تصوروها مكتوبة لهم و عليهم.

و قوله (وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) معناه إنك لم توكل بحفظ أعمالهم، فلا يظن ظانٌ هذا، فانه ظن فاسد و إنما بعثك اللّه نذيراً لهم و داعياً إلى الحق و مبيناً لهم سبيل الرشاد. و قيل: معناه إنك لم توكل عليهم أى تمنعهم من الكفر باللّه، لأنه قد يكفر من لا يتهيأ له منعه من كفره بقتله.

و قوله (وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيًّا) معناه مثل ما أوحينا إلى من تقدمك من الأنبياء بالكتب التى أنزلناها عليهم أوحينا اليك ايضاً قرآناً عربياً لتنذر أم القرى أى لتخوفهم بما فيه من الوعيد و تبشرهم بما فيه من الوعد.

قال السدى: أم القرى مكة و التقدير لتنذر اهل أم القرى (وَ مَنْ حَوْلَها) من سائر الناس. و سميت أم القرى، لأنه

روى أن اللّه تعالى دحا الأرض من تحت الكعبة

قال المبرد: كانت العرب تسمى مكة أم القرى (و من حولها) و من يطيف بها (وَ تُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ) معناه و تخوفهم يوم الجمع أيضاً، و نصب (يوم) لأنه مفعول ثان و ليس بظرف، لأنه ليس ينذر فى يوم الجمع، و إنما يخوفهم عذاب اللّه يوم الجمع.

و قيل هو يوم القيامة (لا ريب فيه) أى لا شك فيه و فى كونه.

ثم قسم اهل يوم القيامة فقال (فريق) منهم (فى الجنة) بطاعتهم (و فريق) منهم (فى السعير) جزاء على معاصيهم. ثم قال (وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ

لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً) معناه الاخبار عن قدرته بأنه لو شاء ان يلجئهم إلى الايمان و دين الإسلام، لكان التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 146
قادراً على ذلک و فعله، لكن ذلک يبطل الغرض بالتكليف و هو ان يفعلوا العبادة على وجه يستحقون بها الثواب، و مع الإلجاء لا يمكن ذلک، فلذلک لم يشأ ذلک.
فالآية تفيد قدرته على الإلجاء و تأتىّ ذلک. ثم قال (وَ لكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِى رَحْمَتِهِ) أى يدخلهم فى الجنة و ثوابها من يشاء منهم إذا أطاعوا و اجتنبوا معاصيه و بين أن (الظالمون) نفوسهم بارتكاب معصية اللَّه (ما لَهُمْ مِنْ وَلِىٍّ) يواليهم (و لا نصير) يمنعهم من عذاب اللَّه إذا أراد فعله بهم جزاء على معاصيهم، ثم قال (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ) معناه بل هؤلاء الكفار اتخذوا من دون اللَّه أولياء من الأصنام و الأوثان يوالونهم و ينصرونهم. ثم قال (فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِىُّ) معناه المستحق فى الحقيقة للولاية و التقرب اليه هو اللَّه تعالى دون غيره (وَ هُوَ يُحْيِ الْمَوْتى وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) يصح ان يكون مقدوراً له قادر. و من كان بهذه الصفة فهو الذى يجب ان يتخذ ولياً.
و قوله (وَ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَىْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) معناه إن الذى تختلفون فيه من أمر دينكم و دنياكم و تتنازعون فيه (فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) يعنى أنه الذى يفصل بين المحق فيه و بين المبطل، لأنه العالم بحقيقة ذلک، فيحكم على المحق باستحقاق الثواب و على المبطل باستحقاق العقاب.
و قيل: معناه فحكمه إلى اللَّه، لأنه يجب ان يرجع إلى أمره فى الدنيا و فصل القضاء فى الآخرة. ثم قال لنبيه قل لهم (ذلِكُمُ) الذى وصفته من أنه يحيى الموتى و هو على كل شىء قدير (هو اللَّه ربى) و مدبرى (عليه توكلت) بمعنى فوضت أمرى اليه و أسندت ظهرى اليه (و اليه أنيب) أى ارجع اليه فى جميع أمورى و احوالى.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 147

فاطِرُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً وَ مِنَ الْأَنْعامِ أَزْواجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (12) شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13) وَ ما تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (14) فَلِذلِكَ فَادْعُ وَ اسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَ قُلْ آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتابٍ وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنا وَ رَبُّكُمْ لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنا وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15)

خمس آيات بلا خلاف.

لما قال اللّه تعالى لنبيه صلى اللّهُ عليه و آله قل لهم الذى وصفته بأنه الذى يحيى و يميت التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 148

هو ربى و اليه ارجع فى أمورى كلها، زاد فى صفاته تعالى (فاطِرُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) أى هو فاطر السموات، و معنى فاطر خالق السموات ابتداء. و حكى عن ابن عباس انه قال لم أكن أعرف معنى (فاطر) حتى تحاكم إلي أعرابيان فى بئر فقال أحدهما انا فطرته بمعنى أنا ابتدأته، و الفطر ايضا الشق. و منه قوله تعالى (تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ) و قوله (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً) يعنى اشكالا مع كل ذكر أنثى يسكن اليها و يألفها. و من الأنعام أزواجاً من الضان اثنين و من المعز اثنين و من البقر اثنين و من الإبل اثنين، ذكوراً و إناثاً و وجه الاعتبار بجعل الأزواج ما فى ذلك من إنشاء الشىء حالا بعد حال على وجه التصريف الذى يقتضى الاختيار، و جعل الخير له أسباب تطلب كما للشر أسباب تجتنب، فجعل لكل حيوان زوجاً من شكله على ما تقتضيه الحكمة فيه.

و قوله (يذرؤكم فيه) أى يخلقكم و يكثركم فيه يعنى فى التزويج و فى ما حكم فيه. و قال الزجاج و الفراء: معناه يذرؤكم به أى بما جعل لكم أزواجاً و انشد الازهرى قول الشاعر يصف امرأة:

و ارغب فيها عن لقيط و رهطه و لكننى عن سنبس لست ارغب «1»

أى ارغب بها عن لقيط. فالذرء إظهار الشىء بإيجاده يقال: ذرأ اللّه الخلق يذرؤهم ذرءاً و أصله الظهور، و منه ملح ذرآنى لظهور بياضه. و الذرية لظهورها ممن هى منه. و قوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) قيل فى معناه ثلاثة

اقوال:
أحدها- إن الكاف زائدة و تقديره ليس مثل اللَّه شىء من الموجودات و لا المعدومات كما قال أوس بن حجر:

---

(1)مر فى 6/ 278

و قتلى كمثل جذوع النخيل يغشاهم سيل منهمر «1»
و قال آخر:
سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ما كمثلهم فى الناس من احد «2»
و قال الراجز:
و صاليات ككما توثقين «3»
الثانى- قال الرمانى: إنه بلغ فى نفى الشبيه إذا نفى مثله، لأنه يوجب نفى الشبهة على التحقيق و التقدير، و ذلک انه لو قدر له مثل لم يكن له مثل صفاته و لبطل ان يكون له مثل و لنفرده بتلک الصفات، و بطل ان يكون مثلا له فيجب أن يكون من له مثل هذه الصفات على الحقيقة لا مثل له أصلا إذ لو كان له مثل لم يكن هو بصفاته و كان ذلک الشىء الآخر هو الذى له تلک الصفات، لأنها لا تصح إلا لواحد فى الحقيقة و هذا لا يجوز أن يشبه بشبه حقيقة، و لا بلاغة فوجب التبعيد من الشبه لبطلان شبه الحقيقة.
الثالث- وجه كان المرتضى على بن الحسين الموسوى (رحمة اللَّه عليه) جارانا فيه فاتفق لى بالخاطر وجه قلته فاستحسنه و استجاده، و هو ان لا تكون الكاف زائدة و يكون المعنى انه نفى ان يكون لمثله مثل و إذا ثبت انه لا مثل لمثله فلا مثل له ايضاً. لأنه لو كان له مثل لكان له أمثال، لأن الموجودات على ضربين:
أحدهما- لا مثل له، كالقدرة فلا أمثال لها ايضاً. و الثانى- له مثل كالسواد و البياض و اكثر الأجناس فله أمثال ايضاً و ليس فى الموجودات ماله مثل واحد فحسب، فعلم بذلک ان المراد انه لا مثل له أصلا من حيث لا مثل لمثله.
و قوله (وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) معناه انه على صفة يجب ان يسمع المسموعات

(1، 2، 3)تفسير الطبرى 25/ 8 و القرطبى 16/ 8 و الشوكانى 4/ 514

إذا وجدت و يبصر المبصرات إذا وجدت و ذلک يرجع إلى كونه حياً لا آفة به، و فائدة ذكره- هاهنا- هو انه لما نفى ان يكون له شبه على وجه الحقيقة و المجاز، و على وجه من الوجوه بين انه مع ذلک سميع بصير، لئلا يتوهم نفى هذه الصفة له على الحقيقة فقط، فانه لا مدحة فى كونه مما لا مثل له على

الانفراد، لان القدرة لا مثل لها، و إنما المدحة فى انه لا مثل له مع كونه سميعاً بصيراً، و ذلک يدل على التفرد الحقيقى.
و قوله (لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) معناه له مفاتيح الرزق منها بانزال المطر من السماء و استقامة الهواءَ فيها و إنبات الثمار و الأقوات من الأرض. ثم قال (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ) أى يوسعه له (و يقدر) أى يضيق لمن يشاء ذلک على ما يعلمه من مصالحهم (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) مما يصلحهم او يفسدهم.
ثم خاطب تعالى خلقه فقال (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً) معنى شرع بين و أظهر، و هو (الَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْکَ) يا محمد صلى اللَّهُ عَليه و آله و هو (ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسى) و سائر النبيين، و هو أنا أمرناهم بعبادة اللَّه و الشكر له على نعمه و طاعته فى كل واجب و ندب مع اجتناب كل قبيح، و فعل ما أمر به مما أدى إلى التمسک بهذه الأصول مما تختلف به شرائع الأنبياء.
ثم بين ذلک فقال (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) و موضع (ان أقيموا) يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب:
أحدها-ان يكون نصباً بدلا من (ما) فى (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً).
الثانى-ان يكون جراً بدلا من الهاء فى (به).
الثالث-ان يكون رفعاً على الاستئناف، و تقديره هو ان أقيموا الدين.
و قوله (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) معناه كبر عليهم و استعظموا كونک التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 151
داعياً إلى اللَّه، و دعاؤک يا محمد و أنت مثلهم بشر و من قبيلتهم إنک نبى، و ليس لهم ذلک، لان اللَّه يجتبى لرسالته من يشاء على حسب ما يعلم من قيامه بأعباء الرسالة و تحمله لها، فاجتباک اللَّه تعالى كما اجتبى موسى و من قبلک من الأنبياء، و معنى (يجتبى) يختار. و قوله (وَ يَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) معناه و يهديه إلى طريق الثواب و يهدى المؤمنين الذين أنابوا اليه و أطاعوه. و قيل: يهديه إلى طريق الجنة و الصواب بأن يلطف له فى ذلک إذا علم ان له لطفاً، ثم قال (وَ ما تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ) و معناه إن هؤلاء الكفار لم يختلفوا عليک إلا بعد أن أتاهم طريق العلم بصحة نبوتک، فعدلوا عن النظر فيه بغياً بينهم للحسد و العداوة و الحرص على طلب الدنيا و إتباع الهوى. و قيل: إن هؤلاء لم يختلفوا إلا عن علم بأن الفرقة ضلالة، لكن فعلوا ذلک للبغى.
ثم قال (وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ) بأن اخبر بأنه يبعثهم (إلى أجل مسمى) ذكر انه يبقيهم اليه لم يجز مخالفته، لأنه يصير كذباً (لقضى بينهم) أى لفصل بينهم الحكم و انزل عليهم ما يستحقونه من العذاب عاجلا. ثم قال (وَ إِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) قال السدى: يعنى اليهود و

النصارى َ من بعد الذَين أورثوا الكتاب الذى هو القرآن (لَفِى شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) أى من الدين، و قال غيره: الذين أورثوا الكتاب من بعد اليهود و النصارى فى شك من الدين مريب، و هم الذين كفروا بالقرآن و شكوا فى صحته و انه من عند اللّه من سائر الكفار و المنافقين.
و قوله (فَلِذلِكَ فَادْعُ وَ اسْتَقِمْ) معناه فالى ذلک فادع، كما قال (بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحى لَها) «1» أى اوحى اليها يقال دعوته لذا و بذا و إلى ذا. و قيل:

---

(1)سورة 99 الزلزال آية 5

معناه فلذلک الدين فادع. و قيل: معناه فلذلک القرآن فادع. و الاول احسن و أوضح و قوله (وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ) نهى للنبى صَلى اللّهُ عَليه و آله عن إتباع ما هو به المشركون و المراد به أمته. و قيل: ثلاث من كن فيه نجا: العدل فى الرضا و الغضب، و القصد فى الغنى و الفقر، و الخشية فى السر و العلانية. و ثلاث من كن فيه هلک: شح مطاع، و هوى متبع، و عجب المرء بنفسه.
و قوله (وَ قُلْ آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتابٍ) أى قل لهم صدقت بما انزل اللّه من القرآن و بكل كتاب أنزله اللّه على الأنبياء قبلى (وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ). و قيل فى معناه قولان: أحدهما- أمرت بالعدل. و الثانى- أمرت كى اعدل. و قل لهم أيضاً (اللَّهُ رَبُّنا وَ رَبُّكُمْ) أى مدبرنا و مدبركم و مصرفنا و مصرفكم (لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ) و معناه أن جزاء أعمالنا لنا من ثواب او عقاب و جزاء أعمالكم لكم من ثواب او عقاب، لا يؤاخذ احد بذنب غيره، كما قال (وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى) «1» (لا حُجَّةَ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ) أى لا خصومة بيننا- فى قول مجاهد و ابن زيد- أى قد ظهر الحق فسقط الجدال و الخصومة. و قيل: معناه إن الحجة لنا عليكم لظهورها، و ليست بيننا بالاشتباه و الالتباس. و قيل: معناه لا حجة بيننا و بينكم لظهور أمركم فى البغى علينا و العداوة لنا و المعاندة، لا على طريق الشبهة، و ليس ذلک على جهة تحريم إقامة الحجة، لأنه لم يلزم قبول الدعوة إلا بالحجة التى يظهر بها الحق من الباطل فإذا صار الإنسان إلى البغى و العداوة سقط الحجاج بينه و بين اهل الحق. ثم قال (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنا وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) أى المرجع حيث لا يملک احد الحكم فيه و لا الأمر و النهى غيره، فيحكم بيننا بالحق. و فى ذلک غاية التهديد. و قيل: إن

---

(1) سورة 6 الانعام آية 164 و سورة 17 الإسراء آية 15 و سورة 35 آية فاطر آية 18 و سورة 39 الزمر آية 7

ذلک كان قبل الأمر بالقتال و الجهاد.

وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ (16) اللَّهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِيزانَ وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (17) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِها وَ الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْها وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِى السَّاعَةِ لَفِى ضَلالٍ بَعِيدٍ (18) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ (19) مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ وَ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (20)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى إن (الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِى اللَّهِ) أى يجادلون فى اللَّه بنصرة مذهبهم (مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ) و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- من بعد ما استجاب له الناس لظهور حجته بالمعجزات التى أقامها اللَّه- عز و جل- و الآيات التى أظهرها اللَّه فيه، لأنهم بعد هذه الحال فى حكم المعاندين بالبغى و الحسد. قال مجاهد: كانت محاجتهم بأن قالوا: كتابنا قبل كتابكم، و نبينا قبل نبيكم، و نحن أولى بالحق منكم، فلذلك قال اللَّه تعالى «حُجَّتُهُمْ التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 154

داحِضَةٌ»

لأن ما ذكروه لا يمنع من صحة نبوة نبينا بأن ينسخ اللَّه كتابهم و ما شرعه النبى الذى كان قبله.

و الثانى- معناه من بعد ما استجيب للنبى دعاءه بالمعجزات التى أجاب اللَّه تعالى دعاءه فى إقامتها له. قال الجبائى: أجاب اللَّه تعالى دعاءه فى كفار بدر حتى قتلهم اللَّه بأيدى المؤمنين، و أجاب دعاءه عليهم بمكة و على مضر من القحط و الشدائد التى نزلت بهم، و ما دعا به من إنجاء اللَّه المستضعفين من أيدى قريش فأنجاهم اللَّه و خلصهم من أيديهم و غير ذلك مما يكثر تعداده، فقال الله تعالى «حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ» و هى شبهة، و إنما سماها حجة- على اعتقادهم- فلشبهها بالحجة أجرى عليها اسمها من غير اطلاق الصفة بها، و (داحضة) معناه باطلة «عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ» من اللَّه أى لعن و استحقاق عقاب و الاخبار به عاجلا «و لهم» مع ذلك «عذاب شديد» يوم القيامة.

و قوله تعالى «اللَّهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتابَ» يعنى القرآن «بِالْحَقِّ وَ الْمِيزانَ» فقوله «بالحق» فيه دلالة على بطلان مذهب المجبرة: بأن الله أنزله ليكفروا به و أراد منهم الضلال و العمل بالباطل. و انزل «الميزان» يعنى العدل، لان الميزان إظهار التسوية من خلافها فى ما للعباد اليه الحاجة فى المعاملة او التفاضل و مثل الموازنة المعارضة و المقابلة و المقايسة،

فالقرآن إذا قوبل بينه و بين ما يدعونه، و قويس بينهما ظهرت فضيلته، و بانت حجته، و علمت دلالته، فلذلک وصفه بالميزان.
و قال مجاهد و قتادة: الميزان- هاهنا- العدل. و قال الجبائى: انزل الله عليهم الميزان من السماء و عرفهم كيف يعملون به بالحق و كيف يزنون به. و قيل: إن الحق الذى انزل به الكتاب وصفه على عقد معتقده على ما هو به من ثقة. و الحق قد يكون بمعنى حكم و معنى امر او نهى و معنى وعد او وعيد و معنى دليل. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 155
و قوله «و ما يدريک» يا محمد و لا و لا غيرک «لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ» إنما قال (قريب) مع تأنيث الساعة، لان تأنيثها ليس بحقيقى. و قيل: التقدير لعل مجيئها قريب. و إنما أخفى الله تعالى الساعة و وقت مجيئها عن العباد، ليكونوا على خوف و يبادروا بالتوبة، و لو عرفهم عنها لكانوا مغربين بالقبيح قبل ذلک تعويلا على التأنى بالتوبة.
و قوله «يَسْتَعْجِلُ بِهَا» يعنى بالساعة «الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِها» أى لا يقرون بها و لا يصدقون لجهلهم بما عليهم فى مجيئها من استحقاق العقاب و ما للمؤمنين من الثواب. و قال «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بها «مُشْفِقُونَ مِنْها» أى خائفون من مجيئها لعلمهم بما فيها من استحقاق العقاب و الأهوال فيحذرونها «وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ» أى و يعلمون ان مجيئها الحق الذى لا خلاف فيه. ثم قال تعالى ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد أى يجادلون فى مجيئها على وجه الإنكار لها لفى ضلال عن الصواب و عدول عن الحق بعيد.
ثم قال تعالى «اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبادِهِ» فلطفه بعباده إيصاله المنافع اليهم من وجه يدق على كل عاقل إدراكه، و ذلک فى الأرزاق التى قسمها الله لعباده و صرف الآفات عنهم، و إيصال السرور اليهم و الملاذ، و تمكينهم بالقدرة و الآلات إلى غير ذلک من ألطافه التى لا تدرک على حقيقتها و لا يوقف على كنهها لغموضها. ثم قال تعالى «يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ الْقَوِيُّ» يعنى القادر الذى لا يعجزه شىء «الْعَزِيزُ» الذى لا يغالب.
و قوله «مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ» قيل: معناه إنا نعطيه بالحسنة عشراً إلى ما شئنا من الزيادة «وَ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا» أى من عمل الدنيا «نُؤْتِهِ» أى نعطيه نصيبه «مِنْها» من الدنيا لا جميع ما يريده بل على التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 156
ما تقتضيه الحكمة دون الآخرة، و شبه الطالب بعمله الآخرة بالزارع فى اطلب النفع لحرثه، و كذلک الطالب بعمله نفع الدنيا. ثم قال «وَ ما لَهُ» يعنى لمن يطلب الدنيا دون الآخرة «فِى الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» من الثواب و النعيم فى الآخرة. و قيل:
إن الذى وعدهم الله به أن يؤتيهم من الدنيا إذا طلبوا حرث الدنيا هو ما

جعل لهم من الغنيمة و الفىء إذا قاتلوا مع المسلمين، لأنهم لا يمنعون ذلک مع إظهارهم الايمان لكن ليس لهم فى الآخرة نصيب من الثواب.

أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَ لَوْ لا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (21) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ واقِعٌ بِهِمْ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِي رَوْضاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (22) ذلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلى قَلْبِكَ وَ يَمْحُ اللَّهُ الْباطِلَ وَ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (24) وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ وَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ (25)

خمس آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 157

قرأ ابن كثير، و نافع، و ابو عمرو، و ابن عامر، و ابو بكر عن عاصم «يفعلون» بالياء. الباقون بالتاء.

من قرأ بالياء، فعلى أن اللّه يعلم ما يفعله الكفار فيجازيهم عليه. و من قرأ بالتاء فعلى وجه الخطاب لهم بذلك.

لما اخبر اللّه تعالى ان من يطلب بأعماله الدنيا أنه يعطيه شيئاً منها، و انه ليس له حظ من الخير فى الآخرة. و قال (أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ) يعنى بل هؤلاء الكفار لهم شركاء فى ما يفعلونه أى اشركوهم معهم في أعمالهم بأن «شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ» الذى قلدوهم فيه «ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ» أى لم يأمر به و لا أذن فيه. ثم قال «وَ لَوْ لا كَلِمَةُ الْفَصْلِ» أى كلمة الحكم الذى قال اللّه: إنى أؤخر عقوبتهم، و لا أعاجلهم به فى الدنيا «لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» و فصل الحكم فيهم و عوجلوا بما يستحقونه من العذاب. ثم قال «وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ» لنفوسهم بارتكاب المعاصى «لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» أى مؤلم أى هم مستحقون لذلك يوم القيامة. ثم قال «تَرَى الظَّالِمِينَ» يا محمد «مُشْفِقِينَ» أى خائفين «مِمَّا كَسَبُوا» يعنى من جزاء ما كسبوا من المعاصى و هو العقاب الذى استحقوه «وَ هُوَ واقِعٌ بِهِمْ» لا محالة لا ينفعهم إشفاقهم منه، و لا خوفهم من وقوعه، و الإشفاق الخوف من جهة الرقة على المخوف عليه من وقوع الأمر، و اصل الشفقة الرقة من قولهم ثوب مشفق أى رقيق ردىء، و دين فلان مشفق أى ردىء.

ثم قال «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» باللّه و صدقوا رسله «وَ عَمِلُوا» الأفعال «الصَّالِحاتِ»، من الطاعات «فِي رَوْضاتِ الْجَنَّاتِ» فالروضة الأرض الخضرة بحسن النبات، و الجنة الأرض التى يجنها الشجر، و البستان التى عمها النبات أى هم مستحقون للكون فيها «لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» و معناه لهم ما يشتهون من اللذات، لان التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 158

الإنسان لا يشاء الشىء إلا من طريق الحكمة او الشهوة او الحاجة فى دفع ضرر و دفع الضرر لا يحتاج اليه فى الجنة، و إرادة الحكمة تتبع التكليف، فلم يبق بعد ذلک إلا انهم يشاؤن ما يشتهون. و قوله «عِنْدَ رَبِّهِمْ» يعنى يوم القيامة الذى لا يملک فيه الأمر و النهى غيره، و ليس يريد ب «عند ربهم» من قرب المسافة، لأن ذلک من صفات الأجسام.
ثم قال «ذلک» يعنى الكون عند ربهم و أن لهم ما يشاؤن «هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» يعنى الزيادة التى لا يوازيها شىء فى كثرتها. ثم قال «ذلک» يعنى ما تقدم ذكره مما يشاءونه هو «الَّذِى يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبادَهُ» به و من شدد الشين أراد التكثير، و من خفف، فلأنه يدل على القليل و الكثير. و قيل: هما لغتان، و حكى الأخفش لغة ثالثة: أبشرته. ثم وصفهم فقال «الَّذِينَ آمَنُوا» باللَّه و صدقوا رسله «وَ عَمِلُوا» الاعمال «الصَّالِحاتِ».
ثم قال «قل» لهم يا محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله «لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ» أى على ادائى إليكم «أجراً» عن الرسالة، و ما بعثنى اللَّه به من المصالح «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى» و قيل فى هذا الاستثناء قولان:
أحدهما- إنه استثناء منقطع لان المودة فى القربى ليس من الأجر و يكون التقدير لكن أذكركم المودة فى قرابتى.
الثانى- إنه استثناء حقيقة و يكون أجرى المودة فى القربى كأنه أجر، و إن لم يكن أجر و اختلفوا فى معنى
«الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى» فقال على بن الحسين عليهما السّلام و سعيد ابن جبير و عمرو بن شعيب: معناه أن تودوا قرابتى، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام
و قال الحسن: معناه «إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى» إلى اللَّه تعالى و التودد بالعمل الصالح اليه. و قال ابن عباس و قتادة و مجاهد و السدى و الضحاک

و ابن زيد و عطاء بن دينار: معناه إلا ان تودونى لقرابتى منكم. و قالوا: كل قرشى كانت بينه و بين رسول اللَّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله قرابة، و يكون المعنى إن لم تودونى لحق النبوة ا فلا تودونى لحق القرابة. و الاول هو الاختيار عندنا، و عليه أصحابنا. و قال بعضهم:
إلا ان تصلوا قرابتكم. و قال آخرون: معناه إلا ان تتقربوا إلى اللَّه بالطاعات.
ثم قال تعالى «وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً» أى من فعل طاعة نزد له فى تلک الطاعة حسناً بأن نوجب له عليها الثواب. و الاقتراف الاكتساب و أصله من قرفت الشىء إذا كشفت عنه، كقولک قرفت الجلد و هو من الاعتماد و الاكتساب «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» أى ستار على عباده معاصيهم بالتوبة و غير التوبة تفضلا منه تعالى و إحساناً منه إلى عباده «شَكُورٌ» و معناه انه يعاملهم معاملة الشاكر فى توفية الحق حتى كأنه ممن وصلِ اليه

النفع فشكره. و قيل: معناه يجازيهم على شكرهم إياه فسماه شكراً على عادتهم فى تسمية الشىء باسم ما كان سببه مجازاً، كما قال «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» «1».
ثم قال «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً» بمعنى بل يقولون هؤلاء الكفار إنک يا محمد افتريت على اللَّه كذباً فى ادعائک رسالة على اللَّه فقال له تعالى «فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلى قَلْبِکَ» قال قتادة: معناه يختم على قلبک بأن ينسيک القرآن.
و قيل: معناه لو حدثتک نفسک بأن تفترى على اللَّه كذباً لطبعت على قلبک و أذهبت الوحى الذى أتيتک، لانى أمحو الباطل و أحق الحق. و قال الزجاج: معناه فان يشأ اللَّه ان يربط على قلبک بالصبر على أذاهم لک و على قولهم افترى على اللَّه كذباً «وَ يَمْحُ اللَّهُ الْباطِلَ» و قوله «وَ يَمْحُ اللَّهُ الْباطِلَ» رفع إلا أنه حذف الواو من المصاحف كما حذف من قوله «سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ» «2» على اللفظ و ذهابه لالتقاء

---

(1) آية 40 من هذه السورة
(2) سورة 96 العلق آية 18

الساكنين، و ليس بعطف على قوله «يختم» لأنه رفع، و بين ذلک بقوله «وَ يُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ» أى و يثبت الحق بأقواله التى ينزلها على أنبيائه يتبين بها كذب من ادعى على اللَّه كذباً فى أنه نبى، و لا يكون كذلک «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» أى بأسرار ما فى الصدور، لا يخفى عليه شىء منها. ثم قال «وَ هُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ وَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ» فتمدحه بأن يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات بأن لا يعاقب عليها دليل على ان إسقاط العقاب عندها تفضل، و يعلم ما تفعلونه من التوبة و غيرها فيجازيكم عليا. فمن قرأ بالتاء فعلى الخطاب و من قرأ بالياء فعلى وجه الاخبار عن الغائب.

وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ الْكافِرُونَ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ (26) وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَ لكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (27) وَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَ يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (28) وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَثَّ فِيهِما مِنْ دابَّةٍ وَ هُوَ عَلى جَمْعِهِمْ إِذا يَشاءُ قَدِيرٌ (29) وَ ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (30)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و نافع «بما كسبت» بلا فاء، و كذلک هو فى مصاحف اهل

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 161

المدينة و اهل الشام. الباقون بالفاء، و كذلک فى مصاحفهم، فعلى هذا يكون جزاء و على الأول يكون المعنى الذى أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم.

لما اخبر اللَّه تعالى انه يقبل التوبة عن عباده و انه يعلم ما يفعلونه من طاعة او معصية و انه يجازيهم بحسبها، ذكر انه «يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» يجيبهم بمعنى و (الذين) فى موضع نصب، و أجاب و استجاب بمعنى واحد، قال الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندا فلم يستجبه عند ذاک مجيب «1»

و قيل: الاستجابة موافقة عمل العامل ما يدعو اليه، لأجل دعائه اليه، فلما كان المؤمن يوافق بعمله ما يدعو النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله من اجل دعائه كان مستجيباً له، و كذلک من وافق بعمله داعى عقابه كان مستجيباً الداعى بالفعل. و عن معاذ بن جبل: إن اللَّه تعالى يجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات فى دعاء بعضهم لبعض.

و قيل: معناه و يجيب المؤمنون ربهم فى ما دعاهم اليه، فيكون (الَّذِينَ) فى موضع رفع، و يكون قوله «و يزيدهم» راجعاً إلى اللَّه أى يزيدهم اللَّه من فضله. و قيل:

معناه و يستجيب دعاء المؤمنين، و لا يستجيب دعاء الكافرين، لأنه ثواب و لا ثواب للكافرين. و قيل: بل يجوز ان يكون ذلک إذا كان فيه لطف للمكلفين.

و قوله «وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» معناه و يزيدهم زيادة من فضله على ما يستحقونه من الثواب. و قال الرمانى: الزيادة بالوعد تصير اجراً على العمل إذا كان ممن يحسن الوعد بها من طريق الوعد، كما لو كان إنسان يكتب مائة ورقة بدينار، و رغبه ملک فى نسخ مائة ورقة بعشرة دنانير، فانه يكون الأجرة حينئذ عشرة دنانير و إذا بلغ غاية الأجر فى مقدار لا يصلح عليه اكثر من ذلک، فإنما تستحق

(1) مر تخريجه فى 2/ 131 و 3/ 88 و 6/ 233

الزيادة بالوعد.
و قوله «وَ الْكافِرُونَ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ» اخبار عما يستحقه الكافر على كفره من العقاب المؤلم الشديد.
و قوله «وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِى الْأَرْضِ» إخبار منه تعالى بأنه لو وسع رزقه على عباده و سوى بينهم لبطروا النعمة و تنافسوا و تغالبوا، و كان ذلک يؤدى إلى وقوع الفساد بينهم و القتل و تغلب بعضهم على بعض و استعانة بعضهم ببعض ببذل الأموال، و لكن دبرهم على ما علم من مصلحتهم فى غناء قوم و فقر آخرين، و إحواج بعضهم إلى بعض و تسخير بعضهم لبعض، فلذلک قال «وَ لكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ» مما يعلمه مصلحة لهم «إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ» يعنى عالم بأحوالهم بصير بما يصلحهم مما يفسدهم.
ثم قال «وَ هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا» أى ينزله عليهم من بعد إياسهم من نزوله، و وجه إنزاله بعد القنوط انه أدعى إلى شكر الآتى به و تعظيمه و المعرفة بمواقع إحسانه، و كذلک الشدائد التى تمر بالإنسان، و يأتى الفرج بعدها، تعلق الأمل بمن يأتى به و تكسب المعرفة بحسن تدبيره فى ما يدعو اليه من العمل بأمره و الانتهاء إلى نهيه. و نشر الرحمة عمومها لجميع خلقه، فهكذا نشر رحمة الله مجددة حالا بعد حال. ثم يضاعفها لمن يشاء، و كل ذلک على مقتضى الحكمة و حسن التدبير الذى ليس شىء احسن منه «وَ هُوَ الْوَلِىُّ الْحَمِيدُ» معناه هو الأولى بكم و بتدبيركم المحمود على جميع أفعاله لكونها منافعاً و إحساناً.
ثم قال «وَ مِنْ آياتِهِ» أى من حججه الدالة على توحيده و صفاته التى باين بها خلقه «خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» لأنه لا يقدر على ذلک غيره لما فيهما من العجائب و الأجناس التى لا يقدر عليها قادر بقدرة «وَ ما بَثَّ فِيهِما مِنْ دابَّةٍ» أى التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 163
من سائر أجناس الحيوان «وَ هُوَ عَلى جَمْعِهِمْ إِذا يَشاءُ قَدِيرٌ» أى على جمعهم يوم القيامة و حشرهم إلى الموقف بعد إماتتهم قادر، لا يتعذر عليه ذلک.
ثم قال «وَ ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ» معاشر الخلق (فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) قال الحسن: ذلک خاص فى الحدود التى تستحق على وجه العقوبة. و قال قتادة: هو عام، و قال قوم: ذلک خاص و إن كان مخرجه مخرج العموم لما يلحق من المصائب على الأطفال و المجانين و من لا ذنب له من المؤمنين. و قال قوم: هو عام بمعنى ان ما يصيب المؤمنين و الأطفال إنما هو من شدة محنة تلحقهم، و عقوبة للعاصين كما يهلک

الأطفال و البهائم مع الكفار بعذاب الاستئصال. و لأنه قد يكون فيه استصلاح اقتضاه وقوع تلک الاجرام.
و قيل قوله (وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ) بحسب ما يطلبونه و يقترحونه (لَبَغَوْا فِی الْأَرْضِ) فانه لم يمنعهم ذلک لعجز، و لا بخل. و قوله (إذا يشاء) يدل على حدوث المشيئة، لأنه لا يجوز ان يكون إذا قدر على شیء فعله و لا إذا علم شيئاً فعله.
و يجوز إن شاء ان يفعل شيئاً فعله.
و قوله (أصابكم) قال ابو على النحوى: يحتمل أمرين أحدهما- ان يكون صلة ل (ما). الثانى- ان يكون شرطاً فى موضع جزم، فمن قدره شرطاً لم يجز سقوط الفاء- على قول سيبويه- و أجاز ذلک ابو الحسن و الكوفيون. و إن كان صلة فالاثبات و الحذف جائزان على معنيين مختلفين، فإذا ثبت الفاء كان ذلک دليلا على ان الامر الثانى وجب بالأول كقوله (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ) «1» فثبوت الفاء يدل على وجوب الإنفاق و إذا حذف احتمل الأمرين.

---

(1) سورة 2 البقرة آية 274

وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِی الْأَرْضِ وَ ما لَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِیرٍ (31) وَ مِنْ آیاتِهِ الْجَوارِ فِی الْبَحْرِ کَالْأَعْلامِ (32) إِنْ یَشَأْ یُسْکِنِ الرِّیحَ فَیَظْلَلْنَ رَواکِدَ عَلی ظَهْرِهِ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِکُلِّ صَبَّارٍ شَکُورٍ (33) أَوْ یُوبِقْهُنَّ بِما کَسَبُوا وَ یَعْفُ عَنْ کَثِیرٍ (34) وَ یَعْلَمَ الَّذِینَ یُجادِلُونَ فِی آیاتِنا ما لَهُمْ مِنْ مَحِیصٍ (35)

خمس آیات کوفی و أربع فی ما عداه عدّ الکوفیون (کالاعلام) و لم یعد، الباقون.

قرأ ابو عمرو، و نافع (الجواری فی البحر) بیاء فی الوصل، و وقف ابن کثیر بیاء ایضاً. الباقون بغیر یاء فی الوصل و الوقف. و قرأ نافع و ابو جعفر و ابن عامر (و یعلم الذین) رفعاً علی الاستئناف، لان الشرط و الجزاء قد تم، فجاز الابتداء بما بعده. الباقون بالنصب. فمن نصبه فعلی الصرف، کما قال النابغة:

فان یهلک ابو قابوس یهلک ربیع الناس و البلد الحرام

و نأخذ بعده بذناب عیش أجب الظهر لیس له سنام «1»

قال الکوفیون: هو مصروف من مجزوم إلی منصوب، و قال البصریون: هو نصب بإضمار (أن) و تقدیره ان یعلم، کما قال الشاعر:

و لیس عباءة و تقر عینی أحب إلیّ من لبس الشفوف

و تقدیره و أن تقر عینی، قال ابو علی: و من نصب (و یعلم) فلان قبله

---

(1) تفسیر القرطبی 16/ 34 و الشوکانی 4/ 525 و الطبری 25/ 20

شرط و جزاء، و کل واحد منهما غیر واجب، تقول فی الشرط إن تأتنی و تعطینی أکرمک فینصب و تعطینی، و تقدیره إن یکون منک إتیان و إعطاء أکرمک، و النصب بعد الشرط إذا عطفته بالفاء أمثل من النصب بالفاء بعد جزاء الشرط فأما العطف علی الشرط نحو إن تأتنی و تکرمنی أکرمک، فالذی یختار سیبویه فی العطف علی الشرط نحو إن تأتنی و تکرمنی الجزم، فیختار (و یعلم الذین) إذا لم یقطعه عن الأول فیرفعه، و إن عطف علی جزاء الشرط، فالنصب أمثل. و من اثبت الیاء فی الحالین فی قوله (الجواری) فلأنها الأصل، لکن خالف المصحف، و من أثبتها وصلا دون الوقف استعمل الأصل و تبع المصحف، و من حذفها فی الحالین یتبع المصحف، و اجتزأ بالکسرة الدالة علی الیاء. و واحد الجواری جاریة، و هی السفینة، و حکی عن ابن مسعود انه قرأ بضم الراء کأنه قلب، کما قالوا (شاک) فی (شائک) فأراد الجوائر فقلب.

قوله (وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِی الْأَرْضِ) خطاب من اللّه تعالى للكفار بأنكم لستم تفوتون اللَّه بالهرب منه فى الأرض و لا فى السماء، فانه يقدر عليكم فى جميع الأماكن و لا يمكن النجاة من عذابه إلا بطاعته، فواجب عليكم طاعته، ففى ذلک استدعاء إلى عبادة اللَّه و ترغيب فى كل ما أمر به و تحذير عما نهى عنه. و وجه الحجة بذلک على العبد انه إذا كان لا يعجز اللَّه، و لا يجد دافعاً عن عقابه خف عليه عمل كل شىء فى جنب ما توعد به.
و قوله (وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصِيرٍ) اى ليس لكم من يدفع عنكم عقاب اللَّه إذا أراد فعله بكم و لا ينصركم عليه، فيجب أن ترجعوا إلى طاعة من هذه صفته.
و قوله (و من آياته الجوار فى البحر كالاعلام) معناه من آياته الدالة على التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 166
انه تعالى مختص بصفات لا يشركه فيها احد، السفن الجارية فى البحر مثل الجبال، لأنه تعالى يسيرها بالريح لا يقدر على تسييرها غيره، و وجه الدلالة فى السفن الجارية هو ان اللَّه خلق الماء العظيم و عدل الريح بما يمكن أن يجرى فيه على حسب المراد لأنه إذا هبت الريح فى جهة و سارت بها السفينة فيها، فلو اجتمعت الخلائق على صرفها إلى جهة أخرى لما قدروا، و كذلک لو سكنت الريح لوقفت. و ما قدر احد على تحريكها، و لا إجرائها غيره تعالى.
ثم بين ذلک بأن قال (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ) و تقديره إن يشأ يسكن الريح أسكنها او إن يشأ ان يسكنها سكنت، و ليس المعنى إن وقعت منه مشيئة أسكن لا محالة، لأنه قد وقعت منه مشيئة لاشياء كثيرة و لم تسكن الريح. و الجوارى السفن- فى قول مجاهد و السدى- و الاعلام الجبال- فى قولهما- و قوله (فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ عَلى ظَهْرِهِ) قال ابن عباس: معناه تظل السفن واقفة على ظهر الماء، قال الشاعر:
و إن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار
و قوله (إن فى ذلک) يعنى فى تسخير البحر و جريان السفن فيها لآيات أى حججاً واضحات (لكل صبار) على أمر اللَّه (شكور) على نعمه، و إنما أضاف الآيات إلى كل صبار و إن كانت دلالات لغيرهم أيضاً من حيث هم الذين انتفعوا بها دون غيرهم، ممن لم ينظر فيها.
و قوله (أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِما كَسَبُوا) معناه يهلكهن بالغرق- فى قول ابن عباس و السدى و مجاهد- (بما كسبوا) أى جزاء على ما فعلوه من المعاصى (وَ يَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ) اخبار منه تعالى إنه يعفو عن معاصيهم لا يعاجلهم اللَّه بعقوبتها.
و قوله (وَ يَعْلَمَ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِی آياتِنا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) اخبار منه تعالى أن التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 167
الذين يجادلون فى إبطال آيات اللَّه تعالى و يدفعونها سيعلمون انه ليس لهم محيص أى ملجأ يلجئون اليه- فى قول السدى-.

فَما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (36) وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ وَ إِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (37) وَ الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (38) وَ الَّذِينَ إِذا أَصابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (39) وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا عاصما (كبير الإثم) على التوحيد. الباقون (كبائر) على الجمع جمع التكسير. و من وحد قال: إنه اسم جنس يقع على القليل و الكثير. و قال قوم: أراد الشرک فقط. و من جمع، فلان انواع الفواحش، و اختلاف أجناسها كثيرة.

يقول اللّه تعالى مخاطباً لمن تقدم وصفه (فَما أُوتِيتُمْ) يعنى ان الذى اوتيتموه و أعطيتموه (من شىء) من الأموال، (فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا) أى هو شىء ينتفع به عاجلا لا بقاء له و لا محصول له. و المتاع يخبر به عن الامتاع و يعبر به عن الأثاث، ففى ذلک تزهيد فى الدنيا و حث على عمل الآخرة. ثم قال (وَ ما عِنْدَ اللَّهِ) يعنى من الثواب فى الجنة (خير و أبقى) من هذه المنافع العاجلة التى هى قليلة و الآخرة التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 168

باقية دائمة، و هذه فانية منقطعة. ثم بين انها حاصلة (للذين آمنوا) بتوحيد اللّه و تصديق رسله (وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) أى يفوضون أمرهم اليه تعالى دون غيره فالتوكل على اللّه تفويض الامر اليه باعتقاد أنها جارية من قبله على احسن التدبير مع الفزع اليه بالدعاء فى كلما ينوب. و التوكل واجب، الترغيب فيه كالترغيب فى جملة الايمان.

و قوله (وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ) يحتمل ان يكون (الذين) فى موضع جر بالعطف على قوله (للذين) فكأنه قال و ما عند اللّه خير و أبقى للمؤمنين المتوكلين على ربهم المجتنبين كبائر الإثم و الذنوب. و الفواحش جمع فاحشة، و هى أقبح القبيح. و يحتمل ان يكون فى موضع رفع بالابتداء، و يكون الخبر محذوفاً، و تقديره الذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش (وَ إِذا ما غَضِبُوا) مما يفعل بهم من الظلم و الاساءة (هم يغفرون) و يتجاوزون عنه و لا يكافونهم عليه لهم مثل ذلک.

و العفو المراد فى الآية هو ما يتعلق بالاساءة الى نفوسهم الذى لهم الاختصاص بها فمتى عفوا عنها كانوا ممدوحين، فأما ما يتعلق بحدود اللّه و وجوب حدوده فليس للإمام تركها و لا العفو عنها، و لا يجوز له ان يعفو عن

المرتد و عمن يجرى مجراه. ثم زاد فى صفاتهم فقال (وَ الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ) فى ما دعاهم اليه (وَ أَقامُوا الصَّلاةَ) على حقها (وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ) أى لا ينفردون بأمر حتى يشاوروا غيرهم، لأنه قيل: ما تشاور قوم إلا وفقوا لأحسن ما يحضرهم (وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) فى طاعة اللَّه و سبيل الخير.
ثم قال (وَ الَّذِينَ إِذا أَصابَهُمُ الْبَغْيُ) من غيرهم و ظلم من جهتهم (هم ينتصرون) يعنى ممن بغى عليهم من غير ان يعتدوا فيها فيقتلوا غير القاتل و يجنوا على غير الجانى، و فى قوله (وَ الَّذِينَ إِذا أَصابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) ترغيب فى انكار التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 169
المنكر. ثم قال (وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها) قال ابو نجيح و السدى: معناه إذا قال أخزاه اللَّه متعدياً قال له مثل ذلک أخزاه اللَّه. و يحتمل ان يكون المراد ما جعل اللَّه لنا إلا الاقتصاص منه من (النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصاصٌ) «1» فان للمجنى عليه أن يفعل بالجانى مثل ذلک من غير زيادة و سماه سيئة للازدواج، كما قال (وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) «2» و قال (فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ) «3» ثم مدح العافى عما له أن يفعله، فقال (فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ) عما له المؤاخذة فيه «فَأَجْرُهُ» فى ذلک و جزاؤه «عَلَى اللَّهِ» فانه يثيبه على ذلک.
و قوله (إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) قيل فى معناه وجهان:
أحدهما- إنى لم أرغبكم فى العفو عن الظالم لأنى أحبه، بل لأنى أحب الإحسان و العفو.
و الثانى- إنى لا أحب الظالم لتعديه ما هو له إلى ما ليس له فى القصاص و لا غيره.
و قيل الكبائر الشرک باللَّه، و قتل النفس التى حرم اللَّه، و قذف المحصنات، و عقوق الوالدين، و أكل مال اليتيم، و الفرار من الزحف، و أكل الحرام.
و عندنا كل معصية كبيرة، و إنما تسمى صغيرة بالإضافة إلى ما هو اكبر منها لا انها تقع محبطة، لان الإحباط باطل عندنا. و قيل إن هذه الآيات نزلت فى قوم من المهاجرين و الأنصار.

---

(1) سورة 5 المائدة آية 48
(2) سورة 16 النحل آية 126 [.....]
(3) سورة 2 البقرة آية 194

وَ لَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولئِکَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (41) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (42) وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذلِکَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43) وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (44) وَ تَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَ قالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذابٍ مُقِيمٍ (45)

خمس آيات بلا خلاف قوله (وَ لَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ) اخبار من اللَّه تعالى أن من انتصر لنفسه بعد أن كان ظلم و تعدى عليه، فأخذ لنفسه بحقه، فليس عليه من سبيل. قال قتادة: بعد ظلمه فى ما يكون فيه القصاص بين الناس فى النفس او الأعضاء او الجراح، فأما غير ذلک فلا يجوز أن يفعل لمن ظلمه و لا ذم له على فعله. و قال قوم: معناه إن له أن ينتصر على يد سلطان عادل بأن يحمله اليه و يطالبه بأخذ حقه منه، لأن السلطان هو الذى يقيم الحدود، و يأخذ من الظالم للمظلوم، و يمكن أن يستدل بذلک على أن من ظلمه غيره بأخذ ماله كان له إذا قدر أن يأخذ من ماله بقدره، فلا إثم عليه، و الظالم هو الفاعل للظلم. و قد بينا حكم الظالم فى غير موضع، فلما بين أن للمظلوم أن يقتص منه، و انه متى أخذ بحقه لم يكن عليه سبيل

بين (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ) و يأخذون ما ليس لهم و يتعدون عليهم (و يبغون) عليهم (فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) لأنه متى سعى فيها بالحق لم يكن مذموماً به إن طلب بذلک ما أباحه اللَّه له (أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) اخبار منه تعالى أن من قدّم وصفه لهم عذاب موجع مؤلم. ثم مدح تعالى من صبر على الظلم و لم ينتصر لنفسه و لا طالب به و يغفر لمن أساء اليه بأن قال (وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذلِکَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أى من ثابت الأمور التى أمر اللَّه بها فلم ينسخ. و (عزم الأمور) هو الأخذ بأعلاها فى باب نيل الثواب و الأجر و احتمال الشدائد على النفس و إيثار رضا اللَّه على ما هو مباح. و قيل: (إِنَّ ذلِکَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) جواب القسم الذى دل عليه (لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ) كما قال (لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ) «1» و قيل: بل هى فى موضع الخبر. كأنه قال إن ذلک منه لمن عزم الأمور، و حسن ذلک مع طول الكلام.

و قوله (وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ) يحتمل أمرين:

أحدهما- ان من أضله اللَّه عن طريق الجنة إلى عذاب النار فليس له ناصر ينصره عليه و يرفعه عنه من بعد ذلک بالتخليص منه.

و الثانى- أن من حكم اللّه بضلاله و سماه ضالا عن الحق فما له من ولى و لا ناصر يحكم بهدايته و يسميه هادياً.
ثم قال (وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ) اخبار منه تعالى إنک يا محمد ترى الظالمين إذا شاهدوا عذاب النار يقولون هل إلى الرجوع و الرد إلى دار التكليف من سبيل تمنياً منهم لذلک و التجاء إلى هذا القول لما ينزل بهم من البلاء. مع علمهم بأن ذلک لا يكون، لان معارفهم ضرورية.

---

(1) سورة 59 الحشر آية 22
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 172
ثم قال (وَ تَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) قال ابن عباس: من طرف ذليل. و قال الحسن و قتادة: يسارقون النظر، لأنهم لا يجرءون أن ينظروا إلى النار بجميع أبصارهم لما يرون من هول النار و ألوان العذاب. و قيل: يرون النار بقلوبهم، لأنهم يحشرون عمياً (وَ قالَ الَّذِينَ آمَنُوا) يعنى الذين صدقوا اللّه و رسوله ذلک اليوم إذا رأوا حصول الظالمين فى النار و اليم العقاب (إِنَّ الْخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) باستحقاق النار (و أهليهم) لما حيل بينهم و بينهم (يَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا إِنَّ) هؤلاء (الظَّالِمِينَ فِى عَذابٍ مُقِيمٍ) أى دائم لا زوال له. و قد منعوا من الانتفاع بنفوسهم و أهليهم ذلک اليوم.

وَ ما كانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِياءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (46) اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَ ما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (47) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ وَ إِنَّا إِذا أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِها وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسانَ كَفُورٌ (48) لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَ إِناثاً وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50)

خمس آيات بلا خلاف التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 173

لما اخبر اللّه تعالى أن الظالمين أنفسهم بارتكاب المعاصى و ترک الواجبات فى عذاب مقيم دائم غير منقطع، اخبر فى الآية التى بعدها انهم لم يكن لهم أولياء فى ما عبدوه من دون اللّه، و لا فيمن أطاعوه فى معصية اللّه، أى أنصار ينصرونهم من دون اللّه و يرفعون عنهم عقابه. و قيل: المراد من يعبدونه من دون اللّه او يطيعونه فى معصية اللّه لا ينفعهم يوم القيامة. فالفائدة بذلک اليأس من أى فرج إلا من قبل اللّه، فلهذا من كان هلاكه بكفره لم يكن له ناصر يمنع منه.

ثم قال (وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ) أى من أضله اللّه عن طريق الجنة و عدل به إلى النار (فَما لَهُ مِنْ سَبِيلٍ) يوصله إلى الجنة و الثواب. و يحتمل ان يكون المراد و من يحكم اللّه بضلاله و يسميه ضالا لم يكن لأحد سبيل الى ان يحكم بهدايته. ثم قال تعالى لخلقه (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ) يعنى أجيبوه إلى ما دعاكم اليه و رغبكم فيه من المصير الى طاعته و الانقياد لأمره (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ) أى لا مرجع له بعد ما حكم به. و قيل معناه لا يتهيأ لاحد رده و لا يكون لكم ملجأ تلجئون اليه فى ذلک اليوم. و الملجأ و المحرز نظائر (وَ ما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) أى تعيير انكار. و قيل: معناه من نصير ينكر ما يحل بكم ثم قال لنبيه صَلَّى اللّٰهُ عَلَيه و آله (فَإِنْ أَعْرَضُوا) يعنى هؤلاء الكفار و عدلوا عما دعوناهم اليه و لا يستجيبون اليه (فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً) أى حافظاً تمنعهم من الكفر (إن عليک) أى ليس عليک (إلا البلاَغ) و هو إيصال المعنى الى افهامهم و تبين لهم ما فيه رشدهم، فالذى يلزم الرسول دعاؤهم الى الحق، و لا يلزمه ان يحفظهم من اعتقاد خلاف الحق. ثم اخبر تعالى عن حال الإنسان و سرعة تنقله من حال الى حال فقال (وَ إِنَّا إِذا أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً) و أوصلنا اليه نعمة (فَرِحَ بِها وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) أى عقوبة جزاء بما قدمته أيديهم من المعاصى (فَإِنَّ الْإِنْسانَ كَفُورٌ) يعدد المصائب التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 174

و يجحد النعم و قوله (لِلّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) و معناه له التصرف فى السموات و الأرض و ما بينهما و سياستهما بما تقتضيه الحكمة حسب ما يشاء و (يَخْلُقُ ما يَشاءُ) من انواع الخلق (يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ) من خلقه (اناثاً) يعنى البنات بلا ذكور (وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ) من خلقه (الذكور) بلا إناث (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَ إِناثاً) قال ابن عباس و الحسن و قتادة و الضحاک و السدى: معناه ان يكون حمل المرأة مرة ذكراً و مرة أنثى و يحتمل ان يكون المراد ان يرزقه تواماً ذكراً و أنثى او ذكراً و ذكراً و أنثى و أنثى و هو قول ابن زيد (وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً) فالعقيم من الحيوان الذى لا يكون له ولد و يكون قد عقم فرجه عن الولادة بمعنى منع (انه عليم) بمصالحهم (قدير) أى قادر على خلق ما أراد من ذلک.

وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (51) وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَ لا الْإِيمانُ وَ لكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِراطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53)

ثلاث آيات بلا خلاف قرأ نافع و ابن عامر فى رواية الداحونى عن صاحبه (او يرسل... فيوحى) بالرفع على تقدير او هو يرسل فيوحى و يكون المعنى يراد به الحال بتقدير إلا موحياً التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 175

او مرسلا و ذلک كلامه ايّاهم. الباقون بالنصب و يرسل فيوحى على تأويل المصدر، كأنه قال إلا ان يوحى او يرسل. و معنى (او) فى قوله (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) يحتمل وجهين:

أحدهما- العطف، فيكون إرسال الرسول احد اقسام الكلام كما يقال عتابک السيف كأنه قيل الا وحياً او إرسالا.

الثانى- ان يكون (الا ان) كقولک لألزمنک او تعطينى حقى، فلا يكون الإرسال فى هذا الوجه كلاماً و لا يجوز ان يكون (او يرسل) فيمن نصب عطفاً على قوله (أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ) لأنک لو حملته على ذلک لكان المعنى و ما كان لبشر أن يكلمه اللّه او ان يرسل رسولا، و لم يخل قولک (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) من ان يكون المراد به او يرسله رسولا او يكون المراد او يرسل اليه رسولا، و التقديران جميعاً فاسدان، لأنا نعلم أن كثيراً من البشر قد أرسل رسولا، و كثيراً منهم أرسل اليه رسولا، فإذا بطل ذلک صح ما قدرناه أولا، و يكون التقدير ما كان لبشر أن يكلمه اللّه إلا أن يوحى وحياً او يرسل رسولا، فيوحى، و يجوز فى قوله (إلا وحياً) أمران:

أحدهما- ان يكون استثناء منقطعاً.

و الآخر- ان يكون حالا، فان قدرته استثناء منقطعاً لم يكن فى الكلام شىء توصل به (من) لأن ما قبل الاستثناء لا يعمل فى ما بعده، لأن حرف الاستثناء فى معنى حرف النفى، ألا ترى أنک إذا قلت: قام القوم إلا زيداً، فالمعنى قام القوم لا زيد، فكما لا يعمل ما قبل حرف النفى فى ما بعده كذلک لا يعمل ما قبل الاستثناء- إذا كان كلاماً تاماً- فى ما بعده إذ كان بمعنى النفى، و كذلک لا يجوز أن يعمل ما بعد (إلا) فى ما قبلها، فإذا كان كذلک لم يتصل الجار بما قبل (إلا) التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 176

و يمتنع أن يتصل به الجار من وجه آخر، و هو ان قوله (أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ) من صلة (يوحى) الذى هو بمعنى (أن يوحى) فإذا كان كذلک لم يجز أن يحمل الجار الذى هو فى قوله (مِنْ وَراءِ حِجابٍ) على (أو يرسل) لأنک

تفصل بين الصلة و الموصول بما ليس منهما. أ لا ترى أن المعطوف على الصلة من الصلة إذا حملت العطف على ما ليس فى الصلة فصلت بين الصلة و الموصول بالاجنبى الذى ليس منها، فإذا لم يجز حمله على (يكلمه) فى قوله (ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ) و لم يكن بدّ من ان يعلق الجار بشىء، و لم يكن فى اللفظ شىء يحمل عليه أضمرت (بما يكلم) و جعلت الجار فى قوله (أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ) متعلقاً بفعل مراد فى الصلة محذوف حذفاً للدلالة عليه، و يكون فى المعنى معطوفاً على الفعل المقدر صلة، لأن الموصول يوحى، فيكون التقدير: ما كان لبشر أن يكلمه اللّه إلا أن يوحى اليه، او يكلمه من وراء حجاب، فحذف (يكلم) من الصلة، لان ذكره قد جرى و إن كان خارجاً من الصلة، فحسن لذلک حذفه من الصلة.
و من رفع (أو يرسل رسولا) فانه يجعل (يرسل) حالا و الجار فى قوله (أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ) يتعلق بمحذوف، و يكون فى الظرف ذكر من ذى الحال، و يكون قوله (إلاّ وحياً) على هذا التقدير مصدراً وقع موقع الحال، كقولک جئت ركضاً او أتيت عدواً. و معنى (أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ) فيمن قدر الكلام استثناء منقطعاً او حالا: يكلمهم غير مجاهر لهم بكلامه، يريد ان كلامه يسمع و يحدث من حيث لا يرى، كما ترى سائر المتكلمين، ليس ان ثم حجاباً يفصل موضعاً من موضع، فيدل ذلک على تحديد المحجوب.
و من رفع (يرسل) كان (يرسل) فى موضع نصب على الحال. و المعنى هذا كلامه كما تقول: تحبتک الضرب و عتابک السيف. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 177
يقول اللّه تعالى إنه ليس لبشر من الخلق أن يكلمه اللَّه إلا أن يوحى اليه وحياً (أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ) معناه او بكلام بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب، لأنه تعالى لا يجوز عليه ما لا يجوز إلا على الأجسام من ظهور الصورة للابصار (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) فان جعلناه عطفاً على إرسال الرسول، كان احد أقسام الكلام كما قلناه فى قولهم: عتابک السيف، كأنه قال إلا وحياً او إرسالا، و إن لم تجعله عطفاً لم يكن احد اقسامه، و يكون كقولهم: لألزمنک او تعطينى حقى، فلا يكون الإرسال فى هذا الوجه كلاماً، فيكون كلام اللّه لعباده على ثلاثة اقسام:
أولها- ان يسمع منه كما يسمع من وراء حجاب، كما خاطب اللَّه به موسى عليه السلام.
الثانى- بوحى يأتى به الملک إلى النبى من البشر كسائر الأنبياء.
الثالث- بتأدية الرسول إلى المكلفين من الناس، و قيل فى الحجاب ثلاثة اقوال:
أحدها- حجاب عن إدراک الكلام لا المكلم وحده.
الثانى- حجاب لموضع الكلام.
الثالث- إنه بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب (فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ) معناه

إن ذلک الرسول الذی هو الملک یوحی إلی النبی منَ البشر بأمر اللّه ما شاءه اللَّه (إِنَّهُ عَلِیٌّ حَکِیمٌ) معناه إن کلامه المسموع منه لا یکون مخاطبة یظهر فیها المتکلم بالرؤیة، لأنه العلی عن الإدراک بالأبصار و هو الحکیم فی جمیع أفعاله و فی کیفیة خطابه لخلقه.
و قال السدی: معنی الآیة إنه لم یکن لبشر ان یکلمه اللَّه إلا وحیاً بمعنی إلا إلهاماً بخاطر او فی منام او نحوه من معنی الکلام الیه فی خفاء (أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ) یحجبه عن إدراک جمیع الخلق إلا عن المتکلم الذی یسمعه کما سمع موسی التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 178
کلام اللّه (أَوْ یُرْسِلَ رَسُولًا) یعنی به جبرائیل.
و قوله (وَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا) معناه مثل ما أوحینا إلی من تقدم من الأنبیاء أوحینا الیک کذلک الوحی من اللّه إلی نبیه روح من أمره و هو نور یهدی به من یشاء من عباده إلی صراط مستقیم بصاحبه إلی الجنة و الصراط المستقیم الطریق المؤدی إلی الجنة، و هو صراط اللّه الذی له ما فی السموات و ما فی الأرض، ملک له یتصرف فیه کیف یشاء، و هو صراط من تصیر الأمور الیه، و لا یبقی لأحد أمر و لا نهی و لا ملک و لا تصرف، و هو یوم القیامة. و قوله «ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ وَ لَا الْإِیمانُ» یعنی ما کنت قبل البعث تدری ما الکتاب و لا ما الایمان قبل البلوغ «وَ لکِنْ جَعَلْناهُ» یعنی الروح الذی هو القرآن «نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا» یعنی من المکلفین، لان من لیس بعاقل و إن کان عبد اللّه، فلا یمکن هدایته لأنه غیر مکلف.
ثم قال «وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی» یا محمد «إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ» أی طریق مفض الی الحق، و هو الایمان، و إنما جر (صِراطِ اللَّهِ) بأنه بدل من قوله «صراط مستقیم» ثم قال «أَلا إِلَی اللَّهِ تَصِیرُ الْأُمُورُ» أی الیه ترجع الأمور و التدبیر وحده یوم القیامة
التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 179

اشارة

هی مکیة فی قول مجاهد و قتادة و هی تسع و ثمانون آیة بلا خلاف فی جملتها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
حم (1) وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3) وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (4)
أَ فَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ (5)
خمس آيات فى الكوفى و أربع فى ما سواه، عدّ الكوفيون «حم» و لم بعده الباقون.
قرأ نافع و حمزة و الكسائى و خلف «ان كنتم» بكسر الهمزة جعلوه شرطاً مستأنفاً و استغنى عما تقدم، كقولك: انت عالم ان فعلت، فكأنه قال: ان كنتم قوماً مسرفين نضرب. الباقون بفتحها جعلوه فعلا ماضياً أى إذا كنتم، كما قال «أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى» «1» و المعنى إذ جاءه الأعمى، فموضع (ان) نصب عند البصريين، و جر عند الكسائى، لان التقدير أ فنضرب الذكر صفحاً لأن كنتم، و بأن كنتم قوماً مسرفين. و المسرف الذى ينفق ماله فى معصية اللّه، و لا إسراف فى الطاعة.
قد بينا معنى «حم» فى ما مضى، و اختلاف المفسرين فيه، فلا معنى لإعادته

---

(1) سورة 80 عبس آية 2

و قوله «و الكتاب» خفض بالقسم. و قيل: تقديره و رب الكتاب، و المراد بالكتاب القرآن، و المبين صفة له. و انما وصف بذلك لأنه أبان عن طريق الهدى من الضلالة، و كل ما تحتاج اليه الأمّة فى الديانة. و البيان هو الدليل الدال على صحة الشىء و فساده. و قيل: هو ما يظهر به المعنى للنفس عند الإدراك بالبصر و السمع، و هو على خمسة أوجه: باللفظ، و الحظ، و العقد بالأصابع، و الاشارة اليه، و الهيئة الظاهرة للحاسة، كالاعراض عن الشىء، و الإقبال عليه، و التقطيب و ضده و غير ذلك. و اما ما يوجد فى النفس من العلم، فلا يسمى بياناً على الحقيقة و كل ما هو بمنزلة الناطق بالمعنى المفهوم فهو مبين.
و قوله «إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا» اخبار منه تعالى انه جعل القرآن الذى ذكره عربياً بأن يفعله على طريقة العرب فى مذاهبها فى الحروف و المفهوم. و مع ذلك فانه لا يتمَكن أحد منهم من إنشاء مثله و الإتيان بما يقاربه فى علو طبقته فى البلاغة و الفصاحة، اما لعدم علمهم بذلك أو صرفهم على حسب اختلاف الناس فيه.
و هذا يدل على جلالة موقع التسمية فى التمكن به و التعذر مع فقده. و فيه

دلالة على حدوثه لان المجعول هو المحدث. و لان ما يكون عربياً لا يكون قديماً لحدوث العربية. فان قيل: معنى جعلناه سميناه لأن الجعل قد يكون بمعنى التسمية. قلنا:
لا يجوز ذلک- هاهنا- لأنه لو كان كذلک لكان الواحد منا إذا سماه عربياً فقد جعله عربياً، و كان يجب لو كان القرآن على ما هو عليه و سماه اللّه اعجمياً أن يكون اعجمياً او كان يكون بلغة العجم و سماه عربياً ان يكون عربياً، و كل ذلک فاسد.
و قوله «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» معناه جعلناه على هذه الصفة لكى تعقلوا و تفكروا فى ذلک فتعلموا صدق من ظهر على يده.
و قوله «وَ إِنَّهُ» يعنى القرآن «فِى أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا» يعنى اللوح المحفوظ
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 181
الذى كتب اللّه فيه ما يكون إلى يوم القيامة لما فيه من مصلحة ملائكته بالنظر فيه و للخلق فيه من اللطف بالأخبار عنه «أُمِّ الْكِتابِ» أصله لأن أصل كل شىء أمه.
و قوله «لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ» معناه لعال فى البلاغة مظهر ما بالعباد اليه الحاجة مما لا شىء منه إلا يحسن طريقه و لا شىء أحسن منه. و القرآن بهذه الصفة علمه من علمه و جهله من جهله لتفريطه فيه و (حكيم) معناه مظهر المعنى الذى يعمل عليه المؤدى الى العلم و الصواب. و القرآن من هذا الوجه مظهر للحكمة البالغة لمن تدبره و أدركه.
ثم قال لمن جحده و لم يعتبر به على وجه الإنكار عليهم «أَ فَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً» معناه أ نعرض عنكم جانباً باعراضكم عن القرآن و التذكر له و التفكر فيه «أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ» على نفوسكم بترككم النظر فيه و الاعتبار بحججه.
و من كسر الهمزة جعله مستأنفاً شرطاً. و من فتحها جعله فعلا ماضياً أى إذ كنتم كما قال «أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى» «1» بمعنى إذ جاءه الأعمى، فموضع (أن) نصب عند البصريين و جر عند الكسائى، لأن التقدير الذكر صفحاً، لان كنتم و بأن كنتم.
قال الشاعر:
أ تجزع ان بان الخليط المودع و جعل الصفا من عزة المتقطع «2»
و المسرف الذى ينفق ماله فى معصية اللّه، لان من أنفقه فى طاعة او مباح لم يكن مسرفاً و
قال على عليه السلام (لا إسراف فى المأكول و المشروب)
و (صفحاً) نصب على المصدر، لأن قوله «أَ فَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ» يدل على ان اصفح عنكم صفحاً وَ كأن قولهم: صفحت عنه أى أعرضت و وليته صفحة العنق. و المعنى أ فنضرب ذكر الانتقام منكم و العقوبة لكم أن كنتم قوماً مسرفين، كما قال

(1) سورة 80 عبس آية 2
(2) مر فى 1/ 49 و 7/ 9
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 182
«أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً» «1» و من كسر فعلى الجزاء و استغنى عن جوابه بما تقدم كقولهم:
انت ظالم ان فعلت كأنه قال إن كنتم مسرفين نضرب، و قال المبرد: المعنى متى فعلتم هذا طلبتم أن نضرب الذكر عنكم صفحاً. قال الفراء: تقول العرب:
أضربت عنك و ضربت عنك بمعنى تركتك و أعرضت عنك. و قال الزجاج: المعنى أ فنضرب عنكم الذكر أى نهلككم فلا نعرفكم ما يجب عليكم لأن أسرفتم و أصل ضربت عنه الذكران الراكب إذا ركب دابة فأراد أن يصرفها عن جهة ضربها بعصاً او سوط لتعدل به إلى جهة أخرى يريدها ثم يوضع الضرب موضع الصرف و العدل. و صفحاً مصدر أقيم مقام الفاعل، و نصب على الحال. و المعنى ا فنضرب عنكم تذكيرنا إياكم الواجب صافحين او معرضين، يقال صفح فلان بوجهه عنى أى اعرض قال كثير:
صفوح فما تلقاك إلا بخيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت
و الصفوح فى صفات اللّه معناه العفو يقال: صفح عن ذنبه إذا عفا. و قال بعضهم: المعنى أ فظننتم أن نضرب عنكم هذا الذكر الذى بينا لكم فيه امر دينكم صفحاً، فلا يلزمكم العمل بما فيه، و لا نؤاخذكم لمخالفتكم إياه إن كنتم قوماً مسرفين على أنفسكم، و جرى ذلک مجرى قول أحدنا لصاحبه و قد أنكر فعله أ أترکک تفعل ما تشاء أغفل عنک إذا أهملت نفسک، ففى ذلک إنكار و وعيد شديد.

وَ كَمْ أَرْسَلْنا مِنْ نَبِيٍّ فِى الْأَوَّلِينَ (6) وَ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (7) فَأَهْلَكْنا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَ مَضى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (8) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (9) الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ جَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (10)

---

(1) سورة 75 القيامة آية 36

خمس آيات بلا خلاف يقول اللَّه تعالى مخبراً «وَ كَمْ أَرْسَلْنا مِنْ نَبِيٍّ فِى الْأَوَّلِينَ» يعنى فى الأمم الماضية (و كم) موضوعة للتكثير فى باب الخبر، و هى ضدّ (رب) لأنها للتقليل.

ثم اخبر عن تلك الأمم الماضية انه كان ما يجيئهم نبى من قبل اللَّه إلا كانوا يستهزؤن به بمعنى يسخرون منه. فالاستهزاء إظهار خلاف الإبطان استصغاراً او استحقاراً فالأمم الماضية كفرت بالأنبياء و احتقروا ما أتوا به، و ظنوا انه من المخاريق التى لا يعمل عليها لجهلهم و فرط عنادهم، فلذلك حملوا أنفسهم على الاستهزاء بهم، و هو عائد بالوبال عليهم.

فان قيل: لم بعث اللَّه الأنبياء مع علمه بأنهم يستهزؤن بهم و لا يؤمنون عنده؟ قيل: يجوز أن يكون قوم آمنوا و إن قلوا. و إنما اخبر اللَّه بالاستهزاء عن الأكثر، و لذلك قال فى موضع «وَ مَنْ آمَنَ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ» «1» و ايضاً فكان يجوز ان يكون لولا إرسالهم لوقع منهم من المعاصى أضعاف ما وقع عند إرسالهم، فصار إرسالهم لطفاً فى كثير من القبائح، فلذلك وجب و حسن، على ان فى إرسالهم تمكينهم مما كلفوه، لأنه إذا كان هناك مصالح لا يمكنهم معرفتها إلا من جهة الرسل وجب على اللَّه أن يبعث اليهم الرسل ليعرّفوهم تلك المصالح، فإذا لم يؤمنوا بهم و بما معهم من المصالح أتوا بالقبائح من قبل نفوسهم، و الحجة قائمة عليهم و قوله «فَأَهْلَكْنا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً» اخبار منه تعالى انه أهلك الذين هم أشد

---

(1) سورة 11 هود آية 40

بطشاً من هؤلاء المشركين الذين كانوا فى عصر النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله، فلذلك قال «وَ مَضى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ» أى و هو مثل لهؤلاء الباقين، و معناه انكم قد سلكتم فى تكذيب الرسل مسلك من كان قبلكم فاحذروا أن ينزل بكم من الخزى ما نزل بهم. قال الحسن: أشد قوة من قومك. ثم قال «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ» يعنى الكفار «مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» بأن انشاءها و

اخترعها «لَيَقُولَنَّ» أى لم يكن جوابهم فى ذلک إلا أن يقولوا «خَلَقَهُنَّ» يعنى السموات و الأرض «الْعَزِيزُ» الذى لا يغالب و لا يقهر «الْعَلِيمُ» بمصالح الخلق، و هو اللّه تعالى، لأنهم لا يمكنهم أن يحلفوا فى ذلک على الأجسام و الأوثان لظهور فساد ذلک، و ليس فى ذلک ما يدل على انهم كانوا عالمين باللّه ضرورة، لأنه لا يمتنع أن يكونوا عالمين بذلک استدلالا و إن دخلت عليهم شبهة فى انه يستحق العبادة سواه. و قال الجبائي: لا يمتنع أن يقولوا بذلک تقليداً لأنهم لو علموه ضرورة لعلموا أنه لا يجوز أن يعبد معه غيره و هو الذى يليق بمذهبنا فى الموافاة.
ثم وصف العزيز العليم الخالق للسموات و الأرض فقال هو «الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ جَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلًا» تسلكونها لكى تهتدوا إلى مقاصدكم فى اسفاركم.
و قيل: معناه لتهتدوا إلى الحق فى الدين و الاعتبار الذى جعل لكم بالنظر فيها.

وَ الَّذِی نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنا بِهِ بَلْدَةً مَیْتاً کَذلِکَ تُخْرَجُونَ (11) وَ الَّذِی خَلَقَ الْأَزْواجَ کُلَّها وَ جَعَلَ لَکُمْ مِنَ الْفُلْکِ وَ الْأَنْعامِ ما تَرْکَبُونَ (12) لِتَسْتَوُوا عَلی ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْکُرُوا نِعْمَةَ رَبِّکُمْ إِذَا اسْتَوَیْتُمْ عَلَیْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِی سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما کُنَّا لَهُ مُقْرِنِینَ (13) وَ إِنَّا إِلی رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ (14) وَ جَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءاً إِنَّ الْإِنْسانَ لَکَفُورٌ مُبِینٌ (15)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 185

خمس آیات بلا خلاف.

یقول اللّه تعالی إن الذی جعل لکم الأرض مهداً لتهتدوا إلی مراشدکم فی دینکم و دنیاکم هو «الَّذِی نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً» یعنی غیثاً و مطراً (بقدر) أی علی قدر الحاجة لا زیادة علیها فیفسد و لا ناقصاً عنها فیضر و لا ینفع، بل هو مطابق للحاجة و بحسبها و ذلک یدل علی انه واقع من مختار یجعله علی تلک الصفة قد قدره علی ما تقتضیه الحکمة لعلمه بجمیع ذلک.

و قوله «فَأَنْشَرْنا بِهِ بَلْدَةً مَیْتاً» أی أحییناها بالنبات بعد أن کانت میتاً بالقحل و الجفاف تقول: أنشر اللّه الخلق فنشروا أی أحیاهم فحییوا، ثم قال «وَ کَذلِکَ تُخْرَجُونَ» أی مثل ما أخرج النبات من الأرض الیابسة فأحیاها بالنبات مثل ذلک یخرجکم من القبور بعد موتکم، و إنما جمع بین إخراج الانبات و إخراج الأموات لأن کل ذلک متعذر علی کل قادر إلا القادر لنفسه الذی لا یعجزه شیء و من قدر علی أحدهما قدر علی الآخر بحکم العقل.

و قوله «وَ الَّذِی خَلَقَ الْأَزْواجَ کُلَّها» معناه الذی خلق الأشکال من الحیوان و الجماد من الحیوان الذکر و الأنثی و من غیر الحیوان مما هو متقابل کالحلو و الحامض و الحلوا و المر و الرطب و الیابس و غیر ذلک من الاشکال. و قال الحسن: الازواج الشتاء و الصیف، و اللیل و النهار، و الشمس و القمر، و السماء و الأرض، و الجنة و النار التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 186

و قوله «وَ جَعَلَ لَکُمْ مِنَ الْفُلْکِ» یعنی السفن «وَ الْأَنْعامِ ما تَرْکَبُونَ» یعنی الإبل و البقر و ما جری مجراهما من الدواب و الحمیر التی تصلح للرکوب.

ثم بین انه خلق ذلک و غرضه (لِتَسْتَوُوا عَلی ظُهُورِهِ) و إنما وحد الهاء فی قوله «علی ظهوره» لأنها راجعة إلی (ما) کما قال «مِمَّا فِی بُطُونِهِ» «1» و فی موضع آخر (بطونها) ردها إلی الأنعام، فذکر فی (ما) و أنث فی الانعام.

و قال الفراء: أضاف الظهور الی الواحد، لأن الواحد فیه بمعنی الجمیع، فردت الظهور إلی المعنی. و لم یقل ظهوره، فیکون کالواحد الذی معناه و لفظه واحد.

و معنی الآیة ان غرضه تعالی ان تنتفعوا بالاستواء علی ظهورها «ثُمَّ تَذْکُرُوا نِعْمَةَ رَبِّکُمْ إِذَا اسْتَوَیْتُمْ عَلَیْهِ» فتشکروه علی تلک النعم و تقولوا معترفین

بنعم اللّه و منزهين له عن صفات المخلوقين «سُبْحانَ الَّذِی سَخَّرَ لَنا هذا» يعنى هذه الانعام و الفلک «وَ ما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» أى مطيقين، يقال: أنا لفلان مقرن أى مطيق أى انا قرن له، و يقال: أقرن يقرن إقراناً إذا أطاق و هو من المقارنة كأنه يطيق حمله فى تصرفه. و قيل «مقرنين» أى مطيقين أى يقرن بعضها ببعض حتى يسيرها إلى حيث يشاء، و ليقولوا أيضاً «وَ إِنَّا إِلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ» أى راجعون اليه يوم القيامة.
فان قيل: قوله «لِتَسْتَوُوا عَلى ظُهُورِهِ» يفيد ان غرضه بخلق الانعام و الفلک ان يستووا على ظهورها، و إنه يريد ذلک منهم. و الاستواء على الفلک و الانعام مباح، و لا يجوز ان يريده اللّه تعالى؟! قيل: يجوز ان يكون المراد بقوله «لِتَسْتَوُوا عَلى ظُهُورِهِ» فى المسير إلى

---

(1) سورة 16 النحل آية 66

ما أمر اللّه بالمسير اليه من الحج و الجهاد و غير ذلک من العبادات، و ذلک يحسن إرادته، و إنما لا يحسن إرادة ما هو مباح محض. و ايضاً، فانه تعالى قال «ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ» أى تعترفون بنعم اللّه بالشكر عليها و تقولوا «سُبْحانَ الَّذِی سَخَّرَ لَنا هذا» و ذلک طاعة يجوز ان يكون مراداً تتعلق الارادة به.
و قوله «وَ جَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءاً» اخبار منه تعالى ان هؤلاء الكفار جعلوا للّه من عباده جزءاً. و قيل فيه وجهان:
أحدهما- انهم جعلوا للّه جزءاً من عبادته لأنهم أشركوا بينه و بين الأصنام، و قال الحسن: زعموا ان الملائكة بنات اللّه و بعضه فالجزء الذى جعلوه له من عباده هو قولهم «الملائكة بنات اللّه» ثم قال تعالى مخبراً عن حال الكافر لنعم اللّه فقال «إِنَّ الْإِنْسانَ لَكَفُورٌ» لنعم اللّه جاحد لها «مبين» أى مظهر لكفره غير مستتر به.

أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَناتٍ وَ أَصْفاكُمْ بِالْبَنِينَ (16) وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ (17) أَ وَ مَنْ يُنَشَّؤُا فِى الْحِلْيَةِ وَ هُوَ فِى الْخِصامِ غَيْرُ مُبِينٍ (18) وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً أَ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَ يُسْئَلُونَ (19) وَ قالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (20)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «او من ينشأ» بضم الياء و تشديد الشين. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 188

الباقون بفتح الياء و التخفيف. و قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر «عند الرحمن» بالنون. الباقون «عباد» على الجمع و قرأ نافع «أ أشهدوا» بضم الألف و فتح الهمزة من (أشهدت) الباقون «اشهدوا» من (شهدت) من قرأ (ينشأ) بالتشديد جعله فى موضع مفعول لأنه تعالى قال «إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً» «1» فأنشأت و نشأت بمعنى إذا ربيت. و تقول: نشأ فلان و نشأه غيره و غلام ناشئ أى مدرك. و قيل فى قوله «ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ» «2» قال هو نبات شعر إبطه و من خفف جعل الفعل للّه، لان اللّه انشأهم فنشئوا، و يقال للجوار الملاح: النشأ قال نصيب:

و لو لا ان يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشأ الصغار «3»

و من قرء عباد فجمع (عبد) فهو كقولهَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَ لَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ»

«4» فأراد اللّه أن يكذبهم فى قولهم: إن الملائكة بنات اللّه، و بين انهم عباده. و من قرأ «عند» بالنون، فكقوله «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّکَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ» «5» و قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس فى مصحفى «عباد» فقال: حكه. و وجه قراءة نافع «أ أشهدوا» انه جعله من اشهد يشهد جعلهم مفعولين. و قال تعالى (ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ) «6» من قرأ بفتح الهمزة جعله من شهد يشهد فهؤلاء الكفار إذا لم يشهدوا خلق السموات و الأرض و لا خلق أنفسهم من اين علموا ان الملائكة بنات اللّه و هم

---

(1) سورة 56 الواقعة آية 35
(2) سورة 23 المؤمنون آية 14
(3) مر فى 4/ 304 و 8/ 194
(4) سورة 4 النساء آية 171
(5) سورة 7 الاعراف آية 205

(6) سورة 18 الكهف آية 52 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 189
لم يشهدوا ذلک، و لم يخبرهم عنه مخبر؟!.
لما اخبر اللّه تعالى عن الكفار انهم جعلوا له من عباده جزءاً على ما فسرناه، و حكم عليهم بأنهم يجحدون نعمه و يكفرون أياديه، فسر ذلک و هو انهم قالوا «أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَناتٍ وَ أَصْفاكُمْ بِالْبَنِينَ» فى هذا القول حجة عليهم لأنه ليس بحكيم من يختار لنفسه أدون المنزلتين و لغيره أعلاهما، فلو كان على ما يقول المشركون من جواز اتخاذ الولد عليه لم يتخذ لنفسه البنات و يصفيهم بالبنين فغلطوا فى الأصل الذى هو جواز اتخاذ الولد عليه، و فى البناء على الأصل باتخاذ البنات، فنعوذ باللّه من الخطاء فى الدين. و معنى (أصفاكم) خصكم و آثركم بالذكور و اتخذ لنفسه البنات.
ثم قال تعالى «وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلًا» يعنى إذا ولد لواحد منهم بنت حسب ما أضافوها الى اللّه تعالى و نسبوها اليه على وجه المثل لذلک «ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا» أى متغيراً مما يلحقه من الغم بذلک حتى يسود وجهه و يريد «وَ هُوَ كَظِيمٌ» قال قتادة معناه حزين، و فى هذا ايضاً حجة عليهم لأن من اسود وجهه بما يضاف اليه مما لا يرضى فهو أحق ان يسود وجهه باضافة مثل ذلک إلى من هو اجل منه، فكيف الى ربه.
ثم قال تعالى على وجه الإنكار لقولهم «أَ وَ مَنْ يُنَشَّؤُا فِى الْحِلْيَةِ» قال ابن عباس «أَ وَ مَنْ يُنَشَّؤُا فِى الْحِلْيَةِ» المراد به المرأة. و به قال مجاهد و السدى، فهو فى موضع نصب و التقدير او من ينشأ فى الحلية يجعلون. و يجوز ان يكون الرفع بتقدير أولئک ولده على ما قالوا هم بناته يعنى من ينشأ فى الحلية على وجه التزين بها يعنى النساء فى قول اكثر المفسرين. و قال ابو زيد: يعنى الأصنام. و الاول أصح «وَ هُوَ فِى الْخِصامِ غَيْرُ مُبِينٍ» فى حال الخصومة، فهو ناقص عمن هو بخلاف هذه الصفة من التبيان فى
تفسير القرآن، ج9، ص: 190
الشبيه على ما يصلح للجدال و دفع الخصم الألد بحسن البيان عند الخصومة، فعلى هذا يلزمهم ان يكونوا باضافة البنات قد أضافوا ادنى الصفات اليه.
ثم قال تعالى «وَ جَعَلُوا» يعنى هؤلاء الكفار «الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ» متذللون له خاضعون له. و من قرأ بالنون أراد الذين هم مصطفون عند اللّه «إناثاً» فقال لهم على وجه الإنكار «أَ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ» ثم قال «سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ» بذلک «وَ يُسْئَلُونَ» عن صحتها. و فائدة الآية أن من شهد بما لا يعلم فهو حقيق بأن يوبخ و يذم على ذلک و شهادته بما هو متكذب به على الملائكة أعظم من الفاحشة، للاقدام على تنقصهم فى الصفة، و إن كان فى ذلک على جهالة.
ثم حكى عنهم إنهم قالوا «لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ» كما قالت المجبرة

بأن اللّه تعالى أراد كفرهم، و لو لم يشأ ذلک لما كفروا، فقال اللّه لهم على وجه التكذيب «ما لَهُمْ بِذلِکَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ» أى ليس يعلمون صحة ما يقولونه و ليس هم إلا كاذبين ففى ذلک إبطال مذهب المجبرة فى ان اللّه تعالى يريد القبيح من أفعال العباد. لان اللّه تعالى قطع على كذبهم فى ان اللّه تعالى يشأ عبادتهم للملائكة، و ذلک قبيح لا محالة و عند المجبرة اللّه تعالى شاءه. و قد نفاه تعالى عن نفسه و كذبهم فى قولهم فيه.

أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (21) بَلْ قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ (22) وَ كَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ (23) قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (24) فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (25)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و حفص عن عاصم (قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكُمْ) على انه فعل ماض، و تقديره قال النذير. الباقون (قل) على الأمر على وجه الحكاية لما اوحى اللّه إلى النذير. قال كأنه قال أوحينا اليه أى فقلنا له (قل ا و لو جئتكم) و قرأ ابو جعفر (جئناكم) بالنون على وجه الجمع.

لما حكى اللّه تعالى تخرص من يضيف عبادة الأصنام و الملائكة إلى مشيئة اللّه، و بين انه لا يشاء ذلک قال (أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً) و المعنى التقريع لهم على خطئهم بلفظ الاستفهام، و التقدير أ هذا الذى ذكروه شىء تخرصوه و افتروه (أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ)؟! فإذا لم يمكنهم ادعاء ان اللّه أنزل بذلک كتاباً علم انه من تخرصهم و دل على حذف حرف الاستفهام (أم) لأنها المعادلة.

ثم قال ليس الامر على ما قالوه (بل قالوا) يعنى الكفار (إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ) قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و السدى: يعنى على ملة و سميت الديانة أمة لاجتماع الجماعة على صفة واحدة فيها. و قرئ «على إمة»- بكسر الهمزة- و المراد به الطريقة (وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ) أى على آثار آبائنا (مهتدون) نهتدى بهداهم. ثم قال مثل ما قال هؤلاء فى الحوالة على تقليد آبائهم فى الكفر كذلک لم نرسل من قبلک فى قرية و مجمع من الناس نذيراً- لان (من) زيادة- (إِلَّا قالَ

مُتْرَفُوها)

و هم الذين آثروا الترفة على طلب الحجة، و هم المتنعمون الرؤساء (إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ) يعنى على ملة (وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ) نقتدى بهم فأحال الجميع على التقليد للاباء فحسب، دون الحجة، و التقليد قبيح بموجب العقل لأنه لو كان جائزاً للزم فيه أن يكون الحق فى الشىء و نقيضه، فيكون عابد الوثن يقلد أسلافه، و كذلک يقلد اسلافه اليهودى و النصرانى و المجوسى، و كل فريق يعتقد أن الآخر على خطأ و ضلال. و هذا باطل بلا

خلاف، فإذاً لا بد من الرجوع إلى حجة عقل او كتاب منزل من قبل اللّه، فقال اللّه تعالى للنذير (قل) لهم (أَ وَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ) فهل تقبلونه؟ و فى ذلک حسن التلطف فى الاستدعاء إلى الحق، و هو انه لو كان ما تدعونه حقاً و هدى على ما تدعونه، لكان ما جئتكم به من الحق اهدى من ذلک و أوجب ان يتبع و يرجع اليه، لأن ذلک، إذا سلموا أنه اهدى مما هم عليه بطل الرد و التكذيب، و إذا بطل ذلک لزم اتباعه فى ترک ما هم عليه.
ثم حكى ما قالوا فى الجواب عن ذلک فإنهم قالوا (إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ) معاشر الأنبياء (كافرون) ثم اخبر تعالى فقال (فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ) بأن أهلكناهم و عجلنا عقوبتهم (فانظر) يا محمد (كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) لانبياء اللّه و الجاحدين لرسله.

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنَّنِي بَراءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (27) وَ جَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (28) بَلْ مَتَّعْتُ هؤُلاءِ وَ آباءَهُمْ حَتَّى جاءَهُمُ الْحَقُّ وَ رَسُولٌ مُبِينٌ (29) وَ لَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ قالُوا هذا سِحْرٌ وَ إِنَّا بِهِ كافِرُونَ (30)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 193

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى لنبيه صَلى اللّهُ عَليه و آله و اذكر يا محمد (إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ) حين رآهم يعبدون الأصنام و الكواكب (إِنَّنِي بَراءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ) أى برىء من عبادتكم الأصنام و الكواكب فقوله (براء) مصدر وقع موقع الوصف، لا يثنى و لا يجمع و لا يؤنث. ثم استثنى من جملة ما كانوا يعبدونه اللّه تعالى فقال (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) معناه انى برىء من كل معبود سوى اللّه تعالى الذى فطرنى أى خلقنى و ابتدأنى، و تقديره إلا من الذى فطرنى. و قال قتادة: كانوا يقولون اللّه ربنا مع عبادتهم الأوثان (فانه سيهدين) فى ما بعد. و المعنى انه سيهدينى إلى طريق الجنة بلطف من ألطافه يكون داعياً إلى ان أتمسك به حتى يؤدينى اليها، و إنما قال ذلک ثقة باللّه تعالى و دعاء لقومه إلى ان يطلبوا الهداية من ربه. و التبرى من كل معبود من دون اللّه واجب بحكم العقل، كما يجب ذمهم على فعل القبيح لما فى ذلک من الزجر عن القبيح و الردع عن الظلم، فكذلک يجب قبول قول من أخلص عبادة اللّه، كما يجب مدحه على فعله.

و قوله (وَ جَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ) معناه جعل هذه الكلمة التى قالها إبراهيم كلمة باقية فى عقبه بما اوصى به مما أظهره اللّه من قوله إجلالا له و تنزيهاً له و رفعاً لقدره بما كان منه من جلالة الطاعة و الصبر على أمر اللّه. و قال قتادة و مجاهد و السدى: معنى قوله (وَ جَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ) قوله: لا إله إلا اللّه لم يزل فى ذريته من يقولها و قال ابن زيد: هو الإسلام بدلالة قوله (هُوَ سَمَّاكُمُ

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 194

الْمُسْلِمِينَ)

«1». و قال ابن عباس: فى عقبه من خلفه. و قال مجاهد: فى ولده و ذريته. و قال السدى: فى آل محمد عليهم السلام. و قال الحسن: عقبه ولده إلى يوم القيامة. و قوله (لعلهم يرجعون) قال الحسن: معناه راجع إلى قوم إبراهيم. و قال الفراء: معناه (لعلهم يرجعون) عما هم عليه إلى عبادة اللّه، و قال قتادة: معناه لعلهم يعترفون و يذكرون اللّه. و قال اللّه تعالى إنا لم نعاجل هؤلاء الكفار بالعقوبة (بَلْ مَتَّعْتُ هؤُلاءِ وَ آباءَهُمْ حَتَّى جاءَهُمُ الْحَقُّ) يعنى القرآن (و رسول مبين) أى مظهر للحق، يعنى محمداً صَلى اللّهُ عَليه

و آله.
ثم قال تعالى (وَ لَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ) يعنى القرآن (قالُوا هذا سِحْرٌ) و هو حيلة خفية توهم المعجزة (و إنا به) يعنى بالقرآن (كافرون) أى جاحدون لكونه من قبل اللّه تعالى و إنما كان من نسب الحق و الدين إلى السحر كافراً باللّه، لأنه بمنزلة من عرف نعمة اللّه و جحدها فى عظيم الجرم، فسمى باسمه ليدل على ذلک.

وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (31) أَ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّکَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَ رَحْمَتُ رَبِّکَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32) وَ لَوْ لا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَ مَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ (33) وَ لِبُيُوتِهِمْ أَبْواباً وَ سُرُراً عَلَيْها يَتَّكِؤُنَ (34) وَ زُخْرُفاً وَ إِنْ كُلُّ ذلِکَ لَمَّا مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّکَ لِلْمُتَّقِينَ (35)

---

(1) سورة 22 الحجج آية 78

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو (سقفاً) على التوحيد- بفتح السين- الباقون (سقفاً) بضم السين و القاف- على الجمع- و قرأ حمزة و الكسائى (لَمَّا مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا) مشددة الميم. الباقون خفيفة. من شدد الميم جعل (لما) بمعنى (إلا) و من خفف جعل (ما) صلة إلا ابن عامر فانه خفف و شدد. قال ابو على: من خفف جعل (إن) المخففة من الثقيلة و أدخل اللام للفصل بين النفى و الإيجاب، كقوله (وَ إِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ) «1» و من نصب بها مخففة، فقال إن زيداً منطلق استغنى عن اللام، لأن النافية لا ينتصب بعدها الاسم، و (ما) زائدة. و المعنى:

و إن كل ذلک لمتاع الحياة.

حكى اللّه عن هؤلاء الكفار الذين حكى عنهم أنهم قالوا لما جاءهم الحق الذى هو القرآن (لولا نزل) إن كان حقاً (عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) يعنى بالقريتين مكة و الطائف، و يعنون بالرجل العظيم من احد القريتين- فى قول ابن عباس- الوليد ابن المغيرة المخزومى القرشى من أهل مكة، أو حبيب بن عمرو ابن عمير من الطائف، و هو الثقفى. و قال مجاهد: يعنى بالذى من أهل مكة عقبة بن ربيعة، و الذى من اهل الطائف ابن عبد ياليل. و قال قتادة: الذى من أهل مكة يريدون الوليد ابن المغيرة، و الذى من اهل الطائف عروة بن مسعود الثقفى. و قال السدى: الذى من أهل الطائف كنانة بن عمرو. و إنما قالوا ذلک لأن الرجلين كانا عظيمى قومهما، و ذوى الأموال الجسمية فيهما، فدخلت الشبهة

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 101

عليهم فاعتقدوا أن من كان كذلک كان أولى بالنبوة. و هذا غلط لان اللّه تعالى يقسم الرحمة بالنبوة كما يقسم الرزق فى المعيشة على حسب ما يعلم من مصالح عباده فليس لأحد ان يتحكم فى شىء من ذلک. فقال تعالى على وجه الإنكار عليهم و التهجين لقولهم (أَ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّکَ) أى ليس لهم ذلک بل ذلک اليه تعالى.
ثم قال تعالى (نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا) و قيل: الوجه فى إختلاف الرزق بين الخلق فى الضيق و السعة زيادة على ما فيه من المصلحة إن فى ذلک تسخير بعض العباد لبعض باحواجهم اليهم، لما فى ذلک من الأحوال التى تدعو الى طلب الرّفعة و ارتباط النعمة و لما فيه من الاعتبار بحال الغنى و الحاجة، و ما فيه من صحة التكليف على المثوبة.
ثم قال تعالى (وَ رَحْمَتُ رَبِّکَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) يعنى رحمة اللَّه و نعمه من الثواب فى الجنة خير مما يجمعه هؤلاء الكفار من حطام الدنيا.
ثم اخبر تعالى عن هوان الدنيا عليه و قلة مقدارها عنده بأن قال (وَ لَوْ لا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً) أى لولا انهم يصيرون كلهم كفاراً (لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَ مَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ) استحقاراً للدنيا و قلة مقدارها و لكن لا يفعل ذلک، لأنه يكون مفسدة. و اللّه تعالى لا يفعل ما فيه مفسدة.
ثم زاد على ذلک و كنا نجعل لبيوتهم على كون سقفهم من فضة معارج، و السقف بالضم سقف مثل رهن و رهن. و قال مجاهد: كل شىء من السماء فهو سقف، و كل شىء من البيوت فهو سقف بضمتين، و منه قوله (وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً) «1» قال الفراء قوله (لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً) يحتمل أن تكون اللام

---

(1)سورة 21 الأنبياء آية 32

الثانية مؤكدة للأولى، و يحتمل أن تكون الثانية بمعنى (على) كأنه قال لجعلنا لمن يكفر بالرحمن على بيوتهم سقفاً، كما تقول: جعلنا لک لقومک العطاء أى جعلته لأجلک (وَ لِبُيُوتِهِمْ أَبْواباً وَ سُرُراً) جمع سرير (عليها يتكؤن) من فضة ايضاً و حذف لدلالة الكلام عليها. و قوله (و زخرفاً) قال ابن عباس: هو الذهب.
و به قال الحسن و قتادة و الضحاک. و قال ابن زيد: هو الفرش و متاع البيت، و المزخرف المزين. و قال الحسن المزخرف المنقوش و السقف جمع سقوف كرهون و رهن. و قيل:
هو جمع سقف و لا نظير له و الأول أولى، لأنه على وزن زبور و زبر. و المعارج الدرج- فى قول ابن عباس و قتادة- و هى المراقى قال جندب بن

المثنى:
يا رب رب البيت ذى المعارج «1»
(و معارج) درجا (عليها يظهرون) أى يصعدون. و قال ابن عباس و الحسن و قتادة و السدى لولا ان يكون الناس أمة واحدة أى يجتمعون كلهم على الكفر. و قال ابن زيد: معناه يصيرون كلهم أمة واحدة على طلب الدنيا.
ثم قال (وَ إِنْ كُلُّ ذلِکَ لَمَّا مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا) معناه ليس كل ذلک يعنى ما ذكره من الذهب و الفضة و الزخرف إلا متاع الحياة الدنيا الذى ينتفع به قليلا ثم يفنى و ينقطع.
ثم قال (و الآخرة) أى العاقبة (عند ربک) الثواب الدائم (للمتقين) الذين يتقون معاصيه و يفعلون طاعاته فصار كل عمل ما للدنيا صغير بالاضافة إلى ما يعمل للاخرة، لأن ما يعمل للدنيا منقطع و ما يعمل للآخرة دائم.

وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36) وَ إِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (37) حَتَّى إِذا جاءَنا قالَ يا لَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (38) وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ (39) أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِى الْعُمْىَ وَ مَنْ كانَ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ (40)

---

(1) مجاز القرآن 2/ 204

خمس آيات بلا خلاف. قرأ حمزة و الكسائى و ابو عمرو و حفص عن عاصم (جاءنا) بالتوحيد.

الباقون (جاءانا) على التثنية. من قرأ على التثنية أراد الكافر و قرينه من الشياطين كقوله (وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) «1» أى قرنت بنظيرها. و من أفرد قال: لأن الكافر هو الذى أفرد بالخطاب فى الدنيا و أقيمت عليه الحجة بإنفاذ الرسول اليه فاجتزى بالواحد عن الاثنين، كما قال (لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ) «2» و المراد لينبذان يعنى هو و ماله. و قرأ يعقوب و العليمى (يقيض) بالياء على لفظ الخبر عن الغائب. الباقون بالنون على وجه الخبر عن اللّه تعالى.

يقول اللّه تعالى (وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ) أى يعرض عن ذكر اللّه لا ظلامه عليه لجهله، يقال: عشا يعشو عشواً و عشوّاً إذا ضعف بصره و أظلمت عينه كأن عليها غشاوة قال الشاعر:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد حطباً جزلا و ناراً تأججا «3»

و إذا ذهب بصره قيل: عشى يعشى عشاء، و منه رجل أعشى و امرأة

---

(1)سورة 81 كورت آية 7

(2)سورة 104 الهمزة آية 4

(3)تفسير الطبرى 25/ 39 و الكتاب لسيبويه 1/ 396

عشواء، فعشى يعشى مثل عمى يعمى، و عشا يعشو إذا نظر نظراً ضعيفاً. و قرئ (من يعش) بفتح الشين. و معناه يعمى يقال: عشا إلى النار إذا تنورها فقصدها و عشى عنها إذا أعرض قاصداً لغيرها كقولهم مال اليه و مال عنه. و قيل: معناه بالعين من يعرض عن ذكره. و قوله (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً) قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال الحسن: نخلى بينه و بين الشيطان الذى يغويه و يدعوه الى

الضلالة فلا نمنعه منه.
الثانى- و قيل: نجعل له شيطاناً قريناً، يقال قيض له كذا و كذا أى سهل و يسر.
الثالث- قال قتادة: نقيض له شيطاناً فى الآخرة يلزمه حتى يصير به إلى النار فحينئذ يتمنى البعد عنه. و أما المؤمن فيوكل به ملك فلا يفارقه حتى يصير به الى الجنة. و إنما جاز ان يقيض له الشيطان إذا أعرض عن ذكر اللَّه حتى يغويه لأنه إذا كان ممن لا يفلح فلو لم يغوه الشيطان لفعل من قبل نفسه مثل ذلک كالفساد الذى يفعله باغواء الشيطان او أعظم منه فلم يمنع لطفاً، و قيض له الشيطان عقاباً.
و فى ذلک غاية التحذير عن الاعراض عن حجج اللَّه و آياته.
ثم قال تعالى (و انهم) يعنى الشياطين (ليصدونهم) يعنى الكفار (عن السبيل) يعنى عن سبيل الحق الذى هو الإسلام (وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) الى طريق الحق. و قوله (حَتَّى إِذا جاءَنا) على التثنية أراد حتى إذا جاء الشيطان و من أغواه يوم القيامة الى الموضع الذى يتولى اللَّه حساب الخلق فيه و جزاءهم.
و من قرأ على التوحيد فالمراد حتى إذا جاء الكافر و علم ما يستحقه من العقاب ضرورة قال ذلک الوقت لقرينه (يا لَيْتَ بَيْنِى وَ بَيْنَکَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ) قيل فى معناه قولان:
أحدهما- أنه عنى المشرق و المغرب الا انه غلب أحدهما، كما قيل سنة العمرين التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 200
و قال الشاعر:
أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها و النجوم طوالع «1»
يعنى الشمس و القمر، و قال المفضل: أراد النبى محمد و ابراهيم عليهما السلام و قال الآخر:
و بصرة الأزد منا و العراق لنا و الموصلان و منا مصر و الحرم «2»
يعنى الموصل و الجزيرة.
الثانى- انه أراد مشرق الشتاء و مشرق الصيف، كما قال (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) «3» و إنما أراد (يا لَيْتَ بَيْنِى وَ بَيْنَکَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ) مسافة فلم أرک و لا اغتررت بک (فبئس القرين) كنت أنت، يقول لهذا الشيطان الذى أغواه، فقال اللَّه تعالى (وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ) هذا الندم (إذ ظلمتم) نفوسكم بارتكاب المعاصى (أَنَّكُمْ فِى الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ) أى لأنكم فى العذاب شركاء، فلذلک لا ينفعكم هذا القول. و قيل: إن المراد لا يسليكم عما أنتم فيه من انواع العذاب أن أعداءكم شركاؤكم فيها لأنه قد يتسلى الإنسان عن محنة يحصل فيها إذا رأى ان عدوه فى مثلها فبين اللَّه تعالى أن ذلک لا ينفعكم يوم القيامة و لا يسليكم عن العذاب و لا يخفف عنكم ذلک يوم القيامة.

ثم قال لنبيه صَلى اللّهُ عَليه و آله (أ فأنت) يا محمد (تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِى الْعُمْىَ) شبه الكفار فى عدم انتفاعهم بما يسمعونه من إنذار النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله و وعظه بالصم الذين لا يسمعون، و فى عدم انتفاعهم بما يرونه بالعمى الذين لا يبصرون شيئاً (وَ مَنْ كانَ فِى ضَلالٍ) عن الحق (مبين) أى بين ظاهر لا شبهة فيه. و من لا يطلب الحق و لا يجتهد فيه لسبقه إلى الباطل و اغتباطه به، فهو الذى يمتنع هدايته و لا حيلة

---

(1) تفسير القرطبى 16/ 91 و الطبرى 25/ 40
(2) تفسير الطبرى 25/ 40
(3) سورة 55 الرحمن آية 17
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 201
فيه و لا طريق إلى إرشاده و صار بمنزلة الأصم و الأعمى عنه.
و قرأ ابن عامر وحده (وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ... أَنَّكُمْ) بكسر الهمزة، جعل تمام الآية و الوقف على قوله (إِذْ ظَلَمْتُمْ) ثم استأنف (إنكم) و فتح الباقون، جعلوا (أن) اسماً فى موضع رفع.

فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِکَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (41) أَوْ نُرِيَنَّکَ الَّذِی وَعَدْناهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (42) فَاسْتَمْسِکْ بِالَّذِی أُوحِیَ إِلَيْکَ إِنَّکَ عَلی صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (43) وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ (44) وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رُسُلِنا أَ جَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (45)

خمس آيات بلا خلاف قوله (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِکَ فَإِنَّا مِنْهُمْ) معناه إن نذهب بک، فلما دخلت (ما) على حرف الشرط أشبه القسم فى التأكيد و الإيذان بطلب التصديق، فدخلت النون فى الكلام لذلک لأن النون تلزم فى جواب القسم و لا تلزم فى الجزاء، لأنه شبه به، و إنما وجب باذهاب النبى إهلاک قومه من الكفار، لأنه علامة اليأس من فلاح أحد منهم، كما اسرى لوط بأهله، و موسى بقومه و غيرهما من النبيين و كأنه قال: فاما نذهبن بک على سنتنا فيمن قبلک فيكون إذهابه به إخراجه من بين الكفار. و

قال قوم: إنما أراد إذهابه بالموت، و يكون قوله (فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) على هذا ما كان من نقم اللَّه على أهل الكفر أكرم بها نبيه حيث أعلمه ما كان من النقمة فى أمته بعده- ذهب اليه التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 202

الحسن و قتادة- و هو الذى روى عن اهل البيت عليه السلام و رووا أن التأويل: فانا بعلى منهم منتقمون،

و قال الأولون إن ذلک فى المشركين، و قوّوا ذلک بان اللَّه ذكر ذلک عقيب ذكر المشركين، قالوا: و هو ما كان من نقم اللَّه على المشركين يوم بدر بعد إخراج النبى من مكة و إنه استعلى عليهم و أسر منهم مع قلة أصحابه و ضعف عددهم و كثرة الكفار و شدة شوكتهم و كثرة عدتهم، فقتلوهم كيف شاءوا و أسروا من أحبوا و كان ذلک مصداقاً لما قاله لهم. و قوله (أَوْ نُرِيَنَّکَ الَّذِی وَعَدْناهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ) يعنى ما أراهم بهم يوم بدر فى ما قدمناه. و بين تعالى أنه على ذلک قادر و كان كما قال. و من قال بالتأويل الأخير، قال معنى (او نرينک) او نعلمنک ما وعدناهم و فعلنا بهم. ثم قال لنبيه (فَاسْتَمْسِکْ بِالَّذِی أُوحِیَ إِلَيْکَ) من إخلاص العبادة للَّه تعالى و إتباع أوامره و الانتهاء عما نهى عنه (إِنَّکَ عَلی صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) وصف الإسلام بانه صراط مستقيم لأنه يؤدى إلى الحق المطلوب حيث يستقيم بصاحبه حتى يوصله اليه.

و قوله (وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ) قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان هذا القرآن شرف لک بما أعطاک اللَّه- عز و جل- من الحكمة و لقومک بما عرضهم له من إدراک الحق به و انزاله على رجل منهم.

الثانى- انه حجة تؤدى إلى العلم لک و لكل أمتک. و الاول اظهر. و قال

الحسن: و لقومک لأمتک. و قیل: إنه لذکر لک و لقومک یذکرون به الدین و یعلمونه و سوف تسألون عما یلزمکم من القیام بحقه و العمل به.
ثم قال لنبیه صَلی اللّهُ عَلیه و آله (وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رُسُلِنا) قال قتادة و الضحاک: سل من أرسلنا یعنی أهل الکتابین التوراة و الإنجیل، و قال ابن زید:
إنما یرید الأنبیاء الذین جمعوا لیلة الاسراء. و هو الظاهر، لأن من قال بالأول

یحتاج ان یقدر فیه محذوفاً، و تقدیره و إرسال أمم من أرسلنا من قبلک. و قیل:
المراد سلهم فإنهم و إن کانوا کفاراً، فان تواتر خبرهم تقوم به الحجة. و قیل:
الخطاب و إن توجه إلی النبی صَلی اللَّهُ عَلیه و آله فالمراد به الأمة کأنه قال و اسألوا من أرسلنا کما قال (یا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ) «1» و قوله (أَ جَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَةً یُعْبَدُونَ) معناه سلوا من ذکرناه هل جعل اللّه فی ما مضی معبوداً سواه یعبده قوم: من الأصنام او غیرها، فإنهم یقولون لکم إنا لم نأمرهم بذلک و لا تعبدناهم به.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِ فَقالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ (46) فَلَمَّا جاءَهُمْ بِآياتِنا إِذا هُمْ مِنْها يَضْحَكُونَ (47) وَ ما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها وَ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (48) وَ قالُوا يا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنا لَمُهْتَدُونَ (49) فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ (50)

خمس آيات بلا خلاف.

هذا قسم من اللَّه تعالى بأنه أرسل موسى بالآيات الباهرات و الحجج الواضحات إلى فرعون و اشراف قومه و خص الملأ بالذكر، و ان كان مرسلا إلى غيرهم، لان من عدهم تبع لهؤلاء، فقال موسى له (إِنِّي رَسُولُ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ) الذى خلق الخلق أرسلنى إليكم. ثم اخبر تعالى فقال (فَلَمَّا جاءَهُمْ بِآياتِنا) يعنى موسى جاء الى فرعون و ملائه بالآيات و الحجج (إذا هم منها) يعنى من تلك

---

(1) سورة 65 لطلاق آية 1

الآيات (يضحكون) جهلا منهم بما عليهم من ترك النظر فيها، و ما لهم من النفع بحصول علمهم بها. و فى الخبر عن ضحك أولئك الجهال عند ظهور الآيات زجر عن مثل حالهم و دعاء إلى العلم الذى ينافى الجهل. و فيه ايضاً أنه لا ينبغى ان يلتفت إلى تضاحك أمثالهم من الأدلة إذا كان الإنسان على يقين من أمره.

و الأنبياء كلهم يشتركون فى الدعاء إلى اللَّه بإخلاص عبادته و طاعته فى جميع ما يأمر به او ينهى عنه، و دعوتهم إلى محاسن الأفعال و مكارم الأخلاق و إن اختلفت شرائعهم و تباينت مللهم و نسخت بعضها بعضاً.

و قوله (وَ ما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها) معناه إنه تعالى لا يريهم يعنى فرعون و قومه معجزة و لا دلالة إلا و هى اكبر من الاخرى عند إدراك الإنسان لها لما يهوله من أمرها، فيجد نفسه يقتضى أنها اكبر كما يقول الإنسان:

هذه العلة التى نزلت بى أعظم من كل علة، و هو يريد أن لها مزية أعظم منها إلا انه ذهب هول الأولى بانصرافها و حكم الثانية بحضورها. و قال قوم: المعنى و ما نريهم من آية إلا هى أهول فى صدورهم من التى مضت قبلها.

ثم قال تعالى (وَ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ) إذ عصوا فيها، و كفروا بها (لعلهم يرجعون) إلى طاعته و إنما جاز أخذهم بالعذاب ليرجعوا مع العلم بأنهم لا يرجعون لإمكان أن يرجعوا اليه، لأن كلما فى المعلوم أنه لا يقع لا يجوز أن

يفعل العالم شيئاَ من أجل انه سيقع و لكن يجوز أن يفعل شيئاَ لإمكان أن يقع.
و المعنى- هاهنا- لعلهم يرجعون الى طريق الحق الذى ذهبوا عنه الى طريق الباطل.
ثم حكى تعالى ما قال فرعون و ملاءه لموسى عند ذلک فإنهم (قالُوا يا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنا رَبَّکَ بِما عَهِدَ عِنْدَکَ إِنَّنا لَمُهْتَدُونَ) و قال قوم: إنما قالوا له يا أيها الساحر لجهلهم بنبوته و صدقه و اعتقادهم انه سحرهم بذلک. و قال قوم: التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 205
كان الساحر عندهم هو العالم و لم يكن صفة ذم. و قال الحسن: إنما قالوا ذلک على وجه الاستهزاء بموسى، كما قال المشركون (يا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّکَ لَمَجْنُونٌ) «1» و قال الزجاج: وجه ذلک انه جرى ذلک على ألسنتهم على عادتهم فيه قبل ذلک. و قال قوم: أرادوا يا أيها الفطن يا أيها العالم، لأن السحر عندهم دقة النظر و العلم بالشىء كالسحر الحلال، يقال فلان: يسحر بكلامه.
و قال قوم: و خاطبوه بما تقدم تشبيهاً له بالساحر، فقالوا له (ادْعُ لَنا رَبَّکَ بِما عَهِدَ عِنْدَکَ) معناه أن يا موسى ادع لنا ربک ليكشف عنا العذاب- فى قول مجاهد- فانه متى كشف عنا ذلک اهتدينا و رجعنا إلى الحق الذى يدعونا اليه. و فى الكلام حذف لأن تقديره فدعا موسى و سأل ربه و ضرع اليه أن يكشف عنهم العذاب، فكشف اللَّه عنهم ذلک فإذا هم عند ذلک ينكثون. و معناه ينقضون ما عقدوا على أنفسهم. و قال قتادة: معناه يغدرون، و إنما أخبر اللَّه تعالى و قص خبر موسى و ما جرى له تسلية للنبى صَلى اللّهُ عَليه و آله و المعنى إن حال موسى مع قومه و حالک مع قومک سواء، فاصبر إن أمرک يؤل إلى الاستعلاء، كما آل أمر موسى عليه السلام.

وَ نادى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قالَ يا قَوْمِ أَ لَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَ هذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَ فَلا تُبْصِرُونَ (51) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَ لا يَكادُ يُبِينُ (52) فَلَوْ لا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (53) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ (54) فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ (55)
فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَ مَثَلاً لِلْآخِرِينَ (56) وَ لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (57) وَ قالُوا أَ آلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (58) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَ جَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرائِيلَ (59) وَ لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (60)

---

(1) سورة 15 الحجر آية 6

عشر آيات كوفى و شامى. و احدى عشرة فى ما عداه، عدوا (مَهِينٌ) و لم يعده الكوفيون و الشاميون.
قرأ حفص عن عاصم (اسورة) بغير ألف. الباقون (أساورة) بألف.
و قرأ حمزة و الكسائى و خلف «سلفاً» بضم السين و اللام. الباقون بفتحهما. فمن قرأ بالضم فيهما أراد جمع سليف أى جمع قد مضى من الناس. و من قرأ «أسورة» أراد جمع سوار، و قال أبو عبيدة: و قد يكون أسوار جمع أسورة. و من قرأ «سلفاً» بضم السين و اللام جعله جمع سليف. و قال ابو على: و يجوز أن يكون جمع (سلف) مثل أسد و اسد، و وثن و وثن. و من فتح فلأن (فَعَلا) جاء فى حروف يراد بها الكثرة، فكأنه اسم من اسماء الجمع، كقولهم خادم و خدم. و الفتح اكثر. و قد روى- بضم السين- و قرأ الكسائى و نافع و ابن عامر «يصدون» بضم الصاد بمعنى يعرضون أى يعدلون. الباقون- بفتح الياء و كسر الصاد- بمعنى يضجون.

و قيل: هما لغتان.
لما حكى اللّه تعالى عن قوم فرعون أنه حين كشف العذاب عنهم نكثوا عهدهم و عادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر، نادى فرعون فى قومه الذين اتبعوه على دينه، و قال لهم «يا قوم» على وجه التقرير لهم «أَ لَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ» أتصرف فيها كما أشاء لا يمنعنى احد منه «وَ هذِهِ الْأَنْهارُ» كالنيل و غيرها «تَجْرِي مِنْ تَحْتِي» أى من تحت أمرى. و قيل: إنها كانت تجرى تحت قصره، و هو مشرف عليها «أَ فَلا تُبْصِرُونَ» أن ما ادعيه حق و أن ما يقوله موسى باطل. و قيل:

قوله «من تحتى» معناه إن النيل كانت تجرى منه أنهار تحت قصره. و قيل (من تحتى) من بين يديه لارتفاع سريره. ثم قال لهم فرعون «أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَ لا يَكادُ يُبِينُ» و قال قوم: معنى (أم) بل. فكأنه قال: بل أنا خير من موسى، و قال قوم: مخرجها مخرج المنقطعة، و فيها معنى المعادلة لقوله «أ فلا تبصرون» أم أنتم بصراء، لأنه لو قالوا نعم لكان بمنزلة قولهم انت خير.
و الأصل فى المعادلة على أى الحالين أنتم على حال البصر أم على حال خلافه. و لا يجوز ان يكون المعنى على أى الحالين أنتم على حال البصر أم حال غيرها فى أنى خير من هذا الذى هو مهين، و إنما المعادلة تفصيل ما أجمله. و قيل له- هاهنا- بتقدير أنا خير من هذا الذى هو مهين أم هو إلا أنه ذكر ب (أم) لاتصال الكلام بما قبله. و حكى الفراء (اما أنا) و هذا شاذ على انه جيد المعنى. و المهين الضعيف- فى قول قتادة و السدى- و قيل: معناه فقير. و قيل يمتهن نفسه فى جميع ما يحتاج اليه ليس له من يكفيه، و لا يكاد يبين- و قال الزجاج للثة كانت فى لسانه. و قال قتادة: كانت فى لسانه آفة. و به قال السدى. و قيل: إنه كان احترق لسانه بالجمر الذى وضعه فى فيه حين أراد أن يعتبر فرعون عقله لما لطم وجهه، و أراد أن التبيان فى

يأخذ غير النار فصرف جبرائيل يده إلى النار، فدفع عنه القتل، و قال الحسن:
كان فى لسانه ثقل، فنسبه إلى ما كان عليه أولا.
و قوله «فَلَوْ لا أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ» معناه هلا إن كان صادقاً فى نبوته طرح عليه أساورة من ذهب. فمن قرأ (أساورة) بألف أراد جمع أسورة و أسورة جمع سوار و هو الذى يلبس فى اليد. و أما أسوار، فهو الرامى الحاذق بالرمى، و يقال أسوار- بالضم- و من جعله جمع أسورة أراد أساوير، فجعل الهاء عوضاً عن الياء. مثل الزنادقة، فلذلک صرفه، لأنه صار له نظير فى الآحاد.
و مثله فى الجمع الزنادقة. و الاسورة الرجل الرامى الحاذق بالرمى من رجال العجم.
و قوله «أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ» قال قتادة و معناه متتابعين، و قال السدى معناه يقارن بعضهم بعضاً. و قيل معناه متعاضدين متناصرين كل واحد مع صاحبه مماليا له على أمره. و قال مجاهد: معناه مقترنين يمشون معه.
و قوله «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ» يعنى فرعون استخف عقول قومه، فأطاعوه فى ما دعاهم اليه، لأنه احتج عليهم بما ليس بدليل، و هو قوله «أَ لَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَ هذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى» و لو عقلوا و فكروا لقالوا ليس فى ملک الإنسان ما يدل علىِ انه محق لكون ملوک كثيرة يخالفونک مبطلين

عندک، و لیس یجب ان یأتی مع الرسل ملائکة، لأن الذی یدل علی صدق الجمیع المعجز دون غیره.
ثم اخبر اللّه تعالی عنهم بأنهم کانوا قوماً فاسقین خارجین عن طاعة اللّه إلی معصیته. ثم قال «فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ» قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و السدی و ابن زید: معنی اسفونا أغضبونا، لأن اللّه تعالی یغضب علی العصاة بمعنی یرید عقابهم، و یرضی عن المطیعین بأن یرید ثوابهم بما یستحقونه من طاعاتهم و معاصیهم کما یستحقون المدح و الذم. و قیل الاسف هو الغیظ من المغتم إلا انه- هاهنا- بمعنی التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 209
الغضب. ثم بین تعالی بماذا انتقم منهم، فقال «فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِینَ» ثم قال «فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَ مَثَلًا لِلْآخِرِینَ» فالسلف المتقدم علی غیره قبل مجیء وقته، و منه السلف فی البیع. و السلف نقیض الخلف. و من قرأ- بضم السین و اللام- فهو جمع سلیف من الناس، و هو المتقدم أمام القوم. و قیل: معناه «فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً» متقدمین لیتعظ بهم الآخرون. و قال قتادة: جعلناهم سلفاً إلی النار و مثلا أی عظة للآخرین. و المثل بیان عن أن حال الثانی کحال الأول بما قد صار فی الشهرة کالعلم، فحال هؤلاء المشرکین کحال من تقدم فی الاشراک بما یقتضی أن یجروا مجراهم فی الإهلاک إن أقاموا علی الطغیان.
ثم قال اللّه تعالی «وَ لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْیَمَ مَثَلًا إِذا قَوْمُکَ مِنْهُ یَصِدُّونَ» قیل: المراد بذلک لما ضرب اللّه المسیح مثلا بآدم فی قوله «إِنَّ مَثَلَ عِیسی عِنْدَ اللَّهِ کَمَثَلِ آدَمَ» «1» اعترض علی النبی صَلی اللّهُ عَلیه و آله عن ذلک قوم من کفار قریش، فانزل اللّه تعالی هذه الآیة. و وجه الاحتجاج فی شبه المسیح بآدم ان الذی قدر أن ینشئ آدم من غیر ذکر قادر علی إنشاء المسیح من غیر ذکر، فلا وجه لاستنکاره من هذا الوجه. و قیل: إنه لما ذکر المسیح بالبراءة من الفاحشة و انه کآدم فی الخاصة، قالوا: هذا یقتضی ان نعبده کما عبده النصاری. و قیل: انه لما نزل قوله «إِنَّکُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ» «2» قالوا قد رضینا أن یکون آلهتنا مع المسیح. و روی عن النبی صَلی اللّهُ عَلیه و آله انه قال یوماً لعلی علیه السلام (لولا أنی أخاف ان یقال فیک ما قالت النصاری فی عیسی لقلت فیک قولا لا تمرّ بملاء إلا أخذوا التراب من تحت قدمیک)
أنکر ذلک جماعة من المنافقین، و قالوا: لم یرض

---

(1)سورة 3 آل عمران آیة 59
(2)سورة 21 الأنبیاء آیة 98 [.....]

ان یضرب له مثلا إلا بالمسیح، فانزل اللّه الآیة.

و قوله «يصدون» بكسر الصاد و ضمها لغتان. و قد قرئ بهما مثل يشد و يشد و ينم و ينم من النميمة. و قيل: معنى يصدون- بكسر الصاد- يضجون أى يضجون سروراً منهم بأنهم عبدوا الأوثان كما عبد النصارى المسيح و من ضمها أراد يعرضون.
ثم حكى عن الكفار انهم قالوا آلهتنا خير أم هو؟! قال السدى: يعنون أم المسيح. و قال قتادة: يعنون أم محمد صَلى اللّٰهُ عَليه و آله و قيل: معنى سؤالهم آلهتنا خير ام هو؟ انهم ألزموا مالا يلزم على ظن منهم و توهم، كأنهم قالوا: و مثلنا فى ما نعبد مثل المسيح، فأيهما خير أ عبادة آلهتنا أم عبادة المسيح، على انه إن قال عبادة المسيح أقر بعبادة غير اللّٰه، و كذلك إن قال عبادة الأوثان. و إن قال ليس فى عبادة المسيح خير، قصر به عن المنزلة التى ليست لأحد من سائر العباد. و جوابهم عن ذلك إن اختصاص المسيح بضرب من التشريف و الانعام عليه لا يوجب العبادة له كمالا يوجب ذلك انه قد أنعم على غيره النعمة. و وجه اتصال سؤالهم بما قبله انه معارضة لالهية الأوثان بإلهية المسيح كمعارضة إنشاء المسيح عن غير ذكر بإنشاء آدم عليه السلام من غير ذكر. ثم قال لنبيه صَلى اللّٰهُ عَليه و آله ما ضربوه يعنى المسيح مثلا «إلا جدلا» أى خصومة لک و دفعاً لک عن الحق، لأن المجادلة لا تكون إلا و أحد المجادلين مبطلا. و المناظرة قد تكون بين المحقين، لأنه قد يعارض ليظهر له الحق.
ثم قال تعالى «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» أى جدلون فى دفع الحق بالباطل.
ثم وصف المسيح عليه السّلام فقال «إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ» أى ليس هو سوى عبد خلقناه و أنعمنا عليه «وَ جَعَلْناهُ مَثَلًا لِبَنِى إِسْرائِيلَ» قال السدى و قتادة:
يعنى موعظة و عبرة لهم يعتبرون به و يتعظون به. ثم قال «وَ لَوْ نَشاءُ

مَلائِكَةً»
أى بدلا منكم معاشر بنى آدم ملائكة فى الأرض «يخلفون» بنى آدم غير انه انشأ بنى آدم لاسباغ النعمة عليهم. و قرأ قالون عن نافع «آلهتنا» بهمزة واحدة بعدها مدة. الباقون بهمزتين على أصولهم، غير انه لم يفصل احد بين الهمزتين بألف، و انما حققهما اهل الكوفة و روح. و لين الباقون الثانية. و قال ابو عبد اللّٰه بن خالويه: هى ثلاث ألفات الأولى للتوبيخ و التقرير بلفظ الاستفهام و الثانية الف الجمع و الثالثة اصلية. و الأصل «آلهتنا» فصارت الهمزة الثانية مدة ثم دخلت الف الاستفهام.

وَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِها وَ اتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَ لا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (62) وَ لَمَّا جاءَ عِيسى بِالْبَيِّناتِ قالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (63) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ (64) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (65)

خمس آيات بلا خلاف.

الضمير فى قوله «وَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ» يحتمل أن يكون راجعاً إلى عيسى عليه السّلام لأن ظهوره يعلم به مجىء الساعة، لأنه من أشراطها، و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك و السدي و ابن زيد. و قيل: إنه

لئلا يكون رسولا الى اهل ذلک الزمان فى ما يأمرهم به عن اللَّه و ينهاهم عنه.

و قيل: انه عليه السلام يعود غير مكلف فى دولة المهدى و إن كان التكليف باقياً على اهل ذلک الزمان. و قال قوم: إن الضمير يعود الى القرآن يعلمكم بقيامها و يخبركم عنها و عن أحوالها. و هو قول الحسن، و الفائدة بالعلم بالساعة انه يجب التأهب لها من اجل انها تقوم للجزاء لا محالة، و فى الشک فيها فتور فى العمل لها، و يجب لأجلها اجتناب القبائح التى يستحق بها الذم و العقاب و اجتناء المحاسن التى يستحق بها المدح و الثواب. و روى عن ابن عباس شاذاً أنه من- العلم- بفتح العين و اللام بمعنى انه علامة و دلالة على الساعة و قربها.

ثم خاطب الأمة فقال «فَلا تَمْتَرُنَّ بِها» أى لا تشكن فيها. و المرية الشک و يدل على ان المراد به جميع الامة قوله «وَ اتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ» أى ما أخبرتكم به من البعث و النشور و الثواب و العقاب «صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ» ثم نهاهم فقال «وَ لا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطانُ» أى لا يمنعكم الشيطان عن اتباع الطريق المستقيم الذى بينه الذي يفضى بكم إلى الجنة، و لا يعدل بكم إلى الطريق المؤدى إلى النار «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» فالعداوة طلب المكروه و المكيدة و الإيقاع فى كل مهلكة من أجل العداوة التى فى هلاک صاحبها شفاء لما فى صدره منها.

ثم اخبر تعالى عن حال عيسى عليه السلام حين بعثه اللَّه نبياً فقال «وَ لَمَّا جاءَ عِيسى بِالْبَيِّناتِ» يعنى بالمعجزات. قال قتادة يعنى بالإنجيل «قال» لهم «قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ» أي بالذى من عمل به من العباد نجا و من خالفه هلک. و قوله تعالى «وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ». قال مجاهد: يعنى من احكام التوراة و قال قوم: تقديره قد جئتكم بالإنجيل، و بالبينات التى يعجز

عنها الخلق، و الذى جاء به عيسى هو بعض ما اختلفوا فيه، و بين لهم فيه. و قال قوم: البعض يراد به التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 213
- هاهنا- الكل كأنه قال: و لأبين لكم جميع ما تختلفون فيه. و قيل أراد به من أمر دينكم دون أمر دنياكم. و الاختلاف اصل كل عداوة. و الوفاق أصل كل ولاية لأن الخلاف يوجب البغضة، ثم يقوى بالكثرة حتى يصير عداوة، ثم قال لهم يعنى عيسى عليه السّلام «فَاتَّقُوا اللَّهَ» بأن تجتنبوا معاصيه و تفعلوا طاعاته «وَ أَطِيعُونِ» فى ما أدعوكم اليه من العمل بطاعة اللَّه. ثم قال لهم أيضاً «إِنَّ اللَّهَ» الذى تحق له العبادة «هُوَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ» خالصاً و لا تشركوا به معبوداً آخر. ثم قال «هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ» يفضى بكم إلى الجنة و ثواب اللَّه.
و قوله «فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ» قال السدى يعنى اليهود و النصارى.
و قال قتادة: يعنى الفرق الذين تحزبوا فى أمر عيسى عليه السّلام فقال اللَّه تعالى «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» نفوسهم بارتكاب معاصى اللَّه «مِنْ عَذابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ» و هو يوم القيامة.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (66) الْأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (67) يا عِبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (68) الَّذِينَ آمَنُوا بِآياتِنا وَ كانُوا مُسْلِمِينَ (69) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَ أَزْواجُكُمْ تُحْبَرُونَ (70)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى مخاطباً لخلقه و موبخاً لهم «هَلْ يَنْظُرُونَ» أى هؤلاء الكفار، و معناه هل ينتظرون «إِلَّا السَّاعَةَ» يعنى القيامة. و قيل: معناه هل ينتظر بهم لأنهم لم يكونوا ينتظرونها، فأضاف اليهم مجازاً. و قيل سميت القيامة الساعة لقرب أمرها، كأنها تكون فى ساعة. ثم يحصل اهل الجنة فى الجنة و اهل التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 214

النار فى النار، و قيل: سميت بذلک لأنها ابتداء أوقات الآخرة، فهى ابتداء تجديد الساعات.

و قوله «بغتة» أى فجأة، و إنما كانت الساعة بغتة مع تقديم الانذار بها، لأنهم مع الانذار لا يدرون وقت مجيئها، كما لا يدرى الإنسان وقت الرعد و الزلازل، فتأتى بغتة و إن علم انها تكون.

ثم قال تعالى «الأخلاء» و هو جمع خليل «يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ» يعنى من كانت خلته فى دار الدنيا فى غير طاعة اللّه بل كانت فى معصية اللّه، فان تلک الخلة تنقلب عليه عداوة، لان صاحبها يتبين فساد تلک الخلة يوم القيامة و إنما كان كذلک، لان كل واحد من المتخالين فى غير طاعة اللّه يزين لصاحبه خلاف الحق و يدعوه إلى ما يوبقه و يورثه سوء العاقبة بدل ما كان يلزمه من النصيحة له فى الدعاء إلى ترک القبيح و فعل الحسن ثم استثنى من جملة الأخلاء الذين اخبر عنهم أنهم يصيرون أعداءاً «المتقين» لأن من كانت مخالته فى طاعة اللّه و على ما أمر اللّه به فإنها تتأكد ذلک اليوم و لا تنقلب عداوة.

ثم اخبر تعالى بما يقال للمؤمنين المطيعين من عباده فانه يناديهم فيقول لهم «يا عباد» و خصهم بأنهم عباده من حيث أطاعوه و اجتنبوا معاصيه «لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ» من العقاب «وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ» من فوت الثواب. ثم وصف عباده و ميزهم من غيرهم فقال «الَّذِينَ آمَنُوا بِآياتِنا» يعنى الذين صدقوا بحجج اللّه فاتبعوها «وَ كانُوا مُسْلِمِينَ» أى مستسلمين لما أمرهم اللّه به منقادين له.

ثم بين انه يقال لهم «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَ أَزْواجُكُمْ» اللاتى كن مؤمنات «تحبرون» أى تسرون فيها، و الحبور السرور الذى يظهر فى بشرة الوجه اثره، و حبرته حسنة بما يظهر أثر السرور به. و قال قتادة و ابن زيد: معنى

تنعمون. قال السدى: معناه تكرمون، و المراد بالأزواج من كان مستحقاً للثواب و دخل الجنة. و قيل: المراد بالأزواج اللاتى يزوجهم اللّه بهن من الحور العين فى الجنة.

يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَ أَكْوابٍ وَ فِيها ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَ أَنْتُمْ فِيها خالِدُونَ (71) وَ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (72) لَكُمْ فِيها فاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْها تَأْكُلُونَ (73) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ (74) لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (75)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ نافع و ابن عامر و حفص عن عاصم «ما تَشْتَهِيهِ» الأنفس ب (هاء). الباقون «تشتهى» بلا هاء. و حذف الهاء من الصلة إذا كانت للمفعول حسن، كقوله تعالى «أَ هذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» «1» و من أثبتها، فلأنه الأصل.

لما استثنى اللَّه تعالى المتقين من جملة الأخلاء الذين تنقلب خلتهم عداوة و أن خلتهم باقية و أنه يقال لهم و لأزواجهم ادخلوا الجنة محبورين، اخبر بما لهم فيها من انواع اللذات، فقال «يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَ أَكْوابٍ» و تقديره تنقل ألوان الطعام اليهم فى صحاف الذهب. ثم يؤتون بأكواب الشراب على جهة الاستمتاع فى جميع تلك الأحوال. و الصحاف الجامات التى يؤكل فيها الوان

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 41

الأطعمة واحدها صحفة. و الذى يطوف بذلك الوصف او الوصائف من الحور العين الذين يخلقهم اللَّه فى الجنة و اكتفى بذكر الصحاف و الأكواب عن ذكر الطعام و الشراب. و واحد الأكواب كوب و هو إناء على صورة الإبريق لا أذن له و لا خرطوم قال الأعشى:

صليفية طيبا طعمها لها زيد بين كوب و دنّ

و هو كالكأس للشراب. و قال السدى: الصحاف القصاع.

و قوله تعالى «وَ فِيها» يعنى فى الجنة «ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ» و إنما أضاف الالتذاذ إلى الأعين و هو للسان لأن المناظر الحسنة سبب من اسباب اللذة، فاضافتها إلى هذه الجهة احسن و أبلغ لما فيه من البيان مع الإيجاز، لأنه الموضع الذى يلتذ الإنسان به عند رؤيته بعينه.

ثم قال «وَ أَنْتُمْ فِيها» يعنى فى الجنة و فى هذه الأنواع من اللذات «خالِدُونَ» أى مؤبدون. و قوله «وَ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» قال الحسن: ورّث اللَّه تعالى الذين أطاعوه و قبلوا أمره و نهيه منازل الذين عصوه و لم يقبلوا أمره و نهيه. و يجوز ان يكون المراد لما كانت الجنة جزاء على أعمالهم التى عملوها و عقيب ذلك عبر عن ذلك بأنهم أورثوها. ثم بين مالهم فى الجنة ايضاً فقال «لَكُمْ» معاشر المتقين

«فِيها» يعنى فى الجنة «فاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ» أى ثمار عظيمة «مِنْها تَأْكُلَونَ».
ثم اخبر تعالى عن حال أهل النار و العصاة فقال «إن المجرمين» يعنى الذين عصوا اللّه «فِى عَذابِ جَهَنَّمَ» و عقابها «خالدون» أى دائمون «لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ العذاب» و اصل الفتور ضعف الحرارة «وَ هُمْ فِيهِ» يعنى فى العذاب (مُبْلِسُونَ) أى يائسون من رحمة اللّه و فرجه- و هو قول قتادة- و الإبلاس اليأس من الرحمة التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 217
من شدة الحيرة، يقال أبلس فلان إذا تجبر عند انقطاع الحجة.

وَ ما ظَلَمْناهُمْ وَ لكِنْ كانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (76) وَ نادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ (77) لَقَدْ جِئْناكُمْ بِالْحَقِّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ (78) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ بَلى وَ رُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (80)

خمس آيات بلا خلاف.

لما بين اللّه تعالى ما يفعله بالفساق و المجرمين من انواع العذاب بين انه لم يظلمهم بذلک لأنه تعالى غنى عن ظلمهم عالم بقبح الظلم، و من كان كذلک لا يفعل القبيح، و الظلم قبيح. و بين انهم هم الذين ظلموا أنفسهم بارتكابهم المعاصى و فعل القبائح. ثم حكى تعالى ما ينادى به هؤلاء العصاة فى حال العذاب، فإنهم ينادون مالكاً خازن النار فيقولون (يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ) أى ليمتنا حتى لتلخص من العذاب، فيقول مالک مجيباً لهم (إِنَّكُمْ ماكِثُونَ) أى لابثون فيها. و قال ابن عباس و السدى: إنما يجيبهم مالک خازن جهنم بذلک بعد الف سنة، و قال عبد اللّه بن عمر: بعد أربعين سنة. و قال نوف: بعد مائة عام.

ثم اخبر تعالى إنه جاء الخلق بالحق فى ما أخبر به من حال اهل الجنة و اهل النار. و لكن أكثركم معاشر الخلق كارهون للحق. و إنما لا يكره ذلک المؤمنون منكم. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 218

ثم قال (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) أى اجمعوا على التكذيب أى عزموا عليه فانا مجمعون على الجزاء لهم بالتعذيب- و هو قول قتادة- و يكون ذلک على وجه الازدواج، لان العزم لا يجوز عليه تعالى، و مثله (وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها) «1» و قيل: معناه أم احكموا أمراً فى المخالفة، فانا محكمون أمراً فى المجازاة.

ثم قال (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ) أى يظن هؤلاء الكفار انا لا نسمع سرهم و نجواهم أى ما يخفونه بينهم و ما يعلنونه. ثم قال تعالى (بلى) نسمع ذلک و ندركه و مع ذلک (رُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) قال السدى و قتادة:

معناه إن رسلنا الذين هم الحفظة لديهم يكتبون ما يفعلونه و يقولونه.

و قد روى إن سبب نزول هذه الآية ما هو معروف فى الكتب لا نطول بذكره

قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ (81) سُبْحانَ رَبِّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (82) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83) وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلهٌ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (84) وَ تَبارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (85)

خمس آيات بلا خلاف.

قيل فى معنى قوله (قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ) اقوال:

أحدها- فانا أول الآنفين من عبادته، لأن من كان له ولد لا يكون إلا

---

(1) سورة 42 الشورى آية 40

جسماً محدثاً و من كان كذلک لا يستحق العبادة، لأنه لا يقدر على النعم التى يستحق بها العبادة تقول: العرب عبدت فصمت قال الفرزدق:

و اعبد ان يهجى كليب بدارم «1»

و قال آخر:

ألا هذيت أم الوليد و أصبحت لما أبصرت فى الرأس منى تعبد «2»

الثانى- ما قاله ابن زيد و ابن أسلم و قتادة: إن (ان) بمعنى (ما) و تقديره ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين للّه.

الثالث- هو انه لو كان له ولد لعبدته على ذلک كما تقول لو دعت الحكمة إلى عبادة غير اللّه لعبدته لكنها لا تدعوا إلى عبادة غيره، و كما تقول: لو دل الدليل على أن له ولداً لقلت به، لكنه لا يدل، فهذا تحقيق نفى الولد لأنه تعليق محال بمحال.

الرابع- قال السدى: لو كان له ولد لكنت أول من عبده بأن له ولداً، لكن لا ولد. و هذا قريب من الوجه (الثالث).

الخامس- إن كان للّه ولد على قولكم، فأنا أول من وحده و عبده على ان لا ولد له- ذهب اليه مجاهد- و إنما لم يجز على اللّه تعالى الولد لأنه لا يخلو من ان يضاف اليه الولد حقيقة او مجازاً، و حقيقته أن يكون مخلوقاً من مائه او مولوداً على فراشه، و ذلک مستحيل عليه تعالى. و مجازه أن يضاف اليه على وجه التبنى و إنما يجوز فيمن يجوز عليه حقيقته، ألا ترى انه لا يقال تبنى شاب شيخاً لما لم يمكن أن يكون له ولد حقيقة، و انما جاز ان يضاف إلى شيخ شاب على انه تبناه لما

---

(1) القرطبى 16/ 120 و الشوكانى 4/ 550

(2) تفسير الطبرى 25/ 55
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 220
كان حقيقته مقدورة فيه، و كذلک لا يقال تبنى انسان بهيمة لما كان يستحيل أن يكون مخلوقاً من مائه او على فراشه، فلما استحال حقيقته على اللّه تعالى استحال عليه مجازه ايضاً. و إنما جاز أن يقال روح اللّه، و لم يجز ان يقال ولد اللّه لأن روح اللّه بمعنى ملک اللّه للروح، و إنما أضيف اليه تشريفاً. و إن كانت الأرواح كلها للّه بمعنى انه مالک لها. و لا يعرف مثل ذلک فى الولد. ثم نزه نفسه تعالى عن اتخاذ الولد فقال (سُبْحانَ رَبِّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) يعنى الذى خلقهن (رب العرش) أى خالفه و مدبره (عما يصفون) من اتخاذ الولد، لأن من قدر على خلق ذلک و إنشائه مستغن عن اتخاذ الولد.
ثم قال لنبيه صَلى اللّهُ عَليه و آله على وجه التهديد للكفار (فذرهم) أى اتركهم (يخوضوا) فى الباطل (وَ يَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ) بمعنى يوعدون فيه بالعذاب الأبدى. و قال تعالى (وَ هُوَ الَّذِى فِى السَّماءِ إِلهٌ) أى يحق له العبادة فى السماء و يحق له العبادة فى الأرض، و إنما كرر لَفظة إليه فى قوله (و فى الأرض إله) لأحد أمرين:
أحدهما- للتأكيد ليتمكن المعنى فى النفس لعظمه فى باب الحق.
الثانى- إن المعنى هو فى السماء إله، يجب على الملائكة عبادته، و فى الأرض اله يجب على الآدميين عبادته (و هو الحكيم) فى جميع أفعاله (العليم) بجميع المعلومات (و تبارک) و هو مأخوذ من البرک و هو الثبوت، و معناه جل الثابت الذى لم يزل و لا يزال. و قيل: معناه جل الذى عمت بركة ذكره (الَّذِى لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) أى الذى له التصرف فيهما بلا دافع و لا منازع (وَ ما بَيْنَهُما وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) يعنى علم يوم القيامة، لأنه لا يعلم وقته على التعيين غيره (و اليه ترجعون) يوم القيامة فيجازى كلا على قدر عمله. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 221
فمن قرأ بالتاء خاطب الخلق. و من قرأ بالياء ردّ الكناية إلى الكفار الذين تقدم ذكرهم.

وَ لا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعَةَ إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (86) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (87) وَ قِيلِهِ يا رَبِّ إِنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ (88) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَ قُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (89)

أربع آيات بلا خلاف قرأ عاصم و حمزة (و قيله) بكسر اللام على تقدير و عنده علم الساعة و علم قيله. و الباقون بالنصب. و قال الأخفش: رداً على قوله (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ... وَ قِيلِهِ) و هو نصب على المصدر. و قال قوم: معناه أم يحسبون انا لا نسمع سرهم و لعلمهم و قيله، لأنه لما قال (وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) كان تقديره و يعلم قيله، و قرأ قتادة (و قيل) بالرفع جعله ابتداء.

يقول اللّه تعالى مخبراً إن الذى يدعونه الكفار إلهاً و يوجهون عبادتهم اليه من الأصنام و الأوثان و غيرها لا يملكون من دون اللّه الشفاعة. و هى مسألة الطالب العفو عن غيره و إسقاط الضرر عنه، لأن حقيقة الشفاعة ذلک. و عند قوم يدخل فيها المسألة فى زيادة المنافع. ثم استثنى من جملتهم من شهد بالحق و هم عالمون بذلک و هم الملائكة و عيسى و عزيز. و قيل: المعنى و لا يشفع الملائكة و عيسى و عزير الا من شهد بالحق، و هو يعلم الحق- ذكره مجاهد- و قال قوم (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) الملائكة و عيسى و عزيز لهم عند اللّه شهادة بالحق. و قيل: المعنى إلا من يشهد بأنه التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 222

أهل العفو عنه (و هم يعلمون) ذلک. و هؤلاء أصحاب الصغائر و الذين تابوا من الكبائر.

ثم قال تعالى و (لئن سألتهم) يا محمد يعنى هؤلاء الكفار (من خلقهم) و أخرجهم من العدم إلى الوجود (لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) لأنهم يعلمون ضرورة أن الأصنام لم تخلقهم. فقال اللّه تعالى معنفاً لهم (فأنى يؤفكون) مع علمهم بأن اللّه هو خالقهم، فكيف ينقلبون عن عبادته الى عبادة غيره.

و قوله (و قيله يا رب) من نصبه احتمل ان يكون بقوله (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) و قال (قِيلِهِ يا رَبِّ إِنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ) على وجه الإنكار عليهم.

و قيل: المعنى أم يحسبون انا لا نسمع سرهم و نجواهم.... و قيله. و قال الزجاج:

الاختيار (وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) و يعلم (قيله) و من جر فعلى تقدير وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ و علم قيله يا رب. و قيل: معنى (و قيله) أنه شكا محمد صَلى اللّهُ عَليه و آله شكوة إلى ربه. ثم قال لنبيه صَلى اللّهُ عَليه و آله (فاصفح عنهم) أى اعف عنهم. قال قتادة: و كان ذلک قبل أمره إياه بقتالهم (و قل

سلام) رفع على تقديره و هو عليكم سلام أى ما سلم به من شرهم و أذاهم. و قال الحسن: يعنى (و قل سلام) احلم عنهم ثم هددهم فقال (فسوف تعلمون) بالتاء على وجه الخطاب. الباقون بالياء على الخبر عن الكفار الذين مضى ذكرهم.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 223

اشارة

و هی مکیة فی قول قتادة و مجاهد و هی تسع و خمسون آیة فی الکوفی و سبع فی البصری و ست فی المدنیین و الشامی و سنذکر اختلافهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
حم (1) وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4)
أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (5) رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (6)
ست آيات فى الكوفى و خمس فى الباقين.
قد بينا معنى (حم) فى ما مضى و إختلاف الناس فيه و ان أقوى الوجوه انه اسم للسورة. و إنما كرر ذَكر (حم) لأنه ينبئ عن استفتاح السورة بذكر الكتاب على وجه التعظيم إذ على ذلک جميع الحواميم، فهو اسم علم للسورة مضمن بمعنى الصفة من وجهين:
أحدهما- انها من الحروف العربية. و الآخر أنه استفتحت بذكر الكتاب على طريق المدحة. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 224
و قوله (وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ) فالمراد بالكتاب القرآن، و جره بأنه قسم.
و قال قوم: تقديره و رب الكتاب المبين، و إنما أقسم به لينبئ عن تعظيمه. لان القسم يؤكد الخبر بذكر المعظم منعقداً بما يوجب أنه حق كما أن تعظيمه حق. و إنما وصف بأنه مبين و هو بيان مبالغة فى وصفه بأنه بمنزلة الناطق بالحكم الذى فيه من غير أن يحتاج إلى استخراج الحكم من مبين غيره، لأنه يكون من البيان ما لا يقوم بنفسه دون مبين حتى يظهر المعنى فيه.
و قوله (إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ) إخبار منه تعالى أنه انزل القرآن فى الليلة المباركة، و هى ليلة القدر- فى قول قتادة و ابن زيد- و قال قوم: هى ليلة النصف من شعبان. و الأول أصح لقوله تعالى (شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) «1» و قيل هى فى كل شهر رمضان فيها تقسم الآجال و الأرزاق و غيرهما من الألطاف- فى قول الحسن- و قيل: انزل إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر.
ثم انزل نجوماً على النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله و قيل ينزل فى ليلة القدر قدر ما يحتاج اليه فى تلک السنة. و قيل المعنى إن ابتداء انزاله فى ليلة مباركة، و وصفها بأنها مباركة لان فيها يقسم اللّه تعالى نعمه على عباده من السنة إلى السنة. و البركة نماء الخير. و ضده الشؤم و هو نماء الشر، فالليلة التى انزل فيها كتاب اللّه مباركة، فان الخير ينمى فيها على ما دبره اللّه لها من علو الخير الذى قسمه فيها.
و قوله (إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) فالانذار الاعلام بموضع الخوف ليتقى و موضع الأمن ليرتجى، فاللّه تعالى قد انذر العباد بأتم الانذار من طريق العقل و السمع و قوله (فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) فحكيم- هاهنا- بمعنى محكم، و هو ما بيناه

من انه تعالى يقسم فى هذه الليلة الآجال و الأرزاق و غيرها.

---

(1) سورة 2 البقرة آية 185

و قوله (امراً من عندنا) يحتمل أن يكون نصباً على الحال، و تقديره أنزلناه آمرين. و يحتمل أن يكون على المصدر و تقديره يفرق كل أمر فرقاً، و وضع امراً موضعه.

و قوله (إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) اخبار منه تعالى انه يرسل الرسل (رحمة) أى نعمة. و نصبه على المصدر و اختار الأخفش النصب على الحال أى أنزلناه آمرين راحمين. و يجوز ان يكون نصباً على انه مفعول له أى أنزلناه للرحمة. و سميت النعمة رحمة، لأنها بمنزلة ما يبعث على فعله رقة القلب على صاحبه و مع داعى الحكمة إلى الإحسان اليه يؤكد أمره.

و قوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) معناه إنه يسمع ما يقوله خلقه من المبطلين و المحقين فيجيب كلا منهم على ما يعلمه من مصلحته من إرساله الرسل اليه و إنعامه عليه

رَبِّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (7) لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِى وَ يُمِيتُ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (8) بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ (9) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هذا عَذابٌ أَلِيمٌ (11)
خمس آيات بلا خلاف.
قرأ اهل الكوفة إلا حفصاً (رب السموات) خفضاً بدلا من قوله (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ... رَبِّ السَّماواتِ) الباقون بالرفع على الاستئناف. و يجوز أن يكون
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 226
خبر (إن) فى قوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).
لما ذكر اللّه تعالى أنه- جل و عز- السميع العليم، وصف نفسه ايضاً بأنه الذى خلق السموات و الأرض و دبرهما، و دبر ما فيهما (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) بهذا الخبر محققين له، و قيل: إن وجه الاحتجاج بذكر رب السموات و الأرض- هاهنا- أن الذى دبرهما على ما فيه مصالح العباد هو الذى دبر الخلق بإرسال الرسول رحمة منه بعباده على ما فيه مصالحهم. و معنى (إن كنتم موقنين) أى إن كنتم ممن يطلب اليقين، فهذا طريق اليقين يلج الصدور بالعلم، و هو حال يجده الإنسان من نفسه عند التعقل. و لهذا يقال: من وجد برد اليقين كان من المتقين. و لذلك لا يوصف اللّه تعالى باليقين و إن وصف بأنه عالم و عليم.
ثم بين تعالى انه لا أحد يستحق العبادة سواه بقوله (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) و انه (يحيى) الخلق بعد موتهم (و يميت) أى و يميتهم بعد احيائهم (ربكم) الذى خلقكم و دبركم (وَ رَبُّ آبائِكُمُ) الذى خلقهم، دبرهم (الأولين) الذين سبقوكم و تقدموكم.
ثم إخبر تعالى عن الكفار فقال ليس هؤلاء بموقنين بما قلناه (بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ) يعنى بما أخبرناك به و وصفنا اللّه تعالى به (يلعبون) مع ذلك و يسخرون.
ثم قال لنبيه صَلى اللّهُ عَليه و آله (فارتقب) قال قتادة: فانتظر (يَوْمَ تَأْتِى السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ) و الدخان الظلمة التى كانت تغشى أبصار المشركين من قريش لشدة الجوع و
حين دعا عليهم النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله، فقال (اللهم سنين كسنين يوسف)
- فى قول ابن مسعود و الضحاك- و قال ابن عباس و الحسن و هو
المروى عن النبى صَلى اللّه عَليه و آله إن الدخان آية من أشراط الساعة تدخل فى مسامع الكافر و المنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ و نصيب المؤمن منه مثل الزكمة.

الناس. ثم حكى تعالى بأن هؤلاء الكفار يقولون عند ذلک (هذا عَذابٌ أَلِيمٌ) أى مؤلم موجع. و الغشى اللباس الذى يغمر الشىء، لأن الإنسان قد يلبس الإزار و لا يغشيه. فإذا غمه كان قد غشاه. و الغاشية من الناس الجماعة يغشون، و غاشية السرج من ذلک، و منه قوله (يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهارَ) «1» و العذاب استمرار الألم و وصفه ب (أليم) مبالغة فى سببه، لأجل استمراره و صار بالعرف عبارة عن العقاب، لان الألم الذى يفعل للعوض و الاعتبار، كأنه لا يعتد به لما يؤل اليه من النفع.

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (12) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرى وَ قَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (13) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ قالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (14) إِنَّا كاشِفُوا الْعَذابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عائِدُونَ (15) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (16)

خمس آيات بلا خلاف.

لما اخبر اللّه تعالى أن الدخان يَغْشَى النَّاسَ عذاباً لهم و عقاباً للكفار، و حكى أنهم يقولون هذا عَذابٌ أَلِيمٌ، حكى أيضاً انهم يقولون و يدعون (ربنا اصرف عنا العذاب) الذى أنزلته من الدخان (إنا موقنون) بأنه لا إله غيرك، و أن لا يستحق العبادة سواك. فقال تعالى (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرى) قال ابن عباس معناه (كيف)؟ و قال غيره معناه من أين لهم الذكرى (وَ قَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ) و حثهم على ذلك فلم يقبلوا منه، و هذا زمان سقوط التكليف لكونهم ملجئين

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 53 و سورة 13 الرعد آية 3

فلا تقبل لهم توبة.

و قوله (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ قالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ) قال مجاهد: المعنى ثم تولوا عن محمد صَلى اللّه عَليه و آله و قالوا هو معلم يعلمه غيره، و نسبوه إلى الجنون، و أنه مجنون. ثم قال تعالى (إِنَّا كاشِفُوا الْعَذابِ قَلِيلًا) على وجه التبكيت لهم على شدة عنادهم إنا لو كشفنا عنكم العذاب و رفعناه عنكم (إنكم عائدون) فمن قال إن العذاب بالدخان عند رفع التكليف قال (إنكم عائدون) فى العذاب، و هو قول قتادة و من ذهب إلى انه فى الدنيا مع بقاء التكليف، قال معناه (إنكم عائدون) فى الضلال. و هو قول جماعة.

و قوله (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرى) فالبطش الأخذ بشدة وقع الألم، بطش به يبطش بطشاً، و مثله عرش يعرش و يعرش، و هو باطش، و اكثر ما يكون بوقوع الضرب المتتابع، فأجرى إفراغ الألم المتتابع مجراه و (البطشة الكبرى) قال ابن مسعود و مجاهد و ابو العالية، و روى عن ابن عباس و أبى بن كعب و الضحاك و ابن زيد: هو ما جرى عليهم يوم بدر- و فى رواية أخرى عن ابن عباس و الحسن انه يوم القيامة، و هو اختيار الجبائى.

و قوله (إنا منتقمون) اخبار منه تعالى أنه ينتقم من هؤلاء الكفار بانزال العقوبة بهم، و قد فرق قوم بين النقمة و العقوبة: بأن النقمة ضد النعمة، و العقوبة ضد المثوبة، فهى مضمنة بأنها بعد المعصية فى الصفة، و ليس

كذلک النقمة و إنما تدل الحكمة على انها لا تقع من الحكيم إلا لأجل المعصية.

وَ لَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَ جاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (17) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبادَ اللَّهِ إِنِّی لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (18) وَ أَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّی آتِيكُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ (19) وَ إِنِّی عُذْتُ بِرَبِّی وَ رَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (20) وَ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِی فَاعْتَزِلُونِ (21)

التبيان فی تفسير القرآن، ج9، ص: 229

خمس آيات بلا خلاف.

أقسم تعالى انه فتن قبلهم يعنى قبل كفار قوم النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله (قوم فرعون) أى اختبرناهم، و شددنا عليهم بأن كلفناهم، لأن الفتنة شدة التعبد فى الأخذ بالسرّاء و الضرّاء، و أصلها الإحراق بالنار لخلاص الذهب من الغش، فهذه الشدة كشدة الإحراق للخلاص. و قيل: الفتنة معاملة المختبر ليجازى بما يظهر دون ما يعلم مما لم يعلم (وَ جاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) أى حقيق بالتكرم فى الدعاء إلى اللّه و البرهان الواضح و الدليل القاهر حتى يسلكوا طريق الهدى المؤدى إلى ثواب الجنة و يعدلوا عن طريق الردى المؤدى إلى العقاب. و قيل: معناه كريم عند اللّه بما استحق بطاعته من الإكرام و الإجلال.

و قوله (أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبادَ اللَّهِ) قال الحسن: هو مثل قوله (أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِی إِسْرائِيلَ) «1» ف (عباد اللّه) منصوب ب (أدوا) و قيل: هو منصوب على النداء. أى يا عباد اللّه أدوا ما أمركم به، فى قول الفراء (إِنِّی لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) على ما اؤديه إليكم و أدعوكم اليه. (وَ أَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ) قال ابن عباس: معناه أن لا تطغوا عليه بافتراء الكذب عليه. و قال قتادة: معناه ان لا تبغوا عليه بكفر نعمه. و قيل معناه أن لا تتكبروا على اللّه بترک طاعته

---

(1) سورة 26 الشعراء آية 17

التبيان فی تفسير القرآن، ج9، ص: 230

و إتباع أمره. و قيل: معناه أن لا تبغوا على أولياء اللّه بالبغى عليهم. و قال الحسن:

معناه لا تستكبروا عليه بترک طاعته (إِنِّی آتِيكُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ) أى بحجة واضحة لأن السلطان الحجة و المبين الظاهر الذى مع ظهوره يظهر الحق، فكأنه أظهره.

ثم قال لهم (وَ إِنِّی عُذْتُ بِرَبِّی) الذى خلقنى (و ربكم) الذى خلقكم (أن ترجمون) قال ابن عباس و ابو صالح: الرجم الذى استعاذ منه موسى هو الشتم، كقولهم:

هو ساحر كذاب و نحوه، و قال قتادة: هو الرجم بالحجارة. ثم قال لهم (وَ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِی فَاعْتَزِلُونِ) أی لم تؤمنوا بی، فاللام بمعنی الباء و معناه و إن لم تصدقونی فی أنی رسول اللّٰه إلیکم و أن ما أدعوکم الیه حق یجب علیکم العمل به فلا أقل من أن تعتزلون بصرف أذاکم عنی، لأنکم إن لم تجازوا الإحسان بالإحسان، فلا اساءة. و إنما دعاهم إلی ترک ملابسته بسوء إن أصروا علی الکفر و لم یقبلوا إلی الایمان لان هذا أمر یدعو الیه العقل ببدیهته و لا یحتاج إلی برهان.

فَدَعا رَبَّهُ أَنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (22) فَأَسْرِ بِعِبادِی لَیْلاً إِنَّکُمْ مُتَّبَعُونَ (23) وَ اتْرُکِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (24) کَمْ تَرَکُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُیُونٍ (25) وَ زُرُوعٍ وَ مَقامٍ کَرِیمٍ (26)
وَ نَعْمَةٍ کانُوا فِیها فاکِهِینَ (27) کَذلِکَ وَ أَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِینَ (28) فَما بَکَتْ عَلَیْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ وَ ما کانُوا مُنْظَرِینَ (29)
ثمان آیات بلا خلاف.
قرأ ابو جعفر (فاکهین) بغیر الف- هاهنا- و فی المطففین. و فی الطور
التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 231
وافقه الداجونی و حفص فی المطففین.
حکی اللّه تعالی أن موسی حین یئس من قومه ان یؤمنوا به (دعا) اللّه (ربه) فقال (أَنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ) و قیل إنه دعا بما یقتضیه سوء أفعالهم و قبح إجرامهم و سوء معاملتهم له، فکأنه قال: اللهم عجل لهم بما یستحقونه باجرامهم و معاصیهم بما به یکونون نکالا لمن بعدهم، و ما دعا بهذا الدعاء إلا بعد إذن اللّه له فی الدعاء علیهم.
و قوله (فَأَسْرِ بِعِبادِی) الفاء وقعت موقع الجواب، و تقدیره فدعا فأجیب بأن قیل له (فأسر بعبادی) فهی عطف وقع موقع جواب الدعاء. و أمره اللّه تعالی بأن یسیر بأهله و المؤمنین به لئلا یروهم إذا خرجوا نهاراً، و اعلمه (إنکم متبعون) أنه سیتبعهم فرعون و قومه و یخرجون خلفهم، و أمره بأن (یترک البحر رهواً) أی ساکناً علی ما هو به من کثرته إذا قطعه، و لا یرده إلی ما کان و یقال: عیش راه إذا کان خفضاً و ادعاً. و قال قوم: معناه اترک البحر یبساً.
و قیل: طریقاً یابساً. و قال ابن الاعرابی: معناه واسعاً ما بین الطاقات. و قال خالد ابن خیبری: معناه رمثاً أی سهلا لیس برمل و لا حزن. ذکره الأزهری یقال:
جاءت الخیل رهواً أی متتابعة. و قال ابن الاعرابی الرهو من الخیل و الطیر السراع. و قال العکلی: المرهی من الخیل الذی تراه کأنه لا یسرع، و إذا طلب لا یدرک، و یقال: أعطاه سهواً رهواً أی کثیراً لا یحصی. و إنما قیل ذلک، لأنه کان أمره أولا ان یضرب البحر بعصاه لیفلق فیه طرقاً لقومه ثم أمره بأن یترکه علی الحالة الأولی لیغرق فیه فرعون و جنده، قال الشاعر:
طیراً رأت بازیاً نضح الدماء به و أمة أخرجت رهواً إلی عید «1»
أی سکوناً علی کثرتهم.

---

(1) تفسیر الطبری 25/ 67

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 232
ثم أخبره عن فرعون و قومه ب (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) أى سيفرقهم اللَّه.
و فى الكلام حذف، لان تقديره ان موسى سار بقومه و تبعه فرعون و جنده و أن اللَّه أهلكهم و غرقهم.
ثم اخبر عن حالهم بأن قال (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ) يعنى من بساتين لهم تركوها لم تنفعهم حين نزل بهم عذاب اللَّه (و عيون) جارية لم تدفع عنهم عقاب اللَّه (و زروع) جمع زرع (و مقام كريم) قيل: هو المجلس الشريف. و قيل:
مقام الملوک و الامراء و الحكماء. و قيل: المنازل الحسنة. و قال قتادة: يعنى مقام حسن بهج. و قال مجاهد و سعيد بن جبير: هى المناظر. و قيل: المنابر. و قيل:
المقام الكريم هو الذى يعطى اللذة، كما يعطى الرجل الكريم الصلة (وَ نَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ)، فالنعمة- بفتح النون- التنعيم- و بكسرها- منفعة يستحق بها الشكر، و إن كانت مشقة، لأن التكليف نعمة و إن كانت فيه مشقة. و معنى الآية انهم كانوا متمتعين. فالفاكه المتمتع بها بضروب اللذة، كما يتمتع الآكل بضروب الفاكة، يقال: فكه يفكه فكهاً، فهو فاكه، و فكه و تفكه يتفكه تفكهاً، فهو متفكه.
و قوله (كَذلِکَ وَ أَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ) فتوريثه النعمة إلى الثانى بعد الأول بغير مشقة كما يصير الميراث إلى أهله على تلک الصفة، و توريث العلم شبه بذلک، لأن الأول تعب فى استخراجه و توطئة الدلالة المؤدية اليه، و وصل إلى الثانى و هو رافه وادع، لم يكل لطول الفكر و شدة طلب العلم، فلما كانت نعمة قوم فرعون وصلت بعد هلاكهم إلى غيرهم، كان ذلک توريثاً من اللَّه لهم. قال قتادة:
يعنى بقوم آخرين بنى إسرائيل، لأن بنى إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاک فرعون على ما قيل، و كذلک قال فى موضع آخر (وَ أَوْرَثْناها بَنِى إِسْرائِيلَ) «1».

---

(1) سورة 26 الشعراء آية 60
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 233
و قوله (فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ) قيل فى معناه ثلاثة اقوال:
أحدها- قال الحسن فما بكى عليهم- حين اهلكهم اللَّه- أهل السماء و اهل الأرض، لأنهم مسخوط عليهم مغضوب عليهم بانزال الخزى بهم.
الثانى- إن التقدير ان السماء و الأرض لو كانتا ممن يبكى على أحد إذا هلک لما بكتا على هؤلاء، لأنهم ممن أهلكهم اللَّه بالاستحقاق و انزل عليهم رجزاً بما كانوا يكفرون. و العرب تقول: إذا أرادت أن تعظم موت إنسان: اظلمت الشمس و كسف القمر لفقده و بكت السماء و الأرض، و إنما يريدوا

المبالغة قال الشاعر:
الريح تبكى شجوها و البرق يلمع فى الغمامه «1»
و قال آخر:
و الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكى عليک نجوم الليل و القمر «2»
الثالث- انهم لم يبک عليهم ما يبكى على المؤمن إذا مات، مصلاه و مصعد علمه- ذكره ابن عباس و ابن جبير- و معناه لم يكن لهم عمل صالح. و قال السدى:
لما قتل الحسين عليه السلام بكت السماء عليه و بكاؤها حمرة أطرافها. و قال الحسن: ما بكى عليهم المؤمنون و الملائكة، بل كانوا بهلاكهم مسرورين.
و قوله «وَ ما كانُوا مُنْظَرِينَ» أى عوجلوا بالعقوبة و لم يمهلوا.

وَ لَقَدْ نَجَّيْنا بَنِى إِسْرائِيلَ مِنَ الْعَذابِ الْمُهِينِ (30) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كانَ عالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ (31) وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ (32) وَ آتَيْناهُمْ مِنَ الْآياتِ ما فِيهِ بَلؤُا مُبِينٌ (33) إِنَّ هؤُلاءِ لَيَقُولُونَ (34)
إِنْ هِىَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الْأُولى وَ ما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (35) فَأْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (36)

---

(1) تفسير القرطبى 61/ 140 نسبه الى يزيد بن يربوع الحميرى، و قد مر فى 2/ 400
(2) تفسير القرطبى 16/ 140 نسبه الى جرير
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 234
سبع آيات كوفى و ست فى ما عداه، عدّ الكوفيون «لَيَقُولُونَ» و لم يعده الباقون.
اقسم اللَّه تعالى أنه نجّى أى خلص بنى إسرائيل الذين آمنوا بموسى من العذاب المهين الذى كان يفعله بهم فرعون و قومه لأنهم كانوا استعبدوهم، و كانوا يكلفونهم المشاق و يحملوهم القذارات و يكلفونهم كنسها و تنظيفها و غير ذلک، فخلصهم اللَّه تعالى حين أهلک فرعون و قومه و وفقهم للايمان بموسى.
ثم اخبر تعالى ان فرعون كان عالياً من المسرفين أى متجبراً متكبراً من المسرفين فى الأرض الذين يتجاوزون حد ما يجوز فعله إلى ما لا يجوز فعله استكباراً و علواً و عتوّاً، يقال: أسرف يسرف اسرافاً فهو مسرف، و مثله الافراط، و ضده الافتار، و إنما وصف المسرف بأنه عال، و إن كان وصف عال قد يكون صفة مدح، لأنه قيده بأنه عال فى الإسراف، لان العالى فى الإحسان ممدوح و العالى فى الإسراف مذموم، و اطلاق صفة عال تعظيم، و إذا اطلق فالمدح به أولى.
ثم اخبر تعالى مقسماً بأنه اختارهم يعنى موسى و قومه على علم على العالمين، فالاختيار هو اختيار الشىء على غيره بالارادة له لتفضيله عليه. و مثله الإيثار، و ليس فى مجرد الارادة تفضيل شىء على غيره، لأنه قد يمكن أن يريد شيئاً من غير أن يخطر بباله ما هو فيه أولى منه فى العقل، فلا يكون اختياره تفضيلا. و إما ان يريد الأولى و لا يدرى انه أولى، فيختاره عليه لجهله بأنه أولى او يختاره و هو يعلم انه غير التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 235
أولى، و يختاره لحاجته اليه من جهة تعجل النفع به، و من اختار الأدون فى الصلاح على الأصلح كان منقوصاً مذموماً، لأنه بمنزلة من اختار القبيح على

الحسن.
و قيل: المعنى اخترناهم على عالمى زمانهم بدلالة قوله لأمة نبينا «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» «1» و ذلک يوجب انه ما اختارهم على من هو خير منهم، و إنما اختارهم على من هو فى وقتهم من العالمين. و قال قتادة، و مجاهد: على عالمى زمانهم. و إنما قال «اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ» بما جعل فيهم من الأنبياء الكثيرين، فهذه خاصة لهم ليست لغيرهم، لما فى العلوم من مصالح المكلفين بأنبيائهم.
ثم بين ما به اختارهم بأن قال «وَ آتَيْناهُمْ» يعنى أعطيناهم «مِنَ الْآياتِ» يعنى الدلالات و المعجزات «ما فِيهِ بَلؤُا مُبِينٌ» قال الحسن: يعنى ما فيه النعمة الظاهرة. قال الفراء: البلاء قد يكون بالعذاب، و قد يكون بالنعمة، و هو ما فعل اللّه بهم من إهلاک فرعون و قومه، و تخليصهم منه و إظهار نعمه عليهم شيئاً بعد شىء.
ثم اخبر تعالى عن كفار قوم نبينا صَلى اللّهُ عَليه و آله فقال «إِنَّ هؤُلاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولى» أى ليس هذا الا الموتة الاولى «وَ ما نَحْنُ» أى لسنا بعدها بمبعوثين و لا معادين «بِمُنْشَرِينَ» و يقولون «فَأْتُوا بِآبائِنا» الذين ماتوا قبلنا و اعيدوهم «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» فى ان اللّه تعالى يقدر على اعادة الأموات و احيائهم لان من قدر على النشأة الثانية قدر على اعادة الآباء، و هذا باطل لان النشأة الثانية انما وجبت للجزاء لا للتكليف، فلا تلزم اعادة الآباء و لا تجب.

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 110

أَ هُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْناهُمْ إِنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ (37) وَ ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما لاعِبِينَ (38) ما خَلَقْناهُما إِلاَّ بِالْحَقِّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (39) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (40)

أربع آيات بلا خلاف.

ان قيل: لم لم يجابوا عن شبهتهم فى الآية، و لم يبين لهم أن ذلک لا يلزم، و ما الوجه فى جوابهم؟ «أَ هُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ» قلنا: من تجاهل فى الحجاج الذى يجرى مجرى الشغب الذى لا يعتقد بمثله مذهب لنفى الشبهة فيه، فانه ينبغى أن يعدل عن مقابلته الى الوعظ له بما هو أعود عليه، فلذلک عدل تعالى معهم الى هذا الوعيد الشديد، و قال «أهم» هؤلاء الكفار «خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» فانا «أَهْلَكْناهُمْ» لما جحدوا الآيات و كفروا بنعم اللَّه و ارتبكوا معاصيه فما الذى يؤّمن هؤلاء من مثل ذلک. و قيل: تبع الحميرى كان رجل من حمير سار بالجيوش الى الحيرة حتى حيرها، ثم أتى سمرقند فهدمها، و كان يكتب باسم الذى ملک بحراً و براً وضحاً و ريحاً، ذكره قتادة. و قال سعيد بن جبير و كعب الاخبار ذم اللَّه قومه، و لم يذمه و نهى أن يسب. و حكى الزجاج: ان تبعاً كان مؤمناً، و ان قومه كانوا كافرين. و قيل: انه نظر الى كتاب على قبرين بناحية حمير (هذا قبر رضوى و قبر جى ابنى تبع لا يشركان باللَّه شيئاً) و قيل: سمى تبعاً، لأنه تبع من كان قبله من ملوک اليمن. و التبابعة اسم ملوک اليمن.

ثم قال تعالى «وَ ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما لاعِبِينَ» أى لم تخلق ذلک لا لغرض حكمى بل خلقناهم لغرض حكمى، و هو ان ننفع به

و نعرضهم الثواب و تنفع سائر الحيوان بالمنافع لهم فيها و اللذات. و فى الآية دلالة على من أنكر البعث، لأنه لو كان على ما توهموه انه لا يجر به الى الجزاء فى دار أخرى مع ما فيه من الألم لكان لعباً، لأنه ابتدأ باختيار ألم لا يجر به الى عوض.

ثم قال تعالى «ما خَلَقْناهُما» يعنى السموات و الأرض «إِلَّا بِالْحَقِّ» قال الحسن معناه الا للحق الذى يصل اليه فى دار الجزاء. و قيل فيه قولان آخران:

أحدهما- ما خلقناهما الا بداعى العلم الى خلقهما، و العلم لا يدعو الا الى الصواب.

الثانى- و ما خلقناهما الا على الحق الذى يستحق به الحمد خلاف الباطل الذى يستحق به الذم.

ثم قال «وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» بصحة ما قلناه لعدو لهم عن النظر فيه،

و الاستدلال على صحته. و فى ذلک دلالة على بطلان قول من قال: المعارف ضرورية، لأنها لو كانت لما نفى تعالى علمهم بذلک.
ثم قال تعالى «إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقاتُهُمْ أَجْمَعِينَ» يعنى اليوم الذى يفصل فيه بين المحق و المبطل بما يضطر كل واحد منهما الى حاله من حقه او باطله فيشفى صدور المؤمنين و يقطع قلوب الكافرين بما يرون من ظهور الامر و انكشافه، و هو يوم القيامة، و بين انه ميقات الخلق أجمعين و هو من له ثواب و عوض او عليه عقاب يوصله اليه.

يَوْمَ لا يُغْنِى مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ (41) إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (42) إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (43) طَعامُ الْأَثِيمِ (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِى فِى الْبُطُونِ (45)
كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (46) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلى سَواءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49) إِنَّ هذا ما كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (50)
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 238
عشر آيات كوفى و بصرى و تسع فى ما عداه، عدّ الكوفيون و البصريون «الزقوم» و وافقهم عليه الشاميون و المدنى الأول. و عدّ أيضاً العراقيون «يَغْلِى فِى الْبُطُونِ» و وافقهم عليه المكيون و المدنى الأخير.
قرأ «يغلى» بالياء كثير و ابن عامر و حفص عن عاصم. الباقون بالتاء.
من قرأ بالياء رده إلى المهل. و من قرأ بالتاء رده إلى الشجرة. قال ابو على: من قرأ بالياء حمله على الطعام، لان الطعام هو الشجرة فى المعنى ألا ترى انه خبر الشجرة و الخبر هو المبتدأ بعينه إذا كان مفرداً فى المعنى، و لا يحمل على (المهل) لان المهل إنما ذكر ليشبه به فى الذوق، لان التقدير إن شجرة الزقوم طعام الأثيم تغلى فى البطون كالمهل على الحميم.
لما ذكر اللَّه تعالى أن يوم الفصل ميقات الخلق يحشرهم اللَّه فيه و يفصل بينهم بالحق أى يوم هو؟ فوصفه انه «يَوْمَ لا يُغْنِى فيه مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً»، لأن اللَّه تعالى أيأس من ذلک، لما علم فيه من صلاح العباد، و لولا ذلک لجاز أن يغرى.
و المعنى إنه ليس لهم من ينتصر لهم من عقاب اللَّه تعالى، فلا ينافى ذلک ما نقوله:
من أنه يشفع النبى و الأئمة و المؤمنون فى إسقاط كثير من عقاب المؤمنين، لأن الشفاعة لا تحصل إلا بأمر اللَّه و اذنه. و المراد فى الآية أنه ليس لهم من يغنى عنهم التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 239
من غير أن يأذن اللَّه له فيه على وجه الدفع عنه و النصر له. و بين ذلک بقوله «وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ» و المولى- هاهنا- الصاحب الذى شأنه أن يتولى معونة صاحبه على أموره، فيدخل فى ذلک ابن العم و الحليف و غيره ممن هذه صفته و قد استثنا ما أشرنا اليه بقوله «إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ» فان من يرحمه اللَّه اما أن يسقط عقابه ابتداء او يأذن فى إسقاط عقابه بالشفاعة فيه.
ثم وصف نفسه بأنه القادر الذى لا يغلب و لا يقهر بدفع العقاب عمن يريد

فعله به «الرحيم» أى المنعم لمن يريد العفو عنه بإسقاط عقابه.
ثم اخبر تعالى «إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ» الذى يستحق العقاب بمعاصيه و عنى به- هاهنا- أبو جهل، فالزقوم ما أكل بتكرّه شديد له، لأنه يخشو به فمه و يأكله بشره شديد، و لهذا حكى عن أبى جهل انه أتى بتمر و زبد، فقال:
نحن نتزقم هذا أى نملأ به أفواهنا فما يضرنا.
ثم شبه ذلک بأنه مثل المهل، و هو الشىء الذى يذاب فى النار حتى يشتد حره كالفضة و الرصاص و غيرهما مما يماع بالنار، و هو مهل، لأنه يمهل فى النار حتى يذوب. و قال ابن عباس: المهل ما أذيب بالنار كالفضة، و هو قول ابن مسعود و روى عن ابن عباس ايضاً أن المهل دردى الزيت فى النار. ثم وصف (المهل) بأنه «يَغْلِى فِى الْبُطُونِ» من حرارته، كما يغلى الحميم و هو الماء المغلى على النار، فالمهل يغلى فى بطون أهل النار، كما يغلى الماء بحر الإيقاد و الغلى ارتفاع المائع من الماء و نحوه بشدة الحرارة. و الحميم الحار و منه أحم اللّه ذلک من لقاء أى أدناه و قربه لان ما حم فللإسراع و ما برد فللإبطاء، و منه حمم ريش الطائر إذا قرب خروجه.
ثم بين أنه تعالى يأمر الملائكة بأن يأخذوا الكافر و أن يعتلوه «إِلى سَواءِ الْجَحِيمِ» يعنى إلى وسطه. و العتل زعزعة البدن بالجفاء و الغلظة للاهانة، فمعنى التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 240
«اعتلوه» اعملوا به هذا العمل، و منه العتل، و هو الجافى الغليظ يقال: عتله يعتله و يعتله عتلا إذا ساقه دفعاً و سحباً. قال الفرزدق:
ليس الكرام بنا حليک إباءهم حتى ترد إلى عطية تعتل «1»
و «سَواءِ الْجَحِيمِ» وسطه- فى قول قتادة- و سمى وسط الشىء سواء، لاستواء المسافة بينه و بين أطرافه المحيطة به، و السواء العدل كقولهم: هذا سواء بيننا و بينكم أى عدل.
ثم بين تعالى أنه يأمرهم بأن يصبوا فوق رأس الكافر من عذاب الحميم.
و هو ما فسرناه. ثم يخاطبه فيقول له «ذُقْ إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» على وجه التهجين له بما كان يدعى له مما ليس به أى أنت كذلک عند نفسک و قومک.
و يجوز ان يكون على معنى النقيض، كأنه قيل: إنک انت الذليل المهين إلا أنه قيل: على تلک الجهة للتبعيد منها على وجه الاستخفاف به. و قيل إن الآية نزلت فى أبى جهل، و قد كان قال: (أنا أعز من بها و أكرم)- ذكره قتادة- و قيل:
المعنى أنت الذى كنت تطلب العز فى قومک و الكرم بمعصية اللَّه. و قيل: المعنى إنک انت العزيز فى قومک، الكريم عليهم، فما أغنى عنک.
ثم قال «إِنَّ هذا» يعنى العذاب «ما كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ» أى تشكون فيه فى دار الدنيا. و فى الآية دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورة.

و قرأ الكسائى «ذق أنک» بفتح الهمزة بمعنى لأنک أنت العزيز او بأنک الباقون- بكسر الهمزة- على وجه الابتداء بالخبر عنه، و يكون التقدير ذق العذاب.
ثم ابتدأ إنک. و قرأ «فاعتلوه»- بضم التاء- ابن كثير و نافع و ابن عامر. الباقون بكسر التاء و هما لغتان على ما حكيناه.

---

(1) تفسير الطبرى 25/ 73
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 241

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِی مَقامٍ أَمِينٍ (51) فِی جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (52) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ مُتَقابِلِينَ (53) كَذلِكَ وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (54) يَدْعُونَ فِيها بِكُلِّ فاكِهَةٍ آمِنِينَ (55)
لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الْأُولی وَ وَقاهُمْ عَذابَ الْجَحِيمِ (56) فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (57) فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (58) فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (59)
تسع آيات بلا خلاف.
قرأ ابن عامر و نافع «فی مقام» بضم الميم، و هو موضع الاقامة. الباقون بفتح الميم، و هو موضع القيام.
لما اخبر اللّه تعالى عن الكفار و ما يفعله بهم من انواع العقاب، أخبر عن حال المطيعين و ما أعده لهم من الثواب، فقال «إِنَّ الْمُتَّقِينَ» يعنى الذين يجتنبون معاصيه لكونها قبائح، و يفعلون طاعاته لكونها طاعة «فِی مَقامٍ أَمِينٍ» أى موضع إقامة- فيمن ضم الميم- و من فتحها يريد أنهم فى موضع قيامهم، و وصفه بأنهم فى «مقام أمين» من كل ما يخاف، و ليس هذا فى الدنيا، لأنه لا يخلو منها احد من موقف خوف من مرض او أذى او غير ذلك.
ثم بين ذلك المقام فقال «فى جنات» يعنى بساتين تجنها الأشجار «و عيون» التبيان في تفسير القرآن، ج9، ص: 242
ماء نابعة فيها «يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ» فالسندس الحرير- فى قول الحسن.
و الإستبرق الديباج الغليظ- فى قول قتادة- و إنما رغبهم فى ذلك بحسب ما كانوا يعرفونه، و إن كان- هاهنا- ما هو ارفع منها و احسن «متقابلين» أى يقابل بعضهم بعضاً بالمحبة، لا متدابرين بالبغضة. ثم قال و مثل ما فعلنا بهم «كَذلِكَ وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ» فالحور جمع حوراء من الحور، و هو شدة البياض. و قال قتادة «بحور» أى ببيض، و منه الحور لبياضه، و حورته أى بيضته من حار يحور أى رجع إلى الحالة الأولى كما يرجع إلى حال الأبيض، و منه المحور «و العين» جمع عيناء و هى الواسعة العين الحسنة، و كذلك لهم فى حكم اللّه. و قال الحسن: العيناء الشديدة السواد سواد العين، الشديدة البياض بياضها «يَدْعُونَ فِيها بِكُلِّ فاكِهَةٍ آمِنِينَ» أى يستدعون أى ثمرة شاءوا غير خائفين فوتها. ثم قال «لا يَذُوقُونَ فِيهَا» يعنى فى الجنة «الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولی» شبه الموت بالطعام الذى يذاق و ينكر عند المذاق. ثم نفى ذلك، و انه لا يكون ذلك فى الجنة، و إنما خصهم بأنهم لا يذوقون الموت مع أن جميع الحيوان يوم القيامة لا يذوقون الموت، لما فى ذلك من البشارة لهم بانتهاء ذلك إلى الحياة الهنيئة فى الجنة، فأما من يكون فيها هو كحال

الموت فى الشدة، فلا يطلق له هذه الصفة، لأنه يموت موتات كثيرة بما يلاقى و يقاسى من الشدة، و اما غير المكلفين، فليس مما يعقل، فتلحقه هذه البشارة و إن عم ذلک اهل الجنة.
و قوله «إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولى» قيل ان (إلا) بمعنى (بعد) كأنه قال بعد الموتة الاولى. و قيل: معنى (إلا) سوى كأنه قال: سوى الموتة الأولى. و قيل:
إنها بمعنى (لكن) و تقديره لكن الموتة الأولى قد ذاقوها. و قال الجبائى: هذا حكاية حال المؤمنين فى الآخرة، فلما أخبرهم بذلک فى الدنيا، و هم لم يذوقوا بعد التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 243
الموت جاز أن يقال لا يذوقون الموت فى المستقبل إلا الموتة الأولى يخرجون بها من دار التكليف، و هذا ضعيف، لان فى ذلک خبر عن حكمهم فى الجنة و أنهم لا يذوقون فيها الموت ثم استثنى من ذلک الموتة الأولى، و كيف يرد إلى دار الدنيا؟! و حقيقة (إلا) إخراج بعض عن كل و حقيقة (بعد) إخراج الثانى عن الوقت الاول.
و قوله «وَ وَقاهُمْ عَذابَ الْجَحِيمِ» أى يصرف عنهم عذاب النار، و ليس فى ذلک ما يدل على أن الفاسق الملى لا يعذب و يخرج من النار، من حيث أنه لا يكون قد وقى النار، لأنه يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يكون ذلک مخصوصاً بمن لا يدخل النار ممن لا يستحقه او بمن عفى عنه.
و الثانى- ان يكون المراد «وَ وَقاهُمْ عَذابَ الْجَحِيمِ» على وجه التأبيد او على الوجه الذى يعذب عليه الكفار.
ثم بين أن ذلک فضل من اللّه، و نصبه على المصدر، و تقديره فضل فضلا منه تعالى. و اخبر بأن «ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» يعنى الفلاح العظيم.
ثم قال لنبيه صَلى اللّٰهُ عَليه و آله «فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِکَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» يعنى باللغة العربية ليفقهوه و يتفكروا فيه، فيعلموا ان الامر على ما قلناه.
ثم أمره صَلى اللّٰهُ عَليه و آله فقال «فَارْتَقِبْ» أى انتظر يا محمد مجىء ما وعدتک به «إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ» ايضاً و هو قول قتادة، و إنما قال فيهم «إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ» لأنهم فى مثل حال المنتظر فى انه سيأتيه عاقبة حاله كما يأتى المنتظر.

اشارة

مكية فى قول قتادة و مجاهد و هى سبع و ثلاثون آية فى الكوفى و ست فى البصرى و المدنيين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
حم (1) تَنْزِيلُ اَلْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (3) وَ فِى خَلْقِكُمْ وَ ما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (4)
وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (5)
خمس آيات فى الكوفى و اربع فى الباقى، عد الكوفيون «حم» و لم يعده الباقون.
قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «لآيات» بالكسر فى الثلاث مواضع. الباقون بالرفع فى الثانى. و الثالث. من خفض التاء فعلى أنه فى موضع نصب رداً على (إن) و إنما كسرت التاء، لأنها تاء جمع التأنيث. و قال المبرد: هذا بعد الواو لأنه عطف على عاملين على «إن» و «فى» بحرف الواو، لأنه يكون عطف «و إختلاف» على (فى) و عطف على (إن) بهذه الواو وحدها، فأما
«آيات» الثانية التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 245
فأجاز عطفها على الاولى، لان معها (فى) و تقديره إن فى خلقكم. قال ابن خالويه ليس ذلک لحناً، لان من رفع أيضاً فقد عطف على عاملين، فيكون عطف جملة على جملة و يحتمل ان يكون عطف على موضع (إن) لان موضعها الرفع، و الأخفش كان يجيز العطف على عاملين، فيقول مررت بزيد فى الدار و الحجرة عمرو، و يحتج بقول الشاعر:
أكل امرئ تحسبين امرأ و نار تأجج للحرب ناراً «1»
عطف على ما عملت فيه (كل) و ما عملت فيه (تحسين) و أجود من العطف على عاملين أن يجعل (آيات) الثانية بدلا من الأول، فيكون غير عاطف على عاملين، و تقديره إن فى السموات و الأرض لآيات للمؤمنين لآيات، كما تقول:
ضربت زيداً زيداً، فلا يحتاج إلى حرف العطف، و من رفع آيات الثانية حملها على الابتداء و الخبر، و جعل الثالثة تكرير الثانية بالرفع، قال الزجاج: لأنه يرفع (آيات) عطفاً على ما قبلها، كما خفض (و إختلاف) عطفاً على ما قبلها.
و قال ابو على: وجه قراءة الكسائى أنه لم يحمل على موضع (إن) كما حمله من رفع (آيات) فى الموضعين أو قطعه و استأنف، لكنه حمله على لفظ (إن) دون موضعها، فحمل (آيات) فى الموضعين على نصب (إن) فى قوله «إِنَّ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ» و يكون على تقدير إن، و إن كانت محذوفة من اللفظ و يجعلها فى حكم المثبت فيه، لان ذكره قد تقدم فى قوله «إِنَّ فِى السَّماواتِ» و قوله «وَ فِى خَلْقِكُمْ» فلما تقدم

الجار فى هذين الموضعين قدر فى الإثبات فى اللفظ، و إن كان محذوفاً منه كما قدر سيبويه فى قوله:
أكل امرئ تحسبن امرءاً [و نار تأجج للجر ناراً]

---

(1) قائله ابو دواد الايادى، تفسير القرطبى 16/ 157 [.....]

و قيل (كل) فى حكم الملفوظ به و استغنى عن إظهاره بتقدم ذكره، و كذلک فعلت العرب فى الجار ألا ترى أنهم لم يجيزوا (من تمرر أمرر) و أجازوا (بمن تمرر أمرر) و (على أيهم تنزل انزل) فحذف الجار حسن لتقدم ذكر الجار، و على هذا قول الشاعر:
ان الكريم و أبيک يعتلم إن لم يجد يوماً على من يتكل
لما ذكر (على) و (إن) كانت زائدة- فى قول سيبويه- حسن حذف الجار من الصلة، و لو لم تذكر لم يجزه. و حكى فى بعض القراءات عن أبى إنه قرأ فى المواضع الثلاث «لآيات فى خلقكم و ما يبث من دابة لآيات» و كذلک الآخر فدخول اللام يدل على أن الكلام محمول على (إن) و إذا كان محمولا عليها حسن النصب على قراءة حمزة و الكسائى و صار كل موضع من ذلک كأن (إن) مذكورة فيه بدلالة دخول اللام، لأن هذه اللام إنما تدخل على خبر (إن) أو اسمها، و حكى أن أبياً قرأ «لآيات» بالرفع مع إدخال اللام عليها، و هذا لا يجيزه اكثر النحويين كالكسائى و غيره، كما لا يجوز فى الدار لزيد، و اجازه الفراء و انشد لحميد بن ثور:
إن الخلافة بعدهم لذميمة و خلائف طرف لمما أحقر «1»
و حكى الفراء أنه يقول العرب (إن) لى عليک مالا و على أبيک مال بالرفع و النصب، و حكى ابو على: إنه يجوز أن يعمل الثانى على التأكيد للأول و كذلک فى الثالث، و لا يكون عطفاً على عاملين، كما قال بعض شيوخنا فى قوله «أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ» «2» حمل الثانى على أنه تأكيد للأول.
قد ذكرنا فى ما تقدم ان (حم) اسم للسورة، و انه أجود الأقوال. قال الرمانى: و فى تسمية السورة ب (حم) دلالة على ان هذا القرآن المعجز كله من

---

(1) تفسير الطبرى 25/ 77
(2) سورة 9 التوبة آية 64

حروف المعجم، لأنه سمى به ليدل عليه بأوصافه، و من أوصافه أنه مفصل قد فصلت كل سورة من أختها. و من أوصافه أنه هدى و نور، فكأنه قيل: هذا اسمه الدال عليه بأوصافه. ثم وصف تعالىِ الكتاب بأنه تنزيل من اللّه

فى مواضع من السور لاستفتاحه بتعظيم شأنه على تصريف القول بما يقتضى ذلک فيه من إضافته إلى اللَّه تعالى من أكرم الوجوه و أجلها و ما يتفق الوصف فيه يقتضى انه كالأول فى علو المنزلة و جلالته عند اللَّه و إذا أفاد هذا المعنى باقتضائه له لم يكن تكريراً، و يقول القائل: اللهم اغفر لى اللهم ارحمنى اللهم عافنى اللهم أوسع علىّ فى رزقى فيأتى بما يؤذن أن تعظيمه لربه منعقد بكل ما يدعو به.
و قوله «مِنَ اللَّهِ» يدل على ان ابتداءه منه تعالى «الْعَزِيزِ» و معناه القادر الذى لا يغالب «الْحَكِيمِ» معناه العالم. و قد يكون بمعنى أن أفعاله حكمة و صواب ثم أخبر تعالى ان فى السموات و الأرض لآيات للمؤمنين الذين يصدقون باللَّه و يقرون بتوحيده و صدق أنبيائه و إنما أضاف الآيات إلى المؤمنين و إن كانت ادلة للكافرين ايضاً، لأن المؤمنين انتفعوا بها دون غيرهم من الكفار. و الآيات هى الدلالات و الحجج. و فى السموات و الأرض دلالات على الحق من وجوه كثيرة، منها أنه يدل بخلقها على ان لها خالقاً، و انه قادر لا يعجزه شىء و انه مخالف لها، فلا يشبهها و على انه عالم بما فيها من الإتقان و الانتظام. و فى استحالة تعلق القدرة بها دلالة على ان صانعها قديم غير محدث و بوقوفها مع عظمها و ثقل أجرامها بغير عمد و لا سند يدل على أن القادر عليها قادر على الإتيان بما لا يتناهى و لا يشبه احد من القادرين و انه خارج عن حد الطبيعة.
ثم بين تعالى ان فى خلفنا آيات، و الوجه فى الدلالة فى خلقنا ضروب كثيرة: منها خلق النفس على ما هو به من وضع كل شىء موضعه لما يصلح له. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 248
و فى ذلک دلالة على أن صانعه عالم لأنه فعل الحواس الخمس على البنية التى تصلح له مما يختص كل واحد منها بإدراک شىء بعينه، لا يشركه فيه الآخر، لان العين لا تصلح إلا لادراک المبصرات و كذلک الفم يصلح للذوق، و الأنف للشم، و البشرة للمس، و كل شىء من ذلک يختص بما لا يشركه فيه الآخر و فى ذلک أوضح دلالة على ان صانعها عالم بها، و أنه لا يشبهه شىء، و لو لم يكن إلا خلق العقل الذى يهدى إلى كل أمر، و يتميز به العقال من كل حيوان، و لا يشبهه شىء فى جلالته و عظم منزلته لكان فيه كفاية على جلالة صانعه و عظم خالقه. و قيل: معنى اختلاف الليل و النهار تعاقبهما. و قيل: زيادتهما و نقصانهما، و إنزال الماء من السماء من الغيث و المطر و احياء الأرض بالنبات بعد الجدب و القحط فيثبت اللَّه بذلک رزق الحيوان.
و قوله «وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» أى فرق فيها من جميع الحيوان بأن خلقها و أوجدها، و تصريف الرياح بأن يجعلها تارة جنوباً و تارة شمالا و مرة دبوراً و مرة صباً- فى قول الحسن- و قال قتادة: يجعلها رحمة مرة و عذاباً أخرى.
و قال الحسن:
كثافة السماء مسيرة خمسمائة عام و ما بين كل سماء إلى سماء فتق

مسيرة خمسمائة عام و بين كل أرضين فتق مسيرة خمسمائة عام، و كثافة الأرض مسيرة خمسمائة عام.

تِلْکَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْکَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آياتِهِ يُؤْمِنُونَ (6) وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7) يَسْمَعُ آياتِ اللَّهِ تُتْلى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ (8) وَ إِذا عَلِمَ مِنْ آياتِنا شَيْئاً اتَّخَذَها هُزُواً أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ (9) مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ وَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ ما كَسَبُوا شَيْئاً وَ لا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (10)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 249

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائى «تؤمنون» بالتاء على وجه الخطاب للكفار على تقدير قل لهم يا محمد. الباقون بالياء على وجه الاخبار عنهم و التعجب منهم.

لما اخبر اللَّه تعالى عن القرآن بأنه تنزيل من اللَّه و أن فى السموات و الأرض آيات و دلالات لمن نظر فيها تدل على الحق و أن فى أنفس الخلق و إنزال الماء من السماء و إخراج النبات و بث انواع الحيوان أدلة لخلقه تدلهم على توحيد اللَّه و حكمته لمن أنعم النظر فيها، بين هاهنا أن ما ذكره أدلة اللَّه التى نصبها لخلقه المكلفين لازاحة علتهم و انه يتلوها بمعنى يقرؤها على نبيه محمد ليقرأها عليهم بالحق دون الباطل.

و التلاوة الإتيان بالثانى فى أثر الأول فى القراءة، فتلاوة الحروف بعضها بعضاً يكون فى الكتابة و القراءة، و فلان يتلو فلاناً أى يأتى بعده، و فلان يتلو القرآن أى يقرؤه، و الحق الذى تتلى به الآيات هو كلام مدلوله على ما هو به فى جميع أنواعه. و الفرق بين حديث القرآن و آياته ان حديثه قصص تستخرج منه عبر ندل على الحق من الباطل، و الآيات هى الأدلة التى تفصل بين الصحيح و الفاسد فهو مصروف فى الأمرين ليسلک الناظر فيه الطريقين، لما له فى كل واحد منهما من الفائدة فى القطع بأحد الحالين فى أمور الدين.

ثم قال على وجه التهجين لهم إن هؤلاء الكفار إن لم يصدقوا بما تلوناه فبأى شىء بعده يؤمنون. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 250

ثم قال مهدداً لهم «وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ» فالويل قيل: إنه واد سائل من جهنم صديد أهلها. و قيل: إن الويل كلمة يتلقى بها الكفار و الفساق تتضمن استحقاقهم العقاب، و الأفاک الكذّاب و يطلق ذلک على من يكثر كذبه او يعظم كذبه و إن كان فى خبر واحد، ككذب مسيلمة فى ادعاء النبوة. و الأثيم ذو الإثم، و هو صاحب المعصية التى يستحق بها العقاب.

ثم وصف هذا الأفاک الأثيم، فقال «يَسْمَعُ آياتِ اللَّهِ» أى حججه «تُتْلى عَلَيْهِ» أى تقرأ «ثُمَّ يُصِرُّ» أى يقيم مصرّاً على كفره «مُسْتَكْبِراً» متجبراً عن

النظر فى آيات اللّه لا ينظر فيها و لا يعتبر بها «كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها» أصلا.
ثم أمر نبيه صَلى اللّهُ عَليه و آله أن يبشر من هذه صفته فقال «فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» أى مؤلم موجع. ثم عاد تعالى إلى وصفه فقال (وَ إِذا عَلِمَ مِنْ آياتِنا شَيْئاً اتَّخَذَها هُزُواً) أى إذا علم هذا الأفاك الأثيم من حجج اللّه تعالى و أدلته شيئاً و سمعها (اتَّخَذَها هُزُواً) أى سخر منها و تلهى بها، كما فعل ابو جهل حين سمع قوله (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ) «1» ثم قال أولئک يعنى من هذه صفته (لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ) أى مذل لهم. ثم قال (مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ) أى من بين أيديهم يعنى يوم القيامة (جهنم) معدة لهم و إنما قيل: لما بين أيديهم من ورائهم، و الوراء هو الخلف، لأنه يكون مستقبل أوقاتهم بعد تقضيهم و معناه ما توارى عنهم قد يكون قداماً و خلفاً فهو لهذه العلة يصلح فيه الوجهان ثم قال تعالى «وَ لا يُغْنِى عَنْهُمْ» إذا جعلوا فى جهنم ما كسبوه فى دار الدنيا من جمع الأموال و لا شيئاً يغنى عنهم أيضاً (مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ) يتولونهم و يحبونهم لينصروهم و يدفعوا عنهم (وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ) و وصفه بأنه عظيم، لأنه مؤبد نعوذ باللّه منه.

---

(1) سورة 44 الدخان آية 44

هذا هُدىً وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (11) اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13) قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (14) مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (15)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و حفص (من رجز اليم) بالرفع جعلاه صفة للعذاب. الباقون بالخفض جعلوه صفة للرجز، فكأن قال: من رجز اليم، و الرجز هو العذاب فلذلك صح وصفه بأنه أليم. و قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائى (لنجزى) قوماً بالنون على وجه الأخبار من اللّه عن نفسه بأنه يجازيهم. الباقون بالياء رداً إلى (اللّه) على الاخبار عنه.

معنى قوله (هذا هدى) أى هذا القرآن الذى تلوناه و الكلام الذى ذكرناه (هدى) أى دلالة موصلة إلى الفرق بين ما يستحق به الثواب و العقاب، و يفرق به بين الحق و الباطل من امر الدين و الدنيا. ثم قال تعالى (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ) اللّه و جحدوها «لَهُمْ عَذابٌ» من عند اللّه جزاء على كفرهم (مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ). التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 252

ثم نبه تعالى خلقه على وجه الدلالة على توحيده، فقال (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ) و وجه الدلالة من تسخير البحر لتجرى الفلك فيه بأمره، لنبتغى بتسخيره من فضل اللّه، فهو محسن فى فعله يستحق الشكر به على وجه لا يجوز لغيره، و إن احسن، لأنه أعظم من كل نعمة. و بين انه إنما فعل ذلك لكى يشكروه على نعمه. ثم قال (وَ سَخَّرَ لَكُمْ) معاشر الخلق (ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً) من شمس و قمر و نجم و هواء و غيث و غير ذلك و جعل السماء سقفاً مزيناً و جوهراً كريماً و سخر الأرض للاستقرار عليها و ما يخرج من الأقوات منها من ضروب النبات و الثمار و البر فيها إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة من ضروب نعمه مما لا يحاط به علماً، و سهل الوصول إلى الانتفاع به تفضلا (منه) على خلقه. ثم بين (إن فى ذلك) يعنى فى ما بينه (لآيات) و دلالات (لقوم يتفكرون) فيه و يعتبرون به.

ثم قال لنبيه صَلى اللّهُ عَليه و آله (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) أى لا يخافون عذاب اللّه إذا أنالوكم الأذى و المكروه، و لا يرجون ثوابه بالكف عنكم. و قيل: معناه لا يرجون ثواب اللّه للمؤمنين، إن اللّه يعرفهم عقاب سيئاتهم بما عملوا من ذلك و غيره. و معنى (يغفروا) هاهنا

يتركوا مجازاتهم على أذاهم و لا يكافوهم ليتولى اللّه مجازاتهم. و قال ابن عباس و قتادة و ابن زيد و الضحاك: هو من المنسوخ. و قال ابو صالح: نسخها قوله (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا) «1» و (يغفروا) جواب أمر محذوف دل عليه الكلام، و تقديره: قل لهم اغفروا يغفروا و صار (قل لهم) على هذا الوجه يغنى عنه. و قال الفراء: معناه فى الأصل حكاية بمنزلة الأمر كقولك: قل للذين آمنوا اغفروا، و إذا ظهر الأمر مصرحاً فهو مجزوم

---

(1) سورة 22 الحجج آية 39

لأنه أمر، و إن كان على الخبر مثل قوله (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا) (قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ) «1» فهذا مجزوم تشبيهاً بالجزاء.

و قوله (لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ) يحتمل معنيين:

أحدهما- قل لهم يغفروا لهم، فان اللّه يجازيهم يعنى الكفار، فإنهم اليه يرجعون.

الثانى- ان يكون المعنى ليجزيهم اللّه يعنى المؤمنين، و يعظم أجرهم على احتمالهم و صبرهم و لن يفوتوه يعنى الكافرين بل اليه مرجعهم.

ثم قال تعالى (مَنْ عَمِلَ صالِحاً) يعنى طاعة و خيراً (فلنفسه) لان ثواب ذلك عائد عليه (وَ مَنْ أَساءَ) بأن فعل المعصية (فعليها) أى على نفسه لان عقاب معصيته يناله دون غيره. ثم قال (ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) الذى خلقكم و دبركم تردون يوم القيامة اليه أى إلى حيث لا يملك أحد الأمر و النهى و الضرر و النفع غيره، فيجازى كل إنسان على قدر علمه.

وَ لَقَدْ آتَيْنا بَنِى إِسْرائِيلَ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلَى الْعالَمِينَ (16) وَ آتَيْناهُمْ بَيِّناتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّکَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (17) ثُمَّ جَعَلْناکَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (18) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْکَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19) هذا بَصائِرُ لِلنَّاسِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (20)

---

(1) سورة 14 ابراهيم آية 31

خمس آيات بلا خلاف.

هذا قسم من اللّه تعالى بأنه أعطى بنى إسرائيل الكتاب يعنى التوراة و آتاهم الحكم، و هو العلم بالفصل بين الخصمين و بين المحق و المبطل، يقال: حكم فى الامر يحكم حكما، و حكمته فى أمرى تحكيماً، و احكم العمل إحكاماً، و استحكم الشىء استحكاماً، و حاكمته إلى الحاكم محاكمة (وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ) فالرزق العطاء الجارى على توقيت و توظيف فى الحكم، و إنما قلنا فى الحكم، لأنه لو حكم بالعطاء الموقت فى الأوقات الدائرة على الاستمرار لكان رازقاً و إن اقتطعه ظالم عن ذلک العطاء. ثم قال (وَ فَضَّلْناهُمْ عَلَى الْعالَمِينَ) و التفضيل جعل الشىء أفضل من غيره بإعطائه من الخير ما لم يعط غيره أو بالحكم لأنه أفضل منه، فاللّه تعالى فضل بنى إسرائيل بما أعطاهم على عالمى زمانهم. قال الحسن: فضلهم اللّه على أهل زمانهم و قال قوم: فضلهم بكثرة الأنبياء منهم على سائر الأمم، و إن كانت أمة محمد صَلى اللّهُ عَليه و آله أفضل فى كثرة المطيعين للّه، و كثرة العلماء منهم، كما تقول هذا أفضل فى علم النحو، و ذاک فى علم الفقه، فأمة محمد صَلى اللّهُ عَليه و آله أفضل فى علو منزلة نبيها عند اللّه على سائر الأنبياء، و كثرة العلماء منهم و العاملين بالحق لقوله تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) «1» فأولئک خالف أكثرهم أنبياءهم و وافق كثير من هؤلاء علماءهم و أخذوا عنهم و اقتبسوا من نورهم، و الفضل الخير الزائد على غيره و أمة محمد صَلى اللّهُ عَليه و آله أفضل

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 110

بفضل نبيها.

ثم قال (و آتيناهم) يعنى أعطيناهم (بَيِّناتٍ مِنَ الْأَمْرِ) أى دلالات و براهين واضحات من الأمر ثم قال (فما اختلفوا) أى لم يختلفوا (إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ) فالاختلاف اعتقاد كل واحد من النفيسين ضد ما يعتقده الآخر إذا كان اختلافاً فى المذهب، و قد يكون الاختلاف فى الطريق بأن يذهب أحدهما يمنة، و الآخر يسرة، و قد يكون الاختلاف فى المعانى بأن لا يسد أحدهما مسد الآخر فى ما يرجع إلى ذاته. و إختلاف بنى إسرائيل كان فى ما يرجع إلى المذاهب.
و قوله (بغياً بينهم) نصب على المصدر، و يجوز ان يكون على انه مفعول له أى اختلفوا للبغى و طلب الرياسة. و معنى البغى الاستعلاء بالظلم، و هو خلاف الاستعلاء بالحجة. و البغى يدعو إلى الاختلاف لما فيه من طلب الرفعة بما لا يرجع إلى حقيقة و لا يسوغ فى الحكمة، و إنما كان ذلک طلباً للرئاسة و الامتناع من الانقياد للحق بالانفة، ثم قال (إن ربک) يا محمد (يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ) أى يحكم و يفصل بين المحق منهم و المبطل فى ما كانوا يختلفون فى دار التكليف، و قيل: الحكم العلم بالفصل بين الناس فى الأمور. ثم قال تعالى لنبيه صَلى اللَّهُ عَليه و آله (ثم جعلناک) يا محمد (عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ) فالشريعة السنة التى من سلک طريقها أدته إلى البغية كالشريعة التى هى طريق إلى الماء، و هى علامة منصوبة على الطريق إلى الجنة كأداء هذا الى الوصول إلى الماء، فالشريعة العلامات المنصوبة من الأمر و النهى المؤدية إلى الجنة، ثم قال (فاتبعها) يعنى اعمل بهذه الشريعة (وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) الحق و لا يفصلون بينه و بين الباطل.
ثم اخبر النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله فقال (إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْکَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً) يعنى هؤلاء التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 256
الكفار لا يغنون عنک شيئاً (و إن الظالمين) نفوسهم (بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ) بفعل المعاصى (وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) الذين يجتنبون معاصيه و يفعلون طاعاته.
ثم قال (هذا) يعنى هذا الذى ذكرناه (بصائر للناس) أى ما يتبصرون به واحدها بصيرة (و هدى) أى و دلالة واضحة (و رحمة) أى و نعمة من اللَّه عليهم (لقوم يوقنون) بحقيقة ذلک. و إنما اضافه إلى المؤمنين لأنهم الذين انتفعوا به دون الكفار الذين لم يفكروا فيه.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَواءً مَحْياهُمْ وَ مَماتُهُمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ (21) وَ خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (22) أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (23) وَ قالُوا ما هِيَ إِلاَّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما يُهْلِكُنا إِلاَّ الدَّهْرُ وَ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ (24) وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ ما كانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (25)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر (سواء) نصباً، الباقون بالرفع. و قرأ اهل التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 257

الكوفة إلا عاصماً (غشوة) على التوحيد الباقون (غشاوة) على الجمع. من رفع (سواء) جعله مبتدأ و ما بعده خبراً عنه، و يكون الوقف على قوله (وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ)

تاماً. و يجعل الجملة فى موضع النصب، لأنها خبر ل (جعل) و رفع (سواء) لأنه اسم جنس لا يجرى على ما قبله كما لا تجرى الصفة المشبهة بالمشبهة إذا كانت لسبب الاول كذلک نحو قولک: مررت بزيد خير منه أبوه. فمثل هذا فى الحال و الخبر و الصفة سبيله واحد إذا كانت لسبب الاول. و من نصب (محياهم و مماتهم) جعل (سواء) فى موضع (مستو) و عامله تلک المعاملة، فجعل فى موضع المفعول الثانى (أن نجعلهم) و الهاء و الميم المفعول الاول، و إن جعلت (كَالَّذِينَ آمَنُوا)

المفعول الثانى نصب (سواء) على الحال و هو وقف حسن.

و يرفع (محياهم) بمعنى استوى محياهم و مماتهم. و من قرأ (غشوة) جعله كالرجفة و الخطفة. و من قرأ (غشاوة) جعله مصدراً مجهولا، و الفعلة المرة الواحدة، و قال قوم هما لغتان بمعنى واحد. و حكى الضم ايضاً. و قيل: فى الضمير فى قوله (سَواءً مَحْياهُمْ وَ مَماتُهُمْ)

قولان:

أحدهما- إنه ضمير للكفار دون الذين آمنوا.

و الثانى- انه ضمير للقبيلين. فمن جعل الضمير للكفار قال (سواء) على هذا القول مرتفع بأنه خبر ابتداء متقدم و تقديره محياهم و مماتهم سواء أى محياهم محيا سواء و مماتهم كذلک، فعلى هذا لا يجوز النصب فى (سواء) لأنه إثبات الخبر بأن محياهم و مماتهم يستويان فى الذم و البعد من رحمة اللّه. و من قال الضمير يرجع إلى القبيلين قال يجوز ان ينتصب (سواء) على

انه مفعول ثان لأنه ملتبس بالقبيلين جميعاَ، و ليس كذلک الوجه الاول، لأنه للكفار دون المؤمنين، فلا يلتبس بالمؤمن حيث كان للكفار دونهم التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 258
يقول اللّه تعالى على وجه التوبيخ للكفار على معاصيهم بكفرهم بلفظ الاستفهام (أم حسب) و معنى (أم) يحتمل ان تكون الهمزة و تقديره أ حسب الذين اجترحوا السيئات، و الحسبان هو الظن. و قد بيناه فى ما مضى. و الاجتراح الاكتساب اجترح السيئة اجتراحاً أى اكتسبها من الجراح، لأن له تأثيراً كتأثير الجراح.
و مثله الاقتراف، و هو مشتق من قرف القرحة. و السيئة التى يسوء صاحبها، و هى الفعلة القبيحة التى يستحق بها الذم، و الحسنة هى التى يسر صاحبها باستحقاق المدح بها عليها، و وصفها بهذا يفيد هذا المعنى. و قال الرمانى: القبيح ما ليس للقادر عليه ان يفعله. و الحسن هو ما للقادر عليه أن يفعله قال: و كل فعل وقع لا لأمر من الأمور، فهو لغو لا ينسب إلى الحكمة و لا السفه. و الجعل تصيير الشىء على صفة لم يكن عليها، و هو انقلاب الشىء عما كان قادراً عليه. و المعنى أ يظن هؤلاء الكفار المرتكبون للمعاصى الذين اكتسبوا القبائح أن يحكم لهم بحكم المؤمنين المعترفين بتوحيد اللّه المصدقين لرسله العاملين بطاعته؟!.
ثم اخبر عن الكفار فقال (سَواءً مَحْياهُمْ وَ مَماتُهُمْ)
أى هم متساوون حال كونهم أحياء و حال كونهم أمواتاً، لأن الحى متى لم يفعل الطاعات فهو بمنزلة الميت و قال مجاهد: المؤمن يموت على إيمانه و يبعث عليه. و الكافر يموت على كفره و يبعث عليه. ثم قال (ساءَ ما يَحْكُمُونَ)
أى بئس الشىء الذى يحكمون به فى هذه القصة. و انما قال (يحكمون) مع ان الحكم مأخوذ من الحكمة، و هى حسنة، لأن المراد على ما يدعون من الحكمة، كما قال (حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) «1» و قوله (ما كانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ).

---

(1) سورة 42 الشورى آية 16
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 259
ثم قال تعالى (وَ خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أى للحق لم يخلقهما عبثاً، و انما خلقهما لمنافع خلقه بأن يكلفهم فيها و يعرضهم للثواب الجزيل (وَ لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ) من ثواب طاعة او عقاب على معصية (وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ) أى لا يبخسون حقوقهم.
ثم قال (أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ) يا محمد (إِلهَهُ هَواهُ) و انما سمى الهوى إلهاً من حيث أن العاصى يتبع هواه و يرتكب ما يدعوه اليه و لم يريد انه يعبد هواه أو يعتقد أنه يحق له العبادة، لأن ذلک لا يعتقده احد. قال الحسن: معناه

اتخذ إلهه بهواه، لأن اللّه يحب أن يعرف بحجة العقل لا بالهوى. و قال سعيد بن جبير كانوا يعبدون العزى و هو حجر أبيض حيناً من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول و عبدوا الآخر. و قال ابن عباس: معناه أ فرأيت من اتخذ دينه ما يهواه لأنه يتخذه بغير هدى من اللّه و لا برهان. و قوله (وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ) معناه حكم اللّه بضلاله عالماً بعدوله عن الحق. و يحتمل ان يكون المعنى يعدل اللّه به عن طريق الجنة إلى طريق النار جزاء على فعله، عالماً بأنه يستحق ذلک (وَ خَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ) و قد فسرناه فى ما مضى. و معناه أنه يجعل عليهما علامة تدل على كفره و ضلاله و استحقاقه للعقاب، لا أنه يفعل فيهما ما يمنع من فعل الايمان و الطاعات (وَ جَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً) شبهه بمن كان على عينه غشاوة تمنعه من الأبصار، لان الكافر إذا كان لا ينتفع بما يراه و لا يعتبر به، فكأنه لم يره، ثم قال (فمن يهديه) إلى طريق الجنة او من يحكم بهدايته (من بعد اللّه) إن حكم اللّه بخلافه (أ فلا تذكرون) أى أ فلا تتفكرون فتعلمون ان الأمر على ما قلناه.

ثم حكى تعالى عن الكفار أنهم (قالُوا ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا) أى ليس الحياة إلا هذه الحياة التى نحن فيها فى دار الدنيا (نَمُوتُ وَ نَحْيا) و قيل فى التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 260

معناه ثلاثة اقوال:

أحدها- انه على التقديم و التأخير و تقديره و نحيا و نموت من غير رجوع و لا بعث على ما تدعون.

و الثانى- ان يكون المراد نموت و يحيا أولادنا كما يقال ما مات من خلف ابناً مثل فلان و الثالث- ان يكون المعنى يموت بعضنا و يحيا بعضنا، كما قال تعالى (فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) «1» أى ليقتل بعضكم بعضاً. ثم حكى انهم يقولون (وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ) يعنون مرور الليل و النهار و الشهور و الأعوام ثم اخبر تعالى فقال (وَ ما لَهُمْ بِذلِکَ مِنْ عِلْمٍ) أى ليس لهم بما يقولونه علم (إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) أى و ليس هم فى ما يذكرونه إلا ظانين و إنما الأمر فيه بخلافه. ثم قال تعالى (وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ) أى إذا قرئت عليهم حججنا الظاهرة (ما كانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا) يعنى لم يكن لهم فى مقابلتها حجة إلا قولهم (ائتوا بآبائنا) الذين ماتوا و بادوا (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) فى أن اللّه يعيد الأموات و يبعثهم يوم القيامة. و إنما لم يجبهم اللّه إلى ذلک، لأنهم قالوا ذلک متعنتين مقترحين لا طالبين الحجة.

قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (26) وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (27) وَ تَرى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (29) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (30)

---

(1) سورة 2 البقرة آية 54

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى لنبيه صَلى اللَّهُ عَليه و آله (قل) لهم يا محمد (اللَّهُ يُحْيِيكُمْ) فى دار الدنيا، لأنه لا يقدر على الأحياء احد سواه تعالى لأنه قادر لنفسه (ثم يميتكم) بعد هذا (ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ) بأن يبعثكم و يعيدكم أحياء، و إنما احتج بالاحياء فى دار الدنيا، لأن من قدر على فعل الحياة فى وقت قدر عليها فى كل وقت. و من عجز عنها فى وقت و تعذرت عليه مع كونه حياً و مع ارتفاع الموانع عجز عنها فى كل وقت. ثم بين أن يوم القيامة (لا ريب فيه) أى لا شك فى كونه (وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) ما قلناه لعدو لهم عن النظر الموجب للعلم بصحة ذلک. ثم قال تعالى (وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَوْمَ تَقُومُ) أى و له الملک يوم تقوم (الساعة يخسر فيه المبطلونَ) ثواب اللَّه. و المبطل هو من فعل الباطل و عدل عن الحق.

ثم اخبر تعالى عن حال يوم القيامة فقال (وَ تَرى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً) فالامة الجماعة التى على مقصد، و اشتقاقه من أمه يؤمه أمّا إذا قصده، و الأمم أمم الأنبياء (جاثية) و قال مجاهد و الضحاک و ابن زيد: معناه باركة مستوفرة على ركبها و الجثو البروک. و الجثو البروک على طرف الأصابع، فهو ابلغ من الجثو.

و قوله (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِهَا) قيل معناه إلى كتابها الذى كان التبيان

يستنسخ لها و يثبت فيه أعمالها. و قال بعضهم: كتابها الذى انزل على رسولها- حكى ذلک عن الجاحظ- و الاول الوجه.

ثم حكى إنه يقال لهم (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من طاعة او معصية على الطاعة بالثواب و على المعصية بالعقاب. ثم قال تعالى (هذا كتابنا) يعنى الذى أستنسخ (يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) جعل ثبوت ما فيه و ظهوره بمنزلة النطق، و إنه ينطق بالحق دون الباطل. ثم قال تعالى «إِنَّا كُنَّا

نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلَونَ» قال الحسن: نستنسخ ما حفظت عليكم الملائكة الحفظة. و قيل: الحفظة تستنسخ ما هو مدون عندها من أحوال بنى آدم الجزائية فى قول ابن عباس- و
روى عن على عليه السلام أن للَّه ملائكة ينزلون فى كل يوم يكتبون فيه أعمال بنى آدم
، و معنى نستنسخ نستكتب الحفظة ما يستحقونه من ثواب و عقاب و نلقى ما عداه مما أثبته الحفظة، لأنهم يثبتون جميعه.
ثم قسم تعالى الخلق فقال «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» أى صدقوا بوحدانيته و صدقوا رسله و عملوا الاعمال الصالحات «فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِ» من الثواب و الجنة. ثم بين ان «ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ» أى الفلاح الظاهر.

وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَ فَلَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَ كُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ (31) وَ إِذا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ السَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيها قُلْتُمْ ما نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَ ما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (32) وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (33) وَ قِيلَ الْيَوْمَ نَنْساكُمْ كَما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا وَ مَأْواكُمُ النَّارُ وَ ما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ (34) ذلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللَّهِ هُزُواً وَ غَرَّتْكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (35)

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّماواتِ وَ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعالَمِينَ (36) وَ لَهُ الْكِبْرِياءُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (37)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 263

سبع آيات بلا خلاف قرأ حمزة وحده «و الساعة لا ريب فيها» نصباً عطفاً على «ان وعده» و تقديره ان وعد اللّه حق و إن الساعة آتية. الباقون بالرفع على الاسيئناف او عطفاً على موضع (إن).

لما اخبر اللّه تعالى عن حال المؤمنين العاملين بطاعة اللّه و انه يدخلهم الجنة أخبر عن حال الكفار، فقال «وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا» أى جحدوا وحدانيتى و كذبوا رسلى، يقال لهم «أَ فَلَمْ تَكُنْ آياتِي» و حججى «تُتْلى عَلَيْكُمْ» قال الزجاج:

جواب (إما) محذوف و الفاء فى «أ فلم» دلالة عليه بتقدير فيقال لهم «أ فلم» و مثله قوله «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ» «1» و تقديره فيقال لهم أ كفرتم بعد إيمانكم. و قال قوم: جواب «اما» الفاء فى «أَ فَلَمْ تَكُنْ آياتِي» إلا أن الالف تقدمته، لان لها صدر الكلام.

و قوله (فاستكبرتم) فالاستكبار هو طلب التعظيم فى أعلى المراتب فهو صفة

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 106

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 264

ذم فى العباد و كذلك متكبر، لأنها تقتضى التعظيم فى أعلى المراتب، و لا يستحق التعظيم فى على المراتب إلا من لا يجوز عليه صفة النقص بوجه من الوجوه «وَ كُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ» أى عاصين، فالاجرام الانقطاع إلى الفساد، و أصله قطع الفعل عما تدعو اليه الحكمة. ثم حكى تعالى انه «إِذا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» أى ما وعدوا به من الثواب و العقاب كائن لا محالة «وَ أَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها» أى لا شك فى حصولها «قلتم» معاشر الكفار «ما نَدْرِي مَا السَّاعَةُ» أى لا نعرفها «إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا» ليس نعلم ذلك «وَ ما

نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ» أى لسنا بمستيقنين ذلک.
ثم اخبر تعالى فقال «وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا» و معناه ظهر لهم جزاء معاصيهم التى عملوها فى دار التكليف من العقاب «وَ حاقَ بِهِمْ» أى حل بهم جزاء «ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» باخبار اللّه و اخبار نبيه «و قيل» لهم «الْيَوْمَ نَنْساكُمْ» أى نترككم فى العقاب- فى قول ابن عباس- و نحرمكم ثواب الجنة «كَما نَسِيتُمْ» أى كما تركتم التأهب ل «لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا» فلم تعملوا الطاعات و ارتكبتم المعاصى و قال مجاهد: كَنسيانكم يومكم «وَ مَأْواكُمُ النَّارُ» أى مستقركم جهنم «وَ ما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ» يدفعون عنكم عذاب اللّه و لا لكم من مستنقذ من عذاب اللّه. ثم بين تعالى لم فعل بهم ذلک بان قال «ذلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللَّهِ هُزُواً» يعنى حججه و آياته (هزواً) أى سخرية تسخرون منها «وَ غَرَّتْكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا» أى خدعتكم زينتها و معناه اغتررتم بها، «فاليوم لا تخرجون منها» يعنى من النار.
و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «يخرجون» بفتح الياء و ضم الراء. الباقون بضم الياء و فتح الراء. و من فتح الياء، فلقوله «يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها» «1» و من ضم فلقوله «وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» و طابق بينهما

---

(1) سورة 5 المائدة آية 40

و معنى «وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» أى لا يطلب منهم العتبى و الاعتذار، لان التكليف قد زال. و قيل: معناه لا يقبل منهم العتبى. و قيل: الوجه فى ظهور أحوالهم و سيئاتهم فى الآخرة التبكيت بها و التقريع بالتكذيب لما كان يمكنهم معرفته لظهور حججه على خلقه.
ثم قال تعالى «فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّماواتِ وَ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعالَمِينَ» أى الشكر التام و المدحة التى لا يوازيها مدحة للّه الذى خلق السموات و الأرض و دبرهما و خلق العالمين «وَ لَهُ الْكِبْرِياءُ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» أى له السلطان القاهر و له العظمة العالية الّتى هى فى أعلى المراتب لا يستحقها سواه «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» أى القادر الذى لا يغالب «الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله. و قيل: (عزيز) فى انتقامه من الكفار (حكيم) فى ما يفعل بهم و بالمؤمنين من الثواب.

اشارة

مكية بلا خلاف، و هى خمس و ثلاثون آية فى الكوفى و اربع و ثلاثون فى البصرى و المدنيين عد أهل الكوفة (حم) آية و لم يعده الباقون. و الباقى لا خلاف فيه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2) ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّى وَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ (3) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ ائْتُونِي بِكِتابٍ مِنْ قَبْلِ هذا أَوْ أَثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (4)
وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَ هُمْ عَنْ دُعائِهِمْ غافِلُونَ (5)
خمس آيات فى الكوفى و اربع فى ما عداه عد الكوفى (حم) و لم يعده الباقون.
و قد بينا معنى قوله (حم) و إختلاف العلماء فى ذلک، و بينا ايضاً تأويل قوله «تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» فلا وجه لإعادته. و قيل: الوجه فى

تكرير ذلک الابانة عن أن هذه السورة حالها حال السورة التى قبلها فى أنه تعالى نزلها و شرفها و كرّمها فى الاضافة إلى العزيز الحكيم. و العزيز القادر الذى لا يغالب و لا يقهر. و قيل هو العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم فى أفعاله. و قد يكون الحكيم بمعنى العالم بتصريف الأمور الذى لا يوقعها الا على مقتضى العلم فى التدبير و هو صفة مدح، و ضده السفيه، و ضد العزيز الذليل.
ثم قال تعالى مخبراً إنا «ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ» و معناه إنا لم نخلق السموات و الأرض و ما بينهما إلا بالحق و معناه إنه لم توجد السموات و الأرض و ما بينهما من الأجناس إلا للحق و تعريض الخلق لضروب النعم و تعريض المكلفين للثواب الجزيل و لم نخلقها عبثاً و لا سدى بل عرّضناهم للثواب بفعل الطاعات و زجرناهم بالعقاب عن فعل المعاصى، و قدّرنا لهم اوقات نبعثهم اليها و أوقات نجازيهم فيها «وَ أَجَلٍ مُسَمًّى» أى مذكور للملائكة فى اللوح المحفوظ.
ثم قال «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بوحدانية اللّه تعالى و جحدوا ربوبيته «عَمَّا أُنْذِرُوا» به معرضون و عما خوّفوا العمل من خلافه بالعقاب «مُعْرِضُونَ» أى عادلون عن الفكر فيه و الاعتبار به.
ثم قال «قُلْ» يا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الأصنام و يدعون مع اللّه إلهاً آخر «أَ رَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» آلهة و توجهون عبادتكم اليها بأى شىء استحقوا ذلک «أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ» فاستحقوا بخلق ذلک العبادة و الشكر «أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي

السَّماواتِ» أى فى خلقها، فإنهم لا يقدرون على ادعاء ذلک.
ثم قال لهم «ائْتُونِى بِكِتابٍ مِنْ قَبْلِ هذا» يعنى هاتوا بكتاب أنزله اللَّه بدل على صحة قولكم قبل هذا القرآن «أَوْ أَثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ» يعنى شىء يستخرج منه التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 268
فيثار فيعلم به ما هو منفعة لكم- و هو قول الحسن- و قال مجاهد: معناه او علماً تأثرونه عن غيركم- و يؤدى أثره، و هما لغتان: اثره و اثاره، و منه الحديث المأثور أى المرفوع- يدل على صحة ما تذهبون اليه. و قال ابو بكر و ابن عباس: معناه او بقية من علم يشهد بصحة قولكم و صدق دعواكم «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» فى ما تذكرونه و تذهبون اليه. و يقال: اثر الشىء اثارة مثل قبح قباحة و سمح سماحة، قال الراعى:
و ذات أثارة أكلت عليه
يعنى ذات بقية من شحم. ثم قال تعالى «وَ مَنْ أَضَلُّ» أى من أضل عن طريق الصواب «مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى يضرع اليه و يوجه عبادته إلى «مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ» مع ظهور الدلالة على توحيد اللَّه و وضوح آثار نعمه على خلقه «وَ هُمْ» مع ذلک «عَنْ دُعائِهِمْ» إياهم «غافِلُونَ» أى ذاهبون عن الفكر فيه، لأنهم لا يعقلون و لا يفقهون. و الغفلة ذهاب المعنى عن نفس العاقل بمعنى يمتنع به إدراكه. و ضده اليقظة، و هو حضور المعنى لنفس العاقل بما يجد إدراكه، و انما كنى عن الأصنام بالواو و النون مع أنها لا تعقل لما أضاف اليها ما يكون من العقلاء، كنى عنها بكناياتهم، كما قال «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ» «1» و قوله «كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» «2».

وَ إِذا حُشِرَ النَّاسُ كانُوا لَهُمْ أَعْداءً وَ كانُوا بِعِبادَتِهِمْ كافِرِينَ (6) وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ هذا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِما تُفِيضُونَ فِيهِ كَفى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (8) قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَ ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَ لا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ ما يُوحى إِلَيَّ وَ ما أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ (9) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ كَفَرْتُمْ بِهِ وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَ اسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10)

---

(1) سورة 12 يوسف آية 4
(2) سورة 36 يس آية 40

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 269

خمس آيات بلا خلاف.

لما قال تعالى إنه لا أحد أضل عن طريق الحق ممن يدعو من لا يستجيب له، يعنى الأصنام التى عبدوها و إنهم عن دعائهم غافلون ايضاً، ذكر انه «إِذا حُشِرَ النَّاسُ» يوم القيامة و بعثهم اللَّه للثواب و العقاب «كانُوا لَهُمْ أَعْداءً» يعنى هذه الأوثان التى عبدوها ينطقهم اللَّه حتى يجحدوا أن يكونوا دعو إلى عبادتها او شعرت بذكر من أمرها «وَ كانُوا بِعِبادَتِهِمْ كافِرِينَ» يعنى يكفرون بعبادة الكفار لهم و يجحدون ذلک. ثم وصفهم ايضاً فقال «وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ» يعنى هؤلاء الكفار الذين وصفهم «آياتُنا» أى أدلتنا التى أنزلناها من القرآن و نصبناها لهم.

و الآية الدلالة التى تدل على ما يتعجب منه، قال الشاعر:

بآية يقدمون الخيل زوراً كأن على سنابكها مداما «1»

و يروى مناكبها و «بَيِّناتٍ» أى واضحات «قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بوحدانية

---

(1) مر فى 6/ 63

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 270

اللَّه و جحدوا نعمه «لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ» يعنى القرآن، و المعجزات التى ظهرت على يد النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله «هذا سِحْرٌ مُبِينٌ» أى حيلة لطيفة ظاهرة، و من اعتقد ان السحر حيلة لطيفة لم يكفر بلا خلاف. و من قال انه معجزة كان كافراً، لأنه لا يمكنه مع هذا القول ان يفرق بين النبى و المتنبى.

ثم قال «أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ» أى بل يقولون اختلقه و اخترعه فقال اللَّه

تعالى له «قل» لهم «إن» كنت (افتريته) و اخترعته (فَلا تَمْلِكُونَ لِی مِنَ اللَّهِ شَیْئاً) أی ان كان الأمر على ما تقولون إنى ساحر و مفتر لا يمكنكم أن تمنعوا اللَّه منى إذا أراد اهلاكى على افترائى عليه (هُوَ أَعْلَمُ بِما تُفِيضُونَ فِيهِ) يقال:
أفاض القوم فى الحديث إذا مضوا فيه، و حديث مستفيض أى شائع، من قولكم هذا سحر و افتراء، ثم قل لهم (كفى به) يعنى باللَّه (شَهِيداً بَيْنِی وَ بَيْنَكُمْ) يشهد للمحق منا و المبطل (وَ هُوَ الْغَفُورُ) لذنوب عباده (الرحيم) بكثرة نعمه عليهم. و فى ذلک حث لهم على المبادرة بالتوبة و الرجوع إلى طريق الحق، ثم قال (قل) يا محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله (ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ) فالبدع الاول فى الأمر يقال:
هو بدع من قوم أبداع قال عدى بن زيد:
فلا أنا بدع من حوادث تعترى رجالا عرت من بعد بؤس و اسعد «1»
قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: معناه ما كنت بأول رسول بعث و قوله (وَ ما أَدْرِی ما يُفْعَلُ بِی وَ لا بِكُمْ) قال الحسن: معناه لا أدرى ما يأمرنى اللَّه تعالى فيكم من حرب او سلم او تجعيل عقابكم او تأخيره. و قال قل لهم (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَیَّ) أى لست اتبع فى أمركم من حرب او سلم او امر او نهى إلَّا ما يوحى اللَّه إلىّ و يأمرنى به (وَ ما أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) أى لست إلا مخوفاً من

---

(1) تفسير الطبرى 26/ 4 [.....]

عقاب اللَّه و محذراً من معاصيه و مرغباً فى طاعاته. و
قيل: إن اصحاب النبى صَلى اللَّهُ عليه و آله شكوا إليه ما يلقون من اهل مكة من الأذى، فقال لهم (إنى رأيت فى المنام أنى أهاجر إلى ارض ذات نخل و شجر) ففرحوا بذلک، فلما تأخر ذلک، قالوا:
يا رسول اللَّه ما نرى ما بشرتنا به، فانزل اللَّه الآية.
و قوله (مبين) معناه مظهر لكم الحق فيه.
ثم قال (قل) لهم يا محمد (أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) يعنى هذا القرآن (و كفرتم به) يعنى بالقرآن (وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِی إِسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ) قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاک و الحسن و عون بن مالک الاشجعى صحابى، و ابن زيد: نزلت الآية فى عبد اللَّه بن سلام، و هو الشاهد من بنى إسرائيل، فروى أن عبد اللَّه بن سلام جاء إلى النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و قال: يا رسول اللَّه سل اليهود عنى فهم يقولون هو أعلمنا، فإذا قالوا ذلک قلت لهم إن التوراة دالة على نبوتک و أن صفاتک فيها واضحة، فلما سألهم عن ذلک، قالوا ذلک، فحينئذ اظهر ابن سلام إيمانه و أوقفهم على ذلک، فقالوا هو شرنا و ابن شرنا. و قال الفراء: هو رجل من اليهود.

و قال مسروق: الشاهد من بني إسرائيل هو موسى عليه السلام شهد على التوراة كما شهد النبى صَلى اللّٰهُ عَليه و آله على القرآن، قال: لان السورة مكية و ابن سلام أسلم بالمدينة.
و قوله (فَآمَنَ وَ اسْتَكْبَرْتُمْ) عن الايمان و جواب (إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) محذوف. قال الزجاج: تقديره (فَآمَنَ وَ اسْتَكْبَرْتُمْ) فلَا تؤمنون. و قال غيره تقديره فآمن و استكبرتم إنما تهلكون. و قال الحسن: جوابه فمن أضل منكم.
ثم اخبر تعالى فقال (إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) و يحتمل أمرين:
أحدهما- إنه لا يهديهم إلى الجنة لاستحقاقهم العقاب.
و الثانى- إنه لا يحكم بهداهم لكونهم ضلالا ظالمين. و لا يجوز ان يكون

المراد لا يهديهم إلى طريق الحق، لأنه تعالى هدى جميع المكلفين بأن نصب لهم الأدلة على الحق و دعاهم إلى اتباعه و رغبهم فى فعله. و قد قال (وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى) «1» فبين أنه هداهم إلى الحق و إن اختاروهم الضلال.

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْراً ما سَبَقُونا إِلَيْهِ وَ إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هذا إِفْكٌ قَدِيمٌ (11) وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى إِماماً وَ رَحْمَةً وَ هذا كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ بُشْرى لِلْمُحْسِنِينَ (12) إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (13) أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (14) وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلى والِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير- فى إحدى الروايتين عنه- و نافع و ابو جعفر و ابن عامر

---

(1) سورة 41 حم السجدة آية 17

و يعقوب (لتنذر) بالتاء على وجه الخطاب. و يجوز ان يكون مردوداً إلى اللسان و هو مؤنث. الباقون بالياء على وجه الاخبار عن الكتاب او القرآن. و قرأ اهل الكوفة (إحساناً) بالف. الباقون (حسناً) بضم الحاء بلا ألف. و قرأ ابن كثير و نافع و الكسائى و ابو عمرو (كرهاً) بفتح الكاف. الباقون بضمها، و هما لغتان.

و قرأ يعقوب (و فصله) بفتح الفاء و سكون الصاد من غير الف. الباقون (و فصاله) بكسر الفاء و إثبات ألف، و هما لغتان و بإثبات الالف كلام العرب. و فى الحديث (لا رضاع بعد فصال) و روى بعد (فطام).

اخبر اللَّه تعالى عن الكفار الذين جحدوا وحدانية اللَّه و كذبوا نبيه محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله أنهم قالوا (للذين آمنوا) و صدقوا رسوله (لو كان) هذا الذى يدعوننا هؤلاء المسلمون اليه: محمد و من اتبعه (خيراً) أى نفعاً عاجلا أو آجلا يظهر لنا ذلک (ما سبقونا) يعنى الكفار الذين آمنوا به (اليه) أى إلى إتباعه لأنا كنا بذلک أولى و به احرى، و حكى ان اسلم و غفار و جهينة و مزينة لما اسلموا قال بنو عامر ابن صعصعة و غطفان و اسد و أشجع هذا القول، فحكاه اللَّه. و السبق المصير إلى الشىء قبل غيره، و كذلک السابق إلى الخير و التابع فيه، فقال اللَّه تعالى (وَ إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ) يعنى هؤلاء الكفار بهذا القرآن و لا استبصروا به و لا حصل لهم العلم بأنه مرسل داع إلى اللَّه (فَسَيَقُولُونَ هذا إِفْكٌ قَدِيمٌ) أى كذب متقدم حيث لم يهتدوا به، وصفه بالقديم للمبالغة فى التقدم أى ليس أول من ادعى الكذب فى ذلک

بل قد تقدم أشباهه. و القديم فى عرف اللغة هو المتقدم الوجود، و فى عرف المتكلمين هو الموجود الذى لا أول لوجوده.
ثم قال تعالى (و من قبله) يعنى من قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 274
التوراة (إماماً و رحمة) أى جعلناه إماماً و رحمة و أنزلناه إماماً يهتدى به و رحمة أى نعمة على الخلق. ثم قال (و هذا) يعنى القرآن (كتاب مصدق) لذلک الكتاب (لساناً عربياً) نصبه على الحال، و يجوز ان يكون حالا من هذا الكتاب و يجوز ان يكون حالا لما فى (مصدق) من الضمير. و قوله (لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) أى ليخوفهم، و يعلمهم استحقاق العقاب على المعاصى و استحقاق الثواب على الطاعات.
فمن قرأ بالتاء جاز أن يكون خطاباً للنبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و يجوز ان يكون ردّاً على اللسان على ما قدمناه، و هو مؤنث. و من قرأ بالياء رده إلى الكتاب الذى هو القرآن.
و قوله (وَ بُشْرى لِلْمُحْسِنِينَ) معناه ان يكون هذا القرآن بشارة لمن فعل الصالحات و اختار الحسنات، و يجوز فى (بشرى) ان يكون رفعاً عطفاً على (مصدق) و يجوز ان يكون نصباً لوقوعه موقع (و بشيراً) فيكون حالا، كما تقول: أتيتک لازورک و كرامة لک و قضاء لحقک.
ثم اخبر تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قالُوا) بلسانهم (رَبُّنَا اللَّهُ) و اعتقدوا ذلک بقلوبهم (ثُمَّ اسْتَقامُوا) على ذلک لم يعدلوا عنه (فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) من العقاب فى الآخرة (وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ) من أهوال القيامة.
ثم اخبر عنهم فقال (أولئک) يعنى من تقدم ذكرهم (اصحاب الجنة) أى الملازمون لها (خالِدِينَ فِيها جَزاءً) لهم (بِما كانُوا يَعْمَلُونَ) فى الدنيا من الطاعات.
ثم قال تعالى (وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً) أى أمرناه بأن يحسن إلى والديه إحساناً. فمن قرأ بلا الف فالمعنى أن يحسن فعله معهما حسناً، فالحسن و الحسن. لغتان، يقال: حسن يحسن حسناً و من قرأ «إحساناً» جعله مصدر احسن «. و كرهاً» بفتح الكاف المصدر و بضمها الاسم. و قيل هما لغتان. و قوله «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً» قال الحسن و قتادة و مجاهد: أى بمشقة. ثم التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 275
قال «وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً» نبه بذلک على ما يستحقه الوالدان من الإحسان اليهما و معاملتهما من حيث أنهما تكفلا به و ربياه، و انه «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً» أى بمشقة فى حال الولادة و أرضعته مدة الرضاع. ثم بين ان أقل مدة الحمل و كمال مدة الرضاع ثلاثون شهراً، و أنهما تكفلا به حتى بلغ حد الكمال «حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً» قيل اكثر الفصال و اكثر مدة الرضاع اربعة و عشرون شهراً و اقل مدة الحمل ستة أشهر، و المعنى وصية بذلک ليكون إذا بلغ أشده أى حال

التكليف و حال الأربعين، قال هذا القول علمه اللّه إياه. و قال قتادة و ابن عباس: أشده ثلاث و ثلاثون سنة. و قال الشعبى: هو وقت بلوغ الحلم. و قال الحسن: أشده وقت قيام الحجة عليه. ثم «قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَ عَلى والِدَىَّ» فالايزاع المنع من الانصراف عن الشىء فالايزاع الشكر المنع من الانصراف عنه باللطف، و منه قولهم يزع اللّه بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. و منه قول الحسن: لا بد للسلطان من وزعة. قال النابغة:

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت ألما تصح و الشيب وازع

اى مانع. و قيل: إيزاع الشكر هو الهام الشكر و قيل الاعزاء بالشكر «وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِى إِنِّى تُبْتُ إِلَيْکَ وَ إِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ» تمام ما علمه اللّه للإنسان و وصاه ان يدعو به إذا بلغ أشده: أن يقول: إنى تائب الى اللّه من المعاصى و إنى من جملة المسلمين لأمر اللّه.

أُولئِکَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَ نَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ فِي أَصْحابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ (16) وَ الَّذِي قالَ لِوالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُما أَ تَعِدانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَ قَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَ هُما يَسْتَغِيثانِ اللَّهَ وَيْلَکَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ ما هذا إِلاَّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (17) أُولئِکَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ (18) وَ لِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَ لِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمالَهُمْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (19) وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِها فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِما كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (20)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 276

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ «نتقبل، و نتجاوز» بالنون فيهما حمزة و الكسائى و خلف، على وجه الاخبار من اللّه عن نفسه و لقوله «و وصينا» الباقون بالياء فيهما، على ما لم يسم فاعله. و روى هشام «أ تعدانى» بنون مشددة. الباقون بنونين. و قرأ ابن كثير و أهل البصرة و عاصم إلا الكسائى عن أبى بكر و الحلوانى عن هشام (و ليوفينهم) بالياء. الباقون بالنون. و قرأ ابن ذكوان و روح (أ أذهبتم) بهمزتين مخففتين على الاستفهام. و قرأ ابن كثير و ابو جعفر و هشام بتخفيف الاولى و تليين الثانية و فصل بينهما بالف ابو جعفر و الحلوانى عن هشام. الباقون بهمزة واحده على الخبر.

لما اخبر تعالى بما أوصى به الإنسان ان يعمله و يقوله عند بلوغ أشده أخبره بعده بما يستحقه من الثواب إذا فعل ما أمره به تعالى فقال (أولئک) يعنى الذين فعلوا ما وصيناهم به من التائبين المسلمين هم (الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا) من قرأ بالنون أضاف الفعل إلى اللّه و انه أخبر عن نفسه بأنه يفعل بهم. و من التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 277

قرأ بالياء و الضم فيهما لم يذكر الفاعل لأنه معلوم أن المراد به أن اللّه الذى يتقبل الطاعات و يجازى عليها. و قوله (أَحْسَنَ ما عَمِلُوا) يعنى ما يستحق به الثواب من الواجبات و المندوبات، لأن المباحات و إن كانت حسنة لا يستحق بها الثواب و لا توصف بأنها متقبلة، لأنه لا يتقبل إلا ما ذكرناه من واجب او ندب.

ثم قال (وَ نَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ) التى اقترفوها فلا نؤاخذهم بها إذا تابوا منها أو أردنا أن نتفضل عليهم بإسقاطها. و قوله (فى أصحاب الجنة) أى هم فى أصحاب الجنة (وعد الصدق) أى وعدهم وعد الصدق لا الكذب، فهو نصب على المصدر (الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ) به فى دار الدنيا إذا أطاعوا اللّه.

ثم أخبر تعالى عن حال (الذى قال) أى الذى يقول (لوالديه أف لكما) و معناه أنه فى موضع ضجر منهما، و قيل: معناه نتناً و قذراً لكما، كما يقال عند شم الرائحة الكريهة. و قال الحسن: هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث و انه يتأفف بهما إذا دعواه إلى الإقرار بالبعث و النشور. و قال قوم: نزلت الآية فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل ان يسلم.
ثم بين أنه يقول لهما (أَ تَعِدانِنِى أَنْ أُخْرَجَ) من القبر و أحيا و ابعث (وَ قَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِى) أى مضت امم قبلى و ماتوا فما أخرجوا و لا أعيدوا و هما يعنى والديه (يستغيثان اللَّه) و يقولان له (وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) و البعث و النشور و الثواب و العقاب (فيقول) فى جوابهما (ما هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أى ليس هذا إلا أخبار الأولين و سطروها، و ليس لها حقيقة، فقال تعالى (أُولئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) باستحقاق العقاب و إدخالهم النار (فى أمم) أى مع أمم و جماعات (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ) على مثل حالهم و مثل اعتقادهم. و قال قتادة: قال الحسن: الجن لا يموتون، قال قتادة: التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 278
فقلت (أُولئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ...) الآية تدل على خلافه، و يجوز ان يكون الحسن أراد انهم لا يموتون فى دار الدنيا و يبقون إلى وقت قيام الساعة.
ثم يميتهم اللَّه كما ان ذلک سبيل كل خلق من الملائكة.
ثم قال تعالى مخبراً عن حالهم (إنهم) يعنى الذين وصفهم (كانوا قوماً خاسرين) فى أمورهم، لأنهم خسروا الثواب الدائم و حصل لهم العقاب المؤبد.
ثم قال (وَ لِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا) أى لكل مطيع درجات ثواب، و إن تفاضلوا فى مقاديرها.
و قوله (و ليوفيهم) من قرأ بالياء معناه ليوفيهم اللَّه. و من قرأ بالنون فعلى وجه الاخبار من اللَّه عن نفسه انه يوفيهم ثواب أعمالهم من الطاعات «وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ» أى من غير ان ينقص منه شيئاً.
ثم قال تعالى (وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) يعنى يوم القيامة (أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِى حَياتِكُمُ الدُّنْيا) أى يقال لهم على وجه التهجين و التوبيخ (أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ) أى أنفقتم ذلک فى ملاذ الدنيا، و فى معاصى اللَّه، و لم تستعملوها فى طاعاته. فمن خفف الهمزتين أراد بالف الاستفهام التوبيخ. و من لين الثانية كره الجمع بين الهمزتين. و من قرأ على الخبر، فعلى تقدير يقال لهم (أذهبتم) أو يكون حذف أحدهما تخفيفاً و يكون المحذوفة الاصلية، لان همزة الاستفهام ادخلت لمعنى.
و قوله (و استمتعتم بها) يعنى بالطيبات. ثم حكى ما يقال لهم بعد ذلک فانه يقال لهم (فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ) يعنى عذاب الهوان- فى قول مجاهد (بِما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى الْأَرْضِ) أى جزاء بما كنتم تطلبون التكبّر و التجبر

عَلَى الناس (بغَير الحق) أى َبغير استحقاق (وَ بِما كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) أى تخرجون التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 279
من طاعة اللّٰه الى معاصيه.

وَ اذْكُرْ أَخا عادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقافِ وَ قَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّی أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (21) قالُوا أَ جِئْتَنا لِتَأْفِكَنا عَنْ آلِهَتِنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (22) قالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أُبَلِّغُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ وَ لكِنِّی أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ (23) فَلَمَّا رَأَوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قالُوا هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ (24) تُدَمِّرُ كُلَّ شَیْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها فَأَصْبَحُوا لا يُرى إِلاَّ مَساكِنُهُمْ كَذلِكَ نَجْزِی الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (25)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ عاصم و حمزة و خلف (لا يرى) بالياء مضمومة، على ما لم يسم فاعله (إلا مساكنهم) برفع النون. الباقون- بالتاء- و نصب النون. من ضم الياء فعلى ما لم يسم فاعله. و من فتح التاء، فعلى الخطاب، و المعنيان متقاربان.

يقول اللّه تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَليه و آله (و اذكر) يا محمد (أخا عاد) يعنى هوداً عليه السّلام (إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ) أى خوفهم من الكفر باللّه و حذرهم معاصيه و دعاهم إلى طاعته (بالأحقاف) قال ابن عباس: هو واد بين عمان و مهوة، و قال ابن إسحاق:

الأحقاف الرمل فى ما بين عمان إلى حضرموت. و قال قتادة: الأحقاف رمال التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 280

مشرفة على البحر بالشجر من اليمن، و قال الحسن: الأحقاف أرض خلالها رمال.

و قال الضحاک: جبل بالشام يسمى بذلک، قال العجاج:

بات إلى ارطات حقف أحقفا «1» أى رمل مشرف، و قال ابن زيد: الحقف الرمل يكون كهيئة الجبل.

و قال المبرد: الحقف هو كثيب المكثر غير العظيم و فيه اعوجاج، قال العجاج:

سماوة الهلال حتى احقوقفا «2» و هو انحناؤه. و قوله (وَ قَدْ خَلَتِ النُّذُرُ) أى مضت الرسل (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ) أى قدامه و وراءه (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) أى أنذرهم و خوفهم بان لا تعبدوا إلا اللّه. و قال لهم (إِنِّی أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يعنى عذاب يوم القيامة.

ثم حكى ما أجاب به قومه و انهم (قالُوا أَ جِئْتَنا) يا هود (لتأفكنا) أى لتلفتنا و تصرفنا (عن) عبادة (آلهتنا) بالكذب و الافک (فَأْتِنا بِما تَعِدُنا) من العذاب (إن كنت) صادقاً (من الصادقين) فانا لا نصدقک فى ما تقوله، فقال هود لهم (إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ) يريد العلم بوقت إنزال العذاب بكم عند اللّه، و هو

العالم به و لا أعلمه مفصلا (وَ أَبَلِّغُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ) أى أؤدى إليكم ما بعثت به إليكم من الدعاء إلى عبادة اللّه و إخلاص القربة اليه، فلست أراكم تقبلون ذلك (وَ لكِنِّى أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ) أى تفعلون ما يفعله الجهال.
و قوله «فَلَمَّا رَأَوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ» معناه فلما رأوا العذاب و شاهدوه أطل عليهم «قالُوا هذا عارِضٌ» أى سحاب «ممطرنا» و العارض المار بمعنى انه

---

(1) تفسير القرطبى 16/ 203 و مجاز القرآن 2/ 213 و الطبرى 26/ 15
(2) تفسير القرطبى 16/ 203 و قد مر فى 6/ 79 و 8/ 29

لا يلبث من خير أو شر، فلما رأووا العارض ظنوا انه عارض خير بالمطر، فقيل لهم ليس الأمر كما ظننتم «بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ» أى هو عارض من العذاب الذى استعجلتموه و طلبتموه مكذبين به، و قال (عارض) نكرة و (ممطرنا) معرفة، و إنما وصفه به لان التقدير ممطر إيانا، كقولك: مررت برجل مثلك أى مثل لك ثم فسره فقال «هو ريح فيه عذاب عظيم» أى مؤلم، و سمى السحاب عارضاً، لأخذه فى عرض السماء، و قال الأعشى:

يا من رأى عارضاً قد بت أرمقه كأنما البرق فى حافاته الشعل «1»

و قيل: كانت الريح ترفع الظعينة بحملها حتى ترى كأنها جرادة- فى قول عمرو بن ميمون- و قوله تعالى «تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ» أى تخرب و تلقى بعض الأشياء على بعض حتى تهلك، قال جرير:

و كان لهم كبكر ثمود لما رغا ظهراً فدمرهم دمارا «2»

.

و قوله «فَأَصْبَحُوا» يعنى اهل الأحقاف «لا يُرى إِلَّا مَساكِنُهُمْ» و ما عداها قد هلك. فمن فتح التاء نصب النون من (مساكنهم) على وجه الخطاب للنبى صَلى اللّهُ عَليه و آله. و من ضم الياء ضم النون و تقديره فأصبحوا لا يرى شىء فى مساكنهم و قرأ الحسن بالتاء و الضم. و قال النحويون: القراءة بالياء ضعيفة فى العربية، لأن العرب تذكر ما قبل (الا) فى الجحد، فتقول: ما قام إلا أختك، لان المحذوف (أحد) و تقديره ما قام احد إلا أختك قامت.
ثم قال تعالى مثل ما أهلكنا اهل الأحقاف و جازيناهم بالعذاب «كَذلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ» الذين سلكوا مسلكهم.

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 146
(2) تفسير الطبرى 26/ 16

وَ لَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَ جَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَ أَبْصاراً وَ أَفْئِدَةً فَما أَغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَ لا أَبْصارُهُمْ وَ لا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (26) وَ لَقَدْ أَهْلَكْنا ما حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرى وَ صَرَّفْنَا الْآياتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (27) فَلَوْ لا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْباناً آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَ ذلِكَ إِفْكُهُمْ وَ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (28) وَ إِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قالُوا يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَ إِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى على وجه القسم فى خبره أنه مكن هؤلاء الكفار الذين اخبر عنهم بأنه اهلكهم انه مكنهم من الطاعات و من جميع ما أمرهم به من انه جعلهم قادرين متمكنين بنصب الدلالة على توحيده، و مكنهم من النظر فيها، و رغبهم فى ذلک بما ضمن لهم من الثواب و زجرهم عما يستحق به العقاب، و لطف لهم و أزاح عللهم فى جميع ذلک، لان التمكين عبارة عن فعل جميع ما لا يتم الفعل إلا معه، ثم قال «وَ جَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً» يسمعون به الادلة «وَ أَبْصاراً» يشاهدون بها الآيات «وَ أَفْئِدَةً» يفكرون بها و يعتبرون بالنظر فيها «فَما أَغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَ لا أَبْصارُهُمْ التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 283

وَ لا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ»

أى لم ينفعهم جميع ذلک، لأنهم لم يعتبروا بها و لا فكروا فيها «إِذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللَّهِ» و أدلته «وَ حاقَ بِهِمْ» أى حل بهم عذاب «ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» و يسخرون منه.

و قوله «فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ» قال ابن عباس و قتادة: معناه فى ما لم نمكنكم فيه. و قال المبرد: (ما) الاولى بمعنى (الذى) و (إن) بمعنى (ما) و تقديره فى الذى ما مكناكم، و المراد بالآية و عيد كفار قريش و تهديدهم و أن اللَّه قد مكن قوم عاد بما لم يمكن هؤلاء منه، من عظيم القوة و شدة البطش و القدرة على جميع ما يطلبونه، و أنهم مع تمكينهم لم ينفعهم ذلک لما نزل بهم عذاب اللَّه حين كفروا به و جحدوا ربوبيته و لم يغنهم جميع ذلک.

ثم قال «وَ لَقَدْ أَهْلَكْنا ما حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرى» يعنى قوم هود و صالح، لأنهم كانوا مجاورين لبلاد العرب و بلادهم حول بلادهم، فإذا أهلكهم اللَّه بكفرهم كان ينبغى أن يعتبروا بهم «وَ صَرَّفْنَا الْآياتِ» و تصريف الآيات تصييرها فى

الجهات و تصريف الشىء تصييره فى الجهات، و تصريف المعنى تصييره تارة مع هذا الشىء و تارة مع ذلک، و تصريف الآيات تصييرها تارة فى الاعجاز و تارة فى الإهلاک، و تارة فى التذكير بالنعم و تارة فى وصف الأبرار، و تارة فى وصف الفجار، ليجتنب مثل فعلهم «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أى لكى يرجعوا إلى طاعته.
ثم قال «فَلَوْ لا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْباناً آلِهَةً» و معناه فهلا نصرهم الذين اتخذوا آلهة من دون اللّه من الأصنام، توبيخاً لهم على فعلهم و اعلاماً بأن من لا يقدر على نصرة أوليائه كيف تصح عبادته «قُرْباناً آلِهَةً» أى يقربون اليهم قرباناً و سموها آلهة.
ثم قال لم ينصرونهم «بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ» و أخبر أن «ذلِکَ إِفْكُهُمْ وَ ما كانُوا
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 284
يَفْتَرُونَ»
أى كذبهم الذى كذبوه، و الذى كانوا يفترونه، و يخترعونه.
ثم قال لنبيه صَلى اللَّهُ عَليه و آله و اذكر يا محمد «إِذْ صَرَفْنا إِلَيْکَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ» يعنى القرآن او النبى «قالُوا» بعضهم لبعض «أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِىَ» أى حين فرغ من تلاوته «وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ» لهم مخوفين من معاصى اللّه. و قال قوم: إن اللّه تعالى أمر نبيه ان يقرأ القرآن على الجن، و أمره بأن يدعوهم إلى عبادته. و قال قوم: هم يسمعون من قبل نفوسهم لقراءة القرآن فلما رجعوا «قالُوا» لقومهم «يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ» يعنى التوراة «يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ» أى يرشد اليه «و يهدى إِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ» من توحيد اللّه و معرفة نبيه المؤدى إلى الجنة. و قال ابن عباس و سعيد ابن جبير: صرفوا اليه بالرجم بالشهب، فقالوا عند ذلک إن هذا الأمر كبير.
و قال قتادة: صرفوا اليه من جهة. و فى رواية عن ابن عباس من نصيبين. و قيل:
ان نصيبين من أرض اليمن. و قال رزين بن حبيش: كانوا تسعة نفر، و قال ابن عباس: كانوا سبعة نفر. و قال قوم: صرفوا اليه بالتوفيق.

يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللَّهِ وَ آمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ (31) وَ مَنْ لا يُجِبْ داعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءُ أُولئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (32) أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى بَلى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (33) وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَ لَيْسَ هذا بِالْحَقِّ قالُوا بَلى وَ رَبِّنا قالَ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (34) فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَ لا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ ساعَةً مِنْ نَهارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفاسِقُونَ (35)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 285

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ يعقوب «يقدر» بالياء جعله فعلا مستقبلا. الباقون- بالباء- اسم فاعل.

لما حكى اللّه تعالى أن نفراً من الجن استمعوا القرآن و تدبروه و رجعوا به إلى قومهم مخوفين لهم من معاصي اللّه و أنهم قالوا إنا سمعنا كتاباً يعنى القرآن انزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يعنى التوراة يهدى إلى الحق و إلى طريق مستقيم، حكى انهم قالوا ايضاً «يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللَّهِ» يعنون محمداً صَلى اللَّهُ عَليه و آله إذ دعاهم إلى توحيده و خلع الأنداد دونه، و قال قوم: يجوز ان يكون المراد كل من دعا إلى اللّه تعالى. و الاجابة موافقة الفعل الدعاء اليه بأنه عمل من أجله، و لهذا لا تكون موافقة الكافر- و إن كان إذا دعا به- إجابة له إذ لم يعمل من أجل دعائه اليه، و إنما عمل لأمر آخر. و على هذا قال بعضهم: إنه لا يجيب اللّه دعاء الكافر لان فيه إجلالا له كما لا يعمل شيئاً لأن فيه مفسدة.

فان قيل: لو ان الكافر دعا إلى حق هل تلزم اجابته؟

قلنا: يجب العمل بما يدعو اليه، و لا تلزم إجابته، و إنما يجب العمل به، لأنه حق. و قيل: يجوز إجابته إذا لم يكن فيه مفسدة. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 286

و قالوا لهم «آمِنُوا بِهِ» أى آمنوا باللّه «يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ» (من) زائدة، و المعنى يغفر لكم ذنوبكم «وَ يُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ» فالاجارة من النار جعلهم فى جوار الأولياء المباعدين من النار. و فى الدعاء: اللهم أجرنى من النار و اللهم أعذنى منها.

ثم قالوا ايضاً «وَ مَنْ لا يُجِبْ داعِيَ اللَّهِ» تاركاً له إلى خلافه «فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ» أى بفائت «فِي الْأَرْضِ وَ لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءُ» ينصرونهم و يدفعون عنهم العذاب إذا نزل بهم، و يجوز ان يكون ذلك من كلام اللّه ابتداء. ثم قال «أُولئِكَ» يعنى الذين لا يجيبون داعى اللّه «فِي ضَلالٍ» أى

فى عدول عن الحق «مُبِينٍ».
ثم قال تعالى منبهاً لهم على قدرته على الاعادة و البعث «أَ وَ لَمْ يَرَوْا» أى او لم يعلموا «أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» و انشأهما «وَ لَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ» أى لم يصبه فى خلق ذلک إعياء و لا تعب «بقادر» فالباء زائدة و موضعه رفع بأنه خبر (أن) و دخول الباء فى خبر (ان) جائز إذا كان أول الكلام نفياً نحو ما ظننت أن زيداً بقائم و لو قلت: إن زيداً بقائم لا يجوز، لأنه إثبات «عَلى أَنْ يُحْيِىَ الْمَوْتى» ثم قال «بلى» هو قادر عليه «إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» ثم قال «وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَ لَيْسَ هذا بِالْحَقِّ» أى يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم أليس هذا الذى جزيتم به حق لا ظلم فيه لأنكم شاهدتموه الآن «قالُوا بَلى وَ رَبِّنا» فيحلفون على ذلک، فيقال لهم عند ذلک «فَذُوقُوا الْعَذابَ» جزاء «بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» أى بما كنتم تجحدون من نعمه و تنكرون من وحدانيته ثم قال لنبيه صَلى اللَّهُ عَليه و آله «فاصبر» يا محمد على أذى هؤلاء الكفار على ترک إجابتهم لک «كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» قبلک على أممهم. و قال قوم: أولوا العزم التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 287
هم الذين يثبتون على عقد القيام بالواجب و اجتناب المحارم، فعلى هذا الأنبياء كلهم أولوا العزم، و من قال ذلک جعل (من) هاهنا للتبيين لا للتبعيض.
و من قال: إن أولى العزم طائفة من الرسل و هم قوم مخصوصون قال (من) هاهنا للتبعيض و هو الظاهر فى روايات أصحابنا، و أقوال المفسرين، و يريدون بأولى العزم من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدم من الأنبياء، قالوا و هم خمسة أولهم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله.
ثم قال «وَ لا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» العقاب «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ» من يوم القيامة لقرب مجيئه «لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا ساعَةً مِنْ نَهارٍ» من قلة لبثهم فى الدنيا.
و قوله «بلاغ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ذلک اللبث بلاغ. و الآخر- هذا القرآن بلاغ.
ثم قال «فَهَلْ يُهْلَكُ» بهذا النوع من الإهلاک على وجه الاستحقاق «إِلَّا الْقَوْمُ الْفاسِقُونَ» الذين خرجوا من طاعة اللّه إلى معصيته و من ولايته إلى عداوته.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 288

47-سورة محمد صَلی اللَّهُ عَلیه و آله..... ص: 288

اشارة

هى مدينة كلها إلا آية واحدة قال ابن عباس و قتادة: فالآية الواحدة نزلت حين خرج النبى صَلى اللّٰهُ عَليه و آله من مكة و جعل ينظر إلى البيت، و هو يبكى حزناً عليه فنزل قوله «وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِکَ الَّتِى أَخْرَجَتْکَ...» الآية و هى ثمان و ثلاثون آية فى الكوفى و تسع و ثلاثون فى المدنيين و أربعون فى البصرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ (1) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ آمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ وَ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ أَصْلَحَ بالَهُمْ (2) ذلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْباطِلَ وَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثالَهُمْ (3) فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتَّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِداءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها ذلِكَ وَ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَ لكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ (4) سَيَهْدِيهِمْ وَ يُصْلِحُ بالَهُمْ (5)

خمس آيات كوفى و ست فى ما عداه.
قرأ اهل البصرة و حفص عن عاصم «وَ الَّذِينَ قُتِلُوا» على ما لم يسم فاعله بضم القاف و كسر التاء. الباقون «قاتلوا» بألف من المفاعلة. و قرئ شاذاً «قتلوا» بفتح القاف و تشديد التاء. من قرأ بألف كان أعم فائدة، لأنه يدخل فيه من قتل. و من قرأ بغير الف لم يدخل فى قراءته القاتل الذى لم يقتل و كلاهما لم يضل اللّه أعمالهم، فهو اكثر فائدة. و من قرأ بغير الف خص هذه الآية بمن قتل. و قال: علم أن اللّه لم يضل اعمال من قاتل بدليل آخر و لأن من قاتل لم يضل عمله بشرط ألا يحبط عند من قال بالإحباط، و ليس من قتل كذلك، لأنه لا يضل اللّه أعمالهم على وجه بلا شرط، و لأنه لا يقتل إلا وقد قاتل فصار معناهما واحد.
قال مجاهد عن ابن عباس إن قوله «الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» نزلت فى أهل مكة. و قوله «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» فى الأنصار.
يقول اللّه تعالى مخبراً بأن الذين جحدوا توحيد اللّه و عبدوا معه غيره و كذبوا محمداً نبيه صَلى اللّهُ عَليه و آله فى الذى جاء به و صدوا من أراد عبادة اللّه و الإقرار بتوحيده و تصديق نبيه عن الدين، و منعوه من الإسلام «أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ» و معناه حكم اللّه على أعمالهم بالضلال عن الحق و العدول من الاستقامة و سماها بذلك لأنها عملت على غير هدى و غير رشاد. و الصد عن سبيل اللّه هو الصرف عن سبيل اللّه بالنهى عنه و المنع منه. و الترغيب فى خلافه، و كل ذلك صد، فهؤلاء كفروا فى أنفسهم و دعوا

غيرهم إلى مثل كفرهم. و الضلال الإهلاک حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل، و ليس فى الآية ما يدل على القول بصحة الإحباط إذا حملناها على ما قلناه. و من قال بالتحابط بين المستحقين لا بد ان يترک ظاهر الآية.

ثم قال «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» يعنى صدقوا بتوحيد اللّه و الإقرار بنبوة نبيه و أضافوا إلى ذلک الاعمال الصالحات «و آمنوا بما انزل على محمد» من القرآن و العبادات و غيرها «وَ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ» الذى لا مرية فيه «كفر اللّه عنهم سيئاتهم» و قوله «وَ هُوَ الْحَقُّ» يعنى القرآن- على ما قاله قوم- و قال آخرون إيمانهم باللّه و بالنبى صَلَى اللَّهُ عَليه و آله «هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ» أى بلطفه لهم فيه و حثه عليه و أمره به. و معنى تكفير السيئات هو الحكم بإسقاط المستحق عليها من العقاب، فأخبر تعالى انه متى فعل المكلف الايمان باللّه و التصديق لنبيه أسقط عقاب معاصيه حتى يصير بمنزلة ما لم يفعل. و قوله «وَ أَصْلَحَ بالَهُمْ» قال قتادة:
معناه و أصلح حالهم فى معايشهم و أمر دنياهم. و قال مجاهد: و أصلح شأنهم، و البال لا يجمع، لأنه أبهم أخواته من الحال و الشأن.
ثم بين تعالى لم فعل ذلک و لم قسمهم هذين القسمين فقال «ذلِکَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» فعلنا ذلک بهم و حكمنا بابطال أعمالهم جزاء على انهم «اتَّبَعُوا الْباطِلَ» و المعاصى، و فعلنا بالمؤمنين من تكفير سيئاتهم لأنهم «اتَّبَعُوا الْحَقَّ» الذى أمر اللّه باتباعه. و قيل الباطل هو الشيطان- هاهنا- و الحق هو القرآن، و يجوز ان يكون التقدير الإمر ذلک، و حذف الابتداء.
ثم قال تعالى (كَذلِکَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثالَهُمْ) أى هؤلاء الذين حكمنا بهلاكهم و ضلالهم بمنزلة من دعاه الباطل فاتبعه، و المؤمن بمنزلة من دعاه الحق من اللّه فاتبعه و يكون التقدير يضرب اللّه للناس صفات أعمالهم بأن بينها و بين ما يستحق التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 291
عليها من ثواب و عقاب.
ثم خاطب تعالى المؤمنين فقال (فإذا لقيتم) معاشر المؤمنين «الذين كفروا» باللّه و جحدوا ربوبيته من أهل دار الحرب (فَضَرْبَ الرِّقابِ) و معناه اضربوهم على الرقاب، و هى الاعناق (حَتَّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ) أى اثقلتموهم بالجراح و ظفرتم بهم (فَشُدُّوا الْوَثاقَ) و معناه احكموا وثاقهم فى الأمر. ثم قال (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِداءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها) و معناه اثقالها.
و قوله (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ) نصب على المصدر و التقدير إما أن تمنوا مناً و إما أن تفدوا فداء و قال قتادة و ابن جريج: الآية منسوخة بقوله (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) «1» و قوله (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) «2» و قال ابن عباس و الضحاک: الفداء منسوخ. و قال ابن عمر و الحسن و عطا و عمر ابن عبد العزيز: ليست منسوخة. و قال الحسن يكره أن يفادى بالمال، و يقال يفادى الرجل بالرجل، و قال قوم: ليست منسوخة، و الامام مخير بين الفداء و المن و القتل بدلالة الآيات الاخر (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها) أى اثقالها، و قال قتادة: حتى لا يكون مشرک. و قال الحسن: إن شاء الامام أن يستفد الأسير من المشركين، فله ذلک بالسنة، و الذى رواه أصحابنا ان الأسير إن أخذ قبل انقضاء الحرب و القتال

بأن تكون الحرب قائمة و القتال باق، فالإمام مخير بين أن يقتلهم أو يقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف و يتركهم حتى ينزفوا، و ليس له المن و لا الفداء. و إن كان أخذ بعد وضع الحرب أوزارها و انقضاء الحرب و القتال كان مخيراً بين المن و المفادات. إما بالمال او النفس، و بين الاسترقاق، و ضرب الرقاب، فان أسلموا فى الحالين سقط جميع ذلک و صار حكمه حكم المسلم.

---

(1) سورة 9 التوبة آية 6
(2) سورة 8 الانفال آية 58
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 292
و قوله (ذلک) أى الذى حكمنا به هو الحق الذى يجب عليكم إتباعه (وَ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ) و أهلكهم بانزال العذاب عليهم (وَ لكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) و يختبرهم و يتعبدهم بقتالهم إن لم يؤمنوا.
ثم اخبر تعالى أن (الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ) قال قتادة هم الذين قتلوا يوم احد. و من قرأ (قَاتلوا) أراد قاتلوا سواء قتلوا او لم يقتلوا لن يهلک اللّه أعمالهم و لا يحكم بضلالهم و عدولهم عن الحق. ثم قال (سيهديهم) يعنى إلى طريق الجنة (و يصلح بالهم) أى شأنهم او حالهم، و ليس فى ذلک تكرار البال، لان المعنى يختلف، لان المراد بالأول انه يصلح حالهم فى الدين و الدنيا و بالثانى يصلح حالهم فى النعيم،، فالأول سبب النعيم، و الثانى نفس النعيم.

وَ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ (6) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ (7) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ (8) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ (9) أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لِلْكافِرِينَ أَمْثالُها (10)

خمس آيات بلا خلاف.

لما اخبر اللّه تعالى انه سيهدى المؤمنين إلى طريق الجنة، و يصلح حالهم فيها، بين أنه ايضاً (يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ) و قيل فى معنى (عرفها لهم) قولان:

أحدهما- بانه عرفها لهم بان وصفها على ما يشوق اليها، ليعملوا بما يستوجبونها التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 293

به من طاعة اللّه و اجتناب معاصيه.

و الثانى- عرفها لهم بمعنى طيبها بضروب الملاذ، مشتقاً من العرف، و هى الرائحة الطيبة التى تتقبلها النفس تقبل ما تعرفه و لا تنكره. و قال ابو سعيد الخدرى و قتادة و مجاهد و ابن زيد: معناه انهم يعرفون منازلهم فيها كما كانوا يعرفون منازلهم فى الدنيا. و قال الحسن: وصف الجنة فى الدنيا لهم، فلما دخلوها عرفوها بصفتها.

ثم خاطب المؤمنين فقال (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بتوحيد اللّه و صدقوا رسوله (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ) و معناه إن تنصروا دينه بالدعاء اليه، و اضافه إلى نفسه تعظيماً كما قال (مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً) «1» و قيل معناه (تنصروا اللّه) تدفعوا عن نبيه (ينصركم) اللّه، أى يدفع عنكم أعداءكم فى الدنيا عاجلا، و عذاب النار آجلا (وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ) فى حال الحرب. قيل: و يثبت أقدامكم يوم الحساب.

ثم قال (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بنعم اللّه و جحدوا نبوة نبيه (فتعساً لهم) أى خزياً لهم و ويلا لهم، فالتعس الانحطاط و العثار عن منازل المؤمنين (وَ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ) أى أهلكها و حكم عليها بالضلال. و إنما كرر قوله (وَ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ) و (فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ) تأكيداً، و مبالغة فى الزجر عن الكفر و المعاصى و كرر ذكر النعيم إذا ذكر المؤمنين مبالغة فى الترغيب فى الطاعات. و إنما عطف قوله (و أضل) و هو (فعل) على قوله (فتعساً) و هو اسم، لأن المعنى أتعسهم اللّه و أضل أعمالهم فلذلك حسن العطف.

ثم بين تعالى لم فعل ذلك، فقال فعلنا (ذلك) جزاء لهم على معاصيهم (بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ) من القرآن و الأحكام و أمرهم بالانقياد لها، فخالفوا

---

(1) سورة 2 البقرة آية 245 و سورة 57 الحديد آية 11
التبيان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 294
ذلک (فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ) من أجل ذلک أی حکم ببطلانها، لأنها وقعت علی خلاف الوجه المأمور به.
ثم نبههم علی الاستدلال علی صحة ما دعاهم الیه من توحیده و إخلاص العبادة له، فقال (أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ) حین أرسل اللَّه الیهم الرسلَ فدعوهم إلی توحیده و إخلاص العبادة له، فلم یقبلوا منهم و عصوهم و عملوا بخلافه، فأهلکهم اللَّه جزاء علی ذلک (و دمر علیهم) مثل ما فعل بعاد و ثمود و قوم لوط و أشباههم.
ثم قال (و للکافرین) بک یا محمد إن لم یقبلوا ما تدعوهم الیه (أَمثالها) أی أمثال تلک العقوبات أی هم یستحقون مثلها، و إنما یؤخر عذابهم تفضلا منه.

ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ أَنَّ الْكافِرِينَ لا مَوْلى لَهُمْ (11) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَما تَأْكُلُ الْأَنْعامُ وَ النَّارُ مَثْوىً لَهُمْ (12) وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِى أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ (13) أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَ اتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ (14) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَ أَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَ أَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَ أَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَ لَهُمْ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِى النَّارِ وَ سُقُوا ماءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ (15)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 295

ست آيات بصرى، و خمس فى ما عداه، عدّ البصريون (للشاربين) و لم يعده الباقون.

قرأ ابن كثير (أسن) على وزن (فعل). الباقون على وزن (فاعل) و معناهما واحد، لان المعنى من ماء غير متغير.

لما اخبر اللّه تعالى انه أهلك الأمم الماضية بكفرهم و أن للكافرين أمثالها بين أنه لم كان كذلك؟ فقال (ذلك) أى الذى فعلناه فى الفريقين (بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا) ينصرهم و يدفع عنهم لأن اللّه مولى كل مؤمن (وَ أَنَّ الْكافِرِينَ لا مَوْلى لَهُمْ) ينصرهم من عذابه إذا نزل بهم و لا أحد يدفع عنهم لا عاجلا و لا آجلا.

ثم اخبر تعالى انه (يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا) بتوحيده و صدقوا نبيه (وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) مضافة اليها (جنات) أى بساتين تجنها الأشجار (تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) و قيل: ان أنهار الجنة فى أخاديد من الأرض، فلذلك قال من تحتها.

ثم قال (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بتوحيده و كذبوا رسله (يتمتعون) فى دار الدنيا و يلتذون فيها (و يأكلون) المآكل فيها (كَما تَأْكُلُ الْأَنْعامُ) أى مثل ما تأكل الانعام و البهائم، لأنهم لا يعتبرون و لا ينظرون و لا يفكرون و لا يفعلون ما أوجبه اللّه عليهم، فهم بمنزلة البهائم. و قيل: إن المعنى بذلك الاخبار عن خستهم فى أكلهم بأنهم يأكلون للشره و النهم، لأنهم جهال. ثم قال (وَ النَّارُ مَثْوىً لَهُمْ) أى موضع مقامهم الذى يقيمون فيه.

ثم قال لنبيه صَلى اللَّهُ عَليه و آله مهدداً لكفار قومه (وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 296

قَرْيَتِكَ)

يعنى مكة (الَّتِى أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ) الآن فما الذى يؤمن هؤلاء أن يفعل بهم مثل ذلك. و معنى (و كأين) (و كم) و الأصل فيها (أى) قرية إلا

أنها إذا لم تضف تؤنث. ثم قال على وجه التهجين للكفار و التوبيخ لهم (أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) أى حجة واضحة. قال قتادة: يعنى محمداً صَلى اللَّهُ عَليه و آله.
و قال قوم: يعنى به المؤمنين الذين عرفوا اللَّه تعالى و أخلصوا العبادة (كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) من المعاصى زينها لهم الشيطان و أغواهم بها (وَ اتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ) أى شهواتهم فى ذلک، و ما تدعوهم اليه طباعهم.
ثم اخبر تعالى عن وصف الجنة التى وعد المتقين بها، فقال (مثل الجنة) أى وصف الجنة (الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) بها (فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ) أى غير متغير لطول المقام (وَ أَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) لمثل ذلک (وَ أَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) يلتذون بشربها و لا يتأذون بها و لا بعاقبتها (وَ أَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) من كل أذى (وَ لَهُمْ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) تلحقهم أى لا يلحقهم فى الجنة توبيخ بشىء من معاصيهم، لان اللَّه قد تفضل بسترها عليهم فصارت بمنزلة ما لم يعمل بابطال حكمها.
و قوله (مثل الجنة) مرفوع بالابتداء، و خبره محذوف، و تقديره ما يتلى عليكم مثل الجنة التى وعد المتقون، و لو جعل المثل مقحماً جاء الخبر المذكور عن الجنة كأنه قيل الجنة التى وعد المتقون فيها كذا و فيها كذا.
و قوله (كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِى النَّارِ) أى يتساوى من له نعيم الجنة على ما وصفناه و من هو فى النار مؤبدا!؟ و مع ذلک (سُقُوا ماءً حَمِيماً) أى حاراً (فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ) من حرارتها، و لم يقل أمن هو فى الجنة لدلالة قوله (كَمَنْ هُوَ خالِدٌ) عليه. و قيل: معنى قوله (كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِى النَّارِ وَ سُقُوا ماءً حَمِيماً فَقَطَّعَ التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 297
أَمْعاءَهُمْ)
أى هل يكون صفتهما و حالهما سواء؟!. و يتماثلان فيه؟! فانه لا يكون ذلک أبداً.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْکَ حَتَّى إِذا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِکَ قالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ما ذا قالَ آنِفاً أُولئِکَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ اتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ (16) وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً وَ آتاهُمْ تَقْواهُمْ (17) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها فَأَنَّى لَهُمْ إِذا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ (18) فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِکَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَکُمْ وَ مَثْواکُمْ (19) وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ لا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْکَمَةٌ وَ ذُکِرَ فِيهَا الْقِتالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْکَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلى لَهُمْ (20)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير فى احدى الروايتين (أنفاً) على وزن (فعل) الباقون (آنفاً) بالمد على وزن (فاعل) قال ابو على الفارسى: جعل ابن كثير ذلک مثل (حاذر، و حذر. و فاكه، و فكه) و الوجه الرواية الأخرى.

حكى اللّه تعالى لنبيه صَلى اللَّهُ عَليه و آله أن من الكفار من إذا جاء إلى النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و استمع التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 298

لقراءة القرآن منه و سمع ما يؤديه إلى الحق من الوحى و ما يدعوه اليه، فلا يصغى اليه و لا ينتفع به حتى إذا خرج من عنده لم يدر ما سمعه و لا فهمه، و يسألون أهل العلم الذين آتاهم اللّه العلم و الفهم من المؤمنين (ما ذا قالَ آنِفاً) اى أى شىء قال الساعة؟ و قيل: معناه قريباً مبتدياً. و قيل: إنهم كانوا يتسمعون للخطبة يوم الجمعة و هم المنافقون، و الآنف الجائى بأول المعنى و منه الاستئناف، و هو استقبال الأمر بأول المعنى، و منه الانف لأنه أول ما يبدو من صاحبه، و منه الأنفة رفع النفس عن أول الدخول فى الرتبة. و إنما قال (وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْکَ) فرده إلى لفظة (من) و هى موحدة. ثم قال (حَتَّى إِذا خَرَجُوا) بلفظ الجمع برده إلى المعنى، لان (من) يقع على الواحد و الجماعة.

ثم قال تعالى (أُولئِکَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ) أى وسم قلوبهم و جعل عليها علامة تدل على انهم كفار لا يؤمنون، و هو كالختم و إن صاحبه لا يؤمن فطبع اللّه على قلوب هؤلاء الكفار ذماً لهم على كفرهم أى لكونهم عادلين عن الحق و اخبر أنهم (اتبعوا) فى ذلک (أهواءهم) و هو شهوة نفوسهم و ما مال اليه طبعهم دون ما قامت عليه الحجة يقال: هوى يهوى هوى فهو هاو، و استهواه هذا الأمر أى دعاه إلى الهوى.

ثم وصف تعالى المؤمنين فقال (وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا) إلى الحق، و وصلوا إلى الهدى و الايمان (زادهم هدى) فالضمير فى زادهم يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- زادهم اللّه هدى بما ينزل عليهم من الآيات و الأحكام، فإذا أقروا بها و عرفوها زادت معارفهم.
الثانى- زادهم ما قال النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله هدى.
الثالث- زادهم استهزاء المنافقين إيماناً. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 299
و الوجه فى إضافة الزيادة فى الهدى إلى اللَّه هو ما يفعله تعالى بهم من الألطاف التى تقوى دواعيهم إلى التمسك بما عرفوه من الحق و تصرفهم عن العدول إلى خلافه. و يكون ذلک تأكيداً لما عملوه من الحق و صارفاً لهم عن تقليد الرؤساء من غير حجة و لا دلالة. ثم قال (و آتاهم) على زيادة الهدى (تقواهم) أى خوفاً من اللَّه من معاصيه و من ترک مفترضاته بما فعل بهم من الالطاف فى ذلک.
و قيل معناه (آتاهم) ثواب (تقواهم) و لا يجوز ان يكون المراد خلق لهم تقواهم لأنه يبطل أن يكون فعلهم.
ثم قال (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ) أى ليس ينتظرون إلا القيامة (أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) أى فجأة، فقوله (أن تأتيهم) بدل من الساعة، و تقديره إلا الساعة إتيانها بغتة، فان حذف الساعة كان التقدير هل ينظرون إلا إتيانهم الساعة بغتة. ثم قال تعالى (فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها) أى علاماتها. و قيل: منها انشقاق القمر فى وقت النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و منها مجىء محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله بالآيات لأنه آخر الأنبياء، فالاشراط العلامات واحدها شرط قال جرير:
ترى شرط المعزى مهور نسائهم و فى شرط المعزى لهن مهور «1»
و أشرط فلان لنفسه إذا علمها بعلامة، و قال أوس بن حجر:
فاشرط فيها نفسه و هو مقصم و القى بأسباب له و توكلا «2»
و الفاء فى قوله (فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها) عطف جملة على جملة فيها معنى الجزاء، و التقدير إن تأتيهم بغتة، فقد جاء أشراطها. و قد قرىء شاذاً عن أبى عمرو (الا إن) و القراءة بفتح (أن) و قال المبرد: هذا لا يجوز لأنه تعالى أخبر انه لا تأتى الساعة إلا بغتة، فكيف تعلق بشرط؟ و قال تعالى (فأنى لهم) أى من اين لهم (إذا

---

(1) الطبرى 26/ 30
(2) الطبرى 26/ 31
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 300
جاءتهم) يعنى الساعة (ذكراهم) أى ما يذكرهم أعمالهم من خير او شر، فانه لا ينفعهم فى ذلک الوقت الايمان و الطاعات لزوال التكليف عنهم.
ثم قال لنبيه صَلى اللَّهُ عَليه و آله و المراد به جميع المكلفين (فاعلم) يا محمد (أَنَّهُ لا إلهَ إِلَّا اللَّهُ) أى لا معبود يحق له العبادة إلا اللَّه. و فى ذلک

دلالة على ان اَلمعرَفة باللّه اكتساب، لأنها لو كانت ضرورية، لما أمر بها (وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِکَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ) فالخطاب له و المراد به الأمة لأنه صَلى اللَّهُ عَليه و آله لا ذنب له يستغفر منه، و يجوز ان يكون ذلک على وجه الانقطاع اليه تعالى.
ثم قال (وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مَثْواكُمْ) أى الموضع الذى تتقلبون فيه و كيف تتقلبون و موضع استقراركم، لا يخفى عليه شىء من أعمالكم طاعة كانت او معصية.
و قيل: يعلم منقلبكم فى أسفاركم و مثواكم فى أوطانكم، و قيل: متقلبكم فى أعمالكم و مثواكم فى نومكم.
ثم قال تعالى حكاية عن المؤمنين أنهم كانوا يقولون (لَوْ لا نُزِّلَتْ سُورَةٌ) أى هلا نزلت سورة لأنهم كانوا يأنسون بنزول الوحى و يستوحشون من إبطائه فقال اللَّه تعالى حاكياً عن حالهم عند نزول السورة فقال (فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ) أى ليس فيها متشابه و لا تأويل (وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتالُ) أى أوجب عليهم القتال (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أى نفاق و شک (يَنْظُرُونَ إِلَيْکَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) لثقل ذلک عليهم و عظمه فى نفوسهم (فأولى لهم) قال قتادة: هو وعيد، و كأنه قال العقاب اولى بهم، و هو ما يقتضيه قبح أحوالهم.
و روى عن ابن عباس، انه قال: قال اللَّه تعالى (فأولى) ثم استأنف فقال (لَهُمْ طاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ) يعنى للمؤمنين فصارت أولى للذين فى قلوبهم مرض.
و قيل: المعنى (فَأَوْلى لَهُمْ طاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ) من أن يجزعوا عن فرض الجهاد التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 301
عليهم. و قال الجبائى: معنى الكلام ينظرون اليک نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم أن يعاقبوا (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ) فى ما أمرهم به (لَكانَ خَيْراً لَهُمْ) و دخل بين الكلامين (طاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ) و ليس من قصته و إنما هى من صفة المؤمن يأمره اللَّه أن يطيعه، و يقول له قولا معروفاً. و قرأ ابن مسعود «سورة محدثة» و هو شاذ.

طاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ (21) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ (22) أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمى أَبْصارَهُمْ (23) أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها (24) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلى أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلى لَهُمْ (25)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو «و أملى لهم» على ما لم يسم فاعله. الباقون «وَ أَمْلى لَهُمْ» بمعنى الشيطان أملى لهم و يجوز أن يريد ان اللَّه أملى لهم كما قال «إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ» «1» و قرأ يعقوب مثل أبى عمرو إلا انه أسكن الياء بمعنى الاخبار عن اللَّه عن نفسه و ابو عمرو جعله لما لم يسم فاعله. و قرأ رويس «توليتم» بضم التاء و الواو و كسر اللام. الباقون بفتحهما. و قوله «طاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ» قيل فى معناه قولان:

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 178

أحدهما- قولوا أمرنا طاعة و قول معروف. قال مجاهد أمر اللَّه بذلك المنافقين. و قيل هو حكاية عنهم أنهم يقولون «طاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ» مثل فرض الجهاد. لأنه يقتضيه قوله «فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ».

الثانى- طاعة و قول معروف أمثل أى اولى بالحق من أقوال هؤلاء المنافقين و قيل: طاعة و قول معروف خير لهم من جزعهم عند نزول فرض الجهاد- ذكره الحسن- و الطاعة موافقه الارادة الداعية إلى الفعل بطريق الترغيب فيه. و القول المعروف هو القول الحسن، و سمى بذلك لأنه معروف صحته، و كذلك الأمر بالمعروف أى المعروف أنه حق. و الباطل منكر، لأنه تنكر صحته، فعلى هذا المعنى وقع الاعتراف و الإنكار.

و قوله «فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ» معناه إذا انعقد الأمر بالارادة انه يفعله فإذا عقد على انه يفعل قيل عزم الأمر على طريق البلاغة، و قيل معنى عزم أى جدّ الأمر (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ) يعنى فى ما أمرهم به من القتال و امتثلوا أمره (لَكانَ خَيْراً لَهُمْ) لأنهم كانوا يصلون إلى نعيم الأبد.

ثم خاطبهم فقال «فَهَلْ عَسَيْتُمْ» يا معشر المنافقين أن توليتم، و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- «إِنْ تَوَلَّيْتُمْ» الأحكام و جعلتم ولاة «أَنْ تُفْسِدُوا» فى الأرض بأخذ الرشا. و قيل أن أعرضتم عن كتاب اللَّه ان تعودوا إلى ما كنتم من أمر الجاهلية أن يقتل بعضكم بعضاً كما كنتم تفعلونه.

و الثانى- ان وليتم الأمر أن يقطع بعضكم رحم بعض، و يقتل بعضكم بعضاً كما قتلت قريش بنى هاشم. و قتل بعضهم بعضاً. و قيل المعنى ان أعرضتم عن كتاب اللّه و العمل بما فيه من وجوب القتال «أَنْ تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ» بان التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 303
تعملوا فيها بالمعاصى «وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ» فلا تصلونها، فان اللّه تعالى يعاقبكم عليه بعذاب الأبد و يلعنكم.
ثم قال «أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ» أى أبعدهم اللّه عن رحمته «فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمى أَبْصارَهُمْ» أى سماهم عمياً و صماً، و حكم عليهم بذلك، لأنهم بمنزلة الصم و العمى من حيث لم يهتدوا إلى الحق و لا أبصروا الرشد، و لم يرد الاصمام فى الجارحة و الاعماء فى العين، لأنهم كانوا بخلافه صحيحى العين صحيحى السمع.
ثم قال موبخاً لهم «أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها» معناه أفلا يتدبرون القرآن بأن يتفكروا فيه و يعتبروا به أم على قلوبهم قفل يمنعهم من ذلك تنبيهاً لهم على ان الأمر بخلافه. و ليس عليها ما يمنع من التدبر و التفكر و التدبر فى النظر فى موجب الأمر و عاقبته، و على هذا دعاهم الى تدبر القرآن.
و فى ذلك حجة على بطلان قول من يقول لا يجوز تفسير شىء من ظاهر القرآن إلا بخبر و سمع.
و فيه تنبيه على بطلان قول الجهال من اصحاب الحديث انه ينبغى ان يروى الحديث على ما جاء و إن كان مختلا فى المعنى، لأن اللّه تعالى دعا إلى التدبر و التفقه و ذلك مناف للتجاهل و التعامى.
ثم قال «إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلى أَدْبارِهِمْ» أى رجعوا عن الحق و الايمان «مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى» أى ظهر لهم الطريق الواضح المفضى إلى الجنة.
و ليس فى ذلك ما يدل على ان المؤمن على الحقيقة يجوز ان يرتد، لأنه لا يمتنع ان يكون المراد من رجع عن إظهار الايمان بعد وضوح الأمر فيه و قيام الحجة بصحته.
ثم قال «الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ» أى زين لهم ذلك. و قيل: معناه أعطاهم سؤلهم من خطاياهم «وَ أَمْلِى لَهُمْ» أى أمهلهم الشيطان، و أملى لهم بالاطماع و الاغترار. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 304
و قيل: المعنى و املى اللّه لهم أى اخرهم فاغتروا بذلك. و من قرأ- على ما لم يسم فاعله- احتمل الامرين ايضاً.
و قيل الآية نزلت فى اليهود، لأنهم عرفوا صفات النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله فى التوراة فلما جاءهم كفروا به. و قيل نزلت فى المنافقين حين صدوا عن القتال معه من بعد ما علموا وجوبه فى القرآن.

ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرارَهُمْ (26) فَكَيْفَ إِذا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبارَهُمْ (27) ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللَّهَ وَ كَرِهُوا رِضْوانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ (28) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغانَهُمْ (29) وَ لَوْ نَشاءُ لَأَرَيْناكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ (30)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «إسرارهم» بكسر الهمزة على انه مصدر.

الباقون بفتحها على انه جمع سر.

لما اخبر اللّه تعالى عن حال المرتدين على أعقابهم و الراجعين عن إظهار الحق خلافه، بين لم فعلوا ذلك، فقال «ذلِكَ بِأَنَّهُمْ» يعنى الشياطين «قالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللَّهُ» من القرآن و ما أمرهم به من الأمر و النهى و الحلال و الحرام التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 305

و شبهوا عليهم ذلك و مالوا إلى خلافه. و قيل: هذا قول اليهود للمنافقين «سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ» أى نفعل بعض ما تريدونه من الميل إليكم و إعطاء شهواتكم.

ثم قال «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرارَهُمْ» أى بواطنهم- فمن فتح الهمزة، و من كسرها- أراد يعلم ما يسرونه. ثم قال «فَكَيْفَ إِذا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ» و المعنى كيف حالهم إذا توفتهم الملائكة و حذف تفخيماً لشأن ما ينزل بهم «يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبارَهُمْ» على وجه العقوبة لهم فى القبر و يوم القيامة.

ثم بين تعالى لم يفعل الملائكة بهم ذلك، فقال «ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللَّهَ» يعنى المعاصى التى يكرهها اللّه و يعاقب عليها «وَ كَرِهُوا رِضْوانَهُ» أى كرهوا سبب رضوانه من الايمان و الطاعات و الامتناع من القبائح «فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ» أى حكم بأنها باطلة محبطة لا يستحق عليها الثواب.

ثم قال «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى نفاق و شك يظنون «أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغانَهُمْ» أى أحقادهم مع المؤمنين و لا يظهرها و لا يبدى عوراتهم للنبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله «وَ لَوْ نَشاءُ لَأَرَيْناكَهُمْ» يعنى المنافقين بأعيانهم، و لو شئت لعرفتكهم حتى تعرفهم. ثم قال «فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ» أى بعلاماتهم التى نصبها اللّه لكم، يعرفهم بها يعنى الامارات الدالة على سوء نياتهم. ثم قال «وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ» أى فى فحوى أقوالهم و متضمنها. و منه

قوله صَلى اللَّهُ عَليه و آله (و لعل بعضكم ألحن بحجته)

أى أذهب بها فى الجهات لقوته على تصريف الكلام، و اللحن الذهاب عن الصواب في الاعراب، و اللحن ذهاب الكلام إلى خلاف جهته. ثم قال «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ» الطاعات منها و المعاصى، فيجازيكم بحسبها.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 306

وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ وَ نَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ (31) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ شَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيُحْبِطُ أَعْمالَهُمْ (32) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ لا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ (33) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (34) فَلا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَ اللَّهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ (35)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو بكر عن عاصم «و ليبلونكم حتى يعلم... و يبلو أخباركم» بالياء فيهن رداً على اسم اللَّه فى قوله «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ» الباقون بالنون على وجه الاخبار من اللَّه عن نفسه. و قرأ حمزة و ابو بكر عن عاصم «إلى السلم» بكسر السين. الباقون بفتحها، و هما لغتان على ما بيناه فى ما تقدم فى الإسلام و المصالحة «1» يقول اللَّه تعالى مقسماً إنا نبلو هؤلاء الكفار، و معناه نختبرهم بما نكلفهم من الأمور الشاقة، فالابتلا و الاختبار واحد. و قوله «حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- حتى نعلم جهادكم موجوداً لأن الغرض ان تفعلوا الجهاد فيثيبكم

---

(1) انظر 5/ 175

على ذلک، لأنكم لا تستحقون الثواب على ما يعلم اللَّه انه يكون.

الثانى- حتى نعاملكم معاملة من كأنه يطلب ان يعلم.

و قيل: معناه حتى يعلم أوليائى المجاهدين منكم، و أضافه إلى نفسه تعظيماً لهم و تشريفاً، كما قال «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» «1» يعنى يؤذن أولياء اللَّه. و قيل:

معناه حتى يتميز المعلوم فى نفسه، لأنهم إنما يتميزون بفعل الايمان. و قيل: المعنى حتى تعلموا أنتم، و اضافه إلى نفسه تحسناً كما أن الإنسان العالم إذا خولف فى ان النار تحرق الحطب يحسن ان يقول: نجمع بين النار و الحطب لنعلم هل تحرق ام لا، و لا يجوز ان يكون المراد حتى نعلم بعد ان لم نكن عالمين، لأنه تعالى عالم فى ما لم يزل بالأشياء كلها، و لو تجدد كونه عالماً لاحتاج إلى علم محدث كالواحد منا و ذلک لا يجوز أن يكون غرضاً بالتكليف، لكن يجوز ان يكون الغرض ظهور حق الذم على الاساءة، و إنما جاز فى وصف اللَّه الابتلاء، لأن المعنى انه يعامل معاملة المبتلى المختبر مظاهرة فى العدل بالجزاء لها. و الجهاد احتمال المشقة فى قتال المشركين و اعداء دين اللَّه. و أفضل الأعمال علم الدين، و الجهاد فى

سبيل اللّه، لأن علم الدين به يصح العمل بالحق و الدعاء اليه. و الجهاد داع إلى الحق مع المشقة فيه. و الصابر هو الحابس نفسه عما لا يحل له، و هى صفة مدح. و مع ذلک ففيها دليل على حاجة الموصوف بها، لأنه إنما يحبس نفسه و يمنعها مما تشتهيه او تنازع اليه من القبيح «وَ نَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ» أى نختبر اخباركم و نعلم المطيع من العاصى.
ثم اخبر تعالى «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» بوحدانيته و جحدوا نبوة نبيه «و صدوا» أى منعوا غيرهم «عن» إتباع «سَبِيلِ اللَّهِ» بالقهر تارة و بالإغراء أخرى «وَ شَاقُّوا الرَّسُولَ» أى عاندوه و باعدوه بمعاداته «مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدى» و وضح لهم

---

(1) سورة 33 الأحزاب آية 57
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 308
سبيله «لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ» بذلک «شَيْئاً» و إنما ضروا نفوسهم «وَ سَيُحْبِطُ أَعْمالَهُمْ» و يستحقون عليها العقاب. و الهدى الدلالة المؤدية إلى الحق. و الهادى الدال على الحق و فى الآية دلالة على أن هؤلاء الكفار كان قد تبين لهم الهدى فارتدوا عنه او يكون ظهر لهم أمر النبى، فلم يقبلوه. و قيل: تبين لهم الهدى، لأنهم كانوا قد عرفوا الإيمان و رجعوا عنه.
ثم خاطب المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» باللّه و صدقوا رسوله «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ» أى افعلوا الطاعات التى أمركم اللَّه بها و أمركم بها رسوله «وَ لا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ» بأن توقعوها على خلاف الوجه المأمور به فيبطل ثوابكم عليها و تستحقون العقاب.
ثم اخبر تعالى فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى جحدوا وحدانية اللَّه و كذبوا رسوله «وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» بالمنع و الإغراء و الدعاء إلى غيره «ثُمَّ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ» أى فى حال كفرهم «فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» معاصيهم بل يعاقبهم عليها. ثم قال «فَلا تَهِنُوا» أى لا تتوانوا. و قال مجاهد و ابن زيد: لا تضعفوا «وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ» يعنى المصلحة «وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ» أى و أنتم القاهرون الغالبون- فى قول مجاهد- «وَ اللَّهُ مَعَكُمْ» اى ناصركم و الدافع عنكم فلا تميلوا مع ذلک إلى الصلح و المسالمة بل جاهدوا و اصبروا عليه. و قوله «وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ» أى لن ينقصكم أجور أعمالكم يقال: و تره يتره وتراً إذا أنقصه. و هو قول مجاهد. و قال ابن عباس و قتادة و ابن زيد و الضحاک: لن يظلمكم و أصله القطع، فمنه البتر القطع بالقتل. و منه الوتر المنقطع بانفراده عن غيره. و قوله «وَ تَدْعُوا» يجوز ان يكون جراً عطفاً على «تهنوا» أى لا تهنوا و لا تدعوا إلى السلم، و يجوز ان يكون فى موضع نصب على الظرف «1»

---

(1) المقصود من (الظرف) واو المعصية الذى تضمر (ان) بعدها [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 309

إِنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَ لا يَسْئَلْكُمْ أَمْوالَكُمْ (36) إِنْ يَسْئَلْكُمُوها فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَ يُخْرِجْ أَضْغانَكُمْ (37) ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَ مَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَ اللَّهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ (38)

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى مزهداً لخلقه فى الانعكاف على الدنيا، و مرغباً لهم فى التوفر على عمل الآخرة (إِنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ) و إنما زهدهم فى الدنيا لكونها فانية و رغبهم فى الآخرة لكونها باقية، فمن اختار الفانى على الباقى كان جاهلا و منقوصاً و معنى (الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ) أى ذات لعب و لهو، لأن غالب أمر الناس فى الدنيا اللعب و اللهو، و ذلک عبث و غرور و انصراف عن الحد الذى يدوم به السرور و الحبور، و قيل: شبهت باللعب و اللهو لانقطاعها عن صاحبها بسرعة، فالتقدير على هذا إنما الحياة الدنيا كاللعب و اللهو فى سرعة الانقضاء، و الآخرة كالحقيقة فى اللزوم و الامتداد، فإحداهما كالحقيقة، و الأخرى كالمخرقة. ثم قال (و إن تؤمنوا) بوحدانيته و تصديق رسوله (و تتقوا) معاصيه (يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ) على ذلک و ثوابكم على طاعتكم (وَ لا يَسْئَلْكُمْ أَمْوالَكُمْ) أن تدفعوها اليه. و قيل لا يسألكم أموالكم كلها و إن أوجب عليكم الزكاة فى بعض أموالكم. و قيل المعنى لا يسألكم أموالكم بل أمواله، لأنه تعالى مالكها و المنعم بها. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 310

ثم بين تعالى لم لا يسألهم أموالهم، فقال (إِنْ يَسْئَلْكُمُوها فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَ يُخْرِجْ أَضْغانَكُمْ) فالاحفاء الإلحاح فى المسألة حتى ينتهى إلى مثل الحفاء، و المشى بغير حذاء، أحفاه بالمسألة يحفيه إحفاء. و قيل الإحفاء طلب الجميع (تبخلوا) أى تمنعونه. و البخل قال قوم: هو منع الواجب. و قال الرمانى: البخل منع النفع الذى هو أولى فى العقل، قال: و من زعم أن البخل منع الواجب عورض بأن البخل منع ما يستحق بمنعه الذم، لأن البخيل مذموم بلا خلاف، و قد يمنع الواجب الصغير فلا يجوز وصفه بأنه بخيل (وَ يُخْرِجْ أَضْغانَكُمْ) لأن فى سؤال الأموال بالاحفاء خروج الاضغان و هى الأحقاد التى فى القلوب و العداوات الباطنة. و قيل (الاضغان) هى المشاق التى فى القلوب، و لذلک ذكر الإخراج. و قيل: و يخرج اللَّه المشقة التى فى قلوبكم بسؤال أموالكم. و إنما قدم المخاطب على الغائب فى قوله (أن يسألكموها) لأنه ابتداء بالاقرب مع انه المفعول الاول، و يجوز مع الظاهر أن يسألها جماعتكم، لأنه غائب مع غائب، فالمتصل أولى بأن يليه من

المنفصل.
ثم قال (ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ) و إنما كرر التنبيه فى موضعين للتوكيد، فقال (ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ) و قيل (ها) للتقريب، و دخل على المضمر لمشاكلة (اليهم) فى انه معرفة تصلح صيغته لكل مكنى عنه على جهَة جماعة المخاطب، كما يصلح (هؤلاء) لكل خاص مشار اليه، و لم يجز مع الظاهر لبعده من المبهم.
و قال بعضهم: العرب إذا زادت التقريب جعلت المكنى بين (ها) و بين (ذا)، فيقولون ما أنت ذا قائماً، لان التقريب جواب الكلام فربما أعادت (ها) مع (ذا) و ربما اجتزأت بالأولى و حذفت الثانية، و لا يقدمون (أنتم) على (ها) لأن (ها) جواب، فلا يقرب بها بعد الكلمة. و قوله (تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ) لينيلكم الجزيل من ثوابه و هو غنى عنكم و عن جميع خلقه (فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ) فلا ينفق ماله فى سبيل اللَّه. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 311
ثم قال (وَ مَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ) أى عن داعى نفسه، لا عن داعى ربه لأن اللَّه قد صرفه عن البخل بالنهى عنه و الذم له. ثم قال (وَ اللَّهُ الْغَنِىُّ) الذى ليس بمحتاج لا إليكم و لا إلى احد (و أنتم الفقراء اليه و إن تتولوا) أى ان تعرضوا عن أمره و نهيه و لا تقبلونهما، و لا تعملون بما فيهما (يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ) قال قوم يستبدل اللَّه بهم من فى المعلوم أنهم يخلقون بعد، و يجوز أن يكونوا من الملائكة و قيل: هم قوم من اليمن، و هم الأنصار. و قيل: مثل سلمان و أشباهه من أبناء فارس، و لم يجز الزجاج أن يستبدل الملائكة، لأنه لا يعبر بالقوم عن الملائكة، لا يكونوا أمثالكم، لأنهم يكونون مؤمنين مطيعين، و أنتم كفار عاصون. و قال الطبرى لا يكونوا أمثالكم فى البخل و الإنفاق فى سبيل اللَّه، و
لما نزلت هذه الآية فرح النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و قال: هى أحب إلى من الدنيا.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 312

اشارة

مدنية بلا خلاف و هى تسع و عشرون آية بلا خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا فَتَحْنا لَکَ فَتْحاً مُبِيناً (1) لِيَغْفِرَ لَکَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ ما تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْکَ وَ يَهْدِيَکَ صِراطاً مُسْتَقِيماً (2) وَ يَنْصُرَکَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً (3) هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ السَّکِينَةَ فِی قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ کانَ اللَّهُ عَلِيماً حَکِيماً (4)
لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ يُکَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ کانَ ذلِکَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً (5)
خمس آيات.
يقول اللّه تعالى لنبيه صَلَى اللَّهُ عَليه و آله (إِنَّا فَتَحْنا لَکَ فَتْحاً مُبِيناً) قال البلخى: الفتح يكون فى القتال و بالصلح، و باقامة الحجج، و يكون المعنى (إِنَّا فَتَحْنا لَکَ) بحجج اللّه و آياته (فَتْحاً مُبِيناً) لينصرک اللّه بذلک على من ناواک. و قال قتادة: نزلت التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 313
هذه الآية عند رجوع النبى صَلَى اللَّهُ عَليه و آله من الحديبية، بشر فى ذلک الوقت بفتح مكة، و تقديره (إِنَّا فَتَحْنا لَکَ) مكة. و قال البلخى عن الشعبى فى وقت الحديبية بويع النبى صَلَى اللَّهُ عَليه و آله بيعة الرضوان، و أطعموا نخيل خيبر، و ظهرت الروم على فارس، و بلغ الهدى محله. و الحديبية بئر، فروى انها غارت فمج النبى صَلَى اللَّهُ عَليه و آله فيها فظهر ماؤها حتى امتلأت به.
و قال قتادة: معنى (فتحنا) قضينا لک بالنصر. و قيل: معناه أعلمناک علماً ظاهراً فى ما أنزلناه عليک من القرآن و أخبرناک به من الدين، و سمى العلم فتحاً، كما قال (وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ) «1» أى علم الغيب. و قال (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَکُمُ الْفَتْحُ) «2» و قال الزجاج: معناه أرشدناک إلى الإسلام، و فتحنا لک الدين بدلالة قوله (لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ) «3» و قال مجاهد (فَتَحْنا لَکَ فَتْحاً مُبِيناً) يعنى نحره بالحديبية و حلقه. و قال قتادة: معناه قضينا لک قضاء بيناً. و فى الحديبية مضمض رسول اللّه صَلَى اللَّه عَليه و آله فى البئر و قد غارت فجاشت بالرواء. و الفتح هو القضاء من قولهم:
اللهم أفتح لى. و قوله تعالى (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ) «4» و الفتح الفرج المزيل للهم. و منه فتح المسألة إذا انفرجت عن بيان ما يؤدى إلى المطلوب، و منه فتح عليه القراءة، لأنه متعلق بالسهو، و ينفتح بالذكر و الفتح المبين هو الظاهر، و كذلک جرى فتح مكة.
و قوله (لِيَغْفِرَ لَکَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ ما تَأَخَّرَ) قيل جعل غفرانه جزاء

عن ثوابه على جهاده فى فتح مكة. و قيل فى معناه اقوال:

---

(1) سورة 6 الانعام آية 59
(2) سورة 8 الانفال آية 19
(3) سورة 33 الأحزاب آية 73
(4) سورة 7 الاعراف آية 88

أحدها- ما تقدم من معاصيک قبل النبوة و ما تأخر عنها.
الثانى- ما تقدم قبل الفتح و ما تأخر عنه.
الثالث- ما قد وقع منک و ما لم يقع على طريق الوعد بأنه يغفره له إذا كان.
الرابع- ما تقدم من ذنب أبيک آدم، و ما تأخر عنه.
و هذه الوجوه كلها لا تجوز عندنا، لأن الأنبياء عليه السلام لا يجوز عليهم فعل شىء من القبيح لا قبل النبوة و لا بعدها، لا صغيرها و لا كبيرها فلا يمكن حمل الآية على شىء مما قالوه، و لا صرفها إلى آدم لان الكلام فيه كالكلام فى نبينا محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله و من حمل الآية على الصغائر التى تقع محبطة فقوله فاسد، لأنا قد بينا أن شيئاً من القبائح لا يجوز عليهم بحال. على ان الصغائر تقع مكفرة محبطة لا يثبت عقابها، فكيف يمتن اللّه تعالى على النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله أنه يغفرها له و هو تعالى لو آخذه بها لكان ظالماً و إنما يصح التمدح بما له المؤاخذة أو العفو عنه، فإذا غفر استحق بذلک الشكر. و للاية وجهان من التأويل:
أحدهما- ليغفر لک ما تقدم من ذنب أمتک. ما تأخر بشفاعتک و لمكانک.
و أضاف الذنب إلى النبى و أراد به أمته، كما قال (وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ) «1» يريد اهل القرية فحذف المضاف و أقام المضاف اليه مقامه و ذلک جائز لقيام الدلالة عليه، كما قال (وَ جاءَ رَبُّکَ) «2» و المراد و جاء أمر ربک.
الثانى- أراد يغفر ما أذنبه قومک اليک من صدهم لک عن الدخول إلى مكة فى سنة الحديبية، فأزال اللّه ذلک و ستر عليک تلک الوصمة بما فتح عليک من مكة و دخلتها فى ما بعد، و لذلک جعله جزاء على جهاده فى الدخول إلى مكة.
و الذنب مصدر تارة يضاف إلى الفاعل و تارة إلى المفعول، فيكون- هاهنا- مضافاً

---

(1) سورة 12 يوسف آية 82
(2) سورة 89 الفجر آية 22

إلى المفعول. و الذنب و إن كان غير متعدّ إلى مفعول جاز ان يحمل على

المصدر الذى هو فى معناه، و الصد متعد كما قال الشاعر:
جئنى بمثل بنى بدر لقومهم او مثل اسرة منظور بن سيار «1»
لما كان معنى جئنى هات أعطنى عطف او (مثل) على المعنى فنصبه، و مثله كثير فى اللغة.
و قوله (وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) فاتمام النعمة فعل ما يقتضيها من تبقيتها على صاحبها و الزيادة منها، فاللّه تعالى قد أنعم على النبى صَلى اللّٰهُ عَليه و آله و تممها بنصره على أعدائه الرادين لها المكذبين بها حتى علا بالحجة و القهر لكل من ناواه. و قيل يتم نعمته عليک بفتح مكة و خيبر و الطائف. و قيل بخضوع من تكبر و طاعة من تجبر.
و قوله (وَ يَهْدِيَکَ صِراطاً مُسْتَقِيماً) أى يرشدک إلى الطريق الذى إذا سلكته أداک إلى الجنة، و لا يعدل بک إلى غيرها (وَ يَنْصُرَکَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً) فالنصر العزيز هو الذى يمنع من كل جبار عنيد و عات أثيم. و قد فعل اللّه تعالى ذلک بنبيه محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله فصار دينه أعز الأديان و سلطانه أعظم السلطان.
و قوله (هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ) و هو ما يفعل اللَّه تعالى بهم من اللطف الذى يحصل لهم عنده بصيرة بالحق تسكن اليها نفوسهم و يجدون الثقة بها بكثرة ما ينصب اللّه لهم من الأدلة الدالة على الحق فهذه النعمة التامة للمؤمنين خاصة. فأما غيرهم فتضطرب نفوسهم لاول عارض من شبهة ترد عليهم، لأنهم لا يجدون برد اليقين فى قلوبهم. و قيل: السكينة ما تسكن اليه قلوبهم من التعظيم للّه و رسوله و الوفاء له.
و قوله (لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ) أى ليزدادوا معارف أخر بما أوجب

---

(1) قد مر فى 3/ 455 و 6/ 30

اللّه عليهم زيادة على المعرفة الحاصلة، فبين اللَّه تعالى ما لنبيه عنده و للمؤمنين ليزدادوا ثقة بوعده. و قوله (وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) قيل: معناه أنصار دينه ينتقم بهم من أعدائه. و قيل: معناه إن جميع الجنود عبيده (وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً) بالأشياء قبل كونها و عالماً بعد كونها (حكيماً) فى أفعاله لأنها كلها محكمة و صواب.
و قوله (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) إنما لم يدخل واو العطف فى (ليدخل) اعلاماً بالتفصيل، كأنه قال إنا فتحنا لک فتحاً مبيناً ليغفر لک اللّه، إنا فتحنا لک فتحاً ليدخل المؤمنين و المؤمنات جنات أى بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار «خالِدِينَ فِيها» أى مؤبدين لا يزول عنهم نعيمها (وَ يُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ) أى عقاب معاصيهم التى فعلوها فى دار الدنيا (وَ كانَ ذلِکَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً) أى الظفر، و الصلاح بما طلبوه من الثواب العظيم.

وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً (6) وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (7) إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (8) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَقِّرُوهُ وَ تُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً (9) إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً (10)

خمس آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 317

قرأ ابن كثير و ابو عمرو (دائرة السوء) بضم السين. الباقون بفتحها، و قد فسرناه فى ما تقدم. فالسوء المصدر و السوء الاسم. و قال قوم- بالفتح- الفساد مثل قوله (وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ) لأنهم ظنوا أن النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله لا يعود إلى موضع ولادته أبداً. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو (ليؤمنوا باللّه و رسوله و يعزروه و يوقروه و سبحوه) بالياء أربعهن، على وجه الاخبار من اللّه عز و جل عن نفسه.

لما اخبر اللّه تعالى عن نفسه أنه يدخل المؤمنين و المؤمنات جنات، و وصفها اخبر فى هذه الآية انه يعذب المنافقين و المنافقات و هم الذين يظهرون الايمان و يبطنون الشرک. و النفاق إسرار الكفر و إظهار الايمان، فكل نفاق هو إظهار خلاف الإبطان. و أصله من نافقاء اليربوع، و هو أن يجعل لسربه بابين يظهر أحدهما و يخفى الآخر، فإذا أتى من الظاهر خرج من الآخر، فالمنافق يقوى الباطل على الحق بالظن له، و إلقاء خلافه لتضييعه الدليل المؤدى اليه، (وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ) و هم الذين يعبدون مع اللّه غيره، و يدخل فى ذلک جميع الكفار. ثم وصفهم فقال (الظَّانِّينَ بِاللَّهِ) يعنى الذين يظنون باللّه (ظن السوء) أى يتوهمون ان اللّه ينصرهم على رسوله، و ذلک قبيح لا يجوز وصف اللّه بذلک. ثم قال تعالى (عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ) فالدائرة هى الراجعة بخير او شرّ قال حميد بن ثور:

و دائرات الدهر ان تدورا «1» و من قرأ (دائرة السوء) بضم السين- أراد دائرة العذاب. و من قرأ- بالفتح- أراد ما عاد عليهم من قتل المؤمنين و غنمهم أموالهم، فهذا حسن.

و قيل (عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ) أى جزاء ظنهم السوء من العذاب. و من ضم أراد الشر، و يقال: رجل سوء- بالفتح- أى رجل فساد. ثم قال

---

(1) قد مر فى 3/ 543 او 551

(وَ غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ) أى لعنه لهم و عذابه (و لعنهم) أى أبعدهم من رحمته.
و قوله (وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ) يجعلهم فيها.
ثم قال (وَ ساءَتْ مَصِيراً) أى ساءت جهنم مآلا و مرجعاً، لما فيها من انواع العقاب.
و قوله (وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) قد فسرناه، و إنما أعيد ذكر (و للّه جنود...) لأنه متصل بذكر المنافقين أى و له الجنود التى يقدر على الانتقام منكم بها، و ذكر أولا، لأنه متصل بذكر المؤمنين أى له الجنود التى يقدر ان يغنيكم بها. و العزيز القادر الذى لا يقهر. و قيل (هو العزيز) فى انتقامه من أعدائه «الحكيم» فى جميع أفعاله.
ثم خاطب نبيه محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله فقال «إِنَّا أَرْسَلْناكَ» يا محمد «شاهداً» يعنى على أمتک بالبلاغ و الدعاء إلى إخلاص عبادته، أو شاهداً بما عملوه من طاعة و معصية (و شاهداً) نصب على حال مقدرة على القول الأول، و على حال غير مقدرة على القول الثانى. (و مبشراً) نصب على الحال الحاصلة. و المعنى و مبشراً بالجنة لمن أطاع «و نذيراً» أى مخوفاً من النار لمن عصى- ذكره قتادة- ثم بين الغرض بالإرسال، فقال: أرسلناک بهذه الصفة «لتؤمنوا» و من قرأ- بالياء- أى ليؤمنوا هؤلاء الكفار «باللّه». و من قرأ- بالتاء- وجه الخطاب إلى الخلق أى أرسلته إليكم «لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ» فتوحدوه «و رسوله» فتصدقوه و «تعزروه» أى تنصروه، فالهاء راجعة إلى النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و قال المبرد: معنى (تعزروه) تعظموه يقال: عزرت الرجل إذا كبرته بلسانک «و توقروه» أى تعظموه يعنى النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله- فى قول قتادة- و قال ابن عباس (تعزروه) من الإجلال (و توقروه) من الإعظام.
و قوله «و تسبحوه» يعنى اللَّه تعالى أى تنزهوه عما لا يليق به «بُكْرَةً

وَ أَصِيلًا»
أى بالغداة و العشى. و قيل معناه تصلوا له بالغدوات و العشيات.
و قوله «لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» فيه دلالة على بطلان قول المجيرة إن اللَّه تعالى يريد من الكفار الكفر، لأنه تعالى بين أنه أراد من جميع المكلفين الطاعة، و لم يرد أن يعصوا.
ثم قال «إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَکَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ» فالمراد بالبيعة المذكورة- هاهنا- بيعة الحديبية، و هى بيعة الرضوان- فى قول قتادة و مجاهد- و المبايعة معاقدة على السمع و الطاعة، كالمعاقدة فى البيع و الشراء بما قد مضى فلا يجوز الرجوع فيه. و قيل: إنها معاقدة على بيع أنفسهم بالجنة للزومهم فى الحرب النصرة.
و قوله «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- عقد اللّه فى هذه البيعة فوق عقدهم لأنهم بايعوا اللّه ببيعة نبيه

صَلى اللّهُ عَليه و آله و الآخر- قوة اللّه فى نصرة نبيه صَلى اللّهُ عَليه و آله فوق نصرتهم.
و قيل يد اللّه فى هدايتهم، فوق أيديهم بالطاعة.
و قوله «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ» و النكث النقض للعقد الذى يلزم الوفاء به، فبين تعالى أن من نقض هذه المبايعة، فإنما ينكث على نفسه، لان ما فى ذلک من استحقاق العقاب عائد عليه «وَ مَنْ أَوْفى» يقال: اوفى بالعقد، و وفى. و أوفى لغة الحجاز، و هى لغة القرآن «بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً» أى إذا اوفى بالبيعة و نصر دينه و نبيه آتاه اللّه فى ما بعد أجراً عظيماً و ثواباً جزيلا.
و من ضم الهاء فى «عليه» و هو حفص، فلأنها الأصل. و من كسرها فللمجاورة للياء

سَيَقُولُ لَکَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرابِ شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَ أَهْلُونا فَاسْتَغْفِرْ لَنا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِی قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِکُ لَکُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ بِکُمْ ضَرًّا أَوْ أَرادَ بِکُمْ نَفْعاً بَلْ کانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (11) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلی أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَ زُيِّنَ ذلِکَ فِی قُلُوبِکُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ کُنْتُمْ قَوْماً بُوراً (12) وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنا لِلْکافِرِينَ سَعِيراً (13) وَ لِلَّهِ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (14) سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلی مَغانِمَ لِتَأْخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعْکُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا کَلامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا کَذلِکُمْ قالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنا بَلْ کانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (15)

التبيان فی تفسير القرآن، ج9، ص: 320

خمس آيات.

قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «كلم اللّه» على الجمع. الباقون «كَلامَ اللَّهِ» على التوحيد، لأنه يدل على الكثير من حيث هو اسم جنس، قال ابو على «كلام اللّه» يقع على ما يفيد، و الكلم يقع أيضاً على الكلام، و على ما لا يفيد و الكلم جمع كلمة.

و قرأ حمزة و الكسائی «ضراً» بالفتح. الباقون بالضم. فمن قرأ- بالفتح- أراد المصدر. و من قرأ بالضم أراد الاسم. و قيل بالفتح ضد النفع و بالضم

سوء التبيان فی تفسير القرآن، ج9، ص: 321

الحال، كقوله «مَسَّنِيَ الضُّرُّ» «1» و يقال: ضرنی الشیء و أضرنی، و لا يقال:

أضربی، و ضره يضره و ضاره يضيره بمعنى واحد.

هذا اخبار عن اللّه تعالى لنبيه صَلَى اللَّهُ عَليه و آله انه «سَيَقُولُ لَکَ» يا محمد «الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرابِ» قال ابن إسحاق و مجاهد: لما أراد رسول اللّه صَلَى اللَّهُ عَليه و آله الخروج إلى مكة عام الحديبية أحرم بعمرة و دعا الاعراب الذين حول المدنية إلى الخروج، فتثاقلوا: أسلم و غفار و جهينة و مزينة، فأخبر اللّه تعالى بذلک. و المخلف هو المتروک فی المكان خلف الخارجين عن البلد، و هو مشتق من المتخلف و ضده المتقدم. تقول خلفته كما تقول قدمته تقديماً، و إنما تخلفوا لتثاقلهم عن الجهاد و إن اعتذروا بشغل الأموال و الأولاد. و الاعراب الجماعة من عرب البادية، و عرب الحاضرة ليسوا بأعراب، ففرقوا بينهما، و إن كان اللسان واحد.

و قوله «شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَ أَهْلُونا» أخبار بما اعتلوا به، فالشغل قطع العمل عن عمل، لا يمكن الجمع بينهما لتنافی أسبابهما كالكتابة و الرمی عن

القوس و اللّه لا يشغله شأن عن شأن لأنه لا يعمل بآلة. و قوله «فَاسْتَغْفِرْ لَنا» حكاية ما قالوه للنبى و سألوه أن يستغفر لهم و الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء مع التوبة عن المعاصى فهؤلاء سألوا الدعاء بالمغفرة، و فى قلوبهم خلاف ما أظهروه بأفواههم ففضحهم اللّه و هتک أستارهم، و أبدى ما نافقوا به فى جهادهم، فقال «يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ».
ثم قال للنبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله «قُلْ فَمَنْ يَمْلِکُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرًّا» لا يقدر احد على دفعه «أَوْ أَرادَ بِكُمْ نَفْعاً» لا يقدر احد على إزالته

---

(1) سورة 21 الأنبياء آية 83
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 322
«بَلْ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً» أى عالماً نافعاً لكم لا يخفى عليه شىء منها، ثم قال له قل لهم «بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلى أَهْلِيهِمْ أَبَداً» أى ظننتم انهم لا يرجعون و يقتلون و يصطلمون. و هو قول قتادة «وَ زُيِّنَ ذلِکَ فِى قُلُوبِكُمْ» زينه الشيطان ذلک و سوّله لكم «وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ» فى هلاک النبى و المؤمنين، و إن اللّه ينصر عليهم المشركين «وَ كُنْتُمْ قَوْماً بُوراً» و البور الفاسد و هو معنى الجمع و ترک جمعه فى اللفظ لأنه مصدر وصف به قال حسان:
لا ينفع الطول من نوک القلوب و قد يهدى الاله سبيل المعشر «1»
البور و البوار الهلاک و بارت السلعة إذا كسدت و البائر من الفاكهة مثل الفاسدة. و قال قتادة: «بوراً» أى فاسدين. و قال مجاهد: هالكين. ثم قال تعالى مهدداً لهم «وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» أى لم يصدق بهما «فَإِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ سَعِيراً» أى ناراً تسعرهم و تحرقهم. ثم قال «وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» بأن يتصرف فيهما كما يشاء لا يعترض أحد عليه فيها «يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ» معاصيه (وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ) إذا استحق العقاب بارتكاب القبائح (وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) أى سائراً على عباده معاصيهم إذا تابوا لا يفضحهم بها رحيماً بإسقاط عقابهم الذى استحقوها بالتوبة على وجه الابتداء.
ثم قال تعالى (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلى مَغانِمَ لِتَأْخُذُوها) يعنى غنائم خيبر (ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ) أى اتركونا نجىء معكم، فقال اللّه تعالى (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُلْ) لهم يا محمد (لَنْ تَتَّبِعُونا كَذلِكُمْ قالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ) قال مجاهد و قتادة: يعنى ما وعد به أهل الحديبية أن غنيمة خيبر لهم خاصة، فأرادوا تغيير ذلک بأن يشاركوهم فيها فمنعهم اللّه من ذلک. و قال ابن زيد: أراد بقوله

---

(1) تفسير الطبرى 26/ 45
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 323
(لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَ لَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا) و هذا غلط لأن هذه الآية نزلت فى الذين تأخروا عن تبوک بعد خيبر و بعد فتح مكة، فقال اللّه تعالى لهم (لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً) لان النبى صَلَّى اللَّهُ عَليه و آله لم يخرج بعد ذلک فى قتال و لا غزو الى أن قبضه اللّه تعالى. ثم قال (كَذلِكُمْ قالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ) أى مثل ذلک حكم اللّه و قال ابن زيد: غنيمة خيبر لأهل الحديبية خاصة لا يشركهم فيها أحد. ثم حكى ما قالوه بأنهم (فسيقولون) عند ذلک ليس الأمر كذلک (بل تحسدوننا) فقال ليس الأمر على ما قالوه (بَلْ كانُوا لا يَفْقَهُونَ) الحق و ما يدعون اليه (إلا قليلا) و قيل معناه لا يفقهون الحق إلا القليل منهم، و هم المعاندون. و قال بعضهم لا يفقهون إلا فقها قليلا أو الأشياء قليلا. و إنما قالوا: تحسدوننا، لان المسلمين لما توجهوا إلى خيبر و أخذوا غنائمها، قال المخلفون (ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ) قالوا نعم على ان لا شىء لكم من الغنيمة، فقالوا عند ذلک تحسدوننا، فقال تعالى (بَلْ كانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا).

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا كَما تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً (16) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ وَ لا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ مَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذاباً أَلِيماً (17) لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً (18) وَ مَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (19) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ وَ كَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَ لِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَ يَهْدِيَكُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً (20)

خمس آيات.

قرأ اهل المدينة، و ابن عامر (ندخله و نعذبه) بالنون على وجه الاخبار من اللّه عن نفسه. الباقون- بالياء- رداً على اسم اللّه. يقول اللّه تعالى لنبيه (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرابِ) أى لهؤلاء المخلفين الذين تخلفوا عنك فى الخروج إلى الحديبية (ستدعون) فى ما بعد (إلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ) قال ابن عباس: أولوا البأس الشديد أهل فارس. و قال ابن أبى ليلى و الحسن: هم الروم. و قال سعيد بن جبير و عكرمة و قتادة: هم هوازن بحنين. و قال الزهرى:

هم بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب، و كانوا بهذه الصفة.

و استدل جماعة من المخالفين بهذه الآية على إمامة أبى بكر، من حيث ان أبا بكر دعاهم إلى قتال بنى حنيفة، و عمر دعاهم إلى قتال فارس و الروم، و كانوا قد حرموا القتال مع النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله بدليل قوله (لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً، وَ لَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا) و هذا الذى ذكروه غير صحيح من وجهين:

أحدهما- أنه غلط فى التاريخ و وقت نزول الآية.

و الثانى- أنه غلط فى التأويل، و نحن نبين فساد ذلک أجمع، و لنا فى الكلام فى تأويل الآية وجهان: التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 325

أحدهما- إنه تنازع فى اقتضائها داعياً يدعو هؤلاء المخلفين غير النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و يبين أن الداعى لهم فى ما بعد كان النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله على ما حكيناه عن قتادة و سعيد ابن جبير فى ان الآية نزلت فى اهل خيبر، و كان النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله هو الداعى إلى ذلک.

و الآخر- ان يسلم ان الداعى غيره، و نبين انه لم يكن أبا بكر و لا عمر بل كان أمير المؤمنين عليه السّلام.

فاما الوجه الاول فظاهر، لأن قوله (سَيَقُولُ لَکَ الْمُخَلّفُونَ) إلى قوله (وَ کُنْتُمْ قَوْماً بُوراً) قد بينا انه أراد به الذين تخلفوا عن الحديبية بإجماع المفسرين ثم قال (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ....) إلى آخر الآية، فبين أن هؤلاء المخلفين سألوا ان يخرجوا إلى غنيمة خيبر فمنعهم اللّه من ذلک، و أمر نبيه صَلَى اللَّهُ عَليه و آله ان يقول لهم (قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا....) إلى هذه القرية، لأن اللّه تعالى حكم من قبل بأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية و انه لا حظ فيها لمن لم يشهدها، و هذا هو معنى قوله (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا کَلامَ اللَّهِ) و قوله (کَذلِکُمْ قالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ) ثم قال (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ) و إنما أراد الرسول سيدعوهم فى ما بعد إلى قتال قوم بهذه الصفة، و قد دعاهم بعد ذلک إلى غزوات كثيرة. و قال قوم: أولى بأس شديد، كموقعه حنين و تبوک و غيرها، فمن أين يجب أن يكون الداعى لهم غير النبى صَلَى اللَّهُ عَليه و آله فأما قولهم إن معنى قوله (کَذلِکُمْ قالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ) هو انه أراد قوله (فَإِنْ رَجَعَکَ اللَّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوکَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَ لَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا) مملؤ بالغلط الفاحش فى التاريخ، لأنا قد بينا أن هذه الآية التى فى التوبة نزلت ب (تبوک) سنة تسع. و آية سورة الفتح نزلت سنة ست، فكيف تكون قبلها، و ينبغى لمن تكلم فى تأويل القرآن أن يرجع إلى التاريخ و يراعى اسباب نزول التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 326
الآية على ما روى، و لا يقول على الآراء و الشهوات. و تبين أيضاً أن هؤلاء المخلفين غير أولئک، و إن لم يرجع إلى تاريخ. و نقول قوله (فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِکُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا کَما تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْکُمْ عَذاباً أَلِيماً) فلم يقطع على طاعة، و لا على معصية بل ذكر الوعد و الوعيد على ما يتعلق به من طاعة او معصية و حكم المذكورين فيهم فى سورة التوبة، بخلافه لأنه تعالى قال بعد قوله (إِنَّکُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِينَ) إلى قوله (وَ هُمْ کافِرُونَ) «1» فاختلاف أحكامهم يدل على اختلافهم، و قد حكينا عن سعيد بن جبير انه قال هذه الآية نزلت فى هوازن يوم حنين. و قال الضحاک: هم ثقيف، و قال قتادة:
هم هوازن و ثقيف، و أما الوجه الذى يسلم معه أن الداعى غير النبى صَلَى اللَّهُ عَليه و آله فهو ان نقول الداعى أمير المؤمنين عليه السّلام، لأنه قاتل بعده أهل الجمل و صفين و أهل النهروان، و بشره النبى صَلَى اللَّهُ عَليه و آله بقتالهم، و كانوا أولى بأس شديد، فان قالوا من قاتلهم على عليه السّلام كانوا مسلمين، و فى الآية قال تقاتلونهم او يسلمون! كيف تتناولهم الآية؟!
قلنا: أول ما نقوله: إنهم غير مسلمين عندنا، و لا عند جميع من خالفنا من المعتزلة، لأن عندهم صاحب الكبيرة ليس بمؤمن، و لا مسلم. و أما مذهبنا فى تكفير من قاتل علياً عليه السّلام معروف، و قد ذكرناه فى كتب الامامة لقوله صَلَى اللَّهُ عَليه و آله (حربک يا على حربى)

و غير ذلک من الاخبار و الادلة التى ذكرناها فى غير موضع و استوفينا ما يتعلق بذلک فى كتاب الامامة، و يمكن على تسليم أن الداعى أبو بكر و عمر، أن يقال: ليس فى الآية ما يدل على مدح الداعى و لا على إمامته، لأنه قد يدعو إلى الحق من ليس عليه، و يجب ذلک من حيث كان واجباً من

---

(1) سورة 9 التوبة آية 84- 86

أجل دعاء الداعى، و ابو بكر دعاهم إلى الدفاع عن الإسلام، و هذا واجب على كل واحد بلا دعاء داع، و يمكن ان يكون المراد بقوله (ستدعون) دعاء اللَّه لهم بإيجاب القتال عليهم، لأنه إذا دلهم على وجوب قتال المرتدين و دفعهم عن بيضة الإسلام، و قد دعاهم إلى القتال و وجبت عليهم طاعته، و الكلام فى هذه الآية كالتى قبلها فى أنا إذا قلنا لا تدل على إمامة الرجلين، لا نكون طاعنين عليهما، بل لا يمتنع أن يثبت فضلهما و إمامتهما بدليل غير الآية، لأن المحصلين من العلماء يذهبون إلى إمامتهما من جهة الاخبار لا من جهة الآية.

و قوله (تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ) بالرفع معناه إن احد الأمرين لا بد أن يقع لا محالة، و تقديره أو هم يسلمون. و قرئ شاذاً بالنصب، و الوجه فيه حتى يسلموا و لو نصبه، فقال او يسلموا لكان دالا على ان ترک القتال من أجل الإسلام.

و قوله (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ...) الآية، فالأعمى هو من لا يبصر بجارحة العين. و الأعرج الذى برجله آفة تمنعه من المشى مأخوذ من رفعها عند محاولة المشى بغيرها، و منه العروج الصعود إلى السماء، و المريض من به علة تمنعه من الحركة من اضطراب فى البدن حتى يضعف و تحصل فيه آلام، بين اللَّه تعالى انه ليس على وجه هؤلاء الذين بهم هذه الآفات من ضيق و لا حرج فى ترک الحصول مع المؤمنين و الحضور معهم فى الجهاد. قال قتادة: كل ذلک فى الجهاد. ثم قال (وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ) فى ما أمره به و نهاه عنه (يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ مَنْ يَتَوَلَّ) عن اتباعهما و امتثال أمرهما و نهيهما (يعذبه) اللَّه (عَذاباً أَلِيماً) فمن قرأ بالياء رده إلى اللَّه. و من قرأ بالنون أراد الاخبار من اللَّه عن نفسه.

و قوله (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) إخبار

من اللَّه تعالى انه رضى عن الذين بايعوا تحت الشجرة النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و كانوا مؤمنين فى الوقت الذى بايعوه (فَعَلِمَ ما فِى قُلُوبِهِمْ) من إيمان و نفاق فرضى عن المؤمنين و سخط على المنافقين. و قيل معناه فعلم ما فى قلوبهم من صدق النية فى القتال و كراهتهم له، لأنه بايعهم على القتال- ذكره مقاتل- (فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ) يعنى على المؤمنين، و

السكينة الصبر لقوة البصيرة (وَ أثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) قال قتادة و ابن أبى ليلى: يعنى فتح خيبر و قال قوم: فتح مكة (وَ مَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها) فالغيمة ملک أموال اهل الحرب من المشركين بالقهر و الغلبة فى حكمه تعالى، و كان القتال من أجلها. و (المغانم) ههنا يراد به غنائم خيبر.
و قوله (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها) يعنى سائر الغنائم و قال قوم: أراد بها ايضاً غنائم خيبر. و قوله (فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ) يعنى الصلح و سميت بيعة الرضوان لقول اللَّه تعالى (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ) و قال ابن عباس كان سبب بيعة الرضوان بالحديبية تأخر عثمان حين بعثه النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله إلى قريش أنهم قتلوه، فبايعهم على قتال قريش، و قال ابن عباس: كانوا ألفاً و خمسمائة نفس. و قال جابر: كانوا ألفاً و أربعمائة نفس، و قال ابن أوفى ألفاً و ثلاثمائة. و الشجرة التى بايعوا تحتها هى السمرة.
و استدل بهذه الآية جماعة على فضل أبى بكر، فانه لا خلاف أنه كان من المبايعين تحت الشجرة. و قد ذكر اللَّه أنه رضى عنهم، و انه أنزل السكينة عليهم و انه علم ما فى قلوبهم من الايمان، و أثابهم فتحاً قريباً.
و الكلام على ذلک مبنى على القول بالعموم، و فى أصحابنا من قال لا صيغة للعموم ينفرد بها. و به قال كثير من المخالفين، فمن قال بذلک كانت الآية عنده مجملة لا يعلم المعنى بها، و قد بايع النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله جماعة من المنافقين بلا خلاف، فلا بد التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 329
من تخصيص الآية على كل حال. على انه تعالى وصف من بايع تحت الشجرة بأوصاف قد علمنا أنها لم تحصل فى جميع المبايعين، فوجب أن يختص الرضا بمن جمع الصفات لأنه قال (فَعَلِمَ ما فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَ أثابَهُمْ فَتْحاً) و لا خلاف بين أهل النقل ان الفتح الذى كان بعد بيعة الرضوان بلا فصل هو فتح خيبر. و
ان رسول اللَّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله عند ذلک قال: (لأعطين الراية غداً رجلا يحب اللَّه و رسوله و يحبه اللَّه و رسوله كرّاراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح اللَّه على يده) فدعا علياً فأعطاه الراية، و كان الفتح على يده
، فوجب ان يكون هو المخصوص بحكم الآية، و من كان معه فى ذلک الفتح لتكامل الصفات فيهم. على ان ممن بايع بيعة الرضوان طلحة و الزبير، و قد وقع منهما من قتال على عليه السلام ما خرجا به عن الايمان و فسقا عند جميع المعتزلة و من جرى مجراهم، و لم يمنع وقوع الرضاء فى تلک الحال من مواقعة المعصية فى ما بعد، فما الذى يمنع من مثل ذلک فى غيره. و ليس إذا قلنا:
أن الآية لا تختص بالرجلين، كان طعناً عليهما بل إذا حملناها على العموم دخلا، و كل متابع مؤمن معهما، فكان ذلک أولى.
و قوله (مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها) يعنى ما غنمتموه من خيبر من انواع الغنائم (وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً) بمصالح عباده (حكيماً) فى جميع أفعاله. ثم قال (وَعَدَكُمُ

اللّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ) يعنى غنائم خيبر. و الباقى كل ما يغنمه المسلمون من دار الحرب (وَ كَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) يعنى أسداً و غطفان، فإنهم كانوا مع خيبر فصالحهم النبى صَلى اَللَّهُ عَليه و آله فكفوا عنه. و قيل: يعنى اليهود كف أيديهم عنكم بالمدينة من قبل الحديبية و مجىء قريش، فلم يغلبوكم (وَ لِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) يستدلون بها على صحة قولكم (و يهديكم) أى و يرشدكم (صِراطاً التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 330
مُسْتَقِيماً)
يفضى بكم إلى الحق و ما يؤدى إلى الثواب. و الواو فى قوله (و لتكون) معناه إنا وعدناكم الغنائم لكف أيدى الناس عنكم و ليكون ذلک آية للمؤمنين إذ وقع الخبر على ما أخبر به، لأنه علم غيب لا يعلمه إلا اللّه.

وَ أُخْرى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أَحاطَ اللَّهُ بِها وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً (21) وَ لَوْ قاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (22) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً (23) وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً (24) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ الْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَ لَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً (25)

خمس آيات.

قرأ ابو عمرو «بما يعملون بصيراً» بالياء على الخبر. الباقون بالتاء على الخطاب لما ذكر اللّه تعالى انه وعد المؤمنين مغانم كثيرة يأخذونها و انه عجل لهم هذه منها، يعنى غنائم خيبر و عدهم بالغنائم الأخر، فقال (وَ أُخْرى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها) أى التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 331

و غنيمة أخرى- عن ابن عباس و الحسن- إنها فارس و الروم. و قال قتادة: هى مكة (قَدْ أَحاطَ اللَّهُ بِها) أى قدر اللّه عليها و أحاط بها علماً فجعلهم بمنزلة ما قد أدبر حولهم بما يمنع ان يفلت احد منهم (وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً) أى ما يصح أن يكون مقدوراً له، فهو قادر عليه. ثم قال (وَ لَوْ قاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) يعنى من قريش يا معشر المؤمنين (لولوا الأدبار) منهزمين بخذلانه إياهم و نصرة اللّه إياكم، و معونته لكم- فى قول قتادة- (ثم لا يجدون) يعنى الكفار (ولياً) بواليهم (و لا نصيراً) يدفع عنهم.

و قوله (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ) معناه سنة اللّه جارية فى خذلانه أهل الكفر و نصرة أهل الايمان فى ما مضى من الأمم السالفة، و نصره هو أمره بالقتال (و لن تجد) يا محمد «لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» أى لن تجد لسنة اللّه ما يدفعها فالسنة الطريقة المستمرة فى معنى و من ذلك

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيه و آله (من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها. و من سن سنة سيئة فعليه إثمها و اثم من عمل بها)

و التبديل رفع احد الشيئين و جعل الآخر مكانه، فى ما حكم أن يستمر على ما هو به و لو رفع اللّه حكما يأتى بخلافه لم يكن تبديلا لحكمه لأنه لا يرفع شيئاً إلا فى الوقت الذى تقتضى الحكمة رفعه، و قال ابن عباس: كان المشركون بعثوا أربعين رجلا ليصيبوا من المسلمين، فأتى بهم رسول اللّه، فخلى سبيلهم، و هو المراد بقوله «وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ» بالرعب «وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ» بالنهى نزلت فى أهل الحديبية و اهل مكة، لا فى أهل خيبر. و قيل لم ينهوا عن قتالهم، لأنهم لا يستحقون القتل بكفرهم و صدهم

لكن للإبقاء على المؤمنين الذين فى أيديهم «بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ» يعنى فتح مكة «وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً» يدبركم بحسب ما تقتضيه مصالحكم و قوله «هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى بوحدانية اللّه، و هم كفار قريش «وَ صَدُّوكُمْ التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 332
عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ»
فى الحديبية، و صدوكم أن تعتمروا و تطوفوا بالبيت «وَ الْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ» أى المحل الذى يحل نحره فيه. و المعكوف المحبوس أى منعوا الهدى ايضاً ليذبح بمكة، لأن هدى العمرة لا يذبح إلا بمكة كما لا يذبح هدى الحج إلا بمنى، ثم قال «وَ لَوْ لا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ» بالله و مصدقون بالنبى «وَ نِساءٌ مُؤْمِناتٌ» مثل ذلک بمكة- فى قول قتادة- «لَمْ تَعْلَمُوهُمْ» أى لم تعلموا بايمانهم «أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ» أى ينالكم أثم لاجلهم من غير علم منكم بذلک- فى قول ابن زيد- و قال قوم: معناه عنت. و قال ابن إسحاق: هو غرم الدية فى كفارة قتل الخطأ عتق رقبة مؤمنة و من لم يطق فصيام شهرين، و هو كفارة قتل الخطأ فى الحرب. و جواب لولا محذوف، و تقديره و لولا المؤمنون الذين لم تعلموهم لوطئتم رقاب المشركين بنصرنا إياكم. و المعكوف الممنوع من الذهاب فى جهة بالاقامة فى مكانه، و منه الاعتكاف، و هو الاقامة فى المسجد للعبادة، و عكف على هذا الأمر يعكف عكوفاً إذا اقام عليه. و قوله «لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا» أى لو تميز المؤمنون منهم، و قيل لو تفرقوا و المعنى واحد «لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ» يعنى من أهل مكة «عَذاباً أَلِيماً» بالسيف و القتل و الأليم المؤلم، و
كان النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله: ساق سبعين بدنة فى عام الحديبية، و دخل فى العام المقبل لعمرة القضاء فى الشهر الذى صد فيه
و نزل قوله «الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ» «1» ذكره قتادة.

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى وَ كانُوا أَحَقَّ بِها وَ أَهْلَها وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (26) لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً (27) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً (28) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَ رِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً (29)

---

(1) سورة 2 البقرة آية 194

أربع آيات.

قرأ ابن كثير إلا ابن فليح «شطأه» بفتح الطاء و مثله ابن ذكوان.

الباقون بإسكانها. و قرأ اهل الشام «فأزره» مقصور، الباقون بالمد، و هما لغتان من فعل الشىء و فعله غيره نحو كسبت مالا و كسبنى غيرى، و نزحت البئر و نزحتها و يقال: أزر النبت و آزره غيره. و قوله «إذ جعل» متعلق بقوله «لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ» يعنى الأنفة. ثم فسر تلك الأنفة، فقال «حَمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ» الاولى يعنى عصبتهم لآلهتهم من أن يعبدوا غيرها. و قال الزهرى: هى انفتهم من الإقرار لمحمد بالرسالة. و الاستفتاح ب (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) على عادته فى الفاتحة، حيث أراد ان يكتب كتاب العهد بينهم. و دخولهم مكة لأداء العمرة.

ثم قال تعالى «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ» أى فعل به صَلى اللَّهُ عَليه و آله من اللطف و النعمة ما سكنت اليه نفسه و صبر على الدخول تحت ما أرادوه منه «وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» أى و مثل ذلك فعل بالمؤمنين «وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى» قال ابن عباس و قتادة: كلمة التقوى قول: لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه. و قال مجاهد: هى كلمة الإخلاص «وَ كانُوا أَحَقَّ بِها وَ أَهْلَها» يعنى المؤمنين كانوا أهلها و أحق بها. قال الفراء: و رأيتها فى مصحف الحارث بن سويد التميمى من أصحاب عبد اللّه (و كانوا أهلها و أحق بها) و هو تقديم و تأخير، و كان مصحفه دفن أيام الحجاج. و قيل:

ان التقدير كانوا أحق بنزول السكينة عليهم و أهلًا لها. و قيل: المعنى فكانوا أحق بمكة أن يدخلوها و أهلها. و إنما قال «أحق» لأنه قد يكون حق أحق من حق غيره، لأن الحق الذى هو طاعة يستحق به المدح أحق من الحق الذى هو مباح لا يستحق به ذلک «وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً» لما ذم الكفار تعالى بحمية الجاهلية و مدح المؤمنين بالسكينة و الزوم الكلمة الصادقة بين علمه ببواطن أمورهم و ما تنطوى عليه ضمائرهم إذ هو العالم بكل شىء من المعلومات.
و قوله «لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ» قسم من اللَّه تعالى ان النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله صادق فى قوله انه رأى فى المنام انه يدخل هو و المؤمنون المسجد الحرام، و انه لا بد من كون ذلک. و قوله «إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ» قال قوم التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 335
تقييد لدخول الجميع او البعض. و قال قوم: ليس ذلک شرطاً لأنه بشارة بالرؤيا التى رآها النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و طالبه الصحابة بتأويلها و حققها. قوله «لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ» ثم استؤنف على طريق الشرح و التأكيد «لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ» على ألفاظ الدين، كأنه قيل بمشيئة اللَّه، و ليس ينكر أن يخرج مخرج الشرط ما ليس فيه معنى الشرط، كما يخرج مخرج الأمر ما ليس فى معنى الأمر لقرينة تصحب الكلام. و قال البلخى: معنى «إِنْ شاءَ اللَّهُ» أى أمركم اللَّه بها، لأن مشيئة اللَّه تعالى بفعل عباده هو أمره به. و قال قوم: هو تأديب لنا، كما قال «وَ لا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ....» «1» الآية.
و قوله «آمِنِينَ» أى بلا خوف عليكم «مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ» أى منكم من يحلق رأسه و منكم من يقصر «لا تَخافُونَ» احداً فى ذلک، و كذلک جرى الأمر فى عمرة القضاء و فى السنة الثانية للحديبية. و
روى أن عمر قال لرسول اللَّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله حيث قاضا اهل مكة يوم الحديبية، و همّ بالرجوع إلى المدينة: أ ليس وعدتنا يا رسول اللَّه أن ندخل المسجد الحرام محلقين و مقصرين، فقال له رسول اللَّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله (قلت لكم إنا ندخلها العلم)؟! فقال: لا، فقال صَلى اللَّهُ عَليه و آله (فإنكم تدخلونها إن شاء اللَّه) فلما كان فى القابل فى ذى القعدة خرج النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله لعمرة القضاء، و دخل مكة مع أصحابه فى ذى القعدة و اعتمروا، و قام بمكة ثلاثة ايام، ثم رجع إلى المدينة.
ثم قال «فَعَلِمَ» يعنى علم اللَّه و «ما لَمْ تَعْلَمُوا» أنتم من المصلحة فى المقاضاة و إجابتهم إلى ذلک. و قيل المعنى فعلم النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله من دخولهم إلى سنة ما لم تعلوا معاشر المؤمنين. و قيل: فعلم ان بمكة رجالا مؤمنين و نساء مؤمنات لم تعلموهم

---

(1) سورة 18 الكهف آية 24
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 336
«فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِکَ فَتْحاً قَرِیباً» قال ابن زید: یعنی بذلک فتح خیبر. و قال الزهری: هو فتح الحدیبیة.
ثم قال تعالی «هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ» یعنی محمداً صَلی اللَّهُ عَلیه و آله «بالهدی» یعنی الدلیل الواضح، و الحجة البینة «وَ دِینِ الْحَقِّ» یعنی الإسلام و إخلاص العبادة «لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ» قیل بالحجج و البراهین. و قیل: لان الإسلام ظاهر علی الأدیان کلها. و قیل: إنه إذا خرج المهدی صار الإسلام فی جمیع البشر، و تبطل الأدیان کلها.
ثم قال (وَ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً) بذلک من إظهار دین الحق علی جمیع الأدیان.
ثم اخبر تعالی فقال (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) صَلی اللَّهُ عَلیه و آله أرسله إلی خلقه (وَ الَّذِینَ مَعَهُ) من المؤمنین یعنی المصدقین بواحدانیة اللّه المعترفین بنبوته الناصرین له (أَشِدَّاءُ عَلَی الْکُفَّارِ) لأنهم یقاتلونهم و یجاهدونهم بنیة صادقة (رُحَماءُ بَیْنَهُمْ) أی یرحم بعضهم بعضاً و یتحنن بعضهم علی بعض (تَراهُمْ رُکَّعاً سُجَّداً) لقیامهم بالصلاة و الإتیان بها، فهم بین راکع و ساجد (یَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْواناً) ای یلتمسون بذلک زیادة نعیمهم من اللّه و یطلبون مرضاته من طاعة و ترک معصیة (سِیماهُمْ فِی وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال ابن عباس: اثر صلاتهم یظهر فی وجوههم.
و قال الحسن. هو السمت الحسن. و قال قوم: هو ما یظهر فی وجوههم من السهر باللیل. و قال مجاهد: معناه علامتهم فی الدنیا من اثر الخشوع. و قیل:
علامة نور یجعلها اللَّه فی وجوههم یوم القیامة- فی قول الحسن و ابن عباس و قتادة و عطیة- و (ذلِکَ مَثَلُهُمْ فِی التَّوْراةِ) ای وصفهم، کأنه مثلهم فی التوراة (وَ مَثَلُهُمْ فِی الْإِنْجِیلِ) ای وصفهم اللّه فی الإنجیل (کَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) یشبههم بالزرع الذی ینبت فی حوالیه بنات و یلحق به، فالشطأ
فراخ الزرع الذی التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 337
ینبت فی جوانبه و منه شاطئ النهر جانبه، یقال أشطأ الزرع، فهو مشطئ إذا أفرخ فی جوانبه «فَآزَرَهُ» أی عاونه فشد فراخ الزرع لأصول النبت و قواها یقال أزرت النبت و آزره غیره بالمد، و یقال أزر النبت و ازرته مثل رجع و رجعته و قال ابو الحسن: هما لغتان. و قال ابو عبیدة: أزره ساواه فصار مثل الأم، و فاعل (آزر) الشطأ أی أزر الشطأ الزرع، فصار فی طوله «فَاسْتَغْلَظَ» أی صار غلیظاً باجتماع الفراخ مع الأصول «فَاسْتَوی» معه أی صار مثل الأم «عَلی سُوقِهِ» و هو جمع ساق و ساق الشجرة حاملة الشجر، و هو عوده الذی یقوم علیه، و هو قصبته. و مثله قوی المحبة بما یخرج منها، کما قوی النبی صَلی اللَّهُ عَلیه و آله بأصحابه.
و قوله «یُعْجِبُ الزُّرَّاعَ» یعنی الذین زرعوا ذلک «لِیَغِیظَ بِهِمُ الْکُفَّارَ» قیل:

معناه ليغيظَ بالنبى و أصحابه الكفار المشركين. و وجه ضَرب هذا المثل بالزرع الذى أخرج شطأه هو ان النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله حين ناداهم إلى دينه كان ضعيفاً فأجابه الواحد بعد الواحد حتى كثر جمعه و قوى أمره كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفاً فيقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه و فراخه، و كان هذا من أصح مثل و أوضح بيان و قال البلخى: هو كقوله «كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ» «1» يريد بالكفار- هاهنا- الزراع واحدهم كافر، لأنه يغطى البذر، و كل شىء غطيته فقد كفرته.
و منه قولهم: تكفر بالسلاح. و قيل: ليل كافر لأنه يستر بظلمته كل شىء قال الشاعر:
فى ليلة كفر النجوم غمامها «2» أى غطاها. ثم قال «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» يعنى من عرف اللّه و وحده

---

(1) سورة 57 الحديد آية 20 [.....]
(2) مر فى 1/ 60

و أخلص العبادة له و آمن بالنبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و صدقه «وَ عَمِلُوا» مع ذلک الاعمال «الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ» قيل: انه بيان يخصهم بالوعد دون غيرهم. و قيل يجوز ان يكون ذلک شرطاً فيمن أقام على ذلک منهم، لان من خرج عن هذه الأوصاف بالمعاصى فلا يتناوله هذا الوعد «مَغْفِرَةً» أى ستراً على ذنوبهم الماضية «وَ أَجْراً» أى ثواباً «عَظِيماً» يوم القيامة.
و قرأ ابن كثير وحده «على سؤقه» بالهمزة. الباقون بلا همزة، و هو الأصح. قال ابو على: من همز فعلى قولهم (أحب المؤقدين إلى موسى) و استعمال السوق فى الزرع مجاز.

اشارة

مدينة إلا آية واحدة و هى قوله تعالى «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ...» إلى آخرها. و قال قوم: كلها مدنية، و هى ثمان عشر آية بلا خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (2) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ (3) إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (4)
وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)
خمس آيات.
قرأ يعقوب «لا تقدموا» بفتح التاء و الدال. الباقون بضم التاء و كسر الدال
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 340
من التقديم. و قيل: انهما لغتان. قدم و تقدم مثل عجل و تعجل و قال ابن عباس و الحسن: الآية «لا تقدموا» فى الحكم أو فى الأمر قبل كلامه صَلى اللَّهُ عَليه و آله- بفتح الدال و التاء- و قال الحسن: ذبح قوم قبل صلاة العيد يوم النحر، فأمروا باعادة ذبيحة اخرى و قال الزجاج: المعنى لا تقدموا أعمال الطاعة قبل الوقت الذى أمر اللَّه و النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله به حتى قيل: لا يجوز تقدم الزكاة قبل وقتها. و قال قوم:
كانوا إذا سألوا عن شىء قالوا فيه قبل النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله نهوا عن ذلک، و الأولى حمل الآية على عمومها فيقال: كل شىء إذا فعل كان خلافاً للَّه و رسوله فهو تقدم بين أيديهما فيجب المنع من جميع ذلک.
هذا خطاب من اللَّه تعالى للمؤمنين الذين اعترفوا بتوحيده و إخلاص عبادته و أقروا بنبوة نبيه محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله ينهاهم أن يتقدموا بين يدى النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله بأن يفعلوا خلاف ما أمر به او يقولوا فى الأحكام قبل ان يقول او يخالفوا أوقات العبادة، فان جميع ذلک تقدم بين يديه، و أمرهم ان يتقوا اللَّه بأن يجتنبوا معاصيه و يفعلوا طاعاته «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ» لما يقولونه «عَلِيمٌ» بما ينطوون عليه و يضمرونه. ثم أمرهم ثانياً بأن قال «لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ» على وجه الاستخفاف به صَلى اللَّهُ عَليه و آله، فان مجاهد و قتادة قالا: جاء أعراب أجلاف من بنى تميم، فجعلوا ينادون من وراء الحجرات: يا محمد اخرج إلينا، و لو أن إنساناً رفع صوته على صوت النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله على وجه التعظيم له و الاجابة لقوله لم يكن مأثوماً. و قد فسّر ذلک بقوله «وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ» فان العادة جارية أن من كلم غيره و رفع صوته فوق صوته أن ذلک على وجه الاستخفاف به، فلذلک نهاهم عنه.

و جهر الصوت أشد من الهمس، و يكون شديداً و ضعيفاً و وسطاً. و الجهر ظهور الصوت بقوة الاعتماد، و منه الجهارة فى المنطق. و يقال: نهاراً جهاراً، و جاهر التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 341
بالأمر مجاهرة. و نقيض الجهر الهمس.
ثم بين تعالى انهم متى فعلوا ذلک بان يرفعوا الصوت على صوت النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله على الوجه الذى قلناه أن يحبط أعمالهم، و التقدير لا ترفعوا أصواتكم لأن لا تحبط قال الزجاج: و يكون اللام لام العاقبة، و المعنى يحبط ثواب ذلک العمل، لأنهم لو أوقعوه على وجه الاستحقاق لاستحقوا به الثواب، فلما فعلوه على خلاف ذلک استحقوا عليه العقاب، وفاتهم ذلک الثواب فذاک إحباط أعمالهم، فلا يمكن أن يستدل بذلک على صحة الإحباط فى الآية على ما يقوله أصحاب الوعيد، و لأنه تعالى علق الإحباط فى الآية بنفس العمل، و أكثر من خالفنا يعلقه بالمستحق على الأعمال، و ذلک خلاف الظاهر.
ثم مدح تعالى من كان بخلاف من يرفع الصوت بين يدى النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله، فقال «إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ» اعظاماً للنبى و إجلالا له، و الغض الحط من منزلة على وجه التصغير له بحالة، يقال: غض فلان عن فلان إذا ضعف حاله عن حال من هو أرفع منه، و غض بصره إذا ضعف عن حدة النظر، و غض صوته إذا ضعف عن الجهر، و قال جرير:
فغض الطرف إنک من نمير فلا كعباً بلغت و لا كلاباً «1»
ثم قال «أُولئِکَ» يعنى الذين يغضون أصواتهم عند رسول اللَّه هم «الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى» أى لاخلاص التقوى فعاملهم معاملة المختبر كما يمتحن الذهب لا خلاص جيده. و قيل «امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى» أخلصها- فى قول مجاهد و قتادة- و قال قوم: معناه أولئک الذين علم اللَّه التقوى فى قلوبهم، لان الامتحان يراد به العلم، فعبر عن العلم بالامتحان.

---

(1) ديوانه و الطبرى 26/ 69
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 342
ثم قال تعالى «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» من اللَّه لذنوبهم «وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ» على أفعالهم و طاعاتهم ثم خاطب النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله على وجه الذم لمن يرفع صوته من أجلاف الاعراب على النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله «إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَکَ» يا محمد «مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ» و هى جمع حجرة و كل (فعلة) بضم الفاء يجمع بالألف و التاء، لأنه ليس بجمع سلامة محضة إذ ما يعقل من الذكر ألحق به، لأنه اشرف المعنيين، فهو أحق بالتفصيل، قال الشاعر:
اما كان عباد كفياً لدارم بلى و لأبيات بها الحجرات «1»
أى بلى و لبنى هاشم. و قرأ ابو جعفر الحجرات بفتح الجيم. قال المبرد:

أبدل من الضمة الفتحة استثقالا لتوالى الضمتين، و منهم من أسكن مثل (عضد و عضد) و قال ابو عبيدة: جمع حجرة و غرفة يقال: حجرات و غرفات.
ثم قال «أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ» لأنهم بمنزلة البهائم لا يعرفون مقدار النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و ما يستحقه من التوقير و التعظيم. و قيل: إن الذين رفعوا أصواتهم على النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله قوم من بنى تميم. و فى قراءة ابن مسعود (أكثرهم بنو تميم لا يعقلون).
ثم قال «وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا» فلم ينادوک «حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ» من منزلک «لَكانَ خَيْراً لَهُمْ» من أن ينادونک من وراء الحجرات (وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أى ساتر لذنوبهم إن تابوا منها لان ذلک كفر لا يغفره اللّه إلى بالتوبة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ (6) وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَ نِعْمَةً وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (8) وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10)

---

(1) الطبرى 26/ 69

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 343

خمس آيات.

قوله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ) خطاب من اللَّه- عز و جل- للمؤمنين بأنه (إذا جاءكم فاسق) و هو الخارج من طاعة اللَّه إلى معصيته (بنبإ) أى بخبر عظيم الشأن (فتبينوا) صدقه من كذبه و لا تبادروا إلى العمل بمتضمنه (أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ) لأنه ربما كان كاذباً و خبره كذباً، فيعمل به فلا يؤمن بذلک و قال ابن عباس و مجاهد و يزيد بن رومان و قتادة و ابن أبى ليلا: نزلت الآية فى الوليد ابن عقبة بن أبى معيط، لما بعثه رسول اللَّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله فى صدقات بنى المصطلق خرجوا يتلقونه فرحاً به و إكراماً له، فظن أنهم هموا بقتله، فرجع إلى النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله فقال: انهم منعوا صدقاتهم، و كان الأمر بخلافه.

و فى الآية دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم و لا العمل، لأن المعنى إن جاءكم فاسق بالخبر الذى لا تأمنون أن يكون كذباً فتوقفوا فيه، و هذا التعليل موجود فى خبر العدل، لان العدل على الظاهر يجوز أن يكون كاذباً فى خبره، التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 344

فالأمان غير حاصل فى العمل بخبره. و فى الناس من استدل به على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان راويه عدلا، من حيث انه أوجب تعالى التوقف فى خبر الفاسق، فدل على أن خبر العدل لا يجب التوقف فيه. و هذا الذى ذكروه غير صحيح، لأنه استدلال بدليل الخطاب و دليل الخطاب ليس بدليل عند جمهور العلماء. و لو كان صحيحاً فليست الآية بأن يستدل بدليلها على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان عدلا بأولى من ان يستدل بتعليلها فى دفع الأمان من أن يصاب بجهالة إذا عمل بها على ان خبر العدل

مثله، على أنه لا يجب العمل بخبر الواحد، و إن كان راويه عدلا.
فان قيل: هذا يؤدى إلى أن لا فائدة فى إيجاب التوقف فى خبر الفاسق إذا كان خبر العدل مثله فى الفائدة.
قلنا: و القول بوجوب العمل بخبر الواحد يوجب أنه لا فائدة فى تعليل الآية فى خبر الفاسق الذى يشاركه العدل فيه، فإذا تقابلا سقط الاستدلال بها على كل حال و بقى الأصل فى انه لا يجوز العمل بخبر الواحد إلا بدليل.
و من قرأ (تبينوا) أراد تعرفوا صحة متضمن الخبر الذى يحتاج إلى العمل عليه، و لا تقدموا عليه من غير دليل، يقال: تبين الأمر إذا ظهر، و تبين هو نفسه بمعنى واحد، و يقال ايضاً: تبينته إذا عرفته. و من قرأ (فتثبتوا)- بالتاء و الثاء- أراد توقفوا فيه حتى يتبين لكم صحته.
و قوله (فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ) معناه متى عملتم بخبر الواحد و بان لكم كذب راويه أصبحتم نادمين على ما فعلتموه.
ثم خاطبهم يعنى المؤمنين فقال (و اعلموا) معاشر المؤمنين (أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) و معناه لو فعل ما تريدونه فى كثير من التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 345
الأمور (لعنتم) أى أصابكم عنت و مكروه، يقال: أعنت الرجل إذا حملت عليه عامداً لما يكره، يقال: أعنته فعنت، و سمى موافقته لما يريدونه طاعة لهم مجازاً لأن الطاعة يراعى فيها الرتبة، فلا يكون المطيع مطيعاً لمن دونه، و إنما يكون مطيعاً لمن فوقه إذا فعل ما أمره به، ألا ترى انه لا يقال فى اللَّه تعالى: إنه مطيع لنا إذا فعل ما أردناه. و يقال فينا إذا فعلنا ما أراده اللَّه: انه مطيع. و النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله فوقنا فلا يكون مطيعاً لنا، فإطلاق ذلک مجاز.
و قوله (وَ لكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ) بما وعد من استحقاق الثواب عليه (وَ زَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ) بنصب الأدلة على صحته (وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ) بما وصفه من العقاب عليه- و هو قول الحسن- و فى الآية دلالة على أن أضداد الايمان ثلاثة كفر و فسوق و عصيان.
ثم قال (أولئک) يعنى الذين وصفهم اللَّه بالايمان، و زين الايمان فى قلوبهم و انه كره اليهم الفسوق و غيره (هم الراشدون) أى المهتدون إلى طريق الحق الذين أصابوا الرشد.
ثم قال (فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ نِعْمَةً) أى فعل اللَّه ذلک بهم فضلا منه على خلقه و نعمة مجددة، و هو نصب على المفعول له- فى قول الزجاج- (وَ اللَّهُ عَلِيمٌ) بالأشياء كلها (حكيم) فى جميع أفعاله.
ثم قال (وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) يقتل بعضهم بعضاً (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما) حتى يصطلحا، و قرأ يعقوب (بين إخوتكم) حمله على أنه جمع (أخ) أخوة لأن الطائفة جمع. و من قرأ على التثنية رده إلى لفظ الطائفتين، و قرأ زيد ابن ثابت و ابن سيرين و عاصم الجحدرى (بين أخويكم) و المعانى

متقاربة. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 346
و قوله (وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لا يدل على أنهما إذا اقتتلا بقيا على الايمان، و يطلق عليهما هذا الاسم، بل لا يمتنع ان يفسق احد الطائفتين او يفسقا جميعاً، و جرى ذلک مجرى ان تقول: و إن طائفة من المؤمنين ارتدت عن الإسلام فاقتلوها. ثم قال (فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِىءَ) أى فان بغت إحدى الطائفتين على الأخرى بأن تطلب ما لا يجوز لها و تقابل الأخرى ظالمة لها متعدية عليها (فَقاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى) لأنها هى الظالمة المتعدية دون الاخرى (حَتَّى تَفِىءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ) أى حتى ترجع إلى أمر اللّه و تترک قتال الطائفة المؤمنة. ثم قال (فان فاءت) أى رجعت و تابت و أقلعت و أنابت إلى طاعة اللّه (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما) يعنى بينها و بين الطائفة التى كانت على الايمان و لم تخرج عنه بالقول، فلا تميلوا على واحدة منهما (و أقسطوا) أى اعدلوا (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) يعنى العادلين، يقال: أقسط إذا عدل، و قسط إذا جار. قال اللّه تعالىَ أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً)
«1».
و قيل: إن الآية نزلت فى قبيلتين من الأنصار وقع بينهما حرب و قتال- ذكره الطبرى-.
ثم اخبر تعالى (إنما المؤمنون) الذين يوحدون اللّه تعالى و يعملون بطاعاته و يقرون بنبوة نبيه و يعملون بما جاء به (أخوة) يلزمهم نصرة بعضهم بعضاً (فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) يعنى إذا رجعا جميعاً إلى الحق و ما أمر اللّه به (وَ اتَّقُوا اللَّهَ) أى اجتنبوا معاصيه و افعلوا طاعته و اتقوه فى مخالفتكم (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) معناه لكى ترحمون لان (لعل) بمعنى الشک و الشک لا يجوز على اللّه تعالى، قال الزجاج: سموا المؤمنين إذا كانوا متفقين فى دينهم بأنهم أخوة، لاتفاقهم فى الدين و رجوعهم إلى اصل النسب

---

(1) سورة 72 الجن آية 15

لأنهم لآدم و حواء.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَ لا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَ لا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَ لا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ وَ مَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَ لا تَجَسَّسُوا وَ لا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12) يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ إِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (15)

خمس آيات. التبيان في تفسير القرآن، ج9، ص: 348

قرا اهل البصرة (لا يألتكم) بالهمزة. الباقون (لا يلتكم) بلا همزة، و هما لغتان، يقال: ألت يألت إذا أنقص، و لات يليت مثل ذلک. و فى المصحف بلا الف و قال الشاعر:

و ليلة ذات ندى سريت و لم يلتنى عن سراها ليت «1»

و معنى الآية لا ينقصكم من أعمالكم شيئاً، و منه قوله (وَ ما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) «2» أى ما نقصناهم. و قرأ يعقوب (ميتاً) بالتشديد. الباقون بالتخفيف. و التشديد الأصل، و هو مثل سيد و سيد.

يقول اللّه مخاطباً للمؤمنين الذين وحدوه و أخلصوا العبادة له و صدقوا نبيه و قبلوا ما دعاهم اللّه اليه (لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ) و معناه لا يهزأ به و يتلهى منه، و قال مجاهد: لا يسخر غنى من فقير لفقره بمعنى لا يهزأ به، و السخرية بالاستهزاء و لو سخر المؤمن من الكافر احتقاراً له لم يكن بذلک مأثوماً، فأما فى صفات اللّه، فلا يقال إلا مجازاً كقوله (فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ) «3» معناه إنا نجازيكم جزاء السخرية.

ثم قال (عسى أن يكونوا خيراً منهم) لأنه ربما كان الفقير المهين فى ظاهر الحال خيراً عند اللّه و أجل منزلة و اكثر ثواباً من الغنى الحسن الحال. و قال الجبائى: يجوز ان يكونوا خيراً منهم فى منافع الدنيا، و كثرة الانتفاع بهم. و قوله (وَ لا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ) أى و لا يسخر نساء من نساء على هذا المعنى (عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ) و يقال: هذا خير من هذا بمعنى أنفع منه فى ما يقتضيه العقل، و كذلک كان نسب رسول اللّه صَلى اللّهُ عليه و آله خير من نسب غيره، ثم قال (وَ لا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ)

(1) تفسير الطبرى 26/ 82 و قد مر فى 6/ 445.
(2) سورة 52 الطور آية 21
(3) سورة 11 هود آية 38
بيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 349
فاللمز هو الرمى بالعيب لمن لا يجوز ان يؤذى بذكره، و هو المنهى عنه، فأما ذكر عيبه، فليس بلمز، و
روى انه صَلى اللَّهُ عَليه و آله قال (قولوا فى الفاسق ما فيه كى يحذره الناس)
و قال الحسن: فى صفة الحجاج أخرج إلينا نباتاً قصيراً قل ما عرفت فيها إلا عنه فى سبيل اللَّه ثم جعل يطبطب بشعيرات له، و يقول: يا با سعيد. و لو كان مؤمناً لما قال فيه ذلک. و قال ابن عباس و قتادة: معناه لا يطعن بعضكم على بعض كما قال (وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) «1» لان المؤمنين كنفس واحدة، فكأنه بقتله أخاه قاتل نفسه.
و قوله (وَ لا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ) قال ابو عبيدة: الانباز و الألقاب واحد فالنبز القذف باللقب، نهاهم اللَّه أن يلقب بعضهم بعضاً. و قال الضحاک: معناه كل اسم او صفة يكره الإنسان أن يدعى به، فلا يدع به. و إنما يدعى بأحب أسمائه اليه. و قوله (بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ) لا يدل على ان المؤمن لا يكون فاسقاً لأن الايمان و الفسق لا يجتمعان، لأن ذلک يجرى مجرى ان يقال: بئس الحال الفسوق مع الشيب على ان الظاهر يقتضى ان الفسوق الذى يتعقب الايمان بئس الاسم، و ذلک لا يكون إلا كفراً، و هو بئس الاسم.
ثم قال (وَ مَنْ لَمْ يَتُبْ) يعنى من معاصيه و يرجع إلى طاعة اللَّه و مات مصراً (فَأُولئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ) الذين ظلموا نفوسهم بأن فعلوا ما يستحقون به العقاب.
ثم خاطبهم إيضاً فقال (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أى صدقوا بوحدانيته (اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ) و إنما قال (كثيراً) لان فى جملته ما يجب العمل عليه، و لا يجوز مخالفته، و قوله (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) فالظن الذى يكون إثماً

(1) سورة 4 النساء آية 28
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 350
إنما هو ما يفعله صاحبه و له طريق إلى العلم بدلا منه مما يعمل عليه، فهذا ظن محرم لا يجوز فعله، فأما ما لا سبيل له إلى دفعه بالعلم بدلا منه، فليس بإثم، فلذلک كان بعض الظن أثم، دون جميعه، و الظن المحمود قد بينه اللَّه و دل عليه فى قوله (لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً) «1» و قيل: يلزم المؤمن أن يحسن الظن به و لا يسىء

اَلظن َفی شیء یجد له تأویلا جمیلا، و إن کان ظاهره القبیح. و متی فعل ذلک کان ظنه قبیحاً.
و قوله (و لا تجسسوا) أی لا تتبعوا عثرات المؤمن- فی قول ابن عباس و مجاهد و قتادة- و قال ابو عبیدة التجسس و التحسس واحد و هو التبحث یقال:
رجل جاسوس، و الجاسوس و الناموس واحد. و قیل للمؤمن حق علی المؤمن ینافی التجسس عن مساوئه. و قیل: یجب علی المؤمن أن یتجنب ذکره المستور عند الناس بقبیح، لان علیهم أن یکذبوه و یردّوا علیه، و إن کان صادقاً عند اللَّه، لان اللَّه ستره عن الناس، و إنما دعی اللَّه تعالی المؤمن إلی حسن الظن فی بعضهم ببعض للألفة و التناصر علی الحق، و نهوا عن سوء الظن لما فی ذلک من التقاطع و التدابر.
و قوله (وَ لا یَغْتَبْ بَعْضُکُمْ بَعْضاً) فالغیبة ذکر العیب بظهر الغیب علی وجه تمنع الحکمة منه. و
یروی فی الخبر إذا ذکرت المؤمن بما فیه مما یکرهه اللَّه، فقد اغتبته و إذا ذکرته بما لیس فیه، فقد بهته.
و قوله (أَ یُحِبُّ أَحَدُکُمْ أَنْ یَأْکُلَ لَحْمَ أَخِیهِ مَیْتاً فَکَرِهْتُمُوهُ) معناه ان من دعی إلی أکل لحم أخیه فعافته نفسه، فکرهته من جهة طبعه، فانه ینبغی إذا دعی إلی عیب أخیه فعافته نفسه من جهة عقله، فینبغی أن یکرهه، لأن داعی العقل أحق بأن یتبع من داعی الطبع لان داعی الطبع أعمی و داعی العقل بصیر، و کلاهما

---

(1) سورة 24 النور آیة 12
التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 351
فی صفة الناصح، و هذا من أحسن ما یدل علی ما ینبغی ان یجتنب من الکلام.
و فی الکلام حذف، و تقدیره أ یحب أحدکم ان یأکل لحم أخیه میتاً فیقولون: لا، بل عافته نفوسنا، فقیل لکم فکرهتموه، فحذف لدلالة الکلام علیه. و قال الحسن:
معناه فکما کرهتم لحمه میتاً فاکرهوا غیبته حیاً، فهذا هو تقدیر الکلام.
و قوله (وَ اتَّقُوا اللَّهَ) معطوف علی هذا الفعل المقدر، و مثله (أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ وَ وَضَعْنا عَنْکَ) «1» و المعنی أ لم نشرح، قد شرحنا فحمل الثانی علی معنی الأول، لأنه لا یجوز ان یقول أ لم وضعنا عنک.
ثم قال (وَ اتَّقُوا اللَّهَ) باجتناب معاصیه و فعل طاعاته (إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ) أی قابل لتوبة من یتوب الیه (رحیم) بهم.
ثم قال (قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا) قال قتادة: نزلت الآیة فی اعراب مخصوصین انهم قالوا (آمنا) أی صدقنا باللَّه و أقررنا بنبوتک یا محمد، و کانوا بخلاف

ذلک فی بواطنهم، فقال اللّه تعالی لنبیه (قل) لهم (لم تؤمنوا) علی الحقیقة فی الباطن (وَ لکِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا) أی استسلمنا خوفاً من السبی و القتل- و هو قول سعید بن جبیر و ابن زید- ثم بین فقال (وَ لَمَّا یَدْخُلِ الْإِیمانُ فِی قُلُوبِکُمْ) بل أنتم کفار فی الباطن. ثم قال لهم (وَ إِنْ تُطِیعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ) و ترجعوا إلی ما بأمرانکم به من طاعة اللّه و الانتهاء عن معاصیه (لا یَلِتْکُمْ مِنْ أَعْمالِکُمْ شَیْئاً) أی لا ینقصکم من جزاء أعمالکم شیئاً (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ) أی ساتر لذنوبهم إذا تابوا رحیم بهم فی قبول توبتهم.
ثم وصف المؤمن علی الحقیقة فقال (إنما المؤمنون) علی الحقیقة (الَّذِینَ آمَنُوا بِاللَّهِ) و صدقوا و أخلصوا بتوحیده (و رسوله) أی و أقروا بنبوة نبیه

---

(1) سورة 94 الانشراح آیة 1- 2
التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 352
(ثُمَّ لَمْ یَرْتابُوا) أی لم یشکوا فی شیء من أقوالهما (وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ) ثم قال (أُولئِکَ هُمُ الصَّادِقُونَ) فی أقوالهم دون من یقول بلسانه ما لیس فی قلبه.
و قوله «یا أَیُّهَا النَّاسُ» خطاب للخلق کافة من ولد آدم یقول لهم «إِنَّا خَلَقْناکُمْ» بأجمعکم «مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثی» یعنی آدم و حوا علیهما السلام و قال مجاهد:
خلق اللّه الولد من ماء الرجل و ماء المرأة بدلالة الآیة «وَ جَعَلْناکُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ» فالشعوب النسب الأبعد، و القبائل الأقرب- فی قول مجاهد و قتادة- و قیل الشعوب أعم، و القبائل أخص. و قال قوم: الشعوب الأفخاذ و القبائل اکثر منهم. و الشعوب جمع شعب، و هو الحی العظیم، و القبائل مأخوذ من قبائل الرأس، و قبائل الحقبة التی یضم بعضها إلی بعض، فاما الحی العظیم المستقر بنفسه فهو شعب، قال ابن احمر:
من شعب همدان او سعد العشیرة او خولان او مذحج جواله طرباً «1»
و القبائل جمع قبیلة. و قوله «لتعارفوا» معناه جعلکم کذلک لتعارفوا، فیعرف بعضکم بعضاً. و من قرأ بالیاء مشددة، أدغم أحداهما فی الأخری. و من خفف حذف أحداهما. ثم قال «إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاکُمْ» لمعاصیه، و أعملکم بطاعته قال البلخی: اختلف الناس فی فضیلة النسب، فأنکرها قوم، و أثبتها آخرون و القول عندنا فی ذلک انه لیس احد أفضل من مؤمن تقی، فان الحسب و النسب و الشرف لا یغنیان فی الدین شیئاً، لأن لهما فضلا کفضل الخز علی الکرباس و الکتان علی البهاری و کفضل الشیخ علی الشاب. فان الطبائع مبنیة و الإجماع واقع علی أن شیخا و شاباً لو استویا فی الفضل فی الدین لقدم الشیخ علی الشاب

---

(1) الطبری 26/ 80 نسبة الی ابن عمر الباهلی و روایته (هاجراً له) بدل

(جواله)
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 353
و زيد فى تعظيمه و تبجيله، و كذلک الأب و الابن لو استويا فى الفضل فى الدين لقدم الأب، و كذلک السيد و عبده. و هذا مما لا خلاف فيه بين العقلاء، و كذلک لو أن رجلين استويا فى الدين ثم كان أحدهما له قرابة برسول اللّه أو بالخيار الصالحين لوجب أن يقدم المتصل برسول اللّه و بالصالح، و يزاد إكرامه فى تعظيمه و تبجيله، و كذلک إذا استويا و كان فى آباء أحدهما أنبياء ثلاثة و أربعة، و كان فى آباء الآخر نبى واحد كان الأول مستحقاً للتقديم، و كذلک لو كان لأحدهم أب نبى إلا انه من الأنبياء المتقدمين، و كان ابو الآخر هو النبى الذى بعث إلينا كان الثانى أعظم حقاً و أحق بالتقديم، و كذلک لو كان أحدهما له آباء معروفون بالفضل و الأخلاق الجميلة و الأفعال الشريفة و بالوقار و بالنجدة و الأدب و العلم كانت الطبائع مبنية على تقديمه على الآخر. فان قيل: الطبائع مبنية على تقديم ذوى المال فيجب ان يكون الغنى و كثرة المال شرفاً. قلنا: كذلک هو لا ننكر هذا و لا ندفعه. فان قيل:
إذا كان لأحدهما مال لا يبذل، و الآخر قليل المال يبذل قدر ما يملكه من الحقوق و يضعه فى مواضعه؟ قلنا الباذل أفضل من الذى لا يبذل. و إنما تكلمنا فى الرجلين إذا استويا فى خصالهما و فضل أحدهما كثرة المال و كان واضعاً له فى موضعه بإذلاله فى حقوقه و كذلک لو أن رجلا كان ذا حسب و شرف فى آبائه إلا انه كان فاسقاً او سخيفاً او وضيعاً فى نفسه كان الذى لا حسب له و هو عفيف نبيل أفضل منه بالأوصاف التى لا تخفى. و كان حسب ذلک السخيف مما يزيده و بالا، و معنى الحسب أنه يحسب لنفسه آباء أشرافاً فضلا، و عمومة و أخوة- انتهى كلام البلخى-.
و قوله «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» يعنى بمن يعمل طاعاته و يتقى معاصيه «خبير» التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 354
بذلک لا يخفى عليه شىء من ذلک. ثم وصف المؤمنين الذين تقدم ذكرهم فقال «أُولئِکَ هُمُ الصَّادِقُونَ» على الحقيقة الذين يستحقون ثواب اللّه تعالى.

قُلْ أَ تُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (16) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (17) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (18)

ثلاث آيات.

قرأ ابن كثير وحده «بما يعملون» بالياء على الغيبة. الباقون بالتاء على الخطاب.

يقول اللَّه تعالى لنبيه صَلى اللَّهُ عَليه و آله «قل» لهؤلاء الكفار «أَ تُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» فالتعليم تعريض من لا يعلم حتى يعلم بافهام المعنى او خلق العلم له فى قلبه، فعلى هذا لا يجوز ان يعلم العالم لنفسه الذى يعلم المعلومات كلها بنفسه، و لا يحتاج إلى من يعلمه و لا إلى علم يعلم به، كما انه من يكون قديماً بنفسه استغنى عن موجد يوجده، و إنما يحتاج إلى التعليم من يجوز أن يعلم و ألا يعلم، و من يخفى عليه شىء دون شىء، ففى الآية دلالة على ان العالم بكل وجه لا يجوز ان يعلم. و المعنى بالآية هم الذين ذكرهم فى الآية الأولى و بين أنهم منافقون لقول اللَّه لهم «أَ تُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ» إنا آمنا بالله و برسوله، و هو تعالى يعلم منكم خلاف ذلک من الكفر و النفاق، فلفظه لفظ الاستفهام و المراد التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 355

به الإنكار.

ثم خاطب نبيه صَلى اللَّهُ عَليه و آله فقال «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا» فالمن القطع بإيصال النفع الموجب للحق، و منه قوله «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» «1» أى غير مقطوع، و منه قولهم: المنة تكدر الصنيعة و قيل: إذا كفرت النعمة حسنت المنة. و من لا أحد إلا و هو محتاج اليه، فليس فى منه تكدير النعمة، لان الحاجة لازمة لامتناع أن يستغنى عنه بغيره. و اكثر المفسرين على ان الآية نزلت فى المنافقين و قال الحسن: نزلت فى قوم من المسلمين قالوا: أسلمنا يا رسول اللَّه قبل ان يسلم بنو فلان، و قاتلنا معک بنى فلان. و قال الفراء: نزلت فى اعراب من بنى أسد قدموا على النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله بعيالاتهم طمعاً فى الصدقة، و كانوا يقولون أعطنا، فإنا أتيناک بالعيال و الأثقال و جاءتک العرب على ظهور رواحلها، فأنزل اللَّه فيهم الآية. ثم قال «بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ» بأنواع نعمه و «ب أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ» و أرشدكم اليه بما نصب لكم من الأدلة عليه و رغبكم فيه «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» فى إيمانكم الذى تدعونه.

و متى كنتم صادقين يجب أن تعلموا ان المنة لله عليكم فى إيمانكم، لا لكم على اللّه و رسوله.
و موضع «أَنْ أَسْلَمُوا» نصب ب «يمنوا» و هو مفعول به. و قيل: موضعه الجر، لأن تقديره بأن اسلموا. ثم قال إن اللّه يعلم غيب السموات و الأرض و اللّه بصير بما يعملون من طاعة و معصية و إيمان و كفر فى باطن او ظاهر لا يخفى عليه شىء من ذلک.

---

(1) سورة 95 التين آية 6

اشارة

مكية بلا خلاف:و هى خمس و أربعون آية بلا خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقالَ الْكافِرُونَ هذا شَيْءٌ عَجِيبٌ (2) أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً ذلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (3) قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنا كِتابٌ حَفِيظٌ (4)
بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (5)
لم يعد أحد (ق) آية، و كذلک نظائره مثل (ن) و (ص) لأنه من المفرد، و كل مفرد فانه لا يعد لعبده عن شبه الجملة. و أما المركب فما أشبه الجملة و وافق رؤس الآى، فانه يعد مثل (طه) و (حم) و (ألم) و ما أشبه ذلک.
و (قاف) قيل هو اسم للجبل المحيط بالأرض. و قيل: هو اسم من اسماء السورة و مفتاحها على ما بيناه فى حروف المعجم. و هو الأقوى. و قيل: (ق) من قضى الأمر و (حم) من حم أى دنا.
و قوله «و القرآن» قسم من اللّه تعالى بالقرآن. و جواب القسم محذوف، و تقديره لحق الأمر الذى وعدتم به انكم لمبعوثون، تعجبوا فقالوا «أَ إِذا مِتْنا

وَ كُنَّا تُراباً»
! و قيل: تقديره: و رب القرآن. و استدل بذلک على حدوثه، و هو خلاف الظاهر. و المجيد العظيم الكرم. و وصف القرآن و بعثه بأنه مجيد معناه أنه عظيم القدر عالى الذكر. و يقال مجد الرجل و مجد مجداً و هما لغتان إذا عظم كرمه و أمجد كرمت فعاله، و المجيد فى اسم اللّه تعالى العظيم الكرم، و مجده خلقه: عظموه بكرمه، و رجل ماجد عظيم الكرم. و تماجد القوم تماجداً، و ذلک إذا تفاخروا بإظهار مجدهم. و المجد مأخوذ من قولهم: مجدت الإبل مجوداً، و ذلک إذا عظمت بطونها لكثرة أكلها من كلأ الربيع. و أمجد القوم إبلهم و ذلک فى الربيع، كأنهم أصابوا أكلًا عظيماً كريماً قال الشاعر:
رفعت مجد تميم باهلال لها رفع الطراف على العلياء بالعمد «1»
و قوله «بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقالَ الْكافِرُونَ هذا شَيْءٌ عَجِيبٌ» اخبار منه تعالى عن حال الكافرين الذين بعث اللّه اليهم النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله من كفار قريش و غيرهم مخوفاً لهم من معاصيه و ترک طاعاته باستحقاق العقاب على ذلک و انه تعالى سيبعثهم و يجازيهم على ذلک بعد الموت، فقال الكافرون جواباً لهذا القول:
هذا شىء عجيب، و التعجب بثير النفس تعظيم الأمر الخارج عن العادة الذى لا يقع بسببه معرفة، يقال عجب عجباً و تعجب تعجباً، فالذى يتعجب منه عجب.

و قيل: العجب هو كل ما لا يعرف علته و لا سببه، و أفحش العجب التعجب مما ليس بعجب على طريق الإنكار للحق، لأنه يجتمع فيه سببا القبيح، فهؤلاء تعجبوا من مجىء النذير من اللّه تعالى اليهم ففد فحشوا غاية التفحش، مع انه مما يعظم ضرر الجهل به. ثم قالوا أيضاً فى الجواب عن ذلک ائذا متنا و خرجنا من كوننا أحياء و كنا تراباً يبعثنا اللّه!؟ و حذف لدلالة الكلام عليه. ثم قالوا «ذلِکَ رَجْعٌ بَعِيدٌ»

---

(1) مر فى 6/ 34

أى يبعد عندنا أن نبعث بعد الموت، لان ذلک غير ممكن، فقال اللّه تعالى «قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ» أى علمنا الذى تأكل الأرض من لحومهم، لا يخفى علينا شىء منه «وَ عِنْدَنا كِتابٌ حَفِيظٌ» أى ممتنع الذهاب بالبلى و الدروس، كل ذلک ثابت فيه و لا يخفى منه شىء و هو اللوح المحفوظ ثم قال «بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ» يعنى بالنبى و القرآن الذى جاء به دالا على صدقه، و بالبعث و النشور، الذى أنذرهم به فهم فى أمر مريج أى مختلط ملتبس واصله إرسال الشىء مع غيره فى المرج من قولهم: مرج الخيل الذكور مع الإناث و هو مرج بالخيل أى المسرح الذى يمرج فيه، و «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ» أرسلهما فى مرج «يَلْتَقِيانِ» و لا يختلطان.

و قوله «مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ» أى مرسل الشعاع بانتشاره. قال ابو ذؤيب

فحالت فالتمست به حشاها فخر كأنه غصن مريج «1»

أى قد التبس بكثرة تشعبه و مرجت عهودهم و أمرجوها أى خلطوها، و لم يفوا بها. و قال ابو عبيدة: مرج أمر الناس إذا اختلط، قال ابو ذؤيب

(فخر كأنه خوط مريج) أى سهم مختلط الأمر باضطرابه، فهؤلاء الكفار حصلوا فى أمر مختلط ملتبس من أمر النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله، فقالوا تارة هو مجنون و أخرى هو كاهن و أخرى هو شاعر، فلم يثبتوا على شىء واحد، فلذلک كانوا فى أمر مريج.

أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَ زَيَّنَّاها وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ (6) وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ وَ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَ ذِكْرى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (8) وَ نَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكاً فَأَنْبَتْنا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَ النَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ (10) رِزْقاً لِلْعِبادِ وَ أَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذلِكَ الْخُرُوجُ (11)

---

(1) الطبرى 26/ 86 و روايته
(فحط كأنه حوط مريج) [.....]

ست آيات.
لما حكى اللَّه تعالى عن الكفار أنهم كذبوا بالحق الذى هو القرآن و جحدوا البعث و النشور و الثواب و العقاب، و تعجبوا من ذلک نبههم اللَّه تعالى على ذلک و بين لهم الطريق الذى إذا نظروا فيه علموا صحته، فقال «أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَ زَيَّنَّاها» و معناه أ فلم يفكروا فى بناء هذه السماء و عظمها، و حسن تزيينها فيعلموا أن لها بانياً بناها و صانعاً صنعها و انه لا بد أن يكون قادراً عليها، و انه لا يعجزه شىء، لأنه لا يقدر على مثل ذلک إلا القادر لنفسه الذى لا يجوز عليه العجز و يعلمه، لأنه عالم بما يرون من إحكام الصنعة فيها و انه الذى لا يخفى عليه خافية و قوله «وَ زَيَّنَّاها» يعنى حسنا صورتها بما خلقنا فيها من النجوم الثاقبة و الشمس و القمر، و انه «ما لَها مِنْ فُرُوجٍ» أى ليس فيها فتوق يمكن السلوک فيها و إنما يسلكها الملائكة بأن يفتح لها أبواب السماء إذا عرجت اليها.
ثم قال «وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها» أى بسطناها، و تقديره و مددنا الأرض مددناها، كما قال «وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ» «1» فيمن نصب و لو رفع كان جائزاً، و النصب أحسن- هاهنا- لكونه معطوفا على بنيناها، فعطف الفعل على الفعل احسن.
ثم قال «وَ أَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ» أى طرحنا جبالا تمنعها من الحركة ليتمكن استقرار الحيوان عليها «وَ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ» قال ابن زيد: البهيج الحسن المنظر و البهجة الحسن الذى له روعة عند الرؤية، كالزهرة و الأشجار الملتفة

---

(1) سورة 36 يس آية 39

و الرياض الخضرة فى الأنواع المتشاكلة و المبارى المصطفة خلالها الأنهار الجارية.

و قوله «تَبْصِرَةً وَ ذِكْرى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» أى فعلنا ذلک و خلقناه على ما وصفناه ليتبصر به و يتفكر به كل مكلف كامل العقل يريد الرجوع إلى اللّه و الانابة اليه.
ثم قال «وَ نَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكاً» يعنى مطراً و غيثاً «فَأَنْبَتْنا بِهِ» ذلک الماء «جَنَّاتٍ» أى بساتين فيها أشجار تجنها «وَ حَبَّ الْحَصِيدِ» يعنى البرّ و الشعير، و كل ما يحصد- فى قول قتادة- لان من شأنه ان يحصد، و الحب هو الحصيد، و إنما أضافه إلى نفسه، كما قال «لَحَقُّ الْيَقِينِ» «1» و كما قالوا: مسجد الجامع و غير ذلک. و قوله «و النخل» عطف على (جنات) فلذلک نصبه و «باسقات» أى عاليات يقال: بسقت النخلة بسوقاً قال ابن نوفل لابن هبيرة:
يا بن الذين بفضلهم بسقت على قيس فزاره «2»
و قال ابن عباس «باسقات» طوال النخل، و به قال مجاهد و قتادة «لها طلع نضيد» أى لهذه النخل التى وصفها بالعلو «طلع نضيد» نضد بعضه على بعض- فى قول مجاهد و قتادة- و قوله «رزقاً للعباد» أى خلقنا ما ذكرنا من حب الحصيد و الطلع النضيد رزقاً للعباد و غذاء لهم، و هو نصب على المصدر أى رزقناهم رزقاً، و يجوز أن يكون مفعولا له أى لرزق العباد و الرزق هو ما للحي الانتفاع به على وجه ليس لغيره منعه منه، و الحرام ليس برزق، لان اللّه تعالى منع منه بالنهى و الحظر و كل رزق فهو من اللّه تعالى إما بأن يفعله او يفعل سببه، لأنه مما يريده. و قد يرزق الواحد منا غيره، كما يقال: رزق السلطان الجند.
و قوله «وَ أَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً» أى أحيينا بذلک الماء الذى أنزلنا من السماء

---

(1) سورة 69 الحاقة آية 51
(2) تفسير الطبرى 26/ 87

بلدة ميتاً أى جدباً قحطاً، لا تنبت شيئاً، فأنبتت و عاشت ثم قال «كذلک الخروج» أى مثل ما أحيينا هذه الأرض الميتة بالماء، مثل ذلک نحيى الموتى يوم القيامة فيخرجون من قبورهم لأن من قدر على أحدهما قدر على الآخر، و إنما دخلت على القوم شبهة من حيث انهم رأوا العادة جارية باحياء الأرض الموات بنزول المطر عليها، و لم يروا إحياء الأموات، فظنوا انه يخالف ذلک، و لو انعموا النظر لعلموا ان القادر على أحدهما قادر على الآخر.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ أَصْحابُ الرَّسِّ وَ ثَمُودُ (12) وَ عادٌ وَ فِرْعَوْنُ وَ إِخْوانُ لُوطٍ (13) وَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ وَ قَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (14) أَ فَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (15)

أربع آيات.

يقول اللَّه تعالى لنبيه صَلى اللَّهُ عَليه و آله تسلية له عن كفر قومه و تركهم الايمان به و مهدداً لكفار قومه أنه كما كذبوک يا محمد هؤلاء و جحدوا نبوتک مثل ذلک كذب قبلهم من الأمم الماضية قوم نوح فأهلكهم اللَّه و أغرقهم و اصحاب الرس و هم اصحاب البئر الذين قتلوا نبيهم و رسوه فيها- فى قول عكرمة- و قال الضحاک: الرس بئر قتل فيها صاحب ياسين. و قيل: الرّس بئر لم يطو بحجر و لا غيره. قال الجعدى:

تنابلة يحفرون الرساسا «1»

---

(1) مر فى 7/ 490

و «ثمود» هم قوم صالح حيث كذبوه و نحروا ناقة اللَّه التى أخرجها آية له من الجبل «و عاد» و هم قوم هود، فكذبوه فأهلكهم اللَّه «وَ فِرْعَوْنُ وَ إِخْوانُ لُوطٍ» أى كذب فرعون موسى، و قوم لوط لوطاً، و سماهم اخوته لكونهم من نسبه «وَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ» و هم قوم شعيب، و الايكة الغيظة «وَ قَوْمُ تُبَّعٍ»

روى فى الحديث لا تلعنوا تبعاً، فانه كان اسلم، و إنما ذم اللَّه قومه.

ثم اخبر تعالى عنهم كلهم فقال «كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ» المبعوثة اليهم، و جحدوا نبوتهم «فَحَقَّ وَعِيدِ» فاستحقوا بما وعدهم به من العقاب، فإذا كانت منازل الأمم الخيالية إذا كذبوا الرسل الهلاک و الدمار، و أنتم معاشر الكفار قد سلكتم مسلكهم فى التكذيب فحالكم كحالهم فى استحقاق مثل ذلک. ثم قال اللَّه تعالى على وجه الإنكار عليهم، بلفظ الاستفهام «أَ فَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ» قال الحسن الخلق الأول آدم و قد يكون ذلک المراد لإقرارهم به و انهم ولده يقال: عييت بالأمر إذا لم يعرف وجهه و أعييت إذا تعبت، و كل ذلک من التعب فى الطلب. و المعنى إنا كما لم نعى بالخلق الأول لا نعيا بخلقهم على وجه الاعادة، و العى عجز بانقلاب المعنى على النفس، ثم قال «بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ» فاللبس منع من إدراک المعنى بما هو كالستر له «مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ» و هو القريب الإنشاء، يقال: بناء جديد و ثوب جديد، و خلق جديد و أصله القريب العهد، بالقطع للبس لأنه من جددته أجده جداً إذا قطعته فهو كفرت العهد بالقطع للبس.

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ (17) ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18) وَ جاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ ذلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 363

خمس آيات.

يقول اللّه تعالى مقسماً إنه خلق الإنسان أى اخترعه و انشأه مقدراً. و الخلق الفعل الواقع على تقدير و ترتيب. و المعنى إنه يوجده على ما تقتضيه الحكمة من غير زيادة و لا نقصان. و أخبر انه يعلم ما يوسوس به صدر الإنسان. فالوسوسة حديث النفس بالشىء فى خفى، و منه قوله «فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ» «1» و منه الوسواس كثرة حديث النفس بالشىء من غير تحصيل قال رؤية:

وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق «2» ثم اخبر تعالى انه اقرب إلى الإنسان من حبل الوريد. قال ابن عباس و مجاهد: الوريد عرق فى الحلق و هما وريدان فى العنق: من عن يمين و شمال، و كأنه العرق الذى يرد اليه ما ينصب من الرأس، فسبحان اللّه الخلاق العليم الذى احسن الخلق و التدبير، و جعل حبل الوريد العاتق، و هو يتصل من الحلق إلى العاتق هذا العرق الممتذ للإنسان من ناحيتى حلقه إلى عاتقه، و هو الموضع الذى يقع الرداء عليه لأنه يطلق الرداء من موضعه. قال رؤبة:

كان وريديه رشا خلب أى ليف. و قال الحسن: الوريد الوتين: و هو عرق معلق به القلب، فاللّه تعالى أقرب إلى المرء من قلبه. و قيل: المعنى و نحن أقرب اليه ممن كان بمنزلة حبل

---

(1) سورة 20 طه آية 120

(2) مر فى 4/ 397

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 364

الوريد فى القرب فى أنى أعلم به. و قيل: معناه أقرب إليه بما يدركه من حبل الوريد لو كان مدركاً. و قيل: و نحن أملك به من حبل الوريد فى الاستيلاء عليه، و ذلك أن حبل الوريد فى حيز غير حيزه. و اللّه تعالى مدرك بنفسه و مالك له بنفسه.

و قوله «إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ» (إذ) متعلقة بقوله «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ» حين يتلقى المتلقيان، يعنى الملكين الموكلين بالإنسان «عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ» أى عن يمينه و عن شماله. و إنما وحد «قعيد» لاحد وجهين:

أحدهما- إنه حذف من الأول لدلالة الثانى عليه، كما قال الشاعر:
نحن بما عندنا و انت بما عندک راض و الرأى مختلف «1»
أى نحن بما عندنا رضوان، فتقدير الآية عن اليمين قعيد، و عن الشمال قعيد
الثانى- إنه يكون القعيد على لفظ الواحد، و يصلح للاثنين و الجمع كالرسول لأنه من صفات المبالغة، و فيه معنى المصدر، كأنه قيل: ذو المراقبة. و قال مجاهد:
القعيد الرصيد، و قيل: عن اليمين ملک يكتب الحسنات، و عن الشمال ملک يكتب السيئات- فى قول الحسن و مجاهد- و قال الحسن: حتى إذا مات طويت صحيفة عمله و قيل له يوم القيامة «اقْرَأْ كِتابَکَ کَفى بِنَفْسِکَ الْيَوْمَ عَلَيْکَ حَسِيباً» «2» فقد عدل- و اللَّه- عليه من جعله حسيب نفسه. و قال الحسن: الحفظة أربعة: ملكان بالنهار و ملكان بالليل.
و قوله «ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» أى لا يتكلم بشىء من القول إلا و عنده حافظ يحفظ عليه، فالرقيب الحافظ و العتيد المعد للزوم الأمر.
و قوله «وَ جاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- جاءت السكرة بالحق من أمر الآخرة حتى عرفه صاحبه و اضطر اليه

---

(1) مر فى 1/ 172، 203، 263 و 5/ 346، 289 و 8/ 457
(2) سورة 17 الإسراء آية 14

و الآخر- و جاءت سكرة الموت بالحق الذى هو الموت. و
روى ان أبا بكر و ابن مسعود كانا يقرآن «و جاءت سكرة الحق بالموت» و هى قراءة أهل البيت عليهم السلام
و (سكرة الموت) غمرة الموت التى تأخذه عند نزع روحه فيصير بمنزلة السكران.
و قوله «ذلِکَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ» أى يقال له عند ذلک هذا الذى كنت منه تهرب و تروغ. و قوله «وَ نُفِخَ فِى الصُّورِ» قيل فيه وجهان:
أحدهما- إنه جمع صورة ينفخ اللَّه فى الصور بأن يحييها يوم القيامة.
الثانى- ان الصور قرن ينفخ إسرافيل فيه النفخة الأولى فيموت الخلق، و النفخة الثانية فيحيون يوم القيامة، و هو يوم الوعيد الذى وعد اللَّه أن يعاقب فيه من يكفر به و يعصى أمره، و يثيب من يؤمن به و يمتثل.

وَ جاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِيدٌ (21) لَقَدْ كُنْتَ فِی غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22) وَ قالَ قَرِينُهُ هذا ما لَدَیَّ عَتِيدٌ (23) أَلْقِيا فِی جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (25) خمس آيات.

يقول اللّه تعالى إن يوم الوعيد الذى بينه تجىء كل نفس من المكلفين «معها سائق» يسوقها «و شهيد» يشهد عليها، و هما ملكان أحدهما يسوقه و يحثه على السير، و الآخر يشهد عليه بما يعلمه من حاله و يشاهده منه و كتبه عليه، فهو يشهد بذلک على ما بينه اللّه و دبره. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 366

و قوله «لَقَدْ كُنْتَ فِی غَفْلَةٍ» أى يقال له «لَقَدْ كُنْتَ فِی غَفْلَةٍ» أى فى سهو و نسيان «من هذا» اليوم، فالغفلة ذهاب المعنى عن النفس، و ضده اليقظة.

و قوله «فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ» أى أزلنا الغطاء عنک حتى ظهر لک الأمر، و إنما تظهر الأمور فى الآخرة بما يخلق اللّه فيهم من العلوم الضرورية، فيصير بمنزلة كشف الغطاء عما يرى، و المراد به جميع المكلفين: برّهم و فاجرهم، لان معارف الجميع ضرورية، و قوله «فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» معناه إن عينک حادة النظر لا يدخل عليها شک و لا شبهة. و قيل: المعنى فعلمک بما كنت فيه من أحوال الدنيا نافذ ليس يراد به بصر العين، كما يقال: فلان بصير بالنحو أو بالفقه. و قال الرمانى:

حديد مشتق من الحد، و معناه منيع من الإدخال فى الشىء ما ليس منه و الإخراج عنه ما هو منه، و ذلک فى صفة رؤيته للأشياء فى الآخرة.

و قوله «وَ قالَ قَرِينُهُ» قال الحسن و قتادة و ابن زيد: يعنى الملک الشهيد عليه. و قال بعضهم: قرينه من الشياطين. و الأول الوجه «هذا ما لَدَیَّ عَتِيدٌ» أى معدّ محفوظ «أَلْقِيا فِی جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ» إنما قيل: ألقيا، لأن المأمور به إلقاء كل كافر فى النار اثنان من الملائكة. و قيل: يجوز ان يكون على لفظ الاثنين و المأمور واحد، لأنه بمنزلة إلقاء اثنين فى شدته، كما قال الشاعر:

فان تزجرانى يا بن عفان انزجر و إن تدعانى ام عرضاً ممنعا «1»

و الأول اظهر، و حكى الزجاج عن بعض النحويين: ان العرب تأمر الواحد بلفظ الاثنين تقول: قوما، و اقعدا، قال الحجاج: (يا حرسى اضربا عنقه) و إنما قالوا ذلک، لأن اكثر ما يتكلم به العرب فيمن تأمر به بلفظ الاثنين نحو خليلى مرابى على أم جندب «2»

---

(1) تفسير القرطبى 17/ 16
(2) قائله امرؤ القيس ديوانه 27 القصيدة 2
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 367
و قوله:
قفا نبک من ذکری حبیب و منزل «1» و قال المبرد هذا فعل مبنى للتأكيد، كأنه قال: ألق ألق، و العنيد الذاهب عن الحق و سبيل الرشد «مناع للخير» الذى أمر اللّه به من بذل المال فى وجوهه من الزكاة و غيرها، لأنه صفة ذم تعم منع الخير الذى يجب بذله. و يدخل فيه الأول على وجهه التبع «معتد» أى متجاوز للحق فى قوله و فعله (مريب) أى آت من المنكر بما يشكک فى أمره.

الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَأَلْقِياهُ فِي الْعَذابِ الشَّدِيدِ (26) قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ وَ لكِنْ كانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (27) قالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (28) ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَ ما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (29) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (30)
خمس آيات.
قرأ نافع و ابو بكر عن عاصم (يوم يقول) بالياء بمعنى يقول اللَّه تعالى (لجهنم) الباقون بالنون على وجه الاخبار من اللَّه عن نفسه و (يوم) متعلق بقوله (ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَ ما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) و قيل: إنه متعلق بمحذوف بتقدير (اذكر) يا محمد يوم، و قوله (الذى جعل) موضعه الجر، لأنه من صفة (كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ... الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ) أى اتخذ مع اللَّه معبوداً آخر من الأصنام و الأوثان، و وجه قرباته اليه. و الجعل تكوين الشىء على

---

(1) قائله امرؤ القيس ديوانه 43 قصيدة 53

غير ما كان بقادر عليه فمن جعل مع اللَّه إله آخر فقد صير ذلك الشىء على غير ما كان عليه باعتقاده انه إله آخر مع اللَّه و ذلك جهل منه عظيم و ذهاب عن الصواب بعيد، فيقول اللَّه للملكين الموكلين به يوم القيامة (ألقياه) أى اطرحاه (فِي الْعَذابِ الشَّدِيدِ) و الإلقاء الرمى بالشىء إلى جهة السفلى، و قولهم: ألقى عليه مسألة بمعنى طرحها عليه مشبه بذلك. و اصل إلقاء المماسة، و الالتقاء من هذا ففى الإلقاء طلب مماسة الشىء الأرض بالرمى (قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ) قال ابن عباس: قرينه- هاهنا- شيطانه. و به قال مجاهد و قتادة و الضحاك. و سمى قرينه لأنه يقرن به فى العذاب، و هو غير قرينه الذى معه يشهد عليه، و القرين نظير الشىء من جهة مصيره بإزائه.
حكى اللَّه عن شيطانه الذى أغواه انه يقول «ما أَطْغَيْتُهُ» فالاطغاء الإخراج إلى الطغيان، و هو تجاوز الحد فى الفساد أطغاه و طغى يطغى طغياناً، فهو طاغ.
و الاول مطغى. و قال الحسن: ما أطغيته باستكراه، و هو من دعاه إلى الطغيان.
و المعنى لم أجعله طاغياً «وَ لكِنْ كانَ» هو بسوء اختياره «فِي ضَلالٍ» عن الايمان «بَعِيدٍ» عن إتباعه. و مثله قوله «وَ ما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي» «1» فيقول اللَّه تعالى لهم «لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ»

أى لا يخاصم بعضكم بعضاً عندى (وَ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ) فى دار التكليف، فلم تنزجروا و خالفتم امرى (ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ) معناه إن الذى قدمته إليكم فى الدنيا من أنى أعاقب من جحدنى و كذب برسلى و خالفنى فى أمرى لا يبدل بغيره، و لا يكون خلافه (وَ ما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) أى لست بظالم لاحد فى عقابى لمن استحقه بل هو الظلام لنفسه بارتكاب المعاصى التى استحق بها ذلک. و إنما قال: بظلام للعبيد على وجه المبالغة رداً لقول من أضاف جميع الظلم اليه- تعالى اللَّه عن ذلک-.

---

(1) سورة 14 ابراهيم آية 22

و قوله (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ) من قرأ بالنون فعلى وجه الاخبار من اللَّه عن نفسه. و من قرأ- بالياء- و هو نافع و ابو بكر، فعلى تقدير يقول اللَّه لجهنم (هل امتلأت) من كثرة من ألقى فيک من العصاة (فتقول) جهنم (هل من مزيد) أى ما من مزيد؟؟ أى ليس يسعنى اكثر من ذلک. و قال قوم: هذا خطاب من اللَّه لخزنة جهنم على وجه التقريع و التقرير لهم هل امتلأت جهنم، فتقول الخزنة هل من مزيد؟ و قال قوم: و هو الأظهر إن الكلام خرج مخرج المثل أى ان جهنم من سعتها و عظمها فى ما يظهر من حالها بمنزلة الناطقة التى إذا قيل لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد أى لم أمتلئ اى فى سعه كثرة، و مثله قول الشاعر:

امتلأ الحوض و قال قطنى مهلا رويداً قد ملأت بطنى «1»

و الحوض لم يقل شيئاً، و إنما أخبر عن امتلائها و انها لو كانت ممن تنطق لقالت قطنى مهلا رويداً قد ملأت بطنى. و كذلک القول فى الآية. و قال الحسن و عمرو بن عبيد و واصل بن عطاء: معنى هل من مزيد ما من مزيد، و انه بمعنى لا مزيد و أنكروا أن يكون طلباً للزيادة، لقوله (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ) «2» و قال بعضهم: هذا ليس بمنكر من وجهين:

أحدهما- أن يكون ذلک حكاية عن الحال التى قبل دخول جميع اهل النار فيها و لم تمتلأ بعد و ان امتلأت فى ما بعد.

و الآخر- ان يكون طلب الزيادة بشرط ان يزاد فى سعتها. و قال قوم: هل من مزيد بمنزلة

قول النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله يوم فتح مكة و قد قيل له ألا تنزل داركَ، فقال (و هل ترک لنا عقيل من ربع)

لأنه كل قد باع دور بنى هاشم لما خرجوا

---

(1) مر فى 1/ 431 و 8/ 85، 369، 471

(2) سورة 11 هود آية 119 [.....]

إلى المدينة، و إنما أراد ان يقول: لم يترک لنا داراً. و قال انس بن مالک: هل من مزيد طلباً للزيادة. و قال مجاهد: هو بمعنى الكفاية.

وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31) هذا ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ وَ جاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (33) ادْخُلُوها بِسَلامٍ ذلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34) لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها وَ لَدَيْنا مَزِيدٌ (35)

خمس آيات

لما حكى اللَّه تعالى ما أعده للكافرين و العصاة من جهنم و عظم موضعها وسعتها أخبر عما أعده للمتقين المجتنبين لمعاصيه الفاعلين لطاعاته فقال (وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) و الازلاف التقريب إلى الخير، و منه الزلفة، و الزلفى. و يقولون:

أزدلف اليه أى اقترب و المزدلفة قريب من الموقف. و هو المشعر و جمع، و منه قول الراجز:

ناج طواه الأين مما و جفا طى الليالى زلفا فزلفا سماؤه الهلال حتى احقوقفا «1» و الجنة التى وعد اللَّه المتقين بها هى البستان الذى يجمع من اللذة ارفع كل نوع فى الزينة من الابنية الفاخرة بالياقوت و الزمرد و فاخر الجوهر، و من الأنهار و الأشجار و طيب الثمار و من الأزواج الكرام و الحور الحسان و كريم الخدم من الولدان الذين هم زينة لكل ناظر و متعة لكل مبصر، قد أمن أهلها العلة و انواع

---

(1) مر فى 6/ 79 و 8/ 29

الأذى من فضول الاطعمة و الاشربة، نسأل اللَّه حسن الاستعداد لها بالعمل الصالح المقرب منها الموجب لرضوان مالكها.

و قوله (غير بعيد) أى ليس ببعيد مجىء ذلک، لان كل آت قريب، و لذلک قال الحسن: كأنک بالدنيا لم تكن و بالآخرة لم تزل.

ثم قال (هذا ما تُوعَدُونَ) من قرأ بالتاء فعلى الخطاب أى هذا الذى ذكرناه هو ما وعدتم به من الثواب (لكل أواب) أى رجاع إلى اللَّه تائب اليه (حفيظ) لما أمر اللَّه به يتحفظ من الخروج الى مالا يجوز من سيئة تدنسه او خطيئة تحط منه و تشينه. و قال ابن زيد: الأواب التواب، و هو من آب يؤب اوباً إذا رجع.

و قوله (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ) فالخشية انزعاج القلب عند ذكر السيئة و داعى الشهوة حتى يكون فى أعظم حال من طلبه سبع يفترسه او عدو يأتى على نفسه او طعام مسموم يدعى إلى اكله هذه خشية الرحمن التى تنفعه و التى دعا اليها ربه و معنى (بالغيب) أى فى باطنه و سريرته (وَ جاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) أى راجع إلى اللَّه من أناب ينيب إنابة، و موضع (من) يحتمل

وجهين من الاعراب:
أحدهما- الجر على البدن من (كل) كأنه قيل لمن خشى.
و الثانى- الرفع على الاستئناف كأنه قال (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ) يقال لهم (ادْخُلُوها بِسَلامٍ) أى بأمان من كل مكروه و يحيون بذلك على وجه الإكرام.
و قوله (ذلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ) أى الوقت الذى يبقون فيه فى النعيم مؤبدين لا إلى غاية.
و قوله (لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها) أى ما يريدونه و يشتهونه يجعل لهم فيها (و لدينا مزيد) من نعم اللّه الذى يعطيهم زيادة على مقدار استحقاقهم بعملهم.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 372

وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِی الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِیصٍ (36) إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِمَنْ کانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَی السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِیدٌ (37) وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ وَ ما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ (38) فَاصْبِرْ عَلی ما یَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ (39) وَ مِنَ اللَّیْلِ فَسَبِّحْهُ وَ أَدْبارَ السُّجُودِ (40)

خمس آیات قرأ (و إدبار) بکسر الألف ابن کثیر و نافع و اهل الحجاز و حمزة علی المصدر من أدبر إدباراً، و تقدیره وقت إدبار السجود. و المصادر تجعل ظرفاً علی إرادة اضافة اسماء الزمان إلیها و حذفها، کقولهم جئتک مقدم الحاج و خوق النجم و نحو ذلک یریدون فی ذلک کله وقت کذا و کذا فحذفوه. الباقون بفتح الألف علی انه جمع (دبر):

یقول اللّه تعالی مخبراً (وَ کَمْ أَهْلَکْنا) و معناه و کثیراً أهلکنا و ذلک أن (کم) تکون استفهاماً تارة فی معنی الخبر للتکثیر و إنما خرجت عن الاستفهام إلی التکثیر لتکون نقیضة (رب) فی التقلیل و کانت أحق به، لأنها (اسم) مع احتمالها للتقلیل، فأما رب فی الکلام، فهی حرف یجری مجری حرف النفی، لان التقلیل أقرب إلی النفی، و إنما وجب ل (کم) صدر الکلام فی الخبر إعلاماً بأنها خرجت عن الاستفهام مع انها نقیضة (رب) التی هی بمنزلة حروف النفی، و دخلت (من) علی مفسر (کم) فی الخبر بمنزلة عدد یفسر بالمضاف کقولک عشر أثواب، و عشرة من الأثواب. فجاز حرف الاضافة

کما جازت الاضافة. و لیس کذلک عشرون درهماً، و جاز ان یفسر فی الخبر بالواحد و بالجمع: و القرن المقدار من الزمان الذی یقترن بالبقاء فیه أهله علی مجری العادة، و قال قوم: هو مائة و عشرون سنة. و قیل: ثمانون سنة و قال آخرون:

هو سبعون سنة. و قال قوم: أربعون سنة. و قیل ثلاثون سنة. و قیل: عشر سنین «هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً» أی الذین أهلکناهم مثل هؤلاء الکفار کانوا أشد قوة من هؤلاء و اکثر عدة کقوم عاد و غیرهم فلم یتعذر علینا ذلک، فما الذی یؤمن هؤلاء من مثل ذلک.

و قوله (فَنَقَّبُوا فِی الْبِلادِ) أی فتحوا مسالک فی البلاد بشدة بطشهم فالتنقیب التفتیح بما یصلح للسلوک من نقض البنیة، و منه النقب الفتح الذی یصلح للمسلک و قد یفتح اللّه علی العباد فی الرزق بأن یوسع علیهم فی رزقهم، و لا یصلح فیه النقب. و کل نقب فتح. و لیس کل فتح نقباً، فالنقب نقض موضع بما یصلح للسلوک. و قال مجاهد: نقبوا فی البلاد أی ضربوا فی الأرض ضرب جاعل المسالک بالنقب، قال امرؤ القیس:

لقد نقبت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب «1»
و قوله (هل من محيص) أى هل من محيد، و هو الذهاب فى ناحية عن الأمر للهرب منه، حاص يحيص حيصاً فهو حائص مثل حاد يحيد حيداً فهو حايد و المعنى إن أولئک الكفار الذين وصفهم بشدة البطش لما نزل بهم عذاب اللّه لم يكن لهم مهرب و لا محيص عنه. قيل هل من محيد من الموت، و منجاً من الهلاک.
قال الزجاج: هؤلاء الكفار طوفوا فى البلاد، فلم يجدوا مخلصاً من الموت.
و قوله (إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری) يعنى فى ما أخبرته و قصصته لک لذکرى أى

---

(1) ديوانه 48 و مجاز القرآن 2/ 224 الشاهد 836

ما يتفکر فيه و يعتبر به (لِمَنْ کانَ لَهُ قَلْبٌ) قيل معنى القلب- هاهنا- العقل من قولهم اين ذهب قلبک، و فلان ذاهب القلب، و فلان قلبه معه، و إنما قال (لِمَنْ کانَ لَهُ قَلْبٌ) لان من لا يعيى الذکر لا يعتد بما له من القلب.
و قوله (أَوْ أَلْقَی السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ) قال ابن عباس: معناه استمع و لم يشغل قلبه بغير ما يستمع، فهو شهيد لما يسمع و يفقهه غير غافل عنه، و هو قول مجاهد و الضحاک و سفيان، يقال ألق إلى سمعک أى استمع. و قال قتادة: و هو شهيد على صفة النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله فى الکتب السالفة، و هذا فى أهل الکتاب. و الأول اظهر.
ثم أقسم اللّه تعالى فقال (وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِی سِتَّةِ أَيَّامٍ) و قد مضى تفسير مثله فى غير موضع «1» (وَ ما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ) أى من نصب و تعب- فى قول ابن عباس و مجاهد- و اللغوب الاعياء. قال قتادة: أكذب اللّه تعالى بذلک اليهود، فإنهم قالوا: استراح اللّه يوم السبت، فهو عندهم يوم الراحة.
و قيل: إنما خلق اللّه السموات و الأرض و ما بينهما فى ستة أيام مع قدرته على ان يخلفهما فى وقت، لان فى ذلک لطفاً للملائكة حين شاهدوه يظهر حالا بعد حال و قيل: لأن فى الخبر بذلک لطفاً للمكلفين فى ما بعد إذا تصوروا أن ذلک يوجد شيئاً بعد شىء مع أدب النفس به فى ترک الاستعجال إذا جرى فى فعل اللّه لضروب من التدبير.
ثم قال لنبيه صَلى اللّهُ عَليه و آله (فاصبر) يا محمد (عَلى ما يَقُولُونَ) من قولهم: هو ساحر، و كذاب، و مجنون، و احتمل ذلک حتى يأتى اللّه بالفرج (وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ) أى نزهه عما لا يليق به (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) صلاة الفجر (وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ) صلاة العصر- فى قول قتادة و ابن زيد- (و من الليل) يعنى صلاة الليل يدخل

---

(1) انظر 4/ 451 و 5/ 385، 517 و 7/ 500 و 8/ 293 و 9/ 19

فيه صلاة المغرب و العتمة. و قال ابن زيد:
هو صلاة العتمة (وَ أَدْبارَ السُّجُودِ) الركعتان بعد المغرب- فى قول الحسن بن على عليهما السلام
و مجاهد و الشعبى و ابراهيم.
و قال الحسن (و قبل الغروب) صلاة الظهر و العصر. و قال الركعتان بعد المغرب تطوعاً. و قيل: التسبيح بعد الصلاة- عن ابن عباس و مجاهد- و قيل: النوافل- عن ابن زيد- و أصل التسبيح التنزيه للّه عن كل ما لا يجوز فى صفة، و سميت الصلاة تسبيحاً لما فيها من التسبيح، يقال: سبحان ربى العظيم، و
روى ايضاً أراد ب (ادبار السجود) الركعتان بعد المغرب. و أدبار النجوم الركعتان قبل طلوع الفجر.
و روى فى الشواذ عن أبى عمرو أنه قرأ «فنقبوا» بتخفيف القاف، و هى لغة فى التشديد. و رجل نقاب أى حاذق فظن عالم كان ابن عباس نقاباً، و النقبة الحرب و نقب خف البعير إذا انتقب و قرئ على لفظ الأمر و هو شاذ.

وَ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِ الْمُنادِ مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ (41) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ إِلَيْنَا الْمَصِيرُ (43) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِراعاً ذلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنا يَسِيرٌ (44) نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ (45)
خمس آيات.
قرأ ابن كثير (يوم تشقق) مشددة الشين على معنى تتشقق و حذف احدى التائين. و التشقق التفطير. يقول اللّه تعالى لنبيه عليه السلام و المراد به جميع المكلفين (و استمع) أى اصغ إلى النداء و توقعه (يوم ينادى المنادى) فالنداء الدعاء بطريقة التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 376
يا فلان، و كأن الناس يدعون فيقال لهم: يا معشر الناس قوموا إلى الموقف للجزاء و الحساب، و قيل: ينادى المنادى من الصخرة التى فى بيت المقدس، فلذلك قال (مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ) فيقول: يا أيها العظام البالية قومى لفصل القضاء و ما اعدّ من الجزاء- فى قول قتادة- (من مكان قريب) أى يسمع الخلق كلهم على حد واحد، فلا يخفى على احد لا قريب و لا بعيد.
و قوله (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ) فالصيحة المرة الواحدة من الصوت الشديد و نقيضها الخمدة تقول صاح يصيح صياحاً و صيحة، فهو صائح، و تصايح و تصايحوا فى الأمر تصايحا، و صيح تصييحاً و صايحه مصايحة، و هذه الصيحة هى النفخة الثانية للحشر إلى أرض الموقف (ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ).
و قوله (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ إِلَيْنَا الْمَصِيرُ) اخبار منه تعالى عن نفسه بأنه هو الذى يحيى الخلق بعد ان كانوا جماداً أمواتاً. ثم يميتهم بعد أن كانوا أحياء ثم يحييهم يوم القيامة و إلى اللّه يصيرون و يرجعون يوم القيامة (يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِراعاً) أى إلينا المصير فى اليوم الذى تشقق الأرض عن الأموات (سراعاً) أى بسرعة لا تأخير فيها ثم قال (ذلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنا يَسِيرٌ) أى سهل علينا غير شاق. و الحشر الجمع بالسوق من كل جهة.
ثم قال (نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ) يعنى هؤلاء الكفار من جحدهم نبوتك و إنكارهم البعث و النشور، لا يخفى علينا من أمرهم شىء (وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ) يا محمد (بجبار) قال الحسن: ما أنت عليهم برب تجازيهم بأعمالهم. و إنما أنا المجازى لهم. و قيل: و ما انت عليهم بفظ فى دعائهم إلى توحيد اللّه و إخلاص عبادته.
و الجبار العالى السلطان بأنه قادر على إذلال جميع العصاة بحسب الاستحقاق و هذه الصفة لا تصح إلا للّه تعالى وحده، فان وصف بها الإنسان كان ذماً، لأنه جعل التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 377
لنفسه من المقدرة ما ليس لها، و انشد الفضل:

عصينا حرمة الجبار حتى صبحنا الخوف الفاَ معلمينا «1»
و قيل (و ما أنت بجبار) أى لا تتجبر عليهم، قال الفراء: يجوز ان يكون لا يجبرهم على الإسلام يقال: جبرته على الامر و أجبرته بمعنى واحد. و قال غيره:
لم يسمع (فعال) من (أفعلت) إلا (دراک) من (أدركت) و يكون الجبار العالى السلطان على كل سلطان باستحقاق، و يكون العالى السلطان بادعاء.
ثم قال (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ) إنما خص بالتذكير من يخاف وعيد اللّه، لأنه الذى ينتفع به و إن كان تذكيره متوجهاً إلى جميع المكلفين. قال الزجاج:
إنما قال اللَّه للنبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله ذلک قبل ان يأمره بالقتال.

---

(1) تفسير الطبرى 26/ 103

اشارة

مکیة بلا خلاف. و هی ستون آیة بلا خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ الذَّارِياتِ ذَرْواً (1) فَالْحامِلاتِ وِقْراً (2) فَالْجارِياتِ يُسْراً (3) فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً (4)
إِنَّما تُوعَدُونَ لَصادِقٌ (5) وَ إِنَّ الدِّينَ لَواقِعٌ (6) وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ (7) إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (8) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (9)
قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (10) الَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ ساهُونَ (11) يَسْئَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (12) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (13) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (14)
أربع عشر آية.
روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام و ابن عباس (رحمة اللّه عليه) و مجاهد ان (الذاريات) الرياح يقال: ذرت الريح التراب تذروه ذرواً، و هى ذارية إذا طيرته و أذرت تذرى إذراء بمعنى واحد
و سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام و هو يخطب على المنبر (ما الذاريات ذرواً) قال: الرياح، قال ما التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 379
(الحاملات و قرأ) فقال السحاب. فقال ما (الجاريات يسراً) قال السفن.
و المعنى إنها تجرى سهلا، فقال ما (المقسمات أمراً) قال الملائكة.
و هو قول ابن عباس و مجاهد و الحسن، و هذا قسم من اللّه تعالى بهذه الأشياء. و قال قوم: التقدير القسم برب هذه الأشياء لأنه لا يجوز القسم إلا باللّه. و
قد روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السلام أنه لا يجوز القسم إلا باللّه. و اللّه تعالى يقسم بما يشاء من خلقه.
و قيل: الوجه فى القسم بالذاريات تعظيم ما فيها من العبرة فى هبوبها تارة و سكونها اخرى، و ذلک يقتضى مسكناً لها و محركاً لا يشبه الأجسام، و فى مجيئها وقت الحاجة لتنشئة السحاب و تذرية الطعام ما يقتضى مصرفاً لها قادراً عليها، و ما فى عصوفها تارة و لينها أخرى ما يقتضى قاهراً لها و لكل شىء سواها.
و الوجه فى القسم بالحاملات وقراً، ما فيه من الآيات الدالة على محمل حملها الماء و أمسكه من غير عماد و اغاث بمطره العباد و احيى البلاد و صرفه فى وقت الغنى عنه بما لو دام لصاروا إلى الهلاک، و لو انقطع أصلا، لاضربهم جميعاً. و الوجه فى القسم بالجاريات يسراً ما فيها من الدلائل و بتسخير البحر الملح و العذب بجريانها و تقدير الريح لها بما لو زاد لغرق و لو ركد لأهلک، و بما فى هداية النفوس إلى تدبير مصالحها و ما فى عظم

النفع بها فى ما ينقل من بلد إلى بلد بها.
و الوجه فى القسم بالملائكة ما فيها من اللطف و عظم الفائدة و جلالة المنزلة بتقسيم الأمور بأمر اللَّه تعالى من دفع الآفة عن ذا و اسلام ذاک و من كتب حسنات ذا و سيئات ذاک، و من قبض روح ذا و تأخير ذاک. و من الدعاء للمؤمنين و لعن الكافرين، و من استدعائهم إلى طريق الهدى و طلب ما هو أولى بصد داعى الشيطان و الهوى عد و الإنسان. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 380
و قوله (إِنَّما تُوعَدُونَ لَصادِقٌ) جواب القسم. و معناه إن الذى وعدتم به من الثواب و العقاب و الجنة و النار وعد صدق لا بد من كونه (وَ إِنَّ الدِّينَ لَواقِعٌ) معناه إن الجزاء لكائن يوم القيامة، و هذا يفيد ان من استحق عقاباً، فانه يجازى به و يدخل فى ذلک كل مستحق للعقاب، كأنه قال: إن جميع الجزاء واقع بأهله يوم القيامة فى الآخرة. ثم استأنف قسماً آخر فقال (وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ) فالحبک الطرائق التى تجرى على الشىء كالطرائق التى ترى فى السماء. و ترى فى الماء الصافى إذا مرت عليه الريح، و هو تكسر جار فيه. و يقال للشعر الجعد حبک و الواحد حبيک و حبيكة، و الحبک أثر الصنعة فى الشىء و استوائه، حبكه يحبكه و يحبكه حبكاً «وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ» أى ذات حسن الطرائق، و حبک الماء طرائفه قال زهير:
مكلل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحى مائه حبک «1»
و تحبكت المرأة بنطاقها إذا شدته فى وسطها، و ذلک زينة لها، و حبک السيف إذا قطع اللحم دون العظم، و قال الحسن و سعيد بن جبير: ذات الحبک ذات الزينة بالنجوم و الصنعة و الطرائق الحسنة. و قيل: الحبک النسج الحسن، يقال:
ثوب محبوک. و قوله (إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) معناه إنكم فى الحق لفى قول مختلف، لا يصح إلا واحد منه، و هو أمر النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و ما دعا اليه، و هو تكذيب فريق به و تصديق فريق. و دليل الحق ظاهر، و فائدته أن احد الفريقين فى هذا الاختلاف مبطل، لأنه اختلاف تناقض فاطلبوا الحق منه بدليله و إلا هلكتم. و قوله (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) معناه يصرف عنه من صرف، و منه قوله (أَ جِئْتَنا لِتَأْفِكَنا عَنْ آلِهَتِنا) «2» أى لتصرفنا، و تصدنا. و إنما قيل (يؤفک) عن الحق

---

(1) ديوانه 176 و مجاز القرآن 2/ 225 و القرطبى 17/ 32
(2) سورة 46 الأحقاف آية 22

لأنه يمكن فيه ذلک من غيره، و لا يمكن من نفسه، لان الحق يدعو إلى نفسه و لا يصرف عنها إلى خلافه.
و قوله (قتل الخراصون) معناه لعن الكذابون، و مثله (قُتِلَ الْإِنْسانُ ما

أكّفَرَهُ) «1» و الخراص الكذاب. و أصله الخرص و هو القطع منَ قولهم: خرص فلان كلامه و اخترصه إذا افتراه، لأنه اقتطعه من غير أصل. و الخرص جريد يشقق و يتخذ منه الحصر قال الشاعر:
ترى قصد المران فيهم كأنه تذرع خرصان بأيدى شواطب «2»
و الخرص حلقة القرط المنقطعة عن ملاصقة الاذن، و الخريص الخليج من من البحر، و الخرص الخرز من العدد و الكيل، و منه خارص النخل، و هو خارزه و جمعه خراص. و قوله (الَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ ساهُونَ) صفة للخراصين و موضعه رفع و تقديره فى غمرة ساهون عن الحق كقوله (طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ) «3» و الغمرة المرة من علو الشىء على ما هو فائض فيه، غمره الماء يغمره غمراً و غمرة، فهو غامر له، و الإنسان مغمور، و يقال: غمره الشغل و غمره الموت و غمره الحياء و غمره الجهل و أصل الغمرة من الغمر و هو السيد الكثير العطاء، لأنه يغمر بعطائه، و الغمر الفرس الكثير الجرى، لأنه يغمر بحريه، و الغمر الذى لم يجرب الأمور و الغمر الحقد و الغمرة رائحة الزهومة فى اليد، و غمار الناس مجتمعهم، و غمرة المرأة ما تطلى به من الطيب و غيره مما يحسن اللون، و الغمر القدح الصغير، و الغمر النبت الصغار، لأنه تغمره الكبار و المعنى ان هؤلاء الكفار لجهلهم بما يجب عليهم معرفته ساهون عما يلزمهم العلم به أى غافلون عن الحق متعامون عنه (يَسْئَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) يعنى يسأل

---

(1) سورة 80 عبس آية 7
(2) مر فى 4/ 269 مع اختلاف يسير
(3) سورة 9 التوبة آية 94 و سورة 16 النحل آية 108 و سورة 47 محمد آية 16

هؤلاء الكفار الذين وصفهم بالجهل و الغمرة: متى يوم الجزاء؟! على وجه الإنكار لذلک لا على وجه الاستفادة لمعرفته، فأجيبوا بما يسوءهم من الحق الذى لا محالة انه نازل بهم فقيل (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) أى يحرقون بالنار و يعذبون فيها و أصل الفتنة تخليص الذهب بإحراق الغش الذى فيه، فهؤلاء يفتنون بالإحراق كما يفتن الذهب. و منه قوله (وَ فَتَنَّاکَ فُتُوناً) «1» أى أخلصناک للحق، و رجل مفتون بالمرأة أى مخلص بحبها، و هى صفة ذم، (و فتناهم) أى اختبرناهم بما يطلب به خلاصهم للحق. و قيل: يفتنون أى يحرقون، كما يفتن الذهب فى النار- فى قول مجاهد و الضحاک- و قوله (يوم هم) يصلح أن يكون فى موضع رفع، لأنک أضفته إلى شيئين، و يصلح فيه النصب على الظرف و البناء، و كله على جواب (أيان) و قوله (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) معناه انه يقال للكفار الذين يعذبون

بها هذا الذی کنتم به تستعجلون فی دار التکلیف استبعاداً له، فقد حصلتم الآن فیه و عرفتم صحته،

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِی جَنَّاتٍ وَ عُیُونٍ (15) آخِذِینَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ کانُوا قَبْلَ ذلِکَ مُحْسِنِینَ (16) کانُوا قَلِیلاً مِنَ اللَّیْلِ ما یَهْجَعُونَ (17) وَ بِالْأَسْحارِ هُمْ یَسْتَغْفِرُونَ (18) وَ فِی أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ (19)
وَ فِی الْأَرْضِ آیاتٌ لِلْمُوقِنِینَ (20) وَ فِی أَنْفُسِکُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ (21) وَ فِی السَّماءِ رِزْقُکُمْ وَ ما تُوعَدُونَ (22) فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّکُمْ تَنْطِقُونَ (23)

---

(1) سورة 20 طه آیة 40

تسع آیات.
قرأ حمزة و الکسائی و ابو بکر عن عاصم (لحقَ مثل) بالرفع على أنه صفة للحق الباقون بالنصب، و یحتمل نصبه وجهین:
أحدهما- قول الجرمی أن یکون نصباً على الحال، کأنه قیل: حق مشبهاً لنطقکم فی الثبوت.
الثانی- قال المازنی إن (مثل) مبنی، لأنه مبهم أضیف إلى مبنی، کما قال الشاعر:
لم یمنع الشرب منها غیر أن نطقت حمامة فی غصون ذات او قال «1»
و قال: فجعل (مثل) مع (ما) کالأمر الواحد، کما قال (لا ریب فیه) «2» و قولهم: خمسة عشر، فیکون على هذا (ما) زائدة و أضاف (مثل) إلى (إنکم تنطقون) فبناه على الفتح حین أضافه إلى المبنی، و لو کان مضافاً إلى معرب لم یجز البناء نحو: مثل زید. و قیل: یجوز أن یکون نصباً على المصدر، و کأنه قال إنه لحق حقاً کنطقکم.
لما حکى اللّه تعالى حکم الکفار و ما أعده لهم انواع العذاب، أخبر بما أعده للمؤمنین المطیعین الذین یتقون معاصی اللّه خوفاً من عقابه، و یفعلون ما أوجبه علیهم فقال (إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی جَنَّاتٍ وَ عُیُونٍ) أی فی بساتین تجنها الأشجار (و عیون) ماء تجری لهم فی جنة الخلد، فهؤلاء ینعمون و أولئک یعذبون (آخِذِینَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ) من کرامته و ثوابه بمعنى آخذین ما أعطاهم اللّه من ذلک و نصب (آخذین) على الحال (إِنَّهُمْ کانُوا قَبْلَ ذلِکَ مُحْسِنِینَ) یفعلون الطاعات و ینعمون على غیرهم

---

(1) مر فی 4/ 479
(2) سورة 2 البقرة آیة 1

بضروب الإحسان، ثم وصفهم فقال (كانوا) يعنى المتقين الذين وعدهم بالجنات (قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) فى دار التكليف أى كان هجوعهم قليلا- فى قول الزهرى و إبراهيم- و قال الحسن: (ما) صلة و تقديره كانوا قليلا يهجعون، و قال قتادة: لا ينامون عن العتمة ينتظرونها لوقتها، كأنه قيل هجوعهم قليلا فى جنب يقظتهم للصلاة و العبادة. و قال الضحاك: تقديره كانوا قبل ذلک محسنين كانوا قليلا، ثم ابتدأ فقال (مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) و تكون (ما) بمعنى النفى و المعنى إنهم كانوا يحيون الليل بالقيام فى الصلاة و قراءة القرآن و غير ذلک. و لا يجوز ان تكون (ما) جحدا لأنه لا يقدم عليها معمولها. و الهجوع النوم- فى قول قتادة و ابن عباس و إبراهيم و الضحاک (وَ بِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) أى يطلبون من اللّه المغفرة و الستر لذنوبهم فى قول الحسن و ابن زيد- و قال مجاهد: معناه يصلون فى السحر.
و قوله (وَ فِى أَمْوالِهِمْ حَقٌّ) و هو ما يلزمهم لزوم الديون من الزكوات و غير ذلک أو ما التزموه من مكارم الأخلاق، فهو الذى رغب اللّه فيه بقوله (وَ فِى أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ) فالسائل هو الذى يسأل الناس، و المحروم هو المحارف- فى قول ابن عباس و مجاهد و الضحاک- و قال قتادة و الزهرى: المحروم هو المتعفف الذى لا يسأل. و قال إبراهيم: المحروم الذى لا سهم له فى الغنيمة. و قيل: المحروم الممنوع الرزق بترک السؤال أو إذهاب مال او سقوط سهم او خراب ضيعة إذا صار فقيراً من هذه الجهة. و قال الشعبى: اعيانى أن أعلم ما المحروم. و فرق قوم بين الفقير و المحروم بأنه قد يحرمه الناس بترک الإعطاء، و قد يحرم نفسه بترک السؤال، فإذا سأل لا يكون ممن حرم نفسه بترک السؤال، و إنما حرمه الغير، و إذا لم يسأل فقد حرم نفسه و حرمه الناس.
و قوله (وَ فِى الْأَرْضِ آياتٌ) أى دلالات واضحات و حجج نيرات (للموقنين)

الذين يتحققون بتوحيد اللّه، و إنما أضافها إلى الموقنين، لأنهم الذين نظروا فيها و حصل لهم العلم بموجبها و آيات الأرض جبالها و نباتها و معادنها و بحارها، و وقوفها بلا عمد لتصرف الخلق عليها.
و قوله (وَ فِى أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ) معناه و فى أنفسكم أفلا تتفكرون بأن تروها مصرّفة من حال إلى حال و منتقلة من صفة إلى أخرى، فكنتم نطفاً فصرتم أحياء ثم كنتم أطفالا فصرتم شباباً، ثم صرتم كهولا و كنتم ضعفاء فصرتم أقوياء، فهلا دلكم ذلک على ان لها صانعاً صنعها و مدبراً دبرها يصرفها على ما تقتضيه الحكمة و يدبرها بحسب ما توجبه المصلحة. و قيل: المعنى أ فلا تبصرون بقلوبكم نظر من كأنه يرى الحق بعينه.
و قوله (وَ فِى السَّماءِ رِزْقُكُمْ) ينزله اللّه إليكم بأن يرسل عليكم الغيث و المطر فيخرج به من الأرض أنواع ما تقتاتونه و تلبسونه و تنتفعون به (و ما توعدون) به من العذاب ينزله اللّه عليكم إذا استحققتموه، و قال الضحاک:

و فى السماء رزقكم يعنى المطر الذى هو سبب كل خير و هو من الرزق الذى قسمه اللَّه و كتبه للعبد فى السماء. و قال مجاهد: و ما توعدون يعنى من خير او شر، و قيل و ما توعدون الجنة، لأنها فى السماء الرابعة.
ثم قال تعالى (فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ) قسما منه تعالى (إنه لحق) و معناه إن ما وعدتكم به من الثواب و العقابَ و الجنة و النار لا بد من كونه «مثل ما تنطقون» أى مثل نطقكم الذى تنطقون به فكما لا تشكون فى ما تنطقون، فكذلك لا تشكوا فى حصول ما وعدتكم به. و قيل الفرق بين قوله «لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ» و بين ما تنطقون مثل الفرق بين أحق منطقك و بين أحق إنك تنطق أى أحق إنك ممن التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 386
ينطق، و لم يثبت له نطقاً. و الاول قد أثبته إلا أنه قال: أحق هو أم باطل، ذكره الفراء. و معنى الآية أن هذا القرآن و أمر محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله و ما توعدون به من أرزاقكم حق ككلامكم، كقول القائل: إنه لحق مثل ما أنت هاهنا أى كما أنت هاهنا. و قال الفراء: و إنما جمع بين (ما) و (إن) مع انه يكتفى بأحدهما، كما يجمع بين اللائى و الذين، و أحدهما يجزى عن الآخر قال الشاعر:
من النفر اللائى و الذين إذا هم يهاب اللئام حلقة الباب قعقعوا «1»
فجمع بين اللائى و الذين، و لو أفرده ب (ما) لكان المنطق فى نفسه حقاً، و لم يرد ذلك، و إنما أراد أنه لحق كما حق أن الآدمى ناطق، أ لا ترى ان قولك أ حق منطقك معناه أحق هو أم كذب، و قولك أحق إنك تنطق معناه إن للإنسان النطق لا لغيره، فأدخلت (أن) ليفرق بين المعنيين. قال و هذا أعجب الوجهين إلىّ

هَلْ أَتاکَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (25) فَراغَ إِلى أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قالَ أَ لا تَأْكُلُونَ (27) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ وَ بَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (28)
فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَها وَ قالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (29) قالُوا كَذلِكَ قالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (30)
سبع آيات.
يقول اللَّه تعالى لنبيه صَلى اللَّهُ عَليه و آله «هَلْ أَتاکَ» يا محمد «حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ الْمُكْرَمِينَ»

---

(1) تفسير الطبرى 26/ 113
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 387
قال الحسن: يعنى المكرمين عند اللَّه. و قيل: أكرمهم إبراهيم برفع مجالسهم فى الإكرام و الإعظام الذى يسر بالإحسان. و الإجلال هو الإعظام بالإحسان، و كذلک يلزم إعظام اللَّه و إجلاله فى جميع صفاته، و لا يجوز مثل ذلک فى الإكرام، و لكن اللَّه يكرم أنبياءه و المؤمنين على طاعتهم.
و قوله «إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ» يعنى حين دخلوا على إبراهيم «فَقالُوا» له «سَلاماً» على وجه التحية له أى اسلم سلاماً «ف قالَ» لهم جواباً عن ذلک «سَلامٌ» و قرئ سلم، فلما ارتاب عليه السلام بهم قال «قَوْمٌ مُنْكَرُونَ» أى أنتم قوم منكرون، و الإنكار بنفى صحة الأمن و نقيضه الإقرار، و مثله الاعتراف. و إنما قال: منكرون، لأنه لم يكن يعرف مثلهم فى أضيافه، و سماهم اللَّه أضيافا، لأنهم جاءوه فى صفة الأضياف و على وجه مجيئهم. و معنى (سلاماً) أى اسلم سلاماً، و قوله «قالَ سَلامٌ» أى سلام لنا. و قوله «فَراغَ إِلى أَهْلِهِ» أى ذهب اليهم خفياً، فالروغ الذهاب فى خفى، راغ يروغ روغاً و روغاناً، و راوغه مراوغة و رواغاً، و أراغه على كذا إذا أراده عليه فى خفى أنفاً من رده. و قوله «فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ» فالعجل واحد البقر الصغير مأخوذ من تعجيل أمره بقرب ميلاده، و سمى عجولا و جمعه عجاجيل. و قال قتادة: كان عامة مال نبى اللَّه إبراهيم عليه السلام البقر. و السمين الكثير الشحم على اللحم، سمن يسمن سمناً، و سمنه تسميناً و اسمنه اسماناً و تسمن تسمناً، و نقيض السمن الهزال. و قوله «فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ» أى أدناه لهم و قدمه بين أيديهم و قال لهم: كلوه، فلما رآهم لا يأكلون عرض عليهم ف «قالَ أَ لا تَأْكُلُونَ» و فى الكلام حذف، لان تقديره فقدمه اليهم فأمسكوا عن الاكل فقال ألا تأكلون فلما امتنعوا من الأكل «فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً» أى خاف منهم

و ظن أنهم يريدون به سوء، فالايجاس الاحساس بالشىء خفياً، أوجس يوجس إيجاساً و توجس توجساً. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 388
و منه قوله «فَأَوْجَسَ فِی نَفْسِهِ خِیفَةً مُوسی» «1» فقالت حينئذ له الملائكة «لا تَخَفْ» يا إبراهيم فانا رسل اللَّه و ملائكته أرسلنا اللَّه إلى قوم لوط لنهلكهم. و قيل: إنهم دعوا اللَّه فأحيا العجل له فعلم إبراهيم عند ذلک انهم من الملائكة عليهم السلام «وَ بَشَّرُوهُ» عند ذلک «بِغُلامٍ عَلِيمٍ» أى يكون عالماً إذا كبر و بلغ. قال مجاهد: المبشر به إسماعيل. و قال غيره: هو إسحاق، لأنه من سارة، و هذه القصة لها لا لهاجر، سمعت البشارة امرأته سارة «فأقبلت فى صرة» يعنى فى صيحة- فى قول ابن عباس و مجاهد و سفيان- و قال مجاهد و سفيان أيضاً فى رنة «فَصَكَّتْ وَجْهَها» قال ابن عباس لطمت وجهها. و قال السدى: ضربت وجهها تعجباً، و هو قول مجاهد و سفيان، فالصک الضرب باعتماد شديد «وَ قالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ» فالتقدير أنا عجوز عقيم كيف ألد؟! و العقيم الممتنعة من الولادة لكبر او آفة. و قال الحسن: العقيم العاقر. و أصل العقيم الشدة مما جاء فى الحديث (يعقم أصلاب المشركين) أى يشد، فلا يستطيعون السجود، و داء عقام إذا أعيا، اى اشتد حتى أيأس ان يبرأ، و معاقم الفرس مفاصله يشد بعضها إلى بعض، و العقم و العقمة ثياب معلمة أى شدت بها الاعلام، و عقمت المرأة، فهى معقومة و عقيم، و قالوا عقمت ايضاً و رجل عقيم مثل المرأة من قوم عقيمين و الريح العقيم التى لا تنشئ السحاب للمطر، و الملک عقيم يقطع الولاء لان الابن يقتل أباه على الملک، فقالت الملائكة عند ذلک لها «كَذلِکَ» أى مثل ما بشرناک به «قالَ رَبُّکِ» ما بشرناک به فلا تشک فيه «إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ» فى أفعاله «الْعَلِيمُ» بخفايا الأمور لا يخفى عليه خافية و المعنى كما ان إخبارنا و بشارتنا لا شک فيه، كذلک قال اللَّه ما بشرناک به.

---

(1) سورة 20 طه آية 67 [.....]

قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (31) قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (32) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ (33) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (34) فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35)
فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (36) وَ تَرَكْنا فِيها آيَةً لِلَّذِينَ يَخافُونَ الْعَذابَ الْأَلِيمَ (37)
سبع آيات.
لما سمع إبراهيم عليه السلام بشرى الملائكة له بالغلام العليم، و علم أنهم ليسوا ببشر و لا أضياف «قالَ» لهم «فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ» أى ما شأنكم. و الخطب هو الأمر الجليل، فكأنه قال قد بعثتم لأمر جليل، فما هو؟ و منه الخطبة، لأنها كلام بليغ لعقد أمر جليل تستفتح بالتحميد و التمجيد. و الخطاب أجل من الإبلاغ.
و قوله «أيها» لا يثنى و لا يجمع لأنه مبهم يقتضى البيان عنه ما بعده من غير أن يلزم ما قبله، كما يلزم (الذى و هذا) كقولك مررت بالرجلين هذين، فتبعه فى تثنيته، كما تبعه فى اعرابه.
فأجابته الملائكة فقالوا «إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ» عاصين للَّه كافرين لنعمه استحقوا العقاب و الهلاك «لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ» فالمسرف المكثر من المعاصى، و هو صفة ذم، لأنه خروج عن الحق.
و نقيض الإسراف الإقتار، و هو التقصير عن بلوغ الحق. و ليس فى الإكثار من طاعة اللَّه سرف، و لا فى نعمه إقتار، لأنه سائغ على مقتضى الحكمة، و إرسال الرسول إطلاقه بالأمر إلى المصير إلى من أرسل اليه، فالملائكة أمروا بالمصير إلى التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 390
قوم لوط لاهلاكهم و إرسال الحجارة إطلاقها. و ليست برسل و لكن مرسلة.
و المسومة المعلمة بعلامات ظاهرة للحاسة، لان التسويم كالسيماء فى انه يرجع إلى العلامة الظاهرة من قولهم: عليه سيماء الخير. و منه قوله «يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» و المجرم القاطع للواجب بالباطل، فهؤلاء أجرموا بقطع الايمان بالكفر. و أصل الصفة القطع.
و قال ابن عباس: التسويم نقطة فى الحجر الأسود بيضاء، او نقطة سوداء فى الحجر الأبيض. و قيل: كان عليها أمثال الخواتيم و قوله «حِجارَةً مِنْ طِينٍ» أى أصلها الطين لا حجارة البرد التى أصلها الماء.
و المسومة هى المعلمة بعلامة يعرفها بها الملائكة أنها مما ينبغى أن يرمى بها الكفرة عند أمر اللَّه بذلك. و قيل: حجارة من طين كأنها آجر- فى قول

ابن عباس- و قال الحسن: مسومة بأنها من حجارة العذاب. و قيل: مسومة بأن جعل على كل حجر اسم من يهلك به.
و قوله «فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى أخرجنا من كان فى قرية لوط من المؤمنين، نحو لوط و أهله و خلصناهم من العذاب و الإهلاک. و قوله «فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» يدل على ان الإسلام هو الايمان و الايمان هو التصديق بجميع ما أوجب اللَّه التصديق به. و الإسلام هو الاستسلام لوجوب عمل الفرض الذى أوجبه اللَّه و الزمه. و المسلم هو المخلص لعمل الفرض على ما أمر اللَّه به، لان صفة (مسلم) كصفة مؤمن فى انها مدح. و البيت الذى وجده فى تلک القرية من المؤمنين هم أتباع لوط و وجدان الضالة هو إدراكها بعد طلبها، و وجدت الموجدة إدراک ما يوجب العتاب و الأئمة فى القلب، و وجدت المال أجده أدركت ملكاً لى كثيراً، و وجدت زيداً الصالح بمعنى علمته، و وجدت الضالة وجداناً. و البيت هو البناء المهيأ للايواء اليه و المبيت فيه. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 391
و قوله «وَ تَرَكْنا فِيها آيَةً» فالترک فى الأصل ضد الفعل ينافى الأخذ فى محل القدرة عليه، و القدرة عليه قدرة على الأخذ. و المعنى فى الآية أبقينا فيها آية، و مثله قوله «وَ تَرَكَهُمْ فِى ظُلُماتٍ» «1» بمعنى لم ينفها مع انه قادر على نفيها، و فلان ترک السوق أى قطعها بأن صار لا يمضى اليها. و معنى «تَرَكْنا فِيها آيَةً» بمنزلة ما فعل ضد ما تنافيه الآية. و قيل: إن الآية اقتلاع البلدان لا يقدر عليه إلا اللَّه تعالى و قوله «لِلَّذِينَ يَخافُونَ الْعَذابَ الْأَلِيمَ» إنما خص الخائفين من العذاب الأليم بالآية لأنهم الذين يعتبرون بها و ينتفعون بها.

وَ فِی مُوسی إِذْ أَرْسَلْناهُ إِلی فِرْعَوْنَ بِسُلْطانٍ مُبِینٍ (38) فَتَوَلَّی بِرُکْنِهِ وَ قالَ ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (39) فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِی الْیَمِّ وَ هُوَ مُلِیمٌ (40) وَ فِی عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَیْهِمُ الرِّیحَ الْعَقِیمَ (41) ما تَذَرُ مِنْ شَیْءٍ أَتَتْ عَلَیْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ کَالرَّمِیمِ (42)
وَ فِی ثَمُودَ إِذْ قِیلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّی حِینٍ (43) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَ هُمْ یَنْظُرُونَ (44) فَمَا اسْتَطاعُوا مِنْ قِیامٍ وَ ما کانُوا مُنْتَصِرِینَ (45)
ثمان آیات.
قرأ الکسائی «الصعقة» الباقون «الصاعقة»، فالصعقة مصدر صعق یصعق صعقاً و صعقة واحدة. و الصاعقة الاسم تقول: صاقعة و صاعقة مقدماً و مؤخراً،

---

(1) سورة 2 البقرة آیة 17

و صواعق و صواقع، و قیل: هما لغتان.
قوله «وَ فِی مُوسی» عطف علی قوله «وَ تَرَکْنا فِیها آیَةً» فکأنه قال:
و ترکنا فی موسی آیة حین أرسلناه إلی فرعون بسلطان مبین أی بحجة ظاهرة «فَتَوَلَّی بِرُکْنِهِ» قال ابن عباس و قتادة و مجاهد: معناه بقوته. و قیل: معناه تولی بما کان یتقوی به من جنده و ملکه. و الرکن الجانب الذی یعتمد علیه. و المعنی ان فرعون أعرض عن حجة موسی و لم ینظر فیها بقوته فی نفسه «وَ قالَ ساحِرٌ» أی هو ساحر «أَوْ مَجْنُونٌ» فالسحر حیلة توهم المعجزة بحال خفیة. و أصله خفاء الأمر فمنه السحر الوقت الذی یخفی فیه الشخص. و السحر الرئة لخفاء سببها فی الترویح عن القلب بها. و السحارة لخفاء السبب فی تلون خیطها. و المجنون الذی أصابته جنة فذهب عقله. و قال الزجاج (او) هاهنا بمعنی الواو، و التقدیر ساحر و مجنون. و قال غیره: فی ذلک دلالة علی عظم جهل فرعون، لان الساحر هو اللطیف الحیلة و ذلک ینافی صفة المجنون المختلط العقل، فکیف یوصف شخص واحد بهاتین الصفتین فقال اللّه تعالی مخبراً عن نفسهَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ»
یعنی إنا نبذنا فرعون و جنودهِی الْیَمِّ»
أی طرحناه فی البحر کما یلقی الشیء فی البرَ هُوَ مُلِیمٌ»
أی آت بما یلام علیه من الکفر و الجحود و العتو و التجبر و التکبر واحد. و الملوم الذی وقع به اللوم، و المایم الذی أتی بما یلام علیه.

و قوله «وَ فِی عادٍ» عطف ایضاً علی قوله «وَ تَرَکْنا فِیها» أی و ترکنا فی عاد أیضاً آیة أی دلالة فیها عظة «إِذْ أَرْسَلْنا» أی أطلقنا «عَلَیْهِمُ الرِّیحَ الْعَقِیمَ» و هی التی عقمت عن ان تأتی بخیر من تنشئة سحاب او تلقیح شجرة أو تذریة طعام او نفع حیوان، فهی کالممنوعة من الولادة. و جمع الریح أرواح و ریاح، و منه راح الرجل إلی منزله أی رجع کالریح، و الراحة قطع العمل المتعب. و قال ابن عباس: التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 393
الریح العقیم التی لا تلقح الشجر و لا تنشئ السحاب. و
روی عن النبی صَلی اللَّهُ عَلیه و آله أنه قال (نصرت بالصبا و أهلکت عاد بالدبور).
و قوله «ما تَذَرُ مِنْ شَیْءٍ أَتَتْ عَلَیْهِ» أی لم تترک هذه الریح شیئاً تمر علیه «إِلَّا جَعَلَتْهُ کَالرَّمِیمِ» و هو السحیق الذی انتفی رمه بانتفاء ملاءمة بعضه لبعض، و أما رمه یرمه رماً فهو رام له و الشیء مرموم فهو المصلح بملاءمة بعضه لبعض، و هو اصل الرمیم الذی رمه بنقصه. و قیل: الرمیم الذی دیس من یابس النبات.
و قیل: الرمیم العظم البالی المنسحق.
و قوله «وَ فِی ثَمُودَ إِذْ قِیلَ لَهُمْ» أیضا عطف علی قوله «وَ تَرَکْنا فِیها آیَةً... وَ فِی ثَمُودَ» و هم قوم صالح لما کفروا و جحدوا نبوة صالح و عقروا ناقة اللَّه و استحقوا الإهلاک «قِیلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّی حِینٍ» أی انتفعوا فی اسباب اللذات من المناظر الحسنة و الروائح الطیبة و الأصوات السجیة و کل ما فیه منفعة علی هذه الصفة «حَتَّی حِینٍ» أی إلی حین قدر اللَّه ابقاءکم الیه.
و قیل: إلی حین آجالکم إن أطعتم اللَّه- فی قول الحسن- «فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ» فالعتو الامتناع عن الحق، و هو الجفاء عنه ترفعاً عن إتباع الداعی الیه «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَ هُمْ یَنْظُرُونَ» أی أرسل اللَّه الیهم الصاعقة التی أهلکتهم و أحرقتهم و هم یبصرونها «فَمَا اسْتَطاعُوا مِنْ قِیامٍ» أی لم یقدروا علی النهوض به «وَ ما کانُوا مُنْتَصِرِینَ» أی طالبین ناصراً یمنعهم من عذاب اللَّه- عز و جل- و قرأ الکسائی «الصعقة» بغیر الف. و قد بیناه.

وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ (46) وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ (47) وَ الْأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الْماهِدُونَ (48) وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (50)
وَ لا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (51) كَذلِكَ ما أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52) أَ تَواصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ (53) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ (54) وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (55)
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 394
عشر آيات.
قرأ ابو عمرو و حمزة و الكسائى «و قوم نوح» جرا عطفا على قوله «و فى عاد» و تقديره و فى قوم نوح آية. الباقون بالنصب على تقدير و أهلكنا قوم نوح، و يحتمل ان يكون على تقدير فأخذت صاعقة العذاب قوم نوح، إذ العرب تسمى كل عذاب مهلك صاعقة، الثالث على تقدير: و اذكر قوم نوح، كقوله «وَ إِبْراهِيمَ الَّذِى وَفَّى» «1» و القوم الجماعة الذين من شأنهم أن يقوموا بالأمر، و اضافتهم اليه تقتضى انه منهم فى النسب. و لم يفرد ل (قوم) واحد ثم بين لما أهلكهم فقال «إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ» خارجين من طاعة اللَّه- عز و جل- إلى الكفر باللَّه فاستحقوا لذلك الإهلاك.
و قوله «وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ» معناه بقوة- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابن زيد- و الايدى القوة، و وجه اتصال قوله «وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ» بما قبله

---

(1) سورة 53 النجم آية 37
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 395
و هو ان فى قوم نوح آية و فى السماء أيضاً آية فهو متصل به فى المعنى.
و قوله «وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- قال الحسن: التوسعة فى الرزق بالمطر- الثانى- قال ابن زيد: بقوة و إنا لموسعون السماء. الثالث- انا لقادرون على الاتساع بأكثر من اتساع السماء.
و الاتساع الإكثار من إذهاب الشىء فى الجهات بما يمكن أن يكون اكثر مما فى غيره يقال أوسع يوسع ايساعاً، فهو موسع. و اللَّه تعالى قد أوسع السماء بما لا بناء أوسع منه و ايساع الرحمة هو الإكثار منها بما يعم.
و قوله «وَ الْأَرْضَ فَرَشْناها» عطف على قوله «وَ السَّماءَ بَنَيْناها» و تقديره

و بنينا السماء بيناها و فرشنا الأرض فرشناها أى بسطناها «فَنِعْمَ الْماهِدُونَ» و الماهد الموطئ للشىء المهىء لما يصلح الاستقرار عليه، مهد يمهد مهداً، فهو ماهد و مهد تمهيداً، مثل وطأ توطئة.
و قوله «وَ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ» معناه خلقنا من كل شىء اثنين مثل الليل و النهار، و الشمس و القمر و الأرض و السماء، و الجن و الانس- فى قول الحسن و مجاهد- و قال ابن زيد «خَلَقْنا زَوْجَيْنِ» الذكر و الأنثى. و فى ذلك تذكير بالعبرة فى تصريف الخلق و النعمة فى المنفعة و المصلحة «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» معناه لتتذكروا و تفكروا فيه و تعتبروا به.
و قوله «فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ» أى فاهربوا الى اللَّه من عقابه الى رحمته بإخلاص العبادة له. و قيل: معناه ففروا الى اللَّه بترك جميع ما يشغلكم عن طاعته و يقطعكم عما أمركم به «إِنِّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ» مخوف من عقابه «مبين» عما أوجب عليكم من طاعته.
ثم نهاهم فقال «وَ لا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ» أى لا تعبدوا معه معبوداً

آخر من الأصنام و الأوثان «إِنِّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ» أى من اللَّه مخوف من عقابه مظهر ما أوجب عليكم و أمركم به. و قيل: الوجه فى تكرار (إِنَّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) هو ان الثانى منعقد بغير ما انعقد به الاول إذ تقديره انى لكم منه نذير مبين فى الامتناع من جعل اله آخر معه، و تقدير الاول انى لكم منه نذير مبين فى ترك الفرار اليه بطاعته فهو كقولك: أنذرك أن تكفر باللَّه أنذرك ان تتعرض لسخط اللَّه، و يجوز أن يقول اللَّه و لا تجعلوا مع اللَّه قديماً آخر، كما قال (وَ لا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلهاً) لان جعلهم ذلك باعتقادهم إلهاً معه او اظهارهم انه مذهب لهم. و لا يجوز ان يقول: لا تكونوا قدماء مع اللَّه لأنه نهى عما لا يمكن، و هو محال، و كذلك لا يجوز ان يقول لا تصيروا قدماء و لا آلهة، لأنه محال.
و النذير هو المخبر بما يحذر منه و يصرف عنه و هو يقتضى المبالغة. و المنذر صفة جارية على الفعل تقول: انذر ينذر إنذاراً، فهو منذر، و نذره أى علم به و استعد له و المبين الذى يأتى ببيان الحق من الباطل.
ثم قال مثل ما أوتى هؤلاء الكفار نبى فكذبوه (كَذلِكَ ما أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم (رَسُولٍ إِلَّا قالُوا) هو (ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) فالساحر هو الذى يحتال بالحيل اللطيفة. و المجنون الذى به جنون. و إنما قال الجهال ذلك فى الرسل لان الاقدام عندهم على إنكار عبادة الأوثان لا يكفى فيه الشبهة دون الجنة، فالمجنون المغطى على عقله بما لا يتوجه للإدراك به، فكذلك شبه حال قريش فى التكذيب بحال الأمم حتى قالوا: ساحر او مجنون. و إنما جاز منهم الاتفاق على تكذيب الرسل من غير تواص و لا تلاق، لان الشبهة الداعية اليه واحدة.
و قوله (أ تواصوا) فالتواصى هو إيصاء بعض القوم إلى بعض بوصية، و

الوصية التقدمة فى الأمر بالأشياء المهمة مع النهى عن المخالفة، كالوصية بقضاء الدين ورد التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 397
الوديعة و الحج و الصدقة و غير ذلک، فكأن هؤلاء الجهال قد تواصوا بعبادة الأوثان بما هم عليه من الملازمة و شدة المحافظة و صورة الكلام صورة الاستفهام و المراد به الإنكار و التوبيخ.
و قوله (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ) معناه لم يتواصوا بذلک لكنهم طاغون طغوا فى معصية اللّه و خرجوا عن الحد.
ثم قال للنبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله (فتول عنهم) أى اعرض عنهم يا محمد- فى قول مجاهد- (فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ) فى كفرهم و جحودهم بل اللائمة و الذم عليهم من حيث لا يقبلون ما تدعوهم اليه، و ليس المراد أعرض عن تذكيرهم و وعظهم، و إنما أراد أعرض عن مكافأتهم و مقابلتهم و مباراتهم و ما أنت فى ذلک بملوم (و ذكر) بالموعظة (فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) الذين يتعظون بمواعظ اللّه و يستدلون بآياته. قال حسين بن صمصم.
أما بنو عبس فان هجينهم ولى فوارسه و أفلت أعورا «1»

وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (56) ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ ما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ (59) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِى يُوعَدُونَ (60)
خمس آيات.

---

(1) مجاز القرآن 2/ 228

هذا اخبار من اللَّه تعالى أنه لم يخلق الجن و الأنس إلا لعبادته، فإذا عبدوه استحقوا الثواب، و اللام لام الغرض و لا يجوز أن يكون لام العاقبة لحصول العلم بأن كثيراً من الخلق لا يعبدون اللَّه. و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة القائلين: بأن اللَّه خلق كثيراً من خلقه للكفر به و الضلال عن دينه و خلقهم ليعاقبهم بالنيران، لأنه لا يجوز أن يكون فى كلام اللَّه تعالى تناقض، و لا إختلاف و قوله (وَ لَقَدْ ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ) «1» قد بينا فى ما مضى أن اللام لام العاقبة. و المعنى إنه خلق الخلق كلهم لعبادته و تصير عاقبة كثير منهم إلى جهنم بسوء اختيارهم من الكفر باللَّه و ارتكاب معاصيه.

فان قيل: أليس قد خلق اللَّه كثيراً من خلقه لطفاً لغيرهم، فكيف يكون خلقهم لعبادته؟!.

قلنا: ما خلقه اللَّه تعالى على ضربين: مكلف، و غير مكلف، فما ليس بمكلف خلقه للطف المكلفين، جماداً كان او حيواناً. و ما هو مكلف خلقه لعبادته و إن كان فى خلقه أيضاً لطف للغير، و كأنه يكون خلقه للأمرين و يكون بمنزلة ما خلقته إلا ليعبد مع عبادة غيره لأن عبادة غيره مما هو غرض فى خلقه، و لولا ذلک لم يكن فى خلق النبى عليه لطف لغيره، فالتقدير ما خلقته إلا لعبادته مع عبادة غيره به، و هو بمنزلة قول القائل ما أدبت ولدى إلا ليصلح جميعهم أى بتأديبى له مع تأديب غيره الذى يدعوه إلى خلافه، و ليس المعنى ما خلقت كل مكلف إلا ليعبد هو فقط.

و فى الآية دلالة على انه تعالى لا يريد المباح، لأنه ليس من العبادة.

و قوله (ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ ما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ) معناه نفى الإبهام عن خلقهم لعبادته ان يكون ذلک لفائدة تقع و تعود عليه تعالى، فبين انه لفائدة

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 178

النفع العائد على الخلق دونه تعالى لاستحالة النفع عليه و دفع المضار، لأنه غنى بنفسه لا يحتاج إلى غيره، و كل الناس محتاجون اليه. و من زعم ان التأويل ما أريد ان يرزقوا عبادى و لا أن يطعموهم، فقد ترک الظاهر من غير ضرورة. و قال ابن عباس: معنى (وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الا ليتقربوا لى بالعبودية طوعاً و كرهاً.
ثم بين تعالى انه- جل و عز- هو الرازق لعباده فقال (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ) و الخلق لا يرزقونه (ذو القوة) صاحب القدرة (المتين) و معناه انه القوى الذى يستحيل عليه العجز و الضعف، لأنه ليس بقادر بقدرة، بل هو قادر لنفسه، و لأنه ليس بجسم، و الجسم هو الذى يلحقه ضعف. و من خفض (المتين)- و هو يحيى ابن وثاب- جعله صفة للقوة، و ذكره لأنه ذهب الى الحبل و الشىء المفتون يريد القوة، قال الشاعر:
لكل دهر قد لبست أثوبا من ريطة و اليمنية المعصبا «1»
فذكر لان اليمنية ضرب من الثياب و صنف منها، و من فسر (المتين) بالشديد فقد غلط، لان الشديد هو الملتف بما يصعب معه تفكيكه. و وصف القوة بأنها أشد يؤذن بالمجاز، و انه بمعنى أعظم.
ثم اخبر تعالى بأن (للذين ظلموا) نفوسهم بارتكاب المعاصى (ذنوباً) أى نصيباً و أصله الدّلو الممتلئ ماء، كما قال الراجز:
لنا ذنوب و لكم ذنوب فان أبيتم فلنا القليب «2»
و قال علقمة:

---

(1) اللسان (ثوب) و تفسير القرطبى 17/ 57
(2) مر فى 2/ 405

و فى كل حى قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداک ذنوب «1»
أى نصيب، و إنما قيل الدّلو: ذنوب، لأنها فى طرف الحبل، كأنها فى الذنب. و قيل: معناه لهم بلاء و ويل. و الذنوب الدلو العظيمة يؤنث و يذكر، و قوله (مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحابِهِمْ) أى مثل نصيب أصحابهم من الكفار الذين تقدموهم (فلا يستعجلون) قل لهم لا تستعجلون بانزال العذاب عليهم، فإنهم لا يفوتون.
ثم قال (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) وحدانيتى و جحدوا نبوة رسولى (مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِى يُوعَدُونَ) فيه بانزال العذاب بالعصاة و هو يوم القيامة، و الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع فى مهلكة.

---

(1) تفسير القرطبى 17/ 57

اشارة

مكية بلا خلاف و هى تسع و أربعون آية فى الكوفى، و ثمان فى البصرى، و سبع فى المدنيين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ الطُّورِ (1) وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ (2) فِی رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4) وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (5) وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (6) إِنَّ عَذابَ رَبِّکَ لَواقِعٌ (7) ما لَهُ مِنْ دافِعٍ (8)
سبع آيات حجازى و ثمان فى ما عداه، عدّ الكوفيون و الشاميون (و الطور) و لم يعده الحجازيون.
الوجه فى القسم بالطور هو ما قدمناه فى قوله (و الذاريات) و غير ذلک، و هو أن اللّه تعالى له أن يقسم بما يشاء من خلقه، و ليس للعباد ان يقسموا إلا به. و قيل: الطور هو الجبل الذى كلم اللَّهُ عَليه موسى. و قال مجاهد: الطور جبل. و قال المبرد: يقال لكل جبل طور. فإذا ادخلت عليه الألف و اللام كان التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 402
معرفة لشىء بعينه. و منه قوله (وَ رَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ) «1» و قيل: إنه سريانى (وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ) أى مكتوب- فى قول قتادة و الضحاک- قال رؤبة:
إنى و اسطار سطرن سطرا «2» و قيل: الكتاب المسطور: هو الذى كتبه اللّه على خلقه من الملائكة فى السماء يقرؤن فيه ما كان و يكون. و قيل: هو القرآن مكتوب عند اللّه فى اللوح المحفوظ، و هو الرق المنشور. و قال الفراء: الكتاب المسطور صحائف الاعمال فمن أخذ كتابه بيمينه، و من أخذ كتابه بشماله. و السطر ترتيب الحروف. و المسطور المرتب الحروف على وجه مخصوص، سطرته أسطره سطراً، فأنا ساطر و ذلک مسطور (فِی رَقٍّ مَنْشُورٍ) فالرق جلد رقيق يصلح للكتابة. و قال ابو عبيدة:
الرق هو الورق. و قيل: إنما ذكر الرق، لأنه من أحسن ما يكتب عليه، فذكر لهذه العلة، فإذا كتبت الحكمة فى ما هو على هذه الصفة كان أبهى و أولى. و المنشور المبسوط. و إنما قيل: منشور، لأنه أبهى فى العيون.
و قوله
(وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) قيل: هو بيت فى السماء الرابعة بحيال الكعبة، تعمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة. و روى ذلک عن على عليه السلام و ابن عباس و مجاهد.
قال على عليه السلام يدخل كل يوم سبعون الف ملک ثم لا يعودون فيه.
و قال الحسن البيت المعمور: البيت الحرام. و
قال أمير المؤمنين عليه السلام و مجاهد و قتادة و ابن زيد (السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ) هو السماء.
و قوله (وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) فالبحر المجرى الواسع العظيم من مجارى

الماء، و أصله الاتساع. و البحيرة الناقة التى يوسع شق أذنها و تخلى فى المرع. و تبحر فلان فى العلم إذا اتسع فيه، و المسجور المملو.
و منه سجرت التنور إذا ملأته ناراً. و عين سجراء ممتلئة فيها حمرة كأنها احمرت

---

(1) سورة 2 البقرة آية 63، 93
(2) مر فى 4/ 110
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 403
مما هو لها كسجار التنور. و قال مجاهد و ابن زيد: البحر المسجور الموقد.
و قال قتادة: هو المملوء قال لبيد:
فتوسطا عرض السرى و صدعا مسجورة متجاوز أقدامها «1»
و
روى فى الحديث ان البحر يسجر، فيكون ناراً فى جهنم.
و قوله (إِنَّ عَذابَ رَبِّکَ لَواقِعٌ) جواب القسم، أقسم اللّه تعالى بالأشياء التى تقدم ذكرها ليتحقق عند العباد أن عذابه واقع لا محالة لمن وافى على الصفة التى يستحق بها العقوبة، و أن لا يطمع أن ينفعه سؤال حميم او قريب منه قال النمر ابن تولب العكلى: شاهداً فى المسجور:
إذا شاء طالع مسجورة ترى حولها النبع و السما سما «2»
و إنما هى بقعة مملوة شجراً.

يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً (9) وَ تَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً (10) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (11) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (12) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (13) هذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ (14) أَ فَسِحْرٌ هذا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ (15) اصْلَوْها فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَواءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (16)
ثمان آيات كوفى و شامى، و سبع فى ما عداهما، عد الكوفيون و الشاميون

---

(1) مر فى 7/ 118
(2) تفسير القرطبى 17/ 61 و مجاز القرآن 2/ 230

(دعاً) و لم يعده الباقون.
قوله (يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً) يعنى يوم القيامة، و هو متعلق بقوله (إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ... يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً) و المور تردد الشىء بالذهاب و المجىء كما يتردد الدخان ثم يضمحل، مار يمور موراً فهو مائر. و قيل: يمور موراً بمعنى يدور دوراً- فى قول مجاهد- و قال الضحاك: معناه يموج موجاً قال الأعشى أنشده أبو عبيدة:
كان مشيتها من بيت جارتها مور السحابة لا ريث و لا عجل «1»
و رواه غيره مر السحابة (وَ تَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) الذين ينكرون اخبار اللَّه تعالى فهؤلاء الجهال أنكروا ما اخبر به الأنبياء بأن نسبوه إلى الكذب (الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ) فالخوض الدخول فى الماء بالقدم و شبه به الدخول فى الأمر بالقول، يقال خاض يخوض خوضاً، فهو خائض.
و خوضه فى الشراب تخويضاً، و منه المخوض. و اللعب طلب الفرح بمثل حال الصبى فى انتفاء العمل على مقتضى العقل، لعب لعباً فهو لاعب، و دخلت الفاء فى (فويل) لما فيه من معنى الجزاء، لان تقديره إذا كان كذا و كذا فويل، و معنى الآية إنى سأعلمهم بكفرهم و تصير عاقبتهم العذاب.
و قوله (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) معناه يوم يدعون إلى نار جهنم للعذاب فيها، دعه يدعه دعاً إذا دفعه. و مثله صكه يصكه صكاً، و الداع الدافع و قيل: الدع الدفع بانزعاج و إرهاق- فى قول قتادة و الضحاك-.
و قوله (هذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ) أى يقال لهم على وجه التوبيخ: هذه النار التى كنتم تكذبون بها فى دار التكليف حين جحدتم الثواب و العقاب

---

(1) ديوان الأعشى 144 و مجاز القرآن 2/ 231

و النشور. و يقال لهم على وجه الإنكار عليهم (أ فسحر هذا) قد غطى على أبصاركم (أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ) ثم يقال لهم (اصلوها) يعنى النار (فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَواءٌ عَلَيْكُمْ) كونكم فى العقاب صبرتم أو لم تصبروا، فانه لا يحيف عليكم (إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ) أى جزاء ما كنتم (تعملون) فى الدنيا من المعاصى و الصلى لزوم النار المعذب بها صَلى يصلى صلياً، و منه الصلاة للزوم الدعاء فيها، و منه:

صَلى على دنها و ارتسم «1»

أى لزم، و المصلى الذى يجىء فى اثر السابق على لزوم أثره و الأصل لزوم الشىء، و الصبر حبس النفس على الأمر بالعمل فكأنه قال: احبسوا أنفسكم على النار لتعاملوا بالحق او لا تحبسوا سواء عليكم فى ان الجزاء لا محالة واقع بكم و لا حق لكم. و الجزاء مقابلة العمل بما يقتضيه فى العقل من خير او شر. و السواء و الاستواء و الاعتدال بمعنى واحد. و الاستواء امتناع كل واحد من المقدارين من ان يكون زائداً على الآخر او ناقصاً عنه، فالصبر و ترک الصبر لا ينفع واحد منهما فى رفع العذاب عن أهل النار.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِی جَنَّاتٍ وَ نَعِیمٍ (17) فاکِهِینَ بِما آتاهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ الْجَحِیمِ (18) کُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِیئاً بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (19) مُتَّکِئِینَ عَلی سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِینٍ (20)
أربع آيات بلا خلاف.

---

(1) مر فی 1/ 56، 193 و 2/ 41 و 5/ 337

لما اخبر اللَّه تعالی عن حال الكفار و ما أعد لهم من أليم العقاب، اخبر أيضاً بما أعده للمؤمنين المتقين من أنواع الثواب فقال (إن المتقين) الذين يجتنبون معاصی اللَّه خوفاً من عقابه (فی جنات) أی بساتين تجنها الأشجار (وَ نَعِیمٍ فاکِهِینَ بِما آتاهُمْ رَبُّهُمْ) أی متنعمين بما أعطاهم ربهم من أنواع النعم و قال الزجاج:
معنی (فاكهين) معجبين بما آتاهم. و قال الفراء: مثل ذلک (وقاهم ربهم) أی منع عنهم عذاب الجحيم. و الفاكه الكثير الفاكهة، كقولهم لابن و تامر أی ذو لبن و ذو تمر. و الفكه المسرور بأحواله كسرور آكل الفاكهة بفاكهته.
و قوله (مُتَّکِئِینَ عَلی سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ) قيل متكئين على النمارق و هی الوسائد إلا انه حذف ذكرها. و المعنی (عليه)، لأنه أصل الاتكاء، و تقديره متكئين على النمارق الموضوعة على السرر، و هو جمع سرير. و قوله (مصفوفة) أی مصطفة.
و قوله (وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِینٍ) فالحور البيض النقيات البياض فی حسن و كمال، و العين الواسعة الأعين فی صفاء و بهاء، و المعنی قرنا هؤلاء المتقين بالحور العين على وجه التنعيم لهم و التمتيع.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ ما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ (21) وَ أَمْدَدْناهُمْ بِفاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (22) يَتَنازَعُونَ فِيها كَأْساً لا لَغْوٌ فِيها وَ لا تَأْثِيمٌ (23) وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (24) وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ (25)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 407

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و أهل الكوفة (و اتبعتهم) بالتاء (ذريتهم) على واحدة (بهم ذريتهم) على واحدة أيضاً. و قرأ نافع (و اتبعتهم) بالتاء (ذريتهم) على واحدة (بهم ذرياتهم) على الجمع. و قرأ ابن عامر (و اتبعتهم ذرياتهم) بالتاء على الجمع (بهم ذرياتهم) جماعة ايضاً. و قرأ ابو عمرو (أتبعناهم) بالنون (ذرياتهم) جماعة (ألحقنا بهم ذرياتهم) جماعة ايضاً. و قرأ ابن كثير وحده (وَ ما أَلَتْناهُمْ) بفتح الالف و كسر اللام. الباقون- بفتح الألف و اللام- و قرأ ابن كثير و أبو عمرو (لا لغوا فيها و لا تأثيم) نصباً. الباقون بالرفع و التنوين. قال الزجاج: فمن رفع فعلى ضربين: أحدهما- على الابتداء و (فيها) الخبر، و الثانى- أن تكون (لا) بمعنى ليس رافعة و انشد سيبويه:

من فر عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح «1»

و من نصب بنى كقوله (لا ريب فيه) «2» و الاختيار عند النحويين إذا كررت (لا) الرفع. و النصب جائز حسن.

يقول اللّه تعالى (وَ الَّذِينَ آمَنُوا) باللّه و أقروا بتوحيده و صدقوا رسله (وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) من قرأ بالنون معناه، و ألحقنا بهم ذرياتهم أى ألحق اللّه بهم ذرياتهم يعنى حكم لهم بذلك. و من قرأ (و اتبعتهم) نسب الاتباع إلى الذرية. و المعنى إنهم آمنوا كما آمنوا، فمن جمعه فلاختلاف أجناس الذرية، و من وحد، فلانه يقع على القليل و الكثير، و إنما قرأ ابو عمرو

---

(1) اللسان (برح) و سيبويه 1/ 28، 354 [.....]

(2) سورة 2 البقرة آية 2

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 408

(أتبعناهم) بالنون لقوله بعد ذلك (ألحقنا) و قال البلخى: معنى الآية إن ثواب الذرية إذا عملوا مثل أعمال الاباء يثابون مثل ثواب الاباء، لان الثواب على قدر الاعمال. و لما قال (و اتبعناهم ذرياتهم) بين أن ذلك يفعل بهم من غير ان ينقص من أجورهم، لئلا يتوهم انه يلحقهم نقص أجر. و قال الزجاج:

معنى الآية إن الأبناء إذا كانوا مؤمنين فكانت مراتب آبائهم فى الجنة أعلا من مراتبهم ألحق الأبناء بالآباء، و لم ينقص الآباء من أعمالهم، و كذلک إن كان اعمال الآباء انقص ألحق الآباء بالأبناء. و الاتباع إلحاق الثانى بالأول فى معنى عليه الأول، لأنه لو ألحق به من غير أن يكون فى معنى هو عليه لم يكن اتباعاً، و كان إلحاقاً.
و إذا قيل: اتبعه بصره فهو الإدراک، و إذا قيل: تبعه فهو يصرف البصر بتصرفه.
و قوله (ألحقنا بهم ذرياتهم) قال ابن عباس و الضحاک و ابن زيد: الحقوا الأولاد بالآباء إذا آمنوا من أجل إيمان الآباء. و فى رواية أخرى عن ابن عباس:
أن التابعين الحقوا بدرجة آبائهم، و إن قصرت أعمالهم تكرمة لآبائهم و الاول هو الوجه. و إنما وجب بالايمان إلحاق الذرية بهم مع أنهم قد يكون ليس لهم ذرية لأنه إنما يستحق ذلک السرور على ما يصح و يجوز مع أنه إذا اتبع الذرية على ما أمر اللّه به استحق الجزاء فيه، فان أبطلته الذرية عند البلوغ بسوء عمل، وفّى سروره فى أمر آخر كما أن اهل الجنة من سرورهم ما ينزل بأعدائهم فى النار، فلو عفى عنهم لوفوا سرورهم بأمر آخر.
و قوله (و ما ألتناهم) معناه ما نقصناهم يقال: ألته يألته ألتاً، و ألاته يلته إلاتة، و لاته يليته ثلاث لغات- ذكرها ابو عبيدة: إذا نقصه، فبين- عز و جل- أنه لا يجوز عليه نقصان شىء من جزاء عمله، لأنه لا يجوز عليه الظلم لا قليله و لا كثيره و لا صغيره و لا كبيره، و قال ابن عباس و مجاهد و الربيع (و ما ألتناهم) ما نقصناهم التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 409
قال الشاعر:
ابلغ بنى ثعل عنى مغلغلة جهد الرسالة لا ألتاً و لا كذبا «1»
و قوله (كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ) أى كل إنسان يعامل بما يستحقه و يجازى بحسب ما عمله إن عمل طاعة أثيب عليها و إن عمل معصية عوقب بها لا يؤاخذ احد بذنب غيره. و الرهين و المرهون و المرتهن هو المحتبس على أمر يؤدى عنه بحسب ما يجب فيه، فلما كان كل مكلف محتبساً على عمله، فان صح له أداؤه على الواجب فيه تخلص، و إلا هلک، فلهذا قال (كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ).
قوله (وَ أَمْدَدْناهُمْ بِفاكِهَةٍ) فالامداد هو الإتيان بالشىء بعد الشىء يقال: مد الجرح و أمد النهر، و الفاكهة هى الثمار (وَ لَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) أى و أمددناهم ايضاً بلحم من الجنس الذى يشتهونه.
و قوله (يَتَنازَعُونَ فِيها كَأْساً) أى يتعاطون كأس الخمر، قال الأخطل:
نازعتهم طيب الراح الشمول و قد صاح الدجاج و حانت وقعة الساري «2»
و الكأس الأناء المملوء بالشرابِ، فان كان فارغاً فلا يسمى كأساً- ذكره

الفراء- و قوله (لا لَغْوٌ فِيها وَ لا تَأْثِيمٌ) معناه لا يجرى بينهم باطل و لا ما يلغى فيه و لا ما فيه أثم كما يجرى فى الدنيا عند شرب الخمر. و قوله (وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ) يعنى فى صفائه و بياضه و حسن منظَره، و المكنون المصون.
و قيل: ليس على الغلمان مشقة فى خدمة أهل الجنة، بل لهم فى ذلك لذة، لأنه ليس هناک دار محنة. و قوله (وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ) أى يسأل بعضهم بعضاً عن حاله، و ما هو فيه من انواع النعيم فيسرون بذلک و يزداد فرحهم

---

(1) تفسير الطبرى 27/ 15
(2) تفسير الطبرى 27/ 16 و القرطبى 17/ 68

و قيل: يسأل بعضهم بعضاً عما فعلوه فى دار الدنيا مما استحقوا به المصير إلى الثواب و الكون فى الجنان بدلالة قوله (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِى أَهْلِنا مُشْفِقِينَ).

قالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِی أَهْلِنا مُشْفِقِینَ (26) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَیْنا وَ وَقانا عَذابَ السَّمُومِ (27) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِیمُ (28) فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ (29) أَمْ یَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَیْبَ الْمَنُونِ (30)

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ نافع و الكسائی (ندعوه أنه) بفتح الهمزة على تقدير بأنه او لأنه.

الباقون بكسر الهمزة على الاستئناف.

لما حكى اللّه تعالى ان اهل الجنة يقبل بعضهم على بعض و يسأل بعضهم بعضاً عن أحوالهم ذكر ما يقولونه فإنهم يقولون (إنا كنا) فى دار الدنيا (فِی أَهْلِنا مُشْفِقِینَ) أى خائفين رقيقى القلب، فالاشفاق رقة القلب عما يكون من الخوف على الشىء، و الشفقة نقيض الغلظة. و أصله الضعف من قولهم: ثوب شفق أى ضعيف النسج رديئة، و منه الشفق، و هو الحمرة التى تكون عند غروب الشمس إلى العشاء الآخرة، لأنها حمرة ضعيفة. و الأهل هو المختص بغيره من جهة ما هو اولى به، و كلما كان أولى به فهو أحق بأنه أهله، فمن ذلک اهل الجنة و أهل النار. و من ذلک اهل الجود و الكرم، و فلان من اهل القرآن، و من أهل العلم، و من أهل الكوفة. و من هذا قيل: لزوجة الرجل: أهله، لأنها مختصة به من جهة هى أولى التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 411

به من غيره.

فقوله (فِی أَهْلِنا مُشْفِقِینَ) اى من يختص به ممن هو أولى بنا.

و قوله (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَیْنا) فالمن القطع عن المكاره إلى المحاب، يقال: من على الأسير يمن مناً إذا أطلقه و احسن اليه، و امتن عليه بصنيعه أى اقتطعه عن شكره بتذكير نعمته و المنية قاطعة عن تصرف الحى و (أَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُونٍ) «1» أى غير مقطوع.

و قوله (وَ وَقانا عَذابَ السَّمُومِ) ألوقا: منع الشىء من المخوف بما يحول بينه و بينه، و منه الوقاية، و وقاه يقيه وقاء فهو واق، و وقاه توقية قال الراجز:

إذ الموقى مثل ما وقيت عذاب السموم فالسموم الحر الذى يدخل فى مسام البدن بما يوجد ألمه، و منه ريح السموم، و مسام البدن الخروق الدقاق.

ثم قالوا (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ) يعنى فى دار التكليف ندعوه (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِیمُ) أى ندعوه بهذا، فيمن فتح الهمزة، و من كسرها أراد إنا كنا ندعوه و نتضرع اليه، ثم ابتدأ فقال (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِیمُ) قال ابن عباس:

البر هو اللطيف و أصل الباب اللطف مع عظم الشأن، و منه البر للطفها مع عظم النفع بها، و منه البر لأنه لطف النفع به مع عظم الشأن، و منه البرية للطف مسالكها مع عظم شأنها، و البر بالكسر الفاره، و البر بر الوالدين، و قولهم: فلان لا يعرف هره من برّه قيل فى معناه ثلاثة أشياء:
أحدها- لا يعرف السنور من الفاره.
الثانى- لا يعرف من يبره ممن يكرهه.

---

(1) سورة 95 التين آية 6

الثالث- لا يعرف دعاء الغنم و هو برها من سوقها.
ثم قال تعالى للنبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله (فذكر) يا محمد أى عظ هؤلاء المكلفين (فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّکَ) قسم من اللَّه تعالى بنعمته (بِكاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ) على ما يرمونک به. و قال البلخى: معناه ما أنت بنعمة اللَّه عليک بكاهن، و لا يلزم ان يكون اللَّه تعالى لم ينعم على الكاهن، لأن اللَّه تعالى قد عم على جميع خلقه بالنعم و إن كان ما أنعم به على النبى اكثر، و قد مكن اللَّه الكاهن و سائر الكفار من الايمان به، و ذلک نعمة عليه. فالكاهن الذى يذكر انه يخبر عن الجن على طريق العزائم، و الكهانة صنعة الكاهن، و الكاهن الموهم انه يعلم الغيب بطريق خدمة الجن و المجنون المئوف بما يغطى على عقله حتى لا يدرک به فى حال يقظة، و قد علموا أنه ليس بشاعر، كما علموا أنه ليس بمجنون، لكن قالوا ذلک على جهة التكذيب عليه ليستريحوا إلى ذلک كما يستريح السفهاء إلى التكذب على أعدائهم.
ثم قال (أم) و معناه بل (يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) قال مجاهد: ريب المنون حوادث الدهر. و قال ابن عباس و قتادة: الموت، و المنون المنية، و ريبها الحوادث التى تريب عند مجيئها و قال الشاعر:
تربص بها ريب المنون لعلها سيهلک عنها بعلها و شحيح «1»

قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِینَ (31) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ (32) أَمْ یَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا یُؤْمِنُونَ (33) فَلْیَأْتُوا بِحَدِیثٍ مِثْلِهِ إِنْ کانُوا صادِقِینَ (34) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَیْرِ شَیْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بَلْ لا یُوقِنُونَ (36) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّکَ أَمْ هُمُ الْمُصَیْطِرُونَ (37) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ یَسْتَمِعُونَ فِیهِ فَلْیَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطانٍ مُبِینٍ (38) أَمْ لَهُ الْبَناتُ وَ لَکُمُ الْبَنُونَ (39) أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (40)

---

(1) تفسیر الطبری 27/ 17

عشرة آیات بلا خلاف.

لما حکی اللَّه تعالی عن الکفار أنهم قالوا فی النبی صَلی اللَّهُ عَلیه و آله أنه کاهن و مجنون، و انه شاعر نتربص به ریب المنون أی نتوقع فیه حوادث الدهر و الهلاک، قال اللَّه تعالی لنبیه صَلی اللَّهُ عَلیه و آله (قل) لهم یا محمد (تَرَبَّصُوا فَإِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِینَ) فالتربص هو الانتظار بالشیء انقلاب حال إلی خلافها. و المعنی إنکم إن تربصتم بی حوادث الدهر و الهلاک، فانی معکم من المنتظرین لمثل ذلک، فتربص الکفار بالنبی صَلی اللَّهُ عَلیه و آله و المؤمنین قبیح، و تربص النبی و المؤمنین بالکفار و توقعهم لهلاکهم حسن، و قوله (فتربصوا) و إن کان بصیغة الامر فالمراد به التهدید.

و قوله (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا) علی طریق الإنکار علیهم ان هذا الذی یقولونه و یتربصون بک من الهلاک. أحلامهم أی عقولهم تأمرهم به، و تدعوهم الیه و الأحلام جمع الحلم، و هو الامهال الذی یدعو إلیه العقل و الحکمة، فاللَّه تعالی حلیم کریم، لأنه یمهل العصاة بما تدعو الیه الحکمة، و یقال: هذه أحلام قریش أی عقولهم. ثم قال تعالی لیس الأمر علی ذلک (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ) و الطاغی هو الطالب للارتفاع بالظلم لمن کان من العباد، و منه قوله (إِنَّا لَمَّا طَغَی الْماءُ) «1» لأنه

---

(1) سورة 69 الحاقة آیة 11

طلب الارتفاع کطلب الظالم للعباد فی الشدة، فحسن علی جهة الاستعارة.

و قوله (أَمْ یَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ) معناه بل یقولون أ فتراه و اخترعه و افتعله، لان التقول لا یکون إلا کذباً، لأنه دخله معنی تکلف القول من غیر حقیقة معنی یرجع الیه، و کذلک کل من تکلف أمراً من غیر اقتضاء العقل أن له فعله فهو

باطل. ثم قال (بل) هؤلاء الكفار (لا يصدقون) بنبوتک و لا بأن القرآن انزل من عند اللَّه. و الآية ينبغى ان تكون خاصة فيمن علم اللَّه انه لا يؤمن.
ثم قال على وجه التحدى لهم (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ) يعنى مثل القرآن و ما يقاربه (إِنْ كانُوا صادِقِينَ) فى انه شاعر و كاهن و مجنون و تقوله، لأنه لا يتعذر علَيهم مثله. و قيل المثل الذى وقع التحدى به هو ما كان مثله فى أعلا طبقة البلاغة من الكلام الذى ليس بشعر. و أعلا طبقات البلاغة كلام قد جمع خمسة أوجه:
تعديل الحروف فى المخارج، و تعديل الحروف فى التجانس و تشاكل المقاطع مما تقتضيه المعانى و تهذيب البيان بالايجاز فى موضعه و الاطناب فى موضعه، و الاستعارة فى موضعها و الحقيقة فى موضعها. و اجراء جميع ذلک فى الحكم العقلية بالترغيب فى ما ينبغى ان يرغب فيه، و الترهيب مما ينبغى ان يرهب منه، و الحجة التى يميز بها الحق من الباطل، و الموعظة التى تليق للعمل بالحق.
و قوله (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ) معناه أخلقوا من غير خالق (أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ) لنفوسهم فلا يأتمرون لا مر اللَّه و لا ينتهون عما نهاهم عنه. و قيل:
معنى (أخلقوا من غير شىء) أخلقوا لغير شىء أى أخلقوا باطلا لا لغرض.
و قيل: المعنى أخلفوا من غير أب و لا أم فلا يهلكون، كما أن السموات و الأرض خلقتا من غير شىء، فإذا هم أضعف من السماء الذى خلق لا من شىء، فإذا كان ما خلق لا من شىء يهلک فما كان دونه بذلک أولى. و قوله (أَمْ خَلَقُوا السَّماواتِ التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 415
وَ الْأَرْضَ)
و اخترعوها فلذلک لا يقرون باللَّه أنه خالقهم. ثم قال تعالى (بل لا يوقنون) بان لهم إلهاً يستحق العبادة وحده و لا يقرون بأنک نبى من جهة اللَّه.
و قوله (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّکَ) معناه أ عندهم خزائن نعمة ربک و خزائن اللَّه مقدوراته، لأنه يقدر من كل جنس على ما لا نهاية له فشبه ذلک بالخزائن التى تجمع أشياء مختلفة. و المعنى كأنه قال: أعندهم خزائن رحمة ربک فقد أمنوا أن تجىء الأمور على خلاف ما يحبون «أم هم المسيطرون» على الناس فليس عليهم مسيطر و لا لهم ملزم و مقوم، فالمسيطر الملزم غيره امراً من الأمور قهراً. و هو مأخوذ من السطر يقال: سيطر يسيطر سيطرة، و هو (فيعل) من السيطرة، و نظيره بيطر بيطرة.
و قيل: المسيطر الملک القاهر. و قيل: هو الجبار المتسلط، و منه قوله «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ» «1» يقولون: سيطر على أى اتخذنى خولا، و قال ابو عبيدة: المسيطرون الأرباب، و المسيطر و المبيقر و المبيطر و المهيمن و الكميت اسماء جاءت مصغرة لا نظير لها. و قرأ قتادة «بمسيطر» بفتح الطاء، بمعنى لست عليهم بمسلط. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو و ابن عامر و

الكسائى «المسيطرون» بالسين. الباقون بالصاد إلا ان حمزة يشم الصاد زاياً.
و قوله «أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ» فالسلم مرتقى إلى العلو من مشيد الدرجة مرتقى إلى علو من بناء مصمت. و يقال: جعلت فلاناً سلما لحاجتى أى سبباً.
و قال ابن مقبل:
لا يحرز المرء احجاء البلاد و لا تبنى له فى السموات السلاليم «2»
فكأنه قيل أم يستمعون الوحى من السماء، فقد وثقوا بما هم عليه وردوا

---

(1) سورة 88 الغاشية آية 22
(2) تفسير الطبرى 27/ 19 و مجاز القرآن 2/ 234

ما سواه «فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ» أى بحجة يظهر صحة قولهم. و الاستماع الإصغاء إلى الصوت، و إنما قيل لهم ذلک، لان كل من ادعى ما لم يعلم ببداهة العقول فعليه إقامة الحجة.
و قوله «أَمْ لَهُ الْبَناتُ وَ لَكُمُ الْبَنُونَ» معناه أ لكم البنون و للَّه البنات، فصاحب البنين أعلى كلمة من صاحب البنات، و هذا غاية التجهيل لهم و الفضيحة عليهم.
و قيل: لو جاز اتخاذ الأولاد عليه لم يكن يختار على البنين البنات فدل بذلک على افراط جهلهم فى ما وصفوا اللَّه تعالى به من اتخاذ الملائكة بنات.
و قوله «أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً» أى ثواباً على أداء الرسالة اليهم بدعائک إياهم إلى اللَّه «فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ» فالمغرم إلزام الغرم- فى المال- على طريق الابذال. و المغرم انفاق المال من غير إبذال. و أصله المطالبة بإلحاح فمنه الغريم، لأنه يطالب بالدين بإلحاح، و منه «إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً» «1» أى ملحاً دائماً.
و المغرم لأنه يلزم من جهة المطالبة بإلحاح لا يمكن دفعه. و المثقل المحمول عليه ما يشق حمله لثقله.

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (41) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (42) أَمْ لَهُمْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (43) وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ ساقِطاً يَقُولُوا سَحابٌ مَرْكُومٌ (44) فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (45)
يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ (46) وَ إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذاباً دُونَ ذلِكَ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (47) وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48) وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ إِدْبارَ النُّجُومِ (49)

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 65

تسع آيات بلا خلاف.
قرأ عاصم و ابن عامر (يصعقون) بضم الياء- على ما لم يسم فاعله- الباقون بفتح الياء على اضافة الفعل اليهم، و هما لغتان. يقال: صعق فلان فهو مصعوق و صعق فهو صاعق. و روى عن عاصم أيضاً «يصعقون» بضم الياء و كسر العين بمعنى يحصلون فى الصاعقة. و قيل: الصعق الهلاك بصيحة تصدع القلب. و قيل:
الصعق عند النفخة الاولى. قال قوم: إن قوله «أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ» جواب لقولهم ان كان امر الآخرة على ما تدعون حقاً فلنا الجنة كقولهم «وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى» «1» ذكره الحسن.
و الغيب الذى لا يعلمه إلا اللّه هو ما لم يعلمه العاقل ضرورة و لا عليه دلالة. و اللّه تعالى عالم به، لأنه يعلمه لنفسه، و العالم لنفسه لا يخفى عليه شىء من وجه من الوجوه.
و قوله «أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ» فالكيد هو المكر.
و قيل: هو فعل ما يوجب الغيظ فى خفى يقال: كاده يكيده كيداً، فهو كائد، و المفعول مكيد و كايده مكايدة مثل غايظه مغايظة. و الكيد من اللّه هو التدبير الذى

---

(1) سورة 41 حم السجدة (فصلت) آية 50

يدبره لأوليائه على أعدائه ليقهروهم و يستعلوا عليهم بالقتل و الأسر. و قال الزجاج: معناه أ يريدون بكفرهم و طغيانهم كيداً، فاللّه تعالى يكيدهم بالعذاب فى الدنيا و الآخرة.

و قوله «أَمْ لَهُمْ إِلهٌ غَيْرُ اللّهِ» أى على حقيقية معنى الالهية و هو القادر على ما تحق به العبادة فلذلك عبدوه؟! فإنهم لا يقدرون على دعوى ذلک. ثم نزه نفسه فقال «سُبْحانَ اللّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» من ادعاء آلهة معه من الأصنام و الأوثان.
و قوله «وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ ساقِطاً» فالكسف جمع كسفة كقولک: سدر و سدرة، و هو جواب قولهم «أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً» «1» فقال اللّه تعالى لو سقط عليهم ما آمنوا و لقالوا (سحاب مركوم) و الكسف القطعة من الغيم بقدر ما يكسف ضوء الشمس. و الكسف من السماء القطعة منها. و السحاب الغيم سمى بذلک لانسحابه فى السماء، و المركوم الموضوع بعضه على بعض. و كل الأمور المذكورة بعد (أم) إلزامات لعبدة الأوثان على مخالفة القرآن، ثم قال تعالى للنبى صَلى اللّهُ عَليه و آله «فذرهم» أى اتركهم «حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ» أى يهلكون فيه بوقوع الصاعقة عليهم. و قيل: الصعقة هى النفخة الاولى التى يهلک عندها جميع الخلائق، ثم وصف ذلک اليوم بأن قال «يَوْمَ لا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً» أى لا ينفعهم كيدهم و حيلتهم و لا تدفع عنهم شيئاً، لان جميعه يبطل «وَ هُمْ لا يُنْصَرُونَ» بالدفاع عنهم. و الفرق بين الغنى بالشىء و الغنى عنه أن الغنى عنه يوجب أن وجوده و عدمه سواء فى أن الموصوف غنى، و ليس كذلک الغنى به، لأنه يبطل أن يكون الموصوف غنياً. و الغنى هو الحى الذى ليس بمحتاج، و ليس بهذه الصفة إلا اللّه تعالى. و معنى «لا يُغْنِى عَنْهُمْ» أى لا يصرف عنهم شيئاً من

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 92

الضرر الذى يقع إلى نفع يصير بمنزلة الغنى لهم.
و قوله «وَ إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذاباً دُونَ ذلِکَ» قال ابن عباس: هو عذاب القبر، و به قال البراء، و قال مجاهد: هو الجوع فى الدنيا. و قال ابن زيد: هو مصائب الدنيا. و قال قوم: هو عموم جميع ذلک.
ثم قال «وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» و معناه إن اكثر هؤلاء الكفار لا يعلمون صحة ما أمرناهم و أمرناک به لجحدهم نبوتک.
ثم قال تعالى للنبى صَلى اللّهُ عَليه و آله «وَ اصْبِرْ» يا محمد «لِحُكْمِ رَبِّکَ» الذى حكم به و ألزمک التسليم له «فَإِنَّکَ بِأَعْيُنِنا» أى بمرئى منا ندرکک، و لا يخفى علينا شىء من أمرک، نحفظک لئلا يصلوا إلى شىء من مكروهک. و أمره بالتنزيه له عما لا يليق به فقال «وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ حِينَ تَقُومُ» قال ابو الأحوص: معناه حين تقوم من نومک. و قال الضحاک: معناه إذا قمت إلى الصلاة المفروضة، فقل سبحانک اللهم و بحمدک. و قال ابن زيد: معناه صل بحمد ربک حين تقوم من نوم القائلة إلى صلاة الظهر. ثم قال «وَ مِنَ اللَّيْلِ

فَسَبِّحْهُ وَ إِدْبارَ النُّجُومِ» معناه من الليل يعنى من المغرب و العشاء الآخرةَ «وَ إِدْبارَ النُّجُومِ» قالَ الضحاک و ابن زيد: هو صلاة الفجر قال ابن عباس و قتادة. هما الركعتان قبل صلاة الفجر، و قال الحسن: هما الركعتان قبل صلاة الفجر تطوعاً. و النجوم هى الكواكب واحدها نجم، و يقال: نجم النبت و نجم القرن و السنّ إلا انه إذا اطلق أفاد الكواكب. و قرأ «و ادبار النجوم» بفتح الهمزة زيد عن يعقوب على انه جمع. الباقون- بكسرها- على المصدر.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 420

اشارة

هی مکیة، و هی اثنتان و ستون آیة فی الکوفی و ستون فی البصری و المدنیین.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ النَّجْمِ إِذا هَوى (1) ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى (2) وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى (3) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحى (4)
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى (6) وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى (7) ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى (8) فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى (9)
فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى (10)
عشر آيات بلا خلاف.
قوله «وَ النَّجْمِ» قسم من اللَّه تعالى. و قد بينا أن اللَّه تعالى له أن يقسم بما يشاء من خلقه، و ليس للعباد أن يحلفوا إلا به. و قال قوم: معناه و رب النجم فحذف المضاف و أقام المضاف اليه مقامه، و فى معنى «النجم» هاهنا ثلاثة أقوال:
أحدها- قال مجاهد: المراد به الثريا إذا سقطت مع الفجر.
الثانى- فى رواية أخرى عن مجاهد أن المراد به القرآن إذا نزل.
الثالث- قال الحسن: معناه جماعة النجوم. «إِذا هَوى» أى إذا سقط يوم

القيامة كقوله- عز و جل- «وَ إِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ» «1» و قيل: النجم على طريق الجنس، كما قال الراعى:
و باتت تعد النجم فى مستحيرة سريع بأيدى الآكلين جمودها «2»
(مستحيرة) شحمة مذابة صافية فى إهالة، لأنها من شحم سمين.
و قوله «إِذا هَوى» قيل: معناه إذا هوى للمغيب و دل على ما فيه من العبرة بتصريف من يملك طلوعه و غروبه، و لا يملك ذلك إلا اللَّه تعالى. و قيل: كان القرآن ينزل نجوماً، و بين أول نزوله و أخره عشرون سنة- ذكره الفراء و غيره- و النجم هو الخارج عن الشىء بخروج المنتشىء عنه. و الهوى ميل الطباع إلى ما فيه الاستمتاع، و هو مقصور و جمعه أهواء، و الهواء الذى هو الجو ممدود و جمعه أهوية.
و قوله «ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ» يعنى النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله ما ضل عن الحق «وَ ما غَوى» أى و ما خاب عن إصابة الرشد، يقال: غوى يغوى غياً إذا خاب، و قال الشاعر:
فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغى لائما «3»
أى من يخب «وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى» أى ليس ينطق عن الهوى أى بالهوى، يقال: رميت بالقوس و عن القوس. و المعنى إنه لا يتكلم فى القرآن و ما يؤديه إليكم عن الهوى الذى هو ميل الطبع «إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحى» معناه ليس الذى يتلوه عليكم من القرآن إلا وحى أوحاه اللَّه اليه، فالوحى إلقاء

المعنى إلى النفس فى خفى إلا أنه صار كالعلم فى ما يلقيه الملک إلا النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله من البشر

---

(1) سورة 82 الانفطار آية 2
(2) مجاز القرآن 2/ 235 و اللسان (نجم)
(3) مر فى 8/ 36، 493 و هو فى القرطبى 17/ 84 [.....]

عن اللَّه تعالى، و منه قوله «فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا» «1» و قوله «وَ أَوْحى رَبُّکَ إِلَى النَّحْلِ» «2» أى ألهمها مراشدها، و هو راجع إلى ما قلناه من إلقاء المعنى إلى النفس فى خفى.

و قوله «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى» فى نفسه و علمه. و القوة هى القدرة. و قد تستعمل القوة بمعنى الشدة التى هى صلابة العقد كقوى الحبل.

و قوله «ذو مرة» صفة لجبرائيل عليه السلام أى صاحب مرة، و هى القوة. و اصل المرة شدة الفتل، و هو ظاهر فى الحبل الذى يستمر به الفتل حتى ينتهى إلى ما يصعب به الحل. ثم تجرى المرة على القدرة، لأنه يتمكن بها من الفعل، كما يتمكن من الفعل بالآلة، فالمرة و القوة و الشدة نظائر. و قوله «فَاسْتَوى» معناه استولى بعظم القوة، فكأنه استوت له الأمور بالقوة على التدبير. و منه قوله «اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ» «3» أى استولى عليه بالسلطان و القهر. و قال ابن عباس و قتادة: معنى «ذو مرة» ذو صحة بخلق حسن. و قال مجاهد و سفيان و ابن زيد و الربيع: ذو قوة، و هو جبرائيل. و المرة واحدة المرر، و منه

قوله عليه السلام (لا تحل الصدقة لغنى و لا لذى مرة سوى)

و قيل «فاستوى» جبرائيل و محمد عليهما السلام «بِالْأُفُقِ الْأَعْلى» أى سماء الدنيا عند المعراج. و قيل فى «هو» قولان:

أحدهما- انه مبتدأ و خبره فى موضع الحال، و تقديره ذو مرة فاستوى فى حال كونه بالأفق الأعلى.

الثانى- إنه معطوف على الضمير فى (استوى) و حسن ذلک كى لا يتكرر

---

(1) سورة 19 مريم آية 10
(2) سورة 16 النحل آية 68
(3) سورة 7 الاعراف آية 53 و سورة 10 يونس آية 3 و سورة 13 الرعد آية 2 و سورة 25 الفرقان 59 و سورة 32 الم السجدة آية 4 و سورة 57 الحديد آية 4

(هو) و انشد الفراء:

أ لم تر ان النبع تصلب عوده و لا يستوى و الخروع المتقصفِ «1»

و قال الزجاج: لا يجوز عطف (هو) على الضمير من غير تأكيد إلا فى الشعر و قال تعالى «أَ إِذا كُنَّا تُراباً وَ آباؤُنا» «2» فرد الآباء على المضمر. و قال الربيع:
و استوى يعنى جبرائيل عليه السلام (و هو) كناية عنه على هذا. و فى الوجه الأول (هو) كناية عن النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله. و قال قتادة: الأفق الأعلى الذى يأتى منه النهار.
و قيل: هو مطلع الشمس «شَدِيدُ الْقُوى» فى أمر اللَّه «ذو مرة» أى ذو قوة فى جسمه. و قيل: فاستوى جبرائيل على صورته التى خلقه اللَّه، لان جبرائيل كان يظهر قبل ذلک للنبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله فى صورة رجل.
و قوله «ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى» قال الحسن و قتادة و الربيع: يعنى جبرائيل عليه السلام و فيه تقديم و تأخير و التقدير ثم تدلى فدنا. و قال الزجاج: معنى دنا و تدلى واحد، لأن المعنى إنه قرب و تدلى زاد فى القرب، كما يقال: دنا فلان و قرب. و المعنى ثم دنا جبرائيل إلى محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله، فتدلى اليه من السماء «فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى» معناه كان بينه و بين جبرائيل مقدار قاب قوسين من القسى العربية او أقرب بل أقرب منه. و قيل: معنى (او) فى الآية معنى (الواو) كقوله «وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» «3» و معناه و يزيدون. و
قيل: إنه رأى جبرائيل عليه السلام فى صورته له ستمائة جناح
- فى قول ابن مسعود- و معنى «قابَ قَوْسَيْنِ» قدر الوتر من القوس مرتين «أَوْ أَدْنى» منه و أقرب.
و قوله «فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى»
قيل اوحى جبرائيل إلى عبد اللَّه محمد

---

(1) تفسير الطبرى 27/ 23 و القرطبى 17/ 85
(2) سورة 27 النحل آية 67
(3) سورة 37 الصافات آية 147

ما أوحى. و قيل أوحى اللَّه إلى عبده محمد ما أوحى. و يحتمل ان تكون (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر و التقدير فأوحى إلى عبده وحياً. و يحتمل ان يكون بمعنى الذى و تقديره فأوحى إلى عبده الذى أوحى اليه. و المعنى أوحى جبرائيل إلى محمد ما أوحى اليه ربه- و هو قول ابن زيد- و قوله «ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى» قال ابن عباس رأى ربه بقلبه و هو معنى قوله «علمه» و إنما علم ذلک بالآيات التى رآها. و قال ابن مسعود و عائشة و قتادة: رأى محمد جبرائيل على صورته. و قال الحسن: يعنى ما رأى من مقدورات اللَّه تعالى و ملكوته. و قال الحسن: عرج بروح محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله إلى السماء و جسده فى الأرض. و قال اكثر المفسرين- و هو

الظاهر من مذهب أصحابنا و المشهور فى اخبارهم- أن اللّه تعالى صعد بجسمه حياً سليماً حتى رأى- ملكوت السموات و ما ذكره اللّه- بعينى رأسه، و لم يكن ذلک فى المنام بل كان فى اليقظة. و قد بيناه فى سورة بنى إسرائيل.

ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى (11) أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى (12) وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى (14) عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى (15)
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى (16) ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى (17) لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى (18) أَ فَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَ الْعُزَّى (19) وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى (20)
عشر آيات بلا خلاف.
قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً و يعقوب «ا فتمرونه» بمعنى أ فتجحدونه، و هو
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 425
قول إبراهيم. و قرأ الباقون «أَ فَتُمارُونَهُ» بمعنى أ فتجادلونه فى انه رأى ربه بقلبه أو آيات اللَّه و معجزاته. و قرأ ابن عامر- فى رواية هشام- و أبى جعفر «ما كذب» مشددة الدال الباقون بالتخفيف. و قرأ ابن كثير و الأعشى إلا ابن غالب «و مناءة» مهموزة ممدودة. الباقون «و مناة» مقصورة، و هما لغتان.
يقول اللَّه تعالى إنه لم يكذب فؤاد محمد ما رآه بعينه يعنى لم يكذب محمد بذلک بل صدق به و الفؤاد القلب. و قال ابن عباس: يعنى ما رأى بقلبه. و قال الحسن: إنه رأى ربه بقلبه. و هذا يرجع إلى معنى العلم. و معنى «ما كَذَبَ الْفُؤادُ» أى ما توهم أنه يرى شيئاً و هو لا يراه من جهة تخيله لمعناه، كالرائى للسراب بتوهمه ماء و يرى الماء من بعيد فيتوهمه سراباً. و من شدد أراد لم يكذب فؤاد محمد ما رأت عيناه من الآيات الباهرات فعدّاه. و من خفف فلأن فى العرب من يعدى هذه اللفظة مخففة، فيقولون صدقنى زيد و كذبنى خفيفاً، و صدقنى و كذبنى ثقيلا و انشد:
و كذبتنى و صدقتنى و المرؤ ينفعه كذابه «1»
و الفرق بين الرؤية فى اليقظة و بين الرؤية فى المنام أن رؤية الشىء فى اليقظة إدراكه بالبصر على الحقيقة، و رؤيته فى المنام لصورة فى القلب على توهم الإدراک بحاسة البصر من غير ان يكون كذلک.
و قوله «أ فتمارونه» فمن قرأ «أ فتمرونه» أراد أ فتجحدونه. و من قرأ «أ فتمارونه» أراد أ فتجادلونه و تخاصمونه مأخوذ من المراء و هو المجادلة (على ما يرى) يعنى على الشىء الذى يراه.

---

(1) مر فى 8/ 390
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 426
و قوله (وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى) قال عبد اللَّه بن مسعود و عائشة و مجاهد و الربيع: رأى محمد صَلَى اللَّهُ عَليه و آله جبرائيل عليه السلام دفعة أخرى. و

روى أنه رآه فى صورته التى خلقه اللّه عليها مرتين.
و قوله (عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى) قيل: هى شجرة النبق و قيل لها: سدرة المنتهى فى السماء السادسة، إليها ينتهى ما يعرج إلى السماء- فى قول ابن مسعود و الضحاک- و قيل: لأنه ينتهى اليها أرواح الشهداء و قوله (عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى) معناه عند سدرة المنتهى جنة المقام و هى جنة الخلد، و هى فى السماء السابعة. و قيل: إنه يجتمع اليها أرواح الشهداء. و قال الحسن: جنة المأوى هى التى يصير اليها أهل الجنة.
و قوله (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى) معناه يغشى السدرة من النور و البهاء و الحسن و الصفاء الذى يروق الأبصار ما ليس لوصفه منتهى. و قال ابن مسعود و مجاهد- و
روى ذلک عن النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله أنه غشى السدرة فراش الذهب.
و قال الربيع: غشيها من النور نور الملائكة. و قوله (ما يغشى) أبلغ لفظ فى هذا المعنى و الغشيان لباس الشىء مما يعمه، يقال غشيه يغشاه غشياناً.
و قوله «ما زاغَ الْبَصَرُ» اى ما ذهب عن الحق المطلوب، و الزيغ الذهاب عن الحق المطلوب، يقال: زاغ بصره و قلبه يزيغ زيغاً، و منه قوله «فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» «1» و منه قوله «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ» «2» و الزيغ الميل عن الحق «وَ ما طَغى» معناه ما طغى البصر أى ما ذهب يميناً و شمالا. و قيل: ما ارتفع كارتفاع الظالم عن الحق لمن يريده، و الطاغى الذى لا يلوى على شىء. و الطغيان طلب الارتفاع بظلم العباد: طغى يطغى طغياناً.
و الطاغى و الباغى نظائر. و هم الطغاة و البغاة، و المعنى ما زاغ بصر محمد و ما طغى

---

(1) سورة 61 الصف آية 5
(2) سورة 3 آل عمران آية 7

أى ما جاوز القصد و لا عدل فى رؤية جبرائيل، و قد ملأ الأفق.
و قوله «لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى» قسم من اللّه تعالى ان النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله رأى من آيات اللّه و دلائله أكبرها جنة الخلد و هى فى السماء السابعة و قيل: إنه يجتمع فيها أرواح الشهداء و هى الكبرى التى تصغر عندها الآيات فى معنى صفتها.
و الأكبر هو الذى يصغر مقدار غيره عنده فى معنى صفته. و قيل رأى رفرفا أخضر من رفارف الجنة قد سد الأفق- فى قول ابن مسعود-.
و قوله (أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى) اسماء أصنام كانت العرب تعبدها، و العزى كانت تعبدها غطفان، و هى شجرة سمرة عظيمة، و اللات صنم كانت ثقيف تعبدها، و منات كانت صخرة عظيمة لهذيل و خزاعة

كانوا يعبدونها فقيل لهم: أخبرونا عن هذه الآلهة التى تعبدونها و تعبدون معها الملائكة و تزعمون ان الملائكة بنات اللّه، فوبخهم اللّه تعالى فقال (أ فرأيتم) هذه (اللَّاتَ وَ الْعُزَّى وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى) و المعنى أخبرونا عن هذه الآلهة التى تدعونها من دون اللّه هل لها من هذه الآيات و الصفات شىء.

أَ لَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الْأُنْثى (21) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى (22) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ ما تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدى (23) أَمْ لِلْإِنْسانِ ما تَمَنَّى (24) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولى (25)

خمس يأت بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 428

قرأ اهل مكة (ضئزى) مهموز إلا ابن فليح. الباقون بلا همز.

يقول اللَّه تعالى على وجه الإنكار على كفار قريش الذين أضافوا إلى اللَّه تعالى الملائكة بأنهم بنات اللَّه، فقال لهم: كيف يكون ذلک و أنتم لو خيرتم لاخترتم الذكر على الأنثى، فكيف تضيفون إليه تعالى مالا ترضون لأنفسكم، فقد أخطأتم فى ذلک من وجهين: أحدهما- أنكم أضفتم اليه ما يستحيل عليه و لا يليق به، فهو قسم فاسد غير جائز. الثانى- أنكم اضفتم اليه ما لا ترضون لأنفسكم، فكيف ترضونه للَّه تعالى. و قيل: إنما فضل الذكر على الأنثى لان الذكر يصلح لما لا تصلح له الأنثى، و ينتفع به فى ما لا ينتفع فيه بالأنثى، و لهذا لم يبعث اللَّه نبياً من الإناث.

و قوله (تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى) أى تلک قسمة فاسدة غير جائزة بأن تجعلوا لأنفسكم الأفضل و لربكم الأدون، و لو كان ممن يجوز عليه الولد لما اختار الأدون على الأفضل، كما قال (لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ) «1» فهذا على تقدير الجواز لا على صحة الجواز. و الضيزة الجائرة الفاسدة و وزنه (فعلى) إلا أنه كسر أوله لتصح الياء من قبل انه ليس فى كلام العرب (فعلى) صفة، و صفة (فعلى) نحو (حبلى) يحمل على ما له نظير. و أما الاسم فانه يجىء على (فعلى) كقوله (فان الذكرى) «2» و تقول العرب ضزته حقه أضيزه و ضأزته- لغتان- إذا أنقضته حقه و منعته، و منهم من يقول: ضزته- بضم الضاد- أضوزه، و انشد ابو عبيدة و الأخفش:

فان تنأ عنا ننتقصک و ان تغب فسهمک مضئوز و انفک راغم «3»

و منهم من يقول: ضيزى- بفتح الضاد- و منهم من يقول- ضأزى بالفتح

---

(1) سورة 39 الزمر آية 4

(2) سورة 51 الذاريات آية 55

(3) مجاز القرآن 2/ 237 الشاهد 883 و القرطبى 17/ 102

و الهمز، و منهم من يقول: ضؤزى- بضم الضاد و الهمزة- و قال ابن عباس و قتادة (قسمه ضيزى) جائرة. و قال سفيان: منقوصة.

ثم قال ان تسميتكم لهذه الأصنام بأنها آلهة و للملائكة بأنها بنات اللَّه (إِنْ

هِیَ إِلّا أَسْماءٌ سَمَّیْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُکُمْ) بذلک (ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ) یعنی من حجة و لا برهان إن یتبعون أی لیس یتبعون فی ذلک (إلا الظنَ) الذی لیس بعلم (وَ ما تَهْوَی الْأَنْفُسُ) أی و ما تمیل الیه نفوسکم (وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدی) عدل عن خطابهم إلی الاخبار عنهم بأنهم قد جاءهم الهدی یعنی الدلالة علی الحق.

و قوله (أَمْ لِلْإِنْسانِ ما تَمَنَّی) قیل معناه: بل لمحمد صَلی اللَّهُ عَلیه و آله ما تمنی من النبوة و الکرامة. و قیل التقدیر أ للإنسان ما تمنی؟! من غیر جزاء. لا، لیس الامر کذلک، (فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولی) یعطی من یشاء و یمنع من یشاء. و قال الجبائی معناه لیس للإنسان ما تمنی من نعیم الآخرة و نعیم الدنیا، و إنما المالک لذلک اللّه تعالی المالک للسموات و الأرض، لا یعطی الکفار ما یتمنونه، و إنما یعطی الثواب من یستحقه.

وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّماواتِ لا تُغْنِى شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَرْضى (26) إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثى (27) وَ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً (28) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا وَ لَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَياةَ الدُّنْيا (29) ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدى (30)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 430

خمس آيات كوفى و أربع فى ما عداه، عدّ الشاميون (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى) و لم يعده الباقون. و عد الكوفيون (مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً) و لم يعده الباقون و عد الكل (الحياة الدنيا) إلا الشاميون، فإنهم عدّوا آخر الآية (اهتدى).

يقول اللّه تعالى مخبراً بان كثيراً من ملائكة السموات (لا تُغْنِى شَفاعَتُهُمْ) أى لا تنفع شفاعتهم فى غيرهم بإسقاط العقاب عنهم (شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشاءُ) ان يشفعوا فيه و يطلق لهم ذلک (و يرضى) ذلک، و قيل: إن الغرض بذلک الإنكار على عبدة الأوثان و قولهم: إنها تشفع لأن الملک إذا لم تغن شفاعته شيئاً فشفاعة من دونه أبعد من ذلک. و فى ذلک التحذير من الاتكال على الشفاعة، لأنه إذا لم يغن شفاعة الملائكة كان شفاعة غيرهم أبعد من ذلک. و لا ينافى ما نذهب اليه من أن النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و الأئمة و المؤمنين يشفعون فى كثير من أصحاب المعاصى، فيسقط عقابهم لمكان شفاعتهم، لان هؤلاء- عندنا- لا يشفعون إلا بإذن من اللّه و رضاه، و مع ذلک يجوز أن لا يشفعوا فيه فالزجر واقع موقعه.

ثم أخبر اللَّه تعالى (إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) أى لا يصدقون بالبعث و لا بالثواب و لا بالعقاب (لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثى) قال الحسن كانوا يسمون الملائكة بنات اللّه. ثم قال (وَ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ) أى بما يقولونه و يسمونه (من علم) أى ليسوا عالمين بذلک (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) أى ليس يتبعون فى قولهم ذلک إلا الظن الذى يجوز أن يخطئ و يصيب، و ليس معهم شىء من العلم. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 431

و قوله (إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً) معناه إن الظن لا يغنى من العلم لأنه لا بد من علم يحسن الفعل حتى يجوز أن يفعل، و إن كان الظن فى بعض الأشياء علامة للحسن، فما أغنى عن العلم.

ثم قال للنبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله (فاعرض) يا محمد (عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا) و لم يقر بتوحيدنا و جحد نبوتک و مال إلى الدنيا و منافعها (وَ لَمْ يُرِدْ

إِلّا الْحَياةَ الدُّنْيا) و التمتع فيها أى لا تقابلهم على أفعالهم و احتملهم، و لم ينهه عن تذكيرهم و وعظهم. ثم قال (ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) و معناه إن علمهم انتهى إلى نفع الدنيا دون نفع الآخرة، و هو صغير حقير فى نفع الآخرة، فطلبوا هذا و تركوا ذلک جهلا به.
ثم قال (إن ربک) يا محمد (هو أعلم) منک و من جميع الخلق (بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) أى بمن جار و عدل عن طريق الحق الذى هو سبيله (وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدى) اليها فيجازى كل واحد على حسب ذلک إن عملوا طاعة أثابهم عليها و إن عملوا معصية عاقبهم عليها.

وَ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ لِیَجْزِیَ الَّذِینَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَ یَجْزِیَ الَّذِینَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَی (31) الَّذِینَ یَجْتَنِبُونَ کَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّکَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِکُمْ إِذْ أَنْشَأَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ فَلا تُزَکُّوا أَنْفُسَکُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقی (32) أَ فَرَأَیْتَ الَّذِی تَوَلَّی (33) وَ أَعْطی قَلِیلاً وَ أَکْدی (34) أَ عِنْدَهُ عِلْمُ الْغَیْبِ فَهُوَ یَری (35)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 432

خمس آیات.

قرأ اهل الکوفة إلا عاصماً (کبیر الإثم) علی لفظ الواحد. الباقون بلفظ الجمع (کبائر) و قد بیناه فی سورة (حم عسق).

هذا اخبار من اللّه بأن له ملک (ما فی السموات) و ملک (ما فی الأرض) من جمیع الأجناس بالحق (لِیَجْزِیَ الَّذِینَ أَساؤُا) أی یعاقبهم (بما عملوا) من المعاصی (وَ یَجْزِیَ الَّذِینَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَی) أی یثیبهم علی طاعاتهم بنعیم الجنة و الخلود فیها. ثم وصف الذین أحسنوا فقال هم (الَّذِینَ یَجْتَنِبُونَ کَبائِرَ الْإِثْمِ) أی عظائم الذنوب (و الفواحش). و المعاصی- عندنا- کلها کبائر غیر ان بعضها اکبر من بعض، فقد تکون المعصیة کبیرة بالاضافة إلی ما دونها، و قد تکون صغیرة بالاضافة إلی ما هو اکبر منها. و الفواحش جمع فاحشة و هی أقبح الذنوب و أفحشها، و الاساءة مضرة یستحق بها الذم، و لا یستحق الذم إلا مسیء، و ذم من لیس بمسیء قبیح، کذم المحسن بالقبیح، و الإحسان فعل ما هو نفع فی نفسه أو هو سبب للنفع لیستحق به الحمد، و لا یستحق الحمد إلا محسن. و الکبیر من الذنوب هو الذی یعظم به الزجر إلی حد لا یکفره إلا التوبة منه- عند من لم یحسن إسقاط العقاب تفضلا- و الصغیر هو الذی یخف فیه الزجر إلی حد یصح تکفیره من غیر توبة- عند من قال بالصغائر- و قوله (إلا اللمم) قال قوم: هو الهم بالمعصیة من جهة مقاربتها فی حدیث النفس بها من غیر مواقعتها و لا عزم علیها، لان العزم علی الکبیر کبیرة.

و لکن یقرب من مکانها لشهوته لها غیر عازم علیها. و قال قوم (إلا اللمم) استثناء منقطع، لأنه لیس من الکبائر و لا الفواحش، کما قال الشاعر:

و بلدة لیس بها أنیس إلا الیعافیر و إلا العیس «1»

---

(1) مر فی 1/ 151 و 3/ 327 و 5/ 498 و 7/ 501

التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 433

و الیعفور من الظباء الأحمر و الاعیس الأبیض. و قیل (اللمم) مقاربة الشیء

من غير دخول فيه، يقال: ألمّ بالشىء يلم إلماماً إذا قاربه. و قيل (اللمم) الصغير من الذنوب، كما قال (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ) «1» ذهب اليه ابن عباس و ابن مسعود. و قيل (اللمم) إتيان الشىء من غير اقامة عليه قال الحسن: هو إصابة الفاحشة من غير إقامة للمبادرة بالتوبة.
ثم أخبر عن نفسه تعالى بأنه واسع المغفرة للمذنبين بقوله (إن ربك) يا محمد (واسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) يعنى أنشأ أباكم آدم من أديم الأرض. و قال البلخى: يجوز ان يكون المراد به جميع الخلق، من حيث خلقهم اللّه تعالى من الطبائع الأربع على حسب ما أجرى العادة من خلق الأشياء عند ضرب من تركيبها، و خلق الحيوان عند تناول أغذية مخصوصة خلقها اللّه من الأرض، فكأنه تعالى أنشأهم منها.
و قوله (وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ) أى هو أعلم بكم فى هذه الأحوال كلها لم يخف عليه من أحوالكم شىء منها.
ثم نهاهم تعالى فقال (فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ) أى لا تعظموها و لا تمدحوها بما ليس لها، فانى أعلم بها (هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى) معاصيه و فعل طاعاته و الفرق بينه و بين من خالفه، و قال قوم: نهاهم أن يزكوا أنفسهم بفعل الواجبات، و فعل المندوبات، و ترك القبائح لأنه اقرب إلى النسك و الخشوع. و الأجنة جمع جنين.
و هو الدفين فى الشىء قال الحارث:
و لا شمطاء لم تترك شفاها لها من تسعة إلا جنينا «2»

---

(1) سورة 4 النساء آية 30 [.....]
(2) اللسان (جنن)

أى إلا دفينا فى قبره. ثم قال للنبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله (أَ فَرَأَيْتَ الَّذِى تَوَلَّى وَ أَعْطى قَلِيلًا وَ أَكْدى) قال مجاهد: نزلت فى الوليد ابن المغيرة و كان أعطى قليلا من ماله لمن يتحمل عنه العذاب فى الآخرة. ثم منع ما ضمن له. و قيل: إن (الذى أَعْطى قَلِيلًا وَ أَكْدى) هو المنافق الذى يعطى قليلا فى المعونة على الجهاد ثم يمنع و قال ابن عباس و مجاهد: معنى (و أكدى) قطع العطاء، كما يقطع البئر الماء و اشتقاق (اكدى) من كدية الركية، و هى صلابة تمنع الماء إذا بلغ الحافر اليها يئس من الماء، فيقول بلغنا كديتها أى صلابتها التى تؤيس من الماء، يقال: اكدى يكدى إكداء إذا منع الخير، و كديت أظفاره إذا غلظت، و كديت أصابعه إذا كلت، فلم تعمل شيئاً، و كدى النبت إذا قل ريعه، و الأصل واحد. و قيل:
الكدية صخرة يبلغ اليها حافر البئر فلا يمكنه الحفر.
و قوله (أَ عِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرى) إنكار على من ذكره، و هو الذى تولى

و اعطى قليلا من ماله لَيتحمل عنه خطأه، فقال (أ عِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرى) أى يعلم صدق الذى وعده ليتحمل خطاياه؟!

أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِما فِی صُحُفِ مُوسی (36) وَ إِبْراهِيمَ الَّذِی وَفَّی (37) أَلاَّ تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْری (38) وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاَّ ما سَعی (39) وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُری (40)
ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفی (41) وَ أَنَّ إِلی رَبِّکَ الْمُنْتَهی (42) وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَکَ وَ أَبْکی (43) وَ أَنَّهُ هُوَ أَماتَ وَ أَحْيا (44) وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی (45)
مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنی (46)
التبيان فی تفسير القرآن، ج9، ص: 435
احدی عشرة آية بلا خلاف.
لما وبخ اللّه تعالی الذی أعطی قليلا و اکدی، و بين أنه ليس عنده علم الغيب فيصدق من قال إنه يتحمل خطاياه، بين ان الذی وعده بذلک (أم لم ينبأ) أی لم يخبر بما فی صحف الأنبياء و لم يعلم ذلک ف (أم) بمعنی (بل) و تقديره بل لم ينبأ بما فی صحف موسی و الصحف جمع صحيفة و المراد- هاهنا- مکتوب الحکمة، لأنها کتب اللّه.
و قوله (و ابراهيم) أی و لا فی صحف ابراهيم (الذی و فی) أی و فی بما يجب عليه للّه- عز و جل- و استحق أن يمدح بهذا المدح. و قال مجاهد (وَ إِبْراهِيمَ الَّذِی وَفَّی أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْری) و قيل فی رسالة ربه فی هذا أو فی غيره- ذکره سعيد بن جبير و قتادة و ابن زيد- و هو أليق بالعموم. و قوله (الذی وفی) قيل: استحق المدح بذبح ولده و إلقائه فی النار و تکذيبه فی الدعاء إلی اللّه فوفی ما عليه فی جميع ذلک. و قوله (أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْری) أی بين اللّه تعالی فی صحف ابراهيم و موسی أن لا تزر وازرة وزر أخری، و معناه أنه لا يؤاخذ احد بذنب غيره. يقال: وزر يزر إذا کسب وزراً، و هو الإثم، فهو وازر.
و قوله (وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعی) معناه ليس له من الجزاء إلا جزاء ما عمل دون ما عمله غيره، و متی دعا إلی الايمان من أجاب اليه فهو محمود عليه علی طريق التبع کأنه من أجل عمله صار له الحمد علی هذا، و لو لم يعمل شيئاً ما استحق شيئاً لا ثواباً و لا عقاباً.
و قوله (وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُری) معناه إن ما يفعله الإنسان و يسعی فيه لا بد أن يری فی ما بعد بمعنی أنه يجازی عليه من ثواب او عقاب، و بين ذلک بقوله التبيان فی تفسير القرآن، ج9، ص: 436
(ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفی) أی يجازی علی اعماله الطاعات بأوفی ما يستحقه من الثواب الدائم، و الهاء فی (يجزاه) عائدة علی السعی.
و قوله (وَ أَنَّ إِلی رَبِّکَ الْمُنْتَهی) معناه و أن إلی ثواب ربک و عقابه آخر

الأمور، و المنتهى هو المصير إلى وقت بعد الحال الأولى عن حال مثلها، فللتكليف منتهى، و ليس للجزاء فى دار الآخرة منتهى. و المنتهى قطع العمل الى حال أخرى و المنتهى، و الآخر واحد. و قوله (وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَکَ وَ أَبْکى) قيل اضحک بأن فعل سبب ذلک من السرور و الحزن، كما يقال أضحكنى فلان و أبكانى إذا كان سبب ذلک بما يقع عنده ضحكى و بكائى، فعلى هذا الضحک و البكاء من فعل الإنسان. و قد قال اللَّه تعالى (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَ لْيَبْكُوا كَثِيراً) «1» و لو لم يكن من فعلنا لما حسن ذلک. و قال تعالى (أَ فَمِنْ هذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَ تَضْحَكُونَ وَ لا تَبْكُونَ) «2» و قال (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) «3» فنسب الضحک اليهم. و قال الحسن: اللَّه تعالى هو الخالق للضحک و البكاء، و الضحک تفتح اسرار الوجه عن سرور و عجب فى القلب، فإذا هجم على الإنسان منه ما لا يمكنه دفعه فهو من فعل اللَّه الذى أضحک و ابكى. و البكاء جريان الدموع على الخد عن غم فى القلب، و إنما يبكى الإنسان عن فرح يمازجه تذكر حزن، فكأنه عن رقة فى القلب يغلب عليها الغم.
و قوله (أَنَّهُ هُوَ أَماتَ وَ أَحْيا) معناه انه تعالى الذى يخلق الموت فيميت به الأحياء لا يقدر على الموت غيره، لأنه لو قدر على الموت غيره لقدر على الحياة، لأن القادر على الشىء قادر على ضده، و لا احد يقدر على الحياة إلا اللَّه.

---

(1) سورة 9 التوبة آية 83
(2) سورة 53 النجم آية 60
(3) سورة 83 المطففين آية 34
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 437
و قوله (و أحيا) أى هو الذى يقدر على الحياة التى يحيى بها الحيوان لا يقدر عليها غيره من جميع المحدثات.
ثم بين ايضاً (أنه) الذى (خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ) منهما (وَ الْأُنْثى مِنْ نُطْفَةٍ) أى خلق الذكر و الأنثى من النطفة، و هى ماء الرجل و المرأة التى يخلق منها الولد (إذا تمنى) يعنى إذا خرج المنى منهما و جعل فى الرحم خلق اللَّه تعالى منها الولد إما ذكراً و اما أنثى، و معنى تمنى أى تلقى على تقدير فى رحم الأنثى، و أصله التقدير يقولون: منى يمنى فهو مان إذا قدر قال الشاعر:
حتى تلاقى ما يمنى لک المانى «1»
أى يقدر و منه التمنى تقدير المعنى للاستمتاع به.

وَ أَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرى (47) وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنى وَ أَقْنى (48) وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرى (49) وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الْأُولى (50) وَ ثَمُودَ فَما أَبْقى (51)
وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغى (52) وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوى (53) فَغَشَّاها ما غَشَّى (54) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمارى (55)
تسع آيات بلا خلاف.
قرأ اهل البصرة غير سهل (عاد الولى) مدغمة بلا همز، و عن نافع خلاف فانه ادغم و ترک الهمزة إلا قالون، فانه همز، الباقون بالهمز و الاظهار. من أدغم القى حركة الهمزة على اللام، فانضمت ثم سكنها و حذف همزة الوصل، و لقيتها

---

(1) مر فى 1/ 319 و هو فى القرطبى 17/ 118

النون فأدغمت فى اللام، و نظير ذلک قول العرب: قم الآن عنا، يريدون قم الآن عنا. و قولهم: صم الثنين أى صم الاثنين. الباقون تركوه على حاله. و قرأ حمزة و حفص عن عاصم (و ثمود) بلا تنوين. الباقون بتنوين. قال الفراء: و قوله (وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ) «1» ترک صرفها لأنه ليس فيها الف.
لما بين اللّه تعالى انه هو الذى يخلق الذكر و الأنثى من النطفة إذا تمنى ذكر (وَ أَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرى) و هى البعثة يوم القيامة. و النشأة الصنعة المخترعة خلاف المسببة، و هما نشأتان: الأولى فى الدنيا، و الثانية فى الآخرة.
ثم قال «وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنى وَ أَقْنى» و معناه أغنى بالمال و اقنى بأصول الأموال. و قال مجاهد: اقنى أى اخدم. و قال الزجاج: و معناه اغنى بعد الفقر و اقنى بالمال الذى يقتنى. و قيل: معنى (اقنى) انه جعل له اصل مال، و هو القنية التى جعلها اللّه للعبد، فاما (اغنى) فقد يكون بالعافية و القوة و المعرفة قال الأعشى:
فاقنيت قوماً و اعمرتهم و أخربت من ارض قوم ديارا «2»
اى جعل لهم قنية. و اصل (اقنى) الاقتناء، و هو جعل الشىء للنفس على اللزوم، فمنه القناة، لأنها مما يقتنى و من ذلک اقنى الانف، لأنه كالقناة فى ارتفاع وسطه و دقة طريقه. و القنو العذق قبل ان يبلغ لأنه كالذى يقنى فى اللزوم حتى يبلغ، و المقاناة المشاكلة فى اللون.
و قوله (وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرى) معناه و ان اللّه الذى خلق الشعرى و اخترعها.
و الشعرى النجم الذى خلف الجوزاء و هو احد كوكبى ذراع الأسد و قم

المرزم، و كانوا يعبدونهما فى الجاهلية- فى قول مجاهد و قتادة- ثم قال «وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الْأُولى» قيل هو عاد بن ارم، و هم الذين اهلكهم اللَّه بريح صرصر عاتية. و عاد

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 59
(2) ديوانه (دار بيروت) 82 و روايته (فأقللت)

الآخرة أهلكوا ببغى بعضهم على بعض، فتفاتوا بالقتل- ذكره ابن إسحاق- و قال الحسن: الأولى أى قبلكم، و إنما فتحت (أن) فى المواضع كلها، لأنها عطف على قوله «أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِما فِى صُحُفِ مُوسى وَ إِبْراهِيمَ الَّذِى وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» و بكذا و كذا، فلما حذف الباء نصبه. و قوله «وَ ثَمُودَ فَما أَبْقى» نصب ب (أهلك) الذى قبله، و تقديره و أهلك ثموداً فما أبقى، و لا يجوز أن يكون منصوباً بقوله «فما أبقى» لان (ما) لا يعمل ما بعدها فى ما قبلها، لا تقول:
زيداً ما ضربت، لأنها من الحروف التى لها صدر الكلام، كألف الاستفهام.
و قوله «وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ» معناه و أهلكنا قوم نوح من قبل قوم صالح «إِنَّهُمْ كانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغى» فالأظلم الأعظم ظلماً، و الأطغى الأعظم طغياناً، فالظلم يتعاظم كما يتعاظم الضرر، و عظم الظلم بحسب عظم الزاجر عنه. و قيل:
مكث نوح فى قومه يدعوهم إلى اللَّه و كلما دعاهم فما يزدادون إلا تتابعاً فى الضلال و تواصياً بالتكذيب لأمر اللَّه- فى قول قتادة- و قوله «و المؤتفكة» يعنى المنقلبة، و هى التى صار أعلاها أسفلها، و أسفلها أعلاها ائتفكت بهم تؤتفك ائتفاكاً، و منه الافك الكذب، لأنه قلب المعنى عن وجهه.
و معنى «أهوى» نزل بها فى الهوى، و منه الهوى: أهوى بيده ليأخذ كذا، و هوى هواء إذا نزل فى الهواء، فأما إذا نزل فى سلم أو درجة، فلا يقال:
أهوى، و لا هوى. و قيل: قرية سدوم: قوم لوط، رفعها جبرائيل إلى السماء ثم أهوى بها قالباً لها- فى قول مجاهد و قتادة- و قوله «فَغَشَّاها ما غَشَّى» يعنى من الحجارة المسومة التى رموا بها من السماء- فى قول قتادة و ابن زيد- و المعنى فجللها من العذاب ما يعمها حتى أتى عليها (ما غشى) و فيه تفخيم شأن العذاب الذى رماها به و نالها من جهة إبهامه فى قوله «ما غشى» كأنه قد جل الأمر عن أن يحتاج التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 440
إلى تفصيل وصفه.
و قوله «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمارى» معناه بأى نعم ربك ترتاب يا بن آدم !- ذكره قتادة- و إنما قيل بعد تعديد النعم «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمارى» لأن النقم التى عددت على من ذكر نعم من اللَّه علينا لما لنا فى ذلك من اللطف فى

الانزجار عن القبيح مع أنه نالهم ما نالهم بكفرهم النعم فبأى نعم ربک أيها المخاطب تتمارى حتى تكون مقارناً لهم فى سلوک بعض مسالكهم، أى فما بقيت لک شبهة بعد تلک الأهوال فى جحد نعمه.

هذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولى (56) أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (57) لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللَّهِ كاشِفَةٌ (58) أَ فَمِنْ هذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَ تَضْحَكُونَ وَ لا تَبْكُونَ (60) وَ أَنْتُمْ سامِدُونَ (61) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا (62)

سبع آيات بلا خلاف.

قوله «هذا نذير» إشارة إلى رسول اللَّه صَلى اللَّهُ عَليهِ و آله- فى قول قتادة- و قال ابو مالک: هو إشارة إلى القرآن «مِنَ النُّذُرِ الْأُولى» فى صحف إبراهيم و موسى.

يقول اللَّه تعالى «هذا» يعنى محمداً «نذير» أى مبين لما ينبغى أن يحاذر منه و ما ينبغى ان يرغب فيه بأحسن البيان، و هذه صفة رسل اللَّه عليهما السلام.

و النبى أحسن الناس إنذاراً و أكرمهم إبلاغاً لما امر اللَّه بتبليغه إلى أمته. و قوله «مِنَ النُّذُرِ الْأُولى» من جملة الرسل الذين بعثهم اللَّه، و إن كان هو آخرهم، كما تقول: هو من بنى آدم، و إن كان أحدهم.

و قوله «أَزِفَتِ الْآزِفَةُ» معناه دنت القيامة، و هى الدانية. قال النابغة الذبيانى التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 441

أزف الترحل غير ان ركابنا لما تزل برحالنا و كأن قد «1»

و قال كعب بن زهير:

بان الشباب و امسى الشيب قد أزفا و لا ارى لشباب ذاهب خلفا «2»

و إنما سميت القيامة آزفة، و هى الدانية، لان كل آت قريب، فالقيامة قد قربت بالاضافة إلى ما مضى من المدة من لدن خلق اللَّه الدنيا. و قوله «لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللَّهِ كاشِفَةٌ» معناه لا يقدر أن يقيمها إلا اللَّه وحده، و ليس يجلى عنها و يكشف عنها سواه. و قيل كاشفة أى جامعة كاشفة أى نفس كاشفة، و يجوز ان يكون مصدراً مثل العافية و العاقبة و الواقية، فيكون المعنى ليس لها من دون اللَّه كشف أى ذهاب أى لا يقدر أحد غير اللَّه على ردها. و قال الحسن: هو مثل قوله «لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ» «3» و قيل: كاشفة بمعنى الانكشاف كقوله «لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ» «4» و مثله «وَ لا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ» «5» أى خيانة، و السامد اللاهى، يقال دع عنک سمودک أى أمرک، و كأنه المستمر فى اللهو، يقال: سمد يسمد سموداً فهو سامد، و قال الشاعر:

قيل قم فانظر اليهم ثم دع عنک السمودا «6»

و يقال للجارية: اسمدى لنا أى غنى. و قوله «فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا» أمر من اللَّه تعالى بالسجود له و الصلاة و ان يعبدوه خالصاً مخلصاً لا يشركون به احداً فى العبادة، فتعالى اللَّه عن ذلک، و فى الآية دلالة على ان السجود-

هاهنا- فرض على ما يذهب اليه أصحابنا لان الأمر يقتضى الوجوب.

_____

(1) القرطبى 17/ 122 و الطبرى 27/ 43
(2) تفسير الطبرى 27/ 43
(3) سورة 7 الاعراف آية 186
(4) سورة 56 الواقعة آية 2
(5) سورة 5 المائدة آية 14
(6) اللسان (سمد)
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 442

اشارة

مكية بلا خلاف. و هى خمس و خمسون آية بلا خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2) وَ كَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ وَ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (3) وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الْأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4)
حِكْمَةٌ بالِغَةٌ فَما تُغْنِ النُّذُرُ (5)
خمس آيات.
قرأ ابو جعفر «وَ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ» بالجر صفة ل (أَمْرٍ). الباقون بالرفع على انه خبر (كُلُّ).
هذا اخبار من اللَّه تعالى بدنو الساعة و قرب أوانها، فقوله «اقْتَرَبَتِ» أى دنت و قربت و فى (اقْتَرَبَتِ) مبالغة، كما أن فى (اقتدر) مبالغة على القدرة، لأن اصل (افتعل) طلب أعداد المعنى بالمبالغة نحو (اشتوى) إذا أتخذ شوى فى المبالغة فى اتخاذه، و كذلک (اتخذ) من (أخذ). و الساعة القيامة. و قال الطبرى:
تقديره اقتربت الساعة التى يكون فيها القيامة. و جعل اللَّه تعالى من علامات دنوها انشقاق القمر المذكور معها، و فى الآية تقديم و تأخير، و

الساعة. و من أنكر انشقاق القمر و أنه كان، و حمل الآية على كونه فى ما بعد- كالحسن البصرى و غيره، و اختاره البلخى- فقد ترک ظاهر القرآن، لأن قوله «انْشَقَّ» يفيد الماضى، و حمله على الاستقبال مجاز. و قد روى انشقاق القمر عبد اللَّه بن مسعود و انس ابن مالک و ابن عمر و حذيفة و ابن عباس و جبير بن مطعم و مجاهد و إبراهيم، و قد أجمع المسلمون عليه و لا يعتد بخلاف من خالف فيه لشذوذه لان القول به أشتهر بين الصحابة فلم ينكره أحد، فدل على صحته، و أنهم اجمعوا عليه فخلاف من خالف فى ما بعد لا يلتفت اليه. و من طعن فى انشقاق القمر بأنه لو كان لم يخف على أهل الإفطار فقد أبعد لأنه يجوز ان يحجبه اللَّه عنهم بغيم، و لأنه كان ليلا فيجوز ان يكون الناس كانوا نياماً فلم يعلموا به، لأنه لم يستمر لزمان طويل بل رجع فالتأم فى الحال، فالمعجزة تمت بذلک.
و قوله «وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً» احتمل ان يكون اخباراً من اللَّه تعالى عن عناد كفار قريش بأنهم متى رأوا معجزة باهرة و حجة واضحة أعرضوا عن تأملها و الانقياد لصحتها عناداً و حسداً، و قالوا هو «سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ» أى يشبه بعضه بعضاً. و قيل «سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ» من الأرض إلى السماء. و قال مجاهد و قتادة معناه ذاهب مضمحل و قال قوم: معناه شديد من أمرار الحبل، و هو شدة فتله.

و قوله «وَ كَذَّبُوا» يعنى بالآية التى شاهدوها و لم يعترفوا بصحتها و لا تصديق من ظهرت على يده «وَ اتَّبَعُوا» فى ذلک «أَهْواءَهُمْ» يعنى ما تميل طبائعهم اليه، فالهوى رقة القلب بميل الطباع كرقة هواء الجو، تقول: هوى يهوى هوياً، فهو هاو إذا مال طبعه إلى الشىء، و هو هوى النفس مقصور، فأما هواء الجو فممدود و يجمع على أهوية. و هوى يهوى إذا انحدر فى الهواء، و المصدر الهوى.
و الاسم الهاوية. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 444
و قوله «وَ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ» معناه كل أمر من خير او شر مستقر ثابت حتى يجازى به إما الجنة او النار- ذكره قتادة- ثم قال «وَ لَقَدْ جاءَهُمْ» يعنى هؤلاء الكفار «مِنَ الْأَنْباءِ» يعنى الاخبار العظيمة بكفر من تقدم من الأمم و إهلاكنا إياهم التى يتعظ بها «ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ» يعنى متعظ، و هو مفتعل من الزجر إلا ان التاء أبدلت دالا لتوافق الراء بالجهر مع الدال لتعديل الحروف فيتلاءم و لا يتنافر.
و قوله «حِكْمَةٌ بالِغَةٌ» معناه نهاية فى الصواب، و غاية فى الزجر بهؤلاء الكفار و قوله «فَما تُغْنِ النُّذُرُ» يجوز فى (ما) وجهان:
أحدهما- الجحد، و يكون التقدير: لا يغنى التخويف.
و الثانى- ان تكون بمعنى (أى) و تقديره أى شىء يغنى الانذار. و النذر جمع نذير. و قال الجبائى: معناه إن الأنبياء الذين بعثوا اليهم لا يغنون عنهم شيئاً من عذاب الآخرة الذى استحقوه بكفرهم، لأنهم خالفوهم و لم يقبلوا منهم.

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلى شَيْءٍ نُكُرٍ (6) خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ (7) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكافِرُونَ هذا يَوْمٌ عَسِرٌ (8) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنا وَ قالُوا مَجْنُونٌ وَ ازْدُجِرَ (9) فَدَعا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (10)

خمس آيات.

قرأ «خشعاً» على الجمع أهل العراق إلا عاصما، الباقون «خاشعا» على وزن (فاعل) و نصبوه على الحال. و من قرأ «خاشعاً» بلفظ الواحد، فلتقدم

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 445

الفعل على الفاعل. و قرأ ابن كثير وحده (نكر) بسكون الكاف. الباقون بالتثقيل و هما لغتان. و قال ابو على النحوى: النكر أحد الحروف التى جاءت على (فعل، و فعل) و هو صفة. و على ذلک حمله سيبويه و أستشهد بالآية. و مثله ناقة أحد و مشية سجح. و من خفف جعله مثل رسل رسل و كتب و كتب، و الضمة فى تقدير الثبات، لما حكى اللّه تعالى عن الكفار أنه ليس ينفع فى وعظهم و زجرهم الحكمة البالغة، و لا يغنى النذر أمر النبى بالاعراض عنهم و ترک مقابلتهم على سفههم. فقال «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» أى اعرض عنهم «يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلى شَيْءٍ نُكُرٍ» قيل فى معناه أقوال:

أحدها- قال الحسن فتولى عنهم إلى يوم يدعو الداعى.

و الثانى- فتول عنهم و أذكر يوم يدع الداعى إلى شىء نكر، يعنى لم يروا مثله قط فينكرونه استعظاماً له.

الثالث- ان المعنى فتول عنهم، فإنهم يرون ما ينزل بهم من العذاب يوم يدعو الداعى و هو يوم القيامة، فحذف الفاء من جواب الامر. و الداعى هو الذى يطلب من غيره فعلا. و نقيضه الصارف، و هو الطالب من غيره أن لا يفعل بمنزلة الناطق بأن لا يفعل، تقول: دعا يدعو دعاء فهو داع و ذاک مدعو. و النكر: هو الذى تأباه من جهة نفور الطبع، و هو صفة على وزن فعل، و نظيره رجل جنب و ارض جرز، و هو من الإنكار نقيض الإقرار، لان النفس لا تقر بقبوله، و إنما وصف بأنه نكر لغلظه على النفس، و إنهم لم يروا مثله شدة و هؤلاء كأنهم ينكرونه لما قبح فى عقولهم.

و قوله «خاشعا أبصارهم» فمعنى الخاشع الخاضع، خشع يخشع خشوعاً، فهو خاشع، و الجمع خشع، و يخشع الرجل إذا نسک، و خاشعاً حال مقدمة. و العامل فيها (يخرجون) و قيل «خاشعاً أبصارهم» لتقدم الصفة على الاسم، كما قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 446

و شباب حسن أوجههم من إياد بن نزار بن معد «1»

و قال آخر:

ترى الفجاج بها الركبان معترضا أعناق أبزلها مرخى لها الجدل «2»
و الجديل هو الزمام، و لم يقل مرخيات و لا معترضات «يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ» يعنى من القبور واحدها جدث و جدف أيضاً لغة، و اللحد جانب القبر و أصله الميل عن الاستواء «كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ» أى من جراد منتشر من كثرتهم و قوله «مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ» قال الفراء و ابو عبيدة: مسرعين. و قال قتادة: معناه عامدين بالاهطاع و الإهطاع الاسراع فى المشى، يقال: اهطع يهطع إهطاعاً، فهو مهطع، فهؤلاء الكفار يهطعون إلى الداعى بالإلجاء و الإكراه و الاذلال و وصفت الأبصار بالخشوع، لان ذلة الذليل و عزة العزيز تتبين فى نظره «يَقُولُ الْكافِرُونَ هذا يَوْمٌ عَسِرٌ» حكاية ما يقوله الكفار يوم القيامة بأنه يوم عسر شديد عليهم ثم قال مثل ما كذبك يا محمد هؤلاء الكفار و جحدوا نبوتك «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنا» يعنى نوحاً عليه السلام «وَ قالُوا مَجْنُونٌ» أى هو مجنون قد غطى على عقله فزال بآفة تعتريه «و ازدجر» قال ابن زيد: معناه زجر بالشتم و الرمى بالقبيح. و قال غيره: ازدجر بالوعيد، لأنهم توعدوه بالقتل فى قوله «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ» «3» «فدعا» عند ذلك «ربه» فقال يا رب «انى مغلوب» قد غلبنى هؤلاء الكفار بالقهر لا بالحجة «فانتصر» منهم بالإهلاك و الدمار نصرة لدينك و نبيك. و قال مجاهد: معنى (ازدجر) استطار و استفز جنوناً.

---

(1) تفسير القرطبى 17/ 129 و الطبرى 27/ 48 [.....]
(2) الطبرى 27/ 48
(3) سورة 26 الشعراء آية 116

فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ (11) وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12) وَ حَمَلْناهُ عَلى ذاتِ أَلْواحٍ وَ دُسُرٍ (13) تَجْرِى بِأَعْيُنِنا جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ (14) وَ لَقَدْ تَرَكْناها آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (15) فَكَيْفَ كانَ عَذابِى وَ نُذُرِ (16)

ست آيات.

قرأ ابن عامر «ففتحنا» بالتشديد أى مرة بعد مرة و شيئاً بعد شىء، لأنه كثر و دام لما فار التنور و انهمرت الأرض و السماء بالماء. الباقون بالتخفيف لأنه يأتى على القليل و الكثير، و فى الكلام حذف، و تقديره ان نوحاً عليه السلام لما دعا ربه فقال إنى مغلوب فانتصر يا رب و أهلكهم فأجاب اللَّه دعاءه و فتح أبواب السماء بالماء، و معناه أجرى الماء من السماء، فجريانه إنما فتح عنه باب كان مانعاً له، و ذلک من صنع اللَّه الذى لا يقدر عليه سواه. و جاء ذلک على طريق البلاغة. و الماء المنهمر هو المنصب الكثير قال امرؤ القيس:

راح تمر به الصبا ثم انتحى فيه شؤبوب جنوب منهمر «1»

أى منصب مندفق، انهمر ينهمر انهماراً، و فلان ينهمر فى كلامه، كأنه يتدفق فيه مع كثرته.

و قوله «وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً» فالتفجير تشقيق الأرض عن الماء، و منه انفجر العرق و انفجر السكر، و منه قوله «وَ فَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً» «2» و عيون الماء

---

(1) الطبرى 27/ 49 و القرطبى 17/ 132

(2) سورة 18 الكهف آية 34

واحدها عين، و هو ماء يفور من الأرض مستدير كاستدارة عين الحيوان، و العين مشتركة بين عين الحيوان و عين الماء و عين الميزان و عين الذهب و عين السحابة و عين الركبة «فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ» معناه إن المياه كانت تجرى من السماء و من الأرض على ما أمر اللَّه به و أراده و قدره. و إنما قال «فَالْتَقَى الْماءُ» و المراد به ماء السماء و ماء الأرض، و لم يثن، لأنه اسم جنس يقع على القليل و الكثير «عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ» فيه هلاک القوم فى اللوح المحفوظ. و قيل: معناه إنه كان قدر ماء السماء مثل ما قدر ماء الأرض.

ثم قال تعالى «وَ حَمَلْناهُ» يعنى نوحاً «عَلى ذاتِ أَلْواحٍ وَ دُسُرٍ» يعنى السفينة ذات ألواح مركبة بعضها إلى بعض، و الدسر هى المسامير التى

تشد بها السفينة- فى قول ابن عباس و قتادة و ابن زيد- واحدها دسار و دسير، و دسرت السفينة ادسرها دسيراً إذا شددتها بالمسامير او نحوها. و قيل: الدسر صدر السفينة تدسر به الماء أى تدفع- عن الحسن- و قال مجاهد: الدسر أضلاع السفينة. و قال الضحاک: الدسر طرفاها و أصلها. و قال الزجاج: الدسر المسامير و الشرط التى تشد بها الألواح.
و قوله «تَجْرِى بِأَعْيُنِنا» معناه تجرى السفينة بمرأى منا، و نحن ندركها. و قيل:
أعين الماء التى أنبعناها. و قيل: تجرى بأعين أوليائنا و الموكلين بها من الملائكة.
و قوله «جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ» أى كفر به و هو نوح أى لكفرهم به، كأنه قال غرقناهم لأجل كفرهم بنوح. و قيل: جزاء لنوح و أصحابه أى نجيناه و من آمن معه لما صنع به، و كفر فيه باللّه.
و قوله «وَ لَقَدْ تَرَكْناها آيَةً» يعنى السفينة تركناها دلالة باهرة «فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» بها و متعظ بسببها فيعلم أن الذى قدر على ذلک لا يكون من قبيل الأجسام و انه لا يشبه شيئاً و لا يشبهه شىء. و قال قتادة: أبقى اللّه تعالى سفينة نوح حتى التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 449
أدركها أوائل هذه الأمة، فكان ذلک آية (و مدكر) أصله متذكر، فقلبت التاء دالا لتواخى الدال بالجهر. ثم أدغمت الذال فيها. و قيل: وجه كونها آية انها كانت تجرى بين ما الأرض و ماء السماء، و كان قد غطاها على ماء أمره اللّه تعالى به. و قوله «فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» قد بينا معناه. و قال قتادة: معناه فهل من طالب علم فيعان عليه.
و قوله «فَكَيْفَ كانَ عَذابِى وَ نُذُرِ» تهديد للكفار و تنبيه لهم على عظم ما فعله بأمثالهم من الكفار الجاحدين لتوحيده، و إنما كرر «فَكَيْفَ كانَ عَذابِى وَ نُذُرِ» لأنه لما ذكر أنواع الانذار و العذاب انعقد التذكير لشىء شىء منه على التفصيل، و النذر جمع نذير- فى قول الحسن- قال: و تكذيب بعضهم تكذيب لجميعهم. و قال الفراء: هو مصدر، و منه «عُذْراً أَوْ نُذْراً» «1» مخففة و مثقلة و «إِلى شَىْءٍ نُكُرٍ» و يقال: أنذره نذراً بمعنى إنذاراً مثل أنزله نزلا بمعنى إنزالا.

وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (17) كَذَّبَتْ عادٌ فَكَيْفَ كانَ عَذابِی وَ نُذُرِ (18) إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِی يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (19) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20) فَكَيْفَ كانَ عَذابِی وَ نُذُرِ (21)

خمس آيات.

أقسم اللّه تعالى بأنه يسر القرآن للذكر، و التيسير للشىء هو تسهيله، و أخذه بما ليس فيه كثير مشقة على النفس، فمن سهل له طريق العلم فهو حقيق بالحظ الجزيل

---

(1) سورة 77 المراسلات آية 6

منه، لان التيسير أكبر داع اليه، و تسهيل القرآن للذكر خفة ذلک على النفس لحسن البيان و ظهور البرهان فى الحكم السنية و المعانى الصحيحة الموثوق بها لمجيئها من اللّه تعالى، و إنما صار الذكر من اجل ما يدعى اليه و يحث عليه، لأنه طريق العلم، لأن الساهى عن الشىء او عن دليله لا يجوز أن يعلمه فى حال شهوة، فإذا تذكر الدلائل عليه و الطريق المؤدية اليه فقد تعرض لعلمه من الوجه الذى ينبغى له.

و قوله «فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» معناه فهل من متعظ معتبر بذلک ناظر فيه.

ثم قال (كذبت عاد) يعنى بالرسول الذى بعثه اليهم، و هو هود عليه السلام فاستحقوا الهلاک فاهلكهم اللّه (فَكَيْفَ كانَ عَذابِی) لهم و (نذر) أى و إنذارى إياهم. ثم بين كيفية إهلاكهم فقال (إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً) و هى الشديدة الهبوب حتى يسمع فى صوتها صرير، و هو مضاعف صرّ مثل كب و كبكب و نهه و نهنهه، و قال ابن عباس و قتادة و الضحاک: كانت ريحاً باردة. و قال ابن زيد و سفيان: كانت شديدة.

و قوله (فِی يَوْمِ نَحْسٍ) يعنى يوم شؤم- فى قول قتادة- (مستمر) أى إستمر بهم العذاب إلى نار جهنم- فى قول قتادة- و قوله (تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) معناه تقتلع هذه الريح الناس ثم ترمى بهم على رؤسهم فتدق رقابهم فيصيرون كأنهم أعجاز نخل، لان رؤسهم سقطت عن أبدانهم- فى قول مجاهد- و قيل: استمرت بهم الريح سبع ليال و ثمانية أيام حتى أتت عليهم شيئاً بعد شىء. و قيل (تنزع الناس) من حفر حفروها ليمتنعوا بها من الريح. و قال الحسن: فيه إضمار تقديره تنزع أرواح الناس، و اعجاز النخل أسافله. و النخل يذكر و يؤنث، و المنقعر المنقلع من أصله، لان قعر الشىء قراره المستقل منه، فلهذا قيل للمنقطع من أصله: منقعر، يقال:

انعقر انعقاراَ، و قعره تقعيراَ، و تقعر- فى التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 451
كلامه- تقعراً إذا تعمق. (فَكَيْفَ كانَ عَذابِى وَ نُذُرِ) تعظيم للعذاب النازل بهم.
و الانذار فى الآية هو الذى تقدم اليهم به. و فائدة الآية التحذير من مثل سببه لئلا يقع بالمحذر مثل موجبه.

وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (22) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (23) فَقالُوا أَ بَشَراً مِنَّا واحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَ سُعُرٍ (24) أَ أُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (25) سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (26) إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَ اصْطَبِرْ (27) وَ نَبِّئْهُمْ أَنَّ الْماءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (28) فَنادَوْا صاحِبَهُمْ فَتَعاطى فَعَقَرَ (29) فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ (30)

تسع آيات.

قرأ «ستعلمون» بالتاء اهل الشام و حمزة، على الخطاب، الباقون بالياء على الغيبة، اللام فى قوله (و لقد) جواب القسم فاللّه تعالى أقسم بأنه يسر القرآن للذكر، و قد بينا معناه. و قيل: الوجوه التى يسر اللّه بها القرآن هو أنه ابان عن الحكم الذى يعمل عليه، و المواعظ التى يرتدع بها، و المعانى التى يحتاج إلى التنبيه عليها و الحجج التى تميز بها الحق من الباطل. و إنما أعيد ذكر التيسير لينبئ عن انه يسر بهذا الوجه من الوجوه كما يسر بالوجه الأول. و قد يسر بحسن التأليف للحفظ كما يسر بحسن البيان عما يخاف للوعظ. و قال الزجاج: إن كتب الأنبياء كانوا يقرءونها نظراً و لم يحفظونها، و القرآن سهل اللّه تعالى عليهم حفظه فيحفظه الخلق الكثير، و التيسير التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 452

التمكين التام لأنه قد يمكن العمل بمشقة و بغير شقة، فالذى تنتفى عنه المشقة للتمكين التام هو المسهل. و فائدة الآية تبيين ما ينبغى أن يطلب العلم من جهته. و إنما كرر لأنه حث على ذلک بعد حث، و أنه ميسر بضروب التيسير.

و قوله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ) إخبار من اللّه تعالى أن ثمود، و هم قوم صالح كذبت بالإنذار. و من قال: النذر جمع نذير قال لأن تكذيب واحد من الرسل فى إخلاص توحيد اللّه كتكذيب جميعهم، لأنهم متفقون فى ذلک و إن اختلفت شرائعهم.

و فائدة الآية التحذير من مثل حالهم.

ثم حكى ما قالته ثمود فإنهم (فَقالُوا أَ بَشَراً مِنَّا واحِداً نَتَّبِعُهُ) و المعنى أ نتبع بشراً منا واحداً أ نتبعه؟! و دخلت عليهم الشبهة، فظنوا أن الأنبياء ينبغى أن يكونوا جماعة، لان الأشياء ذووا نظائر تجرى على حكم واحد، و تركوا النظر فى أنه يجوز ان يصلح واحد من الخلق لتحمل النبوة و إن لم يصلح له غيره، فصار بمنزلة مدع لا دليل معه على صحة دعواه عندهم. و فائدة الآية تبيان شبهتهم الخسيسة الضعيفة و انهم حملوا أنفسهم على تكذيب الرسل لأجلها. و جوابهم أن يقال لهم:

لأنه لا يصلح له سواه من جهة معرفته بربه و قيامه بأداء رسالته و سلامة ظاهره و باطنه.
و قوله (إِنَّا إِذاً لَفِی ضَلالٍ) معناه إن اتبعناه مع انه واحد منا إنا إذا لفی ضلال عن الصواب (و سعرٍ) أی و عناء- فی قول قتادة- و السعر جمع سعیر كأنهم فی ضلال و عذاب كعذاب السعیر. و قال قوم: معناه و سعر جنون. و أصله التهاب الشیء و هو شدة انتشاره، یقال: ناقة مسعورة إذا كان لها جنون. و قال الزجاج:
یجوز أن یكون المراد و عذاب، و یجوز جنون.
و قوله (أَ أُلْقِیَ الذِّكْرُ عَلَیْهِ مِنْ بَیْنِنا) إستفهام من قوم صالح على وجه الإنكار و الجحود و التعجب، و معنى (أَ أُلْقِیَ الذِّكْرُ) یعنی الوحی (من بیننا) لما رأوا التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 453
استواء حال الناس فی الظاهر لم یكن بعضهم أحق عندهم بانزال الوحی علیه من بعض. و قد وصفوا أنفسهم أن حاله مساویة لأحوالهم فجاء من هذا ألا یكون أحق بالوحی الذی ینزل علیه منهم، و اغفلوا أن اللّه اعلم بمصالح عباده و من یصلح للقیام برسالته ممن لا یصلح.
ثم حكی ما قالوه فی صالح، فإنهم قالوا (بَلْ هُوَ كَذَّابٌ) فی دعواه أنه نبی أوحی اللّه الیه (أشر) أی بطر، فالأشر البطر الذی لا یبالی ما قال. و قیل: هو المرح الطالب للفخر و عظم الشأن، یقال: أشر یأشر أشراً كقولك: بطر یبطر بطراً و أشر و اشر مثل حذر و حذر، و عجل و عجل و فطن و فطن و نحس و نحس. فقال:
اللّه تعالى على وجه التهدید لهم (سَیَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ) و قرأ ابو قلابة (الكذاب الأشرّ) و هذا ضعیف، لأنهم یقولون: هذا خیر من ذا و شر من ذا، و لا یقال: أشرّ، و لا أخیر إلا فی لغة ردیة. و من قرأ (ستعلمون) بالتاء على وجه الخطاب الیهم أی قل لهم، و هی قراءة ابن عامر و حمزة و حفص عن عاصم. و من قرأ بالیاء فعلى وجه الاخبار عن الغائب و هی قراءة الباقین، لأن الكذاب الأشر یوم القیامة یعاقبه اللّه بعذاب النار، فیعلم حینئذ أی الفریقین هم.
و قرب اللّه تعالى القیامة كقرب غد من الیوم. و الفرق بین قوله (ستعلمون غداً من الكذاب) و بین قوله لو قال (ستعلمون غداً الكذاب الأشر) أن الأول یفید فریقین التبس الكذب بكل واحد منهما فیأتی العلم مزیلا لذلك الالتباس و لیس كذلك الثانی.
ثم بین تعالى أنه أرسل الناقة و بعثها بأن أنشأها معجز لصالح، لأنه أخرجها من الجبل الأصم یتبعها ولدها. و قوله (فتنة لهم) نصب (فتنة) على انه مفعول له. و معنى ذلك إبتلاء لهم و محنة، لأنه تعالى نهاهم ان ینالوها بسوء مع تضیق الشرب التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 454
علیهم بأن لها شرب یوم و لهم شرب یوم آخر. و الشرب- بكسر الشین-

الحظ من الماء- و بضم الشين- فعل الشارب.
ثم حكى تعالى ما قال لصالح فانه تعالى قال له (و اصطبر) أى أصبر على أذاهم (و نبئهم) أى أخبرهم (أَنَّ الْماءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ) يوم للناقة و يوم لهم (كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ) أى كل قسم يحضره من هو له. و قيل المعنى نبئهم أىّ يوم لهم و أىّ يوم لها إلا أنه غلب من يعقل، فقال نبئهم. و قيل: كانوا يحضرون الماء إذا غابت الناقة و يشربونه و إذا حضرت أحضروا اللبن و تركوا الماء لها- ذكره مجاهد- و قيل: كانت الناقة تحضر شربها و تغيب وقت شربهم. و كل فريق يحضر وقت شربه.
و قوله (فَنادَوْا صاحِبَهُمْ) يعنى الذى وافقوه على عقر الناقة، و هو أحمر ثمود، و العرب تغلط فتقول: أحمر عاد. و يريدون بذلک ضرب المثل فى الشؤم، و إنما هو أحمر ثمود- ذكره الزجاج- و قال قوم: اسمه قدار بن سالف.
و قوله (فَتَعاطى فَعَقَرَ) قال ابن عباس تعاطى تناول الناقة بيده فعقرها، و قال معناه تعاطى عقرها فعقرها فأهلكهم اللَّه تعالى عقوبة على ذلک (فَكَيْفَ كانَ عَذابِى وَ نُذُرِ).

إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحِدَةً فَكانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (31) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (32) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (33) إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ حاصِباً إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ (34) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنا كَذلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (35)
وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنا فَتَمارَوْا بِالنُّذُرِ (36) وَ لَقَدْ راوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذابِي وَ نُذُرِ (37) وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذابٌ مُسْتَقِرٌّ (38) فَذُوقُوا عَذابِي وَ نُذُرِ (39) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (40)
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 455
عشر آيات.
لما اخبر اللّه تعالى عن قوم صالح أنهم عقروا الناقة و أنه تعالى أهلكهم بين كيف أهلكهم فقال (إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحِدَةً) و هى المرة من الصوت بشدة عظيمة هلكوا كلهم بها، يقال: صاح يصيح صياحاً و صايحة و مصايحة و صيح به تصييحا و إنها صيحة تخلع القلوب و تهدم الأبدان لعظمها و قوله (فَكانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) أى صاروا كالهشيم، و هو المنقطع بالتكسير و الترضيض، هشم أنفه يهشمه إذا كسره و منه الهاشمة و هى شجة مخصوصة. و الهشم- هاهنا- يبس الشجر المتفتت الذى يجمعه صاحب الحظيرة و (المحتظر) المبتنى حظيرة على بستانه أو غيره، تقول احتظر احتظاراً، و هو من الحظر، و هو المنع من الفعل بحائط أو غيره، و قد يكون الحظر بالنهى. و قرأ بفتح الظاء و هو المكان الذى يحتظر فيه الهشيم. و قيل:
هشيم المحتظر قال الضحاك: هو الحظيرة تتخذ للغنم يبس فتصير رميماً. و قيل:
الهشيم حشيش يابس متفتت يجمعه المحتظر لمواشيه. و قيل: الهشيم اليبس من الشجر أجمع الذى يفتت. و قوله (وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) قد فسرناه و قال قتادة: فهل من طالب علم يتعلم؟ و فيها دلالة على بطلان قول المجبرة، لأنه ذكر انه يسر القرآن ليتذكر العباد به، و لو كان الأمر على ما يقولون لكان ليتذكر القليل منهم دون سائرهم. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 456
و قوله (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ) اخبار منه تعالى أن قوم لوط كذبوا الرسل بالإنذار على ما فسرناه. و فائدة ذكر التحذير على ما بيناه من فعل مثله لئلا ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك، و فى الكلام حذف و تقديره فأهلكناهم. ثم بين كيف أهلكهم فقال (إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ حاصِباً) و الحاصب الحجارة التى يرمى بها القوم، حصبوا بها إذا رموا، و منه الحصباء الأرض ذات الحصى، لأنه

يحصب بها و قيل: الحاصب سحاب رماهم بالحجارة و حصبهم بها قال الفرزدق:
مستقبلين رياح الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور «1»
ثم استثنى آل لوط، و تقديره إنا أرسلنا عليهم حاصباً أهلكناهم به (إلا آل لوط) فانا (نجيناهم) و خلصناهم من العذاب (بسحر) أى بليل لا سحراً بعينه، لان سحراً إذا أردت به سحر يومک لم تصرفه، و إذا أردت به سحراً من الاسحار صرفته.
و قوله (نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنا) قال الزجاج نصبه على انه مفعول له، و يجوز ان يكون على المصدر، و تقديره أنعمنا بها عليهم نعمة. ثم قال (كَذلِکَ نَجْزِی مَنْ شَكَرَ) أى مثل ما فعلنا بهم نفعل بمن يشكر اللَّه على نعمه، و الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم للمنعم، و نقيضه كفر النعمة، و مثله الحمد على النعمة.
ثم اخبر تعالى عن لوط بأنه أنذر قومه بطشة اللَّه و هى الأخذ بالعذاب بشدة فكذلک أخذ اللَّه- عز و جل- آل لوط باشد العذاب بالائتفاک و رمى الأحجار من السماء.
و قوله (فَتَمارَوْا بِالنُّذُرِ) أى تدافعوا على وجه الجدال بالباطل، يقال: تمارى القوم تمارياً و ماراه مماراة و مراء، و مراه يمريه مرياً إذا أستخرج ما عنده من العلم بالمرى.

---

(1) مر فى 6/ 502 و 8/ 209

و قوله (وَ لَقَدْ راوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ) إخبار منه تعالى بأن قوم لوط حاولوا ضيفه و راودوهم على الفساد، فالمراودة المحاولة، فكأن قوم لوط طالبوه بأن يخلى بينهم و بين ضيفه لما يرونه من الفاحشة. و الضيف المنضم إلى غيره على طلب القرى، إذ كانوا أتوا لوطاً على هذه الصفة إلى ان تبين أمرهم و انهم ملائكة اللَّه أرسلهم لاهلاكهم و قوله (فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ) فالطمس محو الأثر بما يبطل معه إدراكه، طمس يطمس طمساً و طمس الكتاب تطميساً و طمست الريح الآثار إذا دفنتها بما تسفى عليها من التراب، قال كعب بن زهير:
من كل نضاخة الذفرى إذا عرفت عرضتها طامس الاعلام مجهول «1»
و قال الحسن و قتادة: عميت أبصارهم. و قال الضحاک: إنهم دخلوا البيت على لوط، فلما لم يروهم سألوا عنهم و انصرفوا.
و قوله (فَذُوقُوا عَذابِی وَ نُذُرِ) معناه قالت لهم الملائكة ذوقوا عذاب اللَّه و نذره أى و ما خوفكم به من عذابه.
ثم قال تعالى (وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ) يعنى قوم لوط (بكرة) نصبه على الظرف فإذا أردت بكرة يومک لم تصرفه. و إذا أردت بكرة من البكرات صرفته. وِ

مثله غدوة و غداة. و قوله (عذاب مستقر) أى استقر بهم حتى هلكوا جميعاَ. و قوله (فَذُوقُوا عَذابِی وَ نُذُرِ) قيل: قالت لهم الملائكة ذلک. و قال قوم: القائل هو اللّه تعالى قال لهم فى تلک الحال يعنى عند طمس أعينهم. و الائتفاک بهم و رميهم بالحجارة (فَذُوقُوا عَذابِی وَ نُذُرِ. وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) و قد فسرناه و بينا الوجه فيه.

---

(1) مر فى 2/ 226 و 3/ 216

وَ لَقَدْ جاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (41) كَذَّبُوا بِآياتِنا كُلِّها فَأَخَذْناهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (42) أَ كُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَراءَةٌ فِي الزُّبُرِ (43) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (44) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ (45) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَدْهى وَ أَمَرُّ (46)

ست آيات.

قرأ روح و زيد (سنهزم) بالنون على وجه الاخبار من اللَّه تعالى عن نفسه الباقون بالياء على ما لم يسم فاعله.

اخبر اللَّه تعالى عن آل فرعون انه جاءهم النذر. و يحتمل ان يكون جمع نذير، و هو الرسول المخوف. و يحتمل ان يكون المراد به الانذار على ما بيناه و معناه إنه جاءهم التخويف من معاصى اللَّه و الوعيد عليها.

ثم اخبر تعالى عنهم بأنهم (كَذَّبُوا بِآياتِنا) يعنى حججنا و براهيننا (كلها) و آل فرعون خاصته الذين كانوا ينضافون اليه بالقرابة. و الموافقة فى المذهب، و يقال: آل القرآن آل اللَّه، لأنهم بمنزلة الآل فى الخاصة و الاضافة. و الانذار الاعلام بموقع المخافة ليتقى. و النذر و الانذار مثل النكر و الإنكار. و هو جمع نذير و هم الرسل. و الداعى إلى تكذيب الرسل الشبهة الداخلة على العقلاء و التقليد و العادة السيئة و غير ذلك.

ثم اخبر تعالى انه أخذهم بالعذاب و الإهلاك (أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ) و هو القاهر الذى لا يقهر و لا ينال، مقتدر على جميع ما يريده لكثرة مقدوراته. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 459

ثم قال (اكفاركم) يعنى قريش و أهل مكة (خَيْرٌ مِنْ أُولئِكُمْ) الكفار، و المعنى إنهم ليسوا بخير من كفار قوم نوح و عاد و ثمود. و قوله (أَمْ لَكُمْ بَراءَةٌ فِي الزُّبُرِ) معناه أ لكم براءة فى الكتب المنزلة من عذاب اللَّه.

و قوله (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ) قال الزجاج: معناه أ يقولون ذلك إدلالا بقوتهم. و يحتمل أن يكون أرادوا نحن جميع أى يد واحدة على قتاله و خصومته (منتصر) أى ندفعه عنا و ينصر بعضنا بعضاً فقال اللَّه تعالى مكذباً لظنونهم (سيهزم الجمع) معناه إن جميعهم سيهزمون (وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ) و لا يثبتون لقتالك، و كان كذلك فكان موافقته لما أخبر به معجزاً له لأنه إخبار بالغيب قبل كونه، و انهزم المشركون يوم بدر و قتلوا و سبوا على ما هو معروف.

ثم قال (بل الساعة) يعنى القيامة (موعدهم) للجزاء لهم بأنواع العقاب و النيران و قوله (وَ السَّاعَةُ أَدْهى وَ أَمَرُّ) فالأدهى الأعظم فى الدهاء. و الدهاء عظم سبب الضرر مع شدة انزعاج النفس و هو من الداهية و جمعه دواه، و الداهية البلية التى ليس فى إزالتها حيلة، و المراد ما يجرى عليهم من القتل

و الأسر عاجلا لا يخلصهم من عذاب الآخرة بل عذاب الآخرة أدهى و أمر. و الأمر الأشد فى المرارة، و هى ضرب من الطعم به يكون الشىء مراً. و يحتمل الأمر الأشد فى استمرار البلاء، لان الأصل التمرر. و قيل مرارة لشدة مرورها و طلبها الخروج بحدة. و قيل:
الأمر الأشد مرارة من القتل و الأسر.

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِی ضَلالٍ وَ سُعُرٍ (47) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِی النَّارِ عَلی وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (48) إِنَّا كُلَّ شَیْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ (49) وَ ما أَمْرُنا إِلاَّ واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (50) وَ لَقَدْ أَهْلَكْنا أَشْياعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (51)
وَ كُلُّ شَیْءٍ فَعَلُوهُ فِی الزُّبُرِ (52) وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (53) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِی جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ (54) فِی مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (55)
التبيان فی تفسير القرآن، ج9، ص: 460
تسع آيات بلا خلاف.
هذا إخبار من اللَّه تعالی بأن المجرمين الذين ارتكبوا معاصی اللَّه و تركوا طاعاته فی ضلال و سعر، و معناه فی ضلال عن الحق و عدول عنه (و فی سعر) يعنی فی عذاب النار تسعرهم و معناه إنهم يصيرون إليه، و إنما جمع بين الضلال و السعر، لأنه لازم لهم و منعقد بحالهم و إن كان الضلال بعصيانهم و السعر بالعقاب علی الضلال، و كأنهم قد حصلوا فيه بحصولهم فی سببه الذی يستحق به. و قيل معنی فی ضلال يعنی فی ذهاب عن طريق الجنة و الآخرة فی نار مسعرة.
و قوله (يوم يسحبون) أی يوم يجرون فی النار علی وجوههم (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) أی يقال لهم مع ذلک ذوقوا مس سقر، و هو كقولهم وجدت مس الحمی و كيف ذقت طعم الضرب. و قيل: إن سقر جهنم و قيل: هو باب من أبوابها، و لم يصرف للتعريف و التأنيث. و لما وصف العقاب قال (إِنَّا كُلَّ شَیْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ) أی العقاب علی مقدار الاستحقاق الذی تقتضيه الحكمة و كذلک غيره فی كل خصلة. و فی نصب (كل) ثلاثة أوجه:
أحدها- علی تقدير إنا خلقنا كل شیء خلقناه بقدر.
الثانی- انه جاء علی زيداً ضربته.
الثالث- علی البدل الذی يشتمل عليه، كأنه قال (إن كل شیء خلقناه بقدر) أی هو مقدر فی اللوح المحفوظ. و قوله (وَ ما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ التبيان فی تفسير القرآن، ج9، ص: 461
بِالْبَصَرِ)
فاللمح خطف البصر، و المعنی و ما أمرنا إذا أردنا ان يكون شيئاً إلا مرة واحدة إنما نقول له كن فيكون أی هذه منزلته فی سرعته و انطياعه.
ثم قال تعالی مخاطباً لكفار قريش و غيرهم «وَ لَقَدْ أَهْلَكْنا أَشْياعَكُمْ» يعنی اتباع مذهبكم فی كفرهم بعبادة الأوثان تتابعوا قرناً بعد قرن فی الإهلاک بعذاب الاستئصال. و الشيعة أتباع القائد إلی أمر. و قيل: المعنی و لقد أهلكنا أشياعكم ممن هو منكم كما أخبر النبی صَلی اللَّهُ عَليه و آله فهی لكل أمة فهل من متعظ. و قال الحسن:

هو على الأمم السالفة «فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» معناه فهل من متذكر لما يوجبه هذا الوعظ من الانزجار عن مثل ما سلف من أعمال الكفار لئلا يقع به ما وقع بهم من الإهلاك.
و قوله (وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ) يعنى فى الكتب التى كتبتها الحفظة.
و قال ابن زيد فى الكتاب. و قال الضحاك فى الكتب و قوله (وَ كُلُّ صَغِيرٍ، وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) قال ابن عباس معناه إن جميع ذلك مكتوب مسطور فى الكتاب المحفوظ، لأنه من أعظم العبرة فى علم ما يكون قبل أن يكون على التفصيل، و به قال مجاهد و قتادة و الضحاك و ابن زيد.
ثم قال تعالى (إن المتقين) يعنى الذين اتقوا معاصيه و فعلوا واجباته (فى جنات) يعنى بساتين تجنها الأشجار (و نهر) أى انهار، فوضع نهراً فى موضع أنهار، لأنه اسم جنس يقع على القليل و الكثير، و النهر المجرى الواسع من مجارى الماء، و هو خلاف الجدول، لأنه المجرى الصغير الشديد الجرى من مجارى الماء (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ) معناه فى مجلس حق لا لغو فيه و لا تأثيم (عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ) أى بالمكان الذى كرمه لأوليائه المليك المقتدر. و قيل: فى مقعد صدق عند المليك المقتدر بما هو عليه من صدق دوام النعيم به. و قال الفراء: معنى (فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ) أى فى ضياء وسعة، و يقال: أنهر دمه إذا سال و انهر بطنه إذا جاء بطنه مثل جرى النهر.

اشارة

قال قوم:هی مکیة. و قال آخرون هی مدنیة: و هی ثمان و سبعون آیة فی الکوفی و الشامی و سبع و سبعون عند الحجازیین و ست و سبعون فی البصری.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الرَّحْمنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيانَ (4)
الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ (5) وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ (6) وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِيزانَ (7) أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ (8) وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ (9)
وَ الْأَرْضَ وَضَعَها لِلْأَنامِ (10) فِيها فاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذاتُ الْأَكْمامِ (11) وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَ الرَّيْحانُ (12) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (13)
ثلاث عشرة آية كوفى و شامى، و اثنتا عشرة آية بصرى و إحدى عشرة آية فى ما عداه، عد الكوفى و الشامى (الرحمن) و لم يعده الباقون، و عدوا (خَلَقَ الْإِنْسانَ) إلا أهل المدينة فإنهم عدوا (البيان) آخر الآية. و قرأ (الحب ذا العصف) بالنصب شامى (و الريحان) خفض كوفى غير عاصم، و عدّ الكوفيون التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 463
(الرحمن) آية مع أنه ليس بجملة، لأنه فى تقدير اللّه الرحمن حتى تصح الفاصلة و هو خبر مبتدأ محذوف نحو قوله (سُورَةٌ أَنْزَلْناها) «1» أى هذه أنزلناها، و معنى (الرحمن) هو الذى وسعت رحمته كل شىء، فلذلك لا يجوز أن يوصف به إلا اللّه تعالى، فأما (راحم و رحيم) فيجوز ان يوصف به العباد.
و قوله (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) فالتعليم تبين ما به يصير من لم يعلم عالماً. و الاعلام إيجاد ما به يصير عالماً، و فى قوله (الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ) تذكير بالنعمة فى ما علم من الحكم بالقرآن التى يحتاج اليها الناس فى دينهم ليؤدوا ما يجب عليهم و ينالوا الفضل بطاعة ربهم و يستوجبوا به الثواب و ينالوا الرضوان.
و قوله (خَلَقَ الْإِنْسانَ) معناه إنه الذى اخترع الإنسان و أخرجه من العدم إلى الوجود، و قيل: المراد بالإنسان- هاهنا- آدم عليه السلام. و قيل: محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيه و آله. و قيل: جميع الناس و هو الظاهر و هو الأعم فى الجميع. و قوله (عَلَّمَهُ الْبَيانَ) أى خلق فيه التمييز الذى بان به من سائر الحيوان. و قيل: معناه علمه الكلام الذى يبين به عن مراده و يتميز به عن سائر الحيوان، فالبيان هو الأدلة الموصلة إلى العلم. و قيل: البيان إظهار المعنى للنفس بما يتميز به عن غيره كتميز معنى رجل من معنى فرس، و معنى قادر من معنى عاجز، و معنى عام من معنى خاص، و معنى شىء من معنى هذا بعينه، و فيه تنبيه على أنه تعالى خلق الإنسان غير عالم، ثم علمه البيان، خلافاً لقول من يقول من الجهال: إن الإنسان لم يزل عالماً بالأشياء، و إنما يحتاج فيه إلى تذكير، فكيف يكون عالماً من لم يخلق بعد لولا الغباوة و قلة التحصيل.

و قوله (الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ) أى يجريان بحسبان فأضمر يجريان و حذفه لدلالة الكلام عليه، فيكون ارتفاع الشمس بالفعل المقدر. و قال قوم: ارتفعا بتقديرهما بحسبان أى بحساب، و المعنى علمه البيان أن الشمس و القمر بحسبان

---

(1) سورة 24 النور آية 1

و قيل: المعنى أن أمرهما يجرى فى الأدوار على مقدار من الحساب على ما وضعه حكيم عليم بتدبير صحيح، قد كان يمكن وضعهما على خلافه غير انه اختار ذلک لاستغناء العباد بها فى وجوه المنافع و ما فى ذلک من المصالح. و قال ابن عباس و قتادة و ابن زيد: بحسبان، و منازل يجريان فيها و لا يعدوانها. و قيل: إن القمر يقطع بروج السماء فى ثمانية و عشرين يوماً، و الشمس تقطع ذلک فى ثلاثمائة و خمسمائة و ستين يوماً و شىء. و قوله (بحسبان) خبر الشمس و القمر على قول من رفعهما بالابتداء (و حسبان) مصدر حسبته أحسبه حسباناً نحو السكران و الكفران. و قيل: هو جمع حساب كشهاب و شهبان.

و قوله (وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ) فالنجم من النبات ما طلع، يقال: نجم ينجم إذا طلع، و نجم القرن و النبات إذا طلعا، و به سمى نجم السماء، و هو الكوكب لطلوعه. و النجم- هاهنا- النبت الطالع من الأرض، و هو النبات الذى ليس له ساق- فى قول ابن عباس و سعيد و سفيان- و قال مجاهد: هو نجم السماء، و به قال قتادة، و الأول أقوى لمصاحبة الشجر. و الشجر عند أهل اللغة النبات الذى له ساق و ورق و أغصان يبقى ساقه على دور الحول من الرمان و أكثره مما له ثمار تجنى على ما دبرها صانعها من الإتيان بها فى أبانها.

و قوله (يسجدان) إخبار من اللَّه تعالى بأنهما يسجدان، و سجودهما هو ما فيهما من الآية الدالة على حدوثهما و على وجوب الخضوع للَّه تعالى و التذلل له لما خلق فيها من الأقوات المختلفة فى النبات للناس و غيرهم من الحيوان و الاستمتاع بأصناف الثمار و الفواكه و الرياض اللذيذة، فلا شىء أدعى إلى الخضوع و العبادة لمن أنعم بهذه النعمة الجليلة مما فيه مثل الذى ذكرنا فى النجم و الشجر، و قال مجاهد و سعيد بن جبير: سجودهما ظلالهما الذى يلقيانه بكرة و عشياً، فكل جسم له ظل التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 465

فهو يقتضى الخضوع بما فيه من دليل الحدوث الذى لا يقدر عليه إلا قادر لا يعجزه شىء.

و قوله (وَ السَّماءَ رَفَعَها) أى رفع السماء رفعها فوق الأرض للاعتبار بها و التفكر فيها، و أنه لا يقدر على رفعها غير القادر لنفسه الذى لا يعجزه شىء

و لا يماثله موجود.
و قوله «وَ وَضَعَ الْمِيزانَ» فالميزان آلة التعديل فى النقصان و الرجحان، و الوزن يعدل فى ذلک، و لو لا الميزان لتعذر الوصول إلى كثير من الحقوق، فلذلک نبه على النعمة فيه و الهداية اليه.
و قوله «أَلَّا تَطْغَوْا فِى الْمِيزانِ» نهى كأنه قال أى لا تطغوا، لأن (أن) تكون بمعنى أى و يجوز أن تكون علة، و تقديره و وضع الميزان لأن لا تطغوا، و إنما أعاد ذكر الميزان من غير إضمار لئلا يكون الثانى مضمناً بالأول، و ليكون قائماً بنفسه فى النهى عنه إذا قيل أَلَّا تَطْغَوْا فِى الْمِيزانِ. و قيل: لأنه نزل فى وقتين. و الأول أحسن. و قيل: المراد بالميزان العدل لان المعادلة موازنة الأسباب، و الطغيان الافراط فى مجاوزة الحد فى العدل. و قيل: لا تطغوا فيه لان مالا يضبط فى الوزن موضوع عنهم. و قال الزجاج: تقديره فعلت ذلک لئلا تطغوا. و يحتمل ان يكون نهياً مفرداً. و يجوز أن يكون بمعنى (أى) مفسرة و قوله «وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ» أمر من اللّه تعالى أن يقيموا الوزن إذا أرادوا الأخذ أو الإعطاء «بِالْقِسْطِ» أى بالعدل «وَ لا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ» بمعنى لا تنقصوه.
و الخسران نقصان أصل المال، و هو ذهاب ما كان من رأس المال: خسر يخسر خسراً و خسراناً، و خسره تخسيراً، فهو خاسر و مخسر. قال الزجاج: قولهم: التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 466
أخسرت الميزان و خسرت، فعلى خسرت «لا تخسر» بفتح التاء، و قد قرأ به بعض المتقدمين شاذاً لا يؤخذ به.
و قوله «وَ الْأَرْضَ وَضَعَها لِلْأَنامِ» ليستقروا عليها. و قال ابن عباس: الأنام كل شىء فيه روح. و قال الحسن: الأنام الانس و الجن. و قال قتادة: الأنام الخلق. و يجوز أن يكون الأنام من و نم الذباب إذا صوت من نفسه، و يسمى كل ما يصوت من نفسه أناماً. و قلبت الواو من و نام همزة كقولهم: أناة من (وناة).
ثم بين وجه المنافع للخلق فوضع الأرض «فِيها فاكِهَةٌ» و هى أنواع الثمار التى تؤخذ من الشجر فيها أنواع الملاذ و فنون الامتاع، فسبحان الذى خلقه لعباده و أجرى فيه ضروب الطعوم بلطفه، و كله يسقى بماء واحد فى ارض واحدة من شجرة يابسة تنقلب إلى حال الغضاضة و النضرة، ثم تحمل الثمرة الكريمة، و كل ذلک بعين المعتبر و علم المفكر.
و قوله «وَ النَّخْلُ ذاتُ الْأَكْمامِ» اسم جنس يقع على القليل و الكثير و واحده نخلة، و هو يذكر و يؤنث، و الأكمام جمع (كم) و هو وعاء ثمر النخل، تكمم فى وعائه إذا اشتمل عليه. و قيل: الأكمام ليف النخلة التى تكمم فيه- فى قول الحسن و قتادة- و قال ابن زيد: الأكمام الطلع الذى فيه ثمر النخلة. و قال الزجاج: كم القميص من هذا، لأنه يغطى اليد.
و قوله «وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَ الرَّيْحانُ» قال ابن عباس و قتادة و ابن زيد:

العصف التبن. لان الرياح تعصفه أى تطيره بشدة هبوبها و منه الريح العاصف، قال علقمة بن عبدة:
تسفى مذانب قد مالت عصيفتها حدورها من أنى الماء مطموم «1»

---

(1) ديوانه 111 و اللسان (عصف) و مجاز القرآن 2/ 242

و هو دقاق الزرع إذا يبس عصفته الريح. و قيل: العصف التبن. و يقال: له العصيفة. و الحب حب الحنطة و الشعير و نحوهما، و الريحان الرزق- فى قول ابن عباس و مجاهد و الضحاک- و قال الحسن و ابن زيد: الريحان هو الذى يشم. و فى رواية اخرى عن ابن عباس و الضحاک: إن الريحان الحب. و العرب تقول: خرجنا نطلب ريحان اللّه أى رزقه و يقال: سبحانک و ريحانک أى رزقک، قال النمر بن تولب
سماء الاله و ريحانه و جنته و سماء درد «1»
و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «و الريحان» جراً على تقدير، و ذو الريحان. الباقون بالرفع عطفاً على (الحب) و قرأ ابن عامر وحده «و الحب ذا العصف و الريحان» بالنصب فيها كلها على تقدير، و خلق الحب ذا العصف و خلق الريحان الباقون بالرفع على تقدير فيها الحب ذو العصف و فيها الريحان.
و قوله «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» قال ابن عباس و الحسن و قتادة: معناه فبأى نعمة من نعمه يا معشر الجن و الانس تكذبان؟! و ريحان أصله ريحان، فخفف. و تلخيصه ريوحان على وزن فيعلان، فلما التقت الواو و الياء و الثانى ساكن قلبوا الواو ياء و أدغموا ثم خففوا كراهية التشديد كما قالوا: هين لين.

خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ (15) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (16) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (18)
مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ (19) بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ (20) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (21)

---

(1) مجاز القرآن 2/ 243 و اللسان (روح)

ثمان آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى إنه «خَلَقَ الْإِنْسانَ» و أنشأه و يعنى به آدم عليه السلام «مِنْ صَلْصالٍ» و هو الطين اليابس الذى يسمع له صلصلة- فى قول قتادة- «كَالْفَخَّارِ» أى مثل الطين الذى طبخ بالنار حتى صار خزفاً «وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ» فالمارج هو المختلط الأجزاء، قال الحسن إبليس ابو الجن، و هو مخلوق من لهب النار، كما أن آدم ابو البشر مخلوق من طين.

وصف اللّه تعالى الإنسان الذى هو آدم ابو البشر انه خلقه من صلصال. و فى موضع آخر «مِنْ طِينٍ لازِبٍ» «1» و فى موضع آخر «مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» «2» و فى موضع آخر «خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ» «3» و إختلاف هذه الألفاظ لا تناقض فيها، لأنها ترجع إلى أصل واحد و هو التراب، فجعله طيناً. ثم صار كالحمإ المسنون. ثم يبس فصار صلصالا كالفخار.

و قوله «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» معناه فبأى نعم ربكما يا معشر الجن و الانس تكذبان؟! و إنما كررت هذه الآية، لأنه تقرير بالنعمة عند ذكرها على التفصيل نعمة نعمة، كأنه قيل بأى هذه الآلاء تكذبان. ثم ذكرت آلاء أخر فاقتضت من التذكير و التقرير بها ما اقتضت الأولى ليتأمل كل واحد فى نفسها و فى ما تقتضيه صفتها من حقيقتها التى تتفصل بها من غيرها.

و قوله «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» تقديره هو رب المشرقين، فهو خبر ابتداء، و لو قرئ بالخفض رداً على قوله «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما» لكان جائزاً غير انه

---

(1) سورة 27 الصافات آية 11
(2) سورة 15 الحجر آية 26، 28، 33
(3) سورة 3 آل عمران آية 59

لم يقرأ به أحد. و المعنى انه الخالق المشرق الشتاء و مشرق الصيف، و

هو عند غاية طول النهار فى الصيف و غاية قصره فى الشتاء «وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» مثل ذلک- و هو قول مجاهد و قتادة و ابن زيد- و المشرق موضع شروق الشمس، و هو طلوعها تقول: شرقت الشمس تشرق شروقاً إذا طلعت و أشرقت إذا أضائت و صفت.
و المغرب موضع غروب الشمس. و الغروب مصيرها فى حد الغروب و هو المغيب، غربت تغرب غروباً، و منه الغريب و هو الصابر فى حد الغائب عن النفس و أصله الحد و منه الغروب مجارى الدموع لزوالها من حدها إلى الحد الآخر. و قوله «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» أى فبأى نعمة ربكما معاشر الجن و الانس تكذبان. و قد بينا الوجه فى تكراره. و واحد الآلاء ألى على وزن (معاً) و (ألا) على وزن (قفا) عن أبى عبيدة.
و قوله «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ» معنى مرج أرسل- فى قول ابن عباس. و قال الحسن و قتادة و (البحران) بحر فارس و الروم. و قال ابن عباس فى رواية أخرى هما بحر السماء و بحر الأرض «يَلْتَقِيانِ» فى كل عام.
و قيل البحران الملح و العذب، و قيل: مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما من غير أن يختلط جملتها «لا يَبْغِيانِ» أى لا يبغى أحدهما على الآخر بأن يقلبه إلى مثل حاله فى الملوحة و العذوبة. و مرج معناه أرسل باذهاب الشيئين فصاعداً فى الأرض، فمرج البحرين أرسلهما بالإجراء فى الأرض يلتقيان، و لا يختلطان، ذلک تقدير العزيز العليم. و البرزخ الحاجز بين الشيئين، و منه البرزخ الحاجز بين الدنيا و الآخرة. و قال قتادة: البرزخ الحاجز أن يبغى الملح على العذب أو العذب على الملح. و قال مجاهد: معناه لا يبغيان لا يختلطان و معناه لا يبغيان على الناس.
و النعمة بتسخير الشمس أنها تجرى دائبة بمنافع الخلق فى الدنيا و الدين،

ربكما تكذبان معاشر الجن و الانس.

يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ (22) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (23) وَ لَهُ الْجَوارِ الْمُنْشَآتُ فِى الْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ (24) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (25) كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ (26)
وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ (27) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (28) يَسْئَلُهُ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ (29) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (30)
تسع آيات بلا خلاف.
قرأ «المنشئات» بالكسر حمزة، و يحيى و قرأ «يخرج» بفتح الياء أهل الكوفة، و ابن كثير و ابن عامر أسندوا الفعل إلى اللؤلؤ و المرجان. الباقون، على ما لم يسم فاعله. و إنما أجازوا اسناد الفعل إلى الجوار و اللؤلؤ و المرجان، كما قالوا مات زيد و مرض عمرو و ما أشبه ذلک فى ما يضاف الفعل اليه إذا وجد منه.
و إن كان فى الحقيقة لغيره، و كان المعنى المنشئات السير فحذف المفعول و أضاف السير اليه اتساعاً، لان سيرها إنما يكون بهبوب الريح. و قال الزجاج: من فتح الشين أراد المرفوعات الشرع، و بالكسر الحاملات الرافعات الشرع.
لما ذكر اللّه تعالى النعمة على الخلق بمرج البحرين اللذين يلتقيان، و إنهما مع ذلک لا يبغيان، بين أيضاً ما فيهما من النعمة، فقال يخرج منهما يعنى من البحرين اللؤلؤ و المرجان. فاللؤلؤ معروف، و يقع على الصغار و الكبار. و المرجان ضرب من الجوهر كالقضبان يخرج من البحر. و قال ابن عباس:

صغاره. و به قال الحسن و قتادة و الضحاک، و سمى المرجان بذلک لأنه حب من الجوهر كبير مختلط من مرجت أى خلطت. و إنما جاز أن يقول يخرج منهما، و هو يخرج من الملح دون العذب، لان العذب و الملح يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للملح، كما يقال يخرج الولد من الذكر و الأنثى، و إنما تلده الأنثى. و قال قوم:
لا يخرج اللؤلؤ إلا من الموضع الذى يلتقى فيه العذب و الملح، و ذلک معروف عند الغواصين. و قال الزجاج: لأنه إذا أخرجه من أحدهما فقد أخرجه من الآخر، لأنه داخل فيهما و قال ابن عباس: إذا جاء القطر من السماء تفتحت الاصداف فكان من ذلک القطر اللؤلؤ. و قال قوم: المعنى من جهتهما و لا يجب إنه من كل واحد منهما، و الأول وجه التأويل.
و قوله «وَ لَهُ الْجَوارِ الْمُنْشَآتُ» و الجوار جمع جارية و هى السفينة لأنها تجرى فى الماء بأمر اللّه تعالى. و الجارية المرأة الشابة، لأنه يجرى فيها

ماء الشباب، و المنشئات المبتدءات للسير برفع القلاع. و قال مجاهد: ما رفع له القلاع، فهو منشأ و ما لم يرفع قلاعه فليس بمنشإ، فجعل الإنشاء برفع القلاع. و الاعلام الجبال واحدها علم سمى بذلک لارتفاعه كارتفاع الاعلام المعروفة. و قال جرير:
إذا قطعن علماً بعد علم [حتى تناهين بنا إلى حكم] «1»
و قيل كالاعلام فى العظم. و قوله «كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ» إخبار من اللَّه تعالى أن جميع من على وجه الأرض من المقلاء يفنون و يخرجون من الوجود إلى العدم. و إذا ثبت ذلک و كانت الجواهر لا تفنى إلا بفناء يضادها على الوجود، فإذا وجد الفناء انتفت الجواهر كلها، لأنها اختصاص له بجوهر دون جوهر، فالآية دالة على عدم جميع الأجسام على ما قلناه، لأنه إذا ثبت عدم العقلاء بالآية ثبت

---

(1) مجاز القرآن 2/ 244 و القرطبى 17/ 164 [.....]

عدم غيرهم، لأنه لا يفرق من الأمة أحد بين الموضعين.
و قوله «وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ» معناه و يبقى ربک الظاهر بأدلته كظهور الإنسان بوجهه فالوجه يذكر على وجهين:
أحدهما- بعض الشىء كوجه الإنسان.
الثانى- بمعنى الشىء المعظم فى الذكر كقولهم: هذا وجه الرأى، و هذا وجه التدبير أى هو التدبير، و هو الرأى. و الإكرام و الإعظام بالإحسان، فاللَّه تعالى يستحق الإعظام بالإحسان الذى هو فى أعلى مراتب الإحسان. و معنى ذو الجلال ذو العظمة بالإحسان.
و قوله «يَسْئَلُهُ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ» معناه يسأل اللَّه تعالى من فى السموات و الأرض من العقلاء حوائجهم، و يضرعون اليه. ثم قال «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ» فالشأن معنى له عظم، و كذلک قال كل يوم هو فى شان، و يقال: لا يشغله شأن عن شأن. و المعنى إن كل يوم اللَّه تعالى فى شأن من احياء قوم و إماتة آخرين، و عافية قوم و مرض غيرهم، و نجاة و إهلاک و رزق و حرمان و غير ذلک من الأمور و النعمة. و قوله «كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ» فى التسوية بين الخلق فى الفناء «فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» قد فسرناه.

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ (31) فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (32) يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطانٍ (33) فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ وَ نُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ (35)
فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (36)
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 473
سبع آيات حجازى و ست فى ما عداه، عد الحجازيون «من نار» و لم يعده الباقون.
قرأ «شواظ»- بكسر الشين- أهل مكة. الباقون بضمها، و هما لغتان مثل صوار و صوار. و قرأ «نحاس» بالجر أهل مكة و البصرة، غير يعقوب عطفاً على (نار). الباقون بالرفع عطفاً على «شواظ» و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «سيفرغ» على تقدير سيفرغ اللَّه لكم. الباقون- بالنون- على وجه الاخبار من اللَّه عن نفسه يعنى قوله «سَنَفْرُغُ لَكُمْ» من أبلغ الوعيد و أعظم التهديد. و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- سنفرغ لكم من الوعيد و ينقضى و يأتيكم المتوعد به فشبه ذلك بمن فرغ من شىء و أخذ فى غيره.
الثانى- إنا نستعمل عمل من يتفرغ للعمل لتجويده من غير تضجيع فيه كما يقول: القائل: سأتفرغ لک. و اللَّه تعالى لا يشغله شىء عن شىء، لأنه من صفات الأجسام، و هو من أبلغ الوعيد لأنه يقتضى أن يجازى بصغير ذنبه و كبيره إذا كان مستحقاً لسخط اللَّه. و الفراغ انتفاع القاطع عنه من القادر عليه. و الشغل و الفراغ من صفات الأجسام التى تحلها الأعراض، و شغلها عن الاضداد فى تلک الحال و لذلک وجب ان يكون فى صفة القديم تعالى مجازاً.
و قوله «أَيُّهَ الثَّقَلانِ» خطاب للجن و الانس، و إنما سميا ثقلين لعظم شأنهما بالاضافة إلى ما فى الأرض من غيرهما، فهما أثقل وزناً لعظم الشأن بالعقل و التمكين التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 474
و التكليف لأداء الواجب فى الحقوق، و منه
قول النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله (إنى تارک فيكم الثقلين كتاب اللَّه و عترتى)
يريد عظيمى المقدار، فلذلک وصفهما بأنهما ثقلان.
و قوله «إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» قال الضحاک: أن استطعتم أن تنفذوا هاربين من العذاب يقال: لهم ذلک يوم القيامة.

و قال قوم: معناه إن استطعتم أن تنفذوا هاربين من الموت فاهربوا فانه حيث كنتم أدرككم الموت. و قال ابن عباس: معناه إن استطعتم أن تعلموا ما فى السموات و الأرض فاعلموا أنه لا يمكنكم ذلک.
و قوله «لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ» معناه إلا بحجة و بيان. و قيل معناه: إلا بملک و قهر، و ليس لكم ذلک. و قال الزجاج: المعنى «فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ» أى حيثما كنتم شاهدين. ثم حجة اللّه و سلطانه الذى يدل على توحيده و واحد الاقطار قطر و هى الاطراف- فى قول سفيان- فانفذوا فى صورة الأمر و المراد به التحدى. ثم قال «لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ» و هو القوة التى يتسلط بها على الأمر «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» و قد فسرناه. و فائدة الآية أن عجز الثقلين عن الهرب من الجزاء كعجزهم عن النفوذ من الاقطار، و فى ذلک اليأس من رفع الجزاء بوجه من الوجوه، فلينظر امرؤ ما يختار لنفسه مما يجازى به.
و قوله «يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ» فالشواظ لهب النار- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة- و منه قول رؤبة:
إن لهم من وقعنا أيقاظاً و نار حرب تسعر الشواظا «1»
و النحاس الصفر المذاب للعذاب- فى قول ابن عباس و مجاهد و سفيان و قتادة- و فى رواية أخرى عن ابن عباس و سعيد: النحاس الدخان قال النابغة الجعدى:

---

(1) اللسان (شوظ) و مجاز القرآن 2/ 244 و الطبرى 27/ 23

يضىء كضوء سراج السليط لم يجعل اللّه فيها نحاساً «1»
أى دخانا. و السليط دهن السمسم. و قال قوم: هو دهن السنام. و قال الفراء: هو دهن الزيت.
و قوله «فَلا تَنْتَصِرانِ» أى لا تقدران على دفع ذلک عنكما، و وجه النعمة فى إرسال الشواظ من النار و النحاس على الثقلين هو ما لهم فى ذلک من الزجر فى دار التكليف عن مواقعة القبيح، و ذلک نعمة جزيلة، فلذلک قال «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما» معاشر الجن و الانس «تُكَذِّبانِ».

فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ (37) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (38) فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ (39) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (40) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَ الْأَقْدامِ (41)
فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (42) هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43) يَطُوفُونَ بَيْنَها وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (44) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (45)
ثمان آيات بصرى و تسع فى ما عداه، عدّ الكل «يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ» و لم يعده البصريون.
يقول اللّه تعالى «فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ» و معناه إن ينفك بعضها عن بعض، فالسماء تنشق يومئذ و تصير حمراء كالوردة. ثم تجرى كالدهان قال الفراء: الوردة

---

(1) ديوانه 75 و مجاز القرآن 2/ 245

الفرس الوردة. و قال الزجاج: يتلون كما يتلون الدهان المختلفة أى فكان كلون فرس ورده، و هو الكميت فيتلون فى الشتاء لونه بخلاف لونه فى الصيف، و كذلك فى الفصول فسبحان خالقها و المصرف لها كما يشاء. و الوردة واحدة الورد، و إنما تصير السماء كالوردة فى الاحمرار ثم تجرى كالدهان، و هو جمع دهن كقولك قرط و قراط عند انقضاء الأمر و تناهى المدة. و قال الحسن: هى كالدهان أى كالدهن الذى يصب بعضه على بعض بألوان مختلفة. و قيل: تمور كالدهن صافية. و قال قتادة:
لونها حينئذ الحمرة كالدهان فى صفاء الدهن و إشراقه. و قال قوم: إن السماء تذوب يوم القيامة من حرّ نار جهنم فتصير حمراء ذائبة كالدهن. قال الجبائى:
و
روى أن السماء الدنيا من حديد
و ليس فى الآية ما يدل ما قاله، لاحتمال ذلك ما قاله المفسرون. و الأقوال التى ذكرناها. و قال الفراء: الدهان الأديم الأحمر و وجه النعمة فى انشقاق السماء حتى وقع التقرير بها فى قوله «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» هو ما فى الاخبار به من الزجر و التخويف بانشقاق السماء فوقع فى السبب و لا يصلح فى المسبب أن يكون منفعة، و لكن لسبب النفع الذى هو الزجر فى دار الدنيا، فلذلك وقع التقرير بقوله «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ».
و قوله «فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ» معناه لا يسأل فى ذلك الموطن لما يلحقه من الدهش و الذهول الذى تحار له العقول، و إن وقعت

المسألة فى وقت غيره بدلالة قوله «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلَونَ» «1» و قال قتادة: يكون المسائلة قبل ثم يختم على الأفواه عند الجحد فتنطق الجوارح. و قيل: معناه إن يومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس و لا جان ليعرف المذنب من المؤمن المخلص، لان اللَّه تعالى قد جعل عليهم علامة كسواد الوجوه و قبح الخلق و لم يدخل فى ذلک سؤال المحاسبة للتوبيخ

---

(1) سورة 37 الصافات آية 24

و التقريع، لأنه تعالى قال «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ» و تقدير الاية فيومئذ لا يسأل أنس عن ذنبه و لا جان عن ذنبه. و قيل: يجوز أن يكون المراد أنه لا يسأل احد من انس و لا جان عن ذنب غيره، و إنما يسأل هو سؤال توبيخ عن فعل نفسه.

و قوله «يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ» معناه إن اللَّه تعالى جعل للكفار و العصاة علامات تعرفهم بها الملائكة و السيماء العلامة. و منه قوله «سِيماهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ» «1» و هو مشتق من السوم و هو رفع الثمن عن مقداره، و منه «مُسَوِّمِينَ» «2» أى معلمين بعلامة و العلامة يرفع باظهارها لتقع المعرفة بها و المعرفة هى العلم عند المتكلمين. و قال بعض النحويين: إن متعلق المعرفة المفرد و متعلق العلم الجملة كقولهم عرفت زيداً و علمت زيد قائماً و لو جئت بقائم فى عرفت لكان حالا و لم يخرج عن معرفة زيد.

و قوله «فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِى وَ الْأَقْدامِ» قال الحسن: يجمع بين ناصيته و قدمه بالغل فيسحب إلى النار. و الناصية شعر مقدم الرأس، و منه ناصية الفرس و منه قوله تعالى «لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ» «3» أى ليقترن بها ما سحقته النار إذلالا لها و أصله الاتصال من قول الشاعر:

فى يناصيها بلادقى أى يتصل بها فالناصية متصلة بالرأس و (الاقدام) جمع قدم و هو العضو الذى يقدمه صاحبه للوطء به على الأرض. و قيل: يأخذهم الزبانية بنواصيهم و أقدامهم فتسحبهم إلى النار أى تأخذهم تارة بذا، و تارة بذا. و قال الحسن و قتادة يعرفون بأنهم سود الوجوه زرق العيون، كما قال تعالى

---

(1) سورة 48 الفتح آية 29

(2) سورة 3 آل عمران آية 125

(3) سورة 96 العلق آية 15

«يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ» «1» «فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» وجه النعمة بذلك ما فيه من الزجر عن المعاصى و الترغيب فى الطاعات و ذلک

نعمة من اللّه على العباد فى الدين.
و قوله «هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ» معناه يقال لهم يوم القيامة إذا شاهدوا جهنم «هذِهِ جَهَنَّمُ» و يحتمل أن يكون المراد هذه جهنم التى وصفتها هى التى يكذب بها المجرمون الكفار بنعم اللَّه «يَطُوفُونَ بَيْنَها وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ» قيل:
يطوفون بين أطباقها فى عذاب النار، و بين الحميم آن. و الحميم الماء الحار. و الآن الذى بلغ نهايته. و المراد- هاهنا- هو الذى قد بلغ نهاية حرّه من آنى يأنى إنياً فهو آن، و منه قوله «غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ» «2» يعنى نضاجه و بلوغه غايته «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» و الاخبار بذلک لطف و زجر عن المعاصى فلذلک كانت نعمة اعتد بها و قرر بها.

وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ (46) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (47) ذَواتا أَفْنانٍ (48) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (49) فِيهِما عَيْنانِ تَجْرِيانِ (50) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (51) فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ (52) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (53) مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ (54) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (55)

عشر آيات بلا خلاف.

لما وصف اللَّه تعالى ما أعد للكفار من أنواع العذاب، بين بعد ذلك ما أعد

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 106

(2) سورة 33 الأحزاب آية 53

للمؤمنين و المتقين، فقال «وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ» و المعنى و لمن خاف المقام الذى يقفه فيه ربه للمسائلة عما عمل فى ما يجب عليه مما أمره به أو نهاه عنه، فيكفه ذلک عما يدعوه هواه اليه يصبر صبر مؤثر للهدى على طريق الردى، و المقام الموضع الذى يصلح للقيام فيه و بضم الميم الموضع الذى يصلح للاقامة فيه. و الجنتان اللتان وعد اللَّه من وصفه بهما قيل هما جنتان: إحداهما داخل قصره و الأخرى خارج قصره على ما طبع اللَّه تعالى العباد عليه من شهوة ذلک و جلالته فشوقوا إلى ما فى طباعهم شهوة مثله.

ثم وصف الجنتين فقال «ذَواتا أَفْنانٍ» و الأفنان جمع (فن) و هو الغصن الغصن الورق، و منه قولهم: له فنون، و هذا فن آخر أى نوع آخر أى ضرب آخر، و فيه فنون أى ضروب مختلفة، و يجوز أن يكون جمع فن. و قال ابن عباس:

معناه ذواتاً ألوان. و قال عكرمة. ظل الاغصان على الحيطان. و قال الضحاک:

ذواتاً ألوان يفضل بها على ما سواها «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» قد بيناه.

و قوله «فِيهِما عَيْنانِ تَجْرِيانِ» اخبار منه تعالى أن فى الجنتين اللتين وعدتهما المؤمنين عينين من الماء تجريان بين أشجارها، فالجارى هو الذاهب ذهاب الماء المنحدر، فكل ذاهب على هذه الصفة فهو جار، وصفت بالعين لصفائها أو بأنها جارية لأنه أمتنع لها «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» قد فسرناه.

و قوله «فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ» معناه إن فى تلک الجنتين من كل ثمرة نوعين و ضربين متشاكلين كتشاكل الذكر و الأنثى، فلذلک سماهما

(زوجين) و ذلک بالرطب و اليابس من العنب و الزبيب و التين الرطب و اليابس، فكذلک سائر الأنواع لا يقصر يابسه عن رطبه فى الفصل و الطيب إلا أنه امتنع و أعذب بأن يكون على هذا المنهاج. و قيل: فيهما من كل نوع من الفواكه ضربان ضرب التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 480
معروف و ضرب من شكله غريب، و كل ذلک للاطراف و الامتاع «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ. مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ» فالاتكاء الاستناد للتكرمة و الامتناع و المتكى هو ما يطرح للإنسان فى مجالس الملوک للإكرام و الإجلال اتكا يتكى اتكاءا، فهو متكى، و منه وكاة السقاء إذا شددته، و منه
قوله صَلى اللَّهُ عَليه و آله (العين وكاء الجسد)
و الاتكاء شدة التقوية للإكرام و الامتاع. و هو نصب على الحال (على فرش) و هو جمع فراش و هو الموطأ الممهد للنوم عليه بطائنها، و هو جمع بطانة و هى باطن الظهار، فالبطانة من أسفله و الظاهرة من أعلاه.
و قوله (وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ) فالجنى الثمرة التى قد أدركت فى الشجرة و صلح أن تحبى غضه قال الشاعر:
هذا جناى و خياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه «1»
و الإستبرق الغليظ من الديباج- فى قول عكرمة و ابن إسحاق- و قيل:
ان ثمارها دانية لا يرد يده عنها بعد، و لا شوک- فى قول قتادة- و قيل: الظواهر من سندس و هو الديباج الرقيق، و البطاين من إستبرق و هو الديباج الغليظ. و قيل:
الإستبرق المتاع الصينى من الحرير، و هو بين الغليظ و الرقيق. و قال الفراء:
الإستبرق غليظ الديباج. و قوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) قد تكرر تفسيره.

فِيهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لا جَانٌّ (56) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (57) كَأَنَّهُنَّ الْياقُوتُ وَ الْمَرْجانُ (58) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (59) هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلاَّ الْإِحْسانُ (60)
فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (61) وَ مِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ (62) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (63) مُدْهامَّتانِ (64) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (65)

---

(1) تفسير القرطبى 17/ 180

عشر آيات بلا خلاف.
قرأ الكسائى (لم يطمثهن) بكسر إحداهما و ضم الأخرى الباقون بكسرهما و هما لغتان، يقال: طمثت المرأة تطمث و تطمثت إذا حاضت. قال الزجاج و غيره:
فى الآية دلالة على أن الجن تنكح. و قال الفراء: لم ينكحهن إنس و لا جان نكاح تدمية أى لم يقتضهن، و الطمث الدم. و الضهير فى قوله (فِيهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ) عائد على الفرش التى بطائنها من إستبرق، لأنه قد تقدم ذكره، و كان أولى بالعود عليه، و لو لم يتقدم هذا الذكر لجاز أن يرجع إلى الجنان و إلى الجنتين المذكورتين و غيرهما من الجنان لأنه معلوم، لكن المذكور أولى، لأن اقتضاءه له أشد، و القاصر المانع من ذهاب الشىء إلى جهة من الجهات، فالحور قاصرات الطرف عن غير أزواجهن إلى أزواجهن. و الطرف جفن العين، لأنه طرف لها، فيطبق عليها تارة و ينفتح تارة، و منه الاطراف بالأمر لأنه كالطرف الذى يليک بحدوثه لک.
و قوله (لم يطمثهن) قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال مجاهد و ابن زيد و عكرمة: لم يمسسهن بجماع من قولهم: ما طمث هذا البعير جمل قط أى ما مسه جمل.
الثانى- قال ابن عباس: لم يدمهن بنكاح من قولهم: امرأة طامث أى حائض كأنه قال هن أبكار لم يقتضهن أحد قبلهم. و الأصل المس، كأنه ما مسها دم الحيض. و قيل: إنما نفى الجان، لأن للمؤمنين منهم لهم أزواجاً من الحور،

و هو قول ضمرة بن حبيب، قال البلخى: المعنى إن ما يهب اللَّه لمؤمنى الجن من الحور العين لم يطمثهن جان، و ما يهب اللَّه لمؤمنى الانس لم يطمثهن إنس قبلهم، على أن هذا مبالغة. و قال ضمرة بن حبيب فى: الآية دلالة على أن للجن ثواباً فالإنسيات للإنس و الجنيات للجن (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) قد مضى تفسيره. و قوله (كَأَنَّهُنَّ الْياقُوتُ وَ الْمَرْجانُ) قال الحسن:

هن على صفاء الياقوت فى بياض المرجان. و قيل: كالياقوت فى الحسن و الصفاء و النور. و قال الحسن:
المرجان أشد اللؤلؤ بياضاً و هو صغاره (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) قد بيناه.
و قوله (هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ) معناه ليس جزاء من فعل الإعمال الحسنة و أنعم على غيره إلا أن ينعم عليه بالثواب و يحسن اليه (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) قد مضى بيانه.
و قوله (وَ مِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ) معناه إن من دون الجنتين اللتين ذكرنا (لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ) جنتين آخرتين دون الأولتين، و إنهما أقرب إلى قصره و مجالسه فى قصره ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة إلى جنة على ما هو معروف فى طبع البشرية من شهوة مثل ذلک. و معنى (دون) مكان قريب من الشىء بالاضافة إلى غيره، مما ليس له مثل قربه، و هو ظرف مكان. و إنما كان التنقل من جهة إلى جهة أنفع، لأنه أبعد من الملل على ما طبع عليه البشر، لأن من الأشياء ما لا يمل لغلبة محبته على النفس بالأمر اللازم، و منها ما يمل لتطلع النفس إلى غيره، ثم الرجوع اليه.
و قوله (مدها متان) معناه خضراوتان تضرب خضرتهما إلى السواد من الرى على أتم ما يكون من الحسن، لأن اللّه شوق اليهما و وعد المطيعين فى خوف مقامه بها، فناهيک بحسن صفتهما و ما يقتضيه ذكرهما فى موضعهما.
و قال ابن عباس التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 483
و ابن الزبير و عطية و أبو صالح و قتادة: هما خضراوان من الرى. و قال قوم:
الجنان الأربع (لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ) ذهب اليه ابن عباس. و قال الحسن: إلا وليان للسابقين و الأخيرتان للتابعين.

فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ (66) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (67) فِيهِما فاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ (68) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (69) فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ (70)
فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (71) حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ (72) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (73) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لا جَانٌّ (74) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (75)
مُتَّكِئِينَ عَلى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِيٍّ حِسانٍ (76) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (77) تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ (78)
ثلاث عشرة آية.
قرأ اهل الشام (ذو الجلال) على الرفع، على أنه نعت ل (اسم). الباقون- بالخفض- على أنه نعت ل (ربک).
و قوله (فيهما) يعنى الجنتين اللتين وصفهما بأنهما (مدها متان)يْنانِ نَضَّاخَتانِ)
فعين الماء المكان الذى ينبع منه الماء، و معنى (نضاختان) فوارتان بالماء.
و قيل: نضاختان بكل خير. و النضخ- بالخاء- أكثر من النضح- بالحاء- لأن النضخ غير المعجمة الرش و بالخاء كالبرک و الفوارة التى ترمى بالماء صعداء، التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 484
نضخ ينضخ نضخاً فهو ناضخ. و فى نضاخة مبالغة، و وجه الحكمة فى العين النضاخة أن النفس إذا رأت الماء يفور كان أمتع، و ذلک على ما جرت به العادة (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ).
و قوله (فِيهِما فاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ) أخبار منه تعالى أن فى الجنتين المتقدم وصفهما (فاكهة) و هى الثمار (وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ) و إنما أفرد ذكر النخل و الرمان من الفاكهة، و إن كان من جملتها تنبيهاً على فضلهما و جلالة النعمة بهما، كما أفرد ذكر جبرائيل و ميكائيل فى قوله (مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ) «1» و قال قوم: ليسا من الفاكهة بدلا الآية. و ليس له فى ذلک حجة، لاحتمال ما قلناه.
قال يونس النحوى: النخل و الرمان من أفضل الفاكهة، و إنما فضلا لفضلهما، و النخل شجر الرطب و التمر. و الرمان مشتق من رم يرم رماً، لان من شأنه أن يرم الفؤاد بجلائه له (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) قد مضى بيانه.
و قوله (فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ) قال ابو عبيدة: امرأة خيرة و رجل خير، و الجمع خيرات. و الرجال أخيار قال الشاعر:
و لقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات «2»
و قال الزجاج: أصل (خيرات) خيرّات، و خفف. و فى الخبر المرفوع إن

المعنى (خيرات الأخلاق حسان الوجوه) و إنما قيل للمرأة فى الجنة: خيرة، لأنها مما ينبغى أن تختار لفضلها فى أخلاقها و أفعالها، و هى مع ذلک حسنة الصورة، فقد جمعت الأحوال التى تجل بها النعمة (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) قد بينا معناه.
و قوله (حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِى الْخِيامِ) فالحور البيض الحسان البياض، و منه

---

(1) سورة 2 البقرة آية 98
(2) مر فى 5/ 319 و هو فى مجاز القرآن الشاهد 298

الدقيق الحوارى لشدة بياضه، و العين الحورا إذا كانت شديدة بياض البياض، و شديدة سواد، السواد، و بذلک يتم حسن العين. و قال ابن عباس و الحسن و مجاهد:
الحور: البيض. و قوله (مقصورات) أى قصرن على أزواجهن، فلا يردن بدلا منهم- فى قول مجاهد و الربيع- و قيل: معناه محبوسات فى الحجال- فى قول ابن عباس و أبى العالية و محمد بن كعب و الضحاک و الحسن، و على وجه الصيانة لهن و التكرمة لهن عن البذلة. و قال ابو عبيدة: مقصورات أى مخدرات و (الخيام) جمع خيمة و هو بيت من الثياب على الأعمدة، و الأوتاد مما يتخذ للاصحار، فإذا أصحر هؤلاء الحور، كانت لهن الخيام فى تلک الحال و غيرها مما ينفى الابتذال.
و قال الزجاج: يقال للهوادج الخيام و قال عبد اللَّه: الخيام درّ مجوف على هيئة البيت و قال ابن عباس: بيوت اللؤلؤ. و قيل: الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) قد مضى بيانه.
و قوله (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) قد مضى تفسيره. قال البلخى فى الآية دلالة على قول الحسن البصرى: أن الحور العين هن أزواجهم فى الدنيا إذا كن مؤمنات مطيعات لان اللَّه قال (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لا جَانٌّ) و قال: من نصر الحسن أن المراد لم يطمثهن بعد النشأة الثانية إنس قبلهم و لا جان. و إنما كرر قوله (لم يطمثهن) فى الآية للبيان على أن صفة الحور المقصورات فى الخيام كصفة القاصرات الطرف مع تمكين التشويق بهذه الحال الجليلة التى رغب فيها كل نفس سليمة.
و قوله (مُتَّكِئِينَ عَلى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِيٍّ حِسانٍ) (متكئين) نصب على الحال، و قد فسرنا معناه. و الرفارف جمع رفرف، و هى المجالس- فى قول ابن عباس و قتادة و الضحاک- و قيل: الرفرف هى فصول المجالس للفرش، و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 486
الحسن: هى المرافق، و قيل: الرفارف الوسائد. و قيل: الرفرفة الروضة. و

أصله من رف النبت يرف إذا صاد غضاَ نضراَ. و قيل: لما فى الأطراف رفرف، لأنه كالنبت الغض الذى يرف من غضاضته. و الخضر جمع أخضر (و العبقرى) الزرابى- فى قول ابن عباس و سعيد بن جبير و قتادة- و هى الطنافس. و قال مجاهد: هو الديباج: و قال الحسن: هو البسط. و قيل (عبقر) اسم بلد ينسج به ضروب من الوشى الحسن، قال زهير:
بخيل عليها جبة عبقرية جديرون يوماً ان ينالوا و يستعلوا «1»
و قيل: الموشى من الديباج عبقرى تشبيهاً بذلک، و من قرأ (عباقرى) فقد غلط لأنه لا يكون بعد الف الجمع أربعة أحرف و لا ثلاثة إلا أن يكون الثانى حرف لين نحو (قناديل).
و قوله (تَبارَکَ اسْمُ رَبِّکَ) معناه تعاظم و تعالى اسم ربک، لأنه يستحق أن يوصف بما لا يوصف به أحد من كونه قديماً و إلهاً، و قادراً لنفسه و عالماً حياً لنفسه و غير ذلک.
و قوله (ذِى الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ) خفض، لأنه بدل من قوله (ربک) و معنى الجلال العظمة و الإكرام الإعظام بالإحسان و الانعام. و قال الحسن: الإكرام الذى يكرم به أهل دينه و ولايته. و من قرأ (ذو الجلال) بالرفع أراد أن اسم اللّه فيه البركة، و إذا قرئ بالخفض دل على أن اسم اللّه غير اللّه، لأنه لو كان اسمه هو اللّه لجرى مجرى ذكر وجهه إلا ترى أنه لما قال (وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ) و رفعه، لأنه أراد اللّه تعالى و هاهنا بخلافه.

---

(1) ديوانه 103 و مجاز القرآن 2/ 246 و اللسان (عبقر)

اشارة

هی مکیة بلا خلاف و هی تسع و تسعون آیة حجازی و شامی، و سبع و تسعون بصری، و ست و تسعون کوفی، و سبع و تسعون فی المدنیین. و روی عن مسروق أنه قال من أراد أن یعلم نبأ الأولین و نبأ الآخرین و نبأ أهل الجنة و نبأ أهل النار و نبأ الدنیا و نبأ الآخرة، فلیقرأ الواقعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ (1) لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ (2) خافِضَةٌ رافِعَةٌ (3) إِذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (4)
وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا (5) فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا (6) وَ كُنْتُمْ أَزْواجاً ثَلاثَةً (7) فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ (8) وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ (9)
وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (13) وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (14)
عَلى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (15) مُتَّكِئِينَ عَلَيْها مُتَقابِلِينَ (16)
ست عشرة آية كوفى، و سبع عشرة آية بصرى و شامى، و ثمان عشرة آية
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 488
حجازى، عد الكل (و أصحاب الميمنة وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ) و لم يعده الكوفيون.
و عد الحجازيون و الكوفيون (موضونة) و لم يعده الباقون.
(إذا) متعلقة بمحذوف، و تقديره اذكروا (إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ) قال المبرد: إذا وقعت معناه إذا تقع، و إنما وقع الماضى- هاهنا- لأن (إذا) للاستقبال و معناه إذا ظهرت القيامة و حدثت. و الوقوع ظهور الشىء بالحدوث، وقع يقع وقوعاً فهو واقع، و الأنثى واقعة (و إذا) تقع للجزاء (لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ) معناه قال الفراء ليس لها مردودة و لا رد. و قيل: ليس لوقعتها قضية كاذبة فيها، لأخبار اللّه تعالى بها و دلالة العقل عليها. و قال قوم: معناه ليس لها نفس كاذبة فى الخبر بها. و قيل الكاذبة- هاهنا- مصدر مثل العاقبة و العافية. و قال الضحاك: القيامة تقع بصيحة عند النفخة الثانية.
و قوله (خافِضَةٌ رافِعَةٌ) قيل: تخفيض قوماً بالمعصية و ترفع قوماً بالطاعة، لأنها إنما وقعت للمجازاة، فاللّه تعالى يرفع أهل الثواب و يخفض أهل العقاب، فهو مضاف إلى الواقعة على هذا المعنى. و قال الحسن: تخفض أقواماً إلى النار، و ترفع أقواماً إلى الجنة. و القراء: كلهم على رفع خافضة بتقدير هى خافضة رافعة. و قرأه الترمذى فى اختياره بالنصب على الحال، و تقديره إذا وقعت الواقعة تقع خافضة رافعة على الحال.
و قوله (إِذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا) معناه زلزلت الأرض زلزالا- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة- و الزلزلة الحركة باضطراب و اهتزاز، و منه قولهم: ارتج السهم عند خروجه عن القوس. و قيل: ترتج الأرض بمعنى أنه ينهدم كل بناء على الأرض.
و قوله (وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا) معناه فتت فتاً- فى قول ابن عباس و مجاهد

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 489
و أبى صالح و السدى- و هو كما يبس السويق أى يلت. و البسيس السويق او الدقيق يلت و يتخذ زاداً. و قال لص من غطفان:
لا تخبزاً خبزاً و بسا بسا و لا تطيلا مناخ حبسا «1»
و قال الزجاج: يجوز أن يكون معنى بست سيقت و أنشد:
و انبس حيات الكثيب الأهيل «2»
و قوله «فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا» فالهباء غبار كالشعاع فى الرقة، و كثيراً ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوة النافذة، فسبحان اللّه القادر على أن يجعل الجبال بهذه الصفة. و الانبثاث افتراق الاجزاء الكثيرة فى الجهات المختلفة، فكل أجزاء انفرشت بالتفرق فى الجهات فهى منبثة، و فى تفرق الجبال على هذه الصفة عبرة و معجزة لا يقدر عليها إلا اللّه تعالى.
و قوله «وَ كُنْتُمْ أَزْواجاً ثَلاثَةً» معناه كنتم أصنافاً ثلاثة، كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة، و لذلک قيل على هذه المزاوجة: قد زاوج بين الكلامين أى شاكل بينهما.
و قوله «فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ» يعنى أصحاب اليمن و البركة و الثواب من اللَّه تعالى. و قوله «ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ» بصورة الاستفهام، و المراد تعظيم شأنهم فى الخبر عن حالهم «وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ» معناه الشؤم و النكد و عقاب الأبد. و قوله «ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ» على تعظيم شأنهم فى الشر و سوء الحال. و قيل: أصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، و أصحاب المشأمة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، و خبر (اصحاب الميمنة) ما أصحاب الميمنة، كأنه قيل: أى

(1، 2) الصحاح و اللسان (بسس) و القرطبى 17/ 196
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 490
شىء هم؟ و فيه تعجيب عن حالهم. و قيل: أصحاب اليمين هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم، و أصحاب الشمال الذين يأخذون كتبهم بشمالهم.
و قوله «وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» معناه الذين سبقوا إلى اتباع الأنبياء فصاروا أئمة الهدى. و قيل: السابقون إلى طاعة اللّه السابقون إلى رحمته، و السابقون إلى الخير إنما كانوا أفضل لأنهم يقتدى بهم فى الخير و يسبقوا إلى أعلى المراتب قبل من يجىء بعدهم فلهذا تميزوا من التابعين بما لا يلحقونهم به و لو اجتهدوا كل الاجتهاد و السابقون الثانى يصلح أن يكون خبراً عن الاول، كأنه قال: و السابقون الأولون فى الخير، و يصلح أن يكون «أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ» و قوله «أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ» معناه الذين قربوا من جزيل ثواب اللّه و عظيم كرامته بالأمر الأكثر الذى لا يبلغه من دونهم فى الفضل. و السابقون إلى الطاعات يقربون إلى رحمة اللّه فى أعلا المراتب و أقربها إلى مجالس كرامته بما يظهر لأهل المعرفة منزلة صاحبه فى جلالته و يصل

بذلک السرور إلى قلبه، و إنما قال «فِی جَنَّاتِ النَّعِیمِ» مع أنه معلوم من صفة المقربین، لئلا یتوهم أن التقریب یخرجهم إلى دار أخرى، و إنما هم مقربون من کرامة اللّه فی الجنة لأنها درجات و منازل بعضها أرفع من بعض. و الفرق بین النعیم و النعمة أن النعمة تقتضی شکر النعم من أنعم علیه نعمة و انعاماً. و النعیم من نعم نعیماً کقولک أنتفع انتفاعاً.
و قوله «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِینَ» فالثلة الجماعة. و أصله القطعة من قولهم: ثل عرشه إذا قطع ملکه بهدم سریره. و الثلة القطعة من الناس، و قال الزجاج: الثل القطع، و الثلة کالفرقة و القطعة. و هو خبر ابتداء محذوف، و تقدیره: هم ثلة من الأولین، و هم قلیل من الآخرین. و قوله «وَ قَلِیلٌ مِنَ الْآخِرِینَ» إنما قال ذلک لأن الذین سبقوا إلى إجابة النبی صَلی اللَّهُ عَلیه و آله قلیل من کثیر ممن سبق إلى النبیین. التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 491
و قوله «عَلى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ» فالموضونة المنسوجة المداخلة کصفة الدرع المضاعفة قال الأعشی:
و من نسج داود موضونة تساق إلى الحی عیراً فعیرا «1»
و منه (وضین الناقة) و هی البطان من السیور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفاً و قیل: موضونة مشبکة بالذهب و الجوهر، و قال ابن عباس و مجاهد: موضونة بالذهب و قال عکرمة: مشبکة بالدر، و قال ابن عباس- فی روایة أخرى- موضونة معناه مظفورة، و الوضین حبل منسوج من سیور.
و قوله «مُتَّکِئِینَ عَلَیْها مُتَقابِلِینَ» معناه مستندین متحاذیین کل واحد بإزاء الآخر، و ذلک أعظم فی باب السرور. و التقابل و التحاذی و التواجه واحد.
و المعنى إن بعضهم ینظر الى بعض و ینظر الى وجه بعض لا ینظر فی قفاه، من حسن عشرته و تهذیب أخلاقه،

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ (17) بِأَكْوابٍ وَ أَبارِيقَ وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (18) لا يُصَدَّعُونَ عَنْها وَ لا يُنْزِفُونَ (19) وَ فاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20) وَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (21)
وَ حُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (23) جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (24) لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَ لا تَأْثِيماً (25) إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً (26)
عشر آيات كوفى و مدنى الأخير، و تسع فيما عداه، عد المكى و إسماعيل

---

(1) ديوانه 71 و اللسان (و ضمن) و مجاز القرآن 2/ 248 [.....]

«وَ أَبارِيقَ» و لم يعده الباقون. و عد المدنى و الكوفى «وَ حُورٌ عِينٌ» و لم يعده الباقون.
قرأ ابو جعفر و أهل الكوفة إلا عاصماً و خلفاً «و حور عين» خفضاً. الباقون بالرفع. فمن رفع حمله على: و لهم حور عين. و اختاروا الرفع لأن الحور العين لا يطاف بهن، و إنما يطاف بالكأس، و على هذا يلزم أن يقرأ «و فاكهة» رفعاً و كذلك «و لحم طير» بالرفع لأنهما لا يطاف بهما، فما اعتذروا فى ذلك فهو عذر من قرأ بالخفض. و من خفض عطف على الاول لتشاكل الكلام من غير إخلال بالمعنى إذ هو مفهوم. و قال الزجاج: و يكون تقديره ينعمون بكذا و حور عين. و قال ابو على تقديره و فى مجاورة حور عين أو معانقة حور عين، لأن الكلام الاول يدل عليه و قال الشاعر:
إذا ما الغانيات برزن يوماً و زججن الحواجب و العيونا «1»
و المعنى و كحلن العيون فرده على قوله (و زججن) و مثله:
(متقلداً سيفاً و رمحاً) «2»
اى و حاملا رمحاً. و كان يجوز النصب على تقدير و يعطون حوراً عيناً كما قال الشاعر:
جئنى بمثل بنى بدر لقومهم او مثل اخوة منظور بن سيار «3»
لما كان معنى جئنى هات عطف او مثل على المعنى و قال الحسن الحور البيض. و قال مجاهد يحار فيهن البصر.
لما ذكر اللّه تعالى ان السابقين الى الخيرات و الطاعات هم المقربون الى نعيم

---

(1) القرطبى 17/ 205
(2) مر فى 4/ 232
(3) مر فى 3/ 455 و 6/ 30

الجنة و ثوابها، فإنهم على سرر موضونة متقابلين، اخبر انه «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ» يعنى صبيان «مُخَلَّدُونَ» فالطوف الزور بالتنقل فى المكان، و منه الطائف الذى يطوف بالبلد على وجه الحرس. و الولدان جمع وليد. و مخلدون قال مجاهد معناه باقون لهم لا يموتون، و قال الحسن: معناه انهم على حالة واحد لا يهرمون، يقال:
رجل مخلد اى باق زماناً أسود اللحية لا يشيب و قال الفراء: معناه مقرطون و الخلد القرط. و الأكواب جمع كوب و هى أباريق واسعة الرؤوس بلا خراطيم- فى قول قتادة- قال الأعشى:
صليفية طيباً طعمها لها زبد بين كوب و دن «1»
و الأباريق التى لها عرى و خراطيم واحدها إبريق و «كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ» اى يطوفون عليهم ايضاً بكأس من خمر معين ظاهر للعيون جار «لا يُصَدَّعُونَ عَنْها» اى لا يلحقهم الصداع من شربها «وَ لا يُنْزِفُونَ» اى لا تنزف عقولهم بمعنى لا تذهب بالكسر- فى قول مجاهد و قتادة و الضحاك- و من قرأ «ينزفون» بالكسر، و هو حمزة و الكسائى و خلف، حمله على أنه لا تفنى خمرهم قال الأبرد:
لعمرى لئن أنزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا «2»
و قوله «وَ فاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ» أى و يطاف عليهم بفاكهة مما يختارونه و مما يشتهونه، و ينعمون بفاكهة مما يشتهونه. و قوله «وَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ» أى و يطاف عليهم او ينعمون بلحم طير مما يشتهون. و قوله «وَ حُورٌ عِينٌ» من رفعه حمله على معنى و لهم فيها حور عين، لأنهن لا يطاف بهن و إنما يطاف بالكأس. و من جر فعلى معنى و ينعمون بحور عين او يحصلون فى معانقة حور عين. و الحور جمع حوراء و الحور نقاء البياض من كل شائب يجرى مجرى الوسخ. و قوله «كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ»

---

(1) مر فى 9/ 216
(2) مر فى 8/ 496

أى مثل هؤلاء الحور فى البياض و النقاء مثل اللؤلؤ «الْمَكْنُونِ» يعنى الدر المصون عما يلحق به من دنس كأنه مأخوذ من أن الدرة تبقى على حسنها اكثر مما يبقى غيرها لطبعها و صيانة الناس لها قال عمر بن أبى ربيعة:
و هى زهراء مثل لؤلؤ الغواص ميزت من جوهر مكنون
«جَزاءً» أى يفعل ذلك بهم جزاء و مكافأة على ما عملوه فى دار الدنيا من الطاعات و اجتناب المعاصى ثم قال «لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً» أى لا يسمع المثابون فى الجنة لغواً يعنى ما لا فائدة فيه من الكلام، لأن كل ما يتكلمون به فيه فائدة (وَ لا تَأْثِيماً) و لا يجرى فيها ما يؤثم فيه قائله من قبيح القول

(إِلّا قِيلًا سَلاماً سَلاماً) يعنى لكن يسمعون قول بعضهم لبعض على وجه التحية «سَلاماً سَلاماً» إنهم يتداعون بالسلام على حسن الآداب و كريم الأخلاق الذى يوجب التواد، لان طباعهم قد هذبت على أتم الكمال. و نصب (سلاماً) على تقدير سلمك اللّه سلاماً بدوام النعمة و حال الغبطة. و جاز أن يعمل فيه سلام، لأنه يدل عليه، كما يدل على قوله «وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً» «1» و يصلح أن يكون سلاماً نعتاً لقوله «قيلا» و يصلح أن ينتصبَ ب (قيل) فالوجوه الثلاثة محتملة. و قيل «إِلَّا قِيلًا سَلاماً سَلاماً» أى قولا يؤدى إلى السلامة.

وَ أَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ (27) فِی سِدْرٍ مَخْضُودٍ (28) وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ (29) وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ (30) وَ ماءٍ مَسْكُوبٍ (31)
وَ فاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لا مَقْطُوعَةٍ وَ لا مَمْنُوعَةٍ (33) وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (34) إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً (35) فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً (36)
عُرُباً أَتْراباً (37) لِأَصْحابِ الْيَمِينِ (38) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (39) وَ ثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (40)

---

(1) سورة 71 نوح آية 17

أربع عشرة آية كوفی و عدد إسماعيل و بصری، و خمس عشرة آية فيما عداه عد المدنی و المكی و البصری «وَ أَصْحابُ الْيَمِينِ» و لم يعده الباقون.
و عد المدنيان و المكی و الكوفی و الشامی «إِنْشاءً» و لم يعده الباقون.
قرأ إسماعيل و حمزة و خلف و يحيى «عُرُباً» مخففة. الباقون مثقلة، و هما لغتان. و
روى عن علی عليه السلام انه قرأ «و طلع منضود» بالعين. و القراء علی الحاء و قال علی عليه السلام: هو كقوله «وَ نَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ» «1» و قال كالمتعجب: و ما هو شأن الطلح؟! فقيل: له أ لا تغيره؟ قال: القرآن لا يهاج اليوم و لا يحول.
و قوله «وَ أَصْحابُ الْيَمِينِ» قيل فی معناه ثلاثة أقوال:
أولها- الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم.
الثانی- الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الی الجنة.
الثالث- اصحاب اليمن و البركة. و قوله «ما أَصْحابُ الْيَمِينِ» معنا و معنی «ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ» سواء و قد فسرناه.
و قوله «فِی سِدْرٍ مَخْضُودٍ» فالسدر شجر النبق، و المخضود هو الذی لا شوک فيه و خضد بكثرة جملته و ذهاب شوكه- فی قول ابن عباس و عكرمة و قتادة و مجاهد و الضحاک- و أصل الخضد عطف العود اللين. فمن هاهنا قيل: لا شوک فيه، لان الغالب علی الرطب اللين أنه لا شوک له.
و قوله «وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ»، قال ابن عباس و مجاهد و عطاء و قتادة و ابن زيد:

---

(1) سورة 26 الشعراء آية 148

الطلح شجر الموز. و قال ابو عبيدة: الطلح كل شجر عظيم كثير الشوک، و

قال الحارثى:
بشرها دليلها و قالا غداً ترين الطلح و الجبالا «1»
و قال الزجاج: الطلح شجر أم غيلان. و قد يكون على أحسن حال، و المنضود هو الذى نضد بعضه على بعض من الموز- ذكره ابن عباس- و هو من نضدت المتاع إذا عبيت بعضه على بعض. قيل: فقنوا الموز منضود بعضه على بعض «وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ» معناه دائم لا تنسخه الشمس قال لبيد:
غلب البقاء و كنت غير مغلب دهر طويل دائم ممدود «2»
و
روى فى الخبر أن (فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة).
و قوله «وَ ماءٍ مَسْكُوبٍ» أى مصبوب على الخمر يشرب بالمزاج. و قال قوم: يعنى مصبوب يشرب على ما يرى من حسنه و صفائه، و لا يحتاجون الى تعب فى استقائه.
و قوله «وَ فاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَ لا مَمْنُوعَةٍ» أى و ثمار مختلفة كثيرة غير قليلة. و قيل الوجه فى تكرار ذكر الفاكهة البيان عن اختلاف صفاتها فذكرت أولا بأنها مما يتخيرون، و ذكرت- هاهنا- بأنها كثيرة و بأنها لا مقطوعة و لا ممنوعة. و معناه لا مقطوعة كما تنقطع فواكه الدنيا فى الشتاء فى اوقات مخصوصة، و لا ممنوعة بتعذر تناول او شوک يؤذى كما يكون ذلک فى الدنيا.
و قوله «وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ» أى عالية يقال: بناء مرفوع أى عال. و قيل: معناه و نساء مرتفعات القدر فى عقولهن و حسنهن و كمالهن. و قال الحسن: فرش

---

(1) القرطبى 17/ 208 و مجاز القرآن 2/ 250
(2) القرطبى 17/ 209 و الطبرى 27/ 94

مرفوعة بعضها فوق بعض، و الفرش المهاد المهيأ للاضطجاع، فرش يفرش فرشاً فهو فارش و الشىء مفروش، و منه قوله «الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً» «1» لأنها تصلح للاستقرار عليها.
و قوله «إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً» معناه إن اخترعنا أزواجهم اختراعاً، و هذا يقوى قول من حمل الفرش على النساء. و قيل: المعنى انا أنشأناهن من البنية «فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً» و البكر التى لم يفتضها الرجل، و لم تفتض و هى على خلقتها الأولى من حال الإنشاء. و أصله الأول، و منه بكرة أول النهار. و الابتكار عمل الشىء أولا.
و الباكورة أول ما يأتى من الفاكهة. و البكر من الإبل الفتى فى أول أمره و حداثة سنه. و قال الضحاک: ابكاراً عذارى. و
فى الخبر المرفوع (انهن كن عجائز رمضا فى الدنيا).

و قوله «عُرُباً أتْراباً» فالعرب العواشق لأزواجهن المنجبات اليهم- فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة- و قال لبيد:
و فى الحدوج عروب غير فاحشة ريّا الروادف يعشى دونها البصر «2»
و العرب جمع عروب على وزن (رسول، و رسل) و هى اللعوب مع زوجها انساً به راغبة فيه، كأنس العربى بكلام العرب، فكأن لها فطنة العرب و إلفهم و عهدهم. و الاتراب جمع ترب و هو الوليدة التى تنشأ مع مثلها فى حال الصبى، و هو مأخوذ من لعب الصبيان بالتراب أى هم كالصبيان الذين على سن واحد. قال عمر ابن أبى ربيعة:

---

(1) سورة 2 البقرة آية 22
(2) مجاز القرآن 2/ 251 و القرطبى 17/ 211

ابرزوها مثل المهاة تهادى بين عشر كواعب أتراب «1»
و قال ابن عباس و قتادة و مجاهد و الضحاك: الا تراب المستويات على سن واحد. و قوله «لِأَصْحابِ الْيَمِينِ» أى جميع ما تقدم ذكره لهم جزاء و ثواباً على طاعاتهم. و قوله «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ ثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ» فالثلة القطعة من الجماعة، فكأنه قال جماعة من الأولين و جماعة من الآخرين. و إذا ذكر بالتنكير كان على معنى البعض من الجملة، كما تقول رجال من جملة الرجال. و فائدة الآية أنه ليس هذا لجميع الأولين و الآخرين. و إنما هو لجماعة منهم. و
روى عن النبى صَلى اللَّهُ عَليهِ و آله أنه قال (إنى لأرجو ان تكون أمتى شطر أهل الجنة) ثم تلا قوله «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ ثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ»
و قال الحسن: سابقوا من مضى أكثر من سابقينا، فلذلک قيل «وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» و فى التابعين و ثلة من الآخرين.

وَ أَصْحابُ الشِّمالِ ما أَصْحابُ الشِّمالِ (41) فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ (42) وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43) لا بارِدٍ وَ لا كَرِيمٍ (44) إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُتْرَفِينَ (45) وَ كانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (46) وَ كانُوا يَقُولُونَ أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (47) أَ وَ آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ (48) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلى مِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (50)

عشر آيات كوفى عند جميعهم. و أحدى عشر آية فى المدنى الأول. عد

---

(1) مر فى 8/ 573

الكل «وَ أَصْحابُ الشِّمالِ» و لم يعده الكوفيون. و عد الكل «فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ» و لم يعده الكوفيون، و عد «الْمَكْنُونِ» و «كانُوا يَقُولُونَ» و لم يعده الباقون. و عد الكل إلا إسماعيل و الشاميين «الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ» و عد إسماعيل و الشاميون «لَمَجْمُوعُونَ» و لم يعده الباقون.

قيل فى معنى قوله «وَ أَصْحابُ الشِّمالِ» ثلاثة اقوال:

أحدها- إنهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى جهنم.

الثانى- هم الذين يأخذون كتبهم بشمالهم.

الثالث- الذين يلزمهم حال الشؤم و النكد. و كل هذا من أوصافهم.

و قوله «ما أَصْحابُ الشِّمالِ» معناه معنى قوله «وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ» و قد فسرناه.

و قوله «فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ» فالسموم الريح الحارة التى تدخل فى مسام البدن، و مسام البدن خروقه، و منه أخذ السم، لأنه يسرى فى المسام. و الحميم الحار الشديد الحرارة من الماء، و منه قوله «يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ» «1» و حم ذلك أى أدناه كأنه حرر أمره حتى دنا. و قيل: فى سموم جهنم و حميمها.

و قوله «وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ» فاليحموم الأسود الشديد السواد باحتراق النار، و هو (يفعول) من الحم، و هو الشحم المسود باحتراق النار. و أسود يحموم أى شديد السواد «وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ» أى دخان شديد السواد- فى قول ابن عباس و أبى مالك و مجاهد و قتادة و ابن زيد- و قوله «لا بارِدٍ وَ لا كَرِيمٍ» معناه لا بارد كبرد ظلال الشمس، لأنه دخان جهنم، و لا كريم، لان كل ما انتفى عنه الخير، فليس بكريم. و قال قتادة: لا بارد المنزل و لا كريم المنظر.

---

(1) سورة 22 الحج آية 19

و قوله «إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُتْرَفِينَ» قال ابن عباس: معناه إنهم كانوا فى الدنيا متنعمين. و قوله «وَ كانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ» قال قتادة و مجاهد كانوا يقيمون على الذنب العظيم، و لا يتوبون منه، و لا يقلعون عنه. و قال الحسن و الضحاک و ابن زيد: كانوا يقيمون على الشرک العظيم. و قيل: إصرارهم على الحنث هو ما بينه اللّه تعالى فى قوله «وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ» «1» و الإصرار الاقامة على الامر من جهة العزم على فعله، فالإصرار على الذنب نقيض التوبة منه، و الحنث نقض العهد المؤكد بالحلف، فهؤلاء ينقضون العهود التى يلزمهم الوفاء بها، و يقيمون على ذلک غير تائبين منه، و وصف الذنب بأنه عظيم أنه اكبر من غيره مما هو أصغر منه من الذنوب. و قوله «وَ كانُوا يَقُولُونَ أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَ وَ آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ»؟!! حكاية من اللّه تعالى عما كان يقول هؤلاء الكفار من انكارهم البعث و النشور و الثواب و العقاب و أنهم كانوا يقولون مستبعدين منكرين: أئذا متنا و خرجنا عن كوننا أحياء و صرنا تراباً و عظاما بالية أئنا لمبعوثون؟! و لم يجمع ابن عامر بين الاستفهامين إلا هاهنا، أو يبعث واحد من آبائنا الذين تقدموا قبلنا و يحشرون و يردون إلى كونهم أحياء إن هذا لبعيد. و الواو فى قوله (او آباؤنا) متحركة، لأنها واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام، فقال اللّه تعالى لنبيه صَلى اللَّهُ عَليه و آله (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلى مِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) أى قل لهم يا محمد إن تقدمكم من آبائكم او غير آبائكم، و الآخرين الذين يتأخرون عن زمانكم يجمعهم اللّه و يبعثهم و يحشرهم إلى وقت يوم معلوم عند اللّه، و هو يوم القيامة.

---

(1) سورة 16 النحل آية 38 [.....]

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (52) فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ (53) فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54) فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (55)
هذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (56) نَحْنُ خَلَقْناكُمْ فَلَوْ لا تُصَدِّقُونَ (57) أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ (58) أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ (59) نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60)
عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ (61)
احدى عشرة آية بلا خلاف قرأ نافع و ابن عامر و عاصم و حمزة و سهل (شرب الهيم) بضم الشين.
الباقون بالفتح، و هما لغتان. و قرأ (نحن قدرنا) خفيفة ابن كثير. الباقون بالتشديد و هما لغتان. يقال قدرت، و قدرت، و قد فرق بينهما فيما ذكره، لما امر اللّه تعالى نبيه صَلى اللَّهُ عَليه و آله أن يقول لمن أنكر البعث و النشور قل لهم إنكم و من تقدمكم و تأخر عنكم مبعوثون و محشورون إلى يوم القيامة بين ما لهم فى ذلك اليوم فقال (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ) يعنى الذين ضللتم عن الدين و عن طريق الحق و حرمتم عن إتباع الصحيح المكذبون الذين كذبتم بتوحيد اللّه و اخلاص العبادة له و جحدتم نبوة نبيه (لَآكِلُونَ) يوم القيامة (مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ) فالزقوم ما يبتلع بتصعب، يقال: تزقم هذا الطعام تزقماً إذا ابتلعه بتصعب. و قيل: هو طعام خشن مرّ كريه يعسر نزوله فى الحلق.
و قوله (فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ) أى تملئون بطونكم من أكل هذا الزقوم

و الشجر يؤنث و يذكر، فلذلك قال (منها) و كذلك الثمر يذكر و يؤنث، فالتذكير على الجنس، و التأنيث على المبالغة. و البطون جمع بطن و هو خلاف الظهر، و هو داخل الوعاء و خارجه ظهر، و بطن الأمر إذا غمض، و منه الظهارة و البطانة، و بطن الإنسان، و بطن الأرض، و بطن الكتاب.
و قوله (فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ) معناه إنكم تشربون على هذا الزقوم الذى ملأتم بطونكم منه (من الحميم) و هو الماء الحار الشديد الحرارة (فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ) أى تشربون مثل ما تشرب الهيم. فمن فتح الشين أراد المصدر و من ضمه أراد الاسم، و قيل هما لغتان. و
روى جعفر بن محمد أن النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله أمر بلالا ان ينادى بمنى إنها أيام أكل و شرب
- بفتح الشين- و (الهيم) الإبل التى لا تروى من الماء لداء يصيبها، واحدها (أهيم) و الأنثى (هيما) و من العرب من يقول:

هايم و هايمة، و تجمعه على هيم كغائط و غيط. و قال ابن عباس و عكرمة و الضحاک و قتادة: معناه شرب الإبل العطاشى التى لا تروى. و قيل: هو داء الهيام. و حكى الفراء: إن الهيم الرجل الذى لا يروى من الماء يشرب ما يحصل فيه.
و قوله (هذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) فالنزل الأمر الذى ينزل عليه صاحبه، و منه النزل و هو الجارى للإنسان من الخير، و أهل الضلال قد نزلوا على أنواع العذاب فى النار، و كل ما فصله اللّه تعالى من ذلک ففيه أتم الزجر و أعظم الردع. و قيل:
معنى الآية هذا طعامهم و شرابهم يوم الجزاء.
و قوله (نَحْنُ خَلَقْناكُمْ) أى نحن انشأناكم و ابتدأناكم فى النشأة الأولى (فهلا تصدقون) أنكم تبعثون. ثم نبههم على وجه الاستدلال على صحة ما ذكرناه فقال (أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ) و معناه الذى يخرج منكم من المنى عند الجماع، و يخلق منه الولد (أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ) و تنشئونه (أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ) فهم لا يمكنهم ادعاء إضافة ذلک التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 503
الى نفوسهم لعجزهم عن ذلک، فلا بد من الاعتراف بأن اللّه هو الخالق لذلک، و إذا ثبت انه قادر على خلق الولد من النطفة وجب أن يكون قادراً على إعادته بعد موته لأنه مثله، و ليس بأبعد منه، يقال: أمنى يمنى، و منى يمنى، بمعنى واحد، و كذلک أمذى، و مذى- فى قول الفراء.
و قوله تعالى (نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ) فالتقدير ترتيب الأمور على مقدار فاللّه تعالى أجرى الموت بين العباد على مقدار ما تقتضيه الحكمة، فإنما أجراه الحكيم على ذلک المقدار.
و قوله (وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) أى لسنا بمسبوقين فى تدبيرنا، لأن الأمور كلها فى مقدور اللّه و سلطانه على ما يصح و يجوز فيما مكن منه أو أعجز عنه. و قال مجاهد: تقدير الموت بالتعجيل لقوم و التأخير لغيرهم. و قيل (نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ) بأن كتبناه على مقدار، لا زيادة فيه و لا نقصان. و يقال: قدرت الشىء مخففاً، و قدرته مثقلا بمعنى واحد.
و قوله (عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ)
فالتبديل جعل الشىء موضع غيره، فتبديل الحكمة بالحكمة صواب و تبديل الحكمة بخلافها خطأ و سفه، فعلى هذا ينشئ اللّه قوماً بعد قوم، لأن المصلحة تقتضى ذلک، و الحكمة توجب إنشاءهم فى وقت و إماتتهم فى وقت آخر. و انشاؤهم بعد ذلک للحساب و الثواب و العقاب. و قيل: إن معنى (عَلى أَنْ نُبَدِّلَ)
التبدل أى لنبدل أمثالكم، و بين (على) و (اللام) فرق، لأنه يجوز أن يقال: عمله على قبحه، و لا يجوز عمله لقبحه. و تعليم الاستدلال بالنشأة الاولى على النشأة الثانية فيه تعليم القياس.
و قوله (وَ نُنْشِئَكُمْ فِى ما لا تَعْلَمُونَ)

معناه فيما لا تعلمون من الهيئات و الصور المختلفة، لأن المؤمن يخلق على أحسن صورة، و الكافر على أقبح صورة. و قيل: التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 504
هذا على النشأة الثانية يكوّنها اللَّه فى وقت لا يعلمه العباد، و لا يعلمون كيفيته، كما علموا الإنشاء الأول من جهة التناسل. و قيل: معناه لو أردنا أن نجعل منكم القردة و الخنازير لم يعيبننا ذلک، و لا سبقنا اليه سابق. و يجوز أن يقال: أمثال متفقة، و لا يجوز أن يقال أجناس متفقة، لان المثل ينفصل بالصورة كما ينفصل رجل عن رجل بالصورة، و ما انفصل بالصورة يجوز جمعه، لان الصورة قد منعت أن تجرى على الكثير منه صفة التوحيد، فلا يجوز أن يقال هؤلاء الرجال كلهم رجال واحد و يجوز هذا الماء كله ماء واحد، و هذه المذاهب كلها مذهب واحد، و لا يجوز هؤلاء الأمثال كلهم أمثال واحد، لأنهم ينفصلون بالصورة. و جرى مجرى المختلفة فى انه لا يقع على صفة التوحيد.

وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ (62) أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ (63) أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (66)
بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (67) أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69) لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً فَلَوْ لا تَشْكُرُونَ (70)
تسع آيات بلا خلاف.
قرأ ابو بكر «أ إنا لمغرمون» على الاستفهام. الباقون على الخبر.
يقول اللَّه تعالى مخاطباً للكفار الذين أنكروا النشأة الثانية، و منبهاً لهم على قدرته عليها، فقال (وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فهلا تذكرون) و تفكرون و تعتبرون التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 505
بأن من قدر عليها قدر على النشأة الثانية. و النشأة المرة من الإنشاء، كالضربة من الضرب، و الإنشاء إيجاد الشىء من غير سبب يولده، و مثله الاختراع و الابتداع.
ثم نبههم على طريق غيره فقال (أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ) من الزرع (أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ) أى أ أنتم تنبتونه و تجعلونه رزقاً (أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) فان من قدر على إنبات الزرع من الحبة الحقيرة و جعلها حبوباً كثيرة قدر على إعادة الخلق إلى ما كانوا عليه. و قوله (لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ) يعنى ذات الزرع (حُطاماً) أى هشيماً لا ينتفع به فى مطعم و لا غذاء لفعلنا. و قوله (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) معناه قال ابن عباس و مجاهد و قتادة- فى رواية عنه- تعجبون. و قال الحسن و قتادة- فى رواية- فظلتم تندمون أى لو جعلناه حطاماً لظلتم تندمون. و المعنى إنكم كنتم تتروحون إلى التندم، كما تتروح الفكه الى الحديث بما يزيل الهم. و أصل التفكه تناول ضروب الفاكهة للأكل.
و قوله (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) المغرم الذى ذهب ماله بغير عوض عنه. و أصله ذهاب المال بغير عوض، فمنه الغريم لذهاب ما له بالاحتباس على المدين من غير عوض منه فى الاحتباس، و الغارم الذى عليه الدين الذى يطالبه به الغريم. و منه قوله (إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً) «1» أى ملحاً دائماً كالحاح الغريم. و قال الحسن: هو من الغرم. و قال قتادة معنى (لمغرمون) لمعذبون، قال الأعشى:
إن يعاقب يكن غراماً و إن يع ط جزيلا فانه لا يبالى «2»
أى يكن عقابه عذاباً ملحاً كالحاح الغريم. و قال الراجز:
يوم النسار و يوم الجفار كانا عذابا و كانا غراماً «3»
.

أى ملحاَ كالحاح الغريم، و حذف يقولون إنا لمغرمون، لدلالة الحكاية.

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 65
(2، 3) مر فى 7/ 505
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 506
و قال: معنى لمغرمون محدودون عن الخط. و قال قتادة محارفون. و قال مجاهد- فى رواية أخرى- إنا لمولع بنا. و فى رواية غيره عنه معناه إنا لملقون فى الشر.
و من قرأ (أ إنا لمغرمون) على الاستفهام حمل على أنهم يقرعون و يقولون منكرين.
أ إنا لمغرمون؟! و من قرأ على الخبر حمله على أنهم مخبرون بذلک عن أنفسهم. ثم يستدركون فيقولون لا (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) مبخوسون بحظوظنا محارفون بهلاک زرعنا.
ثم قال لهم منبهاً على دلالة اخرى فقال (أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ) و المعنى إنه تعالى امتن عليهم بما أنعم عليهم من انزال الماء العذب (من المزن) يعنى السحاب ليشربوه و ينتفعوا به، فقال لهم (أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ) له عليكم نعمة منا عليكم و رحمة بكم. ثم قال (لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً) قال الفراء: الأجاج المر الشديد المرارة من الماء. و قال قوم: الأجاج الذى اشتدت ملوحته (فَلَوْ لا تَشْكُرُونَ) أى فهلا تشكرون على هذه النعمة التى لا يقدر عليها غير اللّه، و علمتم بذلک ان من قدر على ذلک قدر على النشأة الاخرى فإنها لا تتعذر عليه كما لا يتعذر عليه هذه النعم.

أَ فَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِی تُورُونَ (71) أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ (72) نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً وَ مَتاعاً لِلْمُقْوِينَ (73) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ الْعَظِيمِ (74) فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ (75)
وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِی كِتابٍ مَكْنُونٍ (78) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (79) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (80)
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 507
عشر آيات بلا خلاف.
قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً (بموقع) على التوحيد. الباقون (بمواقع) على الجمع.
هذا تنبيه آخر من اللَّه تعالى على قدرته على النشأة الثانية، و على وجه الدلالة على ذلک و على اختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره، لأنه قال (أ فرأيتم) معاشر العقلاء (النَّارَ الَّتِی تُورُونَ) فالنار مأخوذ من النور، و منه قول الحارث ابن حلزة:
فتنورت نارها من بعيد بخزازى هيهات منک الصلاء «1»
و جمع النور أنوار، و جمع النار نيران، و النار على ضربين: نار محرقة، و نار غير محرقة. فالتى لا تحرق النار الكامنة بما هى مغمورة به كنار الشجر و نار الحجر و نار الكيد. و التى تحرق هى النار الظاهرة فيما هى مجاورة له مما من شأنه الاشتعال، و هى معروفة. و معنى «تورون» تظهرون النار، و لا يجوز الهمزة، لأنه من اورى يورى إيراء إذا قدح، فمعنى تورون تقدحون. و ورى الزند يورى، فهو وار إذا.
انقدحت منه النار، و وريت بک زنادى إذا أصابک أمرى كما يضىء القدح بالزناد ثم قال «أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها» يعنى الشجرة التى تنقدح منها النار أى أنتم انبتموها و ابتدأتموها «أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ» لها، فلا يمكن أحد ان يدعى ان الذى أنشأها غير اللَّه تعالى و العرب تقدح بالزند و الزندة، و هو خشب معروف يحک بعضه ببعض فيخرج منه النار- ذكره الزجاج و غيره- و فى المثل (كل شجرة فيها نار و استمجد المرخ و العفار) فان قيل: لم لا يكون نار الشجر بطبع الشجر لا من

---

(1) اللسان (نور)
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 508
قادر عليه. قيل: الطبع غير معقول، فلا يجوز أن يسند اليه الأفعال، و لو جاز ذلک للزم فى جميع أفعال اللَّه، و ذلک باطل و لو كان معقولا لكان ذلک الطبع لا بد ان يكون فى الشجر و اللَّه تعالى الذى أنشأ الشجرة و ما فيها،

فقد رجع الى قادر عليه و إن كان بواسطة، و لو جاز ان تكون النار من غير قادر عليها لجاز أن يكون من عاجز، لأنه إذا امتنع الفعل ممن ليس بقادر عليه منا، لأنه فعل، و كل فعل ممتنع ممن ليس بقادر عليه.
و قوله «نَحْنُ جَعَلْناها» يعنى تلك النار «تَذْكِرَةً وَ مَتاعاً لِلْمُقْوِينَ» أى جعلنا النار تذكرة للنار الكبرى، و هى نار جهنم، فيكون ذلک زجراً عن المعاصى التى يستحق بها النار- فى قول مجاهد و قتادة- و يجوز ان يكون المراد تذكرة يتذكر بها و يتفكر فيها و يعتبر بها، فيعلم انه تعالى قادر على النشأة الثانية، كما قدر على إخراج النار من الشجر الرطب. و قوله «وَ مَتاعاً لِلْمُقْوِينَ» يعنى ينتفع بها المسافرون الذين نزلوا الأرض القى و هى القفر، قال الراجز:
قىّ يناصيها بلاد قىّ «1»
و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاک: للمقوين المسافرين، و قيل: هو من أقوت الدار إذا خلت من أهلها قال الشاعر:
أقوى و أقفر من نعم و غيرها هوج الرياح بها فى الترب موار «2»
و قد يكون المقوى الذى قويت خيله و نعمه فى هذا الموضع.
ثم أمر اللّه تعالى نبيه صَلى اللَّهُ عَليه و آله و المراد به جميع المكلفين بأن «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ الْعَظِيمِ» أى نزه اللّه تعالى عما لا يليق به و أدعه باسمه العظيم.
و قوله «فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ» قال سعيد بن جبير: (لا) صلة و التقدير

---

(1) اللسان (قوا)
(2) تفسير الطبرى 27/ 104

أقسم. و قال الفراء: هى نفى بمعنى ليس الأمر كما تقولون. ثم استؤنف «أُقْسِمُ» و قيل (لا) تزاد قبل القسم، كقولک لا و اللّه لا افعل، و لا و اللّه ما كلمت زيداً و قال امرؤ القيس:
لا و أبيک ابنة العامرى لا يدعى القوم انى أفرّ «1»
بمعنى و أبيک و (لا) زائدة و «بِمَواقِعِ النُّجُومِ» قال ابن عباس و مجاهد أى القرآن، لأنه أنزل نجوماً. و قال مجاهد- فى رواية أخرى- و قتادة: يعنى مساقط نجوم السماء و مطالعها. و قال الحسن: معناه انكدارها و هو انتشارها يوم القيامة، و من قرأ «بموقع» فلأنه يقع على الكثير و القليل. و من قرأ على الجمع، فلاختلاف أجناسه.
و قوله «وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ» اخبار من اللَّه تعالى بأن هذا القسم الذى ذكره بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمه لانتفعتم بعلمه. و القسم جملة من الكلام يؤكد بها الخبر بما يجعله فى قسم الصواب دون الخطأ على طريقة باللّه إنه لكذا. و قال ابو على الجبائى: القسم فى كل ما

ذكر فى القرآن من المخلوقات إنما هو قسم بربه، و هذا ترک الظاهر من غير دليل، لأنه قد يجوز ذلک على جهة التنبيه على ما فى الأشياء من العبرة و المنفعة. و
قد روى أنه لا ينبغى لأحد أن يقسم إلا باللَّه، و للَّه ان يقسم بما يشاء من خلقه
، فعلى هذا كل من اقسم بغير اللَّه او بشىء من صفاته من جميع المخلوقات او الطلاق او العتاق لا يكون ذلک يميناً منعقدة، بل يكون كلاماً لغواً. و العظيم هو الذى يقصر عن مقداره غيره فيما يكون منه، و هو على ضربين: أحدهما- عظيم الشخص، و الآخر- عظيم الشأن.
و قوله «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ» معناه إن الذى تلوناه عليكم لقرآن تفرقون به

---

(1) ديوانه (السندوبى) 94

بين الحق و الباطل «كَرِيمٌ» فالكريم هو الذى من شأنه أن يعطى الخير الكثير، فلما كان القرآن من شأنه أن يعطى الخير الكثير بالادلة التى تؤدى إلى الحق فى الدين كان كريماً على حقيقة معنى الكريم، لا على التشبيه بطريق المجاز، و الكريم فى صفات اللَّه من الصفات النفسية التى يجوز فيها لم يزل كريماً، لأن حقيقته تقتضى ذلک من جهة ان الكريم الذى من شأنه ان يعطى الخير الكثير، فلما كان القادر على التكرم هو الذى لا يمنعه مانع من شأنه ان يعطى الخير الكثير صح أن يقال إنه لم يزل كريماً.
و قوله «فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ» قيل: هو اللوح المحفوظ أثبت اللَّه تعالى فيه القرآن و المكنون المصون.
و قوله «لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» قال ابن عباس و مجاهد و الضحاک: لا يمس الكتاب الذى فى السماء إلا المطهرون من الذنوب و هم الملائكة- فى قول ابن عباس و الحسن و سعيد بن جبير و جابر و ابن زيد و أبى نهيد و مجاهد. و قيل «لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» فى حكم اللَّه. و قد استدل بهذه الآية على أنه لا يجوز للجنب و الحائض و المحدث أن يمسوا القرآن، و هو المكتوب فى الكتاب الذى فيه القرآن أو اللوح.
و قال قوم: إنه لا يجوز لهم ان يمسوا الكتاب الذى فيه، و لا أطراف او راقه، و حملوا الضمير على انه راجع إلى الكتاب و هو كل كتاب فيه القرآن.
و عندنا إن الضمير راجع إلى القرآن. و إن قلنا إن الكتاب هو اللوح المحفوظ، فلذلک وصفه بأنه مصون، و يبين ما قلناه قوله «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ» يعنى هذا القرآن تنزيل من رب العالمين أنزله اللَّه الذى خلق الخلائق و دبرهم على ما أراد.

أَ فَبِهذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (81) وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (82) فَلَوْ لا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ (85)
فَلَوْ لا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86) تَرْجِعُونَها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (87) فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَ رَيْحانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ (89) وَ أَمَّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ (90)
فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ (91)
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 511
إثنا عشرة آية شامى، و احدى عشرة فيما عداه، عد الشاميون «و روح و ريحان» و لم يعده الباقون.
قرأ يعقوب «فروح و ريحان» بضم الراء. الباقون بفتحها، و هما لغتان.
و قال الزجاج: الروح بفتح الراء معناه الراحة و بالضم معناه حياة دائمة لا موت معها.
يقول اللّه تعالى مخاطباً للمكلفين على وجه التقريع لهم و التوبيخ بصورة الاستفهام «أَ فَبِهذَا الْحَدِيثِ» الذى حدثناكم به و أخبرناكم به من حوادث الأمور «أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ» قال ابن عباس: معنى مدهنون مكذبون. و قال مجاهد: معناه تريدون أن تمالؤهم فيه و تركنوا اليهم لأنه جريان معهم فى باطلهم. و قيل: معناه منافقون فى التصديق بهذا الحديث و سماه اللّه تعالى حديثاً كما قال «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً» «1» و معناه معنى الحدوث شيئاً بعد شىء و نقيض (حديث) قديم، و المدهن الذى يجرى فى الباطل على خلاف الظاهر، كالدهن فى سهولة ذلك

---

(1) سورة 39 الزمر آية 23
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 512
عليه و الاسراع فيه، أدهن يدهن إدهاناً و داهنه مداهنة مثل نافقه منافقة، و كل مدهن بصواب الحديث مذموم.
و قوله «وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» معناه و تجعلون حظكم من الخير الذى هو كالرزق لكم إنكم تكذبون و يجوز شكر رزقكم، و قال ابن عباس: معناه و تجعلون شكركم، و روى انه كان يقرأ كذلك. و قيل: حظكم من القرآن- الذى رزقكم اللّه- التكذيب به- فى قول الحسن- و قيل: إنهم كانوا إذا أمطروا و أخصبوا، قالوا مطرنا بنوء كذا، فأنزل اللّه تعالى الآية تكذيباً لهم. و كذلك قرأ المفضل عن عاصم «تكذبون» بفتح التاء خفيفاً.
و قوله «فَلَوْ لا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ» قال الحسن: معناه هلا إذا بلغت هذه

النفس التى زعمتم أن اللّه لا يبعثها الحلقوم «وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظَرُونَ» أى تنظرون ما ينزل بكم من امر اللّه قال الزجاج: قوله تعالى «وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ» خطاب لأهل الميت، و تقديره إذا بلغت الحلقوم و أنتم معاشر اهله ترونه على تلك الصورة.
و يحتمل ان يكون المراد و أنتم حينئذ تبصرون على ضرب من المجاز. و قوله «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ» معناه إن اللّه تعالى يراه من غير مسافة بينه و بينه، فلا شىء أقرب اليه منه، و اقرب من كل من يراه بمسافة بينه و بينه «وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ» معناه و لكن لا تعلمون ذلک لجهلكم باللّه و بما يجوز عليه و ما لا يجوز. و يحتمل أن يكون المراد و لكن لا تبصرون اللّه، لأن الرؤية مستحيلة عليه. و قيل معناه: و لكن لا تبصرون الملائكة التى تتولى قبض روحه.
و قوله «فَلَوْ لا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ» معناه هلا إن كنتم غير مجزيين بثواب اللّه او عقابه على ما تدعونه من إنكار البعث و النشور «تَرْجِعُونَها» أى تردون هذه النفس إلى موضعها «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» فى قولكم و ادعائكم. و حكى الطبرى التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 513
عن بعض النحويين ان الكلام خرج متوجهاً الى قوم أنكروا البعث، و قالوا نحن نقدر على الامتناع من الموت، فقيل لهم: هلا رددتم النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم صادقين فيما تدعونه. و قال الفراء: جواب (لولا) (ترجعونها) و هو جواب «فَلَوْ لا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ» أجيبا بجواب واحد، قال و مثله «لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ» «1» يعنى إن الجواب و الخبر فى هذا على قياس واحد، و إنما جاز ان يجاب معنيان بجواب واحد، لان كل واحد منهما يوجب ذلک المعنى، و المعنى فلولا إذا بلغت الحلقوم على ادعائهم انه لا يصح ان يكون القادر على إخراجها قادراً على ردها يلزم ان يكون القادر على ردها غيره، و كذلک يلزم من قولهم إنه لا يصح ان يقدر على ردها للجزاء ان يكون القادر غيره منهم و من أشباههم. و الرجع جعل الشىء على الصفة التى كان عليها قبل، و هو انقلابه الى الحال الأولى، و لو انقلب إلى غيرها لم يكن راجعاً. و وجه إلزامهم على إنكار الجزاء و رجوع النفس الى الدنيا ان إنكار ان يكون القادر على النشأة الأولى قادراً على النشأة الثانية كادعاء ان القادر على الثانية انما هو من لم يقدر على الأولى، لأن إنكار الاول يقتضى إيجاب الثانى كإنكار ان يكون زيد المتحرک حركت نفسه فى اقتضاء ان غيره حركه. و معنى «غَيْرَ مَدِينِينَ» غير مجزيين. و قيل: معناه غير مملوكين، و الدين الجزاء. و منه قولهم: كما تدين تدان أى تجزى تجزى و الدين العمل الذى يستحق به الجزاء من قوله «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ» «2» و منه دين اليهود غير دين النصارى، و فلان يتدين أى يعمل ما يطلب به الجزاء من اللّه تعالى، و العبد مدين، لأنه تحت جزاء

(1) سورة 3 آل عمران آية 188
(2) سورة 3 آل عمران آية 19

مولاه، و إنما يجوز الانقلاب من صفة الى صفة على ان يكون على أحدهما بجعل جاعل و من استحق صفة النفس لا لمعنى و لا بالفاعل، لا يجوز ان ينقلب عنها الى غيرها.
و قوله «فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ» اخبار من اللَّه تعالى بما يستحقه المكلفون لمن كان منهم سابقاً الى الخيرات و الى أفعال الطاعات فله روح و ريحان، و هو الهوى الذى يلذ النفس و يزيل عنها الهم. و قيل: الروح الراحة و الريحان: الرزق- فى قول مجاهد و سعيد بن جبير- و قال الحسن و قتادة: هو الريحان المشموم، و كل نبات طيب الريح، فهو ريحان، و قيل الروح الفرح. و قيل:
الروح النسيم الذى تستريح اليه النفس. و اصل ريحان روحان، لأنه من الواو إلا انه خفف، و أهمل التثقيل للزيادة التى لحقته من الالف و النون- ذكره الزجاج- و قوله «وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ» أى و لهذا المقرّب مع الروح و الريحان «جَنَّةُ نَعِيمٍ» أى بستان ينعم فيها و يلتذ بأنواع الثمار و الفواكه فيها.
و قوله «وَ أَمَّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ» و قد فسرنا معناه «فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ» دخلت كاف الخطاب كما يدخل فى ناهيک به شرفاً، و حسبک به كرماً أى لا تطلب زيادة جلالة على جلالة، و كذلک سلام لک منهم أى لا تطلب زيادة على سلامهم جلالة و عظم منزلة. و قال قتادة: معناه فسلام لک ايها الإنسان الذى من اصحاب اليمين من عذاب اللَّه و سلمت عليک ملائكة اللَّه.
و قال الفراء: و سلام لک إنک من اصحاب اليمين فحذفت إنک. و قيل معناه سلمت مما تكره لأنک من اصحاب اليمين. و قال الزجاج: معناه و سلام لک إنک ترى فيهم ما تحب من السلامة، و ذكر اصحاب اليمين فى أول السورة بأنهم «فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ» و ذكرهم فى آخرها بأنهم يبشرون بالسلامة من كل ما يكرهون. و قيل:
إنما كان التبرک باليمين، لان العمل يتيسر بها، و اما الشمال فيتعسر العمل

نحو الكتابة و التجارة و الاعمال الدقيقة.

وَ أَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (92) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (93) وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (94) إِنَّ هذا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (95) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ الْعَظِيمِ (96)
خمس آيات بلا خلاف.
لما اخبر اللَّه تعالى ما للسابقين من انواع الثواب و النعيم، و بين ما لأصحاب اليمين من الخيرات و الثواب الجزيل، اخبر بما للكفار المكذبين بيوم الدين المنكرين للبعث و النشور و الجزاء بالثواب و العقاب، فقال «وَ أَمَّا إِنْ كانَ» هذا الإنسان المكلف (من المكذبين) بتوحيد اللَّه الجاحدين لنبوة نبيه الدافعين للبعث و النشور (الضالين) عن طريق الهدى العادلين عنه (فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ) أى نزلهم الذى أعدلهم من الطعام و الشراب من ماء من حميم (وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ) أى إحراق بنار جهنم، يقال صلاه اللَّه تصلية إذا ألزمه الإحراق بها، و تقديره فله نزل من حميم.
و قوله (إِنَّ هذا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) أى هذا الذى أخبرتک به هو الحق الذى لا شک فيه بل هو اليقين الذى لا شبهة فيه و حق اليقين إنما جاز اضافته الى نفسه، لأنها إضافة لفظية جعلت بدلا من الصفة، لان المعنى إن هذا لهو حق اليقين، كما قيل هذا نفس الحائط، بمعنى النفس الحايط، و جاز ذلک للإيجاز مع مناسبة الاضافة للصفة. و اما قولهم (رجل سوء) فكقولک رجل سوء و فساد. و قيل معنى حق اليقين حق الأمر اليقين.
و قوله (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ الْعَظِيمِ) أمر من اللَّه تعالى لنبيه ان ينزه اللَّه

عما لا يليق به و يذكره باسمه العظيم. و
قيل: انه لما نزلت هذه الآية قال النبى صَلى اللَّه عليه و آله (ضعوها فى ركوعكم) و قولوا (سبحان ربى العظيم)
و العظيم فى صفة اللَّه معناه ان كل شىء سواه مقصر عن صفته بأنه قادر عالم غنى إذ هو قادر لا يعجزه شىء و لا يساويه شىء فى مقدوراته، و عالم لا يخفى عليه شىء على كل وجوه التفصيل، و غنى بنفسه عن كل شىء سواه لا يجوز عليه الحاجة بوجه من الوجوه و لا على حال من الأحوال.

اشارة

مدنية بلا خلاف، و هى تسع و عشرون آية فى الكوفى و البصرى و ثمان و عشرون فى المدنيين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2) هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (3) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ ما يَخْرُجُ مِنْها وَ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما يَعْرُجُ فِيها وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4)
لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (5)
خمس آيات بلا خلاف.
يقول اللّه تعالى مخبراً ان جميع ما فى السموات و الأرض يسبح له. و قد بينا فى غير موضع معنى التسبيح و انه التنزيه له عن الصفات التى لا تليق به. فمن كان التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 518
من العقلاء عارفاً به فانه يسبحه لفظاً و معنى، و ما ليس بعاقل من سائر الحيوان و الجمادات فتسبيحها ما فيها من الآية الدالة على وحدانيته و على الصفات التى باين بها جميع خلقه، و ما فيها من الحجج على أنه لا يشبه خلقه و أن خلقه لا يشبهه، ذلک بالتسبيح. و إنما كرر ذكر التسبيح فى غير موضع من القرآن لانعقاده لمعان مختلفة لا ينوب بعضها مناب بعض، فمن ذلک قوله «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» «1» فهذا تسبيح بحمد اللّه و أما «سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» فهو تسبيح باللّه «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» فكل موضع ذكر فيه فلعقده بمعنى لا ينوب عنه غيره منابه، و إن كان مخرج الكلام على الإطلاق و «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» معناه المنيع بأنه قادر لا يعجزه شىء العليم بوجوه الصواب فى التدبير، و لا تطلق صفة «العزيز الحكيم» إلا فيه تعالى، لأنه على هذا المعنى.
و قوله «لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» اخبار بأن له التصرف فى جميع ما فى السموات و الأرض و ليس لاحد منعه منه و لا أن إحداً ملكه ذلک و ذاک هو الملک الأعظم، لان كل ما عداه فما يملكه، فان اللّه هو الذى ملكه إياه، و له منعه منه.
و قوله «يُحْيِي وَ يُمِيتُ» معناه يحيى الموات، لأنه يجعل النطفة و هى جماد حيواناً و يحييها بعد موتها يوم القيامة، و يميت الأحياء إذا بلغوا آجالهم التى قدرها لهم «وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أى كل ما يصح ان يكون مقدوراً له، فهو قادر عليه.
و قوله «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- قال البلخى إنه كقول القائل: فلان أول هذا الأمر و آخره و ظاهره

و باطنه أى عليه يدور الأمر و به يتم.
الثانى- قال قوم: هو أول الموجودات لأنه قديم سابق لجميع الموجودات و ما

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 44
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 519
عداه محدث. و القديم يسبق المحدث بما لا يتناهى من تقدير الأوقات. و الآخر بعد فناء كل شىء، لأنه تعالى يفنى الأجسام كلها و ما فيها من الاعراض، و يبقى وحده ففى الآية دلالة على فناء الأجسام.
و قوله «الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- انه العالم بما ظهر و ما بطن.
الثانى- انه القاهر لما ظهر و ما بطن من قوله تعالى «فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ» «1» و منه قوله «وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» «2» و قيل: المعنى إنه الظاهر بادلته الباطن من أحساس خلقه «وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» ما يصح ان يكون معلوماً، لأنه عالم لنفسه.
ثم اخبر تعالى عن نفسه فقال «هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» أى اخترعهما و انشأهما «فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ» لما فى ذلک من اعتبار الملائكة بظهور شىء بعد شىء من جهة و لما فى الاخبار به من المصلحة المكلفين و لو لا ذلک لكان خلقها فى لحظة واحدة، لأنه قادر على ذلک من حيث هو قادر لنفسه.
و قوله «ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ» أى استولى عليه بالتدبير قال البعيث.
ثم استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق «3»
و هو بشر بن مروان، لما ولاه اخوه عبد الملک بن مروان. و قيل: معناه ثم عمد و قصد الى خلق العرش، و قد بينا ذلک فيما تقدم. ثم قال «يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِى الْأَرْضِ» أى ما يدخل فى الأرض و يستتر فيها، فاللّه عالم به لا يخفى عليه منه شىء «وَ ما يَخْرُجُ مِنْها» أى و يعلم ما يخرج من الأرض من سائر النبات و الحيوان و الجماد

---

(1) سورة 61 الصف آية 14
(2) سورة 17 الإسراء آية 88
(3) مر فى 1/ 125، و 2/ 396 و 4/ 452 و 5/ 386
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 520
و لا يخفى عليه شىء «وَ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ» أى و يعلم ما ينزل من السماء من مطر و غير ذلک من انواع ما ينزل منها لا يخفى عليه شىء منها «وَ ما يَعْرُجُ فِيها» أى و يعلم ما يعرج فى السماء من الملائكة و ما يرفع اليها من أعمال الخلق «وَ هُوَ مَعَكُمْ» يعنى بالعلم لا يخفى عليه حالكم و ما

تعملونه «وَ اللّٰهُ بِما تَعْمَلَونَ بَصِيرٌ» من خير و شر أى عالم به.
ثم قال «لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» أى له التصرف فيهما على وجه ليس لاحد منعه منه «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» يوم القيامة. و المعنى أن جميع من ملكه شيئاً فى دار الدنيا يزول ملكه و لا يبقى ملك أحد، و يتفرد تعالى بالملك، فذلک معنى قوله (وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) كما كان كذلک قبل أن يخلق الخلق.

يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (6) آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7) وَ ما لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَ قَدْ أَخَذَ مِيثاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (8) هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلى عَبْدِهِ آياتٍ بَيِّناتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (9) وَ ما لَكُمْ أَلاَّ تُنْفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لا يَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قاتَلَ أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قاتَلُوا وَ كُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (10)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو وحده (و قد أخذ ميثاقكم) بضم الألف، على ما لم يسم فاعله. الباقون- بالفتح- بمعنى و أخذ اللّه ميثاقكم، و قرأ ابن عامر و وحده (و كلٍ وعد اللّه الحسنى) بالرفع، و هى فى مصاحفهم بلا الف جعله مبتدءاً و خبراً و عدّى الفعل الى ضميره، و تقديره: و كل وعده اللّه الحسنى، كما قال الراجز:

قد أصبحت أم الخيار تدعى علىّ ذنباً كله لم أصنع

أى لم اصنعه، فحذف الهاء. الباقون بالنصب على أنه مفعول (وعد اللَّه) و تقديره وعد اللّه كلًا الحسنى، و يكون (الحسنى) فى موضع نصب بأنه مفعول ثان و هو الأقوى.

معنى قوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ) أى إن ما ينقص من الليل يزيده فى النهار، و ما ينقص من النهار يزيده فى الليل حسب ما قدره على علم من مصالح عباده. و قيل: إن معناه إن كل واحد منهما يتعقب صاحبه (وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ) و معناه هو عالم بأسرار خلقه و ما يخفونه فى قلوبهم من الضمائر و الاعتقادات لا يخفى عليه شىء منها.

ثم امر تعالى المكلفين فقال (آمِنُوا بِاللَّهِ) معاشر العقلاء و صدقوا نبيه و أقروا بوحدانيته و اخلاص العبادة له، و صدقوا رسوله، و اعترفوا بنبوته (و أنفقوا) فى طاعة اللّه و الوجوه التى أمركم اللّه بالإنفاق فيها (مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ

فِيهِ)

قال الحسن: معناه ما استخلفكم فيه بوراثتكم إياه عمن كان قبلكم.

ثم بين ما يكافيهم به إذا فعلوا ذلك، فقال (فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) بما أمرتهم بالايمان به (وَ أَنْفِقُوا) مما دعوتهم الى الإنفاق فيه (لَهُمْ) مغفرة من اللّه

لذنوبهم و (أَجْرٌ كَبِيرٌ) أى و ثواب عظيم.
ثم قال اللَّه تعالى على وجه التوبيخ لهم (و ما لكم) معاشر المكلفين (لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) و تعترفون بوحدانيته و اخلاص العبادة له (وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ) إلى ذلک (لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ) أى لتعترفوا به و تقروا بوحدانيته (وَ قَدْ أَخَذَ مِيثاقَكُمْ) معناه إنه لما ذكر تعالى دعاء الرسول الى الايمان بين انه قد أخذ ميثاقكم ايضاً به، و معنى أخذ ميثاقكم انه نصب لكم الأدلة الدالة الى الايمان باللَّه و رسوله و رغبكم فيه و حثكم عليه و زهدكم فى خلافه، و معنى (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) اى إن كنتم مؤمنين بحق فالإيمان قد ظهرت أعلامه و وضحت براهينه:
ثم قال (هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلى عَبْدِهِ) يعنى ان اللَّه تعالى هو الذى ينزل على محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله (آياتٍ بَيِّناتٍ) أى حججاً و ادلة واضحة و براهين نيرة (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ) و معناه فعل بكم ذلک ليخرجكم من الضلال الى الهدى- فى قول مجاهد و غيره- و فى ذلک دلالة على بطلان قول المجبرة: إن اللَّه تعالى خلق كثيراً من خلقه ليكفروا به و يضلوا عن دينه. و إنما أخرجهم من الضلال الى الهدى بما نصب لهم من الأدلة التى إذا نظروا فيها افضى بهم الى الهدى و الحق، فكأنه أخرجهم من الضلال، و إن كان الخروج من الضلال الى الهدى من فعلهم، و سمى الدلالة نوراً، لأنه يبصر بها الحق من الباطل، و كذلک العلم، لأنه يدرک به الأمور كما تدرک بالنور، فالقرآن بيان الأحكام على تفصيلها و مراتبها.
و قوله (إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ) اخبار منه تعالى أنه بخلقه رؤف رحيم.

و الرأفة و الرحمة من النظائر.
و قوله «وَ ما لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ» استبطأهم فى الإنفاق فى سبيل اللَّه الذى رغبهم بالإنفاق فيها.
و قوله «وَ لِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» قد بينا أن جميع ما يملكونه فى الدنيا يرجع الى اللَّه، و يزول ملكهم عنه، فان أنفقوه كان ثواب ذلک باقياً لهم.
و قوله «لا يَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قاتَلَ...» بين اللَّه تعالى أن الإنفاق قبل الفتح فى سبيل اللَّه إذا انضم اليه الجهاد فى سبيله أكثر ثواباً عند اللَّه، و المراد بالفتح فتح مكة و فى الكلام حذف، لأن تقديره لا يستوى هؤلاء مع الذين أنفقوا بعد الفتح، و الكلام يدل عليه. و إنما امتنع مساواة من أنفق بعده لمن أنفق قبله، لعظم العناية الذى لا يقوم غيره مقامه فيه، فى الصلاح فى الدين و عظم الانتفاع به، كما لا يقوم دعاء غير النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله الى الحق مقام دعائه و لا يبلغه أبداً، و ليس فى الآية دلالة على فضل انسان بعينه ممن يدعى له الفضل، لأنه يحتاج أن يثبت ان له الإنفاق قبل الفِتح، و ذلک غير ثابت. و يثبت أن له القتال بعده.

و لما يثبت ذلک ايضاً فكيف يستدل به على فضله.
فأما الفتح فقال الشعبى: أراد فتح الحديبية. و قال زيد بن اسلم، و قتادة: أراد به فتح مكة. ثم سوى تعالى بين الكل فى الوعد بالخير و الجنة و الثواب فيها- و إن تفاضلوا فى مقاديره- فقال «وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى» يعنى الجنة و الثواب فيها «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» لا يخفى عليه شىء من ذلک من انفاقكم و قتالكم و غير ذلک فيجازيكم بحسب ذلک،

مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَیُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ کَرِیمٌ (11) یَوْمَ تَرَی الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ یَسْعی نُورُهُمْ بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ بِأَیْمانِهِمْ بُشْراکُمُ الْیَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ (12) یَوْمَ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ لِلَّذِینَ آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِکُمْ قِیلَ ارْجِعُوا وَراءَکُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَیْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِیهِ الرَّحْمَةُ وَ ظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ (13) یُنادُونَهُمْ أَ لَمْ نَکُنْ مَعَکُمْ قالُوا بَلی وَ لکِنَّکُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَکُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْکُمُ الْأَمانِیُّ حَتَّی جاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ غَرَّکُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (14) فَالْیَوْمَ لا یُؤْخَذُ مِنْکُمْ فِدْیَةٌ وَ لا مِنَ الَّذِینَ کَفَرُوا مَأْواکُمُ النَّارُ هِیَ مَوْلاکُمْ وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ (15)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 524

خمس آیات کوفی و أربع فیما عداه، عد الکوفیون «مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ» و لم یعده الباقون قرأ ابن کثیر «فیضعفه» بالتشدید و ضم الفاء، و به قرأ ابن عامر إلا انه فتح الفاء. و قد مضی تفسیره فی البقرة، و قرأ حمزة وحده «للذین آمنوا انظرونا» بقطع الهمزة و کسر الظاء. الباقون بوصلها و ضم الظاء. و قرأ ابو جعفر و ابن عامر و یعقوب و سهل «فالیوم لا تؤخذ» بالتاء لتأنیث الفدیة. الباقون- بالیاء- لان التأنیث لیس بحقیقی. و قد فصل بین الفعل و الفاعل ب (منکم).

قال الحسن: معنی قوله (مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً) هو التطوع فی جمیع الدین. و قال غیره: معناه من ذا الذی ینفق فی سبیل اللّه إنفاقا کالقرض

التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 525

و القرض أخذ الشیء من المال بإذن صاحبه بشرط ضمان رده، و أصله القطع، فهو قطعه عن مالکه باذنه لانفاقه علی رد مثله. و العرب تقول: لی عندک قرض صدق و قرض سوء إذا فعل به خیراً او شراً قال الشاعر:

و نجزی سلامان بن مفرح قرضها بما قدمت أیدیهم و أزلت «1»

و قوله (فَیُضاعِفَهُ لَهُ) فالمضاعفة الزیادة علی المقدار مثله او أمثاله، و قد وعد اللّه بالحسنة عشر أمثالها، و الإنفاق فی سبیل اللّه حسنة فهو داخل فی هذا الوعد و من شدد العین، فلان اللّه وعد بالحسنة عشر أمثالها. و من ضم الفاء جعله عطفاً علی من ذا الذی یقرض فیضاعفه او علی تقدیر فهو یضاعفه. و من نصب فلأنه جواب الاستفهام.

و قوله (وَ لَهُ أَجْرٌ کَرِیمٌ) معناه إن له مع مضاعفة ما أنفقه اجراً زائداً کریماً، فالکریم الذی من شأنه ان یعطی الخیر العظیم، فلما کان الأجر یعطی النفع العظیم، کان الأجر کریماً، لأنه یوجد شرف النفع بما لا یلحقه ما لیس بأجر.

و قوله (یَوْمَ تَرَی الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ یَسْعی نُورُهُمْ بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ بِأَیْمانِهِمْ)

ف (يوم) يتعلق بقوله (لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ... يَوْمَ تَرَى) قال قتادة: معناه إنه يسعى نورهم أى الضياء الذى يرونه (بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ) و قال الضحاک: نورهم هداهم.
قال (و بأيمانهم) كتبهم. و قيل (و بأيمانهم) معناه و عن أيمانهم. و قيل: و فى أيمانهم. و قوله «بُشْراكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» أى تجرى تحت أشجارها الأنهار، أى يقال لهم: الذى تبشرون به اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار (خالِدِينَ فِيها) أى مؤبدين لا يفنون.
ثم قال (ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) فعظم الفوز و الفلاح يتضمن إجلال النعمة

---

(1) قائله الشنفرى، تفسير الطبرى 27/ 115 [.....]

و الإكرام مع الحمد بالإحسان على طريق الدوام، فكل ما فعل من أجل الثواب فالنعمة به أجل و الإحسان به أعظم.
و قوله (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ) يجوز أن يتعلق (يوم) بقوله (ذلک هو الفوز العظيم... يوم) أى فى يوم، و يجوز ان يكون على تقدير و اذكر يوم يقول المنافقون و المنافقات (للذين آمنوا) ظاهراً و باطناً (انظرونا) فمن قطع الهمزة أراد أخرونا و لا تعجلوا علينا و استأخروا نستضىء بنوركم. و من وصلها أراد ينظرون. و قيل: انظرنى ايضاً بمعنى انتظرنى، قال عمرو ابن أم كلثوم:
أبا هند فلا تعجل علينا و انظرنا نخبرک اليقينا «1»
و يقال: انظرنى بمعنى أخرنى. و قوله (نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ) فالنور الضياء، و هو ضد الظلمة، و بالنور يستضاء فى البصر و فى الأمور، و فى البصر نور و كذلک فى النار. و معنى (نقتبس) نأخذ قبساً من نوركم، و هو جذوة منه فقالوا لهم (ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً) أى ارجعوا الى خلفكم فاطلبوا النور فانه لا نور لكم عندنا، فإذا تأخروا ضرب اللّه بينهم بسور. و من وصلها أراد انتظرونا.
ثم اخبر تعالى فقال (فضرب بينهم) يعنى بين المؤمنين و بين المنافقين (بسور) و الباء زائدة و هو المضروب بين الجنة و النار (لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ) لأن فيه الجنة (وَ ظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ) يعنى من قبل المنافقين العذاب، لكون جهنم هناک.
ثم حكى اللّه تعالى أنهم (ينادونهم) يعنى المنافقون فيقولون لهم (أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) فى دار الدنيا و مخالطين لكم و معاشرين، فيجيبهم المؤمنون فيقولون (بلى) كنتم معنا (وَ لكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) أى تعرضتم للفتنة و تربصتم بالمؤمنين

---

(1) تفسير القرطبى 17/ 245 و الطبرى 27/ 116

الدوائر (وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمُ الْأَمانِيُّ) أى شككتم فيما أخبركم به رسولنا و غركم ما كنتم تمنون حتى طمعتم فى غير مطمع (حَتَّى جاءَ أَمْرُ اللَّهِ) فى نصرة نبيه و المؤمنين معه و غلبته إياكم (وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) يعنى الشيطان و سمى بذلک لكثرة ما يغر الناس. و من غر غيره مرة واحدة فهو غار. و قرئ بالضم، و هو كل ما غر من متاع الدنيا- ذكره الزجاج- و الغرور بضم الغين المصدر. ثم يقول لهم الملائكة او المؤمنون (فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ) أى ما تفدون به أنفسكم لا يقبل منكم (و لا) يؤخذ (من الذين كفروا) الفداء (و مأواكم) أى مقركم و موضعكم الذى تأوون اليه «النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ» أى هى اولى بكم «وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ» أى بئس المأوى و الموضع و المرجع اليه قال لبيد:
قعدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها و أمامها «1»
أى تحسب أن كليهما اولى بالمخافة.

أَ لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَ ما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَ لا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ (16) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (17) إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَ الْمُصَّدِّقاتِ وَ أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (18) وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (19) اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوانٌ وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ (20)

---

(1) مر فى 5/ 142

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ (وَ ما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) بتخفيف الزاى نافع و حفص عن عاصم، لأنه يقع على القليل و الكثير، و يكون النزول مضافاً الى الحق. الباقون بالتشديد بمعنى أن اللّه هو الذى نزل الحق شيئاً بعد شىء. و قرأ ابن كثير و ابو بكر عن عاصم و ابن زيد (المصدقين و المصدقات) بتخفيف الصاد يذهبون إلى التصديق الذى هو خلاف التكذيب، و معناه إن المؤمنين و المؤمنات. الباقون- بتشديد الصاد- يذهبون أن الأصل المتصدقين، فأدغمت التاء فى الصاد لتقارب مخرجهما و شدد.

و معنى قوله (الم يأن) أ لم يحن (لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) أى تخضع لسماع ذكر اللّه و يخافون عقابه، و ينبغى ان يكون هذا متوجهاً الى طائفة مخصوصة لم يكن فيهم الخشوع التام حثوا على الرقة و الرحمة. و أما من كان ممن وصفه اللّه بالخشوع و الرحمة و الرقة فطبقة فوق هؤلاء المؤمنين، و يقال أنى يأنى أناً إذا حان، و منه قوله (غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ) «1» أى منتهاه. و الخشوع لين القلب

---

(1) سورة 33 الأحزاب آية 53

للحق بالانقياد له، و مثله الخضوع و ضده قسوة القلب. و الحق ما دعا اليه العقل و هو الذى من عمل به نجا و من عمل بخلافه هلك، و الحق مطلوب كل عاقل فى نظره و إن اخطأ طريقه، و القسوة غلظ القلب بالجفاء عن

قبول الحق، قسا قلبه يقسو قسوة، فهو قاس.
(وَ ما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) من خفف أضاف النزول إلى الحق و من شدد أراد ما نزله اللَّه من الحق (و لا يكونوا) أى و ألا تكونوا (كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ) من اليهود و النصارى (من قبل) أى من قبلهم فيكون موضعه نصباً. و يحتمل ان يكون مجزوماً على النهى (فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ) يعنى المدة و الوقت، فان أهل الكتاب لما طال عليهم مدة الجزاء على الطاعات (فقست قلوبهم) حتى عدلوا عن الواجب و عملوا بالباطل. و قيل: معناه طال عليهم الأمد ما بين زمانهم و زمن موسى. و قيل: طال عليهم الأمد ما بين نبيهم و زمن موسى. و قيل. طال أمد الآخرة (فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ) خارجون عن طاعة اللَّه تعالى الى معصيته فلا تكونوا مثلهم فيحكم اللَّه فيكم بمثل ما حكم فيهم.
ثم قال (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها) بالجدب و القحط فكذلک يحيى الكافر بالهدى إلى الايمان بعد موته بالضلال بأن يلطف له ما يؤمن عنده.
ثم قال (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ) يعنى الحجج الواضحات و الدلائل البينات (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) أى لكى تعقلوا و ترجعوا إلى طاعته و تعملوا بما يأمركم به.
و قوله (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَ الْمُصَّدِّقاتِ) من شدد أراد المتصدقين إلا إنه ادغم التاء فى الصاد، و من خفف أراد الذين صدقوا بالحق (وَ أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً) أى أنفقوا مالهم فى طاعة اللَّه و سبيل مرضاته. ثم بين ما أعد لهم من الجزاء فقال التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 530
(يضاعف لهم) أى يجازون بأمثال ذلک. و من شدد العين أراد التكثير، لأن اللَّه تعالى يعطى بالواحد عشراً إلى سبعين إلى سبع مائة. ثم قال «وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ» أى لهم جزاء و ثواب مع إكرام اللَّه إياهم و إجلاله لهم. ثم قال (وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ) يعنى الذين صدقوا بتوحيد اللَّه و إخلاص العبادة له و أقروا بنبوة رسله (أُولئِکَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) الذين صدقوا بالحق.
ثم قال مستأنفاً (وَ الشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال ابن عباس و مسروق و ابو الضحى و الضحاک: هو منفصل مما قبله مستأنف و المراد بالشهداء الأنبياء عليهم السلام و يجوز ان يكون معطوفاً على ما تقدم و تقديره أولئک هم الصديقون و أولئک هم الشهداء، و يكون لهم أجرهم و نورهم للجماعة من الصديقين و الشهداء، فكأنه قال:
كل مؤمن شهيد على ما رواه البراء بن عازب عن النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله
و عن عبد اللَّه بن مسعود و مجاهد، فيكون التقدير أولئک هم الصديقون عند ربهم و الشهداء عند ربهم.
ثم قال (لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ) أى لهم ثواب طاعاتهم و نور إيمانهم الذى يهتدون به إلى طريق الجنة. ثم قال (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا) باللَّه وبِجحدوا ِتوحيده

و كذبوا رسله «وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا» يعنى حججه و بيناته «أولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ» يعنى إنهم يلزمهم اللّه الجحيم فيبقون فيها دائمين. ثم زهد المؤمنين فى الدنيا و السكون إلى لذاتها، فقال (اعلموا) معاشر العقلاء و المكلفين «أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا» يعنى فى هذه الدنيا «لعب و لهو» لأنه لا بقاء لذلک و لا دوام و إنه يزول عن وشيک كما يزول اللعب و اللهو «و زينة» تتزينون بها فى الدنيا «وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ» يفتخر بعضكم على بعض «وَ تَكاثُرٌ فِى الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ» أى كل واحد يقول مالى أكثر و أولادى اكثر. ثم شبه ذلک بأن قال مثله فى ذلک «كَمَثَلِ غَيْثٍ» يعنى مطراً «أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ» أى اعجب الزراع ما نبت بذلک الغيث فالكفار الزراع. و قال الزجاج: و يحتمل ان يكون المراد الكفار التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 531
باللّه لأنهم أشد إعجاباً بالدنيا من غيرهم «ثُمَّ يَهِيجُ» أى ييبس فيسمع له لما تدخله الريح صوت الهائج «فَتَراهُ مُصْفَرًّا» و هو إذا قارب اليبس (ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً) أى هشيما بأن يهلكه اللّه مثل أفعال الكافر بذلک، فإنها و إن كانت على ظاهر الحسن فان عاقبتها الى هلاک و دمار مثل الزرع الذى ذكره. ثم قال و له مع ذلک «وَ فِي الْآخِرَةِ» (عَذابٌ شَدِيدٌ) من عذاب النار للعصاة و الكفار «وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَ رِضْوانٌ» للمؤمنين المطيعين. ثم قال «وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ» معناه العمل للحياة الدنيا متاع الغرور و إنها كهذه الأشياء التى مثل بها فى الزوال و الفناء، و الغرور- بضم الغين- ما يغر من متاع الدنيا و زينتها.

سابِقُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (21) ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ (23) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (24) لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو «بما أتاكم» مقصور يعنى بما جاءكم. الباقون بالمد يعنى بما أعطاكم و قرأ اهل المدينة و اهل الشام «فان اللّه الغنى الحميد» بلا فصل لأنهم وجدوا فى مصاحفهم كذلك، و الباقون بإثبات (هو) و كذلك هو فى مصاحفهم فمن اسقط (هو) جعل (الْغَنِيُّ) خبر (ان) و (الْحَمِيدُ) نعته و من زاد (هو) احتمل شيئين:

أحدهما- ان يجعل (هو) عماداً أو صلة زائدة.

و الثانى- أن يجعله ابتداء، و (الغنى) خبره، و الجملة فى موضع خبر (إن) مثل قوله «إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» «1» يقول اللّه تعالى آمراً للعقلاء المكلفين و حاثاً لهم على الطاعات «سابِقُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» و المسابقة طلب العامل التقدم فى عمله قبل عمل غيره بالاجتهاد فيه فعلى كل مكلف الاجتهاد فى تقديم طاعة اللّه على كل عمل كما يجتهد المسابق لغيره و المسابقة الى المغفرة بأن يتركوا المعاصى و يفعلوا الطاعات و قوله «وَ جَنَّةٍ» معناه سابقوا إلى جنة أى الى استحقاق ثواب جنة «عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» فى السعة. و قال الحسن: ان اللّه تعالى يفنى الجنة و يعيدها على ما وصفه فى طولها و عرضها، فبذلك صح وصفها بأن عرضها كعرض السماء و الأرض. و قال غيره إن اللّه تعالى قال «عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ» الدنيا «وَ الْأَرْضِ» و الجنة المخلوقة فى السماء السابعة فلا تنافى بين ذلك، و إذا كان العرض بهذه السعة فالطول اكثر منه او مثله.

و قوله «أُعِدَّتْ» اشتقاقه من العدد و الاعداد، وضع الشىء لما يكون فى

---

(1) سورة 108 الكوثر آية 3

المستقبل على ما يقتضيه من عدد الأمر الذى له، و المعنى أن هذه الجنه وضعت و ادخرت للذين آمنوا بالله و رسوله، فيوحدوا اللّه و يصدقوا رسله.
ثم قال «ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ» أى هذا الذى ذكره بأنه معد للمؤمن فضل من اللّه يؤتيه من يشاء اى يعطيه من يشاء «وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» فالفضل و الإفضال و التفضل واحد و هو النفع الذى كان للقادر ان يفعله بغيره و له ان لا يفعله.
ثم قال تعالى «ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ» اى ليس يصيب احداً مصيبة «فِى الْأَرْضِ» فى ماله «وَ لا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا» و هو مثبت مذكور «فِى كِتابٍ» يعنى اللوح المحفوظ «مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها»، فالضمير راجع الى النفس كأنه قال: من قبل ان نبرأ النفس و يحتمل أن يكون راجعاً الى المصائب من الأمراض و الفقر و الجدب و الغم بالثكل.
ثم قال «إِنَّ ذلِكَ» يعنى اثبات ذلک على ما ذكره «عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» أى سهل غير عسير. بين تعالى لم فعل ذلک فقال (لِكَيْلا تَأْسَوْا) أى لا تحزنوا (عَلى ما فاتَكُمْ) من لذات الدنيا و زينتها (وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ) منها على وجه البطر و الأشر، فمن قصر أراد بما جاءكم، و من مدّ أراد بما أعطاكم.
ثم قال (وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ) أى متجبر (فَخُورٍ) على غيره على وجه التكبر عليه، فان من هذه صفته لا يحبه اللّه. و فرح البطر مذموم. و فرح الاغتباط بنعم اللّه محمود. كما قال تعالى (فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) و التأسى تخفيف الحزن بالمشاركة فى حاله.
ثم بين صفة المختال الفخور فقال (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ) بما أوجب اللّه عليهم من الحقوق فى أموالهم (وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) ايضاً. و قيل: نزلت فى اليهود الذين بخلوا بذكر صفة النبى على ما وجدوه فى كتبهم و أمروا غيرهم بذلک. و البخل و البخل لغتان، و قرئ بهما. و هو منع الواجب.
ثم قال (وَ مَنْ يَتَوَلَّ) يعنى و من يعرض عما ذكره اللّه و خالف (فَإِنَّ اللَّهَ

هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ)
و معناه إنه تعالى الغنى عن جميع خلقه محمود فى جميع أفعاله، فمنع هؤلاء حقوق اللّه لا يضره، و إنما ضرر ذلک عليهم.
ثم اقسم تعالى فقال (لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ) يعنى الدلائل و الحجج الواضحة (وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ) أى مكتوباً فيه ما يحتاج الخلق اليه كالتوراة و الإنجيل و القرآن (و الميزان) أى و أنزلنا الميزان و هو ذو الكفتين. و قيل: المراد به العدل (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) يعنى بالعدل فى الأمور (وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) إخبار من اللّه تعالى انه الذى انزل الحديد. و
روى ان اللّه تعالى أنزل مع آدم العلاة- يعنى السندان و المطرقة و الكليتين- من السماء
، و هذا صحيح و لا بد منه، لان الواحد منا لا يمكنه أن يفعل آلات من حديد و

غيرها إلا بآلات قبلها، و ينتهى إلى آلات يتولى اللّه صنعها تعالى اللّه علواً كبيراً.
و قوله (فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) أى يمتنع به و يحارب به «وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ» أى و فيه منافع للناس كأدواتهم و آلاتهم و جميع ما يتخذ من الحديد من آلات ينتفع بها كالسكين و غيرها (وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ) أى فعلت ذلک لما لهم فيه من النفع به، و ليعلم اللّه من ينصره بنصرة موجودة، و من يجاهد مع نبيه جهاداً موجوداً (بالغيب) أى ينصر اللّه و رسله ظاهراً و باطناً (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) أى قادر على ما يصح أن يكون مقدوراً له لا يقدر احد على قهره و لا على منعه. و قيل: فى جواب قوله (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ) قولان:
أحدهما- إنه محذوف كما حذف فى قوله (وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ) «1» و تقديره الذين يبخلون فهم يستحقون العذاب و العقوبة.
و قيل: أيضاً جوابه جواب قوله (و من يتول) فعطف بجزاءين على جزاء

---

(1) سورة 13 الرعد آية 33

واحد، و جعل جزاءيهما واحد، كما تقول: إن تقم و تحسن آتک إلا انه حذف الجواب

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً وَ إِبْراهِيمَ وَ جَعَلْنا فِی ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ (26) ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَ قَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ وَ جَعَلْنا فِی قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللَّهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ (27) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (28) لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلى شَیْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)

خمس آيات بصرى و أربع فيما عداه، عد البصريون «وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ» و لم يعده الباقون.

يقول اللَّه تعالى مقسما إنه أرسل نوحاً نبياً الى قومه، و إبراهيم ايضاً أرسله إلى قومه و ذكر انه تعالى جعل فى ذريتهما- يعنى فى ذرية نوح و إبراهيم أيضاً بعد ما أرسلهما الى قومهما «النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ» لان الأنبياء كلهم من نسلهما و عليهم أنزل الكتاب. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 536

ثم أخبر عن حال ذريتهما فقال «فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ» إلى طريق الحق و اتباعه «وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ» أى خارجون عن طاعة اللَّه إلى ذل معصيته. ثم اخبر تعالى إنه قفى على آثار من ذكرهم برسل أخر الى قوم آخرين. و التقفية جعل الشىء فى أثر الشىء على الاستمرار فيه: و لهذا قيل لمقاطع الشعر قوافى إذا كانت تتبع البيت على أثره مستمرة فى غيره على منهاجه، فكأنه قال: و أنفذنا بعدهم بالرسل رسولا بعد رسولهم «وَ قَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» بعدهم «وَ آتَيْناهُ» أى أعطينا عيسى ابن مريم «الْإِنْجِيلَ وَ جَعَلْنا فِی قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- إنه جعل فى قلوبهم الرأفة و الرحمة بالأمر به و الترغيب فيه. ثم أخبر انه رزق الرأفة و الرحمة. قال ابو زيد: يقال رؤفت بالرجل و رأفت به رأفة- بفتح الهمزة، و سكونها-.

الثانى- إنه خلق فى قلوبهم الرأفة و الرحمة. و إنما مدحهم على ذلک، لأنهم تعرضوا لهما.

و قوله «وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها» يعنى ابتدعوا الرهبانية ابتدعوها و هى الخصلة من العبادة يظهر فيها معنى الرهبة إما فى لبسه أو انفراده عن الجماعة أو غير ذلک من الأمور التى يظهر فيها نسک صاحبها. و معنى الآية ابتدعوا رهبانية لم تكتب عليهم.

ثم قال «ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ» الرهبانية «إِلّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللّهِ» فالثانية غير الأولى إلا انه لما اتفق الاسمان فيهما كنى عنهما بما تقدم، و قام إعادة لفظهما مقامهما كما قال حسان:
أمن يهجو رسول اللّه منكم و يمدحه و ينصره سواء «1»
فالتقدير و من يمدحه. و الابتداع ابتداء أمر لم يجد فيه على مثال، و البدعة

---

(1) مر فى 1/ 410 و 8/ 198

إحداث أمر على خلاف السنة. و قال قتادة: الرهبانية التى ابتدعوها رفض النساء و اتخاذ الصوامع. و قال قتادة و ابن زيد: تقديره و رهبانية ما كتبناها عليهم إلا أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان اللّه «فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها» و قال قوم: الرهبانية التى ابتدعوها لحاقهم بالبرارى و الجبال-
فى خبر مرفوع عن النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله فما رعاها الذين بعدهم حق رعايتها
، و ذلک لتكذيبهم بمحمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله، و قيل: الرهبانية الانقطاع عن الناس للانفراد بالعبادة.
و قوله «ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ» معناه ما فرضناها عليهم أى تلک الرهبانية البتة.
و قال الزجاج: معناه ما كتبناها عليهم البتة ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان اللّه، فيكون بدلا من (ها) التى يشتمل عليه المعنى- ذكره الزجاج- و قيل: كان عليهم تتميمها كما على المبتدئ بصوم التطوع أن يتمه. و قال الحسن: فرضها اللّه عليهم بعد ما ابتدعوها، و قوله «فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها» معناه فما حفظوها حق حفظها.
ثم قال (فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) معناه فأعطينا من آمن بالله و رسوله من جملة المذكورين (أَجْرَهُمْ) أى ثوابهم على إيمانهم. ثم قال (وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ) أى خارجون عن طاعة اللّه إلى معصيته و الكفر به.
و قوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ» معناه يا أيها الذين اعترفوا بتوحيد اللّه و صدقوا بموسى و عيسى و اعترفوا بنبوتهما اتقوا اللّه و آمنوا برسوله محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله- ذكره ابن عباس- «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ» قال ابن عباس:
معناه يعطكم أجرين أجراً لايمانكم بمحمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله و أجراً لايمانكم بمن تقدم من الرسل.
و أصل الكفل الحظ- فى قول الفراء- و منه الكفل الذى يكتفل به الراكب،

كساء أو نحوه يحويها على الإبل إذا أراد أن يرتدف فيه فيحفظه من السقوط، ففيه حظ من التحرز من الوقوع «وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ» قال مجاهد: و يجعل لكم هدى تهتدون به. و قال ابن عباس: النور القرآن، و

فيه الادلة على كل حق و بيان لكل خير، و به يستحق الضياء الذى يمشى به يوم القيامة «وَ يَغْفِرْ لَكُمْ» أى يستر عليكم ذنوبكم «وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى ستار عليكم ذنوبكم رحيم بكم منعم عليكم و قوله «لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» معناه ليعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بالمؤمنين منهم «أن لا يقدرون» أى انهم لا يقدرون «عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» فى قول ابن عباس. و (ان) هى المخففة من الثقيلة. و قيل: معناه ليعلم أهل الكتاب الذين حسدوا المؤمنين بما وعدوا أنهم لا يقدرون على شىء من فضل اللَّه، فيصرفوا النبوة عن محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله إلى من يحبونه و (لا) فى (لئلا) صلة و توكيد، و قيل: إنما تكون (لا) صلة فى كل كلام دخل فى أواخره جحد، و إن لم يكن مصرحاً به نحو «ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ» «1» «وَ ما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ» «2» و قوله «وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ» «3».
و قوله: «وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ» معناه ليعلموا أن الفضل بيد اللَّه «يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ» أى يعطيه من يحب «مِنْ عِبادِهِ» ممن يعلم انه يصلح له.
ثم قال «وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» معناه ذو تفضل على خلقه و احسان على عباده عظيم لا يحصى كثرة و لا يعد.

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 11
(2) سورة 6 الانعام آية 109
(3) سورة 21 الأنبياء آية 95

اشارة

مدنية بلا خلاف، و هى إثنا و عشرون آية فى الكوفى و البصرى و المدنى الأول و إحدى و عشرون فى المدنى الأخير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجادِلُکَ فِی زَوْجِها وَ تَشْتَکِی إِلَی اللَّهِ وَ اللَّهُ یَسْمَعُ تَحاوُرَکُما إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ (1) الَّذِینَ یُظاهِرُونَ مِنْکُمْ مِنْ نِسائِهِمْ ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِی وَلَدْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَیَقُولُونَ مُنْکَراً مِنَ الْقَوْلِ وَ زُوراً وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2) وَ الَّذِینَ یُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ یَعُودُونَ لِما قالُوا فَتَحْرِیرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَتَمَاسَّا ذلِکُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ (3) فَمَنْ لَمْ یَجِدْ فَصِیامُ شَهْرَیْنِ مُتَتابِعَیْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ یَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّینَ مِسْکِیناً ذلِکَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْکافِرِینَ عَذابٌ أَلِیمٌ (4)
إِنَّ الَّذِینَ یُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ کُبِتُوا کَما کُبِتَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ قَدْ أَنْزَلْنا آیاتٍ بَیِّناتٍ وَ لِلْکافِرِینَ عَذابٌ مُهِینٌ (5)
التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 540
خمس آیات بلا خلاف.
قرأ المفضل عن عاصم «ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ» على الرفع على لغة بنی تمیم.
الباقون بنصب «أمهاتهم» على لغة أهل الحجاز، و هی لغة القرآن، کقوله «ما هذا بَشَراً» «1» و قرأ عاصم «یُظاهِرُونَ» بضم الیاء بألف. و قرأ ابن کثیر و نافع و ابو عمرو «یظهرون» بغیر الف مشددة الظاء و الهاء. و قرأ ابن عامر و حمزة و الکسائی «یظاهرون» بتشدید الظاء و الف، و فتح الیاء.
و قال ابو علی النحوی: ظاهر من امرأته و ظهر مثل ضاعف و ضعف. و تدخل التاء على کل واحد منهما، فیصیر تظاهر و تظهر، و یدخل حرف المضارعة، فیصیر تتظاهر، و یتظهر. ثم یدغم التاء فی الظاء لمقاربتهما، فیصیر یظاهرون و یظهرون- بفتح الیاء- التی هی للمضارعة، لأنها للمطاوعة، کما تفتحها فی (یتدحرج) الذی هو مطاوع (دحرجته، فتدحرج) و اختار عاصم أن المظاهرة من المضارعة، لان المفاعلة لا یکون إلا من نفسین.
و الظهار یکون بین الرجل و امرأته. و من قرأ (یظاهرون) فأصله یتظاهرون فأدغم التاء فی الظاء.
و الظهار قول الرجل لامرأته: انت علیّ کظهر أمی، و کان أهل الجاهلیة إذا قال الرجل منهم هذا لامرأته بانت منه و طلقت. و فی الشرع لا تبین المرأة إلا انه لا یجوز له وطؤها إلا بعد ان یکفر. و عندنا ان شروط الظهار هی شروط الطلاق سواء من کون المرأة طاهراً طهراً لم یقربها فیه بجماع، و یحضره شاهدین و یقصد التحریم فان اختل شیء من ذلک لم یقع به ظهار.
و یقال فیه ظاهر فلان من امرأته ظهاراً و مظاهرة و إظهاراً، فلان ظاهر و

تظاهر تظاهراً إلا انه ادغم و اظهر إظهاراً.

---

(1) سورة 12 يوسف آية 31
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 541
و أصله تظهر تظهراً إلا انه أدغمت التاء فى الظاء.
و قيل: إن هذه الآية نزلت فى خولة بنت ثعلبة و زوجها أوس ابن الصامت- فى قول قتادة- و كان مجادلتها إياه مراجعتها فى أمر زوجها. و قد كان ظاهر منها، و هى تقول: كبرت سنى و دق عظمى، و ان اوساً تزوجنى و انا شابة، فلما علت سنى يريد أن يطلقنى. و
رسول اللّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله يقول بنت منه
- على ما رواه ابو العالية- و فى رواية غيره انه قال لها: ليس عندى فى هذا شىء، فنزلت الآية.
و قال ابن عباس: نزلت الآية فى أوس بن الصامت. و كانت تحته بنت عم له، فقال لها: أنت علىّ كظهر أمى، فهو أول من ظاهر فى الإسلام. و قيل كان يقال للمرأة خولة بنت خويلد. و كان الرجل فى الجاهلية إذا قال لامرأته: انت على كظهر أمى حرمت عليه، فأنزل اللّه تعالى فى قصة الظهار آيات. و لا خلاف أن الحكم عام فى جميع من يظاهر، و إن نزلت الآية على سبب خاص.
فقال الله تعالى لنبيه «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُکَ فِى زَوْجِها» فالجدال و المجادلة هى المخاصمة. و قد يقال: للمراجعة و المقابلة للمعنى بما يخالفه مجادلة. و اصل الجدال الفتل. و من قابل المعنى بخلافه طلباً للفائدة فليس بمجادل. فمجادلة المرأة لرسول اللّه كان مراجعتها إياه فى أمر زوجها، و ذكرها أن كبرت سنى و دق عظمى، و
النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله يقول بنت منه
- على ما رواه ابو العالية- لأنه لم يكن نزل عليه فى ذلک وحى و لا حكم.
و قوله «وَ تَشْتَکِى إِلَى اللَّهِ» أى تظهر ما بها من المكروه، تقول: اللهم إنک تعلم حالى فارحمنى، فالاشتكاء إظهار ما بالإنسان من المكروه. و الشكاية إظهار ما يصنعه به غيره من المكروه.
و قوله «وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَکُما» أى مراجعة بعضكما لبعض. و التحاور التراجع التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 542
و هو المحاورة، تقول: تحاورا تحاوراً و حاور محاورة أى راجعه فى الكلام، قال عنترة:
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى و لكان لو علم الكلام مكلمى
و «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» أى على صفة يصح معها ان يسمع المسموعات إذا وجدت، و يبصر المبصرات إذا وجدت.
ثم قال «الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْکُمْ مِنْ نِسائِهِمْ» أى الذين يقولون لنسائهم: أ

أنت على كظهر أمى، و معناه إن ظهركَ علىّ حرام كظهر أمى، فقال اللّه تعالى «ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ» أى ليست أزواجهم أمهاتهم على الحقيقة «إِنْ أُمَّهاتُهُمْ» أى و ليست أمهاتهم فى الحقيقة «إِلَّا اللَّائِى وَلَدْنَهُمْ» من الأم و جداته. ثم اخبر «إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ» أى ان القائل لهذا يقول قولا «مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ»، قبيحاً «وَ زُوراً» أى كذباً، لأنه إذا جعل ظهرها كظهر أمه و ليست كذلك كان كاذباً فى قوله.
ثم قال تعالى «وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ» أى رحيم بهم منعم عليهم متجاوز عن ذنبهم. و فى ذلك دلالة على ان اللّه رحمها و غيرها من النساء لرغبتها فى زوجها بالتوسعة من جهة الكفارة التى تحل بها.
ثم بين تعالى ما يلزمه من الحكم، فقال «وَ الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ» يعنى الذين يقولون هذا القول الذى حكيناه «ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا» و اختلفوا فى معنى العود، فقال قتادة العود هو العزم على وطئها. و قال قوم: العود الإمساك عزم او لم يعزم و قال الشافعى: هو أن يمسكها بالعقد، و لا يتبع الظهار بطلاق.
و حكى الطبرى عن قوم انهم قالوا: فيه تقديم و تأخير و تقديره: و الذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا فمن لم يجد فصيام شهرين فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ثم يعودون لما قالوا. و قال قوم: معناه ثم يعودون لنقض التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 543
ما قالوا و ارتفاع حكمه. و قال قوم: لا تجب عليه الكفارة حتى يعاود القول ثانية.
و هو خلاف اكثر اهل العلم.
و الذى هو مذهبنا أن العود المراد به إرادة الوطء او نقض القول الذى قاله، فانه لا يجوز له الوطء إلا بعد الكفارة و لا يبطل حكم القول الأول إلا بعد ان يكفرّ.
و قال الفراء: يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون إلى ما قالوا، و فيما قالوا، و فى نقض ما قالوا، أى يرجعون عما قالوا، و يجوز فى العربية أن تقول: إن عاد لما فعل، تريد ان فعله مرة أخرى، و يجوز إن عاد لما فعل أى نقض ما فعل، كما تقول:
حلف ان يضربک بمعنى حلف ألا يضربک، و حلف ليضربنک.
و قوله «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا» بيان لكيفية الكفارة، فان أول ما يلزمه من الكفارة عتق رقبة فالتحرير هو ان يجعل الرقبة المملوكة حرة بالعتق بأن يقول المالک انه حر. و الرقبة ينبغى ان تكون مؤمنة سواء كانت ذكراً او أنثى صغيرة او كبيرة إذا كانت صحيحة الأعضاء. فان الإجماع واقع على انه يقع الاجزاء بها، و قال الحسن و كثير من الفقهاء: إن كانت كافرة أجزأت. و فيه خلاف و تفاصيل. ذكرناه فى كتب الفقه. و تحرير الرقبة واجب قبل المجامعة لظاهر قوله «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا» أىِ مِن قبل ان

يجامعها فيتماسا. و هو قول ابن عباس، فكانَ الحسن لا يرى بأساً ان يغشى المظاهر دون الفرج. و فى رواية اخرى عنه أنه يكره للمظاهر أن يقبل. و الذي يقتضيه الظاهر ألا يقربها بجماع على حال و لا بمماسة شهوة و قوله «ذلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ» ان تظاهروا. ثم قال «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أى عالم بما تفعلونه من خير و شر، فيجازيكم بحسبه.
ثم قال «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ» يعنى الرقبة و عجز عنها «فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ

قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا»
و التتابع عند أكثر العلماء ان يوالى بين أيام الشهرين الهلاليين او يصوم ستين يوماً. و عندنا انه إذا صام شهراً و من الآخر و لو يوماً، فقد تابع، فان فرق فيما بعد جاز. و عند قوم: ان يصوم شهراً و نصف شهر لا يفطر فيما بينهما فان أفطر لا لعذر استأنف.
و ان أفطر لعذر من مرض اختلفوا، فمنهم من قال يستأنف من عذر و غير عذر. و به قال إبراهيم النخعى و رواه جابر عن أبى جعفر عليه السلام
و قال قوم: يبنى، و به قال سعيد بن المسيب و الحسن و عطاء و الشعبى.
و اجمعوا على ان المرأة إذا أفطرت للحيض فى الشهرين المتتابعين فى كفارة قتل الخطأ او فطر يوم انها تبنى فقاسوا عليه الظهار. و روى أصحابنا انه إذا صام شهراً و من الثانى بعضه و لو يوماً ثم أفطر لغير عذر، فقد اخطأ إلا انه يبنى على ما قدمناه. و إن أفطر قبل ذلک استأنف. و متى بدأ بالصوم و صام بعضه ثم وجد العتق لا يلزمه العتق و إن رجع كان أفضل. و قال قوم: يلزمه الرجوع الى العتق.
و متى جامع فى ليالى الصوم وجب عليه الاستئناف و بطل حكم التتابع، لأنه خلاف الظاهر. و متى جامع قبل الكفارة لزمته كفارة ثانية عند أصحابنا، و كلما وطأ لزمته كفارة بعدد الوطء و قوله «فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ» يعنى من لم يقدر على الصوم «فَإِطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً» يعنى- عندنا- لكل مسكين نصف صاع، فان لم يقدر أعطاه مداً. و
روى عن النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله انه اعطى المظاهر نصف وسق ثلاثين صاعاً. و قال أطعم ستين مسكيناً و راجعها و ذلک انه كان فقيراً عاجزاً عن جميع الكفارات. و قال الحسن: أعانه رسول اللَّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله بخمسة عشر صاعاً.
و العدد مراعى، فان لم يجد العدد كرر على الموجودين تمام الستين.
و إن جامعها قبل ان يتم الإطعام، فظاهر المذهب يقتضى انه يلزمه كفارة

اخرى، لأنه وطأ قبل الكفارة. و قال قوم: لا يلزمه. و قال آخرون: يستأنف الكفارة و قوله «ذلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» معناه إنا شرعنا لكم ما ذكرناه فى حكم الظهار لما علمناه من مصلحتكم لتؤمنوا باللَّه و رسوله،

فتصدقوهما و تقروا بتوحيد اللّه، و بنبوة نبيه.
ثم قال «وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» يعنى ما ذكرناه من حكم الظهار.
ثم قال «وَ لِلْكافِرِينَ» أى للجاحدين لصحة ما قلناه «عَذابٌ أَلِيمٌ» و متى نوى بلفظ الظهار الطلاق لم يقع به طلاق. و فيه خلاف بين الفقهاء، و الإطعام لا يجوز إلا للمسلمين دون اهل الذمة. و فيه خلاف. و مسائل الظهار و فروعها ذكرناها فى كتب الفقه.
ثم قال «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» و المحادة المخالفة فى الحدود أى من خالف اللّه و رسوله فيما ذكراه من الحدود «كُبِتُوا» أى أخذوا- فى قول قتادة- و قال غيره: أذلوا. و قال الفراء: معناه اغيظوا و أحزنوا يوم الخندق «كَما كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» يعنى من قاتل الأنبياء من قبلهم.
ثم قال تعالى «وَ قَدْ أَنْزَلْنا آياتٍ بَيِّناتٍ» اى حجج واضحات من القرآن و ما فيه من الادلة. ثم قال «وَ لِلْكافِرِينَ» أى للجاحدين لما أنزلناه من القرآن و الآيات «عَذابٌ مُهِينٌ» أى يهينهم و يخزيهم.

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (6) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (7) أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوى ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنْهُ وَ يَتَناجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ مَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَ إِذا جاؤُكَ حَيَّوْكَ بِما لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِما نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (8) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَناجَيْتُمْ فَلا تَتَناجَوْا بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ مَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَ تَناجَوْا بِالْبِرِّ وَ التَّقْوى وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (9) إِنَّمَا النَّجْوى مِنَ الشَّيْطانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيْسَ بِضارِّهِمْ شَيْئاً إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (10)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة وحده «و يتنجون» بغير الف. الباقون «يَتَناجَوْنَ» بألف.

و قرأ ابو جعفر (ما يكون) بالياء. الباقون بالتاء، لان تأنيث نجوى ليس بحقيقى لما قال اللّه تعالى ان الكافرين لحدود اللّه لهم عذاب مهين، بين متى يكون ذلک، فقال (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً) أى يحشرهم الى ارض المحشر و يعيدهم احياء (فَيُنَبِّئُهُمْ) أى يخبرهم و يعلمهم (بِما عَمِلُوا) فى دار الدنيا من المعاصى و ارتكاب القبائح، ثم قال (أَحْصاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ) أى أحصاه اللّه عليهم و أثبته فى كتاب أعمالهم التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 547

و نسوه هم (وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) و معناه انه يعلم الأشياء كلها من جميع وجوهها لا يخفى عليه شىء من ذلک و إن كان كثيراً من الأشياء لا يصح مشاهدتها و لا إدراكها، و منه قوله (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) «1» أى علم ذلک.

ثم بين فقال (أ لم تر) و معناه ا لم تعلم، و الخطاب للنبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و المراد به جميع المكلفين (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ) من الموجودات لا يخفى عليه شىء منها، لأنه عالم لنفسه يجب ان يكون عالماً بما يصح أن يكون معلوماً. و قيل التقدير أ لم تر ان اللّه يعلم ما فى السموات و ما فى الأرض مما ترى من تدبيرهما من مسير الشمس و القمر و مجىء الحر و البرد و الزرع و الثمار و سائر صنوف الأشجار على ما تقتضى الحكمة عالماً دبر ذلک و جعل كل شىء منه فى وقته و لما يصلح له، و ذلک يقتضى انه عالم بكل نجوى، لأنه عالم لنفسه لا بحدوث علم. و إذا

ثبت انه عالم لنفسه وجب ان يكون عالماً بكل معلوم.
و قوله (ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا) و المعنى انه عالم بأحوالهم و جميع متصرفاتهم فرادى و عند الاجتماع، لا يخفى عليه شىء منها، فكأنما هو معهم مشاهد لهم. و على هذا يقال: إن اللّه تعالى مع الإنسان حيث ما كان، لأنه عالم لا يخفى عليه شىء من أمره حتى انه ظاهر له أتم الظهور لمن شاهده ممن هو معه فى المكان، و حسن هذا لما فيه من البيان، فأما ان يكون معهم على طريق المجاورة فمحال، لأن ذلك من صفات الأجسام، و اللّه تعالى ليس بجسم. و يقولون: فلان رابع أربعة إذا كان احد اربعة و رابع ثلاثة إذا جعل ثلاثة اربعة بكونه معهم.
و يجوز على هذا ان يقال: رابع ثلاثة و لا يجوز رابع أربعة، لأنه ليس فيه معنى

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 18

الفعل. و يجوز فى (ثلاثة) الجر باضافة النجوى اليها، و يجوز بأنها صفة النجوى.
و يجوز النصب بأنها خبر (يكون).
و قوله (ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ) معناه يعلمهم بما عملوه من المعاصى فى الدنيا و الاعمال، و يخبرهم بها، لأن اللّه بكل شىء عليم، لا يخفى عليه خافية.
ثم قال لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَليه و آله و المراد به جميع الأمة (أَ لَمْ تَرَ) بمعنى الم تعلم (إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوى) قال مجاهد: كان النبى صَلَّى اللَّهُ عَليه و آله نهى اليهود عن النجوى بينهم لأنهم كانوا لا يتناجون إلا بما يسوء المؤمنين. و قال الفراء: نزلت فى المنافقين و اليهود، و نهوا أن يتناجوا إذا اجتمعوا مع المسلمين فى موضع واحد. و النجوى هى الاسرار، و النجوة الارتفاع من الأرض، و هو الأصل، و منه النجا الارتفاع فى السير، و النجاة الارتفاع من البلاء.
و قوله (ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنْهُ) معناه يعودون فيتناجون و يخالفون نهى النبى صَلَّى اللَّهُ عَليه و آله (وَ يَتَناجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ) و التناجى و المناجاة تكون بين اثنين فصاعداً، و يقال: انتجوا بمعنى تناجوا، كما يقال اختصموا و تخاصموا و كذلك انتجوا و تناجوا بمعنى.
و حجة حمزة
قول النبى صَلَّى اللَّهُ عَليه و آله فى على عليه السلام (ما انا انتجيته، و لكن اللّه انتجاه)
و حجة الباقين قوله (إذا تناجيتم) و كلاهما حسان.

قال قتادة: كان المنافقون يتناجون بينهم فيغيظ ذلک المؤمنين. و قال ابن زيد: كانوا يوهمون انه قد حدثت بلية على المسلمين من حرب او نحوه، فأخبر اللّه عنهم انهم كانوا يتناجون بالإثم يعنى بالمعاصى. و العدوان التعدى الى غير الواجب و بمعصيت الرسول أى ما يعصون به الرسول النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله.
و قوله (وَ إِذا جاؤُکَ حَيَّوْکَ بِما لَمْ يُحَيِّکَ بِهِ اللَّهُ) قال قتادة و مجاهد- و هو
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 549
المروى عن عائشة- انه كانت تحيتهم السام عليكم يا با القاسم. و قال ابن عباس:
كان المنافقون يقولون ذلک. و
قيل: كان النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله يرده على من قال ذلک، فيقول:
و عليک
، و قال ابن زيد: السام الموت. و قال الحسن: كانت اليهود تقول: السام عليكم أى انكم ستسأمون دينكم هذا أى تملونه فتدعونه. و من هذا سئمت الأمر اسأمه سأماً و سأماً. و من قال: السام الموت فهو سام الحياة بذهابها.
و قوله (وَ يَقُولُونَ فِى أَنْفُسِهِمْ لَوْ لا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِما نَقُولُ) قال كانوا يقولون: إن كان نبياً صادقاً هلا يعذبنا اللّه بما نقول من النجوى و غيره. فقال اللّه تعالى لهم (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ) أى كافيهم جهنم (يصلونها) يوم القيامة و يحترقون فيها (فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) أى بئس المرجع و المآل لما فيها من أنواع العقاب.
ثم امر المؤمنين فقال (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَناجَيْتُمْ) أنتم فيما بينكم أى تشاورتم (فَلا تَتَناجَوْا بِالْإِثْمِ) يعنى بالمعاصى و لا ب (العدوان) و لا ب (معصية الرسول) و مخالفته (وَ تَناجَوْا بِالْبِرِّ وَ التَّقْوى) أى بافعال الخير و الخوف من عذاب اللّه. ثم قال (وَ اتَّقُوا اللَّهَ) باجتناب معاصيه (الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) يعنى يوم القيامة.
ثم قال (إِنَّمَا النَّجْوى مِنَ الشَّيْطانِ) يعنى نجوى المنافقين و الكفار بما يسوء المؤمنين و يغمهم (من الشيطان) أى بدعاء الشيطان و اغوائه يفعل ذلک (لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيْسَ بِضارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) معناه إلا بعلم اللّه و تمكينه إياهم لان تكليفهم إيمانهم بذلک، و قيل معناه إلا بفعل اللّه الغم و الحزن فى قلوبهم لان الشيطان لا يقدر على فعل ذلک. ثم قال تعالى (وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) أى يجب على المؤمنين ان يتوكلوا فى جميع أمورهم عليه تعالى دون غيره.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 550

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَ إِذا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً ذلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12) أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (13) أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ما هُمْ مِنْكُمْ وَ لا مِنْهُمْ وَ يَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (14) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (15)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ عاصم وحده «تَفَسَّحُوا فِي الْمَجالِسِ» على الجمع لاختلافها، الباقون فى «المجلس» على التوحيد، لأنهم ذهبوا مذهب الجنس، لأنه مصدر يدل على القليل و الكثير. لأنهم أرادوا مجلس النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله فعلى هذا الوجه الافراد. و من جمع أراد كل جالس مجلساً أى موضع جلوس، و قرأ «انْشُزُوا» بضم الشين نافع و ابن عامر و عاصم إلا حماداً و يحيى عن أبى بكر. الباقون بكسر الشين و هما لغتان مثل التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 551

(يعرشون و يعرشون، و يعكفون و يعكفون).

يقول اللّه تعالى مخاطباً للمؤمنين و آمراً لهم بأنه إذا قيل لهم تفسحوا فى المجلس بمعنى اتسعوا فيها، يقال: تفسح تفسحاً و له فى هذا الأمر فسحة أى متسع. و التفسح الاتساع فى المكان، و فسح له فى المجلس يفسح فسحاً. و مكان فسيح و فسح. و التفسيح و التوسع واحد. قال قتادة: كانوا يتنافسون فى مجلس النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله فقيل لهم تفسحوا و قال ابن عباس: أراد به مجلس القتال «فَافْسَحُوا» أى وسعوا «يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ» أى يوسع عليكم منازلكم فى الجنة «وَ إِذا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا» أى إذا قيل لكم ارتفعوا فى المجلس فارتفعوا، و النشوز الارتفاع عن الشىء بالذهاب عنه. و منه نشوز المرأة عن زوجها، يقال: نشز ينشز نشوزاً و نشزاً. قال قتادة و مجاهد و الضحاك:

معناه إذا قيل قوموا الى صلاة او قتال عدوّ أو أمر بمعروف أى تفرقوا عن رسول اللّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله فقوموا.

و قوله «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ» معناه متى ما فعلتم ما أمرتم به رفع اللّه الذين آمنوا منكم، و رفع الذين أوتوا العلم درجات، لأنهم أحق بالرفعة. و فى ذلك دلالة على ان فعل العالم اكثر ثواباً

من فعل من ليس بعالم «وَ اللّهُ بِما تَعْمَلَونَ» من التفسح و النشوز و غير ذلک (خبير) أى عالم.
ثم خاطبهم ايضاً فقال (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ) أى شاورتموه (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً) قال الزجاج: كان سبب نزول الآية ان الأغنياء كانوا يستخلون النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله فيشاورونه بما يريدون، و الفقراء لا يتمكنون من النبى تمكنهم، ففرض اللّه عليهم الصدقة قبل النجوى ليمتنعوا من ذلک، و تعبدهم بأن لا يناجى احد رسول اللّه إلا بعد ان يتصدق بشىء ما قل او كثر، فلم يفعل احد ذلک على ما روى،
فاستقرض أمير المؤمنين على عليه السلام ديناراً و تصدق به، ثم ناجى
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 552
النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله، فنسخ اللّه تعالى ذلک الحكم بالآية التى بعدها.
و قوله (ذلِکَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ) أى ذلک التصدق بين يدى النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله خير لكم و اطهر و معناه إن فعل ذلک ادعى الى مجانبة المعاصى من تركه. ثم قال قل لهم (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا) يعنى ما تتصدقون به (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يستر عليكم تركَ ذلک و يرحمكم و ينعم عليكم.
ثم قال ناسخاً لهذا الحكم (أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ) و ظاهر هذا الكلام توبيخ على ترک الصدقة، و انهم تركوا ذلک اشفاقاً و خوفاً على نقصان المال، فقال (فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا) ذلک (وَ تابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) فى تقصيركم فى فعل الصدقة (فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ التى أوجبها الله عليكم) و أديموا فعلها و أدوا شروطها (وَ آتُوا الزَّكاةَ) التى افترضها عليكم (وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ) فيما أمركم به و نهاكم عنه (وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ) أى عالم بما تعملونه من طاعة للّه او معصية و حسن و قبيح، فيجازيكم بحسبه.
ثم قال للنبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله (أَ لَمْ تَرَ) يا محمد (إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) و المراد به قوم من المنافقين، كانوا يوالون اليهود و يغشون اليهم أسرارهم و يجتمعون معهم على ذكر مساءة النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و المؤمنين- و هو قول قتادة و ابن زيد- ثم قال (ما هُمْ مِنْكُمْ) أى ليسوا مؤمنين (وَ لا مِنْهُمْ) أى و لا هم يهود، فيكونوا منهم بل هم قوم منافقون.
ثم قال (وَ يَحْلِفُونَ) يعنى هؤلاء المنافقون (عَلَى الْكَذِبِ) يعنى يقولون إنا معكم و نحن نتوب، و ليسوا كذلک (وَ هُمْ يَعْلَمُونَ) انه كذلک. ثم بين تعالى ما لهم من العقاب فقال (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) أى لأنهم كانوا يعملون المعاصى و القبائح.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 553

اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ (16) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (17) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكاذِبُونَ (18) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ (19) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20)

خمس آيات عراقى و شامى، و المدنى الاول. و اربع آيات و بعض آية مكى و المدنى الآخر، عد العراقى و الشامى و المدنى الأول «فِي الْأَذَلِّينَ» و لم يعده الباقون.

لما ذكر اللّه تعالى المنافقين بأنهم تولوا قوماً من اليهود الذين غضب اللَّه عليهم و ذكر ما أعده لهم من العقاب، و ذكر انهم يحلفون على الكذب مع علمهم بأنهم كاذبون قال انهم (اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ) التى يحلفون بها (جُنَّةً) أى سترة و ترساً يدفعون بها عن نفوسهم التهمة و الظنة إذا ظهرت منهم الريبة. و الاتخاذ جعل الشىء عدة، كما يقال: اتخذ سلاحاً، و اتخذ كراعاً و رجالا و اتخذ داراً لنفسه إذا اعدهما لنفسه، فهؤلاء جعلوا الأيمان عدة ليدفعوا بها عن نفوسهم الظنة. و الجنة السترة و أصله التستر و منه الجنة لاستتار هم عن العيون، و الجنة لاستتارها بالشجر، و المجن الترس لستره صاحبه عن ان يناله السلاح. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 554

و قوله (فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى صدوا نفوسهم و غيرهم عن سبيل اللَّه التى هى الحق و الهدى. و قيل: فصدوا عن سبيل اللَّه من قبلهم بكفرهم. ثم بين تعالى ما لهم على ذلك فقال (فَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ) يهينهم و يذلهم و الإهانة الاحتقار يقال: اهانه يهينه إهانة، و مثله أذله يذله إذلالا و أخزاه يخزيه إخزاء، و نقيضه الإكرام، ثم قال (لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ) التى جمعوها (وَ لا أَوْلادُهُمْ) الذين خلفوهم (مِنَ اللَّهِ شَيْئاً) يدفع عقابه عنهم، أغنى يغنى عنى إذا دفع عنه دفعاً يستغنى عنه. ثم قال (أولئك) مع هذا كله (أَصْحابُ النَّارِ) أى الملازمون لها و (هُمْ فِيها خالِدُونَ) مؤبدون لا يخرجون عنها (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً) و (يوم) يتعلق ب (لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً... يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً) يعنى يوم القيامة (فَيَحْلِفُونَ لَهُ) أى يقسمون للّه (كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ) فى الدنيا بأنهم كانوا مؤمنين فى الدنيا فى اعتقادهم و ظنهم، لأنهم كانوا يعتقدون أن ما هم عليه هو الحق (وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ) معناه يظنون أنهم على شىء فى هذه الأيمان. فقال اللّه تعالى (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكاذِبُونَ) فيما يذكرونه من الأيمان و المعنى إنهم لم يكونوا مؤمنين على الحقيقة، و إنما كان اعتقادهم اعتقاد جهل. و قيل: معناه انهم

(هُمُ الْكاذِبُونَ) فى الدنيا. و قيل: معناه ألا إنهم هم الخائبون، يقال كذب ظنه إذا خاب أمله. و قال قوم (وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَىْءٍ) يعنى فى دار الدنيا، و لا يحسبون ذلک فى الآخرة لأنهم يعلمون الحق اضطراراً، و هم ملجئون الى الافعال الحسنة و ترک القبيح.
قال الرمانى: و هذا غلط، لأنه مخالف لظاهر القرآن بغير دليل، قال و الصواب ما قال الحسن فى أن الآخرة مواطن يمكنون فى بعضها من فعل القبيح، و لا يمكنون فى بعض، و يكون كذبهم ككذب الصبى المدهش الذى يلحقهم. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 555
و قال قوم: ان قوله (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكاذِبُونَ) اخبار عن حالهم فى الدنيا بأنهم كاذبون فى الدنيا فى قولهم: انا مؤمنون، و هم منافقون، لان الكذب لا يجوز ان يقع منهم فى الآخرة على وجه.
ثم قال تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» أى يخالفونه فى حدوده.
و قال مجاهد: معناه يشاقون اللّه و رسوله بأن يحصلوا فى حد آخر عادلين عن حدود اللّه.
و قوله «أُولئِکَ فِى الْأَذَلِّينَ» اخبار منه تعالى ان الذين يحادونه و يحادون رسوله أولئک فى الاحقرين المهانين عند اللّه. و قال الزجاج: معناه فى المغلوبين.
و قوله «اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ» معناه استولى عليهم، فالاستحواذ الاستيلاء على الشىء بالاقتطاع. و أصله من حاذه حوذاً مثل جازه يجوزه جوزاً «فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ» حتى لا يذكرون اللّه، و لا يخافونه ثم قال «أُولئِکَ» يعنى الذين «اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ» جنود الشيطان و حزبه. ثم قال «أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ» لأنهم يخسرون الجنة و يحصل لهم بدلها النار و ذلک هو الخسران المبين

كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِی إِنَّ اللَّهَ قَوِیٌّ عَزِیزٌ (21) لا تَجِدُ قَوْماً یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ یُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ کانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِیرَتَهُمْ أُولئِکَ کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ الْإِیمانَ وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ یُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها رَضِیَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولئِکَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 556

آیتان و بعض آیة فی المکی و المدنی الأخیر، و آیتان فیما عداه، عد المکی و المدنی الأخیر إلی «قَوِیٌّ عَزِیزٌ» تمام التی قبلها.

قرأ الأعشی (عشیراتهم) علی الجمع، الباقون (عشیرتهم) علی الافراد.

قوله (کَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِی) معناه إنه کتب فی اللوح المحفوظ و ما کتبه فلا بد من ان یکون. و قال الحسن: ما أمر اللّه نبیاً قط بحرب الأغلب إما فی الحال او فیما بعد. و یحتمل ان یکون المراد (کَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِی) بالحجج و البراهین، و ان جاز ان یغلب فی الحرب فی بعض الأوقات. و الغلبة قهر المنازع حتی یصیر فی حکم الذلیل للقاهر، و قد یقهر ما لیس بمنازع، کقولهم قهر العمل حتی فرغ منه. و اللّه تعالی غالب بمعنی انه قاهر لمن نازع أولیاءه. و قوله (إِنَّ اللَّهَ قَوِیٌّ عَزِیزٌ) اخبار منه تعالی انه قادر لا یمکن احداً من قهره و لا غلبته لان مقدوراته لا نهایة لها و من کان کذلک لا یمکن قهره. و العزیز المنیع بکثرة مقدوراته.

و قوله (لا تَجِدُ قَوْماً یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ یُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ) معناه ان المؤمن لا یکون مؤمناً کامل الایمان و الثواب یواد من خالف حدود اللّه و یشاقه و یشاق رسوله و معنی یواده یوالیه، و ان کان ذلک الذی یواده أباه او ابنه او أخاه او عشیرته، فمن خالف ذلک و والی من ذکرناه کان فاسقاً، لا یکون کافراً، و کل کافر فهو محاد لله و لرسوله. و الموادة الموالاة بالنصرة و المحبة، فهذا لا یجوز إلا للمؤمن بالله دون الکافر، و الفاسق المرتکب للکبائر، لأنه یجب البراءة منهما، و هی منافیة للموالاة.

و الآیة نزلت فی حاطب بن أبی بلتعة حین کتب إلی اهل مکة یشعرهم بأن النبی صَلی اللَّهُ عَلیه و آله عزم علی ان یأتی مکة بغتة یفتحها. و کان النبی صَلی اللَّهُ عَلیه و آله أخفی ذلک، فلما عوتب علی ذلک، قال أهلی بمکة أحببت ان یحوطوهم بید تکون لی عندهم، فانزل اللّه تعالی فیه الآیة.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 557

ثم قال تعالی «أُولئِکَ» یعنی الذین یؤمنون باللّه و الیوم الآخر «کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ الْإِیمانَ» و معناه انه جعله بحکمه، فکأنه مکتوب فیه. و قیل: معناه

إنه جعل فى قلوبهم سمة تدل من علمها أنهم من اهل الايمان. و قال الحسن: معناه انه ثبت الايمان فى قلوبهم بما فعل بهم من الالطاف «وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» أى قواهم بنور البرهان. الحجج حتى اهتدوا للحق و عملوا به، و قيل: أيدهم بجبرائيل من أمر اللّه فى كثير من المواطن ينصرهم و يدفع عنهم «وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ» أى بساتين «تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» أى من تحت أشجارها الأنهار. و قيل: ان أنهارها أخاديد فى الأرض، فلذلک قال «مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ». و الأنهار جمع نهر «خالِدِينَ فِيها» أى مؤبدين لا يفنون و لا يخرجون منها، و هو نصب على الحال «رَضِىَ اللّهُ عَنْهُمْ» بإخلاص الطاعة منهم «وَ رَضُوا عَنْهُ» بثواب الجنة. ثم قال «أُولئِکَ حِزْبُ اللَّهِ» يعنى جنده و أولياؤه، ثم قال «ألا» و هى كلمة تنبيه «إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ» يعنى جنوده و أولياءه «هُمُ الْمُفْلِحُونَ» و المفلح هو المنجح بإدراک ما طلب. و قال الزجاج:
حزب اللَّه هم الذين اصطفاهم اللَّه. و قرأ المفضل عن عاصم «كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ» على ما لم يسم فاعله. الباقون بفتح الكاف بمعنى إن اللّه كتب ذلک عليهم.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 558

اشارة

مدنية بلا خلاف.و هى أربع و عشرون آية بلا خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ما ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَ قَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِى الْأَبْصارِ (2) وَ لَوْ لا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيا وَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذابُ النَّارِ (3) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (4)
ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ (5)
خمس آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 559
قرأ ابو عمرو وحده «يخربون بيوتهم» بالتشديد قال الفراء: و هى قراءة أبى عبد الرحمن السلمى و الحسن. الباقون بالتخفيف. قال قوم: معناهما واحد مثل أكرمته و كرمته. و قال بعضهم: معنى التخفيف انهم ينتقلون عنها فيعطلونها، و بالتشديد يهدمونها.
قد مضى تفسير «سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» فلا معنى لإعادته.
و قوله «هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا (مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ) مِنْ دِيارِهِمْ» معناه ان الذى وصفه بأنه عزيز حكيم هو اللّه الذى أخرج الكفار من اليهود من ديارهم «لِأَوَّلِ الْحَشْرِ» قال قتادة و مجاهد: هم بنو النضير،
لما نزل النبى صَلَى اللَّهُ عَليه و آله بالمدينة عاقده بنو النضير على ان لا يكونوا عليه و لا له. ثم نقضوا العهد و أرادوا أن يطرحوه حجراً حين مضى النبى صَلَى اللَّهُ عَليه و آله اليهم يستعين بهم فى تحمل بعض الديتين اللتين لزمتا صاحب النبى صَلَى اللَّهُ عَليه و آله حين انقلب من بئر معونة فقتل نفسين، كان النبى صَلَى اللَّهُ عَليه و آله أجرهما، و مالوا للمشركين على النبى صَلَى اللَّهُ عَليه و آله فأجلاهم اللّه عن ديارهم على ان لهم الذرية و ما حملت إبلهم و الباقى لرسول اللّه فأجلاهم النبى صَلَى اللَّهُ عَليه و آله على هذا عن ديارهم و منازلهم، فمنهم من خرج إلى خيبر، و منهم من خرج إلى الشام.
و قوله تعالى «لِأَوَّلِ الْحَشْرِ» قال قوم: أول الحشر هو حشر اليهود من بنى النضير إلى ارض الشام، و ثانى الحشر حشر الناس يوم القيامة إلى ارض الشام أيضاً. و قال البلخى: يريد أول الجلاء، لان بنى النضير أول من أجلى عن ارض العرب. و الحشر جمع الناس من كل ناحية، و منه الحاشر الذى

يجمع الناس إلى ديوان الخراج، و الجمع حشار «ما ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا» أى لم تظنوا خروجهم منها «وَ ظَنُّوا» هم «أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ» أى حسبوا ان الحصون التى هم التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 560
فيها تمنعهم من عذاب اللّه و إنزاله بهم على يد نبيه، فجعل تعالى امتناعهم من رسوله امتناعاً منه.
و قوله تعالى «فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» أى أتاهم أمر اللّه من حيث لم يحتسبوا مجيئه منه «وَ قَذَفَ» أى ألقى «فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ» و هو الخوف «يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ» معناه إنهم كانوا يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهربوا و يخرب المؤمنون من خارج- على ما ذكره الحسن- ثم قال تعالى «فَاعْتَبِرُوا يا أُولِى الْأَبْصارِ» معناه اتعظوا و فكروا فلا تفعلوا كما فعل هؤلاء فيحل بكم ما حل بهم. و الحصون جمع حصن، و هو البناء العالى المنيع، يقال:
تحصن فلان إذا امتنع بدخوله الحصن.
و من استدل بهذه الآية على صحة القياس فى الشريعة فقد أبعد. لان الاعتبار ليس من القياس فى شىء، و إنما معناه الاتعاظ على ما بيناه، و لا يليق بهذا الموضع قياس فى الشرع، لأنه لو قال بعد قوله «يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ» فقيسوا الارز على الحنطة، لما كان كلاماً صحيحاً و لا يليق بما تقدم، و إنما يليق بما تقدم الاتعاظ و الانزجار عن مثل أفعال القوم من الكفر باللّه.
و قوله تعالى «وَ لَوْ لا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ» معناه لولا ان اللّه كتب فى اللوح المحفوظ بما سبق فى علمه أنهم يجلون عن ديارهم يعنى اليهود (لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيا) بعذاب الاستئصال. و الجلاء الانتقال عن الديار و الأوطان البلاء. و قيل:
هو الفرار عن الأوطان يقال: جلا القوم عن منازلهم جلاء، و أجليتهم إجلاء.
ثم قال (وَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ) مع الجلاء عن الأوطان فى الدنيا (عَذابُ النَّارِ) يعذبون بها. ثم بين لم فعل بهم ذلك فقال (ذلك) أى فعلنا بهم ذلك (بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ) و خالفوهما و عصوهما. ثم توعد من يسلك مسلكهم فى المشاقة لله التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 561
و رسوله، فقال «و من يشاق اللّه و رسوله فان اللّه شديد العقاب» يعاقبهم على مشاقتهم باشد العقاب.
و قوله «ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ» فاللينة كل نخلة لينة سوى العجوة- فى قول ابن عباس و قتادة- و هى لغة أهل المدينة. و قال بعضهم: إلا البرنى و العجوة، قال مجاهد و عمرو بن ميمون و ابن زيد: كل نخلة لينة و لم يستثنوا. و قال سفيان:
اللينة كرام النخل. و أصل اللينة اللونة فقلبت الواو ياء للكسرة. و يجمع لياناً، قال ذو الرمة:

طراق الخوافى مشرق فوق ريعة ندى ليلة فى ريشه يترقون «1»
فكأنه قال لون من النخل أى ضرب منه. و قيل: يجوز أن تكون من اللين للين ثمرتها، و قوله «أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ» أى قطعتموها او تركتموها بحالها كل ذلک سائغ لكم، و هو بعلم اللّه و إذنه فى ذلک و أمره به.
و قوله «وَ لِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ» أى فعل ذلک ليذل به الكفار الفاسقين من اليهود و يهينهم به لا أنهم يفعلونه على وجه الفساد فى الأرض، لأن فيما فعلوه إذلال اهل الشرک و عز أهل الإسلام.

وَ ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لا رِكابٍ وَ لكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلى مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (7) لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَ رِضْواناً وَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَ الْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9) وَ الَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَ لا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (10)

---

(1) مر فى 8/ 44

خمس آيات.

قرأ ابو جعفر «كيلا تكون» بالتاء «دولة» بالرفع أضاف الفعل الى (دولة).

الباقون بالياء «دولة» نصب أرادوا الفىء و المال.

قوله «وَ ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ» يعنى من اليهود الذين أجلاهم من بنى النضير، و إن كان الحكم ساريا فى جميع الكفار إذا كان حكمهم، فالفىء ردّ ما كان للمشركين على المسلمين بتمليك اللّه إياهم ذلك، على ما شرط فيه، يقال: فاء بفىء فيئا إذا رجع و أفأتهُ عَليه إذا رددته عليه. و قال عمر بن الخطاب و معمر: مال الفىء التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 563

هو مال الجزية و الخراج. و الفىء كل ما رجع من أموال الكافرين إلى المؤمنين، سواء كان غنيمة او غير غنيمة، فالغنيمة ما أخذ بالسيف، فأربعة أخماسه للمقاتلة و خمسه للذين ذكرهم اللّه فى قوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ....» الآية «1».

و قال كثير من العلماء: ان الفىء المذكور فى هذه الآية هو الغنيمة. و قال قوم: مال الفىء خلاف مال الصدقات، لأن مال الفىء أوسع، فانه يجوز ان يصرف فى مصالح المسلمين، و مال الصدقات إنما هو فى الأصناف الثمانية. و قال قوم: مال الفىء يأخذ منه الفقراء من قرابة رسول اللّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله بإجماع الصحابة فى زمن عمر ابن الخطاب، و لم

يخالفه فيه احد إلا الشافعى، فانه قال: يأخذ منه الفقراء و الأغنياء، و إنما ذكروا فى الآية لأنهم منعوا الصدقة، فبين اللَّه أن لهم فى مال الفىء حقاً.
و قال عمر بن الخطاب: مال بنى النضير كان فيئا لرسول اللَّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله خاصة «وَ لِذِى الْقُرْبى» قرابة رسول اللَّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله من بنى هاشم و بنى عبد المطلب. و قيل: جعل ابو بكر و عمر سهمين: سهم رسوله و سهم قرابته من الأغنياء فى سبيل اللَّه، و صدقة عن رسول اللَّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله ذكره قتادة. و الباقى فى اهل الحاجة من أطفال المسلمين الذين لا أبا لهم، و ابن السبيل المنقطع به من المسافرين فى غير معصية اللَّه. و قال يزيد ابو رومان: الغنيمة ما أخذ من دار الحرب بالقتال عنوة. و قيل: كانت الغنائم فى صدر الإسلام لهؤلاء الأصناف. ثم نسخ بما ذكره فى سورة الانفال: بالخمس.
و الباقى للمحاربين- ذكره قتادة-.
و الذى نذهب اليه أن مال الفىء غير مال الغنيمة، فالغنيمة كل ما أخذ من دار الحرب بالسيف عنوة مما يمكن نقله إلى دار الإسلام، و ما لا يمكن نقله إلى دار الإسلام، فهو لجميع المسلمين ينظر فيه الامام و يصرف انتفاعه إلى بيت المال لمصالح

---

(1) سورة 8 الانفال آية 41

المسلمين. و الفىء كل ما أخذ من الكفار بغير قتال او انجلاء أهلها و كان ذلک للنبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله خاصة يضعه فى المذكورين فى هذه الآية، و هو لمن قام مقامه من الأئمة الراشدين. و قد بين اللَّه تعالى ذلک. و مال بنى النضير كان للنبى خاصة، و قد بينه اللَّه بقوله «وَ ما أَفاءَ اللَّهُ» يعنى ما رجعه اللَّه و رده «عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ» يعنى من بنى النضير. ثم بين فقال «فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لا رِكابٍ» أى لم توجفوا على ذلک بخيل و لا ركاب. و الإيجاف الإيقاع، و هو تسيير الخيل و الركاب و هو من وجف يجف وجيفاً، و هو تحرک باضطراب، فالايجاف الإزعاج للسير، و الركاب الإبل «وَ لكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلى مَنْ يَشاءُ» من عباده حتى يقهروهم و يأخذوا ما لهم (وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ).
ثم قال مبيناً من استحق ذلک، فقال (ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى) يعنى بنى النضير (فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى) يعنى اهل بيت رسول اللَّه «وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ» من أهل بيت رسول اللَّه لان تقديره و لذى قرباه و يتامى أهل بيته، و ابن سبيلهم، لان الألف و اللام تعاقب الضمير، و ظاهره يقتضى أنه لهؤلاء سواء كانوا أغنياء او فقراء. ثم بين لم فعل ذلک فقال «كَىْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ» فالدولة- بضم الدال- نقلة النعمة من قوم إلى قوم و بفتح الدال المرة من الاستيلاء و

الغلبة. ثم قال «وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ» أى ما أعطاكم رسوله من الفىء فخذوه و ارضوا به. و ما أمركم به فافعلوه «وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» عنه فانه لا يأمر و لا ينهى إلا عن أمر اللَّه.
ثم قال «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» فى ترک معاصيه و فعل طاعاته «إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ» لمن عصاه و ترک أوامره.
ثم قال «لِلْفُقَراءِ» يعنى الذين لا مال لهم «الْمُهاجِرِينَ» الذين هاجروا من
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 565
مكة إلى المدينة او هاجروا من دار الحرب إلى دار الإسلام «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ» الذى كان لهم بمكة فأخرجوا منها «يَبْتَغُونَ فَضْلًا» أى طالبين بذلک فضلا «مِنَ اللَّهِ وَ رِضْواناً» فالجملة فى موضع الحال «وَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» يعنى ناصرين لدين اللَّه و رسوله «أُولئِکَ هُمُ الصَّادِقُونَ» عند اللَّه فى الحقيقة العظيمو المنزلة لديه. و قيل: تقدير الآية «كَىْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ» بل للفقراء المهاجرين.
ثم وصف الأنصار فقال «وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَ الْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أى جعلوا ديارهم موضع مقامهم و آمنوا بالله من قبلهم نزلت فى الأنصار، فإنهم نزلوا المدينة قبل نزول المهاجرين. و قيل ان كل من نزل بالمدينة قبل هجرة النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله فهو من الأنصار.
و قوله «وَ الْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ» يعنى إن الأنصار آمنوا قبل هجرة المهاجرين و إن كان فى المهاجرين من آمن قبل إيمان الأنصار «يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ» من اهل مكة «وَ لا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا» قال الحسن يعنى حسداً، قال الزجاج: معناه لا تجد الأنصار فى نفوسهم حاجة مما يعطون المهاجرين. و قال البلخى:
لا يجدون حاجة فى نفوسهم مما يؤتون المهاجرين من الفضل فى الدين، و قال الطبرى:
معناه لا يجدون فى نفوسهم حاجة فيما أعطى المهاجرين من مال بنى النضير، فان النبى خص به المهاجرين إلا رجلين من الأنصار: أباد دجانة سماک بن خرشة، و سهل بن حنيف أعطاهما لفقرهما. و إنما فعل النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله ذلک لان مال بنى النضير كان له خاصة. و المهاجرين بهم حاجة خصهم بذلک. و الأنصار كانوا فى غنى فرضوا بذلک، و مدحهم اللَّه على ذلک- ذكره ابن زيد- و قوله «وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ» أى يختارون
على أنفسهم من يولونه من مالهم التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 566
من المهاجرين «وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ» يعنى حاجة. و الخصاصة الحاجة التى يختل بها الحال. و الخَصاص الفرج التى يتخللها البصر، و الواحد خصاص. قال الراجز:
و الناظرات من خصاص لمحا و أصله الاختصاص بالانفراد بالأمر و الخصاص الانفراد عما يحتاج اليه و الخصوص الانفراد ببعض ما وضع له الاسم، و

الخص انفراد كل قصبة من أختها فى الاشراج، و الخاصة انفراد المعنى بما يقوله دون غيره.
و قوله «وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى من منع شح نفسه.
و الشح و البخل واحد. و فى أسماء الدين هو منع الواجب «فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» يعنى المنجحين الفائزين بثواب اللّه و نعيم جنته.
ثم قال «وَ الَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ» يعنى بعد المهاجرين و الأنصار، و هم جميع التابعين لهم إلى يوم القيامة- فى قول الحسن- و هو كل من أسلم بعد العصر الأول. و قال الأصم: يعنى من جاءک من المهاجرين أى بعد انقطاع الهجرة و بعد إيمان الأنصار «يَقُولُونَ رَبَّنَا» الجملة فى موضع الحال، و تقديره قائلين «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَ لا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنا غِلًّا» أى حقداً و غشاً «لِلَّذِينَ آمَنُوا» و يقولون «رَبَّنا إِنَّکَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» أى متعطف على عبادک منعم عليهم.
و قسمة الغنيمة عندنا للفارس سهمان و للراجل سهم. و قال قوم: للفارس ثلاثة أسهم و للراجل سهم إلا ما كان من الأرض و الأشجار، فانه للإمام أن يقسمها إن شاء، و له ان يجعلها أرض الخراج و يردها إلى من كانت فى أيديهم قبل، على هذا الوصف بحسب ما يرى، كما فعل عمر بأرض السواد.
و
قيل: إن النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله فتح مكة عنوة و لم يقسم أرضها بين المقاتلة
و
قال قوم: فتحها سلماً. و قسم كثيراً التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 567
من غنائم حنين فى المؤلفة قلوبهم دون المقاتلة حتى وقع من نفر من الأنصار فى ذلک ما وقع، فقال رسول اللّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله اما ترضون ان يرجع الناس بالشاة و البعير و ترجعون برسول اللّه، فرضوا و سلموا لله و رسوله فى قصة مشهورة.

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ (12) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (13) لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ (14) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (15)

خمس آيات قرأ ابن كثير و ابو عمرو «من وراء جدار» على التوحيد. الباقون «جدر» على الجمع.

لما وصف اللّه تعالى المهاجرين الذين هاجروا من مكة و ما لهم من الفضل، و ذكر الأنصار و ما لهم من جزيل الثواب، و ذكر التابعين بإحسان و ما يستحقونه من النعيم فى الجنان، ذكر المنافقين و ما يستحقونه و ما هم عليه من الأوصاف. فقال التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 568

«أَ لَمْ تَرَ» يا محمد «إِلَى الَّذِينَ نافَقُوا» فأظهروا الايمان و أبطنوا الكفر «يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ» فى الكفر و هم «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ» يعنى يهود بنى النضير (لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ) من بلادكم (لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ) مساعدين لكم (وَ لا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً) يعنى فى قتالكم و مخاصمتكم (وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ) معاشر بنى النضير (لَنَنْصُرَنَّكُمْ) و لندفعن عنكم. فقال اللّه تعالى (وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ) فيما يقولونه فى مساعدتهم و الخروج معهم و الدفاع عنهم. و ظاهره يدل على انهم لم يخبروا عن ظنهم، لأنهم لو أخبروا عن ظنهم و عن نيتهم لما كانوا كاذبين. و يحتمل: ان يكونوا كاذبين فى العزم ايضاً بأن يقولوا إنهم عازمون و لا يكونوا كذلك. ثم قال تعالى (لَئِنْ أُخْرِجُوا) يعنى بنى النضير (لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ) يعنى المنافقون الذين قالوا لهم إنا نخرج معكم (وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبارَ) أى ينهزمون و يسلمونهم (ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ) الجميع، قال الزجاج:

فيه وجهان:

أحدهما- إنهم لو تعاطوا نصرهم.

الثانى- و لئن نصرهم من بقى منهم لولوا الأدبار، فعلى هذا لا ينافى قوله (لا يَنْصُرُونَهُمْ) قوله (وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ).

ثم خاطب المؤمنين، فقال (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ) أى أنتم أشد خوفاً فى قلوب هؤلاء المنافقين يخافونكم ما لا يخافون اللّه (ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ) أى لأنهم قوم لا يفقهون الحق و لا يعرفونه و لا يعرفون

معانى صفات اللّه، فالفقه العلم بمفهوم الكلام فى ظاهره و متضمنه عند إدراكه، و يتفاضل أحوال الناس فيه. و قيل: إن المنافقين الذين نزلت فيهم هذه الآية عبد اللّه بن أبى سلول و جماعة معه بعثوا إلى بنى النضير بهذه الرسالة- ذكره ابن عباس و مجاهد- التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 569

ثم عاد تعالى إلى ذكر الخبر عن أحوال بنى النضير، فقال (لا يُقاتِلُونَكُمْ) معاشر المؤمنين (إِلَّا فِى قُرىً مُحَصَّنَةٍ) يعنى ممتنعة جعل عليها حصون (أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ) أى من وراء الحيطان، فالجدار الحائط. فمن قرأ على التوحيد فلأنه اسم جنس يقع على القليل و الكثير، و من قرأ على الجمع، فلاختلاف الجدران.

ثم قال (بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى) معناه عداوة بعض هؤلاء اليهود لبعض شديدة و قلوبهم شتى بمعاداة بعضهم لبعض أى ظاهرهم على كلمة واحدة و هم متفرقون فى الباطن (ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ) يعنى ما فيه الرشد مما فيه الغى. و قال مجاهد (وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى) يعنى المنافقين و أهل الكتاب، و إنما كان قلوب من يعمل بخلاف العقل شتى لاختلاف دواعيهم و أهوائهم، و داعى الحق واحد، و هو داعى العقل الذى يدعو إلى طاعة اللّه و الإحسان فى الفعل.

و قوله (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً) معناه مثل هؤلاء كمثل الذين من قبلهم يعنى بنى قينقاع- فى قول ابن عباس- و قال مجاهد: هم مشركوا قريش ببدر (ذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ) من الشرك و الكفر باللّه فان عاقبة أمرهم كان القتل او الجلاء و فى الآية دلالة على النبوة من جهة علم الغيب الذى لا يعلمه إلا اللّه تعالى و قوله (وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبارَ) جاء على تقدير المستقبل كما يجىء فى الماضى ب (لو) لتبين خورهم و ضعف قلوبهم، و اللام فى قوله (لَئِنْ أُخْرِجُوا) و (لَئِنْ قُوتِلُوا) و (لَئِنْ نَصَرُوهُمْ) كلها لام القسم. و اللام فى قوله (لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبارَ) جواب القسم.

كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ (16) فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِي النَّارِ خالِدَيْنِ فِيها وَ ذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ (17) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (18) وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (19) لا يَسْتَوِي أَصْحابُ النَّارِ وَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفائِزُونَ (20)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 570

خمس آيات.

معنى قوله (كَمَثَلِ الشَّيْطانِ) أى مثل هؤلاء المنافقين فيما قالوا لليهود، مثل قيل الشيطان (إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اكْفُرْ) و أغواه به و دعاه اليه (فَلَمَّا كَفَرَ) يعنى الإنسان (قالَ) الشيطان (إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ) بمعنى أخاف عقابه. و إنما يقول الشيطان للإنسان اكفر بأن يدعوه اليه و يغويه به و يقول له: التوحيد ليس له حقيقة و الشرك هو الحق و يأمره بجحد النبوة، و يقول لا أصل لها، و إنما هى مخرقة. و البراءة قطع العلقة إلى ما تقتضيه العداوة فهذه البراءة من الدين، و قد تكون البراءة قطع العلقة بما يدفع المطالبة كبراءة الدين، و براءة الطلاق، و براءة الذمى إذا أخذت منه الجزية. و الأصل قطع العلقة التى يقع بها مطالبة فى نقيض الحكمة، فالتقدير فى الآية إن مثل المنافقين فى وعدهم لبنى النضير مثل الشيطان فى وعده للإنسان بالغرور، فلما أحتاج اليه الإنسان أسلمه للهلاك. و قيل: إن ذلك فى إنسان بعينه كان من الرهبان فأغواه الشيطان بأن ينجيه من بلية وقع فيها عند السلطان، فقال له: اسجد لى سجدة واحدة، فلما احتاج اليه أسلمه حتى قتل- روى ذلك عن ابن عباس و ابن مسعود- و قال مجاهد: التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 571

هو عام فى جميع الكفار، فقال اللّه تعالى (فَكانَ عاقِبَتَهُما) يعنى عاقبة الفريقين الداعى و المدعو من الشيطان و من أغواه و المنافقين و اليهود (أَنَّهُما فِي النَّارِ) معذبان فيها، و العاقبة نهاية العمل فى البادية، فعاقبة الطاعة للّه تعالى الجنة، و عاقبة معصيته النار (خالِدَيْنِ فِيها) أى مؤبدين فيها معذبين ثم قال (وَ ذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ) لأنفسهم بارتكاب المعاصى.

ثم خاطب المؤمنين فقال (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) باجتناب معاصيه و فعل طاعاته (وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ) أى تنظر و تفكر ما الذى تقدمه من الافعال ليوم القيامة من طاعة او معصية (وَ اتَّقُوا اللَّهَ) باجتناب معاصيه و فعل طاعاته (إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ) أى عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شىء منها فيجازيكم بحسبها على الطاعات بالثواب و على المعاصى

بالعقاب. و قيل معناه (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ) فيما تقدم نفس لغد (وَ اتَّقُوا اللَّهَ) فيما يعلمه منكم، و ليس ذلک بتكرار ثم قال (وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ) أى كالذين تركوا أداء حق اللَّه فإنهم نسوه فأنساهم أنفسهم بأن حرمهم حظوظهم من الخير و الثواب، و قال سفيان: نسوا حق اللَّه فأنساهم حظ أنفسهم. و قيل: نسوا اللَّه بترک ذكره و الشكر و التعظيم فأنساهم أنفسهم بالعذاب الذى نسى به بعضهم بعضاً، كما قال تعالى (فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ) «1» أى يسلم بعضكم على بعض ثم اخبر عنهم فقال (أُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ) الذين خرجوا من طاعته إلى معصيته.
و قوله (لا يَسْتَوِى أَصْحابُ النَّارِ وَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ) أى لا يتساويان، لان هؤلاء مستحقون للنار و أولئک مستحقون لثواب الجنة، ثم قال (أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفائِزُونَ) بثواب اللَّه. و لا يدل على أن من معه إيمان و فسق لا يدخل الجنة،

---

(1) سورة 24 النور آية 61 [.....]

لأنه تعالى قسم أصحاب الجنة و أصحاب النار الذين يستحقون ثواباً بلا عقاب او عقاباً بلا ثواب، لأنهما لا يتقاربان، و لم يذكر من يستحق الامرين. و عندنا أن الفاسق المسلم يستحق الأمرين فليس هو داخلًا فيه.

لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى يُسَبِّحُ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)

أربع آيات.

يقول اللّه تعالى معظماً لشأن القرآن الذى أنزله عليه مكبراً لحاله فى جلالة موقعه بأنه لو أنزل القرآن على جبل لرئى الجبل خاشعاً، و المراد به المثل، و تقديره لو كان الجبل مما ينزل عليه القرآن و لو شعر به- مع غلظه و جفاء طبعه و كبر جسمه- لخشع لمنزله تعظيماً لشأنه و لتصدع من خشيته، فالإنسان أحق بهذا لو عقل الأحكام التى فيه. و التصدع التفرق بعد التلاؤم، و مثله التفطر يقال: صدعه يصدعه صدعا فهو صادع و ذاک مصدوع و منه الصداع فى الرأس و هو معروف، و تصدع تصدعا التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 573

و انصدع انصداعاً فبين انه على وجه المثل بقوله (وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) و معناه ليتفكروا، لان (لعل) بمعنى الشک، و الشک لا يجوز على اللّه.

و قوله (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) معناه هو المستحق للعبادة الذى لا تحق العبادة إلا له (عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ) معناه عالم بما يشاهده العباد، و عالم بما يغيب عنهم علمه. و قيل: معناه (عالِمُ الْغَيْبِ) مالا يقع عليه حس من المعدوم او الموجود الذى لا يدرک مما هو غائب عن الحواس كأفعال القلوب و غيرها (وَ الشَّهادَةِ) أى و عالم بما يصح عليه الإدراک بالحواس. و قال الحسن: الغيب ما أخفاه العباد، و الشهادة ما أعلنوه، ففى الوصف بها بين كونه عالماً بجميع المعلومات لأنها لا تعدو هذين القسمين.

و قوله (هُوَ الرَّحْمنُ) يعنى المنعم على جميع خلقه (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين، و لا يوصف بالرحمن سوى اللّه تعالى. و أما الرحيم، فانه يوصف به غيره تعالى.

ثم أعاد قوله (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ) يعنى السيد المالک لجميع الأشياء الذى له التصرف فيها على وجه ليس لأحد منعه منه (الْقُدُّوسُ) و معناه المطهر فتطهر صفاته عن ان يدخل فيها صفة نقص (السَّلامُ) و هو الذى يسلم عباده من ظلمه (الْمُؤْمِنُ) الذى أمن العباد من ظلمه لهم إذ قال (لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ) «1» (الْمُهَيْمِنُ) قال ابن عباس معناه الأمين. و قال قوم: معناه المؤمن إلا انه أشد مبالغة فى الصفة، لأنه جاء على الأصل

فى المؤمن، فقلبت الهمزة هاء، و فخم اللفظ به لتفخيم المعنى. و قال قتادة: معناه الشهيد كأنه شهيد على إيمان من آمن به أو الشهيد على الأمن فى شهادته (الْعَزِيزُ) يعنى القادر الذى لا يصح عليه القهر

---

(1) سورة 4 النساء آية 39

(الْجَبَّارُ) العظيم الشأن فى الملک و السلطان، و لا يستحق ان يوصف به على هذا الإطلاق إلا اللّه تعالى، فان وصف بها العبد، فإنما هو على وضع لفظة فى غير موضعها، فهو ذم على هذا المعنى (الْمُتَكَبِّرُ) يعنى فى كل شىء. و قيل: معناه المستحق لصفات التعظيم.

و قوله (سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) تنزيه للّه تعالى عن الشرک به كما يشرک به المشركون من الأصنام و غيرها.

ثم قال (هُوَ اللَّهُ الْخالِقُ) يعنى للأجسام و الاعراض المخصوصة (الْبارِئُ) المحدث المنشئ لجميع ذلک (الْمُصَوِّرُ) الذى صور الأجسام على اختلافها من الحيوان و الجماد (لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى) نحو اللّه، الرحمن، الرحيم، القادر، العالم، الحى و ما أشبه ذلک، ثم قال (يُسَبِّحُ لَهُ ما فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) و قد مضى تفسيره.

60-سورة الممتحنة..... ص: 575

اشارة

مدنية بلا خلاف و هى ثلاث عشرة آية بلا خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ قَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ إِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِى سَبِيلِى وَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَيْتُمْ وَ ما أَعْلَنْتُمْ وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ (1)
آية بلا خلاف.
هذه الآية نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة حين عزم النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله على ان يدخل مكة بغتة، فسأل اللَّه أن يعمى اخبارهم على قريش و منع احداً ان يخرج من المدينة إلى مكة فكتب حاطب بن أبى بلتعة الى أهل مكة يعلمهم بذلک، فأوحى اللَّه تعالى إلى النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله بذلک، فدعا علياً عليه السلام و الزبير، و قال لهما: اخرجا حتى تلحقا جارية سوداء متوجهة إلى مكة معها كتاب، فخذاه منها، فخرجا حتى لحقاها فسألاها عن الكتاب، فأنكرت ففتشاها، فلم يجدا معها شيئاً، فقال الزبير: ارجع بنا فليس التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 576
معها شىء، فقال على عليه السلام يقول رسول اللَّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله: خذ الكتاب منها، و تقول:
ليس معى شىء!!! ثم اقبل عليها، و سل سيفه. و قال: و اللَّه لئن لم تخرجى الكتاب لأضربن عنقک فقالت له أعرض بوجهک عنى، فلما أعرض عنها أخرجت الكتاب من بين ضفيرتين لها، و سلمته اليه، فلما عادا سلماه إلى النبى فأمر النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله بأن ينادى بالصلاة جامعة فاجتمع الناس، فصعد النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله المنبر و خطب. ثم قال:
(أما إنى كنت سألت اللَّه ان يعمى اخبارنا عن قريش حتى ندخل مكة بغتة، و إن رجلا منكم كتب اليهم ينذرهم خبرنا، و هذا كتابه فليقم صاحبه) فلم يقم أحد فأعاد ثانياً، فلم يقم احد، فأعاد ثلاثاً، ثم قال: فليقم و إلا فضحه الوحى، فقام حاطب، و هو يرعد، و قال يا رسول اللَّه: و اللَّه ما نافقت منذ أسلمت، فقال ما حملک على ذلک، فقال إن لى بمكة أهلا و ليس لى بها عشيرة، فأردت ان اتخذ بذلک عندهم يداً ان كانت الدائرة لهم، فقام عمر بن الخطاب و قال: يا رسول اللَّه مرنى بأن أضرب عنقه، فانه نافق، فقال رسول اللَّه: إنه من أهل بدر، و لعل اللَّه تعالى أطلع إطلاعة فغفر لهم، فأنزل اللَّه تعالى هذه الآية يخاطب فيها المؤمنين و ينهاهم أن يتخذوا عدو اللَّه من الكفار و عدو المؤمنين أولياء يوالونهم و يلقون اليهم بالمودة.
و الباء زائدة و تقديره و يلقون اليهم المودة، و هى المحبة، كما قال

الشاعر:
و لما زجت بالشرب هز لها العصا شحيح له عند الازاء نهيم «1»
أى زجت الشرب، و يجوز أن يكون المراد يلقون اليهم ما يريدون بالمودة (وَ قَدْ كَفَرُوا) يعنى الكفار الذين يلقون اليهم المودة (بِما جاءَكُمْ) به النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله (مِنَ الْحَقِّ) يعنى من التوحيد و الإخلاص للَّه فى العبادة و القرآن و شريعة الإسلام (يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ إِيَّاكُمْ) يعنى إخراجهم لهم من مكة (أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ)

---

(1) مر فى 7/ 307

و معناه كراهة ان تؤمنوا باللَّه و قال قوم: اخرجوكم لايمانكم باللَّه ربكم الذى خلقكم (إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِى سَبِيلِى وَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِى) أى و طلباً لمرضاتى فلا تلقوا اليهم بالمودة ان كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيل اللَّه و طالبين مرضاته. قال الزجاج: و هو شرط جوابه متقدم و تقديره إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى و ابتغاء مرضاتى فلا تتخذوا عدوى و عدوكم أولياء. و (جهاداً، و ابتغاء) منصوبان على المفعول له.
و قوله (تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) فتكاتبونهم باخبار النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله (وَ أَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَيْتُمْ وَ ما أَعْلَنْتُمْ) أى بسركم و علانيتكم و ظاهركم و باطنكم، لا يخفى علىّ من ذلک شىء، فكيف تسرون بمودتكم إياهم منى.
و قوله (وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ) يعنى من ألقى اليهم المودة و القى اليهم اخبار النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله منكم جماعة المؤمنين بعد هذا البيان (فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ) أى قد عدل عن الحق و جار عن طريق الرشد. و فى الآية دليل على ان مرتكب الكبيرة لا يخرج عن الايمان، لان حاطب بن أبى بلتعة رجل من أصحاب رسول اللَّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله قد فعل ذلک، و لا يقول أحد انه أخرجه ذلک من الايمان.

إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (2) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحامُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (3)

آيتان بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 578

قرأ ابن كثير و ابو عمرو و نافع (يفصل) بضم الياء و فتح الصاد و سكون الفاء خفيفة. و قرأ ابن عامر- بضم الياء و فتح الفاء و تشديد الصاد و فتحها- على ما لم يسم فاعله. و قرأ حمزة و الكسائى بضم الياء و فتح الفاء و كسر الصاد مشددة.

و قرأ عاصم و يعقوب و سهل بفتح الياء و سكون الفاء و كسر الصاد خفيفة: أربع قراءات، يقال: فصلت بين الشىء أفصله فصلا إذا ميزته، و فصلته تفصيلا، بمعنى واحد. فمن قرأ بفتح الياء أراد إن اللّه يفصل بينهم و يميز بعضهم عن بعض، و من ضم الياء جعله لما لم يسم فاعله و معلوم أن اللّه هو المفصل بينهم.

و قوله (إِنْ يَثْقَفُوكُمْ) معناه إن يصادفوكم هؤلاء الكفار الذين تسرون اليهم بالمودة، يقال: ثقفته أثقفه ثقفاً فأنا ثاقف، و منه سمى ثقيف، و منه المثاقفة، و هى طلب مصادفة العزة فى المسابقة، و ما يجرى مجراها من المصادفة بالشطب و نحوه و (يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً) أى يعادونكم و لا ينفعكم ما تلقون اليهم «وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ» بما يقدرون عليه من الأذى و القتل و يبسطوا (أَلْسِنَتَهُمْ) ايضاً (بِالسُّوءِ) فيذكرونكم بكل ما تكرهونه و جميع ما يقدرون عليه من السوء و يحثون على قتالكم (وَ وَدُّوا) مع هذا كله (لَوْ تَكْفُرُونَ) باللّه كما كفروا و تجحدون كما جحدوا.

ثم قال (لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحامُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ) الذين جعلتموهم علة فى إلقاء المودة اليهم و الإفشاء اليهم بسر النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله يوم القيامة (و اللّه يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ) ذلك اليوم و يميز بعضكم عن بعض إذا كانوا كفاراً و كنتم مؤمنين (وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) لا يتعذر عليه تمييز بعضكم عن بعض فيأمر بالمؤمنين الى الجنة و بالكفار إلى النار

قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِی إِبْراهِیمَ وَ الَّذِینَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنا بِكُمْ وَ بَدا بَیْنَنا وَ بَیْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَ الْبَغْضاءُ أَبَداً حَتَّی تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَ ما أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَیْءٍ رَبَّنا عَلَیْكَ تَوَكَّلْنا وَ إِلَیْكَ أَنَبْنا وَ إِلَیْكَ الْمَصِیرُ (4) رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِینَ كَفَرُوا وَ اغْفِرْ لَنا رَبَّنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَكِیمُ (5)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 579

آیتان بلا خلاف.

قرأ عاصم (أسوة) بضم الهمزة فی جمیع القرآن. الباقون- بکسرها- و هما لغتان.

یقول اللَّه تعالی مخاطباً للمؤمنین و حاثاً لهم علی ترک موالاة الکفار و مبیناً لهم ان ذلک غیر جائز بأن قال (قَدْ كانَتْ لَكُمْ) فی ترک موالاة الکفار و ترک الرکون إلی جنایتهم (أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) أی اقتداء حسن (فِی إِبْراهِیمَ) خلیل الرحمن علیه السلام (وَ الَّذِینَ مَعَهُ) قال ابن زید: یعنی الأنبیاء. و قال غیره: یعنی الذین آمنوا معه (إِذْ قالُوا) أی حین قالوا (لِقَوْمِهِمْ) من الکفار الذین کانوا یعبدون الأصنام (إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ) علی وزن فعلاء، و مثله ظریف و ظرفاء و کریم و کرماء و فقیر و فقراء الهمزة الأولی لام الفعل و الثانیة المنقلبة من الف التأنیث و الالف التی قبله الهمزة زیادة مع علامة التأنیث، و هو جمع بریء و برآء منکم (وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أی و بریئون من الأصنام التی تعبدونها، و یجوز أن تکون (ما) مصدریة و یکون المعنی و بریئون من عبادتکم للأصنام (كَفَرْنا بِكُمْ) أی یقولون لهم: جحدنا ما تعبدون من دون اللَّه و کفرنا به (وَ بَدا بَیْنَنا) أی ظهر بیننا (وَ بَیْنَكُمُ الْعَداوَةُ التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 580

وَ الْبَغْضاءُ أَبَداً)

لا یکون بیننا و بینکم موالاة فی الدین (حَتَّی تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) أی حتی تصدقوا بوحدانیته و إخلاص العبادة له.

و قوله (إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) استثناء لقول إبراهیم لأبیه: لاستغفرن أی فلا تقتدوا به فیه. فان إبراهیم علیه السلام إنما استغفر لأبیه علی (مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِیَّاهُ) لأن أباه کان وعده بالایمان، فوعده إبراهیم بالاستغفار، فلما اظهر له الایمان استغفر له إبراهیم فی الظاهر (فَلَمَّا تَبَیَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ) و عرف ذلک من جهته (تَبَرَّأَ مِنْهُ) «1» قال الحسن: إنما تبین ذلک عند موت أبیه، و لو لم یستثن ذلک لظن إنه یجوز الاستغفار للکفار مطلقاً من غیر موعدة بالایمان منهم. و قیل:

- إن الاستثناء راجع الی قوله (وَ بَدا بَیْنَنا وَ بَیْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَ الْبَغْضاءُ أَبَداً) لأنه

لما كان استغفار إبراهيم لأبيه مخالفاً لما تضمنته هذه الجملة وجب استثناؤه و إلا توهم بظاهر الكلام انه عامل أباه من العداوة و البراءة بما عامل به غيره. و قال البلخى: هذا استثناء منقطع. و معناه لكن قول إبراهيم لأبيه لاستغفرن لک كان لأجل موعدة أبيه بالايمان. ثم قال إبراهيم لأبيه (وَ ما أَمْلِکُ لَکَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَیْءٍ) إذا أراد عقابک، فلا يمكن دفع ذلک عنک.
و قوله (رَبَّنا) أى يقولون ربنا (عَلَیْکَ تَوَکَّلْنا) فالتوكل على اللّه تفويض الأمور اليه ثقة بحسن تدبيره فى كل ما يدبره به (وَ إِلَیْکَ أَنَبْنا) أى رجعنا و تبنا اليک أى رجعنا إلى طاعتک (وَ إِلَیْکَ الْمَصِیرُ) معناه و اليک مرجع كل شىء يوم القيامة، و قال ايضاً و كانوا يقولون (رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِینَ کَفَرُوا) و معناه لا ترهم فينا ما يشمتون بجهلهم بنا. و قال مجاهد: معناه لا تعذبنا بأيديهم و لا ببلاء من عندک، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا

---

(1) سورة 9 التوبة آية 115

(وَ اغْفِرْ لَنا رَبَّنا إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ) فى جميع افعالک. و فى ذلک تعليم انه ينبغى ان يدعو الإنسان بهذا الدعاء. و قال الحسن: كان استغفار إبراهيم لأبيه صغيرة، و قال عمرو ابن عبيد، و اصل دعاء إبراهيم لأبيه بشرط الايمان بأنه إن آمن يستغفر له

لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (6) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَ اللَّهُ قَدِيرٌ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7)

آيتان بلا خلاف.

إنما أعيد ذكر الاسوة فى الآيتين، لان الثانى منعقد بغير ما انعقد به الاول فان الثانى فيه بيان أنه كان أسوة فى إبراهيم و الذين معه، و هو لرجاء ثواب اللّه و حسن المنقلب فى اليوم الآخر، و الاول فيه بيان ان الاسوة فى المعاداة للكفار باللّه حسنة و إذا انعقد الثانى بغير ما انعقد به الأول صارت الفائدة فى الثانى خلاف الفائدة فى الاول.

و وجه الجواب فى قوله (وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) أى من يذهب عما يحتاج اليه دون الداعى له، لان الداعى له غنى حميد، فجاء على الإيجاز.

و الحميد هو المستحق للحمد على إحسانه، و المحمود الذى قد حمد، فان اللّه تعالى حميد محمود.

و قوله (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً) بالإسلام و قال ابن زيد: و كان ذلك حين أسلم كثير منهم. و قيل معنى (عَسَى اللَّهُ

يَجْعَلَ)

أى ليجعل بينكم مودة، و قيل معناه كونوا على رجاء من ذلك و طمع فيه و هو الوجه، لأنه الأصل فى هذه اللفظة. ثم قال (وَ اللَّهُ قَدِيرٌ) أى قادر على كل ما يصح ان يكون مقدوراً له (وَ اللَّهُ غَفُورٌ) لذنوب عباده ساتر لمعاصيهم «رَحِيمٌ» بهم أى منعم عليهم.

لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَ ظاهَرُوا عَلى إِخْراجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9)

آيتان بلا خلاف.

قال الحسن: إن المسلمين استأذنوا النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله فى أن يبروا قرباتهم من المشركين، و كان ذلک قبل أن يؤمروا بالقتال لجميع المشركين، فنزلت هذه الآية و قال قتادة: هى منسوخة بقوله (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) «1» و به قال ابن عباس: يقول اللَّه تعالى مخاطباً للمؤمنين (لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ) «عن» مخالطة «الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ» من الكفار «وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ» و تحسنوا اليهم «وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ» معناه تعدلوا إليهم «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» يعنى الذين يعدلون فى الخلق، و قيل معناه إن اللَّه يحب الذين يقسطون قسطاً من أموالهم على وجه البر.

و قوله «أَنْ تَبَرُّوهُمْ» فى موضع خفض، و تقديره: لا ينهاكم اللَّه عن أن

---

(1) سورة 9 التوبة آية 6

تبروهم، و هو بدل من (الذين) بدل الاشتمال. و قال مجاهد: عنى بالذين لم يقاتلوكم من آمن من أهل مكة و لم يهاجروا، و قال ابن الزبير: هو عام فى كل من كان بهذه الصفة، و الذى عليه الإجماع و المفسرون بأن بر الرجل من شاء من أهل دار الحرب قرابة كان او غير قرابة ليس بمحرم، و إنما الخلاف فى اعطائهم الزكاة و الفطرة و الكفارات، فعندنا لا يجوز. و فيه خلاف. و

قال الفراء الآية نزلت فى جماعة كانوا عاقدوا النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله ألا يقاتلوه و لا يخرجوه، فأمر رسول اللَّهُ صَلى اللَّهُ عَليه و آله ببرهم و الوفاء لهم إلى مدة أجلهم.

ثم بين تعالى على من يتوجه النهى ببره و إحسانه فقال «إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ» مبرة «الَّذِينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ»، من اهل مكة و غيرهم «وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ» يعنى منازلكم و أملاككم «وَ ظاهَرُوا عَلى إِخْراجِكُمْ» أى تعاونوا على ذلک و تعاضدوا، و المظاهرة هى المعاونة ليظهر بها على العدو بالغلبة. و قوله «أَنْ تَوَلَّوْهُمْ» اى ينهاكم عن ان تنصروهم و توادوهم و

تحبونهم ثم قال «وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ» أى و من ينصرهم و بواليهم «فَأولئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ» لأنفسهم، لأنهم يستحقون بذلک العقاب و الكون فى النار.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَ آتُوهُمْ ما أَنْفَقُوا وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ لا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ وَ سْئَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ وَ لْيَسْئَلُوا ما أَنْفَقُوا ذلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (10)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 584

آية بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو و اهل البصرة «و لا تمسكوا» بالتشديد. الباقون «تمسكوا» خفيفة و هما لغتان.

يقولون أمسكت به و تمسكت به. قيل كان سبب نزول هذه الآية إن النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله كان صالح قريشاً يوم الحديبية على ان يرد عليهم من جاء بغير أذن وليه، فلما هاجر النساء و قيل: هاجرت كلثم بنت أبى معيط فجاء أخواها فسألا رسول اللّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله أن يردها، فنهى اللّه تعالى ان يرددن الى المشركين، و نسخ ذلک الحكم، ذكره عروة بن الزبير.

فقال تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» باللّه و رسوله «إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ» باللّه و رسوله «مُهاجِراتٍ» من دار الحرب إلى دار الإسلام «فَامْتَحِنُوهُنَّ» و قيل فى كيفية الامتحان أربعة اقوال:

قال ابن عباس: كانت امتحان رسول اللَّه إياهن أن يحلفن باللّه ما خرجت من بغض زوج و باللّه ما خرجت رغبة عن ارض، و باللّه ما خرجت التماس دنيا و باللّه ما خرجت إلّا حباً للّه و رسوله- و فى رواية أخرى- عن ابن عباس قال: كان امتحانا لهن أن يشهدن أن لا إله إلا اللّه، و أن محمداً عبده و رسوله. و روى عن عائشة انه كان امتحانهن بما فى الآية التى بعدها «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَ لا يَسْرِقْنَ...» الآية، و قال ابن عباس و قتادة:

كان امتحانهن ما خرجن إلا للدين، و رغبة فى الإسلام و حباً للّه و رسوله كقول ابن عباس الأول.

ثم قال «اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ» لأنه يعلم باطنهن و ظاهرهن و أنتم لا تعلمون باطنهن التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 585

ثم قال «فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ» يعنى فى الظاهر «فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ» أى لا تردوهن اليهم «لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ»

قال ابن زيد: و فرق بينهما النبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله، إن لم يطلق المشرک.

و

قيل: إن النبى صَلى اللّهُ عَليه و آله كان شرط لهم رد الرجال دون النساء ، فعلى هذا لا نسخ فى الآية. و من قال كان شرط رد النساء و الرجال قال: نسخ اللَّه حكم رد النساء.
و قوله «وَ آتُوهُمْ ما أَنْفَقُوا» قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابن زيد: اعطوا رجالهم ما أنفقوا من الصداق. و قال الزهرى: لولا الهدنة لم يرد إلى المشركين صداقاً كما كان يفعل قبل. و قيل نسخ رد المهور على الأزواج من المشركين ثم قال «وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ» معاشر المؤمنين «أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ» يعنى المهاجرات لأنهن بالإسلام قد بنّ من أزواجهن «إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» يعنى مهورهن التى يستحل بها فروجهن.
و قوله «وَ لا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ»، فالكوافر جمع كافرة، و العصمة سبب تمنع به من المكروه و جمعه عصم. و فى ذلک دلالة على انه لا يجوز العقد على الكافرة سواء كانت ذمية او حربية او عابدة وثن، و على كل حال، لأنه عام فى جميع ذلک و ليس لاحد أن يخص الآية بعابدة الوثن لنزولها بسببهم، لان المعتبر بعموم اللفظ لا بالسبب، و قوله «وَ سْئَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ» يعنى إذا صارت المرأة المسلمة إلى دار الحرب عن دار الإسلام فاسألوهم عن ان يردوا عليكم مهرهن، كما يسئلونكم مهر نسائهم إذا هاجرن إليكم، و هو قوله «وَ لْيَسْئَلُوا ما أَنْفَقُوا» ثم قال «ذلِكُمْ» يعنى ما تقدم ذكره و شرحه «حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ» بجميع الأشياء «حَكِيمٌ» فيما يفعله و يأمركم به.
و قال الحسن: كان فى صدر الإسلام تكون المسلمة تحت الكافر و الكافرة تحت المسلم التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 586
فنسخت هذه الآية ذلک. و المفسرون على ان حكم هذه الآية منسوخ، و عندنا أن الآية غير منسوخة، و فيها دلالة على المنع من تزوج المسلم اليهودية و النصرانية، لأنهما كافرتان و الآية على عمومها فى المنع من التمسک بعصم الكوافر، و لا نخصها إلا بدليل.

وَ إِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْواجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْواجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (11) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَ لا يَسْرِقْنَ وَ لا يَزْنِينَ وَ لا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَ لا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبايِعْهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَما يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ (13)

ثلاث آيات.

معنى قوله «وَ إِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْواجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ» أى إن أعجزكم و مضى شىء من أزواجكم إلى كفار أهل مكة و معنى شىء أحد، فكأنه قال و إن فاتكم احد منكم «فَعاقَبْتُمْ» بمصير أزواج الكفار إليكم إما من جهة سبى او مجيئهن مؤمنات «فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْواجُهُمْ» إلى الكفار «مِثْلَ ما أَنْفَقُوا» من المهور كما عليهم أن يردوا عليكم مثل ما أنفقتم لمن ذهب من أزواجكم. قال التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 587

الزجاج: و قد قرئ «فعقبتم» بلا الف مشدداً و مخففاً، و جاء فى التفسير فغنمتم و معناه فى اللغة فكانت العقبى لكم أى كانت لكم الغلبة حتى غنمتم، قال «و عقبتم» مشددة أجودها فى اللغة، و مخففة جيدة أيضاً أى صارت لكم عقبى، و التشديد أبلغ و معنى «فَعاقَبْتُمْ» أصبتموهم فى القتال بعقوبة حتى غنمتم أى ان مضت امرأة منكم إلى من لا عهد بينكم و بينه «فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْواجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا» يعنى فى مهورهن، و كذلك إن مضت الى من بينكم و بينه عهد فنكث فى إعطاء المهر، فالذى ذهبت زوجته يعطى المهر من الغنيمة و لا ينقص شيئاً من حقه بل يعطى حقه كاملا بعد إخراج مهور النساء. و قال الزهرى: فآتوا الذين ذهبت أزواجهم من المؤمنين مثل ما أنفقوا من مال الفىء. و قال ابن عباس من مال الغنيمة- و فى رواية عن الزهرى- عليهم أن يعطوهم من صداق من لحق بهم و قال قوم: يعطونهم من جميع هذه الأموال. و قال قتادة: معنى الآية «وَ إِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْواجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ» الذين ليس بينهم و بين اصحاب رسول اللّه صَلى اللَّهُ عَليه و آله عهد «فَعاقَبْتُمْ» يعنى الغنيمة يقول: فإذا غنمتم فأعطوا زوجها صداقها الذى كان قد ساقه اليها من الغنيمة ثم نسخ هذا الحكم فى براءة، فنبذ إلى كل ذى عهد عهده. ثم قال «وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ» أى اجتنبوا معاصى اللّه الذى أنتم مصدقون بثوابه و عقابه و معترفون بنبوة نبيه.

و قوله «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ» خطاب للنبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله يقول اللّه له «إِذا

جاءَکَ الْمُؤْمِناتُ یُبایِعْنَکَ» و وجه بیعة النساء مع أنهن لسن من أهل النصرة فی المحاربة هو أخذ العهد علیهن بما یصلح شأنهن فی الدین للأنفس و الأزواج، فکان ذلک فی صدر الإسلام لئلا ینفتق بهن فتق لما صیغ من الأحکام، فبایعهن النبی صَلی اللَّهُ عَلیه و آله حسماً لذلک و قیل: إنه کان یبایعهن من وراء الثوب. و روی أنه استدعی ماء فوضع یده فیه التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 588

ثم أمر النساء ان یضعن أیدیهن فیه، فکان ذلک جاریاً مجری المصافحة بأخذ العهد «عَلی أَنْ لا یُشْرِکْنَ بِاللَّهِ شَیْئاً» من الأصنام و الأوثان «وَ لا یَسْرِقْنَ» لا من أزواجهن و لا من غیرهم «وَ لا یَزْنِینَ وَ لا یَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ» علی وجه من الوجوه لا بالوأد، و لا بالاسقاط «وَ لا یَأْتِینَ بِبُهْتانٍ» یعنی بکذب «یَفْتَرِینَهُ بَیْنَ أَیْدِیهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ» أی لا یأتین بکذب یکذبنه فی مولود یوجد بین أیدیهن و أرجلهن. و قال ابن عباس: لا یلحقن بأزواجهن غیر أولادهم. و قال الفراء: کانت المرأة تلتقط فتقول لزوجها: هذا ولدی منک، فذلک البهتان المفتری. و قال قوم: البهتان الذی نهوا عنه فی الآیة قذف المحصنات و الکذب علی الناس و إضافة الأولاد إلی الازواج علی البطلان فی الحاضر و المستقبل من الزمان، و لا یعصینک فی معروف، فالمعروف نقیض المنکر، و هو ما دل العقل و السمع علی وجوبه او ندبه، و سمی معروفاً لان العقل یعترف به من جهة عظم حسنه و وجوبه. و قال زید بن أسلم: فیما شرط ألا یعصینه فیه أن لا یلطمن و لا یشققن جیباً و لا یدعون بالویل و الثبور، کفعل أهل الجاهلیة. و قال ابن عباس: فیما شرط ألا یعصینه فیه النوح.

و قوله «فَبایِعْهُنَّ» و المعنی إذا شرطت علیهن هذه الشروط و دخلن تحتها فبایعهن علی ذلک «وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ» أی اطلب من اللَّه ان یغفر لهن ذنوبهن و یستر علیهن «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ» أی صفوح عنهن منعم علیهن. و قال الحسن:

إذا جاءت المرأة الیوم من غیر أهل العهد لم ترد إلی زوجها، و لم تمتحن و هذه الآیة منسوخة.

ثم قال «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا» یخاطب المؤمنین باللَّه و رسوله «لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَیْهِمْ» أی لا توالوا الیهود، و لا من یجری مجراهم من الکفار الذین غضب اللَّه علیهم بأن یرید عقابهم «وَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ» ثم وصف الکفار، فقال التبیان فی تفسیر القرآن، ج9، ص: 589

«قَدْ یَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ» جملة فی موضع الحال أی باياسهم من الآخرة، فان الیهود ییأسون من ثواب الجنة علی ما یقوله المسلمون من الأکل و الشرب و غیر ذلک من أنواع اللذات کما یئس من لم یؤمن بالبعث و النشور أصلا «کَما یَئِسَ الْکُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ» قال الحسن الذین یئسوا من الآخرة أی الیهود مع الاقامة علی ما یغضب اللَّه، کما یئس کفار العرب أن یرجع أهل القبور أبداً، و قیل هم أعداء المؤمنین من قریش قد یئسوا من خیر

الآخرة، كما يئس سائر الكفار من العرب من النشأة الثانية. و قيل «كَما يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ»، من حظ الآخرة. و قيل: قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من النشأة الثانية ذكره ابن عباس، و قال مجاهد: قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس منه أصحاب القبور، لأنهم قد أيقنوا بعذاب اللّه.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 590

اشارة

مدنية بلا خلاف، و هى أربع عشرة آية بلا خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ (3) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ (4)
وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (5)
خمس آيات قد مضى تفسير «سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» فى أول الحشر، و قد مضى تفسيره فى أول الحديد، و إنما أعيد- هاهنا- لأنه استفتاح السورة بتعظيم اللَّه من جهة ما سبح له بالآية التى فيه، كما يستفتح ببسم اللَّه الرحمن الرحيم، و إذا جل المعنى فى تعظيم اللَّه حسن الاستفتاح به، لأن المقصد به حسب دلالته و الفائدة فى تعظيم ما ينبغى أن يستفتى به على جهة التعظيم للَّه، و التيمن بذكره.
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 591
و قوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ» قال الحسن: نزلت فى المنافقين، يقول اللَّه لهم «لِمَ تَقُولُونَ» بألسنتكم ما لا تفعلونه، فسماهم بالايمان على الظاهر. و قيل: نزلت فى قوم كانوا يقولون إذا لقينا العدوّ لم نفر، و لم نرجع عنهم ثم لم يفوا بما قالوا، و قال قتادة: نزلت فى قوم: قالوا: جاهدنا و أبلينا و لم يفعلوا.
و قال ابن عباس و مجاهد: نزلت فى قوم قالوا: لو علمنا أحب الاعمال إلى اللَّه لسارعنا إليها، فلما نزل فرض الجهاد تثاقلوا عنه، فبين اللَّه ذلک. و قال قوم: هو جار مجرى قوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» «1» فان القول الذى يجب الوفاء به هو القول الذى يعتقد بفعل البر على طريق الوعد من غير طلب.
و قوله «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ» إنما اطلق ذلک مع انه ليس كل قول يجب الوفاء به. لأنه معلوم انه لا عيب بترک الوفاء فيما ليس بواجب الوفاء به، و إن الذم إنما يستحق بترک ما هو واجب أو ما أوجبه الإنسان على نفسه بالنذر و العهد. و المقت البغض، و هو ضد الحب، و هو على ضربين: أحدهما- يصرف عنه العقل. و الآخر- يصرف عنه الطبع إلا انه جرى على صيغة واحدة للبيان أن صارف العقل فى التأكيد كصارف الطبع، كما أنه فى الحب على داعى العقل او داعى الطبع، و حذف الألف من «لم تقولون» لشدة الاتصال، و وضع حرف الاعتلال، لأنه حرف تغيير فى موضع تغيير.

و قوله «مقتاً» نصب على التمييز، و تقديره: كبر هذا القول أى عظم مقتاً عند اللَّه، و هو أن تقولوا ما لا تفعلون. و يحتمل أن يكون تقديره كبر ان تقولوا ما لا تفعلون مقتاً عند اللَّه.
قوله «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا» معناه إنه تعالى يحب

---

(1) سورة 5 المائدة آية 1

من يقاتل فى سبيله و يجاهد أعداء دينه و يزيد ثوابهم و منافعهم. و قوله «صَفًّا» أى يقاتلونهم مصطفين، و هو مصدر فى موضع الحال. و قوله «كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- كأنه بنى بالرصاص لتلاؤمه و لشدة اتصاله.
الثانى- كأنه حائط ممدود على رص البناء أى أحكامه و اتصاله و استقامته و المرصوص المتلائم الذى لا خلل فيه و مثل مرصوص شديد اللصوق فى الاتصال و الثبوت ثم قال للنبى صَلى اللَّهُ عَليه و آله و أذكر «إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ» لأنه مع العلم بنبوته لا يجوز إيذاءه، و كانوا يؤذونه، فيقولون: هذا ساحر كذاب، و يرمونه بالبرص و غير ذلک. و قوله «فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» فالزيغ الذهاب عن الشىء باسراع فيه و الأظهر فيه الذهاب عن الحق، و المعنى إنهم لما ذهبوا عن طريق الحق، و مالوا إلى طريق الباطل «أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» بمعنى انه حكم عليها بالزيغ و الميل عن الحق، و لذلک قال «وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ» و معناه لا يحكم لهم بالهداية. و قيل: معناه فلما زاغوا عن الايمان أزاغ اللَّه قلوبهم عن الثواب، و لا يجوز ان يكون المراد أزاغ اللَّه قلوبهم عن الايمان لأن اللَّه لا يزيغ أحداً و لا يضله عن الايمان، و ايضاً فانه لا فائدة فى الكلام على ما قالوه، لأنهم إذا زاغوا عن الايمان فقد حصلوا كفاراً، فلا معنى لقوله أزاغ اللَّه

وَ إِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ (6) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُوَ يُدْعى إِلَى الْإِسْلامِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (7) يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ (8) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9)

التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 593

أربع آيات.

قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم و خلف «مُتِمُّ نُورِهِ» مضافاً. و قرأ الباقون «متم نوره» منصوباً. و القراءتان متقاربتان إلا أن اسم الفاعل إذا كان لما مضى لا يعمل، و لا يجوز إلا الاضافة، و إذا كان للحال و الاستقبال جاز فيه التنوين و الاضافة.

يقول اللّه تعالى لنبيه صَلى اللَّهُ عَليه و آله اذكر يا محمد «إِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» لقومه الذين بعث اليهم «يا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً» نصب على الحال (لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ) إنما سماه لما بين يديه و هو قد تقدمه و هو خلفه بمضيها لأنها متقدمة. و هو متوجه اليها بالأخذ بها، فلها جهتان: جهة المضى وجهة التقدم (وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ) عطف على قوله (مُصَدِّقاً) و هو ايضاً نصب على الحال (يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) يعنى نبينا محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله.

و قوله (اسْمُهُ أَحْمَدُ) فأحمد عبارة عن الشخص. و الاسم قول، و القول لا يكون الشخص. و خبر المبتدأ ينبغى ان يكون هو المبتدأ إذا كان مفرداً. و الوجه فيه ان يقدر فيه (قول) فكأنه قال اسمه قول أحمد، كما تقول: الليلة الهلال، و انت التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 594

تريد الليلة طلوع الهلال فتحذف المضاف و تقيم المضاف اليه مقامه.

و قوله (فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ) قيل فيه قولان:

أحدهما- إن محمداً لما جاء كفار قومه بالبينات أى المعجزات، قالوا هذا سحر واضح بين.

و قال قوم: معناه فلما جاء عيسى قومه بالبينات و المعجزات قالوا له هذا القول. و من نسب الحق إلى السحر فقد جرى فى ذلك مجرى الجحد لنعم اللّه فى أنه قد كفر، فان كان دون ذلك كان جاهلا و فاسقاً، لو لم يكفر. و السحر حيلة توهم امراً ليس له حقيقة كايهام انقلاب الحبل حية.

و قوله (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُوَ يُدْعى إِلَى الْإِسْلامِ)

صورته صورة الاستفهام و المراد به التبكيت. و معناه لا أحد أظلم لنفسه ممن افترى على اللَّه الكذب و خرص عليه، و هو يدعى إلى الإسلام يعنى الاستسلام لأمره و الانقياد لطاعته، و هو متوجه إلى كفار قريش و سائر فى جميع الكفار.
ثم قال (وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) و معناه لا يحكم بهداية القوم الظالمين الذين هم الكفار. و قيل: معناه لا يهدى الكفار إلى الثواب، لأنهم كفار ظالمون لأنفسهم بفعل الكفر و المعاصى التى يستحق بها العقاب، و كل كافر ظالم لأنه أضر نفسه بفعل معصية استحق بها العقاب من اللَّه تعالى، فكفره ضرر قبيح.
ثم وصف الكافرين الذين عناهم بالآية فقال (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ) و معناه إنهم يريدون إذهاب نور الإسلام و الايمان بفاسد الكلام الذى يجرى مجرى تراكم الظلام. و قيل: معناه هم كمن أراد إطفاء نور الشمس بفيه.
و قوله (وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ) معناه إن اللَّه يتم نور الإسلام و يبلغ غايته و إن كره ذلک الكفار الجاحدون لنعم اللَّه. التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 595
ثم قال (هُوَ الَّذِى) يعنى اللَّه الذى اخبر عنه بأنه يتم نوره (أَرْسَلَ رَسُولَهُ) يعنى محمد صَلى اللَّهُ عَليه و آله (بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ) من التوحيد و إخلاص العبادة للَّه و دين الإسلام و ما تعبد فيه الخلق (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) بالحجج القاهرة و الدلائل الباهرة (وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ذلک. و فى الآية دلالة على صحة النبوة، لأنه تعالى قد أظهر دينه على الأديان كلها بالاستعلاء و القهر، كما وعد فى حال القلة و الضعف.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَ أُخْرى تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (13) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللَّهِ كَما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ كَفَرَتْ طائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ (14)

خمس آيات.

قرأ ابن عامر (تنجيكم من عذاب اليم) مشددة الجيم. الباقون بالتخفيف و قرأ ابن كثير و نافع و ابو عمرو و ابو جعفر (أنصاراً للّه) منوناً. الباقون بالاضافة التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 596

لقولهم فى الجواب (نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ) و قرأ نافع وحده (انصارى إلى اللّه) بفتح الياء. الباقون بإسكانها و هما جميعاً جيدان.

يقول اللّه تعالى مخاطباً للمؤمنين (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) باللّه و اعترفوا بتوحيده و إخلاص عبادته و صدقوا رسوله (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ) صورته صورة العرض و المراد به الامر. و التجارة طلب الربح فى شراء المتاع. و قيل لطلب الثواب بعمل الطاعة تجارة تشبيهاً بذلك، لما بينهما من المقاربة (تُنْجِيكُمْ) أى تخلصكم (مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ) أى مؤلم، و هو عذاب النار. ثم فسر تلك التجارة فقال (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ) أى تعترفون بتوحيد اللّه و تخلصون العبادة له و تصدقون رسوله فيما يؤديه إليكم عن اللّه. و إنما قال (تُؤْمِنُونَ) مع أنه قال (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) لان ذلك جار مجرى قوله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا) «1» و قد بيناه فيما مضى «2» (وَ تُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) يعنى قتال أعدائه الكفار (بِأَمْوالِكُمْ) فتنفقونها فى ذلك (وَ أَنْفُسِكُمْ) فتحاربون بنفوسكم. ثم قال (ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) أى ما ذكرته لكم و وصفته أنفع لكم و خير عاقبة إن علمتم ذلك و اعترفتم بصحته. و إنما قال (ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) مع أن تركه قبيح و معصية للّه، لان المعنى ذلكم خير لكم من رفعه عنكم، لان ما أدى إلى الثواب خير من رفعه إلى نعيم ليس بثواب من اللّه تعالى. و التكليف خير من رفعه إلى الابتداء بالنعم لكل من عمل بموجبه، و قيل: إيمانكم باللّه خير لكم من تضييعه بالمشتهى من أفعالكم (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) مضار الأشياء و منافعها و إنما جاز (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) مع أنه محمول على التجارة و خبر عنها، و لا يصلح أن يقال التجارة تؤمنون. و إنما يقال التجارة أن تؤمنوا باللّه، لأنه على طريق ما يدل على خبر التجارة لا على

نفس الخبر إذ الفعل يدل على مصدره و انعقاده بالتجارة فى المعنى

---

(1) سورة 4 النساء آية 139
(2) انظر 3/ 307، 359
التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 597
لا فى اللفظ. و فى ذلک توطئة لما بنى على المعنى من الإيجاز. و العرب تقول: هل لک فى خير تقدم إلى فلان، فتعوده و أن تقدم اليه.
و قوله (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) أى متى فعلتم ذلک ستر عليكم ذنوبكم، و جزمه لأنه جواب (تُؤْمِنُونَ) لأنه فى معنى آمنوا يغفر لكم. و قال الفراء: هو جواب (هل) و إنما جاز جزم (يغفر لكم) لأنه جواب الاستفهام. و المعنى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم يعلمكم بها، فإنكم إن عملتم بها يغفر لكم ذنوبكم و كان ابو عمرو يدغم الراء فى اللام فى قوله (يغفر لكم) و لا يجوز ذلک عند الخليل و سيبويه، لان فى الراء تكرارا، و لذلک غلبت المستعلى فى طارد. (وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) عطف على قوله (يغفر لكم) فلذلک جزمه (خالدين فيها) أى مؤبدين (وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً) أى و لهم فى الجنة مساكن طيبة مستلذة (فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ) أى فى بساتين إقامة مؤبدة. ثم قال (ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) يعنى الذى وصفه من النعيم هو الفلاح العظيم الذى لا يوازيه نعمة. و قيل: الفوز النجاة من الهلاک الى النعيم.
و قوله (وَ أُخْرى تُحِبُّونَها) معناه و لكم خصلة أخرى مع ثواب الآخرة (نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ) فى الدنيا عليهم (وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ) لبلادهم. ثم قال (وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بذلک أى بما ذكرته من النعيم و النصر فى الدنيا و الفتح القريب.
ثم خاطب المؤمنين فقال (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللَّهِ) و معناه كونوا أنصار دين اللّه الذى هو الإسلام بأن تدفعوا أعداءه عنه و عن دينه الذى جاء به (كَما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ) أى مثلكم مثل قول عيسى للحواريين، و هم خاصته، و سمى خاصة الأنبياء حواريين، لأنهم أخلصوا من كل عيب- فى قول الزجاج- و قيل: سموا حواريين لبياض ثيابهم.
و قال ابن عباس: كانوا صيادين التبيان فى تفسير القرآن، ج9، ص: 598
للسمک. و قال الضحاک: كانوا غسالين.
و قوله (مَنْ أَنْصارِى إِلَى اللَّهِ) يعنى من أنصارى مع اللَّه، و (الى) تكون بمعنى (مع) و مثله (وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ) «1» يعنى مع أموالكم. و قيل سمى النصارى نصارى لقولهم (نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ) و قيل: لأنهم كانوا من الناصرة و هى قرية فى بلاد الروم، فأجابه الحواريون بأن قالوا (نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ) و إنما قيل لهم (كُونُوا أَنْصارَ اللَّهِ) مع أن المراد به دين اللّه، تعظيما للدين و تشريفا له. كما يقال الكعبة بيت اللّه، و حمزة اسد اللّه، و ما أشبه ذلک (فَآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِى إِسْرائِيلَ) يعنى صدقت بعيسى عليه السلام طائفة من بنى إسرائيل (وَ كَفَرَتْ) به (طائِفَةٌ) اخرى

(فَأَيَّدْنَا الّذِينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ) أى قوينا المؤمنين على عدوهم (فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ) أى غالبين لهم و قال ابراهيم: معناه أيد الذين آمنوا بعيسى بمحمد، فأصبحوا ظاهرين عليهم. و قال مجاهد: بل أيدوا فى زمانهم على من كفر بعيسى عليه السلام و قال بعضهم الم يكن من المسيح قتال. و التأويل أنهم أصبحوا ظاهرين على مخالفيهم بالحجة. و قال قوم: كانت الحرب بعد المسيح لما اختلف أصحابه اقتتلوا فظفر أهل الحق، و هذا ضعيف، لأنه لم يكن من دينهم بعده القتال. و قال ابن عباس قاتلوا ليلا فأصبحوا ظاهرين.

---

(1) سورة 4 النساء آية 2

تم المجلد التاسع من التبيان و يليه المجلد العاشر و أوله أول سورة الجمعة طبع فى محرم الحرام سنة 1383 ه- حزيران سنة 1963 م

المجلد العاشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ (2) وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (4)
مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5)
خمس آيات بلا خلاف.
لا خلاف بين القراء فى هذه السورة إلا ما روى عن الأعمش انه قرأ «الجمعة» بسكون الميم. الباقون بضمها. و قد بينا معنى قوله «يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ» و بينا وجه التكرار فيه. و إنما جاء- هاهنا- على لفظ المضارعة.
و قوله «الْمَلِكِ» يعنى المالک للأشياء كلها ليس لاحد منعه منها «الْقُدُّوسِ» المستحق التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 4
للتعظيم بتطهير صفاته من كل صفة نقص «الْعَزِيزِ» معناه القادر الذى لا يقهر و لا يغلب «الْحَكِيمِ» فى جميع أفعاله.
و قوله «هُوَ الَّذِى بَعَثَ» يعنى اللّه الذى وصفه بالصفات المذكورة هو الذى أرسل «فِى الْأُمِّيِّينَ» قال قتادة و مجاهد: الأميون العرب. و قال قوم: هم أهل مكة، لأنها تسمى أم القرى، و الامى منسوب إلى انه ولد من أمه لا يحسن الكتابة. و وجه النعمة فى جعل النبوة فى أمى موافقة ما تقدمت البشارة به فى كتب الأنبياء السالفة، و لما فيه من انه أبعد من توهم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة.
و قوله «رسولا» مفعول «بعث» و «منهم» يعنى من سميتهم الأميين و من جملتهم «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ» أى يقرأ عليهم «آياتِهِ» أى حججه و بيناته من القرآن و غيرها «وَ يُزَكِّيهِمْ» أى و يطهرهم من دنس الشرک بما يهديهم إلى الايمان فيجعلهم أزكياء. و إنما يجعلهم كذلک بأن يدعوهم إلى طاعة اللّه التى يقع فيها الاجابة لأنه لو دعاهم و لم يجيبوا لما قيل: إنه زكاهم، «وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ» قال قتادة:
يعلمهم القرآن و السنة، و الحكمة تعم الكتاب و السنة، و كل ما أراده اللّه، فان الحكمة هى العلم الذى يعمل عليه فيما يخشى او يحبب من أمر الدين و الدنيا. «وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ» يعنى من قبل أن يبعث فيهم و يتلو عليهم القرآن «لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ» أى فى عدول عن الحق جائرين عن الصراط

المستقيم مبين أى ظاهر.
و قوله «وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ» قال ابن زيد و مجاهد: هم كل من بعد الصحابة إلى يوم القيامة، فان اللّه بعث النبى منهم و شريعته تلزمهم، و إن لم يلحقوا بزمان الصحابة. «و آخرين» نصب على تقدير و يزكى آخرين منهم، لما يلحقوا بهم. و يجوز ان يكون جرّاً، و تقديره هو الذى بعث فى الأميين و فى آخرين، «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» الذى لا يغالب «الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله و ما يأمر به. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 5
و قوله (ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ) (ذلك) إشارة إلى بعث الرسول بين اللّه تعالى ان إرساله الرسول (فضل) من (اللّه) و نعمة (يؤتيه) أى يعطيه (من يشاء) بحسب ما يعلمه من صلاحه مبعثة، و تحمل أعباء الرسالة (وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) على عباده بما يفعل بهم من التفضل و الإحسان ساعة بعد ساعة.
و قوله (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها) معنا (مثل الذين حملوا التوراة) يعنى العمل بها و بما فيها، فحفظوها و دوّنوها فى كتبهم ثم لم يعملوا بما فيها (كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً) قال ابن عباس: الاسفار الكتب واحدها سفر، لأنها تكشف عن المعنى بإظهار حاله، يقال: سفر الرجل عن عمامته إذا كشف، و سفرت المرأة عن وجهها، و هى سافرة، و إنما مثلهم بالحمار لأن الحمار الذى يحمل كتب الحكمة على ظهره لا يدرى بما فيها، و لا يحس بها كمثل من يحفظ الكتاب و لا يعمل به، و على هذا من تلا القرآن و لم يفهم معناه و أعرض عن ذلك اعراض من لا يحتاج اليه كان هذا المثل لاحقاً به. و إن من حفظه و هو طالب لمعناه و قد تقدم حفظه فليس من أهل هذا المثل.
و قوله (بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ) معناه بئس القوم قوم هذا مثلهم، و هم الذين كذبوا بحجج اللّه و بيناته.
ثم قال (وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يعنى الذين يظلمون نفوسهم بارتكاب المعاصى لا يحكم بهدايتهم و لا يرشدهم إلى طريق الجنة.

قُلْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (6) وَ لا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9) فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10)
وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَ تَرَكُوكَ قائِماً قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجارَةِ وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11)

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 6

ست آيات.

هذا أمر من اللَّه تعالى للنبى صلى اللَّهُ عليه و آله أن يخاطب اليهود، فيقول لهم (إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلَّهِ) فالزعم قول عن ظن او علم، و لهذا صارت من أخوات (ظن) فى الظن و العلم و عملت ذلک العمل من الاعراب قال الشاعر:

فان تزعمينى كنت أجهل فيكم فأنى شريت الحلم بعدک بالجهل «1»

و الأولياء جمع ولى، و هو الحقيق بالنصرة التى يوليها عند الحاجة، فاللَّه ولى المؤمنين، لأنه يوليهم النصرة عند حاجتهم. و المؤمن ولى اللَّه لهذه العلة. و يجوز أن يكون لأنه يولى المطيع له بنصرته عند حاجته، فقال اللَّه لهؤلاء اليهود: إن كنتم تظنون على زعمكم أنكم أنصار اللَّه و أن اللَّه ينصركم (فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ)

---

(1)مر فى 8/ 168

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 7

فى ادعائكم أنكم أولياؤه دون الناس، فالتمنى هو قول القائل- لما كان- ليته لم يكن، و لما لم يكن: ليته كان. و هو من صفات الكلام. و قال بعضهم: هو معنى فى النفس.

ثم اخبر تعالى عن حالهم و كذبهم و اضطرابهم فى دعواهم، و انهم غير واثقين بما يدّعونه فقال (وَ لا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) و معناه لا يتمنون الموت أبداً فيما بعد (بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) مما لا يرجعون فيه إلى ثقة من التكذيب بالنبى صلى اللَّهُ عليه و آله و التحريف لصفته فى التوراة (وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) أى عالم بأحوالهم و أفعالهم، لا يخفى عليه شىء منها.

و فى الآية دليل على النبوة لأنه اخبر بأنهم لا يتمنون الموت ابداً، و ما تمنوه

فكان ذلک اخباراً بالصدق قبل کون الشیء، و ذلک لا یعلمه إلا اللّه تعالی.
و فیها بطلان ما ادعوه من انهم أولیاء اللّه.
ثم قال للنبی صلی اللّهُ علیه و آله (قُلْ) لهم (إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِی تَفِرُّونَ مِنْهُ) أی تهربون منه (فَإِنَّهُ مُلاقِیکُمْ) و إنما قال (فانه) بالفاء، و سواء فروا منه او لم یفروا منه فانه ملاقیهم، مبالغة فی الدلالة علی أنه لا ینفع الفرار منه لأنه إذا کان الفرار منه بمنزلة السبب فی ملاقاته فلا معنی للتعرض له لأنه لا یباعد منه قال زهیر:
و من هاب اسباب المنایا ینلنه و لو رام أن یرقی السماء بسلم «1»
و هن ینلنه هابها او لم یهبها، و لکنه إذا کانت هیبته بمنزلة السبب للمنیة کان لا معنی للهیبة. و قال قوم: تقدیره قل إن الموت هو الذی تفرون منه فجعلوا (الذی) فی موضع الخبر لا صلة. و یکون (فانه) مستأنف.
و قوله (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلی عالِمِ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَةِ) معناه ثم ترجعون الی اللّه تعالی

---

(1)مر فی 5/ 526

یوم القیامة الذی یعلم سرکم و علانیتکم و ظاهرکم و باطنکم، لا یخفی علیه شیء من أحوالکم (فَیُنَبِّئُکُمْ) أی یخبرکم «بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فی دار الدنیا و یجازیکم بحسبها علی الطاعة بالثواب و علی المعاصی بالعقاب، ثم خاطب المؤمنین فقال (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا نُودِیَ لِلصَّلاةِ مِنْ یَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلی ذِکْرِ اللَّهِ) معناه إذا سمعتم أذان یوم الجمعة فامضوا إلی الصلاة. قال قتادة: معناه امضوا إلی الصلاة مسرعین غیر متثاقلین و به قال ابن زید و الضحاک. و قال الزجاج: المعنی فامضوا إلی السعی الذی هو الاسراع قال و قرأ ابن مسعود (فامضوا) إلی ذکر اللّه ثم قال: لو علمت الاسراع لأسرعت حتی یقع ردائی عن کتفی. قال: و کذلک کان یقرأ (وَ أَنْ لَیْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعی وَ أَنَّ سَعْیَهُ سَوْفَ یُری) «1» یرید مضی فیه دون الاسراع. و مثله قوله (إِنَّ سَعْیَکُمْ لَشَتَّی) «2» و فرض الجمعة لازم علی جمیع المکلفین إلا صاحب العذر: من سفر او مرض او عمی او عرج او آفة و غیر ذلک. و عند اجتماع شروط و هی:
کون سلطان عادل او من نصبه السلطان للصلاة، و تکامل العدد- عندنا- سبعة، و عند قوم أربعین. و عند آخرین أربعة، و ثلاثة. و قد بینا الخلاف فی ذلک فی (خلاف الفقهاء).
و ظاهر الآیة متوجه إلی المؤمنین و إنما یدخل فیه الفاسق علی التغلیب، کما یغلب المذکر علی المؤنث، هذا علی قول من یقول إن الفاسق لیس بمؤمن. فأما من قال: إنه مؤمن مع کونه فاسقاً، فالآیة متوجهة الیهم کلهم.
و قال مجاهد و سعید ابن المسیب: المراد بالذکر موعظة الامام فی

خطبته. و قال غيرهما: يعنى الصلاة التى فيها ذكر اللّه.
و قوله (وَ ذَرُوا الْبَيْعَ) معناه إذا دخل وقت الصلاة اتركوا البيع و الشراء

---

(1)سورة 53 النجم آية 39
(2)سورة 92 الليل آية 4

قال الضحاک: إذا زالت الشمس حرم البيع و الشراء. و قال الحسن: كل بيع تفوت فيه الصلاة يوم الجمعة فانه بيع حرام، لا يجوز، و هو الذي يقتضيه ظاهر مذهبنا، لان النهى يدل على فساد المنهى عنه. ثم قال (ذلِكُمْ) يعنى ما ذكره من السعى الى الصلاة (خَيْرٌ لَكُمْ) فى دينكم و انفع لكم عاقبة (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) صحة ما قلناه أى اعلموه.
و قوله تعالى (فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ) أى إذا صليتم الجمعة فانتشروا فى الأرض طلباً لرزق اللّه. و صورته صورة الأمر و هو إباحة و إذن و رخصة- فى قول الحسن و الضحاک و ابن زيد و غيره- (وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) أى اطلبوا من فضل اللّه بعمل الطاعة و الدعاء به (وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً) يا محمد على إحسانه و بالشكر على نعمه و التعظيم لصفاته (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) و معناه لتفلحوا و تفوزوا بثواب النعيم.
ثم اخبر تعالى عن حال جماعة كانوا مع النبى صلى اللَّهُ عليه و آله و هو يخطب و هم معه يصلى بهم، فقال (وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها) قال جابر بن عبد اللّه و الحسن: قدم عير لدحية الكلبى فيها طعام المدينة بعد ما أصابتهم مجاعة، فاستقبلوه باللهو و المزامير و الطبول- فى قول جابر بن عبد اللّه و مجاهد- و كانوا مع النبى صلى اللَّهُ عليه و آله فى الصلاة فلما سمعوا صوت الطبول و المزامير (انْفَضُّوا) أى تفرقوا إلى العير يبصرونه و تركوا النبى صلى اللَّهُ عليه و آله وحده قائماً، فقال اللّه لنبيه صلى اللَّهُ عليه و آله (قُلْ) لهم يا محمد (ما عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب على سماع الخطبة و حضور الموعظة (خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجارَةِ) و انفع و احمد عاقبة «وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» أى ليس يفوتهم بترک البيع شىء من رزق الله، و التقدير و إذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا اليها و تركوک التبيان

أى اليه، و إنما قيل (إِلَيْها) لأنها كانت أهم اليهم، ذكره الفراء. و قيل: تقديره و إذا رأوا لهواً او تجارة انفضوا اليها، فرد الضمير الى اقرب المذكورين، لأنه كان أهم اليهم، و كذلک قرأ ابن مسعود فى مصحفه.

63-سورة المنافقون ..... ص: 10

اشارة

مدنية بلا خلاف و هو قول ابن عباس و عطا و الضحاک و هی احدی عشرة آية بلا خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
إِذا جاءَکَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَکاذِبُونَ (1) اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ ساءَ ما کانُوا يَعْمَلُونَ (2) ذلِکَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا فَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ (3) وَ إِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُکَ أَجْسامُهُمْ وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ کَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ کُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَکُونَ (4)
وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَکُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَکْبِرُونَ (5)
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 11
خمس آيات.
قرأ «خشب» خفيفة ابن كثير و ابو عمرو و الكسائى. و قرأ الباقون «خشب» مثقل. و قرأ نافع و روح و زيد «لووا رؤسهم» خفيفة. الباقون «لوّوا» مشددة.
يقول اللّه تعالى لنبيه صلى اللَّهُ عليه و آله «إِذا جاءَکَ» يا محمد «الْمُنافِقُونَ» و هم الذين يظهرون الايمان و يبطنون الكفر «قالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللَّهِ» أى أخبروا بأنهم يعتقدون إنک رسول الله. فقال الله تعالى لنبيه «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ» على الحقيقة «وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَکاذِبُونَ» فى قولهم إنهم يعتقدون إنک لرسول الله، و كان إكذابهم فى اعتقادهم و أنهم يشهدون ذلک بقلوبهم و لم يكونوا فيما يرجع الى ألسنتهم، لأنهم شهدوا بها بألسنتهم و هم صادقون فى ذلک و فى ذلک دلالة على بطلان قول من يقول إن المعرفة ضرورية. و كسرت (إن) لأجل اللام التى هى لام الابتداء التى فى الخبر، لان لها صدر الكلام. و إنما زحلقت عن موضعها إلى موضع الخبر لئلا تجمع بين حرفى تأكيد، و كانت أحق بالتأخير، لأنها غير عامة. و إنما كان لها صدر الكلام، لأنها نقلت الجملة إلى معنى التأكيد و كل حرف نقل الجملة عن معنى إلى معنى كان له صدر الكلام، لئلا تختلط الجمل.
ثم اخبر تعالى عن هؤلاء المنافقين فقال «اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً» أى سترة يتسترون بها من الكفر لئلا يقتلوا و لا يسبوا و لا تؤخذ أموالهم. و الجنة السترة المتخذة لدفع الأذية كالسلاح المتخذ لدفع الجراح، فالجنة السترة، و الجنة البستان الذى يجنه الشجر. الجنه و الجنون الذى يغطى على العقل. و اصل ذلک كله الستر «فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى منعوا غيرهم عن اتباع سبيل الحق. و قال الضحاک: التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 12

أيمانهم حلفهم إنهم لمنكم. و قرئ «إيمانهم» بكسر الهمزة بمعنى أنهم اتخذوا تصديقهم ظاهراً جنة، فقال تعالى «إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» و معناه بئس الذى يعملونه من اظهار الايمان مع إبطان الكفر و الصد عن السبيل. و قال زيد بن أرقم: نزلت الآية فى عبد الله بن أبى بن سلول، لما قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا و قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأغر منها الأذل، فلما وقف على ذلک جحده و حلف انه ما قاله حتى نزلت السورة. و قوله «ذلِکَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا» بألسنتهم عند الإقرار ب (لا إله إلا الله محمد رسول الله) «ثُمَّ كَفَرُوا» بقلوبهم لما كذبوا بهذا و هو قول قتادة «فَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ» أى ختم عليها بسمة تميز الملائكة بينهم و بين المؤمنين على الحقيقة «فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ» ذلک بجحدهم توحيد الله و نفاقهم و إنكارهم نبوة رسوله الذى دعاهم الى الحق.
ثم قال: «وَ إِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُکَ أَجْسامُهُمْ» بحسن منظرهم و جميل زيهم «وَ إِنْ يَقُولُوا» يعنى هؤلاء المنافقون «تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ» أى تصغى اليهم و تسمع ما يقولون بحسن بيانهم و بلاغة لسانهم، فقال تعالى «كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ» فشبههم اللّه بالخشب المسندة، قيل: إنهم شبهو بخشب نخرة متأكلة لا خير فيها إلا أنها مسندة يحسب من يراها أنها صحيحة سليمة. و خشب جمع خشبة مثل بدن و بدنة فيمن سكن. و من ضم قال: مثل ثمرة و ثمر. ثم وصفهم بالخور و الهلع فقال «يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ» أى يظنون أنها مهلكتهم، و أنهم المقصودون بها جبناً و خوراً.
ثم قال لنبيه صلى اللّهُ عليه و آله «هُمُ الْعَدُوُّ» لک و للمؤمنين «فَاحْذَرْهُمْ» و توقهم «قاتَلَهُمُ اللّهُ» و قيل: معناه أخزاهم اللّه. و قيل: معناه أحلهم اللّه محل من يقاتله عدو قاهر له، و هذا أشد ما يكون من الذم و البلاء الذى ينزل بهم و أبلغ ما يكون فى البيان عن مكروههم «أَنَّى يُؤْفَكُونَ» أى كيف يصرفون عن الحق. و إنما قال «فَاحْذَرْهُمْ» التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 13
لأنهم كانوا ينقلون الاسرار إلى الكفار و يحيون من قدروا عليه من أهل الكفر.
ثم اخبر تعالى فقال «وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ» يعنى لهؤلاء المنافقين «تَعالَوْا» أى هلموا «يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ» و معناه أكثروا تحريكها بالهز لها استهزاء بدعائهم الى ذلک.
فمن شدد أراد تكثير الفعل. و ممن خفف فلانه يدل على القليل و الكثير.
ثم قال: و رأيتهم يا محمد «يَصُدُّونَ» عن سبيل الحق (وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) أى يطلبون الكبر و يتجبرون عن إتباع الحق.

سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (6) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَ لِلَّهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ (7) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ (8) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (9) وَ أَنْفِقُوا مِنْ ما رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (10) وَ لَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (11)

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 14

ست آيات.

قرأ ابو عمرو وحده (و أكون) بالواو، الباقون (و أكن) و فى المصاحف بلا واو فقيل لابى عمرو: لم سقطت من المصاحف؟. فقال كما كتبوا: (كلهن) و قرأ يحيى عن أبى بكر (يعملون) بالياء، الباقون بالتاء. و من قرأ بالياء فعلى الخبر، و من قرأ بالتاء فعلى الخطاب.

لما اخبر اللّه تعالى عن حال المنافقين، و انه «إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ» حركوا رؤسهم استهزاء بهذا القول، فقال اللّه تعالى لنبيه صلى اللَّهُ عليه و آله (سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) أى يتساوى الاستغفار لهم و عدم الاستغفار (لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) لأنهم يبطنون الكفر و إن أظهروا الايمان، و بين انه تعالى (لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ) الى طريق الجنة، فلهذا يجب ان ييأسوا من المغفرة بالاستغفار.

و قال الحسن: اخبر اللّه تعالى أنهم يموتون على النفاق، فلم يستغفر لهم بعد.

و قيل: المعنى لا يحكم اللّه بهدايتهم، و قد كان النبى صلى اللَّهُ عليه و آله يستغفر لهم على ظاهر الحال بشرط حصول التوبة و أن يكون باطن المستغفر له مثل ظاهره، فبين بها أن ذلك لا ينفع مع ابطانهم الكفر و النفاق.

ثم حكى تعالى عنهم فقال (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ) يعنى بعضهم لبعض لا تنفقوا على من عند رسول اللّه صلى اللَّهُ عليه و آله من المؤمنين المحتاجين (حَتَّى يَنْفَضُّوا) عنه و معناه حتى يتفرقوا عنه لفقرهم و حاجتهم. و الانفضاض التفرق، و فض الكتاب إذا فرقه و نشره، و سميت الفضة فضة لتفرقها فى أثمان الأشياء المشتراة. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 15

فقال اللّه تعالى (وَ لِلَّهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) بمعنى له مقدوراته فى

السموات و الأرض، لان فيها كل ما يشاء إخراجه، و له خزائن السموات و الأرض يخرج منهما ما يشاء. و هى داخلة فى مقدوراته، و الخزانة- بكسر الخاء- موضع يخبأ فيه الامتعة، و إذا كان للّه خزائن السموات و الأرض، فلا يضرک يا محمد ترک إنفاقهم بل لا يضرون إلا أنفسهم دون اولياء اللّه و المؤمنين الذين يسبب اللّه قوتهم و لو شاء الله تعالى لأغنى المؤمنين، و لكن فعل ما هو أصلح لهم و تعبدهم بالصبر على ذلک لينالوا منزلة الثواب (وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ) ذلک على الحقيقة لجهلهم بعقاب الله تعالى.
ثم اخبر عنهم فقال (يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ) يعنون نفوسهم (مِنْهَا الْأَذَلَّ) يعنون رسول الله و المؤمنين. و قيل: إن القائل لذلک فى غزوة المريسيع، كان عبد الله بن أبى بن سلول، فقال الله تعالى (وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ) دون المنافقين و الكفار (وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ) ذلک فيظنون ان العزة لهم، و ذلک بجهلهم بصفات الله و ما يستحقه أولياؤه و ما يعمل بهم. و الأعز الأقدر على منع غيره و أصل الصفة المنع فلذلک لم يكن أحد أعز من الله و لا أذل من المنافق.
ثم خاطب المؤمنين فقال (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ) أى لا تشغلكم أموالكم (وَ لا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) قال قوم الذكر المأمور به هو ذكر الله بالحمد و الشكر و التعظيم بصفاته العليا و أسمائه الحسنى، و يقال: ألهيته عن الأمر إذا صرفته عنه بما يمنعه قال امرؤ القيس:
فمثلک حبلى قد طرقت و مرضع فألهيتها عن ذى تمائم محول «1»

---

(1) ديوانه (السندوبى) 147

و قال قوم: ذكر الله جميع فرائضه ثم قال (وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِکَ) أى من شغله ماله او ولده عن ذكر الله (فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ) الذين خسروا ثواب الله و حصل لهم عقابه. ثم أمرهم بأن ينفقوا مما رزقهم الله فيما تجب عليهم النفقة فيه من الزكاة و الجهاد و الحج و الكفارات و غير ذلک من الواجبات. و فى ذلک دليل على ان الحرام ليس برزق من الله، لان الله لا يأمر بالمعصية بالإنفاق، و لأنه ينهى عن التصرف فيه بلا خلاف (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لا أَخَّرْتَنِى إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ) اى هلا. و قيل: معناه إنه يتمنى أن يرد الى دار الدنيا، و انما جاز التمنى ب (لو لا)، لأن أصلها التقدير، و التمنى تقدير الخير للاستمتاع (فاصدق) و معناه فأتصدق، و أنفق فى سبيل الله (وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) أى من الذين يعملون الأفعال الحسنة. و فى ذلک دليل على ان المقدرة قبل الفعل، لأنهم تمنوا ان يؤخروا ليعملوا ما كانوا قادرين عليه متمكنين منه. و دليل على ان الله تعالى لا يخلق الكفر و النفاق فيهم، لأنه لو فعل ذلک كان لا معنى لتمنى التأخير و الرد بل الواجب أن يطلبوا منه تعالى ان يكف عنهم الكفر و يخلق

فيهم الايمان و قدرته بدل الكفر و قدرته.
و قوله (فاصدق) انتصب بأنه جواب التمنى بالفاء، و كل جواب بالفاء نصب، إلا جواب الجزاء، فانه رفع على الاستئناف، لان الفاء فى الجزاء و صلة الى الجواب بالجملة من الابتداء و الخبر. و انما نصب الجواب بالفاء للإيذان بأن الثانى يجب بالأول بدلالة الفاء فى الجواب، و ليس يحتاج الى ذلک فى الجزاء من قبل ان حرف الجزاء يكفى فى الدلالة. و من قرأ (و أكن) فجزم عطف على موضع الفاء، لأنها فى موضع جزم. و من قرأ (و أكون) عطف على لفظ (فأصدق).
ثم قال (وَ لَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها) يعنى الأجل المطلق الذى التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 17
حكم بأن الحى يموت عنده. و الأجل المقيد هو الوقت المحكوم بأن العبد يموت عنده ان لم يقتطع عنه او لم يزد عليه او لم ينقص منه على ما يعلمه الله من المصلحة. ثم قال (وَ اللَّهُ خَبِيرٌ) اى عالم (بِما تَعْمَلُونَ) فمن قرأ بالياء أراد عالم بعملهم على لفظ الغيبة. و من قرأ بالتاء أراد بعملكم على الخطاب أى قل لهم.

64-سورة التغابن ..... ص: 17

اشارة

مدنية بلا خلاف- فى قول ابن عباس و عطاء و الضحاک- و هى ثمان عشرة آية بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (1) هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (2) خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3) يَعْلَمُ ما فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَ ما تُعْلِنُونَ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (4)
أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (5)

خمس آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 18

قد فسرنا معنى قوله «يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ» و أن المراد بها ما فى خلق السموات و الأرض، و ما فيهما من الادلة الدالة على توحيده و صفاته التى باين بها خلقه، و أنه لا يشبه شيئاً و لا يشبهه شىء و أنه منزه عن القبائح و صفات النقص، فعبر عن ذلک بالتسبيح من حيث كان معنى التسبيح التنزيه للّه عما لا يليق به.

و قوله «لَهُ الْمُلْكُ» معناه انه المالک لجميع ذلک و المتصرف فيه بما شاء، و لا أحد يمنعه منه، و له الحمد على جميع ذلک، لأن خلق ذلک أجمع للإحسان إلى خلقه به و النفع لهم فاستحق بذلک الحمد و الشكر «وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» يعنى مما يصح أن يكون مقدوراً له، فلا يدخل فى ذلک مقدور العباد، لأنه يستحيل أن يكون مقدوراً للّه.

و قوله «هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ» معناه هو الذى اخترعكم و أنشأكم بأن أخرجكم من العدم إلى الوجود «فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ» معناه فمنكم من يختار الكفر بسوء اختياره و منكم مؤمن بحسن اختياره للايمان. و قال الحسن: فيه محذوف و تقديره فمنكم كافر و منكم مؤمن و منكم فاسق. و قال غيره: ليس فيه حذف، لأن الغرض ذكر الطرفين لا المنزلة بين المنزلتين كما أن قوله «خلقكم» خطاب يتوجه إلى جميع الخلق. و إن كان منهم الأطفال و المجانين الذين لا حكم لهم بالايمان و لا بالكفر.

و قال الزجاج: معناه «فَمِنْكُمْ كافِرٌ» باللّه بأن اللّه خلقه «وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ» بذلک.

و قوله «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» معناه- هاهنا- أنه خلق الكافر، و هو عالم بما يكون منه من الكفر، و كذلک خلق المؤمن و علم بما يكون منه من الايمان، و كل ذلک على وجه الإحسان فى الفعل الذى يستحق به الحمد و الشكر. ثم قال «خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» بمعنى اخترعهما و انشأهما «بِالْحَقِّ» أى للحق و هو انه التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 19

خلق العقلاء تعريضاً لهم للثواب العظيم، و ما عداهم خلق تبعاً لهم لما فيه من اللطف. و هذا الغرض لا يتأتى إلا على مذهب العدل، و أما على مذهب الجبر فلا.
«وَ صَوَّرَكُمْ» متوجه الى البشر كلهم «فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ» معناه من الحسن الذى يقتضيه العقل لا فى قبول الطبع له عند رؤيته، لان فيهم من ليس بهذه الصفة. و قال قوم: لا بل هو من تقبل الطبع لأنه إذا قيل: حسن الصورة لا يفهم منه إلا تقبل الطبع، و سبيله كسيل قوله «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» «1» و إن كان فيهم المشوه الخلق لأن هذا عارض لا يعتد به فى هذا الوصف، و اللّه تعالى خلق الإنسان على أحسن صورة الحيوان كله. و الصورة عبارة عن بنية مخصوصة كصورة الإنسان و الفرس و الطير و ما أشبه ذلک.
ثم قال «وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» يعنى اليه المرجع يوم القيامة و اليه المآل. ثم قال «يَعْلَمُ» يعنى اللّه تعالى بعلم «ما فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» من الموجودات «وَ يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَ ما تُعْلِنُونَ» أى ما تظهرونه و ما تخفونه. و قيل: ما يسره بعضكم إلى بعض و ما تخفوه فى صدوركم عن غيركم. و الفرق بين الاسرار و الإخفاء أن الإخفاء أعم لأنه قد يخفى شخصه و قد يخفى المعنى فى نفسه و الاسرار و المعنى دون الشخص «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» معناه و هو عالم باسرار الصدور و بواطنها.
ثم خاطب نبيه صلى الله عليه و آله و المؤمنين فقال «أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ» يعنى من قبل هؤلاء الكفار «فَذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ» أى بما سلطه اللّه عليهم بأن أهلكهم اللّه عاجلا و استأصلهم «وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» أى مؤلم يوم القيامة.

ذلِکَ بِأَنَّهُ کانَتْ تَأْتِیهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّناتِ فَقالُوا أَ بَشَرٌ یَهْدُونَنا فَکَفَرُوا وَ تَوَلَّوْا وَ اسْتَغْنَی اللَّهُ وَ اللَّهُ غَنِیٌّ حَمِیدٌ (6) زَعَمَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنْ لَنْ یُبْعَثُوا قُلْ بَلی وَ رَبِّی لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ وَ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیرٌ (7) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِی أَنْزَلْنا وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ (8) یَوْمَ یَجْمَعُکُمْ لِیَوْمِ الْجَمْعِ ذلِکَ یَوْمُ التَّغابُنِ وَ مَنْ یُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ یَعْمَلْ صالِحاً یُکَفِّرْ عَنْهُ سَیِّئاتِهِ وَ یُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها أَبَداً ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ (9) وَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا أُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ خالِدِینَ فِیها وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ (10)

---

(1) سورة 95 التين آية 4 [.....]

خمس آيات.

قرأ رويس عن يعقوب «نجمعكم» بالنون على الاخبار من اللَّه عن نفسه.

الباقون بالياء على تقدير يوم يجمعكم اللَّه.

(أَ بَشَرٌ) لفظه لفظ الواحد و المراد به الجمع بدلالة قوله (يَهْدُونَنا) لأنه على طريق الجنس الذى لا يجمع و لا يثنى.

لما قرر اللَّه تعالى خلقه بأنهم جاءهم اخبار من مضى من الكفار و أن اللَّه تعالى أهلكهم بكفرهم، بين لم أهلكهم فقال (ذلِکَ بِأَنَّهُمْ کانَتْ تَأْتِیهِمْ رُسُلُهُمْ) أى تجيئهم رسلهم من اللَّه بالحجج الواضحات (فَقالُوا) لهم (أَ بَشَرٌ یَهْدُونَنا) و قد بينا أن لفظ (بشر) واحد و المراد به الجمع، و معناه أخلق مثلنا يهدوننا إلى الحق؟! متعجبين من ذلک مستهزئين به (فَکَفَرُوا) باللَّه و جحدوا رسله (وَ تَوَلَّوْا) أى اعرضوا عن القبول منهم (وَ اسْتَغْنَی اللَّهُ) و معناه أن اللَّه لم يدعهم الى عبادته لحاجته اليهم، لأن اللَّه تعالى غنى عنهم و عن غيرهم، و إنما دعاهم لما يعود عليهم بالنفع حسب التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 21

ما تقتضيه حكمته فى تدبيرهم (وَ اللَّهُ غَنِیٌّ) عن جميع خلقه (حَمِیدٌ) على جميع أفعاله لأنها كلها إحسان. و قيل (حميد) يدل على أنه يجب على عباده أن يحمدوه.

ثم حكى ما يقول الكفار فقال (زَعَمَ الَّذِینَ کَفَرُوا) بالله و جحدوا رسله فقال المؤرج: (زعم) معناه كذب فى لغة حمير. و قال شريح (زعم) كنية الكذب و الحدة كنية الجهل (أَنْ لَنْ یُبْعَثُوا) أى لا يحشرهم اللَّه فى المستقبل للحساب و الجزاء ف (قل) لهم يا محمد صلى الله عليه و آله (بَلی وَ رَبِّی) أى و حق ربى، على وجه القسم (لَتُبْعَثُنَّ) أى لتحشرن (ثُمَّ

لَتُنَبَّؤُنَّ) أى لتخبرن (بِما عَمِلْتُمْ) من طاعة و معصية (وَ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ) سهل لا يتعذر عليه ذلک، و إن كثروا و عظموا فهو كالقليل الذى لا يشق على من يأخذه لخفة أمره، و مثله قوله (ما خَلْقُكُمْ وَ لا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ) «1» و أصله من تيسير الشىء بمروره على سهولة.
ثم قال «فَآمِنُوا بِاللَّهِ» معاشر العقلاء «وَ رَسُولِهِ» أى و آمنوا برسوله «وَ النُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنا» يعنى القرآن، سماه نوراً لما فيه من الادلة و الحجج الموصلة الى الحق فشبهه بالنور الذى يهتدى به على الطريق «وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أى عالم بأعمالكم لا يخفى عليه خافية منها.
و قوله (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ) تقديره و اذكروا يوم يجمعكم (لِيَوْمِ الْجَمْعِ) و هو يوم القيامة. و قوله (ذلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ) و التغابن هو التفاوت فى أخذ الشىء بدون القيمة، و الذين أخذوا الدنيا بالآخرة بهذه الصفة فى أنهم أخذوا الشىء بدون القيمة، فقد غبنوا أنفسهم بأخذ النعيم المنقطع بالدائم و اغبنهم الذين اشتروا الآخرة بترک الدنيا المنقطع اليها من هؤلاء الذين تغابنوا عليها، و قال مجاهد و قتادة: يوم التغابن غبن أهل الجنة أهل النار.
ثم قال (وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صالِحاً) أى من يصدق بالله و يعترف

---

(1) سورة 31 لقمان آية 28

بوحدانيته و إخلاص العبادة له و يقرّ بنبوة نبيه و يضيف إلى ذلک أفعال الطاعات (يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ) أى يكفر عنه سيئاته التى هى دونها، و يتفضل عليه بإسقاط عقاب ما دونها من المعاصى (وَ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) يعنى بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار (خالِدِينَ فِيها) أى مؤبدين لا يفنى ما هم فيه من النعيم أبداً (ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) أى النجاح الذى ليس وراءه شىء من عظمه.
ثم قال (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله و جحدوا وحدانيته و أنكروا نبوّة نبيه و كذبوا بمعجزاته التى هى آيات الله (أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ خالِدِينَ فِيها وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ) أى بئس المآل و المرجع. و قرأ (نكفر، و ندخله) بالنون أهل المدينة و اهل الشام على وجه الاخبار من الله تعالى عن نفسه. الباقون بالياء على تقدير يكفر الله عنهم و يدخلهم.

ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (11) وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (12) اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (13) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَ أَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَ إِنْ تَعْفُوا وَ تَصْفَحُوا وَ تَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14) إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (15)

خمس آيات.

يقول الله تعالى مخاطباً لخلقه انه ليس يصيبكم مصيبة إلا بإذن الله. و المصيبة التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 23

المضرة التى تلحق صاحبها كالرمية التى تصيبه، و منه الصواب بأنه أصابه الحق كالرمية فى اصابة البغية. و قيل: إنما عمم قوله (ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) و فى المصائب ما هو ظلم، و الله لا يأذن فى الظلم، لأنه لا يحسن فى الحكمة، الا ترى انه ليس منها إلا ما أذن الله فى وقوعه او التمكن منه و ذلک أذن للملک الموكل به كأنه قيل له لا تمنع من وقوع هذه المصيبة. و قد يكون ذلک بفعل التمكن من الله كأنه يأذن له ان يكون. و قال البلخى: معناه إلا بتخلية الله بينكم و بين من يريد فعلها. و قال قوم: هو خاص فيما يفعله الله تعالى او يأمر به، و يجوز ايضاً ان يكون المراد بالأذن- هاهنا- العلم، فكأنه قال لا يصيبكم من مصيبة إلا و الله تعالى عالم بها. ثم قال (وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ) أى من يصدق بالله و يعترف بوحدانيته (يَهْدِ قَلْبَهُ) أى يحكم بهدايته. و يجوز ان يكون المراد يشرح صدره للايمان. و قيل: معناه يهدى قلبه بأن المصيبة بإذن الله- ذكره ابن عباس و علقمة- قال هو الرجل تصيبه المصيبة فيسلم و يرضى و يعلم أنها من عند اللَّه، و قال الفراء: هو أن يقول: إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، و قال غيره: معناه إذا ابتلى صبر، و إذا أنعم عليه شكر، و إذا ظلم غفر.

و قرأ ابو بكر (يهد قلبه)- بفتح الدال- بمعنى يسكن قلبه (وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) لا يخفى عليه شىء من ذلک. ثم أمرهم فقال (وَ أَطِيعُوا اللَّهَ) فيما أمركم به (وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ) فيما أمركم به و نهاكم عنه (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) أى فان أعرضتم عن القبول منه و توليتم عن الحق فليس على رسولنا قهركم الى الرد إلى الحق (فَإِنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) الظاهر، و حذف ايجازاً ثم قال (اللَّهُ) الذى يحق له العبادة (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) فالتوكل هو تفويض الامر الى اللَّه بأنه يتولاه على الحق فيه و قد أمر اللَّه بالتوكل عليه فينبغى للمسلم أن يستشعر التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 24

ذلک فی سائر أحواله. و قال قوم: التوکل تفویض الأمر إلی مالکه لتدبره بالحق فیه. و الوکیل المالک للتدبیر فیمن فوض الامر الیه فیه.
ثم خاطب تعالی المؤمنین فقال (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِکُمْ وَ أَوْلادِکُمْ عَدُوًّا لَکُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) قال ابن عباس: نزلت الآیة فی قوم اسلموا بمکة و أرادوا الهجرة فمنعوهم من ذلک، و قال عطاء بن بشار: نزلت فی قوم أرادوا البر فمنعهم هؤلاء. و قال مجاهد: هی فی قوم إذا أرادوا طاعة اللّه منعهم أزواجهم و أولادهم فبین الله تعالی أن فی هؤلاء من هو عدوّ لکم فی الدین فاحذروهم فیه. و (من) دخلت للتبعیض لأنه لیس حکم جمیع الأزواج و الأولاد هذا الحکم، و العداوة المباعدة من الخیر بالبغضة و نقیضها الولایة و هی المقاربة من الخیر بالمحبة. و الاذن الإطلاق فی الفعل، تقول: یسمع بالاذن، فهذا أصله، ثم قد یتسع فیه بما یقارب هذا المعنی.
ثم قال (وَ إِنْ تَعْفُوا) یعنی تترکوا عقابهم (وَ تَصْفَحُوا) و تعرضوا عما کان منهم (وَ تَغْفِرُوا) أی تستروا ذنوبهم إذا تابوا و اقلعوا عنها «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» أی ستار علی خلقه «رَحِیمٌ» بهم.
ثم قال«إِنَّما أَمْوالُکُمْ وَ أَوْلادُکُمْ فِتْنَةٌ»
أی محنة و ابتلاء. و قال قتادة:
یعنی بلاء و الفتنة المحنة التی فیها مشقة تمنع النفس عما تدعو الیه الشهوة«وَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِیمٌ»
أی ثواب جزیل علی الصفح و العفو و غیرهما من الطاعات.

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَ اسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا وَ أَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (16) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعِفْهُ لَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (17) عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18)

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 25

ثلاث آيات.

هذا أمر من الله تعالى للمكلفين يأمرهم بأن يتقوه بأن يتركوا معاصيه و يفعلوا طاعاته. فالاتقاء الامتناع من الردى باجتناب ما يدعو اليه الهوى، يقال: اتقاه بالترس إذا امتنع منه بأن جعله حاجزاً بينه و بينه. و قوله «مَا اسْتَطَعْتُمْ» معناه اتقوه بحسب طاقتكم، فان الله تعالى لا يكلف نفساً ما لا تطيقه، و إنما يكلفها ما تسعه له، و لا ينافى هذا قوله «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ» «1» لان كل واحد من الأمرين إنما هو إلزام ترک جميع معاصيه فمن ترک جميع المعاصى فقد اتقى عقاب الله، لان من لم يفعل قبيحاً و لا أخل بواجب فلا عقاب عليه إلا أن فى احد الكلامين تبيين أن التكليف لا يلزم العبد إلا فيما يطيق. و هذا يقتضى أن اتقاءه فيما وقع من القبيح ليس بأن لا يكون وقع و إنما هو بالندم عليه مع العزم على ترک معاودته. و كل أمر يأمر الله به فلا بد من أن يكون مشروطاً بالاستطاعة، فان كانت الاستطاعة غير باقية على مذهب من يقول بذلک، فالأمر بما يفعل فى الثالث. و ما بعده مشروط بأن يفعل له استطاعة قبل الفعل بوقت و إلا لا يكون مأموراً بالفعل، و إن كانت ثابتة فالأمر على صفة الاستطاعة، لأنه لا يصح الشرط بالموجود، لان الشرط يحدث، فليس يخلو من ان يكون على شريطة وقوع القدرة او على صفة وجود القدرة و قال قتادة قوله تعالى «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» ناسخ لقوله «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ» كأنه يذهب إلى أن فيه رخصة لحال التقية و ما جرى مجراها مما يعظم فيه المشقة

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 102

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 26

و إن كانت معه القدرة على الحقيقة. و قال غيره: ليس بناسخ، و إنما هو مبين لإمكان العمل بهما جميعاً. و هو الصحيح، لأن تقديره: اتقوا اللَّه حق تقاته فيما استطعتم و قوله «وَ اسْمَعُوا» أى اصغوا إلى ما يأمركم اللَّه به «وَ أَطِيعُوا» فيما آمركم به «وَ أَنْفِقُوا» فيما أمركم بالإنفاق فيه من الزكاة و الإنفاق فى سبيل اللَّه و غير ذلک «خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ» انتصب (خَيْراً) بفعل محذوف يدل عليه (أَنْفِقُوا) و تقديره و أنفقوا الإنفاق خيراً لأنفسكم، و مثله

انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ، و هو كقولهم: و ذاک أوسع لک لأنک إذا أمرته بشىء فهو مضمن بأن يأتى خيراً له.
و قوله «وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ» أى من منع و وقى شح نفسه. و الشح منع الواجب فى الشرع. و قيل: الشح منع النفع على مخالفة العقل لمشقة البذل، و مثله البخل يقال: شح يشح شحاً فهو شحيح و شحاح. و قال ابن مسعود: من الشح أن تعمد الى مال غيرک فتأكله.
و قوله «فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» معناه إن من وقى شح نفسه و فعل ما أوجبه اللَّه عليه فهو من جملة المنجحين الفائزين بثواب اللَّه. و قوله «إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً» و القرض أخذ قطعة من المال بتمليک الآخذ له على رد مثله و أصله القطع: من قرض الشىء يقرضه قرضاً إذا قطع منه قطعة. و ذكر القرض فى صفة اللَّه تلطفاً فى الاستدعاء إلى الإنفاق فى سبيل اللَّه، و هو كالقرض فى مثله مع أضعافه. و لا يجوز أن يملک اللَّه- عز و جل- لأنه مالک للأشياء من غير تمليک و لأن المالک لا يملک ما هو مالكه. و قوله «يُضاعِفْهُ لَكُمْ» أى يضاعف ثوابه لكم بأمثاله. و من قرأ «يضعفه» بالتشديد، فلان اللَّه تعالى بذل بالواحد عشرة إلى سبعين و سبعمائة «وَ يَغْفِرْ لَكُمْ» أى و يستر عليكم ذنوبكم و لا يفضحكم بها «وَ اللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ» أى يجازى على الشكر «حليم» لا يعاجل العباد بما يستحقونه من العقاب. و قوله التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 27
«عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» أى يعلم السر و العلانية و هو «الْعَزِيزُ» الذى لا يغالب «الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله و (الشكور) فى صفة اللَّه مجاز و معناه إنه يعامل المطيع فى حسن الجزاء معاملة الشاكر و (الحلم) ترک المعاجلة بالعقوبة لداعى الحكمة.
و (الغيب) كون الشىء بحيث لا يشاهده العبد. و (الغائب) نقيض الشاهد و هو «الحكيم» فى جميع أفعاله.
و قرأ «يضعفه» بالتشديد ابن كثير و ابن عامر. الباقون «يضاعفه» و قد مضى تفسيره.

65-سورة الطلاق ..... ص: 27

اشارة

مدنية فى قول ابن عباس و عطاء و الضحاک و غيرهم و هى اثنتا عشرة آية فى الكوفى و المدنيين و عشر فى البصرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ أَمْراً (1) فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ أَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَ أَقِيمُوا الشَّهادَةَ لِلَّهِ ذلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2) وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً (3) وَ اللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَ اللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَ أُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (4)
ذلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْراً (5)

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 28

خمس آيات.

قرأ حفص عن عاصم و نافع «بالغ أمره» على الاضافة. الباقون «بالغ» منون «أمره» منصوب، و قد بينا نظائر ذلک فيما مضى. و قيل: إنه إذا نون معناه انه تعالى بالغ مراده، و إذا أضيف فمعناه أن أمره تعالى يبلغ، فيكون اضافة الى الفاعل.

يقول اللّه تعالى مخاطباً لنبيه و المراد به أمته «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ» و معناه إذا أردتم طلاق النساء، كما قال «إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ» «1» و روى عن ابن عباس انه قال: نزل القرآن بإياک أعنى و اسمعى يا جارة، فيكون الخطاب للنبى و المراد به الأمة من ذلک. و قال قوم: تقديره يا أيها النبى قل لأمتک إذا طلقتم

---

(1) سورة 5 المائدة آية 7

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 29

النساء، فعلى هذا القول: النبى يكون خارجاً من الحكم. و قال آخرون: هو على خطاب الرئيس الذى يدخل فيه الاتباع، فعلى هذا حكم النبى حكم أمته فى هذا الحكم و أجمعت الأمة على أن حكم النبى حكم الامة فى الطلاق. و الطلاق فى الشرع عبارة عن تخلية المرأة بحل عقدة من عقد النكاح بأن يقول: أنت طالق يخاطبها او يقول هذه طالق و يشير اليها أو فلانة طالق بنت فلان. و عندنا لا يقع الطلاق إلا بهذا اللفظ المخصوص، و لا يقع بشىء

من الكنايات طلاق أراد بها الطلاق أو لم يرد.
و فيه خلاف ذكرناه فى الخلاف. و اما الفراق فقد يحصل بغير الطلاق، كالارتداد و اللعان و الخلع- عند كثير من أصحابنا- و إن لم يسم ذلك طلاقاً.
و أما فسخ النكاح بالرد بالعيب. فقد يحصل بأشياء و لا يسمى طلاقاً. و من شرط وقوع الطلاق- عندنا- أن تكون المراة طاهراً طهراً لم يقربها فيه بجماع بمحضر من شاهدين، و يقصد به إيقاع الطلاق، و يتلفظ بما قدمناه. فحينئذ يقع طلاقه تطليقة واحدة و هو أملک برجوعها ما لم تخرج من العدة. فان خرجت قبل ان يراجعها كان كواحد من الخطاب و متى تلفظ بثلاث تطليقات، فان كانت المرأة طاهراً مع باقى الشروط وقعت واحدة. و خالف جميع الفقهاء فى ذلک. و قالوا: يقع الثلاث. ثم اختلفوا فقال الشافعى، و من وافقه: و يكون ذلک مسنوناً. و قال اهل العراق: المسنون ان يطلقها طلقة واحدة بلفظ واحد، و متى أوقع ثنتين او ثلاثاً وقع. و أما غير المدخول بها فعند جميعهم يقع الثلاث، و لا عدة عليها، و عندنا لا يقع إلا واحدة، و فى أصحابنا من يقول: من تلفظ بالثلاث لا يقع شىء، و الاعتماد على ما قلناه أولا، و متى طلقها ثلاثاً أو واحدة، و هى حائض و كان قد دخل بها و لا يكون غائباً عنها شهراً فصاعداً لا يقع عندنا شىء أصلا. و قال جميع الفقهاء: هو بدعة.
و تبين المرأة بذلک.التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 30
و قوله تعالى «فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» معناه أن يطلقها و هى طاهر من غير جماع و يستوفى باقى الشروط. و قال ابن عباس: هو أن يطلقها طاهراً من غير جماع.
و به قال مجاهد و الحسن و ابن سيرين و قتادة و الضحاک و السدى، فعلى هذا متى طلقها فى الحيض فلا يقع طلاقها، لأنه خلاف المأمور به، و هو منهى عنه، و النهى يدل على فساد المنهى عنه و عند الفقهاء إنه يقع الطلاق، و إن كان بدعة.
ثم قال «وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ» فالعدة قعود المرأة عن الزواج حتى تنقضى المدة المرتبة فى الشريعة، و عدة المرأة على ضروب:
أحدها- عدة التى لم تبلغ المحيض، و مثلها لا تحيض، و هى التى لم تبلغ تسع سنين، فهذه لا عدة عليها- عند اكثر أصحابنا- و فيهم من قال عدتها بالشهور، و به قال باقى الفقهاء. و عدة التى لا تحيض و مثلها تحيض ثلاثة أشهر بلا خلاف.
و عدة التى تحيض ثلاثة أقراء و هى الاطهار- عندنا و عند كثير من الفقهاء- و عند قوم انها الحيض.
و عدة التى ارتفع حيضها و مثلها تحيض ثلاثة أشهر بلا خلاف. و قد حد ذلک أصحابنا بأن يكون سنها أقل من خمسين سنة.
و عدة الآيسة من المحيض و مثلها لا تحيض، فلا عدة عليها- عند اكثر

أصحابنا- و قال قوم: عدتها بالأشهر، و حد ذلک أصحابنا بأن يزيد سنها على خمسين سنة، و القرشية حدّوها بستين سنة فصاعداً.
و عدة الحامل وضع ما فى بطنها إذا كانت عدة الطلاق، فان كانت عدة الوفاة فأبعد الأجلين من وضع الحمل او مضى أربعة أشهر و عشرة أيام. و هو مذهب على عليه السلام و ابن عباس. و قال الفقهاء عدة المتوفى عنها زوجها وضع ما فى بطنها و قوله «وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ» يعنى مدة زمان العدة.

ثم قال «وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ» بان لا ترتكبوا المعاصى «لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لا يَخْرُجْنَ» يعنى زمان العدة، لأنه لا يجوز إخراجها من بيتها- و عندنا و عند جميع الفقهاء- يجب عليه السكنى و النفقة و الكسوة إذا كانت المطلقة رجعية، فان كانت بائناً فلا نفقة لها و لا سكنى. و قال الشافعى: فلا نفقة لها و لا سكنى إذا كانت بائناً. و قال أهل العراق: لها السكنى و النفقة.
و قوله «إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» من فتح الياء أراد فاحشة أظهرت.
و من خفض الياء أراد بفاحشة ظاهرة. و قال عطاء و الضحاک و قتادة: لا يجوز ان تخرج من بيتها حتى تنقضى عدتها إلا عند الفاحشة. و قال الحسن و عامر و الشعبى و مجاهد و ابن زيد: الفاحشة- هاهنا- الزنا تخرج لاقامة الحد.
قال ابن عباس: الفاحشة النداء على أهلها، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السلام
و قال قتادة:
الفاحشة هو النشوز. و قال ابن عمر: هو خروجها قبل انقضاء العدة- و فى رواية عن ابن عباس- ان كل معصية للّه ظاهرة فهى فاحشة.
و قوله «وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» يعنى ما تقدم ذكره من كيفية الطلاق و العدة و ترک إخراجها عن بيتها إلا عند فاحشة حدود اللّه، فالحدود نهايات تمنع أن يدخل فى الشىء ما ليس منه او يخرج منه ما هو منه، فقد بين اللّه بالأمر و النهى الحدود فى الطاعات و المعصية بما ليس لأحد ان يدخل فى شىء من ذلک ما ليس منه او يخرج عنه ما هو منه.
و قوله تعالى «وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ» معناه من يجاوز حدود اللّه بأن يخرج عن طاعته الى معصيته، فقد تعدى حداً من حدود اللّه و كذلک من دخل فى معصية، فقد خرج عن الطاعة. و ليس كل من دخل فى طاعة فقد خرج اليها عن معصية، لأنها قد تكون نافلة. ثم بين تعالى فقال: و من يجاوز حدود اللّه

«فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» بأن فعل ما يستحق معه العقاب و يحرم معه الثواب.
و قوله «لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ أَمْراً» قال قوم: معناه لا تدرى لعل اللّه يغير رأى الزوج فى محبة الطلاق، فتكون مطلقة على ما أمر اللّه

به و يملک الرجعة فيما بين الواحدة و الثانية و ما بين الثانية و الثالثة. و قال الضحاک و السدى و ابن زيد «لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِکَ أَمْراً» يعنى الرجعة فى العدة. و قيل معناه «لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِکَ» شهوة المراجعة.
و قوله «فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِکُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» معناه فإذا قاربن أجلهن الذى هو الخروج عن عدتهن، لأنه لا يجوز ان يكون المراد فإذا انقضى أجلهن، لأنه عند انقضاء أجلهن لا يملک رجعتها. و قد ملكت نفسها و قد بانت منه بواحدة، ثم تتزوج من شاءت هو او غيره. و إنما المعنى إذا قاربن الخروج من عدتهن فأمسكوهن بأن تراجعوهن بمعروف بما يجب لها من النفقة و الكسوة و المسكن و حسن الصحبة «أَوْ فارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» بأن تتركوهن حتى يخرجن من العدة.
و قوله «وَ أَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ» فعند أصحابنا أن الاشهاد شرط فى وقوع الطلاق، لأن ظاهر الامر بذلک يقتضيه. و الامر عندنا على الوجوب.
و قال قوم: إن ذلک راجع الى الرجعة، و تقديره و اشهدوا على الإمساک إن أمسكتم ذوى عدل منكم و هو الرجعة- فى قول ابن عباس. و قال الشافعى:
الاشهاد على الرجعة أولى. و يجوز عند أكثرهم بغير إشهاد، و إنما ذكر الله الاشهاد كما ذكر فى قوله «وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ» «1» و هو على الندب، و هذا ترک الظاهر و متى حملنا الاشهاد على الفراق، و هو الطلاق حملناه على ظاهره من الوجوب و جعلناه

---

(1) سورة 2 البقرة آية 282

شرطاً فى وقوع الطلاق. ثم قال «وَ أَقِيمُوا الشَّهادَةَ لِلَّهِ» إذا طولبتم بإقامتها «ذلكم» معاشر المكلفين «يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» فالوعظ معنى يدعو الى الحق بالترغيب و الترهيب. و إنما أضاف الوعظ إلى من يؤمن بالله و اليوم الآخر دون غيره، لأنه الذى ينتفع به دون الكافر الجاحد لذلک، فالطاعة الواجبة فيها وعظ بالترغيب فيها باستحقاق الثواب و فى تركها بالعقاب. و المندوبة فيها وعظ باستحقاق المدح و الثواب على فعلها و المعاصى فيها وعظ بالزجر عنها و التخويف من فعلها باستحقاق العقاب و الذم على فعلها و الترغيب فى تركها بما يستحق على الإخلال به من الثواب.
ثم قال «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» يعنى باجتناب معاصيه (يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) من عقابه (وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) أى من حيث لا يتوقعه و لا يظنه (وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) أى من أسند أمره الى الله و وثق بحكمه و سكن إلى رحمته (فَهُوَ حَسْبُهُ) أى كافيه جميع ذلک (إِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ) أى يبلغ ما يريد و يشاء من أمره و تدبيره (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْراً) أى قدر الله لكل شىء

مقداراً واجلا، لا زيادة فيه و لا نقصان.
ثم بين كيفية العدد باختلاف احوال النساء، فقال (وَ اللَّائِی یَئِسْنَ مِنَ الْمَحِیضِ مِنْ نِسائِکُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ) یعنی ان الیائسة من المحیض إذا کانت ترتاب بنفسها و لا تدری أرتفع حیضها لکبر او عارض (فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ) و هی التی قلنا او لا أن مثلها تحیض، لأنها لو کانت فی سنّ من لا تحیض لم یکن لریبتها معنی. و قال الزهری و عکرمة و قتادة (إِنِ ارْتَبْتُمْ) فلم تدروا: للکبر او لدم الاستحاضة، فالعدة ثلاثة أشهر. و قال قوم: ان ارتبتم فلم تدروا الحکم فی ذلک فعدتهن ثلاثة أشهر. التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 34
و قوله (وَ اللَّائِی لَمْ یَحِضْنَ) تقدیره و اللائی لم یحضن إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر، و حذف لدلالة الکلام الأول علیه و الکلام فیها کالکلام فی الیائسة.
و قال قتادة: اللائی یئسن الکبار، و اللائی لم یحضن الصغار.
ثم قال (وَ أُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ یَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) بین ان عدة الحامل من الطلاق وضع الحمل الذی معها، فان وضعت عقیب الطلاق فقد ملکت نفسها، و یجوز لها أن تعقد لغیره علی نفسها، غیر أنه لا یجوز له وطؤها. لان نفاسها کالحیض سواء، و إذا طهرت من نفاسها حل له ذلک، فان کانت حاملا باثنین و وضعت واحداً لم تحل للأزواج حتی تضع جمیع الحمل، لقوله تعالی (أَنْ یَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) فاما انقطاع الرجعة، فقد روی أصحابنا أنها إذا وضعت واحداً انقطعت عصمتها من الاول، و لا یجوز لها العقد بغیره حتی تضع الآخر. فاما إذا توفی عنها زوجها، فعدتها- عندنا- أبعد الأجلین إن وضعت قبل الأربعة أشهر و عشر استوفت اربعة أشهر و عشرة أیام، و إن مضی بها أربعة أشهر و عشر و لم تضع انتظرت وضع الحمل. و قال ابن عباس: الآیة فی المطلقة خاصة، کما قلناه. و قال ابن مسعود و أبی بن کعب و قتادة و السدی و اکثر الفقهاء:
إن حکم المطلقة و المتوفی عنها زوجها واحد فی أنها متی وضعت حلت للأزواج. و الذی اخترناه هو مذهب علی علیه السلام.
ثم قال (وَ مَنْ یَتَّقِ اللَّهَ) باجتناب معاصیه (یَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ یُسْراً) یعنی سهولة فی أموره و لا یعسر علیه أمره.
و قوله (ذلِکَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَیْکُمْ) یعنی حکم الطلاق و الرجعة و العدة فیما أنزله اللّه و حکم به و أمرکم بالعمل به.
ثم قال (وَ مَنْ یَتَّقِ اللَّهَ) باجتناب معاصیه و فعل طاعاته (یُکَفِّرْ عَنْهُ سَیِّئاتِهِ) التی هی دونها و یتفضل علیه بإسقاط عقابها (وَ یُعْظِمْ لَهُ أَجْراً) علی ذلک یعنی ثوابه التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 35
و نعیمه فی الجنة،

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَ لا تُضآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَ إِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ أْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَ إِنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرى (6) لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ ما آتاها سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً (7) وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّها وَ رُسُلِهِ فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً وَ عَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً (8) فَذاقَتْ وَبالَ أَمْرِها وَ كانَ عاقِبَةُ أَمْرِها خُسْراً (9) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللَّهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً (10)

خمس آيات فى الكوفى و البصرى و المدنى الأخير، و ست آيات فى المدنى الاول، عدّوا (يا أُولِي الْأَلْبابِ) رأس آية.

قرأ (من وجدكم) بكسر الواو، روح. الباقون بضمها، و هما لغتان.

و حكى الفراء- فتح الواو- لغة و لم يحك الكسر. و حكى الزجاج: الكسرة و لم يحك بالفتحة. و قرأ ابن كثير (و كاين) خفيفة على وزن (كاهن) الباقون

(كأين) مشددة الياء، و الأصل (أى) إلا انه حذف للتضعيف، كما يحذف من رب. و قدمت الياء و أخرت الهمزة نحو شاک و شائک. ثم قلبت الياء ألفاً، لأنها فى موضع حركة و قبلها فتحة نحو: رمى، و إنما احتمل هذا التغيير للعدول به عن معنى الاستفهام إلى معنى (كم) فى التكثير على وجه الإبهام. و قال قوم: فى (كأين) لغتان (كأين) مشددة الياء و (كاين) على وزن (قايل) و قد قرأ بهما. و حكى ان أهل الحجاز يقولون: بكاين تبيع هذا الثوب. أى بكم تبيعه.

يقول: اللّه تعالى مخاطباً لمن طلق زوجته يأمره أن يسكنها حيث يسكنه، و قد بينا أن السكنى و النفقة يجب للرجعية بلا خلاف. فاما البائنة فلا سكنى لها و لا نفقة- عندنا- و هذا مذهب الحسن. و

قد روت فاطمة بنت قيس عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال: لا نفقة للمبتوتة.

و قال الشافعى و مالک لها السكنى و النفقة و هو قول معاوية و ابن مسعود و عمر بن الخطاب.

و قوله (من وجدكم) قال السدى معناه من ملككم. و قال ابن زيد: هو إذا قال صاحب المسكن لا أترک هذه فى بيتى فليس من وجده. و يجوز له حينئذ أن ينقلها إلى غيره، و الوجد ملک ما يجده المالک، و ذلک أنه قد يملک المالک ما يغيب عنه. و قد يملک ما هو حاضر له، فذلک وجده، يقال: وجدت فى المال وجداً و وجدة، و وجدت الضالة وجداناً، و وجدت الرجل صالحاً

وجوداَ.
و قوله (وَ لا تُضآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) معناه لا تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير فى النفقة و السكنى و الكسوة و حسن العشرة لتضيقوا عليهن فى السكنى و النفقة، و أمر بالسعة. و المضارة المعاملة بما يطلب به إيقاع الضرر و المضارة المعاملة بما يطلب به إيقاع الضرر بصاحبه. و قد تكون المضارة من واحد كما يقال: طارقت النعل، و عافاه اللّه، و يمكن أن يكون من كل واحد منهما لصاحبه. و التضيق تقليل التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 37
ما يحتاج إلى التصرف فيه عن مقدار الكفاية. و قد يكون التضييق فى الرزق و فى المكان و فى الأمر. و «إِنْ كُنَّ» يعنى النساء المطلقات (أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) أمر من اللّه تعالى بالإنفاق على الحامل المطلقة سواء كانت رجعية او مبتوتة، و لا خلاف فى ذلک، و إنما يجب ان ينفق عليها بسبب ما فى بطنها، و إنما تسقط نفقتها بالوضع. و الحمل- بفتح الحاء- يكون على الظهر و فى البطن، و يقال للعدل- الحمل- بكسر الحاء.
و قوله (فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) أمر من اللّه تعالى بأن الأم المطلقة متى ولدت و رغبت فى رضاع ولدها، كان على الأب أجرة الرضاع أجرة المثل، فان رضيت الاجنبية بشىء معلوم لاجرة الرضاع و رضيت بمثله الأم كانت الأم أولى، و إن لم ترض الأم بذلک القدر كان للأب تسليمه الى الاجنبية، و ان كان الولد لا يقبل إلا لبن الأم أجبرت عليه. و إلا أدّى الى هلاک الولد.
و الرضاع سقى المرأة من لبنها للولد. و منه
قول النبى صلى الله عليه و آله (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)
يعنى ان المرضعة تصير بمنزلة الام، و أمها بمنزلة الجدة و أختها خالة، و بنتها اختاً و ابنها اخاً، و هكذا سائر المحرمات.
و قوله (وَ أْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ) فالائتمار أمر كل واحد لصاحبه بفعل من الافعال كالائتمار بالمعروف الذى يصطلحان عليه.
و قوله (وَ إِنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرى) خطاب للرجل و لزوجته المطلقة أنهما متى اختلفا فى رضاع الصبى و أجرته أرضعته امرأة اخرى فالتعاسر التمانع يتعذر من الأمر كالتمانع بما يتعسر به رضاع الام، فمتى كان كذلک فالحكم فيه أن ترضعه امرأة اخرى ثم امر تعالى فقال «لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ...» و معناه ان كل انسان يجب عليه النفقة بحسب حاله فالغنى ينبغى ان يوسع فى النفقة و الفقير بحسب حاله. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 38
و قوله (وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) معناه من ضيق عليه، لأنه أتى على مقدار البلغة التى تضيق عن غيره، فمن هذه صورته «فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللّهُ» على

حسب إمكانه و طاقته (لا يُكَلَفُ اللّهُ نَفْساً إِلّا ما آتاها) يعنى إلا بقدر ما أعطاها من الطاقة.
و فى ذلک دلالة على انه تعالى لا يكلف أحداً ما لا يقدر عليه و لا يطيقه.
ثم قال (سَيَجْعَلُ اللّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً) أى سيفعل اللّه بعد شدّة سهولة، فاليسر إتيان الأمر من غير مشقّة، و هو سهولة الأمر، و ضده العسر، و هو صعوبة الأمر.
و قوله (وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ) معناه و (كم من قرية) على التكثير، لأنه يخبر ب (كم) عن الكثرة (عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّها) و العتو الخروج إلى فاحش الفساد. و المعنى كم من أهل قرية كفروا باللّه و تجبروا عن طاعته و خرجوا بذلک الى افحش الفساد (وَ رُسُلِهِ) معناه عتوا عن امر اللّه و امر رسوله (فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً) فالحساب الاعمال مقابلة ما يستحق على الطاعة و بما يستحق على المعصية و الحساب الشديد مقابلة ذلک من غير تجاوز عن صغيرة و لا عفو عن ذنب، و ذلک أن الكافر يعاقب على كل صغيرة و كبيرة من حيث انه لا طاعة معه تكفر معاصيه. و قوله (وَ عَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً) معناه عذبنا أهل تلک القرية العاتية عذاباً نكراً، و هو الذى ينكره الطبع و تأباه النفوس لصعوبته و شدته. و الأمر النكر الذى ينكره العقل. و قوله (فَذاقَتْ وَبالَ أَمْرِها) فالوبال عاقبة السوء، أسند الفعل الى القرية، فلذلک أنث قوله (فَذاقَتْ) و لو قال: (عتوا، عن أمر ربهم، و عذبناهم فذاقوا) على المعنى كان جائزاً. و الوبال ثقل العائد من الضر. و قيل: ان معنى نكر أنه متجاوز فى الشدة لكل ما عرفوه فى الدنيا من العقوبة او كان عاقبة أمرها حسراً أى و كان آخر أمر تلک القرية العاتية خسراً أى هلاک أنفسهم، و أصله هلاک رأس المال.
ثم بين ما لهم فى الآخرة، فقال (أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً) من عذاب النار
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 39
يعاقبهم به على طريق التأبيد موجعاً شديد الألم (فَاتَّقُوا اللَّهَ) يا معاشر العقلاء (يا أُولِى الْأَلْبابِ الَّذِينَ آمَنُوا) يعنى المؤمنين منهم، و خصهم بالذكر و الخطاب، لأنهم المنتفعون بذلک دون الكفار. و قوله تعالى (قَدْ أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً) قال قوم: أراد بالذكر القرآن لأنه سماه ذكراً فى قوله (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ) «1» ذهب اليه السدى و ابن زيد، فعلى هذا تقديره انزل اللّه إليكم ذكراً و أرسل إليكم رسولا، و سماه ذكراً لأنه يتذكر به ما يجب العمل به و الانتهاء عنه. و قيل إن معنى الذكر الشرف كأنه قال: أنزل اللّه إليكم شرفاً. و قيل: المراد بالذكر الرسول لقوله (فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) «2» ذهب اليه الحسن، فعلى هذا يكون (رسولا) بدلا منه، و تقديره أنزل اللّه إليكم ذكراً هو رسوله. قال الزجاج: تقديره فأنزل اللّه إليكم ان ذكر رسولا هو جبرائيل عليه السلام.

رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ مُبَيِّناتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً (11) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (12)

آيتان.

---

(1) سورة 15 الحجر آية 9

(2) سورة 16 النحل آية 3: و سورة 21 الأنبياء آية 7

قرئ (ندخله) مدنى و شامى على وجه الأخبار من اللَّه تعالى عن نفسه.

الباقون بالياء بمعنى يدخل اللَّه. و الياء أشبه بما قبله.

قيل فى انتصاب قوله (رسولا) وجهان:

أحدهما- أن يكون بدلا من ذكر، و هو بدلا الاشتمال، و يكون الذكر القرآن، كأنه قال رسولا ذكراً.

الثانى- ان يكون الذكر بمعنى الشرف، فيكون الذكر هو الرسول، كما قال (وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ) «1».

و فيه وجه ثالث و هو أنه لما قال: انزل ذكراً دل على انه جعل رسولا، و كأنه قيل و بعث رسولا كما قال الشاعر:

يا رب غير آيهن مع البلى إلا رواكد جمرهن هباء

و مشجج اما سواء قذاله فبدا و غيب ساره المغراء «2»

لأنه لما قال: إلا رواكد دل على ان بها رواكد فحمل مشجج على المعنى.

و قال الزجاج: يحتمل ان يكون نصباً بذكر، كأنه قال ذكر رسول، بمعنى أن ذكراً رسولا، يكون ذكر مصدر، و الذى انزل جبرائيل لقوله «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ» «3» و قوله (يَتْلُوا عَلَيْكُمْ) أى يقرأ عليكم آيات اللَّه يعنى دلائله و حججه مبينات أى واضحات فى من يفتح الياء و من كسرها أراد انها تبيين الآيات و التلاوة.

من قولهم جاء فلان ثم تلاه فلان أى جاء بعده، و منه قوله تعالى (وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ) «4» أى يأتى بعده، فالتلاوة جعل كلمة بعد كلمة على ما وضعت عليه من المرتبة فى اللغة. و القراءة جمع كلمة الى كلمة بما يسمع من الحروف المفصلة، و هو قولهم

---

(1) سورة 43 الزخرف آية 44

(2) قد مر فى 2/ 125
(3) سورة 26 الشعراء آية 193
(4) سورة 11 هود آية 17
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 41
قرأت النجوم إذا اجتمعت و ظهرت، و يقولون: ما قرأت الناقة سلاقط أى ما جمعت رحمها على ولد. و البيان هو الأدلة. و قيل: هو ما أبان المعنى للنفس بما يفصل من غيره، و هو من قولهم: أبان العضو من غيره إذا قطعه منه.
و قوله (لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنَ الظُّلُماتِ) يعنى ظلمات الكفر إلى نور الايمان، و ذلک يدل على فساد قول المجبرة: إن اللّه تعالى بعث الأنبياء ليكفر بهم قوم و يؤمن آخرون. و إنما خص (الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) بالإخراج، لأنهم الذين خرجوا بدعائهم من الكفر إلى الايمان. و النور- هاهنا- نور الحق الذى يهدى إلى الرشد و الجنة، كما يهدى نور الشمس إلى المواضع المقصودة و الظلمة- هاهنا- الباطل الذى يعود إلى الغى، كما يعود الظلام من مر فيه من غير دليل الى الهلاک.
ثم قال (وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ) أى من يصدق بوحدانيته و إخلاص العبادة له (وَ يَعْمَلْ صالِحاً) أى يعمل الاعمال الصالحات (يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) جزاء على ذلک و ثواباً عليه (خالِدِينَ فِيها) نصب على الحال (أَبَداً) أى مؤبدين لا آخر لنعيمهم (قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً) أى أجزل اللّه لهم ما ينتفعون به و لا يمنعون منه، فالرزق النفع الجارى فى الحكم، فلما كان النفع للمؤمنين فى الجنة جارياً فى حكم اللّه كان رزقاً لهم منه.
و قوله (اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ) اخبار من اللّه تعالى انه الذى انشأ سبع سموات (وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) أى و خلق من الأرض مثلهن فى العدد لا فى الكيفية، لأن كيفية السماء مخالفة لكيفية الأرض. و المثل ما سدّ مسدّ غيره فيما يرجع إلى ذاته. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 42
و قوله (يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) معناه يتنزل الأمر بالتدبير من اللّه بين السموات و بين الأرضين، بحياة بعض و موت بعض، و غنى إنسان و فقر غيره، و سلامة حى و هلاک آخر، و تصريف الأمور على الحكمة لا يكون إلا من قادر عالم و هو معنى قوله (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) فالقادر، هو من كان له مقدور يصح منه إيقاعه على بعض الوجوه كما ان السامع هو من له مسموع موجود و القدير عبارة عمن يجب أن يكون قادراً على ما يصح ان يكون مقدوراً له ک (سميع) يفيد أنه على صفة يجب ان يسمع لأجلها ما يصح ان يكون مسموعاً.
و قوله (وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْماً) معناه إن معلوماته متميزة له بمنزلة ما قد أحاط به فلم يفته منه شىء، و مثله (وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً) «1» أى إنه ليس بمنزلة ما يحضره العلم بمكانه، فيكون كأنه قد أحاط به و

قوله (وَ لا يُحِيطَونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلّا بِما شاءَ) «2» معناه و لا يحيطون بشىء من معلومه إلا بما شاء أن يضطرهم اليه أو يدلهم عليه، فهو تذكير بالنعمة أى لا ينالون هذه المنزلة إلا بمشيئة، و لو لا ذلک لا يعلمون شيئاً من معلوماته إلا بما شاء، لكن لما دخل التذكير بالنعمة حسن من هذه الجهة و ليس فى القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع، غير هذه- ذكره الجبائى- و قوله (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) دليل على بطلان مذهب المجبرة فى أن اللَّه أراد من قوم أن يجهلوا كونه على هذه الصفة، لأنه تعالى بين انه ذكر ما تقدم وصفه ليعلم المكلفون أجمعون (أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ و انه) تعالى قادر (قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْماً) و على مذهب المجبرة إن اللَّه تعالى أراد من جماعة الكفار خلاف ذلک و أراد منهم ان يجهلوه و يجهلوا صفاته و ذلک خلاف الظاهر. و قوله (علماً) نصب على المصدر و دل عليه قوله تعالى

---

(1) سورة 20 طه آية 110
(2) سورة 2 البقرة آية 255

(أَحاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْماً) كأنه قال: علم كل شىء علماً.

66-سورة التحريم ..... ص: 43

اشارة

مدنية فى قول ابن عباس و الضحاک و غيرهما و هى اثنتا عشرة آية بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (1) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ وَ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (2) وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هذا قالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ (4) عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَيِّباتٍ وَ أَبْكاراً (5)
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 44
خمس آيات.
قرأ اهل الكوفة (تظاهرا) خفيفة. الباقون بالتشديد، يعنى (تتظاهرا) فأدغم. و من خفف حذف إحداهما. و قرأ الكسائى وحده (عرف بعضه) خفيفاً و هى قراءة الحسن و أبى عبد الرحمن، و كان أبو عبد الرحمن إذا قرأ إنسان بالتشديد خطأه. و قرأ ابن كثير (جبريل) بفتح الجيم و كسر الراء من غير همزة. و قرأ- بكسر الجيم و الراء من غير همز- نافع و ابو عمرو و ابن عامر و حفص عن عاصم.
و قرأ بفتح الجيم و الراء و كسر الهمزة مقصور على وزن (جحمرش) أبو بكر عن عاصم. و قرأ بفتح الجيم و الراء مهموزة بين الراء و الياء على وزن (خزعيل) حمزة و الكسائى و قد بينا الوجه فى ذلك فى سورة البقرة. قال ابو على: جبريل- بكسر الجيم- بلا همزة على وزن (قنديل) و بفتح الجيم و الراء و الهمزة مع المد على وزن (عندليب) و بفتح الجيم و الراء و كسر الهمزة على وزن (جحمرش) و ليس فى العربية على وزن (قنديل) بفتح القاف غير أنه جاء خارجاً على أوزان العربية.
هذا خطاب من اللَّه تعالى للنبى صلى الله عليه و آله و عتاب له على تحريم ما أباحه اللَّه له و أحله له، و لا يدل على انه وقعت منه معصية، لان العتاب قد يكون على أمر قد يكون الأولى خلافه، كما يكون على ترك الواجب.
و قيل فى سبب نزول قوله (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ) قولان:
أحدهما-
قال زيد بن أسلم و مسروق و قتادة و الشعبى و ابن زيد و الضحاك: ان النبى صلى الله عليه و آله حرم على نفسه مارية القبطية بيمين انه لا يقربها طلباً لمرضاة حفصة زوجته، لأنها غارت عليه من أجلها.
و

قال الحسن: حرم رسول اللّه أم ولده إبراهيم، و هى مارية القبطية على نفسه فأسر بذلک الى زوجته حفصة فأفضت به إلى التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 45
عائشة و كانت حفصة بنت عمر قد زارت عائشة، فحلا بيتها، فوجه رسول اللَّه الى مارية القبطية، و كانت معه و جاءت حفصة فأسر اليها التحريم.
و القول الثانى- ما
رواه عبد اللَّه بن شداد بن الهلال: ان النبى صلى اللَّه عليه و آله كان شرب عند زينب شراب عسل كانت تصلحه له، فكان يطول مكثه عندها فكره ذلک عائشة و حفصة، فقالت له إنا نشم منک ريح المغافير، و هى بقلة متغيرة الرائحة
- فى قول المفسرين- و
قال الزجاج: هى بقلة منتنة، فحرم النبى صلى اللَّه عليه و آله شراب العسل الذى كان يشربه عند زوجته زينب بنت جحش.
و قيل: ذكرت ذلک له حفصة، فحرمه النبى صلى اللَّه عليه و آله على نفسه. و من قال: انها نزلت بسبب مارية قال:
انه قال: هى على حرام، فجعل اللَّه فيه كفارة يمين
- ذكره ابن عباس و الحسن- و من قال: إن التحريم كان فى شراب كان يعجبه قال: إنه حلف على انه لا يشربه فعاتبه اللَّه على تحريم ما أحل اللَّه له.
و التحريم تبيين ان الشىء حرام لا يجوز، و نقيضه الحلال. و الحرام هو القبيح الممنوع بالنهى عنه، و الحلال الحسن المطلق بالاذن فيه. و عندنا أنه لا يلزم بقوله أنت على حرام شىء، و وجوده كعدمه، و هو مذهب مسروق. و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف. و إنما أوجب اللَّه الكفارة، لأنه صلى اللَّه عليه و آله كان حلف ألا بقرب جاريته أو لا يشرب الشراب المذكور، فعاتبه اللَّه على ذلک و أوجب عليه ان يكفر عن يمينه و يعود الى استباحة ما كان يفعله. و بين أن التحريم لا يحصل إلا بأمر اللَّه و نهيه، و ليس يصير الشىء حراماً بتحريم محرم، و لا باليمين على تركه، فلذلک قال «لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَکَ».
و قوله «تَبْتَغِی مَرْضاتَ أَزْواجِکَ» معناه إنک تطلب رضاء أزواجک فى تحريم ما أحله اللَّه لک. فالابتغاء الطلب، و منه البغى طلب الاستعلاء بغير حق، التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 46
و البغية معتمد الطلب و البغىّ الفاجرة لطلبها الفاحشة.
و قوله «وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» معناه ارجع الى الأولى و الأليق، فان اللَّه يرجع للتائب الى التولى، لأنه غفور رحيم.
و قوله «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَکُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِکُمْ» أى قد قدر اللَّه تعالى ما تحلون به يمينكم إذا فعلتموه، و ذلک يدل على انه صلى اللَّه عليه و آله كان حلف

دون ان يكون قال: هى علىّ حرام، لان ذلک ليس بيمين- عند اكثر الفقهاء- و قال الحسن: فرض اللَّه تحلة اليمين فى الكفارة للمؤمنين. فأما النبى صلى اللَّه عليه و آله فلا كفارة عليه، لان اللَّه تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر. و تحلة اليمين هو فعل ما يسقط تبعته فى اليمين إما بكفارة او بتناول شىء من المحلوف عليه، فمن حلف ألا يأكل من هذا الطعام، فمتى أكله حنث، و لزمته كفارة، و ينحل اليمين بها، و من حلف أنه يأكل من هذا الطعام و أكل منه شيئاً قليلا فقد انحلت يمينه، فلذلک سمى تحلة اليمين.
و قوله «وَ اللَّهُ مَوْلاكُمْ» معناه اللَّه ناصركم، و هو أولى بكم منكم بأنفسكم، و من كل احد «وَ هُوَ الْعَلِيمُ» بجميع الأشياء «الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله.
و قوله «وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ» معناه و اذكروا حين أسر النبى «إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً» فالاسرار إلقاء المعنى إلى نفس المحدث على وجه الإخفاء عن غيره، يقال:
أسر اليه كذا و كذا إسراراً و الاسرار نقيض الإعلان. و قيل: إنه كان أسر إلى حفصة ألا تخبر عائشة بكونه مع مارية فى يوم عائشة و قال إنه حرمها على نفسه، فأطلعت عليه عائشة. و قيل: إنه كان يوم حفصة، فأطلعت عليه عائشة فاستكتمها النبى فأخبرت حفصة بذلک فانتشر الخبر فعاتبهم اللَّه على ذلک. و قال الزجاج و الفراء: أسر اليها بأنه سيلى الأمر بعده أبو بكر و عمر و عثمان فتباشروا بذلک فانتشر الخبر. و روى أصحابنا انه أسر الى عائشة بما يكون بعده من قيام من التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 47
يقوم بالأمر و رفع على عليه السلام عن مقامه فبشرت بذلک أباها فعاتبهم اللَّه على ذلک.
و قوله «فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ» معناه لما أخبرت التى أسر اليها الذى خبرها به الى غيرها و أعلم اللَّه تعالى نبيه ذلک و أظهره له «عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ» فمن قرأ بالتخفيف قال الفراء: معناه إنه عاتب على بعض ذلک و صفح عن الباقى. و روى انه طلق حفصة تطليقة جزاء على ذلک ثم راجعها بأمر اللَّه تعالى، و قيل: معنى قراءة من شدد أراد انه صلى اللَّه عليه و آله أعلمها جميع ذلک و عرفها إياه، فلما نبأها به يعنى لما أخبر النبى صلى اللَّه عليه و آله، زوجته بذلک و عرفها أنها افشت سره «قالَتْ» له فى الجواب «مَنْ أَنْبَأَکَ هذا» أى من أخبرک بهذا فقال النبى صلى اللَّه عليه و آله «نَبَّأَنِيَ» أى اخبرنى بذلک و اعلمنى «الْعَلِيمُ» بجميع المعلومات «الْخَبِيرُ» بسرائر الصدور الذى لا يخفى عليه شىء من أمور عباده ظاهراً و باطناً.
ثم خاطبهما يعنى عائشة و حفصة و قال قل لهما «إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ» و ترجعا الى طاعته «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما» قال ابن عباس و مجاهد: معناه زاغت قلوبكما إلى الإثم. و قال عمر بن الخطاب و جميع أهل التأويل: انه

عنى عائشة و حفصة، و قال بعضهم: معناه مالت قلوبكما الى ما كرهه اللّه من تحريم ما حرمه. و قوله «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما» من صلة (إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ) و الجواب محذوف، و تقديره إن تتوبا الى الله قبلت توبتكما، و قال قوم (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) جواب كقول القائل إن تتابع المجىء إلىّ فلقد جفوتنى و قطعتنى دهراً أى يحق لک ان تفعل ذلک، فقد صرمت فيما قبل. و إنما قال (قلوبكما) مع أن لهما قلبين، لأن كلما تثبت الاضافة فيه معنى التثنية، فلفظ الجمع أحق به، لأنه أمكن و أخف باعراب الواحد و قلة الزائد. و ذلک فى كل شيئين من شيئين، و يجوز التثنية لأنها الأصل، كما قال الراجز: التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 48
ظهراهما مثل ظهور الترسين «1»
فجمع المذهبين. و قوله «وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ» معناه و إن تعاونا على خلافه «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ» يعنى الله الذى يتولى حفظه و حياطته و نصرته «وَ جِبْرِيلُ» ايضاً معين له و ناصره «وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» قال الضحاک: يعنى خيار المؤمنين. و قال قتادة: يعنى أتقياء المؤمنين. و قال الزجاج: «صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» واحد فى موضع الجمع. و قال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهانى: هو صالحوا المؤمنين على الجمع، غير انه حذفت الواو للاضافة، و هذا غلط، لأن النون سقطت للاضافة، فكان يجب ان يثبت الواو فى الحظ، و فى المصاحف بلا واو.
و
روت الخاصة و العامة أن المراد بصالح المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام
و ذلک يدل على انه أفضلهم، لان القائل إذا قال: فلان فارس قومه او شجاع قبيلته او صالحهم، فانه يفهم من جميع ذلک انه افرسهم و أشجعهم و أصلحهم.
و قوله «وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِکَ ظَهِيرٌ» معناه إن الملائكة بعد من ذكره معينون له، فالظهير المعين الذى هو كالظهر له فى القوة.
و قوله «عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ» معاشر نساء النبى «أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ» فمن خفف الدال، فلأنه يدل على القليل و الكثير، و من شدد أراد ان الله يبدلهن اكثر منهن. و معنى «خَيْراً مِنْكُنَّ» أى أفضل منكن و أصلح له. ثم وصفهن تعالى فقال «مُسْلِماتٍ» و هن اللواتى يظهرن الإسلام و الشهادتين مستسلمات لما أمر الله به «مُؤْمِناتٍ» أى مصدقات بتوحيد الله و اخلاص العبادة له مقرات بنبوة نبيه صلى اللّه عليه و آله و قيل: معناه مصدقات فى قولهن و فعلهن «قانِتاتٍ» أى خاضعات متذللات لله تعالى. و قيل: معنى «قانِتاتٍ» راجعات الى الله بفعل ما يجب له

---

(1) مر فى 3/ 513

- عز و جل- «عابِداتٍ» لله بما تعبدهن به من العبادات متذللات له «سائِحاتٍ» معناه ماضيات فى طاعة الله. و قال ابن عباس و قتادة و الضحاک: معنى سائحات صائمات. و قال زيد ابن اسلم: معنى «سائِحاتٍ» مهاجرات، و هو اختيار الجبائى و قيل: للصائم سائح، لأنه يستمر فى الإمساک عن الطعام و الشراب، كما يستمر السائح فى الأرض «ثَيِّباتٍ» و هن الراجعات من عند الأزواج بعد افتضاضهن مشتق من ثاب يثوب إذا رجع «وَ أَبْكاراً» جمع بكر، و هى التى على أول حالها قبل الافتضاض.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ (6) يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (7) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَ اغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (8) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (9) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ قِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10)

قرأ نصوحاً بضم النون حماد و يحيى الباقون بفتحها، و هما لغتان.

و قال قوم: من فتح النون جعله نعتاً للتوبة و حمله على الكثرة. و من ضمه جعله مصدراً هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين الذين صدقوا بتوحيد الله و اخلاص العبادة له و أقروا بنبوة نبيه صلى اللّه عليه و آله يأمرهم بأن يقوا أنفسهم أى يمنعونها، و يمنعون أهليهم ناراً، و إنما يمنعون نفوسهم بأن يعملوا الطاعات، و يمنعون أهليهم بأن يدعوهم اليها و يحثوهم على فعلها، و ذلک يقتضى أن الامر بالمعروف و النهى عن المنكر ينبغى ان يكون للأقرب فالأقرب. و قال مجاهد و قتادة: معنى «قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً» مروهم بطاعة الله و انهوهم عن معصيته.

ثم وصف تعالى النار التى حذرهم منها فقال «وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ» قيل حطب تلک النار الناس و الحجارة كوقود الكبريت و هو أشد ما يكون من العذاب «عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ» فى الأخلاق و إن كانوا رفاق الأجسام، لان الظاهر من حال الملک انه روحانى فخروجه عن الروحانية كخروجه عن صورة الملائكة «شِدادٌ» فى القوى «لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ» به. و فى ذلک دلالة على ان الملائكة المؤكلين بالنار و بعقاب العصاة معصومون عن فعل القبيح لا يخالفون الله فى أمره و يمتثلون كل ما يأمرهم به، و عمومه يقتضى انهم لا يعصونه فى صغيرة و لا كبيرة. و قال الرمانى: لا يجوز أن يعصى الملک فى صغيرة و لا كبيرة لتمسكه بما يدعو اليه العقل دون الطبع. و كل من تمسک بما يدعو اليه العقل دون الطبع، فانه لا يقع التبيان فى

منه قبيح. و قد اختارهم الله على ما فى المعلوم منهم و قيل: هم غلاظ شداد يعذبون على قدر قواهم بأنواع العذاب. و قال الجبائى قوله «لا

يَعْصُونَ اللّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلَونَ ما يُؤْمَرُونَ» يعنى- فى دار الدنيا- لان الآخرة ليست دار تكليف. و إنما هى دار جزاء. و إنما أمرهم الله بتعذيب اهل النار على وجه الثواب لهم بأن جعل سرورهم و لذاتهم فى تعذيب أهل النار، كما جعل سرور المؤمنين و لذاتهم فى الجنة.
ثم حكى ما يقال للكفار يوم القيامة فان الله تعالى يخاطبهم فيقول «يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا» نعمتى و جحدوا ربوبيتى و أشركوا فى عبادتى من لا يستحقها، و كذبوا أنبيائى و رسلى «لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ» فان اليوم دار جزاء لا دار توبة و اعتذار «إِنَّما تُجْزَوْنَ» على قدر «ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى الدنيا على الطاعات بالثواب و لا طاعة معكم، و على المعاصى بالعقاب و دخول النار، و أنتم مستحقون لذلک.
ثم عاد الى خطاب المؤمنين فى دار التكليف فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ» من معاصيه و أرجعوا إلى طاعته «تَوْبَةً نَصُوحاً» أى توبة خالصة لوجه اللَّه. فمن قرأ- بضم النون- و هو أبو بكر عن عاصم أراد المصدر، و من فتح النون جعله صفة للتوبة و نعتاً لها. و التوبة النصوح هى التى يناصح فيها الإنسان نفسه بإخلاص الندم مع العزم على ألا يعود إلى مثله فى القبح.
و قوله «عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ» معناه متى تبتم توبة نصوحاً كفر الله عنكم سيئاتكم، و غفر لكم فان (عسى) من الله واجبة «وَ يُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» مضافاً إلى تكفير السيئات و العفو عنها «يَوْمَ لا يُخْزِى اَللَّهُ النَّبِيَّ» و لا يخزى «الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» أى لا يذلهم و لا يعاقبهم بل يعزهم بإدخال الجنة.
ثم وصف النبى صلى اللَّه عليه و آله و المؤمنين معه فقال «يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ» قال ابن عباس: معناه يسعى نور كتابهم الذى فيه البشرى «يَقُولُونَ رَبَّنا» فى التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 52
موضع الحال، و تقديره قائلين «رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا» قال: يقول ذلک المؤمنون حين يطفئ نور المنافقين و يبقون فى الظلمة فيسأل المؤمنون حينئذ إتمام نورهم «وَ اغْفِرْ لَنا» أى استر علينا معاصينا و لا تهلكنا بها «إِنَّکَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» لا يعجزک شىء.
ثم خاطب النبى صلى اللَّه عليه و آله فقال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ» قيل:
معناه جاهد الكفار بالقتال و الحرب، و المنافقين بالقول الذى يردع عن القبيح لا بالحرب إلا أن فيه بذل المجهود، فلذلک سماه جهاداً. و فى قراءة اهل البيت «جاهد الكفار بالمنافقين» لأنه صلى اللَّه عليه و آله كان يجاهد الكفار و فى عسكره جماعة من المنافقين يقاتلون معه.
و قوله «وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ» أى اشدد عليهم. قال الحسن: اكثر من كان يصيب الحدود فى ذلک الزمان المنافقون. فأمر اللَّه أن يغلظ عليهم فى إقامة الحدود. ثم قال «وَ مَأْواهُمْ» يعنى مأوى الكفار و المنافقين و مستقرهم

«جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ» لما فيها من أنواع العقاب.
و قوله «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ» قال ابن عباس: كانت امرأة نوح و امرأة لوط منافقتين «فَخانَتاهُما» قال ابن عباس: كانت امرأة نوح كافرة، تقول للناس انه مجنون، و كانت امرأة لوط تدل على أضيافه، فكان ذلک خيانتهما لهما، و ما زنت امرأة نبى قط، لما فى ذلک من التنفير عن الرسول و إلحاق الوصمة به، فمن نسب أحداً من زوجات النبى إلى الزنا، فقد أخطأ خطاء عظيماً، و ليس ذلک قولا لمحصل. ثم قال «فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما» أى لم يغن نوح و لوط عن المرأتين «مِنَ اللَّهِ شَيْئاً» أى لم ينجياهما من عقاب الله و عذابه «وَ قِيلَ» لهما يوم القيامة «ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ» من الكفار.
و قال الفراء: هذا مثل ضربه الله تعالى لعائشة و حفصة، و بين انه لا يغنيهما و لا التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 53
ينفعهما مكانهما من رسول الله إن لم يطيعا الله و رسوله، و يمتثلا أمرهما، كما لم ينفع امرأة نوح و امرأة لوط كونهما تحت نبيين. و فى ذلک زجر لهما عن المعاصى و امر لهما أن يكونا كآسية امرأة فرعون و مريم بنت عمران فى طاعتهما لله تعالى و امتثال أمره و نهيه.

وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِی عِنْدَکَ بَیْتاً فِی الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِی مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِی مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ (11) وَ مَرْیَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِیهِ مِنْ رُوحِنا وَ صَدَّقَتْ بِکَلِماتِ رَبِّها وَ کُتُبِهِ وَ کانَتْ مِنَ الْقانِتِینَ (12)

آیتان.

قرأ اهل البصرة و حفص عن عاصم و نافع فی روایة خارجة «و کتبه» علی الجمع. الباقون «و کتابه» علی واحد، لأنه اسم جنس یقع علی القلیل و الکثیر.

و الفائدة فی هذه الآیة، و فی الآیة التی قبلها: أن احداً لا ینفعه إلا عمله و لا یؤخذ بجرم غیره، و لا یثاب علی طاعة غیره، و إن کان خصیصاً به و ملازماً له. و تبین ان امرأة نوح و امرأة لوط لم ینفعهما قربهما من نبیین و اختصاصهما و التصاقهما بهما، لما کانتا کافرتین عاصیتین لله تعالی بل عاقبهما الله بالنار بکفرهما و سوء أفعالهما.

و بین فی هذه الآیة أن کفر فرعون لم یتعدّ إلی زوجته لما کانت مؤمنة طائعة لله تعالی خائفة من عقابه، بل نجاها الله من عقابه و أدخلها الجنة علی إیمانها و طاعتها، فضرب المثل الاول للکفار لما کانت المرأتان کافرتین، و ضرب المثل التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 54

الثانی للمؤمنین، لما کانت امرأة فرعون مؤمنة، فقال «وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِینَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ» و اسمها آسیة. و المثل قول سائر یشبه فیه حال الثانی بالأول. فهذه الآیة فیها قول فیه تشبیه حال المؤمنة التی زوجها کافر بحال امرأة فرعون فی انه لا یضرها کفره مع قربها منه، کما أن امرأة نوح و امرأة لوط، لم ینفعهما نبوتهما و إیمانهما حین کانتا کافرتین.

و قوله «إِذْ قالَتْ» أی حین قالت امرأة فرعون داعیة الله «رَبِّ ابْنِ لِی عِنْدَکَ بَیْتاً فِی الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِی» أی و خلصنی «مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ» یعنی من مثل سوء عمله «وَ نَجِّنِی مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ» یعنی الذین ظلموا أنفسهم بالکفر بالله و استحقوا لذلک العقاب. و إنما دعت بالخلاص من عمل الکفار بأن سألت الله تعالی أن یلطف لها فی التمسک بالایمان، و ألا تعتر بتمکین الله لفرعون و کفار قومه و طول سلامته و سوابغ نعمته علیهم و الانس به لطول مخالطته و صحبته، فربما أفتنت من هذه الوجوه، فدعت بهذا لیلطف الله لها فی ذلک و تبقی علی التمسک بالایمان.

و قوله (وَ مَرْیَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ) یحتمل ان یکون عطفاً علی قوله (امرأة فرعون) فلذلک نصبه. و العامل (و ضرب) فکأنه قال: و ضرب مثلا مریم ابنت عمران، و یحتمل ان یکون نصباً علی تقدیر و اذکر أیضاً مریم بنت

عمران (الّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَها) فاحصان الفرج منعه من دنس المعصية يقال: أحصن يحصن إحصاناً، و منه الحصن الحصين، لأنه بناء منيع، و الفرس الحصان الذي يمنع من ركوبه إلا مقتدراً على تلک الحال، و امرأة حصان- بفتح الحاء- لأنها تمنع من لمس الحرام.
و قوله (فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا) قال قتادة معناه فنفخنا فی جيبها من روحنا و قال الفراء: كل شق فهو فرج فاحصنت فرجها منعت جيب درعها من جبرائيل عليه السلام و الظاهر انه أراد الفرج الذی يكنی عنه. و قوله (فيه) يعنی فی الفرج، فلذلک التبيان فی تفسير القرآن، ج10، ص: 55
ذكر فی الأنبياء (فيها) لأنه رده إلى التی أحصنت فرجها. و قيل: إن جبرائيل عليه السلام نفخ فی فرجها، فخلق الله- عز و جل- فيه المسيح (وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها) يعنی بما تكلم الله به، و أوحاه إلى أنبيائه و ملائكته (وَ كُتُبِهِ) أی و صدقت بكتبه التی أنزلها على أنبيائه. فمن قرأ (و كتبه) جمع لأنها كتب مختلفة. و من وحد ذهب إلى الجنس، و هو يدل على القليل و الكثير (وَ كانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ) و إنما لم يقل من القانتات لتغليب المذكر على المؤنث، فكأنه قال من القوم القانتين، فالقانت المقيم على طاعة اللّه. و قيل: معناه الداعی للّه فی كل حال، و قال الحسن: رفع اللّه آسية امرأة فرعون إلى الجنة، فهی تأكل و تشرب و تنعم فيها إلى يوم القيامة، فنجاها اللّه أكرم النجاة. و
روی عن النبی صلى اللّه عليه و آله انه قال (حسبک من نساء العالمين أربع: مريم ابنت عمران، و آسية امرأة فرعون، و خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد صلى اللّه عليه و آله)
و
روی أن فرعون امر أن تسمر آسية بأربع مسامير و يرفع فوقها حجر الرخام، فان رجعت عن قولها و إلا أرسل عليها الحجر فأراها اللّه منزلها من الجنة، فاختارت الجنة فنزع اللّه روحها، فلما أرسل الحجر وقع على جسد ميت.
التبيان فی تفسير القرآن، ج10، ص: 56

67-سورة الملک ..... ص: 56

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک و عطاء و غيرهم و هى ثلاثون آية فى الكوفى و البصرى و المدنى الاول واحد و ثلاثون فى المدنى الأخير و قال الفراء: سورة الملک تسمى المنجية لأنها تنجى قاريها من عذاب القبر و روى إن فى التوراة مثل (سورة الملک)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
تَبارَکَ الَّذِی بِيَدِهِ الْمُلْکُ وَ هُوَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ لِيَبْلُوَکُمْ أَيُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2) الَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ما تَری فِی خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَری مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ کَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْکَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ (4)
وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ وَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعِيرِ (5)
خمس آيات.
قرأ حمزة و الكسائى (من تفوّت) بتشديد الواو بلا ألف. الباقون (تفاوت) على وزن تفاعل. و معناهما واحد. و هو مثل: تصعر و تصاعر، و تعهد و تعاهد.
و التفاوت إختلاف التناقض، و هو تباعد ما بين الشيئين فى الصحة. و التباين التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 57
امتناع كل واحد من المعنيين ان يصح مع الآخر.
يقول اللّه تعالى مخبراً عن عظمته و علو شأنه (تَبارَکَ الَّذِی بِيَدِهِ الْمُلْکُ) فمعنى تبارک بأنه الثابت الذى لم يزل و لا يزال. و أصل الصفة من الثبوت من البرک و هو ثبوت الطائر على الماء. و منه البركة ثبوت الخير بنمائه. و قيل: معناه تعاظم بالحق من لم يزل و لا يزال، و هو راجع إلى معنى الثابت الدائم. و قيل:
المعنى تبارک من ثبوت الأشياء به إذ لولاه لبطل كل شىء لأنه لا يصح شىء سواه إلّا مقدوره او مقدور مقدوره، الذى هو القدرة، لان اللّه تعالى هو الخالق لها.
و قيل: إن معناه تبارک لان جميع البركات منه، إلا ان هذا المعنى مضمن فى الصفة غير مصرح به، و إنما المصرح به تعالى باستحقاق التعظيم.
و قوله (الَّذِی بِيَدِهِ الْمُلْکُ) معناه الذى يجب كونه قادراً و انه السلطان العظيم الذى كل ملک له، ليس من ملک إلا داخل فيه لان اللّه تعالى مالک الملوک، و مكنهم منها. و الملک هو اتساع المقدور لمن له السياسة و التدبير.
و قوله (وَ هُوَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِيرٌ) معناه إن الذى بيده الملک و السلطان القادر على كل شىء يصح ان يكون مقدوراً له و هو أخص من قولنا: و هو بكل شىء عليم، لأنه تعالى يعلم كل ما يصح أن يكون معلوماً فى نفسه، و لا يوصف بكونه قادراً إلا على ما يصح ان يكون مقدوراً له، لان مقدور

القدرة لا يصح أن يكون مقدوراً له، و كذلک ما تقضى وقته مما لا يبقى لا يصح ان يكون مقدوراً فى نفسه.
ثم وصف تعالى نفسه فقال (الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ) أى خلق الموت للتعبد بالصبر عليه، و الحياة للتعبد بالشكر عليها. و قيل: وجه خلق الموت و الحياة للابتلاء هو ما فيها من الاعتبار المؤدى إلى تثبيت قادر على الاضداد

فى كل حال من مجيئ الموت الذى ينقطع به استدراک ما فات، و مع التسوية بين الغنى و الفقير و الملک و السوقة فى الموت بما يقتضى قاهراً للجميع قد عمهم بحسن التدبير فقد أذل اللّه ابن آدم بالموت ليكون أبعد من الطغيان فى حال التمكين من العصيان.
و فى كون الموت معنى خلاف بين الشيخين: أبى، و أبى هاشم.
و قوله (لِيَبْلُوَكُمْ) معناه ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر و النهى فيجازى كل عامل على قدر عمله. و الابتلاء الاختبار. و قال الفراء و الزجاج: فى الكلام إضمار و تقديره ليبلوكم فيعلم أيكم، لأن حروف الاستفهام لا تشغل إلا بفعل يتعلق بالجملة على تقدير المفرد كقولک: علمت أزيد فى الدار أم عمرو، و تقديره و قد علمت ان أحدهما فى الدار (و عرفت، و نظرت) بمنزلة (علمت) فى هذا، لأنها توافقها فى (عرفت انه فى الدار) و (نظرت بقلبى انه فى الدار) و مثله (سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِکَ زَعِيمٌ) «1» أى سؤال من يطلب ان يعلم أيهم بذلک زعيم، و لو قلت اضرب أيهم ذهب لم يكن إلا نصباً، لأنه بمعنى الذى. و القديم تعالى و إن كان عالماً بالأشياء قبل كونها، فإنما يبتلى الخلق و يختبرهم اختبار من يطلب العلم، حتى يجازى على الفعل بحسبه، و لما كان لم يحسن الثواب و العقاب و التعظيم و الإجلال إلا بعد وجود الطاعة و المعصية لم يكن بدّ من التكليف، و الأمر و النهى فأجرى عليه الاختبار مجازاً.
و قوله (وَ هُوَ الْعَزِيزُ) فى انتقامه من أعدائه و الكافرين لنعمه، لا يقدر أحد على مغالبته و مقاهرته، غفور لمن تاب اليه، او إن يريد التفضل بإسقاط عقابه و لا يصح التكليف إلا مع الترغيب و الترغيب، لأن التمكين من الحسن و القبيح يقتضى ذلک، و التكليف تحميل المشقة فى الأمر و النهى.
ثم عاد إلى صفات نفسه فقال (الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً) أى انشأ

---

(1) سورة 68 القلم آية 40 [.....]

و اخترع سبع سموات واحدة فوق الأخرى (ما تَرى فِى خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ) يعنى من اختلاف و تناقض، و ذلک يدل على ان ما فيه تفاوت من الكفر و المعاصى ليس من خلق اللّه، لأنه نفى نفياً عاماً أن يكون فيما خلقه تفاوت. و تفاوت و تفوت مثل تصاعر و تصعر.

ثم نبه تعالى العاقل على صحة ما قاله من انه ليس في خلق اللّه تفاوت.
فقال (فَارْجِعِ الْبَصَرَ) أى فرد البصر و أدرها فى خلق اللّه من السموات (هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ) أى من شقوق و صدوع يقال: فطره يفطره، فهو فاطر إذا شقه و منه قوله (تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ) «1» أى يتصدعن. و قال ابن عباس:
معناه هل ترى من وهن، و قال قتادة: من خلل. و قال سفيان: من شقوق.
ثم أكد ذلک بقوله (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) أى دفعة ثانية، لان من نظر فى الشىء كرة بعد أخرى بان له ما لم يكن بايناً له.
ثم بين انه إذا فعل ذلک و تردد بصره فى خلق اللَّه انقلب اليه بصره و رجع اليه خاسئاً يعنى ذليلا صاغراً- فى قول ابن عباس- و ذلک كذلة من طلب شيئاً لم يجده و أبعد عنه «وَ هُوَ حَسِيرٌ» قال قتادة: معناه كالّ معيى، فالحسير الكليل، كما يحسر البعير.
ثم أقسم اللّه تعالى بقوله (وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا ...) لان لام (لقد) هى التى يتلقى بها القسم بأنه زين السماء أى حسنها و جملها أى السماء الدنيا بالمصابيح، يعنى الكواكب و سميت النجوم مصابيح لإضاءتها، و كذلک الصبح. و المصباح السراج و واحد المصابيح مصباح. قال قتادة: خلق اللّه تعالى النجوم لثلاث خصال: أحدها زينة السماء. و ثانيها رجوماً للشياطين. و ثالثها علامات يهتدى بها، فعلى هذا يكون

---

(1) سورة 19 مريم آية 91

تقديره و جعلنا فيها.
و قوله (وَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعِيرِ) معناه إنا جعلنا الكواكب رجماً للشياطين أعتدنا لهم و ادّخرنا لأجلهم عذاب السعير يعنى النار المسعّرة، فالسعير النار المسعرة المشتعلة. و قيل: ينفصل من الكواكب شهاب بأن يكون رجوماً للشياطين، فأما الكوكب نفسه، فليس يزول إلى أن يريد اللّه فناءه، ففى هذه الآيات بيان ما يجب من تعظيم اللّه تعالى لم يزل و لا يزال، و أن له الملک الكبير، و انه على كل شىء قدير. و فيها بيان ما يجب اعتقاده من أن جميع ما خلقه اللَّه فللابتلاء بما يصح معه التكليف للعمل الذى يوجب الثواب جزاء على الإحسان مع رحمة من تاب بالغفران و شدة الانتقام ممن أقام على معصيته. و فيها بيان ما يجب اعتقاده من أن جميع ما خلقه اللّه محكم لا تفاوت فيه، لأنه على ما تقتضيه الحكمة فى المتعة و العبرة و ما يصح به الزجر من السيئة. و فيها بيان ما يجب اعتقاده مما اقتضت الحكمة فيه التلاؤم من غير فطور، و لا عدول عن الصواب من أمر السموات و الأفلاک و النجوم، و ما خلق فيها من المصابيح زينة لها و رجوماً للشياطين مع ان عاقبتهم إلى عذاب السعير.

وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (6) إِذا أُلْقُوا فِيها سَمِعُوا لَها شَهِيقاً وَ هِيَ تَفُورُ (7) تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَ قُلْنا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ (9) وَ قالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ (10)
فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ (11)
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 61
ست آيات.
قرأ ابو جعفر و الكسائى (فسحقاً) بضم الحاء مثقل. الباقون بالتخفيف، و هما لغتان.
لما ذكر اللَّه تعالى ما أعد للشياطين من عذاب السعير، ذكر عقيبه وعيد الكفار و ما أعد لهم لاتصال ذلک بوعيد النار، فقال (وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) يعنى بتوحيد اللَّه و إخلاص عبادته و جحدوا نبوة رسله و ما جاءوا به (عَذابُ جَهَنَّمَ) ثم قال (وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ) أى بئس المآل و المرجع. و إنما وصفه ب (بئس) و هى من صفات الذم، و العقاب حسن، لما فى ذلک من الضرر الذى يجب على كل عاقل أن يتقيه بغاية الجهد و استفراغ الوسع و مع هذا ليس يخفى المراد فى ذلک على أحد.
و لا يجوز قياساً على ذلک أن يوصف به الفاعل، لأنه لا يوصف به الفاعل إلا على وجه الذم، لأنه لا يقال: بئس الرجل إلا لمن كان مستحقاً للذم من حيث أن القادر قادر على الضدين.
و وجه الحكمة فى فعل العقاب ما فيه من الزجر المتقدم للمكلف، و لا يمكن ان يكون مزجوراً إلا به و لولاه لكان مغرى بالقبيح.
ثم قال تعالى (إِذا أُلْقُوا فِيها) و معناه إذا طرح الكفار فى النار (سَمِعُوا لَها) يعنى للنار (شَهِيقاً) و صوتاً فظيعاً بنفس كالنزع، فإذا اشتد لهيب النار سمع لها ذلک الصوت كأنها تطلب الوقود، قال رؤبة:
حشرج فى الجوف سحيلا او شهق حتى يقال ناهق و ما نهق «1»

---

(1) مر فى 6/ 67
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 62
و قال ابو العالية: الشهيق فى الصدر، و الزفير فى الحلق و قوله (وَ هِيَ تَفُورُ) أى ترتفع، فالفور ارتفاع الشىء بالغليان، يقال: فارت القدر تفور فوراً و منه الفوارة لارتفاعها بالماء ارتفاع الغليان. و فار الدم فوراناً، و فار الماء يفور فوراً.

و قوله (تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ) أى تكاد النار تتفرق و تنقطع من شدتها، و سمى شدتها و التهابها غيظاً لأن المغتاظ هو المتقطع بما يجد من الألم الباعث على الإيقاع لغيره، فحال جهنم كحال المغتاظ، فالتميز التفرق و التمييز التفريق. و قال ابن عباس (تميز) أى تفرق، و هو قول الضحاک و ابن زيد.
و قوله (كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ) يعنى كلما طرح فى النار فوج من الكفار (سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) يعنى تقول لهم الملائكة الموكلون بالنار على وجه التبكيت لهم فى صيغة الاستفهام: أ لم يجئكم مخوف من جهة اللّه يخوفكم عذاب هذه النار؟! فيقولون فى جوابهم (بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ) أى مخوف معلم (فَكَذَّبْنا) و لم نصدقه و لم نقبل منه (وَ قُلْنا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ) مما تدعوننا اليه و تحذروننا منه فتقول لهم الملائكة (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِى ضَلالٍ كَبِيرٍ) أى لستم اليوم إلا فى عذاب عظيم.
(وَ قالُوا) أيضاً يعنى الكفار (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ) من النذر ما جاءونا به (أَوْ نَعْقِلُ) ما دعونا اليه و عملنا به (ما كُنَّا فِى أَصْحابِ السَّعِيرِ) فقال اللّه تعالى (فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ) يعنى أقر اهل النار بمعاصيهم فى ذلک الوقت الذى لم ينفعهم الاعتراف.
فالاعتراف هو الإقرار بالشىء عن معرفة، و ذلک ان الإقرار مشتق من قرّ الشىء يقرّ قراً إذا ثبت، فالمقر فى المعنى مثبت له و الاعتراف مأخوذ من المعرفة. فقال اللّه تعالى (فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ) أى بعداً لهم عن الخير و عن ثواب اللّه و نعمه، فكأنه قال اسحقهم اللّه سحقاً او ألزمهم اللّه سحقاً عن الخير فجاء المصدر على غير التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 63
لفظه، كما قال اللّه تعالى (وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً) «1» و تقديره فأسحقهم اللّه إسحاقاً لأنه مأخوذ منه فأما سحقته سحقاً فمعناه باعدته بالتفريق عن حال اجتماعه بما صار اليه كالغبار. و ليس لأحد أن يقول: ما وجه اعترافهم بالذنب مع ما عليهم من الفضيحة به؟! و ذلک أنهم قد علموا انهم قد حصلوا على الفضيحة اعترفوا او لم يعترفوا و انهم سواء عليهم أ جزعوا أم صبروا، فليس يدعوهم إلى أحد الأمرين إلا بمثل ما يدعوهم إلى الآخر فى أنه لا فرج فيه، فلا يصلح أن يقال لم جزعوا إلا بمثل ما يصلح أن يقال لم صبروا، و كذلک لم اعترفوا بمنزلة لم لم يعترفوا على ما بيناه. و الذنب مصدر لا يثنى و لا يجمع، و متى جمع فلاختلاف جنسه، كما يقال غطاء الناس و اغطيتهم.

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (12) وَ أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (13) أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14) هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِی مَناكِبِها وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ (15)

أربع آيات.

لما وصف اللَّه تعالى الكفار و ما أعده لهم من أليم العقاب، ذكر المؤمنين و ما أعده لهم من جزيل الثواب، فقال (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) أى يخافون عذاب ربهم باتقاء معاصيه و فعل طاعاته (بِالْغَيْبِ) أى على وجه الاستسرار بذلک

---

(1) سورة 17 نوح آية 17

لان الخشية متى كانت بالغيب على ما قلناه كانت بعيدة من النفاق، و خالصة لوجه اللَّه. و خشية اللَّه بالغيب تنفع بأن يستحق عليها الثواب، و الخشية فى الظاهر و ترک المعاصى لا يستحق بها الثواب و إنما لا يستحق عليها العقاب. و إنما الخشية فى الغيب أفضل لا محالة.

و قوله (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ) أى لمن خشى اللَّه و اتقاه بالغيب ستر اللَّه على معاصيه و لهم ثواب كبير لا فناء له. و قيل: معنى (يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ) أى يخافونه، و هم لا يرونه. و قيل (بالغيب) أى فى سرهم و باطنهم، و من علم ضمائر الصدور علم إسرار القائل إلى غيره. و قال الحسن: معناه يخشون ربهم بالآخرة لأنها غيب يؤمنون به، و كل من خشى ربه بالغيب خشيه بالشهادة، و ليس كل من خشيه بالشهادة يخشى بالغيب.

ثم قال مهدداً للعصاة (وَ أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ) و معناه إن شئتم أظهروه و إن شئتم ابطنوه فانه عالم بذلک لَ (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ) فمن علم ضمائر الصدور علم إسرار القول.

و قوله (أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) معناه من خلق الصدور يعلم ما فى الصدور و يجوز ان يكون المراد أ لا يعلم من خلق الأشياء ما فى الصدور. و قيل تقديره أ لا يعلم سر العبد من خلقه يعنى من خلق العبد، و يجوز أن يكون المراد أ لا يعلم سر من خلق، و حذف المضاف و أقام المضاف اليه مقامه. و لا يجوز أن يكون المراد ألا يعلم من خلق أفعال القلوب، لأنه لو أراد ذلک لقال ألا يعلم ما خلق، لأنه لا يعبر عما لا يعقل ب (من) و لا يدل ذلک على أن الواحد منا لا يخلق أفعاله من حيث أنه لا يعلم الضمائر، و إنا بينا أن المراد ألا يعلم من خلق الصدور أى خلق الأشياء و الواحد منا لا يخلق ذلک

فلا يجب أن يكون عالماً بالضمائر. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 65
و قوله (وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) معناه هو اللطيف بعباده من حيث يدبرهم بلطف التدبير، فلطيف التدبير هو الذى يدبر تدبيراً نافذاً لا يخفو عن شىء يدبره به (الخبير) معناه العالم بهم و بأعمالهم.
ثم قال تعالى ممتناً على خلقه و معدداً لأنواع نعمه عليهم (هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا) يعنى سهلا سهلها لكم تعملون فيها ما تشتهون (فَامْشُوا فِى مَناكِبِها) قال مجاهد: مناكبها طرقها و فجاجها. و قال ابن عباس و قتادة: مناكبها جبالها (وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) صورته صورة الأمر و المراد به الاباحة و الأذن، أذن اللَّه تعالى أن يأكلوا مما خلقه لهم و جعله لهم رزقاً على الوجه الذى أباحه لهم «وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ» أى إلى اللَّه المرجع يوم القيامة و اليه المآل و المصير فيجازى كل واحد حسب عمله. و فى ذلک تهديد.

أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِی السَّماءِ أَنْ یَخْسِفَ بِکُمُ الْأَرْضَ فَإِذا هِیَ تَمُورُ (16) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِی السَّماءِ أَنْ یُرْسِلَ عَلَیْکُمْ حاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ کَیْفَ نَذِیرِ (17) وَ لَقَدْ کَذَّبَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَکَیْفَ کانَ نَکِیرِ (18) أَ وَ لَمْ یَرَوْا إِلَی الطَّیْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ وَ یَقْبِضْنَ ما یُمْسِکُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمنُ إِنَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ بَصِیرٌ (19) أَمَّنْ هذَا الَّذِی هُوَ جُنْدٌ لَکُمْ یَنْصُرُکُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ إِنِ الْکافِرُونَ إِلاَّ فِی غُرُورٍ (20) أَمَّنْ هذَا الَّذِی یَرْزُقُکُمْ إِنْ أَمْسَکَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِی عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ (21)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 66

ست آیات.

قرأ ابن کثیر (و الیه النشور و أمنتم) بواو فی الوصل قلباً لهمزة الاستفهام واواً لضم ما قبلها. و قرأ اهل الکوفة و اهل الشام بهمزتین علی أصولهم. الباقون بتحقیق الأولی و تخفیف الثانیة.

یقول اللّه تعالی مهدداً للمکلفین و زاجراً لهم عن ارتکاب معاصیه و الجحد لربوبیته علی لفظ الاستفهام و المراد به تفخیم الامر و تعظیم التبکیت (أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِی السَّماءِ) فالأمن هو اطمینان النفس إلی السلامة من الخوف، و الأمن علم بسلامة النفس من الضرر یقال أمن یأمن أمناً و أمنه یؤمنه إیماناً و أماناً، و المعنی أ أمن من فی السماء سلطانه و أمره و نهیه. کما قال (وَ هُوَ اللَّهُ فِی السَّماواتِ وَ فِی الْأَرْضِ یَعْلَمُ سِرَّکُمْ وَ جَهْرَکُمْ) «1» أی و هو اللّه فی السموات و فی الأرض معلومه، لا یخفی علیه شیء منه. و قیل: ایضاً یجوز ان یکون المراد (أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِی السَّماءِ) یعنی الملک الکائن فی السماء (أَنْ یَخْسِفَ بِکُمُ الْأَرْضَ) بأمر اللّه، فإذا هی تمور أی تردد، فالمور هو التردد فی الذهاب و المجیء، یقال: مار یمور موراً فهو مائر، و مثله ماج یموج موجاً.

و قوله (أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِی السَّماءِ أَنْ یُرْسِلَ عَلَیْکُمْ حاصِباً) فالحاصب الحجارة التی یرمی بها کالحصباء، حصبه بالحصباء یحصبه حصباً إذا رماه بها. و یقال للذی یرمی به حاصب أی ذو حصب کأن الحجر هو الذی یحصب. و قیل: تقدیره آمنوا قبل ان یرسل علیکم حاصباً، کما أرسل علی قوم لوط حجارة من السماء.

و قوله (فَسَتَعْلَمُونَ کَیْفَ نَذِیرِ) فیه تهدید أی ستعرفون کیف تخویفی

---

(1) سورة 6 الانعام آیة 3

التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 67

و ترهیبی إن عصیتمونی إذا صرتم إلی عذاب النار. ثم قال مقسماً (وَ لَقَدْ کَذَّبَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أی جحد من قبل هؤلاء الکفار من الأمم وحدانیتی و

أشركوا بى غيرى فى العبادة و كذبوا رسلى (فأهلكتهم) و استأصلتهم (فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ) أى أ لم اهلكهم بضروب النقمات و المثلات.
ثم قال منبهاً لهم على توحيده (أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ) أى مصطفاة فوق رؤسهم فى الجو باسطات أجنحتهم (وَ يَقْبِضْنَ) أى يضربن بها.
أى من الطير ما يضرب بجناحيه فيدف، و منه الصفيف و الدفيف (ما يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمنُ) أى ليس يمنعهن من السقوط إلى الأرض إلا الرحمن الذى خلق لهم الآلات التى يصفون بها و يدفون، و ما خلق فيها من القدرة على ذلک، و لو لا ذلک لسقطت إلى الأرض. و قيل معنى ما يمسكهن إلا الرحمن بتوطئة الهواء لها، و لو لا ذلک لسقطت، و فى ذلک أكبر دلالة، و أوضح عبرة بأن من سخر الهواء هذا التسخير هو على كل شىء قدير. و الصف وضع الأشياء المتوالية على خط مستقيم، و القبض جمع الشىء من حال البسط. و الإمساک اللزوم المانع من السقوط.
و قوله (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) اخبار منه تعالى انه عالم بجميع الأشياء لا يخفى عليه شىء منها (بصير) بما للخلق من النفع و الضر. ثم قال (أَمَّنْ هذَا الَّذِى هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ) أى من لكم معاشر الكفار يدفع عنكم عذاب اللّه إذا حل بكم (إِنِ الْكافِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ) معناه ليس الكافرون باللّه العابدون للأوثان إلا فى غرور أى يتوهمون أن ذلک أنفع لهم و الأمر على خلاف ذلک من المكروه.
ثم قال (أَمَّنْ هذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَکَ) اللّه (رزقه) بأن يزيله و يمنعه منكم، فينزل عليكم رزقه (بَلْ لَجُّوا فِى عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ) فاللجاج تقحم الامر

كثيراً رداً للصارف عنه، يقال لجج فى الأمر يلج لجاجاً، و قد لاجه ملاجة و لجج فلان فى الحرب فهو يلج تلجيجاً. و لما كان لهؤلاء المشركين صوارف كثيرة من عبادة الأوثان و هم يتقحمون على ذلک العصيان كانوا قد لجوا فى عتوهم. و العتو الطغيان و هو الخروج الى فاحش الفساد، يقال: عتا يعتو عتواً فهو عات و جمعه عتاة. و النفور الخروج عن الشىء هرباً من الشعور بضرره، و نقيض النفور القبول و قال الجبائى: قوله (أَمَّنْ هذَا الَّذِى) إلى قوله (إِنْ أَمْسَکَ رِزْقَهُ) تعريف حجة عرفها اللّه لعباده فعرفوا و أقروا بها، و لم يردوا لها جواباً فقال اللّه (بَلْ لَجُّوا فِى عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ).

أَ فَمَنْ يَمْشِی مُکِبًّا عَلی وَجْهِهِ أَهْدی أَمَّنْ يَمْشِی سَوِيًّا عَلی صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (22) قُلْ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْکُرُونَ (23) قُلْ هُوَ الَّذِی ذَرَأَکُمْ فِی الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) وَ يَقُولُونَ مَتی هذَا الْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِينَ (25) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (26)

خمس آيات.

قوله (أَ فَمَنْ يَمْشِی ...) مثل ضربه اللَّه قال ابن عباس: هو مثل ضربه اللَّه عز و جل للكافر و شبهه بمن يمشی مكباً على وجهه. و المؤمن شبهه بمن يمشی سوياً على صراط مستقيم. و قال قتادة: الكافر يحشر يوم القيامة يمشی على وجهه مكباً، و المؤمن يمشی على صراط مستقيم. التبيان فی تفسير القرآن، ج10، ص: 69

و فی الآية دلالة على وجوب النظر فی الدين، لأنه تعالى ضرب المثل بالناظر فی ما يسلكه حتى خلص إلى الطريق المستقيم فمدحه بهذا و ذم التارک للنظر مكباً على وجهه لا يثق بسلامة طريقه، يقال: اكبّ يكبّ اكباباً فهو مكب فی ما لا يتعدى قال الأعشى:

مكباً على روقيه يحفر عرقها على ظهر عريان الطريقة أهيما «1»

.فإذا تعدى قيل: كببت فلاناً على وجهه، و أكبه اللَّه لوجهه. ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله (قُلْ) لهؤلاء الكفار إن اللَّه تعالى (هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ) بأن أخرجكم من العدم إلى الوجود و اخترعكم (وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ) تسمعون بالسمع المسموعات و تبصرون بالبصر المبصرات (وَ الْأَفْئِدَةَ) يعنى القلوب تعقلون فيها أی بما فيها من المعلوم تعلمون بها و تميزون بها، فهذه نعم من اللَّه تعالى يجب عليكم أن تشكروها و تحمدوا اللَّه عليها فأنتم (قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ) أی قليلا شكركم، و يجوز أن يكون المعنى إنكم تشكرون قليلا.

ثم قال (قُلْ) لهم يا محمد (هُوَ) اللَّه تعالى (الَّذِی ذَرَأَکُمْ فِی الْأَرْضِ) أی خلقكم أولا و أوجدكم (وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) أی تبعثون اليه يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم على الطاعة بالثواب و على المعصية بالعقاب. ثم حكى تعالى ما كان يقوله الكفار فإنهم كانوا (يَقُولُونَ) مستهزئين مكذبين بأنه من عند اللَّه (مَتی هذَا الْوَعْدُ) الذی تعدوننا به من العذاب و الهلاک (إِنْ کُنْتُمْ صادِقِينَ) معاشر المؤمنين و المسلمين، فقال اللَّه تعالى (قُلْ) لهم يا محمد (إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ) يعنى علم وقت قيام الساعة على اليقين عند اللَّه لم يطلع عليه احداً من البشر، كما قال (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) «2» (وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ) لكم مخبر مخوف من عقاب اللَّه تعالى

(1) ديوانه (دار بيروت) 188
(2) سورة 31 لقمان آية 34
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 70
(مُبِينٌ) ما لكم فيه من الصلاح و النجاة من العقاب. و النذير هو الدال على موضع المخافة فكل من دعا إلى حق إما رغبة أو رهبة فهو نذير إلا انه صار علماً فى صفات الأنبياء عليهم السلام.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ قِيلَ هذَا الَّذِی كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (27) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ وَ مَنْ مَعِیَ أَوْ رَحِمَنا فَمَنْ يُجِيرُ الْكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ (28) قُلْ هُوَ الرَّحْمنُ آمَنَّا بِهِ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِی ضَلالٍ مُبِينٍ (29) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ (30)

أربع آيات.

قرأ يعقوب (تدعون) خفيفة. الباقون بالتشديد. و قرأ الكسائی (فسيعلمون من هو) بالياء على الغيبة. الباقون بالتاء على الخطاب، أی قل لهم.

لما حكى اللّه تعالى عن الكفار أنهم استبطئوا عذاب اللّه و إهلاكه لهم مستهزئين بذلک، فقالوا متى هذا الوعد، قال اللّه تعالى حاكياً عنهم إذا رأوا ما يوعدون به (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً) قال الحسن: معناه معاينة. و قال مجاهد: يعنى قريباً. و الزلفة المنزلة القريبة و الأصل فيه القرب، يقال: أزدلف اليه ازدلافاً إذا تقرب اليه، و منه (مزدلفة) لأنها منزلة قريبة من مكة، و جمع زلفة زلف، قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا طیّ اللياالی زلفا فزلفا

سماوة الهلال حتى احقوقفا «1»

و قوله «سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا»، أی ظهر فيها ما يفهم من الكآبة و الحزن تقول: ساء يسوء سوءا، و منه السوائی، و منه أساء يسیء إساءة، فهو مسیء إذا فعل قبيحاً يؤدی إلى الغم «وَ قِيلَ هذَا الَّذِی كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ» أی و يقال لهؤلاء الكفار إذا شاهدوا العذاب «هذَا الَّذِی كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ» أی تطلبون به خلاف ما وعدتم به على طريق التكذيب بالوعد، كأنه قيل هذا الذی كنتم به تكذبون فی ادعائكم انه باطل. و الادعاء الاخبار بما يوعد اليه القائل دون المعنى، فإذا ظهر دليله خرج من الادعاء لأنه حينئذ يدعو إليه المعنى، و كذلک الاخبار بما يدعو إلى نفسه فی الفعل ليس بدعوى، قال الزجاج: «تدّعون» يجوز ان يكون يريد يفعلون من الدعاء، و يجوز أن يكون من الدعوى، قال الفراء: و التشديد و التخفيف واحد مثل تذكرون و تذكرون و تدخرون و تدخرون.

ثم قال للنبى صلى الله عليه و آله «قُلْ» لهم يا محمد «أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ وَ مَنْ مَعِیَ» بان يميتنا «أَوْ رَحِمَنا» بتأخير آجالنا ما الذی ينفعكم من ذلک فی رفع العذاب الذی استحققتموه من اللّه فلا تعللوا فی ذلک بما لا يغنى عنكم شيئاً. و قيل إن الكفار كانوا يتمنون موت النبى و موت أصحابه فقيل لهم «أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ» باماتتی و إماتة اصحابی فما الذی

ينفعكم ذلک فى النجاة من عذاب أليم. و قل لهم «فَمَنْ» الذى «يُجِيرُ الْكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ» حتى لا يعذبوا و لا يعاقبوا، فلا يمكنهم الاحالة على من يجيرهم من اللّه و يخلصهم من عذابه.
ثم قال «قُلْ» لهم على وجه الإنكار عليهم و التوبيخ لهم على فعلهم «هُوَ الرَّحْمنُ» يعنى اللّه تعالى هو الذى عمت نعمه جميع الخلائق و استحق الوصف بالرحمن

---

(1) مر فى 6/ 79 و 8/ 29 و 9/ 280، 370

«آمَنَّا بِهِ» أى صدقنا بوحدانيته «وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنا» أى اعتمدنا عليه و فوضنا أمورنا اليه، فالتوكل الاعتماد على تفضل اللّه و حسن تدبيره و قل لهم «فَسَتَعْلَمُونَ» معاشر الكفار «الرَّحْمنُ» الذى «هُوَ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ» أى بين. و من قرأ بالياء معناه فسيعلم الكفار ذلک.
ثم قال «قُلْ» لهم يا محمد «أَ رَأَيْتُمْ» معاشر الكفار «إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً» أى غائراً وصف الغائر بالغور الذى هو المصدر مبالغة، يقال ماء غور، و ماءان غور، و مياه غور كما يقال: هؤلاء زور فلان و ضيفه، لأنه مصدر- فى قول الفراء و غيره- «فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ» معناه من الذى يجيئكم بماء معين إذا غارت مياهكم. قال قوم:
الماء المعين الذى تراه العيون. و قال قتادة و الضحاک: هو الجارى، فالأول مفعول من العين، كمبيع من البيع، و الثانى من الإمعان فى الجرى، و وزنه (فعيل) كأنه قال ممعن فى الجرى و الظهور، و قال الحسن أصله من العيون. قال الجبائى قوله «قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً» تعريف حجة اللّه لعباده عرفوها و أقروا بها و لم يردوا لها جواباً.

68-سورة القلم ..... ص: 73

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک و غيرهما و هى اثنتان و خمسون آية بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ (1) ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّکَ بِمَجْنُونٍ (2) وَ إِنَّ لَکَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَ إِنَّکَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)
فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ (5) بِأَيِّکُمُ الْمَفْتُونُ (6) إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (7) فَلا تُطِعِ الْمُکَذِّبِينَ (8) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9)
وَ لا تُطِعْ کُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِکَ زَنِيمٍ (13) أَنْ کانَ ذا مالٍ وَ بَنِينَ (14)
إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (15) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (16)
ست عشرة آية.
قرأ الكسائى و ابو بكر عن عاصم «ن و القلم» بالإخفاء. الباقون بالإظهار.
و الاظهار أقوى، لان النية بها الوقف إذ هى حرف هجاء. و يجوز ادغام النون

فى الواو المقارنة على قياس (من واقد) و لم يقرأ به احد. و قرأ «آن كان ذا مال» بهمزة واحدة ممدودة يعقوب و ابو جعفر و ابن عامر- و بهمزتين- حمزة و ابو بكر، الباقون بهمزة واحدة. و اختلفوا فى معنى (ن) فى هذا الموضع.
فقال قوم: هو اسم من أسماء السورة مثل (حم، و الم و ص، و ق) و ما أشبه ذلک. و هو الذى قلنا إنه أقوى الأقوال. و قال ابن عباس- فى رواية عنه- إن النون الحوت الذى عليه الأرضون. و فى رواية أخرى عنه إن النون الدواة.
و هو قول الحسن و قتادة، و
روى فى خبر عن النبى صلى اللَّه عليه و آله انه قال: (نون) لوح من نور.
و قال قوم: تقديره و رب نون و القلم. و القلم آلة مبرية للكتابة. و المقلمة وعاء القلم، و جمعه أقلام، و منه قلامة الظفر، لأنه يؤخذ منه كالأخذ بالقط. و انجرّ القلم بالقسم. و قوله «وَ ما يَسْطُرُونَ» (ما) فى موضع جر بالعطف على (و القلم) و كان القسم بالقلم و ما يسطر بالقلم، و يجوز ان تكون (ما) مصدرية، و تقديره: ن و القلم و سطركم، فيكون القسم بالكتابة، و على الأول بالمكتوب و السطر الكتابة، و هو وضع الحروف على خط مستقيم: سطر يسطر سطراً إذا كتب، و أسطر إذا كتب.
و جمع السطر سطور و اسطار، قال رؤبة:
انى و أسطار سطرن سطراً «1»
و المسطرة آلة التسطير. و قوله «ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّکَ بِمَجْنُونٍ» هو

المحلوف عليه، و هو جواب القسم، و معناه لست يا محمد بمجنون بنعمة ربک، كما تقول ما انت بنعمة ربک بجاهل، و جاز تقديم معمولها بعد الباء، لأنها زائدة مؤكدة فى ما أنت بنعمة ربک بمجنون، و تقديره انتفى عنک الجنون بنعمة ربک، و إنما قال «ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّکَ بِمَجْنُونٍ» مع ان الجنة قد تكون نعمة، لأن الجنة لا تكون

---

(1) مر فى 4/ 110

نعمة من حيث هى جنة، و إنما تكون نعمة من حيث تؤدى إلى مصلحة فى الدين.

و العافية تكون نعمة من حيث هى عافية، فلهذا حسن ما أنت بنعمة ربک بمجنون و الجنون غمور العقل بستره عن الإدراک به بما يخرج عن حكم الصحيح، و أصله الستر من قوله «جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ» «1» إذا ستره. و قيل إن قوله «ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّکَ بِمَجْنُونٍ» جواب لقول المشركين حين قالوا «يا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّکَ لَمَجْنُونٌ» «2» فقال اللَّه تعالى «ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّکَ بِمَجْنُونٍ».

و قوله «و إن لک» خطاب للنبى صلى اللَّه عليه و آله يقول له «وَ إِنَّ لَکَ» يا محمد «لَأَجْراً» أى ثواباً من اللَّه على قيامک بالنبوة و تحملک بأعبائها «غَيْرَ مَمْنُونٍ» أى غير مقطوع من قولهم منه السير يمنه مناً إذا قطعه، و يقال: ضعفت منتى عن السفر، و رجل منين أى ضعيف، و يجوز ان يكون المراد به إنه غير مكدر بالمن الذى يقطع عن لزوم الشكر، من قولهم: المنة تكدر الصنيعة. و قال الحسن: معناه لا يمن عليک بأجرک. ثم وصف النبى صلى اللَّه عليه و آله فقال «وَ إِنَّکَ» يا محمد «لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ» قال الحسن: على دين عظيم، و هو الإسلام. و قيل أدب القرآن. و قال المؤرج: معناه على دين عظيم بلغة قريش. و قالت عائشة: كانت خلق النبى صلى اللَّه عليه و آله ما تضمنه العشر الاول من سورة (المؤمنون)، فالخلق المرور فى الفعل على عادة، فالخلق الكريم الصبر على الحق و سعة البذل، و تدبير الأمور على مقتضى العقل. و فى ذلک الرفق و الأناة و الحلم و المداراة. و من وصفه اللَّه بأنه على خلق عظيم فليس وراء مدحه مدح. و قيل: و إنک لعلى خلق عظيم بحكم القرآن و كل ذلک عطف على جواب القسم.

و قوله «فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ» معناه فستعلم يا محمد يوم القيامة و يعلمون، يعنى هؤلاء الكفار الذين يرمونک بالجنون تارة و بالكهانة أخرى «بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ»

---

(1) سورة 6 الانعام آية 76

(2) سورة 15 الحجر آية 6
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 76
و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- باى فرقكم المفتون بما يجرى مجرى الجنون.
و الثانى- ان يكون معنى «بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ» كما يقال: ليس له معقول أى عقل و تقديره ستعلم و يعلمون بمن منكم الجنون، و قيل: معنى الباء (فى) و كأنه قال فى أيكم الجنون المفتون المبتلى بتخييل الرأى كالمجنون، و ذلک كما يبتلى بشدة الهوى المجنون. فيقال: فتن فلان بفلانة، و على هذا المعنى قال ابن عباس: بأيكم المجنون و قال قتادة: معناه أيكم اولى بالشيطان جعل الباء زائدة كما قال الراجز:
نحن بنو جعدة اصحاب الفلج نضرب بالسيف و نرجو بالفرج «1»
و معناه و نرجو الفرج. و قال مجاهد: معناه أيكم المفتون كأنه قال فى أيكم المفتون. ثم قال «إِنَّ رَبَّکَ يا محمد هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» الذى هو سبيل الحق أى بمن عدل عنها و جار عن السلوک فيها «وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» أى بمن اهتدى اليها و عمل بموجبها. ثم نهى النبى صلى اللّه عليه و آله فقال له «فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ» بتوحيد اللّه و الجاحدين لنبوتک و لا توافق ما يريدونه. و قوله «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» قال ابن عباس: معناه ودوا لو تكفر فيكفرون، و هو قول الضحاک، و فى رواية أخرى عن ابن عباس: إن معناه ود هؤلاء الكفار لو تلين فى دينک، فيلينون فى دينهم، فشبه التليين فى الدين بتليين الدهن. و قيل: معناه ودوا لو تركن إلى عبادة الأوثان فيمالونک. و الادهان الجريان فى ظاهر الحال على المقاربة مع إضمار العداوة. و هو مثل النفاق. و رفع «فَيُدْهِنُونَ» بالعطف على قوله «لَوْ تُدْهِنُ» و لم يجعله جواب التمنى.
ثم قال له صلى اللّه عليه و آله «وَ لا تُطِعْ» يا محمد «كُلَّ حَلَّافٍ» أى من يقسم كثيراً

---

(1) مر فى 7/ 118، 358 و 8/ 81
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 77
بالكذب «مَهِينٍ» يعنى مكثار فى الشر- فى قول الحسن و قتادة- و المهين الوضيع بإكثاره من القبيح، و من عرف بأنه يحلف على الكذب، فهو مهين. و قال البلخى:
المهين الفاجر- فى هذا الموضع-.
و قوله «هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ» أى وقاع فى الناس بما ليس له أن يعيبهم به.
و الأصل فيه الدفع بشدة اعتماد، و منه الهمزة حرف من حروف المعجم، و هى همزة تخرج من الصدر بشدة اعتماد، و قال ابن عباس: الهماز المغتاب.
و قوله «مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ» فالنميم التضريب بين الناس بنقل الكلام يغلظ لقلوب

بعضهم على بعض ً و منه النمام المشموم، لأنه يجد ريحه كالمخبر عن نفسه، و النميم و النميمة مصدران، و هو نقل الأحاديث بالتضريب: نم ينم نميماً و نميمة «مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ» أى يمنع خيره و نفعه، فلا ينتفع أحد به «مُعْتَدٍ» قال قتادة: معناه متجاوز للحد فى المعاملة «أَثِيمٍ» أى آثم فهو (فعيل) بمعنى (فاعل) و هو الذى فعل ما يأثم به «عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ» فالعتل الجافى الغليظ. و منه قوله «خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلى سَواءِ الْجَحِيمِ» «1» أى اذهبوا به بعنف و غلظة يقال: عتله يعتله و يعتلَه عتلا إذا زعزعه بغلظ و جفاء. و قال ذو الإصبع:
و الدهر يغدو معتلا جذعاً «2»
و
قيل: العتل الفاحش اللئيم. و روى عن النبى صلى اللَّه عليه و آله ذلك.
و «الزنيم» الدعى و هو الملصق بالقوم، و ليس منهم. و أصله الزنمة و هى الهينة التى تتحرك تحت حلق الجدى و قال حسان:
و انت زنيم نيط فى آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد «3»

---

(1) سورة 44 الدخان آية 47
(2) مجاز القرآن 2/ 264
(3) ديوانه 160 اللسان (زنم) [.....]

و (بعد) هاهنا معناه (مع) و قال آخر:
زنيم ليس يعرف من أبوه بغى الأم ذو حسب لئيم «1»
و يقال للتيس: زنيم له زنمتان، و الزنيم الدعى- عن ابن عباس- و قيل: هو الذى يعرف بالشر، كما تعرف الشاة بزنمتها.
و قوله «أَنْ كانَ ذا مالٍ وَ بَنِينَ» من قرأ على الاستفهام، و هو حمزة و ابو بكر عن عاصم أراد، ألان كان ذا مال و بنين؟! على وجه التوبيخ له «إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» و يحتمل ان يكون المراد لأن كان ذا مال و بنين يطاع. و قيل: كان له ألف دينار و عشرة بنين «إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى أحاديث الأولين التى سطرت و كتبت لا أصل لها و واحد الأساطير أسطورة- فى قول الزجاج. و قرأ حمزة و ابو بكر عن عاصم «أ أن كان ذا مال و بنين» بهمزتين. و قرأ ابن عامر بهمزة ممدودة. الباقون بهمزة واحدة. و قد فسرناه. فقال اللَّه تعالى مهدداً له و متوعداً «سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ» أى سنعلم على أنفه علامة يعرف بها الملائكة انه من أهل النار، فالسمة العلامة المفرقة بالرؤية بين الأشياء المختلطة، كسمة الخيل إذا أرسلت فى المروج، و سمه يسمه وسماً و سمة.
فهو موسوم. و الخرطوم الانف، و هو الناتئ فى الوجه الذى يقع به الشم. و منه خرطوم الفيل، و خرطمه إذا قطع أنفه و جعله خراطيم. و قال ابن

عباس: معنى «سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ» نحطمه بالسيف فى القتال، كما فعل بهم يوم بدر. و قال قتادة: معناه سنعلمه بشىء يبقى على الأبد. و قال بعضهم معناه: سنسوّد وجهه فعبر عن الوجه بالخرطوم، لأنه فيه.
و قيل: نزلت هذه الآيات فى الوليد بن المغيرة المخزومى، و قيل: نزلت

---

(1) تفسير الطبرى 29/ 14 و القرطبى 18/ 234
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 79
فى الأخنس بن شريق الثقفى، كانت به زنمة يعرف بها- ذكره ابن عباس-

إِنَّا بَلَوْناهُمْ كَما بَلَوْنا أَصْحابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ (17) وَ لا يَسْتَثْنُونَ (18) فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّکَ وَ هُمْ نائِمُونَ (19) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (20) فَتَنادَوْا مُصْبِحِينَ (21)
أَنِ اغْدُوا عَلى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صارِمِينَ (22) فَانْطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخافَتُونَ (23) أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (24) وَ غَدَوْا عَلى حَرْدٍ قادِرِينَ (25)
تسع آيات.
يقول اللَّه تعالى «إِنَّا بَلَوْناهُمْ» يعنى هؤلاء الكفار أى اختبرناهم «كَما بَلَوْنا أَصْحابَ الْجَنَّةِ» يعنى البستان «إِذْ أَقْسَمُوا» أى حين اقسموا فيما بينهم «لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ» و وجه الكلام إنا بلونا أهل مكة بالجدب و القحط، كما بلونا اصحاب الجنة بهلاک الثمار التى كانت فيها حين
دعا النبى صلى اللَّه عليه و آله عليهم، فقال (اللهم أشدد وطأتک على مضر و اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف)
فالبلوى المحنة بشدة التعبد على ما يقتضيه الحال فى صحة التكليف. و الصرم قطع ثمر النخل: صرم النخلة يصرمها صرماً، فهو صارم، و منه الصريمة القطيعة عن حال المودة. و هم عشرة أولاد كانوا لرجل من بنى إسرائيل، و كان يأخذ من بستانه كفاية سنته و يتصدق بالباقى، فقال أولاده: ليس يكفينا، و حلفوا أنهم يصرمون بستانهم ليلا و ابى عليهم أبوهم، فأقسموا أنهم ليصرمون ثمر نخل البستان إذا أصبحوا، و لم يستثنوا، و معناه لم يقولوا إن شاء اللَّه فقول القائل: لأفعلن كذا إلا أن يشاء اللَّه استثناء و معناه إن شاء اللَّه منعى او تمكين مانعى، فقال اللَّه تعالى «فَطافَ عَلَيْها» يعنى على التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 80
تلک الجنة «طائِفٌ مِنْ رَبِّکَ» أى طرقها طارق من أمر اللَّه، فالطائف الطارق ليلا، فإذا قيل أطاف به صلح فى الليل و النهار، و انشد الفراء:
أطفت به نهاراً غير ليلى و الهى ربها طلب الرخال «1»
الرخال أولاد الضان واحدها رخل و فى الأنثى رخلة «وَ هُمْ نائِمُونَ» أى فى حال نومهم «فَأَصْبَحَتْ» يعنى الجنة «كَالصَّرِيمِ» أى كالليل الأسود- فى قول ابن عباس- و انشد ابو عمرو بن العلا:
ألا بكرت و عاذلى تلوم تجهلنى و ما انكشف الصريم «2»
و قال:
تطاول ليلک الجون البهيم فما ينجاب عن صبح صريم
إذا ما قلت اقشع او تناهى جرت من كل ناحية غيوم «3»
و قال قوم: الصريم هو المصروم، و قال سعيد بن جبير: الصريم أرض معروفة باليمين لا نبات فيها تدعى صروان، و إنما قيل لليل صروم، لأنه

يقطع بظلمته عن التصرف فى الأمور. و قيل: إنما فعل اللّه بهم ذلک لأنهم منعوا الحقوق اللازمة من ثمار هذه الجنة. و الصرم قطع الثمر. و الصريم المصروم جميع ثماره.
و قوله «فَتَنادَوْا مُصْبِحِينَ» اخبار عن حالهم أنهم لما أصبحوا نادى بعضهم بعضاً يا فلان يا فلان، و التنادى دعاء بعض الناس بعضاً بطريقة يا فلان و أصله من الندى بالقصر، لأن النداء الدعاء بندى الصوت الذى يمتد على طريقة يا فلان، لان الصوت إنما يمتد للإنسان بندى حلقه. و النادى مجلس الرفد و هو الندى «أَنِ اغْدُوا عَلى حَرْثِكُمْ» أى نادى بعضهم بعضاً بأن اغدوا، او قالوا: «اغْدُوا عَلى حَرْثِكُمْ» و الحرث الزرع الذى قد حرثت له الأرض، حرث يحرث حرثاً و الحراث

(1، 2، 3) تفسير الطبرى 19/ 17 و اللسان (صرم)

الذى يحرث الأرض، و منه الحارث، و منه الحرث، كناية عن الجماع. و يقال: احترث لأهله إذا اكتسب بطلب الرزق، كما يطلب الحراث «إِنْ كُنْتُمْ صارِمِينَ» أى قاطعين لثماركم، فالصارم قاطع ثمر الشجر على الاستئصال. و اكثر ما يستعمل ذلک فى النخل، و يجوز فى الشجر، و أصله القطع. و قد تصرم النهار إذا مضى قطعة قطعة حتى انقضى. و قيل: معناه إن كنتم حاصدين زرعكم. ثم قال «فَانْطَلَقُوا» أى ذهبوا، و هم «يَتَخافَتُونَ» فالتخافت التقابل فى إخفاء الحركة، و أصله الخفاة من خفت فلان يخفت إذا أخفى نفسه و معناه- هاهنا- يتسارون بينهم «ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين» فى- قول قتادة- و قوله (وَ غَدَوْا عَلى حَرْدٍ) فالحرد القصد، حرد يحرد حرداً فهو حارد. قال الشاعر:

اقبل سيل جاء من أمر اللّه يحرد حرد الجنة المغلة «1»

أى يقصد، و قال الحسن: معناه على جهة من الفاقة. و قال مجاهد: معناه على جد من أمرهم، و هو قول قتادة و ابن زيد. و قال سفيان: معناه على حنق، و ذلک من قول الأشهب بن رميلة:

اسود شرى لاقت اسود خفية فساقوا على حرد دماء الأساود «2»

أى على غضب. و قيل: معناه على منع من قولهم حاردت السنة إذا منعت قطرها، و حاردت الناقة إذا منعت لبنها. و الأصل القصد.
و قوله (قادِرِينَ) معناه مقدرين انهم يصرمون ثمارهم، و يجوز ان يكون المراد و غدواً على حرد قادرين عند أنفسهم على صرام جنتهم.

---

(1) مر فى 6/ 217
(2) اللسان (حرد)

فَلَمَّا رَأَوْها قالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (26) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27) قالَ أَوْسَطُهُمْ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لا تُسَبِّحُونَ (28) قالُوا سُبْحانَ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ (29) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (30)
قالُوا يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا طاغِينَ (31) عَسى رَبُّنا أَنْ يُبْدِلَنا خَيْراً مِنْها إِنَّا إِلى رَبِّنا راغِبُونَ (32) كَذلِكَ الْعَذابُ وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (33)
ثمان آيات.
يقول اللَّه تعالى مخبراً إن أولئک الكفار بنعم اللَّه لما نادى بعضهم بعضاً و انطلقوا إلى صرم ثمارهم و تساروا ألا يدخل عليهم مسكين يطلب منهم (فَلَمَّا رَأَوْها) أى حين جاءوا وجدوا البستان كالليل الأسود قالوا أهلكه اللَّه و طرقه طارق من أمر اللَّه فأهلكه، فلما رأوا تلک الجنة على تلک الصورة (قالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ) أى اعترفوا بأنهم قد عدلوا عن طريق الحق و جازوا عن سبيل الواجب و ذهبوا عن طريق الرشاد. ثم استدركوا فقالوا (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) ما كان لنا فى جنتنا، و تقديره إنا لضالون عن الحق فى أمرنا فلذلک عوقبنا بذهاب ثمرها، و الضلال الذهاب عن طريق الرشاد إلى طريق الهلاک بالفساد. و الحرمان منع الخير الذى كان ينال لو لا ما حدث من سبب الانقطاع، يقال: حرمه يحرمه حرماناً فهو محروم فى خلاف المرزوق. و قال قتادة: معنى قوله (إِنَّا لَضَالُّونَ) أى اخطأنا الطريق ما هذه جنتنا، فقال بعضهم لبعض (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) و قوله (قالَ أَوْسَطُهُمْ) معناه قال أعدلهم قولا- فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة و الضحاک- و الأوسط التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 83
الكائن بين الأكبر و الأصغر. و المراد هاهنا بين الأكبر و الأصغر فى الخروج عن القصد (أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ) على وجه التهجين لهم أما قلت لكم (لَوْ لا تُسَبِّحُونَ) أى هلا تستثنون، و التسبيح التنزيه للَّه عما لا يجوز عليه من صفة، و هو التنزيه عن كل صفة ذم و نقص، فلذلک جاز أن يسمى الاستثناء بأن يشاء اللَّه تسبيحاً. و قيل معناه لو لا تصلون.
ثم حكى انهم (قالُوا سُبْحانَ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ) و معناه إنهم اعترفوا أن اللَّه لم يظلمهم و انهم ظلموا أنفسهم فى عزمهم على حرمان المساكين من حصتهم عند الصرام من غير استثناء، فحرموا قطعها و الانتفاع بها.
ثم قال (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ) أى يلوم بعضهم بعضاً و يذم بعضهم بعضاً. ثم (قالُوا يا وَيْلَنا) و الويل غلظ المكروه الشاق على النفس، و الويس دونه، و الويح وسط بينهما، و إنما نودى بالويل بياناً عن حال الشدة، كأنه يقول يا ويل تعال فانه من أحيانک (إِنَّا كُنَّا طاغِينَ) أى علونا فى الظلم و تجاوزنا الحد فيه، فالطغيان العلو فى الظلم و الداعى اليه طلب

الارتفاع بغير استحقاق بالقهر و الاعتصاب. و قيل: الطاغى المتجاوز للحد فى الفساد. و قال عمرو بن عبيد: يجوز أن يكون ذلک منهم توبة و إيماناً، و يجوز أن يكون ذلک على حد ما يقول الكافر إذا وقع فى الشدة. ثم قالوا (عَسى رَبُّنا أَنْ يُبْدِلَنا خَيْراً مِنْها) أى لما تابوا و رجعوا إلى اللَّه قالوا لعل اللَّه تعالى يخلف علينا و يولينا خيراً من الجنة التى هلكت (إِنَّا إِلى رَبِّنا راغِبُونَ) أى نرغب اليه و نسأله و نتوب اليه مما فعلناه. فالتبديل تثبيت شىء مكان غيره مما ينافيه، بدّله تبديلا فهو مبدل. و مثله التغير إلا أن التبديل لا يكون إلا فى شيئين و التغير قد يكون للشىء الواحد.
و قرئ بالتشديد و التخفيف، فالتخفيف من الابدال، و التشديد من التبديل

و معناهما واحد.
و قوله (كَذلِکَ الْعَذابُ) معناه مثل ما فعلنا بهؤلاء هذا العذاب عاجلا فى دار الدنيا. ثم قال (وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) إن هناک عقاباً و عذاباً. و خير من كذا أى أعظم نفعاً منه و أحسن فى العقل، و مثله الأصلح و الاولى و الأجل، و الأكبر هو الذى يصغر مقدار غير عنه بالاضافة اليه. و قد يكون أكبر شأناً و اكبر شخصاً.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (34) أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (37) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ (38)
أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ (39) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ (40)
سبع آيات لما اخبر اللَّه تعالى ما حل بالكفار، و ما هو معد لهم فى الآخرة أخبر بما للمؤمنين من أهل الطاعات، فقال (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ) يعنى للذين أمنوا عقاب اللَّه باتقاء معاصيه و فعل طاعاته (عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) أى بساتين يتنعمون فيها و يتلذذون بها.
ثم قال على وجه الإنكار على الكفار و انه لا يسوى بينهم و بين المؤمنين فقال (أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ) الذين أسلموا للَّه و انقادوا لطاعته و امتثلوا ما أمرهم به (كَالْمُجْرِمِينَ) أى مثل من عصاه و خرج عن طاعته و ارتكب ما نهاه عنه؟! فهذا لا يكون أبداً.
و قوله (ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) تهجين لهم و توبيخ. و معناه أعلى حال الصواب أم التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 85
على حال الخطاء؟ و على حال الرشاد أم الغى، فعلى أى حال تحكمون فى الأحوال التى تدعون إلى الفعل أحال الباطل أم حال الحق؟ و قوله (أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ) معناه أ لكم كتاب تدرسون فيه خلاف ما قد قامت عليكم الحجة به فأنتم متمسكون به و لا تلتفتون إلى خلافه؟! و ليس الأمر على ذلك فإذ قد عدمتم الثقة بما أنتم عليه، و فى هذا عليكم أكبر الحجة و أوكد الموعظة، لأن الكتاب الذى تقوم به الحجة حتى لا يجوز خلافه إلى أن تقوم الساعة هو الذى تشهد له المعجزة من غير اجازة نسخ له فى حال ثانية، و هو القرآن الذى فيه معنى الاعجاز من غير نسخ له فيما بعد فى باقى الزمان.
و قوله (إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ) يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون تقديره أم لكم كتاب فيه تدرسون بأن لكم ما تخيرون إلا انه حذفت الباء و كسرت (إن) لدخول اللام فى الخبر.
الثانى- أن يكون ذلك خرج مخرج التوبيخ، و تقديره و إن لكم لما تخيرون عند أنفسكم، و الأمر بخلاف ظنكم، لأنه لا يجوز ان يكون ذلك خبراً مطلقاً.
و قوله (أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ) كسرت (إن) لدخول اللام فى الخبر، و الحكم خبر بمعنى يفصل الأمر على جهة القهر و المنع و أصله المنع من قول الشاعر:
ابنى حنيفة احكموا سفهاءكم إنى أخاف عليكم ان اغضبا «1»

أى امنعوهم. و منه الحكمة، لأنها معرفة تمنع الفساد لصرفها عنه بما يذم به.
و الحكمة فى الفعل المنعة من الفساد منه، و منه حكمة الدابة لمنعها إياها من الفساد.
و قوله (سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِکَ زَعِيمٌ) قال ابن عباس و قتادة: زعيم أى كفيل

---

(1) مر تخريجه فى 2/ 188
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 86
و الزعيم و الكفيل و الضمين و القبيل نظائر. و المعنى سلهم أيهم زعيم ضامن يدعى علينا ان لهم علينا أيماناً بالغة؟ فلا يمكنهم ادعاء ذلک.

أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقِينَ (41) يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَ قَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سالِمُونَ (43) فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (44) وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (45)

خمس آيات.

قوله (أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ) توبيخ لهؤلاء الكفار و إنكار عليهم اتخاذ إله مع اللَّه و توجيه عبادتهم اليه، فقال (أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ) فى العبادة مع اللَّه (فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقِينَ) أى شركاؤهم الذين تقوم بهم الحجة، فلا سبيل لهم إلى ذلک فالحجة لازمة عليهم لأن كل دعوى لم يمكن صاحبها أن يقيم البينة عليها فيلزمه أن يقيمها بغيره. و الشريک عبارة عمن يختص بمعنى هو له و لغيره من غير انفراد به.

و إنما قلنا من غير انفراد به لنفرق بين ما هو له و لغيره و هو له ايضاً كالغفران هو لهذا التائب و لتائب آخر، و لهذا التائب مطلقاً، فليس فيه شريک، و كذلک هذا العبد هو ملک للّه تعالى، و لهذا المولى، و هو للّه على الإطلاق، فليس فى هذا شركة و إنما قيل الشركاء فى الدعوى، لأنها مما لو انفرد بعضهم عن ان يدعيها لم يدعها الآخر، كأنهم تعاونوا عليها، فعلى هذا يحتمل أن يكون المعنى فى الآية أم لهم التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 87

شركاء يدعون مثل ما يدعيه هؤلاء الكفار، فليأتوا بهم إن كانوا صادقين أى شركاءهم الذين تقوم بهم الحجة، و لا سبيل لهم إلى ذلک فهو لازم عليهم.

و قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال الزجاج: هو متعلق بقوله «فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ ... يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ» و قال ابن عباس و الحسن و مجاهد و سعيد بن جبير و قتادة و الضحاک: معنا يوم يبدو عن الامر الشديد كالقطيع من هول يوم القيامة.

و الساق ساق الإنسان و ساق الشجرة لما يقوم عليه بدنها و كل نبت له ساق فهو شجر قال الشاعر:

للفتى عقل يعيش به حيث يهدى ساقه قدمه «1»

فالمعنى يوم يشتد الامر كما يشتد ما يحتاج فيه إلى ان يقوم على ساق، و قد كثر فى كلام العرب حتى صار كالمثل فيقولون: قامت الحرب على ساق و كشفت عن ساق قال [زهير بن جذيمة].

فإذا شمرت لک عن ساقها فويها ربيع و لا تسأم «2»

و قال جدّ أبى طرفة:

كشفت لهم عن ساقها و بدا من الشر الصراح «3»
و قال آخر:
قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا
و القوس فيها وتر غرد «4»
و قوله (وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ) قيل: معناه إنه يقال لهم على وجه التوبيخ: اسجدوا (فَلا يَسْتَطِيعُونَ) و قيل: معناه إن شدة الامر و صعوبة الحال تدعوهم

---

(1) اللسان (سوق)
(2) مجاز القرآن 2/ 266
(3) اللسان (سوق) و القرطبى 18/ 248
(4) القرطبى 18/ 48

إلى السجود، و إن كانوا لا ينتفعون به. ثم قال (خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ) أى ذليلة أبصارهم لا يرفعون نظرهم عن الأرض ذلة و مهانة (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) معناه تغشاهم ذلة يقال: رهقه يرهقه رهقاً، فهو راهق إذا غشيه، و رهقه الفارس إذا أدركه، و راهق الغلام إذا أدرک.
و قوله (وَ قَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سالِمُونَ) يعنى دعاهم اللَّه تعالى إلى السجود و الخضوع له فى دار الدنيا و زمان التكليف، فلم يفعلوا، فلا ينفعهم السجود فى ذلک الوقت.
و قوله (فَذَرْنِى وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ) تهديد، و معناه ذرنى و المكذبين أى أوكل أمرهم إلى كما يقول القائل: دعنى و إياه.
و قوله (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ) معناه سآخذهم إلى العقاب حالا بعد حال.
و قوله (وَ أُمْلِى لَهُمْ) أى و أطيل آجالهم و أؤخرها (إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ) أى قوى، فكأنه قال سنستدرج أعمالهم إلى عقابهم و إن أطلناها لهم نستخرج ما عندهم قليلا قليلا. و أصله من الدرجة، لان الراقى ينزل منها مرقاة مرقاة فأشبه هذا.
و وجه الحكمة فى ذلک أنهم لو عرفوا الوقت الذى يؤخذون فيه لكانوا آمنين إلى ذلک الوقت، و صاروا مغريين بالقبيح، و اللَّه تعالى لا يفعل ذلک.

أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (46) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (47) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّکَ وَ لا تَکُنْ کَصاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نادی وَ هُوَ مَکْظُومٌ (48) لَوْ لا أَنْ تَدارَکَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَراءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ (49) فَاجْتَباهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (50)
وَ إِنْ يَکادُ الَّذِينَ کَفَرُوا لَيُزْلِقُونَکَ بِأَبْصارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّکْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (51) وَ ما هُوَ إِلاَّ ذِکْرٌ لِلْعالَمِينَ (52)
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 89
ست آيات.
قرأ نافع وحده (ليزلقونک) بفتح الياء من زلقت. الباقون بضمها من أزلقت، و هما لغتان: زلقت، و أزلفت. قال الفراء: يقولون: زلقت شعره و أزلقته إذا حلقته. و المعنى ليرمون بک و يلقونک.
يقول اللّه تعالى لنبيه محمد صلى اللّه عليه و آله على وجه التوبيخ للكفار (أَمْ تَسْئَلُهُمْ) اى هل تسألهم (أَجْراً) يعنى ثواباً و جزاء على دعائک إياهم إلى اللّه و تخويفک إياهم من المعاصى و أمرک إياهم بطاعة اللّه (فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ) أى هم من لزوم ذلک (مُثْقَلُونَ) أى محملون، فالأجر القسط من الخير الذى يستحق بالعمل. و المغرم ما يلزم من الدين الذى يلج فى اقتضائه. و أصله اللزوم بالالحاح، و منه قوله (إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً) «1» أى لازماً ملحاً قال الشاعر:
يوم الجفار و يوم النسار كانا عذاباً و كانا غراما «2»
و قولهم دفع مغرم أى دفع الاقتضاء بالالحاح، و الغرم ما يلزم بالاقتضاء على وجه الإلحاح فقط. و المثقل المحمل للثقل و هو ما فيه مشقة على النفس كالمشقة بالحمل الثقيل على الظهر، يقال: هو مثقل بالدين، و مثقل بالعيال و مثقل بما عليه من

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 65
(2) مر فى 7/ 505 و 9/ 505
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 90
الحقوق اللازمة و الأمور الواجبة.
و قوله (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ) معناه هل عندهم علم اختصوا به لا يعلمه غيرهم، فهم يكتبونه و يتوارثونه بصحة ما يدعونه فينبغى ان يبرزوه.
ثم قال للنبى صلى اللّه عليه و آله (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّکَ) الذى حكم عليک بالصبر و أمهلهم إلى وقت آجالهم (وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ) يعنى و لا تكن فى استعجال عقابهم مثل يونس حين طلب من اللّه تقديم عقاب قومه و

إهلاكهم، و لا تخرج من بين ظهراني قومک قبل ان يأذن اللّه لک فى ذلک كما فعل يونس (إِذْ نادى وَ هُوَ مَكْظُومٌ) قال ابن عباس و مجاهد: معناه مغموم، كأن الغم قد حبسه عن الانبساط فى أمره، و المكظوم المحبوس عن التصرف فى الأمور، و منه كظمت رأس القربة إذا شددت رأسها، و كظم غيظه إذا حبسه بقطعه عما يدعو اليه. و قال قتادة: لا تكن مثله فى العجلة و المغاضبة، حتى نادى يونس و هو ممنوع بقطعه عن شفاء غيظه، و الذى نادى به (لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَکَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) فجعله اللَّه من الصالحين، بما بين لعباده من صلاحه، و يجوز بما لطف له حتى صلح فى كل ما أمره اللَّه به. و فى الكلام حذف، و تقديره: و لا تكن كصاحب الحوت فى استعجاله الخروج من بين قومه انتظاراً لنزول العذاب بهم، فلما رفع اللَّه عنهم العذاب مضى على وجهه، فعاتبه على ذلک و حبسه فى بطن الحوت، فلجأ إلى اللَّه تعالى. و قوله (إذ نادى) متعلق بتقدير: اذكر يا محمد حاله إذ نادى. و لا يجوز ان يكون متعلقاً بقوله (وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ) حين نادى، لان اللَّه لا ينهى نبيه أن يقول مثل ما قال يونس من الدعاء.
و قوله (لَوْ لا أَنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ) معناه لو لا أن اللَّه رحم يونس و لحقته نعمة من جهته (لَنُبِذَ بِالْعَراءِ) أى لطرح بالصحراء الواسعة (وَ هُوَ مَذْمُومٌ) قالوا التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 91
هى الأرض العارية من النبات و الأبنية و كل حال ساترة. و قال الفراء: الفضاء من الأرض العارى، قال الشاعر و هو قيس بن جعدة:
و رفعت رجلًا لا أخاف عثارها و نبذت بالبلد العراء ثيابى «1»
و قوله (وَ هُوَ مَذْمُومٌ) قال ابن عباس: و هو مليم أى أتى بما يلام عليه، و لكن اللَّه تعالى تداركه برحمة من عنده، فطرح بالعراء و هو غير مذموم. و قوله (فَاجْتَباهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) معناه اختار اللَّه يونساً فجعله من جملة الصالحين المطيعين للّه التاركين لمعاصيه.
و قوله (وَ إِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا) قال النحويون: (إن) هذه المخففة عن الثقيلة، لأنها لو كانت للشرط لجزم (يكد) و تقديره، و إن يكاد الذين كفروا أى قارب الذين كفروا (لَيُزْلِقُونَکَ بِأَبْصارِهِمْ) أى يرمون بک عند نظرهم غيظاً عليک قال الشاعر:
يتلاحظون إذا التقوا فى محفل نظراً يزيل مواقع الاقدام «2»
و يكاد يصرعه بحدة نظره. و قيل كان الرجل إذا أراد ان يصيب صاحبه بالعين تجوّع ثلاثة أيام ثم نظره فيصرعه بذلک، و المفسرون كلهم على ان المراد بازلاقهم له بأبصارهم من الاصابة بالعين. و قال الجبائى منكراً لذلک: إن هذا ليس بصحيح، لان هذا من نظر العداوة و ذلک عندهم من نظر المحبة على أن إصابة العين ليس بصحيح. قال الرمانى: و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لأنه لا يمتنع أن يكون اللَّه تعالى أجرى العادة بصحة ذلک لضرب من المصلحة، فلا وجه للامتناع من ذلک، و عليه اجماع المفسرين، و

هو المعروف بين العقلاء و المسلمين و غيرهم، فينبغى ان يكون مجوّزاَ. و روى أن اسماء بنت عميس قالت: يا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله

---

(1) مر فى 8/ 530
(2) القرطبى 18/ 256 و هو مروى مع اختلاف.

إن بنى جعفر يصيبهم العين، فأسترقى لهم، قال: نعم، فلو كان شىء سابق القدر سبقة العين.
و قيل: إنهم كانوا يقولون ما اظهر حججه، و ما افصح كلامه، و ما ابلغ خطابه، يريدون بذلک ان يعينوه به، قال البلخى: المعنى إنهم كانوا ينظرون اليه نظر عداوة و توعد، و نظر من بهم به، كما يقول القائل: يكاد يصرعنى بشدة نظره قال الشاعر:
يتعارضون إذا التقوا فى موطن نظراً يزيل مواضع الاقدام «1»
أى ينظر بعضهم إلى بعض نظراً شديداً بالبغضاء و العداوة، و نظر يزيل الاقدام عن مواضعها أى يكاد يزيل.
و قوله (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) يعنى القرآن (وَ يَقُولُونَ) مع ذلک (إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) قد غلب على عقله، قالوا ذلک فيه مع علمهم بوقارة عقله تكذباً عليه و معاندة له، فقال اللّه تعالى رداً عليهم (وَ ما هُوَ) أى ليس هذا القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ) أى شرف إلى ان تقوم الساعة.

---

(1) مر فى الصفحة التى قبلها. و قد روى فى غير هذا الكتاب مع هذا الاختلاف فى الكلمات. [.....]

69-سورة الحاقة: ..... ص: 93

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک و غيرهما و هى اثنتان و خمسون آية فى الكوفى و المدنيين. و احدى و خمسون فى البصرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَ ما أَدْراكَ مَا الْحَاقَّةُ (3) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عادٌ بِالْقارِعَةِ (4)
فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَ أَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ (6) سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَ ثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ (8) وَ جاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكاتُ بِالْخاطِئَةِ (9)
فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً (10)
عشر آيات.
قرأ أهل البصرة و الكسائى (و من قبله) بكسر القاف. الباقون بفتحها.
قال ابن عباس و قتادة و الضحاک و ابن زيد و غيرهم: إن الحاقة اسم من اسماء القيامة و سميت بذلک لأنها الساعة التى يحق فيها الجزاء على الاعمال: الضلال و الهدى.
و قال الفراء: تقول العرب الحقة متى هربت و الحقة و الحاقة، كل ذلک بمعنى واحد.
و العامل فى (الْحَاقَّةُ) أحد شيئين: التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 94
أحدهما- الابتداء، و الخبر (مَا الْحَاقَّةُ) كأنه قال: الحاقة أى شىء هى.
الثانى- أن يكون خبر ابتداء محذوف، كأنه قيل هذه الحاقة، ثم قيل أى شىء الحاقة، تفخيماً لشأنها، و تقديره هذه سورة الحاقة و قوله (ما أَدْراکَ مَا الْحَاقَّةُ) قال سفيان: يقال للمعلوم ما أدراک، و لما ليس بمعلوم: و ما يدريک فى جميع القرآن.
و إنما قال لمن يعلمها: ما أدراک لأنه إنما يعلمها بالصفة، فعلى ذلک قال تفخيماً لشأنها أى كأنک لست تعلمها إذا لم تعاينها و ترى ما فيها من الأهوال.
و قوله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عادٌ بِالْقارِعَةِ) اخبار من اللَّه تعالى أن ثمود- و هم قوم صالح- و عاداً- و هم قوم هود- كذبوا بيوم القيامة فأنكروا البعث و النشور و الثواب و العقاب. قال ابن عباس و قتادة: القارعة اسم من اسماء القيامة، و سميت القارعة، لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة إلى أن يصير المؤمنون إلى الأمن. و إنما حسن أن يوضع القارعة موضع الكناية لتذكر بهذه الصفة الهائلة بعد ذكرها بأنها الحاقة، و إلا كان يكفى ان يقول: كذبت ثمود و عاد بها. و قوله الحاقة، و الطامة «1» و الصاخة «2»، اسماء يوم القيامة. و الوقف على الحاقة حسن و أتم منه (ما الحاقة) و (ما أدراک) كل ما فى القرآن بلفظ الماضى، فقد أدراه صلى الله عليه و آله، و ما كان

بلفظ يدريه، فلم يعلمه، يقال: دريت الشىء دراية أى علمته، و دريت الصيد أى ختلته و درأته دفعته.
ثم اخبر تعالى عن كيفية إهلاكهم، فقال (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) فالطاغية مصدر مثل العاقبة، و المعنى فأهلكوا بطغيانهم- فى قول أبى عبيدة- و قيل:
معناه أهلكوا بالخصلة المتجاوزة لحال غيرها فى الشدة، أهلك اللَّه تعالى بها اهل الفساد. و قد مضى فيما تقدم أن اللَّه أهلك ثمود بالصيحة العظيمة التى أصبحوا بها

---

(1) سورة 79 النازعات آية 34
(2) سورة 80 عبس آية 33

جاثمين «1» أى ميتين هالكين. قال الزجاج: تقديره فأهلكوا بالرجفة الطاغية.
ثم اخبر تعالى عن كيفية هلاک عاد، فقال «وَ أَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ» فالريح عبارة عن الهواء إذا كانت فيها حركة باعتماد ظاهرة فإذا سكن لا يسمى ريحاً و اشتقاقه من راح يروح روحاً إذا رجع إلى منزله. و الصرصر الريح الشديدة الصوت بما يسمع لها من الصرير فى شدة حركتها، يقال: صر و صرصر، كأنه مضاعف منه فالصرصر الشديد العصوف المجاوزة لحدّها المعروف و قال قتادة: صرصر باردة فكأنه يصطل الأسنان بما يسمع من صوتها لشدة بردها، و يقال: صرصر و صلصل إذا تكرر الصوت، و هو مضاعف صر و صل- فى قول الزجاج-.
و قوله (عاتِيَةٍ) قيل عتت تلک الرياح على خزّانها فى شدة الهبوب. و العاتى الخارج الى غلظ الأمر الذى يدعو اليه قساوة القلب، يقال: عتا يعتو عتواً فهو عات و الريح عاتية تشبيهاً بحال العاتى فى الشدة.
و قوله (سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَ ثَمانِيَةَ أَيَّامٍ) اخبار منه تعالى انه أهلكهم بهذه الريح فى مدة سبع ليال، و ثمانية أيام، لما فى ذلک من الإرهاب و التخويف، و ما يتعلق به من المصلحة لغيرهم فى التكليف.
و قوله (حُسُوماً) أى قاطعة قطع عذاب الاستئصال، و أصله القطع حسم طمعه من كذا إذا قطعه، حسم يحسم حسماً إذا قطع، و انحسم الشر إذا انقطع.
و قال عبد اللَّه بن مسعود و ابن عباس و مجاهد و قتادة: معنى (حسوماً) تباعاً متوالية مأخوذاً من حسم الداء بمتابعة الكى عليه، فكأنه تتابع الشر عليهم حتى استأصلهم. و قيل (حسوماً) قطوعاً لم يبق منهم أحد، و نصب (حسوماً) على المصدر أى يحسمهم حسوماً.

---

(1) انظر 4/ 485 و 6/ 22
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 96
ثم قال (فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها) أى تشاهد القوم الهلكى فى تلك الأيام و الليالى صرعى مطرحين (كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ) أى كأنهم أصول نخل نخرة- فى قول قتادة- و قال السدى: الخاوى الفارغ.
و قوله (فَهَلْ تَرى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ) أى من نفس باقية، و قيل: معناه فهل ترى لهم من بقاء، فالباقية بمعنى المصدر مثل العافية و الطاغية. و معناه فهل ترى لهم من بقية.
و قوله (وَ جاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ) أى جاء فرعون و من معه من قومه، على قراءة من قرأ (قبله) بكسر القاف و فتح الباء، و من قرأ بفتح القاف و سكون الباء أراد و الذين قبله من الكفار (وَ الْمُؤْتَفِكاتُ) يعنى و جاء اهل القرى المؤتفكات أى المنقلبات بأهلها- فى قول قتادة- و هى قرى قوم لوط (بِالْخاطِئَةِ) أى بالافعال الخاطئة أو بالنفس الخاطئة، و قيل بالخاطئة أى اخطأت الحق إلى الباطل و الفساد (فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ) اللّه على كفرهم و عصيانهم (أَخْذَةً رابِيَةً) أى زائدة فى الشدة من ربا يربو إذا زاد، و قرأ ابو عمرو، و الكسائى، و ابو بكر عن عاصم (و من قبله) بكسر القاف و فتح الباء. الباقون بفتح القاف و سكون الباء. و حجة أبى عمرو أن فى قراءة أبى (جاء فرعون و من معه). و قرأ ابو موسى (و من تلقاه).
و أراد الباقون انه جاء فرعون و من قبل فرعون من الكفار.

إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرَةً وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ (12) فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ (13) وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً (14) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْواقِعَةُ (15)
وَ انْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ (16) وَ الْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ (17) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ (18)

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 97

ثمان آيات.

قرأ (لا يخفى) بالياء أهل الكوفة، لان تأنيث (خافية) ليس بحقيقى.

و قد فصل بينها و بين الفعل فاصل. الباقون بالتاء على لفظ التأنيث. و التقدير لا يخفى عليه شيء منكم نفس خافية.

يقول اللّه تعالى مخبراً عما فعل بقوم نوح و فرعون و قومه على وجه الامتنان على خلقه بما فعل بهم من الهلاك الذى فيه زجر لغيرهم عن الكفر و ارتكاب المعاصى (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ) و معناه لما تجاوز الماء الحد المعروف فى العظم حتى غرقت الأرض بمن عليها إلا من شاء اللّه نجاته، و ذلك فى زمن نوح عليه السلام و غرق فرعون و قومه بانطباق البحر عليهم، و قال ابن عباس و مجاهد: معنى طغى الماء كثر، و غرّق اللّه- عز و جل- قوم نوح. و قال قتادة: ارتفع على كل شيء خمس عشرة ذراعاً. و قوله (حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ) أى حملنا أباكم نوحاً و من كان معه من ولده المؤمنين فى السفينة، فالجارية السفينة التى من شأنها أن تجرى على الماء، و منه قوله (وَ لَهُ الْجَوارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ) «1» و الجارية المرأة الشابة تسمى بذلك، لأنها يجرى فيها ماء الشباب. و الحمل إمساك الشيء بالوضع على غيره، تقول حملته حملا، و الحمل- بفتح الحاء- ما كان فى البطن او الشجر- و بكسر الحاء- ما كان على الظهر.

---

(1) سورة 5، الرحمن آية 24

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 98

و وجه التذكرة بذلك أن نجاة من فيها و تغريق من سواهم يقتضى أنه من مدبر مختار و فى امر لم تجر به عادة، فيلتبس انه من فعل الطبيعة. ثم بين تعالى الغرض بما فعله فقال (لِنَجْعَلَها)

يعنى السفينة (لَكُمْ تَذْكِرَةً)

تتذكرون بها أنعم اللّه و تشكرونه عليها و تتفكرون فيها «وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ»

أى و تحفظها اذن حافظة، يقال: وعيت العلم، و أوعيت المتاع فى الوعاء، و يقال: وعى قلبه العلم يعيه وعياً، و قال الشاعر
إذا لم تكن واعياً حافظاً فجمعک للكتب لا ينفع
فمعنى «واعية» ممسكة ما يحصل فيها. و قال ابن عباس: حافظة. و قيل قابلة سامعة. و
قيل: إنه لما نزلت هذه الآية قال النبى صلى اللَّه عليه و آله (اللهم اجعلها اذن على عليه السلام) و رواه الطبرى بإسناده عن مكحول. ثم قال على عليه السلام (فما سمعت من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله شيئاً فنسيته)
و روى الحلوانى عن ابن كثير «و تعيها» بسكون العين جعله مثل فخذ و فخذ. الباقون بكسرها، لأنه مضارع وعى يعى. و أصله يوعى فحذفت الواو لوقوعها بين فتحة و كسرة، و معنى الآية تحفظها كل أذن ليكون عظة لمن يأتى بعدهم.
روى الطبرى بإسناده عن عكرمة عن بريدة قال: سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله يقول لعلى عليه السلام (يا على ان اللَّه أمرنى ان أدنيک و لا أقصيک و أن أعلمک)
و قوله «فَإِذا نُفِخَ فِى الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ» فهى النفخة الأولى التى يصعق لها من فى السموات و من فى الأرض «وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً» قال: ابن زيد: ضرب بعضها على بعض حتى صارتا غباراً. و قيل: معناه بسطتا بسطة واحدة، و منه الدكان، و يقال: اندک سنام البعير إذا انفرش فى ظهره.
و قيل: المعنى حملت الأرض و الجبال فصک بعضها على بعض حتى تندک، و إنما قيل:
فدكتا لأنه جعل الجبال جملة و الأرض جملة. و مثله «أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 99
رَتْقاً»
«1» لان السموات جملة واحدة.
ثم قال «فيومئذ» أى يوم تدک السموات و الأرض و تنفخ النفخة الواحدة «وَقَعَتِ الْواقِعَةُ» يعنى القيامة و سميت واقعة لشدة وقعتها بما ليس لغيرها مثل تلک الشدة.
ثم قال «وَ انْشَقَّتِ السَّماءُ» أى انفرج بعضها عن بعض، يقال: انشق الشىء ينشق انشقاقاً، و تشقق تشققاً إذا تفطر و اشتق منه كذا اشتقاقاً، و منه اشتقاق الصفة من المصدر، لان معناه و حروفه فيها دون صورته، فهى مأخوذة منه على هذا الوجه.
و قوله «فَهِىَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ» أى شديدة الضعف بانتقاض بنيتها و لا ينظر أهولِ من رؤية السماء فى هذه الهيأة، يقال: و هى الشىء يهى وهياً، فهو

واه أى لا يستمسک لضعفه بنقض بنيته. و قيل: هو تغير السماء بعد صلابتها بمنزلة الصوف فى الوهى و الضعف، و قيل: السماء مكان الملائكة، فإذا وهت صارت فى نواحيها.
و قوله «وَ الْمَلَکُ عَلى أَرْجائِها» فالارجاء النواحى واحدها رجا، مقصور و تثنى رجوان بالواو، و الرجا جانب البئر قال الشاعر:
فلا ترمى بى الرجوان انى أقل القوم من يفنى مكانى «2»
و هو من رجوت، لان الجانب يرجى فيه السلامة مع خوف السقوط، و الملائكة ذلک اليوم على جوانب السماء تنتظر ما تؤمر به فى اهل النار من السوق اليها، و فى اهل الجنة من التحية و التكرمة فيها.
و قوله «وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّکَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ» يعنى فوق الخلائق «يَوْمَئِذٍ» يعنى يوم القيامة «ثَمانِيَةٌ» من الملائكة. و قيل: على أرجائها، لأن الناس إذا رأوا

---

(1) سورة 21 الأنبياء آية 30
(2) تفسير القرطبى 18/ 266

جهنم بدروا هاربين فتردهم الملائكة- فى قول الضحاک- و قال الحسن و قتادة و سفيان «عَلى أَرْجائِها» يعنى نواحيها. و قال ابن عباس «يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّکَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ» صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا اللّه. و
روى فى خبر مرفوع عن النبى صلى اللّه عليه و آله أنه يحمل العرش ثمانية أملاک
، و هو قول ابن زيد، و المعنى فى حمل العرش بثمانية أملاک. هو الاخبار بأنه عظيم محتاج أن يحمله من كل زاوية ملكان، لا يفى به لعظمه أقل من ذلک، و بهذا يتصور عظمه فى النفس.
و قوله «يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ» يعنى يوم القيامة تعرضون معاشر المكلفين «لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ» فروى فى خبر مرفوع- ذكره ابن مسعود و قتادة- ان الخلق يعرضون ثلاث عرضات اثنتان فيها معاذير و جدال، و الثالثة تطاير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه و آخذ بشماله، و ليس يعرض اللّه الخلق ليعلم من حالهم ما لم يعلمه بل هو عالم بجميع ما كان منهم، لأنه عالم لنفسه لكن ليظهر ذلک لخلقه.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِیَ کِتابَهُ بِیَمِینِهِ فَیَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا کِتابِیَهْ (19) إِنِّی ظَنَنْتُ أَنِّی مُلاقٍ حِسابِیَهْ (20) فَهُوَ فِی عِیشَةٍ راضِیَةٍ (21) فِی جَنَّةٍ عالِیَةٍ (22) قُطُوفُها دانِیَةٌ (23)
کُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِیئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِی الْأَیَّامِ الْخالِیَةِ (24)
ست آیات قال الفراء: نزلت هذه الآیة فی أبی سلمة بن عبد الأسود، و کان مؤمناً، و کان أخوه الأسود بن عبد الأسود کافراً، نزلت فیه الآیة التی بعدها.
قسم اللّه تعالی حال المکلفین یوم القیامة، فقال «فَأَمَّا مَنْ أُوتِیَ» أی اعطی التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 101
«کِتابِیَهْ» الذی فیه أعماله «بِیَمِینِهِ فَیَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا» قال ابن زید: یقول المکلف تعالوا اقرأوا «کِتابِیَهْ» لیعلمهم انه لیس فیه إلا الطاعات. فلا یستحیون أن ینظر فیها غیرهم، و اهل الحجاز یقولون: ها یا رجل، و للاثنین هاؤما، و للجمع هاءموا، و للمرأة هاء- بهمزة- و لیس بعدها یاء، و للمرأتین هاؤما، و للجماعة هاؤن یا نسوة. و تمیم و قیس یقولون: ها یا رجل مثل قول أهل الحجاز، و للاثنین هاءا، و للثلاثة هاءوا، و للمرأة هائی، و ربما قالوا: هاء یا هذه، و للثلاثة هان.
و بعض العرب یجعل مکان الهمزة کافاً، فیقول: هاک بغیر همزة، و یؤمر بها و لا ینهی و (هاء) بمنزلة خذ و تناول. و وقف الکسائی علی «هاؤُمُ» و ابتدأ «اقْرَؤُا کِتابِیَهْ» و یقول أیضاً «إِنِّی ظَنَنْتُ أَنِّی مُلاقٍ حِسابِیَهْ» قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: معناه إنی علمت، و إنما حسن هذا فیما یلزم العمل به لتأکد أمره بالظن، کما یلزم بالعلم مع مقاومة الظن للعلم بالقوة فی النفس إلا أن العلم معه قوة ینتهی إلی الثقة الثابتة بسکون النفس. و المعنی انی کنت متیقناً فی دار الدنیا بأنی ألقی حسابی یوم القیامة، و اعلم أنی أجازی علی الطاعة بالثواب و علی المعاصی بالعقاب، و أعمل بما یجب علیّ من الطاعات و اجتناب المعاصی.
ثم اخبر تعالی عن حال من أعطی کتابه بیمینه فقال «فَهُوَ فِی عِیشَةٍ راضِیَةٍ» أی فی عیشة مرضیة تقول: عاش یعیش عیشاً و عیشة، و هی الحالة التی تستمر بها الحیاة و منه المعاش الذی یطلب التصرف له بعائد النفع علیه، و راضیة معناه مرضیة.
ف (فاعلة) بمعنی (مفعولة) لأنه فی معنی ذات رضاً، کما قیل: لابن و تامر، أی ذو لبن و ذو تمر. قال النابغة:
کلینی لهم یا أمیمة ناصب و لیل اقاسیه بطیء الکواکب «1»

---

(1) مر فی 5/ 368 و 6/ 90، 329 و 8/ 122، 567

أى ذو نصب، فكأن العيشة أعطيت حتى رضيت، لأنها بمنزلة الطالبة كما أن الشهوة بمنزلة الطالبة للمشتهى. و قيل: هو كقولهم: ليل نائم و سر كاتم و ماء دافق، على وجه المبالغة فى الصفة من غير التباس فى المعنى: فعلى هذا جاء عيشة راضية و لا يجوز على هذا القياس زيد ضارب بمعنى مضروب لأنه يلتبس به.
و قوله «فِى جَنَّةٍ عالِيَةٍ» أى بستان أجنه الشجر مرتفعة، فالعلو الجهة المقابلة لجهة السفل. و العلو و السفل متضمن بالاضافة. فيكون العلو سفلا إذا أضفته إلى ما فوقه، و يكون علواً إذا أضيف إلى ما تحته، و قوله «قُطُوفُها دانِيَةٌ» أى أخذ ثمرها، فالقطف أخذ الثمرة بسرعة من موضعها من الشجر، و هو قطوفها، كأنه قال دانية المتناول، قطف يقطف قطفاً فهو قاطف، و قطف تقطيفاً. و الدنو القرب، دنا يدنو دنواً فهو دان، و تدانيا تدانياً و أحدهما أدنى إلينا من الآخر. و قال قتادة: معناه قطوفها دانية لا يرد أيديهم عن ثمرها بُعْدٌ و لا شوك.
ثم حكى تعالى ما يقال لهم فانه يقال لهم «كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ» و صورته صورة الأمر و المراد به الاباحة، كما قال «وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا» «1» و قال قوم: انه أمر على الحقيقة، لان اللَّه يريد من أهل الجنة الأكل و الشرب لما لهم فى ذلک من زيادة السرور إذا علموا ذلک. و إنما لا يريد ذلک فى الدنيا، لأنه عبث لا فائدة فيه.
و قوله «هَنِيئاً» معناه مريئاً ليس فيه ما يؤذى، فليس يحتاج فيه الى إخراج فضل لغائط و لا بول.
و قوله «بِما أَسْلَفْتُمْ» أى جزاء على ما عملتموه من الطاعة «فِى الْأَيَّامِ الْخالِيَةِ»

---

(1) سورة 5 المائدة آية 3

أى الماضية فى دار التكليف.

وَ أَمَّا مَنْ أُوتِیَ کِتابَهُ بِشِمالِهِ فَیَقُولُ یا لَیْتَنِی لَمْ أُوتَ کِتابِیَهْ (25) وَ لَمْ أَدْرِ ما حِسابِیَهْ (26) یا لَیْتَها کانَتِ الْقاضِیَةَ (27) ما أَغْنی عَنِّی مالِیَهْ (28) هَلَکَ عَنِّی سُلْطانِیَهْ (29)
خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِیمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِی سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُکُوهُ (32) إِنَّهُ کانَ لا یُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِیمِ (33) وَ لا یَحُضُّ عَلی طَعامِ الْمِسْکِینِ (34)
فَلَیْسَ لَهُ الْیَوْمَ هاهُنا حَمِیمٌ (35) وَ لا طَعامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِینٍ (36) لا یَأْکُلُهُ إِلاَّ الْخاطِؤُنَ (37)
ثلاث عشرة آية.
لما حكى اللَّه تعالى قصة أهل الجنة و شرح أحوالهم، حكى- هاهنا- قصة أهل النار و شرح أحوالهم، فقال «وَ أَمَّا مَنْ أُوتِیَ کِتابَهُ» يعنى من أعطى كتابه الذى فيه أعماله مثبتة «بشماله» و إنما يعطى اللَّه هؤلاء كتابهم بشمالهم، لأنه جعل ذلک إمارة للملائكة و الخلائق على أن صاحبه من أهل النار، فهو إذا اعطى كتابه فى شماله يقول عند ذلک متمنياً متحسراً على ما فرط «یا لَیْتَنِی لَمْ أُوتَ کِتابِیَهْ ....»
أى ليتنى لم أعط هذا الكتاب، و التمنى هو قول القائل لما كان: ليته لم يكن، و لما لم يكن: ليته كان، فهو من صفات الكلام. و قال قوم: هو معنى فى النفس فهؤلاء الذين يعطون كتابهم بشمالهم يتمنون أن لم يعطوا كتابهم أصلا، و لم يعلموا التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 104
ما لهم و ما عليهم، لان أعمالهم كلها معاصى، و هم يستحقون العقاب لا غير فلذلک يتمنون أن لا يعرفوا حسابهم، و الحساب إخراج الكثير مما تضمن معنى العدة، و هو محتمل الزيادة و النقصان. و التمنى فى قول الكفار معناه التحسر و التندم و إن خرج مخرج التمنى.
ثم حكى تعالى أنهم لعظم ما دفعوا اليه من العقاب و الأهوال ينتدمون و يتحسرون و يتمنون أن لو كانت القاضية بدلا مما هم فيه. قال الفراء: معناه ليت الموتة الأولى التى متناها لم نجئ بعدها. و القاضية الفاصلة بالاماتة، يقال: قضى فلان إذا مات، و أصله فصل الأمر، و منه قضية الحاكم، و جمعها قضايا، و منه قضاء اللَّه و هو الاخبار بأنه يكون على القطع، و الهاء فى «يا ليتها» كناية عن الحالة التى هم فيها، و قيل كناية عن الموتة. قال قتادة: يعنى الموت و لم يكن عنده فى الدنيا شىء اكره منه.
ثم حكى انه يقول «ما أَغْنی عَنِّی مالِیَهْ» و معناه ما كفانى فى صرف المكروه و لا صرف عنى شيئاً من عقاب اللَّه تعالى يقال: أغنى يغنى غنى و إغناء، قال ابن زيد: معناه ما نفعنى ملكى الذى كان لى فى الدنيا.

و قوله «هَلَکَ عَنِّی سُلْطانِیَهْ» قال ابن عباس و مجاهد و الضحاک: هلک عنی حجتی. و قال الحسن: قد جعل اللّه لکل إنسان سلطاناً على نفسه و دینه و عیشه.
و قال قوم: معناه هلک عنی تسلطی و أمری و نهیی فی دار الدنیا على ما کنت مسلطاً علیه لا أمر لی و لا نهی، فالهلاک ذهاب الشیء بحیث لا یقع علیه احساس، هلک یهلک هلوکاً، فهو هالک، قال الزجاج: و الوجه أن یوقف على هذه الهاءات، و لا توصل، لأنها ادخلت للوقف، و قد حذفها قوم. و فی ذلک مخالفة المصحف، فلا أحب حذفها. قال: و لا أحب ان اصل و أثبت الهاء، فان هذه رؤوس الآی فالوجه التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 105
الوقف عندها. و کذلک قوله «وَ ما أَدْراکَ ما هِیَهْ» و قد وصل بلا هاء الکسائی.
الباقون بالهاء فی الحالین.
ثم حکی ما یقول اللّه تعالى للملائکة و یأمرهم به، فانه یقول لهم «خذوه» یعنی الکافر الذی أعطی کتابه بشماله «فغلوه» أی أوثقوه بالغل، و هو أن یشد احدی یدیه او رجلیه إلى عنقه بجامعة «ثُمَّ الْجَحِیمَ صَلُّوهُ» فالجحیم هی النار الغلیظة لأن النار قد تکون ضعیفة کنار السراج و نار القدح، و قد تکون قویة کنار الحریق فلا یقال لنار السراج: جحیم، و هو اسم علم على نار جهنم التی أعدها اللّه للکفار و العصاة، و التصلیة إلزام النار، و منه الاصطلاء و هو القعود عند النار للدفا، و أصله لزوم الأمر، فمنه المصلی الذی فی أثر السابق و منه قول الشاعر:
و صلى على دنها و ارتسم «1»
أی لزم الدعاء لهاء. و قوله «ثُمَّ فِی سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُکُوهُ» تقدیره: ثم اسلکوه فی سلسلة طولها سبعون ذراعاً فاسلکوه فیها، فالسلسلة حلق منتظمة کل واحدة منها فی الأخرى، و منه یقال: سلسل کلامه إذا عقده شیئاً بعد شیء، و تسلسل إذا استمر شیئاً قبل شیء على الولاء و الانتظام. و الذرع أخذ قدر الذراع مرة او أکثر، ذرع الرجل الثوب یذرعه ذرعاً، فهو ذرّاع، و الثوب مذروع، مأخوذ من الذراع و هو العضو الذی یکون فی طرف الکف من الإنسان.
و قیل: اسلکوه فی السلسلة، لأنه یأخذ عنقه فیها، ثم یجرّ بها. و قال الضحاک:
إنها تدخل فی فیه و تخرج من دبره. و قیل: المعنى ثم اسلک السلسلة فیه فقلب کما یقال: ادخلت القلنسوة فی رأسی، و إنما أدخل رأسه فیها، و کما قال الأعشى:

---

(1) مر تخریجه فی 2/ 41

[غضوب من السوط زيّافة] إذا ما ارتدى بالسراة الاكم «1»
و إنما السراة ترتدى بالاكم، و لكنه قلب، فهو يجرى مجرى التقديم و التأخير اتساعاً فى اللغة من غير إخلال بالمعنى. و يقولون أيضاً: ادخلت الخاتم فى يدى، و الخف فى رجلى، و إنما تدخل اليد و الرجل فى الخاتم و الخف، فقلب.
ثم بين تعالى لم فعل به ذلک؟ و على أى شىء استحقه، فقال «إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» أى لم يكن يوحد اللّه فى دار التكليف و لم يصدق باللّه «العظيم» فى صفاته التى لا يشاركه فيها غيره «وَ لا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ» أى لا يحث على ذلک مما يجب عليه من الزكاة و الكفارات و النذور.
ثم قال تعالى «فَلَيْسَ لَهُ» يعنى للكافر «الْيَوْمَ هاهُنا» يعنى يوم القيامة «حَمِيمٌ» و هو القريب الذى يحمى لغضب صاحبه «وَ لا طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ» يعنى من صديد أهل النار و ما يجرى منهم، فالطعام هو ما هيئ للأكل، فلذلک لا يسمى التراب طعاماً للإنسان، و الخشب طعام الأرضة، و ليس من طعام أكثر الحيوان.
فلما هيئ الصديد لأكل أهل النار كان ذلک طعاماً لهم. و الغسلين هو الصديد الذى يتغسل بسيلانه من أبدان أهل النار. و وزنه (فعلين) من الغسل. و قال ابن عباس:
هو صديد أهل النار. و قيل: اهل النار طبقات منهم من طعامه الضريع، و منهم من طعامه الغسلين، لأنه قال فى موضع آخر «لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ» «2» و قال قطرب: يجوز أن يكون الضريع هو الغسلين، فعبر عنه بعبارتين، و قال قوم:
يجوز ان يكون المراد ليس لهم طعام إلا من ضريع و لا شراب الا من غسلين، فسماه طعاماً كما قال الشاعر:

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 197
(2) سورة 88 الغاشية آية 6

علفتها بتنا و ماء بارداً «1»
ثم قال تعالى «لا يَأْكُلُهُ» أى لا يأكل هذا الغسلين «إِلَّا الْخاطِؤُنَ» و هم الجائرون عن طريق الحق عامدين، و الفرق بين الخاطئ و المخطئ أن المخطئ قد يكون من غير تعمد لما وقع به من ترک اصابة المطلوب، و خطئ يخطئ خطأ فهو خاطئ قال امرؤ القيس:
يا لهف نفسى إذ خطئن كاهلا القائلين الملک الحلا حلا «2»

فهؤلاء الكفار قد جاروا عن طريق الحق و ضلوا عن الصراط المستقيم و تبعوا الضلال فى الدين.

فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ (38) وَ ما لا تُبْصِرُونَ (39) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ (41) وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ (42)
تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (43) وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ (44) لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ (47)
وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (48) وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (49) وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكافِرِينَ (50) وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (51) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (52)

---

(1) مر فى 1/ 65 و 3/ 456 و 5/ 469 و عجزه: حتى شتت همالة عيناها
(2) ديوانه 176 و اللسان (حلل)

خمس عشرة آية.
قرأ «قليلا ما يؤمنون، و يذكرون» بالياء فيهما مكى شامى و يعقوب، و سهل على الخبر عن الكفار. الباقون بالتاء على الخطاب لهم أى قل لهم.
و قيل فى قوله «فَلا أُقْسِمُ» ثلاثة اقوال:
أحدها- قال الفراء: انه ردّ لكلام قائل، فكأنه قال: ليس الأمر على ما يقال أقسم إنه «لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ».
و الثانى- قال قوم (لا) صلة مؤكدة و تقديره فأقسم.
الثالث- قال قوم: إنها نفى للقسم، و معناه لا يحتاج إلى القسم لوضوح الحق فى انه «لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» و فى هذا الوجه يقع جوابه كجواب غيره من القسم.
و قيل: هو كقول القائل: لا و اللَّه لأفعل ذاک، و لا و اللَّه لأفعلن ذاک. و قال قتادة:
أقسم تعالى بالأشياء كلها ما يرى و ما لا يرى، و قال الجبائى: إنما أراد انه لا يقسم بالأشياء المخلوقات ما يرى و ما لا يرى، و إنما يقسم بربها، لأن القسم لا يجوز إلا باللَّه. و قوله «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» جواب القسم، قال الجبائى: هو قول اللَّه على الحقيقة، و إنما الملک و جبرائيل و الرسول يحكون ذلک، و إنما أسنده إليهم من حيث أن ما يسمع منهم كلامهم و لما كان حكاية كلام اللَّه قيل: هو كلام اللَّه على الحقيقة فى العرف، و قرئ «إنه من قول رسول كريم» جواب القسم. و قال الحسن: فالرسول الكريم محمد صلى اللَّه عليه و آله الذى أتى بهذا القرآن. و قال غيره: هو جبرائيل عليه السلام و الاول اظهر، و الكريم الخليق بالخير الواسع من قبله، يقال:

كرم يكرم كرماً فهو كريم، و ضده لؤم يلؤم لؤماً، فهو لئيم.
و لما اقسم تعالى أن هذا القرآن هو قول رسول كريم نفى بعده أن يكون التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 109
قول شاعر فقال «وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ» فالشاعر هو المبتدئ بإنشاء الشعر، و لا يكون حاكى الشعر شاعراً، كما يكون حاكى الكلام متكلماً، لأنه يحكى شعراً انشأه غيره، و إنما نزه اللَّه تعالى نبيه عن الشعر و منعه منه، لان الغالب من حال الشاعر أنه يدعو إلى الهوى، و الرسول يأتى بالحكمة التى يدعو اليها العقل للحاجة إلى العمل عليها و الاهتداء بها، مع انه بين أن القرآن صنف من الكلام خارج عن الأنواع المعتادة، و ذلک أدل على إعجازه لبعده عما جرت به العادة فى تأليف الكلام، قال قتادة: طهر اللَّه نبيه من الشعر و الكهانة و عصمه منهما.
و قوله تعالى «قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ» معناه قليلا بما ذكرناه إيمانكم (و ما) مصدرية و قال قوم (ما) صلة، و تقديره قليلا تؤمنون بما ذكرناه أى لستم تؤمنون به.
و قوله «وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ» فالكاهن هو الذى يسجع فى كلامه على ضرب من التكلف لتشاكل المقاطع، و هو ضد ما توجبه الحكمة فى الكلام، لأنها تقتضى أن يتبع اللفظ المعنى، لأنه إنما يحتاج إلى الكلام للبيان به عن المعنى، و إنما البلاغة فى الفواصل التى يتبع اللفظ فيها المعنى، فتشاكل المقاطع على ثلاثة أضرب: فواصل بلاغة، و سجع كهانة، و قواف تتبع الزنة، و الكاهن الذى يزعم ان له خدمة من الجن تأتيه بضرب من الوحى. و قوله «قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ» أى تتفكرون قليلا فيما ذكرناه، فلذلک لا تعلمون صحة ما قلناه، و لو انعمتم النظر لعلمتم صحته.
ثم قال «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ» أى هو تنزيل نزله اللَّه رب العالمين على رسوله.
و قوله «وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ» اخبار من اللَّه تعالى على وجه القسم أن هذا الرسول الذى حكى بأن القرآن نزل عليه من عند اللَّه و هو محمد صلى اللَّه عليه و آله لو تقول على اللَّه فى بعض كلامه، و معناه لو كذب علينا فى بعض ما لم يؤمر به، التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 110
فالتقول تكلف القول من غير رجوع إلى حق، و التقول و التكذب و التزيد بمعنى واحد «لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ» جواب القسم، و معناه أحد وجهين:
أحدهما- لأخذنا بيده التى هى اليمين على وجه الاذلال، كما يقول السلطان يا غلام خذ بيده فانه على وجه الاهانة، قال الحسن: معناه لقطعنا يده اليمين.
و الثانى- لأخذنا منه بالقوة كما قال الشاعر:
إذا ما راية رفعت لمجدٍ تلقاها عرابة باليمين «1»

و قوله «لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ» قال ابن عباس و سعيد بن جبير: الوتين نياط القلب. و قال مجاهد و قتادة و الضحاک: هو عرق فی القلب متصل بالظهر إذا قطع مات الإنسان، قال الشماخ بن ضرار الثعلبی:
إذا بلغتنی و حملت رحلی عرابة فأشر فی ندم الوتين «2»
و قوله «فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ» معناه ليس أحد يمنع غيره من عقاب اللَّه بأن يكون حائلا بينه و بينه، فالحاجز هو الحائل بين الشيئين. و إنما قال «حاجزين» بلفظ الجمع، لان (أحداً) يراد به الجمع و إن كان بصيغة الواحد.
ثم قال «وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ» قسم من اللَّه تعالى أن هذا القرآن تذكرة و عظة للمتقين، و هو قول قتادة، و إنما اضافه إلى المتقين، لأنهم المنتفعون به، فالتذكرة العلامة التی يذكر بها المعنى، ذكره تذكرة، فهو مذكر، كقولک جزاه تجزية و جزاه تجزية، فالمتقی يتذكر القرآن بأن يعمل عليه فی أمر دينه فی اعتقاد او عمل به فيتميز الجائز مما لا يجوز، و الواجب مما ليس بواجب، و الصحيح مما لا يصح.
و قوله «وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ» عطف على جواب القسم، و معناه

---

(1) مر فی 8/ 512 و 9/ 46 و قائله الشماخ [.....]
(2) مجاز القرآن 2/ 268 و الطبری 29/ 37

التحذير من التكذيب بالحق و أنه ينبغی أن يتذكر أن اللَّه تعالى يعلمه و يجازی عليه.
و قوله «وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكافِرِينَ» معناه إن هذا القرآن حسرة على الكافرين يوم القيامة حيث لم يعملوا به فی الدنيا، فالحسرة الغم من أجل ما انحسر وقته كيف فات العمل الذی كان ينبغی فيه أن يفعل، فيحسر السرور عن النفس إلى الغم بانحساره. و قيل: إن التكذيب به حسرة على الكافرين.
ثم اقسم تعالى فقال «وَ إِنَّهُ» يعنی القرآن الذی أنزله و الاخبار بما اخبر به و ذكره «لَحَقُّ الْيَقِينِ» و معناه الحق اليقين، و إنما اضافه إلى نفسه، و الحق هو اليقين، كما قيل مسجد الجامع و دار الآخرة و بارحة الاولى و يوم الخميس و ما أشبه ذلک، فيضاف الشیء إلى نفسه إذا اختلف لفظه كما اختلف الحق و اليقين. و الحق هو الذی معتقده على ما اعتقده، و اليقين هو الذی لا شبهة فيه.
ثم قال لنبيه «فَسَبِّحْ» يا محمد و المراد به جميع المكلفين و معناه نزه اللَّه تعالى «بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» و معناه نزهه عما لا يجوز عليه من صفات خلقه و (العظيم) هو الجليل الذی يصغر شأن غيره فی شأنه بما يستحق من أوصافه. و

روى انه لما نزلت هذه الآية قال النبى صلى اللّه عليه و آله: اجعلوها فى ركوعكم.
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 112

70-سورة المعارج: ..... ص: 112

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک و غيرهما و هى أربع و أربعون آية بلا خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ (1) لِلْكافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ (2) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعارِجِ (3) تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4)
فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً (5) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً (6) وَ نَراهُ قَرِيباً (7) يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ (8) وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ (9)
وَ لا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً (10)
عشر آية.
قرأ اهل المدينة و أهل الشام (سال) بغير همز و هو يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يكون من السيل تقول: سال يسيل سيلا فهو سائل، و سايل واد فى جهنم، كما قال (أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) و الفلق جب فى جهنم. و اجمعوا على همزة (سائل) لأنه و لو كان من (سال) بغير همز، فالياء تبدل همزة إذا وقعت بعد الالف مثل البائع و السائر من (باع، و سار).
و الثانى- بمعنى سأل بالهمزة، لأنها لغة يقولون سلت أسال، و هما يتسالان
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 113
قال الشاعر:
سالت هذيل رسول اللَّه فاحشة ضلت هذيل بما سالت و لم تصب «1»
فهى لغة أخرى، و ليست مخففة من الهمزة الباقون بالهمز من السؤال الذى هو الطلب. و قرأ الكسائى وحده (يعرج) بالياء، لان تأنيث الملائكة ليس بحقيقى، الباقون- بالتاء. و قرأ ابن كثير- فى رواية البزى- و عاصم فى رواية البرجمى عن أبى بكر (و لا يسأل) بضم الياء. الباقون بفتح الياء اسندوا السؤال إلى الحميم.
حكى اللَّه تعالى انه (سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ) قال الفراء: الداعى بالعذاب هو النضر بن كلدة أسر يوم بدر و قتل صبراً، هو و عقبة بن أبى معيط. و قال:
تقديره سأل سائل بعذاب (واقع للكافرين) قال ابن: خالويه قال النحويون:
إن الباء بمعنى (عن) و تقديره: سأل سائل عن عذاب واقع و انشد:
دع المعمر لا تسأل بمصرعه و اسأل بمصقله البكرى ما فعلا «2»
أى لا تسأل عن مصرعه، و هذا الذى سأل العذاب الواقع إنما تجاسر عليه لما كذب بالحق ليوهم أنه ليس فيه ضرر، و لم يعلم انه لازم له من اللَّه. و قال مجاهد:
سؤاله فى قوله (اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ) «3» و قال الحسن: سأل المشركون، فقالوا: لمن هذا العذاب

الذى يذكره محمد؟ فجاء جوابهم بأنه (لِلْكافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ) و قيل: معناه دعا داع بعذاب للكافرين، و ذلک الداعى هو النبى صلى اللّه عليه و آله، و اللام فى قوله (للكافرين) قيل فى

---

(1) تفسير القرطبى 18/ 280
(2) قائله الأخطل اللسان (صقل)
(3) سورة 8 الانفال آية 32
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 114
معناها قولان:
أحدهما- إنها بمعنى (على) و تقديره سأل سائل بعذاب واقع على الكافرين، ذهب اليه الضحاک.
و الثانى- إنها بمعنى (عن) أى ليس له دافع عن الكافرين، و إنما ذكر وعيد الكافر- هاهنا- مع ذكره فى غير هذا الموضع، لأن فيه معنى الجواب لمن سأل العذاب الواقع، فقيل له: ليس لعذاب الكافرين دافع، فاعمل على هذا، و تقدم نظيره و تأخر، و الدافع هو الصارف للشىء عن غيره باعتماد يزيله، عنه دفعه عن كذا يدفعه دفعاً، فهو دافع و ذاک مدفوع.
و قوله (مِنَ اللَّهِ ذِى الْمَعارِجِ) يعنى مصاعد الملائكة. و قيل: معناه ذى الفواضل العالية، فيكون وصفاً للّه تعالى، و تقديره من اللّه ذى المعالى التى هى الدرجات التى يعطيها أولياءه من الأنبياء و المؤمنين فى الجنة، لأنه يعطيهم درجات رفيعة و منازل شريفة، و المعارج مواضع العروج، واحدها معرج، عرج يعرج عروجاً و العروج الصعود مرتبة بعد مرتبة، و منه الأعرج لارتفاع احدى رجليه عن الأخرى و قال قتادة: معنى ذى المعارج ذى الفواضل و النعم، لأنها على مراتب. و قال مجاهد: هى معارج السماء. و قيل: هى معالى الدرجات التى يعطيها اللّه تعالى أولياءه فى الجنة. و قال الحسن: معناه ذى المراقى إلى السماء. و الذى اقتضى ذكر المعارج البيان عن العقاب الذى يجب ان يخافه، على خلاف هذا الجاهل الذى سأل العذاب الواقع على من كفر نعمته.
و قوله (تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ) معناه تصعد الملائكة (وَ الرُّوحُ) أى يصعد الروح أيضاً معهم (إِلَيْهِ) و المعنى تعرج الملائكة و الروح الذى هو جبرائيل إلى الموضع الذى يعطيهم اللّه فيه الثواب فى الآخرة (فِى يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) لعلوّ التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 115
درجاتهم، و إنما قال (إِلَيْهِ) لأنه هناک يعطيهم الثواب، كما قال فى قصة إبراهيم (إِنِّى ذاهِبٌ إِلى رَبِّى) «1» أى الموضع الذى وعدنى ربى، و كذلک الموضع الذى وعدهم اللّه بالثواب فيه. و قيل: تعرج الملائكة و الروح إليه فى يوم كان مقداره من عروج غيرهم خمسين الف سنة، و ذلک من أسفل الأرضين السبع الى فوق السماوات السبع- ذكره مجاهد- و قوله (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ

مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِی يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) «2» فهو لما بين السماء الدنيا و الأرض فى الصعود و النزول الف سنة: خمسمائة صعوداً و خمسمائة نزولا- ذكره مجاهد- ايضاً. و قيل: المعنى ان يوم القيامة يفعل فيه من الأمور ما لو فعل فى الدنيا كان مقداره خمسين الف سنة.
و قال قوم: المعنى إنه من شدته و هو له و عظم العذاب فيه على الكافرين كأنه خمسون الف سنة، كما يقول القائل: ما يومنا إلا شهر أى فى شدته، و على هذا قول امرئ القيس:
ألا ايها الليل الطويل ألا انجل بصبح و ما الإصباح منک بأمثل
و يا لک من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل «3»
و يؤكد هذا ما
روى عن النبى صلى اللَّه عليه و آله أنه لما نزلت هذه الآية قيل له ما أطول هذا اليوم؟! فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله (و الذى بعثنى بالحق نبياً إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا)
و قال الضحاک و قتادة:
هو يوم القيامة. و قال الزجاج: يجوز أن يكون (يوماً) من صلة (واقع) فيكون المعنى سأل سائل بعذاب واقع فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة و ذلک العذاب يقع يوم القيامة. و قال الحسن: تعرج الملائكة بأعمال بنى آدم فى الغمام، كما قال

---

(1) سورة 37 ص آية 99
(2) سورة 32 ألم السجدة آية 5
(3) ديوانه 152

(وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ) «1» و قال الزجاج: سماه يوماً، لأن الملائكة تعرجه فى مقدار يوم واحد. ثم أمر نبيه فقال (فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا) أى لا شكوى فيه على ما تقاسيه من أذى قومک، و تكذيبهم إياک فيما تخبر به من أمر الآخرة. قال الزجاج: ذلک قبل أن يؤمر بالقتال.
و قوله تعالى (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَراهُ قَرِيباً) اخبار من اللَّه تعالى أنه يعلم مجيء يوم القيامة و حلول العقاب بالكفار قريباً، و يراه أى يظنه الكفار بعيداً، لأنهم لا يعتقدون صحته، و كل ما هو آت قريب، و هذا على وجه الإنكار عليهم استبعادهم يوم الجزاء، و توهمهم أنه بعيد. و بين أنه تعالى يراه قريباً بما يعلمه من حصوله، و إنما جاز أن يقال فى توهمهم: يرونه لأنهم يتوهمونه، و هم عند أنفسهم يرونه، فجاء على مزاوجة الكلام الذى ينبئ عن المعنِى من غير إخلال. و قيل: معنِى إنهم يرون العذاب الذى

سألوا عنه بعيداً، لأنهم لا يؤمنون به، و نراه قريباً لإن كل ما هو آت قريب.
ثم وصف اللّه تعالى يوم القيامة فقال (يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ) قال الزجاج:
المهل دردى الزيت، و قال مجاهد: هو عكر الزيت. و قال قوم: هو الصفر المذاب.
و قال قوم: المهل هو الجارى بغلظة و عكرة على رفق: من أمهله إمهالا، و تمهل تمهلا (وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ) فالعهن الصوف المنفوش، و ذلک ان الجبال تقطع حتى تصير بهذه الصفة، كما أن السماء تشقق بالغمام و تكون كالمهل.
و قوله (وَ لا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً) فالحميم القريب النسب إلى صاحبه الذى يحمى لغضبه و أصله القرب قال الشاعر:
أحم اللّه ذلک من لقاء أحاد أحاد فى الشهر الحلال «2»

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 25
(2) مر 8/ 503، 575

و قال مجاهد: لا يسأل حميم حميماً لشغل كل إنسان بنفسه عن غيره. و قال الحسن: لا يسأله ان يحمل عنه من أوزاره ليأسه من ذلک فى الآخرة. و قيل (لا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً) لأنه (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ) «1» و من ضم الياء أراد لا يطالب قريب بأن يحضر قريبه كما يفعل أهل الدنيا بأن يؤخذ الحميم بحميمه و الجار بجاره، لأنه لا جور هناک، و يجوز أن يكون المراد لا يسأل حميم عن حميمه ليعرف شأنه من جهته، كما يتعرف خبر الصديق من جهة صديقه، و القريب من قريبه.
ثم يحذف الجار و يوصل الفعل إلى المفعول به، و يقوى ذلک قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) أى يبصر الحميم حميمه. و الفعل فيه قبل تضعيف العين بصرت به، كما قال حكاية عن السامرى (بَصُرْتُ بِما لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) «2».

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِی مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11) وَ صاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ (12) وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِی تُؤْوِيهِ (13) وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ (14) كَلاَّ إِنَّها لَظی (15)
نَزَّاعَةً لِلشَّوی (16) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّی (17) وَ جَمَعَ فَأَوْعی (18) إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20)
وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلی صَلاتِهِمْ دائِمُونَ (23) وَ الَّذِينَ فِی أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ (25)

---

(1) سورة 55 الرحمن آية 41
(2) سورة 20 طه آية 96

خمس عشرة آية.
قرأ (نزاعة)- بالنصب- حفص عن عاصم على الحال. الباقون بالضم جعلوه بدلا من (لظى) و (لظى) اسم من اسماء جهنم معرفة، و (نزاعة) نكرة فلذلك نصبه حفص على الحال و من جعلها بدلا من (لظى) و تقديره كلا إنها لظى، كلا إنها نزاعة للشوى، و ضعف أبو على نصبه على الحال، قال: لأنه ليس فى الكلام ما يعمل فى الحال، و لظى اسم معرفة لا يمكن أن يكون بمعنى التلظى، فلا يعمل فيه الأعلى وجه ضعيف بأن يقال: مع انها معرفة فمعناها بمعنى التلظى. قال و الأجود أن ينصب بفعل آخر، و تقديره أعنى نزاعة.
لما وصف اللَّه تعالى القيامة و أهوالها، و اخبر أن الحميم لا يسأل حمياً لشغله بنفسه، قال (يبصرونهم) قال ابن عباس و قتادة: يعرف الكفار بعضهم بعضاً، ثم يفر بعضهم عن بعض، و قال مجاهد: يعرفهم المؤمنون، و قال قوم: يعرف اتباع الضلال رؤساءهم، و قول ابن عباس أظهر، لأنه عقيب ذكر الكفار. و قال هو كناية ينبغى ان يرجع اليهم.
و قوله (يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِی مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ) أى يتمنى العاصى، فالمودة مشتركة بين التمنى و بين المحبة تقول: وددت الشىء إذا تمنيته و وددته إذا أحببته أود فيهما جميعاً، و صفة ودود من المحبة. و قوله (لَوْ يَفْتَدِی)، فالافتداء افتداء الضرر عن الشىء يبدل منه، فهؤلاء تمنوا سلامتهم من العذاب النازل بهم بإسلام كل كريم عليهم. و الفرق بين (يود لو يفتدى) و (يود أن يفتدى) أن (لو) تدل على التمنى من جهة أنها لتقدير المعنى، و ليس كذلك (أن) لأنها لاستقبال الفعل و (لو) للماضى، فلما كان الاعتماد

الواقع، فلو قال قائل: حسبت أن يقوم زيد، لما دل على التمنى، و لو قال حسبت لو يقوم زيد لدل على التمنى فبان الفرق بينهما.
و قوله (بِبَنِيهِ) يعنى بأولاده الذكور (وَ صاحِبَتِهِ) يعنى زوجته (وَ أَخِيهِ) يعنى ابن أبيه و أمه (وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِى تُؤْوِيهِ) فالفصيلة هى المنقطعة عن جملة القبيلة برجوعها إلى ابوة خاصة، و هى الجماعة التى ترجع إلى أبوة خاصة عن ابوة عامة (وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ) أى يتمنى هذا الكافر بان يتخلص من بعذاب اللَّه بأن يفتدى بهؤلاء كلهم، فقال اللَّه تعالى (كَلَّا) أى ليس ينجيه من عقاب اللَّه شىء و قال الزجاج (كلا) ردع و تنبيه أى لا ينجيه احد من هؤلاء فارتدعوا.
و قوله (إِنَّها لَظى) فلظى اسم من اسماء جهنم مأخوذ من التوقد، و منه قوله (فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظَّى) «1» و موضع (لظى) رفع، لأنها خبر (ان) و (نَزَّاعَةً لِلشَّوى) خبر آخر- على قول من رفع- و من نصب جعله حالا، و يجوز أن تكون الهاء فى (إنها) عماداً، و (لظى) ابتداء و خبرها (نزاعة) إذا رفع.
قال الزجاج:
و يجوز أن يكون كقولهم: هذا حلو حامض، و تقديره النار لظى، و هى نزاعة ايضاً.
و معنى نزاعة كثيرة النزع و هو اقتلاع عن شدة. و الاقتلاع أخذ بشدة اعتماد، و الشوى جلدة الرأس. و الشوى الكوارع و الاطراف، و الشوى ما عدا المقتل من كل حيوان، يقال: رمى فأشوى إذا أصاب غير المقتل، و رمى فأصمى إذا أصاب المقتل، و منه الشوى، لان النار تأخذ الجلدة و الاطراف بالتغير. و الشوى الخسيس من المال. و قيل: ان جهنم تنزع جلدة الرأس و أطراف البدن، و الشوى جمع شواة قال الأعشى:
قالت قتيلة ماله قد حللت شيباً شواته «2»

---

(1) سورة 92 الليل آية 14
(2) اللسان (شوا)

و قال ابن عباس: نَزَّاعَةً لِلشَّوى للجلد و أم الراس. و قال ابو صالح: لحم الساق، و قال قتادة: الهام و الاطراف. و قال الفراء: كل ما كان غير مقتل فهو شوى. و قال ابو عمر الدورى: كان الكسائى لا يقف على (كلا) فى شىء من القرآن إلا على هذين فى هذه السورة. و قال ابن خالويه: أعلم أن فى القرآن ثلاثاً و ثلاثين موضعاً (كلا) فليس فى النصف الأول منه شىء، فمن وقف عليه جعله رد للكلام. و من لم يقف جعله بمعنى حقاً، قال الشاعر:
يقلن لقد بكيت فقلت كلا و هل تبكى من الطرب الجليد «1»

فالطرب خفة تصيب الإنسان لشدة الخوف قال الشاعر:
و أرانى طرباً فى أثرهم طرب الواله أو كالمختبل «2»
و قال فى السرور:
اطربا و أنت قنسرى و الدهر بالإنسان دوارى «3»
يقول أ طربا و أنت شيخ. و قوله تعالى (تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى) قيل فى معناه قولان:
أحدهما- إنه لا يفوت هذه النار كافر، فكأنها تدعوه فيجيبها كرها.
و الثانى- ان يخرج لسان من النار فيتناوله كأنها داعية بأخذها، و هو كقوله (تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ) «4» و قال الفراء: و غيره: إن النار تدعو الكافر و الفاسق، فتقول إلىّ إلىّ، و هذا يجوز إذا فعل اللَّه تعالى فيها الكلام، و يضاف اليها مجازاً.
و قال قتادة: تدعو من أدبر و تولى عن طاعة اللَّه. و قال مجاهد: من تولى عن الحق و قيل: معناه تدعو زبانيتها من أدبر و تولى عن طاعة اللَّه. و قوله (وَ جَمَعَ فَأَوْعى)

---

(1) مقاييس اللغة 3/ 454 [.....]
(2) مر فى 3/ 21 و 5/ 247
(3) مر فى 4/ 377، 505 و 8/ 63
(4) سورة 67 الملک آية 8

معناه عمل فجمع المال فى الدنيا و أدبر عن الحق و تولى، فالنار تدعوه بما يظهر فيها من انه أولى بها. و قال مجاهد (جمع) المال (فأوعى) و لم يخرج حق اللّه منه، فكأنه جعله فى وعاء على منع الحقوق منه.
و قوله (إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً) اخبار منه تعالى بان الإنسان خلق هلوعاً و الهلوع هو الشديد الحرص، الشديد الجزع من الضجر- فى قول ابن عباس و عكرمة- و قيل: معناه خلق ضعيفاً عن الصبر على الجزع و الهلع، لأنه لم يكن فى ابتداء خلقه بهلع و لا يجزع و لا يشعر بذلک حال الطفولية، و إنما جاز ان يخلق الإنسان على هذه الصفة المذمومة، لأنها تجرى مجرى خلق سهوه القبيح ليجتنب المشتهى، لان المحنة فى التكليف لا تتم إلا بمنازعة النفس إلى القبيح ليجتنب على وجه الطاعة للَّه تعالى، كما لا يتم إلا بتعريف الحسن من القبيح فى العقل ليجتنب أحدهما و يفعل الآخر (إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً) لو كان منقطعاً عن الاول لكان مرفوعاً، و الجزع ظهور الفزع بحال تنبئ عنه (وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً) معناه إذا نال الإنسان الخير و السعة فى الدنيا منع حق اللّه فيه من الزكاة و غيرها مما فرض اللّه عليه، فالمس الملاقاة من غير فعل، و يقال: مسه يمسه، و تماسا إذا التقيا من غير فعل، و ماسه مماسة. و المنع هو القطع عن الفعل بما لا يمكن وقوعه معه، و هو

على وجهين: أحدهما- منع القادر ان يفعل. و الآخر- منع صاحب الحق أن يعطى حقه. و البخل منع الحق صاحبه.
و لما وصف اللَّه تعالى الإنسان بالصفات المذمومة استثنى من جملتهم من لا يستحق الذم، لان الإنسان عبر به عن الناس، فهو لعموم الجنس، كما قال (إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ) «1» و كذلک- هاهنا- قال (إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ)

---

(1) سورة 103 العصر آية 2

و معناه الذين يستمرون على أداء الصلاة التى أوجبها اللَّه عليهم لا يخلون بها و لا يتركونها. و
روى عن أبى جعفر عليه السلام أن ذلک فى النوافل يديمون عليها
و قوله (وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ) «1» فى الفرائض و الواجبات (وَ الَّذِينَ فِى أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ) فالحق وضع الشىء فى موضعه على ما يقتضيه العقل و الشرع من قولهم: حق الشىء يحق حقاً، و حقه كقولک تحققه. و المال عبارة فى الشرع عن مقدار معين من العين أو الورق يتعلق به وجوب الزكاة و اكثر ما يستعمل فى اللغة فى المواشى من الإبل و البقر و الغنم. و قال ابن عباس: الحق المعلوم هو البرّ الذى يخرج فى صدقة أو صلة رحم. و قال قتادة: هو الزكاة المفروضة (لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ) و السائل هو الذى يسأل و يطلب. وَ الْمَحْرُومِ، قال ابن عباس: هو المحارف و قال الحسن: هو الذى حرم أن يعطى الصدقة بتركه المسألة. و قيل: هو الذى قد حرم الرزق و هو لا يسأل الناس.
و قوله (عَذابِ يَوْمِئِذٍ) قرئ بالفتح و الكسر من «يَوْمِئِذٍ» فمن كسر الميم فعلى أصل الاضافة، لان الذى أضيف اليه الاول مخفوض أيضاً بالاضافة فهذا مضاف إلى مضاف. و من فتح فلأنه مضاف إلى غير متمكن مضاف إلى (إذ) و (إذ) مبهمة و معناه يوم إذ يكون كذا و يكون كذا فلما كانت مبهمة و أضيف اليها بنى المضاف اليها على الفتح و انشد:
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة فى غصون ذات او قال «2»
لما أضاف (غير) إلى (ان) بناها على الفتح، و هى فى موضع رفع، و روى (غير أن) نطقت بالرفع.

---

(1) سورة 23 المؤمنون آية 9
(2) مر فى 4/ 479 و 8/ 51 و 9/ 383

وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (27) إِنَّ عَذابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28) وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ (29) إِلاَّ عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ (31) وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ (32) وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ (33) وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ (34) أُولئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (35)

عشر آيات.

قرأ (شهاداتهم) على الجمع حفص و يعقوب و عياش و سهل، لاختلاف الشهادات. الباقون (بشهادتهم) على التوحيد، لأنه لفظ جنس يقع على القليل و الكثير. و قرأ ابن كثير وحده (لامانتهم) على التوحيد، لأنه اسم جنس. الباقون على الجمع لاختلاف الأمانات.

عطف اللّه تعالى على صفات المؤمنين و زاد فى مدحهم، فقال (وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) أى يؤمنون بأن يوم الجزاء و الحساب يوم القيامة حق، و لا يشكون فى ذلك، و التصديق الإقرار بأن الخبر صادق، فلما كان المؤمنون قد أقروا ان كل من اخبر بصحة يوم الدين فهو صادق، كانوا مصدقين به، فأما المصدق بيوم الدين تقليداً، فمن الناس من قال: هو ناج. و منهم من قال: لا يطلق عليه مصدق بيوم الدين، لأنها صفة مدح، و ذلك أنه من أخلص هذا المعنى على جهة الطاعة للّه تعالى التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 124

به استحق المدح و الثواب، و المقلد عاص بتقليده، لأنه لا يرجع فيه إلى حجة.

و قوله (وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) فالاشفاق رقة القلب عن تحمل ما يخاف من الأمر، فإذا قسا قلب الإنسان بطل الإشفاق، و كذلك إذا أمن كحال أهل الجنة إذ قد صاروا إلى غاية الصفة بحصول المعارف الضرورية. و قيل:

من اشفق من عذاب اللّه لم يتعد له حداً و لم يضيع له فرضاً.

و قوله (إِنَّ عَذابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ) اخبار منه تعالى بأن عذاب اللّه لا يوثق بأنه لا يكون، بل المعلوم أنه كائن لا محالة. و المعنى إن عذاب اللّه غير مأمون على العصاة، يقال: فلان مأمون على النفس و السر و المال، و كل ما يخاف انه لا يكون، و نقيضه غير مأمون.

و قوله (وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ) و معناه إنهم يمنعون فروجهم على كل وجه و سبب إلا على الازواج و ملك الايمان فكأنه قال: لا يبذلون الفروج إلا على الازواج أو ملك

الايمان، فلذلک جاز ان يقول (حافِظَونَ إِلّا عَلى أَزْواجِهِمْ) و هم حافظون لها على الازواج، فإنما دخلت (إلا) للمعنى الذى قلناه. و قال الزجاج تقديره: إلا من أزواجهم ف (على) بمعنى (من) او تحمله على المعنى، و تقديره فإنهم غير ملومين على أزواجهم و يلامون على غير أزواجهم، و قال الفراء: لا يجوز أن تقول: ضربت من القوم إلا زيداً، و انت تريد إلا أنى لم اضرب زيداً. و الوجه فى الآية أن نحملها على المعنى، و تقديره و الذين هم لفروجهم حافظون، فلا يلامون إلا على غير أزواجهم. و مثله أن يقول القائل: أصنع ما شئت إلا على قتل النفس، فإنک غير معذب، فمعناه إلا إنک معذب فى قتل النفس.
و قوله (فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) أى لا يلامون هؤلاء إذا لم يحفظوا فروجهم

من الازواج، و ما ملكت أيمانهم من الإماء على ما أباحه اللَّه لهم.
ثم قال (فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِکَ) و معناه فمن طلب وراء ما أباحه اللَّه له من الفروج إما بعقد الزوجية أو بملک اليمين (فَأُولئِکَ هُمُ العادُونَ) الذين تعدوا حدود اللَّه و خرجوا عما أباحه اللَّه لهم فالابتغاء الطلب و معنى (وَراءَ ذلِکَ) ما خرج عن حده من أى جهة كان، و قد يكون وراءه بمعنى خلفه نقيض أمامه إلا أنه- هاهنا- الخارج عن حده كخروج ما كان خلفه. و العادى الخارج عن الحق، يقال: عدا فلان فهو عاد إذا اعتدى، و عدا فى مشيه يعدو عدواً إذا أسرع فيه، و هو الأصل. و العادى الظالم بالاسراع إلى الظلم.
و قوله (وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ) فالامانة المعاقدة بالطمأنينة على حفظ ما تدعو اليه الحكمة. و قيل: الأمانة معاقدة بالثقة على ما تدعو اليه الحكمة.
و قد عظم اللَّه أمر الامانة بقوله (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ) «1» و من وحد لفظ الامانة، فلأنها للجنس تقع على القليل و الكثير، و من جمع أراد اختلاف ضروبها. و قال قوم: المراد بالأمانة الايمان و ما أخذه اللَّه على عباده من التصديق بما أوجب عليهم و العمل بما يجب عليهم العمل به، و يدخل فى ذلک الايمان و غيره، و قوله (راعُونَ) معناه حافظون.
و قوله (وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ) مدح للمؤمنين بأنهم يقيمون الشهادة التى يلزمهم إقامتها. و من وحد لفظ الشهادة، فكما قلناه فى الامانة سواء، و الشهادة الاخبار بالشىء على أنه على ما شاهده، و ذلک أنه يكون عن مشاهدة للخبر به، و قد يكون عن مشاهدة ما يدعو اليه.
و قوله (وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ) وصف لهم بأنهم يحافظون على

---

(1) سورة 33 الأحزاب آية 72

صلاتهم فلا يضيعونها و قيل إنهم يحافظون على مواقيتها فلا يتركونها حتى تفوت ثم قال «أُولئِکَ» يعنى المؤمنين الذين وصفهم بالصفات المتقدمة «فِى جَنَّاتٍ» أى بساتين يجنها الشجر (مكرمون) أى معظمون مبجلون بما يفعل بهم من الثواب و الإكرام و هو الإعظام على الإحسان، و الإكرام قد يكون بالإحسان، و قد يكون بكبر الشأن فى صفة العالم القادر الغنى الذى لا يجوز عليه صفات النقص، فالاعظام بالإحسان و بكبر الشأن فى أعلى المراتب للّه تعالى لا يستحقه سواه.

فَما لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَکَ مُهْطِعِينَ (36) عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ عِزِينَ (37) أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (38) كَلاَّ إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (39) فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ إِنَّا لَقادِرُونَ (40)
عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (41) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ (42) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ سِراعاً كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (43) خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذلِکَ الْيَوْمُ الَّذِى كانُوا يُوعَدُونَ (44)
تسع آيات.
قرأ (نصب) بضمتين أهل الشام، و حفص عن عاصم، و سهل، على انه جمع (نصب) مثل رهن و رهن- فى قول أبى عبيدة- و قال غيره: هما لغتان، مثل ضَعف و ضُعف. الباقون بفتح النون خفيفة. و النصب الصنم الذى كانوا يعبدونه، التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 127
سمى بذلک. و قيل: النصب نصب الصنم الذى كانوا يعبدونه. و قيل: معناه إلى علم يسبقون اليه قد نصب لهم. و قرأ الأعشى (يخرجون) بضم الياء. الباقون بفتحها أضافوا الخروج اليهم.
يقول اللَّه تعالى على وجه الإنكار على الكفار (فَما لِ الَّذِينَ كَفَرُوا) و معناه أى شىء للذين كفروا بتوحيد اللَّه و جحدوا نبوتک (قِبَلَکَ مُهْطِعِينَ) أى نحوک مسرعين- فى قول أبى عبيدة- و قال الحسن: معناه منطلقين. و قال قتادة: عامدين و قال ابن زيد: معناه لا يطرقون أى شاخصون. و جميع ذلک بمعنى الاسراع الى الشىء، فمرة بتشوقه و مرة بقصده و مرة بشخوصه. و قال الزجاج: المهطع المقبل ببصره على الشىء لا يزايله، و ذلک من نظر العدو، و إنما أنكر عليهم الاسراع اليه لأنهم أسرعوا اليه ليأخذوا الحديث منه ثم يتفرقون عزين بالتكذيب عليه- ذكره الحسن- و قيل: أسرعوا اليه شخوص المتعجب منه. و قيل: أسرعوا اليه لطلب عيب له. و قيل: معناه فما للذين كفروا مسرعين فى نيل الجنة مع الإقامة على الكفر و الاشراک باللَّه فى العبادة.
و قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ عِزِينَ) قال ابن عباس: عن اليمين و الشمال معرضين يستهزؤن، و معنى (عزين) جماعات فى تفرقة نحو الكراريس واحدهم عزة، و جمع بالواو و النون، لأنه عوض مما حذف منه، و مثله سنة و سنون.
و أصل عزة عزوة من عزاه يعزوه إذا أضافه إلى غيره، و كل واحدة من هذه الجماعة مضافة إلى الاخرى، و قال الراعى:
أ خليفة الرحمن إن عشيرتى أمسى سوامهم عزين فلو لا «1»

و قوله (أ يَطْمَعُ كُلّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ) فمن ضم الياء،

---

(1) مجاز القرآن 2/ 270 و الطبرى 29/ 47

و هم أكثر القراء جعل الفعل لما لم يسم فاعله. و فتح الحسن الياء لأنهم إذا أدخلوا فقد دخلوا. و معنى الآية الإنكار عليهم قولهم: إن دخل أصحاب محمد الجنة، فانا ندخلها قبلهم لا محالة، فقيل و أى شىء لكم عند اللّه يوجب هذا؟ و لم تحتقرون هؤلاء؟ و قد خلقناهم جميعاً مما يعلمون أى من تراب.

و قوله (كَلَّا إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) قال الحسن: خلقناهم من النطفة، و قال قتادة: إنما خلقت من قذر يا بن آدم فاتق اللّه. و قال الزجاج: أى من تراب، ثم من نطفة، فأى شىء لهم يدخلون به الجنة، و هم لک على العداوة، و هذا حجاج لأن خلقهم من ماء مهين يقتضى أنهم خلقوا للعبادة، فجعل فى خلقهم من هذا عبرة، و لو لا ذلک لابتدأهم فى نعيم الجنة، و لم يكن لتنقلهم فى الصور و الأحوال معنى فى الحكمة، و قال بعضهم: المعنى خلقناهم من الذين يعلمون أو من الخلق أو الجنس الذى يعلمون و يفقهون، و تلزمهم الحجة، و لم يخلقهم من الجنس الذى لا يفقه كالبهائم و الطير، و إنما قال (مِمَّا يَعْلَمُونَ) فجمع، لأنه قال قبل ذلک (خلقناهم) فجمع (يعلمون) و وجه أخر و هو أنه خلقهم من أجل ما يعلمون من الثواب و العقاب و التكليف للطاعات تعريضاً للثواب، كما يقول القائل: غضبت عليک مما تعلم أى من أجل ما تعلم قال الأعشى:

أ أزمعت من آل ليلى ابتكاراً و شطت على ذى هوى أن تزاوا «1»

على انه لم يزمع من عندهم، و إنما أزمع من أجلهم للمصير اليهم.

و قوله (فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ) قسم من اللّه تعالى برب المطالع و المغارب، و (لا) مفخمة و قد بينا القول فى ذلک. و قال ابن عباس: الشمس لها ثلاثمائة و ستون مطلعاً كل يوم مطلع لا تعود اليه إلا إلى قابل. و قوله (إِنَّا لَقادِرُونَ)

---

(1) ديوانه 80 و اللسان (زمع)

جواب القسم و فيه إخبار من اللّه تعالى بأنه قاد (عَلى أَنْ نُبَدِّلَ) بالكفار (خَيْراً مِنْهُمْ) فالتبديل تصيير الشىء موضع غيره، بدله تبديلا و أبدله إبدالا. و البدل الكائن فى موضع غيره. و قوله (وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) عطف على جواب القسم، و معناه إن هؤلاء الكفار لا يفوتون بأن يتقدموا على وجه يمنع من لحاق العذاب بهم فلم يكونوا سابقين، و لا العقاب مسبوقاً منهم، فالسبق تقدم الشىء فى وقت قِبل وقت غيره. و التقدير و ما نحن

بمسبوقين بفوت عقابنا إياهم، و كأنه لو فاتهم عقابنا لكنا قد سبقنا، و ما نحن بمسبوقين. و قيل: معناه و ما أهل سلطاننا بمسبوقين. و قيل:
و ما نحن بمغلوبين بالفوت. ثم قال على وجه التهديد لهم بلفظ الامر للنبى صلى الله عليه و آله (فَذَرْهُمْ) أى اتركهم (يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا) فان وبال ذلک عائد عليهم و العقاب المستحق على كفرهم حال بهم، و اللعب عمل للترويح عن النفس بما هو حقير فى العقل، كلعب الصبيان و من جرى مجراهم من ناقصى العقل، و لا يجوز من الحكيم أن يفعل اللعب لغيره، لأنه عمل وضيع فى الحكمة (حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ) و معناه حتى يروا اليوم الذى يوعدون فيه بالعقاب على المعاصى و الثواب على الطاعات ثم بين صفة ذلک اليوم، فقال (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ) يعنى من القبور و أحدها جدث و جدث. و نصب (سراعاً) على الحال، و معناه مسرعين (كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) شبههم فى إسراعهم من قبورهم إلى أرض المحشر بمن نصب له علم أو صنم يستبقون اليه، و الايفاض الاسراع أو فض يوفض ايفاضاً إذا أسرع قال رؤبة.
يمشى بنا الجد على أوفاض «1»

---

(1) اللسان (و فض)

أى على عجلة. و النصب نصب الصنم الذى كانوا يعبدونه. و قيل اسم الصنم نصب و جمعه نصب مثل رهن و رهن- فى قول أبى عبيدة- و أنشد الفراء فى الايفاض:
لأنعتن نعامة ميفاضا خرجاء ظلت تطلب الافاضا «1»
فخرجاء ذات لونين، و يقال للقميص المرقع برقعة حمراء أخرج، لأنه خرج عن لونه، و الافاض طلب ملجأ يلجأ اليه، و قال بشر بن أبى حازم:
أهاجک نصب أم بعينک منصب
و قال الأعشى:
و ذا النصب المنصوب لا تنسكنه لعافية و اللَّه ربک فاعبدا «2»
و قوله (خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ) أى ذليلة خاضعة (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) أى يغشاهم و يركبهم ذل و صغار و خزى لما يرون نفوسهم مستحقة للعقاب و اللعن من اللَّه.
ثم قال تعالى (ذلِکَ الْيَوْمُ الَّذِى كانُوا يُوعَدُونَ) به فى دار التكليف فلا يصدقون به و يجحدونه، و قد شاهدوه فى تلک الحال.
و قوله (إِنَّا لَقادِرُونَ عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ) لا يدل على أنه تعالى قادر على ان يبدل بالكفار من هو خيراً منه و لم يخلقهم، فيكون قد أخل بالأصلح لأنه اخبر عن انه قادر على خير منهم و قد خلق قوماً آمنوا بالنبى صلى الله عليه و آله و بذلوا نفوسهم و أموالهم.

(1) اللسان (و فض)
(2) مر فى 1/ 465 و 4/ 18

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک و غيرهما. و هى ثمان و عشرون آية فى الكوفى، و تسع و عشرون فى البصرى، و ثلاثون فى المدنيين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (1) قالَ يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ (3) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (4)
قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَ نَهاراً (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلاَّ فِراراً (6)
ست آيات.
قرأ «ان اعبدوا اللّه» بكسر النون عاصم و حمزة و ابو عمرو، على اصل التقاء الساكنين. الباقون بالضم اتباعاً للضمة على الباء فى (اعبدوا اللّه) و قرأ الفراء «دعائى» ممدوداً إلا شبلا عن ابن كثير، فانه قصر، و فتح الياء مثل عصاى.
قال ابو على: فتح الياء و إسكانها حسنان، فاما قصر الكلمة فلم أسمعها، و يجوز أن التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 132
تكون لغة.
يقول اللّه تعالى مخبراً عن نفسه «إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً» أى بعثنا نوحاً نبياً «إِلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ» أى بأن انذر قومك، فموضع (أن) نصب بسقوط الباء. و قال قوم: موضعه الجر لقوة حذفها مع (أن). و قال آخرون: يجوز أن تكون (أن) بمعنى أى المفسرة، فلا يكون لها موضع من الاعراب. و قرأ ابن مسعود «أرسلنا نوحاً إلى قومه أنذر» بلا (أن) لأن معنى الإرسال معنى القول فكأنه قال: قلنا له: أنذر قومك. و الانذار التخويف بالاعلام بموضع المخافة ليتقى.
و نوح عليه السلام قد انذر قومه بموضع المخافة و هى عبادة غير اللّه، و إنتهاك محارمه، و أعلمهم وجوب طاعته و إخلاص عبادته. و قوله «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» معناه أعلمهم وجوب عبادة اللّه و خوفهم خلافه من قبل أن ينزل عليهم العذاب المؤلم، فانه إذا نزل بهم العذاب لم ينتفعوا بالإنذار و لا تنفعهم عبادة اللّه حينئذ، لأنهم يكونون ملجئين إلى ذلک. و قال الحسن: أمره بأن ينذرهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة.
ثم حكى أن نوحاً عليه السلام امتثل ما أمره اللّه به و (قالَ) لقومه «يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ» أى مخوفكم عبادة غير اللّه او أحذركم معصية اللّه مظهر ذلک لكم (وَ اتَّقُوهُ) بترک معاصيه «وَ أَطِيعُونِ» فيما أمركم به لأن طاعتى مقرونة بطاعة اللّه، و تمسككم بطاعتى لطف لكم فى التمسک بعبادة اللّه، و اتقاء معاصيه، فلذلک وجب عليكم ما أدعوكم اليه على وجه الطاعة، و طاعة اللّه واجبة عليكم لمكان النعمة

السابغة عليكم التى لا يوازيها نعمة منعم.
ثم بين لهم ما يستحقون على طاعة اللّه و طاعة رسوله فقال متى فعلتم ذلک «يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ» و دخلت (من) زائدة و قيل (من) معناها (عن)

و التقدير يصفح لكم عن ذنوبكم، و تكون عامة. و قيل: إنها دخلت للتبعيض، و معناها يغفر لكم ذنوبكم السالفة، و هى بعض الذنوب التى تضاف اليهم، فلما كانت ذنوبهم التى يستأنفونها لا يجوز الوعد بغفرانها مطلقاً- لما فى ذلک من الإغراء بالقبيح- قيدت هذا التقييد. و قيل: معناها «يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ» بحسب ما تكون التوبة متعلقة بها، فهذا على التبعيض إن لم يقلعوا إلا عن البعض. و هذا على مذهب من يقول: تصح التوبة من قبيح مع المقام على قبيح آخر يعلم قبحه. و قال الزجاج:
دخلت (من) لتخص الذنوب من سائر الأشياء، لا لتبعيض الذنوب.
و أكثر النحويين و أكثر القراء على إظهار الراء عند اللام فى (يَغْفِرْ لَكُمْ) و أختار ابو عمرو الإدغام، لان إذهاب التكرير لا يخل، لان الثانى مثل الأول.
و إنما يخل إذهاب ما له حس فى المسموع، كالذى لحروف الصفير و بحروف المدّ و اللين و قوله «وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى» عطف على الجزاء فلذلک جزمه، و المعنى إنكم إن أطعتم اللّه و رسوله غفر لكم ذنوبكم و أخركم إلى الأجل المسمى عنده. و فى الآية دليل على الأجلين، لان الوعد بالأجل المسمى مشروط بالعبادة و التقوى، فلما لم يقع اقتطعوا بعذاب الاستئصال قبل الأجل الأقصى بأجل أدنى. و كل ذلک مفهوم هذا الكلام. و قيل تقديره إن الأجل الأقصى لهم إن آمنوا، و ليس لهم إن لم يؤمنوا، كما أن الجنة لهم إن آمنوا و ليست لهم إن لم يؤمنوا.
ثم اخبر «إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ» الأقصى إذا جاء لا يؤخر «لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» صحة ذلک و تؤمنون به، و يجوز ذلک أن يكون اخباراً من اللّه عن نفسه، و يجوز ان يكون حكاية عن نوح أنه قال ذلک لقومه.
ثم حكى تعالى ما قال نوح للّه تعالى فانه قال يا «رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَ نَهاراً» الى عبادتک و خلع الأنداد من دونک و الى الإقرار بنبوتى «فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِى التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 134
إِلَّا فِراراً»
أى لم يزدادوا بدعائى الا فراراً عن قبوله و بعداً عن استماعه، و انما سمى كفرهم عند دعائه زيادة فى الكفر، لأنهم كانوا على كفر باللّه و ضلال عن حقه، ثم دعاهم نوح إلى الإقرار به و حثهم على الاقلاع عن الشرک، فلم يقبلوا، فكفروا بذلک، فكان ذلک زيادة فى الكفر، لأن الزيادة اضافة شىء إلى مقدار بعد حصوله منفرداً، و لو حصلا ابتداء فى وقت واحد لم يكن أحدهما زيادة على الآخر، و لكن قد يكون زيادة على العطية. قيل: و إنما جاز أن يكون الدعاء الى الحق يزيد الناس فراراً منه للجهل الغالب على

النفس، فتارة يدعو الى الفرار مما نافره، و تارة يدعو الى الفساد الذى يلائمه و يشاكله فمن هاهنا لم يمتنع وقوع مثل هذا، و الفرار ابتعاد عن الشىء رغبة عنه او خوفاً منه، فلما كانوا يتباعدون عن سماع دعائه رغبة عنه كانوا قد فروا منه.

وَ إِنِّی کُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِی آذانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِیابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَکْبَرُوا اسْتِکْباراً (7) ثُمَّ إِنِّی دَعَوْتُهُمْ جِهاراً (8) ثُمَّ إِنِّی أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً (9) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ إِنَّهُ کانَ غَفَّاراً (10) یُرْسِلِ السَّماءَ عَلَیْکُمْ مِدْراراً (11)
وَ یُمْدِدْکُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِینَ وَ یَجْعَلْ لَکُمْ جَنَّاتٍ وَ یَجْعَلْ لَکُمْ أَنْهاراً (12) ما لَکُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً (13) وَ قَدْ خَلَقَکُمْ أَطْواراً (14)
ثمان آیات. التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 135
لما حکی اللّه تعالی عن نوح أنه قال یا رب انی دعوت قومی الی طاعتک لیلا و نهاراً فلم یزدادوا عند دعائی إلا بعداً عن القبول قال «وَ إِنِّی کُلَّما دَعَوْتُهُمْ» إلی اخلاص عبادتک «لِتَغْفِرَ لَهُمْ» معاصیهم جزاء علی ذلک «جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِی آذانِهِمْ» لئلا یسمعوا کلامی و دعائی «وَ اسْتَغْشَوْا ثِیابَهُمْ» أی طلبوا ما یستترون به من الثیاب و یختفون به لئلا یرونه. و قال الزجاج: معناه إنهم کانوا یسدون آذانهم و یغطون وجوههم لئلا یسمعوا کلامه. فالاستغشاء طلب الغشی، فلما طلبوا التغشی بثیابهم فراراً من الداعی لهم، کانوا قد استغشوا «و أصروا» أی أقاموا علی کفرهم و معاصیهم عازمین علی فعل مثله، فالإصرار الاقامة علی الأمر بالعزیمة علیه فلما کانوا مقیمین علی الکفر بالعزم علیه کانوا مصرّین. و قیل إن الرجل منهم کان یذهب بابنه إلی نوح، فیقول لابنه: احذر هذا لا یغوینک، فان أبی قد ذهب بی الیه و أنا مثلک، فحذرنی کما حذرتک، ذکره قتادة. و قوله «وَ اسْتَکْبَرُوا اسْتِکْباراً» أی طلبوا بامتناعهم من القبول منی و اخلاص عبادتک تجبراً فی الأرض و علواً فیها.
ثم حکی أنه قال «ثُمَّ إِنِّی دَعَوْتُهُمْ جِهاراً» أی اعلاناً «ثُمَّ إِنِّی أَعْلَنْتُ لَهُمْ» أی أظهرت الدعاء لهم الی عبادتک تارة «وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ» أی و أخفیت لهم الدعاء الی مثل ذلک کرة أخری «فَقُلْتُ» لهم «اسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ» أی اطلبوا المغفرة علی کفرکم و معاصیکم من اللّه تعالی «إِنَّهُ کانَ غَفَّاراً» لکل من طلب منه المغفرة و یغفر فیما بعد لمن یطلب منه ذلک و متی فعلتم ذلک و اطعمتموه و رجعتم عن کفرکم و معاصیکم «یُرْسِلِ» اللّه تعالی «السَّماءَ عَلَیْکُمْ مِدْراراً» أی کثیرة الدرور بالغیث و المطر، و قیل: إنهم کانوا قحطوا و أجدبوا و هلکت أولادهم و مواشیهم، فلذلک رغبهم فی ترک ذلک بالرجوع الی اللّه، و الدرور تجلب الشیء حالا بعد حال علی الاتصال یقال: درّ درّاً و دروراً فهو دار، و المطر الکثیر الدّرور مدراراً. و قیل: التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 136
ان عمر لما خرج یستسقی لم یزد علی الاستغفار و تلا هذه الآیة. و قوله «وَ

يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ» عطف على الجزاء. و تقديره إنكم متى أطعتموه و عبدتموه مخلصين أرسل عليكم المطر مدراراً و أمدكم بأموال و بنين، فالامداد إلحاق الثانى بالأول على النظام حالا بعد حال، يقال: أمده بكذا يمده امداداً، و مد النهر و أمده نهر آخر. و الأموال جمع المال، و هو عند العرب النعم. و البنون جمع ابن، و هو الذكر من الولد «وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ» أى بساتين تجنها الأشجار «وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً» و هو جمع نهر و هو المجرى الواسع للماء دون سعة البحر و فوق الجدول فى الاتساع لان الجدول النهر الصغير يرى شدة جريه لضيقه و يخفى فى النهر ضرباً من الخفاء لسعته ثم قال لهم على وجه التبكيت «ما لَكُمْ» معاشر الكفار «لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً» أى عظمة- فى قول ابن عباس و مجاهد و الضحاک- و المراد- هاهنا- سعة مقدوراته تعالى، و أصل الوقار ثبوت ما به يكون الشىء عظيماً من الحكم و العلم الذى يمتنع معه الخرق. و منه قرّه فى السمع و وعاه فى القلب إذا ثبت فى السمع و حفظه القلب. و قيل: معنى ترجون تخافون. قال أبو ذؤيب:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و خالفها فى بيت نوب عوامل «1»

أى لم يخف، و كأنه قال: ما لكم لا ترجون للّه عاقبة عظيمة من الثواب بالخلود فى النعيم أو تخافون عاقبة عصيانه بالدخول فى عذاب النار «وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً» فالاطوار انتقال الأحوال حالا بعد حال. و قيل: معناه صبياً ثم شاباً ثم شيخاً ثم غير عاقل ثم عاقلا و ضعيفاً ثم قوياً. و قال: ابن عباس و قتادة و مجاهد و الضحاک و ابن زيد: نطفة ثم علقة ثم مضغة. و قيل: معناه على ألوان مختلفة بيضاء و سوداء و شقراء و صفراء.

---

(1) مر فى 2/ 210 و 3/ 315 و 7/ 491 و 8/ 187

أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً (15) وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً (16) وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً (18) وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً (19) لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً (20)

ست آيات.

يقول اللَّه تعالى مخاطباً لخلقه المكلفين، و منبهاً لهم على توحيده و إخلاص عبادته «أَ لَمْ تَرَوْا» و معناه أ لم تعلموا «كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ» أى اخترع سبع سموات «طِباقاً» أى واحدة فوق الأخرى فالطباق مصدر طابقت مطابقة و طباقاً.

و الطباق منزلة فوق منزلة. و نصب (طِباقاً) على احد وجهين:

أحدهما- على الفعل و تقديره و جعلهن طباقاً.

و الآخر- جعله نعتاً ل (سَبْعَ). و جعل «الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً»

روى أن الشمس يضىء ظهرها لما يليها من السموات، و يضىء وجهها لأهل الأرض، و كذلك القمر.

و المعنى و جعل الشمس و القمر نوراً فى السموات و الأرض. و قال قوم: معنى «فِيهِنَّ» معهن، و حروف الصفات بعضها يقوم مقام بعض. و قال قوم: معناه في حيزهن، و إن كان فى واحدة منها، كما يقول القائل: إن فى هذه الدور لبئراً و إن كان فى واحدة منها، و كذلك يقولون: هذا المسجد فى سبع قبائل و إن كان فى إحداها. و الجعل حصول الشىء على المعنى بقادر عليه. و قد يكون التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 138

ذلك بحدوث نفسه. و قد يكون بحدوث غيره له. و الجعل على أربعة أوجه:

أولها- أحداث النفس، كجعل البناء و النساجة و غير ذلك.

و الثانى- بقلبه، كجعل الطين خزفاً.

و الثالث- بالحكم كجعله كافراً أو مؤمناً.

و الرابع- بالدعاء إلى الفعل كجعله صادقاً و داعياً.

و النور جسم شعاعى فيه ضياء كنور الشمس، و نور القمر، و نور النار، و نور النجوم، و شبه بذلك نور الهدى الى الحق. فاللَّه تعالى جعل القمر ضياء فى السموات السبع- فى قول عبد اللَّه بن عمر- و قيل: جعله نوراً فى ناحيتهن «وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً» فالسراج جسم يركبه النور للاستصباح به، فلما كانت الشمس قد جعل فيها النور للاستضاءة به كانت سراجاً، و هى سراج العالم كما أن المصباح سراج هذا الإنسان.

و قوله «وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً» فالانبات إخراج النبات من الأرض حالا بعد حال. و النبات هو الخارج بالنموّ حالا بعد حال، و التقدير فى «أنبتكم

نباتاَ» أى فنبتم نباتاَ، لان أنبت يدل على نبت، من جهة انه متضمن به.
و قوله «ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها» فالاعادة النشأة الثانية، فالقادر على النشأة الأولى قادر على الثانية، لأنه باق قادر على اختراعه من غير سبب يولده. و المعنى إن اللَّه يردّكم فى الأرض بأن يميتكم فتصيروا ترابا كما كنتم أول مرة «وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً» منها يوم القيامة كما قال «مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى» «1» ثم قال «وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً» أى مبسوطة يمكنكم المشى عليها و الاستقرار فيها. و بين أنه إنما جعلها، كذلك «لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلًا فِجاجاً» فالفجاج

---

(1) سورة 20 طه آية 55 [.....]

جمع (فج) و هى الطريقة المتسعة المتفرقة، و قيل: طرقاً مختلفة- ذكره ابن عباس- و الفج المسلك بين جبلين، و منه الفج الذى لم يستحكم أمره، كالطريق بين جبلين.
و إنما عدد تعالى هذه الضروب من النعم امتناناً على خلقه و تنبيهاً لهم على استحقاقه للعبادة الخالصة من كل شرك، و دلالة لهم على انه عالم بمصالح خلقه، و مدبر لهم على ما تقتضيه الحكمة، فيجب أن يشكروه على هذه النعمة و لا يقابلونها بالكفر و الجحود.

قالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِی وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ یَزِدْهُ مالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلاَّ خَساراً (21) وَ مَکَرُوا مَکْراً کُبَّاراً (22) وَ قالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَکُمْ وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً وَ لا یَغُوثَ وَ یَعُوقَ وَ نَسْراً (23) وَ قَدْ أَضَلُّوا کَثِیراً وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِینَ إِلاَّ ضَلالاً (24) مِمَّا خَطِیئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ یَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصاراً (25)

وَ قالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَی الْأَرْضِ مِنَ الْکافِرِینَ دَیَّاراً (26) إِنَّکَ إِنْ تَذَرْهُمْ یُضِلُّوا عِبادَکَ وَ لا یَلِدُوا إِلاَّ فاجِراً کَفَّاراً (27) رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِوالِدَیَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَیْتِیَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِینَ إِلاَّ تَباراً (28)

قرأ «ماله و ولده» بالفتح نافع و عاصم و ابن عامر. و الباقون بضم الواو و سکون اللام، و هما لغتان مثل حزن و حزن و نخل و نخل و عدم و عدم. و قال قوم:

الولد- بالضم- جمع ولد مثل رهن و رهن و عرب و عرب و عجم و عجم. و قرأ نافع التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 140

«ودّاً» بضم الواو. الباقون بفتحها، و هما لغتان، و هو اسم الصنم. و قال قوم:

بالضم المحبة، و بالفتح الصنم. و السواع- هاهنا- صنم، و فی غیر هذا الساعة من اللیل. و مثله السعواء. و قرأ ابو عمرو «خطایاهم» علی جمع التکسیر. الباقون «خطیئاتهم» علی جمع السلامة.

حکی اللّه تعالی عن نوح أنه «قالَ» داعیا اللّه «یا رَبِّ إِنَّهُمْ» یعنی قومه «عَصَوْنِی» فیما آمرهم به و أنهاهم عنه، فالمعصیة مخالفة المراد إلی المکروه المزجور عنه.

و مخالفة ما أراده الحکیم تکون علی وجهین:

أحدهما- علی المأذون فیه من غیر أن یریده.

و الآخر- إلی المکروه المزجور عنه، فهو بالأول مقصر عن ما هو الأولی فعله.

و بالثانی عاص.

و قوله «وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ یَزِدْهُ مالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلَّا خَساراً» تمام الحکایة عن نوح أنه وصف به قومه بأنهم عصوه فیما دعاهم الیه و اتبعوا الذی لم یزده ماله و ولده إلا خساراً یعنی هلاکاً، فالخسار الهلاک بذهاب رأس المال ففیه معنی الهلاک و لیس کذلک الخسران، لأنه محتمل للقلیل الذی لا یجحفه ذهابه و الکثیر الذی یجحف و أما الخسار ففیه معنی ذهاب الکثیر، و لهذا بنی علی صفة الهلاک.

و قوله «وَ مَکَرُوا مَکْراً کُبَّاراً» فالمکر الفتل بالحیلة الخفیة إلی خلاف الجهة

الموافقة بما فيها من المضرة، مكر يمكر مكراً، فهو ماكر، و الشىء ممكور به، قال ذو الرمة:
عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح و تم الجسم و القصب «1»
أى ملتفة مفتولة. و الكبار الكبير- فى قول مجاهد و ابن زيد- يقولون عجيب

---

(1) مر فى 4/ 513، 541 و 5/ 128

و عجاب بالتخفيف و التشديد. و مثله جميل و جمال و جمال و حسن و حسان. «وَ قالُوا» يعنى الكفار بعضهم لبعض «لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ» أى لا تتركوا عبادة أصنامكم «وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً» و هما صنمان لهم كانوا يعبدونهما، فكانت (ود) لكلب (و سواع) لهمدان «و يغوث» لمذحج «و يعوق» لكنانة «و نسراً» لحمير- فى قول قتادة-.
و قوله «قَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً» معناه ضل بهم خلق كثير. و قيل: معناه إن عبادتهم أضلت خلقاً عن الثواب لمن استحق العقاب، و أضلهم بالذم و التحسر عن حال أهل الفلاح، و إنما جمع الأصنام بالواو لما أسند اليها ما يسند إلى العالم من استحقاق العبادة، و لم يصرفوا (يغوث) و (يعوق) لأنه على لفظ المضارع من الأفعال، و هى معرفة، و قد نونهما الأعمش، و أخرجهما مخرج النكرات أى صنماً من الأصنام.
ثم قال نوح «وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالًا» و معناه إلا عذاباً و سمى العذاب ضلالا كقوله «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى ضَلالٍ وَ سُعُرٍ» «1» و قيل: كانت هذه الأصنام المذكورة يعبدها قوم نوح، ثم عبدتها العرب فيما بعد- فى قول ابن عباس و قتادة و الضحاك و ابن زيد- و لا يجوز فى صفة الحكيم الإضلال عن الايمان.
و قوله «مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ» (ما) صلة و تقديره من خطاياهم بمعنى من أجل ما ارتكبوه من الخطايا و الكفر «أغرقوا» على وجه العقوبة «فادخلوا» بعد ذلك «ناراً» ليعاقبوا فيها «فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصاراً» أى من يدفع عنهم ما نزل بهم من العقاب المستحق على كفرهم.
ثم حكى ما قال نوح أيضاً فانه قال «رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً»

---

(1) سورة 54 القمر آية 47

قال قتادة: ما دعا عليهم إلا بعد ما أنزل عليه «أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ» «1» فلذلك قال (إِنَّكَ) يا رب (إِنْ تَذَرْهُمْ) يعنى تتركهم و لا تهلكهم (يُضِلُّوا عِبادَكَ) عن الدين بالإغواء عنه و الدعاء إلى خلافه (وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً) و إلا فلم يعلم نوح الغيب، و إنما قال ذلك بعد أن اعلمه

اَللّه ذلَک و إنما جاز أن يقول (وَ لا يَلِدُوا إِلّا فاجِراً كَفَّاراً) فيسيمهم بالكفر و الفجور قبل أن يعملوه، لأنه على وجه الحكاية و الاخبار بما يكون منهم لو وجدوا لا على وجه الذم لهم، لاقتضاء العقل على أنه لا يذم على الكفر من لم يكن منه كفر، فكأنه قال و لا يلدوا إلا من إذا بلغ كفر، و (الديار) فيعال من الدوران، أى و لا تذر على الأرض منهم أحداً يدور فى الأرض بالذهاب و المجىء قال الشاعر:

و ما نبالى إذا ما كنت جارتنا ألا يجاورنا إلا ک ديار «2»

أى إلا إياک، فجعل المتصل موضع المنفصل ضرورة. و قال الزجاج: تقول ما فى الدار أحد، و لا بها ديار، و أصله ديوار (فيعال) فقلبت الواو ياء. و أدغمت إحداهما فى الاخرى. و الفاجر من فعل الفجور، و هى الكبيرة التى يستحق بها الذم. و (الكفار) من اكثر من فعل الكفر لأنه لفظ مبالغة. و كافر يحتمل القليل و الكثير.

ثم حكى ان نوحاً سأل اللَّه تعالى فقال (رَبِّ اغْفِرْ لِى وَ لِوالِدَىَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ) قيل المراد بالبيت مسجده. و قيل أراد سفينته.

و ذلک على وجه الانقطاع اليه تعالى، لأنه لا يفعل معصية يستحق بها العقاب.

فأما والداه و المؤمنون و المؤمنات الذين استغفر لهم فيجوز أن يكون منهم معاص يحتاج أن يستغفرها لهم.

---

(1) سورة 11 هود آية 36

(2) أوضح المسالک 1/ 60

و قوله (وَ لا تَزِدِ الظّالِمِينَ إِلَّا تَباراً) فالتبار الهلاک و العقاب، و كل من أهلک فقد تبر، و لذلک سمى كل شىء مكسر تبراً، و يجوز أن يكون معناه لا تزدهم إلا ضلالا أى عذاباً على كفرهم. و قال البلخى: لا تزدهم إلا منعاً من الطاعات عقوبة لهم على كفرهم، فإنهم إذا ضلوا استحقوا منع الألطاف التى يفعل بالمؤمنين فيطيعون عندها، و يمتثلون أمر اللَّه، و لا يجوز أن يفعل بهم الضلال عن الحق، لأنه سفه فتعالى اللَّه عن ذلک علواً كبيراً.

اشارة

مكية فى قول قتادة و ابن عباس و الضحاک و غيرهم و هى ثمان و عشرون آية ليس فيها اختلاف. قال الحسن: نزلت هذه السورة فقرأها رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله على نفر من الجن فآمنوا به فأتوا قومهم فقالوا «إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً» و كان يقول بعث اللّه محمداً إلى الجن و الانس و قال غيره من المفسرين: لما رميت الشياطين بالشهب و منعوا من صعود السماء، قال لهم إبليس ما هذا الحادث؟ فبث شياطينه فى الأرض فبعث قوماً من جن اليمن فلقوا النبى صلى اللّه عليه و آله بمكة يصلى بأصحابه و يقرأ القرآن فأعجبهم ذلک و آمنوا به، و أخبروا قومهم فقال إبليس لهذا رجمتم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً (2) وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً (3) وَ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً (4)
وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً (5) وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً (6) وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً (7) وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً (8) وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً (9)
وَ أَنَّا لا نَدْرِي أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً (10)
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 145
عشر آيات.
قال الفراء: قرأ حوبة بن عابد (قل أحى إلى) أراد وحى الى مثل وعد فقلبت الواو همزة، كما قلبها فى قوله (وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) «1» و أصله وقتت.
و العرب تقول: وحيت اليه، و أوحيت بمعنى واحد و ومأت اليه و أومات، قال الراجز:
وحى لها القرار فاستقرت «2»
و قرأ ابن كثير و ابو عمرو (قل أوحى الى أنه استمع) و (أن لو استقاموا) (و أن المساجد للَّه) و (أنه لما قام عبد اللَّه) أربعة أحرف- بفتح الالف- و الباقى من أول السورة الى هاهنا بكسر الالف. و قرأ نافع و عاصم فى رواية أبى بكر كذلك، إلا قوله (و انه لما قام عبد اللَّه) فانه قرأ بالكسر. الباقون بفتح جميع ذلك إلا ما جاء بعد (قول) او (فاء جزاء) فإنهم يكسرونه. من فتح جميع ذلك جعله عطفاً على (أوحى إلى انه) و أنه. و من كسر عطف على قوله (إنا) و إنا. قال

---

(1) سورة 77 المرسلات آية 11
(2) مر فى 2/ 459 و 3/ 84 و 4/ 61 و 6/ 403
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 146
قوم: و من نصب فعلى تقدير آمنا به و بكذا فعطف عليه. قال الزجاج: إن عطف على الهاء كان ضعيفاً، لان عطف المظهر على المضمر ضعيف، و من جعله مفعول (آمنا) فنصبه به كأنه قال: آمنا بكذا و كذا، و أسقط الباء فنصب على المعنى، لأن معنى (آمن) صدق، فكأنه قال: صدقنا بكذا و كذا،

و حذف الجار. و من كسر من هؤلاء بعد القول أو فاء الجزاء، فلأنه لا يقع بعد القول و الفاء إلا ما هو ابتداء، أو ما هو فى حكم الابتداء. و من كسر جميع ذلک جعله مستأنفاً، و لم يوقع (آمنا) عليه، و ما نصب من ذلک جعله مفعولا بإيقاع فعل عليه. فأما قوله (أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ) فمفعول (أوحِيَ) لا غير بلا خلاف. و قرأ ابو جعفر (أن لن تقوّل الانس) على معنى تكذب. الباقون بتخفيف الواو من القول.
يقول اللَّه تعالى آمراً لمحمد نبيه صلى اللَّه عليه و آله (قُلْ) يا محمد لقومک و من بعثت اليه (أُوحِيَ إِلَيَّ) فالايحاء إلقاء المعنى إلى النفس خفياً كالالهام، و انزال الملائكة به لخفائه عن الناس إلا على النبى الذى انزل اليه كالايماء الذى يفهم به المعنى. و المراد- هاهنا- انزال الملک به عليه. ثم بين ما أوحى اليه فقال (أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) فالاستماع طلب سماع الصوت بالاصغاء اليه، و هو تطلب لفهم المعنى، و تطلب ليستدل به على صاحبه. و قيل: ان الجن لما منعوا من استراق السمع طافوا فى الأرض، فاستمعوا القرآن، فآمنوا به، فانزل بذلک الوحى على النبى صلى اللَّه عليه و آله ذكره ابن عباس و مجاهد و الضحاک و غيرهم. و النفر الجماعة. و الجن جيل رقاق الأجسام خفية على صور مخصوصة بخلاف صورة الملائكة و الناس. و قيل: العقلاء من الحيوان ثلاثة اصناف: الملائكة، و الناس، و الجن. و الملک مخلوق من النور، و الانس من الطين و الجن من النار.
ثم ذكر انه قالت الجن بعضها لبعض (إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً) و العجب هو التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 147
كل شىء لا يعرف سببه. و قيل: هو ما يدعو إلى التعجب منه لخفاء سببه و خروجه عن العادة فى مثله، فلما كان القرآن قد خرج بتأليفه عن العادة فى الكلام، و خفى سببه عن الأنام كان عجباً.
و قوله (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) حكاية ما قالت الجن و وصفت به القرآن، فإنهم قالوا: هذا القرآن يهدى إلى ما فيه الرشاد و الحق (فَآمَنَّا بِهِ) أى صدقنا بأنه من عند اللَّه (وَ لَنْ نُشْرِكَ) فيما بعد (بِرَبِّنا أَحَداً) فنوجه العبادة اليه بل نخلص العبادة له تعالى (وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) من كسر الهمزة عطفه على قوله (إِنَّا سَمِعْنا) و حكى أنهم قالوا (أَنَّهُ) و يجوز أن يكون استأنف الاخبار عنهم. و من فتح فعلى تقدير فآمنا بأنه تعالى جدّ ربنا، و معناه تعالى عظمة ربنا، لانقطاع كل شىء عظمة عنها لعلوها عليه. و منه الجد ابو الأب، و الجد الحظ لانقطاعه بعلو شأنه. و الجد ضد الهزل لانقطاعه عن السخف، و منه الجديد لأنه حديث عهد بالقطع فى غالب الأمر. و قال الحسن- فى رواية- و مجاهد و قتادة: معناه تعالى جلالته و عظمته، و فى رواية اخرى عن الحسن: تعالى غنى ربنا، و كل ذلک يرجع الى معنى وصفه بأنه عظيم غنى. و يقال: جد فلان فى قومه إذا عظم فيهم. و
روى عن أحدهما عليهم السلام انه قال: ليس للَّه جدّ و إنما قالت ذلک الجن

بجهلها فحكاه كما قالت.
و قال الحسن:
ان اللّه تعالى بعث محمداً صلى اللّه عليه و آله إلى الانس و الجن، و انه لم يرسل رسولا قط من الجن و لا من أهل البادية، و لا من النساء، لقوله (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ إِلَّا رِجالًا نُوحِی إِلَیْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُری) «1».
و قوله (مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً) على ما قال قوم من الكفار.
و قوله (وَ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً) من كسر استأنف. و من

---

(1) سورة 12 يوسف آية 109

نصب عطف على قوله (وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) و نصب ذلک بتقدير آمنا، و قدر للباقى فعلا يليق به، و يمكن أن يعمل فيه، كما قال الشاعر:
إذا ما الغانيات برزن يوماً و زججن الحواجب و العيونا «1»
على تقدير: و كحلن العيون، و قال مجاهد و قتادة: أرادوا ب (سفيههم) إبليس و (الشطط) السرف فى ظلم النفس و الخروج عن الحق، فاعترفوا بأن إبليس كان يخرج عن الحد بما يغرى به الخلق و يدعوهم إلى الضلال.
و قوله (وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً) اخبار عن اعترافهم بأنهم ظنوا أن لا يقول أحد من الجن و الانس كذباً على اللّه فى اتخاذ الشريک معه و الصاحبة و الولد، و أن ما يقولونه من ذلک صدق حتى سمعنا القرآن و تبينا الحق به.
و قوله (وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ) قال البلخى: قال قوم: المعنى إنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الانس من أجل الجن، لأن الرجال لا يكون إلا فى الناس دون الجن. و من قال بالأول قال فى الجن رجال مثل ما فى الانس. و قال الحسن و قتادة و مجاهد: كان الرجل من العرب إذا نزل الوادى فى سفره قال: أعوذ بعزيز هذا الوادى من شر سفهاء قومه. و معنى (يَعُوذُونَ) يستجيرون، و هذا اخبار من اللّه تعالى عن نفسه دون الحكاية عن الجن. و العياذ الاعتصام و هو الامتناع بالشىء من لحاق الشر. و الرجال جمع رجل و هو الذكر البالغ من الذكران. و الإنسان يقع على الذكر و المرأة، و الصغير و الكبير ثم ينفصل كل واحد بصفة تخصه و تميزه من غيره.
و قوله (فَزادُوهُمْ رَهَقاً) أى اثماً الى اثمهم الذى كانوا عليه من الكفر و المعاصى- فى قول ابن عباس و قتادة- و قال مجاهد: يعنى طغياناً. و قال الربيع و ابن زيد:

---

(1) مر فى 9/ 492

يعنى فرقاً. و قيل سفهاً. قال الزجاج: يجوز ان يكون الجن زادوا الانس، و يجوز أن يكون الانس زادوا الجن رهقاً. و الرهق لحاق الإثم، و أصله اللحوق. و منه راهق الغلام إذا لحق حال الرجال قال الأعشى:
لا شىء ينفعنى من دون رؤيتها هل يشتفى وامق ما لم يصب رهقاً «1»
أى لم يعش اثماً. ثم حكى تعالى (وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ) معاشر الانس (أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً) أى لا يحشره يوم القيامة و لا يحاسبه. و قال الحسن:
ظن المشركون من الجن، كما ظن المشركون من الانس (أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً) لجحدهم بالبعث و النشور، و استبعدوا ذلک مع اعترافهم بالنشأة الأولى، لأنهم رأوا إمارة مستمرة فى النشأة الأولى، و لم يروها فى النشأة الثانية، و لم ينعموا النظر فيعلموا أن من قدر على النشأة الأولى يقدر على النشأة الاخرى.
و قال قتادة: ظنوا أن لا يبعث اللَّه احداً رسولا.
ثم حكى ان الجن قالت (أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ) أى مسسناها بأيدينا. و قال الجبائى: معناه إنا طلبنا الصعود الى السماء، فعبر عن ذلک باللمس مجازاً، و انما جاز من الجن تطلب الصعود مع علمهم بأنهم يرمون بالشهب لتجويزهم أن يصادفوا موضعاً يصعدون منه ليس فيه ملک يرميهم بالشهب، او اعتقدوا أن ذلک غير صحيح، و لم يصدقوا من أخبرهم بأنهم رموا حين أرادوا الصعود (فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً) نصب (حرساً) على التمييز و (شديداً) نعته و (شهباً) عطف على (حرساً) فهو نصب ايضاً على التمييز. و تقديره ملئت من الحرس.
و الشهب جمع شهاب، و هو نور يمتد من السماء من النجم كالنار. قال اللَّه تعالى «وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ» «2» و الحرس جمع

---

(1) ديوانه (دار بيروت) 124
(2) سورة 67 الملک آية 5

حارس. و قيل: إن السماء لم تحرس قط إلا لنبوة أو عقوبة عاجلة عامة.
ثم حكى أنهم قالوا ايضاً (أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ، فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً) أى لم يكن فيما مضى منع من الصعود فى المواضع التى يسمع منها صوت الملائكة و كلامهم، و يسمع ذلک، فالآن من يستمع منا ذلک يجد له شهاباً يرمى به و يرصد و (شهاباً) نصب على أنه مفعول به و (رصداً) نعته.
ثم حكى انهم قالوا (وَ أَنَّا لا نَدْرِى) بما ظهر من هذه الآية العجيبة (أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الْأَرْضِ) من الخلق أى اهلاكاً لهم بكفرهم و عقوبة على معاصيهم

(أَمْ أرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً) و هداية إلى الحق بأن بعث نبياً، فان ذلک خاف عنا و قال قوم: إن الشهب لم تكن قبل النبى صلى اللّه عليه و آله و إنما رموا به عند بعثه صلى اللّه عليه و آله و قال آخرون: الشهب معلوم أنها كانت فيما مضى من الزمان، و لكن كثرت فى زمن النبى صلى اللّه عليه و آله و عمت لا أنها لم تكن أصلا. قال البلخى: الشهب كانت لا محالة غير انه لم تكن تمتنع بها الجن عن صعود السماء، فلما بعث النبى صلى اللّه عليه و آله منع الجن من الصعود

وَ أَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذلِکَ کُنَّا طَرائِقَ قِدَداً (11) وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِی الْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً (12) وَ أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدی آمَنَّا بِهِ فَمَنْ یُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا یَخافُ بَخْساً وَ لا رَهَقاً (13) وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِکَ تَحَرَّوْا رَشَداً (14) وَ أَمَّا الْقاسِطُونَ فَکانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً (15)
وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَی الطَّرِیقَةِ لَأَسْقَیْناهُمْ ماءً غَدَقاً (16) لِنَفْتِنَهُمْ فِیهِ وَ مَنْ یُعْرِضْ عَنْ ذِکْرِ رَبِّهِ یَسْلُکْهُ عَذاباً صَعَداً (17) وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً (18) وَ أَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ یَدْعُوهُ کادُوا یَکُونُونَ عَلَیْهِ لِبَداً (19) قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّی وَ لا أُشْرِکُ بِهِ أَحَداً (20)

عشر آیات.
قرأ اهل الکوفة و یعقوب و سهل (یسلکه) بالیاء بمعنی یسلکه اللَّه. الباقون بالنون علی وجه الاخبار منه تعالی عن نفسه بنون العظمة. و قرأ ابو جعفر و عاصم و حمزة (قل إنما ادعوا ربی) بلفظ الامر. الباقون (قال) علی فعل ماض. و قرأ هشام بن عماد عن ابن عامر (لبداً) بضم اللام. الباقون بکسر اللام. و اللبد و اللبد بمعنی واحد، و جمع اللبدة لبد، مثل ظلمة و ظلم. و یقال: لا بد و لبد، مثل راکع و رکع.
یقول اللَّه تعالی فی تمام الحکایة عما قالته الجن الذین آمنوا عند سماع القرآن فإنهم قالوا (وَ أَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ) و هم الذین عملوا الصالحات و سمی صالحاً، لأنه عمل ما یصلح به حاله فی دینه. و أما المصلح فهو فاعل الصلاح الذی یقوم به أمر من الأمور، و لهذا وصف تعالی بأنه مصلح، و لم یجز وصفه بأنه صالح. و الصلاح یتعاظم استحقاق المدح علیه و الثواب کما یختلف استحقاق الشکر بالنعم، ففی النعم ما یستحق به العبادة و فیها ما لا یستحق به ذلک و إن استحق به الشکر، فلذلک قال (وَ مِنَّا دُونَ ذلِکَ) و المعنی ان منا الصالحین فی مراتب عالیة و منا دون ذلک فی الرتبة.
و قوله (کُنَّا طَرائِقَ قِدَداً) قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: یعنی علی مذاهب مختلفة: مسلم، و کافر، و صالح، و دون الصالح. و الطرائق جمع طریقة و هی الجهة التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 152
المستمرة مرتبة بعد مرتبة. و المعنی فیها إنا کنا فی طرق مختلفة. و القدد جمع قدة.
و هی المستمرة بالقد فی جهة واحدة. و القدد مضمن بجعل جاعل، و هو القادّ، و لیس کذلک الطریقة فی تضمن الصفة، و إنما هی کالمذهب الذی یمکن فیه علی استمرار الی حیث انتهی الیه. و المعنی إنا کنا علی طرائق

متباينة كل فرقة يتباين صاحبها كما بين المقدود بعضه من بعض.
و قوله (وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِی الْأَرْضِ) فالظن- هاهنا- بمعنى العلم و المعنى اعترافهم بأن علموا أنه لا يفوت اللّه شيء يذهب في الأرض، و لا إذا هرب منه بسائر ضروب الهرب، و اعترفوا ايضاً فقالوا (وَ أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدی) يعنون القرآن الذی فيه هدی كل حی (آمَنَّا بِهِ) أی صدقناه. ثم قالوا (فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ) أی من يصدق بتوحيد اللّه و عرفه علی صفاته (فَلا يَخافُ بَخْساً) أی نقصاناً فيما يستحقه من الثواب (وَ لا رَهَقاً) أی و لا يخاف ظلماً، فالرهق لحاق السرف فی الامر، و كأنه قال لا يخاف نقصاً قليلا و لا كثيراً، و ذلک أن اجره و ثوابه موفر علی أتم ما يكون فيه. و قال ابن عباس: معناه لا يخاف نقصاً من حسناته و لا زيادة فی سيئاته، و هو قول الحسن و قتادة و ابن زيد، و التقدير فمن يؤمن بربه فانه لا يخاف ثم قالوا ايضاً (وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ) يعنی الذين استسلموا لما أمرهم اللّه به، و انقادوا له (وَ مِنَّا الْقاسِطُونَ) يعنی الجائرون عن طريق الحق، و القاسط الجائر عن طريق الحق (فَمَنْ أَسْلَمَ) أی استسلم لأمر اللّه (فَأُولئِکَ تَحَرَّوْا رَشَداً) أی طلبوا الهدی إلی الحق، (وَ أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً)
أی استحقوا بذلک أن يكونوا وقود النار يوم القيامة يحرقون بها. و قوله (وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَی الطَّرِيقَةِ) اخبار من اللّه تعالی عن نفسه. و قيل (ان) يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة، فيكون محمولا علی الوحی، فكأنه قال (اوحی الی أن لو استقاموا) و فصل لو بينها و بين التبيان فی تفسير القرآن،

الفعل، كما فصل (السين) و (لا) فی قوله (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضی) «1» و قوله (أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ) «2» و يحتمل أن تكون (لو) بمنزلة اللام فی قوله (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِی الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّکَ بِهِمْ) «3» فيسقط مرة و يلحق أخری، لان (لو) بمنزلة فعل الشرط، فكما لحقت اللام زائدة قبل (إن) الداخلة علی الشرط قبل فعل الشرط، كذلک لحقت (أن) هذه قبل (لو) و معنی «وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا» أحد أمرين:
أحدهما- لو استقاموا علی طريقة الهدی بدلالة قوله (وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) «4» و قوله (وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُری آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنْ كَذَّبُوا) «5».
الثانی- لو استقاموا علی طريقة الكفر بدلالة قوله (وَ لَوْ لا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ) «6» و قيل: انه دخلت (ان) فی (وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا) لأنه جواب القسم. و يجوز أن يحذف، كما قال الشاعر:
فأقسم لو شیء أتانا رسوله سواک و لكن لم نجد لک مدفعا «7»

و قال آخر:

---

(1) سورة 73 المزمل آية 20
(2) سورة 20 طه آية 89
(3) سورة 33 الأحزاب 60
(4) سورة 5 المائدة آية 69 [.....]
(5) سورة 7 الاعراف آية 95
(6) سورة 43 الزخرف آية 33
(7) مر فى 5/ 529 و 6/ 253 و 7/ 341 و 9/ 12
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 154
اما و اللّه إن لو كنت حراً و ما بالحر أنت و لا العتيق «1»
و الاستقامة الاستمرار فى جهة العلو. و المستقيم من الكلام المستمر على طريقة الصواب. و هو نقيض المحال. و الاستقامة على طريق الحق التى يدعو اليها العقل طاعة اللّه. و المعنى- هاهنا- فى قول أكثر المفسرين: إنه لو استقام العقلاء على طريقة الهدى و استمروا عليها و عملوا بموجبها لجازاهم على ذلک بأن اسقاهم ماء غدقاً، يعنى كثيراً. و الغدق بفتح الدال للمصدر، و بكسرها اسم الفاعل، و فى ذلک ترغيب فى الهدى. قال الفراء: معناه و أن لو استقاموا على طريقة الكفر لفعلنا بهم ما ذكرناه تغليظاً للمحنة فى التكليف، و لذلک قال (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) أى نختبرهم بذلک و نبلوهم به. و غدق المكان يغدق غدقاً إذا كثر فيه الماء و الندى، و هو غدق- فى قول الزجاج- و قوله (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) معناه لنختبرهم و نعاملهم معاملة المختبر فى شدة التعبد بتكليف الانصراف عما تدعو شهواتهم اليه، على ما تقتضيه الحكمة فى ذلک و الفتنة المحنة الشديدة، و المثوبة على قدر المشقة فى الصبر عما تدعو اليه الشهوة.
ثم قال تعالى مهدداً لهم و متوعداً (وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) و المعنى من يعدل عن الفكر فيما يؤديه الى معرفة اللّه و توحيده و اخلاص عبادته، فالذكر حضور المعنى الدال على المذكور للنفس، و ضده السهو، و مثله حضور المعنى بالقلب. و الفكر فى وجوه السؤال عن المعنى طلب للذكر له. و الفكر فى البرهان طلب للعلم بصحة المعنى المذكور و أنه حق و نقيضه باطل. و قوله «يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً» اى متصعداً فى العظم. و قيل: متصعداً قد غمره و أطبق عليه. و معناه عذباً أشهد العذاب من قوله «سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً» «2» فاما قول العرب: تنفس الصعداء على وزن (فعلاء) أكثر كلامهم، و منه قيل تنفس صعداً على وزن غرب و الصعود العقبة الشاقة. و قال الفراء:

---

(1) تفسير القرطبى 18/ 17

(2) سورة 74 المدثر آية 17
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 155
الصعود صخرة ملساء فى النار و يكلف الصعود عليها، فكلما بلغ رأسها أحد هوى الى أسفلها وقوعاً.
و قوله «وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً» عطف عند جميع المفسرين على قوله «أوحى» كأنه قال: أوحى الى أن المساجد للّه، و قال الخليل: التقدير، و لأن المساجد للّه فلا تدعوا مع اللّه أحداً مثل قوله «وَ إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ» و تقديره:
و لأن هذه أمتكم «أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ» «1» و المعنى الاخبار منه تعالى بأن لا يذكر مع اللّه فى المساجد- و هى المواضع التى وضعت للصلاة- أحد على وجه الاشتراك فى عبادته، كما يدعوا النصارى فى بيعهم و المشركون فى الكعبة. و قال الحسن: من السنة إذا دخل المسجد أن يقول: لا إله الا اللّه، لا أدعو مع اللّه أحداً. و قيل: معناه إنه يجب أن يدعوه بالوحدانية. و قال الفراء و الزجاج: المساجد مواضع السجود من الإنسان: الجبهة، و اليدان، و الرجلان. و زاد أصحابنا عينى الركبتين. و المعنى إنه لا ينبغى أن يسجد بهذه الأعضاء لأحد سوى اللّه تعالى.
و قوله «وَ أَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً» معناه إنه لما قام محمد صلى اللّه عليه و آله يدعو اللّه، فيقول: لا إله الا اللّه كادوا يكونون عليه جماعات متكاثفات بعضها فوق بعض ليزيلوه بذلك عن دعوته بإخلاص الالهية. و قال ابن عباس و الضحاك: معناه إن الجن كادوا يركبونه حرصاً على سماع القرآن منه.
و قال الحسن و قتادة: معناه تلبدت الانس و الجن على هذا الامر ليطفئوه فأبى اللّه الا أن ينصره و يظهره على من ناواه، كما قال «يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ» «2» و قال ابن عباس: هذا من قول الجن، لما رجعوا الى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب رسول اللّه و ائتمامهم به فى الركوع

---

(1) سورة 21 الأنبياء آية 92
(2) سورة 61 الصف آية 8
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 156
و السجود، و هو قول سعيد بن جبير. و اللبد القطع المتكاثفة على الشىء واحدها لبدة، و منه اللبد لتكاثف صفوفه بعضه على بعض. و لبد رأسه إذا ألصق بعض شعره ببعض قال عبد مناف بن ربع:
صابوا بستة أبيات و اربعة حتى كأن عليهم جابياً لبدا. «1»
فالجابى الجراد الذى يجبى كل شىء يأكله.
ثم

حکی ان النبی صلی اللّه علیه و آله قال «إِنَّما أدْعُوا رَبِّی»
و من قرأ (قل) فمعناه إن اللّه أمره بأن یقول: إنما أدعو ربی وحده و لا أشرک به أحداً من الأصنام و الأوثان.
و المعنیان متقاربات، لأن اللّه تعالی إذا أمره بأن یقول فانه یقول لا محالة فقد حصل الأمران.

قُلْ إِنِّی لا أَمْلِکُ لَکُمْ ضَرًّا وَ لا رَشَداً (21) قُلْ إِنِّی لَنْ یُجِیرَنِی مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (22) إِلاَّ بَلاغاً مِنَ اللَّهِ وَ رِسالاتِهِ وَ مَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِینَ فِیها أَبَداً (23) حَتَّی إِذا رَأَوْا ما یُوعَدُونَ فَسَیَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ ناصِراً وَ أَقَلُّ عَدَداً (24) قُلْ إِنْ أَدْرِی أَ قَرِیبٌ ما تُوعَدُونَ أَمْ یَجْعَلُ لَهُ رَبِّی أَمَداً (25)
عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَداً (26) إِلاَّ مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْلُکُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً (27) لِیَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحاطَ بِما لَدَیْهِمْ وَ أَحْصی کُلَّ شَیْءٍ عَدَداً (28)

---

(1) اللسان (لبد)

ثمان آیات.

قرأ «لیعلم» بضم الیاء یعقوب. الباقون بفتح الیاء. أمر اللَّه تعالی نبیه محمد صلی اللَّه علیه و آله أن یقول للمکلفین «إِنِّی لا أَمْلِکُ لَکُمْ ضَرًّا وَ لا رَشَداً» و معناه إنی لا أقدر علی دفع الضرر عنکم و لا إیصال الخیر إلیکم، و انما یقدر علی ذلک اللَّه تعالی.

و انما أقدر علی أن أدعوکم الی الخیر و أهدیکم الی طریق الرشاد، فان قبلتم نلتم الثواب و النفع، و ان رددتموه نالکم العقاب و ألیم العذاب. ثم قال ایضاً «قُلْ» لهم یا محمد «إِنِّی لَنْ یُجِیرَنِی مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ» أی لا یقدر أن یجیر علی اللَّه حتی یدفع عنه ما یریده به من العقاب «وَ لَنْ أَجِدَ» أیضاً انا «مِنْ دُونِهِ» أی من دون اللَّه «مُلْتَحَداً» یعنی ملتجأ ألجأ الیه أطلب به السلامة مما یرید اللَّه تعالی فعله من العذاب و الألم. و أضافه الی نفسه، و المراد به أمته، لأنه لا یفعل قبیحاً فیخاف العقاب. و المعنی لیس من دون اللَّه ملتحد أی ملجأ.

و قوله «إِلَّا بَلاغاً مِنَ اللَّهِ وَ رِسالاتِهِ» معناه لکن املک البلاغ من اللَّه الذی هو بلاغ الحق لکل من ذهب عنه و أعرض عن اتباعه بأن أرشده الی الأدلة التی نصبها اللَّه له و أمر بالدعاء إلیها سائر عباده المکلفین، کما أمر أنبیاءه بتبلیغ رسالاته، فیکون التقدیر لا أملک إلا بلاغاً من اللَّه و رسالاته. و قیل یجوز ان یکون المراد لن یجیرنی من اللَّه أحد إن لم أبلغ رسالاته، فیکون نصب البلاغ علی إضمار فعل من الجزاء، کقولک إن لا قیاماً فقعوداً و إن لا عطاء فرداً جمیلًا فتکون (لا) منفصلة من (إن) و تقدیره إن لا أبلغ بلاغاً من اللَّه و رسالاته.

ثم قال «وَ مَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» بأن خالف ما أمراه به و ارتکب ما نهیاه

عنه «فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ» جزاء على ذلک «خالِدِينَ فِيها أَبَداً» أى مقيمين فيها على وجه التأبيد. و القراء على كسر (فان) على الابتداء. و روى عن طلحة بن مصروف انه فتح على تقدير فجزاؤه أن له. و قال ابن خالويه: سألت ابن مجاهد عن ذلک، فقال: هو لحن. و قال بعض أهل النظر: زعم ابو عبيدة: ان ما كان من قول الجن فهو مكسور نسقاً على قوله «إِنَّا سَمِعْنا» و من فتح فعلى قوله «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ» و هو اختيار ابن خالويه.
و قوله «حَتَّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ» يعنى ما يوعدون به من العقاب على المعاصى «فَسَيَعْلَمُونَ» عند ذلک «مَنْ أَضْعَفُ ناصِراً» يدفع عنه عقاب اللّه و من «أَقَلُّ عَدَداً» يستنصر بهم الكفار أم المؤمنون؟. و قيل معناه أجند اللّه أم الذين عبده المشركون؟ و إنما قال «مَنْ أَضْعَفُ ناصِراً» و لا ناصر لهم فى الآخرة، لأنه جاء على جواب من توهم انه إن كانت لهم أخوة فناصرهم أقوى و عددهم اكثر.
ثم قال لنبيه صلى الله عليه و آله «قُلْ إِنْ أَدْرِي» أى قل لهم لست اعلم «أَ قَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ» به من العقاب «أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً» أى غاية ينتهى اليها بعينها أم يؤخره اللّه تعالى إلى مدة لا يعلمها بعينها إلا اللّه تعالى الذى هو «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً» ثم قال «إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ» فانه ربما أطلعه على ما غاب عن غيره من الخلائق بأن يوحى اليهم بما شاء من الغيب- ذكره قتادة- «فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً» و معناه إن اللّه إذا نزل الملک بالوحى أرسل معه رصداً يحفظون الملک من أن يأتى احد من الجن و يسمع الوحى، و نصب «رصداً» على المفعول، كأنه قال يجعل رصداً يسلک من بين يديه و من خلفه «لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا» معناه ليظهر المعلوم من التبليغ. و قال قتادة: معناه ليعلم محمد أن الرسل قبله قد ابلغوا رسالات ربهم. و قال سعيد بن جبير: ليعلم الرسل

ربهم على احاطة بهم و تحصين لما بلغوا من رسالاته. و قال الزجاج: ليعلم اللّه أن قد ابلغوا.
و قوله «وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ» معناه انه يعلم ما عندهم فيحيط بما لديهم فيصير فى معلومه بمنزلة ما احيط به «وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً» معناه انه يعلم الأشياء مفصلة بمنزلة من يحصيها ليعلمها كذلک. و قال الزجاج: نصب «عدداً» يحتمل شيئين:
أحدهما- و احصى كل شىء فى حال العدد، فيكون العدد بمعنى المعدود، كما يقال: للمنقوص نقص، فلا يخفى عليه شىء من الأشياء، لا سقوط ورقة، و لا حبة فى ظلمات الأرض.
و الثانى- ان يكون بمعنى المصدر، و تقديره و أحصى كل شىء احصاء. و قال الجبائى معنى «لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا» أى ليبلغوا (رِسالاتِ رَبِّهِمْ) فعبر

عن المعلوم بالعلم كما يقال: ما علم اللّه منى ذلک أَىَ ما فعلتهَ، لأنه لو فعله لعلم الله ذلک (وَ أَحْصى كُلَّ شَىْءٍ عَدَداً) معناه انه لا شىء يعلمه عالم او يذكره ذاكر إلا و هو تعالى عالم به و محص له. و الإحصاء فعل، و ليس هو بمنزلة العلم، فلا يجوز ان يقال احصى ما لا يتناهى كما يجوز ان يقال: علم ما لا يتناهى، لان الإحصاء مثل المحصى لا يكون إلا فعلا متناهياً، فإذا لم يجز ان يفعل ما لا يتناهى لم يجز ان يقال يحصى ما لا يتناهى.
و الفرق بينهما واضح.
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 160

73-سورة المزمل: ..... ص: 160

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک و هى عشرون آية فى الكوفى و المدنى الاول و تسع عشرة فى البصرى و ثمانى عشرة فى المدنى الأخير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (2) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (4)
إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْکَ قَوْلاً ثَقِيلاً (5) إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلاً (6) إِنَّ لَکَ فِى النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلاً (7) وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّکَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (8) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (9)
وَ اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً (10)
عشر آيات.
قرأ ابن عامر و ابو عمرو «و طاء» بكسر الواو و المدّ جعله مصدراً ل (واطأ) يواطئ مواطأة، و وطاء. و معناه إن ناشئة الليل و عمل ناشئة الليل يواطئ لسمع القلب اكثر مما يواطئ ساعات النهار، لأن البال افرغ للانقطاع عن كثير مما يشغل التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 161
بالنهار. الباقون- بفتح الواو- مقصورة، و روى عن الزهرى- بكسر الواو- مقصورة، و منه قوله صلى اللَّه عليه و آله: اللهم اشدد وطاءک على مضر، و قرأ «رب المشرق» بالجر كوفى غير حفص و يعقوب بدلا من (ربک). الباقون بالرفع على الاستئناف، فيكون رفعاً بالابتداء و خبره (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) و يجوز أن يكون خبر الابتداء بتقدير هو رب المشرق.
هذا خطاب من اللَّه تعالى للنبى صلى اللَّه عليه و آله و قيل: إن المؤمنين داخلون فيه على وجه التبع. يقول اللَّه له «يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ» و معناه الملتف فى ثيابه، يقال تزمّل فى ثيابه، فهو متزمل إذا التف. و الأصل «متزمل» فأدغم التاء فى الزاى، لان الزاى قريبة المخرج من التاء، و هو أبدى فى المسموع من التاء. و قال قتادة: معناه المتزمل بثيابه، و قال عكرمة: المتزمل بعباء النبوة، و كل شىء لفف، فقد تزمل، قال امرؤ القيس:
كأن اباناً فى أفانين ودقه كبير أناس فى بجاد مزمل «1»
يعنى كبير أناس مزمل فى بجاد و هو الكساء، و جره على المجاورة للبجاد.
و قوله «قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا» أمر من اللَّه تعالى للنبى صلى اللَّه عليه و آله بقيام الليل إلا القليل منه، و قال الحسن: إن اللَّه فرض على النبى و المؤمنين أن يقوموا ثلث الليل فما زاد، فقاموه حتى تورمت أقدامهم، ثم نسخ تخفيفاً عنهم. و قال غيره: هو نفل لم ينسخ، لأنه لو كان فرضاً لما كان مخيراً فى مقداره- ذكره الجبائى- و إنما بين تخفيف النفل. و قال قوم: المرغب فيه قيام ثلث الليل او نصف الليل او الليل كله إلا القليل. و لم يرغب بالآية فى قيام جميعه لأنه تعالى قال

---

(1) ديوانه (السندوبى) 158
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 162
«إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ» يعنى على النصف. و قال الزجاج (نصفه) بدل من (الليل) كقولك ضربت زيداً رأسه. و المعنى: قم نصف الليل إلا قليلا او انقص منه قليلا. و المعنى قم نصف الليل او انقص من نصف الليل أو زد على نصف الليل، و ذلك قبل ان يتعبد بالخمس صلوات. و قال ابن عباس و الحسن و قتادة:
كان بين أول السورة و آخرها- الذى نزل فيه التخفيف- سنة. و قال سعيد بن جبير:
عشر سنين. و قال الحسن و عكرمة: نسخت الثانية بالأولى. و الاولى أن يكون على ظاهره، و يكون جميع ذلك على ظاهره مرغباً فى جميع ذلك إلا أنه ليس بفرض و إن كانت سنة مؤكدة. و النصف أحد قسمى الشىء المساوى للآخر فى المقدار.
و القليل من الشىء الناقص عن قسمه الآخر، و كلما كان أنقص كان أحق بإطلاق الصفة، و ما لا يعتد به من النقصان لا يطلق عليه.
«وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» أمر من اللّه تعالى له بأن يرتل القرآن و الترتيل ترتيب الحروف على حقها فى تلاوتها، و تثبت فيها، و الحدر هو الاسراع فيها و كلاهما حسنان إلا أن الترتيل- هاهنا- هو المرغب فيه. و قال مجاهد: معناه ترسل فيه ترسلا. و قال الزجاج: معناه بينه تبييناً أى بين جميع الحروف، و ذلك لا يتم بأن يعجل فى القراءة.
و قوله «إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» اخبار من اللّه تعالى لنبيه أنه سيطرح عليه قولاً ثقيلا. و قال الحسن و قتادة: إنه يثقل العمل به لمشقة فيه. و قال ابن زيد: معناه العمل به ثقيل فى الميزان و الأجر، ليس بشاق. و قيل: معناه قول عظيم الشأن، كما تقول هذا الكلام رزين، و هذا قول له وزن إذا كان واقعاً موقعه.
و قوله «إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئاً» قال مجاهد: ناشئة الليل التهجد فى الليل. و قال الحسن و قتادة: هو ما كان بعد العشاء الآخرة. و
عن أبى جعفر التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 163
و أبى عبد اللّه عليهما السلام أنهما قالا: هو القيام آخر الليل إلى صلاة الليل.
و قال قوم:
ناشئة الليل ابتداء عمل الليل شيئاً بعد شىء إلى آخره. و الناشئة الظاهرة بحدوث شىء بعد شىء، و اضافته إلى الليل توجب انه من عمل الليل الذى يصلح أن ينشأ فيه.
و قوله «هِىَ أَشَدُّ وَطْئاً» من قرأ- بالفتح- مقصوراً، قال معناه: لقوة الفكر فيه أمكن موقعاً. و قيل: هو أشد من عمل النهار، و قال مجاهد: معناه واطأ

اللسان القلب مواطأة و وطاء و الوطاء المهاد المذلل للتقلب عليه، فكذلک عمل الليل الذى هو أصلح له فيه تمهيد للتصرف فى الدلائل و ضروب الحكم و وجوه المعانى.
و قوله «وَ أَقْوَمُ قِيلًا» أى أشد استقامة و صواباً لفراغ البال، و انقطاع ما يشغل القلب. و المعنى إن عمل الليل أشد ثباتاً من عمل النهار، و أثبت فى القلب من عمل النهار. و الأقوم الأخلص استقامة، لأنه القول يشمل المعنى على ما فيه استقامة و فيه اضطراب. و قد يقل ذلک و يكثر، و هو فى القول ظاهر كما هو فى الخط، ففيه الحرف المقوم و فيه الحرف المضطرب. و قال ابن زيد: معناه أقوم قراءة لفراغه من شغل الدنيا، و قال أنس: معناه أصوب. و قال مجاهد: معناه اثبت.
و قوله «إِنَّ لَکَ فِی النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا» قال قتادة: معناه إن لک يا محمد فى النهار متصرفاً و منقلباً أى ما تقضى فيه حوائجک. و قرأ يحيى ابن معمر بالخاء، و كذلک الضحاک، و معناه التوسعة. يقال اسبخت القطن إذا وسعته للندف، و يقال لما تطاير من القطن و تفرق عند الندف سبائخ، و السبح المر السهل فى الشىء، كالمر فى الماء، و السبح فى عمل النهار هو المر فى العمل الذى يحتاج فيه إلى الضياء. و أما عمل الليل فلا يحتاج فيه إلى ضياء لتمكن ذلک العمل كالفكر فى وجوه البرهان و تلاوة القرآن. و قال الجبائى فى نوادره «لَکَ فِی النَّهارِ سَبْحاً» أى نوماً، و قال الزجاج: التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 164
معناه إن فاتک شىء بالليل فلک فى النهار فراغ تقضيه.
ثم قال لنبيه صلى اللّه عليه و آله «وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّکَ» يعنى اسماء اللّه الحسنى التى تعبد بالدعاء بها «وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا» أى انقطع اليه انقطاعاً، فالتبتل الانقطاع إلى عبادة اللّه، و منه مريم البتول و فاطمة البتول، لانقطاع مريم الى عبادة اللّه، و انقطاع فاطمة عن القرين، و منه قول الشاعر:
كأن لها فى الأرض نسياً تقصه إذا ما غدت و إن تكلمک تبلت «1»
أى بقطع كلامها رويداً رويداً، و قيل: الانقطاع إلى اللّه تأميل الخير من جهته دون غيره، و جاء المصدر على غير الفعل، كما قال (أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً) «2» و قيل: تقديره تبتل نفسک اليه تبتيلا، فوقع المصدر موقع مقاربه. و قوله (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ) من رفع فعلى انه خبر مبتدإ محذوف، و تقديره: هو رب المشرق، و من جر جعله بدلا من قوله (ربک) و تقديره اذكر اسم رب المشرق و هو مطلع الشمس موضع طلوعها و رب المغرب، يعنى موضع غروبها، و هو المتصرف فيها و المدبر لما بينهما (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) أى لا احد تحق له العبادة سواه (فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) أى حفيظاً للقيام بأمرک فالوكيل الحفيظ بأمر غيره. و قيل:
معناه اتخذه كافلا لما وعدک به.

ثم قال (وَ اصْبِرْ) يا محمد (على ما يقول) هؤلاء الكفار من أذاک و ما يشغل قلبک (وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا) فالهجر الجميل اظهار الجفوة من غير ترک الدعاء إلى الحق على وجه المناصحة.

---

(1) مر فى 7/ 117
(2) سورة 71 نوح آية 17

وَ ذَرْنِی وَ الْمُکَذِّبِینَ أُولِی النَّعْمَةِ وَ مَهِّلْهُمْ قَلِیلاً (11) إِنَّ لَدَیْنا أَنْکالاً وَ جَحِیماً (12) وَ طَعاماً ذا غُصَّةٍ وَ عَذاباً أَلِیماً (13) یَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ وَ کانَتِ الْجِبالُ کَثِیباً مَهِیلاً (14) إِنَّا أَرْسَلْنا إِلَیْکُمْ رَسُولاً شاهِداً عَلَیْکُمْ کَما أَرْسَلْنا إِلی فِرْعَوْنَ رَسُولاً (15)
فَعَصی فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْناهُ أَخْذاً وَبِیلاً (16) فَکَیْفَ تَتَّقُونَ إِنْ کَفَرْتُمْ یَوْماً یَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِیباً (17) السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ کانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (18) إِنَّ هذِهِ تَذْکِرَةٌ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلی رَبِّهِ سَبِیلاً (19)

تسع آیات.

لما امر اللَّه تعالی النبی صلی اللَّه علیه و آله بالصبر علی أذی قومه، و أن یهجرهم هجراً جمیلا قال علی وجه التهدید للکفار (وَ ذَرْنِی) یا محمد (وَ الْمُکَذِّبِینَ) الذین یکذبونک فیما تدعوهم الیه من التوحید و إخلاص العبادة و الاعتراف بالبعث و النشور، و الثواب و الجزاء، کما یقول القائل: دعنی و إیاه إذا أراد أن یهدده، یقال: یذر بمعنی یترک، و یدع، و لا یستعمل ماضیه، و لا ماضی (یدع) و لا یقال: و ذر، و لا ودع، استغناء بقولهم ترک عن ذلک، لان الابتداء بالواو عندهم مکروه، و لذلک أبدلوا منها الهمزة فی قولهم (أقتت) و الأصل (وقتت)، و قالوا (تخمة) و الأصل (وخمة) و کذلک کل ما یصرف منه مما فی أوله واو إلا قولهم: و ادع من الدعة فلم یستغنوا عنه بتارک. التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 166

و قوله (أُولِی النَّعْمَةِ) معناه ذوی النعمة أی اصحاب النعمة، و النعمة- بفتح النون- لین الملمس و ضدها الخشونة، و معناه (وَ ذَرْنِی وَ الْمُکَذِّبِینَ) أی ارض بعقاب المکذبین لست تحتاج إلی اکثر من ذلک کما یقال: دعنی و إیاه، فانه یکفیه ما ینزل به من غیر تقصیر مما یقع به، و هذا تهدد شدید.

و قوله (وَ مَهِّلْهُمْ قَلِیلًا) أی اخرهم فی المدة قلیلا فالتمهیل التأخیر فی المدة، و قد یکون التأخیر فی المکان، فلا یسمی تمهیلا، فإذا کان فی المدة فهو تمهیل کما ان التأخیر فی الأجل تأجیل آخر.

و قوله (إِنَّ لَدَیْنا أَنْکالًا) أی قیوداً- فی قول مجاهد و قتادة- واحدها نکل (وَ جَحِیماً) أی ناراً عظیمة، و جحیم اسم من اسماء جهنم (وَ طَعاماً ذا غُصَّةٍ) قال ابن عباس: معناه ذا غصة بشوک یأخذ الحلق، فلا یدخل و لا یخرج. و قیل:

معناه یأخذ بالحلقوم لخشونته و شدة تکرهه (وَ عَذاباً أَلِیماً) أی عقاباً موجعاً مؤلماً.

ثم بین متی یکون ذلک فقال (یَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ) أی اعتدنا هذه الأنواع من العذاب فی یوم ترجف الأرض أی تتحرک باضطراب شدید (وَ الْجِبالُ) أی و

ترجف الجبال معها أيضاً (وَ كانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلًا) قال ابن عباس: تصير الجبال رملا سائلا متناثراً، فالكثيب الرمل المجتمع الكثير، و مهيل مفعول من هلت الرمل اهيله و ذلک إذا حرک أسفله فسال أعلاه، و يقال: مهيول كما يقال مكيل و مكيول، و انهال الرمل انهيالا و (الغصة) تردد اللقمة فى الفم لا يسيغها الذى يروم أكلها قال الشاعر:
لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى «1»

---

(1) مر فى 1/ 130، 421 و 6/ 151

يقال غص بريقه يغص غصصاً، و فى قلبه غصة من كذا، و هى كاللذغة التى لا يسيغ معها الطعام و لا الشراب.
و قوله (إِنَّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شاهِداً عَلَيْكُمْ) اخبار من اللَّه تعالى و خطاب للمكلفين فى عصر النبى صلى اللَّه عليه و آله و من بعده بأنه أرسل اليهم رسولا يدعوهم إلى عبادته و إخلاص توحيده (شاهِداً عَلَيْكُمْ) بقبولهم إن قبلوا و عليهم إن لم يقبلوا (كَما أَرْسَلْنا) أى أرسلناه إليكم مثل ما أرسلنا (إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولًا) يعنى موسى ابن عمران عليه السلام. ثم اخبر عن فرعون فقال (فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ) يعنى موسى، فلم يقبل منه ما أمره به و دعاه اليه (فَأَخَذْناهُ أَخْذاً وَبِيلًا) أى اخذاً ثقيلًا شديداً عقوبة له على عصيانه موسى رسول اللَّه، و كل ثقيل وبيل، و منه: كلأ مستوبل أى متوخم لا يستمرء لثقله، و منه الوبل، و الوابل، و هو المطر العظيم القطر، و منه الوبال و هو ما يغلظ على النفس و أصله الغلظ قال طرفة:
فمرت كهاة ذات خيف جلالة عقيلة شيخ كالوبيل يلندد «1»
الوبيل- هاهنا- الغليظ من العصى و (كهاة) ناقة مسنة و (الخيف) جلد الضرع و (يلندد) شديد الخصومة.
قوله (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً) أى إن كفرتم باللَّه و جحدتم نعمه، و كذبتم رسوله، و إنما يجعل الولدان، و هم الأولاد الصغار شيباً لشدته، و عظم أهواله، كما يقال: قد حدث أمر تشيب منه النواصى. و قيل:
(يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً) على وجه المثل، و الشيب جمع أشيب، يقال: شاب الإنسان يشيب شيباً إذا ابيض شعره. ثم زاد فى صفة شدة ذلک اليوم أيضاً فقال (السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) أى متصدع بشدة ذلک اليوم، و إنما لم يقل منفطرة، لأنه جرى

---

(1) ديوانه 38 و تفسير القرطبى 18/ 48

على طريق النسبة أى ذات انفطار، و لم يجر على طريق (فاعلة) كما قالوا

للمرأة:
مطفل أى ذات طفل. و قال الزجاج: تقديره السماء منفطر باليوم مثقلة به. و قال الحسن: معناه السماء مثقل به. و قال غيره: السماء مثقلة بذلک اليوم من شدته.
و قال قوم: معناه متشقق بالأمر الذى يجعل الولدان شيباً. و السماء يؤنث و يذكر، فمن ذكر أراد السقف.
و قوله (كانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا) معناه إن ما وعد اللَّه به فلا بد من كونه، فلذلک عبر عنه بلفظ الماضى فكأنه قد وجد. ثم قال (إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ) أى هذه القصة التى ذكرناها و بيناها (تَذْكِرَةٌ) أى عظة لمن أنصف من نفسه و فكر فيها، فالتذكرة التبصرة، و هى الموعظة التى يذكر بها ما يعمل عليه.
و قوله (فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا) معناه إن من شاء من المكلفين اتخذ إلى ثواب ربه سبيلا، لأنه قادر على الطاعة التى لو فعلها وصل الى الثواب. و اللَّه تعالى قد دعاه إلى ما يوصله اليه و رغبه فيه، و بعث رسولا يدعوه ايضاً اليه. و إن لم يفعل فبسوء اختياره انصرف عنه.

إِنَّ رَبَّکَ يَعْلَمُ أَنَّکَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَکَ وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْکُمْ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَکُونُ مِنْکُمْ مَرْضى وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ آخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِکُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (20)

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 169

آية واحدة.

قرأ نافع و ابو عمرو و ابن عامر (و نصفه و ثلثه) بكسر الفاء و الثاء بمعنى إن ربک يعلم أنک تقوم أدنى من ثلثى الليل و من نصفه و من ثلثه أى و ادنى من نصفه و أدنى من ثلثه. الباقون بالنصب بمعنى أنک تقوم أدنى من ثلثى الليل و تقوم نصفه و ثلثه. و الثلث يخفف و يثقل، لغتان، و مثله ربع و عشر. و قال ابو عبيدة:

الاختيار الخفض فى (ثلثه و نصفه) لأنه قال (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ) و كيف يقدرون على أن يقوموا نصفه أو ثلثه، و هم لا يحصونه، و قال غيره: ليس المعنى على ما قال و إنما المعنى علم أن لن يطيقوه، يعنى قيام الليل، فخفف اللّه ذلک، قال و الاختيار النصب، لأنها أوضح فى النظر، لأنه قال لنبيه صلى اللّه عليه و آله (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) ثم نقله عن الليل كله إلا شيئاً يسيراً ينام فيه، و هو الثلث. و الثلث يسير عند الثلثين.

ثم قال (نِصْفَهُ) أى قم نصفه (أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا) أى قم نصفه، و اكتفى بالفعل الأول من الثانى، لأنه دليل عليه أو انقص من النصف قليلا إلى الثلث (أو زد) هكذا إلى الثلثين جعله موسعاً عليه. و فى الناس من قال: هذه الآية ناسخة لما ذكره فى أول السورة من الأمر الحتم بقيام الليل إلا قليلا أو نصفه او انقص منه. و قال آخرون: إنما نسخ ما كان فرضاً إلى ان صار نفلا، و قد قلنا: ان الأمر فى أول السورة على وجه الندب، فكذلک- هاهنا- فلا وجه للتنافى حتى ينسخ بعضها ببعض يقول اللّه تعالى لنبيه ان ربک يا محمد

ليعلم انک التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 170

تقوم اقل من ثلثى الليل و اقل من نصفه و من ثلثه فيمن جرّ ذلک، و من نصب فمعناه إنک تقوم أقل من ثلثى الليل و تقوم نصفه و ثلثه و تقوم طائفة من الذين معک على الايمان (وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ) لتعملوا فيه بالصواب على ما يأمركم به (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ) قال الحسن: معناه علم أن لن تطيقوه (فَتابَ عَلَيْکُمْ) أى لم يلزمكم إثماً كما لا يلزم التائب أى رفع

التبعة فيه كرفع التبعة عن التائب. و قوله (فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى) فتاب عليكم بما رغبتم فيه و ذلک يقتضى التخفيف عنكم (وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الْأَرْضِ) أى و منكم قوم آخرون يضربون أى يسافرون فى الأرض و منكم قوم (آخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) و كل ذلک يقتضى التخفيف عنكم (فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ) و معناه أقيموا الصلاة بحدودها التى أوجبها اللّه عليكم و إستمروا عليها و أعطوا ما وجب عليكم من الزكاة المفروضة (وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً) أى و أنفقوا فى سبيل اللّه و الجهات التى أمركم بها و ندبكم إلى النفقة فيها، و سمى ذلک (قرضاً) تلطفاً فى القول، لان اللّه تعالى من حيث أنه يجازيهم على ذلک بالثواب، فكأنه استقرض منهم ليرد عوضه و إنما قال (حسناً) أى على وجه لا يكون فيه وجه من وجوه القبح.
ثم قال (وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ) أى ما فعلتم من الطاعات (تَجِدُوهُ) أى تجدوا ثوابه و جزاءه (عِنْدَ اللَّهِ) و قوله (هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً) أى تجدوه خيراً لكم، و هو أفضل و أعظم ثواباً، و هو عطف على (خَيْرٍ). ثم قال (وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) على معاصيكم معاشر المكلفين (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) أى ستار لذنوبكم صفوح لاجرامكم إذا تبتم و أقلعتم و رجعتم اليه (رَحِيمٌ) بكم منعم عليكم. و قال ابن زيد: القرض فى الآية النوافل سوى الزكاة.

74- سورة المدثر: ..... ص: 171

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاک هى مدنية و هى خمسون و ست آيات فى الكوفى و البصرى و المدنى الأول، و خمس فى المدنى الأخير. و قال ابو سلمة ابن عبد الرحمن أول ما نزل من القرآن (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) و حكى ذلک ابو سلمة عن جابر بن عبد اللّه. قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله جاوزت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً فنظرت عن شمالى فلم أر شيئاً فنظرت أمامى فلم أر شيئاً فنظرت خلفى فلم أر شيئاً، فرفعت رأسى فلم أر شيئاً، فأتيت خديجة فقلت دثرونى و صبوا على ماء بارداً قال فدثرونى فصبوا على ماءٍ بارداً فنزلت (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)
و قال الزهرى: أول ما نزل قوله (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِى خَلَقَ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَ رَبَّکَ فَکَبِّرْ (3) وَ ثِيابَکَ فَطَهِّرْ (4)
وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَکْثِرُ (6) وَ لِرَبِّکَ فَاصْبِرْ (7) فَإِذا نُقِرَ فِی النَّاقُورِ (8) فَذلِکَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (9)
عَلَى الْکافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (10)
عشر آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 172
هذا خطاب من اللّه تعالى لنبيه محمد صلى اللّه عليه و آله يقول له (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) و أصله المتدثر بثيابه، فأدغمت التاء فى الدال، لأنها من مخرجها مع أن الدال أقوى بالجهر فيها، يقال: تدثر تدثراً و دثره تدثيراً، و دثر الرسم يدثر دثوراً إذا محى أثره، فكأنه قال: يا ايها الطالب صرف الأذى بالدثار اطلبه بالإنذار.
و قوله «قُمْ فَأَنْذِرْ» أمر من اللّه تعالى له أن يقوم و ينذر قومه، و الانذار الاعلام بموضع المخافة ليتقى، فلما كان لا مخافة أشد من الخوف من عقاب اللّه كان الانذار منه اجلّ الانذار، و تقديره قم إلى الكفار فأنذر من النار.
و قوله «وَ رَبَّکَ» منصوب ب «كبر» و التكبير وصف الأكبر على اعتقاد معناه كتكبير المكبر فى الصلاة بقوله اللّه اكبر، و التكبير نقيض التصغير، و مثله التعظيم. و الكبير الشأن هو المختص باتساع المقدور و المعلوم من غير مانع من الجود.
فاللّه تعالى قادر لا يعجزه شىء، و عالم لا يخفى عليه شىء لا يمنعه من الجود على عباده شىء، فهو اكبر من كل كبير بما لا يساويه شىء، و اختصاصه بالمقدور و المعلوم بأنه ما صح من مقدور او معلوم فهو قادر عليه عالم به فهو لنفسه كبير و اكبر من كل كبير سواه.
و قوله «وَ ثِيابَکَ فَطَهِّرْ» أى و طهر ثيابك فهو منصوب به. و الطهارة النظافة بانتفاء النجاسة، لأن النظافة قد تكون بانتفاء الوسخ من غير نجاسة، و قد تكون بانتفاء النجاسة. فالطهارة فى الآية هو القسم الأخير. و قال ابن عباس «وَ ثِيابَکَ فَطَهِّرْ» معناه من لبسها على معصيته، كما قال سلامة بن غيلان الثقفى- أنشده ابن عباس:
و إنى بحمد اللّه لا ثوب فاجر لبست و لا من غدة أتقنع «1»

---

(1) مر فى 6/ 489 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 173
و قال الزجاج: معناه لم أكن غادراً، قال يقال: للغادر دنس الثياب أى لم

أعص قط و قيل: معناه شمر ثيابک- و فى رواية عن ابن عباس و إبراهيم و قتادة- ان معناه و ثيابک فطهر من الذنوب. و قال ابن سيرين و ابن زيد: اغسلها بالماء.
و قيل معناه شمر ثيابک، و قيل: معناه و ثيابک فطهر للصلاة فيها.
و قوله «وَ الرُّجْزَ» منصوب بقوله «فَاهْجُرْ» و قال الحسن: كل معصية رجز و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الزهرى: معناه فاهجر الأصنام. و قال ابراهيم و الضحاک: الرجز الإثم. و قال الكسائى: الرجز- بكسر الراء- العذاب، و بفتحها الصنم و الوثن. و قالوا: المعنى اهجر ما يؤدى إلى العذاب، و لم يفرق احد بينهما.
و بالضم قرأ حفص و يعقوب و سهل. الباقون بالكسر إما لأنهما لغتان مثل الذكر و الذكر او بما قاله الكسائى. و قال قوم: الرجز بالضم الصنم. و قال: كان الرجز صنمين: أساف و نائلة، نهى اللّه تعالى عن تعظيمهما.
و قوله «وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ» قال ابن عباس و ابراهيم و الضحاک و قتادة و مجاهد: معناه لا تعط عطية لتعطى أكثر منها، و قال الحسن و الربيع و انس: معناه لا تمنن حسناتک على اللّه مستكثراً لها، فينفصل ذلک عند اللّه.
و قال ابن زيد:
معناه لا تمنن ما أعطاک اللَّه من النبوة و القرآن مستكثراً به الأجر من الناس، و قال ابن مجاهد: معناه لا تضعف فى عملک مستكثراً لطاعتک، و قال قوم: معناه لا تمنن على الناس بما تنعم به عليهم على سبيل الاستكثار لذلک. و قال جماعة من النحويين:
إن (تستكثر) فى موضع الحال و لذلک رفع. و أجاز الفراء الجزم على أن يكون جواباً للنهى، و الرفع هو الوجه. و المن ذكر النعمة بما يكدرها، و يقطع حق الشكر بها، يقال: منّ بعطائه يمنّ مناً إذا فعل ذلک، فأما من على الأسير إذا أطلقه، فهو قطع أسباب الاعتقال عنه. و يقال: لمن أنعم على وجه المن، لأنه بهذه المنزلة. و أصله التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 174
القطع من قوله «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» «1» أى غير مقطوع. و الاستكثار طلب الكثرة يقال: استكثر فلان من المال و العلم، و المراد- هاهنا- هو طلب ذكر الاستكثار للعطية.
و قوله «وَ لِرَبِّکَ فَاصْبِرْ» قال ابراهيم: من أجل ربک فاصبر على عطيتک.
و قال مجاهد: لأجل اللّه فاصبر على أذى المشركين. و قيل: معناه «وَ لِرَبِّکَ فَاصْبِرْ» على ما أمرک به من أداء الرسالة و تعليم الدين، و ما ينالک من الأذى و التكذيب، فاحتمله لتنال الفوز من اللَّه بالنعيم و الصبر الذى هو طاعة اللَّه هو الصبر على الضرر الذى يدعو اليه العقل، لان ما يدعو اليه العقل فخالق العقل يريده، لأنه بمنزلة دعاء الأمر الى الفعل، و السبب الذى يتقوى به على الصبر هو التمسک بداعى العقل دون داعى الطبع، لان العقل

يدعو بالترغيب فيما ينبغى أن يرغب فيه. و الطبع داعى الهوى يدعو إلى خلاف ما فى العقل.
و قوله (فَإِذا نُقِرَ فِى النَّاقُورِ) معناه إذا نفخ فى الصور، و هو كهيأة البوق- فى قول مجاهد- و قيل: ان ذلک فى أول النفختين، و هو أول الشدة الهائلة العامة، و الناقور على وزن (فاعول) من النقر، كقولک: هاضوم من الهضم و حاطوم من الحطم، و هو الذى من شأنه أن ينقر فيه للتصويت به.
و قوله (فَذلِکَ يَوْمَئِذٍ) يعنى اليوم الذى ينفر فيه فى الناقور (يَوْمٌ عَسِيرٌ) أى يوم شديد عسر «عَلَى الْكافِرِينَ» لنعم اللّه الجاحدين لآياته «غَيْرُ يَسِيرٍ» فاليسير القليل الكلفة، و منه اليسار و هو كثرة المال لقلة الكلفة به فى الإنفاق، و منه تيسر الامر لسهولته و قلة الكلفة فيه. و قال الزجاج: قوله «يَوْمٌ عَسِيرٌ» مرتفع بقوله «فَذلِکَ» و المعنى فذلک يوم عسير يوم النفخ فى الصور، و يومئذ يجوز أن يكون

---

(1) سورة 95 التين آية 6

نصباً على معنى فذلک يوم عسير فى يوم ينفخ فى الصور، و يجوز الرفع، و إنما بنى على الفتح لاضافته إلى (إذ) لأن (إذ) غير متمكنة.

ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِیداً (11) وَ جَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً (12) وَ بَنِینَ شُهُوداً (13) وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِیداً (14) ثُمَّ یَطْمَعُ أَنْ أَزِیدَ (15)
کَلاَّ إِنَّهُ کانَ لِآیاتِنا عَنِیداً (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (17) إِنَّهُ فَکَّرَ وَ قَدَّرَ (18) فَقُتِلَ کَیْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ کَیْفَ قَدَّرَ (20)
ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَکْبَرَ (23) فَقالَ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ یُؤْثَرُ (24) إِنْ هذا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (25)

خمس عشرة آیة.

یقول اللَّه تعالی لنبیه صلی اللَّه علیه و آله علی وجه التهدید للکافر الذی وصفه «ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِیداً» و معناه دعنی و إیاه فانی کاف فی عقابه کما تقول العرب: دعنی و إیاه لا أن اللَّه تعالی یجوز علیه المنع حتی یقول: ذرنی و إیاه، و لکن المعنی ما قلناه.

و قوله «وحیداً» قال الزجاج: یحتمل ان یکون من صفة الخالق، و یحتمل أن یکون من صفة المخلوق، فإذا حملناه علی صفة الخالق کان معناه دعنی و من خلقته متوحداً بخلقه لا شریک لی فی خلقه و جعلته علی الأوصاف التی ذکرتها، و إذا حمل علی صفه المخلوق، کان معناه و من خلقته فی بطن أمه وحده لا شیء له ثم جعلت له کذا و کذا- ذکره مجاهد و قتادة- و قوله «وَ جَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُوداً» أی مالا کثیراً له مدد یأتی شیئاً بعد شیء، فوصفه بأنه ممدود یقتضی هذا المعنی. و قال مجاهد التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 176

و سعید بن جبیر: نزلت الآیة فی الولید بن المغیرة المخزومی. و قالا: کان ماله الف دینار. و قال سفیان: کان ماله أربعة آلاف دینار. و قال النعمان بن سالم: کان أبرص. و قال عطاء عن عمر: کان غلة شهر شهر. و قال مجاهد: کان بنوه عشرة «وَ بَنِینَ شُهُوداً» أی و اولاداً ذکوراً معه یستمتع بمشاهدتهم، و ینتفع بحضورهم. و قیل کان بنوه لا یغیبون عنه لغنائهم عن رکوب السفر فی التجارة بخلاف من هو غائب عنهم.

و قوله «وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِیداً» أی سهلت له التصرف فی الأمور تسهیلا و قد یکون التسهیل من المصیبة لیخف الحزن بها، و قد یکون لما یتصرف فیه من المبالغة.

و قوله «ثُمَّ یَطْمَعُ أَنْ أَزِیدَ» أی لم یشکرنی علی هذه النعم، و هو مع ذلک یطمع أن أزید فی إنعامه. و التمهید و التوطئة و التذلیل و التسهیل نظائر.

ثم قال تعالی علی وجه الردع و الزجر «کَلَّا» کأنه قال: ارتدع عن هذا و انزجر کما ان (صه) بمنزلة اسکت (و مه) بمنزلة اکفف. و إنما هی أصوات سمی الفعل بها، فکأنه قال: انزجر، فلیس الأمر علی ما تتوهم.

ثم بين لم كان كذلک فقال «إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا» أى إنما لم أفعل به ذلک، لأنه لحجتنا و أدلتنا «عَنِيداً» أى معانداً، فالعنيد الذاهب عن الشىء على طريق العداوة له، يقال عند العرق يعند عنوداً، فهو عاند إذا نفر، و هو من هذا، و المعاندة منافرة المضادة، و كذلک العناد، و هذا الكافر يذهب عن آيات اللَّه ذهاب نافر عنها. و قيل معنى «عنيد» عنود أى جحود بتكذيب المعاندة- فى قول ابن عباس و قتادة- و قيل: معناه معاند، و بعير عنود أى نافر قال الشاعر:
إذا نزلت فاجعلونى وسطا إنى كبير لا أطيق العندا «1»

---

(1) مر فى 6/ 14، 283

أى نفراً، و قوله «سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً» فالارهاق الاعجال بالعنف و الصعود العقبة التى يصعب صعودها، و هى الكئود و الكدود فى ارتقائها و نقيض الصعود الهبوط، و قيل: صعود جبل من نار فى جهنم يؤخذون بارتقائه، فإذا وضع يديه ذابت، فإذا رفعها عادت و كذلک رجلاه، فى خبر مرفوع. و قيل: صعود جبل فى جهنم من نار يضرب بالمقامع حتى يصعد عليه، ثم يضرب حتى ينزل ذلک دأبه ابداً.
ثم قال «إِنَّهُ فَكَّرَ» أى فكر فكراً يحتال به للباطل، لأنه لو فكر على وجه طلب الرشاد لم يكن مذموماً بل كان ممدوحاً، و لذلک مدح اللَّه قوماً فقال «إِنَّ فِى ذلِکَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» «1» أى على وجه طلب الحق. و قوله «وَ قَدَّرَ» أى قدر فقال: إن قلنا شاعر كذبتنا العرب باعتبار ما أتى به، و إن قلنا كاهن لم يصدقونا، لان كلامه لا يشبه كلام الكهان، فنقول ساحر يأثر ما أتى به عن غيره من السحرة. فقال اللَّه تعالى «فَقُتِلَ» أى لعن «كَيْفَ قَدَّرَ» هذا. ثم كرر تعالى فقال «ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ» أى عوقب بعقاب آخر كيف قدر من إبطال الحق تقديراً آخر. و قيل: لعن بما يجرى مجرى القتل، و مثله «قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ» «2» و قال الحسن: هو شتم من اللَّه لهذا الكافر.
و قوله «ثُمَّ نَظَرَ» نظر من ينكر الحق و يدفعه، و لو نظر طلباً للحق كان ممدوحاً و كان نظره صحيحاً. و قوله «ثُمَّ عَبَسَ» أى قبض وجهه تكرها للحق، يقال: عبس يعبس عبوساً، فهو عابس و عباس فالعبوس و التكليح و التقطيب نظائر

---

(1) سورة 13 الرعد آية 3 و سورة 30 الروم آية 21 و سورة 39 الزمر آية 42 و سورة 45 الجاثية آية 12
(2) سورة 51 الذاريات آية 10

فى اللغة، و ضده الطلاقة و البشاشة. و قوله «وَ بَسَرَ» فالبسور بدوّ التكره

الذى يظهر فى الوجه و أصله من قولهم: بسر بالأمر إذا عجل به قبل حينه، و منه البسر لتعجيل حاله قبل الارطاب قال توبة:
و قد رابنى منها صدود رأيته و إعراضها عن حاجتى و بسورها «1»
فكأنه قيل: قبض وجهه و بدى التكره فيه. و قوله «ثُمَّ أَدْبَرَ» فالادبار الأخذ فى جهة الدبر خلاف جهة الإقبال، فذلک ادبار و هذا إقبال، يقال: دبر يدبر دبوراً و أدبر إدباراً، و تدبر نظر فى عاقبة الأمر، و دبره أى عمله على إحكام العاقبة و كل مأخوذ من جهة الخلف مدبر.
و قوله «وَ اسْتَكْبَرَ فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ» أى طلب كبراً ليس له، و لو طلب كبراً هو له لم يكن مذموماً، و فى صفات اللّه تعالى «الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ» «2» لان له الكبرياء، و هو كبير الشأن فى أعلى المراتب لاختصاصه باتساع مقدوراته و المعلوم فى أعلى المراتب. و قيل: ان الوليد قال فى القرآن: و اللّه ليعلو و ما يعلى و ما هو بشعر و لا كهانة، و لكنه سحر يؤثر من قول البشر، و السحر حيلة يخفى سببها فيوهم الشىء على خلاف ما هو به و ذلک منفى عن كل ما يشاهد و يعلم انه قد خرج عن العادة مما لا يمكن عليه معارضة، و لو كان القرآن من قول البشر لأمكنهم أن يأتوا بمثله، كما لو كان قلب العصا حية من فعل ساحر لأمكن السحرة أن يأتوا بمثله. ثم قال يعنى الوليد «إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ» أى ليس هذا إلا قول البشر و ليس من كلام اللّه عناداً منه و بهتاناً.

---

(1) مجاز القرآن 2/ 275 و القرطبى 19/ 74
(2) سورة 59 الحشر آية 23

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) وَ ما أَدْراكَ ما سَقَرُ (27) لا تُبْقِی وَ لا تَذَرُ (28) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29) عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ (30)
وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً وَ لا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلاً كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِی مَنْ يَشاءُ وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَ ما هِیَ إِلاَّ ذِكْری لِلْبَشَرِ (31) كَلاَّ وَ الْقَمَرِ (32) وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (33) وَ الصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ (34) إِنَّها لَإِحْدَی الْكُبَرِ (35)
عشر آيات.
قرأ نافع و حمزة و حفص عن عاصم «إذ أدبر» بإسكان الذال و قطع الهمزة من (أدبر) الباقون بفتح الذال و الالف معها «دبر» بغير الف. و قرأ ابن مسعود بزيادة الف، و من قال (دبر، و أدبر) فهما لغتان. قيل: هو مثل قبل و اقبل و الاختيار عندهم (أدبر) لقوله «إِذا أَسْفَرَ» و لم يقل إذا سفر، لان ابن عباس، قال لعكرمة: حين دبر الليل، لأن العرب تقول: دبر فهو دابر، و حجة نافع و حمزة
قول النبى صلى اللَّه عليه و آله (إذا اقبل الليل من هاهنا و أدبر النهار من هاهنا فقد أفطر الصيام)
ثم قال ابو عبيدة: أدبر ولى، و دبرتى جاء خلفى.
لما حكى اللَّه تعالى صفات الكافر الذى ذكره و هو الوليد بن المغيرة، و انه

فكر و قدر إلى ان قال: هذا القرآن سحر مأثور، و هو قول البشر، قال اللَّه تعالى مهدداً له و متوعداً «سَأُصْلِيهِ سَقَرَ» أى ألزمه جهنم، و الاصلاء إلزام موضع النار أصلاه يصليه إصلاء و اصطلى فهو يصطلى اصطلاء، و صلاه يصليه، و أصله اللزوم.
و سقر اسم من اسماء جهنم، و لم يصرف للتعريف و التأنيث و أصله من سقرته الشمس تستقره سقراً إذا آلمت دماغه. و قد سميت النار سقر لشدة إيلامها، و منه الصقر بالسين و الصاد، لأن شدته فى نفسه كشدة الألم فى أذى صيده.
و قوله «وَ ما أَدْراكَ ما سَقَرُ» إعظاماً للنار و تهويلا لها أى و لم يعلمك اللَّه سقر على كنهها و صفتها، ثم وصف بعض صفاتها فقال «لا تُبْقِی وَ لا تَذَرُ» و قال مجاهد: معناه لا تبقى من فيها حياً، و لا تذره ميتاً. و قال غيره: لا تبقى احداً من أهلها إلا تناولته، و لا تذره من العذاب. و الإبقاء ترک شىء مما أخذ، يقال أبقى شيئاً يبقيه إبقاء، و أبقاه اللَّه أى أطال مدّته. و الباقى هو

المستمر الوجود.
و قوله «لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ» أى مغيرة لجلد الإنسان الذى هو البشرة- فى قول مجاهد- و قال المؤرج: لواحة بمعنى حرّاقة، و به قال الفراء. و قال غيرهما: معناه تلوح لجميع الخلق حتى يروها، كما قال «وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى» «1» لأنه لا يجوز أن يصفها بأنها تسودّ البشرة مع قوله «إنها لا تُبْقِى وَ لا تَذَرُ» و التلويح تغير اللون إلى الأحمر و التلويح بالنار تغير بشرة أهلها إلى الاحمرار، يقال: لوحته الشمس تلوحه تلويحا فهى لواحة على المبالغة فى كثرة التلويح، و البشر جمع بشرة، و هى ظاهر الجلدة، و منه سمى الإنسان بشراً، لأنه ظاهر الجلدة، بتعريه من الوبر و الريش و الشعر الذى يكون فى غيره من الحيوان فى غالب أمره.
و قوله «عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ» أى على سقر تسعة عشر من الملائكة. و إنما خص بهذه العدة لتوافق صحة الخبر لما جاء به الأنبياء قبله صلى اللّه عليه و آله، و يكون فى

---

(1) سورة 79 النازعات آية 36

ذلک مصلحة للمكلفين. و قد بين ذلک بقوله «وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ» أى لم نجعل من يتولى تدبير النار إلا من الملائكة و لم نجعلهم على هذه العدة «إِلَّا فِتْنَةً» و محنة و تشديداً فى التكليف «لِلَّذِينَ كَفَرُوا» نعم اللّه و جحدوا ربوبيته ليلزمهم النظر فى ذلک، فلما كانت هذه العدة التى جعلت عليها الملائكة يظهر عندها ما كان فى نفس الكافر مما يقتضيه كفره، كان فتنة له، لان الفتنة هى المحنة التى تخرج ما فى النفس من خير او شر بإظهار حاله كإظهار الحكاية للمحكى. و الملک عبارة عما كان على خلاف صورة الجن و الانس من المكلفين. و قال قوم: لا يكون ملكا إلا رسولا لأنه من الرسالة، كما قال الهذلى:

الكنى اليها و خير الرسو ل أعلمهم بنواحى الخبر «1»

و أصله ملأک بالهمز كما قال الشاعر:

فلست لانسى و لكن بملإک تنزل من جو السماء يصوب «2»

و الملک عظيم الخلق شديد البطش كريم النفس. و الأصل نفسه منشرحة بالطاعة انشراح الكريم بالجود، و أصله من النور. و وجه دلالة هذه العدة من الملائكة على نبوة النبى صلى اللّه عليه و آله هو انه إذا كان اللّه- عز و جل- قد اخبر به فى الكتب المتقدمة و لم يكن محمد صلى اللّه عليه و آله ممن قرأها و لا تعلمها من أحد من الناس دل على أن اللّه أعلمه و انزل عليه به وحياً أبانه به من جميع الخلق ليدل على صدقه مع انه احد الأشياء التى أخبر بها على هذه الصفة «لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» و التقدير ليعلم أهل الكتاب يقيناً ان محمداً صادق من حيث اخبر بما هو فى كتبهم من

غير قراءة لكتبهم و لا تعلم منهم «وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً» أى و يزداد بذلک ايضاً المؤمنون الذين عرفوا اللَّه إيماناً مضافاً الى ايمانهم. و وجه المحنة على الكفار بتكليفهم ان يستدلوا حتى

---

(1) مر فى 8/ 11، 299
(2) اللسان (ملک)

يعرفوا ان اللَّه تعالى قادر ان يقوى هذه العدة من الملائكة بما يفى بتعذيب أهل النار على ما هم عليه من الكثرة «وَ لا يَرْتابَ» أى لا يشک «الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» فى خبره و لا يرتاب أيضاً «الْمُؤْمِنُونَ» فى خبره.

و قوله «وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكافِرُونَ» و معناه لئلا يقول الذين فى قلوبهم شک و نفاق (ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا) اى أى شىء أراد اللَّه بهذا مثلا، و قيل اللام فى قوله (وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) لام العاقبة كما قال (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً) «1» فقال اللَّه تعالى (كَذلِکَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ) أى مثل ما فضح اللَّه هؤلاء الكفار و ذمهم مثل ذلک يضل من يشاء من الكفار. و الإضلال- هاهنا- اظهار فضيحة الكفار بما يوجب الذم، و معناه الحكم عليهم بالضلال عن الحق، و الاخبار بأنهم يستحقون اللعن بتكذيبهم النبى صلى اللَّه عليه و آله، و ما انزل عليه. و نقيضه الهداية أى و يحكم بهداية المؤمنين إلى الحق و مصيرهم الى الطاعة، و تصديقهم بالحق عند نزوله و قبولهم له و قال ابن عباس و قتادة و الضحاک:

عدة الملائكة الموكلين بالنار فى التوراة و الإنجيل تسعة عشر.

ثم اخبر تعالى فقال (وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّکَ إِلَّا هُوَ) أى لا يعلم جنود اللَّه إلا اللَّه. ثم قال (وَ ما هِىَ إِلَّا ذِكْرى لِلْبَشَرِ) قيل معناه إن النار فى الدنيا تذكير بالنار فى الآخرة. و قال قتادة و مجاهد: النار الموصوفة بهذه الصفة ذِكْرى لِلْبَشَرِ و عظة لهم. و قال البلخى: إِلَّا ذِكْرى لِلْبَشَرِ أى الجنود ذكرى أى عظة للبشر، لان اللَّه تعالى لا يحتاج الى ناصر و معين.

ثم قال (كَلَّا وَ الْقَمَرِ) أى حقاً ثم اقسم بالقمر (وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) قيل معناه إذا ولى يقال: دبر و أدبر، و قد قرئ بهما. و قيل: إنما دبر الليل بان جاء

---

(1) سورة 28 القصص آية 8

بعده النهار و آخره. و تقول العرب: قبح اللَّه ما قبل منک و ما دبر (وَ الصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ) أى أضاء و أنار- فى قول قتادة- و هو قسم آخر. و قال قوم: التقدير و رب هذه الأشياء، لان اليمين لا يكون إلا باللَّه. و قال قوم: معنى قوله (وَ الصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ) أى كشف عن الظلام و أنار الاشخاص. و قوله

(إِنَّها لَإِحْدَى الْكُبَرِ) جواب القسم، و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاک: معناه إنّ النار لإحدى الكبر. و قال قوم: ان هذه الآية لَإِحْدَى الْكُبَرِ. و الكبر جمع الكبرى، و هى العظمى و روى عن ابن كثير أنه (قرأ إنها لحدى الكبر) لا يهمزه و لا يكسر يسقط الهمزة تخفيفاً، كقولهم فى زيد الأحمر زيد لحمر. و فى أصحاب الايكة اصحاب ليكة.
و الاختيار قطع الألف، لأن العرب إذا حذفت مثل هذا نقلت حركة الهمزة إلى ما قبلها، و اللام قبل هذه الهمزة متحركة، و اللام فى الأحمر لام التعريف ساكنة.

نَذِيراً لِلْبَشَرِ (36) لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (37) كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) إِلاَّ أَصْحابَ الْيَمِينِ (39) فِي جَنَّاتٍ يَتَساءَلُونَ (40) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (41) ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ (45) وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46) حَتَّى أَتانَا الْيَقِينُ (47) فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ (48) فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (49) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (50) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (51) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً (52) كَلاَّ بَلْ لا يَخافُونَ الْآخِرَةَ (53) كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (54) فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ (55) وَ ما يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (56)

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 184

احدى و عشرون آية قرأ نافع و ابن عامر و ابو جعفر (مستنفرة) بفتح الفاء. الباقون بكسرها و معناهما متقارب، لان من فتح الفاء أراد أنه نفرها غيرها، و من كسر الفاء أراد أنها نافرة، و انشد الفراء:

امسک حمارک إنه مستنفر فى أثر أحمرة عمدن لغرّب «1»

و النفور الذهاب عن المخوف بانزعاج، نفر عن الشىء ينفر نفوراً فهو نافر، و التنافر خلاف التلاؤم، و استنفر طلب النفور (و مستنفرة) طالبة للنفور. و قرأ نافع و يعقوب (و ما تذكرون) بالتاء على الخطاب. الباقون بالياء على الخبر لما اخبر اللّه تعالى ان الآية التى ذكرها لإحدى الكبر، بين أنه بعث النبى (نَذِيراً لِلْبَشَرِ) أى منذراً مخوفاً معلماً مواضع المخافة، و النذير الحكيم بالتحذير عما ينبغى ان يحذر منه، فكل نبى نذير، لأنه حكيم بتحذيره عقاب اللّه تعالى على معاصيه (و نذيراً) نصب على الحال. و قال الحسن: إنه وصف النار و قال ابن زيد: هو وصف النبى. و قال أبو رزين: هو من صفة اللّه تعالى، فمن قال: هو للنبى قال كأنه قيل: قم نذيراً. و قوله (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) معناه إن هذا الانذار متوجه إلى من يمكنه ان يتقى عذاب النار بأن يجتنب معاصيه و يفعل طاعاته، فيقدر

---

(1) اللسان (نفر)

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 185

على التقدم و التأخر فى أمره بخلاف ما يقوله المجبرة الذين يقولون بتكليف ما لا يطاق لمنع القدرة. و قال قتادة: معناه لمن شاء منكم أن يتقدم فى طاعة اللّه أو يتأخر عنها بمعصيته. و المشيئة هى الارادة.

و قوله (كُلّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) معناه إن كل نفس مكلفة مطالبة بما عملته و كسبته من طاعة او معصية، فالرهن أخذ الشىء بأمر على أن لا يرد إلا بالخروج منه رهنه يرهنه رهناً قال زهير:
و فارقتک برهن لافکاک له يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا «1»
و كذلک هؤلاء الضلال قد أخذوا برهن لافكاک له. قال الرمانى: فى ذلک دلالة على القائلين باستحقاق الذم، لأنه عم الارتهان بالكسب فى هذا الموضع، و هم يزعمون انه يرتهن بأن لم يفعل ما وجب عليه من غير كسب شىء منه، فكانت الآية حجة على فساد مذهبهم. و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لان الذى فى الظاهر ان الإنسان رهن بما كسبت يداه. و لم يقل: و لا يرهن إلا بما كسب له إلا من جهة دليل الخطاب الذى هو فاسد عند اكثر الأصوليين، على ان الكسب هو ما يجتلب به نفع او يدفع به ضرر، و يدخل فى ذلک الفعل، و ألا يفعل، فلا تعلق فى الآية.
و لما ذكر تعالى أن (كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) استثنى من جملة النفوس فقال (إِلَّا أَصْحابَ الْيَمِينِ) و الاستثناء منقطع، لان اصحاب اليمين ليسوا من الضلال الذين هم رهن بما كسبوه، و تقديره لكن أصحاب اليمين (فِى جَنَّاتٍ) أى بساتين أجنها الشجر، و اصحاب اليمين هم كل من لم يكن من الضالين.
و قال الحسن:
هم اصحاب الجنة. و قال قوم: هم الذين ليس لهم شىء من الذنوب. و قال قوم:

---

(1) ديوانه 39 (دار بيروت)

هم أطفال المؤمنين. و قوله (يَتَساءَلُونَ) أى يسأل بعضهم بعضاً (عَنِ الْمُجْرِمِينَ) العصاة فى طاعة اللّه، فيقولون لهم (ما سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ) أى ما أدخلكم فى جهنم فالمجرم هو القاطع بالخروج عن أمر اللّه و نهيه الى ارتكاب الكبائر من القبيح، و الجارم القاطع. و السلوک الدخول. و سقر اسم من اسماء جهنم. ثم حكى ما يجيبهم به اصحاب النار فإنهم يقولون لهم: أدخلنا فى النار لأنا (لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) أى لم نک نصلى ما أوجب علينا من الصلاة المفروضة على ما قررها الشرع، و فى ذلک دلالة على ان الإخلال بالواجب يستحق به الذم و العقاب، لأنهم لم يقولوا انا فعلنا تركاً للصلاة بل علقوا استحقاقهم للعقاب بالإخلال بالصلاة و فيها دلالة على أن الكفار مخاطبون بالعبادة لان ذلک حكاية عن الكفار بدلالة قوله فى آخر الآية (وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ).
و قوله (وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ) أى لم نكن نخرج الزكوات التى وجبت علينا، و الكفارات التى يلزمنا دفعها الى المساكين. و هم الفقراء، فالمسكين الذى سكنته الحاجة الى ما فى ايدى الناس عن حال النشط. و

حال الفقير أشد من حال المسكين. قال اللّه تعالى (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ) «1» فسماهم اللّه مساكين مع أن لهم مركباً فى البحر قال الشاعر:
أنا الفقير الذى كانت حلوبته وفق العيال فلم يترک له سبد «2»
(وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ) قال قتادة: معناه كلما غوى غاوياً لدخول فى الباطل غوينا معه أى كنا نلوث أنفسنا بالمرور فى الباطل كتلويث الرجل بالخوض فلما كان هؤلاء يخرجون مع من يكذب بالحق مشيعين لهم فى القول كانوا خائضين معهم (وَ كُنَّا) مع ذلک (نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) اى كنا نجحد يوم الجزاء و هو يوم القيامة، فالتكذيب تنزيل الخبر عَلى انه كذب باعتقاد ذلک فيه أو الحكم به،

---

(1) سورة 18 الكهف آية 80
(2) مر تخريجه فى 5/ 283 [.....]

فهؤلاء اعتقدوا ان الخبر بكون يوم الدين كذب. و الدين الجزاء، و هو الإيصال إلى كل من له شىء او عليه شىء ما يستحقه، فلذلک يوم الدين، و هو يوم الجزاء و هو يوم أخذ المستحق بالعدل. و قوله (حَتَّى أَتانَا الْيَقِينُ) معناه حتى جاءنا العلم و اليقين الذى يوجد برد الثقة به فى الصدر أو دليله، يقال: وجد فلان برد اليقين و ثلج فى صدره، و لذلک لا يوصف اللّه تعالى بأنه متيقن، فقال اللّه تعالى لهم «فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ» الذين يشفعون لهم، لأن عذاب الكفر لا يسقطه اللّه بالشفاعة، بالإجماع. ثم قال «فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ» أى أى شىء لهم؟ و لم أعرضوا و تولوا عن النبوة و الرشد؟! و لم يتعظوا به إلى ان صاروا الى جهة الضلال على وجه الإنكار عليهم. ثم شبههم، فقال «كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ» أى مثلهم فى النفور عما تدعوهم اليه من الحق و اعراضهم، مثل الحمر إذا نفرت و مرت على وجهها إذا «فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ» و هو السبع يعنى الأسد، يقال نفر، و استنفر، مثل علا متنه و استعلاه و سمع إعرابى رجلا يقرأ (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ) فقال: طلبها قسورة، فقيل له:
ويحک إن فى القرآن (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال (مستنفرة) إذاً، فالفرار الذهاب عن الشىء خوفاً منه، فر يفر فراً و فراراً، فهو فار إذا هرب و الفار الهارب.
و الهرب نقيض الطلب، و اصل الفرار الانكشاف عن الشىء، و منه فر الفرس يفره فراً إذا كشف عن سنه. و القسورة الأسد. و قيل: هو الرامى للصيد. و أصله الأخذ بالشدة من قسره يقسره قسراً أى قهره. و قال ابن عباس: القسورة الرماة و قال سعيد بن جبير: هم القناص. و فى رواية أخرى عن ابن عباس: جماعة الرجال و قال ابو هريرة: هو الأسد. و هو قول

زيد بن اسلم، و فى رواية عن ابن عباس و أبى زيد: القسور بغير هاء تأنيث.
و قوله (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً) اخبار من اللَّه
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 188
تعالى بأنهم ليسوا كالحمر المستنفرة الفارة من القسورة، بل لأن كل رجل منهم يريد أن يعطى صحفاً منشرة. قال الحسن و قتادة و مجاهد: انهم يريدون صحفاً منشرة أى كتباً تنزل من السماء كتاباً إلى فلان و كتاباً الى فلان: أن آمنوا بمحمد صلى اللَّه عليه و آله. و قيل: إنهم قالوا كانت بنو إسرائيل إذا أذنب منهم مذنب أنزل اللَّه كتاباً أن فلاناً أذنب فما بالنا لا ينزل علينا مثل ذلک إن كنت صادقاً به؟ و الصحف جمع صحيفة، و هى الورقة التى من شأنها ان تقلب من جهة إلى جهة، لما فيها من الكتابة، و تجمع الصحيفة صحفاً و صحائف، و منه مصحف و مصاحف. و النشر بسط ما كان مطوياً او ملتفاً من غير التحام. و قيل: معناه إنهم يريدون صحفاً من اللَّه.
تعالى بالبراءة من العقوبة و إسباغ النعمة حتى يؤمنوا و إلا أقاموا على أمرهم. و قيل: تفسيره ما ذكره اللَّه تعالى فى قوله (وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّکَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ) «1» فقال اللَّه تعالى (كلا) أى حقاً ليس الأمر على ما قالوه (بَلْ لا يَخافُونَ) هؤلاء الكفار (الْآخِرَةَ) بجحدهم صحته. ثم قال (إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ) يعنى القرآن تبصرة و موعظة لمن عمل به و اتعظ بما فيه، و هو قول قتادة. ثم قال (فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ) أى من شاء أن يتعظ بما فيه و هو يتذكر به، فعل، لأنه قادر عليه. ثم قال (وَ ما يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ) من قرأ بالتاء، فعلى الخطاب، و من قرأ بالياء، فعلى الاخبار عنهم. و معناه ليس يتذكرون و لا يتعظون بالقرآن إلا ان يشاء اللَّه، و معناه إلا و اللَّه شاءه له، لأنه طاعة و اللَّه يريد الطاعات من خلقه. و قوله (هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) معناه هو اهل ان يتقى عقابه، و اهل ان يعمل بما يؤدى الى مغفرته. و قيل: معناه هو اهل ان يغفر المعاصى إذا تاب المذنب من معاصيه.

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 93

75-سورة القيامة: ..... ص: 189

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک و هى أربعون آية فى الكوفى و تسع و ثلاثون فى البصرى و المدنيين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ (1) وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2) أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ (3) بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ (4)
بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ (5) يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ (6) فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) وَ خَسَفَ الْقَمَرُ (8) وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (9)
يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (10)
عشر آيات.
قرأ (برق) بفتح الراء اهل المدينة و أبان عن عاصم، الباقون بكسر الراء و قرأ القواس عن ابن كثير (لأقسم) بإثبات القسم جعل اللام لام تأكيد، و اقسم، و الاختيار لمن قصد هذا (لأقسمن) و قد روى ذلک عن الحسن، قال: لان اللّه تعالى اقسم بيوم القيامة، و لم يقسم بالنفس اللوامة. و قال مقاتل: لم يقسم اللّه تعالى التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 190
بالقيامة إلا فى هذه السورة فقط. الباقون (لا اقسم) التقدير بنفى اليمين فى اللفظ و اختلف فى ذلک النحويون فقال ابو عبيدة و الكسائى (لا) صلة و التقدير اقسم.
و قال قوم (لا) تزيدها العرب لا ابتداء، لكن (لا) هاهنا رد لقوم أنكروا البعث و كفروا بالتنزيل. فقال اللّه (لا) أى ليس كما تقولون. ثم قال (أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ) قال ابن خالويه: (لا) تنقسم أربعين قسما ذكرته فى كل مفرد.
قوله (لا أُقْسِمُ) معناه اقسم و (لا) صلة فى قول سعيد بن جبير. و قال ابن عباس (لا) تأكيد كقولک: لا و اللّه. بلى و اللّه ما كان كذا، فكأنه قال لا، اقسم بيوم القيامة ما الأمر على ما توهموه. و القسم تأكيد الخبر بما جعله فى حيز المتحقق. و المعنى اقسم بيوم القيامة و يوم القيامة هو النشأة الاخيرة التى تقوم فيها الناس من قبورهم للمجازاة، و بذلک سميت القيامة، و يومها يوم عظيم، على خطر عظيم جسيم.
و قوله (وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) قسم ثان، و معناه معنى الاول. و قال الحسن: أقسم تعالى بيوم القيامة و لم يقسم بالنفس اللوامة، بل نفى ان يقسم بها.
قال الرمانى: و هذا يضعف، لأنه يخرج عن تشاكل الكلام. و قيل: ان جواب القسم محذوف، و تقديره ما الامر على ما تتوهمون. و قال قوم: جواب القسم قوله (بَلى قادِرِينَ).
و اللوامة الكثيرة اللوم لقلة رضاها بالأمر و تمييز ما يرضى مما لا يرضى، و ما يلام عليه مما لا يلام عليه. و قال ابن عباس: اللوامة من اللوم.
و قال مجاهد: تلوم على ما مضى وفات. و قال قتادة: اللوامة الفاجرة، كأنه

قال ذات اللوام الكثير. و قال سعيد بن جبير: هى التى تلوم على الخير و الشر و قيل: معناه لا صبر لها على محن الدنيا و شدائدها، فهى كثيرة اللوم فيها. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 191
الحسن: اللوامة هى التى تلوم نفسها على ما ضيعت من حق اللَّه يوم القيامة، و هى نفس الكافر. و قيل: معناها أنها تلوم نفسها فى الآخرة على الشر لم عملته و على الخير هلا استكثرت منه.
و قوله (أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ) صورته صورة الاستفهام و معناه الإنكار على من أنكر البعث و النشور، فقال اللَّه له ا يظن الإنسان الكافر أن لن نجمع عظامه و نعيده إلى ما كان أولا عليه. ثم قال: ليس الأمر على ما ظنه (بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ) قال ابن عباس: يجعل بنانه كالخف و الحافر فيتناول المأكول بفيه، و لكننا مننا عليه. و قال قتادة كخف البعير او حافر الدابة. و نصب (قادرين) على أحد وجهين:
أحدهما- على تقدير بلى نجمعها قادرين.
و الآخر- بلى نقدر قادرين إلا أنه لم يظهر (نقدر) لدلالة (قادرين) عليه، فاستغنى به. و قيل: معناه بلى قادرين على ان نسوى بنانه حتى نعيده على ما كان عليه خلقاً سوياً.
و قوله (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ) اخبار منه ان الإنسان يفجر أمامه و معناه يمضى أمامه راكباً رأسه فى هواه- فى قول مجاهد- أى فهذا الذى يحمله على الاعراض عن مقدورات ربه، فلذلک لا يقر بالبعث و النشور. و قال الزجاج:
إنه يسوف بالتوبة و يقدم الاعمال السيئة. قال: و يجوز أن يكون المراد ليكفر بما قدامه من البعث بدلالة قوله (يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ) فهو يفجر أمامه بأن يكذب بما قدامه من البعث. و قوله (يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ) معناه ان الذى يفجر أمامه يسأل متى يكون يوم القيامة؟ فمعنى (أيان) (متى) إلا أن السؤال ب (متى) اكثر من السؤال ب (أيان)، فلذلک حسن ان يفسر بها لما دخلها من الإبهام الذى يحتاج التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 192
فيه الى بيان ما يتصل بها من الكلام. و السؤال على ضربين: سؤال تعجيز، و سؤال طلب للتبيين.
و قوله (فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ) فالبرق اللمعان بالشعاع الذى لا يلبث، لأنه مأخوذ من البرق، يقال: برق يبرق برقاً، و إنما قيل (برق البصر) لان ذلک يلحقه عند شدة الأمر، و البارقة الذين تلمع سيوفهم إذا جردوها كالبرق، و انشد ابو عبيدة للكلابى:
لما اتانى ابن عمير راغباً أعطيته عيساً صهاباً فبرق «1»
بكسر الراء و انشد الفراء:
نعانى حنانة طوباً له يسف يبساً من العشرق

فنفسک قانع و لا تنعنی ودا و الکلوم و لا تبرق «2»
بالفتح، أی لا تفزع من هول الجراح، و (حنانة) اسم رجل و (طوبا) له نعجة، و قال ابن خالویه: من کسر قال: لان (برق) بالفتح لا یکون إلا فی الضوء یقال برق البرق إذا لمع، و برق الحنظل، فاما برق بالکسر، فمعناه تحیر، و الذی قاله اهل اللغة إنهما لغتان، و تقول العرب، لکل داخل: برقة أی دهشة. و قال الزجاج: برق إذا فزع و برق إذا حار.
و قوله (وَ خَسَفَ الْقَمَرُ) أی ذهب نوره بغیبة النور عن البصر، و خسف و کسف بمعنی کأنه یذهب نوره فی خسف من الأرض فلا یری.
و قوله (وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ) أی جمعا فی ذهاب نورهما بما یراه الإنسان و الجمع جعل احد الشیئین مع الآخر. و الجمع علی ثلاثة اقسام: جمع فی المکان، و جمع

---

(1) مجاز القرآن 2/ 277 و القرطبی 19/ 94
(2) قائله طرفة بن العبد دیوانه 70 (دار بیروت) البیت الثانی فقط

فی الزمان، و جمع الاعراض فی المحل. و جمع الشیئین فی حکم او صفة مجاز.
و قوله (یَقُولُ الْإِنْسانُ یَوْمَئِذٍ أَیْنَ الْمَفَرُّ) اخبار من اللَّه تعالی بأن الإنسان یقول فی ذلک الوقت: این المهرب؟ و الفرار بفتح الفاء. و روی عن ابن عباس (أین المفر) بکسر الفاء، قال الزجاج: المفر بفتح الفاء مصدر، و بالکسر مکان الفرار. و هذا سؤال تعجیز عن وجود مفر یهرب الیه من عذاب اللَّه فی ذلک الیوم.
و قیل فیه معنی جواب هذا السائل، کأنه قیل یوم القیامة إذا برق البصر و خسف القمر و جمع الشمس و القمر. و المفر مصدر. و یجوز فیه الکسر، و مثله مدب و مدب و قال البصریون: الکسر لمکان الفرار. و قال الفراء الفتح و الکسر لغتان.

كَلاَّ لا وَزَرَ (11) إِلى رَبِّکَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12) يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَ أَخَّرَ (13) بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ (15) لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (17) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ (19) كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ (20) وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ (21) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ (22) إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ (23) وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ (24) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ (25)

خمس عشرة آية قرأ (كلا بل يحبون العاجلة و يذرون الآخرة) بالياء فيهما

ابن كثير التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 194

و ابو عمرو و ابن عامر على وجه الاخبار عنهم. الباقون بالتاء على وجه الخطاب لهم، لما حكى اللَّه تعالى عن الكافر انه يقول يوم القيامة (اين المفر) و المهرب حكى ما يقال له، فانه يقال له (كَلَّا لا وَزَرَ) أى لا ملجأ. و الوزر الملجأ من جبل يتحصن به او غيره من الحصون المنيعة. و منه الوزير المعين الذى يلجأ اليه فى الأمور، يقال وزرت الحائط إذا قويته بأساس يعتمد عليه. و قال ابن عباس و مجاهد: لا وَزَرَ، معناه لا ملجأ. و قال الحسن: لا جبل، لان العرب إذا دهمتهم الخيل بغتة، قالوا: الوزر، يعنون الجبل، قال ابن الدمينة:

لعمرک ما للفتى من وزر من الموت ينجو به و الكبر «1»

و قال الضحاک: معناه لا حصن. و قيل معناه لا منجا ينجو اليه، و هو مثل الملجأ. ثم قال تعالى (إِلى رَبِّکَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ)

أى المرجع الذى يقر فيه. و مثله المأوى و المثوى، و خلافه المرتحل. و المستقر على وجهين: مستقر إلى أمد، و مستقر على الأبد.

و قوله (يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَ أَخَّرَ)

أى يخبر بجميع ما عمله، و ما تركه من الطاعات و المعاصى، فالنبأ الخبر بما يعظم شأنه، و حسن فى هذا الموضع لان ما جرى مجرى اللغو و المباح لا يعتد به فى هذا الباب. و إنما الذى يعظم شأنه من عمل الطاعة و المعصية هو ما يستحق عليه الجزاء. فأما ما وجوده كعدمه، فلا اعتبار به. و التقديم ترتيب الشىء قبل غيره، و ضده التأخير و هو ترتيب الشىء بعد غيره، و يكون التقديم و التأخير فى الزمان، و فى المكان، و فى المرتبة، كتقديم المخبر عنه فى المرتبة، و هو مؤخر فى الذكر، كقولک: فى الدار زيد، و كذلک الضمير فى (غلامه ضرب زيد) و هو مقدم فى اللفظ و مؤخر فى المرتبة. و قال ابن عباس: ينبأ بما قدم

---

(1) مجاز القرآن 2/ 277 و القرطبى 19/ 96

من المعصية و أخرّ من الطاعة. و قال مجاهد: يعنى بأول عمله و آخره. و قال ابن زيد: ما أخذ و ترک. و فى رواية عن ابن عباس، و هو قول ابن مسعود: بما قدم قبل موته، و ما اخر من سنة يعمل بها بعد موته، و قيل ما قدم و أخر جميع أعماله التى يستحق بها الجزاء.
و قوله «بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ»
أى شاهد على نفسه بما تقوم به الحجة- ذكره ابن عباس- كما يقال: فلان حجة على نفسه. و قد قال تعالى «اقْرَأْ كِتابَکَ كَفى بِنَفْسِکَ الْيَوْمَ عَلَيْکَ حَسِيباً» «1» و قال الزجاج: معناه بل الإنسان تشهد عليه جوارحه كما قال «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ» «2» و الهاء فى (بصيرة) مثل الهاء فى (علامة) للمبالغة. و قيل شهادة نفسه عليه أولى من اعتذاره. و قيل تقديره بل الإنسان على نفسه من نفسه بصيرة: جوارحه شاهدة عليه يوم القيامة و لو اعتذر كان شاهداً عليه من يكذب عذره. و قوله «وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ»
معناه و لو اقام الاعتذار عند الناس، و فى دار التكليف و استسر بالمعاصى بإرخاء الستر. و قال ابن عباس: معناه و لو اعتذر. و قال السدى: معناه و لو ارخى الستور و أغلق الأبواب. و قال الزجاج:
معناه لو أتى بكل حجة عنده. و المعاذير التنصل من الذنوب بذكر العذر، واحدها معذرة من قوله «لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ» «3» و قيل: المعاذير ذكر مواقع تقطع عن الفعل المطلوب. و العذر منع يقطع عن الفعل بالأمر الذى يشق، و الاعتذار الاجتهاد فى تثبيت العذر.
و قوله «لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ»
قال ابن عباس و سعيد بن جبير و الضحاک: كان النبى صلى اللَّه عليه و آله إذا نزل عليه القرآن عجل بتحريک لسانه لحبه إياه،

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 14
(2) سورة 24 النور آية 24
(3) سورة 40 المؤمن آية 52

فنهاه اللَّه عن ذلک.
و التحريک تغيير الشىء من مكان إلى مكان او من جهة الى جهة بفعل الحركة فيه، و الحركة ما به يتحرک المتحرک. و المتحرک هو المنتقل من جهة الى غيرها. و اللسان آلة الكلام. و العجلة طلب عمل الشىء قبل وقته الذى ينبغى أن يعمل فيه، و نقيضه الإبطاء، و السرعة عمل الشىء فى أول وقته الذى هو له، و ضده الاناة.
و قوله «إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ»
قال ابن عباس و الضحاک: معناه ان علينا جمعه فى صدرک، و قراءته عليک

حتى يمكنک تلاوته. و قال قتادة: معناه إن علينا جمعه فى صدرک و تأليفه على ما نزل عليک. و قال ابن عباس- فى رواية اخرى- إن معناه إن علينا بيانه من حلاله و حرامه بذكره لک. و قال قتادة: معناه نذكر أحكامه و نبين لک معناه إذا حفظته. و قال البلخى: الذى أختاره انه لم يرد القرآن و إنما أراد قراءة العباد لكتبهم يوم القيامة، لان ما قبله و بعده يدل على ذلک، و ليس فيه شىء يدل على انه القرآن، و لا على شىء من أحكام الدنيا، و فى ذلک تقريع للعبد و توبيخ له حين لا تنفعه العجلة. و القرآن من الضم و التأليف، قال عمرو بن كلثوم:

ذراعى عيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا «1»

أى لم تضم رحماً على ولد. و قوله «فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ» قال ابن عباس:

معناه إذا قرأناه أى تلوناه فاتبع قراءته بقرائتک، و قال قتادة و الضحاک: معناه بأن يعمل بما فيه من الأحكام و الحلال و الحرام. و قيل: معناه فإذا قرأه جبرائيل عليک فاتبع قراءته. و الاتباع مراجعة الثانى للأول فى ما يقتضيه، و مثله الاقتداء و الاحتذاء و الائتمام، و نقيضه الخلاف. و البيان إظهار المعنى للنفس بما يتميز به من غيره بان الشىء يبين إذا ظهر و أبانه غيره أى أظهره بياناً و إبانة، و نقيض البيان

---

(1) مر تخريجه فى 2/ 238

الإخفاء و الإغماض. و قال قتادة «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ» معناه إنا نبين لک معناه إذا حفظته.

و قوله «كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ» معناه الاخبار من اللَّه تعالى أن الكفار يريدون المنافع العاجلة و يركنون اليها و يريدونها «وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ» أى و تتركون عمل الآخرة الذى يستحق به الثواب، و تفعلون ما يستحق به العقاب من المعاصى و المحارم.

ثم قسم تعالى اهل الآخرة فقال «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ» أى مشرقة مضيئة، فالنضرة الصورة الحسنة التى تملأ القلب سروراً عند الرؤية نضر وجهه ينضر نضرة و نضارة فهو ناضر. و النضرة مثل البهجة و الطلاقة، و ضده العبوس و البسور، فوجوه المؤمنين المستحقين للثواب بهذه الصفة بما جعل اللَّه عليها من النور علامة للخلق، و الملائكة على انهم مؤمنون مستحقون الثواب. و قوله «إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ» معناه منتظرة نعمة ربها و ثوابه ان يصل اليهم. و قيل «ناضرة» أى مشرفة «الى» ثواب ربها «ناظرة» و ليس فى ذلک تنغيص لان الانتظار إنما يكون فيه تنغيص إذا كان لا يوثق بوصوله الى المنتظر أو هو محتاج اليه فى الحال.

و المؤمنون بخلاف ذلک، لأنهم فى الحال مستغنون منعمون، و هم ايضاً

واثقون انهم يصلون الى الثواب المنتظر. و النظر هو تقليب الحدقة الصحية نحو المرئى طلبا للرؤية و يكون النظر بمعنى الانتظار، كما قال تعالى «وَ إِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَناظِرَةٌ» «1» أى منتظرة و قال الشاعر:
وجوه يوم بدر ناظرات الى الرحمن تأتى بالفلاح «2»
أى منتظرة للرحمة التى تنزل عليهم، و قد يقول القائل: انما عينى ممدودة

---

(1) سورة 27 النمل آية 35
(2) مر فى 1/ 229

الى اللَّه، و الى فلان، و انظر اليه أى انتظر خيره و نفعه و أؤمل ذلک من جهته، و قوله «وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» «1» معناه لا ينيلهم رحمته. و يكون النظر بمعنى المقابلة، و منه المناظرة فى الجدل، و منه نظر الرحمة أى قابله بالرحمة، و يقال: دور بنى فلان تتناظر أى تتقابل، و هو ينظر الى فلان أى يؤمله و ينتظر خيره، و ليس النظر بمعنى الرؤية أصلا، بدلالة انهم يقولون: نظرت الى الهلال فلم أره فلو كان بمعنى الرؤية لكان متناقضاً، و لأنهم يجعلون الرؤية غاية للنظر يقولون: ما زلت أنظر اليه حتى رأيته، و لا يجعل الشىء غاية لنفسه لا يقال: ما زلت أراه حتى رأيته، و يعلم الناظر ناظراً ضرورة، و لا يعلم كونه رائياً بل يسأل بعد ذلک هل رأيت أم لا؟
و دخول «الى» فى الآية لا يدل على ان المراد بالنظر الرؤية، و لا تعليقه بالوجوه يدل على ذلک، لأنا أنشدنا البيت، و فيه تعليق النظر بالوجه و تعديه بحرف (الى) و المراد به الانتظار، و قال جميل بن معمر:
و إذا نظرت اليک من ملک و البحر دونک جرتنى نعماء «2»
و المراد به الإنتظار و التأميل، و ايضاً، فانه فى مقابلة قوله فى صفة اهل النار «تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ» فالمؤمنون يؤمنون بتجديد الكرامة و ينتظرون الثواب، و الكفار يظنون الفاقرة، و كله راجع الى فعل القلب، و لو سلمنا أن النظر يعد الرؤية لجاز أن يكون المراد أنها رؤية ثواب ربها، لأن الثواب الذى هو انواع اللذات من المأكول و المشروب و المنكوح تصح رؤيته، و يجوز ايضاً أن يكون إلى واحد إلآلاء و فى واحدها لغات (ألا) مثل قفا، و (ألى) مثل معى و (إلى) مثل حدى و (ألى) مثل حسى، فإذا أضيف الى غيره سقط التنوين، و لا يكون (الى) حرفاً فى الآية و كل ذلک يبطل قول من أجاز الرؤية على اللَّه تعالى.

---

(1) سورة 3 آل عمران آية 77
(2) مر فى 1/ 229

و ليس لأحد ان يقول: إن الوجه الأخير يخالف الإجماع، أعنى اجماع

المفسرين، و ذلک لأنا لا نسلم لهم ذلک، بل قد قال مجاهد و ابو صالح و الحسن و سعيد بن جبير و الضحاک:
إن المراد نظر الثواب. و روى مثله عن على عليه السلام،
و قد فرق اهل اللغة بين نظر الغضبان و نظر الراضى، يقولون: نظر غضبان، و نظر راض، و نظر عداوة، و نظر موّدة، قال الشاعر:
تخبرنى العينان ما الصدر كاتم و لا حن بالبغضاء و النظر الشزر
و الرؤية ليست كذلک فإنهم لا يضيفونها، فدل على أن النظر غير الرؤية، و المرئى هو المدرک، و الرؤية هى الإدراک بالبصر، و الرائى هو المدرک، و لا تصح الرؤية و هى الإدراک إلا على الأجسام او الجوهر او الألوان. و من شرط المرئى أن يكون هو او محله مقابلا او فى حكم المقابل، و ذلک يستحيل عليه تعالى، فكيف تجيز الرؤية عليه تعالى؟!!! ثم ذكر القسم الآخر فقال «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ» يعنى وجوه اهل الكفر. و البسور ظهور حال الغم فى الوجه معجلا قبل الاخبار عنه و مثله العبوس إلا انه ليس فيه معنى التعجيل. و الفاقرة الكاسرة لفقار الظهر بشدة و مثل الفاقرة الداهية و الآبدة. و قال الحسن: ناظرة بهجة حسنة. و قال مجاهد: مسرورة. و قال ابن زيد: ناعمة. و قال مجاهد و قتادة: معنى باسرة كاشرة كالحة.
و قال مجاهد: الفاقرة الداهية. و قال ابن زيد الآبدة بدخول النار.

كَلاَّ إِذا بَلَغَتِ التَّراقِىَ (26) وَ قِيلَ مَنْ راقٍ (27) وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ (28) وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلى رَبِّکَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ (30)
فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلَّى (31) وَ لكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (32) ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (33) أَوْلى لَکَ فَأَوْلى (34) ثُمَّ أَوْلى لَکَ فَأَوْلى (35)
أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَکَ سُدىً (36) أَ لَمْ يَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى (37) ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى (39) أَ لَيْسَ ذلِکَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى (40)

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 200

خمس عشرة آية.

قرأ ابن عامر و حفص و رويس «من منى يمنى» بالياء على التذكير ردّوه إلى المنى. الباقون بالتاء حملا على النطفة.

يقول اللّه تعالى «كَلَّا إِذا بَلَغَتِ» يعنى النفس أو الروح، و لم يذكر لدلالة الكلام عليه كما قال «ما تَرَکَ عَلى ظَهْرِها» «1» يعنى على ظهر الأرض. و إنما لم يذكر لعلم المخاطب به، و «اَلتَّراقِيَ» جمع ترقوة، و هى مقدم الحلق من أعلى الصدر، تترقى اليه النفس عند الموت، و اليها يترقى البخار من الجوف، و هناک تقع الحشرجة، و قوله «وَ قِيلَ مَنْ راقٍ»

فالراق طالب الشفاء يقال: رقاه يرقيه رقية إذا طلب له شفاء بأسماء اللّه الجليلة و آيات كتابه العظيمة، و أما العوذة فهى رفع البلية بكلمات اللّه تعالى. و قال ابو قلابة و الضحاک و ابن زيد و قتادة: معنى «راقٍ»

طبيب شاف.

أى اهله يطلبون له من يطببه و يشفيه و يداويه فلا يجدونه. و قال ابن عباس و ابو الجوزاء: معناه قالت الملائكة: من يرقا بروحه أ ملائكة الرحمة أم ملائكة العقاب.

---

(1) سورة 35 فاطر آية 45

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 201

و قال الضحاک: أهل الدنيا يجهزون البدن، و أهل الآخرة يجهزون الروح.

و قوله «وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ» معناه علم عند ذلک انه فراق الدنيا و الأهل و المال و الولد. و الفراق بعاد الالاف و هو ضد الوصال يقال: فارقه يفارقه فراقاً.

و قد صار علماً على تفرق الأحباب و تشتت الالاف.

و قوله «وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ» قال ابن عباس و مجاهد: معناه التفت شدة أمر الآخرة بأمر الدنيا. و قال الحسن: التفت حال الموت بحال الحياة.

و قال الشعبى و ابو مالک: التفت ساقا الإنسان عند الموت- و فى رواية أخرى عن الحسن- انه قال: التفات الساقين فى الكفن. و قيل: ساق الدنيا بساق الآخرة و هو شدة كرب الموت بشدة هول المطلع. و قال الحسن: معناه التفت شدة أمر الدنيا بشدة أمر الآخرة. و قيل: معناه اشتداد الأمر عند نزع النفس حتى التفت ساق على ساق عند تلک الحال، يقولون: قامت الحرب على ساق عند شدة الأمر قال الشاعر:
فإذا شمرت لک عن ساقها فويها ربيع و لا تسأم «1»
و قوله «إِلى رَبِّکَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ» معناه إن الخلائق يساقون إلى المحشر الذى لا يملک فيه الأمر و النهى غير اللَّه. و المساق مصدر مثل السوق.
و قوله «فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلَّى» قال الحسن: معناه لم يتصدق و لم يصل «وَ لكِنْ كَذَّبَ» باللَّه «وَ تَوَلَّى» عن طاعته. و قال قوم «فَلا صَدَّقَ» بربه «وَ لا صَلَّى» و قال قتادة: معناه فلا صدق بكتاب اللَّه و لا صلى للَّه «وَ لكِنْ كَذَّبَ» به «وَ تَوَلَّى» عن طاعته. و قال قوم: معناه «فَلا صَدَّقَ» بتوحيد اللَّه، و لا نبيه بل كذب به.
و الصدقة العطية للفقراء و الزكاة الصدقة الواجبة على المال المعلق بنصاب مخصوص.

---

(1) تفسير الطبرى 29/ 107 و قد مر فى 10/ 87 [.....]

و الصلاة عبادة أولها التكبير و آخرها التسليم، و فيها قراءة و أركان مخصوصة. و التولى هو الاعراض عن الشىء، فلما كان هذا الجاهل معرضاً عن الحق بتركه الى خلافه من الباطل لزمه الذم بهذا الوصف.
و قوله «ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى» فالتمطى تمدد البدن من الكسل إما كسل مرض او كسل تثاقل عن الامر. و الذم بكسل التثاقل عن الداعى الى الحق. و قال مجاهد و قتادة: معنى يتمطى يتختر. و قيل: الأصل فى يتمطى يلوى مطاه، و المطا الظهر، و نهى عن مشية المطيطيا، و ذلک ان يلقى الرجل بدنه مع التكفى فى مشيه.
و قيل: نزلت الآية فى أبى جهل بن هشام بن المغيرة المخزومى.
و قوله «أَوْلى لَکَ فَأَوْلى ثُمَّ أَوْلى لَکَ فَأَوْلى» قال قتادة: هو وعيد على وعيد. و قيل معنى «أَوْلى لَکَ» وليک الشر يا أبا جهل، و قيل: معناه الذم اولى لک من تركه إلا انه حذف، و كثر فى الكلام حتى صار بمنزلة الويل لک. و صار من المتروک المحذوف الذى لا يجوز إظهاره. و قيل أولى لک، فاولى لک على الاول و الذم لک على الثانى و الثالث. و الأولى فى العقل هو الاحق بالقرب من داعى العقل، كأنه أحق بوليه.
ثم قال على وجه الوعيد و التهديد للكفار «أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ» و معناه أ يظن الإنسان الكافر بالبعث و النشور الجاحد لنعم اللَّه «أَنْ يُتْرَکَ سُدىً» و

معناه أن يترک مهملا عن الأمر و النهی، فالسدی همل من غير أمر يؤخذ به، و يكون فيه تقويم له، و إصلاح لما هو أعود عليه فی عاقبة أمره و أجمل به فی دنياه و آخرته.
و قال ابن عباس و مجاهد: معنی «أَنْ يُتْرَکَ سُدیً» أی هملا لا يؤمر و لا ينهی.
و قيل: أ يحسب الإنسان أن يترک مهملا فلا يؤمر و لا ينهی مع كمال عقله و قدرته.
ثم قال علی وجه التنبيه علی أن اللَّه خلقه للتكليف و العبادة، و علی انه قادر التبيان فی تفسير القرآن، ج10، ص: 203
علی إعادته و احيائه بعد موته «أَ لَمْ يَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ يُمْنی» فالمنی نطفة الذكر التی يجيئ منها الولد «ثُمَّ كانَ عَلَقَةً» أی قطعة من الدم المنعقد جامدة لا تجری فخلق اللَّه منها هذا الإنسان الذی هو فی احسن تقويم، فسبحان من قدر علی ذلک. و قوله «فَخَلَقَ فَسَوَّی» أی خلق من العلقة خلق سويا شق له السمع و البصر. و قال الفراء:
معنی «فسوی» فسواه «فَجَعَلَ مِنْهُ» من ذلک المنی «الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثی» فمن قدر علی ذلک لا يقدر علی ان يحيی الموتی بعد ان كانوا أحياء؟! بلی و اللَّه قادر علی ذلک، لان جعل النطفة علقة و خلق العلقة مضغة و خلق المضغة عظماً و كسو العظم لحماً ثم إنشاؤه خلقاً آخر حياً سليماً مركباً فيه الحواس الخمس كل واحدة منها يصلح لما لا يصلح له الاخری، و خلق الذكر و الأنثی اللذين يصح منهما التناسل علی ما قدره اللَّه أعجب و أبدع من اعادة الميت الی ما كان من كونه حياً، فمن قدر علی الأول أولی بأن يكون قادراً علی الثانی، فالاحياء إيجاد الحياة، و الاماتة إيجاد الموت عند من قال أن الموت معنی، و من قال: ليس بمعنی، قال: هو نقض بنية الحی علی وجه الاختراع.
و قوله «فَجَعَلَ مِنْهُ» قيل يعنی من الإنسان «الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثی» و قيل من المنی «أَ لَيْسَ ذلِکَ بِقادِرٍ عَلی أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتی» و قال قتادة:
كان رسول اللَّه صلی اللَّه عليه و آله إذا ختم السورة، يقول: سبحانک اللَّه بلی، و هو المروی عن أبی جعفر و أبی عبد اللَّه عليهما السلام
و فی الآية دلالة علی صحة القياس العقلی، و هو أن من قدر علی احياء الإنسان قادر علی احيائه بعد الاماتة، و قال الفراء: يجوز فی العربية يحيی الموتی بالإدغام: بأن ينقل الحركة الی الحاء و تدغم احدی الياءين فی الاخری و انشد:
و كأنها بين النساء سبيكة تمشی بسدة بيتها بتعیّ «1»

---

(1) مر فی 5/ 147

76-سورة الدهر: ..... ص: 204

اشارة

و تسمى سورة الإنسان، و تسمى سورة الأبرار، و هى مكية فى قول ابن عباس و الضحاک و غيرهما. و قال قوم: هى مدنية و هى احدى و ثلاثون آية بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً (2) إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً (3) إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ سَلاسِلَ وَ أَغْلالاً وَ سَعِيراً (4) إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً (5) عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً (6) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (7) وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً (8) إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُكُوراً (9)
إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (10)
عشر آيات.
قرأ «سلاسلا» منوناً نافع و الكسائى و ابو بكر عن عاصم اتباعا للمصحف

و لتشاكل ما جاوره من رأس الآية. الباقون بغير تنوين، لان مثل هذا الجمع لا ينصرف فى معرفة و لا فى نكرة، لأنه على (فعائل) بعد الفه حرفان.
يقول اللّه تعالى «هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ» قال الزجاج: معناه أ لم يأت على الإنسان «حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً» يعنى قد كان شيئاً إلا انه لم يكن مذكوراً، لأنه كان تراباً و طيناً الى أن نفخ فيه الروح. و قال قوم (هل) يحتمل معناه أمرين: أحدهما- أن يكون بمعنى (قد أتى) و الثانى أن يكون معناها اتى على الإنسان، و الأغلب عليها الاستفهام و الأصل فيها معنى (قد) لتجرى على نظائرها بمعنى ضمن معنى الالف و أصله من ذلك قول الشاعر:
أم هل كبير بكى لم تقض عبرته أثر الأحبة يوم البين مشكوم
و المعنى بالإنسان- هاهنا- آدم- فى قول الحسن- و المعنى قد أتى على آدم «حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ» و به قال قتادة و سفيان. و قيل: ان آدم لما خلق اللّه جثته بقى أربعين سنة لم تلج فيه الروح كان شيئاً، و لم يكن مذكوراً، فلما نفخ فيه الروح و بلغ إلى ساقه كاد ينهض للقيام، فلما بلغ عينيه و رأى ثمار الجنة بادر اليها ليأخذها فلذلك قال اللّه تعالى (خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ) «1» و قال غيره: هو واقع على كل إنسان، و الإنسان فى اللغة حيوان على صورة الانسانية، و قد تكون الصورة الانسانية، و لا إنسان، و قد يكون حيوان و لا إنسان، فإذا حصل المعنيان صح إنسان لا محالة. و الإنسان حيوان منتصب القامة على صورة تنفصل من كل بهيمة.
و (الحين) مدة من الزمان، و قد يقع على القليل و الكثير. قال اللّه سبحانه «فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ» «2» أى وقت تمسون و وقت

تصبحون. و قال (تُؤْتِی أُکُلَها کُلّ حِینٍ) یعنی کل ستة أشهر، و قال قوم: کل سنة. و قال- هاهنا

---

(1) سورة 21 الأنبیاء آیة 37
(2) سورة 30 الروم آیة 17
التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 206
(هَلْ أَتی عَلَی الْإِنْسانِ حِینٌ) أی مدة طویلة. و الدهر مرور اللیل و النهار و جمعه أدهر و دهور، و الفرق بین الدهر و الوقت أن الوقت مضمن بجعل جاعل، لان اللّه جعل لکل صلاة مفروضة وقتاً، و جعل للصیام وقتاً معیناً، و قد یجعل الإنسان لنفسه وقتاً یدرس فیه ما یحتاج إلی درسه و وقتاً مخصوصاً لغذائه.
و قوله (لَمْ یَکُنْ شَیْئاً مَذْکُوراً) أی لم یکن ممن ذکره ذاکر، لأنه کان معدوماً غیر موجود. و فی الآیة دلالة علی أن المعدوم لا یسمی شیئاً، و إنما سمی زلزلة الساعة شیئاً مجازاً. و المعنی إنها إذا وجدت کانت شیئاً عظیماً.
و قوله (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ) اخبار من اللّه تعالی أنه خلق الإنسان سوی آدم و حواء من نطفة، و هو ماء الرجل و المرأة الذی یخلق منهما الولد، فالنطفة الماء القلیل فی أناء کان او غیر إناء قال الشاعر:
و ما النفس إلا نطفة بقرارة إذا لم تکدّر صار صفواً غدیرها
و قوله (أَمْشاجٍ) قال ابن عباس أخلاط من ماء الرجل و ماء المرأة. و قال الحسن و الربیع بن أنس و مجاهد مثل ذلک. و قال قتادة: معنی أمشاج أطوار طوراً نطفة و طوراً مضغة و طوراً عظماً إلی أن صار إنساناً لیختبره بهذه الصفات. و قال مجاهد: معناه ألوان النطفة. و قال عبد اللّه: عروق النطفة و واحد الأمشاج مشیج، و هو الخلط، و سمی النطفة بذلک، لأنه جعل فیها اخلاطاً من الطبائع التی تکون فی الإنسان من الحرارة و البرودة و الیبوسة و الرطوبة. ثم عداها له، ثم بناه البنیة الحیوانیة المعدلة الاخلاط. ثم جعل فیها الحیاة ثم شق له السمع و البصر فتبارک اللّه رب العالمین، و ذلک قوله (فَجَعَلْناهُ سَمِیعاً بَصِیراً).
و قوله (نَبْتَلِیهِ) أی نختبره بما نکلفه من الافعال الشاقة لننظر ما طاعته و ما عصیانه فنجازیه بحسب ذلک، و یقال مشجت هذا بهذا إذا اخلطته به، و هو ممشوج به التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 207
و مشیج أی مخلوط به قال رؤبة:
یطرحن کل معجل نشاج لم تکس جلداً فی دم أمشاج «1»
و قال ابو ذؤیب:
کأن الریش و الفوقین منه خلاف النصل سیط به مشیج «2»
و قوله (إِنَّا هَدَیْناهُ السَّبِیلَ) معناه انا أرشدناه إلی سبیل الحق و بیناه له و دللناه علیه. و قال الفراء: معناه هدیناه إلی السبیل أو للسبیل. و المعنی

واحد.
و قوله (إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً) قال الفراء: معناه إن شكر و إن كفر على الجزاء و يجوز أن يكون مثل قوله (إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) «3» و المعنى اما يختار بحسن اختياره الشكر للّه تعالى و الاعتراف بنعمه فيصيب الحق، و اما أن يكفر نعمه و يجحد إحسانه فيكون ضالا عن الصواب، و ليس المعنى انه مخير فى ذلك، و إنما خرج ذلك مخرج التهديد، كما قال (فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ) «4» بدلالة قوله (إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً) و إنما المراد البيان عن انه قادر عليهما فأيهما اختار جوزى بحسبه.
و فى الآية دلالة على انه تعالى قد هدى جميع خلقه المكلفين، لأن قوله (إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ) عام فى جملتهم و ذلك يبطل قول المجبرة: إن اللّه لم يهد الكافر بنصب الدلالة له على طريق الحق و اجتناب الباطل، و ليس كل من ترك الشكر كان كافراً، لأنه قد يترك فى بعض الأحوال على سبيل التطوع، لان الشكر قد يكون تطوعاً كما يكون واجباً، و إنما لم يذكر اللّه الفاسق، لأنه اقتصر على أعظم الحالين

---

(1) مجاز القرآن 2/ 279 و الطبرى 29/ 109
(2) مجاز القرآن 2/ 279 و القرطبى 19/ 119
(3) سورة 9 التوبة آية 107
(4) سورة 18 الكهف آية 29

و ألحق الأدون على التبع، و يجوز أن يدخل فى الجملة، و لا يفرد، فليس للخوارج أن يتعلقوا بذلك فى انه ليس بين الكفر و الايمان واسطة. ثم بين انه تعالى إنما ذكره على وجه التهديد بقوله (إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ) أى ادخرنا لهم جزاء على كفرهم و معاصيهم و عقوبة لهم (سَلاسِلَ وَ أَغْلالًا وَ سَعِيراً) يعذبهم بها و يعاقبهم فيها، و السلاسل جمع سلسلة و الاغلال جمع غل، و السعير هى النار المسعرة الملهبة.
و لما اخبر بما للكافرين من العقوبات على كفرهم، ذكر ايضاً ما للمؤمنين على إيمانهم فقال (إِنَّ الْأَبْرارَ) و هو جمع البر، و هو المطيع للّه المحسن فى أفعاله (يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ) و الكأس إناء الشراب إذا كان فيه، و لا يسمى كأساً إذا لم يكن فيه شراب- ذكره الزجاج- قال الشاعر:
صددت الكأس عنا أم عمرو و كان الكأس مجراها اليمينا «1»
و قوله (كانَ مِزاجُها كافُوراً) قيل ما يشم من ريحها لا من جهة طعمها.
و قوله (عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ) قوله (عَيْناً) نصب على البدل من (كافُوراً) و يجوز أن يكون على تقدير و يشربون عيناً، و يجوز أن يكون نصباً على الحال من (مِزاجُها) و قال الزجاج: معناه من عين. و قال الفراء: شربها و شرب منها سواء فى المعنى كما يقولون: تكلمت بكلام حسن و كلاماً حسناً.

و قيل: يمزج بالكافور، و يختم بالمسک و قيل: تقديره يشربون بها و أنشد الفراء:
شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج «2»
متى لجج. أى من لجج. و عين الماء حفيرة فى الأرض ينبع منها، و هذه العين المذكورة فى أرض الجنة فى كونها فوارة بالماء متعة لأهلها. ثم يفجر فيجرى لهم

---

(1) القرطبى 19/ 123 و الشوكانى 5/ 336
(2) الطبرى 29/ 112 و القرطبى 19/ 125

إلى حيث شاءوا منها. قال مجاهد: معناه إنهم يقودونها حيث شاءوا و التفجير تشقيق الأرض يجرى الماء و منه انفجار الصبح، و هو انشقاقه من الضوء، و منه الفجور، و هو الخروج من شق الالتئام إلى الفساد. و عباد اللّه المراد به المؤمنون المستحقون للثواب ثم وصف هؤلاء المؤمنين فقال (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخافُونَ) و يجوز أن يكون ذلک فى موضع الحال، فكأنه قال يشرب بها عباد اللّه الموفون بالنذر الخائفون (يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً) فالمستطير الظاهر. و التقدير القائلون إِنَّما نُطْعِمُكُمْ القائلون إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً، و يجوز ان يكون على الاستئناف، و تقديره هم الذين يوفون بالنذر و كذلک فى ما بعد، فالوفاء بالنذر هو أن يفعل ما نذر عليه فالوفاء إمضاء العقد على الأمر الذى يدعو اليه العقل، و منه قوله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) «1» أى الصحيحة، لأنه لا يلزم أحداً أن يفى بعقد فاسد، و كل عقد صحيح يجب الوفاء به، يقال أوفى بالعقد، و وفى به، فأوفى لغة أهل الحجاز و هى لغة القرآن، و (وفى) لغة أهل تميم و اهل نجد. و قد بينا فيما مضى شواهده.
و النذر عقد على فعل على وجه البر بوقوع أمر يخاف ألا يقع، نذر ينذر نذراً فهو ناذر، و قال عنترة:
الشاتمى عرضى و لم أشتمهما و الناذرين إذا لم ألقهما دمى «2»
أى يقولان: لئن لقينا عنترة لنقتلنه، و منه الانذار و هو الاعلام بموضع المخافة ليعقد على التحرز منها. و
روى عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال (لا نذر فى معصية)
و عند الفقهاء إن كفارة النذر مثل كفارة اليمين. و الذى
رواه أصحابنا إن كفارة النذر مثل كفارة الظهار
، فان لم يقدر عليه كان عليه كفارة اليمين. و المعنى انه إذا

---

(1) سورة 5 المائدة آية 1
(2) مر فى 4/ 526

فات الوقت الذي نذر فيه صار بمنزلة الحنث.
و قوله (وَ يَخافُونَ يَوْماً) من صفة المؤمنين (كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً) أى منتشراً فاشياً ذاهباً فى الجهات بلغ أقصى المبالغ، قال الأعشى:
فبانت و قد أورثت فى الفؤا د صدعاً على نأيها مستطيرا «1»
و المراد بالشر- هاهنا- أهوال القيامة و شدائدها.
و قوله (وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ) قال مجاهد: معناه على شهوتهم له، و يحتمل أن يكون المراد على محبتهم للّه (مِسْكِيناً) أى يطعمونه فقيراً (وَ يَتِيماً) و هو الذى لا والد له من الأطفال (وَ أَسِيراً) و الأسير هو المأخوذ من أهل دار الحرب- فى قول قتادة- و قال مجاهد: و هو المحبوس. و قوله (إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ) اخبار عما يقوله المؤمنون بأنا إنما نطعمكم معاشر الفقراء و اليتامى و الأسرى لوجه اللَّه، و معناه للّه، و ذكر الوجه لذكره بأشرف الذكر تعظيماً له، و منه قوله (فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) و قيل: معناه فثم جهة اللّه التى ولاكم اليها و منه قوله (وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ) «2» أى و يبقى اللّه. و قال مجاهد و سعيد بن جبير: علم اللّه ما فى قلوبهم فأثنى عليهم من غير أن يتكلموا به (لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً) أى لا نطلب بهذا الإطعام مكافأة عاجلة (وَ لا شُكُوراً) أى لا نطلب أن تشكرونا عليه عند الخلائق بل فعلناه للّه (إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا) أى من عقابه (يَوْماً عَبُوساً) أى مكفهراً عابساً (قَمْطَرِيراً) أى شديداً، و القمطرير الشديد فى الشر. و قد اقمطر اليوم اقمطراراً، و ذلک أشد الأيام و أطوله فى البلاء و الشر، و يوم قمطرير و قماطير كأنه قد التف شر بعضه على بعض، قال الشاعر:

---

(1) ديوانه 85 (دار بيروت)
(2) سورة 55 الرحمن آية 27

بنى عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم إذا ما كان يوم قماطر «1»
و
قد روت الخاصة و العامة أن هذه الآيات نزلت فى على عليه السلام و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام، فإنهم آثروا المسكين و اليتيم و الأسير ثلاث ليال على إفطارهم و طووا عليهم السلام، و لم يفطروا على شىء من الطعام فأثنى اللّه عليهم هذا الثناء الحسن، و أنزل فيهم هذه السورة
و كفاک بذلک فضيلة جزيلة تتلى الى يوم القيامة، و هذا يدل على أن السورة مدنية.

فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً (11) وَ جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيراً (12) مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَ لا زَمْهَرِيراً (13) وَ دانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً (14) وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا (15)
قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْدِيراً (16) وَ يُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلاً (17) عَيْناً فِيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً (18) وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً (19) وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً (20)
عشر آيات.
قرأ الشعبى و عبيد بن عمير (قدروها) بضم القاف. الباقون بفتحها. من فتح القاف قال معناه قدروها فى أنفسهم، فجاءت كما قدروا، و من ضم أراد أن

---

(1) الشوكانى 5/ 338 و القرطبى 19/ 133 [.....]

ذلك قدر لهم أى قدره اللّه لهم كذلك. و قرأ نافع و الكسائى و ابو بكر عن عاصم (قواريراً قواريراً) بالتنوين فيهما. و قرأ بغير تنوين و لا الف فى الوقف حمزة و ابن عامر، و قرأ الاولى بالتنوين و الثانية بغير تنوين ابن كثير. و قرأ ابو عمرو فيهما بغير تنوين إلا انه يقف عليه بالألف. من نون الأولى اتبع المصحف، و لأنه رأس آية، ثم كرهوا أن يخالفوا بينهما فنونوا الثانية، و كذلك قرأ الكسائى (ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود) «1» صرفهما لئلا يخالف بينهما مع قربهما، و من لم يصرفهما فعلى موجب العربية، لأنه جمع على (فواعيل) بعد ألفه حرفان. و من صرف الاولى فلأنها رأس آية و لم يصرف الثانية على أصل العربية.
لما اخبر اللّه تعالى عن المؤمنين الذين وصفهم فى الآيات الأولى و ما أوفوا به من النذر فى إطعامهم لوجه اللّه ما أطعموه و إيثارهم على نفوسهم المسكين و اليتيم و الأسير و إنهم فعلوا ذلك لوجه اللّه خالصاً، و مخافة من عذاب يوم القيامة، اخبر بما أعد لهم من الجزاء على ذلك، فقال (فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ) أى كفاهم اللّه و منع عنهم أهوال يوم القيامة و شدائده، فالوقاء المنع من الأذى يقال: وقاه يقيه وقاء، فهو واق، و وقّاه توقية قال رؤبة:
إن الموّقى مثل ما وقيت «2»
و منه اتقاه اتقاء و توقاه توقياً، و الشر ظهور الضرّ، و أصله الظهور من قولهم:

و حتى أشرت بالأكف المصاحف «3»
أى أظهرت، و منه شررت الثوب إذا أظهرته للشمس او الريح، و منه شرار

---

(1) سورة 11 هود آية 68
(2) اللسان (وقى)
(3) قائله كعب بن جعيل، مقاييس اللغة 3/ 181 و صدره:
فما برحوا حتى رأى الله صبرهم
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 213
النار لظهوره بتطايره و انتشاره، و قيل: الشر الضر و القبيح، و يستعار فى غيره، و ليس ما يوجب هذا. و المراد- هاهنا- أهوال يوم القيامة و شدائده فالوقاء المنع من الأذى يقال: وقاه يقيه وقاء فهو واق و وقاه توقية و قوله (وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً) معنى لقاهم استقبلهم به، و النضرة حسن الألوان، و منه نبت نضر و ناضر و نضر و النضار الذهب. و قيل: ناضرة ناعمة. و قيل: حسنة الصورة. و السرور اعتقاد وصول المنافع اليه فى المستقبل. و قال قوم: هو لذة فى القلب بحسب متعلقه بما فيه النفع، سره يسره سروراً و كل سرور فلا بدله من متعلق، كالسرور بالمال و الولد و السرور بالإكرام و الإجلال، و السرور بالشكر و الحمد، و السرور بالثواب.
و قوله (وَ جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا) أى كافاهم و أثابهم على صبرهم على محن الدنيا و شدائدها و تحمل مشاق التكليف (جَنَّةً) أى بستاناً أجنه الشجر (وَ حَرِيراً) يلبسونه. و قوله (مُتَّكِئِينَ) نصب على الحال (فِيها) يعنى فى الجنة (عَلَى الْأَرائِكِ) و هى الحجال فيها الاسرة- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة- واحدها اريكة و هى الحجلة سرير عليه شبه القبة. و قال الزجاج: الاريكة كل ما يتكأ عليه من مسورة أو غيرها، و قد شوق اللَّه تعالى إلى تلك الحال و هى غاية الرفاهية و الامتاع (لا يَرَوْنَ فِيها) يعنى فى الجنة (شَمْساً) يتأذون بحرّها (وَ لا زَمْهَرِيراً) يتأذون ببرده، فالزمهرير أشد ما يكون من البرد، و قال مجاهد: الزمهرير البرد الشديد و قوله (وَ دانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها) يعنى أفياء أشجار تلك الجنة قريبة منهم، و نصب (دانِيَةً) بالعطف على (مُتَّكِئِينَ) و يجوز ان يكون عطفاً على موضع (لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً) فان موضعها النصب على الحال، و يجوز على المدح كقولهم عند فلان جارية جميلة و شابة طرية. و قوله (وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا) معناه إن قام ارتفعت بقدرة اللَّه و إن قعد نزلت حتى ينالها و إن اضطجع نزلت حتى ينالها- ذكره مجاهد- و قيل: معناه لا يرد التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 214
أيديهم عنها بعد و لا شوك.
و قوله (وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ) يعنى على هؤلاء المؤمنين الذين وصفهم اللَّه (بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوابٍ) و هو جمع كوب و هو إناء الشراب من غير عروة. و قال مجاهد: الأكواب الأقداح. و قال ابن عباس و مجاهد: هى صغار القوارير و

هى فضة، فلذلک قال (كانَتْ قَوارِيرَا) و قيل: الأكواب الأباريق التى ليس لها خراطيم. و قيل: الأكواب من فضة فى صفاء القوارير لا تمنع الرؤية. و قوله (قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ) أى هى من فضة. و قوله (قَدَّرُوها تَقْدِيراً) معناه إنها على قدر ما يشتهون من غير زيادة و لا نقصان حتى تستوفى الكمال، و يجوز ان يكونوا قدّروها قبل مجيئها على صفة فجاءت على ما قدروا جنسه لشبه التمنى، و قال الحسن: على قدرهم، و التقدير وضع المعنى على المقدار الذى يتخيل فيه المساواة للاعتبار بالمعانى العقلية بقدر عرف التقدير على طريقة لو كان كذا لكان كذا، و إذا كان كذا كان كذا، و بهذا يظهر القياس يميز به ما يلزم على الأصل مما لا يلزم، و الطوف الدور بالنقل من واحد إلى واحد. و قد يكون الدور بالطبع من غير تنقل من واحد إلى آخر، فلا يكون طوافاً، طاف يطوف طوفاً، و أطاف بها إطافة و تطوف تطوفاً و اطوف اطوافاً و قوله (وَ يُسْقَوْنَ فِيها) يعنى فى الجنة (كَأساً) و هى الآنية إذا كان فيها شراب (كانَ مِزاجُها زَنْجَبِيلًا) فالزنجبيل ضرب من القرفة طيب الطعام يلذع اللسان يربى بالعسل يستدفع به المضار إذا مزج به الشراب فاق فى الالذاذ. و العرب تستطيب الزنجبيل جداً قال الشاعر:
كأن القرنفل و الزنجبيل باتا بفيها و اريا مشورا «1»
و قيل: إن هذا الشراب فى برد الكافور و ذكاء المسک و لذع الزنجبيل، كما

---

(1) قائله الأعشى ديوانه 85 و اللسان (شور) و فيه اختلاف فى الرواية
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 215
قال فى صفة القوارير إنها فى صفاء الفضة و جوهرها يرى ما وراءها كالقوارير.
و قيل: الكافور و الزنجبيل من اسماء العين التى يسقون منها و قوله «عيناً» نصب على انه بدل من الزنجبيل «فِيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا» فالسلسبيل الشراب السهل اللذيذ، و قيل: سلسبيل معناه منقاد ماؤها حيث شاءوا- عن قتادة- و قيل شديد الحربة.
و قيل: يتسلسله. و قيل: سمى سلسبيلا من لزوم الطيب و الالذاذ بها، و انشد يونس:
صفراء من نبع يسمى سهمها من طول ما صرع الصيود الصيب «1»
فرفع الصيب على صفة السهم. و قيل: اسم العين معرفة إلا أنه نون لأنه رأس آية. ثم قال «وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ» قال قتادة: لا يموتون. و قال الحسن: خلدوا على هيئة الوصفاء، فلا يشبون أبداً. و قيل: مخلدون مستورون بلغة حمير قال بعض شعرائهم:
و مخلدات باللجين كأنما أعجازهن اقاوز الكثبان «2»
و كأنه يرجع الى بقاء الحسن «إِذا رَأَيْتَهُمْ» يعنى إذا رأيت هؤلاء الولدان «حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً» أى من كثرتهم و حسنهم، فكأنهم اللؤلؤ المنثور-

ذكره قتادة- و قوله «وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً» تقديره و إذا رأيت الأشياء ثم رأيت نعيماً لأهل الجنة عظيماً و ملكاً كبيراً. قال سفيان: من الملك الكبير استئذان الملائكة عليهم و استقبالهم لهم بالتحية. و قوله «وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ» ف «ثم» يريد به الجنة. و العامل فيه معنى «رَأَيْتَ» و تقديره و إذا رأيت ببصرك ثم رأيت نعيماً و ملكاً كبيراً. و قال الفراء: و إذا رأيت ما ثم رأيت نعيماً. و أنكره الزجاج و قال (ما) موصولة يتم على تفسيره، و لا يجوز إسقاط الموصول مع بقاء الصلة، و لكن (رأيت) متعد فى المعنى إلى (ثم).

---

(1) تفسير الطبرى 29/ 118

(2) مقاييس اللغة 2/ 208 و اللسان (خلد، قوز)

عالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً (21) إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَ كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً (22) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً (23) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (24) وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً (25)
وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (26) إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَ يَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (27) نَحْنُ خَلَقْناهُمْ وَ شَدَدْنا أَسْرَهُمْ وَ إِذا شِئْنا بَدَّلْنا أَمْثالَهُمْ تَبْدِيلاً (28) إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً (29) وَ ما تَشاؤُنَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (30)
يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِى رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (31)
احدى عشرة آية.
قرأ (عاليهم) بإسكان الياء أهل المدينة و حمزة و عاصم- فى رواية حفص و أبان و المفضل- جعلوه اسماً لا ظرفاً كما تقول: فوقك واسع و منزلك باب البرد، بأن يجعل الباب هو المنزل، و كذلك يجعل الثياب هى العالى. الباقون بالنصب على الظرف، لأنه ظرف مكان. و هو الأحسن، لان الثانى غير الأول. و إنما يجوز فى مثل ما كان آخر الكلام هو الأول كقولهم: أمامك صدرك، و فوقك رأسك، التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 217
فان قلت فوقك السقف و أمامك الأسد بالنصب لا غير. و قرأ نافع و حفص عن عاصم (خضر و إستبرق) بالرفع فيهما. و قرأ حمزة و الكسائى بالجر فيهما. و قرأ ابن كثير و عاصم- فى رواية أبى بكر «خضر» جراً «و إستبرق» رفعاً. و قرأ ابن عامر و ابو عمرو «خضر» رفعاً و «إستبرق» جراً. من رفعهما جعل «خضر» نعتاً للثياب، و عطف عليه «و إستبرق» و من جرهما جعل «خضر» من نعت «سندس» و عطف عليه «إستبرق» و تقديره عاليهم ثياب إستبرق. و من رفع الأول جعله من نعت الثياب و جر الثانى على انه عطف على «سندس» كأن عليهم ثياب سندس. و من جعل «خضر» نعتاً ل «سندس»، فلانه اسم جنس يقع على الجميع، فلذلك قال «خضر» و من جعله نعتاً للثياب فعلى اللفظ. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو «و ما يشاؤن» بالياء على الخبر عن الغائب. الباقون بالتاء على الخطاب.
لما قال اللّه تعالى على وجه التعظيم لشأن المؤمنين الذين وصفهم و عظم ما اعطوا من أنواع النعيم و الولدان و أنواع الشراب و غير ذلك مما وصف، و وصف ذلك بأنه ملك كبير قال «عالِيَهُمْ» و قيل معناه عالى حجالهم السندس. و فى نصب «عاليهم» قولان: قال الفراء: هو نصب على الظرف كقولك: فوقهم، و حكى إن العرب تقول: قومك داخل الدار. و أنكر الزجاج ذلك، و قال نصبه لا يجوز إلا على الحال من الضمير فى «عاليهم» أو من

ضمير الولدان فى «رأيتهم» و إنما أنكر ذلک لأنه ليس باسم مكان كقولک هو خارج الدار و داخل الدار، و هذا لا يجوز على الظرف عند سيبويه، و ما حكاه الفراء شاذ لا يعول عليه. و من أسكن الياء أراد رفعه على الابتداء و خبره «ثِيابُ سُندُسٍ» و السندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 218
و هو (فعلل) مثل برثن. و قوله «خُضْرٌ» فمن جر جعله صفة ل (سندس) خضر و وصف (سندس) بخضر و هو لفظ جمع، لان سندساً اسم جنس يقع على الكثير و القليل. و من رفعه جعله نعتاً ل (ثياب) كأنه قال: ثياب خضر من سندس.
و قوله «و إستبرق» من رفعه عطفه على «ثياب سندس» فكأنه قال عاليهم ثياب سندس، و عاليهم إستبرق. و من جره عطفه على (سندس) فكأنه قال: عاليهم ثياب سندس و ثياب إستبرق.
و الإستبرق الديباج الغليظ الذى له بريق، فهم يتصرفون فى فاخر اللباس كما يتصرفون فى لذيذ الطعام و الشراب. و قيل الإستبرق له غلظ الصفاقة لا غلظ السلک كغلظ الديبقى، و إن كان رقيق السلک.
و قوله «وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ» فالتحلية الزينة بما كان من الذهب و الفضة و التحلية تكون للإنسان و غير الإنسان كحلية السيف و حلية المركب و الفضاضة الشفافة هى التى يرى ما وراءها كما يرى البلورة، و هى أفضل من الدرّ و الياقوت، و هما أفضل من الذهب فتلک الفضة أفضل من الذهب، و الفضة و الذهب فى الدنيا هما أثمان الأشياء، و إن كان قد ثمن بغيرهما شاذاً. و قيل: يحلون الذهب تارة و تارة الفضة ليجمعوا محاسن الحلية، كما قال تعالى «يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ» «1» و الفضة و إن كانت دنية فى الدنيا، فهى فى غاية الحسن خاصة إذا كانت بالصفة التى ذكرها و الغرض فى الآخرة ما يكثر الالتذاذ و السرور به لا بأكثر الثمن، لأنه ليست هناک أثمان. و فى الناس من ترک صرف (إستبرق) و هو غلط، لأن الاعجمى إذا عرب فى حال تنكيره انصرف، و دليله الإستبرق و هما مما يحكى عن ابن محيص.
و قوله «وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً» قيل معناه يسقون شراباً طهوراً ليس

---

(1) سورة 18 الكهف آية 31 و سورة 22 الحج آية 23 و سورة 35 فاطر آية 33

كالذى يخالطه الانجاس من أنهار الدنيا. و إن قل ذلک و كان مغموراً. و قيل انه ليس كشراب الدنيا الذى قد نجسه الفساد الذى فيه، و هو السكر الداعى إلى القبائِح، فقد طهره اللّه فى الجنة من ذلک لتِخلص به اللذة، كما

قال «مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ» «1» و قيل: شراباً طهوراً لا ينقلب إلى البول بل يفيض من أعراضهم كرشح المسک ذكره ابراهيم التيمى.
و قوله «إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَ كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً» اخبار من اللَّه تعالى انه يقال للمؤمنين إذا فعل بهم ما تقدم من انواع اللذات و فنون الثواب: إن هذا كان لكم جزاء على طاعاتكم و اجتناب معاصيكم فى دار التكليف، و إن سعيكم فى مرضات اللَّه و قيامكم بما أمركم اللَّه به كان مشكوراً أى جوزيتم عليه، فكأنه شكر لكم فعلكم.
ثم اخبر تعالى عن نفسه فقال «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْکَ» يا محمد «الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا» فيه شرف و تعظيم لک. ثم أمره بالصبر على ما أمره من تحمل أعباء الرسالة فقال «فَاصْبِرْ» يا محمد «لِحُكْمِ رَبِّکَ وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ» يعنى من قومه الذين بعث اليهم «آثِماً أَوْ كَفُوراً» و هو نهى عن الجمع و التفريق أى لا تطع آثماً و لا كفوراً، كما يقول القائل: لا تفعل معصية صغيرة او كبيرة أى لا تفعلهما و لا واحدة منهما.
ثم أمره بان يذكر اللَّه بما يستحقه من الصفات و الأسماء الحسنى، فقال «وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّکَ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا» و البكرة الغداة و الأصيل العشى، و هو اصل اللَيل و جمعه آصال.
و قوله «وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ» دخلت (من) للتبعيض بمعنى فاسجد له فى بعض الليل، لأنه لم يأمره بقيام جميع الليل، كما قال

---

(1) سورة 47 محمد آية 15

«إِنَّ رَبَّکَ يَعْلَمُ أَنَّکَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ» «1» و السجود وضع الجبهة على الأرض على وجه الخضوع و أصله الانخفاض كما قال الشاعر:
ترى الاكم فيها سجداً للحوافر «2»
و السجود من العبادة التى أكد اللَّه الأمر بها لما فيها من صلاح العباد. ثم قال «وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا» أى نزهه عما لا يليق به فى الليل الطويل. ثم قال «إِنَّ هؤُلاءِ» يعنى الكفار و الذين يجحدون نبوتک «يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ» أى يؤثرون اللذات و المنافع العاجلة فى دار الدنيا من ارتكاب شهواتهم. و العاجلة المقدمة قبل الكرة الثانية «وَ يَذَرُونَ» أى و يتركون (وَراءَهُمْ) أى خلفهم «يَوْماً ثَقِيلًا» أى هو ثقيل على اهل النار أمره، و إن خف على اهل الجنة للبشارة التى لهم فيه. و الثقيل ما فيه اعتمادات لازمة إلى جهة السفل على جهة يشق حمله. و قد يكون ثقيلا على انسان خفيفاً على غيره بحسب قدرته، فيوم القيامة مشبه بهذا. و قيل: معنى (وراءهم) أى خلف ظهورهم العمل للاخرة. و قيل (وراءهم) أمامهم الآخرة، و كلاهما محتمل، و الاول أظهر.

ثم قال تعالى (نَحْنُ خَلَقْناهُمْ) أى نحن الذين اخترعنا هؤلاء الخلائق (وَ شَدَدْنا أَسْرَهُمْ) قال ابن عباس الأسر الخلق، و هو من قولهم: أسر هذا الرجل فأحسن اسره أى خلق فأحسن خلقه أى شد بعضه إلى بعض أحسن الشد، و قال ابو هريرة:
الأسر المفاصل. و قال ابن زيد: الأسر القوة. و قولهم: خذ بأسره أى بشده قبل ان يحل، ثم كثر حتى جاء بمعنى خذ جميعه قال الأخطل:

---

(1) سورة 73 المزمل آية 20
(2) مر فى 1/ 148، 263، 311 و 4/ 233، 383 و 6/ 95 و غيرها

من كل مجتلب شديد أسره سلس القياد تخاله مختالا «1»
و اصل الأسر الشد، و منه قتب مأسور أى مشدود، و منه الأسير، لأنهم كانوا يشدونه بالقيد، و جاء فى التفسير و شددنا مفاصلهم. ثم قال (وَ إِذا شِئْنا بَدَّلْنا أَمْثالَهُمْ تَبْدِيلًا) معناه إذا شئنا أهلكنا هؤلاء و أمثالهم و جئنا بقوم آخرين بدلهم نخلفهم و نوجدهم.
و قوله (إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ) قال قتادة: معناه إن هذه السورة تذكرة، و التذكرة دلالة تخص بها المعانى الحكمية، و كل موعظة تدعو إلى مكارم الأخلاق و محاسن الافعال تذكرة (فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا) أى اتخذ إلى رضا ربه طريقاً بأن يعمل بطاعته و ينتهى عن معصيته، و ذلک يدل على انه قادر على ذلک قبل ان يفعله بخلاف ما يقوله المجبرة.
و قوله (وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ) أى و ليس تشاؤن شيئاً من العمل بطاعته و بما يرضاه و يوصلكم الى ثوابه إلا و اللّه يشاؤه و يريده لأنه يريد من عباده أن يطيعوه، و ليس المراد أن يشاء كل ما يشاؤه العبد من المعاصى و المباحات، لان الحكيم لا يجوز أن يريد القبائح و لا المباح، لان ذلک صفة نقص و يتعالى اللّه عن ذلک. و قد قال اللّه تعالى (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) «2» و المعصية و الكفر من أعظم العسر فكيف يكون اللّه تعالى مشيئاً له و هل ذلک إلا تناقض ظاهر؟! و قوله (إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً) اخبار بأنه- عز و جل- كان عالماً بجميع المعلومات و بما يفعله عباده من الطاعة و المعصية (حكيماً) فى جميع ما يفعله و يأمر به.
ثم قال (يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِى رَحْمَتِهِ) من الجنة و ثوابها إذا أطاعوه فى عمل ما رغبهم

---

(1) القرطبى 19/ 149 و الطبرى 29/ 122
(2) سورة 2 البقرة آية 185

فيه «وَ الظّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً» نصب (الظالمين) على تقدير و عاقب الظالمين باعداد العذاب الأليم أى أعد للظالمين أعد لهم، و حذف لدلالة الثانى عليه و لا يظهر ذلک، لان تفسيره يغنى عن إظهاره.

77-سورة المرسلات: ..... ص: 222

اشارة

مکیة فی قول ابن عباس و هی خمسون آیة بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً (1) فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً (2) وَ النَّاشِراتِ نَشْراً (3) فَالْفارِقاتِ فَرْقاً (4)
فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً (5) عُذْراً أَوْ نُذْراً (6) إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ (7) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8) وَ إِذَا السَّماءُ فُرِجَتْ (9)
وَ إِذَا الْجِبالُ نُسِفَتْ (10) وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (11) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (13) وَ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الْفَصْلِ (14)
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15)
خمس عشرة آية.
قرأ «عذراً» مثقل ابو جعفر و البرجمى و قرأ «او نذراً» خفيف أهل الكوفة غير أبى بكر و ابو عمرو. من ثقل الأول فلأن الثانى مثقل، و من خفف الثانى فلأن التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 223
الأول مخفف. و العذر بالتخفيف و النذر بمعنى الاعذار و الانذار. و من ثقل «نذراً» أراد جمع نذير. و العذر و المعذرة و التعذير بمعنى. قال ابو على النحوى: النذر بالتثقيل و النذير مثل النكر و النكير جميعاً مصدران، و يجوز فى النذر أمران: أحدهما- ان يكون معناه المنذر. و الثانى- أن يكون مصدراً. و قرأ ابو عمرو وحده «وقتت» بالواو على الأصل، وافقه ابو جعفر فى ذلک إلا انه خفف الواو. الباقون «أقتت» بالهمزة أبدلوها من الواو كراهة الضمة على الواو، كما قالوا فى (وحد) و قال الشاعر:
يحل أخيذه و يقال ثعل بمثل تمول منه افتقار «1»
هذا قسم من اللّه تعالى بالمرسلات، كما اقسم بصاد و قاف و يس و غير ذلک و قال قوم: تقديره و رب المرسلات، لأنه لا يجوز القسم إلا باللّه. و قال ابن مسعود و ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابو صالح: الْمُرْسَلاتِ- هاهنا- الرياح، و فى رواية اخرى عن ابن مسعود و أبى صالح إنها الملائكة. و قال قوم «الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً» الأنبياء جاءت بالمعروف. و الإرسال نقيض الإمساک و مثله الإطلاق و نقيضه التقييد و الإرسال ايضاً إنفاد الرسول. و قوله «عرفاً» أى متتابعة كعرف الفرس. و قيل:
معروفا إرسالها. و إرسال الرياح اجراء بعضها فى أثر بعض «فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً» يعنى الرياح الهابة بشدة. و العصوف مرور الريح بشدة، عصفت الريح تعصف عصفاً و عصوفاً إذا اشتدت هبوبها، فعصوف الريح شدة هبوبها. و قوله «وَ النَّاشِراتِ نَشْراً» قال ابن مسعود و مجاهد و قتادة و ابو صالح: هى الرياح، لأنها تنشر السحاب للغيث، كما تلحقه للمطر. و قال ابو صالح- فى رواية- هى الملائكة تنشر الكتب عن اللّه. و فى رواية اخرى عن أبى

صالح إنها الأمطار لأنها تنشر النبات. و قيل الرياح تنشر السحاب فى الهواء.

---

(1) الطبرى 29/ 126

و قوله (فَالْفارِقاتِ فَرْقاً) قال ابن عباس و ابو صالح: هى التى تفرق بين الحق و الباطل، و هى الملائكة و قال قتادة: هى آيات القرآن. و قال الحسن: هى آى القرآن تفرق بين الهدى و الضلال (فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً) قال ابن عباس و قتادة هم الملائكة. و الإلقاء طرح الشىء على غيره، و الإلقاء إيقاع الشىء على غيره، فالذكر يلقى بالبيان و الافهام و هو من صفة الملائكة فيما تلقيه إلى الأنبياء، و من صفة الأنبياء فيما تلقيه إلى الأمم، و من صفة العلماء فيما تلقيه الى المتعلمين و قيل لما جمعت الأوصاف للرياح لاختلاف فوائدها. و قال بعضهم (الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً) الأنبياء جاءت بالمعروف (فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً) الرياح «وَ النَّاشِراتِ نَشْراً» الأمطار نشرت النبات «فَالْفارِقاتِ فَرْقاً» آى القرآن «فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً» الملائكة تلقى كتاب اللّه تعالى إلى الأنبياء.

و قوله «عُذْراً أَوْ نُذْراً» يحتمل نصبه وجهين:

أحدهما- على انه مفعول له أى للاعذار و الانذار.

و الثانى- مفعول به أى ذكرت العذر و النذر. و اختار ابو على أن يكون بدلا من قوله «ذكراً» و قيل معناه اعذاراً من اللّه و إنذاراً الى خلقه ما ألقته الملائكة من الذكر إلى أنبيائه و العذر أمر فى امر ظهوره دفع اللوم بأنه لم يكن يستحق لأجل تلك الحال مع وقوع خلاف المراد. فالعقاب على القبيح بعد الانذار يوجب العذر فى وقوعه. و إن كان بخلاف مراد العبد الذى استحقه. قال الحسن «عذراً» معناه يعتذر به الى عباده فى العقاب أنه لم يكن الا على وجه الحكمة. و النذر و الانذار و هو الاعلام بموضع المخافة ليتقى. و من خفف «عذراً» كره توالى الضمتين.

و قوله «إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ» جواب القسم و معناه إن الذى وعدكم اللّه به من البعث و النشور و الثواب و العقاب: كائن لا محالة. و قيل: الفرق بين الواقع

و الكائن أن الواقع لا يكون إلا حادثاً تشبيهاً بالحائط الواقع، لأنه من أبين الأشياء فى الحدوث، و الكائن أعم منه لأنه بمنزلة الموجود الثابت يكون حادثاً و غير حادث.

و قوله «فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ» معناه محيت آثارها و ذهب نورها. و الطمس محو الأثر الدال على الشىء فالطمس على النجوم كالطمس على الكتاب، لأنه يذهب نورها و العلامات التى كانت تعرف بها (وَ إِذَا السَّماءُ فُرِجَتْ) أى شققت و صدعت (وَ إِذَا الْجِبالُ نُسِفَتْ) نسف الجبال إذهابها حتى لا يبقى لها فى الأرض أثر، و النسف تحريك الشىء بما يخرج ترابه و ما اختلط به

مما ليس منه، و منه سمى المنسف و نسف الحبوب كلها تجرى على هذا الوجه، و قوله «نُسِفَتْ» من قولهم: أنسفت الشىء إذا أخذته بسرعة.
و قوله (وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) أى أعلمت وقت الثواب و وقت العقاب، فالتوقيت تقدير الوقت لوقوع الفعل، و لما كانت الرسل عليهم السلام قد قدر إرسالها لاوقات معلومة بحسب صلاح العباد فيها كانت قد وقتت لتلك الأوقات بمعنى أعلمت وقت الثواب و وقت العقاب. و قال مجاهد و ابراهيم و ابن زيد: أقتت بالاجتماع لوقتها يوم القيامة قال تعالى (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ) «1» و المواقيت الآجال و مثله (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ) «2» و قيل: معنى اقتت أجلت لوقت ثوابها، و هو يوم الفصل. و قيل: معناه أجلت فيما بينها و بين أمتها (لِيَوْمِ الْفَصْلِ) ثم بين تعالى فقال (لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ) أى أخرت إلى اجل فالتأجيل التأخير الى أجل، فالرسل قد أجلت بموعودها الى يوم الفصل، و هو يوم القيامة و سمى يوم الفصل، لأنه يفصل فيه بين حال المهتدى و الضال بما يعلم اللّه لأحدهما من

---

(1) سورة 5 المائدة آية 112 [.....]
(2) سورة 2 البقرة آية 189

حال الثواب بالإجلال و الإكرام، و للاخر من حال العقاب بالاستخفاف و الهوان بما لا يخفى على انسان. و قيل: الوجه فى تأجيل الموعود إلى يوم الفصل تحديد الامر للجزاء على جميع العباد فيه بوقوع اليأس من الرد إلى دار التكليف، لان فى تصور هذا ما يتأكد به الدعاء الى الطاعة و الانزجار عن المعصية.
و قوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) تهديد و وعيد لمن جحد يوم القيامة و كذب بالثواب و العقاب، و إنما خص الوعيد فى الذكر بالمكذبين لأن التكذيب بالحق يتبعه كل شىء، فخصال المعاصى تابعة له و إن لم يذكر معه، مع أن التكذيب قد يكون فى القول و الفعل المخالف للحق، و منه قولهم: حمل فما كذب حتى لقى العدو فهزمه.

أَ لَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (17) كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19) أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ (20) فَجَعَلْناهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ (21) إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22) فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ (23) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (24) أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً (25) أَحْياءً وَ أَمْواتاً (26) وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً (27) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (28)

ثلاث عشرة آية.

قرأ أهل المدينة و الكسائى «فقدرنا» مشددة. الباقون بالتخفيف و هما لغتان. و من اختار التخفيف فلقوله «فَنِعْمَ الْقادِرُونَ».

يقول اللّه تعالى على وجه التهديد للكفار «أَ لَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ» يعنى قوم نوح التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 227

و عاد و ثمود، و الآخرون قوم لوط و ابراهيم إلى فرعون و من معه من الجنود أهلكهم اللّه تعالى بأنواع الهلاک جزاء على كفرهم لنعم اللّه و جحدهم لتوحيده و اخلاص عبادته و قوله «ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ» إنما رفعه عطفاً على موضع «أ لم» كأنه قال:

لكنا نهلک الأولين ثم نتبعهم الآخرين. و قال المبرد تقديره ثم نحن نتبعهم لا يجوز غيره. لان قوله (أَ لَمْ نُهْلِكِ) ماض، و قوله (ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ) مستقبل فلا يكون عطفاً على الاول و لا على موضعه. و الإهلاک إبطال الشىء بتصييره الى حيث لا يدرى اين هو إما باعدامه او بإخفاء مكانه، و قد يكون الإهلاک بالاماتة، و قد يكون بالنقل إلى حال الجمادية. و الاول هو الكائن قبل غيره. و الثانى هو الكائن بعد غيره.

و الاول قبل كل شىء هو اللّه تعالى الذى لم يزل. (وَ الْأَوَّلِينَ) فى الآية هم الذين تقدموا على أهل العصر الثانى، و الاخر الكائن بعد الاول من غير بقية منه، و بهذا ينفصل عن الثانى، لأن الثانى قد يكون بعد بقية من الشىء ثالثاً و رابعاً و خامساً إلى حيث انتهى، فإذا صار الى الآخر فليس بعده شىء كالكتاب الذى هو أجزاء كثيرة و قوله (كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) أى مثل ما فعلنا بأولئک نفعل مثله بالعصاة ثم قال (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ) يعنى يوم الجزاء و الثواب و العقاب (لِلْمُكَذِّبِينَ) فإنهم يجازون بأليم العقاب. و الاتباع الحاق الثانى بالأول بدعائه اليه، و التبع الحاق الثانى بالأول باقتضائه له، تبع تبعاً فهو تابع و أتبع اتباعاً.

و قوله (أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ) و المهين القليل الغناء، و مثله الحقير الذليل و فى خلق الإنسان على هذا الكمال من الحواس الصحيحة و العقل و التميز من ماء مهين أعظم الاعتبار و أبين الحجة على ان له مدبراً و صانعاً

و خالقاً خلقه و صنعه فمن جحده كان كالمكابر لما هو من دلائل العقول.
ثم قال اللّه تعالى مبيناً انه جعل ذلک الماء المهين الحقير (فِی قَرارٍ مَکِینٍ)
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 228
فالقرار المكان الذى يمكن أن يطول فيه مكث الشيء، و منه قولهم: قر فى المكان إذا ثبت على طول المكث فيه يقر قراراً، و لا قرار لفلان فى هذا المكان أى لاثبات له.
و قوله (إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ) فالقدر المقدار المعلوم الذى لا زيادة فيه و لا نقصان و كأنه قال إلى مقدار من الوقت المعلوم، و القدر مصدر من قولهم: قدر يقدر قدراً و قدر يقدّر- بالتخفيف، و التشديد- إلا أن التشديد للتكثير. و قوله (فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ) معناه فى قول من خفف فقدرنا من القدرة، فنعم القادرون على تدبيره. و من شدد أراد فقدرنا، فنعم المقدرون لاحوال النطفة و نقلها من حال الى حال حتى صارت إلى حال الإنسان. و العرب تقول: قدر عليه الموت و قدر: بالتخفيف و التشديد. و من شدد و قرأ القادرون جمع بين اللغتين كما قال الأعشى:
و انكرتنى و ما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب و الصلعا «1»
و قوله (أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ کِفاتاً) نصب (كفاتاً) على الحال، و تقديره أ لم نجعل الأرض لكم و لهم كفاتاً، و الكفات الضمام فقد جعل اللّه الأرض للعباد تكفتهم (أَحْياءً وَ أَمْواتاً) أى تضمهم فى الحالين كفت الشىء يكفته كفتاً و كفاتاً إذا ضمه و قيل (كفاتاً) وعاء و هذا كفته أى وعاؤه، و يقال كفيته أيضاً، و قال الشعبى و مجاهد: فظهرها للاحياء و بطنها للأموات، و هو قول قتادة و نصب أحياء و أمواتاً على الحال، و يجوز على المفعول به، قال ابو عبيدة و غيره (كفاتاً) أى اوعية يقال:
هذا النحى كفت هذا و كفيته.
و قوله (أَحْياءً وَ أَمْواتاً) أى منه ما ينبت، و منه ما لا ينبت.
و قوله (وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِیَ شامِخاتٍ) أى و جعلنا فى الأرض جبالا ثابتة

---

(1) مر فى 6/ 28
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 229
عالية، فالشامخات العاليات، شمخ يشمخ شمخاً، فهو شامخ، و منه شمخ بأنفه إذا رفعه كبراً، و جبل شامخ و شاهق و بازخ كله بمعنى واحد و الرواسى الثوابت.
و قوله (وَ أَسْقَيْناکُمْ ماءً فُراتاً) أى و جعلنا لكم شراباً من الماء الفرات، و هو العذب و هو صفة يقال: ماء فرات و ماء زلال و ماء غدق و ماء نمير كله من العذوبة و الطيب، و به سمى النهر العظيم المعروف بالفرات قال الشاعر:
إذا غاب عنا غاب عنا فراتنا و إن شهد أجدى فضله و جداوله «1»

و قال ابن عباس أصول الأنهار العذبة أربعة: جيحان و منه دجلة، و سيحان نهر بلخ، و فرات الكوفة، و نيل مصر. و قوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) قد فسرناه.

قوله تعالى: [سورة المرسلات (77): الآيات 29 الى 40] ..... ص: 229

اشارة

انْطَلِقُوا إِلى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (29) انْطَلِقُوا إِلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (30) لا ظَلِيلٍ وَ لا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31) إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (32) كَأَنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ (33)
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (34) هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ (35) وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (36) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (37) هذا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْناكُمْ وَ الْأَوَّلِينَ (38) فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (39) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (40)
اثنتا عشرة آية.

---

(1) مر فى 4/ 194
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 230
قرأ رويس (انطلقوا إلى ظل) على فتح اللام بلفظ الماضى. و قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر (جمالة) و ضم الجيم يعقوب، الباقون (جمالات) من قرأ (جمالة) على لفظ الواحد قال معناه الجمع لقوله (صفر) و من قرأ (جمالات) بكسر الجيم قال: جمالة و جمالات جميعاً جمعان، كأنه جمع الجمع مثل: رجال و رجالات، و بيوت و بيوتات، و الهاء فى قوله (كأنه) كناية عن الشرر.
و هذا حكاية ما يقول اللَّه تعالى للكفار المكذبين بيوم الدين يوم القيامة فانه يقول لهم (انْطَلِقُوا إِلى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) من العقاب على الكفر و دخول النار جزاء على المعاصى، فكنتم تجحدون ذلک و تكذبون به و لا تعترفون بصحته، فامضوا اليوم اليه. فالانطلاق الانتقال من مكان إلى مكان من غير مكث الاعتقال، و هو من الإطلاق خلاف التقييد، و الانتقال من حال إلى حال، و من اعتقاد إلى اعتقاد لا يسمى إنطلاقاً. ثم ذكر الموضع الذى أمرهم بالانطلاق اليه، فقال (انْطَلِقُوا إِلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ) قيل: معناه يتشعب من النار ثلاث شعب: شعبة فوقه، و شعبة عن يمينه و شعبة عن شماله فيحيط بالكافر. و قال مجاهد و قتادة (ظل) دخان من جهنم ينقسم ثلاث شعب كما قال تعالى (أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها) «1» أى من الدخان الآخذ بالانفاس (لا ظَلِيلٍ) معناه غير مانع من الأذى يستر عنه، فالظليل المانع من الأذى بستره عنه، و مثله الكنين، فالظليل من الظلة، و هى السترة، و الكنين من الكن، فظل هذا الدخان لا يغنى الكفار من حر النار شيئاً. و بين ذلک بقوله «وَ لا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ» و الإغناء إيجاد الكفاية بما يكون وجود غيره و عدمه سواء يقال: أغنى عنه أى كفى فى الدفع عنه. و اللهب ارتفاع الشرر، و هو اضطرام النار، التهب يلتهب التهاباً و ألهبتها إلهاباً و لهباً.

---

(1) سورة 18 الكهف آية 29
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 231
و قوله «إِنَّها» يعنى النار «تَرْمِى بِشَرَرٍ» و هى قطع تطاير من النار فى الجهات و أصله الظهور من شررت الثوب إذا أظهرته للشمس و الشرر يظهر متبدداً من النار. و قوله «كَالْقَصْرِ» أى ذلک الشرر كالقصر أى مثله فى عظمه، و هو يتطاير على الكافرين من كل جهة- نعوذ باللّه منه- و القصر واحد القصور من البنيان- فى قول ابن عباس و مجاهد- و فى رواية أخرى عن ابن عباس و قتادة و الضحاک: القصر أصول الشجر واحدته قصرة مثل جمرة و جمر، و العرب تشبه الإبل بالقصور، قال الأخطل:
كأنه برج رومى يشيده لزّ بجص و آجرّ و أحجار «1»
و القصر فى معنى الجمع إلا انه على طريق الجنس. ثم شبه القصر بالجمال، فقال «كَأَنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ» قال الحسن و قتادة: كأنها أنيق سود، لما يعترى سوادها من الصفرة. و قال ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبير: قلوس السفن، و فى رواية أخرى عن ابن عباس: هى قطع النحاس. قال الزجاج «جمالات» بالضم جمع جمالة و هو القلس من قلوس البحر، و يجوز أن يكون جمع (جمل) و جمالات، كما قيل (رحال) جمع (رحل) و من كسر فعلى انه جمع جمالة، و جمالة جمع جمل مثل حجر و حجارة، و ذكر و ذكارة. و قرئ فى الشواذ «كالقصر» بفتح الصاد جمع كأنها أعناق الإبل «و جمالات» جمع جمل كرجل و رجالات، و بيت و بيوتات، و يجوز أن يكون جمع جمالة. و قرأ حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم «جملة» بغير الألف على التوحيد لأنه لفظ جنس يقع على القليل و الكثير. الباقون جمالات بألف، مكسور الجيم.
و قوله «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» قد فسرناه ثم قال تعالى «هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ

---

(1) مر فى 7/ 53
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 232
وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ» اخبار من اللّه تعالى أن ذلک اليوم لا ينطق الكفار. و قيل فى معناه قولان:

ان ذلک الیوم مواطن، فموطن لا ینطقون، لأنهم مبلسون من هول ما یرونه، و موطن یطلق فیه عن ألسنتهم فینطقون، فلذلک حکی عنهم أنهم «قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَیْنِ وَ أَحْیَیْتَنَا اثْنَتَیْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلی خُرُوجٍ مِنْ سَبِیلٍ» «1» و قد یقال هذا یوم لا ینطقون إذا لم ینطقوا فی بعضه کما یقال: کان کذا یوم قدم فلان و إن کان قدم فی بعضه، لان المعنی مفهوم.

انهم ينطقون بنطق لا ينتفعون به، و كأنهم لم ينطقوا، و أضاف الزمان إلى الأفعال كقولك أتيتک يوم قدم زيد، و آتيک يوم يخرج عمرو، و أجاز النحويون هذا يوم لا ينطقون بالنصب على انه يشير إلى الجزاء، و لا يشير إلى اليوم
و قوله «وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ» فالاذن الإطلاق فى الفعل، تقول: يسمع بالاذن فهذا أصله و قد كثر استعماله حتى صار كل دليل ظهر به أن للقادر أن يفعل كذا فهو أذن له، و كل ما اطلق اللّه فيه بأى دليل كان، فقد أذن فيه.
و قوله تعالى «فَيَعْتَذِرُونَ» فالاعتذار الانتفاء من خلاف المراد بالمانع من المراد، و ليس لاحد عذر فى معصية اللّه، لأنه تعالى لا يكلف نفساً ما لا يطاق. و قد يكون له عذر فى معصية غيره، لأنه قد يكلف خلاف الصواب و قد يكلف ما لا يمكن لعارض من الأسباب.
و قوله «فيعتذرون» رفع عطفاً على قوله «لا يؤذن» قال الفراء: تقديره لا ينطقون و لا يعتذرون، و قد يجوز فى مثله النصب على جواب النفى، و معنى الآية لا يؤذن لهم فى الاعتذار فكيف يعتذرون.

---

(1) سورة 40 المؤمن آية 11

و قوله (هذا يَوْمُ الْفَصْلِ) يعنى يفصل بين الخلائق بالحكم لكل أحد بما له و عليه. و الفصل قطع علق الأمور بتوفية الحقوق، و هذا الفصل الذى هو فصل القضاء يكون ذلک فى الآخرة على ظاهر الأمر و باطنه، و أما فى الدنيا، فهو على ظاهر الأمر، لان الحاكم لا يعرف البواطن.
و قوله «جَمَعْناكُمْ وَ الْأَوَّلِينَ» معناه إن اللّه يجمع فيه الخلائق فى يوم واحد فى صعيد واحد، و الجمع جعل الشىء مع غيره إما فى مكان واحد أو محل واحد أو فى يوم واحد أو وقت واحد، أو يجعل مع غيره فى حكم واحد أو معنى واحد كجمع الجماد و الحيوان فى معنى الحدوث.
و قوله «فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ» معناه توبيخ من اللّه تعالى و تقريع للكفار و اظهار عجزهم عن الدفع عن أنفسهم فضلا عن أن يكيدوا غيرهم، و إنما هو على أنكم كنتم فى دار الدنيا تعملون ما يغضبنى، فالان عجزتم عن ذلک و حصلتم على وبال ما عملتم. و قيل: المعنى إن كان لكم حيلة تحتالونها فى التخلص فاحتالوا. و الكيد الحيلة و «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» قد مضى تفسيره.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِی ظِلالٍ وَ عُیُونٍ (41) وَ فَواکِهَ مِمَّا یَشْتَهُونَ (42) کُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِیئاً بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) إِنَّا کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ (44) وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (45)
کُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِیلاً إِنَّکُمْ مُجْرِمُونَ (46) وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (47) وَ إِذا قِیلَ لَهُمُ ارْکَعُوا لا یَرْکَعُونَ (48) وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (49) فَبِأَیِّ حَدِیثٍ بَعْدَهُ یُؤْمِنُونَ (50)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 234

عشر آیات.

لما ذکر اللَّه تعالی الکفار و ما أعدّ لهم من ضروب العقاب و انواع العذاب ترهیباً و تزهیداً فی مثله، ذکر المؤمنین المتقین للمعاصی و بین ما أعده لهم من أنواع النعیم و ضروب اللذات، فقال «إِنَّ الْمُتَّقِینَ» و معناه الذین اتقوا عقاب اللَّه باجتناب معاصیه و طلبوا ثوابه بفعل طاعاته «فِی ظِلالٍ» و هو جمع ظل، و هو الحجاب العالی المانع من کل أذی، فلأهل الجنة حجاب من کل أذی لان هواء الجنة مناف لکل أذی، فهم من طیبه علی خلاصة. و قیل فی ظلال من قصور الجنة و أشجارها «وَ عُیُونٍ» و هی ینابیع الماء التی تجری فی ظل الأشجار. و قیل: ان تلک العیون جاریة فی غیر أخدود، لأن ذلک أمتع بما یری من حسنه و صفائه علی کنهه من غیر ملابسة شیء له، و لیس هناک شیء إلا علی أحسن صفاته، لان اللَّه تعالی قد شوق الیه أشد التشویق و رغب فیه أتم الترغیب «وَ فَواکِهَ» و هی جمع فاکهة، و هی ثمار الأشجار التی من شأنها أن تؤکل، و قد یکون من الثمر ما لیس کذلک کالثمر المر، فانه لیس من الفاکهة.

و قوله «مِمَّا یَشْتَهُونَ» یعنی لهم فاکهة من جنس ما یشتهونه.

ثم قال تعالی «کُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِیئاً بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» صورته صورة الأمر و المراد به الاباحة. و قال قوم: هو أمر علی الحقیقة، لان اللَّه تعالی یرید منهم الأکل و الشرب فی الجنة، و إنهم إذا علموا ذلک زاد فی سرورهم، فلا تکون إرادته لذلک عبثاً، و الهنیء هو الذی لا أذی فیه فیما بعد. و قیل: الهنیء النفع الخالص من شائب الأذی، و الشهوة معنی فی القلب إذا صادفت المشتهی کان لذة، و ضده النفار إذا التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 235

صادفه کان ألماً، و جاء الکلام علی التقابل للکافرین من قوله «إِلی ظِلٍّ ذِی ثَلاثِ شُعَبٍ لا ظَلِیلٍ وَ لا یُغْنِی مِنَ اللَّهَبِ» مقابل أهل الجنة فی ظلال قصور الجنة و أشجارها و قوله «إِنَّا کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ» اخبار منه تعالی أنه کما جازی هؤلاء المتقین بما ذکره من النعیم مثل ذلک یجازی کل محسن

عامل بطاعة اللّه. و فى ذلک دلالة على أن كل احسان خالص للعبد فله به الثواب و الحمد، و انه طاعة للّه، و إن ما ليس بإحسان من فعل خارج عن هذا الحكم. و قوله «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» قد مضى تفسيره.
ثم عاد الى خطاب الكفار فقال لهم على وجه التهديد و الوعيد «كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا» فى دار الدنيا و تلذذوا بما تريدون و انتفعوا بما تشتهون «قَلِيلًا» لان أيام الدنيا قليلة، فالتمتع الحصول فى أحوال تلذ، تمتع تمتعاً و استمتع استمتاعاً و أمتعه غيره امتاعاً و التمتع و التلذذ واحد و نقيضه التألم.
و قوله «إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ» اخبار منه تعالى للكفار بأنكم و إن تمتعتم قليلا فى الدنيا فإنكم عصاة و كفار و مآلكم الى النار و عذابها، و الاجرام فعل ما يقطع المدح و يحصل بدله الذم، يقال: أجرم إجراماً و اجترم اجتراماً و تجرم عليه أى تطلب له الجرم «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بينا معناه.
و قوله «وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ» فالركوع هو الانخفاض على وجه الخضوع، و يعبر به عن نفس الصلاة و يقال: قد ركعت و بقى على ركوع أى صلاة و المراد به- هاهنا- الصلاة، و المعنى إن هؤلاء الكفار إذا دعوا إلى الصلاة لا يصلون لجهلهم بما فى الصلاة من الخير و البركة. و قيل: انه يقال لهم ذلک فى الآخرة كما قال «يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ» ذكره ابن عباس. و قال قتادة، يقال لهم ذلک فى الدنيا، فان الصلاة من اللّه بمكان. و قال مجاهد: عنى بالركوع- هنا- الصلاة التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 236
و قوله «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» قد فسرناه، فكأنه قيل لهم يجب عليكم الركوع بالخضوع للّه فاركعوا فأخبر عنهم أنهم لا يركعون تكذيباً بهذا الخبر، فلذلک قال عقيب ذلک «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» و إلا فقوله «ارْكَعُوا» أمر من اللّه تعالى، و لا يقال فيمن أمر بالشىء فلم يفعل انه كذّب، و قيل: إنّ ما تكرر فى هذه السورة من قول «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» ليس على وجه التكرار فى المعنى، لان معناه ويل للمكذبين بما ذكره قبله من الاخبار، و قيل يريد أنه كذب بالمخبر الذى يليه، و هو وجه القول الثانى و الثالث و الرابع إلى آخر السورة، على هذا المنهاج من أنه يلزمه الويل بالتكذيب بالذى يليه و الذى قبله على التفصيل لا على الإجمال فى أنه لا يلزمه حتى يكذب بالجميع. و قوله «فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ» معناه إنه إذا أتى القرآن بأظهر البرهان و كفروا به فليس ممن يفلح بالايمان بكلام غيره، لان من لم يؤمن بما فيه المعجزة الظاهرة و الآية الباهرة لا يؤمن بغيره.
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 237

78-سورة النبأ: ..... ص: 237

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک و هى أربعون آية فى الكوفى و المدنيين و احدى و أربعون فى البصرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
عَمَّ يَتَساءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (4)
ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (5) أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً (6) وَ الْجِبالَ أَوْتاداً (7) وَ خَلَقْناكُمْ أَزْواجاً (8) وَ جَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً (9)
وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً (10) وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً (11) وَ بَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً (12) وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً (13) وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً (14)
لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَباتاً (15) وَ جَنَّاتٍ أَلْفافاً (16)
ست عشرة آية.
وقف يعقوب على «عم» بالهاء، الباقون بلا هاء.
و قرأ ابن عامر «كلا ستعلمون» بالتاء على الخطاب فيهما أى قل لهم ستعلمون عاقبة أمركم. الباقون- بالياء- على الغيبة، و هو الأقوى لقوله «عَمَّ

يَتَساءَلُونَ»
و قوله «الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» و لم يقل أنتم، و إن كانت التاء جائزة لان العرب تنتقل من غيبة إلى خطاب، و من خطاب إلى غيبة.
قيل فى سبب نزول هذه الآية: إن رسول اللّه صلى الله عليه و آله كان إذا حدّث قريشاً و عرّفهم أخبار الأمم السالفة و وعظهم كانوا يهزءون بذلك، فنهاه اللّه تعالى أن يحدثهم فقال «وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ» إلى قوله «حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ» «1» فكان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يحدث أصحابه فإذا أقبل واحد من المشركين أمسك فاجتمعوا على بكرة أبيهم و قالوا: و اللّه يا محمد إن حديثك عجب، و كنا نشتهى أن نسمع كلامك و حديثك، فقال إن ربى نهانى أن أحدثكم، فأنزل اللّه تعالى «عَمَّ يَتَساءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ»
و قوله «عَمَّ يَتَساءَلُونَ» أصله عن ما، فحذفت الألف لاتصالها بحرف الجر حتى صارت كالجزء منه لتدل على شدة الاتصال مع تخفيف المركب فى الكلام، فحذف حرف الاعتلال و أدغمت النون فى الميم لقربها منها من غير إخلال، و صورته صورة الاستفهام و المراد تفخيم القصة و الإنكار و التهديد.
و قوله «يَتَساءَلُونَ» معناه عن ما ذا يسأل بعضهم بعضاً، فالتساؤل سؤال احد النفيسين للآخر، تساءلا تساؤلا و سأله مسألة، و السؤال طلب الاخبار بصيغة مخصوصة فى الكلام، و كل ما يزجر العقل عنه بما فيه من الداعى الى الفساد لا يجوز السؤال عنه كسؤال الجدل لدفع الحق و نصرة الباطل،

و كالسؤال الذى يقتضى فاحش الجواب، لأنه كالامر بالقبيح. و النبأ معناه الخبر العظيم الشأن كمعنى الخبر عن التوحيد فى صفة الاله و صفة الرسول، و الخبر عما يجوز عليه و ما لا يجوز. و قال مجاهد: النبأ العظيم الشأن القرآن، و قال قتادة و ابن زيد:
هو السؤال عن البعث بعد الموت، لأنهم كانوا يجمعون على التكذيب بالقرآن

_____
(1) سورة 4 النساء آية 139 و قريب منه فى سورة 6 الانعام آية 68

«الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» قال قتادة: معناه الذى هم فيه بين مصدق و مكذب، فقال اللّه سبحانه مهدداً لهم و متوعداً «كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» و معنى (كلا) ردع و زجر، كأنه قال ارتدعوا و انزجروا ليس الأمر كما ظننتم. و قال قوم: معناه حقاً سيعلمون عاقبة أمرهم و عائد الوبال عليهم. و قال الضحاك: معناه كلا سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم، و سيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم. و قال قوم: كلا سيعلمون ما ينالهم يوم القيامة من العذاب، ثم كلا سيعلمون ما ينالهم فى جهنم من العذاب، فلا يكون تكراراً.
و الاختلاف ذهاب كل واحد من النفيسين إلى نقيض ما ذهب اليه الآخر، يقال:
اختلفا فى المعنى فذهب أحدهما إلى كذا، و ذهب الآخر إلى كذا.
ثم نبههم على وجه الاستدلال على صحة ذلك فقال «أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً» أى وطاء، و هو القرار المهيأ للتصرف فيه من غير أذية. و قال قتادة: المهاد البساط و مهد الأرض تمهيداً مثل وطأه توطئة، لأن ذلک لا يقدر عليه غير اللّه، لأنه الذى يسكن الأرض حالا بعد حال حتى يمكن الاستقرار عليها و التصرف فيها «وَ الْجِبالَ أَوْتاداً» أى و جعلنا الجبال أوتاداً للأرض لئلا تميد بهم، فالجبال جمع جبل، و هو بغلظه و ثقله يبلغ أن يكون ممسكاً للأرض عن أن تميد بثقله، فعلى ذلک دبره اللّه، و ذكر العباد به و ما فيه من العبرة بعظمة من يقدر عليه. و الوتد المسمار إلا أنه اغلظ منه، لذلک يقال: مسامير العناء إذا دقت كالمسمار من الحديد فى القوة و الدقة، و لو غلظت صارت أوتاداً فكذلک وصفت الجبال بأنها أوتاد للأرض إذ جعلت بغلظها ممسكة لها عن أن تميد باهلها.
و قوله «وَ خَلَقْناكُمْ أَزْواجاً» أى اشكالا كل واحد يشاكل الآخر. و قيل: معناه ذكراً و أنثى حتى يصح منكم التناسل.
و قوله «وَ جَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً» أى نعاساً فى أوله تطلب النفس الراحة به.

و قيل: معناه جعلنا نومكم راحة. و قيل: معناه جعلنا نومكم طويلا ممتداً

تعظم به راحة أبدانكم و يكثر به انتفاعكم، و منه سبت من الدهر أى مدة طويلة منه، و قال ابو عبيدة: معناه جعلنا نومكم سباتاً ليس بموت، و رجل مسبوت فيه روح، و السبات قطع العمل للراحة، و منه سبت أنفه إذا قطعه، و منه يوم السبت أى يوم قطع العمل للراحة على ما جرت به العادة فى شرع موسى، و صار علماً على اليوم الذى بعد الجمعة بلا فصل.
و قوله «وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً» فاللباس غطاء ساتر مماس لما ستر، فالليل ساتر للاشخاص بظلمته مماس لها بجسمه الذى فيه الظلمة قال الشاعر:
فلما لبسن الليل أو جن نصبت له من حذا آذانها و هى جنح «1»
«وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً» أى متصرفاً للعيش و العيش الانعاش الذى تبقى معه الحياة على حال الصحة عاش يعيش عيشاً و النهار اتساع الضياء المنبث فى الآفاق و أصله من انهر الدم إذا وسع مجراه، و منه النهر و هو المجرى الواسع من مجارى الماء، و منه الانتهار الاتساع فى الاغلاظ، و فى خلق النهار تمكين من التصرف للمعاش و فى ذلک أعظم النعمة و اكبر الإحسان.
و قوله «وَ بَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً» يعنى سبع سموات. و البناء جعل الطاق الأعلى على الأدنى، فالسماء مبنية كهيئة القبة مزينة بالكواكب المضيئة، فسبحان الذى زينها و خلقها و بناها على هذه الصفة لعباده. و إنما جعلها سبع سموات لما فى ذلک من الاعتبار للملائكة، و لما فى تصور الطبقات من عظم القدرة، و هول تلک الأمور، و ما فيه من تمكين البناء حتى وقفت سماء فوق سماء، فسبحان من يمسكها بما هو قادر عليها و مدبر لها.

---

(1) الطبرى 30/ 3

و قوله «وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً» يعنى الشمس جعلها اللَّه سراجاً للعالم يستضيئون به، فالنعمة عامة لجميع الخلق. و الوهاج الوقاد، و هو المشتعل بالنور العظيم و قال مجاهد و قتادة: يعنى وهاجاً متلألئاً.
و قوله «وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ» قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: يعنى الرياح، كأنها تعصر السحاب. و قيل هى السحاب تتحلب بالمطر. و قوله «ماءً ثَجَّاجاً» فالثجاج الدفاع فى انصبابه كثج دماء البدن، يقال ثججت دمه أثجه ثجاً، و قد ثج الدم يثج ثجوجاً «لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَباتاً» أى نخرج بذلک الماء حباً و هو كل ما تضمنه الزرع الذى يحصد. و النبات الكلأ من الحشيش و الزرع «وَ جَنَّاتٍ أَلْفافاً» أى بساتين ملتفة بالشجر يخرجها اللَّه تعالى لعباده بالمطر. و إنما قال «جَنَّاتٍ» لأن الشجر يجنها أى يسترها و «الالفاف» الاخلاط المتداخلة يدور بعضها على بعض واحدها (لف) يقال: شجر ملتف و أشجار ملتفة. و المعانى الملففة المتداخلة باستتار بعضها ببعض حتى لا تبين إلا فى خفى. و قيل: واحده لف و لفف. و قيل: فىِ

واحده شجرة لفا، و شجر لف. و قال مجاهد و قتادة و ابن عباس: ألفافاً ملتفة. و التقدير فيه و يخرج به شجر جنات الفافاً ملتفة إلا انه حذف لدلالة الكلام عليه.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً (17) يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً (18) وَ فُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً (19) وَ سُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً (20) إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً (21)
لِلطَّاغِينَ مَآباً (22) لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً (23) لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَ لا شَراباً (24) إِلاَّ حَمِيماً وَ غَسَّاقاً (25) جَزاءً وِفاقاً (26)
إِنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً (27) وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا كِذَّاباً (28) وَ كُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتاباً (29) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذاباً (30)
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 242
اربع عشرة آية.
قرأ «و فتحت» بالتخفيف أهل الكوفة إلا الأعشى و البرجمى. الباقون بالتشديد. و قرأ حمزة و روح «لبثين فيها» بغير الف مثل (مزجين، و فرهين) الباقون «لابثين» بألف على اسم الفاعل، و هو الأجود، لأنه من (لبث) فهو (لابث) و حجة حمزة أنه مثل (طمع) و (طامع). و اللبث البطىء.
و قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً عن المفضل «غساقاً» مشددة. الباقون بالتخفيف، و هما لغتان.
فالغساق صديد أهل النار- فى قول ابراهيم و قتادة و عكرمة و عطية- و قال أبو عبيدة:
الغساق ماء و هو من الغسل أى سيال. و قال غيره: هو البارد. و قيل: المنتن.
يقول اللَّه تعالى «إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ» يعنى يوم الدين و هو يوم القيامة الذى يفصل اللَّه فيه بالحكم بين الخلائق «كانَ مِيقاتاً» أى جعله اللَّه وقتاً للحساب و الجزاء فالميقات منتهى المقدار المضروب لوقت حدوث أمر من الأمور، و هو مأخوذ من الوقت، كما أن الميعاد من الوعد، و الميزان من الوزن و المقدار من القدر. و المفتاح من الفتح.
و قوله «يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ» فالنفخ إخراج ريح الجوف من الفم، و منه نفخ الزق، و النفخ فى البوق، و نفخ الروح فى البدن يشبه بذلك، لأنها تجرى فيه كما تجرى الريح، يجرى مجرى الريح فى الشىء، و الصور قرن ينفخ فيه فى حديث مرفوع عن النبى صلى اللَّه عليه و آله التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 243
و قال الحسن: هو جمع صورة. و به قال قتادة. و معناه: اذكر يوم ينفخ فى الصور «فَتَأْتُونَ أَفْواجاً» فالفوج جماعة من جماعة. و الأفواج جماعات من جماعات، فالناس يأتون على تلك الصفة الى أن يتكاملوا فى أرض القيامة. و كل فريق يأتى مع شكله. و قيل تأتى كل أمة مع نبيها، فلذلك جاءوا

أفواجاَ أى زمراَ.
و قوله «وَ فُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً» معناه و شققت السماء، فكانت كقطع الأبواب. و قيل: صار فيها طرق و لم يكن كذلک قبل.
و قوله «وَ سُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً» معناه زيلت الجبال عن أماكنها و أذهب بها حتى صارت كالسراب.
و قوله «إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً» إخبار منه تعالى بأن جهنم تكون يومئذ مرصاداً. و المرصاد هو المعد لأمر على ارتقابه الوقوع فيه، و هو مفعال من الرصد.
و قيل: المعنى ذات ارتقاب لأهلها تراصدهم بنكالها. و الرصد عمل ما يترقب به الاختطاف.
و قوله «لِلطَّاغِينَ» يعنى جهنم للذين طغوا فى معصية اللّه و تجاوزوا الحد «مَآباً» أى مرجعاً، و هو الموضوع الذى يرجع اليه، فكأن المجرم قد كان باجرامه فيها ثم رجع إليها، و يجوز أن يكون كالمنزل الذى يرجع اليه.
و قوله «لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً» أى ماكثين فيها أزماناً كثيرة، و واحد الاحقاب حقب من قوله «أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً» «1» أى دهراً طويلا. و قيل واحده حقب، و واحد الحقب حقبة، كما قال الشاعر:
و كنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
و إنما قال «لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً» مع انهم مخلدون مؤبدون: لا انقضاء لها

---

(1) سورة 18 الكهف آية 61
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 244
إلا انه حذف للعلم بحال أهل النار من الكفار بإجماع الأمة عليه «لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَ لا شَراباً إِلَّا حَمِيماً وَ غَسَّاقاً» ثم يعذبون بعد ذلک بضرب آخر كالزقوم و الزمهرير و نحوه من أصناف العذاب. و من قرأ «لبثين» بلا الف استشهد فى تعدى (فعل) بقول الشاعر:
و مسحل سح عضاده سحج بسراتها ندب له و كلوم «1»
و قال ابن عباس: الحقب ثمانون سنة. و قال الحسن: سبعون سنة. و قال قوم: هو اكثر من ذلک.
و قوله «لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَ لا شَراباً» قال ابو عبيدة: البرد هاهنا النوم قال الكندى:
فيصدنى عنها و عن قبلتها البرد
أى النوم، فكأنهم لا ينامون من شدة ما هم فيه من العذاب، و لا يجدون شراباً يشربوه «إِلَّا حَمِيماً وَ غَسَّاقاً» فالحميم الحار الشديد الحرارة و الغساق صديد أهل النار- فى قول إبراهيم و قتادة و عطية و عكرمة- يقال: غسقت القرحة غسقاً إذا سال صديدها، و كذلک الجروح، و منه قوله «وَ مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ» «2» و الغاسق الليل إذا لبس الأشياء بظلمته، كأنه

يسيل عليهً بَظلامه. و قال الحسن:
الجنة و النار مخلوقتان فى الأيام الستة الأول، و هى الجنة التى سكنها آدم، و هى الجنة التى يسكنها المتقون فى الآخرة. ثم يفنيها اللّه لهلاک الخلائق. ثم يعيدها، فلا يفنيها أبداً. و قال قوم: هما مخلوقتان، و لا يفنيهما اللّه. و قال آخرون: هما غير مخلوقتين و الجنة التى كان فيها آدم جنة أخرى ليست جنة الخلد.
و قوله «جَزاءً وِفاقاً» قال ابن عباس و مجاهد و الربيع و قتادة: معناه وافق

---

(1) تفسير الطبرى 30/ 7
(2) سورة 113 الفلق آية 3

الجزاء أعمالهم، فالوفاق الجارى على المقدار، فالجزاء وفاق لأنه جار على مقدار الاعمال فى الاستحقاق، و ذلک أنه يستحق على الكفر أعظم مما يستحق على الفسق الذى ليس بكفر، و يستحق على الفسق أعظم مما يستحق على الذنب الصغير.
و قوله «إِنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً» أى لا يرجون المجازاة على الأعمال و لا يتوقعونه- و هو قول الحسن و قتادة- و قيل: معناه إنهم كانوا: لا يرجون حسن الجزاء فى الحساب لتكذيبهم. فالرجاء التوقع لوقوع أمر يخاف ألا يكون، فهؤلاء كان يجب عليهم أن يتوقعوا الحساب على يقين أنه يكون، فلم يفعلوا الواجب فى هذا، و لا قاربوه لاعتقادهم أنه لا يكون فاللوم أعظم لهم و التقريع لهم أشد. و قيل:
معنى لا يرجون لا يخافون كما قال الهذلى:
إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و حالفها فى بيت نوب عوامل «1»
و قوله «وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا كِذَّاباً» معناه جحدوا بآيات اللّه و حججه، و لم يصدقوا بها. و إنما جاء المصدر على فعال للمبالغة مع اجرائه على نظيره الذى يطرد قبل آخره الف نحو الانطلاق و الاقتدار و الاستخراج و القتال و الكرام، و المصدر الجارى على فعل التفعيل نحو التكذيب و التحسين و التقديم، و قد خرج التفعيل عن النظير لما تضمن من معنى التكثير، كما خرج التفاعل و المفاعلة للزيادة على أقل الفعل، فانه من اثنين. و مثل كداب، حملته حمالا و حرقته حراقاً.
و قوله «وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتاباً» معناه و أحصينا كل شىء أحصيناه فى كتاب، فلما حذف حرف الجر نصبه، و قيل: إنما نصبه لان فى أحصيناه معنى كتبناه، فكأنه قال كتبناه كتاباً، و مثل كذبته كذاباً قصيته قصاء قال الشاعر:

---

(1) مر فى 2/ 210 و 3/ 5/ 3 و 7/ 491 و 8/ 187

لقد طال ما ثبطتنى عن صحابتى و عن جوح قصاؤها من شقائيا «1»
و الوجه فى إحصاء الأشياء فى الكتاب ما فيه من الاعتبار للملائكة بموافقة ما يحدث لما تقدم به الإثبات مع أن تصور ذلک يقتضى الاستكثار من الخير و الاجتهاد فيه، كما يقتضى إذا قيل للإنسان ما تعمله فانه يكتب لک و عليک.
و قوله «فَذُوقُوا» أي يقال لهؤلاء الكفار ذوقوا ما كنتم فيه من العذاب «فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذاباً» لان كل عذاب يأتى بعد الوقت الاول فهو زائد عليه.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً (31) حَدائِقَ وَ أَعْناباً (32) وَ كَواعِبَ أَتْراباً (33) وَ كَأْساً دِهاقاً (34) لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَ لا كِذَّاباً (35)
جَزاءً مِنْ رَبِّکَ عَطاءً حِساباً (36) رَبِّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا الرَّحْمنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً (37) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ قالَ صَواباً (38) ذلِکَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآباً (39) إِنَّا أَنْذَرْناکُمْ عَذاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ وَ يَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِى كُنْتُ تُراباً (40)
أحدى عشرة آية فى البصرى و عشر آيات عند الباقين قرأ «و لا كذاباً» خفيفاً الكسائى «رب السموات» بالرفع محارب و ابو بكر، و «الرحمن» جراً عن عاصم و ابن عامر و يعقوب و سهل.

---

(1) القرطبى 19/ 179 و الطبرى 30/ 10
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 247
لما ذكر اللَّه تعالى حال الكفار و ما أعده لهم من أنواع العقاب ذكر ما للمؤمنين المتقين لمعاصى اللَّه تعالى، فقال «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ» الذين يتقون عقاب اللَّه باجتناب معاصيه و فعل طاعته «مَفازاً»، و هو موضع الفوز بخلوص الملاذ. و أصل الفوز النجاة إلى حال السلامة و السرور، و منه قيل للمهلكة مفازة على وجه التفاؤل، لأنه قيل منجاة و قيل مفازاً منجى إلى مبرة. ثم بين ذلک فقال «حَدائِقَ وَ أَعْناباً» فالحدائق جمع حديقة، و هى البستان المحوط، و منه أحدق به حائطه. و الحديقة الجنة المحوطة.
و منه أحدق القوم بفلان إذا أطافوا به، و سميت الحدقة حدقة لما يحيط بها من جفنها و الأعناب جمع عنب، و هو ثمر الكرم قبل أن يجف فإذا جف فهو الزبيب، و نظيره الرطب ثمر النخل قبل أن يصير تمراً فإذا صار تمراً زال عنه اسم الرطب.
و قوله «وَ كَواعِبَ أَتْراباً» قال ابن عباس: الكواعب النواهد، و الكاعب الجارية قد نهد ثدياها، يقال: كعب ثدى الجارية و نهد إذا ابتدأ بخروج حسن.
و الاتراب جمع ترب، و هى التى تنشأ مع لدتها على سن الصبى الذى يلعب بالتراب فكأنه قيل هم على سنّ واحدة. قال قتادة: أَتْراباً يعنى فى سن واحدة.
و قوله «وَ كَأْساً دِهاقاً» فالكأس الإناء إذا كان فيه شراب. و قيل الكأس أناء الخمر الذى يشرب منه، قال الشاعر:
يلذه بكأسه الدهاق «1»
فان لم يكن فيه الخمر لم يسم كأساً، و الدهاق ملأى بشدة الضغط، و

الدهق شدة الضغط فى الكأس ملأى مترعة ليس فيها فرجة ليستوفى حال اللذة. و قال قتادة:
دهاقاً مترعة، و قال مجاهد: معناه متتابعة على شاربها مأخوذ من متابعة الشد فى الدهن.

---

(1) القرطبى 19/ 181 [.....]

و قوله «لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً» أى لا يسمعون فى الجنة كلاماً لا فائدة فيه «وَ لا كِذَّاباً» أى و لا تكذيب بعضهم لبعض. و من قرأ «كذاباً» بالتخفيف أراد مصدر كاذبه مكاذبة، و كذاباً قال الشاعر:
فصدقتنى و كذبتنى و المرء ينفعه كذابه «1»
و قال الفراء: قال اعرابى فى طريق مكة: يا رب القصار أحب اليک أم الحلق يريد أقصر شعرى أم احلق.
و قوله «جَزاءً مِنْ رَبِّکَ عَطاءً حِساباً» أى فعلنا بالمؤمنين المتقين ما فعلنا جزاء على تصديقهم باللّه و نبيه، فالجزاء إعطاء المستحق بعمل الطاعة أو المعصية.
و قوله «عَطاءً حِساباً» أى بحساب العمل كل إنسان على قدر عمله من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين، ثم سائر أخيار المؤمنين، و عند اللّه المزيد.
و قيل: معناه عطاء كافياً من قولهم: أعطانى ما أحسبنى أى كفانى، و حسبک أى اكتف، و حسبى اللّه أى كفانى اللّه. و قال الحسن: معناه إنه أعطاهم ذلک محاسبة.
و قوله «رَبِّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» من رفع استأنف الكلام و جعله مبتدأ.
و قوله «الرَّحْمنِ» خبره، و من جره رده على قوله «مِنْ رَبِّکَ» رب السموات، و جعل «الرَّحْمنِ» جراً بأنه نعته. و من رفع الرحمن و جر الأول قطعه عن الاول و تقديره: هو الرحمن. و المعنى إن الذى يفعل بالمؤمنين ما تقدم ذكره هو اللّه رب السموات و الأرض و مدبرهما، و مدبر ما بينهما، و المصرف لهما على ما يريده «لا يَمْلِکُونَ مِنْهُ خِطاباً» و معناه لا يملكون أن يسألوا إلا فيما أذن لهم فيه، كما قال «لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى» «2» و فى ذلک أتم التحذير من الاتكال. و الخطاب توجيه الكلام إلى مدرک بصيغة مبينة كاشفة عن المراد بخلاف صيغة الغائب عن الإدراک

---

(1) مر فى 8/ 390 و 9/ 425
(2) سورة 21 الأنبياء آية 28

على طريقة أنت و بک. و الإضمار على ثلاثة أضرب: إضمار المتكلم، و

إضمار المخاطب و إضمار الغائب.
و قوله «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَةُ» معناه اذكر يوم يقوم الروح، قال الضحاک و الشعبى: الروح هو جبرائيل عليه السلام و قال ابن مسعود و ابن عباس:
هو ملک من أعظم الملائكة خلقاً، و هو المروى فى أخبارنا.
و قال الحسن و قتادة: الروح بنو آدم. و قال ابن عباس: أرواح بنى آدم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل رد الأرواح إلى الأجساد.
و قوله «وَ الْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ» أى مصطفين لا يتكلم احد بشىء «إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ» أى أذن اللّه له فى الكلام «وَ قالَ صَواباً» و الصواب موافقة الغرض الحكمى كأنه إصابة ذلک الغرض الذى تدعو اليه الحكمة. و نقيضه الخطأ، و هو مخالفة الغرض الحكمى و لما كانت الحكمة قد تدعو إلى أمر بأوكد مما تدعو إلى أمر، كدعائها إلى الفعل الأصلح، و الفعل الأدون، صح ان صوابا أصوب من صواب.
ثم قال «ذلِکَ الْيَوْمُ» يعنى اليوم الذى وصفه و أخبر عنه هو «الْحَقُّ» الذى لا شک فى كونه و حصوله.
و قوله «فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآباً» فيه دلالة على أن العباد قادرون على اتخاذ المآب و تركه. و إنما قال «فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ» لأنه قادر عليه و مزاح العلة فيه.
و المآب المرجع، و هو (مفعل) من آب يؤب أوبا. و قال سفيان: معناه مرجعا.
قال عبيد:
و كل ذى غيبة يؤوب و غائب الموت لا يؤوب «1»
_____.
(1) مر فى 6/ 468

و قولهِ إِنَّا أَنْذَرْناكُمْ عَذاباً قَرِيباً»
معناه الاخبار من اللّه تعالى أنه خوف عباده و أعلمهم المواضع التى ينبغى أن يحذروها. ثم بين ما يكون بعد ذلک فقالَ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ» و معناه ينتظر جزاء ما قدمه، فان قدم طاعة انتظر الثواب، و إن قدم معصية انتظر العقابَ يَقُولُ الْكافِرُ»
فى ذلک اليوما لَيْتَنِى كُنْتُ تُراباً»
أى يتمنى أن لو كان ترابا لا يعاد و لا يحاسب ليتخلص من عقاب ذلک اليوم، لأنه ليس معه شىء يرجوه من الثواب. و قيل: ان اللّه يحشر البهائم و ينتصف للجماء من القرناء فإذا أنصف بينها جعلها ترابا، فيتمنى الكافر عند ذلک لو كان مثل أولئک ترابا. و قيل: هو مثل قوله «يا لَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ» «1»

79-سورة النازعات ..... ص: 250

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک و هى ست و أربعون آية فى الكوفى و خمس و أربعون فى البصرى و المدنيين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ النَّازِعاتِ غَرْقاً (1) وَ النَّاشِطاتِ نَشْطاً (2) وَ السَّابِحاتِ سَبْحاً (3) فَالسَّابِقاتِ سَبْقاً (4)
فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً (5) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (7) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ (8) أَبْصارُها خاشِعَةٌ (9)
يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحافِرَةِ (10) أَ إِذا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً (11) قالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ (12) فَإِنَّما هِىَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ (13) فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (14)

---

(1) سورة 69 الحاقة آية 25
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 251
أربع عشرة آية.
قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً «عظاماً ناخرة» بألف، الباقون «نخرة» بلا ألف من قرأ «ناخرة» اتبع رؤس الآى نحو (الساهرة، و الحافرة) و من قرأ نخرة- بلا ألف- قال لأنه الأكثر فى كلام العرب، و لما
روى عن على عليه السلام انه قرأ «نخرة»
و قال النحويون: هما لغتان مثل باخل و بخل، و طامع و طمع. و قال الفراء النخرة البالية و الناخرة المجوفة.
و قوله «وَ النَّازِعاتِ» قسم من اللّه تعالى بهذه الأشياء التى عددها. و قال قوم: تقديره و رب النازعات و ما ذكر بعدها، لأنه لا يجوز اليمين إلا باللّه تعالى.
و هو ترک الظاهر. و
قد روينا عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام أن للَّه تعالى أن يقسم بما يشاء من خلقه، و ليس لخلقه أن يقسموا إلا به.
و إنما كان كذلک، لأنه من باب المصالح التى يجوز أن تختلف به العبادات، و إنما جاز أن يقسم هو تعالى بما شاء من خلقه، للتنبيه على موضع العبرة فيه إذ القسم يدل على عظم شأن المقسم به.
و معنى (النازعات) الملائكة تنزع الأرواح من الأبدان، فالنازعات الجاذبات الشىء من أعماق ما هو فيه. و قال الحسن و قتادة: هى النجوم أى تنزع من أفق السماء إلى أفق آخر. و قال عطاء: هى القسى تنزع بالسهم. و قال السدى: هى النفوس تنزع بالخروج من البدن. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 252
و قوله «غَرْقاً» معناه إغراقاً أى ابعاداً فى النزع.

و قوله «وَ النَّاشِطاتِ نَشْطاً» قيل: هى الخارجات من بلد إلى بلد بعيد الاقطار ينشط كما ينشط الوحش بالخروج من بلد إلى بلد. و الهموم تنشط بصاحبها أى تخرج به من حال إلى حال، قال هيبان بن قحافة:
أمست همومى تنشط المناشطا الشام طوراً ثم طوراً واسطا «1»
و قال ابن عباس: هى الملائكة أى تنشط بأمر اللّه إلى حيث كان. و قال قوم: هو ملک الموت ينشط روحه من خلقه، و قال قوم: هى النجوم تنشط من المشرق إلى المغرب. و قال عطاء: هى الوحش تنشط من بلد إلى بلد قال رؤية:
تنشط منها كل معلاه الوهق يعنى بقر الوحش. قال الفراء: تنشط نفس المؤمن كما ينشط العقال من يد البعير. قال ابن خالويه، و اكثر ما سمعته أنشطته بالألف، قالوا: كأنه انشط من عقال. فإذا شددت الحبل فى يد البعير قلت: نشطته و إذا حللته قلت أنشطته.
و قوله «وَ السَّابِحاتِ سَبْحاً» معناه المارات بغوص معظمها فى المائع و قد يكون ذلک فى الماء و قد يكون فيما جرى مجراه، و ذلک كسبح دود الخل، و قد يكون السبح فى الهواء تشبيهاً بالماء. و قال مجاهد: السابحات الملائكة، لأنها تسبح فى نزولها بأمر اللّه كما يقال:
الفرس يسبح فى جريه إذا أسرع. و قال قتادة: هى النجوم أى تسبح فى فلكها.
و قال عطاء: هى السفن. و قال قوم: هو ملک الموت يقبض روح المؤمن وحده سهلا سرحاً كالسابح فى الماء.
و قوله «فَالسَّابِقاتِ سَبْقاً» يعنى الكائنات قبل غيرها على معنى صفة من الصفات. و قال مجاهد: هى الملائكة، لأنها سبقت إلى طاعة اللّه. و قال قوم: لأنها

---

(1) القرطبى 19/ 190 و مجاز القرآن 2/ 284

تسبق الشياطين إلى الوحى. و قال عطاء: هى الخيل السابقة. و قيل: هى النجوم- ذكره قتادة- أى يسبق بعضها بعضاً فى السير.
و قوله «فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً» قال ابن عباس و قتادة و عطاء بن السائب: هى الملائكة تدبر الأشياء. و قيل: تدبير الملائكة فى ما وكلت به من الرياح و الأمطار و نحو ذلک من الأمور. و جواب القسم محذوف، كأنه قال: ليبعثن للجزاء و الحساب ثم بين أى وقت يكون الجزاء و الثواب و العقاب، فقال «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ» فالرجف حركة الشىء من تحت غيره بترديد و اضطراب، و هى الزلزلة العظيمة رجف يرجف رجفا و رجفا و رجوفا، و أرجفوا إذا أزعجوا الناس باضطراب الأمور، كما ينزعج الذى يرجف ما تحته، و منه الرجفة و هى الزعزعة الشديدة من تحت ما كان من الحيوان. و قيل:

ان الأرض مع الجبال تتزعزع.
و قوله «تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ» و معناه تتبع الراجفة الرادفة أى تجىء بعدها، و هى الكائنة بعد الاول فى موضع الردف من الراكب، ردفهم الأمر ردفاً فهو رادف، و ارتدف الراكب إذا اتخذ رديفاً. و قال الحسن و قتادة: هما النفختان: أما الاولى فتميت الأحياء، و أما الثانية فتحى الموتى بإذن اللّه.
و قوله «قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ» أى كائنة على الانزعاج و الاضطراب، و جفت تجف وجفاً و وجيفاً و أوجف فى السير إذا أزعج الركاب فيه. و قال ابن عباس:
معنى «واجِفَةٌ» أى خائفة.
و قوله «أَبْصارُها خاشِعَةٌ» أى خاضعة ذليلة من هول ذلک اليوم قال الشاعر:
لما اتى خبر الزبير تهدمت سور المدينة و الجبال الخشع «1»
و قوله «يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحافِرَةِ» حكاية عما قاله الكافرون

---

(1) مر فى 1/ 312، 204 و 7/ 152، 209 و 8/ 369

المنكرون للبعث و النشور، فإنهم ينكرون النشر و يتعجبون من ذلک، و يقولون على وجه الإنكار أئنا لمردودون فى الحافرة. و قيل: حافرة بمعنى محفورة، مثل «ماءٍ دافِقٍ» «1» بمعنى مدفوق. و قال ابن عباس و السدى: الحافرة الحياة الثانية.
و قيل: الحافرة الأرض المحفورة. أى نرد فى قبورنا بعد موتنا أحياء؟! قال الشاعر:
ا حافرة على صلع و شيب معاذ اللَّه من جهل و عار «2»
فالحافرة الكائنة على حفر أول الكرة يقال: رجع فى حافرته إذا رجع من حيث جاء، و ذلک كرجوع القهقرى، فردوا فى الحافرة أى ردوا كما كانوا أول مرة، و يقال: رجع فلان على حافرته أى من حين جاء. و قولهم: النقد عند الحافرة معناه إذا قال بعتک رجعت عليه بالثمن. و قال قوم: معناه النقد عند حافر الدابة.
و قوله «فَإِنَّما هِىَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ» أى النفخة الثانية «فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ» أى على وجه الأرض، فالعرب تسمى وجه الأرض من الفلاة ساهرة أى ذات سهر لأنه يسهر فيها خوفا قال أمية بن أبى الصلت:
و فيها لحم ساهرة و بحر و ما فاهوا به لهم مقيم «3»
و قال آخر:
فإنما قصرک ترب الساهرة ثم تعود بعدها فى الحافرة
من بعد ما كانت عظاماً ناخره «4»
و قال الحسن و قتادة و مجاهد و الضحاک: الساهرة وجه الأرض. و قال قوم

---

(1) سورة 86 الطارق آية 8
(2) تفسير القرطبى 19/ 195 و الطبرى 30/ 19
(3) القرطبى 19/ 197
(4) اللسان (نخر)
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 255
«بِالسَّاهِرَةِ» أى من بطن الأرض إلى ظهرها. و قالوا أيضاً منكرين للبعث «أَإِذا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً» نرد و نبعث. و العظام جمع عظم، و هى مأخوذة من العظم و ذلک لعظم صلابتها و عظمها فى نفسها. و النخرة البالية بما حدث فيها من التغيير و اختلال البنية، جذع نخر إذا كان بهذه الصفة، و إذا لم تختل بنيته لم يكن نخراً و إن بلى بالوهن و الضعف. و قيل: ناخرة مجوفة ينخر الرياح فيها بالمرور فى جوفها و قيل: ناخرة و نخرة سواء، مثل ناخل و نخل، و نخرة أوضح فى المعنى، و ناخرة أشكل برءوس الآى. و قيل: نخرة بالية مجوفة بالبلى.
ثم حكى ايضاً ما قالوه، فإنهم «قالُوا تِلْکَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ» فالكرة المرة من المرّ و هى الواحدة من الكر، كرّ يكر كرة، و هى كالضربة الواحدة من الضرب.
و الخاسر الذاهب رأس ماله فتلک الكرة كأنه قد ذهب رأس المال منها، فكذلک الخسران. و إنما قالوا «كَرَّةٌ خاسِرَةٌ» أى لا يجىء منها شىء كالخسران الذى لا يجىء منه فائدة. و كأنهم قالوا: هو كالخسران بذهاب رأس المال، فلا يجىء به تجارة، فكذلک لا يجىء بتلک الكرة حياة. و قيل معنا «تِلْکَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ» على ما تعدنا من العذاب. و قال الحسن: معناه كاذبة ليست كائنة.

هَلْ أَتاکَ حَدِیثُ مُوسی (15) إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً (16) اذْهَبْ إِلی فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغی (17) فَقُلْ هَلْ لَکَ إِلی أَنْ تَزَکَّی (18) وَ أَهْدِیَکَ إِلی رَبِّکَ فَتَخْشی (19)
فَأَراهُ الْآیَةَ الْکُبْری (20) فَکَذَّبَ وَ عَصی (21) ثُمَّ أَدْبَرَ یَسْعی (22) فَحَشَرَ فَنادی (23) فَقالَ أَنَا رَبُّکُمُ الْأَعْلی (24)
فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَکالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولی (25)

احدى عشرة آية.
قرأ ابن كثير و ابو عمرو و نافع «طوى اذهب» غير منونة. الباقون «طوى اذهب» منونة. و قرأ نافع «تزكى» مشددة الزاى بمعنى تتزكى، فأدغم التاء فى الزاى. الباقون خفيفة الزاى، فحذفت احدى التاءين. قال ابو عمرو:
يقال: تزكى مشدداً إذا أردت تتصدق، و لم يدع موسى فرعون إلى ان يتصدق، و هو كافر. و إنما قال له هل لک ان تصير زاكياً، قال: فالتخفيف هو الاختيار.
و من نون (طوى) جعله اسم واد، و من لم ينون جعله اسم الأرض، لأنه معدول من (طاو). و من كسر الطاء قال: قدس مرتين، و تبين فيه البركة مرتين، مثل ثنى و عدى.
هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله يقول له «هَلْ أَتاکَ» يا محمد «حَدِیثُ مُوسی» فلفظه لفظ الاستفهام و المراد به التقرير «إِذْ ناداهُ رَبُّهُ» أى حين ناداه اللَّه «بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً» فالنداء الدعاء على طريقة يا فلان، و الندا مدّ الصوت بندائه، فمعنى «ناداهُ» قال له يا موسى. ثم أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغى و (الوادى المقدس) يعنى المطهر و (طوى) قال مجاهد و قتادة: واد، و قيل طوى التقديس. و قرأ الحسن «طوى» بكسر الطاء. و قيل طوى بالبركة و التقديس بندائه مرتين، قال طرفة بن العبد:
أعاذل إن اللوم فى غير كنهه على طوى من غيک المتردد «1»
أى اللوم المكرر، و (طوى) غير مصروف، لأنه اسم البقعة من الوادى

---

(1) مر فى 7/ 165

و هو معرفة، و يجوز أن يكون معدولا من (طاوى) فى قول الزجاج.
و قوله «اذْهَبْ إِلی فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغی» اخبار من اللَّه- عز و جل- عن حال فرعون بأنه طغى، و معناه تجاوز الحد فى الاستعلاء، و التمرد و الفساد،

يقال طغى يطغى طغياناً فهو طاغ، و نظيره البغى، بغى على الناس يبغى بغياً فهو باغ و هم البغاة و الطغاة، و نظير الطغيان العدوان، و هو المجاوزة لحد الصغيرة، و كل من طغى فقد عتا و اعتدى.
ثم ذكر ما أمره أن يقول له بأن قال «فَقُلْ هَلْ لَکَ إِلى أَنْ تَزَکَّى» أى ادعوه إلى اللّه و طريق الجنة، و «قل» على وجه التلطف فى الكلام «هَلْ لَکَ إِلى أَنْ تَزَکَّى» و تطهر من المعاصى، فالتزكى طلب الطالب أن يصير زاكياً، تزكى يتزكى تزكياً، و الزاكى النامى فى الخير، و الزكاء النماء فى الخير، و لو نمى فى الشر لم يكن زاكياً «وَ أَهْدِيَکَ إِلى رَبِّکَ فَتَخْشى» معناه و أهديک الى طريق الحق الذى إذا سلكته وصلت إلى رضى اللّه و ثوابه، فالهداية الدالة على طريق الرشد من الغى.
و قد يكون دلالة على معنى ليس برشد و لا غى كالدلالة على الحركة فقط.
و قوله «فَتَخْشى» فالخشية توقع المضرة من غير قطع بها لا محالة، و الخشية و الخوف و التقية نظائر، يقال: خشى يخشى خشية، فهو خاش، و ذاک مخشى. و فى الكلام حذف و تقديره فأتاه فدعاه «فَأَراهُ الْآيَةَ الْكُبْرى» و قوله «فَكَذَّبَ وَ عَصى» حكاية عن فرعون أنه كذب موسى فى ما دعاه اليه و جحد نبوته و عصاه فى ما أمره به من طاعة اللّه «ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعى» أى ولى فرعون الدبر بعد ذلک، فالادبار تولية الدبر، و نقيضه الإقبال و أقبل فلان إذا استقامت له الأمور على المثل أى هو كالمقبل إلى الخير، و أدبر فلان إذا اضطربت عليه حاله، ففرعون ولى الدبر ليطلب ما يكسر به حجة

موسى عليه السلام فى الآية الكبرى، و هى المعجزة العظيمة، فما ازداد إلا غواية، لأنه لا يقاوم الضلال الحق.
و قوله «ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعى» فالسعى الاسراع فى المشى، و فى إدباره يسعى فى هذه الحال دليل على خوفه. و قيل: إنه لما رأى العصا انقلبت حية فى عظمها خاف منه، فأدبر يسعى.
و قوله «فَحَشَرَ فَنادى» فالحشر الجمع من كل جهة، و قد يكون الجمع بضم جزء إلى جزء، فلا يكون حشراً، فإذا جمع الناس من كل جهة، فذلک الحشر، و لهذا سمى يوم الحشر. و الحاشر الذى يجمع الناس من كل جهة إلى الخراج، و إنما طلب السحرة، فلما اجتمعوا ناداهم فقال لهم «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى» فالأعلى المختص بعلو معنى صفته على غيره مما لا يناله بكيد و ينال هو به، و من هنا خرج بالغلو الى التعظيم، و لم يكن مثل ذلک فى جهة من الجهات، و كأنه قال: أنا الذى أنال بالضرر من شئت و لا ينالنى غيرى. و كذب- لعنه اللّه- إنما هذه صفة الذى خلقه و خلق جميع الخلق، و معنى «نادى» هاهنا قال: يا معشر الناس أنا ربكم الأعلى، إذ نادى بهذا القول. و قيل: كلمته الاولى «ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِى» «1» و قوله الآخر هذا «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى» ذكره ابن عباس و مجاهد و الشعبى و الضحاک.

ثم حكى تعالى ما عامله به من العقاب فقال (فَأَخَذَهُ اللّهُ نَكالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولى) فالنكال عقاب بنكل من الاقدام على سببه بشدته، نكل به تنكيلا إذا شوه به فى عقابه بما يكون زاجراً لغيره عن مثل حذيه أشد الزجر الذى يزعج النفس. و قال الحسن و قتادة: معناه عذاب الدنيا و عذاب الآخرة. و قال مجاهد: أول عمله و آخره و قال بعضهم: نكاله فعلته الأولى، و هو قوله (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِى)

---

(1) سورة 28 القصص آية 38

و فعلته الأخيرة هو قوله (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى) و قال قوم: معناه نكال الدنيا بالغرق و نَكالَ الْآخِرَةِ ما صار اليه بعد الموت من العقاب. و قال الحسن (الْآيَةَ الْكُبْرى) اليد البيضاء. و قال غيره: قلب العصا حية.

إِنَّ فِی ذلِکَ لَعِبْرَةً لِمَنْ یَخْشی (26) أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها (27) رَفَعَ سَمْکَها فَسَوَّاها (28) وَ أَغْطَشَ لَیْلَها وَ أَخْرَجَ ضُحاها (29) وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها (30)
أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَ مَرْعاها (31) وَ الْجِبالَ أَرْساها (32) مَتاعاً لَکُمْ وَ لِأَنْعامِکُمْ (33)
ثمان آیات.
یقول اللّه تعالی بعد ما ذکر ما تقدم من قصة موسی و فرعون و ما فعله الله بقوم فرعون من الإهلاک و الدمار (إِنَّ فِی ذلِکَ لَعِبْرَةً) یعنی فیما قصه و اخبر به دلالة یمکن أن یعتبر بها العامل العاقل، فیعرف الحق و یمیز بینه و بین الباطل، یقال: اعتبرته اعتباراً و عبرة، و منه العبارة لأنه یعبر بالمعنی فیها الی نفس المخاطب للافهام، و منه عبور النهر و تعبیر الرؤیا بإخراج ما فیها بعبورها المعنی إلی النفس السائلة عنها.
و قوله (لِمَنْ یَخْشی) إنما خص من یخشی بالعبرة، لأنه الذی یعتبر بها و ینتفع بالنظر فیها دون الکافر الذی لا یخشی عذاب الله، کما قال (هُدیً لِلْمُتَّقِینَ) «1».

---

(1) سورة 2 البقرة آیة 2

ثم خاطب الکفار الجاحدین بالله تعالی علی وجه التبکیت لهم و التوبیخ (أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً) و معناه أ أنتم أشد أمراً بصغر حالکم (أَمِ السَّماءُ) فی عظم جرمها و شأنها فی وقوفها و سائر نجومها و أفلاکها. قال بعض النحویین (بناها) من صلة السماء.
و المعنی أم التی بناها. و قال آخرون (السماء) لیس مما یوصل، و لکن المعنی أ أنتم أشد خلقاً أم السماء أشد خلقاً. ثم بین کیف خلقها فقال (بناها) و الله تعالی لا یکبر علیه خلق شیء أشد من خلق غیره، و إنما أراد أنتم أشد خلقاً عندکم و فی ظنکم مع صغرکم أم السماء مع عظمها و شدة إحکامها؟ و بین انه تعالی بنی السماء و (رَفَعَ سَمْکَها) یعنی ارتفاعها، فالسمک مقابل للعمق، و هو ذهاب الجسم بالتألیف فی جهة العلو، و بالعکس منه العمق. و الطول ذهاب الجسم فی جهة الطول. و العرض ذهابه فی جهة العرض، و هو بالاضافة الی ما یضاف الیه.
و قوله (فَسَوَّاها) فالتسویة جعل أحد الشیئین علی مقدار الآخر علی نفسه او فی حکمه، و کل ما جعل فی حقه علی ترتیبه مع غیره فقد سوی، فلما کان کل شیء من السماء مجعولا فی صفة علی ترتیبه مع غیره کانت قد

سويت على هذا الوجه.
و قوله (وَ أَغْطَشَ لَيْلَها) قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاک و ابن زيد:
معناه اظلم ليلها. و قال ابو عبيدة: كل أغطش لا يبصر. و قال: ليلها أضاف الظلام الى السماء لان فيها ينشأ الظلام و الضياء بغروب الشمس و طلوعها على ما دبرها الله.
و قوله (وَ أَخْرَجَ ضُحاها) قال مجاهد و الضحاک أخرج نورها.
و قوله (وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها) قال مجاهد و السدى: معناه دحاها مع ذلک، كما قال (عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِکَ) أى مع ذلک. و قال ابن عباس: ان الله دحا الأرض بعد السماء، و إن كانت الأرض خلقت قبل السماء، و معنا دحاها بسطحها دحا يدحو دحواً و دحيت ادحى دحياً لغتان، قال أمية بن أبى الصلت:

دار دحاها ثم أعمر بابها و اقام بالأخرى التى هى أمجد «1»
و قال أوس بن حجر:
ينفى الحصا عن جديد الأرض مبترک كأنه فاحص أو لاعب داح «2»
و قوله «أَخْرَجَ مِنْها» يعنى من الأرض «ماءَها» يعنى المياه التى تخرج من الأرض و فيها منافع جميع الحيوان، و به قوام حياتهم كما قال «وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» «3» «وَ مَرْعاها» أى و اخرج المرعى من الأرض، و هو النبات الذى يصلح أن ترعاه الماشية، فهى ترعاه بأن تأكله فى موضعه، رعت ترعى رعياً و مرعى، و سمى النبات الذى يصلح أن يرعى به.
و قوله «وَ الْجِبالَ أَرْساها» أى و اثبت الجبال فى الأرض. و الارساء الإثبات بالثقل، فالسفينة ترسو أى تثبت بثقلها، فلا تزول عن مكانها، و ربما ارست بالبحر بما يطرح لها. فأما الجبال فإنها أوتاد الأرض، و أرسيت بثقلها، و فى جعلها على الصفة التى هى عليها أعظم العبرة.
و قوله «مَتاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعامِكُمْ» أى خلقنا ما ذكرناه من الأرض و ما يخرج منها من المياه و المراعى نفعاً و متعة تنتفعون بها معاشر الناس و ينتفع بها أنعامكم: الإبل و البقر و الغنم، ففى الأشياء التى عددها أعظم دلالة و أوضح حجة على توحيد الله، لأن الأرض مع ثقلها الذى من شأنه ان يذهب سفلا هى واقفة بإمساک الله تعالى، و هى على الماء. و من شأن الماء أن يجرى فى المنحدر، و هى واقفة بإمساک الله تعالى فقد خرجت عن طبع الثقيل، و ذلک لا يقدر عليه غير القادر لنفسه الذى يخترع

---

(1) تفسير الطبرى 30/ 26 [.....]
(2) ديوانه 16 و مقاييس اللغة 1/ 230
(3) سورة 21 الأنبياء آية 30

الأشياء اختراعاً، دون القادر بقدرة الذى لا يقدر أن يفعل فى غيره إلا على وجه التولية بأن يعتمد عليه، فدل ذلک على ان الفاعل لهذه الأشياء لا يشبه الأشياء و لا تشبهه. و فى إخراج الماء من الأرض عبر لا تحصى كثرة بما فيه من المنفعة، و ما له من المادة على موضع الحاجة، و سد الخلة مع ما فيه من المنفعة و التوفيق فى السير الى المكان البعيد بالسهولة، كل ذلک منّ اللّه تعالى به على خلقه و أنعم به عليهم.
و قوله «متاعاً» نصب على المفعول له، و تقديره اخرج منها ماءها و مرعاها للامتاع لكم لان معنى أخرج منها ماءها و مرعاها أمتع بذلک.

فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرى (34) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ ما سَعى (35) وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى (36) فَأَمَّا مَنْ طَغى (37) وَ آثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى (39) وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى (41) يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها (42) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها (43) إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها (44) إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها (45) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها (46)

ثلاث عشرة آية.

قرأ ابو جعفر و عياش عن أبى عمرو «إنما أنت منذر من يخشاها» بالتنوين. الباقون على الاضافة. و المعنى واحد. فمن نون جعل «من» فى موضع النصب. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 263

و إنما اختار ذلک، لأنه جعله «منذراً» فى الحال. و من اضافه استخف ذلک كما استخف فى قوله «عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ» «1» و التنوين مقدر، لان المعنى إنه منذر فى الحال، و فيما بعد. و من أضاف جعلها فى موضع جر. و المنذر النبى صلى اللّه عليه و آله قال الله تعالى «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» «2» قال قوم: المنذر النبى صلى اللّه عليه و آله و الهادى على عليه السلام، و قيل «لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ» داع يدعوهم الى الحق.

يقول الله تعالى مهدداً للمكلّفين من خلقه «فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرى» قال ابن عباس: الطامة القيامة. و قال الحسن: الطامة هى النفخة الثانية. و قيل: هى الصيحة التى تطمّ على كل شىء، و هى الصيحة التى يقع معها البعث و الحساب و العقاب و الثواب. و قيل هى الطامة الغامرة الهائلة، و فى المثل: ما من طامة إلا و فوقها طامة قال الفراء: يقال: تطم على كل شىء يطم. و قال قوم: الطامة الغامرة، لما يتدفق بغلظها و كثرتها. و قيل: هى الغاشية المجللة التى تدفق الشىء بالغلظ. ثم بين متى مجيئها فقال «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ ما سَعى» و معناه تجىء الطامة فى يوم يتذكر الإنسان ما عمله فى دار التكليف من خير او شر و سعى فيه، و يعلم ما يستحقه من ثواب و عقاب «وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى» أى لمن يراها و يبصرها شاهداً، فالتبريز اظهار الشىء بمثل التكشيف الذى يقضى اليه بالاحساس، و يقال: فلان مبرز فى الفضل إذا ظهر به أتم الظهور، و بارز قرنه أى ظهر اليه من بين الجماعة.

ثم قسم احوال الخلق فى ذلک اليوم من العصاة و المطيعين، فقال «فَأَمَّا مَنْ طَغى» بأن تجاوز الحد الذى حده اللّه، و ارتكب المعاصى و الطغيان العصيان بمجاوزة الحد فيه الى الافراط فيه، فكل كافر طاغ بافراطه فى

ظلم نفسه، و ظلم النفس كظلم غيرها فى التعاظم. و قوله «وَ آثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا» معناه اختار منافع الحياة الدنيا

---

(1) سورة 46 الأحقاف آية 24
(2) سورة 13 الرعد آية 8

بارتكاب المعاصى و ترک ما وجب عليه، فالإيثار إرادة الشىء على طريقة التفضيل له على غيره، و مثله الاختيار، لأنه يختاره على انه خير من غيره، فمن آثر الأدنى على الاولى فهو منقوص بالحاجة، كما ان من آثر القبيح على الحسن كان منقوصاً.
و قيل: المعنى من آثر نعيم الحياة الدنيا على نعيم الآخرة و الحياة حياتان: حياة الدنيا و هى المنقطعة الفانية، و حياة الآخرة، و هى الدائمة، فمن آثر الباقى الدائم على الفانى المنقطع كان حسن الاختيار، و من آثر الفانى على الباقى كان سىء الاختيار مقبحاً.
ثم بين تعالى ما له فى الآخرة فقال «فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى» اى النار مثواه و مستقره و موضع مقامه.
ثم ذكر من هو بضد ذلک فقال «وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ» و معناه من خاف مقام مسألة ربه عما يجب فعله أو تركه و عمل بموجب ذلک بأن فعل الطاعة و أمتنع من المعصية «و نهى نفسه عن الهوى» و ما تدعو اليه شهواته، فالهوى اريحية فى النفس تدعو إلى ما لا يجوز فى العقل، فاتباع الهوى مذموم، و ليس يجوز أن يعمل شيئاً لداعى الهوى و إن عمل لداعى العقل على موافقة الهوى لم يضره. و قيل:
هم قوم صغرت الدنيا فى عينهم حين رأوا الآخرة- ذكره قتادة- و قيل: الزهد فى الدنيا، و الرغبة فى الاخرة هو التمسک بطاعة اللّه و اجتناب معصيته.
ثم بين تعالى ما له فى مقابلة ذلک من الثواب، فقال «فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى» أى هى مقره و مأواه، فالالف و اللام تعاقب الضمير كقولهم مررت بحسن الوجه أى حسن وجهه. و قال الزجاج: تقديره هى المأوى له و لا يكون بدلا من الهاء كما لا يكون بدلا من الكاف فى قولک غض الطرف، قال: و قال الشاعر:
فغض الطرف إنک من نمير فلا سعداً بلغت و لا كلابا «1»

---

(1) مر فى 9/ 341

و يروى (فلا كعباً) و الجنة البستان الذى يجنه الشجر فجنة الخلد بهذه الصفة على ما فيها من القصور و الابنية الحسنة التى قد جمعت كل تحفة و طرفة مما تشتهى الأنفس و تلذ الأعين، من غير أذى ملحق بحال فى عاجل

و لا آجل. و روى أن قصورها مبنية بفاخر الجوهر من الياقوت و الزبرجد، و منه ما هو بلبنة من فضة و لبنة من ذهب، فتعظيم اللّه لها و تشويقه اليها يدل على أنها على اجل حال تشتهى فيها مع أنه لا يتعاظم فى مقدور اللّه- عز و جل-.
ثم خاطب النبى صلى اللّه عليه و آله، فقال «يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها» أي متى يكون قيامها على ما وصفها ف (أيان) بمعنى (متى) الا أن (متى) أكثر استعمالا فى السؤال عن الزمان و نظيرها (أين) فى السؤال عن المكان. و لذلك فسرت (أيان) ب (متى) و الارساء الثبوت من قولهم: رست السفينة ترسو رسوا فهى راسية إذا ثبتت و منه. قوله «أرساها» و يجوز أن يكون المراد بالمرسى المصدر.
و يجوز أن يكون وقت الارساء و المعنى متى ثبت أمرها بقيامها.
و قوله «فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها» أى انه ليس عندک علم متى تكون، و إنما عندک علم أنها تكون- ذكره الحسن- و قال غيره: هى حكاية قولهم، أى قد أكثرت من ذكرها، فمتى تكون؟. و قوله «إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها» أى قل لهم إلى اللّه تعالى إجراؤها، فالمنتهى موضع بلوغ الشىء، و كأنه قيل: إلى ربک منتهى أمرها بإقامتها لان منتهى أمرها بذكرها و وصفها و الإقرار بها إلى الرسول بإقامتها، و منتهى أمرها إقامتها إلى اللّه تعالى لا يقدر عليه إلا اللّه تعالى. و قيل: المعنى إلى ربک منتهى علمها أى لا يعلم إلا هو متى وقت قيامها- ذكره الحسن-.
و قوله «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها» خطاب من اللّه للنبى صلى الله عليه و آله بأنه إنما التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 266
يخوف من يخاف ذلک اليوم و هو يوم القيامة، و إنما خص الانذار بمن يخشى، لأنه لما كان المنتفع بالإنذار من يخشى فكأنه خص بالإنذار. و الكافر لما لم ينتفع بذلک فكأنه لم ينذر أصلا.
ثم بين تعالى سرعة مجيئها و قرب حضورها فقال «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها» و قال قتادة: معناه إنهم إذا رأوا الآخرة صغرت الدنيا فى أعينهم حتى كأنهم لم يقيموا بها إلا مقدار عشية أو مقدار ضحاها يعنى ضحى العشية. و أضيف الضحى إلى العشية، و ضحوة الضحى اليوم الذى يكون فيه، فإذا قلت أتيتک صباحاً و مساء، فالمعنى أتيتک العشية أو غداتها، قال الفراء: و انشدنى بعض بنى عقيل:
نحن صبحنا عامراً فى دارها عشية الهلال أو سرارها
قبل اصفرار الشمس و احمرارها «1»
أراد عشية الهلال أو عشية سرار العشية فهذا أشد من ذلک.

---

(1) القرطبى 19/ 208 و الطبرى 30/ 28

80-سورة عبس ..... ص: 267

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک، و هى اثنتان و أربعون آية فى الكوفى و المدنيين و احدى و أربعون فى البصرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
عَبَسَ وَ تَوَلَّى (1) أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى (2) وَ ما يُدْرِيکَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى (4)
أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَ ما عَلَيْکَ أَلاَّ يَزَّكَّى (7) وَ أَمَّا مَنْ جاءَکَ يَسْعى (8) وَ هُوَ يَخْشى (9)
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10)
عشر آيات.
قرأ عاصم وحده «فتنفعه الذكرى» بالنصب على أنه جواب (لعل) فجرى مجرى جواب الأمر و النهى، لان (لعل) للترجى فهى غير واجبة، كما أن الامر غير واجب فى حصول ما تضمنه. الباقون بالرفع عطفاً على (يذكر). و قرأ نافع و ابن كثير «تصدى» مشددة الصاد على أن معناه تتصدى فأدغم، أحدى التائين فى الصاد لقرب مخرجهما. الباقون «تصدى» بتخفيف الصاد بإسقاط أحدى التائين.
و قرأ ابن أبى بزة و ابن فليح عن ابن كثير «تلهى» بتشديد اللام بمعنى تتلهى، فأدغم احدى التائين فى اللام. الباقون بتخفيف اللام و حذف احدى التائين التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 268
يقول اللّه تعالى «عَبَسَ وَ تَوَلَّى» و معناه قبض وجهه و أعرض، فالعبوس تقبض الوجه عن تكره، و العبوس البسور و هو التقطيب و عبس فلان فى وجه فلان مثل كلح، و منه اشتق اسم عباس، و معنى «تَوَلَّى» أعرض و ذهب بوجهه عنه فصرفه عن ان يليه يقال: تولى عنه بمعنى أعرض عنه، و تولاه بخلاف تولى عنه، فان تولاه بمعنى عقد على نصرته، و تولى عنه أعرض.
و قوله «أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى» معناه عبس لأن جاءه الأعمى، و قال ابن خالويه: تقديره إذ جاءه الأعمى، و الأعمى المراد به عبد اللّه بن أم مكتوم- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاک و ابن زيد- و قال الفراء: كانت أم مكتوم أم أبيه.
و قال غيره: كانت أمه. و قال ابن خالويه أبوه يكنى أبا السرج. و اختلفوا فيمن وصفه اللّه تعالى بذلک، فقال كثير من المفسرين و أهل الحشو: إن المراد به النبى صلى اللّه عليه و آله قالوا و ذلک
أن النبى صلى اللّه عليه و آله كان معه جماعة من أشراف قومه و رؤسائهم قد خلا بهم فاقبل ابن أم مكتوم ليسلم فأعرض النبى صلى اللّه عليه و آله عنه كراهية أن تكره القوم إقباله عليه فعاتبه اللّه على ذلک.
و قيل: إن ابن أم مكتوم كان مسلماً، و إنما كان يخاطب النبى صلى اللّه

علیه و آله و هو لا یعلم أن رسول اللّه مشغول بکلام قوم، فیقول یا رسول اللّه.
و هذا فاسد، لان النبی صلی اللَّه علیه و آله قد أجل اللَّه قدره عن هذه الصفات، و کیف یصفه بالعبوس و التقطیب، و قد وصفه بأنه «لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ» «1» و قال «وَ لَوْ کُنْتَ فَظًّا غَلِیظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ» «2» و کیف یعرض عمن تقدم وصفه مع قوله تعالی «وَ لا تَطْرُدِ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ» «3» و من عرف النبی صلی اللَّه علیه و آله و حسن أخلاقه و ما خصه اللَّه تعالی به من مکارم الأخلاق و حسن

---

(1) سورة 68 القلم آیة 4
(2) سورة 3 آل عمران آیة 159
(3) سورة 6 الانعام آیة 52

الصحبة حتی قیل إنه لم یکن یصافح احداً قط فینزع یده من یده، حتی یکون ذلک الذی ینزع یده من یده. فمن هذه صفته کیف یقطب فی وجه أعمی جاء یطلب الإسلام، علی أن الأنبیاء علیهم السلام منزهون عن مثل هذه الأخلاق و عما هو دونها لما فی ذلک من التنفیر عن قبول قولهم و الإصغاء إلی دعائهم، و لا یجوّز مثل هذا علی الأنبیاء من عرف مقدارهم و تبین نعتهم.
و قال قوم: إن هذه الآیات نزلت فی رجل من بنی أمیة کان واقفاً مع النبی صلی اللَّه علیه و آله، فلما اقبل ابن أم مکتوم تنفر منه، و جمع نفسه و عبس فی وجهه و أعرض بوجهه عنه فحکی اللَّه تعالی ذلک و أنکره معاتبة علی ذلک.
و قوله «وَ ما یُدْرِیکَ» خطاب للنبی صلی اللَّه علیه و آله و تقدیره «قل» یا محمد «وَ ما یُدْرِیکَ لَعَلَّهُ یَزَّکَّی» و إنما أضاف العبوس إلی النبی صلی اللَّه علیه و آله من أضاف «وَ ما یُدْرِیکَ» أنه رآه متوجهاً الیه ظن انه عتب له دون أن یکون متوجهاً الیه علی أن یقول لمن فعل ذلک و یوبخه علیه. و معنی قوله «یَزَّکَّی» أی یتزکی بالعمل الصالح، فأدغم التاء فی الزای، کما أدغمت فی الذال فی قوله «یَذَّکَّرُ» و معناه یتذکر، و لا یجوز إدغام الزای فی التاء، لأنها من حروف الصفیر، و هی الصاد و السین و الزای.
و قوله «أَوْ یَذَّکَّرُ» معناه أو یتذکر ما أمره اللَّه تعالی به، و یفکر فیما أمره بالفکر فیه. و قد حث اللَّه تعالی علی التذکیر فی غیر موضع من القرآن فقال «وَ ذَکِّرْ فَإِنَّ الذِّکْری تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِینَ» «1» و قال «إِنَّما یَتَذَکَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ» «2» و ینبغی للإنسان أن یستکثر من ذکر ما یدعو إلی الحق و یصرف عن الباطل.
ثم بین انه متی یذکر «فَتَنْفَعَهُ الذِّکْری» أی الفکر فیما أمره اللَّه به من

(1) سورة 51 الذاريات آية 55
(2) سورة 23 الرعد آية 21 و سورة الزمر آية 9

القرآن و غيره من الادلة.
و قوله «أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى» معناه أما من كان غنياً أو وجدته موسراً، فالاستغناء الاكتفاء بالأمر فيما ينفى الضرر و قد يكتفى الإناء فى ملئه بما فيه، فلا يستغنى استغناء فى الحقيقة. و قوله «فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى» فالتصدى هو التعرض للشىء كتعرض العطشان للماء. و أصله الصدى، و هو العطش. و رجل صديان أى عطشان و الصدى الصوت الذى يرده الجبل أو الحمام و نحوهما، قال مجاهد: المراد ب «مَنِ اسْتَغْنى» عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة. و قال سفيان: نزلت فى العباس، فقال اللَّه تعالى «وَ ما عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى» أى قل له و ما عليك ألا يتزكى، فالتزكى هو التطهر من الذنوب، و أصله الزكاء و هو النماء، فلما كان الخير ينمى للإنسان بالتطهر من الذنوب كان تزكياً.
ثم قال «وَ أَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى وَ هُوَ يَخْشى» يعنى عبد اللَّه بن أم مكتوم جاء إلى النبى صلى اللَّه عليه و آله، و هو يخشى معصية اللَّه و الكفر، و الخشية هى الحذر من مواقعة المعصية خوفاً من عقاب اللَّه تعالى «فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى» أى تعرض عنه فالتلهى عن الشىء هو التروح بالاعراض عنه و التلهى به التروح و الإقبال عليه و منه قولهم إذا استأثر اللَّه بشىء فاله عنه أى اتركه و أعرض عنه.

كَلاَّ إِنَّها تَذْكِرَةٌ (11) فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ (12) فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (15)
كِرامٍ بَرَرَةٍ (16) قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20)
ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ (22) كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ (23)

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 271

ثلاث عشرة آية.

يقول اللّه تعالى «كَلَّا» أى ليس الأمر ينبغى أن يكون على هذا، و قوله «إِنَّها تَذْكِرَةٌ» أى كلا إن السورة تذكرة «فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ» أى التنزيل أو الوعظ.

و قال قوم: الهاء عماد، و المبتدأ محذوف و تقديره إنها هى تذكرة. و التذكرة حضور الموعظة ففيها أعظم الفائدة و فى الغفلة اكبر الآفة.

و الفرق بين التذكرة و المعرفة أن التذكرة ضد الغفلة و المعرفة تضاد الجهل و السهو، فكلاهما يتعاقبان على حال الذكر دون السهو، كتعاقب العلم و أضداده على حال الذكر دون السهو، و الذكر معظم، لأنه طريق إلى العلم بالحق من الباطل و الصحيح من الفاسد. و قيل: إن قوله «كلا» دال على أنه ليس له ان يفعل ذلک فى ما يستأنف. فاما الماضى فلم يدل على انه معصية، لأنه لم يتقدم النهى عنه.

و قوله «فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ» دليل على بطلان مذهب المجبرة فى أن القدرة مع الفعل، و أن المؤمن لا قدرة له على الكفر، و أن الكافر لا يقدر على الايمان، لأنه تعالى بين أن من شاء ان يذكره ذكره، لأنه قادر عليه.

و قوله «فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ» أى ما ذكرناه تذكرة فى صحف مكرمة أى معظمة مبجلة، و وصفت الصحف بأنها مكرمة تعظيماً لما تضمنته على الحكمة. و قوله «مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ» أى مصونة عن ان تنالها أيدى الكفار الانجاس. و قال الحسن:

مطهرة من كل دنس. و قوله «مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ» أى رفعها اللّه عن دنس الانجاس و نزهها عن ذلک. و قوله «بِأَيْدِى سَفَرَةٍ» قيل السفرة ملائكة موكلون بالاسفار من كتب اللّه. و السفرة الكتبة لاسفار الحكمة، واحدهم سافر، كقولک كاتب التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 272

و كتبة، و واحد الاسفار سفر. و أصله الكشف من الأمر، سفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها، فالكاتب يسفر بالكتاب عما فى النفس. و قال ابن عباس: السفرة الكتبة، و فى رواية أخرى عنه إنها الملائكة. و قال قتادة: هم القراء: و قيل: هم الملائكة الذين يسفرون بالوحى بين اللّه و رسوله، و سفير القوم الذى يسفر بينهم فى الصلح، و سفرت بين القوم إذا أصلحت

بينهم، قال الشاعر:
و لم أدع السفارة بين قومى و ما أمشى بغش إن مشيت «1»
و اسفر الصبح إذا أضاء. و قوله «كِرامٍ بَرَرَةٍ» من صفة السفرة، وصفهم اللَّه بأنهم كرام، و هو جمع كريم، و هو الذى من شأنه أن يأتى بالخير من جهته مهناً من غير شائب يكدره، و هى صفة مدح، و منه أخذت الكرمة لشرف ثمرتها، و الكرم يتعاظم، فالنبى أكرم ممن ليس بنبى، و المؤمن أكرم ممن ليس بمؤمن. و (البررة) جمع بار، تقول برّ فلان فلاناً يبره فهو بار إذا أحسن اليه و نفعه. و البر فعل النفع اجتلاباً للمودة. و البار فاعل البر، و جمعه بررة مثل كاتب و كتبة. و أصله اتساع النفع منه، و منه البر سمى به تفاؤلا باتساع النفع به، و منه البر لاتساع النفع به.
و رجل برّ، و امرأة برّة و الجمع بررة، و لا يجمع الا على هذا استغنا به.
و قوله «قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ» معناه لعن الإنسان، قال مجاهد: و هو الكافر. و قيل: معناه إنه حل محل من يدعى عليه بالقتل فى ماله بقبح الفعل، فيخرجه مخرج الدعاء عليه و لا يقال: إن اللَّه دعا عليه بالقتل لقبح اللفظ بذلك لما يوهم من تمنى المدعو به. و معنى «ما أَكْفَرَهُ» أى شىء اكفره؟! على وجه التقريع له و التوبيخ. و قيل معناه النفى، و تقديره ما أجحده لنعم اللَّه مع ظهورها

_____

(1) الطبرى 30/ 30 و القرطبى 19/ 214

«مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» تعجيباً له، لأنه يعلم أن اللَّه خلقه من نطفة، ثم بين تعالى مما ذا خلقه فقال «مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ» فالتقدير جعل الشىء على مقدار غيره، فلما كان الإنسان قد جعل على مقدار ما تقتضيه الحكمة فى أمره من غير زيادة و لا نقصان كان قد قدر أحسن التقدير، و دبر أحسن التدبير «ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ» أى سهل له سبيل الخير فى دينه و دنياه بأن بينه له و أرشده اليه و رغبه فيه، فهو يكفر هذا كله و يجحده و يضيع حق اللَّه عليه فى ذلك من الشكر و إخلاص العبادة. و قال ابن عباس و قتادة و السدى: يسر خروجه من بطن أمه. و قال مجاهد: سهل له طريق الخير و الشر، كقوله «إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً» «1». و قال الحسن: سبيل الخير، و قال ابن زيد: سبيل الثواب، و قال الحسن «يسره»: معناه بصره طريق الهدى و الضلال. و قيل يسر خروجه من بطن أمه، فانه كان رأسه الى رأس أمه و رجلاه إلى رجليها، فقلبه اللَّه عند الولادة ليسهل خروجه منها. و قالوا: يسرى و يسراة جمعوه على (فعلة) و أجروه مجرى (فاعل) من الصحيح.
و قوله «ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ» فالاماتة أحداث الموت. و فى الناس من قال: الاماتة عرض يضاد الحياة مضادة المعاقبة على الحال الواحدة، و هى حال

تعديل البنية الحيوانية، و ذلک أن ما لا يصح أن تحله حياة لا يصح أن يحله موت. و قال قوم: الموت عبارة عن نقض البنية الحيوانية أو فعل ما ينافى ما تحتاج اليه الحياة من الرطوبات و المعانى. و قوله «فَأَقْبَرَهُ» الإقبار جعل القبر لدفن الميت فيه، يقال:
أقبره إقباراً، و القبر الحفر المهيأ للدفن فيه، و يقال: أقبرنى فلاناً أى جعلنى اقبره فالمقبر هو اللّه تعالى يأمر عباده أن يقبروا الناس إذا ماتوا، و القابر الدافن للميت

---

(1) سورة 76 الإنسان آية 3

بيده قال الأعشى:
لو أسندت ميتاً الى نحرها عاش و لم ينقل الى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للميت الناشر «1»
و قوله (ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ) فالانشار الأحياء للتصرف بعد الموت كنشر الثوب بعد الطى انشر اللّه الموتى فنشروا كقولهم أحياهم فحيوا، و المشيئة هى الارادة و المعنى إذا شاء اللّه تعالى أن يحيى الميت أحياه- و هو قول الحسن- للجزاء بالثواب و العقاب.
و قوله (كَلَّا لَمَّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ) معناه كلا لما لم يقض ما عليه مما أمره اللّه به، لأنه قد أمره بأشياء واجبة فلم يفعلها: من إخلاص عبادته و شكره بحسب مقتضى نعمه. و قال مجاهد: لا يقضى أحد أبداً كل ما افترض اللّه عليه.

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا (27) وَ عِنَباً وَ قَضْباً (28)
وَ زَيْتُوناً وَ نَخْلاً (29) وَ حَدائِقَ غُلْباً (30) وَ فاكِهَةً وَ أَبًّا (31) مَتاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعامِكُمْ (32)
تسع آيات.
قرأ اهل الكوفة «أنا صببنا» بفتح الألف على البدل من «طعامه» أو على انه خبر مبتدإ محذوف. الباقون بالكسر على الاستئناف.
يقول اللّه تعالى لخلقه منبهاً لهم على قدرته على احياء الخلق بعد موتهم و نشرهم

---

(1) قد مر فى 4/ 460 و 7/ 496 و هو فى ديوانه 93 [.....]

و مجازاتهم بأن أمره ان ينظر إلى طعامه الذى يأكله و يتقوّته، و يفكر كيف يخلقه اللّه و يوصله اليه و يمكنه من الانتفاع به. و بين كيفية ذلك فقال «أَنَّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا» أى أنزلنا الغيث إنزالا «ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا» فالشق قطع الشىء طولا و مثله الصدع و الفرج و الفطر، و من ذلك شق الأرض و شق الخشبة و شق الشعرة فأما قطع الليطة، و قطع الشجر، فعلى خلاف ذلك، فبين تعالى أنه يشق الأرض و يخرج منها ما أنبته من أنواع النبات. و من فتح «أنا» على البدل، فعلى انه بدل اشتمال، و يكون موضعه جراً فتقديره فلينظر إلى أنا صببنا. و قال آخرون: موضعه نصب، لان الأصل ب (أنا) و (لأنا) فلما أسقط الخافض نصب على المعنى، فتقديره فلينظر الإنسان إلى حدوث طعامه او نبات طعامه، لأنه موضع الاعتبار.
و قال المبرد: تقديره فلينظر الإنسان إلى طعامه، لأنا صببنا فأخرجنا أى لهذه العلة كان طعامه، لان قوله «أَنَّا صَبَبْنَا» ليس من الطعام فى شىء، و قال ابو على:
و هو بدل الاشتمال، لان ما ذكره يشتمل على الطعام فهو بمنزلة قوله «قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ» «1».
و قوله «فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا وَ عِنَباً وَ قَضْباً وَ زَيْتُوناً ...» فالانبات إخراج النامى حالا بعد حال، يقال أنبته اللّه انباتاً فنبت نباتاً، ففاعل النبات و الانبات واحد إلا أن الانبات يؤخذ منه صفة المنبت، و النبات يؤخذ منه النابت. و ليس النبات فاعلا لكنه الصائر على تلك الصفة بتصيير غيره، غير انه لما أسند الفعل اليه اشتق له منه اسم الفاعل. و الحب جمع الحبة مثل الشعير و الحنطة و السمسم و الدخن و الارز و غير ذلك، و كذلك يسمى حب اللؤلؤ

تشبيهاً بذلک فی تدویره. و القضب الرطبة- فی قول الضحاک، و الفراء- و أهل مکة یسمون القث قضباً. و أصله فیما یقطع رطباً من

---

(1) سورة 85 البروج آیة 4- 5
التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 276
قولهم: قضبته و أقضبته قضباً إذا قطعته رطباً، و منه القضیب و المقتضب. و الزیتون معروف. و إنما ذکره اللّه تعالی لعظم النفع به و الدهن الذی یکون منه «وَ نَخْلًا» أی و أنبتنا من الأرض نخلا و هو شجر الرطب و التمر «وَ حَدائِقَ غُلْباً» فالحدیقة البستان المحوط و جمعه حدائق، و منه أحدق به القوم إذا أحاطوا به، و منه الحدقة لما أحاط بها من جفنها. و الغلب جمع أغلب و غلبا، و هی الغلاظ بعظم الأشجار، و شجرة غلباء إذا کانت غلیظة قال الفرزدق:
عوی فاثار اغلب ضیغمیاً فویل ابن المراغة ما استثارا «1»
و قوله «وَ فاکِهَةً وَ أَبًّا» یعنی ثمر الأشجار التی فیها النفع و الالذاذ، یقال تفکه بکذا إذا استعمله للاستمتاع به و الفاکهة تکون رطبة و یابسة. و الأب المرعی من الحشیش و سائر النبات الذی ترعاه الانعام و الدواب، و یقال أبّا إلی سیفه فاستله کقولک هب الیه و بدر الیه، فیکون کبدور المرعی بالخروج قال الشاعر:
جدنا قیس و نجد دارنا و لنا الأب بها و المکرع «2»
و قوله «مَتاعاً لَکُمْ وَ لِأَنْعامِکُمْ» فالمتاع کل شیء فیه الذاذ الامساس من مأکل او منظر أو مشمم أو ملمس، و أصله المصدر من قولهم: أمتعته امتاعاً و متاعاً و متع النهار إذا ارتفع، لأن ارتفاعه یستمتع به. فبین تعالی انه خلق ما خلق و أنبت ما أنبت من الأرض لامتاع الخلق به من المکلفین و أنعامهم التی ینتفعون بها.
و الانعام الماشیة بنعمة المشی من الإبل و البقر و الغنم بخلاف الحافر بشدة وطئه بحافره من الخیل و البغال و الحمیر.

فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ (35) وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37)
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38) ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (39) وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُها قَتَرَةٌ (41) أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (42)

---

(1) ديوانه 2/ 443
(2) القرطبى 19/ 220
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 277
عشر آيات.
قوله «فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ» قال ابن عباس: هى القيامة. و قيل: هى النفخة الثانية التى يحيا عندها الناس. و قال الحسن: الصاخة هى التى يصيخ لها الخلق، و هى النفخة الثانية. و الصاخة هى الصاكة بشدة صوتها الآذان فتصمها، صخ يصخ صيخاً، فهو صاخ. و قد قلبها المضاعف باكراهه التضعيف، فقال: أصاخ يصيخ اصاخة قال الشاعر:
يصيخ للنبأة أسماعه إصاخة الناشد للمنشد «1»
و مثله تظنيت، و الأصل تظننت. ثم بين شدة أهوال ذلك اليوم فقال «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ» من (أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ) من (صاحِبَتِهِ) التى هى زوجته فى الدنيا (وَ بَنِيهِ) يعنى أولاده الذكور نفر من هؤلاء حذراً من مظلمة تكون عليه. و قيل: لئلا يرى ما ينزل به من الهوان و الذل و العقاب. و قيل: نفر منه ضجراً به لعظم ما هو فيه. و قيل: لأنه لا يمكنه ان ينفعه بشىء و لا ينتفع منه بشىء و قوله (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) فالمراد به الذكر من الناس و تأنيثه امرأة، فالمعنى إن كل انسان مكلف مشغول بنفسه لا يلتفت إلى غيره، من صعوبة الأمر و شدة أهواله. و الشأن الأمر العظيم، يقال: لفلان شأن من

---

(1) القرطبى 19/ 222
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 278
الشأن أى له أمر عظيم، و أصله الواحد من شئون الرأس، و هو موضع الوصل من متقابلاته التى بها قوام أمره. و معنى (يغنيه) أى يكفيه من زيادة عليه أى ليس فيه فضل لغيره لما هو فيه من الامر الذى قد اكتنفه و ملأ صدره، فصار كالغنى عن الشىء فى أمر نفسه لا تنازع اليه.
ثم قسم تعالى احوال العصاة و المؤمنين، فقال (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ) أى مكشوفة مضيئة، فالاسفار الكشف عن ضياء من قولهم: أسفر الصبح إذا

أضاء، و سفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها، و منه السفر، لأنه يكشف عن أمور تظهر به، قال توبة الحميرى.
و كنت إذا فاجأت ليلى تبرقعت فقد رابنى منها الغداة سفورها «1»
أى كشفها قناعها. و قوله «ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ» أى من فرحها بما أعددنا لها من الثواب تكون ضاحكة مسرورة. و الضحک الاستبشار و إن أضيف إلى الوجه، فالمراد به أصحاب الوجوه، فأما الاسفار و الاشراف فيجوز ان يكون للوجوه خاصة بما جعل اللّه فيها من النور، لتفرق الملائكة بين المؤمنين و الكفار.
ثم قال «وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ» أى يكون على تلک الوجوه غبار و جمعه غبرة «تَرْهَقُها» أى تغشاها «قَتَرَةٌ» و هى ظلمة الدخان، و منه قترة الصائد موضعه الذى يدخن فيه للتدفى به.
ثم اخبر أن من كان على وجهه الغبرة التى تغشاها القترة «هُمُ الْكَفَرَةُ» جمع كافر «الْفَجَرَةُ» جمع فاجر، كما أن كاتباً يجمع كتبة، و ساحراً يجمع سحرة. و ليس فى ذلک ما يدل على مذهب الخوارج من ان من ليس بمؤمن لا بد أن يكون كافراً من حيث أن اللّه قسم الوجوه هذين القسمين. و ذلک انه تعالى ذكر قسمين من

---

(1) الطبرى 30/ 34

الوجوه متقابلين، وجوه المؤمنين و وجوه الكفار، و لم يذكر وجوه الفساق من أهل الملة. و يجوز ان يكون ثَم صفة اخرى بخلاف ما لهذين، بان يكون عليها غبرة لا يغشاها قترة او يكون عليها صفرة، و لو دل ذلک على ما قالوه لوجب أن يدل قوله «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ» «1» على أن كل من لا يبيض وجهه من المؤمنين يجب أن يكون مرتداً، لأنه تعالى قال لهم «أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ» «2» و الخوارج لا تقول ذلک، لان من المعلوم ان- هاهنا- كفاراً فى الأصل ليسوا مرتدين عن الايمان.

81-سورة التكوير ..... ص: 279

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک، و هى تسع و عشرون آية بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَ إِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ (3) وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ (4)
وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ (6) وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9)
وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَ إِذَا السَّماءُ كُشِطَتْ (11) وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ (14)

(1، 2) سورة 3 آل عمران آية 106

أربع عشرة آية.
قرأ ابن كثير و اهل البصرة «سجرت» خفيفة الجيم. الباقون بتشديدها و قرأ اهل المدينة و ابن عامر و حفص عن عاصم «نشرت» خفيفة الشين. الباقون بالتشديد. و قرأ نافع و باقى أهل المدينة و ابن عامر فى رواية ابن ذكوان و عاصم إلا يحيى و رويس «سعرت» بتشديد العين. الباقون بتخفيفها و قرأ ابو جعفر «قتلت» مشددة التاء، الباقون بتخفيفها.
يقول اللّه تعالى مخبراً عن وقت حضور القيامة و حصول شدائدها «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» فاللفظ و إن كان ماضياً فالمراد به الاستقبال، لأنه إذا اخبر تعالى بشىء فلا بد من كونه، فكأنه واقع. و الفعل الماضى يكون بمعنى المستقبل فى الشرط و الجزاء، و فى أفعال اللّه، و فى الدعاء إذا تكرر كقولك حفظك اللّه و أطال بقاءك.
و معنى (كورت)- فى قول ابن عباس و أبى بن كعب و مجاهد و قتادة و الضحاك- ذهب نورها. و قال الربيع بن خيثم: معناه رمى بها، و التكوير تلفيف على جهة الاستدارة و منه كور العمامة، كور يكور تكويراً، و منه الكارة، و يقال: كورت العمامة على رأسى اكورها كوراً و كورتها تكويراً. و يقال: طعنه فكوره أى رمى به، ذكره الأزهرى، و منه قولهم: أعوذ باللّه من الحور بعد الكور أى من النقصان بعد الزيادة فالشمس تكور بأن يجمع نورها حتى يصير كالكارة الملقاة فيذهب ضوءها و يجدد اللّه- عز و جل- للعباد ضياء غيرها.
و قوله (وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) فالنجوم جمع نجم، و هو الكوكب و جمعه

كواكب. و منه نجم النبت إذا طلع ينجم نجماً فهو ناجم، و كذلك نجم القرن، و نجم السن. و الانكدار انقلاب الشىء حتى يصير الأعلى الأسفل بما لو كان

ماء لتكدر. و قيل: اصل الانكدار الانصباب. قال العجاج:
ابصر خربان فضاء فانكدر «1»
و قال مجاهد و الربيع بن خيثم و قتادة و ابو صالح و ابن زيد: انكدرت معناه تناثرت. و قوله (وَ إِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ) فمعنى تسيير الجبال تصييرها هباء و سراباً و قوله (وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ) فالعشار جمع عشراء، و هى الناقة التى قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها، و هو مأخوذ من العشرة. و الناقة إذا وضعت لتمام ففى سنة. و قال الفراء: العشار لقح الإبل التى عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم. و قال الجبائى:
معناه ان السحاب يعطل ما يكون فيها من المياه التى ينزلها اللَّه على عباده فى الدنيا.
و حكى الازهرى عن أبى عمرو انه قال: العشار الحساب. قال الازهرى: و هذا لا أعرفه فى اللغة. و المعنى إن هذه الحوامل التى يتنافس أهلها فيها قد أهملت.
و قوله (وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) قال عكرمة: حشرها موتها. و غيره قال: معناه تغيرت الأمور بأن صارت الوحوش التى تشرد فى البلاد تجتمع مع الناس و ذلک ان اللَّه تعالى يحشر الوحوش ليوصل اليها ما تستحقه من الأعواض على الآلام التى دخلت عليها، و ينتصف لبعضها من بعض، فإذا عوضها اللَّه تعالى، فمن قال:
العوض دائم قال تبقى منعمة على الأبد. و من قال: العوض يستحق منقطعاً اختلفوا فمنهم من قال: يديمها اللَّه تفضلا لئلا يدخل على العوض غم بانقطاعه. و منهم من قال: إذا فعل بها ما تستحقه من الاعواض جعلها تراباً.

---

(1) مر فى 8/ 146

و قوله «وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ» معناه ملئت ناراً كما يسجر التنور، و أصل السجر الملأ قال لبيد:
فتوسطا عرض السرى و صدعا مسجورة متجاوز أقدامها «1»
أى مملوءة، و منه «الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ» «2» قال ابن عباس و أبى بن كعب: سجرت أوقدت، فصارت ناراً. و قال شمر بن عطية: صارت بمنزلة التنور المسجور و قال الحسن و الضحاک: معناه ملئت حتى فاضت على الأرضين فتنسقها حتى تكون لجج البحار و رؤس الجبال بمنزلة واحدة، و قيل: معنى «سُجِّرَتْ» جعل ماؤها شراباً يعذب به أهل النار. و قال الفراء: معناه افضى بعضها إلى بعض فصارت بحراً واحداً. و من ثقل أراد التكثير، و من خفف، فلأنه يدل على القليل و الكثير.
و قوله «وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ» معناه ضم كل واحد منها إلى شكله، و النفس قد يعبر به عن الإنسان و يعبر به عن الروح، و قال عمر بن الخطاب

و ابن عباس و مجاهد و قتادة: كل إنسان بشكله من أهل النار و أهل الجنة. و قال عكرمة و الشعبى: معنى زوجت ردت الأرواح إلى الأجساد. و قيل: معناه يقرن الغاوى بمن أغواه من شيطان أو إنسان.
و قوله «وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ» فالموؤدة المقتولة بدفنها حية، فكانت العرب تئد البنات خوف الاملاق، وأدها يئدها وأداً، فهى موءودة أى مدفونة حية، و على هذا جاء قوله «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ» «3» و
قال قتادة: جاء قيس ابن عاصم التميمى إلى النبى صلى اللَّه عليه و آله فقال: انى وأدت ثمانى بنات فى الجاهلية، فقال النبى صلى اللَّه عليه و آله (فأعتق عن كل واحدة رقبة) قال انى صاحب أبل. قال (فاهد إلى

---

(1) مر فى 7/ 118 و 9/ 403
(2) سورة 52 الطور آية 6
(3) سورة 6 الانعام آية 151

من شئت عن كل واحدة بدنة).
و قيل موءودة للثقل الذى عليها من التراب. و قوله «وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما» «1» أى لا يثقله، قال الفرزدق:
و منا الذى منع الوائدا ت و أحيا الوئيد فلم يوأد «2»
.و إنما يسأل عن الموؤدة على وجه التوبيخ لقاتلهما، و هو أبلغ من سؤاله، لان هذا مما لا يصلح إلا بذنب، فاى ذنب كان لک، فإذا ظهر انه لا ذنب لها جاءت الطامة الكبرى على قاتلها، لأنه رجع الأمر اليه بحجة يقرّ بها. و قال قوم:
تقديره سئلت قتلها بأى ذنب قتلت، فالكناية عنها أظهر. و روى فى الشواذ، و هو المروى عن ابن عباس و غيره من الصحابة أنهم قرءوا
«و إذا الموءودة سالت بأى ذنب قتلت» جعلوها هى السائلة عن سبب قتلها لا المسئولة و هو المروى فى اخبارنا
و قوله «وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ» فالنشر بسط المطوى، و النشر للصحف و الثياب و نحوها. و الصحف جمع صحيفة و هى الصحيفة التى فيها اعمال الخلق من طاعة و معصية، فتنشر عليه ليقف كل انسان على ما يستحقه.
و قوله «وَ إِذَا السَّماءُ كُشِطَتْ» فالكشط القلع عن شدة التزاق كشط جلدة الرأس يكشطها كشطاً إذا قلعها. فقلع السماء عن مكانها على شدة ما فيها من اعتماد كقلع جلدة الرأس عن مكانها، و الكشط و النشط واحد. و فى قراءة عبد اللَّه «وَ إِذَا السَّماءُ كُشِطَتْ».
و قوله «وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ» معناه اشتعلت و أضرمت، فالتسعير تهيج النار حتى تتأجج، و منه السعر، لأنه حال هيج الثمن بالارتفاع و الانحاط، و أسعرت الحرب و الشر بين القوم من هذا. و من شدد أراد التكثير، و من

خفف فلأنه يدل على القليل و الكثير. و قال قتادة: يسعرها غضب اللّه و خطايا بنى آدم.

---

(1) سورة 2 البقرة آية 255
(2) ديوانه 1/ 203 و اللسان (وأد)

و قوله «وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ» أى قربت من أهلها يوم القيامة فالازلاف إدناء ما يحب، و منه الزلفة القربة، و أزدلف إلى الامر إقترب منه. و منه المزدلفة لأنها قريب من مكة. و قوله «عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ» هو جواب «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» و ما بعدها من الشروط، و المعنى إن عند ظهور الأشياء التى ذكرها و عددها تعلم كل نفس ما عملته من طاعة أو معصية، و قد كان غافلا عنه. و هو كقوله «أَحْصاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ» «1».

قوله تعالى:[سورة التكوير (81): الآيات 15 الى 29] ..... ص: 284

اشارة

فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15) الْجَوارِ الْكُنَّسِ (16) وَ اللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ (17) وَ الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ (18) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19)
ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (21) وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (22) وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (23) وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (24)
وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ (25) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (26) إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ (27) لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَ ما تَشاؤُنَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ (29)

خمس عشرة آية.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو و الكسائى و رويس «بظنين» بالظاء أى ليس على الغيب بمتهم، و الغيب هو القرآن، و ما تضمنه من الأحكام و غير ذلك من اخباره عن اللّه. الباقون- بالضاد- بمعنى انه ليس بخيلا لا يمنع أحداً من تعليمه و لا يكتمه

---

(1) سورة 58 المجادلة آية 6

دونه. و فى المصحف بالضاد.

قوله «فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ» معناه اقسم و (لا) صلة. و قد بينا نظائره فيما مضى. و (الخنس) جمع خانس، و هو الغائب عن طلوع، خنست الوحشية فى الكناس إذا غابت فيه بعد طلوع. و

روى عن أمير المؤمنين عليه السلام: أن الخنس النجوم لأنها تخنس بالنهار و تبدو بالليل.

و قيل: تخنس فى مغيبها بعد طلوعها، و به قال الحسن و مجاهد. و قال ابن مسعود و سعيد بن جبير و الضحاک: هى الظباء.

و قيل: القسم بالنجوم الخنس بهرام و زحل و المشترى و عطارد و الزهرة.

و قوله «الْجَوارِ الْكُنَّسِ» معناه النجوم التى تجرى فى مسيرها ثم تغيب فى مغاربها على ما دبّره تعالى فيها ففى طلوعها، ثم جريها فى مسيرها، ثم غيبتها فى مواقفها من الآية العظيمة و الدلالة الباهرة المؤدية إلى معرفته تعالى ما لا يخفى على متأمل معرفته و عظيم شأنه، فالجارية النجوم السيارة، و الجارية السفن فى البحار، و الجارية المرأة الشابة.

و قوله «الْكُنَّسِ» نعت ل «الْجَوارِ» و هو جمع (كانس) و هى الغيب فى مثل الكناس، و هو كناس الوحشية بيت تتخذه من الشجرة تختفى فيه، قال طرفة:

كأن كناسى ضالة مكنفانها و اطرقسىّ تحت صلب مؤيد «1»
و قوله «وَ اللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ» قسم آخر، و
معنى «عسعس» أدبر بظلامه- فى قول أمير المؤمنين على عليه السلام
و ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاک و ابن زيد- و قال الحسن و مجاهد
فى رواية و الفضل بن عطية: أقبل بظلامه، و تقول العرب:
عسعس الليل إذا أدبر بظلامه. قال علقمة بن قرط:
حتى إذا الصبح لها تنفسا و انجاب عنها ليلها و عسعسا «2»

---

(1) ديوانه 25 و تفسير القرطبى 19/ 236 [.....]
(2) مجاز القرآن 2/ 288 و الطبرى 30/ 43
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 286
و قيل: عسعس دنا من أوله و اظلم، و العس طلب الشىء بالليل، عسّ
يعس عساً، و منه أخذ العسس. و قال صاحب العين: العس نقض الليل عن
أهل الريبة و العس قدح عظيم من خشب أو غيره، و كأن أصله امتلاء
الشىء بما فيه، فقدح اللبن من شأنه أن يمتلئ به، و يمتلئ الليل بما فيه
من الظلام، و عسعس أدبر بامتلاء ظلامه. و قال الحسن «وَ اللَّيْلِ إِذا
عَسْعَسَ» معناه إذا أظلم و الصبح إذا تنفس إذا أسفر.
و قوله «وَ الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ» قسم آخر بالصبح إذا أضاء و امتد ضوءه يقال:
تنفس الصبح و تنفس النهار إذا امتد بضوئه، و التنفس امتداد هواء الجوف
بالخروج من الفم و الأنف يقال: تنفس الصعداء.
و قوله «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» جواب الأقسام التى مضت، و معنى «إِنَّهُ
لَقَوْلُ» يعنى القرآن «رَسُولٍ كَرِيمٍ» و هو جبرائيل عليه السلام- فى قول
قتادة و الحسن- بمعنى إنه سمعه من جبرائيل، و لم يقله من قبل نفسه و
قال: يجوز أن يراد به محمد صلى اللّه عليه و آله فانه أتى به من عند اللّه.
و قوله (ذِى قُوَّةٍ) معناه قوى على أمر اللّه. و قيل: معناه قوى فى نفسه-
فى قول من قال: عنى به جبرائيل- لان من قوته قلبه قريات لوط بقوادم
أجنحته.
و قوله (عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ) معناه عند اللَّه صاحب العرش (مَكِينٍ) أى متمكن
عنده، و فى الكلام تعظيم للرسول بأنه كريم، و أنه مكين عند ذى العرش
العظيم و أن اللّه تعالى أكد ذلک أتم التأكيد. و قوله (مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) من
قال المراد بالرسول جبرائيل، قال معناه إنه مطاع فى الملائكة، أمين على
وحى اللّه. و من قال: عنى به الرسول صلى اللّه عليه و آله قال: معناه إنه
يجب أن يطاع و أن من أطاعه فيما يدعوه اليه كان فائزاً بخير الدنيا و
الآخرة. و يرجو بطاعته الثواب و يأمن التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص:
287
من العقاب، و إنه صلى اللَّه عليه و آله كان يدعى الأمين قبل البعث،

فالأمين هو الحقيق بأن يؤتمن من حيث لا يخون، و لا يقول الزور، و يعمل بالحق فى الأمور.
ثم خاطب تعالى جماعة الكفار فقال (وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ) أى ليس صاحبكم الذى يدعوكم إلى اللّه و إخلاص عبادته بمؤف العقل على ما ترمونه به من الجنون.
و المجنون المغطى على عقله حتى لا يدرک الأمور على ما هى به للافة الغامرة له، فبغمور الآفة يتميز من النائم، لان النوم ليس بآفة و لا عاهة.
و قوله (وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) معناه إن النبى صلى اللّه عليه و آله رأى جبرائيل عليه السلام على صورته التى خلقه اللّه عليها بالأفق المبين، فالافق ناحية من السماء يقال: هو كالنجم فى الأفق، و فلان ينظر فى أفق السماء. و قوله (مبين) أى هو ظاهر انه فى أفاق السماء من غير تخيل لا يرجع إلى يقين. و قال الحسن و قتادة: الأفق المبين حيث تطلع الشمس. و قوله (وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) قال ابن عباس و سعيد بن جبير و ابراهيم و الضحاک: معناه ليس على وحى اللّه و ما يخبر به من الاخبار بمتهم أى ليس ممن ينبغى أن يظن به الريبة، لان أحواله ناطقة بالصدق و الامانة. و من قرأ بالضاد معناه ليس ببخيل على الغيب.
و قوله (وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ) معناه أنه ليس هذا القرآن قولا لشيطان رجيم، قال الحسن: معناه رجمه اللّه باللعنة. و قيل رجيم بالشهب طرداً من السماء، فهو (فعيل) بمعنى (مفعول). و قوله (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) معناه أين تذهبون عن الحق الذى قد ظهر أمره و بدت أعلامه الى الضلال الذى فيه البوار و الهلاک، و هو استبطاء لهم فى القعود عن النبى صلى اللّه عليه و آله، و العمل بما يوجبه القرآن، فالذهاب هو المصير عن شىء الى شىء بالنفوذ فى الأمر. قال بعض بنى عقيل: التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 288
تصيح بنا حنفية إذ رأتنا و أى الأرض نذهب بالصباح «1»
.يعنى إلى أى الأرض. و قيل معناه فأى طريق يسلكون أبين من الطريق الذى بينه لكم «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ» يمكنكم أن تتوصلوا به إلى الحق. و الذكر ضد السهو و عليه يتضاد العلم و أضداده، لأن الذاكر لا يخلو من أن يكون عالماً او جاهلا مقلداً أو شاكا، و لا يصح شىء من ذلک مع السهو الذى يضاد الذكر.
و قال الرمانى: الذكر إدراک النفس الذى يضاد للمعنى بما يضاد السهو. و «العالمين» جمع عالم. و قد فسرناه فى ما مضى.
و قوله «لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ» على أمر اللّه و وعظ. و قوله «وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ» قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

و ما تشاؤن من الاستقامة إلا و قد شاءها اللَّه، لأنه قد جرى ذكرها فرجعت الكناية اليها، و لا يجوز أن يشاء العبد الاستقامة إلا و قد شاءها اللّه، لأنه أمر بها و رغب فيها أتم الترغيب، و من ترغيبه فيه إرادته له.

و ما تشاؤن شیئاً إلا أن یشاء اللَّه تمکینکم منه، لان الکلام یقتضی الاقتدار علی تمکینهم إذا شاء و منعهم إذا شاء.

و ما تشاؤن إلا أن يشاء اللَّه ان يلطف لكم فى الاستقامة لما فى الكلام من معنى النعمة.

و

روى عن النبى صلى اللَّه عليه و آله أنه قال شيبتنى (هود) و أخواتها (الواقعة) و (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) و هو جميع ما وعظ اللَّه به عباده.

فان قيل: ا ليس ان أنساً لما سئل هل اختضب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله قال ما شأنه الشيب، فقال: أو شين هو يا أبا حمزة. فقال كلكم يكرهه؟

---

(1) تفسير القرطبى 19/ 241

قيل عنه جوابان أحدهما- أنه

روى أن علياً عليه السلام لما غسل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله وجد فى لحيته شعرات بيضاء

، و ما لا يظهر إلا بعد التفتيش لا يكون شيباً. الثانى- أنه أراد لو كان أمر يشيب منه إنسان لشبت من قراءة ما فى هذه السورة، و ما فيها من الوعيد كما قال (يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى)

«1» و إنما أراد عظم الأهوال على ما بيناه.

82-سورة الانفطار ..... ص: 289

اشارة

مکیة فی قول ابن عباس و الضحاک، و هی تسع عشرة آیة بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ (1) وَ إِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ (2) وَ إِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ (3) وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (4)
عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ (5) يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِى أَىِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ (8) كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (9)
وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ (10) كِراماً كاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ (12)

---

(1) سورة 22 الحج آية 2

اثنتا عشرة آية.
قرأ أهل الكوفة (فعدلک) خفيفاً. الباقون مشدداً. و قرأ ابو جعفر (بل يكذبون) بالياء على الخبر. الباقون بالتاء على الخطاب. و ادغم حمزة و الكسائى اللام فى التاء و وافقهم الحلوانى عن هشام.
هذا خطاب من اللّه تعالى للمكلفين من عباده، و فيه تهديد و وعيد فانه يقول (إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ) يعنى انشقت، فالانفطار انقطاع الشىء من الجهات مثل تفطر، و منه الفطير قطع العجين قبل بلوغه بما هو مناف لاستوائه، فطره يفطره إذا أوجده بما هو لقطع ما يصد عنه. و الانفطار. و الانشقاق و الانصداع واحد.
و قوله (وَ إِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ) معناه إذا النجوم تساقطت و تواقعت، فالانتثار تساقط الشىء من الجهات يقال: انتثر ينتثر انتثاراً و نثره ينثره نثراً، و استنثر استنثاراً و النثر من الكلام خلاف النظم (وَ إِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ) أى خرق بعض مواضع الماء إلى بعض يقال فجر الأنهار يفجرها تفجيراً، و منه الفجر لانفجاره بالضياء، و منه الفجور لانخراق صاحبه بالخروج إلى كثير من الذنوب. و قال قتادة:
معنى فجرت أى تفجر عذبها فى مالحها، و مالحها فى عذبها.
و قوله (وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) معناه بحثرت يقال: بعثر فلان حوضه و بحثره بمعنى واحد إذا جعل أسفله أعلاه، و البحثرة إثارة الشىء بقلب باطنه إلى ظاهره.
و قال ابن عباس: بعثرت بحثت.
و قوله (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ) جواب الشرط فى قوله (إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ) و ما بعده من الشروط. و معنى (ما قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ) ما

و تركت مما يستحق به الجزاء. و قيل: معناه كل ما يستحق به الجزاء مما كان فى أول عمره او آخره. و قيل: معناه ما قدمت من عملها و ما أخرت من سنة سنتها يعمل بها- ذكره القرطبى- و قال ابن عباس و قتادة: معناه ما قدمت من طاعة أو تركت و قيل ما قدمت بعمله.
و قوله (يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ) خطاب لجميع الناس من المكلفين يقول اللَّه لهم لكل واحد منهم (ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) أى أىّ شىء غرك بخالقك حتى عصيته فيما أمرك به و نهاك عنه، فالغرور ظهور أمر يتوهم به جهل الامان من المحذور تقول:
غر يغر غروراً و اغتره يغتره اغتراراً قال الحارث ابن حلزة:
لم يغروكم غروراً و لكن رفع الآل جمعهم و الضحاء «1»
و الكريم القادر على التكرم من غير مانع، و من هذه صفته لا يجوز الاغترار به، لأن تكرمه على ما تقتضيه الحكمة من مجازاة المحسن بإحسانه و المسىء بإساءته.
قال قتادة: غر الشيطان غروراً، و قيل: غره بجهله الوجه فى طول الامهال، و قوله (الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ) نعت ل (ربك)، و هو فى موضع الجر. و قوله (فسواك) التسوية التعديل، و المراد- هاهنا- تسوية اللَّه تعالى آلته من اليدين و الرجلين و العينين و نحو ذلك (فعدّلك) فى المزاج على وجه يصح معه وجود الحياة. و من خفف الدال أراد صرفك إلى أى صورة شاء من حسن أو قبح، و من ثقل أراد جعلك معدل الخلق معتدلا. و اختار الفراء التشديد، لأن (فى) مع التعديل أحسن و (الى) مع العدل.
و قوله (فِى أَىِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ) فالصورة البنية التى تميل بالتأليف الى ممايلة الحكاية. و هى من صاره يصوره صوراً إذا ماله، و منه قوله

---

(1) مر فى 8/ 322

(فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) «1» أى املهن اليك، و لو كانت بنية من غير ممايلة لم يكن صورة. و قال مجاهد: معناه (فِى أَىِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ) من شبه أب أو أم او خال او عم.
و قال قوم: معناه فى أى صورة ما شاء ركبك من ذكر او أنثى و جسيم او نحيف و طويل او قصير و مستحسن أو مستقبح، و من قال: الإنسان غير هذه الجملة أستدل بقوله (فِى أَىِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ) قالوا لأنه بين أنه يركب القابل فى أى صورة شاء، فدل على أنه غير الصورة. و قد بينا القول فى تأويل ذلك، على أن عندهم أن ذلك الحى لا يصح عليه التركب و اللَّه تعالى بين أنه يركبه كيف شاء، و فى أى صورة شاء و ذلك خلاف مذهبهم.
ثم قال (كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) و معنى (كلا) الردع و الزجر أى ارتدعوا و انزجروا، و قيل: معناه حقاً بل تكذبون معاشر الكفار بالدين الذى هو الجزاء

من الثواب و العقاب لانكاركم البعث و النشور- ذكره مجاهد و قتادة- و قيل: بل تكذبون بالدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه و آله ثم قال مهدداً لهم (وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ) يعنى من الملائكة يحفظون عليكم ما تعملون من الطاعة و المعصية. ثم وصفهم فقال (كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ) أى لا يخفى عليهم شىء من الذى تعملونه فيثبتون ذلک كله. و قيل: إن الملائكة تعلم ما يفعله العبد إما باضطرار كما تعلم أنه يقصد إلى خطابنا و أمرنا و نهينا و إما باستدلال إذا رآه و قد ظهر منه الأمور التى لا تكون إلا عن علم و قصد من نحو التحرى فى الوزن و الكيل، و رد الوديعة و قضاء الدين مما يتعمد فيه أهل الحقوق دون غيرهم، و قال الحسن: يعلمون ما تفعلون من الظاهر دون الباطن. و قيل: بل هو على ظاهر العموم لان اللّه تعالى يعلمهم إياه.

---

(1) سورة 2 البقرة آية 260

إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِی نَعِیمٍ (13) وَ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِی جَحِیمٍ (14) یَصْلَوْنَها یَوْمَ الدِّینِ (15) وَ ما هُمْ عَنْها بِغائِبِینَ (16) وَ ما أَدْراکَ ما یَوْمُ الدِّینِ (17) ثُمَّ ما أَدْراکَ ما یَوْمُ الدِّینِ (18) یَوْمَ لا تَمْلِکُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَیْئاً وَ الْأَمْرُ یَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)

سبع آیات.

قرأ ابن کثیر و أهل البصرة (یوم لا تملک) برفع المیم. الباقون بالنصب علی الظرف، و یجوز أن ینصبه بإضمار فعل أی نقول یوم لا تملک، و من رفع استأنف و یجوز أن یجعله بدلا مما قبله. و قیل: ان (یوم) إذا أضیف إلی فعل مضارع رفع و إذا أضیف إلی فعل ماض نصب، نحو قولهم: یوم یفعل، و یوم فعل، و قال ابو علی: من رفع جعله خبر ابتداء محذوف، و تقدیره هو یوم. و من نصب فعلی أن یکون الخبر علی الجزاء، فکأنه قال الجزاء یوم لا تملک نفس.

یقول اللّه تعالی مخبراً (إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِی نَعِیمٍ) و هم الذین یفعلون الطاعات التی یستحقون بها الجنة و الثواب بأنواع اللذّات جزاء علی طاعاتهم، و اخبر أیضاً (وَ إِنَّ الْفُجَّارَ) و هم الذین خرجوا عن طاعة اللّه إلی معصیته و المراد به- هاهنا- الکفار (لَفِی جَحِیمٍ) جزاء علی کفرهم و معاصیهم (یَصْلَوْنَها یَوْمَ الدِّینِ وَ ما هُمْ عَنْها بِغائِبِینَ) یعنی لا یکونون غائبین عن الجحیم بل یکونون مؤبدین فیها، و لیس یدل ذلک علی أن فساق أهل الملة لا یخرجون من النار، لأنا بینا أن الآیة مخصوصة بالکفار من حیث بینا فی غیر موضع أن معهم ثواباً دائماً علی إیمانهم لم ینحبط لبطلان القول بالتحابط، فإذاً لا بد من إخراجهم من النار لیوفوا ثوابهم. و قوله (یَصْلَوْنَها یَوْمَ التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 294

الدِّینِ)

معناه إن الفجار یصلون فی الجحیم یوم الجزاء علی الاعمال. و سمی الإسلام دیناً لأنه یستحق به الجزاء لان أصل الدین الجزاء، و دین الیهودیة و غیرها یستحق بها العقاب. و معنی قوله (یَصْلَوْنَها) یلزمونها بکونهم فیها و منه المصطلی الملازم للنار متدفیاً بها، صلی یصلی صلا و اصطلی یصطلی اصطلاء.

و قوله (وَ ما أَدْراکَ ما یَوْمُ الدِّینِ ثُمَّ ما أَدْراکَ ما یَوْمُ الدِّینِ) تعظیم لیوم الجزاء بلفظ الاستفهام، و الغرض فیه التنبیه علی عظم حالَه و ما یستحق به من ثواب و عقاب لیعمل العباد بما یؤدیهم إلی الثواب و الجنة و النجاة من العقاب، و عظم یوم الدین لشدة الحاجة إلی نعیم الجنة، و النجاة من النار و من جملة العصاة، فلا یوم أعظم من ذلک.

ثم فسر تعالى ذلک و بينه بعد أن عظمه فقال (يَوْمَ لا تَمْلِکُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً) و معناه لا يملک أحد الدفاع عن غيره ممن يستحق العقاب كما يملک كثير من الناس ذلک فى الدنيا، فان الامر فى ذلک اليوم للّه وحده لم يملک أحداً شيئاً من الأمور كما ملكهم أشياء كثيرة فى دار الدنيا. و قيل: معناه إنه لا يمكن أحداً أن يجازى احداً إلا بالحق بأمر اللّه تعالى.
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 295

83-سورة المطففين ..... ص: 295

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاک هى مدنية و هى ست و ثلاثون آية بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَ إِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَ لا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4)
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ (6)
ست آيات.
(ويل) كلمة موضوعة للوعيد و التهديد، و يقال ذلک لمن وقع فى هلاک و عقاب. و قيل: إن ويلا واد فى جهنم قعره سبعون سنة. و قيل (ويل) دعاء عليهم. و قال ابن عباس: كان أهل المدينة من أخبث الناس كيلا إلى أن انزل اللّه تعالى (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) فأحسنوا الكيل، فهدد اللّه تعالى بهذا الخطاب كل من بخس غيره حقه و نقصه ما له من مكيل او موزون، فالمطفف المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق فى كيل أو وزن. و الطفيف النزر القليل، و هو مأخوذ من طف الشىء و هو جانبه، و التطفيف التنقيص على وجه الخيانة فى الكيل أو الوزن. و أما التنقيص التبيان فى

فى ما يرجع إلى مقدار الحق فلا يكون تطفيفاً. و لفظة (المطفف) صفة ذم لا تطلق على من طفف شيئاً يسيراً الى أن يصير إلى حال تتفاحش. و فى الناس من قال:
لا يطلق حتى يطفف أقل ما يجب فيه القطع فى السرقة، لأنه المقطوع على أنه كبيرة.
و قوله (الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) فالاكتيال الأخذ بالكيل و نظيره الاتزان و هو الأخذ بالوزن، و الاعتداد الأخذ بالعدد، يقال: اكتال يكتال اكتيالا، و كاله يكيله كيلا و كايله مكايلة و تكايل تكايلا، و إنما ذكر فى الذم (إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) ليبين منزلتهم فى تعدى الحق بأنهم لم ينقصوا الناس عن طريق مسامحة يعاملون الناس بمثل ذلک بل على محض الظلم فى البخس و يقال:
اكتالوا ما عليهم بمعنى أخذوا ما عليهم، و اكتالوا منهم أى استوفوا منهم. و قيل:
على الناس، فكنى عنهم. و قوله (وَ إِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) كان عيسى ابن عمر يجعل (هم) فصلا فى موضع رفع بمعنى الفاعل. و الباقون يجعلونه فى موضع نصب، و هو الصحيح، و هو قول اكثر المفسرين. و أهل الحجاز يقولون:
وزنتک حقک و كلتک طعامک. و غيرهم يقولون: كالوا لهم و وزنوا لهم، و فى الكتاب (كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ) بلا الف. و من قال تقديره: كالوا لهم أو وزنوا

لهم، قال حذف (لهم) للإيجاز من غير إخلال بالمعنى، و يقال أخسر و خسر لغتان إذا نقص الحق.
و قوله (أَ لا يَظُنُّ أُولئِکَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) تبكيت للكافر و لكل ظالم و باخس حق غيره فى صورة الاستفهام. و (الظّن) هاهنا بمعنى العلم، و تقديره أ لا يعلم انه يبعث يوم القيامة و يجازى على أفعاله من طاعة او معصية فيجازى بحسبها فى اليوم الذى وصفه بأنه يوم عظيم. و يحتمل أن يكون المراد بالظن الحسبان ايضاً من ظن الجزاء و البعث و قوى فى نفسه ذلک، و إن لم يكن عالماً يجب عليه أن التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 297
يتحرز و يجتنب المعاصى خوفاً من العقاب الذى يجوزه و يظنه، كما أن من ظن العطب فى سلوک طريق وجب أن يتجنب السلوک فيه. قال البلخى: قال قوم: المعنى ا فما يوقنون انهم مبعوثون، جعله خطاباً للمؤمنين المصدقين بالبعث. ثم زاد فى صفة يوم القيامة الذى وصفه بأنه يوم عظيم و بينه فقال (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ) أى يوم يبعثون يوم تقوم الناس من قبورهم و يجتمعون فى ارض المحشر، و إنما يقومون من قبورهم الى ارض المحشر لجزاء رب العالمين، و حذف ذلک للدلالة عليه، و يحتمل «يَوْمَ يَقُومُ» ثلاث أوجه: النصب على ذلک اليوم يقوم أو مبعوثون يوم يقوم. و الرفع على الاستئناف، و الجر على البدل من (ليوم عظيم) و قال قتادة: يقومون مقدار ثلاثمائة سنة و يقصر على المؤمنين حتى يكون كإحدى صلاة المكتوبة. و
روى فى الخبر عن النبى صلى اللَّه عليه و آله ان أحدهم ليغيب فى رشحه الى انصاف أذنيه.

قوله تعالى:[سورة المطففين (83): الآيات 7 الى 17] ..... ص: 297

اشارة

كَلاَّ إِنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِی سِجِّینٍ (7) وَ ما أَدْراکَ ما سِجِّینٌ (8) کِتابٌ مَرْقُومٌ (9) وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (10) الَّذِینَ یُکَذِّبُونَ بِیَوْمِ الدِّینِ (11)
وَ ما یُکَذِّبُ بِهِ إِلاَّ کُلُّ مُعْتَدٍ أَثِیمٍ (12) إِذا تُتْلی عَلَیْهِ آیاتُنا قالَ أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ (13) کَلاَّ بَلْ رانَ عَلی قُلُوبِهِمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ (14) کَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ یَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الْجَحِیمِ (16)
ثُمَّ یُقالُ هذَا الَّذِی کُنْتُمْ بِهِ تُکَذِّبُونَ (17)
احدی عشرة آیة. التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 298
روی حفص عن عاصم و المسیبی إلا هبة (بل ران) بإظهار اللام. الباقون بالإدغام. و أمال اهل الکوفة إلا الأعشی و البرجمی (ران).
قیل فی اصل قوله (کلا) قولان:

إنها كلمة واحدة من غير تركيب وضعت للردع و الزجر، و جرى ذلک مجرى الأصوات من نحو (صه، و مه) و ما أشبههما.

أن يكون الكاف للتشبيه دخلت على (لا) و شددت للمبالغة فى الزجر مع الإيذان بتركيب اللفظ.
و معنى الآية ارتدعوا أيها الكفار و العصاة و انزجروا عن المعاصى معاشر الكفار، ليس الامر على ما تظنون بل (إِنَّ كِتابَ الفُجَّارِ) يعنى كتابهم الذى ثبتت أعمالهم من المعاصى و الفجور (لَفِى سِجِّينٍ) قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: يعنى فى الأرض السابعة السفلى، و هو قول الضحاك. و قال مجاهد: تحت صخرة فى الأرض السابعة السفلى، و
روى فى الخبر أن (سجين) جب فى جهنم.
و قال ابو عبيدة: سجين شديد، و أنشد:
ضرباً تواصى به الأبطال سجينا «1»
يعنى شديداً، فكأنه كشدة السجن، و يكون معناه شديد عذابه. و قيل:
السجين هو السجن على التخليد فيه، فهو (فعيل) من سجنته أسجنه سجناً، و فيه مبالغة، كما يقال: شرّيب من الشرب، و سكير من السكر، و شرير من الشر.
و قيل: الوجه فى جعل كتاب الفجار فى سجين أن تخليده فيه يقوم مقام التقريع و إن عقابهم لا يفنى و لا يبيد كما لا يفنى كتاب سيئاتهم و لا يبيد، ثم قال على وجه التعظيم و التفخيم و (ما أَدْراكَ ما سِجِّينٌ) أى تفصيله لا تعلمه و إن علمته

---

(1) مر فى 6/ 45

مجملا. ثم قال مفسراً لذلك (كِتابٌ مَرْقُومٌ) فالرقم طبع الخط بما فيه علامة لأمر يقال: رقمه يرقمه رقماً فهو راقم و الشىء مرقوم و منه رقمت الثوب بعلامة لئلا يختلط. و المعنى إن هذا الكتاب الذى هو فى السجن كتاب قد كتب فيه جميع أفعاله من المعاصى و الكفر.
ثم قال (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) فهو تهديد لمن كذب بيوم الجزاء و لم يصدق بصحة الخبر بكونه، ثم فسر من عنى من المكذبين، فقال (الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) يعنى يوم الجزاء، و هو يوم القيامة، لان من كذب بالباطل و جحده لا يتوجه اليه الوعيد بل هو ممدوح فلو أطلق كان فيه إبهام. ثم قال (وَ ما يُكَذِّبُ بِهِ) أى ليس يكذب بيوم الجزاء (إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) فالمعتدى المتجاوز الحق إلى الباطل، يقال: اعتدى اعتداء، فهو معتد. و العادى الخارج عن الحق، عدا يعدو عدواناً و أصله مجاوزة الحد و من ذلك العداوة و هى مجاوزة الحد فى الإبغاض، و العدو مجاوزة الحد فى اسراع المشى، و الأثيم

مكتسب القبيح أثم يأثم إثماً فهو آثم و اثيم و أثمه تأثيماً إذا نسبه إلى الإثم، و تأثم من فعل كذا كقولک تحرج منه للاثم به و قال قتادة: اثيم فى مريته، ثم وصف المعتدى الأثيم، فقال (إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا) أى إذا قرئت عليه حجج اللّه من القرآن و ما فيه من الادلة (قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ) فواحد الأساطير أسطورة مثل أحدوثه و أحاديث. و قيل: معناه أباطيل الأولين.
و قيل: معناه هذا ما سطره الأولون أى كتبوه، و لا أصل له. ثم قال تعالى (كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ) معناه ليس الامر على ما قالوه بل غلب على قلوبهم يقال منه: رانت الخمر على عقله ترين رينا إذا سكر فغلبت على عقله، فالرين غلبة السكر على القلب. قال ابو زبيد الطائى:
ثم لما رأوه رانت به الخمر و إن لا يرينه بابقاء ترينه
أى مخافة يسكر، فهى لا تبقيه و قال الراجز: التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 300
لم تروحنى نكرت و رين بى و رين بالسافى الذى أمسى معى
و قال الحسن و قتادة: الرين الذنب على الذنب حتى يموت القلب. و قال ابن زيد: غلبت الذنوب على القلوب، فلا يخلص اليها خير العلوم. و قيل: معنى «ران» غطى و عشى. و قوله (ما كانُوا يَكْسِبُونَ) (ما) فى موضع رفع، لأنها الفاعلة لران و ما يكسبون يعنى من المعاصى، لان الطاعات و ان كسبوها فما رانت على قلوبهم قال البلخى: و فى ذلک دلالة على صحة ما يقوله أهل العدل فى تفسير الطبع و الختم و الإضلال، لأنه تعالى اخبر انهم الذين يجعلون الرين على قلوبهم.
ثم قال (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) قال الحسن و قتادة: هم محجوبون عن إحسانه. و قيل: عن كرامته. و قيل: لممنوعون. و أصل الحجب المنع. و منه قولهم: الاخوة تحجب الأم عن الثلث الى السدس.
ثم بين تعالى ما يفعل بهم فقال (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الْجَحِيمِ) و معناه لازموا الجحيم بكونهم فيها لا يغيبون عنها يقال: صلى بالنار يصلى صلياً، فهو صال و المصطلى الملازم للنار للتدفى بها.
ثم حكى انه يقال لهم على وجه التقريع و التبكيت: هذا الذى فعل بكم من العقاب (هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) فى دار التكليف، و انما سمى مثل هذا الخطاب تقريعاً لأنه خبر بما يقرع بشدة الغم على وجه الذم، فكل خبر على هذا الوصف فهو تقريع و توبيخ.

كَلاَّ إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِی عِلِّيِّينَ (18) وَ ما أَدْراکَ ما عِلِّيُّونَ (19) كِتابٌ مَرْقُومٌ (20) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (21) إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِی نَعِيمٍ (22)
عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ (23) تَعْرِفُ فِی وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (24) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (25) خِتامُهُ مِسْكٌ وَ فِی ذلِکَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ (26) وَ مِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (27)
عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (28)

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 301

احدى عشرة آية.

قرأ الكسائى وحده (خاتمه مسک) بألف قبل التاء. الباقون (ختامه مسک) فالختام مصدر، و الخاتم صفة، و نظيره: رجل كريم الطابع و الطباع قال الفرزدق:

فبتن خبابتى مصرعات و بت أفض إغلاق الختام «1»

و قرأ ابو جعفر و يعقوب (تعرف) بضم التاء و فتح الراء (نضرة) بالرفع على ما لم يسم فاعله. الباقون بفتح التاء و كسر الراء و نصب (نضرة).

لما ذكر اللّه تعالى الفجار و ما أعده لهم من أنواع العقاب و أليم العذاب ذكر الأبرار و هو جمع بر مثل جبل و أجبال. و الأبرار الذين فعلوا الطاعات و اجتنبوا المعاصى، و اخبر (إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِی عِلِّيِّينَ) أى مراتب عالية محفوفة بالجلالة، فقد عظمها اللّه تعالى بما يدل على عظم شأنها فى النعمة، و جمعت بالواو و النون تشبيها بمن يعقل فى الفضل و عظم الشأن.

و قال ابن عباس: العليون الجنة. و قال كعب و قتادة و مجاهد و الضحاک: أرواح المؤمنين فى السماء السابعة، و قال الضحاک- فى رواية- عليون سدرة المنتهى، و هى التى اليها ينتهى كل شىء من أمر اللّه تعالى.

و قيل: عليون علو على علو مضاعف، و لهذا جمع بالواو و النون تفخيماً لشأنه

---

(1) ديوانه 2/ 665 و القرطبى 19/ 263

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 302

قال الشاعر:

فأصبحت المذاهب قد أذاعت به الاعصار بعد الوابلينا

يريد مطراً بعد مطر غير محدود العدد، و كذلک تفخيم شأن العدد الذى ليس على الواحد، نحو ثلاثين إلى تسعين، و جرت العشرون عليه. و قيل: عليون أعلى الأمكنة. و قال الحسن: معنى فى عليين فى السماء. و قال الجبائى: معناه فى جملة الملائكة العليين، فلذلک جمع بالواو و النون.

ثم قال تعالى على وجه التعظيم لشأن هذه المنازل و تفخيم أمرها (وَ ما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ) لان تفصيلها لا يمكن العلم بها إلا بالمشاهدة دون علم الجملة. ثم قال (كِتابٌ مَرْقُومٌ) أى الكتاب الذى ثبت فيه طاعتهم (مرقوم) أى مكتوب فيه جميع طاعاتهم بما تقرَّ به أعينهم و توجب سرورهم بضد الكتاب الذى للفجار، لان فيه ما يسؤهم و يسخن أعينهم (يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) أى يشهد هذا الكتاب الملائكة المقربون أى يشاهدون جوائزهم و يرونها. و معنى المقربون- هاهنا- هم الذين قربوا إلى كرامة اللّه فى أجل المراتب.
ثم اخبر تعالى (إِنَّ الْأَبْرارَ) و هم أهل البر الذين فعلوه لوجهه خالصاً من وجوه القبح، فالبر النفع الذى يستحق به الشكر و الحمد يقال: برّ فلان بوالده فهو بار به و برّ به، و جمعه أبرار (لَفِى نَعِيمٍ) أى و يحصلون فى ملاذ و أنواع من النفع (عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ) قال ابن عباس: الأرائك الاسرة. و قال مجاهد: هى من اللؤلؤ و الياقوت، واحدها أريكة، و هو سرير فى حجلة ينظرون إلى ما أعطاهم اللّه من الملك و الكرامة، و الحجلة كالقبة على الاسرة. ثم قال (تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) أى تتبين فى وجوههم إشراق النعمة و السرور بها.
و قوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ) فالرحيق الخمر الصافية الخالصة من كل غش.

قال الخليل: هى أفضل الخمر و أجودها. قال حسان:
يسقون من ورد البريص عليهم برداً يصفق بالرحيق السلسل
و قوله (مختوم) قيل إن هذا الخمر مختوم فى الآنية بالمسک، و هو غير الذى يجرى فى الأنهار. و قوله (ختامه مسک) قيل فى معناه قولان:
أحدهما- ان مقطعه مسک بأن يوجد ريح المسک عند خاتمة شربه- ذكره ابن عباس و الحسن و قتادة و الضحاک.
و الثانى- أنه ختم اناؤه بالمسک بدل الطين الذى يختم بمثله الشراب فى الدنيا- ذكره مجاهد و ابن زيد- و من قرأ (خاتمه) مسک أراد آخر شرابه مسک و يفتح التاء فى (خاتمه) لان العرب تقول: خاتم و خاتم و خاتام و خيتام. و من قرأ (ختامه) أراد شرابهم مختوم بالمسک. و المسک معروف، و هو أجل الطيب سمى مسكاً، لأنه يمسک النفس لطيب ريحه و المسک- بالفتح- الجلد لامساكه ما فيه (وَ فِى ذلِکَ) يعنى فى ذلک النعيم الذى وصفه اللّه (فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ) فالتنافس تمنى كل واحد من النفسين مثل الشىء النفيس الذى للنفس الاخرى أن يكون له تنافسوا فى الشىء تنافساً و نافسه فيه منافسة، و الجليل الذى ينفس بمثله نفيس، و نفس عليه بالأمر ينفس نفاسة إذا ضن به لجلالته.
و قوله (وَ مِزاجُهُ) أى مزاج ذلک الشراب الذى وصفه (مِنْ تَسْنِيمٍ) فالمزاج خلط المائع بالمائع كما يمزج الماء الحار بالبارد، و الشراب بالماء. يقال أمزجه مزجاً و امتزج امتزاجاً و مازجه ممازجة و تمازجا تمازجاً. و التسنيم

عين الماء يجرى من علو إلى سفل يتسنم عليهم من الغرف، و اشتقاقه من السنام. و قال عكرمة: من تشريف، و يقال: سنام البعير لعلوه من بدنه.
و قوله (عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) قيل فى نصب (عين) وجوه: التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 304
أولها- أن (تسنيم) معرفة و (عيناً) قطع منها، أو حال.
الثانى- أن يكون (تسنيم) مصدراً فيجرى مجرى (أَوْ إِطْعامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيماً) «1».
الثالث- على تقدير أعنى عيناً، مدحاً.
الرابع- يسقون عيناً، و الباء زائدة، يقال: شربت عيناً و شربت بالعين و قد فسرناه فى (هل أتى).

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَ إِذا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغامَزُونَ (30) وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31) وَ إِذا رَأَوْهُمْ قالُوا إِنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ (32) وَ ما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافِظِينَ (33)
فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ (35) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ (36)
ثمان آيات.
قرأ حفص (فكهين) بغير الف بمعنى فرحين مرحين. الباقون «فاكهين» بألف بمعنى لاهين، و هو بمنزلة طامع و طمع، فالفاكه الطالب ما يتفكه به من نوادر الأمور و الفاكه الناعم المعجب بحاله و التفكه التمتع بالمأكول من غير أخذه للقوت. و قرأ ابو عمرو- فى رواية هارون- و حمزة و الكسائى (هل ثوب) بالإدغام، لقرب مخرج اللام من الثاء. الباقون، و اليزيدى عن أبى عمرو بالإظهار.

---

(1) سورة 9 البلد آية 15

قيل إن هذه الآية نزلت فى جماعة من كفار قريش كانوا يعيرون جماعة من المسلمين الذين سبقوا إلى الايمان، و يهزءون منهم، فقال اللّه تعالى مخبراً بأن المجرمين كانوا من الذين آمنوا باللّه و وحدوه و أخلصوا له العبادة و صدقوا أنبياءه (يضحكون) على وجه الاستهزاء بهم و السخرية منهم «وَ إِذا مَرُّوا بِهِمْ»
يعنى إذا مر بهم المؤمنون و جازوا عليهم غمز بعضهم بعضاً عليهم على وجه التعجب منهم و السخرية «وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمُ» يعنى الكفار إذا انقلبوا إلى أهلهم و أصحابهم «انْقَلَبُوا فَكِهِينَ» أى لاهين. و من قرأ «فكهين» أراد مرحين «معجبين» بحالهم «وَ إِذا رَأَوْهُمْ» يعنى الكفار إذا رأوا المؤمنين فى دار الدنيا «قالُوا» يعنى بعضهم لبعض «إِنَّ هؤُلاءِ» و أشاروا به إلى المؤمنين «لَضالُّونَ» عن طريق الحق و عادلون عن الاستقامة، فقال اللّه تعالى «وَ ما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافِظِينَ» أى لم يرسل هؤلاء الكفار حافظين على المؤمنين، فيحفظون ما هم عليهم، و المراد بذلك الذم لهم بعيب المؤمنين بالضلال من غير أن كلفوا منعهم من المراد و أن ينطقوا فى ذلك بالصواب، فضلوا بالخطإ فى نسبهم إياهم إلى الضلال، فكانوا ألوم منهم لو أخطئوا فيه، و قد كلفوا الاجتهاد.
ثم قال «فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ» معناه إن يوم القيامة الذى يجازى اللّه تعالى كل احد على عمله فيجازى المؤمن بالثواب و

النعيم، و يجازى الكافر بالعذاب و الجحيم، ففى ذلک اليوم يضحک المؤمنون من الكفار، كما كان الكفار يضحكون من المؤمنين فى الدنيا، و قيل الوجه فى ضحک أهل الجنة من أهل النار أنهم لما كانوا أعداء اللّه تعالى و أعداءهم جعل لهم سروراً فى تعذيبهم و لو كان العفو قد وقع عنهم لم يجز أن يجعل السرور فى ذلک، لأنه مضمن بالعداوة التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 306
و قد زالت بالعفو.
و قوله «عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ» معناه إن المؤمنين على سرر فى الحجال واحدها أريكة ينتظرون ما يفعله اللّه بهم من الثواب و النعيم فى كل حال، و ما ينزل بالكفار من اليم العقاب و شديد النكال.
ثم قال «هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ» و قيل فى معناه قولان:
أحدهما- هل جوزى الكفار إذا فعل بهم هذا الذى ذكر بما كانوا يفعلون.
الثانى- ينظرون هل جوزى الكفار، فيكون موضعه نصباً ب «ينظرون»، و الاول استئناف لا موضع له. و إنما قال «هل ثوب» لأن الثواب فى أصل اللغة الجزاء الذى يرجع على العامل بعمله، و إن كان الجزاء بالنعيم على الاعمال فى العرف، يقال: ثاب الماء يثوب ثوباً إذا رجع، و ثاب اليه عقله إذا رجع. و منه التثاؤب.
و قال قوم: يقول المؤمنون بعضهم لبعض: هل جوزى الكفار ما كانوا يفعلون سروراً بما ينزل بهم. و يجوز أن يكون ذلک من قول اللّه أو قول الملائكة للمؤمنين تنبيهاً لهم على أنه جوزى الكفار على كفرهم و سخريتهم بالمؤمنين و هزئهم، بأنواع العذاب ليزدادوا بذلک سروراً إلى سرورهم.
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 307

84-سورة الانشقاق ..... ص: 307

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک، و هى خمس و عشرون آية فى الكوفى و المدنيين و ثلاث فى البصرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ (1) وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها وَ حُقَّتْ (2) وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (3) وَ أَلْقَتْ ما فِيها وَ تَخَلَّتْ (4)
وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها وَ حُقَّتْ (5) يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ (6) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً (8) وَ يَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً (9)
تسع آيات.
يقول اللَّه تعالى لنبيه و هو متوجه إلى جميع المكلفين على وجه الوعيد لهم و التخويف من عقابه و التنبيه لهم على قرب أوان مجيئه «إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ» و تقديره اذكر إذا السماء انشقت، و معناه إذا انفطرت السماء و تصدعت و انفرجت، فالانشقاق افتراق امتداد عن التئام، فكل انشقاق افتراق و ليس كل افتراق انشقاقاً و قيل: الانشقاق الانفطار، و الانصداع الانفراج.
و قوله «وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها وَ حُقَّتْ» قال ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 308
و قتادة: معناه سمعت و أطاعت أى كأنها سمعت بأذن و أطاعت بانقياد لتدبير اللَّه.
تقول العرب أذن لک هذا الامر إذناً بمعنى أسمع لک قال عدّى بن زيد:
ايها القلب تعلل بددن إن همى فى سماع و أذن
و قال آخر:
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به و إن ذكرت بسوء عندهم أذنوا «1»
أى سمعوا و قال عدى بن زيد:
فى سماع يأذن الشيخ له و حديث مثل ماذى مشار «2»
و قيل إن معنى «و حقت» حق لها أن تأذن بالانقياد لأمر ربها، يقال: حق له أن يكون على هذا الأمر بمعنى جعل ذلک حقاً.
و قوله «وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ»
روى عن النبى صلى اللَّه عليه و آله قال: (تمد الأرض يوم القيامة مثل الأديم)
و معنى «مُدَّتْ» بسطت إن اللَّه تعالى يأمر بأن تمد مد الأديم العكاظى حتى يزيد فى سعتها. و قيل معناه إنها تبسط باندكاک جبالها و آكامها حتى تصير كالصحيفة الملساء.
و قوله «وَ أَلْقَتْ ما فِيها وَ تَخَلَّتْ» معناه القت ما فيها من المعادن و غيرها، و تخلت منها، و ذلک مما يؤذن بعظم الأمر كما تلقى الحامل ما فى بطنها

عند الشدة. و قال قتادة و مجاهد: أخرجت الأرض أثقالها. و قوله «وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها وَ حُقَّتْ» قد فسرناه و ليس هذا على وجه التكرار، لأن الأول فى صفة السماء و الثانى فى صفة الأرض فليس بتكرار و هذا كله من أشراط الساعة و جلائل الأمور التى تكون فيها. و جواب «إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ» محذوف و تقديره إذا كانت هذه الأشياء التى ذكرها و عددها رأى الإنسان ما قدم من خير او شر، و قيل جوابه فى «إِنَّكَ كادِحٌ» قال ابن خالويه الفاء مقدرة

---

(1) مر فى 5/ 44
(2) مر فى 5/ 287

و التقدير إذا السماء انشقت إلى قوله «وَ حُقَّتْ» فيا أيها الإنسان إنک كادح. و قال البلخى: الواو زائدة و جواب قوله «أَذِنَتْ لِرَبِّها» «وَ حُقَّتْ» و هو كقوله «حَتَّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها» و الأول هو الوجه.

و قوله «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ» خطاب لجميع المكلفين من البشر من ولد آدم يقول اللَّه لهم و لكل واحد منهم «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ» و الكدح السعى الشديد فى الامر يقال: كدح الإنسان فى أمره يكدح، و فيه كدوح و خدوش أى آثار من شدة السعى فى الامر، و معنى «كادِحٌ إِلى رَبِّکَ كَدْحاً» ايها الإنسان إنک فى أمرک بشدة و مشقة إلى أن تلقى جزاء عملک من ربک، فأنت لا تخلو فى الدنيا من مشقة، فلا تعمل لها، و اعمل لغيرها فيما تصير به إلى الراحة من الكدح، فالغنى و الفقير كل واحد منهما يكدح ما يقتضيه حاله. و قوله «فَمُلاقِيهِ» تفخيم لشأن الامر الذى يلقى من جهته، فجعل لذلک لقاء جزائه، لقاءه و هذا من المعانى العجيبة و الحكمة البالغة و الهاء فى «فَمُلاقِيهِ» يحتمل أمرين: أن تكون كناية عن اللَّه، و تقديره فملاقى ربک أى تلاقى جزاء ربک، و يحتمل أن تكون كناية عن الكدح، و تقديره فملاقى كدحک الذى هو عملک. و قال تميم بن مقبل:

و ما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت و اخرى ابتغى العيش اكدح «1»

أى ادؤب و أسعى فى طلب العيش. ثم قسم تعالى أحوال الخلق يوم القيامة فقال «فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ» يعنى من أعطى كتابه الذى فيه ثبت أعماله من طاعة او معصية بيده اليمنى «فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً» أى يواقف على ما عمل من الحسنات و ما له عليها من الثواب، و ما حط عنه من الأوزار إما بالتوبة أو المغفرة، فالحساب اليسير التجاوز عن السيئات، و الاحتساب بالحسنات.

و من

---

(1) مر فى 3/ 212 و 4/ 77 و 8/ 243

نوقش بالحساب هلک، روى عن النبى صلى اللَّه عليه و آله
، و قوله «وَ يَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً» أى فرحاً مستبشراً. و قيل المراد بالأهل- هاهنا- هم الذين أعد اللَّه لهم من الحور العين، و يجوز أن يكون المراد أقاربه إذا كانوا من أهل الجنة و السرور هو الاعتقاد أو العلم بوصول نفع اليه فى المستقبل أو دفع ضرر عنه و قال قوم: هو معنى فى القلب يلتذ لأجله بنيل المشتهى يقال: سر بكذا من مال أو ولد أو بلوغ أمل يسر سروراً.

وَ أَمَّا مَنْ أُوتِیَ کِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ یَدْعُوا ثُبُوراً (11) وَ یَصْلی سَعِیراً (12) إِنَّهُ کانَ فِی أَهْلِهِ مَسْرُوراً (13) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ یَحُورَ (14) بَلی إِنَّ رَبَّهُ کانَ بِهِ بَصِیراً (15)
ست آیات.
قرأ نافع و ابن عامر و ابن کثیر و الکسائی «یصلی» بضم الیاء و فتح الصاد و تشدید اللام. الباقون بفتح الیاء و إسکان الصاد خفیفة. و أماله أهل الکوفة إلا عاصماً.
لما ذکر اللَّه تعالی حکم من یعطی کتابه بیمینه من المؤمنین و أهل الطاعات و ما أعد لهم من أنواع النعیم و انقلابه إلی أهله مسروراً، ذکر حکم الکفار الذین یعطون کتاب أعمالهم وراء ظهورهم، و
روی أنه یخرج شماله من ظهره، و یعطی کتابه فیه.
و الوجه فی ذلک ما قدمناه من کون ذلک امارة للملاکة و الخلائق أنه من أهل النار کما أن إعطاء الکتاب بالیمین علامة علی أنه من أهل الجنة.
ثم حکی ما یحل به فقال «فَسَوْفَ یَدْعُوا ثُبُوراً» فالثبور الهلاک أی یقول وا هلاکاه. و المثبور الهالک. و قیل: إنه یقول وا ثبوراه. و قال الضحاک یدعو التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 311
بالهلاک. و أصل الثبور الهلاک یقال: ثبره اللَّه یثبره ثبراً إذا أهلکه. و مثبر الناقة الموضع الذی تطرح ولدها فیه، لأنها تشفی به علی الهلاک، و ثبر البحر إذا جزر لهلاکه بانقطاع مائه، یقال: تثابرت الرجال فی الحرب إذا تواثبت، لاشفائها علی الهلاک بالمواثبة. و المثابر علی الشیء المواظب علیه لحمله نفسه علی الهلاک بشدة المواظبة.
و ثبیر جبل معروف. و المثبرة تراب شبیه بالنورة إذا وصل عرق النخل الیه وقف، لأنه یهلکه، و إنما یقول: وا ویلاه وا لهفاه وا هلاکاه، لأنه ینزل به من المکروه لأجله مثل ما ینزل بالمتفجع علیه.
و قوله «وَ یَصْلی سَعِیراً» معناه إن من هذه صفته یلزم الکون فی السعیر، و هی النار المتوقدة علی وجه التأبید.
و قوله «إِنَّهُ کانَ فِی أَهْلِهِ مَسْرُوراً» معناه إنه اقتطعه السرور بأهله عما یلزمه أن یقدمه. فهو ذم له بهذا المعنی، و لو لم یکن إلا السرور بأهله لم یذم علیه و قیل: معناه إنه کان فی أهله مسروراً بمعاصی اللَّه. ثم اخبر عنه «إِنَّهُ ظَنَّ» فی دار التکلیف «أَنْ لَنْ یَحُورَ» أی لن یبعثه اللَّه للجزاء، و لا یرجع حیاً بعد أن یصیر میتاً یقال: حار یحور حوراً إذا رجع، و تقول: کلمته فما أحار جواباً أی ما ردّ جواباً. و فی المثل (نعوذ باللَّه من الحور بعد الکور) أی من الرجوع إلی النقصان بعد التمام، و حوره إذا رده إلی البیاض و

المحور البكرة، لأنه يدور حتى يرجع إلى مكانه، و المعنى إنه ظن ان لن يرجع إلى حال الحياة فى الآخرة، فلذلک كان يرتكب المآثم و ينتهک المحارم. فقال اللَّه رداً عليه ليس الأمر على ما ظنه «بَلى» إنه يرجع حياً و يجازى على أفعاله.
و قوله «إِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيراً» معناه إنه يخبر عن أنه لن يجوز، بلى و يقطع اللَّه عليه بأنه يجوز على انه بصير به و بجميع الأمور.
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 312

فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَ اللَّيْلِ وَ ما وَسَقَ (17) وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (19) فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (20)
وَ إِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (21) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (22) وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُوعُونَ (23) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ (24) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (25)
عشر آيات.
قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى بفتح الباء من «لتركبن» و معناه لتركبن أنت يا محمد. الباقون بضم الباء على أن يكون خطاباً للجميع.
يقول اللّه تعالى مقسماً بالشفق، و قد بينا أن (لا) صلة فى مثل هذا، و التقدير أقسم، و قد بينا أن للّه تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، و ليس لاحد أن يقسم إلا باللّه. و قال بعضهم: أقسم برب الشفق، و الشفق هو الحمرة التى تبقى عند المغرب فى الأفق. و قال الحسن و قتادة: الشفق الحمرة بين المغرب و العشاء الآخرة. و قال قوم: هو البياض. و الصحيح أن الشفق هو الحمرة الرقيقة فى المغرب بعد مغيب الشمس و أصله الشفق فى العمل، و هو الرقة على خلل فيه، و أشفق على كذا إذا رق عليه و خاف هلاكه. و اشفق إذا رق بالخوف من وقوعه. قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول: علىّ ثوب كأنه الشفق يريد حمرة. و الاعتبار بالشفق أنه علامة لوقت بعينه لا يختلف اقتضى اثبات عالم به.
و قوله «وَ اللَّيْلِ وَ ما وَسَقَ» قسم آخر بالليل و اتساقه. و قيل: معنى وسق التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 313
جمع إلى مسكنه ما كان منتشراً بالنهار فى تصرفه، يقال: وسقته أسقه وسقاً إذا جمعته، و طعام موسوق أى مجموع فى الغرائر و الاوعية. و الوسق الطعام المجتمع و قدره ستون صاعاً.
و قوله «وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ» قسم آخر بالقمر و اتساقه أى اجتماعه على تمام و هو افتعال من الوسق، فإذا تم نور القمر و استمر فى ضيائه، فذلك الاتساق له.
و قال قتادة: معناه إذا استدار. و قال مجاهد: إذا استوى.
و قوله «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ» جواب القسم، و معناه منزلة عن منزلة و طبقة عن طبقة و ذلك أن من كان على صلاح دعاه إلى صلاح فوقه، و من كان على فساد دعاه إلى فساد فوقه، لان كل شىء يحن الى شكله. و قيل: معنى «طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ» جزاء عن عمل. و قيل: معناه شدة عن شدة. و قيل: طبقات السماء بعروج الأرواح. و قيل: معناه حالا عن حال من أحياء و إماتة، ثم أحياء. و قيل:

معناه لتصيرن الى الآخرة عن الدنيا. و قال ابو عبيدة: معناه لتركبن سنة الأولين و من كان قبلكم. ثم قال على وجه التبكيت لهم و التفريع «فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» أى أىّ شىء لهم لأجله لا يصدقون باللّه و اليوم الآخر و لا يعترفون بالثواب و العقاب.
و قيل: معناه ما لهم لا يؤمنون أى ما وجه الارتياب الذى يصرفهم عن الايمان.
و قوله «وَ إِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ» عطف على قوله «لا يُؤْمِنُونَ» و المعنى ما الذى يصرفهم عن الايمان و عن السجود للّه و الخضوع له و الاعتراف بوحدانيته إذا يلى عليهم القرآن الذى أنزلته على محمد صلى اللّه عليه و آله الذى يلين القلب للعمل من الوعظ و الوعد و الوعيد يميز به بين الحق و الباطل، و هو مع ذلک معتذر عليهم الإتيان بمثله، فهو معجز له صلى اللّه عليه و آله. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 314
ثم قال تعالى «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ» معناه إن الذى يمنعهم من السجود عند تلاوة القرآن تكذيبهم جهلا بما عليهم و عدولا عن الحق. و فى ذلک التحذير من الجهل و الحث على طلب العلم. و قيل: معناه ما لهم لا يؤمنون، و لا بد من الجزاء على الاعمال ثم قال: تكذيبهم عن جهل منهم يصرفهم عن ذلک.
و قوله «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُوعُونَ» قال قتادة و مجاهد: معناه بما يوعون فى صدورهم و إنما قال: يوعون، لأنهم يحملون الآثام فى قلوبهم، فشبه ذلک بالوعاء، يقال:
أوعيت المتاع و وعيت العلم، قال الفراء: الأصل جعل الشىء فى وعاء، و القلوب شبه أوعية لما يحصل فيها من معرفة او جهل.
ثم قال للنبى صلى اللّه عليه و آله «فَبَشِّرْهُمْ» يا محمد جزاء على كفرهم «بِعَذابٍ أَلِيمٍ» أى مؤلم، ثم استثنى من جملة من يخاطبه فقال «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا» باللّه «وَ عَمِلُوا» الاعمال «الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ»، أى غير منقوص، فى قول ابن عباس و قال غيره: غير مقطوع، و قيل: غير منغص بالمن الذى يؤذى. و إنما قيل له:
منّ، لأنه قطع له عن شكر النعمة. قال الزجاج: تقول العرب: مننت الحبل إذا قطعته قال لبيد:
لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب ما يمنّ طعامها «1»
أى ما ينقص. و قيل ما يكدر، و كان ابن مجاهد و محمد بن القاسم الأنبارى يقفان على قوله «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» و يبتدؤن بقوله «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا» قال ابن خالويه: فسألتهما عن ذلک فقالا: الاستثناء منقطع و معناه (لكن).

---

(1) مر فی 1/ 322
التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 315

85-سورة البروج ..... ص: 315

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک، و هى اثنتان و عشرون آية بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ (1) وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَ شاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ (3) قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ (4)
النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ (6) وَ هُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَ ما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9)
إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذابُ الْحَرِيقِ (10)
عشر آيات.
قوله: وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ» قسم من اللَّه تعالى بالسماء، و منهم من قال:
تقديره برب السماء. و قد بينا ما فى ذلک فى غير موضع. ثم وصف السماء بأنها ذات البروج. فالبروج المنازل العالية. و المراد- هاهنا- منازل الشمس و القمر- فى قول المفسرين- و مثل ذلک قوله «وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ» «1» أى فى

---

(1) سورة 4 النساء آية 77

منازل عالية. و قيل: السماء اثنى عشر برجاً يسير القمر فى كل برج منها يومين و ثلثاً، فذلک ثمانية و عشرون منزلا. ثم يستتر ليلتين، و مسير الشمس فى كل برج منها شهر. و قيل: البروج النجوم التى هى منازل الشمس و القمر.
و قوله «وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ» قسم آخر بهذا اليوم. و
روى عن النبى صلى اللَّه عليه و آله انه اليوم الذى يجازى فيه و يفصل فيه القضاء، و هو يوم القيامة
- و هو قول الحسن و قتادة و ابن زيد-.
قوله «وَ شاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ» قسم آخر بالشاهد و المشهود،
فالشاهد النبى صلى اللَّه عليه و آله و المشهود يوم القيامة- فى قول الحسن بن على عليه السلام
و تلا قوله «فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً» «1» و قال (ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) «2»، و هو قول ابن عباس و سعيد بن المسيب، و فى رواية اخرى عن ابن عباس إن الشاهد هو اللَّه، و المشهود يوم القيامة. و قال قتادة:

الشاهد يوم الجمعة، و المشهود يوم عرفة. و قال الجبائى: الشاهد هم الذين يشهدون على الخلائق، و المشهود هم الذين يشهدون عليهم، قال: و يجوز أن يكون المراد المدركين و المدركات. و جواب القسم محذوف، و تقديره الأمر حق فى الجزاء على الاعمال. و قيل الجواب قوله «قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ» و قال الأخفش: يجوز أن يكون على التقديم و التأخير، و تقديره (قتل اصحاب الأخدود ... و السماء ذات البروج) و قوله (قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ) معناه لعن. و قيل لعنوا بتحريقهم فى الدنيا قبل الآخرة. و قال الجبائى: يحتمل أن يكون المعنى بذلک القاتلين، و يحتمل أن يكون المقتولين، فإذا حمل على القاتلين، فمعناه لعنوا بما فعلوه من قتل المؤمنين و إن حمل على المقتولين، فالمعنى انهم قتلوا بالإحراق بالنار. و ذكر اللّه هؤلاء

---

(1) سورة 4 النساء آية 40 [.....]
(2) سورة 11 هود آية 104

المؤمنين بحسن بصيرتهم فى الصبر على دينهم حتى أحرقوا بالنار، لا يعطون التقية بالرجوع عن الايمان. و الأخدود هو الشق العظيم فى الأرض، و منه ما
روى فى معجزة النبى صلى اللَّه عليه و آله أن الشجرة دعاها النبى صلى اللّه عليه و آله فجعلت تخد الأرض خداً، حتى أتته. و منه الخد لمجارى الدموع. و المخدة لوضع الخد عليها، و تخدد لحمه إذا صار فيه طرائق كالشقوق.
و قوله (النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ) فجرّ النار على البدل من الأخدود، و هو بدل الاشتمال، و وصفها بأنها ذات الوقود، فالوقود- بفتح الواو- ما يشعل من الحطب و غيره- و بضم الواو- الإيقاد. و إنما وصفها بأنها ذات الوقود مع أن كل نار ذات وقود لامرين:
أحدهما- انه قد يكون نار ليست ذات وقود كنار الحجر و نار الكبد.
و الثانى- انه أراد بذلک وقوداً مخصوصاً، لأنه معروف، فكأنه أراد الوقود بأبدان الناس، كما قال (وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ) «1» و قوله (إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ) أى حين هم قعود عليها أى بالقرب منها، و قال الربيع بن أنس: الكفار الذين كانوا قعوداً على النار خرج لسان منها فأحرقهم عن آخرهم. و
روى عن أمير المؤمنين على عليه السلام (أنهم كانوا من المجوس)
و قال الضحاک:
كانوا من بنى إسرائيل. و قيل: كانوا من اليمن. و معناه هم عليها قعود حين كان أولئک الكفار قعوداً عند النار. و القعود جمع قاعد كقولک: شاهد و شهود، و راكع و ركوع، و القعود أيضاً مصدر قعد يقعد قعوداً.

و قوله (وَ هُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ) أى حضور على مشاهدتهم لهم، فكل حاضر على ما شاهده إما بسمع أو بصر، فهو شاهد. و المشاهد هو

---

(1) سورة 2 البقرة آية 24 و سورة 66 التحريم آية 6
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 318
المدرک بحاسة.
و قوله (وَ ما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) معناه انه لم ينقم هؤلاء الكفار من أولئک المؤمنين الذين أحرقوهم بالنار إلا لايمانهم باللّه تعالى القاهر الذى لا يُقهر (الحميد) فى جميع أفعاله، فالنقمة إيجاب مضرة على حال مذمومة.
و نقيض النقمة النعمة، فهؤلاء الجهال نقموا حال الايمان، لأنهم جعلوها بجهلهم حالا مذمومة قال الشاعر:
ما نقموا من بنى أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا «1»
و الداعى لهم إلى ان ينقموا من الايمان الجهل و الخلاف، لأن ما سبقوا اليه من الجهل يدعوهم إلى عداوة من خالفهم و سخف آرائهم، و إن ذلک يفسد عليهم ملكهم و يصرف الوجوه عنهم.
و قوله (الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) صفة (الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) و المعنى إن هؤلاء الكفار نقموا من المؤمنين إيمانهم باللّه تعالى العزيز، و معناه القاهر الذى لا يغالب الحميد و معناه المستحق للحمد على جميع أفعاله (الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) و معناه له التصرف فى السموات و الأرض و لا اعتراض لاحد عليه. ثم قال (وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) أى عالم بجميعه لا يخفى عليه شىء من ذلک.
و قوله (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ) قال ابن عباس و قتادة و الضحاک:
حرقوهم بالنار (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا) إنما شرط عدم التوبة، لأنهم لو تابوا لما توجه اليهم الوعيد، و إن لم يتوبوا توجه اليهم الوعيد بقوله (فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ) يعنى فى الآخرة (وَ لَهُمْ عَذابُ الْحَرِيقِ) فى الدنيا- فى قول الربيع- قال الفراء: لما خدّدوا للمؤمنين الأخاديد و طرحوا فيها النار و طرحوا فيها المؤمنين ارتفعت النار عليهم،

---

(1) مر فى 3/ 559، 570 و 5/ 304
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 319
فأحرقتهم فوق الأخاديد و نجا المؤمنون.
و قال قوم (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ) جواب القسم فى أول السورة، و هذا

غير صحيح، لان الكلام قد طال و انقطع بالأخبار ما بينها، و قال الزجاج: لهم عذاب بكفرهم، و عذاب باحراقهم المؤمنين.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (11) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ (13) وَ هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15)
فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ (16) هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (17) فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ (18) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ (19) وَ اللَّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ (20)
بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (22)
اثنتا عشرة آية.
قرأ حمزة و الكسائى إلا قتيبة و خلف «المجيد» بالخفض جعلوه نعتاً للعرش.
الباقون بالرفع على أنه نعت للَّه تعالى، و قرأ نافع «محفوظ» بالرفع.
الباقون بالخفض نعتاً للوح. و من رفع جعله نعتاً للقرآن.
اخبر اللَّه تعالى عن صفة المؤمنين، فقال (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) أى صدقوا بتوحيد اللَّه و اخلاص عبادته (وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) من الاعمال، و اجتنبوا القبائح (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) أى لهم بساتين تجرى من تحت أشجارها التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 320
الأنهار (ذلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ) فالفوز النجاة بالنفع الخالص، و أصله النجاة، و قيل للمهلكة مفازة تفاؤلا كأنه قيل: منجاة، و فاز فلان بكذا أى خلص له نفعه، يفوز فوزاً. و لا يقال إلا فى تعظيم النفع الذى صار له، و إنما ذكر الكبير- هاهنا- لان النعيم لهؤلاء العاملين كبير بالاضافة إلى نعيم من لا عمل له ممن يدخل الجنة، لما فيه من الإجلال و الإكرام و المدح و الإعظام. و قيل: الفوز الحظ الواقع من الخير.
ثم قال متوعداً و متهدداً للكفار و العصاة (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) يا محمد و البطش الأخذ بالعنف، بطش به يبطش بطشاً و يبطش ايضاً، فهو باطش، و إذا وصف بالشدة فقد تضاعف مكروهه و تزايد إيلامه. و قوله (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ) قال ابن عباس: معناه إنه يبدأ العذاب و يعيده لاقتضاء ما قبله ذلك. و قال الحسن و الضحاك و ابن زيد: يبدأ الخلق و يعيده لان الأظهر فى وصفه تعالى بأنه المبدئ المعيد العموم فى كل مخلوق (وَ هُوَ الْغَفُورُ) يعنى الستار على خلقه معاصيهم (الْوَدُودُ) أى واد لهم و محب لمنافع خلقه (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ) و معناه صاحب العرش، العظيم المجيد و قال ابن عباس: معناه الكريم. و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً المجيد بالجر جعلوه نعتاً للعرش. و معناه ذو العرش الرفيع. الباقون بالرفع جعلوه نعتاً للغفور أى هو الغفور الودود المجيد ذو العرش، قال المبرد: يجوز أن يكون نعتاً لقوله إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ ....

المجيد فيكون قد فصل بينهما، و فيه بعد لأنه قال «لَشَدِيدٌ» و قال «إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ، وَ هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ» و فصل بهذا كله، يقال: مجدت الإبل تمجد مجوداً إذا رعيتها فرعت و شبعت. و لا فعل لک، او أمجدتها أمجدها إمجاداً إذا اشبعتها من العلف و ملأت بطونها و لا فعل لها فى ذلک، و فى المثل فى كل شجر نارٍ و استمجد المرح و الغفار. و معناه كثر ناره لأنه ليس فى الشجر أكثر ناراً من الغفار.
و قوله تعالى (فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ) معناه ما يشاؤه و يريده من أفعال نفسه يفعله التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 321
لا يمنعه من ذلک مانع و لا يعترض عليه معترض، و لا يجوز أن يكون المراد إنه فعال لكل ما يريد لان ذلک يقتضى انه فعال لكل ما يريد أن يفعله العباد، و ذلک انه يستحيل أن يفعل ما يريد أن يفعله العباد، لأن فى ذلک إبطال الامر و النهى و الطاعة و المعصية و الثواب و العقاب، إذ لا يأمرهم أن يفعلوا ما قد فعله، و لا ينهاهم عنه، و لأنه قد أراد من الكفار أن يؤمنوا، لأنه قد أمرهم بالايمان و ما فعل إيمانهم و قد قال اللّٰه تعالى (وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ) «1» و لو فعل ظلمهم لكان قد أراد ظلمهم. و قوله (هَلْ أَتاکَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ) معناه تذكر يا محمد حديثهم تذكر معتبر، فإنک تنتفع به، و هذا من الإيجاز الحسن و التفخيم الذى لا يقوم مقامه التصريح لما يذهب الوهم فى أمرهم كل مذهب و يطلب الاعتبار كل مطلب.
و قوله (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ) معناه بل هؤلاء الكفار الذين كفروا كذبوا بالبعث و النشور فاعرضوا عما يوجبه الاعتبار بفرعون و ثمود، و اقبلوا على ما يوجبه الكفر و التكذيب من التأكيد، و لم يعلموا أن (اللَّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ) يقدر أن ينزل بهم ما انزل بفرعون. و قيل المعنى (هَلْ أَتاکَ حَدِيثُ الْجُنُودِ) و ما كان منهم إلى أنبيائهم فاصبر كما صبر الرسل قبلک (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ) ايثاراً منهم لأهوائهم و اتباعاً لسنن آبائهم.
و قوله (وَ اللَّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ) أى هم مقدور عليهم كما يكون فيما أحاط اللّٰه بهم، و هذا من بلاغة القرآن.
و قوله (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) أى كريم فالمجيد الكريم العظيم الكريم بما يعطى من الخير، فلما كان القرآن يعطى المعانى الجليلة و الدلائل النفيسة كان كريماً مجيداً بما

---

(1) سورة 3 آل عمران 108
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 322
يعطى من ذلک، لان جميعه حكم. و قيل: الحكم على ثلاثة أوجه لا رابع لها: معنى يعمل عليه فيما يخشى و يتقى، و موعظة تلين القلب للعمل بالحق، و حجة تؤدى إلى تمييز الحق من الباطل فى علم دين أو دنيا، و علم الدين

أشرفهما و جميع ذلک موجود فی القرآن.
و قوله (فِی لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) عن التغيير و التبديل و النقصان و الزيادة. و قال مجاهد: المحفوظ أم الكتاب، و قيل: انه اللوح المحفوظ الذی كتب اللّه جميع ما كان و يكون فيه- ذكره أنس بن مالک- أی كأنه بما ضمن اللّه من حفظه فی لوح محفوظ و من رفع (محفوظ) جعله صفة القرآن. و من قرأه بالخفض جعله صفة اللوح.

86-سورة الطارق ..... ص: 322

اشارة

مکیة فی قول ابن عباس و الضحاک، و هی سبع عشرة آیة فی الکوفی و البصری و المدنی الأخیر و ست عشرة آیة فی المدنی الاول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ السَّماءِ وَ الطَّارِقِ (1) وَ ما أَدْراكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ (4)
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (7) إِنَّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ (8) يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ (9)
فَما لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لا ناصِرٍ (10)
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 323
عشر آيات.
قرأ (لما) بالتشديد عاصم و حمزة و ابن عامر بمعنى (إلا) و قد جاء (لما) مشدداً بمعنى (إلا) فى موضعين: إن، و القسم، كقولهم سألتک لما فعلت بمعنى إلا فعلت قال قوم: تقديره لما، فحذفت إحدى الميمات كراهة اجتماع الأمثال. و قرأ الباقون بالتخفيف جعلوا (ما) صلة مؤكدة: و تقديره لعليها حافظ، و اللام لام الابتداء التى يدخل فى خبر (إن) و (أن) مخففة من الثقيلة.
هذا قسم من اللَّه تعالى بالسماء و بالطارق، و قد بينا القول فيه فالطارق هو الذى يجىء ليلا و قد فسره اللَّه تعالى و بينه بأنه (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) فالنجم هو الكوكب قال الحسن: المراد بالنجم جميع النجوم. و قال ابن زيد: هو زحل.
و قوله (وَ ما أَدْراكَ) معناه أنه لم تدر حتى أعلمتک، و كل ما يعلمه الإنسان فاللَّه أعلمه بالضرورة أو بالدليل. قال قتادة: طروق النجم ظهورها بالليل و خفاؤها بالنهار.
و قوله (وَ الطَّارِقِ) تبيين عن معنى وصفه بالطارق. و قوله (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) تبيين عن ماهيته نفسه يقال: طرقنى فلان إذا أتانى ليلا و أصل الطرق الدق، و منه المطرقة، لأنه يدق بها، و الطريق لان المارة تدقه بأرجلها، و الطارق لأنه يحتاج إلى الدق للتنبيه. و النجم هو الكوكب الطالع فى السماء، يقال لكل طالع ناجم تشبيهاً به، و نجم النجم إذا طلع، و كذلک السن و القرن. و يوصف بالطالع و الغارب، لأنه إذا طلع من المشرق غاب رقيبه من المغرب، و الثاقب المضىء المنير، و ثقوبه توقده و تنوره، تقول العرب: أثقب نارک أى اشعلها حتى تضىء. و ثقب لسانها التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 324
بخروج الشعاع منها و الثاقب أيضاً العالى الشديد العلو، تقول: العرب للطائر إذا ارتفع ارتفاعاً شديداً قد ثقب. كله كأنه ثقب الجو الأعلى. و قال مجاهد و قتادة و ابن عباس: الثاقب المضىء. و قال ابن زيد: هو العالى و

هو زحل.
و قوله (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ) جواب القسم و (إن) هاهنا المخففة من الثقيلة التى يتلقّى بها القسم، و المعنى إن كل نفس لعليها حافظ- فيمن خفف- و من شدد قال: (ان) بمعنى (ما) و تقديره ليس كل نفس إلا عليها حافظ. و قال قتادة: حافظ من الملائكة يحفظون عمله و رزقه و أجله، فالحافظ المانع من هلاک الشىء حفظه يحفظه حفظاً و احتفظ به احتفاظاً فأما أحفظه فمعناه أغضبه، و تحفظ من الامر إذا أمتنع بحفظ نفسه منه و حافظ عليه إذا واظب عليه بالحفظ.
و قوله (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ) أمر من اللَّه تعالى للمكلفين من الناس أن يفكروا و يعتبروا مما ذا خلقهم اللَّه. ثم بين تعالى مما ذا خلقهم فقال (خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ) فالدفق هو صب الماء الكثير باعتماد قوى، و مثله الدفع، فالماء الذى يكون منه الولد يكون دفقاً و هى النطفة التى يخلق اللَّه منها الولد إنساناً أو غيره، و ماء دافق معناه مدفوق، و مثله شرّ كاتم، و عيشة راضية.
ثم بين ذلک من أى موضع يخرج هذا الماء، فقال (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ) فالصلب هو الظهر، و الترائب جمع تريبة و هو موضع القلادة من صدر المرأة- فى قول ابن عباس- و هو مأخوذ من تذليل حركتها كالتراب. قال المثقب.
و من ذهب يشن إلى تريب كلون العاج ليس بذى غصون «1»
و قال آخر:
و الزعفران على ترائبها شرقاً به اللبات و النحر «2»

---

(1) اللسان و التاج (ترب) و مجاز القرآن 2/ 294
(2) قائله المخبل تفسير القرطبى 20/ 5

و قيل: إن نطفة الرجل تخرج من ظهره، و نطفة المرأة من صدرها، فإذا غلب ماء الرجل خرج الولد إلى شبه أهل بيت أبيه و إذا غلب ماء المرأة خرج إلى شبه أهل بيت أمه.
و قوله (إِنَّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ) قال عكرمة و مجاهد: معناه إنه تعالى على رد الماء فى الصلب قادر. و قال الضحاک: إنه على رد الإنسان ماء كما كان قادر، و الرجع الماء و أنشد ابو عبيدة للمنخل فى صفة سيف:
ابيض كالرجع رسوب إذا ما ثاخ فى محتفل يختلى «1»
و معنى الآية إن الذى ابتدأ الخلق من ماء دافق أخرجه من بين الصلب و الترائب حياً قادر على إعادته (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ) لان الاعادة أهون من ابتداء النشأة، و قال الحسن و قتادة معناه أنه على رجع الإنسان بالاحياء بعد الممات قادر.

و قوله (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ) معناه تختبر باظهارها و إظهار موجبها لان الابتلاء و الاختبار و الاعتبار كله إنما هو بإظهار موجب المعنى، ففى الطاعة الحمد و الثواب و فى المعصية الذم و العقاب، و واحد السرائر سريرة و هى الطوية فى النفس، و هو اسرار المعنى فى النفس، و قد يكون الاسرار من واحد بعينه مع إطلاع غيره عليه فلا يكون سريرة. و قيل: إن اللّه يفضح العاصى بما كان يستر من معاصيه و يجلّ المؤمن بإظهار ما كان يسره من طاعته ليكرمه الناس بذلک و يجلوه.
ثم بين تعالى أنه لا قدرة لهذا الإنسان الذى يعيده اللَّه- على معاصيه- و يعاقبه على دفع ذلک عن نفسه و لا ناصر له يدفعه. فالقدرة هى القوة بعينها.

_____
(1) تفسير القرطبى 20/ 10

وَ السَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ (11) وَ الْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ (12) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (13) وَ ما هُوَ بِالْهَزْلِ (14) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً (15)
وَ أَكِيدُ كَيْداً (16) فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً (17)
سبع آيات.
هذا قسم من اللَّه تعالى بالسماء ذات الرجع. قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاک: ذات المطر. و قال ابن زيد: يعنى شمسها و قمرها و نجومها تغيب ثم تطلع.
و قيل: رجع السماء إعطاؤها الخير يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الازمان رجعه يرجعه رجعاً إذا أعطاه مرة بعد مرة. و قيل: الرجع الماء الكثير ترددہ بالرياح التى تمر عليه قال المنخل فى صفة سيف:
أبيض كالرجع رسوب إذا ما ثاخ فى محتفل يختلى.
و قال الفراء: تبتدئ بالمطر ثم ترجع به فى كل عام. و قوله (وَ الْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ) قسم آخر بالأرض ذات الصدع. و قال ابن عباس و قتادة و الضحاک و ابن زيد: ذات الصدع انشقاقها بالنبات لضروب الزروع و الأشجار: صدع يصدع صدعاً و تصدع الشىء تصدعاً و انصدع انصداعاً و صدعه تصديعاً.
و قوله (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ) جواب القسم، و معناه ان ما ذكره من اعادة الخلق و إنشائهم النشأة الثانية قول فصل أى هو قول يفصل الحق من الباطل. و مثله فصل القضاء، و كل معنى فانه يحتاج فيه إلى فصل حقه من باطله. ثم قال (وَ ما هُوَ بِالْهَزْلِ) أى مع أنه فصل ليس بهزل و الهزل نقيض الجد و مثله اللهو و اللعب و العبث التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 327
يقال: هزل يهزل هزلا.
ثم اخبر تعالى عن الكفار فقال (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً) أى يحتالون فى رفع الحجج و إنكار الآيات و يفعلون ما يوجب الغيظ يقال: كاده يكيده كيداً و كايده مكايدة و تكايد القوم تكايداً أى يحتالون فى رفع الحجج و إنكار الآيات، فقال تعالى (وَ أَكِيدُ كَيْداً) أى أجازيهم على كيدهم، و سمى الجزاء على الكيد باسمه لازدواج الكلام. و قيل: المعنى أنهم يحتالون لهلاک النبى و أصحابه، و أنا أسبب لهم النصر و الغلبة و أقوى دواعيهم إلى القتال، فسمى ذلک كيداً من حيث يخفى عليهم ذلک.
و قوله (فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) خطاب للنبى صلى اللَّه عليه و آله بأن يمهلهم قليلا و أجرى المصدر على غير لفظه كما قال (أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً) «1» و (رُوَيْداً) معناه إمهالا يقال: أرودته ارواداً و تصغيره رويد. و قال قتادة: معناه قليلا، و المعنى لا تعجل على طلب هلاكهم بل اصبر عليهم قليلا، فان اللَّه يهلكهم لا محالة بالقتل و الذل فى الدنيا و ما ينزل

عليهم فى الآخرة من أنواع العقاب، و إن ما وعدتک لا يبعد عنهم.

---

(1) سورة 71 نوح آية 17

87-سورة الأعلى ..... ص: 328

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاک هى مدنية، و هى تسع عشرة آية بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
سَبِّحِ اِسْمَ رَبِّکَ اَلْأَعْلَى (1) الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَ الَّذِى قَدَّرَ فَهَدى (3) وَ الَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعى (4)
فَجَعَلَهُ غُثاءً أَحْوى (5) سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى (6) إِلاَّ ما شاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى (7) وَ نُيَسِّرُکَ لِلْيُسْرى (8) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرى (9)
سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشى (10)
عشر آيات.
قرأ الكسائى وحده (قدر فهدى) خفيفاً. الباقون بالتشديد و هما لغتان على ما فسرناه فيما مضى.
هذا امر من اللَّه تعالى للنبى صلى اللَّه عليه و آله و يدخل فى ذلک جميع أمته يأمرهم بأن يسبحوا اللَّه، و معناه ان ينزهوه عن كل ما لا يليق به من الصفات المذمومة و الافعال القبيحة و الإخلال بالواجبات، لان التسبيح هو التنزيه للَّه عما لا يجوز عليه كوصفه بأنه لا إله إلا هو، فينفى ما لا يجوز فى صفته من شريک فى عبادته مع الإقرار بأنه التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 329
لا إله إلا هو وحده. و قال ابن عباس و قتادة: معنا (سبح ...) قل سبحان ربى الأعلى، و
روى أنه لما نزلت هذه السورة، قال النبى صلى الله عليه و آله ضعوا هذا فى سجودكم
و قيل: معناه أن نزه اسم ربک بأن لا تسمى به سواه. و قيل: معناه نزه ربک عما يصفه به المشركون و أراد بالاسم المسمى، و قيل معناه صل باسم ربک الأعلى.
و قيل: ذكر الاسم و المراد به تعظيم المسمى، كما قال الشاعر:
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما و من يبک حولا كاملا فقد اعتذر «1»
و الأعلى معناه القادر الذى لا قادر أقدر منه. و صفة الأعلى منقولة إلى معنى الاقدر حتى لو بطل معنى علوّ المكان لم يبطل أن يفهم بحقيقتها او هى غير مضمنة بغيرها و لم ينقل إلى صفة الأرفع و إنما يعرف فى رفعة المكان.
و قوله (الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى) نعت لقوله (ربک) و موضعه الجر و معناه الذى خلق الخلق فسوى بينهم فى باب الأحكام. و قيل: معنا فسوى أى عدل خلقهم، فالتسوية الجمع بين الشيئين بما هما فيه (وَ الَّذِى قَدَّرَ فَهَدى) فالتقدير تنزيل الشىء على مقدار غيره، فاللَّه تعالى خلق الخلق و قدرهم على ما اقتضته الحكمة (فَهَدى) معناه أرشدهم إلى طريق الرشد من الغى،

و هدى كل حيوان إلى ما فيه منفعته و مضرته حتى انه تعالى هدى الطفل إلى ثدى أمه و ميزه من غيره، و اعطى الفرخ حتى طلب الرزق من أبيه و أمه، و العصفور على صغره يطلب مثل ذلک بهداية اللّه تعالى له إلى ذلک (وَ الَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعى) معناه الذى أنبت الحشيش من الأرض لمنافع جميع الحيوان (فَجَعَلَهُ غُثاءً أَحْوى) فالغثاء ما يقذف به السيل على جانب الوادى من الحشيش و النبات. و الاحوى الأسود، و الحوة السوداء قال ذو الرمة:

---

(1) مر فى 5/ 569

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 330

لمياء فى شفتيها حوة لعس و فى اللثات و فى أنيابها شنب «1»

و قيل: أحوى معناه يضرب إلى السواد و قال الفراء: فيه تقديم و تأخير و تقديره الذى أخرج المرعى أحوى، فجعله غثاء، و قيل: الغثاء الهشيم اليابس المتفتت اسود من احتراقه بعد خضرته و نعمته، قال ذو الرمة:

فرخاء حواء أشراطية و كفت فيها الذهاب و حفتها البراعيم «2»

و قوله (سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى) معناه سنأخذ عليک قراءة القرآن، فلا تنسى ذلک، فالاقراء أخذ القراءة على القارى بالاستماع لتقويم الزلل، و القراءة التلاوة و القارى التالى، و النسيان ذهاب المعنى عن النفس بعد ان كان حاضراً لها، و نقيضه الذكر، و مثله السهو، يقال: نسى ينسى نسياناً فهو ناس، و الشىء منسى، و التذكير لما نسى و التنبيه لما غفل. و قيل (فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ) أى ما شاء نسيانه مما لا يكلفک القيام بأدائه، لان التكليف مضمن بالذكر. و قيل: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ كالاستثناء فى الأيمان، و إن لم يقع مشيئة النسيان و قيل: معناه إلا ما شاء اللّه أن يؤخر انزاله. و قال الفراء: لم يشأ اللّه أن ينسى شيئاً فهو كقوله (خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّکَ) و لا يشاء. و يقول القائل: لأعطينک كل ما سألت إلا ما شئت و إلا أن أشاء أن أمنعک، و النية أ لا يمنعه، و مثله الاستثناء فى الأيمان.

و قوله (إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى) معناه إن اللّه تعالى يعلم السرّ و العلانية، فالجهر رفع الصوت و نقيضه الهمس، و هو ضعف الصوت أى يحفظ عليک ما جهرت به و ما أخفيته مما تريد أن تعيه، جهر بالقراءة يجهر جهراً. و منه قوله

---

(1) مر فى 1/ 15 و 5/ 308

(2) اللسان و الصحاح و التاج (ذهب، برعم)

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 331

«وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِکَ وَ لا تُخافِتْ بِها» «1».

قوله «وَ نُيَسِّرُکَ لِلْيُسْرى» أى نسهل لک العمل المؤدى الى الجنة فاليسرى

عبارة عن الجنة هنا، و اليسرى الكبرى فى تسهيل الخير بها و اليسرى الفعلى من اليسر، و هو سهولة عمل الخير. و قوله «فَذَكِّرْ» أمر للنبى صلى الله عليه و آله أن يذكر الخلق و يعظهم «إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرى» و إنما قال ذلک، و هى تنفع لا محالة فى عمل الايمان و الامتناع من العصيان، كما يقال: سله إن نفع السؤال أى فيما يجوز عندک، و قيل:
معناه ذكرهم ما بعثتک به قبلوا أو لم يقبلوا، فان إزاحة علتهم تقتضى اعلامهم و تذكيرهم و إن لم يقبلوا. و قوله «سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشى» معناه سيتعظ و ينتفع بدعائک و ذكرک من يخاف اللَّه و يخشى عقابه: لان من لا يخافه لا ينتفع بها.

وَ يَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (11) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرى (12) ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى (13) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15)
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا (16) وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقى (17) إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولى (18) صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى (19)
تسع آيات.
قرأ ابو عمرو و حمزة «بل يؤثرون» بالياء على الخبر عن الغائب. الباقون بالتاء على الخطاب للمواجهين، و أدغم اللام فى التاء حمزة و الكسائى إلا قتيبة و الحلوانى عن هشام فى كل موضع.
لما أمر اللّه تعالى النبى صلى اللّه عليه و آله بالتذكرة و بين انه ينتفع بها من يخاف عقابه

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 110

ذكر- هاهنا- أنه يتجنبها أى يتجنب الذكرى الأشقى، فالتجنب المصير فى جانب عن الشىء بما ينافى كونه، فهذا الشقى تجنب الذكرى بأن صار بمعزل عنها بما ينافى كونها، فالشقوة حالة تؤدى إلى شدة العقاب و نقيضها السعادة، شقى يشقى شقوة و شقاء و أشقاه اللّه يشقيه اشقاء عاقبه عقاباً بكفره و سوء عمله.
ثم بين أن هذا الشقى هو «الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرى» يعنى نار جهنم، و وصفها بالكبرى لان الحاجة إلى اتقائها أشد و ذلک من كبر الشأن إذ الكبير الشأن هو المختص بشدة الحاجة اليه أولى باتقائه، فكلما كان اكبر شأناً فالحاجة اليه أشد. و قال الحسن: النار الكبرى نار جهنم، و النار الصغرى نار الدنيا، و قال الفراء: النار الكبرى التى فى الطبقة السفلى من جهنم.
و قوله «ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى» معناه إن هذا الشقى لا يموت فى النار فيتخلص من العذاب، و لا يحيى حياة له فيها لذة، بل هو فى ألوان العذاب و فنون العقاب. و قيل: لا يجد روح الحياة. و قوله «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» معناه قد فاز من تزكى يعنى صار زاكياً بأن عمل الطاعات- فى قول ابن عباس و الحسن- و قال ابو الأحوص و قتادة: يعنى من زكى ماله «وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ» على كل حال «فَصَلَّى» على ما أمره اللّه به. ثم خاطب الخلق فقال «بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا» أى تختارون الحياة الدنيا على الآخرة بأن تعملوا للدنيا و لا تعملوا للاخرة، و ذلک على وجهين:
أحدهما- يجوز للرخصة. و الآخر- محظور معصية للّه.
ثم قال تعالى «وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقى» أى منافع الآخرة من الثواب و غيره

خير من منافع الدنيا و أبقى، لأنها باقية و هذه فانية منقطعة.
و قوله «إِنَّ هذا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولى صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى» يعنى ما ذكره اللَّه و فصله من حكم المؤمن و الكافر و ما أعد اللَّه لكل واحد من الفريقين مذكور فى التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 333
كتب الأولين فى الصحف المنزلة على إبراهيم و التوراة المنزلة على موسى. و قيل من قوله «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» إلى آخر السورة هو المذكور فيها، و قيل «مَنْ تَزَكَّى وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى» فهو ممدوح فى الصحف الأولى، كما هو ممدوح فى القرآن.
و قيل: كتب اللَّه كلها أنزلت فى شهر رمضان فأما القرآن فانه أنزل لأربع عشرة منه. و فى ذلک دلالة على أن إبراهيم كان قد أنزل عليه كتاب بخلاف قول من ينكر نبوته و يزعم أنه لم ينزل عليه كتاب، و لا يكون نبى إلا و معه كتاب، حكى ذلک عن النصارى أنهم قالوا: لم يكن ابراهيم نبياً، و إنما كان رجلا صالحاً.

88-سورة الغاشية ..... ص: 333

اشارة

مکیة فی قول ابن عباس و الضحاک، و هی ست و عشرون آیة بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ (1) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ (2) عامِلَةٌ ناصِبَةٌ (3) تَصْلى ناراً حامِيَةً (4)
تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ (6) لا يُسْمِنُ وَ لا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (7) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ (8) لِسَعْيِها راضِيَةٌ (9)
فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ (10)
عشر آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 334
قرأ اهل البصرة و أبو بكر عن عاصم «تصلى» بضم التاء على ما لم يسم فاعله يعنى تصلى الوجوه «ناراً حامِيَةً» الباقون بفتح التاء على أن تكون الوجوه هى الفاعلة هذا خطاب من اللّه تعالى للنبى صلى اللّه عليه و آله يقول له هل أتاك يا محمد و معناه قد أتاك «حَدِيثُ الْغاشِيَةِ» قال ابن عباس و الحسن و قتادة: الغاشية يوم القيامة تغشى الناس بالاهوال. و قال سعيد بن جبير: الغاشية النار تغشى وجوه الكفار بالعذاب و الشواظ. و الغاشية المجللة لجميع الجملة، غشيت تغشى غشياناً فهى غاشية، و أغشاها غيرها إغشاء إذا جعلها تغشى. و غشاها تغشية، و تغشى بها تغشياً.
و قوله «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ» معناه إن وجوه العصاة و الكفار فى ذلک ذليلة خاضعة من ذل المعاصى التى فعلتها فى دار الدنيا. و المراد بالوجوه أصحاب الوجوه و إنما ذكر الوجوه، لأن الذل و الخضوع يظهر فيها.
و قوله «عامِلَةٌ ناصِبَةٌ» قال الحسن و قتادة: معناه لم تعمل للّه فى الدنيا، فاعمالها فى النار. و قال قوم: معناه عاملة ناصبة فى دار الدنيا بما يؤديها إلى النار، و هو مما اتصلت صفتهم فى الدنيا بصفتهم فى الآخرة. و معنى الناصبة و النصبة التعبة و هى التى أضعفها الانتصاب للعمل يقال: نصب الرجل ينصب نصباً إذا تعب فى العمل ثم بين تعالى ما يعمل بمن وصفه من ذوى الوجوه، فقال «تَصْلى ناراً حامِيَةً» أى تلزم الإحراق بالنار الحامية التى فى غاية الحرارة و «تُسْقى» أيضاً «مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ» قال ابن عباس و قتادة: آنية بالغة النهاية فى شدة الحر.
و قوله «لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ» فالضريع نبات تأكله الإبل يضر و لا ينفع كما وصفه اللّه «لا يُسْمِنُ وَ لا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ» و إنما يشتبه الامر عليهم فيتوهموا انه كغيره من النبت الذى ينفع، لان المضارعة المشابهة، و منه أخذ الضرع و قيل: الضريع الشرق. و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: هو سم. و قال الحسن: التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 335
لا أدرى ما الضريع لم أسمع من اصحاب محمد صلى اللّه عليه و آله فيه شيئاً. و قال قوم: ضريع بمعنى مضرع أى يضرعهم و يذلهم. و قيل: من

ضريع يضرع آكله فى الإعفاء منه لخشونته و شدة كراهته.
ثم بين وجوه المطيعين المؤمنين الذين عملوا الطاعات فقال «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ» أى منعمة فى أنواع اللذات «لِسَعْيِها راضِيَةٌ» بما أداها اليه من الثواب و الجزاء و الكرامة جزاء لطاعاته التى عملها فى الدنيا. و قوله «فِى جَنَّةٍ عالِيَةٍ» أى فى بستان أجنه الشجر على الشرف و الجلالة و علو المكان و المنزلة، بمعنى أنها مشرفة على غيرها من البساتين و هى انزه ما يكون.

لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً (11) فِيها عَيْنٌ جارِيَةٌ (12) فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَ أَكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَ نَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15)
وَ زَرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16) أَ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَ إِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَ إِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)
عشر آيات.
قرأ «لا يسمع» بالياء المضمومة «فِيها لاغِيَةً» رفعاً على ما لم يسم فاعله لان التأنيث ليس بحقيقى و قد فصل بينهما ب (فيها) ابن كثير و أبو عمرو و ريس. و قرأ نافع وحده «لا تسمع» بالتاء مضمومة «لاغية» مرفوعة، لان اللفظ لفظ التأنيث.
الباقون بفتح التاء على الخطاب «لاغية» منصوبة، لأنها مفعول بها.
لما ذكر اللّه تعالى ان المؤمنين يحصلون فى جنة عالية فى الشرف و المكان التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 336
بين انه «لا تَسْمَعُ فِيها» فى تلك الجنة «لاغِيَةً» و هى كلمة لا فائدة فيها قال الشاعر:
عن اللغا و رفث التكلم «1»
و اللغو و اللغا بمنزلة واحدة، و لغى يلغى، و لغا يلغو، و الغاه الغاء. و قيل «لاغية» بمعنى ذات لغو، كقولهم نابل و دارع أى ذو نبل و درع، و تامر ذو تمر قال الحطيئة:
و غررتنى و زعمت إنک لابن بالصيف تامر «2»
و قيل: إنها المصدر مثل العاقبة. و يجوز أن يكون نعتاً، و تقديره لا يسمع فيها كلمة لاغية و الأول أصح، لقوله «لا لَغْوٌ فِيها وَ لا تَأْثِيمٌ» «3» و إنما نفى اللاغية عن الجنة، لان فى سماع ما لا فائدة فيه ثقلا على النفس. ثم بين أن فيها أيضاً أى فى تلک الجنة عيناً من الماء جارية، لان فى العين الجارية متعة ليس فى الواقف.
و قوله «فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ» ليرى المؤمن بجلوسه عليها جميع ما حوله من الملک.
و قوله «وَ أَكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ» أى على حافة العين الجارية، كلما أراد شربها وجدها مملوءة، فالاكواب جمع كوب، و هى الأباريق التى ليس لها خراطيم، فهى للشراب من الذهب و الفضة و الجوهر يتمتعون بالنظر اليها بين أيديهم و يشربون بها ما يشتهون من لذيذ الشراب، و هى كأفخر الأكواز التى توضع بين يدى الملوک.
و قيل: الأكواب كالأباريق لا عرى لها و لا خراطيم و هى آنية تتخذ للشراب

فاخرة حسنة الصورة. و قوله «وَ نَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ» قال قتادة: النمارق الوسائد واحدها نمرقة و هى الوسادة، و هى تصلح للراحة، و رفع المنزلة، و قوله «وَ زَرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ» فالزرابى البسط الفاخرة واحدهما زربية. و قيل قد سمع (نمرقة) بضم النون و الراء و كسرهما

---

(1) مر فى 2/ 132، 164، 230 و 7/ 138 و 8/ 193 و 9/ 120
(2) مر فى 8/ 468 [.....]
(3) سورة 52 الطور آية 23

ثم نبه تعالى على الادلة التى يستدل بها على توحيده و وجوب إخلاص العبادة له فقال (أَ فَلا يَنْظُرُونَ) أى أفلا يتفكرون بنظرهم (إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) و يعتبرون بما خلقه اللّه عليه من عجيب الخلق، و مع عظمه و قوته يذلله الصبى الصغير فينقاد له بتسخير اللّه و يبركه و يحمل عليه ثم يقوم، و ليس ذلک فى شىء من الحيوان، بتسخير اللّه لعباده و نعمته به على خلقه (وَ إِلَى السَّماءِ) أى و ينظرون إلى السماء (كَيْفَ رُفِعَتْ) رفعها فوق الأرض و جعل بينهما هذا الفضاء الذى به قوام الخلق و حياتهم. ثم ما خلقه فيه من عجائب الخلق من النجوم و الشمس و القمر و الليل و النهار الذى بجميع ذلک ينتفع الخلق و به يتم عيشهم و نفعهم «وَ إِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ» أى و يفكرون فى خلق اللّه تعالى الجبال أوتاد الأرض و مسكه لها و لولاها لمادت الأرض بأهلها، و لما صح من الخلق التصرف عليها (وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) أى و ينظرون إلى الأرض كيف بسطها اللّه و سطحها و وسعها و لو لا ذلک لما صح الانتفاع بها و الاستقرار عليها، و هذه نعم من الله تعالى على خلقه لا يوازيها نعمة منعم، و لا يقاربها إحسان محسن فيجب أن يقابل ذلک بأعظم الشكر.

فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (22) إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذابَ الْأَكْبَرَ (24) إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ (26)

ست آيات.

قرأ ابو عمرو و الكسائى بمسيطر بالسين باختلاف عنهما. الباقون بالصاد إلا حمزة، فانه أشم الصاد زاياً. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 338

لما بين اللّه تعالى الدلالة على وحدانيته و نبه على الاستدلال بها، قال لنبيه محمد صلى اللّه عليه و آله (فَذَكِّرْ) يا محمد (إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ) فالتذكير التعريف للذكر بالبيان الذى يقع به الفهم، و النفع بالتذكير عظيم، لأنه طريق للعلم بالأمور التى نحتاج اليها و ملين القلب للعمل بها، و مذكر يعنى بنعم اللّه تعالى عندهم و ما يجب عليهم فى مقابلتها من الشكر و العبادة فقد أوضح اللّه تعالى طريق الحجج فى الدين و أكده غاية التأكيد بما لا يسع فيه التقليد بقوله (إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ) و قوله (وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) «1» و قوله (إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) «2» و (لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) «3» و (لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) «4» و (لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ) «5» و قوله (قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) «6» و قوله (وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) «7» و محاجة إبراهيم عليه السلام للكافر بربه «8» و قوله (فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ) «9» و قوله (أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها) «10».

و قوله (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) فالمسيطر المسلط على غيره بالقهر له يقال تسيطر فلان على فلان، و سيطر إذا تسلط، و على وزن مسيطر مبيطر. قال ابو عبيدة:

لا ثالث لهما من كلام العرب، و قيل: كان هذا قبل فرض الجهاد، ثم نسخ،

---

(1) سورة 51 الذاريات آية 55
(2) سورة 16 النحل آية 67
(3) سورة 16 النحل آية 11، 69
(4) سورة 16 النحل آية 13
(5) سورة 3 آل عمران آية 190
(6) سورة 2 البقرة آية 111 و سورة 27 النمل آية 64
(7) سورة 16 النحل آية 125
(8) انظر 2/ 316 من هذا الكتاب
(9) سورة 59 الحشر آية 2

(10) سورة 47 محمد آية 24
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 339
و يجوز أن يكون غير منسوخ، لان الجهاد ليس بإكراه القلوب.
و قوله (إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ) قيل فى هذا الاستثناء قولان:
أحدهما- انه منقطع و تقديره، لكن من تولى و كفر فيعذبه اللَّه العذاب الأكبر الثانى- إلا من تولى فإنک مسلط عليه بالجهاد، فاللَّه يعذبه العذاب الأكبر.
و قال الحسن المعنى: إلا من تولى و كفر، فكله إلى اللَّه. و قيل معناه إلا من تولى و كفر فلست له بمذكر، لأنه لا يقبل منک، فكذلک لست تذكره.
و قوله (إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ) فالاياب الرجوع، آب يؤب أوباً و إياباً و تأوّب تأوباً و أوّب يؤوّب تأويباً، و يقال: أيب إياباً على (فعيل، فيعالا) من الأوب و على هذا قرئ فى الشواذ (ايّابهم) بالتشديد، قال عبيد:
و كل ذى غيبة يؤوب و غائب الموت لا يؤوب «1»
و المعنى ان مرجع الخلق يوم القيامة إلى اللَّه فيحاسبهم و يجازى كل واحد منهم على قدر عمله، فحساب الكفار مقدار ما لهم و عليهم من استحقاق العقاب، و حساب المؤمن بيان ما له و عليه حتى يظهر استحقاق الثواب.

---

(1) مر فى 6/ 468
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 340

89- سورة الفجر ..... ص: 340

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاک هى مدنية و هى ثلاثون آية فى الكوفى و تسع و عشرون فى البصرى و اثنتان و ثلاثون فى المدنيين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ الْفَجْرِ (1) وَ لَيالٍ عَشْرٍ (2) وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ (3) وَ اللَّيْلِ إِذا يَسْرِ (4)
هَلْ فِى ذلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ (5) أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ (6) إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ (7) الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِى الْبِلادِ (8) وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ (9)
وَ فِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ (14)
أربع عشرة آية قرأ حمزة و الكسائى و خلف (و الوتر) بكسر الواو. الباقون بفتحها و هما لغتان. قال ابو عبيدة: الشفع الزكا و الوتر الخسا. و قرأ نافع و ابو عمرو (يسرى) بياء فى الوصل دون الوقف. و قرأ ابن كثير بياء فى الوصل و الوقف، و كذلك (بالوادى) الباقون بغير ياء فى وصل و لا وقف. من أثبت الياء، فلأنها الأصل و من حذفها، فلأنها رأس آية و الفواصل تحذف منها الياءات. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 341
هذا قسم من اللّه تعالى بالفجر و ليال عشر، و قسم منه بالشفع و الوتر و الليل إذا يسرى، و جواب القسم قوله (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ) و (الْفَجْرِ) شق عمود الصبح فجره اللّه لعباده يفجره فجراً إذا أظهره فى أفق المشرق مبشراً بادبار الليل المظلم و إقبال النهار المضىء، و الفجر فجران: أحدهما المستطيل، و هو الذى يصعد طولا كذنب السرحان و لا حكم له فى الشرع، و الآخر هو المستطير، و هو الذى ينشر فى أفق السماء، و هو الذى يحرم عنده الأكل و الشرب لمن أراد الصوم فى شهر رمضان، و هو ابتداء اليوم. و قال عكرمة و الحسن: الفجر فجر الصبح.
و قوله (وَ لَيالٍ عَشْرٍ) قال ابن عباس و الحسن و عبد اللَّه بن الزبير و مجاهد و مسروق و الضحاک و ابن زيد: و هى العشر الأول من ذى الحجة شرفها اللّه تعالى ليسارع الناس فيها إلى عمل الخير و اتقاء الشر على طاعة اللّه فى تعظيم ما عظم و تصغير ما صغره، و ينالون بحسن الطاعة الجزاء بالجنة. و قال قوم: هى العشر من أول محرم، و الاول هو المعتمد.
و قوله (وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ) قال ابن عباس و كثير من أهل العلم: الشفع الخلق بما له من الشكل و المثل، و الوتر الخالق الفرد الذى لا مثل له، و قال الحسن: الشفع الزوج، و الوتر الفرد من العدد، كأنه تنبيه على ما فى العدد من العبرة بما يضبط لأنه من المقادير التى يقع بها التعديل. و قال ابن عباس و عكرمة و الضحاک: الشفع يوم النحر، و الوتر يوم عرفه، و وجه ذلک أن يوم النحر مشفع بيوم نحر بعده، و ينفرد يوم عرفه بالموقف و فى رواية أخرى عن ابن عباس و مجاهد و مسروق و أبى صالح:

أن الشفع الخلق، و الوتر اللّه تعالى. و قال ابن زيد: الشفع و الوتر كله من الخلق.
فقال عمران بن حصين: الصلاة فيها شفع و فيها وتر، و قال ابن الزبير: الشفع:
اليومان الأولان من يوم النحر و الوتر اليوم الثالث. و فى رواية أخرى عن
ابن التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 342
عباس: الوتر آدم و الشفع زوجته. قال ابو عبيدة: يقال أوترت و وترت.
و قوله (وَ اللَّيْلِ إِذا يَسْرِ) معناه يسير ظلاماً حتى ينقضى بالضياء المبتدئ ففى تسييره على المقادير المرتبة، و مجيئه بالضياء عند تقضيه فى الفصول أدل دليل على أن فاعله يختص بالعز و الاقتدار الذى يجلّ عن الأشباه و الأمثال.
و قوله (هَلْ فِى ذلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) أى لذى عقل- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و الحسن- و قيل العقل الحجر، لأنه يعقل عن المقبحات و يزجر عن فعلها، يقال: حجر يحجر حجراً إذا منع من الشىء بالتضييق، و منه حجر الرجل الذى يحجر على ما فيه، و منه الحجر لامتناعه بصلابته.
و قوله (أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ) خطاب من الله تعالى للنبى صلى اللّه عليه و آله، و تنبيه للكفار على ما فعل بالأمم الماضية لما كفروا بوحدانية الله، و اعلام لهم كيفية إهلاكهم. و قيل: عاد الأولى عاد ابن آرم. و قيل: إن (إرم) بلد منه الاسكندرية- فى قول القرطى- و قال المعرّى: هو دمشق. و قال مجاهد: هم أمة من الأمم. و قال قتادة: هم قبيلة من عاد. و قوله (ذاتِ الْعِمادِ) قال ابن عباس و مجاهد: ذات الطول من قولهم: رجل معمد إذا كان طويلا. و قيل ذات عمد للابيات ينتقلون من مكان إلى مكان، للانتجاع- ذكره قتادة- و قال ابن زيد: ذات العماد فى إحكام البنيان. و قال الضحاك: معناه ذات القوى الشداد.
و قال الحسن: العماد الابنية العظام. و قيل: ان (ارم) هو سام بن نوح، و ترک صرفه لأنه أعجمى معرفة.
و قوله (الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِى الْبِلادِ) يعنى فى عظم أجسامهم و شدة قوتهم و قوله (وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ) موضع (ثَمُودَ) جر بالعطف على قوله (بِعادٍ) أى و ثمود و لم يجره لأنه أعجمى معرفة، و معنى (جابُوا الصَّخْرَ) أى التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 343
قطعوا الصخر من الجبال بشدة قوتهم، يقال: جاب يجوب إذا قطع قال النابغة:
أتاک ابو ليلى يجوب به الدجى دجى الليل جواب الغلاة غشمشم
قال مجاهد: قطعوا الجبال بيوتاً كما قال (وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً فارِهِينَ) «1» و قوله (وَ فِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتادِ) قال ابن عباس: معناه ذى الجنود الذين كانوا يشدون أمره. و قال مجاهد: كان يوتد الأوتاد فى أيدى

الناس. و قال قتادة: ملاعب كان يلعب له فيها، و يضرب تحتها بالأوتاد. و قيل: ذى الأوتاد لكثرة الأوتاد التى كانوا يتخذونها للمضارب و لكثرة جموعهم، و كان فيهم أكثر منه فى غيرهم. و قيل: إن فرعون كان إذا غضب على الرجل مده بين أربعة أوتاد حتى يموت.
و قوله (الَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلادِ) معناه إن هؤلاء الذين ذكرناهم تجاوزوا فى الظلم الحد فى البلاد، و خرجوا عن حد القلة و فسر ذلک بقوله (فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ) يعنى أكثروا فى البلاد الفساد، ثم بين ما فعل بهم عاجلا فقال (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّکَ) يا محمد صلى اللَّه عليه و آله (سَوْطَ عَذابٍ) أى قسط عذاب كالعذاب بالسوط الذى يعرف إلا أنه أعظم، و يجوز أن يكون عنى قست عذاب يخالط اللحوم و الدماء كما يخالط بالسوط من قولهم: ساطه يسوطه سوطاً فهو سائط قال الشاعر:
أ حارث إنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما «2»
و قيل: المعنى إنه جعل سوطه الذى ضربهم به انه صب عليهم العذاب، و قوله (إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصادِ) معناه إن ربک يا محمد لا يفوته شىء من اعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد. و المرصاد مفعال من رصده يرصده رصداً، فهو راصد إذا راعى ما يكون منه ليقابله بما يقتضيه، و
قيل لأمير المؤمنين عليه السلام اين كان ربنا قبل

---

(1) سورة 26 الشعراء آية 149
(2) تفسير الشوكانى 5/ 424 [.....]

أن يخلق السموات و الأرض؟ فقال: (أين) سؤال عن مكان، و كان اللَّه و لا مكان.
و قيل لاعرابى: أين ربک يا اعرابى؟! قال بالمرصاد. و قال ابن عباس معناه إنه يسمع و يرى أعمال العباد. و قال الحسن و الضحاک: لبالمرصاد بانصاف المظلوم من الظالم، و معناه لا يجوزه ظلم ظالم حتى ينصف المظلوم منه.

فَأَمَّا الْإِنْسانُ إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّی أَكْرَمَنِ (15) وَ أَمَّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّی أَهانَنِ (16) كَلاَّ بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَ لا تَحَاضُّونَ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ (18) وَ تَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلاً لَمًّا (19)
وَ تُحِبُّونَ الْمالَ حُبًّا جَمًّا (20) كَلاَّ إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَ جاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22) وَ جِیءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ وَ أَنَّى لَهُ الذِّكْرى (23) يَقُولُ يا لَيْتَنِی قَدَّمْتُ لِحَياتِی (24)
فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ (25) وَ لا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ (26) يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِی إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِی فِی عِبادِی (29)
وَ ادْخُلِی جَنَّتِی (30)
ست عشرة آية.
قرأ ابن عامر و ابو جعفر (فقدر) مشدد الدال. و قرأ ابو عمرو و اهل

البصرة (بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَ لا تَحَاضُّونَ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ وَ تَأْكُلُونَ التُّراثَ) ثلاثتهن بالياء. الباقون ثلاثتهن بالتاء. و الاول على وجه الخبر عن الذين تقدم ذكرهم من الكفار. و الثانى على وجه الخطاب، و تقديره قل لهم يا محمد صلى اللّه عليه و آله. و قرأ اهل الكوفة (تحاضون) بالتاء و الالف. الباقون بغير الف و الياء فى جميع ذلک مفتوحة يقال:
حضضته و حثثته و (تحاضون) مثل فاعلته و فعلته إلا أن المفاعلة بين إثنين فأكثر و قرأ الكسائى و يعقوب (فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ، وَ لا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ) على ما لم يسم فاعله. و الفعل مسند إلى (أحد)، و المعنى لا يعذب عذابه أحد فداء له من العذاب، لأنه المستحق له، فلا يؤخذ بذنب غيره. الباقون بكسر الذال (و لا يوثق) بكسر الثاء و تأويله لا يعذب عذاب اللّه أحد، و لا يوثق وثاقه احد و هو قول الحسن و قتادة.
لما توعد اللّه تعالى الكفار و جميع العصاة بما قدمه من الوعيد على المعاصى و أخبرهم بما فعل بالأمم الماضية جزاء على كفرهم. و حكى أنه لبالمرصاد لكل عاص قسم أحوال الخلق من البشر، فقال (فَأَمَّا الْإِنْسانُ إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ) أى اختبره و الابتلاء هو إظهار ما فى العبد من خير أو شر من الشدة و الرخاء و الغنى و الفقر حسب ما تقتضيه المصلحة، فان عمل بداعى العقل ظهر الخير، و إن عمل بداعى الطبع ظهر الشر. و مثل الابتلاء الامتحان و الاختبار.
و قوله (فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ) معناه أعطاه الخير و أنعم عليه به، و الإكرام إعطاء

الخير للنفع به على ما تقتضيه الحكمة إلا أنه كثر فيما يستحق بالإحسان، و نقيض الإكرام الهوان (فَيَقُولُ) العبد عند ذلک (رَبِّی أَکْرَمَنِ) أی أنعم علی و أحسن إلیّ. و من أثبت الیاء، فلأنها الأصل و من حذفها فلأنها رأس آیة، و اجتزأ بکسرة النون الدالة علی حذفها. التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 346

ثم قال (وَ أَمَّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَیْهِ رِزْقَهُ) أی اختبره بعد ذلک بأن یضیق علیه رزقه قدر البلغة و الأصل القدر، و هو کون الشیء علی مقدار، و منه تقدیر الشیء طلب قدره من مقدار غیره (فَیَقُولُ) العبد عند ذلک (رَبِّی أَهانَنِ) فقال اللّه تعالی رداً لتوهم من ظن أن الإکرام بالغنی و الاهانة بالفقر بأن قال (کلا) لیس الامر علی ما توهمه. و إنما الإکرام فی الحقیقة بالطاعة، و الاهانة بالمعصیة، و قوله (کَلَّا) معناه لیس الأمر علی ما ظن هذا الإنسان الکافر الذی لا یؤمن باللّه و الیوم الآخر- ذکره قتادة- ثم بین ما یستحق به الهوان بقوله (بَلْ لا تُکْرِمُونَ الْیَتِیمَ وَ لا تَحَاضُّونَ عَلی طَعامِ الْمِسْکِینِ) أی الهوان لهذا، لا لما توهمتم، تقول: حضضته بمعنی حثثته و (تَحَاضُّونَ) بمعنی تحضون فاعلته و فعلته إلا أن المفاعلة بین اثنین فأکثر. و قال الفراء: لا تحاضون بمعنی لا تحافظون، و أصله تتحاضون، فحذف إحدی التائین.

و قوله (وَ تَأْکُلُونَ التُّراثَ أَکْلًا لَمًّا) أی جمعاً، یقال لممت ما علی الخوان ألمه لماً إذا أکلته اجمع، و التراث المیراث. و قیل: هو من یأکل نصیبه و نصیب صاحبه. و قوله (وَ تُحِبُّونَ الْمالَ حُبًّا جَمًّا) قال ابن عباس و مجاهد و ابن زید: معناه کثیراً شدیداً یقال: جم الماء فی الحوض إذا أجتمع و کثر قال زهیر:

فلما وردن الماء زرقا حمامه وضعن عصی الحاضر المتخیم «1»

و قوله (کَلَّا إِذا دُکَّتِ الْأَرْضُ دَکًّا دَکًّا) معناه التهدید و الوعید الشدید أی حقاً إذا دکت الأرض بأن جعلت مثل الدکة مستویة لا خلل فیها و لا تلول، کما قال (لا تَری فِیها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً) «2» و هو یوم القیامة، فالدک حط المرتفع بالبسط، یقال اندک سنام البعیر إذا انفرش فی ظهره و ناقة دکاء إذا کانت کذلک، و منه الدکان لاستوائه فکذلک

---

(1) مر فی 7/ 143

(2) سورة 20 طه آیة 107

الأرض إذا دکت استوت فی فراشها فذهبت دورها، و قصورها و سائر أبنیتها حتی تصیر کالصحراء الملساء بها. قال ابن عباس: یوم القیامة تمد الأرض مداً کالأدیم، و قوله (وَ جاءَ رَبُّکَ وَ الْمَلَکُ صَفًّا صَفًّا) معناه و جاء أمر اللّه أو عذاب اللّهِ و قِیل: معناه و جاء جلائل آیاته، فجعل مجیء جلائل الآیات مجیئاً

له تفخيماً لشأنها و قال الحسن: معناه و جاء قضاء اللّه، كما يقول القائل: جاءتنا الروم أى سيرتهم.
و قال بعضهم: معنى (جاء) ظهر بضرورة المعرفة، كما توصف الآية إذا وقعت ضرورة تقوم مقام الرؤية.
و قوله (وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) معناه كصفوف الناس فى الصلاة يأتى الصف الاول ثم الصف الثانى ثم الثالث على هذا الترتيب، لان ذلک أشكل بحال الاستواء من التشويش و التخليط بالتعديل فى الأمور، و التقويم أولى.
و قوله (وَ جِىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) أى أحضرت جهنم ليعاقب بها المستحقون لها و يرى أهل الموقف هو لها، و عظم منظرها. و قوله (يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ) اخبار منه تعالى بأن الإنسان يتذكر ما فرط فيه فى دار التكليف من ترک الواجب و فعل القبيح و يندم عليه. ثم قال تعالى (وَ أَنَّى لَهُ الذِّكْرى) و معناه من اين له الذكرى التى كان أمر بها فى دار الدنيا، فإنها تقوده إلى طريق الاستواء و تبصره الضلال من الهدى، فكأنه قال و أنى له الذكرى التى ينتفع بها، كما لو قيل يتندم و أنى له الندم.
ثم حكى ما يقول الكافر المفرط الجانى على نفسه و يتمناه، فانه يقول (يا لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَياتِى) أى يتمنى انه كان عمل الصالحات لحياته بعد موته أو عمل للحياة التى تدوم له، فكان أولى بى من التمسک بحياة زائلة. ثم قال (فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ) معناه فى قراءة من كسر الذال إخبار من اللّه تعالى أنه لا يعذب عذاب اللّه التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 348
أحد فى ذلک اليوم. و من فتح الذال قال: المعنى لا يعذب عذاب الجانى الكافر الذى لم يقدم لحياته أحد من الناس لأنا علمنا أن إبليس أشد عذاباً من غيره بحسب إجرامه و إذا أطلق الكلام لقيام الدلالة على ذلک قيل معناه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، لأنه المستحق للعذاب و لا يؤاخذ اللّه أحداً بجرم غيره.
و قوله (وَ لا يُوثِقُ وَثاقَهُ) أى لا يشد بالسلاسل و الاغلال (أَحَدٌ) على المعنيين اللذين ذكرناهما.
و قوله (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) قال ابن زيد عن أبيه: إن النفس المطمئنة التى فعلت طاعة اللّه و تجنبت معاصيه تبشر عند الموت و يوم البعث بالثواب و النعيم. و قيل: ان المطمئنة بالمعرفة للّه و بالايمان به- فى قول مجاهد- و قيل:
المطمئنة بالبشارة بالجنة. و قال الفراء: تقديره يا أيتها النفس المطمئنة بالايمان و المصدقة بالثواب و البعث (ارْجِعِى) تقول لهم الملائكة إذا أعطوهم كتبهم بايمانهم (ارْجِعِى إِلى رَبِّكِ) أى إلى ما أعده اللّه لک من الثواب، و قد يجوز أن يقولوا لهم هذا القول يريدون ارجعوا من الدنيا إلى هذا المرجع.
ثم بين ما يقال لها و تبشر به بأنه يقال لها (ارْجِعِى إلى رَبِّكِ) أى إلى

الموضع الذى يختص اللّه تعالى بالأمر و النهى به دوَن خلَقه (راضِيَةً) بثواب اللّه و جزيل عطائه (مَرْضِيَّةً) الافعال من الطاعات، و إنه يقال لها «فَادْخُلِى فِى عِبادِى» الذين رضيت عنهم و رضيت أفعالهم «وَ ادْخُلِى جَنَّتِى» التى وعدتكم بها و أعددت نعيمكم فيها، و روى عن ابن عباس أنه قرأ ادخلى فى عبدى بمعنى فى جسم عبدى، قال ابن خالويه: هى قراءة حسنة. قال المبرد: تقديره يا أيتها الروح ارجعى إلى ربک فادخلى فى عبادى فى كل واحد من عبادى تدخل فيه روحه.
بيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 349

90-سورة البلد ..... ص: 349

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاک، أنزلت حين افتتحت مكة و هى عشرون آية بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ (1) وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ (2) وَ والِدٍ وَ ما وَلَدَ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِی كَبَدٍ (4)
أَ يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (5) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مالاً لُبَداً (6) أَ يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (7) أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَ لِساناً وَ شَفَتَيْنِ (9)
وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ (10)
عشر آيات.
قرأ ابو جعفر «لبداً» بتشديد الباء. الباقون بالتخفيف.
قوله «لا أُقْسِمُ» معناه أقسم، و لا صلة، كما قال الشاعر:
و لا ألوم البيض ان لا تسخرا «1»
أى ان تسخر. و قيل: هى رداً لكلام على طريق الجواب، لمن قد ظهر منه

---

(1) مر فى 1/ 45

الخلاف أى ليس الامر على ما يتوهم. و قد بينا نظائر ذلک فيما مضى. فإذا أثبت انه اقسم، فلا ينافى قوله «وَ هذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ» لأن هذا قسم آخر مثله. و إنما يكون مناقضة لو أراد نفى القسم بقوله «لا اقسم» فأما إذا كان الامر على ما بيناه فلا تنافى بينهما. قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابن زيد: يعنى بالبلد مكة.
و قوله «وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ» فمعناه فى قول ابن عباس أنه حلال لک به قتل من رأيت حين أمر بالقتال، فقتل ابن حنظل صبراً، و هو آخذ بأستار الكعبة و لم يحل لأحد بعده. و به قال مجاهد و ابن زيد و الضحاک. و قال عطاء: لم يحل إلا لنبيكم ساعة من النهار. و قال الحسن: معناه و أنت فيه محسن و أنا عنک راض.
و قيل: معناه أنت حل بهذا البلد أى انت فيه مقيم، و هو محلل. و المعنى بذلک التنبيه على شرف البلد بشرف من حل فيه من الرسول الداعى إلى تعظيم اللّه و إخلاص عبادته المبشر بالثواب و المنذر بالعقاب، و يقال: رجل حل أى حلال و قالوا: حل معناه حال. أى ساكن.
و قوله (وَ والِدٍ وَ ما وَلَدَ) قسم آخر بالوالد و ما ولد، قال ابن عباس و عكرمة:
المعنى بذلک كل والد و ما ولد يعنى العاقل. و قال الحسن و مجاهد و قتادة و الضحاک و سفيان و ابو صالح: يعنى آدم و ولده. و قال ابو عمران الجونى: يعنى به إبراهيم عليه السلام و ولده.

و قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِی کَبَدٍ) جواب القسم، و معنی کبد قال ابن عباس و الحسن: فی شدة. و قال قتادة: معناه یکابد الدنیا و الآخرة. قال مجاهد و ابو صالح و إبراهیم النخعی و عبد اللّه بن شداد: معناه فی انتصاب قامة، فکأنه فی شدة قوام مخصوص بذلک من سائر الحیوان، قال لبید:

یا عین هلا بکیت أربد إذ قمنا و قام الخصوم فی کبد «1»
أی فی شدة نصب، فالکبد فی اللغة شدة الأمر یقال: تکبد اللبن إذا غلظ و اشتد، و منه الکبد، کأنه دم یغلظ و یشتد، و تکبد الدم إذا صار کالکبد، و الإنسان مخلوق فی شدة أمر بکونه فی الرحم. ثم فی القماط و الرباط، ثم علی خطر عظیم عند بلوغه حال التکلیف، فینبغی له أن یعلم ان الدنیا دار کدّ و مشقة، و أن الجنة هی دار الراحة و النعمة.
و قوله «أَ یَحْسَبُ أَنْ لَنْ یَقْدِرَ عَلَیْهِ أَحَدٌ» معناه أ یظن هذا الإنسان أن لن یقدر علی عقابه أحد إذا عصی اللّه تعالی و ارتکب معاصیه فبئس الظن ذلک. و قیل: إنها نزلت فی رجل یقال له أبو الاسدین کان من القوة بحیث یقف علی أدیم عکاظی فیجری العسرة من تحته، فتنقطع و لا یبرح من علیه فقال اللّه تعالی (أَ یَحْسَبُ) لشدته و قوته (أَنْ لَنْ یَقْدِرَ عَلَیْهِ أَحَدٌ) ثم حکی ما یقول هذا الإنسان من قوله (أَهْلَکْتُ مالًا لُبَداً) قال الحسن: معناه یقول أهلکت مالا کثیراً، فمن یحاسبنی علیه، حمیق أ لم یعلم ان اللّه قادر علی محاسبته، و اللبد الکثیر الذی قد تراکب بعضه علی بعض، و منه تلبد القطن و الصوف إذا تراکب بعضه علی بعض، و کذلک الشعر و منه اللبد و من قرأ (لبداً) بتشدید الباء، فهو جمع لا بد.
و قوله (أَ یَحْسَبُ أَنْ لَمْ یَرَهُ أَحَدٌ) ا یظن هذا الإنسان انه لم یبصره أحد فیطالبه من این کسب هذا المال، و فی أی شیء أنفقه- ذکره قتادة- و قیل: معنا ا یظن أن لم یره أحد فی إنفاقه، لأنه کاذب. و قال الحسن: یقول: أنفقت مالا کثیراً فمن یحاسبنی علیه. و قیل الآیة نزلت فی رجل من بنی جمح یکنی أبا الاسدین، و کان قویاً شدیداً.

---

(1) دیوانه 1/ 19 و مجاز القرآن 2/ 299

ثم نبهه تعالی علی وجوه النعمة التی أنعم بها علیه لیستدل بها علی توحیده و خلع الأنداد دونه بقوله «أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَیْنَیْنِ» لیبصر بهما «وَ لِساناً وَ شَفَتَیْنِ» لینطق بهما «وَ هَدَیْناهُ النَّجْدَیْنِ» لیستدل بهما. و فی ذلک دلیل واضح علی أنه صادر من مختار لهذه الافعال التی فعلها بهذه الوجوه، فأحکمها لهذه الأمور، فالمحکم المتقن لا یکون إلا من عالم، و تعلیقه بالمعانی لا یکون إلا من مختار، لأنه لا یعلق الفعل بالمعانی إلا فی الارادة. و قال ابن مسعود: و ابن عباس: معنی هدیناه النجدین: نجد الخیر و الشر، و

به قال الحسن و مجاهد و الضحاک و قتادة، و فی روایة عن ابن عباس أنهما الثدیان، و النجدان الطریقان للخیر و الشر. و أصل النجد للعلو و نجد بلد سمی نجد العلوة عن انجفاض تهامة، و کل عالٍ من الأرض نجد، و الجمع نجود، و رجل نجد بین النجدة إذا کان جلداً قویاً، لاستعلائه علی قوته، و استنجدت فلاناً فانجدنی أی استعنته علی خصمی فأعاننی، و النجد الکرب و الغم. و النجاد ما علی العاتق من حمالة السیف، و شبه طریق الخیر و الشر بالطریقین العالیین لظهوره فیهما.

فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَ ما أَدْراکَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَکُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعامٌ فِی یَوْمٍ ذِی مَسْغَبَةٍ (14) یَتِیماً ذا مَقْرَبَةٍ (15)
أَوْ مِسْکِیناً ذا مَتْرَبَةٍ (16) ثُمَّ کانَ مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُولئِکَ أَصْحابُ الْمَیْمَنَةِ (18) وَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِنا هُمْ أَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ (19) عَلَیْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ (20)
عشر آیات. التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 353
قرأ ابن کثیر و ابو عمرو و الکسائی «فک رقبة أو اطعم فی یوم ذی مسغبة» بغیر الف علی انه فعل ماض. الباقون «فَکُّ رَقَبَةٍ» علی الاضافة و یکون الاضافة إلی مفعول «أَوْ إِطْعامٌ» فوجه الأول قوله «فلا أقتحم العقبة فک رقبة» الثانی أنه علی جواب و «ما أَدْراکَ مَا الْعَقَبَةُ» فیکون الجواب بالاسم و تلخیصه هلا اقتحم العقبة و لا یجوز الصراط إلا من کان بهذه الصفة یفک رقبة او یطعم یتیماً فِی یَوْمٍ ذِی مَسْغَبَةٍ مجاعة، فَلَا اقْتَحَمَ بمعنی لم، کما قال «فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلَّی» «1» و معناه لم یصدق و لم یصل، و إنما لم یکرر (لا) لان معنا «ثُمَّ کانَ مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا» یدل علی انه لم یقتحم و لم یؤمن، و قرأ ابو عمرو و حمزة و حفص و خلف «مؤصدة» بالهمز. الباقون بغیر همز و هما لغتان، یقال: أصدت الباب اوصده إیصاداً فهو مؤصد بالهمز، و أوصدته فهو موصد بغیر همز. و الوصید الباب من أوصدت.
لما نبه اللَّه تعالی الإنسان علی وحدانیته و إخلاص عبادته بقوله «أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَیْنَیْنِ وَ لِساناً وَ شَفَتَیْنِ» و ما فیهما من الدلالة علی قدرته و علمه و انه هدی الإنسان طریق الخیر و الشر و رغبه فی اتباع الخیر و زجره عن إتباع الشر، قال حاثاً له علی فعل الخیر بقوله «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» قال الحسن. عقبة- و اللَّه شدیدة- مجاهدة الإنسان نفسه و هواه و عدوه و الشیطان، و لم یکرر (لا) فی اللفظ، و هی بمنزلة المکرر فی المعنی کأنه قال: أ فلا اقتحم العقبة و حذف الاستفهام، و المراد به التنبیه، و الاقتحام الدخول علی الشدة یقال اقتحم اقتحاماً، و اقحم إقحاماً و تقحم تقحماً و قحم تقحیماً و نظیره الإدخال و الإیلاج. و المعنی هلا دخل فی البر علی صعوبة کصعوبة اقتحام العقبة، و العقبة الطریقة التی ترتقی علی صعوبة و یحتاج فیها إلی معاقبة الشدة بالتضییق

---

(1) سورة 75 القیامة آیة 31
التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 354
و المخاطرة، و قیل: العقبة النتئة الضیقة فی رأس الجبل یتعاقبها الناس،

فشبهت بها العقبة فى وجوه البر التى ذكرها اللّه تعالى. و عاقب الرجل صاحبه إذا صار فى موضعه بدلا منه. و قال قتادة: فلا اقتحم العقبة إنها قحمة شديدة، فاقتحموها بطاعة اللّه.
و قال أبو عبيدة: معناه فلم يقتحم فى الدنيا.
ثم فسر العقبة فقال «وَ ما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ» و تقديره اقتحام العقبة فك رقبة، لان العقبة جثة و الفك حدث، فلا يكون خبراً عن جثة. قال ابو على و (لا) إذا كانت بمعنى (لم) لم يلزم تكرارها.
ثم بين تعالى ما به يكون اقتحام العقبة فقال «فَكُّ رَقَبَةٍ» فالفك فرق يزيل المنع، و يمكن معه أمر لم يكن ممكناً قبل، كفك القيد و الغل، لأنه يزول به المنع، و يمكن به تصرف فى الأرض لم يكن قبل، ففك الرقبة فرق بينها و بين حال الرق بإيجاب الحرية و إبطال العبودية. و قوله «أَوْ إِطْعامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ» فالمسغبة المجاعة سغب يسغب سغباً إذا جاع، فهو ساغب قال جرير:
تعلل و هى ساغبة بنيها بأنفاس من الشبم القراح «1»
و قوله «يَتِيماً» نصب ب «إِطْعامٌ» فى قراءة من نون نصبه بالمصدر. و من قرأ على الفعل الماضى نصبه به، فهو مفعول به فى الحالين، و اليتيم الصبى الذى قد مات أبوه و أمه، و الأغلب فى اليتيم من الأب فى الناس. و قوله «ذا مَقْرَبَةٍ» معناه ذا قرابة، و لا يقال: فلان قرابتى و إنما يقال ذو قرابتى، لأنه مصدر، كما قال الشاعر:
يبكى الغريب عليه حين يعرفه و ذو قرابته فى الناس مسرور
و قوله «أَوْ مِسْكِيناً» عطف على يتيماً. و «ذا مَتْرَبَةٍ» معناه ذا حاجة شديدة

---

(1) اللسان (قرح)

من قولهم: ترب الرجل إذا افتقر- فى قول ابن عباس- أيضاً و مجاهد، يقال: أترب الرجل إذا استغنى، و ترب إذا افتقر.
و قوله «ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» معناه كان الإنسان من جملة المؤمنين إذا فعل ذلک و عقد الايمان، ثم أقام على إيمانه «وَ تَواصَوْا» أى وصى بعضهم بعضاً «بِالصَّبْرِ» على الشدائد و المحن و المصائب «وَ تَواصَوْا» أيضاً «بِالْمَرْحَمَةِ» أى وصى بعضهم بعضاً بأن يرحموا الفقراء و ذوى المسكنة.
و قوله «أُولئِکَ أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ» معناه إنهم متى فعلوا ذلک كانوا أصحاب الميمنة الذين يعطون كتابهم بأيمانهم أو يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، و الميمنة اليمن و البركة، و المرحمة حال الرحمة.
و قوله «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا» معناه إن الذين يجحدون نعم اللَّه و يكذبون أنبياءه «هُمْ أَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ» أى ذات الشمال فيؤخذ بهم الى النار، و

يعطون كتابهم بشمالهم، و اشتقاقه من الشؤم خلاف البركة «عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ» قال ابن عباس و مجاهد و الضحاک: معناه عليهم نار مطبقة.
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 356

91-سورة الشمس ..... ص: 356

اشارة

مکیة فی قول ابن عباس و الضحاک و هی خمس عشرة آیة فی الکوفی و البصری و ست عشرة فی المدنیین

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها (1) وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها (2) وَ النَّهارِ إِذا جَلَّاها (3) وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشاها (4)
وَ السَّماءِ وَ ما بَناها (5) وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها (6) وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها (7) فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها (9)
وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها (10)
عشر آيات.
قرأ ابن كثير و ابن عامر و عاصم «و ضحاها» بفتح أواخر هذه السورة.
و قرأ الكسائى بامالة ذلک كله. و قرأ ابو عمرو و نافع جميع ذلک بين الكسر و الفتح.
و قرأ حمزة «و ضحها» كسراً و فتح «تلاها» و «طحاها» فمن فتح، فلأنه الأصل، و الامالة تخفيف. و بين بين تخفيف يشعر بالأصل. فأما حمزة فأمال بنات الياء. و فخم بنات الواو.
هذا قسم من اللّه تعالى بالشمس و ضحاها، و قد بينا أن له تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه تنبيهاً على عظم شأنه و كثرة الانتفاع به، فلما كانت الشمس قد عظم الانتفاع بها و قوام العالم من الحيوان و النبات بطلوعها و غروبها، جاز القسم التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 357
بها، و لما فيها من العبرة بنشىء الضوء حتى تقوى تلک القوة العظيمة بإذن اللّه.
و قوله «وَ ضُحاها» يعنى ضحاها الشمس، و هو صدر وقت طلوعها، و ضحى النهار صدر وقت كونه، قال الشاعر:
أعجلها اقدحى الضحاء ضحى و هى تناصى ذوائب السلم «1»
و أضحى يفعل كذا إذا فعله فى وقت الضحى، و يقال: ضحّى بكبش أو غيره إذا ذبحه فى وقت الضحى من ايام الأضحى. ثم كثر حتى قيل لو ذبحه آخر النهار.
و قوله «وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها» قسم آخر بالقمر و تلوه الشمس و وجه الدلالة من جهة تلو القمر للشمس من جهة المعاقبة على أمور مرتبة فى النقصان و الزيادة، لأنه لا يزال ضوء الشمس ينقص إذا غاب جرمها، و يقوى ضوء القمر حتى يتكامل كذلک دائبين، تسخيراً من اللّه للعباد بما ليس فى وسعهم أن يجروه على شىء من ذلک المنهاج. و قال ابن زيد: القمر إذا اتبع الشمس فى النصف الاول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر بالطلوع، و فى آخر الشهر يتلوها فى الغروب و قال الحسن «وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها» أى يضىء نورها «وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها» يعنى ليلة الهلال. و قيل: تلاها

فى الضوء.
و قوله «وَ النَّهارِ إِذا جَلَّاها» قسم آخر بالنهار إذا جلاها يعنى الشمس بضوءها المبين بجرمها. و قيل معناه إذا جلا الظلمة، فالهاء كناية عن الظلمة، و لم يتقدم لها ذكر لأنه معروف غير ملتبس «وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشاها» قسم آخر بالليل إذا يغشاها يعنى الشمس بظلمته عند سقوط الشمس.
و قوله «وَ السَّماءِ وَ ما بَناها» قال قتادة: معناه و السماء و بنائها جعل (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر. و قال مجاهد و الحسن: معنى و السماء و ما بناها و السماء

---

(1) قائله النابغة الجعدى. اللسان (ضحا)

و من بنى السماء و هو اللّه تعالى. و قوله «وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها» قسم آخر بالأرض و ما طحاها، و يحتمل ذلك وجهين:
أحدهما- ان يكون المعنى و الأرض و طحوها.
و الثانى- و الأرض و من طحاها، و هو اللّه تعالى و معنى طحاها بسطها حتى أمكن التصرف عليها. و قال مجاهد و الحسن: طحاها و دحاها واحد، بمعنى بسطها يقال طحا يطحو طحواً و دحا يدحو دحواً و طحا بك همك. و معناه انبسط بك إلى مذهب بعيد، فهو يطحو بك طحواً قال علقمة:
طحا بك قلب فى الحسان طروب
و يقال: القوم يطحى بعضهم بعضاً عن الشىء أى يدفع دفعاً شديد الانبساط و الطواحى النسور تنبسط حول القتلى، و أصل الطحو البسط الواسع. و قوله «وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها» قسم آخر بالنفس و ما سواها، و هو محتمل ايضاً لامرين: أحدهما- و نفس و تسويتها، و الثانى- و نفس و من سواها، و هو اللّه تعالى. و قال الحسن يعنى بالنفس آدم و من سواها اللّه تعالى. و قيل: ان (ما) فى هذه الآيات بمعنى (من) كما قال «فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ» «1» و إنما أراد (مَنْ) و قال ابو عمرو بن العلا: هى بمعنى الذى، و أهل مكة يقولون إذا سمعوا صوت الرعد: سبحان ما سبحت له بمعنى سبحان من سبحت له.
و قوله «فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها» قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك و سفيان: معناه عرفها طريق الفجور و التقوى و رغبها فى التقوى و زهدها فى الفجور.
و قال قوم: خذلها حتى اختارت الفجور و ألهمها تقواها بأن وفقها لها. و قوله «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها» جواب القسم و اللام مقدرة، و تقديره لقد أفلح من زكاها أى

---

(1) سورة 4 النساء آية 3

من زكى نفسه بالصدقة، و قد خاب من دساها و أخفى عن المتصدق. و المعنى قد أفلح من زكى نفسه بالعمل الصالح أو اجتناب المعصية- و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة- و قال قوم: معنا قد أفلح من زكى اللّه نفسه، و قد خاب من دساها نفسه و قوله «وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها» معناه قد خاب أى خسر من دس نفسه فى معاصى اللّه منهمكاً فى القبائح التى نهاه اللّه عنها. و قيل: معناه دساها بالبخل، لان البخيل يخفى نفسه و منزله لئلا يطلب نائله، و دسا نفسه نقيض زكاها بالعمل الصالح، و كذلک دساها بالعمل الفاسد حتى صيرها فى محاق و خسران. و يقال دسا فلان يدسو دسواً و دسوة فهو داس نقيض زكا يزكو زكا فهو زاک. و قيل معنى دساها أى دسها بمعنى حملها و وضع منها بمعصية. و أبدل من أحدى السينين ياء، كما قالوا تظنيت بمعنى تظننت قال الشاعر:
تقضى البازى إذا البارى كسر «1»
بمعنى تقضض.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْواها (11) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقاها (12) فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ناقَةَ اللَّهِ وَ سُقْياها (13) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاها (14) وَ لا يَخافُ عُقْباها (15)
ست آيات قرأ اهل المدينة و ابن عامر «فلا يخاف» بالفاء و كذلک هى فى مصاحف أهل المدينة و أهل الشام. الباقون بالواو، و كذلک فى مصاحفهم.
يقول اللّه تعالى مخبراً عن ثمود و هم قوم صالح «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْواها» قال

---

(1) مر فى 1/ 286 و 7/ 358 و 8/ 146

ابن عباس: يعنى بعذابها أى بعذاب الطاغية فأتاها ما كذبت به. و قال مجاهد: بمعصيتها- و هو قول ابن زيد- و هو وجه التأويل، و الطغوى و الطغيان مجاوزة الحد فى الفساد و بلوغ غايته، تقول: طغى يطغى إذا جاوز الحد، و منه قوله «لَمَّا طَغَى الْماءُ» «1» أى لما تجاوز المقدار على ما جرت به العادة و كثر. و قوله «إِذِ انْبَعَثَ أَشْقاها» أى كان تكذيبها حين انبعث أشقى ثمود، و قيل اسمه قدار بن سالف.
و قال قوم: عقر الناقة هو تكذيبهم. و قيل: لا، بل هو غيره. و قيل: كانوا أقروا بأن لها شرباً و لهم شرب غير مصدقين بأنه حق. و الشقاء شدة الحال فى مقاساة الآلام، فالاشقا هو الأعظم شقاء، و نقيض الشقاء السعادة، و نقيض السعود النحوس يقال: شقى يشقى شقاء، فهو شقى نقيض سعيد، و أشقاه اللّه اشقاء.
و قوله «فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ» يعنى صالحاً، فانه قال لهم: ناقة اللّه و تقديره فاحذروا ناقة اللّه، فهو نصب على الإغراء كما تقول: الأسد الأسد، أى احذره «وَ سُقْياها» فالسقاء الحظ من الماء. و هو النصيب منه، كما قال تعالى «لَها شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» «2» و السقى التعريض للشرب.
و قوله «فَكَذَّبُوهُ» أى كذب قوم صالح صالحاً و لم يلتفتوا إلى قوله، «فَعَقَرُوها» يعنى الناقة. فالعقر قطع اللحم بما يسيل الدم عقره يعقره عقراً فهو عاقر، و منه عقر الحوض و هو أصله، و العقر نقض الشىء عن أصل بنية الحيوان، و عاقر الناقة أحمر ثمود، و هم يروه و كلهم رضوا بفعله. فعمهم البلاء بأن عاقبهم اللّه تعالى لرضاهم بفعله. و قوله «فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاها» معناه أهلكهم اللّه تعالى عقوبة على ذنبهم من تكذيب صالح و عقر الناقة. و قيل: معنى دمدم عليهم دمر

(1) سورة 69 الحاقة آية 11
(2) سورة 26 الشعراء آية 155
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 361
عليهم. و قيل: معناه أطبق عليهم بالعذاب. يقال دمدمت على الشىء إذا ضيقت عليه، و ناقة مدمدمة قد ألبسها الشحم، فإذا كررت الاطباق قلت دمدمت. و قيل «فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ» أى غضب عليهم، فالدمدمة ترديد الحال المتكرهة، و هى مضاعفة ما فيه المشقة، فضاعف اللّه تعالى على ثمود العذاب بما ارتكبوا من الطغيان.
و قوله «فَسَوَّاها» أى جعل بعضها على مقدار بعض فى الاندكاك و اللصوق بالأرض، فالتسوية تصيير الشىء على مقدار غيره.
و قوله «وَ لا يَخافُ عُقْباها» قال ابن عباس و الحسن و قتادة و مجاهد: معناه لا يخاف اللّه تعالى تبعة الدمدمة. و قال الضحاك: معناه لم يخف الذى عقرها عقباها و العقبى و العاقبة واحد، و هو ما أدى اليه الحال الأولى، قال ابو على: من قرأ بالفاء فللعطف على قوله «فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها» فلا يخاف كأنه تبع تكذيبهم عقرهم أى لم يخافوا. و من قرأ (و لا) بالواو جعل الجملة فى موضع الحال، و تقديره فسواها غير خائف عقباها أى غير خائف أن يتعقب عليه فى شىء مما فعله.
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 362

92-سورة الليل ..... ص: 362

اشارة

مکیة فی قول ابن عباس و الضحاک و هی إحدی عشرون آیة بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشى (1) وَ النَّهارِ إِذا تَجَلَّى (2) وَ ما خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4)
فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَ اتَّقى (5) وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى (7) وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنى (8) وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنى (9)
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى (10) وَ ما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إِذا تَرَدَّى (11) إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى (12) وَ إِنَّ لَنا لَلْآخِرَةَ وَ الْأُولى (13)
ثلاث عشرة آية.
هذا قسم من اللَّه تعالى بالليل إذا غشيه الظلام، فأظلم و ادلّهم و غشى الأنام لما فى ذلک من الهول المحرک للنفس بالاستعظام.
ثم اقسم بالنهار إذا تجلى، و معناه إذا أنار و ظهر للابصار لما فى ذلک من الاعتبار. و قيل التقدير و الليل إذا يغشى النهار، فيذهب بضوئه «وَ النَّهارِ إِذا تَجَلَّى» أى جلى الليل، فأذهب ظلمته، ذكره الحسن. و الغشى إلباس الشىء ما يغمر و يستر جملته، و إنما كرر ذكرهما فى السورتين لعظم شأنهما، و جلالة موقعهما فى باب التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 363
الدلالة على توحيد اللَّه- ذكره قتادة-.
و قوله «وَ ما خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى» للتناسل بينهما و يحتمل أن يكون المراد و من خلق الذكر و الأنثى، و فى قراءة عبد اللَّه «و الذى خلق الذكر و الأنثى» لان (ما) بمعنى الذى، و هو اللَّه، فيكون القسم باللَّه. و على الأول يكون القسم بخلق اللَّه. و قيل: المراد بالذكر و الأنثى آدم و حواء عليهما السلام.
و قوله «إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى» جواب للقسم، و معناه إن سعيكم لمختلف، فسعى المؤمن خلاف سعى الكافر. و معنى «شتى» أى متفرق على تباعد ما بين الشيئين جداً، و منه شتان أى بعد ما بينهما جداً كبعد ما بين الثرى و الثريا. و يقال:
تشتت أمر القوم و شتتهم ريب الزمان.
و قوله «فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَ اتَّقى» معناه من أعطى حق اللَّه و اتقى محارم اللَّه- ذكره قتادة- «وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنى» قال ابن عباس و عكرمة: و صدق بالخلف.
و قال الضحاک: صدق بتوحيد اللَّه، و قال مجاهد و الحسن: يعنى صدق بالجنة. و قال قتادة: بوعد اللَّه، و الحسنى النعمة العظمى بحسن موقعها عند صاحبها، و هذه صفة الجنة التى أعدها اللَّه تعالى للمتقين و حرمها من

كذب بها.
و قوله «فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى» معناه يسهل عليه الأمر، فالتيسير تصيير الأمر سهلا. و مثله التسهيل و التخفيف، و نقيض التيسير التعسير و هو تصير الامر صعباً.
و اليسير نقيض العسير، يقال: أيسر إذا كثر ماله يوسر ايساراً. و تقديره فسنيسره للحال اليسرى، فلذلک أنث فحال اليسير اليسرى، و حال العسير العسرى.
و التيسير لليسرى يكون بأن يصيرهم إلى الجنة. و التيسير للعسرى بأن يصيرهم إلى النار. و يجوز أن يكون المراد بالتمكين من سلوک طريق الجنة، و التمكين من سلوک طريق النار. و معناه إنا لسنا نمنع المكلفين من سلوک أحد الطريقين و لا نضطرهم التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 364
اليه، و إنما نمكنهم بالإقرار عليهما و رفع المنع، و الترغيب فى إحداهما، و التزهيد فى الاخرى. فان احسن الاختيار اختار ما يؤديه إلى الجنة. و إن أساء فاختار ما يؤدِ به إلى النار فمن قبل نفسه أتى.
و قوله «وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنى» يعنى به من منع حق اللَّه الذى أوجب عليه من الزكاة و الحقوق الواجبة فى ماله، و استغنى بذلک و كثر ماله، فسنيسره للعسرى يعنى طريق النار. و قد بينا كيفية تيسير اللَّه لذلک من التمكين أو التصيير فلا حاجة لإعادته. و العسرى البلية العظمى بما تؤدى اليه، و نقيضها اليسرى، و هو مأخوذ من العسر و اليسر، فحال العسر العسرى و حال اليسر اليسرى، و مذكره الأيسر، و الأمر الأعسر. و قال الفراء: المعنى فسنيسره للعود إلى الصالح من الاعمال و نيسره من الاعمال للعسرى على مزاوجة الكلام. و الأولى أن تكون الآيتان على عمومهما فى كل من يعطى حق اللَّه، و كل من يمنع حقه، لأنه ليس- هاهنا- دليل قاطع على أن المختص بها إنسان بعينه، و قد
روى أنها نزلت فى أبى الدحداح الانصارى، و سمرة بن حبيب
، و رووا فى ذلک قصة معروفة. و روى فى غيره.
و قوله
«وَ ما يُغْنِى عَنْهُ مالُهُ إِذا تَرَدَّى» معناه أى شىء يغنى عن هذا الذى بخل بماله، و لم يخرج حق اللَّه منه «إِذا تَرَدَّى» يعنى فى نار جهنم- فى قول قتادة و أبى صالح- و هو المروى عن أبى جعفر عليه السلام.
و قال مجاهد: معناه إذا مات.
و قال قوم: معناه «إِذا تَرَدَّى» فى القبر أى شىء يغنيه. و قيل «إِذا تَرَدَّى» فى النار فما الذى يغنيه.
و قوله «إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى» قال قتادة معناه إن علينا لبيان الطاعة من المعصية و قيل فى قوله «إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى» دلالة على وجوب هدى

لا يجوز إضلالهم منه. و قوله «وَ إِنَّ لَنا لَلْآخِرَةَ» معناه الاخبار من اللّه بأن له دار الآخرة و الجزاء فيها على الأعمال، و الامر و النهي ليس لاحد سواه، لان دار الدنيا قد ملک فيها أقواماً التصرف، و قوله «وَ الْأُولى» معناه و إن لنا الأولى ايضاً يعنى دار الدنيا. فانه الذى خلق الخلق فيها، و هو الذى مكنهم من التصرف فيها و هو الذى ملكهم ما ملكهم، فهى ايضاً ما له على كل حال.

فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظَّى (14) لا يَصْلاها إِلاَّ الْأَشْقَى (15) الَّذِى كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (16) وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِى يُؤْتِى مالَهُ يَتَزَكَّى (18)
وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزى (19) إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلى (20) وَ لَسَوْفَ يَرْضى (21)
ثمان آيات.
قوله «فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظَّى» وعيد من اللَّه تعالى للمكلفين. تقول خوفتكم المعاصى التى تؤديكم إلى نار تلظى.
و قرأ ابن كثير «ناراً تلظى» بتشديد التاء ادغم احدى التاءين فى الأخرى، لان الأصل تتلظى. و قيل: انه ادغم نون التنوين فى التاء. الباقون بالتخفيف فحذفوا احدى التاءين. و التلظى تلهب النار بشدة الإيقاد تلظت النار تتلظى تلظياً و لظى اسم من اسماء جهنم.
و قوله «لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ» و قصر عما أمرته كما تقول: لقى فلان العدو فكذب: إذا نكل و رجع- ذكره الفراء- فكأنه كذب فى الطاعة أى لم يتحقق. و قال المفسرون فيها قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 366
أحدهما- الانذار بنار هذه صفتها، و هى درک مخصوص من أدراک جهنم فهى تختص هذا المتوعد الذى كذب بآيات اللَّه و جحد توحيده «وَ تَوَلَّى» عنها بأن لم ينظر فيها أو رجع عنها بعد أن كان نظر فيها فصار مرتداً. و الثانى محذوف لما صحبه من دليل الآى الاخر، كأنه قال و من جرى مجراه ممن عصى، فعلى هذا لا متعلق للخوارج فى أن مرتكب الكبيرة كافر.
و قوله «وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى» معناه سيبعد من هذه النار من كان اتقى اللَّه باجتناب معاصيه «الَّذِى يُؤْتِى مالَهُ» أى يعطى ماله «يَتَزَكَّى» يطلب بذلک طهارة نفسه، فالتجنب تصيير الشىء فى جانب عن غيره، فالاتقى يصير فى جانب الجنة عن جانب النار يقال: جنبه الشر تجنيباً و تجنب تجنباً و جانبه مجانبة، و رجل جنب، و قد اجنب إذا أصابه ما يجانب به الصلاة حتى يغتسل.
و قوله «وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزى» معناه ليس ذلک لید سلفت تكافى عليها و لا لید يتخذها عند أحد من العباد. و قوله «إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلى» معناه بل إنما فعل ذلک طلب رضوان اللَّه، و ذكر الوجه طلباً لشرف الذكر. و المعنى إلا ابتغاء ثواب اللَّه و طلب رضوانه. و قوله «وَ لَسَوْفَ يَرْضى» معناه إن هذا العبد الذى فعل ما فعله لوجه اللَّه سوف يرضى بما يعطيه اللَّه على ذلک من الثواب و جزيل النعيم يوم القيامة.
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 367

93-سورة الضحى ..... ص: 367

اشارة

مکیة فی قول ابن عباس الضحاک، و هی إحدی عشرة آیة بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ الضُّحى (1) وَ اللَّيْلِ إِذا سَجى (2) ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلى (3) وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولى (4)
وَ لَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضى (5) أَ لَمْ يَجِدْکَ يَتِيماً فَآوى (6) وَ وَجَدَکَ ضَالاًّ فَهَدى (7) وَ وَجَدَکَ عائِلاً فَأَغْنى (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (9)
وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (10) وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ (11)
احدى عشرة آية.
روى أن عروة ابن الزبير قرأ «ما ودعک ربک» بالتخفيف من قولهم:
ودع يدع أى ترک يترک، و هو قليل، لان سيبويه قال: استغنوا ب (ترک) عن (ودع) فلم يستعملوه. الباقون بالتشديد.
هذا قسم من اللّه تعالى بالضحى، و هو صدر النهار، و هو الضحى المعروف- فى قول قتادة- و قال الفراء: هو النهار كله من قولهم: ضحى فلان للشمس إذا ظهر لها. و فى التنزيل «وَ أَنَّکَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَ لا تَضْحى» «1».

---

(1) سورة 20 طه آية 119
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 368
و قوله (وَ اللَّيْلِ إِذا سَجى) قسم آخر، و قال الحسن: معنى (سجى) غشى بظلامه. و قال قتادة: معنى (سجى) سكن و هذا من قولهم: بحر ساج أى ساكن، و به قال الضحاک، يقال: سجا يسجو سجواً إذا هدئ و سكن، و طرف ساج قال الأعشى:
فما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم و بحرک ساج لا يوارى الدعا مصا «1»
و قال الراجز:
يا حبذا القمراء و الليل الساج و طرق مثل ملاء النساج «2»
و قوله (ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلى) جواب القسم. و قيل: إنه لما تأخر عنه الوحى خمس عشرة ليلة، قال قوم من المشركين: و دع اللّه محمداً و قلاه. فانزل اللّه تعالى هذه السورة تكذيباً لهم و تسلية للنبى صلى الله عليه و آله، لأنه كان اغتم بانقطاع الوحى عنه- ذكره ابن عباس و قتادة و الضحاک- و معنى (ما ودعک) ما قطع الوحى عنک، و معنى (قلى) أبغض- فى قول ابن عباس و الحسن و ابن زيد- و القالى المبغض يقال: قلاه يقلاه قلا إذا أبغضه. و العقل دال على انه لا يجوز ان يقلى اللّه احداً من أنبيائه. و التقدير ما قلاک، فحذف الكاف لدلالة الكلام عليه، و لأن رؤس الآى بالياء، فلم يخالف بينها، و مثله (فآوى، و فهدى، و فأغنى) لأن الكاف فى جميع ذلک محذوفة، و لما قلناه.

و قوله (وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَکَ مِنَ الْأولى) خطاب للنبى صلى اللّه عليه و آله يقول الله تعالى له إن ثواب الآخرة و النعيم الدائم فيها خير لک من الأولى يعنى من الدنيا، و الكون فيها لكونها فانية. قال ابن عباس: له فى الجنة ألف قصر من اللؤلؤ ترابه المسک، و فيه من كل ما يشتهى على أعم الوصف.

---

(1) تفسير القرطبى 20/ 91 و ديوانه 100
(2) مجاز القرآن 2/ 302 و اللسان (سجى) و الكامل 244 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 369
و قوله (وَ لَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضى) وعد من الله له أن يعطيه من النعيم و الثواب و فنون النعم ما يرضى النبى صلى اللّه عليه و آله به و يؤثره.
ثم عدد عليه النعمة فى دار الدنيا فقال (أَ لَمْ يَجِدْکَ يَتِيماً فَآوى) و معناه تقريره على نعم اللّه عليه حين مات أبوه و بقى يتيماً فآواه بأن سخر له عبد المطلب أولا، و لما مات عبد المطلب آواه إلى أبى طالب، و سخره للاشفاق عليه و الحنين على حفظه و مراعاته.
و قوله «وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدى» قيل فى معناه أقوال:
أحدها- وجدک لا تعرف الحق فهداک اليه بأن نصب لک الادلة و أرشدک اليها حتى عرفت الحق، و ذلک من نعم اللّه.
و ثانيها- وجدک ضالا عما أنت عليه الآن من النبوة و الشريعة، فهداک اليها و ثالثها- وجدک فى قوم ضلال أى فكأنک واحد منهم.
و رابعها- وجدک مضلولا عنک فهدى الخلق إلى الإقرار بنبوتک و الاعتراف بصدقک فوجدک ضالا بمعنى مضلول كما قيل ماء دافق بمعنى مدفوق، و سر كاتم بمعنى مكتوم.
و خامسها- أنه لما هاجر إلى المدينة ضل فى الطريق، و ضل دليله فأرشدهم اللّه الى الطريق الواضح حتى وصلوا فإذا قيل: السورة مكية أمكن أن يقال: المراد بذلک الاستقبال و الاعلام له أنه يكون هذا على وجه البشارة له به، و لم يكن فعلا له معصية، لأنه ليس ذهاباً عما كلف.
و قوله (وَ وَجَدَکَ عائِلًا فَأَغْنى) فالعائل الفقير، و هو ذو العيلة من غير جدة عال يعيل عيلة إذا كثر عياله و افتقر قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 370
و ما يدرى الفقير متى غناه و ما يدرى الغنى متى يعيل «1»
أى متى يفتقر. و قيل ان ذكر النعم من المنعم يحسن على وجهين:
أحدهما- التذكير للشكر و طلب الزيادة منها فهذا جود و كرم.
و الآخر- عند كفر المنعم عليه، فهذا التذكير على الوجه الاول.
و قوله (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ) أى لا تقهره لظلمه بأخذ ماله فكذلک من لا ناصر له لا تغلظ فى أمره، و الخطاب متوجه إلى النبى صلى اللّه عليه و آله

و هو نهى لجميع المكلفين و قيل: معناه لا تقهره على ماله.
و قوله (وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ) فالانتهار هو الصياح فى وجه السائل الطالب للرفد، يقال: نهره و انتهره بمعنى واحد، و هو متوجه إلى جميع المكلفين.
و قوله (وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ) معناه اذكر نعم اللَّه و أظهرها و تحدث بها.
و قد قيل: من شكر النعمة الحديث بها.
فان قيل: فى هذا و نظائره مما عدده اللَّه على خلقه من النعم و امتنانه عليهم كيف يمنن اللَّه تعالى على خلقه بالنعم و ذلک من فعل النجل، لان الواحد منا لو منّ على غيره بما يسدى اليه كان مقبحاً؟! قبل: إنما يقبح الامتنان إذا كان الغرض الإزراء بالنعم عليه و التفضيل به، فاما إذا كان الغرض تعريف النعمة و تعديدها و إعلامه وجوهها ليقابلها بالشكر فيستحق به الثواب و المدح، فانه نعمة اخرى و تفضل آخر يستحق به الشكر فبطل ما قالوه.

_____

(1) مجاز القرآن 2/ 302 و قد مر فى 3/ 109 و 5/ 235

94-سورة الانشراح ..... ص: 371

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک، و هى ثمان آيات بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ (1) وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ (2) الَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ (3) وَ رَفَعْنا لَکَ ذِکْرَکَ (4)
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْراً (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْراً (6) فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7) وَ إِلی رَبِّکَ فَارْغَبْ (8)
ثمان آیات.
روی أصحابنا ان أ لم نشرح من الضحی سورة واحدة لتعلق بعضها ببعض و لم یفصلوا بینهما ب (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ) و أوجبوا قراءتهما فی الفرائض فی رکعة و ألا یفصل بینهما. و مثله قالوا فی سورة (أ لم تر کیف) و (الإیلاف) و فی المصحف هما سورتان فصل بینهما ببسم اللَّه.
و المعنی بهذه الآیات تعداد نعم اللَّه تعالی علی النبی صلی اللَّه علیه و آله فی الامتنان بها علیه فقال (أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ) فالشرح فتح الشیء باذهاب ما یصد عن إدراکه فاللَّه تعالی قد فتح صدر نبیه باذهاب الشواغل التی تصد عن إدراک الحق و تعظیمه بما یجب له. و منه قول القائل: اشرح صدری لهذا الأمر. و شرح فلان کتاب کذا، و منه تشریح اللحم إذا فتحه و رققه. و منه قوله (أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 372
لِلْإِسْلامِ)
«1». و قال البلخی: کان النبی صلی اللَّه علیه و آله ضاق صدره بمغاضبة الجن و الانس له فآتاه اللَّه من آیاته و وعده ما اتسع قلبه لکل ما حمله اللَّه و أمره به. و قال الجبائی:
شرح اللَّه صدره بأن فعل له لطفاً بسنن منه إلی ما کلفه اللَّه و سهل علیه، و کان ذلک ثواباً علی طاعاته لا یجوز فعله بالکفار، و عکسه ضیق الصدر کما قیل فی قوله (فَمَنْ یُرِدِ اللَّهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیِّقاً حَرَجاً کَأَنَّما یَصَّعَّدُ فِی السَّماءِ کَذلِکَ یَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَی الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ) «2» و الصدر الموضع الأرفع الذی فیه القلب، و منه أخذ صدر المجلس تشبیهاً بصدر الإنسان.
و صدرته بکذا إذا جعلته فی أول کلامک. و الصدر لأن الأوامر تصدر عنه.
و صادره إذا أخذ ما یصدر عنه و الأصل الانصراف عن الشیء.
و قوله (وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ) قال الحسن: یعنی بالوزر الذی کان علیه فی الجاهلیة قبل النبوة. و قال مجاهد و قتادة و الضحاک و ابن زید: یعنی ذنبک.
قالوا:
و إنما وصفت ذنوب الأنبیاء بهذا الثقل مع انها صغائر مکفرة لشدة اغتمامهم

بها و تحسرهم على وقوعها مع ندمهم عليها. و هذان التأويلان لا يصحان على مذهبنا، لان الأنبياء عليهم السلام لا يفعلون شيئاً من القبائح لا قبل النبوة و لا بعدها و لا صغيرة و لا كبيرة، فإذا ثبت هذا، فمعنى الآية هو أن اللّه تعالى لما بعث نبيه و أوحى اليه و انتشر أمره و ظهر حكمه كان ما كان من كفار قومه و تتبعهم لأصحابه باذاهم له و تعرضهم إياهم ما كان يغمه و يسؤه و يضيق صدره و يثقل عليه، فأزال اللّه ذلک بأن أعلى كلمته و أظهر دعوته و قهر عدوه. و أنجز وعده و نصره على قومه، فكان ذلک من أعظم المنن و أجزل النعم.
فإذا قيل: السورة مكية، و كان ما ذكرتموه بعد الهجرة؟!

---

(1) سورة 39 الزمر آية 22
(2) سورة 6 الانعام آية 125

قيل: ليس يمنع أن يكون اللّه أخبره بأن ذلک سيكون فيما بعد ليبشره به و يسليه عما هو عليه فجاء بلفظ الماضى و أراد الاستقبال، كما قال (وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ) «1» و كما قال (وَ نادَوْا يا مالِکُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّکَ) «2» و الوزر الثقل فى اللغة، و منه اشتق اسم الوزير لتحمله أثقال الملک. و إنما سميت الذنوب أوزاراً لما فيها من العقاب العظيم.
و قوله (الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَکَ) نعت للوزر، و وصفه بأنه انقض ظهره بمعنى أثقله، و الانقاض الأثقال الذى ينتقض به ما حمل عليه، أنقض ينقض انقاضاً و النقض و الهدم واحد، و نقض المذهب إبطاله بما يفسده. و قال الحسن و مجاهد و قتادة و ابن زيد: معنى انقض أثقل، و بعير نقض سفر إذا أثقله السفر.
و قوله (وَ رَفَعْنا لَکَ ذِکْرَکَ) قال الحسن و مجاهد و قتادة: معناه إنى لا اذكر إلا ذكرت معى يعنى ب (لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه صلى الله عليه و آله).
و قوله (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) يدل على أن التأويل فى قوله (وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ) ما قلناه، لأن اللّه بشره أنه يكون مع العسر يسراً و روى عن ابن عباس أنه قال: لن يغلب عسر واحد يسرين، لأنه حمل العسر فى الآيتين على انه واحد لكونها بالألف و اللام، و اليسر منكر فى تثنية الفائدة، و الثانى غير الاول، و العسر صعوبة الامر و شدته، و اليسر سهولته.
ثم قال له (فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ) قال ابن عباس: معناه فإذا فرغت من فرضک فانصب الى ما رغبک الله فيه من العمل. و قال قتادة: معناه فإذا فرغت من صلاتک فانصب الى ربک فى الدعاء. و قال مجاهد: معناه فإذا فرغت من أمر دنياک فانصب الى عبادة ربک. و معنى (فَانْصَبْ) ناصب

يقال: ناله هم ناصب أى ذو

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 43
(2) سورة 43 الزخرف آية 77
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 374
نصب. و يقال: أنصبنى الهم فهو منصب قال الشاعر:
تعناک هم من أميمة منصب «1»
و قال النابغة:
كلينى لهم يا اميمه ناصب «2»
أى فيه نصب كقوله (عِيشَةٍ راضِيَةٍ) «3» أى ذات رضى. و الخطاب و إن كان متوجهاً إلى النبى صلى اللّه عليه و آله فالمراد به جميع المكلفين من أمته، و الفراغ انتفاء كون الشىء المضاد لكون غيره فى المحل. و نقيضه الشغل، و هو كون الشىء المضاد فى المحل و منه أخذ شغل الافعال، و لهذا لا يوصف تعالى بأنه يشغله شىء عن شىء، لأنه تعالى يخترع ما شاء من الافعال.
و قوله (وَ إِلى رَبِّکَ فَارْغَبْ) حث له على الرغبة فى الطلب من الله تعالى دون غيره.

---

(1) مر فى 8/ 567
(2) مر فى 5/ 368 و 6/ 95 329 و 8/ 122، 567
(3) سورة 69 الحاقة آية 21 و سورة 101 القارعة آية 7
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 375

95-سورة التين ..... ص: 375

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک، و هى ثمان آيات بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ (1) وَ طُورِ سِينِينَ (2) وَ هذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)
ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ (5) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6) فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (7) أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحاكِمِينَ (8)
ثمان آيات.
هذا قسم من اللَّه تعالى بالتين و الزيتون، و قال الحسن و مجاهد و عكرمة و قتادة: هو التين الذى يؤكل و الزيتون الذى يعصر. و قال ابن زيد: التين مسجد دمشق و الزيتون بيت المقدس. قال الفراء: سمعت رجلا من أهل الشام، و كان صاحب تفسير، قال: التين جبال ما بين حلوان إلى همدان، و الزيتون الذى يعصر (وَ طُورِ سِينِينَ) هو قسم آخر. و قال مجاهد و قتادة (الطور) جبل. و (سِينِينَ) معناه مبارک، فكأنه قيل: جبل فيه الخير الكثير، لأنه أضافه إضافة تعريف. و قال الحسن: طُورِ سِينِينَ هو الجبل الذى كلم اللَّه عليه موسى بن عمران عليه السلام، فهو عظيم التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 376
الشأن. و قيل: سِينِينَ بمعنى حسن، لأنه كثير النبات و الشجر- فى قول عكرمة- و قوله (وَ هذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) قسم آخر، و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابن زيد و ابراهيم: البلد الأمين مكة، و الأمين بمعنى آمن، كما قال اللَّه تعالى (أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً) «1» قال الشاعر:
أ لم تعلمى يا اسم ويحک اننى حلفت يميناً لا أخون أمينى «2»
يريد أمنى، و قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) جواب القسم قال ابن عباس: خلق اللَّه تعالى الإنسان فى أحسن تقويم منتصب القامة و سائر الحيوان منكب. و قال الفراء: معناه إنا لنبلغ بالآدمى أحسن تقويمه، و هو اعتداله و استواء شبابه، و هو أحسن ما يكون. و قال الحسن و مجاهد و قتادة: معناه فى أحسن صورة و التقويم تصيير الشىء على ما ينبغى أن يكون عليه من التأليف و التعديل، قومه تقويماً فاستقام، و تقوم.
و قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ) قال ابن عباس و ابراهيم و قتادة: معناه إلى أرذل العمر، و قال الحسن و مجاهد و ابن زيد: ثم رددناه إلى النار فى أقبح صورة ثم استثنى من جملتهم (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا) باللَّه تعالى و أخلصوا العبادة له (وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) أى و أضافوا إلى ذلک الاعمال الصالحات، و بين أن من هذه صفته (فَلَهُمْ أَجْرٌ) أى ثواب على طاعاتهم (غَيْرُ مَمْنُونٍ) أى غير منقوص. و قيل غير مقطوع، و قال مجاهد: غير محسوب، و قيل غير مكدر بما يؤذى و يغم.

و قوله (فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) معناه أى شىء يكذبك أيها الإنسان بعد هذه الحجج بالدين الذى هو الجزاء. و قال قتادة: معناه فمن يكذبك أيها الإنسان

---

(1) سورة 29 العنكبوت آية 67
(2) تفسير القرطبى 20/ 113

بعدها بالدين الذى هو الجزاء و الحساب، و هو قول الحسن و عكرمة.
و قوله (أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحاكِمِينَ) تقرير للإنسان على الاعتراف بأنه تعالى أحكم الحاكمين صنعاً و تدبيراً، لأنه لا خلل فيه و لا اضطراب يخرج عما تقتضيه الحكمة و فى ذلک دلالة على فساد مذهب المجبرة فى أن اللّه يخلق الظلم و الفساد. و الحكم الخبر بما فيه فائدة بما تدعو اليه الحكمة، فإذا قيل: حكم جائر فهو بمنزلة حجة داحضة مجازاً بمعنى أنه حكم عند صاحبه كما أنها حجة عنده، و ليست حجة فى الحقيقة. و قيل:
المعنى أى شىء يكذبک بالدين، و يحملک على جحد الجزاء يوم القيامة و أنا أحكم الحاكمين. و روى عن ابن عباس أنه كان إذا قرأ (أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحاكِمِينَ) قال: سبحانک اللهم بلى، و
روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال (إذا قرأ أحدكم و التين و الزيتون فأتى على آخرها فليقل: بلى).

96-سورة العلق ..... ص: 378

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک، و هى تسع عشرة آية فى الكوفى و البصرى و عشرون فى المدنيين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ (3) الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4)
عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ (5) کَلاَّ إِنَّ الْإِنْسانَ لَیَطْغی (6) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنی (7)
إِنَّ إِلی رَبِّکَ الرُّجْعی (8) أَ رَأَیْتَ الَّذِی یَنْهی (9)
عَبْداً إِذا صَلَّی (10)
عشر آیات.
روی عن عائشة و مجاهد و عطاء و ابن سیار: ان أول آیة نزلت قوله (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ) و هو قول أکثر المفسرین. و قال قوم: أول ما نزل قوله (یا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ) و قد ذکرناه فیما مضی.
هذا أمر من اللّه تعالی لنبیه صلی الله علیه و آله ان یقرأ باسم ربه الذی خلق الخلق، و أن یدعوه بأسمائه الحسنی. و فی تعظیم الاسم تعظیم المسمی، لأن الاسم وصف لیذکر به المسمی بما لا سبیل إلی تعظیمه إلا بمعناه، فلهذا لا یعظم اسم اللّه حق التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 379
تعظیمه إلا من هو عارف به و معتقد لعبادة ربه، فهو معتقد بتعظیم المسمی لا وجه له یعتد به إلا تعظیم المسمی، و لهذا قال اللّه تعالی (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَیًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنی) «1» و قال (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ) «2» و قال اللّه تعالی (تَبارَکَ اسْمُ رَبِّکَ ذِی الْجَلالِ وَ الْإِکْرامِ) «3» و الباء زائدة، و تقدیره اقرأ اسم ربک.
و قوله (الذی خلق) فی موضع جر، نعت ل (ربک) الذی خلق الخلائق و أخرجهم من العدم إلی الوجود. و قوله (خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ) تخصیص لبعض ما ذکره بقوله (الذی خلق) لأنه یشتمل علی الإنسان و غیره، و إنما أفرد الإنسان بالذکر تشریفاً له و تنبیهاً علی ما خصه اللّه به من سائر الحیوان، و بین أنه مع ذلک خلقه اللّه من علق، و هو القطعة الجامدة من الدم، و إنما قال (علق) و هو جمع علقة لأن المراد بالإنسان الجمع، لأنه اسم جنس، و سمی به قطع الدم التی تعلق لرطوبتها بما تمر به، فإذا جفت لا تسمی علقاً، و واحدها (علقة) مثل شجرة و شجر. و علق فی معنی الجمع، لان الإنسان جمع علی طریق الجنس، و النطفة تستحیل فی الرحم علقة ثم مضغة و یسمی ضرب من الدود الأسود العلق، لأنه یعلق علی الشفتین لداء یصیبها فیمتص الدم. و فی خلق الإنسان من علق دلیل علی ما یصح أن ینقلب الیه الجوهر.
و قوله (اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ) معناه اقرأ القرآن و ربک الأکرم و معنی الأکرم:

الأعظم كرماً و فى صفة اللّه تعالى معناه الأعظم كرماً بما لا يبلغه كرم، الذى يثيبک على عملک بما يقتضيه كرمه، لأنه يعطى من النعم ما لا يقدر على مثله غيره، فكل نعمة من جهته تعالى، إما بأن اخترعها أو سببها و سهل الطريق اليها.

---

(1) سورة 17 الإسراء آية 110
(2) سورة 69 الحاقة آية 52
(3) سورة 55 الرحمن آية 78
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 380
و قوله (الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) (الذى) فى موضع رفع، لأنه نعت لقوله (و ربک) و المعنى إنه تعالى امتن على خلقه بما علمهم من كيفية الكتابة بالقلم، لما فى ذلک من كثرة الانتفاع لخلقه، فقد نوّه اللّه بذكر القلم إذ ذكره فى كتابه، و قد وصف بعض الشعراء القلم فقال:
لعاب الافاعى القاتلات لعابه و أرى الجنا اشتارته أيد عواسل
و قوله (عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ) امتنان من اللّه تعالى على خلقه بأن علمهم ما لم يكونوا عالمين به إما بخلق العلوم فى قلوبهم من الضروريات أو بنصب الأدلة لهم على الوصول اليها فيما لم يعلموه ضرورة، و ذلک من أعظم نعم اللّه تعالى على خلقه. و فى ذلک دلالة على انه تعالى عالم لان العلم لا يقع إلا من عالم.
و قوله (كلا) ردع و زجر و تقديره ارتدعوا و انزجروا معاشر المكلفين، ثم اخبر (إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى) و يحتمل أن يكون بمعنى حقاً على وجه القسم بأن الإنسان ليطغى أى ليجاوز الحد فى العصيان و الخروج عن الطاعة (أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى) أى إذا كثر ماله و استغنى بطر و طغى، و خرج عن الحد المحدود له، و يجوز أن يقال: زيد رآه استغنى من الرؤية بمعنى العلم، و لا يجوز من رؤية العين، زيد (رآه) حتى تقول رأى نفسه، لان الذى يحتاج إلى خبر جاز فيه الضمير المتصل لطول الكلام بلزوم المفعول الثانى. و قرأ ابو عمرو (رآه) بفتح الراء و كسر الهمزة.
و قرأ نافع و حفص عن عاصم بالفتح فيهما. الباقون بفتح الراء و بعد الهمزة الف على وزن (وعاه) على إمالة الفتحة، و ابو عمرو يميل الالف.
ثم قال على وجه التهديد لهم (إِنَّ إِلى رَبِّکَ الرُّجْعى)
فالرجعى و المرجع و الرجوع واحد أى مصيرهم و مرجعهم إلى اللّه فيجازيهم اللّه على أفعالهم على الطاعات بالثواب، و على المعاصى بالعقاب. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 381
و قوله (أَ رَأَيْتَ الَّذِى يَنْهى عَبْداً إِذا صَلَّى) تقرير للنبى صلى الله عليه و آله و إعلام له ما يفعله بمن ينهاه عن الصلاة. و قيل: إن الآيات نزلت فى أبى جهل بن هشام، و المراد بالعبد فى الآية النبى صلى الله عليه و آله

فان أبا جهل كان ينهى النبى صلى الله عليه و آله عن الصلاة و كان النبى صلى اللَّه عليه و آله لما قال ابو جهل: أ لم أنهک عن الصلاة انتهره و اغلظ له، فقال أبو جهل، أنا اكثر أهل هذا الوادى ناديا- ذكره ابن عباس و قتادة-
و المعنى أ رأيت يا محمد صلى اللَّه عليه و آله من فعل ما ذكرناه من منع الصلاة، و ينهى المصلين عنها؟
ما ذا يكون جزاؤه؟ و ما يكون حاله عند اللَّه؟ و ما الذى يستحقه من العقاب؟.

أَ رَأَيْتَ إِنْ كانَ عَلَى الْهُدى (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوى (12) أَ رَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (13) أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى (14) كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ (15)
ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ (16) فَلْيَدْعُ نادِيَهُ (17) سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ (18) كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ (19)
تسع آيات.
لما قال للنبى صلى اللَّه عليه و آله (أَ رَأَيْتَ الَّذِى يَنْهى عَبْداً إِذا صَلَّى) بين ما ينبغى أن يقال له فانه يقال له (أَ رَأَيْتَ إِنْ كانَ) هذا الذى صلى (عَلَى الْهُدى) و الطريقة الصحيحة (أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوى) أى بأن يتقى معاصى اللَّه كيف يكون حال من ينهاه عن الصلاة و يزجره عنها؟! ثم قال للنبى صلى اللَّه عليه و آله (أَ رَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى) بما يقال له و أعرض عن قبوله. و الإصغاء اليه (أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى) أى يعلم ما يفعله و يدرک ما يصنعه، فالهدى البيان عن الطريق المؤدى إلى الغرض الحكمى يقال: التبيان فى
تفسير القرآن، ج10، ص: 382
هداه إلى الحق فى الدين يهديه هدى، و العمل بالبيان عن طريق الرشد هدى، و كذلک باللطف فيه. و التقوى تجنب ما يؤدى إلى الردى، اتقاه اتقاء و تقوى و الأصل وقياً. فأبدلت الواو تاء، و الياء واواً، لأن التاء أحسن أولا من الواو مع مناسبتها بالقرب و امتناع المخرج، و التقدير أ رأيت الذى فعل هذا الفعل ما الذى يستحق بذلک من اللَّه من العقاب. ثم قال على وجه التهديد (كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ) عن هذا الفعل و القول (لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ) أى لنغيرن بها إلى حال تشويه، يقال:
سفعته النار و الشمس إذا غيرت وجهه إلى حال تشويه، و قيل: هو أن يجر بناصيته إلى النار، و الناصية شعر مقدم الرأس. و هو من ناصى يناصى مناصاة إذا واصل قال الراجز:
قىّ يناصيها بلاد قىّ «1»
فالناصية متصلة بشعر الرأس. و قوله (ناصية) بدل من (الناصية) بدل النكرة من المعرفة و وصفها بأنها (كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ) و منعاه أن صاحبها كاذب فى أقواله خاطئ فى أفعاله و أضاف الفعل اليها لما ذكر الخبر بها. و قوله (فَلْيَدْعُ نادِيَهُ) وعيد للذى قال: أنا اكثر هذا الوادى نادياً بأن قيل له (فَلْيَدْعُ نادِيَهُ) إذا حل عقاب اللَّه به. و قال ابو عبيدة: تقديره، فليدع أهل ناديه، كقوله (وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ) «2» و النادى الفناء و منه قوله (وَ تَأْتُونَ فِى نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) «3» ثم قال «سَنَدْعُ» نحن (الزَّبانِيَةَ) يعنى الملائكة الموكلين بالنار- فى قول ابن عباس و قتادة و مجاهد و الضحاک- و قال ابو عبيدة: واحد

الزبانية زبينة، و قال الكسائى واحدهم زبنى.
و قال الأخفش: واحدهم زابن. و قيل: زبنية. و يجوز أن يكون اسماً للجمع مثل

_____

(1) مر فى 6/ 11 و 9/ 477، 508 [.....]
(2) سورة 12 يوسف آية 82
(3) سورة 29 العنكبوت آية 29

أبابيل، و الزبن الدفع، و الناقة تزبن الحالب أى تركضه برجلها، و قال الشاعر:
و مستعجب مما يرى من أناتنا و لو زبنته الحرب لم يترمرم
ثم قال (كَلَّا) أى ارتدع و انزجر ف (لا تُطِعْهُ) أى لا تطع هذا الكافر، فانه ليس الامر على ما يظن هذا الكافر و هو أبو جهل الذى نزلت الآيات فيه «وَ اسْجُدْ» للّه تعالى و أطعه «وَ اقْتَرِبْ» من ثوابه بطاعته. و قيل: معناه تقرب اليه بطاعته دون الرياء و السمعة. و السجود- هنا- فرض و هو من العزائم، و هى أربعة مواضع: ألم تنزيل، و حم السجدة، و النجم، و اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ. و ما عداها فى جميع القرآن مسنون ليس بمفروض. و فيه خلاف ذكرناه فى الخلاف.

97-سورة القدر ..... ص: 384

اشارة

مدنية فى قول الضحاک. و قال عطاء الخراسانى هى مكية، و هى خمس آيات بلا خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَ ما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5)
خمس آيات قرأ الكسائى و خلف «مطلع الفجر» بكسر اللام على معنى وقت طلوعه.
الباقون بالفتح على المصدر، و روى عن ابن عباس انه قرأ «من كل امرئ» بمعنى من الملائكة. الباقون «من كل أمر» بمعنى الواحد من الأمور.
يقول اللّه تعالى مخبراً انه أنزل القرآن فى ليلة القدر، فالهاء كناية عن القرآن، و إنما كنى عما لم يجر له ذكر، لأنه معلوم لا يشتبه الحال فيه. و قال ابن عباس:
أنزل اللّه القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا فى ليلة القدر، و قال الشعبى: إنا ابتدأنا إنزاله فى ليلة القدر، و ليلة القدر هى الليلة التى يحكم اللّه فيها و يقضى بما يكون فى السنة بأجمعها من كل أمر- فى قول الحسن و مجاهد- يقال: قدر اللّه هذا الأمر يقدره قدراً إذا جعله على مقدار ما تدعو اليه الحكمة. و قيل: فسر اللّه تعالى ليلة التبيان فى تفسير القرآن،

القدر بقوله «فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» «1» و قيل: سميت ليلة القدر لعظم شأنها و جلالة موقعها من قولهم: فلان له قدر و الأول أظهر، و ليلة القدر فى العشر الأواخر من شهر رمضان بلا خلاف، و هى ليلة الافراد بلا خلاف، و قال أصحابنا: هى احدى الليلتين إما ليلة احدى و عشرين أو ثلاث و عشرين، و جوز قوم: أن يكون سائر ليالى الافراد إحدى و عشرين و ثلاث و عشرين، و خمس و عشرين، و سبع و عشرين و تسع و عشرين، و جوزوا أيضاً تقديمها فى سنة و تأخيرها فى أخرى، و إنما لم تعين هذه الليلة ليتوفر العباد على العمل فى سائر الليالى. و القدر كون الشىء على مساواة غيره من غير زيادة و لا نقصان، ففى ليلة القدر تجدد الأمور على مقاديرها جعلها اللّه فى الآجال و الأرزاق و المواهب التى يجعلها اللّه للعباد، و يقع فيها غفران السيئات و يعظم منزلة الحسنات على ما لا يقع فى ليلة من الليالى، فينبغى للعاقل أن يرغب فيما رغبه اللّه بالمبادرة إلى ما أمر به على ما شرط فيه. و الأوقات إنما يفضل بعضها على بعض بما يكون من الخير الجزيل و النفع الكثير فيها دون غيرها فلما جعل اللّه تعالى الخير الكثير يقسم فى ليلة القدر بما جعله اللّه فيها من هذا المعنى، و لذلك قال «وَ ما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ» تعظيماً لشأنها و تفخيماً، و انك يا محمد لا تعلم حقيقة

ذلک.
ثم بين تعالى ذلک فقال «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» و المعنى إن الثواب على الطاعة فيها خير يفضل على ثواب كل طاعة تفعل فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر. و قيل إن اللَّه يتفضل على خلقه فى هذه الليلة و ينعم عليهم بما لا يفعل فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر ربما لا يكون مثله فى الف شهر و كانت أفضل من الف شهر

---

(1) سورة 44 الدخان آية 4

ليس فيها ليلة القدر. و الشهر فى الشرع عبارة عن ما بين هلالين من الأيام، و سمى شهراً لاشتهاره بالهلال. و قد يكون الشهر ثلاثين و يكون تسعة و عشرين إذا كانت هلالية، فان لم تكن هلالية فهى ثلاثون. و قوله «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيها» معناه تنزل الملائكة و الروح الذى هو جبرائيل بكل أمر فى ليلة القدر إلى سماء الدنيا حتى يعلمه أهل سماء الدنيا، فيكون لطفاً لهم و حتى يتصوره العباد ينزل بأمر اللَّه اليها، فتنصرف آمالهم إلى ما يكون منها فيقوى رجاؤهم بما يتجدد من تفضل اللَّه فيها.
و قيل: إن نزولها بالسلامة و الخير و البركة إلى تلک الساعة «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» أى ما ينزلون به كله بأمر اللَّه، و يكون الوقف- هاهنا- تاماً على ما قرأ به القراء المشهورون، و على ما حكيناه عن ابن عباس و هو قول عكرمة و الضحاک:
لا يكون تاماً.
و قوله «سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» قيل هو سلام الملائكة عليهم السلام بعضهم على بعض إلى طلوع الفجر. و قيل: معناه سلام هى من الشر حتى مطلع الفجر- ذكره قتادة- و قيل إن فضل الصلاة فيها و العبادات على الف شهر يراد بها الى وقت طلوع الفجر، و ليست كسائر الليالى التى فضلت بالعبادة فى بعضها على بعض و المطلع الطلوع، و المطلع موضع الطلوع، و جر (مطلع) ب (حتى) لأنها إذا كانت بمعنى الغاية خفضت الاسم بإضمار (الى) و نصبت الفعل بإضمار (الى أن) كقولک:
دخلت الكوفة حتى مسجدها، أى حتى انتهيت إلى مسجدها، و الفعل كقولک:
أسير حتى أدخلها، بمعنى الى ان أدخلها.

98-سورة البيِّنة ..... ص: 387

اشارة

مدنية فى قول ابن عباس و الضحاک، و هى ثمان آيات فى الكوفى و المدنيين، و تسع فى البصرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (1) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً (2) فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (3) وَ ما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (4)
وَ ما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ وَ يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكاةَ وَ ذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ الْمُشْرِكِينَ فِي نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7) جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (8)
ثمان آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 388
قرأ نافع و ابن عامر- فى رواية ابن ذكوان «خير البرئية» و «شر البرئية» مهموزتان الباقون بغير همز. من همز جعله من (برأ اللّه الخلق يبرؤهم) و منه البارئ و من لم يهمز يجوز أن يكون خفف. و يجوز أن يكون من البرى الذى هو التراب، كما يقال: بغاك من سار إلى القوم البرىء، و روى أبو نشيط من طريق القرطى «لمن خشى ربه» بضم الهاء من غير إشباع. الباقون بضم الهاء، و وصلها بواو فى اللفظ يقول اللّه تعالى «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ» قال الحسن و قتادة معناه لم يكونوا منتهين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة. و قال قوم: معناه لم يكونوا منفكين من كفرهم أى زائلين. و قيل: معناه لم يكونوا ليتركوا منفكين من حجج اللّه حتى تأتيهم البينة التى تقوم بها الحجة عليهم و قال الفراء: منعاه لم يكونوا منفكين من حجج اللّه بصفتهم للنبى صلى اللّه عليه و آله أنه فى كتابهم و قيل معناه لم يكونوا زائلين من الدنيا، و الانفكاك على وجهين: على لا يزال و لا بد لها من خبر و حرف الجحد. و يكون على الانفصال فلا يحتاج إلى خبر و لا حرف جحد، كقولك انفك الشىء من الشىء قال ذو الرمة:
قلائص ما تنفك إلا مناخة على الخسف أو يرمى بها بلداً قفرا «1»
فجعله الفراء من (انفك الشىء من الشىء) و جعله غيره من (ما يزال) إلا أنه ضرورة. و الانفكاك انفصال عن شدة اجتماع. و اكثر ما يستعمل ذلك فى النفى كما أن (ما زال) كذلك تقول: ما انفك من هذا الأمر أى ما انفصل منه لشدة ملابسته له. و المعنى أن هؤلاء الكفار من أهل الكتاب يعنى اليهود و النصارى و من المشركين يعنى عباد الأصنام لا يفارقون الكفر إلى أن تأتيهم البينة يعنى الحجج الظاهرة التى يتميز بها الحق من الباطل، و

هى من البينونة. و فصل الشىء من غيره

---

(1) ديوانه 173 (كمبريج) و روايته (حراجيج) بدل (قلائص)

فالنبى صلى اللَّه عليه و آله حجة و بينة، و إقامة الشهادة العادلة بينة، و كل برهان و دلالة فهو بينة، و قوله «رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ» هو بيان تلك البينة، بينها بأنه رسول من قبل اللَّه يتلو عليهم صحفاً مطهرة، يعنى فى السماء لا يمسها إلا الملائكة المطهرون من الانجاس و قوله «فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ» معناه فى تلك الصحف كتب جمع كتاب «قَيِّمَةٌ» فالقيمة المستمرة فى جهة الصواب، فهو على وزن (فيعلة) من قام الأمر يقوم به إذا أجراه فى جهة الاستقامة. و قال قتادة: صحفاً مطهرة يعنى من الباطل و هو القرآن يذكره بأحسن الذكر و يثنى عليه بأحسن الثناء.

و قوله «وَ ما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ» اخبار من اللَّه تعالى أن هؤلاء الكفار لم يختلفوا فى نبوة النبى صلى اللَّه عليه و آله لأنهم مجمعين على نبوته بما وجدوه فى كتبهم من صفاته، فلما أتاهم بالبينة الظاهرة و المعجزة القاهرة تفرقوا و اختلفوا، فآمن بعضهم و كفر بعضهم. و فى ذلك دلالة على بطلان قول من يقول: إن الكفار خلقوا كفاراً فى بطون أمهاتهم، لأنه تعالى بين أنهم لم يختلفوا فى ذلك قبل مجىء معجزاته و أدلته، و لا يلزم على ذلك أن يكون مجيئ الآيات مفسدة من حيث وقع الفساد عندها، لأنه ليس حد المفسدة ما يقع عنده الفساد، بل حده ما يقع عنده الفساد و لولاه لم يقع، من غير أن يكون تمكيناً، و هاهنا المعجزات تمكين فلم يكن مفسدة.

ثم قال تعالى «وَ ما أُمِرُوا» أى لم يأمرهم اللَّه تعالى «إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ» وحده و لا يشركوا بعبادته غيره «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» لا يخلطون بعبادته عبادة سواه.

و قوله «حُنَفاءَ» جمع حنيف، و هو المائل إلى الحق، و الحنفية الشريعة المائلة إلى الحق، و أصله الميل، و من ذلك الأحنف: المائل القدم إلى جهة القدم الاخرى.

و قيل: أصله الاستقامة، و إنما قيل للمائل القدم أحنف على وجه التفاؤل، و قوله التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 390

«وَ يُقِيمُوا الصَّلاةَ» أى يدوموا عليها و يقوموا بحدودها «وَ يُؤْتُوا الزَّكاةَ» المفروضة من أموالهم. ثم قال «وَ ذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» أى ذلك الذى تقدم ذكره دين القيمة و تقديره ذلك دين الملة القيمة و الشريعة القيمة.

و قوله «وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ» دليل على فساد مذهب المجبرة: ان اللَّه خلق الكفار ليكفروا به، لأنه صرح هاهنا أنه خلقهم ليعبدوه. و ليس فى الآية دلالة على أن أفعال الجوارح من الايمان، و لا من الدين، لأنه يجوز أن

يكون المراد «وَ ذلِکَ» إشارة إلى الدين، و تقديره و الدين بذلک هو دين القيمة، لأن من لا يعتقد جميع ذلک و يؤمن بجميع ما يجب عليه فليس بمسلم. و قد تقدم قوله «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» ثم قال «وَ ذلِکَ» يعنى و ذلک الدين «دِينُ الْقَيِّمَةِ» و ليس يلزم أن يكون راجعاً إلى جميع ما تقدم، كما لا يلزم على مذهبهم فى قوله «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِکَ يَلْقَ أَثاماً» «1» أن يكون راجعاً إلى الشرک، و قتل النفس و الزنا، بل عندهم يرجع إلى كل واحد من ذلک. فكذلک- هاهنا- و قد استوفينا ما يتعلق بذلک فى كتاب الأصول.
و فى الآية دلالة على وجوب النية فى الطهارة، لأنه بين تعالى أنه أمرهم بالعبادة على الإخلاص، و لا يمكن ذلک إلا بالنية و القربة، و الطهارة عبادة لقوله صلى اللَّه عليه و آله (الوضوء شطر الايمان)
و ما هو شطر الايمان لا يكون إلا عبادة.
ثم اخبر تعالى عن حال الكفار و المشركين فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ الْمُشْرِكِينَ» يعنى من جحد توحيد اللَّه و أنكر نبوة نبيه و أشرک معه إلهاً آخر فى العبادة «فِى نارِ جَهَنَّمَ» معاقبين فيها جزاء على كفرهم «خالِدِينَ فِيها» أى مؤبدين لا يفنى عقابهم. ثم قال «أُولئِکَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ» أى شر الخليقة، و البرية

---

(1) سورة 25 الفرقان آية 68

(فعيلة) من برأ اللَّه الخلق إلا أنه ترک فيهما الهمز، و من همز فعلى الأصل. و يجوز أن يكون (فعيلة) من البرى و هو التراب.
ثم أخبر عن حال المؤمنين فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» باللَّه و أقروا بتوحيده و اعترفوا بنبوة نبيه «وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِکَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» أى هم أحسنهم حالة. و إنما أطلق بأنهم خير البرية، لان البرية هم الخلق، و لا يخلوا أن لا يكونوا مكلفين، فالمؤمن خير منهم لا محالة. و إن كانوا مكلفين: فاما أن يكونوا مؤمنين أو كافرين أو مستضعفين، فالمؤمن خيرهم أيضاً لا محالة بما معه من الثواب.
و قوله «جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» يعنى جزاء إيمانهم و طاعاتهم عند اللَّه يوفيهم اللَّه يوم القيامة، ثم فسر ذلک الجزاء فقال «جَنَّاتُ عَدْنٍ» أى بساتين إقامة «خالِدِينَ فِيها» أى مؤبدين فيها «أَبَداً رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ» أى رضى أفعالهم «وَ رَضُوا عَنْهُ» بما فعل بهم من الثواب. و الرضا هو الارادة، إلا أنها لا تسمى بذلک إلا إذا وقع مرادها، و لم يتعقبها كراهية، فتسمى حينئذ رضاً، فأما الارادة لما يقع فى الحال او فيما يفعل بعد، فلا تسمى رضا، فرضى اللَّه عن العباد إرادته منهم الطاعات التى فعلوها، و رضاهم عنه إرادتهم الثواب الذى فعله بهم، ثم قال «ذلِکَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُ» أى ذلک الرضا و الثواب و الخلود

فی الجنة لمن خاف اللّه فترک معاصیه و فعل طاعاته.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج10، ص: 392

99-سورة الزلزال ..... ص: 392

اشارة

مدنية فى قول ابن عباس و قال الضحاک مكية، و هى ثمان آيات فى الكوفى و المدنى الأول، و تسع آيات فى البصرى و المدنى الأخير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها (1) وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها (2) وَ قالَ الْإِنْسانُ ما لَها (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها (4)
بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحى لَها (5) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)
ثمان آيات.
قرأ عاصم فى رواية أبان عنه «خيراً يره و شرّاً يره» بضم الياء فيهما بمعنى انه يريه غيره. الباقون بفتح الياء بمعنى أنه يراه و يبصره. و قرأ ابن عامر- فى رواية هشام- و ابن عامر و الكسائى عن أبى بكر- بسكون الهاء- فى قوله «خيراً يره، و شراً يره» الباقون بالإشباع فيهما. قال ابو على: الاشباع هو الأصل، و هو الوجه، كما تقول: اكرمهو، و ضربهو. و إنما يجوز إسكانها فى الشعر. و قد حكى ابو الحسن أنها لغة رديئة فمن سكن فعلى هذه اللغة. و قرأ ابو جعفر من طريق التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 393
ابن العلاف و روح- بضم الياء- من غير صلة بواو فيهما و قد بينا الوجه فيه.
يقول اللّه تعالى مخوفاً لعباده أهوال يوم القيامة و منذراً لهم بالآيات الباهرة بأن قال «إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها» فالزلزلة شدة الاضطراب بما يهدم البنيان زلزل يزلزل زلزالا، فكأنه مكرر (زل، يزل) للتكثير و التعظيم، و الزلزال- بكسر الزاى- المصدر، و بالفتح الاسم، و قال الحسن: زلزلت و رجت و رجفت بمعنى واحد و قوله «وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها» قال ابن عباس و مجاهد: معناه أخرجت موتاها، و أثقال الأرض ما فيها مدفون من الموتى و غيرها، فان الأرض تلفظ بكل ما فيها عند انقضاء أمر الدنيا، و تجديد أمر الآخرة.
و قوله «وَ قالَ الْإِنْسانُ ما لَها» معناه يقول الإنسان: أى شىء اصارها إلى هذه الحالة التى ترى بها، يقول الإنسان ذلک متعجباً من عظم شأنها و أنه لأمر عظيم لفظت بما فيها، و تخلت من جميع الأمور التى استودعها. و قوله «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها» قيل معناه يظهر بالدليل الذى يجعله اللّه فيها ما يقوم مقام اخبارها بأن أمر الدنيا قد انقضى و أمر الآخرة قد أتى، و انه لا بد من الجزاء و أن الفوز لمن اتقى و أن النار لمن عصى، و قيل: معناه تحدث أخبارها بمن عصا عليها إما بأن يقلبها حيواناً قادراً على الكلام فتتكلم بذلک أو يحدث اللّه تعالى الكلام فيها، و نسبه اليها مجازاً او يظهر فيها ما يقوم مقام الكلام فعبر عنه بالكلام، كما قال الشاعر:
امتلأ الحوض و قال قطنى مهلا رويداً قد ملأت بطنى «1»

و قال آخر:

---

(1) مر فى 1/ 231 و 8/ 85، 369، 471 و 9/ 111، 369

و قالت له العينان سمعاً و طاعة «1»

و يقولون عيناک تشهد لسهرک، و غير ذلک مما قد مضى نظائره. و قال ابن مسعود: الأرض تتكلم يومئذ، فتقول أمرنى اللّه بهذا. و قوله «بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحى لَها» معناه إن الأرض تحدث بهذا، فتقول: إن ربک يا محمد أوحى اليها.

قال العجاج:

وحى لها القرار فاستقرت «2»

أى أوحى اليها بمعنى القى إليها من جهة تخفى يقال: أوحى و وحى بمعنى واحد، ثم قال تعالى «يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ» إخبار من اللّه تعالى بأن ذلک اليوم يصدر الناس اشتاتاً أى مختلفين «لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ» أى ليجازوا على أعمالهم او ليريهم اللّه جزاء أعمالهم، و قيل: معنى رؤية الأعمال المعرفة بها عند تلک الحال، و هى رؤية القلب، و يجوز أن يكون التأويل على رؤية العين بمعنى ليروا صحائف أعمالهم يقرؤن ما فيها لقوله «و قالوا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها» و قيل ليروا جزاء أعمالهم حسب ما قدمناه، و قيل يرى الكافر حسناته فيتحسر عليها، لأنها محبطة، و يرى المحسن سيئاته مكفرة و حسناته مثبتة ثم قال تعالى على وجه الوعيد «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» قال ابو عبيدة: مثقال ذرة شراً يره أى يرى ما يستحق عليه من العقاب، و يمكن أن يستدل بذلک على بطلان الإحباط، لان عموم الآية يدل أنه لا يفعل شيئاً من طاعة أو معصية إلا و يجازى عليها و على مذهب القائلين بالإحباط بخلاف ذلک، فان ما يقع محبطاً لا يجازى عليه و لا يدل على أنه لا يجوز

---

(1) مر فى 1/ 431 و 6/ 45 و 8/ 471، 479

(2) مر فى 2/ 459 و 3/ 84 و 4/ 61 و 6/ 403

أن يعفى عن مرتكب كبيرة، لأن الآية مخصوصة بلا خلاف، لأنه ان تاب عفى عنه و قد شرطوا أن لا يكون معصية صغيرة، فإذا شرطوا الامرين جاز أن نخص من يعفو اللّه عنه.

100-سورة العاديات ..... ص: 395

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاک: هى مدنية، و هى إحدى عشرة آية بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ الْعادِياتِ ضَبْحاً (1) فَالْمُورِياتِ قَدْحاً (2) فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً (3) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً (4)
فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً (5) إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَ إِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهِيدٌ (7)
وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8) أَ فَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ (9)
وَ حُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ (10) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (11)
احدى عشرة آية.
قوله «وَ الْعادِياتِ ضَبْحاً» قسم من اللَّه تعالى بالعاديات. قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و عطاء: يعنى الخيل تضبح ضبحاً، فضبحاً نصب على المصدر.
و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 396
عبد اللَّه بن مسعود: يعنى الإبل، فعلى قول ابن عباس أراد ضبح الخيل فى الجهاد و الحرب، و قال ابن مسعود: أراد ضبح الإبل فى طريق الحج. و روى عن على عليه السلام أن المراد به الإبل، لأنه لم يكن يومئذ خيل للمسلمين.
و الضبح فى الخيل اظهر عند أهل اللغة. و
روى عن على عليه السلام أن الضبح فى الخيل الحمحمة عند العدو
و قيل الضبح شدة النفس عند العدو. و ضبحت الخيل تضبح ضبحاً و ضباحاً.
و قال أبو عبيدة: ضبح و ضبع بمعنى واحد أى تمد أضباعها فى السير.
و قوله «فَالْمُورِياتِ قَدْحاً» معناه المظهرات بسنابكها النار قدحاً، يقال: أورى القادح النار يورى إيراء إذا قدح قدحاً، و تسمى تلك النار نار الحباحب لضعفها، قال النابغة:
تجذ السلوقى المضاعف نسبحه و يوقدن بالصفاح نار الحباحب «1»
و هو رجل بخيل كانت ناره ضعيفة لئلا براها الأضياف. و قال قتادة و الضحاك و عطاء «فَالْمُورِياتِ قَدْحاً» الخيل حين تورى النار بسنابكها، و قال ابن عباس: هم الذين يورون النار بعد انصرافهم من الحرب، و قال مجاهد: يعنى إبطال الرجال، و قال عكرمة: الاسنة.
و قوله «فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً» قال ابن عباس: يعنى الخيل فى سبيل اللَّه. و قيل:
إنما ذكر (صبحاً) لأنهم كانوا يسيرون إلى العدو ليلا فيأتوهم صبحاً، و قيل: إنهم لعزهم أغاروا نهاراً، و قيل إنما أقسم بالمغيرات صبحاً لعظم شأنها فى الغارة على أعداء اللَّه من المشركين و معناه أمر الغارة عظيم، و إنما القسم تنبيه على عظم الشأن و تأكيد للاخبار.
و قوله «فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً» إخبار منه تعالى أن هذه الخيل تثير الغبار بعدوها

(1) مر فى 6/ 71

و سمى الغبار النقع، لأنه يغوص فيه صاحبه كما يغوص فى الماء يقال: نقعه ينقعه نقعاً، فهو ناقع، و استنقع استنقاعاً و انتقع انتقاعاً. و قال قتادة: النقع الغبار.
و قيل: الهاء فى قوله «به» عائد إلى معلوم أى بالمكان أو بالوادى.
و قوله «فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً» قال قتادة: يعنى وسطن بذلک المكان جمع العدو.
و قال مجاهد: يعنى جمع الفريقين. و قوله «إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ» جواب القسم و معناه- فى قول ابن عباس و قتادة و الحسن و مجاهد و ابن زيد- لكفور، فالكنود الكفور و منه الأرض الكنود التى لا تنبت شيئاً، و أصله منع الحق و الخير، قال الأعشى:
أحدث لها تحدث لوصلک إنها كند لوصل الزائر المعتاد «1»
و قيل: إنها سميت كند لقطعها إياها عن سماک.
و قوله «وَ إِنَّهُ عَلى ذلِکَ لَشَهِيدٌ» قال الحسن: معناه إن حسن الإنسان على ذلک لشاهد. و قال قتادة: تقديره و إن اللّه على ذلک لشهيد. و قوله «وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ» قيل تقديره و إنه لشديد الحب للخير. و قيل: معناه و إنه لشديد الحب للمال، فهو يظلم الناس بمنعه. و قال الحسن: لشديد معناه لشحيح يمنع منه حق اللّه. و قال المبرد و الربيع: معناه من أجل حب الخير الذى هو المال أو الملک لبخيل ثم قال على وجه التنكير على الإنسان و الوعيد له «أَ فَلا يَعْلَمُ» يعنى الإنسان الذى وصفه «إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ» معناه اثير ما فى القبور و أخرج، و مثله بحثر. و قوله «وَ حُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ» قال سفيان: معناه ميز الحق من الباطل. و قال غيره:
معناه جمع و أبرز.
و قوله «إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ» اخبار من اللّه تعالى و اعلام لخلقه أن الذى خلقهم و دبرهم فى ذلک اليوم بهم لعالم خبير بأحوالهم لا يخفى عليه شىء

(1) مجاز 2/ 307

من ذلک.
و
كان سبب نزول هذه السورة أن النبى صلى اللّه عليه و آله بعث سرية إلى حيّين من كنانة و استعمل عليهم أحد النقباء: المنذر بن عمرو الأنصارى،

فغابت عن النبى صلى اللّه عليه و آله و لم يعلم لها مخبر فانزل اللّه تعالى السورة و أخبر بحال القوم.

101-سورة القارعة ..... ص: 398

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک، و هى إحدى عشرة آية فى الكوفى و عشر فى المدنيين و ثمان فى البصرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الْقارِعَةُ (1) مَا الْقارِعَةُ (2) وَ ما أَدْراكَ مَا الْقارِعَةُ (3) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ (4)
وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (5) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ (7) وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ (9)
وَ ما أَدْراكَ ما هِيَهْ (10) نارٌ حامِيَةٌ (11)
احدى عشر آية.
قرأ حمزة و يعقوب (ما هى) بحذف الهاء فى الوصل، الباقون بإثباتها، و لم

التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 399

يختلفوا فى الوقف أنه بالهاء و معنى (القارعة) البلية التى تقرع القلب بشدة المخافة تقول: قرع يقرع قرعاً و هو الصوت بشدة اعتماد، و منه انشقت القرعة، و تقارع القوم فى القتال إذا تضاربوا بالسيوف، و قرع رأسه إذا ضرب فى أعلى الشعر حتى يذهبه، و القرعة كالضرب بالفال. و قال وكيع: القارعة، و الواقعة، و الحاقة القيامة.
و قوله «وَ ما أَدْراكَ مَا الْقارِعَةُ» تعظيم لشأنها، و تفخيم لأمرها و تهويل لشدتها. و معناه و أى شىء القارعة، و معناه إنك يا محمد صلى اللَّه عليه و آله لا تعلم كبر وصفها و حقيقة أمرها على التفصيل و إنما تعلمها على طريق الجملة. ثم وصفها اللَّه تعالى فقال «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» و المعنى إن القارعة التى وصفها و ذكرها تقرع القلوب يوم تكون الناس بهذه الصفة. و الفراش الجراد الذى ينفرش و يركب بعضه بعضاً، و هو غوغاء الجراد- فى قول الفراء- و قال ابو عبيدة: هو طير يتفرش و ليس بذباب، و لا بعوض. و قال قتادة: الفراش هو هذا الطير الذى يتساقط فى النار و السراج. و المبثوث المتفرق فى الجهات، كأنه محمول على الذهاب فيها، يقال: بثه يبثه إذا فرقه، و أبثثته الحديث إذا ألفيته اليه، كأنك فرقته بأن جعلته عند اثنين.
و قوله «وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» فالعهن الصوف الألوان- فى قول أبى عبيدة- قال زهير:
كأن فتات العهن فى كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم «1»
و يقال: عهن و عنهة. و قيل: إن الخلائق لعظم ما يرونه من الأهوال و يغشاهم من العذاب يهيم كل فريق على وجهه، و يذهب فى غير جهة صاحبه.
و قوله «فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ» قال الفراء الموازين

---

(1) ديوانه 77 (دار بيروت)
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 400
و الأوزان واحد، يقولون: هل لک فى درهم بميزان درهمک، و وزن درهمک.
و قال الحسن: فى الآخرة ميزان له كفتان. و هو قول الجبائى و اكثر المفسرين.
ثم اختلفوا: فمنهم من قال: يجعل اللَّه تعالى فى احدى الكفتين نوراً علامة للطاعات و فى الأخرى ظلمة علامة للمعاصى فأيهما رجح على الآخر حكم لصاحبه به. و قال آخرون: إنما يوزن صحف الاعمال فما فيها الطاعات تجعل فى كفة و ما فيها المعاصى فى كفة أخرى فأيهما رجح حكم لصاحبه به. و قال قوم: الميزان عبارة عن العدل و مقابلة الطاعات بالمعاصى، فأيهما كان اكثر حكم له به و عبر عن ذلک بالثقل مجازاً لان الاعمال أعراض لا يصح وزنها و لا وصفها بالثقل و الخفة، قال الشاعر:
لقد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندى لكل مخاصم ميزانه «1»
يريدون كلامه فى معارضته، فبين اللَّه تعالى أن من كانت طاعته أكثر كان ثوابه أعظم، فيكون صاحبها «فِى عِيشَةٍ راضِيَةٍ» أى مرضية، ففاعل- هاهنا- بمعنى المفعول، لان معناه ذو رضا كقولهم (نابل) أى ذو نيل، قال النابغة:
كلينى لهم يا أميمة ناصب و ليل اقاسيه بطىء الكواكب «2»
أى ذو نصب و قال آخر:
و غررتنى و زعمت أنک لابن بالصيف تامر «3»
أى ذو لبن و ذو تمر.
و قال مجاهد «ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ» على جهة الميل، ثم بين من كانت معاصيه أكثر و قلت طاعاته «فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ» أى مأواه هاوية يعنى، جهنم، و إنما سماها

---

(1) القرطبى 20/ 166 و الشوكانى 5/ 472
(2) فى مر 5/ 368 و 6/ 95، 329 و 8/ 122، 567
(3) مر فى 8/ 468 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 401
(أمه) لأنه يأوى اليها كما يأوى الولد إلى أمه، و سميت هاوية- لما قال قتادة و ابو صالح- من أن العاصى يهوى إلى أم رأسه فى النار.
ثم قال على وجه التفخيم و التعظيم لأمرها «وَ ما أَدْراكَ» يا محمد صلى اللَّه عليه و آله «ما هِيَهْ» أى انک تعلمها على الجملة و لا تعلم تفصيلها و أنواع ما فيها من العقاب.
و الهاء فى قوله «ماهية» للسكت إلا أنه اجرى الوصل معها مجرى الوقف، و يجوز فيها الحذف، ثم فسر اللَّه تعالى فقال «نارٌ حامِيَةٌ» أى هى نار حامية شديدة الحرارة

102-سورة التكاثر ..... ص: 401

اشارة

مکیة فی قول ابن عباس و الضحاک و هی ثمان آیات بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ (2) كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4)
كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ (7) ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)
ثمان آيات.
قرأ ابن عامر «آلهاكم» ممدوداً، و روى عن الكسائى- بهمزتين- و المراد به الإنكار التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 402
و قرأ ابن عامر و الكسائى «لترون» مضمومة التاء «ثم لترونها» مفتوحة التاء.
الباقون بالفتح فيهما، قال أبو على: وجه الضم أنهم يحشرون اليها فيرونها فى حشرهم إليها فيرونها، و لذلك قرأ الثانية بالفتح، كأنه أراد لترونها. و من فتح فعلى انهم يرونها. و قوله «ثُمَّ لَتَرَوُنَّها» مثل الأول فى أنه من إبصار العين، و قيل: إن هذه السورة نزلت فى حيين من قريش، و هما بنو أسهم و بنو عبد مناف، تفاخروا حتى ذكروا الأموات، فقال اللّه تعالى مخاطباً لهم «أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ» فالالهاء الصرف إلى اللهو و اللهو الانصراف إلى ما يدعو اليه الهوى، يقال: لها يلهو لهواً، و لهى عن الشىء يلهى لهياً، و منه قوله (إذا استأثر اللّه بشىء فاله عنه) و التكاثر التفاخر بكثرة المناقب، يقال: تكاثروا إذا تعادّوا ما لهم من كثرة المناقب، و المتفاخر متكبر لأنه تطاول بغير حق. فالتكاثر التباهى بكثرة المال و العدد. و قيل: ما زالوا يتباهون بالعز و الكثرة حتى صاروا من أهل القبور و ماتوا- ذكره قتادة-.
و قوله «حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ» فالزيارة إتيان الموضع، كإتيان المأوى فى الالفة على غير اقامة، زاره يزوره زيارة، و منه زوّر تزويراً إذا شبه الخط فى ما يوهم أنه خط فلان و ليس به، و المزورة من ذلك اشتقت. و قيل فى معناه قولان: أحدهما حتى ذكرتم الأموات. و قال الحسن: معناه حتى متم.
و
قوله «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا» معناه ارتدعوا و انزجروا «سَوْفَ تَعْلَمُونَ» فى القبر «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» بعد الموت- روى ذلك عن على عليه السلام
- و قيل إنه يدل على عذاب القبر.
و قوله «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ» نصب «عِلْمَ الْيَقِينِ» على المصدر، و معناه ارتدعوا و انزجروا، لو تعلمون علم اليقين، و هو الذى يثلج الصدر بعد اضطراب الشك و لهذا لا يوصف اللّه بأنه متيقن. التبيان فى تفسير القرآن،

و قوله «لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ» يعنى قبل دخولهم اليها فى الموقف.
و قوله «ثُمَّ لَتَرَوُنَّها» بعد الدخول اليها.
و قوله «عَيْنَ الْيَقِينِ» كقولهم هذا محض اليقين، و المعنى إنكم لو تحققتم و تيقنتم أنكم ترون الجحيم و أنكم إذا عصيتم و كفرتم عوقبتم، لشغلكم هذا عن طلب التكاثر فى الأموال فى الدنيا، و لا يجوز همز واو «لترون» لأنها واو الجمع و مثله، واو «لتبلون» لا تهمز. و قوله «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ» يعنى معاشر المكلفين «يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» قال الحسن: لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار. و قال سعيد بن جبير و قتادة: النعيم فى المأكل و المشرب و غيرهما من الملاذ. و قال عبد اللَّه بن مسعود و مجاهد: النعيم الصحة. و قال قوم: يسألهم اللَّه عن كل نعمة. و الفرق بين النعيم و النعمة أن النعمة كالانعام فى التضمين لمعنى منعم، أنعم انعاماً و نعمة، و كلاهما يوجب الشكر. و النعيم ليس كذلك، لأنه من نعم نعيماً فلو عمل ذلك بنفسه لكان نعيماً لا يوجب شكراً. و النعمة- بفتح النون- من نعم- بضم العين- إذا لان.
و قيل المعنى «لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» عن ولاية على عليه السلام. و قيل: عن شرب الماء البارد. و قيل عن الأمن و الصحة. و قيل عن النورة فى الحمام. و روى ذلك عن عمر بن الخطاب.

103-سورة العصر ..... ص: 404

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک، و هى ثلاث آيات بلا خلاف فى جملتها و إن اختلفوا فى تفصيلها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَ الْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِى خُسْرٍ (2) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ تَواصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ (3)
ثلاث آيات.
هذا قسم من اللَّه تعالى بالعصر. قال ابن عباس: المراد بالعصر- هاهنا- الدهر. و هو قول الكلبى. و قال الحسن و قتادة: هو العشى، و كلاهما فيه العبرة من جهة مرور الليل و النهار. و أصل العصر عصر الثوب و نحوه، و هو فتله لإخراج مائه، فمنه عصر الدهر، لأنه الوقت الذى يمكن فتل الأمور كفتل الثوب.
قال العجاج:
عصراً و حضناً عيشة المعذلجا
أى الناعم، و قال فى العشى:
يروح بنا عمر و قد قصر العصر و فى الروحة الاولى الغنيمة و الأجر «1»
و به سميت العصر، لأنها تعصر بالتأخير، و العصارة ما يعتصر من العنب

---

(1) القرطبى 20/ 179 و الشوكانى 5/ 488

و غيره، و «المعصرات» السحائب التى تنعصر بالمطر. و الاعصار غبار كالعمود يصعد إلى السماء. و العصر الالتجاء إلى الملجأ. و العصر الجارية التى قد دنا بلوغها لأنه عصر شبابها، و انعصار ماء الشباب منها. و الاعتصار استخراج المال من الإنسان، لأنه ينحلب كما ينحلب ما يعصر. و العصران الغداة و العشى، و العصران الليل و النهار. قال الشاعر:
و لن يلبث العصران يوم و ليلة إذا طلبا ان يدركا ما تيمما «1»
و قوله (إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِى خُسْرٍ) جواب القسم. و فيه اخبار من اللَّه أن الإنسان يعنى الكافر (لفى خسر) أى لفى نقصان بارتكاب المعاصى و كفره باللَّه و الخسر هلاك رأس المال للإنسان و بارتكاب المعاصى فى هلاك نفسه خسران، و هو اكبر من رأس ماله.
و قوله (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) استثناء من جملة الناس المؤمنين المصدقين بتوحيد اللَّه بإخلاص عبادته العاملين بالطاعات (وَ تَواصَوْا بِالْحَقِّ) أى تواصى بعضهم بعضاً بأتباع الحق و اجتناب الباطل (وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ) تواصى بعضهم بعضاً بالصبر على تحمل المشاق فى طاعة اللَّه. و قال الحسن و قتادة: الصبر على طاعة اللَّه. و الصبر حبس النفس عما تنازع اليه من الأمر حتى يكون الداعى إلى الفعل.

و قد أمر اللّه تعالى بالصبر و التواضع. و الحق ما دعا اليه العقل.

---

(1) القرطبى 20/ 179
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 406

104-سورة الهُمزة ..... ص: 406

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک، و هى تسع آيات بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (1) الَّذِى جَمَعَ مالاً وَ عَدَّدَهُ (2) يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ (3) كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ (4)
وَ ما أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ (5) نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (6) الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (7) إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (8) فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (9)
تسع آيات.
قرأ حمزة و الكسائى و خلف و ابن عامر و ابو جعفر و روح (جمع) بالتشديد على التكثير. الباقون بالتخفيف، لأنه يقع على القليل و الكثير. و من شدد أراد جمعه من وجوه شتى شيئاً بعد شىء (و عدده) أى جعله عدة. و من قرأ مخففاً أراد جمع مالا و عدداً أى و قوماً ذوى عدد أنصاراً. و قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً (عمد) بضمتين جعلوه جمع عمود و عمد، مثل قدوم و قدم، و زبون و زبن. الباقون بفتح العين و الميم، لأنهم قد قالوا فى جمع عمود عمد، كما قالوا فى جمع أديم أدم.
و فى جمع أهاب أهب.
هذا وعيد من اللَّه تعالى و تهديد (لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) فالهمزة الكثير الطعن
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 407
على غيره بغير حق، العائب له بما ليس فيه عيب لجهله و سفهه و شدة إقدامه على مكاره غيره، يقال: همز الناس يهمزهم همزاً، و هو همزة. و مثله ضحكة أى كثير الضحك و عيبة أى كثير العيب. فكذلك همزة كثير الهمز بالطعن. و منه الهمزة فى الكلام لأنها تخرج كالطعنة بقوة اعتماد، و قال ابن عباس: الهمزة الطعّان. و اللمزة المغتاب و قال زياد الأعجم:
تدلى بودى إذا لاقيتنى كذبا و إن تغيبت فأنت الهامز اللمز «1»
و قال ابن عباس: الهمزة اللمزة المشاء بالنميمة، المفرق بين الاحبة الباغى المبرئ العيب بالمكابرة. و قيل: نزلت فى مشرك بعينه كان يعيب الناس و يلمزهم- ذكره ابن عباس- و قال قوم: نزلت فى الوليد بن المغيرة. و قال السدى:
نزلت هذه السورة فى الأخنس ابن شريق، و كان يهمز النبى صلى اللَّه عليه و آله و يلمزه. و قيل:
نزلت فى جميل بن عامر الجهنى. و قال مجاهد و ورقاء و ابن عباس: ليست خاصة لاحد بل هى عامة.
و قوله (الَّذِى جَمَعَ مالًا وَ عَدَّدَهُ) نعت للهمزة الذى تقدم ذكره فى أنه يجمع المال و يحبه، و لا يخرج حق اللَّه منه.
و قوله (يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ) معناه يظن هذا الذى جمع المال، و لا يخرج

حق اللّه منه أنه سيخلده. و قوله (أخلده) يخلده، كما قيل أهلک إذا حدث به سبب الهلاک من غير أن يقع هلاکه بعد. و إنما ذلک بمعنى أوجب إخلاده و هلاکه و قيل: ليس المراد أنه يظن أنه لا يموت، و لكن يحب أنه يبقى من ماله إلى أن يموت. و قيل: معناه إنه يعمل عمل من يحسب أن ماله أخلده. و قال الحسن:
معناه يحسب أن ماله أخلده حتى يفنيه.

---

(1) مجاز القرآن 25/ 311
التبيان في تفسير القرآن، ج10، ص: 408
و قوله (كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) معناه ليقذفن و ليطرحن من وصفناه بجمع المال و منع حق اللّه فى الحطمة. ثم قال (وَ ما أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ) تفخيماً لها. ثم فسرها فقال (نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ) أى هى نار اللّه الموقدة، و الحطمة الكثيرة الحطم أى الاكل، و رجل حطمة. و حطم الشىء إذا كسره و أذهبه، و تحطم إذا تكسر و أصله الكسر المهلک.
و قوله (الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ) معناه يبلغ ألمها و وجعها الأفئدة، تقول: اطّلعت على أرض كذا إذا بلغتها، و قوله (إِنَّها) يعنى النار (عَلَيْهِمْ) يعنى الكفار (مُؤْصَدَةٌ) أى مطبقة، يقال اصدت الباب أوصده إذا أطبقته، و أوصدته إيصاداً لغتان، و منه قوله (وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) «1» و ابو عمرو يهمز (مؤصدة) إذا لين الهمز، لئلا يخرج من لغة إلى لغة أخرى.
و قوله (فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) فالعمد جمع عمود، و قيل: جمع عماد، كقولک: أهاب و أهب، و يجوز عمد، و العمود عمود مستدير مستطيل قوى على شدة الاعتماد.
و قال ابن مسعود: معناه إن النار مطبقة بعمد ممدة. و قال ابن عباس: فى عمد مغللين بها. و قال قتادة: فى عمد يعذبون بها. و قيل: الاطباق بالعمد الممدة ليتأكد يأسهم من الخروج منها.

---

(1) سورة 18 الكهف آية 18
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 409

105-سورة الفيل ..... ص: 409

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک، و هى خمس آيات بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ (1) أَ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ (2) وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5)
خمس آيات.
هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله و يتوجه إلى جميع المكلفين من قومه، يقول لهم على وجه التنبيه على عظم الآية التى أظهرها و المعجزة التى فعلها، منبهاً بذلك على توحيده و وجوب إخلاص العبادة له، فقال (أَ لَمْ تَرَ) و معناه أ لم تعلم، فالرؤية- هاهنا- بمعنى العلم، لأن رؤية البصر لا تتعلق بما قد تقضى و عدم، كأنه قال: أ لم تعلم (كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ) الذين قصدوا هدم البيت و هلاك أهله، فاهلكهم اللَّه تعالى، و كان الذى قصد لهدم البيت ابرهة ابن الصباح، و هو المعروف بابرهة الاشرم، و يكنى أبا يكسوم. و قيل: إنه لم يسلم من قومه غيره، فولى إلى أهله فكل ما نزل منزلا تساقط منه عضو فلما وصل اليهم أخبرهم الخبر ثم هلك، و كان ابرهة رجلا من اليمن ملكته الحبشة عليهم، و كان سبب قصده إياها لتخريبها أنه بنى كنيسة عظيمة أراد ان يحج اليها بدل الكعبة. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 410
الحسن: كان السبب فى ذلك أن العرب هدمت كنيسة للحبشة، و هم نصارى، فأراد تخريب الكعبة فى مقابلة ذلك، فاقبل فى جمع كثيف معه أفيلة، فجعل اللَّه كيدهم فى تضليل عما قصدوا له من تخريب الكعبة (وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ) فمعنى أبابيل جماعات فى تفرقة زمرة و زمرة لا واحد لها- فى قول أبى عبيدة و الفراء- كما لا واحد للعباديد و الشماطيط. و زعم ابو جعفر الرواسى أنه يسمع فى واحدها أبالة. و قال الكسائى: سمعت النحويين يقولون واحده (أبّول) مثل (عجول) و قال بعضهم: (ابيل) و قال ابن عباس معنى أبابيل يتبع بعضها بعضاً. و قال قتادة:
معنى أبابيل كثيرة متتابعة. و قيل: إنها كانت سود الجرية تحمل فى مناقيرها و اكفها الحجارة- فى قول عبيد بن عمير- و قيل: كان مع كل طائر ثلاثة أحجار اثنان فى رجليه و واحد فى منقاره، و قال موسى بن أبى عائشة: كانت الحجارة اكبر من العدسة و أصغر من الحمصة. و قيل كان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره و قيل: إن المعروف بأبرهة الأشرم الذى ملكته الحبشة كان يكنى أبا يكسوم و قيل: إنه لم يسلم من قومه غيره فولى إلى أهله و كلما نزل منزلا تساقط منه عضو فلما وصل اليهم أخبرهم الخبر ثم هلك.

و قيل كان الفيل إذا وجهوه نحو مكة وقف و لم يسر، و إذا وجهوه إلى جهة غيرها سار إنذاراً من اللّه لهم و موعظة، و كان هذا من أعظم المعجزات فى ذلک الوقت أظهره اللّه تعالى ليدل به على وجوب معرفته و إخلاص عبادته. و قال قوم:
إنه كان معجزة لنبى كان فى ذلک الزمان، و يجوز أن يكون ذلک خالد بن سنان.
و قيل إنه كان ذلک توطيئاً لنبوة نبينا صلى اللّه عليه و آله، لأنه كان ولد فى عام الفيل.
و قوله (تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ) أى تقذفهم بحجارة (مِنْ سِجِّيلٍ) قال ابو عبيدة كل شديد سجيل. قال ابن مقبل: التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 411
ضربا تواصى به الابطال سجيلا «1»
و قيل هى حجارة من الجحيم و هى (سجين) ثم أبدلت النون لاماً، كما قالوا فى أصيلان اصيلال. و قيل: معنى من (سجيل) أى من طين مطبوخ كالآجر.
و قيل: هو (سنگ و گل) بلغة الفرس فأعرب، و كذلک روى عن ابن عباس و قوله (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) فالعصف ورق الزرع- فى قول أبى عبيدة- و هو عصيفة، لان الريح تعصفه أى تذهب به يميناً و شمالا. و قيل: معنى (كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) أى مأكول الثمرة كما يقال: فلان حسن أى حسن الوجه، فاجرى مأكول على العصف من أجل أكل ثمرته، لأن المعنى معلوم للإيجاز.
و قال قتادة: العصف التبن، و معنى مأكول قد أكلت بعضه المواشى و كسرت بعضه.
و قال الزجاج: معنى مأكول وقع فيه الاكال. و قيل العصف التبن بلغة بنى حنيفة، و بلسان قريش النخالة.
و قصة أصحاب الفيل من الأدلة الواضحة و الحجج اللائحة على الملحدين، و من أنكر الصانع، لأنه لا يمكن نسب ذلک إلى طبيعة و لا موجب كما تأولوا الزلازل و الرياح و الخسوف و غير ذلک مما أهلک اللّه به الأمم، لأنه ليس فى الطبيعة إقبال طير بأحجار و تقصد اقواماً دون غيرهم حتى تهلكهم بما ترميهم به، و لا تعدى إلى غيرهم، بل ذلک من أوضح الأدلة على انه من فعل اللّه تعالى، و ليس لأحد أن يضعف ذلک و ينكر الخبر به، لأن النبى صلى اللّه عليه و آله لما قرأ على أهل مكة هذه السورة، كانوا قربى عهد بالفيل، فلو لم يكن كذلک و لم يكن له اصل لأنكروه، فكيف و هم ارخوا به كما أرخوا بنيان الكعبة و موت قصى و غيره. و قد نظم الشعراء فى قصة الفيل الشعر و نقلته الرواة، فلا يمكن جحد ذلک، لأنه مكابرة.

---

(1) مر فى 6/ 45

106-سورة قريش ..... ص: 412

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاک هى مدنية و هى أربع آيات فى الكوفى و البصرى و خمس فى المدنيين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
لِإِيلافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَ الصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)
اربع آيات.
قرأ ابن عامر (لالاف قريش) بقصرها، و لم يجعل بعد هذه الهمزة ياء على وزن (لعلاف)، «إيلافهم» بياء بعد الهمزة خلاف لفظ الأول. الباقون (لإيلاف قريش إيلافهم) جميعاً بهمزة بعدها ياء. و قرأ ابو جعفر و ابن فليح (إلافهم) بهمزة بلا ياء بعدها مثل (علافهم) و رواه ابو الحسن حماد- بهمزتين مكسورتين- بعدها ياء. الباقون بهمزة بعدها ياء ساكنة مثل (عيلافهم) قال الأزهرى:
الإيلاف الاجارة بالحفارة يقال: أولف يولف و ألف يؤلف إذا أجار الإبل بالحفارة. و الفت المكان ألفة و الفاً و ألفته إيلافاً بمعنى واحد. و قد قدّمنا القول فيما رواه أصحابنا أن (أ لم تر كيف) و (لإيلاف) سورة واحدة، مثل (الضحى و ألم التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 413
نشرح) فعلى هذا العامل فى «لإيلاف» قوله (فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش) و هو قول الحسن. و من قال: هما سورتان لم يجز ذلك، فقال العامل فيها، قوله (فليعبدوا) فكأنه قال لذلك الانعام (فليعبدوا) و مثله فى تقديم القول فيه قوله (أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّى) «1» لان تأمرونى اعتراض على هذا التفسير، و إنما جاز أن يعمل ما بعد الفاء فيما قبله لأنها زائدة غير عاطفة، كقولك زيداً فاضرب، و تريد فاضربه، فهى على شبه الجواب الذى يجوز فيه تقديم المعمول كقولك زيداً:
إن يأتنى زيداً أكرمه. و لو كانت عطفاً لم يجز التقديم، كما لا يجوز فى الواو، و لا (ثم). و قيل العامل فيه (اعجبوا) لإيلاف قريش إلا انه حذف لدلالة الكلام عليه.
و قيل هو على (أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ... لِإِيلافِ قُرَيْشٍ) أى فعل ذلك لايلافهم و الإيلاف أصحاب الالف بحسن التدبير و التلطف، يقال: ألف يألف الفاً، و آلفه يؤلفه إيلافاً إذا جعله يألف، و ائتلف القوم ائتلافاً و تآلفوا تآلفاً و ألفهم تأليفاً. و الإيلاف نقيض الايحاش، و نظيره الإيناس. و الف الشىء لزومه على عادة فى سكون النفس اليه.
و قوله (رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَ الصَّيْفِ) قال ابن زيد و الكلبى: كانت لهم رحلتان رحلة الصيف إلى الشام و رحلة الشتاء إلى اليمن فى التجارة. و الرحلة حال السير على الراحلة و هى الناقة القوية على السفر، و منه
الحديث المروى (الناس كابل مائة لا يوجد فيها راحلة)

و الرحل متاع السفر و الارتحال احتمال الرحل للمسير فى السفر. و الشتاء أوان شدة البرد. و الصيف زمان شدة الحر. و فصول السنة أربعة: ربيع، و صيف و خريف، و شتاء.
و قولهَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ)
أمر من اللَّه تعالى للمكلفين أن يوجهوا عبادتهم إلى اللَّه رب البيت الحرام دون غيره من الأصنام (الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ)

---

(1) سورة 39 الزمر آية 64

بما أعطاهم من الأموال و سبب لهم من الأرزاق بالسعى فى التجارة فى رحلة الشتاء و رحلة الصف (وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) الغارة بالحرم الذى جبل قلوب العرب على تعظيمه. و قيل (آمنهم) من الجذام. قال سفيان بن عيينة: كان لنا إمام بالكوفة يقرأ (أ لم تر، و لإيلاف) و لا يفرق بينهما.

107-سورة الماعون ..... ص: 414

اشارة

و تسمى سورة (أ رأيت) مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاک مدنية و هى سبع آيات فى الكوفى و البصرى و ست فى المدنيين. عدّ أهل الكوفة و البصرى (يراؤن) رأس آية، يجوز أن يقال (أريت) بحذف الهمزة. و لا يجوز ان يقال (ريت) لان ألف الاستفهام يصير غيرها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
أَ رَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَ لا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ (3) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4)
الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُراؤُنَ (6) وَ يَمْنَعُونَ الْماعُونَ (7)

سبع آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 415

قوله (أَ رَأَيْتَ) خطاب للنبى صلى اللّه عليه و آله على وجه التعجيب له من الكافر (الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) و ذهابه عن الايمان به مع وضوح الأمر فيه و قيام الدلالة على صحته و المراد بالدين الجزاء من الثواب و العقاب، فالتكذيب بالجزاء من أضرّ شىء على صاحبه، لأنه يعدم به أكثر الدواعى إلى الخير، و الصوارف عن الشر، فهو يتهالك فى الاسراع إلى الشر الذى يدعوه اليه طبعه لا يخاف عاقبة الضرر فيه.

و قوله (فَذلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ) وصف الذى يكذب بالدين، فبين أن من صفته أنه يدع اليتيم، و معناه يدفعه عنفاً، و ذلك لأنه لا يؤمن بالجزاء عليه، فليس له رادع عنه، كما لمن يقر بأنه يكافئ عليه، دّعه يدعه دعاً إذا دفعه دفعاً شديداً، و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة (يدع اليتيم) معناه يدفعه عن حقه. و قوله (وَ لا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ) معناه و لا يحث على طعام المسكين بخلا به، لأنه لو كان لا يحض عليه عجزاً عنه لم يذم به، و كذلك لو لم يحض عليه من غير قبيح كان منه لم يذم عليه، لأن الذم لا يستحق إلا بما له صفة الوجوب إذا أخل به أو القبيح إذا فعله على وجه مخصوص.

و قوله (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ) تهديد لمن يصلى على وجه الرياء و السمعة. و إنما أطلق مع انه رأس آية يقتضى تمام الجملة، لأنه معرف بما يدل على انه أراد من يصلى على جهة الرياء و النفاق، ثم بين ذلك بقوله (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) قال ابن عباس و مسروق: معناه يؤخرونها عن وقتها، و قال قتادة: معناه غافلون.

و قال مجاهد: لاهون كأنهم يسهون للهوهم عنها و اللهو يوجب تأخيرها عن وقتها لأنه قال عن صلاتهم. و قيل: ساهون فيها (الَّذِينَ هُمْ يُراؤُنَ) معناه إنهم يراؤن بصلاتهم الناس دون أن يتقربوا بها إلى اللّه. و إنما ذم السهو فى الصلاة مع انه ليس من فعل العبد بل هو من فعل اللّه، لان الذم توجه فى الحقيقة على التعرض للسهو التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 416

بدخوله فيها على وجه الرياء و قلبه مشغول بغيرها، لا يرى لها منزلة تقتضى صرف الهم اليها.

و قوله (وَ يَمْنَعُونَ الْماعُونَ) قال ابو عبيدة: كل ما فيه منفعة، فهو الماعون، و قال الأعشى:
بأجود منه بماعونه إذا ما سماؤهم لم تغم «1»
و قال الراعى:
قوم على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم و يضيعوا التنزيلا «2»
و قال اعرابى فى ناقة: إنها تعطيك الماعون أى تنقاد لک، و الماعون أصله القلة من قولهم: المعن القليل قال الشاعر:
فان هلاک مالک غير معن
أى غير قليل، فالماعون القليل القيمة مما فيه منفعة من آلة البيت نحو الفاس و المقدحة و الابرة و الدلو- و هو قول ابن مسعود و ابن عباس و إبراهيم و أبى مالک و سعيد ابن جبير- و سئل عكرمة فقيل له: من منع ذلک فالويل له؟ قال: لا، و لكن من جمع ذلک بأن صلى ساهياً مرائياً و منع هذا.
و قوله (فويل للمصلين) و هو يعنى المنافقين، فدل على أن السورة مدنية لأنه لم يكن بمكة نفاق. و يقال: معن الوادى إذا جرت مياهه قليلا قليلا. و الماء المعين الجارى قليلا قليلا. و أمعن فى الامر إذا أبعد فيه قليلا قليلا. و روى عن على عليه السلام أنه قال: الماعون الزكاة
، و هو قول ابن عمر و الحسن و قتادة و الضحاک و قال الشاعر:

---

(1) ديوانه 199 و اللسان (معن) و مجاز القرآن 2/ 313
(2) اللسان (معن) و مجاز القرآن 2/ 315 و قد مر فى 7/ 373

بمج صبيره الماعون صبا «1»
فالصبير السحاب. و قال أنس بن مالک: الحمد للَّه الذى لم يجعلها فى صلاتهم و إنما جعلها عن صلاتهم، فتأولها من تركها متعمداً، و المراد بالصلاة هنا الفرض.

108-سورة الكوثر ..... ص: 417

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاک مدنية، و هى ثلاث آيات بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَعْطَيْناکَ الْکَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَ انْحَرْ (2) إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)
ثلاث آيات.
هذا خطاب من اللَّه لنبيه صلى اللَّه عليه و آله على وجه تعداد نعمه عليه. يقول (إِنَّا أَعْطَيْناکَ الْکَوْثَرَ) فالإعطاء إخراج الشىء إلى آخذ له، و هو على وجهين: إعطاء تمليک و إعطاء غير تمليک. فإعطاء الكوثر إعطاء تمليک، كاعطاء الأجر، و أصله التناول من عطا يعطوا إذا تناول. و (الكوثر) الشىء الذى من شأنه الكثرة، و الكوثر الخير الكثير. و هو (فوعل) من الكثرة، قال عطاء: هو حوض النبى صلى اللّه عليه و آله الذى

---

(1) القرطبى 20/ 219 و الشوكانى 5/ 487

يكثر الناس عليه يوم القيامة. و قال ابن عباس: هو الخير الكثير. و روى عن عائشة: أن الكوثر نهر فى الجنة جانباه قباب الدرّ و الياقوت، و قال الحسن: الكوثر القرآن. و قال ابن عمر: هو نهر يجرى فى الجنة على الدر و الياقوت و قوله (فَصَلِّ لِرَبِّکَ) أمر من اللّه تعالى لنبيه و يدخل معه جميع المكلفين يأمرهم بالصلاة و أن ينحروا و قال ابن عباس و أنس بن مالک و مجاهد و عطاء: معنى و انحر انحر البدن متقرباً إلى اللّه بنحرها خلافاً لمن نحرها للأوثان، و قيل: معناه (فَصَلِّ لِرَبِّکَ) صلاة العيد (وَ انْحَرْ) البدن و الاضاحى، و قيل: معناه صل لربک الصلاة المكتوبة و استقبل القبلة بنحرک. تقول العرب: منازلنا نتناحر هذا ينحر هذا أى مستقبلة، و انشد بعضهم:
أبا حكم ها انت عم مجالد و سيد أهل الأبطح المتناحر «1»
و
روى عن على عليه السلام أن معناه ضع اليمنى على اليسرى حذاء النحر - و هذه الرواية غير صحيحة- و
المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه عليهما السلام أن معناه و انحر البدن و الاضاحى.
و قوله (إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ) فالشانئ المبغض تقول: شنئته اشنؤه شناء إذا أبغضته، و قال ابن عباس: معناه عدوک، و هو قول سعيد بن جبير، و قال: هو العاص بن وائل السهمى، فانه قال فى النبى صلى اللّه عليه و آله إنه أبتر لا عقب له، فقال اللّه تعالى (إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ) يعنى الذى انقطع عنه كل خير، و قيل: إنه أراد به انه لا ولد له على الحقيقة، و أن من ينسب اليه ليس بولد له، و الأبتر هو المنقطع عن الخير، و قيل: هو الذى لا عقب

له- ذكره مجاهد- و قال قتادة: معناه الأقل الأذل بانقطاعه عن الخير. و قيل: قوله (إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ) جواب لقول قريش انه أبتر لا ولد له ذكر إذا مات قام مقامه يدعو اليه، و قد انقطع أمره.

_____

(1) القرطبى 20/ 219 و الشوكان 5/ 489

فقيل: إن شانئک هو الأبتر الذى ينقطع ما هو عليه من كفره بموته، فكان الامر كما اخبر به، و قيل: الحمار الأبتر المقطوع الذنب، فشبه به. و قيل: فى السورة تشاكل المقاطع للفواصل و سهولة مخارج الحروف بحسن التأليف و تقابل المعانى بما هو أولى لان قوله (فصل لربک) احسن من صل لنا، لأنه يجب أن يذكر فى الصلاة بصفة الربوبية (و انحر) هاهنا أحسن من قوله (و انسكه) لأنه على برّ يعم بعد برّ يخص.

و (الأبتر) احسن من (الأخس) لأنه أدل على الكناية فى النفس، فهذه الحروف القليلة قد جمعت المحاسن الكثيرة. و ما لها فى النفس من المنزلة اكثر بالفخامة و الجزالة و عظم الفائدة التى يعمل عليها و ينتهى اليها.

109-سورة الكافرون ..... ص: 419

اشارة

مكية فى قول ابن عباس، و قال الضحاک مدنية، و هى ست آيات بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ (1) لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ (2) وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ (3) وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ (4)
وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ (6)
ست آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 420
قرأ ابو عمرو و حمزة و الكسائى (ولى دين) ساكنة الياء. الباقون بفتحها من فتح الياء فلخفة الفتحة. و من أسكنها فانه كره الحركة على حرف العلة. و قرأ (دينى) بياء فى الحالين يعقوب. الباقون بلا ياء فيهما. من أثبت الياء، فلأنها الأصل. و من حذفها اجتزأ بالكسرة الدالة عليها. و قيل: إن هذه السورة نزلت جواباً لقول جماعة من المشركين دعوا النبى صلى اللّه عليه و آله إلى أن يعبد آلهتهم سنة و يعبدوا هم إلهه سنة. و فيهم نزل قوله «أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجاهِلُونَ» «1» هذا قول ابن عباس. و قيل: إنهم قالوا: نشرككك فى أمرنا، فان كان الذى فى أيدينا خيراً كنت قد أخذت بحظ منه، و إن كان الذى فى يدك خيراً قد أخذنا بحظ منه. و قيل: إن الذى قال ذلك الوليد ابن المغيرة و العاص ابن وائل و الأسود ابن المطلب و أمية ابن خلف. و قيل: إنهم قالوا: نتداول العبادة ليزول ما بيننا من البغضاء و العداوة، فأمر اللّه تعالى نبيه صلى اللّه عليه و آله أن يقول لهم «لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ» و معناه لا أعبد ما تعبدون لفساد عبادة الأوثان، و لا أنتم عابدون ما أعبد لجهلكم بوجوب اخلاص العبادة للّه، لان العقل يقتضى أنه صلى اللّه عليه و آله لهذا امتنع و امتنعوا. و إنما كرر ذكر العبادة لتصريفها فى الفوائد المختلفة و قد نفى عبادة المؤمن للوثن كيف تصرفت الحال فى ماض أو حاضر أو مستقبل لقبحها، و نفى عبادة الكافر للّه مع إقامته على الجهل بوجوب إخلاص العبادة له.
و قيل: فى وجه التكرير فى السورة أن ظاهر ذلك و إن كان تكريراً، فليس فى الحقيقة تكريراً أصلا، و لا تكرير فى اللفظ إلا فى موضع واحد سنبينه بعد بيان المعنى إن شاء اللّه، و ذلك أن قوماً من المشركين سألوا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله مناقلة العبادة سنة يعبدون فيها ما يعبده صلى اللّه عليه و آله و سنة يعبد هو ما يعبدون لزوال العادة بوقوع العبادة

---

(1) سورة 39 الزمر آية 64
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 421
على هذه الجهلة فجاء الكلام على طريق الجواب لانكار ما سألوا، فقيل «لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ» و هذا نفى منه لما يعبدون فى

الاستقبال ثم قال «وَ لا أنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ» على نفى العبادة لما عبدوا فى الماضى، و هذا واضح فى أنه لا تكرير فى لفظه و لا معناه. و قوله «وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ» فعلى التكرير فى اللفظ دون المعنى من قبل أن التقابل يوجب أن معناه و لا أنتم عابدون ما عبدت إلا انه عدل بلفظه إلى اعبد للاشعار أن ما عبدت هو ما أعبد، و استغنى بما يوجبه التقابل من معنى عبدت عن الإفصاح به. و عدل عن لفظه لتضمين معنى آخر فيه، و كان ذلک اكثر فى الفائدة و أولى بالحكمة، لأنه دل على (عبدت) دلالة التصريح باللفظ فان قيل فهلا قال: ما عبدت ليتقابل اللفظ، كما تقابل المعنى؟ قيل: هو فى حكم التقابل فى اللفظ من حيث هو دال عليه إلا انه عدل عن الإفصاح به للاشعار بأن معبوده واحد كيف تصرفت الحال، و كان هذا أبعد فى الإيهام أن معبوده فيما مضى غير معبوده فيما يستقبل. و قد يجوز فى الماضى و المستقبل ان يقع أحدهما موقع الآخر إذا كان فى الكلام ما يدل عليه، كما قال «وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ» «1» على معنى ينادون، و منه قولهم: يدعوهم ابن رسول اللّه فلا يجيبونه، و يدعوهم ابن زياد إلى الباطل فيسرعون اليه.
فان قيل: فهلا دل على اختلاف المعنى باختلاف اللفظ إذ هو الأصل فى حسن البيان؟ قيل: إن التقابل فى ذلک قد صير اللفظ فى حكم المختلف، لأنه مقيد به، و دلالة المقيد خلاف دلالة المطلق نحو: زيد قائم بالتدبير على خلاف معنى زيد قائم.
فان قيل: فهلا دل على ذلک من أصول مختلفة إذ هو أدل على خلاف المعنى بصريح الجهة؟ قيل: إنه لما أريد نفى العبادة على تصريف الأحوال صرف لفظ

---

(1) سورة 7 الاعراف آية 43

العبادة لتصريف المعنى، و لم يصلح فيه أصول مختلفة، لئلا يوهم النفى نفى معنى غير تصريف عبادة اللّه على الوجوه و الأسباب كلها، و كان تصريف لفظ العبادة لتصريف معناها أحق و أولى من تصريف معناها فى غير لفظها لما فيه من التشاكل المنافى للتنافر، و لفظة (الكافرون) فى السورة مخصوصة بمن علم اللّه من حاله أنه يموت على كفره.
و لا يجوز ان يكون المراد العموم لأنا علمنا دخول كثير ممن كان على الكفر ثم دخل فى الإسلام، و قيل: ان الالف و اللام فى الاية للمعهود، لأن (أيا) لا يوصف إلا بالجنس، فخرج اللفظ على الجنس من حيث هو صفة ل (أى) و لكن (أيا) للمخاطبين من الكفار بأعيانهم فآل الى معنى المعهود فى انه يرجع إلى جماعة بعينها، و نحوه يا أيها الرجال ادخلوا الدار، فلم تأمر جميع الرجال، و لكن أمرت الذى أشرت اليهم بإقبالِک عليهم. و قيل: يجوز أن

تكون الآية عامة، و التقدير و لا أنتم عابدون ما أعبد بالشرط الذى ذكرتموه من أنى أعبد إلهكم، لان هذا الشرط لا يكون ابداً، و لكن يجوز أن يؤمنوا فيما بعد بغير هذا الشرط.
فان قيل: ما فائدة الكلام؟
قيل الإنكار لما لا يجوز من مناقلة العبادة على ما توهمه قوم من الكفار لتقوم الحجة به من جهة السمع كما كانت من جهة العقل مع الاعجاز الذى فيه. فان قال قائل: من أى وجه تضمن الاعجاز؟ قيل: له من جهة الاخبار بما يكون فى مستقبل الأوقات مما لا سبيل إلى علمه إلا بوحى اللّه إلى من يشاء من العباد، فوافق المخبر بما تقدم به الخبر، و فى ذلک أكبر الفائدة و أوضح الدلالة.
فان قيل: ما معنى «لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ»؟.
قيل معناه لكم جزاء دينكم ولى جزاء دينى و حسبک بجزاء دينهم وبالا و عقاباً كما حسبک بجزاء دينه نعيماً و ثواباً، التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 423
فان قيل: لم لا ذكرت الحجة فى أن ما يدعون اليه لا يجوز.
قيل له: تقبيحاً لها من حيث أخرجت مخرج مقالة يكفى العلم بفسادها، حكايتها مع الاستغناء بما فى العقول عن الدلالة على بطلانها.
فان قيل: فهلا أنكر عليهم من طريق أن كل ما دعوا اليه لا يجوز للإيجاز؟
قيل: لأنه إنكار متصل على حد ما يسألوا و لو أنكر انكاراً مجملا لم يبين به تفصيل ما سألوه إلا بأن يحكى على انفراده. ثم يحمل الإنكار به فحينئذ يفهم منه معنى المفصل.
فان قيل: فهلا بين ذكرهم بصفة غير منكر؟
قيل: قد بين ذلک بعلم التعريف له إلا أنه بصفات الذم التى فيها معنى الزجر و هى دالة على أحوالهم فيما دعوا له من الباطل، و تفحموا من أحوال الجاهل.
فان قيل: فلم قال «لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ» مع ما يقتضى ظاهره التسليم؟
قيل: مظاهرة فى الإنكار، كما قال تعالى «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ» «1» لما صاحبه من الدليل على التمكين و شدة الوعيد بالقبح لأنه إذا اخرج الكلام مخرج التسليم للأمر دل على أن الضرر لا يلحق إلا المسلم اليه، فكأنه قيل له: أهلک نفسک إن كان ذلک خيراً لک.
فان قال: فلم قيل: و لا أنتم عابدون ما أعبد، و لم يقل من أعبد؟
قيل له: لأنه مقابل لقوله «وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ» من الأصنام، و لا يصلح هاهنا إلا (ما) دون (من) لأنه يعنى و لا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام ثم حمل الثانى على الاول للتقابل حتى لا يتنافر. و قيل: ان معناه و لا أنا عابد عبادتكم و لا أنتم عابدون عبادتى، لان عبادته متوجهة إلى اللّه، و عبادتهم متوجهة إلى الأصنام

(1) سورة 41 (فصلت) حم السجدة آية 40
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 424
ف (ما) هاهنا مع ما بعدها بمنزلة المصدر.
فان قيل: فلم أنكر ما لا يجوز فى الحكمة بألين النكير مع خروجه إلى أفحش القبح؟
قيل: ليس ذلک بألين النكير فى المعنى و إن خرج لفظه ذلک المخرج، لأنه إنما عومل تلک المعاملة ليجعل فى حيز ما يكفى فيه التنبيه، حتى يظهر انه أقبح قبيح و هذا ضرب من البلاغة عجيب يفهمه كل عاقل له أدنى فطنة. و يعلم موضعه فى الحكم فان قيل: ما الدليل على ان تأويل السورة ما ذكرتم دون غيره من التأويلات قيل: الدليل على ان ذلک الكلام إذا احتمل وجهين فصاعداً فى اللغة، و أحد الوجهين يجوز، و الآخر لا يجوز، وجب ان يكون تأويله ما يجوز عليه تعالى و يليق به دون ما لا يليق به و لا يجوز عليه، تعالى اللّه.

110-سورة النصر ..... ص: 424

اشارة

مدنية فى قول ابن عباس و الضحاک، و هى ثلاث آيات بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ (1) وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً (3)
ثلاث آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 425
هذا وعد من اللَّه تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه و آله بالنصر بالفتح قبل وقوع الأمر. و قال الحسن و مجاهد: وعده اللَّه فتح مكة و نصرته على كفار قريش، فيجىء النصر وقوعه على التوقع له، و النصر المعونة على العدو للظهور عليه، لان المعونة قد تكون بالمال على نوائب الزمان، و قد تكون على العدوّ، و هى النصر دون المعونة الأخرى. و الفتح الفرج الذى يمكن معه الدخول فى الامر بملک العدوّ الناصب للحرب، و قد يكون الفرج بالفرق فقط، فلا يكون الفتح بذهاب العدو الذى صار علماً على هذا المعنى.
و قوله تعالى «وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً» يعنى فى طاعة اللَّه و طاعتک: من الإسلام و التزام الأحكام و اعتقاد صحته و توطين النفس على العمل به. و أصل الدين الجزاء. ثم يعبر به عن الطاعة التى يستحق بها الجزاء، كما قال «فِى دِينِ الْمَلِكِ» «1» أى فى طاعته. و الفوج جماعة من جماعة، و الأفواج جماعات من جماعات. و هكذا كان الناس يدخلون فى الدين جماعة بعد جماعة من جملة القبيلة حتى يتكامل اسلام الجميع.
و قوله «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ اسْتَغْفِرْهُ» امر من اللَّه تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه و آله بأن ينزهه عما لا يليق به من صفات النقص، و أن يستغفره. و وجه وجوب ذلک بالنصر و الفتح، أن النعمة به تقتضى القيام بحق النعمة المنافى للمصيبة. فكأنه قال قد حدث أمر يقتضى الاستغفار مما جدده اللَّه لک فاستغفره بالتوبة يقبل ذلک منک، و مخرجه مخرج الخطاب للنبى صلى اللَّه عليه و آله و هو تعليم لجميع أمته. و معنى «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ» نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرک إياه. و قيل معناه: صل شكراً له على ما جدد لک من نعمة. و الاستغفار قد يكون عند ذكر المعصية بما ينافى الإصرار، و قد يكون على

---

(1) سورة 12 يوسف آية 76 [.....]
التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 426
وجه التسبيح، و الانقطاع إلى اللَّه.
و قوله «إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً» معناه إنه يقبل توبة من بقى كما قبل توبة من مضى.
و التوّاب فى صفة اللَّه الكثير القبول للتوبة، و فى صفة العباد الكثير الفعل

للتوبة. و قال قتادة: عاش النبى صلى اللّه عليه و آله بعد هذا سنتين ثم توفى صلى اللّه عليه و آله.

111-سورة اللهب ..... ص: 426

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و الضحاک، و هى خمس آيات بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
تَبَّتْ يَدا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَّ (1) ما أَغْنی عَنْهُ مالُهُ وَ ما كَسَبَ (2) سَيَصْلی ناراً ذاتَ لَهَبٍ (3) وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4)
فِی جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)
خمس آيات.
قرأ عاصم «حمالة الحطب» نصباً على الذم. الباقون بالرفع على أنه خبر الابتداء، و يجوز أن يكون ارتفع (امرأته) على انه فاعل «سَيَصْلی» فكأنه قال سيصلى أبو لهب و امرأته ناراً ذات لهب. و قرأ ابن كثير «يدا أبى لهب» ساكنة الهاء على التخفيف، كما قالوا فى نهر: نهر. الباقون بالتثقيل.
و روى أن أبا لهب كان قد عزم على أن يرمى النبى صلى اللّه عليه و آله بحجر فمنعه اللّه التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 427
من ذلک، و قال تبت يداه للمنع الذى وقع به. ثم قال «وَ تَبَّ» بالعقاب الذى ينزل به فيما بعد. و قيل فى قوله «تَبَّتْ يَدا أَبِی لَهَبٍ» أنه الدعاء عليه نحو قوله «قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّی يُؤْفَكُونَ» «1» فاما قوله «وَ تَبَّ» فانه خبر محض، كأنه قال:
و قد تب. و قيل: إنه جواب لقول أبى لهب: تباً لهذا من دين، حين
نادى النبى صلى اللّه عليه و آله بنى عبد المطلب، فلما اجتمعوا له قال لهم: إن اللّه بعثنى إلى الناس عاماً و إليكم خاصاً، و أن اعرض عليكم ما إن قبلتموه ملكتم به العرب و العجم، قالوا و ما ذلک يا محمد صلى اللّه عليه و آله قال: أن تقولوا لا إله إلا اللّه و انى رسول اللّه. فقال أبو لهب تباً لهذا من دين. فأنزل اللّه تعالى قوله «تَبَّتْ يَدا أَبِی لَهَبٍ»
و التباب الخسران المؤدى إلى الهلاک تبه يتب تباً، و التباب الهلاک. و فى «تَبَّتْ يَدا» مع أنه إخبار ذم لابى لهب لعنة اللّه، و إنما قال: تبت يداه و لم يقل: تب، مع انه هو الهالک فى الحقيقة لأنه جار مجرى قوله كسبت يداه، لأن اكثر العمل لما كان باليدين أضيف ذلک اليهما على معنى الخسران الذى أدى اليه العمل بهما.
و قوله «ما أَغْنی عَنْهُ مالُهُ وَ ما كَسَبَ» معناه ما نفعه ماله و لا الذى كسبه من الأموال، و لا دفع عنه عقاب اللّه حين نزل به، فالاغناء عنه الدفع عنه، فأما الإغناء بالمال و نحوه فهو دفع وقوع المضارّ به.
و قوله «سَيَصْلی ناراً ذاتَ لَهَبٍ» خبر من اللّه تعالى أن أبا لهب سيصلى ناراً ذات لهب، و هى نار جهنم المتلهبة. و فى ذلک دلالة على صدق النبى صلى اللّه عليه و آله، لأنه اخبر بأنه يموت على كفره، و كان الأمر على ذلک.

و قوله «وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» قال ابن عباس و الضحاک و ابن زيد: إن امرأة أبى لهب كانت تحمل الشوک فتطرحه فى طريق النبى صلى اللّه عليه و آله إذا خرج إلى الصلاة

---

(1) سورة 9 التوبة آية 31 و سورة 63 المنافقون آية 4

و قال عكرمة و مجاهد و قتادة: إنما وصفت بحمالة الحطب، لأنها كانت تمشى بالنميمة و قيل: حمالة الحطب فى النار. و فى ذلک دلالة أيضاً قاطعة على أنها تموت على الكفر. و امرأة أبى لهب أم جميل بنت حرب اخت أبى سفيان عمة معاوية، و قوله «فِى جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ» فالمسد حبل من ليف، و جمعه أمساد و إنما وصفت بهذه الصفة تخسيساً لها و تحقيراً و الجيد العنق، قال ذو الرمة:

فعيناک عيناها و لونک لونها و جيدک إلا انه غير عاطل

و قال ابو عبيدة: المسد حبل يكون من ضروب، قال الراجز:

و مسد امر عن أيانق صهب عناق ذات منح زاهق «1»

و المسد الليف لان من شأنه أن يفتل للحبل. و أصل المسد المحور من حديد، لأنه يدور بالفتل، و قال قوم: هو الليف المفتل.

فان قيل: ما الذى كان يجب على أبى لهب حين سمع هذه السورة؟ أ كان يجب عليه أن يؤمن؟ فلو آمن لكان فيه تكذيب خبر اللّه بأنه سيصلى ناراً ذات لهب، و إن لم يجب عليه الايمان فذلک خلاف الإجماع؟!! قيل: خبر اللّه مشروط بأنه سيصلى ناراً ذات لهب إن لم يؤمن، و يجب عليه أن يعلم ذلک، و هذا أبين الاجوبة و أظهرها. و اللّه أعلم.

---

(1) مجاز القرآن 2/ 315

112-سورة الإخلاص ..... ص: 429

اشارة

مكية فى قول ابن عباس، و قال الضحاک مدنية، و هى أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ (3) وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (4)
اربع آيات.
قرأ ابو عمرو- فى رواية هارون عنه- «احد اللَّه الصمد» بغير تنوين فى الوصل. و قرأ فى رواية نصر عن أبيه و احمد بن موسى عنه بالتنوين، وجه ترک التنوين أنه ينوى به الوقف، لأنه رأس آية مع انه قد يحذف التنوين لالتقاء الساكنين، و الوجه تحريكه، قال الشاعر:
فالفتيه غير مستعتب و لا ذاكر اللَّه إلا قليلا «1»
و قرأ «كفؤاً» بسكون الفاء- مهموزاً- حمزة و نافع على خلاف عن نافع.
الباقون بضم الفاء مهموزاً. و إنما قال فى أوائل هذه السور «قُلْ» و هى أوامر من اللَّه تعالى، لان المعنى قال لى جبرائيل «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فحكى النبى صلى الله عليه و آله ما قيل له. و قيل لسورة الإخلاص و قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ (المقشقشتان) و معناهما المبرئتان من الكفر و النفاق، كما يقشقش الهناء الجرب.

---

(1) مر 2/ 76 و 3/ 215 و 5/ 239، 393

و هذا امر من اللَّه تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه و آله ان يقول لجميع المكلفين «هُوَ اللَّهُ» الذى تحق له العبادة «أَحَدٌ» و معناه واحد، فقوله «هو» كناية عن اسم الرب، لأنهم قالوا ما ربک؟ قال هو اللَّه احد. و قال الكسائى «هو» عماد، و قوله «اللَّه» ابتداء، و خبره (أحد) و أنكر الفراء أن يكون العماد مستأنفاً، و اصل (أحد) وحد فقلبت الواو همزة، كما قيل: و ناه و أناه، لان الواو مكروهة أولا، و قد جاء وحد على الأصل قال الشاعر:
كأن رجلى و قد زال النهار بنا بذى الجليل على مستأنس وحد «1»
و حقيقة الوحد شىء لا ينقسم فى نفسه أو معنى صفته، فإذا أطلق احد من غير تقدم موصوف، فهو احد نفسه، فإذا جرى على موصوف، فهو احد فى معنى صفته، فإذا قيل: الجزء الذى لا يتجزأ واحد، فهو واحد فى معنى صفته، و إذا وصف تعالى بأنه احد، فمعناه أنه المختص بصفات لا يشاركه فيها غيره: من كونه قديماً و قادراً لنفسه و عالماً و حياً و موجوداً كذلک، و أنه تحق له العبادة لا تجوز لأحد سواه. و لا يجوز أن يكون (أحد) هذه هى التى تقع فى النفى، لأنها أعم العام على الجملة أحد، و التفصيل، فلا يصلح ذلک فى الإيجاب، كقولک ما فى الدار احد أى ما فيها واحد فقط و لا اكثر، و

يستحيل هذا فى الإيجاب، و فى قوله «اللّهُ أَحَدٌ» دليل فساد مذهب المجسمة، لأن الجسم ليس بأحد إذ هو اجزاء كثيرة، و قد دل اللَّه بهذا القول على أنه احد، فصح انه ليس بجسم.
و قوله «اللَّهُ الصَّمَدُ» معناه الذى تحق له العبادة هو الموصوف بأنه (الصمد) و قيل: فى معناه قولان:
أحدهما- قال ابن عباس و شقيق و ابو وائل: إنه السيد المعظم، كما قال الاسدى:

---

(1) اللسان (وحد، انس)

الابكر الناعى بخيرى بنى أسد بعمرو بن مسعود و بالسيد الصمد «1»
و قال الزبرقان:
و لا رهينة إلا السيد الصمد،
الثانى- ان معناه الذى يصمد اليه فى الحوائج ليس فوقه أحد، يقال: صمدت اليه أصمد إذا قصدت اليه إلا أن فى الصفة معنى التعظيم كيف تصرفت الحال.
و من قال: الصمد بمعنى المصمت، فقد جهل اللَّه، لأن المصمت هو المتضاغط الاجزاء و هو الذى لا جوف له و هذا تشبيه و كفر باللَّه تعالى.
و قوله «لَمْ يَلِدْ» نفى منه تعالى لكونه والد إله ولد.
و قوله «وَ لَمْ يُولَدْ» نفى لكونه مولود إله والد، لأن ذلک من صفات الأجسام و فيه ردّ على من قال: إن عزير و المسيح أبناء اللَّه تعالى، و إن الملائكة بنات اللَّه.
و قوله «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ» نفى من اللَّه تعالى أن يكون له مثل أو شبيه او نظير، و الكفو و الكفاء و الكفى واحد، و هو المثل و النظير، قال النابغة:
لا تقذفنى بركن لا كفاء له و لو تأثفک الاعداء بالرفد
و (أحد) مرفوع لأنه اسم (كان) و (كفواً) نصب، لأنه نعت نكرة متقدمة، كما تقول: عندى ظريفاً غلام، تريد عندى غلام ظريف، فلما قدمت النعت على المنعوت نصبته على الحال- فى قول البصريين- و على الظرف فى قول الكوفيين- و التقدير فى الآية و لم يكن له كفواً، و أخص منه و لم يكن أحد كفواً له، و إنما قدم الظرف الملغى مع أن تأخير الملغى أحسن فى الكلام لأنه أفضل بذكر الأنبه الأعرف، كما يتقدم الظرف الذى هو خبر و موضعه التأخير لهذه العلة فى مثل قولهم: لزيد مال و له عبد.

---

(1) مجاز القرآن الشاهد 950: 2/ 316

و لا حی من الأحیاء إلا و له مثل إلا اللّه تعالی، فلذلک قال «وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ کُفُواً أَحَدٌ» و
روی أن النبی صلی الله علیه و آله کان یقف عند آخر کل آیة من هذه السورة،
و کذلک کان یقرأ ابن مجاهد فی الصلاة ابتداء.

113-سورة الفلق ..... ص: 432

اشارة

مكية فى قول ابن عباس و قال الضحاک هى مدنية، و هى خمس آيات بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ (2) وَ مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ (3)
وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِى الْعُقَدِ (4)
وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ (5)
خمس آيات.
روى قتيبة إمالة (حاسد).
هذا أمر من اللَّه تعالى لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله و متوجه إلى جميع الخلق المكلفين بأن يستعيذوا من شر ما خلق، فالفلق الصبح- فى قول ابن عباس و الحسن و سعيد ابن جبير و جابر و مجاهد و قتادة و ابن زيد- و فى

الخلق. و قال قوم من أهل اللغة: الفلق الخلق، لأنه مفلوق. و منه «فالِقُ الْإِصْباحِ» «1» و «فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى» «2» و قيل للداهية فلقة، لأنها تفلق الظهر و أصل الفلق الفرق الواسع من قولهم: فلق رأسه بالسيف يفلقه فلقاً إذا فرقه فرقاً واسعاً. و يقال: أبين من فلق الصبح، لأن عموده ينفلق بالضياء عن و فرق الصبح الظلام. و قيل له فجر لانفجاره بذهاب ظلامه.
و قوله «مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ» عام فى جميع ما خلقه اللَّه فأنه ينبغى أن يستعاذ من شره ممن يجوز أن يحصل منه الشر، و قيل: المراد من شر الأشياء التى خلقها مثل السباع و الهوام و الشياطين و غير ذلک.
و قوله «وَ مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ» قال ابن عباس و الحسن و مجاهد: من شر الليل إذا دخل بظلامه. و قيل: الغاسق كل هاجم بضرر كائناً ما كان، فالغاسق فى اللغة هو الهاجم بضرره، و هو هنا الليل، لأنه يخرج السباع من آجامها و الهوام من مكامنها، و أصله الجريان بالضرر من قولهم: غسقت القرحة إذا جرى صديدها. و الغساق صديد أهل النار لسيلانه بالعذاب، و غسقت عينه غسقاناً إذا جرى دمعها بالضرر فى الخلق. و الليل غاسق لجريانه بالضرر فى إخراج السباع، و قال كعب: الغسق بيت فى جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حرّه، و معنى «وقب» دخل، وقب يقب وقوباً إذا دخل. و منه الوقبة النقرة، لأنه يدخل فيها.
و قوله «وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِى الْعُقَدِ» قال الحسن و قتادة: يعنى السحرة الذين كل ما عقدوا عقداً نفثوا فيه، و هو شبيه بالنفخ، فأما الثفل فنفخ بريق،

(1، 2) سورة 6 الانعام آية 95- 96

فهذا الفرق بين النفث و التفل، قال الفرزدق:
هما نفثا فى فىّ من فمويهما على النابح العاوى أشد رجام «1»
و قيل فى شر النفاثات قولان: أحدهما- إيهامهم أنهم يمرضون و يعافون، و يجوز ذلک مما يخيل رأى الإنسان من غير حقيقة لما يدعون من الحيلة بالاطعمة الضارة و الأمور المفسدة. الثانى- أنه بضرب من خدمة الجن يمتحن اللَّه تعالى بتخليتهم بعض الناس دون بعض. و لا يجوز أن يكون النبى صلى اللَّه عليه و آله سحر على ما رواه القصاص الجهال، لأن من يوصف بأنه مسحور، فقد خبل عقله. و قد أنكر اللَّه تعالى ذلک فى قوله «وَ قالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً» «2» و لكن قد يجوز أن يكون بعض اليهود اجتهد فى ذلک فلم يقدر عليه، فأطلع اللَّه نبيه على ما فعله حتى استخرج ما فعلوه من التمويه، و كان دلالة على صدقه و معجزة له.
و قوله «وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ» فالحاسد هو الذى يتمنى زوال النعمة عن صاحبها، و إن لم يردها لنفسه. و الغبطة أن يريد من النعمة لنفسه مثل ما لصاحبه و أن لم يرد زوالها عنه، فالغبطة محمودة و الحسد مذموم. و فى السورة ما يستدفع به الشرور بإذن اللَّه على تلاوة ذلک بالإخلاص فيه، و الاتباع لأمر اللَّه. و
كان النبى صلى اللَّه عليه و آله كثيراً ما يعوّذ به الحسن و الحسين بهاتين السورتين.
و قيل إن اللواتى سحرن النبى صلى اللَّه عليه و آله بنات لبيد بن أعصم اليهودى، سحرنه فى أحدى عشرة عقدة، فأنزل اللَّه تعالى السورتين، و هما أحدى عشرة آية فحل بكل آية عقدة.

---

(1) ديوانه 771 (نشر الصاوى)
(2) سورة 17 الإسراء آية 47 و سورة 25 الفرقان آية 8

114-سورة الناس ..... ص: 435

اشارة

و هی ست آیات بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنَّاسِ (4)
الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ (6)
ست آيات.
كان الكسائى فى رواية أبى عمير يميل «الناس» لكسرة السين، و هو حسن الباقون يتركون الامالة، و هو الأصل.
هذا أمر من اللَّه تعالى لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله و يدخل فيه المكلفون، يأمرهم أن يستعيذوا «بِرَبِّ النَّاسِ» و خالقهم الذى هو «مَلِكِ النَّاسِ» و مدبرهم و إلههم «مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ» و أن يقولوا هذا القول الذى هو «أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ...»
إلى آخرها و «بِرَبِّ النَّاسِ» هو الذى خلقهم و دبرهم على حسب ما اقتضته الحكمة و قوله «مَلِكِ النَّاسِ» إنما خص بأنه ملك الناس مع أنه ملك الخلق أجمعين لبيان أن مدبر جميع الناس قادر أن يعيذهم من شر ما استعاذوا منه مع أنه أحق بالتعظيم من ملوك الناس.
و الفرق بين (ملك) و (مالك) حتى جازا جميعا فى فاتحة الكتاب و لم يجز التبيان فى تفسير القرآن، ج10، ص: 436
- هاهنا- إلا ملك، لأن صفة ملك تدل على تدبير من يشعر بالتدبير، و ليس كذلك مالك، لأنه يجوز أن يقال: مالك الثوب، و لا يجوز ملك الثوب، و يجوز أن يقال:
ملك الروم، و لا يجوز مالك الروم، فجرت- فى فاتحة الكتاب- على معنى الملك فى يوم الجزاء، و مالك الجزاء، و جرت فى سورة الناس على (ملك) تدبير من يعقل التدبير، فكأن هذا أحسن و أولى.
و قوله «إِلهِ النَّاسِ» معناه أنه الذى يجب على الناس أن يعبدوه، لأنه الذى تحق له العبادة دون غيره «مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ» حديث النفس بما هو كالصوت الخفى و أصله الصوت الخفى من قول الأعشى:
تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل «1»
و قال روبة:
وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق سراً و قد أوّن تأوين العقق «2»
و الوسوسة كالهمهمة و منه قولهم: فلان موسوس إذا غلبت عليه الوسوسة لما يعتريه من المرة. وسوس يوسوس وسواساً و وسوسة و توسوس توسوساً. و فى معنى قوله «مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ» ثلاثة أقوال:
أحدها- من شر الوسوسة التى تكون من الجنة و الناس، فأمر بالتعوذ من

شر الجن و الانس.
الثانى- من شر ذى الوسواس و هو الشيطان، كما قال فى الأثر: انه يوسوس فإذا ذكر العبد ربه خنس، فيكون قوله «مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ» بيان انه منهم، كما قال «إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ» «3» فأما «و الناس» فعطف عليه كأنه قيل من الشيطان

---

(1) مر فى 4/ 397
(2) مر فى 4/ 397 و 9/ 363
(3) سورة 18 الكهف آية 51

الذى هذه صفته و الناس الذين هذه صفتهم، الثالث- من شر ذى الوسواس الخناس على العموم، ثم يفسر بقوله- عز و جل- من «الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ» كما يقال: نعوذ باللّه من كل مارد: من الجن و الانس و قوله «الْخَنَّاسِ» معناه الكثير الاختفاء بعد الظهور، خنس يخنس خنوساً، و منه قوله «فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ» «1» أى بالنجوم التى تخفى بعد ما تظهر بتصريف الحكيم الذى أجراها على حق حسن التدبير، و منه الخنس فى الانف لخفائه بانخفاضه عند ما يظهر بنتوئه. قال مجاهد: إذا ذكر العبد ربه خنس، فإذا غفل وسوس اليه و قوله «الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ» قيل: ان الشيطان يعترى الإنسان بكلام خفى بفعله يصل مفهومه إلى قلبه من غير سماع صوته، كإنسان يتكلم من وراء حجاب بكلام يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع الصوت، و هذه حالة معقولة تقع عليها الوسوسة و أما الإنسان فإنما يوسوس غيره بأن يدعوه إلى الفساد و يحسن ذلک و يغويه به و يسوفه التوبة و يمنيه العفو، و قوله «مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ» بيان لمن يكون منه الوسوسة و قد بين اللّه تعالى أنه يكون من قبيل الجن و من قبيل الانس. و الناس أصله من الأناس، فحذفت الهمزة التى هى فاء و يدل على ذلک الانس و الأناس. و اما فى تحقيره نويس، فان الالف لما كانت ثانية زائدة أشبهت الف فاعل، فلما قلبت واواً شبهة بألف فاعل كذلک جازت الإمالة فى المواضع التى أميل الاسم فيها لذلک، و من سأل عن قوله «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ. و قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ و سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ» و ما أشبه ذلک من الأوامر المتوجهة إلى النبى صلى اللّه عليه و آله فقال: كيف جاز من النبى صلى اللّه عليه و آله أن يقول: قل للأمة؟ و لو جاز ذلک لجاز أن يقول الإنسان لغلامه قل لزيد كذا فيقول غلامه لزيد: قل كذا. و هذا خلاف الغرض.

---

(1) سورة 81 التكوير آية 15

قلنا عنه جوابان:

أحدهما- ان الامر و إن كان متوجهاَ إلى النبى صلى اللّه عليه و آله فالمراد به أمته معه، فكأنه خاطب الجميع بان يقولوا ذلک و أن يسبحوا و غير ذلک، فلا سؤال على هذا.
و الثانى- ان اللَّه تعالى أمر النبى صلى اللَّه عليه و آله بأن يفعل الذى أمره و أمره أيضاً بتلاوة كلامه، فلما كان قوله «قل، و سبح» من كلام اللَّه وجب عليه أن يتلوه على وجهه و لو كان مأموراً بالفعل دون التلاوة لما وجب أن يأتى بلفظة «قل» فى هذه المواضع كلها و جميع أى القرآن فى البصرى ست آلاف و مائتان و أربع آيات.
و فى المدنى الاول ست آلاف و مائتان و سبع عشرة آية.
و فى الكوفى ست آلاف و مائتان و ست و ثلاثون آية.
و فى المدنى الأخير ست آلاف و مائتان و اربع عشرة آية.
و جميع ما نزل بمكة خمس و ثمانون سورة لا خلاف فى ذلک.
و بالمدينة تسع و عشرون سورة لا خلاف فى ذلک.
فذلک مائة و أربع عشرة سورة.
و على ما رويناه على أصحابنا و عن جماعة متقدمين مائة و اثنتا عشرة سورة.
و عدد جميع كلمات القرآن تسع و سبعون ألفاً و مائتان و سبع و سبعون كلمة.
و يقال سبع و ثمانون كلمة. و يقال تسع و ثلاثون كلمة.
و جميع حروفه ثلاثمائة الف حرف و ثلاثة و عشرون الفاً و خمسة عشر الفاً.
و عدد نقطة مائة الف و ست و خمسون الفاً و إحدى و ثمانون نقطة.
تم المجلد العاشر و به تم الكتاب و الحمد للّه

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/41).
قالَ الإمامُ علىّ ُبنُ موسَى الرِّضا – علـَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَـنـادِرُ البِحـار – فى تلخيص بحـار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص 159؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب28، ج1/ ص307).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثـَّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابِـذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علـَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنـَةِ 1340 الهجريّة الشمسيّة (=1380 الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسة ً و طريقة ً لم يَـنطـَفِئ مِصباحُها، بل تـُتـَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قدَ ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنـَةِ 1385 الهجريّة الشمسيّة (=1427 الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمع ٍمن خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتـَّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثـَقافة الثـَّقـَلـَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشـَّباب و عموم الناس إلى التـَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النـّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثـَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطـّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشـُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...
- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدة ً، على أنـّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد - و نشرِ الثـَّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالـَم - مِن جِهةٍ أُخرَى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:
الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة

مسابقات القِراءة
ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول
ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...
د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ
ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة
و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: 00983112350524)
ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشک، و الرّسائل القصيرة SMS
ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...
ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة
ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّـِى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنـَة
المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد"/ ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائى"/بناية"القائميّة"
تاريخ التأسيس: 1385 الهجريّة الشمسيّة (=1427 الهجرية القمريّة)
رقم التسجيل: 2373
الهويّة الوطنيّة: 10860152026
الموقع: www.ghaemiyeh.com
البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com
المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com
الهاتف: 25-2357023- (0098311)
الفاكس: 2357022 (0311)
مكتب طهرانَ 88318722 (021)
التـِّجاريّة و المَبيعات 09132000109
امور المستخدمين 2333045(0311)
ملاحَظة هامّة:
الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايد و المتـَّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـَّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلک،

يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التـّمكـّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

